العربي

العدد ٢٣٠ - محرم ١٣٩٨ - يناير (كانون ٢) ١٩٧٨



فن العرائس يتجدد

بعد أن عرفه العرب من قديم





العرب وافريقيا

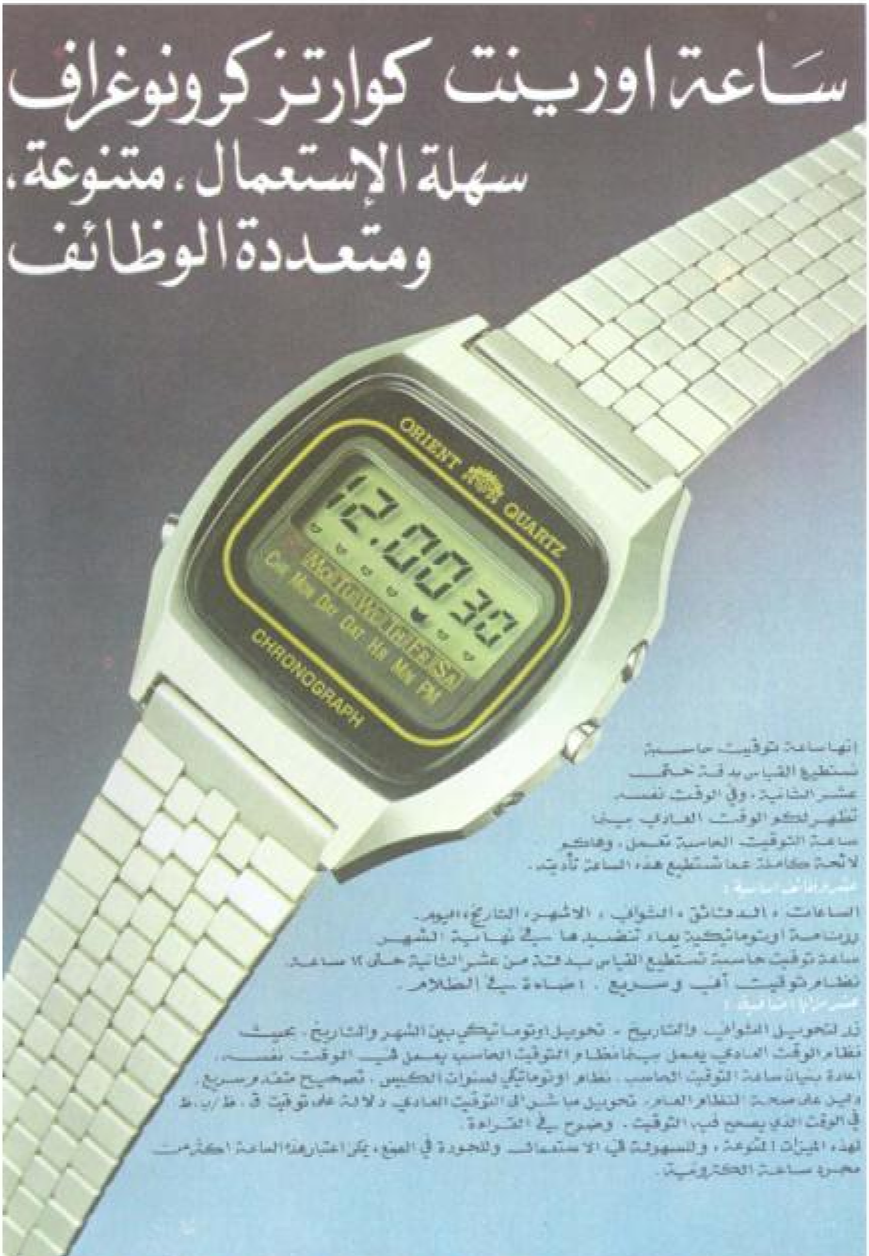
ساحة الصّراع الدولي الجديد

"جزء خاص"

هديـة

لوحة الحواس الخمس

عدد ممتاز


ساعة اورينت كوارتز كرونوغراف
سهلة الإستعمال، متنوعة،
ومتعددة الوظائف
ORIENT
QUARTZ
CHRONOGRAPH
إنها ساعة توقيت حاسبة
تستطيع القياس بدقة حتى
عشر الثانية، وفي الوقت نفسه
تظهر لكم الوقت العادي بينما
ساعة التوقيت الحاسبة تعمل، وهاكم
لائحة كاملة عما تستطيع هذه الساعة تأديته.
الساعات، الدقائق، الثواني، الأشهر، التاريخ، اليوم.
روزنامة أوتوماتيكية يعاد تنضيدها في نهاية الشهر
ساعة توقيت حاسبة تستطيع القياس بدقة من عشر الثانية حتى ١٢ ساعة.
نظام توقيت آلي وسريع. اضاءة في الظلام.
زر لتحويل الثواني والتاريخ - تحويل أوتوماتيكي بين الشهر والتاريخ. بحيث
نظام الوقت العادي يعمل بينما نظام التوقيت الحاسب يعمل في الوقت نفسه.
اعادة بناء ساعة التوقيت الحاسب. نظام أوتوماتيكي لسنوات الكبيس. تصحيح متقدم وسريع
تحويل مباشر الى التوقيت العادي دلالة على توقيت ق.ظ/ب.ظ
في الوقت الذي يصحح فيه التوقيت. وضوح في القراءة.
لهذه الميزات المتنوعة، والسهولة في الاستعمال والجودة في الصنع، يمكن اعتبار هذه الساعة اكثر من
مجرد ساعة الكترونية.
ORIENT اورينت
Tokyo, Japan.

عزيزي القارئ

في هذا العدد الممتاز من « العربي » نحاول ان نقترب اكثر من هدف حددناه منذ فترة ، هو ان تواكب المجلة ـ قدر الامكان ـ العصر الذى نعيشه ، باحداثه وقضاياه ومعاناته ، وتطلعات الجماهير العربية فيه الى غد افضل • وهذا مع محاولة الارتفاع المستمر فى مستوى تحرير كل سطر فى المجلة ، وهو طريق طويل •

نحاول هذا العدد الممتاز ان نعيش المحنة الراهنة للامة العربية ، بشقيها السياسى والاقتصادى •ونقترب ـ فى جزء خاص ـ من افريقيا باعتبارها ساحة الصراع الدولى الجديد ، ونقطة الارتكاز المباشرة وراء ظهر العالم العربى• ونحاول أيضا أن نغطى بمعالجات مختلفة أعرض مساحة ممكنه من العالم العربى • من المغرب الى لبنان والارض المحتلة ، الى الكويت واليمن والسعودية •

فى هذا العدد ايضا زاوية جديدة بعنوان « اقوال معاصرة » تحاول ان تلفت انظار القارىء العربى الى شهادات ذات مغزى ، على ألسنة السياسيين والمفكرين فى مختلف عواصم العالم ، تغطى الاحداث التى نتابعها ، وتكشفها احيانا •

ويحتل الكاريكاتير صفحتين على الاقل ابتداء من هذا العدد ، نرتاح عندهما احيانا ، ونبتسم احيانا اخرى ، وننقل زفرات الانسان العربى كلما تيسر •

نقول ذلك عن عدد بين يديك بالفعل ، كما أننا لن نتحدث عما هو قادم من اضافات الا عندما تتحقق هذه الاضافات على صفحات المجلة باذن الله •

ونؤكد دائما على أن كل ما نضيفه أنما هو استكمال لمسيرة مشرقة بدأتها « العربى » منذ ١٩ عاما ، حققت خلالها الكثير خدمة للعقل العربى في أنحاء وطننا الكبير• ونؤكد ايضا أن ما حققته هذه المسيرة من نجاح ، لم يكن ليتم بغير تشجيع القارىء العربى الذى نعتز ونفخر به دائما •

والعدد الآن بين يديك ـ عزيزى القارىء ـ لتتثبت منه على صحة ما نقول !

■■

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

سياسة واقتصاد :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

شخصيات :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 230 January 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعـــــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـــلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغـلاف

● منذ عرف الانسان كيف يعبر عن نفسه ، كانت العرائس احدى وسائل التعبير • وعند العرب احتلت العرائس مكانا حتى خصص العالم العربي الرزاز الجذرى كتابا عنها باسم « كتاب الجامع بين العلم والعمل » كما كتب ابو عامر الاندلسى « الباهر فى عجائب الحيل » •• وعلى الصفحات من ١١٤ الى ١١٩ ، رحلة فـي عالم العرائس بكل ما فيه من طرافة واثارة وجمال •

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٢ر٥ دينار • المغرب ٢ر٥ درهم • اليمن ٢ر٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص • ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان •
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر •
« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

سنة التمزق

« كتب هذا الحديث وأعد للطبع ، قبل الانفجار المفجع الاخير في علاقات الحكومات العربية • والا لاستوجب الامر حديثا اطول وانسب ! »

•• ومن الواجب انها ليست اول سنة يمكن ان يطلق عليها هذا الاسم • عرفنا قبلها سنوات وربما سنعرف بعدها سنوات، يمكن ان تحمل بدورها هذا اللقب •ولكن الذى لا شك فيه ، هو ان سنة ١٩٧٧ التي انقضت تستحق هذا الاسم عن جدارة واستحقاق •

والذى يجعل هذه الحقيقة اقسى على النفس ، انها كانت سنة حافلة بالامتحانات القاسية التي واجهت الامة العربية :الامتحانات التى من شانها ان توحد الصفوف ، وتجمع الشتات • سنة من سنوات الضغط على العالم العربى فى مجالات كثيرة • ضغوط تذكرنا بكلمة جمال الدين الافغاني حين اشتد الاستبداد وضاق الحال بالعباد ، فقال فى تفاؤل « بالضغط والتضييق تلتحم الاجزاء المبعثرة • والازمة تلد الهمة ! » •

ولكن هذا الذى حدث في عالمنا العربي كان غير ذلك • فامام الضغط والتضييق لم تلتحم الاجزاء المبعثرة ، بل زادت تبعثرا ••

ونحن فى هذا المنبر، لا نتعقب الاحداث في تفاصيلها . فالمجلة الشهرية وجدت لتأمل الاحداث في مجموعها، وللنظر اليها من بعيد • لان الفرق في تفاصيل الاحداث له ضرورة • كما أن تأمل الاحداث في مجملها ومن بعيد له ضرورة اخرى • فالمشهد من المكانين مختلف • ورؤية المشهد من المكانين ضرورية ، لاتغنى احداهما عن الاخرى • خصوصا حين تكون المناسبة ــ اول عام جديد ــ تدعو الى رؤية احداث ٣٦٥ يوم في نظرة كلية شاملة• ولا اقول كذا الف ساعة • لان عالم اليوم تتلاحق فيه الاحداث بالساعات احيانا وليس بالايام فحسب •

فحين نسترجع ما جرى خلال سنة ١٩٧٧، سوف نجد ظواهر تلفت النظر ••

● في السياسات العامة ازاء القضايا القومية الشاملة ــ اسرائيل ، البترول ، الصراع فى القرن الافريقي (الصومال واثيوبيا واريتريا) ، الحرب الاهلية اللبنانية ــ لا نجد موقفا قط تجمعت فيه كلمة الدول العربية كلها ، أو على الاقل توحدت فيه كلمة « اغلبية ساحقة » من هذه الدول •• ازاء القوى الخارجية ••

● فى السياسات العربية الداخلية ــ اى بين العرب وانفسهم وليس بين العرب

العربى ..!!

بقلم : أحمد بهاء الدين

والعالم ـ نجد أن الخلافات تصاعدت ولم تتراجع • فاكثر من حدود عربية ـ عربية، جوها مكهرب ، وسماواتها مكفهرة ، محملة بالنذر الخطيرة • واحيانا وصل الامر الى حد القتال ، وجرح لبنان الذى توقعنا أول سنة ١٩٧٧ أن يندمل، ظل ينزف حتى آخر شهر من تلك السنة تقريبا •

● وبنفس النظرة الى الامور من بعيد ، نرى ظاهرة أخرى خطيرة ، ربما لا نحس بها حين نصادفها فى جزئياتها كل يوم بيومه ، ولكننا نراها واضحة حين نجمع الجزئيات فى « كل » واحد •

هذه الظاهرة ، هى تصاعد النبرة الاقليمية فى الكثير من الاقطار العربية ، القديمة منها والناشئة •

وبالنسبة لى ، فاننى لم اكن ابدا من القائلين بالتعارض الحتمى بين الروح الوطنية المحلية والروح القومية العامة •فالروح الوطنية لا يمكن قهرها ، وليس من الصواب قهرها باساليب مصطنعة أيا كانت •وهى اذا ظلت فى حدودها المعقولة ليست سلبية الاثار على النزعة القومية .ثم ان ظهور الروح القومية العربية وتصاعدها فى الربع قرن الاخير ، اقترن بمولد كيانات عربية جديدة فى صورة دول مستقلة ، فكان على المواطن فى اقطار عربية كثيرة ـ لم تكن دولا من قبل ، او كانت هويتها محل نزاع ـ كان على المواطن فى هذه الحالة مواجهة مرحلة قلق بين الصفة المحلية والصفة القومية ،حتى يصل الى الانسجام المطلوب •

ولكن المشكلة التى اشير اليها واعتبرها ظاهرة سلبية ،فى كشف حساب سنة ١٩٧٧، هى حين تكون الدوافع الى اذكاء الروح الوطنية الاقليمية سلبية ، مضادة لمسيرة الاتجاه القومى بوجه عام ••

والسبب بالطبع يرجع الى التفسخ العربى العام فى سياساته ازاء الغير ••

ويرجع ثانيا الى ما حدث من تفاوت شديد بين الدول العربية فى حظوظ الفقر والثراء •••

ويرجع ثالثا الى الحرب الصليبية الشاملة التي يشنها العالم بمختلف قواه على الامة العربية ، وساتحدث عن هذا السبب بمفرده بعد قليل ..

ويرجع رابعا الى سبب قد يبدو غريبا ، وهو حاجة العرب النفسية بصفة عامة ، حاجة ماسة ، الى « نصر عربي » كبير . نصر من اى نوع . نصر عسكرى أو سياسى أو معنوى . فالعربي يشعر أن لديه المال . ولديه الخبرة . ولديه التراث . ولديه العقيدة . ولديه الموقع الاستراتيجي . ولكنه لا يحرز نصرا ما ، بمستوى هذه الاشياء المتوفرة له . والتعطش الشديد في هذه الحالة ، يولد نفسية سلبية خطيرة .

في ظل هذه المحن كلها ، يسهل على الحاكم احيانا ان يدعم وجوده باذكاء روح اقليمية متعصبة ، وهي روح من السهل دائما اشعالها . واحيانا يسهل على دولة اخرى ان تبعد بسفينتها عن بحر السياسة العربية الهائج ، عن رغبة في النجاة من الاخطار ، فتجد نفسها تنمي الروح الاقليمية ولو دون ان تدرى .

واحب هنا ، ان اقف قليلا عند البند « ثالثا » عن الحرب الصليبية الشاملة التي يشنها العالم بمختلف قواه على الامة العربية » .

فمنذ اكثر من سنة كتبت في هذا المكان تحت عنوان « نحن نعيش الان الحرب الصليبية العاشرة » ولا اريد ان أعيد ما كتبته من قبل .

ولكن الامر خلاصته ان الحروب الصليبية القديمة والحديثة كانت دوافعها سياسية واقتصادية وقومية وحضارية وليست مجرد دينيه . وكان السبب الديني يشحب مع الزمن ويزيد اثر العوامل الاخرى تدريجيا حتى عصرنا الراهن ..

ولكن الحقيقة تبقى قائمة . كان الغرب التوسعي ، الذى يتقدم فى اطراد ، يريد ان يغزو . او يخترق او يحطم تلك الكتلة الكبرى التى استوعبتها يوما عقيدة واحدة وثقافة واحدة .. من قلب القارة الهندية الى المحيط الاطلنطى .

وفى العصر الحديث حين ظهرت القوميات ، بقيت المنطقة العربية على الاقل من هذا العالم متماسكة . متماسكة فى جذورها وفى تراثها وفي عقيدة اغلبيتها الساحقة ، حتى ولو مزقتها الاحتلالات ، ورسمت حدودها اعتسافا على موائد بعيدة في لندن وباريس .

وفي الوقت الراهن ، وقد تحررت الامة العربية من الاحتلال الاجنبي لكل اجزائها وبعد ان احرزت انتصارات مرموقة في فترات ما ، وبعد ان اضيف الى اهميتها الاستراتيجية ، والى احتمالات توحدها او تكاملها بأى شكل كان ، بعد ان اضيف الى هذه العناصر ، عنصر آخر هو تركز معظم مخزون البترول فى العالم ، وهو المادة التي قامت عليها الحضارة الحديثة الى الان ، وما تلا ذلك من تدفق المال من خزائن الغرب الى هذه المنطقة .. بعد هذا كله صار للامة العربية امكانيات هائلة . لن يسمح لها العالم الخارجي بسهولة ان تلتقط انفاسها . وتنفض غبار التخلف عن ثيابها ، وتضع اقدامها بثبات على عتبات قوة جديدة ، تجعلها قادرة على ان تزاحم بكتفيها القوى الاخرى المتحكمة فى عالم الامس واليوم .

هذا وضع يتحدى الاوضاع العالمية الاخرى .

هذا مستقبل عربي يحاربه العالم اجمع .

واذا كنت لا اقصد العالم اجمع تحديدا،فانني اقصد معظم القوى الاساسية الفاعلة في العالم ..

الولايات المتحدة لا تقبل هذا الوضع ،وقد اصبحت دولة مستوردة للبترول،فضلا عن مصالحها كدولة كبرى .

الاتحاد السوفييتي لا يرضيه هذا الوضع ، اذ يصبح له جار قوى آخر ، قريب جدا منه ، ويتحكم في كثير من منافذه .

كتلة غرب اوروبا لا ترضى بهذا الوضع ، اذ تصبح معظم سواحل البحر الابيض المتوسط متجمعة في ارادة واحدة.وتصبح هذه المنطقة الفاصلة او الموصلة بينها وبين باقي افريقيا متجمعة في ارادة واحدة ، تحدثها كما تحدث العالم بلغة واحدة .

ولقد قلت في حديث آخر منذ زمن ،إن العالم سيشن على العرب خلال السنوات الحالية والمقبلة ، اي آخر الثمانينات على الاقل ، حربا صليبية شاملة ، متعددة الوسائل والاهداف والاتجاهات .. حتى يستنفد طاقته ، ويبدد ثروته ، ويضيع على امتنا فرصة لم تسنح لها منذ السنين ، للانتفاض .

ونستطيع هنا ان نتحدث عما رأيناه وشهدناه فعلا ، دون أن نلجأ الى الاستنتاج والتخمين ...

● ان الخلافات العربية امر نحن المسئولون عنه قبل غيرنا.وما عدنا اطفالا سذجا . ولكن هذا لا ينفي وجود الدور الاكيد للايدي الاجنبية في اذكائها . ومن يراجع الوثائق القديمة التي نشرت ،والمراجع الجديدة عما يحدث وراء الكواليس ، والمبالغ الهائلة التي تدفع ..الى آخره .. لا يجوز له أن يستبعد دور هذه الايدي الاجنبية بهزة رأس .

ان وسائل هذه الايدي لا تنتهي . وهي تفوق في غرابتها الخيال . وما تجنيه من هذا الدهاء كثير . من الناحية السياسية تنعدم القوة العربية تقريبا ازاء العالم وتصبح كما قال كاتب عربي كبير « قوة صوتية » فقط . ومن الناحية الاقتصادية تنقذ قوى الغرب نفسها ، بايجاد ظروف تجعل الدول العربية تدفع لها آلاف الملايين كل سنة ثمنا لشراء اسلحة اغلب الظن انها لن تستعمل يوما فيما وجدت من أجله . ومن الناحية المالية ، تلعب الاموال العربية اكبر دور في استمرار الحركة المالية في دول عالم الغرب . ومن الناحية البترولية ، يستخدمون بترولنا ويحتفظون قدر الطاقة بمخزون بترولهم .

ثم انه ليس مصادفة اشتعال كل هذه الحرائق على الحدود العربية ، وعلى مقربة من الحدود العربية ، كالحرائق الناشبة في بلاد القرن الافريقي ، وحيرة العرب ازاء اشياء ومفارقات تجرى كالالغاز في الصومال وأثيوبيا وأريتريا، والعرب فيها أحيانا طرف ، وأحيانا ليسوا بطرف.وتحرك الدول الكبرى عند هذا الجزء العربي ، ثم الواقع عند خط التماس بين العرب وسائر افريقيا ، فضلا عن كونه موقعا حاكما لمدخل البحر الاحمر .

لماذا قفزت روسيا من الصومال الى اثيوبيا؟ولماذا سكتت امريكا ـ حتى الان ـ عن قفزة روسيا الى اثيوبيا ، احد أهم معاقل أمريكا حتى وقت قريب ، أهم لها

على الاقل من انجولا التي جربت التدخل فيها ؟ ولماذا شجعت أمريكا وغرب أوروبا الصومال اول الامر ، ووعدوها بالسلاح ،فلما تورطت الصومال تماما ، تركوها لشأنها وسحبوا الوعود •• ؟

امور تحتاج الى تأمل عميق،لا تجرفنا فيه التيارات السطحية كالعادة ••

وهي امور هامة ، لانه ربما يتوقف على المسلك العربي • فى هذه المنطقة التي تتداخل فيها العروبة بالافريقية الزنجية ، ويتداخل فيها الاسلام بالمسيحية والوثنية والقبائلية •. اقول ربما يتوقف على المسلك العربى فى تلك المنطقة المعقدة، علاقات العرب بكامل العالم الافريقي ••وقوى كثيرة وكبيرة تريد عزل العرب عن العالم الافريقي . وليس من مصلحة العرب ان يحاط بهم من الجنوب ولا خلق خط من العداء عبر القارة الافريقية ، عداء مصطنع وغير حقيقي وليس فى مصلحة اى من الطرفين •. انما هو في مصلحة الذين يدبرون لنا « حرب الانهاك والاستنزاف » اينما استطاعوا الى ذلك سبيلا •

ومن السلبيات العربية الهامة ، التي تحدث دائما ، حتى تعودنا عليها منذ زمن، ظاهره اخرى لم تنفرد بها سنة ۱۹۷۷ ،ولكنها تكررت فيها ، ولا بد من اثارتها لدى الرأى العام العربى وخلق تيار من الاعتراض عليها •

ان الحكومات العربيه تختلف على امورهامة او بسيطه•حسن • هذا امر لانتمناه، ولكن ليس من السهل المطالبة بايقافه •وكل دول العالم ، حتى المتحالفة منها ، او الداخلة فى حركة وحدة كاوروبا ،تختلف •

ولكن ••

لماذا اذا اختلفت حكومات على قضايا سياسية ، يمتد هذا الى حياة الافراد ابناء الشعوب العربية فى حياتهم العادية والبعيدة تماما عن القضايا السياسية محل البحث ؟

لقد تعودنا •• اذا اختلفت حكومات عربية ، ايا كانت ، ان يقترن بذلك اجراءات غير جائزة ولا تؤدى الى اى غرض ••

طرد رعايا هذه الدولة او تلك

قطع طرق المواصلات البرية او الجوية او البحرية •••

اغلاق الحدود في وجه الناس العاديين الذين يتنقلون من اجل تجارة او قرابة ، أو تحصيل ودراسة • أو حتى سياحة •

اغلاق مكاتب التجارة ، أو مرافق تعاون اقتصادى• او مكاتب طيران • أو غيرها•

لماذا ؟

ضرورات الامن ـ في مفهوم حكوماتنا ـ لا نستطيع الاعتراض عليها • ولكن ما قيمة اجهزة الامن ـ الكثيفة جدا في العالم العربي ـ اذا كانت لا تستطيع تحمل مسئولياتها ، مع بقاء شرايين الحياة العادية متصلة والدورة النموية العربية غير مقطوعة ؟

اننا لا نعرف عن بلد عربى كسب قضيته ازاء بلد عربى آخر بمثل هذه

الاجراءات ·· والا لفهمنا أن هناك ما يبررها ·

فهي مجرد تعبير عن غضب · عن سخط · ثم تعود الامور بعد شهور الى ما كانت عليه ·

ولكن اثر هذا التقطيع للاوصال لايقتصر على الاسابيع والشهور التي يستمر فيها فقط · انه يزعزع كل ثقة ، ولايشجع على استمرار وتواصل الحركة بين المجتمعات العربية · فهذا الاستمرار يحتاج الى اطمئنان · والى شعور بأن خلافات السياسة لن تمتد اليه ، الى حياة المواطنين المسالمين العاملين في شتى الميادين ، فهم ملح الارض ، ومجموع نشاطهم هو اكثر ما يضيف الى التواصل والتكامل العربي·

·· في القاهرة ، اكتشف السواح والاجانب قرية اسمها « كرداسة » ، غرب نهر النيل ، وعلى الحافة بين الخضرة والصحراء ، لانها تصنع اقمشة جميلة غير مألوفة ، وصار كل اجنبي يأتي لا بد ان يحج اليها ويشتري · وحين زرتها وجدتها قرية غريبة · كل بيت فيه نول يدوي او اكثر · والرجال والنساء والاطفال يصنعون عليه الاقمشة التقليدية او انواع السجاد · انوال قديمة جدا ومتخلفة جدا · وساذجة طبعا · لمن كانت هذه القرية تبيع قبل ان يصبح انتاجها « تقليعة » وموضة بين الاجانب وسكان القاهرة · وقال اهلها لي : منذ مئات السنين وقريتهم وعدة قرى مشابهة ، تصنع كل ثياب البدو من اول الصحراء الغربية ، الى اخر ليبيا من الطرف المغربي ! تتقلب السياسة وتتوالى العصور وهذا الخيط الطبيعي مستمر ·· بالقانون او بالتهريب ·· فهذه حاجة الناس هنا وهناك اتصلت بهذا الخيط الرفيع عبر مئات الاميال من الصحراء القاحلة ···

··· وفي كوم امبو ، في آخر صعيد مصر ، زرت القرى النائية ، فاكتشفت ان « طريق الاربعين » الذي قيل لنا في المدارس انه اندثر ، ما زال موجودا وحيا ومستعملا ·· والعائلات في جنوب مصر وشمال السودان ، متصاهرة ، ومتشاركة في تجارات شتى ، وتتزاور في المواسم ، عبر هذا الطريق البدائي جدا ، الشاق جدا ·· حيث عجزت الحكومات منذ الحكم الانجليزي ان تخلق طرقا جديدة ، من سفن نيلية ، او سكك حديدية ، او طريق ممهد ، تستطيع أن تستخدم وسائل النقل الحديثة من لوريات وسيارات ·

حقائق ، وحقائق عميقة ، لان الجسد العربي فعلا جسد واحد · وكما أن جسم الانسان يقاوم الجروح ويلتئم بنفسه ، كذلك فهذه امثلة من مقاومة الجسم العربي لعمليات التقطيع ، او لعوادي الزمن ، او حتى لتحديات العصر الحديث ···

ولست اشك ان امثلة ذلك ، بين شتى الاقطار العربية ، متكررة وموجودة ···

فهل يقبل بعد هذا ، استمرار تلك الظاهرة السلبية ، وهي اقتران كل خلاف سياسي بتقطيع ما وصله التاريخ ، دون انتظار اي عائد فعلي ، سوى ابداء السخط والغضب ···

مسألة ليست فرعية ابدا ، وقد آن الأوان للوقوف في وجهها · ان هذه الصلات واستمرارها ، اهم من اجتماعات وزراء العدل العرب ·· ووزراء الطب العرب ·· ووزراء الاوقاف العرب ·· الى آخر القائمة ، رغم ان هذا في ذاته امر نرحب به ونتمنى ان تكون له نتائج فعلية ، اكثر من المظهريات في الصحف وعلى شاشات التلفزيون !

ولماذا لا تتقدم دولة عربية بمشروع لاول اجتماع للجان عربية تستصلر به قرارا بفصل الخلافات السياسية تماما عن هذه الاجراءات ؟

انني استاذن في انتهاز فرصة بدء عام جديد ، وما يبدو انه مرحلة جديدة في العلاقات العربية « الرسمية » ، لكي اوجه هذا التحذير الى الامة العربية كافة !٠٠٠

ان الفترة الذهبية المتاحة من اجل القيام بقفزة كبرى في الحياة العربية والقوة العربية ٠٠ لا تزيد عن عشر سنوات ٠٠ على الاكثر حتى نهاية ١٩٨٠ ! والوقت يجرى بسرعة مذهلة ! فكثيرون منا قالوا مثل هذا الكلام في اول سنة ١٩٧٠ ، وكاننا كنا نقوله بالامس القريب ، في حين اننا بدانا نشرف على سنة ١٩٨٠ !

راجعوا الصحف العربية في الشهر الاول من سنة ١٩٧٠ مع الصحف العربية في الشهر الاخير من سنة ١٩٧٧ ، اى بعد سبع سنوات !

سوف يصاب من يفعل هذا بالذعر ! فكان شيئا قط لم يحدث في هذه السنوات السبع ! نتقدم احيانا ، او نقفز ، ثم لا نلبث ان نعود الى ما كنا فيه ٠٠ من قضايا ، ونزاعات ، ومقالات هي نفس المقالات ، وخطابات هي نفس الخطابات ، واجتماعات تعقد وتنقضي تحت نفس العناوين !

لا شيء جديد ؟

نعود وندور ثم نعود الى نقطة البدء؟

هل هذا معقول ؟

هل هذا قابل للاستمرار في عالم يلهث من سرعة الجرى ؟

اى صدمة يحتاجها العرب كي يفيقوا؟

اى هجمة نحتاجها لكي نخترق ، ولو بافكارنا اول الامر ، دائرة تلك البحيرة من الماء الراكد التي نتحرك داخلها ؟

ان العالم العربي لا ينقصه التحليل ٠٠ ولكن ينقصه التصرف !

بعكس العالم المتقدم

اغلقنا قناة السويس ـ مثلا ـ سنة ١٩٥٦ فاهتزت الدنيا وارتبك العالم ، فلما اغلقناها سنة ١٩٦٧ كان العالم قد استعد للاحتمال واستفاد من التجربة ٠٠ اذ بنى الناقلات العملاقة ، ووضع كل ما يجعله قادرا على مواجهة تكرر الدرس مرة اخرى ٠

في سنة ١٩٧٣ اوقفنا ضخ البترول ٠ وها نحن نرى العالم المتقدم يستعد لأى احتمال ، بتخزين بترول يكفيه ستة شهور ، ثم سنة ، للصمود ! وبتحويل بعض الناقلات العملاقة الى مخازن راقدة في الموانيء الكبرى ، بوضع خطة لمساعدة بعضهم البعض اذا تعرض احدهم او بعضهم لهذا الاجراء ٠٠ وتصرفات اخرى كثيرة ٠

العالم العملي يحلل الظروف ، ويتصرف ٠ ونحن بعكس ، كلنا خبراء في التحليل ٠ ولكننا لا نسال انفسنا بعد ذلك : ماذا نفعل اذن ؟

او ان غرائزنا ، واهواءنا ، وافكارنا الضيقة ، أقوى منا ، بحيث انها تكبلنا وتمنعنا من التصرف والتحرك !

ان العالم العربي في حاجة الى ان يعيد ترتيب اولوياته !

ومن اجل ذلك هو في حاجة الى اطلاق حرية المناقشة المسئولة ، حتى يشعر الجميع بالمشاركة في ترتيب هذه الاولويات!

والا بقينا عشر سنوات اخرى ، ندافع فيها عن انفسنا فقط ضد هبات الامواج ، ولا نتحكم في هذه الامواج أبدا ! ■■

احمد بهاء الدين

أقوال معاصرة



■ يجب أن يملأ القرآن قلب كل مسلم ، لكن المسلم له أيضا معدة يجب أن يملأها الطعام

جنرال ضياء الحق

■ كل حل سياسي هو تذكرة مرور الى مشكلة سياسة أخرى

هنري كيسنجر



■ أهم صفة للكاتب أن يكون بغير ولاء فلو كنت في مجتمع شيوعي يجب أن أكون ضد الشيوعية · وفي مجتمع رأسمالي يجب أن أكتب ضد الرأسمالية ·

جراهام جرين

■ نفقات العالم العسكرية وصلت الى ٣٠٠ ألف مليون دولار في السنة وهذه السنة أنفقنا على تسليح كل جندي ٦٠ مرة أكثر مما أنفقنا على تعليم كل تلميذ ·

جيمي كارتر

■ العرب أعطوا أمريكا شيكا على بياض ، والامريكان أعطوا العرب شيكا بدون رصيد ·

الصحفي ميشيل ابو جودة

■ للمعتقل حق ديمقراطي بتجويع نفسه حتى الموت !

جيمي كروجر

وزير العدل في جنوب افريقيا

■ أنا مطران القدس في المنفى ، ولا أريد أن أحمل أي لقب آخر ·

المطران كابوجي

■ لم يعد سرا أن سراويل الولايات المتحدة موجودة في خزائن اسرائيل وفي جواريرها، تسحبها في حالات الغضب ، وتعيدها اليها في حالات الرضا.

نزار قباني

■ الى عهد قريب كان التنافس بين المواطنين في الجزائر يدفعهم الى بذل التضحيات اللازمة من أجل البلاد · واليوم أخذت هذه الظاهرة اتجاها آخر ، فأصبح هؤلاء يتفاخرون بملكية دار فاخرة أو سيارة فارهة ·

هواري بومدين



■ ضحايا الاجهاض في فرنسا خلال السنوات الثلاث الاخيرة وصل عددهم الى ١½ مليون نفس ، وهو يعادل عدد ضحايا الحرب العالمية الثانية ·

اتحاد اطباء فرنسا



ما رأى الفقه فى عمليات شتل الجنين ، واختيار جنســه ، والنتائج التى يمكن أن تسفر عنها تجـارب ضبط المزاج ؟



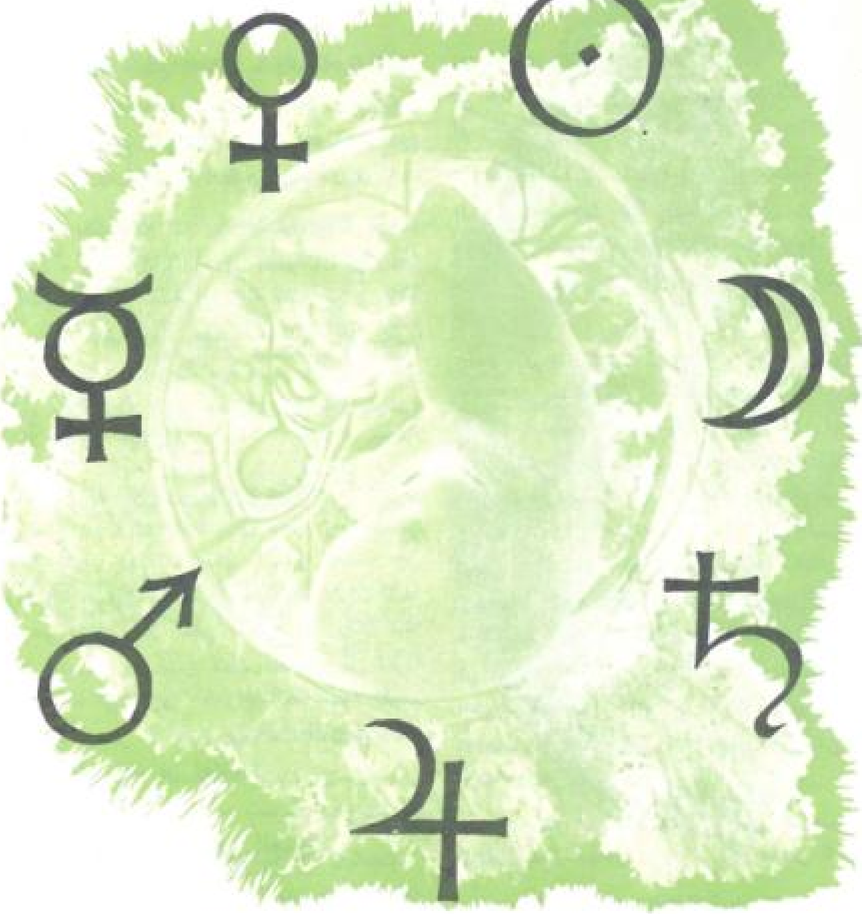
قضايا علمية تنتظر احكامها الشرعية

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

■ كان الواحد من العلماء فى مطالع الحضارة الاسلامية آخذا فى شتى فروع المعرفة بنصيب وافر، فكانمنهم الفرد ينبغ فى الطب والكيمياء والطبيعة والموسيقى نبوغه فى الفقه وعلوم القرآن واللغة، استجابة لنداء هذا الدين الـذى ينتظم شئون الحياة الروحية والمادية جميعـا ، ويحض على النظر فى النفس والكون لاستجلاء سنن الله فى كونه ، تلك التى تعرف حديثا بالنواميس او القوانين العلمية ٠

والانوقد تقدم العلم وتشعبت فروعه الىاقسام وتخصصات هى من الاتساع والتباعد بحيثيستحيل ان يلم بها عقل واحد ، اصبح لا مناص لنا ان اردناأن نتبينأحكامديننافيما يستحدثمناموردنيانا، من ان تتضافر جهود علمائنا المتخصصين فى العلوم الكونية والشرعية للوصول معا بالاجتهاد المخلص والمبصر الى راى الشرع فى مسائل لم تكن من قبل ولم تكن لها سوابق ولا نظائر ٠ واذا كان الشافعى صاحب المذهبين قد قال : « تحدث للناس اقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور » ، فمن الحق أن نقول كذلك : « تحدث للناس اقضية بقـدر ما بلغ العلم من آفاق وما حقق من امكانات » ٠

واود ان اعرض على سبيل المثـال لا الحصر نماذج من الانجازات التىاصبح العلم علىمشارفها، وبلغ القدر الذى يسمح أن نقول : ان دخولها الى حيز الواقع معقول وفى زمن غير بعيد ٠ ولا اتصدى للراى الشرعى فهذا اختصاص آخر وانما أسوقها لاضع تحت بصر القارىء المثقف والقارىء الفقيه لمحة مما يحدث على الجبهات المتقدمة للعلم ٠



شتل الجنين

واخترت هذا الاسم لافرق بينه وبين ما تناقلته الصحف من سنوات عن جنين انبوب الاختبار وما صحب ذلك من تهاويل ، فهذا موضوع اخر ٠ ولتبيان موضوعنا اذكر القارئ، بان اول تكوين الجنين هو التحام خلية من الرجل هي الحيوان المنوى بخلية من الانثى هي البويضة التى تخرج من احد المبيضين فيتلقفها انبوب (ايمن او ايسر) واصل الى الرحم، ويتم هذا الالتحام فى هذا الانبوب منتجا البويضة الملحقة او البيضة ٠٠ وهى التى ترحل الى الرحم وتنغرس فى بطانته وتشرع فى الانقسام بغير توقف الى ملايين الخلايا التى تعطى الجنين الكامل الذى يولد طفلا ٠ فالجنين اذن التحام نصفين نصف أت من الخصية ونصف ات من المبيض،

اما الرحم فمستودع ومستزرع وحاضن يفي بالغذاء والنماء ٠

نذكر بعد ذلك نموذجا لمرض خلقى ٠٠ تكون فيه المراة ذات مبيضين ولكنها غير ذات رحم ٠٠ وتفرز كل شهر بويضة وكلها تهدر لان غياب الرحم معناه الحيلولة بين المنى وبين البويضة وكذلك غياب الحاضن الطبيعى للجنين منذ تكونه من التحام خليتين حتى استوائه فى أواخر الحمل٠

والبحث الجارى الان ينصب على شفط البويضة من مبيضها خلال منظار يخترق جدار البطن (وقد تمت هذه الخطوة) ، ثم تلقيح هذه البويضة بمنوى من الزوج يلتحم بها ليكونا بيضة تشرع فى الانقسام الى عديد من الغلايا (وقد تمت هذه الخطوة ايضا) ثم ايداع هذه الكتلة من

الخلايا ـ أي الجنين الباكر ـ رحم امرأة أخرى بعد اعداده هرمونيا لاستقبال جنين ·· فيكمل الجنين نماءه في رحم هذه السيدة المضيفة ، حتى تلده وتسلمه لوالديه اللذين منهما تكون ·

هذه الخطوة لم تتم بعد ولكنها بلغت درجة الممكن · وقد تمت بنجاح في الحيوانات بل وعلى درجتين ، اذ تم استخراج أجنة نعاج في بريطانيا وايداعها رحم أرنبة حملت بالطائرة الى جنوب افريقيا حيث استخرجت مرة اخرى واودعت ارحام نعاج من فصيلة اخرى حضنتها حتى ولدتها على هيئة سلالتها الاصلية ·

قد عرفنا الام في الرضاع واحكام الاخوة في الرضاع ·· والان ادركنا ان للمرء بامه صلتين صلة تكوين ووراثة اصلها المبيض وصلة حمل وحضانة اصلها الرحم · وحتى الان كانت صلة الرحم تطلق مجازا على الجميع ·· ولكن ماذا اذا انشعبت النسبتان فكان التكوين من امرأة والحضانة في اخرى ·· واين تقف صلة الرحم من بنوة المبيض ·· وما حقوق هذه الحاضن وماذا يترتب على ذلك من احكام ؟

اختيار جنس الجنين

هناك نوعان من كروموزومات الجنس ·· اما الذى في بويضة المرأة فهو دئما من النوع المسمى × ·· واما منويات الرجل فبعضها يحمل × والاخر يحمل Y ·· وكلاهما موجود باعداد وفيرة مختلطة في القذيفة المنوية الواحدة ·· فان قدر ان يلقح البويضة منوى يحمل × كان كروموزوما الجنس في الجنين الناتج × × وهذا الجنين انثى والا فهما XY وهذا الجنين ذكر ··

دار البحث ولا يزال عما تختلف فيه المنويات حاملة × عن تلك حاملة Y من خصال ·· وثبت انهما يختلفان في الكتلة وفي سرعة الحركة وفي الاثر الكهربي وفي القدرة على اقتحام وسط لزج واجتيازه ، وفي درجة نشاطهما باختلاف التفاعل الكيميائي للبيئة المحيطة ·· واستخدمت هذه الفروق في اتاحة الفرصة لاحدهما دون الاخر في ان يكون السابق الى تلقيح البويضة ، ومن ثم اختيار جنس الجنين الناتج ·

وقد تم تطبيق ذلك فعلا في صناعة تربية الحيوان ·· حيث تتم تهيئة الظروف المرغوبة واجراء التلقيح الصناعي للاناث والحصول على مواليد من الجنس المنشود ان لم يكن دائما فبنسبة عالية ·

ولم يتم ذلك في الانسان حتى الان ·· لاسباب أهمها أن من الصعب اخضاع الطبيعة الانسانية لظروف التجربة الحيوانية من منع عن الجنس لفترات طويلة تكتنفها تلقيحة صناعية واحدة·· ولكن اصبح في حيز الاحتمال ان يصل العلم الى المزيد في هذا الشان ·· بل ان بعض السيدات تتحايل على ذلك بمعرفة نوع الجنين الذى في ارحامهن بشفط جزء من السائل الرحمي الذى حول الجنين وفحص ما فيه من خلايا الجنين المنفوضة، فان لم يكن الجنين من الجنس المراد طلبن من الطبيب اجهاضه وذلك في البلاد التى تبيح الاجهاض ·· على ان رأينا نحن واضح في ان الاجهاض حرام ·

ولكن ماذا لو تم التغلب على الصعوبات الباقية بغير اجهاض ، وهذا امر محتمل ؟

في مهنتي ارى ام البنات تريد ان تحدد عدد أطفالها ولكنها تزيد وتزيد في انتظار الذكر المنشود · فهل ان استطاعت من البدء انجاب الذكر افضى ذلك الى تقليل التناسل ؟

وهل ينجح الاغنياء الى انجاب الذكور حرصا على الثروة ان تخرج من الاسرة ان ورثت البنت وانضمت بما تملك الى زوج غريب يحمل اولاده منها اسمه واسم اسرته لم تؤول اليهم املاك امهم بالوراثة ؟

او ان الانسان ان حاول ان ياخذ على عاتقه مهمة الطبيعة الحكيمة بعيدة النظر في توزيع الجنس ، آل به الامر الى ان يفسد حيث ظن انه يصلح كما فعل من قبل وهو يعبث بالتوازن الحيوى على هذه الارض ؟



ضوابط المزاج

من قديم حاول الناس الحصول على ما يغير من حالاتهم الفكرية والمزاجية ، وفي هذا السبيل اهتدوا الى الخمر والحشيش والافيون والمنزول والقات وغيرها مما نعرف وما لا نعرف ·· ودخل ذلك في حوزة البحث العلمي فتوالت عقاقير تعالج بها التشنجات او القلق او الاكتئاب ، ومن سنوات ظهرت نظرية ترد مرض الفصام (ازدواج الشخصية) الى مسببات كيميائية وتعالجه على هذا الاساس ·

ولقد اهتدى العلم الى أن أحوال الناس من رضى او غضب وثورة او خنوع وحماس او خمول انما ترجع الى تغيير كيمياء الدورة الدموية لنشاط بعض الغدد في صب افرازاتها اليها ·

وتلت ذلك سلسلة من التعرف على هذه الافرازات واستنباط العقاقير الكيميائية التي تدخل في الجسم فتحدث أثرها المطلوب ·

واذا كان لهذا التقدم اثره الحميد في السيطرة على طائفة من الامراض العصبية ، فان للمسالة وجها آخر اصبح محل الاهتمام بصورة متزايدة وكان مبعث هذا الاهتمام احتمالات استعمال هذه العقاقير على السليم لا المريض ·

ان مناط مسئولية الانسان هو قدرته على التمييز والاختيار الحر ·· ولقد تعتمل في نفسه عوامل وتضطرم مشاعر وتثور غرائز فاذا هو مطالب بان يملك زمام نفسه فيفعل الخير ويمتنع عن الشر ·

فماذا لو اختلت هذه القاعدة واصبحت المواد الكيميائية هي التي تصنع للانسان مزاجه او شعوره او ارادته ؟

ماذا لو كانت العفة دائما عفة العاجز والصبر دائما صبر الضعيف ؟

وماذا لو كانت الشراسة او النزق آثارا فارماكولوجية وليست سمات اخلاقية ؟

يتحدثون بان المستقبل غير البعيد سيشهد تفريق المظاهرات أو منعها باستعمال قنابل الغاز الملين للعريكة لا المسيل للدموع ·· وبامكان خلط الخبز او الماء بمواد تبعث على الدعة والسكينة وتمنع الغضب ولو للحق ·

وهل يستطيع حاكم او نظام أن يضمن شراسة جنده ووداعة شعبه بهذه الوسيلة ؟

هذا عدا ما هو الان مدرج في قائمة أسلحة الحرب البيولوجية من غازات او اشعاعات تؤدى الى سلب الارادة وشلل الفكر ··

ويتقدم العلم ويتقدم ·· ومهما تقدم يظل قول الله قائما : « ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها » ·

الكويت ــ حسان حتحوت

شعر من الوطن المحتل

ربما.. يا طير

شعر : خالد نصره

■ ذلكَ الطائر غنّى ؟ أم لفقد الإلفِ أنّا ؟
إن تكن فارقتَ ركنا فأنا ضيّعت ركنا . .
أم غزاكَ الحزنُ ، فاسأل مهجةَ الأحزان عنّا
فإذا لاذتْ بصمتٍ . . لا تسلها كيف كنّا !

أيها الطائر . . هبّت نسماتٌ من بلادي . .
لثمَت خدَّ المغاني قبّلت جيدَ الوهاد !
وأنا روح تنادي ، والصدى مثلي ينادي . .
لاتسل يا طير عني . . مزّق الحزنُ فؤادي !

فإذا أبصرت طيفاً حائرَ الخطوِ . . يسير . .
فأنا الحائرُ . . صمتي خجلت منه القبورُ !
لست يا طائر مثلي . . أنت في الأفق تطير . .
وأنا روحٌ كسيحٌ داخل الصدر . . أسير !

اقترب ياطير مني . . لاتخفْ . . لاتخش بأسا . .
قتَل العالمُ نفسي ، أنا لا أقتلُ نفسا !
إنما ألمح بشرا حينما تدنو . . وأنسا . .
فاقترب ياطير هيا سوف أنساك . . وتنسى !

اقترب . . لستُ أثيماً . . لم تزل تفزع مني . .
إنه محض حوار بينك الآن . . وبيني . .
أنت تنأى إن أردت النأي في طرفة عين . .
وأنا في هذه الدنيا مهيض الجانحين . .

لم تقل لي أيها الطائرُ حتى الآن ما اسمكْ . .
أنت لا تأكل لحماً . . بينما يؤكل لحمُكْ !
أنت لاتعرف أماً أو أباً . . من هي أمك ؟!
. . كلما استوطنَ قومي بقعةً . . هاجرَ قومُكْ . .

أنت في الآفاق تسعى هائما دون هويّه !
عابراً دون جواز أو رسومٍ . . جمركيه . .

تلمح الصقر فتنجـو . . ذاك سرُ الأبديـه
بينما مازلت طعما سـائغا . . للبندقيّـة !

نحن ياطيرُ بطونٌ ليس تبقى أو تـذرْ . .
ظلموا الظلم كثيرًا حين سموا بشـرْ !
لم ندعْ في الكون وحشاً أو نباتاً أو شجر . .
.. ما افترسناه .. ونحن اليوم نرتادُ القمـرْ !

أيها الطائر . . قل لي هل لكم أي وطـن ؟
أم تراكم كشريد حيثما حلّ . . سـكن ؟
كان لي ياطير دارٌ .. عشت فيها من زمن . .
هيمن الخصمُ عليها وأنا . . كنتُ الثمن ! !

ألكمْ ياطير شرع ، مثل قومي ، وديانهْ ؟ !
هل تحسون بجـورٍ . . وبحقـدٍ ومهانه ؟ !
هل تُصلّون بكفٍ بينما الأخرى مدانـه ؟!
ألكمْ ياطيرُ ملهى ومواخيرُ . . وحانـهْ ؟ !

لاتُشحْ ياطير عني . . إنني أشكو إليكـا . .
ربمـا رغم ائتناسي بك . . أثقلت عليكـا !
ربمـا ياطير طافت نكبتي في ناظريكـا . .
ربمـا بعض دموعي سقطت من مقلتيكـا !

ها أنا ياطير ماض . . نهشت قلبي السآمه . .
إنني أعرفُ دربي ، فلترافقك السـلامه !
وإذا ما جئتَ داري. سوف أعطيكَ العلامه . .
إنها بين سـدودٍ ومتاريسٍ .. مقامـه ! !

سوف تُلفيني بصمتٍ واقفاً .. أرنو إليهـا . .
وهي نحوي بحنينٍ بسطت كلتـا يديهـا !
ثم أبكي بخشـوعٍ . . ثم أنهـار لديهـا . .
فإذا ما اجتزتَ تلكَ الدار ..سلمْ لي عليها ! ! ■■



خالد نصره

الضفة الغربية للاردن

بقلم : الدكتور جلال احمد أمين

« اذا سمحنا لانفسنا بالتمادى في التقليد الاعمى وفتح باب التبادل على مصراعيه ،فمصيرنا التحلل الحضاري ٠ واذا تمادينا في تشجيع استهلاك السلع التى لا تتناسب نفقتها مع متوسط الدخول في البلاد العربية ، فان الرخاء المادى لن يعود الا الى القلة »

ونحن على أبواب الثمانيات

مأزق التنمية العربية فى السبعينات



■ منذ عام ١٩٧٣ ساد الكثير من المناقشات والتعليقات الجارية حول مستقبل الاقتصاد العربي نوع من التفاؤل الذى كان غائبا في النصف الثاني من الستينات ، وعلى الاخص بعد ما اصاب العرب من وجوم في اعقاب هزيمة ١٩٦٧ ٠ ففي اعقاب هذه الهزيمة لم تكن هناك اية دلائل على ان دولة

عربية واحدة قد اوشكت على الدخول فيما يسمى بمرحلة « الانطلاق » ، وهى التى يقول عنها الاقتصاديون انها تتميز بارتفاع معدلات الادخار والاستثمار والنمو ، ووجود ما ينبىء باستمرار هذه المعدلات عند هذا المستوى العالي دون الحاجه الى اتخاذ اجراءات استثنائية او الى الاعتماد المبالغ فيه على الخارج ، وعدم وجود ما يدعو الى الخوف من عودة معدل النمو الى الانخفاض ما لم يحدث ما يشبه الكارثة •

ففى مصر وسوريا ، كان الانفاق العسكرى فى النصف الثانى من الستينات يستنفد نسبة بالغة الارتفاع من الموارد ، وكان معدل النمو فى كل منهما قد انخفض الى ما يقارب معدل نمو السكان فلم تعد ايهما تحقق تقدما يذكر فى مستوى المعيشة • وفى السودان ، وعلى الرغم من امكانياتها الزراعية الضخمة وغياب مشكلة الضغط السكاني، كان معدل النمو من اقل المعدلات فى افريقيا وفى العالم الثالث بوجه عام • كانت دول الخليج النفطية وكذلك المملكة السعودية وليبيا ، تحقق بالطبع معدلات عالية للنمو ، ولكن هيكلها الاقتصادى المفرط فى اعتماده على سلعة واحدة لم يكن يسمح بالحديث عن دخول مرحلة الانطلاق او عن تحقيق « نمو اقتصادى تلقائى ومنتظم » •

وعلى الرغم من زيادة ايرادات الجزائر من صادرات البترول باكثر من سبعة امثالها بين ١٩٦٠ و ١٩٧٠ فقد ادى تدهور انتاجها الزراعى الى تحقيق معدل للنمو متواضع للغاية خلال الستينات • وفى تونس والمغرب لم يزد متوسط النمو السنوى للناتج القومى الحقيقى على نحو ٤ر٥٪ ، وهو معدل لا يتجاوز الا قليلا معدل النمو فى السكان ، كما عانت كلاهما من ارتفاع كبير فى معدل البطالة •

وفى اواخر الستينات لم تكن اليمن الشمالية قد افاقت بعد من آثار الحرب الاهلية التى لم تفعل اكثر من ان حققت مجرد التعارف بين اليمن ومبادىء الاقتصاد العصرى • وكانت اليمن الجنوبية تبذل محاولات يائسة للعثور على مصادر بديلة لما كانت تحصل عليه من دخل من ميناء عدن ، الذى فقدت معظمه باغلاق قناة السويس فى عام ١٩٦٧ ولدخلها من القاعدة العسكرية البريطانية الذى فقدته باغلاق هذه القاعدة فى نفس السنة •

صحيح ان كلا من العراق والاردن ولبنان حققت معدلات عالية للنمو فى معظم سنوات الستينات ، على ان كلا منها قد استمرت تعانى من اختلالات هيكلية اساسية جعلت من استمرار نموها بهذه المعدلات امرا لا يمكن الاطمئنان اليه فلبنان كان نموها يعتمد اعتمادا مفرطا على تدفق الودائع قصيرة الاجل من دول البترول وعلى السياحة ، والاردن كان اعتمادها مفرطا على المعونات الاجنبية ، كما ان العراق لم يفعل شيئا يذكر خلال الستينات لتخفيض درجة اعتماده على البترول او لرفع مستوى الانتاجية فى الزراعة •

متاعب استمرت واخرى جديدة

وقد استمرت المتاعب الاقتصادية فى بعض الدول العربية بعد حرب ١٩٧٣ ، واصاب بعضها متاعب جديدة • ففى لبنان قامت الحرب الاهلية التى وصفت بحق بانها اكبر كارثة اقتصادية عرفها تاريخ لبنان ، وقدرت خسائرها الاقتصادية بنحو ٣ مرات ونصف قدر الناتج القومى الحقيقى لسنة ١٩٧٤ • وفى مصر زاد عجز ميزان المدفوعات بصورة مذهلة سنة بعد اخرى • وعانت السودان ، مثل مصر ، من تزايد العجز فى ميزان المدفوعات ، وفى الميزانية ، ومن الافراط فى الاعتماد على الديون الخارجية •

ومع كل هذا فالمتفائلون بمستقبل الاقتصاد العربى كثيرون ، فى داخل العالم العربى ، وعلى الاخص فى خارجه • بل هناك الكثيرون ، بما فى ذلك كثير من المنظمات الدولية ، ممن كانوا يتكلمون عن الاقتصاد العربى فى الستينات بلهجة اليائس او بنقد شديد ، واصبحوا بعد حرب اكتوبر اكثر تفاؤلا بكثير ، واخذوا يشيدون بالمكاسب الاقتصادية الكبيرة التى حققها او ينتظر ان يحققها العرب • فاذا استعرضنا ما يمكن ان يستند اليه هؤلاء المتفائلون من حجج ، صادفنا اولا ، وبطبيعة الحال، الزيادة الكبيرة فى عوائد النفط التى كثيرا ما يقال عادة انها وضعت العرب فجاة فى مكان الصدارة من اهتمام العالم ، بل ويقول البعض انها جلبت للعرب احترام العالم ايضا • وفى بلاد البترول ايضا ، ارتفع معدل التصنيع ، واكتظت موانىء الخليج ليس فقط بسلع الاستهلاك ، بل وايضا بالالات ومواد البناء • ودشنت المملكة السعودية خطة للتنمية بالغة الطموح • ومنذ ١٩٧٣ ، حققت كل من سوريا ولبنان معدلات مرتفعة للنمو • ففى

سوريا تجاوز معدل النمو السنوى خلال السنتين التاليتين لحرب اكتوبر ١٣٪ ، وتشير احصاءاتها الرسمية الى ان الناتج المحلى الاجمالى (باسعار ١٩٦٣) قد تضاعف تقريبا فيما بين ١٩٧٠و١٩٧٥، كما شهدت صادرات سوريا من البترول والفوسفات نموا ملحوظا •

كذلك عاد الاقتصاد الاردنى الى نموه السريع بعد ما اصابه من تراجع بسبب احتلال الضفة الغربية فى ١٩٦٧ ، والثورة الاهلية فى ١٩٧٠ ، والاضطراب الناتج عن حرب ١٩٧٣ • ففى السنوات الثلاث (٧٤ ـ ١٩٧٦) لم يقل معدل النمو للناتج القومى الاجمالى للاردن (باستثناء الضفة الغربية) عن ٧٪ ، ويرجع هذا بصفة اساسية الى الزيادة الكبيرة فى انتاج الفوسفات والازدهار الكبير فى حركة البناء •

كذلك تحسن معدل النمو فى المغرب والجزائرفى اواخر الستينات واوائل السبعينات ، وحققت تونس خلال الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٦ معدلا للنمو يبلغ ضعف ما حققته فى الستينات •

بل حتى فيما يتعلق ببلد تعانى الكثير من المتاعب ، مثل مصر ، يذهب الكثيرون ، بما فى ذلك خبراء البنك الدولى ، الى انه مع اوائل الثمانينات سوف تتمكن مصر على الارجح من السيطرة على الامور وكبح التدهور ، بسبب الزيادة الكبيرة المتوقعة فى ايرادات قناة السويس، وفى صادرات البترول ، وفى تحويلات المصريين العاملين فى الخارج ، وزيادة تدفق الاستثمارات الاجنبية الخاصة • وبالنسبة للسودان ، يشير تقرير اخير للبنك الدولى الى تقديرات حكومة السودان بان معدل النمو الحقيقى فى الدخل خلال السنوات الثلاث الاخيرة لم ينخفض عن ٥٪ سنويا (بالمقارنة ب ٣ ـ ٥ر٣٪ خلال الستينات) ، ويعلق التقرير الامل فى «مستقبل التنمية فى السودان ، كما فى مصر، على تشجيع رؤوس الاموال الاجنبية الخاصة».

ثناء على « تعقل » العربي

كذلك شاعت ايضا الاشادة بالخطوات التى اتخذت فى السبعينات فى ميدان التكامل الاقتصادى العربى ، مع التاكيد على ما بدأ يظهره العرب اخيرا من « تعقل » فى هذا المجال ، ونبذ الرومانسية التى تميزت بها دعوات التكامل فى الخمسينات والستينات • والتى المعلقون على العرب لانهم بداوا يدركون قلة جدوى التمسك بالوحدة الاقتصادية الكاملة ، ويقتنعون بصور اكثر تواضعا وان كانت ، فى نظر هؤلاء ، اكثر فعالية ،مشيرين على الاخص الى ازدياد تدفق رؤوس الاموال الخاصة بين الدول العربية ، والى زيادة الاهتمام بانشاء المشروعات العربية المشتركة ، كما حدث فى صناعات البترول والنقل البحرى وبالذات فى ميدان الاستثمار العقارى والمالى • ومن هذا القبيل تقرير صدر عن منظمة الانكتاد (مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية) فى ١٩٦٧ عن « المشروعات المشتركة بين الدول العربية » يشير فيه الى « واقعية » هذا الاتجاه الجديد بقوله « ان وصول مجموعة من الدول الى اتفاق على انشاء مشروع مشترك يمكن تقدير نفقاته ومنافعه سلفا بدرجة معقولة من الدقة ، هو قطعا اسهل بكثير من وصولهم الى الاتفاق على اجراءات مشحونة بالاعتبارات السياسية ، كتوحيد السياسات التجارية او التنسيق بين الخطط الاقتصادية • فليس من الواقعى اذن ان يعلق انشاء مشروعات مشتركة عربية جديدة على نجاح الدول العربية فى الاتفاق على اتخاذ سياسات تجارية موحدة منسقة » •

وكما اننا بدأنا نرى بعض المعلقين السياسيين الاجانب يعبرون عن ابتهاجهم بقرب الوصول الى تسوية سلمية نهائية بين العرب واسرائيل ، فان اتجاها مماثلا بدأ يظهر ايضا بين الاقتصاديين • فالاقتصادى السويدى « بنت هانسن » المعروف جيدا لدى العرب منذ ان نشر كتابه الجيد عن الاقتصاد المصرى فى منتصف الستينات ، بدأ مؤخرا يعبر عن هذه الروح المتفائلة بتعديده للمزايا الاقتصادية التى يمكن لكل من العرب واسرائيل تحقيقها لو حدث وحل السلام محل الحرب • فهو يقول انه بينما ستفيد الصناعات الاسرائيلية من انفتاح الاسواق العربية الواسعة امام منتجاتها ، ومن امكانية استغلال فائض مياه النيل فى مصر ونهر الليطانى فى لبنان ! يمكن للعرب ان يفيدوا بدورهم ،على حد قول الاستاذ « هانسن » ، من « ازدياد حجم التجارة ، ومن بيع فائض المياه للاسرائيليين ، هذا الفائض الذى يعتبره هانسن مصدرا للعملة الاجنبية لا يقل نفعا عن البترول ، بل هو افضل منه لانه لا يمكن ان يجف او ينفد » •

وهذا تبسيط مذهل لقضية بالغة الاهمية يصعب

ان تفسر صدوره من استاذ له مكانة بنت هانس العلمية الا بتاثره باعتبارات غير علمية (١)

ان البعض قد يشكو بالطبع من ان التقدم الذى احرزه العرب فى هذه الميادين كلها ، سواء فى رفع معدل النمو او معدل التصنيع ، او فى تكوين المشروعات المشتركة ، او فى تقدمهم نحو تسوية لنزاعهم مع اسرائيل هو تقدم بطيء للغاية ، كما قد يشكو البعض من ان تحقيق الانفتاح الاقتصادى لا يزال يواجه عقبات من كل نوع ، من احجام البيروقراطية عن التنازل عما اكتسبته من سلطات، وعن التخفيف من مركزية اتخاذ القرارات ، الى الاهمال الطويل لبناء واصلاح المرافق والخدمات • وقد يشكو البعض من ان تاخر الوصول الى تسوية لمشكلة اسرائيل يعطل بالضرورة تدفق رؤوس الاموال الخاصة الى مصر وسوريا والاردن ،ومن انه ما لم تتم هذه التسوية سيظل مصير الاقتصاد اللبنانى والاردنى فى علم الغيب • ولكن مثل هذه الانتقادات لا تمس جوهر السياسات الاقتصادية المتبعة ، بل لا تطلب الا المزيد مما يجرى عمله •

عن الانفتاح الاقتصادى

وليس من الصعب ان نرى وراء هذا التفاؤل فى كل هـذه المجالات خيطا واحـدا هو التفاؤل « بانفتاح العرب على العالم » ، والاهتمام بمجرد النمو دون الاهتمام بطبيعته ، وبزيادة الثروة دون الاهتمام بمصدرها او بالمستفيد منها •

كما انه ليس من الصعب ان نلاحظ ان وراء معظم امثلة « النجاح » التى يقتطفها المتفائلون مزيدا من الارتباط بين الاقتصاد العربى واقتصاديات الدول الصناعية المتقدمة ، ارتباطا يزيد من تبعية الاقتصاد العربى للخارج • فمعدلات النمو العالية التى تحققت فى السبعينات تكاد ترجع جميعها الى نمو الصادرات مـن المواد الخـام (كميـة او سعرا او كلاهما) ، كالبترول والفوسفات ، او الى النمو فى صادرات الخدمـات كالسياحـة وقنـاة السويس ، او الـى النمو فى نشاط البناء غير المنتج ، كما فى الاردن ومصر •

ليس غريبا اذن ان اكثر المصطلحات الاقتصادية شيوعا فى العالـم العربى اليوم هـو اصطـلاح « الانفتاح الاقتصادى » ، الذى لن يغيب على احد ان اختياره قد تم بعناية للايحاء بتطور محمود فى السياسة الاقتصادية • اذ ان الشيء المفتوح ، هو بصفة عامة افضل من المغلق • والمعنى الفعلى لهذه السياسة كما تطبق فى الواقع ، لا كما يمكن ان تعرفها القواميس او كما يمكن ان يسبغ عليهـا انصارها من معان ، ليس الا ازالة القيود القائمة فى وجه رؤوس الاموال الاجنبية ، وفى وجه الاستثمارات المحلية الخاصة المدفوعة بدافع الربـح وحده ، والتخلى التدريجى عن الملكية العامة فى الصناعة وعن تدخل الدولة فى الاقتصاد ، بـل والتخلـى التدريجى عن الحماية الممنوحة لبعض الصناعات المحلية لمواجهة المنافسة الاجنبية •

فى ظل هذه السياسة تعطى الاولوية لزيادة الصادرات وزيادة حصيلـة البـلاد مـن العملات الاجنبية ولو على حساب اشباع حاجات الاستهلاك الاساسية ، ويجرى هدم مبان اثرية لمبانٍ قادرة على البقاء لعشرات قادمة من السنين ، اذا لـم يكن عائدها الاقتصادى مرتفعا بالدرجة الكافية • وتترك الحدائق القليلة الباقية مكانها للفنادق العالمية الفاخرة • وترحل فتيات بعض هذه البلاد الى خارج بلادها باحثات عن الاجور المرتفعة، مهما كان العمل متدنيا ، فى لهفة على استحواذ آخر منتجات الغرب ، ويعدن وقد كسبن العالم وفقدن انفسهن • ويمنح الطلبة العرب حرية السفر فى

---

(١) يرجع هذا ان الاستاذ هانسن قد غير رأيه فى موضوع العرب واسرائيل ، بدون سبب واضح، فيما بين ١٩٧٠ و ١٩٧٣ • ففى كتاب « التنمية الاقتصادية فى الشرق الاوسط » الصادر عن مؤسسة براند الامريكية كتب هانسن سنة ١٩٧٠ انه ليس متاكدا تماما مما اذا كان للعرب مبرر للخوف من ان يؤدى فتح باب التجارة مع اسرائيل الى تحقيق مصلحة اسرائيل والاضرار بالعرب ، اما فى ١٩٧٣ فهو يقول فى مقال « احتمالات التنمية فى الشرق الاوسط وكيف تبدو فى ١٩٧٣ » (الصادر فى ١٩٧٥) انه لا يرى الان محلا لهذا الخوف من جانب العرب • كذلك بينما يقول فى مقاله المبكر ان العرب فيما يظهر لم يخسروا كثيرا من عدم وجود علاقات اقتصادية بينهم وبين اسرائيل ، يقول فى مقاله المتأخر ان رأيه السابق ربما كان صحيحا بالنسبة للماضى « اما بالنسبة للمستقبل ، فيبدو ان المنافع التى يمكن ان يجنيها العرب كبيرة »

ارجاء العالم واكتساب عقود العمل لتحصيل المزيد من العملات الصعبة واكتساب عادات استهلاكية لم يكونوا قد اكتسبوها بعد • ويرحل المهنيون والفنيون والفنانات باحثين عن الدخل المرتفع في بلاد النفط حيث يقومون في الحقيقة بوظيفة تاريخية قد يثبت مع الزمن انها اكثر اهمية بكثير وابعد اثرا من الزيادة في عوائد النفط في ذاتها • فاذ ياتي هؤلاء من بلاد عربية حقا ولكنها تعرضت لفترة اطول وبدرجة اعمق لتاثير عادات الغرب وقيمه ، وترسخت بذلك فيهم « العصرية » بدرجة اكبر ، فانهم يساعدون الدول العربية التي لم تقطع نفس الشوط في طريق التغريب ، على الاسراع بالسير في هذا الطريق • ومن لم يقومون بعمل لا يمكن لاشد خبراء المنظمات الدولية حماسا ان يؤديه بهذا الكمال • فهم يتكلمون العربية حيث لا يتكلمها الخبراء الاجانب ، وهم على كل حال اقرب بكثير في عاداتهم وميولهم لاهل البلاد التي يرحلون اليها من اي خبير قادم من الغرب • فاذا تراكمت فوائض دخولهم انفقوها على شراء السلع الاستهلاكية المعمرة التي يعودون بها او يرسلونها الى بلادهم ريثما يعودون ، مثيرين بذلك شهية من متعهم حظهم العاثر من السفر • وهكذا تتضخم ارقام الصادرات والواردات ، ويجري بنشاط توسيع وتحديث المطارات ، وتزدهر السياحة والفنادق ، وتروج سوق المكاتب الاستشارية ومكاتب الاستيراد والتصدير ، ويبدأ « تمدين » آخر معقل للعرب •

ان ضحية كل هذا ليس هو بالطبع معدل النمو ، اذ ما الذي يمكن ان نتصوره افضل من هذا لمعدل النمو ، ولميزان المدفوعات ، ولمعدلات الاستثمار بل ولمعدل المقيدين في المدارس ومعدل الزيادة في سكان الحضر بالنسبة لمجموع السكان ؟ بل وقد يؤدي هذا بعض النفع ايضا في تخفيف حدة الضغط السكاني على الموارد في بعض البلاد العربية •

اذا كان النمو هو الهدف

فاذا كان همنا هو معدل النمو فان لدينا الف سبب للتفاؤل بمستقبل الاقتصاد العربي • واذا طلب الينا الرأي للاسراع بمعدل هذا التطور فليس هناك اسهل من ذلك • بل يكاد يكون الرأي هو ما قاله اقتصادي اوربي كبير ، في القصة المشهورة ، بعد زيارته للبنان وسؤاله عما لديه من توصيات لاصلاح النظام الاقتصادي اللبناني ، اذ قال « اني لا افهم كيف يسير الاقتصاد اللبناني ، فنصيحتي اذن ان تستمروا بالضبط فيما تفعلونه » • لاتتعدى النصيحة في هذه الحالة اكثر من ان نعمل على خلق المزيد من الحوافز لرؤوس الاموال الاجنبية الخاصة ، بما في ذلك تخفيض الضرائب ومنحها التسهيلات الكافية لتحويل الارباح ورأس المال الى الخارج ، وكبح جماح المطالبات العمالية باجور اعلى ، وتخفيض قيمة عملات بعض البلاد • وعلينا ايضا ان نضاعف جهودنا لتحسين خدمات المواصلات السلكية واللاسلكية ، خاصة فيما بين العاصمة والمدن الغربية الرئيسية ، وان نزيد من عدد المشروعات المعدة اعدادا جيدا والتي اجريت لها دراسات الجدوى اللازمة من قبل مستشارين اجانب معترف بهم ، وان نصلح الجهاز الاداري بحيث يصبح قادرا على الاسراع في التصديق على اتفاقيات الاقتراض من الخارج وعلى الاسراع باصدار التسهيلات اللازمة لتدفق الاستثمارات الاجنبية الخاصة • فاذا فعلنا كل هذا ضمنا الارتفاع بمعدل النمو ، وارتفاع معدل النمو له مزايا كثيرة معروفة من اهمها ظهور الدولة المعنية بمظهر محترم في الجداول الاحصائية التي تنشرها الامم المتحدة ، وانه على كل حال سهل القياس • اما الثمن الذي يمكن ان ندفعه مقابل ارتفاع معدل النمو عن هذا الطريق فقياسه اصعب بكثير • ولكن ماهو ؟

ان اكثر الانتقادات الموجهة لهذا النمط من التنمية شيوعا هو ذلك الذي يثيره عادة اشخاص على قدر عال من الصدق ومن التعاطف مع قضية الفقراء ، فيعبرون عن خشيتهم من ان يؤدي هذا النمط من التنمية الى ازدياد توزيع الدخل سوءا • وعلى الرغم من ان هذا النقد صحيح والخوف من هذه النتيجة مبرر تماما ، فان تأسيس نقد سياسة الاقتصاد المفتوح على اعتبارات توزيع الدخل بصفة اساسية من شانه في رأيي ان يضعف موقف الناقدين الى حد كبير • فالتاريخ الاقتصادي لا يقدم لنا مثالا واحدا ، فيما اعلم ، لتجربة ناجحة في التنمية اقتفت اثر التجربة الغربية في النمو ، سواء اعتمدت على الملكية الفردية او ملكية الدولة ، نجحت في نفس الوقت في تجنب ظهور

اختلالات اجتماعية كبيرة وفي تجنب بعض المظاهر المزعجة لسوء توزيع الدخل . اما التجربة الصينية ، التي تذكر عادة كمثال فريد للنجاح في القضاء على سوء توزيع الدخل قضاء يكاد يكون كاملا ، فانها مثال يدعم هذا الراى ولا يدحضه، اذ ان الجانب الفريد في التجربة الصينية ليس هو فقط ميلها الواضح الى عدالة التوزيع ، بل وايضا ، وعلى الاخص ، انها تجربة صينية مائة في المائة . فتبني النموذج الغربي في التنمية من جانب دولة غير غربية لا يتفق اذن مع الشكوى من اثر التنمية السيىء على توزيع الدخل . واذا نظر المرء بعين العطف والرضا الى عملية تغريب المجتمع العربي (التي كثيرا ما تسمى خطا بالتمدين او التحدث او بناء مجتمع عصري) فانه لا يصبح من حقه ، في راينا ، ان يشكو من ازدياد سوء توزيع الدخل ، ويصبح معرضا للاتهام بانه ليس الا شخصا نافذ البصر . فاية درجة من التدهور في توزيع الدخل قد يمكن تداركها في وقت ما في المستقبل . فراس المال الاجنبي يمكن في يوم ما تاميمه ، والضرائب يمكن في المستقبل جعلها اكثر تصاعدية ، والاراضي يمكن ان يعاد توزيعها .. الخ اما الذى لا يمكن تداركه اذا سمحنا له ان يستمر لفترة طويلة من الزمن فهو التحلل الحضارى ، وتشويه شخصية الامة . ومن ثم فاى نقد للسياسات الاقتصادية العربية الجديدة لا بد ان يقوم اساسا من منطلق حضارى وليس اقتصاديا .

راى الاقتصادى ليس كافيا

وكما ان الحجج الاقتصادية لا تكفي وحدها لدحض سياسة الانفتاح الاقتصادى فانها لا تكفي ايضا في نظرنا كاساس لرفض ما يدعو اليه بعض الاقتصاديين الاجانب من اقامة تعاون اقتصادى بين العرب واسرائيل . فكلاهما يجب ان يرفض بناء على اعتبارات حضارية وثقافية وليس بناء على الاعتبارات الاقتصادية . فاسرائيل في نظر الاقتصادى ، ليست اكثر من دولة صغيرة ، قليلة السكان بالنسبة لمعظم البلاد العربية ولكنها حققت تقدما تكنولوجيا اكبر ، ومستوى اعلى من الدخل . ومن ثم قد يصعب على الاقتصادى ان يجد للتعاون الاقتصادى بين الدول العربية واسرائيل اضرارا اكبر من تلك المترتبة على فتح ابواب التجارة والاستثمار على مصراعيه بين الاقتصاد العربي وبين الاقتصاد الاوروبي او الامريكي . فاذا عبر احد عن مخاوفه من ان بعض الصناعات العربية قد لا تقوى على منافسة بعض الصناعات الاسرائيلية الاكثر كفاءة فقد يحتج بعض الاقتصاديين باثارة كل ما يقال عن مزايا التخصص والمنافسة وتقسيم العمل . واذا قلنا ان اسرائيل يمكن ان تصبح مجرد معبر تغزو عن طريقه رؤوس الاموال الامريكية المنطقة العربية ، قد يرد بعض الاقتصاديين ، كما قال مؤخرا بنت هانس بانه « ليس هنالك ما يضطر العرب اذا قاموا بفتح ابواب التبادل بينهم وبين اسرائيل الى الغاء القيود الحالية المفروضة على استيراد راس المال الاجنبي ، وعلى اقامة المشروعات الاقتصادية المملوكة للاجانب » .

ولكن الحقيقة هي ان الاقتصادى بوصفه اقتصاديا هو من اسوا من يمكن ان يقدم النصيحة حول قضية من هذا النوع ، اذ انه ليس فيما تحتويه جعبته من ادوات ما يمكنه من التفرقة بين سلعة او خدمة ينتجها العامل الوطني او العامل الاجنبي ، او بين سلعة تنتج باستخدام المدخرات الوطنية او الاجنبية، اذا تساوت النفقات والاسعار، او بين سلع تستجيب للاذواق الحالية للمستهلكين وسلع تكاد تنحصر وظيفتها في تغيير هذه الاذواق. كما انه ، بوصفه اقتصاديا ، غير قادر على مناقشة ما اذا كانت القدرة السياسية على منع تدفق المشروعات والسلع الاجنبية على المنطقة العربية ، تزيد او تنقص بابرام صلح مع اسرائيل . فهو لا يستطيع مثلا ان يدرك ، أو لا يريد ان يناقش ، ما اذا كان موقف سياسى معين في قضية اسرائيل لا بد ان يؤدى الى اضعاف قدرة العرب على انتهاج سياسة اقتصادية عربية مستقلة تحمي بها الدول العربية اسواقها وصناعاتها . بل ان الاقتصادى ، رغم كل ما يزعم عن اهتمامه بالرفاهة ، ليس في الحقيقة مؤهلا للحكم على ما اذا كانت سلعة او خدمة ما تزيد من الرفاهية الحقيقية للناس او لا تزيدها ، جديرة حقا بالاقتناء او غير جديرة به . ومن ثم فهو غير قادر على ادراك الخسارة المتضمنة في تحول اذواق المستهلكين مثلا الى

تفضيل زجاجة السفن اب على مشروب وطني ، او في بناء الكازينوهات السياحية حول الهرم الاكبر ، او على ادراك المذلة المتضمنة في تفضيل المستهلك لسلعة اسرائيلية على سلعة عربية لمجرد ان الاولى اقل سعرا او اكثر جودة.

بمنطق مماثل يمكن لنا ايضا الرد على القائلين بان صيغة انشاء المشروعات العربية المشتركة هي صيغة اصلح من الوحدة الاقتصادية الكاملة لتحقيق تعاون عربي فعال • فهذه المشروعات المشتركة قد تمثل حقا جرعات قوية من الاستثمار وترفع بالفعل من معدل النمو ، ولكنها قد لا تساهم مساهمة تذكر في تحقيق تكامل اقتصادي حقيقي بين الدول العربية ، او في التخفيف من درجة التبعية لرؤوس الاموال او الاسواق الاجنبية ، بل وقد لا تؤدي بذاتها حتى الى تجنب تكرار نفس الصناعة في اكثر من دولة عربية • فاقامة مشروع عربي مشترك في السودان مثلا لاستغلال امكانيات السودان الزراعية بالاستعانة بفائض راس المال العربي والتكنولوجيا الغربية ،ولانتاج سلعة للتصدير الى خارج المنطقة العربية ، قد يكون من شانها حقا تحسين ميزان المدفوعات السوداني ، ورفع معدل التنمية في السودان ، واتاحة فرصة مجزية لاستثمار فائض الاموال العربية لدول النفط ، ولكنها قد لا تساهم مساهمة تذكر في تخفيض درجة اعتماد الدول العربية على الخارج في استيراد المواد الغذائية ، او في تنويع الاقتصاد العربي • وقد يتصور قيام مشروع منافس له في سوريا او مصر ، يعتمد ايضا على الخارج في التكنولوجيا المطبقة وفي تسويق منتجاته • ومن ثم قد يتصور ان يؤدي المشروع الى مزيد من التكامل الاقتصادي بين الدول العربية والدول الصناعية المتقدمة اكثر مما يؤدي الى تدعيم التكامل الاقتصادي بين الدول العربية نفسها• فتحقيق هذا الهدف الاخير لا يمكن تصوره الا عن طريق التنسيق الجدي بين السياسات التجارية والاستثمارية للدول العربية ، الامر الذي يحتاج الى تدخل من غير الاقتصاديين •

امام خطرين كبيرين

ان اثارتنا فيما تقدم للشكوك حول صلاحية بعض السياسات الاقتصادية العربية الجارية تجد تاييدا لها في بعض ما كتبه المؤرخ البريطاني الشهير ارنولد توينبي ، وهو بصدد تقييم التجارب التاريخية في تلاقي حضارة الغرب بالحضارات الاخرى • فتوينبي يقتطف التجربة اليابانية كمثل من اكثر الامثلة نجاحا ، او اقلها فشلا ، لمواجهة الغزو الاقتصادي الغربي • فاذا اعترف اليابانيون بتفوق الغرب عليهم راحوا يعلمون انفسهم كيفية مواجهة هذا الغزو باستخدام نفس الاسلحة الغربية • وهنا تبدو اليابان كما لو كانت قد نجحت حيث فشلت تجارب مشابهة قام بها امثال محمد علي وجمال عبدالناصر في مصر ، وكمال اتاتورك في تركيا•ولكن توينبي يعتبر ان استجابة اليابان للتحدي قد فشلت في جانبين اساسيين •فهو يصفها اولا بانها كانت اساسا « مقلدة » وليست خلاقة ، بحيث لم يكن يقدر لها ، حتى بعرس نجاحها ، اكثر من ان تؤدي في النهاية الى مضاعفة كمية المنتجات المصنعة آليا والتي ابتدعها المجتمع المنقول عنه ، بدلا من ان تطلق عقال طاقات خلاقة جديدة من اعماق الناس • « ووجه الضعف الاخر في التجربة اليابانية ، في نظر توينبي ، هو ان هذا النوع من الاستجابة لا يمكن بطبيعته ان يحقق الخلاص ، حتى مجرد الخلاص في هذا العالم الدنيوي ، الا لاقلية صغيرة من افراد المجتمع • اما الغالبية فانهم ، في مثل هذه التجربة،لا يمكن ان يطمحوا ولا حتى الى ان يصبحوا اعضاء سلبيين في داخل الطبقة المسيطرة في الحضارة المنقول عنها • فمصيرهم لن يزيد على ان ينضموا الى صفوف البروليتاريا في داخل هذه الحضارة » •

ان هذين الخطرين هما بالضبط ما يتعين التحذير منه ونحن بصدد مناقشة السياسات الاقتصادية العربية الراهنة ومستقبل التنمية العربية • فاذا نحن سمحنا لانفسنا بالتمادي في التقليد الاعمى وفتح باب التبادل على مصراعيه، فمصيرنا التحلل الحضاري •واذا تمادينا في تشجيع استهلاك السلع التي لا تتناسب نفقتها باي وجه من الوجوه مع متوسط الدخول في البلاد العربية ، فان الرخاء المادي لا يمكن ان يعود الا الى القلة • ■■

د • جلال أحمد أمين



محمد اقبال المستقبل

في مناسبة الاحتفال بمرور قرن على ميلاده

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

١ ــ رسالة من السماء

■ استيقظ الشيخ نور محمد سعيدا بما رآى في منامه • رآى يمامة جميلة تحلق عاليا في السماء، ثم تقبل اليه لتسكن في حجره • فدعا ربه ان تكون رؤيا بشرى بوليده الجديد ، ورسالة من السماء ان يرفع الله له ذكره ويكون للاسلام خيرا وبركة••

ويزداد الشيخ لربه توجها،فيهجر عمله الحكومي ليكسب رزقه من متجر ، يكتفي فيه بالربح القليل لا يستغل حاجة ولا يأكل الربا • وعاش الاب سمحا اذا باع ، سمحا اذا اشترى •• ليكون طعام الوليد طاهرا وشرابه طاهرا وملبسه طاهرا •• فلا يأكل لقمة مغموسة في دمعة محتاج ، ولا يشرب جرعة ماء فيها شبهة من حرام ••

وتعيش الام المؤمنة،هذا الايمان العملي الزاهد الرفيع مع الاب • ورجا الابوان ان ينشأ صغيرهما، وله في رسول الله اسوة حسنة ، وان يكون من مولده اقبال على الاسلام والمسلمين فاسمياه «محمد اقبال»

٢ ــ مولد

وجاء اقبال الى دنيانا في ٢٢ فبراير ١٨٧٣ في سيالكوت من ارض البنجاب•• ارض الانهار الخمسة كأنها اصابع الخير الممتدة فوق ارض باكستان ، او اليد الداعية المبسوطة الى الله ، يجري في عروقها ماء السماء منحدرا من الهملايا القريبة اعلى جبال الدنيا ، حيث الثلوج اديم ممتد ، والسحب حول ذوائبها عمائم ، تبدو بها الجبال مسجدا معلقا بين السماء والارض ، فيه الاف الراكعين الساجدين ، في ثياب بيض تغطيهم من فرع العاقدين ••

وكان سيالكوت محطة بين السماء والارض ، كما هي محطة بين البنجاب حيث عاش اقبال،وكشمير حيث نشأت اسرته البرهمية الاصل ، واعتنقت الاسلام • ثم حملته امانة غالية ، واسلمت انغامه الى قيثارة اقبال عبر الاقطار والازمان •

٣ ــ موعد مع قرن هجري جديد

ويأتي احتفالنا بالذكرى المئوية لمولد اقبال مع قرب احتفالنا ببدء القرن الخامس عشر الهجري الجديد• وكل من الاحتفالين تدعى المسلمون ومحبو السلام والاسلام •• ولقد كان للمؤتمر الاسلامي العالمي اكثر من لقاء بهذه المناسبة ، اراد به الذين التقوا ان يكون من مطلع القرن الجديد نور جديد على الاسلام ، وتعاون في مجالات شتى على الصعيد الاسلامي : اقتصاديا وثقافيا واعلاميا وفكريا ••• واتخذت في هذه السبيل قرارات وقدمت اقتراحات• ولعل من الانسب ان يكون هناك نوع من الترابط بين هذه الجهود الاسلامية ، ومما يعزز هذا الراى ان اقبال كان في حياته واضافاته متجها دائما الى المستقبل ، والى الربط بين الفكرة والعمل •

واحتفالنا بالذكرى المئوية لمولد اقبال يمس جوانب كثيرة من حياة الاسلام والمسلمين • وذلك لتنوع الافاق التي حلق فيها باجنحته القوية • مع التزامه بدينه فيما ينشيء •• ومن النادر ان تعثر في تاريخنا على هذا التنوع والمستوى والالتزام مجتمعا في انسان واحد : هو الشاعر والفيلسوف والمربي والسياسي، والمؤمن الذي عاش دينه ممارسة

ودعوة ، في اكثر من موطن ، وباكثر من لغة يملك ناصيتها ويتحرك فيها بكل اقتدار ..

لو كان الاحتفال بالعيد السنوى لمولد اقبال احتفالا مقتصرا على قطاع من تاريخنا مضى ، لما كانت له هذه المكانة،ولكننا نحس في اقبال القدرة على الاستمرار والعطاء .وتصبح القضية عندنا :

ـ ما الذى استطعنا ان ناخذه من اقبال ؟ وما الذى طبقناه مما دعا اليه وعاش من اجله ؟ وما الموازين التى نستطيع ان نتخذها لنقيم مجتمعاتنا في ضوء من عطاء اقبال ؟

واود هنا ان اقف عند نقطة اميز فيها بين اقبال «الفكرة» واقبال «المنهج» :

فاقبال الفكرة : هو الاسلام فى صفائه الاول : اساسه الايمان بالله،وقدوته الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكتابه القرآن الكريم ، وصانعوه هم رسل الله والذين ساروا على هداهم ، ونقطة انطلاق قلب المؤمن «ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد» (ق : ٣٧)

اما اقبال «المنهج» فقد ارتبط باطار زمانى ومكانى ، حاول فيه جهده ان يدفع الوجود الاسلامى خطوات الى الامام . وهذا الدفع ينقسم بدوره الى شريحتين اساسيتين : ترتبط الاولى بتكوين الذات المؤمنة ، القادرة ـ في كل عصر ـ على مغالبة الصعاب ، وتخطى العقبات ، سيرا الى هدفها . وهذه الذات ـ متفاوتة مع نظائرها ـ تكون الامة المؤمنة العاملة لرسالة الاسلام ، والتى تربى ابناؤها على هذا المنهج السليم ..

وترتبط الشريحة الثانية ـ اساسا ـ بالصيغ السياسية التى دعا اليها اقبال في تصوير الكيان الاسلامى وما يلائمها فى العصر الذى عاشه .. وهذه الصيغ ـ بطبيعتها ـ قابلة للتطوير مع متغيرات الحياة الاسلامية

هناك اذن في تراث اقبال عنصر ثبات وعنصر تغير . ومن الانصاف له أن نكون على بينة من أمرنا وأمره ، ونحن بسبيل الاحتفال بذكراه المئوية . ومهما يكن من امر فان « قوة الدفع» فى تراث اقبال ينبغى ان تكون الهدف الرئيسى في مؤتمرات اقبال ـ كما اتصور ـ مؤكدين النظرة المستقبلية عنده فيكون احتفالنا محاولة لترجمة أصول فكره الى حياة نابضة ،وان نقدم هذا هدية من محبى اقبال الى شباب القرن الخامس عشر الهجرى الجديد ..

بل اننى احس فى اعماق نفسى ، صوتا من اقبال ينادى بان نتعاون ـ من بعده ـ على افادة الجيل الجديد بما كتب له ، وما كان له فيه من امل كبير .

٤ ـ اقبال والكلمة الطيبة

لم تكن كلمات اقبال مجرد امتاع فكرى ، ولكنها فى اساسها مسئوليه مشتركه . انها نوع من«العقد الاسلامى » بين الكاتب والقارىء .. وانت واجد هذا العقد بصورة واضحة فى خواتيم رائعته «جاويدنامه» وقبل أن نعرض لطبيعة هذا العقد نذكر طبيعة الكلمة الطيبة كما وضحها القرآن الكريم ، وهو ميزاننا فى التقويم :

يقول الله تعالى : «الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبه كشجرة طيبه اصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها .ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون «ابراهيم : فالكلمة الطيبه فى القرآن لها فى هذا التشبيه صفات خمس (١) كشجرة طيبة (٢)اصلها ثابت (٣) وفرعها فى السماء (٤) تؤتى اكلها كل حين (٥) باذن الله .

هى شجرة . والشجرة حياة . وثباتها اصالة. وامتداد الفرع امل وعمل،وتعاون مع امتداد الجذور فى الارض،على البحث عن مصادر الحياة فى ظلمات الارض ونور السماء .وفى تشعب الجذور والفروع تشعب مسالك السعى كان فيها قبسا من قول الله تعالى .. هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور (الملك: ١٥) وفى اثمار الشجرة عطاء . وفى قوله تعالى «كل حين» اشارة الى الاستمرار والنظام . وفى قوله باذن ربها رد القوة الى الله..«الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » ـ (الأعراف : ٥٤)

وحينما نعرض كلمات اقبال فى عطائها مع هذا الميزان الالهى الخماسى الابعاد نجدها متوفرة فيها:

١ ـ ففيها الحياة . ومن حياتها عناية العالم العربى الاسلامى والفكر العالمى بحق عناية آخذة فى الزيادة.ويفتح فكر اقبال كل يوم آفاقا جديدة ، ويترجم الى لغات جديدة ، وتعاد طبعات كتبه . ووجد اسم اقبال طريقه بخطوات واثقة الى دوائر المعارف العالمية ، كما وجد طريقه الى كتب ابنائنا فى مدارسهم ، والى اغانينا ، والى الدراسات

الجادة في جامعاتنا ... هو فكر يكسب اصدقاء جددا . كالنهر الذى يزداد ماؤه بازدياد روافده، كلما تابع طريقه ... ليلتقي بهذا الفيض كله في بحر الاسلام الكبير .

٢ ـ وفيه ثبات الاصل . فنحن حين نقرأ اقبال نحس ان جذوره تمتد في هذه الارض الطيبة . أرض الايمان . وانه يحمل من بذور هذه الشجرة ليغرسها في اكثر من أرض . وتحمل أسماء كتبه ـ فضلا عن مضامينها ـ اية ذلك . ولنعد الى بيام مشرق (رسالة المشرق) و « ارمغان حجاز » « هدية الحجاز » و « زبور عجم » ، لنراها كانها خريطة جغرافية للارض التى امتت ، والتى انبتت اعلام الاسلام على مر العصور . وتمتد فروع شجرته في السماء، وتحمل كتبه اسم « بال جبريل » (جناح جبريل) ليجعل من الكون كله وطنا للاسلام .. الكون بارضه وسمائه .

٣ ـ ومع ثبات الاصل نجد فيه ارتفاع الفرع « وكثرة الاغصان » ساق سامعة كانها جلال الاسلام ، وأغصان وارفة تلقى على الارض ظلا ممدودا .. وما أكثر الاغصان التى امتدت من شجرة المعرفة والسلوك عند اقبال ، مؤكدة اتساع آفاق عبقريته .. وهى مع ارتفاعها كانها علم يراه السارى من بعيد . علم من أوتار الارض التى يمسك بها الاسلام أجياله المتتابعة أن تضطرب بها مسالكها وتغيب عن نواظرها معالم الطريق .

٤ ـ وهى تؤتى اكلها كل حين : فلقد كانت باكستان حلما اقباليا .. فجاءت لمرة من فكره.. رآها بعين قلبه قبل ان يراها بناظريه . ثوى في أرضها قبل أن ترفع أعلامها . وكان علم باكستان نبت من هذه البذرة الاقبالية الطاهرة ثابت الاصل وفرعه في السماء .. ولا زال عطاء اقبال يثمر . وأصبحت مكتبة اقبال ومدرسة اقبال عالمية المدى ، لها أحباؤها والواردون لحوضها في كل قارات الارض .

٥ ـ ذلك لاننا نؤمن أن اقبال قالها عن ايمان. وما ترك من ورائه ثروة مادية كبعض كبار الكتاب والمؤلفين . ولا زلت اذكر وقفتى أمام القسم الخاص به من المتحف بكراتشى وبساطة أدواته وملبسه .. أحسست حينئذ انه كان يعيش بانفاس النبوة وعلى هديها ، وأن ثروته الحقيقية هى الكلمات الولود ، والافكار المجنحة، التى استطاعت أن تحمل رسالة الايمان في صورها الشعرية والفلسفية والتربوية .. الى الافاق على امتدادها والاجيال على تتابعها .. كلمات مؤمنة فيها شيءمن روح الاذان .. كثيرة التردد كثيرة العطاء .. مصدرها طاعة الله ومنتهاها الى الله ..

٥ ـ رسالة الى المستقبل

بدات هذا الحديث برؤيا الشيخ نور محمد ، واليمامة المحلقة في الفضاء والتى استقرت في حجره ..

هل ظلت هذه الذكرى مع اقبال حتى تمثلت له ، في رحلة اخرى الى السماء سجلها في « جاويد نامه » .

ان هذه الرحلة المعراجية لاقبال تصور عقليته في ذروتها . والذى يعنينى هنا منها أمران أساسيان :

أولا ـ انها تصوير لايمانية الكلمة الطيبة بكل أبعادها القرآنية .

ثانيا ـ انها رسالة الى الجيل الجديد .

لقد تحولت اليمامة الوادعة في حلم الاب ، الى انسان سوى في رؤية الابن ، كما عبر عنها في جاويد نامه ورحلته الى السماء مع مولانا جلال الدين رومى .

لم يغلب عليها الطابع الادبى الذى نراه في رسالة الغفران عند أبى العلاء المعرى ، ولا الطابع الصوفي بما فيه من فناء في منطق الطير عند فريد الدين العطار ، ولا الاقتصار على أحاديث الانبياء في السماوات العلى الى مستوى قاب قوسين أو أدنى كما رأينا في رسالة الاسراء لمحيى الدين ابن عربى ..

فجاويد نامه حوار حى مع شخصيات تعطى النماذج البشرية المتكاملة في قطاعات الحياة التى يلقاها العالم الاسلامى بعامة والشباب بخاصة على طريق بناء الغد ..

وحينما يدير اقبال الحوار تحس أنه ليس مجرد عرض لشخصيات مضت وتاهت في درب التاريخ ، ولكنها نماذج متكررة .. على الاقل في بعض سماتها ، في رجاله الأبطال المخلصين في مجالات السياسة . فيهم الدعاة الى الله والى اقامة دولة الاسلام وفيهمالمنافقون وأذناب الاستعمار ..

وهو يعطيك نماذج من الشرق والغرب ، فلا تحبس نفسك في قطر واحد ، أو ثقافة واحدة ..

كن طائرا قوي الجناح ، تحلق في الافق .. وتطير وتطير ولكن لا تضل الطريق الى عشك وموطنك .. هكذا كانت رحلة اقبال الى الغرب وعودته منه . عاد مؤمنا بالعش الذي منه درج ، ودعا الى بنائه من جديد فكان « تجديد الفكر الديني في الاسلام » وكان « بيام مشرق » .. وكانت وقفته في مسجد قرطبة وفي معالم الاسلام في صقلية وفي رحلته الى القدس الشريف ومروره بمصر وزيارته للافغانستان .

فمع ان رحلات اقبال كانت محدودة المدى بالنسبة الى سني حياته ، الا انها كانت عميقة التاثير في نفسه وفي انتاجه .

اقبال اذن كانت له رحلاته الارضية قبل رحلته السماوية . وكان له لقاؤه وحواره مع اعلام الفكر في عصره ومكانته بينهم .. والتقل بعد هذا الى اعلام التاريخ يحاورهم ، ويقدم عصارة تجربته عبر الزمان والمكان الينا بعامة ، والى الجيل الجديد بخاصة ، في جاويد نامة .

وهو يقدم نصائحه لبناء المستقبل في نمط معماري دقيق يبدأ من نقطة مركزية من حولها دوائر آخذة في الاتساع . ولكن هذا النمط المعماري يتخذ اسلوبا يجمع بين المنطق العقلي والعاطفة الاسلامية المشبوبة . ولذلك أن تقول ان الترتيب منطقي ونفسي في ذات الوقت .. كيف ؟

١ ـ انه يبدأ الخطاب بتوجيهه الى جاويد . وفي شخصه يخاطب الجيل الجديد كله .

٢ ـ وهو يوصيه أولا بامه ، فالام ايمان ومودة. ويوسع الدائرة لتشمل الاسرة وقوامها « لا اله الا الله » .. هي وصية الاب الى ولده ، وبالتوحيد تقوم السماوات والارض . وهذا التجاذب بين الكواكب « عشق » اذا استخدمنا لفظ اقبال . كلمة التوحيد هي الغنى وهي النور ، وهي محور العبادات والمعاملات جميعا .

٣ ـ ويوسع الدائرة بعد هذا الى القارة التي يعيش فيها : آسيا . أم القارات ومشرقة أنوار النبوات حيث منازل الوحي .. وانت اذا نظرت الى آسيا وجدت مشابه بينها وبين الام التي بدأ اقبال الوصية بها . أم تحمل بين ذراعيها اوربا من ناحية وافريقيا من ناحية ، ووراءها يسعى وليد جديد هو استراليا .. لم كشف أبناؤها عن أخ لهم كان وراء بحر الظلمات .. هو العالم الجديد .. ومع تحذير اقبال من مفاتن أحد الاخوين ، ومع أمله في الثاني ومن وراء .. فانك تحس الاخاء الانساني والنظرة العالمية في أخوته ..

٤ ـ وبعد الحديث عن الام على مستوى البيت، والام على مستوى القارات ، يعود الى الشباب ليقدم اليه وصاياه .. ولقد كنا نتصور أن يبدأ بالشباب باعتباره المركز وينتقل الى الدوائر المتتالية .. الاسرة ووطن العقيدة والوطن الانساني .. ولكنه آثر تقديم الام : أم البيت وأم القارات ، ورفع فوق الاسرة والكون لواء لا اله الا الله ، ثم عاد بعد هذا الى الشباب يختم به الحديث .

ونحس حين نقرأ وصاياه من الفكر والذكر . من ايجاد مناهج تعليمية تحياها الروح ويزكو بها العمل. من غنى النفس بالايمان وقفرها أمام المال. من التحذير من مفاتن الحياة واشاراته المتتالية الى مجالي الروح ، وكيف يبني بها المسلم حياته الجديدة على أساس ايجابي .. نحس هنا في تركيز شديد بمنهج اقبال التربوي . منهج التكوين والمسئولية .

وحين ننظر الى المثال الذي ضربه عن جواد السلطان المؤمن والمظفر عندما مرض وسقاه البيطري خمرا ، وكيف أبى السلطان بعد هذا أن يركبه مجاهدا به في سبيل الله ، نحس جانبا من طفولة اقبال ، وكيف اعتزل والده العمل الحكومي ليفرغ الى كسب رزقه بجهد يثق ثقة كاملة انه طاهر ، فلا يطعم ولده الا حلالا طيبا ..

عميق هذا الترابط بين تكوين اقبال الذي عاش به ، وتكوين الشباب الذي دعا اليه . وعميق اسلوب والده في تكوينه ودور الاسرة فيه ، وما دعا الناس اليه ، ومن هنا يبدو جانب الممارسة والقدوة في التربية الاقبالية ..

وهو يحمل الشباب مسئولية بناء المستقبل واثق الخطوة مجنح الروح والكلمة عاشقا لدينه، ايجابيا في تكوينه ، تقيا فيما ياخذ ويدع . قوي الذات مستعليا على الاحزان والاطماع .. هذا هو رجل الحق المأمول عنده .. هو الذي يدعو اليه اقبال، ويدعو ـ حتى بعد موته ـ لمن تحقق به . ■■

د . عبد العزيز كامل

حزب «التبرير» الإسلامى!

ما رايكم فى ان نطلق عليهم « حزب التبرير الاسلامى » ؟

اولئك العارفون المنتشرون فى ارجاء عالمنا العربى ، المتخصصون فى تفصيل الثياب الاسلامية التى تغطى كل موقف ، وتناسب كل قياس وترضى كل ذوق • المهرة فى التلاعب بنصوص القرآن والاحاديث النبوية وتطويع حقائق التاريخ الاسلامى • خبراء التلفيق والتخريج ، والترقيع اذا لزم الامر • العباقرة فى شم وتحسس اتجاه الريح ، كلما مال الشراع مالوا معه ، شريطة الا تلوح بوادر الغرق ، لانهم ـ ببساطة ـ يفعلون ما يفعلون ليحيوا ، لا لكى يموتوا !

الا يشكل هؤلاء حزبا حقيقيا ؟ •• الهدف واضح والبرنامج والاساليب معروفة ، والانتشار واقع بالفعل • وكما ان هناك احزابا للخاصة ، المحافظين والاقطاعيين مثلا ، فان شرط العضوية الوحيد فى حزب « التبرير » هذا هو ان يكون المريدون من العارفين ، الذين تشترط فيهم « المرونة » الفكرية ، وسعة الافق ، والذمة ايضا !

احدهم ، وقف مرة فى ندوة باحدى العواصم العربية يؤكد ان التصوير حرام ، ويعزز رايه بالادلة والقرائن • وبعد ان انتهى من كلامه قال له احد الجالسين ، الا ترى ان هناك صورا بذاتها معلقة على جدران دواوين الحكومة ، وان الصورة التى تعلو ظهرك ينطبق عليها التحريم ، طبقا لما تقول • عندئذ قال صاحبنا بكل وقار ، انه الرسم وليس التصوير• لان التصوير بالكاميرا لم يكن معروفا فى ايام الاسلام الاولى ، والصورة فى حكم ظل الانسان ، ولم يقل احد بان الظل حرام ! بسرعة مدهشة جاء التبرير ، وتم « تفصيل»الفتوى•

يذكرنا ذلك بما حدث بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ، وتولى يزيد بن عبد الملك الخلافة بعده ، ثم قوله سيروا بسيرة عمر • ولكن الخليفة الجديد لم يحتمل السير على طريق عمر بن عبد العزيز ، بالمثل العظيم الذى ضربه والقيم النبيلة التى جدد غرسها • اراد يزيد ان يطلق لهواه العنان ، فاتى باربعين شيخا ـ من اهل التبرير ـ فشهدوا له : ما على الخلفاء حساب ولا عذاب !

●

وكما تتعدد الفرق داخل الحزب الواحد ، فان من بين اهل التبرير فرقة تخصصت فى تطويع نصوص القرآن لتفسير الظواهر والانجازات العلمية • اذا هبط الانسان فوق القمر ، قالوا ان ذلك موجود فى القرآن • واذا القيت قنبلة ذرية على هيروشيما اكدوا ان النبوءة قديمة فى بعض السور • واذا اطلق صاروخ فى الجو ذكروا ان « قذائف الحق » نعرفها قبل غيرنا •• وهكذا !

وربما كان من تحصيل الحاصل ان نقول ان القرآن تضمن تسجيلات للعديد من الظواهر الكونية والعلمية ، ولكن ملاحظتنا تنصب اساسا على افتعال هذه العلاقة بين القرآن والعلم ، فى مسائل تفصيلية يتقدم فيها البحث وتتغير فيها النتائج كل زمن .

والان يعمل حزب التبرير ـ بكل فرقه ـ بهمة تثير الانتباه ، منذ هبت ريح السلام وهم يرددون على نغمتين ، موقف الاسلام من السلام ، ثم صلح الحديبية ، باعتباره نموذجا للمهادنة والمصالحة • وما قيل ـ وهو كثير ـ يحتاج الى تصحيح وايضاح •

نعم يدعو الاسلام الى السلام فى كل مناسبة قرانية • وتحية المسلم هى « السلام عليكم» والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، بنص الحديث الشريف • لكن الوقوف عند آية « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » يعد ابتسارا مخلا • وتصويرا غير امين لموقف الاسلام من هذه القضية •

ذلك أن آية « وان جنحوا للسلم ••• »،تسبقها على الفور آية « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة •• » والقران الكريم الذى يقول : «ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين» يسبق هذا النهى بأمر نصه : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم»•وهو ذاته الذى يقول: « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين ، وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ، ان تولوهم ،ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون •»

وهو ذاته الذى يقول : « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » ثم يضيف : «فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ، ويكفوا ايديهم » ، فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم • »

وفقه المسلمين هو الذى يقول : ان غلب العدو على بلد من بلاد الاسلام او ناحية من نواحيها فالجهاد فرض عين•فتخرج المراة والعبد بلا اذن الزوج والمولى•وكذا يخرج الولد من غير اذن والديه ، والغريم بغير اذن دائنه •

وفقه المسلمين هو الذى يقول ايضا : ان امراة مسلمة سبيت بالمشرق وجب على اهل الغرب تخليصها •

لقد كانت حروب الاسلام دفاعا عن الانسان ، تستهدف تحريره من العبودية والشرك والظلم ، ومن اجل هذه الرسالة فرض « الجهاد » ، الذى تتعدد فيه النصوص ، بعضها يحث المؤمنين ويبشرهم وبعضها يرمى القاعدين بابشع النعوت والصفات فى الدنيا والاخرة •

واذا كان هذا هو موقف الاسلام من تحرير الاخرين ، فما بالكم اذا تعلق الامر بتحرير المسلمين لانفسهم ؟

ان ابراز الايات الداعية الى السلام وحدها ، دون الاشارة الى سياقها الحقيقى والشروط الموضوعة فى القران لتحقيق هذا السلام ، هو حيلة يلجا اليها اهل التبرير ، متصورين انهم بذلك يركبون الموجة ويسايرون التيار • وهو منهج مكشوف وشهير فى عالمنا العربى ،شعاره قراءة الاحكام بطريقة « لا تقربوا الصلاة » •

●

بقى موضوع صلح الحديبية ، ومحاولات التذكير به والقياس عليه •

كان ذلك فى العام السادس للهجرة ـ فى شهر ذى القعدة ـ والرسول (ص) وصحبه فى المدينة قوة صاعدة تحاول أن تثبت أقدامها فى أرض الجزيرة • وقتئذ أعلن الرسول(ص) انه متوجه الى مكة ليؤدى العمرة ، بينما المشركون هناك ، رافضون لهذا الكيان الجديد •

خرج الرسول (ص) ومعه ١٥٠٠ من صحابته ، وفزعت قريش ظنا منها أنهم قادمون لقتالها • فبعث الرسول (ص) اليهم عثمان بن عفان ليطمئنهم •

اقتنعت قريش ، وارسلت مبعوثا للاتفاق مع المسلمين ، فقال له رسول الله (ص) : اكتب بيننا وبينكم كتابا •

وتقول الرواية التاريخية ان الرسول (ص) دعا على ابن أبي طالب ، وقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم .

عندئذ قال مبعوث قريش ـ سهيل بن عمر ـ أما الرحمن فوالله ما ندري ما هو ، ولكن اكتب « باسمك اللهم » كما كنت تكتب. فقال المسلمون، والله لا نكتبها ، الا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي (ص) : اكتب باسمك اللهم .

وكان هذا تنازلا اثار انتباه المسلمين .

ثم قال الرسول (ص) يملي عليا اكتب : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقال سهيل : والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك . ولكن اكتب : محمد بن عبد الله .

فقال النبي (ص) : اني رسول الله وان كذبتموني . اكتب « محمد بن عبد الله » . وامر عليا بأن يمحو ما كتبه ، فتمنع وقال : لا والله لا امحوها فقال رسول الله (ص) : ارني مكانها ، فاراه مكانها ، فمحاها .

وكان هذا أيضا تنازلا اثار انتباه المسلمين .

ثم طلب مبعوث قريش أن يرجع المسلمون وعلى رأسهم النبي (ص) ، ولا يعتمرون الا في العام التالي حتى لا يظن العرب انهم دخلوا مكة عنوة ، فوافق الرسول (ص) .

بعد ذلك طلب المبعوث شرطا غريبا ، اذا انضم واحد من اهل مكة الى معسكر المسلمين بغير اذن ـ حتى ولو كان قد أسلم ـ يرد الى قريش ، واذا لجأ واحد من المسلمين الى مكة ، لا تلزم قريش برده الى النبي . ووافق الرسول (ص) أيضا على هذا الشرط .

وشاء القدر ان يصل الى معسكر المسلمين ، والاتفاق لم يتم بعد ، احد مسلمي مكة هاربا من العذاب وهو يرسف في قيوده . وقد رمى بنفسه وسط الجموع عند الحديبية . ولم يفوت مبعوث قريش الفرصة ، وقال : هذا يامحمد اول ما اقاضيك عليه على ان ترده.

فرد النبي (ص) قائلا ان الاتفاق لم يتم ، وطلب من مبعوث قريش ان يترك هذا المسلم الوافد (جندل بن سهيل) ، ولكن المبعوث أصر على موقفه، فوافق الرسول (ص) على تسليمه، فلم يملك الرجل نفسه وقال مستغيثا : يامعشر المسلمين ، ارد الى المشركين وقد جئت مسلما ، الا ترون مالقيت ؟

وهكذا . وسط دهشة المسلمين ، تم الاتفاق بين النبي (ص) وقريش ، على هدنة امدها عشر سنوات ، وعلى ان يرجع المسلمون هذا العام ، وعلى ان يدخلوا مكة في العام المقبل والسيوف في اغمادها ، وان لكل قبيلة حق الدخول في عهد مع اى من الطرفين .. الى غير ذلك من شروط تسليم الافراد بين قريش والمسلمين .

يصف ابن هشام الموقف وقتئذ بقوله انه «دخل عليهم ـ المسلمين ـ امر عظيم حتى كادوا يهلكون » . ويشير الواقدي الى أن المسلمين « كانوا يتميزون غيظا وألما ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما » .

هذه باختصار شديد أبرز وقائع صلح الحديبية ، الذي اعتبر بداية الانتصار الكبير للمسلمين، وفيه نزلت آيات سورة الفتح وفي مقدمتها : « انا فتحنا لك فتحا مبينا » (نزلت في طريق العودة الى المدينة بعد الاتفاق مباشرة) .

●

واذا أردنا أن نقارن ونقيس ، فلا بد أن نضع في الاعتبار اولا انه في حقيقته « هدنة » مسلحة وليس صلحا (انهار الاتفاق بعد سنتين بسبب نقض قريش لشروطه) ـ ومن ناحية

اخرى فان عناصر الصراع الاساسية مختلفة ، فلم يكن بين المسلمين وقريش قضية ارض مثلا٠

ولنسال بعد ، كيف كان الصلح فتحا وانتصارا ، رغم ما قدم من تنازلات ؟

لقد كان الانجاز الاكبر هو اعتراف قريش ـ زعيمة الوثنية ـ بالمسلمين ، كقوة اثبتت وجودها ، حتى صارت طرفا له شرعيته ، وينبغي التسليم بوجوده والتفاهم معه ٠

ثم ان الصلح اتاح للمسلمين الاختلاط بالمشركين في امان ، ومكنهم ذلك من نشر الاسلام بينهم ٠ وفي سيرة ابن هشام أنه « لما كانت الهدنة ووضعت الحرب ، وامن الناس بعضهم بعضا ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم احد في الاسلام يعقل شيئا الا دخل فيه»

وكانت النتيجة ان الرسول كان قد خرج الى الحديبية واصحابه عددهم ١٥٠٠ ، ثم خرج في عام فتح مكة ـ بعد الصلح بعامين ـ وقد وصل عدد اصحابه الى عشرة الاف ٠

وكان من ثمار الصلح ان توقف العذاب الذي كان يلقاه المسلمون في مكة ٠

ويذكر سير توماس ارنولد في كتابه « الدعوة الى الاسلام » ان الهدنة أتاحت للرسول (ص) ان ينشط بدعوته بين القبائل التي تقيم جنوبي المدينة حتى تخوم اليمن ٠ وكان لانتشار الاسلام بين هذه القبائل اهمية خاصة من الناحية العسكرية ، اذ انه جعل قريشا محاصرة بالمسلمين من الشمال والجنوب ، وبذلك تقرر مصير مكة وقريش نهائيا ٠

لقد كان الصلح طريقا لحسم المعركة نهائيا لصالح المسلمين ٠

ومن ثمار الصلح ايضا ان الرسول بهدنته مع قريش تمكن من ان يوجه الضربات والسرايا الى القوى الاخرى التي كانت تحاول الانقضاض على المسلمين ، من اليهود الى البيزنطيين الى التجمعات البدوية الاخرى في الصحراء وطوال السنة السابعة للهجرة (الاولى بعد الصلح) ، كانت سرايا المسلمين تؤدب هؤلاء وتردعهم ٠

وبلغة الساعة ٠ فان هذا « الاتفاق الجزئي » مكن الرسول (ص) من « تحييد » قريش، واتاح للمسلمين فرصة التفرغ لتصفية الجبهات المعادية الاخرى ٠ كان « تسكينا » لجبهة ، وليس انهاء للمعركة بين الاسلام والشرك ٠

وكتب السيرة حافلة برصد العديد من الانجازات الحقيقية الاخرى التي كسبها المسلمون بعد صلح الحديبية ، بينما كل ما قدموه لم يتجاوز تنازلات شكلية بالدرجة الاولى ٠

لكن الذين يذكرون ويقيسون ، من اهل التبرير ، يقراون سيرة النبي أيضا بطريقة « لا تقربوا الصلاة » ! ولو انهم قرأوا الاتفاق بامعان، لاكتشفوا انه حجة عليهم وليست لهم !

●

ولن يتوقف نشاط حزب التبرير الاسلامي ، ليس فقط لقوته وعراقته ، ولكن ايضا لان ظروفا مواتية عديدة تهيىء المناخ المناسب لاستمراره وانتشاره ٠

ومعذرة اذا كان هذا الذي كتبته بمثابة بلاغ ضد حزب التبرير واهله ٠

لكنه يشفع لي انني اوجه هذا البلاغ الى ضمير امتنا ، التي يعلم الله وحده مايراد لها وبها ٠

ومعذرة ايضا اذا كنت قد قطعت مناقشة اخرى حول مسالة التحديث في الفكر الاسلامي، ضرورته ومخاطره ومداه ٠

وأرجو ان استكمل هذه المناقشة في مرة قادمة ٠ ■■

فهمي هويـــدي

"جزء خاص"

العرب و افريقيا

ساحة الصراع الدولي الجديد ..!

تنزانيا : العرب وصراع اللون والثروة

ارتيريا : الشعب والثورة

الاوجادين : وقصة النزاع الصومالي الاثيوبي حولها



● انتقلت بؤرة الصراعات الدولية خلال عام ١٩٧٧ الى افريقيا ٠٠ والان تشهد دول القارة صراعا محموما بين القوى الكبرى ٠

ويكفي ان نتطلع الى نقاط التماس العربى الافريقي والحزام المحيط بالعالم العربى ٠٠ لنرى انفجار المعارك المسلحة في العديد من المناطق والتي من بينها ما يدور في القرن الافريقي باعتبارها اكثر مناطق القارة اختزانا لطاقات واحتمالات الصراع الاقليمي والعنصرى ٠

وفي الصومال ـ احدى دول الجامعة العربية ـ يعاني الشعب هناك من تمزيق اوصاله وهو شعب متجانس في اللغة والدين والثقافة والعادات ٠

ورغم ذلك فهو موزع الى الصومال الحبشي والصومال الكيني ٠

ويناضل الشعب الصومالي لتحرير أرضه في المناطق الخاضعة للاحتلال الاثيوبي، وعلى الجانب الاخر تشتعل ثورة الشعب الاريترى من اجل تقرير مصيره والذى اهدرت القوى الاستعمارية حقه في الاستقلال ..

● وقد انتقل الصراع فى افريقيا من الحرب الباردة الى الصراعات المسلحة وتعددت دوائر الصراع فى انجولا في منتصف السبعينات ، واخذت تتعمق ظاهرة الاستقطاب الدولى ٠

وأصبحت غالبية الصراعات الافريقية انعكاسا على نحو او آخر لصراع القوى المستتر بين العواصم العالمية موسكو وواشنطن وبكين وباريس ولندن ٠٠٠

● ونظرة الى خريطة الصراعات الافريقية عام ١٩٧٧ تؤكد هذا الاتجاه فمن احداث زائير الى هجوم المرتزقة فى بنين ٠

الى اغتيال رئيس الكونغو برازفيل ،ثم تاجج الصراع فى كل من روديسيا وجنوب أفريقيا ضد سيطرة الرجل الابيض والاستعلاء العنصرى ٠٠

● ويكشف رصد الصراع في القارة الى ان التطورات تتصاعد بمعدل سريع، بصورة جعلت القارة تعود مرة أخرى الى بؤرة الاهتمام العالمى ٠

حتي تكاد تستقطب الاهتمام دون مناطق التفجر الاخرى فى العالم ، وصاحب تلك الظاهرة تطور للعلاقة بين الدول الكبرى ودول القارة . فتعمل الدول الكبرى على تجنب أشكال التدخل السافر والصورة الاستعمارية التقليدية ٠

وتستخدم وسائل جديدة مثل التسلل الى الاحزاب والمرتزقة وسباق التسلح والاقليات القومية والمعونات الاقتصادية والانقلابات العسكرية واخيرا تحريك الدول الافريقية ضد بعضها البعض ..

● والعالم العربي ليس بعيدا عن هذا الصراع الذى يجرى فى عمقه الاستراتيجي، ونتائجه تنعكس مباشرة على الصراع العربى الاسرائيلى ، ويدور فى مناطق بالغة الاهمية فيمس امن البحر الاحمر ويقع داخل منابع نهر النيل ٠

« القرن الافريقي »

بريشة الرسام الفرنسى « كاسل » فى « جون افريك »


البحر الأحمر
DJIBOUTI
جيبوتي
SOMALIE
الصومال
ETHIOPIE
اثيوبيا
KENYA
المحيط الهندى



فتاة تنزانية تقف الى جوار ثمار شجرة البن في موشي .



السوق في تنزانيا الذي يتبادل فيه المزارعون منتجاتهم .

(١)

تنزانيا..

العرب وصراع اللون والثروة



بقلم : مصطفى نبيل

● رحلتنا الى تنزانيا .. ذلك البلد الافريقى الواقع على احد نقاط التماس والامتزاج بين العرب وافريقيا ، والداخل فى الحزام الاسلامى الذى يحيط بالعالم العربى ، والهام استراتيجيا للوطن العربى . فى شماله وجنوبه تدور اعنف المعارك المسلحة .. شمالا بين الصومال واليوبيا وجنوبا معركة التحرير ضد روديسيا وجنوب افريقيا، وعلى ارضه تعيش احد التجارب الوحدوية الهامة بين تنجانيقا وزنجبار .

هذه هى «دار السلام» العاصمة التى اقامها العرب واعطوها اسمها منذ مايزيد عن المائة عام ايام الدولة العربية التى امتدت من الساحل

الافريقي وحتى ساحل عمان ، وكانت تسمى زنجبار وكان وجهها العربي أزهى صفحات تاريخها واكثره تالقا .

وبداية تقع تنزانيا في وسط القارة الافريقية وتتاخم تسع دول افريقية ويحدها شمالا كل من كينيا واوغندا ، وغربا الكونغو ، وجنوبا موزمبيق وزامبيا وملاوى وتمتد على المحيط الهندى شرقا لمسافة ٥٠٠ ميل ، وتبلغ مساحتها ٩٢٥ الف كيلو متر مربع اى ضعف مساحة فرنسا و٢٤ مرة مساحة هولندا ، ويبلغ عدد سكانها ١٥ مليون نسمة ..

وعلمت ان هنالك مشروعا لنقل العاصمة «دار السلام» الى عاصمة جديدة شرع في اقامتها في المنطقة الوسطى وستكتمل بعد ثلاثة اعوام وتسمى دودوما ، والعديد من الدول الافريقية غيرت اسمها القديم كجزء من بقايا العصر الاستعماري وكتعبير عن رفض الماضي والتطلع الى المستقبل ، واسم تانزانيا اطلق فى الماضى البعيد على احد الممالك التى قامت على هذا الجزء من القارة . وهمس فى اذني من قال .. «ان فكرة تغيير العاصمة من بين اهدافها اخراج العاصمة من المنطقة الاسلامية التى يغلب عليها الطراز العربى .. ! !

تنزانيا .. القبائل والتاريخ !



وقبل أن نمضي في استعراض تنزانيا العاضر ، نستعرض تاريخها الاجتماعي المتميز ، وكيف مرت كل من تنجانيقا وزنجبار بظروف تاريخية مختلفة وان لم ينقطع التاثير المتبادل ؟ وكيف تقلص الدور العربي في كل منهما رغم اختلاف الاساليب التي اتبعت في كل من شقيها تنجانيقا وزنجبار .

ففي تنجانيقا لعبت ذبابة تسي تسي دورا بارزا عندما ابعدت البلاد عن الاستعمار الاستيطاني فلم تسكنها اقلية اوربية مثل ما حدث في كل من كينيا وروديسيا ، وشهدت وحدة اجتماعية شبه متميزة عن جيرانها ، ورغم ان حدودها السياسية مثل كل الدول الافريقية رسمها الاستعمار الا ان التاثير العربي والاسلامي اعطاها مناخا فكريا ولغة للتعامل هي السواحلية ومجموعة من القيم والعادات والتقاليد المتميزة ، وتسللت ثم انتشرت هذه التاثيرات من خلال القوافل العربية ابتداء من الساحل وحتى منطقة البحيرات ، وقدمت للبلاد مدنا ساحلية كدار السلام وتنجا التى تميزت عن مناطق الداخل بطرازها ، وكانت تانجا اكبر مراكز الثقافة العربية القديمة ، ورغم ان تنجانيقا لم تعرف انتقال اسر عربية حاكمة تدير شئونها كما حدث مع اسرة بوسعيد فى زنجبار الا ان تاثير النظم السياسية والادارية التى اقامها العرب واضحة ، وايضا تركيبها البشرى متميز فلم تعرف الوحدات القبلية والبشرية الكبيرة التى يؤثر تعدادها فى ميزان العلاقات بين الوحدات القبلية كما هو الحال فى كينيا واوغندا فيسكنها ما يقرب من ١٢٠ قبيلة اكبرها سوكاما التى يقرب تعدادها من مليون نسمة ، وتليها وحدات اخرى مثل شاجا التى عرفت بالثقافة والحضارة ونياموىزى التى يبلغ تعداد كل منهما حوالي نصف مليون نسمة ، فالحروب القبلية المتعددة جعلت القبائل تنتقل من اماكنها الى اماكن اخرى مما فتت الاعداد الكبيرة الى وحدات متناثرة ..

فالعاصمة دار السلام يسكنها حاليا ٢٧٥ الف نسمة تليها ١٦ مدينة منتشرة فى مناطق الشمال والغرب وعلى الساحل ، ولايزيد عدد سكان كل منها على خمسة الاف نسمة ، واهم نتائج الوجود العربى انتشار الاسلام فى كل انحاء البلاد ، وان لم يعتنقه كل السكان ، ويكاد لا توجد منطقة يسكنها المسلمون وحدهم ، ولا توجد قبيلة جميع افرادها من المسلمين ، وادى هذا الى عدم تقسيم البلاد الى قسم اسلامي وآخر مسيحى كما حدث فى كينيا وغانا ونيجيريا وتشاد ..

ولم يستطع ان يدخل حكم الالمان ثم الانجليز اية تغييرات جوهرية على هذه الصورة ، والتغيير الهام الذى وقع هو انكماش دور العرب كفئة حاكمة خلال الحكم الالمانى ، وظهور المثقفين والمتعلمين من ابناء القبائل الصغرى خريجى مدارس التبشير وقد وصل عدد منهم الى الجامعات البريطانية تمهيدا لقيامهم بالدور الرئيسى فى ظل الحكم البريطانى ، والذى صاحبه استمرار تقلص الاقلية العربية وتاثيرها الحضارى ، فلا تنعكس نسبة المسلمين داخل المجتمع على سبيل المثال على نسبتهم داخل طلبة جامعة دار السلام ، او حتى على نسبتهم داخل القوات المسلحة التنزانية .

وربما ساعد على ذلك الشعارات التى رفعها حزب تانو الذى قاد البلاد خلال معركة الاستقلال ، ففى الوقت الذى شهدت فيه جزيرة زنجبار اعنف صراع عنصرى ، كان وزير المالية من اصل اسيوى، وامين صندوق حزب تانو من اصل اسيوى وحتى وزير الزراعة الحالى برايسسون من اصل اوربى، بمعنى انه تم تقلص الدور العربى فى ظل موقف غير عنصرى وبالتدريج عن طريق خلق اوضاع جديدة ونظام تعليمى يحقق الهدف المنشود ..

« المعلمو »
نيريرى

ولايمكن ان تكتمل صورة ما يجرى فى تنزانيا من غير التركيز على سيرة الرجل الذى قاد البلاد الى الاستقلال والذى مازال يمسك بين يديه بدفة الحياة السياسية فى تنزانيا وهو الرئيس جوليوس نيريرى والذى تكشف سيرته العديد من ابعاد التجربة فى تنزانيا ، فالقيادة هنا وفى العديد من دول العالم الثالث تلعب دورا بارزا ..

التقيت بالرئيس جوليوس نيريرى فى حديقة قصره المطل على المحيط الهندى ، وقضيت زهاء الساعة معه وهو يتحدث بذكاء وحيوية ، وشعبه يطلق عليه « المعلمو » اى المعلم ، وهو من المع قادة افريقيا ، ويتولى الرئاسة منذ استقلال تنجانيقا فى ديسمبر ١٩٦١ ،وساهم مع عبدالناصر ونكروما وسنغور وسيكوتورى وهيلا سلاسى فى اقامة منظمة الوحدة الافريقية عام ١٩٦٣ ..

ولد جوليوس على الساحل الشرقى لبحيرة فيكتوريا ابنا لاحد رؤساء قبائل الزنكى الصغيرة والتى تشتغل برعى الغنم ، واعد له دور فى الخطط البريطانية لتنجانيقا ، فتعلم فى مدارس التبشير ، وحصل على دبلوم فى التعليم ودرس الدكتوراه فى لندن ، والدور الذى اعد له دور متواضع كزعيم افريقى يدور فى فلك الغرب ، ولكنه تحول ليصبح اكثر الزعماء الافارقة عنادا ضد الاستعمار فى القارة الافريقية ..

فعندما تولى رئاسة حزب تانو عام ١٩٥٤ ، بعد ان عمل مدرسا وقبل تفرغه للعمل السياسى، جاب البلاد معلما ومتعلما ، واهله ذلك ليقود العمل السياسى بلا هزات حتى واجه حركة تمرد فى الجيش عام ١٩٦٤ واستدعى على اثره القوات البريطانية ، واقام حزبه على عكس ما وقع فى زنجبار على اساس المساواة بين الاجناس، ووافق على ان تكون بلاده جزءا من الكومنولث البريطانى وهو ينادى بان يستمد من الاصالة الافريقية الاسس التى يقوم عليها نظامه ، ويرفض النمط



اخذت هذه الخريطة نقلا من كتاب « ثلاث راهمانجات المجهولة » للملاح العربى احمد بن ماجد



الغربي في التطـور ، واعلن عن تطبيق تجربة اشتراكية مبتكرة ، تقوم على التقاليد التي لم تعرف الملكية الخاصة في الارض ، واعطى اهتماما بالغا لدور القرى الجماعية ووضع شعار الزراعة اولا بعد ان واجهت خطط الصناعة مصاعب جمة .

وتتراوح فكرة الوحدة الافريقية لديه بين وحدة الزنج التي تشمل الزنوج في كل انحاء العالم ، وبين فكرة وحدة القارة الافريقية ..

وفي حديثه الطويل تناول العديد من القضايا، فتحدث عن التدخل الاجنبي في القارة الافريقية بقوله .. « هدفنا ابعاد القـــارة الافريقية عن الصراع الدولي ، وليس معنى ذلك ان تتـوقف حركات التحرير الافريقية عن تلقي الدعم من كل انحاء العالم ، ففي الصراع الذي نشب من اجل استقلال انجولا ،قامت جنوب افريقيا بتحدي الدول الافريقية جميعا وتدخلت تدخلا عسكريا مباشرا في الصراع الناشب هناك ، ومعنى هذا ان التدخل من جنوب افريقيا ، ولكن صوت الافريقيين ليس عاليا ، ونحن مضطرون للتعامل مع القوى الكبرى وعلينا ان نحول دون انتقال صراعاتهم الينا ».

وتطرق الحديث الى مجموعة شرق افريقيا وما تعرضت لهمن انسحاب كينيا والغلاق الحاد الواقع مع اوغندا وعلق ببساطة .. « لقد خسرنا هـذه المعركة وعلينا ان نسلم بهذا ، ورغم فشل هـذا الاتحـــاد يجب التعـــاون بين بلاده ، مهما كانت الخلافات ومهما اختلفت الاتجاهات ، وسياستي ان



في الطراز العربي وملامح السكان تظهر آثار الدولة العربية التي قامت في دائرة مركزها زنجبار والتي امتدت لتشمل كيلوا شمالا وحتى موزمبيق جنوبا وشمالا جزر القمر وجزيرة مدغشقر ، وتبدو في القلاع العربية والابواب المصنوعة من خشب الساج والمنقوشة نقشا دقيقا وبعض هذه النقوش ايات من القرآن الكريم ·

تصوير : أوسكار مترى



اكون على علاقات طيبة مع جيراني . فالحكام سيذهبون والنظم تتغير وتبقى الشعوب متجاورة ».

وانتقل الحديث الى الصراع العربي الاسرائيلي، وقضية العدوان الاسرائيلي على الدول العربية، وخطط الدول الاستعمارية عندما عرضت على الحركة الصهيونية خلال الحرب العالمية جزءا من اوغندا وتنجانيقا لتقيم عليه الوطن القومي اليهودي وقال الرئيس التنزاني .. « لقد سبق ودار بيني وبين الصديق عبد الناصر حوار طويل خلال زيارته لبلادي عندما بادرني قائلا : جوليوس ..ان معلوماتي عن النفوذ الاسرائيلي يتنامى في بلدك ..» وقلت : « لقد ورثنا النفوذ الاسرائيلي من المرحلة الاستعمارية ، ونعرف كيف دخل هذا النفوذ الى بلادنا . وانتقل الحوار الى اصل القضية الفلسطينية وبعد مناقشة لكل ابعاد المشكلة قلت له .. « لو قامت اسرائيل على جزء من ارضي وعلى حدودي ، لتغير الحديث وتبادلنا المواقع فقلت انا ما تقول انت، واجبتني انت متفلسفا كما افعل انا .. » .

واستطرد نيريري قائلا .. « ان التحرير هو التحرير في كل مكان ، سواء تحرير المناطق الافريقية الخاضعة للاستعمار الاستيطاني ، او تحرير الاراضي العربية ، انها قضية واحدة لا تتجزا ، ومضمونها حقوق الانسان ، ونحن في افريقيا وفي فلسطين نريد حقوق شعبنا ..

واضاف .. « اني اعرف ان اسرائيل تسعى الى العودة الى افريقيا ،ولكن الشعب في افريقيا يدرك حقيقتها ، ولا يمكن ان يسمح لها بذلك بدون تحقيق التسوية العادلة في الشرق الاوسط، اما عن التسوية السياسية ، فاذا كانت الولايات المتحدة تسعى الى حل يشتمل على وطن للشعب الفلسطيني ، واذا كان هذا هو ما تراه الدولتان الكبيرتان ، فستصبح كل الضغوط في اتجاه واحد ، وستكون امريكا التي سبق وايدت اسرائيل قوة ضغط عليها .. » .

● **وكيف ترى العلاقات العربية الافريقية .. ؟ وماذا تطلب من العرب .. ؟**

– « لا شيء .. لا شيء .. سوى الفهم المتبادل، ان يتعرفوا على تنزانيا ، وهذه هي البداية الصحيحة ، فرغم أن الدول العربية لديها السيولة النقدية ، الا اني لا اعتبر العالم العربي ثريا ، فلا آخذ بمتوسط دخل الفرد كمقياس للتقدم ، فمشاكل العالم الثالث أعمق وأشمل من ذلك ، ودعني أضرب مثلا ، فقبائل الماساي من اغنى القبائل ، يمتلك الفرد فيها عددا هائلا من البقر ، ولكن ما زالوا يعانون من الامية ومن الامراض ، فليس المهم الثروة وانما كيف تستخدم هذه الثروة من أجل التقدم ، وكيف لا تصبح مثل الامطار التي تسقط على جبال كليمنجارو وتتسرب الى المحيط ، ولا تعود ندرتها او غزارتها ذات نفع او قيمة ، اما اذا انفقت هذه الاموال في التنمية والتعاون الاقتصادي بين دول العالم فسيصبح الغنى العربي حقيقيا ودائما .. »



من تنجانيقا الى زنجبار

انتقلت الى فصل جديد عندما أكملت الرحلة من تنجانيقا الى جزيرة زنجبار ، المسافة قصيرة يرى المرء أرض القارة اذا كان اليوم صحوا ، انتقلت الى عالم مختلف ولكنه متناغم ، وكل شيء في الجزيرة ناعم حتى الافق ..

البعد شاسع بين زنجبار المعاصرة وزنجبار التاريخ ، زنجبار الحالية كسيرة خجلة تتنكر لتاريخها العربي ، وتسعى للافلات من ماضيها ، وتعيش هادئة مستسلمة لقدرها ..

وزنجبار التاريخية خرجت من اتون معركتين رئيسيتين : احداهما منتصرة وكانت مع البرتغال، والاخرى مع البريطانيين الذين انتصروا فيها حتى بعد رحيلهم عنها ..

وزنجبار التاريخ هي التي عبر عنها المثل الافريقي .. « اذا عزفت « الفلوت » في زنجبار، رقصت على انغامه شرق أفريقيا جميعها». اول ما طالعنا في الجزيرة نسيم محمل بعبيق القرنفل ، وحولنا البحر رقراق ذو زرقة فاروزية، ترتمي أمواجه في بطء ، الادغال خضراء ، تلك الخضرة الزاهية ، وكل شيء هادئ يغري بالاسترخاء والتأمل ، والعلامات المميزة للجزيرة أشجار القرنفل الضخمة الى جوار أشجار جوز الهند المميزة ..

ويشدك الى الجزيرة الطعم العربي والطراز العربي ، فتميز المدن مآذن المساجد المنتشرة ،

ذات العمارة العربية ، والبيوت القديمة تحتفظ بابوابها الخشبية المنقوشة من خشب الساج نقشا دقيقا وبعض النقوش آيات من القرآن الكريم والسوق يشبه احد اسواق المكلا اليمني والذى تقدم فيه القهوة المرة من أباريق عربية ، وفي لون السكان الاسمر الذى يميل الى لون الشيكولاته•

انعكس موقع الجزيرة على تركيبها السكاني ودورها التاريخي ، فموضعها على سواحل المحيط الهندي ، وتقع جنوب غرب الجزيرة العربية،وجاء اتصالها بالعالم الخارجي في مرحلة مبكرة من خلال الملاحة بالسفن الشراعية ، التى كانت الرياح الموسمية التى تهب على المحيط الهندى تمكن السفن الشراعية من القيام برحلتين منتظمتين في العام من موانىء شبه جزيرة العرب ، ففي الخريف تدفع الرياح السفن في اتجاه جنوبى غربى فتخرج من خليج عمان الى المحيط الهندى وتسير بمحاذاة الساحل الافريقى الذى ينحنى في اتجاه جنوبى غربى • وتعود الرياح الموسمية فتدفع تلك السفن في اتجاه عكسى شمالى شرقى يعود بها الى موانيها في شبه جزيرة العرب ، مما أدى الى قيام طرق منتظمة حملت قوافل التجارة والدعاة العرب، وتم عن طريقها الهجرات العربية المتتالية•

وقامت نتيجة للهجرات العربية حضارة جديدة مزيج من المحلية الافريقية والعربية الاسلامية ، والتى نمت مع الوقت بفعل العامل الجغرافى لحاسم سواء اقترابها من البقعة التى شهدت فجر الاسلام، او قدوم العرب من مناطق اشد حرارة فلم يمنعهم حرارة جوها ••

وانفردت الهجرات العربية بانها شملت الرجال وحدهم • وهؤلاء لم تكن تحكمهم اية عقدة عنصرية• فتزوجوا من النساء الافريقيات ، وقام مجتمع جديد بعد جيل أو جيلين لم يعد من السهل تمييزه عن السكان المحليين ، وانعكس ذلك على تكوين اهل الجزيرة والساحل من الناحيتين الثقافية والاجتماعية، فثقافيا ظهرت اللغة السواحيلية وهى مزيج ايضا من اللغة العربية والمحلية ، واصبحت كمفهوم لغوى وثقافى اوسع انتشارا بكثير من المفهوم العنصرى• وامتدت من مقديشيو شمالا حتى نهر روفى فى موزمبيق جنوبا ، واصبحت اداة الحديث في دائرة مركزها زنجبار وتمتد الى الجزر المتاخمة حتى جزر القمر ، وهى اداة التفاهم بين القبائل المختلفة ومتصلة حتى اوغندا والكنغو وجزيرة مدغشقر ••

واتصالها باللغة العربية وثيق حتى ان العربى يستطيع ان يتابع الحديث ولو لم يفهم كل مفرداته، ويقدر « رويش » الباحث في اللغة السواحيلية عدد المفردات العربية بما يزيد عن ربع الفاظها ، وكانت في زنجبار التاريخية تكتب بحروف عربية ، وتكتب الان في زنجبار الراهنة بحروف لاتينية ••

ولفظ زنجبار كلمة مركبة من « زنج » بالعربية و « بار » وهى تعنى ساحل باللغة الفارسية ، اى ساحل الزنج • وقد اطلقها العرب على كل ما عرفوه من ساحل شرق افريقيا ، وتتكون زنجبار الحالية من جزر رئيسية ثلاث ، هى زنجبار وبمبا ومافيا • وعدد آخر من الجزر الصغيرة غير المسكونة• وتبعد الجزيرة الرئيسية زنجبار عن الساحل بحوالى ٢٢٫٥ ميل ومساحتها ٦٤٠ ميلا مربعا ، اما الجزيرة الثانية من حيث المساحة والسكان فهى بمبا التى تبلغ مساحتها ٥٨٨ ميلا مربعا ، اما جزيرة مافيا والتى ليس لها علاقة بعصابات المافيا الشهيرة ، فهى جزيرة صغيرة لصيد السمك ••

وكانت بداية رحلتنا في ارق هذه الجزر : «جزيرة بمبا» ذات الشوارع الضيقة ، وواجهات البيوت البيضاء في المدن ، والاكواخ الافريقية فى الريف ، والسكان ذوى الوجوه السمراء والقلوب الدافئه تحية وترحيبا ، قطعنا الجزيرة في يوم واحد في قسميها الشمالى والجنوبى ، فى صحبة الحاكم وسيارته اللاندروفر التى يرفرف عليها علم تنزانيا ولم يفتنى ان الاحظ ذلك الاحترام المبالغ فيه والذى يصل الى حد الخوف ، الذى قوبل به الحاكم ومرافقوه ، فما ان ظهرت سيارة الحاكم حتى هب الجميع وقوفا الرجل الكهل او المراة او الطفل وقد ترك كل منهم عمله او جليسه والقى بما فى يديه ، وهو يعكس على الفور ما تخفيه الجزيرة من تحفز وتوتر •

وصادفت فى العديد من الاماكن مجموعة من الشيوخ ذوى اللحى البيضاء يتحلقون امام باحة بيت ذى طراز عربى ويعبثون بايديهم بمسابح طويلة،وهو منظر يشابه نظيره في اى قرية عربية،•

وتقوم حياة الجزيرة الاقتصادية على زراعة القرنفل ذى الرائحة الشذية ـ التى ادخلها العرب ـ تزرعها وتحصدها وتصدرها ، وتمثل دخل البلاد الرئيسى من العملات الاجنبية،ويقدر عدد اشجارها في بمبا بحوالى ٣ ملايين شجرة وحوالى مليون فى



قصر العجائب فيزنجبار وهو القصر الذي بناه السلطان برغش ، والى
جواره قلعة عربية (الصورة الىاعلى) ومزيج من الطراز العربي
والبيئة الافريقية يظهر في مآذنالمساجد واشجار جوز الهند
المميزة (الصورة الى اسفل) -والمرأة الزنجبارية ذات الملامح
العربية والثوب العربي (الصورة الى اليسار) -



جزيرة زنجبار،وهي تمثل المصدر الرئيسي للقرنفل في كافة انحاء العالم ••

وملكية الاراضي الزراعية ملكية عامة ، وتشهد الجزيرة جهدا كبيرا للتحديث ، حركه واسعة لبناء مجمعات سكنية لتكون بديلا لبيوت المزارعين ذات الطراز الخاص ، وتاسف عندما تلاحظ ان تلك المجمعات الكبيرة فات مصممها ان يراعي البيئة والطراز الخاص السائد هنالك •

وقد زار الرحالة العربي ابن بطوطةهذه الجزيرة واعجب باهلها وقدم وصفا لها قال فيه «ركبت البحر من مدينة مقديشيو متوجها الى بلاد السواحل قاصدا مدينة كيلوا من بلاد الزنوج ، فوصلنا الى جزيرة منبسى «بمبا» وهي جزيرة كبيرة بينها وبين ارض السواحل مسيرة يومين في البحر ، واشجارها الموز والليمون والاترج ، واكثر طعامهم الموز والسمك ، وهي شافعية المذهب ، واهلها اهل دين وصلاح ، ومساجدهم من الخشب محكمة الاتقان ، وبتنا بهذه الجزيرة ليلة وركبنا البحر الى مدينة كيلوا • »

ومن بمبا الى زنجبار ، وجها لوجه امام دراما



التاريخ ، هنا يمكن التنقيب عن زنجبار التاريخ ، وما الت اليه ، واين يتحدد مستقبلها ، وهل يمكن ان تجاوز تلك العقد التاريخية التي تكبلها ، وما هو مسار الصراع الذي كان اطرافه جمعيات التبشير من جانب ، والثقافه العربية التي حملها العرب الى هذه البقعة من العالم وتراكماتها التاريخية من جانب اخر ..

لقد شهدت زنجبار اعنف فصول تاريخها عقب الاستقلال الذي اعلن في نهاية عام ١٩٦٣ ، وبعد مرور شهر على الاستقلال وفي يناير ١٩٦٤ انفجر فيها صراع عنيف ، صراع اللون والثروة متداخلين ، وسالت فيه الدماء انهارا ، ودفع هذا الصراع السلطة الجديدة الى الاحتماء في وحدة سياسية اكبر بانضمامها الى تنجانيقا ، حيث تجد في تنجانيقا الدعم لكي يخمد صراع اللون نهائيا ، وكانت اولى خطوات الاتحاد بين تنجانيقا وزنجبار نقل شرطة تنجانيقا الى زنجبار ، وانتقلت عاصمة زنجبار التاريخية الى دار السلام ..

فهل خمد التوتر العنصري ؟ وهل يمكن للجزيرة ان تعود فيتالف فيها السكان مهما كانت اصولهم؟

ان رائحة التوتر العنصري تبدو خلف الوجه الهادىء للجزيرة وفي العديد من الشواهد والظواهر ، في التعبئة المستمرة ضد دور العرب التاريخي ، وفي التلقين الدائم بان العرب كانوا تجار الرقيق !

ان الكثيرين في الجزيرة يعرفون اللغة العربية ولكنهم يخفون ذلك خوفا من البطش وانهم يعلمونها لابنائهم سرا ، وقد كان مرافقنا طوال الرحلة استاذا بالمعهد الديني في زنجبار ، لكنه كان ينفي بشده انه من اصل عربي ، وشهدت الجزيرة موجات عاتية من التوتر العنصري كان اقصاه قبل اغتيال عبيد كرومي – اول رئيس للجمهورية بعد خلع السلطان – عندما تدخل الحزب ليعقد الزواج بالسلطة بين الافريقيين وبين الفتيات العربيات .

وهناك بوادر للانفراج العنصري ، كانت دوافعه ان سكان الجزيرة يعتنقون الاسلام ، ومن الصعب فك الارتباط بين العروبة والاسلام ، وبدا نائب الرئيس جومبي يولي اهتماما كبيرا للدراسات الاسلامية ، واقيم في زنجبار معهد ديني ارسلت له مصر خمسة من علماء الازهر وارسلت السودان احد علمائها ، ويلقى المعهد تجاوبا كبيرا واهتماما بالغا من اهالي زنجبار ، وقد قال لي احد علماء الازهر ان هناك الكثير الذي يمكن ان تقوم به الدول الاسلامية والعربية ، اقلها توفير الكتب وخاصة المصحف الشريف . وسبب اخر لهذا الانفراج هو الاهتمام باقامة علاقات وطيده مع الدول العربية التي يتنامى تاثيرها السياسي والاقتصادي ..

والتقيت بنائب الرئيس عبود جومبي في قصره المطل على الخليج ، وهو رجل متانق ذو ثقافة واسعة ، وقصة حياته مملوءة بالكفاح ، وقد عمل وهو صبي على احد السفن التي مرت بقناة السويس وزار خلالها مدن القناة ، والتي نقلته الى اوربا بحضارتها وهو خريج جامعات لندن ، ويمثل تنزانيا خلال الاعوام الماضية في مؤتمرات منظمة الوحدة الافريقية ومؤتمرات عدم الانحياز ، وجاء في حديثه ..

« بعد نجاح مؤتمر القمة العربي الافريقي في القاهرة ، التقيت مع عدد من الملوك والرؤساء العرب ، وكان لدينا شك في ان تكون بعض الدول العربية تقدم النفط الى جنوب افريقيا ، ولكني تاكدت انه ربما يصل النفط الى جنوب افريقيا من خلال طرف ثالث ، وتبينت خلال هذا المؤتمر افاق ونتائج التعاون العربي الافريقي ، سياسيا واقتصاديا ، فبالتضامن يمكن مواجهة الكيان الصهيوني الممثل في اسرائيل والذي يشكل تحديا للعالم العربي ، وبالتضامن العربي الافريقي ، يمكن مواجهة الكيان العنصري المتمثل في جنوب افريقيا وروديسيا ، وهو نضال مشترك وان اختلف ميدان القتال ، والقوى الكبرى تخشى تاثير هذا التضامن ، ففي افريقيا لدينا الثروات الطبيعية والموارد التي لا تنضب ، ولديكم امكانيات التمويل العربية .. » .

« وبعد المؤتمر زرت عددا من الدول العربية وهي القاهرة والرياض وعدن ودمشق ، وفي جولة اخرى سازور كلا من الكويت ودولة الامارات العربية وقطر والقاهرة مرة اخرى ..

وسالته .. ماهي المصاعب امام الاتحاد بين تنجانيقا وزنجبار .. ؟

واجاب .. « لقد واكبت تجربة الاتحاد منذ ايامها الاولى ، فكنت في تلك الفترة احتل منصبا وزاريا ، وواجهت الوحدة مصاعب عديدة ، كان يضخمها اولئك الذين لايريدونها ، ولكن خلال

الاعوام الثلاث عشرة الماضية قطعنا خطوات هامة ، وكان اهمها وحدة الحزبين حزب تانو فى تنجانيقا والحزب الافروشيرازى فى زنجبار ، وامدتنا تجربة السنوات الماضية بخبرة ساعدتنا فى وضع نظام قادر على مواجهة مصاعب المستقبل •

فمثلا •• كانت العلاقات المالية بين الجزيرة والوطن الام تسبب العديدمن الحساسيات،وابتكرنا نظاما ماليا يحفظ استقلال مالية كلا الطرفين مع اقامة ميزانية اتحادية للمشاريع المشتركة ••

ومثل آخر •• عندما اغتيل نائب الرئيس السابق عبيد كرومى ، هرب بعض المتهمين الى البلاد الام، وعجزت القوانين القائمة عن تسليمهم الى السلطات فى زنجبار وتقديمهم الى المحاكم ، وواصلنا اجراء المحاكمة غيابيا ، وقد ادى هذا الى فكرة انشاء محكمة عليا للنظر فى اى خلاف قانونى بين الجزيرة والوطن الام ، وروعى فى تشكيل هذه المحكمة ان تكون مناصفة من اعضاء من شطرى البلاد ، على ان تكون قراراتها باغلبية الثلثين ، وهكذا نسعى الى التغلب على كل العقبات التى تواجهنا •• »•

الى زنجبار التاريخ نفتش عن سر هذا التوتر•

صراع اللون



يلاحظ ان الدراسات الغربية تهتم اهتماما كبيرا بالتركيب السكانى لزنجبار وشرق افريقيا ، فى محاولة لاكتشاف العقد التاريخية والاقتصادية فى حياة هذه المجتمعات ، ومعظم هذه الدراسات تسعى الى الدس بين الفئات والجماعات واحياء المشاكل القديمة بصورة ملتوية لتعطيل وتشتيت هذه المجتمعات وتكبيلها بتلك العقد التاريخية ، وضرب التضامن العربى الافريقى ، وتكشف الاحداث المعاصرة كيف استطاع الاستعمار البريطانى ان يتقن هذا الدور ••

تتابعت هجرات القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية فى ظروف مختلفة • ونشرت معها الدين الاسلامى ، فالاسلام لا يعرف التفرقة العنصرية او اللونية ، وتوالى انتشاره من الساحل الى الداخل، وكانت القبائل العربية تاتى من سواحل شبه الجزيرة العربية مثل الاحساء والبحرين وعمان وحضرموت وساحل اليمن ، واقامت تلك الجماعات مدنا كاملة ودولا وسلطنات ، وخلقت الاقامة الدائمة والتذويب الدينى واللغوى وعلاقات الزواج ، والامتداد المتصل الذى يمتد من الساحل الى الداخل ، مجتمعا جديدا له سماته الخاصة"•

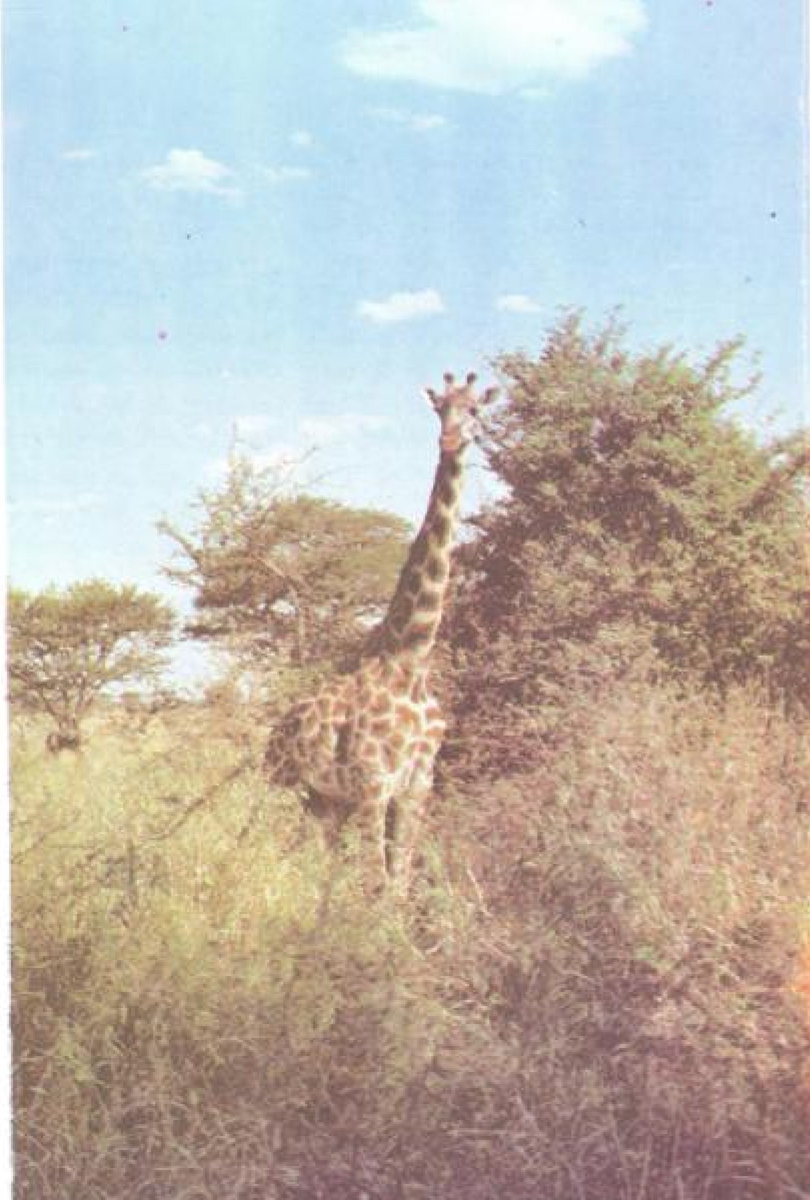
ومن المؤرخين من يرجع اول هجرة عربية الى عام ٧٣٩ ميلادية ـ ١٢٢ هجرية ، والتى كانت بسبب اضطهاد الزيدية على ايدى الامويين ،ومنهم من يرجعها الى عشرين عاما بعد وفاة الرسول عندما اندفع العرب فى فتوحاتهم نحو العراق وفارس والشام ومصر والتى لم يشترك عرب عمان فيها ، فاتجهوا الى منطقة هيأت العوامل الجغرافية سهولة الوصول اليها ••

على أن الهجرة التى يتفق عليها عدد كبير من المؤرخين ترجع الى عهد عبد الملك بن مروان (٧١٤ م ـ ٦٩٥ هـ) ومن بين هذه القبائل قسم من قبيلة الازد العمانية تحت قيادة سليمان وسعيد الجلنديين ، وتبعهم مهاجرون من قبيلة الحارث التى تقطن بالقرب من جزيرة البحرين والذين هاجروا فرارا من استبداد حكامهم ،ويقول السواقى فى كتابه (السلوة فى اخبار كلوة) ان هؤلاء المهاجرين قد وفدوا فى سفن ثلاث بزعامة سبعة اخوة هاربين من اضطهاد حاكم الاحساء ••»

ويروى المسعودى رواية عند زيارته لساحل افريقيا الشرقى تختلط فيها الاسطورة بالواقعة التاريخية يقول •• « انه كان لامير شيراز ابن من جارية زنجية اسمه على ، هاجر مع ابنائه الستة الى شرق افريقيا ، وقاد كل من السبعة سفينة خاصة حملته الى مكان ما على الساحل ، وقرر ان يبنى كل منهم مدينة فى المكان الذى تحمله اليه الرياح •• »

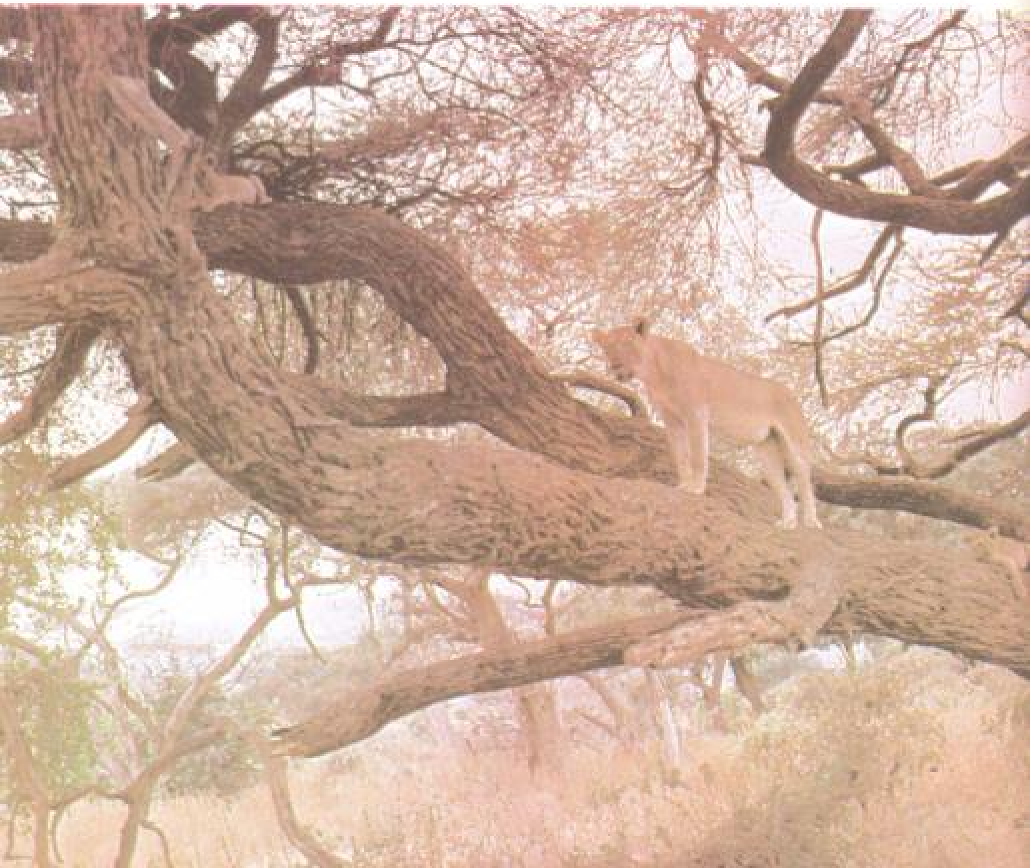
ومع الزمن اصبحت زنجبار هى القطب الرئيسى للاسلام ، وما حولها بعمق متفاوت يصل الى خط البحيرات ابتداء من فكتوريا الى تنجانيقا ونياسا•

وبالتدريج تحول وصف «عربى» فى زنجبار الى مفهوم اجتماعى اكثر منه جنسى او لغوى،فالعرب هناك هم المشتغلون بالتجارة والثقافة ، فلايحتفظ العرب بنقاء جنسهم بعد هجرتهم بجيل واحد او جيلين على الاكثر •



الطبيعة الخلابة في عالم تنزانيا الرائع . الزراف رمز تانزانيا الحديثة طليق في الغابات المفتوحة - ومنظر فريد للبؤة واشبالها فوق شجرة الاكاسيا في غابات مانيارا . والفنادق المنتشرة في الغابات المفتوحة التي حرص مصمموها على ان تتناغم مع بيئة الغابة الافريقية .





الدولة العربية فى زنجبار

وقفنا امام أطلال قصر قديم متهار ، كان قصر السلطان سعيد ، لنواصل الرحلة فى تاريخ الدولة العربية فى زنجبار .

يلاحظ تغير مفهوم زنجبار مع تغير العصور ، فقد اضمها العرب عمى كل ما عرفوه من ساحل شرق أفريقيا . فهى المنطقة التى شهدت قيام دوله الزنج فى القرن العاشر الميلادى وحتى القرن السادس عشر والتى كانت عاصمتها كلوة ، والتى امتدت من جنوب السودان شمالا الى أقصى الكونغو جنوبا ، ومن زنجبار ودار السلام شرقا الى أعماق القارة غربا . وفى معظم الاحوال كانت تتنازع المنطقة امارات اسلامية عربية وفارسية تاثرت وامتزجت بالبيئة الافريقية ، وتشمل كل منهـا ميناء أو أكثر على الساحل أو جزيرة من الجزر .

وخلال تلك المرحلة الطويلة شهدت المنطقة اول جولات الصراع مع ذيول الحروب الصليبية عندما انتقل مسرحها فى القرن السادس عشر من البحر المتوسط الى المحيط الهندى ، وانتقلت معه جميع الفظائع التى تميزت بها تلك الحرب من احراق المدن واسترقاق البشر والاستيلاء على السفن التى تحمل الحجاج وحمل ركابها اسرى ، وهذه الحرب كانت بين عرب عمان والبرتغاليين ، واستهدف البرتغاليون من ورائها الانتقام من المسلمين الذين حكموا شبه جزيرة ايبيريا مدة طويلة من الزمن، وارتبط قيام دولة اليعاربة فى عمان بحركة الجهاد ضد البرتغاليين ، وظهرت المراكب العمانية أمام سواحل افريقيا ، وفى عام ١٦٦١ تمكن العمانيون العرب من النزول الى الشاطىء الافريقى فى عهد الامام سلطان بن سيف .. » .

وفى منتصف القرن الثامن عشر انتهى الاحتلال البرتغالى الذى دام قرنين ونصفا ..

وبعد وصول عرب عمان الى زنجبار وشرق افريقيا نقطة تحول هامة فى تاريخ المنطقة ، عندما قامت سلطنة زنجبار فى عهد السلطان سعيد أكبر الشخصيات العربية فى عصره ، فقد أخضع الساحل لسلطة سياسية موحدة ، ونقل عاصمة حكمه من مسقط الى زنجبار ، وجعل جزيرة زنجبار عاصمة لدولة عربية أفريقية قامت عام ١٨٣٢ ، وكانت اول دولة افريقية اسيوية فى العصر الحديث ، واهم المراكز التجارية فى المنطقة ، واعتمدت زنجبار العربية بسواحلها الطويلة وجزرها المتناثرة على قوة بحرية كبيرة ، وانشا سعيد اسطولا بحريا حديثا ..

وكان سعيد يجمع بين شخصية الحاكم والتاجر ، وكانت دولته تخدم حركة التبادل التجارى العالمية، فمثلا عقد اول معاهدة تجارية مع أمريكا ، واقامت امريكا اول قنصلية لها عام ١٨٣٣، وكانت مسقط وزنجبار اول دولة عربية تعقد معاهدة رسمية مع امريكا ، ولعل ذلك لان اغلب العالم العربى كان خاضعا للحكم العثمانى ..

وكانت هذه الدولة العربية التى تعرضت للمد الاستعمارى ..

التبشير والاستكشاف ومكافحة الرق

صاحب المد الاستعمارى حركات ثلاث ، حركة التبشير ذات الدوافع الدينية ، وحركة الاستكشاف التى يقودها عدد من الجغرافيين الذين تاقوا الى المغامرة وكشف المجهول ، ومكافحة تجارة الرقيق ذات الاهداف الانسانية ..

ورغم نبل أهداف الحركات الثلاث الا أن كلا منها كان أداة رئيسية للاستعمار ، وكانت ستارا لكى يجد الاستعمار موطىء قدم فى تلك الدولة الافريقية ، وبهذه الادوات بدأت الجولة الثانية لضرب عرب زنجبار ، فعندما كانت خلية نحل ، تجمع تباينا فى العادات والديانات والاراء ، والتى كان يمكن لها أن تزدهر بالتنوع تحولت الى ساحة للصراع ، بين الدول الاستعمارية وبعضها وبين الشرق والغرب ، وبين الاسلام والمسيحية ، يعيش فيها الفقر المدقع تحت أقصى امارات الرفاهية ..

وكان لوجود دولة عربية متحضرة على ساحل افريقيا اثر كبير فى تمهيد الطريق أمام المبشرين والمستكشفين الغربيين للتوغل فى مجاهل القارة

الداخلية ، واتبع هؤلاء طرق القوافل العربيـــة واسترشدوا بأدلاء عرب ، وكان ما يعتبر كشفـا هاما وخطيرا تهتز له أوروبا هو جزء من المعرفة العربية ، ويكفى تدليلا على ذلك أن العرب هم الذين قادوا هؤلاء المستكشفين علاوة على ما جاء فى كتب الجغرافيين العرب ٠٠

ومن المدهش أن تكون دولة زنجبار الاسلامية هى التى فتحت للمبشرين الاوربيين أبواب شرق افريقيا وسهلت لهم سبل الاقامة والتنقل ، ولعل ذلك لان المبشرين كانوا هم أنفسهم رواد حركة الاستكشاف ، وربما كان السلطان سعيد يساعد المبشرين باعتبار أنهم يهدفون الى هداية القبائل الوثنيه لا ليكافحوا انتشار الاسلام ، ولعله ارضاء للحكومة البريطانية التى تزايد نفوذها فى بلاده ، وقد سلك طريق القوافل العربية هذا كل المبشرين والمستكشفين ، وهو طريق بيرتون وسبيك وليفنجستون وكيرك وغيرهم ٠٠

وقد ترك هؤلاء الرحالة وصفا دقيقا لتلك الدولة وتراوحت انطباعاتهم بين الاعجاب والتحامل، ففى الوقت الذى عرف عن بيرتون الامتنان للعرب والاعجاب بما شيدوه ، نجد أن كتابات ليفنجستون تتسم بالتحامل ٠٠ فرغم ما قدمه له العرب من مساعدة الا انه افرد جزءا كبيرا من كتاباته للهجوم عليهم ، ولعل ذلك لدوره الرئيسى كمبشر حيث خاض صراعا عنيفا مع الاسلام فى هذه المناطق ٠

وليفنجستون احد الشخصيات التى تحتفى بها زنجبار المعاصرة والتى جعلت من البيت الذى نزل فيه مزارا ومتحفا ، وسرى سلطانه على العقول بوصفه اثار حملة ادت الى اغلاق سوق الرقيق بالجزيرة الى الابد ٠



العرب والرقيق

افاضت الكتابات الغربية عن دور العرب فى تجارة الرقيق وكانت هذه هى حجة التدخل الاجنبى الرئيسية ، وقد تبدو هذه قضية تاريخية ، ولكن الواقع انها احدى القضايا الرئيسية للتوتر العنصرى فى زنجبار المعاصرة ، والتعليم والدعاية فى زنجبار ما زالا يعتبران أن ثورة ١٩٦٤ قامت ضد العرب « الذين احترفوا النخاسة وخطف السكان المحليين وتصديرهم الى كافة انحاء العالم » وهى الحجة الرئيسية للمبشرين ، وهى الذريعة لضرب التضامن العربى الافريقى ، والزائر لزنجبار الحديثة لابد ان يزور تلك الكنيسة القديمة المقامة فى احد الميادين ، ويمضى المرافق شارحا ٠٠ « هنا كان سوق الرقيق الذى اغلق فى يونيو ١٨٨٣ ، واقيمت على موقعه كنيسة بناها احد الاساقفة ، وترمز الى ان الكنيسة هى التى خاضت الصراع ضد هذه التجارة غير الانسانية ٠٠ !! » ، وقد بناها احد الاساقفة ، وصنع الصليب القائم على يسار الهيكل من خشب الشجرة التى حدثت مكان وفاة ليفنجستون ، ووصف الكاتب الان مورهيد هذا المكان بقوله٠٠« تقف الكنيسة وسط صمت المدينة المعبق بالياسمين الهندى بزهرته الشمعية التى تتخذ شكل النجمة ، والجاكارانوا القرمزية ، والجهنمية ، والشجرة اكلة اللحوم التى تمتص زهراتها الوردية والصفراء الحشرات والتى تصلح رمزا للجزيرة بوحشيتها وجمالها ٠٠ »

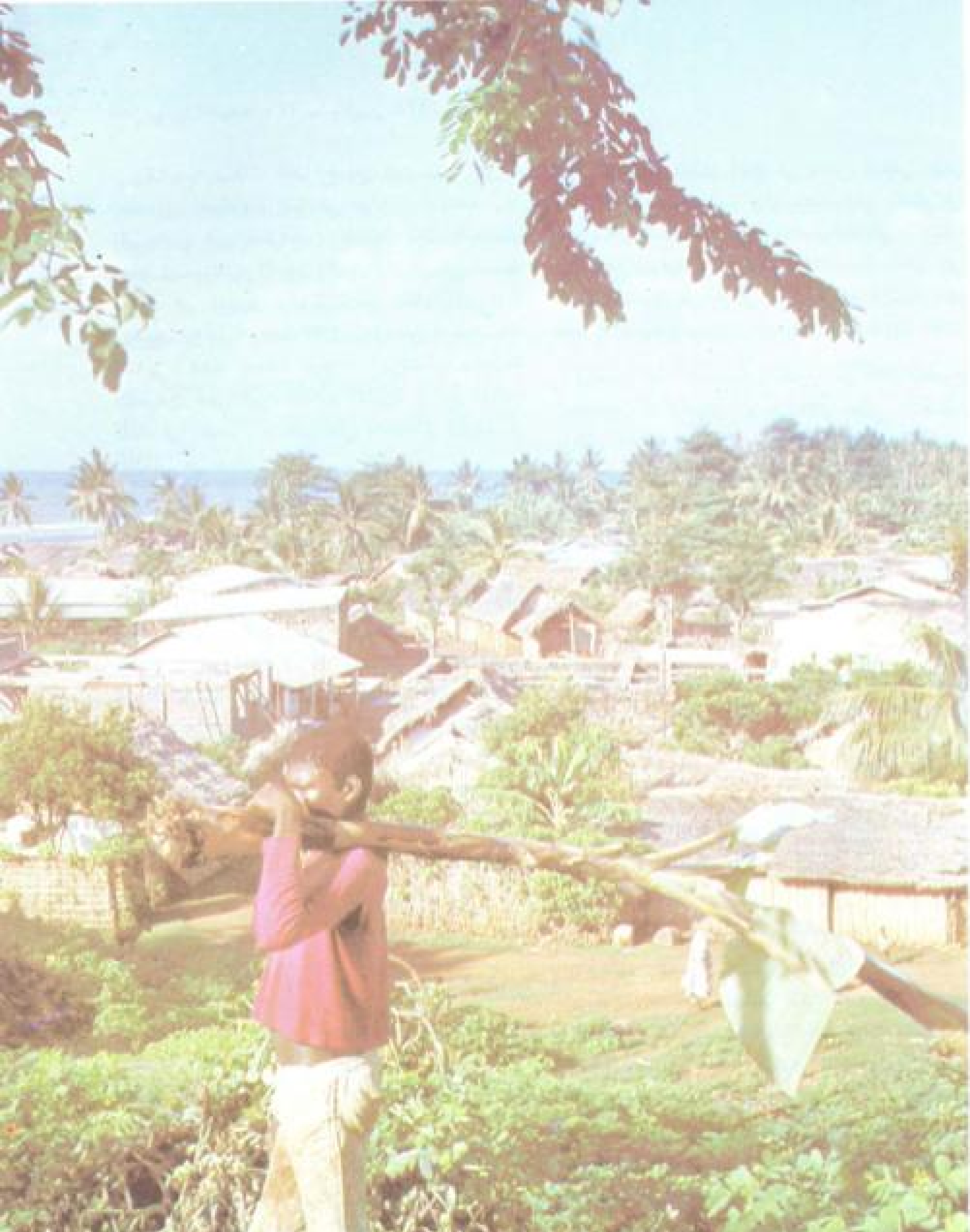
ويمضى الزائر فيجد الى جوار الكنيسة قصرا مهيبا ذا طراز عربى هو قصر السلطان برغش ، ويطلقون عليه اليوم « قصر العجائب » والقصر مزدحم باللوحات التى تصف المعاناة والوحشية التى تعرض لها الرقيق اثناء بيعهم فى سوق الرقيق٠ وتؤكد هذه الرسوم ان العرب « وحدهم » تقع عليهم مسئولية هذه التجارة ٠

وهى صورة تستنكرها الانسانية ومظهر وحشى مهدر لكل القيم ٠٠ ورغم ان الانسان لا يزال يعانى فى الكثير من الاماكن من صور التحيز العنصرى المختلفة ، والاضطهاد الملون الـــذى تتجاوب به الاصداء فى الدنيا الجديدة والقديمة على السواء ، الا انه يوجد من يحرك تلك العقد التاريخية وليس ذلك لصالح افريقيا او شعوبها، وها هو الكاتب الامريكى جونسبيريز يقرر فى كتابه « تجارة الرقيـق الامريكيـة » ان الذين كانـوا يستغلون افريقيا كمورد لـ « سلعهم » كانوا من الاسبان ثم الانجليز ، والفرنسيين والامريكيين ، واذا وجد ثمة عرب اشتغلوا معهم ، فقد كانوا وسطاء او مساعدين او ادلاء لارشادهم الى داخل افريقيا التى كانت مجهولة لديهم

ومعروف تاريخيا أن المصدر الرئيسى للرقيق كان غرب افريقيا وليس شرقها وقام به الاوروبيون وليس العرب ٠٠







زنجبار هادئة وادعة مستسلمة لقدرها . ومعالم ازهى فترات
تاريخها تترك بصماته عليها وعلى المناطق التي قامت عليها
اول دولة عربية افريقية آسيوية، وعلى الساحل وفي الجزر ،
الافريقية المحيطة .

وتتابعت حلقات الصراع بين اول دولة عربية تمتد بين اسيا وافريقيا في مواجهة الاستعمار البريطاني في عنفوانه ، فعندما مات السلطان سعيد ونشبت معركة بين ولديه الثويني في مسقط وماجد في زنجبار ، ولما كانت عمان اقل ثراء واصغر ايرادا ، هدد الاول بمهاجمة ممتلكات الثاني ، وهنا تدخلت البحرية البريطانية واجبرت الشقيقين على قبول تحكيم اللورد كاتنج نائب الملك في الهند ، والذي قضى باستقلال زنجبار النهائي عن عمان ··

وقررت لجنة التحكيم ، ان « المستعمرات » العربية بافريقيا في بداية عهد سعيد كانت مجرد « حضانات » لتربية الرقيق ، اما الان فقد اصبحت مدنا كبيرة تفوق في اهميتها بلاد عمان ذاتها ·· وقال ·· « انه كما استقل الانجلوسكسون والاسبان الذين هاجروا الى امريكا بعد ان كونوا امما كبيرة فكذلك يحق للشعب العربي في شرق افريقيا ان ينفصل عن عمان ، وهذا في مصلحة الحضارة الافريقية نفسها ، لان الانفصال سيركز جهودهم لنشر الحضارة في افريقيا ·· » .

وبذلك الكلام الطيب دخلت زنجبار في دائرة النفوذ البريطاني ، وما ان مات سلطانها وخلفه اخوه السلطان برغش حتى عقد معاهدة عام ١٨٧٣ مع بريطانيا لالغاء الرق ، وجعلت للاسطول البريطاني بمقتضاها حق تفتيش كل السفن ، وبذلك تحكم الاسطول في مياه زنجبار ، وكانت الخطوة التالية حصول السير وليم ماكينون رئيس الشركة الانجليزية على امتياز لمدة سبعين عاما يشمل شئون الجمارك والادارة في جميع ممتلكات السلطان ··

وتم توقيع اول اتفاق بتقسيم زنجبار في ٢٦ اكتوبر عام ١٨٨٦ الى مناطق نفوذ بين المانيا وبريطانيا كان لالمانيا الساحل ولبريطانيا الجزيرة ··



مصر وزنجبار

ومن الملاحظات الجديرة بالاهتمام ان الاسلوب الذي اتبعه الاستعمار البريطاني مع زنجبار هو ذات الاسلوب الذي اتبع في مصر ، ففي نفس الفترة التاريخية التي تولى محمد علي الحكم في مصر كان السلطان سعيد معاصرا له في زنجبار ، وفي هذا الوقت كانت القبائل العربية تدخل الى اعماق القارة في قوافل من الرعاة والتجار من مصر والسودان جنوبا ، ومن زنجبار غربا ··

وتسلل المد الاستعماري جنوبا من خلال الخديوي اسماعيل ، وتسلل غربا خلال حكم السلطان برغش ·· واحتمى في كلتا الحالتين وراء علم مصر وزنجبار ، وسلم بالاستقلال الشكلي لكل منهما ليبعدهما عن الصراع الاستعماري المحتدم ، وتحت علمهما مد نفوذه ، وكان احد ادواته ادعاء العمل للقضاء على تجارة الرقيق في افريقيا ، وساهم السلطان برغش والخديوي اسماعيل في حملات القضاء على تجارة الرقيق ··

ولم يشفع ذلك لهما شيئا عندما اجهزت قوات الاحتلال البريطاني على استقلال كل من البلدين بعد ان حكمت حركة كل منهما ··



اللعبة البريطانية

وعقب اعلان بريطانيا حمايتها على زنجبار ، استقرت علاقات السلطة على النحو التالي : السلطان هو رمز الدولة اما خيوط السلطة الحقيقية فبين ايدي القنصل البريطاني او المقيم البريطاني ، ويستعين الحاكم البريطاني على ادارة شئون المحمية بكبار الموظفين البريطانيين الذين يسيطرون على الادارات والمصالح ، واقامت الادارة البريطانية مجالس استشارية يتم توزيع مقاعدها بين القوميات المختلفة العربية والهندية والافريقية ··

ويوزع كتاب التاريخ الرسمي لزنجبار الكراهية بالتساوي على الانجليز المستعمرين ، والعرب الذين من بينهم السلطان ومن بينهم الاقطاعيون ، ونجحت السياسة البريطانية في بذر عناصر الشقاق ، وتكونت جمعيات مختلفة للقوميات المختلفة ، ومن بينها تكونت الجمعية العربية عام ١٩٥٤ وطالبت بالغاء نظام الطوائف بالجزيرة ،

وشهدت الجزيرة اول انفجار عندما اتهم المقيم البريطاني محرر جريدة « الفلك » بنشر مقالات مثيرة للرأى العام واغلقها ، وفى عام ١٩٥٥ تحولت الجمعية العربية الى حزب زنجبار الوطنى وقام هذا الحزب على اساس العضوية المفتوحة لكافة المواطنين من كل الاجناس ، وكان سكرتيره العام على محسن والذى اقام علاقات مع الجامعة العربية ..

ولكن سرعان ما دخلت كافة القوى حلبة التطور الدستورى تمهيدا للاستقلال الذى اعلنته بريطانيا وبدأ صراع حاد بين الطوائف استعدادا لانتخابات ١٩٥٧ ، وخلال هذا الصراع زار الجزيرةجوليوس نيريرى رئيس حزب تانو فى تنجانيقا ، ونجح خلال هذه الزيارة فىضم الافريقيين والشيرازيينفى حزب واحد هو الحزب الافروشيرازى ورأسه عبيد كرومى ، وضاعت صيحات وحدة شعب زنجبار ودخل الى جوار صراع اللون صراع آخر هو صراع الثروة ، فالعرب على قمة المجتمع ويليهم الشيرازيون ثم الافريقيون ،وفىهذا الجوالمحموم الذىوضعتبريطانيا قواعد اللعبة فيه دارتالمعركة الانتخابية بين الحزب الوطنى والافروشيرازى . وقدم الافروشيرازى نفسه على انه حزب الفقراء المدافع عن القومية الزنجبارية والداعى الى الحكم الذاتى والاستقلال الوطنى فى الحكم حتى موعد الاستقلال عام ١٩٦٣ ، وفاز الحزب الوطنى المتالف معحزب الشعب على ١٢مقعدا وحزب الشعب على ستة مقاعد والحزب الافروشيرازى على ١٣ مقعدا وتم تاليف الوزارة برئاسة محمد شامت رئيس حزب الشعب وشغل على محسن منصب وزير الداخلية والتربية والتعليم ، وفى ٩ديسمبر ١٩٦٣ اعلن استقلال زنجبار ، وبعد قرابة الشهر وفى ١٢ يناير ١٩٦٤ قام الحزب الافروشيرازى بثورة مسلحة استولت على السلطة وخلعت السلطان جمشيد بن عبدالله بعد اربع سنوات من توليته ، وسالت الدماء انهارا فى اعنف صراع عنصرى ضد العرب شهدته الجزيرة ..

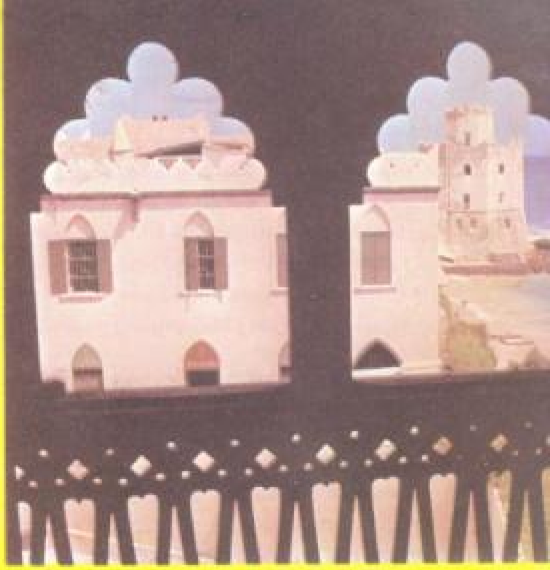
ففى مساء ليلة ١٢ يناير وصلت الى ميناء زنجبار باخرة تحمل اسلحة الى ثوار انجولا وموزمبيق ، وبترتيب خاص استولى عدد من المنضمين الى اتحاد عمال زنجبار وبمبا والذى سبق ان انشقوا عن الحزب الوطنى واقاموا حزب الامة بزعامة عبدالرحمن بابو ، استولوا على السلاح ووزعوه داخل الجزيرة ، وقد كان انفصال مجموعة حزب الامة عن الحزب الوطنى والانضمام الى الحزب الافروشيرازى اخلالا بتوازن القوى داخل الجزيرة ، وساعد على استيلاء الحزب الافروشيرازى علىالسلطة، واعلن قيام الجمهورية.

وقد ساهم فى ذلك بلا شك نجاح الدعاية التى قامت ضد الحزب الوطنى وتقديمه الى الرأى العام الافريقى على انه حزب العرب الذى يؤيد بقاء السلطان ويسعى الى استمرار الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة فى البلاد ، هذا رغم ان الحزب الوطنى هو اول من دعا الى القومية الزنجبارية بصرف النظر عن اللون والطائفة والعنصر .

ويلاحظ ان الذين قاموا بالثورة سرعان ما انقسموا ، وادى هذا الى اغتيال اول رئيس للجمهورية عبيد كرومى فى مقر الحزب فى زنجبار من بعض رفاق الامس ، فلقد كانت مجموعة جمعها هدف سلبى واحد هو ضرب الحزب الوطنى ،وادى هذا الوضع الى انهماك النظام الجديد فى تاييد الرئيس نيريرى والتمسك بالاتحاد وقد اهتم حزب تانو بتطور الاحوال السياسية فى زنجبار ، وسعى الى تقوية العلاقات والروابط السرية والعلنية مع الحزب الافروشيرازى ، ورأينا كيف كان يتدخل نيريرى فى الازمات السياسية التى شهدتها الجزيرة . وقد تمت اجراءات الوحدة السياسية فى سرية تامة ، ومع ذلك قامت فى اطار اوضاع انتقالية ومؤسسات مؤقتة .

ثم قامت مجموعة من الاجهزة الاتحادية ، فقام بنك مركزى موحد ، وحتى الان لكل من البلدين ميزانية مستقلة .. وفى نفس الوقت نجد ان زنجبار قطعت شوطا بعيدا فى اجراءات التاميم وهو ما لم تشهده تنجانيقا التى ما زالت تسمح براس المال الخاص والاستثمارات الاجنبية ، ويلاحظ ايضا ان المثقفين والسياسيين الزنجباريين يلعبون دورا متناميا عندما انتقلوا للعمل فى اجهزة حكومة الاتحاد وفى عضوية الجمعية الوطنية لتنزانيا وفى السلك الدبلوماسى التنزانى ■■

مصطفى نبيل



الطراز العربي فى العمارة لايزال حيا فى الاوجادين •

وقصة النزاع الصومالى الاثيوبى حولها

ثورة الأوجادين (٢)

بقلم : الدكتور يحيى الشريف

المقاتلون ولحظة فرح بعدكمين ناجح نصبوه •

الوجه الآخر للحياة • صوماليتان تعملان بالزراعة وترقبان المستقبل •





محنة شعب الصومال الغربي (الاوغادين) بدأت منذ الربع الاخير من القرن الماضي ، وقتاله المستمر الان بدأ منذ ١٤ عاما ٠ وهذه القصة من بدايتها ٠

● تطلق كلمة «الصومال» على شبه جزيرة مثلثة الشكل في شرق افريقيا كان المستكشفون الاوربيون في القرون الأخيرة يسمونها «قرن افريقيا الشرقي» وما زالت تعرف بهذا الاسم الى اليوم٠

ويمكن تحديد شبه جزيرة الصومال بخط يمتد من خليج (تاجورة) في الصومال الفرنسي السابق الذي استقل مؤخرا في ٢٣ حزيران الماضي ، متجها نحو الشرق بحذاء الساحل الجنوبي لخليج عدن الى رأس (غردفوى) الذي يسميه العرب رأس عسير ، ويسير بموازاة ساحل المحيط الهندي حتى نهر (تانا) في شرق كينيا ، ثم يتجه نحو الشمال مارا بالمجاري العليا لنهري (شبيلي) و (جوبا) وبمرتفعات هرر ٠

ويسكن الصوماليون هذه المنطقة الشاسعة وهم شعب متحد في الجنس والدين واللغة والثقافة والعادات ولكنهم يتوزعون بين مختلف الاقسام السياسية في المنطقة وهي :

١ ـ الصومال الفرنسي، وقد احتلته فرنسا منذ عام ١٨٨٣ واستقل مؤخرا كما ذكرنا قبلا ٠

٢ ـ الصومال الايطالي ، وقد وضع تحت الحماية الايطالية في عام ١٨٩٦ وحصل على استقلاله في اول تموز (يوليو) ١٩٦٠ ٠

٣ ـ الصومال البريطاني ، وقد احتلته بريطانيا في عام ١٨٨٣ وحصل على استقلاله في ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٠ وتوحد مع الصومال الايطالي ٠

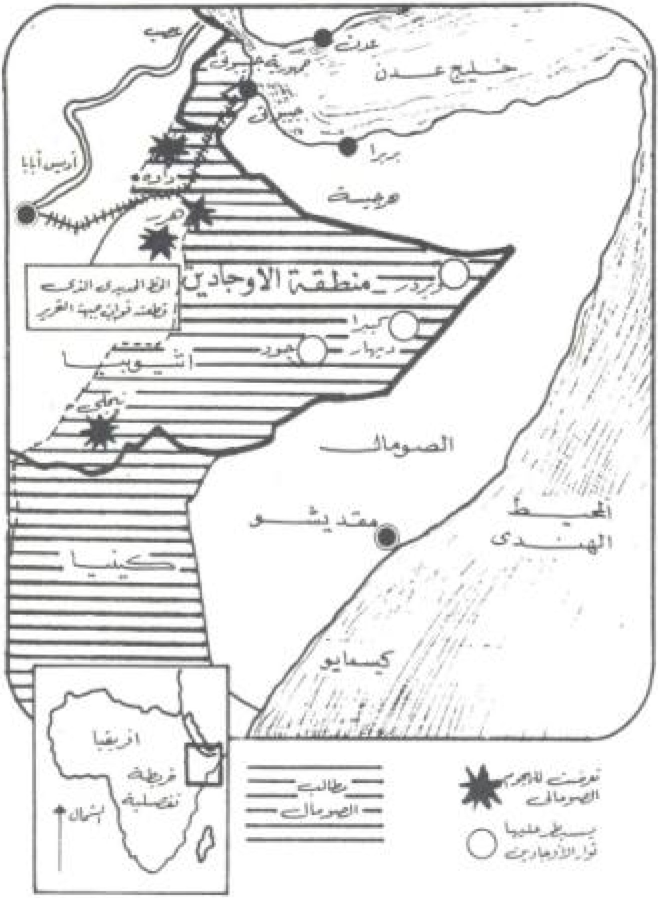
٤ ـ الصومال الحبشي (الاوغادين) ،وهو موضوع بحثنا هنا ٠ وهذه المنطقة تلاصق حدود الامر الواقع في الحبشة ولقد كانت بينها وبين الحبشة (اليوبيا) محن وعداوات قديمة ، وكانت الحروب لاتنقطع بين الفريقين على الحدود ٠ وهذه المنطقة صومالية بحتة في لغتها وعاداتها وتقاليدها ٠ وكانت ضمن بلاد الصومال حتى عام ١٩٥٠ ، ولكن بريطانيا قبل ان تنسحب من الصومال قامت الصوماليين بتسليم هذه المنطقة الى الحبشة رغبة منها في ارضاء اليوبيا اولا وخلقا لمشكلة معقدة بين الصومال واليوبيا ثانيا، وقامت برسم خط الحدود بين البلدين ووصفته بانه خط مؤقت ٠ وبمقتضاه انتزعت هذه المنطقة من الصومال واصبحت تحت ظل الحكم الاثيوبي ٠ ومن ذلك الوقت استطاعت بريطانيا ان تخلق ازمة الحدود بين الصومال واليوبيا كعهدنا بها في كثير من البلاد التي انسحبت منها ٠

٥ ـ الصومال الكيني ، هذه المنطقة صومالية بكل معنى الكلمة أيضا ، الا أن بريطانيا عملت على ضم هذه المنطقة الى كينيا لمجاورتها لها ٠ وكانت بريطانيا تأمل في استمرار احتلالها للصومال الايطالي بعد طرد ايطاليا منه في عام ١٩٤١ ٠ فلما وضع الصومال تحت نظام الوصاية في عام ١٩٥٠ لم ترض بريطانيا أن تخرج منه دون أن تنال نصيبها ، فاقتطعت هذا الجزء وضمته الى مستعمراتها السابقة في كينيا ٠

دور القومية الصومالية



ان مجريات الحوادث التي تتابعت بسرعة في بلاد الصومال في الوقت الحاضر تطلعنا على ما للقومية الصومالية من فضل كبير في تحقيق الوحدة الصومالية الشاملة بين مختلف أجزاء الوطن الصومالي الكبير ، وعلى ما لهذه القومية من اثر بعيد المدى في توحيد مشاعر الصوماليين واتجاهاتهم وأمانيهم ٠ ولقد بدأت هذه القومية تؤتي ثمارها ٠ وحينما اتحد أبناء الصومال البريطاني السابق في ظل قوميتهم المشتركة وأجمعوا رأيهم على هدف واحد هو خروج المستعمر من بلادهم وفازت الاحزاب التي تنادي بهذه الاتجاهات التحررية في انتخابات المجلس التشريعي باكثرية ساحقة لم يجد الانكليز بدا من ترك البلاد والجلاء عنها وخرجوا منها نهائيا في اليوم السادس والعشرين من حزيران (يونيو) ١٩٦٠ ٠



ومما أثلج صدور الافريقيين ان الصوماليين أعلنوا سياستهم فور حصولهم على الاستقلال وتتلخص في انتهاج سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز وعدم الاعتراف باسرائيل والاعتراف بحكومة الجزائر ٠

ثم كانت الجولة الثانية للقومية الصومالية ٠ فلما استقل الصومال (أي الصومال الايطالي) في اول تموز ١٩٦٠ تبع ذلك عقد مؤتمر ضم ممثلين عن الصوماليين الايطالي والبريطاني تم فيه اعلان اتحاد الدولتين في دولة واحدة وصارت للدولة الجديدة عاصمة واحدة هي مقديشيو وعلم واحد ومجلس تشريعي واحد ورئيس جمهورية واحد ٠

والحقيقة ان فكرة القومية الصومالية لم تكن بمستحدثة، ولم تظهر منذ الحرب العالمية الثانية فحسب ،بل ان جذورها ترجع الى اوائل القرن الحالي حينما دعا اليها الزعيم الصومالي الكبير محمد بن عبدالله حسن وقت اعلان ثورته ضد الاستعمار عامة والبريطاني والايطالي خاصة ٠ فقد وحد هذا الزعيم الصوماليين على اختلاف قبائلهم والغى انتسابهم الى هذه القبائل بان اطلق على أتباعه جميعا لقب « الدراويش » وقسمهم الى فرق بغض النظر عن أنسابهم المختلفة ٠

ولكي يتتبع القارىء العربي نزعات التحرر لدى الشعب الصومالي وتعلقه بفكرة القومية الصومالية يجب أن نتوقف قليلا أمام قصة الزعيم الصومالي محمد ابن عبد الله حسن نور ٠ فقد ولد في عام ١٢٧٣ هـ الموافق ١٨٥٦ م ٠ في بلدة (توب فردوت) في شمال غرب الصومال على الحدود الحبشية في منطقة الاوغادين ٠ وقد بدأ في الثامنة من عمره بحفظ القرآن الكريم ٠ وتلقي مبادىء اللغة العربية وعلوم الشريعة على الشيوخ المحليين وألف منذ صباه الباكر أن يرتاد مجالس العلماء ويأخذ منهم الكثير من العلوم والاداب ٠ وحببت اليه منذ نشأته حياة العلم والعلماء ، فكرس كل أيامه للافادة منه واضطر بعد موت أبيه الى أن ينتقل مع أمه الى الاقليم الشمالي حيث يعيش أخواله ٠ ولكن الحنين الى الاوغادين وطنه الاول لم يفارقه أو يتخلى عنه فهناك كان آباؤه الروحيون من العلماء والمشايخ لا يزالون على قيد الحياة ، مما كان يدفعه الى دوام زيارتهم وكثرة التردد على الاوغادين لاطفاء ظمأ الحنين الى الوطن واشباع حاجة النفس الى المعرفة والتعليم ، مما لفت الانظار اليه وجعل لاسمه وشخصيته مكانة مرموقة بين العلماء ٠ وحوالي الخامسة والعشرين من عمره قصد مكة لاداء فريضة الحج ، وهناك التقى بمؤسس الطريقة الصالحية الشيخ صالح

« البقية صفحة ٧٢ »

(٣)

اريتريا..

الشعب والثورة



بقلم : سعد زغلول فؤاد

ما هى الظروف المحلية والدولية التى ساهمت فى تكوين « المجتمع الاريترى » .. ؟

وما الذى انجزته الثورة الارترية..؟

وما هو مستقبل وآفاق هذه القضية ازاء الصراعات القائمة حولها .. ؟

هذه الدراسة التى تمت على الطبيعة فى ارض المعارك، تجيب على الاسئلة..



الامتزاج بين الهجرات المتعددة خلق شعبا له سمات مميزة ، يعمل ويبني ويتذوق الفنون المختلفة فيتكون الشعب الارتري من العديد **من الهجرات والتي بدأت** بالزنوج النيليين ، ثم القبائل الحامية من الرعاة القادمين من شمال السودان ، وأخيرا من الساميين الذين عبروا البحر الاحمر من الجزيرة العربية ، ومع هذه الهجرات دخل الاسلام.



اريتريا قطر صغير ، مساحته ٥٠ الف ميل مربع، يقع على الشاطىء الغربي للبحر الاحمر ، على شكل مثلث محاط بالسودان واثيوبيا وجيبوتي ، ويتكون وسط اريتريا من هضبة تتخللها وتحفها جبال صخرية شامخه،وتشقها اودية خصبة ومرتفعات يتراوح ارتفاعها بين ٦٠٠٠ و ٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، ومناخها معتدل وكانه على مدى الفصول الاربعة ربيع دائم ٠٠ ، والهضبة تنحدر شرقا نحو السهل الساحلي ، وغربا نحو الاراضي المنخفضة الملاصقة للحدود السودانية ٠٠. وانهار أريتريا الهامة ـ الدائمة والموسمية ـ هي: مرب الذي يعرف في الاراضي المنخفضة باسم « الجاش » ، بركة ، منسية وكلها تنحدر الى السودان ،ثم كميلي ، حداش ، علجدي ، وتنحدر شرقا لتصب في البحر الاحمر ٠٠ ، وفي الشمال سلسلة من الجبال تمتد الى حدود السودان وفي الهضبة فوق قمم الجبال الشاهقة الارتفاع ٦٠٠٠ ـ ٨٠٠٠ قدم ـ مناطق صغيرة متناثرة من الاراضي الخصبة ترتفع عن الاودية التي تحتها ما بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ قدم ٠٠ واهم نباتات غاباتها اشجار الزيتون البرى والدوم واليوفوربيا الشمعدانية الشكل والصنوبر ٠

الموقع والتكوين السكاني



ويبلغ تعداد السكان ٤ ملايين نسمة ،مسلمون ومسيحيون وفئة وثنية من سكان الغابات ٠٠ ، وهم من اصول مختلفة ذات امتدادات لمجتمعات اخرى خارج اريتريا ٠٠ ، فالتكوين السكاني القديم وقعت بعده موجات من الهجرات الى ارتيريا، الموجة الاولى من الزنوج النيليين سكان الغابة، نزحوا من اراضيهم في جنوب شرقي السودان الى منخفضات الجاش ـ ستيت ثم الى الهضبة٠٠، والموجة الثانية قبائل حامية من الرعاة قدموا من الصحراء شمالي السودان الى منخفضات بركة والمرتفعات الشمالية ، وقاموا بطرد السكان النيليين الذين كانوا في المنخفضات الساحلية ٠٠، والموجة الثالثة من السبئيين وهم عرب عبروا البحر الاحمر وسكنوا الهضبة حيث يتشابه المناخ والارض مع المرتفعات الجنوبية للجزيرة العربية التي قدموا منها ، وقد جلبوا معهم بعض معالم التنظيم السياسي والوسائل الزراعية ، كما كانت لهم خبرة في التجارة واقامة العلاقات مع العالم المتحضر مما رجح كفتهم ٠٠ ، واخيرا الموجة الرابعه وتتمثل في وصول موجة جديدة من مهاجري عرب جنوب الجزيرة العربية الحميريين، الذين وطدوا اللون العربي بين سكان الهضبة ونشروا لغة حمير القديمة الجعزية اصل لغة التيجري والتجرينية ، اللتين مع اللغة العربية هي اللغات السائدة في اريتريا ، واللغتان الرسميتان للبلاد هما العربيه والتجرينية ٠٠ ، ومعظم المتحدثين بالتجرينية من المسيحيين ومعظم المتحدثين بالتيجرى مسلمون ٠٠ واللغة العربية هي وسيله التخاطب بين المسلمين ، واصبحت بعد الثورة وسيلة التخاطب بين الجميع اذ يقوم جيش التحرير بتدريسها والتجرينية للمقاتلين والاهالي وفق برنامجه في محو الامية ٠

وفي غربي اريتريا تتحدث بعض القبائل (بني عامر) ، لهجة « البيجا » بينما يتحدث جيرانهم من « البرايا » والكوناما لهجتين من اللهجات النيلية ٠٠ ويتحدث « البلين » الذين يسكنون حول كرن لهجتهم الخاصة ، ويبلغ عدد لهجات التخاطب المحلية في مختلف أنحاء أريتريا ثماني لهجات ، هذا عدا اللغة العربية التي يتحدث بها المسلمون والذين يشكلون اكثرية سكان البلاد ٠٠، وتكتب التجرينية على نحو ما تكتب الجعزية القديمة التي كان يستخدمها السبئيون في اليمن ٠٠ ، والجدير بالذكر ان اكثرية السكان يفهمون اللغة العربية ٠٠ ، وحتى من لا يجيد التحدث بها من غير المسلمين يتفهمها عند الاستماع اليها ٠٠

ويقول برمنجهام في كتابه « الاسلام في اثيوبيا » : « تتخذ القبائل الاريترية المسلمة تقليدا لها انتسابها الى هؤلاء المهاجرين العرب وخاصة قريش » ٠ هذا ويشكل الموقع الجغرافي لاريتريا مركزا هاما من مراكز اجتذاب القوى الاستعمارية واثارة مطامعها ، حول الظفر بنقاط الوثوب والتمركز الاستراتيجي، ومنافذ السيطرة والنفوذ بخريطة العالم ٠٠،فهي تقع عند ملتقى عدة طرق بحرية هامة تربط بين المحيط الهندي والشرق الاقصى وبين البحر المتوسط، اذ تقع على الساحل الغربي للبحر الاحمر على



فى مؤتمر شعبى لجبهةتحرير ارتيريا •• الاصرارفى كل العيون ، والوجوه ، والشباب عربية مائة فى المائة •

امتداد ١٠٠٠ كيلو متر من بور سودان شمالا الى جيبوتى جنوبا •• ، هذا البحر الذى برزت اهميته الاستراتيجية الدولية مع بدء التجارة البحرية خاصة عقب شق قناة السويس ، وتزايدت هذه الاهمية باكتشاف البترول فى اراضى الخليج العربى والمملكة العربية السعودية على ساحله الشرقى •



٢٢٢ سنة استعمارا •• !

وادت تلك المزايا للموقع الجغرافى لاريتريا، الى تعرضها عدة حقب للاحتلال الاجنبى لعدة قوى استعمارية مختلفة •• ، فبعد ان كانت اريتريا كيانا مستقلا ذا سيادة ، تعرف فى العصور الوسطى والى بداية العصور الحديثة باسم « ميدرى بحرى » اى بلاد الشاطىء المطلة على البحر ، على رأسها ملك يحكمها ويدير شئونها يسمى « بحر نجش » اى ملك الاقليم المطل على البحر •• ، كما عرفت باسم « ميدرى جيتى » اى ارض الاحرار ••، و « مارب ميلاش » اى الخط الذى يفصل اريتريا عن اليوبيا •• ، تعاقب عليها المستعمرون الاجانب ففقدت استقلالها وتعرقل تطورها •• ، فقد احتلتها تركيا عام ١٥٥٧ حيث اكتفت باحتلال شواطئها • الا ان الاستعمار التركى ظل جاثما على البلاد ٣٠٠ عام ـ من ١٥٥٧ الى ١٨٤٦ وحين انسحبت تركيا حل مكانها المصريون ، ورفع العلم المصرى بدلا من التركى فوق مصوع وكرن ومنخفضات بركة والجاش وستيت ، وكذلك فوق المرتفعات فى قرع وجندت •• ، وعند نشوب الثورة المهدية فى السودان ، انسحبت معظم القوات من اريتريا كى تعزز مواقعها العسكرية فى السودان وكى تحمى مصر نفسها التى تعرضت للغزو البريطانى •• ، ثم انسحب المصريون نهائيا من



المرأة الارترية تعمل في الزراعة والصناعة
ورعاية الاسرة والى جانب ذلك تقاتل في
صفوف الثورة ٠



اريتريا عقب الاحتلال الانجليزى لمصر (١٨٨٢)، فاحتل الايطاليون مصوع عام ١٨٨٥ ٠

ظل الاستعمار الايطالى فى اريتريا ٥١ عاما، حيث انتهى بهزيمة ايطاليا فى الحرب العالمية الثانية ودخول القوات البريطانية اريتريا تحت علم الحلفاء عام ١٩٤١ ٠

وانتهت الادارة البريطانية ورحلت بريطانيا عن البلاد عام ١٩٥٢ الذى بدأ فيه الاتحاد الفيدرالى بين اريتريا واثيوبيا وفق قرار الامم المتحدة رقم ٣٩٠/أ/٥ الصادر فى ١٩٥٠/١٢/٢ ، وقد نص فى مادته الاولى على الاتى :

ـ تصبح اريتريا وحدة سياسية تتمتع بالحكم الذاتى (الاستقلال الذاتى) فى اطار اتحاد مع اثيوبيا تحت سيادة التاج الاثيوبى ٠

على ان قرار الاتحاد الفدرالى هذا بين اريتريا واثيوبيا لم يلبث ان الغاه الامبراطور هيلاسلاسى واعلن ضم اريتريا الى اثيوبيا فى ١٩٦٢/١١/١٥، ولم تحرك الامم المتحدة ساكنا ، فى الوقت الذى كانت قوات الجيش الاثيوبى قد استولت على جميع المؤسسات والمرافق الحيوية فى اريتريا ، وقد افصحت المعاهدة الامريكية الاثيوبية الموقعة بين حكومتي البلدين فى ٢٢ مايو ١٩٥٣ ولمدة ٢٥عاما عن جوانب الصفقة التى عقدت بين واشنطن واديس ابابا والتى راح ضحيتها الشعب الاريترى ، فقد منحت اثيوبيا الولايات المتحدة الامريكية قواعد عسكرية برية وبحرية وجوية فى اريتريا ، كانت المقابل للجهد الامريكى فى ضم اريتريا الى اثيوبيا٠

ارتريا ليست اثيوبيا



ما سبق يؤكد ان السلطات الامبراطورية الاثيوبية كانت تعد لضم اريتريا منذ توقف الحرب العالمية الثانية هذا بالرغم من ان اريتريا لم تكن يوما جزءا من اثيوبيا ، كما لم تكن تابعة لها فى اية فترة على امتداد التاريخ ٠٠ ، الامر الذى يرى القارىء وقائعه مفصلة فيما سبق وذكرنا عن التكوين السكانى لاريتريا والقوى الاجنبية التى تعاقبت على احتلالها ، ولا نريد ان نمضى بعيدا فى ذلك الى ما قبل الميلاد ، حيث كانت لاريتريا حضارة وتجارة ازدهرت فى مدينتى « ادوليس » و « قوحيتو » اللتين تشهد اطلالهما بمعالم الحضارة القديمة لاريتريا ٠٠ ، كما ان الحضارة الاسلامية امتدت الى اريتريا وقد جاءت بفتح الامويين لجزر دهلك والساحل الاريترى ، « ان مصوع والموانىء القليلة على البحر الاحمر اصبحت اسلامية فى وقت مبكر ، وبعد تدمير « ادوليس » إزدهرت حضارة اسلامية فى جزر دهلك بالقرب من مصوع فى مستهل القرن الثامن » ـ غرائب اثيوبيا لجسمان ـ وخطاب للكونت « سفورزا » وزير خارجية ايطاليا كتبه الى رئيس بعثة الامم الامم المتحدة فى اريتريا ، مؤرخ فى ١٩٥٠/٤/١٧ قال فيه :

ـ ان مناطق اريتريا المختلفة احتلها الايطاليون فى الفترة الواقعة بين ١٨٦٩ و ١٩٠٣ ، ولم تنتزع اى منطقة من تلك الاراضى من اثيوبيا ، وكانت دنكاليا هى اول منطقة ارتكزت فيها ايطاليا، والتى كانت وما تزال يسكنها الدناكل وعقدت ايطاليا مع شيوخهم المحليين اتفاقيات حماية ٠ وكان معظم الساحل الشمالى الذى يشمل منطقة مصوع وجزر دهلك حتى السودان جزءا من الامبراطورية العثمانية ، والتى كان لها سلطة ضعيفة من خلال خديوى مصر الذى كان يحكم هذه المناطق ٠ والحقيقة ان ايطاليا تمركزت فى هذه المناطق بعد ان اضطرت مصر الى عقد اتفاقيات للانسحاب من المنطقة وذلك عام ١٨٨٥ ٠ اما فى الداخل ، ففى المنخفضات الغربية والاقاليم الواقعة بين نهرى الجاش وسيتيت ، والتى تسكنها قبائل الباريا والكوناما ، فقد استحوذت عليها ايطاليا من سكانها المحليين وخططت حدودها بموجب معاهدة ثلاثية بين ايطاليا وبريطانيا واثيوبيا فى عام ١٩٠٣ (اشتركت بريطانيا فى هذا الاتفاق لتخطيط الحدود فى الجنوب والغرب مع السودان) ، اما الاراضى المرتفعة فمع انها كانت تحتل احيانا بواسطة بعض الرؤوس الاقطاعيين من اقليم تجراى، لكنها لم تعتبر جزءا من اثيوبيا ، حتى ان الامبراطور «منيليك» الثانى وجه رسالة الى ملك ايطاليا بتاريخ ١٠ مارس ١٨٨١ دعا فيها القوات الايطالية الى احتلال منطقة « اسمرة » باعتبارها اراضى غير اثيوبية ، أما المناطق التى

تقع جنوبي اسمرة (اكلي قوازي وسراي) والتي كانت تحت الادارة الايطالية منذ عام ١٨٩١ ، فقد اعترف رسميا بكونها جزءا من ارتيريا في المعاهدة الايطالية الموقعة في ١٠/٧/١٩٠٠ ـ ولم يكن السبب في عقد تلك المعاهدة انهاء خلافات بين ايطاليا والامبراطور منيليك حول الاراضي الاريترية بعد حرب عام ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦ المعروفة بحرب « عدوا » ، اذ ان الحرب لم تكن بسبب خلافات على الحدود ، لكنها نشأت عن معاهدة « اوتشالي » الموقعة عام ١٨٨٩ ، بشأن تفسيرها من ناحية الحكومة الايطالية الذى رفضه الامبراطور منيليك ، ومع أن الحرب لم تكن في صالح ايطاليا فان الامبراطور منيليك لم يحاول تعيين الحدود بين اريتريا واثيوبيا اعترافا منه بعدم اثيوبية اريتريا • هذه هي الحقائق التاريخية التي اعتمدت عليها ايطاليا عند احتلالها لاريتريا ، والتي اشتقت اسمها من الاسم القديم للبحر الاحمر « سينوس ارتريوس »٠

قصة الثورة



تامرت قوى الاستعمار على حرية واستقلال شعب اريتريا ، فحرم من حقه في تقرير مصيره ، وفرض عليه اتحاد فدرالي مع اثيوبيا ، لم يكن غير غطاء لاحتلال اثيوبي ، لم يلبث الامبراطور هيلاسلاسي ان اعلن الغاءه وضم الاراضي الاريترية الى اثيوبيا ، وكان هذا الاجراء الامبراطوري تحصيلا لحاصل بدأ باعلان الاتحاد الفدرالي عام ١٩٥٢ • وطرق الشعب الاريتري جميع ابواب المساعي والسبل السلمية ، للاعتراف بحقه في تقرير مصيره وحصوله على حريته واستقلاله ، الا انها جميعا اغلقت في وجهه ٠٠

طريق واحد دون سواه اصبح امام الشعب ، كي يحقق ذاته ويدافع عن قوميته ويستعيد حريته٠٠ طريق الثورة ٠٠ ، فحمل السلاح واعلن الثورة التي ما زالت مشتعلة منذ ستة عشر عاما ٠٠ ، منذ أن دوت في جبال اريتريا الرصاصات الاولى للثورة التي اطلقتها على المراكز العربية لقوات الاحتلال الاثيوبي جبهة التحرير الاريترية •

تكونت « جبهة التحرير الاريترية » في القاهرة عام ١٩٦٠ من الطلبة الاريتريين الذين كانوا يدرسون بها • وحددت اهدافها بتحقيق « الاستقلال الوطني الكامل ووحدة شعب وتراب اريتريا » ، كما حددت سبيل تحقيق اهدافها تلك بالكفاح المسلح •

وفي العام التالي انتقلت الجبهة الى جبال اريتريا ، حيث اطلقت الرصاصات الاولى للثورة، اذ قام اول فصيل للثوار بمهاجمة احد المعسكرات الاثيوبية التي كانت منتشرة في كافة انحاء اريتريا ، ريفها وحضرها ، جبالها ووديانها ومرتفعاتها وسهولها وسواحلها ، وكان هذا الفصيل الاول أن سبعة مقاتلين بقيادة الشهيد حامد ادريس عواتي ، الذي عهدت اليه جبهة التحرير الاريترية بقيادة الفصائل الاولى بجيش الثورة ، والذي عرف بشجاعته ومهارته القتالية حين قاد عمليات الدفاع التلقائية ضد هجمات العصابات الاثيوبية المسلحة على الاهالي عامي ١٩٤٨ و ١٩٥٠ ٠٠ ، وفي اوائل عام ١٩٦٢ انضم الى الجبهة تسعة من ضباط الصف السودانيين الذين خدموا طويلا في الجيش السوداني ، بعد ان استقالوا منه ، وتمكنت الجبهة من شراء عشرة بنادق انجليزية بما جمعت من تبرعات بعض العمال الاريتريين الذين كانوا يعملون في المملكة العربية السعودية ، هربتها الى الثوار في الجبال ٠٠ ، واخذ الشباب الوطني يتسابق للتطوع في جيش الثورة ٠٠ والعمال الاريتريون في الخارج يرسلون التبرعات المالية ٠٠ ، وتزايدت هجمات الثوار على مراكز القوات الاثيوبية٠٠، وكان اهالي القرى ومضارب الرعاة يقدمون الى الثوار حاجتهم من الطعام وكافة اوجه المساعدة ، وعمل الثوار المقاتلون على تمويل انفسهم بالسلاح والذخيرة من العدو الاثيوبي شيئا فشيئا قدر استطاعتهم ووفق قدراتهم في ذلك الوقت ٠٠ ، من ذلك انهم في سبتمبر ١٩٦٣ ،

السلاح في يدها ، وطفلها على ظهرها ٠٠ هكذا تعيش النساء في ارتيريا٠



وفي وضح النهار ، تنكروا في زي سياح سودانيين وقد استقلوا احدى سيارات النقل العامة ، حتى اذا ما اقتربوا من المركز العسكري الاثيوبي في « هيكوتة » انقضوا بغتة على قواته ، فصرعوا ثلاثة من جنوده واستسلم الباقون ، فاستولوا على اسلحتهم التي بلغ عددها ٥١ بندقية ومدفعا رشاشا ٠٠ ، واستشهد واحد من الثوار ٠٠ ، وكان تعداد جيش الثورة في ذلك الوقت قد بلغ مائة مقاتل ٠٠ ، هذا وعمد الثوار الذين باغتوا مركز هيكوتة بالهجوم قبيل انسحابهم الى رفع العلم الاريتري فوق سارية المركز بعد ان انزلوا منه العلم الاثيوبي ٠٠ ، مما كان له اثره في اشاعة حماس المواطنين وجذبهم الى التطوع في جيش الثورة ٠

وقفز تعداد جيش الثورة من مائة عام ١٩٦٣ الى ستمائة في العام التالي الى الف ٠٠ فعدة الاف ٠٠ حتى اصبح تعداده اليوم اكثر من ٤٠ الفا من الجنود شبه النظاميين بما فيهم من قوات الميليشيا ، موزعين بين منظمات الثورة الثلاث : جبهة التحرير الارترية ـ الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا ـ قوات التحرير الشعبية ٠٠ ، والى جانب هذا التعداد الكبير للثوار المقاتلين ، اصبح للثورة منظماتها الجماهيرية التي تتمثل في اتحادات الفلاحين والعمال والطلاب والمراة ٠٠ ، وكلها تعمل في اطار الثورة حتى يمكن القول ان الثورة اصبحت اليوم تستوعب في اجهزتها ومنظماتها الشعب الاريتري باجمعه ٠٠ ،واصبحت تسيطر على اكثر من ٩٠٪ من اراضي بلادها بعد ان حررتها من الوجود الاستعماري الاثيوبي٠٠ ، واصبحت تقف على ابواب النصر وتحقيق الارادة الوطنية في الاستقلال والحرية ٠

فبعد ان كان مسرح عمليات الثورة محدودا وتكتيكاتها القتالية مقصورة على اضرب ٠٠ واهرب ٠٠ ، اصبح منذ معارك اسمرة الشهيرة ـ شباط، ١٩٧٥ ـ يشمل كل مواقع العدو في اريتريا ، بل وكثيرا ما يمتد الى داخل اراضي اثيوبيا نفسها لضرب مصادر العدوان ٠٠ ، كما انتقل تكتيك القتال لجيش الثورة من اضرب واهرب ثم اختف كالدخان ، الى التمركز في مواقع ثابتة والسيطرة على مناطق شاسعة وحمايتها والدفاع عنها ، وشن هجمات منظمة على جيش العدو ، والاحاطة بمراكزه ومعسكراته ، ثم اقتحامها والاستيلاء عليها ٠٠ ، وما ان انتهى عام ١٩٧٦ حتى كان قد حرر الريف الاريتري باكمله ، وقد طهره تماما من الاحتلال الاثيوبي ٠٠ ، ومع مطلع العام الحالي ١٩٧٧ دخل جيش الثورة مرحلة تحرير المدن ٠٠ ، والتي اخذت تسقط في يده الواحدة تلو الاخرى ٠٠ ، حتى انه خلال الشهور الثلاثة التي قضيتها بين جنوده ـ ٢/١ الى ١٩٧٧/٥/١ ـ حرر خمس مدن ٠٠ ، ولم يعد لقوات الاحتلال وانا اكتب هذه السطور غير اربع مدن رئيسية منها العاصمة اسمرة ٠٠ ، وهذه المدن المتبقية في يد قوات الاحتلال الاثيوبي تحيط بها قوات الثورة وتحكم حولها الحصار ٠٠ وتعزلها بعضها عن بعض ٠٠ ، والتي لا مفر من تحريرها وعندئذ سيتم لاول مرة تحرير كامل التراب الاريتري من الوجود الاستعماري ٠

التجنيد لجيش الثورة اجباري ، لكن الامكانيات وحدها تحدد الاعداد المطلوبة كل نصف عام ٠٠ ، وياتي المجندون الجدد من المنظمات الجماهيرية فيلتحقون بمعسكر الاعداد والتدريب لمدة ٦ شهور يلحقون بعدها بالجيش حيث يوزعون على فصائله المقاتلة ٠٠

والمراة الاريترية تلتحق بجيش الثورة وفق قوانين ومتطلبات التجنيد الاجباري ، شانها شان الرجل في الحقوق والواجبات ٠

والجدير بالذكر ان قوانين الثورة تمنع الزواج في الجيش حتى لا تعرقل اعباء الزواج المهام القتالية ٠٠ ، وعقوبة الزنا الاعدام للطرفين ٠٠



جيش الثورة

وجيش الثورة لا تقتصر مهامه على القتال ٠٠

وانما تمتد هذه المهام العاجلة للبناء والانتاج فالمقاتلون يعملون فى حراثة الارض وزراعتها ، ويشاركون في عمليات الحصاد وجمع الثمار ، يشقون الطرق فى ريف جبلي من الصخور الصلدة، تغطيه الغابات والاشجار والنباتات البرية الضخمة ، وظل مهملا عبر قرون من الحكم الاستعمارى المختلف فى الوانه وجنسياته ،والموحد فى طبيعته واهدافه .. ، موحد فى نهبواعتصار مواردوثروات الشعب الاريترى .. ، ولذلك ترى الريف الاريترى الذى يشكل المساحة العظمى لاريتريا ، تشق فيه الطرق لاول مرة تربط بين قراه ومختلف مناطقه ، وبلغ طول ما شقه منها حتي اليوم اكثر من ثلاثة الاف كيلومتر، وبسواعد المقاتلين شيدت المساكن الجديدة للذين دمر القصف الجوى الاثيوبى مساكنهم ، والمساكن الخاصة بايواء اللاجئين العائدين .

وفوق رؤوس الجبال حول المناطق والقرى المحررة ، تربض وحدات المقاتلين للدفاع عن المواطنين ضد الغارات الجوية .. ، وامكن لهذه الوحدات الى ان غادرت الاراضى المحررة فى اول مايو ١٩٧٧ ان تسقط من طائرات العدوانالجوى الاثيوبى ٣٢ طائرة .. ، تناولت الاجهزةالصناعية للثورة حطامها وصنعت من موادها ادوات منزلية وزعتها على السكان بالمجان .. ، وعلى ذكر تصنيع حطام الطائرات ادوات منزلية ، فان المعلبات الغذائية للجيش التى ترد ضمن المعونات الخارجية ، لا تلقى بين المهملات بعد استهلاك محتوياتها ، وانما تحول الى مصابيح تضاء بالكيروسين توزع بالمجان على المواطنين.. ، وكما يصنع الجيش حطام الطائرات ، فجدران المساكن من الداخل مغطاة بالاقمشة الحريرية ذات اللونين الابيض والكاكى . بما فى ذلك اسقف الجدران .. ، انها المظلات الجوية التى غنمها الجيش من العدو ، ذلك ان البيوت التى يبنيها الجيش للاهالى والجنود ، اما انها محفورة فى بطن الصخور الضخمة ، او مبنية فى باطن التربة الطينية أو الرملية من قطع الصحف بعضها فوق بعض بالضغط على طريقة بناء اهرامات قدماء المصريين .

جندى الثورة



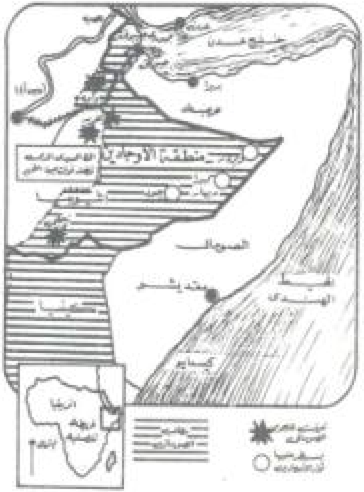
وجندى الثورة ، ارادته فى صلابة وشموخ جباله ، وقدرته على تحمل المشاق اشبه بالاساطير .. يتعايش ووحوش الغابة وزواحفها .. يقضى ليله فى صقيع المرتفعات وظلام الكهوف ، فى ثبات وهدوء ويقظة ، يده على سلاحه استعدادا لمواجهة اية مفاجاة تهدد امن الثورة .. ، وحين تمر به ليلا لن تنتبه الى وجوده الا حين يصيح بك ان تتوقف ، ثم يتخذ مكانه بين الاشجار العملاقة الصامتة وكانه واحد منها .. ، وهو حين ينام يفترش الارض ويتوسد الصخر .. ينام بملابس الميدان وسلاحه بيمينه ، وليس له من غطاء فى ليالى شتاء المرتفعات القاسى غير ملاءة من التيل الابيض الخفيف .. ، ان جيش الثورة ينتقل منذ معارك اسمرة ـ فبراير ، شباط ١٩٧٥ ـ من نصر الى نصر .. رغم اسلحته الصغيرة وضعف امكانياته .. ، فهو لم يعرف بعد الاسلحة الثقيلة ..

ادت حملات الابادة وسياسة القمع ضد الشعب الارتيرى ، والتى راح ضحيتها عدة قرى باكملها محيت بسكانها وماشيتها من الوجود ، الى نزوح عدد كبير من الاهالى الى الاراضى السودانية المتاخمة ، حيث يعيشون لاجئين فى مخيمات على الحدود .. ، يعيشون تحت اسوأ الظروف المعيشية والسكنية .. ، فقد ظلوا طويلا لا يعترف بهم من قبل المنظمات الانسانية الدولية كلاجئين بضغوط من الحكم الاثيوبى .. ، ولا يتعدى حجم المعونات الغذائية للامم المتحدة اكثر من سد حاجات ١٠ الاف لاجيء .

وبعد ، فالثورة الاريترية نجحت فى بناء مقومات الدولة وفى تطوير حياة المواطنين بتغييرها علاقات الانتاج وعمليات التوزيع من الاراضى المحررة .. ، كما نجحت فى نضالها القتالى وحررت اكثر من ٪٩٠ من الاراضى الاريترية واصبحت تقف على ابواب النصر النهائى .. على ابواب تحقيق الاستقلال الوطنى واعلان الدولة العربية الجديدة .

■■

سعد زغلول فؤاد



بقية ••

ثورة الاوجادين

المنشور على صفحة ٦١

السودانى الذى كان على صلة دائمة بنشاط واخبار زعيم الثورة السودانية السيد محمد أحمد المهدى • وكان محمد بن عبد الله حسن يتلقى مع شيخه أخبار هذه الثورة وأحداثها ويستمع اليها بمزيد من العناية واللهفة ، ويتتبعها دائما بكل اهتمام • وهناك فى مكة بدأ التفكير مرات ومرات فيما كان يسمع من اخبار ثورة المهدى وبدأ يتفاعل بها وباهداف قائدها فى الخلاص والحرية • وفى كل مرة يقوده تفكيره وتقوده مشاعره الى ما فى وطنه من أوضاع وما يجثم على صدره من ضغط أجنبى يحتاج الى مثل ثورة المهدى • فبدأ فى القيام بتعبئة الشعور العام ضد أعداء البلاد فى الخارج وضد الخونة فى الداخل •



فى مواجهة بعثات التبشير

ولقد كان السبب المباشر لقيام محمد بن عبد الله حسن بجهاده من أجل حرية بلاده هو نزول بعثات التبشير فى عام ١٨٩٢ أرض الصومال الشمالى (البريطانى السابق) فاتصل برجال الادارة الانكليز وتحدث اليهم فى شان هذه البعثات وطالب بضرورة ابعادها حفاظا على عقيدة اهل الصومال • وعلى عادة الانكليز ظلوا يماطلون ويبذلون الوعود الكاذبة باعطائهم وعدا ووراء الاخر دون أن يصدق من وعودهم شىء ، فلم يتردد الزعيم الصومالى فى اعلان الجهاد المقدس على الانكليز وتوالت انتصارات القوات الصومالية بصورةاذهلت أعداءه واقضت مضاجعهم، فاحسوا بخطره وبداوا يتكتلون جميعا للقضاء عليه واستخدموا كل ما لديهم من وسائل ، فنشطت دعاياتهم الاستعمارية تعمل بكل قوة علىتشويه حركته واتهامه أحيانا بالتعصب الدينى واحيانا بالجنون او بانه سفاح لكى يكسبوا من وراء ذلك عطف الراى العام الخارجى من ناحية ويبرروا قسوتهم وسلوكهم الاستعمارى من ناحية اخرى واهم من هذا أن يضمنوا تاييد ومساعدة الحبشة •

ولكن الرجل الذى خرج ليكافح من أجل بلاده وحرية مقدساته ومعتقداته لم يكن ليلين أو يتحول ولم تكن دعايات الاعداء وتهديداتهم لتنال من عزيمته • فقد أرسل اليه الجنرال البريطانى (كوفل) القائد العام للقوات البريطانية رسالة جاء فيها :

« سننسفك نسفا اذا لم ترجع عن غيك واذا لم تخمد ثورتك الجنونية • وأعلم أن حكومة صاحبة الجلالة عظيمة جدا ولا يستطيع مجنون مثلك أن ينال منها شيئا ، فارجع عما انت فيه وعد الى صوابك قبل أن تقع المصيبة عليك وتندم على أعمالك السيئة ! » •

فما كان من ابن عبد الله حسن الا ان كتب لساعته يرد عليه قائلا :

« من محمد بن عبد الله حسن قائد القوات الاسلامية الصومالية الى الجنرال (كوفل) قائد

قوات الشيطان.. قد اطلعت على رسالتك وفهمت منها جميع أغراضك الدنيئة وأغراض حكومتك الوضيعة • وأعلم أن قواتكم التى تفاخرون بها لا تساوى لدى شيئا وأعلمك أيضا اذا كنتم تحاربوننا بقواتكم الهائلة فاننى اقاتلكم بنيتى الصالحة وبايمانى القوى وبعزيمتى التى لا تعرف الكلل . ومهما تكن الظروف فلن أستسلم ولن اكون للشرك عبدا » •

ثار الجنرال البريطانى لهذا الرد وخرج بنفسه يقود جيشا كبيرا لتاديب هذا الافريقى • وفى مكان لا يبعد كثيرا عن تجمعات جيش محمد بن عبد الله حسن التقى الجيشان فى مدينة (تالح) • وكانت المعركة رهيبة وقاسية خرج منها الشرف الصومالى مصونا ، حمته الدماء الذكية الثائرة التى سالت بغزارة لتروى شجرة الحرية وتسطر فى كتابها الخالد فصلا فى قصة كفاح شعب افريقى مجيد من أجل حرية بلاده • وكان درسا قاسيا لقنته جنود الصومال للجنرال الانكليزى • وسجل تاريخ هذه المعركة سقوط قائد قوات صاحبة الجلالة صريعا تحت سنابك خيل الفرسان الصوماليين ومعه مئات الضباط وآلاف الجنود • وعلى أثر الانتصار الساحق على قوات صاحبة الجلالة البريطانية ادرك الانكليز انهم امام رجل عنيد لا سبيل الى تحطيمه بالقتال ، فبدأوا يتراجعون ويعدلون سلوكهم نحوه • وكتب الحاكم العام لمحمية الصومال الى الزعيم الصومالى الكبير يطلب منه الدخول فى مفاوضات لتصفية النزاع وازالة أسباب الخلاف •



تراجع حكومة صاحبة الجلالة

واجتمع الطرفان على مقربة من (لاس عانو) وقدم رئيس الوفد البريطانى تحياته واحتراماته باسم حكومة صاحبة الجلالة للزعيم محمد بن عبد الله حسن ، كما رجاه أن يتقبل الهدايا التى بعث بها اليه نائب الملك فى الهند • وبدأت المفاوضات وطلب الجنرال البريطانى الى الزعيم الصومالى أن يخمد ثورته ويلقى سلاحه مقابل أن تعترف به الحكومة البريطانية وحكومات الدول المتحالفة ملكا متوجا للشعب الصومالى كله • وجاء رد الزعيم الثائر قويا مستقيما حين قال : « اننى لم أفكر فى يوم من الايام أن أكون ملكا ولم يكن ذلك هدفى لا فى الحاضر ولا فى المستقبل، ولكن هدفى الوحيد هو أن أطرد الاستعمار من بلادى وأعيد اليها حقوقها المغتصبة وأطهرها من الشرك والنفاق ولست أبالى بعد ذلك أن أحيا أو أن أموت » •

وواصل الزعيم الصومالى كفاحه ضد الاستعمار واستمر الكفاح أكثر من عشرين عاما تألبت عليه خلالها كل القوى الاستعمارية ولولا نجاح السياسة الاستعمارية فى احداث الفتن والانقسامات فى الجبهة الداخلية لحركة هذا الزعيم بعد عشرين عاما من القتال الرهيب لما كان ممكنا أن يقضى عليه فى النهاية عندما لقى ربه فى عام ١٩٢١ •

واذا كانت ثورة محمد بن عبد الله حسن لم يقدر لها النجاح الا انها كانت النواة الاولى فى بعث القومية الصومالية التى ظلت كامنة فى ضمير الزمن حتى برزت الى الوجود ابان الحرب العالمية الثانية • وكان لوضع الصومال تحت وصاية الامم المتحدة فى عام ١٩٥٠ والجهود التى بذلتها الامم المتحدة فى تاهيل الشعب الصومالى لحكم بلاده وتهيئته للاستقلال أثر كبير فى ترقية الوعى الصومالى وتنمية قوميته ، تلك القومية التى كانت العامل الاول فى التطورات الاجتماعية فى الصومال •



جذور النزاع

ننتقل الان الى بحث أساس النزاع بين الصومال والحبشة (أثيوبيا) حول الصومال الغربى المحتل (الاوغادين) • ذلك أن النزاع بين البلدين قديم يرجع الى أواخر القرن التاسع عشر، ولان لم يتوصل البلدان الى حل يرضيهما رغم تدخل الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية وتوصياتها المتعددة بوضع حد لهذا النزاع وجميع المباحثات التى جرت لتسويتها باءت بالفشل •

وتعتبر بريطانيا – كما أشرت الى ذلك من قبل – السبب المباشر لخلق هذه المشكلة ، وذلك بوضع الصومال الغربى ضمن حدود أثيوبيا وفقا لخط

الحدود الذى رسمته بين البلدين قبل انسحابها من الصومال فى عام ١٩٥٠ اثر قرار الجمعية العامة للامم المتحدة باخضاعه تحت الوصاية الدولية وبهذا نفذت بريطانيا سياستها التقليدية « فرق تسد » وبذرت بذور الشقاق بين الدولتين الافريقيتين ٠

ان شعب اقليم الصومال الغربى الذى أشعل نار الثورة فى ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٣ بقيادة الوطنى الثائر (مقتل ضاهر) كان ولم يزل مشعلا للتحرير والنضال والكفاح ضد الغزاة الاجانب ٠ وقد بدأت متاعب شعب هذا الاقليم فى ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٧ عندما احتلت قوات امبراطور الحبشة منليك الثاني مدينة هرر عاصمة الولايات الغربية الصومالية بايعاز من بريطانيا بعد انسحاب القوات المصرية منها بضغط من انكلترا ٠ ولقد اتخذت الحبشة هذه المدينة مركزا لبسط نفوذها على بقية المناطق ٠ وفى عام ١٨٨٩ ضمت الحبشة اسميا الجزء الجنوبى (الاوغادين) من اقليم الصومال الغربى الى امبراطوريتها بالاتفاق مع بريطانيا مكافأة لها عن دورها بالقضاء على الثورة المهدية فى السودان ٠ ولكن الادارة الحبشية لم تشمل تلك المنطقة الا حين غزت القوات الايطالية الحبشة فى عام ١٩٣٦ وأصبحت المنطقة ميدانا للحرب بين الدولتين ٠

وفى عام ١٨٩٧ ابرمت الحبشة مع بريطانيا معاهدة سرية استولت بموجبها على الجزء الشرقى لاقليم الاوغادين والمعروف حاليا بمنطقة (هود) والاراضى المحجوزة ٠ وبقيت تلك المعاهدة فى طى الكتمان حتى عام ١٩٤٨ حينما سلمت الادارة العسكرية البريطانية منطقة الاوغادين الى السلطات الحبشية ٠

وبعد الغزو الايطالى للحبشة أعلن موسولينى ضم الحبشة الى ايطاليا واعادة اقليم الصومال الغربى الى الصومال أى ضمه الى اقليم الصومال الإيطالى ٠ وعندما وضعت الحرب أوزارها وانتصر الحلفاء على دول المحور عاد الامبراطور هيلاسلاسى الى الحكم فى الحبشة عام ١٩٤١ بمساعدة بريطانيا ٠ وفى ٣١ كانون الثانى ١٩٤٣ عقدت مفاوضات بين بريطانيا والحبشة أسفرت عن عقد اتفاقية تنص على اعتبار المنطقة التى ضمتها الحبشة الى امبراطوريتها وهى منطقة الاوغادين جزءا منفصلا عن الحبشة وتتولى القوات العسكرية البريطانية ادارتها ٠ هذا وقد جددت الاتفاقية بشأن تلك المنطقة فى ١٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٤ على أن يستمر الاحتلال البريطانى لها ٠ ومن المعلوم أن جميع الاقاليم الصومالية ما عدا اقليم ساحل الصومال الفرنسى دخلت تحت الادارة العسكرية البريطانية بعد هزيمة ايطاليا فى الحرب العالمية الثانية ٠ وفى خلال تلك الفترة حاولت بريطانيا الانفراد بحكم الاقاليم الصومالية بعد ابرام معاهدة الصلح مع ايطاليا عام ١٩٤٧ التى التى تنازلت بموجبها عن جميع حقوقها فى مستعمراتها فى افريقيا ٠ وحاولت بريطانيا اغراء الشعب الصومالى واقناعه باختيار بريطانيا لتكون الدولة الوصية عليه ووعدت بتوحيد الاجزاء التى كانت خاضعة لادارتها ، ولكن الشعب الصومالى لم يطمئن الى وعود بريطانيا العريقة فى الاستعمار ٠



اجماع الشعب والمؤامرة

وعندما أرسلت الدول المنتصرة فى الحرب العالمية الثانية مندوبيها الى مقديشيو عام ١٩٤٨ لمعرفة رغبات الشعب الصومالى فى تقرير مصيره أجمع هذا الشعب على أن تتولى الدول الاربع الكبرى ادارته تحت اشراف الامم المتحدة لمدة عشر سنوات ينال بعدها استقلاله الكامل ٠ وكرد فعل لما أجمع عليه الشعب الصومالى قررت بريطانيا فورا وفى نفس السنة تسليم المنطقة الجنوبية (الاوغادين) الى اثيوبيا وكذلك منطقة الصومال الغربى ٠ وفى ٢٦ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٥٤ وقعت بريطانيا مع أثيوبيا اتفاقية تعهدت بموجبها سحب حكمها العسكرى من منطقة (هود) والاراضى المحجوزة من اقليم الاوغادين على أن تتولى الحكومة الاثيوبية ادارتها ابتداء من ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٥٥ ٠ وقد أكدت هذه الاتفاقية حق القبائل الصومالية فى المرعى على جانبى الحدود ٠ وفور اعلان الاتفاقية المذكورة فى ٤ كانون الثانى ١٩٥٥ ثار الصوماليون فى كل من الصومال الايطالى والصومال البريطانى السابقين واحتجوا على وضع جزء من الاراضى الصومالية تحت سيطرة اثيوبيا ودون

موافقة أهالي البلاد أصحاب الحق الشرعي بها ٠ ورفضت بريطانيا تعديل الاتفاقية بحجة ارتباطها بتعهدات سابقة مع اثيوبيا بمقتضى اتفاقية سنة ١٨٩٧ ٠والغريب أناثيوبيا تعتمد بادعائها بملكية اقليم الصومال الغربي باتفاقيات ومعاهدات أبرمتها مع الدول الاستعمارية وذلك في الاعوام ١٨٨٩ ـ ١٨٩٧ ـ ١٩٠٨ وهي اتفاقيات ابرمت بين دول أجنبية في ظروف لم يكن الصوماليون أصحاب الحق الشرعي بها طرفا فيها ٠

وعندما نالت الجمهورية الصومالية استقلالها الغت كل الاتفاقيات الاستعمارية غير الشرعية التي قسمت القطر الصومالي الىخمسة اقسام واعلنت انها لا تلتزم بهذه الاتفاقيات لانها لا تتمشى ومبدأ حق تقرير المصير وآمال وتطلعات الشعبالصومالي واضافة الى ذلك تبنت الصومال ، كما جاء في الدستور الصومالي لعام ١٩٦٠ سياسة السعي لتحقيق اعادة وحدة القطر الصومالي بالوسائل السلمية ٠ ومنذ ذلك الوقت بذلت الصومال جهودا متواصلة للدخول في مفاوضات مع اثيوبيا بغية الوصول الى تسوية دائمة وعادلة للنزاع الاقليمي ٠ وانطلاقا من سياستها هذه أثارت الصومال هذه القضية في منظمة الوحدة الافريقية وفي الامم المتحدة واعلنت مرارا عن رغبتها في قبول الوساطة الافريقية ٠

انكار الحق الشرعي



وبينما كانتالحكومة الصومالية تبحث باستمرار عن تسوية سلمية لنزاعها الاقليمي مع اثيوبيا فان هذه الاخيرة تبنت سياسة مناوئة واعلنت حالة الطوارىء في اقليم الصومال الغربي المحتل وحالت دون الهجرات الموسمية التقليدية وذلك بانكار حق الصوماليين الشرعي في الوصول الى مواقع الماء والمرعى ٠ كما أنها حشدت قوات كبيرة على امتداد حدود الامر الواقع واعملت القتل والنهب والحرق في قرى صومالية باكملها ٠

وقد تصاعدت هذه الاعمال العدائية من قبل اثيوبيا التي شنت عمليات عسكرية واسعة النطاق ضد الصومال في شباط (فبراير) ١٩٦٤ ٠

ويطلب من الحكومة الصومالية تدخلت منظمة الوحدة الافريقية في النزاع واتخذ مجلس وزراء الخارجية في دورته المنعقدة في دار السلام ولاغوس قرارات بوقف اطلاق النار وتسوية النزاع الاقليمي ٠ واخيرا تم الاتفاق بوقف اطلاق النار بعد مفاوضات جرت في الخرطوم تحت اشراف الرئيس السوداني ، الا أن اثيوبيا حشدت من جديد في ربيع ١٩٦٥ قوات كبيرة على امتداد حدود الامر الواقع ، كما فرضت اجراءات قمع ضد الشعب الصومالي في المناطق المحتلة ٠

وفي عام ١٩٦٧ اتفقت الحكومتان الصومالية والاثيوبية في مؤتمر القمة الافريقي الذي انعقد في (كينشاسا) على الدخول في مفاوضات لتسوية النزاع طبقا لروح ميثاق منظمة الوحدة الافريقية ٠ ولكن هذه المفاوضات كسابقاتها لم تكلل بالنجاح ٠

وبحلول ثورة تشرين الاول (اكتوبر) في الصومال بنهاية عام ١٩٦٩ برئاسة الجنرال محمد زياد برى اخذت الجمهورية الصومالية عهدا على نفسها طبقا لميثاق الثورة بالسعي لتحقيق تسوية عادلة وسلمية للنزاع،ولكن كل مبادرات الصومال باءت بالفشل ٠ وفي العامين الاخيرين حشدت اثيوبيا قواتكبيرة علىالحدود الصومالية واخترقت طائراتها مرارا المجال الجوى الصومالي ، كما أنها قامت باعتداءات متكررة على شعب الصومال الغربي المحتل ورفضت أن تمنح سكان المنطقة حق تقرير المصير ٠ ولهذا قامت في الاشهر الاخيرة ثورة مسلحة في الصومال الغربي (الاوغادين) ضد الحكم الاثيوبي والحقت بجيشه خسائر فادحة واستطاعت أن تحتل وتحرر كثيرا من المدن والقرى المحيطة بمدينة هرر و (ديره داوه) وغيرها من المدن الصغيرة وتمكنت من تعطيل الخط الحديدي وهو الشريان الحيوى الذى يربط أديس أبابا بمرفا جيبوتي٠ ونسفت الجسور وقطعت المواصلات البرية والطرق التموينية مما اضطر السلطات الاثيوبية الى نقل المواد الغذائية الى جيشها المحاصر في المنطقة الثائرة بالطائرات ٠ ويمكن القول حسب مصادر الاخبار الدولية أن معظم الصومال الغربي المحتل (الاوغادين) قد تحرر من الحكم الاثيوبي ٠ ■■

دمشق ـ د ٠ يحيى الشريف

حدث هام فى تاريخ ثقافة الانسان ..!!



بقلم : الدكتور على الراعى

منذ عام ١٩٣٥ وعالم المصرولوجيا الكبير ، الاستاذ هـ ٠ و ٠ فيرمان يحاول أن يثبت أن مانقشه الفنانون المصريون القدماء على جدران معبد ادفو من كتابة وصور هو فى الواقع مسرحية قائمة بذاتها ـ اول مسرحية كاملة تقع للمكتشفين ، ويتسنى لهم ترجمتها الى لغة حية ٠

قبل هذا التاريخ كان علماء المصرولوجيا يمرون غير مكترثين كبير الاكتراث بنقوش معبد ادفو هذه ،أو كانوا يسيئون معاملتها ٠ وكان أحدهم ، وهو عالم الاثار الفرنسي الكبير دريتون ، يعتبر تلك النقوش اجزاء غير كاملة من مسرحيات مختلفة ٠

اما بروفيسور فيرمان فقد امتاز عن غيره من علماء المصرولوجيا باعتقاده المتزايد القوة بان نقوش معبد دنلره ،اذا ماضمت اليها الكتابات الواردة تحت الصور المحفورة فى الصخر ،تكون فيما بينها اول واقدم مسرحية فى مصر ـ ومن ثم فى العالم اجمع ٠

المشهد الاول من الفصل الثاني ،كما هو منقوش على المعبد •وترى البحيرة المقدسة وفوقها مركب كبير ، فى منتصفه يقف حورس يطعن عجل البحر • وتقعد ايزيس وهى ممسكة بحبلين •



انتصار حورس

أقدم مسرحيّة فى العالم

ولقد طبع بروفيسور فيرمان النص كما تصوره، وظهرت طبعته الاولى فى عام ١٩٧٤ ، فكان هذا التاريخ حدثا هاما ، ليس فقط فى عالم المصرولوجيا ، ولكن فى حقول الدراما والمسرح والتاريخ والثقافة عامة •

غير ان شيئا هاما ايضا قد سبق ظهور المسرحية مطبوعة • ففى ٢٣ يونيو عام ١٩٧١ قدمت المسرحية على خشبة مسرح قسم الدراما فى كلية باد جيت، بانجلترا ، ونجحت نجاحا كبيرا فى اقناع الفنانين والجمهور الذى قدم لمشاهدتها بان ما يجرى امامهم هو فى الواقع مسرحية لا شك فيها •

ولتعرف كلية بادجيت على نص المسرحية

قصة طريفة . ففي عام ١٩٦٨ التحقت ابنة بروفيسور فيرمان ـ صاحب النظرية ومقدم الترجمة ـ بقسم الدراما في الكلية ، وتصادف ان سألها رئيس القسم ، وهي في فصلها الدراسي الثاني، بسؤالا عابرا عما اذا كان لدى ابيها مسرحية مصرية قديمة يمكن عرضها على مسرح القسم ، فكان جواب الفتاة ـ الذي اصبح من بعد تاريخيا ـ نعم !

ومن ثم بدأت الاستعدادات لتمثيل وتقديم مسرحية « انتصار حورس » .

قصة المسرحية

ماهو موضوع المسرحية ؟ وما مكانها في الادب المصرى القديم وفي الاساطير المصرية المتداولة حين كتابتها ؟

يقول : بروفيسور فيرمان ان مسرحية انتصار حورس كانت تقدم كل عام في اليوم الواحد والعشرين من الشهر الثاني من الشتاء وفي الايام الاربعة التالية له .

وكانت المسرحية اذ ذاك تدخل ضمن الاحتفال السنوى بالنصر الذى حققه الشاب حورس على خصمه وعدو ابيه ، وهو المسمى «ست» . وكانت احداث المسرحية تقدم لمشاهديها وقائع الصراع الدموى بين حورس وست ، وعمليات تقطيع اوصال «عجل البحر» الذى اتخذته الاسطورة رمزا للعدو، ومن ثم تسلم الشاب حورس تقاليد الحكم ووضع التاج المزدوج على رأسه ،ايذانا بتنصيبه ملكا على الوجهين القبلي والبحرى .

اما قصة المسرحية فهي بسيطة للغاية . فمدخل المسرحية يهتم اساسا بسوق المديح الى الملك الذى يتم الاحتفال في عهده ، والاشادة بايام الاحتفال السعيدة ، وتوقع ما سوف يحدث فعلا فيما بعد انتصار حورس وهزيمة ست .

اما الفصل الاول من المسرحية بمناظره الخمسة فهو في الواقع تمثيل لاحد الطقوس المصرية القديمة ، وهو الطقس المعروف بطقس الرمح ، ويتم تمثيله في المسرحية عن طريق الدراما والتمثيل الصامت . وفي كل منظر من المناظر الخمسة نجد شخصيتين اثنتين تمثلان حورس ، احداهما ترمز للوجه البحرى والاخرى للوجه القبلي ، وحورس فيهما يدفع برمح في جسد عجل البحر الذى يرمز الى ست .

ويحوى الفصل الاول تمثيلا للطريقة التى هزم بها حورس عدوه ست . وبعد المشهد الرابع من الفصل نجد فاصلا من التمثيل الصامت يقدم طقسا مصريا قديما آخر وهو : قتل الافاعي المتعددة الالوان وأكل لحومها وشرب دمها ايضا ، وكل هذا يرمز الى تدمير العدو .

اما الفصل الثاني فهو مخصص اساسا لمظاهر الابتهاج بالنصر الذى تم في الفصل الاول . وفي المشهد الرابع منه ، تلقي ايزيس ، ام حورس ، قصيدة رفيعه القدر ، اذ تغلبها النشوة فتنسى ان ابنها قد انتصر في المعركة بالفعل وتظل تهيب به وبمؤيديه ان يهبوا جميعا للقتال . تقول ايزيس وهي في قمة النشوة :

انزل الى زورقك الحربى ، أى بنى حورس
أنا المربية التى دللت حورس على ماء النهر
مخفية اياه تحت الالـــواح
فى قلب الظلمة التى تخلقها أشجار الصنوبر
لا خوف عليك يا حورس اذ تربط زورقك الى المرسى
فان الدقة الطيبة تدور حول عمودها
كأنها حورس فى حجر أمه ايزيس
والالواح مثبتة على ضلوع السفينة
كأنما هى وزير يقبع فى قصره
والصارى يقف فى ثبات عند الدرج
كمثل حورس حين أصبح عاهلا للبلاد
وشراعه الجميل ذو اللون الزاهى
يشبه الالاهة «نت» وهى حبلى بالالهة .

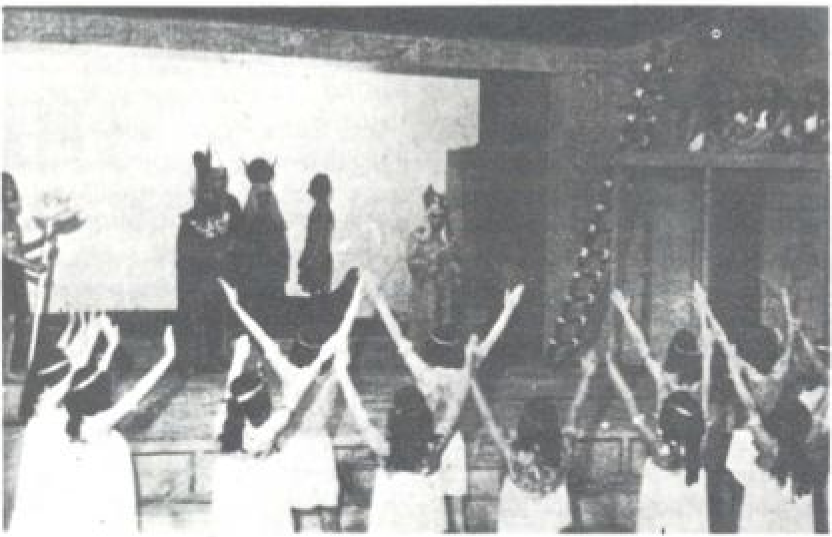
وفي المنظر الثاني من الفصل يقوم حورس وهو على البر بعرض مشاهد قتل عجل البحر عن طريق التمثيل الصامت ، ثم ينزل الى زورقه الطقوسي ، ويمنح علامات الملك وشاراته ، ويوضع فوق رأسه تاجا مصر : العليا والسفلى ، ويقوم كورس من النساء يمثلن الوجهين بغناء يبتهجن فيه بالنصر الذى تحقق .

وفي الفصل الثالث من المسرحية تاتي الاحتفالات الختامية ، وتقدم فيه طريقتان لقتل عجل البحر . الاولى تمثيل فعلى لقتل العجل والثانية تاتي بعجل للبحر مصنوع من العجين يتولى جزاء الملك تقطيع اوصاله ، ثم توزع اجزاء جسد العجل على



عندما مثلت المسرحية فى انجلترا ، الكورس ينزل من المسرح الى المنطقة السفلى للتمثيل •

الكورس يعلن ابتهاجه بنصر حورس• ايزيس فى الوسط والملك الى اليسار والملكة الى اليمين •



الالهة ، ويعلن نصر حورس ، والالهة والملك ، وتنتهى المسرحية بخاتمة يعلن فيها القارىء الملكى رسميا انتصار حورس ، ويعض الالهة ويذكر اسماء جهات بعينها يشملها النصر ، ويعلن فى النهاية ان الملك ايضا قد انتصر •

مدح للملكية

هذا هو مجمل المسرحية : «انتصار حورس» • ويقول بروفيسور فيرمان ان النظر السطحى لها يعتبرها تمثيلا لموقف اسطورى ، هو : الحرب بين آلهين : حورس و ست • غير ان القارىء المتعمق للمسرحية لا يفوته مغزاها الكبير ، فهى مدح للملكية وتأكيد لها ، وتعزيز لوجودها يتم مرة كل عام • والملك الذى يجىء ذكره فى النص الى جوار حورس ، هو ملك مصر الذى يتصادف ان يكون على العرش ابان الاحتفال •

ويضيف فيرمان ان فكرة الملكية المقدسة واستمرارها ، واتصالها عبر القرون قد كانت العنصر الوحيد الباقى فى الحياة والمجتمع فى مصر القديمة • وكانت هذه الفكرة تجرى فى نسيج الحياة المصرية كخيط طويل من الذهب استمر موصولا ، بلا انقطاع من عهد حورس الملك الى اول ملوك الاسرة الأولى،وامتدادا منهؤلاء الىاول ملك ـ اله ، وهو رع ، اله الشمس •

هذه الفكرة الملكية الذهبية هي التي وهبت الحضارة المصرية القديمة قدرتها الغريبة على البقاء والاتصال ، ووهبت المصريين الشعور بالطمأنينة ، وجعلتهم يطيقون حكم الاجانب وسيطرتهم ، طالما عمل هؤلاء على عدم قطع الخيط الذهبي الطويل •

ولكي يعطي بروفيسور فيرمان قارئه فكرة عامة عن احتفالات نصر حورس ، يرجع الى احد نصوص معبد ادفو المنقوشة على جدرانه ، والتي تصف مظاهر ذلك الاحتفال • يقول النص :

«انه ـ أي حورس ـ يقف في مواجهة البلدة ، ويرى معبده مثقلا بالنفائس كلها ، ويجد مدينته في غمرة الاحتفال ، يبتهج وسطها وتضج النشوة في حواريها • ويلقى المؤن اكثر بكثير من رمال الشط • وانواع الخبز كلها وافرة ككثبان الرمل، والثيران ما بين طويل القرن وقصيره أكثر عددا من حشرة النطاط • وفي المدينة بركة تملؤهـا الطيور • اما الغزال والبقر الوحشي والوعل ـ فرائحة شوائها جميعا تصل الى عنان السماء • وعين حورس الخضراء ـ كناية عن الخمر ـ تجرى في ربوع المدينة كامواه الفيضان من الكهفين • والمر مع البخور يحترقان في المجامر ويصل ريحهما العطر الى الميل • وهي ـ أيّ المدينة ـ تعج بالخزف المزخرف ، وتتالق بالنطرون ، وتتزين بعقود الزهر والعشب الرطيب • اما الانبياء واباء الاله فلبسهم من التيل الغالي ، وأما حاشية الملك فمزدانة بشارات الملك ، وشباب البلدة سكارى ، واهلوها يلفهم المرح ، وعذاراها فتنة للناظرين • البهجة تشمل المدينة ، والحفل موجود في أرجائها جميعا ، ولا مجال للنوم حتى طلوع الفجر » •

المتفرجون جزء من العرض

ويقول فيرمان أن عدم وجود مبنى قائم بذاته مخصص لعرض المسرحيات في مصر القديمة لا يعني اطلاقا أن المصريين القدماء لم يعـرفوا التمثيل • وهو يذهب الى ان عرض المسرحية كان يتم في أحد جوانب المعبد، يتحلق حوله المشاهدون• ولم يكن هنالك متفرجون بالمعنى المعاصر للكلمة• اي : أناس مهذبون ، يجلسون في وداعة ، يتابعون بهدوء أحداث مسرحية تجرى بمعزل عنهم •

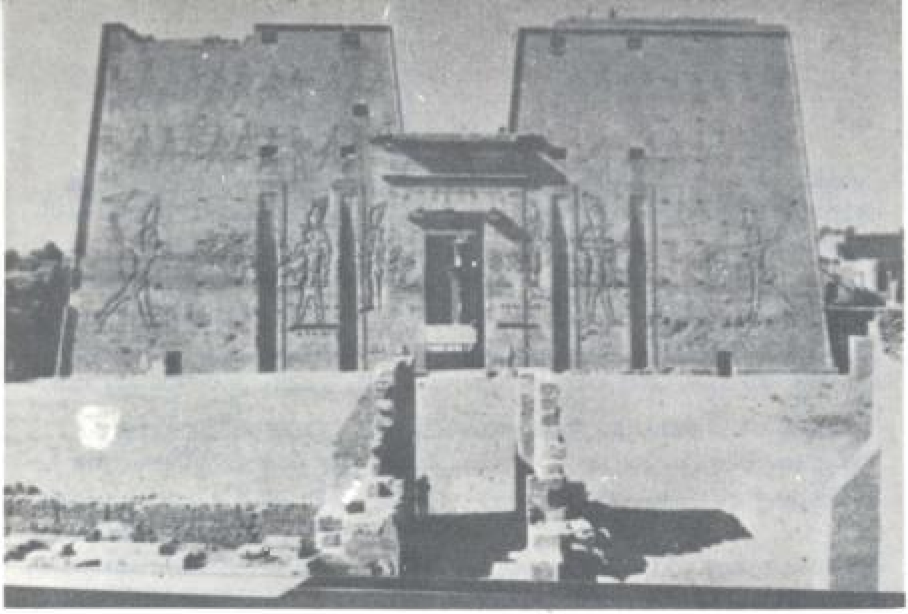
ان متفرجي مصر القديمة كانوا جزءا لا يتجزأ من العـرض • اما أهل الامتياز منهم فكانوا يتابعون المسرحية عن كثب من أماكنهم قرب البحيرة المقدسة • وأما عامة الناس فكانوا يشاهـدون المسرحية من أماكنهم في البلدة •

كان الجميع أجزاء من كل واحد كبير هو الحفل المقدس • المتفرجون في هذا شانهم شان علية القوم وأفراد الكورس والممثلين • كانوا جميعا يعرفون أحداث المسرحية مسبقا ولا يمنعهم هذا من أن ينفعلوا ويندمجوا في العرض •

ولا بد أنه كانت تمر لحظات في العرض يتدخل فيها المتفرجون عفويا كان يصرخوا أو يهتفوا باسم حوررس أو يتددوا بعدوه ست • والنص المسرحي الذي يقدمه فيرمان يدعم هذا الرأي فانه يجعل للمتفرجين دورا في آخر كل مشهد يقولون فيه : اثبت يا حورس ، اثبت !

ثم يلفت فيرمان النظر الى حقيقة هامة وهي انه في أمثال هذه الاحتفالات لا يكون للحديث. ولا للتمثيل المقام الاول • وانما الركيزة الاولى هي المرئيات • أما الكلمة في حد ذاتها فهي بالغة الاهمية ، فهي التي توصل معنى المسرحية الى المتفرجين • غير أن صوت الكلمة وليس معناها هو الذي يهم أكثر في هذه الحالة • وما دام الممثلون يجيدون القاء الكلمات بالطريقة المناسبة ، فلا يهم ان لم يفهم المتفرجون معنى تلك الاصوات • ذلك أن اغلبهم لم يكن تصل اليه كلمات الممثلين ، نظرا لشدة بعده عن المسرح • غير أن هذا لم يكن ليفسد على المتفرج متعته ، فانه يعرف حوادث المسرحية معرفة تامة • ثم أن المسرحية مكتوبة بحيث تؤدي المناظر والحركات المعنى المطلوب • ومن ثم ياتي استخدام التمثيل الصامت في بعض أجزاء المسرحية ، الذي يستغرق حيزا كبيرا من حجم العرض • فهو موجود في فاصل ياتي في المشهد الرابع من الفصل الاول ، كما أنه ياتي أيضا خلال فاصل آخر في الفصل الثالث ، حيث يقوم حورس بتمثيل صامت لعملية رشق رمحـه في جسم نموذج مصغر لعجل البحر • بينما يقوم الملك بغرس رمح آخر في جسم لأسير من البشر •

ومسرحية : « انتصـار حورس » لا تحوى شخصيات مرسومة بعناية على النحو المالوف في المسرحيات العادية • ومع هذا فان شخصية ايزيس تبرز بوضوح من خلال النص ، وهي تقدم الينا من ناحيتين من نواحي وجودها •



معبد ادفو وقد ظهرت نقوشه وكتاباته والتى وجد فيها فيرمان نص المسرحية .

فهى الام التواقة لان يسلم ابنها وينتصر ، وهى ايضا المرأة التى يغلب الغضب والحقد على طبيعتها ، والتى تتشوق لهزيمة وموت ست ، قاتل زوجها أوزوريس .

دور « الكورس »

اما « الكورس » الذى يظهر فى المسرحية فان له وظائف درامية كثيرة . منها المديح بالطبع ، وملء مشهد ما من مشاهد المسرحية ، والمشاركة فى التنبؤ بما سوف يطرأ من احداث . والكورس الى هذا يفتتح معظم مناظر المسرحية ويختتمها . وحين لا يفتتح الكورس مشهدا ما ، فان وظيفته الدرامية تتغير ، فهو قد يمهد لتغيير مكان الاحداث ، ويبلغ الحماس بافراده - أحيانا - حد التخلى مؤقتا عن اسلوب الكورس المنظم ، الوقور ، فيتحول اذ ذاك الى المشاركة الفعلية فى الاحداث ، كما يحدث بالفعل فى الفصل الاول ، المشهد الخامس حيث ينتهى المشهد بهذه الكلمات الملتهبة :

امسكوا ، واقبضوا ، يا أولى القوة ،
انهبوا ، يا سادة الحيوانات المتوحشة ،
اشربوا دم عدوكم ، ودم نسائه
استحدوا سكاكينكم ، واجعلوا حدها ماضيا
واغمسوا - عميقا - أسلحتكم فى الدماء .

وبعد ، فان النص المسرحى الذى نشره بروفيسور فيرمان عام ١٩٧٤ ليؤكد بوضوح أن مصر القديمة قد عرفت التمثيل وفن المسرح . والذى يطلع على نص المسرحية كاملا لا يفوته أوجه الشبه العديدة التى تربط هذا النص بمسرحيات الاسرار والمسرحيات الاخلاقية التى كانت تقدم أبان العصور الوسطى بواسطة الكنيسة حين سعت الى استخدام الفن المسرحى وسيلة لنشر تعاليم الدين ، بعد أن اعيتها الوسائل لمصادرة فن المسرح كلية .

ذلك أن الفن المسرحى اختفى رسميا حين طلبت الكنيسة ذلك ، ولكنه ظل يعمل من خلال حركة شعبية ، حمل لواءها الممثلون الجوالة ، وظلوا يرفعون اللواء . حتى تنبهت الكنيسة الى أهمية المسرح فاحتضنته على شكل مسرحيات دينية ووعظية . ثم جاء عصر النهضة فاعطى الفنون جميعا ، وعلى رأسها فن المسرح ما تستحق من تقدير .

ترى هل يقوم احد منا بترجمة مسرحية : « انتصار حورس » الى العربية وعرضها ولو على سبيل التجربة الرائدة ، كما فعلت كلية بادجيت الانجليزية ؟

يا ليت ذلك يحدث ! فاننا اولى بتاريخنا وفننا من الغير !

د . على الراعى

■ فى معرض الهزل والتسلية تضيع الكثيرمن الحقائق ، وفى مجال النفور والضجر ينكمش العلم وينزوى . وتكون النتائج وخيمة لا يلتاع لها ويكتوى بنارها الا من يمر بالتجربة اويصاب بمرض أو ينغمس فى معالجته بحكم واجبه أو مهنته . وقد ذكرت الهزل والتسلية بقصد والحاح لاسباب معروفة قد تمر دون التفات جدى لفزاعها واضرارها .

ففى معرض الفكاهة تلجأ الصحف والمجلات العربية ، وبعض الناس من صانعي النكات والكاريكاتير الى ابتكار قصص وطرائف بغرض التسلية وارضاء غرائز الجمهور ، لكنها غير واقعية ومن نسج الخيال والتصور وكأنها ممكنة الحدوث . والنكتة التالية تصور ذلك بجلاء :

صعد مجنون هارب من المستشفى منارة بقصد الانتحار ، وحار جمهرة الناس فى اقناعه بالعدول عن ذلك .. ، الى ان جاءهم طبيب المستشفى بمجنون آخر ، فما كان منه الا ان نادى المجنون الاول : «اذا لم تنزل فسأقص المنارة بالمنشار! » وسرعان ما نزل المجنون الاول راكضا طائعا هلعا ! ! ..



بقلم : الدكتور فخرى الدباغ

حكاية طريفة دون شك ـ ونكتة «حارة» مسلية •• أليس كذلك ؟ ؟ •• أما انا فاقول بانها حكاية «باردة» مصنوعة وموضوعة من قبل شخص عاقل لادخال السرور الى قلوب الناس على حساب المساكين التائهين ، فما أبعدها عن حقيقة تفكير من يدعون بالمجانين ، وان دلت على شيء فعلى عدم تفهم جمهور كبير من الناس ماذا يجرى فى عقل المصاب وماذا يفكر به فعلا • وهذا ما ينطبق على معظم حكايات المجانين •

وسأتناول فى مقالى هذا قضية «المرض العقلى» ونظرة الناس اليه ، وموقف المجتمع والاسرة والاقرباء من مريضهم لما فى هذه النظرة والاتجاه من تاثير حيوى على جهود اطباء النفس فى العلاج والوقاية •

الجنون •• والمرض النفسى

الجنون بالحقيقة ليس الا نوعا من الاضطراب النفسى بنظر الطب النفسانى • وللاضطراب النفسى درجات واصناف،لذلك يؤثر بعض العلماء تقسيم الاضطراب النفسى الى فصيلتين كبيرتين :

أ ـ الامراض النفسية (العصابية) ، وهى التى ينظر اليها الجميع على أنها اضطرابات خفيفة هينه العلاج •• «سليمة السمعة» اجتماعيا ••

ب ـ الامراض الذهانية (العقلية) ، والتى تعتبر مرادفة للجنون او العته •• العميق الاثر

« التفكير لدى مرضى العقول هو أشبه بتفكير العقلاء ، مع فارق فى التسلسل والشدة والنوعية والعمق والصراحة والاسلوب » •

والاصعب علاجا •• و « السيىء السمعة » ـ اجتماعيا ••

وعند الاختصاص بالطب النفسانى ، لا فرق جوهريا بين المرض النفسى والمرض العقلى ، من حيث الاسباب ، فالنفس هى العقل •• ، والعقل هو النفس •• ، ولا وجود لنفس وعقل فى اى عضو من اعضاء الجسم عدا الدماغ • فنحن نشعر ونحب ونغضب ونستجيب ونفكر ونمرض بعقولنا• ومع ذلك فان المجنون كما هو متعارف عليه هو المريض العقلى (المصاب بالذهان Psychosis) • واعراض الذهان تختلف دون شك عن اعراض العصاب النفسى Neurosis بالرغم من انها قد تشترك فى كثير من العوامل فتتشابه وتختلط بين الاثنين بصورة كبيرة • وما يمكن التاكيد عليه هو ان الجنون اشد حدة وعمقا وتاثيرا فى تغيير سلوك وتفكير وحياة الانسان ، وقد ينشا احيانا عن اصابة عضوية فى الدماغ •

ما هو المرض النفسى (والعقلى) ؟

يمكن تعريف المرض النفسى بانه : «حالة من رد فعل ومجابهة لشدائد الحياة • وآلام الذات» • فالمرض النفسى هو استجابة غير طبيعية من الفرد تجاه ظروف وشدائد تقع عليه او تحدث فيه او هو «الحل الانسب» أو «الموقف الملائم» الذى يلجأ اليه المريض تجاه الصعاب ولم يوفق الى غيره •

ونحن نعرف ان الانسان السوى المعافى يواجه دائما مثل هذه المصاعب ويستجيب لها•واستجابته هى «تكيف ناجح» يخلو من اعراض الامراض النفسية والعقلية ، بينما المريض النفسى يتكيف

ويستجيب بشكل وصيغة هي المرض ذاته ، لانه لم يوفق الى التكيف الاسلم والاصح . ويرجع سبب عدم التكيف ـ او سوء التكيف والمرض ـ الى عوامل كثيرة : بيولوجية ـ وراثية ، ومحيطية ـ اجتماعية ، وثقافية ـ خارجية .

ويمكن تقسيم كل عامل الى عدة عوامل ثانوية. وكل من المرض النفسي والعقلي يعنى الاخفاق في التكيف مما يؤدى الى اضطراب التناسق والانسجام الذاتي ... ، او الانسجام مع الاخرين .. ، او مع المجتمع .. مع اختلاف في الحدة والعمق والدرجة . وتكون النتيجة شقاء الذات.. أو شقاء الاخرين .. او الاثنين معا ، هذا عدا ما يصاحب المرض من شذوذ أو تحد للعرف او مخالفة للمعايير والقوانين السائدة .

التفكير في المرض العقلي

من المفيد جدا ان نعرف كيف يفكر المريض العقلي . ولا ادعى ان الطب النفسي قد كشف بجلاء تام التسلسل المنطقي في تفكير المريض ، الا ان الشيء الاكيد هو ان تفكير المريض يستمد اصوله ومادته واتجاهه من تفكير الانسان العادى او بالاحرى من تفكيره هو وحياته قبل مرضه . فلا شيء غريبا وجديدا فيه الا الاسلوب والصيغة المستحدثة . وليس من العسير تفسير أو فهم الاسلوب الجديد بالرجوع الى تاريخ حياة المريض وما صادفه من شدائد وعقبات سواء بالتحليل النفسي او بتسجيل وتدقيق تطور حياته العاطفية وعلاقته مع والدته وافراد اسرته واقربائه واقرانه .. ومع مواطنيه . و بالدراسة النفسية والبحث الاجتماعي يمكن وضع الاعراض الغريبة او الشاذة في اطرها المناسبة وايجاد التفسير المقبول لها .

فالمريض بالشك والاوهام والعداوات انما يشعر بذلك نتيجة سلسلة من تجارب وظروف مرت به فاستجاب لها بطريقة شاذة لا يلجأ اليها غيره من الاسوياء . والذى يشعر انه بدون اسم وشخصية وكيان ربما يتنكر لذاته وبمقتها ، او ربما فقد كل اثر لارادة وحدود ذاته .. ، والذى يؤمن ان عقله قد ذاب وباطنه خاو ربما لانه يرى الاخرين قد طغوا عليه فمحوا كل شيء حيوى فيه .. ، والذى يعتقد انه القوى الجبار او الملك او القائد الذى يأمر فيطاع وينهى فيستجاب ربما لان شعوره السابق بالنقص والضآلة دفعاه الى رد فعل شاذ من جنون العظمة .. وهكذا ، حتى حركات الايدى والاصابع وقسمات الوجه ولمعان العيون هي رموز ودلائل لها مغزى ومنشأ لمن يريد ان يسبر غور النفوس قبل السخرية منها ..

اذن ، فالتفكير لدى مرضى العقول هو اشبه بتفكير العقلاء ، مع فارق في التسلسل والشدة والنوعية والعمق والصراحة والاسلوب . فالانسان العاقل ـ الاجتماعي ـ لا يبصق على الارض ولا ينزع ملابسه امام الاخرين لاعتبارات كثيرة معروفة ، لكن المريض العقلي وصل الى مرحلة اصبح فيها لسان حاله وموقفه يقول : « انا احتقر هذا المجتمع الزائف الظالم .. انه يستاهل البصق .. ولا يستحق التردد والخجل .. ، وانا هكذا دون ملابس..فليخسأ المنافقون والمراءون.. فلأضحك كما أريد .. ولأتكلم بصوت عال مسموع .. » .

يمكن القول إذن ، وببساطة ان المريض العقلي قد وصل مرحلة جديدة من توازن القوى النفسية ومن المعادلات الجديدة ومن القيم الخاصة بحيث انه يقتنع بالعيش في عالم خاص وسط عالم العقلاء . اما عند المشاهد السطحي فان عالم الجنون هو مجرد فوضى واعمال مضحكة ومهازل تسلية . اما الدارس المتعمق ـ والطبيب النفساني ـ فيدرك ان عالم الجنون يتضمن التفكير الرمزى ذا المغزى والمعنى .. وان ليس فيه ما يضحك بل ما يدعو للاسى والدرس والعلاج . والانتاج الفني للمصاب بمرض عقلي يعكس ايضا جانبا من تفكيره .. واللوحات الغريبة او السريالية للفنانين الاعتياديين كثيرا ما تشابه لوحات مرضى العقول .. وبمعنى آخر ان حلقات الوصل في الانتاج الفني لا تزال موجودة .. وان بالامكان فهمها أو تحليلها ..

دور المجتمع

ان تفهم الناس لمأساة ومعاناة المريض العقلى ضرورى جدا • بل هو دليل ومؤشر لمدى تحضر الانسان وحبه للبشرية وايمانه بالمبادىء الاخلاقية السمية وبالعلم • فاين الحضارة والانسانية لدى قوم يعاملون المريض العقلى بربطه بالسلاسل وتجويعه وجعله فريسة الظلام والرعب او وضعه فى جهاز دوار يجلب له الدواروالغثيانوالانهيار• وماذا يتبقى للانسان من كرامة اذا كان المرض العقلى سلاحا تهديديايشهر ضد الانسانللاستيلاء على ميراثه وطمس حقوقه وافكاره ظلمـا وبهتانا ؟؟ ••

كان ذلك فى القرون الغابرة •• ، اما الان فان دور المجتمع والناس فى معاملة مرضى العقول قد تغير ، وتبدل وجه المستشفيات العقلية الكئيب الرهيب ، وتحولتدور الشفاء الى ردهات اعتيادية داخل المستشفيات العامة ، واصبح المريض العقلى يتناول علاجه ويرجع الى عمله ويعيش فى داره وبين افراد اسرته دون فرق • واصبحت سياسة « الباب المفتوح » هى السائدفى انظمةالمستشفيات العقلية ـ اى ان يدخل المريض المستشفى بمحض اختياره ويخرج منه متى ما اراد دون حجر وقيد الا بقرار من لجنة طبية ولفترة معينة وبشروط وظروف خاصة اهمها الخطورة على النفس او على الاخرين •••

ولكن ، هل ندعى ان هذه المرحلة قد بلغت الكمال المتواضع ؟؟ • كلا ، اذ لا تزال تلمس ردود فعل عنيفة من الاهل والاقارب ومن الناس تجاه كل ما هو مرضعقلى • والنكتة التىاوردناها فى اول المقال هى واحدة من الاف النكات التى اطلقها اولئك السطحيون على المجانين بكل قسوة وعدم اكتراث •

دور الاسرة

ولعل دور الاسرة فى المرض النفسى والعقلى من اخطر واهم العوامل التى تحظى باهتمام الطب النفسى • وتتوزع هذه العوامل ونواحي ارتباطها بالمرض النفسى على ما يلى :

أ) مسببات المرض

ب) واستمرايته او ازالته

جـ) وعلى نجاح العلاج او فشله ••

فالصفات الوراثية ، ثم التربية والبيئة تتدخل فى تهيئة الفرد للمرض النفسى أو فى ابرازه •• او فى زيـادة حدتـه • فقد نجد الاستعداد لمرض انفصام الشخصية (الشيزوفرينيا) فى شخصين ، الا أن احدهما يستمر فى حياته الطبيعية دون اثر للاضطرابات والمرض،بينما سرعانما تظهر اعراض المرض فى الآخر بسبب أساليب تربيته وعلاقته مع والديه وأفراد أسرته •

ولو افترضنا ظهور المرض العقلى لدى شخص ما ، فان ردود الفعل ومشاعـر ووجـدان افـراد اسرته ستتدخل فى مسار المرض وشدته • فالام غير المتفهمة والاب اللامبالي او المشاكس ، والجهل والقسوة يعرقلون الشفاء او ينقلون المرض الى حالة الازمان والاستمرار •

اما فى المرحلة الاخيرة ـ اى عندما يكونالمريض قد عولج بصورة جيدة ثم عاد الى بيته واسرته ، فان موقف الاسرة سيقرر مصير وسير المرض دون شك ، وهو ما نريد التحدث عنه : فقد وجد ان مواقف الاسرة تختلف عن بعضها بصورة ملحوظة ، فهناك الاسر المعادية الغريبة الاطوار التى تضع العراقيل ـ بعمد او بغيره ـ أمام تحسن مريضها• وهناك الاسر التى تعامل مريضها وكانه قد ابل من زكام بسيط فلا تكترث لما هو فيه • وهناك الاسر الواعية المتفهمة المدققة التى تجند نفسها لتكون بمثابة هيئة تمريضية عالية الكفاءة تتلقى التعليمات من الطبيب المعالج بكل طاعة وتقدير •

وهكذا نجد ان ما يبنيه الطبيب النفسانى فى العيادة والمستشفى يتوقف مصيره على ما تقدمه الاسرة من اساءة او خدمة ، وليس من الغرابة ان نعرف ان بعض الاسر فى العالم الغربى وبعض المؤسسات الخيرية والحكوميةهى اكثر خدمة وعطفا وتفهما للمريض من ذويه انفسهم • وليس من

القرابة ايضا ان نعرف أن هنالك عوائل تستقبل المرضى العقليين الغرباء بعد اكمالهم علاجهم فتؤويهم عندها للعناية بهم مقابل أجور زهيدة وتقدم تقريرها للطبيب النفساني بين فترات معينة عندما يزورهم بصورة دورية ، مما يدل على مدى الحنان والتعاطف والتكاتف الانساني .

الحكمة .. والنتيجة

ان هذا المقال دفاع ونداء .. دفاع عن الانسان الذي يقع فريسة المرض ويحتاج الى فهم ورعاية من قبل ذويه ومجتمعه ، ونداء الى من يتمتعون بصحة العقل الى التروى والتواضع و « التعقل » عند تعاملهم مع مرضى العقول . فالمسالة ليست بالسهولة الظاهرة ولا بالمتعة العابرة ، ولا بالتغاضى أو الفضاضة ، لان هناك الادلة الكافية الشافية بان كل فكرة وحركة يقوم بها المريض العقلى لها معنى ومغزى واصل وهدف .

ومن علماء النفس وفلاسفته من يعتبر المرض بحد ذاته مجرد « موقف » حر من ظواهر وامور الحياة (ومنهم الوجوديون) ، وهنالك آخرون ممن يجازف ويغامر بجراة فيقول ان لا وجود لمرض عقلى ـ مثل زاس Szaz وجماعته في الولايات المتحدة الامريكية . ولكن الفكرة التي يجمع عليها كل علماء النفس والاجتماع ان المرض العقلى ليس فكاهة ولا تسلية ولا هو بالفوضى واللامعنى .. ، بل انه يحتاج الى بذل كل الجهود والدراسات لمعرفة اسبابه وعلاجه .

وهنالك من المرضى الذين قدموا للطب النفسى خدمة جلى عندما اكتسبوا الشفاء وسجلوا كل خواطرهم وذكرياتهم اثناء المرض فافادوا اطباءهم ومجتمعهم . واذكر منهم على سبيل المثال المريض (كليفورد بيرز) C. Beers الذى كتب مؤلفا ضخما يحوى كل ذكرياته عن جنونه وعن اوضاع المستشفيات العقلية التي تنقل بينها في امريكا . ثم حمل بعدئذ لواء دعوة اصلاحية لتحسين اوضاع المستشفيات العقلية . وليكن معلوما لدى الجميع ان المريض العقلى ليس بالابله الذى تمر به الاحداث وهو ساه عنها لان عقله يسجل كل شيء .. ، فلا ينسى اهانة ولا يغفرها .. ، ويعرف الجميل ويدرك الحنان والعطف ..

ان الانسان الذى كتبت عليه الحياة واصبح عضوا في المجتمع يكتسب كل الحقوق التي تتطلب الحفاظ على انسانيته وعقله ودوره المفيد المنتج في المجتمع . فالسعادة ملك مشاع للجميع ومن حقوق البشر .. ، ومن الاعتداء على تلك الحقوق السخرية من مرضى العقول او عدم الاكتراث بهم او القسوة عليهم او استغلالهم ... ■■

د . فخرى الدباغ
استاذ الطب النفسانى
كلية طب جامعة الموصل

■ ما يحتاجه الرجل منذ طفولته حتى يبلغ الاربعين ، هو ان يرسى أساسا قويا سليما لحياته ومستقبله والغريب أن يبقى هذا الهدف هو شغله الشاغل حتى نهاية العمر ، فهو فى بحث دائم عن أساس قوى يستند اليه الاساس القديم .

« د . صموئيل جونسون »

■ الشهرة بخار والشعبية حادث عرضى ، والثروة دائما لها اجنحة . شيء واحد يبقى دوما ولا يزول ابدا .. انه الاخلاق .

« هوراس جريلى »

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ا	ى	ر	ا	ن	■	ل	◉	ج	ن	ا	د	ل	■	ا
٢	ل	ه	ى	ب	■	ض	و	ا	ر	ى	■	و	ا	ج	ب
٣	ا	م	ر	ى	ك	ا	■	ب	ا	ر	و	د	■	ر	د
٤	ل	ن	■	ا	ل	ق	ى	و	د	■	م	ه	ا	ى	ا
٥	ز	ا	ن	■	و	ا	س	ع	■	ا	ض	■	ل	ر	■
٦	ا	■	ج	ا	ر	■	ا	ل	ا	ب	ه	ا	م	■	ا
٧	س	ف	ى	ه	■	ا	م	ى	ب	ا	■	ل	ح	ظ	ه
٨	◉	ا	ب	و	ب	ك	ر	ب	ن	ط	ف	ى	ل	■	■
٩	ا	ج	م	ا	ل	ا	■	ن	س	ى	م	ا	ل	ب	ر
١٠	■	ن	ح	ل	■	ت	■	س	ع	ل	■	ب	■	ا	ا
١١	ص	ر	ف	■	ت	ب	د	ى	د	ه	■	ا	ع	م	ق
١٢	ب	■	و	■	د	ه	ا	ن	■	م	ذ	ن	ب	ا	ت
١٣	ا	ل	ظ	م	ا	■	م	ا	س	■	ا	■	ر	ك	■
١٤	ن	ع	■	غ	و	ن	ى	■	ه	و	ت	ن	ت	و	ت
١٥	ا	ل	م	د	ى	ن	ه	■	ل	د	ى	ن	ا	■	م

أبو بكر بن طفيل

●

أبو علي بن سينا

اثنتان في واحـدة :

(٨) افقيا : أبو بكر بن طفيل ، صاحب حي ابن يقظان • عالم موسوعي عربي ، ولد في غرناطة ، واهتم بالطب والرياضيات والفلك والفلسفة والشعر • وقد حاول في «حي بن يقظان » التوفيق بين الفلسفة والدين •

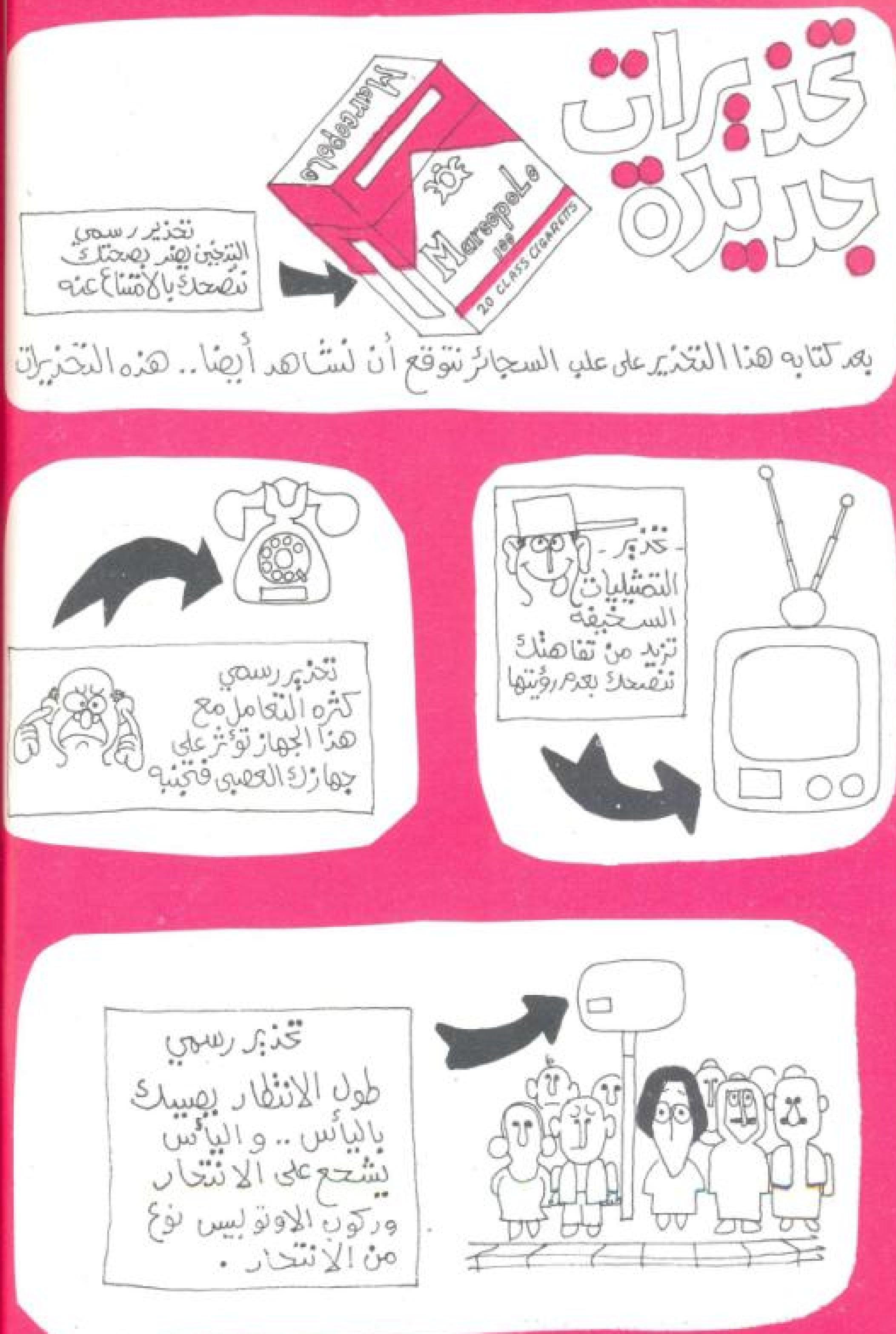
(٨) راسيا : أبو علي بن سينا ، تعمق في دراسة أرسطو وافلاطون ، وحقق مكانة عالية في تاريخ الفكر والطب والفلسفة • ومن اهم كتبه « القانون » في الطب ، و « الشفاء » في الفلسفة •

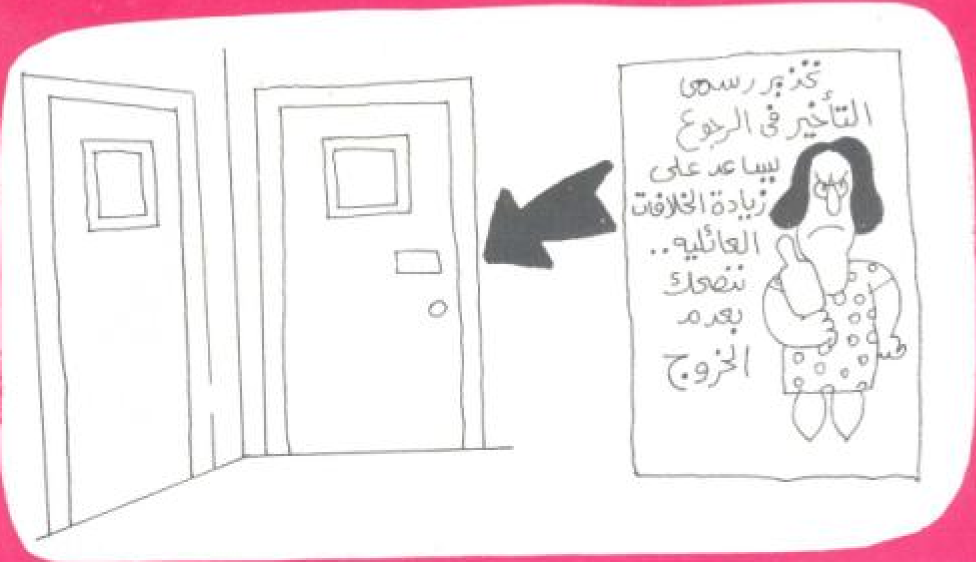
الفائزون بالجوائز

* الجائزة الاولى وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها :بركات نافع خضر ـ المدينة المنورة / السعودية
* الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا فازتبها : بثينة قاسم عبد الله ـ الخرطوم/السودان •
* الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها :عبد الملك محمد مرشد الشيباني/تعز/ج٠ع٠ى

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منهاخمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ حسني صادق الشلبي ـ الاغوار/الاردن
٢ ـ بول مروكي يوسف ـ بغداد /العراق
٣ ـ عتيق محمد الغليظ ـ هدن / ليبيا
٤ ـ مي ابراهيم منصور/القاهرة/مصر
٥ ـ ادهم عبد المجيد ابوالخير ـ الكويت
٦ ـ احمد عارف الغاني ـ بيروت / لبنان
٧ ـ اكرم عوض بامطرف ـ عدن/اليمن الديمقراطي
٨ ـ خليل طاهر العموري ـ دمشق / سوريا •


تحذيرات جديدة
تحذير رسمي
التدخين يضر بصحتك
ننصحك بالامتناع عنه
Mareopolo
20 CLASS CIGARETTS
بعد كتابة هذا التحذير على علب السجائر نتوقع أن نشاهد أيضا.. هذه التحذيرات
تحذير - التمثيليات السخيفة تزيد من تفاهتك ننصحك بعدم رؤيتها
تحذير رسمي
كثرة التعامل مع هذا الجهاز تؤثر على جهازك العصبي فتجنبه
تحذير رسمي
طول الانتظار يصيبك باليأس .. واليأس يشجع على الانتحار وركوب الاوتوبيس نوع من الانتحار .


تحذير رسمي
التأخير في الرجوع
بيساعد على
زيادة الخلافات
العائليه..
ننصحك
بعدم
الخروج


تحذير رسمي
التفكير مسئولية المفكر
كثرة التفكير وخصوصا
السليم مضر فتجنبه


تحذير
الهواء ايضا ملوث
فلا تتنفس !!

■ قراءة تاريخ الخليج العربي لاتكتمل الا اذافتشنا في الوثائق العثمانية المحفوظة الان فيتركيا والتي يقدر عددها بالآلاف ، موزعة على محفوظاتمجلس الوزراء ووزارة الخارجية•وقد ظل الخليج العربي مصنفا ضمن ما نسميه الآن بوثائق وزارةالداخلية ، فمنطقة الخليج ، شأنها شأن بقية الولايات ، كان كل ما يتعلق بها يعتبر من الشئونالداخلية للامبراطورية العثمانية ، غير ان الوضع اختلف في الربع الاخير من القرن التاسع عشر(بعد عام ١٨٧٠) ، اذ حدث احتكاك بين الدولة العثمانية والنفوذ البريطاني في المنطقة ، الامرالذي اقحم وزارة الخارجية في الموضوع •

وقد اتيحت لي دراسة الوثائق المحفوظة فيمجلسالوزراء التي تتحدث عن الفترة بين ١٨٤٠و١٩٠٩ • وهي مكتوبة باللغة التركية القديمة ، وقليل منهابالتركية الحديثة ، ويمكن تقسيمها الى اربعة اقسام : ارادة داخلية ـ شورى دولت ـ مجلسيوالي ـ ارادة خارجية •

وليس في فهارس هذه الوثائق فهرس خاصبشبه الجزيرة العربية،او الخليج،ولكن مجلداتها تحتوي على موضوعات مختلفة•فثمة اوراق متنوعةتتعلق بالحجاز كاوامر الترقيات والتلطيفات والمرتبات ، والمشاريع العمرانية ، او وفاة احد القضاة بحكم وتعيين معاش لورثته وعن تعمير الحرم النبوي الشريف • وهناك اوراق كثيرة تدور حول تعيين وال او شريف او قائمقام ، او عن ارسال عساكر الى احدى الولايات ، كما تضم هذه المحفوظات اوراقا مفيدة حول الاشراف وعلاقاتهم بالولاة العثمانيين الاتراك في الاراضي المقدسة وكذلك مراسلات الاشراف مع السلاطين •

الكويت في الوثائق العثمانية

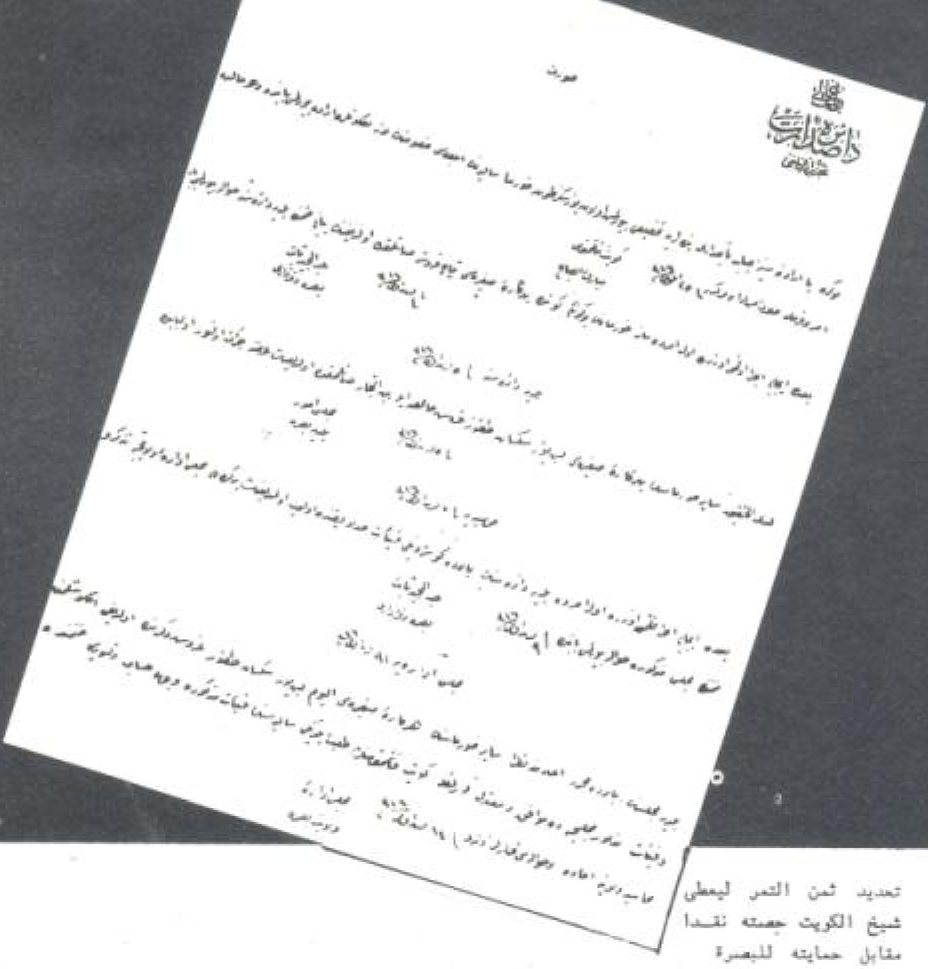
من هذه الوثائق ـ مثلا ـ رسالة من الامير عبد الله فيصل بن تركي الى والي الحجاز كتبت سنة١٢٨٣ هـ(الرسائلكلهابالتاريخالهجري)•وكانت السلطات العثمانية قد طلبت من الامير عبد الله بعد توليه حكم نجد في اعقاب وفاة والده الامير فيصل بن تركي أن يرسل الزكاة المقررة على نجد• ولكن الامير عبد الله رفض هذا الطلب ، وكتب الرسالة التي اوضح فيها ان احوال البلاد العربية والاقطار النجدية سيئة وانهم يعانون من الجدب وغلاء الاسعار ، واضاف في رسالته انه ينتظر من الدولة العثمانية ان ترسل مرتبات الى القائمين على ادارة شئون نجد ، مكافاة لهم على صد الاعتداءات على القوافل ، ويؤكد في هذه الرسالة ان «اهل نجد رجال بلا مال» •

بصره كورخزي

وتطلق الوثائق العثمانية اسم خليج البصرة (بصرة كورخزي) على الخليج العربي • وقد لاحظت اغفال هذه الوثائق الموجودة في محفوظات رئاسة الوزراء لشئون امارات الخليج العربي •

وكل ما وجدته كاناوراقا قليلةتحت اسمعربستان وبصرة كورخزي •

ويبرز اسم شيخ الكويت في رسائل مدحت باشا والي بغداد (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢) الى الباب العالي للقيام بدور اساسي في حملة مدحت باشا على الاحساء، اثر اشتداد الصراع بين ابناء الامير فيصل ابن تركي في اعقاب وفاته عام ١٨٦٥م ، ونظرا لحسن العلاقات التي تربط الشيخ عبدالله



تحديد ثمن التمر ليعطى شيخ الكويت حصته نقدا مقابل حمايته للبصرة

بقلم

الدكتورة نجاة عبدالقادر

الصباح بالسلطات العثمانية • فقد اقترح والي بغداد على حكومته قبيل الاستعداد لارسال الحملة ان يشترك الشيخ عبد الله الصباح فيها على اساس ان تعاونه معها يدفع القبائل العربية الاخرى على اتخاذ نفس الموقف ، وذلك راجع لمكانته بين القبائل •

ثم تتناول بعض الوثائق نتائج تعاون الشيخ عبدالله الصباح ، فتتحدث عن التفاهم الذى تم بين مدحت باشا وحاكم الكويت الذى تعهد والي بغداد بموجبه ببقاء الكويت على ما كانت عليه مستقلة في ادارتها •

وتتضمن الوثائق ايضا معلومات كثيرة حول التفاهم الذى تم بين مدحت باشا والشيخ عبد الله الصباح • ومن المزايا التى حصل عليها الشيخ عبداللهالصباح اثناء الاتصالات موافقة الحكومة العثمانية على استمرار وضع مزارع الفاو لمدة ٧ سنوات اخرى • فقد وجدت الحكومة العثمانية انها بهذا تضمن اصلاح هذه الاراضى ووفرة انتاجها ، مما يزيد من ايرادات الدولة • وبصورة عامة فان الاوراق الخاصة بالخليج العربى فى محفوظات مجلس الوزراء قليلة ، على العكس من الوثائق الموجودة بوزارة الخارجية التى امتد اختصاصها الى هذه المنطقة اثر الاحتكاك بالنفوذ البريطانى كما قلنا قبل لحظات •



رد حاكم نجد على الوالي التركي الذي
رفض فيه ارسال الزكاة الى الوالي

من الشيوخ الى ولاة البصرة

والوثائق المتوفرة بمحفوظات وزارة الخارجية في اسطنبول على جانب كبير من الاهمية ، فهناك رسائل حررها شيوخ المنطقة وامراؤها الى ولاة البصرة ، وتقارير من السفراء الاتراك في باريس ولندن ، الذين كانوا يكتبون الى جانب اللغة التركية باللغة الفرنسية والانجليزية احيانا لم تترجم الى التركية .

كما تحتوي الوثائق على رسائل وتقارير من ولاة بغداد والبصرة حول علاقات امراء الخليج العربي بالدولة العثمانية . وهناك رسائل من الشيخ مبارك الصباح الى ولاة بغداد والبصرة تبين سياسة المداراة التي اتبعها حاكم الكويت تجاه الدولة العثمانية . كذلك رسائل من الشيخ جاسم بن ثاني حاكم قطر وبعض شيوخ البحرين، وتكثر هذه الرسائل بعد حملة مدحت باشا والتي يطلق عليها اسم حملة الاحساء، والتي نجحت في الاستيلاء على الاحساء والقطيف واقامة حامية في قطر .

كما نجد في هذا القسم القضايا التي شغلت العلاقات العثمانية البريطانية مثل مسالة تبعية الكويت للدولة العثمانية .

لم يختلف حكام الكويت في نظرتهم الى الدولة العثمانية عن باقي الحكام العرب . فقد كانت الدولة تمثل الخلافة الاسلامية ، والسلطان هو خليفة المسلمين الذين يدعون له في خطبة الجمعة. كما ان الوجود العثماني في ولايتي بغداد والبصرة جعل امراء الكويت يحرصون على ان تكون علاقاتهم حسنة مع السلطات العثمانية حتى يتجنبوا تدخلها في شئون ادارتهم للبلاد . ولاشك ان الاستقرار وحسن الاحوال الذى تمتعت به الكويت وقتذاك جعل حكامها حريصين على حسن العلاقات مع جيرانهم من اجل المحافظة على ما تتمتع به بلادهم من استقرار .

ولكن العلاقات الكويتية العثمانية دخلت مرحلة جديدة منذ ان تولى الشيخ مبارك الصباح حكم الكويت (١٨٩٦) وقد تاثرت هذه العلاقات بطبيعة



رسالة الشيخ مبارك الصباح الى فخرى باشا ، والتي لا تخلو من عبارات المجاملة التي كانت تستخدم في مخاطبة ممثل السلطان العثماني في القرن الماضي .

العلاقة التي تربط ولاة البصرة بالشيخ مبارك والتي تحكمت فيها في احيان كثيرة مصلحة الوالي الشخصية .

ومن امثلة وثائق هذه المرحلة ، رسالة من الشيخ مبارك الصباح «حاكم الكويت ورئيس قبائلها » الى حسين فخرى باشا رئيس اركان حرب الجيش السادس بولاية بغداد . وتسجل الرسالة مشاعر الولاء التي يكنها الشيخ مبارك للسلطان العثماني . والتي حرص على الافصاح عنها ، خصوصا بعد اتفاقية الكويت مع بريطانيا سنة ١٨٩٩ .

ومن الوثائق الطريفة (المنشورة صورتها مع المقال) رسالة تتضمن تعليمات لتحديد ثمن التمر ليعطي الشيخ مبارك الصباح حصته نقدا . ذلك ان الدولة العثمانية ، بعد ان تورطت في صراعات شبه الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر ، اضطرت ان تستعين بشيخ الكويت لحماية البصرة من اعتداءات القبائل وفي مقابل ذلك اعفته من دفع الزكاة بل اصبحت هي تدفع مكافأة سنوية اختلف في تقديرها . وظلت السلطات العثمانية تدفع لحكام الكويت المكافأة السنوية بعد منتصف القرن التاسع عشر كلما قدموا مساعداتهم ضد اعتداءات القبائل ، وكذلك استمر دفع هذه المخصصات في اعقاب تعاون الشيخ عبد الله الصباح مع حملة الاحساء سنة ١٨٧١ .

تسوية الحسابات مع بريطانيا

لقد اهتمت الحكومة العثمانية باستخراج الوثائق التي تعود الى عام ١٨٧٠ وما بعده وذلك قبل بدء مباحثاتها مع الحكومة البريطانية في (١٩١١ ـ ١٩١٣) لان حكومة اسطنبول حرصت في تلك الفترة على تسوية الخلافات المعلقة بينها وبين بريطانيا والتي كانت تشمل مشاكل متعددة مثل خط حديد بغداد وتنظيم الامتيازات الجمركية وقضايا الخليج وتنازع النفوذ في بعض المناطق ، وتعتبر نتائج المباحثات التي دارت بين الطرفين تنازلا رسميا من الدولة العثمانية لبريطانيا في الخليج ، ويظهر انها ادركت عجزها امام بريطانيا ، فهي لم تطلب التفاوض الا بعد محاولات لتدعيم نفوذها في المنطقة . وكان من ضمن الموظفين النشيطين القنصل العثماني على الساحل الفارسي الذى يطلق عليه (شهبندر لنجه)،وهو الذى ابلغ الحكومة العثمانية بخبر اللقاء الذى تم بين الشيخ جاسم بن ثاني والبريطانيين في اواخر القرن التاسع عشر .

اما عن رسائل الشيخ مبارك الصباح الى ولاية البصرة فانها تبين ـ كما ذكرنا قبل قليل ـ سياسة المهادنة والتباعد التي اتبعها الشيخ تجاه السلطات العثمانية . وتتحدث كثير من الوثائق عن رد الفعل العثماني على اتفاقية ٢٣ يناير ١٨٩٩ التي عقدت بين بريطانيا والكويت .

ان الارشيف العثماني غني بالوثائق الهامة ، ولا يقل اهمية عن دور الوثائق البريطانية والتي ادعو كل باحث عن الحقيقة المجردة في تاريخ المنطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية الى الاستفادة من دور الوثائق التركية . ■■

نجاة عبد القادر
جامعة الكويت
كلية الآداب ـ قسم التاريخ

قضية شائكة ودقيقة مثل مسألة الارواح ، يتردد الكثيرون في التعرض لها خاصة اولئك الذين يريدون علاجها بروح علمية وبالمنهج التجريبي والعقلاني • لكن الدكتور عبد المحسن صالح الاستاذ بجامعة الاسكندرية اختار ان يخوض المغامرة ، محاولا ان يكشف حدود الخدعة والحقيقة في قضية الروح

البحوث الروحية..

حقائق مثيرة

تكشف أساليب استخدام..

الاكتشافات العلمية

فى الدجل والشعوذة !!

بقلم :

الدكتور عبدالمحسن صالح

الناس - فى اغلب الاحيان - يمقتون الحقيقة، ويولعون بالخيال ، ويميلون الى الظواهر المثيرة التى تبدو لهم وكانما معجزات أو خوارق لايستطيع العقل تعليلها ، ولا العلم تفسيرها !

والناس لاشك معذورون ، فالنفس البشرية عاجزة عن ادراك ما قد ياتى بعد لحظة قادمة ، أى أن المستقبل أمامها أمر مجهول ، والمجهول شيء مثير ، وعادة ما تخشاه ، فتحاول أن تبحث فيه عن

بين الخدعة والحقيقة



دكتور استرونج : الجسد ـ لا الروح وهو يقف في مجال كهربي عال ومعزول عن الارض

منافذ ، علها تعرف جانبا مما يخبئه لها الزمن في طياته ، ومن هنا كان للمجهول جاذبية خاصة فلجأ الناس الى وسائل غيبية ، علها تفصح لهم ماخفي عن مداركهم ، فكانت مسائل الأرواح والجن والعفاريت والتنجيم ٠٠ الى آخر هذه الأمور التي صاحبت الانسان منذ أن ظهر على هذا الكوكب ، ورأى من الظواهر المحيرة ، ما أرجعها الى قوى خفية ، او الهة غضبانة ، او ارواح شريرة ، او مخلوقات أسطورية ٠٠ الخ ٠

ومن هذه الأمور مسألة الارواح ، وتحضير الارواح ، والروحانيات وما شابه ذلك ٠

لكن موضوع الارواح ونشاته وفلسفته ، وما قيل عنه ، وما الف المؤلفون فيه ، موضوع متشعب وشيق وطويل ، وهو لايخلو ـ بطبيعة الحال ـ من طرافة ، ولا من كثير من أمور الدجل والشعوذة ، ثم ما قد يترتب على ذلك من أضرار صحية

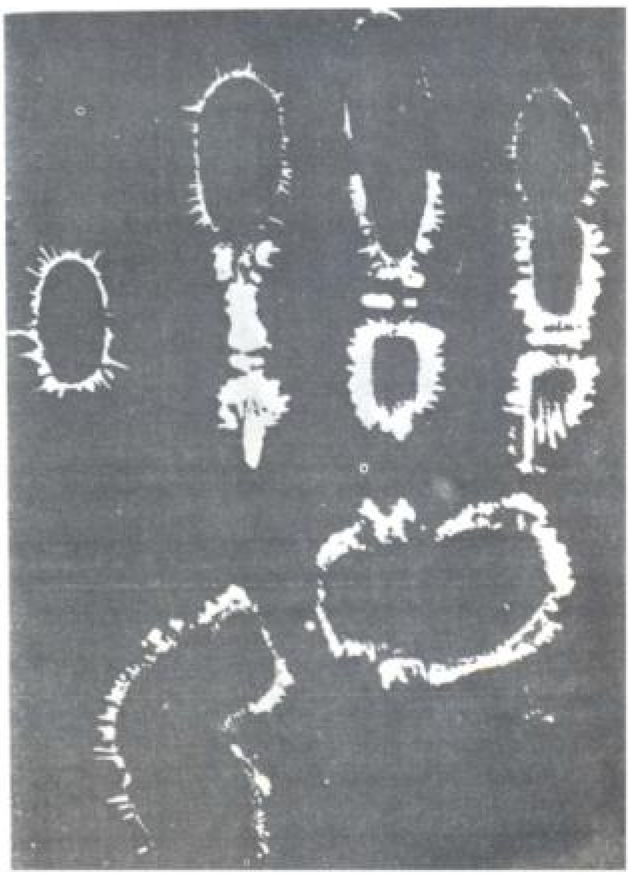
واخلاقية واجتماعية تصيب افراد الشعوب التي تنتشر فيها مثل هذه الامور .

وتنتشر ظواهر الروحية في كل دول العالم وشعوبه بدون استثناء .. ففي المجتمعات الغنية والمتقدمة ، بؤر كثيرة تمارس هذه الخرافة ، وكان من الممكن أن تبقى تلك البؤر بين أهلها فلا يطلع على ما فيها من أمور الا القائمون بها،لكن العكس قد حدث ، لأن الجمعيات الروحية تحقق مكاسب هائلة ، ثم انها تجد لها «زبائن» كثيرين يريدون معرفة المجهول ، والاتصال بالارواح ، وماذا بعد الموت ، وكيف حال اهل السماء .. الى اخر هذه التساؤلات التي تراود كل نفس .. جاهلة كانت هي او متعلمة !

لكن أخطر ما في هذه الجمعيات «الذكية» ـ ولابد أن يكون المسيطرون عليها أذكياء .. حتى يسيطروا على من هم اقل منهم ذكاء ـ أخطر ما فيها أنها بدات تمارس نشاطها من خلال الاستعانة بما أسموه البحث العلمي في الكشف عن طبيعة الروح وكنهها وحياتها ، وبلغ بهم الامر أنهم استعاروا من العلم الفاظا مثل الاكتوبلازم والوسط الاثيري ،والتجسيد الموجي،والسيكولوجي والباراسيكولوجي وغير ذلك من مصطلحات لامجال للروحية او الارواح فيها !

الذين عادوا من السماء !

وكان من الممكن ايضا ان يمر هذا الامر) لولا أن أصحاب الجمعيات الروحية بداوا ينشرون صورا لأرواح قالوا انها عادت من السماء وتجسدت وتكلمت ولمست الحاضرين ، وتلاعبت بالادوات ، وقامت بالعديد من الحركات ، وطبيعي أن الصورة دليل على شيء حاضر او ربما غير حاضر ، وهي تاكيد على أن الارواح موجودة ، وانها قابلة



طبعات الاصابع على فيلم عادي كما ظهرت بالتصوير الكيرلياني ،ولقد استغل بعض ادعياء العلم هذا التصوير في اغراض غير علمية .

للتجسيد والتصوير ، وعندما تظهر في الصور ، تظهر الصورة وحولها مجالات مضيئة يطلقون عليها «الهالة»أي انه لكون الروح — في عرفهم — نورانية ، فلا بد أن يكون حولها هالة نورانية تميزها عن المخلوقات المعتمة المادية ·· التى هي نحن !

فما هي حقيقة هذه الصور ؟ ·· وما طبيعة تلك الهالة ؟ ·· وهل هنالك كاميرات أو آلات تصوير خاصة تستطيع تصوير الروح اذا خرجت أو اذا حضرت ؟

دعنا اذن نوضح ذلك !

الواقع أن من أخطر الأمور التي يواجهها العلم هي الاستعانة بادواته وتكنيكه لاستخدامها في مجالات التدليس والشعوذة ، فهناك ظواهر علمية مثيرة لا يعرف عامة الناس عنها شيئا ، لكنها تخرج من مجالها التجريبي الأصيل لتدنس في مجال آخر يطلقون عليه اسم البحوث الروحية ، أو العلوم الروحية ، أو ما شابه ذلك ، لكنها ليست في الحقيقة بحوثا ولا علوما ، بل هي أشباه علوم يشوبها الخداع والتمويه ·

أذكر أنني حضرت محاضرة في هذا المجال دعت اليها هيئة جامعية لها قدسيتها ووزنها ، وكان المحاضر أيضا استاذا جامعيا له مؤلفات كثيرة (منقولة) في الظواهر الروحية ، وكان أهم ما عرضه علينا صورا لأرواح زعم أنهم صوروها بالات تصوير خاصة ، وثارت مناقشات ومجادلات كثيرة ، وقد أثارني ذلك اثارة فكرية شديدة ، فعدت لأقلب في كل مراجعي وفي دوائر المعارف العلمية والتكنولوجية ، علني أعثر على شيء ذي بال ، فلم أجد حتى مجرد اشارة لهذه البحوث الغريبة التي يزعمون أن لها أقساما ومعاهد ملحقة باعظم الجامعات ·· كل ما هنالك بحوث كثيرة عن علم النفس بشقيه : النظرى والتجريبي،وعلم الطب النفسي ، ولانحسب أن ذلك مما يدخل في الروحية التي يدعون أنها علم أصيل ·

لكن ماذا تعني كل الصور الموجودة هنا ؟ ·· وما هذه الهالات الغريبة التي تحيط بها ؟ ·· ولماذا ظهرت بهذا الشكل الذى يثير الفكر ؟ ·· الخ ·

صورة الرجل النوراني !

ان صورة هذا الرجل «النوراني» المنشورة هنا من الصور النادرة التي وزعها الروحانيون أو أدعياء الروحية علىأنها لروح يشع منإكتوبلازمها هالات من نور ، والاكتوبلازم — كما يدعون — هى مادة الروح ، وليست الروح مادة على أية حال ، لكن الصورة توحي بذلك فماذا تعني الهالة — من وجهة نظر الناس — الا أنها نور لروح · قد حضرت ؟

لكن الصورة لرجل يدعى دكتور استرونج ·· رجل حى بلحمه ودمه ، لكن هذا الاشعاع قد جاء نتيجة لوقوف الرجل في مجال كهرومغناطيسيبيلغ ترد ده مليون سيكل ، او جهد قدره خمسمائة الف فولت ، ولقد التقطت هذه الصورة منذ أكثر من ستين عاما ·

لكن الظواهر التي تصاحب هذه الصور ، ليست مقصورة فقط على نوع محدد من البشر بل تشمل كل البشر لأن الاشعاع «النوراني» ليس بسبب كرامات أو ولايات أو ما شابه ذلك ، بل بسبب وقوع المادة تحت تأثير قوى كهرومغناطيسية أو موجات من الاشعاع ، فتؤثر عليها ، وتثيرها ، فتنطلق منها موجات ، وعندما تصطدم هذه الموجات بفيلم حساس من نوع خاص ، وموضوع داخل آلة تصوير خاصة ، فانها تؤثر في الفيلم ، ويبدو الشيء ، وكانما هو يشع «بهالات نورانية» !

هذا النوع من التصوير يرجع استخدامه في مجال الكائنات الحية الى العالم السوفييتيسيمون كيرليان ، ولهذا سمى بالتصوير «الكيرلياني» — نسبة اليه ، لكن التصوير ليس مقصورا فقط على الكائناتالحية التي تتبعمملكتي النباتوالحيوان، بل يمكن تعميمه ايضا على الجماد — بما في ذلك المواد الصلبة والسائلة والغازية ·

لكن أدعياء الروحية قد التقطوا هذا الخيط المثير ، وبداوا في تحويره ، والتحول به عن مجاله العلمي الأصيل ، وراحوا يوهمون العامة بان هذه الظواهر الغريبة لاتتجلى الا في الذين أوتوا شفافية خاصة ، أو في أولئك الذين تهيأوا للوساطة الروحية ، أو فيمن تتقمص فيهم الأرواح ·· الى آخر هذه الأمور التي جعلت العلماء الحقيقيين يبتعدون عن هذا المجال ، حتى لا يتهموا بما ليس فيهم ، تماما كما حدث في مجال التنويم، فالتنويم ظاهرة حقيقية ، واحيانا ما تستخدم في المجالات الطبية،لكنها لاتلاقي ترحيبا في الأوساط العلمية والطبية ، لان هذ المجال قد انتقل من

دائرة البحث العلمي الى المسارح ، وشاع في اوساط الدجالين والمشعوذين ، وهو ما أسموه بالتنويم المغناطيسي ، مع انه لاينتمي للمغناطيسية من قريب أو بعيد،بل هو نوع من الايحاء والسيطرة على الارادة الانسانية تحت ظروف خاصة ، لكن البعض اتخذوه وسيلة لقراءة الغيب ، وشفاء الأمراض ، والكشف عن المسروقات ٠٠ الى آخر هذه الادعاءات التي لا تجوز الا على اصحاب العقول الضعيفة ٠

ما يقوله ادعياء العلم

هذا النوع من التصوير ـ أو التصوير الكيرلياني ـ كان من الممكن أن يتطور ويستخدم في المجالات العلمية المختلفة كوسيلة من الوسائل التي توضح حالات المادة ـ حية أو جامدة ـ وهي واقعة تحت تاثيرات خاصة من الطاقة ، وكان من الممكن أيضا انيؤدي الى تقدم في العلوم النفسية والبيولوجية والطبيعية والعلاج النفسي ٠٠ الخ ، لكن العلماء ابتعدوا عنه عشرات السنوات ، وبدأ ادعياء العلم يصولون فيه ويجولون ويؤكدون انه من الممكن تصوير الارواح تحت حالات خاصة ، وكان العلم في هذا المجال سلبيا ، لكنه عاد ـ منذ سنوات قليلة ـ الى تقصي الحقائق ، ووضع لنا النقط فوق الحروف

بعض الصور المنشورة هنا تشير الى أن الظاهرة روحية ، أو هكذا ادعى من التقطوها ، ومع ذلك، فكل مادة تقع في مجال كهربي مغناطيسي شديد (أو كهرومغناطيسي) ينبعث منها موجات خاصة ، فاذا تغيرت شدة المجال ، تغيرت الظاهرة المنبعثة من نفس الشيء تبعا لذلك ٠

هناك مثلا من جاءوا بصليب وصوروه بمثل تلك الوسائل فظهرت للصليب صورة وكانما هو نوراني الصفات ٠ الانسان العادي يعتبر ذلك معجزة ، لكن العالم الممارس لايعترف كثيرا بمسالة المعجزات ، فالمعجزة ـ في نظره ـ هي كل ما عجز العقل القاصر عن تعليله ، فاذا أمكن تعليل الظاهرة ، انتفت المعجزة ٠٠ فالهلال او الصليب او النجمة او اى شيء آخر له بين الناس قداسة خاصة ، يمكن بخدعة ذكية (أو حتى غير ذكية تماما) أن يبدو امام العامة بظاهرة غير عادية ، كأن يضيء مثلا في الظلام ، أو يبدو متوهجا،أو تلتقط له صور في ظلمة تامة ، فاذا بالصور تبدو مضيئة ٠٠٠ الخ ، ولكل حالة من تلك الحالات تعليل ينبع من طبائع الاشياء ، لا من أهواء الناس !

فالصور التي التقطت لاوراق النبات (أو أى جزء آخر) وهي موضوعة تحت مجالات خاصة قد جاءت بهالات عجيبة ، ولقد اختلفت الوانها باختلاف الفيلم الحساس وفترة التصوير وشدة المجال ، والطرق المستخدمة ٠

هناك مثلا ثلاث وسائل للتصوير ، نذكر منها واحدة فقط لصلة ذلك بموضوع الانسان ،وهي لا تختلف في المضمون عن الطريقتين الاخريين ، اذ يكفي أن يوضع طرف اصبع اى انسان على فيلم حساس خاص ، وبحيث يكون سطحه الحساس ملاصقا للاصبع أو قريبا جدا منه ، والسطح الاخر موضوع على لوح عازل للكهرباء ، واللوح بدوره يرتكز على قطب كهربي متصل بمصدر ذي فولت عال يتراوح ما بين ١٠ ـ ١٠٠ كيلو فولت (١٠٫٠٠٠ ـ ١٠٠٫٠٠٠ فولت) ٠

وتؤخذ الصور دون اية مصادر ضوئية ، اذ تكفي الشحنة أو الشحنات التي تقفز من الاصبع أو اى جزء من أجزاء الانسان أو النبات أو الحيوان ، ولهذه الشحنات آثار غريبة ، ويقال انها تختلف باختلاف الحالات النفسية التي يوجد عليها الانسان !

كشف مثير

يذكر دكتور ويليام تيللر ـ أستاذ علم المواد بجامعة ستانفورد الامريكية في بحث له منشور باحدى المجلات العلمية (نيوساينتست البريطانية) ان العلماء الروس قد تمكنوا من الكشفوالتوجيه الاليكتروني للانبعاثات الضوئية أو التوهجيةالتي تنطلق من نقط محددة على الكائنات الحية او المواد غير الحية ، وانهم من خلال شدة هذه الانبعاثات والوانها قد حصلوا على معلومات لها وزنها في تقييم الحالات العاطفية والذهنية والجسدية للانسان ، كما انهم توصلوا الى بعض الحقائق التي تفيد في مجالات الزراعة والطب وعلم النفس والعلوم الهندسية ٠٠ الخ ٠

ويذكر ايضا ان ثيلما موس من جامعة كاليفورنيا قد استخدمت احدى طرق التصوير الخاصة بالمجالات الكهرومغناطيسية تحت تاثير الفولت العالي في الكشف عن تاثير الكحول



أصبع يشع منه النور وهو ليس كذلك ، انما هو بسبب شحنة كهربية مفرغة من الأصبع تحت ظروف خاصة .

والادوية المختلفة على انبثاق او انبعاث الطاقة من طرف الاصابع ، وانها قد وجدت علاقة بين لون الصورة وبين الاثر الذى تحدثه تلك الطاقة ، هذا ويختلف لون الصورة من الابيض الى الازرق والاحمر والبرتقالى والاصفر ، ولقد وجدت ثيلما موس ايضا تغيرا واضحا فى الصور التى التقطتها لورقة نبات اصابها التدمير ، ثم الاثر الطيب الذى تركه احد « المعالجين الروحانيين » عندما وضع الورقة بين راحتى يديه !

والواقع ان معظم الباحثين الامريكيين الذى يشتغلون على هذا الموضوع المثير ، انما يركزون اهتماماتهم على مدمنى الخمور وعلى المصابين بانفصام الشخصية ، وأن الصور التى التقطوها لاطراف أصابعهم قد اوضحت اختلافا هاما بين « طبعتها » على الفيلم قبل العلاج ، وبعد العلاج!

وهناك ـ بعد ذلك ـ تجارب أخرى كثيرة لجمعيات خاصة ، او لافراد يهتمون « بالبحوث » ، الروحية، ثم ان هذه التجارب مدعمة بصور غريبة ، ولقد ارجعوها فى ـ اغلب الاحيان ـ الى ظواهر روحية لا شان لنا بها هنا ، انما شاننا ان نوضح معنى هذه البحوث ، وما تؤدى اليه من نتائج ، ثم لنسأل انفسنا سؤالا : ماذا تعنى هذه الاختلافات المثيرة فى الصور المنشورة ؟

تصوير الحالة النفسية ؟

الواقع انها لا تعنى شيئا رغم غرابتها ، فهى تدفع المتحيزين للمسائل الروحية الى مزيد من التحيز لعقيدة وقرت فى نفوسهم دون اعتبار لاى شيء آخر ، خاصة وان احدا لم يستطع ان يفسر

صورة التقطت بكاميرا خاصة على فيلم ملون ، وهى تبدو هنا وكأنما هى تفريغ لشحنة البرق ، ولكنها جاءت فى الواقع من اسقاط كرة صغيرة اسقاطا رأسيا على مجال كهربى ذات شحنة هائلة .. وهذا النوع من التصوير يعرف باسم التصوير الضوئى الكهربى او الكيرليانى نسبة الى مخترعه .





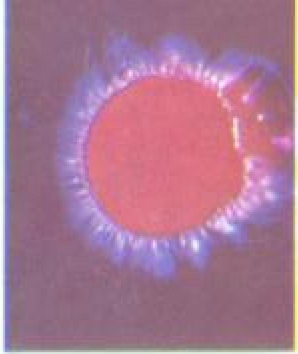
صورة بالاشعة الحرارية
استنشاق اكسيد النيتروجين



حالة تسمم بالكوكايين



شخص عادى



يدخن سجائر



لا يدخن





لشخص ابتلع نباتا مخدرا من الصين



نفس الشخص العادى
بعد تعاطيه ٢و٠ جرام كوكايين



يدخن سجائر



يدخن غليونا (بايب)

لهم لماذا ـ مثلا ـ تختلف الصور لاصبع واحد في حالاته المختلفة .

لكن تقنين هذه الامور من خلال بحوث جادة نشرت نتائجها في مجلة « الطبيعة » ، وهي مجلة علمية متخصصة ، تنفي ـ على الاقل في وقتنا الحاضر ـ أية صلة أو علاقة بين الحالات النفسية او الذهنية او الجسدية أو الصحية أو الروحية بين الاختلاف الشكلي او اللوني في الصور المنشورة .

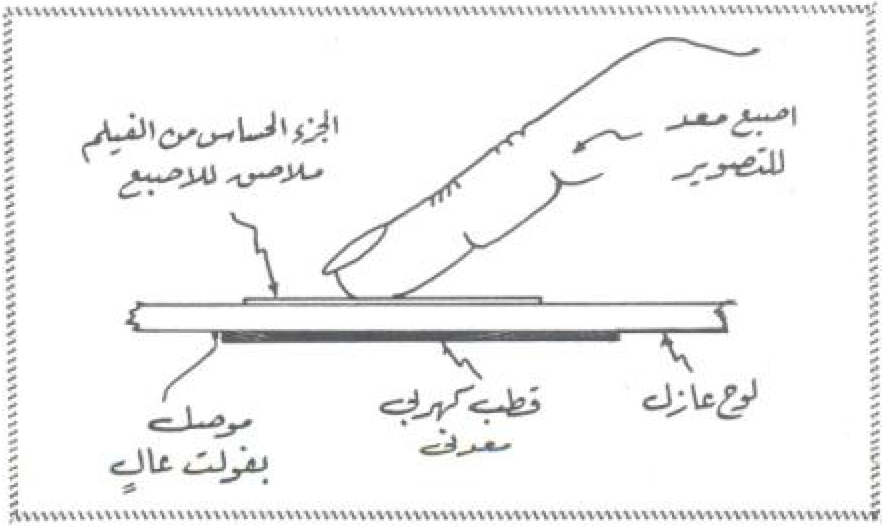
فكل الصور المنشورة ـ سواء في البحوث الجامعية أو خارج نطاق الجامعات ـ صور لم تلتزم بالدقة العلمية ، فلكي تقفز شحنة كهربائية من الاصبع (او أي شيء اخر) لتضرب الفيلم الحساس بموجات من الاشعة المنظورة وغير المنظورة ، فان اثرها لابد أن يختلف ، والاختلاف يرجع الى عوامل ، والباحثون لم يضعوا هذه العوامل في الحسبان .

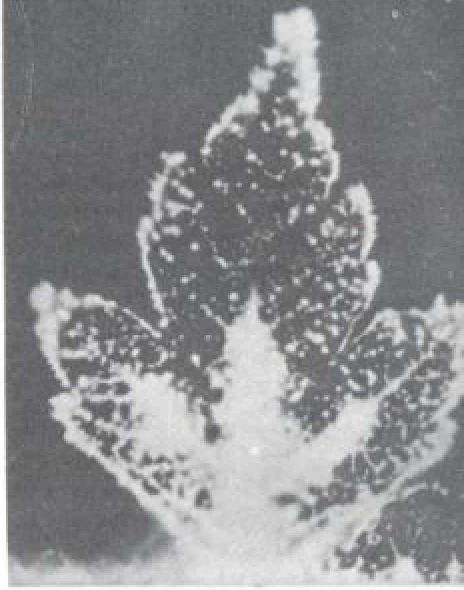
دعنا نوضح ذلك بمثال ملموس من واقع عالمنا ، فالشحنة الكهربية الجوية المفرغة بين الجو والارض (اي البرق) تختلف في شكلها وتفرعها وشدتها عن أية شحنة أخرى ، ولهذا لا يتشابه مسار انطلاق هذه الشحنات بين السماء والارض تشابها مطلقا ، تماما كما لا يتشابه البشر تشابها مطلقا .

وكل الصور الموجودة هنا ليست ـ في الواقع ـ الا عملية تفريغ لشحنات كشحنات البرق ، مع الاختلاف طبعا بين ضآلة شحنة ، وضخامة أخرى . اضف الى ذلك أن قوة هذا التفريغ بين الاصبع وبين الفيلم الحساس تتوقف على عوامل عدة ، نذكر منها المسافة بين الاصبع وبين الفيلم وهي تتراوح ما بين ١٠ر مليمتر الى واحد مليمتر او اكثر) ونذكر ايضا نوع الفيلم ، وفرق الجهد الكهربي ، وعدد مرات التفريغ ، والزمن اللازم لهذا التفريغ ... الخ .

ثم اننا لو كررنا التجربة ذاتها ، تحت الظروف ذاتها ، فانها للاسف لا تعطي النتائج ذاتها ، ولو حاولنا معرفة اسباب هذا الاختلاف ، لما كان ذلك في مقدور اي باحث مدقق غير متحيز .. فضغط الاصبع ذاته على اللوح الحساس ، او المسافات الصغيرة التي تفصل بينهما لا يمكن تقديرها بالعين البشرية المجردة ، وهذا من شانه ان يؤدي الى اختلاف واضح في الصور .. اضف الى ذلك ان نظافة الاصبع او تلوثه بالغبار أوأية مادة حتى ولو كانت عرقا ، فان ذلك ايضا كفيل باظهار اختلاف في توزيع الشحنة ونوع الصور الناتجة .

والذين درسوا هذه الظاهرة دراسة علمية مقننة استطاعوا ـ على سبيل المثال ـ أن يعرفوا السر في اختلاف الالوان ، فتكرار اطلاق الشحنات يؤدي الى ترسيب بعض المواد العضوية وبخار الماء على القطب الكهربي الشفاف في جهاز التصوير ، وهذا من شانه ان يعطيك نتائج خادعة من اصفرو برتقالي





ورقة وحولها هالة مضيئة كما ظهرت بالتصوير الكيرلياني

واحمر وكل الوان الطيف الاخرى ، فاذا نظفت هذا القطب مما علق به ، فان الصور الناتجة على الافلام الحساسة الملونة لن تكون الا مزيجا من اللونين : الابيض والازرق ، وهما اللونان المتوقع ظهورهما بالفعل ، وسبب ظهور هذين اللونين بالذات يرجع الى التركيب الكيميائى للفيلم ، والى نوعية الموجات المنطلقة من الشحنات ٠٠ الخ ، اما الالوان الاخرى فهى الوان أمكن تحليلها ـ كما سبق ان اشرنا ٠

الروح من أمر ربى

والموضوع بعد ذلك طويل ، ولقد الفوا فيه كتبا ، لكن كل الكتب التى ظهرت ، وتضمنت من الصور الشىء الكثير ، انما هى صور خادعة ، ولا يمكن ـ والحال كذلك ـ ان يبنى العلم على خداع ، لان الذين التقطوا الصور بهذه الكاميرات الخاصة لم يضعوا فى اعتبارهم كل الاحتياطات الواجب اتخاذها فى هذا المجال ، فعلى هذه الصور يتوقف تفسير النتائج ، لم انها الشىء الوحيد المنظور أو المرئى فى غابة متشعبة من عوالم غير مرئية ، ونقصد بهذه العوالم الشحنات والموجات والجزيئات والتفاعلات الكيميائية التى تتم بينها ٠٠٠ الخ ٠

والواقع ان النفس البشرية تنفتح عادة على النتائج الايجابية ، لكنها لا ترتاح كثيرا للنتائج السلبية ، رغم ان النتيجة السلبية ـ اى التى لم تحقق الغرض المقصود منها ـ تصبح فى نظر العلم نتيجة على اية حال ، لانها استطاعت ان تحسم مسالة خاصة ، او توضح شوائبها ٠

والحق اننى كنت متعاطفا مع هذه البحوث ، لانها ستفتح لنا مجالا عظيما للنظر الى النفس البشرية والى غوامض هذا الكون نظرة جديدة ، ولقد كنت اتمنى مثلا أن ارى حالاتى النفسية المختلفة من خلال صور يمكن شرحها ، لكن الاختلاف ـ كما رأيت ـ لا يرجع الى نفس او ارواح او ما شابه ذلك ، بل الى امور اخرى ألمحنا لها فيما سبق ٠

ومع ذلك ، فنحن لا نريد ان نغلق الباب « بالضبة والمفتاح » ـ كما يعبر عن ذلك عامة الناس ، او ان نشيح بوجهنا عن هذه الاجتهادات ، فربما بشىء من الصمل والاتقان ووضع كل صغيرة وكبيرة فى الحسبان ـ ربما يؤدى ذلك الى اكتشاف علاقات بين انفعالات نفسية ومجالات كهرومغناطيسية فى اجسامنا وبين الصور الناتجة عن مثل هذه المجالات والانفعالات ، ونكون بذلك قد دخلنا عصرا علميا جديدا ومثيرا ، فهناك مثلا من يدعون انه يمكن تصوير فكرة خاصة تجتاح امخاخنا عن طريق انبثاق شحنة كهربية من طرف الاصبع ، وليكن ذلك مثلا فى تركيز الفكر على نار مشتعلة ، فتظهر على الفيلم الحساس ألسنة من لهيب لها شكل النار والوانها ٠٠٠ وهكذا مع اى شىء آخر ٠

لكن ظهور هذه الصور بالطريقة التى يمكن تفسيرها علميا يحتاج الى شروط ، منها مثلا ان يحدث تغير فى كيمياء البشرة ، وفى كفاءة التوصيل الكهربى للجلد ، وفى جهده الكهربى ، وتغير فى الجسم البشرى ككل ٠٠ الخ ، وهذا بدوره يحتاج الى معايرات علمية دقيقة ، والى أجهزة تصوير تاخذ فى اعتبارها كل العوامل المتغيرة ، حتى تتوحد النتائج ، وتصبح ذات مضمون ومعنى ٠

أما مسالة الروح التى يقولون انها من وراء كل هذه الظواهر ، فهذا أمر ينفيه العلم ، وينفيه الدين ايضا « ويسالونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى » ٠٠ لا من أمر هؤلاء الذين يدعون على الله ، وعلى الناس كذبا ! ■■

د . عبد المحسن صالح

بقلم : سيلمان الفهد

لوحات : بهجت عثمان



الوشم عند البربر

المغرب ...

رقصة يقدم فيها العريس سلاحا للعروس



الناس والطبيعة

■ فى كل مرة ازور فيها المغرب ٠٠ اكتشف فيها جديدا ٠٠ ربما لانها واسعة وكبيرة وغنية بكل ما يثير التامل والدهشة ! ومن هنا فان الذى يريد ان يتعرف على هذه الديار عليه ان يسوح فيها ويجوبها طولا وعرضا ٠٠٠ عليه ان يتصعلك على طريقة المجاميع السياحية الاجنبية التى تزور كل مكان ٠٠ وتمضى كل وقتها فى الحل والترحال ٠٠ ولا تمل او تكل من التصعلك فى الناس ٠٠ او فى الطبيعة !

ان للفنان رؤية للناس ٠٠ والظواهر ٠٠ ولكل الاشياء تختلف ـ بالتاكيد ـ عن رؤية الانسان العادى فقد يمر السائح منا ببائع الماء «السقاء» مرورا عابرا ٠٠٠ بينما تجد الفنان بهجت عثمان قد وجد فى هذه الشخصية نمطا انسانيا يستحق التسجيل ٠

ان اول ما تقع عليه عين المتجول فى الاسواق المغربية والمدن الرئيسية كثرة انواع الازياء التقليدية التى يرتديها الناس ٠٠ وتلاحظ ان كل اقليم له زيه الخاص به ٠٠ فعلى سبيل المثال تجد ان الرجال والنساء ـ فى جنوب « اكادير » يرتدون ـ على حد سواء ـ لباسا ازرق اللون !

اما قبيلة « ايت حديدو » التى تعيش فى مرتفعات « ملوك » فى الاطلس الكبير ٠٠ فان نسائها يرتدين ابرادا ناصعة البياض مطرزة بخيوط زرقاء ٠ والطريف ان العذارى يعتصرن العمائم ويعلقن على صدورهن عقودا جميلة ٠ ويكفى هنا ان يزور الواحد سوق مراكش حتى يتعرف على تعدد وتنوع الازياء المغربية ٠٠ فالسوق مقسم الى ازقة ٠٠ كل زقاق او قيسارية ونسميها هنا قيصرية ، خاص بنوع معين من الملابس التقليدية ٠٠ او احدى الصناعات اليدوية ٠

وسوق مراكش يشبه الى حد بعيد سوق الحميدية فى دمشق ٠٠ ويكاد يحتوى على كل الصناعات التقليدية للبلاد ٠٠ ومن هنا تجد هذا السوق يكتظ بالسياح ، والعمال ، والسائقين ، والسيدات المحجبات اللواتي ينظرن اليك من طرف خفى كان الواحدة منهن تريد ان تقول للناظر : غض طرفك !

الميدان العجيب

واذا كنت من محبى الصعلكة فى الناس مثل الفنان « بهجت عثمان » فستجد الكثير مما يثير فيك الدهشة ٠

على مدخل سوق مراكش ثمة ميدان واسع اسمه « ميدان جامع الفنا » وهو ميدان له العجب حقا ٠٠ لكونه ٠٠ جامعا ٠٠ لكل شيء ! واقولها بدون تحفظ ! على جنبات الميدان حوانيت تبيع المصنوعات الجلدية ، والنحاسية ، والفضية ٠٠ ومطاعم ومقاه شعبية ٠٠ ودكاكين عطارة وادوية شعبية ٠٠ ووسط الميدان عشرات من فرق الرقص والغناء الشعبى فضلا عن الحواة والبهلوانات والقرداتية ! ومروضى الثعابين والثعالب والذئاب ! وغير هذا وذاك تجد المصلحين يبيعون النصائح لمن يريد جنة الخلد ! واولئك الذين يقراون الكف ويكتشفون الطالع ! ولا ننسى ـ بالطبع ـ الطبيب الشعبى القادر على شفاء كل داء دون عملية ولا يحزنون ! وقد وجدنا ان العامة يقبلون على الطب الشعبى ربما عن قناعة ٠٠ او بسبب ضيق ذات اليد !

والميدان صاخب يضطرب باصوات الدفوف والطبول والصاجات ٠٠ وتفوح منه رائحة الشواء حيث تشوى اللحوم فى الهواء الطلق ٠

وفى مقدور الواحد ان يتعرف على العديد من الوان الفنون الشعبية لو انه مكث كم ساعة فى هذا الميدان العجيب ٠

لان فرق الهواة تاتى اليه من كل صوب وحدب والتى تمثل كل الاقاليم المغربية ٠

وتتميز مدينة مراكش بموسيقى « الدقة » حيث الضرب الجماعى على « الصاجات » المزدوجة يتناغم مع دقات الدق ٠ « الدقة » يعرفها كل اصحاب الصناعات التقليدية ٠٠ وكل حى يتميز بدقة خاصة ٠

وفيما يبدو فان مراكش صارت عاصمة للفنون الشعبية ٠٠ خاصة وانها تحتضن كل عام المهرجان الوطنى للفلكلور ٠ وهو بحق تظاهرة فنية ممتعة تستمر قرابة اسبوعين ٠٠ ويقام داخل مسرح اقيم

فى قصر الرى « قصر البديع » الذى له من اسمه نصيب !

ان احتفال اخوتنا المغاربة بالفنون الشعبية يثير الاعجاب حقا ‥ تجد ذلك من خلال تمسكهم الشديد بازيائهم التقليدية ‥ فالانسان المغربى لا يتخلى عن زيه الوطنى ‥ حتى لو عنّ له ان يرتدى البدلة الافرنجية ! ربما لانه يعتبر ان زيه الوطنى جزء من هويته ٠

فى حفل عرس

ومن هنا تجدهم ـ جميعا ـ يحرصون على ارتداء الازياء الوطنية ايام الجمع ، وفى حفلات الزواج، والختان ، وداخل البيوت اثر العودة من العمل (بالنسبة للذين يرتدون الملابس الافرنجية) ويحرصون على ارتدائه كذلك فى المناسبات ٠

ولا تجد المرأة اى غضاضة او حرج فى ارتداء العجاب ‥ حتى صغيرات السن فى المدن المحافظة وجدت بينهن من ترتدى العجاب ٠ ومن المألوف جدا على ساحل مدينة الدار البيضاء «الكورنيش» ان تجد الحجاب يسير جنبا الى جنب مع البنطلون!

والشعب المغربى الشقيق فنان بطبعه ‥ كان الانسان يرضع الفن مع الحليب ! ففى كل قعدة تحضرهافى بيتمغربىتجد الرقص (يسمونهالشطح) وتجد « جوقة » الموشحات تتصدر المكان ‥ فضلا عن فرقة الفنون الشعبية ‥ و « عدة «الطرب والانس او « الوناسة » كما نسميها هنا !

ولو كتب لك ان تشهد حفل عرس فستردالروح الى دهشتك التى سكنت عن الدهشة منذ امد طويل !

العرس « الفاسى » بالذات مشهور بطقوسه التقليدية العريقة ‥ يكفى ان تعرف ان حفل العرس يبدأ من الظهيرة حتى اذان الفجر ‥ واكثرمنهذا ان حفلاتالقادرينالموسرينتستمرايام قد تصل الى اسبوعين ! ويتميز العرس « الفاسى» بالثراء والفخامة ‥ يبدأ الحفل بتقديم شراب اللوز مع حلويات متنوعة ‥ وينتشر المدعون فى الحديقة بينما « جوقة » الموشحات الاندلسية تصدح بالحانها المطربة ‥ والسيدات يتنافسن فى ارتداء اغلى الملابس ‥ وانفس الحلى ٠ وحين يأتى المساء يكون العدد قد اكتمل ‥ يدعى الناس الى العشاء بينما فرق الغناء والرقص تتناوب تقديم اعمالها الشعبية ٠ وبعدها تزف العروس محمولة على كرسى خاص يشبه الهودج ‥وتسير « الزفة » وسط دقات الدفوف والطبول المتناغمة مع الادعية والزغاريد التى تطلقها فرقة فنيـــة ‥وساعتها يكون الحفل قد ابتدأ ‥ اما كيف ومتى ينتهى فهذا جوابه عند الربع من اهلفاس!

مدينتان تحت اسم واحد

كلما سألنا احد الحاضرين ‥ متى ينفض السامر وينتهى الحفل ؟ لا نجد جوابا شافيا ‥ باكر صباحا وربما ‥ بعد يومين او ثلاثة هذاجائز وممكن ! ثم لم هذا السؤال اساسا ـ يقول لنا اصحاب الحفل ـ هل انتم على عجلة من امركم‥ ام ان الحفل ـ لاسمح الله ـ لم ينل اعجابكم ؟! لكننا لم يكن فى مقدورنا مجاراتهم فى تمضية كل هذه المدة ‥ لاننا ـ وببساطة ـ مرتبطون بزيارات كثيرة نجوب بها المغرب طولا وعرضا ٠

ومدينة فاس من اعرق المدن المغربية اذ تأسست سنة ٨٠٨ ميلادية على يد مولاى ادريس الاول٠ واذا كانت مدينة الرباط هى العاصمة الادارية‥ ومدينة الدار البيضاء هى العاصمة الاقتصادية والصناعية‥فان فاس هى هى ـبحقـعاصمةالعلم والثقافة ٠ ففيها جامعة القرويين التى كانتملتقى مريدى الفكر ، والفلسفة ‥ ، كما انها اعطت للمغرب العديد من العلماء ، والمفكرين ،والفقهاء والادباء ، ورجال السياسة ٠

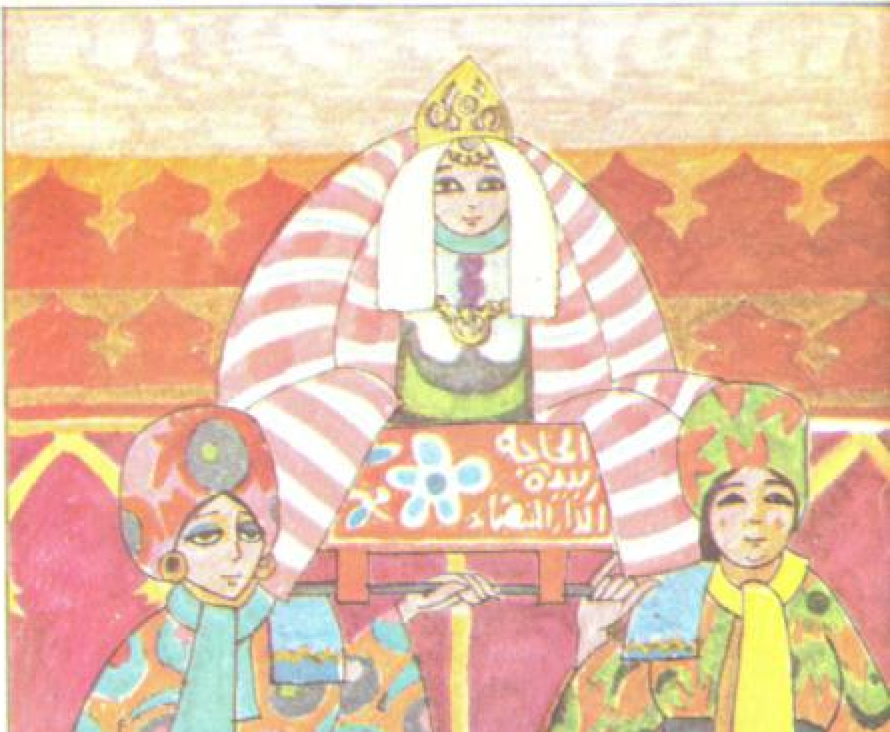
وفاس يمكن القول انها مدينتان تحت اســـم واحد ‥ كيف ؟

فهناك فاس ‥ « القديمة » التى عرفت بهذه الاسم ‥ ونظرا لوقوعها على ملتقى الطرق الاتية من كل الجهات ‥ فقد ضاقت بدور العلم، والمساجد ، والحوانيت وازداد فيها الناسطلاب المعرفة ، والراغبون فى الكسب والتجارة ‥ولهذا كان من الضرورى انشاء مدينة جديدة تجاورها‥ وهى التى تعرف بـ «فاس الجديدة » وهى مقامةعلى ربوة عالية تطل على فاس القديمة ٠

وفاس مدينة يتجاور فيها القديم والحديث ‥ آثارها التاريخية مثل (جامع القرويين ، وجامع الاندلس ، وضريح الملك مولاى ادريس الاول



فرقة شعبية من ساحة الفناء بمراكش



زفة العروس

مقالات وكلمات

■ من الذى يحب صاحبه او قريبه او مواطنه اكثر ؟ اهو الذى يكشف له الستار عن عيوبه ويظهرها كما هي ؟ ام الذى يغض البصر عن نقائصه ويمدحه ليسره ؟ لا شك ان الاول هو الصديق المكروه ، والثانى هو العدو المحبوب ٠

(قاسم امين)

■ نبكى على الدنيا ، وما من معشر
جمعتهم الدنيا ، فلم يتفرقوا

والموت آت ، والنفوس نفائس
والمستعز بما لديه الاحمق

(المتنبى)

■ قلما تترتب الاعمال العظيمة على المجهودات العظيمة ، ولكنها فى الغالب ثمرة مجهودات صغيرة ٠ (جوستاف لوبون)

مؤسس المدينة) تحفظ لها شخصيتها التقليدية بكل ما فيها من عبق التراث واصالة الرواد المؤسسين وعراقة الفكر الذى انتجته هذه المدينة٠ والواحد لا ينسى جلال مشهد المدينة القديمة٠٠ خاصة اذا تطلع عليها من شرفة فندق ٠٠ «المرينيين» المطل عليها من عل٠حيث تبدو المدينة تحتنا باسوارها الصامدة وبواباتها الاربع٠٠ مهيبة ،هادئة ، جميلة بخضرتها ومبانيها ٠٠ تماما كما لو انها قصيدة شعر !

والطبيعة فى الاراضى المغربية تاخذ الالباب٠٠ وتسحر الفنان المحب لكل ما فيه فن وجمال ٠٠ فالسهول مترعة بالخضرة والزهور الندية والفواكه الريانة ٠٠ والجبال تكسوها غابات الارز ٠٠ وتغطيها الثلوج طيلة الشتاء ٠٠ والمياه المعدنية الطبيعية تنفجر من ينابيعها نقية كالبلور الصافى ٠٠ فعلى سبيل المثال ٠٠ هناك ينابيع «سيدى حرازم » التى تبعد حوالى عشرة كيلومترات عن فاس ٠٠ ومنها تستخرج مياه معدنية للشرب ٠٠ فضلا عن ان مياه الينابيع الدافئة مقصد المرضى بالكبد او الكلى ٠٠ وغيرهما !

ويمكن القول ان المغرب هي بلاد الفصول الاربعة ٠٠ ففى عز البرد فان درجة الحرارة فى مدينة مراكش معتدلة تميل الى الدفء المنعش ٠٠ حيث السماء ملبدة بالغيوم ٠٠ واشعة الشمس تحاول اختراقها بين حين واخر ! كما ان ضواحى المدينة جبلية مغطاة بالثلوج ٠٠ وبها مناطق لمحبى رياضة التزحلق على الجليد ٠٠ والمناطق الجبلية (اوريكا ـ اوكامدن) تبعد عن مراكش حوالى ستين كيلو مترا ٠

العرب فى اوروبا

ان كثيرين من السياح العرب يتوجهون صوب اوروبا ٠٠ طلبا للراحة ، والمتعة ، والاستجمام ولسنا هنا ضد الانفتاح على العالم ٠٠ ولا ضد التصعلك فى بلاد الله الواسعة ٠٠ لكن من المهم هنا ـ ان نشير الى ان بلادنا العربية غنية بالطبيعة الجميلة ٠٠ طافحة بما لذ وطاب من خيرات الارض ٠٠ ثرية بكرم ناسها وطباعهم الزينة ٠ ومن هنا يتالم الانسان العربى حين يجد ان السياح العرب (عرب منطقة الخليج والجزيرة العربية خاصة)

■ اذا مضينا في طريق فعلينـــا ان نتخفف من كل اعبائنا وهمومنا ، ولا تأخذنا الريبة في وجهتنا ، فان الطريق والوجهة ستتضحان بذاتهما تحت خطى الحرية الراقصة .

(طاغور)

■ ولقد بكيت على الشبا ب،ولمتي مسودة،ولماء وجهي رونق
حذرا عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفني اشرق

(المتنبي)

■ كل مباحثة مفيدة اذا كان الغرض منها اظهار الحق،ولكنك لا تجد الا شخصا يريد ان يعلمك ما ليس له به علم ، ولا يصغى الى شيء مما تقوله لانه ليس مشغولا الا بما يقوله .

(قاسم امين)

يجدون في لندن ـ مثلا ـ « كعبة » السياحة .. ومكانهم المفضل .. رغم كل العداء الذي يواجهون به من قبل اجهزة الاعلام .. ورغم كـل حملات التجريح والتشهير المنصبة على السلوك العربي في بلاد الانجليز . فعلى سبيل المثال فان سير المرأة المحجبة في شارع .. اوكسفورد .. او مشهد عربي مسن يؤدي الصلاة في حدائق « هايد بارك » كل هذه الانماط العادية من السلوك ينظر اليها الانجليز باستغراب وامتعاض .. ، ربما لانهم لا يريدون لنا ان نحافظ على هويتنا القومية .. ويرغبون في ان يروا صورتنا ممسوخة !

ولست بحاجة الى القول هنا الى انني غير معني بما يكتب عنا حول التصرفات السلبية السيئة التي تصدر من بعضنا في اوروبا وغيرها .. لان هذا موضوع آخر . ان ما يعنيني هنا هو المناخ السياحي الملائم للاسرة العربية التي تريد ان تمارس عاداتها اليومية « الصحية » دون ان تلاحق بنظرات الازدراء .. ولا اظن ان هناك انسب من بلادنا العربيـة نفسها .. لان فيها كل شيء يريده السائح .. ولان العادات واحدة .

ففي المغرب العربي يحترمون ـ وبشدة ـ المواطن العربي الذي يرتدي زيه العربي .. احترام يصل عند بعض الناس البسطاء الى درجة « القداسة » على اعتبار ان سياح الخليج والجزيرة قادمون من الاراضي المقدسة .. فضلا عن النظرة الاخوية نحوهم كعرب اشقاء .

واحترامهم الشديد هذا يدفع السائح المشرقي ـ او على الاقل هذا هو الواجب والمفروض ـ الى احترام نفسه .. خاصة وانه يجد ان سلوكه اليومي لا غبار عليه .. ولا احد يستهجنه .

ان توجه السائح العربي نحو بلاده العربية ضرورة قومية تفرضها عليه التحديات التي تواجهها امتنا من كل حدب وصوب .

وما دامت بلادنا ـ كما اسلفنا ـ غنية بكل ما يسر ويثير السائح .. فان هذا التوجه يصبح سهلا وميسورا .. وليس فيـه اى عنـاء او مشقـة او « تضحية » بعطلة الصيف .

واعتقد ان الجهات السياحية المختصة (وزارات السياحة ـ والاتحاد العربي للسياحة) مقصرة تماما



بائع الماء .. السقاء

بالتعريف بالامكانيات السياحية العربية الهائلة.. فالدعاية العربية قليلة ، وغير مؤثرة .. ان اغلب اشكال الدعاية اعد خصيصا للسائح الاجنبي .واذا جئنا الى مجال الخدمات نجد انها لم تصل بعد الى مستوى الخدمات الموجودة في الدول السياحية المتقدمة .. مثل اسبانيا . و .. السلبيات كثيرة ويمكن تلافيها .. لكن غياب بعض الخدمات لا يجوز ان يدفعنا ــ كل سنة ــ الى التوجه نحو اوروبا.. لان توجهنا السياحي لبلادنا العربية كفيل بان يدفع عجلة التنمية عدة خطوات الى الامام ... وكفيل ــ ايضا ــ بان يجعل الخدمات السياحية العربية في مصاف مثيلاتها في الدول الاوروبية . ■■

سليمان الفهد





فنانة عربية :

في دنيا العرائس





الفنانة بدر حمادة

●● العروسة في البيت والعمل ٠٠ والاحلام!

●● عرائس عربية في معرض اوزاكا باليابان ٠

●● حلم مسرح المائدة الذي لم يتحقق ٠٠

●● عرائس فرعونية وفينيقية وبيزنطية وعربية

●● مشروع مصنع العرايس ٠٠ متى يتحقق؟

● لم تكتف بالعرائس من حولها في كل مكان، حيث تعمل كمصممة ومنفذة بمسرح القاهرة للعرائس ٠٠ لم ينته عشقها للعروسة عندحدود ساعات العمل اليومي ٠٠ لم يشبعها ان ترى عرائسها التي تخيلتها وسجلت معالمها على الورق، تتحول الى عرائس نابضة بالحياة تتحرك وتتكلم وترقص وتغني على المسرح ، امام جمهور منعشاق ذلك الفن ، صغارا وكبارا ٠

لم يكفها ان تكون العروسة حرفتها ، واصرت على ان تحتفظ بها كهواية دائمة ، تملأ بها بيتها، وساعات فراغها ٠٠ وهكذا ، تحول بيت الفنانة بدر حمادة الى عالم من العرائس الصغيرة والكبيرة ٠٠فوق قطع الاثاث وعلى الارفف ٠٠ معلقة بخيوط على الحائط ، ومستندة الى المقاعد والارائك ٠

وفي عام ١٩٦٢ ، دخلت الفنانة بدر حمادة عالمها الحقيقي ، عندما التحقت بمسرح القاهرة للعرائس ، وقبلها امضت خمس سنوات تتولى دروس التربية الفنية في المدارس ، عقب تخرجها من المعهد العالي للتربية الفنية عام ١٩٧٥ ٠

رغم نجاحها في عملها كمدرسة ، احست بدر حمادة بغربة في حياة التدريس ٠ لم تطق ان ترى مئات الاطفال من تلاميذها ، يلعبون حولها كل يوم بخامات الانتاج الفني المتنوعة ، يبدعون لوحاتهم وعرائسهم ،بينما تكتفي هي بالارشاد والتوجيه ٠٠ كانت تنسى نفسها اثناء تلك الدروس ، فتغرق في الخامات الفنية من حولها ، تصنع منها عروسة عاشت طويلا في خيالها ، ناسية الاطفال منحولها الذين تركوا ما بايديهم وتجمعوا يتابعون بانبهار ما تبدعه اصابعها ٠

لم يكن من الممكن ان يستمر هذا ٠ فما ان اعلن مسرح القاهرة للعرائس عن حاجته الى فنانين يصممون العرائس وينفذونها ، حتى اسرعت تستقيل من عملها كمدرسة ، وترتبط بالعمل الذي عشقته وما زالت تعشقه ٠ فشاركت في انجاز العديد من برامج ومسرحيات المسرح ، مثل « دقي يا مزيكة»،و «مدينة الاحلام» ، و « قيراطحورية»٠

ثم تولت بنفسها تصميم وتنفيذ عدة برامج من بينها « صحصح ودندش » ، و « السماء الثامنة»٠ وتعدت عرائس المسرح الى عرائس التلفزيون فعملت فيتصميم وتنفيذ عرائس وديكوراتمسلسل « لبلب وعنتر » ٠

حلم الخلق الكامل

هذا عن قصة الفنانة بدر حمادة مع عرائس المسرح المتحركة ، عرائس القفاز التي تتحركباليد من اسفل ،وعرائس الماريونيت التيتتحرك بالخيوط من اعلى ٠٠ ولكن ، هل اشبعها عملها هذا ؟

احست بدر حمادة ان طاقة الخلق عندها اثناء عملها بمسرح العرائس ، تخضع لعدة قيود ٠فهي اولا تلتزم في تشكيل عرائسها بالنص المسرحي الذي يكون عليها ان تجسد عرائسه ،ثمهي تخضع

رؤية المخرج الذي يطلب لعرائسه مواصفاتها الخاصة التي تدخل في نطاق رؤيته للعمل ككل • ثم هي تخضع للخامات التي تصنع منها العروسة ، والتي يفرضها نوع العرض المسرحي الذي سيقدم النص على اساسه • من هنا تصمم الفنانة على ان يكون لها عالمها الخاص من العرائس ، عالم لا يشاركها فيه احد ، ولا تزاحم ارادتها فيه ارادة اخرى •• عالم تجسد فيه رؤيتها الخاصة الكاملة، بلا حدود او قيود •

في عام ١٩٦٩ ، بدات نشاطها الخاص بما يسمى مسرح عرائس المائدة • نوع من المسرح التربوي الذي يتجاوز فيه الطفل دور المتلقي ، ليشارك في عملية الاداء المسرحي ، اعتمادا على مسرح مصغر يوضع على المائدة ، يجرى فيه تحريك عرائسه الصغيرة البسيطة وفقا لنص مسرحي بسيط وقصير ، يتبادل الاطفال اداءه امام جمهور من الاطفال الاخرين •

ابتدعت نصا بسيطا ، وقامت بتصميم العرائس والديكورات وفقا لرؤيتها الفنية الخالصة • كانت في ذلك الوقت ، تحلم بان تجد اقبالا على هذا المشروع من جانب الهيئات التربوية ، فيتم انتاج مسرح عرائس المائدة على نطاق واسع ، بحيث يصبح في مقدور الاطفال اقتناؤه والاستفادة منه •• حلمت بذلك ، وبقى الامر في حدود الحلم الذي لم يقدر له ان يخرج الى حيز الواقع والتنفيذ العملي •

وعندما اعلن عن اقامة معرض اوزاكا باليابان عام ١٩٧٠ ، قررت شركة حوير حلوان ان تشارك في ذلك المعرض ، بمجموعة من العرائس تمثل بالازياء تاريخ مصر عبر العصور • اوكلت الشركة الى الفنانة امر تصميم وتنفيذ عرائس ذلك المعرض • فنجحت في انجاز عدد من العرائس بالازياء المختلفة للعصور المتباينة •• عرائس فرعونية ، ومملوكية وشعبية •• عرائس من مختلف اقاليم مصر ، من النوبة وسيوه والشرقية •

كما شاركت الفنانة عام ١٩٧٢ في مسابقة « عروسة مولد » التي نظمتها جمعية محبي الفنون الجميلة ، وحصلت على جائزة ذلك المعرض • ونتيجة لنجاحها في هذا الميدان ، انتدبت عام ١٩٧٥ لمدة شهر عن طريق وزارة المجاهدين الجزائرية ، لتدريب مجموعة من ابناء الشهداء على انجاز عدد من العرائس ، التي تصلح كنواة لمتحف جزائري يسجل ازياء ابناء الجزائر في مختلف انحائها •

النجاة من مصيدة الفوتوغرافيا

بعد هذا تعلقت بدر حمادة بالعروسة الثابتة ، فما ان عادت من الجزائر ، حتى انهمكت في انشاء متحفها الخاص الذي احتشدت فيه العرائس •• ما يزيد على ثلاثين عروسة تمثل الازياء الشعبية المصرية ، وازياء العرفيين ، من شاطىء البحر الابيض المتوسط ، وحتى النوبة في اقصى الجنوب•

في هذا تقول بدر حمادة « في عرائسي ، حرصت على تثبيت عناصر الشكل الاساسي للعروسة ، حتى ينصرف جهد الخلق والابداع الى تحقيق السمات الخاصة المتميزة لكل شخصية احاول تجسيدها ، وبرغم وحدة الجسم الاساسي لكل العرائس ، والذي يعتمد على الكرة والمخروط •• كما حرصت في نفس الوقت على تاكيد قيمة الخامة في تصوير الرؤية الفنية • فعالم الخامات هو عالمي المفضل منذ سنوات الدراسة بالمعهد العالي للتربية الفنية • بدأ احساسي بالخامات كوسيلة تعبيرية منذ ذلك الحين •• احسست ان الخامة بملمسها الخاص وطبيعتها الكيميائية تصلح اداة كاملة للتعبير ، وتضفي على العمل الفني اصالة ورسوخا ، قد لا يتحققان باستخدام التلوين المائي او الزيتي • فعنصر اللون في الخامة يكون اصيلا ثابتا ، يؤكد صدق الاحساس بصراحة وجراة » •

لهذا ، حرصت الفنانة بدر حمادة على جمع اكبر قدر من الخامات المختلفة • وما ان تبدا عملها في عروسة جديدة ، حتى تبسط هذه الخامات من حولها ، تتاملها وتتحسسها ، بينما تجرى عملية المواءمة بين رؤيتها الفنية للعروسة التي تتخيلها وبين الخامة المناسبة لهذه الرؤية •• من حيث اللون ودرجة الصلابة او الليونة ، ومن حيث الملمس ودرجة الخشونة او النعومة •

بعد هذا ، يبدا التعبير بهذه الخامات عن عناصر واجزاء العروسة المختلفة • وهنا تظهر قيمة خاصة لطريقتها في استخدام الخامات مباشرة • ذلك ان استخدام الخامة يقتضي قدرا كبيرا من التلخيص الفني للعناصر • فالخامة لا تسمح بالدخول في تفاصيل جزئية صغيرة ، وهكذا تحمي الفنانة نفسها من الوقوع في مصيدة النقل الفوتوغرافي الرخيص







طرائف أجنبية



حياة وموت !

● المؤلف الانجليزى ولكى كولنيز (١٨٢٤ ــ ١٨٨٩) يحدثنا عن الطموح ، يقول : اذا صحوت من نومك فى الصباح قبل ان يصحو جارك ، واذا عملت اكثر وبذلت جهدا اكبر، واذا احببت عملك واخلصت له ،وسهرت الليل تبحث وتنقب فى عقلك عن الطريق الذى



سيوصلك الى هدفك فى الحياة قبل جارك الذى يحرص على الذهاب الى فراشه عند الغروب .. اذا فعلت كل هذا ، فانت لن تكسب اكثر فحسب ، وانت لن تترك ثروة اكبر بعد رحيلك فحسب ، ولكنك حتما سوف تبكر بساعة هذا الرحيل، وربما يعيش جارك من بعدك ليتقبل فيك العزاء !

« هل تنوى بعد هذا ان توقف انطلاقتك فى الحياة؟ انا شخصيا افضل الف مرة ان اعيش حياة قصيرة مليئة بالعرق والكفاح والنجاح ، على ان استسلم للنوم والخمول ! فهذا هو الموت الذى اخافه واهرب منه » .

من الطبيعة . يصبح تعبيرها عن اى عنصر عملية خلق كاملة ،تقتضي تاملا واعيا للاصل ، لاستخلاص عناصره الجوهرية المتميزة ، والغوص الى اعماق علاقاته التشكيلية ، دون الوقوف عند حدود شكله السطحى الخارجى . عند هذا ، تصبح الرقعة الصغيرة من اى خامة من الخامات تعبيرا دقيقا عن عضو من اعضاء العروسة ، ويصبح اى خطأ فى اختيار الخامة او شكل الرقعة المضافة ، افسادا لشخصية العروسة ، وانحرافا عن تسجيل الرؤية الصادقة .

عالمى .. لا أتنازل عنه !

تضحك الفنانة بدر حمادة ، ثم تقول « العروسة .. هى عالمى الذى لا اتنازل عنه » .. حتى فى وجه استنكار بعض الاصدقاء والاقارب الذين تبدو عليهم الدهشة ، عندما يصدمهم انتشار العرائس فى كل مكان من بيتى ، وعندما يكتشفون مدى استغراقى فى دنيا العرائس .. وفى هذا لا تهمنى تعليقاتهم الساخرة التى تتضمن اتهامى بالنكوص!

.. وبالتثبيت عند مرحلة الطفولة التى تسعدها العرائس ! » .

وتروح الفنانة تتحدث عن العروسة كعنصر هام فى مختلف الحضارات الانسانية على مدى التاريخ. الفراعنة صنعوا العرائس لمعبودهم (انوبيس) . كان هيكل العروسة يصنع من الخشب ، ثم يغلف بالاقمشة وما يشبه الورق المقوى . كانت عرائس الغربيين تستخدم فى الطقوس الكهنوتية والمواكب الدينية . وقد راجت صناعة العرائس عند الفراعنة اثناء الدولة الوسطى ، حيث برعوا فى تمثيل الجند فى فيالقهم وهم مدججون بالاسلحة ، كما شكلوا ايضا تماثيل ودمى للملاحين والبنائين والخبازين.. وما زالت العرائس الشعبية المصرية تجرى على نفس تقاليد العرائس الفرعونية .

اما الحضارة الفنيقية فقد عرفت الكثير من العرائس التى كانت تستخدم فى طقوس العبادة.. كذلك اتخذت الحضارة البيزنطية من الدمى المتحركة وسيلة للتظاهر بالعظمة امام سفراء الدول الاخرى والضيوف الوافدين الى مجالس الاباطرة .

وفى قصص « الف ليلة وليلة » ، نجد تكرارا واضحا لذكر العرائس والدمى مرتبطا بخصائصها

قالوا فى
العلم .. والتعليم

● التعليم لا يمكن ان يجعل من كل واحد من ابنائنا زعيما، ولكننا نعرف بفضله ، اى زعيم هذا الذى يجب ان نلتف حوله.

« فورستر »

● تسلية الطفل اليوم تكلف اضعاف ما كان يدفعه والده بالامس من اجل تعليمه.

« هاردنج »

● الفرق الاساسى بين الرجل المتعلم والرجل الجاهل ، هو ان الاول يعرف اشياء كثيرة قرأ عنها ولكنه لم يستطع ان يفهمها!

« ايمرسون »

الحرية .. والنضج !
عند لوثـر كنج



● مارتن لوثر كنج الزعيم الزنجى الامريكى الذى اغتاله اعداء الحرية فى امريكا قال يوما عن الحرية : « هى رجل من السهل ان نقتله . ولكننا ننسى ونحن نصوب الرصاص الى صدره ان هناك الوفا سيحملون الشعلة من بعده .. وقد تخبو النار ولكنها لاتنطفىء».

سألوه عن ولده ، فقال :

« لقد اصبح رجلا منذ بضع سنوات . فهو لم يعد يأتى الى طالبا مالا ، وانما كان يطلب قروضا لا يلبث ان يسددها وكأنها دين عليه ؛

« ولكن شعورى بان ابنى قد كبر فعلا ازداد منذ ذلك اليوم الذى احس فيه هو بان الوقت قد حان لكى يطلع ابويه على الكثير من حقائق الحياة التى كانت خافية عليه .. لقد جلسنا ـ امه وانا ـ ننصت اليه يومها وكأننا نستمع الى اعظم دروس الحياة !! »

السحرية . كما يصف الطبرى ساعة نحاسية هائلة اقيمت بمرصد « سر من رأى » ، بها دمى تظهر فى مواعيد ثابتة ، وتؤدى بعض الحركات ، وكان بعضها على شكل الطيور المغردة .

والثابت من المراجع التاريخية . ان صناعة الدمى والتماثيل المتحركة كانت منتشرة عند العرب. وقد خصص العالم العربى الرزاز الجذرى كتابا عنوانا باسم « كتاب الجامع بين العلم والعمل » ، زوده بعدد كبير من الرسوم الايضاحية المبينة لتركيب الدمى واشكالها وطبيعة هياكلها . كما وضع ابو عامر احمد الاندلسى كتابا باسم « الباهر فى عجائب الحيل » يصف فيه انواعا من الدمى التى تتحرك بما يشبه اعمال الحواة ، والتى كانت تصنع من الشمع وغيره من الخامات .

وفى الشرق الاقصى .. فى الصين واليابان واندونيسيا وجاوة والهند ، عرفت الحضارات اشكالا من الدمى الثابتة والمتحركة لمختلف الاغراض الدينية والعملية والترفيهية .

لقد كانت العرائس والدمى ، انشغال الانسان على مدى تاريخه الطويل ، وعلى مدى سنوات عمره .

عروسة عربية
للجميع

نسأل الفنانة بدر حمادة عن احلامها ومشروعاتها فى عالم العرائس ، فتقول انها تحلم بمصنع او مشغل كبير ، يقوم بانتاج العرائس التى تبدعها ويبدعها غيرها من الفنانين العرب على اوسع نطاق. عرائس لها الى جانب قيمتها الفنية والجمالية ، قيمة تسجيلية، بما فيها من تصوير للازياء الشعبية والتاريخية من مختلف انحاء العالم العربى .

وتقول مستطردة « لن يكفى ان تتجمع مثل هذه العرائس فى متحف خاص ، تقتصر الاستفادة منه على عدد محدود من الزوار .. اريد لهذه العرائس ان يتم انتاجها على اوسع نطاق ، بحيث تنخفض تكاليفها وتصبح متاحة لاوسع جمهور عربى ممكن ..واعتقد اننا بهذا ، ندعم الرابطة بين افراد الشعب العربى ، وترتفع بمستوى التذوق الفنى للجماهير العربية » .

■■

راجي عنايت



في الإسكندرية

دور الكويت في..
أوّل أكاديميّة
للنقل البحري

١٢٥٠ طالب من ١٦ دولة عربية
يعيدون للعرب مجدهم البحري القديم

استطلاع بقلم: منير نصيف
تصوير: حسن الصفار







مع بداية كل يوم دراسي ·· تحية العلم فى الصباح ··· علم الاكاديمية وعلم الجامعة العربية ·· ثم تبدأ المحاضرات النظرية والعملية ·· وأحد الطلبة أمام الاجهزة البحرية الحديثة التى يتدربون عليها فى مقر الاكاديمية بالاسكندرية ·

.. وتمضي القافلة في مسيرتها ، رغم الصعاب !

انها تحتضن اليوم ربابنة الغد .. رجال المستقبل . هؤلاء الذين سيعيدون للعرب أمجادهم حاملين الفائض من خير أرضهم الى العالم القريب والبعيد .. عائدين بسفنهم وقد امتلأت بكل ما نحن في حاجة اليه .. هكذا عاشت الدول والشعوب منذ أن كانت هناك حياة .. بيع وشراء صادر ووارد .. وكان البحر وما زال المنفذ الاول والمنفذ الاكبر قبل أن يعرف الانسان الآلة التي سخرها لخدمته برا ، ونقلته مع تجارته جوا ..وحتى بعد انتاج الشاحنات والطائرات .. لقد بقى البحر وسيلة النقل الاساسية للتجارة بين الدول .. فالذي تحمله سفينة شحن واحدة تعجز عن نقله مئات الطائرات والشاحنات !

تحرك عربي أشمل

كانت الاكاديمية العربية للنقل البحري ، جزءا من تحرك عربي اكبر واشمل .. فقد بدأ التحرك منذ عشرات السنين وفي كل الاتجاهات .. في بناء السفن الحديثة .. في تشييد الموانىء الجديدة وتوسيعها وتطويرها حتى تصبح قادرة على استقبال أحدث ما توصل اليه العلم في صناعة السفن التجارية .. وأخيرا في اعداد هؤلاء الرجال الذين سيركبون البحر ويكتشفون أسراره حاملين ثروات بلادهم .. وقد بقيت « دفة » هذه السفن في أيد غير عربية وما زالت ، حتى بدأنا نعد تلك الكوادر البحرية الشابة من ابنائنا نحن العرب ، فاصبحوا يعملون اليوم في الموانىء وفي بناء سفن الغد وصيانتها وفي تحريك دفاتها !

وعدنا الى الاكاديمية ، فقد كان لنا لقاء بها ، وبالقائمين عليها ، والعاملين فيها منذ أربع سنوات ، وكان العمل في هذه المؤسسة العربية ما زال في بدايته .. ومع هذا فقد كان ميلاده كبيرا .. بفضل ايمان القائمين عليه بالدور الكبير الذي تضطلع به الاكاديمية ، والامل المعقود عليها وبفضل تشجيع الدول العربية الشقيقة ومساندتها ماديا وأدبيا .. كانت الاكاديمية وقتها تشغل مقار مؤقتة في عدد من المباني الخاصة والعامة في مدينة الاسكندرية ، وقد انتظمت الدراسة ، وبدأ الطلبة يتوافدون ويتزايدون من مختلف الدول العربية التي شاركت في هذا المشروع ، والتي لم تشارك بعد .. وكان العمل يجري على قدم وساق في بناء المقر الدائم للاكاديمية بمنطقة خليج أبي قير .

مدينة متكاملة

وشاهدنا النموذج المجسم للمباني التي كانت بدأت تعلو بالفعل، واستمعنا الى المهندس العميد بحري أسعد رياض المسئول عن منشآت وتركيبات وتجهيزات الاكاديمية ، وهو يحدثنا بحماس عن هذه المدينة الكاملة المتكاملة التي اقاموها في هذا المكان التاريخي ، قال : « لقد قدمت مصر ، دولة المقر ، أو الدولة المضيفة ، الارض التي تقام عليها المباني حاليا ، وتبلغ مساحتها ٣٠٠ ألف متر مربع ، يضاف اليها ٢٥٠ ألف متر مربع من الارض الواقعة على شاطىء خليج أبي قير مباشرة .. وهذه المباني ستصبح عند اكتمالها خلال العامين القادمين بعد بدء عملية البناء ، اي في عام ١٩٧٥ ، وهو الموعد الذي كان مقدرا للانتهاء منها، مدينة صغيرة تحوي المباني الخاصة، بالمعاهد الدراسية المختلفة ، ومباني أخرى لسكن الطلبة واعاشتهم ، كما ستضم ملاعب للرياضة البدنية ، ومستشفى خاصا ، ومسرحا كامل التجهيز ومعامل وورشا هندسية ، ثم مرسى في خليج أبي قير خاصا بالوحدات البحرية التابعة للاكاديمية ، والتجهيزات اللازمة للتدريب العملي .. قدمت مصر الارض ، وقدمت خبراتها ورجالها وكل ما لديها من امكانيات . وكان المال يعوزها، فتوفر بفضل ما قدمته الدول الاعضاء ، وفي مقدمتها الكويت التي كانت من أول الدول التي تبنت هذا المشروع وساندته وشجعته بالمال والرجال، وأوشكت عملية البناء على الانتهاء أو كادت ..

اهتمام الكويت بالمشروع

قال لنا السيد سعود الزامل عضو مجلس الادارة المنتدب وممثل دولة الكويت في مجلس ادارة



مجموعة من طلبة الاكاديمية يستقلون السيارة من السكن المخصص لهم فى احدى العمارات الحديثة بالاسكندرية الى مقر الدراسة ثم تعود بهم فى نهاية اليوم الدراسي .

الاكاديميه الذى يضم ممثلين لكل الدول الاعضاء .. قال يشرح لنا دور الكويت فى تحقيق قيام هذا المشروع الحيوى : « لقد بدأ اهتمام دولة الكويت بهذا المشروع منذ اللحظة الاولى التى عرض عليها فيه ، بدليل انه كان لدينا مشروع كامل متكامل لاقامة معهد بحرى فى الكويت لتخريج الكوادر البحرية التى تحتاج اليها البلاد، فلما عرض مشروع الاكاديمية العربية على حكومة الكويت ، سارعت على الفور بالاسهام فيه بل وصرفت النظر عن مشروعها هى باقامة المعهد البحرى الكويتى ..

ويمضى سعود الزامل شارحا موقف بلاده : « لقد فعلت الكويت ما فعلت ايمانا منها باهمية العمل العربى المشترك وتشجيعه ومساندته ..وقد تمثلت هذه المساندة فى الدعم المادى والبشرى الذى كانت الكويت سباقة فى تقديمه من اجل استكمال مقومات الشخصية العربية للاكاديمية . وبلغ ما ساهمت به الكويت فى المشروع حتى اليوم ما يوازى خمسة ملايين دولار .

« اننى اود ان اوضح فى هذا المجال نقطة هامة ، تتصل اتصالا مباشرا بالاهتمام الكبير الذى لقيه هذا المشروع من جانب الكويت ودوافعه ،وقد ذكرت بعض الاسباب، وفى مقدمتها العمل القومى، او العمل العربى الجماعى ، والى جانب ذلك هناك بطبيعة الحال، دوافع اخرى خاصة بالكويت ذاتها ، وبطبيعة الحياة فيها .. ان بلدنا كان وما زال يعتمد ، كما تعلمون ، على البحر ، كمنفذ اساسى . فى كويت الامس ، كان البحر كل شىء فى حياتنا ،وفى كويت اليوم مازلنا نعتمد على البحر فى تصدير ثرواتنا واستيراد كل ما نحن فى حاجة اليه .. ان لدينا اليوم ما يقرب من ٣٨ باخرة كبيرة من عابرات المحيطات وناقلات البترول التى تحمل هذه الطاقة الهائلة الى اسواق العالم .. ويجرى العمل الآن فى بناء ٣٢ باخرة اخرى من الناقلات العملاقة وناقلات الغاز الطبيعى والسفن التجارية .. هذا الى جانب ما يزيد على المائتين وعشرين قطعة بحرية تملكها الكويت اليوم ، وتستخدم فى متطلبات السلامة البحرية .. » .

حاجة الكويت للكوادر البحرية

ثم يقول السيد الزامل : « بلد يملك مثل هذا الاسطول الكبير من الوحدات التجارية البحرية، لا شك فى حاجة الى تشغيلها وصيانتها وادارتها .. اننى اقدر ما تحتاج اليه الكويت حاليا من الضباط والمهندسين وضباط الراديو البحريين ، بما لا يقل عن ١٥٠٠ ضابط من مختلف الرتب البحرية ، وخاصة اذا علمنا انه اصبح فى الكويت الآن تسعة موانىء بحرية مختلفة الطاقة ، الى جانب حوض لبناء السفن واصلاحها فى ميناء الشويخ .. هذا عدا ما تحتاجه شركات البترول العاملة فى الكويت من كوادر بحرية للعمل فى مجال الحفر والتنقيب فى مياه الخليج ، وكذلك احتياجات قطاع صيد الاسماك » .

من اجل هذا كله اذن ، كان اهتمام الكويت بالاكاديمية العربية للنقل البحرى . ثم قال السيد



العميد جمال الدين مختار المدير العام للاكاديمية فى لقاء مع بعض المسئولين امام خارطة الموقع العام لمبانى الاكاديمية فى ابى قير .. (الى اليمين) اللواء محمود السماك الوكيل الأول لوزارة النقل البحرى، (والى اليسار) العميد محمد الامير نائب المدير العام للطلبة والتدريب فى البحر ، والعقيد كاظم زيتونة ممثل سوريا فى مجلس ادارة الاكاديمية ، والصورة المقابلة لنموذج مبانى الاكاديمية المقابلة تقرر سلخ جزء من مبانيها وضمه لمصنع الأسمدة .

السيد سعود الزامل ممثل الكويت فى مجلس ادارة الاكاديمية والعضو المنتدب يتوسط مجموعة من الطلبة الكويتيين الدارسين .. ربابنة الغد .





الزامل : « انها تستطيع أن تقوم بدور كبير في سد احتياجات العالم العربي كله ودولة الكويت بصفة خاصة ، اذا لم يعترض هذا المشروع اية عقبات تعرقل مسيرته ! »

المشكلة ٠٠ ما هي ؟

وعند هذه العبارة الاخيرة التي اختتم بها ممثل الكويت حديثه معنا ، وجدنا انفسنا نتوقف ونتساءل ولكن لماذا توقفنا ؟ الا يمكن ان تقوم العقبات ٠٠ أيا كان نوعها في طريق اى عمل ؟ الواقع اننا شعرنا من خلال حديث ممثل الكويت ان ثمة عقبات بالفعل قد اعترضت مسيرة هذا العمل الكبير ،بعد كل الجهد الذى بذل في انجازه وانجاحه من جانب القائمين عليه والمشرفين على مسيرته وانطلاقته ،وبعد كل هذه المساندة والتشجيع من جانب اكثر من ١٤ دولة عربية انضمت الى المشروع منذ توقيع الاتفاقية الخاصة بقيامه في جامعة الدول العربية في عام ١٩٧٠

ولكن السيد سعود الزامل اكتفى بالتلميح دون التصريح ٠٠ ولم يكن الامر في حاجة بعد ذلك الى اى جهد للوقوف على طبيعة هذه العقبات والتعرف عليها ٠٠ ففي لقائنا بالعميد جمال الدين مختار ، مدير عام الاكاديمية العربية للنقل البحرى ، عرفنا القصة كلها ٠٠ ولم يكن وحده عندما جلس الينا يحدثنا عن « المشكلة » التى واجهت الاكاديمية بالفعل وهى منطلقة في مسيرتها ، وكيف امكن اجتيازها والتغلب عليها، ولو ان ساعة « الحساب » لم تأت بعد مع المسئول عن الخطأ الذى ادى الى ظهور هذه المشكلة التى لم تكن في الحسبان !

حديث صريح مع مدير الاكاديمية

كان مدير الاكاديمية يتحدث ، وكان معه في هذا اللقاء اللواء محمود السماك، الرجل المسئول عن تنفيذ سياسة حكومة مصر ، دولة المقر ، او الدولة المضيفة ، بوصفه ممثلا لوزارة النقل البحرى ، والعميد الفونس صادق نائب مدير عام الاكاديمية للتخطيط والتعليم ٠٠ قال العميد جمال : « نعم ، واجهتنا مشكلة لم نكن نتوقعها، فقد بدأوا في بناء مصنع للاسمدة الكيماوية ملاصق لمباني الاكاديمية في أبي قير ٠ وعلى الفور ثار السؤال الذى لم يكن هناك بد من اثارته ٠٠ ترى ما هو تأثير قيام هذا المصنع بعد اكتماله وتشغيله على البيئة ٠٠ وهل هناك خطر من حدوث تلوث للجو في هذه البقعة التى سينتقل اليها ابناؤنا، والعمل في بناء الاكاديمية بكل مرافقها يوشك على الانتهاء ٠٠ »

« واتفقنا في اجتماع مبدئي على ان يشيد المصنع المباني الخاصة بالادارة في الجزء الملاصق للاكاديمية ، بحيث تكون التركيبات الخاصة بالمصنع في الجزء الغربي من الموقع ٠٠ ثم كانت المفاجأة عندما اكتشفنا ان هذا الاتفاق ،ولاسباب غير واضحة ، لم ينفذ ، فقد انشئت التركيبات بجوار الحد الغربي الملاصق لمباني الاكاديمية ! »

اجتماع طارىء لبحث المشكلة

« وعقد مجلس ادارة الاكاديمية العربية للنقل البحرى ، اجتماعا طارئا لبحث الموضوع ، وقابلنا السيد رئيس وزراء مصر ممدوح سالم الذى انتقل بنفسه الى الموقع وبحث الموضوع في اجتماع ضم وزير النقل البحرى ووزير الصناعة في جمهورية مصر ، السيد عيسى شاهين ، ورئيس مجلس ادارة شركة الاسمدة ، وحضر الاجتماع ممثل الكويت والعضو المنتدب الاخ سعود الزامل، وانا ٠

« وفى الاجتماع راح المسئولون عن المصنع يؤكدون سلامة المشروع وعدم تشكيله اى خطر ، كما تعهدوا باتخاذ كل الاحتياطات التى تحول دون حدوث اى تلوث للهواء ، وهى عملية كبيرة سوف تكلفهم اكثر من مليون جنيه ، على ان تسند هذه المهمة الى جهاز دولي محايد لرصد اى تلوث قد ينشأ بعد تشغيل المصنع ، وتعهدوا بتكليف خبراء المان متخصصين في هذا المجال للعمل معهم بالمصنع لمدة خمس سنوات لضمان سلامة البيئة من اى تلوث ٠

« ان كل هذه التعهدات التى التزم بها المسئولون في مصنع الاسمدة تمت في حضور السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء والوزراء المعنيين ٠٠ ليس هذا فحسب ، بل لقد ابدى رئيس الوزراء استعداد الدولة لتعويض الاكاديمية عن المباني المجاورة للمصنع ، عن طريق تقديم ارض بديلة في شرق الموقع والالتزام بتشييد المباني اللازمة فوق هذه الارض الجديدة خلال ستة اشهر على اكثر تقدير » ٠

ماذا قال الخبراء ؟

ويمضى العميد جمال فى حديثه عن « المشكلة » التى لم تكن فى الحسبان ، فيقول : « وبالرغم من هذا كله ، فقد طلبت الى السيد ممدوح سالم الالتجاء الى منظمة الامكو (١) ، او المنظمة البحرية الاستشارية للحكومات ، للقيام باختيار خبراء دوليين محايدين تكون مهمتهم وضع تقرير يتضمن وجهة نظرهم فى موضوع التلوث الذى اصبح شغلنا الشاغل ، حرصا منا على سلامة ابنائنا ، وسمعة الاكاديمية ، فهى قضية ، كما رأيتم ، لا تهم مصر فحسب ، بل هى قضية تهم العالم العربى كله » .

وبالفعل ، قامت منظمة الامكو بتكليف بيت متخصص فى مجال التلوث ببحث هذا الموضوع وتقديم تقرير واف عن كل الاحتمالات . وعلى اثر انتهاء الخبراء من تقريرهم ، سافرنا الاخ سعود الزامل ، ممثل الكويت وانا الى لندن لمناقشة التقرير فى مقر الامكو بوجود احد خبرائهم وهو الدكتور وانهام Wenham والسيد مؤيد الرشيد من دولة الكويت .

وكانت خلاصة كل هذه الاجتماعات والبحوث التى اجريت :

(اولا) هناك عدة اجراءات وتدابير تتخذ لمكافحة التلوث ، وهى ليست بجديدة ، فهى متبعة فى كثير من مناطق العالم المعرضة لخطر التلوث ، وفى حالة اتخاذ هذه التدابير يمكن القول بانه لن يكون هناك خطر من حدوث تلوث على الاطلاق .

(ثانيا) فى حالة عدم اتخاذ هذه الاجراءات والتدابير ، فان الخبراء ينصحون بان تكون هناك مسافة قدرها الف متر بين وحدات الانتاج فى المصنع وكذلك مخازن الامونيا او النشادر وبين اماكن التدريب والاسكان للطلبة فى مبانى الاكاديمية .

وقد طالبت من جانبى ، وباصرار بضرورة توفير هذين العاملين ، اى تنفيذ الاجراءات التى تكفل عدم حدوث اى تلوث ، ووضع جهاز دولى محايد على الجانبين تكون مهمته رصد احتمال وجود ادنى تلوث فى الهواء ، على أن يتم هذا كله جنبا الى جنب مع توفير مسافة الامان المقترحة ، اى الالف متر .

وبناء عليه فقد تم نقل مخازن الامونيا لمسافة خمسمائة متر بعيدا عن سور الاكاديمية كما قمنا نحن من جانبنا بالتخلى عن نصف مبانى الاكاديمية والارض المحيطة بها ، على اساس ان يتم تعويضنا عما تنازلنا عنه من مبان وارض فى منطقة اخرى .

خطأ ما كان يجب أن يحدث

بقيت النتيجة الثالثة التى توصل اليها الخبراء فى تقريرهم ، وهى ليست بنتيجة ، وانما هى فى الواقع تحديد للسبب الذى ادى الى هذه المتاعب .. لقد ذكر التقرير بوضوح انه لم يكن من المناسب اقامة مصنع للاسمدة الكيماوية بجوار الاكاديمية .

ثبت اذن حدوث خطأ .. ومع كل خطأ يقع يبرز العديد من التساؤلات ، فهذه هى القاعدة .. وكان أهم ما اثير من علامات الاستفهام : « هل

١٢٥٨ دارسا

طلبة الاكاديمية العربية للنقل البحرى من الدارسين من مختلف الاقطار العربية حتى اخر عام ١٩٧٧ ، بلغ عددهم ١٢٥٨ طالبا موزعين كالاتى :

٨٠٧ طلبة الدراسات الاساسية بالاكاديمية .

١٦٦ طالبا بدراسات الضباط البحريين .

١٢٧ دارسا بمعهد ادارة واقتصاديات النقل البحرى .

٥٤ طالبا بمركز تدريب الفنيين البحريين .

وينتمى هؤلاء الطلبة الى ١٦ قطرا عربيا هى السودان ، وسوريا ، والكويت ، ودولة الامارات والبحرين وقطر والاردن والجزائر والسعودية ولبنان ومصر واليمن الجنوبى واليمن الشمالى وليبيا وتونس والصومال ، كما ان هناك طالبا واحدا جاء من كينيا .

---

(1) Intergovernmental Maritime Consultative Organization.

ضاقت الارض ، فلم يجدوا غير تلك البقعة الملاصقة للاكاديمية مباشرة ؟ ولم كانت هذه المنطقة التي تبعد حوالي ستين كيلو مترا عن قلب ميناء الاسكندرية ، تقطعها السيارة في اكثر من ساعة ، نظرا لعدم وجود طريق ممهد اليها بعد اجتياز طريق الجيش او الكورنيش عند ميامي ؟ واخيرا وهو السؤال الاهم ، من المسئول عن هذا الخطأ ؟ ومتى ياتي الحساب ؟

لا نريد ان نخوض في تفاصيل هذه الاسئلة المطروحة الآن ، فالموضوع كله امام القضاء وسوف يقول فيه كلمته ٠

موقف مصر الرسمي

ولكن لا بد لنا ان نستكمل الصورة ٠ هل تحققت مطالب الاكاديمية كما اوضحها وحددها مديرها العام العميد جمال الدين مختار ؟

توجهنا بسؤالنا هذا الى اللواء بحري محمود السماك وكيل اول وزارة النقل البحري ، وكان كما ذكرنا ، يستمع الى حديث مدير الاكاديمية وهو يشرح لنا أبعاد المشكلة كلها ٠ وقال اللواء السماك الذي يشغل أيضا الى جانب منصبه الرسمي ، منصبا آخر في الاكاديمية ، فهو أحد أعضاء مجلس ادارتها بوصفه ممثلا لوزارة النقل

مجموعة من طلبة الاكاديمية يتدربون على الاجهزة البحرية الحديثة في المعامل ٠٠ هذه الاجهزة تطابق تماما ما هو منها على السفن التي سيعملون عليها بعد التخرج ٠



● اكاديمية النقل البحرى



الضابط البحرى الكويتى على محمد على عبد الله ·· مع قبطان الباخرة الكويتية «الشدادية» ·· امام جهاز القيادة فى ميناء الشويخ بالكويت ··· تخرج الضابط من الاكاديمية ، وهو يقضى الآن فترة التدريب العملى فى اعالى البحار·

البحرى ، قال : « اود ان اؤكد لكم ان مصر لن تدخر جهدا فى سبيل انجاح هذا المشروع الذى يهم العرب جميعا ، وسوف نبذل كل ما فى وسعنا لتذليل العقبات والصعاب التى قد تعترض الاكاديمية فى مسيرتها العلمية نحو مستقبل افضل وحياة اكثر رفاهية بالنسبة لاقتصاد الدول العربية الشقيقة الممثلة وغير الممثلة فى الاكاديمية· ان ما حدث فيما يتصل بهذا « العرض » ولا اقول « المرض » الذى صادف الاكاديمية ، لن يستمر طويلا ، وسوف نقوم ببناء كل ما نحتاج اليه من مبان جديدة فى اى منطقة ·· فى اى بقعة يختارها القائمون عليها ، من أجل تحقيق اهدافها والمضى فى رسالتها فهذه هى سياسة مصر تجاه كل عمل عربى جماعى على المستوى القومى ·· كل عمل يهدف لخير هذه الامة ، أرجو ان تنقلوا على لسانى الى الامة العربية التى تنتشر فيها مجلتكم « العربى » وأنا من قرائها ، ان مصر سوف تفى بالتزاماتها كاملة ، كما وردت بوثيقة المشروع التى وقعتها باعتبارها الدولة المضيفة ، وبناء عليه فسوف تمضى فى توفير الارض والمبانى لهذا المعهد الذى ذابت فى كيانه كل المعاهد المصرية البحرية التجارية بكل امكانياتها البشرية والمادية ، فليس من المعقول اذن ان تتخلى مصر عن هذا المعهد الذى ولد ليعيش وينمو ويزدهر » ·

ونترك « المشكلة » ان جاز لنا ان نسميها مشكلة بعد ان حلت او اصبحت فى طريقها الى الحل بفضل النوايا الطيبة ، وما اكثر ما سمعنا من أصحابها ·· وكل ما قيل ويقال اليوم وكل ما شاهدناه على الطبيعة فى جولتنا وأحاديثنا مع المسئولين فى الاكاديمية يشير بصورة قاطعة الى ان هذا العمل العربى الكبير ، سوف يمضى فى مسيرته ، وفى طريقه المرسوم ، رغم كل الصعاب ، فهما بلغت ومهما كان حجمها ·

انجازات الاكاديمية

وننتقل الى موضوع اخر · الى الانجازات التى حققتها الاكاديمية منذ قيامها فى عام ١٩٧٢ · اين هم الان ؟ كيف كانت الصورة فى بدايتها ، وكيف اصبحت اليوم ؟

وكان المتحدث هذه المرة هو العميد بحرى الفونس صادق نائب مدير عام الاكاديمية للتخطيط والتعليم ، قال : « لقد حققت الاكاديمية انجازات ملحوظة وملموسة خلال تلك الفترة الزمنية القصيرة التى انقضت منذ قيامها ، ويرجع الفضل فى ذلك الى تشجيع ومساندة الدول العربية الشقيقة الاعضاء فيها ، والى تأييد المؤسسات الدولية ، والى الجهود المستمرة التى يبذلها القائمون والمشرفون عليها · لقد دخلت الاكاديمية عهدا جديدا فى عام ١٩٧٥ عندما عكف المعنيون

فيها على دراسة تطور نظم ومناهج وخطط التعليم بها .. أما من ناحية نظم التدريس فقد بدأنا في بحث امكان تطبيق نظام الساعات المعتمدة ، وهو النظام الجديد في التعليم الذي اتبعته جامعة الكويت وجامعة الرياض وبعض الجامعات العربية الاخرى .

مساهمة الصندوق العربي للانماء

« واما من ناحية المناهج وخطط التعليم ، فقد اتجهت الدراسة الى بحث تطوير المناهج لمنح درجة البكالوريوس في الدراسات البحرية والهندسية والالكترونية والاقتصادية الى جانب الشهادات الاهلية ، وقد قدم الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي في الكويت ، معونة فنية للاكاديمية قيمتها ١٧٠ الف دينار كويتي (حوالي نصف مليون دولار) ، مساهمة منه في تطوير انظمة العمل في الاكاديمية ، كما كلف الصندوق الكلية البحرية في جامعة نيويورك بتقديم دراسة شاملة للاكاديمية حتى يمكن تطبيق هذه النظم الجديدة ، وقد تمت هذه الدراسات ، بالفعل ، وأصبح هناك تعاون فعلي مع الكلية البحرية الامريكية لتنسيق المناهج الجديدة للاكاديمية وخدمات التعليم بها ،وسوف يطبق نظام الساعات المعتمدة اعتبارا من العام الدراسي الحالي ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ .

وفي مجال تدريب البحارة والفنيين على السفن التجارية ، فقد تعاقدت الاكاديمية مع الحكومة اليابانية على ان تقدم الوكالة اليابانية للتعاون الدولي معونة فنية للاكاديمية من اجل تطوير مناهج التعليم الخاصة بالفنيين ، وتوفير المعدات اللازمة لتدريبهم ، على غرار ما هو متبع في المعاهد البحرية اليابانية .

« كما ستوفد اليابان عددا من الخبراء للاشراف على تنفيذ المناهج الجديدة ومعاونة هيئة التدريس العربية في اداء اعمالها وسوف تستقبل في الوقت نفسه عددا من المدرسين والمدربين في اليابان ، لتدريبهم على اساليب التعليم المتبعة في معاهدهم .

بقي مجال الاقتصاديين والاداريين ، ويقول العميد الفونس صادق اننا بصدد ابرام اتفاق مع المعهد البحري الهولندي في ميناء روتردام لتطوير مناهج الدبلوم في ادارة واقتصاديات النقل البحري، وفي منح درجة الماجستير في هذا التخصص للعاملين في الشركات والمؤسسات والموانيء العربية » .

بين اليوم والامس

اين هم الان ؟ طلبة الاكاديمية ، وكيف كانت الصورة ، ثم كيف اصبحت اليوم ؟ بقية السؤال الذي طرحناه مع الحديث عن الانجازات..

ويقول نائب المدير العام للاكاديمية: «في البداية، اي في العام الدراسي الاول ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ ، الحقت الاكاديمية طلبة القسم التجاري بالكلية البحرية العسكرية .. وفي عام ١٩٧٤ بدأت الاكاديمية في توزيع طلبتها على مبانيها المؤقتة التي وقع عليها الاختيار في ضاحية « سيدي بشر » بالاسكندرية ، وهو نفس العام الذي سجلت فيه مجلة « العربي » صورة هذا العمل الكبير في بدايته (٢) ونجحنا في توفير عدد لا بأس به من اعضاء هيئة التدريس المتفرغين والزائرين ،الذين امكنهم القيام بعبء التدريس في ظل ظروف صعبة وغير متكاملة كما استطعنا الحصول على السفينة « عايدة ٣ » للتدريب ، وقد اعارتها لنا وزارة النقل البحري المصرية .

« وبدأت هيئة التدريس تنمو ويتزايد عدد اعضائها منذ ذلك العام ، لقد بدأنا ولم يكن عندنا اكثر من ٣٥ مدرسا ، فاصبح عددهم اليوم اكثر من مائة مدرس واستاذ متخصص ويحمل غالبيتهم درجة الدكتوراه في شتى فروع العلم . وقد اوفدنا نحو خمسين استاذا الى الخارج للحصول على الدرجات العلمية والفنية العالية في فروع التخصص البحرية ، وتفخر الاكاديمية بأن بين اساتذتها اول اخصائيين عرب يحصلون على شهادتي المهندس الاول الممتاز والربان الممتاز من المملكة المتحدة ، كما تفخر ايضا بالمنح الدراسية التي قدمت لاعضاء هيئة التدريس بها من الجامعات والمعاهد البريطانية لاستكمال بحوثهم ودراساتهم في مجالات الهندسة والالكترونات البحرية .

(٢) اقرأ استطلاع العربي رقم ١٨٧ (يونيو ١٩٧٤) .



طالبان عربيان من السعودية يقضيان فترة التدريب العملية على احدى السفن الكويتية بميناء الشويخ ثم يعودان بعدها الى دراستهما .

« لقد تخرج من الاكاديمية حتى الان خمسون دارسا او اكثر ، حصلوا جميعا على الشهادات الاهلية البحرية والهندسية ، وهم اليوم يعملون على السفن العربية المختلفة كضباط بحريين ومهندسين متخصصين .. ومن بينهم اول ضباط بحريين كويتيين وفلسطينيين وعراقيين وليبيين » .

وينهى العميد الفونس صادق حديثه بكلمةيعبر فيها عن تفاؤله بمستقبل الاكاديمية العربية للنقل البحرى ، رغم كل ما صادفها ويصادفها من صعاب ..

رجال الغد

وننصرف لنكمل جولتنا بين المبانى التى تحتضن ابناءنا ، رجال الغد الذين يتطلع اليهم وطننا العربى كله من خليجه الى محيطه .. ونعود بعد ان نستكمل رحلتنا التىاستغرقت اسبوعا قضيناه معهم ، لنودع القائمينعلى هذا المشروع الحيوى، ويقول لنا العميد جمال الدين مختار :« اود وانا اودعكم ان اقول بكل الصدق ان موقف دولة الكويت الشقيقة كان كعهدنا بها دائما موقفارائعا ورائدا لانها كانت اول دولة اعتمد مجلس وزرائها حصتها فىالاسهام فى مبانى الاكاديمية الامر الذى كان له اكبر الاثر فى ان تحذو بقية الدول العربية الشقيقة حذوها . ثم ان كبار المسئولين فى الكويت ، واخص بالذكر السيد سليمان حمود الخالد وزير المواصلات ، والسيد عبد الرحمن خالد الغنيم وكيل الوزارة ، لا يدخرونجهدا فى سبيل دعم الاكاديميةومساندتها.

« واود ان اشير ايضا الى الدعم المالى الذى تلقته الاكاديمية مؤخرا من الشركة العربية البحرية لنقل البترولAMPTC ، وتبلغ قيمته ٥٠ الف دولار سنويا لشراء معدات بحرية حديثة . كما قررت منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط اخيرا دعم الاكاديمية بمبلغ خمسة ملايين دولار .. من هذا كله يتضح حجم الدعم الكويتى والمنظمات العربية التى تقوم الكويت من خلالها بدور اساسى له ثقله » . ■■

منير نصيف

مايو ١٩٧٧

لقاح جديد ضد الكوليرا

● نجح العلماء السويديون فى تطوير لقاح جديد ضد الكوليرا يفوق اللقاح القديم من حيث الحصانة. فهذا اللقاح القديم ، وان كان عظيم الفائدة فى اعمال مكافحة الكوليرا من حيث هى وباء .. فانه محدود الاثر فى الاصابات الفردية . فالمناعة التى يولدها فى الافراد لا تجاوز ٥٠٪ وهى قصيرة الاجل على كل حال ، ولا تتعدى ستة شهور ، كما هو معروف .

وتجدر الاشارة الى ان بكتريا الكوليرا نفسها هى قوام اللقاح القديم .. وهم يقتلونها قبل ان يصنعوا منها تلك اللقاحات ومن شان هذه البكتريا ان تستثير الجسم الذى تدخله ، فيطلق هذا الاجسام المضادة بقصد الدفاع عن نفسه ضد تلك البكتريا .

ولما كان اكبر خطر يترتب على بكتريا الكوليرا هو فى المادة السامة التى تفرزها لدى التصاقها بجدار المعى ، كانت اكبر مهمة تقوم بها الاجسام المضادة هى الحيلولة بين جدار المعى من جهة وبين البكتريا وافرازاتها السامة من جهة اخرى .ذلك ان هذه الافرازات تزيد جدار المعى قابلية لرشح الماء ، وتؤدى بالتالى الى جفاف الجسم Dehydratim بحيث تحدث الوفاة ، ما لم يلق المصاب بالكوليرا العناية الطبية الضرورية بالسرعة الكلية .

وجاءت الدراسات والابحاث التى قام بها مؤخرا فريق من العلماء والاطباء فى السويد باشراف الدكتور هولجرم Dr. J Holmgrem والتى اوردت تفاصيلها مجلة ناتشر العلمية Nature فى مقال نشرته للدكتور هولجرم وزملائه فى عددها الصادر فى ١٣ اكتوبر ١٩٧٧ ، حيث انصب الاهتمام على اللقاح القديم نفسه ، واستهدفت التجارب التعديل فى تركيب هذا اللقاح بما يكفل مضاعفة حصانته ..

وثبت للعلماء السويديين ان خير سبيل الى ذلك انما هو فى ادخال المادة السامة التى تفرزها بكتريا الكوليرا فى صنع اللقاح نفسه . وهكذا يصبح لدينا لقاح للكوليرا جديد يختلف عن القديم من حيث

الادمان ..

● كلنا يعلم ان الادمان على الخمر يلحق الضرر بصحة المدمنين .. وبجيوبهم .. اما الخسائر التى يتعرض لها الاقتصاد القومى بسبب الادمان فلعلها لا تخطر بالبال . وقد ظهرت فى امريكا مؤخرا دراسة فريدة فى نوعها حصرت تلك الخسائر وقدرتها فى مبالغ محددة وحسب فئاتها المختلفة . ويعجب المرء لا لضخامة تلك المبالغ فحسب ، وانما للاساليب التى تمكنوا بواسطتها من تحديدها ايضا . وقد اجرت هذه الدراسة الرصينة دائرة الصحة العامة فى جامعة هارفرد بالتعاون مع احدى مؤسسات القطاع الخاص المتخصصة فى مثل هذه الدراسات وتعرف باسم «تحليل السياسة» Policy Analysis .

اما الفئة الاولى والكبرى من تلك الخسائر فهى التى تترتب على موت المدمنين المبكر .. فالمدمنون يلقون حتفهم فيما بين ٢١ - ٥٩ سنة . ولو ذكرنا ان الرجال من غير المدمنين يعمرون فى امريكا ٧٠ سنة بالمتوسط لتبين لنا المقصود بهذه الخسارة التى

تركيبه ومن حيث فعاليته . وذلك ان المادة السامة التى تدخل فى تركيب اللقاح الجديد ، دون القديم ، كفيلة بحمل الجسم الحى على اطلاق المزيد من الاجسام المضادة وكفيلة بالتالى بمضاعفة الحصانة التى يحصل عليها ذلك الجسم بتاثير اللقاح .

وتمكن الدكتور هولمجرم وصحبه من معالجة المادة السامة بحيث فقدت اثرها السام دون ان تفقد قدرتها على استثارة الجسم الحى وتوليد الاجسام المضادة فيه . وهكذا ضمنوا للقاح الكوليرا الجديد مزيدا من أمن بعد ان كفلوا له مزيدا من حصانة ..

وثبت نجاح هذا اللقاح فى التجارب العديدة التى اجراها علماء السويد، الا أن التجارب كانت حتى شهر اكتوبر الماضى تجارب مخبرية اجريت على الفئران دون الانسان .. وقد لا يمضى زمن طويل حتى يستكملوا اختبار هذا اللقاح الجديد ويصبح فى متناول الجميع .

الكولسترول وفول الصويا

● انتشرت امراض القلب فى المدة الاخيرة ، لا سيما تلك التى يسببها الانسداد التاجى Coronary Thrombosi .. وانتشر معها الفزع فى ارتفاع نسبة الكولسترول فى دم الانسان نظرا للصلة الوثيقة بين ارتفاعها وبين تلك الامراض . من هنا كانت خطورة الاكتشاف الجديد .. اكتشاف ان فول الصويا كفيل بتخفيض نسبة الكولسترول فى الدم بقدر لا يستهان به .

ويعود الفضل فى هذا الاكتشاف الى فريق العلماء الطليان الذى شملوا فى تجاربهم عددا من المرضى الذين يعانون من ارتفاع نسبة الكولسترول .. وقسموا هؤلاء المرضى الى فئتين .. فئة (أ) التى سمح لها بتناول وجبات قليلة من الدهن (Low - fet) ولكنها تحتوى على بروتين حيوانى ، وفئة (ب) التى اعتمدت على البروتين النباتى فحسب .. على فول الصويا بالذات ..

واثبت الفحص ان نسبة الكولسترول فى افراد فئة (ب) هبطت بنسبة ٢٠٪ ... ولكن نسبة الكولسترول مالبثت ان ارتفعت ثانية وعادت الى سابق عهدها لدى توقف افراد الفئة (ب) عن تناول فول الصويا ...

وتجدر الاشارة الى ان النسبة السوية لمحتويات الكولسترول فى دم الانسان تتراوح بين ١٥٠ ـ ٢٥٠

والموت المبكر

يلحقها الموت المبكر بالاقتصاد الوطنى ..

انها السنوات التى فاتت المدمنين والتى كان فى استطاعتهم ان يعيشوها ويعملوا فيها ... فهذا العمل الضائع خسارة كبيرة بالنسبة الى اقتصاد الولايات المتحدة وقد بلغت بمجموعها ١٤٠٠٠ مليون دولار .

وتاتى بعد ذلك الفئة الثانية من الخسائر التى يسببها الادمان ، وقد بلغت بمجموعها مثل مبلغ الفئة الاولى تقريبا مع الفارق ان هذه الفئة الثانية مكونة من عدة بنود وتضم قيمة العناية الطبية والادوية التى قد يحتاجها المدمنون وقيمة الاضرار التى تترتب على حوادث الطرق والحرائق وغير ذلك مما يتسبب به المدمنون ..

يلى ذلك الخسائر الناجمة عن جرائم المدمنين ، والمبالغ التى ينفقونها فى سبيل مكافحة الادمان .. كبرامج التوعية الاجتماعية والثقافية .. وقد بلغت هذه الخسائر بمجموعها ٣٠٠٠ مليون دولار .

أنتا والطب والعلم

ملغرام في كل ١٠٠ سم من الدم • وغالبا ما ترتفع هذه النسبة فيكبار السنوالحوامل •• وهي ترتفع ايضا تبعا للاصابة ببعضالامراضكمرضى السكري واليرقان Obstructive Jauldice والكلاء Nexhrosis والوتليف Primary biliary cirrhosis.. ولكن نسبة الكولسترول تهبط في حالات اخرى كالالتهابات الحادة والاصابة بمرض فقر الدم •••

وتجدر الاشارة ايضا الى ان مادة الكولسترول توجد في الاطعمة ذات الاصل الحيواني •• وبخاصة صفار البيض والكبد والكلى والمخ وكذلك في الزبد والكريما ومستخرجات الالبان عامة •• وهي لا توجد في الاطعمة النباتية عامة بما في ذلك فول الصويا ، موضع التجارب الايطالية السالفة الذكر ••

بقي ان نذكر ان وجود الكولسترول في الدم ضروري لحياة الانسان•فبدونهلايستطيع الجسم ان يفرز بعضالهرمونات Steroid Hormones وبعض الاملاح الصفراوية B.liary.

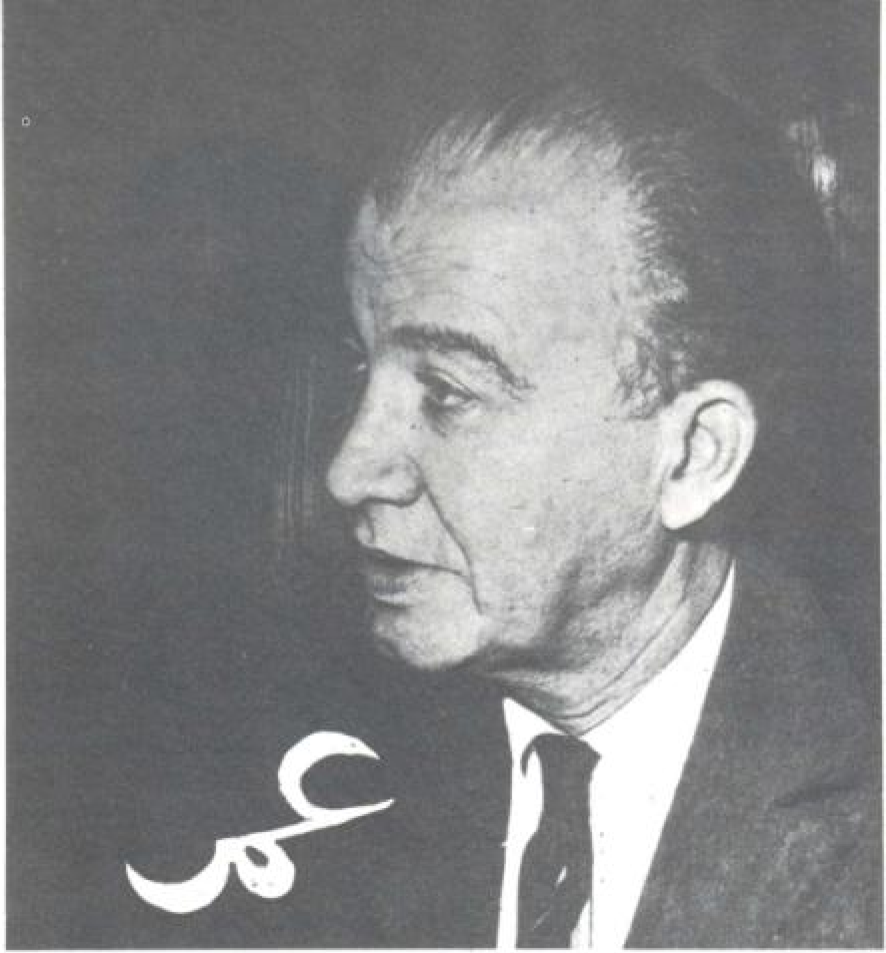
للحد من حوادث المرور

● سرعة السيارات الفائقة هي بلاريب سبب حوادث المرور المفجعة ••• وهي ايضا سبب اكثر المخالفات التيتسجلها شرطة المرور • وعلى كثرة مخالفات السرعة هذه فانها ليست بالكثرةالتي كان يجب ان تكون عليها •• ويعزى ذلك لاسباب مختلفة ، من أهمها افتقار شرطة المرور الى اجهزة رصد دقيقة تستطيع تحديد سرعة السياراتالمخالفة على نحو قاطع لا يقبل الجدل •

هذا ما حدا باحدى الشركات الامريكيةالى ابتكار الجهاز المطلوب •• ويعمل هذا الجهاز بالرادار •• الا انه لا يطلقاشعة الرادار الا حين تصبح السيارة المسرعة ضمن نطاق الرؤية ، وحينيضغط الشرطي على ذراع الجهاز ، ينطلق شعاع الرادار نحو السيارة ويكشفسرعتها في اقل من ثانية .

وميزة هذا الجهاز هي في السرعةالخاطفة التي يعمل بها •• فالاشعة التي يطلقها لا تكاد تظهر حتى تنجزمهمتها وتختفي فلا تدع فرصة لاكتشافها واحباطمفعولها •• باجهزة التعقيدالاسلكي أو خلافها ••

هذا ويمكن استعمال الجهاز الجديدبطريقة اخرى •• فهو مزود بساعة ضبط السرعة StoPwatch •• وتستطيعهذه الساعة تحديد الزمن الذى تحتاجه السيارة المراقبة لقطع مسافة ما •••وتستطيع ايضا اعطاء سرعة السيارة بالمتوسط ••••



عمر ابو ريشه

شاعر ،
مجدّد ،
رائد ،

بقلم : مصطفى عكرمة

ان الشعر العربي مدين لعمر ابي ريشة بأسمى ما في التجديد من معان .. لقد كان جريئا ، ثاقب الراى ، عميق الفكر ، بعيد النظر ، قوى الحجة ، رفيع الاسلوب ، قوى التاثير ، شديد الوقع ، بالغ التاثير .

■ التجديد في اى امر مهمة كبيرة وخطيرة ، واكبر ما تكون هذه المهمة واخطر في شعرنا العربي ، الا ان شعرنا العربي قد نعم على مر الزمان بشعراء اغنوا الشعر بعطاءاتهم التي كتب لها الخلود ..



شعرنا العربي غني كل الغنى بموضوعاته التي ازدادت مع تقدم الزمان ، فشملت النفس الانسانية بكل صبواتها ، ونزعاتها ، وتطلعاتها، وعمقها ، ورقتها ، وافراحها ، واحزانها وتفاؤلها ، وتشاؤمها • كما لم يغفل الشعر العربي أمور الحياة ما اختص منها وما عم ، فلقد امتدت موسيقاه حتى الى العلم فراحت تحفظ قواعده ، وتسجل انتصاراته ، وتواكب مسيرته ، فكانت الاراجيز العلمية •

كما لم ينس الشعراء العرب أن يسجلوا تجاربهم الطبية في قوالب الشعر الساحرة ايمانا منهم باهمية الشعر وخلوده ••• فسكبوا بذلك جمال الشعر على جلال العلم •

فها هو ابن سينا العالم الفلكي والطبيب والشاعر والفقيه يختصر للناس ادق قواعد الصحة فيقول :

ثلاث هن مهلكة الانام
وداعية الصحيح الى السقام
دوام مدامة ، ودوام وطء
وادخال الطعام على الطعام

ولقد كان لشعراء العربية جولات وجولات في مجال الفلسفة ، والتصوف ، وشتى أمور الدين ••• أجد الحديث عنها يطول كثيرا ••

ولعلنا تذكر ان شعراءنا على امتداد الزمن لم يغفلوا أمر الطبيعة وما فيها من مفاتن وأسرار فنقلوها الى السطور لتحفظ في الصدور غضة حية بعد أن تأتي عليها « حوافر خيل الزمان المشت » فماذا بسحرها أثر بعد عين •

من لم يتنعم بارق انسام شعب (بوان) وهو يقرأ قصيدة المتنبي الساحرة في ذلك الشعب الرائع الجمال ؟ ••

ولما أطل القرن العشرون أبدع أمير الشعراء شوقي في مسرحياته الشعرية فاعطى لونا جديدا، واغنى الشعر العربي بتجربته الكبيرة وشاعريته المطواعة ليقتفي بعده الكثير من الشعراء هذا الاثر الجميل •

من هنا نجد أن التجديد في الشعر العربي أمر بالغ الخطورة والاهمية لان امتنا الشاعرة ظفرت ـ كما قلت ـ بنوابغ أغنت شعرها بكل رائع وجميل •

وما أجملها كلمة باقية تلك التي سجلها لنا الخليفة الراشدي العظيم عمر بن الخطاب حينما قال : « الشعر ديوان العرب » •

ولقد نعمت هذه الامة في عصرها الحديث بشاعر كبير أخذ على عاتقه أمر التجديد بكل ما يعنيه التجديد من معان ، وما يتطلبه من ثقافة وجهد ، ليضيف الى شعرنا العربي الخالد صفحات مشرقة في سفر الخلود •

هذا الشاعر دعا ـ أول مادعا ـ الى التجديد ، وشكل مع اخوان له في حلب رابطة أدبية تسهم في أمر التجديد ، ولما لم تتفق الآراء في تلك الرابطة انفرد الى الشعر ليقدم البديل شعرا جديدا ، وليكون بذلك رائدا من رواد التجديد ، وكان من شعره اذ ذاك في قصيدة يحيي بها زائر حلب الشاعر احمد الصافي النجفي فيقول :

شعراء الزمان ياثاقب الرأي
تعاني من أمرهم ما تعاني
لم يكدوا حناجر الشعر الا
في سخيف من فكرة ، أو معاني
لا يزالون يندبون ـ وقوفا ـ
فوق أطلال سالف البنيان
كيف يبكي الاطلال شاعر عصر
فيه ما فيه من سنا العمران ؟
ولئن حاولوا النسيب فما تسـ
ـمع الا نواحة الاوزان
ليس تخلو من ذكر ظبي وبان
أي حسن في الظبي ، أو في البان ؟
ان يك الشعر ما يرون فاني
منك يا شعر قد نفضت بناني

ما أرى الشعر غير رؤيتك الـرو
ح تجلت فـى محكم التبيـان (١)

ولنسمعه يبدى رأيه فى الشعراء، والشعر فى قصيدة له قالها فى المرحوم الشاعر أحمد شوقى سنة ١٩٣٢ :

ان تجدنى أقول ما لم يقلـه
فيـك فى الشرق نادب وثكـول
فلأنى كرهت سخف ابن هانـى
وابن أوس ومـن بـه تدجيل
زلزلوا الأرض والسماء اذا مـا
ت حبيب ، أو غاب عنهم خليل
أعذب الشعر ما يشع بـه الصد
ق ، وتمشى علـى هداه العقول

ومثل هذين الرأيين الجريئين كثير فى شعره وهو بعد لا يزال فى مراحله الاولى .

ولد شاعرنا لأب شاعر ، ونشأ فى بيت دين وعلم وأدب على يد أمه ابنة شيخ الطريقه الشاذليه فى فلسطين ، والتى كان لها الأثر الأكبر فى اعداده الاعداد الكامل لتحمل مسؤولياته الكبيرة ، والتى كانت تشعر أن وليدها مهيأ لحمل هذه المسؤوليات .

وينتقل الفتى النابغ فى أيام صباه مع والده الذى كان موظفا فى السلك الادارى فى أجمل مناطق سورية ، لينتقل بعدها الى رحاب الجامعة الامريكية التى كانت تعتبر فى ذلك العهد قبلة أنظار من يتطلعون الى العلم ،وليطير بعدها الى بريطانيا ليتخصص هناك فى أدق مجالات العلم « الهندسة الكيميائية » التى كان لها الر بين فى اغناء تجربة هذا الشاعر الذى أطلع أثناء وجوده فيها على أعلى ثقافات القوم بلغتها الحية التى سرعان ما أصبح يتقنها .

ويعود الشاعر ليساهم فى وطنه بحمل راية الكفاح ضد المستعمر الفرنسى فى مرحلة .. بل فى مراحل كان العمل السياسى فيها من أخطر الاعمال فيقضى الشاعر الكثير من أيام شبابه فى السجون والمعتقلات لما كان لمواقفه الجريئة ،وشعره اللاهب من آثار بالغة الخطـورة بالنسبة للمستعمرين وأعوانهم .

وقد كان للسجن يد فى تكوين شخصيته ، واذكاء جرأته النادرة .

وتبدأ مرحلة خطيرة جديدة من مراحل الكفاح السياسى لهذا الشاعر بعد الجلاء الا وهى مكاشفة الحكام ومقارعتهم ، فتختاره السلطة رغبة فى التخلص من مواقفه التى كانت كفيلة وحدها بإقلاق راحتهم، وتعكير صفائهم ، وفضح أساليبهم، فترسله خارج البلاد سفيرا برتبة وزير مفوض .

وينتقل هذا السفير الجوال فى عواصم شتى من العالم فتكبر وتتعمق ثقافته العلمية والادبية والسياسية ، وتغنى تجربته التى انعكست فى التى يتقنها الثمانية الى جانب لغته العربية شعره عطاء عز له النظير ، ولتبلغ بذلك لغاته الاصيلة ، وليكون بعدها عضوا فى خمسة مجامع علمية وادبية الى جانب عضويته فى مركز الثقافة العالمية فى الهند والذى يبلغ عددأعضائه الثلاثين من مثقفى العالم .

ذلك هو الشاعر عمر أبو ريشة (٢) .

والحديث عن عمر أبى ريشة طويل طويل .. يحار معه الدارس من أين يبدأ ؟ .

وأى جانب يختار ؟ .

وأى عمل يتناول ؟ .

انه شخصية عربية نادرة .

واذا تناولنا اليوم موضوع التجديد فى شعر هذا الشاعر فاننا لنأمل ان يكون لنا لقاءات أخرى مع جوانب فنية أخرى من حياته ــ أمد الله فى حياته ــ ولان التجديد فى الشعر العربى ــ كما قدمنا ــ أمر بالغ الاهمية والخطورة ، لاسيما وأن أدعياء التجديد كثيرون .

فى شعر عمر أبو ريشة ــ اذا استثنينا ميزة القص الرائدة ــ ثلاث ميزات أساسية :

١ ــ وحدة القصيدة .
٢ ــ الفنية .
٣ ــ التصوير .

(١) الابيات من قصيدة يحيى فيها الشاعر احمد الصافى النجفى اثناء زيارته الى حلب سنة ١٩٣٣ والقصيدة منشورة فى كتاب الدكتور سامى الدهان، الشعراء الاعلام فى سورية » .

(٢) ولد الشاعر عمر بن شافع أبو ريشة فى مدينة عكا سنة ١٩١٢ . انظر مجلة الشرقية العدد ٨ سنة ١٩٧٤ .

فالقصيدة عند عمر ـ بالغة ما بلغت ـ تشكل وحدة موضوعية ، كل بيت فيها يقوم مقام عضو في الجسم المتكامل .

وربما يجد القارىء في قصيدة عمر أكثر من بيت جميل يستوقفه ، الا أن البيت عنده مهما بلغت جماليته فانه يظل مجرد لبنة في البناء الشامخ المتكامل الذي يعتمد الفكرة قبل كل شيء .

وتبقى بعدها مسؤولية الفكرة التي هي محور القصيدة ، اذ يندر أن تقرأ في شعر عمر ما سبق أن قرأت مثله في شعر غيره ، واذا حدث ذلك فانك واجد ـ بلا شك ـ طريقته الخاصة في عرض هذه الفكرة أو تلك، أو رسم هذه الصورة، أو تلوين ذلك المشهد .

خذ مثلا هذا البيت القديم :

تأبى الروادف والثدي لقمصها
مس البطون وأن تمس ظهورا

واقرأ في شعره هذا البيت :

يهفو القميص لمس خصريها .. وتأبى الحلمتان

فالصورة هنا أشف وأرشق ، والمعنى أدق وأصدق ، والتأثير أشد وأعمق .

أما كلمات البيتين فللقارىء أن يتبين أمرها: ويحضرني الآن مثال آخر على ماذهبت اليه .

يقول عمر الخيام :

واذا ما أتى لدى الشرب دوري
فأريقوا كأسي على الغبراء

وانظر معي الى مافي هذه الأبيات الثلاثة من قصيدة لشاعرنا عمر :

انما لم تزل رفاق لياليـ
ـه كراما على عهود وداده

تجمع الخمر بينهم ، فيخلو
ن فراغ الكأس . والسادة

واذا مر ذكره قلبوا الكا
س على الارض حسرة لافتقاده

ويحضرني هنا أيضا قول الأستاذ الشاعر أحمد الجندي في كتابه شعراء سورية صفحة ـ ١٢٢ ـ معلقا على هذه الصورة :

« ما أظن أن الشعر العربي كله فيه الكثير من مثل هذه الصورة التي فطن اليها عمر فأجاد تصويرها ، ورسم خطوطها ، ووضع ظلالها ، التي ينبغي أن تكون فيها » .

أضف الى ما قاله الاستاذ الجندي مافي الصورة من بعد نفسي هو غاية في دقة التعبير ، وروعة التصوير ، وقوة التأثير .

وقد استطاع عمر أن ينقي شعره ويخلص قراءه من آفتي التكرار والاعادة . انه كثير الايجاز ، قليل الحشو ، نادر الترسيم .

وهذه المميزات قلما توفرت لغيره على هذا النحو الذي توفرت لنا في شعره . اما عن الفنية فما أحسب أن شاعرا بلغ في فنيته مابلغه هذا الشاعر .

يقول الدكتور شوقي ضيف : (٣)

« ديوانه متعة حقيقة » .

أما شيخ النقاد « مارون عبود » فيقول :

« الحق أقول ان في ديوان ابي ريشة شعرا طالما تمنينا أن نقراه ونسمعه » .

ويقول في مكان آخر :

« أما الجمال فملء هذا الديوان الضخم ، وفيه فوق الجمال الفني تحليل نفسي رائع » . ويختتم شيخ النقاد مقاله عن ديوان الشاعر الذي صدر في أوائل الاربعينات بقوله : « لا تيأس يا عمر ، فانت من الفن في ذراه » (٤)

وما دمنا في مجال ما قيل في شعر عمر فلنتقف قليلا عندما قاله الشاعر الاستاذ أحمد الجندي في كتابه « شعراء سورية » (٥) .

« فان شعر عمر جديد بالنسبة الينا ، نحن الذين قرأنا امرأ القيس حتى شوقي ، ولكن هذا الشعر الجديد محافظ على القواعد اللفظية ، والنحوية ، والعروضية ، لذلك كان تجديدا معقولا ، ومقدرا حق التقدير ، وهو التجديد الذي نرمي اليه في كل ما نكتب وندعو له » .

والتشخيص ، والتجسيد ، والتجسيم ، الذي

(٣) انظر كتابه « دراسات في الشعر العربي المعاصر » صفحة ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .
(٤) انظر كتابه « مجددون مجترئون » ص ٢٠٥ و ٢١١ و ٢١٣ .
(٥) انظر كتابه « شعراء سورية » ص ١٢٢ .

تعلق به عمر وملأ به شعره (٦) الى جانب ما ذكرنا في وحدة القصيدة عنده جعل شعره من الطراز الاول في فنيته ، ولا يحتاج طالب الدليل الى اكثر من ان يتناول اية قصيدة من قصائد هذا الشاعر التي يحدثنا عنها الشاعر الاستاذ أحمد الجندي وهو من رفاق صباه (٧) ٠

« كانت القصيدة تلقى وتنشر ، وسرعان ما يتداولها الناس ويتلقفها الواحد من فم الآخر ، حتى تطغى موجتها على المدينة كلها » ٠

اما فن التصوير فهو ميزة عمر الاساسية في شعره ، أو اذا شئت القول فانها « ميزته العمرية » ٠

تبدأ بقراءة قصيدته فتحار كم انفق هذا الشاعر من الوقت في اصطياد الصور النادرة ، وكم بقي يحشد من عرائسها ليختار منها كل ما هو طريف ونادر فيفاجىء بها قراءه الذين يحترمهم ويقدم احترامه لهم شعرا « يدل دلالة بينة على قوة ملكة التصوير عند هذا الشاعر ، فهو لا يستطيع أن ينظم دون أن يحشد الاطياف ، والاشباح في شعره ، وهو يعرضها بمناظرها ، ومفاجآتها المخيفة ٠ اذ يعرف معرفة دقيقة كيف يباغتنا بالاشباح المثيرة » ٠

« وعلى هذه الشاكلة ما نزال نرى مشاهد رائعة عند هذا الشاعر الذي تشبه قصائده أدق الشبه السياحات الكبيرة ، ونقصد سياحات الخيال ، وهي سياحات تملأنا بالمتعة ، تملأ نفوسنا وقلوبنا ، وتدفعنا الى أن نقرأ فيه لاننا نجد فيه غذاء فنيا لا يلبث حين نقراه أن نتمثله ، وان نشعر بانه يضيف الينا ثروة جديدة ، لا ثروة خيالية فحسب ، بل أيضا ثروة نفسية ، فهو يقوي عزائمنا ويشد من ارادتنا » ٠ (٨)

ولاترك القارىء الكريم الان هنا أمام هذه المشاهد من قصيدته « مصرع الفنان » :

مل دنياه بعدما سئم السير ... عليها ، وضاق في بلوائه
مورد الفن مظلم لم يصوب ... فوقه الشرق مشعلا من ضيائه
سار فيه وظلمة اليأس تطفي ... تحت أنفاسها شموع رجائه
والصخور الجسام ناتئة الانـ ... ـياب تدمي القدامة ، وهو تائه
ورؤوس الاشواك ترتد عنه ... وعليها ممزق من ردائه
والأفاعي تفح من كل صوب ... نازعات الى امتصاص دمائه
والاماني امام عينيه أطيا ... ف سراب تموج في بيدائه
فحنى رأسه الكئيب والقى ... بعصاه ، وضج في بأسائه
وانثنى عائدا يشيع حلما ... يتلاشى في مقلتي تمسائه
عودة الثاكل الحزين وقدنفـ ... ـض كفيه من ثرى أبنائه

وما أظن القارىء يستطيع أن يجد في شعرنا العربي كله مثل هذه المشاهد المتتالية على هذا النحو من الاتساق والانسجام ٠

وليست هذه الابيات سوى مقطع من قصيدةمن بين مئات القصائد التي تسير على هذا النحو من التصوير الفني الدقيق ٠

انه مجدد رائد ٠

يقول الاستاذ الشاعر عبد الله حلاق في مجلة « الضاد » (٩) ٠

« لاريب ان الشعر العربي مدين لعمر أبي ريشة باسمى ما في التجديد من معان شريفة ، وصور فكرية جميلة واخيلة مجنحة » ٠

ثمة ميزة أخرى في شعر عمر أبي ريشة :

انه يعتمد البيت الاخير من القصيدة ، والذى يسميه عمر « بيت الاثارة » الذى ينقل القارىء

(٦) انظر كتاب الدكتور سامي الدهان «الشعراءالاعلام في سورية » ص ٣٢٥ ٠
(٧) انظر المصدر نفسه ص ١٢١ ٠
(٨) انظر كتاب الدكتور شوقي ضيف « دراسات في الشعر العربي المعاصر » ص ٢٤٠ و ٢٤٢ ٠
(٩) انظر مجلة « الضاد » الحلبية العددان٣ و ٤ ص ١٠٤ سنة ١٩٧٤ ٠

خلاله الى مطلة عالية يطل منها على عوالم
ب يعيش مع جمال اكتشاف ما فيها من روعة
اجات بقدر ما تسمح له مخيلته ...

وهذه ميزة تكاد تنتظم فيها معظم قصائده مهما
نت مناسباتها .

لعمر الحق نقول :

ن الوطنية لم تظفر بشاعر ارضى تطلعها
رها بعمر ابى ريشة ، فقد كان الى جانب
ته النادرة ثاقب الرأى ، عميق الفكرة بعيد
ر ، قوى الحجة ، رفيع الاسلوب ، قوى
ع ، شديد الوقع ، بالغ الاثر .

سمعه يقول :

رب وامعتصماه انطلقت
ملء افواه الصبايا اليتم
لامست اسماعهم . لكنها
لم تلامس نخوة المعتصم
لا يلام الذئب فى عدوانه
ان يك الراعى عدو الغنم

فى مجال الشعر الدينى فلعل القارىء
أننا ذكرنا انه نشأ فى بيت دين وعلم وأدب،
ظ القارىء انني لم اتعرض لذكر شيء عن
الدينى عند شاعرنا ايمانا منى بان هذا
ع يحتاج الى أن نفرد له بحثا خاصا ...
ه وغناه وارجو ان اقدمه فى مقبل الايام
عمر جولات وجولات فى هذا الميدان ، ولا
منا أن نقف قليلا عند هذه الابيات التى
صورة فيها الكثير من الوضوح عن شاعرنا
الدينى . والابيات من قصيدة القاها فى
الحج فى مكة المكرمة سنة ١٩٧٢ م .

فى موئل النبوة يا دنيا
أؤدى فرائض الايمان
م صلاة صليت لم يتجاوز
قدس آياتها حدود لسانى
صيام عانيت جوعى فيه
ونسيت الجياع من اخوانى
رجمت الشيطان والقلب منى
موثق فى حبائل الشيطان
عفوا ان عشت دينى الفا
ظا مجافا .. ولم اعشه معانى

لى شفيع يارب عندك أنى
لم انم عن غواية السلطان

ولم يكن حظ المرأة فى شعر هذا المجدد الرائد
بالقليل ، فقد تميز شعره الغزلى .. الا انه لم
يعرّ المرأة ، ولم يجزئها ، كما لم تكن عنده مثار
عاطفة ، ولا نزه عيون ، ولا دمية ملونة يلهو
بها ، ولم (يفصل من جلد النساء عباءة كما انه
لم يبن اهراما من الحلمات) .

انما كانت المرأة عنده دنيا من الالق والعبق
والجمال اللا محدود الذى ابى عليه كبره وولهه
بالجمال المطلق ان يشوهه بالتحديد والاجتزاء .

اسمعه كيف يخاطبها :

عرفت بك الله بعد الضلال
فدل البديع على المبدع

★★★

يا توبة من ضلالى
ومنة من زمانى

★★★

لست انت التى أضمك بل ..
.. دنيا فتون ، وعالما علويا

★★★

فأنت اليوم الحانى
وألحان الدنا بعدى

★★★

هويتك فى غصة المؤمنين
الى جرعة من فم الكوثر

★★★

انها نداءات قلب كبير قلما ظفرت المرأة
بمثلها .

وبعد :

فهل وفيت تجديد عمر حقه فى هذه الصفحات؟

لا اظن .. فلا تعدو هذه الصفحات ان تكون
شعاعا أخضر على عالم رحيب فسيح كثير الجمال
والظلال تتكىء على تخومه شموس الابداع
الخلاق ، وتغفو فى ساحته ملائك الحب والجمال
ترشها عرائس السحر بالعطر والالق . ■■

دمشق ـ مصطفى عكرمة

رسالة النبى الى هرقل

بقلم : احمد عادل كمال

« انى اعلم ان صاحبك نبى مرسل، وأنه الذى كنا ننتظر ونجده فى كتابنا . ولكنى اخاف الروم على نفسى »

هرقل

● لايكاد العالم يخلو فى عصر من قوتين عظيمتين تتنازعان السيطرة على مقاليده .. الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، ومن قبلهما الحلفاء والمحور وقبلهما انجلترا وفرنسا وقبلهما انجلترا واسبانيا .. الخ . اما فى العصر الذى نعرض لقطة منه هنا فقد كانتا فارس والروم .. الاولى يحكمها ملوك اكاسرة والثانية يحكمها رؤساء قياصرة . اما المارد الذى سوف ينطلق عما قليل ليحل محل هذه وتلك فلم يكن بعد شيئا مذكورا على رقعة البسيطة . حينذاك وجه النبى صلى الله عليه وسلم كتبه مع مبعوثين الى ملوك الارض ، فكان منهم عبدالله بن حذيفة السهمى الى كسرى برويز ودحية بن خليفة الكلبى الى حاكم بصرى بكتاب ليسلمه الى هرقل الروم . هذه الوفادة الاخيرة هى موضوع مقالنا .

فى البدء عقد حلف بين كسرى برويز وبين موريس امبراطور بيزنطة ، ثم قام الروم بانقلاب قتلوا فيه موريس ففر ابنه لاجئا الى كسرى، الذى قرر حينذاك غزو بلاد الروم ، ووجه اليها ثلاثة جيوش انتزعت الشام ومصر واستولت على الصليب الاعظم نكاية فى المسيحيين وبلغت ابواب القسطنطينية . ونصب الروم فوقا خلفا لموريس ثم قتلوه لفجوره وسوء تدبيره ونصبوا عام ٦١٠ هذا الامبراطور « هرقل » كما اسماه العرب او هراكليس (الاول) ، كما كان ينطقها الروم .. اعتلى الحكم بثورة وظل يحكم ثلاثين عاما حتى ٦٤٠م وفى اثناء حكمه احتل الفرس انطاكية عام ٦١١م وكتب كسرى الى هرقل يقول :

« من كسرى اعظم الالهة وسيد الارض كلها الى عبده الغبى الذليل هرقل . انك تقول انك تعتمد على الهك ، فلم اذا لم ينقذ اورشليم من يدى؟!»

وبكى هرقل وسأل الله ان ينقذ دولته ونذر فى سبيل ذلك النذور وهو يعد عدته لعمل مضاد. ثم استخلف ابنه على القسطنطينية وابحر بجيش كبير يزيد على سبعين الفا هبط به على سواحل ارمينية وانصب منها مسرعا صوب فارس تاركا جيوش الفرس بجوار عاصمته القسطنطينية لاتستطيع فتحها لحصانتها . وحقق تحرك هرقل مفاجأة تامة لدى كسرى برويز ، فاستولى على المدائن عاصمة الفرس وسبى نساء كسرى الذى فر امام ذلك الزحف . وانقض شيرويه بن كسرى على ابيه

وقتله وعقد صلحا مع هرقل نزل بموجبه عن مصر وفلسطين وآسيا الصغرى وغرب الجزيرة ،واسترد هرقل الصليب واعاده الى كنيسة القيامة بالقدس فى ١٤ سبتمبر (أيلول)٦٢٩ م و نودى به محررا للمسيحية ٠

ابو سفيان شاهد عيان

فى معاصرة تلك الاحداث بعث النبى (صلى الله عليه وسلم)دحية بن خليفةالكلبى الىهرقل٠ ونذهب الى ان تلك الوفادة كانت فى شهر ذى الحجة ٧ هـ ـ ابريل (نيسان) ٦٢٩ م ٠ وقد تصادف وجود ابى سفيان بن حرب فى الشام للتجارة فى رحلة الصيف التى كانت قريش تألفها «ايلافهم رحلة الشتاء والصيف » ٠ وكان مازال مشركا ، وقد أتاحت تلك المصادفة فرصة تاريخية ذهبية لوصف شاهد عيان لما كان من امر رسالة النبى (صلى الله عليه وسلم) الى هرقل ٠ فقد اخرج البخارى فى صحيحه والطبرى فى تاريخه والحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق بسلاسل متنوعة من الرواة ، عن عبدالله بن عباس قال حدثنى أبوسفيان بن حرب قال : « كنا قوما تجارا ، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتنا حتى نهكت اموالنا ، فلما كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله لم نامن الا نجد امنا فخرجت فى نفر من قريش تجارا الى الشام وكان وجه متجرنا منها غزة فقدمناها حين ظهر هرقل على من كان بارضه من فارس واخرجهم منها وانتزع منهم صليبه الاعظم وكانوا قد استلبوه اياه ٠ فلما بلغ ذلك منهم وبلغه ان صليبه قد استنقذ له ، وكانت حمص منزله ، خرج منها يمشى على قدميه متشكرا لله حين رد عليه ما رد ليصلى فى بيت المقدس ، تبسط له البسط وتلقى عليه الرياحين٠

« فلما انتهى الى ايلياء وقضى فيها صلاته ومعه بطارقته (قواد جيشه) واشراف الروم،اصبح ذات غداة مهموما يقلب طرفه الى السماء ،فقال له ابن ناظور اسقف ايلياء وهى بيت المقدس :

ـ والله لقد اصبحت ايها الملك الغداة مهموما٠
قال : اجل ، أريت فى هذه الليلة ان ملك الختان ظاهر ٠

قالوا : ايها الملك ما نعلم امة تختتن الا يهود وهم فى سلطانك وتحت يدك ، فابعث الى كل من لك عليه سلطان فى بلادك فمره فليضرب اعناق كل من تحت يده من يهود واسترح من هذا الهم !

« فوالله انهم لفى ذلك من رأيهم يديرونه اذ اتاه رسول صاحب بصرى برجل من العرب يقوده وكانت الملوك تهادى الاخبار بينها ـفقال : ايها الملك ن هذا الرجل من اهل الشاء والابل يحدث عن امر حدث ببلاده عجب فسله عنه ٠

فلما انتهى به الى هرقل رسول صاحب بصرى قال هرقل لترجمانه : سله ما كان هذا الحدث الذى كان ببلاده ؟

فسأله فقال : خرج بين اظهرنا رجل يزعم انه نبى قد اتبعه ناس وصدقوه وخالفه ناس ، وقد كانت بينهم ملاحم فى مواطن كثيرة فتركتهم على ذلك ٠

« فلما اخبره الخبر قال جردوه فاذا هو مختون٠ فقال هرقل هذاوالله الذى رايت لاماتقولون،اعطوه ثوبه ٠ انطلق عنا ٠ ثم دعا صاحب شرطته فقال له : قلب الى الشام ظهرا وبطنا حتى تاتينى برجل من قوم هذا الرجل ، يعنى النبى (صلى الله عليه وسلم) ٠

يقول ابوسفيان « فوالله انا لبغزة اذ هجم علينا صاحب شرطته ، فقال انتم من قوم هذا الرجل الذى بالحجاز ؟

قلنا نعم ٠

قال : انطلقوا بنا الى الملك ٠

أمام هرقل

فانطلقنا ، فلما انتهينا اليه (وهو فى بيت المقدس) ، فدعاهم فى مجلس ملكه وعلى رأسه التاج وحوله عظماء الروم ، ثم دعا ترجمانه فقال:

ـ انتم رهط الرجل الذى يزعم انه نبى ؟

قلنا : نعم ٠

: فايكم اقرب نسبا وامس به رحما ؟

قلت : انا ٠

قال : ما قرابة ما بينك وبينه ؟

فقلت : هو ابن عمى ٠

وليس فى الركب يومئذ احد من بنى عبدمناف

غيري • وايم الله ما رأيت من رجل ارى انه كان انكر من ذلك الاغلف (الذى لم يختتن ـ يعني هرقل) • فقال : ادنوه •فاقعدني بين يديه واقعد اصحابي خلفي ثم قال : اني ساساله فان كذب فردوا عليه •

فوالله لوكذبت ماردوا علي ، ولكني كنت امرا سيدا اتكرم عن الكذب وعرفت ان ايسر ما في ذلك ان انا كذبته ان يحفظوا ذلك علي ثم يحدثوا به عني ، فلم اكذبه •

فقال اخبرني عن هذا الرجل الذى خرج بين اظهركم يدعي ما يدعي •

فجعلت ازهد له شانه واصغر له امره واقول له ايها الملك ما يهمك من امره ؟ ان شانه دون ما يبلغك • فجعل لايلتفت الي ذلك •

قال : كيف نسبه فيكم ؟

قلت : محض (خالص) اوسطنا نسبا ، هو فينا ذو نسب •

قال : فاخبرني هل كان احد من اهل بيته يقول مثل ما يقول فهو يتشبه به ؟ فلت : لا •

قال : فهل كان له فيكمملك فاستلبتموه اياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه ؟ قلت :لا•

قال : فاخبرني عن اتباعه منكم من هم ؟

قلت : الضعفاء والمساكين والاحداث من الغلمان والنساء واما ذوو الاسنان والشرف من قومه فلم يتبعه منهم احد •

قال : ايزيدون أم ينقصون ؟

قلت : بل يزيدون •

قال : فاخبرني عمن تبعه ايحبه ويلزمه أم يقليه ويفارقه ؟

قلت : ما تبعه رجل ففارقه •

قال : فاخبرني كيف الحرب بينكم وبينه ؟ اكل مرة يظهر عليكم ؟

قلت : سجال يدال علينا وندال عليه ، وما ظهر علينا قط الا وانا غائب ، ثم قد غزوتهم مرتين في بيوتهم فبقرنا البطون وجدعنا الانوف وقطعنا الذكور •

قال : فاخبرني ، هل يغدر ؟

فلم اجد شيئا مما سالني عنه اغمزه فيها غيرها •

قلت لا ، ونحن في هدنة ولا نامن من غدره • فوالله ما التفت اليها مني •

قال : فما يامركم ؟

يقول اعبدوا الله

قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول اباؤكم ،ويامرنا بالصلاة وبالصدق والعفاف والصلة •

قال : اتراه كاذبا او صادقا ؟

قلت : بل هو كاذب •

قال قيصر : لا تقولون ذلك فان الكذب لايظهر به احد ، فان كان فيكم نبيا لا تقتلوه فان افعل الناس بذلك اليهود •

ثم كر على الحديث فقال للترجمان : قل له اني سالته كيف نسبه فيكم فزعمت انه محض من اوسطكم نسبا ، وكذلك ياخذ الله النبي اذا اخذه لا ياخذه الا من اوسط قومه نسبا • وسالتك هل كان احد من اهل بيته يقول بقوله فهو يتشبه به فزعمت ان لا • وسالتك هل كان له فيكم ملك فاستلبه اياه فجاء هذا الحديث يطلب به ملكه ، فزعمت ان لا • وسالتك عن اتباعه فزعمت انهم الضعفاء والمساكين والاحداث والنساء ، وكذلك اتباع الانبياء في كل زمان • وسالتك ايزيدون ام ينقصون فذكرت انهم يزيدون ، وكذلك امر الايمان حتى يتم•وسالتك عمن يتبعه ايحبه ويلزمه ام يقليه ويفارقه ، فزعمت انه لا يتبعه احد فيفارقه وكذلك حلاوة الايمان لا تدخل قلبا فتخرج منه • وسالتك هل يغدر فزعمت ان لا ، وكذلك الرسل لا يغدرون •

وسالتك بما يامركم ، فذكرت انه يامركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به وينهاكم عن عبادة الاوثان ويامركم بالصلاة وبالصدق والعفاف والصلة فلئن كنت صدقتني عنه ليغلبني على ما تحت قدمي هاتين ، وهو نبي ، وقد كنت اعلم انه خارج ولكن لم اكن اظن انه منكم • ولو اني اعلم اني اخلص اليه لتجشمت لقاءه ، ولوددت اني عنده فاغسل قدميه •• انطلق لشانك •

فلما قال ما قال كثر عنده الصخب وارتفعت اصوات الذين حوله من عظماء الروم وكثر لغطهم فلا ادرى ماذا قالوا • وامر بنا فاخرجنا ، فقمت

من عنده وانا اضرب احدى يدي بالاخرى واقول : اي عباد الله ، لقد امر امر ابن ابي كبشة (يعني قوى واشتد) اصبح ملوك بني الاصفر يهابونه في سلطانهم بالشام :

وقدم على هرقل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية بن خليفة الكلبي :

بسم الله الرحمن الرحيم ـ من محمد بن عبدالله ورسوله الى هرقل عظيم الروم

السلام على من اتبع الهدى • أما بعد • اسلم تسلم • واسلم يؤتك الله اجرك مرتين • وان تتول فان اثم الاكارين عليك • ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون •

فاخذ الكتاب فجعله بين فخذيه وخاصرته •

انتهت رواية ابي سفيان (الاكارين الـــزراع والحراث • وفي رواية البخاري وابن عساكر : فان اثم الاريسين) •

يعلمه علماؤهم

ولابن شهاب الزهري رواية اخرى تتم ما لم يشهده ابوسفيان ، قال : « حدثني اسقف للنصارى ادركته في زمان عبدالملك بن مروان ، انه ادرك ذلك من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر هرقل وعقله ، قال فلما قدم عليه كتـــاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية بن خليفة اخذه هرقل فجعله بين فخذيه وخاصرته ثم كتب الى رجل برومية (روما) كان يقرأ مـــن العبرانية ما يقرءونه يذكر له أمره ويصف له شانه ويخبره بما جاء منه • ثم سار هرقل من بيت المقدس فلم يبلغ حمص حتى جاء جواب صاحب رومية :

انه للنبي الذى كنا ننتظره لا شك فيه فاتبعه وصدقه •

فامر هرقل ببطارقة الروم (قادة الجيش) فجمعوا له في دسكرة (بناء بالقصر حوله بيوت) بحمص وامر بها فاشرجت ابوابها عليهم (يعنى اغلقت) ثم اطلع عليهم من علية له وخافهم على نفسه وقال : يا معشر الروم ، انى قد جمعتكم لخير ، انه قد اتانى كتاب هذا الرجل يدعونى الى دينه ، وانه والله للنبي الذى كنا ننتظره ونجده فى كتبنا • يا معشر الروم ، هل لكم فى الفلاح والرشد وان يثبت لكم ملككم فهلموا فلنتبعه ونصدقه فتسلم لنا دنيانا واخرتنا •

فنخروا نخرة رجل واحد ، ثم ابتدروا ابواب الدسكرة ليخرجوا منها فوجدوها قد اغلقت •فقال كروهم على وخافهم على نفسه (ان هم خرجوا على ذلك) فقال : يا معشر الروم انى قد قلت لكم المقالة التى قلت لانظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا الامر الذى قد حدث ، وقد رايت منكم الذى اسر به •

فوقعوا له سجدا ، وامر بـابواب الدســكرة ففتحت لهم فانطلقوا (اهـ) •

يقتلون اسقفهم

هذا ما كان من أمر هرقل مع قواد جيشه • فماذا كان جوابه على السفير دحيه ؟ يقول الرواة ان هرقل قال لدحيه بن خليفة حين قدم عليه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ! والله انى لاعلم ان صاحبك نبى مرسل وانه الذى كنا ننتظره ونجده فـى كتابنـا ، ولكننـى اخـاف الروم على نفسى ولولا ذلك لاتبعته ، فاذهب الى صغاطر الاسقف فاذكر له امر صاحبكم فهو والله أعظم فى الروم منى واجوز قولا عندهم منى فانظر ما يقول لك •

فجاء دحية فاخبره بما جاء به رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم الى هرقل وبما يدعوه اليه.فقال صغاطر « صاحبك والله نبي مرسل نعرفه ونجده في كتبنا باسمه » ثم دخل فالقى ثيابا كانت عليه سودا ولبس ثيابا بيضا ثم اخذ عصاه (عصا الاسقفية) فخرج على الروم وهم فى الكنيسة فقال:

يا معشر الروم انه قد جاء كتاب من احمد يدعونا فيه الى الله عز وجل وانى اشهد أن لا اله الا الله وان احمد عبده ورسوله » •

فوثبوا عليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه • فلما رجع دحية الى هرقل واخبره الخبر قال : قد قلت لك انا نخافهم على انفسنا ، فصغاطر والله كان اعظم عندهم واجوز قولا منى•

هذا جواب هرقل الاول ملك الروم على دحية

ابن خليفة الكلبي ولا نجد فيما بين ايدينا من مصادر رده على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ولعله اكتفى بهذا الرد الشفهي فلم يكتب اليه • ولكن الذى لا نرتاب فيه ان هرقل لم يكتف عن متابعة اخبار النبى صلى الله عليه وسلم وانتشار دعوته وقيام دولته واتساع رقعتها ، ولا بد ايضا انه كان يتابع اخبار حروب الردة ثم خروج المسلمين لغزو العراق مع مطلع العام الثاني عشر ، ولعل ذلك الغزو قد بث فى نفسه مشاعر متناقضة ، فان غزو المسلمين لدولة الفرس كان من شانه ان يمنحه شيئا من الاطمئنان حيث لم يكن احد يتصور ان يغزو المسلمون الامبراطوريتين العظيمتين معا فى آن واحد ، ولكن اكتساح المسلمين العراق فى تلك السهولة التى تمت بها قد اثارت قلقه الى ابعد مدى •

وفى تاريخ مدينة دمشق ان هرقل قد بعث رجلا عربيا من بنى غسان الى النبى صلى الله عليه وسلم ينظر الى صفته والى علاماته ، الى حمرة فى عينيه والى خاتم النبوة بين كتفيه ، وسال فاذا هو لا يقبل الصدقة فوعى شيئا من حال النبى ثم انصرف الى هرقل يذكر ذلك له ، فدعا قومه الى التصديق به فابوا حتى خافهم على ملكه •

وفى نفس الوقت الذى كان هرقل يقابل اباسفيان ويستقبل دحية ، كان شجاع بن وهب الاسدى يسلم رسالة النبى صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن الحارث الغسانى فى دمشق وكان قومه عربا خاضعين للروم ،

«سلام على من اتبع الهدى وآمن بـه •

انى ادعوك الى ان تؤمن بالله وحده لا شريك له يبق لك ملكك » وقرا شجاع الرسالة عليهم فقال المنذر: « من ينزع عنى ملكى ؟ انا سائر اليه! فلما بلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم قال « باد ملكه » •

ولا نجد فى الاخبار ان الحارث سار الى النبى ولا قام باى عمل هجومي ، ولكن عرب الشام قد وقفوا بعد ذلك الى جوار الروم وكانوا وحدات فى جيش هرقل يقاومون معه الفتح الاسلامى لبلاد الشام •

ومن تمام خبر هذه السفارة ان دحية بن خليفة فى عودته الى المدينة حمل معه بعض تجارة الشام، حتى اذا مر بواد من اودية بنى جذام اغارت عليه احدى بطونهم فاصابت كلما كان معه ، وخف لنجدته بعض من اسلم من جذام فاقتتلوا حتى استردوا له ماله • واخبر دحية رسول الله بما كان فبعث سرية زيد بن حارثة الى جذام •

السفير دحيـة

هذا عن الرسالة • اما عن السفير الذى حملها ـ دحية بن خليفة ـ فقد كان من كبار الصحابة ، فان السفارة مهمة راقية لم يكن يكلف بها الا من استوفى صفات معينة ،فهو يمثل من رسله ويمثل جماعته ويمثل فكرته وعقيدته، ومن ثم كان لزاما الاطمئنان الى ايمانه اطمئنانا لا يتطرق اليه الشك مع تمتعه بالفصاحة والبيان اللازمين للتعبير عن فحوى الرسالة • وما نحسب النبى صلى الله عليه وسلم قد اكتفى فى محاولته دعوة هراكليوس الاول واقناعه بصدق نبوته • بتلك الاسطر الستة التى احتوتها الرسالة ، بل نذهب الى ان السفير دحية قد قام ببيانه وعلمه وقوة شخصيته بشرحها والابانة عن فحواها ، ولا بد انه كان يتصف باللباقة والكياسة ورجاحة العقل وسعة الحيلة حتى يوفده النبى لمواجهة امبراطور بيزنطة فى قمة انتصاراته واوج عظمته وايمانه بدينه ليعرض عليه الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد عيسى بن مريم عليه السلام •

واذا كان الروم يعنون بالزينة والابهة فقد كان مما اثر عن دحية جمال المظهر وحسن السمت حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ان جبريل كان ينزل على صورة دحية فى مواضع كثيرة ، منها ماروى عنه انه قال يوم بدر «هذا جبريل يسوق الريح» كانه دحية الكلبي ،انى نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور » وكان صلى الله عليه وسلم يحب دحية وقد اهدى اليه ثيابا من القباطى المصرية ، وفى فتح خيبر اصطفى صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيى لنفسه وجعل ابنة عمها لدحية ولقد شهد دحية غزوة احد وما بعدها وشهد فتوح الشام وكان على كردوس يوم اليرموك واعتمد عليه ابو عبيدة بن الجراح فى بعض فتوحه ، ثم نزل دحية دمشق وسكن المزة وعاش الى خلافة معاوية بن ابى سفيان • ■■

احمد عادل كمال

القناص

بيروت ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦

بقلم : نهى ايرانى

■ الخير كثير والرزق كثير • فاكهة ، خضار ، لحم ، دجاج كلها لكم • وغدا هدايا والعاب • وبعدها ننتقل من هذا البيت الى آخر كبير • للبنات غرفة ، وللصبيان غرفة • طعام لذيذ وثياب جميلة ، ثم سيارة ولو صغيرة •

انظرى ماذا احضرت لك : سلسلة ذهبية فيها قلب • افتحيه • ماذا فيه ؟ ارميها • وضعى مكانها صورتك •

تاخر الرزق على اليوم • كاد الياس يقلبنى• الشوارع خالية والرياح تصفر فيها • كنت اسمع ارتطام حذائى الثقيل بالارض • وعلى امتداد بصرى فى الاسواق من كل الجهات لم تقع عيناى على كائن حى ، اللهم الا الاشجار المتحنية امام الدكاكين والبنوك المغلقة •

ترددت قليلا ، ثم حزمت امرى واخذت ارتقى السلم قفزا • السلم طويل لان الاسلاك الكهربائية مدلاة الى قارعة الطريق • وصلت الى السطح وانا الهث •

لبثت ساعة وساعتين • لا شىء • اخذت اضيق ذرعا بالانتظار ، عينى فى المنظار ، ولا بارقة امل •

ثم من بعيد لاح لى راس احمر • سيدة تصلح ستارة نافذتها • تنهدت • الحمد لله • جاء الخير اخيرا • حدقت فيها من داخل منظارى واطلقت رصاصتى العطشى • يا يوم النحس • يا لسوء الطالع • انحنى الشعر الاحمر يلتقط شيئا من الارض فكانت الخيبة نصيبى • لعنت حظى وشتمت الابالسة والجحيم •

الحياة صعبة • واللقمة عسيرة المنال ، والمال لا نقطفه من الاشجار • عدت الى الانتظار • منظارى يدور فى كل الاتجاهات • كل احياء بيروت تحت منظارى • كل شوارعها خالية • لا سيارة مسرعة ، ولا كلب شاردا ، ولا قطة ضالة ، ولا طفل ، ولا حتى شبح او خيال •

مضت ساعات اخرى طويلة • ومن بعيد ، على بعد عدة شوارع مرت سيارة مسرعة • لم يكن لدى وقت كثير • اعتمدت على المنظار واتكلت على الله وارسلت رصاصتى تئز فى الفضاء • دارت السيارة بضع دورات وارتطمت بالرصيف ، وعاد الانتظار •

بقيت عيناى مثبتتين هناك • ربما يلمح احد السائق فتاخذه الرافة ويحاول ان ينجده • مرت دقائق وصدق حدسى • رايت شبح طفل صغير يحاول فتح باب السيارة •

قارب النهار منتصفه ولم يكن رزقى الا اثنين• اين الهدايا والالعاب • اين الثياب • اثنان لا يكفيان •

عدت انظر الى السيارة • لم يقترب منها احد• لم تمتد يد الرحمة من احد لمعونة اى منهما ، ولا حتى الطفل • لكن امه لا بد آتية •

مر وقت آخر • لم صدق حدسى مرة اخرى • جاءت تركض فى منظارى • صاروا ثلاثة !

وفجاة سمعت وقعا خفيفا فى الشارع • اطللت بحذر واذا رجل يسير بمحاذاة البنايات • وصل الى احد الدكاكين ففتحه ودخل ، ترك الباب مفتوحا نصف فتحة وغاب هنيهة ، ثم عاد يقفله فى منظارى • اربعة •

ونزلت اليه • كان ما زال يتنفس والدم يدفق من فمه ، والمفتاح فى يده • ثلاثة الاف ليرة • ساعة ذهبية • سلسلة وقلب ثقيل • ولاحت منى

نظرة فرأيت حوله اوراقا مبعثرة من كل الالوان. لعلها منشورات حزبية اخذت بعضا منها وعدت ارتقي السلم عائدا الى منظاري • على الورقة صورة بعض الحشرات وقد كتب فوقها بخط راقص : حرب الابادة • للقضاء نهائيا على جميع الحشرات اعتمدوا شركة المبيدات باتصالكم الفوري برقم الهاتف•• أسعار مدروسة ومعدلة • ملاحظة: كفالة لمدة سنة •

وعدت الى الانتظار • ارسلت بصري عبر الشوارع الى السيارة • كانت هناك وحولها السكون والطفل وامه •

ثلاثة آلاف ليرة واربعة حتى الان • ثياب ، طعام ، حلى ، وليالي آنس بعد تعب مرير •

ولاح لي من بعيد رفيق سلاح • لابد معه مسدس أو بندقية • لعله جاء يختار مركزا له احد هذه السطوح • وكاد يفلت مني بين البنايات لكنني تابعته ، تابعته وانتظرته من داخل منظاري الى ان ظهر خمسة •

وكالعادة ، صدق حدسي ، بل معه مسدس وبندقية • هذا الف وهذه الفان ، هذا هو الرزق السمين •

وعدت ارتقي السلم الطويل • اخرجت منديلي لامسح وجهي وانا الهث مرة اخرى • وقع من جيبي شيء • انحنيت التقطه • ولم أتمالك نفسي فابتسمت • صورتي بكامل زينتي اخذها لي بعض الرفاق • رآها ابني امس فصاح : ماذا تحمل يا أبي على كتفك ؟ لكم تشبه صورتك صورة الفلاح في كتابي وهو يحمل معوله ويبتسم مثلك••

عدت الى منظاري الغالي ، وعاد الانتظار • خمسة ، واليوم يكاد ينقضي لن يعود عليّ ذلك برضى كبير •

ومن بعيد رايتها تركض • تلبس البنطلون وتركض • ابتسمت وارسلت وراءها رصاصة تمازحها • اسرعت في عدوها وهي ترتج في بنطلونها الاحمر • وقلت في نفسي أتركها • ولكن لا • تذكرت الاولى • الخبيثة ذات الشعر الاحمر • لا بد أرسلك الله لي عوضا عنها •

وقبل ان تغيب في المنعطف • ستة • ■■



تجربة من اليمن

ليس في.. المدارس وحدها يتعلمون..!





بقلم الدكتور : طه الحاج الياس

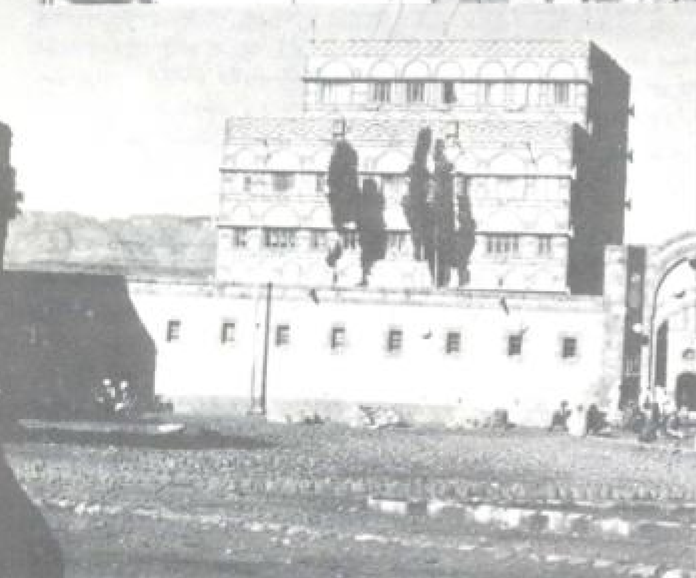
هذه تجربة فريدة في عالمنا العربي المعاصر ، مشروع جديد ينفذ في اليمن يفتح الباب لتعليم الجميع ، خارج ابواب المدارس والمعاهد • وهي صورة متطورة لحلقات العلم ، التي بدات بها عملية نقل المعرفة الى الحواريين والتلاميذ والمجاورين •

وهذه هي قصة التجربة من البداية :

قد يبدو اسم التعليم غير النظامي غريبا للبعض الذي الف ، ارتباط مفهوم غير النظامي بعدم التنظيم والارتجال او الارتباك خاصة وان التعليم في بلادنا العربية عامة قد اقتصر ولفترة غير قاصرة على التعليم ضمن المؤسسات التعليمية ذات التدرج الصفي والمرحلي الذي يستلم المتعلم في اول السلم ويرقيه درجة بعد اخرى الى ان يصل الى آخر ما تعارفنا عليه بالسلم التعليمي•

ولو تاملنا واقع التعليم والتعلم في حياة البشر منذ العصور الاولى للحضارة وكذلك واقعهما في حضارتنا العربية الاسلامية لوجدنا ان مفهوم التعليم والتعلم لم يكن يركز على مثل هذا التدرج











المقنن والمألوف حاليا والمتمثل بالمراحل الدراسية والصفوف المتابعة .

فلم تكن الحلقات الدراسيةالاولى ولا الجامعات الاسلامية القديمة تتبع السلالم التعليمية المعهودة بل كانت مجالات التعلم وحلقات الدرس والمناقشة مفتوحة لكل قادر وراغب بالتعلم دون ان توضع امامه عقبات المراحل ومتطلبات الامتحان والقبول والتدرج .. الخ من اساليب اصبحت ملتصقة

اتصالا مباشرا بما تعارفنا عليه بالتعليم النظامي ضمن المراحل الدراسية المتعارف عليها .

مشكلة « التعليم للجميع »

وقد بدا منذ زمن للعاملين في مجالات التربية والتعليم والمهتمين بامور التنمية الاقتصادية الاجتماعية قصور التعليم النظامي عن الاستجابة لمتطلبات المجتمع المختلفة من جهة ، وتحقيق رغبات المتعلمين وطموحاتهم من جهة أخرى ، عدا القصور عن مواجهة امكانات وقابليات المتعلمين الذين أخذوا يتزايدون باستمرار وذلك لان التعليم المنظم قد فرض على المتعلمين اساليب واجراءات لا يمكن للمتعلم الراغب في طرق مجالات العمل تجاوزها وعدم الايفاء بمتطلباتها .

وهنا واجه التعليم النظامي صعوبة فائقة حيث ان التعليم للجميع يتطلب الكثير من المال والرجال المؤهلين ، كما انه يحتجز المتعلم لفترة طويلة من حياته مرورا بالسلم الطويل لكي يستطيع بعد اجتيازه الاسهام الفعال في عمليات التنمية المختلفة والتي قد لا يتطلب الكثير منها ذلك النوع من الاعداد الاكاديمي أو المهني الذي اعتصر الكثير من الجهد والمال واستغرق الوقت الذي كان يمكن ان يستغل بشكل افضل واسرع ليؤدي الى مردود أكثر تحقيقا لمتطلبات الفرد والمجتمع .

ولسنا هنا بصدد التفصيل في نواقص التعليم وثغراته ولكن ، يكفي ان نشير الى ان من اسباب احجام الكثيرين عن الالتحاق بالمدارس خاصة في المناطق الفقيرة يعود الى بطء مردود التعليم عليهم وعدم وضوح اهدافه لهم وعدم استجابته لحاجاتهم .

وكان لابد من ايجاد وسائل أخرى للوصول الى المتعلمين وتطبيق مبدأ ديمقراطية التعليم بشكل شامل سواء لمن كان في سن الدراسة او كان قد تجاوزها وسواء عاش في المدينة أو الريف او كان قادرا على مواصلة الدراسة او غير قادر او كان اميا أو متعلما .

وتجارب مكافحة الامية والتعليم الاساسي والجامعات المفتوحة كلها نماذج للاساليب التي ابتعدت للابتعاد عن اساليب التعليم النظامي المقننة والوصول الى اوسع الجماهير باقصر الطرق واكثرها اقتصادا مع ضمان فعاليتها للمتعلم وللجميع .

والتعليم غير النظامي يمكن أن يكون شاملا لكل ما تقدم ذكره من تجارب للخروج بالتعليم من اسار الصفو والكتاب والمرحلة الى انطلاقة الشمول والنظرة الشمولية لعملية التعليم والتعلم التي هي الحياة باوسع معانيها .

والتعليم غير النظامي لا يعترف بالصفوف ولا بالمراحل ولا بالدراسة كمؤسسة مقننة مغلقة تتحكم فيها المناهج والانظمة التي تحدد تعلم الطالب وسيره .

والتعليم غير النظامي ليس خاضعا لاحكام العمر او اختلاف مستوى المهارة أو نوعيتها .

ومناهجه ليست مقننة تطبق على كل الطلاب في جميع المناطق في البلد .

وانجاز الطالب لا يقاس وفق اسس مسبقة مقننة وشهادته لا تؤهل للالتحاق بمرحلة تالية اذ لا مراحل للتعليم غير النظامي كالتي الفناها في التعليم المقنن ، والعاملون فيه لايشترط ان يكونوا من ذوي المؤهلات العالية التي تتطلب الاعداد الطويل .

ومدارسه او مراكزه لا تتطلب ذلك الشكل المتبع في الابنية المدرسية بمرافقها المختلفة .

حقيقة الامر

ويستغرب من الف التعليم النظامي ان يجد كل ما تقدم مفقودا من التعليم غير النظامي كما يتراءى له وحقيقة الامر ليست كذلك .

فالتعليم غير النظامي يتم في مراكز يجمع فيها المتعلمون حسب رغباتهم وحاجاتهم ولا يمنع ان تكون تلك المراكز ابنية مخصصة لذلك الغرض او ان تكون مساجد او معامل او مدارس او حتى في الساحات والهواء الطلق .

ومناهج التعليم غير النظامي تختلف باختلاف المتعلمين ، وحاجة ومناطق تعلمهم ، فحاجة المتعلم ومجتمعه هي التي تحدد رغبة المتعلم ما يتبغى ان يتعلمه .

ووسائل تقييم المتعلم يتعاون نفسه في تحديدها بما ينعكس عليه مباشرة من مهارات يجيدها ويحس انها تفي بحاجته .

ومعلم التعليم غير النظامي قد يكون معلما اعد من الحياة او اعد في مؤسسات خاصة • فالعامل الماهر قد يكون معلما لمن هم اقل منه مهارة والفلاح الجيد قد يصبح معلما لمن هم ليسوا على نفس الدرجة من الجودة في العمل والاطلاع فيه •

ومردود التعليم غير النظامي ليس بطيئا او غامضا بالنسبة للمتعلم فحيث انه انعكاس لحاجة المتعلم فيسهل عليه ان يقيس بنفسه مدى تحقيقه لحاجته وحيث ان المتعلم يعرف ما يريد فهو يستطيع وبسهولة ان يعرف اين بلغ وكيف يمكنه ان يستفيد مما استطاع تحقيقه من تقدم في المهارة ومدى تحقيق تلك المهارة لحاجاته •

والتعليم غير النظامي ليس تعليما للقراءة والكتابة بقدر ما هو تعليم وتدريب للمهارات الاساسية وتحسينه وتطويره لها « فالفلاح يصبح فلاحا افضل والعامل يصبح عاملا اكثر مهارة والمتعلم الراغب في الدراسة الاكاديمية او سواها يكون قد زود بمهاراتهما الاساسية اللازمة ان رغب في متابعة التحصيل » •

وهكذا نجد ان التعليم غير النظامي هو تعليم للحياة ، مشتقا من الحياة ومستندا اليها والى حاجاتها التي يحس بها المتعلم نفسه ويعمل على تحقيقها •

ولا يتسع المجال هنا الى المزيد من التفصيل في طبيعة التعليم غير النظامي ولكننا نعتقد ان الصورة المختصرة المذكورة فيما تقدم يمكن ان تعطي القارىء فكرة واضحة عما يدور في اروقة التربية والتعليم من نقاش حول اهمية الجامعات المفتوحة والتعليم الشعبي في تحقيق صور افضل للمجتمعات البشرية •

ولقد اهتمت منظمة اليونسكو العالمية ، ومنظمة اليونسكو العربية بهذا المجال الواسع من مجالات التربية والتعليم واقدمت على اجراء دراسات وتجارب كثيرة في هذا المضمار قد يكون من ابرزها في منطقتنا العربية ما يجرى حاليا في الجمهورية العربية اليمنية حيث يقوم اوسع مشروع للتعليم غير النظامي •

الحاجة هي الاساس

ولعل من المفيد هنا ان نبرز بعض اوجه هذا المشروع الحيوى الهام الذى بدأ يعطي بعض ثماره في مناطق متعددة من الجمهورية العربية اليمنية •

فمنذ عام ١٩٧٤ قامت الجهات المسؤولة في الجمهورية العربية اليمنية وبالتعاون مع منظمة اليونسكو والبنك الدولي بوضع مشروع للتعليم غير النظامي والتدريب على المهارات الاساسية يتلخص في انشاء مراكز للتعليم غير النظامي في مناطق مختلفة من الجمهورية حرصت على ان تكون اكثر حاجة من غيرها لاى نوع من انواع النشاط التعليمي والتربوى •

وشكل لهذا المشروع جهاز يضم مجلسا وطنيا اعلى تمثل فيه اجهزة الدولة ذات العلاقة والمنظمات الشعبية المهتمة بامور تطوير المجتمع اليمني في جميع أوجهه •

ويختص هذا الجهاز بوضع سياسة التعليم غير النظامي المنبثقة عن الحاجات المحلية ويشرف على تنفيذها لا مركزيا •

والجدير بالذكر ان اساس السياسة ينطلق من اللجان المحلية في المناطق المختلفة التي تتولى اعداد حاجتها من مراكز التعليم غير النظامي ويترك للمنظمات الشعبية المحلية تحديد نوع وزمان النشاطات المناسبة التي يقرها المجلس الوطني ويوفر ما يلزم لتنفيذها من مال ورجال وامكانات أخرى •

فانطلاقة سياسة التعليم غير النظامي اذا هي حاجة المتعلم وحاجة منطقته ، ومسؤولية المجلس الوطني تتلخص في الاستجابة لتلك الحاجات ضمن اطار وطني يتوخى تحقيق الجهد والمال لما يبذلان من اجله •

وقد بدات مراكز اربعة في مناطق متباعدة من الجمهورية باستقطاب المتعلمين بعد حملة توعية شاملة للمواطنين في تلك المناطق شملت النساء والاطفال والرجال بمختلف اعمارهم ومهنهم ، وجندت لها الطاقات الحكومية والشعبية وشملت الزيارات في البيوت ومحلات العمل في الحقول والمعامل والورش والمساجد واستغلت جميع وسائل الاعلام لهذا الغرض •وقد اثمر هذا المجهود بسرعة غريبة وذلك لان الذين تولوه هم من ابناء البلد، وغالبا من ابناء المناطق الذين دربوا تدريبا سريعا على القيام بمثل هذا العمل •

من كل الاجيال

ولما لم تكن هنالك مراكز مخصصة لجميع المتعلمين فقد استفاد القائمون على هذا النشاط من المدارس والمساجد والمحلات العامة الاخرى وبدات هذه المراكز بالعمل مستفيدة من جهد المعلم ورجل الدين والعامل الماهر والفلاح الماهر وربة البيت التي تجيد الطبخ او التفصيل او تربية الطفل ، والممرضة التي يمكن ان تسهم في التوعية الصحية .

وقد امتلات هذه المراكز بالمتعلمين رغم عدم اكتمال متطلباتها خاصة ما يتعلق بالتدريب المهني منها كوسائل التدريب الزراعي والصناعي كورش النجارة والحدادة والكهرباء .

واقبلت النساء بصورة خاصة على تعلم الخياطة والطبخ وتربية الطفل والكثير من الامور المتعلقة بالصحة الهامة بشكل يفوق التصور وذلك لوجود الحاجة الملحة لمثل هذه الامور في مجتمعات حرمت منها لاجيال عديدة .

ومن اطرف ما واجهته احدى العاملات ، انها وجدت في أحد المراكز ثلاثة اجيال من النساء في مجموعة واحدة جئن لتعلم الخياطة والطبخ وكانت الاجيال الثلاثة متمثلة بالجدة وابنتها وحفيدتها .

ومشروع التعليم غير النظامي رغم صعوبات تنبىء وجهها سائر في طريق التوسع والتنوع والتركيز وذلك حسبما سيوفر له من مصادر مالية من السلطات الحكومية او من جهات دولية .

ويمكن تلخيص ماحققه هذا المشروع من اهداف وكذلك مايهدف اليه التعليم غير النظامي بصورة عامة بما يلي :

١) تحرير النظام التعليمي من القيود التي تقف عائقا امام الكثيرين من المتعلمين بسبب ظروفهم الاجتماعية او الاقتصادية او حتى ما يتعلق منها بالقدرات والامكانيات الجسمية او العقلية .

٢) اتاحة الفرصة لمن ترك الدراسة بسبب ظروف مختلفة ولم يستفد بالقدر المناسب لكي يعوض مافاته او يطور مهاراته وقابلياته في المجالات التي يحس بالحاجة فيها .

٣) نشر التعليم في البلد الواحد حيث يمكن انشاء مراكز التعليم غير النظامي في اية منطقة لاتمتلك القدرات المادية والبشرية اللازمة لانشاء المدارس النظامية حيث ان مراكز التعليم غير النظامي تتطلب ابسط المنشآت واقل الكوادر من حيث الاعداد والعدد .

٤) تخفيض كلفة التعليم الشعبي الى اقل قدر ممكن دون الحاق الضرر بالمردود حيث ان التعليم غير النظامي يحقق الكثير من اهداف التعليم النظامي ولكن بشكل افضل وبتكاليف أقل وذلك نتيجة لطبيعة التعليم غير النظامي ونوعية النشاطات التي تجرى فيه .

٥) تعليم المهارات الاساسية التي يحتاجها المواطن في حياته اليومية سواء منها ما يتعلق بالقراءة والكتابة والمهن والنشاطات الحرفية او ما يتعلق بالحياة الاسرية والاجتماعية وقضايا الصحة ونشاطات المجتمع المختلفة .

٦) ربط التعليم ونشاطاته بالحاجات المحلية واستغلال الامكانات المحلية وتطويرها وتحسين استخدامها .

٧) ربط التعليم المحلي بحاجات التنمية المحلية والوطنية والاقليمية ومساعدة المتعلمين على الالتحاق بسوق العمل في المجالات التي تتناسب وقابلياتهم والفرص المتاحة امامهم .

٨) تكوين الكوادر المدربة محليا والتي يمكن الاستفادة منها في مجالات التعليم والتعلم وكذلك في مجالات المهن والحرف المختلفة .

وما احرانا في بلادنا العربية ونحن نواجه مشكلة ازدياد الأمية رغم انتشار المدارس وتزايد اعداد الطلاب ورغم ماينفق من ميزانيات هائلة على التعليم من ان ننظر بجدية الى مثل هذه التجارب ونبدأ العمل الذي يفك التعليم النظامي من اساره ويجعل من التعليم حقا حقيقيا لكل مواطن مهما كان موقعه في الوطن ومهما كانت قدراته وامكاناته، وحينذاك فقط نستطيع القول بأننا حققنا ديمقراطية التعليم واستفدنا من كل الطاقات التي يزخر بها مجتمعنا العربي ■■

صنعاء ـ د · طه الحاج الياس
مدير مشروع تطوير التعليم
بالجمهورية العربية اليمنية



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

قناة الغدة اللعابية

● انا رجل في العقد الرابع من عمري بدات منذ فترة اشكو من تورم فى اسفل الفك من الناحية اليمنى ،يصاحبه الم شديد فى الرقبة ، ويشتد هذا الالم كلما تناولت شرابا حامضامثل عصير الليمون او البرتقال او الاطعمة التى فيها توابل ٠٠ فما سبب ذلك ٠٠ وما هو العلاج ؟

ـ هذا تشخيص يوحي بان ما تشكو منه سببه وجود حصوة فى قناة الغدة اللعابية مما يؤدى الى انسداد هذه القناة التى تحمل اللعاب الى داخل الفم ٠٠ وعند تناول اى شراب حامض او اكل التوابل يزداد افراز اللعاب الحبيس فى القناة فيحدث التورم والشعور بالالم فى اعلى الرقبة ٠

والعلاج الامثل لهذه الحالة هو استئصال الغدة المصابة بعملية جراحية ٠٠ وفى بعض الحالات يلجا الطبيب الى استئصال الحصوة فقط على امل الا تتكون مرة اخري وان كان هذا الامل ضعيفا لان الحصوة تتكون مرة اخرى ، الامر الذى يضطر معه الطبيب الى استئصال الغدة المصابة باكملها٠

التنفس عن طريق الفم



● الاحظ أن ابنتي البالغة من العمر اربع سنوات ، تعاني من صعوبة فى التنفس عن طريق الانف مما يضطرها الى التنفس عن طريق الفم ٠٠ بالاضافة الى اصابتها المتكررة بنزلات البرد والسعال ٠٠ وعدم شهيتها للاكل مما ادى الى هزالها ٠٠ فما هو السبب ياترى ٠٠ وما العلاج ؟

ـ يبدو لي ان ابنتك مصابة بتضخم الغدد الليمفاوية الموجودة باعلى البلعوم خلف الانف وهو ما جرى عرف العامة على تسميته «لحمية بالانف»٠ ـ وهذا التضخم يسبب انسدادا مزمنا بالانف مما يجعل التنفس من الانف صعبا فيضطر الطفل الى التنفس من فمه لهذا ترى ابنتك تفتح فمها دائما ولايخفى ان التنفس من الفم يحرم الجهاز التنفسى من الحماية التى يوفرها مرور الهواء



داخل الانف فيصل الهواء الى الرئتين محملا بكثير من المواد الغريبة الضارة وكذلك في درجة حرارة غير مناسبة مما يجعل الطفل اكثر عرضة للنزلات الصدرية كذلك فان التنفس من الفم يجعل من تناول الطعام واجبا ثقيلا غير محبوب فتقل شهية الطفل للاكل وتضعف صحته ويتأخر نموه ·

والعلاج يكون باستئصال هذه الزوائد المتضخمة بعملية جراحية بسيطة لاتستغرق بضع دقائق ·

« الحلأ »



● اصبت ببثرات مؤلمة بجوار شفتي تسمى «الحلاء» وقد شفيت منها باستعمال العلاج الا انها تعاودني عدة مرات كل سنة واحيانا في مناطق اخرى من الجسم · فما هي اسبابها وطريقة التخلص منها ؟

ـ ان هذه البثرات مرض جلدي وتسمى الحلا البسيط Herpes Simplex ويتميز المرض بانه يتكون من مجموعة بثرات او حويصلات صغيرة فوق قاعدة محمرة من سطح الجلد وقد تكون هناك عدة مجموعات متفرقة ويكون الجلد الفاصل بينها طبيعيا · وتحتوي البثرات على سائل اصفر شفاف في البداية يتحول بعد بضعة ايام الى لون ابيض ثم تتكون قشرة تسقط بعد فترة ·

وهذا المرض يحدث نتيجة الاصابة بفيروس خاص وكثيرا ما نلاحظه بعد الاصابة بالحميات وعادة ينتشر في فصل الربيع والخريف ويصيب الاطفال والشباب اكثر من باقي الاعمار ·

وهناك اسماء مختلفة لهذا المرض معتمدة على موضع الاصابة فقد تحدث في الوجه او العين مما قد يؤدي الى فقد البصر · وقد تحدث على الشفاه وتسمى Herpes Labialis وقد تظهر على احد جانبي الصدر وتسمى Herpes Zoster كما انها قد تصيب الاعضاء التناسلية وتسمى Herpes Genitalis

وهناك بعض الاشخاص تكون عندهم قابلية الاصابة بالمرض ونلاحظ تكرار المرض عندهم عند تعرضهم للاصابة بالفيروس ·

وعادة يحدث المرض فجأة حيث ينام الشخص كعادته سليما معافى ولكنه يستيقظ في الصباح فيجد هذه البثرات يصحبها الم حاد يشبه اللسعة او الحرق مع بعض الحكاك واحيانا مع ارتفاع في درجة الحرارة ·

وقد يسبق الالم والحكة ظهور البثرات بحيث ان المريض المتعود على المرض يعرف انه ستظهر بعد قليل بثرات في ذلك الموضع ·

وتكون الاصابة شديدة في كبار السن حيث انهم يحتاجون للراحة التامة ·

ويتلخص العلاج في استعمال دهان الزنك والاكتيول يوميا لمدة اسبوع حتى تجف البثرات ثم بعد ذلك ترش ببودرة مطهرة ولتخفيف حدة الالم يستعمل مرهم بروكايين وكذلك فيتامين ب بالفم او العضل ·

النمش

● في صيف هذا العام ظهرت في وجه ابنتي بقع بنية ما فتئت ان انتشرت في ذراعيها وقد علمت ان هذه البقع تسمى «نمشا» ٠٠ فما سبب هذا النمش وهل هو معد ؟

ـ النمش Freckles عبارة عن بقع صغيرة لونها بني فاتح او غامق تظهر على البشرة في المناطق المعرضة للشمس والضوء ولذلك فهي تزداد في الصيف او عقب التعرض للاشعة البنفسجية وهذا هو السبب في انتشارها في ذراع ابنتك نتيجةحلول فصل الصيف وتعرضها للشمس وارتداء الملابس بدون اكمام ، ويلاحظ انها تخف وقد تختفي احيانا في فصل الشتاء وقد تظهر على شكل نقط متناثرة او في مجموعات وهي نتيجة زيادة الميلانين الموجود في البشرة ٠

والنمش عادة ينتشر في الشقراوات ذوات العيون الزرق عنه في السمراوات ولكنه يوجد بصفة خاصة في المولدين حيث يظهر في اغلب اجزاء الجسم خاصة المكشوفة منها ٠

ويبدأ ظهور النمش في سن الطفولة ويصيب البنات والاولاد عند عمر ٦ سنوات ويستمر مدى الحياة ويزداد كل صيف الا انه ليس في وجوده اى ضرر كما انه ليس معد ويلعب العامل الوراثي دورا مهما في حدوثه حيث لوحظ انه يحدث في التوائم وحتى فيءنفس الاجزاء المتشابهةمن الجسم٠

وهناك نوع آخر من البثور يشبه النمش ويسمى العدس Lentigens وهو عبارة عن شامة تشبه النمش من حيث الشكل الا انها اغمق في اللون وتوجد منذ الولادة وتنتشر كذلك في الاجزاء المغطاة من الجسم ولا تتاثر بالجو او الصيف والشتاء ٠

واذا كان النمش منتشرا في جميع الجسم فليس له علاج وانما ينصح بالابتعاد عن الشمس او استعمال الكريمات الواقية من الشمس وذلك لتخفيف حدة النمش ، اما النمش الذى يظهر على شكل بثور متناثرة فيمكن معالجته بمس الفينول بواسطة الاخصائي وهذا المس يؤدى الى تقشر النمش فيظهر تحته جلد طبيعي اللون ، كذلك يمكن استعمال الكريمات المبيضة التى تزيل اللون تدريجيا من البقع البنية ٠

الاسهال ٠٠ ماهى اسبابه ؟

● اشكو من اصابتي المتكررة بالاسهال ٠٠ فما هو سبب الاسهال٠٠ وما علاجه ؟

ـ الاسهال هو تعدد نوبات التبرز غير التى تعودها الشخص مع ليونة او سيولة البراز وفي بعض الحالات يكون مصحوبا بمخاط او دم ٠٠ وفي حالات اخرى يكون مصحوبا بمغص معوى يضطر المصاب للذهابالى دورة المياهليفرغ ما فيءامعائه٠ وفي الحالات الشديدة يكون مصحوبا كذلك بقيء او ارتفاع في درجة الحرارة ٠

وفي الحالات الخفيفة يكون الاسهال نتيجة لتعرض الانسان لاضطرابات عارضة تصيب الجهاز الهضمي كالتعرض للبرودة ، او تغير في الطعام او اضطرابات نفسية عارضة ٠ والكثير من حالات الاسهال يرجع الى استعمال المسهلات بكثرة فيءهذه الايام خصوصا القوى المفعول منها ٠ ثم هناك التسمم الغذائى الذى يصيب الاطعمة من تلوث بمكروب او بمادة كيماوية ، وفي هذه الحالات يكون مصحوبا بقيء شديد ٠ مع ارتفاع في درجة الحرارة ٠

وهناك الدوسنطاريا التي تصيب القولون وهى نوعان اميبية وباسلية وتعتمد في التشخيص على فحص خاص للبراز ٠

ثم هناك انواع العميات المعدية التي تصيب الجهاز الهضمي واهمها التيفود والباراتيفود والكوليرا وهناك امراض اخرى نادرة الحصول وتسبب اسهالا شديدا مثل الحساسية لانواع البروتينات المختلفة ودرن الامعاء ، وامراض مختلفة ما زال البحث جاريا لمعرفة كنهها ٠

من هذا يتضح انه في بعض حالات الاسهال المستعصية توجد حالات تحتاج لفحص دقيق وعمل التحليلات المختلفة والاشعة ، واخذ عينات من الجهاز الهضمي لمعرفة سبب المرض ٠ ثم بعد ذلك يكون العلاج ٠

ميخائيل

« مهما كانت مواهب الانسان
فانها لن تجديه نفعا اذا
ما انفصل عن وطنه »



شولوخوف

والرحلة من ريف القوزاق الى العالمية وجائزة نوبل

بقلم : الدكتور محمد جليل مصطفى

■ يعتبر ميخائيل الكساندروفيج شولوخوف الممثل الاكبر للنثر السوفيتي ، بعد جوركي • وشولوخوف عضو فعلي في اكاديمية العلوم السوفيتية ، وعضو مجلس السوفيت الاعلى للاتحاد السوفيتي ، وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي • وعضو المجلس العالمي لانصار السلام ، كما هو عضو هيئات تحرير كثير من المجلات الادبية والثقافية ، وعضو هيئة رئاسة اتحاد الكتاب السوفيت ، وحائز على جائزة لنين وجوائز الدولة ووسام العمل الاشتراكي ، وحائز على جائزة نوبل ، والعديد من أوسمة وميداليات التقدير العالمية •

وقد بدأ طريقه الادبي بعد ثورة اكتوبر السوفيتية • وفي مقدمته لكتابه : « السهب اللازوردي » تحدث عن حياته فقال :

ـ ولدت في ١٩٠٥ ، في قرية كروجيلني ، من بلدة فيشينسكايا ، من منطقة الدون •

ـ كان أبي من أوساط الناس الذين امتهنوا شتى المهن •• وكانت أمي نصف قوزاقية ، نصف فلاحة •• درست في مختلف المدارس الثانوية حتى عام ١٩١٨ • وكنت أثناء الحرب الاهلية في منطقة الدون •

ـ ومنذ عام ١٩٢٠ خدمت وارتحلت في بقاع الدون • ولأمد طويل كنت أحصل على ما يقيم الاود فحسب • وقد طاردت عصابات البيض حتى عام ١٩٢٢ ، كما أن العصابات طاردتنا • لقد مضى كل شيء على ما يرام •

ـ اكتب منذ عام ١٩٢٣ ، ومنذ هذا العام انشر ما أكتبه في جرائد ومجلات الشباب • وقد أصدرت كتابي الاول عام ١٩٢٥ •

بداية النشاط الابداعي

لقد مضى التطور الابداعي لشولوخوف بسرعة فائقة للغاية • فبعد ثلاث سنوات فحسب من عمله في الصحافة ، بدأ العمل في روايته « الدون الهادئ » وفي عام ١٩٢٨ أصدر الجزء الاول للرواية ، الذي اجتذب في الحال انتباه الجميع ، والذي وضع شولوخوف في الصفوف الاولى لكتاب العهد الجديد •

وقد كرس السنوات الاولى لكتابة الاقاصيص • ومنذ آنذاك بانت الملامح المميزة لموهبته • وأسمى كتابه الاول « اقاصيص الدون » • وفي البداية وفيما بعد استمر شولوخوف في الكتابة عن الشيء الذي كان يعرفه أكثر من الجميع ، عن حياة قوزاق الدون (١) •

---

(١) القوزاق ـ شعب استوطن منطقة الدون وجبال القفقاس ، وهو شعب جبلي يتكون من خليط من الروس والاوكرانيين ، ويمتاز بالفروسية والاباء وحدة الشكيمة وحدية العواطف والانفعالات ، ونهر الدون ـ أكبر أنهار أوكرانيا •

ان طبيعة سهوب الدون ، وحياة وقيم القوزاق (في مرحلة الحرب الاهلية ، بشكل اساسي) ، واللغة المشبعة باللهجات المميزة لمنطقة الدون ، ان كل هذا هو مما يشدنا ويجذبنا في اقاصيص شولوخوف المبكرة (١٩٢٣ ـ ١٩٢٥) .

الدون الهادىء

لقد كتب شولوخوف رواية « الدون الهادىء » خلال عدة سنوات . فقد صدر الجزء الاول منها عام ١٩٢٨ ، وفي عام ١٩٢٩ صدر الجزء الثاني ـ وفي عام ١٩٣٣ ـ صدر الجزء الثالث ، وفي عام ١٩٤٠ ـ صدر الجزء الرابع والاخير .

ان هذه الرواية،سواء من حيث التناول الشامل للواقع أم من حيث عمق المشاكل المطروحة فيها، تشغل ، عن حق ، واحدا من الاماكن الاولى في الادب العالمي . ولعل ادارة لجنة جائزة (نوبل) كانت مصيبة للغاية ـ هذه المرة ـ يوم منحت هذه الرواية وصاحبها جائزة نوبل في الاداب .

لقد صور شولوخوف في هذه الرواية ، على نحو واف للغاية ، حياة القوزاق قبل وبعد الثورة، وأصالة حياتهم ، وحدة النزاع والتنابذ الطبقي في المجتمع القوزاقي،والسبل الشاقة والمريرة التي انتهجها القوزاق نحو الثورة ، محطمين القيادات الكولاكية ومقاومتها المستميتة للاصلاح الزراعي .

غير انه مع كل اهمية الرواية ، كسجل فريد متميز لعصر القوزاق وحياتهم الماضية والجديدة ، فان شولوخوف يطرح في هذه الرواية مشكلةاوسع بكثير . ففي مركز الرواية شخصية غريغوري ميليخوف. انمصيره حري بالاعتبار وحافل بالدروس على نحو عميق . فقد أظهر شولوخوف فيه الطريق التراجيدي للانسان ، الذي انفصل عن شعبه ، وبـ ر حياته ـ بالتالي ـ دون أن يظهر القدرات التيتمتع بها .

ان الاستنتاج الذي يبقى بعد كل أحداث الرواية هو التالي :

مهما كانت مواهب الانسان فانها لن تجديه نفعا، اذا ما انفصل عن شعبه ، وان لم يمض سوية مع وطنه ، وان لم يناضل من أجله في العمل السلمي وفي المأثرة القتالية . ان هذا الانفصال عنالشعب والمجتمع هو الذي حكم على غريغوري بالهلاك .

غير أن شولوخوف ، في الوقت نفسه ، قدم غريغوري في لوحة اجتماعية واسعة ، وفي خلفية رحبة . فان شولوخوف ، كأي فنان كبير ، يصور بمنتهى العناية ، كافة المشاركين في الاحداث ، التي تجري فيها حياة غريغوري. انه يظهر الانحلال الطبقي للمجتمع القوزاقي ، ويدخل في روايته مادة وثائقية كبيرة . فان « الدون الهادىء » ـ هو ـ بشكل من الاشكال رقصة الحرب الاهلية في «منطقة الدون ـ قصة انشاء الحياة الجديدة عن طريق القضاء على مقاومة العدو المستميتة .

الحياة الجديدة

« والدون الهادىء » ، في الجوهر ، هي القسم الاول من رصده لمعالم الحياة الجديدة . أما القسم الثاني من هذه الملحمة فهو رواية «الاراضي المستصلحة » التي سنتحدث عنها بعد قليل .

لقد أبدع « الدون الهادىء» خلال سنواتعديدة، والى جانب محور الموضوعات الاساسي ، فقد اعير اهتمام كبير الى المشاهد الجانبية.غير أن موضوعة غريغوري وتطورها وتلاحم فصولها ونموها النفسي والفني تقدم في الرواية ، بذلك القدر منالوضوح والتميز ، بحيث أن الرواية ، مع كل نسيجها وتركيبها تفهم ككل متكامل ، واحد .

ان لغةشخوص الرواية بالغة التفرد ـ والفردية ـ والدلالة الاجتماعية ـ السيكولوجية ـ الجمالية.

كما ان حديث المؤلف قريب من احداث ابطاله . ذلك ان لغة شولوخوف ـ قصاصا ـ مشبعة بمختلف صنوف الكلمات المحلية . وليس أبطاله فقط ، بل هو نفسه ايضا ، متحدثا عن ابطاله،يدخل الكلمات والتعابير المميزة للغة القوزاق .

ان تنوع النسيج اللغوي في الرواية ، يفضل الاختلاف والتنوع في حديث ابطالها الرئيسيين ، والمرونة في حديث المؤلف ، الذي يلتحم تارة بلغة الابطال ، ويتقهقر تارة اخرى ، فيما يستعير في مناسبات اخرى،لغة الوثائق والارشيفات الخ...

ان كل هذا يشكل ، ملتحما معا في آن واحد ، فنا روائيا فنيا ومعقدا يستجيب لتعقيد المادة الحياتية، المقدمة في الرواية ، وعمق اضاءتها الفكرية .

الاراضي المستصلحة (٢)

بدأ شولوخوف في عام ١٩٣٠ ـ العمل بالرواية

---

(٢) ظهرت هذه الرواية ، مترجمة الى العربية ،تحت عنوان (والارض البكر حرثناها) .

الجديدة «الاراضي المستصلحة» التي صدرت عام ١٩٣٧ ٠وفي هذه الرواية تظهر شخصيات القوزاق وابطالهم ، ولكنها تظهر ، هنا ـ في وضع واطار تاريخي جديد ، في عصر اشاعة المزارع التعاونية في الريف ٠

ان اهتمام شولوخوف يتركز ، هنا ، اذا ماقارنا الامر بما هو عليه في «الدون الهادئ» بدرجة كبيرة على كشف الانحلال الطبقي الاجتماعي في المجتمع القوزاقي ٠ وبالطبع ففي رواية « الدون الهادئ » يصور هذا الامر ايضا ، ولكن في مركز الاحداث ، هنا ، يشخص مصير غريغوري ، الذي يقدم تراجيديا واخلاقيا وجماليا ايضا،فيما يكون النضال الاجتماعي ، برغم كل اهميته ، هو الخلفية الواسعة ـ التي تبسط عليها مأساة الانسان ـ الذي اضاع وطنه ٠

اما رواية «الاراضي المستصلحة» فتتحدث عن اعادة البناء الاجتماعي للمجتمع القوزاقي وانتقاله الى التنظيم الاشتراكي للانتاج ٠ ان ذات موضوع الرواية يبني بشكل مغاير ، بالقياس الى رواية «الدون الهادئ»،كما ان الحياة الشخصية للابطال تشغل فيها حيزا صغيرا نسبيا ، اما في مركز الرواية فتتشخص العناصر الاساسية لحياة المزرعة التعاونية ٠

ان رواية «الأراضي المستصلحة» ، شانها شان نتاجات شولوخوف الاخرى ـ تتميز بالاستاذية الفنية الرفيعة ٠

ان محتواها الفكري يتمتع بأهمية خاصة ـ بفضل ذلك الغنى والتنوع في الوسائل التعبيرية، التي يستخدمها شولوخوف في فنه الروائي بالذات٠ وتتألق حيوية الشخوص المصورة في الرواية ، بفضل الديالوج (الحوار) والمونولوج (الحوار الذاتي) المتطور جدا ٠

ان كل بطل من ابطال الرواية يمتلك لغته المحددة جيدا ، وطريقته في الحديث ، التي تؤكد تفرده وتميزه ، كما تؤكد دلالته الاجتماعية ـ السيكولوجية = الجمالية ٠

وكذلك فان موضوع الرواية منفرد هو الاخر ٠ وبخلاف البناء التقليدي للموضوع وتطوره على اساس احداث الحياة الشخصية للابطال ، فان شولوخوف يبني كامل موضوعه على قصة المزرعة التعاونية ، اي على احداث الحياة الاجتماعية ٠

والى جانب ادخال عنصر الفكاهة في الرواية ، فان شولوخوف يستخدم ، على نطاق واسع ، لوحات الطبيعة ويستثمر ذلك استثمارا ذكيا ٠ وكذلك فان دورا كبيرا في اكتمال التفرد الفني للناس والاحداث المصورة في الرواية يلعبه ، ايضا ، حديث المؤلف ، وهذا «طلع متميز في الفن الروائي، أبدع فيه شولوخوف ٠

الحرب وما بعدها

تلقى المآثر القتالية للجيش السوفيتي تصويرا رائعا ، بقلم شولوخوف ، في كتابه الروائي الشهير « قاتلوا من أجل وطنهم » ، وفي كتابه « علم الكراهية » ، وفي قصته « مصير انسان » وسواها ٠

ان موضوعات شولوخوف تنعطف هنا ، انعطافا نوعيا حادا ٠ فان شولوخوف الذي كان يكتب عن الحرب الاهلية وحرب التدخل ، وعن بناء الحياة الجديدة والمزارع التعاونية ومجتمع القوزاق وتطوره الصاعد بدأ يكتب الان عن مصير البلاد كلها ، في مجابهة مع خصم شرس اجتاح أوربا كلها ، نعني به الاخطبوط الفاشي ٠

ومن هنا فان اظهار وجه الفاشية ، وتغذية ذلك الشعور بالكراهية التي تستحقها الفاشية ، وهو الشعور الذي لم يتهيأ له مواطنو شولوخوف ذوو العقلية القروية أساسا ، ان كل هذا ، معا ، كان احدى أهم المهمات التي نذر شولوخوف ، بصفته كاتبا مقاتلا ، نفسه للايفاء بها ٠

ومن هنا ، فان اوجرك شولوخوف « علم الكراهية » ، يتحدث ، بقوة كبيرة ، عن الفظائع التي ارتكبها الالمان بحق الاسرى السوفييت ٠ وقد ساهم هذا الاوجرك ، على نحو فعال ، في ايقاظ الشعور بمقت الفاشية والحقد عليها ٠

أما رواية « قاتلوا من أجل وطنهم » فهي ليست مجرد سرد للمآثر القتالية للمواطنين المقاتلين ، بل هي تصوير فنان دقيق لتراجيديا الانسان في كفاحه من أجل أرضه ضد العدو الخارجي وضد العدو الداخلي أيضا ، وهي تراجيديا من النوع المهم جدا ، لان الانسان المقاتل من أجل أن يقضي على عدوه الخارجي يجب أن يقضي على كل القوى التي تحيط تعبئة قواه في الداخل ، وأحيانا عليه أن يخوض صراعا كبيرا مع نفسه ـ هو صراع ضار

في الحقيقة ، ولعله أصعب بكثير من الصراع مع القوى الخارجية ٠

ان رواية « قاتلوا من أجل وطنهم » التي مسرحت وأعدت للسينما، هي و (الدون الهادىء ، والاراضي المستصلحة) ، تشكل الثالوث الروائي الكلاسيكي لكنز الرواية السوفيتية المعاصرة ، كما تشكل ابرز اضافات شولوخوف الى الرواية الواقعية العالمية ـ والى فن الرواية المعاصرة عموما ٠

واذا كان النقاد يقارنون شولوخوف بسلفه العظيم تولستوى ـ من حيث الملحمية ، والجوقية ، والمشاهد الواسعة ـ واستثمار المشاهد الطبيعية ، والحوار والحوار الذاتي ـ والبناء الدرامي المتوتر ـ فانهم لم يعدوا الحقيقة حين أكدوا أن شولوخوف نهض بمهمة الرواية المعاصرة خير نهوض ، وقد أكمل رسالة سلفه تولستوى في الفن الملحمي الروائي الواقعي ٠

واذا كان شولوخوف يصر ، هو الاخر ، على انه مجرد تلميذ لتولستوى ودوستويفسكي وغوركي ـ واختيار هؤلاء الثلاثة ليس عبثا ـ فان شولوخوف اكد بذلك حقيقة موضوعية معروفة للنقاد الاوربيين عن الفن الروائي الروسي ، وهذه الحقيقة تقول أن القصصيين والروائيين الروس يكمل بعضهم بعضا ، ويفيد بعضهم من بعض ، ويطور بعضهم انجازات البعض الاخر ٠ ان الرابطة بين التراث والمعاصرة ـ بين الاصالة والموروث وروح العصر ـ تتجلى ـ باعمق ما تكون ـ في نتاجات شولوخوف الروائية التي تقف على مصف واحد ـ مع افضل اعجازات الفن الروائي العالمي اليوم ٠

من المحلية الى العالمية

على أن كافة النقاد الاوربيين تقريبا ، وعلى الخصوص سبنسر وروزنبرغ وهوفمان ، يعترفون لشولوخوف بتفرد ، خاص به ، وهذا التفرد يمكن اختصار الحديث عنه في كلمتين (دون أن نتهم بالتبسيط والميكانيكية) هي الانتقال الذكي والفنان قبل كل شيء من المحلية الى العالمية ، من الخاص الى العام ، والملاحمة الجدلية بين الخاص والعام في كل انجاز روائي ٠

فان (الدون الهادىء) و (الاراضي المستصلحة) و (قاتلوا من أجل وطنهم) و (مصير انسان) و (علم الكراهية) ٠٠ ان كل هذه الانجازات تقوم على ميزة يتمتع بها شولوخوف هي الملاحمة الجدلية بين الخاص والعام ـ والانتقال المتبادل بين الخاص والعام والمحلية والعالمية ، والقومية والانسانية ، ومن هنا سر شعبية ورسوخ مكانة روايات شولوخوف ، وسر عالميتها أيضا ، رغم أنها تتحدث ، في الجوهر ، عن قضايا قومية خاصة ـ ومشاكل محلية « قوزاقية » ظرفية ، وهي لهذا كله فرضت نفسها على لجنة جائزة نوبل ، رغم ان كاتبها عضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ٠

وقد سئل شولوخوف مرة عن سبب نجاحه في فنه القصصي الروائي فقال : ان السر يكمن في كوني اكتب بعصبية ، وبدم حار ، وانفعال انساني ، فانا لا أستطيع الكتابة بدم بارد عن فظائع الحرب ، ولا أستطيع أن لا اتعاطف مع مصائر أبطالي تعاطفا حميما ٠

ولعل الناقد هوفمان لم يعد الحقيقة حين قال في معرض تحليل عبقرية شولوخوف الروائية : ان شولوخوف فعل ما لم يفعله غيره من الكتاب الروس الدعائيين ، فقد كان ذكيا في تصويره أحداث بلاده ، وأحداث مجتمعه ، كما كان ذكيا في الانتقال من الخاص الى العام وبالعكس ، وكان أذكى من ذلك بكثير في تناوله المشاكل الانسانية الخالدة من خلال احداث ظرفية وقضايا قومية متميزة ٠ ان العالم لا يستطيع أن ينسى الكوميديا البشرية او البؤساء كما لا يستطيع أن ينسى الام فرتر ولا مسرحيات شكسبير ، مثلما لا يستطيع أن ينسى رواية (الام) لغوركي ، و (الدون الهادىء) لشولوخوف ٠

واليوم ، فان شولوخوف لم يعد أديبا روسيا محصورا في بيئة القوزاق ، ومنطقة الدون التي لم يفارقها الا لماما ، بل ان اسم شولوخوف على كل لسان يقرأ القصة أو الرواية ، لا لشيء الا لان شولوخوف فنان كبير ، قبل كل شيء ، وفنان ذكي ، لاحم في فنه الواقعي ، بين الايديولوجية ومتطلبات الفن السامي واستلهام روح العصر دائما وأبدا ٠ ■■

محمد جليل مصطفى

الاستاذ بكلية الاداب ـ جامعة بغداد

أجبره على الأمر ، وجبره أيضاً

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ من أعظم الاعمال الشعرية الحديثة ، واطولها واطرفها بلغتنا ـ قصيدة « المواكب » التى بلغت (٢٣٠) ثلاثين ومئتى بيت ، وهى من نظم الشاعر المهجرى الالمعى جبران خليل جبران (١٨٨٣ ـ ١٩٣١ م) . وكانت روحه الفنية لاتتنفس فى الشعر وحده ، بل فى الكتابةوالرسم ايضا ، كما ان شاعريته ـ فيما نرى ـ كانت اكبر من قدرته اللغوية على افراغ خوالجه واخيلته كلاما منظوما حين يحاول النظم . وقد اخرج هذه القصيدة سنة ١٩١٩ م . وجعلهاحوارا بين شيخ وشاب ، وبدأها بقوله على لسان الشيخ:

« الخير فى الناس مصنوع اذا جبروا »

وكان مما اخذه عليه بعض النقاد قوله فى هذا المطلع « جبروا » بمعنى اكرهوا ، اوقهروا، لظنهم ان الفعل الثلاثى « جبر » لايدل على هذا المعنى ، بل على شد العظم المكسور لاصلاحه ، او على ما يشبه الكسر (مجازا) من الاحوال السيئة او القاصرة ، كالضعف والفقر والزلل ، فيقال : « جبر الله عظم فلان » كما يقال : « جبر ضعفه ، او فقره ، او عثرته » كما ظنوا ان الفعل الذى يدل على الاكراه هو الفعل الرباعى « أجبر » وحده وما يشتق منه ، او يصاحبه من تصاريفه .

وقبل مناقشة هذه القضية هنا بين الشاعرونقاده للفصل فيها ، نبادر بذكر ملاحظتين استرقفتنا كلتاهما بدءا :

اولاهما : ما بين اسم الشاعر « جبران » ـ وهو اسم جده ايضا ـ وبين الكلمة « جبر » المتنازع عليها من مشاركة فى الجذر « ج ب ر » فهل فات جبران الاديب الشاعر ان يستنبىء المراجع اللغوية عن معنى اسم « جبران » الذى يكرر اسم جده ، ليعرف الكلمات المشتقة من هذا الجذر ، فيعرف معانيها المختلفة ، ومن هذه الكلمات « جبر » و « أجبر » « وجبران » ، وما اليها ؟

والملاحظة الثانية هى هذا السؤال الذى لم ينقطع ولن ينقطع بين البشر فى زمان ولا مكان، منذ شرع أولهم يعى نفسه ، ويفكر فى علاقته بالوجود حوله : هل نحن مخيرون ام مسيرون ؟ او « هل البشر مختارون ام مجبرون او مجبورون فيما يعملون ؟ وما جزاء العمل فى الحاضر والمستقبل؟» فهل فات جبران المفكر الناضج الذى كان عمره يوم نظم قصيدة « المواكب » نحو خمس وثلاثين سنة ، ان يطلع ولو على قليل من فيض الاقوال التى يعج بها تراث قومه العرب ، وهم يبحثون قضية الجبر والاختيار ؟ وهل فاته ان يعرف أنهم قالوا « مجبور » كما قالوا « مجبر » بمعنى مكره او مقهور ، وان كلمة « مجبور » لاتكون الا من فعل ثلاثى هو « جبر » ، لانها فى ذلك كسائر الكلمات على وزن « مفعول » تعود الى فعل ثلاثى مستعمل او مهمل .

ان ايسر بحث فى المراجع العربية الفلسفية او الكلامية ـ وهى مئات ومئات ـ تدل على ان سلفنا الفصحاء استعملوا كلمة « مجبور » بمعنى « مكره » فهى لا ريب عربية فصيحة ، وليس لها من فعل الا « جبر » الثلاثى ، فهو مثلها فى الفصاحة العربية .

ثم ان مصدر الفعل « جبر » هو « الجبر » وقد نسب اليه فقيل« هوجبرى » او من « الجبرية » اى اصحاب المذهب او الفرقة التى ترى اننا مسيرون لا مخيرون ، وهذا يقابل المذهب « القدرى» او الفرقة « القدرية » التى ترى للبشر شيئا من الاختيار فيما يخضع لارادته ، او يقبل الخضوع

لها ، ولم يسم احد المذهب الاول بانه « اجباري» ولا اتباعه « اجباريين » .

وترى في بعض اللافتات على طرق السيارات « اتجاه جبرى » مع سهم يشير الى اتجاه معين وهذا يوجب على سائقي السيارات التزامه ،فهذا استعمال د رج ولكنه فصيح ايضا .

وقد يستعمل « الجبر » بمعنى التكبر ، « والجبرياء » كالكبرياء وزنا ومعنى ، ومن ذلك ايضا « جبروت » كما قيل « رحموت » و « رهبوت» بمعنى الرحمة والرهبة . وكلها مصادر من الثلاثي ، ومثلها « الجبرية » (مصدر صناعي) بمعنى الاستبداد والقهر ، وقد تفتح الباء لتسامح العرب في صيغ النسب ، وقد كان بعض معاصري الدولة الاموية من الصحابة والتابعين ـ رضى الله عنهم ـ يسمون حكمها او حكومتها « جبرية » كما سموها « هرقلية » و « كسروية » اى استبدادية للتفرقة بينها وبين حكومة الخلفاء الراشدين التي كانت « مشيخية » او « أبويه » تقوم على الشورى والتراضي و لسماحة اقتداء بسنة النبى عليه السلام ، ولدينا كتب التاريخ تشير الى الاختلاف بين الحكومتين الراشدة ، والاموية .

وهناك نحو سبعة مصادر بهذا المعنى ، لا يعنينا ذكرها لندرة استعمالها ، ويكفى ان نشير الى انها جميعا من مصادر الثلاثي ، وهو ايسر تصريفا من الرباعي .

وادنى من المراجع الفلسفية والكلامية والتاريخية الى ايدينا معاجم اللغة حتى بعض صغارها ، ومنها « المصباح المنير » الذى كان يوزع بالمجان على جيلنا ومن سبقنا في المرحلة الثانوية ، فقد ذكر في مادة « جبر » ـ نقلا عن كثير من ائمة اللغة الثقات ـ ان « جبرته » و « اجبرته » لغتان جيدتان ، وان لا وجه لانكار « جبر » بمعنى الاكراه .

ثم تزيد ان لا وجه لانكار سائر التصريفات من هذا الفعل الثلاثي ـ بمعنى القهر ـ سواء كانت شائعة الاستعمال ، مثل « مجبور » و « جبر » و « جبرية » و « جبروت » ، او لم تكن شائعة، مثل « جابر » بمعنى « قاهر » فيقال مثلا « هل انت جابرى على ما تريد دون ما اريد ؟ » اى هل تقهرنى عليه ولا اريده .

وليلاحظ ان في هذا التوسع استكمالا للمواد اللغوية في حدود القواعد العامة ، وهو جائز دائما ، بل هو واجب اذا دعت اليه ضرورة او حاجة تعبيرية ، وهذا من طرق تنمية اللغة على جذورها الاصلية .

وتصريفات الاصل الثلاثي كثيرة ، ومعظمها شائع الاستعمال فى اللغة الادبية والدارجة ، بل هى فيهما اشيع استعمالا من تصريفات الرباعي « اجبر » .

ومن تصريفات الثلاثي ـ غير ما تقدم ـ كلمة « جبار » ، ومن اسماء الله تعالى « الجبار » و « القهار » بمعنى واحد ، وقد وردا في القرآن الكريم ، لان سلطان الله شامل يمسك خلقه جميعا ، فلا يقع منهم ولا بينهم الا ما يريد.

وتاتى كلمة « جبار » بمعنى المستبد او المسيطر، وقد وردت في القرآن بهذا المعنى في مخاطبته للنبى عليه السلام ، موضحا لهحدود دعوتهالناس الى دينه فيقول : « وما انت عليهم بجبار » ، كما يقول له بالمعنى نفسه : « فذكر انما انت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » لان من اول مبادىء الاسلام حرية العقيدة والى ذلك يشير القرآن في قوله : « لا اكراه في الدين » وقوله : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فيكفر » الى كثير من الآيات في هذا المعنى وتفريعاته وحواشيه .

و « الجبار » ايضا المتمرد ، او المتكبر ، او العاتى ، إذ يزعم لنفسه من الحقوق على الاخرين ما ليس له ، وينكر حقوق سواه . وفى القرآن الكريم « وتلك عاد جحدوا بايات ربهم ، واتبعوا امر كل جبار عنيد » ، و « كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » ومن كلمات الخليفة العبقرى الراشد عمر بن عبدالعزيز يصف الحجاج الثقفى « لو جاءت كل امة بجبارها وجئنا بالحجاج لفلجنا عليهم » اى لغلبناهم » ، اذ كان عمر يسخط الحجاج واعماله النكدة ، في استطالته على رعيته ، وعنفه بهم قتلا وحبسا وارهاقا واذلالا باليد واللسان ، ولو دون مسوغ ، كانما سقطت لهم كلحرمة فنفرهم جميعا منه ولهذا وصفه عمر بالجبروت ، وبانه « لا يصلح لدنيا ولا لدين » .

و « الجبار » بمعنى الجسيم ، او الضخم ، او الفائق لافراد نوعه خلقة او قوة ، سواء كان جمادا او نباتا او حيوانا ، او انسانا ، فلنا ان نصف النيل ، او دجلة او الفرات ، بانه

« نهر جبار » ، ونصف الاهرام وناطحات السحاب بانها « ابنية جبارة » ، وكذلك يقال في الحوت والفيل ووحيد القرن والتمساح ، وتسمى النخلة الطويلة عند العرب « الجبارة » ولنا ان نصف بذلك الغابات الكبرى في افريقية والهند ،وكذلك الصحارى المترامية والجبال الشاهقة ، كما يمكن ان يقال في « محمد على كلاى » انه « ملاكم جبار » ،وفي « عدنان القيسى العراقي » بانه « مصارع جبار » ، لان كلا منهما غلاب لخصومه، وبهذا المعنى وردت كلمة « جبارين » في القرآن الكريم وصفا للعمالقة في بعض قصص موسى، اذ طلب من قومه ـ عقب خروجه بهم من مصر ـ ان يقتحموا على العمالقة ارضهم كنعان (فلسطين) فقال له قومه : « ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون » ثم قالوا له « اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » •

وقريب من هذا المعنى استعمال « جبار» وصفا لكل فائق في صناعته أو مجاله ، فطريا كان مجاله او عمليا ، فمن جبابرة الحروب البرية الاسكندر الاكبر ، وهني بعل (هنيبال) ويوليوس قيصر ، وبلزاريوس ، وخالد بن الوليد ، والمثنى ابن حارثة ، والمهلب ، وروميل ، ومنتجمرى ومن جبابرة القادة في البحر نلسون ، ومن جبابرة الشعراء هوميروس ، وفرجيل ، وبشار ، وابن الرومى ، والمتنبى ، والمعرى والشريف الرضى ، والفردوسى ، وسعدى الشيرازى ، وجلال الدين الرومى ، ودانتى ، وشكسبير ، وجيتى ، وتاجور ومحمد اقبال ، ومن جبابرة الفلاسفة سقراط ، وافلاطون ، وارسطو ، والفارابى ، وابن سينا ، والغزالى ، وابن رشد ، ومن جبابرة الفقهاء والمشترعين عندنا عمر ، وعلى ، وابن عباس ، وجعفر الصادق ، وابو حنيفة ، ومالك والشافعى ، واحمد بن حنبل والغزالى ، وابن تيمية ، وابن القيم ، ويمكن ان يوصف بذلك كبار الزعماء،والمصلحين ،والصوفية، والادباء ، والروائيين والعلماء ، والنقاد ، والمخترعين والممثلين ، والمغنين ، والرسامين ، والموسيقيين ، والرياضيين ، وكان الزعيم المصرى سعد زغلول يصف استاذنا العبقرى « عباس محمود العقاد » بانه « صاحب القلم الجبار » .

ويلاحظ في كل هذه الكلمات المشتقة من الثلاثى « جبر » انها تشترك في معنى الشدة ، وتقترن بالقوة ولنا ان نقول ايضا في « جبر العظم » انه مقرون بالشد او الشدة ، فالعضو المكسور لا يجبر الا بشده حتى يعود الى اقرب اوضاعه الصحيحه ، ثم لا بد من شد جبيرة صلبة عليه ، فالشده ملاحظة في الجبيرة ، وفي حال الجابر وحال المجبور ، ثم ان العضو المكسور اذا جبر صوابا اشتد بعد ضعف حتى يشفى ، ثم هو يشتد بعد الشفاء ، وقد يزداد حينئذ على شدته الاولى ، كما دلتنا على ذلك الملاحظة والتجربة ، فيكون اضخم واقوى مما كان ، بسبب ما يتولد حول موضع الكسر من استاد عظمية دقيقة •

ومن الملاحظات العصيفة عند العرب وصفهم الرجل القوى الساعدين ، بانه « كسر ثم جبر » وكذلك وصف المنذر بن الجارود الامام عليا حين رآه لاول مرة ولم يكن يعرفه ، وذلك عقب خروجه من المدينة ، وانتهائه مع كتائبه الى البصرة قبل موقعة الجمل ، فكان مما وصفه به « رجل كأنه كسر ثم جبر » ، اى قوى الساعدين، وقد كان الامام على كذلك في اعلى الدرجات فكان في كل مبارزاته غلابا ، حتى لم يكن الفرار امامه عارا ، كما لو كانت قوته قدرا من الاقدار الطبيعية •

وننهى هذه الجولة بان الفعل الثلاثى «جبر» وما يؤخذ منه يدل على معان كثيرة منها اصلاح العظام ، ومنها القهر والاكراه ونحوها واما الفعل الرباعى « اجبر » فانه لا يدل الا على القهر او الاكراه ، وكذلك الفعل الثلاثى وما يؤخذ منه اكثر استعمالا في اللغة الادبية واللغة الدارجة ، وكلها عربية فصيحة .

وما دام استعمالها في الدارجة لا يخرجها من عروبتها ، فاستعمالها اولى لاننا نبتغى الكلام السهل في الموضوعات العامة لكي يكون مفهوما للجمهور ، وهذا مقتضى البلاغة الاصيلة البسيطة ، وهكذا ينبغي حين نكتب او نتكلم بالفصيحة للجمهور ـ على مقتضى البلاغة ـ ان نختار المفردات والتراكيب المألوفة ، لانها ايسر فهما على من يعنينا ان يفهمونا ، ما لم تلجئنا الى غير هذا الاسلوب حاجة او ضرورة بلاغية او عروضية او ذوقية او اخلاقية •

محمد خليفة التونسى ■■

قصة قصيرة

الديمقراطية ممنوعة

للكاتب التركي الساخر

عزيز يسين

■ انطلاقا من معلوماتنا التي استقيناها من هنا وهناك ، حاولنا نحن الستين تلميذا ، ان نرسم في مخيلتنا شكل مدرس الفيزياء الجديد ، الذي تلقى تعليمه في امريكا لمدة تسع سنوات ، وقيل لنا انه يختلف تماما عن مدرسي الفيزياء الذين علمونا فيما مضى ٠

في الحصة الاولى التي حضرها ، اختبر خمسة تلاميذ ، سالهم عدة اسئلة ، ولكنهم كانوا كمن ينفخ في حجارة صماء ، كلما سالهم سؤالا كانوا يجيبون :

ـ لم ندرس ، ٠٠٠ لم يعلمونا ، ٠٠

وكان بدوره يردد حائرا : ـ عجبا ، وكيف وصلتم الى هذه المرحلة !

ويبدو ان هذا الكلام ، قد مس شعور زميلنا نوري بطاطس ، الذي قال :

ـ استاذ ، انك تسالنا من الدروس التي لم ناخذها بعد ٠

اجابه مدرس الفيزياء الجديد : ـ انت ، تعال الى هنا ٠

لم يتوقع ذلك نوري بطاطس فوقف بقرب السبورة ملخولا ، الى ان قال له المدرس : ـ

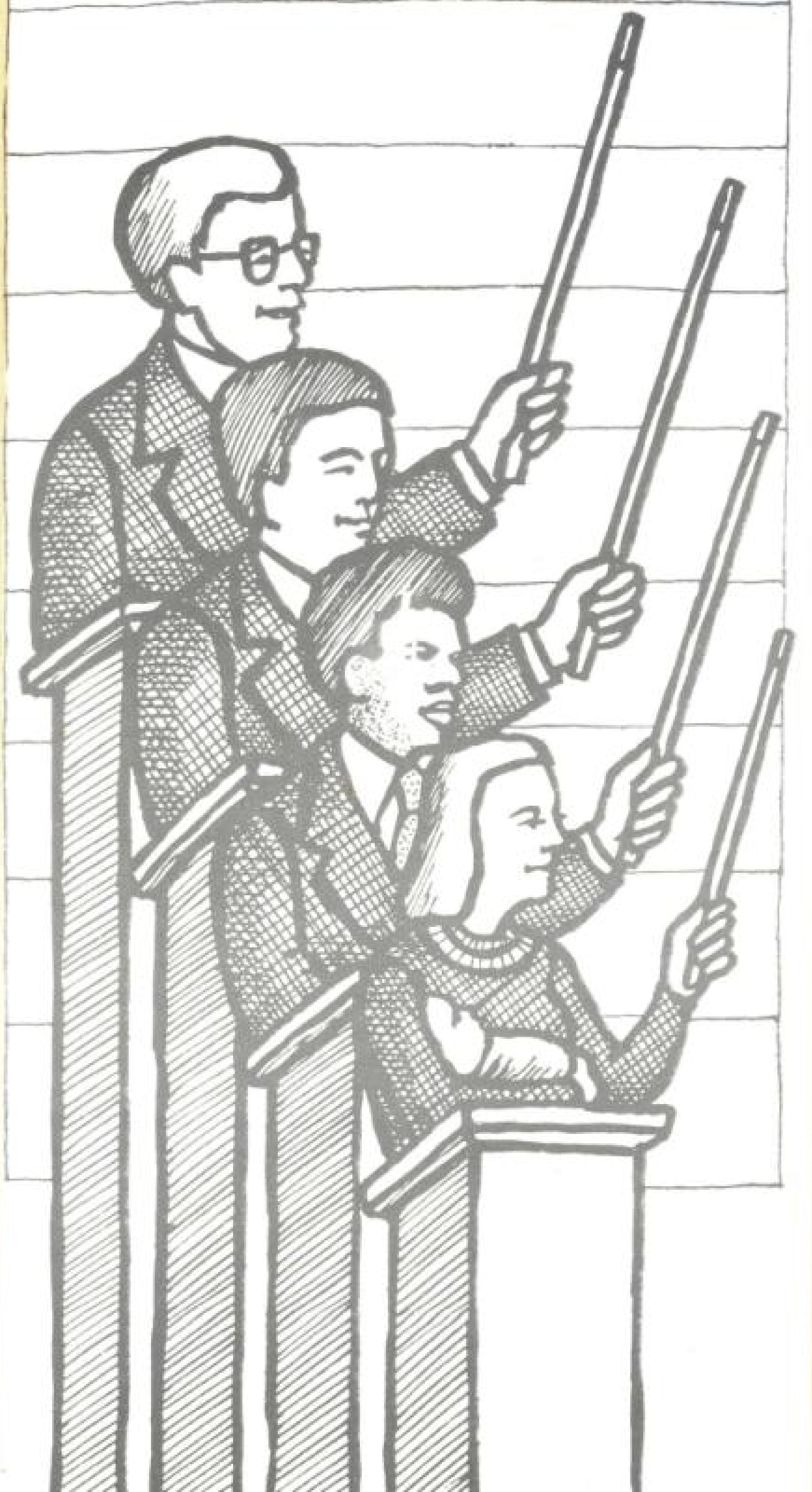
اشرح لنا كل ما تعرفه ، او درسته في الفيزياء ٠

اجاب نوري بطاطس ـ : في الفيزياء ٠٠٠ في الفيزياء ومن ثم ارتفعت حوصلته وانخفضت ، وبعدها لم يستطع ان ينبس بكلمة واحدة ٠ وكانت لهذا المدرس ، هواية اخرى ، غير تدريس الفيزياء ، وهي تعليمنا اصول الديمقراطية ، وفي ذلك الوقت ، كانت كلمة الديمقراطية غير معروفة عندنا ، في الاعوام التي بدات تدخل تركيا كلمة الفيتامين تقريبا ، وذلك لان كلمتي الديمقراطية والفيتامين ، وصلتا متاخرتين جدا لبلادنا ٠ لقد صرنا نلقب مدرس الفيزياء الجديد ، « بهيج الديمقراطي » ، لكثرة مدحه للديمقراطية في امريكا ، لكننا نحن الستين تلميذا ، لم نتعلم الديمقراطية ولا الفيزياء رغم اصراره الشديد على ذلك ٠ فحتى نهاية العام الدراسي ، لم نتعلم من الديمقراطية سوى امرين ، اولهما : كان يجب علينا ان ننادي بعضنا البعض ، بكلمة «سيد» ، بدلا من «اولان» ، «شيشت» ! ! ! ، «طلع مليتي» ، «هيي» ، وثانيهما هو استفتاؤنا ، فيما اذا كانت النوافذ ، والابواب ستبقى مغلقة ، ام مفتوحة ٠

كان مدرس الفيزياء «بهيج الديمقراطي» يقول :

ـ ايها السادة ، اذا كان الطقس حارا ، فلنفتح النوافذ !

عندها كان يهدر صوت من الصف : ـ فلنفتح النوافذ ياسيدي ٠٠٠ وكان قسم من التلاميذ ، امعانا في الهزل ، يتهياون لذلك مسبقا ، كانوا لا يتفوهون بشيء ، ولكن واحدا ـ او اثنين منهم ، وهما يشكلان ارذل نموذج في الصف ـ يقول بصوت مهموس : ـ كلا ياسيدي ٠٠٠٠



وبعدها مباشرة ، تبدا ممارسة الديمقراطية في الصف :

ـ فلنفتح النوافذ ياسيدي

ـ كلا ياسيدي

ـ فلنفتح ...

ـ كلا

ـ نكاد نختنق من الحر

ـ نكاد نتجمد من البرد

نوري بطاطس ، وجامر شوكت ، كانا يشكلان الاصل والظل في تلك المناقشة ، اذا قال جامر شوكت اليوم «فلنفتح» ، كان يقول في اليوم التالي (فلنغلق) ، وكان نوري بطاطس يشكل المعارضة ، لكل ما يقوله جامر شوكت ، واحيانا كانا يؤلفان تحالفا ، فاذا كان الطقس خانقا ، كانا يوصدان النوافذ باحكام ، واذا كان الطقس باردا ، كانا يفتحانها على مصاريعها • وبينما نحن في تلك المتاهة ، ينتصف الدرس ، حيث يقول بهيج الديمقراطي عندئذ :

ـ فليخرج واحد من الذين يعارضون فتح النوافذ ويشرح لنا وجهة نظره • بعد تلك اللحظة • تبتدئ الهمزة الثانية للديمقراطية •

ولاننا كنا في سياق المناقشة ، نخاطب بعضنا البعض ، بكلمة « اولان » ، كان بهيج الديمقراطي، يتدخل في الامر قائلا :

ـ ايها السادة ، في الديمقراطية ، لاتوجد كلمة «اولان»، انما توجد بدلا منها، كلمة سيد ،يجب ان تخاطبوا بعضكم البعض ، بكلمة سيد •

كرر ذلك التنبيه علينا ، لاكثر من الف مرة ، في البداية ، نخاطب بعضنا بعضا ، بالسيد احمد، والسيد محمد ، ولكن عندما تحتد المناقشة ، لا نتمكن من ضبط انفسنا ، فتخرج كلمة « اولان » اليا ، في تلك اللحظة يقرع جرس الفرصة ، حيث يخرج بهيج الديمقراطي من الصف ، ونحن نصرخ باعلى صوت من ورائه : ـ

فلتحيا الديمقراطية ! ! !

مضت دروس الفيزياء ، طوال العام الدراسي على ذلك المنوال ، كان بهيج الديمقراطي خلالها، يعتقد بانه رسخ الديمقراطية في نفوسنا ، وكان يتمنى لو يثبت هذا الشيء لغيره ، فقبل انتهاء العام الدراسي ، باسبوع او اسبوعين ،

قال لنا : ـ هذا الاسبوع ، سنجري اختبارا ديمقراطيا ، في قاعة المحاضرات •

كانت شعبتنا ، مقسمة الى ثلاثة اقسام ، وكل قسم يقوده ، ارذل ما في الشعبة ، كنا متاهبين جدا لذلك الاختبار •

يوم الجمعة،اجتمعنا،نحن والمدرسون الذين كان بهيج الديمقراطي قد دعاهم من مدارس اخرى ، مع بعض الاشخاص الذين لم نصادفهم من قبل ، كان هؤلاء ، رجالا ، ونساء ، يتجاوزون الخمسين شخصا ، وكذلك حضر ذلك الاختبار ، مدرسو المواد الاخرى ـ كان نوري بطاطس ، وجامرشوكت يسيطران على طرفي القاعة ، بينما كان سيناي الرذيل ، وحلمي الاسود ، مع طوائفهما ، يجوبان القاعة في كل الاتجاهات ، كانت خطتنا مرسومة هكذا مسبقا • كان الهدوء يخيم على القاعة ، واعتقد بان مثل ذلك الهدوء لم تشهده المدرسة خلال تاريخها ، حتى ان المدرسين ، والعاملين في وزارة التربية ، كانوا يتكلمون همسا ، في شئون التعليم والادارة ، لئلا يعكروا صفو ذلك الهدوء ، كان واضحا من نظراتهم ، بانهم معجبون جدا بسلوكنا • صعد السيد بهيج الديمقراطي الى المنصة ، وبعدما رحب بالمدعوين ، تكلم عن اسس الديمقراطية ، وشرح مسهبا عن أحدث الاساليب الديمقراطية ، المطبقة في المدارس الامريكية ، وبين لهم ايضا ، كيف طبق احد هذه الاساليب في هذه المدرسة ، ثم قال :

ـ ايها المدعوون الكرام ، انتم الان في لقاء مع التلاميذ ، الذين اخترتهم لذلك الاسلوب الديمقراطي ، انتم الان امام مناقشة ديمقراطية حرة

في تلك اللحظة لكزني نوري بطاطس سائلا :ـ انت مع من «أولان» ؟

اجبته هامسا : ـ انا مع الذين سوف يقولون «فلنفتح» ....

ـ لاتنس ... اسال الذي بجانبك .... ، لا ترتبكوا ...

كنا متاهبين بشكل جيد ، وكنا ندرك تماما ، بان بهيج الديمقراطي ، انما يفعل ذلك ، ترسيخا لوجهة نظره ، تجاه مدير مدرستنا ، لان مديرنا كان لا يحب ذلك الشيء المسمى « ديمقراطية »،

مطلقا ، كنا نلاحظ ذلك من بعيد ، فكم من مرة ، سمعناه يصرخ امام غرفة المدرسين :

ــ ايه ٠٠٠٠ ، هذه الديمقراطية ؟

وفي احدى المرات،بينما كان بهيج الديمقراطي يخرج من الصف،وكنا نصرخ من ورائه : ــ فلتحيا الديمقراطية ٠٠٠٠ ، دخل المدير الصف فجاة ، حيث لطم نوري بطاطس بصفعة قوية ، ولكنه ثبت في مكانه كقلعة الديمقراطية ، بينما استند المدير الى الجدار من شدة الدفع،وبالرغم من انه اصطدم بعدها بجامر شوكت ، الا انه عندما وجده ثابتا كنوري بطاطس ، بدأ يبحث عن تلميذ صغير،يشفي غليله ، حيث امسكني من رقبتي ، وبدات اصرخ:

ــ لم اقل فلتحيا الديمقراطية ، والله لم اقل ذلك ٠

بعدما خرج المدير من الصف ، سمعناه يقول لاحد المدرسين : انه يفسد التلاميذ ٠

وانطلاقا من تلك الوقائع ، كنا ندرك تماما، الحرب البـــاردة ، التي كانت رحاها تدور بين بهيج الديمقراطي ، والمدير ٠ كان احدهما سوف يربح هذه المعركة ، وفي الحقيقة ، كنا نود النصر لبهيج الديمقراطي ، لان بقية المدرسين ، اذا طبقوا ديمقراطية فتح واغلاق النوافذ ، سوف نرتاح من كل الدروس ٠

دعا بهيج الديمقراطي ، احد الحضور المسنين ، من مقدمة الصف ، وقال له :

ــ نرجو من سيادتكم ، ان تختاروا لنا موضوع المناقشة ٠

ثم قال ذلك الرجل المسن لنا : ــ أيها السادة، « العقل السليم في الجسم السليم » ، هذهحكمة اغريقية قديمة ، هل هذه الحكمة برايكم صحيحة، ام خاطئة ؟ في البداية ليتكلم المؤيدون ، وبعدها المعارضون ليدلوا بارائهم ، وبعد انتهاء المناقشة، سوف نحكم ، وليرفع الطرفان اصابعهم ، ومن خلال الآراء ، سوف نستخلص الصواب ، هذه هي الديمقراطية ٠

انا ، وحسب الخطة الموضوعة ، صرخت وباعلى صوتي : فلنفتح النوافذ !! ٠٠ استغرب المدعوون فيما جرى ، فحسب خطتنا المسبقة ، كان يجب علي ان اصرخ في البداية « فلنفتح النوافذ » ،وبعدها يصرخ واحد من طائفة سيناي الرذيل « كلا ٠٠ فلنغلق النوافذ » ، كان تفكيرنا منحصرا فقط ، في فتح واغلاق النوافذ ، فهذا ما كنا نتناقش به طوال العام الدراسي ، في دروس الفيزياء ،وكنا نعتقد ، بان الموضوع نفسه ، سوف يتكرر بعد ما صرخت انا ، « فلنفتح النـــوافذ » ، انطلق من الخلف صوت مدو :

ــ فلنغلق النوافذ يا سيدي ٠ وبعـدها غرق الصالون في صخب كبير

ــ فلنفتح ٠٠٠٠

ــ فلنغلق ٠٠٠

ولانني كنت البادىء في الصراخ ، فقد ناداني بهيج الديمقراطي قائلا :

ــ تعال الى هنا ،واشرح لنا وجهة نظرك

لم يكن هذا بالحسبان ، صعدت الى المنصة ، وقدماي ترتجفان ، سالني بهيج الديمقراطي :

ــ يا سيد حسن ، ما هو رأيك ، هل العقـل السليم ، في الجسم السليم ، أم لا ؟

اجبته قائلا : ــ فلنفتح النوافذ يا سيدي ٠ عندما انهيت عبارتي ، هبت طائفة سيناي الرذيل كلها ، وبدأوا يصرخون بصوت واحد :

ــ فلنغلق ٠٠٠ ، يا سيدي ٠

ومن جهة اخرى كانتجماعتي تدعمني بصراخها:

ــ فلنفتح ٠٠٠ ، يا سيدي ٠

تبدل لون بهيج الديمقراطي ، من الاحمر ، الى الازرق ، ثم قال لي :

ــ تامل سؤالي جيدا ، الجسم السـليم ، ام العقل السليم ؟

كنت في حيرة من أمري ، وكـان المدعوون ، غارقين في المناقشة ايضا :

ــ بدون ريب ، في البداية ، الجسم السليم ، لان الجسم المريض ٠٠٠٠

ــ اذا كان الامــر كذلك ، فيجب ان يكــون الملاكمون ، والمصارعون ، فلاسفة ورجال فكر ٠

عاود بهيج الديمقراطي استيضاحي ملحا : ــ قل لنا ٠

ــ الم اقل لك يا سيدي ، فلنفتح ٠٠٠٠ اخيرا، اقتنع بهيج الديمقراطي ، الذي كان يتقـاطر عرقا لشدة ضيقه ، بوجهة نظرنا ، بعدما يأس من اقناعنا ، بنسيان فتح واغلاق النوافذ ، فقال:

ــ حسنا ، بين لنا وجهة نظرك ٠

ـ لاننا يا سيدي في شهر نيسان ، ونيسان هو الشهر الثاني من فصل الربيع ، وفي هذا الشهر، تهب النسائم العليلة ، ونحن لسنا امواتا ، لتمتع دخول مثل تلك النسائم ، الى رئاتنا ... كنت اقول تلك الجمل ، التي كنا نرددها طوال السنة ، خلال دروس الفيزياء ، كالبلبل ، ولم اترك حجة دامغة على وجه العالم ، الا والقيتها في وجهه ، دعما لرايي في فتح النوافذ والابواب ومن ثم نادى بهيج الديمقراطي ، سيناى الرذيل من المعارضة ، الذي قال : انا لست موافقا على راى « يالان حسن » . اجابه بهيج الديمقراطي:ـ نحن نعرف ، بانه في الديمقراطية ، يقولون « سيد » ؟ ولان كل واحد في المدرسة له لقب ، فقد كانوا يلقبونني به « يالان حسن » ومرة اخرى ، قال سيناى الرذيل : ـ انا لست موافق على راى السيد « يالان حسن » .

حز في نفسي كثيرا ، ان ينـاديني ، امام كل المدعـوين ، بـ « يالان حسن » ، صحت فيه : ـ اولان رذيل ، اضبط لسانك ...

قال بهيج الديمقراطي : ـ لا تنس ان تقول « سيد » يا سيد حسن ـ السيد سيناى الرذيل ، ... وبدات به قدما ، وتقريعا . ولكن بهيج الديمقراطي ، تدخل في الامر قائلا :

ـ دعما للديمقراطية ، يجب ان نكتفي بكلمة سيناى فقط وبينما نحن في ذلك ، كان المدعوون يتصايحون : ـ الراس .. الجسم .. ، في تلك اللحظة ، كان النقاش يدور في القاعة حول امرين فبينماكنا نحن نتصايح فيما بيننا ، فيما اذا ستبقى النوافذ مغلقة ، ام مفتوحة ، كان المدعوون مختلفون ، فيما اذا كان « الراس » ام «الجسم» في البداية.كان نورى بطاطس يصيح : ـ فلنفتح ...

بينما كان حلمي الاسود يعارضه قائلا : فلنغلق ...

سال بهيج الديمقراطي ، حلمي الاسود : ـ ولكن لماذا نغلق النوافذ ؟

واجابه حلمي الاسود ، بكل ما يخطر على البال ، من ترهات فارغة ، دعما لرايه في اغلاق النوافذ ، ولكن الديمقراطية ، كانت قد خرجت من عقالها ،قلت لحلمي الاسود، من شدة انفعالي: ـ يا حمار ... ، ولكنني ضبطت نفسي ، وعاودت قائلا : ـ ياسيد حلمي الاسود ، « اولان » انا لست موافقـا على رايك ولكنه امسكني من ياقتي واجاب : ـ « اولان » والدك .....

واشتبكنا مع بعضنا بعضا ، ولكن حمدا لله ، انقذني نورى بطاطس ، وجامر شوكت ، وقد كنا نتمنى الا يحدث ذلك ، ولكن الامر انتقل من الهزل الى الجد ، كنا مصممين على فتح النوافذ ، بينما كانوا هم ، مصممين على اغلاقها ، نظرت الى المدعوين ، كانوا في وضع ، اسوأ من وضعنا ، ومن بين الضجيج ، انبثق صوت المدير ، كهدير الرعد ، كنا نستغرب دائما ، كيف يخرج هذا الصوت ، من ذلك الرجل القزم ، ومع صوته ، اصبحنا كالقطط الاليفة ، تاملنا المدير واحدا ، واحدا ، وبعدئذ اصبحت نظراته عليّ ، اقبل نحوى ، وسالني : ـ ماذا يحدث هنا ؟ كان بهيج الديمقراطي ، يقفمتزنحا كالثمل ، يمزق القميص، وربطة عنقه متدلية ، بينما كانت القاعة ، تبدو كالارض المحروقة ، اجبت المدير ، الذى كان يحدق فيّ :

ـ السيد حلمي الاسود ، والسيد سيناى الرذيل ... ، ثم سكت ، وبعدها لا اذكر سوى صفعة ، اخرجت من عيني الشرر .

اقيل بهيج الديمقراطي من مدرستنا ، وعادت الامور قليلا ، الى نصابها . وبعد ذلك اليوم ، كلما راى المدير نوافذ صفنا مغلقة ، كان يقول :

ـ الديمقراطية ممنوعة ، ومن ثم يفتحها .

واذا رآها مفتوحة ، كان يقول : ـ الديمقراطية ممنوعة ، ومن لم يغلقها . جامر شوكت ، حلمي الاسود، سيناى الرذيل ، ونورى بطاطس ، الان من كبار السياسيين في بلدنا، انتم تعرفونهم بدون شك ، ولكنني في هذه القصة ، قد غيرت من اسمائهم ، انا لم اصبح شيئا . بعد سنين عديدة ، صادفت بهيجا الديمقراطي في الطريق ، قلت له : ـ كيف حالك ياسيدي ؟ في البداية ، لم يستطع التعرف عليّ ، كان يبدو كبيرا في السن ، كان يكرر بين اونة ، واخرى ، في حديثه:

ـ في البداية ، يجب ان نطبق الديمقراطية في بلادنا !! .....

ترجمة : **يوسف وقاص**

(صدرت في استنبول عام ١٩٧٤)

GARY TROELLER

كتاب الشهر

صفحات من التاريخ يكشف النقاب عنها لأول مرة

بريطانيا و ظهور آل سعود

تاليف :
جارى ترويللر

عرض وتعليق :
الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى



■ بالرغم من أن القرنين التاسع‌عشر والعشرين قد شهدا مزيدا من تحرر الجماهير واشتراكها بصور مباشرة وغير مباشرة في صياغة حركة التاريخ ، وذلك عن طريق الضغط من خلال منظماتها المختلفة ووسائل الاعلام والمؤسسات السياسية التمثيلية وغير ذلك ، الامر الذي أدى الى اختفاء أنماط الرجال مؤسسي الدول والامبراطوريات من أمثال الاسكندر الاكبر وجنكيز خان وبطرس الاكبر وفردريك الاكبر ونابليون ، بالرغم من ذلك ، فان القرنين شهدا ـ من الناحية المقابلة ـ مزيدا من تركيز السلطة سواء في أيدي الحكومات أو الافراد ، خاصة وأن التقدم العلمي الحديث قد أمد القائمين على شئون الدولة بأدوات تمكنهم من الاطلاع عن كثب على مجريات الامور في الداخل والخارج ، والتالي في الجماهير وتوجيهها واعتراض تحركاتها في‌كثير من الاحوال. وهكذا ظهرت شخصيات قوية استطاعت ان تؤثر في مجريات الاحداث المحلية بل‌والعالمية أحيانا وأن تسعى الى طموحات شخصية وأيديولوجية وقومية .. ومن هؤلاء لينين وستالين في الاتحاد السوفيتي وماوتسي تونج في الصين وغاندي ونهرو في الهند وهوتشي منه في الهند الصينية ورضا شاه بهلوي في ايران وكمال أتاتورك في تركيا وهتلر في المانيا وموسوليني في ايطاليا وفرانكو في اسبانيا وفرنكلين روزفلت في الولايات المتحدة ونستون تشرشل في بريطانيا ... الخ الخ ولسنا هنا ممن يتصدون لتفسير التاريخ على ضوء البطولات الفردية التي روج لها في القرن التاسع عشر الكاتب الانجليزي توماس كارليل في كتابه « الابطال » ، وانما نحن أميل الى ربط البروز الفردي الذي لا يخلو منه مجتمع ما بالاتجاهات العامة فيه ، اذ العظمة والبطولة لا ينشأن في فراغ ، بل انهما يظهران في مجتمع ما في وقت ما ، بحيث يرتبط البروز بتمثل وهضم الاتجاهات العامة وحسن التعبير عنها ـ الى جانب السمات الفردية الاخرى : كالشجاعة والحكمة والذكاء وقوة الشخصية والبلاغة ، وغير ذلك مما يطلق عليه في المصطلح العصري اسم « الكاريزما » .

عبد العزيز آل سعود

وقد شهد المجتمع العربي خلال القرن العشرين سجلا حافلا من العظماء الذين قادوا مجتمعاتهم في مجال أو آخر من مجالات تطورها . ولا نقول أن هؤلاء العظماء قد حولوا مجرى التاريخ بقدر تفهمهم للظروف التغيير التي مر بها المجتمع العربي في المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية بفعل الضغط والغزو الامبرياليين ـ بل ان أحد هؤلاء العظماء ، عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، قد استطاع بعد أن فقدت أسرته كل شيء ولجأت الى الكويت ـ تأسيس دولة تشمل معظم شبه الجزيرة العربية مستعينا في ذلك بحماسة أتباعه من « الاخوان » الذين عرفوا باسم الوهابيين . فبعد خروجه من منفاه في الكويت في عام ١٩٠٢ أمكنه استرداد الرياض من آل رشيد بقوة لا تزيد كثيرا على الاربعين رجلا ، ثم بسلسلة من المعارك والحروب والاتفاقيات أمكنه أن يوحد معظم شبه الجزيرة التي لم يسبق لها أن كونت كيانا موحدا منذ فجر الاسلام ، ورغم اعتماده على الحماسة الدينية لدى اتباعه من « الاخوان » ، ورغم أنه لم يسبق له أن أحاط عن كثب بنواحي التقدم التي ماج بها العالم الحديث ، فانه ما لبث أن كبح جماح المتطرفين من هؤلاء الاتباع واستطاع أن يدخل في أملاكه بعض نواحي التقدم الغربي في المجال التكنولوجي متبعا في‌ذلك أسلوب الاقناع والتفسير العلمي للدين . كما فرض حياة الاستقرار على البدو الذين وطنهم فيما عرف باسم « الهجر » على اعتبار أن من يقطنها قد هجر الكفر .

وفي معاركه الحربية وعلاقاته الدبلوماسية أبدى قدرا كبيرا من الحنكة والمرونة ، مما جعل دولته تنمو بانتظام ـ فلقد أدرك مدى قوة بريطانيا ومصالحها في المناطق المحيطة بأملاكه الاخذة في الاتساع ، ولهذا لم يمس مصالحها البحرية والامبراطورية في منطقة الخليج ، ولم يتعرض للحكام الذين عقدت معهم اتفاقيات حماية . بل أنه هو ذاته قد عرض على بريطانيا أن يوقع معها معاهدة مماثلة ، وان ظلت بعض الوقت متمسكة بسياساتها التقليدية الخاصة بعدم التورط في الشئون الداخلية لشبه الجزيرة ، الى ان ارغمها نشوب الحرب العالمية الاولى وانضمام تركيا الى المانيا وحلفائها على اعادة النظر في هذه السياسة بحيث عقدت في عام ١٩١٥ معاهدة بين الطرفين كانت شبيهة بسلسلة المعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع امارات « الساحل المهادن » ، بالاضافة

الى أنها وعدت عبد العزيز آل سعود بأن تحميه ضد الدول الاجنبية وأن ترسم حدود دولته بعد انتهاء الحرب ، وهو ما تم التوصل اليه في اتفاقيات العقير والعدة والبحرة التي رسمت الحدود في أعقاب الحرب العالمية الاولى بين أملاكه وبين كل من الكويت والعراق وشرق الاردن • وحين احتدم الصراع بين الزعيم السعودي وبين الحسين ابن علي شريف مكة كان عبدالعزيز قد حيد بريطانيا على أقل تقدير ، على حين أن الزعيم الهاشمي لم يكترث بتوقيع معاهدة مع بريطانيا التي كانت حينئذ أقوى دول العالم ، بل انه كان قد أحرجها حين أعلن نفسه ملكا على العرب وخليفة للمسلمين ـ ومن ثم تركها اياه يواجه مصيره الى أن سقط الحكم الهاشمي في الحجاز •

مقارنة مع فلبي

ومؤلف الكتاب الذي نقدمه هو الدكتور جاري تروبللر الذي تلقى تعليمه فيكيمبردج واكسفورد ببريطانيا وفي الجامعة الامريكية ببيروت • وبعد أن حصل على درجة الدكتوراه من جامعة كيمبردج برسالة تتضمن القسط الاكبر من الكتاب الذي نقدمه عمل في بروكسل محررا ومراسلا في المركز الاوروبي الرئيسي لوكالة اليونايتدبرس الدولية ، ثم عمل محللا في بنك تشيس مانهاتن في فرانكفورت حيثشغل منذ أواخر عام ١٩٧٣ منصب رئيس محللي الابحاث بقسم العلوم الاجتماعية التطبيقية والسلوكية في عهد باتل ، كما شغل منصب استاذ زائر مساعد في كلية العلاقات الدولية بجامعة جنوبي كاليفورنيا والقى كثيرا من المحاضرات في أوروبا ونشر مقالات في المجلات العلمية وفي الصحافة • أما الكتاب فانه يعرض بالتفصيل للجهود التي بذلها عبد العزيز آل سعود لتوحيد شبه الجزيرة العربية حتى استيلائه على الحجاز ولموقف بريطانيا منه في أوائل القرن العشرين •

ويستقي المؤلف معظم مادته عن المؤلفات التي وضعها كتاب بريطانيون وعن الوثائق البريطانية غير المنشورة التي تعد أهم مصادر تاريخ هذه الفترة خاصة وأن معظم المادة الوثائقية السعودية ـ شأن نظيراتها في كثير من البلدان العربية ـ ليست في متناول الباحثين ، هذا برغم أن الرحالة والمؤلف البريطاني سانت جون (الحاج عبد الله) فلبي قد اطلع عليها حين وضع مؤلفاته التي حاول فيها أن يقدم « بطله » ونفسه للعالم الغربي • ورغم أن مؤلفات فلبي تشكل مصدرا هاما من مصادر تاريخ شبه الجزيرة وآل سعود خلال النصف الاول من القرن العشرين ، فان اعجابه الشديد بعبد العزيز وبالنظام القبلي الذي اعتبره أقرب الى الديمقراطية من النظام الغربي ، وكذلك نقده المنتظم لسياسة حكومته ازاء ابن سعود ، مما أدى الى فقده وظيفته الدبلوماسية بعد أن خدم حكومته في العراق وشرق الاردن ، خاصة وأنه كان لا يميل الى الهاشميين ، مما جعله يتنكب عن التزام الموضوعية التاريخية • وعلى طرفي نقيض من فلبي نجد أن الدكتور تروبللر يأخذ بوجهة النظر البريطانية دون أن يوازنها بغيرها ، وبخاصة المؤلفات العربية التي ـ برغم افتقار بعضها الى الموضوعية وتبنيها لوجهات نظر آل سعود وتبريرها لسياسته على طول الخط ـ لا شك لها وزنها فيما يتعلق بالوجه الآخر من المرآة •

أضواء جديدة

وهكذا نجد أن الدكتور تروبللر لا يشير في قائمة مصادره الا الى ثلاثةمؤلفات عربيةلم يعرض في هوامشه الا لواحد منها • ولا شك أن رجوعه الى أمثال هذه المصادر كان من شأنه أن يجنبه بعض الاخطاء التي وردت في النص ومنها ـ مثلا ـ انه يحاول (ص ١٢٩) أن يفرق بين «الوهابية» والاخوان ـ علما بأن المصطلحين متطابقان ، وأن يكن اتباع محمد بن عبد الوهاب يطلقون على أنفسهم اسم « الحنابلة » أو « الموحدين » أو « الاخوان » أو « السلفيين » • أما « الوهابية » فهو وصف أطلقه خصوم الحركة عليها حتىيبرهنوا للناس أنها بدعة جديدة خارجة على مبادئ الاسلام ، خاصة وأن « الاخوان » قد توسعوا في معنى البدعة وتوهموا أمورا لا صلة لها بالعبادات بدعا ، وافترضوا في آرائهم الصواب الذي لا يقبل الخطأ وفي آراء غيرهمالخطأ الذيلايقبل التصويب• وبالاضافة الى ذلك فان المؤلف يخطىء أحيانا في ضبط أسماء المواقع الجغرافية ، فيخلط ـ مثلا ـ (ص ٢١٨) بين حداء القريبة من الطائف وبين العدة القريبة من جدة (ص ٢٢٨) • كما أنه يخلط بين عهد آل رشيد وبين غيره من افراد أسرته ، وبين فيصل بن عبد العزيز (الملكالراحل) وبين فيصل الدويش أحد زعماء الاخوان •

على ان كل هذه الهنات التي قد لا يخلو منها مؤلف غربي عن التاريخ العربي لا تقلل من قيمة الكتاب الذي نقدمه والذي يلقي أضواء جديدة على التاريخ السعودي خلال الفترة الممتدة بين عامي ١٩١٠ و ١٩٢٦ ـ اي منـذ أول احتكـاك بـين عبد العزيز آل سعود وبين أحد الموظفين البريطانيين حتى استيلائه على الحجاز، وهو الحدث الذي أعقبه في العام التالي اعتراف بريطانيا به ملكا على الحجاز ونجد وملحقاتها • وتبدو أهمية بحث الدكتور ترويللر من أن التاريخ السعودي من حيث علاقات بريطانيا بعبد العزيز خلال الربع الاول من القرن العشرين لم يحظ بكثير من اهتمام الباحثين بعكس ما حدث فيما يتعلق بغير ذلك من مناطق الشرق الاوسط • ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان ظهور عبد العزيز آل سعود قد حدث في فترة دقيقة من فترات التاريخ البريطاني ـ فقبل عام ١٩١٤ كانت بريطانيا تواجه الازمات الدولية التي افضت الى نشوب الحرب العالمية الاولى ، ثم ما لبثت ان شغلتها الحرب ذاتها وما ترتب عليها من مشاكل • ومن ناحية أخرى فمن الصعوبة بمكان أن تتتبع علاقة اقوى دول العالم في ذلك الوقت بأحد حكام صحراء العرب الذي ـ برغم عبقريته ـ لم تكن له تجارب شخصية مع العالم خارج حدود شبه الجزيرة في الوقت الذي تداخلت فيه العلاقـات السعودية ـ البريطانيـة بعلاقات بريطانيا بكل من الدولة العثمانية والهاشمية، وكانت فيه أوضـاع شبه الجزيـرة العربيـة ذات طابع قبلي واقتصاد ضعيف ، ولم تكن لها حدود بالمعنى الغربي للكلمة بسبب اشتداد الصراع بين القبائل حول المراعي والمياه• وهكذا كان التعارض بين عالمي بريطانيا وابن سعود مثارا لسوء الفهم ، خاصة بعد شبه الجزيرة العربية عن مراكز تخطيط السياسة البريطانية في دلهي (ارسملا) ولنـدن والقاهرة وعدم وجود تنسيق بين وزارات الخارجية والمستعمرات والهند مما اضعف ترابط السياسة البريطانية واوقعتها في الخلط والتناقض• فوزارة الهند كانت تنظر الى اوضاع شبه الجزيرة العربية من زاوية المصالح الامبراطورية في الهند ، ومن ثم اهتمامها بكل ما يجري في منطقة الخليج ـ على حين ان وزارتي الخارجية والمستعمرات كانتا تهتمان في المحل الاول بالوضع الدولي الذي كان يملي على بريطانيا ضرورة مداراة الدولة العثمانية خشية ان تنضم الى المانيا فتهدد المواصلات الامبراطورية في الشرق الاوسط مما يضطر بريطانيا الى حشد قوات كبيرة في المنطقة بدلا من تركيز جهودها الحربية على الجبهات الاوروبية الرئيسية• وقد حاول المؤلف تحديد المسئولية عن الاتجاهات الرئيسية في السياسة البريطانية وربط كل منها باشخاص أو بادارات بالذات ـ ومن ذلك أن وزارة وحكومة الهند رغبتا ـ قبل نشوب الحرب العالمية الاولى ـ في التوصل الى اتفاق مع ابن سعود حين لاحت قوته خشية مساسه بالمصالح البريطانية في الخليج ، في الوقت الذي لم تعره وزارة الخارجية اهتماما كبيرا بسبب حرصها على حسم المشاكل البريطانية ـ العثمانية وبخاصة ما يتعلق منها بالحدود في منطقة الخليج وشرق شبه الجزيرة العربية املا في كسب ود الدولة العثمانية أو تحييدها على اقل تقدير •

بريطانيا والقوميون العرب ؟

وحين دخلت الدولة العثمانية الحرب الى جانب المعسكر المعادي لبريطانيا وحلفائها ، ودارت رحى المعارك في جنوبي العراق وقرب قناة السويس رأت بريطانيا ضرورة القيام بعمل من شأنه اخراج تركيا من الحرب في اسرع وقت : فكانت حملة الدردنيل الفاشلة (١٩١٥) التي خسرت فيها عددا كبيرا من الجنود ، وكان الهدف منها التمركز في شبه جزيرة غاليبولي ثم الاستيلاء على الاستانة عاصمة الدولة • وتلا فشل هذه الحملة محاولة بريطانيا استغلال سخط العرب على الحكم العثماني في المشرق العربي في تبني حركة الثورة العربية الانتداب ضد تركيا والبحث عن زعيم لهذه الثورة ـ ومن ثم تعديلها اتجاهها من ابن سعود وتخليها بالتدريج عن سياستها الخاصة بعدم التورط في الشئون الداخلية لشبه الجزيرة العربية • وهنا يلوح من جديد التناقض بين وزارة الخارجية وبين وزارة وحكومة الهند : فالمسئولون البريطانيون في القاهرة (وهم تابعون للخارجية) كانوا على صلة بالمثقفين والقوميين العرب ، مما جعلهم يتحمسون للتعاون البريطاني ـ العربي ضد تركيا ، على حين ان حكومة الهند كانت تتعامل مع عرب آخرين قد دفعهم شعورهم الديني الى العطف على تركيا والتجاوب مع نداء « الجهاد » الذي اطلقه الحكام الاتراك • كما كانت تخشى اثر الثورة العربية على

شعور رعاياها من مسلمي الهند الذين تعاطفوا مع الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة واخر دولة اسلامية عظمى . خاصة وان حركة الجامعة الاسلامية التي سبق ان اثارها التوسع الاستعماري الغربي ، وتزعمها جمال الدين الافغاني في المجال الفكري والسلطان عبد الحميد في المجال السياسي كان لها اثرها في الهند وفي قطاعات واسعة من الراي العام الاسلامي في اسيا وافريقيا . وعلى حين لبثت السلطات البريطانيةفي القاهرة الشريف حسين وعلقت عليه الامال فيما يتعلق بتفجير الثورة العربية ، مالت حكومة الهند الى ابن سعود ، خاصة وان بعض اللامعين من موظفيها في منطقة الخليج ، وبخاصة شكسبير وكوكس وفلبي ، ابدوا اعجابا شديدا بالزعيم السعودي .

واما فلبي فقد اشترك في الحملة البريطانية على العراق وتولى بعض المسئوليات في ادارة المناطق المحتلة من البلاد ، الى ان عين في عام ١٩٢٠ قائما باعمال المستشار البريطاني لوزارة الداخلية العراقية . ولكنه لم يلبث ان اقصى عن العراق حين تقرر تولية فيصل بن الشريف حسين ملكا على البلاد ، وذلك لما كان معروفا عن كرهه للهاشميين .

وفي نوفمبر ١٩٢١ عين كبيرا لممثلي حكومته في عمان ، على ان تكون مهمته هي بحث العلاقات السعودية ـ الحجازية وان يتلقى تعليماته من السفير هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني في فلسطين . ولما كان فلبي غير راض عن سياسة حكومته في الشرق الاوسط،ولماكان من ذلك النوع من الرجال المعتدين بانفسهم الذين يتخطون التعليمات التي عليهم تنفيذها بدقة ، فانه آثر الاستقالة من السلك الدبلوماسي في يناير ١٩٢٤ . لم ما لبث ان انتقل الى جدة حيث اقام وكالة تجارية،متحينا الفرص التي تتيح له ان يحقق احلامه الخاصة باكتشاف المناطق المجهولة في شبه الجزيرة العربية وبخاصة الربع الخالي ـ وقد تحققت احلامه بمرور الزمن واصبح من مستشاري العاهل السعودي ومن اكبر المعجبين به وبالصحراء والعرب والحياة القبلية ، مما جعله يعتنق الدين الاسلامي .

ويرجع أول احتكاك له بالعاهل السعودي الى فترة الحرب العالمية الاولى ـ اذ تقرر في عام ١٩١٧ ارسال احد الضباط البريطانيين الى ابن سعود ـ حسب طلبه ـ تمهيدا للقيام بجهد حربي ضد ابن رشيد الذي كان الحاكم العربي الوحيد الذي انحاز الى تركيا ضد الحلفاء . وقد وقع الاختيار على فلبي ليترأس هذه البعثة ، وكان حينئذ موظفا بادارة الميزانية المتفرعة عن الادارة السياسية بالعراق . وكان هدف هذه البعثة هو تحسين العلاقات بين ابن سعود وبين الشريف حسين ، وحث ابن سعود على المساهمة في الحرب بقدر يفوق ما ابداه حتى ذلك الوقت . وعلى حين ان فلبي قد اغضب الشريف حسين اكثر من مرة خلال بعثته،فقد ازداد اعجابه بالتدريج بابن سعود الذي اعتبره اعظم شخصية عربية بعد الرسول . وتنفي المؤرخة البريطانية اليزابيث مونرو ما يشاع عن تاثير فلبي على الملك عبد العزيز ، مؤكدة ان العاهل السعودي كان يعرف كيف يفيد من مستشاريه على ان تكون الكلمة الاولى والاخيرة في يده هو .

شكسبير : دور جديد

واما الكابتين وليم هنري اروين شكسبير ـ المندوب السياسي البريطاني في الكويت ـ فهو اول موظف بريطاني يلتقي بابن سعود . وقد جرى هذا اللقاء في عام ١٩١٠ منذ ذلك الوقت وحتى مقتله في عام ١٩١٥ حين كان يرافق قوات ابن سعود في حربها ضد ال رشيد حكام حايل ، اصبح شكسبير اكبر المتحمسين لابن سعود . ويروي معاصرو شكسبير الذي كان مقاربا في سنه لابن سعود انه كان يتحلى بصفات فذة ـ وقد جرت المقابلة سالفة الذكر حين كان الامير السعودي يقوم بزيارة للشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت . وقد تاثر شكسبير بالحفاوة التي استقبل بها مبارك الامير السعودي، ووصف عبد العزيز بانه « رجل واسع الافق وصريح وانه يوحي بثقة تفوقها يوحي به غيره من العرب» . اما ابن سعود فقد دعا شكسبير لزيارته اذا ما اقترب من الرياض . وبمرور الزمن ازداد اعجاب شكسبير بعبد العزيز ، وهو اعجاب ، لم يكن غير متبادل كما بقي حتى وفاته من انصار الحاكم السعودي ، وان تكن اقتراحاته المتكررة الخاصة بالتوصل الى اتفاق بين عبد العزيز وبريطانيا لم تتمخض عن شيء، خاصة وان الحكومة البريطانية ـ حتى نشوب الحرب العالمية الاولى ـ كانت مترددة في اتخاذ أي خطوة قد توحي للباب العالي بانها تسعى الى استغلال سخط العرب على الحكم العثماني . وفي مارس ١٩١١ جرى اول لقاء طويل بين شكسبير وابن

سعود وذلك حين دعا ابن سعود المندوب السياسي البريطاني في الكويت ـ الذي كان يقوم بجولة في اراضي الكويت الداخلية ـ الى معسكره • وقد اوضح ابن سعود لشكسبير اثناء هذه الزيارة انه يسعى الى طرد الاتراك من المنطقتين الغنيتين الاحساء والقطيف اللتين كانتا في الماضي جزءا من الاملاك التقليدية للوهابيين ، خاصة وان سيطرة الاتراك عليهما من شانها ان تضعف قبضته على القبائل المقيمة في المنطقة الواقعة بين الرياض والخليج • وابدى ابن سعود رغبته في ان يؤمنه البريطانيون ضد الغزو البحري وفي ان يستقبل مندوبا بريطانيا بعد طرد الاتراك • ورغم ان شكسبير اوضح للزعيم الوهابي ان بريطانيا لم تكن حينئذ في وضع يمكنها من مساندته ـ فانه طلب منه ان ينقل وجهة نظره الى الحكومة البريطانية • وفي عام ١٩١٣ استغل ابن سعود انشغال تركيا في مواجهة دول البلقان (بلغاريا ـ اليونان ـ الصرب) التي اعتلت عليها الحرب ، وكذلك ايطاليا التي انزلت قواتها على سواحل طرابلس الغرب وهددت أساطيل اسيا الصغرى ومداخل الدردنيل ، واستولى على الاحساء بعد ان طرد منها الحامية التركية التي تمركزت فيها منذ عام ١٨٧٢ • ولما كان شكسبير قد زار ابن سعود قبل استيلاء هذا الاخير على الاحساء ، فقد اعتقد الساسة الاتراك ان الاجراء الذي قام به الامير السعودي قد حاز رضى بريطانيا ، هذا برغم ان شكسبير كان قد حذر الامير الوهابي من القيام بالهجوم على الاحساء في الوقت الذي ازداد فيه اعتقاده بان ابن سعود هو النجم الصاعد في افق شبه الجزيرة مما دعاه الى حث حكومته على اعادة النظر في العلاقات البريطانية ـ السعودية • الا ان بعد نظر شكسبير وحثه حكومته على الاتفاق مع ابن سعود قد اصطدما بمعارضة وزارة الخارجية البريطانية •

والتقى الميجر (سيربرسي فيما بعد) كوكس مع شكسبير فيما يتعلق بضرورة الاتفاق مع ابن سعود • وقد عين كوكس في عام ١٩٠٤ مقيما سياسيا في الخليج ـ وكان قبل ذلك قد شغل وظيفة المقيم السياسي المساعد في الصومال البريطاني (١٨٩٢ ـ ١٩٠١) ثم عين قنصلا في مسقط (١٩٠١ ـ ١٩٠٤) وقدر له فيما بعد ان يلعب دورا هاما في العلاقات البريطانية ـ السعودية حتى تقاعده في عام ١٩٢٣ • فسرعان ما توقع كوكس بزوغ نجم ابن سعود ومن ثم سعيه الى توصل بريطانيا الى اتفاق معه ، وان تكن تزكياته المتكررة بهذا الخصوص قد تحطمت على صخرة تصميم لندن على عدم المساس بالعلاقات البريطانية ـ التركية • وعلى حين واصل كوكس مساعيه لحث حكومته على الاعتراف بابن سعود ظل هذا الاخير يوسع املاكه في اواسط شبه الجزيرة ويكرر مطالبته لبريطانيا بالاعتراف به •

الا ان هوايتهول ظلت متخوفة من احتمال تهديد ابن سعود لمصالحها في سواحل الخليج ، كما كانت تخشى ان يؤدي الاتفاق مع ابن سعود الى تعكير العلاقات الروسية ـ البريطانية وتقوية النفوذ الالماني في العاصمة التركية • هذا في الوقت الذي كانت فيه الدوائر السياسية البريطانية واثقة من ابن سعود لن يتمكن من اقامة علاقات وثيقة مع احدى الدول الكبرى بسبب التفوق البريطاني في منطقة الخليج • وبالرغم من كل ذلك فبالامكان القول بان بريطانيا ، وان لم تساند ابن سعود بصورة مباشرة ، فان علاقاتها بالكويت ، بالاضافة الى العلاقات الوثيقة بين ابن سعود والشيخ مبارك ، قد ساهمت الى حد كبير في اشتداد ساعد الوهابيين ـ وظلت الحكومة البريطانية الى حين متشبثة بسياستها التقليدية الخاصة بعدم التدخل في الشئون الداخلية لشبه الجزيرة العربية • وذلك في الوقت الذي قررت فيه ان ترمي بثقلها الى جانب الشريف حسين ، مما جعل علاقتها بابن سعود تتسم بالبرودة ،ومن ثم اصراره على عقد معاهدة مع بريطانيا بالصورة التي سبقت الاشارة اليها •

على أن ابن سعود لم يقم بدور حاسم خلال الحرب العالمية الاولى ـ فقد ضعف نتيجة للثورات القبائل وسوء علاقته بالكويت في اعقاب وفاة استاذه وراعيه الشيخ مبارك الصباح (١) كما ان هزيمته على يد ابن رشيد في موقعة جراب قد شلت قوته شللا كاملا في الوقت الذي افتقر فيه الى الاموال التي تمكنه من استدامة ولاء اتباعه وشراء السلاح ، خاصة وأن الحصار الذي فرضته ظروف

---

(١) ظل عبد العزيز آل سعود يعتبر مبارك الصباح ـ حتى وفاة هذا الأخير في عام ١٩٦٦ « والدا » له ويخاطبه بهذه الصفة ويستشيره في المسائل السياسية الهامة •

الحرب قد ارهقته هو وشعبه . واخيرا فان عبد العزيز كان يخشى آثار التحالف البريطاني ـ الهاشمي على وضعه في شبه الجزيرة .

الرهان البريطاني

ويناقش المؤلف ما يقال احيانا من ان بريطانيا راهنت على الجواد الخاسر حين فضلت الشريف حسين على ابن سعود ـ ويخلص الى ان بريطانيا لم يكن امامها خيار : فالحسين من سلالة الرسول، وهو حاكم الحرمين الشريفين في الحجاز وحامل مفاتيح الكعبة ، واملاكه ذات موقع جغرافي هام بين الشام الذي احتشدت فيه قوات عثمانية كبيرة وبين اليمن حيث تمركزت قوات اخرى بامكانها تهديد عدن ومداخل البحر الاحمر ، فيما لو وصلتها الامدادات عن طريق سكة حديد الحجاز ـ ومن ثم فان انضمام الشريف حسين الى بريطانيا يوفر كسبا هاما يعكس الحال اذا ما رمت بثقلها الى جانب ابن سعود الذي لم تكن قوته في ذلك الوقت بالصورة التي اصبحت عليها فيما بعد ، خاصة وان بلاده لم تكن لها حدود مشتركة مع الدولة العثمانية وانه تزعم حركة دينية لم تكن تلقى التأييد العام في العالم الاسلامي ... بل ان ذكريات استيلاء الدولة السعودية الاولى على الحجاز وما اقترن به من مساس « الاخوان » ببعض المواقع الاسلامية التي تلقى احتراما عاما ، ونهبهم لمزارات الشيعة المقدسة في جنوبي العراق كل ذلك كان لا يزال ماثلا في الاذهان . ويختتم المؤلف كتابه بتتبع النزاع السعودي ـ الهاشمي حتى طرد الهاشميين من الحجاز ، كما يعرض بهذا الصدد لموقف بريطانيا من نتائج التوسع الوهابي وتدخلها لحسم مشاكل الحدود بين املاك عبد العزيز وبين كل من الكويت والعراق وشرق الاردن ـ وفي الدولتين الاخيرتين تولى الحكم ابناء الشريف حسين فيصل وعبد الله .

ملاحظات على الكتاب

واهم ملحوظاتنا على هذا الكتاب الذي نقدمه انه توسع في النقل عن المكاتبات البريطانية مما اوقعه احيانا في التكرار . ولما كانت رسالة الدكتوراه الاصلية قد ركزت على الفترة الممتدة ما بين عامي ١٩١٠ و ١٩٢٦ فان اعداد الكتاب للنشر قد اغرى المؤلف باضافة مدخل يتناول فترة سابقة على البحث الاصلي وتذييلا يتناول العلاقات السعودية ـ البريطانية حتى تاريخ يتجاوز نشوب الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩ ـ والمقدمة والتذييل لا يتوازنان مع الجهد الذي تضمنه البحث الاصلي . وهكذا يعرض الكتاب عرضا سريعا للعلاقات السعودية ـ البريطانية خلال القرن التاسع عشر وفيما بين عامي ١٩٠٢ ـ ١٩٠٩ ، مما جعل جوانب من المدخل تتميز بعدم الدقة خاصة وان المؤلف اخذ بوجهات نظر بعض الكتاب البريطانيين ـ وبخاصة كيلي ـ الذين انحازوا الى الموقف الرسمي البريطاني وتشددوا في الحكم على العاهل السعودي . وتنطبق هذه الملحوظة ايضا على التذييل حيث تجاهل المؤلف الزحف الاميركي الدؤوب على حساب المصالح النفطية البريطانية وتفضيل عبد العزيز التعامل مع الشركات الاميركية مما يعزى الى رغبته ـ الشعورية او اللاشعورية ـ في الانتقام من بريطانيا التي بدت له متحازة الى خصومه الهاشميين، خاصة وان امريكا اغنى واقوى من بريطانيا التي ادعت صداقة العرب وحالفتهم في سبيل القضاء على الدولة العثمانية ، ثم قلبت لهم ظهر المجن وساندت الاطماع الصهيونية في فلسطين العربية وضربت بيد من حديد على اية محاولة وطنية في العالم العربي تسعى الى التحرر والاستقلال، مسفرة بذلك عن اطماعها الامبريالية .

ومما له دلالاته بالنسبة الى معاداة بريطانيا للطموحات العربية في التحرر والوحدة ما يورده المؤلف (ص ٩٥) المركيز كرو الذي ذهب الى ان بريطانيا لم تكترث بقيام وحدة عربية ، بل سعت الى ابقاء البلاد العربية مجزأة الى كيانات صغيرة بقدر الامكان بحيث ترضخ لها هذه الكيانات المفككة التي لا يمكنها ان تقوم بعمل موحد ضدها في الوقت الذي تشكل فيه منطقة عازلة بامكانها عرقلة اطماع الدول الكبرى في المنطقة . ويشبه هذا الرأي ما سبق ان عبر عنه السياسي البريطاني بالمرستون في النصف الاول من القرن التاسع عشر بعد توسع محمد علي حاكم مصر في الشام وشبه الجزيرة العربية ، اذ قال :ان بريطانيا تقف في وجه قيام حكومة قوية على طرق مواصلاتها الامبراطورية الى الهند ، ومن ثم سعيه الى تدمير قوة محمد علي والقضاء على امبراطوريته واضعاف مصر وربطها من جديد بالسيطرة العثمانية . وبالاضافة الى ذلك فان الدكتور ترويللر لا يشير

فى تذييله الى أن بريطانيا قد اثارت موضوع حدود المملكة العربية السعودية فى عام ١٩٣٤ وان هذه الحدود كانت مثار معادثات فى عام ١٩٣٨ . وأخيرا فان العنوان الرئيسى للكتاب الذى نقدمه لا ينطبق على محتواه : فاصول المملكة العربية السعودية ترتبط بالحركة « الوهابية » التى ظهرت فى القرن الثامن عشر ارتباطها بدخول عبد العزيز آل سعود الى الرياض فىعام ١٩٠٢ . لهذا كان على المؤلف أن يقتصر على العنوان الجانبى « بريطانيا وظهور آل سعود » ، على أن يحدد فترة البحث بعامى ١٩١٠ ـ ١٩٢٦ .

وأخيرا فان الكتاب جدير بأن يقرأه المتخصصون فى التاريخ العربى الحديث بوجه عام وتاريخ شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج بوجه خاص . فهو يلقى أضواء جديدة على جوانب عدة من تاريخ الفترة التى يعرض لها مستعينا فى ذلك بكمية كبيرة من الوثائق البريطانية غير المنشورة . ويجدر بنا فى هذا المقام ان نكرر ما سبق ان طرحناه مرارا من حيث ضرورة العمل على جمع وتبويب وفهرسة الوثائق العربية حتى يتسنى للباحثين ابراز وجهات نظرنا بالاستعانة بهذه المصادر الاصلية ، وذلك بدلا من اعتمادنا شبه الكلى على الوثائق الاجنبية التى ـ برغم اهميتها ـ لا شك انها تتاثر بوجهات نظر من كتبوها وبمصالح حكومتهم وبالافكار السائدة فى العالم الخارجى ـ وفى أوروبا بوجه خاص ـ عن العرب وتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وتتضمن أحكاما لا تخلو من التحامل وسوء الفهم والاستعلاء والتاثر بالمفاهيم والمقاييس الغربية وغير الغربية الخاصة بالمجتمع والثقافة والدين والسياسة . ■■

د . أحمد عبد الرحيم مصطفى

كتب وصلتنا

فهرس العربى

تاليف : عبد العزيز العمرى
الناشر : مؤسسة دار العلوم ـ الكويت

● يقع هذا الفهرس فى ٢٠١ صفحةويتقسم الى قسمين الاول وهوالقسم الرئيسى ويقع فى ١٨٨ صفحة وهو كشاف لرؤوس الموضوعات التى تحويها مجلة العربى من العدد الاول حتى العدد ٢٠٦ اما القسم الثانى من هذا الفهرس فيشمل الاعدادمن ٢٠٧ ـ ٢١٧ وتحت رؤوس هذه الموضوعات يجمع المؤلف بيانا بكل المقالات التى تتصل بكل موضوع على حده .

اما الترتيب الذى سار عليه المؤلف فهو كما ياتى :

١ ـ راعى المؤلف فى ترتيبه لرؤوس الموضوعات الترتيب الهجائى حرفا حرفا لكنه شذ من هذا فى الاسماء التى تبتدىء بلفظ اب وابن كابى بكر وام سلمة وابن الاثير... الخ كما يهمل (ال) التعريف ويضعها تاليه الا انه وفى بعض الحالات مثل (الاسكا) يهمل الالف واللام ظنا منهانها ال التعريف وان الكلمة اصلها اسكا وليس «الاسكا» ، اما ترتيبه للاسماء العربية فانه ياخذ بالترتيب المتبع فى الموسوعات الاجنبية حيث ياخذ بالاسم الاخير .

٢ ـ رتب المقالات التى تتصل بكلموضوع ترتيبا هجائيا حرفا حرفا لكنه لميلتزم هذه القاعدة فى كثير من الحالات والامثلة على ذلك كثيرة تجدها مثلا فى صفحة ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ .. الخ

والحقيقة ان المؤلف جانبه التوفيق فى بعض الاحيان فى ترتيبه لهذا الفهرس سواءعلى مستوى رؤوس الموضوعات او المستوى الاخر الذى اعتمده للمقالات .

ولما كانت بعض المواضيع تستغرق اكثر منصفحة واحدة، فقد كان على المؤلف ان يذكر اسم الموضوعفى المستوى الاول وفى أول كل صفحة جديدة . كذلك كان عليه ان يكتب رؤوس الموضوعات بحروف اكبر من تلك التى تكتب بها المقالات حتى يتمكن القارىء من معرفة الموضوع الرئيسى من المقالات الخاصة به . بالاضافة الى الاخطاء المطبعية التى كانت تحتاج الى الكثير من التدقيق والعناية،وخاصة وان الموضوع يتناولفهرس وارقام الصفحات، وبالرغم من هذه الاخطاء وتلك الماخذ الا ان الفهرس يبقى صورة للجهد الكبير الذى بذله المؤلف خدمة لقرا مجلة العربى وعسى ان نشهد فى الطبعات التالية لهذا الكتاب مزيدا من الدقة والعناية وكل ما من شانه ابراز مجلة العربى كموسوعة عربية جامعة .

جائزة نوبل والعرب

● نعلم ان هناك جائزة تعطى للذين يسهمون في اسعاد البشرية في مختلف الحقول - وهذه الجائزة تسمى جائزة نوبل، ولكنني الاحظ ان القائمين على هذه الجائزة قد اعماهم التعصب لدرجة انهم لم يفكروا طيلة هذه السنوات بمنحها لعربي !

لذا اقترح أن تقوم جامعة الدول العربية أو احد الاثرياء العرب الذين اتخمهم المال بتخصيص جائزة أو عدة جوائز ولتكن على غرار جائزة نوبل تمنح سنويا لمن يسهمون في اسعاد الجنس البشرى في اى صقع من اصقاع العالم دون النظر الى لون أو جنس .

عبد القادر الدردير أحمد
جيزان - السعودية

خطأ مطبعي

● نأسف للخطأ المطبعي الذى ورد في الصفحة الثامنة من العدد ٢٢٨ من العربي في الآية رقم ٥٣ من سورة الزمر في قوله تعالى . قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله .. . والخطأ واضح في الكلمة والصحيح لا تقنطوا من رحمة الله .

المحرر

لماذا تلغى البحوث الأدبية واللغوية ؟

● معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أحد منظمات جامعة الدول العربية يضم عدة اقسام علمية ، من بينها قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية ، وهو من اقدم اقسام المعهد ، تخرج منه العديد من الباحثين في مختلف اقطار الامة العربية ، وقدم عشرات المؤلفات القيمة للصفوة الممتازة من اساتذة العالم العربي واستفاد منها الباحثون والمثقفون العرب في التعرف على أدبنا الحديث وقضايا لغتنا العربية ، وهي الجوانب التي يلتقي عليها العرب جميعهم من مشرقهم الى مغربهم ، وتعد الاساس المكين للوحدة الثقافية والفكرية بينهم والتي يجب التمسك بها والعمل على تأصيلها وتنميتها في نفوس شبابهم .

ولكن عميد المعهد الحالي الغى قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية بقرار شخصي بدون الرجوع لمجلس ادارة المعهد العلمى الذي يضم أساتذة قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية ولم نجد سببا موضوعيا واحدا وراء هذا الالغاء ، وكلها أسباب شخصية تتعلق بتخصص عميد المعهد (جغرافيا) وعلاقاته بالآخرين .

واننا لنتساءل بدهشة كيف تتحكم الامور الشخصية في مصير المعاهد العلمية ذات الرسالة القومية الى هذه الدرجة ؟ (وكيف يحدث ذلك في معهد للدراسات العربية وفي نطاق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي تعنى بتهيئة سبل ازدهار لغتنا العربية وأدبنا العربي في مختلف اقطار الامة العربية؟! ولماذا يحرم خريجو كلية دار العلوم وقسم اللغة العربية في كليات الآداب بالجامعات العربية دون غيرهم من التزود بالثقافة الممتازة التي يقدمها القسم والتمتع بالمنح التي يعطيها لكل طالب) .

جاسم علي مصباح	هشام موسى النجار
ياسر مصطفى هيكل	محمد الطيب ابراهيم

من خريجي قسم اللغة العربية بكليات الآداب وكلية دار العلوم

مخلوقات حسب الطلب

● ورد في صورة ايضاحية من مقال «مخلوقات حسب الطلب» للدكتور محمود زكي البهي العدد ٢٢٦ ص ٦٢ من مجلة العربي : « اذا تصورنا الكروموزوم يمثل المدينة فان جزيء مادة الحياة سيمثله قالب طوب واحد في احد ابنية هذه المدينة . » وفي الصفحة ٦٣ يعرف مادة الحياة بانها (DNA) ويمكن ان يستخلص القارىء من ذلك ان قالب الطوب الاسود في الصورة يمثل جزيء (DNA) . ولكنني شاهدت نفس الرسم الايضاحي في كتاب الخلية (The cell) الذي كتبه (John Pfeiffer) ومحررو مجلتي تايم ولايف في الولايات المتحدة خلال الاعوام ١٩٦٤ و ١٩٦٥ و ١٩٦٩ وذلك على الصفحة ٦٦ وجاء في شرح الرسم مايلي :

يمكن تشبيه بنية الكروموزوم بهذه المدينة ، والكروموزوم هو جزء من النواة مسئول عن القيام باعطاء التعليمات اللازمة لكل جوانب الحياة الخلوية . ويمثل كل منزل جزيء الـ (DNA) مادة الوراثة . وتمثل الغرف الجينات اقساما (او قسيمات) تحتل مواقع محددة في جزيء ال (DNA) . أما قوالب الطوب فيمثل كل منها نيوكليو تيدة . والنيو كليو تيدات «احجار البناء» الجزئية . (أى ان جزيء (DNA) يتكون من وحدات بنائية هى النيوكليو تيدات) .

نجيب جرجور — دمشق

سقط سهوا من فهرس عام ٧٧ الذى نشر في عدد ديسمبر الماضي ان باب « حوار القراء » يشرف على تحريره الزميل عبد الحفيظ يونس .

"الاسلام"

● الشعب ، الارض الجيش ، الدستور ، والحاكم . هذه المقومات لم تتوفر لاقامة مجتمع مسلم في مكة خلال ثلاث عشرة سنة مع وجود العقيدة لكنها توفرت بعد الهجرة الاخيرة الى المدينة وبدات آيات التكليف تتنزل ، حتى أصبح المسلم لا يقدم على عمل ما كان يعمله قبل الاسلام حتى يستفتي رسول الله .

اما اليوم ما زال المسلمون متمسكون بعقيدتهم رغم الهجوم الفكرى عليهم فى شتى اتجاهاته ، وبرغم التمسك بالعقيدة الا اننا لم نر المجتمع الاسلامى الذى نحن بصدده ذلك لان الشريعة الاسلامية مهملة ، فالاموال التي لا تحصى موجودة ومع ذلك الفقر موجود وما دام الفقر موجودا وهو السبب الاساسى للسرقة فالسرقة موجودة، وهذا السارق لا نطبق عليه حكم الله لاننا لو طبقنا عليه حكم الشريعة لكان لزاما علينا أن نطبق حكم الشريعة في المال ، ونحن لا نريد أن ندفع الزكاة . يقول الاستاذ هويدى (ان الامام ابن حزم حدد حقوقا اساسية للمسلم ينبغي ان تتوفر له ، فينبغي أن يكون له بيت ياويه وطعام وشراب ملائم ، وكساء يكفيه صيفا وشتاء وخادم يساعده اذا كان غير قادر ، ودابة يركبها اذا احتاجت مصلحته ذلك) .

ولكن هل هذه الحقوق متوفرة للمسلم ؟ لا .. اليس بتحكيم

نعم لعودة

● ان المعارضة التى تبدت من بعض قراء العربي على عودة اليهود من اسرائيل الى البلاد العربية التى هاجروا منها لاتستند الى اساس .. فاليهودى العراقى أو المغربى أو الليبى الذى يعود من اسرائيل الى موطنه الاصلي لا يمكن ان يشكل خطرا على الدولة

عقيدة وشريعة

الشريعة في كل نواحي حياتنا تكفل ما للمسلم من حقوق وما عليه من التزامات .

يقول سيدنا أبو بكر الصديق : والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه .

اذن لو طبق حكم الشريعة في المال فقط لتوفرت حقوق الفقراء وانعدمت السرقة لعدم وجود أسبابها .

وكذلك الزني موجود لوجود أسبابه ، ولكن لو طبق حكم الشريعة في اللباس الشرعي للمرأة لانعدمت أسباب الزنا .

ولنضرب مثلا .. آية الحجاب موجودة في كتاب الله نقرأها ونسمعها فنمر عنها كأن لم نسمعها والكاسيات العاريات يملأن الطرقات مائلات مميلات .

ولكن لو صدر أمر رسمي ينص على أن كل امرأة تخرج من بيتها لا تلبس اللباس الشرعي ستغرم بكذا ويسجن وليها و ... والخ هل سترى من النساء بعد أصدار الامر ما كنا نراه قبله .. ؟

اذن ما دمنا متمسكين بعقيدتنا لم يبق علينا الا تحكيم الشريعة حتى تكون مجتمعا اسلاميا .

يقول سيدنا عثمان بن عفان : ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

عبد الكريم داود السلوادي ـ الكويت

خير الدين الزركلي

● قرأت مقالا للدكتور عمر الدقاق عن المرحوم خير الدين الزركلي في العدد ٢٢٤ من العربي واستغربت قول الكاتب ان «الشاعر السوري الكبير مات ولم يذكره احد خارج سوريا ، .. واستميح الكاتب عذرا اذا قلت ان هذا القول بعيد عن الحقيقة .. اذ كيف يمكن ان لا يذكر صاحب «الاعلام» .. فذكره في حياته وفي موته ذكر للعلم والادب.. وفي بعض جامعاتنا تدوى قصائده متمدة طويلة ..وهي مقررة في الدراسة .. وكتابه الفريد زينة لجميع المكتبات الكبيرة في الهند ومرجع للباحثين .

الدكتور محمد سليمان أشرف
الاستاذ المساعد في قسم اللغة العربية
جامعة دلهي ـ الهند

اليهود الشرقيين

العربية التي تنتمي اليها وليس ادل على ذلك من الاستجابة السريعة التي بدأنا نتلمس ثمارها لدى بعض الدول العربية فهذه سوريا ترحب بعودة اليهود السوريين مع ضمان اعادة املاكهم اليهم، وانا كفلسطيني اعيش تحت وطأة الاحتلال الصهيوني أناشد الدول العربية بالاسراع بالسماح لليهود بالعودة اليها وتقديم التسهيلات لهم وذلك للاسباب التالية :

١ ـ ان اليهود الذين اتوا من الدول العربية يشكلون نسبة عالية في المجتمع الاسرائيلي ووجودهم يعزز قوة هذا المجتمع .

٢ ـ ان الزراعة في فلسطين المحتلة قائمة على اكتاف اليهود العرب وعودتهم تؤدي الى ضعف الانتاج الزراعي للدولة الصهيونية .

وهناك سبب ثالث اهم وهو ان الهجرة المضادة ستؤدي الى الحد من شهوة التوسع التي تسيطر على قادة اسرائيل في ظل الظروف العربية الراهنة .

ع . ابراهيم
طيبة بني صعب / فلسطين

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠٠ اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ٠

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٣٠ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول مارس (ربيع الأول) ١٩٧٧ ٠

اثنتان في واحدة :

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة، ستجد في (٨) افقيا اسم صحابي معروف ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم فيلسوف عربي عظيم ٠

الكلمات الافقية :

(١) يسود ـ من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم قام بسدانة الكعبة ٠

(٢) عاصمة السلفادور ـ من الابراج ٠

(٣) للتعريف ـ أراضي ما بين النهرين ٠

(٤) ركد ـ ضمير ـ من الاقارب ـ مقام موسيقي ٠

(٥) عائمات ـ نطق ـ مكان للصلاة ٠

(٦) غذاء طبيعي كامل ـ تبعد ـ فقر شديد ٠

(٧) سلاح حربي قديم ـ متكرر الايقاع ـ طعام ٠

(٨) صحابي معروف ٠

(٩) من المقاييس الطولية ـ كافر ـ الاسم القديم لتايلاند ٠

(١٠) يساند ـ في الوجه ـ أتمهل ٠

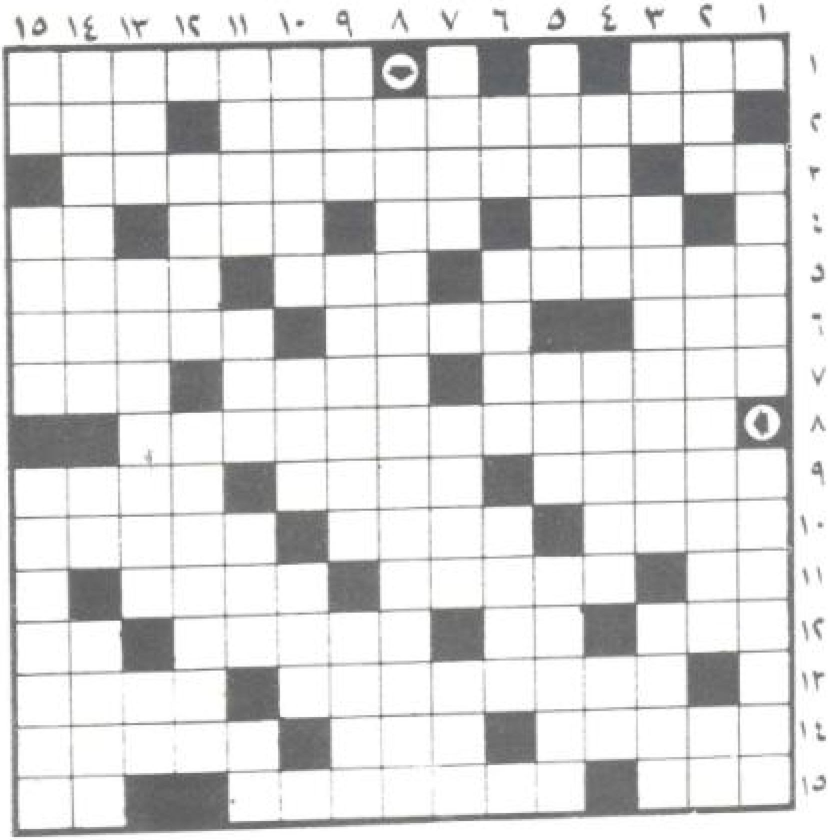
(١١) نصف كلمة (نوال) ـ غلبها ـ يطمئن ٠

(١٢) من العقوبات ـ حرفان متشابهان ـ من معدات الحرب الحديثة ـ جواهر ٠

(١٣) مكتشف اشعة اكس ـ ضعيف ٠

(١٤) يزوره في مرضه ـ نجل ـ يعتزم ٠

(١٥) حرف أبجدي ـ الموعد ـ طائر خرافي ٠



الكلمات الرأسية :

(١) الدرج ـ صاحب نظرية النسبية .

(٢) شهد ـ صاحب مقدمة شهيرة ـ نصف كلمة (عوفت) .

(٣) حرف استفهام ـ قرشي من اعلام الغناء في القرن الثاني الهجري ـ ازمان طويلة .

(٤) نمحو ـ نرجو ـ نظير .

(٥) مضيق بالبحر الابيض المتوسط ـ يغل ـ نحوها .

(٦) نصف كلمة (لزمت) ـ تبحث ـ ارشده .

(٧) صفة للخطيب المجيد ـ حشرة ـ حرف ابجدي .

(٨) فيلسوف عربي عظيم .

(٩) جرى ـ مدينة مقدسة ـ ازدهر .

(١٠) الاسم الشائع لكربونات البوتاسيوم ـ من العناصر ـ يهدم .

(١١) طرق ـ حيوانات ـ حروف متشابهة ـ في الذراع .

(١٢) من مصادر الثروة المعدنية ـ يواصلون .

(١٣) ظل ـ العقائد السماوية ـ قادم .

(١٤) من الاحياء المائية ـ حرف نصب ـ ازمان طويلة .

(١٥) من الاسماء الخمسة ـ يدرك ـ من اشهر امراء النمسا وساسة اوروبا في القرن ١٩ .

كوبون مسابقة

شاعر عربي معاصر

ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لشاعر عربى معاصر . ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقب ذلك الشاعر .

الكلمات الافقية :

(١) من المحيطات .

(٢) موقعة انهزم فيها هانيبال .

(٣) ادخرها .

(٤) نصف كلمة (فاتن) ـ يقفز .

(٥) حيوان قطبى ـ نظير .

(٦) الباتات .

الكلمات الرأسية :

(١) من الغازات الضرورية للحياة .

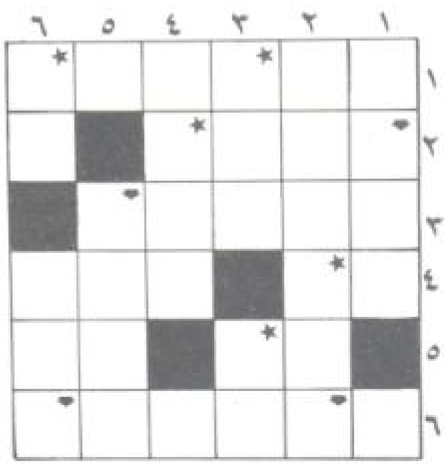
(٢) من الزهور العطرية .

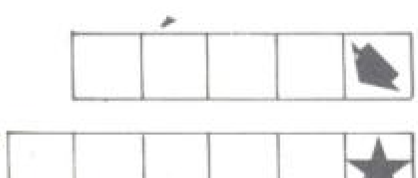
(٣) فى السماء ـ نصف كلمة (بارد) .

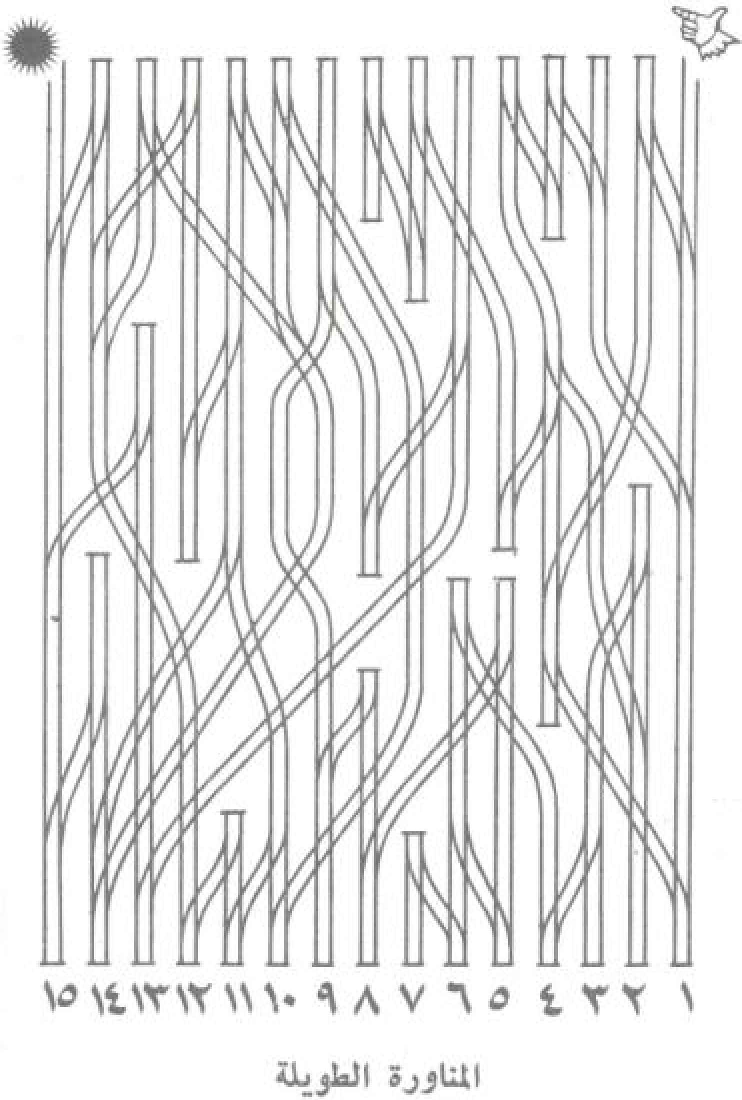
(٤) فى المطبخ .

(٥) امتدح .

(٦) حرفان متشابهان ـ جسم .







المناورة الطويلة

كان على السائق ان ينتقل بقطاره فوق القضبان من موقع الكف الى موقع الشمس ، فوق هذه الشبكة المعقدة • وفي كل مرة يتغير فيها سير القطار من الامام الى الخلف ، او من الخلف الى الامام ، كان على السائق ان يترك عربة من عربات القطار البالغ عددها ٣٩ عربة•

استطاع السائق الماهر ان ينتقل بقطاره من الكف الى الشمس بحيث يفقد ١٩ عربة فقط ••• هل تستطيع أن تعرف خط سير القطار ؟ •

• بالعقل فقط •

استاذ نبيه يسال :

من الذى يلعب كرة السلة ؟

عائلة الاستاذ قدري عائلة رياضية ، فاولاده الثلاثة : أحمد ، وسمير ، وبكر ،يتعلق كل منهم بهواية رياضية خاصة •

أحدهم يمارس السباحة في نادى النجوم، والثانى مشترك فى نادى القمر ، والثالث فى نادى الشمس • أحدهم يلعب التنس ، وآخر يمارس السباحة ، والثالث يلعب كرة السلة •

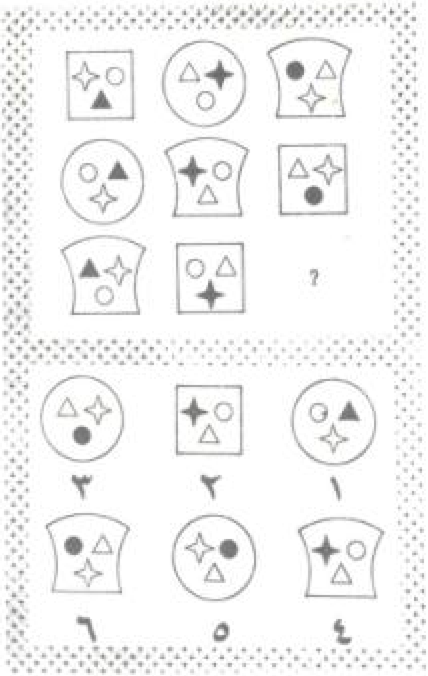
احمد لا يشترك فى نادى النجوم ، وكذلك سمير لا يشترك فى نادى القمر • والابن الذى يلعب كرة السلة لا يشترك فى نادى الشمس•

فاذا كان الابن الذى يمارس السباحة ليس هو سمير ، فمن الذى يلعب كرة السله ، وفى اى ناد ؟ •

***

خراف فاطمة وخديجة

فاطمة عندها عدد من الخراف ، وكذلك خديجة • اذا أعطت فاطمة لخديجة خروفين ، يصير عندها نفس العدد من الخراف • واذا اعطت خديجة لفاطمة خروفين ، أصبح عدد خراف فاطمة ضعف عدد خراف خديجة كم عدد الخراف عند كل منهما ؟



• حاول أن تعرف • الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال ،التى فى كل من الصفين العلويين ، حاول ان تعرف اى الاشكال ذات الارقام ، يجب أن يحل محل علامة الاستفهام •

الحلــــول

المناورة الطويلة :

خط السير كما يلى : من ١ الى ٢ (اعلى) ـ من ٢ الى ٤ (وسط) ـ من ٤ الى ٢ (اسفل) ـ من ٢ الى ٤ (أسفل) ـ من ٤ الى ٦ (وسط) ـ من ٦ الى ٥ (اسفل)ـ من ٥ الى ٨ (أسفل) ـ من ٨ الى ٩ (اعلى) ـ من ٩ الى ٨ (وسط) ـ من ٨ الى ٦ (أعلى) ـ من ٦ الى ١٣ (أسفل) ـ من ١٣ الى ١٥ •

الشكل المطلوب : الشكل المطلوب هو رقم ٥ •

النجمة والسهم : نزار قباني

استاذ نبيه يسال :

الابن الذى يشترك فى نادى النجوم يمارس السباحة • واحمد ليس مشتركا فى نادى النجوم ، وحيث ان سمير لا يهوى السباحة ، يكون بكر هو الذى يهوى السباحة ويشترك فى نادى النجوم •

بكر لايشترك فى نادى القمر ، فيكون احمد مشتركا فيه • وعلى ذلك يكون سمير مشتركا فى نادى الشمس ، ولا يكون من هواة كرة السلة •

على ذلك يكون احمد هو الذى يلعب كرة السلة فى نادى القمر •

خراف فاطمة وخديجة

فاطمة عندها ١٤ خروفا ، وخديجة عندها ١٠ خراف •

مِنَ المسرح العالمى

وزارة الإعلام فى الكويت

أول يناير ١٩٧٨

١/١٠٠

من الأعمال المختارة

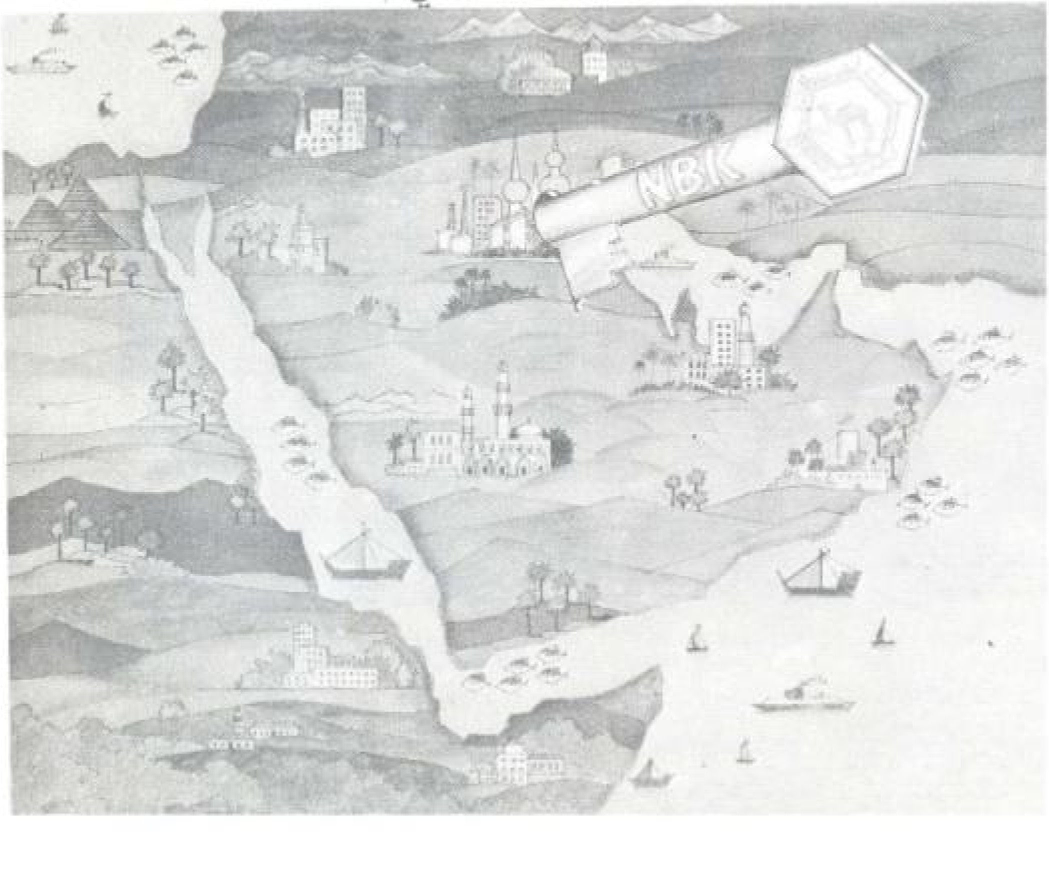
تشيكاماتسو - ١

• انتحار الحبيبين فى سونيزاكى • معارك كوكسينجا

نقلها عن اليابانية وقدم لها : دونالد كين

ترجمة : محمد الحديدى

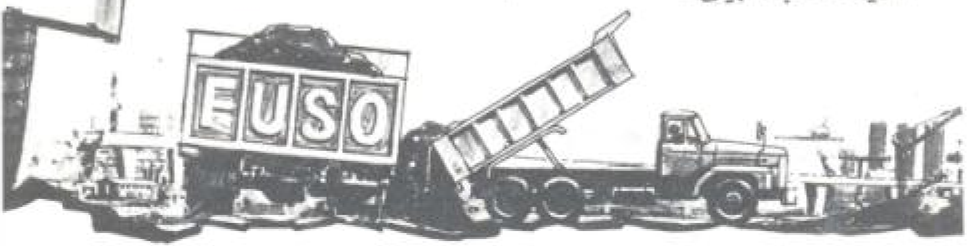
مراجعة : أحمد النادى


NBK

فوزو

الشاحنة رقم ١ في اليابان

هنالك العديد من الشاحنات الثقيلة الممتازة في اليابان، غير أن فوزو تفوقها كلها مبيعاً. تكلموا مع موزع كرايزلر في منطقتكم وتحققوا بأنفسكم من أن فوزو لها من القوة والمتانة ما يكفي لكل مهمة. إن مؤسسة كرايزلر هي التي جاءت بفوزو إلى الشرق الأوسط. ولذلك يمكنكم أن تثقوا من توفر قطع الغيار والخدمة التي تعقب البيع.



في جميع انحاء الشرق الأوسط

شركة الملا التجارية ذ.م.م
ص.ب ٢٧٠٢
صفاة، كويت
تلفون ٤٢٣٢٣١
تلكس 2012 ALMULLA

عبد الرحمن الزياني وأولاده
ص.ب ٣٢، البحرين
تلفون ٥٢٦٠٧
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

الشركة الاقتصادية. ش.م
١٨(ب) شارع ٢٦ يوليو، القاهرة
تلفون ٤٦٠٥٥
برقيا: زايداواجون القاهرة

الشركة التجارية الأردنية المحدودة
ص.ب ١٢٩
عمان، الاردن
تلفون ٥١٣٣١
تلكس TWAL JO 1311 AMMAN

الشاحنة القلابة ميتسوبيشي فوزو



عبد الرحمن الزياني وأولاده
ص.ب ٢٨١
أبو ظبي ، الامارات العربية المتحدة
تلفون ٢٢٣٦٨
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

عبد الرحمن الزياني وأولاده
ص.ب ١٦٧
دبي ، الامارات العربية المتحدة
تلفون ٦٩٩٤٠
تلكس GT8305 A A ZAYANI

شركة قطر للسيارات
ص.ب ١٢٩٠
الدوحة ، قطر
تلفون ٢٦٩٠٧
تلكس 4203 WIBECO DOHA

مؤسسة العيساني للتجارة
ص.ب ١٣٤٢
جدة ، المملكة العربية السعودية
تلفون ٢٨٤٤٤
تلكس 40063 ESAYICO SJ

شركة التضامن الزراعية
ص.ب ١١٠٥
صنعاء ، الجمهورية العربية اليمنية
تلفون ٢٧٨٠
تلكس 260 ADHBAN YE

شركة التضامن الزراعية
صنعاء ، اليمن تلفون: ٢٧٨٠

الزبير للسيارات
ص.ب ١٢٧ ، مسقط ، عمان
تلفون: ٢٨٢١/٢/٣/٤
تلكس: ٢٥٨ مسزاد
المعرض ومركز الصيانة
وقطع الغيار: مطرح ،
تلفون: ٧٠١٣٣٩ / ٧٠١٣٤٣

كرايزلر انترناشيونال

إن لم تملك أبداً عربة رافعة من إنتاج كاتربلر، كيف تعلم أنك تملك أفضل منها؟

اطلب الحقائق من « كاتربلر »

الخبرة : إن سمعة كاتربلر الطيبة التي تستند إلى ٥٠ عاماً من التجارب في صنع الآلات ، فضلاً عن ضمّها الى مجموعة شركاتها شركة « توموتر » الرائدة في ميدان العربات الرافعة ، تضع ثروة طائلة من الخبرة الاختصاصية وراء التشكيلة الحالية .

الجودة : بعد ارتيادها ميدان الشاحنات الساحبة في ١٩١٩ واستنباطها واحدة من أول العربات الرافعة العادية في ١٩٣٣ ، تقوم كاتربلر الآن بصنع ماكيناتها في ١١ بلداً وفي ١٩ مصنعاً ، بما في ذلك مصنع جديد للعربات الرافعة حيث يختص رجل واحد من كل ٧ رجال يعملون على خط الانتاج في ضبط الجودة والتأكد من الاتقان .

الهندسة : بعد انفاق مبالغ طائلة على الابحاث والتطوير والهندسة ، تستخدم الشركة حالياً أكثر من ٤٠٠٠ من العلماء والفنيين في ميدان البحث وحده من أجل انتاج عربات تعمل بطريقة أفضل وذات قيادة أسهل ، وعمر أطول .



دعم المنتجات : بفضل ٢٣ مستودعاً رئيسياً لقطع الغيار و ٩٠٠ مركز للخدمة ، جميعها مرتبطة بالكومبيوتر في ١٢٠ قطراً ، تستطيع شبكة موزّعي كاتربلر المحليين ان تحافظ على حسن أداء هذه العربات الرافعة في جميع أرجاء العالم .

مجال العمليات : تقدم كاتربلر ٤٦ طرازاً مختلفاً من ٢٠٠٠ إلى ٦٠,٠٠٠ (١٠٠٠ إلى ٢٧,٣٠٠ كغم) مع إمكان اختيار محرك ديزل أو بنزين أو كهرباء أو غاز البترول السائل .

أما إذا لم تنحدر عرباتك من هذه السلالة الأصيلة فالمحتمل أنها تكلفك أكثر من حيث الانتاج .. والمال .

تدارك الأمر بالاتصال بموزع كاتربلر الآن :

CATERPILLAR

CATERPILLAR, CAT
علامات تجارية تملكها شركة جرارات كاتربلر
« Caterpillar Tractor Co. » كاتربلر « و » كات «

أبوظبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٤٤١ ، أبوظبي ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٢٣٣٨٧ ، **البحرين** : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٥٣٥٧ ، المنامة ، هاتف ٧١٣٦٠٧ ، **دبي** : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ١١٧٠ ، الضيرة ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٦٠٢٥٥ ، **الاردن** : الشركة الاردنية للجرارات والمعدات المحدودة ، ص . ب ٣١٣ عمان ، هاتف ٢٨٣٦٣/٦٤/٦٥ ، **الكويت** : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ١٤٨ ، الكويت ، هاتف ٨١٠٨٥٥/٥٦ ، **الجمهورية العربية الليبية** : الشركة العامة لمعدات المزارع والقوالب الزراعية (جستشا) ، ص . ب ٣٦٤ ، طرابلس ، هاتف ٣٠٣٤٤ ، فرع بنغازي : ٩٢٣٣٩ ، **قطر** : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٣١٣١ ، الدوحة ، هاتف ٢٥٩١٩ ، **المملكة العربية السعودية** : شركة زاهد للجرارات والآليات الثقيلة المحدودة ، ص . ب ١٥٠٨ ، جدة ، هاتف ٢٦٣٦٦ ، الفروع : الدمام ـ ٢٢٥٩٤ ، الرياض ـ ٢٨٤٦٨ ، **سوريا** : م . عزت الحلاء وأولاده ، ص . ب ٢٣ ، دمشق ، هاتف ٥٥٠٣٢١ ، ويوجد فرع في حلب ، **تونس** : مؤسسة ب بورين تي . م . ، ٩١ شارع قرطاجة ، تونس ، هاتف ٢٥٦ ٤٧٧


هاي فاي فيليبس
معه تحيَا الموسيقى في كل وقت
مع فيليبس يمكنك اليوم الاستماع
الى موسيقى عذبة صافية بأنغامها
العالية والخافتة واضحة كل الوضوح
وكأنك أمام الفرقة الموسيقية.
ذلك بفضل مكبّرات للصوت هاي فاي
الجديدة والفريدة التي تمسح
نفسها بنفسها الكترونيًا وتستمر
باعطائك ذات النقاوة للحن
الذي يستهويك سماعه.
هذا الاختراع الجديد يدعى «موشينال فيدباك»
وهو أساس لمجموعة فيليبس الثورية
هذه. للحصول على الكمال في
موسيقى الستيريو أو الكوادروفونيك
إنها نتيجة خبرة عالمية واسعة وجهود
جبارة متواصلة. إنك تحصل دائمًا مع
فيليبس على التقنية المتقدمة التي تستحق
كل ثقة وعلى الخدمة الممتازة بعد البيع
لكل قطعة من أجهزة ومعدات فيليبس
مهما كانت.
أطلب من وكيل فيليبس المعتمد
تجربة مجانية فهي أكبر برهان.
PHILIPS
فيليبس الأفضل لكم دومًا


ستيريو ديناميكي
راديو كاسيت ٤ موجات مع مكبر صوت كبير قياس ١٢ سم
M 9950K
M 4515K
M 9980K
الموديل M 9950K
راديو كاسيت ستيريو ٤ موجات مع مؤقت آلي عند النوم والتوقف الأوتوماتيكي ومفاتيح تحويل عديدة للستيريو.
الموجات MW/SW1/SW2/FM بمفاتيح تحويل عديدة للستيريو ولوحة للتشغيل الدقيقة ومؤقت آلي عند النوم وجهاز كاسيت قوي بميكروفونين بالمكثف والتوقف الأوتوماتيكي للتسجيل والاستماع وضبط المستوى والتوقف الميكانيكي والمراقبات المتنوعة ويعمل على ٣ مصادر للطاقة بقوة اخراج ٥,٠٠٠ مللي واط.
الموديل M 9980K
راديو كاسيت ستيريو ٤ موجات و ٤ مكبرات للصوت مع جهاز انتقاء الشريط.
MW/SW1/SW2/FM مجهز بمؤقت آلي للنوم ولوحة للتشغيل الدقيق. ويمتاز بآلية التوقف الأوتوماتيكي للتسجيل والاستماع ومنتقي الشريط CrO2 والتوقف الميكانيكي وسدة التشغيل والإرجاع السريع للشريط والمراقبات المتنوعة. ويمتاز بوجود ٤ مكبرات منفصلة ويعمل على ٣ مصادر للطاقة بقوة إخراج ٥,٠٠٠ مللي واط.
الموديل M 4515K
راديو كاسيت ستيريو ٤ موجات مع آلية التوقف الأوتوماتيكي بالكامل.
الموجات MW/SW1/SW2/FM ولوحة للتشغيل الدقيق ومؤشر الستيريو الكاسيت بآلية التوقف الأوتوماتيكي وميكروفونين بالمكثف، وآلية ضبط المستوى ALC ومنتقي الشريط CrO2 والتوقف الميكانيكي والإرجاع للشريط والمراقبات المتنوعة. يعمل على ٣ مصادر للطاقة بقوة اخراج موسيقي ٥,٠٠٠ مللي واط.
SANYO
سانيو

العربي

العدد ٢٣١
صفر ١٣٩٨
فبراير
(شباط) ١٩٧٨

- قصة أول مواجهة عربية اسرائيلية فى "رودس"
- شارلى شابلين : آخر المهرجين العظام!







عزيزي القارئ

ودعت الكويت في الشهر الماضي اميرها الراحل سمو الشيخ صباح السالم الصباح ، الذي عاش في قلب كل مواطن كويتي بل كل عربي طوال اثني عشر عاما قضاها قائدا لمسيرة الكويت • وفي الشهر ذاته ، بدأت الكويت عهدا جديدا بعدما انتقلت امانة المسئولية الى سمو الامير جابر الاحمد الصباح ، الذي اختارته الاقدار لقيادة الكويت في هذه المرحلة الدقيقة والصعبة من تاريخ الامة العربية ، ثم يشاء القدر ايضا ان يكون هذا الشهر الذي نستهله ، هو موعد الكويت مع ذكرى عيدها الوطني •

ثلاث مناسبات توالت على الكويت خلال هذه الاسابيع القليلة ، فجيعة في وفاة اميرها الراحل ، وعزاء كبير بل امل تجدد في انتقال المسئولية الى الامير « الجديد القديم » كما قالت بحق صحافة الكويت ، ثم ذكرى العيد الوطني ، بكل الريح العطرة التي تحملها •

دورة من الاحداث تقول لنا في النهاية ان الكويت هي الباقية ، وان اعلامها ينبغي ان تظل مرفوعة ، وان استقلالها الوطني يجب ان يستمر ويدعم في كل ميدان •

لقد كانت الكويت ـ وما زالت ـ رمزا لقيم عربية اصيلة ، انعكست على ممارساتها في العديد من المجالات المحلية والعربية والدولية • والمؤكد ان كل عربي يشاركنا هذا الامل ، في ان تواصل الكويت في عهدها الجديد ، وفي السنة الجديدة من عمر استقلالها التزامها بكل ما ارتبط باسمها من قيم ومثل . هي في الاساس تعبير عن آمال وطموحات الانسان العربي •

ذلك اننا نعيش الان مرحلة نحن احوج ما نكون فيها الى صلابة الالتزام بالقيم والمثل العربية ، وضرورة الدفاع عن الكرامة العربية •

■■

المحرر

مبنى وزارة اعلام الجديد ، واحد من المشروعات الهامة التي تفتتح في العيد الوطني للكويت هذا العام •

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

شخصيات :

تاريخ :

استطلاعات مصورة :

قضايا حيوية :

علم نفس :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 231 February 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر



صـــــورة الغـلاف

● كويت ما قبل النفط هو موضوع احد الاستطلاعين الملونين في هذا العدد ، وهو يطوف بنا في مساحة عرضها يمتد الى قرنين من الزمان ، عندما كانت قرية تتمدد الى جوار «كوت» على الساحل . وصفحات التاريخ مليئة بالكثير والمثير من الاحداث والذكريات . وهذه صورة لفتاة ترتدي الثوب الكويتي القديم ، الذي كان جزءا من عالم ما قبل النفط اقرأ الاستطلاع على الصفحات (٦٨ ـ ٨٣)

طب وعلوم :

أدب ولغة :

فنون :

ركن الاسرة والمرأة :

كتاب جديد :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

منطق حروب الم

لو اردنا أن نصف تاريخ الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، منذ بدئه حتى كتابة هذه السطور ٠٠ لوصفناه بانه :حرب المائة سنة !

فاذا اعتبرنا أن ميلاد فكرة اقامة دولة يهودية في فلسطين ، في ذهن المبشر الاول بها في العصر الحديث ، تيودور هيرتزل ، كان بمثابة الاعلان عن بدء هذا الصراع ، لوجدنا اننا لا نتجاوز كثيرا في وصفها بانها حرب المائة عام ٠

على أن هذا المعنى لا يستقر في اذهاننا ، الا اذا فهمنا « الحرب » بمعنى آخر ، غير المعنى المباشر ، وهو القتال المسلح ٠٠٠

القتال المسلح يحدث لشهور ، ومع تقدم الاسلحة وتضاعف طاقتها التدميرية ، صار يحسم في اسابيع بل وايام ٠ وفي تصور الخبراء اليوم لأي « سيناريو » عن الحرب العالمية المقبلة ـ لو وقعت ـ نجدانهم يعتقدون أن نتيجة الحرب الكونية سوف تحسم في الساعات الاولى ، لما سوف يستخدم فيها من صواريخ واسلحة هيدروجينية وذرية ، تسحق في دقائق ماكان يسحقه السلاح العادي في سنوات ٠

فهي حرب المائة عام ، حتى وان كانت ايام القتال الفعلي فيها لا تزيد عن شهور ٠٠٠

اذن ، لا بد ان نفهم الحرب ـ في هذا الحديث على الاقل ـ بالمعنى الاشمل٠ السياسة والاقتصاد والقتال ٠ التدبير والترتيب والتنظيم ٠ تكوين نوع المجتمع المهيأ للقتال ٠ المكر والخداع والدهاء ٠كل هذه أشياء تدخل في حديثنا هذا تحت كلمة الحرب ٠ لان الحرب بمعناها القتالي هي محصلة كل هذا واكثر منه ٠

فميلاد الفكرة الصهيونية وتحديد هدفها ، ومكان قيامها ، جزء من هذا ٠

...ائة سنة

بقلم: أحمد بهاء الدين

ثم بدء الهجرة الاولى، بشكل سلمي، واقامة اول مستوطنات في فلسطين، بحيث تكون المستوطنة سكنا ومقرا للعمل للانتاج ومعسكرا وحصنا في نفس الوقت..

ثم دخول المال اليهودي الكبير« روتشيلد ولورد مونتيفيوري وغيرهم » لشراء الارض بقوانين الاحتلال الانجليزي.هذا ايضا حرب . ويكفي قول المفكر اليهودي الفرنسي الكبير « ماكسيم رودنسون » : ان دخول « روتشيلد » مشتريا ازاء فلاح فلسطيني فقير ، هو علاقة استعمارية ، للتباين الشاسع بين قوة الاقتصادين ، بين قوة هذا المصدر وذلك ، بحيث لا يمكن ان تسمى هذه العلاقة علاقة بيع وشراء حرة ، مهما كانت ضالتها ...

وجاء بعد ذلك ظهور التنظيمات الاوسع نطاقا ، سواء نقابات العمال . او المؤسسات الاقتصادية او الهيئات المتفرغة لاجتلاب المهاجرين . والمنظمات العسكرية والارهابية.وكان هذا كله يتنامى ويتشكل تحت مظلة اساسية ، اشبه بحكومة هي : الوكالة اليهودية ...

وفي هذه الاثناء كلها ، كان نشاط يهود الخارج لا يقل حجما واثرا عن نشاط يهود الداخل . جمع الاموال ، ارسال المتطوعين . والسعي لدى الجهات الاجنبية التي لها القوة والتاثير على الارض المطلوبة وهي فلسطين : بدأت الحركة الصهيونية اتصالاتها بالباب العالي في تركيا ، حين كانت الامبراطورية العثمانية هي صاحبة الامر في فلسطين . فلما نشبت الحرب العالمية الاولى كان فريق من الصهيونيين في برلين يقتنصون الوعود من القيصر الالماني وفريق آخر في لندن يزين الاغراءات للحلفاء الذين يقاتلونه ، حتى تكون لهم كلمة لدى اى فريق ينتصر . بينما شد فريق ثالث رحاله الى امريكا ، حين تشمموا أنها ستكون المارد الجديد .

ونفس الشيء كرروه بصور اخرى في الحرب العالمية الثانية ، وما بعدها • غير انهم نقلوا مركز ثقلهم الخارجي الى امريكا •

فحين قامت « حرب » ١٩٤٨ كان كل شيء معدا لاعلان الدولة • كانت لديهم المنظمات العسكرية والمدنية ، وهيكل الدولة • والتأييد العالمي • وقوة الضغط الامريكي • ومصادر السلاح المفتوحة • والدعاية الكاسحة •

هذا نموذج ناخذه لمعنى الحرب بمعناها الواسع ، الحديث ، الذي نستخدمه في هذا المقال ••

فالذي انتصر سنة ١٩٤٨ واقام دولة اسرائيلية ليست قوات الهاجاناه والارجون وشترين وغيرها فقط • انما الذي انتصر هو هذا النضال الطويل ، منذ قال تيودور هيرتزل الكلمة • فهو نصر استغرق اعداده اكثر من نصف قرن • وليس نصرا تم احرازه في بضعة شهور من القتال الفعلي •••

ولم تتغير القصة منذ ذلك الوقت ، حتى يومنا هذا •••

فما مضى من الصراع العربي الاسرائيلي ، خليق بتلك التسمية التي اطلقت في التاريخ على بعض حروب اوروبا الدينية والدنيوية التي نشبت في العصور الوسطى : حرب المائة سنة !

ولكن ، ما المعنى من طرح القضية المألوفة من هذه الزاوية وبهذا الاسلوب؟•

المعنى ، هو ان الطرف الاسرائيلي نظر الى معركته من منظورها الصحيح • رآها منذ البداية صراع أجيال • فيه الحصول على المدفع ليس اكثر اهمية من الحصول على آلة المصنع • وفيه اعداد رجل القتال لا يزيد اهمية عن اعداد رجل الاقتصاد او رجل العلم او رجل السياسة • وفيه النصر في موقعة سياسية لا يقل عن النصر في موقعة عسكرية • وفيه الفوز بحليف لا يقل عن الفوز بموقع استراتيجي •

ذلك ان طبيعة الصراع الاسرائيلي العربي ، ليست شان اى صراع بين دولتين متجاورتين على قطعة ارض •

ليس مثل صراع المانيا وفرنسا مثلا على الالزاس واللورين •

وليس مثل صراع امريكا واليابان على جزر المحيط الهادىء •

انه شيء اعمق واكبر واطول مدى من كل هذا •••

وبالتالي ، فان من مظاهر التصور العربي الدائم خلال حرب المائة سنة الماضية ، نظر العرب دائما الى يومهم دون النظر الى مساحة اوسع من الايام • واهتزازهم بالرضى او السخط ، وانقلابهم الى التفاهم او التصارع فيما بينهم ، حول العابر من الاحداث ، مهما بدا كبيرا في يوم ، دون الباقي البعيد الامد ، العميق

الاثر • وايضا تركيزهم على « مظاهر »الصراع ووسائله ، ولا اريد ان اقول « قشوره » احيانا ، دون جوهره •

ولو عرف العرب منذ مائة سنة ،انها حرب مائة سنة،كما عرف الاسرائيليون، لربما تغيرت سياساتهم واساليبهم وأولوياتهم ، عما فعلوا فى هذه المجالات•• ولما وصلنا يقينا الى ما وصلنا اليه اليوم من حال •••

واترك جانبا حالة دول البترول ،التى حباها الله بثروة دافقة جعلت معدل تقدمها دافقا •• واسأل سائر امتنا سؤالا اليما واحدا : كم فعلنا لمحو الامية بين اهلنا وكم فعلت الحركة الصهيونية لاهلها؟

كم فعلنا لاشاعة الديمقراطية والعدالة وكرامة الانسان وكم فعلوا ؟

كم بذلنا لكسب المعرفة الحديثة وقيم التنظيم وتنمية الكفاءة وتطوير القدرات وكم بذلوا ؟ ••

كم ركزنا على سياسة تسجيل المواقف العلنية ، وكم ركزوا على احراز النتائج العملية ؟

والامثلة لا نهاية لها •••

★ ★ ★

وانني بهذا القول لا أحب أن ادخل فى عداد الذين يتخصصون من بيننا فى تعذيب الذات • والذين ترفعهم ساعة نصر الى تذكر « اننا خير امة اخرجت للناس » وتهبط ساعة ازمة الى ان العرب لا فائدة منهم وامراضهم لا مثيل لها ولا شفاء منها •••

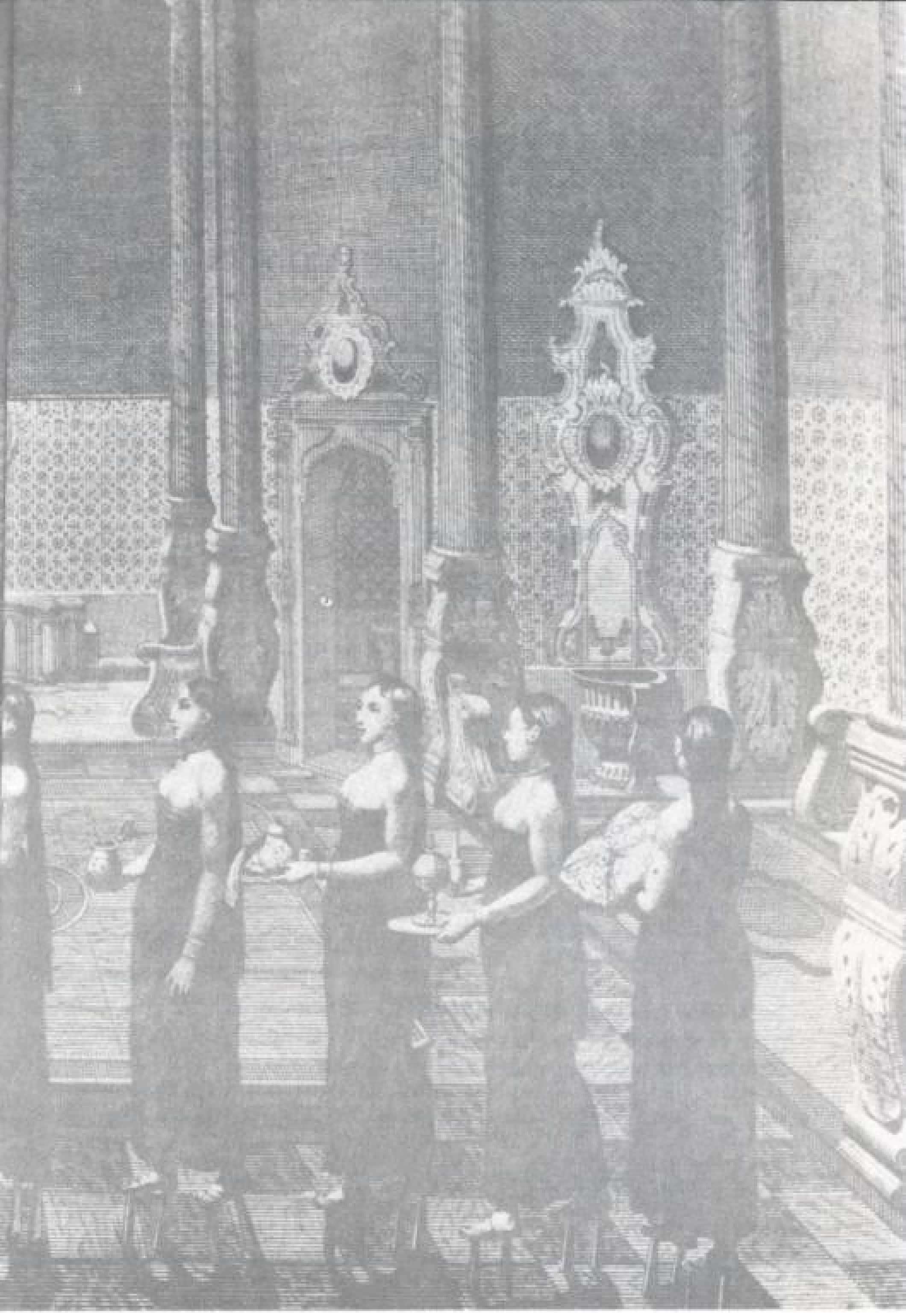
هذه الموجات تمر ـ وقد مرت ـ بكل شعوب العالم ذات الحضارات •••

اننا نرى التمزق العربى رغم الاخطار المشتركة المحدقة فنظن انه امر لا مثيل له فى التاريخ ••

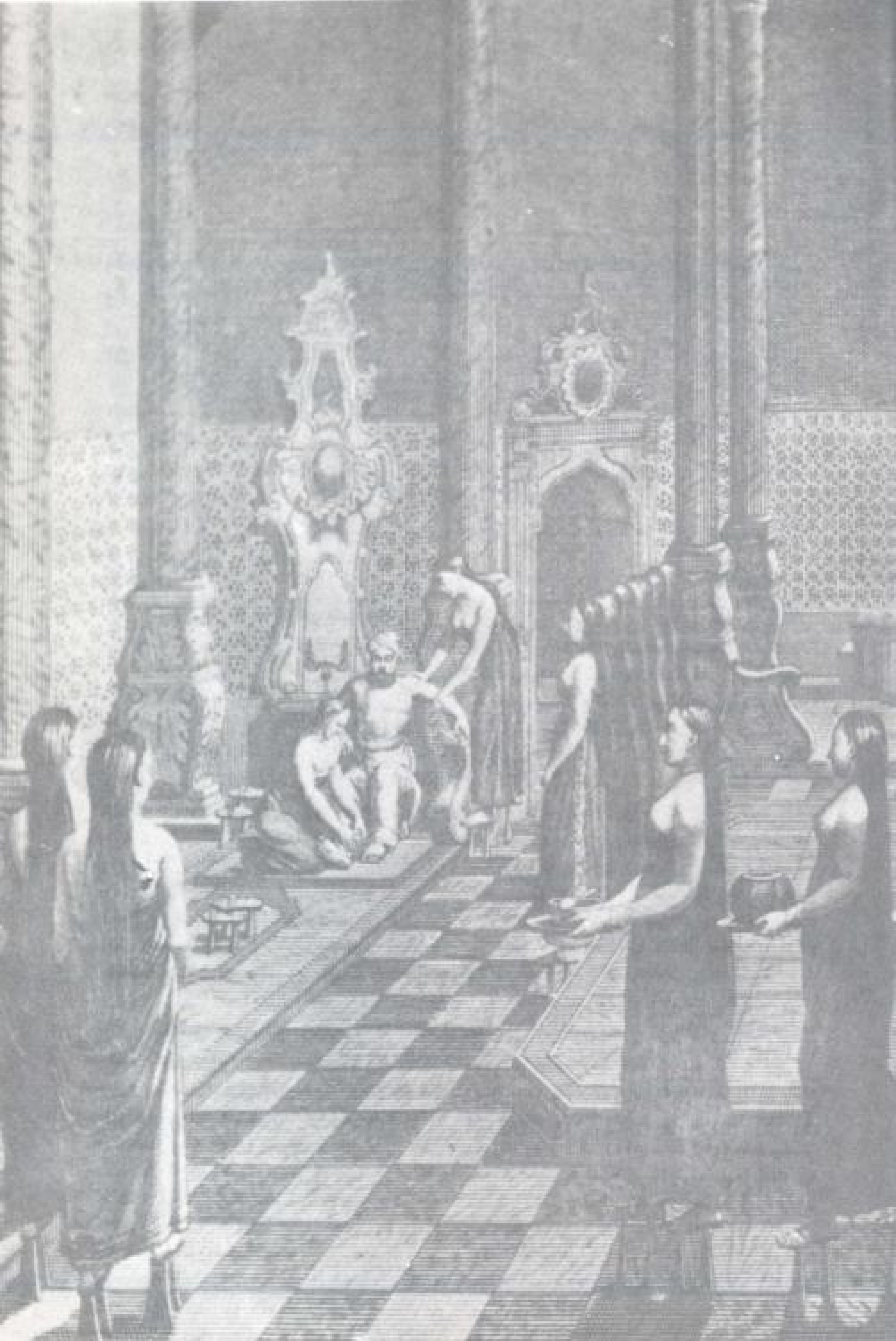
ولكنني كنت اقرأ بالمصادفة وانا اكتب هذا الحديث ، كتابا ضخما جليلا الفه مؤرخ انجليزى جليل هو « لورد كينروس » باسم « القرون العثمانية » عن نهضة الامبراطورية العثمانية وانهيارها••

وكانت الدولة العثمانية هى تلك القبيلة التركية الصغيرة فى الركن الاقصى من آسيا الصغرى،التى تحولت الى دولة ثم امبراطورية ، والتى كان حظها التاريخى تدمير الدولة البيزنطية نهائيا ، وانهاء آخر الحروب الصليبية وملاحقتها فى معاقلها فى قلب اوروبا • فاحتلت البلقان كله • وحكمت نهر الدانوب • ودمرت بودابست تدميرا ، ووصلت عند حدودفينا ، قلب اوروبا النابض فى ذلك الوقت •••

كانت الامبراطورية البيزنطية كلها فى حالة تآكل • وكان ملوك المسيحية بل



« السلطان العثماني ياخذ حمامه ! » لوحة قديمةمن القرن السادس



عشر .. كان الترف الزائد المسمار الثاني من نعش الامبراطورية

وقساوستها كما كان فرسان الحروب الصليبية الغابرة مختلفين بين انفسهم اكثر من خلافهم ضد من رأوا انه عدوهم الحضاري ، وهو الزحف الاسلامي ...

ولكننا نرى العجب ونحن نقلب تلك الصفحات الرهيبة . نرى ان بابا روما الكاثوليكية يسكت ضمنا عن سقوط القسطنطينية في يد محمد الفاتح نكاية في بابا الكنيسة الارثودكسية . وكان ملوك فرنسيون والمان يتآمرون سرا مع الغزاة العثمانيين ضد حلفائهم ، « القاهرين » في دول فينسيا والمجر ويوغوسلافيا . وكان العدل الذى زحف مع غزاة عظام مثل « سليمان القانوني » يجعل الناس في الاراضي المحتلة يغيرون دينهم طوعا واختيارا حتى يتمتعوا بالامن الجديد بدل ظلم امراء الاقطاع المسيحيين في اوروبا ...

فلما بدأت الامبراطورية العثمانية تشيخ ، شاخت من الداخل وهي في أوج قوتها الدولية ، دون أن يلحظ ذلك أحد .

ويروى لورد كينروس في كتابه هذا ، ان كبير وزراء الامبراطور سليم الثاني ، كان سلجوقيا من أعداء الاتراك القدامى ، وكان يرى الفساد يستشرى في البلاط او في « الباب العالى » وكان كبير الوزراء يدفع الى الفساد ويشجعه . حتى نجح يوما في أن يجعل الامبراطور نفسه يقبل الرشوة شخصيا كرجاله ، فخرج يومها من عنده هامسا لصحبه : اليوم انتقمت لاجدادى السلاجقة من الاتراك ! اليوم لمس السلطان مال الرشوة ! اليوم بدأ انهيار الدولة العثمانية .

ثم كان الترف المفسد هو المسمار الثاني الكبير .

ولم يكن في قوله هذا كاذبا !

★ ★ ★

رويت هذا ، لكي أشرح للقارىء أن ما وقعنا فيه أحيانا قد وقع فيه غيرنا . وان الرذائل ليست أمرا خاصا بنا . وانما هي ظروف بالغة التشعب والتعقيد ، تؤدى الى نفس النتائج في أي أمة في مراحل معينة من تاريخها ...

أردت بذلك أن أخرج بنفسي ، وبقرائي اذا أمكن ، من صفوف « الساديين » ، المعذبين لانفسهم ، المتاجرين بنقائص شعوبهم ، دعاة اليأس الدوريين .

★ ★ ★

بعد هذا ، أريد أيضا أن أخرج بنفسي ، وبقرائي اذا أمكن ، من صفوف المتراخين ، المتفائلين القاعدين ، الحاسبين أن التاريخ لهم حتى ولو لم يفعلوا شيئا ...

ولعلني قد كتبت كثيرا في هذا المعنى ، وربما أكون قد أسرفت فيه ...

ولكن عشرين سنة من معالجة هذه القضية لم تغير من قناعاتي في هذا المجال شعرة واحدة ، ولقد تأتي مناسبات القول المفصل يوما .

وما أكثر ما يكون ثبات صحة ما ذهب اليه المرء يوما ، مصدر حزن عميق له ، لا مصدر زهو وافتخار ...

لقد قلت دائما ان العالم العربي ، عالممطلوب اخضاعه من كل قوى الدنيا المؤثرة تقريبا • وقلت ان خطر اسرائيل ليس فيأنها دولة يهودية ، ولا في صيرورتها يوما الى مجتمع يهودى يعيش في كنف عربي ،او شرق أوسطي • فما ازدهرت حضارة اليهود في تاريخهم كما ازدهرت فيأندلسالعرب والمسلمين، كما قال أبا ايبان وزير خارجيتهم العتيد فى كتابه الضخم « قصةشعبى » • وحتى الان فان ثمانية فى المائة من تراث اليهود مكتوب باللغة العربية ،لا بالعبرية ولا بالانجليزية أو غيرها •

ولكن الجانب الخطر في اسرائيل هوفي أنها جاءت كرأس حربة لعالم أوروبي أمريكي ، توالت بعده الطعنات من حـول الامة العربية ومن شتى الجبهات •• جاءت في حقبة تنبىء بيقظة العرب ، وتقلمهم ،وتوفر الامكانيات لديهم وبامكانية عودتهم الى دورهم الحضاري العظيم ، تريد أنتكبلهم وتضعفهم وتمتص طاقتهم ، حتى تفلت منهم الفرصة تماما •••

وتلك هى حرب المائة سنة المقبـلة ،بالمعنى الذى أسلفته أول هذا الحـديث لكلمة الحرب •

ولن يتمكن العرب من استقبال المائــةسنة المقبلة، الا اذا أخذوا باسباب التحضر في كافة المجالات وبنفس المستوى •••

لا يمكن أن تكون للعرب قوة عسكرية ،وسائر حيـاتهم فى حالة ضعف • فقـد عرفنا موجات من القوة العسكرية وحدها،كالتتار والمغول اجتـاحت وانتصرت ثم انتهت لانه ليس بالعرب وحدهـا تعيشحضارة وتزدهر •

ولا يمكن أن تكون للعرب قوة سياسيةفقط ، دون قوة عسكرية تحميها ، وقوة اقتصادية ذاتية تعززها ، ومجتمع متقدمقادر على النهوض بهذا كله •••

ولا يمكن أن يقوم فيأمة العرب مجتمعله هذه الصفات ، الا باحترام الحقـوق الاساسية للانسان ، والا بمسايرة أعظمانجازات الدنيا وهى روح الديمقراطية • وروحالديمقراطية ليس برلمانا صحيحا أومزيفا •

ولكن روحها تكمن فى معرفة الشعببالحقائق ، وشيوع المعلومات الصحيحة ، والثقافة السليمة وحق التعبير البنـاء ،واعلاء قيمة العقـل والفكر على قيمـة الغرائز والشهوات • وذوبان الشعوبيةالعربية فى أمة واحدة • وتراجع مصالح الحكام فيها ازاء مصالح الشعوب • وكونأكرم أبنائها هو أتقاهم •

وكل ما هو دون هذا التغير العميق ••فهو تفاصيل ، وهو وقائع أيام ، أشبـه بالصفحات التي تقلبها اليد سريعـا فىكتاب ضخم كبير ، له خلاصة شاملة ومنطق قائد صحيح • ■■

أحمد بهاء الدين

● الاستاذ ابراهيم الشطي فوق أنه أديب موهوب، كان مديرا لمكتب سمو أمير دولة الكويت الراحل اكثر من عشر سنوات متواصلة وهو هنا يرسم له صورة عن قرب •

صباح السالم الصباح

أمير الكويت الثاني عشر

١٩٦٥ — ١٩٧٧

بقلم : ابراهيم الشطي

هذا المقال عبارة عن انطباعات وذكريات حول بعض صفات الامير الراحل رحمه الله • ومن الصعب في هذه الآونة ان يتذكر الانسان كل شيء • فالذكريات لا تاتي متسلسلة وانما تطرق مخيلة الفرد حسب الظروف والمناسبات • فهي ترتبط بحوادث واشياء ليس من السهل ان يتذكرها الانسان تباعا •

صباح السالم الصباح ، امير الكويت الثاني عشر _ شاءت الاقدار أن يظل اميرا للكويت لاثنى عشر عاما ، وعلى وجه التحديد اثنى عشر عاما ، وشهرا ، وستة ايام • فقد تولى مقاليد الحكم بعد وفاة اخيه عبدالله السالم الصباح في الخامس والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٩٦٥ •

تسلم المسؤولية في وقت سارت فيه البلاد بخطوات وئيدة في أولى مراحل ازدهارها وتقدمها، نتيجة للسياسة التي ارسى اسسها اخوه الامير السابق والتي كان يهدف من ورائها ان يكون للكويت مركز مرموق ودور فعال ليس فقط بين شقيقاتها العربيات بل وفي المجال الدولي •

وجاء رحمه الله ولديه هذه الرؤية الواضحة • مع عزم ثابت على مواصلة الجهود والسير نحو الهدف • فكان يحرص اشد الحرص ان يكون نهج الكويت واضحا ومعروفا في السياسة العربية ،وهو العمل من اجل الوفاق والوئام والانسجام بين الدول العربية الشقيقة • وتقريب وجهات النظر، والعمل على نبذ الخلافات ، وعلى ان يلتقي الاخوة العرب لطرح اختلافاتهم وبحثها والتوصل الى اتفاق بخصوصها • وظل يصرح في كل مناسبة ان هذا الخط السياسي سيكون اساسا راسخا من اسس سياسة الكويت لن تحيد عنه •

وكان يؤكد للعديدين ان الكويت عندما تقول كلمتها فانما هي تلتزم بها التزاما تاما ، وعندما تقول انها ستمد يد العون والمساندة لشقيقاتها فانها تعني ما تقول . وليس كلامها هذا لمجرد الاستهلاك . بل انها تؤمن به ايمانا عميقا ، ويجب ان يكون مفهوما ان هذا العون انما هو واجب الاخ تجاه اخيه من ناحية ، وواجب قومي ايضا •

لقد قال هذا الكلام مرات عديدة لمختلف المسؤولين العرب والموفدين والممثلين • ووضع كل ثقله ايام عهده تجاه تنقية الجو العربي ودعم الدول الشقيقة • وحتى اخر لحظات حياته كانت وحدة الصف العربي والتقارب والتفاهم بين الاخوة العرب تسيطر على كامل تفكيره وتشغل باله •

ارادة الله

لقد انتقل الى جوار ربه في الساعات الاولى من يوم السبت ، العشرين من المحرم ١٣٩٨ هجرية • الموافق الحادي والثلاثين من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٧ ميلادية • وعلى وجه التحديد في حوالي الساعة الثانية والدقيقة العاشرة من صباح هذا اليوم • واعلن نبا الوفاة على الملأ في



الساعة السادسة والدقيقة الخامسة عشرة صباحا ٠

وكان للنبأ وقع الصاعقة على الناس فلم يستطع الكثيرون ان يتقبلوه ، شانه شان اى نبأ حقيقى مؤلم ، يعرف الناس انه حقيقة لا مجال للشك فيها ولكنهم لا يستطيعون ان يتقبلوه فجأة وبدون مقدمات ، فالانسان عندما يصدم بحقيقة مرة فانه يريد وقتا ليدركها ويعى واقعها ٠

وهكذا كنت عندما استدعيت الى قصر المسيلة بعيد الساعة الثانية من تلك الليلة ، وسرت فى طريقى والكويت نائمة هادئة ، والشوارع لا حركة فيها على الاطلاق ٠ كان الصمت ضاربا اطنابه ، مخيما فى الهزيع الاخير من الليل ٠ كل شىء هادىء هدوءا حزينا باكيا ٠ ولا اظن ان للقلم مقدرة على وصف مشاعر الانسان خلال اللحظات الاولى لفقده شخصا عزيزا ، فما بالك اذا كان هذا الشخص على راس المسؤولية فى البلاد ٠ لقد كنت معه قبل يوم واحد فقط اتحدث معه واساله عن صحته فيجيبنى انه على ما يرام واعيد السؤال عليه فيقول : نعم ولله الحمد اشعر اليوم اننى بعافية وصحة جيدة ٠

واستدعى الى قصر المسيلة فى نهاية يوم الجمعة ، الثلاثين من ديسمبر وفى اول ساعات يوم السبت ، وفى الطريق الى القصر يؤمن العقل بانها هى الحقيقة ، ولكن القلب يكرهها ، والنفس تاباها وترفضها ٠

وخرج الجثمان من قصر المسيلة فى موكب متواضع ، ولكنه وقور مهيب ، وسار يشق طريقه وسط بحر زاخر من الناس ٠ لقد خرجت الكويت لتوديعه عن بكرة ابيها ٠ كانت صفوف الناس متراصة من بوابة القصر حتى مثواه الاخير ٠ وفى هذه اللحظات ونحن نسير وراء النعش وسط هذا الحشد الهائل من البشر ، كانت ترن فى اذنى كلماته العديدة التى خاطب بها هذه الجموع فى مختلف المناسبات ٠ وتذكرت ابيات الشعر التى كان رحمه الله يقولها دائما عندما يلتقى بشعبه وابنائه المواطنين :

انى وحق الوفا منكم على ثقة
والعهد ما بيننا والود لا زالا
سلوا ضمائركم فالحق ما شهدت
به الضمائر شح الدهر ام طالا

وقلت فى نفسى : لقد كانت ثقته فى محلها وها هم المواطنون خرجوا يشيعونه وفاء للعهد

وتاكيدا للثقة بينهم وبينه ·

وتذكرت يوم الاربعاء السادس عشر من مارس ١٩٧٧ ، بعد ظهر ذلك اليوم عندما عاد رحمه الله من لندن بعد غيبة طويلة قضاها في العلاج ـ كان الحشد العظيم من الجماهير لا يمكن وصفه · كانت مشاعر المحبة طافحة · وكانت الكويت قلبا واحدا ينبض بالحب والشوق ، كان الحب بارزا على وجوه الناس جميعا وهم ينتظرون بلهفة لحظة نزوله من الطائرة ·

وفي الوقت نفسه كان هو بالطائرة تفيض نفسه بهذه المشاعر ذاتها ، ورأى ان احسن وسيلة يمكنه ان يعبر بها عن حبه للوطن والمواطنين في لحظات اللقاء التاريخية تلك ان يامر ربان الطائرة ان يدور بها دورة كاملة على الكويت في مستوى منخفض تحية لكل فرد من الناس ·

وكانت لحظة نزوله من الطائرة مليئة بالعواطف الجياشة ، كانت الدموع تنزل من عينيه وهو ينزل من سلم الطائرة ، فقد لمس اخيرا تراب الوطن ، هذا التراب الغالي الثمين وكتب الله سبحانه وتعالى له العودة بعد ازمات قلب شديدة لم يكن يظن انها ستتركه يمشي مرة اخرى على هذا التراب العزيز او تطأ قدماه ارض الكويت ·

مع الشعب دائما

ولم يتبادل هو والمسؤولون الكلمات ، بل كان هناك صمت يضج بالتعبير عن مشاعر لم تستطع الكلمات ان تعبر عنها · وكنت انظر الى قسمات وجهه وتعابيره ، فلم اعثر على تعبير يصف مشاعره اروع مما قاله امير الشعراء احمد شوقي في مثل هذه اللحظات :

ويا وطني لقيتك بعد يأس
كأني قد لقيت بك الشبابا
وكل مسافر سيؤوب يوما
اذا رزق السلامة والايابا
ولو أني دعيت لكنت ديني
عليه أقابل الحتم المجابا
أدير اليك قبل البيت وجهي
اذا فهت الشهادة والمتابا
وقد سبقت ركائبي القوافي
مقلدة ازمتها طرابا
تجوب الدهر نحوك والفيافي
وتقتحم الليالي لا العبابا

وتهديك الثناء الحر تاجا
على تاجيك مؤتلقا عجابا

كان ذلك الحشد العظيم الذي استقبله في يوم الاربعاء ، ذاك والذي لم تشهد له الكويت مثيلا ، هو نفسه هذا الحشد الذي يودعه اليوم باكيا ·

لقد كان في حياته بسيطا مفتوح القلب والنفس · وعندما يتحدث مع اي انسان فانه يظهر مشاعره الحقيقية دون لبس او غموض ، وفي مقابلاته للرؤساء والموفدين والرسميين يتحدث بصدق واخلاص وصراحة · وعندما يستمع الى القول الصادق من محدثه يقول له مباشرة لقد نطقت بالصدق والحق لانني اشعر بذلك ، فالقول النابع من القلب تتقبله نفسي سريعا · ثم يتمثل بهذين البيتين :

عيناك قد دلتا عيني منك على
اشياء لولاهما ما كنت ادريها
والعين تعرف من عيني محدثها
ان كان من حزبها ام من اعاديها

وكان لا يريد ان يكون بينه وبين المواطنين اي حاجز او عائق ، ويوصينا مرارا وتكرارا ان لا نمنع اي انسان يرغب في مقابلته ليقدم له شكوى او يشرح له موضوعا او يعرض عليه رأيا · ويكرر علينا قول الرسول الكريم · كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ·

كان يحب الكويت حبا عميقا ملك عليه شغاف قلبه ، واكثر الاوقات التي يجاهر فيها بهذا الحب عندما يكون في الخارج ، وكان يتساءل عن الكويتيين القادمين ويحب ان يراهم ويتحدث معهم عن الوطن والاهل ·

وكانت اكثر الاحاديث حبا الى نفسه عاداتنا وتقاليدنا بين الماضي والحاضر ، وما كانت عليه الكويت في الماضي ، وما اصبحت عليه الان · وكان يتحدث باعتزاز وافتخار عن منجزات الكويت في مجالات التعليم والعمران والصحة والادارة والتنظيم · ويظهر افتخاره بما وصلت اليه من تقدم في مجالات تقطير المياه وتوليد الكهرباء والبناء الاقتصادي ·

اما شباب الكويت من الجنسين فكانت له نظرة خاصة بهم ، ففي كثير من الاحيان عندما يكون الحديث عن تقدم الكويت وازدهارها ووضع خطط للتطوير والتنمية ، يقول ان التنمية والاستثمار الحقيقي هو في تعليم ابنائنا وبناتنا تعليما جيدا

يتمشى والزمن الذى يعيشون فيه ، ويضيف اننا نريدهم ان يصبحوا اهل معرفة وخبرة في جميع المجالات والميادين • فالتعليم هو الاستثمار الحقيقى وهو الضمان لقوة الكويت ونموها ورخائها •وعندما يكون لدينا فى الغد الابناء ذوو الكفاءة العلمية العالية فان ذلك سيجعلنا نعتمد على انفسنا فى مجالات العلوم والفنون كما انه سيكون مصدر فخر واعتزاز لنا جميعا • وكان يحب أن يختلط بشباب الاجيال الصاعدة ويتحدث معهم ليحثهم على بذل المزيد من الجهد والعمل المثمر لخيرهم وخيرالكويت• وكان يوصينى ان اقدم اليه اية رسالة او مكتوب ياتى من اية جمعية جامعية ليطلع عليه ويلبى طلباتها •

اما محبته للاختلاط بافراد شعبه والتحدث معهم فهذا شيء معروف ، ولذلك فقد وضع تقليدا جديدا حال تسلمه للسلطة وهو دعوة معظم المواطنين على اختلاف فئاتهم للافطار على مائدته بقصر المسيلة خلال الاسبوع الاول من شهر رمضان الكريم ، وذلك لتتهيا الفرصة له ليتجاذب معهم الاحاديث العادية بعيدا عن الرسميات •

وكان يشدد فى كلماته على التعاون والترابط والتماسك بين افراد الشعب ، ويقول ان شعب الكويت منذ نشاتها كان يرتبط كله برباط عائلى ، ويجب ان نحافظ على هذا الرباط ، ونتمسك بروح ومفهوم الاسرة الواحدة ، ثم يقول: اننى لا اعتبر نفسى اميرا بقدر ما اعتبر اننى والد للجميع • وكان يحاول فى كثير من الاوقات ان يبين ان تقدم الكويت ورقيها لا يتحقق الا بتعاون الجميع ، ويقول : لنمض قدما يدا بيد نبنى هذا الوطن لاسعاد الجميع ، ثم يتمثل بهذين البيتين :

همم الرجال مقيسة بزمانها
وسعادة الاوطان فى عمرانها
واساس عمران البلاد تعاون
متواصل الاسباب من سكانها

وكان رحمه الله يحب الاطفال كثيرا ، ويتاثر للغاية عندما يشاهدهم فى بعض المناسبات بل وتحتبس الدموع فى عينيه ، وتصل هذه المشاعر ذروتها عندما يزور المعاهد الخاصة • فلهذه المعاهد مكانة خاصة فى نفسه • فهو يفتخر بها ويوصى دائما ان تكون ضمن برنامج الرؤساء والشخصيات والوفود التى تزور الكويت •

والد الجميع

ومنذ عودته من انجلترا فى مارس الماضى ، كنت الاحظ تجلده ومقاومته للازمات الصحية التى تمر به • فلم تكن حالته الصحية على ما كانت عليه ، ولكن ارادته كانت قوية • وكان يقوم بواجباته الرسمية وهو يشعر فى قرارة نفسه ان عليه ان يرتاح،ولكنه الواجب وعليه ان يقوم به•

وعندما فاضت روحه الى بارئها كان قد حقق شيئا واحدا من الصعب ان يحققه اى انسان ، وهو رضى الناس • لقد رضى عنه الناس ، وكان هذا الرضى واضحا جليا بهذه الحشود والجموع التى جاءت لتشييعه • وعندما ابنه حضرة صاحب السمو الشيخ جابر الاحمد الصباح امير البلاد ، كانت كلماته تعبيرا صادقا عما يشعر به كل مواطن ، فقد قال سموه حفظه الله :

« لقد كان أميرنا الراحل والدا للجميع، احب الكويت واهلها حبا خالصا فبادلته الحب والاخلاص ، وكان وفيا لامانيها وتطلعات شعبها ، فبادلته الوفاء والولاء • لقد كرس كل حياته منذ صغره لخدمة هذا الوطن ، وبقى يتحمل الاعباء والمسؤوليات على حساب راحته وصحته ، وادى واجبه كاملا حتى آخر لحظات حياته • لقد كان لفقيدنا الكبير رحمه الله وطيب ثراه مكانة رفيعة ومقاما ساميا فى قلب كل مواطن من ابناء هذا البلد الامين ولدى كل من عرفه من ابناء العروبة والاسلام • »

نعم لقد احتل صباح السالم الصباح هذه المكانة فى نفوس المواطنين . وستظل ذكراه عزيزة فى قلوبهم وهم يتوجهون اليوم الى الله سبحانه وتعالى بدعائهم ان يسكنه فسيح جناته مع الصديقين والشهداء والابرار ، وان يكلأ بعنايته ورعايته خليفته صاحب السمو الشيخ جابر الاحمد الصباح ، وان يعينه على تحمل مسؤولياته ، وياخذ بيده ، ويجعل التوفيق والنجاح حليفه • اللهم آمين •

■■

ابراهيم الشطى

في ذكرى عيد الكويت الوطني

العيد والناس

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

هل تساءلت يوما وقد أخذك العيدبطقوسه وغمرته وموجه : ما العيد ؟ ما قصته ؟ وأني يهبط ؟ حين تنتشرالبهجة في الشرايين انتشار الاسهم النارية في جوف الليل عناقيد وثريات،والوانا من الالوان ، حين يضج الاطفال في الساحات ولا أسراب السنونوالربيعي ، ويضرب الطبل هنا ويقوم الرقص هناك ، ويهرول السرور ،زارعا فرحة عند كل باب ، وابتسامة على كل جبين عتيق التجهم ، ويتبادلالناس اللازمة التقليدية : كل عام وأنتم بخير ٠٠ حينذاك هل تساءلت مرة أوتساءلجارك : ما قصةالاعياد والانسان؟

أغلب الظن أنك لم تفعل أبدا وأنهلم يفعل ٠ أهو العيد وكفى ؟ أهو يوم مقدور تنزل في التقويم السنوي من عليين او من حيث لا ندري وقد ورثناه أو اصطلحنا عليه فما عنه من حول ؟

لـن تراني اقف بـك عند اشتات النظريـات الاجتماعية ، في هذا الباب ، وما اكثر واوسع ، ولاعند ابعاد التحليلالنفسي و لاستقرا، وما اعقد واغنى ٠٠٠ فما قصدت الا الى شيء من اللقاء عند اطراف الافكار وشيء من الحديث الطريف ليس غير ٠٠٠

لقد يكون معنى العيد قد ضاع اليوم في زحمة الحياة الصاخبة وضاعت الوانه مع الالوان ٠ لكنك لو ذهبت مع العيد سربا في الزمن حسبته ولد مع الجماعة الانسانية يوم ولدت هذه الجماعة ٠ حتى في الكهوف الاولى كان العيد هناك ٠ ولقد رافق الجماعة الانسانية نقلة نقلة انى كانت وحيثما انطلقت ٠ وكان منذ كانت فرضا اجتماعيا كما كان من طقوس الدين في وقت معا ، وكان فرحا ايضا وأيضا قاسي الحدودرهيب الجدوالجهد،وكانت هذه الجماعة بعد طفلة وظل كذلك يوم بلغت الرشد الحضاري على السواء ٠٠ كل فاعليات الجماعة كانت تحشد لـه على الدوام ، بدائيـة كانت الجماعة في الكهوف وعند ظلمة الغابة، اوحضارية اضعت في القصور المردة وعلى ارائك الحرير وزبد الاضواء، كالشموس !كل فكر الجماعةوثقافتها من مبادىء ومن تصور ديني والهة ومنازع وعلم واساطير كان يبرز فيه ويؤكد ٠ كل فنها منرقص وغناء ولعب ونشيد واصباغ وموسيقى والنعمة وتحف وتماثيل وشعر كان يدخر له ٠ كلنشاطها الاقتصادي ونتاجها من طعام وشراب وخمر كان يقدم فيه ٠ كل قواها من عضلات واعدد وحراب واقواس وسيف مسنون ورمح ومن رباط الخيل كان يستعرض فيه ٠ كل طبقاتها من غني وفقير ، من نبيل الاعرق او سائب الدم ، من محارب او قعيد ، من طفل يشفو او شيخ يدب على ثلاث ، من امرأة تغازل القمر او كهل يشيل الهموم ٠٠ كل اولئك لهم مكانهم في العيد ولهم الادوار٠٠

للعيد وظيفته

فيم ذلك كله ؟ لان للعيد وظيفته الاجتماعية



الكبرى . في حماية المجتمع والحفاظ عليه وعلى تماسكه . انه حاجة انسانية ، وجواب على حاجة انسانية . هو ظاهرة اجتماعية بصورة اساسية فالاعياد لاتكون فردية ابدا . هل تستطيع ان تكون وحدك عيدا ؟ الاعياد جماعية دوما لانها في حياة المجتمع شيء كثير . انها وقفه دورية في مسيرة الجماعة تؤكد قيمها الروحية ومبادئها وطموحاتها الكبرى.ثم انها تاكيد للشعور بعلاقة الفردبالمجتمع، تاكيد يتجدد باستمرار للتعبير عن تضامن الجماعة فيما بينها وعن انسجامها وترابطها الجماعي المكين ، عند مجموعة قدسية من القيم . ثم انها من بعد اندماج جديد في الجماعة التي تستندالفرد وتحميه وتلتقي معه عند المعاني التي يحملهاالعيد بين جناحيه وهي الى هذا وذاك كله خروج على ملل الحياة المألوفة . ان فقدت الحياة طعمها الحريف الملتهب او الفاتر ، في غمرة التكرار اليومي جاء العيد يكسر هذا التكرار ويجدد النشاط والمنطلقات والقيم . وان بهتت العلاقة الروحية التي تربط الارض بالسماء . نبش العيد هذا التراب الارضي من رتابة العادة والهمودودفعه في دنيا جديدة من رؤى الماوراء والغيب . ملاه شعورا بانه اقرب الى الملا الاعلى والى دنيا الاجداد والى كتلة الاخرين ...

هذا وذاك هو سر الفرح الطاغي الذي يرافق العيد . سر تلك المظاهر الطقسية التي تأتيمعه. سر الرخص التي تسمح فيه بالرقص . بالضحك. بالزينات . بالتظاهر . بالنشيد . بالاسهم النارية بالصلاة . بالطعام الوفير . ولدى بعض الشعوب بالسكر والخمر والتحلل ...

وهذاهوايضا سر العطلة وانقطاع العمل في العيد . انها ليست طقوس احترام وتقديس ، في الاصل ، ولكن لان الجماعة مدعوة معا لعمل اخر ، احتفالي، جماعي، فيه الصلاة وزيارة الاجداد في القبور كما فيه الرقص وفيه اللعب، وفيه صلة الرحم كما فيه الاطعام والغناء ونقر الدفوف ...

ولان العيد انفعال جماعي ، شرطه اشتراك الجماعة كلها بعضها مع بعض فان الارتباط به يحدد مستوى الترابط الاجتماعي في الجماعة . المشاركة في العيد متصلة بمقدار المشاركة الحميمة مع المجتمع في قيمه واهدافه وآماله .الست لهذا ياترى ، لاتجد امة بدون عيد ؟ لاتجد شعبا في الدنيا لا اعياد له ؟

حتى المجتمعات البدائية

ومنذ القدم الاقدم عرفت حتى المجتمعات الابتدائية دوره العيد » كقيمة اجتماعية . وكثيرا ما ربطته او لهذا ربطته الربط المباشر بالدين وبالطقوس الدينية ، فهو جزء من العبادات في الحضارات الاولى جميعا . دوما تحضرها الالوهات والاوثان هذه الاعياد . ودوما يحييها الكهنة باكمل الطقوس واللباس ...

ولقد تعددت الاعياد مع الايام وتنوعت . فهي تارة عائلية من زواج وولادة وموت..او اقتصادية، فعيد للحصاد واخر للمطر وثالث للبحر .. او سياسة فذكرى للنصر او للاستقلال او لواقعة خالدة .. او هي لاستعراض القوى كالالعاب

الاولمبية او هي اعياد دينية شكرا لله او تذكرا لعظماء الرجال وقواد الشعوب والمشرعين وللانبياء والقديسين وموتى الاجداد .. لكنها دوما على الاحتفاظ بطقوس الخشوع والصلوات وبدنيا الفرح العارم في وقت معا . ان القدسي لا يفارق العيد، انه جزء منه .

وتمر في الخاطر عابرة كمواكب يوم الحشر آلاف الاعياد التي عرفتها الشعوب في التاريخ ، بالتراتيل والانصاب والمشاعل والزغاريد والاقنعة والضحايا والسكر والصلوات والابواق والاعلام والرقص ... اذا ذكرتها حسبت الدنيا نبعا من الفرح ينسكب في الدروب . وماذا اذكر لأذكر منها ؟

منها مثلا ، من اعياد البابليين الاوائل (يوم راحة القلب) في منتصف كل شهر قمري . اليس للبدر سحره ؟ ومنها من اعياد الحياة والموت ما يمثله تموز البابلي او ايزيس الفرعوني او ادونيس لدى الفينيقيين والاغريق . كلهم تغتاله القوائل فيموت وتبكي عليه السماء، وتتعرى الارض من حليها . فذلك الشتاء، حتى اذا عاد الى الحياة استيقظ الزهر ، وعاد الورق الاخضر للارض .. انه الربيع الم ينضج النبت ثم يهيج فترة مصفرا لتعود الدورة من جديد . ومنها اعياد وفاء النيل في مصر القديمة وفيضان نهر الغانج المقدس في الهند . النهر يعني الحياة هنا وهناك ! ومنها عيد ديوالي ، عيد المصابيح على شرف الالهة لاكشيمي الهندية الهة الخصب يوم تلقي آلاف المصابيح الملتهبة على تدفق الانهر وفي المحيط فالجلد مزروع اقباسا وشعلا !

ومنها من أعياد الصين عيد الباشق (الشوحة). طائرات الورق ذات الذيول الطويلة ، رمز هذ الطائر ، تطير في الخامس من كل شهر خامس في السنة ، لتملأ جو العيد وتطرد اشباح الشياطين بينما يرقص الافعوان المقدس رقصة الاله ولقاء قطبي الحياة (ين) و (يان) الرمزين الكونيين للجنسين الزوجين الذكر والانثى ..

ومنها اعياد الرومان . وما ادراك ما اعياد الرومان يوم لاتملك نفس لنفس قيدا والامر يومئذ للجنون . انها لا تحسب في الزمن وفي عدد الايام والاشهر . فيها مصارعة الوحش والعبيد وفيها الصلاة الخاشعة في المعبد كما ان فيها عبادة الاباطرة وفيها الخمار الذي يجر الأرجل في الطرقات لام الف بعد لام الف .. كانت في عصر الجمهورية ٦٤ عيدا في السنة ثم صارت في عهد الامبراطور تيبريوس ٨٤ ثم زاد الامبراطور الفيلسوف ماركوس اوريلوس الى ١٣٥ ثم اصبحت في القرن الرابع ١٧٥ يوما ...

ولست بمستطيع المضي وراء المهرجانات الصاخبة هنا وهناك ... يكفي ان نتذكر ان معظم هذه الاعياد والطقوس التي نمارس نحن حتى اليوم فانما لها جذورها الواشجة في تلك الايام الاولى . اوليس شم النسيم عيد السنة الشعبي على وادي النيل منذ السنين المؤلفة ؟ وعيد النوروز ، عيد كل ربيع في أجواء ايران منذ المئات والمئات ؟ وأعياد الميلاد هي نفسها منذ العصور الوسطى بمسيرة بابا نويل الاسطوري فيها على الثلج وتسلله من المداخن لايداع الهدايا للاطفال. اذا لم نذكر أيضا أعياد المرافع المشهورة في المانيا وغيرها وأعياد الكرنفال الصاخبة السوداء التي تدوم ثلاثة ايام بلياليها في ريودي جانيرو (البرازيل) ولم نذكر الاعياد الدينية التي تمجد كل سنة ، واعياد القديسين التي يمجد المسيحيون واعياد اليهود والهندوس والاف الملل والنحل ...

في ظل القيم الجديدة

على ان الايام التي ذهبت من تلك الاعياد باكثر مما أبقت جاءت بدلا منها باعياد أخرى لهذا العصر الحديث . القيم الجديدة التي خلقها هذا العصر خلق لها بدورها الاعياد . اختطفت بدورها القدسية. صارت جزءا من كيان هذا الانسان الذي نرى ونعايش . الانسان اليوم يحتفل ، كما كان على الدوام ، بكل انتصاراته ، يحتفل بوجدانه انسانيته على مختلف المستويات . واذا صح ان تكون الاعياد دليلا على تطلعات الانسانية فان الانسان يحتفل اليوم اول ما يحتفل واكثر ما يحتفل بالحرية. لقد حلت محل قيم العهود القديمة ورموزها . اختطفت الهالات التي كانت ترسم حول القديسين . فالانسان يحتفل اليوم اكثر ما يحتفل بها . لايحتفل بالعقل . لقد احتفلت به فرنسا ذات يوم ايام الثورة الفرنسية في عيد ضخم ... فكان عيدا مجنونا ! ومات هذا العيد يوم ولد ... ربما لان الانسانية لم ترتفع بعد الى درجة « العقل » !!

ولكن الحرية هي اليوم القيمة الكبرى ·

في الاحصاء ـ وقد ينفع الاحصاء ـ تفرد شعوب الارض ثلث ايام السنة،كل سنة ، للاحتفال باعياد الاستقلال والجلاء، والتحرر والحرية · مائة واثنان وثلاثون يوما على الاقل يكرسها الناس رسميا لهذه الاعياد ، ان لم نذكر الايام المكرورة والايام الاخرى للثورات والانقلابات يمسح بعضها بعضا·· تكاد لا توجد أمة من الامم على هذه الكرة الطينية التي نسكن ونحب ونكره · ليس لديها عيد استقلال وحرية · بعض دول أوربا العتيقة والمستعمرة (بالكسر) فقط مثل بريطانيا · سويسرا · اسبانيا · البرتغال · ايطاليا هي التي ليس لديها فقط اعياد استقلال ··

وبالمقابل تقيم الامم عددا اخر من الاعياد يعادل نصف الاعياد الاولى عدد لتاكيد هذه الحرية بالقانون · فثمة ٦٣ عيدا للدستور في دول الارض وثمة الى هذا وذاك حوالي ٤٨ عيدا لتمجيد الثورات والمعارك والشهداء وايام التحرر··عدا مايستجد· ودول امريكا اللاتينية هذه تربط هذه الاعياد باشخاص محرريها الكبار · انها تجسد فيهم معنى الحرية الاسمى · فمن عيد «بوليفار» الذي حرر على ظهر حصانه ارضا تزيد مساحتها على اوربا وتؤلف اليوم ست دول ، الى سان مارتين محرر الارجنتين واريتقاس وعيد كولومبوس المكتشف الذي نعرف ··

عيد الحرية

وتحاول الامم اليوم اقحام بعض القيم الانسانية الشاملة على دنيا الاعياد · تحاول رفع بعض المعاني الى مستوى التقديس والفرح العام · تحاول جعلها « اعيادا » ! دول افريقيا بحسب قرار مؤتمر اديس ابابا للوحدة الافريقية تحتفل بيوم افريقيا عدد كبير متزايد من الدول يحتفل بعيد العمال في أول مايو ايار ، عدد آخر يحتفل باعياد الام أو الفلاح أو الشجرة أو الصحة أو النيول أو العلم أو العلم الوطني أو حقوق الانسان أو عيد الهنود الحمر ·· على أنها جميعا اعياد « رسمية » · «ايام مفردة» باهتة الروح ، لا تصل ـ و لم تصل بعد ـ الى الضمير الشعبي حيث يتفجر الفرح العرم وحيث يتسع الشعور بالكل في الواحد وبالواحد في الكل ·· العيد الابرز اليوم في كل أمة ، ما يزال ذلك العيد المتصل بالحرية والتحرر ، المرتبط بتراب الوطن وذكرى الصلة ، ونضال الاجيال من اجله ·الحرية والاستقلال وتحرر التراب الوطني هي القيم التي اقبلت ، في هذا العصر الحديث ، تشد أواصر الامم والشعوب ، وتربط بالرباط الروحي المتين ما بين افرادها · واذا كان ما توارثته الاجيال من الاعياد الدينية ما يزال باقيا يحمل ظلال الذكريات والمعاني التي وجدت من اجلها ، وكانت الاعياد الاخرى الشعبية قد تحولت الى مجرد تقليد سنوي ، وفرصة للهرب وكسر رتابة الحياة فان الاعياد الوطنية والقومية واعياد الحرية هي التي تحتل الان ساحة الفرح · هي التي تستاثر بالزينات والاعلام والمشاعل وعقود النور والريحان··

واذا وضعنا جانبا أعياد المولد النبوي والهجرة والعيدين ، وعيد ميلاد السيد المسيح ورأس السنة وعيد بوذا وكونفوشيوس ، ونسينا اعياد الملوك القائمين في ميلادهم وفي التتويج والرؤساء الحاكمين في ثوراتهم · كان عيد الحرية ، عند كل امة ، هو عيد الاعياد · لانه يجمع ما بين الانسان والارض معا · يمثل حرية التراب القومي وما عليه · يرمز الى قمة القمم التي وصل اليها الانسان بعد قرون وقرون من النضال الحضاري الطويل ·

كتب القراءة الصينية تروي أن ملك الصين الاسطوري سينغ ابتلي بهجوم الشياطين السبعة على اطراف مملكته ، فوجه باولاده السبعة الى تلك الاطراف ووعدهم ان انتصروا أن يوزع بينهم كنوزه كلها التي وضعها في أبراج القصر الملكي الحصين · وعاد الاولاد من معارك الموت يروون بطولاتهم في القتال · يتحدثون عن الهول الذي لقوا وكيف شق هذا بسيفه كتل الغبار والاجساد وكيف نجا الاخر بالاعاجيب من مخالب الشيطان وكيف قطف الثالث رؤوس العفاريت وانتصر ·· وسلمهم الاب مفاتيح الابراج · ولكنهم ويا لدهشتهم لم يجدوا فيها جميعا سوى كيس من التراب !

وجاؤوا اباهم عشاء صامتين ينعون الامال الخائبة · فقال الملك سينغ : بلى يا اولادي هذا التراب هو الكنز الوحيد الذي املك وتملكون وانه ليستحق الموت من اجله كما يستحق فرح النصر الذي به تشعرون · ■■

شاكر مصطفى

حتى اذا كنت سليماً معافياً
هذا النبأ يهمك جداً

اسرار تصلب الشرايين تتكشف!

بقلم : دكتور عبدالمحسن صالح

● يقولون : عمر المرء مقدر بعمرشرايينه !

وهذا قول صحيح الى ابعد الحدود،ففرج الحياة فى انفراجها ، وضيقها وتصلبها فيه ضيق على الحياة . وقديؤدى ذلك الى الوفاة !

ومع الشرايين ايضا ياتى القلب فىالمقام الأول ، فاذا اضطربت القلوب التى تنبض فى الصدور ، فان ذلك ـبلا شك ـ يؤدى الى تاثر كل اعضاء الجسم تاثرا مباشرا بما حدث ، وعلىقدر اضطرابها ، يكون تاثرها ، ولهذا قالوا عن اضطراب القلوب او ازماتهاانها «القاتل الأعظم» فىوقتنا الحاضر.

الاحصائيات العالمية تقول : ان عدد الذين يموتون الان بالازمات القلبية اكثر من عدد الذين يموتون باى مرض اخر ، وان عدد هذه الأزمات يزيد كلما زادت اعمار البشر ، او زحفوا نحو شيخوختهم التى لا مفر منها ولا مهرب .

والواقع أن القلوب يقع عليها العبء الاعظم ، وهى بلا شك صاحبة الجهد الاكبر ، فمع كل نبضة منها ، تنبض فينا الحياة ، فاذا تهاونت فى مجهودها ، أو اضطربت فى عملها ، جاءنا احساس فورى بما حدث ، وعندئذ قد تنتشر فى صدورنا الام تصل الى حدود قد لا تتحملها طاقات البشر .

ولكى نعرف شيئا عن الاعباء التى تتحملها قلوبنا ، كان لا بد ان نشير الى ان قلوب من امتدت بهم سنى العمر قد نبضت اكثر من ٢٫٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نبضة ، وان القلب فى الدقيقة الواحدة يضخ حوالى ربع صفيحة من الدم (خمسة لترات) اثناء استرخاء الجسم استرخاء تاما ، لكن هذه الكمية تزيد كلما زاد المجهود الجسمانى ، حتى تصل الى حوالى ٢٥ لترا فى الدقيقة فى المجهودات الشاقة التى تقوم بها الاجسام الشابة ، الا ان هذه الكمية قد تزيد الى صفيحتين (٤٠ لترا) فى الدقيقة الواحدة مع ابطال السباق .



بروزات او « مطبات » على جدران الشريان(مكبرة تحت الميكروسكوب حوالى عشر مرات)وهذه بما عليها من ترسبات الكوليسترول قد تؤدى الى تصلب الشرايين او ضيقها ، واحيانا ما تتسبب فى تكوين الجلطات التى قد تؤدى الى ازمات قلبية ، وقد تكون قاتلة (انظر الاشكال التوضيحية التى تسبب هذه البروزات او المطبات) ٠

بعملية حسابية أخرى نقول : لو أننا أخذنا فى الاعتبار المجهودات التى يقوم بها الانسان العادى فى اليوم ، فان متوسط كمية الدم المضخوخ تصل ما بين ٧ ـ ٨ لترات فى الدقيقة ، وعليه فان كمية الدم التى يضخها القلب تصل الى أكثر من عشرة آلاف لتر يوميا (أى عشرة أطنان ويزيد) ، أى بواقع ٣٫٦٠٠٫٠٠٠ لتر سنويا (٣٦٠٠ طن) ٠٠ ويقال أيضا ان الطاقة التى يبذلها القلب فى اليوم الواحد تكفى لرفع قاطرة من قاطرات السكك الحديدية لمسافة متر واحد !

وطبيعى ان كل مجهود يبذل ، يستلزم طاقة تستنفد ، والطاقة فى أجسامنا تحتاج الى وقود (سكر) واوكسجين ليحترق هذا مع ذاك ، ويولد ما تحتاج اليه الخلايا من طاقات ، ولهذا كان على القلب أن يغذى نفسه من خلال شريان خاص يتفرع بين عضلاته وخلاياه على هيئة شبكة رائعة، ليضمن من خلالها ورود خيرات الجسم الى كل خلية فيه ، وعلى حسب كفاءة هذه الاوعية وانفراجها او اتساعها ، يكون الفرج على الخلايا، لكن « نعمتها » لا تدوم ، فكل شيء بمرور العمر يتاكل ويستهلك ويتغير الى أمور فى غير صالح الحياة ، ومن هذا التغير الخطير ـ الذى يطرأ على اوعيتنا الدموية ـ يبرز ضيق الشرايين او تصلبها ٠٠ وفى اسباب هذا الضيق حارت البرية، وخرج كل عالم او مجموعة من العلماء فيه بنظرية، ولكل نظرية من الادلة ما يساندها ، ومع تقدم البحوث فى هذا المضمار ، فلا تزال معدلات الأزمات القلبية فى ازدياد !

فى الولايات المتحدة الامريكية يموت حوالى مليون شخص سنويا من جراء الأزمات القلبية وحدها ، ولقد تبين أن ٧٥٪ من الذين ماتوا بالقلب كان بسبب ترسب مادة الكوليسترول على جدران الاوعية الدموية ، وهذا من شانه ان يؤدى الى ضيق الشرايين وتصلبها ، ومن المعروف ان مادة الكوليسترول هى احدى نواتج تحول المواد

الدهنية ، وكان عدد الذين ماتوا بالازمات القلبية ممن هم تحت سن الخامسة والستين حوالي ٢٦٠ الفا ، في حين أن الباقي اي حوالي ٧٤٪ كانوا فوق هذه السن ، وهذا يعني أن أمراض القلب هي امراض الشيخوخة او تقدم العمر •

وتشير التقارير الى أن ما تتكلفه الـولايات المتحدة وحدها من جراء العناية بمرضى القلب ، او البحوث التي يقوم بها العلماء والاطباء لمعرفة اسباب هذا المرض القاتل تقع في حدود ٢٧ الف مليون دولار سنويا !

والواقع ان امراض القلب والشرايين تزيد في الدول الصناعية المتقدمة عنها في الدول النامية، ولهذا يقولون عنها أنها من امراض المدنية ، في حين ان روماتيزم القلب هو مشكلة الدول النامية والمتخلفة ، وهو ينتج عادة من اصابة بالميكروب السبحي الذي يسبب حمى روماتيزمية عند الاطفال ، مما يؤثر فيما بعد على صمامات القلب •

ولقد اجريت عشرات الالوف من البحوث على ظاهرة تصلب الشرايين او ضيقها ، لكن أحـدا منها لم يستطع ان يكشف سرها ، ومع ذلـك فالاحصائيات البيولوجية تشير الى عدة عوامل يقال ان لها دخلا في ضيق الشرايين •• من ذلك مثلا تبرز العوامل الوراثية ، والتغذية الغنية بالمواد الدهنية ، والاجهاد النفسي أو التوتر العصبي ، وتدخين السجائر ، والعمـل المتراخي الذي لا حركة فيه ولا نشاط (كالعمل الذهـني مثلا) ، وارتفاع ضغط الدم ، والسمنة ، وغير ذلك من عوامل ثبت انها مصاحبة للازمات القلبية في كل أنحـاء العالم •• صحيح أن لكل قـاعدة شـذوذ ، الا أنه لا حكم في ذلك على الشواذ ، فهناك مثلا من يدخنـون بشراهة ، فلا يصـابون بازمات قلبية ، وهناك من لا يدخن ، فيصاب بها ، لكن التحليل الاحصائي الذي يضـع في الاعتبار عددا كبيرا من الحالات ، يشير الـى العموميات ، ولا شأن له بهذه الحالات الاستثنائية او الفردية ، اذ لا بد ان امراضها تنبع من عوامل اخرى غير التدخين ، وهذه تؤخذ طبعا في الحسبان•

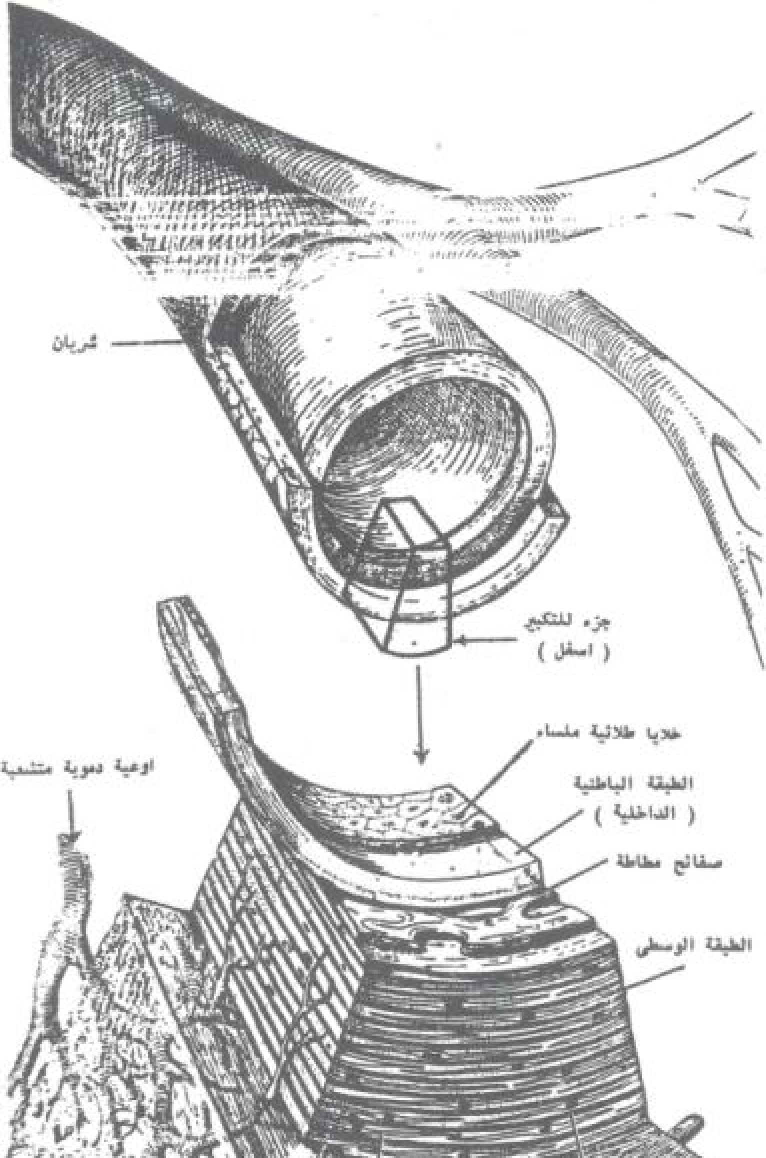
ترسيبات مريبة

الفحوص الميكروسكوبية التي اجريت علـى ظاهرة تصلب الشرايين تشير الى ترسيبات مريبة ، وطبيعي أن هذه الترسيبات تزيد بزيادة العمر ، لكن العامل البشري او البيولوجي هنا مختلف ، بمعنى ان اثنين في العمر ذاته قد يختلفان اختلافا واضحا في الترسيبات التي حدثت على شرايينهما، فترى الشريان في احدهما مثلا لا يزال في حالة جيدة ، او ان الترسيبات فيه ليست سيئـة ،في حين ان شريان الاخر به من الترسيب والضيق ما لا يمكن ان تستمر معه حياته سهلة لينة ، لان كفاءة أداء الخلايا والانسجة والاعضـاء لوظائفها، تتوقف على كفاءة توصيـل الاوعيـة الدمـوية لسوائلها •• مثلها في ذلك كمثل أنابيب المياه في المنازل ، او القنوات في الحقول ، فاذا ترسبت في هذه أو تلك المواد العالقة في الماء ، كان لا بد أن تقل كفاءتها ، ما لم نسارع بازالتها وتطهيرها ، الا أن تطهير الانابيب والقنوات امر ميسور ، ولا يحتاج الى بحوث وفلسفة ، فـي حين أن الترسيبات التي تنتشر على الاوعيـة الدموية تتداخل فيها عوامل كيميائية وفيزيائية وبيولوجية يطول شرحها ، لكن دعنا نتعـرض لبعض وجهات نظر العلماء في تفسيرها من خلال بحوثهم المستفيضة في اسرارها !

من طوكيو يقدم لنا البروفيسور تاكيو شيما موتو ، ومعاونوه شرحا معقولا لكيفيـة ترسيب الكـوليسترول على الجدران المبطنـة للاوعيـة الدموية • فبمساعدة الصور الدقيقة التي قدمها الميكرسكوب الاليكتروني يتضح ان الخلايا التـي تحيط بالوعاء من الداخل متلاصقـة ومتداخلـة بحيث ينتج من نظامها سطح سوى لا عـوج فيـه ولا بروز ، وطبيـعي أن الخلايا تضم بينهـا مسافات جد ضيقة ، وخلال هذه المسافات تتجول السوائل التي تحمل الغذاء او نفايات الحياة ، وفي هذه المسافات البينية يمكن ملاحظة ترسيبات من الكوليسترول بكميات ضئيلة للغاية ، وبحيث لا تشكل أية بروزات او تغيرات تذكر •

لكن من طبيعة خلايا هذه الانابيب الدموية انها لينة مطاطة مرنة ، وهي لهذا تتقلص احيانا ،

رسم يوضح الانابيب الدموية ثم رسم آخر (اسفل) تظهر فيه طبقات من فوق طبقات من خلايا مختلفة تدخل في تكوين جدر الشرايين التي لا بد ان تكون ملساء مستوية ناعمة •


شريان
جزء للتكبير
(اسفل)
خلايا طلائية ملساء
اوعية دموية متشعبة
الطبقة الباطنية
(الداخلية)
صفائح مطاطة
الطبقة الوسطى
الياف مرنة
خلايا عضلية رقيقة
الياف بروتينية وسكرية
(كولا جين)

واحيانا اخرى تتمدد ، وبهذا تعطي الفرصة للمسافات البينية بان تكبر وتصغر ، وهذا من شانه ان يعطي الفرصة لمزيد من الكوليسترول بالترسب كلما وسعت المسافات بين الخلايا .. العملية لاشك بطيئة ، لكن اعطها عمرا ، تعطيك مزيدا من الترسيب ، ومزيدا من التصلب او الضيق !

لكن تمدد هذه الاوعية او تقلصها تسببه عوامل شتى ، بعضها انفعالي او فيزيائي او كيميائي او راجع الى نوع التغذية ، وكلما اشتغلت هذه العوامل بمعدلات اكبر ، حدثت الترسيبات اسرع ، وظهرت «المطبات» على جدر الاوعية بشكل اوضح ، وهذا من شانه ان يعوق سريان الدم ، او بسبب تكون الجلطات التي قد تسد شريانا حيويا يغذي عضلة من عضلات القلب ، فيؤدي الى ازمة قلبية مفاجئة .

ولقد امكن تكوين هذه الترسيبات في حيوانات التجارب بتعريضها للعوامل التي ذكرناها ، وقد امكن ايضا منعها بمادة « الانجينين » المضادة لهذه الترسيبات في حيوانات التجارب ، ويبقى ان يجربوها على الانسان ، بعد ان تقيم نتائجها في عالم الحيوان !

اختلافات العوامل الوراثية

ومن ناحية اخرى يخرج علينا دكتور كيرتس هامس الامريكي بعد دراسة طويلة بأنباء تقول انه لاحظ وجود اختلاف في العوامل الوراثية بين الناس ، وبهذه العوامل تستطيع ان تتحدى او تجابه عوامل الاجهاد النفسي والبدني بدرجات متفاوتة ، فالذي لديه مقاومة حميدة ، كان اكثر تجنبا للازمات القلبية ، والذي لا يقاوم مصاب في اغلب الاحيان (وكذلك الحيوان) يجابه تحديات الاجهاد من خلال افراز هرمونات الغدة الكظرية او الادرينالية (الغدة فوق الكلية) ، فيزيد تبعا لذلك الكوليسترول في الدم ، ويرتفع بذلك احتمال تكون الجلطات التي تحدث ازمات قلبية قد تكون قاتلة ، وطبيعي انه على حسب درجة الاختلافات الوراثية بين الافراد ، واختلاف استجاباتهم لضغوط الحياة ، تختلف الافرازات الهرمونية التي تلعب دورا هاما في احداث تغيرات كيميائية في الجسم ، وعلى حسب درجة هذه التغيرات ، تكون الازمات او لا تكون !

ثم يذهب كل من دكتور ماير فريدمان وراي روزمان الى ابعد من ذلك ، ويشيران الى انهما من خلال فحص حالات كثيرة ، يتبين انه يمكن تقسيم البشر الى مجموعتين أساسيتين : فالمجموعة (أ) ذات الانفعال الزائد نحو اي اجهاد او ضغط او اثارة ، والتي تتصف ايضا بقلق وتوتر دائم ، لها قابلية للاصابة بالازمات القلبية ، ثم تراهما يضعان هؤلاء الاشخاص تحت اختبارات لمعرفة مدى العصبية التي تسيطر عليهم وهم يحاولون حل مسالة من المسائل التي تحتاج الى انتباه وتركيز ، فاذا احسوا باجهاد ، نبطت عزائمهم وتركوا ما أوكل اليهم وهم في حالة من خيبة امل يرثى لها ، وهؤلاء ينتمون الى المجموعة (أ) ، في حين ان افراد المجموعة (ب) لا يسامون ولا ينشئون ، بل تراهم يقبلون على التحديات بصدر رحب ، واعصاب لا ثورة فيها ولا اضطراب !

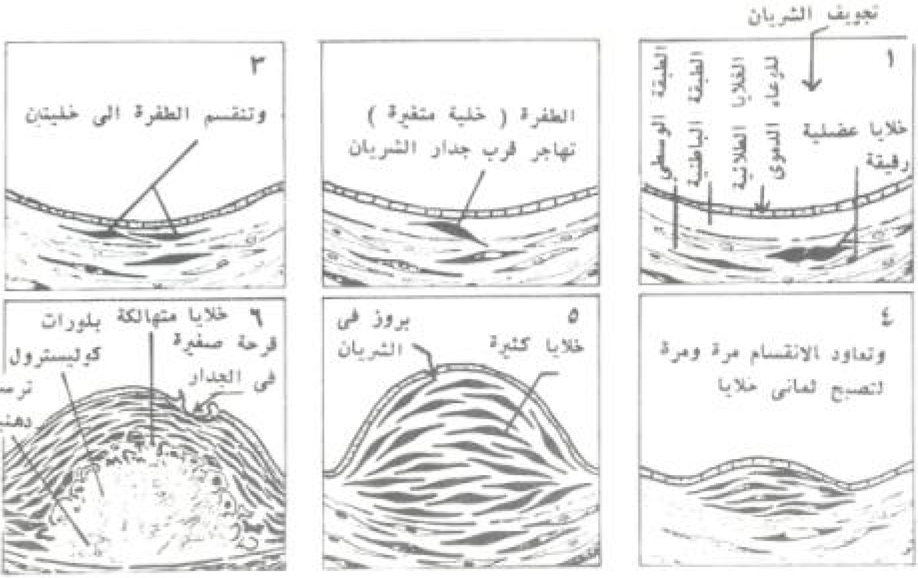
كما ان دكتور هنري راسك قد نشر بحثا اشار فيه الى ان هناك علاقة بين الاجهاد النفسي والبدني الذي يتعرض له الناس في أعمالهم او مع رؤسائهم ، وبين حدوث الازمات القلبية ، فكلما زادت الضغوط ، زادت الازمات !

اي ان كل هذه البحوث وغيرها تشير الى ان قلوبنا وشراييننا تتاثر بعوامل نفسية وذهنية وبدنية وكيميائية ووراثية ... الخ .. الخ ، وكانما الحقيقة قد ضاعت وسط متاهات من بحوث لا اول لها ولا آخر .. لكن ماذا تفعل هذه العوامل بالضبط ، أو ما الذي يمكن أن تغيره في شراييننا حتى تصاب بالضيق او التصلب ، فهذا ما لم يهتد اليه احد منذ سنين طويلة .

والى هنا يبرز سؤال هام : هل سيبقى ذلك السر مدثرا بالغموض رغم هذا التقدم العلمي الجبار الواقع ان هناك بارقة من امل ، اذ بدات بالفعل بعض بشائر السر تتضح .

المشكلة : خلية متغيرة

من جامعة واشنطن ، ومن قسم البالولوجي الذي يراسه البروفيسور ايرل بيندت أجريت بحوث طويلة وعميقة على تصلب الشرايين .وشارك فيها عدد كبير من الباحثين تحت اشراف بيندت ، ونحن لا نستطيع أن نتعرض لها هنا بالتفصيل لاكثر من سبب ، فهذا ليس مجالها ، كما انها تحتاج الى صفحات طويلة ، وفيها متاهات علمية



ست خطوات توضح كيف تطفر خلية واحدة فتنقسم الى اثنتين ، فتهاجر احداهما وتنقسم عدة مرات لتكون بروزا او ورما حميدا ،وقد تظهر في هذا البروز ندبة او قرحة تؤدي الى تكوين جلطة (كما هو واضح في الشكل رقم ٦)

لا يعرفها الا اربابها ... الخ ، ولهذا فعلينا ان نقدم ما وصل اليه بيندت وزملاؤه باختصار .

فمن خلال الدراسات الكيميائية والوراثية والفحوص بالميكروسكوبات الاليكترونية تجيء النتائج لتشير الى ان ضيق الشرايين او تصلبها يرجع الى طفرات من خلايا الاوعية الدموية ذاتها ، والطفرة تعني ان خلية من خلايا الوعاء الدموي قد تغيرت في بعض صفاتها الوراثية . وبهذا التغير تكون قد حادت عن الطريق القويم الذي تلتزم به خلايا الجسم فلا تحيد عنه ولا تميل ، وكان من الممكن أن تعيش هذه الطفرة في سلام ، الا ان الامر يتطور الى نتائج اخطر .

فهذه الطفرة او الخلية المتغيرة تبدأ في الانقسام الى خليتين ، ثم تهاجر واحدة منهما الى حيث تستقر تحت الغشاء المبطن للشريان ، وتبدأ بدورها في الانقسام ، والذي يشجعها على ذلك عوامل لم تحدد بالضبط او تدرس دراسة وافية ، المهم أنها تستمر في الانقسام ، فتتكاثر الخلايا وتبرز ، كورم ، صغير يظهر في تجويف الشريان ، فيبدو وكأنما عليه ترسيبات مختلفة الاحجام ، ولهذا ظنها معظم الباحثين انها ترسيبات من الخارج ، وهي ليست كذلك ، بل هي خلايا تشبه الورم المحمود او غير الخبيث ، وطبيعي ان هذا النمو الخلوي غير المرغوب فيه سوف يؤدي ان آجلا او عاجلا الى ضيق الشريان ، والاقلال من معدل سريان الدم فيه ، وقد يكون ذلك محتملا ، الا أن الامور تسير من سيء الى أسوأ ، فتبدأ بعض هذه البروزات في التحلل والتآكل ، وعندئذ تظهر على سطوحها ما يشبه الندب او القرح الصغيرة ، فيساعد ذلك على التصاق صفائح الدم وكراته على اى سطح غريب (اى على الندب) ، ومن هنا تتكون جلطة صغيرة ، الا انها لا تزال تنمو وتنمو ، حتى تسد الوعاء الدموي ، وتمنع انسياب الدم ، فيؤدي ذلك الى موت عضلة في القلب ، او توقفه عن الضخ فتكون الازمة القلبية القاتلة .

والواقع ان حدوث الطفرات (تغير الخلايا) امر لا مفر منه ولا مهرب ، فالمعروف ان خلايا اجسامنا تطفر باستمرار ، وان معدل هذه الطفرات قد يصل في اليوم الواحد الى مليون طفرة ، ثم ان هذا المعدل يزيد بزيادة العمر ، والذي يجعل الخلايا تطفر وتتغير عوامل كثيرة .. بعضها وراثي او كيميائي او اشعاعي او طبيعي او كل هذه العوامل مجتمعة،ولا احد في وقتنا الحاضر يستطيع

أقوال معاصرة



■ اقترحت عام ٥٩ ادخال اسرائيل فى الجامعة العربية ، وكان ذلك مزحا بنسبة ٥٠٪ فقط ·

الملك الحسن الثانى

■ نريد ان نتخلص من الاسلوب اللا اخلاقى فى بيع السلاح ·

الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان

■ كل الانظمة متورط فى خرق حقوق الانســان ، ولا فرق فى ذلك بين نظام شيوعى أو رأسمالى ·

من تقرير لمنظمة العفو الدولية

■ خلافات فصائل النضال فى ارتيريا عميقة حقا ، ولكن هذا يؤكد انتماءنا العربى !

تصريح لمسئول فى جبهة تحرير ارتيريا

■ اريد ان اتقاعد فى سيناء !

« مناحيم بيغن »

■ لنهر الاردن ضفتان ، ضفة لنا ، والضفة الاخرى لنا ايضا !

انشودة صهيونية

ان يمنع هذه الطفرات ، فحدولها جزء لايتجزأ من الحياة ذاتها ، ثم ان تنوع صور الحيــاة ــ منــذ نشأتها حتى الآن ــ يرجع فى المقام الاول الى حدوث هذه الطفرات ، فمنها الحسن ، ومنها السيىء ، فاما الحسن فيدفع الحياة خطوة الى الامام فى طريق التطور ، وأما السيىء فيقضى على نفسه ، وعلى من اواه ·· فالسرطان مثلا طفرة خلويــة سيئة غاية السوء ، وتصلب الشرايين بسبب طفرة اخرى اقل سوءا ، أو قل انها ورم صغير محمود ، ثم أن جزءا من ضعف الجسم وشيخوخته فى اخريات العمر يرجع الى محصلة هذه الطفرات.لأن الخلايا التى تطفر او تتغير تسىء اليه ولا تنفعه ، ثم ان الجسم قد يجهز لها بروتينات مضادة ليحاربها أو يبيدها ، أى كأنما الجسم هنا يعلن الحرب الاهلية على نفسه ، وهذا يعنى أنه يقتل جزءا من خلاياه التى طفرت ·· الى آخر هذه الفوضى التى تتسلط على جسم الانسان لتدفعه نحو نهايته المحتومة ·· والموضوع بعد ذلك طويل ، لكن يكفى ما قدمناه فاوجزنا ·

تدخين السجائر مثلا

هل يعنى ذلك أن العلماء السابقين كانوا جميعا فى بحوثهم واستنتاجاتهم خاطئين ؟ ·· وكيف اذن نفسر ازدياد معدل تصلب الشرايين بالعوامل التى ذكرناها قبل ذلك ، ومنها التدخين وارتفاع ضغط الدم والانفعال والكوليسترول والغذاء الدهنى ·· الخ ·· الخ ؟ ·· وهل يعنى ذلك ان هذه العوامل ليس لها الآن دخل فى الازمات القلبية ؟

الواقع أن لها دخلا ·· خذ مثلا تدخين السجاير، فهذا يؤدى الى اطلاق عدة مــواد عضويــة وغيــر عضوية ، فتنفذ مع الدخان الى الرئتين فالدم ، وتؤثر فى الخلايا ، وتساعد على حدوث الطفرات ، وهذه النتيجة معروفة من زمن طويل ، ولهذا فان ماوصل اليه البروفيسور بيندت وزملاؤه لايتعارض مع هذا العامل.فدخان السجائر فيه مكونات تحدث الطفرة ·

او خذ مسالة الكوليسترول فى الاعتبار ،فبعض مشتقاته (وبالتحـديد مشتق اسمـه ابيوكسيد الكوليسترول) تساعد على احداث الطفرة ، وكلما

■ لا أنكر اننى بكيت ، لكنى رفضت ان اطلب الرحمة من العدو .

المناضلة الفلسطينية فاطمة البرناوى

بعد ١٠ سنوات قضتها فى سجون اسرائيل

■ الصحافة اللبنانية التي فى الخارج الان لم تساهم فى انشاء لبنان الجديد ، لانها لا تستعمل حرية الخارج ، وتستعمل كل مساوئها فى الداخل .

ميشال ابو جودة

■ الحديث عن اطلاق حرية التجارة فى هذا العصر ، يعد امرا مضحكا ومثيرا للسخرية الشديدة .



جورج مينى رئيس اتحاد العمال الامريكى

■ ما من عربى او مسلم يقبل ضم القدس الشرقية الى اسرائيل .

اللورد كارادون ـ مندوب بريطانيا السابق فى الامم المتحدة .

■ اصدر الرئيس بوكاسا قرارا بسجن الطلبة الذين أجابوا فى الامتحان بأن افريقيا الوسطى جمهورية وليست امبراطورية!

وكالات الانباء .

زاد الكوليسترول فى الدم ، زادت مشتقاته تبعا لذلك ، وزادت الطفرات ، وزادت «المطبات» ـ نعني تلك البروزات التى تسبب تصلب الشرايين، او تساعد على توليد الجلطات القاتلة .

ومن السويد يجيء بحث حديث ليشير الى ان ارتفاع ضغط الدم يساعد على تكسير جزئيات المادة الوراثية فى الخلايا ، وهذا من شانه ان يغيرها ، اوبمعنى اخر نقول انها طفرت ، وقد تؤدي الطفرة الى انقسام وتكاثر ، وقد يصبحهذا التكاثر فى وعاء دموى ، فينتج ضيقا ، او قد يصبح التكاثر خبيثا ، فيولد سرطانا ، ولهذا يشير عالم الأوبئة دكتور ايرنسب ويندر الىوجود علاقة بين ارتفاع ضغط الدم والسرطان وتصلب الشرايين ، وهذا كله لايتعارض مع النتائج التى حصل عليها بيندت .

بقيت كلمة اخيرة : هل يعنى هذا ان تصلب الشرايين سيبقى بدون حل او علاج ؟

ان هذا السؤال يحملنا على التعرض لسؤال اخر : وهل يمكن وقف زحف الشيخوخة ؟

والاجابة على هذا السؤال او ذاك تتطلب منا ان نتصدى للخلايا فلا نجعلها تطفر او تتغير علما بان الطفرة احدى نواميس الحياة ، فهى تنتج من عوامل متعددة ، ونحن لانستطيع ان نتصدى لهذه العوامل ، اللهم الا اذا اوقفنا الحياة ذاتها ، او تصدينا للكون باشعاعاته .

فكل خلايا جاءت لتعيش ، لا بد ان تتعرض نسبة ضئيلة منها للطفرة او التغير ، فالحياة نفسها ليست جامدة ، بل هى فى ديناميكية متغيرة .. صحيح اننا لانستطيع ان نتغلب على الشيخوخة وعلى نواتجها ، لنهب الانسان حياة ابدية ، الا انه بمقدور الطب والعلم ان يجنبا الانسان بعض مضاعفاتها ، وهذا ما نراه حقا فى اطالة متوسط الاعمار بين الناس ، فحيث كان هذا المتوسط منذ خمسين عاما مثلا يقع فى بعض الشعوب فى حدود ٤٠ ـ ٤٥ عاما ، أصبح الان ما بين ٦٥ ـ ٧٠ عاما .

وكم انقذ الطب من ازمات قلبية .. لكنه لا يستطيع ان يتصدى لناموس الكون والحياة . ■■

الاسكندرية : **عبد المحسن صالح**

التغريب أو الهلاك !

ليست هذه قضية نظرية ، ولكنها مشكلة حضارية ، في غير المعنى الذى باتت كلمة « حضارة » تستهلك فيه هذه الايام !

عندما ندعو الى فتح الابواب والنوافذ ، لنملأ صدورنا بالهواء الصحي والمنعش ، نكتشف ان الابواب والنوافذ لاتمرر الهواء النقي وحده، ولكنها تحمل الينا الجراثيم ايضا، وان ما نظنه صحة وحيوية لنا ، قد يكون فيه مقتلنا !

وازاء موقف كهذا ، فان رد فعل البعض قد يتحول الى دعوة ملحة الى اغلاق الابواب · وأمثالنا العامية في صف هذا الحل ، اذ « ان الباب الذى تأتيك منه الريح ، اغلقه لتستريح » ·وثمة فريق اخر لا يرى العيب في الابواب والنوافذ ، ولا في الهواء والتيار، ولكنه فينا نحن · اذا كنا محصنين بما فيه الكفاية فلن يضيرنا الهواء بجراثيمه ،واذا كنا غير محصنين فهذه مشكلتنا ، وعلينا ان نتسلح بالشجاعة لنحلها ،والا نحمل غيرنا مسئوليتها·

ومنذ طرحت للمناقشة قضية تجديد الفكر الديني وتحديثه ، كانت الدعوة الى مصادرة « الفكر المستورد » تتردد في الكثير من التعليقات ، وفي مقال سابق (عدد ديسمبر) قلت ان منهج تقسيم الفكر الى محلي ومستورد مرفوض ، وان الاولين والاخرين ـ العقلاء منهم والمستنيرين ـ لم يعتمدوا التقسيم الجغرافي للفكر الانساني· بل كان شعارهم هو الحديث الشريف : « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو احق الناس بها » · وقلت ايضا ان الفكر اما نافع نغترف منه بغير تردد، او ضار نستبعده ايا كان مصدره ·

وتساءلت في النهاية : لماذا لا نتعامل مع فكر الاخرين وحضارتهم بثقة وبغير احساس بالنقص ؟

لكن المسالة يبدو انها ليست بهذه السهولة، وان « الانتقاء » منهج قد يقبله المنطق ، لكن سنن التاريخ لا تسلم به عندما يتعلق الامر بالحضارات ، وبالحضارة الغربية بوجه خاص· اذ نحن في عصر لم يعد يحتمل منطق « القبض » بغير دفع « الثمن » · بمعنى أنه اذا اخذت شيئا فلا بد ان تدفع ثمنه ، على الفور ربما ، بالتقسيط وعلى اجال طويلة ربما · لكنك لابد ان تدفع رضيت ام كرهت ·

ووجهة النظر هذه يتبناها المؤرخ الشهير آرنولد توينبي ، وقد سجلها في كتاب صغير له صدر في الخمسينات موضوعه « العالم والغرب » يقول فيه : ان كل حضارة مثل كل طريقة حياة· هي كل لا يتجزأ ، اقسامها متداخلة بعضها ببعض ـ و ·· « ان سر تفوق الغرب على سائر الشعوب في الفن العسكري ـ مثلا ـ منذ القرن السابع عشر ، لا يكمن فقط في استخدام اسلحة غربية ، وفي طريقة تدريب الجيوش·· بل هو كامن في فكر المجتمع الغربي وروحه · وفن الحرب في الغرب ما هو في الواقع الا احد وجوه طريقة العيش الغربية · واى مجتمع غريب يرغب في تعلم هذا الفن دون ان يحاول تبني طريقة العيش نفسها يكتب له الفشل حتما ··

ثم يعود توينبي ليؤكد ويحذر : ان اى عنصر حضارة منعزل منفصل يمكنه ـ كالامراض المعدية السارية او ككهرب منفصل عن الذرة ـ ان يصبح فتاكا عندما يكون منفصلا عن النظام الذى كان جزءا منه ، خاصة اذا ترك المجال امامه حرا في وسط جديد · اما في اطاره

الاصلح فان هذا العنصر الحضاري او تلك الجرثومة او ذاك الكهرب ، لا يستطيع ان يحدث اضرارا لانه يكون جزءا من كل ٠

وتوينبي بذلك ينسف فكرة التفاعل بين الحضارات ، ويؤكد فكرة سيادة الحضارة الغربية ، قائلا ان الغرب أصبح مدافعا لاول مرة في التاريخ ، عندما حاصر الاتراك فيينا عام ١٦٨٢ ـ ١٦٨٣ ، لكنه تحول بعد ذلك الى قوة كاسحة ومهاجمة ٠ وان الذى لا يرغب فى الخضوع للسيطرة الغربية ، عليه ـ اذا اراد ان يبقى ويستمر ـ ان يستخدم اسلحة الغرب، اى يستبدل هذا الموقف بالخضوع للحضارة الغربية ٠ وهذا ما فعلته روسيا القيصرية في عهد بطرس الاكبر ، اذ حمت نفسها بالتقنية (التكنيك) الغربية ٠ وهو ذاته ما فعلته روسيا الشيوعية ، اذ تسلحت الى جانب التقنية الغربية ، باختراع غربي آخر هو « الماكسية» التى صنعت فى المانيا وانجلترا على ايدى كارل ماركس وفريدريك انجلز ٠

ويستشهد توينبي ايضا بتركيا ، قائلا انه منذ تحللت الامبراطورية العثمانية ، وهزمت جيوشها فى الحرب الروسية التركية (١٧٦٨ ـ ١٧٧٤) ، بدأت تتطلع الى الحضارة الغربية ، لتقتبس نظمها العسكرية ومضت بطيئا على هذا الطريق، حتى كان على تركيا ان تختار عام ١٩٢٠ بين امرين : الهلاك او التغريب وقد فضل الشعب التركي ان يعيش مهما كان الثمن٠

وابن خلدون له وجهة نظر اكثر تعميما اذ يقول فى (المقدمة) التى كتبها قبل توينبي بحوالى ٦٠٠ عام :

ان المغلوب مولع ابدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته ، وسائر احواله وعوائده ٠

●

خلاصة هذا الكلام ومؤداه ان التغريب هو قدرنا ، واننا اما ان ننعزل عن العصر ونهجره الى الصحراء ونرفض كل منجزاته ،كما فعل فى بداية هذا القرن الوهابيون والسنوسيون والادارسة والمهرية وهم الذين شنوا حربا على الاتراك ودعوا الى تكفيرهم لانهم خانوا الاسلام باقتباسهم عن الغرب ،على حد تعبير توينبي ، اما ان نفعل كما فعل هؤلاء ، او نفتح ابوابنا لريح الغرب لتجتاحنا وتقتلعنا ، وتقذف بنا الى الهواء أو الهاوية !

وازاء هذا لاتجدى دعوة محمد اسد الكاتب النمساوى المعروف فى كتابه « الطريق الى مكة » الى تبنى الوسائل الغربية الحديثة فى العلوم والفنون الصناعية ، ورفض اشكال الحياة الغربية وقيمها الاخرى، ولايكون هناك محل لقول « مولانا » ابى الحسن الندوى أمين ندوة العلماء فى الهند : اننا بحاجة الى «العبقرى العصامي الذى يعامل الحضارة الغربية ـ بعلومها ونظرياتها واكتشافاتها وطاقاتها كمواد خام ـ يصوغ منها حضارة قوية عصرية مؤسسة على الايمان والاخلاق والتقوى والرحمة والعدل فى جانب ، وعلى القوة والانتاج والرفاهة وحب الابتكار في جانب آخر » ٠

وفي الوقت ذاته ، فان مقولة اقبال عن التقاط الحبة دون الوقوع فى شبكة الصياد (يعنى السقوط فى براثن الحضارة الغربية) ،هذه المقولة تصبح مجرد امل داعب خيال شاعر حسن النية ، لايتمتع برؤية واقعية سليمة ٠

●

هل هذا هو الخيار الوحيد حقا : اما التغريب واما الهلاك ؟ ٠٠هل الصورة بهذا القدر من التشاؤم ؟

تعالوا نقلب الامر ، ونناقشه ، لعلنا نجد مخرجا ٠

تقول لنا صفحات التاريخ الاسلامي انمجتمعاتنا ـ التى نحاول انقاذها الان ـ مرت بتجارب ثلاث فى احتكاكها بحضارات الاخرين.

كانت التجربة الاولى فى القرنين الاولوالثانى الهجريين . والمجتمع الاسلامى يحبو فى عالم الحضارة ، بينما تحيط به حضارتانعظيمتان : اليونانية فى الغرب والفارسية فى الشرق . وكانت الحضارتان غنيتين فى العلوموالصناعات والثقافة والادب ، بينما المجتمع الاسلامى مسلحفقطبالعقيدةالراسخة والتصميمعلى بناء الدولة وتبليغ الرسالة ، وقتئذ لم يتردد المسلمون فى الاخذ من غيرهم بثقة بالغة،دون ان يهتز شيء فى هذا المجتمع الثابت الاقدام . وهو ماتعرضت له فى مناقشة سابقة(عدد ديسمبر) .

والتجربة الثانية كانت فى القرن السابعالهجرى ، عندما استولت جحافل التتار على قلب العالم الاسلامى ، سياسيا وعسكريـاخضع المسلمون لهم . لكن الفاتح الجديد كان خليطا من القبائل البدائية المتخلفة القادمة منأواسط آسيا ، والراغبة فى السلب والنهب والتوسع.لم تكن لهذا الفاتح الجديد حضارة،كما لم تكن له عقيدة أو قضية.ولم يكن هناك ـ بالتالى ـ محل لانصهار المجتمع الاسلامىالمفتوح فىحضارة الفاتحين وقيمهم.لكن العكس هو ماحدث ، اذ بدات الامة الفاتحة تتاثـربحضارة وقيم المجتمع الاسلامى المهزوم سياسيا وعسكريا.وبمضى الوقت اعتنق التتار الاسلام،وذابوا فى حضارة المسلمين وعقيدتهم ، بل وتحولوا الى حماة للاسلام وفاتحين باسمه ،ومؤسسين لدولته القديمة فى الهند،خلال قرن واحد من الزمان .

وكانت التجربة الثالثة فى نهاية العصرالعثمانى ، وهى الفترة التى كان المسلمون فيها مهزومين حضاريا ،حتى قبل ان يخوضوااى معركة . وهى المرحلة التى يتحدث عنها توينبى ، والتى كان خيار الاتراك فيها بينالتغريب او الهلاك .

●

ثمة ثغرات حقيقية فيما يقوله توينبى .فلأنه كان يتكلم من داخل الحضارة الغربية لم ير مستقبلا لغير الحضارة الغربية تزحفعلى ارض خام جرداء ، لانبت فيها ولا زرع كما حدث فى بعض البلاد الافريقية او اذا كانتجيوشها ـ تقنية كانت أم فكرية ـ تتقدم فوق انقاض حضارة اخرى كما حدث فى تركيا ، اوتتقدم فوق ارضية رفعت رايات التسليم وفتحت اذرع الترحيب بها ، كما حدث فى اليابانوكوريا الجنوبية .

ثم ان توينبى فسر قدرة الاتحاد السوفيتيعلى التصدى للعالم الغربى بأنها ترجع الى استخدامه لسلاح غربى هو الماركسية . اى انهلايرى فى الماركسية الا انها تحمل الجنسية الغربية ، معولا على المنشأ وحده . ولا يلقىبالاالىكونها فكرة وعقيدة لها تفسيرها للتاريخ ـ أيا كان رأينا فيها ـ ولها فلسفتها التىتتناقض تماما مع أسس الفكر الغربى. ولست ادرى ماذا كان يمكن ان يقوله توينبى لو أنالماركسية كانت قد نشأت فى الشرق مثلا .

ومن ناحية اخرى فاننى لا اعرف كيف كانتفسير المؤرخ الكبير لصمود الصين ، التى اعتنقت الماركسية ووضعتها فيالقالب الصينيبل وطعمتها بقيم وتعاليم كونفوشيوس . لتستثمرها كسلاح للتقدم والاستمرار دون انتتعرض للخيار بين التغريب او الهلاك .

ثم لنتوقف قليلا امام النموذج الذىدلبه توينبى على صدق رؤيته ، وهو تركيا . ولنسأل بعد ذلك ، هـل كـان التـغريب هـو« المنفذ » لتركيا فعلا ؟ هـل ما فعلـه كـمال اتاتورك هو الذى أعاد لتركيا قوامها ، وأطلقشرارة الابداع والتوهج فيها ؟

اذا كنا نتحدث عن المجتمع وحركته ككلا عن انتصار عسكرى فى زمن محدود ، فاننا نقول بعد مضى نصف قرن على تغريب تركيا ،ان هذا لم يحدث . وان اتاتورك بخطوته هذه

تسبب في ضياع جيلين على الاقل من الاتراك لايعرفون حتى الان هل هم شرقيون ام غربيون. واحدث بذلك اخطر شرخ في المجتمع التركي طوال العصور الحديثة ، وهل هناك أخطر من الا تعرف هويتك بالضبط ؟

ان « الانجاز » الكبير الذى يثير اعجاب الغرب ومفكريه بكمال أتاتورك ، انه فصل تركيا عن العالم الاسلامى ، وحاول ان يجتث ما هو مسلم في بلاده .

ايضا فان الدرس الكبير الذى تعلمنا اياه تجربة تركيا أن قيم الحضارة الغربية هي للمجتمع الغربي وحده ، وان انتقالها الكامل الى المجتمعات الاخرى - كما يتصور توينبى - لايتحقق الا اذا اقتلعت هذه المجتمعات من جذورها - اذا كانت لها جذور .

اما اذا ظلت لدى هذه المجتمعات بقية من جذور ، وانعدمت لدى شعوبها تلك الحصانة المتمثلة في الانتماء العقيدى والفكرى ، فان المسخ والتشوه هو مصير هذه المجتمات . وهو مصير لايختلف كثيرا عن الهلاك .

ان العبرة التى يمكن ان نستخلصها من قراءتنا لمراحل احتكاك المسلمين بالحضارات الاخرى هي ان العامل الحاسم في نجاة المجتمع الاسلامى من التغريب ومن الهلاك يكمن في مدى ثبات هذا المجتمع على عقيدته ومدى حرصه على دينه . وهى نتيجة تطرح أمامنا بالحاح قضية اعداد البشر ، والاهمية البالغة التى يمثلها هذا العنصر ، باعتباره الدرع الواقى والضمان ، والحصانة الحقيقية المانعة من الاستسلام للتغريب ، او المخاطرة بالهلاك والضياع .

وبنفس المنطق نستطيع ان نرد كلام ابن خلدون ، فالعبرة ليست بالغلبة السياسية أو العسكرية ، ولكن بالهزيمة الحضارية . وفي مثل التتار اضطر الغالب أن يقلد المغلوب - على عكس ما قدره ابن خلدون - لان هذا المغلوب لم يكن قد هزم حضاريا بعد .

ثمة خيار ثالث اذن ، مشروط بامر واحد : أن يتسلح المسلمون بالعقيدة الصحيحة . وان يظلوا قابضين على دينهم ، بغير افراط ولا تفريط .

اذا تحقق هذا الشرط فاننا نستطيع ان نتقدم بثقة ، ونستفيد من تجارب الاخرين ، نقتبس ما هو مفيد ونطوعه لصالح قيمنا ومجتمعنا ، ونستبعد ما هو سلبى ، ونرده من حيث جاء .

وليكن الهدف واضحا دائما : ان المجتمع الاسلامى ذا الشخصية المتميزة ، هو المثل الاعلى الذى ننشده . واننا لانريد مجتمعا اسلاميا بقيم غربية ، واذا لم يكن هناك مفر ، فلا مانع من ان ننقل قيما غربية ثم نطوعها ونهذبها من اجل بناء مجتمع اسلامى ، مثلما فعل صانعو الحضارة الاسلامية وروادها .

ولكل خطوة مخاطرها ، هذا صحيح . فاذ كنا نلح فى الدعوة الى الاجتهاد ، لا بد أن نحتمل قدرا من الشطط واذا كنا ندعو الى الانفتاح على حضارات وفكر الاخرين ، فلابد ان نحتمل مرحليا قدرا محسوبا من التورط والذلل . والأمر مرهون فى النهاية بمدى الحصانة وقوتها ، فكلما زادت كان الثمن محدودا ومتواضعا ، واذا حدث العكس فان الثمن سيكون باهظا ، وقد يكلفنا كياننا و مستقبلنا .

لان الخيار في حالتنا ليس بالضبط كما يقول توينبى ، التغريب أو الهلاك ، انما هو فى حقيقته خيار بين هلاك وهلاك !!

واذا فشلنا فى تحقيق هذا الهدف ، ولم يكن أمامنا الا احد هذين الخيارين ، فشخصيا ، افضل ان نهلك واقفين ، عن ان نهلك ونحن راكعون ! ■■

فهمي هويـدي

بقلم محمد امين توفيق

أنتج على أحمد باكثير في باب القصة والمسرح انتاجا له شانه واهميته في تطور المجتمع العربي المعاصر ، ومع ذلك فهو لم يلق العناية الكافية من جانب النقاد والمعلقين، ولقد كان باكثير من الكتاب الملتزمين بضرورة بناء مجتمع عربي سوي قوي ٠

ولن اتعرض لجميع مؤلفات باكثير في هذه المناسبة بل اقتصر على ثلاث قصص تاريخية من اشهر قصصه وهي «سلامة القس»، و «واسلاماه ، و «سيرة شجاع» ـ

كان باكثير كاتبا خصيب الانتاج فقد كتب العديد من المسرحيات والقصائد والمقالات النقدية عدا القصص الخمس التي نتناول منها بالتحليل هنا ثلاثا فقط ، اما الاثنتان الاخريان فهما «ليلة النهر» و «الثائر الاحمر او حمدان قرمط» ٠



من حق قرائنا ان يعرفوا نبذة يسيرة عن حياته التي بدات بولادته في اندونيسيا في عام ١٩١٠ لاب من حضرموت وام اندونيسية ، ومن المعروف ان العديد من الحضرميين وسكان عدن والساحل الجنوبي لشبه الجزيرة كانوا ولا يزالون مبحرين الى اندونيسيا وغيرها من مناطق جنوب شرقي اسيا ومشتغلين بالتجارة ، وهكذا كان والد كاتبنا واحدا من هؤلاء ، وهكذا كانت ولادة باكثير ، غير ان المقام لم يطل به في اندونيسيا اذ ارسله والده على عادة الحضرميين الى حضرموت وهناك اشتد بها عوده وبدأ تعليمه ، ومن هناك رحل باكثير الى السعودية ليقضي بها عاما وبعض العام ، وما لبث ان سافر منها الى مصر في عام ١٩٣٤ ليستقر بها ٠

ذكراه مرت ولم ينتبه أحد !!

باكثير..

ويلتحق باكثير بقسم اللغة الانجليزية وادابها بكلية اداب القاهرة ، وكان تخرجه فى عام ١٩٣٩ وعمل مدرسا بعض الوقت ثم التحق بوزارة الثقافة والاعلام المصرية ومنح الجنسية المصريه ، ويبقى عاملا فى حقل الاعلام والادب حتى وفاته فى عام ١٩٦٩ م

ذلك عن حياة باكثير الحافلة بانتاجه الادبى . اما قصصه الثلاث موضوعنا فقد كتبها باكثير فى الاربعينات والخمسينات من هذا القرن ، وكانت مصر بصفة خاصة والعالم العربى بصفة عامة معرضين انئذ ــ اكثر من اى وقت مضى ــ لضغوط كبيرة من قبل الغرب . ولكى نفهم جيدا فكرة باكثير علينا اولا ان نلمس برفق مسالة رد الفعل فى العالم العربى حيال ما يمكن تسميته بالتحدى الغربى .

لقد تنوعت ردود فعل الكتاب العرب ازاء الغرب ، غير انه يمكن ان نشير الى ثلاثة اتجاهات واضحة يتبلور فيها مواقف المؤيدين ، والمعارضين، والذين يقفون بين بين .

فالى جانب اولئك الذين قالوا بضرورة ان ياخذ المجتمع العربى باسباب الحضارة الغربية من تكنولوجيا وعلوم وثقافة وقوانين واخلاقيات كان هناك الذين رفضوا ذلك تماما وراوا فى الغربمصدرا لكل الاخطار مثلالاستعمار والاباحية، والمادية المفرطة الخالية من الروحانية واستقامة السلوك . اما الفئة الثالثة فكانت ترى ان المجتمع العربى بوسعه ان يطور نفسه على اساس من نظم التقدم الغربية مع احتفاظه بقيمه وروحانيته ومشخصاته الثقافية . وتؤمن هذه الفئة بانه من خلال الاعتراف الجسور بمناحى الضعف والنقص فى المجتمع يمكن تلمس افضل السبل للنهوض به مع عدم التضحية بشخصيته الاصيلة او حركته فى النضال والتحرر .

ولم يقف باكثير الى جانب الفئة الاخيرة فحسب بل انه وسع دائرة المجتمع لتضم كافة بلدان العالم الاسلامى . وسنحاول فيما يلى تبيان كيف سخر الكاتب شخصياته وتطور الاحداث فى قصصه للتعبير عن افكاره وفنه القصصى .

سلامة القس

يبدأ الكاتب هذه القصة باقتباس قرآنى من سورة « يوسف » (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ولقد همت به وهم بها لولا أن راى برهان ربه ...) ، ولعله بهذا اراد ان يلمح الى الفكرة الاساسية التى يقوم عليها البناء القصصى.

وعندما نقرا « سلامة القس » يتبين لنا كيف ان بطل القصة فتاة كانت تخدم فى بيت « ابن الوفاء » وهو رجل صالح فى السبعينات من عمره ، عندما ساعدها احد رعاة الغنم فى ان تحفظ مقطوعات غنائية لاحدى كبار المغنيات فى عصر بنى امية . وكان استغراقها فى هواية الغناء حتى اثناء قيامها بالخدمة مما أثار عليها حفيظة « أبى الوفاء » الذى نراه يبيعها لجار له يدعى « ابن سهيل » وهو من انصار الطرب والغناء .

وفى بيت « ابن سهيل » تشغف سلامة حبا بعبد الرحمن الملقب بالقس وهو شاب اشتهر بالورع وكان مثالا للخائف ربه . وعندما تضطرم نيران حبها فى قلبه يشتد الصراع فى ثنايا جوانحه بين لوم الناس وحبه الى حد يدفعه الى الانزواء بعيدا عن المجتمع لكن نظرته الى الدنيا بدات

.. والقصة التاريخية

تتغير حتى عبادة ربه اصبح لها طعم آخر لم يعرفه من قبل ، ولم يلبث الا يسيرا حتى عرف ان ذلك هو فعل الحب في نفسه صقلها وسكب فيها شفافية واخلادا الى التأمل .

اما سلامة فقد اصبح عبدالرحمن كل شيء في حياتها وصارت لا تجد سعادة الا عندما يجلس بين المستمعين لغنائها ، وذات يوم حل عبدالرحمن بمفرده ضيفا على ابن سهيل . وفيما هما يشنفان اذنيهما بحلاوة صوت سلامة اذ قدم من قبل الوالي من يطلب المضيف لامر عاجل ، وهكذا لم يبق في البيت غير الحبيبين . وكادت ان تهم به وان يهم بها لولا آن عبدالرحمن استشعر في نفسه الخوف من خالقه ، وترسمت في ذهنه الآية القرآنية بسم الله الرحمن الرحيم (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) ، ولما كانت العداوة آخر شيء يمكن ان يفكر فيه تجاه سلامة فقد آثر التقوى وانصرف عنها وانصرفت عنه .

واسهمت الاحداث في توسيع الفجوة بين الحبيبين ، فقد بيعت سلامة لاكثر من صاحب مال الى ان انتهى بها الامر الى ذيوع صيتها والى شراء الخليفة الاموي يزيد بن عبد الملك (٧٢٠ ـ ٧٢٤) لها . وخابت كل مساعي عبدالرحمن في ان يشتري حبيبته ، ولم يكن اجتماعهما ممكنا فيما بعد الا في الحياة الآخرة وليس على ظهر هذه الدنيا .

تلكم هي خلاصة أحداث القصة التي نلاحظ ان الكاتب حرص الا يجعلها تطغى في جانبها التاريخي على حرية الشخصيات في الحركة او على تلقائية الحوار ، وعن طريق استخدامه للحوار مع النفس استطاع باكثير ان يفسح المجال امام القارىء كي يشارك عبدالرحمن افكاره ومناجاته . وثمة عامل آخر حافظت القصة معه على وحدتها هو الاعتماد على شخصية البطل المحورية في معظم الاحداث مثل زيارات عبد الرحمن لصديقيه ابي الوفاء وابن سهيل ووداعه سلامة عند رحيلها من المدينة الى دمشق .

واضافة الى مالاحظناه من صراع في نفس البطل بين عاطفته وسمعته نجد صراعا آخر خارجيا بين الموسرين والمتغلغلين منهم خلقيا من جهة وسكان المدينة الذين غلب عليهم التقى والبساطة في العيش من جهة اخرى . اما الاولون منهم فما رعوا مجتمعهم حق رعايته وما همهم سوى جمع المال وتكديسه ، كما أنهم ـ باستثناء قلة منهم ابن سهيل ـ ما عنوا بالغناء الا لانه طريقة سريعة لجمع الثروة ، وبطريقة غير مباشرة نجد انفسنا وقد عرفنا السبب الكامن من وراء موقف الاولين، والاخرين من البسطاء وهو التربية التي ان صلحت صلح معها الفرد وان فسدت لم يكن منه الا بوار المجتمع .

وهكذا يجسد لنا عبدالرحمن شخصية العربي التقي الذي لم يجرفه الحب الى درجة ارتكاب الخطيئة او الكفران باهل مجتمعه وانما نجد فيه المحب العفيف والتاجر الشريف ومن اذا راى الخطأ اصلح وأرشد .

وربما اراد باكثير ان يرمز الى تداول بيع سلامة من يد الى يد رغم فنها الغنائي الرفيع ومكانتها الاجتماعية لدى عشاق غنائها لكي ينبه الى ضرورة اعطاء فرص أكبر للمرأة في هذا العصر لتساعد الرجل في بناء المجتمع العربي في الاطار المناسب للمرأة العربية الحافظة لحدودها وبيتها .

٢ ـ واسلاماه

تشترك هذه القصة مع سلامة القس في انها ايضا مستقاة من التاريخ ، واذا كانت قصة عبد الرحمن بن أبي عمار القس مع حبيبته محفوظة في كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ، فان فكرة « واسلاماه » مبنية على اشارة اوردها المقريزي في كتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » بشان انتساب قطز القائد المملوكي المصري الذي هزم التتار الى عائلة خوارزم شاه الشهيرة التي حكمت في ايران والهند ، وكيف ان اسمه الحقيقي كان محمود ابن ممدود بينما كان عمه السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، وتمضي الاشارة لتقول انه بهزيمة

جلال الدين على ايدى التتار يبيع محمود لتجار الرقيق ، وعرف باسم قطز وتنقل به الحال من عبد الى قائد مغوار كما استقر به المقام فى مصر بعد ان قضى مدة فى دمشق الشام ٠

وقد استعمل باكثير هذه الاشارة التاريخية فى رسم صور حية للمعارك التى دارت فى ميادين القتال فى الهند وايران والشام ومصر ضد جحافل التتار ، فنحن نرقب انهزام جيش خوارزم شاه امام هجمات التتار القادمين من بلاد ما وراء النهر ، ونشهد كيف ادى تخلى الخلافة فى بغداد عن مناصرة جيش جلال الدين واختلاف ملوك وامراء مصر والشام بين ظهرانيهم وفيما بينهم الى تمكين التتار من الزحف حتى وصلوا الى حدود مصر ٠

ومن جهة اخرى نقرأ فى واسلاماه عن نجاة قطز وابنة عمه جهاد او جلنار ، كما يتردد اسمها فى القصة بعد ذلك كزوجة لقطز ، وبعد حوالى عشر سنوات من العمل فى خدمة كبار القوم فى الشام ومصر تمكن الحب من قلبيهما ، وعقب محاولات ضد من يحاولون التفريق بينهما من تجار الرقيق والطامعين حانت الفرصة عندما التحق قطز بخدمة عزالدين ايبك احد كبار مماليك مصر ،وما لبث الحبيبان ان تزوجا ٠

وبورود انباء تخريب هولاكو بغداد وسيره بجيشه صوب الشام شعر الملوك والامراء فى المنطقة بالخطر المحدق لكنهم بدلا من ان يتكتلوا لمحاربة الدخيل لجأوا الى التشاحن والتباغض ، فبعضهم لبعض عدو ، وكاد الامر يصل بهم الى حد ترك الميدان خاليا ليغزوه التتار ، وكان قطز ممن لم يستشعروا فقط بالدمار الوشيك ولكنه اعد العدة ليوم يتخلص فيه من المنصور ، الحاكم المملوكى على مصر ، الذى شاع فساده بين الناس ، واخذ قطز يعمل جنبا الى جنب مع شيخ الاسلام فى الشام العز بن عبدالسلام والعلماء ، ولم يلبث أن تحقق له مراده ووجد العرب فى الشام ومصر فيه مدافعا عن الوطن ومعبئا للجيوش التى انزلت الهزيمة الساحقة بالتتار فى « عين جالوت » ٠

وفى المعمعة وعندما اشتد وطيس القتال واحدق جماعة من التتار بقطز نفسه يريدون النيل منه بسيوفهم ، اندفع فارس ملثم وهو يصيح : « واسلاماه » ليشق طريقا داخل الحلقة المحدقة وبفضل ذلك نجا قطز لكن سهما اصاب الفارس الملثم فهوى ، وما لبث قطز وجنوده ان عرفوا فى الفارس الشجاع « جلنار » زوجته ٠٠

لكن قطز لم يستسلم للموت ، ولا فت المصاب فى عضده برغم فداحته ، وانما شدد قبضة يده على سيفه واستانف القتال مع المغاوير من جنوده الى ان تحقق النصر على العدو ٠

وعلى النقيض مما رأينا فى سلامة القس اضطر باكثير هنا الى تغطية مساحات شاسعة من الاماكن التى تنقل بينها ابطال قصته ، كما امتدت الفترة التى عاشها هؤلاء الابطال مدة اطول ، ومن هنا نجد شخصيات الابطال تكاد تتوارى من خلف الاحداث وكانما الاحداث هى صانعتهم ومسيرتهم ، وهكذا يتخذ السرد القصصى مكانة تطغى على الحوار كما ان عناية الكاتب بالشخصيات الثانوية كانت من الضآلة بحيث تمر هذه الشخصيات امام اعيننا دون ان تخلف فى اذهاننا آثارها القوية او الضعيفة ٠

ومن بين مناحى الضعف الذى تعانى منه هذه القصة فى بنائها الفنى كثرة التفصيلات التاريخية وانسياق الكاتب فى حماسه الشديد لبعض الموضوعات مثل الجهاد والتجارة فى الاسواق ٠ وهنا نكاد نقرأ لكاتب مقال او مؤرخ حقائق وليس لكاتب قصة ، ولعل لجوء باكثير فى بعض المواطن الى الحوار مع النفس يرجع الى تأثره بطريقة شكسبير التى يألفها من يقرأ مسرحياته ومنها على سبيل المثال « روميو وجولييت » التى ترجمها باكثير الى العربية ٠

والآن لنسأل انفسنا عما تعنيه هذه القصة التاريخية للواقع العربى وللبلاد الاسلامية المعاصرة ، والاجابة التى يعطيها الكاتب هى ان على مجتمعنا ان يواصل جهاده فى مختلف الميادين تطورا وتحررا وتعزيزا للقيم الانسانية الرفيعة. وتقع على الحاكم ـ على النحو الذى رأيناه فى شخصية قطز الفذة ـ مسئولية قيادة المجتمع

نحو التقدم والنصر فان احسن هذا الحاكم أيده الشعب بكل قواه ، اما ان أخطأ وانحرف أو عجز عن حسن التدبير عزله الناس وعينوا من هو اقدر منه ، وهذا بالضبط ما يقدمه لنا قطز فقد أبدى شجاعة فى جهاد العدو وصبرا على المحن وتصميما على النصر وحنكة سياسية واخلاصا لبني جلدته فى بلاد العروبة و لاسلام .

ولنترك القصة قليلا ولننظر الى الواقع المصرى والعربى والاسلامى خلال الاربعينات من هذا القرن اى فى الوقت الذى كتب فيه باكثير قصته هذه .. فماذا نجد ؟

نجد الارض محتلة والحريات مختنقة والعدالة تستحيل ظلما والفساد استشرى فى الاوصال والفقر ضاربا باطنابه فى كثير من الربوع .

وهكذا استطاع الكاتب ببصره الثاقب أن يرى الخطر وقد ادلهم امره ، ولا ريب انه تمنى لمصر أن تستعيد مكانتها السابقة الرفيعة التى تقلدتها على مر التاريخ فى القيادة والريادة ، ولذلك نجده يشير فى الاسطر التى مهد بها للقصة الى ان هذه القصة شاهد عيان على أن فى هذا الشعب الذى يعيش على ضفاف النيل قوة كامنة يمكن أن تصنع المعجزات متى احسن استعمالها ، وهذه الفكرة .. فكرة اضطلاع مصر بدورها القيادى نجدها ايضا مصورة فى قصة باكثير الثالثة : « سيرة شجاع » .

سيرة شجاع

يقوم الاساس التاريخى لهذه القصة على ما اورده ابن الاثير فى « الكامل فى التاريخ » من وصف لبداية حكم الايوبيين فى مصر .

وتدور الحبكة الروائية على الصراع بين أمانة « شجاع » ، ووطنيته من جهة وخيانة والده الوزير شاور من جهة اخرى . ويبدو شجاع وقد حظى بتأييد مجموعة من المصريين المنتمين الى جماعة سمت نفسها بجماعة المصلحين ، اما والده «شاور» فبرغم محاولاته ان يتقرب الى سكان القاهرة والفسطاط لم يكن مطاعا الا فى قبيلته من بنى سعد بصعيد مصر ، وكان الناس يخافونه ويكرهون سماع اسمه مخافتهم من الخليفة الفاطمى فى القاهرة « العاضد » . وثمة الوان متعددة من الصراع فى هذه القصة ، فهناك على سبيل المثال صراع بين الافرنج والايوبيين غربى الشام حيث كان الطرفان يتسابقان لاحتلال القاهرة . وفى الوقت نفسه دار الصراع بين جماعة المصلحين وبين قصر الخلافة الفاطمية من جهة وبينها ووزارة شاور الفاسدة من جهة اخرى . وكانت مصاهرة « شاور » لرئيس جماعة المصلحين حيث كانت زوجة الاول اخت زوجة الثانى ، بينما تزوج شجاع ابنة خالته ، كانت هذه المصاهرة سببا فى اذكاء نار الخلاف من وقت الى آخر داخل الصفقة . والشيء الجديد بالملاحظة هو انه من بين حلقات الصراع الناشب بين شجاع ووالده وهو الصراع الذى بلغ ذروته بمصرع الابن على يد والده .

مما أسهم فى نسج حبكة القصة علامات الدهشة او المفاجاة التى يلمسها الابطال من مثل المفاجاة الصادمة التى منى بها شجاع عندما يكتشف خيانة والده لوطنه وبنى جلدته .

وتكثر التفاصيل التاريخية فى هذه القصة على النحو الذى لمسناه فى « واسلاماه » ومن هذه التفاصيل مثلا المكاتبات بين الصليبيين وشاور التى وضعت بحذافيرها بين ثنايا النص الروائى. وبالرغم من ذلك فانه بوسعنا التماس العذر للكاتب فى بعض المواضع حيث يلجأ الى هذه التفاصيل مثلا للتاكيد على وحدة الشعب المصرى فى كفاحه ضد الصليبيين بصرف النظر عن الدين.

وتتبوأ الاحداث فى القصة المكان الاعلى،وكانت هى السبب فى تحريك الشخصيات الى غاياتها ، ولئن كان هذا عبئا فنيا فى هذه القصة فانه قد خفف من وقعه سلوك بعض الشخصيات التى اشاعت فى القصة بعض جوانب التشويق مثل الدور الذى قامت به المرأة الجاسوس والتى لم يستطع حتى ذكاء صلاح الدين الايوبى ان يكتشف عنه الا بعد طول تتبع وتربص ، وبعبارة اخرى خفف ذلك من رتابة اسلوب القص او الرواية .

واضافة الى ما ذكر ، استخدم باكثير خياله في تحويل الماضي الى الحاضر عن طريق تلوين الاحداث بآماله تجاه المجتمع المعاصر العربي والاسلامي ، فهو يجد في انشاء ابي الفضل لجماعة من المصلحين فرصة لتصوير مشاعر السخط العامة بين الناس ، وفي تلب « ابي الفضل » تجاه فساد الحكام والادارة والجيش ، ومن هنا نجد « أبا الفضل » وقد استحوذت عليه فكرة قلقه على مصير وطنه مصر وبقية العالم العربي والاسلامي • وعندما هزم اسد الدين شيركوه غريمه شاور يمجد الكاتب قوة الشعب المصري الهائلة التي يمكن ان تخلع النصر على من تؤيده•

وقد ادت طريقة معاملة ضرغام ، غريم شاور للنساء الى المقارنة بين سمية ووالدتها وفي هذه المقارنة نعرف أن سمية تهتم بادق النقاط السياسية ، وكان زوجها شجاع يدربها على فنون القتال ومن بينها الرمي بالقوس • ولعل هذا هو ماصبت اليه اماني كاتبنا فالمراة عليها ان تكون عضوا نافعا في المجتمع ، وبقدر مشاركتها في بناء المجتمع تفيد البلاد ، ليس من غرابة في ذلك فقد اشتركت المراة في قضايا هامة في عصر النبوة والخلافة الراشدة •

ولمة نقطة اخرى جديرة بالاهتمام اوضحها باكثير في «واسلاماه» وهي الدور القيادي لمصر وحيادها في سياستها الخارجية ، وايمان الكاتب بهذا الدور لايصدر عن تعصب وانما عما اثبته التاريخ لمصر من حقائق في ماضيها العريق •

لغة باكثير

ومن بين مزايا قصص باكثير الثلاث اللغة الفصحى التي داب على استخدامها في اسلوب انيق وعبارات جذلة • وقد كان منبته في بيئة القرآن والشعر سببا في لجوئه ، كلما ناسب المقام ، الى الاستشهاد بهما • وفي الوقت ذاته لا يخلو أي نص من النصوص الثلاثة من بعض العبارات المسجوعة او التعبيرات الخطابية الرنانة لكن ذلك لايصل الى ما يمكن ان يسمى بالاسلوب الدعائي ذلك ان الدعاية في نظرنا انما تكون للدفاع عن قضية باطلة او الترويج لشيء ما بمختلف السبل، وقد يكون من بين هذه السبل ما هو غير كريم ، اما وقد ظهرت لنا غيرة باكثير على مجتمعه وتاييده باخلاص لحق هذا المجتمع في التقدم والتخلص مما يعوق مسيرته فان كتابته انما تاخذ مكانها في الادب البناء الهادف •

ولقد حرص كاتبنا على ان يبرز دور اللغة العربية في ديمومة ثقافة الماضي ووصلها بالحاضر ولعل تمسكه بالفصحى فيه من الدلالة على الوحدة الفكرية التي ينبغي ان تصان بين الشعوب الناطقة بها ، وهذه الفصحى هي الاولى بالتشجيع وبتذليل طريق تعليمها للراغبين بدلا من تشجيع لهجات محلية لاتفيد على مدى المجتمع الواسع الذي يضم العديد من البلدان •

ومن الوجهة الفكرية ، فبرغم قراءتنا في كل من هذه القصص عن مفاهيم مختلفة ٠٠ مثلا الحب الانساني في سلامة القس، والجهاد في «واسلاماه»، والاصلاح الاجتماعي في سيرة شجاع الا انه يجدر ملاحظة فكرة رائدة تكاد تاخذ بناصية معظم كتابات باكثير الا وهي الايمان الراسخ بانه قد حان الوقت لكي نتحرك من الضعف والتخلف الى القوة والتقدم، وهذا الهدف ممكن التحقيق متى كانت هناك الارادة الصحيحة للمجتمعات من كافة النواحي التطويرية، ومتى تاسست تلك الارادة على قاعدة اخلاقية صلبة وتخلقت بكل القيم التي تهدف الى اسعاد الانسان على هذه الارض •

وهكذا يبدو باكثير من خلال قصصه الثلاث فريدا في اصراره المستمر على ضرورة التقدم الاجتماعي الذي يتخذ له جذورا عربية واسلامية قوية ، ويستفيد مما يناسبه من التطورات الحديثة،وحبذا لو اهتم كتابنا دائما بما يمكن ان ياتي بالفائدة لمجتمعنا الحاضر ، وعبر ادبهم القصصي وغير القصصي عن رغبة الانسان العربي في ان يعيش حياته اللائقة به حرية وصلاحا وحبا لكل قلب يريد له الخير • ■■

محمد أمين توفيق
معهد الدراسات الاسلامية
جامعة ماكجيل مونتريال ، كندا

صفحة لا تنسى من التاريخ

● العبرة التي يشير اليها هذا المقال واضحة: وهي أن تفرق العرب وتمزقهم وعدم تفاهمهم على خطة واحدة ، يؤدى الى خسارة للجميع :

عندما ذهب العرب والاسرائيليون الى "رودس"

بقلم : الدكتور أحمد عبدالرحيم مصطفى



الوسيط الدولي راف بانش ، وهو يوقع على اتفاقية الجانبين المصرى والاسرائيلى .

■ الآن يفيدنا بغير شك ان نقرأ قصة اتفاقيات هدنة رودس التي جرت بين العرب واسرائيل اعقاب حرب سنة ٤٨ .. هذه هي القصة .

اشتركت مصر وسوريا والعراق والاردن ولبنان في حرب فلسطين الاولى (١٩٤٨) دون تنسيق أو وحدة في الهدف . فالملك فاروق ساق مصر الى الحرب في اللحظة الاخيرة لتاكيد زعامة مصر للعالم العربى . وعرقلة طموحات الملك عبدالله التي كانت ترمى الى اخراج مشروع سوريا الكبرى الى حيز التنفيذ وكذلك للضغط الشعبى القومى الهائل في مصر . اما سوريا ولبنان والعراق فقد دخلت الحرب استجابة للدوافع القومية وضغوط الرأى العام الذى أبدى عطفه على مصير الشعب العربى الفلسطيني . واما الملك عبد الله . فقد كان من رأيه قبول قرار التقسيم الذى اصدرته الجمعية العامة للامم



الوفد الاسرائيلي في محادثات رودس : الياهوساسون في اقصى اليسار ، ثم رئيس الاركان ييجال يادين ، ثم رئيس الوفد وولترايتان .

المتحدة على امل أن يضم القسم العربي من فلسطين الى املاكه ، تمهيدا لاخراج مشروع سوريا الكبرى الى حيز التنفيذ . ورغم اتفاق العرب المتحاربين على تقليد الملك عبدالله مسئوليات القيادة العامة، فانه لم يحط علما بخطط الجيوش العربية التي كان كل منها يخوض الحرب لحسابه الخاص .

اما اليهود فقد كانت لهم قيادة موحدة تدير المعارك على مختلف الجبهات حسب استراتيجيات محددة.في الوقت الذي افادوا فيه من قصر خطوطهم وطول خطوط اعدائهم . وامكنهم الحصول على السلاح بطريقة اخرى . على حين لم ينجح العرب في الحصول على السلاح اللازم .

وكانت النتيجة هي الهزائم العربية المتكررة.التي القى كل طرف بمسئوليتها على الاطراف الاخرى دون ان تتضح حقائق ما حدث وسط ضباب الاتهامات المتبادلة . وحتى الآن لم تحظ المكتبة العربية بكتاب او بحث موضوعي عن حرب ١٩٤٨ او الحروب العربية ـ الاسرائيلية الاخرى ، على حين افاض الطرف الاخر في عرض «انجازاته بقدر كبير من الفخر والمبالغة،تمشيا مع اساليب الدعاية الصهيونية الخاصة بتغلب القلة على الكثرة . علما بان بعض المؤلفات المعاصرة(١) تظهر تفوق القوات الصهيونية على العربية ليس فقط من حيث التسليح والخبرة القتالية ، بل أيضا من حيث العدد .

وعلى اى حال فقد اسدلت اتفاقيات هدنة رودس الستار على الحرب العربية ـ الاسرائيلية الاولى، ومنها نستشف أسلوب الاسرائيليين في التفاوض واستغلالهم ضعف الاطراف العربية في المجال العسكري والسياسي ، في فرض شروط معينة . وتحايلهم على الوساطة الدولية ومقررات الامم المتحدة بايجاد امور واقعة ومساومتهم حولها ، من اجل تكريس مكاسب اقليمية لاتتمشى مع قرار

تقسيم فلسطين الذى اصدرته الجمعية العامة للامم المتحدة فى عام ١٩٤٧ ، وهو القرار الذى قالوا عنه انه دفن فى ميدان القتال !

الطريق الى رودس

ففى اواخر ديسمبر ١٩٤٨ اخترقت القوات الاسرائيلية ـ تساندها المدرعات و لطائرات المقاتلة ـ الاراضى المصرية بهدف قطع الطريق امام القوات المصرية فى فلسطين التى كان جزء منها محاصرا فى الفالوجة • وحينئذ قامت مصر بنشاط دبلوماسى محموم بهدف طلب المساعدة العسكرية من الدول العربية الاخرى • وعلى حين ان القوات السورية والعراقية كانت متهكة ، فان الملك عبد الله اعتبر الحرب قد انتهت بالنسبة الى مملكته ، خاصة وان سلسلة من الاجتماعات جرت بين موشى ديان وعبدالله انتل ـ قائد القوات الاردنية فى القدس ـ تمخضت عن اتفاقية خاصة «بالايقاف الجدى لاطلاق النار» اصبحت سارية المفعول فى اول ديسمبر •

حينئذ كانت الحكومة المصرية فى موقف لاتحسد عليه ، خاصة وقد تسربت انباء تطور القتال الى الجماهير • فقد جرت مظاهرات عنيفة فى القاهرة فى نوفمبر اثارها «الاخوان المسلمون» بوجه خاص، ضد المؤسسات التجارية الاجنبية واليهودية ، كما انتشرت المظاهرات فى المدن الكبرى • وكان رد محمود فهمي النقراشي باشا ـ رئيس الوزراء ـ على ذلك هو حل جماعة الاخوان المسلمين مما ادى الى مقتله (٢٨ ديسمبر) • ورأى خلفه ابر هيم عبدالهادى أن مصير حكومته يتوقف على التوصل الى السلام مع اسرائيل فى اقرب وقت ، ولهذا اقنع الملك فاروق وزملاءه الوزراء بضرورة انهاء الحرب وارجاع الجيش الى البلاد حيث يمكن استغلاله فى السيطرة على الوضع الداخلي المتردي، مشيرا الى ان مندوبى مصر كانوا يتفاوضون بالفعل مع ممثلى اسرائيل الرسميين فى مجلس الامن وغيره من مؤسسات الامم المتحدة دون أن يعنى ذلك الاعتراف المباشر بالدولة اليهودية • وفى ٤ يناير ١٩٤٩ ارسلت وزارة الحربية المصرية الى ممثل الوسيط الدولى ـ رالف بنش ـ فى القاهرة ضابطين ابلغاه ان مصر على استعداد لارسال وفد الى جزيرة رودس مهمته التفاوض وتوقيع الهدنة، وذلك فى مقابل الوقف المباشر للقتال طبقا لقرار مجلس الامن الصادر فى ٢٩ ديسمبر و لداعى ابى هدنة شاملة فى شتى ربوع فلسطين •

وقد حاول وزير الخارجية البريطانى ارنست بيفن التاكد من أن وقف اطلاق النار لا يتضمن التواجد الاسرائيلى على الاراضى المصرية، فطلب من وزارة الحرب البريطانية أن ترسل طائرات فوق ميدان القتال لتحديد المواقع الفعلية للطرفين المتحاربين وتصويرها • وقد حاولت الطائرات البريطانية فى ٧ يناير ان تقوم بمهمتها الا ان الاسرائيليين اسقطوا منها خمس طائرات ـ وهنا استشاط بيفن غضبا ، خاصة وان الحكومة المصرية لم تتحمس لتطبيق معاهدة التحالف المصرية ـ البريطانية الموقعة فى عام ١٩٣٦ ، وذلك حتى لا تتعرض لهجوم المتطرفين من خصومها ، بينما كان الرأى العام المصرى شديد الالحاح فى طلب الجلاء ووحدة وادى النيل ، مبديا سخطه على بريطانيا التى حملت مسئولية تطورات الاحداث فى فلسطين بالصورة التى انتهت اليها •

تهديد مصرى بريطانى

على أن نظام الملك فاروق عزز موقفه حين اوضح البريطانيون ان الاسرائيليين لايزالون داخل الاراضى المصرية ، رغم ان الاسرائيليين قبلوا وقف اطلاق النار على اساس ان المفاوضات مع المصريين حول الهدنة ستبدأ بعد وقت قصير ، فان مصر صرحت فى ١٢ يناير بانها لن تنفذ الهدنة الا اذا انسحب الاسرائيليون من مناطق الحدود ، بما فى ذلك المناطق المحتلة القريبة من رفح • ولما كانت بريطانيا من جانبها قد وجهت انذارا الى الاسرائيليين لكى ينفذوا وقف اطلاق النار و لا تدخلت طبقا لمعاهدة ١٩٣٦ ، فقد طلب بن جوريون من ييجال الون ـ قائد القطاع الجنوبى ـ الانسحاب من سيناء فى ٢ يناير ولكن ازاء اصرار ييجال

---

(١) راجع ـ على سبيل المثال ـ
Margaret Avakie; The Brokea Sword of Justice (London, 1973).

يادين (مدير العمليات العسكرية) سمح بن جوريون لالون وقواته بالاستيلاء على التلال المحيطة برفح، وبذلك حوصرت القوات المصرية فى قطاع غزة • وكان من رأى رؤساء الاركان اليهود استحالة قبول التهديد المصرى والبريطانى على اعتبار ان فك الحصار عن القوات المصرية من شانه ان يضعف المفاوض الاسرائيلى ويترك لمصر قطعة كبيره من الاراضى داخل الحدود الاسرائيلية • الا ان بن جوريون قرر ان رفض المطالب المصرية معناه استمرار الحرب وتدخل بريطانيا ، خاصة وان الدول العربية الاخرى قد ابدت استعدادهاللجلوس على مائدة الهدنة مقتدية بمصر •

وهكذا انسحب الاسرائيليون من مرتفعات رفح فى الاسبوع الثانى من يناير ، وبعد ذلكباسبوعين سمح لقوات عبدالقادر طه المحاصره فى الفالوجة بالانسحاب •• بكامل اسلحتها •

مفاوضات الامم المتحدة

اما المفاوضات التي جرت فيرودس بين المندوبين المصريين والاسرائيليين منذ اوائل يناير ١٩٤٩ فقد اطلق عليها اسم « مفاوضات الامم المتحدة »•

وقد اقام وفدا المفاوضات المصرى والاسرائيلى فى رودس فى نفس الفندق (فندق الزهور Ho'el de Roses) مما آثار بعض المواقف المحرجة ، خصوصا حين كان يتقابل اعضاء الوفدين وجها لوجه دون تبادل التحية او الكلام •

وبعد ان بذل الوسيط الدولى « رلف بنش » جهودا متواصلة للجمع بين الوفدين دون طائل بدأ المعادثات الاولية مع كل وفد على حدة محاولا تقريب شقة الخلاف ، وبعد عدة ايام امكنهالجمع بين المصريين والاسرائيلين فى جناحه • وكان هذا النمط هو الذى اتبع فيما بعد فى مفاوضات الاسرائيلين مع كل من الاردن ولبنان وسوريا • فقد تم الاتفاق على ان يكون هدف الوفودالمتفاوضة هو ضمان التوصل الى سلام دائم فى فلسطين•

– وكخطوة اولىنحو توقيعاتفاقية الهدنةالمصرية– الاسرائيلية تم الاتفاق على المحافظة على الوضع العسكرى القائم : فتبقى النقب فى يد اسرائيل باستثناء قطاع غزه الذى كانت تحتله القوات المصرية ولاينزع الا سلاحمديشة « العوجة » والمناطق المجاورة لها تحت اشراف الامم المتحدة (٢) • وهكذا باستثناء قطاع غزه تمشى خط الهدنة مع الحدود الدولية بين مصر وفلسطين • الا انه لم يكن ممكنا اعتبار هذا الخط وخطوط الهدنة التى امكن التوصل اليه فيما بعد بين اسرائيل والدول العربيةحدودا سياسية اوالقليمية•

وهذه الخطوط – شانها شان باقى نصوص الاتفاقيات – كانت لا تتعارض مع حقوق وادعاءات ومواقف الاطراف المعنيـة فيما يتعلق بالتسوية السلمية النهائية للمسالة الفلسطينية ، •

وكان اسحاق رابين – الذى ارسله آلون نيابة عنه الى رودس– قد احتج علىاحتفاظ مصر بقطاع غزة ، فرد عليهعضو الوفد الاسرائيلى وولترايتان بمايلى : « ان هدنة مصر تساوى منطقة غزة • وفوق هذا فان هذه الهدنة عسكرية ومؤقتة • وستضغط فى سبيل التوصل الى حدود احسن حين تجرى معادثات سلام شامل • » ومهما كان الامر فقد تم توقيع الهدنة فى ٢٤ فبراير – وكان كل طرف يتوقع ان تحل محلها فى المستقبل القريب معاهدة سلام دائم ، خاصه وان اتفاقية الهدنة ذاتها قد تضمنت فقرات مثل « بهدف العمل على عودة السلام الدائم الى فلسطين ، واقرارا باهمية التاكيد المتبادلة بهذا الصدد فيما يتعلق بالعمليات العسكرية من جانب الاطراف ، نؤكد فى هذا المقام ••• المبادىء الاتية » • و « اقامة هدنة بين القوات العسكرية للطرفين يجرى قبولها باعتبارها خطوة لابد منها لانهاء النزاع العربى واعادة السلام الى فلسطين » •

حيلة ضد الاردن

وقد تلت السابقة التى جريت فى رودس بوجه عام مفاوضات بين اسرائيل والدول العربيةالاخرى فما ان وافقت مصر – اقوى الدول العربية – على التفاوض مع اليهود حتى سهل على الاخرين ان ينسجوا على منوالها • وقد تعهد الاسرائيليون

(٢) لم تلبث اسرائيل ان احتلت منطقة العوجةفى اواسط الخمسينات •

بتاجيل التفاوض مع الاردن الى ان يتم لهم سحق الجيش المصرى ، ومن ثم يفهمون الاردنيين ان الجيش الاسرائيلي فى حل من أن يضرب ضربته حيث يشاء اذا لم تبد عمان قدرا من المعقولية. وبالاضافة الى ذلك فانهم كانوا يسعون الى ايجاد فاصل زمنى بين عقد اتفاقيتي الهدنة مع مصر والاردن وذلك حتي يمكنهم توطيد اقدامهم فى النقب الجنوبية التى توغلت فيها القوات الاردنية بتشجيع من بريطانيا ، (كانت النقب قد منحت للدولة اليهودية طبقا لقرار التقسيم وذلك على اثر المحادثة الدراماتيكية التي جرت بين حييم وايزمان والرئيس الامريكي ترومان) .

فحين بدات المفاوضات بين الاردن واسرائيل كانت القوات الاردنية تحتل القاعدة الشمالية للمثلث الممتد على الحدود المصرية ـ الاردنية على مسافة حوالى ٥٥ ميلا من خليج العقبة . وقبل التوصل الى وقف اطلاق نار مع الاردن تقدمت القوات الاسرائيلية بقوة كبيرة نسبيا ، وذلك بهدف منع القوة الاردنية الصغيرة من ابداء اى مقاومة فعالة . وبعد قتال قصير انسحبت القوة الاردنية واحتل الاسرائيليون كل المثلث الذى تقع رأسه عند موقع ايلات الحالى على خليج العقبة. وقد برروا عملهم هذا ـ الذى اتخذ اثناء مفاوضات السلام بعد وقف اطلاق النار ـ بان هذه الارض كانت جزءا من المنطقة المخصصة لاسرائيل طبقا لقرار التقسيم وان تكن اسرائيل قد دبرت كذلك الاحتفاظ بالاراضى الاخرى التى احتلتها ، رغم ان بعض هذه الاراضى المحتلة كانت قد خصصت للدولة العربية طبقا لنفس القرار .

الى الضفة الغربية

وما ان وضع الاسرائيليون ايديهم على كل صحراء النقب حتى وجهوا اهتمامهم الى منطقة المثلث الواقعة فى الضفة الغربية على بعد عشرة اميال من البحر .. وكان يسيطر عليها العراقيون. وكان هدف الاسرائيلين هو تحقيق الاستيلاء على هذه المنطقة بدون قتال خشية بريطانيا المتحالفة مع كل من العراق والاردن ، خاصة وان الحكومة العراقية قد ابلغت بنش فى ١٩ مارس ٤٩ بانها ستسحب قواتها ، وانها بالتالى قد خولت الوفد الاردني التفاوض بالنيابة عنها .

وهكذا كان العراق دون الدول المحاربة هو الوحيد الذى لم يوقع اتفاقية هدنة مباشرة مع اليهود ، مما جعل بغداد تنزع الى العداء الدعائى الشديد لاسرائيل بدرجة تفوق جيران اسرائيل المباشرين الذين وقعوا الهدنة ، وذلك دون ان تنتقل بغداد نورى السعيد من مجال الكلام الى مجال العمل ـ وكان رئيس وزراء العراق بوجه خاص ينزع الى منافسة مصر فى مجال الزعامة على المشرق العربى ، ومن ثم عمل على عدم دخول العراق فى مفاوضات مع اسرائيل وقيامه بحملة معادية للصهيونية ، ثم طرده اليهود من العراق من اوائل الخمسينات .

وهكذا فحين اوضح العراق منذ اوائل عام ١٩٤٩ انه لن يوقع اتفاقية هدنة مع اسرائيل تضايق الاسرائيليون الذين كانوا يودون التوصل الى ضمانات سلام مع كل المقاتلين العرب . ولهذا فحين قابل المبعوث الاسرائيلي ساسون الملك عبدالله فى ٣٠ يناير فى عمان ، صرح له بان اسرائيل قد تهاجم القوة العراقية الا اذا اقنع الملك العراق بسحب قواته ، وفهم عبدالله من ذلك ان الاسرائيليين يدعونه لاحتلال مواقع العراقيين، ولهذا قابل الامير عبدالاله ونورى السعيد وافهمهما بضرورة الانسحاب حتى لا يهاجم الاسرائيليون القوة العراقية . ولم يسع عبدالاله ونورى السعيد سوى الموافقة ، خاصة وانهما لم يكونا على استعداد لمواصلة القتال وتحمل نتائج مهاجمة الاسرائيلين لقواتهم وان الوضع الداخلي فى العراق كان ينذر بالانفجار على اثر اشتداد المعارضة للحكومة من جانب شتى القوى الوطنية المعادية للاستعمار واعوانه والمطالبة بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية .

وقد افهم الاسرائيليون المفاوضين الاردنيين ان لهم نفس الحق فى الحلول محل العراقيين ، وتعزيزا لتهديداتهم بدءوا فى تحريك قواتهم فى وضح النهار بالقرب من منطقة المثلث مدركين ان الاردن لا يرغب فى مواصلة القتال ، مما اضعف موقف المفاوضين الاردنيين .

على ان مما تجدر الاشارة اليه ان اتصالات الاسرائيليين بالاردنيين كانت اكثر اتصالاتهم بالعرب تعقيدا • فقد بدأت المحادثات بين الطرفين في رودس بعد ايام من توقيع الهدنة مع مصر ـ ولم تكن لدى المفاوضين الاردنيين تعليمات بحكم ان الملك عبدالله فضل ان يقوم باتصالات مباشرة مع الاسرائيليين عن طريق عبدالله التل القائد الاردني في القدس ، الذي رتب لكي يقابل وفد اسرائيلي الملك في قصره الشتوي في الشونة قرب البحر الميت •

ومن الواضح ان عبدالله لم يكن على استعداد لان يخلع صلاحيات التفاوض على ممثليه في رودس ، وذلك برغم موافقته على استمرار المحادثات في الجزيرة بصفة رسمية ـ وممن قابلوه في الشونة وولتر ايتان وييجال يادين وموشي ديان •

هدف منذ بداية الصراع

ولما كانت المفاوضات المباشرة مع العرب هدفا رئيسيا لدى الاسرائيليين منذ بداية الصراع ، فقد اتفقوا على ان تحل القوات الاردنية محل العراقيين، اذا ما انسحبت هذه القوات من حزام ضيق طوله ١٢ ميلا وعرضه ١/٢ ـ ٢ ميل على طول النطاق الشمالي والغربي لمنطقة المثلث • ولم يسع الملك عبدالله سوى الاستجابة للمطالب الاسرائيلية ، خاصة وانه حصل ـ طبقا للمقترحات الاسرائيلية ـ على المثلث الهام في السامرة الذي يربط مدن نابلس وجنين وطولكرم • اما الاسرائيليون فقد حصلوا على بعض المناطق الخصبة وعلى المرتفعات المهيمنة على السهل الساحلي : فقد وضعوا ايديهم على خط الخضيرة ـ العفولة وعلى سكة حديد اللد ـ حيفا بالاضافة الى قسم من المنطقة الجبلية ذات الاهمية الاستراتيجية • واعتبرت الاتفاقية مؤقتة الى ان يمكن التوصل الى معاهدة سلام تتضمن حدودا متفقا عليها • كما اقيم خط منزوع السلاح في الجنوب بين البحر الميت والعقبة وفي الشمال بين البحر الميت وبيسان • وبقي وضع القدس كما هو : اذ بقيت المدينة الجديدة في ايدي اليهود والقديمة في ايدي الاردنيين •

وما ان تم التوصل الى هذه الاتفاقية حتى طار بها كل من موشي ديان مندوبا عن اسرائيل والجندي مندوبا عن الاردن الى رودس ، حيث وقعها المندوبون الرسميون في ٣ ابريل • ثم قابل ساسون الملك عبدالله في الشونة لاقتراح تحويل الهدنة الى اتفاقية سلام دائم ، ولكن الملك اعتذر متحججا بان الفرصة لم تسنح بعد وان السلام سيؤدي من جديد الى تدهور العلاقات المصرية ـ الاردنية •

مع لبنان وسوريا

اما المفاوضات الاسرائيلية اللبنانية فقد جرت دون صعوبة تذكر في بروش هانيكرا على الحدود اللبنانية الاسرائيلية • وطبقا لاتفاقية وقعت في ٢٣ مارس ١٩٤٩ جلا الاسرائيليون عن القرى الاربع عشرة التي احتلتها قواتهم خلال الحرب ، مما اكد الحدود الدولية القديمة • وباستثناء بعض النصوص الخاصة بالاراضي ، كانت لهجة الاتفاقية شبيهة تماما بوثيقة الاتفاقية الاسرائيلية ـ المصرية • كما نصت على توقع ان يؤدي وقف اطلاق النار الى سلام دائم • ومما يجدر ذكره ان رئيس الاركان اللبناني الكولونيل سالم قد ابلغ مندوب اسرائيل موردخاي ماكليف بان لبنان ليس لديه ما يدعوه الى بقاء حالة الحرب وانه ، لكونه بلدا ضعيفا ، لن يكون اول دولة توقع سلاما دائما مع اسرائيل ، بل سيبادر الى التوقيع متى سبقه بلد عربي اخر •

وهكذا وقعت اتفاقيات الهدنة مع كل من مصر ولبنان والاردن في اقل من ستة اسابيع ، على حين ان السوريين كانوا هم الوحيدين الذين اثاروا بعض التشدد الذي كان مرجعه من ناحية تدفق المشاعر القومية في سوريا من الحركة القومية العربية ، ومن ناحية اخرى عدم استعداد السوريين للجلاء عن الاراضي التي احتلوها داخل اسرائيل (مشمار حياردين) •

وحين بدأت المحادثات في ٥ ابريل ١٩٤٩ لم يصافح المندوب السوري فوزي سلو المندوب الاسرائيلي موردخاي ماكليف • على انه صافحه

في اليوم التالي قائلا له بحدة : « نحن نطالب بحيفا » ، فكان رد ماكليف عليه مبتسما قوله : « ونحن نطالب بدمشق » ! لم استمرت المحادثات في منطقة حرام على طريق طبرية ـ دمشق حتى ٢٠ يولية .

وفي تلك الاثناء كان الموقف الداخلي في سوريا متردیا . فكما هو الحال بالنسبة الى العراق ، كسدت التجارة وارتفعت تكاليف المعيشة مما زاد في سخط الجماهير على الاسر الاقطاعية الحاكمة التي تميزت بالفساد ولم تكترث باحوال البلاد . كما استتبعت الهزيمة العسكرية مظاهرات صاخبة ارغمت رئيس الوزراء على الهرب من البلاد . ثم جرى انقلابان عسكريان : اولهما بزعامة حسني الزعيم والثاني بزعامة سامي الحناوي ، مما عقد احوال البلاد التي دبت فيها الفوضى ، وبما زاد الطين بلة ان ماكليف هدد بالهجوم اذا لم يتوصل الاسرائيليون الى اتفاقية مع سوريا في اقرب وقت .

لهذا كله وافق السوريون في نهاية الامر على الجلاء الى حدودهم الاصلية ، وان اشترطوا بدورهم الا تحل القوات الاسرائيلية محل القوات السورية في المناطق التي تقرر اخلاؤها ـ وبهذا ظهرت الى الوجود منطقة اخرى منزوعة السلاح. ووقعت الاتفاقية في ٢٠ يولية ١٩٤٩ متضمنة ما اتفق عليه ، وصيغت نصوصها بشكل مشابه للنصوص التي تضمنتها المعاهدات السابقة .وكانت آخر اتفاقيات الهدنة وبذلك اسدل الستار بصفة رسمية على الحرب العربية ـ الاسرائيلية الاولى.

وكانت اتفاقية الهدنة السورية ـ الاسرائيلية هي آخر الاتفاقيات التي امكن التوصل اليها تحت اشراف رالف بنش الذي تقاعد ثم منح جائزة نوبل للسلام . ثم لم يلبث مجلس الامن ان وافق على طلب اسرائيل الانضمام الى الامم المتحدة ، ووافق معظم اعضاء المنظمة الدولية على هذه العضوية ، برغم تردد اسرائيل في عدة مناسبات في احترام القواعد الاساسية التي قامت عليها الامم المتحدة ـ وكانت عضوية الامم المتحدة في اواسط القرن العشرين تعتبر دليلا له مغزاه على سيادة الدولة .

فشل مؤتمر لوزان

وقبل ان توقع الوثائق النهائية لاتفاقيات رودس تم تعيين لجنة جديدة (لجنة المصالحة الخاصة بفلسطين) اخذت على عاتقها مهام الوسيط الدولي ووسعتها ، وكانت مهمتها تحويل اتفاقيات الهدنة الى معاهدات سلام دائم . وقد اشترك ممثلون عن كل من تركيا وفرنسا وامريكا في اللجنة التي كلفت ـ طبقا لقرار الجمعية العمومية الصادر في ١١ ديسمبر ١٩٤٨ ـ بالتوصل الى « تسوية نهائية لكل المسائل المعلقة بين (اسرائيل والعرب)» . وقد قرئ قرار مندوبو الدول الثلاثعلى التعامل مع الدول العربية باعتبارها كيانا جماعيا بدلا من التعامل مع كل منها على حدة ، ومن ثم لم تجرؤ حكومة عربية على توخي الاعتدال خشية تعرضها لهجوم الدول الاخرى .

وطبقا لهذا التعامل الجماعي دعت اللجنة العرب والاسرائيليين الى مؤتمر لوزان الذي بدأ اعماله في ٢٧ ابريل ١٩٤٩ وثبت فشله منذ اللحظة الاولى ، فعلى عكس الاسلوب الذي اتبع في التفاوض في رودس حيث وضع مندوبو طرفي النزاع في فندق واحد ، نجد ان المندوبين العرب قد وضعوا في قصر لوزان ، على حين نزل الاسرائيليون في « البوريفاج في اوشي » ، وبذلك قضى على احتمال الاتصالات غير الرسمية . وفي المناسبات النادرة التي جمعت فيها الاطراف رفض العرب الجلوس مع الاسرائيليين في نفس الغرفة، مصرين على ان المباحثات الخاصة بالسلام لايمكن اجراؤها الا اذا تم التوصل الى حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين،على حين اصر الاسرائيليون على عدم حل هذه المشكلة الا في اطار معاهدة سلام شامل . وازاء تشبث كل من الطرفين بموقفه فشل مؤتمر لوزان وانحلت لجنة المصالحة . وبقي النزاع العربي ـ الاسرائيلي دون حل ، بل وتفاقمت اخطاره بعد ان اصبحت المنطقة العربية مجالا للحرب الباردة والاستقطاب الدولي مما ادى الى نشوبحروبثلاثة اخرى بين العربوالاسرائيليين في الاعوام ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ . ■■

احمد عبدالرحيم مصطفى
استاذ التاريخ بجامعة الكويت

● حل مسابقة العدد ٢٢٨ ●

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ك	ي	ن	ش	ا	س	ا	ه	م	ج	ا	ل	د	و	ن
٢	ا	ل	ي	و	ب	ي	ل		ا	ق	ل	ا	ك		ا
٣	د		ا		ا	خ	ن	ا	ت	و	ن		ت	ر	ق
٤	م	ا	ت		د		ب	ب		ن	ق	ا	و	م	ه
٥	ي	ن		ا	ل	م	ا	و	ي		ا	ل	ر	ض	
٦	و	ا	ص	ل		ا	ل	ذ	ب	ا	ب	ه		ا	م
٧	م	ن		ف	ا	ر		ر	ت	ل		د	ا	ن	ي
٨	ه	ا	ب	و	ب	ك	ر	ا	ل	ص	د	ي	ق		
٩	ر	س	ا	ل	ه		ب	ل	ع	و	م		ل	ه	و
١٠	ب		ب	ت	ا	ر		غ	ا	م	ر	ت		ن	ا
١١	ي	م	د		م	ت	ع	ف	ن		ه	ا	ن	د	ل
١٢	غ	ر	م	ه		ا	ن	ا		س	ا	ل		و	د
١٣	ا	ج	ش		ا	ج	ا	ر	ي	ه		ف	ل	ك	
١٤	و	ا	ق	ي	ه		ن	ي	ك	ا	ر	ا	ج	و	ا
١٥	ل	ن		ا	ل	ل	ه		ف	د	ا	ن		ش	م

أبوبكر الصدّيق

●

أبوذر الغفاري

اثنتان في واحدة :

(٨) أفقيا: أبو بكر الصديق، **أول الخلفاء الراشدين ، ووالد السيدة عائشة زوجة النبي عليه الصلاة والسلام • حارب أهل الردة ، وهزم مسيلمة الكذاب • توفي بالمدينة •**

(٨) رأسيا : أبو ذر الغفاري ، **اشتهر بتقواه ، وتقشفه ، وروى الكثير من أحاديث الرسول • نعى على معاوية الترف والاسراف بمال المسلمين فاعاده من دمشق الى المدينة ، ثم نفاه عثمان الى الربذة •**

الفائزون بالجوائز

- **الجائزة الاولى** وقيمتها ٣٠ دينارا **فاز بها: عثمان اسماعيل محمد حسين** ـ أسيوط/مصر •
- **الجائزة الثانية** وقيمتها ٢٠ دينارا **فاز بها: سمير الجميل** ـ بيروت/لبنان •
- **الجائزة الثالثة** وقيمتها ١٠ دنانير **فازت بها: رقية محمد زمان** ـ المنامة/البحرين •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **احمد سرحان الهيتي** ـ الانبار/العراق
٢ ـ **محمد هاشم الكمالي** ـ الخرطوم/السودان
٣ ـ **عبدالعزيز محمد محمود** ـ حولي/الكويت
٤ ـ **مازن فريح ابومحفوظ** ـ طرابلس/ليبيا
٥ ـ **محمد المعتزبالله الايوبي** ـ دمشق/سوريا
٦ ـ **احمد سليمان سالم الحصري** ـ ابوظبي/الامارات العربية
٧ ـ **محمد العبدالله النوفل**ـ الرياض/السعودية
٨ ـ **ديب عبدالله بياري** ـ عمان/الوحدات •

حدث ذلك منذ ٨ قرون

عندما كان.. المحتسب مسئول النظافة

«يفرق المحتسب الفرانين على الدروب والمحال واطراف البلد، لما فيهم من المرافق وعظم حاجة الناس اليهم. ويأمرهم باصلاح المداخن، وتنظيف بلاط الفرن في كل ساعة من اللباب المحترق والشرر المتطاير والرماد المتناثر لئلا يلصق في اسفل الخبز منه شيء».

بقلم : زهير طحان



نحن متمدنون اكثر من اجدادنا . لكنهم كانوا متحضرين اكثر منا • ولناخذ مثلا واحدا : النظافة • وسوف يكون مرجعنا هو كتاب صدر في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) . عنوانه هو : «نهاية الرتبة في طلب الحسبة». لمؤلفه عبد الرحمن بن نصر الشيزري • وهو اول كتاب يروي بتفصيل يثير الدهشة صورة الحياة اليومية للمجتمع الاسلامي في ذلك العصر ،وكيف كان المحتسب مخولا – ضمن صلاحياته – في رعاية كل ما يتعلق بالنظافة ، قبل ان يعرف عالمنا العربي اسابيع النظافة، وقبل ان تظهر الى الوجود البلديات ومؤسسات حماية البيئة ومكافحة التلوث •

لقد كان المحتسب مسئول النظافة ، وكان له اعوان يدعون بالعرفاء • ووظيفته تطابق في ايامنا موظف التموين وشرطي البلدية والمفتش القضائي مجتمعين معا • فكان يتفقد نظافة البلد ، ومراقبة السوقة والاسواق ، وكشف انواع الغش والتدليس لاصحاب الحرف والصناعات في مبيعاتهم ومعاملاتهم• وكان يشرف على القضاة • بل كان يقصد مجالس الامراء والولاة ، ويامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويعظهم ويذكرهم ، ويأمرهم بالشفقة على الرعية • حتى لقد قام الغربيون انئذ بنقل منصب الحسبة واعمالها اليهم من المملكة الاسلامية ، وطبقت اول ما طبقت في المملكة الصليبية في بيت المقدس •

وقد كان كتاب الشيزري هو الاول في معالجة موضوع الحسبة ، لكنه لم يكن الوحيد في تراثنا العربي • فقد صدرت قبله كتب محدودة تضمنت اشارات الى هذا الموضوع • ومن بين الذى كتبوا في ذلك الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية المتوفي سنة (٤٥٠ هـ – ١٠٥٨ م) والامام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين • المتوفي سنة (٥٠٥هـ – ١١١١ م) • غير ان كلا الكتابين تغلب عليهما الصبغة الفقهية البحتة• اما الذين خلفوا الشيزري امثال ابن الاخوة وابن بسام وغيرهم فقد نقلوا معظم ما كتبوه من مؤلف الشيزري الذى بين ايدينا •

في الاسواق والطرقات

وهذه فقرات مما تضمنه كتاب الشيزري في موضوع النظافة •

– فيما يجب على المحتسب من شروط الحسبة :

« لما كانت الحسبة امرا بمعروف ونهيا عن المنكر واصلاحا بين الناس وجب ان يكون المحتسب فقيها، عارفا باحكام الشريعة،ليعلم مايامر به وينهى عنه• فان الحسن ماحسنه الشرع ، والقبيح ماقبحه الشرع ، ولامدخل للعقول في معرفة المعروف والمنكر الا بكتاب الله عز وجل • وسنة نبيه•ورب جاهل يستحسن بعقله ماقبحه الشرع ، فيرتكب المحظور وهو غير عالم به • ولهذا المعنى كان طلب العلم فريضة على كل مسلم كما قال النبي(ص) :

«وينبغي للمحتسب ان يكون مواظبا على سنن رسول الله ، من قص الشارب ، ونتف الابط وحلق العانة ، وتقليم الاظافر ، ونظافة الثياب وتقصيرها ، والتعطر بالمسك ونحوه ، وجميع سنن الشرع ومستحباته • هذا مع القيام على الفرائض والواجبات ، فان ذلك ازيد في توقيره • وانفى للطعن في دينه • وقد حكي ان رجلا حضر عند السلطان (محمود بن سبكتكين الذى اسس الدولة الغزنوية بافغانستان سنة ٣٨٩ هـ – ٩٩٩ م) فنظر السلطان فرأى شاربه قد غطى فاه من طوله وأذياله تسحب على الارض فقال له : ياشيخ اذهب فاحتسب على نفسك ، ثم عد واطلب الحسبة على الناس » •

وليكن «من شيمة المحتسب الرفق ، ولين القول ، وطلاقة الوجه ، وسهولة الاخلاق عند امره الناس ونهيه،فان ذلك ابلغ في استمالة القلوب،وحصول المقصود •

– الحسبة على الاسواق والطرقات :

«وينبغي للمحتسب ان يمنع احمال الحطب واعدال التبن ، ورِوايا (جمع راوية وهي وعاء من جلد الثور يوزع فيه الماء على الناس) الماء وشرائح السرجين (الشرائح جمع شريحة وهي القفص من سعف النخل • والسرجين لفظ اصله فارسي – سركين – معناه الدمن او الزبل) والرماد وأشباه ذلك ، من الدخول الى الاسواق لما فيه من الضرر بلباس الناس • ويأمر جلابي الحطب والتبن ونحوهم اذا وقفوا بها في العراص ، ان يضعوا الاحمال عن ظهور الدواب لانها اذا وقفت والاحمال

عليها اضرتها • وكان في ذلك تعذيب لها •• ويأمر اهل السوق بكنسها وتنظيفها من الاوساخ والطين المجتمع وغير ذلك مما يضر بالناس لان النبي قال ـ لاضرر ولاضرار ـ » •

« واما الطرقات ودروب المحلات فلا يجوز لاحد اخراج جدار داره ولا دكانه فيها الى المصر المعهود ، وكذلك كل ما فيه اذية واضرار على السالكين . كالميازيب الظاهرة من الحيطان في زمن الشتاء ، ومجارى الاوساخ من الدور في زمن الصيف الى وسط الطريق • بل يأمر المحتسب اصحاب الميازيب ان يجعلوا عوضها مسيلا محفورا في الحائط مكلسا ، يجرى فيه السطح ، وكل من كان في داره مخرج للوسخ الى الطريق ، فانه يكلفه سده في الصيف ، ويحفر له في الدار حفرة يجتمع اليها » •

ـ الحسبة على الحبوبيين والدقاقين :

يحرم عليهم احتكار الغلة على ما بيناه ، ولا يخلطون ردىء الحنطة بجيدها ولا عتيقها بجديدها، فانه تدليس على الناس • واذا دعت الحاجة الى غسل الغلة جففت بعد غسلها تجفيفا بليغا ، ثم بيعت منفردة •

ويلزم الدقاقين (اى الطعانين) غربلة الغلة من التراب ، وتنقيتها من الزوان ، وتنظيفها من الغبار قبل طحنها • ولهم ان يرشوا على الحنطة ماء يسيرا عند طحنها ، فان ذلك يكسو الدقيق بياضا وجودة • ويعتبر عليهم المحتسب الدقيق ، فانهم ربما خلطوا فيه دقيق الشعير المنخول او دقيق الباقلا والحمصونحو ذلك ، او ما هو مطحون على رحى منقورة ، او ما خالطه زوان او غبار الطاحون ، فان ارتاب حلفهم ان لا يعملوا شيئا من ذلك » •

فرن للخبز وآخر للسمك!

ـ الحسبة على الخبازين :

« ينبغي ان ترفع سقائف حوانيتهم ، وتفتح ابوابها ، ويجعل في سقوف الافران منافس واسعة يخرج منها الدخان ، لئلا يتضرر بذلك الناس • واذا فرغ الخباز من احمائه ، مسح داخل التنور بخرقة نظيفة ثم شرع في الخبز •

ويكتب المحتسب اسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم فان الحاجة تدعوه الى معرفتهم ، ويأمرهم بنظافة اوعية الماء وتغطيتها ، وغسل المعاجين ونظافتها ، وما يغطى به الخبز وما يحمل عليه •

ولا يعجن العجان بقدميه ولا بركبتيه ولا بمرفقيه ، لان في ذلك مهانة للطعام ، وربما قطر في العجين شيء من عرق ابطيه وبدنه ، فلا يعجن الا وعليه ملعبة (ثوب من غير كم) او بشت (رداء من الصوف بلونه الطبيعي) مقطوع الاكمام، ويكون ملثما ايضا ، لانه ربما عطس او تكلم ، فقطر شيء من بصاقه او مخاطه على العجين • ويشد على جبينه عصابة بيضاء ، لئلا يعرق فيقطر منه شيء في العجين ويحلق شعر ذراعيه لئلا يسقط منه شيء منه في العجين ، واذا عجن في النهار فليكن عنده انسان في يده مذبة يطرد عنه الذباب • هذا كله بعد نخل الدقيق بالمناخل السفينة (الكثيفة) مرارا • » •

ـ الحسبة على الفرانين :

« يفرقهم المحتسب على الدروب والمحال واطراف البلد ، لما فيهم من المرافق وعظم حاجة الناس اليهم • ويأمرهم باصلاح المداخن ، وتنظيف بلاط الفرن في كل ساعة ، من اللباب المحترق والشرر المتطاير والرماد المتناثر ، لئلا يلصق في اسفل الخبز منه شيء • ويجعل الفران بين يديه اجانة (الاناء الذى تغسل فيه الثياب) نظيفة للماء ، فاذا فرغ من الخبز اراق ما بقي فيها لانه اذا بقي فيها تغيرت رائحته ثم يغسلها من الغد •

وينبغي ان يكون له مخبزان ، احدهما للخبز والاخر للسمك ، ويجعل السمك بمعزل عن الخبز لئلا يسيل شيء من دهنه على الخبز • » •

ـ الحسبة على صناع الزلابية (نوع من الحلوى يدخل في عملها العسل واللوز) :

« ينبغي ان يكون مقلى الزلابية من النحاس الاحمر الجيد ، فاول ما يحرق فيه النخالة ثم يدلكه بورق الصلق اذا برد ، ثم يعاد الى النار• ويجعل فيه قليل من عسل ، ويوقد عليه حتى يحترق العسل ، ثم يجلي بعد ذلك بمدقوق الخزف، ثم يغسل ويستعمل ، فانه ينقى من وسخه وزنجاره • » •

ـ الحسبة على الجزارين والقصابين :

« واما القصابون فمنعهم المحتسب من اخراج توالي (الاعجاز من اللحم المذبوح) اللحم من حد مصاطب حوانيتهم ، بل تكون متمكنة من الدخول

عند حد المصطبة والركنين ، لئلا تلاصقها ثياب الناس فيتضرروا بها • ويأمرهم ان يفردوا لحوم المعز عن لحوم الضأن ولا يخلطوا بعضها ببعض ، وينقطوا لحوم المعز بالزعفران ، لتتميز عن غيرها •

واذا فرغ القصاب من البيع واراد الانصراف اخذ ملحا مسحوقا ونشره على القرمية (قطعة الخشب يقطع عليها اللحم) التي يقصب عليها اللحم ، لئلا تلحسها الكلاب ، او يدب عليها شيء من هوام الارض فان لم يجد ملحا ، والا فالاشنان (نبات لا ورق له واغصانه طعمها يميل الى الملوحة ويستعمل بعد دق الاغصان لتصبح مسحوقا) المسحوق يقوم مقامه •

وينهى المحتسب الجزار عن نفخ لحم الشاة بعد السلخ ، لان نكهة الادمي تغير اللحم وتزفره ومنهم من يشق اللحم من الصفاقين (الصفاق : جلد البطن) وينفخ فيه الماء ، ولهم اماكن يعرفونها ينفخون فيها الماء • فيراعيهم المحتسب عند غيبة العريف • ومنهم من يشهر في الاسواق البقر السمان ثم يذبح غيرها ، وهذا تدليس •

ويمنعهم المحتسب من بيع اللحم بالحيوان ، وهو ان يشترى القصاب الشاة بارطال لحم معلومة ويدفع اليه الجزار كل يوم ما يتفقان عليه من اللحم ، لان النبى نهى عن ذلك • واذا شك المحتسب في الحيوان — هل هو ميتة او مذبوح — القاه في الماء ، فان رسب فهو مذبوح ، وان لم يرسب فهو ميتة • وكذلك البيض اذا طرح في الماء ، فما كان مذرا (فاسدا) فهو يطفو ، وما كان صحيحا فهو يرسب •

ويعتبر المحتسب على صيادى العصافير وسائر الطيور بما ذكرناه، فاناكثرهم لا دين له واكثرهم لا يصلون • فليتق الله المحتسب في امره ولا يتناول منهم رشوة ولا يقبل من احد منهم هدية ، لئلا يتسلطوا بذلك على المسلمين ويتجسسوا معايشهم ، وربما اختلط معهم شيء من الطيور الميتة فباعوه مع المذبوحة • »

— الحسبة على الرواسين :

« يأمرهم بنظافة سمط الروس والاكارع بالماء الشديد الحرارة ، وجودة تنقية الشعر والصوف منها ثم تغسل بعد ذلك بالماء البارد ، غير الذى سمطت فيه • ويجب على الرواس ان يضع اصبعه في الخياشيم ويغسل داخلها ، بعد ان يدق مقدمها ، وينزل ما فيه من القذا والوسخ والدود المتولد ، ان كان هناك منه شيء • » •

المذبة في يده !

— الحسبة على قلائي السمك :

« يؤمرون كل يوم بغسل قفافهم واطباقهم التي يحملون فيها السمك وينثرون فيها الملح المسحوق كل ليلة بعد الغسل ، وكذلك يفعلون بموازينهم الخوص ، لانهم اذا غفلوا عن غسلها فاح نتنها وكثر وسخها ، فاذا وضع فيها السمك الطرى تغير ريحه وفسد طعمه • ويبالغون في غسل السمك بعد شقه وتنظيفه وتنقيته من جلده وفلوسه ، ثم ينثرون عليها الملح والدقيق — وشرط العشرة ارطال ، رطل دقيق ثم يقلونه بعد ان يجف في تداوته • ولا يخلطون السمك البائت بالطرى ، وعلامة الطرى ان خياشيمه محمرة والبائت ليس كذلك • وينبغي للعريف ان يتفقد المقلى كل ساعة عند غيبة المحتسب عنه • لئلا يقلوه بدهن الشحم المستخرج من بطون السمك ، ويخلطون هذا الدهن بالزيت عند قليه • وأجود ما قلى به الشيرج ، ولا يقلونه بالزيت المعاد اذا كان متغير الرائحة ، ولا يخرجون السمك من المقلى حتى ينتهى نضجه ، من غير سلق ولا احتراق •

وأما السمك الذى يحمل الى البلاد أو يكسد في المخازن كالفسيخ والبطارخ ، فلا تقشر فلوسه ولكن يولق بالملح ، سيما رووسه وخياشيمه ، فان الدود اول ما يتولد فيهما ، ومتى مذر السمك المكسود وجب ان يرمى على المزابل خارج البلد »•

— الحسبة على الطباخين :

« يؤمرون بتغطية أوانيهم ، وحفظها من الذباب وهوام الارض بعد غسلها بالماء الحار والاشنان والا يطبخوا لحوم المعز مع لحوم الضأن ، ولا لحوم الابل مع لحوم البقر ، لئلا ياكلها ناقه من المرض فتكون سببا لنكسة • ويعتبر المحتسب عليهم كثرة الادام وقلة اللحوم ، فان أكثرهم يسلون الدهن ويفرغونه في القدر ، فيطفو على وجه الطعام ، فيغتر به الناس ، ويظنونه من كثرة اللحم » •

— الحسبة على الهرائسيين (الهريسة طعام من خليط القمح واللحم) :

« ويأمرهم المحتسب بغسل قدور الدهن وتنظيفها

وتمليحها لئلا تتغير رائحتها وطعمها فيتولد فيها الدود . فاذا أعيد الدهن اليها ثانيا صار متغيرا في الرائحة والطعم » .

ـ الحسبة على النقانقيين (النقانقي صانع المصارين المحشوة باللحم والتوابل والبصل) :

« الاولى ان تكون مواضعهم التي يصنعون فيها النقانق بقرب دكة المحتسب ، ليراعيهم بعينه فان غشهم فيها كثير لا يكاد يعرف . ويامرهم بتنقية اللحم وجودته ، واستسمانه ونعومة دقه على القرم النظيفة . وليكن عنده واحد حين يدق اللحم ، بمذبة يطرد بها الذباب . ولا يخلطون معهالبصل والابازير والتوابل الا بحضرة العريف، ليعلم مقداره بالوزن ، ثم يحشونه بعد ذلك في المصارين النقية » .

ـ الحسبة على الحلوانيين :

« الحلوى انواع كثيرة واجناس مختلفة ، لا يمكن ضبطها بصفة ولا عيار ، اخلاطها على قدر انواعها مثل النشا واللوز والخشخاش ، وغير ذلك ، فقد يكون ذلك كثيرا في نوع ، وقليلا في نوع اخر . وانما يرجى في معرفة ذلك كله الى العريف . وينبغي ان تكون الحلوى تامة النضج . غير نيئة ولا محترقة . ولا تبرح المذبة في يده يطرد عنها الذباب » .

حتى الحمامات

ـ الحسبة على الحمامات وقومتها :

« وينبغي ان يامرهم المحتسب بغسل الحمام وكنسها وتنظيفها بالماء الطاهر ، غير ماء الغسالة يفعلون ذلك مرارا في اليوم . ويدلكون البلاط بالاشياء الخشنة ، لئلا يتعلق به السدر والخطمي والصابون، فتزلق ارجل الناس عليهم . ويغسلون الخزانة من الاوساخ المجتمعة في مجاريها ، والعكر الراكد في اسفلها في كل شهر مرة ، لانها ان تركت أكثر من ذلك تغير الماء فيها في الطعم والرائحة . واذا اراد القيم الصعود الى الخزانة لفتح الماء الى الاحواض ، فينبغي أن يغسل رجليه بالماء، ثم يصعد لئلا يكون قد خاض في الغسالات . ولا يسد الانابيب بشعر المشاطة . بل يسدها بالليف والخرق الطاهرة ، ليخرج من الغلاق . ويشعل فيها البخور في كل يوم مرتين ، سيما اذا شرع في غسلها وكنسها . ومتى بردت الحمام ، ينبغي ان يبخرها القيم بالخزامى فان دخانها يحمي هواءها ، ويطيب رائحتها . ولا يحبس ماء الغسالات في مسيل الحمام ، لئلا تفوح رائحتها ، ولا يدع الاساكفة وغيرهم يصبغون في الحمام ، فان الناس يتضررون برائحة الدباغة ، ولا يجوز ان يدخل المجذوم والابرص الى الحمام . ويلزم المحتسب ان يتفقد الحمام في كل يوم مرارا » .

ـ الحسبة على مؤدبي الصبيان :

« لا يجوز لهم تعليم الخط للصبيان في المساجد لان النبي امر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين ، لانهم يسودون حيطانها ، وينجسون ارضها ، اذ لا يحترزون من البول وسائر النجاسات بل يتخذون للتعليم حوانيت في الدروب واطراف الاسواق .

ولا يضرب المؤدب صبيا بعصا غليظة تكسر العظم ولا رقيقة تؤلم الجسم ، بل تكون وسطا ، ويتخذ مجلدا عريض السير ، ويعتمد في ضربه على اللوايا والافخاذ واسافل الرجلين ، لان هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة » .

ـ الحسبة على الجوامع والمساجد :

« ويشرف المحتسب على الجوامع والمساجد ، ويامر قومتها بكنسها في كل يوم وتنظيفها من الاوساخ ونفض حصرها من الغبار ، ومسح حيطانها ، وغسل قناديلها واشعالها في كل ليلة. ويامرهم بغلق ابوابها عقيب كل صلاة ، وصيانتها من الصبيان والمجانين وممن ياكل فيها الطعام او ينام ، او يعمل صناعة ، او يبيع سلعة ، او ينشد ضالة ، او يجلس فيها للناس لحديث الدنيا ، فجميع ذلك قد ورد الشرع بتنزيه المساجد عنها وكراهية فعله » .

ـ الحسبة على البقالين وباعة الخضروات والقسالين والسقائين :

« ويامرهم المحتسب ببيع البقول مغسولة من السرجين منقاة من الحشيش والطاقات المصفرة ، ويامرهم بقطع شغف اصول القس والفجل ، وينهاهم عن غسل البصل والثوم الرطبين ، فان

البقية على صفحتي ١٤٦ ـ ١٤٧

اعداد : يوسف زعبلاوى

قلب قرد فى صدر فتاة !

● الدكتور كريستان بارنارد ، جراح جنوب وفريقيا الشهير ، هو الذى أجرى سنة ١٩٦٧ اول عملية زرع قلوب فى التاريخ • وقد حذا حذوه كبار الجراحين فى امريكا وبريطانيا وغيرهما حتى زادت عمليات زرع القلوب فى السنوات العشر الاخيرة على ٣٠٠ عملية •

وجاءت سنة ١٩٧٣ واذا بالدكتور بارناد يفاجىء العالم ببدعة اخرى رائدة ، حين زرع قلبا ثانيا اضافيا فى صدر المريض دون ان ينتزع قلبه الاصلى وذلك بقصد تقوية دورته الدموية المعتلة •

ولم يكتف طبيب جنوب افريقيا بهذا وذاك • فقد اجرى فى الصيف الماضى عملية زرع ثالثة لفتاة ايطالية فى الخامسة والعشرين من عمرها ، حين زرع فى صدرها قلب قرد من فصيلة (Baboon) ، وقد تعذر عليه الحصول على قلب انسان •

وتجدر الاشارة الى ان الفتاة كانت تعانى من مرض فى القلب مزمن • وقد دخلت المستشفى لاستبدال أحد صمامات قلبها ، وكان صماما اصطناعيا تلف وبات من الضرورى استبداله بصمام آخر سليم •• ولكن الدكتور برنارد اكتشف ، لدى الفراغ من العملية ، ما هو اخطر من الصمام التالف •• اكتشف ان قلب الفتاة بالذات كان تالفا •• وقد ثبت له عجزه عن القيام بوظيفته • وتبين له ان هذا العجز كان سببه الشريان التيجانى (Coronary Artery) الذى تعطل جزء منه فوقف حجر عثرة فى طريق الدم وحال دون مواصلته جريانه •••

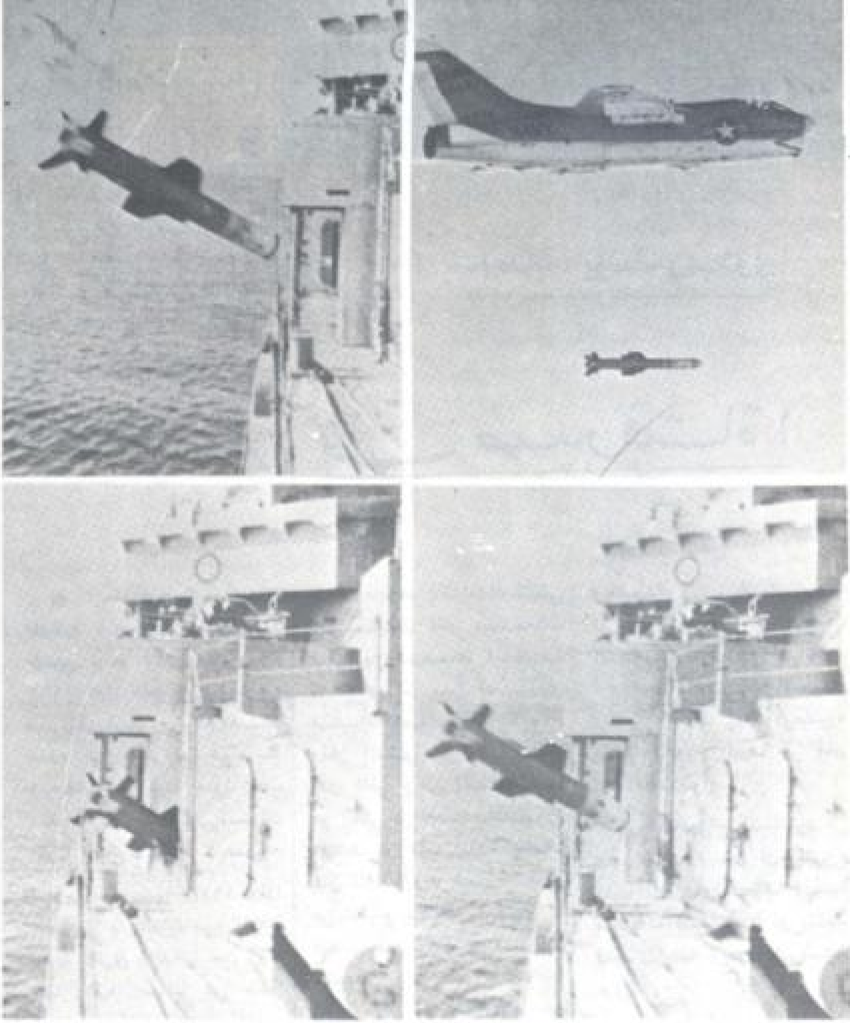
وفشلت محاولات الدكتور بارنارد الاستغناء عن ذلك الجزء التالف بوصلة اقتطعها من وريد فى ساق الفتاة ، ووضعها مكانه • ولم يبق امامه ، لانقاذ حياة الفتاة ، سوى احتمال واحد •• هو الاستغناء عن قلبها والاعتماد على قلب آخر سليم يزرعه الى جانبه •

وتعذر الحصول على قلب انسان فى الوقت المناسب وبالسرعة التى اقتضتها حالة المريضة المتدهورة • عندئذ عمد الدكتور برنارد الى قلب القرد •• احد القردين السليمين اللذين احتفظ بهما فى مختبره بقصد اللجوء اليهما فى مثل هذه الحالات •

وزرع الجراح قلب القرد فى صدر الفتاة دون ان ينتزع قلبها الاول ، وذلك مؤقتا وريثما يتوفر له قلب بشرى أو ينشط قلب المريضة ويعود الى سابق حيويته •

الا ان شيئا من هذا لم يحدث •• فلا قلب الفتاة استرد نشاطه ولا قلب القرد استطاع القيام باعباء دورة الفتاة الدموية بمفرده •• فماتت المريضة فى غضون خمس ساعات من اجراء هذه العملية ، بدعة الدكتور بارنارد الثالثة •

ولا يعرف ما اذا كانت اجهزة المناعة فى جسم الفتاة هى سبب الوفاة •• ولا يعرف ايضا ما اذا كانت الفتاة تبقى على قيد الحياة فيما لو كان القلب الذى زرع فى صدرها قلب انسان ••



صواريخ هاربون للسفن الاسرائيلية

● ذكرت مجلة نيوزويك الامريكية المعروفة (٧ نوفمبر ١٩٧٧م) ان اسرائيل تسلمت من الولايات المتحدة عددا من صواريخ هاربون (Harpoon) ... ولم تحدد المجلة عدد تلك الصواريخ التي حصلت عليها اسرائيل لاول مرة ، واكتفت بالقول ان صواريخ هاربون الامريكية هذه معدة لضرب السفن وهي في ذلك نظيرة صواريخ ستيكس السوفياتية (Styx) المتوفرة لدى بعض الدول العربية ، مصر وسورية بخاصة ..

ومما يذكر عن صواريخ هاربون هذه انها تطلق من الطائرات ومن السفن البحرية ايضا وفي هذه الحال يجب ان تكون مزودة بما يعرف ب (Rocket Booster) ..وقد نجح صانعو هذه الصواريخ ، شركة ماكدونيل دوجلاس (McDonn ll Douglas) — بالتعاون مع سلطات الاسطول الامريكي ، في تطوير هذه الصواريخ بحيث اصبح من الممكن اطلاقها من الغواصات — وهي غائصة في اعماق المياه .

ونورد فيما يلي مقارنة موجزة

لمواصفات صواريخ هاربون الامريكية وصواريخ ستكس السوفياتية :

ستكس SS-N-2

الطول	٦ر٢٥ متر
القطر	٧٥ سم
الوزن	
المدى	٤٠ كم

هاربون

الطول	٤ر٥٧ متر
القطر	٣٤ سم
الوزن	٦٦٧ كيلو غراما (كاملا)
المدى	٩٠ كم

وتجدر الاشارة الى ان صواريخ ستكس السوفياتية قد وضعت موضع الخدمة الفعلية منذ سنة ١٩٦٠٠٠وان الصاروخ الذى اغرق المدمرة الاسرائيلية (ايلات) فى اعقاب حرب ١٩٦٧ وذلك فى اقل من نصف ساعة كان من صواريخ ستكس هذه . وطرازه هو (SS-N-2) ... اما صاروخ هاربون فحديث العهد نسبيا وقد تم تطويره سنة ١٩٧١ . الا انه شديد الفاعلية وهو موجه بالرادار .

وتجدر الاشارة ايضا الى صاروخ (جابرييل Gabriel) الذى تمتلك منه اسرائيل كمية كبيرة . نظرا لانها هى التى تصنعه . وقد تم تطويره فى مطلع الستينات . ومع ان ابعاده تقارب ابعاد الهاربون الا انمداه قصير جدا ويتراوح بين ٢ ـ ٢٢ كيلو متر .

أفران للطهي السريع جداً

● يبدو ان الافران العادية التى نستعملها فى المطابخ هذه الايام قد اخذت طريقها الى زوال .. ومن يدرى فقد تختفى عما قريب كما اختفت عربات الخيول لدى شيوع السيارات فى الثلاثينات من هذا القرن ..

ذلك ان الامريكيين نجحوا فى صنع افران جديدة تعمل بالموجات الصغرى (Microwave)وهذه موجات كهربائية ـ مغناطيسية يطلقها الفرن الجديد على الشيء المراد طبخه . ومن شانها ان تولد شحنات موجبة واخرى سالبة .. ولا تلبث هذه الشحنات ان تصل الى ذرات المياه الموجودة فى ذلك الشيء .. فتندفع هذه الذرات فى حركة مكوكية سريعة جداً ... تبلغ ملايين الذبذبات فى الثانية الواحدة .. وتضمن هذه السرعة الخارقة الطبخ بسرعة بالغة..فطهي البطاطس لا يحتاج سوى (٤) دقائق فى هذه الافران ...

ومما يذكر عن هذه الافران التى لا تستهلك من الطاقة اكثر مما تستهلكه الافران العادية ـ علما بانها تدار بالكهرباء ـ انها تجاوزت مرحلة التجارب ودخلت مرحلة الانتاج، بل قل اجتاحت الاسواق الامريكية منذ مطلع السبعينات . فقد قفزت مبيعاتها فى اسواق الولايات المتحدة على النحو التالى : (٤٠٠٠٠) جهاز سنة ١٩٧٠ (١٦٠٠٠٠٠) جهاز سنة ١٩٧٦ .. اى انها تضاعفت اربعين ضعفا فى غضون السنوات الست الاخيرة ... ويقول الامريكيون انهم لا يذكرون مثيلا لهذه الزيادة الا فى مبيعات التلفاز الملون لدى ظهوره فى مطلع الستينات... وقد بلغ من انتشار افران الموجات الصغرى انها عمت المستشفيات وشركات الطيران وما الى ذلك من مؤسسات وانها ستحتل مكانها فى اكثر من نصف البيوت الخاصة فى امريكا فى مستقبل قريب ـ كما يؤكد الخبراء .

على ان هذه الافران لا تخلو من مخاطر ... مخاطر الموجات الصغرى التى يتعرض لها الانسان ـ وكل كائن حي ـ اذا هو تعرض لاشعاع تلك الموجات. من هنا كان اهتمام السلطات الحكومية المعنية وحرصها على ان تكون هذه الافران محكمة الاغلاق بحيث لا تتسرب اشعة الموجات الصغرى الى خارجها ... بيد ان خطر هذه الموجات اقل بكثير من خطورة الاشعة السينية (x) والاشعاع الذرى .. فهو اشبه بخطر النار البالغة الحرارة ...

حفل زفاف من العصر الحجري

بريشة بهجت



بطاقة الدعوة



العريس ينتقي للعروس فستان الزفاف



سيارة الزفاف
مزينة بالورود
وقد أكلها
المدعوين في الحفل
« السيارة وليست الورود »



وانهالت برقيات التهنئة على العروسين



صورة الزفاف



العروس تصعد إلى بيت الزوجية في الدور الثاني

ـ سأموت وانا مطمئن الى الخلود ـ
شابلين

شارلى شابلين :



آخر المهرّجين العظام !

بقلم : الدكتور على الراعى

■ فن شارلى شابلين مجموعة من المتناقضات · عرف هذا « المهرج العظيم » الشهرة العالمية فى عام ١٩١٤ ، عن طريق احدث الفنون واكثرها تعبيرا عن القرن العشرين وهو فن السينما ومع ذلك ، فان المتامل لفنه سرعان ما يكتشف جذوره العميقة الضاربة فى اقدم العصور · انه يغترف من فنون الممثلين الجوالة الذين عرفتهم العصور الوسطى ، كما يستخدم ببراعة وعبقرية ما وصل اليه من فنون ممثلى الكوميديا المرتجلة الايطالية، وفى الوقت ذاته نراه يدين لفن الميوزيك هول البريطانى بالدروس التى تلقاها منه فى فترة تلمذته الفنية ·

هو اذن فن مركب ، فن هذا الانسان العظيم · ومع ذلك فهو فن قريب الى كل قلب · فلابد اذن انه فن بسيط !



كيف جمع شارلي شابلن بين كل هذه المتناقضات، وكيف افلح في صهرها في البوتقة السحرية التي يملكها كل فنان كبير ؟

في تقديري ان سر نجاح شابلن يعود الى حبه لكل الناس • حبه للبشر اجمعين • قلبه الكبير وسع اوجاع الانسانية كلها ، فاخرج لها فنا يفيض بالمحبة والعطف ، وينبض بالبساطة ، ويتخذ له هدفا واحدا عميق الجذور في كل نفس : الرغبة العارمة الدافقة في ان ينتصر الخير في العالم ، وان ينهزم الشر ، وان ينعم كل الناس ويتمتعوا بالحياة •

لهذا انتصر شابلن دائما للفقراء ، لانهم اول المظلومين • فدافع عنهم دفاعا مجيدا • دافع عنهم بفنه السحري فقط ، وليس بالخطب ، والعقائد المركبة • فما كان ابعده عن العقائد والفلسفات التي تغمض على عقول الناس •

غير انه ـ وهذا سر عظمته ـ دافع عن الفقراء ، وليس عن الفقر • فقد ذاق في طفولته صنوفا من هذا الفقر ظل يحمل مرارتها ، حتى وهو في بسطة العيش ورحابته ـ حتى وهو في سويسرا الجميلة في قصره المنيف ، ووسط اسرته الكبيرة التي انجب افرادها من المراة الوحيدة التي احبته لذاته ، وهي : اونا اونيل ، ابنة الكاتب المسرحي الامريكي الكبير يوجين اونيل •

وذات يوم « ارتكب » الكاتب الانجليزي سومرست موم تحليلا لشخصية شابلن ، زعم فيها انه الفقير الدائم : مهما اصابه من ثراء فهو يحن الى ايام الفقر الاولى ، ويسعى الى ممارسة مظاهره في تلذذ •

وقرأ شابلن هذا التحليل السخيف فجاء رده عليه ـ كفنه العظيم ـ : حاسما ، وبسيطا ، وواضحا • قال : « ما رأيت قط في حياتي فقيرا يحن الى الفقر • » !

وقد صدق الفنان العظيم ، فالذين « يحنون » الى الفقر ، هم المتخمون ، الذين لم يعرفوه قط من امثال السيد سومرست موم • اما الذين عرفوه بالفعل ، فهم يقولون مع علي بن ابي طالب : « لو كان الفقر رجلا لقتلته » • ويقولون مع برناردشو : الفقر جريمة اجتماعية !

أخذ احساسهم بالفقر !

ما الذي اعنيه بقولي ان فن شابلن يدين لفنون ممثلي الفرق الجوالة ، كما يدين لفناني الكوميديا المرتجلة الايطالية ؟

لناخذ الفرق الجوالة اولا ••

نشا هؤلاء منذ القدم كفنانين يقدمون نمر المحاكاة ، او التقليد ، في الاسواق واماكن التجمع الاخرى • وكانوا ايام اليونان القديمة يؤلفون جمعا من الاكروبات والحواة وما اشبه ، هم اقرب الى المتسولين • يكسبون عيشهم بشق الانفس ، وفي وجه مخاطر عديدة •

وتطور فن المحاكاة هذا عند الدوريين في اليونان القديمة ، ومن ثم امتد الى صقلية وجنوب ايطاليا ، واصبح مسرحا بدائيا ، يقدم على منصة خشنة ، لها ستار يفتح من وسطه ، ومن الفتحة يدخل الممثلون ، ويقدمون فنهم وخلفهم الستار كنوع من المنظر ، بينما يكون باقي الممثلين وراء الستار في انتظار ان تاتي ادوارهم • واثناء العرض ، كان واحد من الممثلين يطوف بالرواد ليجمع منهم ما تجود به نفوسهم من عطاء •

اما العرض ذاته فكان يقدم على الفكاهة الخشنة ، بكل ما كانت تحويه فكاهة الزمن القديم من الفاظ واشارات تعد اليوم بذيئة وداعرة ، ولكنها لم تكن كذلك قط في نظر معاصريها •

وعلى الزمن تطور العرض ، فدخلت فيه نتف من الحوار ، وخطوط عريضة لقصة بدائية ، وان ظل يعتمد اساسا على الشخصيات ، عوضا عن القصة المسرحية •

وحين اصدرت الكنيسة امر الحرمان ضد الممثلين في القرن الخامس الميلادي ، لم اغلقت المسارح كلها في القرن السادس ، حمل الممثلون الجوالون



شعلة المسرح بمفردهم ، وظلوا - حتى عصر النهضة - يقدمون عروضهم التمثيلية والبهلوانية، ملتمسين أسباب النجاة في ضآلة شأنهم ، وقلة انتشارهم .

وحين اشرق نور عصر النهضة ، تضاعف عدد الفرق الجوالة ، وظلوا يحتلون مركزا هاما في تاريخ المسرح الاوروبي ، من يومها حتى قرننا هذا .

وقد خرج من صفوف هذه الفرق بعض من المع شخصيات المسرح العالمي ، مثل الكاتب موليير ، والممثلة الايطالية : اليونورا ديوز .

ما الذي اخذه شابلين اذن من فن هؤلاء الرواد؟

اخذ التصاقهم الشديد بعامة الناس ،واحساسهم الدائم بمذلة الفقر ، ورغبتهم في التعبير عن انفسهم من ايسر السبل الفنية ، واقربها الى الجماهير ، وهي الفكاهة الخشنة ، والمسرحية التي تعتمد الشخصية اساسا ، تاتي بعده القصة . على أن شابلين اخذ هذا كله عبر فنانين اخرين ، تولوا تصفية هذا اللون الفني من شوائب الجنس والاشارات الداعرة ، وهي امور خلا منها شابلين ، وهو ما كان ليقبلها على كل حال حتى لو كانت وصلت اليه عبر القرون . فان فنه لم يعتمد يوما على فج الكلام ، او مهارشات الجنس .

الانتصار الدائم للخير

اما الكوميديا المرتجلة الايطالية ، فقد امدت شابلين بالمادة الفنية التي صنع منها شخصية الخالدة : « شارلي » : المتشرد ، الفقير ، الانسان، الجوال رغم انفه ، الذي يتطلع الى تصيب مشروع من متع الحياة ولا يجده ابدا ، والذي يعشق الطعام والنساء ، والفكاهة الخالصة ، ويهوى تدبير المقالب، يقع فيها خصومه احيانا ولا ينجو منها هو نفسه في كثير من الاحيان .

تلك هي شخصية « الارليكنو » في الكوميديا الايطالية ، وهذه هي صفاتها الاساسية .

اضيف اليها الان ان هذه الشخصية كانت نمطا ثابتا لا يتغير من مسرحية الى مسرحية ، ولا يتطور ابدا . وكان لهذه الشخصية علامات مسجلة هي : القناع الاسود ، والثوب المتعدد الالوان ، او « المرقع » كما يسمى في لغة المسرح الشعبي في مصر .

وقد امتص شابلين جوهر هذه الشخصية ، فاحتفظ لنفسه منها بالتشرد ، والجوع الدائم الى الطعام والنساء ، ومتع الحياة ، كما احتفظ بالنزعة الى تدبير المقالب ، حبا في تدبيرها وتامل نتائجها المضحكة ، ثم اضاف الى هذا - من عنده - حب عامة الناس حبا دافقا ،ووجه رغبة الارليكنو القتالة في تدبير المقالب وجهة الخير الاجتماعي ، فهو في افلامه عامة - وفي افلامه الصامتة بوجه خاص - يوجه المقالب ضد الاغنياء المترفين ، وضد المجرمين والقتلة ، وضد أنظمة الحكم الفاسدة ، او المتصلة .

ومن يتتبع هذه الافلام الباكرة ، يجد فيها خطا واحدا متسقا هو الانتصار للخير والعدل ضد الظلم والمعاناة .

ففي فيلم « الشريد » ينقذ شارلي فتاة مسكينة من براثن عصابة من الغجر ، كانت تضربها وتكلفها بالشاق من الاعمال . وفي فيلم : « الشارع » ينقذ شارلي الجيرة كلها من شرور بلطجي ضخم الجثة ، ويجعله يفيء - راغما - الى روح العدل والقانون .

وفي فيلم : « المغامر » ينقذ فتاة اخرى من الغرق . وفي فيلم : « المهاجر » يصادق فتاة ثالثة مهاجرة معه على السفينة نفسها ، ويحميها من اللصوص ، ويخوض معها تجربة الفقر والتشرد في نيويورك . وفي فيلم « المصحة » يسخر شارلي من مجتمع الاغنياء والمتخمين الذين ياكلون اكثر مما ينبغي ثم يجيئون الى المصحة لتخليصهم من الشحم . وفي فيلم : « الكونت » يدخل شارلي مجتمع الاغنياء متخفيا في زي كونت ، ويعصف بهذا المجتمع سخرية وتندرا .

في هذه الافلام جميعا ، - التي اخرجت عامي ١٩١٦ و ١٩١٧ - هدف اجتماعي عام تمثله الشخصية التي خلقها شابلين من وحي فنون

الجوالين والمرتجلين ، وجعل لها علاماتها المسجلة : السروال الواسع المضحك ، والعصا المعقدة ، والقبعة القصيرة ذات القبة ، والحذاء الكبير المهترىء : شخصية شارلي .

هارب من الليمان !

ولناخذ واحدا من هذه الافلام الباكرة لنضعه تحت ميكروسكوب التحليل وليكن فيلم : «المغامر» مثلا .

في هذا الفيلم نلتقي شارلي ، الهارب لتوه من الليمان ، ينقذ الفتاة الغنية « ادنا » من الغرق ويحصل بهذا العمل البطولي على تصريح بدخول المجتمع الراقي . انه الآن ينتحل شخصية اخرى محترمة ، ويجلس في « رقي » مع الفتاة في شرفة علوية ، ياكل وإياها الايس كريم !

وفجاة ، وقبل أن يتبين شارلي حقيقة ما يحدث، يسقط الجزء الاكبر من يده الى سرواله الواسع ، ويتسرب من السروال عبر ارض ذات فروج كبيرة ، فيسقط منها على ام الفتاة ، التي يتصادف أن تكون جالسة في الدور الارضي ، فيصيبها في قفاها الغليظ ، وينزلق عبر ظهرها كله . وتقوم الام متافقة ، متحرجة، محاولة الخروج من الورطة، وحين تعود للجلوس ، تجد نفسها قد قعدت على قطعة الايس كريم قعودا كاملا !

جانب الضحك في هذا المشهد واضح ، منذ أن يسقط الايس كريم في سروال شارلي ، فيبدأ يتململ ويحاول أن يتستر على ما حدث ، ويسعى الى التخلص من الضيف البارد ، الى أن ينجح اخيرا في النجاة من اللطعة ، ويسقطها على الارض ، ويستانف مجالسته اللذيذة للفتاة .

ولكن : لا يكاد ضحكنا من شارلي يهدأ قليلا ، حتى يسقط الايس كريم على السيدة الغنية البدينة ، فيبدأ انزعاج آخر مضحك ، وسلسلة من الحركات ، تنتهي بقعود السيدة البدينة على الايس كريم قعودا مباشرا .

التصميم المتعمد في هذه « النمرة » واضح . الفقير يصيبه المكروه ، فيتخلص منه ، والغنية يلم بها المكروه ذاته ، فتعجز عن انقاذ نفسها . الفقير واسع الحيلة ، مدرب على ملاقاة المصائب ، والغني عاجز قليل الحيلة .

وقد فسر شابلين مقصده الاجتماعي من هذه النمرة قائلا : انه ما كان ليسمح للايس كريم بأن يسقط على امراة فقيرة. فهذا أمر يصدم العواطف. أما امراة ثرية فهي هدف مشروع لورطات من هذا النوع . فماذا لو افسد الايس كريم ثوبها ، او احرجها امام الضيوف ؟ ان اموالها كثيرة ستسارع الى انقاذها من البلل والحرج معا !

وقد اجتاحت شخصية شارلي العالم كله وتسربت الى أعمق أعماق وجدانه . ظهرت على اللافتات الضخمة على واجهات دور السينما ، وعلى ظهور أوراق اللعب ، وعلى شكل مغامرات مضحكة في مجلات الاطفال ، وفي الدراسات الوفورة التي قام بها الدارسون لفن السينما ، وفن شابلين على الخصوص .

واصبحت شخصية المتشرد ذي القبعة والعصا والسروال والحذاء الغليظ ، قبلة أنظار كل الناس : يسعى فنانو الشارع الجوالون الى تقليدها ويكسبون عيشهم القليل من ورائها ، كما يقوم بتمثيلها هواة الفن الكوميدي في المدارس والمحافل ، ويتاملها فنانو الكوميديا ، وينطبعون بها انطباعا خلاقا .

الريحاني تأثر به

ومن ابرز من تاثر بفن شابلين في وطننا العربي الممثل الكوميدي المصري المرموق نجيب الريحاني . لقد جعله هذا التاثر يترك جانبا قناع كشكش بك وعباءته ، ولحيته ومسبحته ، مكونات شخصيته النمطية ـ ويفك الاسار ، لينتقل الى شخصية أخرى ، تشبه من قريب شخصية شارلي في سماتها النفسية وفي مواقفها واهدافها .تلك هي شخصية الرجل المسحوق ، الفصيح اللسان ، ذي الموهبة ،

الذى ينتصر دائما للفقراء فى مواجهة الاغنياء مهما أصابه من ضر • الرجل الذى يظهر الشجاعة ـ احيانا ـ والجبن احيانا اخرى ، والذى يدخل فى مغامرات لا تنتهى ، يجلب بها على رأسه المصائب ، ولكنه يخرج منها جميعا فائزا منتصرا ، رغم الجروح والكدمات واللطمات التى تصيبه • وهو الى هذا جائع دائما ، متطلع دائما الى متع الحياة ، مقدر دائما أن النساء هن أجمل زهور هذه الحياة !

وقد توسل الريحانى فى مقارنة عالم الفقراء بعالم الاغنياء ، بطريقة تشبه طريقة شابلين فى المظهر ، وان اختلفت فى المخبر • فمن حيث يقصد شابلين بالمواجهة بين العالمين ان يسخر ويندد بالاغنياء الان والى الابد ، يحدث الريحانى فى مسرحياته مصالحة بين الفقير والغنى • ففقيره يحتفظ بمقومات نفسه ، ويثبت على مبدئه فى الفصل الاول من المسرحية • ثم ما تلبث ضربة مفاجئة من ضربات الحظ أن تنقله الى صفوف الاغنياء فيتضم اليهم ويصبح رسول الفقراء الى عالم الاغنياء ، محاولا اقناعهم بأن يكونوا اقل غلظة واكثر رحمة •

كما أن الريحانى قد استولى لنفسه على بعض الاحداث الكوميدية فى افلام شابلين فطورها واقلمها •

ولناخذ مثلا واحدا على هذه الظاهرة عند الريحانى •

فى فيلم « المهاجر » يدخل شارلى مطعما لياكل ، وهو لا يملك الا دولارا فضيا واحدا ، التقطه من أرض الشارع • وياكل شارلى ما طلبه من طعام ، حسب ثمنه بكل عناية بحيث لا يتعدى الدولار • فاذا جاء وقت دفع الحساب ، تبين ان دولاره الوحيد هذا مزيف ! اذ ذاك يسقط فى يده ، ولا يجد المسكين بدا من أن يبقى حيث هو فى انتظار الفرج • وياتى بالفعل مع دخول شخص ذى نفوذ يجلس الى مائدة شارلى • وياكل هو الاخر ، ثم يهم بان يدفع حسابه وحساب شارلى ، ولكن الاخير يرفض مرارا أن يدفع له الرجل الحساب • وآخيرا يرضخ الرجل لاصرار شارلى ويتركه يدفع حساب نفسه • ثم يدفع حسابه هو للجرسون ، ويقوم بعد ان يترك فى الطبق بقشيشا سخيا للجرسون ، تمتد اليه يد شارلى فيدفع منه الحساب ويخرج من ورطته !

وقد حور الريحانى هذا الموقف فى فيلم « احمر شفايف » المأخوذ عن احدى مسرحياته ، فجعله يجرى كالتالى : الريحانى ـ بعد تطورات كثيرة ـ يصبح متشردا ، يجوب الشوارع بحثا عما يشغله وما يقتات به ، وكل ما معه عشرة قروش !

ويدخل المتشرد مطعما ، يقال له ان بين زبائنه شخصا مهما يستطيع أن يلحقه بعمل • وسرعان ما تفوح رائحة الطعام الشهى ، ويسيل لها لعاب الجائع المفلس ، فيجلس الى مائدة ، ويتصفح قائمة الطعام بسرعة ، ويتبين أن بين الاطباق طبق مكرونة باللحم المفروم ثمنه ثمانية قروش ، فيقرر أن يطلبه ، وياخذ ياكل فى نهم •

وحين يمد يده الى جيبه يلتمس الورقة المالية ذات القروش العشرة ، لا يجدها ، فهى قد سقطت قبل دقائق على الارض ، فالتقطها جرسون ودسها فى جيبه !

ويفكر المتشرد المصرى بسرعة ، ويخرج من ورطته بذكاء • انه يمثل دور جرسون ويتسلم الحساب من احد الزبائن ، ثم يدس الحساب فى جيبه ويولى هاربا !

نال شابلين تقدير وتكريم العالم كله • منحه تيتو وساما رفيعا ، واعطته ملكة انجلترا لقب سير ، ومن قبل وبعد هذا ، افدته ملايين الملايين فى السويداء من قلوبها ، ومات وهو راض • فقد تبين أن عروضه الصامتة ، التى اخرجها فى العشرينات ، لا تزال تضحك وتمتع شباب السبعينات • عندها صرح بقوله : ساموت وانا مطمئن الى الخلود •

■■

د • على الراعى





دائماً نحن .. لا أنا .. ولا أنت !

بقلم : منير نصيف

الحديث عن المرأة ، لاينتهى ، لماذا ؟ لانه كما قالت جين اوستن يوما : « حيرتى تبدأ دائما عندما انتقل فى حديثى عن المرأة لاننى لاافهمها ! وجين امرأة ·· ولم تكن امرأة عادية ، كانت كاتبة ومؤلفة كبيرة ، قال سومرست موم عنها : « لقد وجدت المرأة نفسها عندما بدأت جين تمسك بالقلم وتكتب ! » فاذا كان هذا هو رأى المرأة فى المرأة ، فماذا يقول الرجل ؟

انه يقول اشياء كثيرة بعضها صحيح ، وبعضها بعيد عن الواقع ·· ويقرأ اكثر مما يقول ،وهو يمضى فى قراءاته فى الكتب ومحاولاته على الطبيعة للتوصل الى فهم هذا اللغز ، الى ان ينتهى به الامر الى الزواج بها ظنا منه انه بهذا وحده سوف يصل الى اغوار هذه النفس الرقيقة الجميلة التى طالما حاول عن بعد ان يعرفها ، ولكنه لا يلبث ان يكتشف انه كلما ازداد قربا منها ازدادت غموضا عليه !

وليس معنى هذا ان الرجل يتزوج لمجرد انه يريد ان يحل لغزا ·· ولكن معناه ان الرجل ·· كل رجل يتزوج ، كما يقول ايمرسون : «لان الحياة لاتكتمل الا برجل وامرأة ·· ولكن المشكلة هى كيف يفهمها وكيف يرضيها وهو سؤال برز منذ كان هناك رجل وكانت امرأة ·· منذ ادم وحواء !

ترى هل هناك « وصفة » ساعدت الرجل يوما على فهم المرأة ؟

والجواب بالنفى ! ولكن هناك شىء فى المرأة لا تعرفه الا المرأة نفسها ·· وكثيرا ما يقف الرجل عنده حائرا وهو يحاول ان يجد له تفسيرا ·· فهو يكتشف فجأة انه امام انسانة غريبة عنه وهو يناقشها بالحجة والمنطق ·· لماذا ؟ لانها تحدثه بغير منطق ·· وهى من وراء ذلك تسعى الى اثارته لاسباب سيكولوجية تعرفها هى وحدها ··لانها كما تقول جين اوستن : «تريده ان يكون رجلا ! ؟ فالرجولة هى فى مقدمة الصفات التى تستجيب لها المرأة ·· من اجل هذا تقول لزوجها لا ! فهى تريد ان تتحداه ·· تريد ان تستفزه ، تريد ان ترى رد الفعل عنده ، فاذا جاء عنيفا،احست معه باهميتها، وبمكانتها فى قلبه ! وما اكثر ما بكت المرأة وتبكى عندما تشعر انها قد فشلت فى محاولتها هذه فى اخراجه عن وعيه !

أنت لاتحبنى !

«والمرأةالتى تتعمد الهروبمن المنطقفىمناقشتها مع رجلها هى امرأة لم تعد تشعر باهتمام زوجها بها او بحبه لها ·· فهى تفتقد الزوج الذى تنقصه المبادرة ·· فهو مثلا لايدعوها الى الخروج ، الا



اذا كانت هي صاحبة هذه الفكرة ، واذن فلم تعد دعوة ! واذا خرجا في نزهة او سهرة ، كانت هي مرة اخرى صاحبة الاقتراح بالمكان الذي يذهبان اليه !

« وهي تقول له بمناسبة وغير مناسبة : «انت لا تحبني ! » بينما هي في داخلها تردد بينها وبين نفسها : « غريب امر هذا الرجل انه لم يقل لي يوما انه يحبني ! » فهي تدعوه اذن لان يؤكد لها دائما انه يحبها ، وان قلبه لايمكن ان يتسع لاكثر من امراة واحدة ٠٠ وان هذه المراة هي هي ٠٠ وستبقى دائما فيه ! » .

هذا بعض ما تقوله الدكتورة ماريون هيليارد استاذة علم النفس التي قضت اكثر من اربعين عاما تدرس سيكولوجية المراة والرجل معا • وربما لايكون في كلامها هذا جديد ٠٠ ولكن قد نجد في بعض النتائج التي توصلت اليها من خلال دراستها مايستحق التامل ٠٠

المراة اعقل !

فهي تعود بعد هذا وتنفي عن المراة عزوفها عن المنطق، وتقول : ان هذا الموقف منجانبهاهووسيلة، كما راينا ، ولكن ليس معناه انها تلغي العقل ، فهي قد تكون اعقل من الرجل ، ولكنها اضعف منه واكثر تاثرا وحساسية٠٠وقد يكون هذا هو السبب الذي يجعلها باستمرار متعطشة للتقدير ٠٠ تقدير دورها كزوجة وام ٠٠ وكم من امراة ضحتبعملها الذي كانت ترتزق منه قبل الزواج من اجل بيتها واسرتها ٠٠ وكم من امراة بقيت وحدها ترقب زوجها وهو يصعد سلم النجاح على حساب سعادتها وراحتها ٠٠ وكم من امراة عانت الوحدة في شيخوختها عندما خلا البيت من الابناء الذين كبروا وتزوجوا واستقلوا بحياتهم ٠٠

٠٠ والرجل اوسع حيلة

« الرجل أيضا يحس ببعض ماتعاني منه امراته، ولكنه اكثر قدرة واوسع حيلة منها ٠٠ فهو يستطيع دائما ان يعوض هذا كله عن طريق عمله ٠٠ فهو يقبل عليه ويغرق نفسه فيه ، وعندئذ تزداد الهوة اتساعا ويتضاعف شعور المراة بالوحدة ٠٠ لقد اصبحت كما مهملا منسيا لا يشعر بوجوده احد !

« وتقول ماريون هيليارد : « واكثر الرجال اضطرابا في حياتهم ، هم هؤلاء الذين لايستطيعون ان يضعوا اصبعهم على مصدر شكوى زوجاتهم !

«جاء الي زوج في العقد الرابع من عمره يشكو ٠٠ قال ان لدينا بيتا مريحا ، وعندنا ثلاثة ابناء، ومرتبي من وظيفتي يكفينا ويزيد ٠٠ ومع هذا فزوجتي متبرمة دائما مضطربة دائما ٠٠ انها غير راضية عن شيء ! » .

وهناك رد على شكوى هذا الزوج ٠٠ ان البداية سهلة في كل زواج ٠٠ ولكن الصعوبة تنشا دائما في المحاولات التي يجب الا تتوقف من اجل صيانة هذا البيت الذي جمع بين الرجل والمراة امام الله، ومن اجل استمرار الحياة بين افراد هذه الاسرة الواحدة ٠٠ وفي هذه البداية كلمات مؤثرة يجب ان تبقى دائما في ذهن الزوجين طوال مسيرتهما في هذا الطريق الصعب : « من الآن فصاعدا لن يكون هناك انا ٠٠ ولن يكون هناك انت ٠٠ وانما هناك دائما نحن ٠٠ هذه الكلمة الاخيرة هي اعلان عن هذه الوحدة التي تمت بين رجل وامراة من اجل تكوين اسرة واستمرار الحياة ذاتها ٠٠ اعلان روحي وعاطفي ٠٠ ولو وقف هو معها وبجوارها والقى الاثنان نظرة على مايحدث حولهما لوجدا نفسيهما يقولان ما أجمل اطفالنا ٠٠ ماأروع التضحيات التي قمنا بها ٠٠ ماأعظم الجهود التي بذلناها للتخلص من الصعاب والمتاعب التي صادفتنا ، ولبناء هذا البيت الصغير الجميل الذي يضمنا ويحتضن وراء جدرانه امالنا واحلامنا .

نحن دائما !

«نحن» اذن ودائما «نحن» ٠٠ فلاشيء للزوج وحده ولاشيء للزوجة ٠٠ لقد ذاب كل مالديهما من اشياء محسوسة وملموسة في هذه البوتقة التي جمعت بين هذين العنصرين اللذين يتفاعلان،ويستمر تفاعلهما طالما بقي الوعاء الذي يحتويهما وسط هذا الدفء الذي يملأ سماء حياتهما .

لم تروي ماريون قصة صغيرة لرجل عرف كيف «يكسب العالم» على حد قوله ٠٠ هذا «العالم» الذي يشير اليه هو بيته وزوجته واطفاله الصغار! ذلك أن عالم الرجل يتقلص ويتقلص حتى يصبح محصورا في هذه الرقعة الصغيرة من الارض والبيت الذي شيداه فوقها هو وامراته ، وراحا يبنيان معه كل امالهما للغد .

لقد عرف هذا الزوج ، كيف يعلن عن الوحدة التي صنعها مع المراة التي تزوجته ، وكيف يغذي

وحدتهما وبصونها ، بفضل كلمات بسيطة صغيرة لاعلاقة لها على الاطلاق باسباب الخلاف التقليدى الذى ينشأ عادة بين الرجل والمرأة على المال وما يتصل به من ماديات الحياة ·· فلم يكن يعرف عن ماله غير طبق الطعام الشهي الذى تقدمه له زوجته، وغير هذا الجو المليء بالدفء الذى امتلأ به البيت بعد ان تخلت زوجته عن عملها ، وقد كانت مهندسة ناجحة ، حتى تستطيع ان تتفرغ لتربية طفليها الصغيرين ·· وحتى يتسع وقتها لاعطاء زوجها كل ما يستحقه من حب ورعاية واهتمام بعمله هو ··

ماذا اعطاها ؟

ما الذى اعطاه لها هذا الزوج لكى تعطيه هى كل هذا الحب ·· ماذا كان يقول ، وكيف كانت تصرفاته نحوها ؟·

لقد بدات قصة الدكتورة ماريون مع الزوجة ، لا الزوج وكان لقاؤها بها مصادفة وعلى غير موعد، اما بقيتها فقد جاءت مع تلك الطبيعة المتاصلة فى النفس ·· حب الاستطلاع ، او حب الفضول،ولقد كانت عند هذه الباحثة ، اقوى منها عند غيرها، لصلتها بعملها ودراساتها ··

التقت ماريون هيليارد بالزوجة الشابة فى حفل صغير اقامته المدرسة التى يذهب اليها طفلاها ·· وكانت تقف وسطهما تراقبهما وهما يلتهمان قطع الحلوى والايس كريم ، وقد سرحت ببصرها بعيدا، وكانها لم تعد تسمع شيئا مما يدور حولها ·· وفجاة احست الام بيد تربت على كتفها وبصوت يحييها ويسالها بعد ان قدمت لها صاحبته نفسها : « فيم تفكرين ؟ »

وقالت الام على الفور وهى تبتسم : « كنت اقول لنفسى ماأسعدنى من زوجة وام ·· اننى اعيش فى سعادة اكبر مما كنت احلم واتصور بكثير قبل الزواج !

– اسعد منك وانت تلميذة فى المدرسة ؟

– طبعا !

– اريد ان اقابل هذا الرجل الذى غمرك بكل هذه السعادة !

التمثال ·· من حطمه ؟

وفى مساء اليوم التالى ·· وفى حديقة البيت الذى تعيش فيه هذه المرأة السعيدة مع زوجها وطفليها، التقت به وسط الزهور يرعاها ويسقيها بالماء·· وسالته عن زوجته ، ولكنه قبل ان يجيب ، لفت نظرها التمثال الرخامي الجميل ، أو الذى كان جميلا ، وهو لجواد أبيض مع صاحبه،ولكن رأسه قد انفصل عن جسده على الارض بجواره ·· وقالت : «ومن الذى فعل هذا بالحصان المسكين ؟ »

وقال الزوج على الفور : «لقد كانت حماقة منى كنت اقلع الارض بفاس،وفجاة افلتت رأس الفاس لتصيب التمثال وتقتلع رأسه !

وخرجت الزوجة فى هذه اللحظة ، وسمعت الحوار الذى كان يدور بين زوجها وصديقتها الجديدة ·· وأسرعت على الفور الى حيث كان يقف زوجها،واحتضنت رأسه بكلتا يديها،وقبلته، ثم اتجهت الى صاحبتها ترحب بها وتدعوها الى الدخول ·· ولكنهما قبل ان يدخلا البيت ، وقفت برهة وكانها تذكرت شيئا ، قالت : « انه دائما لايقول الحقيقة كلها ·· الفاس كانت فى يده ، عندما انفصل رأسها عن ذراعها ودقت عنق الجواد ولكنه نسى ان يقول اننى انا الذى كسرت الفاس بسوء تصرفى ونسيت ان اقول له ! »

مشاركة وليست سرقة

لقد استطاع هذا الرجل وزوجته ان يقولا « نحن »ضد العالم كله ·· لا هى ،ولا هو·· لا أناولاانت··وانما «نحن»ونحن دائماحتى نهاية العمر!

هذا الاعلان عن هذه «الوحدة» قد يتمزق،وعند ذلك تبدأ المتاعب ·· تتفاقم اذا نسينا ولو للحظة واحدة هذاالشعور باننا قد اصبحنا شخصا واحدا فى الزواج··

وقد يحدث للمرء احيانا رجلا كان ام امرأة ان يشعر بحنين الى اللحظة التى كان فيها وحده يقول مايشاء ويفعل مايشاء··حنين الى «الحرية» التى نقول احيانا اننا افتقدناها فى الزواج··ولكن هذا الشعور لايلبث ان يتوارى ، امام صوت طفل ، او ابتسامة رقيقة من المرأة التى اصبحت تشارك رجلها هذه «الحرية» ، فهى لم تفرض نفسها عليه،ولم تسرق منه حريته ، ولم تحرمه منها ·· كل ماحدث لهما انهما اختارا بايديهما شكل ولون وطعم هذه الحرية الجديدة ··

هذه «الوحدة» يجب ان تعيش وتتحدى·· ● ●

منير نصيف

شهادات باقية من...

عالم ما قبل النفط

بقلم : فهمي هويدي   تصوير : اوسكار متري





من سفن الغوص الباقية (جالبوت) على شاطيء الكويت تحت التجديد والترميم ، وامامها جلس اثنان من الغواصين القدامى ، ذكرياتهم لا تنضب (الصورتان الى اليمين) الثوب الكويتي المطرز بخيوط الذهب عمره نصف قرن (الصورة الى اسفل)





تنتقل الى عالم ما قبل النفط في لحظةزمن ، عندما تجتاز قدماك عتبة الباب العتيق • تدخل بيوتا تفوح منها رائحةالتاريخ • السرير تصعد اليه فوق سلم لتنغلق عليك ضلفة صغيرة ، وكل الثيابفي صندوق « المبيت » المزين بالنحاس والقادم من الهند، بينما تتدلى «الدمامين»من السقف بأشكالها الدائرية المنتفخة والوانها الزاهية • تخرج في مواكب« النواخذة » الى دنيا الغوص ، بكل ما فيها من مجد وحزن • تجلس مع الطواشين(التجار) بينما « البشختة » أمام كل منهم ، لتعرف أسرار والغاز اللؤلؤ • تشمرائحة البارود ، وتسمع قعقعة السلاح في أشهر معارك الكويت : الجهراءوالرقعي • تمشي في طرقات الكويت القديمة منذ ان كانت قرية متواضعة تتمددالي جوار « كوت » (حصن) لبني خالد ، أسياد الصحراء في القرن السابع عشر ،حتى وطئت أقدام أول أجنبي أرض « قائمقامية » الكويت ، مشيعة بصياح الصغار في الشوارع : عنكريزي ، بوتيله. عساه يموت الليلة !

• • •

هذا كله ـ وغيره كثير ومثير تقرؤه وتسمعه ، وقد تتحسسه بيديك ـ اذا انت فعلت ما فعلناه • طرقنا باب بيت اشهر هواة التاريخ في الكويت : سيف مرزوق الشملان • قادنا الى مكان تلكالقاعة المستطيلة • اجتزنا فناء البيت حتى بلغنا باب القاعة • عبرنا في الوقت ذاته مساحة عريضة من التاريخ • انتقلنا من عالم الى عالم •

وكما تعقد جلسات استحضار الارواح ، فعلنا نحن نفس الشيء،جلسنا نستحضر التاريخ ! حقا، هناك فرق بين المحاولتين • فليس في المسالة رجم بالغيب،كما اننا لم نكن بحاجة الى اظلام وطقوس وتعاويذ • كل ما هناك اننا حاولنا ان نقلب وننقب ونتقصى ما بين ايدينا من آثار وبصمات مرئية •

وللدقة ، لابد ان نقرر ان هناك بعض وجه شبه بين التجربتين • فقد تتحول كل منهما الى سباحة في المجهول،ثم ان عملية استحضار التاريخ لاتخلو ـ أيضا ـ من تلفيق وشعوذة !

وهي وجهة نظر في التاريخ ، صاحبها ابو اسحاق الصابي، احد ابرز الكتاب العرب في القرن الرابع الهجري • اذ أمره الخليفة عضد الدولة البويهي بان يؤلف كتابا في اخبار الدولة الديلمية • فامتثل الرجل الذي كان حبيسا وقتئذ وعكف يعد مؤلفه • وقيل أن رجلا دخل عليه بينما هو كذلك ، وساله عما يفعل ، فاجابه بقوله : انما هي أباطيل أنمقها واكاذيب الفقها !

نبوءة لم تتحقق

غير اننا هنا نقرأ التاريخ ولا نكتبه • كان التاريخ مجسدا امامنا ، ومالئا لاعيننا ، من القطع التي صفت فوق أرفف بطول القاعة ، الى الصناديق القديمة المتناثرة فوق ارضها ، الى النماذج الحية المثبتة على الجدران ، الى المكاتيب والصور والوثائق التي تمتلىء بها خزانة سيف الشملان •

لقد كان تعاملنا مع الاصل • او صورة طبق الاصل ، من عالم ما قبل النفط •

« في البدء كانت هواية ، استحكمت حتى صارت غرامة ! » •• هكذا قال سيف الشملان ، وهو يطوف ببصره في انحاء القاعة المكدسة •

ـ منذ بدات أعي وانا احب أن أجمع التاريخ والاستئناس به • عندما ولدت في عام ١٩٢٧ ، تنبا طبيب المستشفى الامريكاني بانني لن أعيش لشدة ضعفي وهزالي • وبمضي الزمن قررت ان اعيش ليس حياتي وحدها ، ولكن حياة الكويت كلها •• لم اكمل تعليمي ، وتوقفت عند الصف الاول الثانوي ، الذي رسبت فيه ٤ سنوات ، بسبب الجبر والكيمياء واللغة الانجليزية • تركت الدراسة وتفرغت منذ حوالي ربع قرن لقراءة التاريخ والكتابة فيه ، وبنيت هذا المتحف ، الذي كلفني الوف الدنانير ، وجمعت محتوياته من بعض الاسر الكويتية ومنالهند والعراقومصر وانجلترا ، فضلا عما توارثته عن آل الشملان • كنت اشتري كل ما يقع تحت يدي من قطع كانت تستخدم في



صورة قديمة لجموعة من الغواصين فـي لحظات الراحة . تسليتهم في الدخان ، وطعامهم التمر والشاي . وصدورهم عارية طوال ٤ شهور .

الكويت القديمـة • حتى هـذا الحاكي والهاتف القديم ، اشتريتهما من حي الموسكي في القاهرة•

كانت لدينا مكتبة كبيرة ، اغلب كتبها من مصر ، كان يشتريها لاسرتنا الشيخ حافظ وهبة ، وهو اول مصري معروف قدم الى الكويت عام ١٩١٤ ، واشتغل مدرسا للغة العربية ثم مارس التجارة ، وفتح صيدليـة ، كان يستجلب لهـا الدواء مـن الخارج • واذكر انه اول من ادخل «لزقة» امريكية الصنع الى الكويت ، كان الجميع يطلقون عليها « لزقة حافظ » كان الشيخ حافظ يحمل الينا الكتب من القاهرة ، قبل ان يتصل بالملك عبد العزيز آل سعود ، ويحصل على الجنسية السعودية ، ويصبح سفيرا للمملكة في لندن •

انتقلت الهواية من عشق لقراءة التاريخ الى رغبة في اقتنائه • واصبحت كل قطعة في المتحف الصغير تروي صفحة او اكثر من تاريخ الكويت ••

كل العيون ترصد

امسك سيف الشملان بصورة من الجو لكويت العشرينات ، وتجارة اللؤلؤ في ذروة ازدهارها • ثم قال •• هذه هي مشيخة « الكويت » ، بعد ان تجاوزت مرحلة القرية ، وقبل ان تصبح امارة ثم دولة •• التقطت الصورة ام سعود ، زوجة المعتمد البريطاني وقتئذ الكولونيل ديكسون التي اطلقت على ابنها اسم « سعود » ، وابنتها زهرة ، واحبت الكويت واستوطنت فيها ، وما زالت تعيش في مقر المعتمد البريطاني القديم الى الان •

كـم كانت الكويت صغيرة • كـم كانت بيوتها متواضعة ومتشابهة • لكن العيون كانت ترصدها عن بعد • كان الالمان في بداية القرن الحالي على علاقة قوية بتركيا ،• فطلبت احدى الشركات الالمانية مد خط سكة حديد البلقان من انقرة الى بغداد ، بحيث تصبح الكويت هي نهاية الخط الحديدي • وقامت بعثة المانية بزيارة الكويت فعلا لهذا الغرض•

ثم بعد ذلك تقدم القنصل الروسي في بغداد بطلب الى الحكومة العثمانية للسماح لشركة روسية بمد خط حديدي اخر من سواحل الشام حتى الكويت ، ليكون للروس ميناء طبيعي على الخليج • لكن



مسز ديكسون (٨١ سنة) زوجة سابع معتمد بريطاني في الكويت (١٩٢٩) وحدها في المقر القديم الذي كان يعمل به زوجها • الفت كتابا عنوانه « ٤٠ عاما في الكويت » وتعد كتابا ثانيا عن اعشاب ونباتات الصحراء الكويتية • ابنتها زهرة المقيمة في انجلترا الفت كتابا بعنوان: « الكويت بلدي »(الصورة الى اليسار) مسز ديكسون تغادر باب المعتمدية البريطانية القديم (الصورة من اسفل) صورة قديمة تسجل احد مشاهد عالم الغوص المثير





المشروعان اوقفا بضغط بريطانيا ، التي كانت تتنازع النفوذ في الكويت مع الدولة العثمانية . وكانت الكويت على صغرها مركزا تجاريا له دوره ، اذ كانت تصدر البضائع الى سوريا والعراق ونجد والحجاز ، حتى اسطنبول ، خلال الحرب العالمية الاولى مما اغضب بريطانيا ودفعها الى ارسال من يراقب مداخل الكويت ومخارجها . ايضا كانت الكويت وقتئذ على صلة بالعالم بعد ان مدت اليها اسلاك البرق في عام ١٩١٧ .

اشار سيف الشملان الى السفن التي يزدحم بها شاطىء الكويت ، وقال: أتدري كم عدد سفن الغوص في الكويت عام ١٩٠٧؟ كان ٤٦١ سفينة، يعمل عليها ٩٢٠٠ بحار . وان هذا الرقم تزايد كثيرا في العشرينات. ثم فض ورقة مطوية، وقال: بالمناسبة ، هذه رسالة عمرها اكثر من نصف قرن، بعث بها أمير الكويت الراحل عبدالله السالم الصباح الى جدي الشيخ الشملان ، يعتذر فيها عن عيادته في مرض عارض ألم به ، لان « الموتر » ـ سيارة الشيخ ـ لا تستطيع المرور على ساحل البحر حيث منزل الشملان ، بسبب ازدحام الساحل بالسفن المرفوعة فوق رماله ، بعد موسم الغوص.

يقول الشيخ عبد اللهالسالم في رسالته : ارجو الله ان يلبسك ثوب الصحة والعافية ، وان لا يسمعنا عنكم ومنكم ما يكدر الخاطر . ارجو العذر عن المجيء بواسطة الموتر ، بما يمشي اليوم على السيف (الشاطىء) من سبب كثرة السفن .



السفن عائدة من الغوص في نهاية الموسم ، وهو ما يسمونه القفال.

السور حول الكويت

هذا هو سور الكويت الثاني (هدم سنة ١٩٥٧)، خط رفيع يدور حول البيوت فيما يشبه القوس .

منذ شعر اهل الكويت بأن هناك من يترصدهم ويطمع فيهم ، اقاموا سورا حولهم ، اتخذ على مر السنين اشكالا وصيغا مختلفة .

بني السور الاول في عهد حاكم الكويت الثاني الشيخ عبد الله الاول بن صباح بن جابر (١٧٤٣ـ ١٨١٣م) عندما تصاعد الخطر حول الكويت . بنو كعب سكان البصرة من ناحية ، وابن سعود والوهابيون من ناحية اخرى . عندئذ لم يجد الشيخ عبد الله مفرا من بناء السور ، الذي كانت تتخلله خمس بوابات ، أطلق على كل منها « دروازة » .

وفي عهد تاسع حكام الكويت ، الشيخ سالم المبارك الصباح ـ وقد لاحت النذر بالخطر ايضا ـ بني السور الثاني . كان ذلك في عام ١٩١٩ . وبعد اتمام بنائه بعام واحد . حدثت معركةالجهراء الشهيرة بين الوهابيين واهل الكويت . التي خلالها جرت محاولة للصلح ، كانت شروط الوهابيين فيها اربعة هي : الرجوع الى الدين الاسلامي ـ ترك المنكرات ـ ترك شرب الدخان ـ تكفير الاتراك !

وظل هذا السور يصد العديد من الغزوات ومحاولات الاغارة ، حتى آخر معركة في تاريخ الكويت عام ١٩٢٨م ، وهي معركة الرقعي ـ اسم موقع في صحراء الكويت ـ التي كان طرفها الاخر هو جماعات من الوهابيين الذين قدموا لاحتلال احدى الحاميات الكويتية ، وتكبدوا خسائر جسيمة في عودتهم .



هذا السور الذى صرع تحته رجال ، وحملت خيول ، وتدافعت سيارات المقاتلين ، وغيره انطلق البارود في كل اتجاه ، هذا السور تحولت بقاياه الان الى مجرد رمز، يذكر الاجيال الجديدة وينبهها، حتى لا ينسوا او يركنوا الى الدعة والامان !

قوات مصرية فى الاحساء

ونحن جالسون في القاعة اشار سيف الشملان الى مجموعة من البنادق المختلفة الطراز، والسيوف العتيقة • ثم قال •• هذا بعض ما تبقى من المعارك التى تحكى عنها • هذه بندقية بدائية كانت تعرف بالابراهيمية نسبة الى ابراهيم باشا ، ابن محمد على باشا والي مصر ، الذى استقل بها عن الدولة العثمانية ، واراد ان يبني لنفسه امبراطورية منافسة •

كيف وصلت « الابراهيمية » الى الكويت ؟

رد الشملان بقوله : بعدما وصلت القوات المصرية على بعد اميال قليلة من الكويت قبل ١٤٠ عاما • وتوقفت فى ساحل الاحساء على الخليج العربى ، سنة ١٨٣٨ • وبعث قائدها خورشيد باشا مندوبا عنه الى الكويت قبل وقتئذ ان مهمته هى توفير الامدادات اللازمة للقوات المصرية • وثبت ان المبعوث تولى ارسال عدة قوارب محملة بالشعير الى القطيف •



بقايا عالم ما قبل النفط ، الصندوق المبيت ،والرمامين ، واللماعيات والمزهريات ، وادوات الزينة ، وعلم الكويت القديم ، والمساند المشغولة في الهند ·

ثم اضاف الشملان قائلا ان مؤرخ الخليج الانجليزي الشهير ج· لويمر ، ذكر في مؤلفه « دليل الخليج » ان شيخ الكويت كان يعامل المبعوث المصري معاملة متميزة ، ويمنحه مقعد الشرف دائما في مجالسه · وكانت الشحنة الوحيدة من الذخيرة والعتاد ،التي وصلت الى القوات المصرية طوال فترة وجودها في الاحساء ، هي شحنة حملتها سفينة كويتية الى القطيف في نوفمبر ١٨٣٩ ، من ميناء الحديدة على البحر الاحمر · وكان للكويت وقتئذ اسطول كبير وقوي ·

أبطال ملحمة الغوص

هذا هو عالم الغوص · نماذج السفن · ادوات الغيص ·البشتختة ·كتيبات اوزان اللؤلؤ المطبوعة في « بمبي » (هكذا كانوا يكتبون بمباي في الهند) · آباء هذا الجيل هم الذين عاشوا تلك المرحلة المثيرة من تاريخ الكويت · اما الجيل الجديد ، يلوي سيف الشملان شفتيه ـ ثم يقول ، هم ابناء النفط وضحاياه !

اضاف سيف ،ان كلمات البتيل وبقاره وسنبوك وجالبوت ، التي تعبر عن طرز واشكال سفن



هذه المجموعة من الاسلحة من بقايا معارك الكويت الشهيرة ، وسيف الشملان يقلب واحدا منها .



السرير القديم الذى كانوا يصعدون اليه باستخدام السلالم ، وعروسة الصغار (اللروية) فى عالم ما قبل النفط ، مرتدية الثوب الكويتي .





الى جوار « متحف» سيف الشملان غرفة صغيرة تضم كل ادوات الطبخ القديمة ، وعلى بابها ترى « المنحاز» الذي كانت تطحن فيه الحبوب في الماضي.

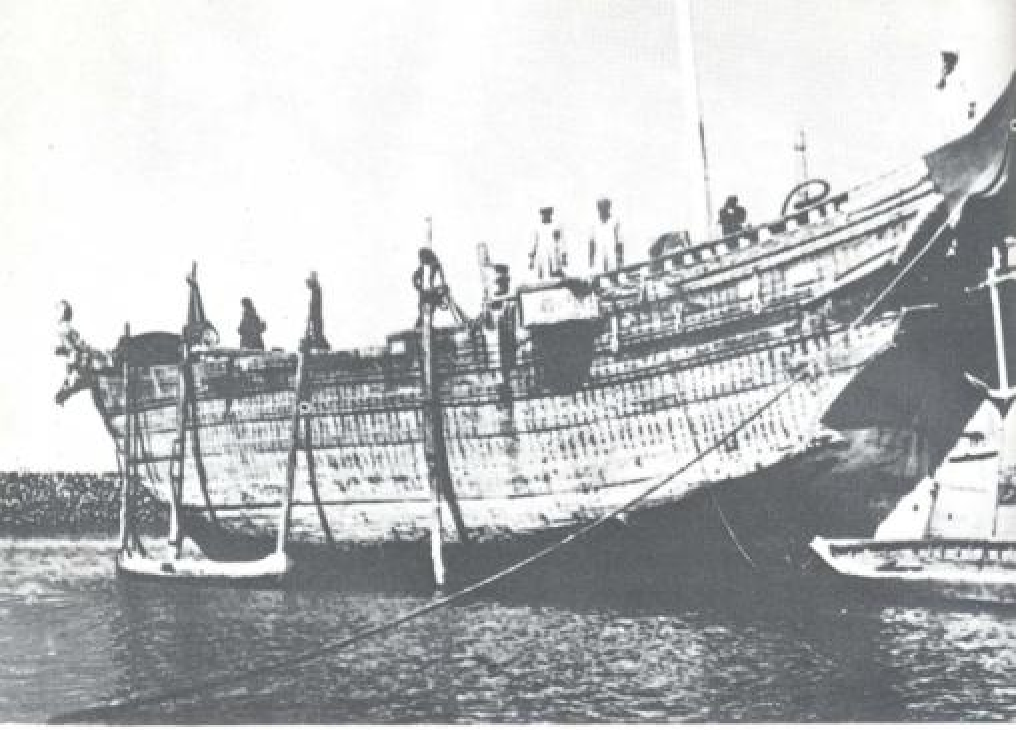
الغوص . هي الان طلاسم والغاز عند الجيل الجديد . وكذلك بقية معالم دنيا الغوص ، التي كانت تملأ حياة هذا البلد قبل « حلول » النكبة التي تمثلت في ظهور اللؤلؤ الصناعي واكتساحه لاسواق العالم .

اندثر هذا كله ، ولم يبق من عالم الغوص غير بعض السفن المحالة الى التقاعد ، والتي تسترخي الان على الشاطىء الرملي ، وبعض الاغاني التي يرددها شعراء النبط (العامية)، بينما بعض الاسر ما زالت تطلق على بناتها اسم « قماشة » . وهو الاسم القديم للؤلؤة (القماشه) ..بينما البعض يسمي : لولوة .. للذكرى والتاريخ !

رفعنا غطاء البشتختة ، ذلك الصندوق الذي لم يكن يفارق كل تاجر لؤلؤ (طواش) .. لكتاب الاوزان مكان ، ولقوائم الحساب مكان ، ولادوات الفحص وغربلة اللؤلؤ مكان ثالث . ووحدات الوزن في جانب ، وعدسة التكبير في جانب ، وفي قاع الصندوق من القماش الاحمر (الخرجة من خرقه) ـ كان اللؤلؤ يوضع عليها بعد فتح محاراته .

على الاصل نقرأ الصفحة الاولى من كتيب بخط اليد طبع بالمطبعة المصطفوية في « بمبي » ، يشرح اوزان اللؤلؤ ، ويحذر من ان الكتاب « اذا لم يكن « ممهورا » بمهر صاحبه فليس بصحيح » . يقول صاحب الكتاب في تقديمه « انه لما راينا العاجة لمعرفة حساب الجو (الاوزان) من اللوازم الضرورية ، ولا سيما لدى ارباب اللؤلؤ . شمرنا عن ساعد الجد والاجتهاد ، الى ان وفقنا الله جلت قدرته لوضع هذا الكتاب النفيس . وقد بذلنا فيه الجهد الجهيد الى ان جاء بغاية الاتقان . واملنا بالله جميل ان يحوز الرضاء التام لدى عرضه لانظار المطلعين الكرام وقد تم تحريره وتصميمه بقلم افقر العباد ، الراجي كرم الخلاق ، عبده عبد اللطيف بن عبد الرزاق بن عبد اللطيف آل عبد الرزاق الكويتي ، عفا الله عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين » .

ثم نقرأ كتابا مماثلا ، على غلافه حذر مؤلفه من انه « لا يخفى بان هذا الدفتر حسب اقتضاء قانون الدولة الفخيمة الانكليسية (الانجليزية) لا



هذا الطراز القديم من السفن يطلقون عليه اسم « بغلة » ، وكانت تستخدم في تحميل البضائع .

يقدر على طبعه احد من الناس . وقد صار رجستر (مسجل) ولو تجاسر على طبعه احد فغرمه الفين روبية » !

كان الطواشون يخرجون الى البحر بعد رحيل سفن الغوص بشهر تقريبا (موسم الغوص كان يستمر ٤ شهور ، من مايو الى سبتمبر) ، بعد ان يستطلعوا آخر أسعار اللؤلؤ في البحرين وبومباي . وقد انضم الشيخ حافظ وهبة الى هؤلاء الطواشين ، بعد ان انخرط في التجارة وشارك عيسى القطامي في رحلاته لمدة ثلاث سنوات.

على ان الملحمة الحقيقية كان ابطالها الغواصون، الذين كانوا يقضون الاشهر الاربعة بصدور عارية يهبطون ويصعدون من اعماق البحر منذ طلوع الشمس الى غروبها ويتبادلون المزح والنكات ، بينما هم يتعرضون لافتراس اسماك القرش ومفاجات سمكة اللغمة ، التي تعتلي الظهور وتدس شوكتها السامة في اول جسم تلقاه ، ويعانون من السعال والامراض الجلدية وحالات انفجار الاذن من شدة ضغط المياه في الاعماق .

المدهش ان اغلب هؤلاء الرجال الشجعان كانوا من بدو الصحراء ، وبعضهم لم يكن يجيد السباحة وانما يقتحم المياه ويلقي بنفسه في أعماقها ، معتمـــدا ، على « السيب » ، الواقف على ظهر السفينة ، ممسكا بحبل طويل يحيط بخصر الملاح المندفع الى الاعماق ، وكانوا يسمونه « الغيص ».

وقد كانت شجاعة الغيص مضرب الامثال ـ حتى ان نساء البحرين في ذلك الزمان كن يتحجبن عن الغيص لرجولته وشجاعته ، ولا يتحرجن من السفور امام « السيب » ، لانه لا يتمتع بنفس القدر من الشجاعة .

حتى سنة ١٩٣٠ ، يروي سيف الشملان ، كانت تجارة اللؤلؤ على ازدهارها ، ثم حدث الانكسار بظهور اللؤلؤ الصناعي ، واستمر حتى آخر الثلاثينات ، عندما قامت الحرب العالمية الثانية ، ولم تطل سنوات القحط القاسية حتى تفجر البترول وصدرت اول شحنة منه في عام ١٩٤٦ .

ومن مفارقات القدر ان بعض مواقع الغوص (الهيرات) التي كانوا يستخرجون منها المحار

« المخور » ثوب كويتي من الحرير المشغول بورود ذات الوان زاهية .



«المتيل» شكل آخر للثوب من الجرجيت السادة .



« المرضوف » ، الثوب الكويتي الذي كانت ترتديه عامة النساء من لقماش القطني ولونه اسود (الصورة الى اليسار)



الثوب الكويتي

عمره نصف قرن

بقلم : لولوة القطامي

خطوط الثوب الكويتي القديم هي ذاتها التي تقتبسها بيوت الأزياء العالمية ، لتصمم منها احدث أزياء النساء في اوروبا • الثوب الواسع الهفهاف الدقيق هو الذي كانت ترتديه المرأة الكويتية منذ نصف قرن ، وهو ذاته الذي يشاهد الان في واجهات اكبر المحلات التجارية في عواصم اوروبا •

وحتى عشرين عاما مضت كانت المرأة الكويتية ترتدي الثوب ، ولكنه اختفى بعد ذلك من الكويته الحديثة، بينما ما زالت بعض السيدات المسنات يستخدمنه ، وقد يظهر في المناسبات الرسمية ، بينما يعرض دائما في عروض الفلكلور الكويتي •

والثوب الكويتي تصميمه واحد ولكن نوعية القماش وطريقة التطريز تختلف من مناسبة ومناسبة • فمثلا النوع الذي يلبس كل يوم مصنوع اما من قماش (الويل) الململ او من الفوال الخفيف على ان يكون سادة دون تطريز • اما المناسبات كالاعراس والحفلات والزيارات فيصنع عادة من قماش الجرجيت الطبيعي ويطرز اما بخيوط ذهبية (الزري) او بخيوط فضية (تيل) • والثوب المطرز بالتيل يسمى (ثوب اتيل) ، او يطرز بقطع مصنوعة من الذهب الخالص وهذا ما يسمى (بالثريا والشبك). وبالشتاء يكون الثوب من قماش أثقل ويسمى (ثوب جز) ويصنع من قماش حرير ذي نسيج سميك وعادة يغلب عليه اللون الاسود • والثوب عادة يرتدى فوق فستان يسمى (الدراعة) وتكون الدراعة عادة اما سادة او مطرزة بخيوط الفضة والذهب •

وتنظم جهات النشاط النسائي الكويتي حملة في السنوات الاخيرة للحفاظ على هذا الزي وتطويره ، وقد انشيء بالفعل مشغل لهذا الغرض ، استطاع ان يعرض ثمرة انتاجه في

بحثا عن اللؤلؤ، هي ذاتها التي تفجر منها النفط، وتحولت الى آبار بحرية ، لا تتوقف فيها النيران المشتعلة الان •

لمن العلم ؟؟

ونحن جالسون في الغرفة نستحضر التاريخ ونقلب اوراقه ، اشار سيف الشملان الى علم احمر كتبت عليه كلمة « كويت » ، وقال •• وهذا ايضا له قصة لا بد ان تروى • ذلك انه عند بداية القرن الحالي برزت المنافسة بين الانجليز والعثمانيين على الكويت • اذ كانت الكويت معتبرة قائمقامية عثمانية من القرن الماضي • وتشير الوثائق التاريخية الى ان شيخ الكويت مسلم بالتبعية للدولة العثمانية في عام ١٨٢٩ ، وكان يدفع لممثلها في البصرة جزية سنوية قدرها ٤٠ كيلو من الارز ، و ٤٠٠ سباطة من التمور ! وكان الوجود الوحيد للعثمانيين ممثلا في علمهم ، وفي موظف الحجر الصحي •

ثم ارادت بريطانيا ان تثبت اقدامها في الخليج، لتؤمن الطريق الى مستعمراتها الكبرى في الهند ، فزار الكويت في عام ١٩٠٤ حاكم الهند اللورد كرزون ، والتقى بشيخ الكويت وسابع حكامها ، الشيخ مبارك الصباح الذي كان متحاملا على العثمانيين وسياستهم ، واتفقا على ان يكون لبريطانيا معتمد سياسي في الكويت •

وهنا بدأت مواجهة سياسية حادة بين العثمانيين، او « الروم » بتعبير اهل الكويت القدامى ، وبين الانجليز ، كان العلم رمزا لها •

معرض اقيم للثوب الكويتي ، لم يصدق الذين شهدوه ان زي المرأة الكويتية كان منذ اربعين او خمسين سنة بهذا القدر من الدقة والجمال. وقد كانت هذه هي المرة الاولى التي تقدم فيها الفتيات الكويتيات عرضا للازياء .

وحيثما ذهبنا في الخارج فان الزي الكويتي يلفت الانظار . وعندما دعيت المرأة الكويتية عام ١٩٦٧ لحضور مؤتمر في موسكو بدعوة من الاتحاد النسائي السوفيتي ، حضرنا جلسة الافتتاح بالثوب ، فكان مثار تعليق الجميع . وفي المساء حضرنا حفلا من قبل الرئيس خروشوف ـ الرئيس السوفيتي وقتئذ ـ واثناء الحفل ، توقف امامنا خروشوف متاملا الزي ، ثم قال بروحه المرحة بعد ان علم اننا من الكويت : مس كويت ، بعد الحفل لا تعودي الى الفندق ، بل عليك ان تذهبي الى البنك .

وعندما حضرنا مهرجانا للشباب في بلغاريا ، واتيح لنا ان نزور متحف الفنون في صوفيا ، وذهبنا بالثوب الكويتي ، التف حولنا جمهور المتحف تاركا كل شيء ، وظل يمطرنا بالاسئلة عن الكويت وما فيها .

ان الثوب الكويتي جدير بان نعتز به ، وان نحميه من النسيان .

وتحركت في مصر الاقلام المؤيدة للجامعة الاسلامية، مهاجمة شيخ الكويت . وكتب الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد ، كما نشرت جريدة اللواء المؤيدة للحزب الوطني المصري مقالات تندد بشيخ الكويت وتتهمه بانه رفع العلم البريطاني على قصره بدلا من العثماني .

وكان المخرج من هذه الازمة ،هو ان يكون للكويت علم مستقل ، هو هذا العلم الذي استبدل به بعد الاستقلال العلم الحالي .

غير ان الاتراك ـ يقول سيف الشملان ـ لم ينسوا للشيخ مبارك موقفه ، وقرروا نفيه الى الاستانة . ولكن الانجليز تدخلوا لوقف تنفيذ القرار . وقدم الى الكويت من القاهرة الشيخ رشيد رضا ، رفيق الامام محمد عبده وتلميذه ، وناقش الشيخ مبارك في موقفه . ونشر الحوار الذي جرى بينهما في مجلة « المنار » عام ١٩١٢ .

لم يعودوا غرباء

ومضت سنوات انفتحت فيها ابواب الكويت على مصاريعها ، ولم يعد الاجنبي ذلك الكائن الغريب الذي يتهيبه الكويتيون ويلتف حوله الصبية . وهي الصورة التي سجلتها الدكتورة اليانور كالفرلي ، اول طبيبة وطئت اقدامها ارض الكويت وقدمت ضمن الارسالية الامريكية في عام ١٩١٢ ـ وذلك في الكتاب الذي اصدرته عن تجربتها التي امتدت ١٨ عاما . في كتابها قالت : ان اهل الكويت منعوا مندوبي الارسالية الذين يجيئون من البحرين من النزول اكثر من مرة على شاطئها. واعادوهم عندما نزلوا . لكنهم تمكنوا من تجاوز هذه الصعوبة عندما حصلوا على موافقة حاكم الكويت وقتئذ ، الشيخ مبارك الصباح ـ وعندما جاءت الدكتورة كالفرلي ـ التي اشتهرت باسم خاتون (سيدة) حليمة لاحقتها صيحات الصبية : عنكريزي بو تيله ـ انجليزي بالقبعة ـ عساه يموت الليلة . وكان مستشفى الارسالية الذي بني عام ١٩١٣ ، هو اول مبنى يشيد بالخرسانة المسلحة في الكويت .

★★★

قبل ان نفض جلسة استحضار التاريخ ، قلت لسيف الشملان : ورايك فيما تراه الان ؟

رد بغير تردد : انني الح منذ سنوات في ان نبقي على بعض معالم الكويت القديمة ، بعض الشوارع والاسواق . لكن صيحاتي تذهب هباء امام الحرص المتزايد على الاثراء . بعدما تضاعفت اثمان الارض بصورة مذهلة . ويوما بعد يوم تندثر معالم الكويت القديمة ، ويظهر شيء جديد بغير نمط ولا شخصية ولا ذوق احيانا . فقط تبدو عليه علامات الثراء وبصمات دنيا النفط .

ثم صمت لحظة وقال : ولا اخفي ايضا انني متشائم . متشائم من الجيل الجديد . متشائم من مستقبل النفط لانني لا استطيع ان انسى تجربتنا مع اللؤلؤ .. ثم انني متشائم مما يجري في الساحة العربية كلها .

قلت : في هذه الاخيرة ، اتفق معك تماما !

وسكتنا عن الكلام المباح . ●●

بعد مناقشات مهرجان العراق

عقدة المتنبي

بقلم :
الدكتور شكرى محمد عياد

■ لم يكن « مهرجان المتنبي » الذى أقيم في بغداد في المدة من ٥ الى ١٠ تشرين الثانى (نوفمبر) الماضى مجرد احتفال بذكرى هذا الشاعر الكبير الذى « ملأ الدنيا وشغل الناس » ـ كما تكرر القول منذ صك ابن رشيق هذه العبارة فى القرن الخامس ـ والذى يرى فيه كثير من المثقفين العرب اليوم اول المبشرين بالقومية العربية من شعرائها العظام ، بل كان الى جانب ذلك ـ وربما فوق ذلك ـ ندوة علمية حقيقية ، اثارت مشكلات مهمة حول مواقف المتنبي من معاصريه وقضايا عصره ، وحول فن المتنبي وتاثيره فيمن تلاه من شعراء الشرق والغرب • فالى جانب الدراسة التاريخية المهمة التى قدمها الدكتور محمد يوسف نجم (فلسطين) حول حياة المتنبي فى صدر شبابه ، والشعر الذى قاله والاشخاص الذين اتصل بهم فى هذه الفترة القلقة الغامضة من حياته ، كانت هناك محاولات لتفسير شعر المتنبي تفسيرا اجتماعيا ، على ضوء الازمة الحضارية التى استحكمت فى عصره ، سواء اكانت هذه الازمة قومية عربية ، أم اسلامية عربية (عبد السلام نور الدين من السودان ، ومحمد اليعلاوى من تونس ، واندريه مكيل من فرنسا) ، ودراسات فنية حاولت أن تعيد النظر فى شعر المتنبي مستخدمة مناهج جديدة كل الجدة فى الدراسات الادبية العربية لانها تعتمد على التحليل الميكروسكوبى للنصوص (عز الدين اسماعيل من مصر ، وجمال الدين بن شيخ من الجزائر ، وعبد السلام المسدى وعمر بن سالم من تونس) ودراسة عن الطبيعة فى شعر المتنبي اثار فيها الدكتور عبد الله الطيب (السودان) ردود فعل قوية بين اعضاء المهرجان ـ او الندوة ـ حين ذهب الى ان الشاعرين الانجليزيين اندرومارفل (ق ١٧) ووليم بليك (ق ١٨) قد اخذا بعض معانيهما من المتنبي ، وأخرى عن تاثير المتنبي فى



شعراء الفارسية (الدكتور حسين محفوظ من العراق) بدت اكثر اقناعا لدى معظم الحاضرين .

ولا احصي جميع الدراسات والكلمات التي القيت في المهرجان .

ومع ذلك فقد بقي السؤال الذي طرحه شاعر العراق الكبير الاستاذ محمد الجواهري في كلمته في حفل الافتتاح بلا حل : لماذا يقف المتنبي امة وحده بين شعراء العربية العظام ، أمثال ابي تمام والبحتري وابن الرومي وابي العلاء ؟ وساحاول ان أجيب على تساؤل كبير شعراء العربية المعاصرين، وقد ياخذ البعض مقالي على انه نوع من الاثارة او الدعاية بمناسبة المهرجان ، ولكنني اخذه ماخذ الجد العميق .

عقدة الانسان العربي

ذلك انني اتصور ان في كل عربي منا عقدة اسمها عقدة المتنبي، على وزن عقدة اوديب وعقدة الكترا،وان لم تكن عقدة المتنبي راجعة الى الجنس كعقدتي فرويد المشهورتين،ولكنها ليست اقل منهما استحقاقا لان تسمى عقدة . فالعقدة ليست الا مجموعة من المشاعر المتضاربة التي تترسب في العقل الباطن نتيجة لاحباط خارجي ، وتؤثر في سلوك المرء دون أن يشعر . ولا بد أن تشتمل هذه المشاعر المتضاربة على شيء من مشاعر الحب وشيء من مشاعر الكره،لان كلا منهما يفعل في الاخر وينفعل به ، وفقا لقانون نفسي ثابت اشبه بقانون الفعل ورد الفعل في الطبيعة . ولاننا جميعا ننطوي على عقدة المتنبي فلا يمكن ان نذكره لنا او ان نقرأ او نسمع شيئا من شعره دون ان يثور في نفوسنا شعور قوي يكون حبا او كرها او مزيجا منهما . اعني اننا لانستطيع ان نقف من المتنبي موقفا محايدا ولا ان ننظر اليه بموضوعية تامة . وقد وجدنا استاذنا طه حسين يغالب نفوره من المتنبي وتفضيله شيخ المعرة عليه بان يصدر كتابه المشهور « مع المتنبي » محاولا فيه ان يقترب ولكن بحذر — من هذه الشخصية الهائلة . وسمعنا استاذنا امين الخولي يبدي نفورا واضحا من المتنبي ويستشهد متافقا بهذا البيت :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب المنايا أن يكن أمانيا

على انه آية في سخف المعنى . لاجرم كان معظم الناس ، منذ عصر المتنبي،اما انصارا متحمسين له واما خصوما متعصبين عليه . ولكن هل معنى هذا ان التكوين النفسي للانسان العربي لم يتغير، او لم يتغير كثيرا ، منذ عصر المتنبي ؟

هذا ما ازعمه . فعقدة المتنبي هي ، ببساطة ، عقدة الانسان العربي .

طالما نظرت معاتبا الى المتنبي وانا اقرا بيته في مدح ابن العميد :

من مبلغ الاعراب اني بعدهم
لاقيت رسطاليس والاسكندرا

فانا اشعر انه يفضحني امام نفسي بهذا البيت. ولعلك — ياقارئي العزيز — تشعر بمثل شعوري . فمن منا ، اذا سمح له الحظ بان يتجول مثلا بين ردهات اللوفر او المتحف البريطاني او يجوس خلال طرقات اكسفورد او كمبردج (الانجليزية او الامريكية) ، لايحدث نفسه عندئذ : من مبلغ ابناء حلتي او قريتي او نجعي او عربي اني هنا اشاهد اعظم كنوز الفن ، واسمع واقرأ اروع آثار الفكر البشري ؟ الغريب ان اسلافنا — عليهم رحمة الله! — لم يستطيعوا ان يخلصوا من هذا الشعور حتى حين بلغوا اوج المدنية ، واصبحوا هم انفسهم حملة الثقافة اليونانية وغير اليونانية الى اوروبا الجاهلة . شيء من البداوة بقي دائما يسري في دماء الانسان العربي . لم تذهب قط دهشة ابن الصحراء امام عجائب المدنيتين الفارسية والبيزنطية . ولعل البذخ الذي عرق في قصور العباسيين كان نتيجة لتلك الدهشة الاولى ، او محاولة للتعويض . على أن قيم البداوة ظلت تفعل فعلها في كيان الدولة ، وكانت تمثلها تلك القبائل التي بقيت في بوادي الشام والعراق ونجد والبحرين لا تنقاد لسلطان ، سواء أكان سلطان الخلافة في بغداد ام الدول المستقلة التي انسلخت عنها ، وما كان الخوارج ولا القرامطة الا افرازا

من البادية قاومت به محاولات قوى خارجية انتبسط سلطانها عليها،والغريب ان هذه القوى الخارجية نفسها كانت تمثل غالبا في اسر بدوية اخرى ، وثبت على أجزاء من الدولة واستخدمت جهاز الدولة المدني في مد نفوذها على اقاليم واسعة ، بنفس الاساليب البدوية التي جعلت بني اسد في الجاهلية يقتلون الملك الكندي حجرا ابا امرىء القيس • ولا يهم أن تكون هذه الاسر عربية الاصل كبني حمدان أو ايرانية الاصل كالبويهيين أو تركية كالطولونيين والاخشيديين•فقد كانت البداوة صفة مشتركة بين الجميع •

شاعر البداوة والثقافة

ومع ذلك فقد كان الترف مدنيا وكانت الاسواق مدنية وكان العلم مدنيا • والمتنبي الذي عرف الترف ولابسه واحسن وصف ادواته ولكنه لم يكن اسيره قط ، والذي وصفه بعض اعدائه بالبخل ولكنه لم يكن قط ساعيا وراء المال ، كان مشغوفا بالعلم ويدل شعره على انه كان قارئا نهما لكل ثقافات عصره • فهو القائل :

أعز مكان في الدنى سرج سابح
وخير جليس في الزمان كتاب

ولا احسب أحدا جمع بين أجمل قيم البداوة واجمل قيم الحضارة كما جمعها المتنبي في هذا البيت • فالمتنبي هو شاعر البداوة وشاعر الثقافة في ان معا •

كان في مناقشاته مع صديقه وراويته ابن جني النحوي كثيرا ما يستشهد بكلام الاعراب،وقد خرج الى البادية في صباه وتنقل بين ارجائها في شبابه وظل يألفها الى آخر حياته ، وله ابيات من اروع ما قيل في الشعر العربي يحن فيها الى البادية وهو مقيم على رغمه عند كافور الاخشيدي :

ذراني والفلاة بلا دليل
ووجهي والهجير بلا لثام
فاني استريح بذي وهذا
وأتعب بالاناخة والمقام
عيون رواحلي ان حرت عيني
وكل بغام رازحة بغامي
فقد أرد المياه بغير هاد
سوى عدي لها برق الغمام
يذم لمهجتي ربي وسيفي
اذا احتاج الوحيد الى الذمام

والقصيدة كلها درة من درر الشعر العربي ، وهي القصيدة التي يصف فيها الحمى ، وقد بلغ في هذا الوصف قمة الابداع ، ولكن القصيدة كلها نسيج واحد في صدق الانفعال وقوة التعبير •

وهذا البدوي نفسه هو الذي وصف بانه حكيم او فيلسوف ، والف معاصره وناقده الحاتمي رسالة عن المعاني التي وافق فيها ارسطاليس

ولكن المتنبي لم يستطع ان يوفق بين قيم البداوة عامة وقيم المدنية عامة• كان في شبابه على ما يبدو بدويا قحا ، يتجول في البادية ليمدح شيوخ القبائل ، ومدائحه فيهم تحوي من المبالغات ما يستعظم لو قيل في مدح كبار الملوك ، فكانه يجري فيها على سنة التعويض • فالممدوح ارفع من زحل ، وصدره اوسع من الارض ، وسيفه لو قذف ما شربه من الارواح لجرى منها بحر مزبد ، وعطاؤه يطوف الدنيا يسال عمن يسالون غيره • وهو يقول لصديق عاتبه على تركه مدح الملوك :

أبا سعيد جنب العتابا
فرب رام خطأ صوابا
فانهم قد أكثروا الحجابا
واستوقفوا لردنا البوابا
وان حد الصارم القرضابا
والذابلات السمر والعرابا
ترفع فيما بيننا الحجابا

وتعلم منذ مطلع حياته الشعريه ان يمزج المدح بالفخر،ويخاطب ممدوحه مخاطبة الصديق•وعندما تخلى عن تردده واقبل اخيرا على مدح الملوك ، استمر على هذا الاسلوب حتى عرف به • وفي هذا اللون الطريف – والصادق – من القصيدة المدحية استطاع المتنبي ان يعبر عن عقدته تعبيرا فنيا •

ومع ذلك لم يكن المتنبي دائما ذلك البدوي الذي يتغنى بحياة الصحراء ، ويتابى عن مدح الملوك ، ولكنه كان احيانا ينطق بلسان مدني وهو يتحدث عن هؤلاء الملوك انفسهم ، حين يلاحظ انهم اشد بداوة من بدو الصحراء ، وان تقلبوا في النعيم :

في كل أرض وطئتها أمم
ترعى بعبد كأنها غنم
يستخشن الخز حين يلبسه
وكان يبرى بظفره القلم

وهو يسخر من كافور ــ مرة واحدة على الاقل ــ كما يسخر مدني من همجي :

وتعجبني رجلاك في النعل ، انني
رأيتك ذا نعل اذا كنت حافيا

هجاء للبشر بالجملة

ومع انه يتغزل دائما بالبدويات ، فقد ذم الاعراب في قصيدة مدح بها احد القضاة بانطاكية (قبل اتصاله بسيف الدولة) • يقول :

ومدقعين بسبروت صحبتهم
عارين من حلل ، كاسين من درن
خراب بادية غرثى بطونهم
مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن
يستخبرون فلا اعطيهم خبرى
وما يطيش لهم سهم من الظنن

والطابع العام للقصيدة كلها هو مدح الثقافة في شخص ذلك القاضي ، والشكوى من سوء حال المثقفين •

ولعل تشاؤم المتنبي المشهور ، وهجاءه للبشر بالجملة (اذم الى هذا الزمان اهيله ، فاعلمهم فدم ، واحزمهم وغد ، واكرمهم كلب ، وابصرهم عم ، واسهدهم فهد ، واشجعهم قرد) ان يكون نتيجة طبيعية لفساد العلاقات الانسانية في مجتمع تجاذبته المدنية والبداوة ، وطفت سيئاتهما جميعا على السطح • فالمتنبي كان شاعرا فياض العاطفة، يحسن الحديث الى الطبيعة بجمادها وحيوانها (كما رأيت في ابياته التى حن فيها الى رحلة الصحراء)، ويمنح حبه للصديق حتى ليتحمل اذاه راضيا :

ان كان سركم ما قال حاسدنا
فما لجرح اذا ارضاكم ألم ــ
خلقت ألوفا لو رجعت الى الصبا
لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

ولكنه يصطدم بمجتمع ارتكس بعضه الى البداوة ، واكتفى بعضه الاخر بقشور المدنية ، فاخذ ينهار من داخله بينما كان الاعداء ينوشونه من الخارج • لهذا انحصرت عاطفته في ذاته ، وكانت حركته في ذلك المجتمع مزيجا من العداوة والحب ، من الاثرة والغيرية ، فهجاؤه لمجتمعه لا يمكن الا ان يكون صادرا عن خيبة امل في ذلك المجتمع ، وخيبة الامل لا تكون الا من قبل محبوب • لقد استحال الحب الى ضده ، وما أكثر ما تستحيل الصفات الى اضدادها على حد قول المتنبي نفسه :

ولجدت حتى كدت تبخل حائلا
للمنتهى ، ومن السرور بكاء

وتمجيده للابطال (وابطاله كثر ، وان احتل سيف الدولة الحمداني مقدمة الصورة) نتيجة طبيعية لانحصار عاطفته في ذاته ، فرأى في هؤلاء الممدوحين صورة من نفسه ، ورأى في كفاحهم صورا مختلفة للسعى نحو مثل أعلى من الشجاعة والجود والعدالة والعلم ، مثل أعلى عانقه في خياله ولكنه كان مستحيل التحقيق في الواقع • ومن هنا حدة شعوره بماساوية الحياة •

فمالى وللدنيا ، طلابى نجومها
ومسعاى منها في شدوق الاراقم
اريد من زمنى ذا ان يبلغنى
ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

هذه هي عقدة المتنبي • ولكنها ليست خاصة به وحده ، بل هي عقدة الانسان العربي عموما • ولعلها لا تزال عقدة الانسان العربي الى يومنا هذا ، فنحن نحب المتنبي ونكرهه لانه يكشف لنا هذه العقدة ، وكاننا لم نتجاوز في تطورنا الحضاري عصر المتنبي • ومع ذلك فهي عقدة انسانية ايضا • فاى انسان ، في أى عصر وأى مكان ، لا يشعر بالبون الهائل بين المثال والواقع ؟ ولكنه شعور استطاع المتنبي أن يجسده أكثر من غيره من شعراء الانسانية الكبار ، لانه كان بدويا عميق البداوة ، وكان في الوقت نفسه مثقفا عميق الثقافة،والبداوة في صورتها الاصيلة تشجع على التعلق بالمثل العليا لانها اقل خضوعا للضرورات التي يفرضها المجتمع المدنى • وكذلك الثقافة الصحيحة تجعل الف الانسان للقضايا الكلية المطلقة والاخلاق المثالية اكثر من الفه للواقع المبتذل • ولكن البدو في عصره انحطوا الى خراب او لصوص ، والشعراء انطلقوا « يبيعون الشعر في سوق الكساد » • ولعل خاتمة حياة المتنبي كانت أبلغ صورة للتناقض بين المثال والواقع في حياته : فهذا الشاعر العبقرى الكبير السن ، الذى حاول اصلاح الزمن ، تارة بشعره وتارة بسيفه ، انما سقط في معركة سخيفة مع بعض الاعراب •

شكرى محمد عياد

من حقاً.. صاحب هذه الأبيات؟

بقلم : اكرم زعيتر

● في رحلة الى المغرب ، حيث قضيت اسبوعين من تشرين الاول ، حرصت على تحقيق ما اشتهر عن اثرين ادبيين وقصيدتين فلم اوفق لما ابتغيت ولعل (العربي) ، وهي مجال اقلام باحثين اجلاء ، والآصرة بين الادباء تصرح ما استبهم من شانهما •

منذ سنوات قرات في (العربي) مقالا للاستاذ عبد الله عنان، وهو من هو اختصاصا بالاندلسيات، تحدث فيه عن القصيدة المشهورة في رثاء الاندلس ومطلعها :

لكل شيء اذا ماتم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان

وعزاها الى ابي الطيب ، صالح الرندي ، ثم افرد مقالا مفاضا في الموضوع في العدد ٢٢٧ من (العربي) فعدت بذاكرتي الى العدالة ، يوم حثني شقيقي المرحوم عادل زعيتر على حفظها وكافاني على جودة القائها ••• ثم حدث ذات امسية سامرة ان سمعت استاذي اديب العربية اسعاف النشاشيبي رحمه الله يذكر تلك القصيدة الشاجنة ، وقلت له انني احفظها ، وهي لابي البقاء صالح الرندي كما تلقنت ، فقال : «ناظمها (يحيى القرطبي)••• وشهاب الدين الخفاجي يقول في (ريحانة الالباء) : وارسل يحيى القرطبي قصيدة نعى بها الاسلام ونادى ملوك الروم وعلماءها الاعلام ، فلم يجد بها صفيا يقول : لقد أسمعت لو ناديت حيا ، وذلك في عهد السلطان سليمان وقد اشار استاذنا النشاشيبي الى هذا في هامش خطبة (صلاح الدين وحطين) ، تلك التي القاها في ذكرى حطين في حيفا سنة ١٩٣٢ ودعاها المرحوم فتحي الدين الخطيب : أسطول النشاشيبي، وقد استشهد اسعاف ببيتين من تلك القصيدة :

ماذا التقاطع في الاسلام بينكم
وانتم يا عباد الله اخوان
ألا نفوس ابيات لها همم
اما على الخير انصار واعوان؟

وكنت اعلم ان الاستاذ عنان في الرباط ، وانه منكب ثمة على تحقيقاته الاندلسية ويلازم المكتبة الملكية ، وقد اعتمرت تلك المكتبة واسعدني ان يقوم عليها وبها صديقي الاديب الكاتب المؤرخ السفير عبد الرحمن الفاسي ، واردت ان اشركني الاستاذ عنان في تحقيق ناظم تلك المرثاة ، ولكنني

هذه مجموعة من الاراء والملاحظات والتساؤلات تعالج بعض القضايا الحيوية، وتعبر عن وجهات نظر اصحابها فى هذه القضايا ، وهم من المفكرين البارزين والمسئولين وعملا بحرية النشر ، فاننا نفسح المجال لهذه الاراء كما تلقيناها ، بغير حذف او تعديل .

علمت انه غادر الرباط فى مهمة قد تتصل بالاندلسيات التى اختص بها ..

ان الاستاذ عنان قد اكد فى مقاله ان الرندى هو ناظم تلك القصيدة .. ولكنه اشار الى اغفال ابن الخطيب ذكرها فى (الاحاطة فى اخبار غرناطة) حين اورد للرندى فيها ترجمة ضافية .. وذكر عدة من عيون قصائده من دونها ، كما ان الرندى نفسه لم يشر الى قصيدته هذه ولم ينشر منها شيئا فى كتابه (الوافى فى نظم القوافى) ... ثم علل ذلك باسباب تقصاها من حياة الرندى والظروف التى احاطت به فى الفترة التى عاش فيها ... ترى الا يمكن ان نعزو هذا الاغفال الى ما سلفت من راى الاستاذ الشاشيبى او شهاب الدين الخفاجى الذى عزاها الى يحيى القرطبى فى (ريحانة الالبا) ؟ لعل الاستاذ عنان يجيبنا بعد البحث و التنقيب بالقول الفصل ..

والامر الثانى الذى حرصت على تحقيقه فلم اوفق له يتصل بالابيات التى حفظناها معزوة الى الامام محمد عبده . وقد شرقت وغربت وسارت كل مسير . وكان السيد رشيد رضا رواها على لسان استاذه الامام وهى :

ولست أبالى أن يقال محمد
أبل أم اكتظت عليه المآتم
ولكنه دين أردت صلاحه
أحاذر أن تقضى عليه العمائم
وللناس آمال يرجون نيلها
اذا مت ماتت ، واضمحلت عزائم
فيارب ان قدرت رجعى قريبة
الى عالم الارواح وانفض خاتم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشدا
رشيدا يضيء النهج والليل قاتم
يماثلنى نطقا وعلما وحكمة
ويشبه منى السيف، والسيف صارم!

ويروى السيد رشيد رضا : «ولما انشدنى (اى الامام) الابيات طفق الشيخ عبدالرحيم الدمرداش يمازحه كعادته لاجل التسلية فقال له : انا اشتغل ليلا ونهارا بخدمتك وتكبيس رجلك ثم توصى للسيد رشيد وتجعله خليفة لك ! ياضيعة انخدمه ! » .

وقد تجنى الدكتور طه حسين على الامام رشيد رضا حين زعم انها من نظمه لا من نظم استاذه .. فمن عرف صاحب المنار قطع بصدق كل ما يقول وصحة كل مايروى ، فما كان رشيد رضا الا ذاك المجتهد الامين المؤتمن .

ومنذ حين روى فى مجلة الاديب الشاعر المحلق ، بقية السيف من رعيل الشعر الاصيل فى وادى النيل ، الاستاذ محمد عبد الغنى حسن انه قرا فى مجلة (المشرق) الصادرة فى بيروت سنة ١٩١٠ ان محررها الاب لويس شيخو اليسوعى قد عزا هذه الابيات الى شاعر مغربى هو محمد بن احمد اكنسوس او كنسوس .. وجنح الاستاذ الحسن الى الظن ان محمد عبده قد انشد هذه الابيات فى مرضه انشادا ، مستشهدا بها لا ناظما لها ، وبذلك اراد التوفيق بين روايتى السيد رشيد والاب شيخو .. على اننى تساءلت : كيف تعزى هذه الابيات الى اكنسوس المغربى وفيها تنويه بالسيد رشيد نفسه ؟ ومن هو اكنسوس الذى يريد صلاح الدين مخافة ان تقضى عليه العمائم ؟ وهل يمكن ان يكون هذا النفس الشعرى الا نفس قريح لمحمد عبده ؟ والى م استند شيخو فى عزو هذه الابيات

الذائعة الشائعة الى كنسوس من دون الامام محمد عبده ؟ · ورحت اقرأ عن اكنسوس او كنسوس ، وسالت بعض ادباء المغرب ومتادبيه عنه ، فما روى احد على لسانه تلك الابيات ·· كلا ، بل ان منهم من يحفظها ويعزوها الى الامام محمد عبده، شانه فى هذا شاننا معشر المشارقة ·· وقرات ما قاله العالم المغربى الصديق الاستاذ عبد الله كنون وما اقتبسته من شعره فى كتابه (النبوغ المغربى فى الادب العربى) · ومجمل رأيه فى محمد اكنسوس انه علامة ، مؤرخ ، اديب متفنن ، صاحب كتاب (الجيش العرمرم الخماسى فى دولة اولاد مولانا على السجلماسى) وانه انفرد بالرياسة الادبية فى عصره ، كتابته عالية ، وشعره من السهل الممتنع مع تضلعه من علوم الشريعة اما ما قاله الزركلى فى (الاعلام) عن كنسوس فلا يعدو كونه وزيرا من الكتاب ، وله كتاب الجيش العرمرم فى دولة الاشراف العلويين فى المغرب ، و (الحلل الزنجفورية فى اجوبة الاسئلة الطيفورية) » ·· ولم اوفق فى المغرب للقاء الاستاذ الحجة عبدالله كنون الا فى المطار اذ كان يهم بركوب الطائرة الى مصر لحضور مؤتمر العلماء وانا اهم بركوب اخرى عائدا الى بيروت ··· ولم اظفر بما يطمئن اليه خاطرى من عزو رثاء الاندلس فكان التسليم وداعا ثم جئت بيروت من دون ان أظفر بما يطمئن اليه خاطرى من عزو رثاء الأندلس الى الرندى وعزو تلك الأبيات الى اكنسوس ·

وليس (كالعربى) مجال لاقلام الباحثين فى هذين الامرين ·· واراني اترقب ما يشفى القليل من المغرب عالما بان المغاربة كثيرا ما يعلمون عن المشارقة اكثر مما يعلم المشارقة عنهم، ولعل (العربى) بما تنشر من بحوث للمغاربة وعنهم تسهم فى ازالة هذا التفاوت مشكورة مذكورة · ■■

بيروت ــ اكرم زعيتر

نحو ..
مؤتمر عربى
للطاقة

بقلم : الدكتور محمود امين

الأمين العام المساعد « للاوبك » العربية

■ تتزايد الحاجة بمضي الوقت لكي يسمع المجتمع الصاعد كلمة منتجي الطاقة ، بعد ان استمع كثيرا لوجهة نظر الطرف الاخر ــ المستهلكون ــ وقد كانت آخر المناسبات التى ارتفع فيها صوت المستهلكين هى مؤتمر الطاقة العالمى الذى انعقد فى اسطنبول خلال شهر سبتمبر الماضى · وكانت خلاصة مناقشاته وأعماله ان الدول الصناعية المستهلكة للطاقة تريد ان تبلغ منتجى البترول رسالة تقول فيها:

١ ــ انها تبذل جهدا كبيرا لتقييد استهلاك الطاقة وخاصة النفط مع المحافظة على مستوى النمو الاقتصادى لشعوبها وذلك بتطبيق قواعد الحفاظ على الطاقة Energy Conservation بعد ان تبين لها ان الاسراف فى استهلاك الطاقة

قد بلغ مداه حتى ان معدل استهلاك الفرد في دولة كامريكا قد بلغ ضعف معدل ما يستهلكه الفرد في المانيا الغربية مثلا ، برغم انهما يعيشان في نفس المستوى الاقتصادى وبعد ان تبين لها ايضا ان العالم يستطيع ان يستهلك نصف ما يستهلكه حاليا اذا ما احسن استخدام الطاقة ولكن ذلك يحتاج الى وقت ، اذا ما طبق العالم قواعد الحفاظ على الطاقة فانه يستطيع اقتصاد ١٠٪ من الطاقة المستهلكة حتى عام ١٩٨٥ ويقتصد ٣٥٪ حتى عام ٢٠٠٠ ويقتصد ٤٨٪ حتى عام ٢٠٢٠ ومع كل ذلك فان استهلاك العالم من الطاقة سوف يبلغ فى ذلك الوقت ثلاثة او اربعة امثال ما يستهلكه حاليا •

٢ ـ وان الدول الصناعية المستهلكة للطاقة تحاول تحريك موارد البترول المعطلة سواء ما يوجد منها فى الحقول المكتشفة بزيادة معدلات استخلاص البترول منها او بالكشف عن الحقول الجديدة التى لم تكتشف بعد فى المناطق القطبية والمناطق المغمورة تحت المياه العميقة او باستخلاص البترول المختزن فى صخور القار الرملية والطينية والتى توجد بكميات هائلة فى كندا وامريكا • وكذلك تحاول الدول الصناعية المستهلكة للطاقة ايضا تحريك موارد الطاقة البديلة للبترول كالفحم والطاقة النووية وغيرها التى تتوافر بكميات وفيرة فى هذه الدول بالذات ولكن تطوير طرق استخراج الفحم وتحويله الى غازات صالحة للاستهلاك وكذلك الكشف عن موارد اليورانيوم الذى يعوق بناء المزيد من المفاعلات الذرية وكل ذلك يحتاج الى الوقت والمال •

٣ ـ لذلك تطلب الدول الصناعية المستهلكة للطاقة من دول البترول اعطاءها الوقت الكافى لتطوير ما لديها من موارد بديلة وان تضع خلال ذلك الوقت ما لديها من بترول تحت تصرفها لحين ما تنتهى من ذلك وان لا تقيد انتاجها من البترول لكى لا تتحرك اسعار السوق ضدها كما لا تتوقع منها رفع اسعار البترول لكى لا تضطر ان تدفع لها اموالا اضافية تحتاج اليها لتطوير الموارد المنافسة للبترول •

٤ ـ واخيرا تطلب الدول الصناعية المستهلكة للطاقة من دول البترول ان لاتخشى علىمواردها من تحرك الموارد البديلة لان البترول سوف يظل القوى المحركة لوسائل المواصلات « السيارات والطائرات » وفى تغذية مصانع البتروكيميائيات•

وجهة النظر الاخرى

هذا هو منطق الدول الصناعية المستهلكة للطاقة وتصورها لما يجب ان يكون عليه مستقبل الطاقة فى العالم وهو منطق يتفق مع مصالحها ولكنه يختلف كثيرا عن منطق دول البترول التى ترى للموضوع وجها آخر يتلخص فيما يلى : ـ

١ ـ ان مستهلكى الطاقة فى الدول الصناعية يواجهون الان نتائج سياسة الخفض المصطنع لاسعار البترول التى فرضوها على منتجى البترول منذ الخمسينات لبناء الاقتصاد الاوروبى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ولرفع معدلات النمو الاقتصادى للدول الصناعية على حساب منتجى البترول ، هذه السياسة ظهرت لها الاعراض الاتية خلال الستينات :

ـ الاسراف غير العادى فى استهلاك البترول وهو ما يحاول المستهلكون الان معالجته باسلوب الحفاظ على الطاقة اى انه علاج لاعراض سياسة الخفض المصطنع لاسعار البترول •

ـ اهمال تطوير مصادر الطاقة البديلة للبترول كالفحم والطاقة النووية والشمسية وغيرها برغم توافرها بكميات تفوق ما يوجد من البترول وهو ما يحاول المستهلكون الصناعيون معالجته بتحريك هذه الموارد باسرع ما يمكن وهو ايضا علاج لاعراض سياسة الخفض المصطنع لاسعار البترول•

ومعنى ذلك ان ما تشكو منه الدول الصناعية المستهلكة للطاقة هو فى الواقع اعراض متعددة لما احدثته سياسة الخفض المصطنع لاسعار البترول. وعلى ذلك فان العلاج الفعال لا يكون بمعالجة الاعراض وانما يكون بعلاج اصل المشكلة واستئصالها من جذورها بتصحيح اسعار البترول وهو ما بداه المنتجون فعلا فى عام ١٩٧٤ والذى لا بد من استكماله بربط اسعار البترول باسعار موارد الطاقة البديلة التى يحاول العالم تحريكها وذلك على اساس ما يعطيه كل مورد منها من طاقة حرارية (Btu's) فالطاقة الحرارية فى طن البترول تساوى الطاقة الحرارية فى ١٫٣ طن من الفحم وبذلك يكون سعر طن البترول مساويا لسعر هذا القدر من الفحم ، وهكذا بالنسبة للطاقة النووية مثلا •

عندئذ فقط سوف تتحرك العوامل الطبيعية لاعادة التوازن الذى اختل بالخفض المصطنع لاسعار البترول والذى تسبب فى هدر الطاقة وعدم تحريك موارد البترول المعطلة والبديلة له منذ الخمسينات •

فالحفاظ على الطاقة لا يتحقق بمجرد الارشاد والتوجيه طالما كانت كلفة الطاقة تقل عن تكلفة استخدام المواد العازلة فى المبانى او عندما تكون كلفة الطاقة اقل من تكلفة رفع كفاءة السيارات والادوات الكهربائية والماكينات التى تستهلك هذه الطاقة ، فاذا ما ارتفعت قيمة الطاقة تحركت الحوافز الطبيعية للمحافظة عليها وهو ما تسعى اليه الدول الصناعية المستهلكة للطاقة •

والكشف عن الحقول التى لم تكتشف بعد فى المناطق القطبية أو تحت المناطق المغمورة بالمياه العميقة التى يزيد عمقها على ٢٠٠ متر تحتاج الى اجهزة خاصة ذات تكلفة عالية تفوق بكثير تكلفة اجهزة الكشف والحفر المعروفة حاليا • واقدام الشركات على تطوير هذه الاجهزة واقتنائها وتشغيلها للكشف عن هذه الحقول لا يتحقق الا اذا تاكدت هذه الشركات من امكانية بيع البترول باسعار تعوضها ما تنفقه على هذه العمليات •

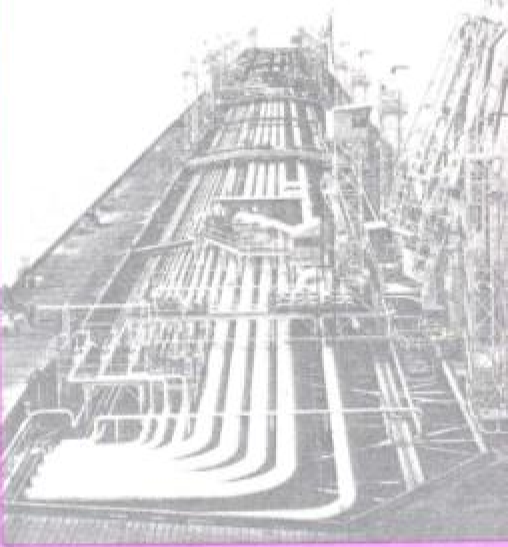
واستخلاص المزيد من البترول المكتشف فى الحقول الحالية التى لا تنتج اكثر من ٢٥٪ من المخزون بها يحتاج الى تطبيق طرق الاستخلاص الثانوى والثالثى لزيادة هذا المعدل وهى طرق مرتفعة التكلفة واقدام الشركات والمؤسسات على استخدامها يتوقف على امكانية بيع البترول المنتج باسعار تفوق الاسعار الحالية لتسترد ما تنفقه •

وتطوير الموارد البديلة للبترول من الفحم او البترول المستخلص من صخور القار الرملية والطينية يحتاج الى استثمارات هائلة تبلغ بلايين الدولارات وتحتاج الى تشغيل عدد كبير جدا من العمال • والشركات والمؤسسات لا تستثمر اموالها فى هذه المشروعات قبل ان تتاكد من امكانية بيع انتاجها بما يناسب استثماراتها •

فكيف يمكن ان يتحقق كل ذلك مع وجود بترول يباع فى الاسواق باسعار تقل عن ما تنتجه هذه العمليات ومن ثم يصبح ربط اسعار البترول باسعار ما تنتجه هذه العمليات امرا ضروريا لتحريكها وبدون هذا الربط سوف تظل هذه المحاولات غير قابلة للتنفيذ •

البترول وبدائله

٢ ـ ومما لا شك فيه ان ربط اسعار البترول المكتشف باسعار بدائله سوف يؤدى الى رفع اسعاره الحالية ويؤثر على معدلات النمو الاقتصادى للدول المستهلكة للطاقة ، ولكن من الممكن التخفيف من هذه الاثار بان يتدرج هذا هذا الربط على فترة زمنية ـ خمس او عشر سنوات مثلا ـ ليصل خلالها سعر البترول الموجود حاليا الى سعر بدائله • وبذلك يتدرج التاثير على النمو الاقتصادى •



فعندما تضاعفت اسعار البترول اربعة مرات فى عام ١٩٧٤ تاثر النمو الاقتصادى خلال عامى ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ولكنه بدا يستعيد معدلاته تدريجيا من عام ١٩٧٦ ، ومعنى ذلك ان العبرة هى بالتدرج فى الارتفاع وهذا ما يمكن التحكم فيه بسرعة رفع اسعار البترول الى اسعار بدائله خلال فترة زمنية معقولة .

٢ ـ ان الاثار الاقتصادية لتصحيح اسعار البترول وربطها باسعار البدائل سوف تقع فعلا على الدول النامية غير المنتجة للبترول وهو ما يحتاج بالفعل الى جهد الدول الصناعية والدول المنتجة للبترول التى عليها ان تتعاون فى تدعيم هذه الدول النامية وهى دول لاتستهلك فى الواقع سوى ١٥٪ من الطاقة عالميا فى حين تستهلك الدول الصناعية ٨٥٪ من الطاقة هذا فى الوقت الحاضر ولا ينتظر ان يتجاوز استهلاكها على المدى البعيد اكثر من ٢٥٪ من اجمالى الاستهلاك العالمى .

مؤتمر عربى للطاقة

ان ما قيل فى مؤتمر الطاقة العالمى والذى انعقد فى اسطنبول يقال فى العديد من مؤتمرات وندوات الطاقة التى تنعقد من وقت لاخر فى مختلف ارجاء العالم وما اكثرها . وفى هذه المؤتمرات يتغلب صوت الدول الصناعية المستهلكة للطاقة تبعا للطريقة التى ينظم بها المؤتمر ولنوعية الموضوعات المطروحة ونوع البحوث التى يتم اختيارها والمتحدثين بها . مما لا يتيح الفرصة لاظهار صوت منتجى الطاقة الا فى اضيق الحدود، وخاصة ان اقوى المنتجين هم دول نامية ليست لها قدرة الدول الصناعية فى اعداد الدراسات والبحوث ، ولكن هذا الوضع بدا يتغير بعض الشىء بدخول بعض الدول الصناعية حلبة منتجى النفط وفى مقدمتها النرويج ، وقريبا تدخل بريطانيا ذاتها بعد ان تجاوز انتاج بحر الشمال المليون برميل يوميا . ولذلك بدات النرويج تتحدث عن البترول وضرورة رفع اسعاره حتى يمكن الاستمرار فى انتاج بترول بحر الشمال وبدون ذلك سوف ينكمش هذا الانتاج . وكذلك كندا بدات تثير اهمية رفع اسعار البترول حتى يمكنها انتاج النفط الصناعى الذى تستخرجه من رمال القار الذى يحتاج الى اموال طائلة للاستثمار وللتشغيل ويحتاج ايضا الى عدد كبير من العاملين ، ولكن ما تقوله النرويج وما تقوله كندا لا يزال بصوت خافت لا يكاد يظهر بوضوح وسط اصوات الدول الصناعية المستهلكة للطاقة.

ومن هذا يتبين حاجة « منتجى الطاقة » الى مؤتمرات ينظمونها لابراز تفكيرهم ومنطقهم ولعل الخطوة التى تبداها الان منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول فى عقد « مؤتمر عربى للطاقة » خطوة طيبة فى هذا الاتجاه حيث تقترح عقد هذا المؤتمر فى مارس ١٩٧٩ لمناقشة قضايا الطاقة من وجهة النظر العربية .

■■

الكويت ـ محمود أمين

« هذه الاضافات لا نحتاج اليها في لغتنا لعجزها عن التعبير عما هو عربي ، بـل نحتاجهـا لاداء الفاظ اجنبية اداء صحيحا . »

دعـوة .. لإعادة النظر فى الحروف العربيـة

بقلم : الدكتور احسان حقى

■ على اثـر اتخاذ كمال اتـاتورك الحروف اللاتينية بدلا عن الحروف العربية لكتابة اللغة التركية العثمانية قام فريق من العرب يدعو الى الاقتداء بالكمالية وابدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية فى كتابة اللغة العربية وادلوا باقوال كثيرة قدموها بين يدى دعواهم حججا لتبرير هذا التبديل ولبيان فوائده ، فتصدى لهؤلاء فريق من العلماء وبينوا خطل هذا الرأى وان القضية لاتقف عند حد ابدال حرف بحرف بل انها تعني القضاء على مدنية عريقة وثقافة عالية وتراث ثمين وتاريخ عظيم وامجاد وافكار ظلت تعتلج في مصنع الدهر مئات السنين ، وان تغيير حرف بحرف لا يهدم هذا التراث بل انه يهدم الدين الاسلامى من اساسه اذ انه يبعد المسلمين عن قرانهم وعن مكتبتهم الغنية التى مضى على العمل فى تكوينها اربعة عشر قرنا وترجع الى ما لا يقل عن ثلاثة الاف سنة ، وابعاد المسلمين عن مكتبتهم يبعدهم عن علوم وفنون وافكار وامجاد كثيرة لا يقام عليها ثمن ولا يمكن ان تعوض لانها ثروة اقوام اسلامية كثيرة خاضت خضم الحياة من جميع نواحيه واخرجت منه افضل ما اوجدته القرائح من كنوز .

وادرك الذين خدعوا بهذه الفكرة وحسبوهـا تقدمـا انهـا ليسـت تقدمـا بـل هـي تاخر وهـدم ورجوع الـى الـورا، وانـهـا تنـطوى على مؤامرة بعيدة الاغوار للقضاء على المجتمع الاسلامى فكرا وثقافة وتاريخا وامجادا والقضاء على كل مقومات المسلمين لكي يبدأوا حياتهم من الصفر، فلما ادركوا هذه الحقيقة نزعوا عن التمادى فى هذه الدعوة وطفئت جذوتها قبل ان تبلغ مبلغ الجد ويدعمها انصار جديون فنبذت بعد ان ادرك الجميع اخطارها وما كان يريد الذين اوحوا بها من مآرب واصبحت الفكرة نسيا منسيا ولكن شخصا واحدا لبنانيا من دعاة التبشير ما زال حتى يومنا هذا يحمل لواء هذه الدعوة ولا يكتفي باحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية بل انه يدعو الى اهمال اللغة العربية الفصحـى واتخاذ اللهجة

اللبنانية لغة وهو ينشر كراريس صغيرة بالحروف اللاتينية واللهجة اللبنانية ويوزعها مجانا فلا يقرؤها احد .

حتى ننطق الكلمات صحيحة

واذا كان قد ثبت بان الحروف العربية هي خير حروف تلائم اللغة العربية وان هذه الحروف هي اجمل حروف كل اللغات العالمية شرقا وغربا وانها اسهلها على الاطلاق وافضلها لراحة العين فان الذى لا يسع انكاره هو انها اصبحت ، بعد ان اختلط العرب بكثير من الاقوام ، بحاجة الى بعض الاصوات الاضافية لكي تفي بنقل الالفاظ الاعجمية الى اللغة العربية نقلا صحيحا يساعد على التلفظ بها على الوجه السليم كما يلفظها أهلها . وقد سبق للناطقين باللغات التركية واللغة الفارسية والتركية والاندونيسية وغيرها ان اضافوا الى الهجائية العربية ما ينقصهم من اصوات (حروف) لكي يستطيعوا ان يلفظوا الفاظ لغتهم على وجهها السليم . والحروف التى اضافها الايرانيون والاتراك هى پ. چ. ژ. گ. واما اصحاب اللغة الاردية ، وهي لغة اهل شبه الجزيرة الهندية الباكستانية فقد اضافوا الى حروف اللغة العربية عشرين حرفا بحيث اصبحت الهجائية الاردية تستوعب الفاظ امهات اللغات الهندية الباكستانية من سنسكريتية وبنغالية وبنجابية كما انها تستوعب الفاظ كل اللغات الاوروبية اذ اصبح لكل مـــن : البـــاء والتاء والجيم والدال والراء اربعة اصوات ولكل من الزاء والسين والكاف والقاف والياء صوتان فصار باستطاعة الباكستانى ان يكتب بالحروف العربية اى لفظ اجنبى وان يلفظه على وجهه ، كما يلفظه اهله ، سواء اكان هذا شرقيا ام غربيا .

فاذا اضفنا ، نحن العرب ، هذه الاضافات على الهجائية العربية صرنا نكتب باكستان وبنجاب وباريس وغيرها بالباء المثلثة ونلفظها لفظا صحيحا ومثلها حرف الجيم المثلثة التى تلفظ (تش)فاذا اتخذنا هذه الجيم فلا نكتب بعدها كراتشى وتشرشل وتشندرناغور بل نكتب كَراچى. چرچل وچندرناگور، وباضافة حرف(گ) الذىيلفظ gua لا نكتب،بعدها ، غاندى وغبريل وغراهام ونلفظها لفظا محرفا بل نكتبها گاندهى گبريل وگراهام ونلفظها لفظا سليما . واهل الشمال الافريقى يكتبون القاف بثلاث نقاط ويلفظونها Gua مثل ڨابس وبالاضافة الى هـذه الاضافات يجب ايجاد صوتلل V فاما ان يكون فاء بثلاث نقاط او يكون واوا بثلاث نقاط فوقهـا وحينذاك لا نكتـب فينيسيـا وفينـا وفيكتوريـا ـ بل نكتبهـا بالفـاء المثلثـــة ونلفظهـا لفظـا صحيحا . اما الياء الخفيفة فهى لا توجد الا فى اللغة الاردية فهم يكتبون الياء بهذا الشكل (ى) لفظوها كما يلفظ الافرنسيون حرف I فى كلمة Ii وكما يلفظ الانكليز ee فى كلمة Need . واذا كتبوا الياء بهذا الشكل (ے) لفظوها ياء مخففة مثل lait بالافرنسية و Day بالانكليزية .

وهذه الاضافات تساعد على كتابة كل الاسماء العلمية الاجنبية ولفظها على وجهها ، فكلمة Vendée وهي ولاية افرنسية ، لا نستطيع ان نلفظها لفظا صحيحا الا اذا كتبناها بالياء الخفيفة هكذا: (فندے) .

ليس عيبا ولا عجزا

وليس فى هذه الاضافات ما يعيب لغتنا لان هذه الاضافات لا نحتاج اليها فى لغتنا لعجزها عن التعبير عما هو عربى بل نحتاجها لاداء الفاظ اجنبيـة اداء صحيحا ، وقد سبقنا الاوروبيون الى ذلـك واضافوا نقاطا على حروفهم اللاتينية او اضافوا

حرفين احدهما الى الاخر وجعلوا منهما صوتا واحدا لكي يلفظوا الحاء والخاء والذال والصاد والضاد والظاء والقاء والعين والغين والقاف ، وهذه كلها حروف لا توجد فى اكثر اللغات الغربية ، وهم وان كانوا لا يستعملون هذه الاضافات فى حياتهم اليومية ولا يعرفها عامة الناس بل هى لخواصهم ويستعملونها فى الميدان العلمى اى حينما يكتب احدهم اطروحة فانه اذا كتب ابن بطوطة او البوصيرى او ابن حزم فانه يكتب الطاء والصاد والحاء بالطريقة العلمية بحيث يستطيع العلماء ان يميزوا الحرف المقصود بسهولة فلا تختلط عليهم الطاء بالتاء ولا الصاد بالسين ولا الحاء بالهاء ٠

واما فى الحياة اليومية فقد حرف الغربيون او شوهوا بعض او اكثر الاسماء العلمية العربية واخترعوا لها اسماء على هواهم وتختلف من قوم الى قوم فقد سمى الافرنسيون دمشق Dams وسماها الانكليز Damascus وسمى الافرنسيون القاهرة Le caire وسماها الانكليز Cairo وسمى الافرنسيون عكا Acre وسماها الانكليز Acca وهلم جرا ولذا فهم ليسوا بحاجة ان يلفظوا هذه الالفاظ كما يلفظها اهل اللغة بل يلفظونها كما اخترعوها٠

وحيث اننا اصبحنا بعد اختلاطنا بالاجانب ، نشعر بالحاجة الى هذه الاصوات الاضافية فحبذا لو كانت مجامعنا العلمية تتفق على اشكالها حتى لا نبقى نعانى هذا النقص او يخترع كل بلد ما يراه على هواه٠ونحن ، على كل حال،لا نحتاج الى اكثر من اضافة نقاط على بعض الحروف لكى تفيدكل ما نحتاج اليه من أصوات اضافية٠وبالتالى فالقضية سهلة وكثير من الكتاب اصبحوا ، اقتداء باللغة التركية ، يستعملون بعض هذه الاضافات ولكنها ليست عامة ولا يفهمها كل الناس ولذا فلا بد من ضبط هذه القواعد وتعميمها ٠ ■■

دمشق ــ احسان حقى

مؤتمر علماء المسلمين والذين يحرثون فى الأرض !!

بقلم : محمد عبد الله السمان

المؤتمر الاخير لعلماء المسلمين ، والذى دعا اليه مجمع البحوث الاسلامية بالازهر يثير اكثر من تساؤل ٠ فقد انعقد المؤتمر الاول عام ١٩٦٤ ، ثم توالى انعقاد المؤتمرات ، حتى كان المؤتمر السابع عام ١٩٧٢ ، ثم كان هذا المؤتمر الثامن الذى انعقد فى اكتوبر الماضى ، وقد قدر لى ان اشهد عن كثب المؤتمرين الاول والثانى، ثم المؤتمر السابع ، وأن التقى بمعظم الوفود التى جاءت من اقصى بلاد المعمورة تضم الكثيرين من الشخصيات الاسلامية ، التى لها وجود مذكور فى محيطها ٠

واذكر انني كتبت مقالا ـ في مجلة الرسالة ـ قبيل انعقاد المؤتمر الثاني ، ذكرت فيه اعضاء المؤتمر « الموقرين » بما اتخذوه في المؤتمر الاول من قرارات وتوصيات ، والتي لم ينفذ منها شيء، على الاطلاق ، رجاء ان يناقشوا اسباب التعويق اولا، قبل ان يصدروا قرارات وتوصيات جديدة ، سوف يكون مصيرها نفس المصير لاخوات لها من قبل،فاذا هم لم يفعلوا شيئا،وواصلوا القرارات والتوصيات كانوا هم ومن يحرثون في البحر سواء •• !

وذهب كلامي وكلام غيري ادراج الرياح،وصدرت القرارات والتوصيات بعد ذلك في المؤتمرات : الثاني والثالث حتى السابع •• انشائية مكررة، وانفعالية متطرفة ، ولم تحقق شيئا يذكر لا للاسلام وقضاياه،ولا للشعوب المسلمة ومشكلاتها،

❋ في افتتاح المؤتمر الاول قال الدكتور محمد البهي وزير الاوقاف وشئون الازهر يومئذ : «ان مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية في دورته الحاضرة سيواجه كثيرا من المشاكل والقضايا والاحداث والتطورات •• سيواجهها مطلوبا منه ان يتناولها بالبحث والدراسة ، ويستخلص من ذلك الراى الاسلامي الواضح ، حتى يعود الاتصال من جديد بين حياة المسلمين في سيرها العملي ، ومبادىء الاسلام في رعايتها لتوجيه الانسان وجهة سليمة تحفظ عليه حياته ، وتقيه من عوامل الضعف ،

للاستهلاك المحلى

ويبدو ان السادة اعضاء المؤتمر قد فهموا ان مثل هذا الكلام الصادر عن مسئول هو مجرد لون من الاستهلاك ولذلك اكتفوا بان يجيدوا الاستماع، وجاء بيانهم وقراراتهم وتوصياتهم في نهاية المؤتمر صورة من صور الاستهلاك ايضا جاء في بيانهم : ان الدين عند الله الاسلام •• والاسلام عقيدة وشريعة •• واساس الشريعة هو الكتاب والسنة •• كان انشاء مجمع البحوث الاسلامية ليكون هو الهيئة العليا ، وليقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث •• وليعمل على تجديد الثقافة الاسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب ، وتجليتها في جوهرهاالاصيل الخالص •• وليتتبع ما ينشر عن الاسلام والتراث الاسلامي من بحوث ودراسات •• وليرى الراى فيما يجد من مشكلات مذهبية او اجتماعية تتصل بالعقيدة •• وقد انتهت المرحلة الاولى من ذلك المؤتمر بطائفة من التوصيات تكون جزءا من خطة العمل للمجمع في مستقبل نشاطه •• وقد استشعر اعضاء المجمع مسئولياتهم الكاملة ، لمواجهة هذه المشكلات ، وتقع في اطار اربعة عناصر رئيسية : مقاومة العدو المشترك الاسلام والمسلمين ـ تجريد الاسلام مما علق به من الفضول والشوائب ، تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين المسلمين على اساس اسلامي سليم ـ ثم العمل على توحيد كلمة المسلمين ومحو اسباب التقاطع بينهم ، وازالة اسباب الخلافات المذهبية ••

واذا نحن استعرضنا سائر التوصيات والقرارات التي صدرت من خلال المؤتمرات السبعة الماضية ، لا نكاد نلمس فيها لا شيئا جادا ، ولا شيئا جديدا فيها تجديد في الصياغة اللفظية ، وفيها جمود في التفكير ، فيها حملة شعواء على الصهيونية والاستعمار ، وفيها رخاوة مخجلة بالنسبة لبعض الانظمة في البلاد الاسلامية ، والتي تعاني منها شعوبها اروع مما كانت تعانيه من الاستعمار في فورة طغيانه ، ونحن لا نجادل في ان التوصيات والقرارات ليست ملزمة للدول الممثلة في المؤتمر، ومؤدى ذلك ان المسالة لم تزد على كونها حبرا على ورق ، وان الهدف اليتيم الذى يمكن تحقيقه هو الدعاية المؤقتة لا اكثر ، اما ما يمكن ان نناقشه في هدوء ، فهي القرارات والتوصيات التي القيت على عاتق المؤتمر نفسه ، ومجمع البحوث الاسلامية

ذاته ، والتى نعتقد انه ليس ثمة ما يدعو الى الاعتراض أو المماطلة والارجاء ..

فمثلا : تجريد الاسلام مما علق به من الفضول والشوائب ـ اثر هذا فى المؤتمر الاول ـ ومثلا : العمل على وضع موسوعة مفهرسة للاحاديث النبوية ، تتولى تحقيقها لجنة خاصة ، حتى يكون رجوع الناس الى المصدر الثانى فى الاسلام ، امرا مأمونا وميسرا ـ المؤتمر الثالث ـ هذا وقد طلب المؤتمر الى مجمع البحوث ايضا ، ان يعمل على جمع الاحاديث التى قد يظن ان ظاهرها غير مراد ، وعلى تحقيقها ، وذلك عن طريق البحث فى اسانيدها والنظر فى متونها ، وفق ما وضعه علماء الحديث لذلك من اسس وموازين كفيلة بتوضيح درجتها ، ثم يعمل على شرحها .. هذا بالاضافة الى توصيات كثيرة ، منها : اعداد جيل كامل واسع الثقافة من رجال الدين ـ وليس فى الاسلام رجال دين ـ يتولون تهذيب الشباب وقيادتهم على الاساس التربوى السليم ، ومنها : العمل على تكوين هيئة دائمة تحمل مسئولية التعريف بالاسلام ، واحياء التراث الاسلامى ..

مثل هذه التوصيات والقرارات القيت على عاتق المؤتمر ومجمع البحوث الاسلامية ، وحتى الان لم ينفذ منها شىء لان المسالة ـ كما ذكرت ـ ليست الا من قبيل الاستهلاك ، ومما هو مثير للاسى ، ما ورد ضمن قرارات المؤتمر الثانى ـ مايو ١٩٦٥ م ـ بشأن التامينات التى تقوم بها الشركات ايا كان نوعها ووضعها ، ومنها التامين على الحياة وما فى حكمه ، مع الوقوف ـ قبل ابداء الرأى ـ على آراء علماء المسلمين فى جميع الاقطار الاسلامية بالقدر المستطاع .. ومضى عام ، وفى المؤتمر الثالث ـ اكتوبر ١٩٦٦ م ـ قرر المؤتمر للمرة الثانية ان يستمر المجمع فى استكمال دراسته، فيما يتعلق بالتامين ، وان يستمر فى الوقوف على آراء علماء المسلمين فى الاقطار الاسلامية بالقدر المستطاع .. والتزم المؤتمر الصمت حتى المؤتمر السابع ١٩٧٢م حيث اوصى المؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بان يستكمل دراسة ما كان موضوعا امام المؤتمر عن موضوع التامين ، وشهادات الاستثمار ، و لايداع فى صناديق الادخار ، ويعلن رأيه للعالم الاسلامى، ولم يستجب المجمع ، وجاء المؤتمر الثامن فى اكتوبر الماضى ، ولم يشر فيه الى هذه المسالة المعلقة من قريب او بعيد ..

حتى تحرير فلسطين !

ومما اذكره جيدا ، ان استاذنا الشيخ على الخفيف القى ـ فى المؤتمر السابع ١٩٧٢ ـ بحثا مستفيضا حول هذا الموضوع اجاز فيه التامين وشهادات الاستثمار وغيرهما ، وتصدى له المرحوم الشيخ محمد ابو زهرة معارضا بعنف . وكان ان احيل الموضوع برمته فى الفترة الثانية من نفس المؤتمر المخصصة للدراسة ، ولم يصدر ـ رأى حاسم ـ والسبب ان المؤتمر والمجمع آثرا الايؤيدا الشيخ الخفيف خشية الشيخ ابى الزهرة ، والا يؤيدا الشيخ ابا زهرة خشية المسئولين ، واعتقد ان وفاة الشيخ ابى الزهرة رحمه الله ـ قد تيسر للمجمع ان يعلن رايه ..

* لقد كنا نتوقع عند انشاء مجمع البحوث الاسلامية ـ ان تكون له شخصية مستقلة بعض الاستقلال ـ لا الاستقلال كله ، بل كنا نطمع ـ على الاقل ـ فى ان يكون مؤتمر علماء المسلمين الذى يدعو اليه المجمع كل حين، له شخصية المحافظة ولاقول المستقلة ، فلا يتحول الى وسيلة اعلامية لمجريات الاحداث السياسية ، ويصدر قرارات وتوصيات وهو واثق من انها فقاقيع فى الهواء ، ولا يجوز ان يكون هوى هذا المؤتمر تبعا لظروف دولة حتى ولو كانت الدولة المضيفة . فمثلا لم يحدث على مدى المؤتمرات السبعة الماضية ورود

لفظة •• الشيوعية «الماركسية» امـا فى المؤتمر الاخير ، فقد احتلت •• الماركسية مكانا فسيحا فى توصياته ، وفى المؤتمرات السابقة ايضا ، كان حماس المؤتمر بالنسبة لاسرائيل والتنديد بها بالغا نهايته ، اما فى المؤتمر الاخير فقد جاءت التوصية بالجهاد من اجل تحرير فلسطين هادئة ليس فيهـا شىء من الانفعال ••ولو قدر للمؤتمر ان يتاخر انعقاده شهرا لارتدت التوصية بشان فلسطين ثوبا آخر •• ليس المهم هنا ان يكون المؤتمر مصيبا فى سلوكه او غير مصيب ، بل المهم هو ان تصدر قراراته وتوصياته نابعة من ذاته غير متاثرة باى هوى سياسى ، حتى لا تكون موضع غمز ولمز ، وحتى يكون لها لدى البعض شىء من التقدير والاحترام ••

❊ ان اهتمام المؤتمر فى توصياته يجب ان يكون فى اطار مهمته الاساسية ، التى أشـار اليهـا البيان الاول الذى صدر بمناسبة انعقاد اول مؤتمر لعلماء المسلمين ، وسبقت الاشارة اليه ، هذه المهمة التى تجاهلها سائر المؤتمرات واقعا لا شكلا ، ولم يخط نحو تحقيقها خطوة عملية واحدة ،ولقد اجاد استاذنا المرحوم احمد حسن الزيات فى مقال له كتبه فى مجلة « الازهر » بمناسبة انعقاد المؤتمر الاول لعلماء المسلمين عام ١٩٦٤ ـ كتبه ـ وهو يحسن الظن بالعلماء الذين جاءوا من اقصى البلاد وعبر فيه عما يجيش بصدر كل مسلم مـن امـل منشود فى مجمع البحوث الاسلامية ، اشار الى ان تطور الازهر قد سن فيه انشاء مجمع علمى للبحوث الاسلامية ، يمثل امة محمد فى علمائها من كل بلد ، ويقف من اولاتها موقف العلم فى كل سبيل، ويحرر الفكر الاسلامى من التقليد الاعمى والتسليم العاجز ، ويطهر السنة المحمدية من الاحـاديث المكذوبة ، والاقوال المشوبة ، ويطور الشريعة فى حدود ما انزل الله وبلغ الرسول ، وينقى العقيدة من المذاهب الباطلة والبدع الضارة ، وينشر الاسلام الصادق الصافى على الناس فى معرض واضح ومظهر جاذب ، ومنهج قويم ، ثم قال : وفى ضوء هذا المنهج الذى رسم لمجمع البحوث الاسلامية يحدونا الامل فى ان يرى المجمع رايه الفصل فى هذه الامور الثلاثة ، التى اعوزتنا ، فشوه عوزها العقيدة ، وفرق الوحدة ، وعوق الدعوة ، وهذه الامور الثلاثة ، هى : تنقيـة العقيدة ، وتنقيـة الشريعة ، وفتح باب الاجتهاد•• ثم يرى الاستاذ الزيات بعد ذلك : ان ايسر السبل الى الاصلاح ، وادناها من النجـاح ، ان ينظر مجمع البحـوث الاسلامية فى التراث الاسلامى المتفرق المشوش ، فيجمعه فى ثلاثة مراجع : مرجع للتفسير ، تشرح فيه الايات الكريمة على ضوء الروايات الصحيحة والعلم الثابت ، ومرجع للحديث يدون به ما لا ريب فيه من الكتب الصحاح ، ويستعان على شرحه بعلوم التاريخ والاجتماع والاخلاق والفلسفة ، ومرجع للفقه ، يشمل ما تواتر من الاحكام ، وما صح من المذاهب وسلم من الاراء •• وقال الاستاذ الزيات فى نهاية المقال : ان مجمع البحوث اذا فعل ذلك ، وهو حرى ان يفعله ـ طهر شريعة الله من سموم البدع ، ونقاها من شوائب الفرق والشيع، وجعلها صالحة لان يردها الناس صافية كقطرة المزن ، خالصة كفطرة الله •

❊ وبعد •• فقد مضى على انشاء مجمع البحوث الاسلامية اكثر من ستة عاما نسى خلالها مهمته الاصيلة ، وقد عقدنا الامل فى مؤتمـر علمـاء المسلمين لعله يبعث الحياة والحركة فى هذا المجمع الاشل ، ولكن بعد انعقاد المؤتمر ثمانى دورات ، ثبت عجزه عن ان يفعل شيئا ، سـوى اصـدار القرارات والتوصيات للاستهلاك لا اكثر ، وحسبه ان يكون هو ومن يحرثون فى البحر سواء ••• !

القاهرة ـ محمد عبدالله السمان



السلوك البشرى

بين اللذة .. والألم ...
وبين القنفد .. والثعلب .!

■ « السلوك » تفكير او عمل يقوم به المخلوق ويتجه به وجهة معينة قد توصله الى هدف او تقربه منه .

وقد يكون السلوك مستجدا جديدا باعتباره حدث في تلك الفترة لاول مرة من قبل الشخص ، وقد يكون سلوكا مكرورا معادا بصورة تكاد تكون صورة طبق الاصل او مقاربة لما سبقها . وفي جميع الاحوال .. ، واذا كان سلوكا مستحدثا او قديما فانه يستند الى « أوليات » أو « خلفيات » ينشأ عنها ويرجع اليها . وفي موضوع الخلفيات هذه ومكونات السلوك وأهدافه ودواعي تكراره أو خفوته واختفائه تدور مختلف النظريات والفلسفات والابحاث منذ أقدم مراحل الفكر البشرى وحتى الان . بل لعل « السلوك » هو لب الفلسفات والمبادىء جميعا لانه موضع اهتمام الدراسات : الدينية والخلقية والنفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

بقلم : الدكتور فخرى الدباغ

ان تعدد وكثرة المدارس النفسية في تفسير السلوك ومنشئه واتجاهه شيء طبيعي لان علم النفس هو بالحقيقة وبايجاز « علم السلوك » . ومع أن كثرة الدراسات والنظريات أصبحت مصدر حيرة وتردد الكثيرين نظرا لما تقدمه كل منها من حجج وبراهين مختلفة ومتضاربة ، الا أن ما يخيل

لنا انها نظرية جديدة قد نجدها بصيغة وشكل آخر في نظرية ظهرت قبلها بمئات السنين .. ، ومنذ عهد أرسطو وافلاطون وابن رشد والغزالي وابن خلدون .

محركات السلوك :

ان الذي يدعو للتساؤل حقا هو : ما الذي يدفع المرء الى تبني سلوك معين في ظرف معين .. ثم الى تغييره أو تكراره في ظرف آخر ؟ .. هل هي العادة ؟ .. هل هي السهولة ؟ .. هل هي اللذة .. ؟ .. هل هي المكاسب ؟ .. أم هي المثل والمبادىء والاخلاق ؟ .. أم أن الانسان مجرد ماكنة تتلقى الايعازات بشكل أوامر عصبية وهورمونات وافرازات ورموز في الجينات والكروموسومات حاملات الصفات الوراثية للكائن البشري ؟ ..

ان الطفل الصغير « يتعلم » الابتعاد عن النار بعد أن يعاني من ألم الحرق من مدفأة أو عود ثقاب . فهو سلوك يمكن تفسيره بتجنب الالم أو ايثار اللذة . كذلك يدرك البالغ أن السرقة سلوك غير مقبول ويعاقب عليه بحكم الدين والاخلاق والقوانين المرعية ووجود عقاب صريح له . فهو اذن لا يسرق لعوامل أخلاقية - اجتماعية ، اما اذا سرق فعندئذ يجيء علم النفس والاجتماع ليفسرا ذلك بانه « مدفوع » الى السرقة اما لسهولة الكسب غير المشروع .. أو لفقر مدقع أو لمرض نفسي يعبر عن حاجة رمزية ذات دلالة بعيدة عن الحاجة الفعلية لمادة السرقة .. كالتعبير عن التمرد والنقمة ضد الاسرة أو المجتمع أو الحاجة الى الامتلاك أو الحنان ... الخ .

اذن ، فسلوك الانسان يرتبط بعوامل كثيرة متعددة تقرر نوعية وحدته واتجاهه . وقد حاول الفلاسفة وعلماء النفس وضع معادلات وقواعد لربط هذه العوامل ، ومن أشهر هذه التفاسير : نظرية اللذة والالم ، وفلسفة الرواقيين ، ونظرية قانون التأثير ، والسلوكية الالية ، والحتمية ، والارادة الحرة ... الخ مما سنتطرق الى أبرزها .

ويمكن حصر محركات السلوك بثلاث مجموعات من الدوافع والمحفزات :

١ - ما يدركه ويحسه الفرد قبل أن يقدم على عمل ما مباشرة ...

٢ - ما يجري في ذهنه قبل فترة طويلة من الفعل ...

٣ - ما يعلق عليه في المستقبل من اهداف ونتائج اذا ما قام بالفعل ..

الا أن هذه المجموعات الثلاثة يمكن أن تنحصر الى اثنتين فقط هي :

- الدوافع والحوافز الداخلية .
- النتائج المترتبة على السلوك ...

ولا يمكن الفصل التام بين النتائج والحوافز الداخلية دائما كما بين أرسطو في كتابه الموسوم (De anima) اذ يقول : « عندما توجد اللذة والالم فلا بد من وجود الرغبة ، والرغبة تدفع الى اللذة .. » . وهذا يعني أن السلوك الذي يعتمد على « النتيجة » انما يهدف الى نتيجة مرضية ومجزية - أي لذيذة ، أو على الاقل « غير مؤذية » .

السلوك .. وقانون التأثير :

جاء بهذه النظرية العالم النفساني (ثورندايك) بعد أن أجرى تجاربه على الحيوانات . وهي من النظريات المهمة في علم النفس الحديث ، وقانون التأثير يشبه الى حد ما نظرية اللذة في السلوك ، اذ يمكن ايجازه بان المخلوق الذي يفكر بشيء أو يقوم بفعل يعود عليه بالراحة أو الاستقرار ، أي يزيل عنه حالة التوتر والقلق ، عندئذ يتأثر بذلك ويصبح نمط ذلك الفعل راسخا في جهازه العصبي فاذا ما صادف وأن مر بظروف مشابهة فانه يلجأ الى سلوك نفس الفعل دون تردد أو تفكير جديد في فعل مغاير . ويمكن تعريف القانون بما يلي : « ان العقاب أو المكافأة من أقوى الادوات والوسائل لاختيار وتثبيت الافعال المرغوب فيها وحذف واستبعاد غير المرغوب فيها. فاذا وجدت حالة واحدة لها عدة استجابات فان الاستجابات التي تصاحبها أو تتبعها مباشرة ذات لذة ورضى للمخلوق تبقى أشد ارتباطا بتلك الحالة اذا عادت ، وعلى العكس من ذلك تضعف الرابطة اذا كانت النتيجة مؤلمة .

ان نقطة الضعف في هذه النظرية انها تتجاهل شخصية الانسان وتعتبر الناس سواسية تجاه كل الحوافز ، وهذا ما لا ينطبق على الواقع . فالحافز الواحد قد يؤدي الى سلوكين متضادين في شخصيتين

مختلفتين والى بضعة أنماط من السلوك اذا اقتضى الامر .

بين القنفذ والثعلب ...

يقول أحد علماء النفس انه مهما تعددت تصرفاتنا وردود أفعالنا فبالامكان تصنيفها الى مجموعتين :

بسيطة ، وهي ما دعاها باسلوب القنفذ ...

ومعقدة ، وهي ما دعاها باسلوب الثعلب ...

ولايضاح ما يقصده بذلك نقول ، ان القنفذ ـ وهو حيوان يعيش على أكل الحشرات والنمل ، وله جلد مكسو بشوكات ابرية مؤذية لمن يلمسها ، وكل ما يفعله القنفذ هو احد سلوكين : أما أن ينبسط وتنام شوكات جلده على بعضها ويسير الهوينا بحثا عن طعامه وشؤونه الاخرى .. ، أو انه يتكور على نفسه فتبرز الشوكات لدرء الغطر عنه ويصبح كرة هامدة ثابتة في مكانها لا تتحرك وتؤذي من يقترب منها . ويتخذ القنفذ وضعية الكرة في كل حالة مغايرة لحالة الارتياح ـ أي استجابة بسيطة واحدة لعشرات الحالات والحوافز المختلفة عن الراحة . سلوك واحد بسيط وجواب واحد مكرر .

ومن البشر من يؤثر سلوك القنفذ تقريبا . لكن أمثال هؤلاء ندرة نادرة .. ، لان السلوك البشري أشد تعقيدا وأكثر صورا وأشكالا من تلك .

أما سلوك الثعلب ، فعلى النقيض من ذلك ، فلكل حالة أو ظرف نجد الثعلب يعد لها العدد ويضع بضعة حلول وردود . وبتعدد الظروف تتعدد الحلول وتتشابك وتتعقد .

وقد عرف الفلاسفة الاغريق هذين النمطين من السلوك منذ القدم . وخلد القنفذ والثعلب في الادب العالمي منذ القرن السابع قبل الميلاد اذ ذكره (أرخيلاكس) . أما (ايرازموس) في عام ١٥٠٠م فقد قال ما يلي : « للثعلب عدة حيل .. ، وللقنفذ حيلة واحدة ـ لكنها أحسن الحيل .. » ، وقيل في الثعلب : « لدى الثعلب حلول أكثر مما لديه من مشاكل !! » .

ومن البشر ما يماثل الثعالب في سلوكها ـ أي باعداد مجموعة من الاستجابات لكل طارىء أو حدث مع حذر شديد ومكر وريبة . وهؤلاء ليسوا ندرة . والانتهازيون كذلك رائدهم الثعلب وأساليبه لانهم يهيئون ردود الافعال ويحسبون الحسابات الدقيقة كي لا تفوتهم فرصة أو غنيمة . أما الانسان السوي العادي فانه يستجيب بسلوك معين . ولا يتشابه اثنان في سلوك واحد تجاه حافز واحد . فالتعقيد وتعدد الانماط السلوكية لدى الناس الاعتياديين لا يتأتى عن الوسوسة ، بل عن اختلاف عوامل أخرى كالشخصية والظروف الاجتماعية والثقافية والتربية والتجارب والفطنة .. الخ .

ما هي حقيقة اللذة

وقد ظهرت نظرية اللذة كعامل حيوي في تحريك السلوك منذ عهد اريستيبوس Aristippus وأفلاطون وأرسطو وأبيقور . ثم ظهرت في القرنين السابع والثامن عشر من خلال كتابات ديكارت وهوبز . أما (بنتام) Bentham فقد ربط اللذة بالسياسة والاقتصاد . وتغلغلت مدرسته في الفكر الغربي ، وجاء فرويد عام ١٩١١ بنظريته النفسية عن (اللذة ومبدأ الواقع)
Pleasure and reality principle
وكانت تجارب (بافلوف) على الحيوانات تؤكد أن « المكافأة » تعزز من اتجاه الحيوان نحو عادة معينة ، أما عدم المكافأة (الحرمان أو الالم) فتؤدي الى نسيان وضمور العادات القديمة . وقال (فيغنر) عالم الجمال عام ١٨٧٣ أن اللذة تنجم عن الحالات التي تساعد على الاستقرار .

غير أن اللذة التي يعنيها أحدهم لا تنطبق على نفس المعنى الذي يقصده الاخر ..

واذا كانت اللذة هي المحرك الاساسي للسلوك سواء كانت دافعا داخليا أو حافزا جاذبيا من الخارج ، فهل يعني ذلك أن الانسان يعيش ويتحرك في عالم من المتع فحسب ؟ .

صحيح أن هناك أناسا يقيسون اللذة بمقدار ما يغرفون من متع جنسية أو بقدر ما يلتهمون من أطعمة شهية أو بضخامة ما يمتلكون من ثروة وأرصدة مصرفية ، بيد أن الواقع لا يؤيد ذلك تماما . اذن كيف نفسر سلوك من يموت في ساحة المعركة وهو سعيد .. ، ومن يضحي بمتاع الدنيا من أجل ساعة تجل وتعبد في حضرة الخالق .. ، ومن يقتل نفسه حرقا ليعبر عن استنكاره ورفضه

لقضية ما •• ، ومن يؤثر السجن على الاستسلام والمسايرة والحياة الناعمة ؟ •

الجواب على ذلك ان اللــذة لا تعني المتعة الحسية ـ المادية فقط ،بل الشعور الذاتي بالرضا والاسترخاء والسعادة • فالسعادة الذاتية ـ الوجودية هي اللذة الحقيقية • لذلك نرى ان الانسان الذي لا يشعر بالراحة في عمل سيقدم عليه او يعرف ويتوقع نتائجه السيئة يمتنع عن ويتردد في الاقدام عليه • و « الامتناع » بحد ذاته هو لذة اخرى من زاوية اخرى ، فتجنب التوتر والقلق وعذاب الضمير هو سعادة حقيقية تكافيء وتعوض عن اية متعة حسية •

اللذة اذن هي معنى ومبدأ وفكر •• هي كل ما يدخل الرضا الى قلب الانسان • وبهذه النظرة لا نجد معضلة في تفسير السلوك ، فهناك لذة حقيقية لمن يتمسك بمبادىء الاخلاق •• ولمن يفضل الاخلاص على الخيانة •• ولمن يؤثر الضنك والدخل المحدود على انكسب الحرام والربا والاحتكار •• ولمن يرى الموت خلوداً اذا كان يدافع عن وطنه ومبادئه ، فهناك لذة حسية ولذة اخلاقية ولذة عقائدية ـ فكرية ، اي ان الانسان قد يجد اللذة في تحمل المشاق او السجن او التعذيب كي يحقق هدفه البعيد • فالطريق الى اللذة ليس طريقا واحدا •• واذا اختلفت وسائل اللذة •• فان الشعور الذاتي واحد •

ضد اللذة ••

ان كثرة المؤيدين لنظرية اللذة في توجيه السلوك لا تعني وجود معارضين لها • فقد انتقد مفكرون آخرون مبدأ اللذة والالم وجاءوا ببدائل له •

فقد اعتبر (تولمان) ان القيمة الهادفة هي المهمة فيتوجيه السلوك ،اي ان ما يتوقعه الانسان من نتيجة هو الذي يقرر نوعية سلوكه •• وهذا ما يشبه النظرية التي تقول ان الانسان عندما يقوم بعمل ما ، ويتلقى ايعازات ايجابية مشجعة لنوازعه مطمئنة لآماله ـ بغض النظر عن اللذة ـ فانه يستمر على العمل والمتابعة ، وعلى العكس من ذلك ، فقد تكون الايعازات السلبية معوقة له• وهذا ما اطلق عليه بـ «التغذية الايجابية للفعل» وهي نظرية تماثل جدا نظرية (ثورندايك) عن قانون التاثير •

ولا يعتبر (مكدوجل) اللذة من اصل مكونات السلوك بل مؤثرة فيه فقط • ولم يؤيد اصحاب « مدرسة الاستبطان » في علم النفس Introsp-ection كون اللذة والالم محركان وحيدان للسلوك •

وقد رفض (واتسون) مؤسس النظرية السلوكية Behaviorism نظرية اللذة وتبعه اصحاب نظرية التعلم الحديثة ـ وهي السلوكية المعاصرة ـ ينفي مبدأ اللذة كعامل في السلوك واعتبروا « ازالة التوتر » و « اشباع الحاجة » Need reduction المحرك الاهم في تثبيت وتعزيز السلوك •

ومن المنطقي جدا تفسير هذا الرفض لمبدأ اللذة بانه « التفاف » على النتيجة لان كل ما ذكرناه من اصطلاحات وتفاسير علمية ما هي الا مرادفات لمعنى اللذة ـ بمعناها الاوسع الذي تطرقنا اليه• فاذا كان انسان يجد لذته في الربح الحرام وآخر يجدها في التقشف والتعبد فانهما توصلا عقليا ـ او لا شعوريا ـ الى ذلك نتيجة سلسلة طويلة من التجارب والظروف الحياتية التي حاول تفسير آليتها اصحاب نظريات قانون التاثير او السلوكيون او جماعة بافلوف او فرويد •• الخ ••

وأخيرا ••

وكما ان الحقيقة الكبرى لا تزال خافية على الانسان •• فكل اجزاء الحقيقة ايضا يعوزها المعرفة • والسلوك البشري لا زال غامضا على علوم النفس والاجتماع والطب والهندسة الالكترونية والفلسفة • لكن ذلك لن يثبطمحاولة الانسان اكتشاف ذاته وما حواليه • فحياة البشرية في مرحلة استكشاف ••ولا نزال في اولى المراحل اليها كما راينا • وعندما يتوصل الانسان الى معرفة عوامل ومحركات سلوكه فان نظرته الى الكون والحياة ستكون حتما نظرة اخرى ، وسيكون مبدؤه ـ حتما ـ مبدأ آخر •

ان كل نظرية تستاهل منا التقدير والاعتبار لانها محاولة جديدة للوصول الى الحقيقة ،وحتى النظرية الخاطئة الفاشلة هي حافز لايجاد نظرية اصلح • وهي من هذه الزاوية مفيدة للوصول الى العصر الذي نعيشه ■■

العراق ـ د • فخري الدباغ

لم يعد مجهولا لعلماء الفضاء سوى كوكب واحد ٠٠ !

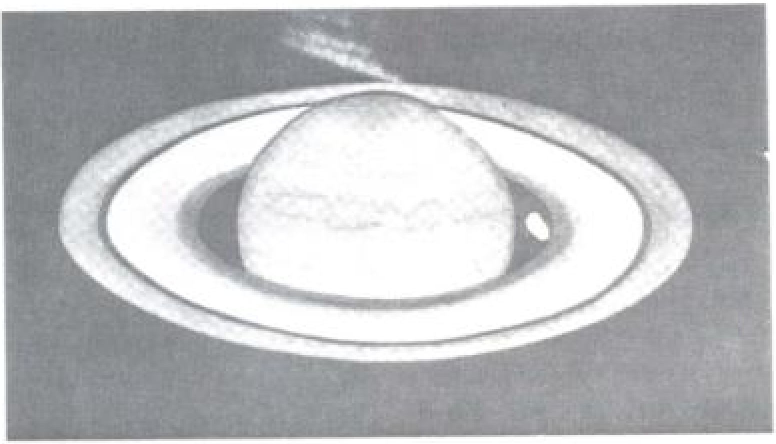
سفينة الفضاء "الرحالة" تستكشف أربعة كواكب

- أول سفينة فضاء تعمل ببطاريات نووية ٠
- السفينة تدور في الفضاء ثلاثين عاما لتستكشف أربعة كواكب و ٢٨ قمرا ٠
- صور فضائية تصل الى الارض من مسافة ٩٠٠٠ مليون ميل ٠
- ماذا يهدف العلماء من غزو الكواكب ٠

بقلم المهندس : سعد شعبان

■ قبل ان يتحقق هبوط رواد الفضاء الامريكيين على سطح القمر كان العلماء يخططون لغزو الكواكب اخوات الارض ٠ ولذلك تشهد البشرية منذ اوائل الستينات ــ وما زالت ــ مباراة حامية الوطيس بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية في مجال اطلاق سفن الفضاء ، ولم تستطع اى دولة اخرى الى الان خوض هذه المباراة نظرة لكثرة تكاليفها ٠

ولقد بدات هذه المباراة بالاهتمام بالكواكب القريبة من الارض وخاصة كوكبى الزهرة والمريخ باعتبارهما اقرب الكواكب الينا ٠ فالزهرة هى الكوكب الثانى فى تسلسل البعد عن الشمس والمريخ هو الكوكب الرابع بينما تقع الارض فى المرتبة الثالثة فى هذا التسلسل ٠ ولكن ابعاد هذه الكواكب عن الارض قياسا الى بعد القمر تقاس بملايين الكيلومترات،بينما لايزيد بعد القمر



كوكب زحل وحوله حلقاته

عنا غير بضعة الاف من الكيلومترات هي على وجه التحديد (٢٣٩ الف ميل = ٣٨٤ الف كيلو متر) بينما متوسط بعد كوكب الزهرة عنا يعادل (٤٠٫٥) مليون كيلو متر ومتوسط بعد كوكب المريخ عن الارض ٧٨ مليون كيلو متر •

لذلك شهدت السنوات الاولى من الستينات عمليات اطلاق سلاسل متوالية من سفن الفضاء اهمها السفن السوفيتية من طراز (مارس) ، و (فينوس) التى حملت الاسماء اللاتينية لكوكبى المريخ والزهرة نفسيهما • وبالاضافة الى ذلك سلسلة سفن (زوند) ايضا التى وجه بعضها لدراسة الفضاء البيكوكبى الذى بين الكوكب بغرض معرفة المجهول عنه وما فيه من مكونات او اشعاعات • بينما وجهت الولايات المتحدة الامريكية سفنها فى سلسلة (مارينر) الى كوكب المريخ وحده ، لترجيح العلماء الامريكيين وجود صورة من صور الحياة عليه •

ولقد سجلت سفن مارينر ثروة علمية بالغة الاهمية عن سطح المريخ ، حتى امكن تصوير كل حجر على سطحه ورصد كل شق غائر فى تربته وكل فوهة دائرية عليه ، كما رصدت طواقى الثلج البيضاء التى تعمم قطبيه •

ولذلك ما ان تحقق النصر التاريخى بهبوط رواد الفضاء الامريكيين على سطح القمر فى يوليو ١٩٦٩ حتى انتقلت حلبة الصراع الى الفضاء الفسيح الذى بين الكواكب • واتخذت المباراة بعدا جديدا فى الفضاء تقاس المسافات فيه لابالاف الكيلومترات ولكن بالملايين • واصبحت الرقعة التى تتجول فيها سفن الفضاء هى رقعة المنظومة الشمسية التى تدور فيها ثمانية كواكب اخوات للارض ، هى عطارد والزهرة ـ والارض ـ والمريخ ـ والمشترى ـ وزحل ـ واورانوس ـ ونبتون ـ وبلوتو وكلها تدين بولاء الجاذبيةالوطيد للشمس، التى تعتبر بمثابة الام التى تدور حولها مع بنات بولاء شديد لا تحيد عنه • ولكن الكواكب تتدرج فى بعدها عن الشمس ملايين من الكيلو مترات بعد ملايين حتى تنتهى بكوكب بلوتو الذى يقاس بعده عنا بصعوبة بالغة ، ويقدر علماء الفلك انه يبلغ (٥٩٠٠) مليون كيلو متر •

على غرة الى المشترى

اتخذت بحوث الفضاء الامريكية استراتيجية ترتكز على هتك اسرار كوكب المريخ ثم حذا حذوهم السوفييت باعتبار ان هذا الكوكب يستاثر لنفسه بجو يجذبه اليه ، وعلى سطحه دلائل تشير الى وجود الماء الذى ترتبط به كل صور الحياة ، كما ان درجة الحرارة على سطحه قد تسمح بوجود هذه الصور . بينما فرغ العلماء السوفييت من التاكد من قياس درجة الحرارة على سطحى عطارد والزهرة والتاكد من ارتفاع درجة الحرارة على سطحيهما ، ارتفاعا كبيرا لا يسمح بوجود صورة من صور الحياة المادية المعروفة لنا على الارض. وهذا امر منطقى فهما اقرب كواكبالمنظومة الىالشمس. بينما بادرت الولايات المتحدة فى ٣ مارس عام ١٩٧٢ فجاة باطلاق سفينة الفضاء « بيونير ـ١٠ » الى الكوكب التالى فى المنظومة الشمسية وهو « المشترى » لاستكمال حلقات البحث عن اسرار الكواكب . ورغم ان المسافة التى تفصل الارض عن المشترى تبلغ فى متوسطها ٦٢٩ مليون كيلو متر. الان السفينة اتخذت مدارا قطعت عليه مسافة تزيد عن ضعف هذه المسافة ، وبلغت الكوكب خلال (٢٢) شهرا حتى دخلت فى الجو المحيط به واخذت تدور حوله على بعد ١٤٠ر٠٠٠ كيلومتر من سطحه . ثم التقطت الافا من الصور وارسلتها الى الارض . ولقد كانت متابعة حركة السفينة من الارض امرا غاية فى الغرابة ، اذ كانت تتخذ مدارها وسط ١٢ قمرا يجذبها الكوكب اليه وتدور كلها حوله . ولقد شجع نجاح مهمة هذه السفينة على اطلاق سفينة امريكية اخرى من نفس الطراز هى « بيونير ـ ١١ » .

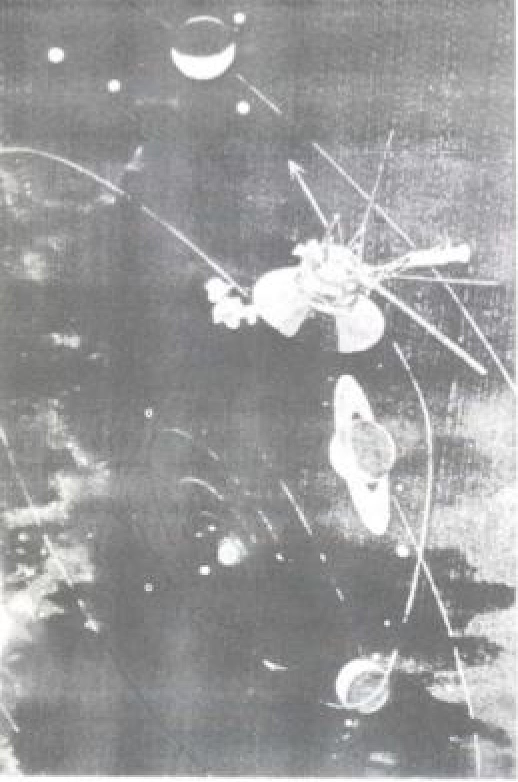
ولقد شهد صيف عام ١٩٧٦ انجازا فضائيا آخر فى حلقات البحث عن اسرار المجموعة الشمسية ، اذ اطلقت الولايات المتحدة سفينتى « فايكنج ـ ١، ٢ » وهبطت كل منهما برفق فوق احد سهول كوكب المريخ . وتحقق اقتباس عينات من تربة الكوكب بوسطة مخلب ينتهى به ذراع ميكانيكى فى كل من السفينتين وتم تحليل العينات فى معامل تحليل كيماوية فوق متن كل سفينة. ورغم هذه التحليلات فلم يستطع العلماء حسم التساؤل عن وجود حياة على هذا الكوكب حتى الان .

السفينة الرحالة تغزو أربعة كواكب

وفى نهاية صيف عام ١٩٧٧ اطلقت الولايات المتحدة اولى سفن سلسلة جديدة باسم « فواياجير» (الرحالة) فى مهمة طموحة قدرت تكاليفها بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار ، وهى ذات معالم جديدة، وتحمل اجهزة لم تستخدم فى الفضاء من قبل . اذ اطلقت السفينة « فواياجير ـ ٢ » فى ٢٠ اغسطس ١٩٧٧ لتتخذ مدارا يمكنها من الاقتراب الى كل منكوكب « المشترى » ثم كوكب « زحل » ومن المقدر انهذه السفينة ستقطع رحلة طولها (٢٢٤٠) مليون كيلو متر حتى تدخل فى جو الكوكب الاول فى ١٠ يوليو ١٩٧٩ ثم تنتقل منه لتصل الى كوكب زحل فى ٢٧ اغسطس ١٩٨١ . ثم تدور بعد ذلك لتصل الكوكبين التاليين فىالمنظومة الشمسية وهما كوكبا «اورانوس ونبتون» قرابة عام ١٩٨٩ .

لذلك من المقرر ان تظل اجهزة هذه السفينة عاملة ما يقربمن ثلاثة عشر عاما ،لتحقق الهدف الاساسى من اطلاقها وهو التقاط عديد من الصور لن تقل عن (٥٠) الف صورة لكوكب المشترى، (١٦) الف صورة لكوكب زحل . ولن يقتصر الامر بالطبع على استكشاف اجواء هذه الكواكب وحدها او التقاط الصور لسطوحها ، لان هذه الكواكب الاربعة حولها عدد كبير من الاقمار التوابع فكوكب المشترى يستاثر باجتذاب (١٢) اثنى عشر قمرا ، وكوكب زحل يدور حوله (٩) تسعة اقمار بالاضافة الى وجود (٣) ثلاثة احزمة حوله ، اما كوكب اورانوس فتدور حوله (٥) خمسة اقمار ، وكوكب نبتون له قمران .

لذلك فان مهمة السفينة « فواياجير » تشمل استكشاف أربعة كواكب و (٢٨) قمرا وثلاثة احزمة .



وفى ٣ سبتمبر ١٩٧٧ اطلقت الولايات المتحدة ثانية سفن هذه السلسلة وهى « فواياجير ــ ١ » مستهدفة ايضا نفس الاغراض ،ونظرا لان سرعتها اكبر من سرعة سابقتها فانها ستصل الى كوكب المشترى فى ٥ مارس ١٩٧٩ ثم كوكب زحل فى ١٢ نوفمبر ١٩٨٠ ٠

ولذلك اخذت فى تسلسل ترقيم السفن الرقم (١) ، بينما التى اطلقت قبلها باسبوعين اخذت الترقيم (٢) لان هذه الاخيرة ابطأ منها وستصل كوكب المشترى بعدها ٠

أجهزة لم نستخدم من قبل

ولقد حملت الرحالة سفينتنا « فواياجير »اجهزة حديثة لم تشهدها سفن الفضاء من قبل ، واهم هذه الاجهزة الحديثة مولدات القوى الكهربية النووية ٠ ذلك ان المسافات الكبيرة التى تدور عليها السفينتان حول الكواكب الاربعة المراد استكشافها تجعل عملية الاعتماد على الخلايا الكهرو ــ ضوئية التى شاع استعمالها فى سفن الفضاء السابقة ، امرا متعذرا ٠ ذلك أن أشعة الشمس قد تصل الى السفن ولكن المسافات الشاسعة التىتبلغ عدةمئات منملايين الكيلومترات لا تسمح بجعل شدة تركيز هذه الاشعة قادرة على التحول الى طاقة كهربية لتستخدم فى تشغيل اجهزة السفينة ٠ ولذلك تعتبر السفينة « فواياجير » اول سفينة تستخدم الطاقة النووية فى تشغيل أجهزتها اذ يوجد فى كل منها ثلاثة مولدات من هذا النوع ٠

هذا فضلا عن احتوائها على (٦) ستة حواسب اليكترونية ، (١١) احد عشر جهازا علميا للقيام بعمليات التصوير التليفزيونى والبانورامى ٠

كما تحمل السفينة اجهزة ارسال واستقبال لاسلكية ذات حساسية فائقة لتستطيع ارسال الصور الماخوذة لسطوح الكواكب اليكترونيا الى محطات المتابعة الارضية التى فى كاليفورنيا ،وكل من اسبانيا واستراليا ٠ ولتاكيد حساسية اجهزة الارسال اللاسلكى فى السفينة فان هوائىالسفينة يبلغ قطره ١٢ قدما اى ما يعادل ثلاثة امتار ونصف ٠ وهو قطر يعادل قطر هوائيات محطات الرادار الارضية ٠ ذلك ان المسافات الشاسعة التى تصل اليها السفينة تستوجب عكس الاشارات مهما يكن خفوتها ٠

كما ان الاجهزة الجديدة التى على متن السفينة اجهزة توجيه تعمل على اساس استغلال خاصية الجاذبية التىبين الكواكب ،لتاكيد توجيه السفينة بعد استكشاف كوكب « المشترى » الى الكوكب التالى وهو «زحل» اعتمادا على خاصية الجاذبية التى بين الكوكبين ٠

ولذلك تشكل اجهزة السفينة حملا كبيرا يجوس فى الفضاء لمسافات هائلة اذ يقترب وزنها من (٨٢٥) كيلوجراما ٠ واجهزة تحليل طيفى للاشعة تحت الحمراء ، واجهزة قياس لتقاطب اشعة الضوء ، ومطياف ضوئى للاشعة فوق البنفسجية٠ كما ان على السفينة اجهزة استشعار للبلازما

في الفضاء واجهزة قياس للاشعاعات الكونية ، فضلا عن جهازي مغناطو متر ومرصد راديو ـ فلكي يستقبل الاشـارات الالكترونية التي تصدر من الكواكب بواسطة هوائيين خاصين .

تحية وصراخ في السفينة

لعل السؤال الذي يراود ذهن كل قارىء ، هو عن المغزى من كل هذه الجهود ، والدافع وراءها. ولعل الاجابة يعبر عنها ما حملته السـفينة من تسجيلات صوتية . فما زالت المحاولات قائمة على قدم وساق لمحاولة الكشف عن المجهول على الكواكب ، والتيقن من وجود صورة من صور الحياة عليها من عدمه . ومازال الشك في وجـود حضارات عاقلة وذكية على بعض هـذه الكواكب ، قائما ويتراقص في ظنون الكثيرين .

ولذلك فان سفينتي « الرحالة » تمثلان حلقة من حلقات البحث عن وسيلة لمخاطبة اى عقـلاء او اذكياء او ذوى حضارات على هذه الكواكب . ومن ثم فقد انطلقت السـفينتان وفوق متنهما تسجيلات صوتية ، متعددة وطريفة لكي تذاع في اجواء كوكبي المشترى وزحل لعل بعض العقـلاء هناك يسمعونها وتكون حافـزا لهم على مخاطبة حضارتنا الارضية .

اهم هذه التسجيلات تحية موجهـة من الرئيس الامريكي « كارتر » ورسالة مسجلة من « كورت فالدهايم » السكرتير العام لمنظمة الامم المتحـدة بلغات الارض الحية ومنها اللغة العربية . نص الرسالة يقول « تحياتنا نرسلها لكم نيـابة عن اهل كوكبنا . لقد انطلقنا خارج مجموعتنـا الشمسية لاهداف سلمية وعلمية ولا نسـعى الا للسلام والصداقة » .

والى جانب هذه التحية الناطقة بعدة لغات ، تحمل السفينتان ايضا تسجيلات صوتية لمعـالم الحضارة على الارض بغير لغة محددة كصوت صراخ طفل مولود ، وضجيج المرور في شارع مزدحـم بمدينة نيويورك ، وهدير صاروخ لحظة انطلاقه وتسجيلات موسيقية من عهود مختلفة ومع هـذه الاصوات رسالة ناطقة توضح المغزى منها تقول « انها مجموعة من اصواتنا من العلم الذى نملكه، من صورنا وموسيقانا ، من افكارنا ومشاعرنا نحن نحاول ان نطيل زماننا .. ونامل ان نحل مشاكلنا يوما لننضم الى الحضارات السماوية » .

لن يبقى غير كوكب واحد

بعد ان يتحقق استكشاف هذه الكواكب الاربعة، تكون حلقات البحث عن المجهـول على كـواكب المنظومة الشمسية قد اوشكت على التـكامل . وستكون حقبة الثمانينات حاسمة في اسـتكمال هذه الحلقات . اذ سيكون لدى العلمـاء اجابة شافية عن السؤال المحير الذى أرق اذهان المفكرين منذ عدة أجيال ، عن وجود حياة من عدمه على كواكب اخرى غير الارض ، والـذى ما زال الى الآن حائرا بدون اجابة شافية .

ووقتئذ سيكون العلماء قد بلوروا افـكارهم المبنية على الحقائق العلمية المجردة والقياسات الدقيقة والتى لا تعتمد على أى من الظنون التى تداولها علماء القرون السابقة . ولن يمنع ذلك من تعميق البحث عن نفس الحقيقة على الكواكب التى سبق توجيه سفن فضاء اليها من قبل وخاصة كوكب المريخ .

والكوكب الوحيد الذى لم توجه اليه سـفينة فضاء بعد هو « بلـوتو » آخر كواكب المنظومة الشمسية وهو كوكب صغير جدا لم يكتشف الا عام ١٩٣٠ ويعتبره علماء الرصد الفلكى الابن الآبق للشمس . فهو يبعد عنها مسافة متوسطها ٥٩٠٠ مليون كيلو متر ، ويصعب رصده على هذه المسافة الشاسعة لان حجمه لا يزيد عن ($\frac{١}{١٠}$) عشر حجم الارض . وهو يتخذ دورته حول الشمس خلال ٢٤٧ سنة و ٢٥٥ يوما ارضيا . الامر الذى جعل معرفة كثير من حقائق هذا الكوكب صعبة حتى الآن .

ولكن لا يستبعد باى حال من الاحوال أن تكون فوق هذا الكوكب الصغير حضارة عاقلة تصبح الامل المنشود التى تبذل من اجله كل هذه الجهود المضنية وسط غياهب المنظومة الشمسية . ■■

القاهرة ـ سعد شعبان



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

الشعر الرمادى

● كثيرا ما تسمع عن الشعر الرمادى فهل ذلك يحدث قبل التحول الى اللون الابيض وفى اى عمر يشيب الشعر وما سبب بياض الشعر المبكر ؟

ان الشعر الرمادى الحقيقى قليل الحدوث ولكن وجود الشعر الابيض خلال الاسود يعطيه هذه الطبقة الرمادية ولهذا السبب نجد انه بتقدم العمر يبدو الشعر رماديا اولا ثم ينتهى الى اللون الابيض الناصع حين يتحول جميع الشعر الى الابيض، والشعر الرمادى او الابيض يحدث كتطور طبيعى لتقدم العمر ، وعادة يبدأ عند عمر ٣٥ ـ ٤٠ سنة الا انه فى بعض الاحيان قد يتاخر حتى سن الخمسين كما انه يبدأ مبكرا فى كثير من العائلات، وفى الرجل يبدأ بياض الشعر فى الذقن اولا وينتهى بشعر الابط والعانة وهذه اخر اجزاء يبيض فيها الشعر • ويقال ان الشخص الاسود يبيض شعره قبل الاشقر ولكن قد يرجع ذلك الى وضوح البياض فى الاسود عنه فى الاشقر وهناك بعض الحالات الوراثية التى يبيض فيها الشعر مبكرا قبل بلوغ سن العشرين بالرغم من ان الشخص سليم وخال من اى مرض •

اما حدوث الشيب المفاجىء او ظهور الشعر الابيض مبكرا وفى خلال فترة قصيرة فذلك ينتج عن عدة اسباب مثل الاجهاد، اضطراب الغدة الدرقية، الانيميا، التسمم المزمن ، الاجهاد الفكرى والعصبى والقلق النفسى ، والمشاكل المفاجئة ، والتعرض لاشعة اكس والراديوم، وكذلك وجود امراض جلدية على الراس مثل الحكة الهبرية او الثعلبة، او وجود بؤرة صديدية فى الجسم مع نقص الفيتامينات•

ويلاحظ ان استعمال دهونات الشعر المحتوية على امونيا او كحول او قلويات تزيد من فرصة بياض الشعر بينما نجد ان الزيوت تؤخر من ظهور الشعر الابيض •

سرعة ترسيب الدم

● ما معنى عبارة سرعة ترسيب الدم التى اسمعها كلما اجريت تحليلا للدم ؟

سرعة الترسيب ـ أو تثقيل الدم أو (E.S.R)

عبارة تعنى مدى ترسب الكرات الموجودة فى الدم اذا وضعت فى انبوبة طولها ٢٠٠ ملم ـ وبعد فوات ساعة تقرا النتيجة ثم تقرا بعد ساعتين ولكن المهم هو بعد فوات ساعة والطبيعى فى هذه القراءات هى ٥ ـ ١٠ مليمتر للرجال فى الساعة الاولى و ٥ ـ ١٥ مليمتر فى السيدات ـ وتعتمد سرعة الترسيب على عوامل عديدة فى الدم منها مكوناته

من بروتينات مختلفة ٠

وترتفع سرعة الترسيب فى امراض عدة فى الجسم اهمها الالتهابات ، اى التهاب فى اى عضو فى الجسم مهما كان سببه سواء فى ذلك التهاب اللوزتين – او مجرى البول ، او الرئتين على سبيل المثال ٠ وربما ارتفعت الى حوالى ٥٠ مليمتر فى الساعة الاولى ٠ وترتفع كذلك فى الالتهابات الروماتيزمية وشبهالروماتيزمية وربما وصلت الى ٩٠ – ١٠٠ مليمتر فى الساعة الاولى ٠ وكذلك ترتفع فى الاحوال السرطانية الى قراءات عالية ربما وصلت الى ١٢٠ مليمتر فى الساعة الاولى ٠

وتختلف سرعة الترسيب تبعا لتقدم المرض اذا كان فى تحسن او فى حالة سيئة ٠ لذا ليس عجيبا ان يطلب الطبيب سرعة الترسيب من ان لاخر لانها هى المؤشر على مدى تقدم المرض سواء فى ذلك تحسنه أو ازدياده سوءا وعلى هذا الاساس تتوقف نوعية العلاج أو مدته او زيادة المواد والعقاقير التى تعطى للمريض٠ وكلما قاربت حدها الطبيعى تحسنت حالة المريض وقرب انتهاء مدة العلاج ، او الوصول الى الحد الادنى للعلاج الذى يستمر عليه المريض كما هو الحال مثلا فى حالات روماتيزم المفاصل ٠على ان سرعة الترسيب ليست المؤشر الوحيد للمرض فهى تدل على وجود مرض ولكن لا بد من البحث عنه بعمل الفحوصات الاخرى التى توصل الى كنه هذا المرض وفى بعض الحالات تعطينا فكرة خاطئة فمثلا عندما يكون المريض مصابا بسرطان لم ينتشر بعد وسرعة الترسيب طبيعية فلا بد من الفحص الدقيق وعمل الاشعة والفحوصات اللازمةحتى نعرف المرض قبل فوات الاوان وفوات فرصة معالجته ٠

وهناك حالات تكون سرعة الترسيب اقل من ٥ ملم وهى حالات سرطان الدم الاحمر وهبوط القلب والذى يكثر فيهما تعداد الكرات الدموية الحمراء، وتكون نسبتها عالية فى الدم ٠

اطفالنا والسعرات الحرارية الفارغة

● نصحنى الطبيب بعمل تحليل دم لولدى البالغ من العمر خمس سنوات فتبين انه بحاجة الى فيتامينات واستغربت الامر لان شهية ولدى للاكل جيدة ٠٠ فما السبب يا ترى؟

– مما يلفت الانتباه بشكل جلى فى ايامنا هذه انتشار ظاهرة سيئة بين الاطفال واليافعين يطلق عليها علماء التغذية تناول « السعرات الحرارية الفارغة » ، حيث يكثر الاطفال واليافعون من تناول ماكولات لا تحمل بين طياتها سوى السعرات الحرارية الفارغة من العناصر الغذائية الاخرى التى يربو عددها على الاربعين عنصرا غذائيا من فيتامينات واملاح واحماض امينية ودهنية اساسية ، وما يؤسف له ان السعرات الحرارية الفارغة تعرض فى الاسواق بشكل ماكولات تسر بها اعين الاطفال وتفرح بها قلوبهم ، ومن امثلة ذلك السكاكر والكراميل على اختلاف انواعها، والمياه الغازية ، والبسكويت بانواعه ٠

ولرب من يسال وما ضرر هذه السعرات الحرارية الفارغة؟ وللجواب على ذلك يمكن جمال اضرارها بما يلى :

اولا : ان السعرات الحرارية الفارغة قد تشبع حاجة الطفل من الطاقة ولكنها فى نفس الوقت تحرمه من تناول باقى العناصر الغذائية الاخرى من فيتامينات واملاح وبروتينات مما يؤدى الى اعتلال فى صحته ونموه الجسمى و العقلى ٠

ياكل الانسان لسد حاجته من الطاقة اولا وقبل كل شىء ، وبطبيعة الحال فان هذه القاعدة تنطبق على الطفل ، فبعد ان يفى الطفل حاجته من السعرات الحرارية تسد شهيته ويتوقف جهاز الفسيولوجى عن حثه على الأكل ، وبناء على ذلك يجب ان تؤكل العناصر الغذائية من فيتامينات واملاح

وبروتينات في نفس الوقت الذى تؤكل فيه السعرات الحرارية او خلال سويعات قليلة من تناولها ، ومن هنا يدخل مفهوم الوجبة المتزنة غذائيا ، اى التى تحتوى على جميع العناصر الغذائية : كما ونوعا وتناسبا معينا فيما بينها . ونتيجة تطبيقية لذلك يدخل مفهوم التنويع في الماكولات التى نتناولها نحن او الاطفال على وجه التخصيص .

ثانيا : بما ان السكاكر بانواعها تشكل اكبر مصدر للسعرات الحرارية الفارغة . فان تاثيرها على تلف الاسنان وتسوسها امر يجب الانتباه اليه فيجب ان يؤخذ بيد الطفل اليافع ليغسل اسنانه وفمه بعد تناول هذه السكاكر بشكل خاص وقبل النوم بشكل عام .

مما تقدم نرى وجوب الانتباه الى نوعية ما ياكله الطفل واليافع لتكون ماكولاتهما متنوعة بحيث تشمل ليس فقط ما يحتاجه من سعرات حرارية وانما جميع العناصر الغذائية الاخرى والتي يتوفر وجودها في الحليب ومنتجاته من لبن ولبنه وجبن . والخضراوات سيما ذات الاوراق الخضراء والفواكه والبقوليات، والاكلات التى يدخل فيها حب القمح الكامل سواء على شكل برغل او فريك . بالاضافة الى البيض واللحوم على اختلاف انواعها بما في ذلك الكبد بشكل خاص لغناتها بجميع الفيتامينات والاملاح .

الربـو الشـعبى

● هل هناك علاج قاطع للربو ؟

ـ الربو الشعبى له اسباب عديدة وليس من الممكن حصرها واذا عولج سبب ربما ظهر بسبب آخر اثر على الجسم فترجع نوبات الربو . ويظهر الربو فى الاطفال بسبب وجود زوائد انفية او تضخم فى اللوزتين او وجود اشياء اخرى تسبب انسداد الجهاز التنفسى العلوى فبازالة هذه المعوقات للتنفس نجد ان حاله الربو تزول تماما من الطفل ولا تعود اليه ـ شريطة ان يكون هذا هو السبب الوحيد لحدوث الربو ..

واذا نظرنا الى اسباب الربو نجد انه من الصعب التغلب عليها باى علاج ـ ولكن العلاج يقلل النوبات ومن ثم تتحسن الحالة ، والا لو تركت لازدادت سوءا . لذا نرى ان هناك من العقاقير الكثير الكثير والذى يظهر يوميا لعلاج مثل هذه الحالات للتغلب عليها . ولا ننسى الاسباب النفسيه ، التى من الصعب التغلب عليها ـ والتى تؤدى الى نوبات ربو تلازم صاحبها مادام متوترا وفى حالة نفسية سيئة ، ثم تغير الجو ونزلات البرد والالتهابات التى تسببها ميكروبات متعددة لا يؤثر فيها الا علاج خاص .

ثم فوق هذا وذاك الحساسية، وهذه ربما تكون من طعام او شراب او رائحة ، او استنشاق مواد عالقة فى الهواء كالاتربة وغيرها ـ او تعاطى ادوية او استعمال مواد التجميل واستعمال المواد الكيماوية التى اصبحت من مستلزمات حياتنا فهل من الممكن اذن حصر هذا كله وغيره حتى يمكننا ان نعطى علاجا قاطعا للربو .

ثم ان استعداد المريض للربو ،ووجود هذا الاستعداد فى عائلته يجعل من الصعب التغلب على هذا الاستعداد الوراثى، والذى نراه فى هؤلاء المرضى واضحا ـ اذ ربما اثر فيهم مجرد رؤية زهرة صناعية على انها زهرة طبيعية فتسبب لهم الحساسية .

ولا شك ان هذا كله لن يقف حجر عثرة امام مرضى الربو فالمحاولات لا بد ان تستمر لعله ياتى الوقت لمعرفة السبب الرئيسى المهيمن والتغلب عليه ليستريح المريض مما يعانيه.

طرائف أجنبية

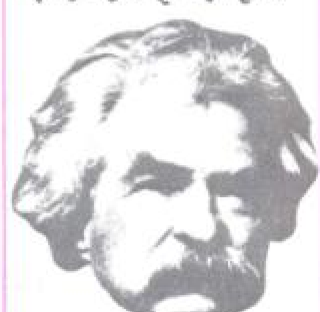


الصورة التي لن أنساها !

● سألوا مارك‌توين الكاتب الامريكي عن الصور التي بقيت عالقة في ذهنه خلال عمله كصحفي قبل ان يحترف الكتابة ، فقال على الفور وكأنها كانت تعيش معه وفي رأسه طوال هذه السنين منذ أن رآها وعرفها.. انها صورة « سيلفيا » السيدة الطيبة العجوز التي‌كانت تعيش وحدها في بيت ريفي صغير لا يشاركها فيه أحد غير دجاجاتها وبقرتها وكلب‌وفي- يقضي‌الليل ساهرا لحراستها» ! »

لماذا سيلفيا ؟ وماذا صنعته؟

« لقد كانت سيدة عادية بسيطة جاوزت السبعين ، لا تختلف في شيء عن بقية النساء في مثل سنها .. وهي لم تصنع شيئا غير عادي ، ولكنها



مع هذا انطبعت صورتها في قلب كل من رآها وعرفها ولو عن بعد .. كان اكثر ما يثير دهشة أهل‌القرية كلما لقيتهم، هو تلك الابتسامة الحلوة المشرقة التي لم تكن تفارق شفتيها أبدا ، والتي كانت تسبقها دائما وهي تمد يدها مصافحة اى شخص يدق باب بيتها !

« قصدتها يوما بعد الذى سمعته عنها وقلت أسالها » :

ـ هل انت سعيدة حقا في وحدتك ؟

ـ أنا لم أشعر بالوحدة يوما .. لا تنس انني اعيش مع هؤلاء الاصدقاء الصغار منذ سنوات وسنوات ! ثم اشارت بيدها الى بقرتها وكلبها ودجاجاتها » وهي تملأ كل وقتي » .

ـ هل معنى هذا أن السحب لم تظهر يوما في حياتك ؟ !

وقالت السيدة الطيبة : « سحب.. طبعا وسحب كثيرة، ولكن اليست هذه السحب هي التي تسبق دائما القطر والغيث » . !

الثروة الباقية

● ما هي الثروة ؟ وما هو الثراء ؟

يقول فولتير كاتب فرنسا وشاعرها الكبير : « الثروة كلمة يطلقها الناس على المال الذى يجمعونه .. ولكن هناك ثروة اخرى لا يسمع بها صاحبها ، لان أحدا لا يتحدث عنها الا بعد رحيله عن الدنيا .. انها الذكرى التي يتركها الرجل في قلوب الناس .. وهي أكبر وأبقى من كل ثروة في الدنيا مهما بلغت .. وهي ذكرى لا تتحقق الا في العطاء .. فالثروة فيما تعطيه لا فيما تاخذه من الدنيا ومتاعها ، ولو عرف الانسان انه في الرحيل لا يذهب هو وثروته في طريق واحد، لتغيرت صورة الحياة كلها على الارض ! »

● ●

قالوا ..

● البحر الهادى لا يصنع أبدا بحارا ناجحا .. ففي الامواج والاعاصير تظهر قدرات الرجال .

« اليوت »

● المتاعب سكاكين ، اما ان نقطع بها ، أو نتركها تقطعنا، ونحن وحدنا الذين نستطيع أن نستخدمها لصالحنا، اذا تعلمنا كيف نمسك بها من يدها لا من نصلها !

« مدام دي ستيل »

الرجل الضاحك

● فيكتور هوجو كاتب فرنسا وشاعرها الكبير وصاحب « البؤساء » كان رجلا كتوما قليل الكلام ، لا يتحدث الا اذا طلب اليه الحديث ، حتى عندما كان ينفعل ، كان يحرص على اخفاء انفعالاته ·· كان السكوت هو أقصى ما يمكن أن يعبر به عن مشاعره اذا غضب ، فاذا لمحوا ابتسامة باهتة على شفتيه ادركوا أنه فى أحسن حالاته ·

قال يوما لاصدقائه وهو يرى الحيرة في عيونهم عندما قرأوا كتابه : « الرجل الضاحك » وجاءوا اليه يسألونه : « من هو ؟ » قال : « انا هو هذا الرجل ! »
ولكنك لم تضحك يوما ! قال : « ولماذا اكشف لكم عما يحمله صدرى ·· هل يجب ان اعلن دائما عن سعادتى ؟

«ان رأسي مليء دائما بالصور ·· القليل منها يحزنني ولكن الكثير يملأ قلبي بالسعادة ·· وهذه الصور تتحول الى افكار فى رأسى · وكلما تزاحمت هذه الأفكار ،تضاءل تعبيرى عنها ·· ان الرجل العاقل فى رأيى لا يتحدث كثيرا ليقتل الوقت ، ولكنه يتحدث قليلا ليكسب الوقت ·· وانا لا اريد ان اضيع وقتكم فى تأمل ابتساماتي ودموعي !! »

أديب، حطم جدار الظلام!

● احتفل الادباء فى الولايات المتحدة الامريكية أخيرا بمرور مائة عام على مولد الكاتب الكبير جاك لندن الذى قال عنه همنجواى : « لقد كان احد عمالقة الادب الذين ولدوا فى الظلام » : « فقد ولد جاك دون أن يعرف له أبا لان امه انجبته سفاحا ، ورق قلب شاب ايرلندى هو يوهان لندن للام الصغيرة المسكينة التى لقيها فى الطريق وهى تحمل صغيرها فتزوجها ، واعطى طفلها اسمه » !

يقول الكاتب المسرحي الكبير ارثر ميللر : « لم اقرأ لكاتب استطاع أن يصور الحياة فى الاسى صورها مثلما قرأت للندن · لقد كان فنانا ، وكان مؤمنا بالاشتراكية التى نادى بها حتى وهو ينطلق الى الاسكا



من سان فرانسيسكو التى ولد وعاش فيها سنى حياته مع الفقر والحرمان ·· وكان هدفه « الذهب » فلما سألوه : « وماذا أنت صانع به » ؟ قال: « قد يساعدني القليل منه فى طبع كتبى ومؤلفاتى ! »

من اروع ما كتب « نداء الوحشية ، وذئب البحر ، والطريق ·· »نفس الطريق الذى التقت فيه امه بالرجل الذى أعطاه اسمه وأصبح أبا له··

لقد مات جاك لندن عن ٤٠ عاما ، ولكنه عاش حياة مليئة قدم فيها للمكتبة الامريكية اكثر من ٤٧ مؤلفا وكتابا وقصة وضع فيها كل آلامه وآماله·

لوحة لها قصة

مجرى ماء عند جبل سان فيكتوار

للفنان « بول سيزان »

رسمت فيما بين عامى ١٨٨٥ ـ ١٨٨٧

بقلم : صبحى الشارونى

يطلق عادة على الفنان « بول سيزان» لقب « امام الفن الحديث » ، ذلك لانـه فتح الطريق باعماله لمذاهب الفن المتعددة والمتتالية التى تعاقبت بعده ٠

ولد « سيزان » عام ١٨٣٩ فى بلدة « اكس ان بروفانس » بجنوب فرنسا قرب الحدود الايطالية ، وكان والده قد انشا تجارة ناجحة للقبعات جنى منها ثروة طائلة جعلته من اصحاب البنوك الاثرياء ، وقد أراد الاب لابنه أن يخلفه فى ادارة البنك ٠٠ ولكن « بول سيزان » قاوم رغبة أبيه وأصر على الاتجاه للفن ٠

بعد ان اتم دراسته الثانوية فى بلدته ـحيث صادق زميل الدراسة « اميل زولا » ـ بدأ يدرس الحقوق نزولا على رغبة والده ٠٠ ولكنه فى عام ١٨٦٠ هجر هذه الدراسة نهائيا وراح يمارس هواياته الثلاث : كتابة الشعر ، وعزف الموسيقى ، والرسم ٠ وفى العام التالى ١٨٦٢ سافر الى باريس حيث التحق بالاكاديمية السويسرية ،وهى معهد أهلى كان يفتح أبوابه لكل من يريد ان يدرس الرسم ، وقد التحق بها « سيزان » ليعد نفسه لاجتياز اختبار القبول بمدرسة الفنون الجميلة (البوزار) بباريس ٠

وعاش الفنان الشاب مع « اميل زولا » فى مسكن واحد ، كما تعرف فى الاكاديمية السويسرية على الفنان « بيسارو » ورافقه فى تسكعه على مقاهى باريس ، ورغم انه كان يرسم باستمرار الا انه فشل فى الالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة عندما تقدم للاختبار ، فعاد الى بلدته « اكس ان بروفانس» بعد ان ملأه الياس والتشاؤم وعدم الثقة فى نفسه وفى قدرته على الرسم ،ورضخ لرغبة والده فعمل معه فى البنك وظل عاما كاملا وكل صلته بالحياة الثقافية والفنية فى فرنسا عن طريق الرسائل التى كان يتبادلها مع صديقه « اميل زولا »٠

والواقع ان « بول سيزان » هو نموذج فريد



للفنان الذي يفتقر الى الموهبة ، ولكنه يعوض هذا الفقر في الموهبة الفطرية بالذكاء والفكر وممارسة الفن كعلم بدلا من ممارسته عن فطرة.. حتى استطاع أن يكون امام الفن الحديث ، ورائده الاول .

كانت له شخصية غريبة الاطوار ، مملوءة بالضجر وعدم الاستقرار ورغم انه لم يقاس من الفقر ، الا انه كان يعاني دائما من الصراع الداخلي من أجل احكام السيطرة على اطراف اصابعه حتى تطاوعه وتتدرب على رسم « مايريد» بدلا من « الرضوخ لرسم » ما يستطيع » .. وقد اتسم مسلكه من البداية بالتناقض الشديد، فيبدو تارة منكمشا هيابا ، وتارة أخرى حادا فظا .. وكان يشعر ـ وهو في باريس ـ بالحرج الشديد بسبب طابعه الريفي عندما يكون بصحبة الباريسيين المهذبين ، فكان يتعمد المبالغة في سلوك مسلك البوهيميين ..

وكان يتخذ في البداية من « الفنان الرومانتيكي » « يوجين ديلا كروا » مثله الاعلى ، الا انه كان يستخدم السكين بدلا من الفرشاة في وضع الالوان على لوحاته وكان يفرط افراطا شديدا في تحميل « سكينه » كميات هائلة من عجينة اللون، بل كان في لحظات الهياج ـ على ما روى شاهدو العيان ـ يتناول حفنات من عجائن الالوان ، ويبسطها بيده مباشرة على سطح اللوحة ،واحيانا كان يبلغ به الامر ان يملأ ملعقة كبيرة بعجينة الالوان ثم يلطخ بها لوحته تلطيخا ..

وفي لوحاته الاولى ، كان يبالغ في استخدام اللون الاسود ، الذي كان يبسطه على اللوحة في طبقات سميكة ، وكانت مواضيعه تتصف بعاطفية جامحة مقبضة ، وبعض لوحاته بلغ من السخف مبلغا عظيما .

٤٠ عاما في الظل !

وعاد الى باريس في نهاية عام ١٨٦٢ وهو على هذه الحال محاولا الالتحاق للمرة الثانية بمدرسة الفنون الجميلة دون جدوى ، فواصل تردده على الاكاديمية السويسرية ، حيث توطدت علاقته بالفنان « بيسارو » .. فقد كان « بيسارو » هو الوحيد القادر على مجادلته في آرائه وتليين عناده وتشبثه بما سبق أن اعتنقه من آراء .. في تلك الفترة تعرف على اقطاب المذهب التأثري وتحمس لفن « ادوار مانيه » .. وفي عام ١٨٧٥ اصطحب « سيزان » صديقه « زولا » الى معرض « الصالون » عدة مرات حيث شاهدا لوحة « أوليمبيا» التي اثارت سخط المجتمع الارستقراطي في باريس .. وانصت « زولا » لحديث « سيزان » عما يجري في التحضير لمعرض « الصالون » وتوزيع جوائزه من دسائس ، وما يتصف به المشرفون على اعداده من فساد ، ثم شرع في نشر سلسلة من المقالات، يحمل فيها حملة عاتية على الصالون، مدافعا عن « ادوار مانيه » امجد دفاع، غير أن هذه المقالات لم تلبث ان توقفت فجأة ، بسبب ضغط رجال « اكاديمية الفنون الفرنسية » على صاحب الجريدة .

اما « سيزان » فقد ظل يلاقي الهجوم مرة والتجاهل مرات لمدة أربعين عاما تقريبا .. وكان كلما ضغطت عليه باريس عاد الى المكان الذي تربى فيه والذي يتفقمع مزاجه الخاص.. وعندما نشبت الحرب السبعينية اقام بالقرب من مرسيليا يرسم مشاهد الطبيعة ، وبعد الحرب فضل ان يبقى بعيدا عن باريس واختار صحبة الفنان « بيسارو » في منطقة « ايفروس » .. وتحت تأثير « بيسارو » اتجه الى التأثرية عندما دفعه صديقه الى احضان الطبيعة ، فبدات الوانه تقل قتامة وينتشر فيها الضوء وتكتسب الشفافية واصبحت رقيقة . اما عقله المنظم فقد جعل منه فنانا مفكرا ، وبدأ يسعى الى اسلوب علمي ورؤية بنائية مؤسسا لوحاته على فكرة تحقيق التماسك ومتانة البناء في الفن التأثري .

ولقد اشترك سيزان مرتين فقط في معارض « التأثريين » الاولى عام ١٨٧٤ في معرضهم الاول ، وكان اكثرهم حظا من هجوم النقاد .. والمرة الثانية عام ١٨٧٧ في معرضهم الثالث ، وكانت عبقريته قد بدأت تظهر .. ولكن أحدا لم يلتفت اليه . فقد اكتشف اللون الرمادي المضطرب الناتج عن اهتزازات مجموعة من الظلال ، واكتشف « اللون السائد» الناتج عن تأثير الهواء الممتد بين عين المشاهد والمنظر الذي يتطلع اليه ، ثم الاضواء المنعكسة الاخرى التي يجب ان تؤخذ في

الاعتبار عند التقاط التأثر المباشر بالمنظر ٠

وقد سار « سيزان » خطوة أبعد من تأثرية « كلود مونيه »عندما حرص على تفادى ما يحدثه التقاط تأثرات الفنان بالضوء من تفكك في بناء اللوحة وتحلل لعناصرها ٠٠ لقد اتجه الى الاهتمام بالجانب المعمارى والبنائي للوحاته حتى وهو يفكك الاضواء الى الوان لتمزجها عين المشاهد عند الرؤية ٠٠ وهو يقول في ذلك : « لقد اردت أن أجعل من التأثرية فنا متينا باقيا كروائع الفن التى تضمنها المتاحف ٠٠ » ٠

وقد انتقل بعد ذلك الى مرحلة تعتبر اساس الفن « التكعيبى » ونقطة الانطلاق لفنون « الشكل » التى توالت في القرن العشرين بعد اختفاء الموضوع واهمال المضمون في لوحات الرسامين ٠٠ فهو الذى اطلق جملته الشهيرة : « ان كل ما في الطبيعة ينطوى على صورة الاسطوانة أو الكرة أو المخروط ٠٠٠ انظر في الطبيعة الى الاسطوانة والكرة والمخروط ، واضعا كل شيء في مكانه المناسب من المنظور ، بحيث تتجه جوانب الاجسام والسطوح جميعا نحو نقطة مركزية ٠٠ » ٠

افضل تعبير عن فنه

وفى عام ١٨٩٥ استطاع تاجر اللوحات « فولار » أن يجمع ٥١٠ لوحة من أعماله ، فقد زار « اكس ان بروفانس » واعلن بين الاهالى انه مستعد لدفع ١٥٠ فرنكا ثمنا لكل لوحة من لوحات « سيزان » ٠٠ فانطلقوا يبحثون في كل مكان عن هذه اللحات التى كانت مهملة فى بيوتهم ٠

ولقد كانت لوحة « مجرى ماء عند جبل سان فيكتوار » واحدة من تلك اللوحات التى انقذها « فولار » ، وقد اشتراها منه القنصل الروسى في باريس وارسلها الى بلده ولهذه فهى معروضة حاليا في متحف « بوشكين » فى موسكو ٠

انها تمثل اسلوب « سيزان » في الرسم أحسن تمثيل ، فقد رسمها بين عامى ١٨٨٥ ـ ١٨٨٧ بعد ان نضج أسلوبه الفنى واصبحت له شخصية متميزة محددة الملامح ٠٠ فهى مرسومة بالالوان الزيتية على قماش ، ويبلغ ارتفاعها ٩١ سنتيمترا وعرضها ٧٢ سنتيمترا ٠٠ وهى واحدة من مجموعة لوحات رسمها الفنان لجبل « سان فيكتوار » حيث نلمح في خلفية اللوحة أجزاء من هذا الجبل الذى يمتد محتضنا قرية « سيزان » فى الجزء الغربى من فرنسا ، وتكسو جوانبه الاشجار بشفافيتها والتى تتصل قممها بزرقة السماء ٠

ان الوان هذه اللوحة قد بنيت على درجات لا عد لها من الاخضر والازرق مع الظلال الصفراء ، ولهذا فهى نموذج يوضح افكار « سيزان » حول الضوء وضرورة رسم ما يدركه العقل بدلا من الاقتصار على ما تراه العين ٠٠ ان كل مميزات فن « سيزان » تتمثل فى هذه اللوحة رغم اهتمام المتحمسين للمذاهب الفنية الحديثة بلوحاته التى رسمها للطبيعة الصامتة ٠

أما نهاية « سيزان » فيروى عنه انه كان يتمنى ان يموت وهو يرسم ، وقد كادت تتحقق هذه الامنية ، فقد مات فى اكتوبر عام ١٩٠٦ بعد اربعة أيام من سقوطه مغشيا عليه بسبب الاعياء الشديد لانه ظل يرسم عدة ساعات تحت المطر٠٠٠

■■

صبحى الشارونى

احببت ان تنصرف وانت مأجور

● قعد رجل على باب دار فأتاه سائل يسأله ، فقال له رب الدار : « اجلس هنا سويعة » ثم صاح بجارية له فقال : « ادفعى الى هذا صاعا من دقيق » ٠ قالت : « ما بقى عندنا دقيق » فقال : « اعطيه درهما » قالت : ما بقى عندنا دراهم ٠ قال : « فاطعميه رغيفا » قالت : « ما عندنا رغيف ايضا » ٠ فالتفت صاحب البيت الى السائل قائلا : « انصرف لعنك الله وقبحك » فقال السائل : « سبحان الله تحرمني وتشتمنى » قال : « احببت ان تنصرف وانت مأجور » ٠

اعرف وطنك أيها العربي :





السودان

سلة الخبز

متى.. وكيف تمتلئ؟

استطلاع :
سليم زبال

تصوير :
حسن الصفار

ابن السودان يتطلع الى مياه النيل وهى تنساب لتروى الارض العطشى التى ستزرع بأعواد القصب .. وفى نفس الوقت تجرى عملية بناء ضخمة لمصنع سكر كنانة .. انه واحد من عشرات مشاريع التنمية فى السودان





- السودان أمل العرب لتحقيق الاكتفاء الذاتي ..
- مشروع زراعي واحد يوازي مساحة لبنان بأكمله

- ٦ آلاف مليون دولار يقدمها العرب لتغيير مسار الاقتصاد السوداني

- مطلوب فوراً ميناء جديد لمواجهة اختناقات التنمية !

★ مطلوب ـ فورا ـ ميناء جديد لمواجهة اختناقات التنمية !

★ رمال الصحراء تزحف بسرعة ٨ أميال على الارض الطيبة

■ بلد يولد من جديد !

انطباع خرجنا به بعد رحلتنا الى ورشة العمل الهائلة التى تحول اليها السودان :

اكبر بلادنا العربية مساحة ·· واوفرها ماء ·· واخصبها تربة ·· واغناها بموارده الطبيعية ·· ولكنه ايضا اكثرها مشاكل ومتاعب !

المساعدات والقروض تتدفق عليه من كل اتجاه بهدف واحد: التنمية ·· التنمية ·· ولا شيء الا التنمية ·· !

كلمة كان لها وقع السحر ، مست ابن السودان، فانطلق يحقق ما يشبه المستحيل ، متخطيا التحديات والمعوقات التى تشده الى الوراء ، وتعقد حياته !

ولكن لماذا ظل السودان فقيرا الى اليوم ؟

لن ندخل فى تفاصيل تاريخ هذا الشعب الطيب انما السبب المباشر انه لم يعتن احد باستثمار طاقاته البشرية والمادية الا منذ وقت قريب جدا ، لقد اغرقوه فى بحر الجهل عبر السنوات الطوال··

ولا تصدقهم اذ تعتوه بالكسل ·· والصحيح انه اصبح ، بصفة عامة يميل الى الراحة ، طبقا لاسلوب حياة فرض عليه فرضا منذ قرون ·· ولكنه سرعان ما بدأ يتخلص من هذا الاسلوب ليبدع ويدير بكفاية ممتازة ·

مخزن للطعام

وكانت اثار هذا النوم العميق ، مدمرة مخربة تراكمت خلاله المعوقات والعقد والمشاكل ···

ارضه الطيبة الصالحة للزراعة قدروا مساحتها باربعمائة مليون فدان ، لم يزرع منها سوى ١٥ مليونا فقط ! ثلاثة ملايين منها تروى بمياه الانهار، و ١٢ مليونا ترويها الامطار !

وسد هذه الفجوة الواسعة بين الارض الصالحة والارض المستغلة ، هو هدف جميع مشاريع التنمية ·· لان زرع ولو جزء يسير من ٣٨٥ مليون فدان تعنى تحويل السودان الى واحد من اكبر مستودعات الطعام فى العالم ، يكفى مخزونه لسد احتياجات الوطن العربى ، وجزء كبير من دول العالم ·

الاقتصاد السودانى يتبدل

والحديث عن مشاريع التنمية فى السودان يحتاج الى مجلدات كاملة لاعطائه حقه ··

اكثر من سبعين مشروعا انمائيا يجرى تنفيذها حاليا : الجزيرة ·· الرهد ·· كنانة ·· جونجليه ·· السوكى ·· سنار ·· ملوط ·· الخ ·

ولعل أهم الجهود الانمائية المبذولة فى هذا المجال هى الجهود التى تبلورت فى البرنامج الاساسى لتطوير القطاع الزراعى السودانى باسلوب متكامل ·· برنامج تبلغ تكاليفه الاجمالية ٦٠٠٠ مليون دولار وضعه الصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى بالتعاون مع حكومة السودان ·· ومن اجل تنفيذ هذا البرنامج تم تاسيس الهيئة العربية للاستثمار والانماء الزرعى ·· انها مؤسسة تشترك فيها ١٣ دولة عربية برأس مال أولى قدره ١٥٠ دينار كويتى ·

والاهداف الانتاجية لهذا البرنامج الطموح يمكن تلخيصها على النحو التالى :

ـ الذرة والدخن سيتضاعف انتاجهما ١٨ ضعفا ··

ـ السكر سيزداد ٢٠ ضعفا ··

ـ السمسم والفول والبذور الزيتية ستتضاعف كمياتها ١٥ ضعفا ··

ـ الثروة الحيوانية سيرتفع عددها من ١٦مليونا الى ٣٢ مليون راس ··

ـ القطن والقمح والفواكه والخضراوات سيتضاعف محصولها ٥ مرات ··

ـ الثروة السمكية سترتفع كميات صيدها من ٢٣ الف طن الى ٢٠٠ الف طن ، اى تسعة اضعاف حجمها الحالى ··

انها ثورة انمائية شاملة يتعاون على تحقيقها رأس المال العربى ، والامكانات البشرية والطبيعية للسودان ولن تلمس نتاج مشاريع هذه الهيئة

قبل سنوات عديدة قد تصل الى عشر سنوات من الان ..فبرامجها طويلة النفس تمتد الى العام ٢٠٠٠!!

مغامرات قطرة ماء !

وابناء السودان يتجهون دائما الى النيل العظيم يطلبون منه المدد .. ولم يخيب النهر الكبير املهم ابدا بالرغم من الجراح العميقة التي اثخنوا بها مجراه .. ولكنه يدرك تماما ان مشاريع التنمية السودانية ما كان يمكن ان تقوم لولا مياهه المتدفقة من خط الاستواء ومن جبال الحبشة ..

ولو تتبعنا مسيرة مياه النيل ، فسوف نجد ان الرحلة الرئيسية تبدأ من خط الاستواء .. وهي رحلة تقليدية تقطع خمسة الاف كيلو متر ، وتتخطى اكثر من ٣٠ خط عرض حتى تصل المياه الى مدينة القاهرة بعد ١٥٠ يوما من بداية الانطلاق ..

تنطلق المياه في المجرى الصخري الذي يحمل اسم بحر الجبل ،بسرعة كبيرة، ولكن لفترة صغيرة تضيع المياه بعدها في مستنقعات هائلة مساحتها ٦٠ الف كيلو متر مربع (اى ما يوازى ستة اضعاف مساحة لبنان !!) وفي هذا المستنقع الذى يسمونه منطقة السدود ، تحدث «جزرة هائلة ، اذ يتبخر ما يعادل ٣٠ الف مليون متر مكعب من الماء سنويا .. !

كمية هائلة «ن المياه يمكنها مضاعفة مساحة الارض المزروعة في كل من السودان ومصر ، لو استغلت !!

قناة الانقاذ !

وقد حاول الانجليز ، اثناء احتلالهم للسودان، الذى استمر اكثر من نصف قرن ، ان يعملوا على شق قناة في هذه المستنقعات ، فجاء ٨٠٠ مهندس وعامل مع خمس بواخر واستمروا في العمل لمدة سنتين ، لم يشقوا خلالها سوى خمسة كيلو مترات ، ثم عدلوا عن فكرتهم لصعوبتها .

وقد بدات حاليا خطوات حل منطقة السدود ، بعد ان انتهت دراسات مشروع قناة جونجليه التى يبلغ طولها ٣٠ كيلو مترا وعرضها ٥٢ مترا .. ومنها سيمر ٢٠ مليون متر مكعب يوميا في المرحلة الاولى .

وهذه المياه سوف تقسم مناصفة بين مصر والسودان لرى مليون ونصف مليون فدان جديد في كل من البلدين ..

ان قناة جونجليه التي تشترك مصر والسودان في تنفيذها ، سوف تغير صورة الجنوب تماما ، فالى جانب تدفق المياه دون تبخر يذكر ، سوف يفتح بمحاذاتها طريق للمواصلات سيختصر المسافة من جوبا الى الملكال بنحو ٣٣٤ كيلو مترا ..

واراضي جنوب السودان طيبة صالحة لزراعة كل شيء ، من اشجار الاخشاب والابنوس الى الشاى والبن والمانجو والموز والاناناس .. كل شيء يمكن ان تنجح زراعته في الجنوب .. ولكن المشكل هو في المواصلات وايجاد الاسلوب الذى تصدر به هذه المحاصيل ..

والامال كلها معقودة على الطريق الذى يربط جوبا بميناء ممباسا الكيني ، فهو يكاد يكون مكتملا فيما عدا مسافة صغيرة ..

من الساقية الى التربينات

ولولا المساعدة القيمة التي يقدمها نهر السوباط ، والممثلة في ١٣ الف مليون متر مكعب من الماء سنويا ،لما استطاعت مياه النيل ان تواصل انطلاقتها في مجرى النيل الابيض ..

في السابق كانوا يسحبون مياه النيل بالساقية والشادوف «ن المجرى المنخفض الى الشاطىء المرتفع .. اما اليوم فالماء لم يعد ينقل طبيعيا ، لقد وضعوا خمس تربينات كهربائية هائلة تستطيع ان تسحب ثلاثة الاف مليون متر مكعب من الماء سنويا الى ارتفاع ٤٦ مترا لتسير في قنوات طولها ٣٠٠ كيلو متر من اجل ارواء ٨١ الف فدان بعيدة عن مجرى النيل !!

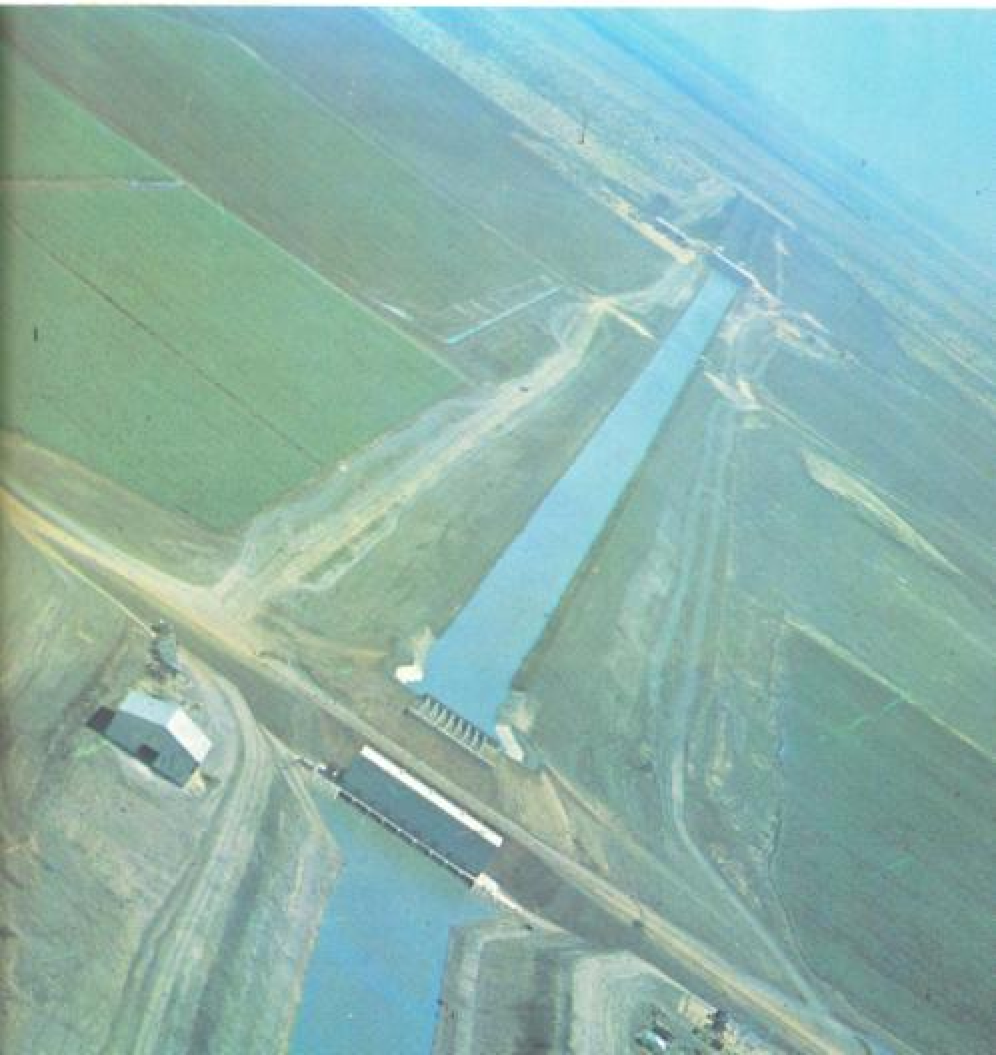
انها منطقة كنانة ، كانت ارضا قاحلة حتى وصلتها المياه فحولتها الى ارض خضراء، تشرئب منها اعواد قصب السكر باعناقها العالية ..

الامل الوحيد

ويتحدث الينا مدير مشروع سكر كنانة محمد البشير الوجيع ، قائلا :

« في هذا العام سيكون انتاج السودان ٢٨٥ الف طن سكر بينما استهلاكنا ٣٢٠ الف طن .. لكن في عام ١٩٧٩ سننتج ٤٠٠ الف طن سكر وتستهلك







صنع الانسان في السودان فرعا جديدا للنيل العظيم طوله ٣٠٠ كيلومتر .. لقد تغلبت التربينات الكهربائية على مشكلة ارتفاع الارض،فأصبحت تضخ المياه في الانابيب الضخمة الى القنوات الطويلة الممتدة على ارتفاعات مختلفةتصل الى ٤٦ مترا عن منسوب مياه النيل لتروى مزارع قصب السكر البعيدة .. ان عملية شق فروع اصطناعية جديدة للنيل ، اصبحت الطابع المميز للمشاريع الزراعية الكبيرة في السودان ..وهذه الخبرة الرائدة في شق القنوات يمكن ان تستغل بنجاح كبير في مشاريع مماثلة في الوطن العربي لجلب مياه الانهار ..



٣٤٠ ألف طن ·· اى أننا سنبدأ لاول مرة بتصدير ٦٠ ألف طن سكر ··

« وبعد ذلك سوف تتضاعف كميات تصديرنا من السكر حتى تصل الى مليون و ١٣٠ ألف طن عام ١٩٨٤ عندما تعمل مصانع السكر السبعة الموجودة فى السودان ··

« اننا نرسم خطتنا طبقا لحاجة السوق العربى، الذى يستورد مليونى طن من السكر سنويا ·· اننا على ثقة من أن السودان هو القطر العربى الوحيد الذى يمثل الامل فى أن يحقق الوطن العربى اكتفاء ذاتيا من السكر ··

« ويساعدنا فى ذلك موقعنا الجغرافى الذى هو افضل من موريشيوس واستراليا وكوبا ··

« وسيبدأ انتاجنا فى « كنانة » بحوالى ٢٤٠ الف طن فى عام ٧٩/٨٠ يتدرج بعدها الانتاج حتى يصل الى الطاقة القصوى ٣٥٠ ألف عام ٨٣/٨٤

« وكنانة مشروع مشترك بين حكومة السودان وحكومة الكويت ، والشركة العربية للاستثمار ، ومؤسسة التنمية السودانية ، وشركة لونرو ، ومؤسسة الخليج المالية وشركة نيشو اليابانية ·· ورأس ماله ٦٠٠ مليون دولار ·· ويؤمن العمل لنحو ١٤ ألف عامل سودانى ·· »

خليط من البشر ··

والعاصمة السودانية المثلثة هى مركز الاشعاع على جميع مشاريع التنمية ، فنادقها كاملة العدد دائما ·· تعج بالخبراء الذين جاءوا من أركان العالم الاربعة ·· يسيرون حاملين أكداسا من الخرائط والدراسات ··

وفى المطار رأينا مجموعة من الخبراء اليابانيين الذين كانوا فى انتظار التاكسى الجوى لينقلهم الى عطبرة من أجل اعادة تنظيم السكة الحديدية ·· طلبوا أقداحا من الشاى وهم يتندرون قائلين:

« السودانى يشرب السكر مع ملعقة شاى !! » ··

وهم بدورهم أخرجوا زجاجة كونياك كبيرة من حقيبتهم وملاوا نصف اقداحهم منها ، ثم أضافوا لها قليلا من الشاى !!

خليط غريب من البشر جاءوا مندوبين عن دولهم ، وعن منظمات الامم المتحدة ووكالاتها ، وصناديق الانماء العربية ، والشركات الاستشارية، جاءوا لتقديم خبرتهم للسودان مقابل مرتب خيالى يتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ دولار يوميا ، بالاضافة الى مصاريف السفر والتنقل والاقامة فى فندق ممتاز !!

البعض منهم يقدم خدمات طيبة رائعة، والبعض يجلس فى صالات الفنادق طوال اليوم يعب الخمر عبا ، بعد أن يكلف أحد أبناء السودان من أساتذة الجامعة باعداد الدراسات المطلوبة منه !!

مأساة مشتركة ··

وفى الخرطوم امكننا ان نلمس مجهود الدولة لحل مشكلات ومعوقات التنمية ··

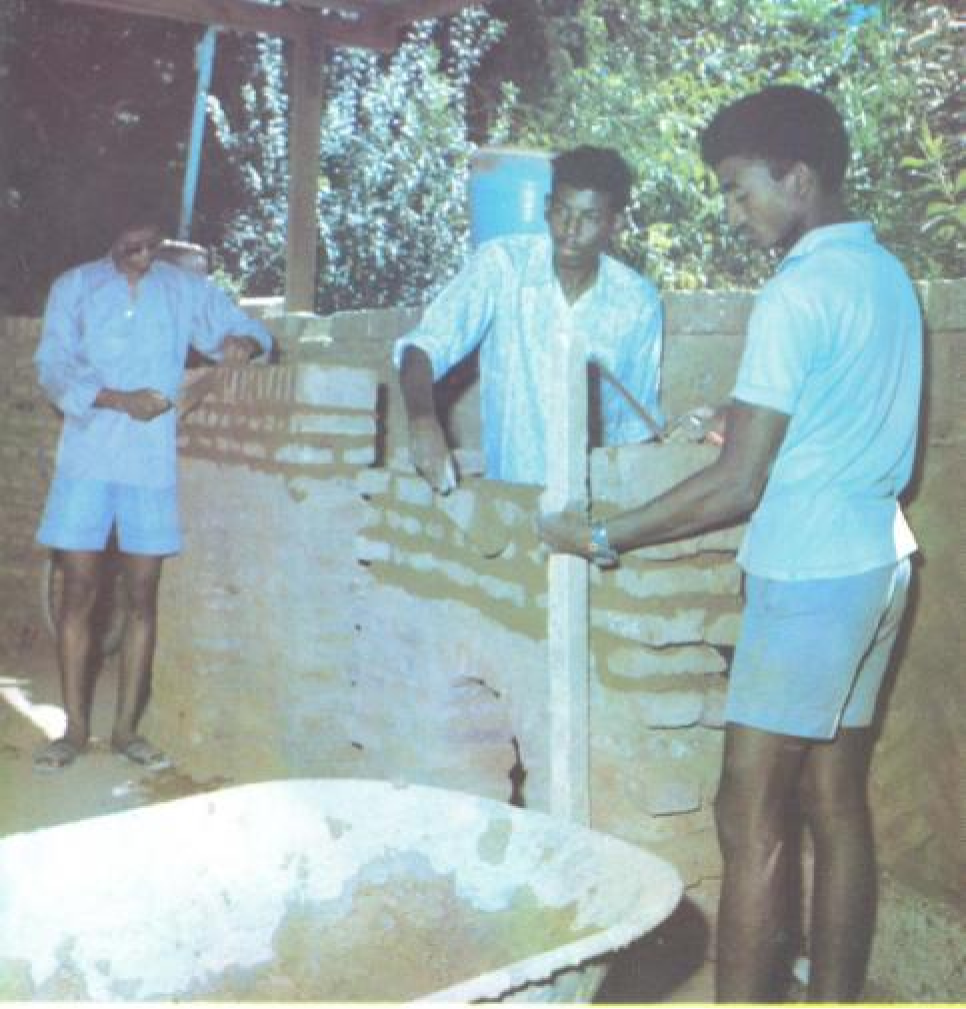
الجميع يقولون : « اذا كان الاستعمار قد ترك شيئا طيبا فى السودان فهو جهاز ادارى على درجة كبيرة من الكفاية ! »

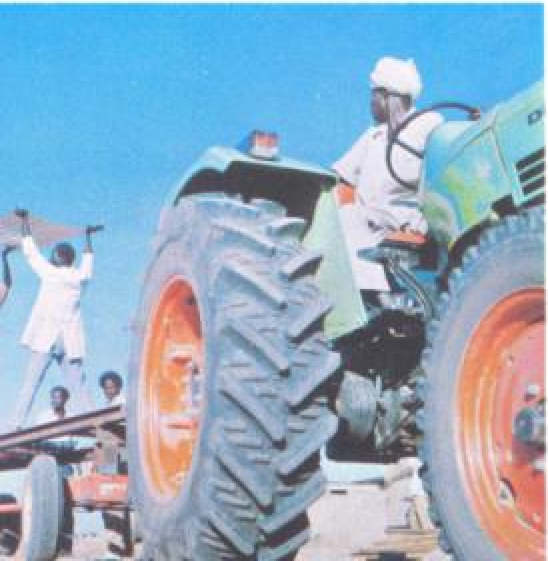
قد يكون صحيحا انهم ورثوا جهازا وظيفيا طيبا ، لكنه اصبح جهازا مضى عليه ٢٠ عاما دون ان يتطور ، لقد تجمد فى مكانه طوال هذه السنوات ·· وكم عانينا فى جولتنا من الروتين الحكومى ، حتى خيل الينا ان مفهوم الوظيفة هناك اصبح تقاضى المرتب دون اى انتاج او ابداع !· انها المأساة المشتركة لدول العالم الثالث ·· والسودان واحد من هذه الدول ··

خريطة لاهم مواقع مشروعات التنمية فى السودان· والارقام توضح مكان كل مشروع ، وهذه تفاصيل الارقام : (مشاريع صناعة السكر : ١ غرب سنار ١٣ كنانة ١٤ عسلاية ٥١ منقلا ٥٧ جلهاط ٥٨ ملوط) ·· (مشاريع زراعية : ٢ السوكى ٤ ابو نعامة ٥ جنوب الروصيرص ٦ اقد قرابين ٧ التكامل الاقتصادى العربى ٨ المزموم ٩و١٠ شركة الاستثمارات السعودية السودانية ١١ جنوب المزموم ١٨ كبوشية ٢٠ كوكو ٤ التعاونى ٢٧ الرهد ٢٨ القضارف ٣٠ الفشقة ٣١ سمسم ٣٢ ابو سبيكة ٣٣ سرق السعيد ٣٤ صنقعت ٤٠ ام بلا المروى ٤١ جنوب نيالا ٤٢ ام بلا المطرى ٤٣ نيرتتى ٤٤ دانكوج ٤٥ زالنجى ٤٦ أم عجاج ٤٧ هبيلة ٤٨ تلودى ٤٩ البيضا ٥٠ التحديث) ··



(زراعة الارز : ١٥ شنشاوى ١٦ البنوباب ١٧ الكوة ٥٩ ملكال) ٠٠ (ابحاث انهار : ١٩ احـــواض مديرية النيل ٢١ احواض الشمالية ٣٥ نهـــر عطبرة ٣٧ نهر ستيت ٣٨ نهر القاش ٥٤ يسرى والجود ٥٥ نهر التونج ٥٦ نهر الياى ٦١ جونجلى ٦٢ قناة جونجلى) ٣ ـ الروصيروص (للحيوانات) ١٢ ـ الحصاحيصا (للنسيج) ٢٢ ـ ثلاجة حلفا (لحفظ الاسماك) ٢٣ ـ السليت (للعلـــف) ٢٦ مصنع سعيد (مواد غذائية) ٢٩ ـ ام سينات ٣٦ مدنى قضارف (طريق) ٣٩ ـ ساق النعام ٥٢ ـ مصنع واو (للخضروات) ٥٣ ـ يســرى (خضر وفاكهة) ٦٣ ـ سواكن (تعمير ميناء) ٠





لمواجهة حاجة البلاد الكبيرة الى مزيد من عمال البناء والتشييد والبلاط والبياض والسباكين وملاحظي العمال قررت وزارة التربية تحويل ٦٠٪ من التعليم الثانوي الى تعليم مهني ·· ولكن المشكلة تكمن في الاجور وسوق العمل الخارجي ·· ففي دول النفط يعرضون مرتبات خيالية لجذب العمال السودانيين اليهم ، وهذا امر يعجز رب العمل السوداني عن منافسته ، وفي نفس الوقت لا يمكنه منع العامل من السفر للربح الحلال ·· مشكلة كبيرة جعلت اليد الماهرة نادرة الوجود في السودان اليوم ··



يقدرون قوة العمل في السودان ــ التي يزيد عمر افرادها على ١٠ سنوات ــ بحوالي خمسة ملايين نسمة من مجموع السكان البالغ ١٧ مليون نسمة ٠٠ وتستوعب الزراعة ٦٨ر٥٪ من قوة العمل ، بينما لا تستوعب الصناعة الا ٤ر٤٦٪ ٠٠ وبلغت نسبة المتعطلين ٦ر٣٪ من مجموع قوة العمل ٠٠ وسوف توفر الخطة السداسية للتنمية نحو مليون ونصف مليون فرصة عمل جديدة خلال فترة الخطة، الا ان سوق العمل لن تستطيع تلبية حاجة الخطة الى الفئات التالية : العمال المهرة ، الفنيين ، العمال الفنيين ، المديرين ٠٠ ولكن دراسة اخيرة لمصلحة العمل تقول : « ان صعوبة الحصول على العمال المهرة في السودان لا ترجع لعدم توفرهم ،بل لانهم يرفضون شروط العمل التي لا تتلاءم مع احتياجاتهم ٠٠ » ومما يذكر ان مصلحة العمل اقامت ٢٤ مكتبا للاستخدام لتسجيل ومساعدة الباحثين عن العمل والعمال ٠٠ وبالرغم من توفر اعداد كبيرة مسجلة في مكاتب التخديم الا انهم يعترضون على الاجور المعروضة ٠٠ ويفضلون الهجرة للخارج بحثا عن راتب اكثر اغراء ٠٠

متاعب الهجرة

ومما زاد الطين بلة هجرة الكفايات التي كانت موجودة الى خارج البلاد ·· ان مشكلة هجرة الالوف من ابناء السودان للعمل في الخارج تشكل معوقا جديدا لمشاريع التنمية السودانية ، وقل ان تجد بيتا في السودان ليس له قريب يعمل في الخارج ··

وفي كل يوم تخرج الصحف السودانية بصفحة كاملة مزدحمة بانذارات صغيرة باسم كل غائب عن عمله : « عليك تقديم نفسك في ظرف ١٥ يوما واذا تخلفت فسوف نحاكم غيابيا ، وربما ادى ذلك الى فصلك ·· » .

وما زال حجم الهجرة للعمل في الخارج ، قليلا نسبيا حوالي ٢١٠ آلاف نسمة ،من اصل ١٧مليون نسمة هم سكان السودان ··

الا ان مضاعفات هذه الهجرة ظهرت في مجالات كثيرة : نقص الاطباء ، وقد اتضح ان هناك ٢٠٠ طبيب سوداني يعملون في لندن فقط ··وارتفعت اجرة اليد العاملة ·· كان البناء يتقاضى جنيها سودانيا يوميا منذ سنتين ارتفع هذا الرقم الى خمسة جنيهات ، واصبح اقل عامل عادي يتقاضى جنيها يوميا ··

وانعكست آثار الهجرة للخارج على فنادق الخرطوم التي افتتحت مدرسة فندقية صغيرة لتدريب العاملين فيها ، وكانت النتيجة انغالبية الخريجين انتقلوا للعمل في فنادق دول الخليج العربي ، بدلا من فنادق الخرطوم !

معاناة وزارة التربية

والى جانب الهجرة للخارج توجد هجرة داخلية ·· فكم من اساتذة اعدوا خصيصا ليصبحوا اساتذة في التربية ، ولكنهم تركوها الى وظائف ارفع في الشركات والوزارات الاخرى حيث المرتب اكثر اغراء ··

ومشكلة السودان العالية تكاد تنحصر فينقص اليد العاملة المدربة ·· وجلسنا الى وزير التربية دفع الله الحاج يوسف نسأله عن دور وزارته في حركة التنمية ، فقال :

« لقد فرغنا من وضع استراتيجية متكاملة للتربية في السودان تمتد لنهاية هذا القرن ، وبداية القرن المقبل ·· استراتيجية نواجه بها عهد الثورة التقنية الذي نعيشه ، والذي غير الكثير من المفهوم واثر علىانماط الحياة والسلوك في المجتمعات ·

« ومن التحديات التي تواجهنا : اختلافدرجات النمو ومعدلاته من اقليم لاقليم ، ولذلك تجد تباينا في فرص التعليم بين محافظة ومحافظة ·· وبمعنى آخر ان التحدي الذييواجهنا هنا هوعدالة توزيع الفرص بين المدينة والقرية ، والرجل والمرأة ، واقليم واقليم ··

« والتحدي الثاني هو ربط التربية بالبيئة اي ان يكون التعليممدخلا اساسيا لتنميةالمجتمع وتطويره وترقية الحياة فيه ، وهذا يقتضي تغييرا في مفهوم التعليم الاساسي ومناهجه ·

« والتحدي الثالث هو ربط التعليم بالتنمية وذلك بتوفير العمالة المدربة ·· وهذا ما جعلنا نصدر قرارا بتحويل ٤٠ الى ٦٠٪ من التعليم الثانوي الى تعليم مهني وزراعي وصناعي وتجاري ··

« وكان لا بد ان نستعيض بمفهوم الجامعة التقليدي مفهوما يهتم بالبيئة ومتطلباتها ، وقد فتحنا جامعة جديدة في جوبا ، وستفتح جامعة جديدة في العام القادم بمنطقة الجزيرة تقوم بدراسة البيئة السودانية وبوجه خاص البيئة الريفية للتعرف على قضاياها ·· كما يتم الآن الاعداد لفتح كلية للدراسات الزراعية والبيطرية تتخصص في المناطق الحارة في غرب السودان ·· »

٧ تساوي ٧٠

ويختتم وزير التربية حديثه قائلا : « ولا تنس التحدي الاكبر وهو ايجاد المال اللازم لتنفيذ هذا المخطط ، فضلا عن اعداد المعلم المدرب اللازم ··

« ونحن رغم كل هذه التحديات متفائلون ، لان ما استطعنا انجازه في السنوات السبع الماضية يوازي ما انجزناه في ٧٠ سنة سابقة ··

« عدد المدارس الابتدائية ارتفع من ١٧٠٠ الى ٤٧٠٠ مدرسة ·· والثانوي من ٥٧٣ الى ١١٧٣ مدرسة ··

« وعدد التلاميذ كان ٨٠٠ الف طالب وطالبة، اصبح عددهم اليوم مليونا وخمسمائة الف ··

« ولكنا ، رغم كل هذا ، نشعر اننا ما زلنا في

بداية الطريق .. فنحن لن نستطيع استيعاب جميع الاطفال الذين فى سن السابعة بنسبة ١٠٠٪ الا فى عام ١٩٩٠ »

مجتمعات ولغات معوقة ..

ونسبة الامية فى السودان غير محددة بالدقة ، ولكنها تقترب كثيرا من نسبة ٩٠٪ وهذه النسبة تختلف من مجتمع الى آخر..لان المجتمع السودانى يتفرع الى عشرات المجتمعات .. كل منها له عاداته وتقاليده ..

فى الخرطوم نجد مجتمعا يكاد يعيش بنفس مستوى الحياة فى اوربا .. وفى الشمال الغربى تعيش القبائل الرحل خلف ابلها فى مناطق العطش والجفاف .. وفى الجنوب نجد قبائل ما زالت تعيش على الفطرة كما خلقها الله وتتحدث بحوالى ٢٠٠ لغة مختلفة : منها ١٣ لغة رئيسية تاتى فى مقدمتها لغة الدنكا ويتحدث بها حوالى مليونين ونصف من السكان ، وقد بدأ تدريسها فى مدارس الجنوب الى جانب اللغتين العربية والانجليزية ، كما تدرس فى قسم اللغات بجامعة الخرطوم .. اما بقية اللغات فهى : النوير ـ الشدلق ـ البارية ـ الزاندى ـ الشولى ـ مادى ـ لاتوكا ـ مورو ـ التبواك ـ الكريش ـ بالنده ـ دوجو .

أسماء غريبة للغات لها قواعدها وصرفها ، يتحدثون بها ويكتبونها ..

وهذا التفاوت فى المجتمعات السودانية والتمسك بالتقاليد القديمة ، يسبب الكثير من المتاعب لمشاريع التنمية .. على سبيل المثال تأخذ مصنع الالبان فى بانبوسة مصنع كبير حديث اقاموه لبسترة الالبان فى منطقة تكثر فيها الابقار ..

وانتظر القائمون على المصنع أن يأتى البدوى بحليب ماشيته .. وطال انتظارهم ، ولم يأت أحد .. فالبدوى يأنف من بيع الحليب .. انه يوزعه بالمجان على جيرانه ، ولكن لا يبيعه أبدا .. حتى ولو كان لمصنع حديث .. !

طريق الاحلام

ان هذه المجتمعات الصغيرة تكونت نتيجة حياة العزلة التى تعيشها كل منطقة عن الاخرى .. فمن يصدق أن بلدا مساحته حوالى مليون ميل مربع ، أى ما يوازى نصف مساحة اوربا تقريبا ، يترك حتى سنوات قليلة مضت دون وسائل مواصلات تربط بين أرجائه المختلفة ، اللهم الا خط سكة حديد ضيق يربط بين بورسودان والخرطوم ؟

لقد خلق هذا التباعد مشاكل عديدة اقتصادية واجتماعية : محاصيل المانجو والاناناس فى الجنوب تلقى فى النهر لعدم وجود وسيلة لتصديرها .. سلة من الليمون الحامض تباع بخمسة مليمات فى كسلا .. بينما الشمال يشكو القلة والغلاء..

ومع صحوة السودان شقوا الطريق الذى كان يحلم به كل سودانى .. طريق الخرطوم ـ بور سودان .. لم يشقوه مباشرة بل اطالوا فيه حتى يمر بوسط السودان حيث المشاريع الزراعية الكبيرة : الجزيرة .. الرهد .. القضارف .. وتعمدوا أن يمر بمناطق تعيش فيها قبائل بدائية معزوله ، لان هذا الربط سوف يؤدى الى ذوبان الفوارق والحواجز الاجتماعية بين أهل السودان..

مطلوب ميناء

وخلق هذا الطريق مشاكل غير متوقعة لميناء بورسودان ، فقد ازدادت حركة الوارد والصادر زيادة هائلة، وتكدست البضائع فى ميناء بورسودان الصغير الذى يبلغ حجم حركة الوارد والصادر فيه ٢ر٩ مليون طن فقط فى عام ١٩٧٥ وما زال البحث جاريا لايجاد التمويل اللازم لتوسعة الميناء ، وانشاء ميناء جديد فى سواكن ..

وقد وافقت صناديق التنمية العربية على تقديم قروض بمبلغ ١١٨ مليون دولار من أجل تطوير خطوط السكك الحديدية السودانية ، التى تعتبر من اقدم الخطوط اذ أقيمت عام ١٨٧٦ فى عهد الخديوى اسماعيل والى مصر انذاك .

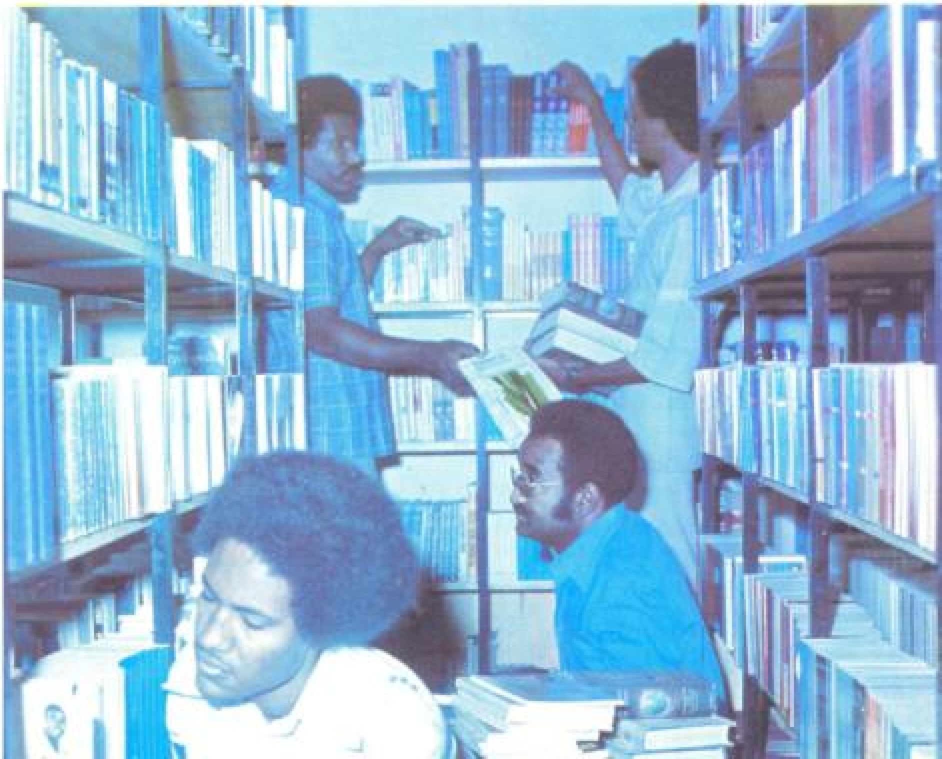
٣ خطط سداسية

والتنمية فى السودان تتم وفق خطة قومية تمتد لمدة ١٨ عاما ، ولكنهم قسموها الى ثلاث خطط سداسية .. الاولى منها بدأت عام ٧٨/٧٧ حتى عام ٨٣/٨٢ وجملة الاستثمارات فيها تبلغ ٢٧٦٠ مليون جنيه سودانى ، سيتم تمويل ٤٨٪ منها من الموارد المحلية و ٥٢٪ من الموارد الخارجية ..

وقد اعتمد فى ميزانية السودان لهذا العام



ستة عقول الكترونية تعمل في السودان ،لتوفير الاحصائيات التى يطلبها خبراء التنمية •• وعملية صعبة تقوم بها رغم متاعب المواصلات ، وانعدام الوعي الاحصائي واختلاف اللغات واللهجات •• ومن حديث مدير مصلحة الاحصاء عمر أحمد التاي •



مبلغ ۳۰۷ مليون جنيه سوداني لتصبح الميزانية الاولى للخطة السداسية الاولى ..

زحف الرمال

ان السودان وهو يخطط للتنمية تصادفه مشاكل لم تكن واردة في الاذهان .. فمثلا زادت الثروة الحيوانية زيادة هائلة بعد توفر الامصال والرعاية، ولكن هذه الزيادة خلقت مشكلة كبيرة للسودان حدثنا عنها خبير الغابات محمد الكوني قائلا :

« هذه الحيوانات انطلقت ترعى رعيا جائرا في الجزء الشمالي الغربي من السودان ، وشاركها الانسان في قطع الاشجار لاستعمالها وقودا ، فاختفى الغطاء الشجري للمديريات الشمالية ، وشحت الامطار ، وبدأت رمال الصحراء تزحف تجاه الاراضي الخصبة في الجنوب بسرعة ثمانية أميال في السنة ، بعد أن كانت سرعتها ميلا واحدا عام ۱۹۷٤ وامتد الزحف الى النيل نفسه فتكونت الجزر الرملية وسط المجرى مما سبب تغييرا في خط سير النيل نفسه !! »

مشاريع هائلة ..

ويثأر ابن السودان من الرمال الزاحفة باستصلاح المزيد من الاراضي .. ومشروع الجزيرة الضخم الذي توازي مساحته مساحة لبنان كله ، يعطينا خير مثل على ضخامة مشاريع السودان ..

وفي نهاية عام ۱۹۷۷ افتتح الرئيس النميري مشروع الرهد الذي اضاف لارض السودان الزراعية ١٥٠ ألف فدان مزروعة بالقطن ، ويجري العمل لاضافة ١٥٠ الف فدان اخرى الى هذا المشروع الذي استفاد من أخطاء مشروع الجزيرة فاقام مدينة القاو في وسطه ، ووزع الاراضي على الفلاحين مع ٥٠ جنيها لبناء منزل .. انها بداية حياة الاستقرار لنحو ۲۰ ألف مواطن نصف رحل..

الى اليمين : « الكتاب هو مفتاح التنمية .. لهذا افتتحت جامعة الخرطوم مركزا لبيع حصيلة الفكر العربي والاجنبي بارخص الاسعار .. اننا نحول ارباحنا من القرطاسية والادوات المكتبية لتخفيض سعر الكتاب.. » من حديث مدير التوزيع عبد الرحمن ابراهيم.

حلقة مفرغة

ومشاكل التنمية في السودان تدور في شبه حلقة مفرغة .. العقبة تجر وراءها عقبة .. فمثلا انخفاض مستوى دخل الفرد يؤدي الى انخفاض المستوى الصحي ، الذي يؤدي بدوره الى انخفاض القدرة على العمل .. الى انخفاض الانتاج .. وهذا تشعبات كثيرة كلها متفرعة من انخفاض مستوى دخل الفرد السوداني الذي يقدرونه بنحو ٢٥٠ دولارا عام ١٩٧٥ .

العربة امام الحصان .. !

ان السوداني ينطلق اليوم فوق كل هذه المشاكل والمعوقات .. انه يجب أن يبدأ من نقطة ، ولا يعقل أن نجعله ينتظر حتى تحل كل مشاكله ليبدأ التنمية !

ان التنمية هي التي ستحل المشاكل ..

والتنمية هي التي ستجعل القبلي يتعلم كيف يهضم المؤثرات الحضارية .

والتنمية هي التي ستزيد الانتاج القومي ودخل الفرد .

والتنمية هي التي ستؤمن الاستقلال الاقتصادي..

لقد بدأ السودان اليوم عملية تصنيع ما يزرع: النسيج يستخرجه من القطن .. والسكر من القصب .. الى جانب الجلود والمنتجات الحيوانية الاخرى ..

★ ★ ★

ان التفاؤل يسود أبناء السودان .. فالى جانب الزراعة والصناعة بدأ استغلال بقية الثروات الطبيعية مثل الكروم والاسبست والجبس والمايكا .

وفي الخرطوم تسمع في كل مكان كلمة : « النفط جرب » اي أن ظهور النفط قد اقترب .. فالاخبار القادمة من شمال كردفان تؤكد أن الاقمار الصناعية أثبتت وجود النفط في المنطقة .

حقق الله آمال شعب السودان الطيب ، فقد عانى بما فيه الكفاية من التخلف .. واصبح من حقه أن يبدأ حياة رغيدة هانئة تتناسب مع حياة العصر الذي نعيشه . ■■

سليم زبال

طرائف عربية

كيف تختار زوجتك؟

● سئل احد الفلاسفة كيف تختار زوجتك ؟ فقال : اريدها لا جميلة فيطمع فيها غيري ، ولا بالقبيحة فتشمئز منها نفسي ، ولا بالطويلة فارفع اليها هامتي ، ولا بالقصيرة فاطاطيء لها رأسي ، ولا بالسمينة فتسد على منافذ النسيم ، ولا بالهزيلة فاحسبها خيالي ، ولا بالبيضاء فتكون كالشمع ، ولا بالسوداء فتكون كالشبح ، ولا بالجاهلة فلا تفهمني ، ولا بالفيلسوفة فتناقشني الحساب ،ولا بالغنية فتقول مالي ودخلي ، ولا بالفقيرة فيشقى من بعدها ولدى .

وصفة لعلاج الحب

● مع الحب يولد العذاب، وهي حقيقة اكدها كل من احب ، وقد اكدها مجنون بني عامر ، فقال :

«انفس العاشقين للشوق مرضى وبلاء المحب لا يتقضى
ليس يخلو اخو الهوى ان تراه كل يوم يلام أو يترضى
باكيا ساهرا نحيلا ذليلا ليس يهدا وليس يطعم غمضا»

ويؤكد هذه الحقيقة محب اخر هو جميل بثينة فى قوله :

«اذا ما دنت زدت اشتياقا ، وان نأت
ارقت لبين الدار منها وللبعد»

كما يؤكدها العباس بن الاحنف الذى شيب الحب رأسه قبل اوان المشيب

«ابكي اذا سخطت،حتى اذا رضيت
بكيت عند الرضا من خشية الغضب»

ويأخذ ابن حزم الاندلسى صاحب كتاب طوق الحمامة فى الالفة والالاف ما قاله المحبون ليحددلنا اعراض الحب يقول: «المحب يأنس بالوحدة ، وينحف دون مرض ، يساهر النجم ، المحب دائم القلق ، يقلق عندما يحول دون اللقاء ما يحول ، ويقلق من مخافة الهجر ، يحب قرابة محبوبه وخاصته ، يجزع اذا اعرض المحبوب ويبكى اذا قسا .

ويقرأ ابن الجوزى اعراض الحب فيتالم لالم المحبين،ويكتب العلاج ، انها وصفة عمرها الف سنة أو تزيد يوضح فيها ابن الجوزى خلاصة تجربته وقراءاته لعلاج الحب يقول :

اذا اردت ان تشفى من داء العشق فاخش الله،تذكر الموت والقيامة والنار،شم البنفسج، تغذ بالاغذية الرطبة فان بدن العاشق اذا نحف اسرعت فيه الحرارة الهايا واحراقا . اطل نومك ، ادخل الحمام دون ان تطيل المكث فيه ، اسمع النوادر المضحكة ، سافر لتنأى عن المحبوب ، اشغل القلب بالمعاش ليسلو ، زر المرضى ، اغش مجالس الذكر جالس الزهاد والصالحين .

ونعرض هذه الوصفة على المحبين ليروا فيها رأيهم . نعرضها على مجنون ليلى فيقول

«تداويت من ليلى بليلى من الهوى
كما يتداوى شارب الخمر بالخمر»

ونعرضها على جميل بثينة: « زعم الناس أن دائي طبى انت والله يا بثينة طبى »

ونعرضها على محب ثالث فيقول :

« طلبنا دواء الحب يوما فلم نجد
من الحب الا من يحب مداويا»

وبالطبع فان المحبين كل المحبين يرفضون هذه الوصفة ، مسكين ابن الجوزى وصف الدواء لمرضى لا يطلبون الشفاء .

قومه بخمسمائة درهم

● حكى ان المهلب بن ابى صفرة مر يوما بحى من همدان فرآه شاب من اهل الحى ، فقال لصديق له كان يقف بجانبه : « أهذا هو المهلب ؟ » فقال : «نعم» فقال : « والله ما يساوى اكثر من خمسمائة درهم » ، وكان المهلب اعور دميم الخلقة، الا انه كان احد القادة المحنكين والمشهورين فى التاريخ الاسلامى ، فسمعه المهلب ولم يلتفت اليه ، فلما كان الليل اخذ المهلب فى كمه خمسمائة درهم ، واتى الى الحى يراقب الشاب الى ان رآه ، فاقترب منه ، وقال له : « افتح حجرك» ففتح الشاب حجره ، فسكب خمسمائة درهم ، وقال : « خذ قيمة عمك المهلب ، والله — يا ابن اخى — لو قومتنى بخمسة الاف دينار ، لاتيتك بها » ، فقال : والله ما اخطأ من جعلك سيدا » .

ذهب الشباب وشره

● قيل ان الخليفة الاموى سليمان بن عبدالملك دخل مسجد دمشق يوما فرأى شيخا يرتجف من شدة الضعف فقال له : « ايسرك ان تموت يا شيخ » قال : «لا» قال : «لم وقد بلغت من السن ما ارى » . فقال الشيخ : « ذهب الشباب وشره، وبقى الكبر وخيره وانني اذا قعدت ذكرت الله واذا قمت حمدت الله ، وانني والله احب ان تدوم لى هاتان الخصلتان » .

طمع اشعب

● قيل لاشعب : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما رأيت عروسا تزف ، الا وظننتها الى، ولا رأيت جنازة الا وظننت ان صاحبها اوصى لى بشىء . ولقد طاف بى مرة صبيان فنادوا : يا اشعب يا اشعب فاضجرونى فدفعتهم عنى بأن قلت لهم : ان دار فلان يهبون الاطفال نقلا فبادروا .... فلما ولوا ظننت اننى صادق فتبعتهم .

القوة والضعف أمام الله

● قال الامام على بن ابى طالب — رضى الله عنه — لولده الحسن : « يا بنى احذر ان يراك الله عند معصية ويفقدك عند طاعة ، فتكون من الخاسرين ، فاذا قويت فاقو على طاعة الله ، واذا ضعفت فاضعف عن معصيته » .

كرهنا شيبك

● قال العتيبى : « كنت كثير التزوج ، فمررت بامرأة فاعجبتنى ، فارسلت اليها اسالها : الك زوج يا امة الله » قالت : « لا » . فصرت اليها فوضحت لها نفسى،وعرفتها موضعى ،فقالت: « حسبك يا عبدالله ، قد عرفناك». فقلت لها : «زوجينى نفسك » فقالت : نعم ولكن هنا شىء لا تحتمله » قلت : وما هو قالت : « بياض فى مفرق راسى » . قال : فثنيت عنان فرسى وانصرفت ، فصاحت بى : « ارجع » فرجعت اليها فاسفرت عن راسها فنظرت الى وجه حسن وشعر أسود فقالت : « انا كرهنا منك — عافاك الله — ما كرهت » . فانصرفت اردد هذا البيت :

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي
فأعرضن عني بالخدود النواضر

احفظوا عنى ثلاثا

● لما احتضر قيس بن عاصم المنقرى حكيم العرب قال لبنيه: « يا بنى احفظوا عنى ثلاثا ، فلا احد انصح لكم منى : اذا مت فسودوا كباركم ، ولا تسودوا صغاركم،فيحتقر الناس كباركم وتهونوا عليهم،وعليكم بحفظ المال فانه منبهة الكريم، ويستغنى به عن اللئيم،واياكم والمسألة فانها آخر كسب الرجال».

المتعهد

بقلم : ربيع ديب

■ جلس « عقلة عبدالسلام » مستندا الى اكياس الاسمنت ، دافعا ساقيه باهمال ، مواجها الشمس بوجه متغضن مغمض العينين ، وراح كعادته يحلم ·· فخلال ساعة الاستراحة هذه يمكنه أن يتعايل على ضجيج الجبالة المعربد داخل رأسه، وأن ينعم على نحو ما باسترخاءة تساعده على طرد ولو قدر قليل من الارهاق المستوطن عضلاته · فعمل ما بعد الظهيرة سيكون شاقا ، « عقلة » تلك طريقته في الاستمتاع بالاستراحة عندما لا يشارك الآخرين احتساء الشاى داخل غرفة الناطور المنصوبة هناك عند طرف الورشة ·

غير انه الآن ـ رغم مغالبته لذكرى حادثة الأمس ـ يشاركهم مرحهم من مجلسه هذا · جاعلا فى سيل احلامه محطة يلتقى معهم ·· وها هو الآن يبتسم جذلا وصوت محمود يتناهى اليه مشبعا برائحة المواسم فى « منبج » :

ـ « لدخـل سرايـا حلب
أصـرخ وقول مظلومـة (١)
وان شانت الجيـزة غضب
عليش المشـومـة » ·

وصوت محمود يجلو الهم عن القلب ، وينسيك للحظة وجه متعهد البناء ·· يحملك فى تموجاته الى حيث الاولاد والزوجة وقطعة الارض الصغيرة التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ·· وذكريات عن أيام القحط والكساد ، واللجان تأتى وتذهب ولا تفعل شيئا ·· وانت هنا عرضة للمهانة والتعب ·· وهم هناك يحسبونك مغتربا ·· يتحلقون من حولك فى كل مرة تأتى اليهم ·· ويسألك أبو جاسم بدعابة :

ـ هات حدثنا عن النساء فى بيروت ، وعن أكل السردين المعلب وسينما العرض المتواصل ·

وتصمت أنت محرجا·ولكنك ما تلبث ان تسترسل فى حديث طويل عن العمل فى الورش ، وعن الوكلاء بوجوههم التى تتكلف التجهم لأياسيب·· والنواطير يحصون عليك أنفاسك لقاء علب التبغ الاجنبية ·· ومتعهد البناء يشتمك بقحة ، يقول لك للمرة الألف انك تأتى لتسرق فرص العمل من ابناء البلد ـ رغم أنه هو نفسه يرفض تشغيل ابناء البلد ـ وعن ·· وعن ·· ومحمود يسرى عن نفسه بطريقة مختلفة · وها أنت تغالب الحنق المشتعل فى صدرك ولا تقوى على الغناء ، لأن فى استطاعة المتعهد ان يقول لك : « يا كلب » · وتسكت مخافة الحسم من الاجر او الطرد من الورشة ·· وانت يا « عقلة » يصعب عليك نسيان

(١) : من اغنية يرددها عمال البناء



ما حدث بالامس ٠٠ وانت ـ يعلم الله ـ لم تكسل والرفش كمذراة القمح في يدك ، يهبط ويرتفع ناقلا الرمل من الشارع الى الداخل ٠ وحين جاء « الافندية (٢) توسلتهم بذل الا يحرروا «مخالفة» بحق المتعهد ٠ ومع ذلك ثارت ثائرة المتعهد وهو يتناول نسخة المخالفة من يد الناطور ، واجبرك مع الاخرين ، كالعادة ، على العمل ساعة اضافية تعويضا عن قيمة المخالفة ٠٠ وفوق ذلك ٠٠ وفوق ذلك يقول لك « يا كلب » ٠

يفتح « عقلة » عينيه ٠٠ يطرد صورة المتعهد من رأسه ٠٠ ذاك الذي كلما تذكره شعر بالمهانة والعجز ، وتمنى لو ينهال عليه ضربا لولا أن « أولاد الخشومة (٢)» ياتون ٠٠ يضعون الاصفاد في يدك كأي مجرم ويقتادونك ٠٠ فماذا تبقى لك في الورشة ؟ ٠٠ غادرها الى غير رجعة ٠ غادرها يا « عقلة » وحرر نفسك ٠

يسكت صوت محمود ٠٠ تعلو في غرفة الناطور جلبة الاخرين وهم يتحدثون ٠٠ فلعلهم اعتادوا رفع أصواتهم وسط ضجيج الجبالة وصوت اصطدام اقدامهم فوق القالب الخشبي ٠

يطل محمود براسه ليدعوه الى احتساء الشاى ٠٠ يشير « عقلة » بيده معتذرا ، ومحمود يصر ويلح عليه :

ـ امراتك بغير هناك ٠٠ ولعلها وجدت عريسا تتزوجه ٠٠ قم يا اخى ٠٠ قم ٠٠ عزاؤك فى الشاى ولفافة « الحموى » (٣) ٠

وينهض هذه المرة ٠ فمن العيب تسفيه محمود ، والشراهة الى الشاى لاتقاوم ٠٠ يغالب اعياءه ويتجه الى غرفة الناطور ، وحين يحاذى الجبالة يبصق عليها :

ـ ملعون صاحبك ٠٠

يستقبلونه بالدعابة ، وهو يعلم انهم يغالبون ـ مثله ـ التعب والذل ٠٠ والغرفة المبنية من الواح الصفيح تكاد تضيق بهم الى جانب أكوام العدة والخشب وبقايا قضبان الحديد والمسامير الصدئة ٠ وابراهيم ، ابن بلدته منبج ، الناطور في الورشة يجلس فوق فراشه الاسفنجي العارى يعلك بشفتيه لفافته الاجنبية ، وعلى الوسادة الى جانبه تشرئب علبة التبغ الحمراء يتحدقون ٠٠ و « عقلة » يعلم ان الاخرين ـ مثله ـ يتحرقون الى تدخين لفائفها وتعز عليهم ٠٠ وابراهيم صده حين الح عليه يوما ان يمن عليه بلفافة منها وقال انه ان فعل فالعلبة ستذوب على شفاه الاخرين ٠ و« عقلة » الآن يتناول عجمية الشاى وعلبة «الحموى» المعدنية من يد محمود ولا يعود يفكر فى لفائف ابراهيم ٠

يتمطى ابراهيم فوق حاشيته ٠٠ يبدو عليه انه سيقول شيئا مهما ٠٠ يتفرس فيه الجميع ٠ و« عقلة » يستطيع الان ان يقرأ فى وجوههم الكراهية لابراهيم ٠

ـ سوف يصل « الخواجة » بعد قليل ٠٠ يقول ابراهيم ويرتسم فى ملامحه زهو من يستطيع وحده تضمين عبارته تلميحا بضرورة الاستعداد للعمل ٠ وحين يشرع فى الحديث عن فضائل المتعهد يبدو عليهم الضجر والحقد ٠٠

ـ والله لو ملكنى هذه الورشة ما احببته ٠٠ يقول محمود ، و« عقلة » يتشاغل فى اصلاح لفافة الحموى ٠٠ غير انه يؤكد على قول محمود بهز من رأسه فيما هو يمرر اللفافة على شفته المبللة ٠ وكانما ادرك ابراهيم ما يدور فى دخائلهم نحوه وان الواجب ان يقول شيئا ، فتنحنح :

ـ تعلمون أن أجرى لا يزيد على أجر أى منكم ٠٠ وفى تلك اللحظة انفجر عقلة :

ـ انت يا ابراهيم افسدتك علبة التبغ الاجنبية ٠٠

ـ ولكن النبى قبل الهدية ٠٠ أجاب ابراهيم بلهجة من ادخر ذلك زمنا طويلا ليقوله فى الوقت المناسب ٠٠ ثم تابع :

ـ انت يا عقلة تكرهنى لا أكثر ٠٠

وينتهى الجدال عند هذا الحد ٠٠ و «عقلة» ما ٠٠ وسيظل ابراهيم مرتهنا لعلبة التبغ الاجنبية يعلم انه سوف يتجدد فى لحظة ما ٠٠ فى يوم والوجاهة المتواضعة الممنوحة له تمتد جدارا بينه وبينهم ٠٠ و « عقلة » يحرك فى راسه فكرة مغادرة

---

(٢) : رجال الشرطة ٠

(٣) : نوع من التبغ الشعبى الردىء ٠

الورشة الى غير ما رجعة . (فاى شيء يربطك بهذا المكان : الاجر المعقول .. ام وجاهة ابراهيم .. أم .. ؟) .

ساد الصمت تماما .. انشغل كل فى افكاره.. وفي الركن تسلى احدهم بعد دراهمه.وفي الخارج انتظمت معزوفة من ابواق السيارات وهدير المحركات .

قرر أن يقطع الصمت في الداخل بالحديث عن فكرته :

– ساغادر الورشة الان .

وسكت مرتاحا الى مراقبة ومعرفة ما يمثله قراره من قضية بالنسبة اليهم .. وحين سكتوا كرر :

– ساغادر .. لقد قررت .

– قلت ذلك للمرة الألف .. قال محمود ، واستعد ابراهيم للمجاملة ، ولكن عقلة لم يمهله:

– لكنني هذه المرة قررت . لم أعد أحتمل .. ضقت ذرعا بالمتعهد وبالعمل لقاء لاشيء..وساصفع المتعهد قبل أن اخرج .

سكت الجميع.وانهمر نهر الالم دفعة واحدة في صدر « عقلة » :

– أنت تناطح الجدار وحدك .. وسيحطمك الجدار وحدك .. اعقل .

خيل اليه أن محمودا يقول جانبا من الحقيقة . ولكنه خشي على قراره من الافتتاع بقول محمود.. ولكن خاندا ابن عمته عبر في حياته زمنا وتحدث طويلا عن ذلك ، غير انه مذ وعدوه بوظيفة كف عن طرح هذه الامور وعاش سلفا على أمجاد الوظيفة وشهادته الاعدادية .. ومحمود يقول أن مناطحتك الجدار منفردا ستحطمك . ولكنك لم تعد تحتمل ، ولا مندحة عن أن تحرر نفسك .

وقف وسط الغرفة وكرر ما قاله من انه سيغادر .. نظروا اليه باشفاق واستطاع ان يخمن ما يفكرون به .. وفي تلك اللحظة قال ابراهيم :

– أنت تضحي بالصحبة .. تتركنا ناسيا أياما سوداء عشناها معا ..

أدرك خطة ابراهيم . ومع ذلك ارتعشت اهدابه تاثرا . (ولكن يا ابراهيم .. هذه الروابط لا قيمة لها ازاء ما أعانيه .. وأنت يا ابراهيم تبارك اليد التي تصفعك) .

خطا الى الخارج وتبعه محمود . وحين أصبح وسط الورشة توقف والتفت الى الوراء .. كانوا جميعا عند مدخل الغرفة . واستطاع الان أن يلاحظ ما خلفه العمل من تشويهات على قاماتهم .. والان يستطيع اكثر من أى وقت مضى ان يدرك خطا لعبتهم واحلامهم عن جمع المال والعودة لتشييد منزل من اسمنت او شراء قطعة ارض .. وهو يعلم أنهم لو قضوا دهرا على هذا النحو ما تحققت أحلامهم .. وخطا من جديد ، وعندما أصبح عند مدخل الورشة وصل المتعهد بسيارته الفارهة فتوقف .. شاء ان يكتشف أثر قراره عليه .. هبط المتعهد من سيارته ومسبحته في يده . وظل هو واقفا كدعامة من اسمنت . وحين عبر به المتعهد باهمال قرر أن يصفعه وليحدث ما يحدث . ولكن الرجل كان قد أصبح بعيدا عنه .. وحين ارتفع صوت الرجل آمرا متوعدا خرج « عقلة » الى الشارع وتنفس ملء رئتيه .. وسار .

سار طويلا وصوت اصطدام قدميه بالإسفلت يقرع اذنيه بانتظام .. لم يفكر ولو للحظة في ان يلتفت الى الوراء . وحين توقف ليصنع لنفسه لفافة لاحظ بقع الاسمنت منتشرة مثل البهاق على ساعديه . ولاول مرة تساءل : الى اين اذهب ؟ .

نسي دفعة واحدة ما حدث منذ قليل .. سيطر عليه السؤال .. أشعل اللفافة ومشى بهدوء دونما هدف معين . وحين بدا الشعور بالندم يتسرب الى داخله كقطرات المطر وجد نفسه متسمرا الى الرصيف وفي مواجهة مدخل لورشة بناء اخرى والالم يعتصره ، وصور عن الزوجة والاولاد ولقمة العيش تتداعى في رأسه بعناد ..

قال لنفسه انه تصرف برعونة ، وان الاوان لم يؤن بعد .. واندفع الى الورشة الجديدة يسال عن الوكيل .

■■

لبنان – ربيع ديب

هو زوجها .. وهي زوجه .. وزوجته أيضا

بقلم : محمد خليفة التونسي

■ يقال : الرجل زوج المرأة ، وكذلك : « المرأة زوج الرجل » فهل يجوز ان يقال ايضا « المرأة زوجة الرجل » ونحن في الدارجة لانستعمل في وصف المرأة الا كلمة « الزوجة » ولا نستعمل كلمة الزوج .

اكثر اللغويين القدماء يجيزون كلمة الزوجة، لانها منقولة عن العرب الفصحاء ، واما المتاخرون المقلدون بيننا اليوم ـ والى الله الشكوى من ارستقراطيتهم اللغوية الفجة ـ فهم يقطبون الوجوه امام كلمة « الزوجة » للمرأة ، فمنهم من ينكرها ، ومنهم من يرى انه يبلغ غاية السماحة اذا قبلها مع اشارته الى ورودها « على قلة » ولا يجوزها الا كارها مكرها .

وحجة هؤلاء المتشددين ان الكلمة لم ترد في القرآن الكريم ، بل وردت كلمة الزوج للجنسين، كما ورد جمعها « ازواج » ولا شك ان كلمة « الزوج » للمرأة ، وجمعها « ازواج » ثابتة فصاحتها ، لان القرآن اوثق نص عربي وابلغه ، وهو معجزة العربية ، ولكن عدم ورود بعض الكلمات او التراكيب فيه لا يثبت عدم فصاحتها ، فهو ليس المرجع الوحيد للكلمات والتراكيب والقواعد العربية ، وان كان اوثق المراجع واعلاها واقطعها دليلا على الفصاحة والبلاغة .

فهل وردت كلمة « زوجة » في كلام عربي ثقة ؟

حسبنا هنا ان نشير الى ورودها في قول الفرزدق خلال حديثه في الخلاف الذى وقع بينه وبين زوجته « نوار » وكانت بنت عمه ايضا ـ ومحاولة بعض اعدائه توسيع شقة الخلاف بينهما ، بتحريشها عليه .

وان الذى يسعى يحرش زوجتي
كساع الى اسد الشرى يستبيلها (١)

وفي قوله يهجو ابليس ، ويذكر جناياته ،ومنها اخراجه آدم وحواء من الجنة :

وآدم قد اخرجته ـ وهو ساكن
وزوجته ـ من خير دار مقام

كما وردت في قول ذى الرمة مخاطبا نفسه او صاحبا له ، متعجبا من اقامته في مدينة البصرة ، بعيدا عن موطنه

اذو زوجة بالمصر ، ام ذو خصومة
اراك لها بالبصرة اليوم ثاويا ؟ »

كما ان الكلمة وردت في كثير من المعاجم الوثيقة للأئمة الاثبات ، ومن ذلك « اساس البلاغة » للزمخشرى ، اذ يقول صراحة « هو زوجها ، وهي

---

(١) ديوان الفرزدق ، وانظر (الصحاح)للجوهرى ، « ولسان العرب » لابن منظور (مادة : بول) « وتاج العروس » للزبيدى (مادة زوج) .

زوجه ، وزوجته ، وهما زوجان ، وله عدة ازواج وزوجات » .

والفيومي في معجمه « المصباح المنير » يقول : « الرجل زوج المرأة ، وهي زوجه ايضا هذه هي اللغة العالية ، وبها جاء القرآن الكريم ، نحو : اسكن انت وزوجك الجنة « والجمع فيها ازواج» ثم يتبع ذلك بقوله : « واهل نجد يقولون في المرأة « زوجة » بالهاء ، واهل الحرم يتكلمون بها ، وعكس ابن السكيت فقال : « واهل الحجاز يقولون « زوج » بغيرهاء ، وسائر العرب « زوجة » بالهاء، جمعها «زوجات » ثم يقول : « والفقهاء يقتصرون في الاستعمال عليها (زوجة) للايضاح وخوف لبس الذكر بالانثى ، اذ لو قيل : « تركة فيها زوج وابن » لم يعلم اذكر هو ام انثى » (١)

ولا معنى لوصف الفيومي هنا لكلمة «الزوج» للمرأة بانها اللغة العالية سواء كان ذلك من اجتهاده او اجتهاد غيره ، كان كلمة « الزوجة » لغة غير عالية ، او لغة رديئة ، او مشبوهة ، فهو قد رد بنفسه على نفسه حين نقل عن بعض الثقات ان اهل نجد واهل الحرم يقولون « زوجة » للمرأة ، وان سائر العرب — عدا اهل الحجاز — يقولون ذلك اكثر ، فاهل نجد والحرم وسائر العرب لا يقلون هنا عروبة ولا فصاحة عن بقية اهل الحجاز .

واقتصار القرآن الكريم على زوج وازواج للمرأة ليس حجة على ان هذه الكلمة هي وحدها اللغة العالية ، فتكون « زوجة » لغة غير عالية او لحنا ، وكل ما في الامر ان ما ورد فيه فهو عن اللغة العالية، ولكن كثيرا مما لم يرد فيه لغة عالية ايضا ما دام مرجعه وثيقا عاليا ، ونضيف الى ذلك ما هو معروف من ان المفسرين الاوائل للقرآن الكريم (ومنهم ابن عباس) ، وكثيرا بعدهم — كانوا اذا ارادوا تفسير لفظ فيه او الاحتجاج له استندوا في ذلك الى كلام فصحاء العرب ، ليكون حجة فيما يقولون .

ثم نلاحظ ان كلمة زوج ، — حيثما جاءت مفردا او جمعا في القرآن الكريم وصفا لبشر — جاءت واضحة الدلالة على المقصود منها ذكرا كان او انثى ، وهذا ما غفل عنه المتشددون قديما وحديثا، والرجوع الى مواضع هذه الكلمة في آيات القرآن يوضح ذلك باجلى بيان ، ومن ذلك قوله تعالى: قلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة » وقوله : « لهم فيها ازواج مطهرة » وقوله : « ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون »وقوله« وان اردتم استبدال زوج مكان زوج ، وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا ، اتاخذونه بهتانا واثما مبينا » وقوله : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » وكل هذا يدل على ان المقصود بالزوج والازواج هو المرأة والنساء ، او الزوجة والزوجات .

ولنفرض ان كلمة زوج لم ترد في اي كلام فصيح ، ثم اصطدمنا بموقع يلتبس بين الذكر والانثى ، كما اصطدم قبلنا الفقهاء الذين اشار اليهم الفيومي فيما نقلنا عنه هنا ، فما هو المخرج لتجنب الالتباس ؟ لا مخرج الا كما خرج هؤلاء الفقهاء ، فالزوج للرجل والزوجة للمرأة.

وحجتنا الكبرى في ذلك هو الرجوع الى الاساس الاعمق والارسخ ، فنسأل : مافائدة الكلام ؟ ان الفائدة الكبرى للكلام هي ايضاح مانريد ايضاحه ما استطعنا ، ليفهم غيرنا عنا ما نريد ان يفهمه دون لبس بقدر الاستطاعة ، وواجب اللغة — اي لغة — ان تمكن المتكلم بها من ذلك، والا كانت قاصرة او ناقصة ، وهذا عيب في اللغة شنيع يجعلها اشبه بالرطانات ، فهل نرضى للغتنا هذه الوصمة ؟ او هل نتطوع بها للغتنا دون اضطرار وهي براء منها ؟ بل ان هذا ما لا يريده المتشددون، بل انهم يفرون منه اسرع فرار ، وينكرونه اشد انكار ولكنهم بتشددهم هذا ونحوه ، يقعون فيما يفرون منه وهم لا يشعرون ، ثم ان حجتهم في تشددهم ضعيفة او عاجزة او فجة .

ودون توسع في بحث التذكير والتانيث في لغتنا نقتصر على ما يزيد موضوعنا وضوحا ، فنشير الى ان كل اللغات اعلاها وادناها — تهتم بالتفرقة بين المذكر والمؤنث ، ولا تعرف اي لغة بين ارقى اللغات تشابه لغتنا في اهتمامها بهذه التفرقة، حتى ان هذه الظاهرة متحققة في المبهمات : كالضمائر ، واسماء الاشارة ، والاسماء الموصولة، كما تراها في الافعال والاسماء والصفات على انساق محبوكة مطردة .

(١) المصباح المنير (مادة : زوج) وقد نقل ذلك عنه الزبيدي في معجمه « تاج العروس » مع تصرف يسير .

حوار القراء

أين مجامع اللغة العربية

● تصادفنا في كثير من الاحيان كلمات أجنبية في معظم وسائل اعلامنا مثل ايديولوجية ـ ديناميكية ـ ميتافيزيقية ـ رومانتيكية ـ جيولوجية .. وكلما قرأت كلمة من هذه الكلمات تعتريني ثورة على مجامعنا العربية التي لا تحرك ساكنا ازاء هذه الظاهرة العجيبة لعلمي ان اللغة العربية غنية بالمفردات التي تستطيع ان تستوعب كل هذه الكلمات الاجنبية .

يوسف الملاح

الموصل ـ العراق

◇●◇

أبناء الضفة الغربية والتعليم الجامعي

● من ضمن المشاكل التي يعاني منها ابناء الضفة الغربية التي ترزح تحت الاحتلال الاسرائيلي ، هي مشكلة اكمال تعليمهم الجامعي .. وليس امامنا الا اسماع صوتنا لاخوتنا العرب كي يتعاطفوا معنا معنويا وماديا بعد ان كدنا نحرم من التعليم الجامعي .

فهل من مجيب ؟

معتصم ب.ع

الضفة الغربية ـ فلسطين

ما هكذا تكلمت الحيوانات ؟

● ورد في مقال الاستاذ الشاروني الذي نشره العربي في عدد ٢٢٨ تحت عنوان (عندما تكلمت الحيوانات في التراث العربي) ما يأتي : « ولعل كتابي « فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء » و « مرزبان نامه » لمؤلفهما ابن عربشاه من ادباء القرن التاسع الهجري آخر كتابين ظهرا في الادب العربي على نمط (كليلة ودمنه) وقد الف ابن عربشاه الكتاب الثاني بالتركية ثم نقله الى العربية » .

وهذا الكلام يستلزم التصحيح فكتاب « مرزبان نامه » ليس من تاليف ابن عربشاه وانما هو لاحد ملوك طبرستان ويدعى « مرزبان بن رستم بن شروين » . وقد صنفه في اواخر القرن الثاني الهجري ، ووضعه باللغة الطبرية ، ثم نقله في القرن السابع الهجري الى الفارسية سعد الدين الورداني وترجم بعد ذلك الى التركية حيث نقله ابن عربشاه الى العربية . اما كتاب « فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء » فليس ايضا من تاليف ابن عربشاه ، اذ ثبت انه ترجمة اخرى لمرزبان نامه ولكن ببعض التصرف (انظر القصة في الادب الفارسي لامين بدوي) .

وفي غير هذا الموضع يقول (كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا ؟ ولا ادري كيف جزم بذلك ، واي لقمان يعني ؟ وفي التراث اكثر من لقمان ، فهنالك لقمان عاد ، القبيلة اليمنية البائدة ، وهو غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن الكريم ، كما ينص على ذلك الجاحظ وغيره ، والاخباريون يجعلون الاول يمنيا والثاني يربطونه باحد حكماء بني اسرائيل وليس هنالك من يلحقه بطائفة العبيد بل يصفونه بانه كان عملاقا كبير الراس قويا قوة خارقة حكيما حكمة بالغة ، اما (امثال لقمان) المطبوعة في كتاب ، فليست للقمان عاد ولا للقمان الحكيم ، وانما هي محض تلفيق منسوج . (انظر كتاب العصر الجاهلي لشوقي ضيف /٤٠٦)

جامعة عدن

● سرنا ان نرى استطلاعا في العربي عن جامعة صنعاء .. ونامل ان نقرأ استطلاعا عن جامعة يمنية اخرى هي جامعة عدن .

حسن سالم الكسادي

المكلا ـ اليمن الديمقراطية الشعبية

التاريخ يعيد نفسه

● هذه الفقرات نشرها المرحوم الدكتور أحمد زكي رئيس تحرير العربي في « حديث الشهر » (يناير ١٩٧٠) وهي تكاد تكون قراءة لما يجرى الآن . أرجو أن تنشروها للتذكرة والذكرى .

اللاذقية ـ عدنان الحمصي

« انـي أرى الجماهير في غفلة عما يريد الاعداء بهم ، وكاد كل ذى خطر في الدنيا ان يكون لهم عدوا ، وحتى من ليس له خطر .

ان الشعوب العربية لو درت ما يريد اهل الاحقاد من زعماء الارض بها ، لعز نومها ، ولما استطاع ان يعبث بالوحدة العربية اليوم عابث من بينها .

كل خلاف يتصاغر الى جانب قضايا المصير . وكل أذن لا بد ان تنفتح وسعها ، فتسمع وتطيع ، في كل ما يتصل بقضايا المصير . وليس أحد فوق أن يسمع وأن يطيع ما اجتمعت عليه الامة ، أو اجتمعت عليه الكثرة .

ولا يخدعن عربي بما يجرى على مسارح الدول الكبرى . انها رواية ذات فصل واحد . خدعونا فجعلوا منها فصولا . قرار مجلس الامن في نوفمبر ١٩٦٧ ، ثم اجتماع الدول الاربع الكبرى ، ثم اجتماع الاثنتين الكبريين ، ثم المبعوث يارنج ، وتنمضي الاشهر الستة ، فتبدأ الستة التالية باجتماع الاثنتين الكبريين ، ثم المبعوث يارنج .. وهلم جرا .

وفي اثناء ذلك يقدم السلاح للاعداء ، ويقدم المال ، ويقدم العتاد .

ثم هم يحاولون ان يحيكوا بين الدول العربية ما يحيكون .

ومن آخر حياكتهم تلك العروض التي ارسلت للدول العربية المواجهة للاعداء ، تعرض على كل حلا مفردا . وبالتمريق تؤكل الاغنام .

وسخروا بعقول العرب . قالوا فيما قالوا : ان الضفة الغربية ترد الى الاردن ، ولكن تبقى بلا سلاح ، ويكون للعدو فقط مراكز للحماية . فان وقع هذا فلن يبقى في الضفة عربي واحد بعد خمس سنوات ، انها سياسة التهجير المعروفة ، على السلم ، وتتم بغير مؤونة ، وبغير سلاح .

وكذلك ارادوا ان يمنعوا السلاح عن سيناء بعد رد سيناء بغير سلاح ، وسلاح رابض على الضفة الشرقية من سيناء ، يتسللون به اليها ، يقيمون ، ويستعمرون ؟ ولقد اصبح التسلل في العصر طريق اكتساب الحق فيما يختلف عليه الناس من ارض . ارض بغير سلاح ، عطاء بغير جزاء . »

ويذكر الكاتب في موضع آخر ان ابن ظفر الف كتابه « سلوان المطاع في عدوان الاتباع » على لسان الحيوان وعلى غرار « كليلة ودمنة » ، والحقيقة ان بعض قصص هذا الكتاب فقط تدور حول الحيوانات حيث يوردها ابن ظفر من خلال تجاربه الذاتية . ويذكر ايضا ان ابن الهبارية الف كتابا يقلد فيه كليلة ودمنة ، وهو كتاب الصادح والباغم ، والقول الدقيق انه منظومة شعرية تقع في الف بيت ، وليس كتابا نثريا .

وهو يجعل اسم الكتاب الذى عارض فيه سهل بن هارون كليلة ودمنه (شعلة وعفراء) والصحيح هو (ثعلة وعفراء) بالثاء وليس بالشين . وكان من الاجدر ذكر كتابه الاخر (النمر والثعلب) فالاول مفقود والثاني مطبوع حديثا .

اللاذقية ـ احسان جعفر

روائع الفن الاسلامي

● استنت مجلة العربي سنة حميدة ..لاقت من القراء استحسانا .. وتمثلت هذه السنة بادىء ذى بدء بلوحات على الصفحة الثانية تحت عنوان « حضارات سادت ثم بادت » ثم شغلت هذه الصفحة بروائع الفن العالمي فطغت الاعلانات التجارية على هذا الحيز المحبوب فشغلته . لماذا لا تخصص هذه الصفحة لروائع الفن الاسلامي ، فتنشر عليها تلك الاعمال الفنية التى ازدهرت وترعرعت فى رحاب الاسلام ، كأعمال الزجاج والسراميك والسجاد والخط العربي والمآذن والقباب .

فهل انتم فاعلون ؟

الكويت ـ وليد الحاج

حزب «التبرير» العربي !

● حزب التبرير «العربي» الذى تحدثتم عنه فى عدد يناير الماضي هو فرع نشيط من حزب التبرير العربي الواسع الانتشار فى الوطن العربي . ليس رجال الدين وحدهم هم الذين يتطوعون لتبرير كل موقف وبيعه للناس فى اغلفة براقة ، لقد اصبحت المؤسسات والقيادات الفكرية تؤدى دورا اساسيا ورئيسيا فى عملية التبرير هذه . حتى لم نعد نسمع الا وجهة نظر واحدة وصوتا واحدا برؤية واحدة . ابحثوا معى عن بقعة ولو صغيرة على خريطتنا نستمع فيها الى وجهتى نظر متعارضتين، او بالدقة وجهة نظر الرأى الرسمي السائد .

والفضل لحزب التبرير العربي ، لذا لزم التنويه !

تعز ـ أحمد قائد عبد اللطيف

نحن والاعلام السياحي

● لو اردت زيارة دولة اوربية فما عليك الا زيارة الملحق السياحي لسفارة تلك الدولة او اللجوء الى المكتب السياحي فيها عند الوصول وستجد لديهم من النشرات السياحية مايسهل عليك زيارة جميع الاماكن المهمة فى تلك الدولة بالاضافة الى معرفة كل شيء عن مطاعمها وفنادقها ومسارحها وجامعاتها . وستجد ايضا الخرائط التى توضح لك كل المسالك .

ولايخفى علينا الدور الكبير الذى تؤديه هذه المكاتب فى مجال الاقتصاد بعد ان اصبحت السياحة قناة مهمة من قنوات الاقتصاد .

ورغم ان العالم العربي يزخر بعوامل جذب سياحية حية كثيرة الا ان السائح الذى ياتى الى بلادنا لا يجد لدينا ما يجده السائح فى اوربا .

الا يستحق الاعلام السياحي منا بعض الاهتمام ! ؟

جلال الكرمي
دولة الامارات العربية

الاستفتاء مفتوح

● هل اجريتم دراسة حول الزوايا والابواب الثابتة فى العربي ، وأيها اكثر قبولا عند القراء ؟ واذا لم تكن هذه الدراسة متوفرة ، فلماذا لاتفتحون باب الرأى لتقييم المجلة فى عامها الجديد ، وبذلك نشترك معكم فى الحكم على ما ينشر ، كما اننا بذلك سنتمكن من ان نقول رأينا بصراحة فى شيء يخصنا ويعيش داخل بيوتنا على مدار العام .

تونس ـ توفيق بن عبد الله

ـ نرحب بفكرتك . لكن الدراسة التى تتحدث عنها غير موجودة للاسف . وباب الاستفتاء مفتوح على مصراعيه ونحن فى انتظار رأيك بصراحة ورأى القراء .

ARABIC AND ISLAMIC GARLAND

HISTORICAL, EDUCATIONAL AND LITERARY STUDIES

Presented to

ABDEL-LATIF TIBAWI

by Colleagues, Friends and Students

اكليل غار عربي اسلامي

على هامة الدكتور الطيباوي

تقديم : الدكتور صفاء خلوصي

«اكليل عربي واسلامي من دراسات تاريخية وتربوية وادبية مهداة الى عبد اللطيف الطيباوي من قبل زملائه واصدقائه وتلامذته» هذا الكتاب الذي صدر بالانجليزية اخيرا في لندن له مدلول خاص، فهو ضرب من التقليد الذي دأبت عليه الاوساط العلمية الغربية عندما يبلغ الاستاذ سنا معينة فيعتزل العمل او كما يقول «يتقاعد او يحال على المعاش» فيجتمع فريق من محبيه ومريديه ويقدم كل منهم آخر بحث اصيل قام به، ينشر مجموعا في كتاب قيم يهدى الى المحتفى به.

يبقى هذا الكتاب مرجعا للباحثين يعودون اليه بين الفينة والفينة، علما يقومون بالمزيد من البحوث والدراسات. وكلما عادوا اليه تذاكروا الشخصية العلمية الجليلة التي كتبت من اجلها، وهذا في نظري افضل من نصب يشاد او تمثال يقام، لانه جهد مثمر يصل الحاضر بالمستقبل ويسهم في استمرارية التقدم العلمي والبحث الاكاديمي الاصيل الجاد الذي يساعد على تطور الحضارة الانسانية.

والدكتور عبد اللطيف محمد الطيباوي العلامة العربي الفذ واحد من اولئك الذين استحقوا مثل هذا التكريم. فكان حصيلة ذلك الكتاب الذي بين ايدينا والذي اسهم فيه واحد وثلاثون باحثا من شتى الامصار والاجناس ومختلف جامعات الدنيا، ومع ان معظم بحوث الكتاب بالانكليزية، فان هناك بحثا بالالمانية

للبروفيسور بوتولد سبولر وبحثا بالفرنسية للاستاذ الدكتور عادل عوا ، رئيس قسم الفلسفة بجامعة دمشق عن « لباطنية» واشارة الى بحث آخر باللغة ذاتها للدكتور جان ميشيل عن الصراع بين البعثات الدينية الاميركية والكنائس الارمنية البروتستانتية في تركيا في أواخر القرن التاسع عشر » ولكنه للاسف لم ينشر ضمن المجموعة لدواع صحية قاهرة .

١٦١ مؤلفا وبحثا

وقد استهلت المجموعة بترجمة للطيباوي وسرد لمؤلفاته التي بلغت ١٦١ مؤلفا بين كتاب وبحث، ومن حسن التفات المشرفين على اخراج الكتاب ان يكون البحث الاول فيه عن (الكلية العربية بالقدس) للاستاذ محمود عبيدي من عمان والثاني: «التجمع العربي الثقافي،هل هو رد فعل للاستعمار الاوروبي ؟ » للدكتور ابر هيم ابو نغد ، وتتتابع البحوث الاخرى عن « التعليم في الحجاز ايام العثمانيين وحكم لشريف حسين » و « الباطنية » و « هدف التعليم في المجتمع الباكستاني قبل الحكم الاستعماري » و « البعوث التبشيرية في سياسة الشرق الاوسط » و « النمط الادبي والتركيب الاجتماعي : تاملات في تغير الشعر العربي الحديث » و « حكاية بعثتين تبشيريتين » و « تعليم المراة العربية » و « تركيا لفتاة والعرب ١٩٠٩ ـ ١٩١٢ » و « الثراء والتحول الاجتماعي في الكويت » و « كليات الفقه في النجف الاشرف» و « معروف الرصافي في القدس » (١) و « السياسة والتعليم » و « اعلان العثمانيين الجهاد سنة ١٩١٤ » و «التعليم في العالم العربي» و « تراث العثمانيين من الكتب » و « مشكلات تعليم اللغة الانكليزية وتعلمها في المدارس العراقية » و « اعمال حييم وايزمان العلمية خلال سني ١٩١٥ ـ ١٩١٨ » .

وبينها موضوع مركز جدا اقتصر على صفحة واحدة للدكتور اسحق موسى الحسيني بعنوان: « قصيدة تاريخية » عثر عليها مؤخرا بين اوراق اسرة البديري في القدس وقد نظمها جدهم الاعلى الشيخ محمد بن بدير (١١٦٠ ـ ١٢٢٠ هـ) الذي ذكره معاصره الجبرتي ، المؤرخ المشهور ، مرتين في كتابه : « عجائب الاثار في التراجم والاخبار » (القاهرة ١٢٩٧ هـ) ج٢ ص ٢٠٥ وج٣ ص ٣٥٦ ونعته بشيخ علماء القدس او بالاحرى الديار المقدسية قاطبة واشار الى علاقته بالسيد المرتضى الزبيدي صاحب (تاج العروس) .

ويذكر لنا الدكتور الحسيني ان ابن بدير امضى عشرين عاما في الازهر الشريف واصبح من مريدي شيخ الخلواتية ، الذي بعثه الى القدس لنشر دعوته والتبشير بمذهبه هناك ، وكان ابن بدير اديبا وشاعرا وقد عثر له الاستاذ الحسيني على قصيدة بمائة وسبعة وخمسين بيتا ، نظمها على اثر اندحار نابليون عند اسو ر عكا مستهلا اياها بتمجيد الانتصار العثماني والاستهانة بالفرنسيين ونقد المصريين الذين خدعوا باباطيل نابليون وخدعه ، ولعل اجمل ابياتها على راى الدكتور اسحق هي تلك التي يمدح فيها و لي عكا احمد باشا الجزار مقارنا المعركة التي خاضها ضد نابليون مع معركة بدر الخالدة ، ناعتا المدافعين عن عكا بنعوت افضل مما يستحقه حجاج مكة المكرمة .

وباعتقاد الاستاذ الدكتور الحسيني ان القصيدة تتحدى الترجمة الى الانكليزية ، فيكتفي بترجمة البيتين الاولين فيها، وايا كان الامر فقد كنا نود أن نرى ترجمة كاملة لهذه القصيدة الملحمية بالانكليزية حتى وان كانت ترجمة حرفية ، لانها اكتشاف يفتخر به ، ومصدر من مصادر البحث للمؤرخين الاوربيين بسيرة نابليون ، ولابد من اعطاء صورة عن بطولة العرب في قهر اله من آلهة الحرب في عنفوان مجده ، فاحمد باشا الجزار في نظري اعظم من الدوق ويلنكتون ، لان الجزار قهر نابليون في عز شبابه وهو ممتلىء طموحا وغرورا وفي بدء مغامراته العسكرية،في حين ان ويلنكتون قهره في كهولته وقد داهمته الامراض والشيخوخة المبكرة وفنيت زهرة شباب الجيش الفرنسي .

عن الجاحظ والمعرفة

وهناك ايضا موضوع طريف آخر بعنوان :

(١) لموضوع أسهام من كاتب هذه السطور لتكريم الدكتور الطيباوي .

هذا هو الدكتور الطيباوى



الاستاذ عبداللطيف الطيباوى احد الرواد الاوائل فى الدراسات الاكاديمية، يظهر دوره فى العديد من الدراسات والكتب والمقالات التى اصدرها ، وهو معروف جيدا فى الغرب الذى قضى فيه فترة طويلة استاذا ومحاضرا فىالجامعات الغربية .

ولد عبد اللطيف فى قرية الطيبة بفلسطين فى ربيع عام ١٩١٠ ، ومثل ابناء جيله حفظ القرآن الكريم فى « كتاب »القرية على يد الشيخ خليل ابراهيم ، وانتقل الى مدرسة طولكرم ثم التحقبالكلية العربية فى القدس . وهناكتتلمذ فى علم التاريخ على الاساتذة درويش لمجدوى واحمد سميح خالدى ..

وبرزت قدرته على البحث والتحصيلفى مرحلة مبكرة ، فعندما اقامت مجلة « الهلال »القاهرية مسابقتها فى عام١٩٢٥ ، فاز بالجائزة الاولى وكانت مقالته حول ادق « اللحظات » فى التاريخالمعاصر للشرق الادنى ، واختارت مقالته لجنةمكونة مناحمد تيمور باشا وعبدالحميدالبكرى والشيخ مصطفى عبد الرازق والدكتور منصور فهمى ..

وفى عام ١٩٢٦ حصل على منحة دراسيةفى الجامعة الامريكية بيروت لدراسة التاريخ واللغة . وخلال فترة الدراسةنشر العديد من المقالات والابحاث واصدر كتابا حول « التصوف فى الاسلام »نشره الكاتب اسماعيل مظهر فى القاهره .

وفاز خلالدراسته فى الجامعة الامريكيةبمسابقتين احداهما «النصارى فى عهد كل من النبى محمد وأبى بكر وعمر» والثانىبحث تاريخى عن « اخوان الصفا ».

وعمل عبداللطيف بعد تخرجه فىحقل التعليم كمدرس للتاريخ فى رام الله ، وسريعا ما احتل اهم منصب تربوى فىفلسطين وعمره ٣١ عاما ..

ودعى لزيارة بريطانيا لمدة ستة اشهر للاطلاع على نظام التعليم البريطانى ، وجاءت الدعوة عشية قرار الامم المتحدةبتقسيم فلسطين ، وبعد نهاية الدعوة عمل مساعدا لرئيس تحرير البرنامج العربىفى الاذاعة البريطانية ، ثم عاد الىالعمل الاكاديمى الذى يعشقه فعمل محاضراودارسا فىجامعة لندنللتعليم University ci mdnna Insutu.e of Education . وحصلمنها علىالدكتوراه واستمر يعملبها حتى احيل الى التقاعد ، وخلال هذهالفترةاختير استاذا زائرا فى جامعة هارفارد لمدة ثلاثة اعوام .

« جناح بعوضة او راى الجاحظ فى تقدم المعرفة» للاستاذ الدكتور طريف الخالدى من قسم التاريخ فى الجامعةالامريكيةببيروت ، وقد اوضح الباحث ان الجاحظ عاش فى عصر ارتفاع نسبة انتاج الكتب ودعا الى تدوين المعرفة خشية ضياعها وكان مؤمنا بالعقل التجريبى اكثر منه بالعقل التاملى ، والتعلم فى نظره نتيجة لتكرار التجربة اكثر من التفكير ، وعلى هذا فالانسان يتعلم

بدرجات وعلى مراتب كما يتعلم الكلب او الحصان بتكرار التجربة الى ان تتجمع تجارب كافية تسمح له بالادراك والتمييز ، وتخضع هذه العملية للمعوقات والضغوط السلوكية والنفسية والجسمية ، والافكار تاتي وتذهب ومنها ما هو ملهم او غير ملهم ، سريع او بطيء ، ولكن«صحة العقل » هي التي تقرر في النهاية ايها خليق بالقبول وايها جدير بالرفض .

وكان الجاحظ ، رغمانه عاشفي فترة الاستنارة والبحث العلمي ، دائم الشكوى من اوضاع المثقفين من معاصريه فالحماس الذى نلمسه في كتبه الاولى ينحسر تدريجيا ليترك مجالا للشعور بالعزلة المتزايدة حيث يحس بان جمهوره قدتقلص ولم يعد ذلك الجمهور العام الذى كان يخاطبه على على اوسع نطاق ، بل غدا حلقة زملائه الباحثين، وفي ملاحظاته عن ظهور الفقه الاسلامي وتدهوره يشير الى مناقشات الامة ومجادلاتها في مستهل امرها وكيف انها تدهورت بالتدريج الى ما يمكن ان يسمى (كفرا) في ايامه مشوبا بالعاطفة القومية او التذمر الاجتماعي ، وعلى رايه : لا معرفة بلا تراث ، فبدونه تتضاءل المعرفة ويجمد العقل ، فباضافة ما نقدمه من جديد لتراثالماضي تتقدم المعرفة وتخطو الى الامام ، ولا حد للمعرفة فهي لا نهائية ! وهكذا شاء الله (لعقل التجارب) الا يعرف حدودا ولا يخضع لعقبات ومعوقات ، وقد اكتشف الانسان الكثير من المعاني الخفية (اوالعبر)فالحاضراكتشفاكثر منالسالفوسيكتشف المقبل اكثر من كليهما جميعا ، وتعكس لفظة (العبرة) في ذهن الجاحظ محتوى التقدموالتطور، وهي لفظةاصبحلها تاريخ عريق في الفكرالاسلامي وهي مثل واحد من عديد الامثلة لتاثير الفكر الجاحظي على الاجيال التي اعقبته واستفت من معينه .

وبتشديده على العلم التجريبي اختلف مع الكثيرين من زملائه « المعتزلة » ، وبفهمه للعلم وتعطشه للمعرفة راح يبحث في أبسط الكائنات فضلا عن اشدها تعقيدا ، وعلى ذلك يكون حتى جناح بعوضة موضوعا للفهم والاستقصاء مدى الحياة .

بهذا الاسلوب السهل الممتنع يدبج الدكتور

(بقية) عندما كان المحتسب مسئول النظافة !

الماء يزيدهما زفرة ونتونة ، واذا بات في دكاكينهم شيء من ذلك فلا يخلطونه بالطرى المقطوع في اليوم . وينهاهم المحتسب عن بيع ما دود من البطيخ والقثاء والتين والرطب ، وما قد تناهي نضجه حتى تهرى قشره من ذلك ومثل الباقلانيين ، ينهاهم عن بيع ما سوس من الباقلا والحمص ، وعن خلط ما بقى عندهم من أمس فيما سلقوه اليوم ، ويأمرهم أن ينثروا عليه الملح المسحوق والصعتر ، ليدفع مضاره ، ويتفقد مكاييلهم .

ومثل الغسالين ، ينهاهم المحتسب عن غسل ثياب الناس بالماء المطبوخ فيه القلى (نبات تؤخذ منه مادة ملحية كانت تستخدم في الدباغة) والنور (الجير الذى لم يصبه ماء) والنطرون . فان ذلك يضر بالملابس ويبليها سريعا ، ويولد فيها القمل والصيبان . ومثل السقائين واصحاب الروايا والقرب ، فانه يأمرهم بالدخول في النهر ، حتى يبعدوا عن الشط ومواضع الاوساخ، ولا يستقون في النهر بقرب من سقاية للدواب أو مستخدم أو مجرى حمام ، بل يصعدون عنه أو يبعدون من تحته ، ومن اتخذ منهم رواية جديدة أمره المحتسب بنقل الماء الى معاجن الطين أياما . ولا يبيعه للشرب، فانه يكون متغير الطعم والرائحة من أثر الدباغة والزفت فان زال التغير أذن له المحتسب ببيعه للناس للشرب والاستعمال » .

حجة ورد

بعد هذا قد يؤكد أحدنا قائلا : نحن في العصر الحاضر نتحرى النظافة أكثر من القدماء ... نظرا لمعرفتنا بوسائل التعقيم وانواع المطهرات والمبيدات ، وأولئك كانوا يجهلونها .. ومعظم أطعمتنا وأشربتنا ، والاشياء التي نستخدمها تهيأ بواسطة طرق علمية حديثة في المعامل والمصانع أو في غير ذلك ـ دون أن تمسها الايدي ـ وتستخدم أساليب شتى لتعقيمها وتطهيرها قبل وضعها جاهزة قيد الاستهلاك ـ أما

الغالدى موضوعه عن الجاحظ ليقدمه هدية موشاة الى صديقه في العلم وزميله في المعرفة الدكتور الطيباوى لتكون زاده في معتزله العلمي الرائع.

لكن عصريا ولـكن ..

ولم تقتصر البحوث التى ضمها الكتاب المهدى على الادب والتربية والتاريخ ، بل تعدت ذلك الى السياسة والاقتصاد والاجتماع ، فكشكول متصوف العلم وراهب المعرفة قد حوى رحيق ازهار احدى وثلاثين روضة غناء وليس بمقدورى ان اقدم ملعقة من كل رحيق لفم كل قارئ ، وانما بميسورى ان اقدم نهلات عجلان ، وما عليه بعد ذلك الا ان يعمد بنفسه الى الكشكول فيكتشف بنفسه ما كتمت عنه من اسراره .

ولاختم استعراضي هذا بكلمة عـن موضـوع الاستاذ جوزيف لويريس الاستاذ السابق لعلم التربية المقارن ورئيس قسم التربية بجامعةلندن، وعنوان هديته العلمية : « السياسة والتربية » وقد استهوانى بصورة خاصة المبدأ التربوى ــ السياسى القائل :

« كن عصريا باسرع ما تستطيع ، ولكن افعل ذلك بروح استقلالية،تتبع المثل الاعلى فيالاعتماد على الذات ولا تتحرج من محاكاة الاخرين ولكن لاتركن اليهم كل الركون ! » .

ويعقد الباحث مقارنة بين البلاد العربيـة واليابان ويضرب لنا مثلا من تقدم الاخيرة رغم العقبات الطبيعية اذ يكاد ٨٠٪ من بلاد اليابان يكون جبليا لايصلح للزراعة ولكن الله حباهـا بالمستوطنات العديدة القريبة من السواحل والتى يسهل الاتصال فيما بينها بطريق البحر ،فضلا عن روح الجد والنشـاط والحـذق الصنـاعى ، وقد خلقت التربية السياسية الرصينة ،مـن اليابان ما يمكن لمثيلتهاان تخلق من البلادالعربية.

وبعد، فهذه القلادة التكريمية التى تعلق اليوم في عنق الاستاذ الدكتور الطيباوى ليست ايذانا بنهاية حياته العلمية بل رمزا لانقضاء مرحلة واستهلال اخرى جديدة لاتقل عنها عطاء ان لم تبزها روعة وجلالا . ■■

اكسفورد ــ صفاء خلوصي

التى لا تخضع للصنع أو التحضير المسبق كالخضراوات والفواكه الطازجة وسواها ،فنعقمها ونطهرها يدويا قبل تناولها ..

ونقضي يوميا بالمبيدات على أعداد هائلة من الحشرات الضارة .. ولا يخفى أن بعض تشريعات الدول لدينا تتضمن نصوصا تحض فيها المواطنين على النظافة ولا سيما الذين تتعلق صناعاتهم بمعاش الناس كالمآكل والمشارب .

لا ريب أن هذا القول له نصيب من الصحة للمدافع عن نظافة بيئتنا .. ولكنه مع ذلك قول مردود فالتقنية في بلادنا بصنع الاطعمة والاشربة ما زالت فتية على عكس ما هو مطبق في الدول المتقدمة .. واغلب هذه المصنوعات يجرى تحضيره يدويا .

واذا كانت المطهرات متوفرة بين أيدينا لكن اكثر الناس منا لا يستعملها . واهمالنا في ذلك سببه امران أولهما : اعتقادنا « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » دون أن نتذكر ما ورد في القرآن الكريم أيضا « ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » أو قصة ذلك الاعرابي المتواكل الذى قال له النبي العربي (ص) بشان دابته « اعقلها وتوكل ». وثانيهما : غرورنا بعلم الطب الذى كاد يضع لكل داء دواء ، ولكل مرض علاجا فبات أحدنا يستهتر بتطبيق أبسط قواعد الصحة على نفسه وعلى غيره ما دام الطب كفيلا بالشفاء ، وقد نسي هؤلاء أن « درهم وقاية خير من قنطار علاج ».

اما تشريعات الحكومات لدينا بخصوص النظافة فهى تعنى بظاهر النظافة دون مضمونها ، وشكلها دون تفاصيلها ، وهي لا تحتاط للنظافة مسبقا ــ كما في نظام الحسبة ــ انما تتضمن مخالفـات وعقوبات لمن يهمل تطبيقها بعد وقوع المحذور .

اذا فلتكن لنـا في أجدادنا أسوة حسنـة في النظافة . ■■

زهير طمان ــ حلب

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠٠ أما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتي تفــوز بواحــدة من الجوائز التى مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثـانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ٠

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت «مسابقة العدد ٢٣١ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول ابريل (نيسان) ١٩٧٨ ٠

اثنان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد فى (٨) أفقيا اسم قائد عربى شهير ، كما ستجد فى (٨) رأسيا اسم خليفة أموى معروف ٠

كلمات افقية :

(١) من سور القرآن الكريم ـ طائر ٠

(٢) عند ـ من علوم اللغة ـ مسح ٠

(٣) ظهر ـ التدريبات ـ سئم ٠

(٤) فظائع ـ من عند الله ـ رمز حلف شمال الاطلنطى ٠

(٥) تبرهن ـ فهموا ـ يعنى ٠

(٦) للنداء ـ فرد ـ رخو ٠

(٧) حركات غير ارادية ـ قنوط ٠

(٨) قائد عربى شهير ٠

(٩) حشرات ـ من المحيطات ـ اخفيها ٠

(١٠) من الاقــارب ـ حــرف ندبة ـ قصرت ـ للتعريف ٠

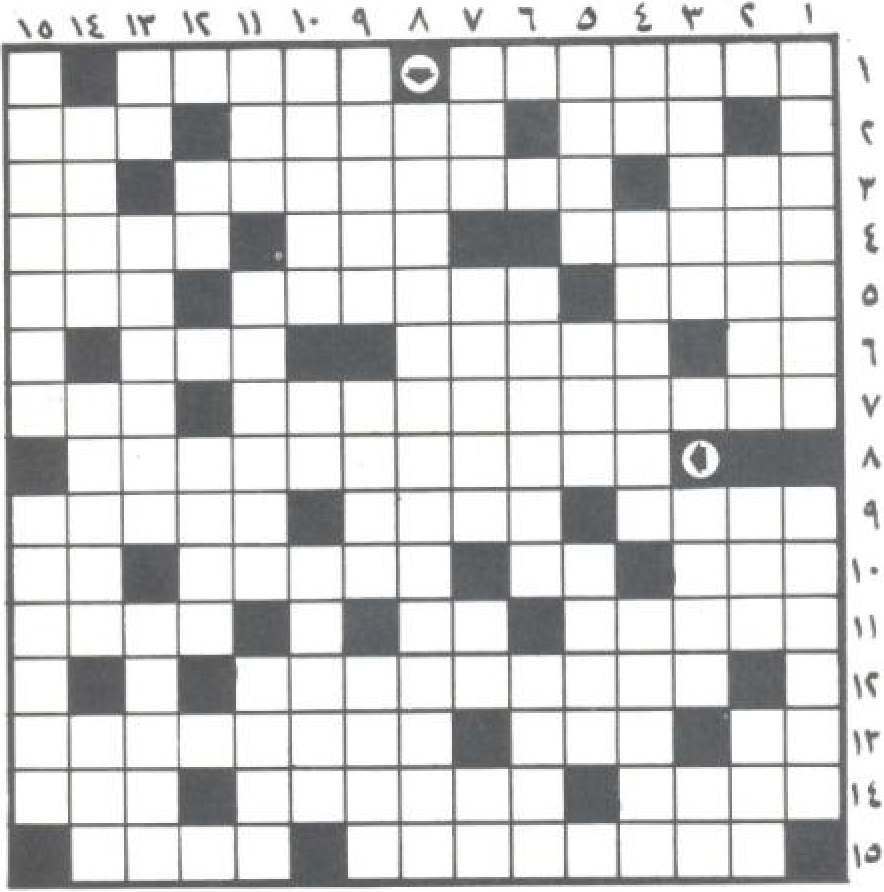
(١١) عاصمة بوليفيا ـ حرف استفهام ـ آلة موسيقية وترية ٠

(١٢) وزير من الدولة البويهيــة ومن ائمة الكتاب له « رسائل » شهيرة ٠

(١٣) نصف كلمة (والتى) ـ تجدها فى كلمة (صدفة) ـ الاسم العربى لحامض الكبريتيك ٠

(١٤) ملاذ ـ يساعدهم ـ اعترف ٠

(١٥) لوحة شهيرة لدافنشى ـ تقصد ٠



كلمات راسية :

(١) دولة أوربية ــ من العناصر الكيميائية ٠

(٢) افراش ــ حرمه الدين ــ للكتابة ٠

(٣) لحبك النسيج ــ اخير ــ طقس ٠

(٤) احصى ــ من اجزاء الذراع ــ اجسام ٠

(٥) عملة عربية ــ راية ــ ثقله ٠

(٦) احطمها ــ من أوقات النهار ٠

(٧) مر ــ آله موسيقية ــ حرف استفهام ــ نصف كلمة (عيون) ٠

(٨) خليفة أموى معروف ٠

(٩) يكاتب ــ اسم شهرة ــ فرعون مصرى شهير٠

(١٠) اديب انجليــزى ومؤلف « تامبــورلان العظيم » ــ نصف كلمة (سائد) ــ قاتلة ٠

(١١) رفض ــ من أوجه القمر ــ استمرت ٠

(١٢) حرفان متشابهان ــ احصته ٠

(١٣) ضمير ــ البطل الطروادى الذى بقى حيا بعد الاستيلاء على طرواده ــ من الاشجار ٠

(١٤) صانته ــ انباء ــ احفظ ٠

(١٥) مكتشف جغرافى شهير ــ من الثمار التى تدخل فى صناعة السكر ٠

كوبون مسابقة
العدد ٢٣١

رائد المسرح الغنائى العربى

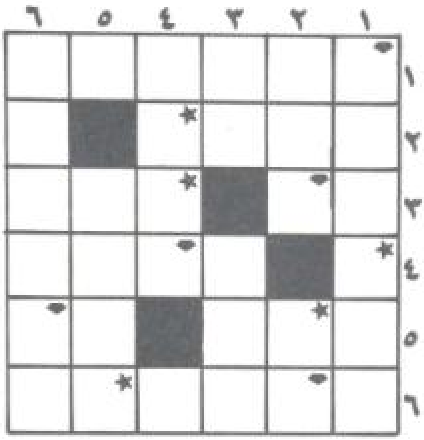
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لواحد من رواد المسرح الغنائى العربى • ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه •

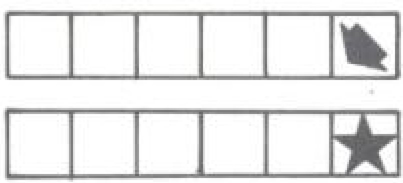
الكلمات الافقية :

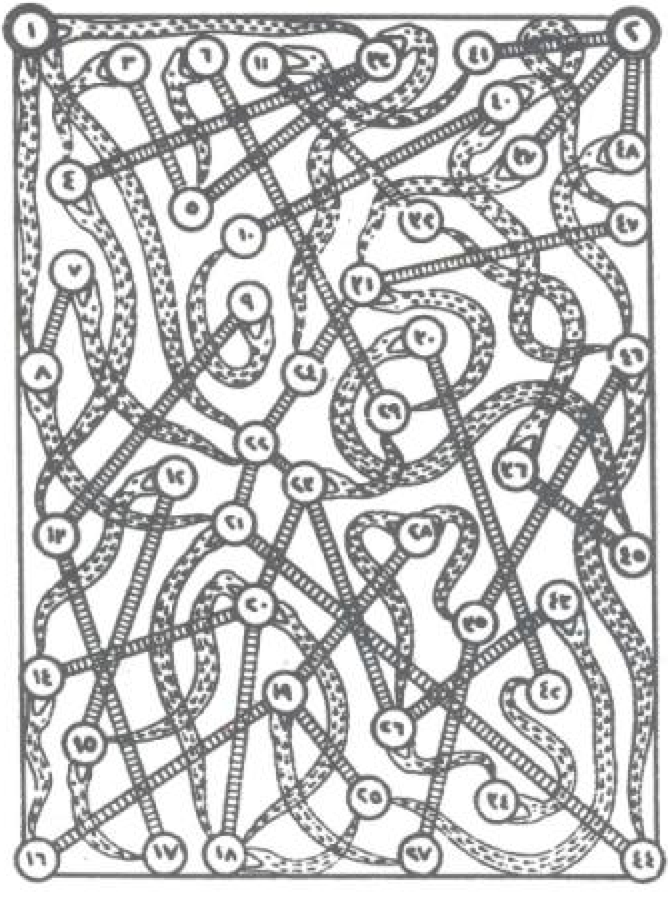
(١) شاعر لبنانى معاصر •
(٢) من الاطباء •
(٣) نصف كلمة (رهيب) ــ رجاء •
(٤) تبدى الكرم •
(٥) وضع الحبوب فى الارض ــ اصلح •
(٦) الهادىء •

الكلمات الراسية :

(١) بطل معركة اكتيوم •
(٢) جوهرة ــ سقط •
(٣) حرف ندبة ــ فى الساعة •
(٤) معدن هام فى الصناعات •
(٥) من العاملين فى حقل الفن السينمائى •
(٦) ابنة هيروديا التى طلبت راس يوحنا •







الثعابين والسلالم

لعبة « السلم والثعبان » لعبة شائعة منذعصر البابليين في سنوات ما قبل الميلاد . والمطلوب في حالتنا هذه ان تنتقل من رقم (١)اعلى اليسار ، الى رقم (٢) اعلى اليمين . وذلك بشرط ان تهبط داخل الثعبان ، من فمه ، وتصعد على السلم (علما بان الهبوط داخل الثعبان ، قد يؤدى الى الارتفاع الى اعلى الصفحة فى بعض الاحيان) . وعليك ان تنتقل من دائرة الى اخرى بحيث تصل الى الدائرة رقم (٢) فى ١٦ حركة (ارقام الدوائر موضوعة بلا نظام لتستخدمها فى متابعة الحل).

• بالعقل فقط •

استاذ نبيه يسال :

أين ذهب محمود ؟

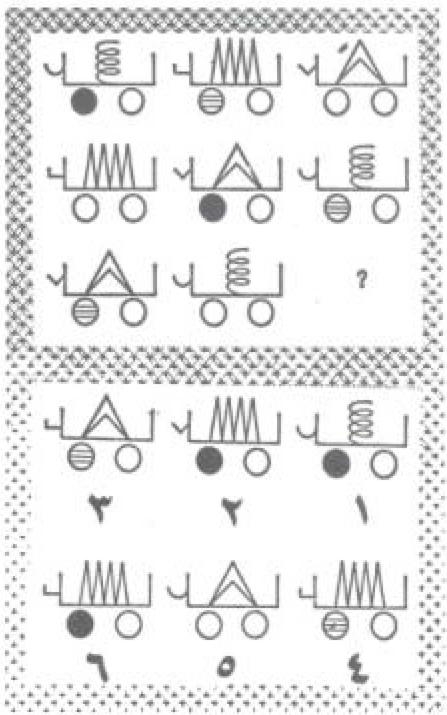
دخل الاب على ابنائه وسال « أين محمود؟...» .

قال على «لم يدخل هذه الحجرة منذ الصباح» . وقال حسن « لقد خرج من المنزل » .

اما سامية فقد قالت « ذهب ليلقى بخطاب في صندوق البريد » ، فاحتج كامل قائلا « لا .. بل ذهب ليقابل صديقته . واعترضت علياء قائلة « هذه كذبة ! ...» .

اذا كان واحد فقط من الابناء هو الذى كذب، بينما قال الاخرون الصدق ... فاين ذهب محمود ؟ .

• حاول أن تعرف •



الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى فى كل من الصفين العلويين ، حاول ان تعرف اى الاشكال ذات الارقام يجب ان يحل محل علامة الاستفهام .

الفستان والوردة

اشترت سيدة فستانا بحلية من الورد الصناعى بمبلغ خمسة جنيهات فاذا كان ثمن الفستان اكبر من ثمن الحلية بمقدار اربعة جنيهات .

فما ثمن الحلية وحدها ؟ .

الحلول

النجمة والسهم :

سلامة حجازى .

استذ نبيه يسال :

ذهب محمود ليلقى خطابه فى صندوق البريد.

الثعابين والسلالم :

١ ـ ٨ ـ ٢١ ـ ١٨ ـ ٢٥ ـ ١٩ ـ ٢٨ ـ ٢٦ ـ ٣٤ ـ ٤٢ ـ ٣٠ ـ ٤٥ ـ ٣٦ ـ ٣٢ ـ ١١ ـ ٤١ ـ ٢ .

الفستان والوردة

ثمن الحلية نصف جنيه .

الشكل المطلوب :

الشكل المطلوب هو الشكل رقم (٦) .

فودن

جرار سوبر هولماستر
متانة معتمدة، قوة واداء

. جرار سوبر هولماستر، ٦٥ طنا، وحدة فودن بثلاثة محاور، صمم للقيام باعمال النقل والانشاء الاكثر صعوبة، في اي مكان من العالم، جرت هندسته ليكون ذا اعتمادية كاملة حتى في اقسى ظروف التشغيل.

هيكل متين، ساقة محورية قدرها ٤٠ طنا، محرك كمنز NTCE 290، صندوق تروس فودن ذو ٨ سرعات، وعربة نقل منخفضة بادارة مزدوجة، بالاضافة الى حجرة لضبط الميل مصنوعة من الفولاذ لتأمين راحة ممتازة للسائق واقصى امكانية وصول – تلك هي الخصائص التي توفر القوة والاداء لجرار فودن



الرجاء ان ترسلوا لي التفاصيل عن جرار فودن هولماستر اكسبورت رانج

الاسم ______
الوظيفة ______
الشركة ______
العنوان ______
______
للتشغيل في ______

Export Sales Manager
Fodens Limited
Elworth Works Sandbach
Cheshire England
Telephone 09-367 3244

مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

اول فبراير ١٩٧٨

١٠١ / ٢

من الأعمال المختارة

يوجين اونيل - ٢

• وراء الأفق • انا كريستي

ترجمة وتقديم : د. عبد الله عبد الحافظ متولي

مراجعة : د. محمد سمير عبد الحميد

إن لم تملك أبداً عربة رافعة من إنتاج كاتربلر، كيف تعلم أنك تملك أفضل منها؟



اطلب الحقائق من « كاتربلر »

الخبرة : إن سمعة كاتربلر الطيبة التي تستند إلى ٥٠ عاماً من التجارب في صنع الآلات ، فضلاً عن ضمّها الى مجموعة شركاتها شركة « توموتر » الرائدة في ميدان العربات الرافعة ، تضع ثروة طائلة من الخبرة الاختصاصية وراء التشكيلة الحالية .

الجودة : بعد ارتيادها ميدان الشاحنات الساحبة في ١٩١٩ واستنباطها واحدة من أول العربات الرافعة العادية في ١٩٣٣ ، تقوم كاتربلر الآن بصنع ماكيناتها في ١١ بلداً وفي ١٩ مصنعاً ، بما في ذلك مصنع جديد للعربات الرافعة حيث يختص رجل واحد من كل ٧ رجال يعملون على خط الانتاج في ضبط الجودة والتأكد من الاتقان .

الهندسة : بعد انفاق مبالغ طائلة على الابحاث والتطوير والهندسة ، تستخدم الشركة حالياً أكثر من ٤٠٠٠ من العلماء والفنيين في ميدان البحث وحده من أجل انتاج عربات تعمل بطريقة أفضل وذات قيادة أسهل ، وعمر أطول .

دعم المنتجات : بفضل ٢٣ مستودعاً رئيسياً لقطع الغيار و ٩٠٠ مركز للخدمة ، جميعها مرتبطة بالكومبيوتر في ١٢٠ قطراً ، تستطيع شبكة موزّعي كاتربلر المحليين ان تحافظ على حسن أداء هذه العربات الرافعة في جميع أرجاء العالم .

مجال العمليات : تقدم كاتربلر ٤٦ طرازاً مختلفاً من ٢٠٠٠ إلى ٦٠,٠٠٠ (١٠٠٠ إلى ٢٧,٣٠٠ كغم) مع إمكان اختيار محرك ديزل أو بنزين أو كهرباء أو غاز البترول السائل .

أما إذا لم تنحدر عرباتك من هذه السلالة الأصيلة فالمحتمل أنها تكلفك أكثر من حيث الانتاج .. والمال .

تدارك الأمر بالاتصال بموزع كاتربلر الآن :

CATERPILLAR

CATERPILLAR, CAT
علامات تجارية تملكها شركة جرّارات كاتربلر
Caterpillar Tractor Co. « كاتربلر » و « كات »

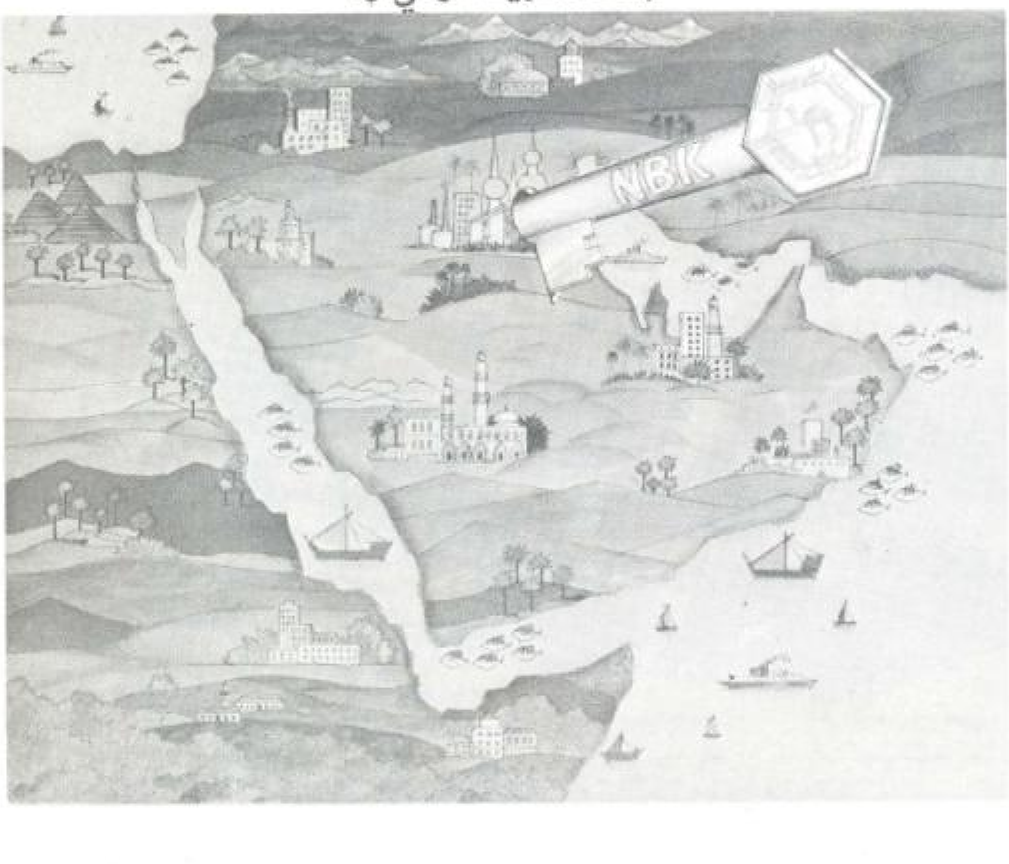
أبو ظبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٤٤١ ، أبو ظبي ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٢٢٣٨٧ ، البحرين : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٥٣٥٧ ، المنامة ، هاتف ٧١٣٦٠٧ ، دبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ١١٧٠ ، الديرة ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٦٠٢٥٥ ، الاردن : الشركة الاردنية للجرارات والمعدات المحدودة ، ص . ب ٣٦٣ عمان ، هاتف ٣٨٣٦٣/٦٤/٦٥ ، الكويت : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ١٤٨ ، الكويت ، هاتف ٨١٠٨٥٥/٥٦ ، الجمهورية العربية الليبية : الشركة العامة لمعدات المزارع والقوارب الزراعية (جسمتا) ، ص . ب ٣٢٤ ، طرابلس ، هاتف ٣٠٢٤٤ ، فرع بنغازي : ٩٢٣٢٩ ، قطر : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٢١٧٩ ، الدوحة ، هاتف ٢٥٩١٩ ، المملكة العربية السعودية : شركة زاهد للجرارات والآليات الثقيلة المحدودة ، ص . ب ١٥٠٨ ، جدة ، هاتف ٢٦٣٦٦ ، الفروع : الدمام ـ ٢٢٥٩٤ ، الرياض ـ ٢٨٤٦٨ ، سوريا : م . عزت الملاء وأولاده ، ص . ب ٢٣ ، دمشق ، هاتف ٥٥٠٣٢١ ويوجد فرع في حلب . تونس : مؤسسة ب بو يجن ش . م . ، ٩١ شارع قرطاجة ، تونس ، هاتف ٢٥٦ ٥٧٧ .

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج

بنك الكويت الوطني
أول وأكبر بنك في الكويت منذ ٢٥ سنة.
بنك الكويت الوطني
البنك الذي نمى مع الكويت لتلبية حاجات الكويت الاقتصادية.
بنك الكويت الوطني

يقوم بجميع الخدمات المصرفية والاستشارات والتمويل.
بنك الكويت الوطني
مراسلون في جميع أنحاء العالم ، قبل إقدامك على أي عمل في الكويت أو في الخليج العربي إستعمل المفتاح الذهبي واستثمر جهازنا العالمي

بنك الكويت الوطني ش.م.ك





«فيليشايف»
إسم لأفضل ماكينة حلاقة في العالم من فيليپس

مجموعة «فيليشايف» ٩٠ - سوبر الجديدة لاتزاحم: حلاقة ناعمة، رجرجرة هادئة لرؤوس الحلاقة ٩٠ سوبر، تصميم أنيق وألوان مختلفة جذابة.
من موديلاتها التي تلتقي ومتطلبات الرجل العصري هو «فيليشايف اكسكلوسيف» المثلث الرأس حيث بالامكان ضبط رؤوس الحلاقة فيه وتوقيعها لتناسب نوع وحساسية كل جلد وهو يحتوي بذات الوقت على جهاز لتحديد الحلاقة عند الشوارب والسوالف. كما يوجد من موديلات «فيليشايف» الأخرى «الرشارجيبل» المزود بجهاز لتعبئة الطاقة الكهربائية وخزنها مدة ٣ اسابيع من أجل حلاقة حرة وأيضاً

هناك ماكينات «فيلشايف» المتمة برأس مزدوج اقتصادية الثمن وكذلك الموديلات التي تعمل على البطارية لتناسب الرجل المتنقل.
ان التفوق التقني الذي تمتاز به هذه الماكينات والمعترف بها فعلاً أكان من ناحية التصميم أم من ناحية النتائج الفضلى التي تقدمها يعود الفضل به ولاريب الى الخبرة الفريدة من نوعها في العالم والى برامج الدراسات المتكاثفة والمتشعبة التي تقوم بها فيليپس بطريقة متواصلة.
وخدمة فيليشايف شبيهة بالخدمة المثالية التي تقدمها فيليپس لكامل منتوجاتها فهي مؤمنة أينما كان.

PHILIPS

فيليپس الأفضل لكم دوماً


ستيريو ديناميكي
راديو كاسيت ٤ موجات مع مكبر صوت كبير قياس ١٢ سم
M 4515K
M 9950K
M 9980K
الموديل M 9950K
راديو كاسيت ستيريو ٤ موجات مع مؤقت آلي عند النوم والتوقف الأوتوماتيكي ومفاتيح تحويل عديدة للستيريو.
الموجات MW/SW1/SW2/FM بمفاتيح تحويل عديدة للستيريو ولوحة للتشغيل الدقيق ومؤقت آلي عند النوم وجهاز كاسيت قوي بميكروفونين بالمكثف والتوقف الأوتوماتيكي للتسجيل والاستماع وضبط المستوى والتوقف الميكانيكي والمراقبات المتنوعة ويعمل على ٣ مصادر للطاقة بقوة اخراج ...،٥ مللي واط.
الموديل M 9980K
راديو كاسيت ستيريو ٤ موجات و ٤ مكبرات للصوت مع جهاز انتقاء الشريط.
MW/SW1/SW2/FM مجهز بموقت آلي النوم ولوحة للتشغيل الدقيق، ومجهز بآلية التوقف الاوتوماتيكي للتسجيل والاستماع ومنتقي الشريط CrO2 والتوقف الميكانيكي ومدة التشغيل والارجاع السريع للشريط والمراقبات المتنوعة، ويمتاز بوجود ٤ مكبرات منفصلة ويعمل على ٣ مصادر للطاقة بقوة إخراج ...،٥ مللي واط.
الموديل M 4515K
راديو كاسيت ستيريو ٤ موجات مع آلية التوقف الأوتوماتيكي بالكامل.
الموجات MW/SW1/SW2/FM ولوحة للتشغيل الدقيق ومؤشر الستيريو الكاسيت بآلية التوقف الأوتوماتيكي، وميكروفونين بالمكثف، وآلية ضبط المستوى ALC ومنتقي الشريط CrO2 والتوقف الميكانيكي والارجاع للشريط والمراقبات المتنوعة. يعمل على ٣ مصادر للطاقة بقوة اخراج موسيقي ...،٥ مللي واط.
SANYO
سانيو

العربي

العدد ٢٣٢
ربيع الاول ١٣٩٨
مارس
(اذار) ١٩٧٨

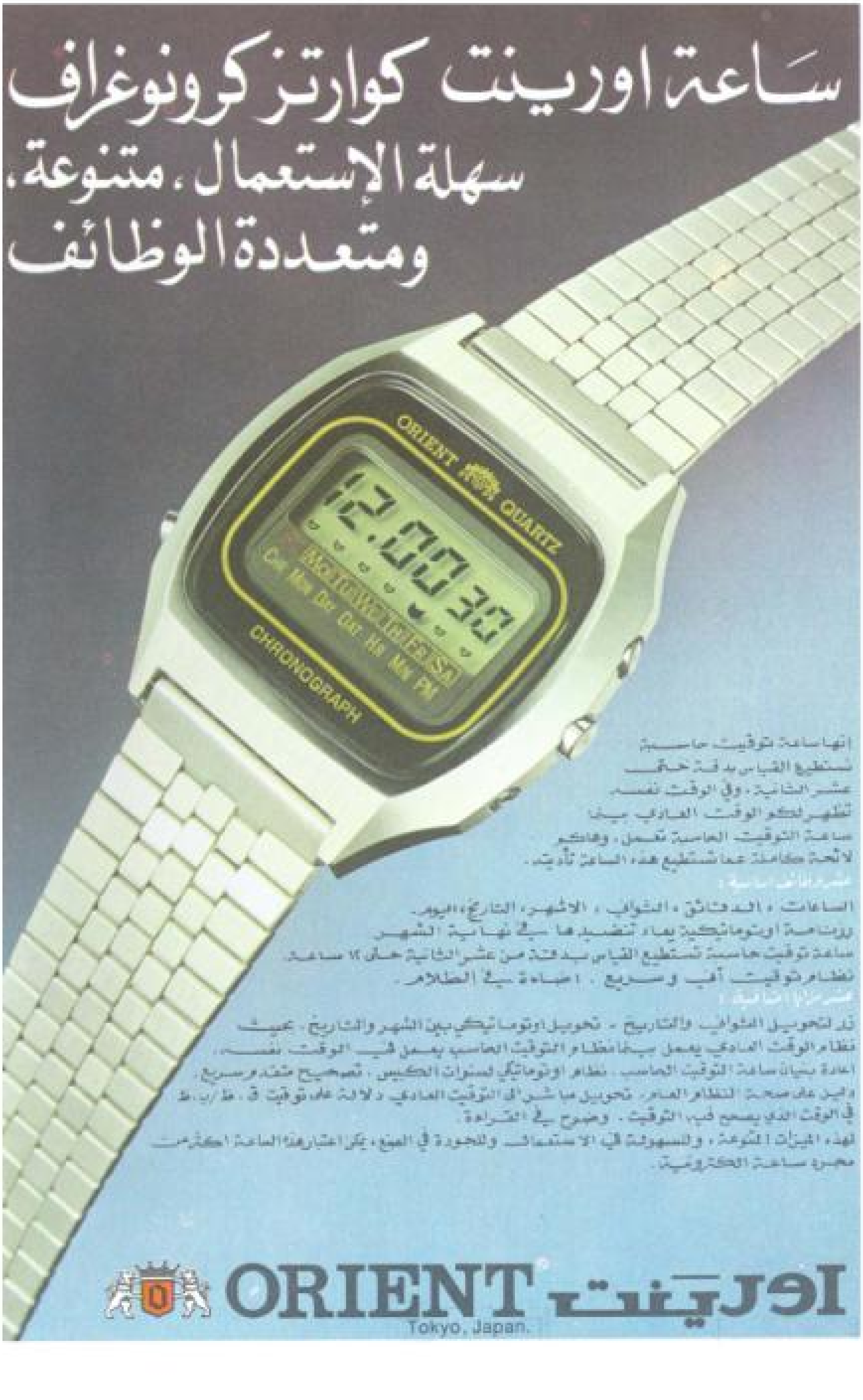
استانبول : المتحف المسكون



الذين دخلوا القدس

أزمة ثقافة الشباب

الفقه وانجازات العصر


ساعة اورينت كوارتز كرونوغراف
سهلة الإستعمال، متنوعة،
ومتعددة الوظائف
ORIENT QUARTZ
CHRONOGRAPH
إنها ساعة توقيت حاسبة
تستطيع القياس بدقة حتى
عشر الثانية، وفي الوقت نفسه
تظهر لكم الوقت العادي في
ساعة التوقيت الحاسبة تعمل. وهاكم
لائحة كاملة عما تستطيع هذه الساعة تأديته.
الساعات، الدقائق، الثواني، الأشهر، التاريخ، اليوم.
ساعة توقيت حاسبة تستطيع القياس بدقة من عشر الثانية حتى ١٢ ساعة.
نظام توقيت آلي وسريع. إضاءة في الظلام.
ORIENT اورينت
Tokyo, Japan.

عزيزي القارئ



جمال عبد الناصر



كريستوفر ميهيو

● زائر عربي كبير ، مر بالكويت في الاسابيع القليلة الماضية ، وروى هذه القصة : عندما تزايد تركيز الدعاية الصهيونية في الستينات على مقولة أن العرب يريدون القاء اسرائيل في البحر ، طلب الرئيس جمال عبدالناصر من مساعديه ان يبحثوا في كل وثائق الدولة عن اصل هذه الدعوة ، وعما اذا كان هناك أحد من الزعماء العرب المسئولين قد صرح بذلك ام لا . ومضت اجهزة الخارجية والأمن في مصر تفتش وتنقب في كل ما قاله القادة المصريون والزعماء العرب ، فلم تعثر على مصدر او اصل لهذه الدعوة ، واكدت هذه الأجهزة للرئيس عبد الناصر ان القصة تلفيق صهيوني اريد به تشويه موقف العرب ، وكسب الرأى العام العالمي .

وكان الرئيس عبدالناصر نفسه ينفي لكل من يسأله انه قال كلاما بهذا المعنى ، في اى مرحلة من مراحل الصراع العربي الاسرائيلي . وعندما تثبت من ان المسألة كلها اكذوبة صهيونية ، لم يتردد في ان يبلغ اصدقاء العرب في العالم الخارجي بالحقيقة ، بوسائل مختلفة . وكان كريستوفر ميهيو وزير البحرية البريطانية السابق واحدا من هؤلاء .. فقرر الرجل ان يسهم في فضح الاكذوبة الصهيونية . ونشر اعلانا في الصحف البريطانية يقول فيه انه سوف يقدم خمسة الاف جنيه استرليني مكافأة لمن يثبت أن أحدا من الزعماء العرب دعا يوما ما الى القاء اسرائيل في البحر !

أثار الاعلان ضجة في الاوساط الانجليزية والصهيونية بوجه خاص . وحشدت صحيفة « جويش كرونيل » الناطقة باسم الحركة الصهيونية في انجلترا كافة طاقاتها واتصالاتها من اجل احباط دعوة كريستوفر ميهيو . وبعد فترة من الوقت اعلنت الصحيفة ان أحد « محرريها » عثر على الوثيقة المنشودة ، التي لم تكن سوى قصاصة صحفية تنسب الى السيد عبد الرحمن عزام اول امين عام للجامعة العربية قوله في عام ٤٨ انه على اليهود الذين أتوا الى فلسطين عبر البحر ، ان يعودوا من حيث جاءوا ، على ذات السفن التي حملتهم ، عبر البحر ايضا !!

وكان رد ميهيو انه فضلا عن ان عبدالرحمن عزام ليس من الزعماء العرب ، فان الكلام المنسوب اليه ـ وهو ليس وثيقة رسمية ـ لا يدعو الى القاء «اسرائيل» في البحر . وازاء التعنت الصهيوني ، عرض الأمر على القضاء البريطاني الذي فحص القضية جيدا ، واستمع الى وجهات نظر الطرفين ، وجاء حكمه اخيرا مؤكدا انه لم يثبت باى دليل أن احدا من الزعماء العرب المسئولين دعا الى القاء «اسرائيل» في البحر !!

وبرأ القضاء البريطاني العرب من هذه التهمة ، لكن الصهيونية مازالت ترددها وتستخدمها ، وتبتز بها العالم كله .

والمحزن ان بعض العرب يصدقون الصهيونية ، ولا يعترفون بحكم البراءة البريطاني !!

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

استطلاعات :

تاريخ :

شخصيات :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 232 March 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة أى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف

● لوحة للسلطان سليم الثالث على صهوة جواده ، احدى اللوحات الموجودة فى متحف طوبقابى ، وهو المتحف الذى يضم مجموعة الاثار التى تسجل بزوغ وافول الدولة العثمانية التى استمرت خمسة قرون جمعت خلالها العالم الاسلامى فى ارادة سياسية واحدة وعلى الصفحات (٦٨ ـ ٨٧) رحلة الى استنبول « المتحف المسكون » فى الماضى والحاضر •

قضايا حيوية :

اجتماع وعلم نفس :

أدب ولغة :

فنون :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٢٫٥ دينار • المغرب ٢٫٥ درهم • اليمن ٢٫٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص • ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان •

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر •

« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

ولكن ..

بقلم : أحمد بهاء الدين

● ليس يعنينا ـ ولا هو فى قدرتنا ـ ان نتابع او نتعقب هنا احداث السياسة العربية ، فى صورها المباشرة ، وهو أمر يجب توضيحه ردا على اسئلة القراء الكثيرين ...

والاسباب كثيرة ...

اولها ان المجلة الشهرية ، فى اى مكان من العالم ، بحكم طريقة طباعتها ، والزمن اللازم لاعدادها ، لا يمكن لها ان تعلق على احداث تتغير كل اسبوع ، بل كل يوم وكل ساعة . فهى فى هذا المجال مسبوقة بالصحيفة اليومية والمجلة الاسبوعية . .

يضاف الى ذلك ـ من حيث عنصر الزمن أيضا ـ ان المجلة الشهرية تسافر الى قراء أبعد جغرافيا من قراء الصحيفة اليومية والمجلة الاسبوعية .. الامر الذى يستغرق زمنا آخر طويلا ..

فما بالنا والاحداث بالذات تتغير وتتسارع بدرجة يكاد لا يعادلها غيرها فى عالم اليوم ...

وليس معنى هذا ، ان المجلة الشهرية مقطوعة الصلة بالاحداث ...

انها ، على العكس ، وثيقة الصلة بها جدا .. ولكن من زاوية مختلفة

فالجريدة اليومية تنشر خبر وقوع الحدث ، وتفاصيله ، والتعليق المباشر عليه . والمجلة الاسبوعية تجد وقتا اطول لتأمل مغزى الحدث ولسرد المزيد من خلفياته ...

اما المجلة الشهرية ، فهى تأخذ « مجموع الاحداث » أو « مجملها » ،

ماهو الـرّد ؟

ودورها ان تعمل علي محاولة ردها الي اصول منطقية محددة ، فالاحداث مهمابدت في جزئياتها احيانا مشوبة بالفوضي اوالانفعالات او المصادفات، الا أنها عند التأمل الدقيق ، تكون خاضعة لعوامل واعتبارات اكثر ثباتا ، ويوجهها منطق اكثر عمقا ، سواء كان السياسيون انفسهم على وعي بذلك او على غير وعي به ...

ولناخذ من اى حدث يومى جزئي من احداث الحياة نموذجا على ذلك ...

الا يختلف رد فعل انسان عن ردفعل انسان آخر ازاء نفس الحدث ، بسبب تكون كل انسان ، وبيئته ، وثقافته ،واحكامه المسبقة ، وانماط السلوك التى تعود عليها ؟

ان رد فعل الانسان هنا قد يبدوعفويا . وهو فعلا عفوى . ولكن هذه « العفوية » آتية من المنابع التى سبق ذكرها ، شعر الانسان فى لحظتها بذلك ام لم يشعر .

وما ينطبق على الفرد العادى ،ينطبق علي الحاكم او المسئول ، وينطبق علي اجهزة صنع السياسة بوجه عام .وينطبق على الشعوب او على المجتمعات الانسانية التى تشترك فى صفات واحدة او متقاربة ..

فاذا قلنا ان المجلة الشهرية مهمتها ان تنقب وراء هذه « المنابع »، وأن تغوص بحثا عن الاعماق ، لا تعلق علي الحدث ،بل تستوعبه في اطاره التاريخي والاقتصادى والاجتماعي ، فهى هنا انما تقوم بمهمة أساسية لا يستغنى عنها قارىء مهتم بمتابعة الاحداث، ذلك ان هذا النوع من الدراسات، وبالتحديد ، هو الذى يساهم فى تكوين عقلية القارىء ، وطريقة تفكيره ، فهو يعطيه ، احكاما ، ولكنه يعطيه « مفاتيح »

يستخدمها بعد ذلك بطريقته وبشخصيته في فتح مغاليق الاحداث وفهم معناها • فالحوار هنا بين المجلة وقارئها اعمق • لان التفكير في القضايا مشترك ، ومتبادل •

وهذا الذى نقوله بالنسبة لما يكون قد جرى ووقع من احداث ، ينطبق بالضبط حين نتعرض لما يمكن ان « نتوقعه » من احداث وتطورات ، وما يقترحه كتابنا من حلول بالنسبة لمشاكل الحاضر والمستقبل ••

هنا ايضا ، لا نجد في مثل هذا المنبر ، مجالا لاقتراح ما يجب ان نفعله غدا ، او بعد غد • انما نتصدى للحلول في مجرياتها الابعد وآفاقها الارحب ••

وهنا •• يمكن تقريب الفكرة باستخدام تعبيرات درج الناس على استخدامها كثيرا وهي « التكنيك » و « الاستراتيجية » •••

« التكنيك » هو التحرك المباشر ، الاجراء التفصيلي ، المتغير يوما بعد يوم ، اما « الاستراتيجية » فهي الهدف الابعد ، والتحرك الاوسع ، ورسم وحساب ضروراته ومتطلباته •••

كل معركة حربية – مثلا – لها خطة استراتيجية تحدد الهدف المطلوب من المعركة ، وتنظر الى كل الاحتمالات المتوقعة ، وتحشد كل القوى المطلوبة ، وتدخل في اعتبارها كل شيء من درجة تدريب الجندى ونوع تسليحه ، الى طبيعة الجبهة كلها ، وظروف الشعب الواقف وراء الجبهة ، بل والظروف الدولية المؤثرة فيها أو علاقات القوة باوسع معانيها ••

اما التكنيك فهو الحساب الخاص بكل قائد في موقعه ، واقرب الى التفصيل والتحديد والتصرف المباشر ••

والصلة الوثيقة بين الامرين واضحة •••

فالجيش او الشعب الذى يخوض معركة ما دون استراتيجية عامة مدروسة ، لا يمكن ان يصل الى نتيجة • والاستراتيجية اذا ظلت خطة علوية ليست مترجمة الى مجموعة تكتيكات تفصيلية متقنة ، تكون استراتيجية نظرية غير قابلة لان توضع موضع التطبيق •

ونفس الشيء ينطبق على كل شيء هام في حياة اى امة • ينطبق على معركة تنمية ، اوخطة تعليم • او سياسة دولية • او علاقة اقتصادية • الى آخره •

●

ولعلى قد اتخذت من الاجابة على اسئلة القراء في هذا المجال مدخلا للرد

على سؤال كبير يملأ الافق ، ويسد عليناالجهات الاربع، ولا تخلو منه رسالة قارىء او زائر ، ولا يخلو منه مجلس أو لقاءفي اى مكان ..

ما هذا التدهور الحاصل في امورالامة العربية ؟ .. وما هو الحل ؟ .. او ما هو الرد ؟ ..

لماذا نجد كل عربي تقريباغير راضعن نفسه ، ولا عن غيره ، ولا عن بلده ، ولا عن بلد غيره ؟ ..

وللاجابةعلى هذا السؤال ـ انطلاقامن الاسلوب الذى أسفلت شرحه ، لا بد من تسجيل امرين ..

❋ الامر الاول ان ما نراه الانليسمن الدقة وصفه بانه « تدهور عام » في حياة الامة العربية .. انما الوضعالسليمللصورة في ظل كافة المعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضاريةتجعلنانقول اننا نمر في تطورنا الى الامامبمحنة عظيمة ... فيها جوانب اليمة ، وفيهاجوانب مشرقة وان لم تكن هى الظاهرة على السطح ...

ـ صحيح .. رأينا في الشهورالماضية « ازمة حكم » او « اضطرابات داخلية » في عدد ملحوظ في كثرته منالدول العربية ...

ـ صحيح .. اننا رأينا عددا منالانقسامات العربية ، ودرجة من حدة الاساليب المستخدمة في الخلافاتبين الدولالعربية ، لم يسبق لها مثيل ..

ـ صحيح .. اننا رأينا في الشهورالماضية جيوشا عربية تواجه بعضها اكثر مما رأينا في اى زمن منذ استقلال هذهالدول . واكثر مما رأيناها تواجه اسرائيل ..

ـ صحيح .. انمجلس جامعةالدولالعربية عاجز عن مجرد الانعقاد . وما يشبهه من مجالس تضم الدولالعربيةتواجهنفس العجز .. وهو قاع لم تصل اليه جامعة الدول العربية منذ انشائها ..

ـ صحيح .. ان خلافات الدولوالتيارات والحركات العربية حول اسلوب مواجهة القضيةالمحورية ـ قضيةاسرائيل ـلم تصل تشتتها وتعددها وعنفها الى ما وصلت اليه ..

ـ صحيح .. ان النغمات الاقليميةزادت ـ أو زيدت ـ في اقطار كثيرة بشكل خال تماما من كل مسئولية...ولاغراضسياسية آنية دون ادراك لاضرارها على المدى البعيد ..

ـ صحيح ·· ان « الشتات العربي » في انواع من النفي الاجباري او الاختياري· الى مراكز خارجية في اوروبا او امريكا· حد زاد بشكل ملفت · وزاد نوعا لا كما · او صارت هجرة المفكر والمثقف والرسام، الكاتب والمخرج والممثل ·· تكاد تكون هي الاصل في ملامح الثقافة العربية الراهنة · فالادمغة العربية مقطوعة عن اجسادها بدرجة لم يسبق لها مثيل ·

هذا كله وغيره صحيح · وهو كاف، زيادة لجعل الصورة قاتمة ، بل وقاتمة جدا ···

ولكن ، الا يجد القارىء أن هناك شعورا عاما قويا لدى كل من حوله بهذه الامور ؟ ·· ان قوة الشعور بالمرض في حد ذاتها ظاهرة ايجابية جدا ···

ان « الاغلبية الصامتة » في العالم العربي لم يعد صمتها صمت الرضا · ولا صمت اليأس والخمول · ولكنه صمت لكاظمين الغيظ · القابضين على الجمر ·

وماذا عن النمو اليومي ـ مهما كانت معوقاته وانحرافاته ـ في التعليم ، والتصنيع ، والمشروعات ، وهجرة الايدي العاملة والخبرات بين البلاد العربية ، وتكاثف حركة السفر بين أطراف هذه البلاد ؟ أليس هذا نموا حقيقيا ، مهما كان بطيئا ، او اقل سرعة مما نحب ، الا انه أكيد ، كالشجرة التي لا تلحظ أنها تطول لمجرد انك تراها كل يوم ؟

ان علينا ، حتى نحتفظ بتوازننا وتفاؤلنا ، ان نضع كل هذه الاعتبارات في الميزان· وان لا تشغلنا الاحداث الآنية عن التطورات البعيدة الامد· وان لا تمنعنا سحابة ـ ثقيلة جدا ـ تظلل الحاضر ، من المراهنة على المستقبل ·

●

اما عن الجزء الثاني من الاجابة على نفس السؤال ، وهو : ما هو الحل او ما هو الرد ؟

هنا ايضا وقد طرحنا المسالة في اطار استراتيجي ، لا بد ان نطرح الرد في اطار استراتيجي كذلك ··

والرد بهذا المعنى هو : القومية العربية !

كلمة ، رغم انها بمعناها الحديث ،شابة العمر ، الا انها تبدو وكانها قد اكل عليها الدهر وشرب ، وصارت خاوية من المعنى او فرارا من الجواب ···

وما ذلك الا بسبب سوء استعمالها ،والترخص في استخدامها ، فصارت كلمة

أغان وأناشيد ، لشغل الناس ما بين فصول المسرحيات ، لا كلمة حقائق وامكانيات ..

وربما لهذا السبب ، كان لا بد علينا ان نعمل فى جدية وصرامة على ان نعيد للكلمة وقارها وجديتها . ونجعل منها مقياسا اساسيا لكل تصرف ومسلك عربى ، كبر او صغر ، حتى تعود امورنا الى شيء من الاستقامة ، والاحساس بالمسئولية ...

نحن قوم لا تنقصنا الامكانيات . لا البشرية ولا المادية ولا الجغرافية ولا العلمية . ولكننا نمر بمرحلة اشبه - مرة اخرى - بقوم اشتدت نزاعاتهم ، وتشعبت بهم السبل ، حتى وجدوا انفسهم فى صحراء لا علامة فيها ، وقد فقدوا البوصلة التى تعرفهم بالاتجاهات الاربع .

اين نحن ؟ ومن اين والى اين .. لا احد يدرى ...

وحين أقول القومية العربية ، أقول انها البوصلة الوحيدة ، التى يمكن أن تخرجنا من هذا التيه ..

وهى بوصلة لا يملكها احد . ولا يستأثر بها احد . ولا يمكن ان يخفيها فى ثيابه وينفرد بقراراتها احد .

انها بوصلة يمكن ان نراها جميعا . وان نحتكم اليها جميعا .

وحديث القومية العربية بالمعنى الصارم طويل ..

ولكن ما يهم تسجيله هنا ان وجود هذه البوصلة لا ينهى بالطبع كل الخلافات ويشفى كل العلل والامراض . ولكنه يضع للضمير العربى العام معيارا ومقياسا يقيس اليه الامور . فيعرف أقرب الاجتهادات الى مؤشرها وابعد الاجتهادات عن هذا المؤشر .

لقد صارت صناعة الدعاية والدعاية المضادة والتشويش والتضليل ويا للاسف من أكثر الصناعات العربية ازدهارا . وهانت الكلمات وهان قلب الحقائق ، وهبطت لغة الدول احيانا الى مستوى لغة العوام ، وعم الاتجاه فى القول الى الغرائز لا الى العقول .

وفى وسط هذا الضجيج الهائل لا بد من استرجاع هذه البوصلة باى ثمن . ولابد من استخدامها بصرامة قدر الامكان . فان الحق لم يختلط بالباطل فى الذهن العربى العام كما يختلط الان . وتلك محنة من أقسى ما يمر من محن بالشعوب .

■■

احمد بهاء الدين

المتهم الأول والأمل الأخير

فى أزمة لبنان

« أزمات لبنان ليست ناشئة عن الصيغة اللبنانية ، وانما عن مشاكل المنطقة وتياراتها العاصفة »

■ المتهم الاول فى الاحداث اللبنانية الفاجعة والامل الاخير فى النجاة هو ما يصطلح اللبنانيون على تسميته بالصيغة ، اى الحل الذى اوجده الميثاق الوطنى عام ١٩٤٣ لمشكلة العلاقة بين المسيحيين والمسلمين فى لبنان •

ففى عام ١٩٤٣ ، قبل المسلمون ما كانوا رفضوه عام ١٩٢٠ من أن يكونوا لبنانيين مشتركين مع المسيحيين فى الانتساب الى دولة لبنان بحدودها الحالية •

وكانوا قبل ذلك يعتبرون انفسهم غير مشمولين بلفظة لبنان التى كانت تطلق ايام العثمانيين على ابناء الجبل اللبنانى فقط ذى الكثافة المسيحية ، بينما كانوا هم تابعين لولاية بيروت او ولاية الشام •

فلما ضم الفرنسيون هذه الاجزاء الى لبنان الصغير ليقيموا من الكل ما اسموه لبنان الكبير ، رفض المسلمون القرار الفرنسى ، وظلوا على الموقف يتشبثون بالالتحاق بدمشق عاصمة سوريا •

والذى حدث عام ١٩٤٣ هو ان المسلم رضى باللبنانية وتخلى عن المطالبة بالوحدة مع سوريا مقابل تخلى المسيحى عن المطالبة بالحماية الاجنبية، فالتقى الاثنان على لبنان مستقل كامل السيادة تجاه الشرق والغرب وذى انتساب الى الاسرة العربية كغيره من أعضائها •

ولم يكن هذا الالتقاء وليد يوم واحد هو يوم تصويت البرلمان اللبنانى على بيان حكومة الاستقلال برئاسة رياض الصلح ، الذى جسد هذا الميثاق ،



بقلم : تقى الدين الصلح

بل كان هذا الالتقاء اختمارا تدريجيا على مدى سنين لفكرة الانتماء الى وطن واحد ودولة واحدة.

فقد ادرك المسلمون ان الاستمرار فى رفضهم لبنان بحدوده الجديدة لن يوصل الى غير تقسيمه وابقاء لبنان الصغير جزيرة غريبة فى الجسم العربي ومركزا للحماية والنفوذ الاجنبي بما فى ذلك من خطر على جوارها ، فاتجهوا الى التفاهم مع المسيحيين .

كما ادرك هؤلاء نتيجة تجارب الانتداب حقيقة النفوذ الاجنبى وكونه لا ينطلق الا من مصالحه ونزعة التسلط الاستعمارية ، فاتجهوا هم الاخرون الى التفاهم مع المسلمين معتبرين فى الوحدة الوطنية الجامعة الضمانة الحقيقية لكيان اى مواطن ولكيان الوطن بالذات .

الادراك لم يكن تلقائيا

لم يكتمل هذا الادراك الوطنى فى الاوساط الاسلامية والمسيحية من نفسه وبصورة تلقائية . وانما اكتمل بقوة التبشير والقدوة والممارسات التى باشرتها فئة من المؤمنين المنتشرين فى كل الطوائف ممن عاشوا روح الميثاق قبل اعلان الميثاق . كما ان هذا الادراك قد اكتمل ايضا بفضل السياسة الذكية التى اعتمدها واحسن اخراجها زعماء الاستقلال منذ وصولهم الى مراكز السلطة .

فكانت الصيغة لا مدخلا الى اتفاق اللبنانين فقط ، والى الاستقلال فقط ، بل الى انسجام لبنان مع المنطقة العربية انسجاما جاء فى اغلب الاحيان لمصلحته ولمصلحة هذه المنطقة .

بل ان هذه الصيغة هى من الناحية التاريخية احدى المخططات الرئيسية فى حل المسالة الشرقية، التى تعود جذورها الى بداية انهيار الدولة العثمانية وانصباب مساعى الدول الكبرى لتمزيق هذه الدولة وتقاسمها عن طريق اثارة الحساسيات والفتن الطائفية والعنصرية . وكان للبنان نصيب خاص من هذه السياسة بحيث يروى المؤرخون الثقات ان السلطان عبد الحميد الثانى قال فى معرض رفضه لهجرة اليهود الى فلسطين انه يخشى ان تتعقد مشكلة هؤلاء اليهود فتسبب للدولة المتاعب والماسى التى سببتها لها مشكلة النزاع الطائفى فى جبل لبنان .

الميثاق ما له وما عليه

ولذلك يعتبر الميثاق الوطنى من هذه الناحية معالجة لاحدى المسائل الرئيسية فى القضايا الدولية .

غير ان الميثاق اذا كان قد نال فى حينه رضى شبه اجماعى من الشعب اللبنانى الا انه لم يسلم من طعن لحق به مع الايام نتيجة التعثر فى مسيرة لبنان الوطنية بعد الاستقلال .

فقد اخذ عليه انه كرس الطائفية ان لم يكن بتشجيعها فعلى الاقل بالانطلاق من اعتبارها امرا واقعا ،سواء فى توزيع المناصب والوظائف والتمثيل او نسبة هذا التوزيع .

لكن من المفارقة ان الشيء نفسه الذى يعتبره المسلم امتيازات طائفية مسيحية يعتبره الفريق المسيحى لا امتيازات بل ضمانات .

كما ان من الملاحظ ان هذا الجدال يبرز بقوة فى المراحل المتفجرة والاستثنائية من حياة لبنان

السياسة ليعود فيختفي في الاجواء العادية وحركة التطور الديموقراطي .

وموضوعيا ، ودون اى موقف انحياز ، لا بد من الاقرار بان الميثاق يتضمن بروحه واساليبه فكرة تطمين الجانب المسيحي باعتبار هذا التطمين مصلحة وطنية للمسلم اللبناني ومصلحة قومية للعرب عموما . فعندما لا تعود حاجة الى هذا التطمين ، يصح النظر نظرة جديدة الى اساس الموضوع ، فيتحول الميثاق الى مجرد مرحلة تاريخية ماضية .

وقبل الهجوم على هذه الصيغة او الدفاع عنها، وحتى قبل الاحاطة بمعناها الدقيق ودورها ، من البديهي ان الحل الذى اتت به هو بطبيعة كونه قائما على عنصر التوازن عرضة للاهتزاز عند كل منعطف تاريخي وامام اى قرار وطني مصيري . وازاء اى حدث ثوري داخلي او خارجي .

فمن الخطأ المبالغة في الخوف والتشاؤم من هذا الاهتزاز الملازم بالطبيعة لاى وضع مبنى على التوازن .

فقد تعرض لبنان بعد عام ١٩٤٣ لعدة ازمات كبيرة اضطرب بها استقراره الوطني .

ازمات لبنان

الازمة الاولى كانت عام ١٩٤٤ ، عندما اقدم فريق من اللبنانيين على محاولة الاستيلاء على مجلس النواب . وكانت هذه المحاولة تعبر عن تمسك فئة من اللبنانيين باستمرار الضمانة الفرنسية لكيانهم . وقد اتجهت السياسة الوطنية الى اعتبار اتفاق اللبنانيين فيما بينهم هو الضمانة الاولى للكيان الوطني ، ونجحت في خلق اتفاق لبناني عام حول مبدأ الاستقلال ومبدأ الانتساب الى الاسرة العربية . وبرز لبنان في تلك الفترة موحد الصف موحد الهدف . ولكن فئة محدودة من المواطنين وجدت في فوز مرشح في انتخاب فرعي بمنطقة الشمال فرصة للقيام بردة على مجمل سياسة الدولة املا بتركيز الانتداب الفرنسي وكان الجلاء لم يتم بعد ، وان الاستقلال قد أصبح امرا مسلما به .

ولولا النجاح الحكومي والشعبي في قمع الردة موضعيا وفي ساحة البرلمان بالذات لربما جاء احتلال البرلمان على يد متظاهرين مسلحين بداية فتنة تعرض لبنان المستقل للمتاعب الخطيرة .

ذلك ان فرنسا التي كانت ما تزال تملك عمليا جزءا كبيرا من السلطة وكان جيشها ما يزال مقيما على الاراضي اللبنانية كانت ضالعة في تهيئة هذه الردة وداعمة لها بوضوح .

والازمة اللبنانية الثانية جاءت في اعقاب العدوان على السويس عام ١٩٥٦ ، عندما حصل خلاف بين الفئات اللبنانية على موقف لبنان من قضية السويس . ففريق اندفع وراء الرئيس عبد الناصر وفريق تحفظ ، ورفض قطع العلاقات مع الدولتين المعتديتين بريطانيا وفرنسا .

وقد استطاعت الدولة ان تجتاز النتائج المباشرة لهذه الازمة ولعل استعانتها لاول مرة بعنصر الجيش بدخول قائده في الحكومة منعت الانفجار .

وكانت الازمة الثالثة هي حوادث عام ١٩٥٨ . وقد ظهر فيها لبنان منقسما على نفسه ، وفئاته مختلفة حول القضايا الداخلية والعربية واتخذ الخلاف طابعا طائفيا مسلحا ، وانحسرت سلطة الدولة عن المناطق ذات الكثافة الاسلامية في كل لبنان .

وشكل قيام وحدة مصر وسوريا عنصر اندفاع وحماسة في الاوساط الاسلامية وعنصر تحسب وحذر وقلق في الاوساط المسيحية .

ولعب ذلك بالاضافة الى مشروع ايزنهاور وحلف بغداد دور المفجر للبركان الذى كان قد بدأ يعتمل بشدة منذ عام ١٩٥٦ .

اما الازمة الرابعة فكانت عام ١٩٧٣ ، حين اصطدم الكفاح الفلسطيني المسلح بالجيش اللبناني، ولم تتمكن الجهود الوطنية اكثر من تأجيل الانفجار من سنة ١٩٧٣ الى عام ١٩٧٥ .

وقد توسع هذا الاصطدام فلم ينحصر في حدود الصراع بين الجيش اللبناني والثورة الفلسطينية بل اشتركت فيه الفئات اللبنانية وظهرت الميليشيات والمنظمات العسكرية الشعبية وانقسم الجيش الى حد التفكك الكامل وتقسم لبنان بنتيجة حرب السنتين بشريا ونفسيا وعمليا .

في هذه الازمات الاربع ، يلاحظ ان الرياح كانت تهب على التوازن اللبناني وبالتالي على تجربة الميثاق ، من الخارج .

ففي حركة الردة عام ١٩٤٤ ، كان الوجود الفرنسي على الارض اللبنانية هو المحرك المباشر •

وفي عام ١٩٥٦ ، كانت محاولة الاستعمار القديم للعودة الى السيطرة على المنطقة عبر العدوان على السويس هي السبب •

وفي عام ١٩٥٨ ، كانت الحرب ضد وحدة مصر وسوريا عنصر تعبئة لقطاع واسع من اللبنانيين •

وفي عام ١٩٧٣ ، ثم ١٩٧٥ ، تناقض الوجود العسكري اللبناني مع الوجود الثوري الفلسطيني المسلح •

مشاكل المنطقة وتياراتها

وظاهر من تحليل الازمات الاربع انها ليست ناشئة بالاصل عن طبيعة الصيغة اللبنانية ، وانما عن مشاكل المنطقة وتياراتها العاصفة •

هل كان الميثاق براء من ضعف المناعة التي ظهرت به المؤسسة اللبنانية امام هذه المشاكل وهذه التيارات ؟

ان الميثاق ، في رأيي ، اكثر من بريء ••• بل ان المآخذ عليه انه اوحى من الثقة والطمأنينة للفئات اللبنانية بما خدرها عن الجد في بناء الدولة والوطن • شأنها معه شأن بني تغلب مع قصيدة عمرو بن كلثوم الذين قال فيهم الشاعر :

« الهى بني تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم • »

فقد ظهر تقاعس بارز في ميادين عدة اهمها تربية اللبنانيين تربية وطنية موحدة ، والانتقال بعقلياتهم من الطوائف الى المجتمع الوطني ، ثم التقصير في مكافحة الحرمان وتخلف المناطق ، ثم العجز عن ابتكار صيغة الحرية المسؤولة وحماية الحرية من مبالغاتها ، ثم التهاون في اعطاء سلطة الدولة للطوائف والفئات والاحزاب والاشخاص •

وفعلت هذه الظواهر كلها فعلها في توهين البنيان الوطني اللبناني وتشكيك اللبناني في قيمه ومنها ميثاقه الوطني وصيغته الفذة • ولا اؤكد أهو ضعف في اللبناني ام قوة فيه ان يميل دائما الى اتهام مؤسساته ودستوره وقيمه العامة بدلا من اتهام نفسه كفرد ومواطن •

فالبعض يصر على اعتبار تبرئة الذات واتهام المؤسسات اصرارا من اللبناني على التشبث بطريقة حياته المعروفة ، وثقة بصوابها وفعاليتها وقدرتها على الخلق والابداع والتفوق •

أما الاكثرية من الذين مارسوا المسؤوليات العامة واصطدموا بما يسمى بالواقع اللبناني والشخصية اللبنانية المميزة فانهم يقولون : ان لبنان لا مناص له بعد اليوم من الثقة اكثر مما يعطي الان بمؤسساته وقيمه العامة واسس ديموقراطية الوطنية مع ثقة أقل بقدرة الفردية على صنع الاعجوبة • ففي الواقع ما اقل ممارسة اللبناني الفعلية للميثاق وللصيغة وللدستور ولكل الضوابط الوطنية التي ليست دون مستوى مثيلاتها في العالم من حيث استحقاق الوجود والدوام • ■■

تقي الدين الصلح

تعريفات ••

■ الناقد هو ذلك الشخص الذي يعرف الطريق ولكنه لا يجيد القيادة •

بارستو جريتي

■ الفطنة هي موهبة الاستفادة من الحجج دون تكوين أعداء •

كينيس تينان

■ حسن الضيافة عبارة عن قليل من النار وقليل من الطعام مع الكثير من الراحة •

رالف • والدو • امرسون •

«جيل الكبار فى العالم العربى يستمتع بتفوقه الثقافى دون أن يشعر بأنه يحبس منابع الثقافة عن الاجيـال الجديـدة»

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

■ العالم كله يتحدث عن الفجوة بين الاجيال ٠٠ عن احساس الاجيال الجديدة بأن جيل الكبار عاجز عن فهمها والتجاوب معها ، لانه عاش فى زمن القطارات البخارية والسيارات الصندوقية البطيئة والسينما الصامتة او الناطقة بغير ألوان،

ما يتطلعون اليه من فرص للمشاركة فى توجيه المجتمع ، لا لان هؤلاء الكبار سيئو النية أو حاسدون ، بل لانهم ـ بحكم موقعهم الزمنى ذاته ـ عاجزون عن التكيف بنجاح أمام عالم التغيرات المذهلة الذى ولد فيه الشباب وتشبعوا منذ حداثتهم

محنة

بينما تعيش هذه الاجيال الجديدة فى عصر الطائرات الاسرع من الصوت والعقول الالكترونية وصواريخ القمر والمريخ ٠ كل شىء أصبح فى عصرنا هذا أسرع ، حتى الزمن نفسه أصبحت سرعته مخيفة ، وصار يقطع فى عشر سنوات ما كان يقطعه من قبل فى قرن كامل ٠ فاذا قدرنا الحد الفاصل بين جيلين بثلاثين عاما ، فان هذه الاعوام الثلاثين تساوى ، بمقاييس السابقين علينا ، أكثر من قرنين من الزمان ٠ افلا تكون الاجيال الجديدة اذن على حق حين تؤكد أنها تعيش فى عصر يصعب على الكبار أن يستوعبوا أبعاده ، فيقفوا عاجزين تماما أمام الامكانات الهائلة التى يحملها فى طياته؟

هذه ، بغير شك ، أزمة حقيقية تمر بها الاجيال الجديدة التى تشعر بأن المستقبل ملك لها وحدها، على حين أن الكبار ، الذين يمسكون فى أيديهم بمقاليد الامور فى الوقت الراهن ، لا يتيحون لهم

بروحه ٠ وهكذا ينظر الشباب الى الكبار نظرة يمتزج فيها التحدى بالاشفاق ، وتجمع بين الاعتزاز بالنفس ومحاولة التماس العذر للغير ٠

أزمة معكوسة

هذا هو الوضع فى بلاد العالم السائرة فى طريق التقدم ٠ أما فى عالمنا العربى فان الاجيال الجديدة بدورها تمر بأزمة، ولكنها أزمة معكوسة٠ فى هذه الازمة يشعر الكبار بالرثاء لجيل الشباب ، وينعون عليهم هبوط مستواهم الفكرى والثقافى ، وينظرون اليهم باستعلاء مغلف باطار من العطف والتظاهر بالفهم والتفاهم ٠ أى أن الفجوة بين الاجيال عندنا ـ شأنها شأن أمور أخرى كثيرة ـ مقلوبة ٠ فكيف صارت أجيالنا الجديدة الى هذا الوضع العجيب والفريد ، وما دور جيل الكبار فى هذا الوضع ؟

الثقافة

عند الشباب العربي

في هذا المقال أود أن أعرض لهذا الموضوع من زاوية هي في رأيي اهم زواياه ، واعني بها الثقافة . والرأى الذى أود أن أدافع عنه هو أن ثقافة الاجيال الجديدة في العالم العربي يشوبها الاضطراب والخلط وضيق الافق ، وان المسئول الاول عن ذلك هو جيل الكبار ، وان هذه ظاهرة من أخطر الظواهر التي تهدد مستقبل العقل العربي ، بل ربما كانت أخطر من كثير من الازمات السياسية التي شغلنا أنفسنا بها امدا طويلا ، متغافلين عن كل ما عداها من الازمات الاجتماعية والفكرية التي قد لا تكون صارخة كالازمات السياسية ، ولكن تأثيرها أعمق منها وابعد في مداه الى حد كبير .

ولنتساءل ، بادىء ذي بدء ، عن طبيعة المصادر التي يمكن أن يستمد منها الشباب العربي المعاصر ثقافته . هذه المصادر ، كما يعرف الجميع ، أما عصرية وأما قديمة . والمصادر العصرية بدورها قد تكون عالمية أو محلية . وعلى ذلك ففي امكاننا أن نعالج موضوعنا على هذه المحاور الثلاثة : الثقافة العالمية ، والثقافة المحلية العصرية ، والثقافة القديمة . فلنرجع اذن الى كل من هذه المصادر الثلاثة ، باحثين عن مدى استيعاب الشباب العربي لها ، وقدرته على الافادة منها .

في عصرنا الحالي تكتسب الثقافة العالمية أهمية متزايدة. ولست اعني « بالعالمية » ان هذه الثقافة لا وطن لها ، بل ان المقصود من اللفظ هو ان هذه الثقافة تضم عناصر من بيئات ومجتمعات مختلفة ، تضافرت كلها لتصنع انتاجا فكريا رفيع المستوى ، قادرا على أن يخاطب الانسان أينما كان . وصحيح أن قدرا كبيرا من هذه الثقافة غربي (بالمعنى الواسع لهذه الكلمة) ، ولكن من الصحيح أيضا أن التفوق الغربي الحالي انما هو المرحلة الاخيرة في رحلة طويلة قطعها العقل البشرى عبر التاريخ، وأسهم فيها الشرق بدور أساسي مرتين على الاقل ، في العصور القديمة والوسطى ـ هذا فضلا عن أن روافد أخرى ، من غير المجتمعات الغربية التقليدية، أخذت في الاونة الاخيرة تسهم بنصيبها في الثقافة العالمية على نحو متزايد .

هذه الابواب المغلقة

هذه الثقافة العالمية تكاد ابواب الاتصال المباشر بها ان تكون مغلقة في وجه شبابنا العربي . فالاجيال الجديدة من هذا الشباب العربي ، حتى تلك التي نالت درجات جامعية ، لا تعرف من اللغات الاجنبية (في معظم الاحوال) الا قدرا لا يتجاوز مستوى « محو الامية » ، وقد يقل عن هذا المستوى احيانا ، واني لاذكر عن جيلنا ، اننا كنا نصادق الشاب السوداني او الاردني او العراقي فنجده يتقن الانجليزية اتقانا يقترب به من مستوى اهلها ، وكنا نصادق الشاب السورى فنجده يجيد الفرنسية اجادة مذهلة ، على حين ان المصرى كان يتقن اما هذه اللغة واما تلك ، حتى لو كان تعليمه

متوسطا . ثم تغيرت الاحوال فجأة ، فاذا ببعض التربويين يطلعون علينا بنظريات مستمدة من مجتمعات تختلف ظروفها ومتطلباتها الثقافية عن مجتمعاتنا اختلاف السماء عن الارض ، واذا ببعض السياسيين يطلعون علينا برأى فذ مفاده ان تلك اللغات الاجنبية هي لغات الاستعمار ، وان « الوطنية » او « القومية » توجب علينا الا نعلم ابناءنا شيئا من لغات الاجانب (مع ان قادة الحركات الوطنية في معظم بلاد العالم الثالث ، واشد محاربي الاستعمار فيها صلابة كانوا في معظم الاحوال من خريجي مدارس « الاستعمار » ذاتها !)

وفي كلتا الحالتين كانت النتيجة واحدة : هي ظهور جيل جديد من الشباب العربي عاجز عن الاتصال المباشر بتيارات الثقافة العالمية . وحين يفكر المرء في الاضرار التي عادت على هذا الجيل، او التي ستعود بالتالي على مستقبل بلادنا ، من جراء هذا الانعزال الثقافي ، لا يملك الا ان يتساءل : الا يجوز ان ذلك كان شيئا مقصودا ، وان النظريات التربوية والحماسة القومية لم تكن الا ذرائع تستهدف اخراج جيل لا يعرف بطريقة مباشرة الى ما يدور حوله في العالم، حتى لا يطالب بحقه في حياة افضل ؟

على ان الشباب العربي يحاول ان يكسر طوق العزلة التي تفرضها عليه سياسة نشر الجهل باللغات الاجنبية ، عن طريق الاقبال بنهم على كل ما يقع تحت يديه من اعمال مترجمة . وهذه الترجمات اصبحت الان الزاد الثقافي الاكبر لنسبة هائلة من الشباب الطموح الى تثقيف نفسه . ومع ذلك فان هذا مصدر غير مضمون ولا مأمون : اذ ان الترجمات اولا انتقائية ، لا تستطيع ـ مهما اتسع نطاقها ـ ان تستوعب من الانتاج الثقافي العالمي الا قدرا ضئيلا ، وقد يكون هدف الاختيار هو الاثارة لا الجودة . وهي فضلا عن ذلك ترجمات غير دقيقة في احيان كثيرة . بل ان بعضها يصل في ركاكته وابتعاده عن الاصل الى حد يستحق معه اصحابه ان يقدموا للمحاكمة ، لو كانت هناك محاكم للجرائم الثقافية . ومن المؤكد ان عوامل الاستغلال التجاري تلعب في هذا الصدد دورا هاما : اذ ان من الطبيعي ، في سوق متعطشة الى الثقافة لا تجد امامها نافذة للاتصال بالعالم الا عن طريق الترجمة ، أن يعمد تجار الثقافة الى التسرع في ترجمة اعمال المؤلفين المشهورين بطريقة تستهدف تلبية حاجة السوق على اى نحو ، بغض النظر تماما عن مستوى الترجمة او مدى مطابقتها لابسط الشروط العلمية .

وبرغم هذا كله ، فان الثقافة العالمية تحيط بنا من كل جانب ، وليس في الامكان ان نعزل شبابنا عنها عزلا تاما ، حتى لو تعمدنا ذلك . فهي على الاقل تفرض نفسها على شبابنا في اشكال فنية لا تحتاج الى معرفة باللغات ، كالسينما والتليفزيون والاسطوانات ، الخ . وهذه مؤثرات يستوعبها شبابنا بسهولة ، ولكن من المؤسف انها لا تنقل الينا دائما افضل ما في الثقافة العالمية ، بل هي في كثير من الاحيان وسيلة لتقديم اكثر جوانب هذه الثقافة سطحية . وهكذا يكتفي كثير من شبابنا بمحاكاة المظاهر الخارجية للثقافة العالمية دون تعمق في جوهرها الباطني ، ودون معرفة بالاصول التي اوصلت هذه الثقافة الى وضعها الراهن . وحتى القلة التي تسعى بجد الى معايشة هذه الثقافة والتغلغل في اعماقها ، لا تنفذ الى ما بعد السطح الخارجي بكثير ، لانها لا تعرفها الا من خلال مرآة مشوهة ، هي مرآة الترجمات المحرفة والمتسرعة .

ومصادر الثقافة المحلية

اما المصادر المحلية للثقافة فما اظن ان اوضاعها افضل . ذلك لان مستوى القضايا التي يعالجها الكتاب والمفكرون المحليون ، والتي يمكن أن يجد فيها الشباب العربي زادا ثقافيا ، يسير نحو الانحدار المستمر . والازمة في هذه الحالة ليست ازمة في الكتاب او المفكرين انفسهم ، بقدر ما هي ازمة في المناخ الذى يكتبون فيه .

ان العالم العربي يعاني ، في الوقت الراهن ، من قيود على الفكر الحر لم يعرف لها مثيلا منذ زمن بعيد . وهذه القيود ينعكس تأثيرها على الكتاب مباشرة ، فينسحب بعضهم مؤثرا التزام الصمت ، على سبيل الاحتجاج او بهدف تجنب المشاكل ، ويبتعد البعض الآخر عن اثارة الموضوعات الشائكة والحساسة ، مكتفيا بالكلام في موضوعات

« محايدة » لا لون لها ولا طعم ، على حين ان بعضهم الاخر يجارى التيار السائد ويركب موجة التملق والمسايرة • وفى ظروف المناخ العربى ، يكون هؤلاء الاخرون هم الاوسع انتشارا وهم اصحاب الكلمة المسموعة • ومن هنا كانت وسائط الاعلام العربية تلجأ على نحو متزايد الى محاربة كل ما هو جاد ، وتصل فى ذلك احيانا الى حد الحظر التام ، بل ان بلادا عربية كانت منذ سنوات قلائل تحمل مشعل الفكر والادب قد ظهرت فيها اقلام تبدو كما لو كانت قد بعثت من القبور ، واخذت تهتبل الفرصة التى اتيحت لها كيما تنشر على الناس اراء عفى عليها الزمان ، وما كان لها ان تصمد يوما واحدا لو لم تكن الحماية مكفولة لها بحيث لا ينافسها منافس ، ولا يكشف زيفها احد •

ومن المؤكد ان الشباب العربى ينظر بازدراء الى هذا اللون من الكتابات • والشباب رافض لهذه اللعبة ، وهو يقف بمعزل عنها ، ويتاملها بعدم اكتراث وترفع • اما اجهزة الاعلام العربية فقد اصبحت ، فى احيان كثيرة ، عاجزة عن مخاطبة الشباب من خلال الصحافة اليومية ، بعد ما صارت اليه ، واما المجلات الادبية والفكرية فقد تدهورت او سكتت اصواتها الى الابد • وربما كان فى وسع بعض الكبار ان يقبلوا هذا اللون من الثقافة ، لانه يوافق امزجتهم او مصالحهم ، كما ان بعضهم الاخر قد يسكت عنه ، او يهمله ، لانه اكتسب من قبل حصيلة ثقافية ، او لانه يجد لثقافته مصادر اخرى غير المصادر المحلية ، اما الشباب ، الذين يعتمدون على الثقافة المحلية اعتمادا اساسيا ، والذين تستشعر مثاليتهم الزيف بحساسية فائقة ، فانهم هم الاكثر اختناقا فى هذا الجو المكبوت •

ولا يملك المرء الا ان يشعر بالاسى حين يقارن اوضاع الثقافة المحلية فى العالم العربى اليوم بما كانت عليه قبل جيل او جيلين • فخلال عهد شبابنا كنا نجد فى المجلات والصحف العربية وحدها جرعة ثقافية كافية لبعث الحيوية فى النفس والعقل معا ، وكان باب المساجلات والمناقشات والمعارك الفكرية والادبية مفتوحا للجميع ، مهما اختلفت اتجاهاتهم فى التفكير ، ولم تكن نسمع عن اتهامات يلقيها الكتاب بلا حساب على رؤوس بعضهم البعض ، فلم تصادف كاتبا يصف الاخر بانه عميل او دخيل ، او فاسق او مارق ، او مدسوس او جاسوس • صحيح ان الجدال كان يحتدم ، وحرارة المناقشات كانت ترتفع ، فى احيان كثيرة ، الى درجة عالية ، ولكن كان هناك اتفاق ضمنى بين الجميع على ان من حق كل طرف ان يعبر عن رايه كما يشاء ، وان النقاش يدور بين انداد ولم يفكر احد فى ان يدعو السلطات الى ان تقطع رقبة خصمه ، او يناشدها — ان كان رحيما — ان تقطع لسانه !

وهكذا لا يجد الشباب فى مصادر الثقافة المحلية ما يشبع نهمه الى المعرفة ، واغلب الظن ان الانطباع الوحيد الذى تتركه فى نفسه هذه المصادر هى تلك الامثلة السيئة التى تضربها للخصومة البغيضة التى يغيب عنها تماما التنافس الشريف • ومن المؤكد ان ما يطبع المحلية العصرية بهذا الطابع السلبى انما هو عوامل تتجاوز نطاق الميدان الثقافى ، وينتمى معظمها الى مجال السياسة ، ولكنها على اية حال سياسة قصيرة النظر تلك التى تضحى بمصائر اجيال كاملة فى سبيل مصالح مؤقتة ومكاسب محدودة •

تقديم الثقافة التراثية

والمصدر الاخير الذى يمكن ان يستمد منه الشباب العربى زادهم العقلى هو الثقافة التقليدية ، او التراثية • ولقد تعمدت استخدام تعبير « الثقافة التراثية » بدلا من لفظ التراث ، لان ما اقصده هاهنا اوسع نطاقا من التراث نفسه ، اذ يشتمل ايضا على الكتابات الحديثة التى تعرض التراث او تدافع عنه او تستلهم روحه •

هذه الثقافة التقليدية لم تنجح ، حتى الآن ، فى تقديم التراث بصورة فيها حيوية او تجديد او قدرة على التحدث بلغة العصر • ولو عقد المرء مقارنة بين انصار التراث فى الربع الاخير من القرن العشرين ، ونظرائهم من قرن مضى ، لكانت المقارنة بغير شك لصالح الاخرين • وهذا موقف فريد فى نوعه ، له دلالات مفزعة • ففى أواخر القرن التاسع عشر واوائل العشرين كان التراث يعرض ، ويناقش ، وينقد ، بروح فيها من الاستنارة وسعة الافق ما يتجاوز روح العصر الحاضر بكثير • ويبدو ان مضى الزمن لا يزيد اصحاب

الثقافة التقليدية الا اصرارا على الرجوع بها الى الوراء ، ومن ثم تزداد الهوة بينهم وبين العصر اتساعا .

ولسنا ها هنا في مجال الحكم على طريقة معالجة التراث في العالم العربي ، او على الدور الذي تقوم به الثقافة التقليدية في حياتنا ، وانما يعنينا من هذا كله تاثيره في ثقافة الشباب العربي فحسب . ذلك ان افتقار هذه الثقافة التقليدية الى القدرة على مسايرة العصر ، او مخاطبة العقول بلغة قريبة الى فهمها وحسها وذوقها، يدفع الشباب الى اتخاذ احد موقفين :

فهناك قلة من الشباب تتاثر بالثقافة التقليدية في صورتها الجامدة غير المتطورة ، لانها مهيأة نفسيا واجتماعيا للخضوع والانقياد التام ، ولانها عطلت ملكات العقل والنقد تعطيلا كاملا ، وتصورت ان هذا هو الطريق الى الايمان السليم . وهذه القلة تسلك ، في اغلب الاحيان ، سلوكا متطرفا تستخدم فيه العصا وقبضة اليد اكثر مما تستخدم العقل والمنطق . ومن هنا كانت وستظل مصدرا للقلاقل والمتاعب في العالم العربي . واذا كانت ـ باعتراف انصارها انفسهم ـ تمثل عودة الى ما كان عليه العرب في عصر سالف ، حسب طريقتهم الخاصة في فهم ذلك العصر ، فانها قطعا لا تمثل موجة المستقبل بين شباب العرب .

اما الاكثرية الغالبة من الشباب العربي فانها تجد نفسها عاجزة عن الاقتناع بما يدعوها اليه انصار التراث من المنعزلين عن واقع العصر . وربما امتنع الكثيرون عن الجهر بموقفهم السلبي من هذه الدعوة تادبا واحتراما ، او اتقاء لما يمكن ان يجلبه عليهم مثل هذا التمرد من عواقب . ولكنهم في قرارة انفسهم متباعدون كل الابتعاد عن هذا التيار السلفي الجامد ، ولا يمكن ان يجدوا فيه اشباعا لحاجاتهم الثقافية . وليس هذا منهم عداء للتراث على الاطلاق ، وانما هو عداء لطريقة معينة في تقديم التراث واختيار نماذجه الجديرة بالاحياء . ذلك لان التراث انما كان حياة كاملة لشعوب سبقتنا ـ حياة كانت تموج بشتى التيارات المتصارعة والمتعارضة .

والكتابات التي خلفها لنا اسلافنا تعبر عن خصوبة تلك الحياة الكاملة وتراثها ، ولكن هناك من ينتقون من تراث الحياة الكاملة هذا ما يناسب افكارهم الجامدة ، ويحجبون كل ما يتعارض معها ، ويقدمونه على انه هو التراث ، بل انهم ليعرضونه بطريقة اشد جمودا من تلك التي كتبه بها اصحابه انفسهم .

تلوين الماضي بالهوى

وهنا يبدو الامر في ظاهره وكان هؤلاء اناس يقومون باحياء الماضي فحسب ، ولكن حقيقة الامر هي انهم يلونون هذا الماضي ويشكلونه وفق هواهم، وتبعا لاساليبهم الخاصة في الانتقاء والتقديم . وفي استطاعة غيرهم ان يقدموا للتراث وجها اخر مختلفا كل الاختلاف ، وجها مضيئا يحفز على التعقل والتفكير ولا يقف في وجه اي تقدم فكري لاحق .

وهكذا فان انصار التراث ليسوا في واقع الامر مجرد عارضين لاراء من سبقوهم ، كما يحبون ان يظهروا امام الناس ، وانما هم اصحاب دعوة نشيطة ، يسقطونها على التراث من خلال طريقتهم الخاصة في تقديمه والاختيار منه . ومن سوء الحظ ان التيار الغالب في كثير من البلاد العربية في الوقت الراهن هو ذلك الذي لا يختار من التراث الا اكثر عناصره جمودا . واصحاب هذا التيار انما يعبرون ، باختيارهم هذا ، عن انفسهم . وهكذا اجد في وضعنا الراهن مصداقا للراي الذي كنت انادي به على الدوام ، وهو ان « التراث هو ما نصنعه نحن به » .

من هنا كان جمود التيار التراثي السائد في الوقت الحاضر مؤديا الى تباعد الشباب عن ثقافة الاسلاف وعجزهم عن ان يستمدوا منها عناصر قابلة لان تدمج في ثقافتهم الخاصة . ذلك لان لغته غريبة عنهم ، والعصر الذي يدور فيه فكره مختلف عن عصرهم ، ودعوته الى التشبث باشد عناصر الماضي تحجرا ، يصعب ان تجد اذنا صاغية لدى انسان يعيش مرحلة من العمر تتميز ـ قبل كل شيء ـ بتطلعها الى المستقبل . والاتجاه الذي تنطوي عليه الدعوة الجامدة الى التراث ، من انعزال واستغناء ثقافي ، واغلاق للابواب في وجه اية مؤثرات خارجية ينظر اليها دائما بارتياب

على انها دخيلة ، هو اتجاه مضاد لتلك النزعة الى اكتساب الخبرات والتجارب من شتى المصادر، والاحتكاك بالعالم العريض ، التي هي نزعة ملازمة للشباب في كل عصر ، وان كانت اكثر التصاقا به في عصر الاتصالات الثقافية الوثيقة الذي نعيش فيه •

وهكذا يغلق باب آخر في وجه الشباب (ماعدا قلة منهم) ، هو باب الثقافة المستمدة من التراث، لا لان الشباب يرفضون هذه الثقافة ، ولا لان هذا التراث غير قادر بطبيعته على ان يقدم الى الشباب شيئا مفيدا ، بل لان طريقة تقديمه اليهم في عصر التغيير السريع والتأثير المتبادل بين اجهزة الاعلام العالمية تعجز عن ان تجد لنفسها منفذا الى عقولهم •

ليس لمجتمعاتنا عذر

تلك هي المصادر الثلاثة الممكنة لثقافة الشباب العربي ، وكلها – كما رأينا – محفوفة بالمصاعب• ولكن اللوم الاكبر على حرمان الشباب من مصادر الثقافة العميقة والجادة انما يقع على المجتمعات العربية ذاتها • فليس لهذه المجتمعات عذر اذا هي قصرت في تزويد الشباب بوسيلة الاتصال بالعالم الواسع الذي يتقدم بخطى متهلة ، عن طريق رفع مستوى تعليم اللغات الاجنبية في مدارس الدولة الى الحد الذي يسمح للجيل الحالي ، كما كان يسمح للاجيال السابقة ،بالتزود بالثقافة العالمية • وليس لها عذر اذا هي رسمت سياسة مقصودة تستهدف ، في معظم الحالات ، التعبير عن الرأي الرسمي وحده وتأبى على الآخرين حرية الفكر ، فتضع بذلك قيدا ثقيلا على عقول الشباب كلما شاءت ان تتزود بالثقافة المحلية • واخيرا فان مجتمعاتنا هي الملومة لانها ، برغم كل تعلقها بالتراث الماضي ، تعجز عن تقديمه للاجيال الجديدة بالصورة التي تسمح لهذه الاجيال بان تتخذ منه منبعا من منابع ثقافتها •

وازاء هذه العقبات كلها ، لا يعود امام كثير من الشباب الا ان يقفوا من الثقافة الحقيقية موقفا سلبيا ، على حين ان الطموحين منهم لا يجدون مفرا من سلوك سبيل الاجتهاد الشخصي ، فيلتقطون كتابا مترجما من هنا وجريدة مهربة من هناك ، ويحاول كل واحد منهم ان يشق طريقه وسط ظروف غاية في الصعوبة ، وتكون النتيجة هي تخبط الكثيرين وافتقارهم الى اي نوع من التنظيم الفكري • فكل شاب طموح الى الثقافة ، في العالم العربي ، يكون عالما منعزلا مغلقا على نفسه ، لانه لا ينهل من منابع واسعة متاحة للجميع، بل يسير في طريقه الموحش وفقا لطريقته الخاصة في الاجتهاد • فهل من المستغرب بعد هذا كله ان نجد الشباب الطموحين الى الثقافة في العالم العربي ، فرديين الى اقصى حد ، وان تسود الريبة والتشكك والاتهامات المتبادلة في علاقاتهم بعضهم ببعض وباجيال المثقفين الآخرين؟ وهل من المستغرب ان ينقسموا حتى على القضايا التي يتخذونها موضوعا لاهتمامهم ، وان يستحيل جمعهم تحت راية قضية واحدة ؟ صحيح ان احدا لا يفكر في صب عقول الشباب في قالب واحد ، وان النمطية شيء بغيض في ذاته ، ولكن التشتت الفكري والعجز عن الاهتداء الى مصادر مقنعة وكافية للثقافة ، هو بدوره امر يدعو الى الاسف البالغ، ويدل على ان مجتمعاتنا العربية لا تولي التفكير في مستقبلها – الذي سيتسلم رايته هؤلاء الشباب – ما يستحقه من اهتمام •

ومما يزيد في فداحة الخسارة اننا نعيش في عالم يعد فيه التقدم من الجيل السابق الى الجيل اللاحق امرا طبيعيا ، وتتاح فيه للشباب – في العالم المتقدم – فرص لم تكن متاحة من قبل للكبار ، ويسير فيه منحنى المعرفة والاستنارة الفكرية في خط صاعد على الدوام • وحين يقارن المرء بين هذا الوضع وما هو سائد في العالم العربي ، يبدو له ان جيل الكبار يستمتع بتفوقه الثقافي دون ان يشعر بانه – او على الاقل اصحاب المسئولية من افراده – يحبس منابع الثقافة عن الاجيال الجديدة عمدا •

وقد يعطي هذا الاستمتاع لجيل الكبار احساسا بالامتياز ولكن حين يكون الامر متعلقا بمستقبل امة ، فاظن ان الامر كله يحتاج الى اعادة نظر شاملة • ■■

فؤاد زكريا

في ذكرى المولد النبوى :

سيرة النبى

لشبلى نعمانى وسليمان الندوى

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

... « الى يوم الدين لــن يستطيع احد أن ينافس المسلمين في فخرهم بحفظ أدق تفاصيل كل حادث فــى حياة الرسـول صلى الله عليه وسلم ، بطريقة دقيقة وواعية ، لا يصل الــى مستواها تسجيل حياة اى انسان آخر من قبـل ، ولا يمكـن أن ننتظرها من بعد »

علامة شبلى نعمانى

لقــاء

■ فى ربيع ١٩٥٢ كنت فى كراتشى ـ وهى وقتئذ عاصمة باكستان ـ وسعدت بلقــاء مولانا سليمان الندوى فى صباح باكر .. وأحسست اول ما لقيته اننى مع روح شفافة ، اكتفت من الجسد بالقليل الذى ابقته معاناة العلم والزهد وقيام الليل والمرض ..

وكان من قدر الله ان يبارح « سليمان » دنيانا فى عام ١٩٥٣ بعد حياة حافلة بدأت عام ١٨٨٤ .. هذه الشفافية التى عاش بها ظلت ترق وترق حتى صعدت الى ربها تاركة وراءها انتاجا فى رسوخ الجبال .. رحمه الله .

٢ ـ محاضرات السيرة

فى لقائنا الاول دار الحديث عن دعم الصلات الثقافية بين ابناء العالم الاسلامى على ان يتفضل بتقديم جانب من انتاجه الى ابناء العالم العربى .

وفى لقائنا الثانى ، قدم باكورة هذا التعاون ، الترجمة العربية لكتابه « الرسالة المحمدية » وهى ثمانى محاضرات فى السيرة النبوية ورسالة الاسلام .

وتلاقينا بعد هذا مرة ثالثة فى جلسة مع استاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام (رحمه الله) وكان وقتئذ سفيرا لمصر فى باكستان ..

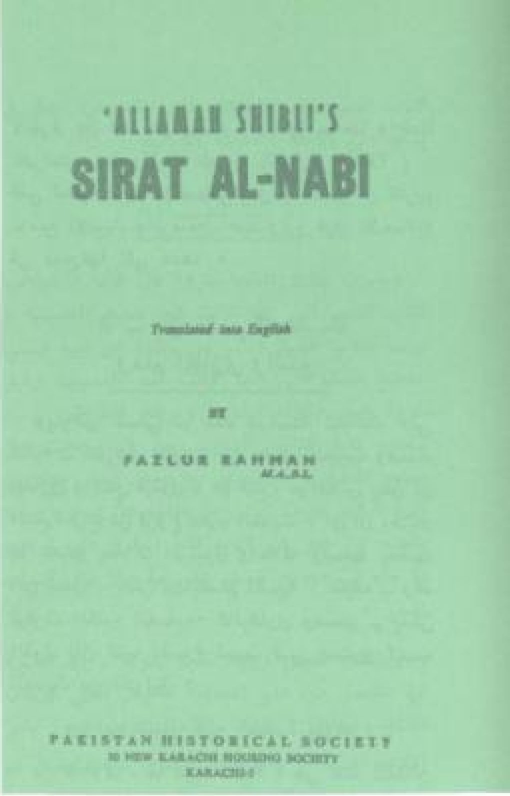
٣ ـ سيرة النبى

ودار الحديث فى هذا اللقــاء عن الكتــاب الكبير « سيرة النبى » الذى بدأه « شبلى نعمانى » (١٨٥٧ ـ ١٩١٤) واتمه « سليمان الندوى »

ولم يكن الدكتور عزام يعدل به كتابا آخر فى السيرة فى تراثنا الاسلامى . ويضعه على قمة عالية من قمم التحقيق العلمى والاحاطة ، ويتمنى الا يحرم ابناء اللغة العربية من هذا العمل .. حتى اننى احسست بعزلة نفسية عندما كان الكتاب قريبا منى بلغته الاردية وحروفها العربية .

وتمر السنون واسائل من اتصل بهم من اخوتنا فى باكستان عن هذا الكتاب ، فاعلم ان النية متجهة الى ترجمته من الاردية الى الانجليزية . ويصدر المجلد الاول فى عام ١٩٧٠ والثانى فى عام ١٩٧١ .

ولنعد الى الكتاب لنرى كيف وضع « شبلى



نعماني » تصميمه الاول في خمسة مجلدات • ثم تولته يد « سليمان » بالتعديل فاصبح في سبعة مجلدات :

الاول والثاني : ترجمة حياة النبي (ص)مع دراسة عن الجزيرة العربية قبل الاسلام ، ويعد هذا الكتاب خاتمة اعمال «شبلي» • وهو الذى وضع هندسته وكتب معظم فصوله • وكان حريصا في كتابته على الالتزام الدقيق بالنصوص الصحيحة، والـرد على الشبهات التى اثارها كتاب الافرنج عن الاسلام ورسوله •

هذا فياسلوب رائع انيق ،حتى ان بعض فصول المجلـد تعتبر ـ كمـا يقـول مسعـود النـدوى ـ كاحسن ماكتب كاتب باللغة الاردية •

الثالث : خاص بالمعجزات • كتبـه والاجـزاء التالية ، سليمان الندوى • وله مقدمتان علميتان من الوجهتين الفلسفيتين : القديمة والحديثة ، إاثبت فيها امكان المعجزات وعدم معارضة العلوم النقلية لها •

الرابع : ويبحث في منزلة النبوة ، والفرق بينها وبين منازل الاصلاح والتجديد والزعامة • ثم يبحث العقائد مستندا الى الكتاب والسنة في مزج دقيق بين علومها واسرارها •

الخامس : في العبادات ، والسادس : فـي الاخلاق ، والسابع : في المعاملات وكـل منهـا موسوعة في موضوعه •

٤ ـ شخصية الكتاب

ولكل كتاب ـ كاى انسان ـ شخصيته وملامحه الرئيسية • والفكرة الاساسية التى ينطلق منها الكتاب « ان الواجب الاسمى والخدمه الكبرى التى تقدم الى الانسانية ان تجدد وتضبط اخلاقيات الناس وثقافتهم •• والوسيلة المعتادة لذلك هى العظات •• والوسيلة الحديثة هى تاليف الكتب ذات المستوى الرفيع فيالسلوك ونشرها بينالناس• وهناك وسيلة اخرى هى اكراه الناس على غرس الفضائل •• ولكن افضل الطرق واصحها واكثرها عملية ، ليست الحديث ولا الكتابة ولا الاكراه ، ولكن في ظهور شخص هوالتصوير التام للفضائل• شخص تنعكس فيه الفضائل عمليا • وتعادل كل حركة من شفته عمل الاف الكتب • وكل اشارة من يده كانها امر ملكى • ان الفضائل التى تبدو في دنيانا هى انعكاسات من هؤلاء الرجال المقدسين • اما جميع العوامل الاخرى فلا تعدو ان تكون طلاء وزخرفة في صرح الحضارة (١ : ١ ـ ٢) ❋

ويتابع شبلى شرح هدفه من الكتاب فيقول بعد هذا :

« ولكن هؤلاء الذين ظهروا قبل الرسول محمد (ص) بعامة كانوا نماذج لفضائل معينة •• على سبيل المثال : مدرسة المسيح كانت للتحمل والصبر والسلام والتسامح والتواضع • ولا مكان للصفات الرفيعة اللازمة للادارة والحكم ، بينما لا مجال فيما جاء عن نوح وموسى للتسامح العام •• من اجل ذلك كانت الحاجة الى قائد جديد في كل مرحلة من مراحل الانسانية •• ودائما كان هناك انتظار لجديد يكمل به الدين • القائد الذى يستطيع ان

❋ يدل الرقم الاول على المجلد والثانى علىالصفحات من كتاب سيرة النبى ط • الانجليزية •

يرفع سيفه ، وان يعيش معتكفا ايضا • قائد يستطيع ان يمارس حياة الحاكم والفاتح كما يمارس حياة المسكين • والذى يستطيع أن يكون حاكم الدنيا وتاليا لأسماء الله الحسنى • والذى يستطيع أن يعيش حياة الفقر بالرضى وحياة الغنى بالقلب الكريم • هذا الرسول الكامل بين الخالق والكون • هذه الشخصية المحيطة • هذا التصوير الحى لكلمات الله هو الذروة العليا فى خلق الله « اليوم اكملت لكم دينكم » (المائدة / ٣)

« وليس هناك من شىء خالد فى دنيا الفناء • ومن اجل ذلك لن تعمر فيها هذه الشخصية الكاملة الى الابد • من اجل ذلك كان من الضرورى الاحتفاظ بصورتها الكاملة •• كل كلمة منها ، كل اشارة ، كل لمحة من لمحات وجودها •• حتى نستطيع ان نفيد منها فى كل مرحلة من مراحل الحياة عندما نحتاج اليها •

ومن الغريب ان الصورة الكاملة لغير محمد (ص) من الانبياء غير محفوظة • فمن حياة المسيح التى استمرت ثلاثا وثلاثين سنة ، نعرف الاحداث المرتبطة بالاعوام الثلاثة الاخيرة من حياته • والمجددون الدينيون فى فارس نعرفهم فقط عن طريق الشاهنامة • ولقد ضاع أنبياء الهند فى القصص والاساطير • والتوراة الموجودة هى المصدر الوحيد للقليل الذى نعرفه عن موسى ••» (١ : ٢ ـ ٣)

آثرت ان اذكر هذا النص الطويل من شبلى لنرى فيه ثلاثة امور :

١ ـ حبه العميق للمصطفى ، وايمانه ان تجلية حياته ضرورة انسانية ، وانها افضل وسيلة من وسائل التربية •

٢ ـ حرارة هذا الحب وجمال اسلوب شبلى فى التعبير عنه •

٣ ـ اسلوبه فى الدراسات المقارنة حينما يضع السيرة النبوية فى اطارها العالمى بين سير الانبياء والمصلحين •

ولقد جاء القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه • وجاء المصطفى (ص) وهو يتلو قول الله تعالى «آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لانفرق بين احد من رسله ، وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير» (البقرة : ٢٨٥) • ففى تجلية صورة المصطفى بكل ما تحمل من تكريم لجميع الانبياء والمرسلين، مدد ونور قوى للانسانية فى مسيرتها الى غدها •

٥ ـ بين علم الحديث وعلم المغازى والسير

ويعرض شبلى ـ عند دراسته للباعث على كتابه ـ الفروق المنهجية بين علماء الحديث وعلماء المغازى والسير فيقول « ان كثيرا من الناس يظن ان السيرة فرع من فروع علوم الحديث • اى ان اختيار ما يتعلق بعادات الرسول واخلاقه وضمها بعضها الى بعض ، يمكن ان يصنع السيرة • فكيف ـ وقد توفرت الكتب الصحيحه كالبخارى ومسلم ـ يمكن القول بان كتب السيرة ليست فى مستوى كتب الحديث من التوثيق ؟

ويوضح شبلى هذه القضية بقوله :

« اولا ، ما هى السيرة ؟ هى عند المحدثين مرادفة للمغازى • فهم يتحدثون عن المغازى والسير • فكتاب ابن اسحق يسمى «المغازى» كما يسمى « السيرة » وينقل عن الحافظ ابن حجر فى كتابه « فتح البارى شرح صحيح البخارى » ، فى كتاب المغازى • انه يستخدم الكلمتين لنفس الكتاب • وتسير كتب الفقه على نفس النهج • فالسيرة تاتى فى كتاب الجهاد • ويقصد بالسير الاوامر والرسائل المتصلة بالغزوات والجهاد •

وظل الامر كذلك عدة قرون •• وحتى القرن الثالث كانت الكتب تحمل اسم « السيرة » كسيرة ابن هشام تعنى أكثر ما تعنى بالغزوات • وجاءت بعد هذا كتب اخرى من السيرة تحوى كل شىء عنها، عدا المغازى ، « كالمواهب اللدنية للزرقانى » (١ : ٥ ـ ٦ هامش)

من اجل ذلك كانت المغازى والسير ، عند المحدثين موضوعا منفصلا عن علم الحديث • حتى انه فى بعض الاحيان كما يقول شبلى (١ : ٦) كان المحدثون وكتاب السيرة يعتبرون جماعتين متنافستين • وفى بعض الاحيان كان كتاب السير يلهبون منهبا واحدا ، بينما ياخذ البخارى ومسلم جانبا اخر • واذا كان البعض يرجح ما يذهب اليه

كتاب السير عند الاختلاف فان التمحيص الدقيق يدعو الى الاخذ بالحديث الصحيح •

٦ ـ نماذج

ويضرب مثالا لذلك بغزوة ذي قرد • فيذهب كتاب السير الى انها كانت قبل صلح الحديبية ، بينما يذهب حديث اياس بن سلمة عن ابيه في صحيح مسلم الى انها كانت بعد الحديبية وقبل غزوة خيبر بثلاثة ايام • ويرجح القرطبي ما يذهب اليه كتاب السير ، من انها كانت قبل صلح الحديبية • ويرى انه ربما اساء بعض الرواة فهم حديث اياس بن سلمة عن ابيه ، بينما يذهب ابن حجر في كتابه فتح الباري الى ترجيح ما جاء في صحيح مسلم على ما جاء عند كتاب السير •

ويلخص شبلي وجهة نظره بقوله « ان السيرة فن منفصل عن علم الحديث • وان اقصى درجات العناية والحذر اتخذها الائمة الذين قاموا بامر الكتب الستة • وان هذا المستوى من التحقيق لم يستخدم في كل كتابات السيرة » (١:٧ هامش) •

ويتابع تفرقته بينهما بقوله :

« ان تفاصيل الاحداث ذات المرتبة الثانية ، والتي تتطلبها كتابات المغازي والسيرة ، لم تتوفر مع المطالب العالية التي يتبعها علم الحديث ، وان كتاب السيرة كان عليهم ان ينزلوا بمستوى النقد والتحقيق ـ نسبيا ـ عما ارتضاه علماء الحديث لانفسهم • ومن هنا كانت منزلة كتابات المغازي والسيرة اقل منزلة من علم الحديث » •

فالمعروف ان البخاري ومسلم تجنبا ـ بكل عناية ـ ان يكون في كتبهما حديث ضعيف • بينما لم يلتزم كتاب السيرة بهذا المستوى فيما كتبوا • وبين ايدينا كتب السيرة : كابن هشام وابن اسحق وابن سيد الناس والدمياطي الحلبي •• والعناية فيها لا تصل الى مستوى كتب الحديث •

٧ ـ المحور

فالمحور الرئيسي الذي يدور حول الكتاب هو مستوى التحقيق •• ويقولها بكل تحديد « ليس بين ايدينا كتاب عن حياة الرسول (ص) اعتمد اعتمادا كاملا على الحديث الشريف الصحيح فقط» (١ : ٨ هامش)

وهو في ذات الوقت ـ وبكل التقدير للجهود المبذولة ـ لا يهون من شان ما بين ايدينا ، وما ارتضته القرون المتوالية • ولكنه يذكر اننا نقرا بعض الاحاديث الضعيفة في كتب السيرة •

ومن هذه النقطة كانت مسيرته الطويلة في صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام • مسيرة اعترف من اول الامر انه لا يستطيعها وحده •

٨ ـ المراجع

كان عليه ان يجمع عددا كبيرا من كتب الحديث والرجال• وان يقوم ببحوث ممعنة• وكيف يستطيع وحده دراسة مئات الكتب وان يجمع منها المعلومات اللازمة لكتابه ؟

والى جانب ذلك ، كان عليه ان يعرف ما كتب الاوروبيون عن الرسول (ص) ، ويعترف انه لم يكن يعرف هذه اللغات الاوربية •

وتغلب شبلي على هذه العقبة بمعونة مجموعة منظمة من الباحثين القادرين الذين يعرفون العربية واللغات الاوروبية المطلوبة ، مما ذلل عقبات الطريق ، فماذا يحول دون السير فيه ؟

ونعود اليه وهو يقول ، وامامه هذا التراث الاسلامي الضخم ، وهذا الحب الكبير للمصطفى :

« الى يوم الدين لن يستطيع احد ان ينافس المسلمين في فخرهم بحفظ ادق تفاصيل كل حادث في حياة الرسول ، بطريقة دقيقة وواعية ، لا يصل الى مستواها تسجيل حياة اى انسان آخر من قبل ولا يمكن ان ينتظرها من بعد ، فمن اجل تسجيل هذه الحياة بادق تفاصيلها ، قام علماؤنا بتسجيل اسماء وخصائص نحو ثلاثة عشر الفا من الصحابة• وتم هذا في وقت كان فجر نظام التاليف •

ولنرجع الى كتب الطبقات وعلم الرجال لنرى

فيها هذه الصورة الفريدة في التراث الانساني • انه جهد لا نظير له في تاريخ الانسانية • من اجل حياة فرد واحد » (١ : ٨)

٩ ـ كتابة الحديث في عهد النبوة

ووضح شبلي ـ في تفصيل ـ أن الكتابكانت معروفةوشائعة فيالجزيرة العربية علىعهد المصطفى (ص)• وناقش الاحاديث المتعلقة بكتابة الحديثعلى عهده • وبين ان بعض الصحابة كان يكتبها •

١٠ ـ كتب السيرة

ثم درس كتاب المغازي والسير في تسلسلهم التاريخي مع عناية بمناهجهم • وعاد ليؤكد مكانة البخاري ومسلم ، وما التزما به من شروط صحة الحديث ، وضرب امثلة اخرى تؤكد ان الاعتماد على الحديث الصحيح يحل مشكلات لها اهميتها في كتابة السيرة • ويعجب من عدم استخدام هذه المادة العلمية من الاحاديث الصحيحة في كتابة السيرة لحل هذه المشكلات ••

ويعود ليذكر مثالا آخر مستندا الى ما ذكره ابو داود في سننه من انذار قريش لعبدالله بن ابي ، قبل غزوة بدر ، باخراج الرسول واصحابه والا غزت قريش المدينة •• جاء هذا في كتب الحديث ولم يرد في كتب السيرة •• ولما كانت كتب السيرة قداتسع انتشارها فقداصبح منالصعب تصحيح ما فيها (١ : ٥٦)

ونمضي مع رحلة منهجية مع شبلي تستغرق خمسا وثمانين صحيفة قبل ان ينتقل الى التاليف الغربي عن السيرة • ويتابع ما عند الغرب من اتجاهات في كتابة السيرة مركزا على القرن السابع عشر وما بعده ، ويورد قوائم هامة بهذه المؤلفات ، يذكر فيها سبعة عشر مؤلفا في القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين (١٨١٥ ـ ١٩٠٩) •

١١ ـ مواقع الافتراء على السيرة

ويلخص النقاط التي ركز عليها الكتاب الاوروبيون الافتراء في حياة المصطفى (ص) :

١ ـ انه تحول من النبوة في مكة ، الى الملك والقوة والسيطرة في المدينة ، بكل ما يحمل ذلك من اشمال الحروب والقتل والردع واراقة الدماء•

٢ ـ تعدد الزوجات والميل الى النساء •

٣ ـ نشر الاسلام بالقوة •

٤ ـ اقرار الرق وممارسته •

٥ ـ اتباع الاساليب الديلوماسية كما يمارسها الحكام الدنيويون •

وقد ناقش الكتاب كل هذه الافتراءات في مواضعها ورد عليها بكل افاضة •

١٢ ـ الاسس المنهجية

وعرض شبلي بعد هذا للاسس التي اقام عليها في جمع وتقسيم كتابه :

١ ـ ما جاء في القرآن الكريم وهو المرجع الاعلى في السيرة •

٢ ـ ما جاء في الاحاديث الصحيحة • ويرى ان خطا كبيرا حدث نتيجة البحث عن الموضوعات تحت عناوين معينة ، فاذا لم يجدوها مالوا الى الحديث الضعيف فاستعانوا به ، بينما في كتب الحديث تفاصيل كثيرة جاءت كانها حقائق ثانوية ضمن موضوع اساسي • ويمكن ـ مع الدراسة المعنة ـ جمع كل هذه التفاصيل الدقيقة والصحيحة عن حياة المصطفى (ص) من الكتب الستة •

فميزة « سيرة النبي » ان شبلي قد استطاع ان يجمع فيه معظم التفاصيل من كتب الحديث واعاد تبويبها من جديد ، وهي التي لم تجتذب انظار مؤلفين سابقين •

٣ ـ فيما يتعلق بالاحداث اليومية اكتفى بما جاء به ابن سعد في طبقاته ، وابن هشام في السيرة ، والطبري في التاريخ • واذا ما كان لحادث قيمة كبيرة قام بتحقيقه تحقيقا علميا دقيقا ، واقتضى ذلك اعداد قوائم بالرجال على غرار ما هو متبعفي علم الرجال والجرحوالتعديل•

٤ ـ اعداد كل هذه المواد السابقة وتحقيقها •

١٣ ـ خطة الكتاب وتعديلها

وقسم شبلى الكتاب بعد هذا الى خمسة مجلدات ، ورأينا فى التنفيذ انها عدلت الى سبعة، وعزم على طبع اى جزء منها بعد انجازه دون تقيد بالترتيب الموضوعى للاجزاء ..

١٤ ـ بين شبلى وسليمان

ولنعد إلى حياة شبلى الخصيبة التى بدات عام ١٨٥٧ الى وفاته فى نوفمبر ١٩١٤ ولنذكر انالجزء الاول من الكتاب صدر عام ١٩١٨ والثانى عام ١٩٢٠ ثم توالت الاجزاء ..

ما قصة الكتاب بين وفاة مؤلفه دون اكماله ، وصدوره على يد تلميذه الوفى العلامة الكبير سليمان الندوى ؟

هذه القصة تطبيق حى لحب المصطفى (ص) وما تصنعه فى النفوس . ولندع القول لسليمان:

« عندما جاءت مخطوطة الكتاب الىّ (يقصد الجزءين الاول والثانى بعد وفاة شبلى) احسست انها تحتاج الى عدة فصول ، بغيرها يظل الكتاب ناقصا . ولم تكن عندى الشجاعة لان افكر فى اضافة اى شىء الى ما تركه المؤلف . ومرت فترة من التردد الطويل ، ثم عزمت على كتابة الفصول التى يحتاج اليها الكتاب .. وبعد ايام عثرت على مجموعة من المذكرات كتبها المؤلف قبل وفاته بخمسة شهور .. كانت المذكرات الاخيرة هى رؤوس الموضوعات . ولم يكن لسرورى حدود عندما قرات المذكرات ، فوجدتها الفصول التى يحتاج اليها الكتاب . وانها تطابق ما احسست ان الكتاب محتاج اليه فكتبته . ولعلها كانت اشارة من الغيب له ان يضع هذه الخطوط لتكون عونا لى على السير » (مقدمة المجلد الثانى ٢ : ٢) .

ولقد كان الجزء الخاص باحوال المصطفى غير كامل . وفى بعض الصفحات فراغات اكملها سليمان ، واضاف هوامش ، وميز ذلك عن الاصل.

وصفوة القول ان المجلد الاول يعنى بالمنهج وما قبل الاسلام . وبالسيرة على اساس من التسلسل التاريخى ، وحياة الرسول فى مكة والمدينة ومغازيه . بينما يدرس الثانى السنوات الثلاث الاخيرة من حياة الرسول ، مع عناية بنشر الدعوة،ورسله ورسائله،واستقبال الوفود واقامة المجتمع الجديد ، ونظمه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ثم يعرض للاسلام كدين : عباداته ومعاملاته وحلاله وحرامه .. ويدرس العام الاخير من حياة الرسول وحجة الوداع ...

وبعد ان يعرض لوفاة الرسول ، يخصص فصولا لما ترك وراءه ، واخلاقه ونظام حياته اليومية ، ومستشاريه ، والرسول كخطيب (كيف يخطب . طبيعته عظاته . تاثيرها) . ثم عبادته واخلاقه وزوجاته وابناؤه وحياته المنزلية ...

ويستغرق المجلدان معا نحو تسعمائة صحيفة فى الطبعة الانجليزية .

١٥ ـ هذا الكتاب والقرن الهجرى الجديد

وما اود ان يكون هذا الحديث مجرد تعريف بهذا الجهد الكبير .. ولكن مع احتفالنا بميلاد المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وقرب احتفال العالم الاسلامى بمطلع قرن هجرى جديد ، علينا ان نلقى الضوء على هذه القمم الشوامخ من تراثنا لتكون لنا عونا على طريق مستقبلنا ..

واقتراحى المحدد هو : ان تتعاون مؤسساتنا الاسلامية العالمية والمحلية ، فى هذه المناسبة التاريخية ، على اختيار مجموعة من الكتب ذات المستوى الرفيع ، والتى كتبها علماء مسلمون على درجة عالية من التخصص ، ومن حب الاسلام ، لنجعلها اولا بين ايدى المسلمين ، وثانيا نقدمها الى الانسانية جمعاء .. وليكن بدؤنا بهذا الكتاب ـ باجزائه السبعة ـ كنموذج .

ولقد كان حديثى عن الكتاب ومنهجه ، اما الكاتبان شبلى وسليمان فالتعريف بهما له حديث آخر . ■■

الكويت ـ د . عبد العزيز كامل

أقوال معاصرة

■ السلام الذى يتجاهل الحقوق المشروعة لشعب فلسطين هو حرب مؤجلة ٠

عبد العزيز بو تفليقة
وزير خارجية الجزائر

■ البعض ينكر على رئيس الجمهورية حقه فى التعبير عن رأيه٠ أى جمهورية هذه التي يرأسها أخرس ؟!

الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان

■ المستوطنات أكثر أهمية من السلام !

الجنرال يورى يارون
مسئول المستوطنات فى وزارة الزراعة الاسرائيلية

■ نشر المعلومات المتعلقة بامتلاك اسرائيل للقنبلة الذرية تم بطريق الخطأ ، ووثائق هذا الموضوع كان ينبغى أن تظل سرية ٠

متحدث باسم وكالة المخابرات المركزية الامريكية ٠

■ لو لم تكن قيادة مقاتلة جديرة بالثقة ، لما تمكنا من الحفاظ على موقفنا المعتدل ٠

من رسالة ياسر عرفات الى كارتر ٠

■ أخيرا دخل الخيط الاسرائيلى فى النسيج العربى ٠

ابا ايبان ٠



■ ان الامة كلها مهددة ، فماذا تكون اللغة ، وماذا تكون الكتابة ؟؟

محمود درويش ٠

■ لم تعد مسألة ما اذا كان السلام سيتحقق ، وانما مسألة أى سلام سيكون هذا ؟

النائب والكاتب الاسرائيلى يورى افنيرى

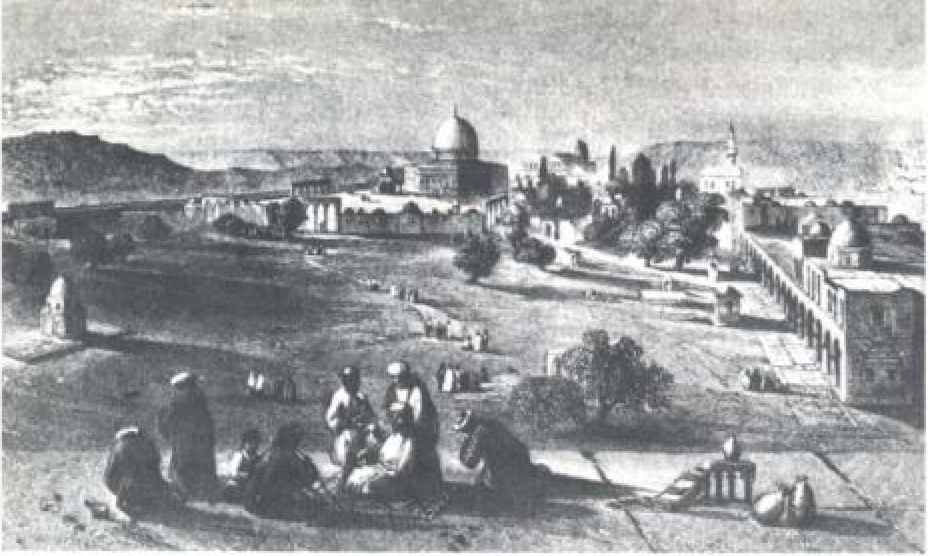


■ اذا تمكنا من رؤية الضوء فى نهاية النفق فاننا لن نتردد لحظة واحدة فى الاشتراك بالمفاوضات

الملك حسين ـ ملك الاردن ٠

■ شهرتي اصبحت في مثل شهرة شارل ديجول ، لكنها لم تصل بعد الى شهرة نابليون بونابرت !

مصمم الازياء الفرنسى بيير كاردان



الذين دخلوا القدس وصلّوا فى المسجد الأقصى

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

موكبان فقط من مواكب الذين دخلوا القدس وقف عندهما التاريخ . وقف مشدوها وأطرق .. لمن تراه ادخر الموكب الثالث ؟

القدس ؟ ...

« اخلع نعليك . انك بالوادى المقدس طوى » (١)

... وتتداح فى الخواطر مواكب يلتقى فيها رنين الاجراس الاخضر باقمار الانبياء ، وينساب الاذان خشوعا على خشوع ، مع خبب السنابك ، وعطش السيوف ، وحفيف الملائكة ، ونعاس القناديل ، على الزيت المقدس ، ليس فى الارض بقعة أخرى هى أشبار من الارض وقد احتضنت ، مع ذلك ، وما تزال تحتضن ، كانها كتاب الابد ملايين الملايين من القلوب ، ومنذ الوف السنين ، ومن كل أنحاء الدنيا ! وفى المأساة . ما من بلد يعدله فى المأساة . ترى هل كان صليب « الفادى » بعد درب الآلام ، هو الرمز له على الجلجلة يوم الجلجلة ؟

والذين دخلوا القدس كثيرون ...

١ ــ توسعنا فى فهم الوادى المقدس ليشمل ، مع جبل الطور ، الارض المقدسة كلها .

دع عنك غذاءها البشرى الدائم من القبائل العربية منذ ما قبل الاسلام بمئات بعد مئات من السنين .. في الاسلام ، الرسول الاعظم هو الذى بدأ السرى المقدس اليها ليلة الاسراء.ومع تدفق العرب اليها بعد الفتح العربى ودبيب الاسلام فى نسغها وترابها القدسي،وفروع الزيتون،والصخرة المباركة الصامدة اربعة عشر قرنا ، سجل التاريخ دخول الكثيرين اليها : دخلها معاوية ونصب نفسه خليفة فى مسجدها الاقصى ، ودخلها الوليد بن عبدالملك ينظر الى فسيفساء القبة التى بنى ، ودخلها المأمون يعجب من زخرفها الذهبى العجيب، ودخلها المعز الفاطمي ودخلها العزيز ، ودخلها.. ودخلها ..مواكب الزاحفين الى قدسها،كانت تصعد دون انقطاع تلالها درجات نحو السماء ...

موكبان فقط من هذه المواكب وقف عندهما التاريخ . وقف مشدوها واطرق . كان الاول قبل اربعة عشر قرنا ، وكان الثانى بعده بستة قرون: موكب الفاروق عمر ، وموكب الناصر صلاح الدين.

كتاب أبي عبيدة

السنة السادسة عشرة للهجرة (٢) ... بطاح يثرب كانت زغاريد وفرحا يسيل في الدروب . الراكضون اليها كل يوم بانباء الفتوح كانوا السنة منهولة . نسوا الاف الشهداء كانوا يتحدثون فقط عن الاعاجيب ... « اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا » .

اذن فهؤلاء الفتيان الذين ذهبت من هاهنا خيولهم والاباعر قد اضحوا جراح البراكين . دما على الشمس . سادة الوجهين : وجه الروم ووجه الفرس ؟

سادة الدنيا ؟

واقبلت من اقصى المدينة راحلة تسعى قال صاحبها : « اين امير المؤمنين ؟ »

وتراكض الناس حول قوائم البعير يسعون به الى مجلس الفاروق . ومد صاحب الراحلة اليه بالكتاب الذى يحمل . انه من أبي عبيدة بن الجراح قائد الجيوش المجاهدة فى الشام . اهى بشارة فتح جديد ؟ قائمة البلاد التى فتحت هناك كانت تضم حتى تلك الرسالة : دمشق . بصرى . حمص . قنسرين . منبج . انطاكية . اللاذقية . بعلبك. تدمر . وفي فلسطين : طبرية . بيسان . سبسطية، نابلس . لد . يبنى . عمواس . بيت جبرين . يافا . اجنادين . غزة . رفح . حتى قيسارية التى كان فيها ـ على مايروون ـ ثلاثمائة سوق ويحرسها فى كل ليلة على سورها مائة الف » (٣). سقطت راغمة ثم نقضت ، وحدها « ايلياء » ، بقيت جزيرة معزولة . والخيل العراب تطوقها وتضرب بالسنابك عند اسفل الاسوار وعند الحجارة القديمة . ابراج كنائسها المردة كانت تطل من داخل الجدران على مجانيق وسيوف ، جلبة،وعثير، وقدور ، وخيام ، وعلى غابات الزيتون تتحرك بالرماح هنا وبثورة من المهور هناك ...

كل فلول القوى الرومية المهزومة كانت قد اجتمعت الى « ايلياء » يقودها « الارطبون » (٤) ، كبير القوم وعسكريهم الاول . المنجنيقات الضخمة كانت تعول بالحجار فوق القوى العربية . تعول . تعول . بينما ريح الشتاء تعصف بالعظام المقرورة وتمزق المضارب . والصقيع ياكل كالسياط اطراف الناس لولا اللهب المقدس في الصدور ! والتقى على طرفى الاسوار ايمان بايمان وعناد بعناد . ومات الرعب . وحده الصمت صار مخيفا . كتجمة تغر بفتة !

اربعة اشهر ، طال الحصار . ويوم هرب الارطبون من المدينة ولحق بمصر انقطع الرجاء باهل ايليا فلا مدد ولا نجدة . وشرب الياس كل العيون . وحين كتب ابو عبيدة اليهم يدعوهم كغيرهم الى الاسلام او الطاعة والجزية كانوا بين التصديق والتكذيب . خافوا عقابيل الحقد الذى فجروه بالقتال العنيف وراوا كسب الوقت قبل التسليم ، لعل .. ولعل .

أمير المؤمنين على بعير

وبكل الابهة ولمعان الذهب وزخرف الملابس الكهنوتية ظهر (صفرونيوس) بطريق المدينة على الاسوار طالبا قبول التسليم والامان ، والصلح

٢ ـ ثمة خلاف فى هذا التاريخ وبعضهم يجعله سنة ١٥ أو سنة ١٧هـ .

٣ ـ رواه البلاذرى ـ فتوح البلدان ج١ ص١٦٧ .

٤ ـ هذا هو الاسم الشائع فى المصادر العربية .ويبدو انه كما لاحظ بتلر محرف عن الاسم الاصلى اريطيون .

على ما صولح عليه اهل مدن الشام ، نظراؤهم ، على ان يتولى ذلك امير المؤمنين نفسه !

وعجب عمر للطلب الغريب ولكنه قال ـ وبين يديه الكتاب بالخبر ، ومن حوله علي بن ابي طالب وعدد من الصحابة :

ـ اذهب ·· ان تخليص ثالث الحرمين من الروم يستحق ان يسير من اجله الفاروق شهرا وشهرا·· واني لاستخلفك على المدينة يا علي !

فقال علي بن ابي طالب :

ـ اين تخرج بنفسك ؟ انك تريد عدوا كلبا ··

قال عمر :

ـابادر بالجهاد ! انما اذهب ، لانه لم يبق الا القدس ، ولان يد الله الآن هي العليا · على الجماجم يمشي جند الله · كل بلد في الشام استسلم،هذه الامة رصفت الطريق اليها بالشهداء:

كلما انهار حائط من جنود

اتبعته بحائط من جنود

هي الضربة القاضية !

وراى الصباح التالي مسافرا يخرج على بعيره(٥) من يثرب ليس معه سوى غلام يخدمه ·

بعد اسابيع كان هذا الركب الصغير قد وصل (الجابية) في مشارف الشام · كان اول من لقيه من القادة يزيد بن ابي سفيان وابو عبيدة بن الجراح ثم خالد بن الوليد · جاءوا على الخيول عليهم الديباج والحرير · وزلزل الغضب الفاروق· نزل عن راحلته ، فاخذ الحجارة ورماهم وقال :

ـ « ما اسرع مارجعتم عن رايكم ! اياي تستقبلون بهذا الزي ؟ وانما شبعتم منذ سنين ؟ ، وانتم في ارض يملؤها العدو ! » ·

« قالوا : يا امير المؤمنين · انها يلامقة (قباء وغطاء) وان علينا السلاح ما تركناه » ·

«وبينما عمر معسكر بالجابية فزع الناس الى السلاح

«فقال : ما شانكم ؟ فقالوا : الا ترى الى الخيل والسيوف ؟

«فنظر فاذا كردوس يلمعون بالسيوف · فقال عمر : » ـ مستامنة فلا تراعوا !

عهد أهل ألياء

فامنوهم فاذا اهل ايلياء وحيزها ·· » (٦) يطلبون لقاء امير المؤمنين ليستسلموا على يديه · وقبل عمر استسلامهم ، وكتب لهم «عهد اهل ايلياء » المشهور : احد المواقف الحضارية التي هي انبل واسمى في التاريخ العربي · لم ياخذهم بالسيف وهم في قبضته ، ولكنه « ·· اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها انه لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ولا ينقص منها ولا من صليبهم ولا من شيء من اموالهم ولايكرهون على دينهم ولايضار احد منهم· ولايسكن بايليا معهم احد من اليهود · وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص ·· وشهد خالد·· وعمرو ·· وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية ··» (٧)

ودعا اهل ايلياء الخليفة لتسلم المدينة بنفسه· وجاءها عمر بعد قليل من الايام كان كل موكبه « بعيرا احمر وخلفه جفنة مملوءة بالتمر وقربة ماء ·· » (٨) وخادم · ولكنه كان يجر وراءه كل امجاد اليرموك · الذين كانوا في الاستقبال من ايلياء ما عرفوه · ولقد فاتهم سائرا الى باب المدينة وهم يبحثون عن امير المؤمنين وموكب امير المؤمنين · ولحق به الناس وعلي راسهم البطريق « صفرونيوس » حامي الكنيسة المعسول اللسان « ـ كما كان يلقب ـ وسلمه مفتاح المدينة »!

كالثمرة الناضجة كانت الشمس يوم دخل عمر القدس ·

وكالثمرة الناضجة كانت القدس يوم سقطت في يديه ·

وطاف صفرونيوس البطريق بضيفه العظيم الازقة التي جاسها السيد المسيح من قبل وعجب له ، بعد ان هم بالصلاة في كنيسة القيامة ،ان يخرج فيصلي على نشز من الارض خارجها · وقال صفرونيوس :

ـ أعن قلي يا أمير المؤمنين ؟

---

٥ ـ يروى انه سافر مرة على بعير ومرة على حصان ومرة على بغل وعلى حمار ··

٦ ـ انظر الطبري ج٣ ص ٦٠٧ ـ ٦٠٨ وابن الاثير ج٢ ص ٥٠١ ـ ٥٠٢ فهذا الحديث المطوق كله مأخوذ منهما ·

٧ ـ الطبري ج٢ ص٦٠٩ وهناك النص الكامل ·

(٨) الواقدي فتوح الشام ج٢ ص ٢٥٧

قال عمر : لا ولكني اخشى ان يغصبكم احد المكان من بعدي ويقول : هنا صلى عمر ! وقد بنى حيث صلى الفاروق جامع عمر .

موكب صلاح الدين

الموكب الثاني كان يصعد تلال القدس سنة ٥٨٣ هـ . على الضبط يوم الاحد الخامس عشر من رجب من تلك السنة (٢٢ ايلول/ سبتمبر ١١٨٧) وصاحبهو صلاح الدين يوسف بن ايوب.

الموكب كان في هذه المرة خيلا وليلا . ومجانيق تعول كالذئاب الجريحة ، ولهاث دروع ، وسيوفا مزبدة بالدماء ، وعصافير مطر تركض مع الغبار ومع اوراق الخريف ، وزلازل رعب تنطلق في كل سبيل انطلاق الاصداء الهاربة في الوديان .

وكما كانت وراء الموكب الاول امجاد اليرموك تواكبه كانت وراء هذا الموكب امجاد حطين تواكبه!..

لم يكن قد مضى على تلك الملحمة سبعون يوما بعد . زعيق سيوفها وصهيل الخيل وجؤار الفرسان قاتلا ومقتولا . كان ومايزال يرقص في الاسماع والاجواء . والعطش ايضا كان يرقص . واللهاث والجراح وعين الاسر الذليلة! كل القوى الفرنجية سحقت في تلك الواقعة سحقا حتى العظم . ارأيت حزم القصب كيف تهوى تحت انهيار الصخور اكلتهم على اكمة حطين الجرداء ذات القرنين الصخريين، نيران اربع من مثل نيران الجحيم . طوقتهم من كل فج فلا فكاك ... عطشا هلكوا . بلهب تموز (يوليو) في الغور هلكوا . بسعير القتال المر هلكوا . بالعشب الجاف احرق تحت خيلهم والارجل هلكوا ... انه الموت المربع . « هذه النار التي كنتم بها تكذبون » . « ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا : ياليتنا نرد .. » . « كسكارى وما هم بسكارى » كانوا حين اخذتهم الصيحة من كل جانب . « فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية » وحالت الاكمة في حطين نهرا من العيون الممزقة والعظام التي ترتجف فزعا وهولا .

وحين انهارت خيمة الملك الحمراء المضروبة في اعلى تل حطين عرف صلاح الدين ان قد انهار للفرنجة كل شيء : مملكة الفرنجة التي اغتصبوها قد انتهت ، والدعوة الصليبية التي اقاموها عليها ومن حولها قد انتهت ايضا . وترجل مسرعا اذذاك عن فرسه والدموع ملء عينيه ، وسجد على التراب شكرا لله ، بينما كان جنده يحصدون الحصاد البشري .. حتى ملك الفرنجة (غي) ، وامراؤه الكبار ، ومقدم الداوية ، وصاحب الاسبتارية ، وارناط ، شيطان الحقد الفرنجي الصليبي ، امير الكرك الذي حاول غزو قبر النبي (ص) في المدينة ، كلهم التقطهم الجند الصلاحي، كالعصافير المبللة ، لا تاج ولا امارة ولا عنفوان. كالخرق الملقاة على الارض كانوا ، سيوفهم حالت اخشابا ميتة ملقاة حولهم وكل تعصبهم في الرغام. ما كان لاحدهم من الرعب ومن الوهن ما يسلم به سيفه علامة الاذعان . كانوا الاذعان نفسه جسدا وعينا ذليلة ويدا . « .. كان من يرى القتلى لا يظن انهم أسروا احدا ومن يرى الاسرى لا يظن انهم قتلوا احدا .. » (٩)

ان جنحوا للسلم

بعد الواقعة وبينما قوافل الاسرى تسير نحو دمشق انتهى تحرير فلسطين ، وغير فلسطين من الغاصبين كالانثى المسحوقة اضحت مدن الفرنجة وجالياتهم المزروعة زرعا هنا وهناك . ثمانون سنة من الاحتلال الغيث في يوم . لفظت الارض المحتلين كالقيء . حجارة الاسوار حولهم صارت هشة كالضباب ، وكل شيء حولهم أخذ يصيح بهم انهم غرباء غرباء .. ارتدوا يتحصنون ، بلى : شحذوا ولمعوا الحراب . اغلقوا ابواب الحصون . دعموا حجارة القلاع . حشدوا كل الحقد للصمود . ولكنهم كانوا ، من الرعب ، مدنا مفتوحة !

وكالثمر الناضج الناضح ، مرة اخرى ، اخذت تسقط مدنهم والقلاع . دون نظام . الجنرال « ياس » قام يومذاك بالكثير . واستسلمت قلعة طبرية . الجليل كله . عكا الحصينة . العفولة . نابلس العصية . معليا . مجدليان . تبنين . طرابلس . صيدا . شقيف ارنون . بيروت . جبيل . غزة . يافا . الرملة . الداروم . بيت لحم . بيت جبرين . الخليل . النطرون .. لم تهدأ طبول البشائر لحظة طوال شهرين ولا نشوة الراكضين بالبشائر .

ويوم دخل صلاح الدين عسقلان (٤ ايلول / سبتمبر ١١٨٧) كسفت الشمس . وفي ظلام

٩ ـ ابن الاثير ـ الكامل ج١١ ص٥٣٧ .

الكسوف استقبل صلاح الدين وفدا من سكان بيت المقدس الفرنجة يعرض السلم والهدنة والاحتفاظ بالقدس لمن فيها · ان لهم فيها للارتباط الديني الوثيق الحميم · وابتدر بعض اصحاب صلاح الدين فقرأ :

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها » .

فقال صلاح الدين

ـ صه !! ابن ايوب افقه منك · انه يحفظ قوله تعالى : « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون » ويحفظ « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » ثم انصرف عنه بوجهه وهو يتلو : « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ، فعسى الله ان ياتي بالفتح ، او امر من عنده » .

واقبل صلاح الدين على الوفد يطلب منه تسليم القدس مقابل الامان لمن فيها · وقال الوفد الفرنجي :

ـ « لا نسلم المدينة التي صلب فيها السيد المسيح من اجلنا · » .

ـ اذن اقسم ان انالها بالسيف عنوة !

وبعد اسبوعين كان موكبه يصعد تلال القدس··

وبدأ الحصار

كانت المدينة قد اضحت بحيرة سوداء من الرعب · ومع انها انتزعت حتى فضة السقوف في كنيسة القيامة لتمويل المعركة ، ونصبت العرادات والمجانيق على الاسوار ، وحشدت وراءها ستين الف مقاتل (١٠) ومع ان « كلهم كان يرى الموت ايسر عليه من ان يملك المسلمون بيت المقدس وياخذوه منه ويرى ان بذل نفسه وماله واولاده (هو) بعض ما يجب عليه من حفظه » (١١) ومع أن حقد الهزيمة كان جبلا من الصوان يسحق أضلاع الناس الا ان كل ذلك كان اعجز من ان يقف للسنابك الزاحفة ·

هذا الى ان اللاجئين كانوا اكداسا في ظلام الازقة ، واشباح الجوع كانت تحوم كالغربان حول المؤن · والفرسان كانوا في معظمهم فتيانا في السادسة عشرة والسابعة عشرة وبعضهم من البرجاسية (١٢) نصبوهم على عجل لانه لم يكن في المدينة قواد ، والمعركة كانت معركة اليأس الجريح · حتى عتمة الكنائس كانت قد فقدت البنفسج والبخور والارجوان · وحتى طيور الكنيسة الكبرى (في المسجد الاقصى) غادرت ابراج النواقيس تحلم بغير غابات الدم · رغم حمى الحرب والهوس كانت المدينة جنازة حية · اشداق مقبرة تنتظر الجثث السائرة في الدروب ! ·

وبدا الحصار ·· بدأ بطواف حول المدينة · خمسة ايام ظل صلاح الدين يطوف بجنده حول الاسوار كانما هو الطواف حول الكعبة · كان يطلب ثغرة الهجوم ، ونزل مساء اليوم الخامس على جبل الزيتون ، تجاه باب عمودا وكنيسة صهيون ، فما تنفس الصبح حتى كانت منجنيقاته قد نصبت واخذت تقصف الاسوار ·

كان « كل واحد من الفريقين يرى (القتال) دينا وحتما واجبا ، فلا يحتاج فيه الى باعث سلطاني (امر من القيادة) · بل كانوا يمنعون فلا يمتنعون ويزجرون فلا ينزجرون » (١٣) واقبل الدم كالمطر الموسمي و « زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها ، وقال الانسان مالها »

حسابات صلاح الدين

كانت ايام القتال معدودة ، بلى ! ولكنها كانت من الهول ، بطول الدهور · الى ان تقدم النقابون في حراسة الفرسان ينقبون السور ، في الموقع نفسه الذي كان نقبه قبل ٨٨ سنة ، غودفري القديم ، يوم سفك الفرنجة دم القدس « وخاضوا فيه حتى الركب » (١٤)

وملأ المدافعون النقب بالاجساد الطرية عبثا · كان النقب اوسع من أن يسد بالجثث ·· وهرع وفد من كبراء القدس للصلح ، فرفضه صلاح الدين ، فخرج (باليان) قائد المدينة مبادرا الى

---

١٠ ـ هو الرقم الذي اكده ووثقه ابن الاثير (ج١١ ص٥٤٩) ·

١١ ـ المصدر نفسه ص ٥٤٧ ·

١٢ ـ البرجاسية هي البورجوازية وكان العرب يستعملون هذه الكلمة لتجار الفرنج غني السماع منهم ·

١٣ ـ من كلام ابن الاثير ، المؤرخ المعاصر للمعركة ج١١ ص٥٤٧ ·

١٤ ـ دخل الفرنجة القدس سنة ١٠٩٩ (في التاريخ الهجري ٤٩٣ فكان الاحتلال هجريا بعد ٩٠ سنة) واما خوض الدماء حتى الركب فهو الجملة التي استعملها الفرنجة أنفسهم يوم دخلوا القدس ·

المعسكر الاسلامي يطلب الصلح والامان ..

غامت عينا صلاح الدين ، لحظات ، وراء مشاهد يصطدم بعضها ببعض :

ــ (باليان) هذا الذى يقف امامه كان بين اللاجئين من حطين الى صور . وقد طلب من صلاح الدين الامان ليلة واحدة يدخل بها الى القدس دون سلاح ليأتي بزوجته الملكة ماريا واطفاله .. فلما دخل المدينة تزعم الدفاع فيها ضده .. وغفر له صلاح الدين غدره واشفق ، حين خرجت الملكة باطفالها من المدينة ، ان ودع الاطفال بدموعه وارسل يحرسه معهم ومع الام والحاشية حتى مدينة صور!

ــ سبعون الف جثة تجمدت الدماء على اشلائها في المسجد الاقصى ، وتعفنت في الازقة يوم دخل الفرنجة هذا البلد الاقدس . ذكرى مرة ظلت تهز الضمائر منذ تسعين سنة ..

ــ تسعون سنة من القتال المرير ملأت الشام قتلا وتخريبا ، تجد الان نهايتها الاخيرة . فكيف تكون النهاية ؟ كيف يصوغها ؟

ــ عدد من امرائه الكبار لقوا مصرعهم بعد حطين ، امام عكا وعسقلان وامام القدس نفسها في صراع عبثي لا امل فيه ، ويريد الان هذا المستامن ان يتخلص من مسئوليته .. بالضراعة والاسترحام ! ولكن .. هي القدس ، ثالث الحرمين وتراث القرون القدسي وبلد الاسراء ، وهؤلاء يهددون بتدمير كل شيء في المدينة قبل الاذعان للمصير المحتوم .

وفي لحظة ... تجمع كل ما في الحضارة العربية الاسلامية من قيم ومثل وصفاء على شفتي صلاح الدين وقال : ــ لكم الامان على اموالكم وانفسكم. تخرجون من أبواب المدينة تحت سيفي فقد اقسمت ان افتح المدينة عنوة بالسيف . وعلى كل خارج منها من الفرنجة ان يفتدى نفسه !

رشت بماء الورد

لم ينس العالم الى اليوم هذا الموقف الحضاري الانساني من صلاح الدين . ومع ذلك فلم يكن ذلك كل شيء . لقد شهد الناس في ذلك اليوم تناقضا عجبا .. فبينما كان البطريق الاعظم يدفع الفدية المقررة عن كل فرد : عشرة دنانير «ويخرج من المدينة » وقد انحنت قامته لثقل ما يحمل من الذهب وقد تبعته العربات تحمل ما بحوزته من من الطنافس والاواني الذهبية والفضية والمجوهرات وبينما كان رؤساء الداوية والاسبتارية والكنيسة يضنون باي مال لافتداء بني جلدتهم الفقراء (١٥) «كان » العادل « شقيق صلاح الدين يطلب منة من اخيه أن يسمح له باطلاق الف اسير فيفعل ويطلب منه البطريق الفرنجي نفسه ان يهبه ، منة اخرى ، بعض الارقاء فيهبه ٧٠٠ أسير ويهب ، حتى باليان ايضا خمسمائة !

وجاءت نساء بعض الاسرى يستوهبن ازواجهن فاطلق لهن صلاح الدين الازواج كرمى لدموعهن.. ثم وجد الارامل واليتامى والعجائز والشيوخ المتروكين لمصائرهم فقال : انا شفيع هؤلاء ..ودفع فداءهم من خزانته ! وبثّ الشرطة في المدينة فلم تتعرض دار واحدة لنهب ولا مس مسيحي باذى(١٦) وسط هذا السلام ،

وفي يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ (٢ تشرين الاول اكتوبر ١١٨٧) وهو يوم ذكرى الاسراء كان موكب صلاح الدين يدخل القدس . اعلامه وحدها كانت ترفرف بين يديه ومن خلفه وعلى الاسوار.

وفجاة ، صاح البلد كله صيحة واحدة : « كان على رأس قبة الصخرة (قد نصب) صليب مذهب فتسلق جماعة الى اعلى القبة ليقلعوه . فلما فعلوا وسقط صاح الناس كلهم صوتا واحدا من البلد ومن ظاهره : المسلمون والفرنج . اما المسلمون فكبروا فرحا ، واما الفرنج فصاحوا تفجعا وتوجعا . فسمع الناس ضجة كادت الارض ان تميد بهم لعظمها وشدتها .. (١٧) كذلك قال المؤرخ المعاصر ابن الاثير ...

وفي يوم الجمعة التالي (٩ اكتوبر سنة ١١٨٧) دخل صلاح الدين المسجد الاقصى وقبة الصخرة يصلى .. بعد أن تنظفت الارض ورشت بماء الورد !

شاكر مصطفى

١٥ ــ رانسيمان ــ تاريخ الصليبيات (بالانكليزية)ج٢ ص٤٦٦ ومن المعروف أن هذا البطريق نفسه قد طاف أوروبا بعد ذلك يحمل صورة للقبرالمقدس وقد دنسه المسلمون بالخيل ويستثير بها الناس لشن الحملة الصليبية الثالثة .

١٦ ــ المصدر السابق نفسه . وقد لعب دورهيومذاك ــ بجانب صلاح الدين ــ العالم المسيحي الارثوذكسي يوسف باطيط .

١٧ ــ ابن الاثير ج١١ ص٥٥١ .

حيرة مسلم هذا الزمان!

بقلم : فهمى هويــــدى

لو ان مسلما اراد ان يتعايش مع عصره بضمير مستريح ، ماذا يفعل ؟

ولو ان مسلما اراد ان يعبر عن ايجابيته والتزامه ، وحاول ان يقدم شيئا لدينه وامته، ماذا يفعل ؟

ولو ان واحدا من خلق الله ، اراد ان يتعرف على الوجه الحقيقى للاسلام، ماذا يفعل ؟

مؤقتا ، سأقوم بدور «مرشد الحيران» ، مشفقا على الثلاثة من مشقة الرحلة وجدواها، مرددا فى البداية قسمـا بالله العظيم ان اقول الحق ولا شىء غير الحق .

وقد اعتاد الناس ان يتوجهوا باسئلتهم الى الذين يكتبون ، وعندهم يجدون «الجواب الكافى والرد الشافى» . لكن كثيرين يصعب عليهم احيانا الاقتناع بان الذين يكتبون هؤلاء، هم بشر مثلهم ، تحيرهم اسئلـة وتستعصى عليهم اجاباتها ، ويبحثون عن الاجابة لدى الاخرين ، حتى ولو كانوا قراء !

●

نبدأ بسؤال المسلم والعصر ..

فى حياته الاجتماعية سيواجه صاحبنا هذا باكثر من مشكلة ، صغيرة لكنها حادة . مثلا، قضية المرأة المسلمة . ثمة نصوص واجتهادات تطالبها بالحجاب ، وتؤكد ان ما يسمح بظهوره لايتجاوز الوجه والكفين . وفى المقابل هناك اجتهادات تقول ان الاحتشام هو جوهر ما يدعو اليه الدين ، وان هذا الاحتشام مسأله نسبية تختلف من مكان الى اخـر . فـضلا عـن ان الحجاب بالصورة التى يدعو اليهـا البعض تتعارض صيغته مع طبيعة الحياة العصرية . كذلك فان الداعين الى الحجاب يتعسفون فى تفسير الآيات ، التى وجه بعضها الى نساء النبى عليه السلام ــ وهو امر فيه تخصيص ــ بينما تدعو آيات اخرى الى الاحتشام فقط وتغطية ما يبرز فتنة المرأة ويستثير الاخرين .

اى الرأيين يلتزم بـه المسلم ؟ .. لا اعرف ..

فى معاملاته الاقتصادية ستكون مشكلة صاحبنا اكثر تعقيدا ، فى تعامله مع البنوك. فى محاولته تامين نفسه واسرته ، من خـلال شركات التامين . فى شرائـه للسندات او شهادات الاستثمار . البعض يسد الطريق كله ويشطب هذه المؤسسات من القاموس. والبعض يامل خيرا فى البنوك الاسلامية التى تنتشر الان فى العالم العربى والاسلامى (الذين يعيشون فى اوروبا وامريكا لا امل لهم فى حل المشكلة!) والبعض يحاول ان يوجد المنافذ، لكنه يظل هدفا للهجوم والتجريح وحملات التشكيك .

ماذا يفعل المسلم الذى ليس له فى التجارة. ويريد ان يتعامل بضمير مستريح مع هذه الصيغ العصرية ؟ .. لا اعرف .

فى احتكاكه بعالم الثقافة والفنون .. قل انه لا مشكلـة فى توجهـه الثقـافى ، لكن مسألة الفنون هذه امامها وقفة طويلة ،وعسيرة . فى الرسم والتصوير والنحت مشكلة

فقهية ، في الموسيقى مشكلة فقهية ، في الغناء مشكلة ، في الرقص الف مشكلة ، في السينما ، في المسرح .. وهكذا .

كيف تبدد حيرة المسلم امام هذا كله ؟ لا اعرف .

البعض يستسهل الحل بكلمة التحريم ، كما قلت ، حتى بلغنا مدى صار فريق منا يظن عنده ان العصر كله حرام ، ولم يجدوا مفرا من الدعوة الى « التكفير والهجرة » .

●

لا مفر اذن من تحريك طاقات الاجتهاد ، في نطاق ما يسمى بالتحديث والمعاصرة .. حتى هذه الدعوة ، كاد الناس يملون تكرارها . لانهم حتى الان ـ وفيما هو ظاهر ـ سمعوا ضجيجا ولم يروا طحنا ، ومعهم عذرهم . فنحن الى الان نرصد اجتهادات فردية في انحاء متفرقة من عالمنا العربي والاسلامي . لكن هذه الاجتهادات لم تتبلور بعد في تيار عام مستنير ، يبدد حيرة المؤمنين ، ويريح ضمائرهم المؤرقة .

ذلك فضلا عن ان البعض يستريب في دعوات التجديد هذه ، ولهم عذرهم ايضا . فتحت مظلة التجديد وقف كثيرون ممن أساءوا وترصدوا ، وشوهوا الدين قدر ما استطاعوا ، بدءا بكمال اتاتورك وحركته التي رفعت شعارات تحرير ارض الاسلام وتحرير الخليفة وطرد الغزاة ، ثم طاردت الاسلام في كل صوره وشعائره . وانتهاء بالبرهانية الذين يتحدثون في السودان الان عن اسلام جديد تنسخ فيه بعض ايات القران . ومرورا بالقاديانية في الهند التي زعم مؤسسها انه المسيح الموعود والمهدي المعهود ، وان الله بعثه ليجدد الدين وينور وجه الملة !

وما يثير الانتباه ان الذين حاولوا ضرب الاسلام ومسخه باسم التجديد شكلوا فرقا وجماعات بعضها مازال قائما الى الان . اما الذين حاولوا التجديد عن طريق تثبيت الدين واستهدفوا اعلاء كلمته ورفع الحرج عن المسلمين ، هؤلاء لا يزالون افرادا مشتتين ترتفع اصواتهم هنا وهناك ، وكثيرا ما تضيع صيحاتهم وسط ضجيج العصر وهدير الاته .

وما هو أكثر مدعاة للاسف والريبة ، تلك المحاولات التي نشهدها بين الحين والاخر « لتسييس » الفكر الديني بدلا من تجديده ، عندما تكون الموجة مع الاشتراكية ، تخرج من الدفاتر الايات والاحاديث التي تعزز الاشتراكية وتساندها ، وتتذكر ان الناس شركاء في ثلاث : الماء والكلا والنار . وعندما تميل الريح مع الراسمالية تكتشف ان تدخل الدولة محظور ، وان كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه . وعندما تصطرع تيارات اليمين واليسار . يقال اننا « امة وسطا » ، واذا كان لا بد من الاختيار « فسلام لك من أصحاب اليمين » ، والاخرون هم « أصحاب المشأمة » . وعندما يلوح بالديمقراطية البرلمانية فمرحبا « بالشورى » وعندما تحل الاحزاب فالسلطة على حق ، لان « حزب الله » هو الذي ينبغي ان يبقى وحده ..

ولن اتعرض للمغالطات والخداع في التفسير والتاويل ، لكني فقط اسال : هذا المسلم الذي يريد ان يعيش عصره ، يصدق من ويكذب من ؟ يتبع من وينصرف عن من ؟ ..

●

ينقلنا ذلك الى المسلم الذي يريد ان يتحرك ، ويترجم ايجابيته الى انتماء وموقف . صاحبنا هذا سيجد أمامه صيغتين للعمل : جماعات ترفع راية الاسلام ، وجماعات ترفع راية الاسلام يمكن تصنيفها الى ثلاث : وليست ضد الاسلام .

وسوف يكتشف أن الجماعات التي ترفع راية الاسلام يمكن تصنيفها الى ثلاث : مؤسسات حكومية ترتبط بالانظمة ـ ومؤسسات اهلية تحاول أن تعمل في الشارع ـ وجماعات

سرية تعمل تحت الارض ، من سماتها التطرف والرفض ٠
الفريق الاول لا نحاسبه ، لانها ابنية وهمية ، الكل يعرف حجمها ودورها ، ولان القائمين عليها من الموظفين ، فليس يعنيهم الشارع الاسلامي في شيء ، انما غاية ما يطمحون اليه أن يثبتوا الولاء دائما ، ويتفانوا في خدمة « السلطان » بأي ثمن ٠
والفريق الثالث (الجماعات السرية المتطرفة) لا نحاسبه ، لانه خارج اطار الشرعية ، حتى ولو كنا نتفهم طبيعة الظروف التي افرزت هذه الجماعات ٠ ذلك فضلا عن اننا لا نستطيع أن نقيم افكارهم بصورة منصفة، لاننا لا نراها، ولم نستمع الى وجهة نظرهم فيها ٠
والفريق الثاني ـ الجماعات الاسلامية التي تعمل في الشارع ـ نسجل على اغلبيتها الساحقة هذه الملاحظات :
ـ انهم يتعاملون مع المجتمع من منطلق يثير الدهشة ٠ فهم نصبوا انفسهم قضاة وليسوا دعاة ٠ واصبحت وسيلتهم هي المحاكمة دائما ٠ المجتمع في قفص الاتهام ، وهم على المنصة ، يلوحون بالسياط وبعذاب جهنم وبئس المصير ٠
ـ انهم لم ينجحوا في حل معادلة المسلم والعصر ٠ لم يطرحوا امام الجماهير تصورا واضحا ومقنعا للحل الاسلامي الذي يقدمونه لمشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ٠ فهم اما صمتوا وتجنبوا الخوض في هذا الموضوع ، أو رفعوا شعارات متخلفة تسيء الى الاسلام ولا تشبع آمال الجماهير ، أو انهم كرسوا جهودهم للانسحاب والعودة الى الماضي ٠
ـ ان هذه الجماعات الاسلامية انفصلت بالتالي عن مشكلات الناس اليومية، وقضاياهم الوطنية والقومية ٠ ولم تدرك اهمية دورها كمؤسسات جماهيرية في تبني آمال الجماهير والتعبير عنها ٠ رغم انها مدعوة الى ذلك ٠و ٠٠٠ من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ٠ وبذلك عزلت هذه الجماعات نفسها عن الشارع الذي يفترض انها تعمل من أجله ، واكتفت بما تصورته قيادة روحية للجماهير ، بينما اعطت الاخرين توكيلا ضمنيا لكي يقودوا هذه الجماهير في كل مجالاتها الحيوية الاخرى ٠
وكانت محصلة هذا كله هي : ان ساحة العمل الاسلامي ظلت تفتقر الى التيار الناضج الذي يقود الجماهير المؤمنة ، ويستثمر بصورة ايجابية طاقات الايمان الهائلة القادرة على صنع المعجزات ، وتحقيق سعادة الانسان في دنياه ، وفي آخرته ٠
الآن هذه هي الصورة، بعد أن ضربت الحركة الاسلامية في العالم العربي منذ الخمسينات ، وانحسر التيار الاسلامي المستنير وتوقف نموه، حتى عندما اتيحت الفرصة امامه في السبعينات، صار عاجزا عن مواكبة ما جرى طوال ربع قرن ، واصبح نسخة عن تلك الجماعات المتخلفة ، غير القادرة على اقناع الجماهير أو الوصول اليها ٠
والمحزن أن انكشاف فراغ الساحة الاسلامية يحدث في مرحلة تشهد حالة « مد » للتوجه الديني يلفت الانظار ، وهي موجة صاعدة بين الشباب بوجه خاص ، الذي لا يزال يعاني من الحيرة ، ويبحث عمن يأخذ بيده في المسار الصحيح ، حتى يكون طاقة بناء لا عنصر تعويق أو تفجير ٠
وقبل فوات الاوان اقول ، انه ما لم يجد هؤلاء الشبان ذلك التيار الاسلامي المستنير ، فان مصيرهم جميعا هو الجماعات السرية الرافضة ، ومستقبل مجتمعنا في خطر شديد ٠
ليس هذا فقط ، بل أن هناك توجها عالميا الان الى الدين ٠ اذ بينما كانت الخمسينات هي سنوات انكار الله سبحانه ـ كما يقول بعض المفكرين ـ فان الستينات كانت سنوات اثبات فشل هذا التيار، وعندما حلت السبعينات اعتبرت سنوات العودة الى الله ٠
وثمة اتفاق الان في احدث الكتابات على ان الانسان لا يزال بحاجة الى ذلك الاختراع

القديم « الايمان » ليكون سلاحه الذى لا يهزم أمام كل التحديات التى تواجهه • من سلامه مع نفسه ، الى انتصاره فى معركة التنمية والانتاج •

حتى الذين كانوا يرفضون فكرة وجود الله ،ويعتبرون الدين عنصر تخلف فى المجتمع ، هؤلاء جميعا أعادوا النظر فى تقديراتهم ،وسمعناهم يقولون كلاما معاكسا فى السبعينات، من باب تغيير الاستراتيجية أو التاكتيك ، الله وحده يعلم •

المهم انه حيث صارت الحاجة ملحة الى ذلك التيار الاسلامى المستنير ، فان الساحة بدت فارغة وموحشة ، على كثرة ما فيها من رايات وسرادقات ، وحناجر لم تتوقف عن الصياح !

بقى مجال آخر لحركة المسلم ، هو الجماعات أو التنظيمات الجماهيرية التى قلنا انها لا ترفع راية الاسلام، وليست ضد الاسلام• وحيرة المسلم هنا هى جزء من حيرة أى مواطن آخر ، سؤاله الاساسى هو أين هى تلك التنظيمات أو الجماعات التى تحرص على أن تعبر عنه هو ، وتحرس أمانيه الوطنية والقومية ، لا أن تعبر عن سلطة وتحرس حكومة أو نظاما • والسؤال يثير قضية الممارسات الديمقراطية ،صيغتها وامكانياتها • وعند هذه النقطة يطول الكلام ، ويتزايد الحرج ، وكثيرا ما يستعصى التعبير !

وانتماء المسلم لهذه التنظيمات يحتاج الى تحديد ومناقشة، لكن ذلك يدخل فى التفاصيل، التى ينبغى أن تنتظر «ثبوت رؤية» هذا التيار الوطنى أو القومى المستنير فى الساحة العربية !

●

أخيرا ، فان غير المسلم الذى يريد أن يرى الوجه الحقيقى للاسلام ، ينبغى أن نبادر فننصحه على الفور بالا يرى المسلمين ! وينبغى أن نقنعه بان الاسلام المدون شىء ، والاسلام المرئى شىء آخر • واذا نجحنا فى أن نحجبه عن بلاد المسلمين ، بفرقهم وشيعهم وبدعهم ، فاننا للاسف الشديد لن نستطيع أن نمنع حيرته وتخبطه اذا ما حاول أن يتعرف على المسلمين من كتاباتهم • لكن ذلك أهون الشرين على أى حال !

واذا كان لى رأى شخصى فى موقفنا من هؤلاء « الخواجات » ، فلنعتذر لهم مؤقتا ، ونوفر جهدنا فى تعريفهم بالاسلام ، ونحاول استثمار هذا الجهد فى تعريف المسلمين بدينهم ! أما الذين يشرح الله صدرهم بالايمان ، فليقبلونا بخيرنا وشرنا ، وليصبروا معنا على البلاء • حتى نتغير ونغيره •

وما زلت أذكر كلمة أمير الجماعة الاسلامية فى باكستان أثناء انعقاد مهرجان العالم الاسلامى الذى أقيم فى لندن قبل سنتين، عندما وقف يعقب على الذين تحدثوا طويلا فى فضائل الاسلام ومناقبه ، ثم قال انه اذا كنا مقتنعين بعظمة الاسلام وضرورة الحل الاسلامى ، فلماذا لا نحاول أن نطبق هذا الاسلام فى أى بقعة من عالمنا ، ولو على مساحة متر مربع واحد • وعندئذ لن نكون بحاجة الى أن نذهب الى « الخواجات » وندعوهم • وسينطق النموذج بكل شىء ، وبكل لغات الارض !

●

متشائم ؟ •• هذا صحيح ، ولكنه التشاؤم الذى يرى فى اطار التشخيص وحده ، ليكون طاقة استنفار وتصحيح ، لا دافعا الى اليأس والتسليم •

لم أر الا النصف الفارغ من الكوب ؟ ••ربما، وليدلنى احد على النصف الملآن، فالشوق الى رؤيته بغير حدود •

ومع ذلك كله ، قبله وبعده ، فاننى أدعو الله أن يكون الذى أراه وهما كاذبا ، فى لحظات الاحباط أو انعدام الرؤية !! ■■

الحائرون الثلاثة

فى هذا العصر

عالم الذرة | عالم الفلك | عالم الحياة

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

« علينا أن نصدق أن الاليكترون جسيم مادى فى أيام السبت والاثنين والاربعاء ، وعلينا أن نعود ونصدق انه موجة من طاقة فى أيام الاحد والثلاثاء والخميس ٠٠ والجمعة اذا راق لك ذلك ! »

● يبدو ان الانسان لن يصل الى لب الحقيقة يوما ، او قد لا يستطيع لها تحديدا ، مهما غزر علمه ، واتسعت آفاق فكره وعقلـه ، اذ كلما تعمقنا فى طبيعة الكون والحياة ، وازحنا ستائر الغموض التى تدثرهما بغلالات من الالغاز والاسرار، اشاحت الحقيقة بوجهها ، وتبدت لنا بوجه آخر مختلف، وعندئذ يتخبط العقل فى ظلمات ليس لها من قرار ، بعد ان ظن انه كان من الحقيقة قاب قوسين او أدنى !

والحائرون الأساسيون فى هذا العالم ثلاثة : عالم الذرة ، وعالم الفلك ، وعالم الحياة ، فاذا سألتهم عن جوهر الحقيقة فيما يبحثون فيه ويتعمقون ، عندئذ قد يشيحون بوجوههم، كما تشيح الحقيقة بوجهها ٠٠ اذ انهم جميعا يتعاملون مع ظواهر الوجود ، اما الباطن فشىء آخر مختلف تحتار فيه العقول ٠

لو انك مثلا اتيت الى عالم الذرة ، والقيت عليه سؤالا بسيطا كهذا : بالله خبرنى ٠٠ ماهى المادة ، وما هى الطاقة ؟

عندئذ قد ينظر اليك عالم الذرة نظرة حائرة ، وقد يفجعك بجواب لايشفى غليلك الى المعرفة ، فيقول : ان سؤالك هذا غير ذى معنى ٠٠ لأن المادة طاقة ، والطاقة مادة ٠٠ وجهان لحقيقة واحدة ، رغم ان ظاهرهما مختلف !

وقد يلحظ عليك شيئا من الغيظ والحيرة ، فيحاول ان يخفف من وقع اجابته غير المقنعة وغير المحددة ، فيقول : الواقع ان المادة طاقة حبيسة ٠٠ طاقة معتقلة ٠٠ غير متحررة ٠٠ قوة تجمدت فى شىء نسميه كتلة ، والكتلة ذات صفات ظاهرة محسوسة ، ولهذا فهى تشغل فى الكون مكانا وزمانا ٠٠ لكنها قد تتخلى عن تلك الصفات ، فتنطلق كطاقة ٠٠ كتحرر ٠٠ كموجة لاتحدد بمكان بل هى دائمة التحرر والانطلاق ، ثم انها لاتعرف زمانا كذلك ٠٠ لأن الزمن فيها متجمد لايسرى ، فاذا تجمدت حركتها (نسبيا) ، وتحولت الى شىء مادى ، نبع منها زمنها الذى يمكن حسابه وتقديره!

وقد يحملق فيك عالم الذرة ، علّه يستشف ان كنت قد هضمت بعض اسرار عالمه او لم تهضمها ،

وقد تحملق انت فيه ، اشفاقا عليه ، او لتستزيد من الفازه التي قد تبدو لك بغير ذى طعم ولا معنى ، وقد تقطع هذا الصمت الحائر وتقول : نحن لانريد فلسفة ، بل عليك ان تقدم لى اجابة علمية مقنعة ، فانني اتعامل الآن مع عالم ، وليس مع فيلسوف !

وهنا قد يرد عليك رد العالم الواثق مما يقول : انني لا اتفلسف ٠٠ فمعادلات اينشتاين الخاصة بالنسبية تشير الى ان المادة طاقة او العكس ٠٠ ولقد جاء العالم الانجليزى بول ديراك ، واشارمن خلال معادلاته بامكان تجسيد الموجة او الطاقة ٠ والعلماء يلعبون هذه اللعبة ليل نهار فى مفاعلاتهم الذرية ، كما ان القنابل النووية هى تجسيد حقيقي لتحويل المادة الساكنة الى صورتها الاخرى المتحررة المريدة المدمرة ٠٠ هي الطاقة٠٠ الطاقة النووية على التحديد ٠

اى انه من الممكن الآن تمويج المادة ، او تجسيد الموجة ٠٠ فهذه فى الحقيقة وجه لتلك ، ولكن اكثرنا عن هذا غافلون !

لكن مما لاشك فيه ان تعمق الانسان فى طبيعة الاشياء يصنع منه فيلسوفا دون أن يدرى ، او يدرى ٠٠ لست ادرى ، فالفلسفة حكمة ، وليست كحكمة الكون والحياة ، حكمة تتعبد فى محرابها العقول التي تسعى للمعرفة سعيا ٠

هل يتجمد الزمن

وقد تعود اليه لتسأله سؤالا آخر ، تريد به ان تستوضحه علاقة الزمن الذى تنبع منه الحركة ، ثم كيف يتجمد هذا الزمن فى موجة تنطلق بسرعة الضوء ٠٠ ثم هل يمكن حقا ان يتجمد الزمن او يتوقف او يسرع ويبطيء ؟

عندئذ قد يجيب عالم الفيزياء الذرية ويقول : حسنا ٠٠ ان الزمن حركة ٠٠ والحركة زمن !

كأنما هو يعود الى النغمة ذاتها : المادة طاقة٠٠ والطاقة مادة !

وقد تصبر عليه وعلى الفازه ، وقد يلاحظ عليك مزيدا من الحيرة ، فيرد قائلا : ان الكون الصغير (الذرة) والكبير (الافلاك) كون غامض ٠٠ ولهذا نتعامل معه دائما من خلال معادلات رياضية على درجةكبيرة من الصقلوالتعقيد٠وقد تنتهي نتيجةهذا التحليل الرياضي الى حقائق لا نستطيع ان نجد لها فى لغاتنا كلمات او معاني مناسبة لنعبر عنها ، وحتي لو وجدنا ما نعبر به ، فان عقولنا المحدودة قد لا تستوعب ذلك ، لان خبراتها قد اكتسبتها مما يتكرر حولها فى هذا الكوكب من ظواهر شتى ، فدوران الارض مثلا حركة محدودة فى فضاء حول نجم او شمس ، ومن خلال هذه الحركة ينبع الزمن ٠٠ اذ لولا تعاقب الليل والنهار (بالدوران او الحركة) ، لما عرفنا اليوم ولا الساعة ولا الدقيقة ولا السنة ، ولا يومنا من غدنا ، ولا رؤوسنا من ارجلنا ٠٠ اذن فالذى يعطينا احساسا بالزمن هو الحركة ، كما انك لا تستطيع انتتعامل مع حركة الا اذا نسبتها الى زمن ، كان تقول انها تنطلق بسرعة كذا فى الثانية او الدقيقة او الساعة ، فاذا لم تشر الى ذلك كان قولك غير ذى معنى !

ثم يردف عالم الذرة قائلا : ومع ذلك ، فلا احد يستطيع ان يتعرف على لغز الزمن ٠٠ اى هل هو شيء موجود بالفعل كنهر ينطلق دائما نحو هدف ، كسهم مارق الى الامام ، ام انه تجسيد لاحداث متتابعة نعبر عنها بقبل وبعد ، او بماض وحاضر ومستقبل ؟ ٠٠ او بمعنى آخر : هل الزمنهوالذى يحدد الاحداث ، او الاحداث هى التى تحدد الزمن؟ ٠٠ واذا كان للزمن وجود حقيقي ، فهل يعنى هذا ان له بداية ونهاية ؟ ٠٠ فاذا كانت له بداية ، فماذا كان قبل هذه البداية ؟٠٠واذا انتهى الزمن، فهل تتقبل النفس انياتى زمن لن يكون بعده زمن؟!

ثم ان الزمن ـ كما يراه علماء الفيزياء والفلك ـ شيء نسبى او متغير ، وهو ـ فى نسبيته او تغيره ـ مرتبط بالحركة ، فكلما تحرك الشيء اسرع ، تباطأ زمنه بالنسبة لغيره ٠٠ صحيح اننا لا نلحظذلك علىارضنا وفىحركاتنا ، لانكلحركة لدينا انما هى حركة كسيحة اذا ما قيست مثلا بسرعة الاشعة الكونية ، او بسرعة الضوءاو الموجات ٠٠ فهناك جسيمات ذرية تطول اعمارهاالى مئات والاف المرات اذا تحركت بسرعة قريبة من سرعة الضوء ٠٠ وهذا ما يسجله العلماء ليل نهار فى مفاعلاتهم الذرية التى تجرى فيهاالجسيمات بسرعات اقل قليلا من الضوء اى اقل من ١٨٦ الف ميل فى الثانية) ٠٠ وهذا يعنى انها كلما تحركت اسرع ، تباطأ زمنها اكثر ، حتى اذا وصلت الى سرعة الضوء (اى الموجة) ،تجمد زمنهاواصبح ابديا !

وجهان لكل شيء

ثم يحاول عالم الذرة او الفيزياء ان يقترب بفكره من الفكر السائد عند عامة الناس او عند بعض مفكريهم ومثقفيهم ثقافة غير عميقة ، فيقول: ان احدا ممن يحترم نفسه ، ويحترم عقلية الاخرين لا يستطيع ان يحدد تحديدا قاطعا بعض طبائع الكون والحياة ، لانه لو حدد لاخطأ ، فكل شيء يحمل وجهين ، فاذا نظرت لاحد الوجهين دون اعتبار للوجه الاخر ، فان ذلك لا يمثل الحقيقة على الاطلاق .

فالذين يقولون مثلا ان الانسان مخير مخطئون ، والذين يقولون انه مسير ، ايضا مخطئون ، فلا احد يستطيع ان يحدد هنا المخير من المسير ، او ان يفصل بينهما .. هما اذن كالمادة والطاقة ، او كالزمن والحركة .. شيئان ينبعان من جوهر واحد ، ولا غنى لاحدهما عن الاخر .. تماما كالجسد والروح .. الجسد مادة ، والروح طاقة .. او كالمخ والعقل .. المخ محسوس ، والعقل تجريد .. فانت تستطيع ان تمسك المخ وتحسه وتقدر وزنه ، وتفحص خلاياه وجزيئاته وذراته ، ولكنك لا تستطيع ان تتعامل مع العقل بمعايير المادة المحسوسة ، ورغم ذلك فلا عقل بغير مخ ، ولا مخ بغير عقل ونقصد هنا بطبيعة الحال عقل الانسان المدرك ، لا عقل الحيوان ، لان الحيوان لا يدرك ولا يهتم بهذه الالغاز .. فكانما المخ بمثابة المرآة التي تعكس الفكر ، والفكر من العقل .

اذن .. فلا انفصال هنا ولا تحديد ، فاذا انفصلت الروح عن الجسد ، او العقل عن المخ فليزولا معا او ليبقيا معا .. هما هنا كالسماوات والزمن .. اذا جاءا ، ظهرا معا ،واذا زالا ، كان زوالهما معا .. اذ لا زمن بدون مادة ، ولا مادة بدون زمن ، كما انه لا خير بدون شر ، ولا شر بدون خير ، لان هذه المتناقضات هي التي تشكل فكر الانسان وطبيعته وادراكه لكل المعاني التي لا يمكن ان يدركها الحيوان ، كما انها هي التي تدفع الحياة لكي تسير سيرها الطبيعي«ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ..» كذلك يرى العلماء الدفع على مستوى الشحنات.. فلولا الشحنة السالبة ، ما عرفنا نقيضتها الموجبة ، ولا قامت الارض والسماوات .. فكانما اساسيات الكون قد جاءت على فكرة النقيضين ، او كشيء مزدوج الوجهين ، كاله الاغريق القدامى جانوس الذى تصوروه بوجه ينظر الى الخلف ، وآخر ينظر الى الامام ، فتقع عليه حقيقة الاشياء فيغمض الطرف عن واحدة ، لتتجلى له الاخرى في لمحة خاطفة .

كانما نعود بهذا الى لغة بعض المعادلات الرياضية الحديثة التي توضح لنا الكون بنظرة كنظرة اله الاغريق جانوس .. فلقد قدم لنا عالمان رياضيان المانيان مشهوران – كل على حدة – هما شرودنجر وهزينبرج اصول نظرية من نظريات ميكانيكا الكم التي تتعامل مع الموجات والجسيمات ، وحصلا بها على جائزة نوبل مشاركة، وتشير هذه النظرية ببساطة شديدة الى انك لا تستطيع ان تعرف من الحقيقة الا وجها واحدا فقط ، وسميت هذه النظرية الغريبة بمبدأ الشك او الريبة او عدم التاكيد .. Uncertainty Principle .. وهي تتناول اليكترونا يسبح في الفضاء .. وعليك ان تختار بين احتمالين : اما ان تراه في مكانه فقط ، او ان تراه في زمانه فقط ، لكنك لا تستطيع ان ترى زمانه ومكانه في آن واحد !

وطبيعي ان تفاصيل هذه النظرية او ذلك المبدأ عويصة ومعقدة وطويلة ، وقد لاتفهم على حقيقتها الا من خلال معادلات رياضية ، ثم انها صمدت لكل الاختبارات الجادة التي اظهرت اصالتها وصحتها ، لكننا لا نستطيع ان نتعرض هنا لكل هذا ، ولاسباب يطول شرحها .

مآزق فكرية اخرى

والاليكترون بدوره (او الجسيمات الذرية عموما) قد وضع العلماء في مآزق فكرية اخرى ، فجعلهم لا يستطيعون تحديد طبيعته او هويته ، لانه يتصرف ايضا بوجهين .. فيبدو على هيئة موجية حينا ، وحينا آخر يتجلى على هيئة جسيمية (اى على هيئة مادة وطاقة،او روح وجسد بمفهوم عامة الناس) .. ولهذا عبر احد علماء الفيزياء بقوله : علينا أن نصدق ان الاليكترون جسيم مادى فى ايام السبت والاثنين والاربعاء ، وعلينا ان نعود ونصدق انه موجة من طاقة ايام الاحد والثلاثاء والخميس ـ والجمعة اذا راق لك ذلك ! ... والواقع ان مثل هذه الازدواجية فى صفات تلك العوالم الدقيقة قد لا تريح الفكر البشرى كثيرا ، لكن يبدو ان الحقيقة تدخل بوجهها من باب ، ثم تخرج بوجه آخر يبدو مختلفا ، ومع ذلك فالجوهر واحد !

فالاليكترون ينطلق فى كونه الفسيح ويصاحبه فى رحلته موجة تختلف باختلاف سرعته ، وكلما انطلق اسرع ، انكمشت موجته اكثر ، وصارت اعتى واشد .. لكن كل هذا قد لا يهمنا بقدر ما يهمنا ان نعرف ان من صفات الموجات ايضا الازدواجية .. فهى تتجلى لنا احيانا كظاهرة مغناطيسية ، واحيانا اخرى تبدو كظاهرة كهربية، ومن اجل هذا نصفها بالصفتين ، لانك لا تستطيع ان تحدد لها وجها واحدا ، او صفة بعينها ، ومن اجل هذا نقول انها موجات كهرومغناطيسية (مثل موجات الراديو والضوء والاشعة بكل انواعها... ... الخ) .

والموجات طاقة منطلقة بسرعة ١٨٦ الف ميل فى الثانية ، وهذه الطاقة يمكن تسخيرها لاداء عمل او شغل .. فالتيار الكهربى يصاحبه دائما مجالاً مغناطيسى ، كما ان المجال المغناطيسى لايوجد الا برفقة الكهربية ، ونحن نستطيع ان نظهر احد الوجهين فقط فى حياتنا العملية ، فعندما يمر التيار الكهربى فى ملف ، يخلق مجالا مغناطيسيا (كما فى الجرس الكهربى) ، وقد يتحول المجال المغناطيسى الى كهربية (كما فى الدينامو) .. لكن لا شىء يأتى من لا شىء ، اذ ان الحركة قد تتحول الى طاقة ميكانيكية ، وهذه قد تؤدى الى كهربية ، والكهربية الى طاقة ضوئية ، والطاقة الضوئية الى كيميائية ، والكيميائية الى حيوية ، والحيوية الى موجات تنبعث من امخاخنا ، ويمكن تسجيلها على جهاز رسام المخ الكهربائى ... الخ ... الخ .

اى كاننا هناك صور كثيرة تتراقص امام عيوننا، او تؤثر فى احاسيسنا ، او قد تضن على هذه الاحاسيس ، وعندئذ نستنبط لها اجهزة فائقة الحساسية ، لكى تتعامل مع هذه العوالم الدقيقة، وتترجم سلوكها الى معلومات ولغات وبيانات يمكن ان ندركها ، ونعرف بها وجوهها ، لكن يبقى الجوهر دائما غير مدرك ولا مفهوم !

ما هى الحياة اولا

ثم انك لو اتيت بعد ذلك الى عالم من علماء الحياة ، وسألته عن طبيعة الفيروسات التى تسبب كثيرا من الامراض (مثل الحصبة وشلل الاطفال والانفلونزا ... الخ) ، وهل هى حية ام ميتة .. عندئذ قد ينظر اليك نظرة لها مغزى، وقد يقول : حدد لى اولا ما هى الحياة ، وانا احدد لك ما تريده منى بعد ذلك !

وقد تسخر من هذا العالم الذى لا يستطيع ان يحدد لك الاجابة على سؤالك البسيط هذا ، فهو لا يدرى ان كان الفيروس حيا او غير حى ، لان الفيروس لا يتنفس ولا يأكل ولا يشرب ، ثم انه قد يتحول الى ملح او بلورات تذوب فى الماء كما يذوب السكر مثلا ، ولم نشهد كائنا واحدا يمكن ان تكون له مثل هذه الصفات ، ثم نضعه فى قائمة الاحياء .. اذن فهو جزيئات ميتة !

لكن قولك بان الفيروس ميت خطأ ايضا ، لان الفيروس يتكاثر وتصبح له ذرية ، وهذه صفة مميزة من صفات الحياة ، لكن تكاثر الفيروس لا يتم الا اذا « استعار » روح غيره .. يعنى انه يدخل خلية يهواها ، وبالخطة الوراثية الكامنة على شريطه او جزيئه الوراثى يعرف كيف يستعبدها ويستعمرها .. فيامرها بتشغيل اجهزتها الحيوية لحسابه ، فتأكل له ، وتتنفس له ، وتصنع له « حياته » وذريته على حساب حياتها هى ، ولكى تبعث ذريته بالعشرات او المئات من داخلها ،

كان لابد ان تموت هي ، ليخرج هو ٠٠ ليس كفيروس واحد ، بل فيروسات كثيرة لتسلك سلوك الاموات ، فاذا عادت الى الخلية دبت فيها بعض خصال الاحياء ٠

اذن فالعلم لا يستطيع ان يحدد جوهر المادة والطاقة ، ولا الموت والحياة ، كما انه احيانا لا يستطيع ان يحدد ان كانت بعض المخلوقات نباتات او حيوانات ٠ فهناك كائنات اولية بسيطة لا ترى الا بالميكروسكوبات ، وعندما تنظر اليها ، تريد بذلك تصنيفها ، او وضعها في مملكتها الصحيحة ، عندئذ لا تستطيع ان تحدد ذلك ، ففيها صفات النبات جنبا الى جنب مع صفات الحيوان ، ومن اجل هذا ترى علماء النبات يضعونها في كتبهم ومراجعهم ، وكذلك يكون الحال مع علماء الحيوان ٠٠ فهي نبات في حيوان ، او حيوان في نبات !

ثم انك لا تستطيع ان تحدد الذكورة الصرفة من الانوثة الصرفة ٠٠ فالذكر ذكر ظاهرا ، لكنه يحمل في باطنه عوامل الانوثة جنبا الى جنب مع عوامل الذكورة ٠٠ وكذلك يكون الحال مع الانوثة، فهي ايضا تحمل في باطنها عوامل الذكورة ٠٠ كل ما في الامر ان مظاهر الانوثة مطوية خفية في الذكر ، ومظاهر الرجولة لا تعبر عن نفسها في الانوثة ٠٠ وقد يحدث الخلل بين هذه الموازين وتلك ، فتنقلب الانوثة الى ذكورة ، والذكورة الى انوثة ، ثم انه يمكن تحويل بعض الحالات الى الجنس الاخر من خلال عمليات جراحية ومعاملات هرمونية ٠٠ اى ان الانسان ذكر في انثى ، او انثى في ذكر !

وحيرة عالم الفلك

وقد تتقابل مع عالم من علماء الفلك وهو يتطلع الى السماوات من خلال منظاره الفلكي الذى يريه ما لا عين ـ بمفردها ـ رات ، وقد يعن لك ان تسأله : ماذا ترى الان في السماء من احداث ؟

عندئذ قد ينظر اليك نظرة ذات مغزى ، وقد يقول : ماذا تقصد بالان هذه ؟ ٠٠ ان الان او الحاضر ليس له معنى بالنسبة للاحداث الكونية ٠٠ فالان قد تعنى مستقبلا ، او قد تعنى ماضيا ، كما ان الماضي قد يعني مستقبلا او العكس ٠٠ كل هذا يتوقف على الاطار الذى تنظر منه الى الاحداث الكونية !

وقد يلحظ عالم الفلك عليك حيرة ، فيحاول ان يبسط لك الامور فيقول : الواقع ان نظرتنا الى الكون محدودة او نسبية ٠٠ فانت تستطيع مثلا ان تقول ان حدثين ارضيين قد حدثا في الوقت نفسه ، كان يموت انسان في اللحظة التى يولد فيها آخر ، لكن هذين الحدثين منسوبان الى زمننا الارضي ، فاذا مات نجم في السماء او انفجر ، فاننا لن نعرف ذلك الا من خلال « رسالة » موجية او ضوئية تنطلق من النجم لتصل الى ارضنا ، فنسجلها على اجهزتنا ، ونعرف مضمونها ، فاذا وصلت هذه الرسالة الان معلنة موته ، فلن يعني ذلك انه انفجر الان ـ كما هو الحال بالنسبة للاحداث الارضية ، بل قد يكون موته او انفجاره قد حدث في الماضي السحيق ٠٠ اى منذ الاف او ملايين او حتى بلايين السنين ، لكن المسافة بيننا وبينة واسعة شاسعة ٠٠ مسافة قد تصل الى بلايين البلايين من الاميال ، ولهذا فان الضوء المنبعث منه لن يصل الينا معلنا انه قد ودع سماءه الا بعد الاف او ملايين السنين ٠٠ وقد يصل هذا النبأ الان ٠٠ لكن الان هذه تعنى ماضيا سحيقا في القدم ٠

لهذا فان بعض النجوم التى نراها الان تلمع وتتمتع « بالصحة » والطاقة والحياة ، انما هى نجوم ميتة من زمن ، لكننا لن نعرف موتها من حياتها ، الا اذا جاءنا الضوء بخبرها في مستقبل قد يمتد ملايين السنين ٠٠ اى ان المستقبل هنا قد يكون ماضيا هناك ، او ان ما يحدث هنا على ارضنا الان ، هو في الحقيقة مستقبل لغيرنا من اكوان !٠٠ «جفت الاقلام ، وطويت الصحف» !

اذن ٠٠ فما اكثر حيرة العلماء في اسرار الكون والحياة ٠٠ وما اكثر ما يجهلون ٠ وليمرح اهل الجهالة في جهلهم ٠ فلقد ظنوا انهم علماء عصرهم ٠٠ « ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه » ٠٠ وفى ذلك الكفاية « لقوم يتقون » ٠

■■

الاسكندرية ـ د ٠ عبد المحسن صالح

رد فقهي على تساؤلات معاصرة

قضايا علمية تنتظر أحكامها الشرعية

بقلم : الدكتور يوسف القرضاوى

على صفحات عدد يناير الماضى ، نشرنا فى « العربى » مقالا للدكتور حسان حتحوت يعرض فيه نماذج من الانجازات العلمية الوشيكة ، ويتساءل عن موقف الشريعة الاسلامية منها • وفى هذا المقال ، يرد الدكتور يوسف القرضاوى رئيس قسم الشريعة فى كلية التربية بقطر ، على تلك التساؤلات • والدكتور القرضاوى من العلماء الذين لمعوا فى السنوات الاخيرة ، وله ١٤ مؤلفا اسلاميا ، من ابرزها رسالة للدكتوراه عن فقه الزكاة ، وكتاب الحلال والحرام فى الاسلام الذى طبع ١٠ مرات ، وكتاب مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام •

■ لاريب أن القضايا التى اثارها العالم الاديب الدكتور حسان حتحوت ، وطلب فيها رأى الفقه قضايا خطيرة تستحق الاهتمام من المشتغلين بفقه الشريعة وبيان احكامها ، وخصوصا اذا كانت فى حيز الامكان القريب ، كما يؤكد د • حتحوت • وان كان من فقهاء السلف رضى الله عنهم من جعل نهجه رفض الاجابة عما لم يقع بالفعل من الحوادث المسئول عنها ، حتى لايجرى الناس وراء الافتراضات المتخيلة ، مما لايقع مثله الا شاذا ، بدل ان يعيشوا فى الواقع ، ويبحثوا عن علاج لادوائه •

فعن ابن عمر قال : لاتسالوا عما لم يكن ، فانى سمعت عمر يلعن من سال عما لم يكن •

وكان بعضهم يقول للسائل عن امر : اوقد وقع ؟ فان وقع اجابه • والا قال له : اذا وقع فاسال •

وكانوا يسمون من سال عما لم يقع «ارأيتيا»

نسبة الى قوله :«ارايت لو كان كذا وحدث كذا» الخ •

قال الشعبى امام الكوفة فى عصر التابعين : والله لقد بغض هؤلاء القوم الىّ المسجد •• قلت من هم يا أبا عمر ؟ قال : الارايتيون •

وقال : ما كلمة أبغض الىّ من « أرأيت » !

ويمكننا ان نقتدى بهؤلاء الائمة ، ونقول للدكتور حسان حتحوت : دع الامر حتى يقع بالفعل، فاذا حدث اجبنا عنه ، ولا تتعجل البلاء قبل وقوعه• وما يدرينا ؟ لعل عقبات لم يحسب العلماء حسابها ، او قدروا فى انفسهم التغلب عليها، تقف فى طريقهم ، فلا يستطيعون تنفيذ ما جربوه فى بعض الحيوان على نوع الانسان •

ولكنا ــ مع هذا ــ نحاول الجواب لامرين :

الاول : ان موجه السؤال يعتقد ان الامر وشيك الوقوع ، وليس من قبيل الفروض المتخيلة التى كان يسال عن مثلها « الارايتيون » فلا بد ان نتهيا لبيان حكم الشرع فيما يترتب عليها من

لانه يلتقى مع الزنى فى اتجاه واحد ، حيث يؤدى الى اختلاط الانساب ، واقحام عنصر دخيل على الاسرة ، اجنبى عنها ، مع اعتباره منها نسبا ومعاملة وميراثا • واذا كان الاسلام قد حرم التبنى ولعن من انتسب الى غير ابيه ، فاحرى به ان يحرم التلقيح المذكور ، لانه اشد شبها بالزنى•

اما قضية « الشتل » المسئول عنها هنا فليس فيها خلط انساب ، لان البويضة ملقحة بماء الزوج نفسه ، ولكنها تترتب عليها أمور اخرى هى غاية فى الخطورة من الناحية الانسانية والاخلاقية •

واذا كنا نبحث اولا عن مشروعية هذا الامر من الوجهة الدينية ، قبل ان نبحث عن احكامه اذا حدث بالفعل ، فالذى أراه ــ بعد طول تامل ونظر ــ ان الفقه الاسلامى لايرحب بهذا الامر المبتدع ، ولا يطمئن اليه ، ولايرضى عن نتائجه واثاره •

افساد لمعنى الامومة

واول هذه النتائج وابرزها : انه يفسد معنى

شتل الجنين : لايرحب به الفقه ولايرضى عن نتائجه ولكن••

اختيار جنس المولود: يصدم الحس الدينى وقد يرخص للضرورة•

تغيير المزاج : جناية على فطرة الله ، وقد يقبل للعلاج •

آثار لم يسبق لها نظير فى الحياة الاسلامية ، بل الانسانية •

الثاني : ان السؤال فيما ارى يتضمن ايضا فيما يتضمن بحث مشروعية هذه الاعمال المطروحة للاستفتاء : أتدخل فى باب الجائز ام المحظور؟ وهذا غير السؤال الاول •

شتل الجنين

اما ما سماه الدكتور حتحوت « شتل الجنين» فهو قضية فى غاية من الغرابة والاثارة • وهى تختلف عما كان يسال عنه من قبل من «التلقيح الصناعي » الذى تلقح فيه بويضة امراة بحيوان منوى من رجل غير زوجها • وهذا حرام بيقين ،

الامومة كما فطرها الله ، وكما عرفها الناس• هذا المعنى الذى ليس فى الحياة اجمل ولا انبل منه • فالام الحقيقية فى التصور المعروض للسؤال ، هى صاحبة البويضة الملقحة ، التى منها يتكون الجنين • هى التى ينسب اليها الطفل ، وهي الاحق بحضانته ، وهى التى تناط بها جميع احكام الامومة وحقوقها من الحرمة والبر والنفقة والميراث وغيرها •

وكل دور هذه الام فى صلتها بالطفل انها انتجت يوما ما بويضة افرزتها بغير اختيارها ، وبغير مكابدة ولا مشقة عانتها فى افرازها •

اما المراة التى حملت الجنين فى احشائها وغذته من دم قلبها اشهرا طوالا ، حتى غدا بضعة منها،

وجزءا من كيانها واحتملت في ذلك مشقات الحمل، واوجاع الوحم ، والام الوضع ، ومتاعب النفاس، فهذه مجرد « مضيفة »او « حاضنة » تحمل وتتالم وتلد ، فتاتي صاحبة البويضة ،فتنتزع مولودها من بين يديها ، دون مراعاة لما عانته من آلام ، وما تكون لديها من مشاعر ، كانها مجرد «انبوب» من الانابيب ، التي تحدثوا عنها برهة من الزمان لا انسان ذو عواطف واحاسيس •

حقيقة الامومة

وان من حقنا ـ ومن حق كل باحث عن الحقيقة ـ ان يسال معنا هنا عن ماهية الامومة التي عظمتها كتب السماء ، ونوه بها الحكماء والعلماء ، وتغنى بها الادباء والشعراء ، وناطت بها الشرائع احكاما وحقوقا عديدة • الامومة التي هي ارقى عواطف البشر واخلدها وابقاها •

هل تتكون هذه الامومة الشريفة من مجرد بويضة افرزها مبيض انثى ولقحها حيوان منوى من رجل؟

ان الذى يثبته الدين والعلم والواقع ، ان هذه الامومة انما تتكون مقوماتها ، وتستكمل خصائصها من شيء آخر بعد انتاج البويضة حاملة عوامل الوراثة • انه المعاناة والمعايشة للحمل او الجنين، تسعة اشهر كاملة يتغير فيها كيان المراة البدنى كله،تغيرا يقلب نظام حياتها راسا على عقب،ويحرمها لذة الطعام والشراب والراحة والهدوء • انه الوحم والغثيان والوهن طوال مدة الحمل • وهو التوتر والقلق والوجع والتاوه والطلق عند الولادة • وهو الضعف والتعب والهبوط بعد الولادة • ان هذه الصحبة الطويلة ـ المؤلمة المحببة ـ للجنين بالجسم والنفس والاعصاب والمشاعر ، هى التى تولد الامومة وتفجر نبعها السخي الفياض بالحنو والعطف والحب •

هذا هو جوهر الامومة • بذل وعطاء ، وصبر واحتمال ،ومكابدة ومعاناة •

ولولا هذه المكابدة والمعاناة ، ما كان للامومة فضلها وامتيازها ، وما كان ثمة معنى لاعتبار حق الام اوكد من حق الاب •

ولا شك ان خير وصف يعبر عن الام وعن حقيقة صلتها بطفلها في لغة العرب هو «الوالدة» وسمى الاب «الوالد» مشاكلة للام، وسميا معا «الوالدين» على سبيل التغليب للام الوالدة الحقيقية ، اما الاب فهو فى الحقيقة لم يلد ، انما ولدت امراته• وعلى هذا الاساس سمى ابن المراة «ولدا» لها ، لانها ولدته وولدا لابيه كذلك لانها ولدته له •

فالولادة اذن امر مهم ، شعر باهميته واضعو اللغة ، وجعلوه محور التعبير عن الامومة والابوة والبنوة •

ومالنا نذهب بعيدا ، وهذا القرآن الكريم يحصر الامومة فى الولادة بنص حاسم ، فيقول فى تخطئة المظاهرين (1) من نسائهم : «ما هن امهاتهم ، ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم »

بهذا الاسلوب الجازم الحاصر ، حدد القرآن معنى الامومة «ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم » • فلا ام فى حكم القرآن الا التى ولدت •

والخلاصة ان الام التى لاتحمل ولا تلد كيف تسمى « اما » او « والدة » ؟ وكيف تتمتع بمزايا الامومة دون ان تحمل اعباء الامومة ؟

واستطيع ان اضرب هنا مثلا بارزا للعيان يوضح موقف الشرع من الام الحقيقية •

لماذا كانت الام احق بالحضانة ؟

روى احمد وابو داود عن عبدالله بن عمرو : ان امراة قالت : يارسول الله ان ابنى هذا كان بطنى له وعاء ، وحجرى له حواء وثديي له سقاء، وان اباه طلقني وزعم انه ينتزعه منى ! فقال صلى الله عليه وسلم انت احق به مالم تنكحى (اى تتزوجى) •

وهكذا اعطى الشرع حق الحضانة للام وقدمها على الاب وجعلها احق بطفلها منه لما ذكرته هذه المراة الشاكية من اسباب وحيثيات تجعلها احنى على الطفل وارفق به واصبر على حضانته من ابيه فقد صبرت على ماهو اشد واقسى من الحضانة حين حملته كرها ووضعته كرها •

فما تقول هذه الام المتسحدثة اذا اختلفت مع زوجها فى امر حضانة الولد ؟

---

(١) المظاهر من امراته : من يحرمها على نفسه بأن يقول لها : أنت على مثل أمى • أو كظهر أمى • ويسمى هذا شرعا « الظهار » •

وباى منطق تستحقه وتقدم على ابيه ولم يكن بطنها له وعاء ولاثديها سقاء ؟

ان قالت : انها صاحبة البويضة التى منها خلق، فالاب كذلك صاحب الحيوان المنوى الذى لولاه ما صلحت البويضة لشىء ، بل لعله هو العنصر الايجابى النشيط المتحرك فى هذه العملية ، حتى ان القرآن نسب تكوين الانسان اليه فى قوله تعالى « فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب » فالماء الدافق هنا هو ماء الرجل .

تساؤلات هامة ..

ولنا ان نسال هنا : لماذا يفكر رجال العلم فى نقل بويضة امراة الى رحم امراة اخرى ؟

سيجيبون : لنوفر للمراة المحرومة من الولد ، لفقدها الرحم الصالح للحمل ، ما تشتاق اليه من الاطفال عن طريق اخرى صالحة للعمل .

ونود ان نقول هنا : ان الشريعة تقرر قاعدتين مهمتين تكمل احداهما الاخرى .

الاولى : ان الضرر يزال بقدر الامكان .

والثانية : ان الضرر لايزال بالضرر .

ونحن اذا طبقنا هاتين القاعدتين على الواقعة التى معنا ، نجد اننا نزيل ضرر امراة ـ هى المحرومة من الحمل ـ بضرر امراة اخرى،هى التى تحمل وتلد ، ثم لاتتمتع بثمرة حملها وولادتها وعنائها . فنحن نحل مشكلة بخلق اخرى ، ان على العلم ان يتواضع ولايحسب ان بامكانه ان يحل كل مشكلات البشر ، فانها لاتنتهى ولو فرض انه حل مشكلة المراة التى ليس لها رحم صالح ، فكيف يحل مشكلة التى ليس لها مبيض صالح ؟

وسؤال اخر : هل هذه هى الطريقة الوحيدة ـ فى نظر العلم ـ لازالة ضرر المراة المحرومة من الانجاب لعدم الرحم ؟

والجواب : ان العلم الحديث نفسه بامكاناته وتطلعاته ـ فيما حدثنى بعض الاخوة الثقات المشتغلين بالعلوم ، والمطلعين على احدث تطوراتها وتوقعاتها ـ يفتح امامنا باب الامل لوسيلة اخرى اسلم وافضل من الطريقة المطروحة .

هذه الوسيلة هى زرع الرحم نفسه فى المراة التى عدمته ، تتمة لما بدأ به العلم ونجح فيه من زرع الكلية والقرنية وغيرهما ، بل زرع القلب ذاته فى تجارب معروفة ومنشورة .

واحتمالات غير مقبولة

ولقد حصر الدكتور حتحوت الصورة المسئول عنها فى امراة ذات مبيض سليم ، ولكن لارحم لها ، وهى مشوقة الى الاولاد ، راغبة فى الانجاب كانه بهذا يثير الشفقة عليها ، ويستدر العطف من اجلها .

ولكن هذا الباب اذا فتح ، ما الذى يمنع ان تدخله كل ذات مال من ربات الجمال والدلال ، ممن تريد ان تحافظ على رشاقتها ، وان يظل قوامها كغصن البان ، لا يغير خصرها وصدرها الحمل والوضع والارضاع ، فما ايسر عليها ان تستاجر « مضيفة » تحمل لها ، وتلد عنها ، وترضع بدلها وتسلم لها بعد ذلك «ولدا جاهزا» تاخذه بيضة مقشورة ، ولقمة سائغة ، لم يعرق لها فيه جبين، ولاتعبت لها يمين ، ولا انتفض لها عرق . وصدق المثل : رب ساع كقاعد ، ورب زارع كحاصد .

واذا كان مبيض الانثى يفرز فى كل شهر قمرى بويضة صالحة ـ بعد التلقيح ـ ليكون منها طفل، فليت شعرى ما يمنع المراة الثرية او زوجة الثرى ان تنجب فى كل شهر طفلا ما دام الانجاب لا يكلفها حملا ولايجشمها ولادة ؟

ومعنى هذا ان المراة الغنية تستطيع ان تكون اما لاثنى عشر ولدا فى كل سنة ، مادامت الامومة هينة لينة لاتكلف اكثر من انتاج البويضة،والبركة فى «الحاضنات» او «المضيفات» الفقيرات اللائى يقمن بدور الامومة ومتاعبها لقاء دريهمات،معدودة.

ويستطيع الرجل الثرى ايضا ان يكون له جيش من الاولاد بعد أن تزوج من النساء مثنى وثلاث ورباع ، يمكن لكل واحدة ان تنجب حوالى (٥٠٠) خمسمائة من البنين والبنات بعدد ما تنتج من البويضات ، طوال مدة تبلغ او تتجاوز الاربعين عاما من سن البلوغ الى سن اليأس .

والنتيجة من وراء هذا البحث ان الشريعة لا

ترتاح الى ما سمي « شتل الجنين » لما ذكرنا من اثار ضارة تترتب عليه •

ضوابط واحكام

بقي ان نبين الحكم فيما اذا سار العلم الى نهاية الشوط ووقع هذا الامر بالفعل •

وهنا نستطيع ان نضع بعض الضوابطوالاحكام:

١ ـ يجب ان تكون «الحاضنة» امراة ذات زوج ، اذ لايجوز ان تعرض الابكار والايامى للحمل بغير زواج ، لما في ذلك من شبهة الفساد •

٢ ـ يجب ان يتم ذلك بـاذن الـزوج ، لان ذلك سيفوت عليه حقوقا ومصالح كثيرة ، نتيجة الحمل والوضع ، واذا كان الحديث ينهى المراة أن تصوم تطوعا الا باذن زوجها ، فكيف بحمل يشغل المراة تسعة اشهر ونفاس قد يستغرق اربعين يوما ؟

٣ ـ يجب ان تستوفي المراة الحاضنة العدة من زوجها ، خشية ان يكون برحمها بويضة ملقحة ، فلا بد أنتضمنبراءةرحمها،منعا لاختلاط الانساب•

٤ ـ نفقة المراة الحاضنة وعلاجها ورعايتها ، طوال مدة الحمل والنفاس ، على أب الطفل ملقح البويضة ـ او وليه من بعده ، لانها تغذيه من دمها فلابد ان تعوض عما تفقد ، وقد قال تعالى في شان المطلقات «وان كن اولات تحمل فانفقوا عليهن حتى يضعنحملهن» وقال في شان المرضعات «وعلى المولود له (يعني الاب)رزقهن وكسوتهن بالمعروف ثم قال «وعلى الوارث مثل ذلك» •

٥ ـ جميع احكام الرضاعة وآثارها تثبت هنا من باب قياس الاولى ، لان هذا ارضاع وزيادة ، الا فيما يتعلق بزوج المراة الحاضنة،فهناك فيالرضاع يعتبر ابا لمن ارضعته امه اذا كان اللبن من قبله، لان التغيرات التي تحدث بجسم المراة اثناء الحمل ، وبعد الوضع من ادرار اللبن ونحوه بسبب الولد او الجنين الذى كان لماء الرجل دخل اساسى في تكوينه •

اما زوج المراة الحاضنة او المضيفة ، فليس له اى علاقة بالجنين او الوليد •

٦ ـ ان من حق هذه الام الحاضنة ان ترضع وليدها ان تمسكت بذلك ، فان ترك اللبن في ثديها دون امتصاصقد يضرها جسميا ، كما يضرها نفسيا ، وليس من مصلحة الطفل ان يجرى الله له الحليب في صدر امه ، ثم يتركه عمدا ليغذى بالحليب الصناعى •• وقد جعل الله الرضاع مـرتبطا بالولادة فقـال : « والوالدات يـرضعن اولادهن » •

٧ ـ في رأيي ان هذه الامومة ـ ان حدثت ـ يجب ان تكون لها مزايا فوق امومة الرضاع • ومن ذلك ايجابنفقة هـذه الام على وليدهـا اذا كان قدرا واحتاجت هي الى النفقة •

قضية اختيار الجنس

اما قضية اختيـار جنس الجنين ، مـن ذكورة وانوثة ، فهى تصدم الحس الدينى لامرين :

الاول : ان علم ما في الارحام للخالق سبحانه، لا للخلق • قال تعالى « الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد » وهو مـن الخمسة التى هى مفاتح الغيب ، المذكورة في اخر سورة لقمان « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام » •

فكيف يدعي بشر انه يعلم جنس الجنين ويتحكم فيه ؟

الثاني : ان ادعاء التحكم فيجنس الجنينتطاول على مشيئة الله تعالى ، التى وزعت الجنسين بحكمة ومقدار ،وحفظت التوازن بينهما علىتطاول الدهور ، واعتبر ذلك دليلا من ادلة وجود اللـه وعنايته بخلقه وحسن تدبيره لملكه •

يقول تعالى « لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء ، يهب لمـن يشاء اناثـا ويهب لمن يشـاء الذكور ، او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل منيشاء عقيما ، انه عليم قدير » •

ولكن قد يفسر علم مـا في الارحـام بالعلم التفصيلى لكل ما يتعلق بها ، فالله يعلم عـن الجنين أيعيش ام يموت ؟ واذا نزل حيا : ايكون ذكيا ام غبيا ، ضعيفا ام قويا ، سعيدا أم شقيا ؟ أما البشر فاقصى ما يعلمون : انه ذكر او انثى •

وقد يفسر عمل الانسان في اختيار الجنس انه لا يخرج عن المشيئة الالهية ، بل هو تنفيذ لها • فالانسان يفعل بقدرة الله ، ويشاء بمشيئة الله « وما تشاءون الا ان يشاء الله » •

وفي ضوء هذا التفسير ، قد يرخص الدين في عملية اختيار الجنس ، ولكنها يجب ان تكونرخصة

للضرورة او الحاجة المنزلة منزلة الضرورة ، وان كان الاسلم والاولى تركها لمشيئة الله وحكمته « وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة » •

تغيير المزاج

بقي ما يقال من محاولة تغيير المزاج ، والتحكم في انفعالات الانسان ونزوعه عن طريق العقاقير والاغذية ونحوها ، مما يؤثر على الغدد والاجهزة المؤثرة بدورها في السلوك •

والحس الديني السليم يرفض هذا الوضع ايضا ، لانه يخرج بالانسان عن طبيعته المميزة الحاكمة المختارة • ولهذا حرم الدين المسكرات والمخدرات ، كما أن في ذلك تغييرا لخلق الله لم تدفع اليه ضرورة ولا حاجة •

وكل تغيير لخلق الله حرام بنص القرآن والسنة• قال تعالى في بيان وظيفة الشيطان مع الانسان « ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ، ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا »

واذا كان الحديث النبوى قد حرم التغيير الحسي الضئيل لخلق الله تعالى ، في مثل وشم الجلد ، او نمص الحواجب ، او وصل الشعر ، وفلج الاسنان ، فلعن الواشمة والمستوشمة ، والنامصة والمتنمصة ، والواصلة والمتوصلة ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله ،فكيف بتغيير اعمق واخطر ، وهو تغيير المزاج النفسي للانسان ؟

ان استعمال مثل هذا التغيير لعلاج المريض لا بأس به ، من باب الضرورة ، وهي تقدر بقدرها ، اما استخدامه في التأثير على السليم ، فهو جناية على فطرة الله بصنع الانسان • وقد قال تعالى : « فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله » •

وقد يطرح هنا سؤال ، وهو : ماذا لو استطاع العلم ، بواسطة عقاقير ومواد معينة ان يغير من مزاج الانسان ؟ هل يبقى الانسان مسئولا عن اعماله ، بحيث يمدح بحسنها ويثاب عليه ، ويذم بقبيحها ويعاقب عليه ؟ ام انتفت مسئوليته بهذه المؤثرات ، فلا فضل له اذا تعففاً عن شهوة او حلم عند غضب ، ولا عقاب عليه اذا غضب وهاج فضرب او قتل ؟

والحق : ان المسئولية لا تنتفى عن الانسان مادام واعيا مريدا لما يفعله ، فاذا انتفى الوعى والادراك ، او القصد والارادة او كلاهما ، فقد انتفت عنه المسئولية ، واذا انتفى قدر منهما وبقي قدر فهو مسئول بقدر ما بقى عنده من الوعى والارادة ، ولهذا جاء في الحديث : « لا طلاق في اغلاق » فسر بعضهم الاغلاق بالغضب ، وبعضهم بالاكراه ، وهما من باب واحد ، وهو : ان ينغلق على الانسان تصوره وقصده •

واذا انتفى عن الانسان وعيه وارادته بسبب منه وباختياره ، فشأنه شأن السكران ، والكلام فيه وفي مسئوليته عن اقواله واعماله طويلة الذيول•

والذى اراه ان هذه المؤثرات الصناعية مهما بلغت لن يكون أثرها اقوى من تأثير الوراثةوالبيئة في سلوك الانسان ، ومع هذا لم يعف من المسئولية• فقد يرث الانسان من ابويه او اسرته حدة المزاج ، بحيث يغضب لاتفه الاسباب ، ويثور كالجمل الهائج لادنى شيء او لغير شيء ، على حين يرث انسان آخر طبيعة هادئة فتنهد الدنيا من حوله ، وهو لا يحرك ساكنا كأن اعصابه في ثلاجة كما يقولون •

ومع هذا يذم الاول على شدة غضبه ، ويحاسب على نتائجه ، ولا تعفيه الوراثة من المسئولية •

كما ان الثاني يمدح بهدوئه وحلمه ، وقد يذم احيانا اذا اعتدى على حريمه او انتهكت حرمات الله وهو ساكن • وقد قيل : من استغضب ولم يغضب فهو حمار !

ومثل ذلك تأثير البيئة الاسرية والاجتماعية في اتجاه الانسان وسلوكه ، حتى جاء في الحديث الصحيح « كل مولود يولد على الفطرة ، وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » ومع هذا لايعفى اليهودى او النصراني او المجوسى من مسئوليته عن اختيار الدين الحق ، اذ مازال له قدر من الوعي والارادة كافيين للاختيار والترجيح•

ومن ثم قال المحققون من علماء المسلمين :

ان ايمان المسلم المقلد لا يقبل ، اذ لا ايمان بغير برهان • ■■

د • يوسف القرضاوى



طرائف أجنبية

عمر الانسان ٠٠كيف تحسبه ؟

● ستيوارت تشيس «رجل الاقتصاد المشهور له رأى فى الحياة ! انه يقول : « نحن لا نعيش حياة مليئة بالعمل والفكر والانتاج ، لا لاننا لانريد ان نملأ حياتنا ، ولكن لاننا عجزنا تماما عن ان نقهر الملل ٠٠ عدونا الاكبر ٠ ان الانسان العادى يقضى ثلث وقته فى صحوه عاجزا عن مقاومة الشعور بالملل ٠

لقد جلس تشيس يوما يحصى عدد الساعات المليئة التى عاشها طوال الاسبوع ، فاكتشف انها لاتزيد على اربعين ساعة فقط من بين ١٦٨ وهى مجموع عدد ساعات اليوم كله ونهاره فى اسبوع كامل ! اى ما يعادل ٢٥٪ فقط ٠٠ أين ذهبت بقية الساعات الطويلة ٠٠لقد ضاعت فى النوم والقلق والملل !

ما أقصر عمر الانسان ، اذا حسبناه بما قدم لبلده ومجتمعه ، لا بعدد سنوات وجوده على الارض !

مرحبا بالقلق !

● وليام فولكنر الكاتب الامريكى الكبير ، له رأى آخر فى القلق ٠ مرض هذا العصر ٠٠ فقد كتب يوما يقول :

«مرحبا بالقلق ٠٠ انه الشعور الوحيد الذى يجعلنى احس بحريتى ٠٠ فالمرء لايقلق اذا لم يكن حرا ٠٠ واكثر ما يقلقه خوفه من ان ينتزع منه احدهم هذه الحرية ٠٠ ان الحيوان المستأنس ، والرجل المستعبد هما الوحيدان اللذان يستطيعان ان يعيشا حياة لا تعرف القلق ٠٠ ولولا هذا الشعور الذى ينتاب المرء فى مرحلة او فى اخرى من مراحل حياته ، لما عرفت البشرية معنى التطور والتقدم ٠ »



منطق العلماء !

● اعتذر سيجموند فرويد يوما عن حضور حفل كبير اقيم تكريما له٠ واضطرت الاكاديمية العلمية التى دعت الى اقامة الحفل ان تلغيه ، وذهب اليه اصدقاؤه يسألون : لماذا ؟ وقد كان هناك العديد من العلماء الذين يتوقون للقائك ؟

وقال العالم الكبير : « أعلم ٠٠ ومن اجل هذا اعتذرت عن الذهاب ٠٠ لاننى استطيع دائما ان ادافع عن نفسى اذا اساء الى احد ٠٠ ولكنى اقف عاجزا مستسلما امام عبارات الاطراء ! ولا أظن اننى كنت سأسمع غيرها طوال الوقت وانا اكره ان اجد نفسى عاجزا ! »



اشهى طبق !

● كوليت ـ الكاتبة الفرنسية التى ماتت « شابة » عن ٨١ عاما فى سنة ١٩٥٤ ، كانت تجد هذا الشباب ، كما يقول اصدقاؤها ، فى الكتب التى لم تكن تمل ابدا قراءتها ، حتى اذا ما ذبلت عيناها وضعف بصرها راحت تستعين بتلاميذها واصدقائها ليقرأوا لها ، وكانت كوليت تقول ان المعانى الجميلة التى كانت تجدها بين سطور الكتب ، الذ من اشهى الاطباق التى كانت تملأ بها معدتها !

روت يوما قصة صديق لها ذهب الى المكتبة يبحث عن كتاب ، وطالت غيبته وهو يتنقل بين الارفف التى حفلت بالكتب الحديثة ، ثم ما لبث ان تركه

أثقل اعباء الحياة

● سأل الابن الشاب ، أباه العجوز الحزين الذى يعانى الوحدة والمرض : «ما اثقل اعباء الحياة ياابى ؟ فقل الأب: «عندما لاتجد شيئا تحمله يابنى !! »

■■

العمل تجديد وابتكار !

● اذا كنت تؤدى عملك بنفس الاسلوب ، او بنفس الطريقة التى بداته منها منذ عشر سنوات ، فاعلم انك لم تعد تصلح لهذا العمل . ابحث لنفسك عن عمل آخر !

« مارك توين »

■■

● اذا تصورت أنك تستطيع أن تعيش حياة خالية من المتاعب ، فاعلم اذن أن فى مقدور ساعى مكتبك أن يجلس على كرسيك ويؤدى نفس العمل الذى تؤديه !

« وليام بت »

سؤال وجواب !

● تلقى المعلق الساخر آرت بوخوالد رسالة من ام تقول : «لقد انفقت اكثر من عشرة الاف دولار على علاج ابنى عند احد الأطباء النفسانيين على مدى سنة كاملة .. ولكن حالته تزداد سوءا يوما بعد يوم! بربك ياسيدى ماذا افعل ؟

وكتب بوخوالد فى عموده اليومى القصة التالية يفسر فيها ما حدث للأم وابنها: «التقى اثنان من الاطباء النفسانيين فى مصعد العمارة التى افتتحا فيها عيادتيهما .. وكان احدهما شابا اشعث الشعر تخرج حديثا ، وقد حمل جاكتته ورباط عنقه على أحد ذراعيه، بينما حمل حقيبته فى يده الاخرى .. ووضع نظارة غليظة على عينيه اللتين ضعفتا من فرط انهاكهما فى القراءة والبحث ، وكان قلقا مضطربا لايكف عن التطلع الى ساعته!

«ولكن الطبيب الشاب مالبث ان كف عن مراقبة عقارب الساعة عندما تعلقت عيناه فجاة بجاره الطبيب الوسيم العجوز الذى كان يقف امامه مباشرة ولايكف عن التطلع الى وجهه فى مرآة المصعد ! انه منافسه الذى يفضله المرضى عليه !

«وامام هذا المنظر لم يستطع الطبيب الشاب ان يمسك نفسه عن سؤاله : « قل لى كيف تستطيع ان تستمع الى كل هؤلاء التعساء الذين ياتون اليك بمتاعبهم ومشاكلهم وقصصهم التى تدمى القلب لم تخرج فى نهاية اليوم وكان شيئا لم يكن ؟

وقال الطبيب ببساطة : «الفرق بينى وبينك يابنى هو ربع قرن .. عندما تصل الى سنى سوف تتعلم ان افضل وسيلة لعلاج نفسك وعلاج مرضاك هى ان تتحدث ولاتكف عن الحديث لحظة واحدة حتى لاتتحول الى الى مستمع .. وهكذا تنقذ نفسك من الوقوع « فريسة » لالام المرضى ومتاعبهم ! »

فهل أجبتك على سؤالك ياسيدتى ؟ »

« بو خوالد »

المكتبة وخرج .. ولكنه لم يكن وحده ، كانت تتأبط ذراعه امينة المكتبة، وكانت فتاة رقيقة فى الثلاثين قضت اكثر من نصف عمرها بين هذه الكتب !

وسالته كوليت : « ماذا انت صانع بها ؟ » فقال : « سوف اتزوجها .. فقد وجدت فيها ضالتى . انها لم تحفظ اسماء الكتب ومؤلفيها فحسب ، بل لقد استطاعت ان تنقل لى محتويات كل كتاب امسكت به قبل ان افتحه .. هكذا ترين اننى قد اقتنيت المكتبة لها !»

ولم يكن هذا الصديق سوى الفريد كورتو الموسيقار الكبير الذى عاش مع « مكتبته » حتى آخر لحظة فى حياته الطويلة التى انتهت فى عام ١٩٦٢ عن ٨٥ عاما !



اعداد : يوسف زعبلاوى

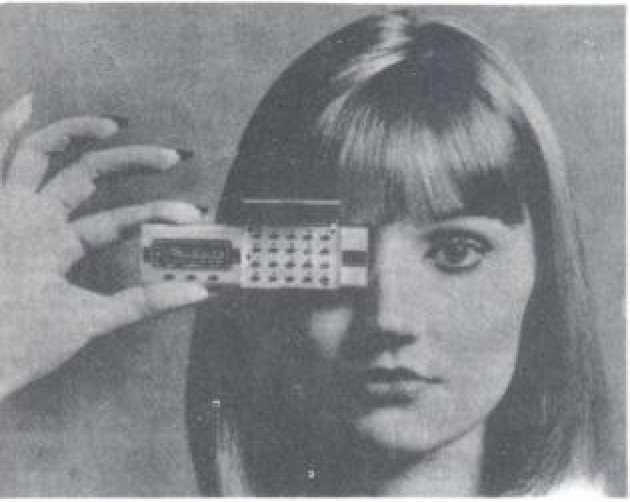
حاسبة صغيرة وعجيبة

● هذه ليست مسطرة منزلقة Slide-Rule كالتى يستعملها المهندسون ‥ فهى الة حسابة + تقويم (وزنامة) + ساعة ضبط السرعة للمباريات + ساعة زمنية ٠

اما ساعتها الزمنية فالكترونية ‥ تبين الوقت بواسطة سائل متحرك يسير مع الوقت ‥ وما عليك الا ان تنظر الى حيث وصل السائل فتقرأ الوقت بالثوانى والدقائق فضلا عن الساعات‥

ويذكر من ساعة ضبط السرعة انها تمكنك من العد التنازلى ناهيك بتحديد الزمن والسرعة فى المباريات وأما التقويم او الرزنامة فبحاجة الى لمسة خفيفة ليعطيك اسم اليوم وتاريخه الى جانب السنة ٠ وفوق ذلك كله ‥ الحاسبة‥ وهى تقوم بالعمليات الحسابية الاربع كلها ‥

بقى ان نذكر ان هذا الجهاز يعتمد على بطاريتين صغيرتين ‥ تمكنانه من العمل طيلة سنة وتصف السنة ٠



هل ينتهى مرض السكر ؟

● نشرت مجلة العلم Science بحثا مفصلا عن تجارب زرع البنكرياس التى اجراها بنجاح فريق من العلماء الامريكان باشراف الدكتور وليم كليك Dr. W. Click احد علماء كلية الطب فى جامعة هارفرد المعروفة ٠ وهذه تجارب خطيرة للغاية وقد تعنى اننا على ابواب حدث فى عالم الطب كبير ، انها تعنى احتمال القضاء على مرض السكرى نهائيا ‥ مرض السكرى الذى طالما ذكرنا الاطباء بانه مرض عضال ، يمكن كبحه وتحاشى مخاطره ولا سبيل الى شفائه تماما والخلاص منه ٠ فهو اذن يصيب المرء ليبقى‥ وليس للمصاب الا ان يسعى للتعايش السلمى مع هذا المرض ، والوقوف به عند حد ، فيأمن بذلك شره وما قد يترتب عليه ‥ فمرض السكرى يسبب العمى ، اذا تفاقم امره، ويتلف الاعصاب وقد يؤدى بصاحبه الى الموت‥ من هنا كانت خطورة التجارب التى اجروها وزرعوا فيها البنكرياس السليم

نهاية « السجاير » المصنعة ٠٠٠

● منذ مدة ومصانع السجاير الكبرى في بريطانيا تسعى الى انتاج سجائر جديدة مصنّعة ، تحل محل سجائر التبغ الطبيعية المعروفة ، واستوفت المصانع أبحاثها وتجاربها وقامت بحملات الدعاية والاعلام على اوسع نطاق وظهرت السجائر الجديدة فى الاسواق فى شهر يوليو الماضى ٠٠ فى احد عشر صنفا (ماركة) ٠٠ ولم يكد يمضى على ظهورها ثلاثة شهور حتى ثبت فشلها ٠٠ ذلك ان السجاير المصنعة لم تظفر باكثر من ٢٪ من مبيعات السجاير العادية فى الاسواق البريطانية ، وذلك خلافا لكل التوقعات ٠ وهكذا اضطرت الشركات المعنية الى الحد من انتاج السجاير الجديدة ٠

فقد عمدت شركة امبريال (Imperial Cobacco) الشهيرة (وهى التى تصنع سجاير بلايرز) الى تسريح نصف العمال الذين يعملون فى مصنعها الخاص بهذه السجاير المصنعة ، وكانت قد انشأته فى اسكتلنده ، وتكلفت على انشائه ١٥ مليون جنيه استرلينى ٠٠ وقد لا يمضى زمن طويل حتى تحذو الشركتان الاخريان وهما شركة روثمان ــ كاريرا Rothmman's Carrer. وشركة جلاشر Gallacher حذو شركة امبريال ٠

وتجدر الاشارة الى ان السجاير المصنعة ليست مصنعة ١٠٠٪ ٠ فهى تحتوى على التبغ الطبيعي بنسبة تتراوح بين ٦٠ ــ ٧٠٪ وتحتوى على المادة المخلقة البديلة بنسبة ٢٥ ــ ٤٠٪ وقد صنعت هذه المادة من عجينة الخشب شركتان عملاقتان ٠٠ الاولى بريطانية وهى شركة اى سى أى I. C. I. التى اطلقت على المادة المخلقة اسم مادة التدخين الجديدة N. S. M. والشركة الثانية امريكية وهى امريكان سيلانيز American - Celanese وقد سمت مادتها البديلة Cytrel وانفقت الشركتان فى سبيل تطوير هاتين المادتين ما يقدر باكثر من ٤٠ مليون جنيه ٠

ولا يخفى ان قلة ما فى السجاير البديلة من تبغ طبيعي تعنى قلة ما تحتويه من النكوتين والقطران وتعنى بالتالى قلة ما تلحقه بالمدخنين من اضرار ٠٠٠

الفعال ، عوضا عن بنكرياسه تالف توقف عن افراز الانسولين على ان هذه التجارب ما زالت فى المرحلة المخبرية، وقد اجراها الدكتور كليك ورفاقه على الفئران ولم يردنا بعد ما يفيد بانهم اجروها على الانسان ٠

لقد زرع العلماء الامريكان البنكرياس السليم فى مجرى الدم فى تسعة من الفئران مصابة بالسكرى ٠ ولم يكد يمضي ثلاثون دقيقة حتى هبطت نسبة محتويات السكر فى دم تلك الفئران ٠٠ ولكن تلك النسبة ما لبثت ان ارتفعت وعادت الى ما كانت عليه فى غضون ساعتين من انتزاع البنكرياس المزروع ٠

وعمد العلماء بعد ذلك الى زرع بنكرياسهم فى فئران اخرى سليمة لا تعانى من مرض السكرى ٠٠ فلم تتأثر محتويات السكر فى دم هذه الفئران بزيادة او نقصان ٠٠ وقد احتفظت بمستواها السوى ٠٠ باستثناء الهبوط المؤقت الذى طرأ عليها فجأة عند زرع البنكرياس ثم ما لبث ان زال ٠

واثبتت هذه التجارب وغيرها ان البنكرياس المزروع لايقف عند امداد المريض بحاجته من الانسولين الكفيلة بحرق الفائض من محتويات السكر فى دمه ،



لتمشيط الشواطىء الرملية

● ستكون هذه الالة ، او ان شئت ، ماشطة الرمال ، موضع ترحيب السلطات السياحية فى كل مكان • فهى معدة لتنظيف رمال الشواطىء تنظيفا جيدا •• انها تمشط الرمال بدقة واحكام وتلتقط ما تحتويه من شوائب ونفايات، الكبيرة منها كالحجارة وقطع الصخور ، والصغيرة ، كالعلب والقوارير الفارغة والورق •• حتى أعقاب السجاير لا تستطيع الافلات من هذه الماشطة• وأهم من ذلك كله السرعة التى تعمل بها هذه الالة فهى تنظف فى الساعة الواحدة ما تزيد مساحتــه على ٢٠٫٠٠٠ متر مربع من الشواطىء الرملية القذرة •

هذا والطريقة التى تعمل بها هذه الآلة فى غاية البساطة •• فهى تجرف الرمال القذرة من الامام لتلفظها نظيفة من الخلف ، وذلك بعد غربلتها وتنظيفها ••• أما الشوائب والنفايات التى تنتزعها منها فتحتفظ بها فى صندوقها الكبير ليتم تفريغها فى المكان والزمان المناسبين ••

لا عجب اذن ان كان حجم هذه الآلة كبيرا نسبيا •• وصندوقها يبلغ ٢٨٢ قدما مكعبا ووزنها ٢٣ طنا •• وابعادها ٤٧ × ١٢ × ١٣ قدما• وهى تسير بمحرك ديزل بقوة ٤٥٠ حصانا • وأهم مزاياها انها مزودة باطارات خاصة بالسير على الرمال وبجهاز يمكن السائق من التحكم بضغط الهواء فى تلك الاطارات أوتوماتيكيا، فيزيده أو ينقصه حسب الحاجة •

وتخفيض نسبتها الى مستواها السوى •• فهو يذهب الى ابعد من ذلك ويضمن بقاء تلك النسبة على مستواها السوى هذا •

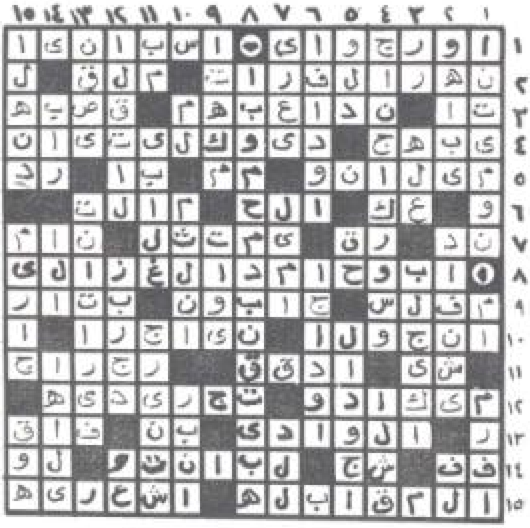
وتجدر الاشارة الى ان البنكرياس المزروع ليس كله طبيعيا •• بل ان اكثره اصطناعى •• فهو عبارة عن انابيب شعرية دقيقة صنعوها من مادة بلاستيكية خاصة ووضعوها داخل غلاف بلاستيكى او زجاجى •• ووضعوا فوق تلك الانابيب وضمن هذا الغلاف الخلايا التى تفرز الانسولين •• فهذه الخلايا ، وهى قوام هذا البنكرياس ، كما لا يخفى ، هى الجزء الوحيد الطبيعى غير المصنوع فيه • فهى تؤخذ من بنكرياس حى لتصبح الجزء الفعال فى البنكرياس المزروع ••

وتفرز هذه الخلايا الانسولين ليرشح عبر الانابيب الشعرية الى الدم •• وقد صنعت هذه الانابيب بحيث تسمح بمرور الانسولين فيها ولا تسمح بمرور الاجسام المضادة فيها ووصولها الى الخلايا •• باعتبار هذه الخلايا الجسم الغريب الذى ينبغى محاربته •• وهذه هى ميزة التجارب الحديثة على تجارب زرع البنكرياس القديمة• فقد كان البنكرياس الذى استهدفت تلك التجارب الاولى زرعه طبيعيا حيا ، ولم يكن فى الامكان بالتالى العمل على وقايته من الاجسام المضادة التى تطلقها اجهزة المناعة فى الجسم الحى ، والتى كانت السبب فى فشل تلك التجارب القديمة•

ومن طريف ما يذكر ان الخلايا الحية التى انتزعوها من البنكرياس الحى وادخلوها فى صنع البنكرياس المزروع استمرت فى افراز الانسولين ولم تفقد فاعليتها مع الزمن، وكانها ما زالت جزءا من البنكرياس الحى الذى انتزعت منه • اضف الى ذلك ان هذا البنكرياس الحى سرعان ما صنع خلايا اخرى جديدة عوضا عن تلك المنتزعة ••

■■

• حل مسابقة العدد ٢٢٩ •



أبو حامد الغزالي

•

أبو محمد بن قتيبة

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : ابو حامد الغزالى ،
ولد بالقرب من طوس في خراسان ، ونشا نشاة صوفية ، ثم انصرف الى دراسة الفقه والكلام والفلسفة • كتب «تهافت الفلاسفة» ثم مر بمرحلة الشك التى قادته الى الصوفية•

(٨) رأسيا : ابو محمد بن قتيبة ،
ولد بالكوفة ، وعاش زمنا في دينور قاضيا • وهو فقيه ومحدث ومؤرخ ونحوى وأديب • من اعماله «الشعر والشعراء» و «عيون الاخبار» و «ادب الكاتب» •

الفائزون بالجوائز

★ الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : عصام هارون اسماعيل ـ عمان/الاردن•

★ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها : رضاب عبد الستار ابراهيم ـ الكاظمية/العراق •

★ الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها : دانه عبد العزيز محمد الفارس ـ العديلية/الكويت •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ مصطفى عبد اللطيف خطاب ـ بيروت / لبنان

٢ ـ عمر كرار صابر ـ الخرطوم / السودان

٣ ـ صلاح الدين محمود ابو شبكة ـ كفر الشيخ / مصر

٤ ـ شوقى محمد عبد الرزاق ـ كريتر عدن / اليمن الديمقراطى

٥ ـ رمزى حسون نصر ـ السويداء / سوريا

٦ ـ عبد المنعم عبد الهادى احمد ـ المدينة المنورة/السعودية •

٧ ـ حسن فؤاد على حسن ـ عجمان/الامارات

٨ ـ فيصل كامل حسن عبد العزيز ـ صنعاء/ اليمن الشمالى

حيث تفشل المحبة ، تطغى قسوة القانون « فولتير »

عقوبة الموت ماجدواها اليوم؟

بقلم : الدكتور عدنان الدورى

دكتوراه علم الاجرام

■ القتل نوعان احدهما فعل محرم ممنوع يؤدى الى ازهاق روح انسان حى بدون حق ويسمى جريمة القتل ، والاخر رد فعل مشروع يؤدى الى القضاء على حياة الانسان كحق دفاعي اجتماعي تمارسه الهيئة الاجتماعية ويسمى عقوبة الاعدام او عقوبة الموت • الاول « فعل » والاخر « ردفعل» وحيث ان قوانين الطبيعة تفترض ان يكون رد الفعل بقوة الفعل فان القانون الجزائى يفترض ان تمثل عقوبة الاعدام الدرجة القصوى لرد الفعل الجماعى نحو اخطر فعل اجرامى •

وقد كانت عقوبة الموت هى الاسلوب الوحيد أو النمط الشائع لعقاب جميع المجرمين ولجميع انواع الجرائم خلال عصور طويلة • وقد استطاعت هذه العقوبة ان تصمد بوجه جميع الاعاصير التى عصفت بمصيرها وهدفت نحو الغائها او كشف عدم جدواها كعقوبة رادعة منذ بداية القرن الماضى وحتى وقتنا هذا • ويظهر ان شرعية هذه العقوبة وجذورها التاريخية ارستها على ارضية صلبة تقوم على دعامتين تقليديتين ، اولاهما اعتراف المجتمعات الانسانية بان عقوبة الاعدام هى الاسلوب الوحيد للتعامل مع بعض المجرمين حين ينقطع الامل كليا فى اصلاحهم باية وسيلة اخرى • والاخرى اقرار الهيئة الاجتماعية باستعمال حقها المشروع فى الثار والانتقام من المجرم والقصاص العادل منه • لقد اعترف القانون الجزائى المجرى الصادر فى ١٨٧٨ بان الاعدام شر لا بد منه حين نص على ان « عقوبة الاعدام هى ابشع واجب تؤديه الدولة » •

حجج الانصار والخصوم

وقد اتاحت مشروعية هذه العقوبة وسهولة تنفيذها للمجتمعات القديمة ممارسة مختلف الطرق اللا انسانية للتخلص من حياة المجرمين المحكوم عليهم بالموت • فمن الاساليب البربرية القديمة قتل المجرمين بلدغ الافاعى والحشرات السامة او القاؤهم الى الحيوانات المفترسة او اكراههم على تجرع السم • كما عرفت اوروبا خلال

هذه مجموعة من الاراء والملاحظات والتساؤلات تعالـــج بعض القضايا الحيوية،وتعبر عن وجهات نظر اصحابها فى هذه القضايا ٠٠ وعملا بحرية النشر ، فاننا نفســح المجال لهذه الاراء كما تلقيناها ، بغير حذف أو تعديل ٠

عصورها المظلمة اسلوب الخنق بالغرق وتقطيــع الاوصال وسلخ الجلد وفصل اعضاء الجسم وسحق عظامه والقاء الشخص من مكان عال وكان قطع الراس من الامتيازات المقصورة على النبلاء ٠

وقد بدات المجتمعات الانسانية تسعى الــى اراحة ضميرها بالتماس طرق جديدة (مثل الاعدام بالصدمة الكهربائية او بالغاز السام) اكثــر انسانية واكثر حشمة واقل وحشية او قسوة ٠

على ان اول مناظرة جدلية فلسفية « لمحاكمة » عقوبة الاعدام بدات فى عهد الامبراطور الرومانى قيصر وذلك لتقرير مصير بعض المتامرين علــى عرشه ، كما عقد البرلمان الفرنسى اول مناقشــة برلمانية لتقرير جدوى عقوبة الاعدام فــى ردع الجريمة فى عام ١٧٨٠ ٠ وكذلك فعل مجلــس العموم البريطانى والبرلمان الكندى فى منتصف هذا القرن ٠

اما انصار عقوبة الاعدام والمؤيدون لضرورة بقائها أو مشروعية جدواها فليس لديهم الكثير من القول سوى التمسك ببعض المطالب التالية :

١ ـ ان عقوبة الاعدام عقوبة رادعة ولولاها لتضاعف حجم الجنايات الخطيرة بشكل كبير جدا ٠

٢ ـ ان الشواهد التاريخية من حياة المجتمعات الانسانية قديمها ومعاصرها لا تزال تستدعــى الاحتفاظ بهذه العقوبة كخط دفاعى اول لمكافحة الجريمة الخطير والسيطرة عليها ٠

٣ ـ ان عقوبة الاعدام لا تزال تحقق مطلـب العدالة المطلقة وذلك بممارسة المجتمع لحــق الدفاع الاجتماعى ضد المجرم والقصاص منـه حماية للمجتمع ٠

ولكن خصوم هذه العقوبة والمطالبين بالغائها قالوا فيها بعض ما قال مالك فى الخمر ويمكن ايجاز مواقفهم وحججهم على النحو التالى :

١ ـ ليس من حق الدولة أو السلطة سلـب حياة الانسان لان هذا الحق للخالق تعالى وحده ٠

٢ ـ ان المجتمع يهتم فى الاصل بضرورة وجود العقاب كاجراء رادع ضد الجريمة ولا يصر علـى اختيار اسلوب معين لتنفيذ العقاب ذاته او استخدام طريقة معينة لتحقيق مطلب الردع ٠

٣ ـ ان عقوبة الاعدام لا تحقق عنصر الردع كجزاء بدنى يترك اثارا معينة فى نفسية الجانى لان اثار الاعدام تنتهى بالموت ٠

٤ ـ ان عقوبة الاعدام لا تحقق مطلب تميز العقاب لان هذه العقوبة تطبق على جميع المجرمين المحكوم عليهم بالموت باسلوب واحد مهما اختلفت ظروفهم الشخصية او تباينت خطورتهم الاجرامية ٠

٥ ـ ان استمرار عقوبة الاعدام لم يؤثر فى منع ارتكاب جرائم القتل أو تقليص معـدلات الجرائم الخطيرة ، كما ثبت ان العقوبة لا تحقق اى مطلب من مطالب الاصلاح والتقويم ورد الاعتبار ٠

٦ ـ ان عقوبة الاعدام لا تتيح القيام بــاى اجراء لتعديل او لتصحيح الحكم عند تحقق خطا فى الادانة والتجريم وهناك الكثير مـن الشواهد التاريخية عن اعدام اشخاص ابرياء ثبتت براءتهم بعد اعدامهم ٠

٧ ـ ان عقوبة الاعدام ليست اقتصادية مــن حيث النفقات لدى مقارنتها بعقوبة الســجن

المؤبد ، كما يعتقد البعض ولو كان الامر يقتصر على اعتبارات اقتصادية صرفة لاتجهت الـــدول والمجتمعات الى اعدام المجانين والمعوقين بدلا من الاحتفاظ بهم دون ثمة أمل بشفائهم •

٨ ـ ان عقوبة الاعدام لم تعد ضرورية كاجراء جوهرى لمواجهة جرائم القتل والجنايات الخطيرة حيث يمكن استبدالها بالسجن المؤبد وهذه عقوبة لا تقل ردعا عن عقوبة الاعدام •

ردود فعل ايجابيـــة

ولا شك ان كثرة هذه الاصوات المعارضة وقوة حججها لم تعدم ظهور بعض الاستجابات في اقطار كثيرة وقد ترجمت بعض هذه الاستجابات الـــى ممارسات تبلورت فى بعض الاتجاهات التطبيقية وذلك على النحو التالى :

ـ الغاء عقوبة الاعدام بصورة كلية فى عدد كبير من اقطار العالم • ولعل اول الغاء فعلى لهذه العقوبة كان فى توسكانيا فى عام ١٧٨٦ وفى النمسا والمجر فى عام ١٧٨٧ •

ـ تقليص عدد الجرائم المعاقب عليها بالاعدام وعلى سبيل المثال فقد كان القانون الانجليـــزى الصادر فى عام ١٧٨٠ يعاقب على مائتى جريمة بالاعدام ، وقد تقلص هذا العدد الى اربع جرائم فقط بعد قرن واحد وانتهى الامر الى الغــاء عقوبة الاعدام كليا بعد منتصف هذا القرن •

ـ تردد الكثير من المحاكم الجزائية عن النطق بحكم الاعدام الا فى الحالات الاستثنائية حين لا تجد المحكمة بديلا لهذه العقوبة •

ـ التردد فى تنفيذ عقوبة الاعدام بعد الحكم بها واللجوء الى العفو تارة او الاستبدال بالاعدام السجن مدى الحياة تارة اخرى •

ويبدو ان العصر الذهبى لخصوم عقوبة الاعدام والداعين الى الغائها لم يدم طويلا لكسب قناعة المجتمعات بالحجة المنطقية والدليل الواقعـــى والعلمى الملموس • فقد تنكر الواقع لمنطق العلم وهبت العاطفة للدفاع الشرعى عن النفس •

ذلك ان طغيان موجات العنف الاجرامى واستخدام ابشع الاساليب المتوحشة لتعذيب الضحايا الابرياء فى جرائم القتل والخطف والاغتصاب الجنسى ، هذه الظروف كلها تجمعت لتضغط من جديـــد مرجحة حجج مؤيدى عقوبة الاعدام حتى عمـــدت بعض الاقطار الى تعديل تشريعاتها الجنائية فى محاولة لاعادة عقوبة الاعدام بعد الغائها فتـــرة طويلة • وبدات بعض الاقطار التى لا تزال تحتفظ بهذه العقوبة بتعديل تشريعاتها الجنائية القائمة وزيادة عدد الجرائم التى يعاقب عليها بالاعدام• وبرزت اصوات عالية تنادى بخفض الحد الادنى للسن القانونية التقليدية لتطبيق عقوبة الاعدام على الاحداث • وطالب فريق اخر باغلاق جميع الطرق بوجه كل رافة او رحمة بالمجرمين الذين يرتكبون الجنايات الخطيرة فلا تخفيف فى الحكـــم ولا عفو ولا سجن بديلا •

وهكذا يعيد التاريخ الانسانى نفسه فيعيـــد للقانون بعض ما فقد من هيبة كوسيلة تقليدية مجدية من وسائل الضبط الاجتماعى • ■■

جامعة الكويت ـ عدنان الدورى

كيف يواجه العرب

اخطبوط الشركات العابرة للقوميات

بقلم : الدكتور محمود عبد الفضيل

تواجه التنمية العربية تحدياخطيرا يتمثل فى الزحف الكاسح لنفوذ الشركات العالمية الضخمة العابرة للقوميات • كيف يمكن أن يقف العالم العربى أمام التحدى ؟ •• هذا هو السؤال الان • وهذه محاولة للبحث عن اجابة له •

■ يشهد الاقتصاد العالمى منذ أواخر الستينات اتجاهات جديدة متنامية نحو أشكال جديدة للتقسيم الدولى للعمل بين البلدان الصناعية المتقدمةوبين بلدان العالم الثالث الآخذة فى النمو • ولعل العنصر الديناميكى المحرك لهذه التحولات الجديدة التى طرات على بنية وطريقة عمل الاقتصاد الدولى هو نمو واتساع حجم نشاط وعمليات الشركات الدولية العابرة للقوميات اذ تنشط هذه الشركات فى عملية اعادة صياغة التقسيم الدولى للعمل من خلال تدويل الانتاج واعادة توطين الانتاج الصناعى على الصعيد العالمى • وقد نجحت هذه الشركات فى اقامة « قواعد تصديرية » متقدمة فى مناطق عديدة من بلاد العالم الثالث مثل هونج كونج وكوريا الجنوبية وماليزيا وسنغافورة والبرازيل والمكسيك وبلاد جزر الكاريبى • وتتجه انظار هذه الشركات بشدة هذه الايام نحو منطقة الشرق الاوسط والقارة الافريقية مما يقتضى مزيدا من الفهم الاقتصادى والسياسى لدوروطبيعة عمليات هذه الشركات وآثار ذلك على مستقبل عملية التنمية فى العالم العربى •

ولقد ادت عملية تمركز راس المال والقوة الاقتصادية في البلاد الصناعيةالكبرى الى سيطرة الشركات الدولية العابرة للقوميات على راس المالالصناعي وتنظيمالانتاج والتسويق علىالصعيد العالمي. وقد ساعد علىذلكالتطورات التكنولوجية الحديثة في العديد منالصناعات مما سمح بتجزئة العمليات الفنية المعقدة الى سلسلة من العمليات البسيطة بصورة جعلت من الممكن لقوة العمل غير الماهرة في البلدان الناميةالقيام بالعملياتالمطلوبة دون تدهور يذكر في المعدلات الانتاجية.وقد اصبح نشاط الشركات الدولية يغطي قطاعا عريضا من الصناعات تمتد من الادوات الكهربائية والمعدات الهندسية والسيارات والسلع المعمرة الى آلات التصوير ومنتجات البلاستيك ولعب الاطفال . ويكفي للتدليل على الدور الهام الذى تلعبه الشركات الدولية في الهيكل الحالي للتجارة الدولية ان نذكر ان فروع الشركات الدولية في بلدان العالم الثالث التي تتخذ من الولايات المتحدة الامريكية مقرا رئيسيا لها قد غدت (وفقا للاحصائيات المتوافرة عن عام ١٩٦٨) مصدرا في الاسواق العالمية بنفسوزنالمانيا وضعفوزناليابان وان جانبا كبيرا من هذه الصادرات يتوجه للولايات المتحدة نفسها .

واخطر ما في الامر ان هذه الشركات الدولية العابرة للقوميات اصبحت كالاخطبوط الكبير ، المتعدد الاذرع والارجل ، تتحكم ضمن ما تتحكم في اتجاهات « التطوير التكنولوجي » و « شبكات التسويق التصديرية » و « شبكات التمويل » و « العمالة الماهرة » في بعض الصناعات الهامة مثل البتروكيماويات والادوات الكهربائية والسلع المعمرة والصناعات الهندسية ومنتجات البلاستيك وغير ذلك من الصناعات والمنتجات بالشكل الذى يجعل هناك صعوبة بالغة للشركات الوطنية ان تعمل في هذه المجالات بشكل مستقل دون ان تنطوى تحت جناح الشركات الدولية ، وقد وضحت هذه الحقيقة بجلاء في الندوة التي عقدت مؤخرا في « فينا » والتي جمعت ممثلي شركات البترول والكيماويات الكبرى حيث اعطى ممثلو الشركات الدولية صورة غير مشرقةللدور المستقبليللشركات الوطنية في العمليات اللاحقة للانتاج البترولي . اذ اشار المستر بيرشل مدير شركة « بى . بى . كيميكال » الى ان الميزة الوحيدة التي تتمتع بها الشركات الوطنية هي توافر المادة الخام وراس المال فقط ، بينما العقبات الرئيسية تتمثل في عدم توافر شبكات التسويق التصديرية ، والتكلفة المرتفعة لانشاء مصانع البتروكيماويات وقلةالخبرة في ادارتها وتشغيلها . والذى يعنيه مستربيرشل بالتحديد هو انه لا مستقبل للشركات الوطنية المستقلة دون الاندماج الكامل في شبكة الشركات الدولية العاملة في هذا المجال ، لانه اذا كانت الشركات الوطنية تملك النفط الخام وراس المال فالشركات الدولية تتحكم في الاسواق التصديرية، والفن الانتاجي ، والخبرة الادارية والتنظيمية .

تحديات تواجه العالم الثالث

وتشكل هذه التطورات الجديدة تحديا هاما لقدرة حكومات البلاد النامية في العالم الثالث على التخطيط والادارة المستقلة لنشاطاتها التصنيعية والفنيةوالتصديرية بعزل عنالشركات



الدولية • اذ نجد معظم حكومات دول العالم الثالث نفسها عاجزة عن مواجهة وملاحقة التطورات السريعة فى طريقة اداء الاقتصاد العالمى ، تلك التطورات التى يحدد وجهتها توسع نشاط وعمليات الشركات الدولية العابرة للقوميات • ففى اغلب الاحوال تقوم هذه الشركات بالتخطيط لعملياتها الصناعية والتجارية لآفاق زمنية تتجاوز بكثير الافق التخطيطى لبعض حكومات دول العالم الثالث، مما حدا بالبعض الى ان يطلق على هذا العصر « عصر الشركات الدولية »
The Age of Transnationals.

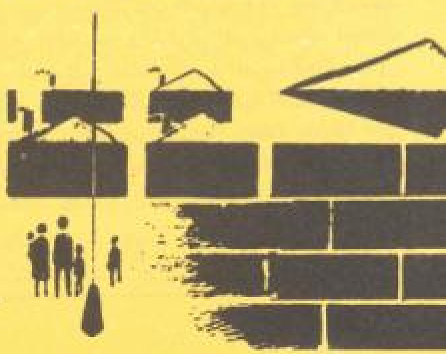
ولعل أهم نتائج التوسع المتزايد لنشاط الشركات الدولية هى الاضعاف المطرد لسيطرة الدولة القومية على ادوات السياسة الاقتصادية داخل حدودها القومية • اذ كلما ازدادت درجة اختراق الشركات الدولية لاقتصاد قومى ما تضاءلت درجة فاعلية معظم ادوات السياسة الاقتصادية : السياسة النقدية ، السياسة المالية سياسة الاجور ، .... الخ • كذلك تصبح مقدرة حكومات دول العالم الثالث على فرض ضرائب على الشركات الدولية محدودة نظرا لقدرة هذه الشركات على اللجوء لاساليب متعددة للتلاعب يمكن لها عن طريقها تخفيض مقدار الالتزامات الضريبية المترتبة عليها فى البلد المضيف • ومن ابرز وسائل التلاعب الضريبى التى يصعب على حكومات الدول المضيفة مكافحتها هى المعالجة المحاسبية لاسعار التحويل Transfer prices للمواد الخام والاجزاء المحولة من بلد لآخر بين فروع الشركة الدولية الواحدة ، ومعالجة توزيع المصروفات الاضافية والادارية بين المركز الرئيسى فى البلد الام والفروع فى البلاد المضيفة،واللجوء لاسلوب رأس المال المقترض بدلا من رأس المال المملوك Equity Captial.

ومن ناحية اخرى ينتج عن نشاط الشركات الدولية تمزيق لاوصال الثقافة الوطنية واضطراب لنظام القيم السائد فى البلدان النامية ومسخ لعملية المزج أو المواءمة بين « الاصالة » و « المعاصرة » فى تلك البلدان • فالشركات الدولية بنشاطاتها المتنوعة المتداخلة تمثل وسيطا ناقلا لقوانين ونظم وثقافات تؤكد كل يوم « قيم المجتمع الاستهلاكى » التى تقوم على اللهث وراء مستويات « الرفاه الغربى » دون الوعى بان هذه المستويات قد تحققت بعد قرون من التراكم المادى والحضارى والتضحيات الكبيرة •

نحو استراتيجية للتنمية العربية

على ضوء التطورات الاقتصادية الدولية التى تحدثنا عنها تزداد وترتفع التساؤلات حول مستقبل التنمية فى العالم العربى فى عصر الشركات الدولية العابرة للقوميات ، وما هى الآفاق الممكنة للتعامل مع الواقع الاقتصادى الدولي الجديد دون ان تفقد عملية التنمية العربية مقومات الاستقلال وتوافر عنصر الارادة القومية •

ورغم انه تتفاوت ردود الفعل والتحليلات حول هذه القضية الشائكة من انصار الرفض الكامل لاية صورة من صور التعامل مع الشركات الدولية الى انصار الاندماج الكامل فى نشاط الشركات الدولية والاحتماء تحت مظلتها الواقية من المخاطر



والمنافسة ، فانه فى تقديرى الخاص ان الموقف ازاء الشركات الدولية يمكن معالجته فى اطار المنطقة العربية على مستويين :

المستوى الاول :

هو تطوير اطار تفاوضى جماعى للتعامل مع الشركات الدولية والمساومة بشكل جماعى حول القضايا المشتركة فى مجالات « نقل وتحويل التكنولوجيا » ، « مشاكل التسويق فى الاسواق التصديرية » ، « قضايا الضرائب والمحاسبة » ، « القيود والضمانات فى مجال اعادة تصدير الارباح وغيرها من التحويلات للخارج » ، « عقود الادارة والتدريب » وغير ذلك من القضايا المحورية بما يضمن تحقيق اكبر قدر من المكاسب وتحقيق اكبر قدر من حرية المناورة للبلاد المضيفة • فليس من المتصور ان تسفر عمليات التفاوض التى تجرى حاليا بين الشركات الدولية العملاقة وكل قطر عربى على حدة عن مكاسب ايجابية للدول المضيفة •

ولكنه يمكن ان تتحسن الى حد كبير شروط التفاوض لصالح البلاد العربية المضيفة فى ظل استراتيجية للتفاوض والمساومة الجماعية تشترك فيها الاقطار العربية مجتمعة • وامام البلدان العربية نموذج حى لذلك فى تجربة « معاهدة بلاد الانديز» The Andean pact. فى امريكا اللاتينية• اذ نجحت البلاد المنضمة لتلك الاتفاقية نجاحا نسبيا فى تطويع عمليات الشركات الدولية بما يتفق ومقتضيات عملية التنمية من وجهة نظر البلاد المضيفة ولا سيما فى مجالات هامة مثل تحديد مستويات الحماية اللازمة للصناعات المحلية الناشئة ، وتحقيق مزيد من الرقابة على عمليات الشركات الدولية فى مجال نقل التكنولوجيا وتحويل الارباح وتدريب القوى العاملة •

المستوى الثانى :

وهو تحقيق قدر اكبر من الانتاج المشترك والتكامل الاقتصادى العربى بما يسمح بتحقيق اكبر قدر من « الاعتماد الجماعى على النفس » • فحيث ان الشركات الدولية العملاقة تعتبر مشروعات خاصة تنظم الانتاج على الصعيد العالمى متجاوزة بذلك كل الحدود القومية ، فان نقيضها لا بد وان يكون التنظيمات والتكتلات الاقتصادية الاقليمية او الجماعية بما يسمح بتركيز وترشيد الاستثمارات والانشطة الانتاجية على مستوى المنطقة العربية • اى بعبارة اخرى ، احلال نوع من التقسيم العربى للعمل فى مجال الصناعات الاساسية ومشروعات البنيان الارتكازى يحل محل تدويل الانتاج فى اطار صناعات مدمجة دمجا عموديا تنتشر اقسامها ومرافقها فى كافة انحاء العالم بينما يتم تركيز عملية اتخاذ القرارات فى مركز الشركة الدولية فى البلد الام • وفى اطار هذا التصور يمكن النظر للمشروعات العربية المشتركة كخطوة هامة فى هذا الاتجاه لا تبررها فقط ضرورة الاستفادة من وفورات الحجم او النطاق بل يبررها ايضا ضرورات تدعيم اطار المساومة الجماعية مع الشركات الدولية •

ويبقى لنا ختاما ان نقول انه فى هذا العصر الذى اصبحت فيه السيطرة على الشئون الاقتصادية المحلية فى مهب رياح الشركات الدولية ••• يجب ان ينشط الفكر الاقتصادى والقانونى العربى لتحديد اتجاهات وابعاد مستقبل عملية التنمية العربية وحتى تتجاوز ردود الفعل القصيرة الامد الى آفاق التخطيط الاستراتيجى الشامل لمستقبل المنطقة العربية حتى نؤمن لابنائنا مزيدا من (الخبز مع الكرامة) •

■■

د • محمود عبد الفضيل

فقه المذاهب.. ليس كافياً لعصرنا!

بقلم العلامة اليوجوسلافى
حسين جوزو

ان اثارة ومناقشة المشكلات التى تعترض قيام المجتمع الاسلامى تـدل دلالة واضحـة على اننـا بدانا بالبحث عن طريقنا وصراطنا المستقيم ، وعن ضرورة الرجوع الى قيمنا وتعاليمنا الاسلامية • وهذه اولى خطواتنا فى سبيل التخلص مما كنا اصبنا به فى فترة الانحطاط منالجمود والاستكانة والتواكل • وفى رايى اننا مادمنا نشعر بوجود هذه المشاكل وبانها قائمةامامنا نواجهها فى حياتنا فبدون شك سنبحث عن حلولها ولا نتوقف فـى البحث حتى نجدها ، كما لا نتوقف عند الحصول عليها لان المشكلة ليست ـ على حد قول الامام ابى حامد الغزالى ـ فى قصور الحل ولكنها فـى تطبيقه •

وقد اخترت لهذه المرة من تلك المشاكل المثارة والمطروحة على بساط البحث والمناقشة موضوع تطبيق الشريعة • وبودى ان اتناوله بما اراه فيه مما تلابسه من ملابسات وظروف وصعوبات •

ومن ملاحظاتى الاولى العامة بالنسبة الى هذا الموضوع اننا لا نزال نتغنى بالاسلامونرمى الكلام فيه بدون وعى وادراك • نقول ونردد القولدائما ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان وانه يحتوى على افضل حلول لمشاكل عصرنا ، انه نظام شامل من شانه اسعاد الانسان وانقاذه من ويلاته ومآزقه التى وصل اليها رغم تقدمه العلمى والتكنولوجى الهائل المذهل •

هذه الادعاءات لا اقول انها مجرد ادعاءات وانه ليس هناك ما يبررها ، ولكنى اقول بكل اسف انه لم يحاول احد من اصحاب هذه الادعاءات ان يثبت صلاحية الاسلام بتطبيق مبادئه وتعاليمه فىحياتنا وابراز حلوله العملية لمشاكل تواجههـا الحيـاة المعاصرة •

ومن نفس هذا النوع نداء بتطبيق الشريعة ، ذلك النداء الذى نسمع ترديده فى كل بلد اسلامى وهو نداء جميل يستحسنه كل مسلم ويستلذ به ، انه يشكل آماله وغاياته •

قضايا حيوية

والواقع ان هناك حركات قوية ونشيطة تطالب باصرار شديد بتطبيق الشريعة في جميع مجالات الحياة • وهذه الحركاتتعبر تعبيرا صحيحا عنرغبة الجماهير المسلمة التي لها الفضل في الحفاظ على الاسلام على الرغم مما مر به في سيره من مصاعب وعراقيل وكوارث • وجدير بالذكر ان دساتير معظم الدول الاسلاميةتنص بان الاسلام دين الدولة وبانه مصدر التشريع •

وهناك بعض البلاد الاسلامية تدعي بانها تقوم بتطبيق الشريعة وتنفيذ احكامها في الحياةالعامة•

ولكن السؤال المهم الذي يجب ان يطرح هنا ويوجه الىعلماء الاسلام للاجابة عليه هو :هليمكن تطبيق الشريعة بمفهومها الحالي بجميع تفاصيلها وابوابهـا على كافة مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيالحياة المعاصرة ، التي تمتاز بمشاكل وقضايا معقدة في منتهى التعقيد لم تكن موجودة من قبل ولم يتناولها المجتهدون الاولون • وبعبارة اخرى هل يمكن اقامة دولـة حديثة بجميع فروعهـا من السياسة والاجتماع والاقتصاد على احكام فقه ابي حنيفة او على فقه الامام مالك والشافعي واحمد بن حنبل ؟

اننا نطـالب الحكومات في البلاد الاسلاميـة بتطبيق الشريعة،ولكن ما هي تلك الشريعة التي نطالب بتطبيقها والتي تلائم وتناسب وتتجاوب مع حاجات ومتطلبات عصرنا ، وتحتـوي على حلـول لمشاكله المعقدة التي عجزت النظم السائدة اليوم عن حلها حلا مرضيا •

وفي نظري ان المطالبة بتطبيق الشريعة قبل القيام بالاجتهاد واستخراج الاحكام والحلول من المصادر الاسلامية لمشاكل حياتنا امر غير معقول •

ان الفكر الاسلامي ـ كما قلنا انفا ـ صالح لكل زمان ومكان • ومعناه انه يحتـوي بكلياتـه ومبادئه العامة على حلول لكل ما يتجدد ويحدث في اي وقت وفي اي مكان • ومن هنـا يتحتـم على علماء الاسلام ان يحللوا هذا الفكـر مـن جديد تحليلا دقيقا وشاملا بحيث يجدون فيه ويستخرجون منه كل ما تحتاج اليه حياتنـا الحديثة مـن نظم وحلول واحكام لجميع مرافقها •

ومع تقديرنا البالغ وتعظيمنا واجلالنا لائمة مذاهب الفقه الاسلامي فلا بد لنا من القول بان فقه المذاهب غير كاف وغير واف لحاجات عصرنا •

ولا يغيب عن اذهاننا ان معظم المنادين بتطبيق الشريعة يقصدون بذلك وجهها العقابي فحسب ـ اعني اقامة الحدود ـ كان الحدود في نظرهم هي الاساسالوحيد الذي يقام عليه المجتمع الاسلامي• وقد اطلعتنا الجرائد والمجلات ان علماء الازهر قدموا الـى مجلس الامـة بمصر مشروع قانـون الجنايات مبنيا على الشريعة الاسلامية ويحتوي على انواع مختلفة من العقوبات مثل عقوبة القتل والزنى والقذف وشرب الخمر والردة والسرقـة وغيرها •

وهذا مما يدعونا الى التساؤل : هل مشايخ الازهر الشريف يعتقدون ان العقوبة هي الوسيلة الوحيدة او على الاقل خير وسيلة لاعداد الانسان الصالح وتكوين المجتمع الاسلامي وازالة الشر عنه وتحقيق سعادته ؟ واذا كان ذلك رايهم فعصا الشيخ عليش في الواقع لا تزال حية تسعى !

والحقيقة ان هناك وسائلمتعددة يجباستعمالها قبل انزال العقوبة • فعلى المجتمع الاسلامي ان يضمن للفقير ما يحتاج اليهمن ماكل وملبس ومنزل ومركب قبل قطع يده عند ممارسته السرقة كما ذهب اليه الامام ابن حزم •

■■

سيراييفو ـ حسين جوزو

انصافاً.. لشعراء القارة السوداء!

بقلم : الدكتور ابو الهدى فؤاد الاسعد

● في الوقت الذى تستيقظ فيه القارة الافريقية ، يبدو انه قد آن الاوان للاعتراف بان الادباء الزنوج الناطقين بالفرنسية يمثلون حركة ادبية واسعة المدى . وكان « سارتر » قد رحب في المقدمة الرائعة التى صدر بها « اورفه نوار»، وهى المجموعة المختارة من الشعر الزنجي الذى يعبر بالفرنسية ، والذى نظمه « ليوبولد سنغور » ، كان قد رحب بظهور شعراء القارة السوداء .
واليوم ، نحن امام غزارة النتاج ، وتنوع الاسلوب، وتعدد الابواب الشعرية ، والطابع غير المتنازع للامزجة .

كل هذا يدعونا الى تقدير الادباء الافريقيين من المدرسة الجديدة بصفتهم مبدعي مدرسة ادبية حقيقية . الا انه يجب الاعتراف بتكوين ظاهرة في مستوى الادب المعبر بالفرنسية ، ظاهرة لايمكن تجاهلها او الحط من قيمتها ؟ وقد يكون من الاجحاف بحق الكتاب الافريقيين ، دمجهم في خضم الادب الفرنسي ، كما انه من قبيل التحامل عليهم عدم اعتبارهم ممثلين لنهضة ثقافية لا هي بالفرنسية ، ولا بالغربية .

والحقيقة ان هؤلاء الكتاب لم يفعلوا اكثر من انهم استعملوا اللغة الفرنسية للبوح والتعبير احياء لعنصرهم ، ذلك ان جميع كتاباتهم تعبر بطرق متعددة عن الدافع الوحيد الذى اوحى اليهم في تلك الكتابات .

ان حركة الكتاب الافريقيين حركة مستقلة التراث ، ولايمكن اعتبارهم على هامش الادب ، ولا هم فى داخله بالرغم عنهم • اذ قد ينتمى احدهم الى المدرسة السوريالية ، وقد يكون احدهم من اتباع « كلودل » او «سان – جون – برس» • وكذلك قد يجد آخر مكانا فى الاتجاه الطبيعى المتأخر • ولم يوضع هؤلاء الادباء فى المكان الصحيح • فكم من الجهود الضائعة قامت للتضييق على هؤلاء الكتاب بادراجهم فى مراتب مصطنعة • فلماذا الابتعاد والهروب من تحديد مضامينهم الحقيقية ؟ لماذا يفضل الوقوع فى هذا الشطط والتجاهل الارادى ؟ فهم جميعا ، وهذا امر ظاهر، يتكلمون لغة واحدة ، ويعبرون كذلك عن المجتمعات الافريقية السوداء المستعمرة ليقدموا لنا صورة عن واقع عديم التفاؤل •

تعبير عن اليقظة

واذا ما اردنا تحديد معنى ، ومتناول الادب الحالى للمدرسة الافريقية الجديدة ، كان علينا ان نربطه بالارض التى انبتته ، حيث نمت جذوره واستشف مساحة من ترتبتها • من هنا يمكن تحديد الديناميكية التى تبعث من جديد فى الشعوب الملونة •

واذا صح فعلا ان الادب هو من المظاهر الاكثر اهمية فى الثقافة ، فما علينا الا ان نقرر مع « امه سيزير » بان ظهور المؤلفات الادبية فى المستعمرات ، ما هو الا ظاهرة تعبر عن اليقظة، واشارة الى ان هذه المؤلفات قادرة من جديد على تسلم زمام المبادرة ، واعادة الاعتبار الى المفاهيم الافريقية الفكرية بالنسبة الى العالم المهدد والمقسم من جراء الاستعمار •

افلا يقوم على عاتق الكتاب والفنانين الذين يدعوهم « سيزير » برجال الثقافة ، امر اعادة النظام بعد هذه الفوضى ؟ فهؤلاء المثقفون يوجهون تطلعات الشعب ، ويساعدونه على الوقوف من جديد فى مكانهم الصحيح من التاريخ ، فضلا عن تغذية مشاعرهم الوطنية •

وبكلمة منهم يقودون شعوبهم الى الحرية، وهذا هو اهم دور تقوم به هذه النخبة ، وهو الدور الذى اوضحه « سيزير » بكل وعى يوم حضر مؤتمر كتاب القارة الافريقية السوداء فى روما سنة ١٩٥٩ بقوله : « نحن فى هذا اللقاء نمثل المنطلق للنفوس ، وعلينا تقع مهمة ازدهارها • ونحن حجر عثرة امام الذين يدعون بعث الارواح، واقول ايضا ان مهمة الانسان الذى وقف نفسه لخدمة الثقافة الافريقية ،هى ان يهيىء التربة الجديدة للخلاص من الاستعمار ، لكيلا يكون ذلك تخلصا اعتباطيا منه • ذلك انه فى مستوى المجتمع الاستعمارى فان على صاحب الرسالة الثقافية ان يكسب شعبه وسيلة تحقق الحرية ، وهذا الرجل بالذات مهما كان اتجاهه ، اديبا او فنانا ، يستطيع ان يمنح شعبه هذه الوسيلة • ذلك انه فى ظل قيام الاستعمار ، فان النشاط الثقافى المبدع المتقدم عن التجربة الجماعية الجامدة هو اصلا هذا الاكتساب • »

وقد بدا الغرب اهتمامه بالنتاج الثقافى الزنجى منذ نصف قرن ، ويعود فضل الاهتمام الى «فلامينك» و « ابوليتير » اللذين مهدا الطريق لاكتشاف الفن

الزنجي في فرنسا • ذلك ان الاول قد افتتن بتمثال صغير ، فاراه بالتالي الى « بيكاسو » ، ولقد كان هذا بالنسبة الى « بيكاسو » اكتشافا جديدا ،اذ اننا نقف من خلال هذا التمثال الصغير علىتلاقى الرسم مع الفن التكعيبي عامة •

وقد راح « ابولينير » يبحث عن الالهام بالقرب من الاصنام الوثنية في اوقيانيا ، وفي غينيا ، وقد حصلت ثورة في عالم الموسيقى بعد الحرب العالمية الاولى ،يوم نقلت من امريكا موسيقى الجاز والبلو، ومع اعمال « ليوفروبنيوس » ، ومؤخرا اعمال « موريس دلافوس » حول تحديد السلالات البشرية، تحولت الانظار الى زنوج افريقيا الذين سادالاعتقاد عنهم في ذلك الوقت بانهم جد بعيدين عن اىنوعمن الحضارة •

مشكلة الواقع الاستعماري

وفي سنة ١٩٢١ ، عرفت المنتخبات الادبياتنجاحا حقيقيا ، وكانت عبارة عن مجموعة من الاساطير الافريقية ، جمعت ورتبت حسب موضوعاتها على يد « بليزلندراس » وفي السنة ذاتها ، كانت(باتوالا) وهي رواية بكل معنى الكلمة ، لطابعها الافريقي ، للروائي:رين ماران قد حصلتعلى جائزة(جونكور) (Goncourt) ـ ، ولكنها حدثت فضيحة •

وما ضر أن يكون علم السلالات البشريةللعنصر الزنجي قد يقى ماضيا مجيدا اكثر مما كنا نتصور، وان يكون الزنوج اليوم ، فنانين ، كبارا ، اذ ان الفن الاجنبي يسمح بالتالي للغربيين أن يتخلصوا من وضع سياسي ونفسي مضطرب جدا ، في هذا العصر •

ولكن المشكلة هنا ليست متعلقة بالفن اوبالعلوم، دائما هي تتعلق بالواقع الاستعماري ووجهة النظر الفرنسية التي لم تكن تضع على بساط البحثمن قبل الزنوج ، الا التفوقالاوروبيوحقه فيالاستعمار • ذلك ان بعض الزنوج الذين حاولوا انيخوضوا في مضمار الاداب والفنون ، قد ساروا الى الفشل بخطى سريعة • ومن دلائل ذلك ان مجلة : (La Revue du monde noir) ، قد احتجبت بعد صدور ستة اعداد منها (هذه المجلة كان هدفها الاساسي ثقافيا) ، وقد منعت المجلة المسماة «صرخة الزنوج » ، لانها كانت مجلة شيوعية بحتة !

وبالرغم من مبدأ الالتزام للغرب الذى تحاول باريس ان تحافظ عليه ، صونا لسمعتها الادبية، وبانها ملتقى ثقافات الغرب ، فان العاصمةالفرنسية قد منحت الفتيان الزنوج القادمين اليها لتلقي علومهم ، بيئة مواتية لبعث جميع الانتفاضات الفكرية ، وخاصة ما بين ١٩٢٨ ، ١٩٤٠ •

فالطلبة الافريقيون (طلبة جزر الانتيل)وجدوا انفسهم في خضم فكرى هائج ، وسياسى غريب •

ومن جديد طرحت الفلسفة والاداب والفنون ، ابتداء من هذا القرن ، الاسس الثقافية للمجتمع الفرنسي ، ذلك ان جميع مرتكزات الحركاتالفكرية ، في العصور المنصرمة ، من قياس وعقل وتقدم، وحقيقة مطلقة فقدت عظمتها ، واحيطت بالتالي بغموض مذهل حرر الروح والاحساس من كل عقال• ■■

د •ابو الهدى فؤادالاسعد
بيروت / لبنان



استانبول:
المتحف المسكون



جسر البوسفور ملتقى اوروبا واسيا ، افتتح عام ١٩٧٣ بعد ثلاثة اعوام ونصف من البناء، وهو جزء من طريق علوى بين القارتين ..

استطلاع :

مصطفى نبيل

تصوير :

عبد الناصر شقرة



لوحة لفنان تركي في مجموعة متحف طوبقابي الشهير ، وتمثل الفرقة الموسيقية لحرس السلطان احمد(١٧٠٣ ـ ١٧٣٠ م)



ضفتا القرن الذهبي الذي يشق المنطقة الاوروبية ، ويظهر احد تلال المدينة ، فعلامات الجمال في استانبول المياه واليابسة والتلال والحداثة والقدم ..

■ في داخـل المتحف المسكـون • في استانبول ، هذه الرحلة •
في المدينة التي شهدت تعاقب الحضارات، والتحم فيها المحاربون ، وفاضت بالدماء وتعاقبت عليها الممالك والدول ، والتقت الامبراطوريات القديمة والحديثة لقاء الصراع والدم والحديد ••
ملتقى الشرق والغرب ، المدينة الوحيدة التي تتمدد فوق قارتي آسيا وأوروبا •• بلد المساجد والقصور والقلاع التي استمرت ١٦ قرنا من الزمان عاصمة لاقوى الامبراطوريات •
كانت القسطنطينية عاصمة الامبراطورية القلب على تاريخها المتألق فلم تعد حتى الخلافه الاسلاميه ، وتغف الان كسيرة البيزنطية ، وكانت الاستانة عاصمة عاصمة لتركيا ••
يشدها تاريخها نحو الشرق ، ويشدها حاضرها نحو الغرب ••

من على ظهر باخرة تقطع مضيق البوسفور شاهدت لوحة استانبول بما تضمه من قصور وقلاع ومساجد وآثار تاريخية • فكأنك ترى « بانوراما » لديكور سينمائي على شاطيء البوسفور ، وانت امام متحف تاريخي يسكنه البشر وتتعاقب على صفحاته ثلاث حضارات : الرومانية والبيزنطية والعثمانية •

الباخرة تشق طريقها بصوتها الرتيب عند الحد الفاصل بين اوربا وآسيا • فتلك هي البلدة الوحيدة التي ترتمي بين قارتين وتحمل هويتين احداهما اوربية تشدها الى الغرب والاخرى آسيوية تشدها الى الشرق • وهذا الموقع المتميز كان سر المعارك الطاحنة التي قادها حولها الاباطرة والقياصرة والسلاطين •

بدات الباخرة عند بحر مرمرة متجهة الى البحر تخترق المياه الزرقاء، والمشهد التاريخي بعظمته وجلاله ، ويزداد المشهد تألقا مع اشعة الشمس الذهبية التي تعطي المباني العتيقة رونقا وحداثة، ويقود الباخرة قبطان ذو شوارب مفتولة وكأنه يقود اسطولا الى البحار الواسعة ، وعليه كل مظاهر العظمة والتعالي ، ترددت في ان اطلب اليه السماح لي وزميلي المصور بالصعود على ظهر الباخرة للتصوير وادهشتني الاستجابة الودودة لكل ما اطلب ، تقف الباخرة خلال رحلتها خمس عشر مرة متنقلة على ضفتي البوسفور في عرض يبلغ عند بحر مرمرة ٢٥٠٠ متر ويصل عند البحر الاسود الى ٤٧٠٠ متر ، وترى خلالها قصر « ضولمة بغجة » الذي يشبه العقد على جيد البوسفور • وبعد فترة وجيزة تصل الى قلعتي روميلي حصار واناضول حصار على ضفتي البوسفور وحولهما اغنى احياء استانبول• فالجولة البحرية في مضيق البوسفور وخليج القرن الذهبي تكشف ما يميز البلدة واحد أسرار جمالها وروحها الخاصة وهي امتدادها فوق البحر واليابسة عندما تتسع بها رقعة المياه فيشق الجانب الاوروبي القرن الذهبي بعمق خمسة أميال وحتى قلب قسمها الاوروبي ، مما جعل الانتقال ايسر عن طريق الخطوط البحرية بين اطراف المدينة المكتظة بالسكان والتي يزيد عدد سكانها عن الاربعة ملايين ، وترى من البحر المدينة وهي تنام ـ مثل روما ـ على تلال سبعة فوق كل منها أثر تاريخي ••

ومن على ظهر الباخرة وقرب جسر غلطه على القرن الذهبي شاهدت اجمل مناظر استانبول واكثرها جلالا ، قصر طوبقابي فوق التل الذي والذي حكم منه سلاطين آل عثمان وهم يجلسون على عروش من ذهب ، وحوله المسجد الازرق بمآذنه الست ، والى جواره اياصوفيا بلونه الليموني وطرازه البيزنطي ومآذنه الاربع ، وتتابعت مناظر المساجد والقصور التي تأخذ القلوب ويبلغ عدد مساجدها ما يزيد عن ٥٠٠ مسجد ، وتحكي المباني التاريخية للمدينة دراما التاريخ ، البزوغ والسقوط لاقوى الامبراطوريات، الصراع الدامي بين الحضارات والامبراطوريات وصراع الأقدار والافكار ••

لنشات السمك المقلي ••

تنتقل العين لترى اللنشات الصغيرة على الشاطيء وجوار الجسر كمحال لبيع السمك المقلي الذي تلتقفه الايدي المكدودة من العمالين الذين يحملون على ظهورهم البضائع ، وجوه مختلفة اللون





خريطة تبين مدينة استانبول وموقعها من تركيا .

والملامح تعبر .. أسبان .. عرب .. اكراد ، خطوط الشخصية واسلوب التعبير اقرب الى الشرق منها الى الغرب ، يتجمعون في الساحة امام جسر غلطه مركز المدينة التجارى والسياحى ، خلفية الساحة احد المساجد التاريخية ، وحوله الحمام الذى يلتقط الحب الذى يلقيه السياح . وبجانبه الشاحنات الضخمة المتجهة الى الميناء والعربات التى تجرها الدواب وايضا السيارات الامريكية الفارهة ، كل ما حولك مزدحم وترى الفتيات التركيات بملابسهن الاوربية الى جوار السيدات القادمات من مدن الاناضول مازلن مغطيات الرؤوس ، وتبدى بين الجموع عدد كبير من السياح قدموا ينقبون عن الحضارات المتعاقبة فى شوارع المدينة التى تتجاور بها الاضداد ..

ويحرص السياح على ارتياد الاسواق القديمة لطعمها الشرقى الخاص وطرازها التاريخى والقريبة من الساحة ، فهى اسواق مغطاة بالقباب لا تكاد تميزها عن اى سوق عربى ، مضاءة بالليل والنهار محاطة بالمساجد ذات العمارة الاسلامية ، ويصل الى اذنيك من المقاهى والمحلات الموسيقى الشرقية التركية وكانك فى حى الموسكى بالقاهرة .

ويزهد السياح فى الاسواق الحديثة التى لا تضارع على اية حال اسواق لندن او باريس او فينا ، ويميزها ان اغلب منتجاتها صناعة تركية تسعى للوصول الى مثيلتها الاوربية ..

وفى شوارع استانبول لا يمكن ان تشعر ان هذه مدينة غربية الروح فى الملامح ، وربما كان اول ما تلاحظه من مظاهر كثرة عدد ماسحى الاحذية يصندوقهم المميز المحلى بالنحاس الاصفر وعلى جانبيه الاعلام التركية ، وحركة المرور من حولك مزدحمة بالسيارات وكان الازدحام والفوضى يكادان يوقفان المرور ، وتنتشر فى تركيا مثل « الاناضول » او التى جمعت فى مصانعها مثل « الفيات » و « الرينو » ، وتشعر ان المواطن التركى معتز ومتحيز لاصله ولغته فمن العسير ان تلتقى بمن يعرف لغة اجنبية ، والجامعات تدرس كافة العلوم باللغة التركية ، وعندما تنتقل الى حوافى الشوارع الحديثة تسقط فى احياء فقيرة بادية الاعياء ، فعلى قدر ماتضم المدينة من اغنياء تعدت ثرواتهم المليون ليرة والذين يقطنون حى بابيك على ضفاف البوسفور او يعيشون فى الجزر الاربع لبحر مرمرة توجد اعداد غفيرة من الذين طحنهم الفقر والقادمين من الاناضول يبحثون عن فرص العمل ، او الوافدين ينتظرون تاشيرات للعمل فى دول اوروبا الغربية ..

مدينة الهيبيز

ولعل طعم العصور الوسطى الذى يلقى بظلاله على بيوت وقصور المدينة جعلها المفضلة ، ولعل شرقيتها ادت الى ان يعشقها « الهيبيز » ، فداخلها يشعرون بالافلات من قبضة الحضارة الغربية والانعتاق من ماديات المجتمع الغربى وقيمه ، فيقفون طويلا امام تلك البيوت الخشبية متعددة الطوابق بطرازها البديع والبسيط وبمشربياتها المملوكية ، والارابيسك الذى يغطى شرفاتها . ويعشقون الحمام التركى الذى مازال يحتل مكانته



ماسح الاحذية بصندوقه وقد زينه صاحبه بالنحاس الاصفر والصور والاعلام، ورغم مايبدو من الصلف على مظهره فهو انسان طيب كريم .

على جدران احد المساجد في مدخل السوق المغطى عرض احد الباعة نماذج من الفن الاسلامي التي يولع بها الاوروبيون ..





مسجد السليمانية الذى اقامه المهندس سنان ،وهو اول مسجد يقام بلا أعمدة وقبل الوصول الى « الخرسانة سابقة الاجهاد » يعتبر تحفة فى فن العمارة ..

وفى قبة المسجد سورة النور « الله نور السماوات والارض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ، ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ،يهدي الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم ، فى بيوت اذن اللهان ترفع ، ويذكر فيها اسمه،يسبح له فيها بالغدو والاصال »

وكأنه الرد الثابت على كل ما تشهده تركيا الحديثة .

وفى مركز القبة الآية الكريمة فى سورة فاطره ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا »

في حياة المدينة وهو الحمام التركي الذي يدار هذه الايام بوسائل حديثة وطبية •

وتسعى سلطات المدينة بحل الوسائل لوضع الحواجز امام الاوربيين الحفاة الذين يزحمون شوارعها وينشرون الحشيش والمارجوانا وينامون حول الاثار التاريخية • ولا يكادون ينفقون شيئا ، وخاصه والمدينة تخنقها الازمات من كل نوع ، ازمة اسكان طاحنة ويكفي ان تعرف ان الايجار الشهري لمسكن متوسط في استانبول يبلغ ٢٠٠٠ ليرة ، وايجار قصر يطل على البوسفور خلال شهور الصيف الثلاثة يبلغ نصف مليون ليرة ، وتعاني من البطالة بعد وضع القيود على الهجرة الى الدول الاوربية وبعد ان وصل عدد العمال الاتراك في المانيا وحدها ما يزيد عن مليون عامل تركي ، وازمة النمل بين احيائها وتلالها ومياهها مع صعوبة ازالة البيوت الاثرية مما يضع صعوبات كبيرة امام تجديد شبكات التليفونات والكهرباء والمياه ، وكل هذه المشاكل امام لجنة من الخبراء والاساتذة تبحث مستقبل المدينة وحل مشاكلها في اطار استانبول الكبرى التي تضم ٣٤ بلدة ، كما قال لي عمدة المدينة ـ وقد قررت اللجنة اقامة شبكة من الانفاق والطرق العلوية لحل مشاكل النقل بين اطراف المدينة ، وهناك عروض من كل من فرنسا والمانيا والاتحاد السوفياتي لاقامة هذه الشبكة ويضيف عمدة استانبول قائلا :

« لا احد يعرف على وجه الدقة متى يبدأ هذا المشروع او متى ينتهي ، فحتى ايران وهي لا تعاني من مشاكلنا الاقتصادية تقدر مشروع الانفاق بطهران بمدة عشر سنوات »

وقال مرافقي وعلامات الحزن في عينيه :

« رغم ان العاصمة قد انتقلت عام ١٩٢٣ من استانبول الى انقرة وسط الاناضول ، بعد ان بقيت ١٦ قرنا من الزمان عاصمة هامة ، الا انها مازالت تعيش ماضيها المتالق وذكريات مجدها الغابر وظلت قلب تركيا الثقافي والاقتصادي ، وبوابتها التي تمر عبرها اغلب الصادرات والواردات » •

استانبول الاسلامية

لننتقل الان لقراءة جديدة في آثار استانبول الاسلامية التي تكاد لا تضارعها بالثراء سوى مكة والمدينة والقدس ، فقد جلب سلاطين آل عثمان عندما كانت الاستانة عاصمة الخلافة الاسلامية كل الاثار الاسلامية الهامة الى هنا ••

من علامات استانبول تلك القلعة الشامخة رمز النصر الاسلامي ، تقف بجلال بأسوارها العالية وابراجها على البوسفور تعكس الصراع التاريخي الذي شهدته استانبول ، وهو المشهد الذي اختير على طوابع البريد التركية ، الصمت عميق والسكون له صوت قادم من الماضي البعيد ، وعند اضيق نقطة على المضيق تقف قلعتان على ضفتي البوسفور هما: روميلي حصار واناضول حصار، القلعتان وزرقة البوسفور تتناغم مع المكان وتنقلك الى العصور الوسطى ، ولا يعيدك الى العصر الحالي سوى ظهور احدى البواخر الضخمة مخترقة البوسفور ، وهاتان القلعتان من اهم الاعمال العسكرية التي شهدها العصر الذي اقيمت فيه ، واقيمتا تمهيدا لفتح القسطنطينية ولاحكام الحصار حولها ومنع المساعدات الخارجية من الوصول الى سكان المدينة المحاصرين ، واقام قلعة اناضول حصار السلطان بايزيد وأقام السلطان محمد قلعة روميلي حصار •

القلعة والمكان من حولها يرويان اهم فصول الصراع بين الشرق والغرب ••

كانت القسطنطينية هدفا لمحاولتين اسلاميتين قادمتين من الشرق ، أولاهما عام ٤٨ هجرية عندما جهز معاوية بن ابي سفيان جيشا لفتحها بقيادة سفيان بن عوف وخرج معه الصحابي عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وابو ايوب الانصاري ، وتحطمت الحملة على ابواب القسطنطينية ولقي الصحابي ابو ايوب الانصاري حتفه على اسوارها ، والمحاولة التالية في عهد سليمان بن عبد الملك عندما اخفقت حملة بقيادة مسلمة بن عبد الملك بن مروان •••

وبعد قيام دولة آل عثمان كان استقرارها يمر بالقسطنطينية ذات الموقع والاهمية الاستراتيجية • وهي مركز المسيحية الشرقية ومعقلها الاخير في شرق اوروبا ، وكان العثمانيون في عنفوانهم ولديهم قيادة شابة طموحة ، وراءها انتصارات حاسمة وسريعة •

وقاومت المدينة مقاومة عنيدة يساعدها شجاعة امبراطورها قسطنطين الذي كان عنيدا باسلا في دفاعه

عن عرشه ودينه ، ويكفي انه قتل عند اسوارها خلال دفاعه عنها •• ووقف المؤرخون طويلا امام فتح القسطنطينية فيرى المؤرخ جيبون في مؤلفه «قيام وسقوط الامبراطورية الرومانية» ان العداء بين الكنيستين الشرقية والغربية من اهم اسباب انهيار الامبراطورية البيزنطية ، ويروى كيف قال الوزير الاول حين كان العثمانيون على ابواب القسطنطينية ، انه يفضل ان يرى في شوارع المدينة عمامة « محمد » على تاج البابا او قلنسوة الكاردينال ••

وهذا ما يحدث دائما عندما نكون امام دولة آيلة للسقوط ، وها هو الشاعر الايطالي بترارك يعبر عن نفس الموقف بقوله « العثمانيون ليسوا سوى اعداء لنا اما اليونانيون فهم اكثر من كونهم اعداء ، العثمانيون يكرهوننا ويخشون بأسنا الى حدما ، اما اليونانيون فهم يكرهوننا ويخشوننا بكل جوارحهم • »

الا يذكرنا هذا الموقف التاريخي بموقف مشابه اتخذه المسلمون في الاندلس عندما عجزوا عن توحيد قواهم في مواجهة الغزو الصليبي ، واليس هذا أيضا يشابه الموقف الراهن في الوطن العربي عندما يتردد العرب في توحيد قواهم امام الغزو الصهيوني •• !!

الحكمة المقدسة

ولننتقل الى اثر تاريخي بيزنطي آخر يكمل القصة ، الى اياصوفيا بلونها الليموني وتاريخها الفريد ، والتي كانت تعتبر احدى عجائب الدنيا•

شهدت اياصوفيا الفصل الاخير في حياة الدولة البيزنطية ، فلقد بذل قسطنطين قصارى جهده للحصول على دعم العالم المسيحي وتوحيده في مواجهة العثمانيين ، واخيرا استجاب بابا روما ووعد بمساعدة قسطنطين شريطة خضوع الكنيسة الشرقية للبابوية ، واستسلم قسطنطين واقيم في كنيسة اياصوفيا قداس برئاسة الامبراطور،واعلن توحيد الكنيستين ، في ذات الوقت الذى تدك فيه مدافع السلطان محمد اسوار البلدة ، وترك هذا العمل ـ الذى جاء بعد فوات الاوان ـ شعورا عميقا لسكان البلدة ان البابا استغل الظروف لتحقيق مآربه ، وقاوم اليونانيون سيطرة البابا ومدافع السلطان محمد حتى سقطت المدينة • ودخلها محمد الفاتح على صهوة جواده وعندما



قلعة روميلي حصار التي أقامها السلطان محمد مع ثلاثة الاف من رجاله •

وصل الى كنيسة اياصوفيا ووجد احد جنوده يضرب بسيفه قاعدة رخامية نهره معلنا تحويلها الى مسجد بعد ان اقام لها اربع مآذن ••

طوبقابي

والى جانب القلعة والسور واياصوفيا اقام محمد الفاتح قصرا مهيبا على التل الثاني هو قصر طوبقابي يثبت به العثمانيون ان لديهم الى جانب الامجاد اضافة حضارية وفنية ذات اصول عربية وفارسية شرقية •

اخذ مرافقي يشرح قائلا : « كان قصر طوبقابي مقر حكم آل عثمان لفترة طويلة ، وحوله بيوت الوزراء والاصدقاء والعسكر ، والى هذا المكان



مسجد السلطان احمد ــ **المسجد الازرق**
بمآذنه الست (رمز استانبول) من
اجمل مساجد العالم عمارة وزخرفة ،
ويطلق عليه المسجد الازرق لزخارفه
ونقوشه الزرقاء ·
والصورتان للنقوش **الداخلية للمسجد**
وشبابيكه التي تظهر جمال الفــن
الاسلامي ·







بعشرين الف درهم ، وتضم الامانات المقدسة ايضا شعرة من لحية النبى ، وعصاه المصنوعة من خشب البامبو وسيف عمر ، وكان سلاطين آل عثمان يتبركون بها ويضعونها فى صندوق خشبى خلف عروشهم ، كما يضم طوبقابى رسالة الرسول الى المقوقس عظيم قبط مصر والتى عثر عليها بارشليه الفرنسى فى دير مصرى فاهداها للسلطان عبد المجيد • وتمثل هذه الامانات المقدسة شعائر الخلافة الاسلامية ، بعد ان فتح سليم مصر اخذ معه كثيرا من العمال المهرة والاشياء الثمينة•

وجاءنى صوت مرافقى قائلا : ان لدينا مثل يقول « نزل القرآن فى الاراضى المقدسة ، وقرىء فى مصروحفظ فى استانبول •• »

وهنا يحيطك الفن الاسلامى من كل جانب ، اللوحات الفارسية والتركية والعربية • اعداد كبيرة من اللآلىء المحلى بها الخناجر والعروش ، ويظهر الفن الاسلامى بخطوطه العربية فى النقوش ذات الوحدة الاساسية التى تكونت فى الشرق ، وتظهر فى العمارة والموسيقى والابسطة والقباب ، تسمعها وتلمسها وتتذوقها فى كل وحدة من الفن الاسلامى •

ويرتاد المتحف المسلمون من كل انحاء العالم ، ويفتن السياح الذين لا يخفون اعجابهم بمقتنياته، وقد صور داخله احد الافلام الامريكية المعروفة لتنقل الكاميرا كنوزه من خلال قصة عصابة تسعى الى سرقة ماسة ضخمة من المتحف •



احد البيوت الخشبية الى جوار جزء من سور المدينة

كانت تفد البعثات الدبلوماسية من كل انحاء العالم ، وتحول القصر الان الى متحف يضم مجموعة من أهم الآثار الاسلامية ،ويضم كافة آثار الدولة العثمانية ، وبه مقتنيات من كافة انحاء العالم الاسلامى ، ويحتوى على عرش فارس الذهبى ، واهم ما يحتويه « الامانات المقدسة » والتى نقلت اليه من القاهرة » •

وتشمل الامانات المقدسة مصحف عثمان اول مصحف مدون بالخط الكوفى ، وبردة النبى التى اهداها الى الشاعر كعب بن زهير عندما القى قصيدته « بانت سعاد » بين يديه عليه الصلاة والسلام ، وهى البردة التى حاول معاوية شراءها من كعب بعشرة الاف درهم فابى • ثم باعها اولاده

جسر الى أوروبا •• أم للعودة الى آسيا ؟

انتقلت سيرا على الاقدام بين اوربا واسيا فوق جسر البوسفور ولفحة هواء الصباح القادم من الشمال تنعشنى ، عدد هائل من السيارات ينساب من آسيا الى اوروبا وبالعكس ، امشى فوق اشهر جسر فى العالم • فهو الوحيد الذى يربط بين قارتين ، وهو رابع اطول جسر فى العالم ، ويشبه الى حد كبير الجسر الذهبى فى سان فرانسيسكو والجسر المقام فوق خليج بريستول فى ويلز البريطانية •

وهذه ليست المرة الاولى التى صافحت فيها اوروبا آسيا فقد سبق لملك الفرس داريوس أن ربط بين القارتين عن طريق البواخر التى اصطفت

الى جوار بعضها وأحكم ربطها ، وعبر عليها ٧ آلاف من رجاله الى أوروبا في القرن السادس ق·م ·

وهو عمل هندسي كبير يرتفع فوق سطح الماء ٦٤ مترا ليسمح بمرور أعلى البواخر واكبر الناقلات ، ومن فوقه يمكن رصد وحصر البواخر والقطع البحرية السوفيتية التي تتجه نحو المياه الدافئة ، والجسر جزء من « اتوستراد » بين آسيا وأوروبا ، وبلغت تكاليفه ٣٤ مليون دولار واقيم فوق المضيق عندما يبلغ اتساعه ٣٥٤٢ قدما ، ولم يحل الجسر الى « التقاعد » تلك البواخر التي تنقل أبناء استانبول وسياراتهم وبضائعهم بين احياء المدينة الموزعة بين القارتين ، والاقبال عليها كبير ، وربما بسبب العشر ليرات التي تدفعها السيارة التي تعبر الجسر ، وهي غالبا ما تكون الوسيلة الارخص والاسرع للتنقل ·

وفوق الجسر لا تستطيع أن توقف سؤالا ملحا ·· هل هذا الجسر من أجل اندفاع تركي نهائي نحو الغرب أم لعودة تركيا نحو شاطئها الاسيوي الشرقي ·· ؟

فانتماء تركيا وجذوره وأبعاده التاريخية والثقافية هي القضية التي تطرح نفسها بالحاح على زائر استانبول ، فبقدر ما يصبح انتماء لندن أو طوكيو أو القاهرة مسألة بديهية ، نجد هذه البديهية محور صراع وحوار بين الحضارات في طراز المباني واسلوب الحياة ، فرغم وضوح بصمات الشرق في مقر الخلافة الاسلامية التي استمرت خمسة قرون ، الا أن الموقف الرسمي يتنكر لذلك ، فبعد أن كانت الدولة العثمانية تشمل ٢٠ مليون كيلومتر مربع وتضم ٩٥٪ من الدول العربية ، وكانت هذه الدولة التعبير عن الحضارة الاسلامية بروافدها العربية والفارسية والتركية ، ادارت تركيا ظهرها للشرق واتجهت الى الغرب ، فتركيا الحديثة قامت كنقيض للدولة العثمانية الاسلامية في رحلة طويلة ومريرة ·

وقد استقبلت تركيا الحديثة بحفاوة وترحيب من المستشرقين الغربيين باعتبارها اقوى حركة تحديث بين الدول الشرقية الاسلامية ، وبعد أن سعت تركيا الكمالية الى تقليد الليبرالية الغربية في كافة التفاصيل حتى في استبدال القبعة بالطربوش ··

والتجربة التركية الراهنة اثبتت أن هذه الاسئلة ما زالت قائمة :

فاذا كانت الدولة العثمانية قد انتهت فهل قامت حقا تركيا العلمانية الجديدة ·· ؟

وهل يمكن تحويل مجتمع شرقي الى مجتمع غربي بتغيير الازياء وحروف الكتابة ، وتحويل الاجازة الى الاحد بدلا من الجمعة ، وأن يتم هذا بسلطان القانون ·· ؟

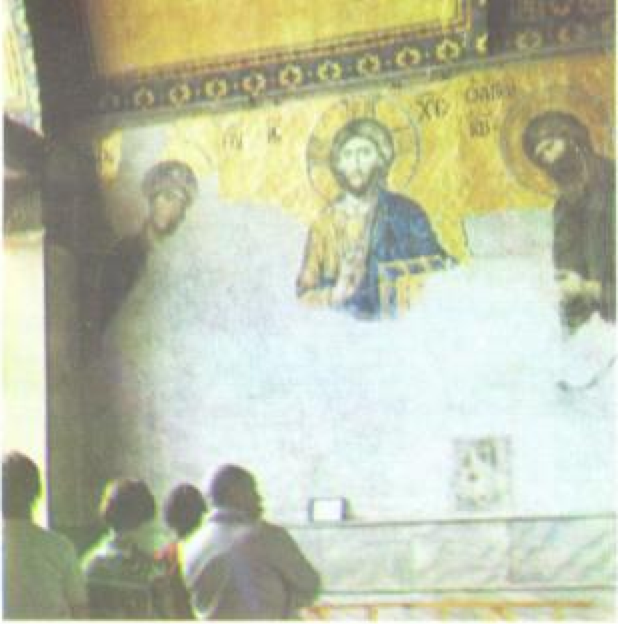
وهل تركيا طائر يغرد في غير سربه ، وهل يتعامل معها الحلفاء الغربيون كند لهم ·· ؟

قفزت هذه الاسئلة الى ذهني وأنا أسير على جسر البوسفور وأتطلع الى أجمل الاثار الاسلامية، وأحاور رفيقي حول هذه القضية ·

ولنبدأ القصة من أولها ، فمنذ قيام الدولة العثمانية وحتى انحدارها وهي في صدام مع الغرب ، فالاتراك كانوا قوة عسكرية تقدمت في لحظة تاريخية لصد الغزو الخارجي عن العالم الاسلامي ، ثم دفع الغزاة الى وراء حدودهم ، وقد ظهروا على المسرح السياسي قادمين من آسيا الوسطى ، وأول وفادتهم كانوا جنودا سرعان ما سيطروا على قيادة الجيوش الاسلامية ، فبعد أن توقفت الفتوحات العربية عند جبال طوروس لتصبح الفاصل بين البلاد الاسلامية وبقية العالم ، نجح الاتراك في تخطي جبال طوروس، وأضافوا للتاريخ الاسلامي تراثا من العسكرية والانتصارات العربية، بعد أن كان العالم الاسلامي على وشك الوقوع بين فكي كماشة أحد طرفيها البرتغاليون في البحر من الجنوب الشرقي وبين قواعدهم في شبه القارة الهندية ، والطرف الاخر كان زحف الروس من الشمال ، وأوقف العثمانيون عمل الكماشة وحفظوا للاسلام البحرين الاسود والاحمر ·

وبقيت الحقيقة الرئيسية في تاريخ المجتمع الاسلامي ان الدولة العثمانية حفظت لهذه المجتمعات مقوماتها الرئيسية ووحدتها ودافعت عنها ضد الاستعمار الغربي لفترة طويلة من الزمن ، وفي نفس الوقت كانت الدولة العثمانية مسئولة عن ضعف الحياة الفكرية ونمو النقل وروح المحافظة وانكماش روح الابتكار والخلق ، وما بدا من مظاهر ضعف الحياة الفكرية وزحف التصوف على





حي بابيك الواقع على الباسفور واغنى أحياء المدينة (الصورة الى اليمين) ٠

اياصوفيا ٠٠ الذي كان مقرا للكنيسة الارثوذكسية الشرقية، وحولها محمد الفاتح الى مسجد بعد أن اقام لها اربع مآذن ، وجعلها مصطفى كمال متحفا، بناها جوستنيان عام ٣٢٥ ميلادية بايدي عشرة الاف عامل وخامات جبال ومناجم وغابات عديدة ، بلغت تكاليفها باسعار ذلك الزمان ٣٥٠ مليونا من الفرنكات الفرنسية وايا صوفيا تعني الحكمة المقدسة (الصورة السفلى) ٠

لوحة لثلاثة من القديسين علـى الموزاييك من بقايا الفن البيزنطي التي لم يمحها الزمن من جدران ايا صوفيا ٠



الحياة الاجتماعية وتدهوره من فلسفة الى دروشة، واهمال العلوم العقلية ..

وكانت الدولة العثمانية آخر واطول الدول الاسلامية العالمية التى حكمت الشرق منذ أيام الخلفاء الرشدين ، وفى هذه الدولة كان ولاء المسلمين الاساسى للاسلام وللدولة التى تجسد واقعه السياسى ، وعلى هذا النحو سار المواطنون العرب رغم اختلاف لغتهم ، وقدم العرب للدولة العثمانية نظاما اجتماعيا كاملا مستمدا من الشريعة الاسلامية . وان كان هذا النظام قد جمد تماما مع مرور الزمن ، واصبح لا يخدم حاجات المجتمع ، بعد ان أغلق باب الاجتهاد فاغلق باب التقدم ، وتحولت الدولة العثمانية الى وحدة سياسية واقتصادية وفكرية منعزلة ليست محور النشاط العالمى فى السياسة أو الاقتصاد بل دخلت فى عزله سياسية واقتصادية وفكرية استمرت حتى مطلع القرن التاسع عشر . وهذه الوحدة أكسبت العالم الاسلامى نوعا من الاستقرار النسبى .

وشن « الغرب » هجوما مضادا على جبهة عريضة شملت من اسبانيا الى فلسطين، ومن قارة افريقيا الى آسيا ، و « الغرب » هنا ليس تعبيرا جغرافيا بل كيانا ثقافيا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا ، وبدأ الانحدار عندما أصيبت الدولة العثمانية بهزائم فى ميدان القتال وفقدانها لاراضيها ، وبدأ الامر بحصار فينا الثانى عام ١٦٨٣ ، واستمر التراجع طيلة القرن الثامن عشر والذى تم فى اواخره استيلاء الروس على الشاطىء الشمالى والشرقى للبحر الاسود والذى لم يعد بحرا اسلاميا ..

وكما يحدث عادة بعد الهزائم تفقد الامة المهزومة الثقة بنفسها وتتطلع الى المنتصر ، فتطلع الجيش العثمانى المهزوم الى اسلوب التدريب والتسلح الغربى ، وقبل للمرة الاولى الشباب أن يكون موجهوهم ومعلموهم من الغربيين ، ولاول مرة يتعلمون لغة الغرب ويطلعون على كتبه ، ولم تعد اللغة الاجنبية رطانة بل أصبحت مفتاحا للمعلومات الاساسية لدولة عسكرية يقوم فيها الجيش بالدور الرئيسى .

وربما كانت التأثيرات الغربية ضرورية ولكنها جاءت فى فترة من الضياع والفوضى كانت شديدة الضرر بالمجتمع والنظام السائد فيه ..

فعقب الهزائم المتلاحقة تلفت الاتراك يبحثون فى تاريخهم وفى ذواتهم ، وهم يشاهدون خريطة دولتهم تتقلص ، وكان الملاذ فى الحركة القومية التركية ، فى فترة كانت الحركات القومية فى أوروبا فى أوجها ، وبدأ ذلك فى الادب فبدلا من النماذج الفارسية والعربية بدأ اتجاه تقليد النماذج الاوروبية ، وسعت دراسات المستشرقين الى اثبات أن الاتراك من العرق الابيض مثل شعوب أوروبا وينتمون الى العرق «الطوراني ـ الارى » . فبعد ان كان الاتراك لايعتنقون أية هوية أخرى غير الاسلام، ساعد المستشرقون على احياء انتماء جديد وقومية كانت منسية ، تقوم كبديل وليس كمكمل للانتماء الثقافى والحضارى للشعب التركى .

ووجد دائما من يقاوم ذلك فمثلا إنتقد على سوافى اقتراحا يطلب أن يتبنى الباب العالى القومية مثل ايطاليا وبروسيا ويبيّن سوافى أن القومية في أوروبا تعنى شيئا مختلفا « فليس لدينا مشكلة قومية ، والمشاكل القومية تقود لدمارنا ، وقضية توحيد المسلمين اسلامية وليست قومية .. » ، واشترك فى الحملة على القومية الشاعر التركى محمد عاكف . الذى قال : « ان ملتكم هى الاسلام فما هذه القومية القبلية ، هل العرب أفضل من الترك أو أن اللاظ افضل من الكرد أو الشركس ، أم أن الفرس افضل من أبناء الصين ، ماذا دهاكم .. ؟ هل تبغون الى تقسيم الاسلام الى اقسام متعددة ، وليس باستطاعة الاتراك العيش بدون العرب ، والترك بالنسبة للعرب عينهم اليمنى وساعدهم الايمن ، ما هو هذا الهدف الشرير .. »

وفى هذه المرحلة كانت الحركة القومية تعنى تفكك الدولة العثمانية التى تضم العديد من القوميات ، واستمرت حركة تخليص الفكر وآدابه من المؤثرات الفارسية والعربية .

ومن هذا العرض نتبين كيف خرجت القومية التركية من ركام امبراطورية متهاوية ، ووجد فيها الاتراك ملاذهم .. ؟ وكيف تداخل «التغريب» مع « التتريك » .. ؟

فى قصر يلدز ..

وفى مقابل قصر « ضولمة بغجة » على ربوة عالية وبين الحدائق الخضراء ، يقع قصر يلدز الذى قضى به السلطان عبد الحميد آخر ايامه معزولا بعد ان شهد حكمه ذروة الصراع وارهاصات التغيير ..

وفى هذا القصر كتب مذكراته التى يسرد خلالها الضغوط التى تعرضت لها الدولة العثمانية ، والضغط الغربى العسكرى والسياسى والثقافى ودور الاقليات المختلفة فى انهيار حكمه .. يقول السلطان عبد الحميد « انه ورث دولة ضعيفة محاطة بالاعداء ، واخذت انتظر قرابة اربعين عاما فرصة الحرب العالمية لاستغلها فى انقاذ الدولة » فبدلا من ان يسلك طريق الاصلاح والتغيير لمواجهة التحديات وضع امله فى الزمن واحتمالات اضعاف اعدائه عن طريق صراعهم ، وخلال فترة الانتظار عمل اعداؤه ، وقام هو بانشاء شبكات التجسس وشيوع الجو البوليسى وبدا النفى والاعتقال ، وما يؤدى اليه الاستبداد من فساد . ويدافع عن نفسه قائلا : « يزعمون انى اعيش داخل الوهم والخوف ، واتصور البرغوث جملا ، فكما انى اراعى الا اكون تحت سيطرة الوهم فكذلك اراعى الا اكون غافلا . فالغفلة تؤدى الى اذى يفوق ما يؤدى اليه الوهم ، وقد يكون الناس ايام سلطنتى لم يتمكنوا من الثرثرة الكبيرة .. »

وكان يدرك المخاطر التى تحيط بدولته ولكنه لم يحرك ساكنا لمواجهتها واكتفى بالانتظار « العثمانيون الجدد وتركيا الفتاة كانوا يؤازرون جميعهم من الدول الكبرى ، وعندما ينفذون ما تشتهيه الدول الكبرى ، فهذا معناه نهاية الدولة العثمانية ... » ويضيف : « سقطت الدولة العثمانية امام الهزائم التى لحقت بالجيش الذى استدار ليخلع السلطان .. »

« والذين تملكوا زمام الحكم من بعدى ، ازالوا الخلاف بين العناصر المعادية ، واوجدوا الشقاق بين العناصر التى تقف بجوارنا وتؤيدنا .. »

وقال كلمته المشهورة « انهم لم يهدموا عبد الحميد .. هاهم هدموا الدولة العثمانية .. »

لقد كان السلطان عبد الحميد يعرف جيدا المخاطر ويعرف جيدا ما الذى عليه ان يتجنبه ، ولكنه لم يعرف ابدا ، ما الذى عليه ان يفعله ، وعمل خصومه وانتظر هو .. حتى انهارت دولته..

أتاتورك ..

فى ميدان فسيح فى قلب الحى الحديث تمثال ضخم للاستقلال وبطله مصطفى كمال ، يحيط بالتمثال الفنادق العالمية الحديثة والمحلات الكبرى ، ويتوافد المواطنون الاتراك فى ١٠ نوفمبر من كل عام الى هذا المكان يحملون الورود فى ذكرى وفاة بطلهم القومى ...

والتمثال الواقع وسط استانبول يروى قصة قيام تركيا الحديثة ويحكى فى نفس الوقت الفصل الاخير لرجل اوروبا المريض وكيف انتهت المسالة الشرقية ، قال مرافقى وهو يتحدث عن مصطفى كمال بانفعال بالغ : لقد قاد تركيا لتعطى ظهرها لعالم الشرق وتوجهت الى الغرب تستلهم منه القيم وصور التقدم وتحتذى نموذجه ، وبدا عملية « التتريك » او « التغريب » « لافرق » .

حقا كانت تركيا وحدها بين القوى المغلوبة فى الحرب العالمية الاولى التى استطاعت اجلاء الاحتلال واستعادة سيادتها على اراضيها ، فقد انقذ مصطفى

ما زالت الصناعة الشرقية مزدهرة فى استانبول ، للمساجد الحديثة صناعة الهلال أعلى المآذنة -







السوق المغطى الذى يقع وسط استانبول القديمة والذى يدخله فى اليوم الواحد حوالى مائة الف بين مواطن وسائح من ٧٨ بوابة ،وبه ٤٤٠٠ حانوت فى ٦٥ شارعا جميعها مغطى بالقباب ومضاء ليلا ونهارا ، وبه أروع الحلى والمصوغات والمنسوجات والجلود والمقتنيات التى تغرق متاحف وبيوت اوروبا بالقطع النادرة ، وعمر هذه الاسواق ٥٠٠ عام (الصورة الى اسفل) ٠ واحد المحلات التى تبيع التحف الشرقية والتى يظهر فيها الفن الاسلامى (الصورة الى اليمين) ٠ واحدى الاسر التركية الحديثة فرغم الازياء الحديثة والطراز الاوروبى للاثاث ، يؤكدون انتماءهم للشرق قيمه وثقافته٠ (الصورة الى اليمين اسفل)





كمال استقلال تركيا وفي نفس الوقت اذعن للشروط الغربية رغم انتصاره على اليونان ، وقاد الحركة الوطنية التركية في ظروف صعبة عندما كانت عاجزة عن مواجهة مطامع الحلفاء المنتصرين ، وسلم بحق الدول الكبرى في التصرف في الاقاليم غير التركية رافضا المساس بالاراضي التركية ، وعندما بدأت اليونان ـ بتأييد من بريطانيا ـ اعمالها الحربية في آسيا الصغرى تمكن مصطفى كمال من الحاق الهزيمة بالجيش اليوناني ..

ومن الملفت للنظر والذى لم يعطه المؤرخون اهتمامهم ان أهم حركات مقاومة التغريب والتي كانت في الاناضول كانت بقيادة مصطفى كمال ، وكان شعار هذه الحركة « تحرير ارض الاسلام » و « تحرير الخليفة » و « طرد الغزاة » . وكان ضمن قادتها زعماء دينيون ، وكانت حركة الدراويش ابرز المؤسسين واقوى المساندين لحركة مصطفى كمال ، ولعل علمانية وقومية الكمالية التى اعلنت فيما بعد قد حجبت هذه الحقبة في حياة اتاتورك وطمست الطابع الاسلامي لحركة المقاومة التى كان يقودها في مراحلها الاولى ..

فعندما ادرك مصطفى كمال ان العرب ـ بعد صراعه التاريخي والطويل مع الدول العثمانية ـ يطالب تركيا بالعيش في حدود اراضيها وان تدير ظهرها الى آسيا وافريقيا ، وان تعيش في كنفه ، وان تتخلى عن ارتباطها بالخلافة الاسلامية قرر ان يدفع هذا الثمن وينقذ ما تبقى من تركيا ، وهو موقف مشابه لما حدث لليابان بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية ، فكان من الضروري القضاء على مجموعة القيم والمفاهيم اليابانية التى حركت اليابان لتقاتل بعناد وجعلتها عملاقا يتمتع بقوة عسكرية اسطورية، فقام القائد العسكري الامريكي ماك آرثر بعد انتصاره على رأس مجموعة من الاساتذة والخبراء في علم النفس والاجتماع والتاريخ ليكمل انتصاره بوضع خطة عملية لاجتثاث تلك القيم والمفاهيم .

وسرعان ما تحول الكماليون من الدعوة الدينية الى الدعوة القومية وقطعوا شوطا كبيرا في طريق التغريب ، واعلن مصطفى كمال في الجمعية التركية في اكتوبر عام ١٩٢٣ تركيا العلمانية وقطع علاقة تركيا بالشرق الذى كان يمدها بالطموح ، وعاد الاتراك الى الاناضول ، واكتفى بالتركية ولاء وانتماء ، وكان ذلك سهلا على القائد المنتصر ..

● وفي مارس ١٩٢٤ اتخذ قرارا بالغاء الخلافة الاسلامية، واخراج السلطان عبد المجيد من البلاد، والذى ابقى عليه فترة من الوقت مراعيا لشعور المسلمين ولا سيما مسلمي الهند الذين يتطلعون الى الخلافه باعتبارها الملاذ من سيطرة الغرب ، وسرعان ما تبين خطرها على تركيا الحديثة ، فالعالم الاسلامي كان واقعا تحت نفوذ الدول الاوربية وكفاح هذه الشعوب يتطلب دعم الخلافة الامر الذى قد يجر تركيا الى الدخول في مشاكل مع الدول الغربية ، واصبح العالم الاسلامي لاول مرة بدون خليفة ..

● وفي يونيو ١٩٢٥ حرمت جميع الطرق الصوفية ، وقرر تحويل مسجد اياصوفيا الى متحف . وغيرت الحكومة التقويم الهجري الى التقويم الجريجوري الغربي ، واستبدلت العطلة الاحد بدلا من الجمعة . واستبدلت بالشريعة الاسلامية القانون السويسري . والقبعة بالطربوش والحروف اللاتينية بالعربية ، وحذفت من مناهج التعليم اللغتان العربية والفارسية .. الخ .

وهنا نتساءل هل هذا حقا هو النموذج الغربي هل هذا هو المنهج الذى تقوم عليه مظاهر التقدم في الغرب .. ؟ فمثلا تقوم الحضارة الغربية على القيم الفردية ، وحق الفرد المطلق في اختيار ملابسه ، وان ابطال لبس العمامة بالقانون يخالف مخالفة جوهرية تلك المفاهيم ، واذا كان الغرب قد اختار يوم الاحد عطلة فذلك لان المواطنين يذهبون الى الكنيسة في هذا اليوم فلماذا تصبح عطلة مجتمع اسلامي ، واذا اخذت تركيا بالنموذج الغربي فاجدر بها أن تختار من منابعها الحضارية الثلاثة العربية والفارسية والاسلامية كالحضارة الغربية التى لها منابع ثلاثة هي الرومانية والهيلينية والمسيحية ، هذا اذا كان النموذج الغربي اختيارا ثقافيا ولكنه هنا شرط سياسي يفرضه المنتصر على المغلوب !!

والآن ، ماذا يدور في تركيا بعد خمسين عاما من التغريب .. ؟

النظرة الاولى في استانبول تظهر وكان الغرب نجح في اقامة الحواجز بين تركيا والشرق ، ولكن



في ميدان الاستقلال
تمثال مصطفى كمال أتاتورك •

سرعان ما تدرك الصورة وما تحمله من متغيرات••
المكان : بيت تركي انيق لرجل اعمال في شركة بترول ، يجمع فيه عددا من المثقفين الاتراك ، ربة البيت تجهد نفسها لاراحة الضيوف ، تثبت انتماءها الى الشرق وتبدأ قراءة آيات من القرآن الكريم باعتزاز بالغ ، ينصت الجميع في خشوع وتنهمر عيناها بالدموع ، ويظهر على الجميع التأثر الشديد، كان الحوار يدور حول علاقة تركيا بالشرق ، ويمضي قائلا : « ان ابنتي اسمها « اسراء » تقديرا للاسراء والمعراج ، فربما فرقتنا السياسة ، ولكن سيبقى التراث المشترك يجمعنا ، وسيبقى شعورنا اننا عشنا امجد ايام حياتنا ونحن جزء من الشرق »

وروى أحد الحاضرين « كيف استقبل الشعب التركي قرار الحكومة باذاعة الاذان باللغة العربية، عندما خرج الشعب التركي مع الفجر عند سماعهم للاذان بالعربية وامتلات المساجد »

وقال آخر : « انه عندما بدأت الحكومة برنامجا لتطور الريف ، يقوم على اساس استفتاء للزارعين يسأل حول اولويات المشاريع التي يفضلها سكان الريف هل ادخال الكهرباء ام رصف الطرق ام ميكنة الادوات الزراعية أم بناء جامع •• ؟ كانت أغلبية الاجابات لبناء الجامع ، افلا ترى ان هذا رد فعل للضغوط التي تعرض لها المواطن التركي ، فرغم نقص الكهرباء واهمية الميكنة الا ان توقف بناء الجوامع كان يمس ضمير الشعب »

ويصاحب هذا الموقف الوجداني ، شعور عميق ناتج من تراكمات الازمات الاقتصادية والسياسية ، وخيبة امل من الموقف الغربي خلال الازمة القبرصية انعكس على سياسة تركيا من حلف الاطلنطي ، وايضا من موقف دول السوق الاوربية منها ••

واخذت تظهر اتجاهات سياسية جديدة في المجتمع التركي تلتقي في رفض النموذج الغربي وفي تطلعها نحو الشرق •

احدهما : اتجاه اسلامي متزايد يطالب بعودة تركيا الى تراثها وعقيدتها ، وظهر حزب اسلامي يعتمد على تيار جماهيري متصاعد ••

والثاني : يرفض النموذج الغربي والاساليب المتبعة في مواجهة الازمات ويتطلع الى ما يسمى بالعالم الثالث ، متسائلين عن مصير المساعدات الاقتصادية وأثرها في الاقتصاد التركي •

وربما كانت ظاهرة العنف السياسي التي اصبحت احدى ظواهر الحياة السياسية انعكاسا لشعور عميق بالغضب من الارتماء في أحضان الغرب ••

وشهدت تركيا عدة مؤتمرات اسلامية تعبيرا عن التغير في الموقف الرسمي ونتيجة للقوة العربية الاقتصادية ، احدها مؤتمر حول السيرة النبوية ، وآخر للغرف التجارية للدول الاسلامية ، وكان آخرها اجتماعا لوزراء الدول الاسلامية ، عقدت جميعها في استانبول •

وبعد : لقد قال الشاعر الفرنسي جيليوس Gyllias منذ عدة قرون : « بعض المدن يمكن ان تموت اما استانبول فستبقى ما بقى على الارض بشر » تذكرت ذلك وعدد من الاصدقاء يودعني بكلمات الوداع التركي « تصحبك الابتسامة » وكانهم يخففون من أسى الرحيل ، وكيف لا يأسى من يغادر أجمل المدن • ■■

مصطفى نبيل

الفلكلور التونسي

بقلم : سليمان الفهد

الفرسان التوانسة ، بثيابهم المزركشة وجيادهم المحلاة بكافة وسائل التجميل والدلال ، عروضهم تقدم كل موسم (الصورة الى اسفل) ، عندما يختلط الفولكلور والايقاع القديم والرشيق ، بالرقص الشرقي ، بحسناته وسيئاته (الصورة الى اليسار) .





في السنوات الاخيرة تردد ـ وبكثرة ـ تعبير « الفلكلور » في حياتنا الثقافية ٠٠وتواترت اخبار الاجتماعات،والمؤتمرات والحلقات الدراسية الساعية الى اعادة الاعتبار والاهتمام بالفنون الشعبيـــة التى اصطلح على تسميتها بـ « الفلكلور » والتسمية اطلقها عالم انجليزى هـــو « وليم جون توماس » سنة ١٨٤٦ م ٠٠ وراج التعبير في الاوساط الاكاديمية في المانيا حتى تكامل مفهومه ووضحت مضامينه وابعاده فكان ان غدا علما قائما بذاتـه يدرس في الجامعات ٠

وقد عرب المفكر الكبير الاستاذ « عباس محمود العقاد » تعبير الفلكلور الى « المردات الشعبية » بينما سماه آخرون « الفنون الشعبية » على اعتبار ان فن الشعب لا ينحصر فقط فيما يردده الشعب من اغان ، ورقص ، لكنه يشمل ـ ايضا ـ العادات في الزواج ، وتقاليد الختان ، وطقوس العبادات، وصناعة وحياكة الملابس والازياء الوطنية ، وانواع الصناعات والحرف اليدوية التقليدية »

ومن هنا ٠٠ فان تعبير « الفنون الشعبية » يعد في نظر الكثيرين من الباحثين الموسيقيين اكثر التعريبات شمولا وترجمة لتعبير « الفلكلور » ٠

ومن المهم ان نذكر بان الاهتمام بالفنون الشعبية ابتدأ حوالي منتصف القرن التاسع عشر ٠٠ وذلك اثر انتشار المد القومي الاوروبي ٠٠ حيث سعت كل دولة من خلال احتفالها بوطنيتها وهويتهـا ـ الى الارتداد نحو الفنون النابعة من صميـم الشعب ٠٠ والمعبرة عن افراحه واتراحه ٠

اما في بلادنا العربية (المشرقية خاصة) فان الاهتمام بالفنون الشعبية ، ظل اسير جهــود المبادرات الفردية الغيورة على هذه الفنون من الطمس والتزييف ٠٠ والاندثار ، لكن العشرين سنة الاخيرة (من مطلع الستينات) شهدت اهتماما متناميا بالفنون الشعبية ٠٠ وذلك من خلال العديد من المؤتمرات الاقليمية ، والوطنية ، والدولية٠٠ فكان ان انشئت مراكز معنية بحفظ التراث الشعبي ٠٠ ودراسته ، وتحليله لمعرفة خصائصه ومضامينه٠ وتجاوز حدود الاهتمام بالتراث الشعبي الحدود الاقليمية ليصل الى اروقة جامعة الدول العربية ٠٠ حيث دعت الى تضافر الجهود العربية للقيام اولا برصد وحفظ كل انواع الفنون الشعبية في جميع البلاد العربية ٠٠ وثانيا ٠ ان تكون هذه الاعمال محل تبويب وتصنيف حسب الاســاليب الوثائقية الحديثة ٠٠ وبعدها تاتي المرحلة الثالثة والاخيرة حيث الفحص،والتحليل ومعرفة الخصائص، واوجه الشبه والاختلاف ، فضلا عن ادراك « فلسفة » الشعب من خلال تفسير وتحليل مضامين هذه الفنون ٠

ورغم هذا الاهتمام بالفنون الشعبية العربية٠٠ الا ان الاهتمامات لا تزال مبعثرة ٠٠ تنشط فترة ثم يدب فيها الكسل فترة اخرى ٠٠ وحتى جامعة الدول العربية ـ قصر رفادها وطال عمرها ـ اكتفت بعملية المسح النظرى وركنت الى الهدوء٠٠ ربما لانها تنتظر قرار الموافقة على ميزانيـــة المشروع ٠٠ كما هى العادة ! وعلى العموم نتمنى لها وعليها ان يكون نشاطها الفكرى والثقافى ازين من « نضالها » السياسى ٠٠ خاصة وان مسالة الحفاظ على الشخصية القومية مســالة حيوية وضرورية في ظل التحديات التى تجابه امتنا العربية ٠

حيوان راقص

الانسان التونسى ، كما هو الافريقى ، «حيوان راقص ! تهزه الموسيقا ويطرب للنغمة الحلوة ، يذوب وجدا في الموشحات ـ او المالوف كما يسمونها ـ وهو ـ اولا واخيرا ـ يجد نفسه في الفن عامة ٠٠ والفن الشعبى خاصة ! ومن هنا تجد «الفلكلور» حـاضرا في الحياة اليوميـة ٠٠ يتضح في نداءات الباعة الجوالين ٠٠ وفـي اوساط الاسواق الشعبية ٠٠ وعلى لسان اصحاب الحرف التقليدية ٠٠ وفي المساجد حيث الادعية والاذكار والمدائح النبوية ، وقصائد العشـق الالهى ٠٠ ويزداد حضوره في مناسبات الزواج وختان الاطفال (الذكور بالطبع) والاعيــاد الدينية ، والوطنية ، والمهرجانات الموسمية ٠٠ و ٠٠ في كلمة فان الفلكلور في تونس ، ولدى الاخوة « التوانسة » حاضر بمناسبة ٠٠ وبدون مناسبة ٠٠ لان ميل الافريقيين للهو والسرور

هو غريزي في انفسهم ، واستعدادهم للموسيقى والاغاني فطري ، لذلك كان هذا الفن مطمح انظارهم ، ومحط رحالهم ، فما انفكوا مقبلين عليه ، متابعين لاطواره التي تطور فيها ، سواء قبل الفتح الاسلامي او بعده ، فهو ضروري لهم، ولازم من لوازمهم النفسانية ٠

والعبد لله موجود في الجمهورية التونسية بقصد التعرف على الفنون الشعبية ٠٠ وبالتحديد على اللون الغنائي منها ٠٠ بعد يومين من وصولي العاصمة وجدتني في داخل سيارة فرنسية ٠٠ سائقها لطيف المعشر وماهر في القيادة ٠٠السيارة تطوى القار طيا وتسير بسرعة جلمود حطه السيل من عل ٠٠ والعبدلله ــ بصراحة ــ يتحول الى ارنب رعديد ازاء السرعة المخيفة ٠ حاولت ان انبه عن السرعة لكنه لم يابه البتة الى توسلاتي التي تلاشت وتاهت وسط ضحكاته المجلجلة ٠٠ وراح يحلق بالسيارة ٠٠ ربما لانه واثق الخطوة يمشي ملكا ٠٠ غير عابيء الا بالطريق الطويل ٠٠ المحفوف بالمخاطر ! وحتى اطرد الخوف واقلع التوتر ٠٠ دسست شريط « الكاسيت » في جهاز التسجيل ٠٠ وراح « شادي الخليج » الفنان الكويتي المعروف يشدو « بالصوت » المشهور في الخليج والجزيرة العربية « ياليلة دانة » ٠٠ وبعد ثوان وجدت السائق ينتفض طربا ونشوة٠٠ ووجدت مؤشر السرعة ٠٠ يهبط ٠٠ ويهبط حتى تناقصت السرعة من ١٢٠ كلم لتصل الى ٧٠ كلم٠ وساعتها عرفت كيف اكبح جماح هذا السائق المغامر ! وسررنا لهذه الحادثة ففيها مؤشر ، وتاكيد لمقولة ان الانسان التونسي « حيوان » راقص ٠٠ وفنان بطبعه ٠

واكثر من هذا فان الشعب التونسي ــ جميعه ــ فنان حتى في عملية السمع والانصات ٠٠ حتى انى اذكر مرة ان سيدة الغناء العربي الفنانة الراحلة « ام كلثوم » قالت عنه : انه شعب يدفع الفنان المغني او العازف نحو الاجادة و «السلطنة» والتفنن ٠٠ وذلك من شدةحساسيته وحسن استقباله ، واجادته لفن الانصات ٠

في المنستير

السيارة تقترب من مدينة « المنستير » مسقط رأس الرئيس التونسي « الحبيب بورقيبة » وقد اعتادت اغلب الدول العربية ان تحتفل باعيادها القومية بالعروض العسكرية ، وبالخطب الحماسية، واطلاق الاعيرة النارية ٠٠ لكن تونس ــ لحسن الحظ ــ شاءت ــ ومعها كل الحق ــ ان تشذ عن هذا « الاجماع » العربي ! فقد اعتادت ان تحتفى وتحتفل بعيد ميلاد الرئيس (٣ اغسطس من كل عام) من خلال احتفالها بالفنون الشعبية ٠٠ بحيث تتحول هذه المناسبة الى عرس للفنون الشعبية٠٠ والى مهرجان وطني يضم كل انواع الفنون الغنائية، والرقصات الشعبية ، والحرف الشعبية ٠

وقد اخبرني الفنان « صالح المهدي » مدير المعهد الوطني للموسيقى ، والتمثيل والرقص ، ورئيس مصلحة الفنون المستظرفة « الجميلة » عن هذه التظاهرة الفنية التى تشهدها المدينة كل عام فقال « اننا ارتاينا ان نقرن ابتهاجنا بعيد ميلاد الرئيس بالاهتمام بالفنون الشعبية ٠٠ فهي مناسبة تحرض المسئولين على رعايتها والاحتفال بها ٠٠ ومن هنا تجد الاحتفالات تستمر عشرة ايام ٠٠ وهذه المدة مطلوبة لان كل ولاية تسهم فيها من خلال تقديم نتاجها ولونها الفني الذى تتميز به ٠٠ فضلا عن اسهامها في معرض الصناعات التقليدية والحديثة الذى يقام ــ ايضا ــ في المدينة ٠٠ على هامش الاحتفالات الفلكلورية » وعادة ٠٠ فان كل ولاية تحرص على عرض اجود نتاجها من عطاء الانسان ٠٠ والارض ٠ ويترأس الاستاذ « المهدى » لجنة الاختيار التي تنتقى اخير الاعمال لتعرض مساء كل يوم على السيد الرئيس، والسادة الوزراء ، وقادة الحزب ٠٠ ويكون ــ قبلها ــ قد تم عرض فرق الاقاليم على جمهور المشاهدين في ساحة معرض الصناعات التقليدية والحديثة ٠٠ ويشارك الجمهور لجنة الاختيار رأيها من خلال حماسه لفرقة دون اخرى بالتصفيق ٠٠ والهتاف بعبارات الاستحسان ٠٠

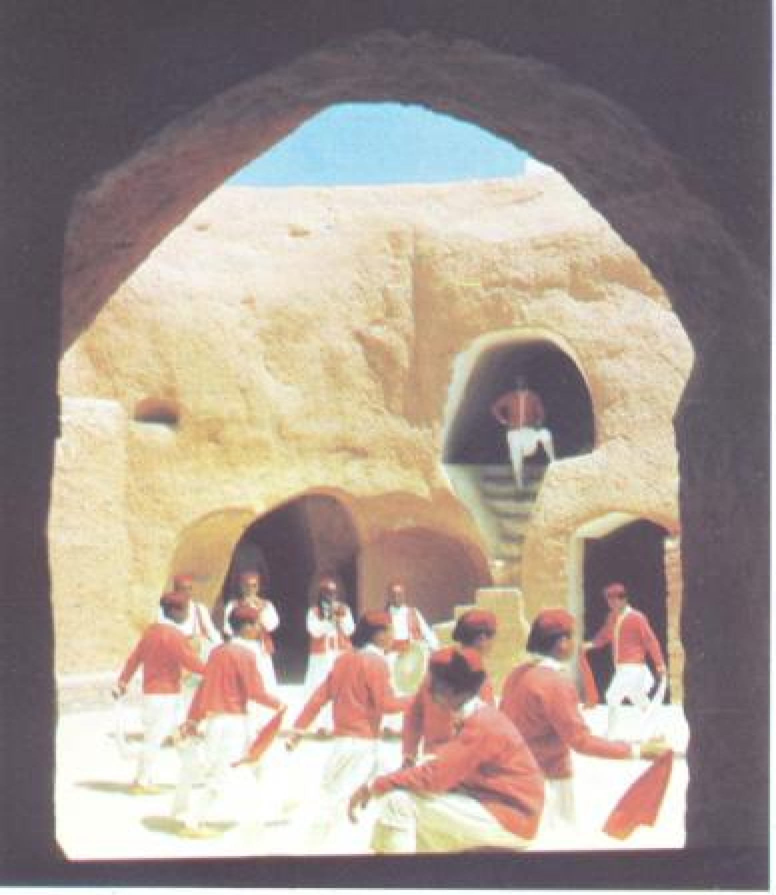
وقد لفت نظرى في هذا المهرجان تنافس الفرق على تقديم الفن الاندلسي العريق « المالوف » فن الموشحات ما غيره ! بل ان هذا اللون تجده يتصدر كل قعدة طرب ٠٠ او حفل عرس ٠٠ او اى مناسبة اجتماعية ، او دينية ، او وطنية ٠

ولان الفنون الشعبية التونسية غنية ، وغزيرة،

«١» ــ الاغاني التونسية ــ محمد الصادق الرزقي ــ الدار التونسية للنشر ٠







الفنانــون الشعبيون لهم أساليبهم المثيرة في شد الانتباه ولفت الانظار . احدهم يحمل فوق رأسه « تلا » من الادوات الفخارية ومع ذلك يرقص على انغام الطبـول والمزامير . والاخرون (الى اليمين أسفل) يسيرون في موكب انغام متصل .

فرقة الفنون الشعبية التونسية ، تقدم كل الـوان الفـولكلور من الغناء والانشاد الى الرقص ، بينما الفرق الاهلية الاخرى اثبتت وجودها ايضا ، ولفتت انظار الجمهوروالسياح الذين يقبلون بشدة على عروضها .(الصورة الى اليسار واسفل) .

تصوير : أوسكار مترى



ومتنوعة .. فاننا هنا سنحاول ان نتعرف على هذا الذى يطربنا على الدوام ويسمونه «المالوف».

من الاندلس .. الى تونس !

يقول الاستاذ « صالح المهدى » : (لقد جرت العادة بالاندلس على ان يخصص رجال الفن لكل وقت من اليوم مقاما معينا ، فاذا ارادوا ان يعلنوا عن برنامج حفلة غنائية اكتفوا بالاشارة الى المقام الذى سيطرقونه وهو مقام معروف او « مالوف » بحسب الحصة من اليوم الذى تقام فيه فمقام « الماية » مثلا لا يغنى الا فى الصباح ومن موشحاته :

نشر الزهر فاح — طير الايك لاح
اقبل الصباح — الليل ولا

ومقام « رمل الماية » يختص بالعشية ، ومن ازجاله
رونقت عشية حايل — كالذهب ع الارض سايل
وشمار الشمس مايل — للغـــروب
علمتنى كيف تذوب

ولذلك صار من المتداول نعت التراث الغنائى الاندلسى بالمغرب العربى باسم « المالوف » وهو عبارة عن مجموعة من الوصلات او « النوبات » التى تشتمل على موشحات وازجال اندلسية وضعت على مقام معين وتطلق كلمة « نوبة » بتونس على جمع من الاغانى الاندلسية والقطع الموسيقية المعزوفة فى مقام متحد والمرتبة بصفة خاصة) .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو متى وكيف وصلت موسيقى الاندلس الى تونس ؟

يقول المؤرخ ، الاديب الاستاذ عثمان الكعاك فى معرض تقديمه للسفر الخامس المخصص لعرض بعض نتاج الفنان التونسى الكبير « احمد بن حميدة الوافى » وهو ـ الوافى ـ سليل عائلة اندلسية هاجرت الى تونس على عهد عثمان داى (١٠١٨ هـ ـ ١٦١٣ م) حينما اجلى ملك اسبانيا فيليب الثالث بقية « الموريسكو » (٣) من الاندلس .

يقول الاستاذ الكعاك « رحمه الله » (.. اما عن موسيقى القرون الوسطى ـ اعنى موسيقى الاندلس . المعروفة بالمالوف ـ فقد وردت على يدى امية بن عبدالعزيز بن ابى الصلت الشاعر الصنهاجى .. وكان ذلك فى آخر القرن الخامس الهجرى عند قدوم الرعيل الاول من مهاجرة الاندلس . وقد الف لنا امية كتاب الموسيقى الكبير لخصوص المغرب . ثم جاءت الموسيقى الاندلسية فى دفعة ثانية من القرن السابع عند سقوط اشبيلية التى كانت عاصمة الفن ، وعرفنا احوال ذلك من مقدمة ابن خلدون وما كتب عن محمد الظريف فى المجلات التونسية . وجاء « المالوف » مرة ثالثة عند سقوط غرناطة سنة ١٤٩١ م لكنه جاء يومئذ فى نفس الوقت الذى جاءت فيه الموشحات والبشارف التركية مع الجيش التركى.

ـ ثم جاءت الموسيقى الاندلسية مرة اخيرة فى القرن الحادى عشر الهجرى حينما اجلى ملك اسبانيا «فيليب الثالث» البقية الباقية من الاندلسيين .

وهذا يعنى ان عمر فن « المالوف » عتيق .. ولانه فن اصيل فقد عاش فى وجدان الشعب على مر العصور والاحقاب التاريخية التى تعاقبت على تونس .. ولم يكتف الاخوة التوانسة بمسالة نقل ـ او انتقال ـ المالوف اليهم .. بل انهم اثروا فيه بقدر تاثرهم به .. او على رأى « الصادق الرزقى » من ان (التونسيين اخذوا عن اخوانهم الاندلسيين الموشحات النضيدة والاغانى الفريدة ، ورقموا من النغم ما تهدم ، وشادوا على اطلال موسيقاهم انغاما اخرى بعضها اندلسى بحت ، وبعضها ممتزج الرنة واللهجة بالتونسى).

الفلكلور مع حليب الصباح

ولو شاء القارىء العودة الى مدينة «المنستير» حيث الفنون الشعبية تضفى على المدينة الوادعة « صخبا » محببا تالفه النفس ، ويطرب له الفؤاد ، خاصة اذا كان هذا الفن هو صاحبنا « المالوف » ما غيره ! وعلى مدى كم يوم رحت اتابع فقرات المهرجان التى تقدمها فرق الاقاليم فى الجمهورية التونسية .. ولفت نظرى ان تلاميذ

(٢) التراث الموسيقى التونسى ـ مقدمة السفر الثانى ـ مطبوعات كتابة الدولة للشئون الثقافية والاخبار .

(٣) انظر مجلة العربى ـ العدد ٢٢٨ ـ فى بلادالموريسيك ـ بقلم فهمى هويدى .

المدارس الابتدائية يعزفون ويغنون الموشحات ٠٠ التي اعتدنا سماعها من الفرق الموسيقية العريقة ٠٠ وتحسرت على اولادنا في المشرق ، فالتلاميذ هناك يرضعون « الفلكلور » مع حليب الصباح ٠٠ ولهذا تجد ان من الخزي ان يحفظ اولادنا نشيد « المارسيلييز » ــ مثلا ــ او يرددون محفوظات واغاني هابطة٠٠بينما يجهلون جهلا مطبقا فنونهم وتراثهم الشعبيين ٠ ومن هنا ٠٠ فقد انسر خاطري حين وجدت الصغار « يقولون » الموشحات بحماس الطفولة ونقاوتها ٠٠ وقد لفت نظري اكثر الدور الذي يمكن أن يلعبه الفلكلور في دفع عجلة التطور والتنمية ! فقد شاهدت فرقة موسيقية لتلاميذ مدرسة ابتدائية فيقرية صحراويه على حدود تونس مع الجزائر ٠٠ وكانت هذه الى ما قبل سنة لم تعرف او « تكتشف » الطبلة ٠٠ فضلا عن الموسيقى ٠

وقد لاحظت هيئة اليونسكو الدور الهام الذي تلعبه الفنون الشعبية في حياة مجتمعات دول العالم الثالث ٠٠ فكلفت عددا من الباحثين المتخصصين باجراء بحوث حول « دور الفنون الشعبية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية » لان التوعية مع انسان يعشق الفن ومغرم به صبابة٠٠ لاتنفع معه موعظة مباشرة باردة ٠٠ او خطبة عصماء يتلاشى مفعولها مع انفضاض السامر ، مثل هذا الانسان تؤثر فيه ــ ولا شك ــ الكلمة وليس المغناة ٠٠ والفكرة التي يعبر عنها بالرقص ، او المنولوج ، او اي اداة فنية شعبية ٠٠ يجدها قريبة الى نفسه ٠٠ وليس مثل الفن الشعبي قربا الى وجدان الانسان العادي ٠٠ لانه فنه ولسان حاله ٠ ولعلنا نتذكر في هذه المناسبة كيف ان العديد من حملات التوعية فشلت فشلا ذريعا ومحبطا ٠٠ لكونها استخدمت ادوات ، واساليب ، ولغة ، ووسائط منفرة ٠٠ بعيدة عن ادراك الانسان العادي ٠٠ تتوجه اليه بمفردات خطابية ٠٠ و ٠٠ وفي النهاية تضيع الجهود هدرا بلا طائل ٠ وتونس نفسها تحاول ان توظف الفلكلور لخدمة خطط التنمية ٠٠ وقد جربت ذلك ابان حملات التوعية الخاصة بتحديد النسل ٠٠ ويقولون ان التجربة كانت رائدة ٠٠ ومبشرة بالخير !

ووسط هذه التاملات التي استحوذت على تفكير العبد لله ٠٠ ظهرت فرقة موسيقية استقبلها الجمهور بحفاوة وحماسة بالغتين ٠٠ ومع التصفيق الحاد افقت من تاملاتي ٠٠ وعدت بمشاعري ، واحاسيسي الى فقرات المهرجان القومي للفلكلور التونسي ٠٠ والفرقة التي كنا نسمعها فرقة اصيلة وعريقة لانها من مدينة «تستور » والتي يجب ان يطلق عليها بعض الفنانين « التوانسة » عاصمة « المالوف » وذلك لانها تضم العديد من عائلات عرب الاندلس ٠٠ وقد سمعت من بعض الربع « التوانسة » ان بعض هذه العائلات المهاجرة ــ او المطرودة بمعنى اصح ــ من الاندلس ٠٠ الى الشمال الغربي من افريقيا ــ ومنها تونس ٠٠ ومدينة « تستور » بالتحديد ــ اقول سمعت ان بعض هذه العائلات ما زالت تحتفظ بمفاتيح بيوتها التي كانت تمتلكها في الاندلس ! ولسوء الحظ ٠٠ لم اتمكن من تاكيد هذه الرواية بزيارة المدينة نفسها ٠٠ كما ان معلومات من سالتهم من الفنانين لم تخرج عن دائرة الظن ٠٠

وعلى اية حال ٠٠ فانه سواء احتفظ عرب الاندلس في مدينة « تستور » التونسية بمفاتيح بيوت اجدادهم في قرطبة وغرناطة ٠٠ وغيرهما٠٠ او ان هذا الامر محض حكي ، وكلام عابر ٠٠ فان الشيء المهم والمؤكد هو اننا اضعنا الاندلس٠٠ وورثنا « المالوف » وهي وراثة تدخل في حيز اضعف الايمان !

ولا اعرف لم شعرت بغصة واكتئاب ٠٠ حين سمعت بحكاية المفاتيح السالفة الذكر ٠٠

ساعتها شعرت باحباط لا حد له ٠٠ ربما لان هذا الاحساس كان يواكبه حافز للضحك بشدة٠٠ وبمرارة ٠٠ ربما لاني ــ ساعتها ــ تذكرت « النكتة » المشهورة عندنا في المشرق العربي ٠٠ والتي تتحدث عن ذلك الخادم الذي جاء ليخبر سيده بان اللصوص سرقوا خزنته ٠٠ فرد عليه السيد ــ بكل ثقة واطمئنان ــ قائلا لا تخف ولا تجزع ٠٠ صحيح ان اللصوص سرقوا « الخزنة » لكنك نسيت ان المفتاح « معايا » ويحوزتي ! هل هذه نكتة ٠٠ ام ماساة ٠٠ أم ماذا ؟! يبدو انها « ماذا ؟! » ■■

سليمان الفهد

تجارب جديدة لمواجهة المرض الخبيث

أنت تتمتع بالحصانة .. إذن .. فأنت مسلح ضد .

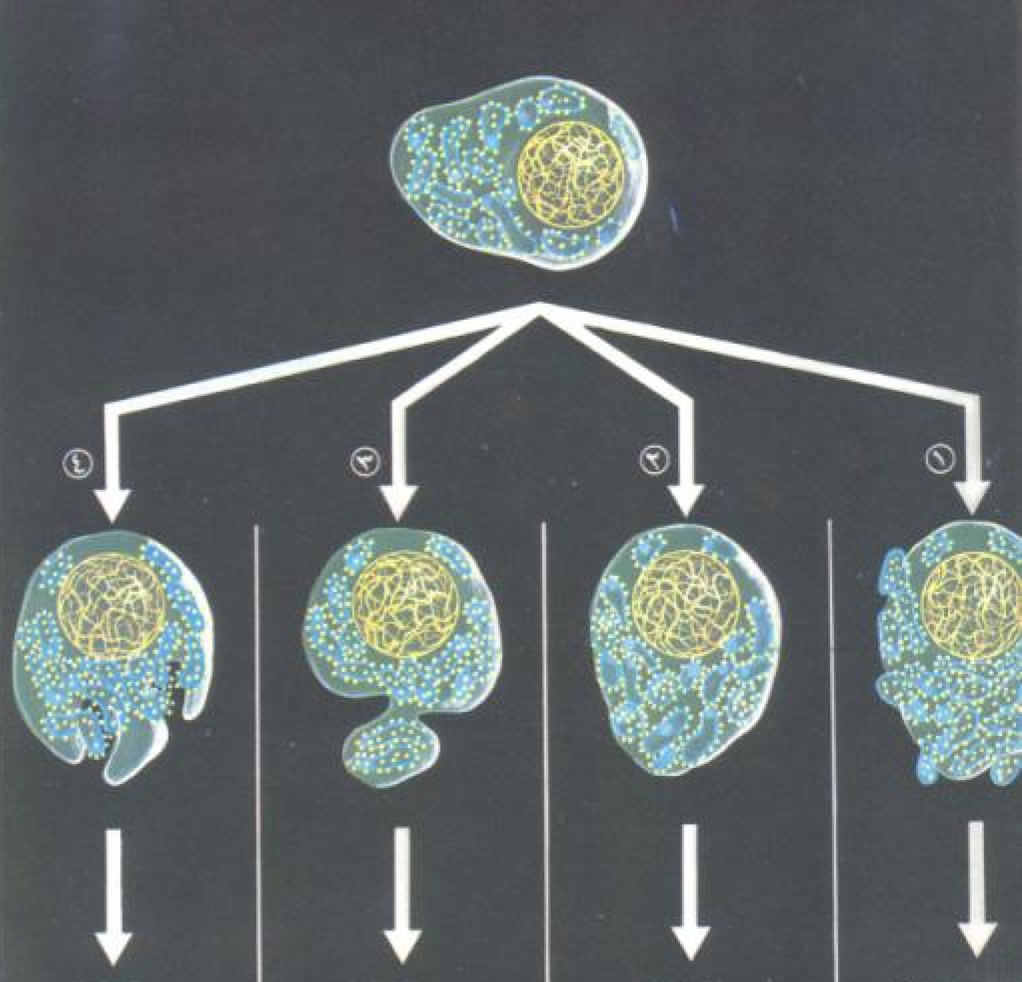
السرطان



بقلم :
الدكتور نبيل رياض

في الانسان ـ كما في الدول ـ يبدو ان دفاعه عن نفسه ضدأخطر الامراض، يصبح فعالا اذا بدأ من ذاته هو ، من داخله • علم الحصانة يقول ذلك •

الخلايا الليمفاوية من نوع (ب) وهي تظهر في صورة اشعاعية في المناطق التي تفرز الاجسام المضادة •



صورة توضيحية لطريقة خروج الاجسام المضادةمن الخلايا الليمفاوية من نوع (ب) .

■ يعرف علم الحصانة الحديث بالنسبة للانسان بانه ذلك العلم الذي يمكن الانسان من معرفة الفرق بين خلايا الجسم وانسجته وبين الخلايا الاخرى والمواد الغريبة ، وخاصة البروتينات التي قد تتسرب الى داخل جسم الانسان .

ولعملية اكتشاف هذه الخلايا الغريبة اهمية بالغة ، خاصة في حالات البكتريا والجراثيم اذ ينبغي ان تحاصر على الفور ويمنع انتشارها داخل انسجة الكائن الحي ، وكذلك القضاء عليها بافراز السموم والمواد المضادة التي تشل حركة تلك الميكروبات والجراثيم وتقضي عليها كما تساعد تلك العملية الكريات الدموية البيضاء على التهام تلك المواد الغريبة ، او الميكروبات .

ويعتبر ذلك كله جزءا من حملة الجسم ضد المواد البروتينية الغريبة التي تنتشر حوله في حياته اليومية او هي بعض محاولات الكائن الحي للمحافظة على الوجود والبقاء بين مختلف انواع الكائنات الدقيقة ، مثل الميكروبات والجراثيم التي قد تسبب له الامراض والعلل اذا تمكنت من التسرب داخل انسجة الجسم وبين خلاياه .

الحصانة والمستقبل

ويقول الدكتور « فليتشر » استاذ علم الامراض ـ الباثولوجيا ـ بجامعة ادنبرة ان علم الحصانة يعتبر الان من اهم العلوم في المستقبل ، حيث انه يوفر للانسان الحماية والوقاية من الامراض المعدية كما انه يفتح الباب على مصراعيه امام مجالات البحث العلمي في امكانية الوقاية والعلاج ايضا من اهم مرض يواجه انسان القرن العشرين وهو مرض السرطان والاورام الخبيثة ، ويقوم الدكتور « فليتشر » ومساعدوه في البحث العلمي على طريقة تجاوب جسم الانسان ، والمقصود بذلك جهاز الحصانة ضد المواد البروتينية الغريبة التي قد تتسرب الى الجسم ، ومنها بالطبع الميكروبات والفيروسات وكذلك الخلايا السرطانية وبالذات في حالات الاورام الليمفاوية مثل (مرض هودجكنس Hodjkin's diseese) وحالات سرطان الدم . بينما يقوم فريق اخر من الباحثين بدراسة الطرق المختلفة لتنشيط وتقوية جهاز الحصانة في الجسم لمقاومة مرض السرطان والتغلب عليه .

ويعتمد جهاز الحصانة في الجسم على عدة عوامل رئيسية ، منها بعض البروتينات التي توجد بشكل طبيعي في بلازما الدم لدى الانسان ، وتعرف بانها مواد الحصانة الطبيعية وهي مواد مضادة للاجسام الغريبة مثل الجراثيم والبكتريا والبروتينات الغريبة عن جسم الانسان . وتساعد في مقاومة الجسم للغزو الجرثومي او الميكروبي، كما تسهل للكريات الدموية البيضاء مهمة التهام تلك الميكروبات والقضاء عليها .

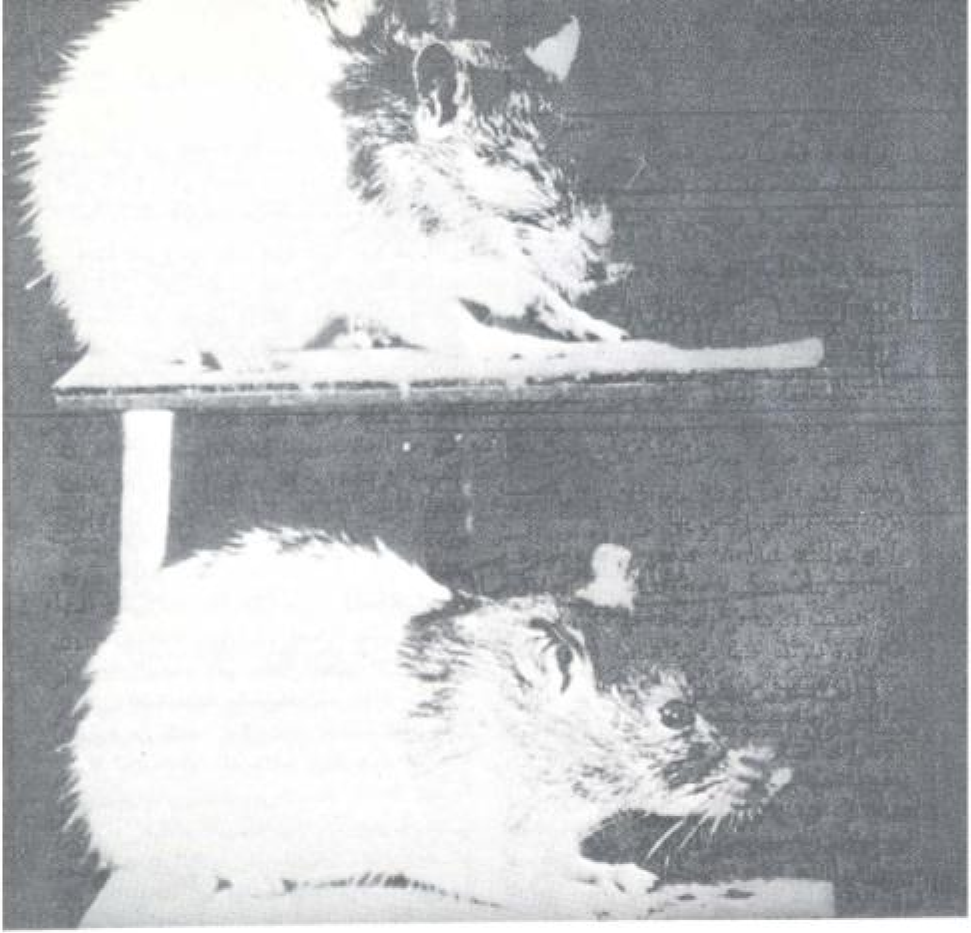
اكتشاف هام جديد

وقد اكتشف العلماء في الاونة الاخيرة العامل الرئيسي في تنشيط جهاز الحصانة ، وهو يتكون من الكريات الليفاوية التي توجد في الدم وتضم نوعين رئيسيين من الخلايا الليمفاوية :

النوع الاول ويعرف باسم « خلايا ب » ، ويعتقد العلماء بان هذا النوع من الخلايا الليمفاوية يمر في دورة خاصة بجسم الانسان ، تبدأ بالجهاز الليماوي في الامعاء الدقيقة والزائدة الدودية ثم الطحال والغدد الليمفاوية المختلفة في الجسم قبل مرورها الى الدم . كما عرف العلماء المهمة الرئيسية للخلايا الليمفاوية من نوع (ب) وهي افراز الاجسام المضادة التي تقاوم البروتينات الغريبة او البكتريا والجراثيم فور دخولها الى الجسم او تسربها الى الدم ، وتقوم « خلايا ب » الليمفاوية بافراز تلك الاجسام المضادة حيث تخرج من الخلية في مكان مخصص لذلك الغرض بجدار الخلية ذاتها .

ويمكن للعلماء التعرف على خلايا (ب) الليمفاوية وبيان مدى قدرتها على افراز الاجسام المضادة بواسطة بعض الاعتبارات الحديثة التي تستخدم فيها النظائر المشعة التي تلتصق بجدران الخلايا (ب) في نفس المكان المخصص لخروج تلك الاجسام المضادة .

وعندئذ تظهر الخلايا (ب) بوضوح تام في صورة اشعاعية وتغطيها النظائر المشعة في مكان معين من جدار الخلية يشبه غطاء الراس عند البحارة ، ويجرى هذا الاختبار على اية شريحة زجاجية تحتوى على الكريات الليمفاوية المختلفة .



الصورة العليا لاحد فئران التجارب ، وقد نزعت منه الغدة التيموزية عقب الولادة ، فلم يمكنه مقاومة الامراض ، لضعف جهــــازالحصانة ، ونقص خلايا (ت) • والصــورة السفلى لحيوان سليم للمقارنة •

وبعد مواجهةالجراثيم والميكروبات المعتدية وافراز الاجسام المضادة لها للقضاء عليها تقوم خلايا (ب) الليمفاوية بتشكيل خلايا الذاكرة Memory Cells وهــي نــوع مــن الكــريات الليمفــاوية التــي توجد في البلازما ، وتحتفظ بخاصية التعرف على الميكروبات المهاجمة في حالة عودتها لغزو الجسم مرة اخرى ، وفي هذه الحالة يتم القضاء عليها بصورة أسرع وفي وقت اقل من المرة الاولى كنتيجة لوجود تلك الذاكرة الحية ، التي تــدق جــرس الانذار بصورة مبكرة حيث يكون جهاز الحصانة مستعدا لمواجهة تلك الميكروبات مرة اخرى بقوى ذاتية افضل واقوى من المقابلة في المرة الاولى •

وراء رفض الجسم المزروع

اما النوع الثانى من الكريات الليمفاوية : فيعرف باسم « خلايا ت » وهى تمر فى دورة خاصة بجسم الانسان ، تعبر فى طريقها بالطحال والغدد الليمفاوية قبل وصولها الى الدم ، ولانها تبدأ من الغدة المعروفة باسم الغدة التيموزية ، فان خلايا (ت) تعتمد عليها فى نشاطها وتختص هذه الخلايــا بالحصانــة التى تعتمد على نشاط الخلايا الليمفاوية ذاتها • وتعتبر ذات اهميــة كبرى فى مقاومة الامراض الفيروسية ، وبعض الامراض المزمنة كالدرن وغيرها ، كما انها تقوم

بدور هام في مقاومة الانسجة والخلايا الغريبة التي تزرع داخل الجسم ، كما في حالات زراعة الكلية والقلبوغيرهما من اعضاء الجسم المختلفة .

وهذا النوع من خلايا (ت) الليمفاوية هو الذي تسبب في رفض الجسم للقلوب المزروعة داخله كما حدث في تجارب زراعة القلب الشهيرة التي اجراها الجراح المعروف « الدكتور كريستيان برنارد » في مستشفى جروت شور بجنوب افريقيا، كما انها تشكل العقبة الرئيسية امام العلماء في عمليات زراعة الكلى المختلفة التي تجري في معظم المستشفيات الكبرى ومراكز الابحاث في الخارج ، وتقوم الخلايا (ت) الليمفاوية بافراز سموم ومواد مضادة لخلايا وانسجة العضو المزروع، تحطم خلايا ومكونات ذلك العضو ، وتسهل للجسم مهمة رفض تلك الانسجة الغريبة والتخلص منها، كما تقوم خلايا (ت) ايضا بعملية جذب للكريات الدموية البيضاء الى منطقة العضو المزروع لكي تتولى ايضا مهمة القضاء على ذلك العضو الغريب عن الجسم ، ويستطيع علماء الباثولوجيا معرفة تلك الخلايا الليمفاوية من نوع (ت) بواسطة اختبار كيميائي يعتمد على اضافة الكريات الدموية الحمراء للاغنام الى الشريحة الزجاجية التي تحتوي على الخلايا الليمفاوية ، فقد وجد ان خلايا (ت) لها خاصية جذب الكريات الدموية الحمراء للاغنام حيث تحيط بها من جميع النواحي وبالتالي يمكن للعلماء معرفة كمية تلك الخلايا من نوع(ت) ومدىقدرتها وفاعليتها ضد البروتينات الغريبة مثل البكتريا والفيروسات التي قد تهاجم الجسم او الدور الذي يمكن ان تلعبه في مقاومة الاعضاء المزروعة في الجسم مثل القلب والكلية وغيرهما .

ومرض السرطان ؟

هل تقوم الكريات الليمفاوية بمهاجمة خلايا السرطان والاورام الخبيثة كما تفعل بالنسبة للانسجة الغريبة المزروعة داخل جسم الانسان ؟

ظل هذا السؤال يؤرق العلماء ويحيرهم فترة طويلة ويحفزهم للاستمرار في البحث العلمي لمعرفة السبب في ان الاورام الخبيثة ومرض السرطان ينمو داخل جسم الانسان حتى يقضي عليه ، وقد توصلوا الى عدة نتائج هامة بالفعل



الدكتور فليتشر استاذ علم الحصانة في جامعة « ادنبرة » .

منها ان جهاز الحصانة بنوعيه من الخلايا الليمفاوية قد يقوم فعلا بمهمة القضاء على خلايا السرطان الاولية او في المرحلة الميكروسكوبية ، وبالتالي قد لا يظهر المرض الخبيث الا عندما يحدث الضعف في جهاز الحصانة او يتمكن السرطان من التغلب على فاعلية ذلك الجهاز الهام ، وخاصة الخلايا الليمفاوية من نوع (ت) .

ومما يؤكد تلك النظرية هو ما نراه من تزايد حالات الاورام الخبيثة والامراض السرطانية وانتشارها في المرحلتين الاولى والاخيرة من عمر الانسان في مرحلتي الطفولة والكهولة ، حيث يكون جهاز الحصانة ضعيفا في الحالة الاولى وحيث يصيبه الضعف والانهاك في الحالة الثانية، بحيث لا يمكن له مقاومة الخلايا السرطانية والوقوف امامها ، وبالتالي فهي تنتشر في الجسم دونما عائق يقف في سبيلها .

وكذلك فمن المعروف لدى الاخصائيين في الجراحة بانه في حالات الاورام السرطانية التي تزيد فيها كمية وعدد الخلايا الليمفاوية من نوع (ت) حول الورم السرطاني حيث تحيط به وتحاول القضاء عليه فان الجراحة تعطي افضل النتائج في هذه الحالات لان جهاز الحصانة يمكنه فيما بعد القضاء على الخلايا السرطانية والميكروسكوبية التي قد تتخلف في الجسم بعد الجراحة .



الجراح الكبير ، البروفسير فورست ، والطريقة الحديثة لمواجهة السرطان بتنشيط جهاز الحصانة في الجسم .

اسلوب جديد تمامـا

ونظرا للاهمية الكبرى التي اصبح العلماء الان يعرفونها من جهاز الحصانة في الجسم ودوره الفعال في مقاومة مرض السرطان ، فقد ظهرت الان الاتجاهات الحديثة في مواجهة ذلك المرض الخبيث . واذا اخذنا مثلا حالات امراض سرطان الثدي عند المرأة ، فقد كانت الطريقة القديمة تعتمد على ازالة الثدي المصاب بالسرطان بكامله مع العضلات والانسجة المحيطة به وكذلك الغدد الليمفاوية تحت الابط،وهي من العمليات الجراحية الكبرى التي قد تعرض حياةالمريضة ذاتها للخطر. ولكن اصبح الجراحون الان يتجهون الى اسلوب افضل واكثر جدوى من الطريقة السابقة مع بساطته الظاهرية وسهولة العملية الجراحية بالنسبة للمرضى بهذا الورم الخبيث ، وهذه الطريقة تعتمد على ازالة الورم السرطاني فقط مع الانسجة المحيطة به من الثدي مع الابقاء على عضلات الصدر والغدد الليمفاوية تحت الابط مع اخذ عينة منها للفحص من الخلايا السرطانية ، فاذا كانت لا تحتوى على اية خلايا سرطانية فان ذلك يعتبر علامة جيدة وخطوة كبرى على طريق الشفاء ، حيث يعتقد العلماء بأن الابقاء على تلك الغدد الليمفاوية يعتبر العامل الرئيسي فيالقضاء على باقي الخلايا السرطانية الميكروسكوبية التي قد تتخلف في الجسم عقب الجراحة لانها تاخذ طريقها الى تلك الغدد الليمفاوية ، حيث تقوم الكريات الليمفاوية بالقضاء عليها بواسطة ما تفرزه من سموم مضادة .

ويعتبر البروفسير فورست استاذ جراحةالسرطان بجامعة ادنبرة من الرواد الاوائل في هذا النوع من الجراحة ، وهو يقوم منذ عشر سنوات باجراء ذلك النوع من العمليات الجراحية الخاصة بسرطان الثدي ، وقد حصل على نسبة نجاح تزيد على ٦٠٪ من الحالات بينما كانت النسبة في الطريقة القديمة لا تتجاوز ٤٠٪ بمعنى ان ثلثي المريضات اللاتي اجريت لهن الجراحة على طريقة البروفسير فورست منذ عشر سنوات ما زلن حتى الان يتمتعن بالصحة ولم تظهر لديهن اية علامات على عودة المرض مرة اخرى او ظهور اورام ثانوية لديهم .

تنشيط جهاز الحصانـة

يضم فريق البروفسير فورست عددا كبيرا من الاطباء الاخصائيين فيالجراحة وعلماء الباثولوجيا والفنيين واخصائيي المختبرات ، وهو يقوم بتقسيم حالات الاورام الخبيثة في الثدي الى نوعين رئيسيين يعرف اولهما بالسرطان المبكر ، وذلك عندما يكتشف الاطباء الورم الخبيث في اولى مراحل انتشاره بالجسم وقبل ظهور الاورام الثانوية ، او عندما يكون السرطان محصورا في مكان محدد بالجسم يمكن ازالته واستئصالهبالكامل بواسطة الجراحة دون ان تتعرض باقي اعضاء الجسم لامتداد العملية السرطانية اليها ، وهي الحالات التي تصلح لها الجراحة كالخط الاساسي في العلاج .

والنوع الثاني : يضم الحالات المتقدمة من المرض عندما يمتد الورم السرطاني الى اكثر من مكان في الجسم او يظهر على هيئة اورام ثانوية في اعضاء او اماكن اخرى من الجسم ، حتى عندما يكون انتشاره الموضعي كبيرا بصورة تعوق الجراحة، وتجعل من استئصاله امرا بالغ الصعوبة ، وكذلك في الحالات التي قد لا يمكن فيها اجراء الجراحة، نظرا لضعف الحالة العامة للمريض ذاته .

وفي تلك الحالات لا تعتبر الجراحة خط الدفاع الاول بالنسبة لمواجهة المرض بل يجب التفكير في وسائل اخرى لمواجهة السرطان والقضاء

عليه ، او على الاقل وقف انتشاره داخل الجسم، واهم تلك الوسائل هي الاشعاعات او العلاج بالاشعة العميقة ثم الادوية والعقاقير التى توقف نمو الخلايا السرطانية ... واخيرا ياتى دور جهاز الحصانة فى الجسم ويقوم العلماء بتنشيط هذا الجهاز وخاصة الخلايا الليمفاوية من نوع(ت) وذلك بواسطة بعض انواع « الفاكسين » التى تنشط جهاز الحصانة بشكل عام،وهذه الفاكسينات تستخدم لتقوية جهاز الحصانة فى الجسم وتنشيط الكريات الليمفاوية مما يساعد على وقف نمو الخلايا السرطانية كما ان هذا الاسلوب من العلاج يسمح بتخفيف الجرعات الضخمة من الاشعة العميقة التي يتعرض المريض لها ـ وكذلك تخفيض جرعات الادوية المضادة للسرطان وتجنب مضارها على الجسم والاثار الجانبية التى قد تسببها تلك العقاقير القوية او الاشعاعات الضخمة التى يتعرض لها المريض اثناء علاجه .

ومن هنا يتضح ان جهاز الحصانة في جسم الانسان يلعب دورا رئيسيا لا فى مقاومة الامراض المعدية التى تسببها الميكروبات والفيروسات فقط بل يمكنه ايضا ان يقوم بدور هام فى مقاومة الاورام الخبيثة ، وامراض السرطان وذلك اذا تمكن العلماء من الاستفادة بهذا الجهاز الحيوى الهام فى الجسم وتنشيطه وبالتالى وضعه فى خدمة الكائن الحى بصورة تتيح القضاء على ذلك المرض الذى حير الانسان والعلماء طوال القرون الماضية وقد حان الوقت واقترب الاوان الذى يمكن فيه السيطرة على ذلك المرض والقضاء عليه .

■■

د . نبيل رياض

آذار (مارس) ماذا تعني ؟

شهر اذار ، واسمه في اللغات الاجنبية Mars او Marsh كان اول شهور السنة عند الرومان ، وظل كذلك حتى السنة السادسة والاربعين قبل الميلاد ، وبقى بداية السنة الرسمية في انكلترا حتى سنة ١٥٧٤ ، عندما أصدر شارل التاسع امره باعتبار كانون الثاني اول السنة ، فحذت اسكوتلندا حذو فرنسا ،أما انكلترا فظلت حتى سنة ١٧٥٢ تعتبر اذار أول سنتها الرسمية ، وكان الرومان يسمونه tius ا وهو اسم أطلقه عليه رومولوس اكراما للاله « مارس » على أن اوفيد يقول : ان هذا الشهر وجد قبل عصر رومولوس ، وان يكن في موضع آخر من السنة ، وكان الاوروبيون يعتقدون ان في هذا الشهر ايام شؤم هي الايام الثلاثة التي يستقرضها من نيسان، وفي بلادنا يعتقدون بالمستقرضات ، ولكن يقولون ان شباط هو الذى اقترضها من اذار ، لا آذار من نيسان .

واسم اذار ماخوذ من اللغة الكلدانية أو السريانية ، وكان هذا الشهر عند العبرانيين الشهر الثاني عشر من سنتهم الدينية ، والسادس من السنة السياسية ، ويصوم اليهود في السادس منه تذكارا لموت النبي موسى ، وفي الثالث عشر منه تذكارا لموت « أستير » ، ويعتبر الرومان هذا الشهر شهر تجدد الربيع ، اذ كانوا يجددون فيه ايقاد النار على مذابح « فستا » التي كانوا يعيدون لها في السادس عشر منه . وهذا الشهر كثير الاعياد عندهم ، ومن اهمها عيد الاله « باخوس » في السابع عشر منه ، وعيد « منيرفا » في التاسع عشر منه ، وكان هذا الشهر تحت حمايتها . وهو يمثل اله الحرب في مركبة يجرها جوادان هما الرهبة والفرار ، وهو تمثال مخيف يحمل في يده حربة طويلة ، ويرفع في الاخرى ترسا نحو السماء ، وقد اشرأب عنقه ورفع رأسه بحيث يلمع البرق على خوذته المخيمة ، هذا هو مارس اله الحرب . وقد كان مارس في نظر الرومان أكثر من محارب عادى ، يعتبرونه الها يستطيع أن يفعل كل شيء لانه قوى ، فكانوا يضرعون اليه من أجل المطر ، ويستشيرونه في شؤونهم الخاصة ، ويقدمون على مذبحه الضحايا، وكان الجنود اذا ذهبوا الى الحرب يحملون معهم قفصا من الدجاج المقدس لمارس ، ومتى أشرفوا على العدو كانوا قبل الدخول في المعركة ،يضعون حبوبا امام هذه الفراخ ، وينتظرون ليروا ما اذا كانت تاكلها او ترفض اكلها ، فاذا اكلتها بشهية ، كان ذلك دليلا على أن اله الحرب في جانبهم ، أما اذا رفضت الاكل فيكون ذلك شؤما عليهم .



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

أسباب نمو شعر الوجه فى النساء

● انا سيدة فى الثلاثين من عمرى لاحظت نمو الشعر بكثافة فى وجهى مما يقلقنى كثيرا ، فما هو السبب وهل من علاج ، وهل كريمات الوجه تؤثر فى كثافة الشعر ؟

ـ هناك اعتقـاد خاطىء بأن كثـرة استعمال كريمات الوجه والمساحيق تؤدى الى زيادة نمو الشعر على الوجه فليس هناك صلة على الاطلاق بين الحالتين ولكن يلاحظ ان الالتهابات الجلدية والتعرض للشمس والرياح يساعد الى حد ما على نمو الشعر مؤقتا • ونمو الشعر فى وجه المرأة يسبب مشاكل نفسية كثيرة مما يجعلها تعتقد أن الناس يتكلمون عنها مما يسبب لها الكثير من الانطواء ، وذلك يعتمد على معاملة الاسرة لها ونظرتهم لهـذا الموضوع •

وتتفاوت درجة ظهور الشعر وكثافته من امرأة لاخرى وهناك نوع ذو صفـة وراثية ينتشر فى بعض العائلات ، كما أنه يكثر فى بعض الاجنـاس خاصة فى الاسبان واليهود ، كذلك بعد سن اليأس فكثير من النساء ينمو لهن لحية وشارب •

وربما ظهر الشعر بشكل مؤقت نتيجة اضطراب الدورة الشهرية مثلا ، وأحيانا أثناء الحمل وبعده ، وفى بعض الاحيان نجد بنات اختفى الشعر من وجوههن بعد الزواج والانجاب ، وقد يصحب ظهـور الشعر فى الوجه سقوطه من على الرأس وظهور حب الشباب مثلا ويرجع ذلك الى اضطراب فى الهرمونات ، خاصة عند سن البلوغ •

وسوء الهضم النفسى ونقص الفيتامينات من الاسباب التى تؤدى الى نمو الشعر على الوجه والجسم حيث أن ذلك يؤدى الى بعض التغيرات فى الغدد كما يحدث مثلا بعد عمليات المعدة فيلاحظ ظهـور شعر طويل على الجسم •

واضطـراب الهرمـونات سـواء كان فسيولوجيا أو نتيجة أورام فـى الغدد خاصة غدد المبايض والغدة النخامية من أهم أسباب نمو الشعر على الوجه والجسم •

بالنسبة للعلاج فانه يعتمد على السبب اذا كان وراثيا أو هرمونيا او فسيولوجيا ، هل هو منتشر على جزء معين من الجسم أو على جميع أجزاء الجسم ، ففى حالة سن اليأس مثلا يمكن استعمال هرمـون المبايض سواء بالفم أو على شكل كريمات حيث يؤدى الى اختفاء الشعر الا أن هذا العلاج هو علاج مؤقت يبقى أثره ما بقى الاستعمال قائما طالما تداوم على الاستعمال • واذا كان السبب نتيجة ورم فى الغدد فان استئصال الورم أو العلاج بالاشعة يؤديان الى نتائج طيبة •

أما العلاج الموضعى فمعروف من القدم باستعمال الشمع أو ما شابه موضعيـا لازالة الشعر عند سطح البشرة ، كذلك مساحيق وكريمات ازالة الشعر ومعظمها يحتوى على باريوم سلفايد •

وفى حالة ظهور الشعر فى منـاطق محددة من الوجـه فهذه يمكن ازالتهـا بتدمير حلمة أو جذر الشعرة بواسطة الكهرباء Shortwave Diathermy Electrolysis وهى المفضلة حاليا ولا تترك أى أثر أو ندبة •

انسداد القناة المنوية

● تزوجت منذ ٤ سنوات ولم انجب أطفالا وبالتحليل وجدت ان السائل المنوى سلبي واخبرني الطبيب ان ذلك يرجع الى انسداد القناة المنوية ويجب عمل جراحة لفتحها فما سبب ذلك وهل تنجح هذه العملية عادة ويتم الانجاب؟

ـ من المعروف أن احد اسباب عدم الحمل هو وجود انسداد في البربخ او الحبل المنوى للرجل وبالتالي فان الحيوانات المنوية المنتجة في الخصية والمتجمعة في البربخ لا تجد طريقها للخروج بسبب ذلك الانسداد ويفرز السائل المنوى خاليا من الحيونات المنوية الضرورية للانجاب .

واسباب انسداد القناة المنوية يرجع الى اسباب اهمها :

١ ـ تعرض الشخص للالتهابات التناسلية في فترة شبابه خاصة السيلان والتهابات مجرى البول واهماله في علاج هذه الالتهابات التي تؤدي الى ضيق في القناة الناقلة او انسداد في البربخ علاوة على ان هذه الالتهابات تؤدى الى ضعف الحيوانات المنوية .

٢ ـ احيانا تتكون حويصلات صغيرة في البربخ او القناة مؤدية الى الانسداد .

٣ ـ اصابة القناة المنوية اثناء حادثة او اثناء اجراء عملية جراحية اخرى كالفتق او الدوالي .

اما بالنسبة لنجاح العملية الجراحية الخاصة بازالة الجزء المسدود وتوصيل القناة ثانية فهي كما ترى عملية دقيقة تحتاج خبرة معينة ونجاحها يعتمد على عدة عوامل اهمها :

١ ـ التاكد من نشاط الخصية وذلك باخذ عينة من الخصية وفحصها باثولوجيا للتاكد من ذلك .

٢ ـ مدة الانسداد ، فكلما طالت الفترة التي ظلت قناة المني فيها مسدودة كانت فرصة النجاح اقل .

٣ ـ ان تكون العملية نظيفة ولا يحدث بها اى التهاب او مضاعفات بحيث يرجع الانسداد مرة اخرى .

وعلى اى حال فاذا كان الامل الوحيد هو في اجراء العملية فاعتقد انه لا مفر من عملها حتى تكون هناك فرصة لفتح الانسداد وبالتي يمكن للحمل والانجاب ان يتما .

ثعلبة الذقن

● انا شاب متزوج ظهرت في لحيتي مناطق خالية من الشعر تماما ، ألاحظ انها تتكاثر مع الوقت . فما هو ذلك وهل هو معد.

ـ ان هذا المرض يسمى ثعلبة الذقن ويشبه الى حد بعيد ذلك الذى يحدث في الراس الا انه يظهر في الوجه ، وقد يحدث في الراس واللحية معا، ومن الطبيعى أن ثعلبة الذقن اخف وطاة من ثعلبة الراس نظرا لان المصاب يحلق باستمرار ولذلك فهى لاتظهر الا اذا ارسلت اللحية . الا ان علاجها يطول اكثر من ثعلبة الراس . وهى غير معدية ابدا. ومن اهم اسباب هذا المرض وجود الاضطرابات النفسية والقلق ، ومما يزيد المشكلة خوف المريض من هذا المرض وقلقه وبالتالى توتر اعصابه وسرعة انفعاله فيزداد المرض وينتشر بالرغم من اخذ العلاج كذلك فان وجود اى بؤرة في الجسم مثل التهاب الجيوب الانفية او التهاب البروستاتة المزمن او تسوس الاسنان يساعد على حدوثه وانتشاره كما ان الصدمات على الراس واضطرابات العين تساعد على الاصابة به ايضا . ولكن يجب التاكد من ان ذلك ليس احد اعراض الزهرى الثانوى حيث تظهر رقعات مشابهة للثعلبة وخالية من الشعر خاصة في مؤخرة الراس وقد تظهر في الذقن .

اما علاج هذا المرض ، فعلاوة على الدهونات الموضعية والاشعة البنفسجية فيجب استعمال بعض المهدئات

والاطمئنان بان ذلك المرض انما هو حالة عارضة ليس لها اى مضاعفات وان الشعر سينمو طبيعيا ثانية فى تلك المناطق الخالية بمجرد الاطمئنان ·وفى الحالات المستعصية يمكن استعمال الكورتيزون عن طريق الفم او الكريمات او الحقن موضعيا حسب تعليمات الطبيب المختص وتحت اشرافه ·

فيتامين (أ) والبشرة

● ظهرت فى ابنتى حبيبات صغيرة على ذراعها وكتفها واصبحت بشرتها خشنة واخبرنى الطبيب ان هذه الاعراض يسببها نقص فيتامين (أ) فما هو سبب ذلك النقص بالرغم من ان اكلها كالمعتاد · وهل هناك أعراض اخرى لنقص ذلك الفيتامين ؟

– ان فيتامين (أ) مهم جدا فى تكوين البشرة وصحتها ولذلك فان نقصه يؤدى الى حبوب كما ذكرت تشوه منظرها وتجعلها خشنة الملمس ، وهذه الحبيبات تحدث نتيجة اضطراب فى تكون البشرة وجفافها وتكثفها فى هذه المناطق وتظهر الحبيبات بصفة خاصة على الوجه والاطراف والكتف ، كذلك فان نقص هذا الفيتامين يؤثر على اللسان والشفاه فيزداد احمرار اللسان وتتشقق جوانب الفم كما ان نقصه يؤثر فى ضعف مناعة الجلد وجعله عرضة للاصابة بالميكروبات والفطريات ·

وكلنا نعرف فوائد فيتامين (أ) على العين خاصة خلايا الملتحمة والقرنية · وكذلك يؤثر نقص ذلك الفيتامين على الشعر ونموه وجفافه كما يؤثر على صحة الاظافر وتشققها ·

اما بالنسبة للتغذية فالمهم هو النوعية وليس الكمية · وعموما فان هذا الفيتامين يكثر فى زيت السمك واللبن والزبد والبيض والكبد والجزر والبازلاء ·

ومن العوامل التى تؤدى الى نقص هذا الفيتامين فى الجسم ما يلى :

١ – عدم تناول الاطعمة التى تحتوى على كميات كافية من هذا الفيتامين ·

٢ – قد يكون تناول الاطعمة طبيعيا بل وبكميات زائدة الا ان الشخص قد يكون مصابا بمرض معين يمنع امتصاصه فى الدم ·

٣ – وجود امراض او التهابات فى الجسم تؤدى الى سرعة استهلاك الفيتامين ·

٤ – بعض الاجسام تحتاج الى كميات زائدة من هذا الفيتامين كما فى فترة الحمل والمرض والنقاهة ·

٥ – قد يكون هناك افراز للفيتامين بكميات زائدة غير طبيعية ·

يمكن معرفة مقدار نقص فيتامين (أ) فى الجسم بواسطة تقدير نسبته فى الدم فالنسبة الطبيعية هى ١٠٠ وحدة فى كل ١٠٠ سم دم فاذا وجد نقص وجب عمل كشف عام لمعرفة السبب وعلاجه ·

مشكلة التنفس

● انا شابة فى مقتبل العمر الاحظ اننى لا اتنفس مطلقا من الناحية اليسرى لانفى واحس انها مسدودة تماما كما انها لا تخرج اى افرازات بالمرة مع العلم اننى لا اشعر باى شيء من الناحية اليمنى واجد انها طبيعية ·

– حسب ما فهمت من سؤالك انك لم تتنفسى من الناحية اليسرى لانفك طول حياتك على قدر ما تتذكرين وهذا يجعلنى أرجح ان يكون السبب هو وجود انسداد فى الفتحة الخلفية للمجرى الانفى الايسر ، وهذا الانسداد غالبا ما يكون خلقيا اى انه موجود منذ ولادتك ولكن لان الناحية الاخرى طبيعية فانك لم تلاحظى وجود الانسداد الا بعد ان بلغت سنا تمكنك من ملاحظة ذلك·

والعلاج يكون بعملية جراحية لاعادة فتح المجرى الانفى واعادته لحالته الطبيعية ·

وانصحك بعرض نفسك على طبيب اخصائى لعمل الفحوصات اللازمة للتاكد من التشخيص والقيام بالعلاج اللازم ·

تقرير أمريكي :

هكذا.. تغير عالم الرجال!

هذا التقرير الامريكي يرصد بدقة شديدة المتغيرات التى طرات على عالم الرجال في الربع الاخير من القرن العشرين ،وهى متغيرات تشير بغير تحفظ الى ان العصر الذهبي للرجل في طريقه الى الزوال،وان الاصوات التى تدعو الي تحرير الرجل قد بدات ترتفع بالفعل •

ونحن ننشر التقرير لا لاننا نقر ما فيه ، ولكن لكى «نعرف» بعض ما يجرى حولنا ، ونحتسب للمستقبل اذا اردنا •



كان الرجال على مر العصور والى عهد قريب هم اصحاب النفوذ القوى والسلطة المطلقة فى المنزل والمكتب بوصفهم « الممولين الوحيدين » للاسرة ، الذين يضربون في الارض سعيا وراء لقمة العيش ، في الوقت الذى كانت فيه زوجاتهم يلازمن البيت للاعتناء باطفالهن وتدبير شؤون المنزل • والرجال فى سعيهم وكدحهم هذا كانوا يصابون بامراض عديدة كامراض القلب والقرحة والتسمم الكحولي ومن ثم الموت المبكر ، ولكن سيادة الرجل المطلقة هذه اخذت تتقلص تدريجيا فى اعقاب موجات تحرر المراة التى نشطت في الستينات ، والتى كان من شانها نزوع المراة المستمر لترك الحياة المنزلية والانخراط فى ميادين العمل المختلفة ومجاراة الرجل فى كل شىء تقريبا•

وازاء ذلك ، فان الازواج التقليدين اعتبروا هذه الظاهرة تحديا خطيرا لهم • اما الازواج الاصغر سنا فقد كانت لهم نظرة مختلفة ، اذ اخذوا يتساءلون عن الجدوى من وراء تهافتهم المتزايد على العمل طالما ان زوجاتهم اصبحن ربات عاملات يشاركن في الاعباء المالية المنزلية •

وكانت النتيجة الاولى الفورية لذلك هى ان بعض الازواج اقلع عن الاشتغال ساعات اضافية

« الفكرة التقليدية للرجولة دفنت فى اماكن عديدة ، ولكن لم يتم التوصل الى البديل الذى سيحل مكانها » ـ طبيب نفسى امريكى .



مضحيا بذلك بدخل آخر لا يستهان به . وقرر تكريس وقت اطول للحياة المنزلية ، حتى انهم اخذوا يشاركون زوجاتهم العاملات واجباتهن كالاعتناء بالاطفال والمساهمة فى اعداد وجبات الطعام . ويقول فيليب سولومون رئيس احدى الاكاديميات الامريكية المختصة بشؤون الزواج ان مزيدا من الآباء اخذوا يطالبون بمساواتهم مع الامهات فى ميادين الرعاية والاعتناء بالاطفال ، وبتاكيد ابوتهم خاصة فى حالات الطلاق .

وشكلت سلسلة من حالات الطلاق فى عام ١٩٧٠ تحديا للافتراض القانونى القائل بان الام هى الوصى المناسب والطبيعى على الاطفال . وحتى الان فان خمس عشرة ولاية امريكية اقرت حقوقا متساوية لكلمن الوالدين فىرعاية ابنائه الصغار. وايدت محكمة الاستئناف فى ولاية ميسورى الاميريكية حقوق الآباء فى هذا الصدد وقالت « ان وظائف الرجال والنساء اصبحت اليوم اكثر مرونة، وان الآباء راغبون وقادرون على توفير الرعاية المناسبة لاطفالهم » .

الآباء وحمام الاطفال !

ويقول احد الروائيين الامريكيين « ان الآباء اصبحوا يعبرون عن مشاعرهم وحنانهم الابوى بصورة اقوى من ذى قبل وان حركة تحرر المرأة قد خلقت مناخا بات يسمح للآباء بان يعبروا عن مشاعرهم بصدق واخلاص » .

وذكرت دراسات عديدة ان الآباء اصبحوا الان يشاركون مشاركة فعالة فى تربية الاطفال ، وان العديد منهم يقومون بتحفيض اطفالهم بطريقة سليمة لا تسبب لهم اى الم ، كما يتولون عملية الحمام اليومى للاطفال قبل النوم وتهيئتهم للمدرسة فى الصباح ، وهناك الكتب العديدة التى تتحدث

عن انغماس الرجل في تربية الاطفال . وبعض هذه الكتب تحمل عنوان « الحنان هو القوة » « ومشاعر الاب » .

وتقول الروائية الامريكية آن رويفي انها تعرف الكثير من الازواج الذين يعطون اطفالهم وقتا اطول من زوجاتهم ، وتضيف قائلة ان الاب هو الذي يتحرك على الفور عندما يصرخ الطفل خلال الليل ليرى ماذا يريد . فهو يقوم بمثابة الام في المنزل .

ورغم هذه الظواهر ، فان التطور الجديد لا يزال محل مناقشة .

فتفوق الرجال هو عادة متاصلة فيهم ، والعلماء المتخصصون في علم الانسان يؤكدون بان الشواهد التاريخية دلت على انه لم يظهر مجتمع لم تكن السيادة فيه للرجل ، وعلاوة على ذلك فهم يؤكدون ايضا بان معظم الرجال يعملون على تعزيز سيادتهم . وهم منذ الولادة ينشاون على الاعتقاد بان الرجولة هي جائزة تستحق الظفر بها .

ومجد الادب الممتد من عهد هوميروس الى هيمنغواي بطولات الرجال في ساحات القتال وميادين الرياضة وغيرها وهيمنتهم المنزلية.واظهر الرجال على مر العصور انه الى جانب طابع الخشونة والتكوين الجسماني ، فان باستطاعتهم ان يكونوا رومانسيين شديدي الحساسية وان يذرفوا الدموع بغزارة شانهم في ذلك شان زوجاتهم ، ولكنها الثورة الصناعية التي صنفت الذكور والاناث الى الجنس الخشن والجنس الناعم ، ومركز الرجال « كمموِّلين وحيدين » للاسرة اخذ يتزعزع تدريجيا في السنوات الاخيرة فيما خففت برامج التقاعد والضمان الاجتماعي والقروض الجماعية من العبء الاقتصادي .

وشكلت موجات تحرر المراة في الستينات اول تحد علني لسلطة الرجل واستقطبت هذه الثورة انصارا لها من اولئك الذين يريدون الاختيار ، فكان منهم اولا السود فالشباب ثم النساء اللواتي تمردن على الادوار التي كن يضطلعن بها ، واللتي اعدت لهن عبر عصور التاريخ المختلفة . كما رافق هذه الثورة ظهور حركات وجودية كالهيبيين .

تغيرت قيم الرجال

ولا يزال من الصعوبة بمكان بالنسبة للرجال التحدث عن محنتهم ولكنهم بدأوا يفعلون بعض الشيء ازاءها . فالعمال في المؤسسات والشركات اخذوا الان يرفضون العمل ساعات اضافية وفي نهاية الاسبوع حتى باجر مضاعف بعد ان كانوا يقومون بذلك . وقال احد العاملين في مؤسسة « كاليفورنيا نورث روب » ان قيم العمالة قد تغيرت . واضاف يقول ان الرجل قد يكرس وقته للشركة ولكنه يريد ايضا الاستمتاع بفترة اطول بين افراد اسرته ويمارس نشاطاته المختلفة بعيدا عن عناء العمل .

وجاء في دراسة اخيرة اجرتها احدى المؤسسات الامريكية وتناولت فيها ٧٥٨ شركة ان ٦٦٪ من موظفي هذه الشركات يفضلون البقاء في الاماكن التي تتواجد فيها عائلاتهم وعدم الذهاب الى مناطق بعيدة سعيا وراء الرزق .

وسلطة النقض الجديدة التي تتمتع بها الزوجة يمكن ارجاعها الى حقيقة ان لها وظيفتها الخاصة بها ، ويقول باحث امريكي هو ريتشارد كولمان انه بالرغم من ان دخل الزوج ما زال الى حد كبير هو الذي يحدد المستوى الذي تعيش فيه العائلة ، فان عمل الزوجة من شانه ان يعزز سلطتها في المنزل، ويضيف كولمان انه حتى لو ان دخل الزوجة يساوي فقط نصف دخل زوجها فان علاقة السلطة قد تكون التعادل .

وذكر وارن فاريل الذي شكل حوالي ثلاثمائة مجموعة هدفها « تحرر الرجال » ان الكثير منهم كان يحجم عن كشف النقاب عن مشاعره واحاسيسه بالرغم من الالم الذي كان يعتصر فؤاده من جراء هذا الاحجام ، وقال ان الرجال كانوا يتحدثون في البداية عن العمل والرياضة وغير ذلك ولكنهم اخذوا في النهاية يتحدثون عن انفسهم وعن مشاكلهم الداخلية وعلاقاتهم مع زوجاتهم ، ولقد حاولوا في بادىء الامر القاء اللوم على المراة ولكنهم اخيرا اعترفوا بان لهم ضلعا في هذه المشاكل وطلبوا العون من مجموعاته ، واضاف فاريل قائلا ان المسالة هي في تعلم الرجل كيف يكون ذاتيته المميزة وهي مسالة يعتبرها معظم الرجال بانها صعبة للغاية .

اما الرجال الاصغر سنا فانهم اكثر انفتاحا على الحياة واقل عرضة للهواجس والظنون . وهم يقبلون بالدور الذي تضطلع به المراة الان في

المجتمع وهو امر لم يحكم اباؤهم به من قبل • ويتوقع الكثير منهم ان يشاركتهم زوجاتهم في كسب الرزق ، ولكنهم يشددون في الوقت نفسه على الحياة العائلية اكثر من العمل •

ويقول بروس زافون وهو استاذ جامعي في ولاية الينوى الامريكية « انني آمل ان يكون لحياتنا العائلية اهمية اكبر من عملنا • والسمة الحقيقية المميزة للسبعينات قد تكون ظهور زيجات بين الذكور والاناث الاصغر سنا (٥٠ ـ ٥٠) مرتكزة على تحرر المراة وقواعد المساواة بين الجنسين في المنزل وفي العمل المختلط ، ولا ادل على ذلك من ان جريج وكارين اريتسون ـ وهما في العشرين من العمر انخرطا في العمل سويا بعد التخرج واخذا يتقاسمان اعباء الحياة عقب الزواج ، ويعتقدان بان المرونة في مواقف كل منهما من شانها ان تدفع بالسعادة المنزلية الى حدها الاقصى، وعلاوة على ذلك فقد اقتسما الشؤون المنزلية على اساس ان يقوم كل منهما بالعمل الذى يكون اكثر ملاءمة له من الاخر ، ويقول جريج ان سعادتهما تعود الى الجو الذى كان سائدا في الكلية اثناء الدراسة والى تفكيرهما في العالم الذى يرغبان العيش فيه •

وطلبة الجامعات على دراية بالتغيير الذى طرا على المجتمع بالرغم من تجربتهم القصيرة ، ويقول فيل بينيت وهو طالب في جامعة هارفارد الامريكية ان الطلبة في الجامعة يقيمون علاقات صداقة مع الطالبات وكثيرا ما تقوم الطالبة بدفع قيمة الطعام او تذكرة السينما عن صديقها الطالب الذى لا يجد غضاضة في ذلك كما انه شيء عادى بالنسبة للنساء الاكثر تحررا ان يبادرن الى اقامة علاقات جنسية مع اصدقائهن •

النجاح أو البيت ؟

وفي المدى البعيد فان البناء الاجتماعي نفسه قد يتحول عن طريق تطوير وظائف الذكور والاناث، علما بان هناك تغييرات جوهرية قد حدثت بالفعل بين الجنسين في العمل والمنزل ، ولكن هذه التغييرات سببت بعض الاضطراب خاصة بين الرجال الاكبر سنا والذين ما زالوا يدافعون عن الافتراض التقليدى القائل بتفوق الذكور واولويتهم في المنزلة • وبات كثير منهم يفكرون في ماهية الادوار المطلوبة منهم ، وهم اى الرجال ـ قد يكونون عرضة للانتقاد او الهجوم ولكنهم نادرا ما يهزمون •

ويبدو ان للنساء ضلعا في هذا الاضطراب الذى يعاني منه الرجال ، فقد اظهرت دراسة واسعة النطاق اجرتها مؤسسة مختصة بالابحاث النفسية ان غالبية النساء يردن من ازواجهن ان يكونوا لطفاء وان يراعوا حقوقهن ومشاعرهن ولكنهن يعجبن في الوقت نفسه بشجاعة الرجال المالوفة بما في ذلك نجاحهم في العمل •

وكان الرجال يقدرون انفسهم عن طريق عملهم ولكنهم اصبحوا الان على علم بان النجاح في العمل ليس كافيا وانما يتوجب عليهم ان يكونوا كذلك ازواجا ناجحين •

ومع هذا فان العالم النفساني روبرت سياد ـ الذى يعمل في المعهد الامريكي لعلاقات الاسرة يقول ان المشكلة هي انهم يجدون من المستحيل الجمع بين الاثنين (النجاح في العمل والبيت) •

فالنساء غير المتزوجات في امريكا واوروبا يقمن علاقات عديدة وبعيدة المدى احيانا مع الاخرين•وقد ادى هذا التحدى العدواني الجديد الى ازعاج الكثير من الرجال الذين اخذوا يترددون باعداد متزايدة على عيادات الاطباء والاخصائيين النفسانيين حين يتزوجون من نساء لهن تجارب سابقة • ومعظم الرجال لم ينجحوا كثيرا في معالجة الحاح النساء المتزايد للعمل • فالعديد منهم ما زال يعتبر العمل امتيازا مقصورا على الرجال وان مهنتهم مقدسة وانهم احرار في رسم مسار حياتهم واختيار اصدقائهم • ويتبين من مقابلات اجرتها عالمة الاجتماع ميرا كوماروفسكي ـ مع عدة مجموعات من طلبة الجامعات لتضمينها كتابا لها بعنوان : (معضلة الذكورة) ان حوالى ١٠٪ فقط يمكن اعتبارهم « متحررين » حقيقيين وان مواقف الغالبية كانت تتسم بالتناقض ، يؤيدون فكرة الزوجات العاملات ولكنهم يضعون شرطا يقضى بوجوب عدم تعارض مهنة الزوجة مع زوجها والتدخل في كل صغيرة وكبيرة في المنزل ، وهم في هذا يؤيدون دخول المراة ميدان العمل ولكنهم يعارضون طموحاتها •

من المضطهد أكثر ؟

والازواج اخذوا يتراجعون الى الخلف في مواجهتهم لزوجاتهم « المتحررات » وغاصوا في مشاكل جدية تحتاج الى الحل السريع ، وبدا بعض الرجال كخط دفاع أخير لهم في تصوير انفسهم بانهم الضحايا الحقيقيون في الحرب الدائرة بين الجنسين •

وقال الان فورمان ـ وهو موظف في احدى المؤسسات الاجتماعية ان نقاشا حادا جرى بينه وبين زوجته حول ما اذا كان الرجال يضطهدون النساء ام العكس ، ووصف ريتشارد حداد المدير التنفيذي للمؤسسة الاجتماعية نظرية المساواة بين الجنسين بانها جيدة للنساء ولكنه قال انها لاتحل المشكلة ، ويعتقد بان قيام الاب بدون الام في الاعتناء ورعاية الاطفال سيكون هو الصفة المميزة للاجيال القادمة في ضوء استمرار تحرر المراة ، وان الرجال سيلعبون ادوارا رئيسية في ميدان حضانة الصغار •

وذكر بعض اعضاء حركة تطلق على نفسها « الرجال الاحرار » انشئت في ولاية ميريلاند الامريكية ، وتضم اصحاب حرف مختلفة ان عملية تحرر الرجال ستكون بطيئة لانها تفتقر الى العناصر الاساسية الفورية التي حصلت عليها النساء العاملات ، ولكن آخرين على قناعة تامة بانها ستتحول الى حركة سياسية شاملة في غضون السنوات القليلة القادمة ، ويتفق رد الفعل هذا مع ظهور راى علمي يقول بان الرجال ذوو نزعات عدوانية بيولوجيا وان النساء مهيآت بصورة افضل للقيام برعاية الاطفال •

ويقول عالم الاجتماع ستيفن جولدبيرغ ـ ان هذا الراى يشير الى وجوب تتبع النساء لنزعاتهن النفسية الملحة وعدم اختيار الطرق المنافسة لميادين الرجال • ويحذر بعض علماء النفس من ان النساء في الحقيقة قد يكررن اخطاء الرجال في خضم تعطشهن المتزايد للعمل والاتجاه المهني• ويقول اخصائيون في علم الاجتماع ان حركة تحرر المراة قد جردت الرجال من مسؤوليات كانوا لا يرغبون فيها ، ولكنها ادت الى ظهور جيل خشن دفاعي من النساء اللواتي يعانين من بعض اشياء يحاول الرجال الان التخلص منها ، ويعتقد هؤلاء الاخصائيون ان الحب والعمل هما اهم شيئين في الحياة • ولكن كل فرد الان يحرز نجاحا كبيرا في العمل في حين يمنى الحب بنكسات مستمرة •

في مرحلة انتقال

ويتوقع بعض المراقبين الاجتماعيين في ضوء مقاومة الرجل للاوضاع الجديدة حدوث منافسة تقليدية حول اقتسام السلطة ، ويقولون ان هذه المنافسة ستبرز الى العلن في الوقت الذي تحصل فيه النساء على مزيد من المساواة في العمل في حين يجد الرجال ان دورهم البارز آخذ يتقلص في العمل والمنزل ، ويتكهن الطبيب النفساني كينيث كينيستون بان يعارض الرجال بشدة في النهاية اعادة تحديد ادوار الجنسين ومن لم يستعيدون سلطتهم ومنزلتهم من خلال الوظائف التقليدية • واعرب كينيستون عن القناعه في الوقت نفسه بان عملية اعادة تحديد الادوار ستتم ببطء طالما استمرت النساء في العمل ولكن آخرين اكدوا بان العمل سيظل ، يحتل مرتبة اولية بالنسبة للرجال وان انغماسهم في الشؤون المنزلية سيبقى محدودا •

ويتوقع جون ديموس وهو مؤرخ امريكي حدوث تغير جوهري في مؤسسات العمل نفسها مع تخفيف اصحاب العمل مطالبهم بهدف اعطاء فرصة للرجال والنساء للعيش حياة اكثر توازنا •

وقال ان العصر الذى تخيم فيه السعادة الحقيقية على المجتمع لن يظهر الى حيز الوجود بدون تغييرات تشريعية من شانها ان تجعل اوقات العمل اكثر مرونة •

ومهما تكن خلافاتهم حول التفاصيل فان معظم الخبراء يميلون الى الاتفاق على ان بعض الشيء قد تغير في ادوار ووظائف الرجال والنساء • فالنساء يعشن بوضوح في ثورة والرجال قد يكونون الان في مرحلة انتقال • وحتى الان فان التغييرات التى اصابت الرجال سطحية ، غير ان الاهمية تكمن في الضجة التى اثاروها حول التغييرات التى اصابت المراة ، فان ضجة من هذا القبيل من شانها ان تؤثر على الواقع في النهاية، واذا ما تمرد الرجال كذلك فان ذلك سيكون امرا مفهوما •

ويقول الطبيب النفساني « جاولد » ان الرجال



يواجهون الان ظرفا صعبا للغاية لتحديد ماهية دورهم على وجه الدقة ، فالفكرة التقليدية قد دفنت في اماكن عديدة ولكن لم يتم التوصل بعد الى البديل الذى سيحل مكانها في النهاية » .

والرجال الاصغر سنا لم يحلوا تماما ادوارهم ، فهم احتفظوا ببعض سمات وحوافز الذكورة غامضة مع انها تتعارض مع ادراكهم لبيئة جنسية متغيرة ، وهم يعلمون انهم متخلفون عن آبائهم .

وذكر مسؤول كبير في « جامعة نيويورك » انه عضو في الجيل الاول الذى سيشق طريقه الى الامام في ظل النظرية القائلة بالمساواة بين الجنسين وانهم سيكونون اول من يعمل على نشر هذه النظرية بصورة اعم واشمل وقال « ان كل فرد يطمح لان يكون رجلا نموذجيا » .

تلك هي عقيدة بسيطة كافية ومن الموثوق به انها حدثت لاجيال سابقة من الرجال ، ولكنها ستكون منطلقا لعصر ثوري للرجال القادرين على التعبير عنها والتفكير للعيش بها مع عدم المجازفة برجولتهم في هذه العملية . ■■

(مترجم عن مجلة نيوزويك الامريكية)

مدارس فنية

بريشة بهجت






التدخين مسئولية
كل مدخ





أيهما أفضل للنضال

الحرب والسلام

دراسة نفسية

بقلم : محمود محمود

■ لقد ألفنا أن نتحدث عن الحرب باعتبارها من اعظم الشرور التى تتعرض لها البشرية • وسيطرت هذه الفكرة على نفوسنا حتى طمست كل رأى مخالف • فالمقاتلون ، وبعض رجال السياسة والحكم ، ورجال الفكر والفلاسفة يمجدون الحرب ويرون فيها من الفضائل ما يعين الانسان على تطوره وتقدمه • وليس معنى ذلك ان الحرب خير محض ، وانما معناه انها على الرغم من كل مساوئها لا تخلو من بعض الفائدة للانسان • وسوف نركز فى هذا المقال على هذه الناحية لقلة ما قيل فيها وكثرة ما تردد عن نقيضها • وسوف نتجه الى علم النفس الحديث نستوحيه وننقل خاصة ما رواه العالم فلوجل فى كتابه « الانسان والاخلاق والمجتمع » • ولقد دأب الانسان منذ فجر التاريخ على شن الحروب لاغراض مختلفة ، ولم تنهنا عنها الاديان السماوية ما دامت تحقق هدفا من الاهداف الانسانية السامية • قال الله تعالى فى كتابه الكريم « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » •

ولن نبحث هنا فى موضوع القتال من ناحيته الدينية ، ولكنا سوف نبسط بعض الاراء التى تتعلق به من الناحية النفسية ، وتنحصر مزايا الحروب ـ من الوجهة النفسية ـ فى اربعة مجالات رئيسية : المغامرة ، وتقوية التماسك الاجتماعى ، والتحرر من بعض الهموم الفردية ، وتوفير فرص للتعبير عن نزعة العدوان الكائنة فى نفس الانسان ، وسوف نعرض لهذه الجوانب بشىء من التفصيل فيما يلى :

ضد الطبيعة أم ضد الإنسان

المغامرة

وهي تتمثل في نواح مختلفة نستطيع ان نفصل احداها عن الاخرى وان تداخل بعضها في بعض نظرا لتعقيد نفسية الانسان ·

فالحرب ـ وبخاصة الحرب الشاملة الحديثة ـ تفتح للمرء امكانيات جديدة وفرصا مجهولة · انها تغير مجرى الحياة لكل انسان ـ مقاتل وغير مقاتل ـ وان كانت في حياة المقاتلين اكثر عمقا واشد اثرا · وكلنا يعلم ان الحضارة تستدعي حياة رتيبة متكررة يمقتها اكثر الناس ويحاول ان يفر الى حياة اخرى · وليس أدل على حب الناس لحياة المغامرة وحياة القلق والترقب من الشغف بقراءة القصص المثيرة وروايات المغامرات· ونحن في اعماق نفوسنا لا نحب حياة الدعة والاطمئنان ونتزع الى الكشف عن المجهول ، ولعل هذه النزعة هي التي تدفعنا الى تشجيع حركة الكشافة وحث الشباب على الانضمام اليها · ان حياة المرء العادية في حقله او مصنعه او مكتبه قاتلة لهذه الرغبة في كشف المجهول والاشتراك في الحوادث المثيرة ، حتى ان كانت تخريبية او هدامة ·

وليس يخاف عنا ان الحياة الروتينية اليومية تتحول الى مجموعة من العادات لا تحفز المرء الى نشاط بدني جديد او حركة فكرية خلاقة · في حين اننا نحس اثناء اشتعال الحروب اننا نستطيع ان نؤدي عملا بطوليا نبيلا شبيها بما قام به ابطال التاريخ او القصص الرومانسية الخيالية ، عملا يدعو الى المخاطرة والتعرض للاخطار ويرتاح اليه اصحاب الفكر الجريء والعقل المبدع الخلاق · فالمخاطرة شرط من شروط التقدم ، والخطر في الحياة اشبه بالتوابل في الطعام ، يشحذ الهمم كما تشحذ التوابل الشهية · وليس من شك في ان الشعور بالخوف بدرجة محدودة فيه الكثير من متعة النفس ، لانه شعور ـ كما يقول علماء تحليل النفس ـ مرتبط بالغريزة الجنسية بشكل ما · ونحن في حياتنا الآمنة العادية لا نجد مجالا لهذا الاحساس الخفيف بالخوف الا في الالعاب الرياضية او في القصص المثيرة · اما ابان الحروب فان هذا الشعور يتفاقم،وبخاصة بعد استخدام الاسلحة الحديثة المتطورة في القتال التي تهدد حياة المحاربين والمدنيين على حد سواء·

« ما اشد المتعة التي يستمدها المرء من الاجهاد البدني الذي يصيبه والمتاعب التي يلاقيها · وما يدعو الى العجب حقا ان الرحلة كلما كانت شاقة كانت في ذكرياتها أحلى · ان قوى الطبيعة الجبارة تشحذ قوانا الشخصية وتزيدنا شعورا بالمسئولية ·وقل من الناس من تتاح لهم فرصة اختبار قدراتهم على تحمل المصاعب الى اقصى الحدود، ·وقل منهم من يمارس الشعور بالخوف الذي يدق القلوب ، اويواجه موقفا عليه ان يصدر فيه قرارا يضع حياته او مماته في الميزان · لعل ذلك هو ما يدفع الناس الى ان يهرعوا الى صفوف القتال : انهم يسارعون الى الحروب ليختبروا رجولتهم التي أوهنت من قوتها الحضارة الحديثة· ولقد اتخذ الناس من الالعاب العنيفة وتسلق الجبال والانزلاق على الثلوج والتسابق الجنوني بالسيارات بدائل عن هذه التجارب الطبيعية بعد ان أوشكت ان تختفي ، كما اقبلوا على المخدرات ليخففوا عن انفسهم بتناولها السام الذي يحسونه من يسر الحياة ونعومتها »

ومن العوامل التي تجتذب الناس الى المشاركة في الحروب ما كشف عنه التحليل النفساني اخيرا من ان الانسان لا يستمتع بحياته فعلا ولا يستغل كل ما وهبه الله من قدرات الا اذا اتجه نحو اهداف تكتنف طريقها الاشواك · ومن هذا القبيل ما يستشعره المرء من لذة عندما يضحي بذاته او يتزهد في حياته فيجد في البذل

والحرمان متعة ـ هي متعة الالم ! ذلك ان الغايات النبيلة تحيط الوسائل الشاقة بالورود. وقد يغالى المرء في هذا الاتجاه فيجعل من الالام غاية في حد ذاتها • فتسمع من يقول « ان المدافع خير من الزبد » • ومن المربين من يرى ان الرياضة البدنية التي يتعرض فيها الطالب للاذى افضل من الالعاب الخفيفة ، فكرة القدم والصيد فى الغابات خير من لعب النرد او حتى التنس •

والحرب تعطى المحارب متعة تعرضه للخطر او تعرض خصمه للعقوبة والآلام •

التماسك الاجتماعي

ومن مزايا الحروب انها تعمل على مزيد من التماسك الاجتماعي بين افراد الشعب الواحد ، وذلك بما تثيره في نفوسهم من فكر واحد وعواطف متقاربة واهداف ومصالح مشتركة • فكلهم ما عدا قلة من المنشقين يبتغى النصر ، او ـ على الاقل ـ الدفاع عن الوطن • وهذا الشعور بالمصلحة المشتركة والهدف المشترك يخلق نوعا من التقارب الاجتماعي لا يمكن تحقيقه وقت السلم حينما لا يكون هناك خطر يهدد الجميع ، او غرض يستوعب كل النفوس فينصرف كل فرد الى اهتماماته الفردية الخاصة التي كثيرا ما تتعارض مع اهتمامات غيره وتحجب عن الابصار المصالح المشتركة بين الناس • وليس ادعى الى تماسك الجماعة من وجود غرض واحد مشترك ، ولما كانت الحرب نشاطا يسهم فيه افراد الامة جميعا فانهم اشد ما يكونون تلاحما ابان القتال • بل ان معنى الامة ذاته لا يتضح في الاذهان الا حينما تنشب المعارك مع الخصوم • عندئذ يستعيد الشعب تاريخه وامجاده ويتمسك بتقاليده وثقافته ، باعتبارها امورا تسمو على مصالح الافراد الزائلة • عندئذ يكون لتراب الوطن ، ولغة القوم ، والاداب الموروثة والنظم القائمة •والاثار الباقية ـ يكون لكل ذلك قيمته ، لانه يرمز لكيان الامة المتصل ، ويتغنى الناس ببطولات اسلافهم • ان الخطر لا يتهدد الاحياء وحدهم ولكنه يتهدد كل عزيز لدينا ورثناه عن ماضينا ونحب انتورثه أبناءنا من بعدنا •

وفي مثل هذه الظروف تتلاشى الحزبية وتختفي اسباب الخلاف مؤقتا بين مختلف الجماعات الصغيرة ، ويسمو الوطن فوق الجميع • وتجند كل كفاءة نفسها لتحقيق النصر المطلوب • ويحل التعاون محل التنافس ، وعمل الفريق محل العمل الفردي •

ويعزز ذلك ما يحسه المرء من « انه مطلوب » وهو احساس يشتد الشعور به عندما يندلع لهيب الحرب ، ويريد كل فرد ان يؤدي لبلاده واجباعليه. ولا تسمع احدا يشكو البطالة • لان حالة الحرب توفر عملا للجميع •

وهناك بالاضافة الى ذلك كله عامل نفسي يحبب القتال الى النفوس • وهو زوال التوتر المستمر بين « الأنا » و « الأنا العليا » او بين الذات والضمير • ذلك ان المشاركة في عمل واحد جماعي ، وفي جهد عنيف مشترك ، والاندماج التام فى الجماعة ،واستبدال التعاونبالتنافس ، واحساس الفرد بانه فعلا مطلوب ـ كل ذلك يولد فى النفس شعورا بالرضا واعتزازا بالكرامةالانسانية يخضع الانسان فيه انانيته لحكم الضمير فيقبل العطاء في سخاء والتضحية بالنفس والنفيس• ولعل هذا هو اهم ما يجذبنا اخلاقيا نحو الحرب، وما يجعل القتال ـ برغم ما فيه من اسباب الرعب والقوة والهمجية ـ امرا نبيلا تتسامى بهالنفوس، ويتضاءل الى جانبه ما يقوم به الناس من مختلف ضروب النشاط في ايام السلام •

التحرير من الهموم الفردية :

ان الانسان اذا نظر الى همومه الخاصة من نظر « الأنا العليا » ، لا يسعه الا ان يحكم عليها بالتفاهة اذا هي قيست الى الاحداث الاجتماعية الكبرى • ومن ثم فان حربا شاملة كبرى تفوق ماساتها ماسينا الخاصة التي تصبح عندئذ قليلة الاهمية ، كما انناالانجد لدينا من الوقت ومنالجهد

ما تنفقه في الحفاوة بها ، وذلك على الرغم من المخاطر الكبرى التي تهددنا بها الحروب •

ومما يساعد على الاستهانة بامورنا الخاصة توافر فرص العمل اثناء الحروب بما تتوارى معه مشكلاتنا الاقتصادية •

كما ان اشتغال الناس جميعا في مكافحة خطر واحد مشترك يزيل – الى حد كبير – ما بينهم من فوارق اجتماعية – ويسوى بين مستوياتهم • حتى ان كان اصحاب المزايا الزائلة يندبون ما فقدوه من قيمة اجتماعية •

اضف الى ذلك ان الرقيب الاخلاقي في نفس كل انسان يخفف كثيرا من رقابته بما يسمح للمرء ان يستمتع بما كان يشتهي دون ان يتيقظ ضميره لتانيبه •

التعبير عن غريزة العدوان :

ان الاشتراك في حرب وطنية دفاعا عن البلاد يوجد للمقاتل مخرجا للتنفيس عن رغبة العدوان الكامنة في نفسه دون ان يكون في ذلك مخالفا لقواعد الاخلاق او للقانون • ولا بأس من ان يقوم المحارب بالقتل والتخريب ما دام ذلك في وجه الخصوم ، وعندئذ تنقلب الجرائم الى فضائل ترضى النفوس وتحظى بالاعجاب ، ويجد المرء ما يبرر سلوكه الذى لا يتفق مع سلامة المجتمع ، وتهيىء له الحرب مجالا لان يرى في العدوان عملا اخلاقيا • دع عنك ما تتطلبه الحرب الوطنية من اختفاء الخلاف بين مختلف المجموعات في المجتمع الواحد وتعاون افراد الشعب جميعا في شن العدوان على الخصوم • فيحل الشعور بالمحبة – بين افراد الشعب الواحد – محل البغضاء والشحناء ، ويمسى العدو وحده كبش الفداء نصمه بكل ما لدينا من رذائل •

كيف نهيىء النفوس للسلام ؟

اذا كانت للحرب كل هذه الجاذبية النفسية التي بسطناها فيما سبق من قول ، وهي في حقيقتها مدعاة للفتك والدمار ، فكيف السبيل الى مقاومة اغرائها ؟ ان حكماءنا لم يقصروا في نشر الدعوة لايثار حالة السلام ، ولقد نهجوا في ذلك منهجين ، احدهما اخلاقي والاخر سياسي• اما المنهج الاول فيسعى الى تغيير النفوس وذلك بتصوير بشاعة الحرب على حقيقتها وبيان منافاتها للمعايير الخلقية التي تواضع عليها الناس في جميع المجالات • واما المنهج الثاني فيسعى الى خلق اداة سياسية بوسعها ان تفض اسباب النزاع الدولي بغير سلاح • ونحن نؤيد السير على المنهجين معا ، ونقترح الى جوارهما منهجا ثالثا هو السعى الى ايجاد بديل نفسى يحل محل الحرب التي تشفى لدى الانسان العادى غلة العدوان والتحطيم •

واود هنا ان اورد كلمة عن كل منهج من هذه المناهج :

لقد اثبت المنهج الاول – الاخلاقي – فشله في كثير من الاحيان ، ذلك لان الاخلاق التي نقول عنها ان الحرب لا تسايرها انما هي في حقيقتها اخلاق الفرد وليست اخلاق الجماعة • والفرد – في الواقع – حينما يندمج في الجماعة يفقد احترامه لهذه القيم الفردية • ومعنى ذلك اننا بهذا المنهج نهدف الى نقل الاخلاق الفردية الى الدولة • ولا يخفى ما في ذلك من صعوبة تكاد ان تبلغ حد الاستحالة • اننا نربى الفرد على ان يفضل الايثار على الاثرة ، والمجتمع على الفرد • والدولة على الانانية الذاتية ، فهل من اليسير ان تؤمن الدولة بهذه المبادىء في علاقتها بالدول الاخرى ؛ هل من الممكن ان يكون للدولة ضمير !

خذ مشكلة السكان مثلا نوضح به ما نريد • هناك من الدول ما يتزايد عدد سكانها بنسبة تفوق بها مساحة الدولة • ولا تعالج هذه المشكلة الا باحدى طريقتين او بالطريقتين معا : تنظيم الاسرة والهجرة الى البلاد قليلة السكان نسبيا ، وتنظيم الاسرة امر محلى هو من شان الدولة التي يتكاثر سكانها ، اما الهجرة فتقتضى

التراضي بين دولة المهاجرين والدول التي تستوعب هؤلاء المهاجرين ، فاذا استعصى التراضي كانت الحرب امرا لا مندوحة عنه ـ والدول في هذه الحالة في حاجة الى التعقل ، بحيث يتدفق السكان من المناطق المكتظة بهم الى المناطق التي يتخلخلون فيها بيسر وبغير قيود ، ولكن تحقيق ذلك يتطلب ان تكون للدول عقول تفكر بها ، والعقول ان توافرت لا يمكن تصورها في شخصيات معنوية مثل الحكومات • ولو خفت حدة النعرة القومية ، ولو تصورنا ان دولة الخصم مؤلفة من افراد ابرياء لهم ما لنا من حقوق في الحياة لاحجمنا عن اعلان الحروب والاخذ بها وسيلة لحل مشكلاتنا المحلية • ولو اننا احتفظنا بضمائرنا الفردية ولم نسلمها للدولة لجاز ان نضع حدا لاشعال نار القتال بين الامم • وذلك مطلب لا اقول يسيرا ، ولكنه السبيل الوحيد الى نجاح المنهج الاخلاقي في علاج ظاهرة الحروب بين الامم •

اما المنهج الثاني ـ المنهج السياسي ـ في مكافحة ظاهرة الحروب ، وهو انشاء اداة دولية لفض النزاع بين الامم وترشيد الدول في علاقة بعضها ببعض ، ذلك المنهج تمثل في انشاء هيئة دولية لهذا الغرض ، ولكنه لم يفلح في كثير من المواقف ، ولعل هذا الفشل يرجع الى ان هذه الهيئة لم تكن من ورائها قوة تساندها وتنفذ قراراتها ، كما ان الدول لم تتحمس لها او تضع ثقتها فيها ، لان الشعور بالقومية كان ولا يزال اقوى من الشعور بالعالمية ، ولا يكون ولاؤنا لهيئة الامم الا على حساب ولائنا لقومياتنا وهو الولاء الذي صنعه تاريخ نضال طويل ليس من اليسير على ضمائرنا ان تتجاهله او تغض الطرف عنه • ان لكل دولة علمها ، ونشيدها الوطني ، ورموزها الخاصة وآثارها التي تحتل من قلوبنا مكانة لا يمكن ان نستبدل بها غيرها وهل يمكن ـ مثلا ـ ان يكون لمبنى هيئة الامم في نفوسنا من الاثر ما لاهرام الجيزة او اي مسجد من المساجد الاثرية ؟ ولا تزال الدولة هي بلد الاباء والاجداد الذين ننتمي اليهم ولا يمكن ان ننزع من قلوبنا شعور التقدير لهم • لا تزال الدولة كاسرة تحمينا ونحميها، تذود عنا ونذود عنها، ولا يمكن للحكومة العالمية ان تبعث فينا مثل هذه المشاعر •

واقصى ما نستطيع ان ننشىء ابناءنا عليه هو ان نعلمهم ان الولاء طبقات وقد يتعدد ، فهناك الولاء للاسرة ، وللمدرسة ، وللمدينة والمحافظة والامة والقومية التي تشمل اكثر من شعب واحد كالقومية العربية • الى اخر ذلك • وليس هناك ما يدعونا الى ان نقف بهذه السلسلة عند حد القومية ولا نضيف اليها حلقة جديدة تمثل الولاء لحكومة عالمية ، ويصبح الامر اشبه بالكليات التي تضمها جامعة واحدة • ويمكن ان نخلق هذا الشعور بان يكون لهيئة الامم علم دولي ونشيد دولي لهما بعض ما لعلم البلاد ونشيد البلاد من تقدير وتقديس • ويمكن كذلك ان نقوي الشعور بالعالمية بدراسة احوال الامم الاخرى بغير تحيز الى جانب دراستنا لاقاليمنا التي ننتمي اليها • ولقد نجحت بالفعل اتحادات ان لم تكن عالمية فهي تشتمل على ولايات عدة ، اتحدت ووحدت مصالحها وبقيت مستقلة في شئونها المحلية اتحادية في شئونها القومية، مثل الاتحاد السوفيتي ، والولايات المتحدة، والكومنولث ، وجامعة الدول العربية •

ولكي نحد من الشعور القوي بالتعصب الوطني يجب ان يكون اعتزازنا بما خلف اباؤنا من ادب وعلم وفن وخدمات انسانية اشد من اعتزازنا بالامجاد العسكرية • كما يجب ان يشرع العالم اجمع فورا في التعاون من اجل البناء ، وفي العمل المشترك البناء تتقارب العقول ويتم تبادل التفاهم بين مختلف الثقافات •• بذلك يمكن ان يحقق المنهج السياسي بعض النجاح في مكافحة النزعة القتالية عند الشعوب •

البديل المعنوي

وننتقل الآن الى المنهج الثالث ـ المنهج النفسي ـ الذي نقترحه ، ويتمثل في السعي الى ايجاد بديل نفسي يحل محل الحرب التي لا تزال لها جاذبيتها واغراؤها لما تهيئه من وسائل لاشباع رغبات طبيعية عند الانسان • وليس ذلك بالامر الهين اليسير ،

لان الحرب بمخاطرها ومغامراتها ، وبما تتطلبه من بطولات وتضحيات وتوحيد للصفوف وممارسة للعدوان ـ ليس لها في ذلك ما يضاهيها ·

ويبدو لاول وهلة ان « البديل المعنوى » لمغريات الحروب يمكن ان يلتمس في مجال توفير فرص العمل ومجال شعور الفرد بانه مطلوب · وليس من شك في ان الدولة بوسعها ان تفعل ذلك اذا هي احسنت تخطيطها الاقتصادى ، واخذت بتنظيم اقتصادى ·· يتوازن فيه الانتاج مع الاستهلاك ، ويشغل جميع الايدى في سد حاجات المواطنين ، ولجات الى التوجيه المهنى ترشد به كل عامل الى ما يناسب استعداده ومؤهلاته فيقوم بالعمل الذى اعد له ويجد في ذلك راحة نفسية ، ويشعر انه يعمل لمصلحته كما يعمل لمصلحة الوطن وليس من اجل صاحب العمل ، كما يجد في العمل كرامته ولايحس فيه غضاضة او ذلة وخضوعا ، وهنا يكون التعاون مصدرا للمتعة يحلمحل تعاون الافراد اثناء القتال·

ان العمل الذى يحس فيه العامل بانه يستغل جميع قدراته لرفع مستواه المعيشى ، والذى يشبع رغباته المادية والروحية ، ويزيد من علمه وخبرته وما يترتب عليهما من قدرات ، والذى يشعره بانه يعيد تشكيل العالم لكى يصبح عالما افضل لبنى الانسان ـ اى العمل الذى يؤدى الى التقدم ـ مثل هذا العمل يكون محببا الى النفس ولا يدفع صاحبه الى ان يتخلى عنه لكى يشغل نفسه بالتخريب والتحطيم والاعتداء الذى يتمثل في حرب الانسان على اخيه الانسان ·

ويمكن ان يتصور العامل ان عمله في سبيل تقدم البشرية هو « معركة » ضد الطبيعة ، وعدوان عليها بمعنى نبيل ، وهو معركة يناضل فيها العامل طوال حياته ،لان مشكلات العلم والفن والتكنولوجيا والفلسفة لا تنتهى · وفي الكون ما يكفى لتحدى ما عند الانسان من حب للمغامرة ، وما يملك من مهارات او قدرات · انها معركة يشنها الانسان في جبهات متعددة :رجل السياسة فيتنظيم المجتمع، ورجل الاجتماع في محاولة فهم قوانين التطور والتنمية ، والطبيب في مكافحة الامراض ،والباحث وهو ينقب عن اسرار الطبيعة في معمله ، والتقنى والمهندس والفلاح عندما يطبق هذه المعارف في مجاله الخاص لكى يرغم الطبيعة على ان توفى حاجاتنا ، وكذلك عامل المصنع الذى يقدم لهؤلاء ادوات العمل ، والفنان الذى يروى تعطشنا للخبرة الفنية ، وعالم النفس الذى يحاول ان يقتحم لغز الروح البشرى ، وغير هؤلاء من المختصين في فروع المعرفة المختلفة ، مما لا يمكن ان توفره لنا منظماتنا العسكرية ·

ولرب معترض يقول : أو لم يفعل الانسان ذلك منذ بداية الحضارة ؟ نعم انه يفعل ذلك ، ولكن في غير اطار من المثل العليا او بمعنى اخر بغير ايمان صحيح بالدين ، الذى يحثنا على فعل الخير والكف عن الشر وفعل السوء · نعم انه يفعل ذلك ولكن بغير تضامن او تعاون ، وبنفوس حاقدة · ولذلك فان ما احرز الانسان من تقدم هو في اغلب الاحيان من فعل الافراد في هذا المجال او ذاك ، اما لمصلحة انفسهم واما بحافز من حب المعرفة الشخصى · وما اكثر ما تعرض هؤلاء لاضطهاد المجتمع · وكثيرا ماكان العلماء والمفكرون والمثقفون محل سخط الحكام واولي الامر في البلاد · وعلى الرغم مما بشرت به الاديان السماوية من تمجيد العلم والعلماء فان كثيرا من اصحاب النفوذ كانوا دائما على خشية من تقدم العلم وجهد العلماء · ولم يكن هناك مجال لاشباع روح المغامرة الا في القتال ، ولم يكن هناك تاخالا في حمل السلاح ، يحمله المرء في وجه اخيه ولا يرفعه في وجه الطبيعة الغامضة في محاولة الكشف عن اسرارها ·

ان النضال مع قوى الطبيعة اروع واسمى من النضال مع الانسان · واننا لم نياس بعد من ان يوجه الانسان ما لديه من شجاعة ومغامرة نحو سلام البشرية بدلا من تناحر افرادها ·

ونختم هذا المقال بعبارة لمفكرة معاصرة هى سوزان ستبنج اذ تقول « ان الاعمال الرائعة التى انجزها الانسان فيما مضى تدعونا الى حسن الظن بمستقبله ولا تجعل لليأس سبيلا الى قلوبنا » ·

■■

القاهرة ـ محمود محمود



رؤيــة جديــدة لحكم.. "الأستاذ" كافـ

بقلم : سمير شما

■ كافـور الاخشيـدى ، من أهم الرجال الذين اعتمد عليهم محمد بن طغج المعروف بالاخشيد عند تاسيس دولته وهو الذى ربى ولدى الاخشيد وكان حاكم مصر وفلسطين الفعلي منذ عام ٣٣٤هـ (٩٤٦م) الى عام ٣٥٥هـ (٩٦٦م) وحـاكم اليمن والحجـاز الاسمي في تلك الفترة وحتى تاريخ وفاته عام ٣٥٧ ، والحـاكم الرسمي لتلك الاقطـار منذ عام ٣٥٥ الى ان توفى • وقد كان يدعى له على منابر تلك الاقطار بعد الدعاء للخليفـة – كافـور هذا كان عبدا نوبيـا اشتراه الاخشيد ولكنه توسم به النجابة فرباه ثم أعتقه فارتقى فى حاشية الاخشـيد حتى أصبح موضع الثقة عنده وكلفه الاخشـيد بتربيـة ولديه فاشرف على اولاهما أونوجور عندما حكم ، وشارك الابن الثانى عليا بالحكم رسميا ، ثم استولى على الحكم بنفسه بعدهما الى أن مات •

لقد ولى محمد بن طغج الاخشيد مصر بتقليد من الخليفة العباسى القاهر عام ٣٢١هـ ودخل الاخشيد بجيشه فى الفسطاط بمصر عام ٣٢٣هـ (٩٣٥م) وامتد سلطانه الى الحجاز واليمن وخطب له هناك • وتذكر المصادر ان الخليفة المتقى عقد للاخشيد على مصر والشام والحرمين • وكذلك اشار الاخشيد الى انه حاكم الحجاز واليمن فى كتابه الى امبراطور الدولة البيزنطية عام ٣٢٥هـ• انما بالواقع كان تقليد الاخشيد الحجاز (اى مكة والمدينة) واليمن ، امرا صوريا ورمزيا لان حكمها وتصريف امورها فى تلك الاوقات كانا فى ايدى اسرات محلية ، كان امراؤها يخضعون خضوعـا اسميا للخلفاء العباسيين او لمن يقلدهم اولئك الخلفاء حكم تلك البلاد •



بسم الله ضرب هذا الدينار بمكة سنة ٣٩٥هـ وكتب على الوجه « لااله الا الله محمد رسول الله المطيع » الوزن ٢٫٨٠ غرام والقطر ٢٥ ملم ·

اما الظهر فقد كتب عليه عبارة بسن محمد الثائر ــ آل بوسعيد ــ جعفر ــ بالله ــ د ·

أما الطوق فكتب عليه عبارة جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وتنزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ·

ور!

كتاب من الخليفة

وتوفي الاخشيد بدمشق في ذي الحجة عام ٣٣٤هـ (٩٤٦م) · وكان قد رتب ان يدير أمور ولده ـ ابي القاسم اونوجور ـ من بعده غلامه كافور وتولى اونوجور بعد أبيه الاخشيد ولكن الحاكم الحقيقي



دينار كافور عام ٣٥٧ هـ من ضرب مكة كتب على الوجه « لااله الا الله محمد رسول الله المطيع لله ـ ص ح الوزن ٢٫٧٥ غم والقطر ٢٦ ملم ·

اما الظهر فقد كتب عليه عبارة امر به الاستاذ كافور الاخشيدي الامير ·

والطوق كتب عليه جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وتنزل من القرآن ما هو شفاء ·

للبلاد كان كافورا · وتوفي اونوجور عام ٣٤٩هـ (٩٦٠م) فنودي باخيه علي اميرا · وتوفي علي في المحرم عام ٣٥٥هـ فقام كافور بادارة أمور مصر والشام وحده الى ان اعلن كافور ورود كتاب من الخليفة المطيع بتقليده مصر ، فدعي له على المنابر في مصر والشام واليمن والحجاز ، فالى جانب كون كافور الحاكم الفعلي ـ امسى بعد ذلك الحاكم الشرعي ايضا لتلك الاقطار · وكان الاعتقاد الى وقت قريب انه لم يضف الى اسمه في تلك الفترة لقب « الامير » بل اكتفى بلقب « الاستاذ » وان ذلك كان حتى لا يصدم اهل الراي في البلد باغتصابه الالقاب من عائلة الاخشيد الى جانب اغتصابه السلطان ···

وذكر الاستاذ لين بول Lane-pool **(١) ان كافورا لم يسجل اسمه على السكة وانه لا توجد سكة تحمل اسم كافور ، وسلم بهذا الراي كثير من المؤرخين الحديثين (٢) ولكن ظهر فلس نحاسي بمجموعة متحف الفن الاسلامي يرجع الى عهد علي ابن الاخشيد يحمل على احد وجهيه اسم علي بن الاخشيد هكذا (الامير ابو الحسن علي بن الاخشيد) وعلى الوجه الاخر اسم كافور بالنص التالي (الاستاذ كافور الامير ابو محمد) وهذا يدل**

على ان كافورا كان شريكا رسميا بالحكم مع علي ابن الاخشيد ، بالاضافة الى كونه الحاكم الفعلي. وقد نشر هذا الفلس عام ١٩٦٥ الاستاذ الدكتور عبد الرحمن فهمي محمد في كتابه : « فجر السكة العربية » برقم ٣٠٤٥ وعلق عليه .

واما بعد وفاة علي بن الاخشيد وحتى وفاة كافور اي من المحرم ٣٥٥ الى جمادى الاولى ٣٥٧ فقد اشبع كافور رغبته بان اصبح الحاكم الرسمي الشرعي الوحيد لكل من مصر وفلسطين والحجاز واليمن ، ودعي له على منابرها ايام الجمع والاعياد الى جانب الدعاء للخليفة العباسي ، والواقع انه لو لم يحكم كافور مصر وفلسطين في تلك المدة بل لو حكم احمد بن علي وكانت سنه اذ ذاك ٩ سنوات لكان اكتساح الفاطميين مصر وفلسطين فورا اي قبل ان يقوموا بذلك بثلاث سنوات . وقد اصبح لكافور حق ضرب السكة في هذه الفترة فظهر اسم كافور على سكة مضروبة عام ٣٥٧ اي قبيل وفاته بقليل . وهذه السكة التي عثر عليها حديثا هي دينار فريد من ضرب مكة عام ٣٥٧ (الصورة رقم ١) ، هذا نص ما جاء عليه من مأثورات :

الوجه

الوسط : لا اله الا الله
محمد رسول الله
المطيع لله
صرح

الطوق : بسم الله ضرب هذا الدينار بمكة سنة سبع وخمسين وثلثما (كذا)
الوزن : ٧٥ ، ٢ غم
القطر : ٢٦ ملم

الظهر

الوسط : امر به الاستا
ذ كافور
الاخشيدي
الامير

الطوق : جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء

وهذا الدينار مستند تاريخي عظيم القيمة اذ هو اول دليل على ان كافورا ضرب بالفعل نقدا عليه اسمه وحده ، وهو بخلاف الرأي الذي ظل سائدا الى وقت قريب (٢) . والنقد يدلنا على ان الرجل بقي يستعمل لقبه (الاستاذ) لا على اساس انه تحاشى ان يصدم اهل الرأي في البلد باغتصابه لقب « الامير » من عائلة الاخشيد الى جانب اغتصابه السلطان كما ذكر بعض المؤرخين ، بل في الغالب على اساس ان لقب « استاذ » لقب عرف به ثم انه بذلك يذكر بما كان له من منة بانه هو الذي ربى ولدي الاخشيد وتعهدهما عندما حكما بعد وفاة والدهما . وذكر كافور الناس بانه اصبح بحق شرعي اميرا فذكر ايضا كلمة (الامير) تحت اسمه على الدينار ولم ينس ان ينسب نفسه الى العائلة الحاكمة الاخشيدية فاضاف الى اسمه كلمة (الاخشيدي) .

ليعلم كل الحجاج

ورغب كافور ان يطلع المسلمون عامة على انه حاكم مصر وفلسطين والحرمين واليمن، فامر بضرب هذا النقد في (مكة) المكرمة ليطلع جميع الحجاج الى مكة على مركزه ، وذلك الى جانب الدعاء له على المنابر بالحرمين وبمصر واعمالها والشامات والثغور . ومات قرير العين بعد ذلك بان نال ما اراد من السلطة الرسمية الشرعية الى جانب السلطة الفعلية . وكانت امارته على مصر اثنتين وعشرين سنة منها عشرون سنة مدبر مملكة مصر بزمن حكم ولدي استاذه الاخشيد وهما انوجور وعلي ، ومنها استقلالا كاملا بالملك سنتان واربعة اشهر (٣) . واثر موته حمل تابوته الى القدس فدفن فيها (٤) ، كما دفن في فلسطين معظم الامراء الاخشيديين .

وليس غريبا ان يضرب كافور ديناره هذا في مكة اذ المعروف انه كان يرسل كل عام المال والطعام والثياب مع ركب الحجاج ليوزع في الحجاز على اولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان يجل اهل البيت ويكرم العلويين اعظم الاكرام(٥) .

والكتابة على الدينار موضوع تشبه الكتابة على دينار جعفر بن احمد ابي سعيد القرمطي (الصورة رقم ٢) الذي رفض سلطة الفاطميين بالحجاز عام ٣٥٩ اي بعد سنتين من صدور هذا الدينار وضرب بمكة نقدا ، فاضطر القاطميون للرضوخ اليهم في سنة ٣٦٥ . وقطرا الدينارين متساويان ووزناهما متساويان تقريبا (٦) كما ان مأثورة الوسط في كلا

الوجه والظهر محصورة بدائرتين وحول الطوق دائرة واحدة (انما الكتابة على الدينار الاخشيدى اوضح) وراس الالف واللام وسواهما من الاحرف ذو شعبتين على الدينارين الا ان حرفى (اللام الف) تختلف قاعداتهما وهذا معقول ان يحصل من كاتب واحد • والكتابة على دينار كافور هذا تختلف عن الكتابة على السكة الاخشيدية التى كانت تضرب في مصر وفى فلسطين (الرملة) •

وهذا يدل على ان دينار كافور المشار اليه ضرب بالفعل في الجزيرة العربية ويبدو ان مصمم هذا الدينار ومصمم الدنانير اليمنية في ذلك التاريخ هو شخص واحد (٧) ويكون الدينار قد ضرب في خمسة الاشهر الاولى من عام ٣٥٧ لان كافورا توفى فى ٢٠ جمادى الاولى ٣٥٧ •

ولكن يظل هنالك سؤال تصعب الاجابة عليه في الوقت الحاضر وهو (اولا) هل ضرب كافور دنانير باسمه وحده فى مصر وفلسطين الى جانب ما ضربه بمكة ام لا • و (ثانيا) اذا لم يضرب دنانير باسمه فى غير مكة فهل كان ذلك تحاشيا للاعتراض فى مصر بانه اعتدى على ملك اسياده الاخشيديين او هل نوى ان يفعل ذلك فعاجلته المنية (٨) ؟ و (ثالثا) لماذا لم تظهر حتى الان سوى مسكوكتين عليهما اسمه • ربما يضحى من الممكن الاجابة على كل ذلك اذا ما اكتشفت مسكوكات اخرى له فى المستقبل •

عن التكييف القانوني

ويمكن تصوير التكييف القانوني لحكم كافور مصر وتوابعها الى ثلاث حقب :

(الاولى) ٣٣٤ ـ ٣٤٩ ـ زمن حكم انوجور بن الاخشيد

كان كافور الحاكم الفعلى لمصر وفلسطين ، ولكنه لم يكن يجرؤ ان يعلن ذلك سواء بالخطبة فى المسجد او بضرب السكة •

(الثانية) ٣٤٩ ـ ٣٥٥ ـ زمن حكم على بن الاخشيد

كان كافور شريكا بالحكم للامير على بن الاخشيد وذكر اسمه الى جانب اسم الامير على على نقد ودعا نفسه الامير كما كان يدعى على بن الاخشيد•

(الثالثة) ٣٥٥ ـ ٣٥٧ هـ

حكم مصر وفلسطين وحده ، ودعى له على المنابر بهما وبالشامات والحرمين بعد الدعاء للخليفة العباسى • وكان اسمه الوحيد الى جانب اسم الخليفة العباسى على النقد • ومات بعد ان اصبح الحاكم الشرعى الوحيد على تلك الاقطار •

وهكذا ترينا قطعتان من النقود وتوضحان هذا الوضع القانوني لحكم كافور الاخشيدى لمصر والشامات والجزيرة العربية • ■■

جدة ـ سمير شما

---

(1) Lane - Pool: Khedival Library. P. 194 - History of Egypt. note 2. p. 87.

(٢) حسن ابراهيم : كافور الاخشيدى : مجلة كلية الاداب القاهرة المجلد ٦ مايو سنة ١٩٤٢ ص ٤٤ •

ـ وعلى ابراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى (١٩٥١م) ٣٣٣

ـ وسيدة كاشف وحسن أحمد محمود :مصر فى عصر الطولونيين والاخشيديين (١٩٦٠) ص ١٩٢ حيث ذكرا ان كافورا لم ينقش اسمه على السكة •

(٣) النجوم الزاهرة ـ أبو المحاسن بن تغرى بردى الاتابكى جـ٤ ص١٠ أخبار عام ٣٥٥ •

(٤) مصر فى عصر الطولونيين والاخشيديين/سيدة اسماعيل كاشف وحسن أحمد محمود (١٩٦٠) ص١٦٦ •

(٥) المصدر نفسه ص١٦٧ •

(٦) هل هما من الدنانير المعروفة بالمطوقة ـ ثلثا مثقال ـ ينظر كتاب الجوهرتين العتيقتين ص ١٤٧

(٧) يبدو مما كتبه ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمدانى العبدى البكيلى فى كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء(عام ٨٩٨) ص ٢٦٣ الذى حققه الاستاذ الدكتور كريستوفر تول (ابسالا ١٩٦٨) ان النقاش لدنانير اليمن ومكة منذ القرن الثالث الهجرى كان دائما شخصا واحدا •

(٨) عام ٣٥٧ الذى ضرب فيه الدينار هو العام الذى توفى فيه كافور •

من تطور الكلمات ومعانيها

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ من المعروف بين العلماء اللغويين ان لغتنا وسائر اخواتها العروبية (السامية) لغات اشتقاقية ، وان كلماتها ذوات جذور ثلاثية الحروف ، مثل : فتح ، نصر ، رجع ،فهم ، حسب ، كرم • ولكل جذر معناه العام ، ومن الجذر تنشأ او تشتق بقية الكلمات التى تدل مثله على هذا المعنى العام ، وتدل على معنى آخر معه ، ومن مجموع هذين المعنيين لها يكون معناها الخاص بها، فالكلمات : فتح ، يفتح ، افتح ، فاتح ، فتاح ، مَفتح ، مِفتح ، مفتاح فتاحة ، فتوح ، فتوحات ـ مثلا ـ تعود كلها الى جذر واحد هو «ف•ت•ح» وتشترك معه جميعا فى معناه العام : شيء من غيره ، ولكن كل كلمة منها تدل على هذا المعنى العام وعلى شيء آخر معه بدلالة صيغتها الخاصة، او سياقها الخاص فى الجملة ، فالكلمات الثلاث الاولى منها : (فتح ، يفتح ، افتح) افعال تدل على « الفتح وزمانه معه » والكلمة الاولى من هذه الكلمات الثلاث « فتح » تسمى فعلا ماضيا ، لانها تدل على الفتح فى الزمن الماضى بحكم صيغتها ، مثل : « فتحت الشباك » ولكننا اذا قلنا « اذا فتحت الشباك دخل الهواء » دلت على الفتح فى الزمن المستقبل • وكذلك الفعل الثانى « يفتح » ـ وهو فعل مضارع ـ يدل على الفتح فى الحاضر اوالمستقبل (زمن التكلم او بعده) اما الحاضر فمثاله « هو يفتح الشباك » اى الان، واما المستقبل فمثاله قول السيد المسيح عليه السلام : « اقرعوا يفتح لكم » والكلمة « افتح » تدل على الفتح وزمنه (المستقبل) مع الامر به او طلبه ، وكلمة «فاتح » تدل على الفتح وصاحبه او المتصف به مثل « محمد الفاتح » وقد تدل على الزمن ايضا ، اما ماضيا مثل « فاتح الاندلس طارق بن زياد » او حاضرا مثل : « هو فاتح فاه ليشرب » اى الان ، او مستقبلا مثل : انت اغلقت الشباك فاحسسنا الضيق ، وانى لفاتحه ليدخل الهواء » اى سافتحه » وكلمة « فتاح » تدل على الفتح وصاحبه كذلك مع المبالغة بكثرة الفتح ، او شدته ، او كلتيهما معا ، مثل « هو فتاح المغلقات »

وكلمة « مفتح » ـ بفتح الميم والتاء ـ تدلعلى مجرد الفتح (مصدر ميمى) او زمانه (اسم زمان) او مكانه (اسم مكان) ، فالمصدر الميمى مثل : فتحت الشباك مفتحا سهلا (اى فتحا سهلا) ، واسم الزمان مثل : مفتح المعرض بعد العصر، واسم المكانمثل «مفتح المعرض عن يمينك» وكلمة « مفتح » و « مفتاح » (بكسر الميم فيهما) تدل على اداةالفتح ، ومثلهما كلمة « فتاحة » وربما كان الاصطلاح يخص الكلمتين « مفتح ومفتاح » للاداة التى تفتح بها الاقفال ، ويخص كلمة « فتاحة » مثلا باداة فتح الصناديق والعلب ونحوهما بالضغط او النزع •

وكلمة « فتوح » جمع فتح « لاكثر من اثنين »•

وكلمة « فتوحات » جمع للجمع فى ظاهرها او مجرد جمع ، مع ميل فى الحالتين الى التضخيم او التفخيم ، كما يقال « رجالات » و « بيوتات » اذ ليس الغرض هنا أن تكون جمع « رجال »

و « بيوت » بل القصد مجرد الجمع مع التعظيم والاكبار ، وكذلك « مفاتح » و « مفاتيح » جمع مفتح ، ومفتاح ، ونحوهما كلمة « فتاحات » جمع « فتاحة » والاصطلاح العام او الخاص هو الذى يفرق بين دلالات هذه الكلمات ويخص كل كلمة بدلالة معينة غالبا .

ونستفيد مما سبق ان ليس الفعل وحده هو الدال على الزمن، بل يدل عليه ايضا اسم الفاعل، واسم المفعول احيانا .

ويرى بعض الباحثين اللغويين ان لغتنا واخواتها العروبية (السامية)(١) بدات من جذور ثنائية (ذ.ت حرفين اثنين) يدل كل منها على معنى عام ثم اضيف الى الجذر الثنائي حرف ثالث ، فصار ثلاثيا يدل على معنى فرعى من ذلك المعنى العام لجذره الثنائي ، فمعنى الجذر الثنائي بمنزلة الجنس ، والجذور الثلاثية بمنزلة الانواع ، ومن الجذور الثلاثية تنشا صيغ شتى ، لكل صيغة معناها الاخص الذى يدخل فيه معنى جذرها الثلاثي، كما راينا في الجذر الثلاثي (ف.ت.ح) وصيغه فيما سبق ، مثل : فتح ، يفتح ، افتح ...

والراى الذى يرجع كل جذور لغتنا الثلاثية الى جذور ثنائية لا يخلو من وجاهة (٢) ، وله امثلة كثيرة تؤيده ، وان كان لا يطرد لنا في كل جذر ثلاثي ، او لايسهل علينا تحقيق ذلك فيه . ومهما يكن من اطراده في بعض الامثلة وتخلفه في بعض ، او سهولة تحقيقه في بعضها دون بعض ، ففيه جانب من صواب وفائدة . وان خذلتنا التفصيلات احيانا .

وربما كان من اقرب مفاتيح المعى هنا الينا الرجوع الى الجذر الثلاثي الذى يتكرر فيه الحرف الثاني فيصير ثلاثيا ، بعد ان كان الفعل ثنائيا قبل تكرار هذا الحرف .

واقرب الامثلة لما ذكرناه هنا ما يشارك « فتح » في حرفيه الاولين ، وهو كل جذر يبدا بالحرفين « ف.ت » ثم يليهما حرف ثالث . مثل : فتأ ، فتىء ، فت ، فتح ، فتر ، فتش فتغ ، فتق ، فتك ، فتل ، فتن ، فتو ، فتى ـ فكلها تدل على التفرقة بين شيء وغيره ولكن على انواع او صور مختلفة ، واقربها الينا الجذر « ف.ت » مكرر الحرف الثاني ليصير « فتت » ومنه الفت ، والفتات ، والفتيت وهو يدل على تقسيم الشى على صورة الكسر او الدق . بل يضاف الى ذلك بعض الالفاظ الرباعية ، مثل : « فترص » بمعنى قطع ، « وفتكر » وما يشتق منها بمعنى الداهية ، و « فتكل » اى الداهية ايضا .

ومثل ذلك في دلالته على المعنى العام ـ « التفرقة ـ الجذر « ق.ط » ومنه قطب ، قطر ، قط ، قطع ، قطف ، قطل ، قطم قطن ، قطو ، بل يضاف الى ذلك الثنائي « قط » بمعنى القطع او التوقف ، ثم يضاف بعض الالفاظ الرباعية مثل : قطرب ، وقطرن ، وقطمر ، وقطمن. ولتفصيل ذلك وتوضيحه صفحة اخرى .

---

(١) نفضل كلمة « العروبية » لانها ادل على اصلها العربي ، وموطنها الاول وهو « شبه جزيرة العرب » واما السامية فليست الا مصطلحا اوربيا، والنسبة فيه الى « سام » بحسب تقسيم التوراة لأبناء نوح . ولتوضيح ذلك صفحة اخرى .

(٢) من اشد اللغويين عناية بذلك من المعاصرين، الاب مرمرجي الدومنكي ، في كتابه « هل لعربية منطقية ؟ ، ابحاث ثنائية السنية » . وقد سبقه الى مثل ذلك استاذه « الاب مارى انستاس الكرملى » صاحب « مجلة العرب » وكتب شتى في اللغويات ، ومنهم « الدكتور على عبد الواحد وافى » في كتابه « علم اللغة » ولقدمائنا ملاحظات كثيرة في ذلك . منذ عهد اللغوى الاكبر « الخليل ابن احمد » صاحب كتاب « العين » .

جان كوكتو والمسرح

● كنت في فرنسا عندما اعلن عن نبا وفاة اديث بياف،اكبر مغنية عرفتها فرنسا في القرن العشرين • وكانذلك في عام ١٩٦٣ • والشيء الذى لفت نظرى آنذاك هو موت الكاتب الفرنسي الكبير جان كوكتو بعدها مباشرة ،بل في اليوم التالى ، اذا كانت ذاكرتي لاتخونني • وجعلني هذا اتساءل : اهذه صدفة بحتة أم ان انسانا يمكن ان يموت حزنا على انسان آخر ، في قرننا العشرين ؟ وبقي السؤال في نفسي ، الى ان قرات نبأ عن عرض مسرحية « الوالدان المفزعان » على مسرح انطوان في باريس هذا العام•

فاخترت الحديث عن جانب من مؤلفات هذاالفنان الكبير •ولمالحديث عن جانب فقط من مؤلفاته ؟ لان ما خلفه كوكتو (١٨٨٩ ـ ١٩٦٣) غابة مترامية الاطراف ، لا بد انيختار المرء ركنا منها ، وان ترابطت فيها كل الاركان •

بقلم : دكتورة سامية احمد اسعد

كوكتو فنان باريسي نشا في عائلة بورجوازية في وسط يسيطر عليه العنصر النسائي ـ والام خاصة ـ نتيجة لوفاة الأب • وعرف المجد وهو في شرخ الشباب • كانت الاوساط الادبية والفنية في باريس تتحدث عنه ولم يتعد الثامنة عشرة • لكن الشاب كان من الذكاء بحيث لم ياخذه الغرور، بل اعاد تقييم نفسه ، وكانت هذه نقطة تحولهائلة في حياته • قال له دياجيليف ، مخرج الباليه الروسى ، ذات يوم ، عام ١٩١٣ : « عليك باثارة دهشتي » • وكانت هذه الجملة سببا في خلق شخصية جديدة غيرت مسار كوكتو الفني تغييرا جذريا • والشيء الذى تميز به كوكتو هو قدرته الهائلة على التحول • فلقد استخدم كافة أشكال التعبير الفني ، وعرف كيف يخلص الى بعض الاشكال الجديدة كل الجدة ، داخل هذه الاشكال ذاتها • مما جعل البعض يتهمونه بالنزوع الى عدم الاستقرار •

لكن هذا التنوع قد يفسر على أنه ميل الى عدم التاخر عن العصر ، والوقوف في الطليعة دائما • مما يذكر بكلمة ج • دانزيو : « اما أن



« لا بد أن يحرق المرء نفسه حيا كى يولد من جديد »

كوكتو

يجدد المرء نفسه ، واما ان يموت » ٠٠ او لم يقل كوكتو نفسه : « لا بد أن يحرق المرء نفسه حيا كى لد من جديد » ٠

رحلة كل الفنون

ساير كوكتو كل التيارات الادبية في عصره ، والسريالية خاصة ، ودخل المجالات الفنية التقليدى منها والحديث ٠ ففى الوقت الذى كتب فيه الرواية والقصيدة والمسرحية ، اتجه الى فن الباليه والسينماء بل اتجه فى الفترة الاخيرة من حياته الى الفنون التى تتطلب حسا فنيا ومهارة يدوية فى آن واحد ، خاصة فن الرسم والسيراميك والموازييك ٠ وقام بتزيين اكثر من كنيسة ، داخل فرنسا وخارجها ونذكر ، على سبيل المثال ، كنيسة البلدة ــ ميسيى لافوريه ــ التى طلب أن يدفن فيها ٠وجدير بالذكر أن بيكاسو وسترافنسكى كانا من الاساتذة الذين تتلمذ على أيديهم ٠ ولعل لقاء كوكتو ببيكاسو كان أعظم وأهم لقاء فى حياته ٠ وهناك اشارات متفرقة ــ بل نصوص عن بيكاسو جمعت فى كتاب بعنوان « العودة الى النظام » ــ ومتتالية تدل على الاثر الهائل الذى كان للرسام الكبير على فكر كوكتو واهتماماته الجمالية ٠

اذا نظرنا الى مؤلفات كوكتو ، وجدنا بعضها يحتل مكان الصدارة ، داخل فرنسا وخارجها ٠ ولا شك أن القارىء العربى قد اطلع على رواية « الابناء المفزعون » (١٩٢٩) وكتاب « معلهش» الذى يتحدث فيه الكاتب عن رحلة حول العالم مر خلالها بكل من تركيا ، ولبنان ، ومصر ، ومسرحيتى « الوالدان المفزعان » (١٩٣٨) ، و « الالة الجهنمية » (١٩٣٤) ٠ والحديث عن المسرح هنا ناتج عن ايثار شخصى لفن المسرح ٠ ولا يعنى هذا الاقلال من شان مؤلفات الكاتب الاخرى ٠

جان كوكتو شاعر اولا وقبل كل شىء ٠ يقول الشاعر فى فيلم « اورفيوس » : « الشاعر ، اذ ينظم الشعر ، يستعمل لغة لا هى بالحية ولا هى بالميتة ، لغة لا تتكلمها الا قلة من الناس ولا تسمعها الا القلة من الناس » ٠ لقد نشأ شعر كوكتو كله عن ممارسة الكاتب لقدرة الكلمة السحرية واختياره لنتائجها ٠ والشعر كما يفهمه يخلط بين المظهر والجوهر ، والظاهر والباطن ، والشىء وظله فى المرآة ، والحقيقة والوهم ، يقول كوكتو فى هذا الصدد : « انا كذاب يقول الحق دوما» ٠

ولقد وهب حياته ومؤلفاته بالفعل ، لتجسيد

الكلمة للتبادل الضروري بين ما قد يسمى بالمتناقضات • ومن ثم ، يبدو لاول وهلة وكأنه شاعر التناقض • لكن النظرة الفاحصة المدققة تثبت ان هذا التناقض يكشف عن شيء ما • ولكل من القناع والمرآة مكانة خاصة في نفس كوكتو واعماله •

الآن سحر الكلمة كوكتو الشاعر ، دائما • لذا ، ادخله في كل ما كتب ، بل في كل ما صور ورسم • ادخله فيما كتب من مسرحيات واخرج من افلام ـ « دم شاعر » (١٩٣٢) ، « الحسناء والوحش » (١٩٤٥) ، « ورفيوس » (١٩٥١) ، « وصية اورفيوس » (١٩٥٩) ـ وما الف من روايات : « توماس المخادع » (١٩٢٣) ، « الابناء المفزعون » • ومع هذا ظلت القصيدة عنده افضل مجال لاختبار قدرة الكلمة السحرية • في مرحلة اولى ، تكون لدى كوكتو ما يمكن ان نسميه برؤياه لفن الشعر • تلت هذه المرحلة فترة تحول فيها الشاعر الى المسرح والرواية والسينما والرسم ، دون ان يتخلى خلالها ، ولو لحظة واحدة ، عن الشعر والشاعرية التي ظلت تصبغ كافة اعماله •

هو والمسرح

قلنا ان كوكتو فنان التحول • والمسرح فن يلائم مثل هذا الفنان ملاءمة تامة • احب كوكتو المسرح حبا جما • فضلا عن انه كشاعر ، كان يرى ـ شأنه في ذلك شأن الاغريق ـ ان « الشعر شيء يصور » • نشأ حب كوكتو للمسرح عندما اختلط اختلاطا وثيقا بالمغامرة الهائلة التي قام بها الباليه الروسي في باريس آنذاك • وفي « البوتوماك » (١٩١٩) ، نجد دليل هذا الحب اذ يسود الكتاب جو الحكاية والاوبرا ، والاضاءة وحركة الشخصيات الخيالية •• باختصار ، نرى فيه الواقع يتحول باستمرار الى خيال • وعندما كان الكاتب يعد « الالة الجهنمية » اختلط بحياة المسرح مباشرة • فرأى ان هذا الفن العريق افضل وسيط بين الكاتب وجمهوره ، بعكس الكتاب • فهو يجعل الفنان يتصل بالجمهور اتصالا مباشرا • والنجاح ـ او الفشل ـ فيه سريع حاسم • فضلا عن ان المغامرة المسرحية تتكرر كل ليلة ، وعند كل عرض • وارتاح كوكتو للمسرح ارتياحا حقيقيا ، وهو الذي كان يشعر ـ شأنه في ذلك شأن اي فنان مبدع ـ بحاجة تكاد تكون مرضية الى حكم الاخرين عليه • وبعد عرض « الولدان المفزعان » التي لاقت نجاحا منقطع النظير ، انتهى الى انه وهب نفسه للمسرح • لقد صفق له الناس ، ولم يعد يستغني عن تصفيقهم • وهاهم يطلبون منه كتابة مسرحيات اخرى • فكتب للمسرح • بل انتقل الى السينما لكي يوسع دائرة جمهوره • ذلك لان جمهور السينما مختلف واعرض بكثير من جمهور المسرح • فتحول الى كتابة السيناريو ، بل الى الاخراج • وعندما اخرج « العودة الابدية » (١٩٤٤) ، لم تشاهد الفيلم باريس وحدها ، بل شاهدته فرنسا باسرها •

وكان كوكتو قد دخل السينما في زمن الحرب والاحتلال • و « العودة الابدية » تستعيد كل « تيمات » واحدة من اشهر قصص الحب في فرنسا قصة تريستان وايزولد • والاحداث لا تدور في زمان معين ، كما يشهد سلوك الممثلين • ولا شك ان من رأى الفيلم لا يمكن ان ينساه • ومن بين المشاهد التي لا تنسى الجزيرة ، والقصر ، والجليد ، والهجر ، وليلة العاصفة والسحر ، واللقاء عند النبع ، وهرب العاشقين ، والصبح عند الجبل ، والفراق ، والامل الاخير والنداء الاخير ، والجرح ، وعبور البحر ، والاحتضار واللقاء ، والموت • وفي الفيلم ، يتضح ايثار كوكتو لاساطير فقدان الشخصية واللامسئولية والتضحية • ولسوف يعود الكاتب الى ذات الاسطورة في مسرحية « ريتو وأرميد » (١٩٤٣) •

والحديث عن هذه الاسطورة يفضي حتما الى الحديث عن اهتمام كوكتو بالاساطير عامة • لقد بدأ باكتشاف اليونان القديمة واساطيرها ومآسيها • واعد للمسرح « اوديب ملكا » (١٩٢٧) • وبعدها بسبع سنوات ، قدم رؤياه الخاصة للاسطورة في « الالة الجهنمية » • في البداية ، احس ان هذا الموضوع محرم عليه ، وانه ليس بمقدوره تقديم عمل يضاهي مأساة سوفوكليس • لذا ، التفت الى اسطورة لم تلهم احدا بعد بعمل مأساوي عظيم ، الا وهي اسطورة اورفيوس ، الشاعر الذي عرف كيف يسحر الحيوانات ، وحظي بميزة الدخول حيا الى عالم الموتى ليعيد منه زوجته اوريديس والملاحظ ان كوكتو يعيد دائما خلق الاسطورة ، ويدخل فيها قضاياه الخاصة التي تصبح ، نتيجة لذلك ، اسطورية هي الاخرى •

الى اساطير العصر الوسيط

ثم ترك كوكتو اساطير اليونان ، والتفت الى العصر الوسيط ، محاولا تقديم ماساة قومية للمسرح الفرنسي • كان جان جيرودو قد لاحظ من قبل ان فرنسا ، بلد الماساة الحديثة ، لا تمتلك اساطير ترتبط بتاريخها بمعنى الكلمة • هذا باستثناء بعض الاعمال المسرحية مثل « سر رحمة جان دارك » لشارل بيجي، و« سيرانودى برجراك » لادمون رستون ، واختار كوكتو اسطورة فرسان المائدة المستديرة • قد يقال انها ليست فرنسية بحتة • وهذا صحيح • لكن الواقع ان فرنسا هي التى ادخلتها فى نوع معين من الحضارة الاخلاقية واعطتها بعدا عالميا • وقد تبدو مسرحية كوكتو وكانها غريبة على سائر مسرحياته • لكنها ترتبط بها ارتباطا وثيقا ، ولا تدخل تغييرا جذريا عليها• ولم تفت الكثيرين اوجه الشبه بين مغامرة اوديب والبحث عن « الجرال » الكاس التى يقال ان يوسف تلقى فيها دم المسيح بعد العشاء الاخير • فاوديب يسعى الى معرفة سر ميلاده كما ينطلق الفارس جالاد بحثا عن الكاس المقدسة • كل منهما يمر بالفخاخ يتحدى اوديب ابا الهول ، وينهض جالاد بعد الحصار الخطير • وتموت جوكاست لانها عاشت تجربة الكذب • وكذا الامر بالنسبة للملكة جينييفر فى « فرسان المائدة المستديرة » وعندما تتضح الحقيقة بقسوتها ، يفقا اوديب عينيه ، ويظل جالاد اعمى امام نورها اللامحتمل •



استقبل الجمهور اولى مسرحيات كوكتو «عرسان برج ايفل » (١٩٢١) استقبالا فاترا • تدور احداث المسرحية على سطح برج ايفل ، حيث نشهد حفلة زفاف بورجوازية ، بينما يعلق جهازان من اجهزة الفونوغراف على الاحداث ، ويسمعاننا ادوار الشخصيات • وما هذه الادوار سوى مجموعة من الافكار المستهلكة البالية ، والجمل النمطية والكليشيهات • يضفى هذا التوزيع على الحوار طابعا مضحكا عميق الصدى ، ويبرز ما قد يكمن فى الابتذال من شاعرية •

بين النجاح والفشل

واذا كانت بعض مسرحيات كوكتو قد فشلت لسبب او لاخر ، فان بعضها الاخر قد نجح بدرجات متفاوتة • كانت « اورفيوس » (١٩٢٦) اولى هذه المسرحيات • انها عمل اساسى فى ميثولوجيا كوكتو الشخصية • ولقد كان لها امتداد بعد ذلك فى فيلمى « اورفيوس » (١٩٤٩) و « وصية اورفيوس » (١٩٥٩) يقع البطل تحت تاثير حصان غريب ينقل اليه بعض الرسائل الاتية من العالم الاخر ، ومن بينها أن زوجته اوريديس ستعود من الجحيم • وبالفعل ، يمكن الملاك حورتبيز اورفيوس من الالتقاء بزوجته • ويعيد الزوج زوجته من الجحيم ، بشرط الا ينظر اليها لكن الزوج لايفى بوعده ، وتختفى الزوجة الى الابد • ويقتل اورفيوس ويعود الى حيث توجد زوجته • ويصل البوليس ، لكن الملاك يهرب منه ليلحق بالزوجين فى عالم يكاد لا يختلف عن العالم الذى عاشوا فيه• استخدم كوكتو هنا اكثر من وسيلة لكى يصل الى غايته ، الا وهى : اظهار الوجه الاخر للاشياء والحياة ، اى ما لا يرى ، على خشبة المسرح •هكذا الموت مجسدا ، والحصان الناطق ، والمرايا التى يمر المرء من خلالها ، والملاك الذى يظل معلقا فى الهواء بعد ان يسحب اورفيوس الكرسى من تحته، الخ ••

كان كوكتو قد أطلق اسم « الاشباح » على ممثلى السينما الذين لا يمثلون الا دورهم ، بعكس ممثلى المسرح الذى يضطرهم الاداء الى دخول الدور بشخصية كاملة • كانت استى شبحا ، قبل مفاجاة ليان المسرحية • لم يكن النشاط الفياض الذى تبديه سوى قناع تخفى وراءه خوفها من الحب

على مسرح الحياة • لكن ، هل هي على حق عندما تفرق بين المسرح والحياة ؟ تغمد مفاجاة ليان في قلبها خنجر البصيرة • فتكتشف ان لا بد من نسيان المرء لذاته ، لكي يصل الى الحياة ، لا أن يمجد هذه الذات من خلال موقف معين ، مهما كان بطوليا وتتضح عندئذ حقيقة هامة : المسرح يدخل الحياة• فضلا عن انه صلاة وعبادة • فالصالة معبد ، والخشبة محراب ، وفي أداء كبار الممثلين شيء مقدس •

بين الحب والموت

لاقت مسرحية « رينو وارميد » (١٩٤٣) نجاحا فنيا كبيرا • أخذ الكاتب موضوعها عن اسطورة تريستان وايزولد التي عاد اليها في فيلم «العودة الابدية » لكنها تتضمن ، كما هو الحال دائما عند كوكتو ، رسالة شخصية ، وفكرة ذاتيه حميمة ،الا وهي استحالة الحب وعدم التوافق بين المتحابين ، اللهم الا في الموت لم يسع كوكتو الى تقليد المأساة الكلاسيكية ، عندما كتب هذه المسرحية ، بل حاول ان يبعثها في عصره ، بكتابة « أوبرا كلامية » تتحول فيها الكلمة الى موسيقى• الجانب الخارجي من المأساة محدود للغاية : أربع شخصيات منها ابطلان • يؤسر رينو ملك فرنسا في حدائق الساحرة أرميد التي سحرته واختفت • لكنه ظل على حبه لتلك المراة التي لا يراها •وعندما تظهر له ، يرفض التعرف عليها • ويستولى عليه الغضب ، ويكاد يجن • بينما يظل على عهده لارميد الاخرى • عندئذ ، لا تجد الساحرة امامها الا سبيلا واحدا : أن تعطى الملك الخاتم الذى تلبسه في أصبعها والذى يثبت أنها تلك التي احبها • لكن أرميد لم تكسب رينو الا لتفقده مرة أخرى • فعندما يتعرف عليها ، يطلب منها قبلة • وتعطيه القبلة وتدفع حياتها ثمنا لها • العنصر الدرامى هنا هو اذن استحالة الاتصال بين اثنين من البشر• فكل من البطلين بطل مأساة أخرى يحملها في طيات نفسه ، الا وهي مأساة التحول • والصراع حيوى مميت ، تدخل فيه كل قوى الخلاص والبعث • والكلمة هنا سلاح أساسي للمعرفة وحماية الذات والمسرحية تقوم أساسا عليها • على سبيل المثال، نرى ارميد تستعملها كاداة للسحر وبطبيعة الحال لا يتسنى استعمال سلاح الكلمة الا بالشعر •

بعد ذلك بثلاث سنوات ، حاول كوكتو ، في « الصقر ذو الراسين » (١٩٤٦) أن يستبدل مسرح الكلمة والاخراج بمسرح الحديث والحركة، بدعوى أن المسرح الاول يفقد الفن المسرحي جمهوره • ويبعث ماساته الخاصة ، تحت ستار موضوع تاريخي ، سرعان ما تحول بين يديه الى اسطورة ذاتية • البطلة ملكة ترملت وهي عذراء ، تكاد تكون ميتة ، وقاتلها شاعر فوضوى شاب ، يتمثل فيه الموت الذى تنتظره • اذن ، مصير كل منهما محدد سلفا • لكن القاتل صورة طبق الاصل من الملك الراحل ، وهو لايريد قتل الملكة لانه احبها دائما من بعيد • لذا ، يتوصل الى اقناعها بالعودة الى الحياة ، واتخاذ مكانها على العرش • لكن الدسائس السياسية تؤكد لهما ان لا حياة الا بموتهما • ويشرب الشاب السم ، وترغمه الملكة على قتلها قبل ان يفارق الحياة • من الواضح ان هذه المسرحية تفسير حديث « للآلة الجهنمية » التي سنتحدث عنها توا • هنا أيضا ، تتعدد انذارات القدر القاسية قبل استدراجه للشخصيات، الى حيث يريد • والماساة التي تفرق بين الملكة والشاعر ليست ماساة الرجل والمرأة ، وانما ماساة حرية الانسان • عندما « تختار » الملكة الموت ، تتجاوزه • وتتفوق على القدر عندما تاخذ هدفه على أنه ناتج عن اختيار محض • ولا يسع المتفرج ، ازاء هذا الموقف ، الا أن يتذكر بروميتيوس واسطورته •

عندما يذكر كوكتو ككاتب مسرحي ، تذكر في المقام الاول ثلاث مسرحيات لاقت ، وما تزال تلقى، نجاحا منقطع النظير • أولاها « الصوت الانساني» (١٩٣٠) ، وهي مسرحية من فصل واحد يقوم بها ممثل واحد ، ولا تشتمل على أى عنصر درامى ، اللهم الا مونولوج تحاول امراة من خلاله استعادة الحبيب الذى فقدته • لقد فارقها لتوه ليتزوج امراة أخرى • ها هي ذى تتحدث اليه تليفونيا • انها تتالم ، لكنها تكذب عليه ، بدافع الحب ، لكي تطمئنه • ويكذب من ناحيته ـ ويلاحظ أن وجوده مقصور على فترات الصمت التي تتخلل المكالمة التليفونية وردود المرأة عليه ـلكي لا يزيد من ألمها ، الى أن ينقطع التيار الذى انقطع من قبل عدة مرات ـ نهائيا تشهد هذه المسرحية على مهارة فنية بالغة ، وتدخل على خشبة المسرح بعدا جديدا،



بعد الفراغ والصمت • والنص هنا من افضل النصوص التى كتبها كوكتو ، ولقد ترجم الى عدة لغات • وجدير بالذكر ان المخرج الايطالى الراحل روسيليني أخذ عن هذه المسرحية فيلما مثلته انا أنيانى عام ١٩٤٧ •

عرضت ٤٥٠ ليلة !

ويرى البعض فى «الوالدين المفزعين» (١٩٣٨) افضل أعمال كوكتو المسرحية فلقد لاقت نجاحا ساحقا عندما عرضت لاول مرة ، واستمر عرضها اربعمائة ليلة متوالية • كتب كوكتو فصولها الثلاثة فى ثمانية أيام ، لاثنين من كبار الممثلين ، فيما يبدو • لكنه ، فى الواقع ، يكشف لنا فيها — كما فعل من قبل فى «الابناء المفزعين» — عن سر حميم ، يعود بنا مرة أخرى الى عقدة أوديب •

تستمد هذه المسرحية كل قوتها من غرابة الادوار وحيويتها الفائقة • يقول روجيه لان فى هذا الصدد « انها تكشف فى قلوب البشر عن دوامة من الذوات » وبناؤها الدرامى ، من أوله الى آخره لا يقبل المناقشة ، لانه ينم عن تركيز أشبه بتركيز العاصفة قبل انفجارها • يعيش فى مكان واحد كل من جورج ، وزوجته ايفون التى لا تهتم الا بابنهما ميشيل وتكاد تعبده ، واختها ليو — خطيبة جورج سابقا — التى تعيد دائما التوازن الى المجموعة • احب ميشيل البالغ من العمر اثنين وعشرين عاما الشابة مادلين التى كانت على علاقة بابيه • ولاسباب متباينة للغاية ، يعمل الجميع على الايقاع بين ميشيل وحبيبته • ويستولى اليأس على الشاب ، وتعيد ليو مادلين اليه • عندئذ ، تشعر الام بأن لا فائدة منها ، فتبتلع السم ، وتفارق الحياة قبل أن يتمكن أحد من انقاذها • هذه الاحداث تخنق الابطال ، وتحملهم على الصراخ • وهم يبدون وكأنهم مقيدون ، متمزقون • تستعر المشاعر والاحاسيس بين الاب ، والام ، والصبى ، والعشيقة ، والعمة ليو ، والقدر • وفى كل مشهد ، يستولى الرعب والذعر على الشخصيات ، كأنها تحاول الهرب من نار مشتعلة • ويحوم الموت ، طوال المسرحية ثم يضرب ضربته ، بينما لا يدور الحديث الا حول الحب • لكن هذا الحب لم يعد قادرا على السيطرة على نفسه ، بل على احتمال نفسه أو الانتقام الى الاخرين ••

ونرى نحن ان « الالة الجهنمية » (١٩٣٤) هى قمة أعمال كوكتو المسرحية واهمها • يستعيد المؤلف فيها اسطورة أوديب ، دون أن يتعلق الامر باعداد جديد لمأساة سوفوكليس ، يريد كوكتو أن يقول ما لم يقله الكاتب الاغريقى ، يريد أن يعش على الاسطورة مرة أخرى ، فى القرن العشرين ، ويعيد اليها طابعها الانسانى • وجدير بالملاحظة أن مسرحية كوكتو لا علاقة لها بالمسرحيات الحديثة المأخوذة عن الاساطير القديمة ، تلك التى عاشت بعد عرضها •

فى بداية كل فصل ، يلخص « صوت » — عندما عرضت هذه المسرحية لاول مرة كان الصوت صوت كوكتو مسجلا — الاحداث فى الزمان والمكان • ويخبرنا هذا الصوت بأهم ما فى قدر أوديب ، حسب ما جاء فى النبوءة يهرب أوديب من ملك كورنثة وملكتها لان النبوءة قالت له أنه سيقتل أباه ويتزوج أمه • وهناك نبوءة أخرى : قيل لجلوكاست ، ملكة طيبة أن ابنها سيقتل أباه ويتزوج أمه • لكن جوكاست لم تجرؤ على قتل طفلها الوليد ، وأمرت أحد الرعاة بتركه على الجبل ، بعد أن تثبت قدميه • ووجد ملك كورنثة الطفل وتبناه •

عندما هرب أوديب من كورنثة ، ظانا أنه يهرب من قدره ، التقى برجل وحاشيته ونشب شجار بين الطرفين • فأصاب أوديب الرجل بضربة من عصاه وأرداه قتيلا • ولم يكن الرجل سوى أبيه لايوس ، ملك طيبة • ينسى أوديب الواقعة ،

ويسمع حديثا عن ابي الهول، الوحش الذى يشرب دم ضحاياه ويمتلك السحر والجمال ايضا . ويعلم ان ملكة طيبة ستتزوج الرجل الذى سيخلص المدينة منه . فيقتل ابا الهول ، ويعود بجثته الى طيبة ويتزوج ملكتها ، اى امه .

اوديب وابو الهول

من خلال هذه الاسطورة الشهيرة، يقدم لناكوكتو مفهومه الحالى للقدر والالهة التى تتحكم فيه . فى بداية الفصل الثالث ، نقترب من ليلة زفاف اوديب وجوكاست . لكن ، لا الام ولا الابن يريان الهوة السحيقةالتى تنفتح تحت اقدامهما وتبتلعهما الى الابد . وفى الفصل الرابع ، يفتح الغورس ابواب المأساة ، تلك التى سيعرف من خلالها الملك الجديد الشقاء الحق ، بعد ان ذاق طعم السعادة الحقة .

ولنقف لحظة عند لقاء اوديب وابى الهول . يشكو ابو الهول الذى اتخذ شكل شابة جميلة من انه « مل القتل » عندئذ ، ترد احدى الجمل الهامة من المسرحية : «علينا بالطاعة . للسر اسراره . وللالهة آلهتهم . لنا الهتنا ، ولهم الهتهم . وهذا مايسمى باللانهائية» . يلتقى اوديب بابى الهول ، بعد ان ظل يبحث عنه شهرا كاملا : «كنت متحمسا وانا اقترب من طيبة لدرجة اننى كدت اصرخ امام كل عمود قابلته . وها انذا اجد فى طريقى شابة بيضاء » . ويعرض المتحدثان رؤية كل منهما للسعادة . يريد اوديب المجد ، بينما يرى ابو الهول ان الحياة تعنى «الحب ، حب المحبوب» . وتطلب الشابة من اوديب ان يعد حتى خمسين فتتظهر له فى شكل ابى الهول . يغضب اوديب ، لكنه يخر راكعا ، ويحاول ان يقاوم ، فيسمع مايلى : « لاجدوى من اغلاق العينين وادارة الراس ، لاننى لا اعمل بالغناء او النظر . لكننى امهر من الاعمى ، واسرع من شبكة المصارعين، وادق من الصاعقة ، واسرع من الحوذى واثقل من البقرة .. واتزه من القاضى ، واشره من الحشرات ...» وتستمر دائرة الكلمات، وتزداد سرعتها . لقد البث ابو الهول انه السيد . ولولا حبه للشاب . لكان مصير اوديب مصير من سبقه من شبان طيبة المغرورين . بفضل هذا الحب اذن، تغلب اوديب على ابى الهول . وسار بخطى مسرعة نحو قدره راضيا ، لايعى شيئامما ينتظره . وتبتعد الالهة التى اتخذت شكل ابى الهول قائلة : «انى اختنق ـ فلنغادر هذه الارض . ياللبشر المساكين، المساكين » ...

والحوار بين اوديب والعراف تيرزياس قمة من قمم المسرحية . يكشف العراف عن النبوءة المشئومة التى تتهدد الملك الشاب . لكن هذا الاخير يرد قائلا: «لم سمحت لى الالهة اذن بقتل ابى الهول، ودفعت بى الى هذه الحجرة ؟ » وهكذا تطرح قضية الحرية برمتها . ويسال العراف الملك عما اذا كان يحب الملكة : «اتحب ان تاخذها بين ذراعيك ؟ » ويأتى الجواب الغريب : «احب بصفة خاصة ان تاخذنى هى بين ذراعيها » ويواصل اوديب قراءة مستقبله فى عين العراف العجوز . وفجاة يغمض عينيه ويقول : «لاشك اننى وصلت الى نقطة تريد الالهة ان تظل غامضة »

وفى كل لقاء بين اوديب وجوكاست ، تلميحات الى القدر . تقول الزوجة ـ الام : «يالك من طفل كبير » ويقول الزوج ـ الابن : نعم ، يااامى الصغيرة العزيزة » وتتوالى الاحداث يموت ملك كورنته ويعلم اوديب انه لم يكن ابنه الا بالتبنى ويحاول العراف ان يوقف اعترافات الرسول ، ويقول للملك : «ساحذرك من عادتك السيئة، عادة السؤال عن كل شيء ومعرفة كل شيء .» ويرد اوديب : «ساسال بلاخوف . ساعرف كل شيء» . يقول العراف فى النهاية : «لقد اراد ان يكون اسعد الناس ،والان ،يريد ان يكون اشقاهم » . ويفقا الملك عينيه ، ويعبر المدينة بدون ان يلتفت اليه احد ، تساعده جوكاست الام : «ماتت زوجتك يااوديب المسكين . انا امك التى هبت لمساعدتك . نعم ، ياطفلى الصغير . آه لو عرفت كم تبدو الامور التى يظنها البشر مروعة هينة اذا نظرت اليها من المكان الذى اوجد فيه الان » . ويخرج اوديب من طيبة ، متكئا على ذراع ابنته انتيجونا ، ليلقى المجد ، لا الخجل والعار .

وكما خرج اوديب من طيبة ، خرج كوكتو من مسرح الحياة ، واثبتت الايام صحة قوله : «سأثير الاهتمام بعد مماتى » .. ■■

د . سامية احمد اسعد

البنوك الاسلامية

● هناك محاولات قيام بنك اسلامي فى المملكة العربية السعودية،لاتزال حتى الان تحت التجربة وتحتاج الى الكثير من الدعم الفكرى والمادى

وهناك تجربة «بنك دبى الاسلامى » بدولة الامارات العربية المتحدة عام ١٩٧٥ م وقد نجح المشروع نجاحا بالغا وكان نجاحه ابلغ رد على اعداء المعاملات الاسلامية النظيفة ، وهناك «بنك فيصل الاسلامى السودانى» بجمهورية السودان الديمقراطية والذى سيبدأ اعماله فى مطلع عام ١٩٧٨ و « بنك فيصل الاسلامى المصرى» بجمهورية مصر العربية•

نهيب بالعالم الاسلامى ان ينحو هذا المنحى فى التعامل عن طريق بنوك اسلامية بعيدة عن الاستغلال فنقضى بذلك على الربا المحرم شرعا •

صلاح الدين هاشم محمد
عطبره / السودان

●

البحر الاحمر

● من المعروف ان البحر الاحمر بحر عربي•• فبالاضافة الى اهميته الاستراتيجية نجده يزخر بثرواته الدفينة اذ ان هناك مئات من الاجانب الذين ياتون لرؤية شعابه المرجانية واسماكه الملونة واصدافه البراقة التى لا نظير لها فى بحار العالم ••

الا يستحق منكم هذا البحر التفاتة تتمثل باستطلاع لبعض المدن الواقعة عليه مثل العقبة ــ الغردقة ــ جده ــ بور سودان ــ الحديدة عدا عن الجزر الموجودة فى جنوبه

آمل ان تستجيبوا لاقتراحى هذا لتعريف القارىء العربى بأهمية هذا البحر العربى •

طارق السباعى
السعودية ــ جدة

ما أشبه الليلة بالبارحة

● المقال الذى كتبه الاستاذمحمد فتحى عثمان فى عدد نوفمبر ٧٧ من العربى عن الازمات التى واجهت المجتمع الاسلامى حرى بأن يقرأه المسلم اليوم اكثر من مرة ويمعن النظر فيه •• فامتنا الاسلامية تمر بازمة حادة • المنافقون اليوم هوامتداد للمنافقين الذين عاشوا فى عهد رسول الله •• فالخير والشر متلاحمان لاينفك احدهما عن الاخر ابدا •• والاسلام لم يطرد من عقيدة الايمان كل من ابدى ضعفا فى لحظة •• وليس اصدق على ذلك من المثل الذى ساقه الكاتب فى مقاله عن حاطب ابن ابى بلتعة•• وكان حاطب هذا مجاهدا يوم بدر وعهد اليه الرسول الكريم بكتابه الى المقوقس بمصر يدعوه الى الاسلام •• ولكن انتابته لحظة ضعف رق فيها لولده •• فقدر الرسول ضعفه وذكر بسابق جهاده وبلائه ولم ياخذ براى عمر بن الخطاب الذى قال(دعنى يارسول الله فلاضرب عنقه •• فان الرجل قدنافق) •

فما احرنا اليوم ان نمعن النظر فى هذا الذى حدث فى عهد الرسول صلوات الله عليه ونقارنه بما جرى اليوم على الساحة الاسلامية والعربية ••من ردة اشبه ما تكون بالردة التى عاناها المسلمون فى عهد النبوة •

وواجبنا اليوم يفرض علينا ان نجتاز هذه المحنة كما اجتازها اولئك النفر الاخيار الذين واجهوا ازمات كادت تودى بهذه الرسالة الخالدة ولما يشتد عود الاسلام بعد•فلا نطلق الغضب من عقاله باسلوب لا عقلانى •على كل من تستكين نفسه لضعف بل نمهد له سبيل الرجوع الى الحق •• فتقوى عزيمته بعد هذا الضعف والقنوع •

ان الاخطاء باقية مابقيت على الارض حياة •• وستظل باقية حتى يرث الله الارض ومن عليها •

فما اشبه الليلة بالبارحة •

صلاح عبد اللطيف
عمان ــ الاردن

القصة القصيرة في «العربي»

● القصة القصيرة في ادبنا العربي حديثة العهد ، ورغم هذا فقد وصل بعض كتاب القصة عندنا درجات من الابداع في ميدان القصة القصيرة ، وليس ادل على كلامي هذا من القصة التي نشرها العربي في عدد اكتوبر / ٧٧ تحت عنوان «الزائر» وقد وجدت نفسي حيال قصة متميزة باسلوب فكري رصع بالصور الشعرية وعايشت اجواءها منبهرة حتى تكاملت صورة هذا العمل الفني في خاتمتها .. حقا كانت قصة عربية تضاهي اروع ما خطه كبار القصصيين الاجانب سواء في بنائها المحكم الجديد في صيغته ، ام في مضمونها الفني بالابعاد ذات المغزى .

باختصار فان قصة الزائر ، تحفة فنية ملتزمة .. فلكم من قرائكم الشكر على هذا النوع من القصص الهادف .

فريدة العطار / حلب
سوريا .

●

سان جوان

● جاء في نتيجة مسابقة العدد ٢٢٥ والتي نشرت في العدد ٢٢٨ من العربي ان عاصمة بورتوريكو هي « سان جوان» والاصح ان تقول بان العاصمة اسمها سان خوان او سان جوان وليس هوان لان اسمها الاجنبي هو Sau Juan.

احمد اسعد طريفي
لبنان / بيروت

يجب أن نبـدأ..

● لي تعليق على مقال فهمي هويدي في العدد ٢٢٨ بعنوان « من هنا نبدأ » الخصه فيما يلي :

أولا : ان من يقـرا المقال قد يتشاءم حتى يحسب ان عالمنا الاسلامي خال من كل ما يمت للاسلام بصلة مع انه، رغم الضياع ورغم الفتنة التي اصبنا بها ولا نزال ، لا تزال هناك عقول تفكر وقلوب عامرة بالايمان ، وقران وسنة يقران ويطبقان على كثير من معاملاتنا وطرق حياتنا نحن كقاعدة للمجتمع على الاقل دون النظر للقمة ..

ثانيا : دعا المقال الى ضرورة البدء في ترسيخ القاعدة وتثبيتها ، بل انه اعتبرها من المسلمات واستشهد بالاية الكريمة « ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » مع انه في نهاية مقالته اكد ان لا قيمة لما يقال داخل قاعات الدروس اذا كان هناك ماينافضه في الشارع او البيت او الصحيفة او على شاشات التلفزيون، اوليس التلفزيون ، وهو من اهم وسائل الاعلام الحاضرة ، والمذياع في بلادنا وسائل اعلام بيد المسؤولين الذين هم القمة ؟

العقل اليهودي والمال العربي

● للاسف اصبح العقل اليهودي هذه الايام مضرب المثل عند بعض الناس في عالمنا العربي .. حتى وصل بهم الامر الى التبشير بان المنطقة ستتحول الى جنات نعيم لو تم الزواج بين هذا العقل والمال العربي الحائر . والخطورة في هذا القول تكمن في انه يجرى على السنة عربية صدقت الفرية التي اطلقها الاعلام الاسرائيلي بعد هزيمتنا عام ١٩٦٧ .

فهل حقا ماز عموا ؟ .. اوليس في هذا القول اهانة للعقل العربي . وهل نعدو الحقيقة اذا قلنا بان هذا الكلام غير صحيح على الاطلاق . وهل العقول العربية المهاجرة في اوروبا وامريكا والتي شهدلها العدو قبل الصديق كافية لدحض تلك الفرية .

ايها السادة ــ ان العقل العربي بخير . ولكن اعطوه فرصة فقط !

سامر عبداللطيف .
تونس

ثالثا : يقول فهمي هويدي:« وسوف تكون سذاجة مطلقة ان نتصور المسالة كما لو كانتدعوة لزيادة حصص الدين في المدارس » . وانا اتفق معهفيان زيادتها لن تحقق التغيير المطلوب فيمجتمعاتنا الاسلامية،ولكن انقاصها ايضا او حتى جعلها قليلة لا تتناسب الا معالقليل القليل من مبادىء اسلامنا أسوأ من زيادتها ..اليس كذلك ؟

ولا اظن ان اثنين يختلفانفي ان زيادتها او جعلهامعقولة يجعل اجيالنا على اتصال اكثرواوثق بدينهم ودنياهم على السواء .

رابعا : حقا ان الاسلامعقيدة قبل ان يكون شريعة .. ولكن عقيدتنا الان موجودة رغمتزعزعها ، وابناؤنا يتعلمون الدين فيالمدارس عقيدةوشريعةيتزعزعان فيما بعد لعدم الربط الوثيق بينهما والذي يمكناحكامه بتعاون القمة والقاعدة .. كيف ؟ هنا اضم صوتيالىكاتب المقال في ان يطرح هدف اعداد جيلمسلم لمناقشة مفصلةبين المختصين والداعين الى بناء المجتمع الاسلامي .

عبد الكريم هندي

عمان/الاردن

أما لهذا الليل من آخـــر

● قرات منذ سنوات عن شكاوى القراء الذين يصعب عليهم الحصول على نسخة من العربي، وقرات أجوبتكم عليها تلك الاجوبة التي كانت وما زالت تقولان الحلقريب والذي اراه هو العكس .. فالازمة مستمرة .. بل هي تتزايد تزايد الطلب .. والذي يهمني ويهم القراء هو أن نحصل على نسختنا من هذه المجلة بسهولة ويسر .

فما الذي يحول دون تحقيق رغبة قرائكم .. وهل حل هذه الازمة من المستحيلات ؟

عبد ربه حسن الربيعي

بغداد ــ العراق

ابتلاع الضفة الغربية والقطاع

● ان الخلاف القائم اليومبين مناحيم بيجن ووزيرخارجيته موشيه ديانحول المشروع الذيقدمه الاول بشان الضفة الغربية وقطاع غزة هو خلاففي الشكل لا في الجوهر . فكلاهما راغب في ابتلاع ماتبقى من فلسطين،ولكن الخلاف يدور عن كيفية الابتلاع ، لانالمؤسسة العسكرية الاسرائيلية متفقة فيما بينها على ابتلاعهذه الارض مهما قدم العرب من تنازلات وحسن نوايا ، وهذهالمؤسسة منسجمة مع تعاليم الصهيونية التيتقول:« منالنيلالى الفرات ارضك يااسرائيل»

هذا هو الشعار الذي تسعىهذه المؤسسة الى تطبيقه منذ عهدهرتزلمرورا بحاييم وايزمنوبن غوريون وجولدا مائير ومناحيم بيجن .

فمتى يستفيق العرب منغفوتهم !

زياد عبدالكريم

بغداد .

حوار القراء

قراء العربي كثر ولله الحمد والزاوية المخصصة لحوار القراء منالضيق بحيث اصبحت تعطي مفهوما مغايرا للحقيقة فحبذا لو زدتم عدد صفحات هذا الباب .

سعيد محمدالاسكندرية ــ مصر

ايضاح

● تاسف للسهو الذي ادى الى سقوط العمود ١٣ من الكلمات الراسية في نزهةالعقل الذكي المنشور في العدد ٢٢٩ منالعربي.

العربي



قصة قصيرة

أوه .. افريقيا

بقلم : زينب صادق

■ ذابت الثلوج واختفى اللـــون الابيض • الاشجار بدات ألوانها الخضراء تظهر • النهار بدأ يطول والليل يقصر • والملابس خففنا مـــن اثقالها على اجسادنا • جـاء الربيـــع الينا •• واحتفالا بقدوم ربيع اوروبـــا قرر طالبو العلم والمعرفة من سكان منزل المغتربين ان يقيموا حفلة فى حديقة المنزل •

بدأنا الحفلة فى ضوء النهار لنستمتع بالوان الاشجار وشمس قبل الغـــروب الفاترة • احضر « تونى » أو « انطوان » الافريقى شريطا تسجيليا وقال لنا انه سيسمعنا الحانا اوروبية افريقية الاصل ، وقال ان اصل الرقصات الحديثة مستوحى من الحان افريقية • وملأ المكان بالحانه •

تقدم منى « تونى » وقال :

ـ اختى افريقيا •• هل ترقصين معى ؟

وقال ونحن نرقص :

ـ اختى •• انت من الشمال • وانا من الجنوب انت بيضاء وانا اسود •• لكن امنا واحــدة • افريقيا •• اين تعلمت الرقص يااختى ••

ـ فى مصر ••

ـ وانا صغير كنت اكره اللون الابيض • كان يمثل لى الرجل الغريب المستعمر • وعندما نلنا استقلالنا • وهذا لم يكن بسيطا وسهلا • كانت ما زالت عقدةاللون الابيضفى نفسى وعندما جاءت بعثات من شمال القارة لتعمر بلادنا قالت امى :

لا تكرههم يابنى •• فهؤلاء البيض من شمال امنا الحنون افريقيا • هم اخوتك واخواتك • وهم هنا ليساعدونا ، وليس ليستعمرونا •• وهكذا بدات بالتدريج احبكم • والان زالت تماما من نفسى عقدة اللون الابيض •

غمرتنا الالحان الراقصة بينابيع من المرح والفرحة • كاننا ننفض عن انفسنا ذكريات الشتاء البارد •وأياما طويلة من ملاحقةالدراسة والتدريب والمعرفة • وليالى طويلة من الانكماش فى وحدة وغربة •

عندما بدات السحب تخفى ضوء الشمس الباهت اشعلنا نارا تحت شجرة كبيرة • وجاءت فرقة موسيقية من الشباب الاوروبى اتفق معهم احد النازلين فى المنزل • وكان ضمن الفرقة افريقى اسود تبادل الحديث مع « تونى » بلغة بلدهمبعدها جلس بجانبى وقال بشىء من الحزن :

ـ هذا واحد من اخواتنا يا اختى • لا يريد ان يعود الى بيت امه •• ويفضل ان يعيش فىطرقات اوروبا يغنى • وقلت ـ هو سفير لبلده ايضا •

مصمص « تونى » شفتيه وقال :

ـ ترك دراسته هنا • هل تعلمين كم تكلف اهله لارساله الى بلاد العالم المتحضر ليتعلم ؟ ! •

ـ خمس سنوات وهو يغنى فى الطرقات • لم يصبح مغنيا محترما • وربما اقنعه فى يوم من هذه الايام ان يعود لدراسته او يعود الى امه • امنا



الحنون افريقيا . صمتنا قليلا لنستمع الى اغاني الفرقة الموسيقية .

ـ هناك امام بيتنا شجرة كبيرة عالية . قالت امي لنا انها تريد ابناءها ان تكون جذورهم في ارضهم مثل هذه الشجرة .. مهما ارتفع احدهم لا بد ان تكون جذوره في الارض . وكان لجدي رأي: ان الزنوج لا بد ان يعودوا الى افريقيا ما داموا لم ينالوا حرية في امريكا ... لكن ياأختي يخيل الي ان اعدادا هائلة من اخواني الافريقيين قد سجنوا في بلاد مثل امريكا ولم يستطيعوا العودة. كانهم نفوا هناك . منعوا من الخروج . انا متعب من الشكوك في رأسي .

قلت ـ لكنكم الان ياأخي تخرجون الى بلادالعالم بارادتكم ؟ واظن انكم تعودون ايضا بارادتكم .

قال توني ـ اننا نخرج جماعات لنتلقى العلم في بلاد العالم المتحضر . تجمعنا احاديث المساء عن مستقبل افريقيا ونعود لنعطي ما تلقيناه من علم ومعرفة للجيل المقبل ، حتى لا يتحمل مشقة السفر والاغتراب .نعود باحساس حقيقي ان ننهض بافريقيا ..واحيانا تبهرنا حضارة الغرب واضواؤه فلا نعود الى بلادنا . لكن ما ذنب امنا الحنون التي ترسلنا للخارج ؟ هل نخذلها ؟ . هل نقول لها : بيتك قذر يا ماما .. فلا نريد العودة ؟ أم نعود اليها باحدث الطرق لتنظيف المنزل ؟ ! .. هل ترقصين يا اختي ؟ ! .

وقمنا لنرقص . فقد بدات الرقصات مرة اخرى، حول النار المشتعلة ، وانغام الفرقة الموسيقيةوغناء الافريقي المصاحب للفرقة . وكان صوته يبعث الحيوية في الراقصين . تمايل « توني » برشاقة مع اللحن وهو يردد بعض المقاطع بنشوة . رقصنا منفردين . الانغام تبعث البهجة . تنتشر الضحكات والصرخات . كل يقول بلغته هذا شيء رائع .ليتنا نبقى للصباح نرقص .

قال توني ـ هل ستعودين الى امنا الحنون يا اختي ؟

ـ نعم .. طبعا ..

اقترب مني . احاط خصري بذراعه . ضمني اليه . قال :

ـ انا ايضا ساعود .. اوه افريقيا ..

ودار بي مع اللحن وهو يردد .. اوه افريقيا.. اوه افريقيا .. الى ان انتهى اللحن .. وعندما اختفت الشمس كانت السحب القاتمة تملأ السماء وانصرفت الفرقة الموسيقية لتلحق بموعد آخر ـ وقال احد الطلبة العرب .. « توني » .

هكذا تكون الحفلات . ان تحضر فرقة موسيقية، وان كان لمدة ساعتين . وليست مثل تلك الحفلات الصغيرة التي تقيمها لنا تسجيلاتك القديمة .. وهذه العبارة التي تقولها كلما وجدت منا جمعا : « ساحضر بيرة ونعمل حفلة » ..

ضحك توني وهو يقول :

ـ الم اخرجكم من صمتكم المميت احيانا في هذه الليالي الباردة الاوروبية . وقال العربي للجميع بصوت مرتفع :

ـ الافضل ان نكمل حفلتنا في حجرة المكتبة داخل المنزل . عندي لكم مفاجأة .

صمت قليلاوالكلقدالتفت اليه ليعرف المفاجأة.. قال العربي : بشريط تسجيل للمطربة فيروز.. وهللنا للفكرة .

جلس « توني » بجانبي وسالني

ـ هل هذه مغنية من بلادكم ؟

ـ نعم ..

ـ خسارة .. انني لاافهم العربية لكن الصوت جميل يمكنني ان اتاثر .. ما اسم هذه المغنية يا اختي ؟

ـ فيروز .

ـ ماذا يعني الاسم بالانجليزية ..

قال توني بفرحة :

ـ فيركواز ..

ـ فيركواز .. هذا حجر كريم . انا احب هذه الدرجة من اللون الازرق .. ثم التفت للجميع وقال مهللا :

ـ ما رايكم ..ساحضر بيرة ونعمل حفلةلنستمع الى السيدة فيركواز . وضحكنا .

ـ توني .. اننا فعلا في حفلة ..

ـ آه .. نسيت ..

ثم قام وهو يقول :

ـ على اي حال ساحضر بيرة ما دمنا في حفلة.. خرج .

صوت المطربة الشجي اشعل حماسة ابناء الدول



العربية او الـار اشجانهم وحنينهم لاوطانهم ودخلوا فى مناقشة • ثم مشاجرة • لم ارد ان ادخل فى متاهاتها السياسية وضاع صوت «فيروز» وسط زعيقهم وضاعت فرحة « تونى » بالبيرة التى احضرها • وفجاة لمعت السماء بضوء قوى ،ودوى صـوت رعد مرعب • وهطلت امطار لم ارها من قبل •

صمت الجميع • صمت ايضا صوت « فيروز » التسجيل انتهى او توقف • قمت مع آخرين الى النافذة • وقفنا صامتين فى دهشة امام تغيرات الطبيعة المفاجئة •

قال « تونى » ساخرا منا : « هذا المطر لا يساوى شيئا مقارنا بامطار افريقيا ورعد سمائها » ثم تحدثوا جميعا عن الجو بنفس حماس حديثهم فى السياسة • وتعجبت وانا ادور بنظراتى بين حماسة وجوههم ، وكل يحكى عن جو بلاده •• من لحظات فقط كنت اتوقع ان تحدث مشاجرة بالايدى• ربما شعر « تونى » بنفس شعورى فقال وهـو يمصمص شفتيه ان العرب مثل الافريقيين قلوبهم طيبة • لكنهم يتحمسون لدرجة الشجار من اجل مصلحة بلادهم •

ثم التفت لى وقال :

ـ افتقدت امنا الحنون يا اختى •• اوه •• افريقيا ••

وبعد الحديث الحماسى عن الجو ساد الصمت بين الموجودين • ربما من تعب الحفلة المبكرة • أو من حماس الاحاديث• بعضهم ترك المكان الى حجراتهم فى المنزل الكبير • وبعضهم سحب كتابا او مجلة من المكتبة فى الحجرة • قال احد المصريين الذين يعملون ابحاثا ، بعد ان فتح كتابا ليقرا :

ـ ايه••بعد ان شاب شعرنا عدنا نعمل ابحاثا وندرس لغة اجنبية •• ضحك تونى وكان جالسا بجواره فقال له المصرى :

ـ حتى عندما اتحدث بلغتنا تضحك •• مـاذا يضحك فى كلماتى •• هل فهمتها ؟ •

قال تونى ـ احبك ياأخى •• واعرف ان كل ما تقوله مسل ••

قال المصرى ـ افرض اننى كنت اقول ان امى ماتت • فهل فى هذا شىء مسل ؟ !

قال تونى بجدية :

ـ امك لن تموت ابدا •• افريقيا لن تمـوت ابدا ••

لكزه المصرى وقال :

ـ يا اخى اتعبت راسنا بامنا الحنون » •

ضحك تونى ـ اوه •• افريقيا ••

قال المصرى ـ انت هنا وسط اوروبا • اجمل البلاد واجمل البنات •

قال تونى ـ لا يوجد اجمل من بلاد افريقيا •• ولا اجمل من بنات افريقيا •• هل ستبقى فى هذه البلاد ياأخى ••

قال المصرى ـ لى زوجة وطفلة •• قطعا ساعود اليهما •

قال تونى ـ ستعود اولا من اجل امنا افريقيا••

خبط المصرى كفا بكف وقال كمن يحدث نفسه•

ـ كنا نتشاجر من لحظات بسبب مستقبل الدول العربية • ومستقبل امتنا ••

الان يحدثنى الافريقى عن امنا افريقيا ؟ !

قام « تونى » وهو يقول انه سيذهب ليحدث

صديقته الاوروبية المصبوغ شعرها.وساله المصري ان يعرفه بصديقته هذه التي يتحدث عنها كثيرا . فضحك « توني » وقال له المصري : « امنا واحدة يا توني .. عرفني بها » .

ضحك مرة اخرى وهو يخرج من الحجرة ويردد.. « آوه .. افريقيا » ..

ان حب الافريقي لقارة افريقيا كلها يشغلني. فهو لا يتحدث فقط عن بلده في الجنوب الغربي من القارة ، بل يتحدث دائما عن افريقيا ككل . وليس كجزء ، يتحدث عن الجزء الجنوبي الذي ما زال مستعمرا كأنه يتحدث عن بلده.انها مازالت مستعمرة مع انها نالت استقلالها في الستينات . ومن احاديثنا المتفرقة من حين لاخر يجعلني افكر في معنى حقيقة الانتماء.فهل الانتماء بالناس ..المجتمع. الناس .. احباؤنا الناس التقاليد والنظم الناس.. السياسة . ام الانتماء بارض اولا واخيرا وفي معناها المحدود . الوطن ؟ ! . و« توني » دائما في احاديثنا المتفرقة يعتقد ان الانتماء الحقيقي بالارض ويشبه هذا الانتماء بالجذور . فهناك ناس جذورهم ارضية وهؤلاء هم الذين ينتمون لارضهم ولا يستطيعون الحياة بعيدا عنها.وهناك ناس جذورهم في الهواء . لايرتبطون بارض ، مثل النباتات ذات الجذور الهوائية . يمكن نقلها من مكان الى مكان في العالم لكن من الصعب تاقلمها في المناخ الجديد.فهي تحتاج الى نفس الجو الذي نقلت منه.

عاد « توني » الى الحجرة : جلس امامي وكان يبدو على وجهه هم ..

سالته ـ ما هي المشكلة

ـ تريد ان تتزوجني ..

ـ وانت ؟ ..

ـ المشكلة يا اختي ان امي ستغضب اذا انا تزوجت شقراء مصبوغ شعرها .. واوروبية .

سالته ـ امك افريقيا .. ام امك انت .. ؟

ـ الاثنتان ..

ـ تحبها ؟

ـ احبها ..نعم .. وهي تحبني جدا . وتفخر بلوني الاسود امام اصدقائها وصديقاتها وعندما نسير معا تتابط ذراعي كانها تتابط ذراع امير . لكن احيانا اشعر انها تحبني لاني الشيء غير المالوف.

الناس في هذه البلاد المتحضرة حصلوا على كل شيء مفروض ان يحصل عليه الفرد العادي في الحياة . واعتقد انهم ملوا المالوف فاصبحوا يبحثون الان عن الشيء غير المالوف .. ومن ناحية اخرى لا اريد ان اعيش هنا . وهي .. اشك انها ستتحمل الحياة في بلدي لفترة طويلة . ولا اريد ان اترك اطفالي السود يسيرون هنا مع امهم الشقراء ويشير اليهم الناس ويقولون : اباهم اسود .. اين هو ابوهم الاسود ؟ .. بينما اكون انا في بلدي التي تحتاج لي .. هل تدري يا اختي . بعض الافريقيين السود يتزوجون البيضاوات بسبب عقدة اللون لا اكثر. يعتقدون انهم بزيجاتهم هذه استطاعوا غزو البيض .. نادرا ما تنجح زيجاتهم لانها غير مبنية على الحب .. مبنية على عقدة اللون لا اكثر .

قلت ـ توني..لا تغالط.انا نرى زيجات كثيرة هنا ناجحة بين الافريقيين السود والاوروبيات البيضاوات.العالم الان لم يعد يحظر على الاجناس الاختلاط ببعضها ..

قال ـ نعم .. حدثت لخبطة في العالم ، ليست فقط في السياسة بل في كل شيء واختلطت الاجناس ببعضها .. اختي .. هل جذورك ارضية ؟ ..

ـ ربما لم اكتشفها.الا عندما بعدت عن ارضي..

نظرت حولي في الحجرة .. كانت خالية . لقد ذهب الموجودون . ربما من فترة وكنا منهمكين في احاديثنا . قمت لانصرف .. قام « توني » الى النافذة وفتحها . وكان الجو صامتا معبقا برائحة مياه الامطار فوق الاشجار .. اخذنفسا عميقا وبدأ يغني لحنا افريقيا . او ربما كلمات من قصيدة شعر افريقية وضع لها هو اللحن ، خرجت من الحجرة . وفي صمت الليل كانت كلمات الاغنية بصوته المرتفع تصاحبني الى حجرتي :

« اذا كان قد جاء الوقت لتملكي قلبي ..
ارجوك افعلي .. افعلي هذا الان ..
اذا كان هذا هو الوقت لتملكي قلبي ..
دعيني اكن ضحية سهلة ..
للنشوة التي تحملينها لشفتي ..
اوه ... اوه .. افريقيا ... افريقيا . ! »

■■

زينب صادق

« اذا اردنا ان نعيش فيجب ان نبحث عن صيغة سياسية جديدة، لان قواعد اللعب قد تغيرت تماما» ٠



في ظلام سنوات النور

صورة للأزمة التي يعيشها العالم الغربي واحتمالاتها

تاليف : بيرو انجيلا

عرض وتقديم : فريد كامل

هذا الكتاب فاز بجائزة أحسن كتاب لنشر الثقافة العلمية في ايطاليا٠وهو دراسة هامة وجادة تلقى الاضواء على حقيقة الازمة الاقتصادية التي نعيشها اليوم،على احتمالاتها المستقبلة ٠٠٠ الكتاب على شكل مجموعة من الاحاديث مع الخبراء العالميين ، ونقدمه ـ مركزا ـ بنفس طريقة العرض مع الالتزام بقدر الامكان باسلوب المؤلف ٠٠٠وهو صحفي عمل لثلاثة عشر عاما كمراسل للتليفزيون الايطالي في العواصم الاوربية ويراس منذ عامين قسم البرامج العلمية والاجتماعية بالتليفزيون، وقد صدرت له ثلاثة كتب سابقة٠٠

على كل دولة الاعتماد على مواردها

انت تعرف لعبة الشطرنج : لوحة عليها قطع تختلف في الشكل ، لبعضها قيمة أكبر من الاخرى •• تصور اذن انه تقرر فجأة ، وسط مباراة الشطرنج ، أن تتغير قواعد اللعبة ليصبح الجندي مثلا اهم من الفارس والقلعة اقوى من الوزير •• يجب على اللاعب في مثل هذه الحالة ، ان يغير طريقة مناورته بقطعه ، أن يخترع استراتيجية جديدة ، لانه اذا استمر في اللعب بطريقته القديمة لا بد ان يفلس •••

« هذا بالضبط هو ما حدث في العالم خلال السنين الاخيرة : تغيرت فجأة قواعد اللعبة لتبرز قيمة بعض « القطع » التي تملك الطاقة والمواد الخام وتهبط قيمة قطع اخرى لا تملكها ، مما يحتم علينا ان نغير استراتيجيتنا الاقتصادية والسياسية والا افلسنا » ••

هذا هو موضوع حديثنا ، الذي نبدؤه مع البروفسور الامريكي جاي فورستر بجامعه بوسطون الامريكية محاولة التعرف على ما تغير من قواعد اللعبه في عالم اليوم وعلى العلاقة الجديدة بين « القطع » التي عندها والتي ليست عندها •• وعلى التعديلات الاستراتيجية التي تحتمها هذه التغييرات •••

« حدث التغيير الجذري في العلاقة بين المنتج والمادة الخام • كان اقتصادنا (الغربي) من قبل مبنيا اساسا على مقدرتنا على تحويل المواد الاولية التي كانت رخيصة لتوفرها ـ بل كان يبدو ان المخزون منها لا نهاية له •• لذا كانت الدول الصناعية في موضع متميز • كان باستطاعتها الحصول على المواد الخام او شراؤها بثمن بخس ثم بيعها مصنعة بثمن مرتفع •• لكن الموقف قد تغير تماما الان : زيادة السكان وزيادة التصنيع اظهرا أن الموارد الطبيعية لها حدود (وكانت ازمة البترول أولى معالم هذه الحدود) •• اصبح الطلب كبيرا على المواد الاولية لان كل الدول تحتاجها حتى الدول النامية، أصبح الذين يملكونها يميلون اكثر واكثر نحو عدم بيعها بل تصنيعها واستغلالها بانفسهم •• لم تعد المواد الخام متوفرة ورخيصة الثمن ، فتغيرت الصورة ••

« كان نوع التطور الذي عرفناه حتى الان في الواقع عملية تصنيع مستمرة ومتسعة لملء فراغات ناتجة عن الزيادة المطردة في السكان وفي حاجاتهم الاستهلاكية تقوم بها الدول التي تحتكر الصناعة وتحصل على المواد الخام والطاقة باسعار بخسة وبيع منتجاتها باسعار مرتفعة •••

هكذا عرفت الرخاء •• واليوم لا يمكن ان يستمر هذا النوع من التطور لارتفاع أسعار المواد الخام والطاقة ولتمسك اصحابها بها •• لهذا يجب ان يفهم الجميع جيدا ان الدول الصناعية لم يعد بامكانها أن تستمر في الحياة على مصادر الدول الناميه ، ان كل دولة يجب أن تعمل على أن تعيش من مصادرها الخاصه ، باحثة عن حلول جديدة محلية لمشاكلها ، وليس هذا صحيحا فحسب بالنسبة للدول الصناعية التي تضطر لاستيراد المواد الخام والطاقة من غيرها ، بل ايضا بالنسبة لدول العالم الثالث التي تضطر لاستيراد الطعام •• يجب ان يفهم العالم أن اعتماد دولة على موارد الاخرين (على الطريقة الاستعماريه) سيصبح أكثر صعوبة يوما بعد يوم ، لذا يجب أن تعتمد كل دولة على مواردها وثرواتها الخاصة: المادية او البشرية او التكنولوجية ••• »

التغيير في قواعد اللعبة يتطلب استراتيجية جديدة اساسها الاعتماد على النفس ، لذا تبرز اهميه أن تعمل كل دولة على تنظيم وتحسين استغلال مواردها الطبيعية وتحاشي أي اسراف فيها •• الولايات المتحدة مثلا تقوم الان بعمل دراسه واسعة لاستغلال مخزونها الهائل من الفحم الذي كانت قد تناسته لاعتمادها على البترول المستورد الرخيص •• « الولايات المتحدة بالنسبة للفحم كالسعودية بالنسبة للنفط ، بل يقدر مخزون الفحم فيها باكثر من ضعف مخزون البترول في الشرق الاوسط كله •• لذا تجرى الان دراسات تطوير وتحديث وخفض نفقات استخراج الفحم آليا وتحويله الى غاز لتسهيل استعماله في مختلف الاغراض ، وكذلك لحل مشاكل البيئة المترتبة عن استخراج الفحم ••• »

وهل ستصدر الولايات المتحدة فحمها لحلفائها الاوربيين ؟؟ ـ « لا اعتقد ذلك •• ففي المستقبل ستكون كل دولة اقل استعدادا للتنازل عن ثرواتها ، وأنا أتوقع ضغوطا داخلية لكي لا تصدر الفحم •• واوروبا ـ على كل حال ـ قد صنعت القليل لحل مشاكلها في الطاقة : زادت استيراد النفط واقامت بعض المفاعلات الذرية ، ولكنها لم

تتخذ اية خطوات جادة للحد من استهلاك الطاقة والمواد الخام او لتنمية مصادر محلية بديلة لمستورداتها ٠٠ »

انتهى عصر الاحتكار بالخرزات الملونة

عنصر جديد يزيد أزمة الدول الصناعية تعقيدا هو منافسة الدول النامية ٠

« خذ مثلا الاخشاب٠٠ نحن ندخل الان فيمرحلة ازمة حادة في الاخشاب لان سرعة ازالة الغابات ـ أى الاستهلاك ـ أكبر بكثير من سرعة نموها ـ أي الانتاج ٠٠ واليوم ـ بعد أن تقلصت الغابات في غالبية الدول الصناعية الى حدها الادنى ـ يوجد اكثر من ثلثى ثروة العالم الخشبية فى المنطقة الاستوائية ، والدول المنتجة للاخشاب تنحو اكثر واكثر الى عدم تصديره فى صورته الخام ، بلتحيله الى اثاثاو ورق (وهى صناعات لا تحتاج الى مهارة عالية او تكنولوجية معقدة) لتصدره كمنتجات صناعية ٠٠ اى أن صناعات الورق والاثاث فى العالم الصناعى يجب ان لا تواجه من شح المادة الخام وارتفاع ثمنها فحسب ، بل تواجه منافسة الدول النامية التى تصنع الاخشاب فى مكانها ٠٠ » (مما يلغى نفقات نقل المادة الخام) باجور عمالة اقل بكثير ، اى بسعر اقدر على المنافسة ٠٠ »

وهذا بالطبعينطبق على المواد الخام الاخرى٠٠ دافيد فريمان ـ مستشار الكونجرس الامريكى لشئون الطاقة ـ يقول : « خذ مثلا البترول ومشتقاته ، لا يمكننا مثلا ان تنافس المملكة السعودية فى انتاج الاسمدة والبلاستيك لانها تملك المادة الخام ـ البترول ٠ هذا ايضا صحيح بالنسبة لاى نوع من الانتاج الصناعى الذى يحتاج للكثيرمن الطاقة ٠٠٠هذا يعنى ان الدولالصناعية اذا أرادت أن تبقى ـ عليها أن تنسحب تدريجيا من صناعات المشتقات البترولية والبتروكيميائيات والصناعات التى تحتاج للكثير من الطاقة أو أن تركز على الصناعات ذات المستوى التكنولوجى المرتفع الذى لم يصبح بعد فى متناول يد الدول النامية ، ان تنتج ما تحتاجه الدول الثرية بمواردها ولا يمكنها هى انتاجه ٠٠ يجب أن ندافع عن انفسنا ضد منافسة دول العالم الثالث بان ننمي باستمرار صناعاتنا التكنولوجية التى تحتاج لمصادر وخامات قليلة أو محلية ٠٠ »

فى المانيا الفيدرالية يقوم أخصائيون فى جامعة هانوفر بتكليف من حكومة بون ـ بعمل دراسة واسعة حول التخطيط للتحول الصناعى الذى تتطلبه التغيرات الاخيرة فى العلاقات الاقتصادية العالمية ، ويرأس هؤلاء الاخصائيين البروفسور ادوارد بستل ـ مؤلف الكتاب الشهر « استراتيجية لكى نبقى » ـ يقول البروفسور « لا شك عندى أن المانيا فى نهاية القرن ستكون مختلفة كثيرا عن المانيا اليوم ٠٠ هى اليوم دولة مكشوفة الجوانب لانها ـ لكى تعيش ـ يجب أن تستورد المواد الاولية وان تصدر انتاجها الصناعى ، وهو ما لا يمكن ان يستمر لان الحصول على المواد الاولية والتصدير كليهما يزداد صعوبة يوما بعد يوم ، كما يزداد الانتقال التكنولوجى بحيث لا يستطيع العامل الالمانى الاحتفاظ بمستوى معيشته ، اذا استمر فى القيام بعمل يمكن أن يقوم به عامل اخر فى مكان آخر بنصف الاجر ٠٠ لهذا يجب أن نعيد تقييم كل شىء ٠ يجب أن نخطط فى اى اتجاه يجب أن نتطور وأن نحسب ما يتطلبه ذلك وما سيحدثه من تغييرات تكنولوجية وبيئية واقتصادية وديموغرافية ، وتغييرات فى الدخل وفى العمالة والاسواق ٠٠ الخ ٠٠

« الخطوط العامة للتغيير هى أن نتحول من انتاج البضائع الجماهيرية البسيطة الى الانتاج ذى المحتوى التكنولوجى المرتفع ، من الانتاج الاستهلاكى الى الانتاج الاستثمارى (المصانع والالات ٠٠ الخ) لان الصناعات الاستهلاكية التقليدية (الكيميائيات والنسيج ٠٠ حتى السيارات) ستنتقل تدريجيا وباطراد الى الدول النامية حيثالمواد الخام والطاقة والعمالة الرخيصة والاسواق الكبيرة ٠٠ وعلينا أن نعد فورا لهذا التغيير ، لانه يحتاج الى وقت طويل ، واذا لم نبدأه من الان قريبا وجدنا انفسنا خلال اللحظة الاخيرة فى مازق حرج ٠٠ »

وكيف يؤثر هذا التغيير على المواطنين ؟

« نعتقد أن هنا فى المانيا ـ خلال الخمسة وعشرين سنة القادمة ـ ستضطر جماعات بينخمسة ملايين وعشرة ملايين من السكان أن يغيروا أعمالهم منتقلين من أحد القطاعات الى قطاع آخر ٠٠ من الواضح أن هذا التغيير لن يكون سهلا لانه يتطلب ليس مجرد تاقلم مهنى ، بل هو ايضا تاقلم فكرى

ونفسي ، لذا نطالب بان نبدأ برامج التعليم من الان في توجيه الاطفال الى ضرورة ان يغير كل منهم في المستقبل مهنته مرتين أو ثلاثا خلال دورة حياته » !!

استاذ ألماني آخر ـ فالترليهمان من جامعة مانهايم ـ يؤكد هو أيضا ضروره حدوث تغييرات جذريه نتيجة لتغير قواعد اللعبة ، ويتنبأ بانتقال جزء كبير من العمالة من قطاع الانتاج الى الخدمات • يقول « في المانيا اليوم يعمل ٤٥٪ من السكان العاملين تقريبا في قطاع الخدمات ، ورأيي ان هذه النسبة ستزيد لتصل قبل نهاية القرن الحالي الى ٦٥٪ على الاقل •• وليتم هذا التطور يجب ان نفلس ، يجب ان نتجه نحو التصعيد التكنولوجي السريع اذا أردنا أن يبقى معدل تنميتنا فوق الصفر ، والا افلسنا ••• !!

« والمطلوب اذن هو التقدم على طريق ضيق تحفه المهاوى من الجانبين : بين الأزمة الاقتصادية وأزمة المواد الخام ، بين تغيير الانتاج وأزمة البطالة •• ويزيد من الخطر أن الذين يدركونه قليلون •

ان الدول تعتبر الازمة الاقتصادية الحالية مثل سابقاتها وتحاول علاجها مثل سابقاتها ـ بالتوسع في الاستثمار وكأن التوسع لا نهاية له ، لكن الخطر يزداد ، وهو يعلن عن نفسه في صورة عجز مالي ميزاني متزايد ، فجوة تتسع بين ما تريده الدول والشعوب أو ما يحتاجونه ، وما يمكنهم الحصول عليه فعلا •• العجز ـ في الواقع ـ هو الفرق بين ما عند الانسان وما يريده ، ولازالة العجز يجب اما ان يزيد ممتلكاته أو ان يخفض رغباته • والحل الوحيد بالطبع هو الثاني، لان المطالب والرغبات تزيد والموجود يتناقص ••

« يوجد عالم آخر يطرق أبوابنا بالحاح متزايد هو عالم الذين ليس عندهم •• لم يعد عندهم أيضا الاستعداد لان يضحوا بمخصصاتهم وجرايتهم لرفاهيتنا واسرافنا ـ العصر الذى كان الغرب يحصل فيه على ما يريده من المواد الاولية ليزداد ثراء ورفاهية ، مقابل خرزات ملونة ، وبلا معارض ـ قد مضى بلا رجعة ، وكلما أصررنا على مقاومة التغيير زاد التوتر بين الدول الثرية والفقيرة ، ذلك التوتر الذى تشحذه الزيادة المطردة في السكان ، وفي الاستهلاك ، وفي الرغبات والتطلعات أيضا ••

القنبلة الذرية في متناول الكثيرين

يجمع العلماء الذين يدرسون « ميكانيكية العدوان » الفردى والجماعي على أنه اذا توفرت ظروف مادية ونفسيه معينة ولد العنف تلقائيا ، وصار العدوان الفردى أو العسكرى الجماعي تطورا لا مهرب منه •• وخلال التاريخ الانساني قامت الصراعات المسلحة والحروب لاحد سببين او كليهما معا : اقتصادى أو ديموغرافي، أي للمنافسة على المصادر ، أو المنافسة على الارض •• ويقول العلماء ان هذين العنصرين متوفران الان : قلة المواد الاولية والطاقة والطعام ، ثم التضخم السكاني الكبير ، ولهذا فان الموقف العالمي قابل للانفجار ••

في استوكهلم ، يوجد معهد ، اسمه سبرى Sprii يختص بمشاكل السلم العالمي والاخطار التي تهدده ، ويرأس المعهد البروفسور بول بارنابي ـ يقول « لا شك أننا ـ لاسباب متعددة ـ قد دخلنا أرضا مليئة بالالغام ••• القوى الكبرى ما زالت تتمسك بالقوة العسكرية كاحد أساليب سياساتها الخارجية، واذا تعقدت الازمةالاقتصادية وتعدت حدودا معينة وشعرت بعض الدول الكبرى انها مهددة فقد تلجأ الى القوة لحل مشاكلها الاقتصادية (ونحن نسمع تهديدات باحتلال منابع النفط مثلا) •• من ناحية أخرى لم يعد استعمال القوة مقبولا عالميا ، خاصة اذا كان من دولة كبيرة ضد دولة صغيرة » ••

في سنة ١٩٧٥ حينما اتفق الامريكيون والسوفيات على التعاون في مجال الفضاء (وتم اتصال « ابولو » و « سيوز ») وعلى تبادل القمح بالبترول ، اشيع احتمال ان تتفق الدول الكبرى على ان تحتكر فيما بينها مواردها المادية وتكنولوجيتها المعقدة ، عازلة عنها دول العالمين الثاني والثالث •

هل يمكن مثل هذا الاجراء ؟؟

« نعم ـ اعتقد ان محاولات ستجرى في مثل هذا الاتجاه ، بل اننا نرى الان تباشيرها : يوجد من يطالبون بعزل الدول التي لديها مشاكل اقتصادية وديموغرافية « مستحيلة الحل » (أى التي لا تملك موارد طبيعية لتساوم بها) وهذا يعني منع المساعدة عنها ومنع المعرفة التكنولوجية عنها أيضا •• ولست أدرى اذا كان من الممكن

ان ينجح فى التطبيق مثل هذا الاتجاه ، لاننا نتجه نحو عالم يزداد فيه التوتر كل يوم ، وتزداد سهولة الحصول على الاسلحة النووية ، بعد ان اصبحت المعلومات الخاصة بصنعها مشاعة للجميع (ويمكن شراء نسخة منها من مكتبة الكونغرس بواشنجتن بخمسة دولارات ٠٠ وقد قرانا كلنا عن طالب للكيمياء بجامعة بوسطون عمل مشروعا لصنع قنبلة ذرية فى خمسة اسابيع !) هذا فى الوقت الذى يزداد فيه انتشار المفاعلات النووية ومادة البلوتنيوم فى العالم ٠٠ وكان لتمكن الهند من صناعة قنبلة نووية من مفاعل ذرى اقامته بها كندا للاغراض السلمية ، الاثر فى تركيز انتباه العالم على امكانية استخدام المواد النووية الفنية المخصصة لاستعمال المفاعلات النووية او الناتجة عنها لصنع الاسلحة النووية ٠٠ والواقع ان مفاعلا واحدا قوته الف ميجاوات ينتج من المادة المتفجرة ما يمكن ان ينتج مائتى كيلوجرام او ثلاث مئة كيلوجرام من البلوتونيوم سنويا ، اى ما يكفى لصنع قنبلة ذرية كل اسبوع !!

« بخلاف ست دول عندها السلاح الذرى — الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وانجلترا وفرنسا والصين والهند ، هناك لدى اسرائيل مفاعل ضخم ومعرفة تكنولوجية ودافع لعمل القنبلة ، ورايى انها عندها فى ترسانتها ، ٠٠ وتوجد دول اخرى لديها دافع قوى لصنع القنبلة ، ويمكنها صنعها فى فترة غير طويلة ، وهى جنوب افريقيا وكوريا الجنوبية وفورموزا والباكستان ٠ وتوجد الدول التى عندها الامكانيات العلمية والمادية لصنعها حينما تشاء ذلك ، وهى كندا وسويسرا واليابان والمانيا الفيدرالية وبلجيكا وهولندة وايطاليا واستراليا والنرويج ٠٠ والدول التى تستطيع عملها ببعض الجهد المركز مثل ايران والبرازيل وارجنتينيا واسبانيا وتشيلى واندونيسيا ومصر ٠٠٠ مثل هذا الانتشار ، خاصة فى الوقت الذى تحتدم فيه الازمة الاقتصادية والديموغرافية — مثير للقلق الشديد ٠٠

وهل يمكن سرقة سلاح نووى ؟؟

« حاليا لا ٠٠ ولكننا نقلق للزيادة الهائلة فى كمية المتداول منها ٠٠٠ الولايات المتحدة مثلا عندها اكثر من عشرة الاف قنبلة نووية بين استراتيجية وتكتيكية فى أرضها واراضى حلفائها مثل هذا الانتشار يزيد من امكانية سرقة بعضها أو تسريبه » ٠٠

الضغوط الاقتصادية والسكانية تتزايد

يجمع علماء « ميديثيه العدوان » على ان الموقف العالمى يزداد تعجرا لان التوترين الاقتصادى والديموغرافى (ويدعى احدهما يؤدى الى الصراعات والحروب) قد ازدادا حدة نتيجة للتطور الاخير فى العلاقة بين المنتج والمادة الخام ٠٠ والواقع ان التوتر بين الاغنياء والفقراء (دولا كانوا أم افرادا) كان يحد من حدته من قبل الاحساس بان الكل عنده ما يسد حاجاته الاساسية (« ولا أحد يموت جوعا ») وان التطور والتقدم المطرد كالسلم المتحرك يوصل الجميع — ان سابقا او لاحقا — الى الرفاهية الموعودة ، اى كان التطور الانسانى المستمر جملة كل يعتبر — بشكل ما — وعدا بالمساواة فى المستقبل ، بديلا للمساواة على الفور ٠٠ ولكن ابطاء هذا السلم المتحرك نحو الرفاهية الان — بل قربه من التوقف — قد وضح فجاة عظم المسافات بين كل سلمة والتى تليها وابرز من جديد مطلب الفقراء لاعادة توزيع الثروات ٠٠

هذا المطلب قد بدات تعيه دول العالم كلها ٠ وبدات تظهر اقتراحات لتناول جديد لمشكلة الفرق الكبير بين الدول الثرية والفقيرة قبل ان يزداد اتساع الهوة بينهما ، فلا يمكن عبورها الا بالسلاح (وربما كان النووى) ٠٠ بعض هذه الاقتراحات تزيف المشكلة وتدعى لها حلولا من الرياء والتهرب ٠ والبعض الاخر يواجهها بجد وبشهامة وسخاء ، ولعل اطرف هذه الاقتراحات الاخيرة ما قدمه اقتصاديان من سكرتيرى رئيس الوزراء السويدى فاثارا ضجة كبرى لجراتهما الثورية حتى فى السويد التى هى اكثر بلاد العالم انفتاحا للافكار الجديدة والغريبة ٠٠

الاقتراح يقول ببساطة : اذا كنا نؤمن حقا ان العالم اسرة كبيرة يجب ان يكون توزيع الثروات بين افرادها عادلا حسب حاجة كل منهم ، فان على الدول الثرية (والسويد منها) ان تخفض استهلاكها بشكل جذرى لكى لا تتعدى على حصة الدول الفقيرة من المواد الاولية والطاقة والطعام التى دابت حتى اليوم على استنزافها ٠٠ لهذا

يقترح الاقتصاديان السويديان خطة تقشف صارمة لبلدهما « لا لحاجة السويد لها كي تحل أزمتها الاقتصادية ، بل لاعطاء مثال اخلاقي عالمي للتضحيات الواجبة على الدول الثرية المتقدمة في طريق النمو ، لمصلحة اخواتها الفقيرة المتخلفة في ذلك المجال » وتتضمن الخطة : خفض استهلاك بعض المواد الاساسية (مثل النفط واللحوم) بمقدار الثلث عن طريق تحديد استيرادها وصرفها بالبطاقة التموينية ... وتنظيم « السطح المسكون » ببناء المساكن الجديدة باحجام اصغر واعادة تقسيم المساكن الواسعة وعمل الضرائب السكنية على اساس المتر المربع للرأس ... و « اطالة حياة » البضائع الاستهلاكية بعمل حد أدنى لمدة صلاحية كل منها يجب ان لا تبلى أو تفسد خلاله وتكون شركات انتاجها مسئولة عن الالتزام بهذا الحد ـ اما الاستهلاكيات الاساسية (كملابس العمل والاحذية والدراجات) فيجب ان تكون ذات جودة عالية ومضمونة وان تباع باسعار سياسية بالدعم الحكومي ... والغاء الملكية الخاصة للسيارات التي لا تباع لافراد ، بل تؤجرها لهم مكاتب خاصة في حالة احتياجهم لها (وتحدد سرعة السيارات ميكانيكيا لكي لا تتجاوز ٩٠ كيلو متر في الساعة) ، ويمنع دخول السيارات في المدن حيث يكون الانتقال بوسائل النقل العامة والدراجات ... الخ ..

السؤال الذي يثيره هذا الاقتراح ، والاقتراحات الاخرى المشابهة التي هي أقل سخاء ولورية ، هو هل يكفي حقا خفض الاستهلاك والتقشف ليتمكن الآخرون من المشاركة في ثروات العالم ، ام ان الوفر سيسرب بطريقة او باخرى قبل ان يصل الى الفقراء ، ام ستبتلعه الزيادة السكانية (وزيادة السكان في العالم الان بمعدل ٧٠ مليونا ـ أي اكثر من عشرة امثال تعداد السويد ـ كل سنة) ؟؟ .. واذا نجحنا في خفض الفارق بين الثرى والفقير من ٢٥ : ١ مثلا الى ١٥ : ١ ، هل يحل هذا مشكلة المساواة ؟؟

ما نعنيه هو ان التطورات الاقتصادية الاخيرة قد اثارت اسئلة جديدة لم يسبق لنا التفكير فيها او محاولة الاجابة عليها (يرجع هذا ايضا بالطبع الى اننا لم نفكر بعد من قبل في مشاكل الغد البعيد ، مركزين اهتمامنا على المشاكل الفورية العاجلة).. وعلينا ان نبدأ اليوم في البحث السريع عن الاستراتيجية المناسبة التي يمكنها ان تجيب لنا على هذه الاسئلة الجديدة ..

على القادة التحرك نحو المستقبل

في السبعينات المبكرة ظهرت نبوءة من مؤسسة « نادي روما (وليست هي ايطالية ولا مقرها في روما وان كان مديرها من اصل ايطالي ـ) وتخصصها في الدراسات الاقتصادية والاجتماعية فقد تنبأت بما يحدث اليوم خلال بحث لمديرها عنوانه « حدود النمو » .

يقول الدكتور أورليو بيتشاي مدير المؤسسة : « منذ سنوات تحدثنا عن مشكلة اليوم الاقتصادية ، ولم يلتفت احد لنا لانها كانت مرحلة توسع وازدهار : كان الهواء يملأ قلوع السفن .. اليوم يتفق الكثيرون معنا ان اوربا في مرحلة افول ... في مطلع هذا القرن كان اقتصاد اوربا يطعم ٤٠٪ من سكان العالم ، اليوم قد انحسرت هذه النسبة الى حوالي ١٠٪ وانحسارها مستمر ، ويجب علينا ان نساعد التسعين بالمئة الاخرين على ان يعتمدوا على انفسهم لطعامهم ، يجب أن نساعدهم بحافة قوانا لكي يحلوا بانفسهم ، وبالطريقة التي يريدونها هم ، مشاكلهم ، والا فسيفوت الوقت وتكون النتائج وخيمة بالنسبة لهم ولنا ..

« المشكلة اليوم هي ان قيادات العالم السياسية والاقتصادية لم تبدأ بعد في التفكير في مثل هذه المسائل ، ما زالوا يفكرون في مشكلة اليوم وربح اليوم ـ وفي رأيي ان رجل الشارع ربما تشغله هذه المسائل اكثر مما تشغلهم .. ما نحتاجه اليوم هو طفرة كبيرة ثقافية تدخلنا حقا في عصر الحضارة التكنولوجية ، .. لنفهم ان هذه الحضارة بطبيعتها لا تقبل ان تقتصر على عدة مئات من ملايين البشر ، بل تتطلب ، لكي تعطي ثمارها الحقيقية ، أن تشمل اليوم أربعة مليارات من الناس وبعد عشر سنوات خمسة مليارات ، أي سكان العالم كله .. انها موجة يجب ان تعم البشرية كلها بخيراتها ، واذا لم ندرك نحن الاوربيين هذا ، ونساعد البشرية على ركوبها فستكتسحنا الموجة وسنغرق » ..

يؤيد هذا الكلام السناتور الامريكي ادوارد كنيدي رئيس لجنة التقيم التكنيكي « بالكونجرس »

فهو ، يقول : « ليس حقيقيا فحسب ان السياسيين والقادة يتعامون عن المستقبل ومشاكل الغد ، بل ايضا هم يحاولون تحاشى اتخاذ اية قرارات تتعلق بالوقت الحاضر اذا كانت غير شعبية ، خوفا من فقد مناصبهم واصوات ناخبيهم • لذا نجد انهم قد فقدوا المقدرة على المبادرة والتجديد ، وان جميع الحملات السياسية والاجتماعية الهامة في الولايات المتحدة في خلال السنوات الاخيرة نبعت بعيدا عن السياسيين ، خارج الاحزاب والدوائر السياسية • حركات انهاء حرب فيتنام ، والحقوق المدنية للزنوج ، وحماية البيئة، وحقوق المرأة مثلا ، خرجت كلها من اوساط الشباب والطلبة ومن بين المواطنين العاديين ، واضطر السياسيون لاحتضانها في اللحظة الاخيرة حينما لم يعد من الممكن الاستمرار في تجاهلها•• يجب على الشعب الامريكي ان يطالب قياداته السياسية والاجتماعية بان تتحمل جادة مسئولية قيادتها نحو الغد او ان تتخلى عن مواقع القيادة لغيرها ، وعلى شعوب العالم كلها ان تطالب قيادتها بذلك ••• يجب على الدول ان تخطط اليوم للتحرك نحو المستقبل وان تحدث طفرات في سياساتها تتفق مع الطفرات التي حدثت في باقي مظاهر حياتها : التكنولوجيا والاقتصاد مثلا ••• خذ الكونجرس مثلا ، كيف يمكنه ان يعالج مشاكل اليوم والغد بلوائح جامدة لم تتغير منذ ثلاثين عاما ؟؟ »

« يجب ان نبحث عن منطق سياسي جديد ، صيغ سياسية جديدة ، اذ لم يعد من الممكن ان نستمر بمنطق الماضي وصيغه (الراسمالية ، الاستعمار ، الاشتراكية •• الخ) وقد تغيرت قواعد اللعب ، هذا اذا اردنا ان نعيش » •• ■■

روما — فريد كامل



كتب جديدة

الكتاب: القضية العربية في الشعر الكويتي
المؤلف : خليفة الوقيان •
الناشر : مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر• الكويت

بقلم : د • محمد الرميحي

خرج علينا هذا الكتاب في طبعته الاولى في الربع الاخير من السنة الماضية (١٩٧٧) وقد اختار له مؤلفه موضوعا هاما وتزداد اهميته في الحقبة الحاضرة من مسيرة الفكرة العربية الواحدة، والموضوع هو الشعر القومي في الكويت كيف بدا ونما وانسجم مع الدعوة العربية العامة في بداية هذا القرن من اجل هدف التحرر من الاجنبي والوحدة العربية الشاملة •

وهذا الكتاب هو في الاصل اطروحة للماجستير تقدم بها الكاتب الى جامعة الكويت قسم اللغة العربية في ايار مايو سنة ١٩٧٤ ثم اخرجها في كتابه الذي نعرضه هنا •

يحوى الكتاب الى جانب المقدمة خمسة فصول رئيسية ثم يتبعها الكاتب بتعليق عام في اخر الكتاب • وتتناول الفصول الخمسة موضوعات على التوالي هي : —

١ — ظهور شعر الفصحى في الكويت •
٢ — الوعي السياسي بواعثه وآثاره •
٣ — قضايا التحرر والوحدة •
٤ — قضية فلسطين •
٥ — خصائص فنية عامة •

ويأتي هذا الكتاب من حيث المنهج والمضمون في قائمة الكتب الجادة التي صدرت اخيرا في الكويت • فقد تقصى الكاتب بدقة في كتابه قضيتين على جانب كبير من الاهمية في السياق التاريخي والسياسي والاجتماعي لمجتمع الكويت هما : اولا ظهور شعر الفصحى في مجتمع الكويت

الحديث وبواعث الوعي السياسي والآثار التي تبعت ذلك خاصة في النواحي الشعرية ويذهب المؤلف في تقصيه لشعر الفصحى وشعرائها في الكويت الى ان الكويت قد شهدت ميلاد هذا النوع من الشعر في نهاية القرن الماضي التاسع عشر على أيدي الشاعر خالد عبدالله العدساني وعبدالله الفرج المتوفين على التوالي سنتي ١٨٩٨ و ١٩٠١ فيقدر المؤلف في هذا الصدد انه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تزايدت اهمية الكويت بتزايد صلة الكويتيين بجيرانهم في الخليج والعراق ، اي ان هذه الفترة شهدت الانفتاح القومي بعد الانغلاق الذي فرضته ظروف المعيشة الشاقة على المجتمع الصغير.

ومنذ ظهور شعر الفصحى وشعرائها في الكويت يستطيع القارىء ان يتابع بسلاسة ردود الفعل لدى الشعراء وانفعالهم وتفاعلهم بالاحداث على المستوى المحلي والقومي ولقد تابع الكاتب القضايا الاخيرة لدى هؤلاء الشعراء ووضعها ليثبت في النهاية مجموعة من الحقائق اهمها :

اولا تحديد الزمن على وجه الدقة لاستخدام اللغة العربية الفصحى في الكويت الحديثة في الشعر وهي الاقرب الى الفهم في بقية اقطار العرب الاخرى . ثانيا : الاهتمام نفسه بالقضايا العربية القومية دليل على وعي الشعب باهمية هذه القضايا ومتابعتها عن طريق متحدثيه من الشعراء ، لذا يقول المؤلف ان اهمية الشعر الذي استشهد به تكمن به في قيمته التاريخية التي تدنو منها قيمته الفنية في الغالب .

كذلك فان المؤلف في فصله الثاني عندما عالج بواعث ظهور الوعي السياسي وآثار هذا الوعي على المجتمع وحدد مطلع القرن العشرين بداية لذلك الوعي وظهور الميول التحررية والوحدوية لدى الشعب الكويتي فهو يحدد البدايات السياسية والاجتماعية لبوادر الوعي الجديد .

والكتاب في النهاية وثيقة علمية على مستوى رفيع قام بوضعها كاتب مهتم وليس متخصصا فقط . وسيجد الكثيرون من المهتمين بالموضوعات التي طرقها الكاتب معلومات تعينهم على البحث حول الاصول الثقافية والسياسية لمجتمع الكويت الحديث .

★ ★ ــــــــــــــــ ★ ★

الكتاب : الحضارة
المؤلف : الدكتور حسين مؤنس
الناشر : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت

كسبت المكتبة العربية اخيرا ، اضافة جديدة ببدء ظهور مسلسلة «عالم المعرفة» التي صدرت عن المجلس الوطني للثقافة والفنون في الكويت، وكان اول كتب هذه السلسلة يعالج موضوع «الحضارة» والاضافة التي تحققها هذه السلسلة انها أولا تصدر في وقت يعاني فيه العقل العربي من حالة جدب مؤسفة ، وتسد بالتالي ـ بالموضوعات الحيوية التي تعالجها ـ فجوة لا يستهان بها في ساحة الفكر العربي ، ثم ان كتب هذه السلسة تطرح للبيع باقل من ربع تكلفتها الحقيقية اذ ان التقديرات التي عرفت تشير الى ان تكاليف طبع الكتاب تصل الى اكثر من دينار كويتي (علما بان الكتاب مقدم في طباعة جيدة) بينما يطرح للبيع بربع دينار كويتي . بهذا يصبح في متناول قاعدة عريضة جدا من القراء ، الامر الذي يمكنه من اداء رسالته في ايصال المعرفة الى الجماهير المتعطشة اليها ، بغير عناء كبير .

اما موضوع الكتاب ـ الحضارة ـ فلسنا بحاجة للحديث عن مدى أهميته ، خصوصا في هذه المرحلة التي يعيشها عالمنا العربي ، الذي يواجه تحديا حضاريا خطيرا يتمثل في الوجود الاسرائيلي بنفوذه وأسلحته المتعددة التي مكنته من اقتحام الواقع العربي والتأثير عليه ، ثم ان مؤلف الكتاب ـ الدكتور حسين مؤنس ـ أغنى عن التعريف والتقديم اذ ان نشاطاته الفكرية متعددة ، وانتاجه الخصيب لم يتوقف منذ اكثر من ثلاثين عاما .

ان الكتاب يعالج قضية الحضارة بتركيز خاص على عوامل قيامها واسباب تدهورها ، ويقف عند عناصر هذا الموضوع في خمسة فصول موزعة على حوالي ٤٠٠ صفحة ، ويستعرض خلال هذه المرحلة سيلا من الآراء والنظريات والتجارب والدروس والعبر ، وكل فصل يحتاج منا الى قراءة جيدة ، وتأمل شديد ، ذلك ان رؤيتنا انواعية للماضي ولتجارب الآخرين، هي التي سوف تمكننا من التقدم بثقة لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل .

نزهة العقل الذكى

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة ، فمن الضرورى ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التى مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالى :مجلة العربى صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٣٢ » آخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول مايو (جمادى الاولى) ١٩٧٨ .

اثنان فى واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد فى (٨) أفقيا اسم رحالة عربى شهير ، كما ستجد فى (٨) رأسيا اسم رائد الكيمياء العربى .

الكلمات الافقية :

(١) اخر الخلفاء العباسيين ـ من سور القرآن الكريم .

(٢) من الامراض ـ من اكبر المعارك البحرية فى التاريخ بين الاتراك والاوروبيين .

(٣) نصف كلمة (يكثر) ـ نصف كلمة (بائد) ـ عملة عربية ـ فات .

(٤) ثار ـ من الاسماك ـ يسوى .

(٥) ختموا ـ اطفئها .

(٦) تصعدا ـ فى الكف ـ يخطر .

(٧) من الانبياء ـ بحيرة على نهر النيل ـ دولة افريقية .

(٨) رحالة عربى شهير .

(٩) حسم ـ اسرة حاكمة فارسية قديمة ـ طمأنينة .

(١١) أصلحه ـ للنداء ـ اكتمل .

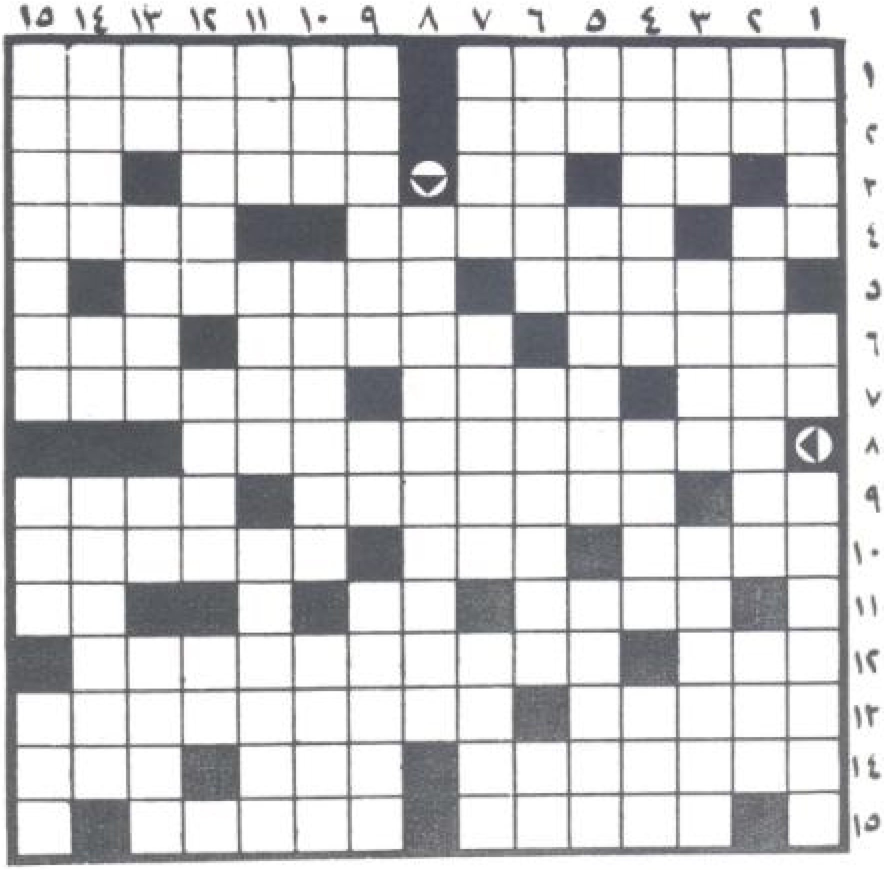
(١٢) حظى ـ عاصمة جيانا الهولندية .

(١٣) خروج على القانون ـ دولة آسيوية .

(١٤) شاعر عباسى شهير ـ للزينة ـ سرير .

(١٥) متعبة ـ ساقطة .

كوبون مسابقة العدد ٢٣٢



الكلمات الرأسية :

(١) افكر ـ نصف كلمة (تهيب) ـ من المحاصيل الزراعية ٠

(٢) يخصنى ـ جهاز لقياس الضغط ـ اغراض٠

(٣) حرف استفهام ـ ندم ـ من العناصر الكيميائية ٠

(٤) طائر لا يطير ـ فلك ـ وحدة قياس طولية٠

(٥) نصف كلمة (ظنون) ـ عاصمة انجولا ـ غامضة ٠

(٦) نوع من الافاعى ـ افردها ـ نصف كلمة (مذاق) ٠

(٧) لغة ـ اوثان ـ ابتقاه ٠

(٨) رائد الكيمياء العربى ٠

(٩) النفس ـ لنى ـ اقرظه ٠

(١٠) نصف نهار ـ حظوا بها ـ فى البداية ٠

(١١) رفض ـ يكشف ـ جزيرة كبيرة بين اسيا واستراليا ٠

(١٣) نصف كلمة (يحزن) ـ شهر ميلادى ـ مقام موسيقى ـ ترتسم على الشفاه ٠

(١٤) اكمله ـ نصف كلمة (ضاعت) ـ اعتزمه٠

(١٥) المعركة التى دخل فى اعقابها نابليون موسكو ـ رقد ـ من الانبياء ٠

خليفة عباسى معروف

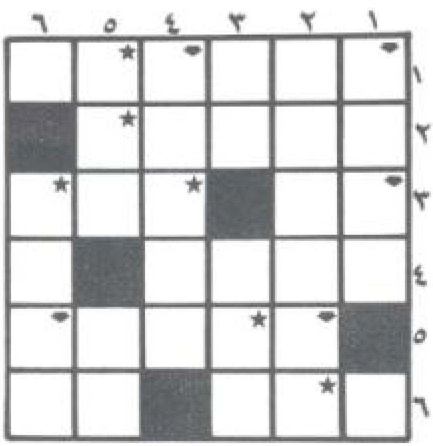
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسم ،ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لخليفة عباسى معروف • ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه •

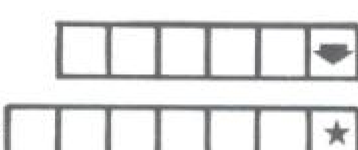
الكلمات الافقية :

(١) دولة اوربية •
(٢) اجادل •
(٣) أجاب ـ لا يقرأ ولا يكتب •
(٤) على الارض •
(٥) شغفوا •
(٦) يبصر ـ أرشد •

الكلمات الرأسية :

(١) آلة موسيقية وترية •
(٢) قصر ملكى انجليزى معروف •
(٣) مقام موسيقى ـ حرف جر •
(٤) تنهى التعامل •
(٥) تجدها فى كلمة (مشهد) ـ رغب •
(٦) يستفسر •





● بالعقل فقط ●

● استاذ نبيه يسأل ● كيف نطبق شروط الجَد الصعبة؟٠

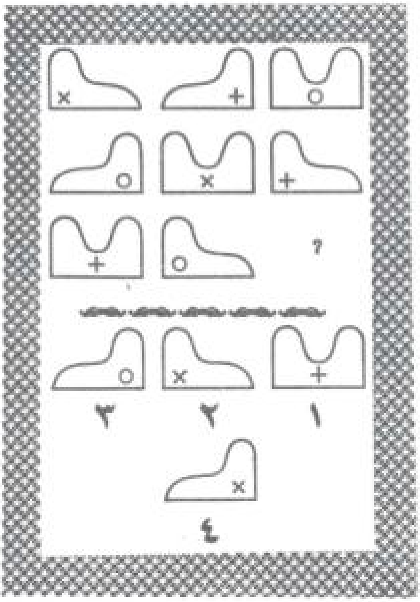
قال الجد لاحفاده « سبعون قرشا لاغير ٠٠سأسمح لكم بانفاقها عند بائع الحلوى يا اولاد » ٠ صاح احدهم « كيف سنوزع هـذاالمبلغ علينا ؟ ٠ قال الجد « كما تعرفون بائع الحلوى يقسم دكانه الى اقسام ، كل قسم منه عليه لافتة تحدد سعر البضائع التى فيه ، واللافتات مكتوب عليها : قرش واحد ،قرشان ، ثلاثة قروش ، اربعة قروش ، خمسة قروش ٠٠ المفروض ان يشترى كل منكم ثلاثة اشياء من هذه الاقسام ٠ سأله احدهم « من اقسام مختلفة ؟ ٠ » ، قال الجد « ليس بالضرورة ٠٠ لكن هذه الاشياء الثلاثة يجب أن تكون من قسمين على الاقل » ٠

فكر الاحفاد طويلا فى شروط الجد الصعبة، ثم قال احدهم « هذه هى كل شروطك ياجدى؟»٠ قال الجد « بل بقى لى شرطان : ٠ الا يأخذأحدكم نفس المبلغ الذى يأخذه اخر منكم ٠٠ على أن يكون أعلى مبلغ أقل من ١٤ قرشا»٠

هل تستطيع أن تعرف كم حفيدا ذهب الىبائع الحلوى ٠٠ وأسعار ما اشتراه كـل منهم ؟ ٠٠٠

الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى فى كل من الصفين العلويين ، حاول أن تعرف اى الاشكال ذات الارقام ، يجب أن يحل محل علامة الاستفهام ٠



الحلول

النجمة والسهم :

هارون الرشيد ٠

أستاذ نبيه يسأل :

(١) عدد الاحفاد لا يمكن أن يكون ستة أو اقل (لان ٧٠ قرشا توزع عليهم بمقاديـــر متباينة ، بحيث لا يتجاوز أكبرها ١٣ قرشا)٠

(٢) عدد الاحفاد لا يمكن أن يكون ثمانية (فالتوزيع الممكن فى هذه الحالة سيكون ٥ ،٦، ١٣،١٢،١٠،٩،٨،٧ قرشا ٠ وهذا يتجاوز فى مجموعه ٧٠) ٠

(٣) عدد الاحفاد يكون سبعة ومع قليـل من التجريب نصل الى التوزيع التالى للمبالغ على الاحفاد ٧ (٣،٢،٢) ـ ٨ (٣،٣،٢) ـ ٩ (٥،٢،٢) ـ ١٠ (٥،٣،٢) ـ ١١ (٥،٣،٣) ـ ١٢ (٥،٥،٢) ـ ١٣ (٥،٥،٣) ٠

الشـكل المطـلوب :

الشكل هو رقم ٤ ٠

مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول مارس ١٩٧٨

١٠٢/٢

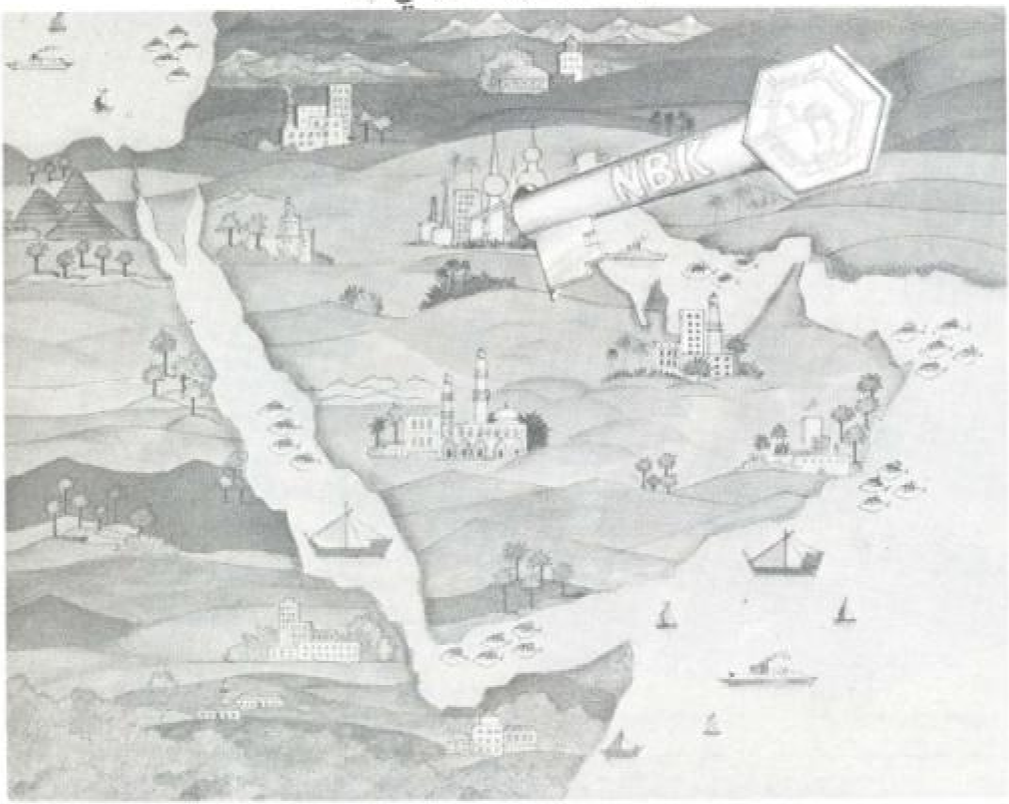
من الأعمال المختارة

جون آردن - ٢

* الحرية المغلولة * صعود البطل

ترجمة : د. عبد الواحد لؤلؤة

مراجعة : د. محمد مصطفى بدوي



NBK

إن لم تملك أبداً عربة رافعة من إنتاج كاتربلر، كيف تعلم أنك تملك أفضل منها؟

اطلب الحقائق من « كاتربلر »

الخبرة : إن سمعة كاتربلر الطيبة التي تستند إلى ٥٠ عاماً من التجارب في صنع الآلات ، فضلاً عن ضمّها الى مجموعة شركاتها شركة « توموتر » الرائدة في ميدان العربات الرافعة ، تضع ثروة طائلة من الخبرة الاختصاصية وراء التشكيلة الحالية .

الجودة : بعد ارتيادها ميدان الشاحنات الساحبة في ١٩١٩ واستنباطها واحدة من أول العربات الرافعة العادية في ١٩٣٣ ، تقوم كاتربلر الآن بصنع ماكيناتها في ١١ بلداً وفي ١٩ مصنعاً ، بما في ذلك مصنع جديد للعربات الرافعة حيث يختص رجل واحد من كل ٧ رجال يعملون على خط الانتاج في ضبط الجودة والتأكد من الاتقان .

الهندسة : بعد انفاق مبالغ طائلة على الابحاث والتطوير والهندسة ، تستخدم الشركة حالياً أكثر من ٤٠٠٠ من العلماء والفنيين في ميدان البحث وحده من أجل انتاج عربات تعمل بطريقة أفضل وذات قيادة أسهل ، وعمر أطول .



دعم المنتجات : بفضل ٢٣ مستودعاً رئيسياً لقطع الغيار و ٩٠٠ مركز للخدمة ، جميعها مرتبطة بالكومبيوتر في ١٢٠ قطراً ، تستطيع شبكة موزّعي كاتربلر المحليين ان تحافظ على حسن أداء هذه العربات الرافعة في جميع أرجاء العالم .

مجال العمليات : تقدم كاتربلر ٤٦ طرازاً مختلفاً من ٢٠٠٠ إلى ٦٠,٠٠٠ (١٠٠٠ إلى ٢٧,٣٠٠ كغم) مع إمكان اختيار محرك ديزل أو بنزين أو كهرباء أو غاز البترول السائل .

أما إذا لم تتحدر عرباتك من هذه السلالة الأصيلة فالمحتمل أنها تكلفك أكثر من حيث الانتاج .. والمال .

تدارك الأمر بالاتصال بموزع كاتربلر الآن :

CATERPILLAR

CATERPILLAR, CAT
و علامات تجارية تملكها شركة جرارات كاتربلر
Caterpillar Tractor Co. « كاتربلر » و « كات »

أبوظبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٤٤١ ، أبوظبي ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٢٢٣٨٧ ، البحرين : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٥٣٥٧ ، المنامة ، هاتف ٧١٣٦٠٧ ، دبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ١١٧٠ ، الديرة ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٦٠٢٥٥ ، الاردن : الشركة الاردنية للجرارات والمعدات المحدودة ، ص . ب ٣٦٣ عمان ، هاتف ٣٨٣٦٣/٦٤/٦٥ ، الكويت : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ١٤٨ ، الكويت ، هاتف ٨١٠٨٥٥/٥٦ ، الجمهورية العربية الليبية : الشركة العامة لمعدات المزارع والقوالب الزراعية (جست) ، ص . ب ٣٢٤ ، طرابلس ، هاتف ٣٠٢٤٤ ، فرع بنغازي ٩٢٣٢٩ ، قطر : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٢١٧٩ ، الدوحة ، هاتف ٢٥٩١٩ ، المملكة العربية السعودية : شركة زاهد للجرارات والآليات الثقيلة المحدودة ، ص . ب ١٥٠٨ ، جدة ، هاتف ٣٦٣٦٦ ، الفروع : الدمام ـ ٢٢٥٩٤ ، الرياض ـ ٢٨٤٦٨ ، سوريا : م . عزت الملاح وأولاده ، ص . ب ٢٣ ، دمشق ، هاتف ٥٥٠٣٢١ ويوجد فرع في حلب . تونس : مؤسسة ب . بن يحيى ش . م . ، ٩١ شارع قرطاجة ، تونس ، هاتف ٢٥٦ ٥٧٧ .

فوزو

الشاحنة رقم ١ في اليابان



هناك العديد من الشاحنات الثقيلة الممتازة في اليابان، غير أن فوزو تفوقها كلها مبيعاً. تكلموا مع موزع كرايزلر في منطقتكم وتحققوا بأنفسكم من أن فوزو لها من القوة والمتانة ما يكفي لكل مهمة. إن مؤسسة كرايزلر هي التي جاءت بفوزو إلى الشرق الأوسط. ولذلك يمكنكم أن تثقوا من توفر قطع الغيار والخدمة التي تعقب البيع.

في جميع انحاء الشرق الأوسط

شركة الملا التجارية ذ.م.م.
ص.ب ٢٧٠٢
صفاة، كويت
تلفون ٤٢٣٢٣١
تلكس 2012 ALMULLA

عبد الرحمن الزياني وأولاده
ص.ب ٣٢، البحرين
تلفون ٥٢٦٠٧
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

الشركة الاقتصادية، ش.م
١٨(ب) شارع ٢٦ يوليو، القاهرة
تلفون ٤٦٠٥٥
برقيا: زايداواجون القاهرة

الشركة التجارية الأردنية المحدودة
ص.ب ١٢٩
عمان، الاردن
تلفون ٥١٣٣١
تلكس TWAL JO 1311 AMMAN

الشاحنة القلابة ميتسوبيشي فوزو



عبد الرحمن الزياني وأولاده
ص.ب ٢٨١
أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة
تلفون ٢٢٣٦٨
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

عبد الرحمن الزياني وأولاده
ص.ب ١٦٧
دبي، الامارات العربية المتحدة
تلفون ٦٩٩٤٠
تلكس GT8305 A A ZAYANI

شركة قطر للسيارات
ص.ب ١٢٩٠
الدوحة، قطر
تلفون ٢٦٩٠٧
تلكس 4203 WIBECO DOHA

مؤسسة العيساني للتجارة
ص.ب ١٣٤٢
جدة، المملكة العربية السعودية
تلفون ٢٨٤٤٤
تلكس 40063 ESAYICO SJ

شركة التضامن الزراعية
ص.ب ١١٠٥
صنعاء، الجمهورية العربية اليمنية
تلفون ٢٧٨٠
تلكس 260 ADHBAN YE

شركة التضامن الزراعية
صنعاء، اليمن. تلفون: ٢٧٨٠

الزبير للسيارات
ص.ب ١٢٧، مسقط، عمان
تلفون: ٢٨٢١/٢/٣/٤
تلكس: ٢٥٨ مستزاد
المعرض ومركز الصيانة
وقطع الغيار: مطرح،
تلفون: ٧٠١٣٣٩ / ٧٠١٣٤٣

كرايزلر
انترناشيونال



وست إند
مضمونه ١٠٠٪
تحفظ الوقت بدقة
اكثر الساعات انتشاراً في البلاد العربية
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا - دولة الكويت
ص.ب ٣٣٤ - تلفون ١٣٣٥٨٥



الغسالات الكهربائية

لتحصلي على الأفضل والأسهل عليكِ بفيليپس

إفحصي بنفسك أية غسالة فيليپس لتدهشك ميزاتها إن بمظهرها الخارجي الجذاب أو بمقاييسها العملية. غسالات فيليپس ستستهويك أيضا بسهولة وضع الغسيل في الحوض وسهولة تشغيلها بفضل أزرار مركزة ومدروسة تمكنك من القيام بجميع العمليات المطلوبة بطريقة سهلة وكاملة.

هذه الغسالات لم تصنع في ليلة وضحاها بل هي ثمرة جهود ودراسات وبحوث واختبارات عالية متواصلة. ان كل غسالة من مجموعة غسالات فيليپس المتعددة مصنوعة كي تعطيك سنين طويلة من الخدمة الممتازة. هذا ما نضمنه.

PHILIPS

فيليپس الأفضل لكم دوما

ستيريو ديناميكي

راديو كاسيت ٤ موجات مع مكبر صوت كبير قياس ١٢ سم



الموديل M 4515K

راديو كاسيت ستيريو ٤ موجات مع آلية التوقف الأوتوماتيكي بالكامل.

الموجات MW/SW1/SW2/FM ولوحة للتشغيل الدقيق ومؤشر الستيريو الكاسيت بآلية التوقف الأوتوماتيكي، وميكروفونين بالمكثف، وآلية ضبط المستوى ALC ومنتقي الشريط CrO2 والتوقف الميكانيكي والارجاع للشريط والمراقبات المتنوعة. يعمل على ٣ مصادر للطاقة بقوة اخراج موسيقي ٥٠٠٠ ملي واط.

الموديل M 9980K

راديو كاسيت ستيريو ٤ موجات و ٤ مكبرات للصوت مع جهاز انتقاء الشريط.

MW/SW1/SW2/FM مجهز بموقت آلي للنوم ولوحة للتشغيل الدقيق، ويمتاز بآلية التوقف الأوتوماتيكي للتسجيل والاستماع ومنتقي الشريط CrO2 والتوقف الميكانيكي وبدء التشغيل والارجاع السريع للشريط والمراقبات المتنوعة، ويمتاز بوجود ٤ مكبرات منفصلة ويعمل على ٣ مصادر للطاقة بقوة إخراج ٥٠٠٠ ملي واط.

الموديل M 9950K

راديو كاسيت ستيريو ٤ موجات مع مؤقت آلي عند النوم والتوقف الأوتوماتيكي ومفاتيح تحويل عديدة للستيريو.

الموجات MW/SW1/SW2/FM بمفاتيح تحويل عديدة للستيريو ولوحة للتشغيل الدقيق وموقت آلي عند النوم وجهاز كاسيت قوي بميكروفونين بالمكثف والتوقف الأوتوماتيكي للتسجيل والاستماع وضبط المستوى والتوقف الميكانيكي والمراقبات المتنوعة ويعمل على ٣ مصادر للطاقة بقوة اخراج ٥٠٠٠ ملي واط.

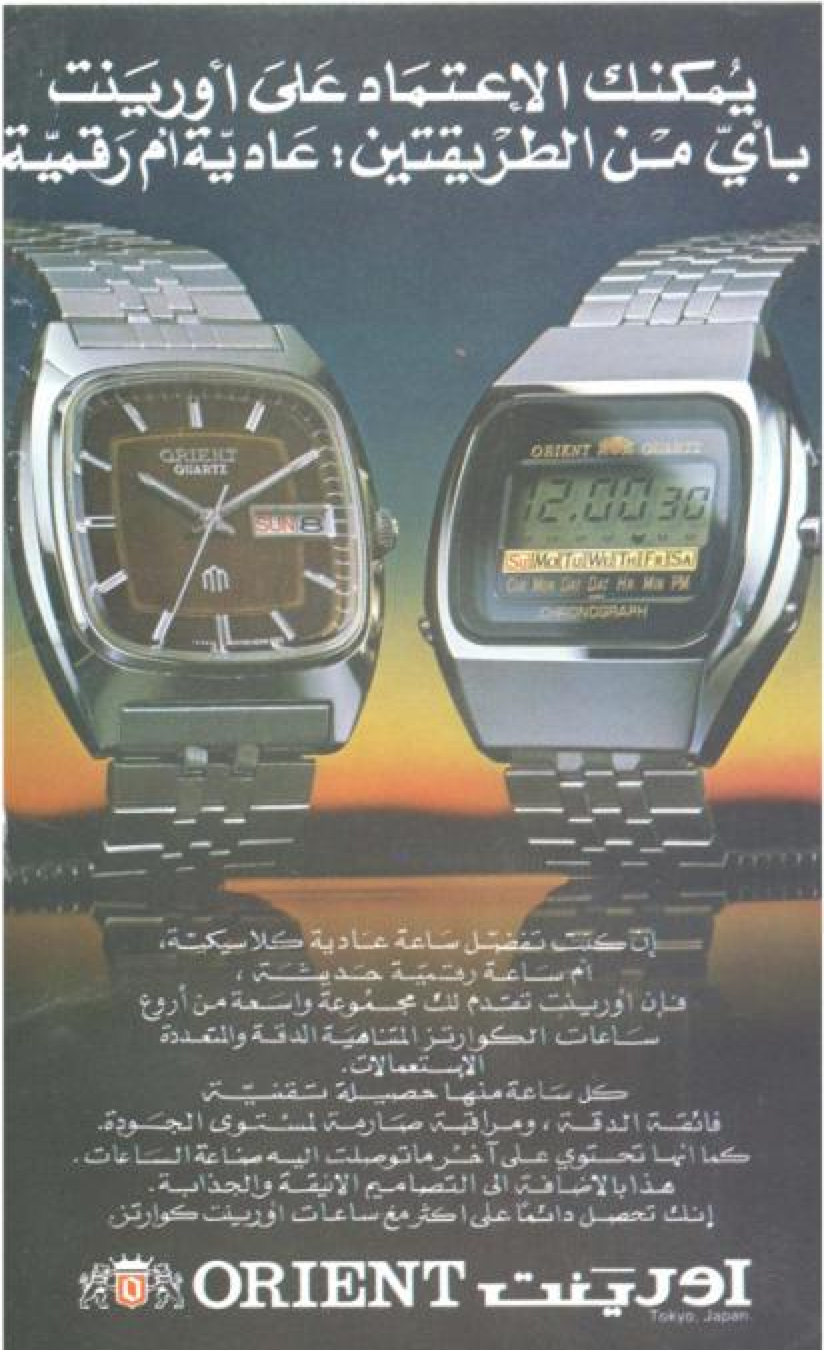
SANYO سانيو

العربي

العدد ٢٣٣
ربيع الآخر ١٣٩٨
ابريل
(نيسان) ١٩٧٨

- الدينار العربي الموحد بين الحقيقة والوهم
- الاقمار : آخر صيحة في عالم التجسس
- الحضارة العربية الاسلامية في يوغوسلافيا





يُمكنك الإعتماد عَلى أورِيَنت
بأيّ مِنَ الطَرِيقتين؛ عَاديّة أم رَقميّة
ORIENT
QUARTZ
ORIENT QUARTZ
12:00 30
CHRONOGRAPH
إن كنت تفضّل ساعة عادية كلاسيكيّة،
أم ساعة رقميّة حديثة،
فإن أوريَنت تقدم لك مجموعة واسعة من أروع
ساعات الكوارتز المتناهية الدقة والمتعددة
الإستعمالات.
كل ساعة منها حصيلة تقنيّة
فائقة الدقة، ومراقبة صارمة لمستوى الجودة.
كما انها تحتوي على آخر ماتوصلت اليه صناعة الساعات.
هذا بالإضافة الى التصاميم الأنيقة والجذابة.
إنك تحصل دائماً على اكثر مع ساعات أوريَنت كوارتز
ORIENT اورينت
Tokyo, Japan

عزيزي القارئ

● لا يزال مجتمعنا العربي يصنف باعتباره مجتمع المستهلكين لا مجتمع المنتجين ، ولا تزال انتاجية الانسان العربي ـ اذا تحققت ـ توضع فى مؤخرة الجداول الاحصائية التى تصدر عن المؤسسات الدولية ، الاقتصادية والاجتماعية • بل ان بعض هذه المؤشرات الانتاجية يشار اليه كنموذج صارخ لحال البشر فى مجتمعات توصف بانها غنية وقادرة • ويدلل بها على ان هذا الثراء ان هو فى الواقع الا قشرةخارجية تغلف تخلفا شديدا •

نقول ذلك بينما العالم يستعد للاحتفال في «أول مايو» بعيد العمال، وبينما تتزايد حاجتنا الى ان نذكر ونتبه الى أن قيمة العمل يتضاءل دورها فى مجتمعاتنا العربية بصورة تثير القلق ، ونحن نعلم ان لهذه الظاهرة اسبابا ، هى ذاتها المسئولة عن سيادة قيم اخرى بديلة ، ما زالت تنخر كالسوس فى الابنية الاساسية لمجتمعاتنا هذه • حتى قيل بحق ان عالمنا العربى يعيش اضرابا صامتا عن العمل ، ويتسابق ملهوفا نحو قيم الترف والدعة والهروب من الواقع •

نقول ايضا ان كل ما نتعلق به ونستسلم له الان ـ بديلا عن العمل ـ اما ان يكون عارضا موقوتا او سرابا خادعا • واننا بغير سواعدنا هذه ، وبغير كدنا نحن ، لن نخطو خطوة الى الامام ، هذا اذا لم نتعرض فى المستقبل للصدمة والانتكاسة •

نقول أخيرا ، انه قبل عيدالعمال وبعده، فانصوت القرآن الكريم لا يزال ينادينا منذ ١٤قرنا « وقل اعملوا »، والاحاديث الشريفة التى تمجد العمل والعاملين بغير عد ولا حصر .

ليتنا نسمع أو نقرأ !

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

شخصيات :

اسلاميات :

قضايا حيوية :

طب وعلوم :

استطلاعات :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
ALARABI — No. 233 April 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير
المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف

● تجاه شواطىء يوغوسلافيا في البحر الادرياتيكي تسبح أكثر من الف جزيرة .. انها بعض الارض التي حط فيها التجار العرب المسلمون منذ قرون بعيدة مضت .. في هذه الجزر ترى الازياء الوطنية التقليدية تلك التي عاشت مع المرأة المسلمة وحتى غير المسلمة وما زالت تحرص على الظهور فيها وتفخر بها . (انظر الاستطلاع ص ٦٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٣٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

اللغة العربية: سياسة

● هذا الموضوع يلح على خاطري كثيرا ...

ولعلي كتبت عنه قبل ذلك ، ولكن احداثا كثيرة متنوعة تسوقه دائما الى ذهني .

ذلك انه موضوع تعليمي ، ثقافي ، سياسي ، حضاري ، فكثير من الاحداث او الانباء التي تقع ، على اختلافها وعلى تباعدها الشديد ، في موضوعاتها وفي مظاهرها ، تزيد هذه القضية التي اعتبرها « استراتيجية » في ذهني اشتعالا ..

ولا أملك الا أن أسأل نفسي : هل مازال العالم العربي ، بتمزقاته ، وصراعاته ، وانشغاله بتوافه يومه ، قادرا على ان يخصص من عقله وماله ورجاله ، جزءا يعمل للقضايا ذات الحجم الاستراتيجي الضخم ؟ ام ان ما سيقوله اي كاتب في مثل هذه الامور يعتبر « ترفا » لانقوى ـ ونحن مشغولون بما نحن فيه ـ على التفكير والتدبير والعمل ؟ بل مجرد ادراك اهميته ؟ ...

ان الموضوع عنوانه « اللغة العربية » ولكن ليس جوهره هنا النحو والصرف والاعراب . ولكن جوهره « اللغة » كسلاح ، او كعنصر استراتيجي ، يحيي الامم ويميتها ، ويقيم الحضارات ويهدمها ، ويشكل الجغرافيا البشرية والسياسية للعالم ...

مثلا ...

تتفاقم قصة الصراع في القرن الافريقي .. فيخطر على بالي ، من بين عواملها الكثيرة ، قضية اللغة العربية !

أو .. يصدر في دولة باكستان قانون يجعل دراسة اللغة العربية الزامية كلغة ثانية في كل المدارس فاتذكر القضية ...

او .. تبدأ الصراعات الدولية في الوصول الى الحزام الافريقي ، في منطقة « التداخل والتماس » بين العالم العربي والعالم الزنجي .. مثل تشاد وغيرها ، فاتذكر القضية ...

او .. اتابع تطورات حل مشكلة جنوبي السودان ...

وحضارة واستراتيجية معاً!

بقلم : أحمد بهاء الدين

او ·· اتلقى دراسة مفصلة ، من لندن ، عن فرقة « انجليزية » تخصصت في ترجمة المسرحيات العربية الحديثة ـ لكتاب مثل الفرد فرج ـ وتقديمها للجمهور الانجليزي ·· مشفوعة باقتراح خلاصته « اذا كان العرب يشترون العمارات والفنادق والشركات في انجلترا وغيرها ·· فلماذا لا يشترون مسرحا فى لندن ؟ » تقدم عليه هذه المسرحيات على نطاق اوسع ، وتعرض عليه الفرق العربية لمليون عربي تقريبا في لندن وما حولها ؟ ·· وتفاصيل تبدو اول الامر طريفة ولكن تاملها يكشف عن جديتها واهميتها !

او ·· اتلقي التقرير السنوي للمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو العربية) ومحاولتها وضـع استراتيجيـة للثقافة العربية ·· وما لديها ملاليم ·· اذا قيس الى « ما يمكن » ان يكون لديها من ملايين ·· لو تاملنا الامر من زاوية اخرى ··

●

هكذا ، من صراع عالمي معقد رهيب في القرن الافريقي ·· الى فكرة فردية خلاقة عن مسرح عربي في لندن ·· حيثما اتجه او اتابع ، اجد هذه القضية تفرض وجودها ، قضية اللغة ، مرة اخرى ، ليس لمجرد انها لغة نعتز بها ·· بل بوصف ان اللغة لها تلك الاثار الحياتية فى تشكيل العالم ، التى اسلفت ذكر بعضها ·

اننا نعرف ان القوميات لها مقومات عديدة · من وحدة التراث ، ووحدة التكوين النفسي ، والتلاحم الجغرافى ، الى آخره · ولكن لعل استاذنا المرحوم ساطع الحصرى كان اهم من ابرز ان عنصر وحدة اللغة يلعب الدور الاكبر بين هذه العناصر كلها فى توحيد امة ما ·

ذلك ان اللغة الواحدة هي ـ من ناحية ـ عنصر اساسي في حد ذاته ، وهذا الامر لا يحتاج الى تدليل · ولكنها ـ من ناحية اخرى ـ هى المفتاح الاكبر لسائر العناصر · فوحدة التراث والتاريخ مثلا تكون بالتاكيد اقوى وامنع واقدر على مقارعة القرون اذا كانت محفوظة فى وعاء لغة واحدة ·

والتكوين النفسي الواحد ماذايصنعه ؟ ربما جغرافية واحدة ، وبيئة واحدة • وربما اصول تاريخية واحدة ،وعقائد واحدة ، او متشابهة ، ولكن المؤكد ان عنصر الادب الواحد والفن الواحد ـ في اصوله ـ وادوات التعبير الواحدة تلعب الدور الاساسى ، وهى لا تتوفر الا بلغةواحدة •

•• ونحن هنا لا نتحدث عن اللغةفيما يتعلق بالقومية العربية • فلا توجد هنا مشكلة تقريبا • والاحساس بهابديهى • فما كانت الجزائر مثلا لتعود عربية حقا الا ببرنامج التعريب الجبارفيها ، حتى تجتث جذور مائة وخمسين سنة من محاولات الفرنسة ، وطمس اللغةالعربية •

ولكننا نتحدث في اوسع من الحدودالقومية •••

وهنا نجد ان اللغةالواحدة ،لا تصنع بالضرورة قومية واحدة •

فانجلترا مثلا والولايات المتحدةواستراليا ونيوزيلندا وغيرها لغتها هى الانجليزية • ولكنها ليست قومية واحدةرغم انها تكاد تكون من اصل عرقى واحد• ومع ذلك ، وهذه هى قضيتنا هنا ، لا شك ان وحدة اللغة اوجدت « علاقة خاصة » و « روابط خاصة » بين هذه البلاد على تباعدها الجغرافى الهائل •••

ولم اذكر كندا لانها نموذج اكثردلالة • فلان كندا فيها لغتان ـ انجليزية وفرنسية ـ واحتفظت بازدواجية اللغة •ورغم ان كل ظروف العقل والمنطق والمصلحة تقتضى أن تظل كندا بلدا واحدا • الاانا نجد الان،وفي أواخر القرن العشرين، حركة انفصالية عنيفة ، من مقاطعة« كويبك » ضد سائر كندا ، لانها المقاطعة الفرنسية اللغة •

مرة اخرى لأن اللغة ليست مجردوسيلة تخاطب • اللغة هى وعاء الفكر ووعاء العاطفة معا • فالفرد الكندى في كويبك لا يتحدث بالفرنسية فقط • انه «يفكر» بالفرنسية و « يشعر »بالفرنسية•حتى صارت روابط كويبك الثقافية والتعليمية مع فرنسا ، عبر المحيط الاطلنطى ، اقوى، من روابطها مع عاصمة دولتها « اوتاوا » •

والامة العربية تتميز بوضع خاص وفذ •

ذلك ان القرآن ـ الكتاب المقدس لاغلبيتها الساحقة ـ نزل باللغة العربية • وقد امتد الاسلام الى امم وشعوب وقوميات اخرى ، صحيح انها لا تتكلم اللغةالعربية• ولكن الاسلام حمل اليها بالتأكيد روائح اللغة العربية • ولقحها بها • وجعل لهذه اللغة حتى عند غير اهلها « مكانة »خاصة • واحيانا « قداسة » خاصة • لانها لغة كتابهم المقدس •

ونحن نرى •• الى اى حد حاربت دول لتفرض لغتها بالقوة • وانفقت المال لتفرض لغتها بالاغراء وجاهدت القرون لقلب اللسان المحلى الى لسان اوروبى • ولم يكن هذا حماقة ولا عبثا ، فانتشار اللغة من اقوى اسلحة انتشار النفوذ المعنوى ، والمشاركة الوجدانية ، والتأثر العقلى •••

وحين استقلت افريقيا مثلا ، صرنانرى ما يسمي بكتلة افريقيا الفرنسية ، وكتلة افريقيا الانجليزية • ليس على اي اساس سوى نوع المستعمر الذى فرض لغته على البلاد التى كان يحتلها • وآثار هذا النفوذ موجودة الى الان في التجارة والسياحة والتعليم والنظرة الى الغد •• الى آخره •

وما هو الشيء الذى يجعل جريدة انجليزية ، او وسيلة اعلام غربية كما نقول ، لها هذا النفوذ الهائل ؟ انه انتشار لغتها ، ووجود من يقرأ بها ، في اى عاصمة من عواصم العالم بأجمعه •

●

والامة العربية ـ ليست ككيان سياسي فقط ، بل ككيان حضاري ايضا ـ لديها فرصة نادرة ، لان تكون لغتها سلاحا من امضى أسلحتها فى كل معاركها ، ووسيلة خلاقة للمساهمة فـي صـراع الحضارات العالمية الراهن ••• او « الحوار بين الحضارات » ، اذا شئنا ان نختار التعبير المهذب للمفكر الفرنسي روجيه جارودى •

ولا أريد ان ادخل في بحث لغوى تاريخي معقد عن العائلـة التـى تنتسب اليها اللغة العربيـة • ولا عـن تاثيرهـا وتاثرها • فليس هذا ميداني • وهو امر له اصحابه واهل العلم فيه • ولكن يمكن القول ببساطة ودون الوقوع فى خطا ، ان الشعوب الاسلامية ، المتاثرة بالتالي باللغة العربية ، تنقسم الى قسمين •••

★ شعوب لها قوميات قديمة ، ولغة حضارة حية ، يتكلم بها عـدد كاف مـن الناس • مثل ايران •

★ وشعوب لها لغات مشتتة ، احيانا غير مكتوبة او مستوعبة للغة الحضارة • كشأن الكثير من مناطق آسيـا وافريقيا المبعثرة • التـى كانت الى وقت قـريب قبـائـل وليست دولا ولا شعوبـا بالمعنى الكامل •

ولنتأمل ، على سبيل المثال ، الحرب القائمة فى القرن الافريقي ، والتي وصل المشتركون فيها من روسيا شرقا الى كوبا غربا ، او المال الامريكي والسلاح الامريكي من قبل ومن بعد • وفي منطقة حساسة جدا بالنسبة لما نسميه «العالم العربي »••

« لقد احتلت ايطاليـا الصـومال واثيوبيا وارتيريا معا زمنا طويلا ، انتهى بانتهاء الحرب العالمية الثانية ••

وفي الصـومال استقـرت اللغـة الايطالية ، واريد لها ان تمحو اللغة العربية تماما ، كما حاولت فرنسا في الجزائر ، ادراكا من تلك الدول الاوروبية ان اقامة حاجز اللغة هو اقامة الساتر الحديدى الطبيعي النهائي بين شعب وجيرانه • وصار من قبل ذلك الصومال صـومالا ايطاليـا وصومالا فرنسيا وصومالا انجليزيا وصومالا اثيوبيا هو مقاطعة اوجادين •

وبعـد الحـرب الثانيـة اضيـف لاثيوبيا ـ فوق الاوجادين ـ ارتيريا • وعادت فرنسا الـي الصـومال الفـرنسي« جيبوتي » • ووضع الصومال الرئيسي ـ الايطالى ـ تحت وصاية الامم المتحدة لفترة يعقبها الاستقلال •

ومثلت الامم المتحدة بلجنة ثلاثية :مصرى وايطالى وانجليزى •

واهم معركة دارت خلال وصاية الامم المتحدة كانت حول اللغة • فتقرير نوع اللغة التي سيتحدث ويتعلم بها الشعب هو من تقرير هويتـه واتجاهـه الحضـاري وتكوينه النفسي •

وكان هم الغرب ان يختار الصوماليون اللغة الايطالية ، فهي لغة اوروبية على اى حال • وبصماتها بعد الاحتلال كانت قوية • وكل شباب الصومال كانوا لايعلمون الا في جامعات ايطاليا • ولكن الرغبة الشعبية العارمـه كانت احتيـار اللغـة العربيه • ولان منـدوب مصر في لجنـة الوصاية الدولية كشف كل المناورات ، قتل اغتيالا ، ومات السفير كمال الدين صلاح شهيدا لهذه القضية ، واقام الشعب له تمثالا في عاصمة الصومال •

وكانت مطاردة اللغة العربية هدفا لهم • فاوجد الغرب من يدعون الى اللغة السواحلية، تحت ستار اثارة نعرة اقليمية • ورغم ان الاستفتاء دل على تفضيل الشعب للغة العربية ، فقد اثر الغرب تقرير اللغة السواحلية ، املا في انقراض العربية هناك ذات يوم •

وحين دخلت الصومال ، جامعة الدول العربية ، كان يجب ان يطلب منها الارتباط ببرنامـج تعريب • لانهـا جامعـة دول « عربية » •

ولان اثيوبيا لم تنتبه الى اهمية القضية كاوروبا ، فقد عاشت اللغة العربية ـ مع السواحلية ـ في الاوجادين خمسين سنة • والصورة نفسها ، مع اختلاف في طول الفترة، في ارتيريا •

ومن اتصل بهذه الحركات ، وقابل زعاماتها ، وشبابها المثقف ، يعرف ان اللغة العربية كانت بالنسبة لهم احد اقوى الروابط والوشائـج وحوافز الامـل في التحرر واسترداد شخصيتهم •

وانني لأسمح لنفسي ان اروي، انني منذ سنوات ، وقبل قيام هذه الصراعات باشكالها الحالية ، حين كان السودان على وشك الانقسام في الحرب في الجنوب •• في تلك السنوات ، قلت لبعض زعمـاء وحكام الدول العربية ، الذين لديهـم الامكانيات الهائلة : ان هناك خدمـة بسيطة جدا ، ولكن اثرها الاسـتـراتيجي بالنسبة للامة العربية •• والامن العربي •• لا يقدر بثمن، وهو الاتفاق، والنضال، من اجل نشر اللغة العربية ، على طول الحزام الاسلامي في افريقيا ••• وحيث لا توجد لغات محلية متكاملة •

السنغال •• مالي •• وسط افريقيا •• تشاد •• غينيا •• شمالي غانـــا ونيجيريا •• جنوبي السودان المسيحي •• الصومال بفروعه المبعثرة ••

هذا الحزام ، كان مـن حظـي ان اذهب الى بعض مناطقه ، في اول ايـام استقلال تلك المناطق ، وانهدام الحاجـز الذي كان يمنعنا منعا من الذهاب اليه ••• ورايت لهفة الناس الى اللغة العربية •• لغة كتابهم المقدس •• لغة عباداتهـم وصلواتهم •• واحيانا لغة جيرانهم الاقدمين وشركائهم في التجارة عبر طرق القوافل التي شقها العرب قديما •

هــذه اللغــة أقرب اليهم • وأسهل لهم • ولم تفرض يوما بالقوة عليهم • انها ليســت الانجليزيـــة ولا الفرنسيــه ولاالايطالية ولا الالمانية مما تعاقب عليهم •

وقد حاولت بعض الدول العربيــة محاولات محدودة في هذا المجال • ولكن وجه الخطأ كان في انها ركزت علــى تدريس اللغة فقط • او تدريس الديــن فقط •

ولكن من زار هذه البلاد ـ ميدانيا ـ يجد ان هذه الشعوب على درجة مــن التخلف تجعل الناس فيها محتاجين اشد الحاجة الى ما يغير حياتهم • ومــن هــذه الزاوية دخلت اسرائيل في تلــك الايام بسهولة ويسر : كانت تعلم الناس حرفا يدوية تلائم البيئة • او طرقا حديثــة مبسطة لزراعة الأرض البالغة الخصوبة • فيتغير مستوى الفرد ودخله ووضعه • بينما من تعلم اللغة فقط وترك كما هو فــي الغابة لم يستفد شيئا •

ثم انها ، على اية حال ، كــانت مجهودات قليلة وتجريبية تقريبا •

ومن هنا ، فيما اذكر ، نشات فكرة تطوير الازهر في مصر • ليخرج منــه رجل الدين واللغة والعلم معا : الطــب مثلا ليعالج او الهندسة الزراعية ليعلم ، الى جانب تلبية حاجات الناس الروحيه المعنوية المتعطشين اليها تعطشا شديدا • ولكن الامر في تطوير الازهر خرج عــن فكرته الاولى ، وتحول الى جامعة اخــرى بين الجامعات العديدة •

ولكن الان • وقد توفر للعرب المال الهائــل • وقــد افتتحت افريقيا وآسيــا امامهم واقبلت عليهم • فلا يعود لنا عذر في هذا المجال •

وان المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة تبحث حقا في هذا وتتلمس وضع استراتيجية لها • ولكن بملاليم ؟

ان نصف الملايين التى تنفق فــي شراء السلع حتى الاسلحة القديمة ، لاتحقق الفوائد الاستراتيجية التي يحققها استخدام سلاح اللغة العربية في آسيــا وافريقيــا الى اقصى مداه •

لا يكفي ان نستصدر قرارات مــن الامم المتحدة ومنظماتها باعتماد اللغــة العربية لغة رسمية من اللغات العالميــة •

المهم ان نجعل هذا واقعــا اقــوى ، واقوى ، كل يوم •••

من بنجلاديش شرقا •• الى الشاطىء الافريقي غربا •• ارض وشعوب اخصب ما تكون لتلقى اللغة العربية وتحويلهــا الى لغة اصلية لها مع الزمن •

وهذا نضال وكفاح لا يقل شرفــا عن أى نضال اخر •• في صراع الحضارات الراهن والمستقبل او ، مرة اخرى ، في حوار الحضارات كما يحب ان يقول روجيه جارودى •••

وهــذا كله وجه واحد من وجــوه سلاح اللغة • هو واجب ، وهو مسئولية ايضا • وهو عمل حضارى فوق كل شيء • وللامر وجوه اخرى كثيرة •

■■

احمد بهاء الدين



بعد تدهور قيمة

الدولار : ما العمل ؟

الدينار العربى

الحقيقة والوهم



بقلم : الدكتور حازم الببلاوى

لن نناقش فى هذا المقال موضوع الدينار العربى من زاوية الوحدة العربية فهو أمر يثير قضايا متعددة ، وقد سبق أن نوقش فى مشروعات محددة • فضلا عن أنه يبدو لنا أن المزاج العربى فى هذه اللحظة التاريخية يهتم أكثر بقضايا توثيق التعاون بين دول عربية ومستقلة ، منه بأمور تحقيق الوحدة العربية •

■ يدور الحديث بين الحين والآخر عن انشاء دينار عربى موحد • ونستطيع ان نقول بشىء من التعميم ، ان هذا الحديث قد تعلق فى الواقع بأحد مجالين ، الاول هو مجال الوحدة العربية وما ارتبط بها من مشروعات للتوحيد الاقتصادى والسياسى • أما المجال الثانى ، والذى اثار من جديد الحديث حول الموضوع ، فقد ارتبط بشكل او باخر بظهور الثروة العربية وتزايدها مع زيادة دخول الدول النفطية • وكان الغرض منه هنا توفير دعم أو حماية لهذه الثروة العربية •

واذا كنا سنقتصر فى حديثنا عن الدينار العربى على علاقته بحماية الثروة العربية الجديدة، فانه من المهم أن نتذكر أن هذا دينار موجه عادة للخارج أكثر منه وحدة نقدية للمعاملات الداخلية• فهو نوع من البحث عن دينار عربى دولى يقوم بدور فى المعاملات الدولية • فالثروة العربية هى بالدرجة الاولى ثروة مالية مستثمرة فى خارج الدول العربية • فالغرض من البحث عن دينار عربى هنا هو محاولة ايجاد وسيلة تدعم مركز الدول العربية فى مجال الاستثمار الدولى •

وقد يقصد بالدينار العربى ان يقوم بوظيفة « عملة الاحتياطى » مثل الذهب والدولار ، والاسترلينى الى حد ما • وقد يقصد بالدينار العربى انشاء « وحدة محاسبية مستقلة » ، تستثمر لتقويم الاستثمارات العربية ، بما يحقق حماية هذه الثروة من مخاطر انخفاض القيمة المستمر •

خصائص الثروة العربية

وقبل ان نناقش امكانية انشاء دينار عربى ليكون عملة احتياط دولية ، فقد يحسن الاشارة بسرعة الى الاطار العام الذى دعا الى قيام مثل هذا التساؤل •



نتيجة لتزايد الثروة العربية وتراكم الفوائض النفطية وخاصة بعد ارتفاع أسعار النفط في نهاية ١٩٧٣ وبداية ١٩٧٤ ، تزايدت اهمية الدول النفطية كعنصر اساسي في استقرار أوضاع النقد الدولي ، اصبحت هذه الدول تقوم بدور أساسي في العلاقات النقدية والمالية الدولية ٠

ولعل أهم ما يميز زيادة الثروة العربية للدول النفطية في الفترة الاخيرة امران ، الاول هو أن هذه الزيادة لا ترجع الى زيادة مقابلة في الانتاجية أو في حجم التراكم الراسمالي وانما هي نتيجة لتعديل أسعاره وازالة ما لحقها من غبن قديم ٠ والامر الثاني هو أن الزيادة الكبيرة في ايرادات الصادرات النفطية المترتبة على هذا التعديل في معدلات التبادل الدولية ، لم يواكبها زيادة مماثلة في القدرة على الاستيراد ٠ وهو ما يشار اليه عادة بنقص القدرة الاستيعابية لعدد من الدول النفطية ٠

وقد ترتب على هذه الخصائص للثروة العربية للدول النفطية نتائج هامة بالنسبة للاستقرار النقدي العالمي ، وترجع هذه النتائج الى أن هذه الثروة العربية قد ظهرت بشكل مفاجيء من ناحية وارتبطت بفائض في موازين المدفوعات للدول النفطية من ناحية أخرى ٠

ولذلك فان الفوائض المالية المتراكمة لدول الفائض النفطية كانت مدعوة للاستخدام باشكال مختلفة - لتمويل العجز المقابل في موازين المدفوعات الدوليه باقل قدر من الاضطراب ٠

وفي مثل هذا الجو من الاحساس المتزايد بدور دول النفط العربية في استقرار أوضاع النقد العالمي ومسئولياتها في هذا الشأن ، بدأت تداعب الاذهان فكرة انشاء دينار عربي دولي يقوم بدور في المعاملات الدولية مثل الدولار أو الاسترليني نتيجة لترسيخ اهمية دور الدول العربية النفطية في الحياة النقدية والمالية الدولية ٠ ولم لا ٠٠ ؟ أليست أموال النفط هي العنصر الاساسي في أوضاع النقد العالمية ٠٠ !

وسائل الدفع الدولية :

ولا حاجة بنا الى تأكيد حاجة المبادلات الدولية الى وسائل دفع دولية كما هو الحال بالنسبة للمبادلات الداخلية ٠ واذا كانُ تعدد وتنوع المبادلات الدولية أقل منه في حالة المبادلات الداخلية ، فان طبيعتهما واحدة ، فضلا عن ان احجام المبادلات الدولية تكون عادة كبيرة ، مما يزيد الحاجة الى نفس الادوات التي عرفتها المبادلات الداخلية وفي مقدمتها وسائل الدفع أو العملات الدولية ٠

ومتى اعترفنا بالحاجة الى وسائل الدفع الدولية أو العملات الدولية ، فلا بد أن ينشأ طلب مستقل لهذه العملات ٠

واذا كانت المعاملات الدولية لا تختلف عن المعاملات الداخلية في حاجتها واستخدامها لوسائل الدفع ، الا أنها تختلف عنها في درجة تطورها ، وخاصة في عدم وجود سلطة فوق الدول قادرة على اصدار وسائل الدفع الدولية ٠

وقد كان الذهب - كما هو معروف - هو اهم وسائل الدفع الدولية ٠ على أن التطور لم يلبث أن أدى الى قيام بعض العملات الرئيسية بهذا الدور ، مع استمرار تقلص دور الذهب ٠ وقيام العملات الرئيسية بدور عملات الاحتياط ليس بالامر الحديث ، فالاسترليني قد قام بهذا الدور خلال القرن الماضي ، وشغل هذا الدور منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الان الدولار الامريكي ٠ فهل يمكن أن يقوم دينار عربي بمثل هذا الدور ٠٠ ؟ هذا هو السؤال ٠

وضع خاص لدول النفط

والواقع أن خطورة الثروة العربية وأهميتها لاستقرار نظام النقد العالمي لا ينبغي أن تخفى عنا حقيقة أخرى لا تقل أهمية ، وهي أن أسباب الثروة العربية تختلف تماما عن الاسباب التي تجعل عملة دولة معينة دولية ، بمعنى أنها تستخدم كوسيلة للمدفوعات الدولية لها طلب مستقل ضمن الاحتياطي النقدي للدول ٠

فالدولار الامريكي لم يقم بدوره كعملة دولية الا لان الجهاز الانتاجي الامريكي قد بلغ حدا من القوة والتنوع بحيث أن الدولار يمثل قوة شرائية ضخمة من الانتاج الامريكي ٠ وقد اكتسب الدولار



مركزه بعد الحرب العالمية الثانية • فمع تحطم الاقتصاديات الاوروبية واليابان ، كان الاقتصاد الامريكي يمثل الجهاز الانتاجي الوحيد القادر والسليم • ولذلك فلم يكن من الغريب أن يزداد الطلب على الدولار الامريكي في وقت شح فيه الانتاج العالمي واصبح الطلب على الدولار عاما من معظم الدول • ولذلك فانه لم يكن مطلوبا سوى خطوةبسيطة للانتقال من الطلب على الدولار كوسيلة للحصول على السلع الامريكية ، الى الطلب عليه كوسيلة للمدفوعات الدولية طالما ان معظم الدول كانت محتاجة اليه •

وبذلك فقد نشأ نوع من القبول العام للدولار الامريكي جعل منه وسيلة للمدفوعات الدولية ، بحيث تحتفظ به الدول ليس فقط للحصول على انتاج امريكي وانما لتسوية مدفوعاتها مع غيرها من الدول التي تقبله وذلك لمعرفتها ان غيرها سوف يقبله وبذلك أصبح الدولار اهم عملات الاحتياط الدولية • وساعدت الولايات المتحدة على توافره بما حققته من عجز على ما سنرى •

وأما الاسترليني ، فانه وان لم يكن معبرا عن اقتصاد متنوع كالاقتصاد الامريكي ، فلا ينبغي أن ننسى انه كان يعبر خلال القرن الماضي ـ عن أول دولة صناعية في العالم ـ وأن انجلترا نجحت في جعل معظم تجارة العالم تمر عن طريق لندن بشكل او آخر ، واستخدمت في ذلك مستعمراتها وشبكات اتصال متقدمة من العالم عن طريق الاساطيل التجارية (والعسكرية احيانا) والبنوك وشركات التأمين • وهكذا لعب الاسترليني دور العملة الدولية اللازمة لتسهيل التجارة العالمية •

واذا نظرنا الى أوضاع دول النفط نجد أن وضعها جد مختلف • فثروة هذه الدول ترجع الى صادرات النفط ، وهو حقا من أهم الموارد التي تعتمد عليها الحياة الحديثة حيث تمثل أهم مصدر للطاقة • ولكن هذا لا يمنع من أنه سلعة وحيدة ، وان دول الفائض لا تكاد تنتج شيئا غيره ، فجهازها الانتاجي مختل ـ من هذه الزاوية ـ اختلالا شديدا وقوة هذه الدول النقدية انما هي تعبير عن ضعف هياكلها الانتاجية اكثر مما هي دلالة على قوتها •

وقد يقال أن قيام أصل معين بدور العملة الدولية لا يتطلب أن يمثل أي جهاز انتاجي متنوع، فكل ما هو مطلوب هو أن يتوافر له القبول العام والثقة فيه• وثروة الدول العربية يمكن أن يتحقق لها ذلك • وبدلا من التمثل بالدولار او الاسترليني لماذا لا ننظر الى الذهب ، وقد كان أهم وسائل الدفع الدولية رغم أنه لا يمثل في ذاته أية قوة شرائية على انتاج دولة معينة ، ولكنه نجح مع ذلك في أن يوفر الثقة لدى الجميع في قدرته على الاحتفاظ بقيمته ومن ثم تمتع بالقبول الدولي العام•

لاجدال في أن مسالة القبول العام مسالة نفسية، وهي لا تظهر بناء على رغبة معينة وانما نتيجة لتطور طويل وظروف مواتية • وبصرف النظر عن مدى توافر أو عدم توافر الظروف النفسية اللازمة، فان دول النفط العربية غير قادرة على تحويل عملاتها الوطنية الى عملة دولية وانشاء دينار عربي يمكن أن يكون مقبولا في المعاملات الدولية لسبب فني بسيط ، وهو عدم توافر العملات العربية بكميات كافية للمعاملات الدولية •

الثقة وحدها لا تكفي

فلا يكفي أن تنشأ الثقة في أصل معين حتى يقوم بدور العملة الدولية ، بل لا بد من توافر هذا الاصل بكميات كافية للقيام بهذا الدور • فالعملة الصعبة او النادرة ، لندرتها لا يمكن أن تقوم بدور العملة الدولية • واذا كانت الندرة يمكن أن تكون مبررا للثقة ، فانها أيضا تمثل عقبة أمام انتشار تداولها • ولذلك فانه لا عجب في أن الدول التي تقوم عملتها بدور عملة الاحتياطي عرفت دائما عجزا في ميزان مدفوعاتها ، وهذا ما يصدق الان على الولايات المتحدة الامريكية، وما عرفته انجلترا طوال القرن الماضي • فقيام عملة دولة معينة بدور عملة الاحتياطي الدولية يجعل من هذه الدولة نوعا من البنك العالمي المركزي•

وكما نعلم ، فان أهم ما يميز البنك المركزي هو انه يقدم مديونية الحالة مقابل اصول مؤجلة • فالبنك المركزي ـ بصفة عامة أي بنك تجاري ـ يبيع مديونية الحالة مقابل اصول مؤجلة ، وهذا ما يؤدي الى زيادة السيولة ، وتزداد السيولة بمقدار ما يطرح البنك من مديونية • والبنك غير المدين هو بنك عاطل لا يقوم بدوره • ولذلك

ـ وعلى سبيل المقابلة ـ فان الدولة التى تقوم عملتها بدور العملة الدولية لا بد وان تزيد مديونيتها الحالة بما يساعد على توفير هذه العملة للتداول الدولي • أى أنها لا بد وان تتحمل بعجز في ميزان مدفوعاتها •

واذا نظرنا الى دول الفائض النفطي ، فسنجد أنها حققت وضعها في الحياة الدولية لما تحققه من فائض هيكلي في ميزان مدفوعاتها ، وليس من المتوقع أن تعرف عجزا قريبا في هذا الميزان • وبالتالي فانه من المستحيل توفير كميات مناسبة منعملات هذه الدول للقيام بدور العملة الدولية•

وهنا يمكن أن يثور تساؤل ، ألا تستطيع الدول النفطية أن تتحمل بعجز فى ميزان مدفوعاتها بالرغم من الفائض فى ميزانها التجارى ، بما يسمح بتوفير عملاتها أو دينار عربى للقيام بدور العملة الدولية •• ؟ وأليس ذلك ما حدث مع الولايات المتحدة الامريكية على الاقل حتى نهاية الستينات • ؟

نعتقد أن هناك صعوبات عديدة تحول دون ذلك • فهناك من ناحية صعوبة في تحويل فوائض ميزان المدفوعات للدول النفطية الى عجز ، لان ذلك يستدعى القيام بحجم هائل من الاستثمارات الخارجية يفوق حجم الفائض في الميزان التجارى • فالدولالنفطية تواجه صعوبة فيادارة استثماراتها المالية الحالية ، وزيادة حجم هذه الاستثمارات يعنى مزيدا من العبء عليها في ادارة هذه الاستثمارات ، وهو ما لا يبدو لنا انها قادرة عليه •

كذلك لا يمكن مقارنة أوضاع الولايات المتحدة الامريكية بحالة الدول النفطية • فهناك نوع من المقاومة فى معظم الدول للاستثمارات الاجنبية ، واذا كانت الولايات المتحدة قد نجحت فى زيادة حجم استثماراتها فلا ننسى ما تتمتع به من سيطرة اقتصادية كبيرة على العالم ، وهى سيطرة ترجع الى قدرتها الاقتصادية والعسكرية • كذلك فان الاستثمارات الامريكية ليست مجرد أموال أمريكية تبحث عن فرص للاستثمار فى الخارج ، ولكنها أموال مصحوبة بقدرات تكنولوجية وادارية لا تتوافر للاستثمارات العربية •

ومن ناحية أخرى ، فاذا كانت الثقة فى العملات العربية ترجع الى ما تحققه من فوائض فهل من السهل القطع بانه ـ فى حالة النجاح فى تحقيق عجز فى ميزان المدفوعات ـ من الممكن استمرار الثقة فى هذه العملات وهى لا تستند الى أى مظهر للقدرة الاقتصادية غير هذا الفائض •• ؟ هذا أمر مشكوك فيه •• فالقوة العربية هى قوة مالية وليست قوة اقتصادية • فدور الدول النفطية يرجع الى ما تملكه من موارد مالية متراكمة نتيجة لفائض ميزان مدفوعاتها ، فاذا تحولت الى دول عجز ، فليس من المستبعد أن تزول الثقة فى نفس الوقت فى عملاتها •

ولذلك فاننا نستطيع القول بانه بالرغم من الثروة العربية ، فانها غير قادرة على خلق عملة دولية سواء لضعف هياكلها الاقتصادية أو لطبيعة الفائض في موازين مدفوعاتها وصعوبة توفيره عملا لاحتياجات التعامل الدولى •

الدينار وحدة للحساب

جرت عدة محاولات لانشاء وحدة حسابية عربية، بل وظهر فى بعض الاتفاقات العربية الجماعية الاشارة الى دينار عربى حسابى • ومع ذلك فيؤخذ على هذه المحاولات أن أهدافها كانت عامة غير محددة •

وقد قلت فى البداية ان هدف المقال هو مناقشة قضية الدينار العربى من حيث أنه وسيلة لحماية الثروة العربية •

فالثروة العربية النفطية كما سبق ان أشرنا ـ هى ثروة مالية مستثمرة فى الخارج ، ولذلك فانها يمكن أن تتعرض لاشكال عديدة من المخاطر • فهناك المخاطر السياسية التى تتعلق بانكار أو تجميد الحقوق العربية أو أضعافها • وليس هنا مجال مناقشة هذه المخاطر التى لا تتطلب فقط أدوات فنية لمواجهتها وانما تتوقف على مدى استقرار النظام الدولي والقوة الاقتصادية والسياسية للدول العربية • ولذلك فان هذا الموضوع يثير مشاكل العلاقات الدولية وهو ما يخرج عن حدود موضوعنا •

ولكن هناك مخاطر اقتصادية أخرى تتعرض لها الاستثمارات فى الخارج ، وهو ما نود التعرض

هنا الى بعض اشكالها . ومن المهم أن نشير هنا الى أن الدول العربية المصدرة للنفط دائنة في مجموعها وان استثماراتها تاخذ بصفة عامة شكل أنواع متعددة من الدائنية .

حقا ان هذه الدول تستثمر جزءا من فوائضها في شكل اصول مالية متنوعة ليس من الضروري ان تكون في شكل دائنية من الناحية الفنية بل يمكن أن تاخذ شكل ملكية مثل الاسهم وتملك العقارات والاستثمارات المباشرة . ولكن الملاحظ هو أن هناك حدودا تفرض على ملكية الدول العربية للاصول المالية ، سواء أكانت هذه الحدود راجعة الى الدول المضيفة التي تفرض حدودا على تملك الاجانب ، أو كانت راجعة الى تحديد ذاتي من جانب الدول العربية نفسها . فمعظم الدول المضيفة لرؤوس الاموال الاجنبية تضع قيودا على ملكية الاجانب خشية تزايد سيطرة غير الوطنيين على مواردها الانتاجية . ورغم أن السيطرة الحقيقية لا ترتبط بالملكية قدر ارتباطها بالادارة الفعلية وما تتطلبه من كفاءة وقدرات تكنولوجية ، الا أن الرأي العام في كثير من الدول ما زال شديد الحساسية أمام هذا الموضوع. كذلك فان الدول النفطية ادراكا منها لحساسية هذا الامر ورغبة في عدم اثارة جو عام مناهض للاستثمارات العربية في الخارج ، وربما أيضا ابتعادا عن كل ما من شأنه الاعلان عن حجم استثماراتها ، تفضل توظيف أموالها بشكل غير ملفت للانظار ، وهو ما ياخذ عادة شكل دائنية من ودائع وقروض واذونات خزانة وسندات .

ولذلك فاننا لا نكون مبالغين اذا قلنا ان معظم الثروة العربية الخارجية تاخذ شكل دائنية . ويتعرض الدائن لمخاطر اقتصادية ـ بالاضافة الى المخاطر السياسية وهذه المخاطر تتركز في أمرين ، الاول خطر انخفاض قيمة العملة المحدد بها قيمة حقه ، والثاني خطر انخفاض قيمة العملات بصفة عامة وضعف قوتها الشرائية نتيجة التضخم .. في الحالة الاولى هناك خطر تقلبات أسعار العملات بالنسبة لبعضها البعض ، وفي الحالة الثانية هناك خطر انخفاض أسعار العملات في مجموعها بالنسبة للسلع والخدمات . ويمكن القول بان الجزء الاكبر من الثروة العربية معرض للخطرين معا ، مخاطر أسعار الصرف ومخاطر التضخم .

فاما مسالة التحوط من أخطار أسعار الصرف وتقلبات قيمة العملات فيما بينها ، فاننا لا نعتقد أنها تشكل خطورة كبيرة على الثروة العربية ، ونعتقد أن حسن الادارة المالية وكفاءتها كفيلة بمواجهة هذه الاخطار ، وسواء تم ذلك عن طريق استخدام أنواع من المتوسطات للعملات الاجنبية في تقويم الحقوق العربية ، أو عن طريق حسن توزيع هذه الحقوق بين الدول المختلفة، أو الامرين معا .

دور ممكن بشروط

والامر على العكس من ذلك بالنسبة لخطر التضخم . فهنا لا ينحصر الخطر الذي يتعرض له الدائن في انخفاض قيمة عملة معينة بالنسبة للعملات الاخرى ، وانما في انخفاض قيم العملات بصفة عامة بالنسبة للسلع وضعف قوتها الشرائية. عندئذ لا تصلح أية سلة من العملات في حماية حقوق الدائن كما لا ينجح أي توزيع للديون بين الدول ، هنا الخطر عام وشامل، ويحتاج الامر الى نوع من التاشير Indexation يربط حقوق الدائن بقيمة مجموعة من السلع أو بسلعة معينة، (اذا كانت مؤشرا طيبا على أسعار السلع الاخرى) بما يحفظ القيمة الحقيقية للنقود .وهنا يمكن لدينار عربي حسابي ، اذا أحسن اختيار كيفية تحديده ، وأمكن تنفيذ ذلك ، أن توفر وسيلة لحماية الثروة العربية من مخاطر التضخم.

والكل يعرف أن الثروة العربية في الوقت الحاضر انما ترجع الى النفط . فالنفط سلعة دولية معدة أساسا للتصدير ويتحدد لها ثمن دولي . ونظرا لان حجم السلع المحلية المنتجة في الدول المصدرة للنفط ضئيل للغاية ، وحاجتها للاستيراد كبيرة للغاية ، فان ثمن النفط يتحدد في الواقع بعملة أجنبية وسواء كان ذلك هو الاسترليني أو الدولار أو حقوق السحب الخاصة . ولذلك فان انشاء دينار عربي محاسبي وربط قيمته بثمن النفط يعني في الواقع ربط قيمة هذا الدينار العربي بطريق غير مباشر باحدى العملات الاجنبية (أو سلة هذه العملات) ، وبالتالي باثمان الواردات .

ونظرا لان سعر النفط ـ وهو يتحدد حقيقة

باحدى العملات الاجنبية ـ الا انه يتابع بشكل ما ارتفاع الاسعار ـ فانه من الممكن حماية حقوق الدول النفطية عن هذا الطريق • فمنظمة الاوبك تحرص على مراجعة أسعار النفط سنويا ، وتاخذ فى اعتبارها ـ ضمن ما تأخذ ـ تطور الاسعار وتحاول ان تحافظ على القيمة الحقيقية للنفط ممثلة فى أسعار وارداتها •

ولذلك فانه اذا ربطت قيمة الدينار العربى المحاسبى باسعار النفط ، ومع الاعتراف بان أسعار النفط تتابع تطور أسعار الواردات للدول المنتجة للنفط ، فانه يمكن القول بان الثروة العربية تستطيع أن تحقق نوعا من الحماية ضد مخاطر التضخم المستمر •

ويمكن ان ينشا نوع من الدينار العربى (الخليجى) المحاسبى الذى يرتبط بثمن برميل النفط ويظل ثمن البرميل ثابتا بالنسبة لهذا الدينار ولكن يتغير سعر هذا الدينار بالنسبة للعملات الاخرى مع تغير الاسعار • على أن سهولة هذا الحل ومنطقيته لا تعنى بالضرورة سهولة تطبيقه والاخذ به • فمنظمة الاوبك تخضع لضغوط شديدة من جانب الدول الصناعية بصدد تعديل أسعار بيع النفط سنويا • ويتعلق هذا الضغط بتخفيف عبء ارتفاع أثمان النفط الجارى على الدول المستوردة • ولذلك فمن الطبيعى أن تخضع هذه الدول لضغوط أكبر عندما يتعلق الامر ليس فقط بحماية أسعار النفط الجارى وانما ايضا بحماية الارصدة المتراكمة من خطر التضخم وربطها بالسعر الجارى للنفط •

ولكن هذه الصعوبة ليست مبررا لكى تترك الدول النفطية أرصدتها وأصولها المالية تتاكل سنة بعد سنة دون أية حماية جادة من جانبها لحماية مستقبلها • واذا كانت الدول النفطية تبدى من المسئولية تجاه الدول الصناعيه باستمرارها فى الانتاج واهدار ثروتها الطبيعية ، فلا اقل من أن تتوقع شعورا مماثلا بالمسئولية لحماية حقوقها المتراكمة •

أخيرا فان فكرة الدينار العربى الموحد وان تراجعت بعض الشىء فى صدد تحقيق الوحدة العربية سياسيا واقتصاديا ، فان هناك مجالا للحديث عنها فى صدد حماية الثروة العربية النفطية • واذا كان من قبيل المبالغة الاعتقاد فى امكان خلق دينار عربى يقوم بدور عملة الاحتياطى الدولية ، فانه من الممكن التفكير فى انشاء دينار عربى محاسبى يرتبط بأثمان مجموعة من السلع المستوردة عن طريق ربطه بثمن سلعة النفط مثلا • وفى هذه الحالة فانه ينبغى أن تقوم منظمة الاوبك بتعديل أسعار النفط بما يجارى أسعار واردات الدول النفطية بصرف النظر عن الضغوط، وأن تربط دول الفائض استمرارها فى استثمار فوائضها فى الخارج بربطها بأسعار النفط أو هذا الدينار العربى النفطى المحاسبى • ■ ■

د • حازم الببلاوى

رد منطقى

● لا يخلو السفر بالطائرة بنيويورك من مشاكل على الدوام • فمن الصعوبة بمكان وضع الالات الموسيقية أسفل مقاعد الطائرة • وفى احدى المرات أجبرت شركة طيران عضوا فى فرقة موسيقية على شراء تذكرة لآلته (الكمان) • وقد رد على هذا الاجراء بأن قام لدى صعوده الى الطائرة بوضع كمانه على المقعد رأسيا ووضع منديلا حول عنق الالة وجعل المضيفة تقدم لها طعاما •

بالمقاييس الصحفية يعد هذاالحديث « سبقا » . فقد كان أول حديث على الاطلاق يدلىبه محمد على كلاى بعد ٧٢ ساعة من هزيمته . لكنه الانلم يعد سبقا ولا ضربة صحفية ، اذ أنه ينشر فى المجلة بعداجرائه بحوالى شهر ونصف . ومع ذلك يظل الحديث الوحيدالذى أدلى به محمد على كلاى لمجلة عربية فى السنوات الخمس الاخيرة .. وما حيلتنا اذا كنا مجلة شهرية محكوما عليها أنتعد موادها وتصف « قبل الهنا بسنة » ؟ !

مع البطل المهزوم

محمد على كلاى

حديث اجراه : فهمى هويدى

تصوير : اوسكار مترى

- لاتسألوا « هل» استرد اللقب ، ولكن قولوا « متى » ؟
- لصحافة العالم العربى : انا محمد على ولست كلاى .
- اخطأت مع سبنكس وسأقاتل فى المرة القادمة من الجولة الاولى .
- قد لايكون المنطق فى صالحى لكن المؤمن عنده اشياء لايحكمها المنطق .
- سأتقاعد هذا العام وانا البطل المسلم المنتصر .
- كل ما اتمناه ان اكون مسلما جيدا وأن اتفرغ للدعوة الاسلامية .
- اديت العمرة واصلى وأصوم حسب الظروف وقرأت القرآن مرتين .
- رفضت القتال فى فيتنام لان القرآن يمنعنا من العدوان .
- لااهتم بالسياسة واكتب الشعر احيانا وليس لدى وقت للقراءة



ـحد علي كلاى يتحدث الى فهمي هويدى في غرفة نومه، وقد وضع على عينيه نظارة تخفي آثار المعركة التى هزم فيها ٠٠ حتي بعد ان استسلم للنوم ٠



الفرق بين محمد على كلاى وغيره من الملاكمين ، هو فى حجم المسافة بين الرقص الشرقى والباليه . بين الابتذال والفن الرفيع .وسواء استرد لقب البطولة أملا ، فلا بد أن نسجل له أنه الوحيد الذى أقنعنا بأن الملاكمة فن ، وليست صراعا باللكمات والعضلات بين اثنين من الفتوات العتاة ، يصر كل منهما على أن يخرج فى النهاية قاتلا أو مقتولا !

لكن محمد على بدأ يشعر بوطأة السن . فقد قال لى فى لقائنا الذى تم بعد ثلاثة ايام بالضبط من هزيمته ، انه بعد ١٢ عاما من القتال فى حلبة الملاكمة ، اصبح الان ابطأ فى الحركة واسرع فى الاحساس بالتعب والاجهاد .وقد حان اوان اعتزاله للملاكمة . ولكنه لن يفعل ذلك قبل ان يستعيد لقب بطولة العالم الذى خطف منه على غير انتظار. «عدوا معى ستة اشهر ـ اضاف كلاى ـ خلالها ان شاء الله تعالى ، سوف استعيد اللقب . ثم اتفرغ للدعوة الاسلامية » .

كان ذلك ـ تيسيرا للعد والحساب ـ فى الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر الاحد ١٩ فبراير . وكنا فى غرفة النوم وقد تمدد كلاى على سريره ، مغفيا آثار اللكمات والكدمات فى عينيه ـ اليمنى بوجه خاص ـ بنظارة شمسية لم يخلعها . وكانت آثار النزف واضحة فى شفته السفلى ، وهو ما لم يكن يستطيع ان يخفيه الا بعد ان يزم شفتيه ، ويبتلع نصف الكلمات التى يريد ان يقولها .

كان محمد على كلاى يتكلم بصوت خافت وثقة شديدة ، وكأنما بطولة العالم فى جيب سترته ولم تخرج منه بعد ، وكان يستشهد فى حديثه بآيات من القرآن الكريم المترجمة معانيها الى الانجليزية . ومشاهد من السيرة النبوية ، خصوصا عندما هزم محمد عليه السلام ـ وهو نبى الله ـ مرتين ، ثم جاءه النصر الكبير بعد ذلك . يقصد غزوتى احد وحنين .

وانصافا للحقيقة فان لقاءنا مع محمد على كلاى بدأ بالصدفة وانتهى بالميعاد . ذلك انه هو الذى جاء الينا ولم نذهب اليه .

هكذا عرفنا النبأ

كانت البداية فى مكتب احد المسئولين بوزارة الاعلام فى دكا ، عاصمة بنجلاديش . كنا هناك نناقش برنامج مهمة « للعربى » واذا بجرس التليفون يرن . استمع المسئول البنجالى لحظة ثم بدت على وجهه علامات الدهشة وقال : حقا؟.. هذا شيء مؤسف . هذه صدمة . ثم وضع السماعة فى حزن وتأثر بالغين . واضاف الرجل وهو يسرح ببصره فى القاعة : لقد هزم محمد على ! أخذتنا المفاجأة ، لكنى لم املك ازاء حالته هذه الا ان اواسيه بكلمات التشجيع المناسبة . وخرجنا لزيارة مسئول آخر ، وما كدنا نجلس حتى رن جرس التليفون ، وتكرر نفس المشهد . ولكن الرجل لم يصدق ، وطلب من محدثه ان يتصل بالصحف لتقرأ عليه نصوص برقيات وكالات الانباء . ولم يكن الموقف يحتمل الحديث فيما جئنا من اجله ، فنهضنا ، وذهبنا الى مكتب ثالث واذا بالمسئول البنجالى يبادرنا بالسؤال قبل ان نجلس، هل سمعتم نبأ هزيمة محمد على ؟ .. فسألته عن سر هذا الاهتمام الزائد بالنتيجة ، عندئذ قال الرجل ان محمد على قادم الى بنجلاديش ، وانه سيعطى لقب المواطن البنجالى . وان موعد زيارته محدد بعد المباراة مباشرة . واضاف فى أسى : «كنا نود ان نحتفل به منتصرا

هكذا كانت « الصدفة » ..

صباح اليوم التالى كانت مدينة دكا غارقة فى بحر من الملصقات واللافتات التى ترحب بمحمد على كلاى ، مع صور له فى كافة الاوضاع،مصحوبة باوصاف وعبارات مثل : ملك الحلبة ، بطل الابطال ، المقاتل ، الرجل ، على .على.على. وظهرت فى الاسواق ثياب مطبوع عليها صورة محمد على ، وشارات نحاسية تحمل نفس الصورة ويوم وصوله اصدرت الصحف ملاحق خاصة عنه وعن اسرته ، وبطولاته ، وذكرياته ، وما كتبه النقاد عنه بينما كان وجهه على اغلفة كل المجلات .وبين



محمد على مع زوجته الشقراء الامريكية فيرونيكا.

العين والاخر كانت الاذاعة والتليفزيون يقطعان برامجهما ليعلنا : اليوم يصل بطل الابطال • اليوم تستقبله بنجلاديش بالاحضان • غدا ترونه على عرشه فى الاستاد •

وبين الاعلان والاعلان ، كان الراديو يذيع مجموعة من الاغانى الجديدة ، التى الفت خصيصا لمناسبة الزيارة ، فى مقدمتها اغنية ذاع صيتها على الفور ، تقول كلماتها : على•على•على• ـ حلم حياتى على ـ محمد على ـ بطل العالم على ـ الاجمل على ـ الاعظم على ـ الرجل الخارق (السوبرمان) على •

اليس بطلا مسلما

وخرجنا يوما الى شوارع دكا ••

كان يوما مطيرا منذ صباحه الباكر ، لكننا فوجئنا بمواكب تضم الوف البشر تزحف الى طريق المطار ، وكل الطرق المؤدية الى بيت الضيافة الذى تقرر أن ينزل فيه • واقواس النصر مفروشة فى كل شارع • وكان المشهد مثيرا • المدارس معطلة والطلبة والطالبات مصطفون على الارصفة، ويحاول كل منهم أن يحتمى من المطر بكراس أو شجرة • وسيارات الجيش والشرطة تجوب المدينة ذهابا وايابا • والنوافذ مليئة بالشيوخ والنساء

والاطفال • والهتافات تتصاعد بين الحين والاخر : محمد علي زنديباد • (يعيش محمد علي) •

وتتعجب ، لماذا يخرج هؤلاء الفقراء المطحونون بهذه الكثافة ، ولدى كل منهم هموم تثقل الجبال• ولماذا تشل الحياة في المدينة بهذه الصورة ، لمجرد ان محمد علي كلاي قادم من لاس فيجاس ـ وهو المهزوم ـ لزيارة بنجلاديش ؟ لماذا هذا الحماس الجارف وشحنة الانفعال غير المحدودة ؟

رد واحد تسمعه في كل مكان : أليس بطلا مسلما ؟؟

تكتشف ان هذا هو السبب الاكبر • فالمسلم الزائر ملء العيون في بنجلاديش ، واذا كان بطلا في حجم محمد علي كلاي ، فهو في كل قلب ، وعلى العين والرأس ايضا •

ثم تكتشف بعد ذلك ان هناك سببا نفسيا آخر• فمحمد علي كلاي يعكس ويجسد كل ما يفتقده هؤلاء • فقد كان مثلهم ، فقيرا أسود اللون ، من طائفة المنبوذين في امريكا ، لكنه تحدى الجميع وشق طريقه الى القمة • وتربع على هذه القمة • وهذا بالضبط هو ما يحلمون به في بنجلاديش !

مسألة وقت فقط

عندما حان « الميعاد » ، ذهبت اليه في قصر الضيافة • أطل شقيقه « رحمن » من باب غرفته ، وقال : سنعطيك دقيقة ، ثم أغلق البابوانتظرت• ولم اكتشف الا متأخرا ، بعد اللقاء ، ان الدقيقة في لغة الامريكان تعني ساعة عندنا !

لمحته من الباب جالسا على الطريقة الامريكية ، ساقاه مرفوعتان فوق مائدة امامه • وبعد قليل دخلنا فوجدته في وضع امريكي آخر ، كان قد تمدد على السرير بثيابه كاملة ، رافعا الكلفة والحرج• مهتما بان يستريح لانه امضى يومين طائرا من لاس فيجاس حيث جرت المباراة الشهيرة ، الى دكا • ومنذ وصوله لم يسترح بسبب البرنامج المشحون• حتى انه عندما اخذوه في جولة نهرية ليرى بعض معالم البلد الذي يزوره لاول مرة ، نام منهم على السفينة • ولمحته يجرجر قدميه في حفل العشاء الذي اقامه رئيس بنجلاديش الجنرال ضياء الرحمن ، ولولا زوجته فيرونيكا التي كان يستند الى ذراعها ، ولولا انها كانت تلكزه كلما غلبه النعاس ، لولا ذلك لحدث مالا تحمد عقباه •

قال لي في البداية انه لم يفهم لماذا تصر وسائل الاعلام في العالم العربي على ان تسميه «كلاي» بينما الجميع ينادونه باسمه الحقيقي الان «محمد علي» • قد يكون مفهوما ان تفعل ذلك الصحافة الانجليزية التي مازالت تتمسك باسمه القديم ـ قبل ان يشهر اسلامه ـ كاسيوس كلاي ، ولكن، هل عندك تفسير لموقف اجهزة الاعلام العربية ـ سألني «محمد علي» ـ قلت : ليس هذا موقفا في الواقع ، ولكنه ربما كان استخداما لاسم الشهرة او استسهالا للاختصار •

بعد ذلك دخل في الموضوع وقال : اكتب على لساني انني سوف استعيد لقب بطولة العالم خلال ستة اشهر ، ان شاء الله تعالى • وساكون اول



الابوان و كلاي «اللذان جاء في رحلته الى دكا «يبتسمان للمصور»

بطل فى تاريخ الملاكمة يستعيد لقبه لثالث مرة. فلويد باترسون وانا استعدنا اللقب مرتين،ولكني ساكون الوحيد الذى يستعيده للمرة الثالثة . صحيح انني تعبت ، وظهرت على اثار السن . لم اعد بنفس سرعة الحركة ولا بنفس قوة الاحتمال. لكنني اعرف نفسي جيدا ، واثق تماما في ان الله سبحانه سوف يمنحني القوة التى تمكنني من ان اعتزل وانا البطل المسلم المنتصر،لا المسلم المهزوم الذى تشيعه عبارات الرثاء . انني اعتبر هزيمتي اهانة لملايين المسلمين الذين كانوا فخورين بي ، والذين كانوا يدعون الله لي بالنصر دائما .

واضاف محمد على بصوت بالغ الهدوء :تستطيع ان تؤكد على لساني انه ليس السؤال الان هل استعيد اللقب ام لا ، ولكنه متى يحدث ذلك ؟ .. هي مسالة وقت لا اكثر.وقد اعتدت ان استريح اسبوعين او ثلاثة بعد كل مباراة،ثم اواصل المران. وساقاتل سبنكس مرة ثانية ، وسوف اهزمه . اكتب ـ كررها مرتين ـ سوف اهزمه .

قلت : اتمنى ذلك طبعا،ولكن كلامك يعني انك لم تعد كما كنت ؟

قال : هذا صحيح ، ولكني اعرف قدراتي جيدا. لقد بدأت الملاكمة في سن العاشرة ، ووضعت نصب عيني ان اكون بطلا في سن الثانية والعشرين . وفعلا صرت بطل العالم وانا فيهذه السن . وفي كل مباراة كنت احدد لنفسي الجولة التى استطيع فيها ان اخطف النصر ، ولميختلف هذا التقدير الا مع شخص واحد هو جو فرايزر، لقد اتعبني ونال مني ، ولكني انتصرت عليه .

أخطأت مع سبنكس

قلت : ولكن سبنكس (الذى انتزع منه اللقب) فى سن الرابعة والعشرين ،وانت الان فى سن السادسة والثلاثين ..

قال : لقد أخطأت الحساب مع سبنكس ايضا. كانت استراتيجيتي خاطئة ، ولم استمع الى كلام مدربي الذى نصحني بتغيير خطتي معامثال سبنكس من الملاكمين الجدد . اعتدت ان اترك لهم الجولات الخمس الاولى ، لتستنفد طاقاتهم ويتعبون ، . ثم بعد ذلك اسدد ضرباتي الحاسمة.

ولكن « الولد » لم يتعب واستطاع ان يتغلب علي بالنقط.فى المرة القادمة ساقاتل من الجولة الاولى.

قلت : المنطق والحساب العقلى ليسا فى صالحك ..

قال : انني رجل مؤمن بالله ، واعلم جيدا ان هناك اشياء لا يمكن اخضاعها للمنطق والحساب العقلى . ان ثقتي في الله وفي نفسي هي التي تدفعني الى الاطمئنان الى نتيجة لقائي القادم مع سبنكس . الم تقرأ الاية التي تقول :«ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » (قال معناها بالانجليزية) . الم تقرا ايضا فى القران الكريم ان النصر من عند الله وحده . الم تقرا سيرة النبي محمد عليه السلام،الذى كانت كل الحسابات العملية والمنطقية ضده ولكنه انتصر في النهاية؟

قلت : واذا اشترط الاتحاد العالمي للملاكمة ان تنازل منافسي سبنكس قبل ان تقاتله هو ؟

قال : فى امريكا القوة هي المال . وما زالت الملاكمة تجري وراء قوة المال . وطالما انا ما زلت الاكثر شعبية ، وبالتالي فانا الاقدر على جذب الجمهور ورفع دخل شباك التذاكر ، فساظل انا المنافس الوحيد لسبنكس .

قلت : هل كنت تتوقع الهزيمة ؟

قال : اعتقدت ان هذا مستحيل ، وقد احزنني تماما ما حدث .

قلت : حكاية الاعتزال هذه رددتها اكثر من مرة ، وما زال الجميع يذكرون انك اكدت قصة الاعتزال سنة ١٩٧٤ لكنك امام اغراء المال ذهبت الى زائير لتنازل جورج فورمان .

قال : هذه المرة انا جاد فيما اقول ، لقد اقنعتني معركتي مع سبنكس بان اوان التقاعد قد حان ، وان مسالة السن هذه لم يعد ممكنا الاستهانة بها .

أن أكون مسلما جيداً

سالته : وماذا ستفعل بعد الاعتزال ؟

قال : لقد اعلنت انني ساتفرغ تماما للدعوة الاسلامية ، واعتقادي ان الاسلام بحاجة الى دعاة

كثيرين ، واننى استطيع ان اؤدى دورا مفيـــدا فى هذا المجال .

قلت : من تصريحاتك وتصرفاتك ، ليس معروفا بالضبط ماذا تريد ان تكون ، وما هو هدفك .. بينما تتحدثعن رغبتكفى التفرغللدعوة الاسلامية، هناك شواهد تقول انك متشبث بعرش الملاكمة ، وشواهد اخرى توحى بانك تريد ان تصبح رجل اعمال . واحيانا اتصور انك لا تمانع فى دور البلاى بوى .

قال : ان املى الوحيد ان اكون مسلما جيدا ، لكننى لا استطيع ان انسى اننى يجب ان اؤمن نفسى وادفع الضرائب واضمن مستقبل اسرتـــى وابنائى الستة . ولا اظن ان هناك تعارضا بـين الرغبتين . وحكاية البلاى بوى هذه دعايات صحفية. لقد تزوجت مرتين فقط ، طلقت واحدة وفيرونكا هى الثانية .

قلت : هل انت جاد فعلا فى موضوع الاسلام الذى تتحدث عنه دائما ؟

قال : لا املك حججا اقدمها لك . ولكن فقط اقول انه ليس هناك اعظم من ايمانك بالله .فذلك يمنحك سكينة وثقة بغير حدود . ثم اننى احاول ان اؤدى التزاماتى كمسلم . لا اصلى الفرائض الخمس صحيح .لان هذه مسالة تتعذر علىّ احيانا، لكننى اصلى قدر ما استطيع . واصوم قدر مـــا استطيع . لم احج ، ولكنى اديت العمرة . كمـــا اننى لا اشرب الخمر ولا ادخن . واضاف محمد على : اننى احاول ان افعل شيئا من اجل المسلمين فى امريكا . اساعدهم ماليا ، وابنى الان ثلاثة مساجد فى انحاء الولايات المتحدة .

قلت : هل انت تساهم فى نشاطات المسلمين السود فى امريكا ؟

قال : انا معترض على تعبير المسلمين السود فليس فى الاسلام اسود وابيض واصفر . هناك مسلم فقط وانا مشترك فى نشاطات مسلمى امريكا، واؤيد تماما زعيمهم محمد ، الذى يمضى فى طريق اقرب الى العقيدة الصحيحة من ابيه ايلاجا محمد، الذى مات منذ سنوات قليلة .

قلت : الا تكره الرجل الابيض ؟

قال : المسلم الحق لا يكره احدا ، لان الله هو خالق الجميع . فقلب الانسان لا يختلف من جنس الى جنس . وضميره وروحه بلا لون . اننى لا اكره الرجل الابيض ، رغم كل ما فعله ويفعله، لكنى فقط اشفق عليه .

قلت : بالمناسبة ، هل قرات قصة اليكس هيلى الشهيرة «الجذور» التى روت رحلة العبيد السود الى امريكا ؟

قال : لم اقرا القصة ، لكنى تابعت المسلسل التيلفزيونى الذى اعد عنها وقد شدنى واعجبنى جدا .

قرأت القــرآن مرتين

قلت : هل لديك وقت للقراءة ؟

قال : لقد قرات القران الكريم مرتين . لكنى عموما اقرا قليلا . لان التدريب اليومى الشاق يرهقنى ، ولا يتيح لى فرصة التركيز فى القراءة. فضلا عن ان الشهرة لها ثمنها الباهظ الذى يدفع احيانا من التزامات الانسان نحو نفسه .

قلت:لكنك قلت فى قصة حياتك انك تحبالشعر وتكتبه .

قال : هذا صحيح . وعندى محاولات متواضعة اقدمت عليها فى بعض المناسبات .

قلت : قرات لك مطلع قصيدة قديمة ، كانت عن الملاكمة ، تقول فيها : سيظل ليستون ملكـــا للحلبة ـ فقط حتى يلقاه كاسيوس كلاى . ومنذ قراتها تيقنت ان اختيارك للملاكمة كان يعبر عن حكمة بالغة !

خرج محمد على عن هدوئه ، وضحك ، ثـــم اشاح بيده وقال : اوه بوى !

قلت : هل تهتم بالسياسة ؟

قال : العكس هو الصحيح . فالسياسيـــون متقلبون ، واللعبة كلها غير نظيفة . وقلــــب السياسى دائم التغيير لكن قلب المؤمن لايتغير .

قلت : ولكنك فى سنة ٦٧ عندما امتنعت عن الذهاب مع القوات الامريكية المشتركة فى حـــرب فيتنام ، كنت تعبر عن موقف سياسى .

قال : ليس هذا دقيقا.لان موقفى هذا كان يعبر عن التزامى بعقيدتى الاسلامية بالدرجة الاولى.

ان القران الكريم يقول لنا : « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » • وفي فيتنام كانت القوات الامريكية معتدية على شعب آخر يطالب بحقوقه• وكان طبيعيا ان امتنع عن الاشتراك في هذا العدوان ، استجابة لنداء القران •

قلت : سؤال اخير ، لماذا انت في بنجلاديش ، وهل في برنامجك ان تزور الدول العربية ؟

قال : الناس في هذا البلد مسلمون وفقراء • وانا احب هذا الطراز من البشر واتعاطف معه جدا • ثم انهم دعوني واسرتي • وتعبيرا عن مشاعري نحوهم وافقت على الاشتراك في فيلم اسمه « بنجلاديش انا احبك » • وجولاتي في هذا البلد جزء اساسي من الفيلم • اخيرا فانهم قرروا ان يمنحوني لقب مواطن بنجلاديش ، وانا اعتز بذلك • اما زيارة الدول العربية ، فليست لدي خطط قريبة بشأنها •

قال محمد علي كلماته الاخيرة ثم استدار على الفور لينام • وتصاعد منه صوت غطيطه بعد لحظة • واثناء خروجنا من الحجرة ، فتح عينيه وضحك ، ثم اشار بيده مودعا ، وقال : اراكما في الاستاد • واكتشفنا انه كان يمثل دور النائم؟

عندما عاد للاضواء

طوال اللقاء ظل محمد علي هادئا مستكينا ، مستسلما لما يلقى عليه من اسئلة • وظل صوته خافتا ، وكلماته مختصرة او مبتسرة ، حتى ذهب الى استاد مدينة دكا ، وشق طريقه وسط طوفان البشر الذي تجمع حوله يردد : محمد علي زندباد•

هناك تحول هذا الرجل الهادىء الوديع الى شخص آخر !

انتشى محمد علي على الفور عندما وجد الجماهير الغفيرة حوله تهتف باسمه • استرد روحه المرحة ، وعادت اليه شقاوته وهو جالس على المنصة وسط الاستاد • وظل يداعب الجالسين ، ويغمز ــ بعد استئذان زوجته ــ بعينيه لفتيات الفرق الفنية التي جاءت تغني له •

ثم جاء موعد استعراض رمزي للملاكمة كان مقررا ان يقدمه محمد علي امام الجماهير ، وصعد الى الحلبة وسط التهليل والتصفيق الذي شق عنان السماء ، وكان « خصمه » المتفق عليه صبيا نحيفا بالغ العناد ، اسمه جلال الدين • التفت اليه محمد علي ،ورفع النظارة لاول مرة عن عينيه، ثم اقترب منه وتفرسه جيدا ، بصورة اراد ان يوحي بها انه لم ير الصبي ذا الاثني عشر عاما ، لضآلته الشديدة • ودق جرس الجولة الاولى ، فتوجه اليه محمد علي وظل ينفخ فيه ، بينما الاستاد يضج بالضحك • ولكن جلال الدين اخذ المسالة ماخذ الجد ، وظل يصوب ضرباته نحو محمد علي، فما كان منه الا ان حاوره بعض الوقت ، ثم امسك به ورفعه على كتفه وظل يضربه على مؤخرته مؤدبا !

ولكن جلال الدين عاد الى ملاكمته ، فارتمى محمد علي على الارض مرتين مؤديا دور الملاكم المنهار ،وفي كل مرة كان يقوم وهو يترنح من فرط « الاعياء » • كل ذلك والناس تصرخ من الضحك، وتدق الارض باقدامها •

وفي نهاية المباراة الكوميدية ، استدار محمد علي الى الحكم والمساعدين وظل يطاردهم في الحلبة ، ثم حمل خصمه على كتفه ، وطلب من المصورين ان ياخذوا له صورةوهو في هذا الوضع•

كان محمد علي الذي في الاضواء شخصا مختلفا حقا عن ذلك الذي التقيت به قبل ساعتين في بيت الضيافة • كانت الاضواء وهتافات الجماهير قد احدثت مفعولها السحري ، حتى قال محمد علي لمن حوله للصحفيين فيما بعد ، ان الاستقبال الذي قوبل به انساه الهزيمة !

وتستطيع بعد ذلك ان تتصور وداع محمد علي في مطار دكا • وتاثره الشديد بما رآه وسمعه ، حتى انه الوحيد من غير اهل البنجال الذي قال في تصريح لاحق ان بنجلاديش جنة على الارض !

ولكنه عندما سافر ، كان قد صار مواطنا بنجاليا ، بل قنصلا عاما لبنجلاديش في شيكاغو• وكان جواز سفره الاخضر الجديد يحمل رقم (س ٠٦٧٠٩٣) ، وكان في حقيبته علمان لبنجلاديش ، سيضع احدهما على منزله في مدينة لويس فيل بولاية كنتاكي ، المشهورة بانتاج الدواجن • اما العلم الثاني ، فسوف يثبته على مقدمة سيارته • او هكذا قال في مطار دكا •

الان يدعو له فقراء بنجلاديش بان يستعيد لقبه المفقود • ولان الفقراء لا يملكون الا الدعاء فان ابواب السماء تفتح لهم •• احيانا ! ■■

دراسة خاصة « للعربى »

تطبيق الشريعة

« فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب ـ سورة الزمر/ ١٧ ـ ١٨ »

« الحكمة ضالة المؤمن ، انى وجدها فهو أحق الناس بها ـ حديث رواه الترمذى »

بهذه التوجيهات التى تفتح العقول والقلوب على ما عند البشرية كلها من حق وخير ، اياً كانت السلالات والثقافات والاوطان ، وجه الاسلام أبناءه منذ أربعة عشر قرنا ، وكانت هذه التوجيهات ذاتها احدى الدلالات القاطعة على أن هذا الدين قد أنزله رب الناس كافة ، دين لا يتحيز للون أو لسان ، وعلى أن هذا الدين يربى برسالته « خير أمة أخرجت للناس » ، فمناخها الذى تحيا فيه وتتنفس هو الانسانية جمعاء ، ومجالها الحيوى هو التعامل مع كل الناس ، والاخذ والعطاء والتعاون على البر والمعروف والتواصى بالحق مع سائر البشر ، فليست هى الجماعة المتكفئة على ذاتها التى تستغرقها : وتستهلكها « النرجسية » فى صورة « الطائفية » : « تعبد ذاتها » ـ كما يقول دوركايم ، أو تعتقد انها محور الكون والخلق كله ووراء الحضارات كلها كما تزين لاصحابها عقيدة « الشعب المختار » ، أو ترى كل ما عداها « برابرة » كما كان يزعم الرومان ، أو ترى فى مجال العلاقات الدولية والحضارية أن « الجحيم هو الاخرون » كما عبر سارتر فى مجال التحليل النفسى لعلاقة الفرد بالمجتمع !!

● الاحكام الفقهية منها ما يختلف بحسب المصلحة وما هو ثابت لا يتغير

● تغالى الفقهاء فى القياس ومنعوا الكثير من المعاملات لمجرد الشبهة

لا يعنى .. رفض تجارب الانسانية .. عبر القرون

الاسلامية

« اذا ظهرت امارات العدل وأسفر وجهه باى طريق كان ، فثم شرع الله ودينه »
ابن القيم

بقلم : محمد فتحى عثمان

ومن هنا فان المسلمين من جيل الصحابة والتابعين ممن خرجوا من مواطنهم فى شبه الجزيرة الى اقطار العالم الواسع لرحيب من حولهم، لم يتنكروا لما وجدوه من احكام تنظيمية استقرت فى تلك الاقطار من قديم ، واحتاجتها الدولة الاسلامية الفتية الناشئة ، ولم تكن نصوص الكتاب والسنة تستوعب كل ما سوف يطرأ للجماعات الاسلامية المتعاقبة من حاجات جزئية متجددة حتى قيام الساعة ، وقد اقرت اصولهما الاجتهاد فيما لم تتناوله نصوصهما ، وارتضى رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم من مبعوثه الى اليمن معاذ بن جبل ان « يجتهد برايه لا يالو » ان لم يجد نصا فى الكتاب والسنة يحكم الواقعة ، وحمد الرسول الله على توفيقه لمبعوثه لان يحكم بما يرضى الله ورسوله . والحقيقة التى تقرر ان نصوص القران والسنة متناهية وان الوقائع غير متناهية يستحيل ان تحصرها النصوص ولا بد لمواجهتها من الاجتهاد قد اوضحها كثير من علماء الاسلام باجلى بيان ، ومنهم الشهرستانى فى « الملل والنحل » وابن خلدون فى « المقدمة » وغيرهما .

الاحكام درجات

وقد اوضح الفقهاء ان من الاحكام ما هو « سياسة جزئية بحسب المصلحة يختلف باختلاف الازمنة ... وليست شرائع عامة لازمة للامة الى يوم القيامة، يقول ابن القيم فى (اغاثة اللهفان) « الاحكام نوعان : نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها لا بحسب الازمنة ولا الامكنة ولا اجتهاد الائمة كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم ونحو ذلك فهذا لا يتطرق اليه تغيير ولا اجتهاد مخالف لما وضع عليه. والنوع الثانى ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا كمقادير التعزيرات وصفاتها فان الشارع يتنوع فيها بحسب المصلحة » ... وقد عرف الفقه الاسلامى اصطلاح « السياسة » للدلالة على ما تحتاجه ادارة الدولة وسياسة الرعية من احكام متجددة تكون متفقة مع مقاصد الشريعة وقواعدها الكلية وان لم تدل عليها مباشرة النصوص التفصيلية الجزئية الواردة فى الكتاب والسنة

● شرط الاقتباس الا يتعارض مع اى حكم قطعى فى الكتاب والسنة

وينقل ابن القيم في كتابيه « الطرق الحكمية » و « اعلام الموقعين » عن ابن عقيل احد اعلام الحنابلة « السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس اقرب الى الصلاح وابعد عن الفساد وان لم يضعه الرسول ولا نزل به وحي » ٠

ويقول ابن القيم ان « السياسة » موضع مزلة اقدام ومضلة افهام وهو مقام ضنك ومعترك صعب ، فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود وضيعوا الحقوق وجرأوا اهل الفجور على الفساد وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد محتاجة الى غيرها ، وسدوا على نفوسهم طرقا صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له وعطلوها مع علمهم وعلم غيرهم قطعا انها لم تناف ما جاء به الرسول وان نافت ما فهموه هم من شريعته باجتهادهم ٠ والذى اوجب لهم ذلك : تقصير في معرفة الشريعة ، وتقصير في معرفة الواقع ، وتنزيل احدهما على الاخر ٠ فلما رأى ولاة الامور ذلك وان الناس لا يستقيم لهم امرهم الا بأمر وراء ما فهمه هؤلاء من الشريعة احدثوا من اوضاع سياستهم شرا طويلا وفسادا عريضا ، فتفاقم الامر وتعذر استدراكه وعز على العالمين بحقائق الشرع تخليص النفوس من ذلك واستنقاذها من تلك المهالك ٠ وافرطت طائفة اخرى قابلت تلك الطائفة فسوغت من ذلك ما ينافي حكم الله ورسوله ٠ وكلتا الطائفتين أتيت من تقصيرها في معرفة ما بعث الله به رسوله وانزل به كتبه ، فان الله ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذى قامت به الارض والسماوات ، فاذا ظهرت امارات العدل واسفر وجهه بأى طريق كان فثم شرع الله ودينه٠ والله سبحانه اعلم واحكم واعدل ان يخص طرق العدل واماراته واعلامه بشيء ثم ينفي ما هو اظهر منه واقوى دلالة وابين امارة فلا يجعله منها ولا يحكم عند وجودها وقيامه بموجبها ، بل قد بين سبحانه بما شرعه من الطرق ان مقصوده اقامة العدل بين عباده وقيام الناس بالقسط ، فاى طريق استخرج بها العدل والقسط فهي من الدين ليست مخالفة له »(١)٠

عندما تتغير الازمنة

من هذه الحقائق والاصول يتبين في جلاء ان ليس كل ما يحويه تراثنا الفقهي احكاما ثابتة ماضية الى يوم القيامة ، كما انه ليس كل ما لا يحويه هذا التراث من احكام مرفوضا اذا ما كان الحكم متفقا مع مقاصد الشريعة وقواعدها الكلية غير متعارض مع حكم تفصيلي وردت به النصوص القطعية ، ولقد اورد ابن القيم ضمن كلامه السابق ذكره نماذج من سياسة الخلفاء الراشدين ثم ذكر السؤال الجوهرى القاطع الذى ينبغي للفقيه بحق ان يثيره ويجيب عليه : « هذه السياسة التى ساسوا بها الامة واضعافها هي من تأويل القرآن والسنة ، ولكن : هل هي من الشرائع الكلية التى تتغير بتغير الازمنة، أم من السياسة الجزئية التابعة للمصالح فيتقيد بها زمانا ومكانا ؟؟ » ٠ كذلك ابرز ابن القيم في « اعلام الموقعين » القاعدة الفقهية الجليلة في « تغيير الفتوى واختلافها بحسب تغير الازمنة والامكنة والاحوال والنيات والعوائد » ونبه الى انه قد وقع بسبب الجهل بها غلط عظيم على الشريعة (٢) ٠

ولقد افاد المسلمون الاولون مما وجدوا في الاقطار المفتوحة من تجارب غير المسلمين في الحكم ، ما دامت تحقق العدل للناس وتكفل مصالحهم، ومادامت لا تتعارض مع حكم تفصيلي اتت به النصوص القطعية ٠ وجاء تدوين الدواوين ــ او تنظيم ادارة الدولة الاسلامية ، وفرض الخراج على الاراضي المفتوحة خارج شبه الجزيرة العربية نتيجة الخبرات المكتسبة من سوابق غير المسلمين في الحكم ٠ روى البلاذرى ان الوليد بن هشام بن المغيرة قد اشار على الخليفة عمر بن الخطاب حين فكر في اتساع الفتوح وكثرة اموال الفيء والغنيمة فقال له « قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جندا ، فدون ديوانا وجند جندا» فتصدى ابو سفيان لهذا الرأى وهو التاجر الذى يتخوف مغبة تدخل الدولة في التأثير على مبادرة الافراد حين تدون الدواوين ويرتب العطاء والارزاق بصورة دورية دائمة للاجناد وغيرهم ممن يكونون في خدمة المصالح العامة للمسلمين « اديوان مثل ديوان بني الاصفر (أى الروم) ؟ انك ان فرضت للناس

---

(١) ابن القيم : الطرق الحكمية في السياسة الشرعية بتحقيق حامد الفقي ــ القاهرة ص ١٣ ــ ١٥ ، ١٨ ، انظر أيضا : اعلام الموقعين ــ المطبعة المنيرية بالقاهرة جـ٤ ص ٢٦٧ ــ ٩

(٢) الشاطبي : الموافقات ــ المكتبة التجارية بالقاهرة جـ٢ ص ٢٨٥ ــ ٦

اتكلوا على الديوان وتركوا التجارة» (٣) وذكرت مصادر اخرى ان مشورة قدمت قد استندت الى سوابق الفرس (٤) وخلص عمر الى وجوب تدوين الدواوين فقال « لا بد من هذا، فقد كثر فيء المسلمين » ٠

واتبع عمر رأى ابى بكر فى مساواة الناس فى العطاء فلا يكون التفاوت الا على اساس مايتولونه من اعمال ٠ ثم شاور الناس فى التفضيل حسب مكانتهم وسابقتهم فى الاسلام ورأى انه الرأى٠ كذلك شاور المسلمين فى شأن معاملة الاراضى المفتوحة : هل يشملها حكم الغنيمة فيقسم اربعة اخماسها على الفاتحين ام يكون هناك حكم خاص للعقار يفرده عن حكم الغنيمة الذى يخصص للمنقول ؟

وبعد التشاور ارتأى الخليفة الا يدخل الاراضى المفتوحة فى حكم الغنيمة ، وأن يجعل تلك الاراضى فى ايدى اصحابها قبل الفتح ويفرض عليهم الخراج لتكون حصيلته موردا عاما مستمرا لبيت المال تفيد منه جماعة المسلمين كلها جيلا بعد جيل ٠ وقد عقب ابو يوسف على رأى عمر بعد ان اورده فى كتابه (الخراج) فقال :« والذى رأى عمر من الامتناع عن قسمة الارضين بين من افتتحها عندما عرفه الله ما كان فى كتابه من بيان ذلك توفيقا من الله كان له فيما صنع وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين ، وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم٠٠٠ والله اعلم بالخير حيث كان » (٥) وفرض الخراج بهذا المعنى قد استهله الخليفة عمر (٦) وقد استأنس فيه بسوابق الفرس وان كان قد خالفهم فى تقدير الخراج المفروض ٠

عمر شاور قبطيا مصريا

روى ابو يوسف عن عامر الشعبى « لما اراد عمر ان يمسح السواد ارسل الى حذيفة : ان ابعث الى بدهقان من جوخى وبعث الى عثمان بن حنيف ان ابعث الى بدهقان من قبل العراق ٠ فبعث اليه كل واحد منهما بواحد ومعه ترجمان من اهل الحيرة فلما قدموا على عمر قال : كيف كنتم تؤدون الى الاعاجم فى ارضهم ؟ قالوا : سبعة وعشرين درهما، فقال عمر : لا ارضى بهذا منكم » ٠ وقد اجمل الطبرى فى تاريخه الفروق بين الخراج الذى فرضه عمر والخراج الذى فرضه كسرى من قبل ، كما روى ابن عبد الحكم من « فتوح مصر » ان عمر قد شاور قبطيا من مصر فى شأن سوابق الخراج فيها، بل شاور المقوقس حاكم مصر نفسه ايضا على ما ذهبت اليه بعض الروايات ٠

وهكذا استفادت الادارة الاسلامية من تجارب الحكم السابقة فى الاقطار المفتوحة وان كانت هذه التجارب ترجع فى الاصل لقوم غير مسلمين ، ولم تتوان فى الانتفاع من ى اجتهاد سليم و اقتباس نافع ٠ وناقش الفقهاء حكم « سنة اعجمية قديمة لم يغيرها الاسلام ولم يبطلها ، ان شكاها قوم الى الامام لما ينالهم من مضرتها » ، وارتأى جمهور الفقهاء جواز ان يغير الامام تلك السابقة اثر الشكوى مهما بعدت السابقة فى القدم ، لان على الامام « نفى كل سنة جائرة سنها احد من المسلمين فضلا عما سن اهل الكفر » وروى البلاذرى ان ابا يوسف ارتأى عدم جواز التغيير اللاحق لتلك السابقة المستقرة ما دام المسلمون قد اقروها فى الاصل (٧) ٠

يقول الاستاذ الشيخ احمد فهمى ابوسنة الاستاذ بكلية الشريعة بالازهر فى رسالته للدكتوراه بكلية الشريعة بالازهر التى نوقشت برئاسة الشيخ المراغى شيخ الازهر الاسبق رحمه الله سنة ١٩٤١ عن « العرف والعادة » : بعد العصر النبوى اتسعت

---

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ـ تحقيق رضوان محمد رضوان ـ القاهرة ص ٤٥٤ أيضا : أبو يوسف الخراج : المطبعة السلفية بالقاهرة ص ٥٣

(٤) انظر مثلا : الجهشيارى : الوزراء والكتاب ابن الطقطقى : الفخرى ٠ ويلاحظ أن كلمة « ديوان » نفسها فارسية الاصل ولم يخف ذلك على الفقهاء ، انظر مثلا : الماوردى : الاحكام السلطانية فى باب « وضع الديوان وذكر أحكامه »

(٥) أبو يوسف : الخراج ـ المطبعة السلفية بالقاهرة ص ٢٩ ـ ٣٢

(٦) انظر تقرير ذلك صراحة فى المراجع التاريخية والفقهيه ـ مثلا : ابن رجب ، الاستخراج فى أحكام الخراج

(٧) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٣٥

بلاد الاسلام ، ففي عهد عمر تم فتح فارس والشام ومصر ... ثم فتحت الاندلس في عهد الوليد بن عبد الملك بعد اتمام فتح المغرب ،وعلى الجملةفان الرقعة الاسلامية بلغت اوجها في الاتساع في صدر الدولة العباسية ... وهذه كلها تتردد فيها عادات وتقاليد قانونية واخلاقية لم يسمع بها الاسلام بعد ، واحوال لم يتحدث عناحكامها بصراحة ، ففي بلاد الفرس كانت توجد عادات فارسية ونبطية تقوم على ما كان لهم من مدنية وقوانين... وكانت مصر والشام تحت حكم الرومان (البيزنطيين ابان الفتح) ،والرومان هم اهل القوانين التي بلغت شاوا في الرقي ، فكان في الشام عادات رومانية في المعاملات وطرق التقاضي ، وفي مصر مزيج من العادات الرومانية والاغريقية والمصرية ، وكان في جزيرة العرب عادات عربية ، وفي المغرب والاندلس عادات بربرية وقوطية ، ولم يكن الفتح الاسلامي استعمارا واستغلالا بل كان الغرض منه نشر النور واذاعة العدل ... ولذلك نزل المجتهدون من المسلمين بهذه البلاد قضاة ومفتين فوجهوا هذه العادات على تباينها وجهلهم بها ، فكان طبيعيا ان يعملوا ملكاتهم الفقهية لاعطاء هذه العادات احكامها من الشريعة . فظهر لذلك اثره في نواح : الاولى ان هذه العادات عرضت على المجتهدين في مختلف البلاد فطبقوا عليها مبادىء الفقه العامة فما كان منها صالحا اقروه كتدوين الدواوين فانها عادة فارسية وكثير من الفروع الواردة في بابي الاجارة والبيع ، وما كان فيه نوع من العوج هذبوه كوضع الخراج على الاراضي فان ذلك كان معروفا عند الفرس وقد قبله عمر والصحابة بعد تعديل نظامه بما فيه النصفة والرفق ...والثانية ان المجتهدين في استنباطاتهم للاحكام من القواعد العامة تاثروا الى حد ما بالوسط الذي كان يعيش فيه هؤلاء الناس والعادات التي تكتنفهم ، ذلك ان المجتهدين يعتقدون ان الاحكام التي انزلها الله صالحة لكل زمان ومكان وان من اغراضها رفع الحرج عن الناس ، فلو لم تتاثر الاحكام المبنية على العادات في استنباطها ببيئة الناس ولو لم تكن مناسبة لظروفهم مس الناس الضيق وصارت الشريعة مجافية للغرض الذي بنيت عليه . فالمجتهدون الذين عاشوا في الاقاليم تاثروا بعادات الفرس التي كونتها حضارتهم وقوانينهم ، والذين كانوا بمصر والشام تاثروا بعاداتهما التي كونتها مدنية الرومان وقوانينهم ، والذين عاشوا في جزيرة العرب تاثروا بحالة البداوة البعيدة عن زخرف المدنية ومشاكلها وهكذا . وليس معنى هذا ان العرف والظروف تتحكم في النصوص الصريحة فتحمل المجتهدين على القول بحكم غير الذي تعطيه النصوص ، بل معناه ان من النصوص ما هو قواعد عامة يمكن تطبيقها حسب ظروف الناس واحوالهم ومنها ما هو معلل بمصالح خاصة يمكن ان تدور الاحكام التي تشتمل عليها مع هذه المصالح ... وهذا التاثر الذي اسلفناه قد يبدو واضحا في فقه المذاهب سواء اكان من جهة الاحكام المستنبطة نفسها اومنجهة تفريع الفروع كما في الفقه الحنفي الذي نشا بالعراق والفقه المالكي الذي نشا في الحجاز ... وكتب الشافعي مذهبا في العراق ضمنه كتابه (الحجة) فلما قدم الى مصر عام تسع وتسعين ومائة اطلع فيها على عوائد غير العوائد التي كان يعرفها في الحجاز والعراق ورأى احوالا غير الاحوال فكان هذا مما دعاه الى كتابة مذهبه الجديد الذي احتواه كتاب (الام) .... واخيرا: قد تمس الامة الاسلامية على اختلافبقاعها ومنازعها حاجتها الى عادة من العادات فتتفق جميعها على التعامل بها من غير نكير من احد المجتهدين فيكون ذلك اجماعا فعليا على جواز هذا الامر وان خالف الدليل باعتبار اصله ...» (٨)

شرط النقل والاقتباس

واقرار شيء مما انتهى اليه الفكر الانساني العالمي من قواعد قانونية و « سوابق اعجمية » لا يعني انفصال مثل هذه القواعد عنالبناء التشريعي للدولة الاسلامية بعد ادماجها فيه ، ولا يؤدي الى فقدان التجانس والانسجام داخل هذا التشريع بين القواعد المختلفةالاصول ... اذ لا بد ان يتمشى الحكم المقتبس معالمبادىء العامة للاسلام واخلاقياته ومع القواعد الكلية للشريعة ، ولا بد ان يكون محققا لمقاصدها ، كما انه ينبغي الا يتعارض مع اي حكم من احكامها التفصيلية القطعية التي اتت بها نصوص الكتاب والسنة وهكذا تطوع هذه الاحكام المقتبسة لنهج الشريعة الاسلامية وتصبغ

(٨) احمد فهمي ابو سنة : العرف والعادة فيرأي الفقهاء ـ مطبعة الازهر بالقاهرة ص ٧٦

بصبغتها • ونظرة الى كتابات ابي يوسف المتوفى ١٨٢ هـ ويحيى بن ادم القرشي المتوفى سنة ٢٠٣هـ وابى عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ عن « الخراج » مثلا ، تجلى كيف استحالت احكامه على ايدى فقهاء الاسلام الى احكام اسلامية النهج والطابع ، وكيف صارت متميزة عن اصولها الساسانية او البيزنطية ايا كانت .

والعنصر البشرى هام خطير فى موازين الاسلام بالنسبة لانفاذ الاحكام ، سواء تلك المنصوص عليها صراحة فى نصوص الكتاب والسنة او المجتهد فيها • وعلى ذلك فان القواعد القانونية المقتبسة لا بد ان تتفاعل فى البيئة الاسلامية مع مناخ « الايمان » واخلاقياته ، فتصير شيئا متميزا مخالفا لسوابقها الوضعية » • وهذه نصيحة ابى يوسف فى شان اختيار العاملين فى ادارة الدوله المالية يوجهها للخليفةالرشيد الذىخاطبه برسالته فى (الخراج)يقول:«ورايت ان تتخذوا منأهل الصلاح والدين والامانة فتوليهم الخراج ،ومن وليت منهم فليكن فقيها عالما مشاورا لاهل الراى عفيفا ، لا يطلع الناس منه على عورة ولا يخاف فى الله لومة لائم ، » •• الى آخر ما قاله فيهذا الصدد•

ومن هنا لايعنى التزام احكام الشريعة الاسلامية ان ترفض ما انتهت اليه خبرات الفكر القانونى العالمى طوال القرون ، فلم يرفضها سلفنا الصالح من قبل • ولا يعني ذلك اقحام ما ليس من الشريعة فى بنائها ما دامت القواعد المقتبسة تخضع لاصول الشريعة وتطوع لنهجها وتطبع بطابعها • يقول الشيخ الدكتور عبد الرحمن تاج شيخ الازهر رحمه الله : « ان الاحكام الجزئية التى راعى الفقهاء فيها فى عصر ما ماتطلبته مصلحة الامةاو قضى به عرفها ، لا يصح ان يؤخذ قانونا دائما وشريعة ثابتة تطبق حتى مع اختلاف وجه المصلحة وتغير العرف • (لكن) هذه الاحكام هى بلا شك من القانون الاسلامى لانها قامت على دعائم الشريعة واستنبطت من منابعها ، وعلينا ان ناخذ بها ما دمنا مقتنعين بصحة ماخذها وما دامت تتمشى مع مصالحنا وعرف زمننا • اما اذا اختلف العرف وتبدلت المصلحة كان لنا ان ننظر فيها فنعدل منها او ناخذ بغيرها على ما تقضى به المصالح الراهنة» (٩) ومن هنا يتبين فى جلاء كيف يكون بعيدا عن الحق والرشد : الظن بوجوب رفض كل خبرة قانونية ما دام مصدرها غير اسلامى ، وكذلك الظن بلزوم كل ما فى كتب فقهائنا المسلمين من احكام فى جميع البيئات والعصور دون تبين ما يكون منها اصيلا ثابتا وما يكون منها طارئا متغيرا •

تغالوا فى القياس

يقول الاستاذ الشيخ محمد مصطفى شلبى فى رسالته للدكتوراه عن « تعليل الاحكام » : « من يتتبع عمل الفقهاء المتاخرين على اختلاف مذاهبهم يجدهم قد تغالوا فى الاقيسة البعيدةحتى منعوا من المعاملات الشىء الكثير فحكموا بالتحريم بمجرد الشبهبناءعلىمراعاتهمهذاالاصل•••واذاكان الرسول صلى الله عليه وسلم له تصرفات منحيث امامته الكبرى وتصرفات من حيث الفتوى والتبليغ، (فقد) حمل هؤلاء جميع اوامره على الفتوى والتبليغ ولم يحملوا ما تعلق بالمعاملات فيها (او بعضها على الاقل) على الارشاد والسياسة حسبما يقتضيه مقام كل امر ونهى وبحسب مقتضيات الاحوال، فتكون احكاما مصلحية سياسية صادرة من الامامة مربوطة بمصالح تتغير بتغيرها او مربوطة باعراف كذلك ••• والدين يسر لا تعسير فيه وقد اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا وابا موسى الاشعرى بقوله:يسرا ولا تعسرا وبسرا ولا تنفرا • وليس سبيل التحرى فى الدين والورع فى تضييق الدين بل سبيل التحرى هو ان تصيب روح التشريع ••• ان هذا التضييق ما جاء الا من الاقيسة المتكلفة تبعا لهذا الاصل والتعبد بصرف النظر عن المصلحة ، والا فالنصوص الشرعية المانعة من انواع المعاملات قليلة جدا بالنسبة لما فرعه الفقهاء تبعا لهذا الاصل• ومن تامل هذه النصوص على قلتها وجدها جاءت على وفق المصالح وضد المفاسد لان الشريعة هدى ورحمة وابدية وعامة • لقد اجمل القرآن احكام المعاملات فاكتفى بالنص على اباحة ما يقتضيه تبادل الحاجات ودفع

---

(٩) عبدالرحمن تاج : السياسة الشرعية والفقهالاسلامى ــ القاهرة ص٢٦ ــ ٢٧ وانظر فى هذا المعنى وفى تقرير بناء كثير من الاحكام الفقهيةعلىالمصالح والاعراف مع اعتبارها جزءا من الشريعة : محمد مصطفى الزرقا : المدخل الفقهى العام ،معروف الدواليبى : اصول الفقه •

الضرورات ، فاحل البيع والاجارة والرهن وغيرها من عقود المعاملات ، واشار الى الاساس الذى ينبغي ان تبنى عليه تلك المبادلات وهو التراضي (يا أيها الذين آمنوا لاتاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) ، وكذلك احاديث المعاملات قليلة بالنسبة الى غيرها • ولاجل هذا قال ابو بكر بن العربي (المتوفى سنة ٥٤٢ هـ في كتابه : الجامع لاحكام القرآن) عند تفسير الاية السابقة ما نصه : (هذه الاية من قواعد المعاملات واساس المعاوضات التى تنبنى عليها : وهى اربعة : هذه الاية ، وقوله تعالى : واحل الله البيع وحرم الربا » ، واحاديث الغرر ، واعتبار المقاصد فى الشريعة) •• وقد خالف ابو يوسف ومحمد امامهما (ابا حنيفة) فى كثير من الاحكام تبعا لتغير الزمان كمخالفتهم فى تعديل الشهود وتحقق الاكراه من غير السلطان ••• ولقد قال الامام مالك تحدث للناس اقضية بقدر ما احدثوا من الفجور • قال الزرقانى فى شرح الموطا: ومراده ان يحدثوا اموراتقتضي اصول الشريعة فيها غير ما اقتضته قبل حدوث ذلك الامر ••• وقال ابن حزم فى (الاحكام) : خالف مالك ابا بكر فى خمس قضايا وخالف عمر فى نحو ثلاثين قضية ••• وقد تابع الفقهاء أئمتهم فافتوا بأحكام تخالف المروى عن أئمتهم بل تخالف النصوص احيانا معللين ذلك بالحاجة واختلاف الزمان وتغير الاحوال • ومن هذا اباحة فقهاء الحنفية التسعير عند الحاجة مع ورود النهى ومنع الامام وصاحبيه منه ، وافتاؤهم بجواز اخذ الاجرة على الامامة والاذان وتعليم القرآن مع النهى عن كل ذلك ••• وفى كتب المتاخرين ترجيح للقول الضعيف فى المذهب على ظاهر الرواية مع اعترافهم بضعف دليله تبعا لتغير الزمان ووجدانهم ان الوقوف مع ظاهر الرواية يلحق بالناس الضرر •• والمتاخرون من المالكية سلكوا هذا المسلك ومثلهم الشافعية والحنابلة ، وقد عزى الاستاذ الجليل وجهته بما روى عن محمد بن الحسن من انه كان يطوف فى الاسواق ويسال الصباغين وغيرهم منقبا عن احوال التعامل فيها كما روى ذلك عن الامام ابى حنيفة ايضا، وذلك للتعرف على الواقع فى المعاملات ، وآثر شيوخ الحنفية ان يفتوا بقول ابى يوسف فيما يتعلق بالقضاء لكونه جرب الوقائع وعرف احوال الناس • وذكر القرافى فى كتابه (الفروق) « والجمود على المنقولات ابدا ضلال فى الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين » ، كما قرر عز الدين بن عبد السلام فى كتابه (قواعد الاحكام فى مصالح الانام) « كل تصرف تقاعد عن تحصيل مقصوده فهو باطل » (١٠) •

هذه احدى الحقيقتين الكبيرتين اللتين ينبغى ان نضعهما نصب اعيننا ونحن ندعو الى تطبيق شريعة الاسلام •••

ليس كل ما فيه شريعة

ان تراثنا الفقهي على اعتزازنا به وحرصنا عليه واستنادنا اليه لا تستوى كافة الاحكام التى تضمنها فى المرتبة والحجية ، وليس كل ما فيه شريعة ماضية الى يوم القيامة ••• وعلينا ان نتبين جليا ما ينبغي ان ناخذ وما يجوز لنا اخذه او تركه •••

والحقيقة الكبرى الاخرى اننا فى اجتهادنا لتلبية احتياجاتنا القانونية ينبغى الا نهدر خبرات الفكر القانونى العالمى طوال القرون بدعوى اننا نطبق الشريعة الاسلامية ليس غير ، بل علينا ان ناخذ من تلك الخبرات ما نحتاجه بشرط ان يناسبنا ويتجاوب مع ظروفنا ويتمشى مع اصول شريعتنا ولا يتعارض مع حكم قطعى فيها •••

واجتهاداتنا هذه تصير جزءا من الشريعة ايا كانت مصادرها ، ما دامت قد روعيت الشروط الشرعية فيها •

«يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ـ المائدة /٨٧ »

«ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ـ النحل /١١٦ » « قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون ـ يونس /٥٩ » •

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل • ■■

محمد فتحي عثمان

---

(١٠) عمر مصطفى شلبى : تعليل الاحكام ـ مطبعة الازهر بالقاهرة ص ٣٠٣ ـ ٣١٥ ، أيضا : أبو سنه ، العرف والعادة ص ١٠٤

أقوال معاصرة



■ فى الشرق الاوسط انتهت مرحلة الجرى وراء الاوهام وبدأ اكتشاف الحقائق .

الرئيس اليوغسلافى تيتو .

■ كويت الغد هى كويت الشباب رجالا ونساء ، ونريد لهم الخشونة والبعد عن الترف .

الشيخ جابر الاحمد الصباح امير الكويت

■ حررنا ٩٠٪ من اراضينا وسيكون عام ٧٨ هو عام تحرير ارتيريا .

رئيس اللجنة التنفيذية لجبهة التحرير الارتيرية .



■ بيجن ليس على حق . وقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذى ينص على الانسحاب من اراض عربية ينطبق على الضفة الغربية ايضا !

جولدا مائير .

■ حل مشكلة سياسية هو تذكرة مرور الى مشكلة سياسية أخرى .

هنرى كيسنجر



■ نحن نعتبر السعودية « دولة مواجهة » لانها مزودة بسلاح حديث وقاعدتها العسكرية فى تبوك قريبة منا ، بينما تسويات الحدود لم تتم بعد .

عزرا وايزمان
وزير الدفاع الاسرائيلى

■ بعد كل ما ذاقه الفلسطينيون من مرارة ، فانهم لم يعودوا يثقون الا فى انفسهم .

رئيس المجلس الشيعى الاعلى فى لبنان .
الامام موسى الصدر

■ سنظل نحصل على دخلنا من عوائد النفط بالدولار ، لانه لا توجد عملة اخرى فى العالم اقوى منه .

محمد أبا الخيل
وزير المالية السعودى .

■ يبدو انه للولايات المتحدة الحق فى اللعب بالدولار كما تريد ، وعلى الاخرين ان يكيفوا موقفهم تبعا لذلك .

صحيفة دى تسايت الالمانية .

القرآن أم السلطان ؟

بقلم : فهمي هويـــدي

من المسئول عما وصل اليه حالنا : القرانأم السلطان ؟

و « حالنا » الذى أعنيـه تعرفونـه بكلتأكيد • وعلى من لم يبلغه النبأ أن يتفرس فى عيون الناس فى الشارع العربى • يقرأ أىصحيفة صباحية • يدير مؤشر المذياع مرورا بالعواصم العربيـة • يتطلـع الى المرآة •يختلس نظرة الى أعماقه • عندئذ ، سيجدها كلمة منقوشة فى كل العيون ، مكتوبة بكلالاحرف ، منطوقة بكل لهجات أمة العرب : الهزيمة !

«مهزومون نحن ومشهور افلاسنـا فى كلالبورصات والاسواق ، وعند كل من يعنيه ومن لا يعنيه الامر • هذا حالنا !

ولن أزيد ، متمثلا هنا قول الضابط الشابالذى قاد انقلابا فى احدى الدول الافريقيـة التى استشرى فيها الفسـاد ، فاكتـفى فى« البيان الاول » بقوله : لقد قمنا بالثـورة للاسباب التى تعرفونها !

وكما أن التاجر عندما يفلس يعود الىاوراقه القديمة ، يفتش وينقب ، فان البعض منا يفعل الشىء ذاته • يقلب الاوراق والملفاتلقديمة ، ويردد : القرآن هو المسئول !

القـرآن الان فى القـفص • والمحـاكمةالسرية جارية فى قاعة مغلقة ، شأن المحاكمات الهامة فى بلادنا •

وهى محاكمة غاية فى الغرابة والطرافة •فالشهود قضاة ، والقضاة متهمون ، والبرىء الوحيد فى القـفص • والاوراق مغلوطـة ،والاقوال انتزعت بالعسف والاكراه ، والتلفيق فى كل دليل •

نحن متخلفون والقرآن بيننـا • مهزومون،والقرآن بيننا • مشتتون والقرآن بيننا • سلبيون • متواكلون • عاجزون • متنابذون •متقـاتلون •• الى آخر مفـردات قامـوس النقائص والرذائل !

هذا كله يحدث والقرآن بيننا •

انظروا وتأملوا ماذا فعل الذين يعيشـونبغير القرآن ؟؟

هكذا يقولون فى المحاكمة ••

وقبل أن نناقش ـ بعد الاذن طبعا ـ ثمة« نقطة نظام » احب أن انبه اليها . فنحن نقع في خطأ منهجي كبير عندما نخلط بين لمبدأ وممتنقيه وتطبيقاته . بين الوسائل والاهداف . لان القيمة يتعامل معها الصالح والطالح، وخطأ الوسائل لا يعني خطأ الاهداف.

فعندما ينتكس العرب نلعن العروبة ،ونتوهم أن تغيير هويتنا كفيل بانتشالنا من الكبوة. وعندما ينهزم المسلمون نحاكم القرآن ونبحث عن وسيلة نتحلل بها منه . وعندما نفشل في مواجهة اسرائيل نسفه كل ما فعلناه خلال ثلاثين عاما ، ولا نجهد انفسنا في البحث عن وسائل أكثر فاعلية وايجابية في الصراع .بل نقول انهذا الصراع ذاته كان وهما وخيالا !

وهذا منهج « المدرسة الكمالية » ، لان كمال أتاتورك هو الذي ابتدعه في تركيا ، فالصق كل التهم بالاسلام والعروبة ، وقرر شطب كل منهما من الحياة التركية . ومعذرة اذا كنت أكثر الاستشهاد بالتجربة التركية ،لانها النموذج الاول لما سمي « بالتحديث » ، وهي المثل الذي صفق له الغرب كثيرا ،ويتطلع اليه بعض مثقفينا .

وفي مرة سابقة ناقشت ـ على هذه الصفحات ـ موضوع العروبة وما يفعله العرب ، وقلت ان العروبة بريئة من هزائم العرب ،وان التخلف هو المرض الحقيقي ، وكل ما نشكو منه اعراض له .

كان ذلك في ظروف موجة احساس بالهزيمة اعترت الكثيرين منا في العام الماضي ، وهو شعور يتجدد في هذه المرحلة بالذات .وما حيلتنا اذا كانت هزائمنا كثيرة ومتلاحقة ، حتى كادت تطمس كل بادرة احساس بالانتصار،وحتى كدنا نتصور أننا في عصر الهزائم العربية الكبرى !

هل القرآن حقا هو المسئول ؟؟

●

في ظل القرآن ، انتصر المسلمون على الروم والفرس ، القوتان الاعظم في الزمن القديم . وفي ظله عبرت طلائعهم أوروبا ،وطرقوا أبواب روما وفينا . وحملوا مشاعل النور والمعرفة الى ذلك العالم « المتخلف » .ولن نطيل في قراءة صفحات المجد الغابر والتباكي على الايام الخوالي . ولكننا فقط سنتقف عند مرحلة تاريخية محددة ، ونلقي نظرة على جانبي الساحة ، حيث كان يقف ابناء القرآن في ناحية ، والاخرون الذين تصرعنا الآن قيمهم ويسيل لعابنا على كلما تفوح منه رائحتهم ، في ناحية أخرى . سنلقي نظرة لنستدل ونحاول أن نفهم .

لنقف عند القرن العاشر الميلادي ، ستنالف على وجه التحديد ★ .

في ذلك الوقت كانت أوروبا مقطوعة الانفاس من الهلع ، ظنا منها أن القيامة ستقوم في هذا العام.وكان الناس يندفعون في لهفة الى الكنائس والاديرة ، يصلون ويطلبون التوبة وكان الامبراطور أوتو الثالث وهو في العشرين من عمره يقضي أيامه يمشي حافيا الى الحج بين روما وجبل جرجانوس بناء على أوامر القديس روسولادوس ، لان المسيح سوف يأتي ليقتص من الناس .. بينما كان هذا هو « حال » أوروبا ، كان واحد من أبناء القرآن هو ابن سينا يعلن في خراسان ،وهو لم يتجاوز العشرين من عمره ، انه فرغ من العلوم كلها لم يتجدد له بعدها شيء .وكان البيروني يعلن النظرية التي قال بها

★ انظر بحث الدكتور شاكر مصطفى : اثر العرب في حضارة الغرب والعالم .

كوبرنيك من بعد : أن الارض تدور حول الشمس وليس العكس • وكان الحسن بن الهيثم يكتب للناس قوانين الضوء ويجري التجارب على المرايا والعدسات المخروطية والكروية والاسطوانية ، وعلى آلة التصوير •

ليس هذا فقط ••

كان في دكان نساخ واحد في قرطبة ١٧٠ جارية تعمل بالنسخ • وفي مكتبة بني عمار بطرابلس كان يعمل ٨٠ نساخا ليل نهار ، لاثراء المكتبة واغنائها • وكان ابن النديم ينشر في بغداد كتاب الفهرس يجمع به أسماء خمسة الاف مجلد مما الف أبناء القرآن ، في الفلسفة والفلك والطب والرياضيات والفيزياء والكيمياء والتاريخ والادب والدين • في وقت أصدرت فيه هيئة الدومينيكان باوروبا قرارا يحرم على الاعضاء دراسة الفلسفة أو تعاطي الفنون والعلوم • وبينما نبلاء أوروبا يتحايلون على التهرب من هذا الفن العسير : القراءة والكتابة • وبينما دير القديس جالان لم يكن قد عرف في عمره الذي يمتد قرونا راهبا واحدا يقرأ ويكتب •

في ذلك الزمان أيضا ، زار واحد من ابناء القرآن هو الرحالة الطرطوشي • بلاد الفرنج ، وهو المسلم الذي يتوضأ خمس مرات في اليوم ، فدهش للقذارة التي رآها عندهم • حيث لم يكن الواحد منهم يستحم الا مرة أو مرتين في السنة ، ولا تغسل الملابس حتى لا تتمزق • حتى روت احدى قصصهم أن فتاة كانت تباهي حبيبها بانها استحمت في السنة الماضية !

كان أبناء القرآن يحفظون ان النظافة والايمان ، وكان الاخرون يقولون أن العناية بالجسد خطيئة وان القذارة مظهر العفاف والتقوى •

هكذا كان أبناء القرآن ، وهكذا كان الاخرون •

الآن هم على سطح القمر ، واقدامنا مغروسة في قاع المستنقع !

والقرآن هو هو لم يتغير ولم يتبدل !!

●

في القرآن « المتهم » نقرأ :

« ان عليك الا البلاغ » (الشورى) — « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » (الرعد) — « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » (هود) •

ونقرأ أيضا : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » (الشورى) •

ونقرأ : « وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى » (النجم) — و « •• هل يجزون الا ما كانوا يعملون » ؟ (الاعراف) •

في الاسلام ، ليس الانسان أسير قبضة « الكارما » التي تسلبه ارادته ، كما كان يقول الهنود القدماء • وليس هو العاجز الذي تسلط الالهة رسولها « نمسيس » لينتقم منه اذا اختار ، كما كان يقول اليونان • وليس هو ضحية « الطالع » كما كان يقول البابليون • اذا ولد تحت واحد من نجوم السعد كتبت له السلامة ، واذا ولد تحت أحد نجوم النحس فهو ماض الى النهاية على طريق الندامة •

الانسان في الاسلام « كرمه الله » •• « وسخر له ما في السماوات وما في الارض » • وفي فقه المسلمين هو « مخلوق مكلف » ، أو « مخلوق على صورة الخالق » • حتى قال المعتزلة ان البشر هم الذين يصنعون مصائرهم ، واختلف معهم « الجبرية » الذين اعتبروا ان الانسان مسير وليس مخيرا ، وهو ما اعتبره الامام محمد عبده « هدم للشريعة ومحو للتكاليف ، وابطال لحكم العقل البديهي » •

وها هو واحد من أعلام الصوفية تبلغ به الثقافي نفسه وفي الله حدا يدفعه الى القول : بانه يقاوم الاقدار بالاقدار !

●

ولعلنا نستطيع الان ان نجيب على السؤال : ما الذي جرى اذن • لماذا كان الصعود ولماذا كان السقوط ؟

باختصار وتبسيط شديدين : كان بيدنا سلاح ، استخدمناه مرة للانتصار ، واستخدمناه بعد ذلك في التقهقر والاحتضار ! •• ثم جاء زمن لم يملك فيه أحد شجاعة محاسبة الذين يحملون السلاح، فكان المخرج ان يحاكم السلاح ذاته !

ويضيف هنا عبد الرحمن الكواكبي « ان البلية فقدنا الحرية•• والحاصل ان تقصيرات العلماء الاقدمين واختصارات المتاخرين وتباعد المسلمين الى الان عن العلوم النافعة الحيوية ، جعلتهم أحط بكثير من الامم » •

وقد تتعدد الاراء في رصد الاسباب وقد تختلف ، لكن ما لا خلاف حوله هو أن القرآن بريء مما هو منسوب اليه •

ولا بد هنا ان نتامل جيدا ماذا فعل الاسرائيليون بالتوراة• من حصاد اساطيره وخرافاته، وكل ما فيه من فكر عنصري متخلف • كيف شهروه في وجه الجميع ، وتحصنوا به ، ثم حولوا خرافاته الى دولة ، وطوعوا أساطيره تخدم التوسع في كل اتجاه •

لو أنها مسالة « كتب » ، وفعل الاسرائيليون ما فعلوه بالتوراة ، بكل ما فيها • ماذا كان ينبغي أن نفعل نحن والقرآن بين أيدينا ؟

●

لقد صدق أمير المؤمنين عثمان بن عفان عندما قال : « ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » • وفي قوله الكفاية والخلاصة.

وان كان لي أن أضيف هنا فانني أقول بغير تردد أن « حالنا » الذي بلغناه هو من مسئولية السلطان لا القرآن • واننا نستطيع فعلا ان ننتصر بالقرآن ، كما أننا نستطيع أن ننتحر بالقرآن • المهم هو ما نختاره ونقرره نحن • ما نعد أنفسنا من أجله • ما نسعى جادين لتحقيقه •

وتلك مسئولية « السلطان » بالدرجة الاولى ، وياتي بعد كل من يمارس « سلطانا » سياسيا أو فكريا في الامة •

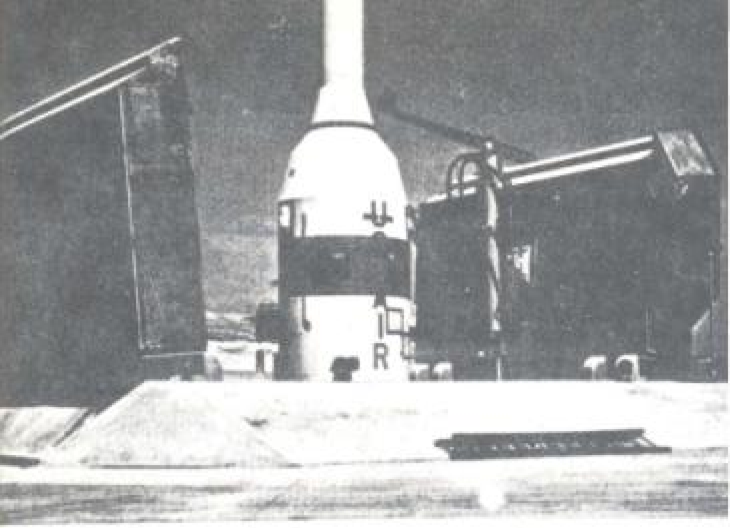
ولا عجب والامر كذلك اذا كان السلف من المسلمين قد ثار بينهم جدل طويل وحاد حول هذا السلطان ، حتى ذهب بعضهم الى اعتبار الامامة أهم من التوحيد في عقيدة المسلم ! وافتى آخرون بان السلطان الكافر العادل افضل من المسلم الجائر •

ثم اسمحوا لي أخيرا بان أسال : هل القرآن موجود فعلا بيننا ؟ •• أعني باي قدر يساهم في صنع حياتنا الان ؟

واذا أذن لي أن أجيب ، فانني أقول : ان القرآن محبوس فعلا في قفص حديدي ، وان المعتمد منه فقط هو بعض الصفحات ، بل بعض الكلمات ، التي توظف وتطوع لخدمة أوضاع قائمة •

الذين يرفضونه يريدون ان يحاكموه ، والذين يخشونه سعداء لبقائه في القفص •

وعندما يطلق سراح القرآن ، سوف يطلق سراح هذه الامة !!



بعد سقوط
القمر النووى
فوق كندا

صاروخ عابر للقارات يرتفع من بئره

الأقمار :
آخر صيحة فى عالم التجسس

بقلم : المهندس سعد شعبان

- الاقمار الصناعية أغنت عن جهود آلاف الجواسيس .
- الصور الفضائية تفضح كل مافوق سطح الارض وماتحته ايضا .
- التصوير من الفضاء لا يحول دونه سواد الليل الحالك .
- لماذا لجأت الدول الكبرى الى اخفاء صواريخها العابرة للقارات فى آبار تحت الارض ، وفى جوف الغواصات ؟

● اضافت الاقمار الصناعية الى فن التجسس أبعادا جديدة ، أضفت عليه صفة الشمول ، واسلوب الدقة . ولم يعد التجسس حنكة عسكرية تعتمد على المهارة الفردية ، والعمل السرى الذى يتم فى الخفاء ، بل اصطبغ بصبغة جديدة وانطلق الى آفاق أوسع وأرحب .

ولذلك ما أن بدأ سيل الاقمار الصناعية السوفيتية والامريكية ينهمر ليتخذ من الفضاء حلبة لمباراة حامية الوطيس بين الدولتين الكبيرتين، حتى بدأت كل منهما تطلق اقمارها الصناعيةذات الاغراض العسكرية الخاصة ، التى شاءوا أن يطلقوا عليها اسماء « اقمار الانذار المبكر » أو الاستطلاع ، ولم يفصحوا عن مهامها الفضائية • لكن ابقاء حركة هذه الاقمار طي الكتمان ، شيء مستحيل الحدوث ، لان محطات المراقبة الارضية ترصد كل حركة جديدة في السماء ، وحركةالاقمار الصناعية تفضحها أستار الليل ، اذ يبدو القمر الصناعي كنجم يتجول بين النجوم الثوابت ، ويتخذ لنفسه مسارا ، في خط مستقيم •

وكل ما تذيعه الاقمار الصناعية من اذاعات ، تلتقطه الدول الاخرى وتتسمعهعندما تريد • لذلك بقيت لعبة التوازن بين الكتلتين كصمام أمن لتجسس كلمنهما على الاخرى• وانصرف فكر علماء كل كتلة الى اتخاذ الوسائل المضادة لاخفاء ما لا يمكن للاقمار الصناعية فضح أسراره••لان تفاصيل كل ما على الارض ، أصبح فى متناول صور هذه الاقمار •

صور تفضح كل شيء

تدور الاقمار الصناعية على ارتفاعات عالية تبلغ مئات او آلاف الكيلومترات ، لذلك فالصور المأخوذة بالاقمار الصناعية يمكن أن تغطى رقعة شاسعة من الارض ، قد تشمل قارة باكملها • ويمكن أن تلصق صور المساحات الكبيرة بجوار بعضها لتكون ما يعرف فى فن الاستطلاع الجوى باسم « الموزاييك » الذى تتكون منه صور المعالم الممتدة فوقها •

والصور المأخوذة من مثل هذه الارتفاعات الشاهقة ، لا يمكن أن توضح أى شيء ولا تبدو عليها المعالم الارضية الا كمثل حبات الرمل السوداء موزعة فوق صفحة من الورق • ولكن تكنولوجيا الفضاء واكبتها تكنولوجيا أخرى لتكبير اجزاءهذه الصور فى تسلسل مرة بعد أخرى حتى يستبين فيها كل شيء الى حد يعجز العقل عن تصديقه • فالصور المأخوذة من قمر صناعي يحلق على بضع مئات من الكيلومترات فوق الارض ، يمكن أن توضح المسامير المعدنية التى فى جوانب كشك خشبى ، والمفصلات المعدنية التى تمسك بجوانب أبوابه • كما أن بعض الاقمار الصناعية وسفن الفضاء استطاعت أن تصور سطح القمر من على أبعاد كبيرة ، واصبح كل حجر على سطح القمر مهما صغر الى حد ربع متر ارتفاعا ، وكل فوهة قمرية مهما صغر قطرها حتى أقل من المتر فى متناول أجهزة التصوير القمرية ، ومن ثم يمكن تصوير المعالم الارضية بنفس الدقة• لذلك أصبحت الميزة الكبرى لفن الاستطلاع الجوي هي جعل كل شيء فوق الارض ، مكشوفا لعدسات أجهزة التصوير فى الاقمار الصناعية • وبعض هذهالعدساتبانورامية ، وبعضها الاخرتليفزيونية• واذا كانت أستار الظلام يمكن أن تغطي كل شيء على الارض ، ويصبح خافيا عن أعين المتطلعين والمتلصصين ، فأستار الظلام هذه مقصورة على ظواهرنا الارضية ، والفضاء كله خارج الغلاف الجوى للارض ظلام فى ظلام • وان كان الظلام يكسو نصف الكرة الارضية كل حين ، فان حلكة سواد الليل لا تقف حائلا أمام بعض عدسات التصوير فى الاقمار الصناعية • فبعض هذه العدسات تستطيع تصوير المعالم الارضية التى يلفها الليل بسواده ، لانها لا تلتقط حزم ضوء الشمس الذى يغمر الارض فى النهار ، ولكنها تلتقط ما يصدر من سطح الارض من « أشعة تحت الحمراء » • وهى أشعةتفضح طبيعةما تصدر عنه من أجسام ، وتتفاوت من المعدن الى الارض اليابسة الى الارض الرطبة • ولذلك تحت أستار ظلمات الليل الحالكة يمكن أن تظهر صور الاقمار الصناعية ما على الارض من معالم ، نتيجة لما ينبعث منها من اشعاعات حارة ، هى الاشعاعات تحت الحمراء ولذلك اخذ فن تفسير الصور أبعادا جديدة ، وتعاظم شأنه فى دراسات العسكريين الذين لم يقف حائلا دون أعينهم المتجسسة تمييز صاروخ ، عن مطار ، عن بارجة وسط المحيط ، عن حركة أرتال السيارات فوق الطرقات •

وتغيرت خطط الدول العظمى

أمام هذا التقدم المذهل فى هتك الاسرار من الفضاء ، لم يعد فن الاخفاء والتمويه الذى كان سائدا فى الحرب التقليدية قادرا على الصمود أمام فن متطور للاستطلاع الجوى ، لا يحجبه الظلام أو تحول عن تبين تفاصيله الجدران والاستار •

ولذلك لم يعد هناك معنى لوجود شباك التمويه ، والدهانات المتعرجة التي تحاكي البيئة ، او الموانع الحصينة التي تختفي وراءها الطائرات او المدرعات امام أعين استطلاع الاقمار الصناعية ، فكلها يمكن أن تفضح ما تحتها .

وازاء ذلك بدأت الدول الكبرى في تغيير تكتيكاتها لاخفاء اهم اسلحتها وهي الصواريخ والطائرات . فالصواريخ لم تعد تترك شامخة فوق سطح الارض ، بل اصبح لزاما تجهيز مأو محصنة لها تحت السطح . تهبط اليها بالمصاعد الكهربية ، وترفع بها أيضا خلال دقائق . واصبح لكل صاروخ مهما كبر « بئر » يمكن ان تخفيه بكامله تحت الارض ، ويتصل بهذا غرف تضم أطقم التحكم في رفع وخفض الصاروخ ، وتشغيله وتجهيزه للاطلاق . كما اتجه تفكير بعض الاستراتيجيين الى اخفاء بعض الصواريخ داخل الغواصات الذرية . واشتهر من هذه الانواع الصاروخ الامريكي العابر للقارات « بولاريس » ، ومن بعده الصاروخ الامريكي ايضا « بوسيدون ». فالغواصات تحت سطح الماء ، لا تستطيع موجات الرادار ان تفضح مكانها ، ولها بطبيعتها خاصية مرونة الحركة التي تجعل اهداف العدو البعيدة في متناول مدى هذه الصواريخ عندما تفاجئها بالانطلاق من بعيد ، بعد ان تطفو على سطح الماء.

كما عمدت الدول المتقدمة الى بناء تحصينات خرسانية لطائراتها لتحميها من القصف وتحجبها الى حد ما عن عدسات الاستطلاع المضاد ، وعمدت بعض الدول الاخرى الى اقامة المطارات المختفية بكاملها تحت سطح الارض ، او المنحوتة في بطون الجبال .

مباراة حامية الوطيس

توالى اطلاق اقمار التجسس العسكري منجانب كل من الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفييتي . ولم ينافسهما في هذا المضمار دول اخرى لان تكاليف المباراة تتطلب اموالا كثيرة . وقد اشتهر من الاقمار الصناعية الامريكية سلسلة اقمار « ميداس » Midas ، ثم سلسلة اقمار « ساموس » Samos ثم سلسلة اقمار « فيلا » Vela . وبعض هذه الاقمار كان يمكن انتشاله بعد اداء مهامه في الفضاء ، وبعضها الاخر قدر ان يكون عمره خمس عشرة سنة . وكان بعضها



صورتان من الفض

مخصصا للكشف عن التفجيرات النووية التي تحدث في الجو ، او تحت الارض . فالاجهزة التي فيهذه الاقمار تستطيع اكتشاف مصادر تركيز الاشعاعات السينية واشعة جاما واشعاعات النيوترونات التي تعقبالانفجارات النووية فوقالارض، والاهتزازات التي تحدث في القشرة الارضية عند حدوث هذه الانفجارات تحت سطح الارض او الماء .

وفي الجانب السوفييتي مازالت سلسلة اقمار « كوزموس » Cosmos تتوالى حتى يومنا هذا، وقد زاد عددها عن ٩٠٠ قمر . وكثير من اقمار هذه السلسلة أطلق لاغراض التجسس العسكري ، من اهمها الانذار المبكر باطلاق الصواريخ العابرة للقارات والتقاط الصور لكل ما يجري على الارض . ولذلك لا يعلن عن اطلاق كثير من هذه الاقمار ، ولا تعطى اية تفاصيل عن الاجهزة التي تحويها والتي تعتبر قمة فيتكنولوجيا التصغير لكي يحتويها الحجم المحدود لجسم القمر ، وتكنولوجيا التصوير تستخدم فيها كاميرات ذات عدسات قوية .

بعد جديد في الفضاء

في أوائل السبعينات بدأ في عالم الفضاء تطبيق



توضحان قارة باكملها

ظاهرة جديدة ، هى ظاهرة « الاستشعار من بعد » • وبدأت تتوالى الى اعالى الفضاء اقمار « اكتشاف الموارد الارضية » • ويعتمد تطبيق هذه الظاهرة على التقاط ما يصدر عن الاجسام التى على الارض من موجاتحارة هى فيطبيعتها موجات تحت حمراء لها سرعة تموج خاصة • ولذلك تزود عدسات هذه الاقمار بمرشحات لا تلتقط غير هذه الموجات • وتتفاوت درجات وضوح الصور الماخوذة بهذه الظاهرة ، بتفاوتدرجة حرارة الجسمالصادرة منه • فالاجسام المعدنية تصدر عنها موجات تحت حمراء شديدة التركيز اكثر من مياه البحر لانها تختزن خلال تعرضها لشمس النهار كمية كبيرة من الحرارة أكثر مما تختزن المياه ، لان درجة توصيلها للحرارة اكثر منها • ومن لم نجد ان الاراضى الصحراوية تظهر فى مثل هذه الصور اكثر وضوحا من الاراضى الزراعية ، وكذلك الجبال التىتحتوىمعادن دفينة ،عنالاراضىالقاحلة •

وبظاهرة الاستشعار من بعد ، وجد بعد جديد فى انجازات الفضاء حيث لم تعد الصور الفضائية قادرة على كشف ما فوق سطح الارض فحسب ، بل اصبحت قادرة على التغلغل الى معرفة ما تحت هذا السطح من تكوينات • فقد امكن تمييز الترسيبات المعدنية والتكوينات الصخرية فى باطن التربة وأمكن التكهن باكثر احتمالات وجود المياه الجوفية وابار البترول فى باطن الارض •

كما امكن تمييز الفوالق الارضية والشروخ فى التكوينات الجيولوجية الى اعماق كبيرة • ومن ثم تطرقت انجازات الى عالم الجيولوجيا ، واصبحت فى خدمته • والى عالم التعدين والتنقيب عن البترول والمياه • ومن ثم انقلب التجسس العسكرى الى خدمة الاغراض السلمية • ■ ■

القاهرة ــ مهندس سعد شعبان

عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولى بباريس

اقال مأثورة

■ من العدل اصدار حكم على الناس عندما يكونون فقط فى احسن احوالهم •
وليام آرثر وورد •

■ ليس من الضرورى ان تعرف كيف تغنى ، ولكن شعورك بانك تريد ان تغنى يجعل يومك ناجحا
مونتا كرين •

■ الحب يشبه الزئبق فى اليد ، وهو يبقى حتى لو تركت اصابع اليد مفتوحة ولكن عندما تضغط عليه باحكام فانه يندفع بقوة •
دروثى باركر •

■ من السهل على مجموعة منالاشخاص ان يعقدوا اجتماعا ، ولكن من الصعب عليهم ان يتفقوا
د • ق

النبي محمد

رجل القومية العربية

محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم وهو رسول الانسانية ، كانت اول عنايته موجهة الى قومه وكانت دعوته على ترتيب حكيم بديع ، لا يمكن ان يتم اصلاح ـ انسانيا ، او شعبيا ـ الا بمراعاته • فكان اول دعوته لعشيرته ، لقوله تعالى : « وانذر عشيرتك الأقربين » فلما نزلت صعد الصفا ثم نادى « يا صباحاه » ـ وكان دعوة الجاهلية اذا دعاها الرجل اجتمعت اليه عشيرته ـ فاجتمعت اليه قريش عن بكرة ابيها ، فعم وخص فقال : « ارايتكم لو اخبرتكم أن العدو مصبحكم اكنتم مصدقي ؟ » قالوا : « ما جربنا عليك كذبا » • قال : « فاني نذير لكم بين يدى عذاب شديد • يا بنى كعب بن لؤى ، يا بنى مرة بن لؤى ، يا آل عبد شمس ، يا آل عبد مناف ، يا آل هاشم ، يا آل عبدالمطلب، يا صفية ، يا فاطمة ، سلوني من مالي ما شئتم ، واعلموا أن اوليائي يوم القيامة المتقون ، فان تكونوا يوم القيامة مع قرابتكم فذلك • واياى ، لا ياتى الناس بالاعمال ، وتاتون بالدنيا تحملونها على اعناقكم ، فاصد بوجهي عنكم ، فتقولون : « يا محمد » فاقول هكذا ـ وصرف وجهه الى الشق الآخر ـ « غير أن لكم رحما سابلها ببلالها» •• ثم وجه دعوته الى بقية العرب لقوله تعالى : « لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك » وهم عامة العرب ، فكان يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج وما يتصل بها من اسواقهم ، ثم عمم دعوته ، لقوله تعالى : « لأنذركم به ومن بلغ » فكاتب ملوك الامم • وقد عمت دعوته العرب ، وتهيأ امرهم لعموم دخولهم فى الاسلام وكان ذلك ايام هدنته مع قريش قبيل فتح مكة • ثم تجد اكثر السور المكية قد وجه فيها الخطاب الى قريش والى العرب وعولجت فيه مفاسدهم الاجتماعية ، وضلالاتهم الشركية ، وما كان منهم من تحريف وتبديل لملة ابراهيم ، فكان اول الاصلاح متوجها اليهم ، ومعنيا بهم ، حتى ينتشلوا من وهدة جهلهم وضلالهم وسوء حالهم ، وتستنير عقولهم، وتتطهر نفوسهم ، وتستقيم اعمالهم ، فيصلحوا لتبليغ دين الله وهدى رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ للامم بالقول والعمل • ثم لاجل أن يشعروا بان القرآن كتاب هداية لهم كلهم ، وان الرسول لهم كلهم ـ انزل القرآن على سبعة احرف ، فعم جميع لهجاتهم ، وكان النبى يخاطبهم بتلك اللهجات ، وينطق بالكلمات منها ليست من لهجة قريش • وكان فى هذا ما اشعرهم بوحدتهم ، بالتفافهم حول مركز واحد ينتهون كلهم اليه ، ويشتركون فيه • وقد نبه على هذا المعنى قوله تعالى : « وانه لذكر لك ولقومك ، وسوف تسئلون » فاخبره ان القرآن شرف له ولقومه ـ نزل بلغتهم ، ونهض بهم من كبوتهم ، واخرجهم من الظلمات الى النور، وهياهم لهداية الامم ، وانقاذها من الهلاك ، وقيادتها لعزها وسعادتها ـ وانهم يسئلون عن هذه النعمة • يقول هذا ليعملوا بالقرآن ويعلموا ان شرفه انما هو للعالمين •



للامام الجزائرى عبد الحميد بن باديس

١٨٨٩ ــ ١٩٤٠ م

على ان العرب رشحوا لهداية الامم ، وان الامم التى تدين بالاسلام وتقبل هدايته ستتكلم بلسان الاسلام وهو لسان العرب ، فينمو عدد الامة العربية بنمو عدد من يتكلمون لغتها ، ويهتدون مثلها بهدى الاسلام • علم هذا فبين أن من تكلم بلسان العرب فهو عربى وان لم يتحدر من سلالة العرب ، فكان هذا من عنايته بهم ، لتكثير عددهم ، لينهضوا بما رشحوا له • بين هذا فى حديث رواه ابن‌عساكر فى تاريخ بغداد بسنده عن مالك‌الزهرى عن ابى سلمة بن عبد الرحمن قال : (جاء قيس بن مطاطية الى حلقة فيها سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى فقال : هذا الاوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل (يعنى النبى) فما بال هذا « يعنى الفارسى والرومى والحبشى ! ما يدعوهم الى نصره وهم ليسوا عربا مثل قومه ؟ »فقام اليه معاذ‌بن جبل ــ رضى الله عنه ــ فاخذ بتلابيبه (ما على نحره من الثياب) ثم اتى النبى ــصلى عليه واله وسلم ــ فاخبره بمقالته فقام النبى مغضبا يجر رداءه ، لما اعجله من‌الغضب ، حتى اتى المسجد ، ثم نادى :« الصلاة جامعة » ليجتمع الناس ، وقال : « أيها الناس ، الرب واحد والاب واحد ، وان الدين واحد ، وليست العربية باحدكم من اب ولا ام ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى » فقام معاذ فقال : فما تامرنى بهذا‌المنافق يا رسول الله ؟ قال : « دعه الى النار » فكان قيس ممن ارتد فى الردة فقتل •

تكاد لا تخلص أمة من الامم لعرق واحد ، وتكاد لا تكون أمة من الامم لا تتكلم بلسان واحد ، فليس الذى يكون الامة ويربط‌اجزاءها ويوحد شعورهاويوجهها الى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة وانما الذى يفعل‌ذلك هو تكلمها بلسان واحد : ولو وضعت اخوين شقيقين يتكلم كل واحد منهما بلسان وشاهدت ما بينهما من اختلاف نظر ، وتباين قصد ، وتباعد تفكير ، ثم وضعت شاميا وجزائريا مثلا ــ ينطقان باللسان العربى ورأيت ما بينهما من اتحاد وتقارب فى ذلك كله ، لو فعلت هذا لادركت بالمشاهدة الفرق العظيم بين الدم واللغة فى توحيد الامم •

فانظر بعد هذا الى ما قرره هذا النبى الكريم ، رسول الانسانية ورجل القومية العربية ، فى الحديث المتقدم فقضى بكلمته تلك‌على العصبية‌الضيقة المفرقة،فنبه‌على‌تساوى البشر فى انهم كلهم مخلوقون لله ، فربهم واحد ، وانهم كلهم من عنصر واحد،فابوهم‌ادم واحد ، وذكر باخوة دين الاسلام : دين الاخوة البشرية والتسامح الانسانى ، ثم قرر قاعدة عظمى من قواعد العمران والاجتماع فى‌تكوين‌الامم • ووضع للامة العربية قانونا دينيا اجتماعيا طبيعيا لتتسع دائرتها لجميع الامم التى رشحت‌لدعوتها الى الاسلام بلغة الاسلام•

كون رسول الانسانية ورجل القومية العربية أمته هذا التكوين المحكم العظيم‌ووجهها لتقوم للاسلام والبشرية بذلك العمل الجليل • فلم يكونها لتستولى على الامم ، ولكن لتنقذهم من سلطة المتسولين باسم الملك أو باسم الدين • ولم يكونها لتستخدم الامم فى مصالحها ، ولكن لتخدم الامم فى مصالحهم •ولم يكونها لتدوس كرامة الامم وشرفها ولكن لتنهض بهم من دركات الجهل والذل والفساد ، الى درجات العز والصلاح والكرامة • وبالجملة : لم يكونهم لانفسهم بل كونهم للبشرية جمعاء • فبحق قال فيهم الفيلسوف العظيم غوستاف لوبون : « لم يعرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب » ، نعم لانهم فتحوا فتح هداية لا فتح استعمار ، وجاءوا دعاة‌سعادة لا طغاة استعباد • ■■

عين جالوت

برغم الهزيمة والتمزق : الانتصار ممكن !

بقلم : شريف جيوسي *

تجربة معركة عين جالوت تؤكد لنا أنه برغم كل شيء – برغم الهزيمة وتحالفات الاعداء – فان الانتصار ممكن حتى على كل جيوش التتار في التاريخ البعيد والقريب!

■ وقعت معركة عين جالوت عام ١٢٦٠ م ، عند موقع مستنقعات عين جالوت ونهر الاردن فى فلسطين ، بين الغزاة التتار من جهة بقيادة « كتبغا » معلم هولاكو ، وبين العرب بقيادة قطز ملك مصر وبيبرس .. من جهة اخرى .

وقد أسفرت المعركة عن انتصار العرب ، بعد اعداد مادى وتعبوى وعسكرى كبير . وقد كانت نتيجة العرب على هذا النحو ، تحولا هاما وسلبيا فى غير صالح العمليات الحربية للتتار وتوسعهم .. أوقف المد التخريبى التترى فى المنطقة العربية ، ودرأ عن مصر وسائر المنطقة العربية خطرا جسيما لو انتصر التتار .

كان الوطن العربى انذاك مجزءا ومحتلا فى بعض اقطاره – فالعراق سحقه المغول واستباحوا عاصمته بغداد ، وسواحل فلسطين تنوء بالاحتلال الصليبى ، وفى سورية أكثر من ملك وأمير .. فالملك (المعظم توارن شاه) أمير حلب ، والملك المنصور صاحب حماه ، والملك الناصر صاحب دمشق وغيرهم .. ومصر دولة مستقلة لكنها (متباعدة) سياسيا عن باقى أقطار المنطقة العربية .

وفى شرق الوطن العربى ، كانت تقوم الدولة الخوارزمية التركية ، وأوربا المسيحية تشن ضد المنطقة حروبا صليبية متتالية ، أما التتار فقد كانوا يسعون لمسح ما تبقى من حضارة وبشر فى الشرق العربى وأوربا الغربية (بعد احتلال روسيا وأوربا الشرقية وبعد احتلال بغداد وتدميرها ..) .

وبعد وصول التتار (أبواب) أوربا الغربية ١٢٤٠ م ، – تحولوا باتجاه سورية فاحتلوا حلب ودمشق وانطلقوا يبتغون مصر .

فى هذه الاثناء جرت محاولات صليبية حثيثة للتحالف مع التتار .. وكان واضحا أنه لو تم هذا التحالف على أرض الواقع واخذ مداه التطبيقى ، فربما تغير وجه التاريخ .

التحالف الصليبى – التتارى

١ – بعث البابا انوسنت الرابع عام ١٢٤٥

---

* عضو اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

بالراهب جيوفني بياتوكر بيني الى خان المغول « الاعظم » . يعرض عليه اتحاد المغول والصليبيين (على أتراك خوارزم) ، وقد رد عليه الخان المغولي بعنجهية . بأن طلب خضوع البلاد المسيحية للمغول !! .

أما لماذا بعث « انوسنت » يعرض هذا التحالف ضد خوارزم . فلذلك قصة سنأتي على ذكرها لاحقا ، وواضح ان انوسنت المتطرف ، فضل التحالف مع التتار لاعتبارات (داخلية ـ صليبية) ، تتعلق بخلافه مع فردريك الثاني الذي دعا « انوسنت » الى شن حرب صليبية ضده ، وبالرغم من وساطة « لويس التاسع » أو « القديس لويس » ملك فرنسا للتوفيق بينهما ، الا أن « انوسنت » اصر على موقفه برفض الوساطة ، وبعث لخان المغول على النحو الذي أسلفنا .

فقد سبق أن عقد فردريك الثاني امبراطور المانيا وايطاليا ، معاهدة مع الملك الكامل عام / ١٢٢٩ .. أعطى الكامل فردريك بموجبها مدن عكا ، يافا ، وصيدا ، والناصرة ، وبيت لحم وبيت المقدس ، ما عدا الصخرة المشرفة وما يحيط بها .. الى جانب الاتفاق على تبادل الاسرى والتعهد على المسالمة عشر سنين وعشرة أشهر ..

وبالرغم من أن الاتفاقية حققت للصليبيين ما عجزوا عن تحقيقه في مدى مائة عام ، الا أنها لقيت معارضة .. ولدى عودة فردريك الى بلاده ، نقض نبلاء الصليبيين في فلسطين الاتفاق ، وعقدوا اتفاقا بين القوة « المسيحية » في مصر وأمير دمشق ضد سلطان مصر عام ١٢٤٤ . ولذا استنجد سلطان مصر بأتراك خوارزم ، الذين هبوا لنصرته ، واستولو على بيت القدس ونهبوه ، وبعد ذلك بشهرين هزم القائد بيبرس الصليبيين في غزة ، وسقطت بيت المقدس ثانية في أيدي العرب المسلمين .

ومن هنا جاءت دعوة انوسنت ، خان المغول ، للتحالف ضد الاتراك (خوارزم) الذين ساندوا سلطان مصر ضد التحالف الصليبي مع أمير دمشق .. وبالتالي مهدوا لاستعادة العرب المسلمين لبيت المقدس ..

هل يمكن القول بأن محاولة انوسنت للتحالف مع التتار ضد اتراك خوارزم وبالتالي ضد العرب المسلمين قد فشلت تماما ؟ ربما ، لكن من الممكن القول ، أن التوسع التتاري في أوربا باتجاه الغرب قد توقف نهائيا بعد عام ١٢٤١ م ..

ب ـ أثناء فترة بقاء لويس التاسع ملك فرنسا في عكا (بعد اندحاره في المنصورة في مصر ١٢٥٠) بقي في عكا أربع سنوات يدعو أوربا للوحدة والانضمام اليه في حملة جديدة ـ وحين فشل في ذلك ، بعث الى خان المغول ، يعرض عليه للمرة الثانية ، دعوة انوسنت الرابع ـ لكن دعوته فشلت كسابقتها لكن (ابراهيم مصطفى المحمود) يرى في مؤلفه « تاريخ فلسطين العربي » غير ذلك ، فهو يقول : انه في المرحلة الثانية من المفاوضات التترية ـ الصليبية (١٢٤٨ ـ ١٢٤٩) توقفت حملة لويس التاسع في قبرص ، وكانت تتجه نحو مصر ، وهناك (أي في قبرص) استقبل لويس بعثة خاقان التتار (جغطي) ، وقد انتهت المحادثات بتحالف تتاري ـ صليبي ضد العرب ، وعادت بعثة خاقان التتار ومعها بعثة فرنسية ، بغية التنسيق العسكري بين الجيشين .

جـ ـ بعد هزيمة لويس ، توجه الى عاصمة التتار الشرقية (قراقورم) وفد فرنسي ، برئاسة (جنيوم ـ دبروك) وقد استمرت المفاوضات في بلاط خان التتار (منكوقاان) خمسة أشهر ، توصلوا في نهايتها الى اتفاق .

د ـ نقل الصليبيون الاقليات الموالية لهم في دولة التتار (الاقلية النسطورية) ، واستخدموا احدى زوجات هولاكو النسطورية (دوقوز خاتون) للتأثير عليه .

ابعاد الخطر عن أوروبا

وقد انتهت محادثات وفد التتار برئاسة هولاكو ، والوفد الصليبي برئاسة هيتوم ملك أرمينية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، بعقد تحالف استراتيجي « تتري ـ صليبي » ضد العرب .

ومن المنطقي أن نسجل هنا ، ان مساعي الصليبيين للتحالف مع التتار ، كان محركها ليس فقط عقد تحالف استراتيجي ضد العرب ، وكسب جولة عسكرية مشتركة ونهائية ، وانما ايضا دفع المغول عن اوربا الغربية. وكانوا يومئذ قد اكتسحوا روسية بين عامي ١٢٣٧ ـ ١٢٤٠ ، واجتاحوا بولونيا ، وهنغاريا ، وتشيكيا ، وصربيا وبلغاريا.. ووصلوا الى ساحل الادرياتيكي ، وتوقفوا عام ١٢٤١ على عتبة اوربا الغربية (لانشغالهم في امورهم الداخلية بسبب موت خان المغول) وتوجيههم عن اوروبا ، نحو المشرق العربي ، الذي سيكون ايضا بتدميره على أيدي البرابرة التتار ـ هدفا اسهل للصليبيين الذين يشكلون احتلالا استيطانيا على النقيض من التتار .

ولعل مرد التوقف المؤقت للزحف المغولي المباشر الى قلب أوربا الغربية ، هو ما اورده (د . فرح) سابقا ..

لكن لماذا لم يستانف الزحف المغولي فيما بعد ؟

لعل المبعث الحقيقي لذلك ، هو محاولات الصليبيين ، عقد حلف مع التتار ، وهذه المحاولات لم تنجح (وبخاصة الاولى) بقدر ما ، الا انها ربما نجحت في دره الخطر المغولي ، بوقفه وتحويله عن أوربا الغربية الى المشرق العربي ، والا فما معنى أن يستمر هنا المد باتجاه الشرق العربي دون الغرب الاوروبي ، الذي كان يعاني ايضا من تمزق داخلي وتخلف كبير .

لعل انشغال التتار في المشرق العربي . ـ ان تم (بتوافق صليبي ـ تتاري) دون أن يعني ذلك بالضرورة انه قد تم بمواثيق وعهود مبرمة تماما ـ يحقق في حالة النصر أو الهزيمة الهدف نفسه ، وهو : اشغال التتار عن الغرب ، والتقاط الغرب لانفاسه في مواجهة الخطر التتاري المحتمل أو المتجدد ، تعريض المشرق العربي للخطر التتري المدمر وتسهيل اخضاعه للصليبيين. وفي حالة هزيمة التتار ، فالنتائج تكاد تكون نفسها ، بما في ذلك ان العرب سيكونون خارجين من معمعان حرب قاسية ضارية (وان انتصروا) ..

بل ان / ول ديورانت / تحدث صراحة بقوله عن نتائج عين جالوت بانها حققت (نجاة بلاد الشام للمماليك ، واحتفظت باوروبا للمسيحيين).

وقد لاحظ ابراهيم مصطفى المحمود بوضوح ، غرض المرحلة الاولى من المباحثات (مساعي البابا انوسنت ١٢٤٥) باقناع التتار بتحويل مطامعهم عن اوروبا الى البلاد العربية .

وبهذا المعنى ، فقد ساهم الصليبيون بهذا القدر او ذلك في وقوع الغزو التتاري للمنطقة العربية ، وبالتالي في وقوع معركة عين جالوت ذاتها ، وان لم يكونوا يريدون النتائج على النحو الذي حصل .

عالم عربي ممزق

احتل التتار بغداد على نحو ما هو معروف .. في وقت كانت فيه سلطة الخلافة في العراق ضعيفة مهلهلة ، فانتهى الامر على نحو ماساوي مفجع وبربري .

عبر التتار نهر الفرات في هجوم خاطف ، وانسحب العرب باتجاه غزة ، وقد ساعد هذا الانسحاب في تحقيق تكاثف عسكري كبير مع احتياطي استراتيجي ملائم .

وقد تحقق ذلك فعلا (رغم سقوط حلب ودمشق) فقد انضم ملك دمشق الناصر وامير حلب وصاحب حماة ، بعد تاخير نسبي لقوات التتار الزاحفة ، الا ان هولاكو الذي تابع اجتياز الفرات ، تمكن من احتلال حلب عام ٦٥٥ هـ واسر مئة الف من مواطنيها .

وكادت تحدث كارثة بقبول الملك المنصور التركماني ملك مصر ـ الذي تولى الحكم بعد وفاة والده ، مراهقا ، شروط هولاكو ، لكن نائبه قطز ، رفض القبول بشروط هولاكو ، واستولى على السلطة في مصر ، واستطاع استقطاب زعيم المماليك الظاهر بيبرس ، وجرى تاميم الاراضي والضياع والممتلكات والاموال استعدادا للحرب ، ووضع ضريبة على كل فرد لحشد الطاقات اللازمة ، واقام مصانع الاسلحة وجهز أدوات النقل الضرورية للحرب في تلك الايام .

وجرى تنظيم حرب نفسية مضادة لحرب التتار

النفسية ، ومنها قتل مائة جندي من الصليبيين ، كانوا في طريقهم الى التتار لمناصرتهم ، والبس بيبرس لباسهم لمئة من الجند العرب ، وارسلهم مكانهم ، ليصبحوا بؤرا ثورية لبث الرعب عن طريق بث الاشاعات في صفوف العدو ، والتحدث عن البطولات العربية ، وبفرض الاغارة على التتار من الخلف ، بعد اضرام النار في مضارب التتار ، ورجمهم بالمنجنيقات التترية ذاتها •

وجرت تعبئة عامة الشعب في المدن والقرى ، ببث الدعاة والخطباء •• وهكذا توفرت كل الشروط الملائمة من أجل انجاح الحرب :

وحده سورية ـ مصرية لمجابهة العدو •

جبهة داخلية متماسكة (تصفية الانهزاميين ، التاميمات ، ورفع الروح المعنوية) •

حرب نفسية مضادة •

اعداد عسكري ومادي مناسب للحرب

مناوشة العدو لعرقلة تقدمه ، والانسحاب الى خطوط خلفية لتنظيم المجابهة ، تمهيدا للمعركة الحاسمة ، وقد أرسلت مجموعة طليعية بقيادة بيبرس نفسه ، وبدأت الحرب على شكل مناوشات كر وفر واستنزاف قواته على شكل مجموعات صغيرة •

الاستعانة بالسكان المحليين لا سيما الفلاحين والعمال الفلسطينيين في أرض المعركة المباشرة ، فجرى تنظيمهم والاتفاق معهم حول شؤون الامداد والمساعدة في المجابهة ومشاغلة العدو ومطاردة فلوله ••

تحييد العدو الصليبي وعدم قبول الصليبيين كانصار او معاضدين خوفا من خيانتهم •

سير المعركة ومراحلها

انتهت المرحلة الأولى من الحرب العربية ضد التتار في سورية ، بتحييد الصليبيين ، وتحقيق خسائر جزئية في صفوف التتار الذين تجمعوا عند العاصي ، وتابعوا تقدمهم نحو الجنوب •

عسكر العرب بجيشهم البالغ ٤٧٧ الفا ، عند مستنقعات عين جالوت ونهر الاردن ، بحيث يحمي حاجز مائي طبيعي ، جناح الجيش العربي الأيمن ، مما يحول دون وقوع التفاف من هذه الناحية ، ويضعف قدرته على المناورة ، ويؤمن في آن معا ، موردا مائيا ثابتا •

وجرى وضع مؤخرة الجيش العربي ، بعد فرجة ضيقة ، بحيث يستطيع خيالة التتار العبور لها لخلوها من المستنقعات ، واقيمت نقاط استناد خلفية محكمة على شكل جيب من النبالة ورماة المنجنيقات بحيث تطول التتار القذائف والسهام • وخلف نقاط الاسناد،حشدت قوات المشاة السورية الاحتياطية ، الذين أسندت لهم مهمة الانقضاض والاجهاز على خيالة العدو بعد دخولها الفخ •• ووضعت الخيالة المصرية ، خلف خط المواجهة لنجدة النقاط الضعيفة في قوات المشاة ، والتي يحدث فيهاخرق ، وزجها حسب ضرورات المعركة •

وفي الساعة الخامسة من ٣ أيلول عام ١٢٦٠م، بدأت المعركة بقذف معسكرات التتار ومواقعهم بالمنجنيقات من كل جانب ، وبالتعاون مع مجموعة القتال خلف خطوط العدو (مجموعة المائة فارس) التي افلتت من خيول التتار ، وبدأت ضرب المغول انفسهم بمنجنيقاتهم •

شن التتار هجوما عاصفا باتجاه الجيش العربي، واخترقوا وسطه(كما هو مقرر حسب الخطة العربية) فوقعوا في الكمين المعد ، حيث تلقتهم المقذوفات العربية واطبق عليهم الجناحان العربيان الأيمن والايسر على شكل حلقة ومن ثم طورد الفارون بالاستعانة بالسكان الفلسطينيين المحليين •

لقد اضطر التتار ـ بعد سبع ساعات من القتال ـ الى الانسحاب ، ذلك رغم اصابة القائد العربي بجراح ، حاول التتار استغلالها نفسيا •

وحين اشتد الضغط على التتار ، شقوا طريقا في ميمنة الجيش العربي ، فتبعهم العرب ووقع التتار في الكمائن العربية المعدة سلفا من السكان العرب ، فلم ينج منهم الا القليل واستمرت المطاردة حتى العراق ، لكنها لم تتجاوزها ، خشية انقضاض الصليبيين على المؤخرة العربية •

لقد فوجىء التتار لاول مرة ، انهم أمام وضع مختلف : استعداد عسكري مسبق وواسع ، خطة منظمة ومكان مدروس للمعركة ، وحدة داخلية، حرب نفسية ، استعانة وتنظيم للسكان المحليين الخ ٠٠ وربما ساهم انشغال القائد التتاري (كتبغا) بالثورة التي جرت في بلاده وبنتائجها ٠٠ الى جانب الغرور التتاري ، فقد بدا للتتار ، انهم لن يهزموا أبدا بعد كل الانتصارات التي حققوها ـ ربما ساهم هذان الامران في هزيمة التتار ، الى جانب العوامل العربية الذاتية المتمثلة في الاعداد الواسع والمسبق للمعركة في كل اتجاه ٠

لقد بدا لاول وهلة للتتار أن بلاد الشام ومصر، هدف سهل ، كبغداد ٠٠ التي استسلمت بقيادة الخليفة المخدوع ووزيره التعس العلقمي ٠٠ لكن الامر في مصر كان مختلفا ، فقد جرى التخلص منذ البدء من الجبناء وجرى التوحد مع بلاد الشام، الامر الذي خلق بدايات معقولة للنصر على التتار٠

استنتاجات ودروس

١ ـ ان الانتصارات التي تحققها قوة كبرى ضاربة (التتار) ليس مبعثها فقط قوة تلك القوة الضاربة ، وانما ضعف خصومها او تهاونهم وعدم استعدادهم واخذهم باسباب المواجهة والصمود بكافة اشكاله ، النفسي والداخلي والتعبوي والمادي ، وفي أرقى أشكاله العسكري ـ العربي ٠

وعندما تحققت أسباب المجابهة والصمود في هذه المنطقة (رغم احتلال بعض اجزائها ـ الاحتلال الاستيطاني الصليبي) ورغم سقوط العراق كعمق جغرافي واقتصادي وبشري وتمزق المنطقة ، الذي لم يكن بعد بعيدا عندما جرت معركة عين جالوت، فان النصر بات مؤزرا ، بالاعداد والتغلب على السلبيات ٠٠ الامر الذي يؤكد أيضا ، أن الثقة بالذات والاعتماد عليها والاستمرار في الاستعداد والعطاء الوطني ، كل ذلك كفيل في النهاية أن يخلق وضعا ملائما ٠

٢ ـ ان الصمود العربي في عين جالوت ، وما سبقه من اعداد لم يدرأ فقط عن العرب مخاطر تدمير بلاد الشام ومصر فحسب ، وانما وقى باقي المنطقة العربية من اخطار ماثلة وماحقة ، وربما كانت (محتمة) ، كما درأ عن الحضارة عموما والغرب الاوروبي ايضا ، مخاطر كان يمكن ان تتوجه بالتتار اليه (أي الى الغرب الاوروبي) فيما لو انتصر التتار ، ولكن عين جالوت ، كانت بمثابة بداية نهاية المد التتري الذي اكتسح العالم ، بربرية وتدميرا وتخريبا ٠

٣ ـ ان محاولات التحالف المعادية للشعوب (التحالف التتاري ـ الصليبي) لاتستند في الاساس الى ارضية صلبة واقعية ، باستثناء الارضية العدائية للشعوب (وهنا للمنطقة العربية) مع تناقضات هائلة في المصالح ، وهي تحالفات هشة في حقيقتها ، يمكن كسرها والالتفاف عليها ، وهذا ماحدث فعلا (تحييد الصليبيين ـ الذين كانت لهم أيضا مصلحة في استمرار الصراع ثنائيا لاضعاف الطرفين ـ واستثمار مناصرة الصليبيين بالمائة فارس على نحو رائع ، ساهم في تحقيق النصر ، على النحو الذي اسلفنا) ٠

ويذكرني التحالف الصليبي ـ التتاري ، بتحالف الامبريالية والثورة المضادة عموما التي تقوم فيما بينها تناقضات حقيقية ومنافسات ليست شريفة على الاحتكار والأسواق ومناطق النفوذ الخ ٠٠ ولكن شيئا واحدا يوحدها ، هو العداء للشعوب، والانشغال بالعداء لها (العداء للشعوب) عن الصراع فيما بينها ، بين أطراف الامبريالية ٠

واذا أمكن معرفة هذه المسألة كما هي ، أصبح التحالف المضاد للشعوب هشا (كما حدث بالنسبة للتحالف التتاري ـ الصليبي) بل يمكن الالتفاف عليه في صالح الشعوب المناوئة ٠

٤ ـ ان المنطقة العربية ، محل مطامع ومطامح دولية وتاريخية قديمة جدا ، واخالها ستظل كذلك (فاسباب هذه المطامع والمطامح في ازدياد) وان اية استراتيجية لاتاخذ ذلك بعين الاعتبار ، هي استراتيجية فاشلة ستؤدي بنا الى الانحدار بدلا من الانتصار ـ ومواجهة الاطماع الخارجية تكون بحاجة حتما لاستراجية شاملة في مستوى الاطماع ـ ولان استراتيجية مواجهة التتار كانت متقدمة في عصرها ـ كان مؤزرا والهزيمة التي غيرت مجرى تاريخ التتار على الاقل ٠ ■■

ترجمة : شريف جيوسي



ندوة العقاد في حديقة الحيوان

بقلم : محمد خليفة التونسي

زميلنا الاستاذ محمد خليفة التونسي رافق مفكرنا الكبير عباس محمود العقاد ـ الذى تمر ذكرى وفاته (١٢/٣/١٩٦٤) هذا الشهر ـ طوال ٣٢ عاما .. وهو هنا يسجل صفحة من ذكرياته في ندوة العقاد الاولى.

■ لم أعرف الا في وقت متاخر أني ـ حين اتصلت بشيخي ، وبدأت أتردد على مجالسه ـ قد انضممت الى حديقة من حدائق الحيوان ، وانى ظفرت بكرامة لا يزهد فيها عاقل حين صرت في مخلوقاتها العجيبة الممتازة . هذه الحديقة أعجب حدائق الحيوان في تاريخ العالم قديما وحديثا ، أو أعجبها عنوانا على الاقل ، فالجماعات الشبيهة بها كثير في تاريخ أمتنا ، وتواريخ الامم الاخرى منذ آلاف السنين ، ولكن جماعة منها لم تتخذ هذا العنوان أو شبهه فيما نعلم . ومخلوقات هذه الحديقة جميعهم من أبناء الشيخين آدم وحواء عليهما السلام والرضوان .

مئات بل آلاف زاروا العقاد في ندوته ، واضعافهم تسامعوا بها ، ومعظمهم لا يعرفون الا أنها كانت تعقد في بيته أو شقته بمصر الجديدة صباح كل يوم جمعة ، فيغدو اليها أصدقاؤه ومريدوه وسائر من يزورونه ، ولو دون سبق معرفة أو وعد بينهم وبينه ، هذه الندوة في بدء نشأتها هي « حديقة الحيوان » . وهكذا على نحو من الانحاء استمرت حتى لقي صاحبها ربه .

اما بداية نشاتها فكانت عقب ثورة سنة ١٩١٩ بقليل ، اذ كان العقاد وجماعة من اصدقائه المهتمين بالثقافة على انواع شتى لا يستطيعون التلاقي مجتمعين خلال أيام العمل الاسبوعية لاختلاف أماكن عملهم ، فلم يبق الا يوم الجمعة، فاختاروه ملتقى، لانه يوم عطلة الجميع ، ولكن في أي ساعاته ؟ ان الاجتماع في ساعات الصباح افضل ، لانه وقت تفتح النشاط مع تفتح النهار . وهو خير من الاجتماع بعد الظهر لما يتبع الغداء عنده من كسل ونزوع الى النوم ، وذلك على مدار فصول السنة ولا سيما موسم الحر ، حين يميل الناس الى القيلولة طلبا للنوم أو مجرد الاستلقاء على فراش او كرسي .

ولكن اين يكون الاجتماع ؟ لا بد أولا من الاتفاق على صفات المكان ، ثم ياتي البحث في اختياره بين الامكنة التي تتحقق فيها هذه الصفات، لا بد أن يكون موقع الاجتماع متوسطا بين مساكن الاخوة أو معظمهم على الاقل ، سهل المواصلات ، منعزلا أو شبه منعزل ، لتجنب الطفيليين أو من لا يلائمون الصحبة في نزعاتها واخلاقها ، ويكون في الوقت نفسه صالحا لان يكون نزهة ومتعة ، ولا كلفة فيه لاحد على أحد ، قلوا أو كثروا ، وبعد مشاورة في صفة الموقع وقع اختيارهم على « حديقة الشاى » التي تقع في حديقة الحيوان على ضفة بركة واسعة تسبح فيها أنواع من الطيور، وحولها أنواع من الاشجار والكلأ والازهار ، وقد كان موقع الندوة من حديقة الحيوان بعض ما أوحى الى بعضهم أن يسمى باسمها الندوة ، وتم الوحى من خصائص جماعتهم الثقافية ، وغرامهم بالفن واخيلته وصوره ، وحبهم مجتمعين للتندر والتنكيت، فالمصريون مشهورون بنزعتهم القوية الى النكتة والدعابة .

اختيار الركن والعنوان ؟

كانوا صفوة من الشبان المثقفين فيهم الاديب والشاعر والصحفي والرسام والنحات والموسيقي، وكانوا على اختلاف معايشهم وأعمالهم واخلاقهم نزاعين الى الفن مكبرين له ، فهم اما فنان ، أو محب للفنون ، وقد خطر لبعضهم يوما على سبيل الدعابة أن يوازنوا بينهم وبين جيرتهم من مخلوقات الحديقة ، وشرعوا يقدمون بعضهم بعضا واحدا بعد واحد لاختيار شبه من الحيوانات له ، فكانوا يختلفون ، ورأوا أن أعمقهم فراسة وأشدهم اصابة في التشبيه رسام أو مصور بارع ، تعود بحكم عمله حسن التفرس في الوجوه ، والتادى منها الى ما وراءها من خفايا النفوس ، والتقاط السمات من ظاهرها وباطنها على السواء ، لتسجيلها على لوحاته وفاقا لها ، فرضوا به حكما ، ولقبوه بحسب المقام أيضا «مدير الحديقة » ووكلوا اليه أن يختار لكل منهم ركنا : حظيرة أو قفصا يعلق عليه عنوانه الذي يميز فصيلته بين سائر الفصائل ، وكان المدير عند حسن ظنهم جميعا في سداد الاختيار والمجاهرة بالعدل كما يراه ، وليس ادل على سداد اختياره من أنه كان اذا اختار لواحد منهم ركنا أيدوه جميعا في اختياره وقد يابى ذلك الواحد ما اختير له ، ولكنه يقبل أخيرا ولو كارها ، اذ سرعان ما يلتصق عنوانه به فلا يزول عنه ، وكان المدير سريع الاختيار ، حاسم الحكم ، فما هو الا يقدم له المرشح حتى يتفرس فيه خفية كانه غافل عنه ، ولا يطول بحثه أكثر من خمس دقائق ، وقد ينطق بحكمه لحظة تقديم المرشح ولو كان وافدا جديدا ، وكانوا اذا انضم اليهم زميل جديد طلبوا من « المدير » أن يختار له ركنا ، وما أسرع ما يلبي، وقد سمعت مرات من العقاد ـ وهو ذو فراسة أيضا ـ قوله في وصف عيني المدير « كان فيهما عضلات » ومن آيات عدله أو عدم محاباته لاحد انه اختار لنفسه « قفص القرود » وقد رأيته مرات في شيخوخته لطيف الشخصية وديع المشية والنظرة والضحكة ، هذا الرسام أو مدير الحديقة هو الاستاذ أحمد صبرى ، وهو من أعظم من انجبتهم مصر بل العالم العربي في الرسم الزيتي على الطريقة المأثورة وكان ميالا الى الالوان الجادة التي لا تخلو من قتامة ، وكان اكثر لوحاته في تصوير الاشخاص الذين يغلب عليهم الوقار ، والمناظر الهادئة التي يغلب عليها الجلال ، وقد رسم لشيخنا العقاد صورة حياه بها عقب خروجه من السجن ، هي اللوحة الشخصية الوحيدة التي كانت معلقة في ندوته البيتية أو غرفة جلوسه .

من أعضاء هذه الندوة الاولى شيخنا العقاد والرساءمان أحمد صبرى ومحمد حسن(١)والشعراء/ ابراهيم عبد القادر المازنى/وعبد الرحمن صدقى/ وعلى شوقى ـ ومحمود عماد/ ومحمد مصطفى الماحى، ومن الممثلين أحمد علام ، ومن الكتاب/على ادهم ، وكامل كيلانى ، ومن الموسيقيين/محمد حسن الشجاعى ، ومن المترجمين الاستاذ محمد رفعت ، وزميل ما زلت اذكر لقبه وهو « الانس » الذى كان استاذنا يدعوه به ، فكنا ندعوه به أيضا • وكان من خيرة المترجمين للروايات والقصص ، ولكنه ابتلى منذ شبابه بالمخدرات فادمن ، واختلت حاله ، وقد رأيته مرات عقب الحرب العالمية الثانية يتردد على ندوة العقاد فى بيته ، فى هيئة شبه رثة خلقة وملبسا ، وكان تردده فيما بين الشهور والشهور ، وقد عرفت فراسة من احواله مع العقاد انه كان يأتى اليه ليسترفده ، فكان العقاد ـ معوّلا ذات يده ـ عند حسن ظنه به ، وقد عرفت أن لقبه بين اعضاء الحديقة هو « الجدى » وهو لقب مهذب مقبول ، ولكن احدهم ـ وامسك عن ذكر اسمه ـ غضب منه مرة فعدل عن لقب الجدى الى كلمة تكاد ترادفها فلقبه « التيس » وهو لقب له معنى سيىء لا يتناسب مع « الانس » المهذب ، فما كان منه الا ان قال له فى دعة آسفة « لماذا هذا التفحش يافلان؟» وسرعان ما اعتذر اليه صاحبه ، ومضت الامور بينهما بسلام •

القرد هو امير !

وكما كان هناك فى الحديقة « نقب القرد » لمديرها ، ولقب « الجدى » لصاحبنا الانس ـ كان لقب الدب ، والبطريق ، والنمر ، والضبع ـ والسيسى (نوع صغير الحجم من الخيل) والارنب ، والسلحفاة ، والحوت ، وفرس النهر ، والحمار الوحشى، والجرذ ، وكلب الصيد ، والنسر وقد اختيرت لشيخنا حظيرة « الزرافى » وحسبنا من المشابهة ظاهرا وباطنا طول قامته ونظره من اعلى، الى جانب طبيعته الوديعة وكراهيته للعدوان ، فهو تشبيه مصيب، وهكذا كان العقاد فى حالته العامة أو العادية ، اما فى حال الغضب فنحن نختار له قفص «الفهد» او «النمر» ، فهو هكذا فى ملامح وجهه حين يثور ، او ينفس عن سخطه ، ثم هو فى وقت الشدة مقاتل شديد عنيد صعب المراس لا يبالى ان يهجم عدوه مهما يبلغ من القوة ولا ينكل عنه مهما يطل القتال ، او هو كما وصفته صاحبته « سارة » بعد ان جربت غضباته « اذا بان له طرف السلاح فهو اما قاتل واما مقتول » فهو اقرب الى « الفهد» أو « النمر » منه الى الاسد الذى ينكل عن الصراع حين يطول ، وان كانت فى وجهه مشابهة منه فى ملامح الوجه لا سيما بعد تقدمه فى الشيخوخة كما تبينه الصور ، لا كما يبدو لمن ينظر الى شخصه•

ولشيخنا قصيدة فى وصف هذه الندوة ومخلوقاتها عنوانها « حديقة حيوان ادمية » أودعها ديوانه

---

١ ـ (المصور محمد حسن) من زاروا مكتب العقاد فى مسكنه رأوا صورة معلقة على جدار فيه تمثل « فتاة حزينة تقف حيال قبر صديقها » .وكان قد استعارها مؤقتا سنة ١٩٢٧ من متحف الفن ، الذى يملكه الاستاذ المصور «زكى شعبان» فى المطرية (احدى ضواحى القاهرة) وكانت الصورة مودعة لديه من قبل مبدعها المصور « محمد حسن » اذ كان يومئذ قد سافر الى ايطالية لاتمام دراسته فى بعض معاهدها الفنية ، والاطلاع على روائعها فى التصوير والنحت وقد علقها العقاد فى مكتبه لانها وافقت معنى كان يشغله يومئذ من ازمة غرامية (سجل خواطرها فى الجزء الرابع من ديوانه المطبوع سنة ١٩٢٨ ، ثم فى قصته « الوحيدة « سارة ») وقد نشر مثالا من هذه الصورة مع مقالة فى وصفها وتحليلها على صفحات « البلاغ » (وكان يكتب فيها مقالاته الادبية فى تلك الايام)واعاد نشر الصورة والمقالة فى الجزء الاول الذى اخرجه سنة ١٩٢٨ من كتابه « ساعات بين الكتب » . ولما عاد صاحب الصورة الى القاهرة أراد العقاد اعادتها اليه. ولكنه آثره بها على نفسه ، وهى باقية فى مكانها حتى الآن •

وكان هذا المصور يلقب « الطيف الملاكم » لانه المقصود بالطيف الذى تخيله هو داخل القبر فى تلك الصورة ، ولانه كان يحسن فن الملاكمة ، ويفض بها بعض مشاكله مع خصومه أحيانا وقد توفى سنة ١٩٦١ . فرثاه العقاد يومئذ بمقالة باكية •

الخامس « وحى الاربعين » الذى أصدره سنة ١٩٣٣ يقول فى مقدمتها :

« هذه الحديقة لا تجمع الا الفنان أو المحب للفنون ، سمى كل زميل من زملائها باسم حيوان يلاحظ فى اختياره اتفاق الشبه فى الملامح والعادات، وقد جمعها الفن كما كان اورفيوس المعروف فى اساطير اليونان يجمع الاحياء حين يغنى ويعزف ، فتقبل عليه من كل فصيلة ، وهى لا تشعر بخوف أو تهم بعدوان » . وهذه ابياتها : ـ

« أورفيوس الفن سوى بينها
فتلاقى الدب فيها والقرود

وتغنى فرس النهر بها
يا له من فرس طلق النشيد

ومشى الارنب والحوت لها
صاحبا القاعين من لج وبيد

وتآخى الجدى والضبع ، وما
بين هذين سوى الثأر اللدود

وجرى السيسى فيها شوطه
وهو ناهيك بسيسى عنيد

ولغا البطريق فيها لغوه
وهو من قطب جنوبى بعيد

وكأنى بالزرافى اجتمعت
وحمير الوحش منها فى صعيد

وأوى السنور والجرذ الى
نمر فيها على غير الوصيد (٢)

والسلحفاة تجارى عندها
أرنب البيداء ، والكلب الصيود

فتحت أقفاصها ، واختلطت
لا حدود لا قيود ، لا حدود

حيوانات نماها آدم
وهى من ابنائه نسل فريد

حيوانات ولكن بينها
كل ذى لب سماوى رشيد

اورفيوس » الفن سوى بينها
فاستوى المنشد فيها والمعيد »

من الحديقة الى بيته

ورأى اخوان الحديقة بعد تجربة طويلة ان موقعها فى الجيزة بعيد عن مساكن اكثرهم ففكروا فى اختيار مكان آخر وتنازلوا عن كثير من الشروط، ومنها شرط النزهة الطبيعية ، فان لديهم النزهة الفكرية والنفسية، وهى معهم وبينهم حيث التقوا، او التقى امثالهم بعضهم ببعض ، فدعاهم العقاد الى ان يكون الاجتماع فى بيته حتى يظفروا بمكان آخر شبيه بحديقة الشاى ، اذ ليس فى بيته اسرة تتحفظ من الضيوف ويتحفظون منها ، او تضيق بخدمتهم ، او يحسون هم بضيقها ، فهو رجل عزب، وليس معه فى البيت الا طاهيه النوبى « الشيخ احمد حمزة » الذى يدير مصالح بيته ، ويخدم ضيوفه ، ومئونتهم خفيفة او محتملة مهما تشتد الضائقة ، وليسوا كلهم يأتون معا ، فانتقلت الندوة الى بيت العقاد محتفظة بموعدها صباح كل يوم جمعة ، واستمرت الندوة فى مكانها الجديد حتى لقى صاحبها ربه ولكن معظم زملائها الاول تفرقوا عنها بحكم تقدم السن وكثرة المشاغل .

وحين انضممت اليها سنة ١٩٣٢ لم أتردد عليها الا قليلا لبعد مكانها ، وكانت تغنينا عنها ندواته المسائية الكثيرة طوال الاسبوع فى مكتبه بالصحيفة التى يحرر فيها «الجهاد» ثم «روز اليوسف» «اليومية»، ولم اصادف احدا منهم فى تلك الاحيان ، وصادفت آحادا متفرقين فى الندوة البيتية، فلما يجتمع منهم اثنان او ثلاثة ، وكان كل من هؤلاء لا يعتادها الا بعد شهور وشهور ، وحل محلهم مخلوقات جدد كنت من أولهم والزمهم لها ولم يلتزم ارتيادها من اعضائها القدامى غير الشاعر الاستاذ محمد طاهر الجبلاوى ، وهو اشبه بالصديق الشخصى للعقاد منه بالمريد ، وهو مع ذلك شاعر وكاتب ومترجم ، وله آثاره القلمية ، كما أنه أعلم اصدقاء العقاد بسيرته واخباره الشخصية، ولا سيما اسراره ولكنه وفى « امين » او هو «أمين» كما سماه العقاد فى قصته الوحيدة « سارة » وله فيها مهمة بارزة .

(١) الوصيد : عتبة الباب ، وفيه اشارة الى ما ورد فى القرآن الكريم فى وصف أهل الكهف « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » .

فار الحديقة

ولست اعرف ممن انضموا الى هذه الحديقة بعد جيلها الاول احدا نال البركة والتطويب من مديرها الالمعي واعضائها النابهين ما عدا عضوا انضم اليها سنة انضمامي اليها او بعدها بقليل وقد نشأت بيننا صداقة حميمة لم تزل حتى الآن . وقد يوما الى بيت العقاد ، وصادف ان جاءها مديرها في ذلك اليوم وقد صار لا يغدو اليها الا نادرا في السنوات بعد السنوات ، ولم تكن الندوة يومئذ - كما صارت في بضع السنوات الاخيرة من حياة العقاد - تزدحم بروادها الدائمين والطارئين حتى يلتصق بعضهم ببعض داخل الحجرة والردهة وخارجها ، ويقف من ليست لهم مقاعد بحيث لا يسمح الزحام بالحركة الا بمشقة وحرج ومضايقة للجالسين والواقفين . بل كانت مقاعدها القليلة اكثر من الجالسين عليها فكان يسهل على الزائر ان ينتقل من مقعد الى اخر ، وكان صاحبنا هذا لا يطيق السكون الى مقعد ولا يطيق السكوت ، فكان اذا انتقل الى جار جديد مضى يحدثه خافتا صوته دون ان يبالي غالبا بحديث غيره الى بقية الجالسين ، وكان شيخنا العقاد اكثر حديثا ، لان الزوار انما جاءوا ليسمعوا منه ، لا من غيره ، ورأى شيخنا ان صاحبنا «الحرك» لا يسكت ولا يسكن ، فهتف بمدير الحديقة في لهجة تمتزج فيها الدعابة بالعطف بالسخرية ،لكى يبحث لصاحبنا عن قفص ، وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي اري فيها مثل هذا الاختيار والتطويب لاحد الاعضاء، او مثل هذا الامتحان لمدير الحديقة واسلوبه في الاختيار ، ونظرت الى ساعتي لأحدد مدة الجواب، وكنت انتظر ان لا يستغرق اكثر من خمس دقائق كما كنت اعلم قبل ، ومضى الحديث في الندوة على رسله لا يخفف منه الا التفات خفيف : مرة الى المدير، ومرة الى المرشح مع موالاة الاصغاء لحديث العقاد، ومضى المدير وكانه يصغي معنا الى الحديث ، وهو يختلس النظر الى صاحبنا دون ان يحول وجهه اليه، وان بدا احيانا انه يسرح بالفكر مع نفسه ، ومضت الدقائق الخمس المعتادة في ابداء الجواب، ثم زادت خمسا فخمسا وكان المدير قد نسي السؤال او تناساه ، ونحن مصغون لحديث العقاد ، فما هو الا ان توقف عند نهاية حديث وقبل ان يشرع في غيره اذا المدير يعلن حكمه متخففا من ثقل الامتحان والتردد والانتظار ، اذ قال ما مؤداه « دعوه طليقا في الحديقة مع فيرانها يجول بين اقفاصها كما يشاء» فانفجر الحاضرون ضحكا ،وجلجلت ضحكات بعضهم ومنهم العقاد ، وعاد الضحك في تلك الجلسة ، وعقبها مرات ومرات ،واعلن العقاد بعد صدور الحكم ان المدير لم يلق في اختيار سابق ما لقى من عسر هذا الامتحان ، ولا اطال التفكير في جواب اكثر من خمس دقائق الا هذا الجواب الذى تأخر اضعاف ذلك .

اما المدير فكانت له ضحكة متميزة ، فهي هادئة متوقرة ،ولدن هاهاتها لا تخرج متواصلة دفعة واحدة مع انفتاح الفم كسائر الناس ،بل تتردد في حلقه دفعات متقطعة على غير ولاء ،وبين كل دفعتين هسهسة خافتة كانها سكوت . وكل دفعة ثلاث هاهات او اربع في انتظام ، والشفتان الرقيقتان تفتران ولا تتباعدان ، وخلال هذه الضحكة او الضحكات نظرت الى جبينه الواضح وفمه الدقيق ، وبينهما انفه اللطيف المستقيم ،وعينيه المتقاربين ما يقنت ان الرجل كان المعيا ، وكان امينا وكان عادلا حين اختار لنفسه فصيلة القرود ،ثم امعن في الالمعية والامانة والعدل فاختار من بينها قفص «النسانيس» ، فزاده ذلك عندى اكبارا ومودة ، واقتنعت بان الزملاء قد انصفوه وانصفوا انفسهم حين اختاروه مديرا للحديقة ، واثروه في ذلك على سواه ،وان كان بينهم النوابغ والعباقرة من الفنانين ومحبى الفنون .

اما لماذا لم اطوب بين مخلوقات الحديقة ولم يعين لى فيها ركن ولا عنوان ، فلا سبب له فيما اري الا انني لم اكن من جيلها الاول الذى اسسها، ولانني فيما بعد لم ارشح كما رشح سواى ، ولان مدير الحديقة لم يكن يتردد عليها الا نادرا ، او لم يصادفني ولم اصادفه فيها غير مرات ثلاث او نحوها ، ولان الاعضاء لم يتخذوا له نائبا يردفه حين يغيب ، واكبر ظني انهم لم يجدوا له بينهم رديفا يغنى غناءه في اختيار السمات ، ومنح البركات، اما تاريخ هذه الندوة بعد جيلها الاول او بعد دخولى اياها فهو تاريخ طويل حافل بعجائب الاخبار والشخصيات ، وله مقالة اخرى بل مقالات ، بقدر ما يحضرنا من الملامح والذكريات ، وهي اشتات بعد اشتات .

■■

محمد خليفة التونسي

اعداد : يوسف زعبلاوى

لكى تنخفض نسبة السكرى

● نشرت مجلة لانسيت Lancet المعروفة فى عددها الصادر فى شهر اكتوبر الماضى تقريرا هاما حول نبات هندى يبشر بالحد من مرض السكرى وربما بالقضاء عليه نهائيا ٠٠ فمرض السكرى منتشر على نطاق واسع ، وقد زاد عدد المصابين فى العالم على ٥٠ مليون نسمة ٠ وعلى هؤلاء تجنب النشويات والسكريات وما الى ذلك فى طعامهم ، وعلى الكثيرين منهم تناول الانسولين أو منشطات البنكرياس يوميا ٠٠ ذلك انهم معرضون لامراض القلب والكلى وتلف الاعصاب فضلا عن ضعف البصر أو فقدانه اذا طال أمد ارتفاع نسبة السكر فى دمهم ٠

اما النبات الهندى فاسمه جوار (Guar) وثمره يشبه الفول،وفول الصويا بالتحديد٠ وهو من الاطعمة الشائعة فى الهند ، ويحتوى على مادة صمغية هى بيت القصيد بالنسبة الى مرضى السكر ٠

ويحدثنا تقرير اللانسيت عن التجارب العلمية التى أجريت فى بريطانيا مؤخرا بقصد التثبت مما ينسب لنبات الجوار الذى ذكرنا من اثر فى معالجة مرض السكر ٠ وقد اجرى تلك التجارب فريقان من العلماء والاطباء ، يعمل احدهما فى مستشفى مدلسكس (Middlesex) فى لندن ، باشراف الدكتور « دافيد جنكنز Dr.Jenkins » ٠٠ ويعمل الفريق الاخر فى اكسفورد ، فى مستوصف رادكليف Radcliffe فيها ٠

وكان محور تلك التجارب سبعة من مرضى السكر الذى لا غنى لهم عن حقن الانسولين



اليومية . وقد اعطى هؤلاء مسحوق الجوار بمعدل ٤ ملاعق شاي في اليوم وذلك عوضا عن حقن الانسولين .

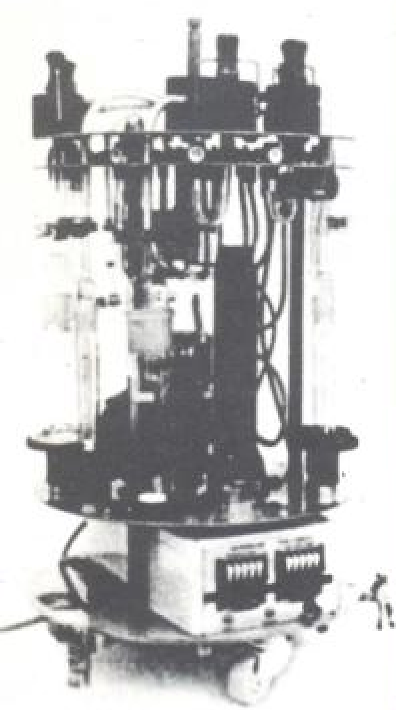
ولم تمض أيام حتى ألبت التحليل هبوط نسبة السكرى في بولهم الى النصف .. وما لبث ثلاثة منهم ان استغنوا عن حقن الانسولين نهائيا .

ومما يذكر أن صمغ الجوار بدأ يعرض ويباع في الاسواق بشكل او بأخر . فقد صنعت شركة هينز « Heins » المعروفة شوربة الجوار وهي تحمل رقم ٥٨ بين منتجات الشركة .. هذا الى جانب خبز الجوار والبطاطس المخلوطة بالجوار وقد صنعتها جامعة « ردنج Reading » وجامعة اكسفورد على التوالي، وذلك لاستعمالهما الخاص .

تلوث الجو

● هذا الجهاز المبتكر ، طورته مؤخرا احدى الشركات، بل المؤسسات الهولندية المهتمة بشؤون البيئة والتلوث. وعلى ما يبدو عليه من تعقيد فان عمله في غاية البساطة . فهو يتناول من هواء الجو النماذج ، ويكشف عما فيها من شوائب او غازات وابخرة سامة . ثم انه يحدد كمياتها.

وميزة هذا الجهاز الرئيسية هي في أن عدد النماذج التي يلتقطها معا وفي آن واحد يبلغ ١٢ وهو يلتقطها اوتوماتيكيا ، ويعيد التقاطها مرة كل ساعة ، أو ساعتين ، حسب الرغبة ..



الجراحون والشعور الطويلة

● يبدو أن « موضة » الشعور الطويلة للرجال لم تقتصر على الخنافس ومريديهم من المراهقين ... فقد شاعت أيضا بين الاطباء والجراحين الانجليز الى درجة دفعت الدكتور نورمان سيمونز Dr.Norman Simmons الى توجيه النقد الصريح الى اولئك الجراحين وذلك في مقال نشرته له المجلة الطبية البريطانية (B.M.J.)

وقارن الدكتور سيمونز في مقاله هذا بين الجراحين الطوال الشعور وبين الممرضات .. فامتدح الممرضات بقدر ما يصففن شعورهن ويغطين رؤوسهن بالطاقية الخاصة اثناء العمليات .. بخلاف الجراحين الذين شغفوا بموضة الشعور الطويلة حتى نسوا القواعد الواجب مراعاتها في غرف العمليات ، ونسوا ايضا الكثير من البديهيات المسلم بها في ميدان الطب والجراحة .. من ذلك أن شعر الرأس كثيرا ما يصاب بالتلوث وذلك بواسطة كائنات تعرف اصطلاحا بالمكورات العنقودية « Staphylococcus » وان هذه المكورات حاملة لصنوف من البكتريا .. والاخطر من ذلك أن اولئك الجراحين يكثرون من هز رؤوسهم بين حين وآخر .. بقصد التأنق .. ولا يذكرون أن هز الرأس على هذا النحو كفيل بنشر تلك المكورات والبكتريا التي تحملها في جو غرفة العمليات الذي يفترض به أن يكون معقما .



قرود الشمبانزى ترافق وتصادق بعضها بعضا

● تؤكد العالمة الدكتورة جين جودول Dr Jane Goodall ان الشبه بين سلوك الانسان وسلوك الحيوان أكبر كثيرا مما اعتقد العلماء حتى الآن٠٠ ولعل من حق هذه العالمة ان تدلى بارائها فى هذا الشأن وقد أمضت ١٨ سنة من حياتها فى دراسة قرد الشمبانزى بالذات ، وذلك على الطبيعة فى غابات تنزانيا ، وبخاصة غابات معازل جومبى فيها Gomb: Stream Reserve .

وجدير بالذكر أن الدكتورة جودول كانت قد أتت الى لندن فى مطلع هذه السنة بقصد القاء محاضرة ضمنتها بعض ما اكتشفته فى سلوك الشمبانزى ٠٠ هذا الموضوع الذى عكفت على دراسته منذ مطلع الستينات وبتشجيع من العالم الراحل الدكتور ليكى « Dr.L.S.B.Leaky » .

ومما ذكرته الدكتورة جودول أن للشمبانزى فرديته ، وانه ينحو نحوا فرديا فى سلوكه كالانسان ٠٠ ويحرص على الروابط العائلية ، ويتناقل التقاليد، الخلف عن السلف٠٠

ولاحظت العالمة أن نزعة العنف موجودة فى الشمبانزى على نحو ما هى موجودة فينا معشر البشر ٠٠ وقد شاهدت بعينها حوادث صدام ومجابهة ما لبثت أن تحولت الى اشتباكات قاتلة انتهت بموت عدد من القردة المتخاصمين ٠

ومن طريف ما ذكرته العالمة المحاضرة أن أفراد الشمبانزى يعرفون بعضهم بعضا ضمن الجالية او ان شئت القرية الواحدة. وقد لمست لدى بعض اناث الشمبانزى من العطف والحنان على صغارهن اكثر بكثير مما نعهده في بنى الانسان ٠٠علما بان طفولة الشمبانزى طويلة جدا وتمتد نحوا من ١٤ سنة ٠

الملاريا تهدد بالانتشار ثانية

● يعتقد بعض العلماء ان وباء الملاريا ، الذى بدا فى الستينات وكأنه تلاشى، أخذ يظهر من جديد على نطاق يبعث على القلق ٠ فبينما لم تزد عدد الاصابات بهذا المرض فى الهند على ٤٠٫٠٠٠ اصابة سنة ١٩٦٦ ، جاوز عددها ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ اصابة فى السنة الماضية ٠٠ ولعل الباكستان كانت أسوأ حالا من الهند نسبيا ، وقد بلغ عدد الاصابات بالملاريا فيها ٥ملايين اصابة٠٠

ولم تسلم بريطانيا من هذه الموجة الجديدة ٠٠ فقد بلغ عدد الاصابات فيها ، فى السنة الماضية (١٢٠٠) اصابة ٠٠ وكان أكثر المصابين من السواح والمهاجرين ٠٠ والرقم كبير نسبيا ٠٠ وحسبك ان الذين اصيبوا بالملاريا فى بريطانيا قبل نحو عشر سنوات (١٩٦٦) لم يزد مجموعهم على ٨٠ مصابا ٠

وتجدر الاشارة الى أن هذه الاحصاءات وامثالها قد وردت فى كتاب ظهر حديثا عن الملاريا، كتبه المستشار السابق لمنظمة الصحة العالمية : البروفسور ليونارد بروس ـ شواط Prof. Leonard Bruce-Chwatt

■■

قضايا حيوية

هذه مجموعة من الاراء والملاحظات والتساؤلات تعالـــج بعض القضايا الحيوية،وتعبر عن وجهات نظر أصحابها فى هذه القضايا ٠٠ وعملا بحرية النشر ، فاننا نفســح المجال لهذه الاراء كما تلقيناها ، بغير حذف أو تعديل ٠

من مشكلات الثقافة العربية

بقلم : الدكتور محمد الرميحى

« الثقافـــة العربـيـة السائـدة تـنـتج فــى الاغلــب مشوهــى ثقافـــة لا مثقفــين حقيقيين »

■ لم يتم حتى الان على الصعيد العالمى توحيد مفهوم الثقافة بمعناها الشامل وربما لن يتم هذا فى الوقت القريب ٠ وعلى الصعيد العربى ماذال تحديد مفهوم واضح للثقافة امنية تعيش فى قلوب بعض المثقفين ، ولهذا فان لها مجموعة كبيرة من التعريفات المتعددة يكاد يصل مجموعها الى الاكثر من المائة والخمسين تعريفا ، ومنها التعريف الشامل او الواسع ومنها التعريف الضيق ٠ وان امكن ان نختار تعريفا عاما ومبسطا للثقافة العربية من أجل ايضاح ما نريد قوله هنا فان الثقافة تعنى لنا ٠ « الانتاج الفكرى العربى المعاصر » ٠

والموضوع الذى نريد نقاشه هنا هو ما هى المشكلات التى تواجه هذا الانتاج الفكرى العربى المعاصر ، وما هى الحلول التى نقترحها للتخفيف او ازالة بعض هذه المشكلات والعقبات ٠ لنبدا بالمشكلات ٠٠ هناك مشكلات متعددة تواجه هـذا الانتاج فى نظرنا تجعل الافادة منه وتوزيعه وهضمه على المستوى العربى ـ فى هذه المرحلة ـ محدودة جدا ٠ هذا عدا عن قيمة الانتاج الفكرى والثقافى بحد ذاتها حيث تختـلـط المـدارس وتتعقد الـى درجة يفقد معها هذا الانتاج انتماءه الى المجتمع العربى المعاصر من جهة ، ويهبط هذا الانتاج بالثقافة الى مستويات روتينية من جهة اخرى ٠

الثقافة الذاكرية والثقافة الابداعية

حتى الان يتهم بعض المثقفين ثقافتنا العربية المعاصرة بانها ذاكرية ، اى انها نتيجة لانتاج ابداعى خارج عن الوطن ، كل مساهمتنا فيها هى النقل والترجمة والاقتباس وفى احيان كثيرة النقل الاعمى الذى لا يأخـذ بحـاجات الوطـن العربى ومشكلاته الاقتصاديـة والاجتماعيـة والسياسية بالحسبان ، أو النكوص من جهة اخرى الى منابع الثقافة العربية القديمة دون محاولـة تحليلها

ودمجها في واقعنا الراهن • ومن طرف آخر نصر على ان تكون هذه الثقافة القديمة او المنقولة للحفظ دون التمثل وفي قطاعات عربية أخرى للمباهاة الاجتماعية • ونفتقد في الاعم الاغلب نحن العرب في هذا العصر ثقافة ابداعية تاخذ من الواقع الاجتماعي / الاقتصادي الحديث ارضية لها من اجل الانطلاق للمساهمة في ايجاد حلول لمشكلات العصر التي تواجهنا فالاجتهاد في القديم والابداع في الواقع حتى الان محصور في محاولات ضيقة لبعض المفكرين العرب والذين نجد ان انتاجهم ، لهذه الاسباب ، من الطبيعي ان يكون محصورا ومحاربا • واذا كانت حركة الفكر الحقيقية الابداعية تبدأ بمراجعة المسلمات السائدة كما حدث في كل الحركات الفكرية الاصلية ـ فيمكن القول وباطمئنان شبه اكيد ـ ان ذلك لم يتم حتى الان الا في اضيق الحدود في ثقافتنا العربية المعاصرة ، لذا نجد ان الثقافة العربية الذاكرية هي السائدة والتي تنتج في الاغلب مشوهي ثقافة لا مثقفين حقيقيين •

وتلحق معاهدنا التعليمية بذيل الثقافة الذاكرية السائدة فنجد ان جيل معلمينا في الجامعات يجتهد لاخراج ثلاثة فرقاء فقط من طلابهم ، فريق للنزوح للعمل في اي مكان يجدون فيه فرصة العمل ، وفريق للبطالة ـ الحقيقية او المقنعة ، وفريق ثالث للبصم في اعمال روتينية لا تحتاج الى وقت طويل كالذي قضوه على قاعدة التعليم • وينقص هذه الاطراف الثلاثة المحتوى الحقيقي للتعليم العالي كما يجب أن يكون في مجتمعات نامية كمجتمعاتنا يقع على جامعاتها العبء الاكبر للتطور الاجتماعي • واذا كان القول بأن الجامعات العربية هي نتاج حقيقي لمجتمعاتها ، فان القول الآخر صحيح ايضا ، وبنفس النسبة ، وهو أن المطلوب من هذه الجامعات ومعلميها هو قيادة المجتمع لا التبعية له •

منتديات للعلاقات ام مراكز للبحوث

رغم أنه من المشكلات الحقيقية التي تواجه الثقافة العربية المعاصرة هي تعدد الرؤية الاجتماعية والاقتصادية ، واختلافها في كثير من أقطار الوطن العربي ، والذي ينعكس على الانتاج الفكري بصفة أو بأخرى رسمية من جهة ، او بمنعه من الدخول لهذا القطر أو ذاك من جهة أخرى ، وكما عطلت وسائل الاتصال الحديثة (اذاعة وتلفزيون) وخاصة الاخيرة ـ على الجماهير العربية الافادة الحقيقية من وسائل الثقافة الاستراتيجية (الكتاب ـ المجلة ـ السينما) واستعاضت عنها بالوسائل الثقافية التكتيكية ، الا اننا نرى عدم الجدية من جهة اخرى فنجد ان مراكز البحوث العربية تبدو وكانها منتديات للعلاقات العامة اكثر منها مراكز للبحث الجاد ، فانتاجها يتجه اما الى الاتجاه السلفي او التقليدي دون اضافة وتجديد او مساهمة هامشية في الانتاج الثقافي العام الابداعي • وتواجه مراكز البحوث الجادة القليلة عقبة التعددية سواء من حيث الشمول الجغرافي او الموضوع ، فهناك مراكز بحوث عربية عالمية ـ ومراكز بحوث قومية ومراكز بحوث جهوية ومراكز بحوث متخصصة ، ولو كان الغرض من الاختلاف هو التنوع في الاجتهادات لهان الامر ولكن الواضح ان هذه المراكز تتماثل في اهتماماتها وانتاجها فتتراكم من حيث الكم لا النوع فعلى المستوى القومي مثلا نجد مركز البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية ومركز الدراسات الوحدوية في بيروت وكذلك مؤسسة الانماء العربي وهذه على سبيل المثال لا الحصر تتجه جهودها لمحصلة واحدة هي الاهتمام بالدراسات على المستوى القومي • اما على الصعيد الجبهوي فلدينا مثال صارخ في تعددية المراكز التي تعنى بالدراسات الفلسطينية وهي القضية الاولى حتى الان في الوطن العربي • منها مثلا مركز الابحاث الفلسطينية ـ ومؤسسة الدراسات الفلسطينية ومركز التخطيط الفلسطيني وجميعها في بيروت ،

وكذلك مركز الدراسات الفلسطينية في بغداد • واذا نظرنا الى اهداف واعمال تلك المراكز وجدنا تداخلا كبيرا بين اهداف وعمل تلك المراكز المتعددة حتى يصل في بعض الاوقات الى درجة ان طرفا منها ينافس الطرف الاخر ، وتنفق الاموال على نفس الموضوع في جهتين او اكثر• والاطرف من ذلك ان روح المنافسة تلعبدورها ايضا بما في ذلك من تحولها الى مزاحمة على مصادر التمويل النادرة •

البترول والثقافة

وعلى ساحة الخليج والجزيرة العربية نجد ان هذا التماثل في مراكز البحوث العلمية ظاهر للعيان ، فعلى سبيل المثال ان مركز الدراسات اليمنية في صنعاء يكاد يكون تكرارا لمركز الدراسات اليمنية في عدن • وقد ساهم البترول في تعقيد هذه الظاهرة في بلدان البترول ووضع ثقلا آخر فوق مشكلات الثقافة العربية المعاصرة الكثيرة ،حيث نجد ان نشر المجلات ذات الاوراق المصقولة والتي تتكرر في المحتوى والشكل ما يشكل منحى سلبيا على المواد المنشورة حيث تتسابق هذه المجلات باغراء كتاب الوطن العربي للكتابة فيها بما في ذلك خطورة النزول بمستوى المادة الفكرية المتاحة للقارىء العربي الى درجة متدنية •

وحتى الان لا يوجد جهد حقيقي لمحاولة ضم جهود مراكز البحوث والمجلات المصقولة على المستوى العربي ،ليس من اجل الحد من الجهود الثقافية بالطبع ، وانما فقط من اجل ايجاد صيغة تنسيقية تصل الى حد تقسيم العمل والتخصص بينها ، واطلاع بعضها على خطط البعض الاخر من اجل تقديم خدمة افضل للقارىء العربي — وكذلك تسهيل تبادل مطبوعاتها والاتفاق على مجالات للبحث ، بدلا من ان يقدم كل مركز على حدة بحفر قناة لثقافة قد يكون المركز الاخر مشغولا بحفر قناة موازية لها تسير في نفس الاتجاه•

ولم يلعب المبترول العربي حتى الان — الا في أضيق الحدود — دورا ايجابيا للمساهمة في نهضة الثقافة الجادة العربية فمن حيث الكم ما زالت الاموال التي تخصصت لمراكز البحوث العربية تاتي في نهاية قائمة الاولويات التي يعنى بها المخططون والمسئولون في الدول ذات الدخل البترولي — كما أن المساهمة السريعة والسطحية في اصدار المجلات ذات الاوراق المصقولة زادت من مشكلات الثقافة العربية بدل حل جزء من مشكلاتها •كما ان قضية الانسان والحرية مازالت تراوح في مجمل اطار الوطن العربي فلا تجد الثقافة الاصيلة متنفسا لها كي تخرج الى النور ويقول المثقفون ما يريدون قوله في مسيرة التقدم الاجتماعي لوطنهم •

وبعد ، مازال امامنا الكثير من المشكلات التي تواجه الثقافة العربية المعاصرة وما طرح في السابق ما هو الا جزء من تلك المشكلات لا اكثر• لان الخوض في هذا الموضوع — وهو موضوع واسع ومتعدد — يحتاج لمساهمة من هم اقدر في رصد مسار الثقافة العربية المعاصرة على الاقل منذ بداية هذا القرن • ولابد في هذا المجال من التعرض لمشكلة هامة واساسية تقف حجر عثرة في مجال صعود ثقافة عربية قومية انسانية جادة في منطقتنا ذات الرصيد الضخم في المساهمة الحضارية والثقافية في السابق في هذه البقعة هي بالحركة الفكرية • فلا تزدهر ثقافة قائمة على الفكر الابوجودمناخ يتيح لها ان تنفتح بعيدا عن مقص الرقيب وقلمه الاحمر ذي الافق الضيق • فما نشهده اليوم من تغيرات عميقة في واقعنا العربي يجعل العبء الثقل والاحمال اكثر على كاهل المثقف العربي ، وبدون جو من الحرية لايمكن لاحد احتمال عواقب الكلمة ، مما يجعل الرجل المثقف في وطننا وبالتالي الثقافة الواعدة في موقع مضطهد •

د • محمد الرميحي

دعوة.. لفتح ملف الدولة العثمانية

بقلم : الدكتور
احمد عبد الرحيم مصطفى

● من الاحكام الشائعة ان تخلف الوطن العربي فى العصر الحديث مرتبط بالسيطرة العثمانية على معظمه منذ اوائل القرن السادس عشر ، وهذا الحكم يتضمن كثيرا من الاسقاط النفسي والهروب من مواجهة الواقع ، جريا وراء دوافع شعورية ولاشعورية تستند الى نوع من الرضى السلبي عن النفس،والمحافظة على احترام الذات.

ولو حاولنا ان نناقش هذه المقولة على اساس المنظور التاريخي لوجدنا ان عوامل الضعف قد زحفت على المجتمعات العربية ـ الاسلامية قبل الفتح العثماني بوقت طويل : فهي ترتبط اساسا بعاملين رئيسيين هما الحكم الاستبدادي وما اقترن به من اقفال باب الاجتهاد (اى تعطيل العقل) مما ادى الى تسلط الفكر المحافظ والجمود . ونتج عن ذلك ان اصيب الاسلام بمثل ما اصيبت به المسيحية فى العصور الوسطى من تلبيس الدين عقيدة غير عقائده ، ونسبة الآراء الدينية الجافة اليه ، وهو منها براء . فالخلفاء والحكام مالوا الى تقريب اتباع الفرق المحافظة واقصوا عنهم المفكرين الاحرار ـ ومن ثم رسوخ عقائد الدين متشحة بالتقاليد وتقرير حدودها واضطهاد المفكرين الاحرار شر اضطهاد . وما كاد يحل القرن الثاني عشر الميلادى حتى قضى على كل فكر مبتكر ، وطرات على الفكر الاسلامي مرحلة ركود استمرت حقبة طويلة ، واثرت فى الدين ذاته ، فالبست الوحدانية ظلالا من الخرافات وقشور الصوفية ، وبرز الادعياء الجهلاء مروجو التعاويذ والسبحات الذين اوهموا الناس بالباطل والشبهات وروجوا للحج الى قبور الاولياء والتماس الشفاعة منهم.

الجمود وما بعده

ثم جاءت الحروب الصليبية فالغزوة التترية: وما صحبها من هزائم وكوارث هزت اركان المجتمع العربي ـ الاسلامي وجعلت العرب اكثر تمسكا بالتقاليد فتحول الحرص على التقاليد الى نوع من جمود الخوف فالموت ، ومن ثم انفسح المجال امام تغلغل المعتقدات الشعبية السابقة على الاسلام وامتزاج الممارسات الصوفية بالمعتقدات الاسلامية الاصلية . واعتاد العرب التقليد بحيث لم تبذل جهود جدية لاطراحه وفى الواقع كلما شعر العرب والمسلمون بضعفهم تشددوا فى التقليد الذى كان يعكس مخاوف مجتمع آخذ فى الاضمحلال .

واذا كان انهيار اى مجتمع يتم حين لاتستطيع القوى الاجتماعية ان تكون من الفعالية بحيث تؤثر على تطوره او توجيهه ، فيجب الاعتراف بان هذا الانهيار قد فعل فعله فى المجتمع العربي منذ وقت بعيد .فلم يعد التعليم يضع نصب عينيه الامل فى توجيه المجتمع صوب مثله العليا ، بل هبط الى مستوى مجرد المحافظة على تماسك المجتمع بفرض التقاليد .

وهكذا حين جاء الغزو العثماني فى القرن السادس عشر نجده يمعن فى تجميد الوضع السياسي فى الوطن العربي ويفصل معظم المنطقة الاسلامية عن اوروبا فى الوقت الذى ادى فيه

تحول طرق التجارة الى المحيطات وراس الرجاء الصالح الى تجسيم التدهور الاقتصادى الذى كان قد بدأ قبل ذلك • ومما يجدر ذكره ان العالم العربى قد قبل عن طواعية سيطرة العثمانيين والتشدد السنى : خاصة وان الفتح العثمانى تزامن مع الخطر البرتغالى والانفجار الشيعى فى ايران على يد الشاه اسماعيل الصفوى •

وفى هذا الوقت الذى اكتمل فيه جمود العالم العربى ـ الاسلامى كان الغرب المسيحى يبنى نهضته ببطء فى ثنايا الصراع بين البورجوازية والاقطاع وبين الفكر الوسيط الراكد والمحافظ وبين طموحات المفكرين والباحثين الاحرار الذين شقوا طريقهم ببطء وتحدوا سيطرة الكنيسة على الفكر وتحالفها مع الحكم الاستبدادى ـ الاقطاعى• ومالبثت حركة الاستنارة والاحتكام الى العقل فى الغرب ان تطورت وتمخضت عن الثورات السياسية والاقتصادية والعلمية والفكرية التى قامت عليها الحضارة الغربية الحديثة المتميزة بالديناميكية• وجاءت السيطرة العثمانية على معظم الوطن العربى فى الوقت الذى اتضحت فيه معالم النهضة الاوروبية الحديثة •• الا ان العثمانيين ـ وهم الذين ورثوا الصراع بين المسيحية والاسلام ،وبين الشرق والغرب ـ آثروا لاسباب دينية وسياسية ان يحموا املاكهم من الخطر الاوروبى الاستعمارى عن طريق عزلها عن اوروبا ، فى الوقت الذى ابتعد فيه الاوروبيون انفسهم عن مواصلة الاحتكاك التقليدى بالشرق الادنى ، وبخاصة فى المجال التجارى ، بحكم انهم آثروا الاتجاه الى الشرق بالدوران حول افريقيا ، ووجدوا فى العالم الجديد (المكتشف حديثا) مجالا سهلا للتوسع الاقتصادى يفوق فى اهميته مجالات الشرق الادنى التقليدية• اذن فالعثمانيون ليسوا وحدهم المسئولين عن عزلة العالم العربى ، بحكم ان الغربيين ذاتهم قد ابتعدوا عنه جريا وراء الارباح الضخمة التى كانت تدرها عليهم الطرق التجارية الجديدة • ومما يجدر ذكره ان من دوافع الكشوف الجغرافية تطويق دار الاسلام وحصارها وضرب الاحتكار التجارى الذى فرضه مماليك مصر والشام المتحالفين مع جمهورية البندقية •

وهذه العزلة الطويلة التى احاطت بالوطن العربى قد أمعنت فى جموده وانحطاطه ، خاصة وانه قد اضطر فى ابانها الى الاقتصار على موارده الداخلية التى كانت قد جفت واستنفدت طاقاتها وانقطعت صلاتها بمنابعها الاصلية لعدة قرون • وهى ـ بالاضافة الى سيطرة البرتغاليين والهولنديين فالانجليز على البحار قد استتبعت شللا اقتصاديا ادى الى تضخيم الجمود فى المجال الثقافى • والعزلة تساعد على استفحال الجمود، ولكنها لاتبرر •• وهكذا نجد ان الستار الحديدى الذى فرض على الاتحاد السوفيتى فى فترة ما بين الحربين وعلى الصين الشعبية فى اعقاب نجاح ثورتها لم يعرقل تطور البلاد وانتقالها الى مصاف الدول العظمى • ولكن عزلة العرب والعثمانيين مخالفة نتيجة لنضب المعين الثقافى والحضارى لدى الطرفين

صدوا غزو اوروبا

ونحن نجد ان العثمانيين ، لكونهم محاربين من الطراز الاول ، تدفعهم الحماسة الدينية الى متابعة الجهاد الاسلامى،قد وقفوا وحدهم فى وجه اوروبا وصدوا امتداد الاستعمار الاوروبى الى قلب الوطن العربى وحموا قيمه وتقاليده وتراثه •• والا لاغتصبه المستعمرون الاوروبيون منذ بداية العصر الحديث ، وفعلوا فيه ما فعلوه فى سكان الأمريكتين الاصليين ، واكتسحوا بنيانه ، ودمروا قواته الذاتية • وهكذا ـ حين احس العرب بالتحدى الاوروبى فى القرن التاسع عشر ـ كانت لديهم القاعدة الاساسية للانطلاق نحو المقاومة ، وتطوير اوضاعهم بما يوائم العصر الحديث

وارجاع تخلف العرب الى العصر العثمانى انما هو حكم سياسى فى المحل الاول ، يستهدف الاقناع لا الوصف•فرؤية العالم كما يجب ان يكون، لا كما هو كائن بالفعل ، هى هدف هذا التحليل •• والكبرياء

والحساسية يوفران في كثير من الاحيان اغراء اضافيا بتزييف الحقائق بطريقة شبه شعورية ! ذلك ان المد القومي العربي الصاعد ـ وبخاصة في الشام ـ في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، وقد تطلع الى تحقيق الاستقلال عن السيطرة الغربية التيورثت العثمانيين،طفق يرسي رموزه وشعاراته اللازمة لتعبئة الجماهير•وللقومية مزاياها الكبرى، ولكنها ـ من ناحية اخرى ـ لاتخلو من مآخذ • ورغبتها في شحذ الثقة بالنفس اللازمة لمتابعة الاهداف القومية من شانها ان تحدد مجال النقد الذاتي ، وتنزع الى اسقاط نواحي القصور القومي على الاخرين : الاستعمار الغربي والعصر العثماني دون اكتراث بتعدي هذه الجوانب السلبية ، الى مجالات ايجابية تستند الى تحليل العوامل الموضوعية التي تحيط بالوطن العربي وانسانه ، تلافيا لعوامل التخلف ومظاهره •

واتهام الغير امر سهل ، جريا وراء تكريس الثقة بالنفس ، ولكنه لا يحل المشاكل ، بل انه مطية لخداع النفس والرضى السلبي والنرجسي •

وبطبيعة الحال فانه ينزع الى تضخيم فترات تاريخية معينة مليئة بالامجاد التي لايخلو منها تاريخ اي شعب حي والهروب من مواجهة فترات تاريخية اخرى لان الذات تتحرج عن ذكرها ـ واذا ووجهت بصورة مبتسرة ، فمسئولية اوجه قصورها تلقى على «الاعاجم » و «المؤمرات» و «الدس» و «الخيانة»••الى آخر ذلك القاموس الذي تمتلىء به المؤلفات العربية المعاصرة •

والقاء مسئولية تخلف العربعلى الدولةالعثمانية اوضح ما يكون في البلدان العربية التي خضعت للحكم العثماني المباشر،حتى الحرب العالمية الاولى وبخاصة منطقة الهلال الخصيب (الشام والعراق) حيثاصطدمت القوميتان التركيةوالعربيةالناشئتان اصطداما ادى الى تازم العلاقات بينهما الى غير رجعة ، واتجاه كل منهما بعد ذلك اتجاها متطرفا اثر في العلاقات العربية ـ التركية المعاصرة

وفي الناحية المقابلة نجد ان البلدان العربية التي خضعت للاستعمار الغربي المباشر منذ القرن التاسع عشر (ومنها مصر والسودان واقطار المغرب العربي) توجه منطلقاتها القومية والوطنية ضد الامبريالية الاوروبية مقترنة ـ وبخاصة لدى المثقفين التقليديين الذين يستمدون ثقافاتهم من التراث الديني ـ بتعاطف ، قد يقوى وقد يضعف، مع الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة الاسلامية ، خاصة وان المشاعر الدينية في هذه البلدان ظلت تحجب الاتجاهات القومية بمعناها الحديث لفترة طويلة•فاذا كان الكواكبي(السوري) قددعا الىانتقال الخلافةمنالاتراك الى العرب فان احمد شوقي ومصطفى كامل في مصر تمسكا بالتعلق بالخلافة العثمانية ، وهللا لانتصاراتها وأسفا لهزائمها • واقطار المغرب العربي التي صدت الصليبية الاوروبية ، قبل سقوط غرناطة وبعدها، ودخلت (باستثناء مراكش) في اطار الدولة العثمانية رغبة منها في تنسيق الجهود ضد الغزو الاوروبي ، وكافحت الاستعمار الاوروبي من منطلقات اسلامية ، سواء في المغرب او في الجزائر او تونس او ليبيا ، لا يبدو لدى مفكريها ذلك التحامل على الدولة العثمانية الذي نلمسه في الشرق العربي•وفي ندوة اقيمت في القاهرةفيعام ١٩٧٤ عن المؤرخ المصري (الجبرتي) طرح على بساط البحث تقييم العصر العثماني ، فكان اشد المدافعين عنه المؤرخون المغاربة والجزائريون والليبيون •

اما بعد ـ فهل آن لنا ان نعيد تقييم تاريخناوفق اسس موضوعية بحتة تستهدف الحق والصدق وحدهما ؟ ان التاريخ سلاح ذو حدين ••• فهو ذاكرة الشعوب ومستودع خبراتها وتجاربها وتراثها •• وهو الطاقة المحركة للدفع القومي • الا ان محاولة استخدامه لخدمة اهداف سياسية بحتة يجعل منه مطية للشطط وخداع النفس •• فهو ـ آخر الامر ـ كالسيف ••• ان لم تقطعه قطعك •

■■

احمد عبد الرحيم مصطفى

نقل العلم أو نقل التكنولوجيا

بقلم : المهندس نبيل الليثى

● العلم هو المعرفة ، والتكنولوجيا هى تطبيق العلم فى مجالات الحياة المختلفة • ويقال ان العلم والتكنولوجيا توأمان لصيقان ، بمعنى انه لا يمكن ان توجد تكنولوجيا بدون علم ولا علم بغير تكنولوجيا • على اساس ان اى قانون علمى لابد له من تطبيق عملى مفيد ، اى جهاز او ماكينة تتحرك – مثلا – لابد لها من قانون علمى–ميكانيكى مثلا – يتحكم فيها •

هذا كلام سليم ، ولكن بشرط ان تكون فى بلد متقدم • نفترض اصلا ان فيه علما ، وان فيه تكنولوجيا • ولكن السؤال الان – بل هو جوهر الموضوع – فى بلد متخلف ليس فيه علم ولا تكنولوجيا ، فماذا يكون الامر ؟

ان القضية التى اريد اثارتها هى ان العلاقة الوطيدة بين العلم والتكنولوجيا حينما تدخل فى مرحلة الانتقال من مكان الى مكان تأخذ شكلا جديدا هو بالتحديد شكل الصراع والتنافس واحيانا التضاد الكامل بين الاثنين•ذلك ان الدولة التى تأخذ التكنولوجيا تأخذها على حساب العلم ، وان الدولة التى تأخذ بالعلم تستطيع ان تقلل من استيراد التكنولوجيا • كيف •• ولماذا ؟

نحن نعرف بشكل ابتدائى أن البلاد العربية حاليا مقسمة اقتصاديا – او قل ماديا – الى قسمين : دول غنية (هى دول البترول) واخرى فقيرة •

(١) ان متوسط دخل الفرد فى الدول الفقيرة بالتأكيد قليل ، بالتالى فان الشاب العادى – مثلا – بهذا القليل الذى معه ، لابد ان يختار اما ان ينفق نقوده فى شراء كتاب ثقافى قيم مثلا او ان يقطع تذكرة سينما لرؤية فلم مثير •

والرجل بدوره مخير – وربما مسير – بين ان يقطع من مرتبه ليجمع ثمن السيارة وبين ان يعيش حياته بالعرض لا بالطول بين المسارح والسينما والاندية والكتب • اما المرأة فهى مسيرة حتما نحو ان تشترى وسائل الزينة بأغلى الاسعار وملابس من آخر طراز ، حتى لا تتهم بالتخلف والرجعية •

المشكلة هنا – على مستوى الافراد – انهم موضوعون وجها لوجه امام الاختيار الصعب بين الحصول على الثقافة – والثقافة هى ام المعرفة – وبين شراء التكنولوجيا – وهى دائما عالية الثمن•

هذا على مستوى الافراد ، وعلى مستوى الدولة فان الصورة العامة تتبلور اكثر فاكثر لتصبح كالتالى : ان الدولة عموما تملك رصيدا محددا من العملة الصعبة وهى مخيرة بعد ذلك بين ان تشترى وتستورد أدوات العلم (كتب – مراجع – اجهزة معامل الخ) • وبين ان تستورد ادوات التكنولوجيا (سيارات – ثلاجات – مكيفات ••)

(٢) اما فى البلاد الغنية فان النتيجة النهائية لن تختلف كثيرا عن سابقتها وان اختلفت الاسباب ، وما يحدث فى البلاد الغنية هو ايضا كالتالى : ان الدولة تملك الكثير من الاموال والعملة الحرة فهى تستطيع ان تشترى كل ما تريد وما يحلو لها من وسائل العلم وادوات التكنولوجيا•

هذا صحيح ، ولكن ما يحدث بعد ذلك ان هذه التكنولوجيا الزائدة تؤدى الى الترف والراحة والاحساس الزائف بالتقدم والتطور ـ على آخر طراز ـ الامر الذى حينما ينعكس على ابناء هذا البلد انما يؤدى الى انا وسبح «مصر» تماما • ذلك انه بعد هذا الترف يصبح المواطن فى غير حاجة الى ان يسهر ويجهد نفسه فى البحث العلمى والتحصيل •

والكلام بعد ذلك يجرنا حتما الى السؤال التالى: اذا كان الامر كذلك ، اى اذا كان استيراد التكنولوجيا على حساب العلم والعكس بالعكس صحيحا ـ فلماذا لا تركز اساسا على الاخذ بالتكنولوجيا ولا باس ايضا بالمبادىء والخطوط العامة والاساسية فى ميادين العلم المختلفة ؟ ـ وذلك على اساس ان قيمة العلم ـ اولا واخيرا ـ هى فى مدى قدرته على ان يتحول فى يد الانسان الى وسائل وادوات اى تكنولوجيا ، وايضا على اساس ان هذه الاخيرة هى اخر ما وصلت اليه الحضارة وان امتلاكها يعنى بالترادف امتلاك الحضارة او الحصول عليها من اسهل الطرق ؟

هذا الرأى المختصر ليس راى فرد او جماعة من الافراد ، وانما هو النتيجة المستخلصة من (سلوك) الشعوب العربية عموما • واذا اردنا على ذلك دليلا ، وهناك اكثر من دليل ، فلنسأل انفسنا ، بكم نشترى من ادوات التكنولوجيا ، وبكم نشترى من وسائل العلم ؟

النتيجة النهائية بلا جدال هى اننا نشترى ونستورد من التكنولوجيا اكثر بكثير مما نفعل مع العلم •

واذا اعتبرنا ـ وهذا صحيح ـ انه بقدر ما نؤمن بشيء بقدر ما نحاول الحصول عليه فاننا سنجد اننا نؤمن بالتكنولوجيا اشد من ايماننا بالعلم •

ومن الثابت ان العلم «انتاجى» وخلاق بطبيعته، اما التكنولوجيا فهى (استهلاكية) • ذلك ان من يملك القوانين والنظريات يستطيع ان يصنع منها عشرات ومئات المبتكرات فى حين ان من يملك ولو جيوشا من السيارات فليس له سوى ان يستخدمها حتى تهلك وتموت فيموت معها ؟

والعلم هو جوهر الحضارة المعاصرة ، والتكنولوجيا ليست سوى ثمرة من ثماره وليس العكس هو الصحيح كما هو الشائع عندنا • بل واكثر من ذلك فانا اعتقد واقرر بلا تحفظ ان العلم (تقدمى) فى حين ان التكنولوجيا (رجعية) على اساس ان وجود العلم فى اى مجتمع وانتشاره يساعد ـ بالتاكيد ـ على زيادة معدل تطور هذا المجتمع بالشكل الطبيعى ، فى حين ان انتشار التكنولوجيا فى البلد المتخلف انما تكون ـ بالدرجة الاولى ـ اداة فى يد السلطة الحاكمة تثبت به الاوضاع الموجودة ، اذ تمجدها وتجمدها •

وباختصار فان العلم (منحاز) الى التقدم والتطور ـ بل هو جوهر التقدم والتطور ـ فى حين ان التكنولوجيا (منحازة) الى الجمود وامتصاص طاقات الجماهير وتفريغها اولا باول •

اننى اركز وجهة نظرى اذن فى هذه النقاط :

* انه اذا كان العلم والتكنولوجيا توأمين لصيقين بشكل نظرى اكاديمى ، فان نقل العلم ادواته واجهزته من مكان الى مكان اخر لا يفرض بالضرورة نقل التكنولوجيا ، وان العكس بالعكس صحيح •

* ان فكرة الاخذ بالعلم والتكنولوجيا معا من قبيل استرضاء الجميع او كسب الاثنين معا هى فكرة ساذجة بالاضافة الى انها خاطئة من الناحية المنهجية والعملية •

* ان نقل العلم ـ بشكل جدلى مباشر وغير مباشر ـ انما يكون على حساب التكنولوجيا والعكس صحيح •

* اننا اليوم نتعامل (بالشراء) مع التكنولوجيا اكثر بكثير مما نتعامل مع العلم ، وهذا صحيح من حيث ان التعامل مع احدهما يكون على حساب الآخر ، (وخاطىء) من حيث ان العلم له الاهمية والاولوية على التكنولوجيا •

المطلوب اذن بعد ذلك كله وبناء عليه ان يكون

هناك حد اقصى من التعامل مع العلم وحد ادنى من التعامل مع التكنولوجيا . ولنعرف كذلك ان تكنولوجيا اليوم اصبحت (اداة) وسلعة فى يد الذين يملكونها . اى انهم يطوعونها لكى تكون اكثر تجاريةواكثر رواجا وبالتالى اغلى ثمناواحسن شكلا ومظهرا. وعلى الذين يشترونها بالتالى ان يطلبوا ويطالبوا بمقاييس ومعايير تناسب ظروفهم واوضاعهموبيئاتهم . علينا ان نتجه الىتكنولوجيا التبسيط وليس التعقيد،تكنولوجيا الاضافةوالفائدة والنفع وليس تكنولوجيا الترف والزخرفة والمظهر الزائف .

ثم لنترك لكل منا بعد ذلك وفقا لظروفه ان يحدد بالعقل والوعى والمصلحة الوطنية ـ بين ما هو (اساسى) وبين ما هو (ثانوى) ـ والخطوة التالية هى ان يطرحذلك الفكر بل والسلوك على الاسواق العالمية كلها وان نتركهميتنافسون ليعطونا فى النهاية ما نريد وما نحتاج بالابعاد والمواصفات التى نريدها والتى تناسبنا وليس العكس .

ذلك منهج ونمط جديد فى التعامل مع العلم ومع التكنولوجيا علينا ان نستوعبه .

القاهرة ـ نبيل الليثى

لاتغريب ولا هلاك

بقلم : الدكتور جلال أحمد أمين

● فى المقال الذى كتبه فهمى هويدى فى عدد فبراير الماضى بعنوان « التغريب او الهلاك » اخذ الكاتب آرنولد توينبى اعتباره الماركسية جزءا من تراث الغرب . اذ قال ان توينبى« لا يرى فـى الماركسية الا انها تحمل الجنسية الغربية معـولا على المنشأ وحده ، ولا يلقى بالا الى كونها فكرة وعقيدة لها تفسيرها للتاريخ أيا كان رأينافيها ـ ولها فلسفتها التى تتناقض تماما مع اسس الفكر الغربى » .

ولا اظن ان هذا النقد فى محله ، بل ارى على العكس ان توينبى على حق فى اعتباره انالماركسية تنتمى فى اساسياتها الى الفكر الغربى . ان الماركسية تمثل حقـا اتجاهـا نقديـا حـاول اقتلاع مجموعة من المذاهب الفكرية السائدة وقت ظهورها ، من جذورها ، وللماركسية حقا مواقفها المتميزة فى الفلسفة والتاريخ والاقتصاد ، ولكن كل هذا لاينفى انتماءها الى نفس العائلة . فاذا كانت الماركسية قد بدت فى منتصف القـرن الماضى وكانها الابن العاق للتيار السائد آنذاك فى الفكر الغربى ، فانها مع ذلك الابن الطبيعى لهذا الفكر ، وقد عاد الفكر الغربى الىاحتضانها واستيعابها بحيث اصبح كثير من افكارهاالاساسية جزءا لا يتجزأ من الفكر الغربى فى علم الاجتماع وفى الدراسات التاريخية حتى فى الكتابات التى تتصدى لها باشد النقد . فلننظر مثلا الى اى مدى تم استيعاب اهم مسلمات المادية التاريخية فى الدراسات التاريخية الغربية حتى من جانب المؤرخين غير الماركسيين ، كما نعتقد أن سيطـرة الاقتصاديين الى حد يكاد يصل الى درجة الاحتكار على مناقشة قضية التنمية والتقدم ترجع الى

قضايا حيوية

اتجاه عام فى الفكر الغربى ساهمت فيه الماركسية بنصيب كبير • او فلننظر مثلا الى اوجه الشبه الكبيرة بين افكار داروين فى التاريخ الطبيعى وافكار ماركس فى التاريخ الاجتماعى ، وكلاهما يمكن اعتباره انعكاسا لنظرة ذات طابع متميز تكمن وراءها مفاهيم معينة عن التقدم وغاياته وأسبابه قد لا يكون من التجنى نسبتها الى نظرة لثقافة معينة ، هى الثقافة الغربية ،الى الانسان والى علاقته بالله وبالطبيعة•

ان هذا لاينفى بالطبع ان فلسفة كالماركسية، تحتوى على اضافات ثمينة للمعرفة الانسانية يمكن لاى مجتمع غربى او غير غربى ، الافادة منها • ولكن المراد تاكيده فى هذا المقام هو ان الماركسية شانها شان اى نتاج غربى ، مادى او فكرى تضم فى ثناياها عنصرين من المهم جدا التمييز بينهما: العنصر العلمى البحت ،وهو الذى يمثل هذه الاضافة الثمينة للمعرفة ، والعنصر القيمى ، الذى يعكس خصائص ثقافة بعينها •

وهنا يكمن الخطا الكبير الذى يقع فيه من يتهم كل من قبل بعض اجزاء الماكسية بانه لابد ان يكون معاديا للدين ، وهو خطا يعطى الماركسية قيمة اكبر مما تستحق ، اذ انه يساير قول لينين انها ككتلة الصلب التى لا يجوز أن يؤخذ منها جزء ويترك جزء اخر ـ والحقيقة أن هذا ممكن وجائز بل ومطلوب•

لا بد أن نتفق اذن مع الاستاذ فهمى هويدى فيما ذهب اليه من أن الاختيار والانتقاء من الحضارة الغربية ممكن ومطلوب ، وان الخيار المطروح لا ينحصر فقط فى الاختيار بين التغريب اوالهلاك• وان كان الارجح ان توينبى لم يقصد انكار ذلك بل أراد فقط الاشارة ، بحق ، الى الصعوبة البالغة فى عملية الانتقاء هذه •• حتى فى فروع العلم التى يخيل لنا احيانا انها علوم ذات طابع انسانى عام ، وانها تتمتع باكبر قدر من العمومية ، كالعلوم الطبيعية ،نجد أن العنصر القيمى يتدخل على الاقل فى تحديد ما يثار من الاسئلة حتى بفرض انه لا يتدخل بتحديد نوع الاجابة عليها •

هذه الصعوبة البالغة فى الاختيار والانتقاء من الحضارة الغربية يؤيده التامل النظرى المحض ، كما تؤيده الملاحظة البسيطة لتجارب المجتمعات غير الغربية فى محاولتها النقل عن الغرب •فالمسلمون المعاصرون مثلا لم يتمكنوا من أن يتبنوا النظام الغربى فى التعليم مع الاحتفاظ بتعفف المراة فى نفس الوقت ، ولم يتمكنوا من نقل التكنولوجيا الغربية الى بعض صناعاتهم مع الاحتفاظ بحجم معقول لمدنهم ••• الـخ •

ولكن اذا كان هذا الانتقاء صعبا فانه ليس مستحيلا ، ونجاح عملية الانتقاء هذه لايكمن فى مجرد « حسن الاختيار » بين ما ياخذ المجتمع عن الغرب وما لا ياخذ ، بقدر ما يكمن فى الطريقة التى يتم بها النقل والتاثر • فالمجتمع المريض، كالجسم المريض ، يلفظ ما يلتهمه كما هو دون ان يمتزج بدمه وعروقه ، والمجتمع السليم يحول ما يتناوله من غذاء الى خلايا جديدة لا تختلف اى اختلاف عن خلاياه الاصلية بحيث يكاد يصبح من المستحيل التعرف على اصل الغذاء ومصدره•• فاذا كان اطلاع المسلمين ابان ازدهار الحضارة العربية على الفلسفة اليونانية مثلا لم يؤثر على سلامة عقيدتهم وقوتها ، بل زادها قوة ، فالسبب ليس هو مجرد أنهم احسنوا الاختيار بين ما ينقلون وما لا ينقلون . بل هو الموقف النفسى الصلب الذى واجهوا به قيم الحضارات الغربية عنهم • ولهذا فحينما يقول الاستاذ هويدى بحق انه لاخلاص للمسلمين الا بان « يتسلحوا بالعقيدة الصحيحة » فاننا يجب أن نفهم من هذا قبل كل شىء استعادة المسلم لثقته بنفسه ، والقيمة الاجتماعية الكبرى لتمسك المسلم بعقيدته هى أن هذا هو اثمن شى لديه ، ومن لم كان معنى شكه فى قيمتها هو التخاذل النفسى التام • ان هذا هو فى الواقع وجه الشبه بين صمود الصين فى الوقت الحاضر وصمود العرب فى مواجهة الحضارات

المنافسة لحضاراتهم في القرون الاولى للاسلام • فاذا كان صمود الصين لا يشترط تمسك الصين بعقيدتهم الدينية فان صمود العرب يشترطه •

يترتب على هذا نتيجة هامة تتعلق بالمحاولات العديدة التي يبذلها كتاب لا شك في اخلاصهم في سبيل ما يسمونه « بتجديد » الفكر الديني تحت شعار الاجتهاد او الاصلاح او التحديث او تطوير الدين لملاءمة ظروف العصر • ذلك انهذا الطريق محفوف بأخطار لاحد لها يخشى منها أن تنتهي ، في غمار محاولتنا للتصحيح والاصلاح، الى فقدان أثمن ما لدينا وهو الثقة بكمال ديننا وفضله المتميز على غيره • ان قول اللورد كرومر المشهور « ان اسلاما جرت عليه محاولات الاصلاح لايعود بعد ذلك اسلاما »

(Islam reformed is Islam no longer)

يعكس ادراكا مذهلا للحقيقة : وهي انك متى بدأت تشكك في الاسلام وصلاحيته كنظام كلي متماسك فانك بذلك تسدد اكبر طعنة للمسلمين •

هل يمكنّنا هنا أن نستفيد من تجربة الصين فيهذا الصدد ، رغم كل ما بيننا وبينهم من فوارق ، ورغم أن القضية لديهم ليست قضية التمسك بعقيدة دينية او عدم التمسك بها ؟ أعتقد ذلك • فالصينيون لم يسمحوا لأى مذهب غريب عليهمبأن يثير لديهم الشك في تفوق نظرتهم الخاصة الى الامور • ومن ثمكانتبنيهم للماركسية مختلفا كل الاختلاف عن تبنى السوفييت لها ، حتى ليكاد يكون من المشكوك فيه صحة الكلام عن وجود ما يسمى « بالماركسية الصينية » الا بالكثير من التجاوز • اذ يجب الا تخدعنا الشعارات والمصطلحات ، فالمهم ليس هو ما يسمى به الحزب الشيوعي الصيني نفسه بل المهم هو ما يصنعه ، تماما كما ان الهجوم المستمر من جانب السوفييت على الغرب لا يجب أن يمنعنا من تصنيفتجربتهم بانها في الاساس تجربة « غربية » •

الدرس الاساسي اذن الذي يجب ان نتعلمه من الصينيين هو الا نشك لحظة واحدة في سلامة نظرتنا الخاصة ، وكل عمل فكرى يحاول تشكيكنا في ذلك تتعين مقاومته ، وكل محاولة للسخرية من خصائص ادبنا او موسيقانا او معاييرنا الاخلاقية ، او لتسخيف مبادئنا الدينية الراسخة أو اثارة الشك حول ملاءمتها للعصر ، ليست الا مساهمة في قتل نفسية هذه الامة ، مهما كان حسن نية أصحابها •

ان من يتامل التاريخ الاقتصادي للدول التيتفوقت علينا اقتصاديا ، وبنت حضارة صناعية متقدمة، لن يصادف مثالا واحدا لم تقترن فيه النهضة الاقتصادية ، وبالذاتفيما يسمى «بمرحلة الانطلاق» بشعور قومي عارم ، وبالاعتقاد بالتفوق على الغير او على الاقل برغبة قوية في اثبات الذات وبانها ليست باقل قدرا من الامم الاخرى • ومن المؤسف أن الاقتصاديين في محاولتهم البحث عن شروط التنمية الاقتصادية قد تجاهلوا هذا العامل تجاهلا يكاد يكون تاما وركزوا بدلا منه على مظاهره السطحية وآثاره،كارتفاعمعدل الادخار والاستثمار، او توفر الكفاءات والمهارات ، او تطوير فنون الانتاج ••• الخ • مع ان هذه كلها ليست الا نتائج لتفجر طاقة نفسية قد لا يفسره اى عامل اقتصادي • فاذا كان هذا هو حقا مفتاح النهضة الذى يفتح كافة الابواب المغلقة ، فانه لايكون هناك مفر لاية امة ترغب في تحقيق نهضتها من اكتشاف المفتاح الخاص بها (وهو لايمكن الا ان يكون مفتاحا خاصا) • ومن الغريب الا نرى ان هذه الطاقة النفسية الكامنة لدى العرب والمسلمين لايمكن تفجيرها الا عن طريق الدين • قد يقال : « نعم ولكن لا بد من اعادة تفسيره »، ونحن نقول : حذار كل الحذر من ان تؤدى محاولاتنا لاعادة اللمعان الى اللهب الى احداث اى خدش به •

■■

د • جلال أحمد أمين

الحضارة العربية الاسلامية فى يوغوسلافيا

استطلاع بقلم : منير نصيف

تصوير : صلاح آدم



مدينة سارايفو هي عاصمة جمهورية
تشمخ المآذن في قلب مبانيها وأحيائها
خسرو بك ، وقد تخرج في الازهر





البوسنة والهرسك ، حيث يعيش اكبر عـدد من المسلمين في جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية ٠٠ وهي مدينة القديمة والحديثة (الصورة الى اعلا) ٠٠ الشيخ الوقور الحاج مصطفى وهو امام اقدم واكبر مسجد فيها ٠٠ مسجد الشريف عام ١٩٣٥ (الصورة الى اليمين) ٠

لماذا يوغوسلافيا ؟

لانها ، كما قال ايان هاملتون في كتابه« يوغوسلافيا ، انماط من الانشطة الاقتصادية » الذي صدر في لندن عام ١٩٦٩ ، تمثل نموذجا فريدا للوحدة بين الاجناس والاديان ، او ان شئت سمها « بالقوميات » التي تعيش وتتعايش في ظل الدستور الاتحادي الذي ارسى قواعده مؤسس يوغوسلافيا الحديثة جوزيف بروز تيتو .. لقد نص الدستور على تحريم التنافر والتباغض والعداوة والتفرقة بين الطوائف الدينية .. كل ابناء الامة يتساوون ، طبقا لهذا الدستور في الحقوق والواجبات .

ولانها – ولعل هذا السبب الثاني ، هو الذي يهمنا بشكل مباشر من هذا التحقيق الصحفي السريع ، في اكبر دولة من دول شبه جزيرة البلقان – تعتبر بلا جدال مركزا وموطنا لاعظم جماعة اسلامية منظمة في القارة الاوروبية كلها بعد ضياع الاندلس .

ولانها اخيرا ترتبط بنا ونرتبط بها نحن العرب ، نتيجة لمواقفها السياسية العادلة من قضيتنا القومية ، وما يقوم بين الشعب اليوغوسلافي وبين الشعوب العربية من تعاون في المجالات الاقتصادية والثقافية ، الركيزة الاساسية لتقدم الشعوب .

من اجل هذا ذهبنا اليها لنرى ونسمع ونسجل ..

فقد خرجت مجلة العربي وخرجنا معها من الاطار الضيق الذي كان يحتويها منذ صدورها ، ولم يعد التقليد الذي كان سائدا ان تكون العربي للعربي وحده، هو القاعدة ، فقد بدات العربي تتجه الى الدول الصديقة شرقا وغربا لتنقل صورا عربية اسلامية من خلال تلك النظرة الاوسع والاشمل لتركيب المجتمع وتكوينه في هذه البلاد .

أخوة في الدين

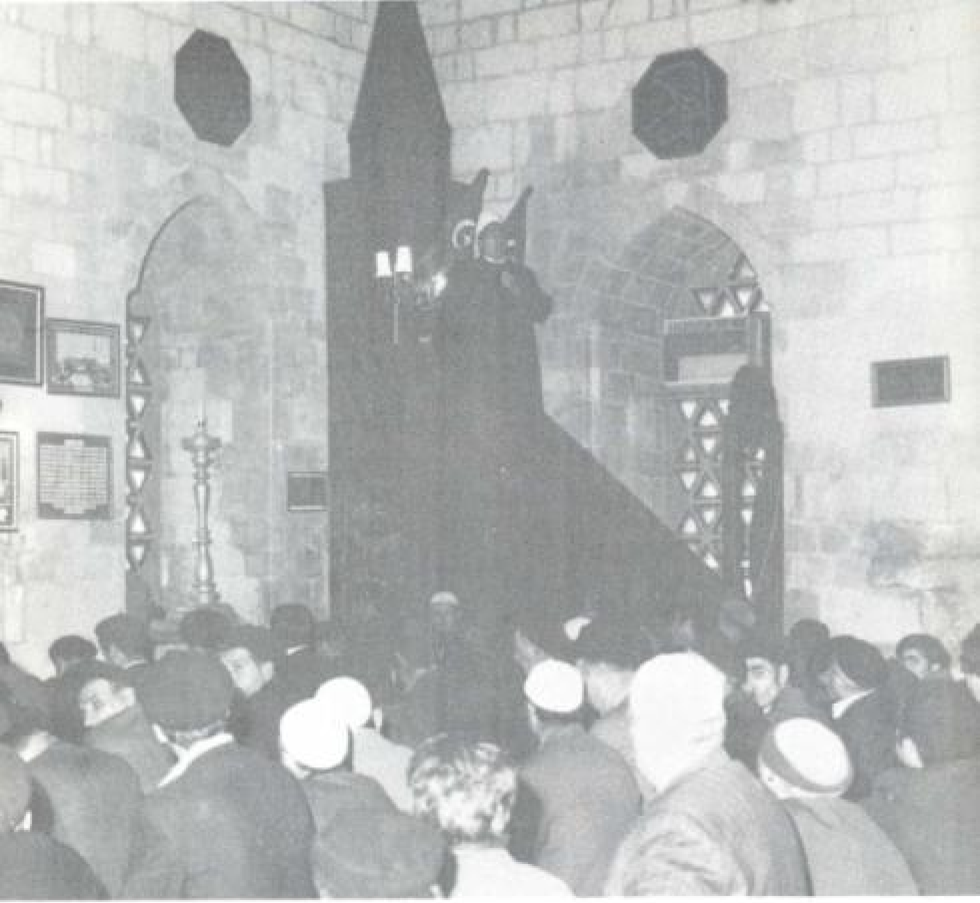
وهكذا بدات رحلتنا الى يوغوسلافيا لنلتقي باخوة لنا في الدين .. **ماذا صنعنا لهم .. وماذا صنعوا هم لانفسهم ومن اجل ابنائهم ومستقبل بلادهم .**

ان المواطن اليوغوسلافي بصفة عامة ليس غريبا علينا ، فهو بيننا ومعنا ، معلما وطالب علم ، منذ ربع قرن او اكثر ، فما بالك اذا كان هذا المواطن في اى من الموقعين ، يدين بديننا ويتحدث لغتنا .

في بلغراد ، عاصمة جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية وتضم ست جمهوريات ، كان لنا اول لقاء بجوهر المهمة التي ذهبنا من اجلها .. بمفتي الاسلام فضيلة الشيخ حمدي يوسف سباهتش .. وفي

يوغوسلافيا بجمهورياتها الست .





فى بلغراد عاصمة جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية . وقف مفتي المسلمين الشيخ حمدى يوسف يلقى خطبة الجمعة فى المصلين بمسجد البرمكى ٠٠ وهو ايضا من المساجد القديمة . وقد شيده الاتراك ايام الحكم العثمانى ٠

بيته الصغير الجميل قدمنا لاسرته ٠٠ زوجته المصرية ، وزميلته فى الدراسة فى الازهر الشريف، السيدة نبيلة مصطفى حسن ، واطفاله الثلاثة محمد ومصطفى ومنى ٠ وجلس الشيخ حمدى يحدثنا عن المسلمين فى يوغوسلافيا ، وعن حالهم واحوالهم ٠ قال : « فى يوغوسلافيا اليوم اكثر من اربعة ملايين مسلم من مختلف القوميات ، فبينهم المسلمون القوميون من جمهورية البوسنة والهرسك وكذلك فى منطقة صنجق من جمهورية الصرب ٠ وهناك المسلمون الالبانيون ويبلغ تعدادهم حوالى مليون ونصف مليون ثم المسلمون الاتراك الذين جاءوا واستوطنوا يوغوسلافيا مع الحكم العثمانى منذ اكثر من خمسمائة عام ٠٠

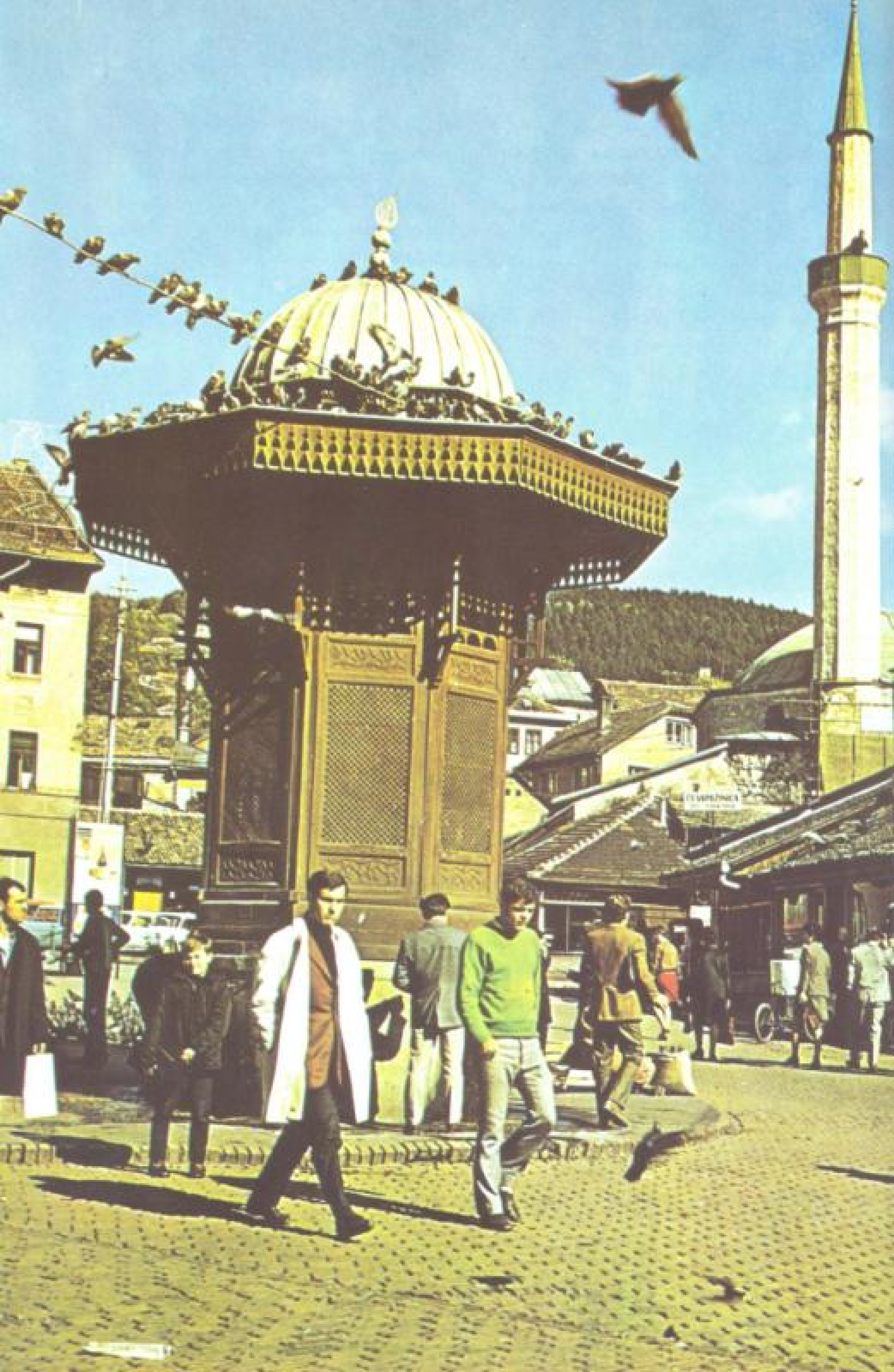
٢٦٠٠ مسجد

ثم يقول : « نحن نمارس شعائرنا فى حرية تامة ٠٠ يكفى ان اذكر لكم اننا شيدنا فى مختلف انحاء يوغوسلافيا اكثر من ستمائة مسجد جديد منذ عام ١٩٦٠ حتى اليوم . هذا غير المساجد التى تم ترميمها وتجديدها ، وهى التى كانت موجودة قبل هذا التاريخ ويزيد عددها على الالفى مسجد ٠٠ وفى كل منها مدرسة صغيرة او « كتاب » لتعليم الصغار والكبار القرآن الكريم باللغة العربية . اما الفقه فنشرحه لهم بالصربية ٠ ومن هنا تبرز الحاجة الملحة الى نشر العربية لغة القرآن الكريم » ٠



القديم والحديث جنبا الى جنب فى ساراييفو ·· كلية الدراسات الاسلامية التى شارك فى افتتاحها وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بدولة الكويت ·· وشارك المسلمون اليوغوسلافيون بدورهم فى نفقات بنائها ·· والسوق القديم الذى يحمل الطابع الشرقى ·· نفس طابع المبانى العثمانية التى تراها فى البلدان العربية التى دخلها العثمانيون ·· وفتاة مسلمة تقرأ فى الادب العربى باللغة العربية ·





الذى استوقفنا حقا هو دور الدولة في الحفاظ على هذا التراث ٠٠ فقد قال لنا الشيخ حمدى : « لقد كانت الدولة في مقدمة المهتمين بترميم وتجديد وصيانة المساجد القديمة ذات القيمة التاريخية ٠٠ وهى التى اعترفت ، بعد الحرب الثانية العالمية ، وتحرير الاراضى اليوغلاسلافية من الاحتلال النازى، بالطائفة الاسلامية كجزء لا يتجزأ من المجتمع اليوغوسلافى ، وسمحت للمسلمين بممارسة نشاطهم الدينى بحرية كاملة ، واعترفت بشخصيتهم وتاريخهم وحضارتهم ، وسنت القوانين واللوائح التى تحدد علاقة المسلمين بالدولة ٠٠ وكانت النتيجة ان رأينا الشباب المسلم يرتقى اعلى المناصب واخطرها ٠٠ فقد اصبح نائبا في البرلمان ٠٠ والطريق امامه مفتوح لعضوية رئاسة الدولة الاتحادية ٠٠ وهم اليوم بعد هذا وقبل هذا ، من الع الكتاب والمفكرين والفنانين والعلماء ٠٠ لقد غزوا كل مجال من مجالات العمل والعلم وبرزوا فيها ٠٠ » .

فى جامعة بلغراد

اكثر من سبب يشد المرء شدا الى الذهاب الى هذا المصنع الكبير الذى يصقل المواهب ويغذيها ويدفعها الى الانطلاق نحو افاق اوسع ٠٠ الى الجامعة ، ذلك البناء الذى تبذل الدول ٠٠ كل الدول في سبيل انشائه ورعايته ودعمه بالمال والعقول كل ما تملك ، واكثر مما تحتمل طاقاتها ٠٠ لانه المستقبل ٠٠ ولانه املها في التقدم والتطور نحو حياة افضل ٠٠

واهمية جامعة بلغراد بالذات ، انها احدى جامعتين في يوغوسلافيا تهتمان بتدريس اللغة العربية واللغات الشرقية الاخرى ٠٠ اما الثانية فهى جامعة سراييفو ٠٠ ولكن الاولى اقدم بطبيعة الحال ، وقد انشئت منذ اكثر من مائة عام ٠٠ والذى يعنينا منها هو قسم الدراسات الشرقية ، وقد بدأت الدراسة فيه بعد الحرب العالمية الثانية ولم يكن عدد الطلبة في القسم الجديد ، اكثر من اربعة ، وكانوا جميعا يدرسون اللغة التركية بالحروف العربية ، قبل ان يحولها اتاتورك الى الحروف اللاتينية ٠٠

وتطورت علاقة يوغوسلافيا الحديثة بالدول العربية ، ونمت هذه العلاقة وتوطدت بعد مؤتمر باندونج ، وظهور كتلة دول عدم الانحياز ٠٠ ومع هذه التطورات الجديدة على المسرح السياسى ، بدأ الاهتمام باللغة العربية ، وبدأ الطلبة اليوغوسلافيون يقبلون على دراسة هذه اللغة وادابها وتاريخها ٠٠

وتقدم جامعة بلغراد الف منحة دراسية سنويا للطلبة من الدول النامية والدول العربية خاصة ٠٠ وفى جامعتى بلغراد وسارايفو اكثر من الفى طالب من الدول النامية ، الدول العربية والدول الافريقية والاسيوية ، جاءوا للدراسة على نفقتهم الخاصة ٠

وتضم هيئة التدريس في قسم الدراسات الشرقية اربعة اساتذة عرب ، اثنين منهم جاءا من مصر ،



داخل مسجد خسروبك فتاة مسلمة تبتهل الى الله امام المنبر الذى يخطب من فوقه امام المسجد ٠٠



وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية يوسف جاسم الحجي بدولة الكويت يستمع باهتمام الى كلمة تلقيها فتاة يوغسلافية مسلمة ، عندما سافر الوزير لافتتاح الكلية الاسلامية في ساراييفو .

وخمسة اساتذة يوغوسلاف تخرجوا من الجامعات المصرية ..

عتاب للاخوة العرب

ولكنهم يعتبون على اخوانهم العرب المسلمين.. وما اكثر ما سمعنا من كلمات العتاب ..ان الاخوة المسلمين في الاقطار العربية وغير العربية لا يعرفون الكثير عن مسلمي يوغوسلافيا .. ان الجامعة تطمع في امدادها بالكتب والمراجع والمجلات الثقافية والادبية والصحف العربية ..

قال لنا طالب يوغوسلافي مسلم يدرس العربية وادابها :

« اليس غريبا ان تصل الكتب العربية والصحف العربية الى اثينا عاصمة اليونان ، وتقف عندها !! » .. والمسافة بالطائرة بين اثينا وبلغراد لا تزيد على نصف ساعة !

ولم يكن في حاجة لان يؤكد لنا صدق روايته .. فقد جئنا الى بلغراد عن طريق اليونان .. وفي ميدان سينتاجما ، اكبر ميادين العاصمة اليونانية ، كانت الكتب والمؤلفات والصحف العربية تحتل مكانا بارزا في اكشاك بيع الصحف والمكتبات!

وعلى مدى اسبوعين كاملين بين بلغراد وساراييفو، لم نجد صحيفة عربية واحدة في اي مكان .. وحتى عندما حمل بعض الطلبة العرب شكواهم الى السفراء العرب في بلغراد ، لم يجدوا عندهم حلا .. مجرد وعود ، ويمضي الوقت ولا يتحقق شيء !

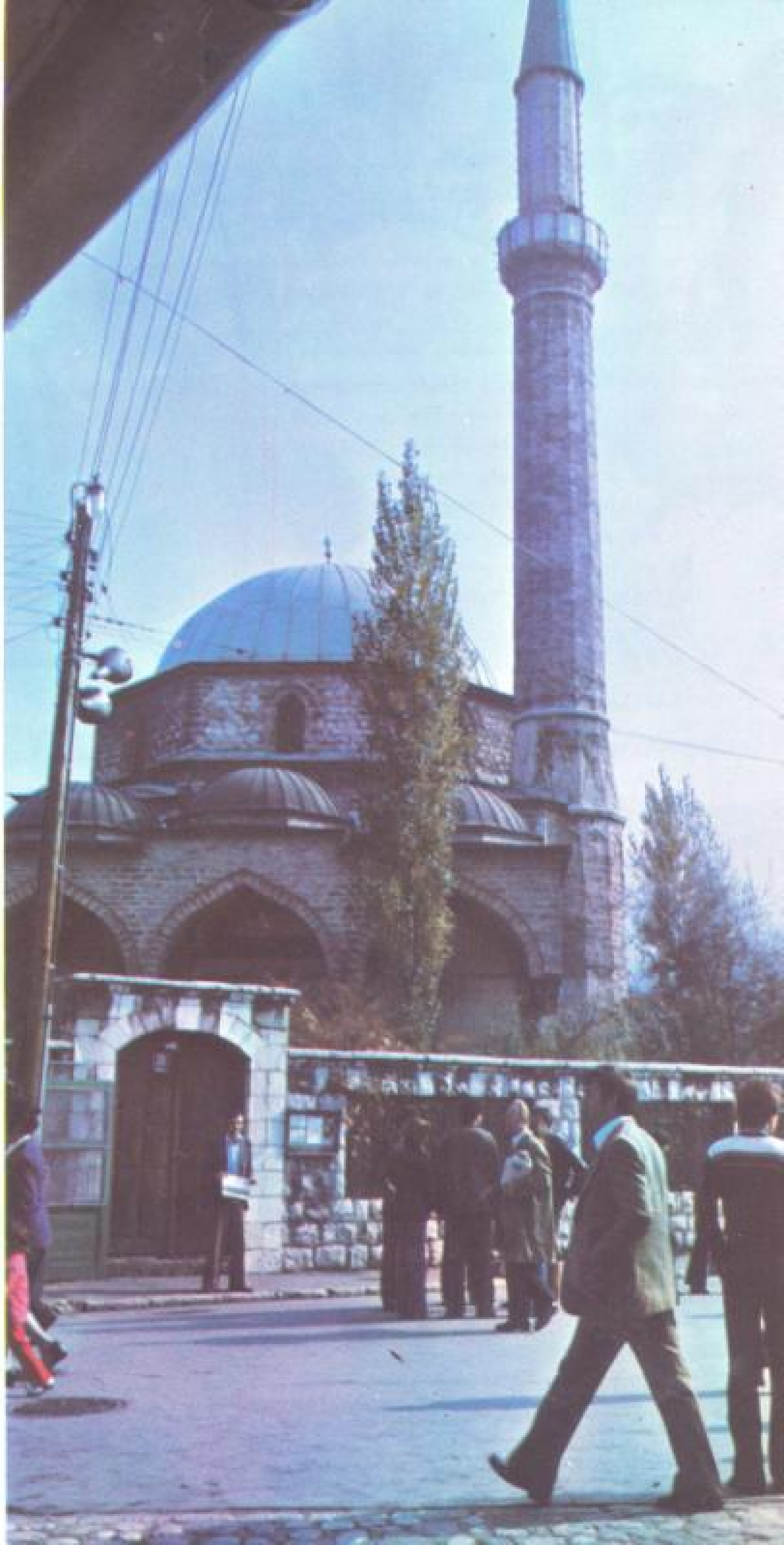
من مصر .. ومن الازهر الشريف تخرج العديد من الشباب الذين يحملون اليوم لواء الدعوة ويؤدون واجبهم على اكمل ما يكون الواجب في الجامعات والمساجد والمكتبات القديمة ومختلف دور العلم والدين .. فمصر تقدم كل عام اكثر من مائة منحة دراسية لمائة شاب يوغوسلافي ..

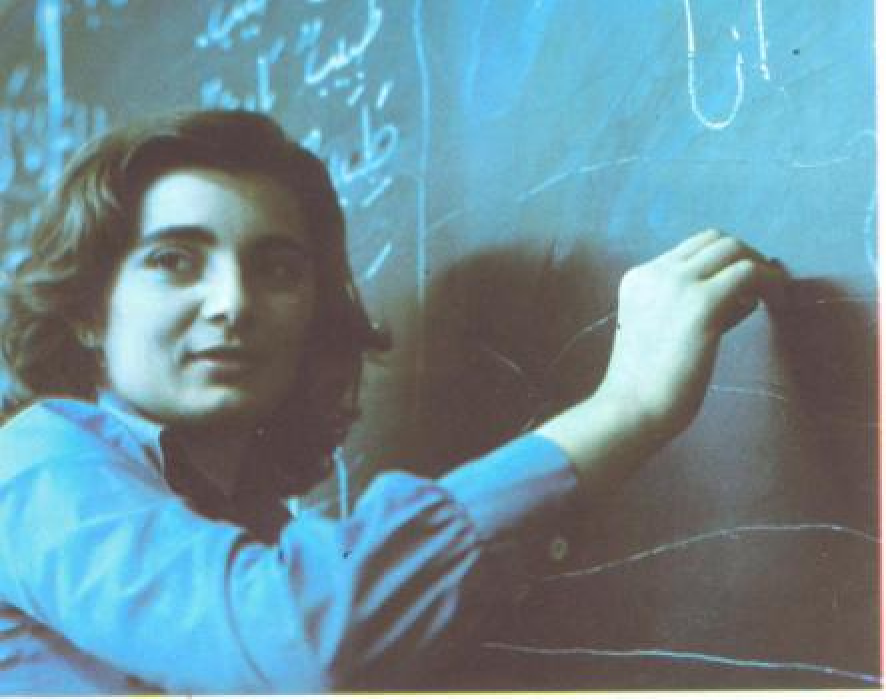
الدولة .. والدين

ومع كوتشايونتش ، رئيس لجنة النظام السياسي والعلاقات القومية برئاسة الجمهورية كان لنا لقاء قبل ان نستعد لمغادرة بلغراد ، والسفر الى ساراييفو .. قال الرجل : « العلاقة بين الدولة والديانات المختلفة في يوغوسلافيا علاقة تحكمها القاعدة التي تقول : « الدين لله والوطن للجميع » ، والدولة هنا تحترم حرية العقيدة

القران الكريم ، هل يحفظه المسلمون بغير لغته ؟ والجواب لا .

فسر الاعجاز في كتاب الله بلاغته .ومن هنا كان اهتمام المسئولين في يوغوسلافيا بتدريس اللغة العربية .. في الجامعات .. في المدارس ..في الكتاتيب .. وفي المكتبات التي تفتقر الى الكتب في اللغة والادب والدين بالعربية ..لقد حملونا رسالة الى اخوانهم العرب المسلمين بالا يبخلوا عليهم بالكتب والمزيد من الكتب في شتى الوان العلم والمعرفة . وطالبة في جامعة بلغراد تكتب بالعربية على السبورة (الى اليسار) وطالبة اخرى مع بعض الكتب العربية وصور لبعض عمالقة الادب والشعر العربي المعاصرين .. توفيق الحكيم ، جبران خليل جبران ، طه حسين ، ميخائيل نعيمة . ومئذنة وقبة لمسجد اثري قديم في سارايفو .







وممارسة العبادات وتصريف شئون الاديان وانشاء المدارس الدينية والمؤسسات الثقافية التى تعمل على رفع مستوى هذه المجموعات من افراد الشعب اليوغوسلافى ، كما تقوم الدولة بتقديم كل مساعدة للطوائف الدينية الثلاث ـ الاسلام والمسيحية واليهودية ـ تحت لواء الوحدة اليوغوسلافية الكبرى .

« يكفى ان اقول لكم انه ليس فى يوغوسلافيا مواطن من الدرجة الاولى ، ومواطن من الدرجة الثانية . ليس فى اى طلب للالتحاق باى وظيفة سؤال عن جنسية طالب الوظيفة او ديانته . ليس عندنا احياء معزولة Ghettos لاى فئة تعتنق اية ديانة .. عندنا ٢٢ مليون مواطن ، هم تعداد سكان يوغوسلافيا الذين ينتشرون فى مختلف انحاء البلاد التى تبلغ مساحتها ٢٥٦ كيلو مترا مربعا .. وقد تجد هناك تباينا فى ازيائهم وربما فى ملامحهم .. وفى تقاليدهم وعاداتهم . ولكنهم جميعا يوغوسلاف » .

من هم مسلمو يوغوسلافيا ؟

انهم الاتراك الذين جاءوا مع الحكم العثمانى منذ اكثر من خمسمائة عام ، وهم الالبانيون الذين نزحوا من البانيا .. وهم بعد هذا المسيحيون الارثوذكس ، غالبية ابناء يوغوسلافيا اليوم ، والكاثوليك ، الذين امنوا بالاسلام واشهروا اسلامهم ايام الحكم العثمانى وما بعده . ثم هم بعد ذلك اليهود ايضا .. نفس القصة التى عاشتها المنطقة العربية فى فجر الاسلام ، وان اختلفت الظروف .

ان مسلمى يوغوسلافيا وان كانوا يعيشون بعيدين عن المراكز الدينية الاسلامية ، وبمعزل عما يدور فى العالم الاسلامى ، الا انهم مضوا يحملون رسالة الاسلام وحضارته ، مدافعين عنهما بكل الحماس والايمان والاخلاص وهكذا انتشر الاسلام وازدهر فى هذه المنطقة . وظهرت قومية المسلمين اليوغوسلافيين واضحة المعالم ، تزهو اعتزازا وفخرا بحضارتها وتعاليم دينها .

ولكن هل كان الاتراك حقيقة هم اول من نقل الاسلام الى هذه البلاد ؟ هناك راى ثابت فى كتب التاريخ يقول ان العلاقة بين المسلمين ودول شبه جزيرة البلقان ، بدأت قبل دخول العثمانيين تركيا بقرون طويلة تقول الكتب ان الاسلام وصل الى يوغوسلافيا قبل عام ١٤٦٣ (تاريخ الحملة العثمانية) . كيف ؟

قبل الاتراك بزمن طويل

كان التجار المسلمون يركبون البحر حاملين تجارتهم الى اوروبا .. وكانوا يحطون فى الموانىء يبيعون ويشترون .. واختلطوا بالاهالى فعرفوهم ، وعرفوا فيهم الامانة والخلق العظيم . فاكرموا وفادتهم ، وقربوهم اليهم .. وسرهم ما سمعوا منهم عن الدين الذى يعتنقونه ويحملون تعاليمه فى قلوبهم .. فلم يتركوهم يبرحون ديارهم

تحت الاشجار الوارفة وفى الحديقة التى عاشت لاكثر من خمسمائة عام منذ دخول العثمانيين يوغوسلافيا .. وقف استاذ اللغة العربية من مصريين طلبة وطالبات كلية الدراسات الشرقية ابناء يوغوسلافيا يشرح لهم درسا فى الهواء الطلق .





فتاتان يوغوسلافيتان مسلمتان من طالبات كلية الهندسة بجامعة سارايفو . تخططان لصيانة وترميم مسجد خسروبك في عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك ٠٠ لقد وعدت دولة الكويت بالاتفاق على صيانة هذا المسجد الاثرى القديم ٠

عائدين الى حيث جاءوا ، الا بعد أن اشهروا اسلامهم على ايديهم ٠

وفي سارايفو عشنا اياما نستمع الى سطور من التاريخ ٠٠ ونرى نماذج من الحياة الشرقية بكل مظاهرها وصورها ٠٠ وسارايفو هي عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك كما ذكرنا ٠٠ او عاصمة المسلمين نظرا لانها تضم اكبر عدد من مسلمي يوغوسلافيا المنتشرين في جميع ربوع البلاد ٠٠ ففي هذه الجمهورية وحدها يعيش ما يربو على المليون ونصف مليون مسلم ٠

وهي مدينة المساجد والمآذن ٠٠ وفيها اقدم مسجد بناه الاتراك وهو مسجد غازي خسرو بك التركي منذ اكثر من ٤٥٠ عاما ، وخسرو هو حفيد السلطان بايزيد الثاني ، سلطان تركيا ٠٠

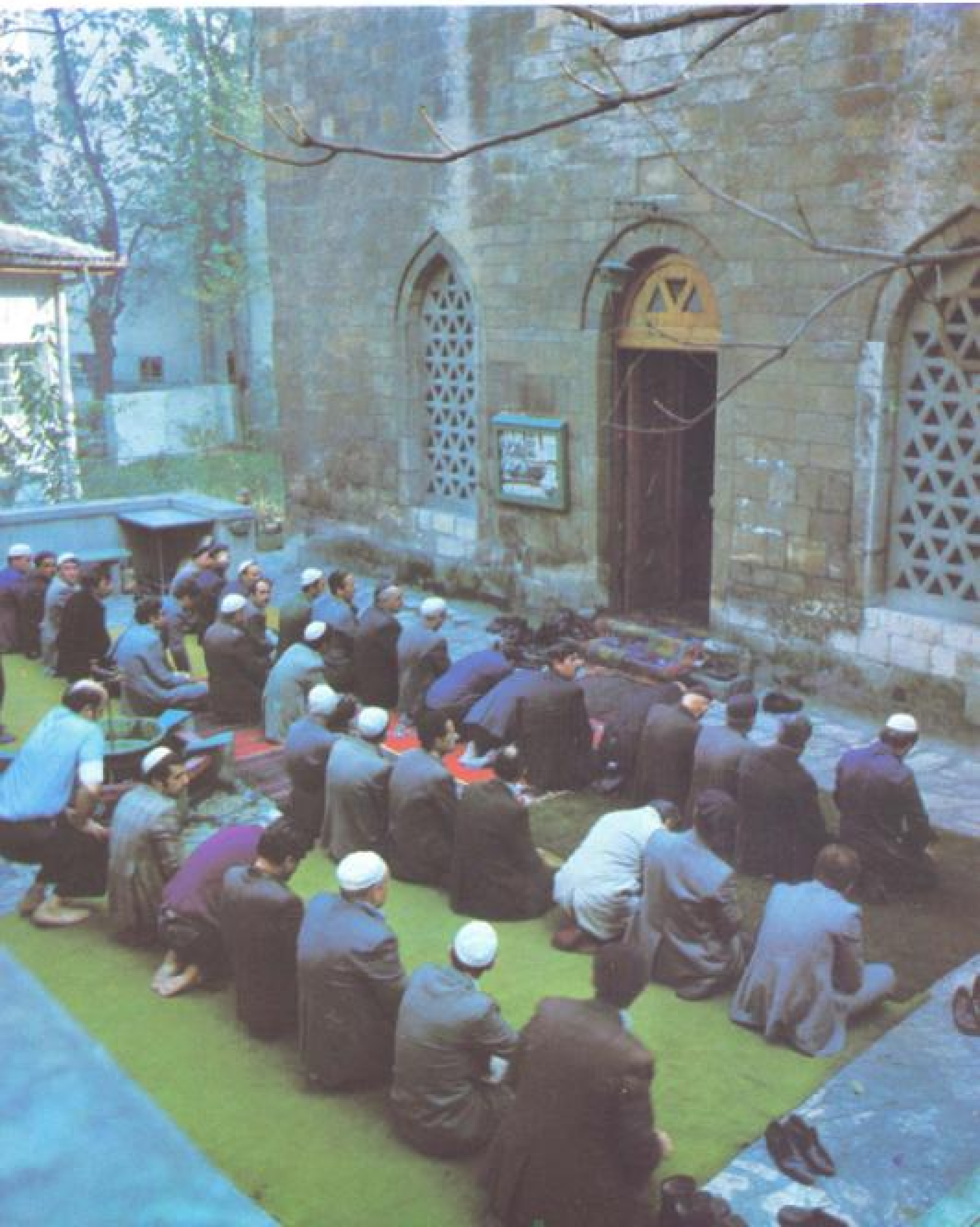
الاسواق العربية في يوغوسلافيا

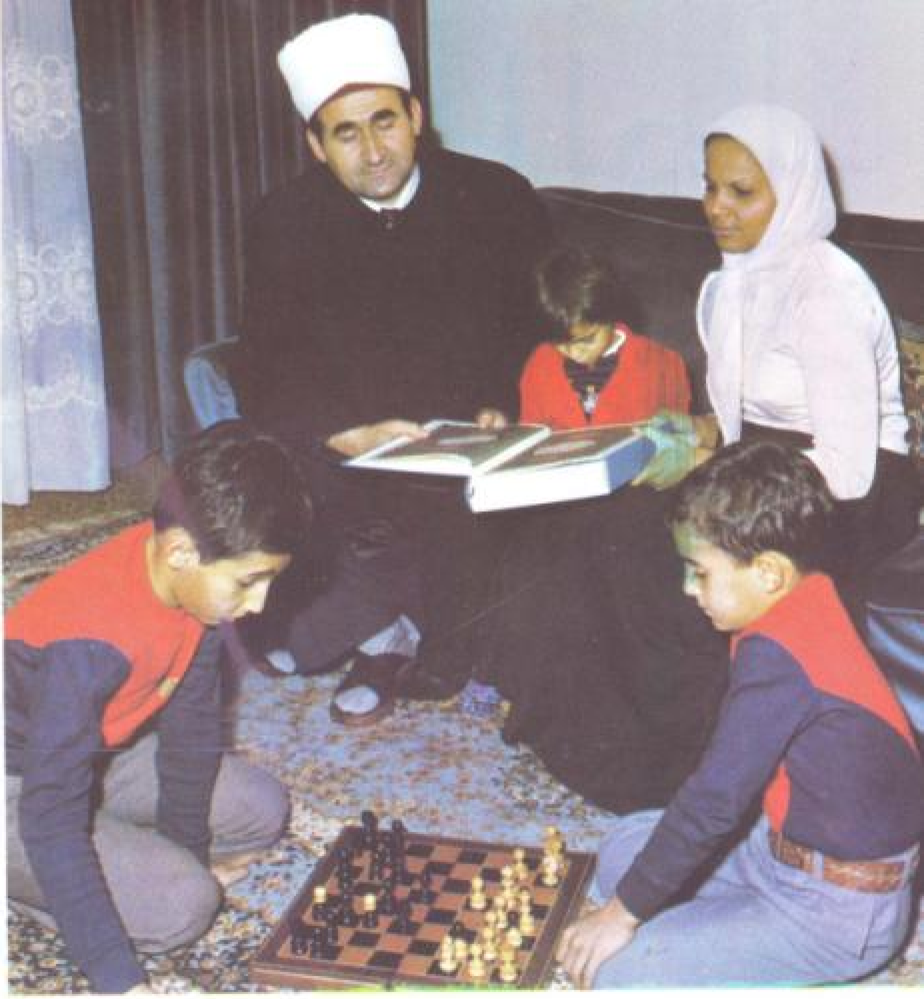
وتمشي في اسواقها القديمة ، فترى فيها سوق الحميدية في دمشق ، ومدحت باشا في حلب ، وخان الخليلي في القاهرة ، والاسواق القديمة في تونس والمغرب ٠٠ نفس الصناعات الحرفية التي صنعتها الايدي الماهرة المدربة ٠٠ نفس الزخارف والالوان التي تجدها في الاواني الفضية والنحاسية ٠٠ حتى الطربوش التركي ما زال يغطي رؤوس الكثيرين من أبناء سارايفو ٠٠ لقد ترك العثمانيون بصماتهم في كل شيء ٠٠ وما زالت المباني القديمة تحمل الطابع الشرقي بكل تفاصيله ودقائقه ونقوشه ! بعض هذه المباني الاثرية وقف صامدا يتحدى الزمن ٠٠ وكلما أحسوا بالخطر يتهدد بقاءه واستمراره، سارعوا لينقذوه ويضيفوا الى عمره بضع سنوات أخرى ٠٠ انه يحمل بين جدرانه ذكريات حية ما زالت تعيش في أذهان أبناء هذه المنطقة التي عاشت وصمدت لاعنف أساليب الاستعمار النمسوي قبل مائة عام تقريبا وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية ٠

فقد تولت المملكة النمساوية الهنغارية ادارة البوسنة والهرسك بمقتضى مؤتمر برلين في عام ١٨٧٨ ٠٠ وشيئا فشيئا بدأ سكان هذه المنطقة يلمسون الفجوة السحيقة بين أهداف هذا المحتل الجديد وبين مصالح وأماني الاهالي ٠ وبدأ الصراع مريرا بين الحاكم المتسلط وبين الشعب ٠ وبدأت المقاومة الوطنية المسلحة ضد المستعمر حتى كان عام ١٩٠٦ الذي شهد أول اضراب عمالي عام شل الحياة تماما ثم تلاه اضراب الفلاحين عام ١٩١٠ ٠٠ الى أن اتسع نطاق الحركة المناهضة للحكم النمساوي خلال الحرب العالمية الاولى ، فما كان من المملكة النمساوية الهنغارية الا أن اعلنت ضم البوسنه والهرسك الى أراضيها أملا منها في تثبيت حكمها في شبه جزيرة البلقان ، وخنق الحركات الوطنية المعارضة ٠

ويضاعف هذا الاجراء التعسفي من قوة تلك الحركات الوطنية ومن تحديها ، وتتآلف بين الشباب حركة « البوسنة الفتية » التي يخرج زعماؤها لاغتيال الحاكم النمساوي « فاريشانين » ، ولكن الرصاص يخطئه ويصيب ولي عرش النمسا

ضاق المسجد بالمصلين ، فوقفوا خارج المسجد يؤدون صلاة الجمعة .. لقد اذن المؤذن « الله اكبر الله اكبر » .. وعندما وقف خطيب الجمعة الشيخ حمدى راح يلقى خطبته بالعربية تتخللها آيات كريمة وأحاديث شريفة .. يتلوها بالعربية ثم يشرح معانيها مرة أخرى بالعربية .





الشيخ حمدى مفتي المسلمين في في بلغراد مع زوجته المصرية وزميلة دراسته في الازهر الشريف السيدة نبيلة ..انها تحرص على زيها الاسلامي المحافظ حتى في البيت .. واطفالهما الثلاثة حولهما .



عائشة استاذة اللغة العربية بكلية الدراسات الشرقية في بلغراد ، وهي مسلمة وزوجها استاذ يوغوسلافي ايضا ومسلم ..

« فرانتز فرديناند » اصابة قاتلة ، وتعلن النمسا الحرب على صربيا ، وتندلع شرارة الحرب العالمية الاولى في عام ١٩١٤ ٠٠ وهي الحرب التي ادت في النهاية الى سقوط وانحلال المملكة النمساوية ـ الهنغارية ، وتوحيد الشعوب اليوغوسلافية ٠

يقول امام المسجد القديم (مسجد غازي خسرو) الذي وعدت حكومة دولة الكويت ممثلة في وزير الاوقاف والشئون الاسلامية ، بترميمه واصلاحه وتجديده ، يقول الامام مصطفى سفندجيج الذي تخرج في الازهر الشريف منذ اكثر من اربعين عاما : « عندنا اكثر من الف وستمائة امام ، نحن نفخر بانتمائنا الى اخواننا العرب في الدين ٠٠ ان المسلمين هنا في يوغوسلافيا ليسوا اتراكا ٠٠ فقد انقطع حبل الصلة بيننا وبين تركيا ٠٠ ونحن اليوم نتجه الى العرب بكليتنا ٠٠ وهو اتجاه بدأ منذ سنوات بعيدة ، ولكننا لم نجن ثماره بعد ! »

تيتو واللغة العربية

يقول الدكتور أحمد اسماعيلوفتش الذى تخرج في جامعات القاهرة ، ويشغل الان منصبا دينيا قياديا في سارايیفو ، فهو رئيس المشيخة الاسلامية بجمهورية البوسنة والهرسك ، يقول : « الحضارة العربية الاسلامية في يوغسلافيا قديمة ، قدم التاريخ ٠٠ ثم هي ليست غريبة ولا جديدة على اوربا ٠٠ لقد تاثر ديكارت بفلسفة الغزالي ٠٠ وقال انجلز أن العرب قد أثروا مذاهب فلاسفة الغرب ، واثروا عليها ٠٠ قبل ضياع الاندلس كانت اوربا كلها تتجه للعرب وحضارتهم ، وقد اثرت هذه الحضارة في النواحي الفكرية والمادية في اوربا حتى بعد خروج العرب من الاندلس ، لا اود ان اخوض في النواحي السياسية ، ولكنني استطيع ان اقول بكل الصدق ان ثورة تيتو انقذت المسلمين والاسلام في يوغوسلافيا ٠

« اسمعوا هذه القصة ٠٠ عينت ناظرا للمدرسة اليوغوسلافية التابعة لسفارتنا في القاهرة بعد اكمال دراساتي العليا ٠ وجاء تيتو لزيارة مصر في عام ١٩٧١ ، وذهبت للقائه والترحيب به بحكم منصبي الاكاديمي ، وفجاة وجدته يسالني : « هل يتعلم ابناؤنا اللغة العربية في المدرسة اليوغوسلافية؟»

وقلت : « لا ، فهي ليست في برنامج الدراسة ؟»

وقال تيتو : « لا بد اذن من أن تكون ضمن البرنامج ٠٠ لانني اريد ان يتعلم ابناؤنا اللغة العربية لانها لغة المستقبل » ٠

المراة المسلمة في يوغوسلافيا

أين المرأة المسلمة في يوغوسلافيا بعد هذا ٠٠ قال لنا احد رجال الدين : « انها في البيت وفي المدرسة وفي المصنع وفي الحقل وفي كل مكان ٠٠ فهي مع رجلها وبجانبه تعاونه وترعاه وتحمل أطفاله وتؤدى فرائض الصوم والصلاة والحج الى بيت الله الحرام ٠

« وقد تختلف المراة المسلمة في الريف عن اختها التي تعيش في الحضر ٠٠ ولكنه مجرد اختلاف في الشكل ٠٠ في الزى مثلا ، تماما كما هو الحال عندكم ٠٠ ولكن الجوهر لا يتغير ٠٠ » ٠

ـ هل يتزوج الرجل باكثر من واحدة ؟

ـ في حالات نادرة ، كأن تكون الزوجة عاقرا على سبيل المثال ، أو أن تستحيل الحياة الزوجية بينهما لسبب او لآخر ٠٠ ولكن القاعدة عندنا دائما هي الا يفترق الزوجان حتى يتوفى الله احدهما !

ثم يقول الشيخ : « شغلنا الشاغل اليوم بعد أن أرسينا تعاليم ديننا ومبادئه أن نتيح للمرأة المسلمة كل فرص التعليم للحصول على أرقى الشهادات ، فلا خير في مجتمع يعيش نصفه في جهالة » ٠

« ولم تكن مصادفة تلك التي حدثت عندما جاء وزراء الاوقاف من بعض الدول العربية الصديقة لحضور حفل افتتاح كلية الدراسات الاسلامية الجديدة التي شيدها مسلمو البوسنة والهرسك بالاموال التي جمعوها ٠٠ فقد حرصنا على أن يكون بين الحاضرين فتاة مسلمة ، تقدمت الصفوف وهي تحمل باقة من الزهور لتهديها للوزراء العرب باسم نساء مدينة سارايیفو المسلمات ٠

ثم ينهي الشيخ حديثه : « انقلوا الصورة كما رأيتموها الى اخواننا العرب في كل مكان ٠٠ قولوا لهم اننا نتوقع منهم أن يرسلوا لنا المزيد من كل ما عندهم من كتب ومراجع اسلامية وأدبية وثقافية ٠٠ فنحن نريد أن نعيش معهم فكرهم ورؤيتهم لامور الدين والدنيا ٠٠ نريد أن نشعر بان حضارة المسلمين العرب تعيش معنا بكل صورها وملامحها القديمة والحديثة » ٠ ■■

منير نصيف

بائع الجوارى
صاحب الحكم والآداب

بقلم : الدكتور محمد مصطفى هدارة

■ كانت تجارة الرقيق منذ القرن الاول للهجر قرائجة لوجود مشترين دائما محتاجين الى العبيد والارقاء . وكانت مدينة سمرقند من اهم مراكز تجارة الرقيق . وقد اشتهر عدد من تجار هذه البضاعة لاقامتهم بيوتا عامرة بالجوارى الحسان اللاتى تلقين دراسات خاصة فى فن معاملة الرجال، ومحاولة اغرائهم واجتذاب قلوبهم واموالهم ،كما تلقين دراسات اخرى فى الغناء بانواعه المختلفة وفى فنون الايقاع والعزف على الآلات الموسيقية .

ومن بين اولئك النخاسين فى العصر العباسى – شخصية تختلف تماما فى مزاجها وتكوينها وثقافتها وطبيعة حياتها عن شخصيات كل من عرفنا من النخاسين . انه محمود بن الحسن الوراق الذى



عاش في اواخر القرن الثاني للهجرة واوائل الثالث ، والذي لانكاد نجد شيئا من اخباره في المصادر المختلفة ، الا بعض الاشارات العابرة التي لا تكاد تؤلف صورة ذات ملامح واضحة • ونستطيع ان نستنتج استنتاجا انه كان يحيا كما يحيا النخاسون حياة لهو ومجون ، وقد استبان لنا ذلك من خبر عارض يذكره ابن المعتز في اخبار الشاعر « ابي الشبل » ، ويقول ان محمودا الوراق كان صديقه ، وكانا يذهبان معا الى الحانات ، ثم لا نعرف من اخباره شيئا بعد ذلك الا عن طريق الحديث عن جواريه •

اما الخبر الاول فيتصل بذكر جارية اسمها (نشو) توفيت فذهب الناس يعزون سيدها محمود الوراق .. وكانت الجارية تساوي الافا من الدنانير لجمالها وبراعة غنائها وحسن ادبها ،وكان من الطبيعي ان يذكر المعزون محاسنها لاظهار اسفهم على فقدها، ولكن الوراق اعتصم من تاثير اقوال المعزين قائلا :

ومنتصح يكرر ذكر نشو
ليحدث لي بذكراها اكتئابا
أقول ـ وعد ما كانت تساوي
سيخلفه الذي خلق الحسابا
عطيته ـ اذا أعطى ـ سرور
وان أخذ الذي أعطى ، أثابا
فأي النعمتين أعم فضلا
واكرم في عواقبها ايابا
أنعمته التي اهدت سرورا
أم الاخرى التي اهدت ثوابا
بل الاخرى وان نزلت بكره
أحق بصبر من صبر احتسابا

واما الخبر الثاني فيتصل بجارية اخرى اسمها (سكن) كانت من احسن خلق الله وجها ،واكثرهم ادبا ، واطيبهم غناء • وكانت تقول الشعر فتاتي بالمعاني الجياد والالفاظ الحسان • وكان محمود ـ كما يقول ابن المعتز في طبقاته ـ قد رقت حاله في بعض الدهر ،- واختلت اختلالا شديدا ،فقال لجاريته سكن : قد ترين يا سكن ما انا فيه من فساد الحال ، وصعوبة الزمان ، وليس بي ـ وجلال الله ـ ما القاه في نفسي ، ولكن ما اراه فيك ، فاني احب ان اراك بانعم حال ، واخفض عيش ، فان اثرت ان اعرضك على البيع ، فعلت ، لعل الله ـ عز وجل ـ يخرجك من هذا الضيق الى السعة ، ومن هذا الفقر الى الغنى • قالت الجارية : ذلك اليك • فعرضها ، فتنافس الناس ورغبوا في اقتنائها • وكان احد الطاهريين قد عرض ثمنا لها مائة الف درهم ، واحضر المال ، فلما راى محمود تلك البدر ،سلس وانقاد ،ومال الى البيع وقال : « ياسكن ، البسي ثيابك واخرجي • » فلبست ثيابها وخرجت على القوم كانها البدر الطالع • وكان محمود ـ وهي كذلك ـ معها ، فقالت سكن واذرت دمعها : « يا محمود ، هذا كان اخر امري وامرك ،واذ اخترت علي مائة الف درهم! »قال محمود :« فتجلسين على الفقر والخسف ؟ ! » قالت : نعم « اصبر أنا وتضجر انت ؟ ! » فقال محمود : « اشهدكم انها حرة لوجه الله ، واني قد اصدقتها داري ، وهي ما املك •»

شهوات الخليفة !

واما الخبر الثالث فيتصل بجارية اسمها (نشوى) كان احد الخلفاء قد طلب شراءها بسبعة آلاف دينار ، فامتنع محمود عن بيعها ، فلما مات محمود اشتريت الجارية نفسها للخليفة من ميراث سيدها بسبعمائة دينار ، فلما دخلت الي الخليفة قال لها : « كيف رأيت ؟ تركتك حتى اشتريتك من سبعة آلاف بسبعمائة » ، قالت : « اجل ، اذا كان الخليفة ينتظر بشهواته المواريث فان سبعين دينارا كثير في ثمني فضلا عن سبعمائة دينار • »

من هذه الاخبار التي ذكر فيها محمود الوراق ومن مجموعة الاشعار التي رويت له نستطيع ان نتبين ان الوراق ـ وهو على الارجح غير عربي الاصل ـ قد تخلى عن حياة اللهو والمجون في فترة حاسمة من حياته ومال الى الزهادة ، وكثير من الزهاد بدأوا حياتهم خلعاء ، ثم ادركتهم صحوة في ضمائرهم ، فافاقوا مما هم عاكفون عليه من اثم ، وتابوا وانقطعوا للعبادة ولا نجد من اشعار محمود الوراق ما يعبر عن حياته اللاهية الا من ذكريات عابرة تمر كاللمح الخاطف كما في قوله :

سقيا لايام خلت
وكأن اوجهها رياض
أيام يحيينا الهوى
وتميتنا الحدق المراض

ولكن الظاهرة المؤكدة لطبيعة حياته اللاهية تتمثلها فى احساسه بالذنب وطلب الغفران والعفو كما فى قوله :

« أيارب قد احسنت عودا وبدأة
الىّ فلم ينهض باحسانك الشكر

فمن كان ذا عذر لديك وحجة
فعذرى اقرارى بأن ليس لى عذر »

واغلب الظن ان لقب الوراق الذى لحق بمحمود، لم يلحق به مصادفة ، ولكنه يعنى انه عمل فترة من حياته بمهنة الوراقة (نسخ الكتب والتجارة فيها)• واغلب الظن ان ذلك كان فى مطلع حياته• واعتقد ان ثقافة الوراق الواسعة التى يطلعنا عليها ما تبقى من شعره ، انما هى نتاج احتراق الوراقة، وهى مهنة تتيح لصاحبها اطلاعا على فنون مختلفة من العلم والمعرفة ، وقد صادف ذلك فى نفس محمود ميلا ورغبة ، فاشبع عقله وفكره بكل ما وصل اليه من الكتب ، ثم تقلبت به الحال ـ فيما يبدو ـ فصار الى مهنة النخاسة ، ولعله وجد فيها ما ينشده من الثراء ، الى جانب التملى بالوان من الجمال •

بين الزهد والنخاسة ؟

ولكن اذا كان محمود الوراق قد ترك حياة المجون فى فترة حاسمة من حياته التى امتدت الى ما بعد الثمانين ـ فهمنا انه يعنى نفسه فى قوله :

وما صاحب السبعين والعشر بعدها
بأقرب مما حنكته الغوائل

ولكن آمالا يؤملها الفتى
وفيهن للراجين حق وباطل

واذا فرضنا انقطاعه الى الزهد قد حدث وهو فى نحو الاربعين من عمره وهذا اذا جاز لنا ان نفهم انه يعنى نفسه ايضا فى قوله :

« اذا ما انتسبت الى آدم
فلم يك بينكما من أب

وجازت سنوك بك الاربعين
وصرت الى الجانب الاجنب

ودب البياض خلال السواد
فاصبحت فى شية الاشهب

فكيف تؤمل طول الحياة
اذا كان حلمك لم يعزب »

اذا فرضنا هذا ـ فكيف اذن ظل يمارس مهنة النخاسة مع توبته وزهده ، وهى مهنة لا تتفق قط مع حياة الزاهد ولا اتجاهه ؟ ! وما حقيقة زهد الوراق : هل كان صاحب زهادة نظرية ، بمعنى حضه على الفضيلة والاداب والبعد عن الدنايا والاستمساك باهداب الدين والتجافى عن الدنيا ولذاتها • على حين انه لا يطبق شيئا من ذلك على حياته العملية وعلى سلوكه الفعلى !

اننى اميل الى الاعتقاد بان زهد الوراق حقيقى لا شك فيه ، وانه زهد نظرى وعملى على السواء ولكنه لم يسرف على نفسه فى التباعد عن ملذات الحياة ، وهو لا يخدعنا حين يعرض علينا تجارب حياته ، فالدين خير ما يعتصم به الانسان فى حياته، ولكن الدين لا يعنى الفقر ، ولهذا يجعل الوراق الغنى تاليا للدين فى الخير ، كما يجعل الفقر تاليا للكفر فى الشر ، يقول :

لبست صروف الدهر كهلا وناشئا
وجربّت حاليه على العسر واليسر

فلم ار بعد الدين خيرا من الغنى
ولم ار بعد الكفر شرا من الفقر

ولكننا نراه فى بعض اشعاره ينكر على نفسه ـ وعلى الانسان بصفة عامة ـ التكثر من المال ، ويدعو الى القناعة بالقليل فيقول :

« هى الدنيا ، فلا يغررك منها
مخايل تستفز ذوى العقول

أقل قليلها يكفيك منها
ولكن ليس تقنع بالقليل

تشيد وتبتنى فى كل يوم
وانت على التجهز والرحيل »

الحكم والمواعظ

واذا كان الوراق لم يتخل عن مهنة بيع الجوارى بعد تزهده ، فقد تخلى عن اسلوب النخاسين فى تربية الجوارى على الفساد والافساد ، ووجههن وجهة صالحة ، كما يستبين لنا من اخبار جواريه التى مرت بنا ، ويدلنا كلام (نشوى) واخبار (سكن) على نوع التربية العقلية والروحية التى

كانت تتلقاها جوارى محمود الوراق على يديه ، وواضح أن الجانب المادي لم يعد يشغله في تجارته بدليل وقوعه في ازمات مالية ، وحرصه على انتقاء المشترين لجواريه ، بغض النظر عن قيمة ما يدفعونه •

وشعر محمود الوراق « اكثره امثال وحكم ومواعظ وادب » كما يصفه ابن المعتز • ونحس في تلك الاشعار ـ الى جانب رقة الشعر وسلاسته والوصول الى المعنى بايسر سبيل ـ دقة التفكير وعمق التجربة والاستعانة بالقياس والجدل المنطقي • وكانوا يقولون عنه انه « كثيرا ما ينقل اخبار الماضين وحكم المتقدمين فيحلي بها نظامه ويزين كلامه » ، ومن ذلك مثلا قوله :

« اني شكرت لظالمي ظلمي
وغفرت ذاك له على علمي
ورأيته اسدى الي يدا
لما أبان بجهله حلمي
رجعت اساءته عليه واحـ
ـساني ، فعاد مضاعف الجرم
وغدوت ذا اجر ومحمدة
وغدا بكسب الظلم والاثم
فكأنما الاحسان كان له
وانا المسيء اليه في الحكم
ما زال يظلمني وارحمه
حتى بكيت له من الظلم ! »

فقيل انه اخذ هذا المعنى من قول رجل من قريش لرجل قال له : « اني مررت بقوم من قريش من آل الزبير يشتمونك شتما رحمتك منه » ، قال : « اسمعتني القول الا خيرا » قال : (لا) ، قال : « اياهم فارحم » •

كذلك أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله : « ان الرجل ليظلمني فارحمه » وقد يلتقي المعنى الكلي لابيات الوراق على قول من اقوال الماضين ، ولكن يبقى له بعد ذلك فكره المرتب وتحليله المنطقي الدقيق •

ويبصر الوراق الانسان في شعره بانقلاب الدنيا وتغير الزمن ويحض على الصبر ، ويدعو الى الشكر على النعمة ، ويتحدث عن حب الانسان للدنيا وحرصه عليها وهو يعلم ان حياته فيها الى حين ، يقول :

« يحب الفتى طول البقاء كأنه
على ثقة ان البقاء بقاء
اذا ما طوى يوما طوى اليوم بعضه
ويطويه ان جن المساء مساء »
زيادته في الجسم نقص حياته
وأنى على نقص الحياة نماء
جديدان لا يبقى الجميع عليهما
ولا لهما بعد الجميع بقاء

والى جانب هذه الحكم الانسانية العامة ترى الوراق يقدم لنا في شعره مواعظ خاصة هي خلاصة تجارب حياته المديدة ،منها مداراة الصديق حين يغضب ، لان الغضب يخرج الاحقاد الكامنة ، وعدم الامعان في المزاح بين الاصدقاء ، حتى لا يصل المزاح الى ما لا يغتفر ، ثم نراه شديد الاحساس بفجيعته في شبابه وجزعه من المشيب لان فيه دلالة على اقتراب الاجل ، يقول :

اغتنم غفلة المنية ، واعلم
انما الشيب للمنية جسر

وهو كثير المحاسبة للنفس على افعالها في كثير من اشعاره التي اتسعت لالوان من الحكم والآداب والزهد والموعظة الحسنة ، وواضح انه نأى بنفسه عن اغراض الشعر الاخرى بعد تزهده •

رحم الله الوراق الذي تغنى بالآداب وترنم باناشيد الزهد في عصر زاد فيه بعد الناس عن دينهم وعن فضائله • وقد ظلت هذه الاناشيد النقية مؤثرة في كل زمان ومكان ، لانه يتوجه بها الى الانسان حيث كان ، وما اصدق خطابه للآثم حيث يقول •

« يا ناظرا يرنو بعيني راقد
ومشاهدا للامر غير مشاهد
منيت نفسك ، ضلة ، وابحتها
طرق الرجاء ، وهن غير قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي
درك الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله اخرج آدما
منها الى الدنيا بذنب واحد ! »

■■

الرياض ـ محمد مصطفى هدارة

استاذ الأدب العربي
بكلية الآداب بجامعة الرياض

ومع ذلك ، قد لا تكون مريضاً
إلاّ بالوهم وحده !

دليل الألم في جسمك



هذه محاولة لتفسير الآلام التى قد تشعر بها فى أى مكان بجسمك ، مجرد محاولة ، والطبيب وحده هو الذى يستطيع ان يحدد الرأى القاطع - أو الارجح - لتمسير هذا الالم ٠

ذلك انه كثيراً ما يظهر الالم فى مكان بعيد عن العضو المصاب بالمرض فالم الذراع الايسر قد ينتج عن القلب وألم الكتف الايمن من سطح الكبد والم الساق من العمود الفقرى ٠ وقد لا يكون المرض هو سبب الالم ٠ وانما يكمن السبب فى الاوهام والقلق النفسى ٠ فسبعون بالمائة من آلام القلب - مثلا - أسبابها نفسية وثلاثون بالمائة فقط أسبابها عضوية ٠ وعلى ذلك فان عرضنا لهذا التلخيص يجب الا يدفع الانسان الى الفزع من ناحية، وأن يكون دافعا للوقاية من اللامبالاة من ناحية أخرى ٠

١ ـ الام الراس : تنشا من اسباب عديدة : ارتفاع ضغط الدم ـ الافراط في التدخين او المشروبات الروحية ـ ارتفاع ضغط العين (الجلوكوما) ـ ضعف الابصار (القراءة بغير نظارة مناسبة) ـ مرض الاسنان .

٢ ـ الام الوجه : تنتج من التهاب الجيوب الانفية (هذا مرتبط بنزلات البرد) ـ والتهاب تجاويف الفك وتقيح جذور الاسنان ـ او التهاب العصبي الدماغي الخامس الذي ينتشر في الوجه بثلاثة فروع على كل جانب .

٣ ـ العيون : يصحب الام العين شعور بالحرقة وانسكاب في الدموع في حالات التهاب الملتحمة (الغشاء المخاطي للعين) ومن الاجهاد العام للجسم، او الاجهاد الموضعي للعين بلبس نظارة غير مناسبة، او القراءة بدون نظاره عند الحاجة لها . وقد ينتج الالم من دخول جسم غريب في العين او وجود بثور بالجفون .

٤ ـ الانف : حكة الانف تشير الى وجود الحساسية او الزكام الذي يلهب الغشاء المخاطي للانف، نزيف الانف ينتج من ضعف الشرايين الصغيرة في مقدمة الانف ، وقد يدل على وجود حمى روماتزمية . ووجود زوائد خلف الانف قد تسد المسالك الانفية عند الاطفال مما يدفعهم الى التنفس من الفم .

٥ ـ الاذن : اثناء نزلات البرد تنسد قناة « استاكيوس » التي توصل الاذن بالحلق فتسبب الم الاذن وخاصة عند ركوب الطائرات ـ التهاب الاذن الوسطى يسبب الما حادا مع غثيان وقد يسبب ثقبا في غشاء «الطبلة» ـ كما ان امراض اللسان والاسنان واللثة واحيانا الذبحة الصدرية قد تسبب آلاما في الاذن .

٦ ـ الفم : ظهور فقاعات صغيرة مؤلمة على الشفاه تنتج من عدوى فيروسية وتكثر بعد نزلات البرد والحمى ـ كذلك فان اضطراب الجهاز الهظمي يؤدي الى ظهور قرح صغيرة مؤلمة في تجويف الفم .

٧ ـ آلام الرقبة : تنتج عادة من التهاب اللوزتين او الحلق . بحة الصوت او فقدانه تنتج من التهاب الحنجرة ، واذا استمرت اكثر من اسبوعين فقد تدل على وجود أورام حميدة أو خبيثة . التورم المؤلم في الرقبة كثيرا ما يكون غددا لمفاوية ملتهبة نتيجة لالتهاب صديدي في الرأس . ـ تورم الوجه قرب الاذنين يدل على النكاف .

٨ ـ آلام القفا : تنتج عادة من تقلص العضلات على اثر تيار هوائي او التهاب في غضاريف الفقرات او انزلاق غضروفي .

٩ ـ الصدر : النزلات الشعبية والتهاب القصبة الهوائية تسبب آلاما في الصدر وصعوبة في التنفس . وخز الصدر الذي يزداد مع حركات التنفس يدل على ذات الجنب (التهاب الغشاء البلوري) .

١٠ ـ عظم القص : الآلام المصاحبة للبلع تدل على التهاب المرىء . والالم الحارق أسفل القص يدل على فتق في الحجاب الحاجز يسمح بانزلاق جزء من المعدة الى تجويف الصدر ـ أما الم القلب (الذبحة الصدرية) فيظهر في وسط الصدر وينتشر الى الكتف الايسر والذراع وعادة ينتج من المجهود الجسماني أو النفسي ـ واذا كان مصحوبا بعرق غزير فانه يدل على جلطة في الشريان التاجي .

١١ ـ الابط : وجود ورم مؤلم في الابط يدل على غدد لمفاوية ملتهبة نتيجة لجرح او تقيح في الذراع ـ أما بالنسبة للنساء فان تورم الغدد في الابط قد يدل على الاصابة بسرطان الثدي .

١٢ ـ الكتف : الم الكتف عند حركة الذراع قد يعني التهابا في غشاء المفصل ينتج عادة عن الروماتزم ـ ألم الكتف الممتد الى الذراع قد ينتج من انزلاق غضروفي يضغط على اعصاب الرقبة .

١٣ ـ الثدي : في مرحلة الطمث (المحيض) يحتقن الثدي ويصحب ذلك شعور بالتوتر الموضعي ـ اما اذا وجدت عقد في الثدي يمكن لمسها او افرازات من الحلمة ، فيجب مراجعة الطبيب .

١٤ ـ الآلام القطنية : آلام أسفل الظهر من مرض في الفقرات ـ تقلص العضلات ـ نقص الكالسيوم في العظام ـ امراض النخاع الشوكي ـ وامراض الاحشاء قد تسبب آلاما اسفل الظهر مثل أمراض الكلى . والحوصلة المرارية والبنكرياس .

١٥ ـ آلام المعدة : اذا ظهر الالم بعد تعاطي الطعام فانه يدل على قرحة المعدة اما اذا كان مرتبطا بالجوع فانه يدل على قرحة الاثني عشر ـ والالم الشديد المصحوب بغثيان وهبوط يدل على التهاب الغشاء البريتوني . اما الالتهاب المزمن في الغشاء المخاطي للمعدة (مثل مدمني الخمور) فانه يسبب فقدان الشهية وشعورا بالامتلاء وتغطية اللسان بطبقة بيضاء .

١٦ ـ آلام المنطقة الشرسوفية (اعلا البطن ـ ما يسمى بفم المعدة) : الالم الشديد فى اعلا البطن الى اليمين يدل على التهاب الحوصلة المرارية او حصوات مرارية • اما التهاب الكبد فانه يسبب شعورا بالثقل فى نفس المكان من غثيان ويتلون البول بلون الشاى ويصير لـون البراز بـاهتا ـ والتهاب البنكرياس يسبب الما شديدا فى اعلا البطن من الجانبين مع قيء وهبوط بالغ •

١٧ ـ الام اسفل البطن : الام الزائدة الدودية تبدأ حول السرة ويصحبها قيء وحمى ثم تتركز على يمين اسفل البطن • والمغص الكلوى يبدأ من احد الجانبين فى الظهر اسفل الضلوع ويمتد الى اسفل البطن حتى يصل الى الخصية•والم المبيض فى النساء يظهر على احد جانبى اسفل البطن •

١٨ ـ يتركز الم الامعاء حول الصرة وينتـج عادة من الزحار (الدوسنتاريا) •

١٩ ـ المثانة : تكون الامها شديدة ويصحبهـا رغبة ملحة فى التبول ويكون التبول محرقا •

٢٠ ـ المنطقة الاربية : وهى عند التقاء البطن بالفخذ • وتصاب بالفتق الاربى الذى يسبب شعورا بالثقل والما خفيفا عند السعال •

٢١ ـ مفصل الورك : يسبب التهابه الما فى الفخذ وتصلبا فى الحركة •

٢٢ ـ اعضاء التناسل :الالام المحرقة عندالرجال تنتج عادة من التهاب البروستاتا او قناة مجرى البول • اما فى النساء فتنتـج من الفطريـات او الاكزيما العصبية •

٢٣ ـ الفخذ : تنتج الام الفخذ عادة من « عرق النسا » وسببه انزلاق غضروفى فى الفقرات القطنية اسفل الظهر يضغط على جذور الاعصاب فينتشر الالم خلف الفخذ ليصل الى الاصابع •

٢٤ ـ الركبة : يحدث الالم المفاجىء من تمزق الغضروف الهلالى اثناء لعب كرة القدم • اما الالم فينتج من التهاب المفصل •

٢٥ ـ بطن الساق : تتقلص عضلاتها عند القيام بمجهود فى حالة نقص الاملاح • وفى حالة ضيق الشرايين وقصور الدورة الدموية يحدث الما شديدا عند المشى • اما أمراض الاوردة (مثل التهـاب الاوردة والدوالى) فتسبب شعورا بالثقل وتورما بالقدم •

٢٦ ـ مفصل القدم : يحدث التورم فى سطح القدم من تجمع السوائل فى الانسجة الداخلية نتيجة لامراض الكلى او هبوط القلب او الكبد او انسداد اوعية الساق واحيانا بسبب الحمل • ■■

(مترجم عن مجلة « شترين » الالمانية)

الحل لمشكلتك !

● يقول وليم جيمس : «اننا نواجه المشاكل فى حياتنا•• ونتغاضى عن الكثير منها،اونتركها تمر ولكننا لانلبث ان نجد انفسنا قد تـوقفنا عنـدمشكلة معينة لانها اكبر من ان تترك بغير حل • وتستبد بنا الحيرة عندما يطول تفكيرنا فى أمرها ! ولكننا قلما تساءلنا وسط حيرتنا : «من الذى صنع هذه المشكلة» ؟

« ولو اننا فعلنا ، لوجدنا الحل لمشكلتنا ••

فالجواب : «الانسان •• فهوصانع كل المشاكل • واذا كان الانسان يستـطيع ان يـخلق المشاكل ، فهو لاشك قادر على حلها• أو هو قادر على أن يلقي بها في البحر إن امكن!»



عن الحب في أدبنا الحديث

بقلم : يوسف الشاروني

طالما أن هناك رجلا وامرأة على ظهر الارض فستظل كلمة الحب باقية فى لغة السلوك البشرى .

● عنى ادباؤنا فى العصر الحديث بموضوع الحب تحقيقا او ترجمة او تأليفا . فالمهتمون بتراثنا العربى وجهوا عنايتهم نحو تحقيق ونشر المخطوطات التى تناول فيها أسلافنا هذا الموضوع الانسانى ، ودرسوا فيها هذه العاطفة البشرية دراسة مستانية دقيقة شاملة بحيث يمكن اعتبارها محاولات عبقرية مبكرة لما يعرف اليوم بعلم النفس. من هذه الكتب : فى العشق والنساء للجاحظ (١٦٠ ـ ٢٥٥ / ٧٧٦ ـ ٨٦٨ م) ، وطوق الحمامة لابن حزم (٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ / ٩٩٤ ـ ١٠٦٤ م)، وكذلك رسالته فى تهذيب الاخلاق التى عرض فيها للموضوع نفسه ولكن من وجهة نظر اخرى ،ثم هناك الرسالة السابعة والثلاثون من رسائل جماعة اخوان الصفا التى ازدهرت قرب نهاية القرن العاشر الميلادى حوالى ٩٧٠ م. وكتاب مصارع العشاق لابن السراج (٤١٦ ـ ٥٠٠ هـ/ ١٠٢٥ـ ١١٠٧ م) ، وذم الهوى لابن الجوزى (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ / ١١١٤ ـ ١٢٠١ م) ، وكذلك كتابه « صيد الخاطر » وكان فيه اكثر اصالة من كتابه الاول الذى كان فيه اكثر اهتماما بتجميع اقوال وأشعار الآخرين . ثم كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزيه (٦٩١ ـ ٧٥١ هـ / ١٢٩٢ ـ ١٣٥٠ م) وكتاب تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق لداود الانطاكى المتوفى عام ١٠٠٨ هـ / ١٦٠٠ م . هذا الى جانب جهود المستشرقين فى تحقيق ونشر مجموعة اخرى من المخطوطات فى الموضوع نفسه مثل كتاب «الزهرة» لابن داود الظاهرى (٢٠١ ـ ٢٦٩ هـ/٨١٦ ـ ٨٨٤ م) ، وكتاب « الموشى » لابن اسحاق الوشاء الذى عاش تقريبا بين عامى ٨٦٠ ، ٩٣٦ م .

وفى مقابل الاهتمام بهذه الظاهرة الانسانية عن طريق احياء تراثنا الذى تناولها ، نجد البعض الآخر قام بترجمة بعض المؤلفات الاجنبية فى هذا الموضوع ، وان كان الاسهام فى هذا الجانب اقل من مثيله فى جانب تحقيق التراث ونشره . ولعل من ابرز ما ترجم فى هذا الموضوع ـ وفى حدود علمى فليس هناك وسيلة حتى الآن للتعرف على كل ما ينشر فى البلاد العربية فى موضوع معين ـ كتاب « الحياة والحب » الذى الفه الكاتب الالمانى اميل لودفيج عام ١٩٤٥ وترجمه الاستاذ عادل زعيتر . وكتاب «فن الهوى » للكاتب اللاتينى اوفيد (٤٣ ق . م ـ ١٨ م) والذى قام بترجمته وكتب له مقدمة مطولة الدكتور ثروت عكاشة ،

لكنها ترجمة ناقصة بسبب ما حذف منها لاسباب تخدش الحياء على نحو ما أعلن المترجم .

اما جانب التاليف فربما يمكن القول ان أحمد فارس الشدياق (١٨٠٥ ـ ١٨٨٧ م) وان لم يخصص أحد كتبه لموضوع الحب ـ الا انه ضمن ترجمته الذاتية الشهيرة « الساق على الساق فيما هو الفرياق » صفحات طويلة ابدى فيها رأيه في المرأة وفي الحب مستمدا من تجاربه .

وقد ولد الشدياق في عشقوت بلبنان من والدين مسيحيين عام ١٨٠٥ ، لكنه قام فيما بعد برحلتين: احداهما رحلة روحية من المسيحية الى الاسلام والاخرى جغرافية اذ تنقل بين مصر ومالطةوانجلترا وفرنسا وتونس ، ثم استقر اخيرا في تركيا حيث مات فيها عن ٨٢ عاما .

وكتابه « الساق على الساق » يعتبر من اجرأ التراجم الذاتية في تاريخ الادب العربي ،وليست كلمة « الفارياق » الا اشتقاقا من أول كلمة فارس واخر كلمة الشدياق كما لقب زوجته في هذا الكتاب باسم الفارياقيه .

ونحن نلمح في كتابه ثورتهالفكرية من أجل تحرير المرأة الشرقية . فقد سافر الى اوروبا حيث شاهد المرأة ومدى ما تتمتع به من حرية في اوقات العمل والفراغ على السواء ، فطالببتعليم المرأة الشرقية قبل قاسم أمين بنحو نصف قرن ، كما هاجم عادات الزواج التى تطالب بضرورة اعلان ما يدل على بكارة العروس ليلة الزفاف كما تحدث عن تغير الحب بتغير عمر الانسان ، وعن بواعث المحبة ابتداء من النظرة حتى العشرة، ومن مذاهب العشاق من جهة الشكل أو الاخلاق وما الى ذلك .

اما الغيرة فهي خلق طبيعي في كل البشر ، وما يقال من ان الافرنج ليس لهم غيرة على نسائهم ليس صحيحا .ومن رأى الشدياق الا يكون الزوجان متفقين في كل شيء لان المرأة اذا كانت تفعل ما يريده زوجها كانت كالآلة بين يديه فلا يكترث بها ولا يقبل عليها بخلاف ما اذا عرف منها المخالفة والاستبداد برأيها فانه يتعلق بها ويداريها .(يوسف الشاروني ، الحب والصداقة، دار المعارف ، ١٩٧٥ ، ص ٩٩ ـ ١٢٠) .

مدامع العشاق

أما في القرن العشرين فقد ظهرت كثير من المؤلفات العربية التى تعالج موضوع الحبمتاثرة بالتراث العربى حينا وبالثقافة الغربيةحينا آخر . ولعل من أبرزها كتاب « مدامع العشاق » للدكتور زكي مبارك (١٨٩١ ـ ١٩٥٢ م) الذى نشرهعام ١٩٢٥ . وكانت مقدمة الطبعة الاولى ردا على من عابوا عليه تاليف مثل هذا الكتاب ـ وكان قد نشر أجزاء منه في الصحف ـ فأعلن انه « بصريح القول موكل بالحسن اتبعه ، ومغرم بالتفريد على افنان الجمال » .

وفي مقدمة الطبعة الثانية التى نشرت بعد عشر سنوات من الطبعة الاولى يعلن ان مصطفى صادق الرافعي اتهمه بانه سرق كتابه من كتاب « الزهرة » ولكنه يصرح بانه لم يطلع على هذا الكتاب الا في صيف عام ١٩٢٧ اى بعد نشره الطبعة الاولى من كتابه ، وانه مع ذلك يرى أن ملاحظة مصطفى الرافعي صادقة كل الصدق ، لان الكتابين فعلا « يتشابهان أشد التشابه في الوضع والاسلوب . والفرق بين الكتابين انالاول لا يتعدى المستجاد لشعراء النسيب الى أواخر القرن الثالث ، أما الثاني فيصل في الاختيار الى صميم القرن الرابع عشر الهجرى . وان مؤلف الزهرة اكثر احاطه بروائع الشعر القديم واعرف بقلوب المتيمين . وهوفيحبه أصدق منشاب يعيش في القاهرة فيما سموه القرن العشرين . وبين ضروب التشابه ان مؤلف الزهرة وضعكتابه في عهد الحداثة وكذلك صنع مؤلف مدامع العشاق ... واني لاعجب كيف تلاقيت مع ابن داود في ابواب كثيرة ، مع أني لم أر كتابه الا بعد ان نشرت كتابي ، ومما تلاقينا فيه «بكاء الديار » و «نوح الحمام و» طيف الخيال » و «الرضا بالقليل»، ومن أرق ما تلاقينا في الفصل الذى سميته «بكاء الملاح » وسماه «قليل الوفاء بعد الوفاه ، اجل من كثيره وقت الحياه » .

هذه المقدمه تفضى بنا الى نتيجتين أولاهما أن التشابه بينفكرين ليس معناه بالضرورة أن أحدهما اخذ عنالثانى مباشرةعلىالاقل . اما ثانيتهمافهى ان الدكتور زكي مبارك وان لم يكنقد اطلع حقا على كتاب الزهرة قبل تاليفه مدامع العشاق ، فالارجح أنه اطلع على كتب اخرى تاثرت بكتاب الزهرة . فلا يستبعد ان يكون التاثر بهذا الكتاب تاثرا غير مباشر .

ولزكي مبارك كتاب آخر بعنوان « العشاق

الثلاثة «نشره سنة ١٩٤٥ وهوعنالشعراء الثلاث: جميل بن معمر ، وكثير بن عبدالرحمن ، والعباس ابن الأحنف • وقد ذكر في مقدمة كتابه ان الذى يجمع بينهم هو التوحيد في الحب وانهم كانوا من أقطاب الغزل في شباب العصر الاسلامي • ويؤكد زكي مبارك في دراسته تلك ان الناس يعجبون من الخيال الذى تمتع بـه الشعراء العذريـون ، بينما هو فيالواقعخيال سخيف لا يرضى عنهانسان وفي رأسه عقل •

وقد ألف كثيرون عن شعراء الحب العذرى وغير العذرى في مقدمتهم العقاد الذى كتب عن أكثرمن شاعر مثل « جميل بثينة » و «عمر بن أبي ربيعة»•

الحب من جانب فلسفي !

ومن هذه الكتب كتاب «الحب المثالي عند العرب» للدكتور يوسف خليف (١٩٦١) • وفيه يرى أن قصص الحب العذرى وان انتشرت فـي العصر الاموى فان جذورها تمتد الى العصر الجاهلي ، فهذا الحب لم يخلق من عدم ، لانه كان موجودافي البادية العربية قبل ظهور الاسلام • فقد عـرف المجتمع الجاهلي فيباديتهومدنه طائفة من الشعراء يمثلون نفس الاتـجاه الـذى دارت فيـه قـصص العذريين الامويين وأطلقوا عليهم اسم المتيمين ، وربطوا بين كل متيم وصاحبته التي عرف بها ، تماما كما فعلوا مع العذريين في العصر الأموى ، ولعل أبعد هؤلاء الجاهليين صيتا عنتره وعبلة •

كذلك نشر الدكتور زكريا ابراهيم «مشكلة الحب » (١٩٦٣) • وفي هذا الكتاب يبدو ـ مـن مادته ومنهجه ـ أثر انعكاس المناخ الثقافي في النصف الثاني من القرن العشرين على المؤلف وكتابه • فهو كتاب ـ بعكس ما سبق من كتب عرضنا لها ـ متأثر كل التأثر بالثقافة الغربية المعاصرة • فالمؤلف لا يستكشف طريقه متأثرا بما ورد في التراث العربي شعره ونثره حول هذا الموضوع ، انما هو يستفيد بالتجربة الانسانية كما عبر عنها كبار رجال الفكر في الحضارة الغربية بوجه خاص خلال مختلف عصورها منذ افلاطون حتى جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار•وليست فيهسوى اشارات قليلة متباعدة الى ماجاء متعلقا بهذا الموضوع في التراث العربي • وان كان قد استدرك ذلك الى حد ما في الطبعة الثانية لهذا الكتاب •

ولعل أهمية كتاب «مشكلة الحب» تأتي من أنه ناقش هذه المشكلة ـ لأول مرة في تاريخنا الثقافي ـ من جانبها الفلسفي • والمؤلف يعلن عن منهجه في مقدمته حيث يناقش ما يسميه اللغات المختلفة في الحديث عن الحب وهـي اللغات : الشعريـة والاخلاقية والبيولوجية والاجتماعية والصوفية • ليصل الى بيان بعجز كل هذه اللغات عن تفسير ماهية الحب ، وليعلن في النهاية أن الفلسفة وحدهـا هي التي تـدرس الحب بوصـفه تجربـة متكاملة •

فاذا نظرنا بعد ذلك في أبواب الكتاب وجدناه مقسما الى أربعة أبواب ، كل باب منها مقسم الى ثلاثة فصول • أما الباب الاول فيتناول ما يطلق عليه المؤلف اسم اشباه الحب وهي حب الذات والشفقة والتعاطف•والباب الثاني يتناول اشكال الحب وهي الامومة والاخوة والعبادة • ويتناول الباب الثالث انماط الحب وهي العشق والمحبة والصداقة•ويتحدث الباب الرابع عن اطوار الحب: مولده فحياته وأخيرا موته •

بين الامتداد والاشتداد

كذلك هناك كتاب الدكتور صادق جلال العظم «في الحب والحب العذرى» (١٩٦٨) • وهو بحث يتميز بأصالته • ويصرح المؤلف في مقدمته ان الحب الذى يهمه في بحثه هو الشهوة والحاجـة والنزع والميل الى امتلاك المحبوب بصورة مـن الصور والاتحاد به بغية اشباع هـذا النهـم • لم يحاول ان يحدد خصائص هذا اللون من الوان الحب•ويتناول الكتاب بعد ذلك قضيتين : القضية الاولى ويطلق عليها المؤلف«مفارقة الحب»،وملخص فكرته أن عاطفة الحب تتميز ببعدين رئيسيين : الامتداد في الزمـان ، اى دوام الحالة العاطفيـة واستمرارها عبر فترة معينة من الزمن،والاشتداد، وهو يدل على مدى عنف الحالة العاطفية وحدتها في لحظة ما من الزمان ، وان هناك تضاربا بين الامتداد والاشتداد ، فكلما امتد الحب قلت شدته، وبالعكس كـلما كانت العلاقة الغراميـة سريعـة نسبيا وقصيرة في مدتها مالت الى الانفعال الشديد

في الحب • وتتجسد نزعة الامتداد في الحب في مؤسسة الزواج والاسرة التي يفترض فيها ان توفر الطمانينة والسكينة والاستقرار للفريقين المتحابين وان تشكل حجر الزاوية في بنيان المجتمع واستقراره واستمراره من عصر الى عصر • وفي ثبات تقاليده وانماط سلوكه من حقبة الى حقبة• وبالمقابل فان نزعة الاشتداد تتجسد في المغامرة الغرامية التي يفترض انها توفر للعاشقين جوا حافلا بالمغامرات والغزوات والمفاجات مما يزيد من عنف نشوة الحب وقوتها حتى يشعر العاشقان انهما قد خرجا عن نطاق الزمان • والنزعة الاولى اجتماعية والثانية شديدة الفردية مما يجعلها مرتبطة بالكتمان الشديد وفضول لا حد له من الآخرين ، الامر الذي يجعلها مرتبطة في لغة شريعةالامتداد بالخطيئة والحرام والحلال والفساد والانحلال والثواب والعقاب •• الخ ، والشخصية الدون جوانية هي التي تجسد بعد الاشتداد في الحب في مقابل الزوجين الوفيين الفاضلين •

أما القضية الثانية التي تناولها الدكتور صادق جلال العظم فهي قضية الحب العذري التي هيضد مؤسسة الزواج من ناحية لأن كلا من هؤلاء العشاق العذريين لم يكن عاجزا عن الحصول على حبيبته ان حلالا او حراما ، لكنهم كانوا يرفضون عن قصد هذا الحصول • فهم يتفقون مع الشخصية الدون جوانية في أنهم يرفضون رباط الزوجية ، لكنهم في الوقت نفسه يرفضون العلاقة الجسدية غير المشروعة ، ويؤمنون بالوحدانية في الحب وهو ما لا يؤمن به الدون جوان • وبذلك فهؤلاء العشاق العذريون استطاعوا ان يحتفظوا بشعلة الحب متقدة من ناحية وبديمومته من ناحية اخرى • وفي رايي انه اذا صح التعريف الفرويدي للحب بانه رغبة جنسية مؤجلة فان السبب في ديمومة الحب العذري واشتداده هو عدم اشباع الرغبة الجسديةلأن اشباعها دون زواج هو الذي يطفيء رغبة الدون جوان فلا يتيح لعلاقته الديمومة ، وهي التي تهديء العواطف في حالة الزواج بالرغم من ديمومة العلاقة فلا تستمر في عنفوانها الذي بدات به •

وشخصية الدونجوان

وبهذه المناسبة فاننا نحب ان نذكر كتاب «دون جوان» للدكتور لطفي عبد البديع (١٩٥٩) الذي عرض فيه لمبدع هذه الشخصية الراهب الاسباني ترسودي مولينا (١٥٨٤ ـ ١٦٤٨ م) في مسرحيته « ساخر اشبيلية وضيف التمثال الحجري » التي الفها في مستهل القرن السابع عشر • وبالرغم من ان المؤلف أراد بمسرحيته أن يوضح مصير العاصي ونتيجة تماديه في غيه ، وانه حين أراد أن يستغفر ويتوب تبين له ان وقت التوبة قد مضى ، ولا نجاة له من العقاب • الا انشخصية البطلوحاجته الحسية ورغباته العارضة قد طغت على هذا الهدف الاخلاقي •

ثم يتتبع الدكتور لطفي عبدالبديع شخصية الدون جوان عند مختلف شعوب اوربا التي تبنته عن طريق ادبائها مثل دون جوان موليير في مسرحيته التي الفها عام (١٦٦٥) ودون جوان بايرون في قصيدته التي كتبها ما بين عامي ١٨١٨، ١٨٢١ • ثم يتابع اخفاق شخصية الدون جوان في الادب الاوروبي •

وفي عام ١٩٦٦ نشر الدكتور عبدالحميد ابراهيم محمد كتابه « قصص الحب العربية » ، وهو جزء من رسالته للدكتوراه لم يجد للاسف ناشرا ينشرها بكاملها فنشر هذا الجز منها • وفي هذا الكتاب يحدد مؤلفه أهداف الحب العذري وتطوره فيرى أنبعضها وضعتفسيرا لبعض الأبيات الشعرية التي وردت على لسان هؤلاء العذريين فرأى الخيال الشعبي أن يؤلف لها قصصا ، كما أن بعض القصص لم يكن هدفها سوى التسلية التي يحتاج اليها كل مجتمع ، واحيانا ما تكون هذه القصص موضوعا للدعاية ، أو للدفاع عن فكرة يؤمن بها واضعوها كالصراع بين السادة والعبيد في قصصه مثل قصة عنترة وعبلة ، وأحيانا يكون الهدف من وضعها أخلاقيا كالحث على العفة والاثابة على الوفاء والمكافاة على الصبر •

وكان الاقدمون يتعاطفون مع العاشق ويتحمسون لسماع أخباره ويعظمون تضحيته ، حتى الخلفاء والازواج كانوا يقدرون هذه العاطفة • اما في النصوص المتاخرة فقد تغيرت هذه النظرة عند كثير من الناس فاصبحوا ينظرون الى العشاق نظرة سخرية ، بل يعتبرونهم أشخاصا مرضى مكانهم دار المجانين •

كذلك تطورت قصص الحب من ناحية الشكل فبعد ان كانت متناثرة منفصلة على نحو ما وردت

في كتاب مثل كتاب الاغاني بحيث كانت اقرب الى مجموعة الاخبار ، استطاعت ان تتخلص من هذه النظرة التاريخية وتنتقل الى مجال الادب انتقالا واضحا ، على نحو ما حدث في قصة عنترة وعبلة حين انتقلت الى السير الشعبية المعروفة باسم سيرة عنترة .

ثم اوضح الدكتور عبدالحميد ابراهيم ان هذه القصص تطورت اكثر واكثر حين انتقلت الى الادبين الفارسي والتركي عندما اصبحت قصصا ذات طابع فلسفي وفكري وصوفي .

ولعل الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه « الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية » ط ٢ سنة ١٩٦٠ ـ وكانت طبعته الاولى بعنوان «ليلى والمجنون في الادبين العربي والفارسي » سنة ١٩٥٤) هو ابرز من تناول موضوع تطور قصص الحب العذري في الادب العربي الى قصص صوفي في الادب الفارسي حيث انتقلت معاني الحب الانساني وألفاظه الى الحب الالهي وركز في كتابه على تتبع قصة ليلى والمجنون في الادب العربي وتطورها عند كتاب الفرس وشعرائهم الذين الفوا في هذا الموضوع مثل نظامي وسعدي الشيرازي وعبدالرحمن الجامي وغيرهم .

الحب العذري والصوفي

ورغم ان الحب الصوفي ليس موضوع حديثنا الان الا أننا ما دمنا بصدد الحديث عن علاقة الحب العذري بالحب الصوفي فاننا نحب أن نشير الى كتاب الدكتورة وداد السكاكيني الذي نشرته سنة ١٩٥٥ عن رابعة العدوية بعنوان « العاشقة المتصوفة » وكتاب «شهيدة العشق الالهي» للدكتورة عبدالرحمن بدوي الذي نشرت طبعته الثانية سنة ١٩٦٢ ويدور حول هذه المتصوفة العربية نفسها، كما لا ننسى الكتيب القيم للدكتور محمد مصطفى حلمي الذي نشره سنة ١٩٦٢ بعنوان « الحب الالهي في التصوف الاسلامي » . وكتابه « ابن الفارض سلطان العاشقين » (١٩٦٣) .

ونحب أن نختم حديثنا باخر كتاب ربما ظهر في موضوعنا وهو كتاب الدكتور الطاهر أحمد مكي بعنوان « دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة » (١٩٧٥) وقد سبق ان نشر اكثر من كتاب عن ابن حزم في مكتبتنا العربية لكنه يتناول ابن حزم من جوانبه المختلفة مثل كتاب الدكتور زكريا ابراهيم بعنوان « ابن حزم الاندلسي المفكر الظاهري الموسوعي » (١٩٦٦). ويتناول هذا المفكر العربي كرجل منطقي وجدلي ومتكلم وفقيه ومؤرخ وعالم نفس . اما كتاب الدكتور مكي فهو يخصصه لابن حزم (٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ/ ٩٩٤ ـ ١٠٦٤ م) وكتابه « طوق الحمامة » الذي خصصه لدراسة موضوع الحب وتتبع مراحله منذ مولده حتى اشتداده ففتوره وانطفائه أو انتهائه مستمدا ذلك من تجربته الشخصية أولا دون الاعتماد على أقوال السابقين شعرهم ونثرهم على نحو ما فعل سابقوه .

وهذا الكتاب ثمرة لقاء خصب بين الفكرين العربي والاسباني ، ففترة الوجود العربي في اسبانيا يتنازعها اليوم طرفان : دارسو التاريخ والادب العربي من جهة ، ودارسو التاريخ والادب الاسباني من جهة أخرى . وكل منهما على حق في دعواه . فدراسة الادب العربي في اسبانيا تظل دراسة ناقصة ما لم يتزود الدارس العربي بالثقافة الاسبانية ، والامر نفسه بالذات بالنسبة للدارس الاسباني فان دراسته لتلك الفترة من تاريخ بلاده تظل ناقصة ما لم يتزود بالثقافة العربية . فالتمكن من الثقافتين هو وحده الذي يكشف لنا عما لا يمكن الكشف عنه لو كان الدارس أحادي المعرفة : لا يعرف الا التاريخ العربي والادب العربي أو لا يعرف الا التاريخ الاسباني والادب الاسباني . ذلك لان نتاج تلك الفترة وفي ذلك المكان كان وليد تلاقي حضارتين على مختلف الجهات ابتداء من عنف الصدام العربي الى رقة التجاوب العاطفي . وبذلك فان هذا اللقاء الخصب لم يتم على المستوى العقلي او الثقافي فقط بل تم على أساس اختلاط العناصر الوراثية وامتزاج دماء ابناء الحضارتين ، فكنا نرى الحاكم العربي ينتهي نسبه الى أبيه الى الرسول بينما ينتهي نسبه الى امه الى أصول اسبانية . فلا عجب ان يتنازع

كل من العرب والاسبان مفكرا عظيما مثل ابن حزم ، فليس هذا دلالة على خطأ هؤلاء أو اولئك، بل ان هذا دلالة على عظمة الرجل حتى ان كلا منهما يحاول ان ينسبه الى نفسه ويجهد من اجل اقامة الدليل على ذلك •

لهذا فان الدكتور الطاهر مكي استطاع بثقافته العربية الاسبانية ان يضيف جديدا الى كل من الادبين العربي والاسباني في كتابه القيم عن ابن حزم الذى جمع بين الدراسات المؤلفة والدراسات المترجمة عن الاسبانية •

ابن حزم : أسباني ؟

وكنت قد قمت منذ اكثر من عشر سنوات بدراسة عن كتاب « طوق الحمامة » الذى قدم فيه ابن حزم امتع وادق وارق دراسة عن الحب في ادبنا العربي ، وقد لاحظت عندئذ ـ وكما سبق أن قلت ـ انه نأى عن عملية التجميع التى اهتم بها غيره ولهذا جاء كتابه أصغر حجما واكثر تركيزا مما الف من كتب اخرى في هذا الموضوع • لكنني لم أحاول أن أعلل سبب هذا الاختلاف او التفرد الذى تميز به كتاب « طوق الحمامة » • فلما قرأت كتاب الدكتور الطاهر احمد مكي تكشفت لى مجموعة محاولات لتعليل هذا التميز من جانب المفكرين الاسبان • من هذه المحاولات رد ابن حزم الى أصول غير عربية • فابن حزم في رأى هؤلاء المفكرين الاسبان : اسباني تعرب ثقافة ، وليس ـ كما نرى نحن ـ عربيا عاش في اسبانيا • ولهذا فان ما في كتابه من أصالة مرده الى العقلية الاوروبية التى ترجع اليها اصول ابن حزم والتى تختلف عن العقلية العربية التجميعية •

واذا كنا نتجاوز عن مثل هذه الدعوى لان معناها ـ كما قلنا ـ عظمة ابن حزم وحيث يحاول المفكرون الاسبان نسبته اليهم متناسين ان في الفكر العربي مؤلفات عديدة ذات أصالة لا تعتمد على التجميع في مقدمتها مقدمة ابن خلدون ، مؤلفات الغزالي وعلى رأسها سيرته الذاتية « المنقذ من الضلال » ، كتاب « الاعتبار » لاسامة ابن منقذ أحد فرسان صلاح الدين الايوبي والذى دون فيه ايضا سيرته الذاتية ، رسالة الغفران لابي العلاء المعري .. المقامات ••• الى اخر ما لا يمكن حصره ، اقول انه اذا كان من الممكن ان نتجاوز عن هذه الدعوى فان البعض الاخر وصلت به المغالاة حين اعتبر فكرة الحب العذرى التى عبر عنها ابن حزم اعظم تعبير من خلال تجربة مر بها انها فكرة مسيحية ، مما يدل على جهل صاحب هذا الرأى بتاريخ الحب العذرى في الادب • وقد ردد هذا الرأى المفكر الاسباني اميليو غرسيه جومث والمستشرق الهولندى رينهارت دوزى وقد تصدى لهما مستشرق اسباني آخر من رجال الدين المسيحي هو ميجيل اسين بلاثيوس في دراسته عن ابن حزم ، فقد فند هذا الرأى ووضع كل شيء في مكانه الصحيح •

بل ان الدكتور مكي يذهب الى الطرف الاخر معلنا ان الاسبان هم الذين استفادوا من ابن حزم وليس العكس ، فعندما نقرأ كتاب « الحب المحمود » لكاهن بلدة هيتا الاسباني ، نحس ان الرجل قرأ ابن حزم ، وأفاد منه ، وسار على خطوه ، برغم انه جاء بعده الى الحياة ،بفترة من الزمن تبلغ حوالي ثلاثة قرون •

فالكتاب مزيج من التاليف والترجمة ، نسمع فيه صوت المؤلف حينا وصوت المستشرقين الاسبان حينا آخر • وبذلك فاننا نسمع اكثر من صوت : الرأى والرد على الرأى •

ان موضوع الحب شغل الانسانية وسيظل يشغلها طالما كان هناك رجل وامرأة•ولئن شاركت العلوم الحديثة في تناوله وعلى رأسها علوم النفس والاجتماع ، فسيظل حديث الادباء والشعراء يتناولون جانبه الحسي والوجداني في قصصهم واشعارهم ونثرهم الفني الرقيق رقة هذه العاطفة أحيانا والعنيف عنفها احيانا اخرى • ■■

يوسف الشاروني

مــرور عــام
على
وفــاة الشــاعر:

محمود حســن

للدكتور حسان حتحوت

■ انطلَقَ الطائرُ من قفصِ الدُّنيــا واختــارَ الحريَّــه
قد ضاقَ به العمرُ المحدودُ فآثــر عُمْرَ الأبَدِيَّــه
أثقلَــه جسمٌ مكدودٌ فنَضَــا الأغـلالَ الطِّينيَّــه
وانفَكَّ مِــن الأَسْــرِ الأرضيِّ إلى الآفــاقِ العُلْوِيَّه

* * *

« محمودُ » .. أحقًا لا لُقْيَا إلا نَجْوانا الرُّوحِيَّــه ؟
« محمودُ » فكيْفَ وجدْتَ الموتَ وراءَ الحُجُبِ الغَيْبِيَّه
كم حارَ بسِرِّ الموتِ النَّاسُ وحاطُوهُ بالسِّرِّيَّــه
غلَّفَــهُ قومٌ بالأحداسِ وبالشَّطحاتِ الصُّوفيَّــه
وتوَهَّمَ قومٌ أن يجلُــوهُ بالأبحاثِ العلميَّــه
والملحــد يُبْصِرُهُ صِفرًا في نظرَتِهِ الإلحادِيَّــه
والموتُ هو العنوانُ الحقُّ وَراءَ الدُّنيَــا الوَهميَّــه
خَتْمُ التَّطْــوافِ وشَطُّ البَحرِ ومَرْسَى الفُلْكِ المَجْرِيَه
وقرارُ الرُّوحِ وقــد ملَّتْ غربة رحلتهــا الأرْضيَّــه
عَوْدُ المشتاقِ وبُرْءُ الدّاءِ وأَوْبَةُ نَفْسٍ مَرْضِيَّــه
الموتُ صديقُ المؤمنِ يا « محمــودُ » وأغْلَى أُمْنيَّــه
ووفــاءُ العهْدِ وصدقُ الوَعْدِ لِمَنْ قدَّمَ صدقَ النِّيَّه
فانعَمْ بجِوارِ اللهِ فكم آذاكَ جِوارُ البَشَرِيَّــه
وانفثْ أنغامَكَ في الجَنَّــاتِ قصيداتٍ نورانيَّــه



اسماعيـــل

واصدَحْ بالشِّعْرِ كما تَهوَى لا تكتُمْ للحقِّ قضيـــة
وانشُرْ ما كنتَ ترى الحكمة في أمسِكَ أن تُحكِمَ طيَّة
واجعلْ أشعارَكَ بعد حياتِكَ هدْياً يَبقَى ووَصيـــه
باليتَهُمُو سمعوا في «نكسةِ يونيو» تلكَ المرثيـــــه
و «جنازةُ خَوف» نشرُ الخوفِ على الآفاقِ المصريـــه
في ليلٍ داجٍ لفَّ الأمةَ في ظُلُماتِ الأميـــــه
ونُدِّتْ أشعارَكَ واتسعتْ لِسواكَ الصُّحُفُ اليوميـــه
شاعرُهم أودَى فيما أَوْدَى بالأوزانِ الشِّعريَّه
وخطيبُهم المِصقَعُ قطَّعَ أوصالَ اللُّغَةِ العربيـــه
وضجيجُ الزَّيفِ وصَمتُ الحقِّ ســـوَى دقَّاتٍ قلبيـــه
وضيـــاعُ القِيمَ فلاَ الأقدارُ ولاَ الحُرُماتُ بِمَرْعيـــه
ويلُ الإنسانِ من الأُنسانِ إذا طرَحَ الإنسانيـــه
لا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ لمَهْدِ المدَنيـــه !

★ ★ ★

اصدَحْ .. وسنصدَحُ أحراراً لا نُعْطَى في الوطَنِ دَنيَّه
فوراءَ الليلِ الفجرُ الصادقُ يَجلُو ظُلَمَ الهَمَجيَّه
وبلادُكَ عرفَتْ مَسْراها وسَطاً لا يعرِفُ تَبَعيـــه
ما عادت مِصرُ شرقية .. أو عادت مِصرُ غربيَّه ■■

حسان حتحـوت

أحلام النوم واليقظة

بقلم : عبدالوهاب احمد الافندي

حكى احد الاصدقاء ، قال :

« كنت اتناول طعام العشاء في ناديّ ، وقد جلست غير بعيد مني على مائدة اخرى فتاة اجنبية بارعة الحسن، استلفتتْ نظري منذ دخولي · وبينما كنت اخالس نظرات الاعجاب الى تلك الحسناء اذا بها تنهض فجأة وتتجه نحوي وقد مدت ذراعيها وهي تنادي بعبارات ملؤها العطف والحنان·وصعقت اول الامر فلم ادر ماذا افعل · وتلفت حولي باحثا عن شخص آخر يكون هو المقصود ، فلم يكن في الناحية غيري · واخذت الفتاة تقترب شيئا فشيئا ، وهي تتوقف كل هنيهة لتكرر الصفير والنداء ، وانا لا اصدق اذني · ولكن عندما اقتربت صاحبتنا حتى حاذت المائدة ، وتبينت اني لست في حلم ، اضطررت الى التصديق ، فنهضت لاستقبالها والدنيا لا تسعني من السعادة · واقتربت الفتاة اكثر ، واخذت اصلح من هندامي واسوي ربطة عنقي · ثم مددت يدي لمصافحتها· ولشد ما كانت دهشتي حين تجاهلت تحيتي ، وبدلا من ان تتناول يدي المدودة نحوها ، انحنت تحت مائدتي وتناولت قطة صغيرة كانت تختبيء هناك ثم عادت ادراجها بدون ان تنبس ببنت شفة » ·

علق صديقي قائلا : « ومن يومها وابغض خلق الله عندي القطط · » !

●

اننا لا نحلم في النوم فقط · ولكن كثيرا من الناس يجهلون كم من الحلم وكم من الحقيقة نعيش في حياتنا اليومية ـ الا ان عددا اكبر سيدهش اذا علم ان نسبة الاول اكبر من الثانية في تجربتنا · واذا كانت هذه العادلة التي رويت، والتي تحدث لنا الاف المرات · لا تكفي مثالا ، فهناك امثلة اخرى ·

خذ مثلا حادثة قد تصادفك عشرات المرات كل يوم · عندما ترى من بعيد شخصا صديقا عزيزا مقبلا ، او تسمع صوته في الهاتف · لا شك ان كثيرا من الاحاسيس والانفعالات والصور والاخيلة المرتبطة بهذه المناسبة تتداعى الى ذهنك ، وتجعلك تعيش حالة نفسية خاصة · ولكن هب ان القادم العزيز لم يكن هو صديقك الذي انتظرته طويلا ، ولكنه شخص يشبهه · كان آخر من تريد رؤيته ، او ان الصوت العذب الذي سال على اذنك من المسرة لم يكن هو صوت حبيبة قلبك ، وانما صوت موظفة الضرائب ، والتي ارادت ان تنبهك الى وجوب تسديد حسابك في موعده ـ لا شك انك



« أحلام اليقظة استجابة منطقية لمؤثر خارجي، أما أحلام النوم فهي استجابة غير منطقية في الأغلب ».

ستصاب بخيبة امل ، وتشعر كمن استيقظ من حلم وستتاكد ان الحالة النفسية التي كنت تعيشها قبل دقائق لم تكن الا من صنع خيالك .

لناخذ مثلا آخر .

ان أي انسان ــ او لنقل ان معظم الناس ، من اجل الدقة ــ تكون لديه رؤيا ، مهما كانت درجتها من الوضوح، عن مستقبله. هذه الرؤيا تكون مبنية على الحقائق المعاشة في حياته اليومية.وسيصاب بالاندهاش اذا استيقظ من الغد ورأى ان الامور تسير على غير ما كان في خياله .

فطالب الطب يتخيل،بقدر لا باس به من الوضوح، حياته المستقبلية كطبيب،ليس حياته العملية فقط، وانما حياته العائلية،ووضعه الاجتماعي والاقتصادي ومكان عمله وسكنه ... الخ ولا يخالجه ادنى شك في أن الحقيقة لن تكون شيئا غير ذلك .

ولكننا نعلم في نفس الوقت ان هذه الصورة التي رسمها ، وان كان احتمال تحققها كبيرا ، الا انها محض خيال واحلام ــ الا اننا نعلم في نفس الوقت ان معظم البشر الذين نعرف ، يحلمون احلاما مماثلة ويصدقونها بنفس الدرجة ولا يستيقظون منها الا اذا اصيبوا بصدمة عنيفة ، تكون في حالة طالب الطب المذكور ان يفصل من الكلية مثلا .

القراءة باللاوعي

واذا دققنا اكثر واكثر في تجاربنا اليومية ووضعناها تحت مجهر التحليل الدقيق ، فاننا ستقتنع اكثر واكثر بان نصيب العقل الباطني منها اكبر بكثير من العقل الواعي .

فالقراءة التي يعتقد الجميع انها قمة ممارسات العقل الواعي ، تتم بقدر كبير جدا من اللاوعي ، فاي قارئ متمرس ــ واستثني من الاقتدار المبتدئين من الاطفال وطلاب اللغات الاجنبية ــ لا يقرأ الكلمات حرفا حرفا ، بل ولا كلمة كلمة ، بل يقرأ الجمل مكتفيا من السطور باشكال الكلمات العامة، ويساعده العقل الباطني بالاكمال المنطقي للسياق من تقديره لما يجب ان يكون عليه المعنى . ونتيجة لهذا فان عمال المطابع يتمتعون بحصانة لا باس بها ، اذ انه من الصعب جدا على القراء الممتازين ملاحظة الاخطاء المطبعية ، وبالذات في الكلمات الطويلة والمعقدة . بل ان اضافة بعض الكلمات من السياق او حذفها لا تلفت انتباه امثال هؤلاء القراء . ومن ناحية اخرى فان كثيرا من كبار العلماء يجدون مصاعب جمة في الهجاء ، خاصة في اللغات الفرنسية والروسية ، حتى وان كانت اللغة الام وكانوا يحسنون قراءتها ، وذلك لان الهجاء يتطلب وعيا اكثر من القراءة ، وان كنت وانا اكتب الان اشعر باني لا انتبه الا جزئيا للعملية التي اقوم بها .

يمكنني ان اسوق امثلة لاحقة لها ، توضح ان عملية الادراك في حياتنا اليومية هي في مجملها عملية يقوم بها العقل الباطني نيابة عنا ، وذلك استنادا على ذخيرته من التجارب السابقة . ولا



يحتاج العقل اللاواعي الا لاشارة بسيطة لكي يقوم بمهمته • يكفي مثلا ان تسمع فقط انك كسبت مليونا من الجنيهات لكي تتخيل كل ما يترتب على ذلك من تفاصيل حياتك كمليونير ، يكفي سماع صوت صديقك لتتخيل شكله كاملا وتتصور كل ما ستفعلانه معا ذلك المساء ، ويكفي ان تسمع دبيب اقدام في ظلام غرفة نومك ، لتتخيل وصول كل الاشباح المخيفة ، او عصابة من اللصوص ، او قدوم زوجتك ، حسب مزاجك في تلك الليلة وطبيعة تفكيرك •

هل الحياة اذن كلها حلم في حلم ؟

تصعب الاجابة على هذا السؤال بكلمة واحدة • وذلك لانه يحتمل معاني كثيرة •

الصوفية مثلا يرون ان حياتنا اليومية حلم ، وان اليقظة الحقيقية لا تكون الا في حالات الحضرة والكشف الرباني •

وقد جاء في الاثر : « ان المرء اذا مات ، شعر بشعور المستيقظ من حلم » •

وهناك رأي لدى بعض الفلاسفة ملخصه انه من المحتمل جدا أن يكون ما نسميه اليوم حياة اليقظة ليس الا حلما ، وان كل الموجودات لا وجود لها الا في اخيلتنا ، وانه من الجائز جدا ان يكون عالم النوم هو عالم الحقيقة •

فاما عن الرأيين الاولين ، فلا نية لي للخوض فيهما في هذا المجال ، وذلك لانهما يعتمدان على مسلمات تحتاج الى اسفار لمجرد توضيحهما ، بله اثبات صحتهما او عدمهما ، وهو امر لا ادعي فيه علما ، على الاقل استنادا للمعطيات التي امامي ، وأمام البشر العاديين الذين يعتمدون في معلوماتهم على عالم الشهادة •

وجهان لعملة واحدة

واما الرأي الثالثفهو يقودني،الى لب موضوعي اليوم ، والمتعلق بتحديد العلاقة بين الاحلام في النوم واليقظة •

وفي هذا المجال اريد ان اقول ان هذه العلاقة علاقة مطابقة ، وأن العمليتين وجهان لعملة واحدة. واذا كان بينهما خلاف فهو ليس خلاف نوع •

فكما ان احلام اليقظة تتم بعد استلام العقل الباطن لاشارة من الحواس ، فيخرج لها اللاوعي ما يناسبها من الصور ، كذلك فان العقل الباطني يستلم في النوم اشارة من الحواس تستخرج منه الصور والاخيلة التي تظنها في غياب العقل الواعي تجارب حقيقية،ثم تكتشف غير ذلك اذا عاد الوعي•

ولعل عملية الاحتلام اوضح دليل على طبيعة العملية اللاواعية التي يمارسها العقل الباطن • فالاحتلام كما نعلم عملية عضوية ، يتحكم فيها الجسم فيزيولوجيا ، وتأتي نتيجة كون الجسم في وضع معين ، وكون العمليات الفيزيولوجية التي تتم داخل الاعضاء التناسلية قد وصلت طورا معينا •

ولكننا كثيرا ما نرى الاحتلام مصحوبا باحلام معينة عن ممارسات جنسية او مشاعر مرتبطة بها• ومن الواضح ان الاحتلام هو سبب هذه الاحلام ، وليس العكس • فالجسم يكون قد تهيأ فيزيولوجيا للاحتلام ، وبدأت العملية فعلا ، ثم يأتي الحلم بعد ذلك •

فمعظم الاحلام ، على عكس ما يعتقد ، لا تدوم الا ثواني معدودة • فالشخص الذي يضرب يده بالسرير اثناء نومه يستيقظ فزعا ، وقد رأى في نومه انه كان يخوض معركة ضارية مع اعداء يخافهم ، قد رأى تلك الرؤيا في الفترة بين ضرب يده بالسرير وبين استيقاظه •

والارتباط بين طبيعة الاحلام ، وبين الحالة النفسية والجسدية للشخص النائم ارتباط ثابت ومعلوم بالتجربة • ولعل اي انسان عادي يعلم ان الكابوس لا يأتي الا للاشخاص الذين يكونون اصلا في حالة نفسية او جسدية غير مريحة •

وقد اجريت بعض التجارب في المانيا الغربية كشفت عن رباط وثيق بين الاضاءة في غرفة النوم وبين الاحلام ـ فقد رأى اشخاص اختيروا من مختلف فئات الاعمار والطبقات الاجتماعية ، احلاما مزعجة عندما تركوا ليناموا في الضوء الاحمر ، بينما كانت احلامهم سعيدة حين ترك ضوء القمر لينفذ الى المكان الذي ينامون فيه •

اذن ، فاذا كانت الاحلام كما سعينا لنوضح هي مجرد استجابة لمؤثرات بيئية ونفسية في الانسان النائم ، واذا كانت هذه الاستجابة كثيرا ما تكون خاطئة كما عهد بالتجربة (كثيرا ما نحلم باشياء لا يمكن ان يصدقها العقل ، وحوادث خرافية) ،

فاين اذن يمكن ان تدخل في هذا الاطار الاهمية القصوى التي تعلقها الاديان السماوية على الاحلام كعنصر أساسي من عناصر الاتصال مع العالم العلوي (وغير العلوي احيانا ، ممثلا في الشياطين ، كما جاء في بعض الاحاديث •)؟

قبل ان نشرع في الاجابة على هذا السؤال ، يحسن بنا ان نوضح اكثر العلاقة بين احلام النوم واليقظة •

تناسق أحلام اليقظة

قد سبق واوضحنا ان التشابه بين العمليتين وارد في كون كليهما استجابة لا واعية لمؤثر خارجي قد يكون لحظيا ، مثل سماع صوت صديق، أو نتيجة يانصيب ، أو ضرب يدك بالسرير وأنت نائم •

ومع انه من غير المستحيل منطقيا ان يكون عالم الحلم هو عالم الحقيقة ، وان ما نعتقده عالم الحقيقة ليس في الواقع الا وهما ، الا اننا نميل الى تصديق العكس ؛ ذلك ان احلام اليقظة، عموما متلائمة مع بعضها ، في حين ان احلام النوم ينقصها التجانس ، وتمتليء بالتناقضات •

ولو ان شخصا لم يكن يملك اطفالا ، ثم حلم ذات ليلة انه رزق بطفل ، ثم حلم في اليوم الثاني بان طفله قد بلغ يوما من العمر ، ثم ظل يحلم احلاما متتابعة ، ومبنية على بعضها كل يوم،وهكذا حتى يبلغ طفله الذي رزق في النوم سن الرشد، فان هذا الشخص يكون من الصعب عليه ان يصدق اي حالتيه الحلم وايهما اليقظة •

ولكن حمدا لله فاننا لا نواجه مثل هذه المعضلة في حياتنا اليومية ، لذلك نفرق بين احلام النوم وأحلام اليقظة – بالملاءمة والتجانس في الاخيرة واحتمال التحقق الكبير لها،وعدم ذلك في الاولى•

فاننا حين نحلم بعد يوم شاق من العمل المضني، بوجبة شهية وسرير دافيء مريح ، وزوجة حنون تستقبلك بابتسامة ، نتوقع ان نجد كل هذا في المنزل حينما نصل ، وكثيرا ما نجده •

اذن فما المانع ان يتحقق نفس الحلم اذا رأيناه في المنام ، وقد سلمنا مسبقا بان مبعث الحلمين واحد ، وأن طبيعتهما واحدة ؟

لا بد هنا من توضيح فرق آخر بين العمليتين •

فالحلم في اليقظة استجابة منطقية للمؤثر ، في حين ان غياب المنطق والعقل الواعي في النوم ، يجعل من المتعذر على هذه الاستجابة ان تكون منطقية •

فاذا كان العقل اللاواعي يستجيب للمؤثرات في اليقظة باختيار الصور والاخيلة الاكثر ملاءمة للواقع ، الا انه في النوم لا يجد ان عليه الوفاء بمثل هذا الالتزام ، وانما يختار اقرب الصور المعبرة عن الحالة النفسية او الفيزيولوجية للنائم ، وهذه الصور غالبا ما تكون هي الصور المسيطرة على تفكير الشخص في صحوه •

الذي تسيطر عليه فكرة السفر الى القطب الشمالي ، سيحلم بانه قد وصل الى هناك بمجرد ان يصاب بتيار هواء بارد اذا نسي النافذة مفتوحة في الشتاء •

الى اي حد اذن يمكننا بناء استنتاجات منطقية حول المستقبل على عمليات غير منطقية كهذه •

واضح انه من غير الممكن بافتراض المعطيات غير الروحية ان نصل الى استنتاج كهذا •

وحتى بافتراض المعطيات الروحية يصعب علينا ان نعطي للاحلام اي دلالة اكثر من دلالتها الفيزيولوجية والنفسية ، ذلك انه قد جاء في الاثر ان كثيرا من الاحلام تكون من الشيطان ، وان هذه لا دلالة لها •

وحتى الاحلام التي يكون لها دلالة ، فان هذه الدلالة يصعب تحديدها حتى للانبياء • فقد جاء في الحديث ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد راى في النوم ، قبل ان يؤمر بالهجرة الى المدينة ، انه في بلدة ذات نخل وماء ، قال « فوقع في نفسي انها تهامة » ، وقد كان هذا استنتاجا غير صحيح ، اذ انه امر بعدها بالهجرة الى المدينة •

الماضي يشكل المستقبل

ولكن هذه الحادثة لا تنقص من موقع الرؤيا كاسلوب اساسي من اساليب تلقي الوحي • ولعل اشهر الرؤى في هذا المجال ، رؤى يوسف عليه السلام ، ورؤى عزيز مصر ، والثابتة في القرآن ، وثابت انها تحققت فاين موضع هذه من التفسير الذي قدمنا لطبيعة الحلم ؟

ان مبلغ علمنا عن علاقة الله بالكون وتاثيره عليه ، هو ان هذا التاثير يتمثل فى القوانين السببية • ولكن هذا لا يشكل أى عقبة منطقية فى سبيل افتراض ان لله وسائل اخرى للتاثير على الكون ، لا ترتبط بالقوانين السببية ، مثل ما اعتدنا أن نسميه بالمعجزات •

ولهذا فلا يمتنع منطقيا أن يكون هناك صنف مختار من البشر جعل الله لاحلامهم دلالة اكثر من احلام غيرهم • الا ان هذا لا يثير شيئا من طبيعة القانون المبسط لظاهرة الاحلام ، والذى يلخص هذه الظاهرة فى كونها عملية طبيعية يمكن تفسيرها بالمعطيات الفيزيولوجية والسيكويولوجية التى لدينا • ذلك ان هذه الظواهر ان وجدت تكون استثناءات ، والاستثناء لا يعطل القاعدة •

ومن ناحية اخرى يمكننا ان نضيف الى معطياتنا استنتاجا آخر من التشابه بين الاحلام فى حال اليقظة والنوم • فكما اسلفنا أن أحلام اليقظة استجابة منطقية لمؤثر خارجي ، تستند الى تجاربنا السابقة ، كذلك فان احلام النوم استجابة غير منطقية فى الغالب — حسب معلوماتنا — تستند ايضا على التجارب السابقة • ايضا فان الاحداث المستقبلية ترتبط ارتباطا وثيقا بماضينا وحاضرنا ، حتى انه يجوز ان نقول ان الماضى يشكل المستقبل ، اذ لا يمكننا ان نتحدث عن شاب لم يمر بمرحلة الصبا والطفولة ، ولا عن طبيب لم يدرس الطب •

لهذا فان الارتباط بين المستقبل وبين احلام اليقظة سهل الفهم ، اذ كلاهما تطور منطقى عن الواقع المعاش •

ولكن احلام النوم والتى يبدو لنا من ظاهرها انه لا يوجد قانون منطقى يربطها بالواقع والماضى، وبالتالى بالمستقبل ، قد تكون مرتبطة بهذا الواقع بقانون لا نعرفه ، واذا عرفنا هذا القانون ،امكننا بسهولة ان نستنتج من الاحلام اشياء كثيرة تتعلق بالمستقبل ، فيصبح بامكاننا ان نقول : « ان الشخص الذى مواصفاته كذا وكذا ، وتجربته الماضية تتمثل فى كذا وكذا ، وحلم بكذا ، سيحدث له كذا ». تماما كما نقول : « ان ذلك الطالب المتفوق فى السنة النهائية بكلية الهندسة، والذى يحلم بشراء سيارة فارهة ، سيتمكن من شراء هذه السيارة بعد عامين » •

واذا كان هناك قانون من هذا النوع ، فلا شك ان سيدنا يوسف عليه السلام كان على علم تام به •

اما نحن ، وحتى نصل الى هذا القانون ،فيجب ان نكتفى بتفسير الكوابيس على انها دليل على اننا اكلنا اكثر مما يصلح بالامس ، او حملنا هموما اكثر مما يجب ، وتفسير الاحلام السعيدة بأن علينا ان نواصل السير فى الطريق الذى ننتهجه ، لانه يريحنا جسميا ونفسيا • ■■

عبد الوهاب أحمد الافندى
كلية الاداب — جامعة الخرطوم

الرئيس الشبح

■ قال احد الموظفين غير المتحمسين للعمل تحت امرة الرئيس :« العمل معه يشبه انسانا مكبلا ينظر الى شبح » •

أحد أبناء الريف •

المكان مغلق

■ قال اعلان ملصق فى مطعم للموظفين فى بيرمنجهام « مهرجان راقص يوم السبت لاعضاء الاتحاد والضيوف فقط » ، وقد اضاف احدهم على الاعلان عبارة «هذا المكان مغلق »

بيتربورو — الديلى تلجراف البريطانية



علماء المعاجم و... فن الشعر

بقلم : عبد الرزاق البصير

« التعمق في لغة القرآن يخصب الخيال ويزيد في الموهبة ، لان مفرداتهـا تستمد أجزاءهـا من ينبوع الحياة » •

■ ربما يتصور الكثيرون أن علماء اللغة أبعد ما يكونون عن الحس الفني الذى يتصف أصحابه برقة المشاعر ورهافة الاحاسيس ، مما يجعل فى عطائهم رقة وجمالا تستقبلهما النفوس كما تستقبل الأسماع أعذب الالحان وأشجى الانغام • ويعود سبب هذا التصور الى أن اللغة ـ وهى المادة التى ملأت نفوسهم عشقا بها ـ تشبه الرياضيات فى كثير من الوجوه • فهم يحدثونك عن اللفظة الثلاثية والرباعية والخماسية وعن المصدر الصناعى ومصدر الهيئة وعن اسم الفاعل وعن الاشتقاق وعن كيفية اختلاف معانيهـا حين تتعـدى ببعض الحروف • وكمثال على ذلك تأخذ لفظة « راع » فاذا كانت لازمة ونسبت الى السراب أصبح معناها اضطرب • واذا قلنا : راع منه صار معناهـا (خاف) ، واذا قلنا راعت الابل اليه صار معناها : رجعت اليه •

وراق الماء ريقا على وجه الارض : ترددَ وانصب ، وراق الشيء : لمع ، وراق بنفسه ريقا : جاد بها • فأنت ترى أن عمل العالم اللغوى يضطره الى ان يكون دقيقا فى دراسته وفيما يقوم بـه من تأليف • فعطاؤه لا يصلح الا للمتخصصين الذين يريدون أن تكون ألفاظهم محكمة متقنـة كأحسن ما يكون الاتقان • فدراسة المعاجم ثقيلة على معظم الناس ، فكيف يكون العمل فى تأليفها؟ ولكن الواقع يشهد أن كثيرا من علماء اللغـة يملكون حاسة فنية ونفوسا شاعرة تجعلهم ينطقون بأرق الشعر وأعذبه ، بل ان بعض أخبارهـم عذبة يرتاح اليها أصحـاب الأذواق السليمـة • فماذا تقول فى هذه القطعة التى جادت بها قريحة ابن دريد :

غرّاء لو جلت الخدود شعاعهـا
للشمس عند طلوعها لم تشرق

غصن على دعص تأود فوقه
قمر تألق تحت ليل مطبق

لو قيل للحسن احتكم لم يعدها
أو قيل خاطب غيرها لم ينطق

وكأننا من فرعها فى مغرب
وكأننا فى وجهها فى مشرق

تبدو فيهتف للعيون ضياؤها
الويل حل بمقلة لم تطبق

وقوله :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده
أتت بين ثوبى نرجس وشقائق

حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا
عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

سيرة عطرة

وصاحب هاتين القطعتين كنز من كنوز اللغة لا يجاريه احد فى عصره قوة فى الذاكرة وسعة فى الاطلاع حتى يقال بانه اصبح نظيرا للخليل ابن احمد اللغوى المشهور • الف كتاب الجمهرة والاشتقاق وهما كتابان يعتبران من اهم الكتب التى الفت فى اللغة والنحو •

ولو وقفت على اخباره وسيرته لوجدتها مملوءة بكل ما يبهج القلب ويسر النفس لا يخلو مجلسه من الات الطرب والمطربين والمغنين ، فهو يعطى العقل حقه والنفس حقها ، وحياته مزاج من العلم والنعيم ، وما الطف مثل هذه الحياة التى تتكون من هذين المزاجين ••

وحين نصل الى اللغوى المعروف بالجوهرى ، صاحب كتاب الصحاح ، الذى سار ذكره فى جميع الآفاق ، نجد فى سيرة هذا العالم احداثا تستوقف النظر فان جميع مترجميه يقولون عنه بانه كان اماما فى علم اللغة والادب وانه كان يؤثر السفر ويفضله على الاقامة فى البلاد •• كل ذلك فى طلب علم اللغة •

اتسع خياله حتى تصوّر له بانه قادر على أن يطير •• فصنع جناحين من خشب ، وربطهما بحبل وصعد سطح مسجد ، ونادى الناس قائلا : لقد صنعت ما لم اسبق اليه ، وساطير الساعة ، فازدحم اهل نيسابور ينظرون اليه ، فتابط الجناحين ، ونهض بهما ، فخانه اختراعه ، فسقط الى الارض •• فكان ذلك سبب وفاته •

ولسنا نعرف ما اذا كان هذا العالم اللغوى عرف بخبر عباس بن فرناس الذى توفى قبله بمئة وعشرين سنة ، فان ذلك غير مستبعد •

وعلى اى حال ، فان هذين العالمين كانا اول من توصل خيالهما الى علم الطيران ، وحاولا ان يحققا ما حلما به ، لكنهما لم يفلحا •• وذلك لا يغض من شانهما ، فان العلم قد حقق اكثر مما كانا يحلمان به •

من كلمات الجوهرى

وللجوهرى نفثات شعرية مختلفة ، نقتطف منها هذه القطعة الشعرية الجميلة :

يا ضائع العمر بالأماني
اما ترى رونق الزمان ؟

فقم بنا يا اخا الملاهى
نمضى الى نهر نشتقان (١)

لعلنا نجتنى سرورا
حيث جنى الجنتين دان

كأننا والقصور فيها
بحافتى كوثر الجنان

والطير فوق الغصون تحكى
بحسن أصواتها الأغانى

وارسل الورق عندليب
كالزير والبم والمثانى

وبركة حولها أناخت
عشر من الدلب والثنان

(١) ربما يكون هذا النهر فى بلاد خراسان •

فرحتك اليوم فاغتنمها
فكل وقت سواه فان

وهناك عالم لغوى آخر تفنن فى قول الشعر حتى أصبحت مقطوعاته تزيل الهموم عن القلوب الحزينة .. ذلك هو محمد بن مكرّم المعروف بابن منظور مؤلف كتاب « لسان العرب » الذى أصبح المرجع الوحيد لمن يريد ان يتوسع فى معرفة المفردات العربية طيلة ثلاثة قرون من الزمن.. حتى جاء الزبيدى مؤلف كتاب « تاج العروس »، فاستطاع أن يجعل الناس مستغنين عنه ، لانه الم به وبغيره من كتب اللغة .

ولسنا فى مجال المقارنة بين معاجم اللغة .. لان لذلك مجالا اخر ولكننا اردنا ان نؤكد بان كثيرا من علماء اللغة يملكون نفوسا متفتحة للجمال . يقول ابن منظور :

الناس قد أثموا فينا بظنهم
وصدقوا بالذى أدرى وتدرينا

ماذا يضرك فى تصديق قولهم
بأن نحقق ما فينا يظنونا

حملى وحملك ذنبا واحدا ثقة
بالعفو أجمل من اثم الورى فينا

ومن شعره قوله :

بالله ان جزت بوادى الأراك
وقبلت عيدانه الخضر فاك

ابعث الى المملوك من بعضه
فاننى والله مالى سواك

ويقول الحسن بن عبد الله المعروف بالبندنيجي:

ناحت مطوقة بباب الطاق
فجرت سوابق دمعى المهراق

فجعت بأفرخها فأسيل دمعها
ان الدموع تبوح بالمشاق

تعس الفراق وبتّ حبل وتينه
وسقاه من سم الأساود ساقى

ماذا أراد بقصده قمرية
لم تدر ما بغداد فى الآفاق

أنى سمعت بقصده فتبعتها
وعلى الحمامة جدت بالاطلاق

بى مثل مابك يا حمامة فاسألى
من فك أسرك أن يحل وثاقى

لغة شاعرة

وقد بلغ من رقة مشاعر هذا الاستاذ اللغوى انه رأى قمرية تنوح بباب الطاق ببغداد ، فامر بشرائها واطلاقها ، فامتنع صاحبها ان يبيعها باقل من خمسمائة درهم ،فاشتراها بذلك واطلقها.

ومن حق العلم علىّ أن أشير الى ان اثر هذا العالم اللغوى انتشر بفضل الاستاذين حمد الجاسر والدكتور خليل العطية ، لان اولهما اشار اليه فى احد بحوثه وتكفل الاخر فى تحقيقه وطبعه . وبذلك خرج هذا الاثر الى النور ويدعى كتاب « التقفية فى اللغة » . ويعد هذا الكتاب من اوائل المعاجم .

اما مؤلف هذا الكتاب فانه من الذين اصيبوا بفقد البصر منذ ولادته ، وقد حباه الله ذاكرة قوية .قال عن نفسه بانه كان يحفظ مائة وخمسين بيتا بغريبه في مجلس واحد ، وكان ابوه ميسورا، خلف له بساتين ومزارع وانفقها في طلب العلم، حتى اصبح اماما من ائمة اللغة .

وبالجملة ، فان من يقول بان لغتنا العربية لغة شاعرة مصيب كل الصواب ، فان اكثر من شغل بالعناية بها تحقيقا وترتيبا قد اغنوا ادبنا العربى بنفحات شعرية ارق من انفاس الربيع ، مما يؤكد على أن التعمق في لغة القرآن يخصب الخيال ويزيد في الموهبة لان مفرداتها تستمد اجزاءها من ينبوع الحياة ●●

الكويت ــ عبد الرزاق البصير

وحدها في قارب شراعي ..



« لقد اخترت طريق التحدي ، وهو بغير نهاية »

كلير فرانسيس

.. هــذه المـــرأة عبرت الاطلنطى

● هذه المراة ـ كلير فرانسيس ـ عاشت تجربة مثيرة جديرة بالتسجيل والاعجاب • فقد كانت اول انجليزية عبرت المحيط الاطلنطى ، وحيدة فى قارب شراعى ، وقطعت ٣٠٠٠ ميل •

ابحرت بقاربها من قارة الى قارة ، وشقت طريقها وسط امواج المحيط بشجاعة نادرة •

وهى هنا تروى قصتها ، التى سجلتها حين كانت تمتطى القارب فى اثناء سباق اليخوت الشراعية الذى اقيم فى عام ١٩٧٦ ، بين بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية •

انتى اعلم اننى ساعيش وحيدة لاربعة او خمسة اسابيع وسط المحيط ، اقاوم فيها الامواج العنيفة والعواصف الرهيبة وانا وحيدة ، وربما خدعتنى أحد الجبال الثلجية العائمة الغدارة ، فاموت موتة رهيبة بين المياه المتجمدة، اننى لا اتوقع الفوز فى السباق ولكن كل ما انشده هو تحقيق امنية لى فى أن اكون الفتاة الانكليزية الوحيدة التى اشتركت فيه •••

اغلب الناس يعبرون عن دهشتهم عندما يسمعون بما ساقدم عليه • لانهم يتوقعون ان اكون امراة ضخمة البنية ، مسترجلة ، من ذوات العضلات المفتولة ، لا فتاة لا يتجاوز طولها خمسة اقدام وعقدين ، لها عينان عسليتان واسعتان ، وشعر اشقر ، لا يزيد وزنها على ٤٨ كغم • الناس حتى فى عصرنا هذا ، عصر المساواة بين الرجل والمراة ، يتقبلون تسلق الرجال لقمة « افرست » مثلا وقطعهم الصحارى على الاقدام ، والابحار حول العالم • اما اذا قامت امراة بمثل هذه المغامرات فان عملها هذا فى رأيهم لابد ان يكون رد فعل لنكبة كبيرة قد اصابتها ، كفشل فى حب مثلا ، او تعويض لمشاعرها عن رغبة فى زواج لم تتم ، أو ان تكون قد فقدت صوابها كليا •••

أريد بيتاً

الحقيقة انى لست من المنادين بتحرير المراة كليا عن الرجل • بل انادى بالعكس ، فاننى امل ان استقر فى يوم من الايام ويكون لى بيت وزوج واطفال ••• اما فى الوقت الحاضر ، فاود الاعتماد الكلى على نفسى ، واعمل ما اشتهى ، وخاصة الابحار بعيدا لاننى قد اعتدت على قبول «التحدى» فى مياه « يوركشير » • وهناك كنت احيانا اتحدى الصبيان الصغار فى زورقى • وفى كل سنة كنا نقضى اجازتنا السنوية فى جزيرة « وايت » لنمارس الملاحة فى مياهها • وهناك انضممت الى احد النوادى الشراعية ، ومارست هوايتى على يخوت اكبر ••

وبجانب هوايتى هذه ، كانت لى هواية اخرى ، هى « رقص الباليه » ففى سن الثانية عشرة ، حصلت على مقعد فى مدرسة الباليه الملكية •

وبعد خمس سنوات فيها ، اى فى سن السابعة

عشرة ثبت لي بانني لا أمل لي بان اصبح «بالرينا» او « راقصة باليه » مرموقة في يوم من الايام ، فتركت الميدان •

وبعد أن انجزت دراستي الثانوية ودخلت الجامعة وحصلت على شهادة الليسانس في فرع ادارة الاعمال ، عينت في قسم المبيعات باحدى الشركات الكبيرة • وفي سن الثانية والعشرين وصلت الى مركز رئيسة دائرة الانتاج ، واصبح لي شقة جميلة في لندن ، ووضعت سيارة للشركة تحت تصرفي الخاص • وكانت لي حياتي المبشرة بالاستقرار والامال •

وبالرغم من كل هذا ، كنت اشعر في قرارة نفسي بان شيئا ما ينقصني •

وبالرغم من انني انسانة اجتماعية ، احب مجالسة الناس والاختلاط بهم فقد كنت كثيرا ما اتوق الى الانفراد بنفسي لاقرأ ما أشاء من الكتب واسمع ما أشاء من القِطع الموسيقية المحببة لي دون مقاطعة • اما اشتياقي الى رؤية العالم ، والى الانطلاق والمغامرة فقد كان يتملكني كليا ••

الوشاح الاحمر

ويوما بعد يوم كانت فكرة الابحار تختمر في نفسي وتتفاعل • حتى انضممت الى مدرسة لاخذ دروس مسائية في الملاحة • وبذلت قصارى جهدي للتعلم • وفي احد الايام قال لي زميل هناك مازحا « لماذا لا تبحرين منفردة » ؟ وقبل أن أجد الجواب قال آخر « مستحيل • لا قدرة لها على ذلك • وان هي حاولت ، فلن تكون الا مجنونة » • وكانت هذه الكلمات بمثابة « الوشاح الاحمر » الذي يستثيرون به الثور في حلبات المصارعة • فتأججت فيّ روح التحدي وعزمت على تحقيق هذه الفكرة•

وتخيلت نفسي وانا اقضي عدة اسابيع في عرض البحار وحيدة ، بعيدة عن الناس والضوضاء ، اواجه المخاطر ، واذا ما نجحت ووصلت الى امريكا فاي انتصار هذا سيكون ؟؟

عرضت الفكرة على أهلي واصدقائي • فنزلت عليهم نزول الصاعقة • ولكنني تحديت كل شيء ، واشتريت بكل ما املك ، وهو ما ورثته من جدي الاكبر ، سفينة قديمة وهي جميلة وطولها اثنان وثلاثون قدما ، مجهزة بكل متطلبات السياحة ، وتتسع لنوم أربعة أشخاص ، ولا ينقصها سوى بعض التعديلات البسيطة •••

وفي يوم مشرق من ايام ربيع سنة ١٩٧٣ رفعت اشرعتي من ميناء « بلايموث » في أول سفرة لي منفردة عبر الاطلنطي •

في اللحظات الاولى تملكني حزن عميق على فراق وطني وقومي ، ولكن ما ادرت ظهري الى الشاطيء ، وتطلعت نحو البحر الواسع ، وسقطت اشعة الشمس على وجهي ، واحاطني رذاذ الماء ، حتى انتعشت وتجددت روح الاقدام فيّ ، لان مغامرتي الاولى قد بدأت من تلك اللحظة •••

ولكن نشوة الفرح هذه لم تدم طويلا • لاني بعد بضع ساعات من اختفاء اليابسة ، لاحظت الغيوم السوداء تتجمع في الافق امامي ، وبدأت الرياح تشتد شيئا فشيئا ، وغابت الشمس ، وتحول البحر الى بساط اغبر مخيف • فعلمت بانني في المجابهة الاولى مع العاصفة ، وعليّ ان اغير اشرعتي الى حجم اصغر ، لانه كلما كانت الريح اقوى وجب ان تكون الاشرعة اصغر حجما •

وبينما كانت الامواج ترتفع الى ما لا يقل عن الخمسة عشر قدما ، وسفينتي تشق طريقها بصعوبة ــ زحفت على بطني الى سطح السفينة والريح تهاجمني ، والماء يرشق وجهي ، وباسنان تصطك خوفا واصابع جامدة ــ تمكنت من ازالة الاشرعة القديمة وتعليق الصغيرة مكانها ، ثم جمعت الاشرعة في حزمة كبيرة ، وعدت الى المقصورة ، وارتميت هناك متهالكة ، خائفة ، على حين كانت العواصف ترفع السفينة الى الاعلى، ثم تضربها الى الاسفل وكانها النهاية •••

مرارا كثيرة كنت اسأل نفسي « لماذا انا هنا لوحدي في وسط هذا المحيط » ؟؟

يعلمنا هذا البحر

ان الايام العشرة الاولى كانت اسوأ ايام الرحلة • لم يكن فيها سوى المطر والريح والعواصف • وخلالها وجدت صعوبة كبيرة ، حتى عودت نفسي على النوم المتقطع ، لانه كان لزاما عليّ أن استيقظ بين ساعة وأخرى ، لكي أدقق

فى خط سيرى ، واتطلع لعلى اجد سفينة اخرى فى المحيط ولكى اقوم باعمال الملاحة •

ولكن بعد اسبوعين من الرحلة بدات الاحوال تتحسن • فهدأ البحر قليلا ، وقلت الامطار ، وسطعت الشمس • وقد كانت احيانا حارة الى درجة جعلتنى استلقى واقنع باقل ثياب ممكنة على ظهر السيفنة • وفى احدى المرات سمعت صوت « انسان » ينادى • فظننت باننى بدات اتخيل اشياء • ولكن الصوت عاد ثانية « هلا ــ هل من احد فى هذه السفينة ؟ » واذا بها سفينة روسية وعلى ظهرها عشرون بحارا يحملقون فىّ وقد تملكتهم الحيرة ، وانا من شدة فرحى نسيت اننى ارتدى ثيابا لا ينبغى أن يراها الاخرون !

تدريجا بدات اعتاد على حياة البحر • وكانت معى مؤونة كبيرة من الطعام • حوالى الخمسة عشر رطلا من البطاطا ، مائة بيضة ، خمسة عشر رطلا من الدقيق لصنع الخبز ، كثير من الاغذية المعلبة كالخوخ والطماطة والجزر والفاصوليا ، وبعض علب المربى والعسل ، وعلب الجبن وعصير الفواكه وبعض الفواكه كالتفاح والعرموط (الكمثرى) والموز •

اما الموز فقد نضج كله مرة واحدة • ولذا التهمته كله كما تفعل القردة • وكان معى ايضا كيس كبير من المكسرات كالجوز واللوز • وكنت من النباتيين ، فلم اعبا بجلب اللحوم •

وكل ما جلبت من الملابس كان قديما كي استهلكه دون العناية به • كما احضرت كمية كبيرة من الملابس الداخلية الورقية التى كنت ارميها فى البحر بعد انتفاء الحاجة اليها •

وللحفاظ على بشرتى من التاثيرات الجوية ، جلبت علبة كبيرة جدا من كريم Cream نسائى كنت اضع منه كميات كبيرة على وجهى وجسمى دائما •

وهذا هو الروتين اليومى الذى اتبعته فى حياتى على ظهر السفينة : كنت استيقظ فى السادسة صباحا ، وبعد ان اتناول فطورى اقوم بتنظيف ارضية السفينة ، ثم اقلب المكسرات والفواكه لكى امنعها من التلف، ثم اصلح ما تلف من الاشرعة واقوم بمتطلبات الملاحة • وبعد الغداء آخذ فترة استراحة من النوم المتقطع حتى الساعة السادسة مساء • واتناول وجبة عشائى فى التاسعة ليلا ، وعند منتصف الليل اذهب الى فراشى •

بعد خمسة اسابيع ويومين من هذه الحياة ، بدا الافق امامى ازرق صافيا ، وطيور البحر تتزاحم فيما بينها ، تعلو وتهبط الى الماء • عندها علمت باننى قد اصبت الهدف • هذه هى امريكا • لم اصدق عينى ، اننى نجوت ، ووصلت ، وحققت حلمى •

اتجهت بسفينتى نحو رصيف الميناء ، عندها تقدم نحوى موظف سائلا :

ــ اتريدين البنزين ام المبيت ؟

قلت : الحقيقة انى احتاج المبيت ، ولكن علىّ ان اقوم بمعاملة دخولى ، والانتهاء من اجراءات الجمرك اولا •

قال : من اين انت قادمة ؟

قلت : من انجلترا •

قال فى دهشة : « حقا ؟ •• من انت ؟ »

قلت : كلير فرانسيس ولقد انباتكم عن قدومى تلغرافيا

عندئذ تحجرت عيناه فى رأسه ، وتطلع الىّ طويلا ثم قال :

ــ « لم يخطر ببالنا ان تكونى امراة • لان كلير هذا للرجال فى امريكا ونكتبه Clare وليس Claire .

اما انا فقد كانت فرحتى عظيمة لرؤية الناس ، والتحدث اليهم ، بعد ان حرمت من ذلك وقتا غير قصير •••

ولكن لم تمض سوى اسابيع على استقرارى حتى بدات اسال نفسى « وماذا بعد الان ؟ » ان العودة الى الوظيفة شىء مستحيل •

وقد وجدت الاجابة ، بل المتعة الحقيقية ، فى الاستعداد لهذا السباق ، والاشتراك فيه • وسواء علىّ فزت او لم افز ، فيكفينى اننى اول فتاة انجليزية تقبل هذا التحدى وتفوز فيه •

ولكن ، هل ساقنع بهذه الرحلة الثانية ؟ •• اغلب الظن ان ذلك لن يتم • لاننى اخذت طريق التحدى ، وهو بغير نهاية •

اليست الحياة كلها تحديا كبيرا ؟ ■■

ترجمة : صبيحة العسكرى
بغداد

الأرض كروية قدمية

بريشة بهجت



بدون تعليق



مرمى من العصر الحجرى



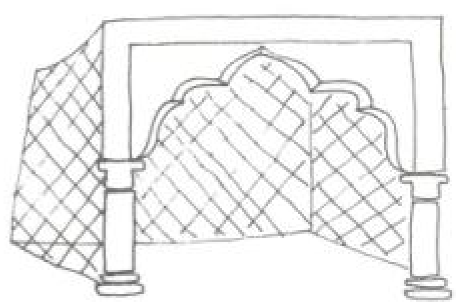
مرمى اغريقى



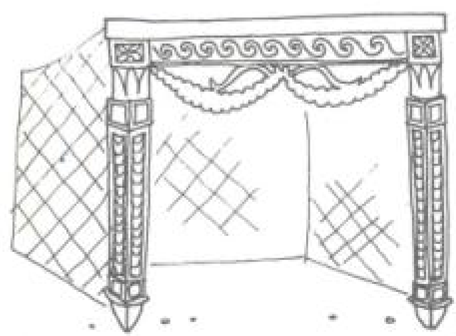
بدون تعليق



بدون تعليق



مرمى أندلسى



مرمى لويس السادس عشر



الأم.. وحكايتها مع الزمن

(الام قلب الاسرة ٠٠ ومظلتها وحارس بنائها وسعادتها ٠٠ الام هى الاسرة كلها)

« ايمرسون »

■ الام اعظم ٠٠ الام اقوى٠٠الام اجمل واروع اسم تحمله امرأة ٠٠

فليس كل النساء امهات ٠٠ ولكن الامهات نساء ٠٠ واحلى واجمل قصص الحياة ، هى قصة الام وحكايتها مع الزمن ٠

والذى يعيدنا الى الحديث عن الام ودورها فى بيتها ومملكتها ومجتمعها،هو هذا اليوم القريب من الشهر الذى انقضى (٢١ مارس) عندما احتفلنا بعيد الاسرة ، وعيد الام،ووقف الابناء٠٠ كل الابناء الاطفال ٠٠ والكبار ٠٠ يؤكدون من جديد هذا الحب وهذا الوفاء الذى امتلأت به قلوبهم نحو هؤلاء الذين شاركوا فى أعظم واسمى وانبل رسالة فى الوجود ٠٠ « رسالة الخلق »٠٠ ورعاية الثمرة الصغيرة حتى تكبر ويقوى عودها٠٠ ثم تعود القصة لتبدأ معها من جديد ٠

قالت العروس فى أول رسالة لأمها بعد أن خرجت من بيت والديها مع الرجل الذى سيبنى معها حياتها الجديدة ومستقبلها : « ٠٠ ومشيت بأمى فى الطريق الذى فرشته لى بالزهور ٠ ٠ صوتك الحبيب مازال يهمس فى اذنى ٠٠ نصائحك ترسم لى موضع خطواتى على الارض ٠٠ حبك الكبير الذى غمرتنى به طفلة وصبية وامرأة صنع منى أجمل انسانة فى الدنيا ٠٠ ألم اكن انا وحدى الذى اختارنى هذا الرجل الذى يسير معى فى هذه اللحظة دون سائر النساء ، لأشاركه حياته » !

وتمضى الزوجة الشابة فى مسيرتها على الطريق ٠٠ وتمضى بضع سنين يحمل فيها البريد عشرات الرسائل بين الابنة وامها ٠٠ رسائل تمتلىء بصور الحياة الجديدة التى تعيشها الزوجة الشابة فى عشها مع زوجها ٠٠ وتمتلىء من الناحية الاخرى بهذا الحديث الحلو الذى طالما تاقت لسماعه ٠٠ ولكنه يبدو اليوم جديدا ٠٠ انه حديث امرأة تتذكر ٠٠ ما أجملها من ذكريات وهى ترى صورتها تتكرر فى اعز انسانة الى قلبها ٠٠ ومع الذكريات تجارب سنوات طويلة تنقلها بكل دقائقها لهذه الصغيرة التى تدعو لها بالسعادة مع كل نهار جديد ٠

الحكاية فى بدايتها !

يصف نورمان فنسنت بيل الكاتب الامريكى الذى ملأ المكتبة بمؤلفاته عن الزواج وحياة الاسرة والابناء على مدى ثلاثين عاما عاشها فى محاولات

لا تهدأ لسبر أغوار النفس البشرية واحاسيسها وانفعالاتها٠٠ يصف نورمان هذا الطريق الذى تعده الأم لابنتها قبل الزواج ومن بعده ٠٠ وفى كل مراحل حياتها المقبلة مع زوجها يقول : « عند الزواج ، تبدا الحكاية كما لو كانت مسالة شخصية بين رجل وامراة تحابا وتواعدا على الارتباط امام الله ٠٠ ولكن ـ اى هذه المسالة ـ لاتبقى شخصية لوقت طويل ٠٠ فسرعان مايدخل فيها شركاء بدعوة من اصحاب هذه الشركة التى بدأت بمؤسسيها التقليديين ٠٠ ما اشبه رحلة الحياة بين الزوجين بتلك النزهة التي يخرج فيها الرجل مع امرأته الى الطريق الهادىء الصغير بين احضان الريف وتحت الاشجار التى اكتست بخضرة الربيع ٠٠ وقد تعانقت يداهما في صمت لا تتخلله سوى زقزقة العصافير ٠٠

الى زحام الحياة

« ويمضى الاثنان في مسيرتهما ٠٠ ولكنهما لا يستمتعان طويلا بهذه الخلوة ، اذ سرعان ما يجدان الطريق الضيق الصغير الذى لفه الهدوء ٠٠ قد قادهما فى النهاية الى الشارع الواسع الفسيح فى قلب المدينة حيث تمتلىء الحياة بالصخب والضجيج!»

« ويزداد الزوجان التصاقا واقترابا ٠٠ ولكن لا بدافع الحب الذى ربط بين قلبيهما فحسب ، بل لانهما يشعران فى هذه اللحظة انهما احوج ما يكونان الى بعضهما البعض ٠٠ ان كلا منهما يحس بحاجته للاخر وحمايته له ٠ »

الطريق الهادىء فى القرية هو البيت الصغير الذى جمعهما بعد الزواج ٠٠ والمدينة بصخبها وضجيجها هى نفس البيت ولكن بعد ان وصل اليه الضيوف الصغار ، ثمرة هذا الرباط ٠٠ حياتهما الجديدة اصبحت مليئة بالحب والتضحيات والمسؤوليات ٠٠ لم يعد البيت الصغير لها وله ، فقط ٠ لقد اصبح بيت الاسرة بيت الصغار ٠٠ كل شىء فيه لهم ومن اجلهم ٠٠ وفى سبيل اسعادهم تهون كل الصعاب !

الحب عند الأم !

هكذا البداية ٠٠ ولكن كيف تسير الحياة بعد مجيئهم؟

ونعود الى الأم لنعبر لها عما نحمله فى صدورنا من حب ووفاء وعرفان لهذه الانسانة التى عرفت هى « الحب » فى أروع واجمل معانيه مع أول



صيحة لطفلها الأول انه نفس الحب الذى كانت تراه هى فى عينى امها ولكنها لم تعرف سره وقوته الا بعد ان اصبحت هى أما !

يصل الطفل ، ذكرا كان ام انثى ، فيلتصق بالام ٠٠ يفزع اذا ابتعدت عنه ، ولا يهدأ الا عندما يحس بانفاسها قريبة منه تداعبه وتدغدغه فلا يلبث ان يستسلم لنوم هانىء سعيد ٠٠ فالأم هى الدفء وهى الغذاء وهو يعرف هذا بالغريزة منذ الاسابيع الاولى لوصوله الى هذا العالم الواسع من حوله ٠٠ ان الاب فى الصورة ايضا ، ولكن الطفل لايعتمد عليه ٠٠ انه زائر يظهر فجأة لم يختفى بنفس السرعة التى ظهر بها !

ويكبر الطفل ، فاذا كان ولدا وجد نفسه يتجه لابيه اذا راى فيه الصديق الذى يهتم به ويشاركه العابه وهواياته ، وخاصة اذا لم يكن له أخوة

ذكور ! ولو ان الام تبقى بالرغم من ذلك الملجأ الذي يهرع اليه عندما يشعر بالجوع او التعب. وهذا وجه الخلاف الاساسي بين الولد والبنت ، فهي مع أمها ، لاتكاد تبتعد عنها حتى تسرع بالعودة اليها .. فهي التي تصفف لها شعرها، وهي التي تختار لها ملابسها ، وهي رفيقتها في رحلاتها داخل البيت وخارجه .. ولذلك تبكي الطفلة عندما تذهب الى المدرسة لانها تعودت ألا تشعر بالاطمئنان الا عندما تكون امها بجوارها! وقد يحتاج الامر الى اسابيع وربما شهورا قبل ان تتعود البنت على هذه الصحبة الجديدة مع زميلاتها وتطمئن اليهن ! ولكنها تبقى بالرغم من ذلك متعلقة بامها .. سرها كله عندها ومعها، فهي صديقتها وأنيسة وحدتها ، وهي رفيقتها على طريق الحياة ، حتى بعد ان تتزوج وتصبح اما مثلها !

الام .. والابنة

تقول الدكتورة اليزابيث ريموند استاذة علم النفس الانجليزية : « لاشيء .. ولاحد يمكن ان يجعل البنت تنسى امها .. حتى لو كانت اسعد زوجة في الدنيا .. وكما لانستطيع ان نحتفظ طويلا بالزهرة التي نقتلعها من الارض التي نبتت في جوفها وارتوت من مياهها ، كذلك لاتستطيع ان تبتعد الابنة عن امها في سن معينة دون ان ينتابها هذا الشعور بان شيئا ما .. شيئا كبيرا في حياتها قد غاب عنها ! وكما تذبل الزهرة في الاناء الذي ملأناه بالماء وحده لنعوضها عن الارض.. كذلك قد يحدث نفس الشيء للابنة التي تفترق عن امها وتنقطع كل الخيوط التي كانت تربطها بها ».

وحتى في المجتمعات التي لاتكون فيها الرابطة بين الاباء والابناء بنفس القوة التي تعودناها عندنا في مجتمعنا الشرقي .. حتى في هذه المجتمعات نرى الفتاة تعود الى امها ويشدها الحنين اليها اذا تعبت او احست بان الدنيا قد أدارت لها ظهرها لاى سبب من الاسباب ..

تروى الدكتورة اليزابيث قصة الفتاة التي تركت بيت ابويها ، وحزمت حقائبها وسافرت الى بلد بعيد لتكمل تعليمها الجامعي .. وهو شيء عادي يحدث كل يوم عندهم ، سواء كان طالب العلم المغترب ولدا ام بنتا .. ذلك ان الروابط بين افراد الاسرة تضعف عندما يبلغ الشاب او الفتاة سن الثامنة عشرة او ما بعدها.. عندئذ يكون الاعتماد على النفس ، والاستقلال بالحياة هما الاساس في هذه التجربة التي تبدأ مع الالتحاق بالجامعة ..

وبقيت الرسائل بين الابنة وامها ، هي وسيلة الاتصال الوحيدة على مدى اربع سنوات كاملة لم تفكر خلالها الفتاة في العودة لزيارة ابويها، ولو مرة واحدة حتى في عطلة الصيف الطويلة !

وتمضي الحياة

الى ان علمت الام بطريق الصدفة ان ابنتها قد تزوجت ، وانها تضطر الى العمل خلال اشهر الصيف في الاجازة الدراسية لتوفر لزوجها مصاريف الجامعة ، فقد كانت هي مازالت تتلقى مبلغا من والديها في اول كل شهر يعاونها على مواجهة اعباء الحياة ودفع نفقات تعليمها الجامعي.

وفجأة توقف وصول المبلغ الذي تعودت الفتاة ان تتسلمه شهريا .. لقد مات الاب ! ولكن الام اشفقت على ابنتها فلم تشأ ان تبلغها ، وخاصة لان الابنة كانت تتوقع حادثا سعيدا .. فاستمرت تكتب لها ولكن رسائلها كانت دائما خالية من الشيك الذي كانت ترفقه بها ..

واصبحت الابنة بدورها عاجزة عن الاستمرار في عملها لتوفير نفقات دراسة زوجها.. فقد نصحها الطبيب بالراحة ، وكانت بالكاد قادرة على مواصلة دراستها .. فارسلت الى امها تسألها في حياء « هل اطمع في استمرار مساعدتكما لي ؟ ».

واقترضت الام مبلغا من المال سارعت بارساله الى ابنتها .. ثم خرجت من بيتها لاول مرة، تبحث عن عمل ، لا من اجلها ، فقد كان المعاش الذي يصرفونه لها بعد وفاة زوجها يكفيها .. ولكن من اجل الابنة التي احست اليوم بحاجتها الى المال ، اكثر من اى وقت مضى .. وحصلت على وظيفة في مصنع لحياكة الملابس .. وعادت رسائلها تحمل الامل مرة اخرى للابنة التي اقعدتها الامومة المرتقبة عن العمل ..

الحدث السعيد

ومضت الام تعمل ، حتى تلقت اخيرا الخبر الذي انتظرته طويلا : «لقد رزقت اليوم بمولودة حلوة ياأمي .. كم تمنيت في هذه اللحظة ان تكوني قريبة مني . اراك قريبا ».

ومضت الام تعمل ، ومضت رسائلها تحمل الامل للام الصغيرة ومولودها ٠٠ الى ان تخرج الزوج فى الجامعة ، وبعثت الفتاة برسالة طويلة الى امها :« لم نعد فى حاجة الى المبلغ الذى ترسلانه الىّ ، فقد التحق زوجى بعمل يدر علينا دخلا يكفينا ويزيد ٠ »

« وفى تلك الليلة ذهبت الام الى فراشها واغمضت عينيها لتستريح ٠٠ ولكنها لم تنم، لقد داهمها المرض هكذا فجأة وبلا مقدمات ٠٠ اليس غريبا ان تشعر بكل هذا التعب يهد جسدها هدا فى اللحظة التى وجدت نفسها فيها تقف فوق قمة العالم ٠٠ كم كانت سعادتها كبيرة هذا الصباح وهى تقرأ البرقية التى تلقتها من ابنتها تزف لها فيها النبأ السعيد ٠٠ وهاهى الان لم تعد تقوى على الوقوف على قدميها ٠٠ ماذا حدث ٠ ٠ ما الذى الم بها !

ونقلتها جارتها الطيبة الى المستشفى ٠٠وقال الاطباء انها مصابة بداء الصدر ، وانها فى حاجة الى عناية خاصة وغذاء خاص ولفترة طويلة ٠٠ من اين لها هذا كله ؟

رحلة المرض

ولم تشا الام ان تنقل لابنتها هذا الخبر الحزين وهى تحتفل اليوم باجمل واحلى حدث فى حياتها، فامسكت بالقلم وراحت تكتب باصابع ضعيفة مرتجفة :«سأسافر مع والدك فى رحلة طويلة٠٠ قبلات كثيرة لحفيدتنا الصغيرة ٠٠ والى ان نلقاكم »٠٠ وباعت الام كل ماتملك لتتمكن من سداد نفقات علاجها فى المستشفى ، فلما نفد مالها ، تحاملت على نفسها وعادت الى بيتها الصغير تقضى فيه ما تبقى لها من عمر !

وعز على الجارة الطيبة ان ترى صديقتها تموت مع وحدتها ومرضها ٠٠ فاسرعت تكتب الى الابنة بما كان من امر امها المسكينة !

دمعة وفاء

وجاءت الاسرة الجديدة ٠٠ الابنة وزوجها وطفلتهما ٠٠ وعادت الحياة الى الام ٠٠ انها لن تشعر بالوحدة بعد الان ٠٠ كانت فرحتها بلقاء ابنتها وحفيدتها اقوى من كل شىء ٠٠ حتى المرض الذى كان ياكل صدرها ٠٠ وحمولها الى المستشفى الذى تركته من جديد ٠٠وسافر الزوج عائدا الى عمله ٠٠ وخرجت الابنة تعمل وتكسب ٠٠وامام الفراش الذى ترقد عليه الام بين ايدى الاطباء كن يلتقين كل ليلة ٠٠الام والابنة والحفيدة ٠٠ ومع اللقاء كانت الذكريات الحلوة للايام السعيدة التى قضتها الام مع ابنتها منذ سنوات بعيدة مضت ،لم وجدت نفسها تعيش فيها من جديد وهى ترى صورة حياتها مع ابنتها تعود مرة اخرى بين الابنة وصغيرتها ٠٠ ومع الذكريات عادت الى الام صحتها وقامت من فراشها ٠٠

ودمعت عينا الابنة وهى تحس لاول مرة بانها قد دفعت جانبا يسيرا من هذا الدين الذى يطوق عنقها واى تضحية فى الدنيا تلك التى تستطيع ان تفي بالدين كله ٠٠ ان تعوض الام ما بذلته وتبذله من قلبها وروحها ودمها من اجل ابنائها ٠

■■

الاب المفقود

● كانت ام وطفلتها الصغيرة تمعنان النظر فى وجوه جموع حاشدة فى مركز سوق لندن المكتظ والقلق باد عليهما ٠ وقالت الطفلة لامها « لقد ضعنا » فردت الام بحزم « لا يا عزيزتى ، اننا لم نضع ، اننا هنا هنا ، أبوك هو المفقود ؟؟ »

التايمز

تأجيل

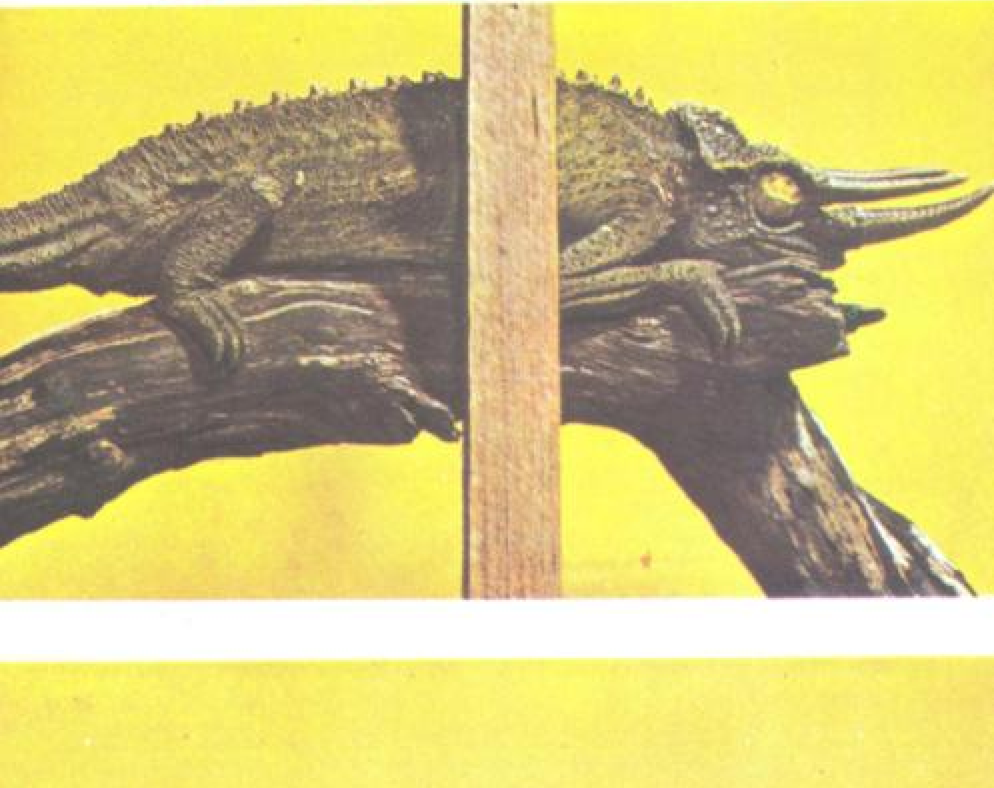
● استهلت شقيقتى رسالتها لى بالقول « ارجو ان تصفح عنى لتاخرى فى الكتابة طوال هذه الفترة ٠ ذلك انه لم تحدث أشياء كبيرة تمنعنى على الكتابة ، كما أن عدة أشياء صغيرة ما زالت تحدث وتمنعنى من الكتابة » ٠

مارجريت شيروود

مخلوقات

ليس الانسان وحده

تجيد التمويه والت





أ
اخرى
خفى!





الحرباء التى تتلون بكل لون··والتجربة توضح أن لاشعة تأثيرا الشمس مباشرا على هذا التلون التمويهى ، فاذا لم يتعرض جزء من جسمها لتلك الاشعة (بواسطة حاجز ـ كما فى الصورة العليا)ظهر هذا الجزء بلون يختلف قليلا عن لون جسمها المعرض (كما هو واضح بالصورة السفلى) وهذا الاثر نفسه نراه ايضا على اجسام المستحمين على شواطئ البحر



◀ ايهما الشوكةوايهما الفراشة ؟ ··هناك ثلاث فراشات ·· اثنتان على الغصن الايمن والثالثةعلى الغصن الايسر والباقى اشواك ·

ان الصراع الازلي بين الكائنات ـ بداية من الميكروب والدودة والباذنجان، حتى نتنهي بالانسان سيد المخلوقات ـ يستلزم وسيلة او وسائل خاصة ، لكي يحمي كل نوع نفسه من البطون الجائعة ، أو الاطماع السائدة.. وقد تكون هذه الوسيلة الدفاعية عقلا مفكرا ، أو سماقاتلا ، أو مخلبا حادا ، أو بناء جسديا خاصا، أو تمويها وخداعا بالحركة أو المناورة أو التقليد أو تغيير اللون أو ما شابه ذلك.

بقلم : الدكتور عبدالمحسن صالح

■ الذين يذهبون الى الشواطىء صيفا ، ليستلقوا على رمالها ، علهم يحصلون على قسط من اشعة الشمس على بشرتهم ، او ما يسمونه « بالحمام » الشمسي . يلاحظون ـ او هم يعرفون مقدما ـ ان جلودهم سوف تصطبغ بصبغة تميل الى السمرة .. او بمعنى اوضح وأبسط نقول : ان لون جلودهم قد تغير ، وهذا التغير امر ضروري لحماية بشرتهم من فعل الاشعة فوق البنفسجية ، والحيلولة بينها وبين المزيد من التدمير في خلاياهم.

لكن هذه الحماية الطبيعية العارضة فينا لها جذور عميقة في الحيوانات التي سبقتنا على سطح البسيطة . فهي بالنسبة لها مسالة حياه أو موت، فلكي تتجنب الأخطار المحيطة بها من كل جانب ، كان عليها ان تساير البيئة التي تعيش فيها .. صحيح ان تغير لون جلد الانسان في بيئة الشواطىء لن يؤخر ولن يقدم ، وصحيح ان السمرة المكتسبة هي نوع من الدعاية غير المباشرة عن قضاء الانسان لاجازته في احد الشواطىء ، وصحيح انه ليس مهما ـ بالنسبة لحياته ـ ان كان قد « صيف » على أحد الشواطىء او لم « يصيف » ، او تغير لو جلده او لم يتغير .. كل هذا وغيره صحيح ، لكن الصحيح ايضا ان تغير اللون في بعض الكائنات قد جنبها الانقراض كنوع له كيانه على هذا الكوكب .

أقدم قصة عربية للتمويه

لكن قبل ان نتعرض لهذه الصورة المثيرة من التمويه في عالم الحيوان والنبات . كان علينا ان نشير الى أن اقدم أسطورة عربية قد اشارت الى هذا النوع من التمويه الذي تتخذه الجيوش الحديثة كوسيلة من الحماية عن اعين الاعداء ..

تقول الاسطورة : ان فتاة عربية تدعى « زرقاء اليمامة » كانت حادة البصر جدا ، لدرجة انها كانت تستطيع ان ترى لمسافات بعيدة للغاية .. وقد قدمت لقومها بذلك خدمات جليلة ، اذ كانت تنبئهم بهجوم جيش من القبائل المجاورة وهو لا يزال يتحرك بعيدا عن قومها بمسيرة عدة ايام ، وكان ذلك يهييء لقومها الاستعداد ، ومقابلة الاعداء ، ثم مبادرتهم بضربة مباغتة ، توقع بهم هزيمة ساحقة .

ولقد تساءل الاعداء كثيرا ، كيف يعرف قوم زرقاء اليمامة سر هذه الهجمات المباغتة ، فيستعدوا هذا الاستعداد المحكم الذي يؤدي الى هزيمتهم ؟ .. لكنهم في النهاية عرفوا قصة هذه الفتاة ، وصمموا على خديعتها ، لكي يفاجئوا قبيلتها بهجوم مباغت ، ولقد تفتقت قريحتهم عن حيلة بارعة ، اذ سار افراد الجيش وهم يحملون فوق رؤوسهم اغصانا وافرعا ، وكانما هناك احراش تتحرك في الافق البعيد .

ولقد رات زرقاء اليمامة هذا المشهد الغريب ، واخبرت قومها انها ترى من بعيد أغصانا تتحرك ، وافرعا تتقدم ، وربما يكون تحتها اعداؤهم .. لكن قومها كذبوها . وظنوا ان عينيها قد أصابهما مكروه ، او حل بهما ضعف ، اذ لا يمكن ان تتحرك الاشجار ، ولا ان تسير النباتات .. الا أن الحقيقة ظهرت في النهاية عندما نجح أعداء قومها في شن الهجوم عليهم وهم نيام لا يشعرون .

لكن هذه الاسطورة العربية الطريفة والقديمة لم تذهب ادراج الرياح ، فلا تزال تطبيقاتها سارية ـ حتى اليوم ـ بين الجيوش ، فربما تكون قد رأيت رجال الصاعقة ، أو جموع الفدائيين وهي تلبس ملابس تناسب البيئة التي تعيش فيها.

حتى لا يكتشف الاعداء تحركاتهم ⋅⋅ فاذا كانت ارضية المعركة رملية ، فمن المناسب أن تكون الملابس صفراء ، وكلما كان لونها متماثلا مع لون الرمال ، كان التمويه اتقن ، والاختفاء اكفأ، او قد تكون أرضيــة المعركة عشبيـــة ، وعندئذ يناسبها الملابس بلون اخضر قريب الشبه بنباتات البيئة ⋅⋅ المهم أن الانسان في كل هذه الحالات أو غيرها يحاول أن يتلون ـ ظاهريا فقط ـ بلون البيئة ، لكي ينفذ مخططا ، أو يقوم بعملية تمويه قد تجوز على أعين الاعـداء ، فيكتب له النصر والنجاة ⋅

الفكرة البشرية ⋅⋅ فكرة حشرية !

لكن بعض الانواع من الكائنات الاقل رقيـا وتطورا من الانسان ، قد استخدمت هذه الوسائل « بتكتيك » أرق ، ومحاكاة للبيئة أدق ⋅⋅ ولقد أبدع الخالق في هذا الشأن وأتقن ، فلكي تنجو الانواع من الكائنات الضعيفة من موت أكيد ، كان لا بد أن تلعب مع أعدائها لعبـة التمويـه أو الاختفاء ، فلا تكاد تظهر أو تبين ، وبهذا تنجو من نهم البطون الجائعة المتربصة بها في كل آن وحين ⋅

والواقـع أن الحشرات قد امتلكت من صـور التمويه النصيب الاوفى، فهي من حيث عدد الانواع قد فاقت المليون ، ومن حيث تربص الكائنـات الاخرى بها، فهي تكون القاعدة العريضة لهجماتها، لتكون لقمة سائغة في بطونها ، ولهذا تشكلت بعض أنواعها وتحورت واكتسبت ألوانا لتصبح هي والبيئة التي تعيش فيها قطعة واحدة ، ومن هنا يصعب على أية عين ـ بشرية أو حيوانية ـ اكتشافها ⋅

ولان معظم الحشرات تعيش على النباتات ، ولان النبـاتات تختلف شكلا وتفرعا وألوانـا ، ولان النبات الواحد قد يضم أجزاء مختلفة الالوان والتراكيب ، فمن سيقان الى افرع الى أزهـار الى أوراق الى أشواك ، كل هذا وغيره قد أعطى لبعض أنواع الحشرات أرضية خصبة لتتخذ شكلها أو لونها أو قوامها حتى اذا جاء العدو الجـائع ومر بهذه الكائنات التي تلعب معه لعبة التخفي أو التمويه ، حسبها فرعا أو زهرة أو شوكة أو غصنـا ⋅⋅⋅ الخ ، وطبيعي أننا مهما وصفنـا وشرحنا ، فاننا لن نوفي هذا الموضوع المثير حقه ، ولهذا كان من الاوفق أن نقدم صورا فوتوغرافية من مسرح هذه الحياة المتصارعة ، لنرى كيف يسر الخالق لكائناته سبل حياتها ، ونوضح كيف أنـه لم يخلق خلقا ، الا وأوحى فيه أمره ⋅

عندما تمشي الاوراق !

والذين يدرسون الطبيعة الحية ، ويتطلعون الى هذا الطوفان الحي الدافق من المخلوقات يرون فيه من الابداع ما يجعلنا نراجع أنفسنا في كل انماط تفكيرنا ، اذ سيتبين لنـا أنه « لا جـديد تحت الشمس » ⋅⋅ فكل فكرة بشرية ليست جديدة تماما، لانك لو بحثت في الجذور القديمة لهذه الحياة ، لوجدت فكرة مماثلة بصورة أو بأخرى ⋅

فاسطورة زرقاء اليمامة، رغم ما فيها من طرافة، أو التمويه الذي تقوم به الجيوش لتخفي افرادها ومعداتها ، وفنون التقليد التي قد نحاكي بهـا شخصيات غير شخصياتنا ⋅⋅⋅ الخ ، كل هذا وغيره قد يبدو لنا شيئا بدائيا وساذجا اذا ما قارناه بالتمويه والتقليد والخداع الذي وهبته الحياة الفنانة المبدعة لبعض كائناتها ⋅

اضبط ؟! ⋅⋅ ما هذا ؟ ⋅⋅ ورقة تتحرك وتمشي وتقف وتطير ، وتعرف كيف تروح وتجيء نحو هدف محدد ؟

الواقع ان الشكل شكل ورقة ، واللون لونها ، والتعرق لا يكاد يختلف عما تراه على ورقة نبات ، لكن الورقة فراشة حية تسعى ، فاذا رأت خطرا ، وقفت على غصن النبـات الذي تعيش عليه ، وأصبحت كأنما هي ورقة من أوراقه ، فاذا زال الخـطر ، واحست بالامان ، تحركت وكأنما هي حيوان في نبات أو نبات في حيوان !

لم ⋅⋅ ما هذا أيضا ؟ ⋅⋅ قشة أو فرع رفيع من نبات يترك الارض ، ويتسلق الى أعلى عائدا الى نباته ؟ ⋅⋅ وهل يمكن لشيء يسقط من نبات أن يعـود اليه مخـالفا بذلك كل القـوانين أو النواميس الكونية ؟

لا ⋅⋅ ليس ذلك تماما ، فنحن الآن أمام الحشرة العصا (كما يطلقون عليها لانها تشبه القشـة أو العصا الضئيلة ، أو الفرع الصغير الجـاف أو الغصن) ⋅⋅ اذ لا يمكن للنبات أن يمشي ، ولا لقشة أن تتوجه تلقائيا ضد قوانين الجاذبية ،

السمكتان ليستا مختلفتين ، بل هما السمكة ذاتها تحت ظرفين مختلفين ، فعندما تكون في أمان تبدو داكنة ، فاذا ظهر الخطر ، هبطت الى القاع هبوطا اضطراريا مفاجئا وتلونت سريعا بلون قريب من لونه ، لتختفي ولو الى حين (هذه السمكة تعرف باسم « السمكة الحرباء » ـ لانها تتلون كالحرباء) ٠



ورقة في حشرة ٠٠ او حشرة في ورقة ؟ الامر سيان،فاسمها الحشرة الورقة ، لانها جاءت بشكل الورقة ولونها وتعرقها لتلعب لعبة « الاختفاء » مع أعدائها ، فعاشت بها مئات الملايين من السنين !





بل اننا امام « لعبة » حية ذكية ، أو فكرة مبدعة من افكار الحياة التي منحتها لواحدة من مخلوقاتها لتناور بها وتداور ما قد تتعرض له من أخطار ، فهي أحيانا تلقي بنفسها من النبات الى الارض ، فاذ بها وكانما هي ـ على أرضية الغابة أو الحقل ـ غصن صغير جاف ساكن لا حياة فيه ولا حركة ، ومن هنا يصعب اكتشاف أمرها ـ لا بعين حيوان ، ولا بعين انسان !

انه يتلون كالحرباء !

واذا ما تركنا عالم الحشرات بكل ما فيه من أشكال والوان وسلوك وصراع ومتناقضات ، وارتفعنا مع سلم المخلوقات درجة ودرجة ، فاننا ـ بلا شك ـ سنتقابل مع كائن معروف لنا جميعا ، وبه يضرب المثل فيقال : ان فلانا كالحرباء ، أي يتلون مثلها على حسب الظروف ، وهي كناية لمن لا يثبت على حال ٠٠ وقالت العرب أحزم من الحرباء ، لان هذا الكائن شديد الحرص على حياته ، فهو لا يخطو خطوة الا بحساب ، ولا يبقى على شجرة ولا غصن الا اكتسب لونها حتى لايكتشف أحد أمره ، ويعرف موطنه ٠

وتلون الحرباء بلون البيئة يستلزم عمليات فسيولوجية وبيوكيميائية وهرمونية معقدة ، ولهذا فلن نتعرض لها هنا ، اذ ليس هذا مجالها ، لكن يكفي أن نشير الى أن الحرباء تتأثر بدرجة الحرارة ، وشدة الضوء ، وبما ينعكس عليها من البيئة المحيطة بها ، لتتلون بلونها ، فتراها تتغير الى اللون الاخضر ، اذا استكانت أو زحفت على غصن أخضر ، فاذا انتقلت الى غصن بني أو أصفر او رمادي ، فانها تغير لونها بالوانها ، حتى لا تنم عن شخصيتها ـ لا لاعدائها ، ولا لصيدها ، فهي قد تبقى الساعات الطويلة ساكنة متحفزة ، حتى اذا مرت حشرة هائمة ، أو طارت فراشة محلقة ، اندفع لسانها الطويل كصاروخ موجه ، فاذ بالصيد في بطنها لقمة سائغة !

ولقد عرف العرب الحرباء من قديم الزمن ، وأطلقوا عليها أسماء شتى ، فمن كنيتها مثلا ابو حجادب ، وأبو الزنديق وابو الشقيق وأبو قادم ، وأحيانا أطلقوا عليها اسم جمل اليهود٠٠ وذكروا انها « تتشكل بلون الشجرة » التي تكون عليها » ، وذكر الدميري في كتابه « حياة الحيوان الكبرى » ان الحرباء « تستقبل الشمس وتدور معها كيفما دارت وتتلون بحر الشمس ـ كما قال الامام الغزالي ـ الوانا مختلفة ، فتتلون الى حمرة وصفرة وخضرة وما شاءت » ٠٠ وهذا ما أكده العلماء حديثا ٠

والحرباء من فصيلة الزواحف ، وهذه الفصيلة تضم الحيات والثعابين والسحالف والتماسيح ٠٠ الخ ، وبعض هذه الكائنات يستطيع أن يشكل نفسه على حسب البيئة التي يعيش فيها ٠٠ فاذا كانت الرمال صفراء ، جاءت الحية ـ عادة ـ بلونها ، واذا عاشت بين الاشجار ، اكتسبت بشرتها خضرتها ٠٠ الخ ٠

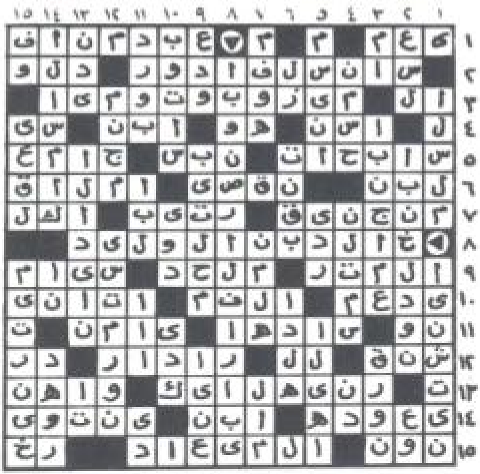
وفي البحار كائنات أغرب

والصراع في الماء أنكى وأشد من الصراع على اليابسة ، ولهذا اتخذت بعض الاسماك والحيوانات القشرية والرخوية أشكالا والوانا تناسب القاع أو الصخور أو الاعشاب المائية ، أو الشعب المرجانية ، فاذا أحست السمكة بكائن مفترس أقوى منها واعتى ، اتخذت وضعا استراتيجيا بين الاعشاب أو الشعب بحيث يصعب عليه تحديد مكانها ، فتفلت بذلك من خطر محقق ٠

لكن ظاهرة التخفي أو الاختفاء عن الاعداء الاقوياء ، قد تؤدي مهمة أخرى ضرورية لحياة الكائن ، اذ هي تؤدي الى الايقاع بالغير ، بمعنى أن السمكة المتخفية تنصب فخا أو كمينا للاسماك الاخرى الاصغر ، فاذا جاء السمك الصغير يتهادى ويسبح في أمان ، اذ به يفاجأ بسمكة تغيب في فم كبير بين الصخور أو الشعب المرجانية أو الاعشاب ، وطبيعي أن أحدا لا يستطيع أن يكتشف هذا الشراك الحي الرابض في سكون تام ، فلو انك تطلعت سريعا الى الصور المنشورة هنا ، لصعب عليك اكتشاف السمكة التي تشكلت وتلونت بما حولها ، اللهم الا اذا دققت النظر ، وعندئذ ستعلم كم في المخلوقات من عجائب ، وكم حوت الحياة من غرائب تثير العقل والفكر والوجدان « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ! ٠ ■■

د ٠ عبد المحسن صالح

• حل مسابقة العدد ٢٣٠ •



خالد بن الوليد

•

أبو نصر الفارابى

اثنتان فى واحدة :

(٨) افقيا : خالد بن الوليد ، صحابى ، قاتل المسلمين قائدا ، ثم اسلم • حارب مع النبى صلى الله عليه وسلم فى فتح مكة ، وقاد الجيوش العربية فى فتح فارس والشام•

(٨) رأسيا : أبو نصر الفارابى ، من أعظم فلاسفة العرب ، درس فى بغداد وحران ، ثم اقام فى حلب • كان لقبه « المعلم الثانى » ، برع فى الرياضيات والموسيقى ،وحاول التوفيق بين افلاطون وأرسطو •

الفائزون بالجوائز

* **الجائزة الاولى** وقيمتها ٣٠ دينارا **فازت بها : حنان محمد رفيق طرابلسى** ـ دمشق / سوريا
* **الجائزة الثانية** وقيمتها ٢٠ دينارا **فاز بها : حسن عباس المهدى** ـ أم القيوين / الامارات العربية •
* **الجائزة الثالثة** وقيمتها ١٠ دنانير **فاز بها : حسن الشريف خالد** ـ بنغازى / ليبيا •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **على ابراهيم على محمد** ـ بغداد / العراق
٢ ـ **ميسون عبد الغنى عبد الهادى** ـ عمان / الاردن
٣ ـ **ملاك ميخائيل** ـ الاسكندرية / مصر
٤ ـ **يوسف محمد مرجان** ـ ابها / السعودية
٥ ـ **حسين محمد رمضان** ـ بيروت / لبنان
٦ ـ **عبد الحكيم بن عبد الله الزبيدى** ـ صنعاء / اليمن
٧ ـ **حسن العطا البشير** ـ الحصاحيصا / السودان
٨ ـ **صابر توفيق جعفر** ـ الكويت •

أنت أمام عمل كويتي ـ سوداني جدير بالمشاهدة والمناقشة

عرس الزين

من المؤكد انك صادفت عنوان هذا المقال من قبل . مؤكد انك سمعت او قرات شيئا يشبهه .. رجاء او وعد بسينما عربية جديدة يلحق به او يسبقه عنوان الفيلم أو ذاك . منذما يربو على عشر سنوات ونقاد السينما العربية الشباب يضطرمون بشعار : « نحو سينما عربية جديدة ». ورغم ذلك فاننا نفتقر في الاساس الى صياغة نظرية لما نريده . ولهذا ظل الشعار شعارا .

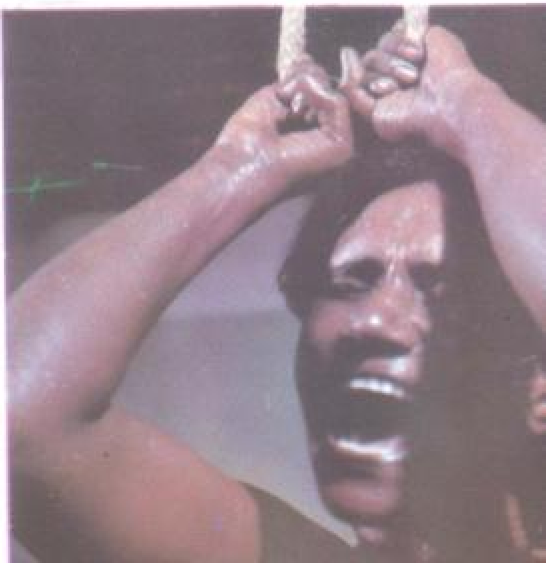
بقلم : الفاروق عبد العزيز





عزة بنت العمدة التي صرخ الزين باسمها ذات يوم ترقص ليلة عرسها . (الصورة الى اقصى اليمين) . الزين ووالدته يتبادلان الضحكات اثناء عرسه . (الصورة الى أعلا)

أم الزين متعلقة بالحبل على الطريقة السودانية اثناء ولادة الزين . (الصورة الى اليمين) .



ثمة شيء آخر • لقد حاول ـ ويحاول ـ السينمائيون الشباب كسر المفهوم الذى ظلت السينما العربية تنتج من خلاله افلامها طيلة نصف القرن الماضي • نجح هذا وفشل ذاك • ولكن يبقى ان السينمائي والناقد الجديد مازالا يحاولان احداث شرخ او توسيع ثغرة ينفذان منها الى وعيك انت ايها المشاهد العربي لكي يحدثاك ، ويجسدا لك صورة او اشواقا ودنيا انت تحياها وتصطرع فيها وتغلبها وتغلبك • انت لا تستطيع فكاكا مما اعتدته من افلام لا تملك حتى تصوير واقعك • ولكن المحاولة ستثمر يوما ، وهكذا نحلم على اية حال•

خالد الصديق وفلمه الاول

هذه شجون لا مجال هنا للانسياق معها • ولعلها خطرت على بال نفر ممن شاهدوا اول افلام المخرج الكويتي خالد الصديق « بس يا بحر » في عرض خاص في ٢٧ مارس ١٩٧١ • ونعد اتسعت دائرة الشجون وعادت للشعار حيويته من جديد ، بل وبدات محاولات التنظير للسينما البديلة ، حين اعتلى المخرج الكويتي خشبة المسرح فى دمشق فى العام التالي ليفوز بالجائزة الاولى لمهرجان افلام الشباب • اتسعت دائرة الدهشة لعلها تغطى الاوساط الفنية في عواصم عالمية عديدة حين فاز فيلمه بتسع جوائز •

لا تعنينا الجوائز الان ، ولكن ماذا يعني المشاهد العربي في « بس يا بحر » ؟ اقول ان الفلم كان حريصا على تاكيد هويتي القومية التي احرص عليها حرصي على حياتي • لقد خرج الفلم من بلد ليس له موروث سينمائي سابق • وهذا يعني ببساطة ان اى مغامر يقدم على اخراج عمل سينمائي روائي طويل ستلتصق به صفة المغامرة فعلا وقولا • فالمشاهد قد اعتاد اولا اساليب التفكير والاقناع التي اتسمت بها السينما الامريكية والعربية (المستغربة) كما انه لم يعتد ثانيا استقبال افلام المغامرين التي تصدم وعيه بما يثير مشاعره تجاه ماضيه وحاضره ومستقبله •

كانت مغامرة الصديق مغامرة فكرية خالصة • فمن خلال قصة حب مستحيل بين « مساعد » و « نورا » نستكشف عالما كاملا بكل ابعاده • الكويت القديمة ، ماقبل النفط في زمن الغوص والقحط حين كان تحقيق الاماني مرتبطا بكل الابعاد التاريخية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الكويتي • ولقد ابرز خالد في فيلمه الاول العناصر الاولى لما يمكن تسميته بمفهومه الخاص للفلم العربي : « التاكيد على اظهار الهوية القومية » من خلال عادات الزواج والموت مع الالتصاق الشديد بالبيئة المحلية التي يصورها الالتصاق بالتفاصيل والالتحام مع الاشواق والاماني الكامنة فيها •

لهذا نجح « بس يابحر » لانه ببساطة استطاع ان يثير فينا اقصى مشاعر الارتباط بالوطن والاهل والتاريخ الحي القديم والمعاصر •

هناك قيمة اخرى بهذا الفليم وهي فتح الباب امام كوادر فنية كويتية للعمل في مجال الفن السينمائي • من خلاله اكتسبت وعيها وثقتها بقدراتها •

عرس الزين ـ الرواية

وكان لابد ان يمضي وقت طويل قبل ان يفكر الصديق فى اخراج فيلم ثان • فى الكويت ؟ لم لا • حاول الصديق كتابة سيناريو بعنوان « و » عن عصر ما بعد النفط • لم يستطع تنفيذه •

من خلال المفهوم الذى عرضته بتبسيط شديد ، وساعرضه فيما بعد بايجاز والذى يمكن ربطه بسينما الصديق انطلق الى ارض عربية اخرى ليرى فيها ما رآه في الكويت من قبل • لصديق لا يقول كلمات كبيرة ولا يطلق شعارات ولكن لديه مفهوما بسيطا للسينما ، مفاده الايمان بوحدة الهوية القومية العربية وان للسينمائي دورا في تدعيم هذا المفهوم، ومن هنا ايضا يمكن للفلم ان يلعب دورا يتخطى السياسة والاعتبارات الاقليمية •

أديب سوداني

ووجد الصديق ضالته فى رواية الاديب السوداني الطيب صالح «عرس الزين» • والواقع ان هذا العمل الادبي لايبدو رواية كما هو متعارف عليه عند تعريف الاجناس الادبية ولكنه مزيج من القصة القصيرة الطويلة والرواية القصيرة • ولا تبدا رواية الطيب صالح من حدث معين تنتشر خيوطه فى الموقف وتتطور بعد ذلك بالحتمية الفنية الى العقدة التى تتشابك فيها الخيوط قبل ان نصل الى الحل او نقطة التنوير فى النهاية • انها اشبه شيء بقطع الموزاييك المتوافقة فى تنوع ، والتى تبدو للوهلة الاولى متنافرة، ولكنها حين رصت على

نحو فني جنبا الى جنب وابتعدت عنها لمسافة معقولة بدت كلوحة كاملة لها معنى محدد وتثير احساسا كليا محددا •

والطيب صالح – ككل كاتب اصيل – شديد المحلية شديد الالتصاق بالبيئة • وروياته اشبه ما تكون بسيرة ذاتية يمضي معها عبر شخصيات واماكن مختلفة في وطن واحد هو السودان • وقد اشتهر الطيب صالح منذ « دومه ود حامد » في مطلع الستينات بقدرته التي يعرضها دائما في بساطة متناهية على خلق علاقة حميمة تحس فيها دفء الانفاس مع شخصياته • وهو في النهاية يجسد بذاته علاقة فريدة بين المثقف والقرية • فقد ابتعد الطيب صالح مكانيا عن السودان لفترات طويلة ، ولكن قراه وسهوله ونيله كانت دائما في اعماقه اينما ذهب • انه فنان يحمل وطنه في قلبه ٠٠ الى العالم •

الشخصيات والواقع المحيط

والان الى « عرس الزين » نحن هنا في احدى قرى السودان الشمالية • ولدينا كافة العناصر التي يمكن ان تلقاها في اية قرية عربية « الدين » وهو الامام الصالح او الطالح ، « العمدة » الطيب او المستغل ، طقوس الميلاد والزواج والموت والخرافة ، الاولياء وكراماتهم ، العادات الشعبية ، الدروب الضيقة ، العمل الزراعي ، رموز الفساد الاخلاقي السكين والطبيعة الغلابة ، النضال من أجل التعليم ، الناظر والمدرسة ، الكتاب (العريف) القديم ٠٠ الصراع بين الجديد والقديم وبين التخلف والتقدم •

والطيب صالح لا يصور هذا كله من خلال احداث يصيغها ، باستثناء الحدث الرئيسي ، وهو عرس الزين ولكنه يطرح تصوره من خلال شخصيات تحكي او تتذكر • وهو بالتالي يقف موقفا حياديا ازاء هذا الواقع يحاول ان يصف بقدر الامكان من خلال وعي وتركيبة الشخصية ذاتها دون اقحام رؤيته الخاصة للاحداث • ولهذا يتساءل من لا يعرف الطيب صالح جيدا عن المبالغة في العرض احيانا او افساح مكان اكبر للخرافة • ولا يدرك المتسائل انه اذا كان هذا هو حال الشخصية ذاتها فماذا يكون في وسع الروائي ان يفعله وهذا هو منهجه ؟

فنحن نلتقي بالشخصية الاولى في الرواية « الزين » من خلال ما حكاه لنا اخرون • كل على قدر وعيه ، وتركيبته الاجتماعية ، وموروثه ، وغرضه من الحكاية ، كما نلتقي بها من خلال افعالها المباشرة وماتحكيه هي نفسها بقدر وعيها • والزين هو الشخصية المحورية التي يدور من حولها كل شيء في هذا العمل وهذه القرية فهو الزرافة كما يسميه الاطفال و « المعتوه » كما يدعيه الكبار او « المبروك » كما يسميه الحنين (ولي القرية) و « الزوج » كما تسميه اجمل بنات القرية « نعمة » •

من هو الزين ؟ انه نمط شائع تجده في كل القرى العربية ترتبط بشخصيته الاسطورة بالحقيقة والخيال بالواقع • فيحكى انه كان ولدا ككل الاولاد ، ولكن حدث مرة ان صرعته التماثيل الفرعونية في وادي الجن جنوب النوبة فمرض • وحار اهله في علاجه بكل الوصفات القروية ، الى ان افاق من حمى انتابته اخيرا ، اوجد ان اسنانه جميعا سقطت ما عدا واحدة باعلى واخرى باسفل • ضحك الزين • ومن يومها – بل من يوم مولده – والى آخر اللحظات التي عشناها معه ، قصته وهو يضحك •

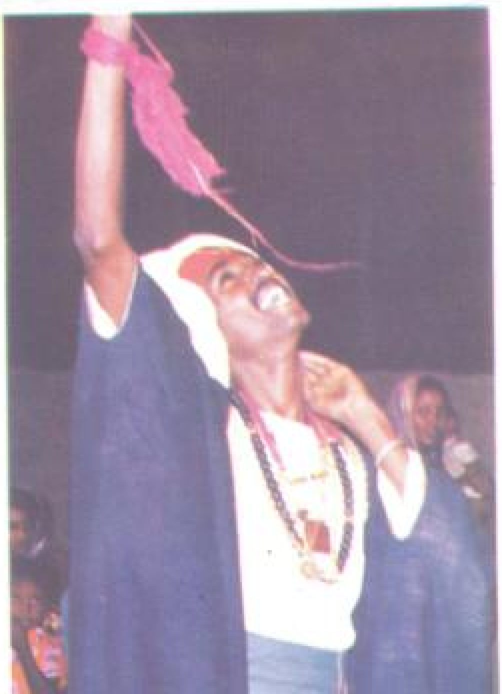
انه يعرف الطيب من الخبيث ، فهو يدرك ان امام المسجد يستغل الدين لاغراضه الشخصية كما يدرك ان الولي سيدنا الحنين رجل صالح من عباد الله يعبد الله لذاته ولا يبتغي جزاء ولا شكورا •

وهو يعرف الجميل من القبيح ، كان الزين المؤشر الوحيد لمستوى الجمال بين بنات القرية « يا اهل الحتة عزة كاتلالها كتيل في بيت العمدة ٠٠ الزين مكتول » هكذا كان يصرخ باسم الفتاة الجميلة التي تقع عيناه عليها • ولهذا كان يتدافع الخطاب وتقام الاعراس التي يمرح فيها الزين جيدا • والزين قوي ، كاد ان يفتك بسيف الدين الذي يفوقه قوة بعد ان شق الاخير رأسه ببلطة في عرس اخته التي كان الزين يردد ان لها عينا عليه •

في مقابل شخصية الزين هناك « نعمة » ابنة عمه التي احدثت خرق قانون القرية والعادات بالذهاب الى كتاب الشيخ لحفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة • وقد رفضت نعمة الزواج من احمد ابن آمنة ، ومن ادريس المعلم بالمدرسة المتوسطة ، بل ومن الامام الذي عرض عليها الزواج في وقاحة • اننا نراها دائما معتدة بشخصيتها واثقة من نفسها • وهي تمثل جانبا شديد الايجابية من بين عناصر القرية مجتمعة • وهي



الزين يلوح بيده أثناء عرسه وقد برز طقم أسنانه الجديد ٠ (الصورة الى اليمين) ، الزين يقبل يد الحنين الولي الذى كان يلقبه بالزين المبروك (الصورة الى أعلا) ، تممة عروس الزين وابنة عمه وهي تستعد للزفاف (الصورة الى اليسار اعلا) ، عريس عزة بنت العمدة يحيط راسه بالشال الاحمر طبقا لتقاليد العرس السوداني ٠ (الصورة الى اليسار)







الوحيدة القادرة على ضبط ايقاع الزين ووقف اندفاعه الساخر امام الاشياء •

هناك شخصيات اخرى تكمل كلها جوانب الصورة وتمثل العناصر التي ذكرت من قبل انها خلاصة محتوى اي قرية عربية •

بين البناء الروائي والسينمائي

يبدأ فيلم «عرس الزين» بلقطات فوتوغرافية لقرود ونسانيس فوق الاشجار • ويمزج بينها وبين «الزين» الذي نراه يحبو على اربع ويتسلق الاشجار • وهذه المقابلة تلخص لنا ، في ايجاز ، المدخل الفني الذي اختاره خالد الصديق لمعالجة رواية الطيب صالح • ويمكن القول انه مدخل «اثنو جرافي» اي ان الصديق قد قصد الى تسجيل معالم الحياة بجوانبها المختلفة في قرية عربية «قد تندثر العادات التي لم يسجلها احد» هكذا قال الصديق • ولكن الفيلم سرعان ما يكشف عن تمازج كبير بين هذا المدخل والعمل الدرامي الذي ابرز نبض القرية كلها • فنحن نشاهد اعراسا ، وولادة ، وموتا ، وعادات كثيرة اخرى • ولكن ذلك كله ينتظمه خط الحكاية حول «الزين» • ولعلي اقول ان اختيار الصديق هو اصعب انواع الاختيارات جميعها ، اذ ان صياغة سيناريو عن رواية بهذا البناء الذي عرضت ملامحه ـ مهمة شاقة بالفعل • وان تجعل هذا الشكل الجديد مقبولا لدى جمهور ورث خمسين عاما من السينما التقليدية بحكاياتها التقليدية وديكوراتها وعوالمها وابطالها التقليديين هو امر ينطوي على مغامرة كبرى •

ويعتمد الصديق ـ تحطيما للاملال ـ اسلوبا فيه من الايجاز البلاغي الشيء الكثير • فنقلاته من كل مشهد ولقطة تكشف بذاتها عن حساسية في الايقاع المستمد من ايقاع البيئة التي يصورها • ونحن ايضا اعتدنا تكرار نفس الايقاع السينمائي بغض النظر عن ايقاع البيئة ذاته • هاهنا تجد السرعة والبطء ـ اللذين انتظمتهما عملية المونتاج موزعين بقدر يسمح بالتوصيل الجيد دون افتقاد صرامة المدخل او حيوية الدراما •

الفريق الكويتي

وقد استخدم الصديق التكنيكولور والتكنيسكوب كادوات واشكال تقنية جديدة على السينما العربية • وقد اختلف معه حول ضرورة استخدامها لهذا الواقع الذي اراد تصويره • فمن المؤكد ان قرية «طيبة الحساب» التي صور فيها فيلمه تحفل بمشاهد خلابة ، ولكن الواقع المحيط بالشخصيات يحفل بكثير من المشاهد غير الخلابة التي تستدعي الوقوف عندها وربطها بالاطار الذي تتحرك فيه الشخصيات • انه واقع يصنع الفرح من طين البؤس ، وينسج اعراسه برغم الفقر ، ويناضل ـ بوعي او بلا وعي ـ للابقاء على معالم شخصيته القومية من خلال تمسكه بتراثه وحكاياته ونوادره واشواقه وعاداته الشعبية • وهذا هو نفسه مفهوم الصديق للسينما • ولكن الارتباط بين الشكل والمضمون وثيق الى اقصى الحدود ولايمكن لاحدهما ان ينجح على حساب الاخر •

تبقى قيمة هذا الفريق الكويتي الذي قام بالتعاون مع الممثلين السودانيين ـ الذين يظهر معظمهم للمرة الاولى في عمل فني ـ بصياغة هذا العمل الممتاز • هناك ـ بالاضافة للصديق ـ « توفيق الامير » مدير التصوير ، و«عبد العزيز المنصور » الماكيير • وهو فريق اعتقد انه سيمضي قدما لانجاز اعمال اخرى في الكويت وخارج الكويت •

لماذا سينما جديدة ؟

اعود على بدء فاقول ان السينما العربية الجديدة ضرورة • ولكنها لم توجد بعد على خريطة الانتاج والتوزيع والعرض في عالمنا العربي • لقد عالجت في عجالة مفهوم الصديق لهذه السينما التي يعتقد انها ستوطد اواصر المحبة والوحدة بين الشعوب العربية على نحو ما فعل « عرس الزين» •

ان السينما العربية الجديدة ـ هنا وهناك ـ تناضل من اجل الوجود لاقتحام وعيك ايها المشاهد العربي • وهذا هو ما يحاوله عرس الزين حين يتخلى تماما عن اسطورة النجم والبطل التقليدي والقصة التقليدية وكل ما هو تقليدي تماما • انك بازاء عمل كويتي ـ سوداني جدير بالمشاهدة والمناقشة •

وهو اسهام نرجو ان نرى مثله يتحقق هنا او هناك فوق اي رقعة من عالمنا العربي الزاخر • ■■

الفاروق عبد العزيز



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الأسئلة نخبة من الأطباء

تقشر البشرة

● انى اشكو من تقشرالبشرة وحدوث حروق بها كل صيف عند ذهابى الى البحر ،فما سبب هذا الحرق وكيفية الوقاية منه ؟

– ان حرق البشرة هذا الذى يحدث لك كل صيف انما هو ناتج عن التعرض للشمس وليس للبحر وذلك بسبب الموجات القصيرة للشمس ، وتاثير الشمس على البشرة يعتمد على عوامل مختلفة مثل العمر والجنس والحالة الجسمية والصحية ، فترة وشدة التعرض للشمس ، درجة التغيير فى معدل الحرارة ودرجة التغير فى الرطوبة . ويكون تاثير الشمس اكبر قبل عمر البلوغ وفى المسنين بينما يقل التاثير فى عمر الشباب وفى الحوامل .

وعادة يحدث حرق الشمس فى بداية الصيف عند الذهاب للبحر قبل ان يبدأ تلون الجلد الذى يعطى بعض المناعة فتبدأ البشرة بالاحمرار عند التعرض للشمس فاذا زاد التعرض وكانت الشمس شديدة بدأ الجلد فى الانتفاخ مع زيادة الاحمرار ويشكو الشخص من حرقان البشرة والارق واضطراب النوم ، وفى اليوم التالى تزداد شدة الحرق وقد تظهر بعض الفقاعات المملوءة بسائل اصفر ، وبعد عدة ايام تخف حدة المرض وينقشر الجلد مع بعض الحكاك ، واذا كانت مساحة البشرة المعرضة للشمس كبيرة فقد يشكو الشخص من اعراض عامة مثل الصداع وارتفاع درجة الحرارة والشعور بالارهاق وقد تحدث ضربة شمس . ولذلك يجب على الاشخاص ذوى البشرة الحساسة او الرقيقة خاصة ان يتجنبوا الشمس المباشرة او الشديدة وقت الظهيرة ، ويجب ان يكون التعرض فى البداية لفترات قصيرة ومتكررة ولمدة محدودة فى اليوم الواحد حتى يحدث تلون للجلد وزيادة فى اللون الاحمر بدون حدوث اى حرق وبعد ذلك يمكن المكوث فى الشمس لفترات اطول حيث ان زيادة التلون الذى حدث علاوة على زيادة سمك الجلد الذى يحدث نتيجة تكرار التعرض يعطى مناعة للبشرة ويحميها من أشعة الشمس المحرقة .

العين ومرض البول السكرى

● ما هو تاثير مرض البول السكرى على العين ؟

– من المعروف ان مرض البول السكرى يترك بصماته على اجزاء مختلفة من الجسم، ومنها العين وتاثير مرض البول السكرى على العين يزداد كلما طالت مدة الاصابة بهذا المرض.

ومن المضاعفات التى تحدث للعين بسبب مرض البول السكرى ما يلى : –

، – اصابة الجفون باكياس دهنية ، مما يجعلها عرضة للالتهابات باستمرار بسبب ضعف مقاومة الجسم ، كذلك تعرض كل من الملتحمة والقرنية والقزحية والجسم الهدبى لمزيد من الالتهابات . ومن الاعراض التى تصيب القزحية تكون حلقة من الاوعية الدموية الجديدة Rubeosis - Iridis حول فتحة انسان العين ، وقد

تنفجر احدى هذه الاوعية فتسبب نزيفا داخل الغرفة الامامية للعين .

٢ ـ تتغير قوة الابصار عند مريض السكر بين فترة واخرى حسب ارتفاع نسبة السكر فى الدم فزيادة هذه النسبة تؤدى للاصابة بقصر فى النظر . وانخفاضها يؤدى الى طول فى النظر ولتفادى ظاهرة التغير فى الرؤية ينصح المريض بعمل نظارة طبية للاشخاص المصابين بهذا المرض اللهم الا اذا تمكن المريض من ضبط نسبة السكر فى الدم .

٣ ـ قد يشعر مريض السكر بتعب فى عينه عند القراءة حتى بعد استعمال النظارات الطبية وذلك لان عضلات العين الداخلية تضعف بسبب التهاب العصب المسيطر على العضلات .

٤ ـ ومن مضاعفات مرض السكر اصابة العين بعتامة فى العدسة وهو ما يسمى « بالماء الابيض الساد » Cataracta فى سن مبكرة وهذا الماء قد يملأ عدسة العين فى فترة اقصر بكثير من الاشخاص الذين يصابون بالماء الابيض دون ان يكونوا مصابين بمرض السكر .

والعلاج فى الحالة الاخيرة انما يكون باستخراج هذه العدسة المعتمة بعد ضبط نسبة السكر . وفى حالة نزيف الاوعية الدموية التى تنزف بالشبكية فيكون العلاج بالكى باشعة الليزر او الكى الضوئى (Photoiosgulation)

وتجدر الاشارة الى ان العلاج الاكبر يكمن فى المحافظة على نسبة السكر فى الدم لتفادى تلك المضاعفات .

العشى الليلى

● المقصود بالعشى الليلى او العمى الليلى هو عدم القدره على الرؤية فى الظلام .

والمعروف ان الشبكية هى المسئولة عن الرؤية فى تكوين الصور للاشياء التى تقع عليها العين والشبكية هذه تتكون من جزءين الاول يعرف « بالمنطقة الحساسة » « Macula » وهى منطقة صغيرة دائرية يبلغ قطرها حوالى ١/٢ ملم على بعد ٣ مليمترات من الناحية الخارجية للعصب البصرى ، وهذا الجزء مسئول عن قوة الابصار ومعرفة تفاصيل الاشياء الدقيقة وتحديد الوانها .. ولهذا نجد ان الشخص يحرك عينيه فى اتجاه الشيء المقصود معرفته بدقة حتى تتكون له صورة على هذه المنطقة الحساسة ، وأى تلف فى هذا الجزء من الشبكية يفقد العين حوالى ٩٠٪ من قوة ابصارها .

اما الجزء الثانى من الشبكية فهو المسئول عن الرؤية فى الظلام ، وليست وظيفته مقصورة على ذلك ، ولكنه يقوم فى النهار بزيادة المجال البصرى .

وهذا الجزء من العين يستطيع معرفة ملامح الشيء الذى تقع عليه العين فى الظلام ، كالسيارة او الشجرة او الانسان والحيوان ، دون معرفة اللون او الملامح الدقيقة لهذا الشيء ... وهذا ما نراه فى الظلام .

وترجع اسباب العمى الليلى الى الآتى :

التهاب البروستاتة المزمن

● عمرى ٣٢ عاما وغير متزوج اصبت بسيلان وتعالجت منه الا انه بعد فترة لاحظت وجود افراز صديدى فى الصباح من مجرى البول واخبرنى الطبيبان ذلك التهاب مزمن فى البروستاتة ولا بد من عمل تدليك لها . فما سبب ذلك وما فائدة التدليك ؟ .

ـ التهاب البروستاتة عادة يحدث فى عمر الشباب حيث تكون الناحية الجنسية نشيطة خاصة بين عمر ١٧ ـ ٥٤ سنة .

اما سبب حدوثها فى مثل هذه الحالة فيرجع الى عدم معالجة السيلان علاجا قاطعا ولذلك بدأت احدى مضاعفاته تظهر وهى التهاب البروستاتة المزمن وليس هذا السبب الوحيد الذى يؤدى الى التهاب البروستاتة المزمن ، بل هناك اسباب اخرى مثل وجود بؤرة صديدية بالجسم ، وانتشار المرض منها خلال الاوعية الدموية ، كذلك وصول الالتهاب من القولون خلال

١ ـ العشى الليلي الوراثي وفي هذه الحالة يشكو المريض من العمى الليلي منذ طفولته رغم ان الشبكية تبدو فيهؤلاء المرضى سليمة ولكن هذا السبب الوراثي يؤدي اليعيب خلقي في تكوين اعصاب شبكية العين . ولا يوجد علاج لهذه الحالة حتى الان .

٢ ـ العشى الليلي الذي ينتج عن تلف اطراف الشبكية . كما هو الحال في مرضى الشبكية الصبغي (Rel:mitis - Pegmentosa) وغالبا تبدأ الاصابة بهذا المرض في سن البلوغ . وتسوء الحالة كلما تقدم السن بالمريض وفي سن الخمسين يصل السوء درجة لا يستطيع معها المريض رؤية شيء في الليل . وللاسف لا يوجد علاج لمثل هذه الحالة حتى الان .

٣ ـ العشى الليلي الناتج عن نقص في فيتامين «أ» وهذا الفيتامين تحتاج اليه اعصاب الشبكية كي تتمكن من تكوين مادة الرودبسين المسئولة عن الرؤية في الظلام . واعراض هذه الحالة تتجلى عندما ينتقل المريض من مكان مضيء الى مكان مظلم .. فيتعذر عليه رؤية الاشياء التي امامه الا بعد فترة طويلة .

واذا اهمل علاج المريض المصاب بنقص فيتامين أ مدة طويلة فانه يصبح غير قادر على رؤية اى شيء في الظلام مهما طالت مدة تحديقه بالاشياء . وازدياد هذا النقص في فيتامين أ يؤدى الى فقدان القرنية والملتحمة لمعانهما وبالتالي اصابة القرنية بعتامة وتقرحات مما يسبب ثقبا في قرنية العين . وتعرض العين كلها للتلوث ثم العمى .

وينصح في هذه الحالة بتناول كميات كبيرة من فيتامين ا تصل الى ١٠/٠٠٠ وحدة دولية . اما عن طريق الفم او الحقن . وكذلك تناول الاطعمة الغنية بهذا الفيتامين مثل الجزر وزيت الكبد والحليب والزبد الخضروات الطازجة .

وتجدر الاشارة الى ان الجسم يحتاج يوميا الى ما يقرب من ٤٠٠٠ وحدة دولية من فيتامين ا .

الاوعية الليمفاوية . كما ان وجود احتقان بالبروستاتة يقلل من مناعتها ويزيد من قابليتها للالتهاب المزمن ومن اسباب الاحتقان حبس البول مدة طويلة . وكثرة الاتصال الجنسى وكذلك الكبت الجنسى . والافراط في ممارسة العادة السرية واستعمال المشروبات الكحولية بكثرة . وعلاوة على فان المريض يشتكى كذلك من الافراز الصديدى في الصباح في البول وعدم ارتياح في منطقة العوض والم في اسفل الظهر وربما بعض الاضطرابات الجنسية الاخرى والام في المفاصل .

اما بالنسبة لتدليك البروستاتة فهو احد العلاجات لهذه الحالة ويجب عمله مع الادوية وباقي العلاج والنصائح والارشادات الخاصة بهذا المرض . وعلى العموم فاهمية تدليك البروستاتة تكمن في ان التدليك يساعد على فتح القنوات المسدودة ليخرج منها الافراز المتجمع داخلها وكذلك فانه يزيل التلاصقات الموجودة ويقوى عضلات الغدة مما يسهل عملية القذف وخروج الافرازات الخاصة بها . كذلك فان التدليك يحسن الدورة الدموية وامتصاص الارتشاح وبذلك يقل الالتهاب وتزداد فرصة امتصاص الدواء . كما انه يؤدى الى زيادة المقاومة للبكتريا والسموم المفرزة . الا ان هناك حالات يجب عدم التدليك فيها مثل الاشخاص شديدى المرض او من كانت حالتهم الصحية ضعيفة . كذلك اثناء الالتهاب الحاد . او وجود حصوة او ورم او خراج بها وكذلك اثناء وجود التهابات بالعين .

■■

الأوامر

قصة للكاتب الايطالي ألبرتومورافيا

كنت اعمل ساعيا في مصرف . وعندما صرفوني من عملي ، بسبب اعادة تنظيم الجهاز الاداري ، تملكني ذهول وارتباك . فقد اعتدت أن أتلقى الاوامر من كل نوع : قرع الاجراس ، الاضواء الحمراء والخضراء على مؤشر المصعد ، مطالب الزبون ، أداء المهمات العاجلة الاخرى . ومن ثم ، على غير انتظار ، لم يعد هنالك شيء ، لم يعد هنالك سوى ان استلقي على الكنبة في غرفة الجلوس طاويا ساقي ، مصالبا ذراعي ، تاركا لعيني أن تطيلا التحديق في الفراغ . لم يعد لدى عمل اقوم به ، ليس لانني لم أعد موظفا ، بل لانه ليس هنالك من يصدر اوامره الي . لربما كان بعض الاشخاص لا يميزون الفارق في ذلك . الا ان هنالك فارقا ، فارقا كبيرا ، بالنسبة الي .

سوف اشرح الامر لكم . بعد عدة أيام كنت خلالها ابحث عن عمل جديد دون جدوى ، وذات صباح كنت فيه مستلقيا في سريري أحاول مخادعة نفسي بالتفكير انني لا أبرح نائما ، جاءني صوت زوجتي فارغمني على أن أهب على قدمي . كان صوتها يقول في نبرة غاضبة :

ـ ماذا تراك تفعل في السرير في مثل هذا الوقت من النهار ؟ أفلا تخجل من نفسك ؟ هيا ، انهض ، واغسل وجهك ، وقم بعمل مفيد خلال الفترة التي سأرتدي فيها ثيابي : جهز الفطور .

كانت الكلمات ، بوضوح تام ، عادية تافهة . الا ان تأثيرها علي ، أنا الذي كنت متراكما تحت الاغطية ، كانت له وجهة اخرى . فقلت في نفسي :

ـ انهض ، اغسل وجهك ، قم بعمل مفيد ، جهز الفطور ... وهذه أوامر حقيقية لا زيف فيها ، لا تقل وضوحا وعجرفة عن الاوامر التي كنت اتلقاها في المصرف . هذه « اوامر » .

وشعرت في الوقت ذاته أن في تلك الاوامر ، وقد استفزني الغيظ ، شيئا في طبيعة ذلك الحافز المتدفق من ذهني والمنطلق نزولا حتى قدمي . رميت على الفور الاحرمة ، ووضعت قدمي على الارض ، واسرعت الى الحمام ، وفتحت الباب ، وأدرت مفتاح الدش ... وباختصار ، فعلت ما امرت به .

ومن ثم ، فيما انا استحث نفسي ، تأكدت أن في تلك الاوامر ، البسيطة في مظهرها ، عددا كبيرا آخر من اوامر ضمنية ، اوامر ، على حد تعبيرهم ، من الدرجة الثانية والدرجة الثالثة . خذوا على سبيل المثال هذه الجملة المقتضبة : جهز الفطور . حسنا ، ان هذه الجملة تعني : اذهب الى المطبخ اولا ، أشعل الغاز ثانيا ، ضع البن والماء في الغلاية ثالثا ، اقطع الخبز رابعا ، ضع المشواة على النار وشرائح الخبز في المشواة خامسا . هيء الصينية باقداحها ووعاء السكر ووعاء الزبد سادسا ، انقل غلاية القهوة والتوست الى الصينية سابعا ، احمل الصينية الى غرفة النوم وضعها على السرير ثامنا .. مجموعة من الافعال كما ترون يمكن ، فيما اذا لم أنجح في تدوين اوامر زوجتي لحظة النطق بها ، وبسبب من تعقيداتها ، أن يكون من الصعوبة بمكان وضعها موضع التنفيذ . وفضلا عن ذلك ، فان هذه الاوامر من الدرجة الثانية يمكن أن تستدعي اوامر اخرى من الدرجة الثالثة ، على ما سبق أن ذكرت . مثلا ، ان وضع الزبدة على الصينية معناه حمل الزبدة من البراد ، واخراجها من الورقة الملفوفة بها ، وقطعها بالسكين ووضع القطع في صحن ، الخ ، الخ .. فماذا يتضمن ذلك كله ؟ انه يتضمن انني ، تدريجيا ، بدأت أستشعر ان لي وجودا من جديد ، وجودا وراءه تأدية عمل ، بعد كل تلك الايام الخاملة التي تلت صرفي من الخدمة في



المصرف • لقد كنت في ذلك الحين موظفا • وهذا انا الاونة أعود فاصبح موظفا لسبب دقيق هو انني – اعذروا لي تلاعبي بالالفاظ – أعمل من جديد •

زوجتي كانت ضاربة اختزال تذهب كل يوم الى عملها في أحد المكاتب • وفي ذلك الصباح لم تصدر الي أية اوامر أخرى • كل ما فعلته هو أن صاحت بي وهي خارجة :

– انتبه أن ترد على الهاتف وتدون أسماء المتحدثين فيه •

كان ذلك كافيا بالنسبة الي : جلست في غرفة الجلوس ، على الكنبة ، وجعلت أنتظر • ماذا تراني كنت أنتظر ؟ كنت أنتظر أن يرن الهاتف كما أشارت زوجتي • الا شكرا لهذه النداءات الهاتفية التي بسببها سيكون لي وجود طوال عشرين أو اربعين أو ستين ثانية ، أي عمل خلال ساعتين من العطالة والكسل •

وهذا ، في رأيي ، شيء كبير • وفضلا عن ذلك ، اذا كان الهاتف سيرن أكثر من مرة ، فان وجودي يكتسب شخصية هي الى حد ما نظامية متماسكة • جعلت افكر في هذه الامور ، ثم رفعت نظري ورأيت امامي ، على منضدة صغيرة في فجوة النافذة ، الالة الكاتبة التي تستخدمها زوجتي في المساء لانهاء اية اعمال اضافية تكون مناطة بها • ثم ، فيما انا انظر الى مفاتيح الالة ، المزدحمة بكلمات كامنة ، ولكنها رغم ذلك ، في تلك اللحظة ، خرساء لا حراك بها ، فقد احسست شيئا مثل شعور بالاخوة : انا نفسي كنت أشبه بالة كاتبة لا حراك بها أثناء غياب زوجتي • نشيطة الحركة أثناء وجودها • قلت في نفسي اننا كنا ، كما يقولون ، شقيقا وشقيقة ، والالة ، الى حد ما ، أكثر انسانية مني لان لها ، على أقل تقدير ، صوتا خاصا بها ، صوتا رشيقا له صدى • في حين اني ، انا نفسي ، صامت أخرس على الدوام تقريبا •

ذلك اليوم . على اية حال . لم يكن هناك رنين الهاتف وحده . ولكنني اكتشفت انه ، بالممارسة . قد يتلقى المرء اوامر في اية لحظة وينبغي على المرء أن يكون متنبها • قرع جرس الباب : ذلك امر بالنهوض والذهاب الى الباب وفتحه ورؤية من يكون الطارق • امرأتان تتصايحان وتتشاجران في الساحة : ذلك أمر بالذهاب والتطلع من النافذة ورؤية ما يحدث • المياه تتساقط في المطبخ : ذلك أمر بالذهاب واغلاق الصنبور • وهكذا دواليك •

كنت مسرورا حقا . فانا حققت بالاضطرار فضيلة العمل • لكن وجود المرء لا يمكن أن يتم اذا كان عمله الوحيد هو اغلاق صنبور الماء •

ثمة شيء اكثر اهمية تدعو الحاجة اليه ، ولنقل شيء اكثر نظاما واكثر حدوثا • على سبيل المثال وجود مائة صنبور في حاجة الى اغلاق ، على أن تفصل بين الواحد والاخر فترة عشر دقائق فقط • وعلى اية حال فان ذلك هو شيء ، وعندما نتكلم عنه او نفعله ، فانه يبقى ، من دون ريب ، افضل من الالة الكاتبة القابعة هناك ، هامدة خرساء . وستبقى هكذا الى حين عودة زوجتي الى البيت •

ويبدو أن زوجتي حدست انها تشغل الان بصورة ناجحة المركز الذى كان يشغله في حياتي مدير المصرف سابقا . فاخذت الاوامر منذ ذلك اليوم تنهال كثيفة سريعة ودقيقة :

ـ انت لا تصلح لشيء ، انت متسكع مدمن ، انت متكسب متملق • اجعل من نفسك صالحا لاي عمل على اقل تقدير • نظف ، اغسل الثياب ، اكو القمصان ، اذهب الى السوق ، اطبخ ، رتب البيت ، الخ ، الخ ••

لقد كفت عن واجباتها اليومية • وقد يخطر للمرء انها ، باصدارها مثل هذه الاوامر الى ، قصدت معاقبتي على عجزى عن ايجاد عمل والحصول على شيء من المال • والامر الذى لم تتبينه هو انها كانت تهرق الغبطة في جوانحي •

ماذا اقول ؟ الغبطة ؟ ذلك أنها كانت تجعلني اؤدى عملا . اى تجعلني كائنا موجودا • ففي الصباحات كنت أسجل الاوامر التي تصدرها لي قبل خروجها من البيت ، ومن ثم ، على مدى النهار بطوله ، أروح أنفذ تلك الاوامر بدقة وصورة اليه • في تلك اللحظات النادرة التي لم يكن لي اوامر أعمل على تنفيذها ، فقد كنت أعي اني اغدو اكثر اعتمادا على زوجتي بالنسبة لي ما اؤدى من أعمال : هي ، هي وحدها ، قادرة على أن تجعلني أحرك ساقي ، وذراعي ، ويدي ، واصابعي • ومن بعد اختبرت شعورا من الحب القوى مختلطا بالامتنان والثقة •

بقينا على مثل هذه الحال قرابة سنة كاملة • ثم ، بعيد عدد من الدلائل ، رأيت ان علاقتنا ، التي كانت تبدو منتظمة فعالة ، بدأت تتدهور تدريجيا • انها تلك العلاقة ـ كيما أعيد التشبيه الذى اطلقته ـ بين ضاربة الالة الكاتبة وتلك الالة . وقد راحت الان ، يوما بعد يوم ، تغدو علاقة بين بائع الالات وتلك الالة ذاتها • لربما تحقق لدى زوجتي ، وهي تخنقني بالاوامر ، أنها لا تعاقبني بقدر ما تساعدني على الوجود • لربما وجدت شخصا يدون اوامرها وينفذها أفضل مني • ويبقى الواقع انها بدأت تنسى أن تحدد لي واجباتي قبل أن تخرج في الصباحات ، اى ان تعطيني تعليماتها المألوفة عن عملي خلال اليوم • وهكذا فان ما كان يحدث أكثر فاكثر هو انني كنت أبقى بدون حراك أو عمل مستلقيا على الكنبة في غرفة الجلوس ، طاويا ساقي ، مصالبا ذراعي محدقا بعيني في الفراغ ، أشبه بالعوبة حقيقية لها مفتاح في ظهرها ونابض في صدرها • وبدا ان زوجتي افعمت بنوع من السرعة الازدرائية : فهي ترتدى ثيابها دون أن تخاطبني ، وتهيىء قهوتها وحدها ثم تندفع خارجة من البيت من دون ان تودعني • وكانت تبقى خارج البيت النهار بطوله تقريبا ، واحيانا الليل أيضا • وفي هذه الاثناء لم يكن الهاتف يرن على الاطلاق ، كما ان أحدا لا يقرع جرس الباب • ولم أكن أقوم بأى عمل من اعمال التنظيف ، وابقى تساورني الشكوك لانها لم تامرني بذلك • أما بالنسبة الى الطعام فقد كنت أخضع لنخزات معدتي الكسول غير المنتظمة ـ وهي الاوامر الوحيدة التي أتلقى ـ فاعيش على الماكولات المحفوظة في العلب •

وهكذا غدا منزلنا ، يوما بعد يوم ، مكانا يسوده الاهمال والكآبة : الارض وسخة ، والاثاث مبعثر ، والصحون والاقداح في المطبخ دون غسيل ، وقطع من نفايات الورق ملقاة في الزوايا ، والثياب على المقاعد ، والاسرة غير مرتبة • وكانت زوجتي تلحظ هذه الامور كلها من دون ريب ، وكان اى

انسان يستطيع أن يقول انها لم تكن تبالي : لربما كانت تود ، عن طريق هذه القذارة ، أن تبلغني امرا عجزت انا عن اكتشافه او استيعاب مغلقاته. وفي أيام الاحاد كانت تبقى في البيت ساعتين ، ومن ثم تعمد في اسلوب موجز سريع الى تنظيف وترتيب الغرفتين اللتين يتالف منهما بيتناالصغير.

ذات صباح نهضت من نومي فرايتها ، وقد ارتدت كامل ملابسها ، تحزم في صمت حقيبتها التي القت بها على السرير • فظللت اراقبها فترة طويلة وهي تتحرك بين الخزانة والحقيبة • واخيرا ترجمت ذلك الغدو والرواح على انه أمر ، أمر مرير مؤلم ، ان اسالها واكتشف ماذا يحدث • انفجر شيء ما في داخلي ، وتحرك لساني ، ونطقت شفتاي بهذه الكلمات :

ماذا تفعلين ؟

استدارت ونظرت اليّ ، ثم خطت وجلست على السرير ، وقالت :

ــ توليو ، لقد حان اوان افتراقنا • لقد حاولت ان اجعلك تفهم بكل وسيلة ممكنة • ولكنك تعمدت الا ترى ، الامر الذي يرغمني على اخبارك• لقد انتهى زواجنا • لقد وجدت رجلا يحبني واحبه• وكنت أعيش معه ، كما يقولون ، طوال شهرين • وان تواجدي هنا لا يمكن ان يستمر • وانت لم تنتبه الى ذلك • لكنه لم يبق شيء مني في هذه الشقة ، اللهم غير هذه النفايات القليلة والالة الكاتبة • وينبغي أن تكون الان على شيء من اللطف والوداد مثلك دائما • ان الرجل الذي ساعيش معه ينتظرني في الشارع • فارجو أن تاخذ هذه الالة الكاتبة ، وتنزل بها الى الشارع وتضعها في سيارته • هذا كل ما ارجوه منك •

شعرت بالم رهيب ، الم خيل لي انه سينقلب من جراء شدته وعنفه الى أمر من دون ريب •

قلت :

ــ لكن ، لكنني لا أستطيع أن أعيش من دونك•

تلك كانت الحقيقة : من دون أن أتلقى الاوامر منها لا يمكن ان يكون لي وجود • ولكنها ترجمت كلماتي وفق مزاجها • فاجابت :

ــ من سوء الحظ أنني ،من جهة اخرى ،استطيع ان اعيش تماما من دونك • صحيح انك جعلت من نفسك رجلا نافعا ، لكنه في العلاقة بين الزوج والزوجة لا يكفي أن تجعل نفسك رجلا نافعا ، بل يجب أن تكون ضروريا • والان انت لست ضروريا• وانا استطيع استبدالك بمكنسة كهربائية او غسالة كهربائية أو جهاز يرد على الهاتف بصورة الية •

اجبت ، وانا لا ابرح أطيع الامر الذي ينقله اليّ الالم الذي اشعر به :

ــ سوف لن أسمح لك بالذهاب •

فاجابت في عزم :

ــ هيا ، لا تتصرف مثل ولد صغير • ارتد ثيابك ، وخذ الالة الكاتبة ، وانزل بها السلم وضعها في السيارة • ساحمل الحقيبة بنفسي •

لاول مرة منذ بدانا حياتنا معا وجدت نفسي امام امرين متناقضين ــ ففي الجانب الاول يامرني الالم أن امنعها من الرحيل ، وفي الجانب الثاني تامرني هي نفسها أن احمل الالة الكاتبة واهبط بها الى الشارع • وبدات افكر فيما ينبغي عليّ ان افعل ، وارتديت ، في تلك الاثناء ، ثيابي مثلما ارتني أن أفعل • وكانت زوجتي تروح وتجيء ، ثم اغلقت الحقيبة وذهبت الى المراة ، وادارت ظهرها اليّ ••• وعندما بدأ الحافز عمله • وثبت نحوها ، وانا أصيح :

ــ انت لا يمكن أن ترحلي عني •

وقبضت عليها من عنقها • وحدث كل شيء بدقة وسهولة ، وبصورة آلية • ثم عندما شعرت انها بدات ترتخي وتهوى صوب الارض ، وتكاد ترميني معها ، فقد جررتها ناحية السرير ومددتها عليه ، على ظهرها ، وذراعاها متباعدتان •

لقد حان الان الوقت الذي ينبغي على أن انفذ الامر الاخر • وضعت الالة في حقيبتها ، وخرجت من الشقة وهبطت في المصعد الى الطابق الارضي• كانت السيارة واقفة هناك امام المدخل الرئيسي ولكنني لم أستطع رؤية وجه السائق بسبب انعكاس الشمس على الزجاج • درت حول السيارة ، وفتحت صندوقها الخلفي ، ووضعت الالة الكاتبة فيه • ثم عدت فصعدت الى الشقة من جديد ، وجلست على الكنبة في غرفة الجلوس طاويا ساقي ، مصالبا ذراعي ، محدقا بعيني في الفراغ منتظرا الاوامر • ■■

ترجمة : سهيل أيوب

الشارقة ــ الامارات العربية المتحدة

أطول كلمة في اللغة الانجليزية

● الحقيقة ان ما ذكرتموه في العدد ٢٢٨ من العربي ، اطول كلمة في الانجليزية ليس كلمة .

Honorificabilitudintatibus.

ورغم طول هذه الكلمة التي هي عبارة عن مجموعة من الكلمات العربية المزوجة والمرقمة والتي تحمل عدة معان ، الا ان اطول كلمة في اللغة الانجليزية مكونة من ٢٨ حرفا وهي تعني « الانشقاقية » وهي طائفة ريفية انشقت عن الكنيسة ، الكنيسة الانجليزية وهذه الكلمة هي « Antidisestablishmenterainism » ومصدرها الاستاذ/روجرز ـ الذي كان يدرس اللغة الانجليزية في كلية اداب جامعة الموصل سنة ١٩٧٣ .

انيس احمد عطية
نينوى ـ العراق

مرة اخرى

● كنت قد قرات في العدد ٢٢٦ كلمة بعنوان « دراكيولا ليس بطلا قوميا » ، في باب حوار القراء واعجبتني في حينه كثيرا لانها اعطت توضيحا موضوعيا حول الطاغية المذكور . غير انني شعرت بدهشة كبيرة عندما قرات في العدد ٢٢٩ ، وفي نفس الباب ، ردا من السيد باسم محمد المصري ـ دفعني للكتابة اليكم لما في كلام السيد المشار اليه من مغالطات ، افندها بايجاز :

١ ـ اتهم السيد باسم السيد حمدان بانه وصف الجيوش الوطنية التي تدافع عن ارض بلادها ضد غزاة (يقصد العثمانيين) بانها استبدادية والحقيقة ان السيد حمدان تحدث عن الجيوش القيصرية الروسية ، والبلاد المعنية هي رومانيا ، علما بان الوقائع التاريخية تبين ان الجيوش القيصرية في حربها ضد الدولة الاسلامية قد اظهرت وحشية رهيبة ضد الرومانيين ، يقول المؤرخ الفرنسي ، « لاموش » في معرض حديثه عن الحرب العثمانية الروسية عام ١٨٢٨ ما يلي : « خلال الحرب ، كما في الحملات السابقة ، كان الاحتلال الروسي في منتهى القسوة على الرومانيين ، ولا سيما على الفلاحين الذين كانوا يتعرضون لكل انواع الابتزازات والسخرة المتعسفة والمنهكة ، وعندما لم تكن حيوانات جر عربات المؤن والذخيرة كافية ، كان الضباط الروس يعمدون الى جرها بواسطة الرجال الرومانيين ، او حتى بواسطة النساء .

ومعروف ان الدولة العثمانية كانت تحافظ على تراب الوطن الاسلامي ، وكان بين الرومانيين كثير من المسلمين ، خصوصا في مقاطعة افلاقيا (فلاقيا) التي مدت الدولة الاسلامية بكثير من الحكام والقواد ، وما ان تهاوت هذه الثغور المتقدمة حتى اصبحت الطريق مفتوحة لاحتلال مناطق التتر المسلمين في شبه

محافظة كفر الشيخ

● درجت مجلة العربي على تقديم استطلاعات عن بقاع الوطن العربي مستهدفة تعريف المواطن العربي بوطنه الكبير وانطلاقا من هذا المفهوم ادعوكم لاستطلاع محافظة كفر الشيخ التي تنتج ٤٠٪ من الارز المصري ونسبة كبيرة من المحاصيل الزراعية مثل القطن والذرة الشامية والكتان ، هذا بالاضافة الى الثروة السمكية الهائلة من شواطيء البحر الابيض المتوسط وبحيرة البرلس التي تعتبر من البحيرات الكبرى في مصر بعد بحيرة المنزلة .

وهناك ايضا الكثير من الصناعات القائمة في هذه المحافظة والتي تستحق استطلاعا ينشر عنها في مجلة العربي .

محمد عبدالعاطي عبدالقادر
مصر .

جزيرة القرم، والمناطق الشركسية في القفقاس ، الامر الذى ترتب عنه بعد انكسار المجاهد الشيخ « شامل » نزوح اعداد كبيرة من اخواننا الشراكسة الى شتى ارجاء المملكة فى البلقان والاناضول وبلاد الشام •

٢ ـ ضمن نفس المغالطات ،تساءل السيد بسام : « هل نسى (السيد حمدان) اللقب الذى كانوا ينادوننا به « بيس عرب » اى الكلب العربى » •

بكل موضوعية ، أوضح أن كلمة « بيس بمعناها « قذر » لا كلب • هذا من جهة ومن جهة اخرى ، طالما سمعنا من آبائنا انه كانت توجد حلقات خفية تعمل على الدس بين الاخوة المسلمين من عرب وأتراك وغيرهم (وبينهم صلات نسب وتصاهر عبر قرون) ولعلها كانت مرتبطة بالصهاينة والاستعمار الغربى الزاحف على المنطقة ، وكان الاسلوب يعتمد على ابتداع مثل هذه العبارات ونفخها فى الآذان، حسب رواية اهلنا من الجيل القديم ،ليتلقفها العامة ويستعملوها فى مشاحناتهم اليومية ،وعبارة « بيس عرب » هذه كانت تقابلها عبارة « اتراك جنس فسيك » ، (بالسين المشددة) • وكلتاهما صادرة عن نفس المنبع الذى كان ينفخ فى الخفاء ،تحقيقا لمطامع الاستعمار الغربى والصهاينة فى المنطقة •

هذا ومن المعلوم ان جميع الرعية كانوا يخضعون لقانون واحد ، بغض النظر عن الجنس والدين وهذا يجعل من قوانين الدولة الاسلامية آنذاك القوانين الاكثر تقدمية لان اوروبا « المتحضرة » كانت تعتمد على قانونين: الاول للاسياد الاوروبيين والآخر لسكان المستعمرات •

الرقة/سوريا   فاضل محمود الوراق

استطلعوا الاردن

● الاردن بلد شحيح الموارد الا ان الطبيعة حبته بطقس معتدل تكثر فيه الاشجار الوارفة ناهيك عن الاثار العظيمة التى ما زالت تروى قصص الغابرين وهذه كلها عوامل جذب سياحية ،حبذا لو قامت العربى باستطلاع عن الاردن لتعريف العرب بهذا الجزء من وطنهم العربى الكبير •

اربد ـ الاردن   رسمى طربية

سر هالات النور

● قرأت فى عدد ٢٢٤ من العربى موضوعا عن « سر هالات النور » للدكتور عبد المحسن صالح ـ يلمح فيه الى ان العلم الحديث قادر وسيظل يحارب حتى تخليص الناس من بعض آرائهم القائمة على الخيال والاساطير التى كانت تناسب مستوى التفكير فى بشر عاشوا منذ مئات الآف السنين •

ويبدو لى ان الكاتب ظن انه عثر على مفتاح السر الحقيقى حين فسر هالات النور بانها تلك التى تظهرها الكهرباء الساكنة ومع احترامى لبحثه، الا انه لم يفسر لنا اسباب تجمع تلك الكهرباء ولا الظروف التى تتجمع فيها •

انا لا ادافع عن الاساطير والمعتقدات الخاطئة التى طغت على مجتمعنا ولكنى ادرك انه لا العلم وحده القادر على حل مشاكل الانسان ولا الاعتقاد بالخرافات هو مرض مجتمعاتنا •

ولكن الانسان سيظل بحاجة الى الطاقة الروحية التى تبعث الامل فى نفسه كحاجته الى الايمان بالعلم النافع المعزز بالايمان •

والواقع ان كشف سر هالات النور وتفسيرها بالكهرباء لا ينفى انها قد تكون احيانا مجرد تجمع كهربائى ، وقد يكون احيانا تدبيرا من الطبيعة مقصودا •

احمد نجيب ابهاوى
انزكان ـ المغرب

تاريخ الموريسكيين

● بعد ان اطلعت على تاريخ الموريسكيين الذي قدمه فهمي هويدي في العدد ٢٢٨ من «العربي» هزني شعور عنيف ذكرني بالاعداء الذين يحيطون بالاسلام .. وهنا اتساءل : ما دور الدول الاسلامية الغنية في حماية الاسلام والمسلمين ؟

ان رجال الرعيل الاول استطاعوا ان ينطلقوا من ارض فقيرة بالاموال ولكنها غنية بالايمان الى كل ارجاء العالم ليرفعوا راية الاسلام في بلاد لم تكن تعرف الاسلام .. فما بالنا نحن مسلمي اليوم نرضى بالخنوع بدلا من العزة .

او ليس من الافضل ان نقدم المساعدة الى هؤلاء المسلمين بدلا من تجميد اموالنا في مصارف وبنوك اوربا وامريكا لتستخدم بالتالي ضد المسلمين .

محمد التمو

حلب/كلية الطب

اين الشعر الرصين ؟

● الاحظ ان الشعر الجيد الرصين قليل هذه الايام .. فرغم ان العصر الحديث انجب شعراء مجيدين من امثال شوقي وحافظ ومطران وعمر ابي ريشة الا اننا لانجد اليوم تلك القصائد العصماء التي كانت تملأ اسماعنا وتأخذ بأبصارنا. فحبذا لو قرأنا مقالا لاحد النقاد عن سبب هذه الظاهرة .. فهل اصاب القرائح جدب ؟

امجد جلال

بغداد/العراق

الاستعمار واحد مهما تعددت أشكاله

● الى الذين دافعوا عن الحكم التركي للعرب اقول ان السيطرة الاستعمارية نكبة كبيرة للشعوب المستعمرة مهما تعددت اشكالها والوانها ، والاستعمار واحد مهما لبس من اقنعة ، والتاريخ خير دليل على ذلك ، فهو يأتي احيانا غازيا ومحتلا، واحيانا اخرى يأخذ شكل الاستعمار الاقتصادي ، ويكتفي في بعض الاحيان بزرع عملائه ، ويتستر احيانا تحت دعوات دينية مختلفة ، الم يغز الاستعمار الاوربي المنطقة العربية تحت ستار الصليب ، ودعوة المسيح وهم ابعد ما يكون عن دعوة هذا المعلم العظيم .

ثم اسأل : هل كان تصدي الجيش التركي لغزو المستعمرين الاسبان او البرتغاليين او غيرهم حرصا على الدفاع عن الارض العربية ، ام عملا يهدف تثبيت وجوده ؟ ولماذا لم يخرج الاتراك بعد ان حرروا البلاد العربية وحموا ديارهم ، ثم كيف يستطيع التاريخ ان يفسر لنا الثورات التي قامت ترفض الوجود العثماني والبطش الذي مارسه ضد ثوارها .

لقد كتب السيد جاسم الوزان في حوار القراء يسأل :

ماذا كان يمكن ان يكون مصير الاسلام والقرآن لولا موقف العثمانيين . وردي على ذلك هو الاية الكريمة : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » والا فكيف استطاعت الجزائر ان تحافظ على لغتها العربية وهي لغة القرآن وعلى دينها رغم محاولات الفرنسة التي دامت مائة وثلاثين عاما ؟ واخيرا .. الا يجب ان نعرف كيف جاء العثمانيون الى المنطقة العربية .. ومن اين جاءوا وباي هدف ؟ وكيف رحلوا عن ارضنا ؟

ان وقوفنا على حقيقة ذلك يعطينا الجواب الحقيقي لسؤال: هل الحكم التركي نكبة للعرب ام لا ؟

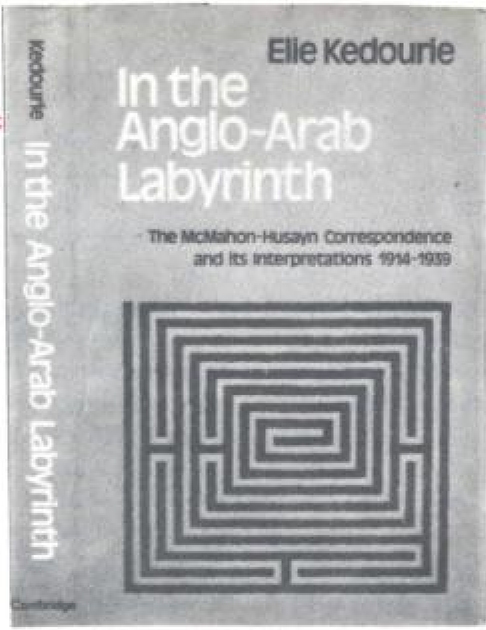
خير جمعه/سورية البوكمال

اذاعة الكويت

● صحوت هذا الصباح في مدينتي الحبيبة القدس على صوت اذاعة الكويت ولا استطيع ان اصف لكم شعوري وانا استمع الى هذا الصوت العربي يصلني في بيتي ، والحق اقول ان اذاعة الكويت اشعرتني بالفخر والاعتزاز وانا اسمعها تتسلل الى عبر الحدود والاسلاك لتخاطبني هنا في اسرى الكبير .

القدس ـ فلسطين   عفيف العمرى

كتاب جديد



فى المتاهة الانجليزية العربية

قراءة مفصلة لمراسلات مكماهون والشريف حسين (١٩١٤-١٩٣٩)

بريطانيا تمنى الحسين بالوعود الغامضة بينما تقتسم المشرق مع فرنسا

تاليف : ايلى خدورى عرض وتعليق : الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى

■ هناك قضايا تاريخية قد تبدو غامضة فى حينها ، ولكنها لاتلبث ان تتضح بمرور الزمن بعد ان تخرج الى حيز النور ، الاوراق الرسمية والمذكرات الشخصية المتصلة بها • وهناك قضايا اخرى لايؤدى مرور الزمن الا الى ازدياد تعقيدها، وذلك حين تتضارب حولها وجهات النظر وبخاصة اذا ما استرسلت المشاكل المتصلة بها • ومن هذه الاخيرة المراسلات التى تبودلت فى الفترة ما بين يولية ١٩١٥ ومارس ١٩١٦ بين المندوب السامى البريطانى فى مصر السير هنرى مكماهون وبين شريف مكة الحسين بن على • فهذه المراسلات

« لقد أعطينا اليهود والعرب تأكيدات متناقضة خلال الحرب • لقد بعنا الجواد ذاته مرتين! » •



لورد لويد
وزير المستعمرات البريطانى

كانت منذ البداية موضعا لتفسيرات متضاربة ، وللجدل الذي لم يخف بمرور الزمن ، ان لم يكن قد ازداد • وليس من المبالغة القول بانها قد اثرت في العلاقات العربية ـ الانجليزية طيلة نصف قرن من الزمان •

بداية نشر الوثائق

وقد تكشفت بعض تفاصيل هذه المراسلات قبل مرور عام على انتهاء الحرب العالمية الاولى ، وذلك على يد الجاسوس البريطاني لورنس ـ المعروف باسم « لورنس العرب » ـ الذي نشر بصددها مقالا طويلا في جريدة الديلي تلجراف تحت اسم مستعار • وفي عام ١٩٣٤ نشر امين سعيد المراسلات برمتها في كتابه « الثورة العربية الكبرى » . وفي عام ١٩٣٨ نشر جورج انطونيوس معظمها في ملحق بكتابه «يقظة العرب » الذي نشر اول ما نشر باللغة الانجليزية • ولكن الحكومة البريطانية لم تعد تنشر المراسلات رسميا الا في عام ١٩٣٩ ، حين اصدرت بصددها كتابا ابيض ، تلبية لطلب الوفود العربية الى مؤتمر المائدة المستديرة (١٩٣٨ ـ١٩٣٩) الخاص بفلسطين : فقد اعتقدت هذه الوفود ان المراسلات تثبت ان مكماهون وعد الشريف حسين بفلسطين في عام ١٩١٥ ،وبالتالي فان نشرها يعزز موقف العرب من الصهيونية • وهكذا اصبحت مراسلات الحسين ـ مكماهون جانبا هاما من جوانب القضية الفلسطينية ، هذا برغم ان تبادلها قد تم قبل صدور وعد بلفور ، وان يكن تفسيرها قد أصبح موضعا للجدل بعد صدور الوعد (٢ نوفمبر ١٩١٧) والاحتلال البريطاني لفلسطين •

الشريف حسين وبريطانيا

فقبل نشوب الحرب العالمية الاولى اصطنع الشريف حسين سياسة مزدوجة فيما بين الدولة العثمانية وبريطانيا ، مؤملا أن يؤدي احتضانه للتيار القومي العربي الى تضخيم الدور الذي يلعبه في المشرق العربي ، وتحقيق احلامه الخاصة بقيام دولة عربية مترامية الاطراف يحكمها هو واولاده بالاضافة الى احياء الخلافة العربية في شخصه • وكان ابنه عبدالله بوجه خاص شديد الحماسة لهذا المشروع ، وبخاصة أنه كان يكن مقتا شديدا للدولة العثمانية • وفي زيارتين قام بهما الى القاهرة قبل نشوب الحرب اتصل بالسير رونالد ستورس (السكرتير الشرقي بدار المندوب السامي البريطاني في مصر) وعرض عليه مشروع والده استمالة بريطانيا الى جانبه فيما لو اصطدم بالسلطات العثمانية في الحجاز • وقد طالب عبدالله بان تعترف بريطانيا باستقلال العرب في منطقة واسعة تشمل الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية ، وان تلتزم باندفاع عن هذه الدولة العربية المستقلة • وكان موقف ستورس ـ بناء على تعليمات حكومته ـ هو عدم تشجيع عبد الله مع عدم رفض عرضه رفضا باتا • ومما يلفت النظر ان عبدالله ، خلال زيارته للقاهرة ، قد نزل ضيفا على الخديوي عباس الثاني في قصر عابدين ، الامر الذي لايخلو من مغزى سياسي: فقد كان عباس هو الاخر يتطلع الى ضم الشام وشبه الجزيرة العربية الى املاكه ، ويحلم بان يصبح خليفة للمسلمين ، او على الاقل بان ينصب خليفة عربي يدين له بالولاء وبخاصة لان الخلافة قد اصيبت بضربة شديدة نتيجة لخلع السلطان عبد الحميد في عام ١٩٠٩ على ايدي الاتحاديين الذين كان ثمة اعتقاد قوي لدى المسلمين بانهم واقعون تحت سيطرة اليهود •

وفي اواخر اكتوبر ١٩١٤ انضمت تركيا الى المانيا ضد بريطانيا وحلفائها ، واعلنت السلطات التركية الجهاد المقدس ضد دول «الوفاق » :روسيا القيصرية وبريطانيا وفرنسا ، محرضة بذلك رعايا هذه الدول من المسلمين على شق عصا الطاعة للحكام المسيحيين • وكان لابد لبريطانيا ـ التي كانت تحكم عدة ملايين من المسلمين ، وبخاصة في الهند ـ ان تعمل شيئا لمواجهة نداءات الساسة الاتراك وتشتيت ولاء المسلمين لدولة الخلافة ، ومن ثم اهتمامها بعروض عبدالله وباهمية الشريف حسين،

(١) المؤلف أستاذ السياسة بجامعة لندن ورئيس تحرير مجلة « دراسات الشرق الاوسط » التي تصدر في العاصمة البريطانية ، وله عدة دراسات تتعلق بتاريخ المشرق العربي خلال النصف الاول من القرن العشرين •

حفيد الرسول وشريف البقاع الاسلامية المقدسة في الحجاز . وحامل مفاتيح الكعبة. اما رد بريطانيا على عرض عبد الله فقد جاء على يد اللورد هاربرت كتشنر وزير الحربية البريطاني . الذى كان قبل نشوب الحرب مندوبا ساميا لبريطانيا في مصر . ولم يرسل هذا الرد الا بعد ان وافق عليه وزير الخارجية اللورد جراى ـ وجاء فيه ما يلي: « اذا ما ساعدت الامة العربية انجلترا في هذه الحرب . فان انجلترا ستضمن عدم حدوث مداخلات داخلية في شئون بلاد العرب . وستقدم للعرب كل مساعدة ضد العدوان الاجنبي الخارجي . ومن الممكن ان يتولى عربي صميم الخلافة في مكة والمدينة ».

الطامعون في الخلافة

واذا تفحصنا هذه الرسالة نجدها تتميز بالغموض في اشارتها الى العرب والامة العربية. كما انها تشير بصراحة الى الخلافة . وحين جرت ترجمتها الى اللغة العربية قبل ارسالها الى شريف مكة تجاوز ستورس وتشيتهام (القائم باعمال المندوب السامي في مصر) النص الانجليزي. ومن ثم اشارة الترجمة الى حركة عربية عامة وواسعة تحت قيادة الحسين . وفي ٤ ديسمبر ١٩١٤ صدر خطاب آخر عن دار المندوب السامي بالقاهرة على شكل «اعلان من حكومة بريطانيا العظمى الى سكان شبه جزيرة العرب والولايات العربية » : اى : فلسطين وسوريا والعراق والبلدان الواقعة بين البحر الاحمر وبحر العرب والخليج العربي وحدود فارس والاناضول والبحر المتوسط. وقد جاء في الاعلان ان بريطانيا قررت عدم مهاجمة العرب . او اعلان الحرب عليهم . وانها لا تسعى الى امتلاك اى جزء من اراضيهم عن طريق الغزو او الحماية او الاحتلال . وانها تضمن لهم ان حلفاءها سيسيرون على نفس هذا النهج . كما جاء فيه ان بريطانيا وحلفاءها سيعززون استقلال العرب اذا ما اعلنوه . وانهم سيطردون الاتراك وحلفاءهم . كما اشار الى ان الخلافة من حق العرب .

ومما تجدر الاشارة اليه ان كتشنر كان يسعى الى عرقلة اطماع فرنسا في الشام . وذلك بضم سوريا الى مصر . كما كان يحلم بامبراطورية بريطانية تضم مصر والسودان وتمتد من الاسكندرية الى عدن . يقوم فيها خليفة المسلمين لا تتعدى صلاحياته صلاحيات بابا روما . ومن الممكن الاستعانة به في مخاطبة المسلمين في كل مكان وموازنة دعوة السلطان العثمانية الى الجهاد . ورغم توليه وزارة الحربية البريطانية فانه كان يأمل في العودة الى وظيفته السابقة في مصر . ومن ثم اختياره للسير هنري مكماهون (يناير ١٩١٥) ليحل محله مؤقتا . والاوامر التي كان يصدرها له وللجنرال مكسويل القائد العام للقوات البريطانية في مصر ولغيرهما من كبار الموظفين الانجليز في القاهرة ويستشهد المؤلف بآراء تدل على بطء تفكير مكماهون وكسله وعدم مناسبة طبيعته للوظيفة التي تولاها . وان تكن هذه الصفات نفسها هي التي سهلت لكتشنر ان يهيمن على شئون مصر ويوجهها . وهكذا نجد مكماهون يقترح مد سلطة سلطان مصر الى سوريا وذلك للحيلولة دون استيلاء بريطانيا او فرنسا على اى جزء منها . وبذلك تتجنب بريطانيا التدخل المباشر في شئونها . وبالتالي تتجنب اغضاب فرنسا التي كانت تطمع في الشام بما فيها فلسطين . الا ان وزير الخارجية البريطانية ـ اللورد جراى ـ رفض اقتراح مكماهون . على اعتبار ان مساندة ادعاءات مصر تعني مساندة ادعاءات بريطانيا . وبخاصة ان فلسطين تهم كل الدول بحيث يصعب استيلاء دولة واحدة عليها. وكان جراى يجد في تحقيق آمال اليهود في فلسطين اجراء احتياطيا ضد مطالبة فرنسا . او اى دولة اخرى . بسوريا . وبالتالي فانه كان لا يمانع في اقامة ادارة دولية في فلسطين تشترك فيها دول الوفاق والبابا وربما الولايات المتحدة .

اما المراسلات ذاتها فقد بدأت بالفعل في ١٤ يولية ١٩١٥ برسالة بعث بها عبدالله الى ستورس. وارفق بها مذكرة تعتبر اول خطاب في مراسلات الحسين ـ مكماهون . وقد جاء في المذكرة انها تعبر عن اتجاهات «الامة العربية» . وتضمنت مطالبة انجلترا بان «تعترف باستقلال البلدان العربية» في منطقة تحدها في الشرق الحدود الفارسية . وفي الجنوب المحيط الهندى . وفي الغرب البحر الاحمر والبحر المتوسط حتى مرسين . وفي الشمال خط يمتد من مرسين في الغرب الى اورفا وماردين والعمادية. وينتهي في الشرق عند الحدود الفارسية.

واستثنت المذكرة عدن ـ المحمية البريطانية ـ فاقترحت ان يبقى وضعها كما هو. كما طالبت بان تقر انجلترا اعلان خلافة عربية للاسلام، وان تضمن حماية الدولة العربية المقترحة ، بان تعقد معها معاهدة تنص على المساعدة المتبادلة في المجال العسكري . والتصدي لاي دولة اجنبية قد تهاجم ايا من الطرفين . على ان تتمتع بريطانيا بالاولوية في كل المشروعات الاقتصادية • ويستعرض المؤلف موقف كبار المسئولين الانجليز من عرض الشريف حسين وعدم ميلهم الى الاجابة عليها بالرفض • وكان رد مكماهون عليها (٣٠ اغسطس) ان انجلترا على استعداد للاعتراف بالخلافة اذا ما اعلنت ـ وهو التزام صريح يختلف عن اجابة كتشنر السابقة التي تضمنت الاحتمال لا القطع •

بريطانيا تتلاعب في النصوص

وفي رد حسين على مكماهون (٩ سبتمبر) أكد اصراره على الحدود التي سبق أن طالب بها ، وان يكن قد فتح الباب امام التنازلات التي تقتضيها مصلحة بريطانيا • وفي ٢٤ اكتوبر جاء رد مكماهون الذي تضمن تعهد بريطانيا بالاعتراف باستقلال العرب وتاييده في نطاق الحدود التي عينها الشريف حسين باستثناء بعض مناطق اسيا الصغرى وسوريا ، واورد تحفظا ببعض المناطق الواقعة داخل هذه الحدود والتي ترتبط بريطانيا بمعاهدات مع بعض امرائها • وكانت الفقرات التي حددت تعهدات بريطانيا وتحفظاتها في مذكرة مكماهون كالاتي :« ان مقاطعتي مرسين والاسكندرونة ، وكذلك أجزاء سوريا الواقعة الى غرب منطقة دمشق وحمص وحماه وحلب لا يمكن اعتبارها عربية صرفة • ولهذا السبب وجب استثناؤها من التحديد المقترح • اننا نقبل بهذا التحديد مع مراعاة التعديل الموضح اعلاه ، على الا يؤثر ذلك في المعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض امراء العرب •

اما فيما يتعلق بالمناطق الواقعة ضمن الحدود المقترحة ، والتي تستطيع بريطانيا العظمى ان تعمل فيها دون ان تمس حليفتها فرنسا ، فانني مكلف باعطائكم التعهدات التالية باسم حكومة بريطانيا العظمى وبان اجيب على مذكرتكم بمايلي: « ان بريطانيا مستعدة للاعتراف باستقلال العرب وتاييدهم في جميع المناطق الواقعة ضمن الحدود التي اقترحها شريف مكة مع مراعاة التعديلات المبينة اعلاه » •

وقد آثرنا ادراج هذا النص برمته حتى يتبين القارىء مدى غموضه الذي لم يلبث ان أثار كثيرا من الجدل والاتهامات في المستقبل • فللوهلة الاولى يبدو ان الرسالة تمنح الشريف اراضي واسعة ، الا اننا حين ندقق في نصوصها نجد انها لم تعطه شيئا على الاطلاق • ومما زاد في الخلط ان النص العربي الذي ارسل للحسين قد ترجم على يد رجل فارسي الاصل اسمه «روحي» كان لا يتقن اللغة العربية وهكذا نجد ان الحسين يذهب بعد نهاية الحرب الى انه توصل الى « اتفاقية » مع بريطانيا على حين نفى المسئولون الانجليز وجود شيء من هذا القبيل ومن ناحية اخرى نجد ان الحسين يستشف من المكاتبات البريطانية ان بريطانيا توافق على ان يصبح ملكا على العرب وخليفة المسلمين ، في الوقت الذي لم يعده فيه الانجليز بشيء قاطع بهذا الصدد • فتحت ستار الغموض احتفظت بحريتها في العمل ، خاصة وانها هي الطرف الاقوى الذي يمكنه ان يفرض ما يشاء •

وفي مقابل هذه الوعود الغامضة كان على الحسين ان يفجر الثورة العربية ضد الدولة العثمانية • وما ان نشبت الثورة في عام ١٩١٦ حتى بدأ الحسين يطالب بالخلافة ويذهب الى ان المراسلات البريطانية قد وعدته بتحقيق كل طموحاته ـ ومن ثم اعلانه نفسه ملكا على الامة العربية • ورغم ان بريطانيا وفرنسا لم تعترفا به ملكا الا على الحجاز ، فانه كان يتطلع الى سوريا والعراق تمهيدا لاعلان نفسه خليفة للمسلمين •• وهي هنا ليست خلافة روحية كما قصد بعض المسئولين الانجليز ، بل سلطة سياسية تحل محل السلطة التي كان يمارسها العثمانيون • وقد ادعى الحسين انه على استعداد للتخلي لبريطانيا عن البصرة واسفل العراق (وكانت قد احتلتهما) بشرط ان تتمتع الموصل وبغداد بالحكم الذاتي تحت سيادة ملك دمشق !

اقتسام البلاد العربية

وفي الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تمني الحسين بالوعود الغامضة ، كانت تضع مع فرنسا

خطة لتقسيم المشرق العربى فيما بينهما طبقا لما عرف باسم اتفاق سايكس ـ بيكو (ابريل ١٩١٦): فتاخذ بريطانيا جنوبى العراق وتاخذ فرنسا سواحل الشام حيث يقوم حكم مباشر لكل من الدولتين ، وفى المناطق الداخلية يقوم حكم عربى يخضع فى بعض بقاعه للنفوذ البريطانى وفى الاخر للنفوذ الفرنسى • ولما كانت فلسطين مطمعا لكل من الدولتين ، فقد اتفق مبدئيا على تدويلها• ويؤكد الدكتور « خدورى » ان الحسين كان على علم بالخطوط الرئيسية للاتفاق الفرنسى ـ البريطانى منذ اكتوبر ١٩١٦ ، وانه كان يامل ان تصطنع بريطانيا القوة لاقامة الدولة العربية رغم انف الجميع ، على ان يعترف العرب بحماية بريطانيا على المناطق السورية الداخلية اذا لزم الامر وذلك لضمان عدم تدخل الاخرين • ويعزو المؤلف هذا الاعتقاد الى الصيغة غير الحريصة وغير المسئولة التى تضمنتها تصريحات المسئولين البريطانيين فى القاهرة ومكاتباتهم منذ زيارة عبدالله للقاهرة فى فبراير ١٩١٤ ،حتى تسلمه رسالة يولية ١٩١٥ ، وبخاصة انه كان من المعروف ان هؤلاء المسئولين لايوافقون على ادعاءات فرنسا فى الشام •

ولما كان رئيس الوزراء البريطانى الجديد ـ لويد جورج ـ يطمع فى ان تضع بريطانيا يدها على فلسطين « بحق الفتح » ، فانه راى ضرورة ابلاغ الحسين رسميا بفحوى اتفاق سايكس ـ بيكو ولهذا اوفد مارك سايكس فى اوائل ١٩١٧ الى الحجاز ليطمئن الشريف بصدد نوايا فرنسا ازاء المناطق السورية الداخلية ،وليفهمه ـ بالاضافة الى ذلك ـ ان حكمه «لايمكن ان يفرض على شعوب لاترحب به » وليوضح له ان بريطانيا « ستحتفظ فى بغداد والمناطق المحيطة بها بتفوق عسكرى وسياسى يوازى مصالحها التجارية والاستراتيجية • كما وصل جورج بيكو الى جدة حيث اجرى محادثات هامة مع الشريف ـ ويبدو انه احاطه بتفاصيل «الاتفاق الانجليزى ـ الفرنسى» • وقد سجل بيكو ان الحسين لم يغضب ، كما كان متوقعا ، حين عرض عليه فحوى الاتفاق • وحين صدر وعد بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، متضمنا النص على اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، اعتقد الشريف ان كل الاتفاقيات التى جرى عقدها خلال الحرب لا اهمية لها ، وان فرنسا وبريطانيا ستتصارعان فى مؤتمر الصلح ، مما يدفع بريطانيا الى مناصرته فى تحقيق كل اماله •

بريطانيا تحنث بوعودها

ولكن ما ان انتهت الحرب العظمى حتى قررت بريطانيا التخلى عن وعودها لكل من الحسين وفرنسا • فهى تستند الى وعد بلفور لابعاد فرنسا عن فلسطين ، وتتيح لفيصل بن الحسين احتلال دمشق بهدف تحديد منطقة النفوذ الفرنسية فى المشرق • الا ان فرنسا التى كانت على استعداد للتخلى عن فلسطين ومنطقة الموصل لبريطانيا ، رغبة منها فى تقوية مركزها فى اوروبا ـ لم تكن على استعداد للتخلى عن ادعاءاتها فى الشام ، ومن لم تخلى بريطانيا عن فيصل الذى دعته الى التفاهم مع الفرنسيين • ولكن القوميين العرب المحيطين بفيصل لم يقتنعوا بشروط فرنسا ،واعلنوه ملكا على سوريا بما فيها فلسطين • ولما كان من الواضح ان المسئولين الانجليز فى فلسطين، بمن فيهم الجنرال «اللنبى» ذاته ، يساندون سوريا الموحدة تحت حكم فيصل ، فقد اتجه هذا الاخير الى المطالبة بفلسطين • ولكن بريطانيا وفرنسا ما مبثتا ان راجعتا كافة اتفاقيتهما السابعة وقررتا فى سان ريمو (ابريل ١٩٢٠) قيام انتداب بريطانى على العراق (بما فيه لواء الموصل) وفلسطين ، وانتداب فرنسى على سوريا ولبنان ومن الطبيعى ان يؤدى هذا الاتفاق الجديد الى الاطاحة بمملكة فيصل الدمشقية •

ولكى تضع بريطانيا خطة منسقة لادارة الاملاك الجديدة التى آلت اليها فى الوطن العربى ـ عقدت مؤتمرا فى القاهرة (١٩٢١) برئاسة وزير المستعمرات ونستون تشرشل حضره كبار العسكريين والمستشارين البريطانيين فى الشرق الاوسط •

وكان من راى لورنس ان بريطانيا قد خسرت ، وستخسر الكثير نتيجة لتنكرها لوعودها للهاشميين، ومن ثم تزكيته تنصيب فيصل ملكا على العراق

وعبد الله أميرا على شرق الاردن ، وذلك حرصا منه على استرداد سمعة بلاده في المشرق العربي وما ان اخذ برأى نورنس حتى فقد ابنا الشريف اهتمامهما بوعود مكماهون ، وان يكونا قد ركزا على مسألة واحدة هي ان فلسطين قد وردت في وعود مكماهون،وبالتالي فان الانجليز ليسوا احرارا في ان يتبعوا فيها سياسة مماثلة للصهيونية . وتشبث العرب الفلسطينيون بدورهم بهذه الوعود ليؤكدوا حقهم في فلسطين . واشتد الجدل حول طبيعة الوعود التي تضمنتها المراسلات وحول تفسيراتها . ورفضت الحكومة البريطانية نشر الخطابات رسميا ، على اعتبار ان ذلك يتعارض مع المصلحة العامة ، مما غذى الشك في انهاكانت تحاول اخفاء امر مريب يستحسن عدم كشف اسراره . وازدادت شكوك الكتاب واعضاء البرلمان البريطانيين الذين ناصروا القضية العربية ، والموظفين والديبلوماسيين الذين اهتموا بشئون فلسطين والشرق الاوسط . ومن دلائل الشك والشعور بالذنب هذين ان وزير المستعمرات البريطاني ـ ملكولم مكدونالد ـ اخبر بن جوريون في سبتمبر ١٩٣٨ انه ـ بعد اطلاعه على مراسلات مكماهون « شعر بان العرب لم يعطوا فرصة عادلة فالوعود متناقضة ومن الممكن القول بان العرب قد وعدوا بفلسطين » . وبعد ذلك بشهرين قابل بن جوريون وزير المستعمرات الجديد لورد لويد الذي كان واضحا وقاطعا حين صرح له بما يلي : «لقد اعطينا اليهود والعرب تاكيدات متناقضة خلال الحرب . لقد بعنا نفس الجواد مرتين » !

وفي ٢٣ مارس ١٩٣٩ نشرت مراسلات الحسين ـ مكماهون في كتاب أبيض ، وذلك استجابة لطلب الوفود العربية الى مؤتمر المائدة المستديرة .ثم شكلت لجنة بريطانية ـ عربية لفحص الخطابات وتقديم تقرير عن معناها الدقيق .وادى نشر المراسلات الى اطلاع المسئولين البريطانيين عليها (٢)، وان يكن ذلك لم يخفف الغموض والخلط بالمسألة ، فبقيت نزاهة الحكومة البريطانية ـ كما كانت ـ موضعا للشك .

نهاية المطاف

وفي الفصل الختامي يلخص المؤلف وجهات نظره ، محاولا ان يفند ما جاء في كتاب جورج انطونيوس « يقظة العرب » الذي لا يزال يمثل وجهة النظر العربية فيما يتعلق بمراسلات الحسين ـ مكماهون . واذا كان انطونيوس ـ الفلسطيني الاصل ـ قد دافع عن الشريف حسين والقوميين العرب في اطار الموضوعية التاريخية،واتهم الساسة البريطانيين بالخداع والتآمر ، فان الاستاذ خدوري يلقي بمسئولية ما حدث على مكماهون وستورس وكلايتون الذين يلمح الى تصرفهم على هواهم . الا ان ذلك لا يتسق مع ما نعهده في المسئولين الانجليز من انضباط والتزام بالتعليمات مع التمتع بحرية العمل في نطاق خطوطها العريضة : ومن ثم فان المسئولية القصوى تقع على عاتق كبار المسئولين في لندن الذين استهانوا بالعرب وبالحركة العربية، وحاولوا ان يجمعوا بين المتناقضات لعلهم بذلك يخرجون من الصفقة بنصيب الاسد . وبالاضافة الى ذلك فان المؤلف يلمح الى ان موظفي الخارجية البريطانية في لندن كانوا قليلي الالمام بمحتويات الارشيف،وهو امر لا يتفق مع ما نعهده في الانجليز من تنظيم وفي الوثائق البريطانية من فهرسة وتبويب منتظمين بحيث يصعب ضياع بعضها او وضعه في مكان بعيد عن تناول من يسعى الى الاطلاع عليه من المسئولين.ومن ناحية ثالثة نجد ان الدكتور خدوري يحاول أن يعزو تصريح بعض المسئولين والكتاب الانجليز بشعورهم بالذنب الى محاولتهم ارضاء الرأى العام العربي في اواخر الثلاثينات ، بسبب تلبد جو السياسة الدولية واتضاح نذر الحرب العالمية الثانية . ان هذا وحده لا يفسر اقتناع مؤرخ انجليزى كبير ـ مثل ارنولد توينبي ـ منذ ذلك الوقت وحتى وفاته منذ اعوام قليلة بان العرب بوجه عام ، والفلسطينيين بوجه خاص ـ كانوا موضعا للظلم والخداع ... وتوينبي بالذات قد اتيح له ان يطلع على تفاصيل الوثائق البريطانية

---

(٢) يذهب الدكتور « خدوري » الى ان كثيرا من الموظفين لم يهتموا بالرجوع الى الوثائق الاصلية. بل اخذوا ما جاء في كتاب « يقظة العرب » لجورج انطونيوس قضية مسلمة ،دون ان يورد ادلته .

منذ اعقاب الحرب العالمية الاولى حين كان موظفا بوزارة الخارجية البريطانية .

حقيقة ان الدكتور خدوري قد اجهد نفسه في البحث في الوثائق الاصلية ــ انجليزية وفرنسية ــ وفي محاولة ضبطها ومضاهاتها بعضها ببعض ــ الا انه في دراسته قد ابتعد كثيرا عن الاطار العام للموضوع . فهو لم يتناول بالتفصيل دور هذه الوثائق في علاقات بريطانيا بكل من العرب والفرنسيين والصهيونيين ، كما لم ينجح في حل « لغز » المراسلات برغم الجهد الضخم الذي بذله في مجال الدراسة الوثائقية . وتفسيراته في هذا المجال تتعارض مع النقد الذاتي الذي نلمسه لدى كثير من المؤرخين البريطانيين ، من امثال اليزابيث مونرو ،وان وليمز ــ ممن ربطوا بين انهيار الاستعمار البريطاني في العالم العربي ، وبين الخدعة الكبرى التي اقترفها المسئولون الانجليز خلال الحرب العالمية الاولى وفي اعقابها . ذلك ان تفسير تاريخ الامبريالية البريطانية وغير البريطانية من ثنايا الاوراق الرسمية وحدها لا يعطي الصورة الكاملة لما حدث : اذ ثمة احداها ضمنية يفهمها كل الفريق الذي يتولى تخطيط السياسة البريطانية وتنفيذها : ملخصها ان بريطانيا تود أن ترث الامبراطورية العثمانية في المشرق العربي وحدها ان امكن ، وبالاشتراك مع فرنسا اذا ثبتت استحالة الانفراد. «والغاية تبرر الوسيلة ، في العصر الاستعماري ، ولا بأس في خداع الصديق ، والغدر بالحليف ، مادام كل ذلك يخدم التوسع القومي على حساب الاخرين ! !

واذا كان الدكتور خدوري يحاول ان يحمل الحسين قسطا من المسئولية يفوق ما يمكن ان يتحمله بالفعل ، واذا كان انطونيوس وغيره يحاولون ان يظهروا بمظهر الضحية ــ فان السياق التاريخي لا يحتمل التطرق في هذا الرأي او ذاك ... اذ ان المد الامبريالي هو الذي يفسر كل ما حدث ، وليست مراسلات الحسين ــ مكماهون هي النموذج الفريد لغدر الامبرياليين . ■■

احمد عبد الرحيم مصطفى

كتب جديدة

البترول ومعالم النظام المالي في الكويت .

تاليف : الدكتور زين العابدين ناصر

الناشر : جامعة الكويت / الكويت

● يتناول هذا الكتاب بالدراسة والبحث صورة الاوضاع المالية بالكويت من خلال دراسة ايراد الدولة من النفط باعتباره محور الارتكاز الذي تدور حوله كل مظاهر انشطة الدولة في الكويت وهو الامر الذي دعا المؤلف الى بحث التطور التاريخي والصراع على بترول المنطقة وكيف آلت الثروة النفطية الى اهلها وطبيعة الانعكاسات ثم الارتباطات التي ترتبت عليها ، ثم الارتباطات التي ظهرت بين هذا المورد الاساسي الهام وهيكل الدولة المالي من خلال دراسة الاتجاهات العامة لميزانيتها العامة سواء من حيث توزيع اوجه الايرادات او النفقات العامة على المظاهر المختلفة لتدخل الدولة في كافة الميادين .

واذا كان من الاهمية بمكان ان تحكم قواعد الربط بين الاجهزة المالية والاقتصادية من جانب وباقي الاجهزة الاخرى سواء ما يتناول منها الحياة الادارية او السياسية او الاجتماعية من جانب اخر فان السؤال الذي يطرح نفسه يدور حول عنصرين هامين يعتبران محور الارتكاز في بحثنا هذا حيث يتناول المؤلف بالتحليل الايراد من البترول باعتباره من أهم صور الايرادات العامة المختلفة في دولة الكويت ثم بيان اتجاهات النفقات العامة بها وكذلك اهم القواعد والاحكام التي تنظم الموازنة العامة للدولة وما يتصل بهذا الموضوع الاخير من دراسة للاساليب المتبعة في دولة الكويت بالنسبة للرقابة المالية وقواعد اعداد حسابات الدولة الختامية . ■■

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. أما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا – الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت «مسابقة العدد ٢٣١ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول يونيو (حزيران) ١٩٧٨ .

اثنان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم فيلسوف العرب ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم اديب عباسي شهير .

الكلمات الأفقية :

(١) في الزجاجة – مألوف .

(٢) من المكاييل – العصر الحجري القديم .

(٣) ارتفع – يدفع بعيدا – من البهارات .

(٤) اسامني – في الجهاز الدوري – حرفان متشابهان .

(٥) نصف كلمة (نواح) – لاهي – مصاعب شديدة .

(٦) اجدادي – حيوانات – نصف كلمة (كونت).

(٧) يرجع – سخاء – تصدت .

(٨) فيلسوف العرب .

(٩) من الاحجار الكريمة – من الفواكه – عليل.

(١٠) الكراهية – شجاعة – شاق .

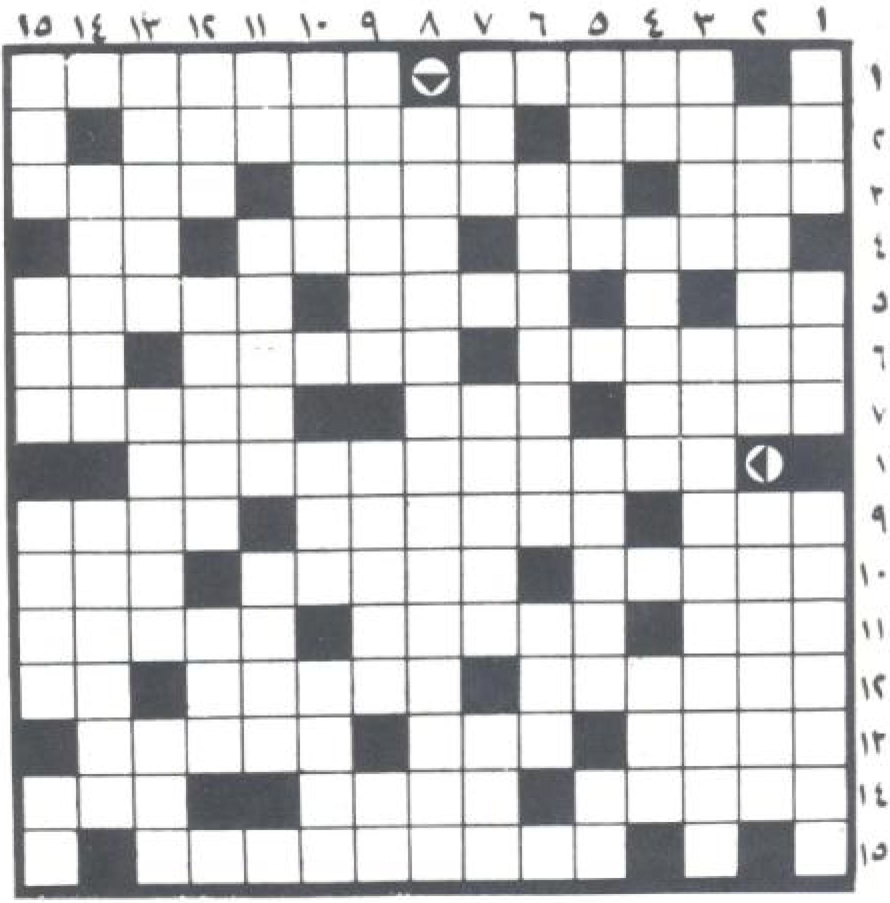
(١١) لاذ – الفزع – يعتزم .

(١٢) اشرحها – قبيلة عربية شهيرة – برد .

(١٣) كاتب الماني شهير ومؤلف فاوست – تجدها في (صارم) – كذب .

(١٤) اوكله – من الاصداف البحرية – حرف عطف .

(١٥) سلطان مصري انتصر على التتار في عين جالوت .



الكلمات الرأسية :

(١) طيور ــ آلة موسيقية ــ دولة افريقية ٠

(٢) الاكثر اتساعا ــ فوق العيون ٠

(٣) تحية ــ مكتشف البكتيريا ٠

(٤) مقام موسيقي ــ من البرمائيات ــ خاف ٠

(٥) توجع ــ رفع امره الى المحكمة ــ نصف كلمة (هائم) ٠

(٦) اكثر العناصر شيوعا على وجه الارض بعد الاكسجين ــ حرف ابجدى ٠

(٧) ثارت ــ آلة موسيقية شعبية ــ اصر ٠

(٨) اديب عباسي شهير ٠

(٩) مجلة عربية ثقافية ــ كاوية ــ لفظة ضيق٠

(١٠) الاسم الاول لرئيس افريقي ــ خمول ــ يعقل ٠

(١١) نصف كلمة (توزع) ــ طيور منزلية ــ سهلة ٠

(١٢) ينقل الخبر السعيد ــ يسامر ــ حضت على التجنب ٠

(١٣) شهر شمسي ــ عاصمة عربية ــ من الطيور٠

(١٤) من المحاصيل الزراعية ــ يمتعنا ٠

(١٥) يعظم ــ من الفاكهة ــ كفيف ــ حرفان متشابهان ٠

كوبون مسابقة

أديب عربي من المهجر

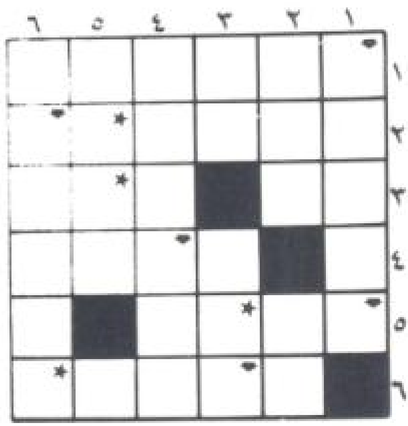
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لاديب عربى من المهجر • ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه •

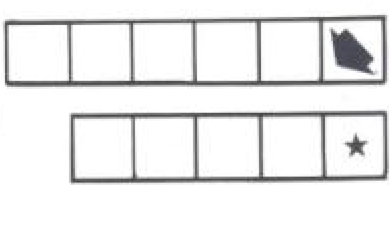
الكلمات الافقية :

(١) من الثمار •
(٢) اتباهى •
(٣) شاطىء ـ تجدها فى كلمة (ديار) •
(٤) اسم منطاد شهير •
(٥) نرتفع •
(٦) موسيقار عالمى شهير •

الكلمات الراسية :

(١) دولة افريقية •
(٢) فى الكمان ـ نصف كلمة (عهود) •
(٣) نقل خبرا سعيدا ـ سقطا •
(٤) فارون •
(٥) من الاشجار •
(٦) مضيق معروف •





استاذ نبيه يسال :

كم يوما تخلف ابناء القبيلة الكسالــى ؟ ٠

في الجزيرة النائية ، كان زعيم القبيلة مغرما باقامة تماثيل له في انحاء الجزيرة ٠ ومن اجل أن يغرى ابناء القبيلة على العمل في اقامة هذه التماثيل ، قال انه سيدفع خمس قطع من النقود المحلية لكل عامل فــي اليوم ٠ ففرح ابناء القبيلة ، وهموا بالتحرك في حماس للبدء في العمل ، لكنه استوقفهم قائلا : « ولكن ! ٠ مقابل هذا قررت غرامة على من يتخلف يوما قــدرها سبع قطــع مــن لنقود » ٠

عندما انصرف ابناء القبيلة ، ضحــك الزعيم وقال لنفسه : انا اعرفهم جيدا ٠٠ واعرف كــلهم ٠٠ لن يقبضوا مني قطعــة نقود واحدة ! ٠

وحدث مــا توقعه الزعيم ، عملوا ايــاما وتخلفوا اياما اخرى ٠٠ وعند الحساب الختامي، لم يقبض اى منهم شيئا ٠ فما عدد الايــام التي تخلفوها من مجموع الايام البالغ ٢٤ يوما ؟ ٠٠

الحلول

النجمة والسهم : جبران خليل ٠

الشكل المطلوب :

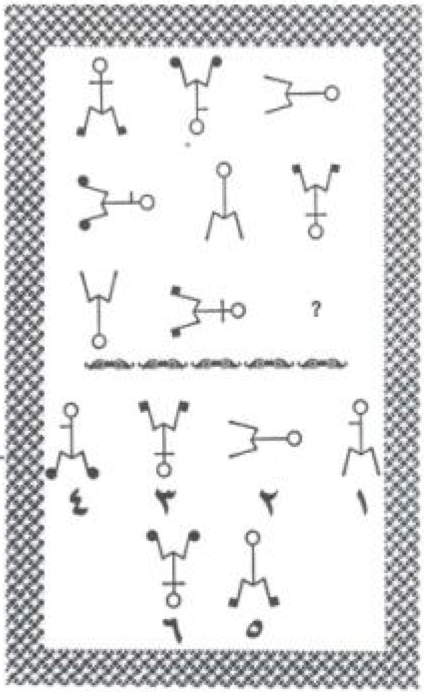
الشكل المطلوب هو رقم ٤ ٠

استاذ نبيه يسال :

عمل كل من ابناء القبيلة ١٤ يــوم فكسب كل واحد منهم ٧٠ قطعة معدنية ٠ تخلف كل منهم ١٠ ايام فخسر ٧٠ قطعة ، وهكذا لــم يدفع الزعيم شيئا ٠

الشكل المطلوب

● من دراسات الاشكال التي في الصفين العلويين والعلاقات التي بينها ، حاول ان تعرف اى الاشكال ذات الارقام يجب ان يحل محل علامة الاستفهام ٠



اكتشـــفوا عـــالـــم...



Mothercare تتخصص في كل ما تحتاج اليه الأم الحامل ورضيعها وأطفالها حتى ســن العاشرة ، وتقدم خدماتها لك عن طريق Mothercare بالبريد .

يمكنك أن تعرفي كل شيء عنها بنفسك عندما ترسلين في طلب نسختك المجانية الآن من كتالوج الربيع/الصيف . والكتالوج يقع في ٢٢٨ صفحة ملونة بالكامل تصور المجموعة المدهشة من ملابس الحاملات ، ولوازم الحضانة وتنظيف الأطفال ، وملابس الأطفال ولعبهم ، ومستلزمات الأمان ، وعربات الأطفال ، ومستلزمات التغذية وفرش الأسرة .

كل شيء مصمم بعناية خاصة وبأسعار معقولة للغاية ـ خصوصا في ضوء الأسعار الحالية لتبادل العملة .

واذا كان هناك ما لا يحظى برضائك ، فسنعيد إليك نقودك بسرور.

بادري بطلب نسختك ، اذ ليس هناك ما يضاهي Mothercare

ارسلي الآن في طلب نسختك المجانية واكتشفي كل شيء .

الـكتالوج متوفر باللغة الانجليزية ، ولكننا سنرفق نشرة باللغة العربية لتسهيل الطلب .

- -

مجانـــا !

أرجو أن ترسلوا لي الآن الكتالوج الملون الجديد لفصلي الربيع والصيف الذي يقع في ٢٢٨ صفحة .

NAME ______________________ الاسم
(BLOCK LETTERS PLEASE)

ADDRESS ______________________ العنوان

____

____

COUNTRY ______________________ القطر

RC |

To: Mothercare Limited,
Department Q.A.,
P.O. Box 145,
Cherry Tree Road,
Watford, Herts.
WD2 5SH England.

Mothercare®-by-Post

مِنَ المسرح العالمِيّ

وزارة الإعلام فى الكويت

اول ابريل ١٩٧٨

١٠٣

عطيل

تأليف : وليم شكسبير

تقديم : ا. س. برادلى

ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا

فودن

جرار سوبر هولماستر
متانة معتمدة، قوة واداء

جرار سوبر هولماستر، ٦٥ طنا، وحدة فودن بثلاثة محاور، صمم للقيام باعمال النقل والانشاء الاكثر صعوبة، في اي مكان من العالم، جرت هندسته ليكون ذا اعتمادية كاملة حتى في اقسى ظروف التشغيل.

هيكل متين، ساقة محورية قدرها ٤٠ طنا، محرك كمنز NTCE 290، صندوق تروس فودن ذو ٨ سرعات، وعربة نقل منخفضة بادارة مزدوجة، بالاضافة الى حجرة لضبط الميل مصنوعة من الفولاذ لتأمين راحة ممتازة للسائق واقصى امكانية وصول – تلك هي الخصائص التي توفر القوة والاداء لجرار فودن



Foden

الرجاء ان ترسلوا لي التفاصيل عن جرار فودن هولماستر اكسبورت رانج

الاسم ________
الوظيفة ________
الشركة ________
العنوان ________
____
للتشغيل في ________

Export Sales Manager
Fodens Limited
Elworth Works Sandbach
Cheshire England
Telephone 09-367 3244



فكّــــر ...

إن سعر الشراء مهم ولكنه ليس كل شيء . فكر بكافة التكاليف التي تنفق طوال عمر الرافعة الآلية لكي تستطيع تقرير ما هو الأنفع لك . بتكاليف التشغيل بما فيها قطع التبديل والتصليح . كلفة ساعات التعطل عن العمل وتأثير التغير في السعر إذا رغبت ببيع الآلة .

تتصف رافعات الكاتربلر ببساطة الصيانة مما يضمن تنفيذها . فهي مصممة بحيث لا تتضمن إلا الحد الأدنى من نقاط الفحص ، وتجمّع هذه النقاط سوية كلما أمكن ذلك مما يحقق الوصول السريع اليها كلها . وهذا كله يوفر أموالك على المدى الطويل .

كما أنك لا تتعرض للخسارة أثناء انتظار وصول قطع التبديل أو نتيجة اضطرارك لتخزين هذه القطع . فموزعو كاتربلر يهدفون إلى توفير مخزون من القطع التي قد تحتاج اليها .

ويعني ذلك بالنسبة لك استثمار أموال أقل وتخفيض ساعات التوقف عن العمل .

وإلى جانب ذلك فان موزعي كاتربلر يقدمون برامجا خاصا تمنع تعطل الآلية عن طريق اكتشاف المشاكل المحتملة قبل حدوثها . وكل ذلك جزء من خدمات « كات بلس » ، وهي برنامج الدعم الشامل المعد لمساعدتك لتحقيق أفضل مردود مما تنفقه من مال في استثمارك للعربات الرافعة .

فكر بالصورة الاجمالية قبل أن تتخذ القرار . الرافعة المناسبة ذات الكلفة الاجمالية المنخفضة .

يوجد ٤٦ نوعا مختلفا تتراوح قدراتها بين ١٠٠٠ و ٢٧,٣٠٠ كغ .

وهي تعمل على الكهرباء أو الديزل أو البنزين أو الغاز النفطي المميع .

أبو ظبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٤٤١ ، أبو ظبي ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٢٢٣٨٧ . البحرين : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٥٣٥٧ ، المنامة ، هاتف ٧١٣٦٠٧ . دبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ١١٧٠ ، دبي ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٦٠٢٥٥ . الأردن : الشركة الاردنية للسيارات والمعدات الحديثة ، ص . ب ٣١٣ ، عمان ، هاتف ٢٨٣٦٣/٦٤/٦٥ . الكويت : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ١٤٨ ، الكويت ، هاتف ٨١٠٨٥٥/٥٦ . الجمهورية العربية الليبية : الشركة العامة لمعدات الزراع والآلات الزراعية ، ص . ب ٣٢٤ ، طرابلس ، هاتف ٣٠٣٤٤ ، فرع بنغازي : ٩٢٣٣٩ . مصر : مانترك ، ١٨ شارع أمين فكري ، محطة الرمل ، الاسكندرية ، مصر ، هاتف ٢٨٩٤٣/٨٠٩٩٥ . عمان : شركة الواحة للتجارة والمعدات ، ص . ب ١٠٠٩ ، مطرح ، مسقط ، هاتف ٢٢٦٠ . قطر : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٢١٧١ ، الدوحة ، هاتف ٢٥٩٦٩ . المملكة العربية السعودية : شركة زاهد للتراكتورات والآليات الثقيلة المحدودة ، ص . ب ١٥٨٠ ، جدة ، هاتف ٢٣٣٦٦ . الفروع : الدمام ٢٢٥٩٤ ، الرياض ٢٨٤٦٨ . سوريا : عون الملاح وأولاده ، ص . ب ٣٢ ، دمشق ، هاتف ٥٥٠٣٣٦ ، ويوجد فرع في حلب . تونس : مؤسسة ب . ، ٩١ شارع قرطاجة ، تونس ، هاتف ٢٥٦٥٧٧ . الجمهورية العربية اليمنية : شركة تهامة التجارية المحدودة ، ص . ب ٣٣٣٣ ، الحديدة ، هاتف ٢٤٠٦ ، يوجد فرع في صنعاء .

CATERPILLAR

تصنع شاحنات ميتسو بيشي كنتر الخفيفة لاحمال الخدمات الشاقة.

انها تختبر وتجرب لملاءمة أحوال العمل في الشرق الأوسط. مع خدمة ممتازة بعد الشراء يقدمها لكم موزع كرايزلر في منطقتكم.

شاحنات كنتر سهلة القيادة، ذات مقصورة ومعدات شبيهة بما تجدونه في السيارات العادية.

إنها سهلة التحميل، ويوجد أنواع مختلفة من الأجساد يمكنكم الاختيار منها. كما يمكن تقديمها على هيئة شاسي ومقصورة فقط.

تتوفر باطارات مفردة أو مزدوجة في الخلف،

وبمحركات بنزين أو ديزل.

شاهدوا وجربوا مجموعة كنتر في محلات موزعي كرايزلر في جميع أنحاء الشرق الأوسط.



كرايزلر
انترناشيونال

الأمان بالإضافة
إلى معدل جيد للفائدة

١٠ ٪ في السنة

لمدّة محدّدة طولها سنتان

إن مبلغ ١٠٠٠ جنيه إسترليني أو أكثر مودع في حساب وديعة زمنية لمدة ثابتة طولها سنتان أو ثلاث أو أربع أو خمس سنوات ، يحقق ربحاً قدره ١٠ ٪ في السنة . وتدفع فائدة ٨½٪ على المبلغ المودع لسنة واحدة . تدفع الفائدة كل نصف سنة بدون إقتطاع الضريبة البريطانية في المصدر .

٩ ½ ٪ في السنة ودائع الدخل الشهري

إن مبلغ ١٠٠٠ جنيه إسترليني أو أكثر يحقق ربح ٩½ ٪ في السنة إذا أودع لمدة ثابتة طولها سنتان أو ثلاث أو أربع أو خمس سنوات . أما وديعة الدخل الشهري المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة فتحقق دخل ٨ ٪ في السنة . وتدفع الفائدة شهرياً بدون إقتطاع الضريبة البريطانية في المصدر .

أن مصرف لومبارد نورث سنترل المحدود عضو في مجموعة بنوك ناشيونال ويستمنستر . لذلك يمكنك فتح حساب ودائع بحيث تضمن سلامة رأسمالك كلياً . تفضل بإرسال الكوبون طلباً لتفاصيل أنواع حسابات الودائع والمعدلات الحالية للفائدة .

Lombard North Central
Bankers

To : The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH, England.

الإسم : ____________

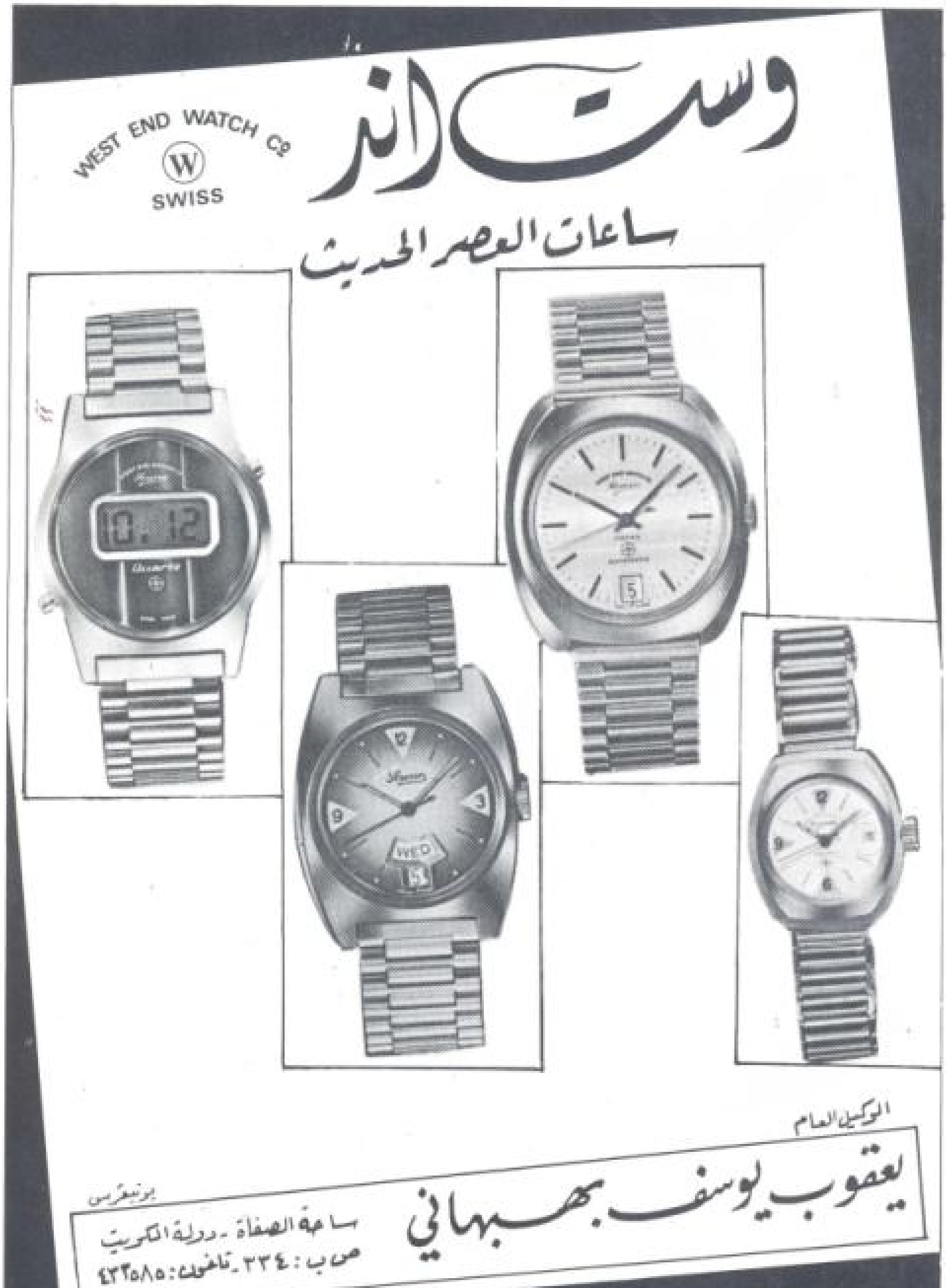
العنوان : ____________

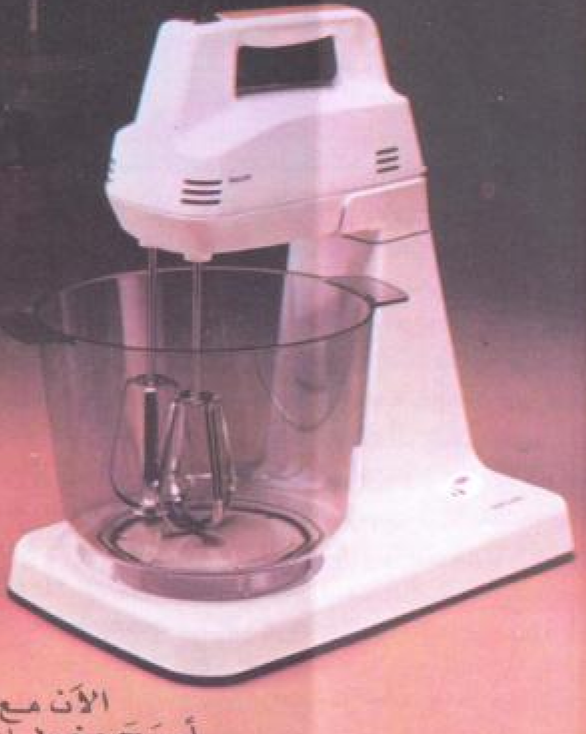
____

D182

عضو في مجموعة مصارف ناشونال ويستمنستر . التي يزيد رأسمالها مع الإحتياطي عن ٩٣٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني .

Registered Office : Lombard House, Curzon Street, London W1A 1EU England


وست اند
WEST END WATCH Co
W
SWISS
ساعات العصر الحديث
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة - دولة الكويت
ص ب: ٢٣٤ - تلفون: ٤٣٢٥٨٥



الآن مع فيليبس
أصبحَ دخول المطبخ متعة

درست فيليبس الأعمال الشاقة المتعددة التي يتطلبها تحضير المائدة وشعرت مع سيدات البيوت فصممت لهن مجموعة كاملة من الأدوات المطبخية حفاظاً على وقتهن وتخفيفاً عنهن تكرار الأعمال وتعبها: خلاطة بثلاث سرعات مع جرن لتحضير أعمال خفيفة من الخلط والتحريك والعجن. حماصة أوتوماتيكية لتقديم أي تحميص مرغوب للخبز. مطحنة بن التي تطحن ٧٥ غراماً من البن في ثوان. عصارة حمضيات لعصر كافة أنواع الفاكهة عصيراً صافياً من الحثالات. مسنّ للسكاكين. فتاحة معلبات. جميعها مصممة لتناسب المطابخ الحديثة العصرية والجدير بالذكر ان كل قطعة من هذه الأدوات هي بحد ذاتها لذة للاستعمال.

انها الأدوات يتكل عليها وذات جودة رفيعة علماً بأن خبرة فيليبس العالمية في التصنيع ومصادرها التقنية الضخمة تضمن لكم ذلك. أدوات تخدم طويلاً وصيانتها لا تذكر موجودة اذا احتجت لها.

فيليبس الأفضل لكم دوماً

PHILIPS



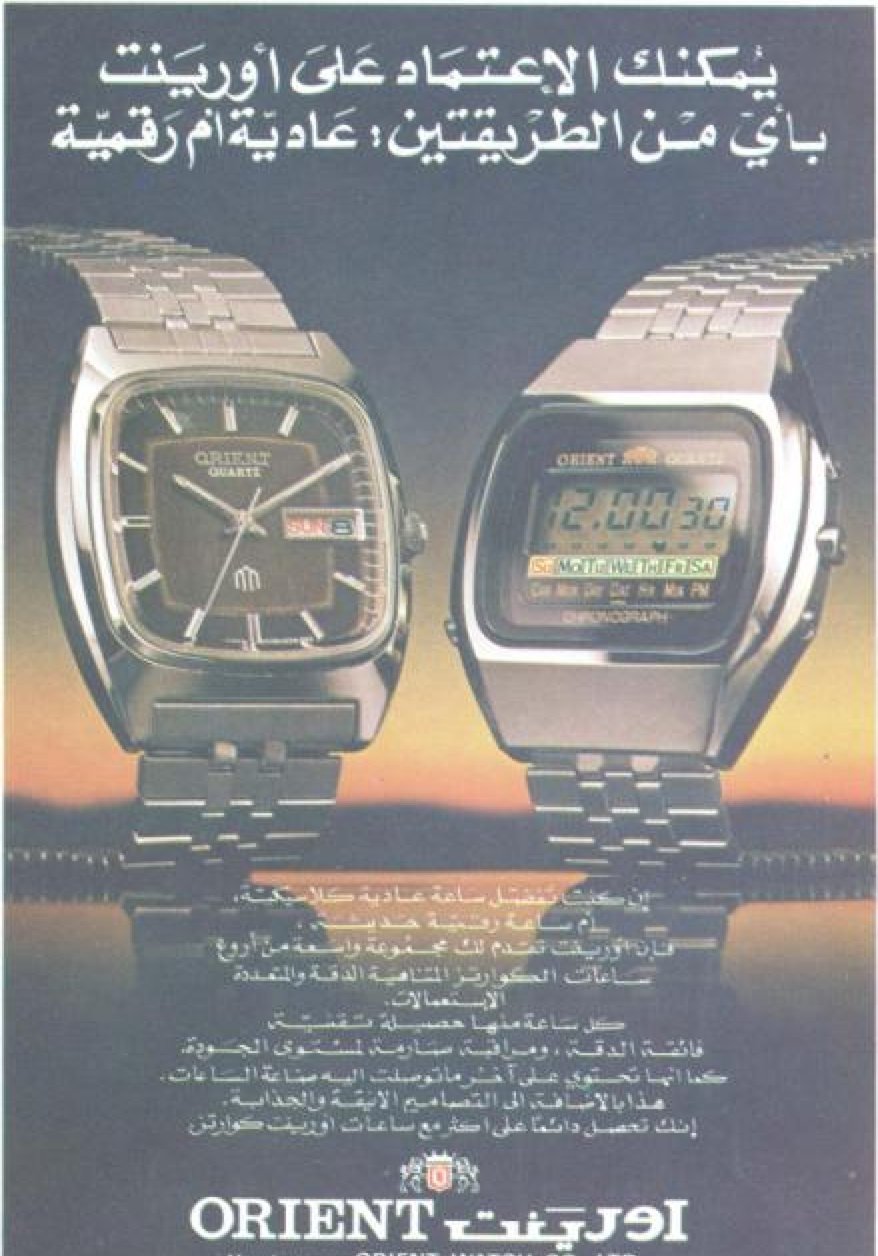
مَن قالَ بأن التكنولوجيَا المتقنة
لايمكنْ أن تكونَ في أناقةِ التصِاميم الحَديثة؟
٦ وظائف تؤديها ساعات
الكوارتز بالذهب والفضة
ثروة من المعلومات توفرها ساعة اليد الأنيقة التي تعتز بحملها في كل مكان. عرض واضح بفضل الكريستال السائل لقراءة الساعات والدقائق والشهر والتاريخ واليوم وحتى الثواني الجارية، بسهولة تامة (تتوفر وظائف أخرى كوقف الساعة، تداخل / أو إعادة ضبط الوقت في الموديلات DW 3051-010G/S و DW 3051-004G/S) لأناقة المتقنة ... من سانيو.
DW 3031-017G/S
DW 3051-004G/S
DW 3051-010G/S
SANYO سانيو
ساعات للتوقيت الدقيق بالكوارتز

العربي

العدد ٢٣٤
جمادى الاولى ١٣٩٨
مايو
(أيار) ١٩٧٨



البحث عن مواقع التاريخ تحت رمال الجزيرة العربية



يمكنك الاعتماد على أوريَنت
بأيّ من الطريقتين: عاديّة أم رقميّة
ORIENT
QUARTZ
ORIENT QUARTZ
12:00 30
SU MO TU WE TH FR SA
CHRONOGRAPH
إن كنت تفضل ساعة عادية كلاسيكية،
أم ساعة رقمية حديثة،
فإن أوريَنت تقدم لك مجموعة واسعة من أروع
ساعات الكوارتز المتناهية الدقة والمتعددة
الاستعمالات.
كل ساعة منها حصيلة تقنية
فائقة الدقة، ومراقبة صارمة لمستوى الجودة،
كما انها تحتوي على آخر ماتوصلت اليه صناعة الساعات.
هذا بالاضافة الى التصاميم الأنيقة والجذابة.
إنك تحصل دائماً على اكثر مع ساعات أوريَنت كوارتز
ORIENT اوريَنت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL 407-5901. TLX J26896

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

اقتصاد :

شخصيات :

استطلاعات :

قضايا حيوية :

تربية وعلم نفس :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 234 May 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ – تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة – قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

كانت رحلة البحث عن مواقع التاريخ تحت رمال الجزيرة العربية فى دروب المملكة العربية السعودية وشعابها ، فى صحبة الاثريين والمؤرخين ، رحلة تربط الماضى بالحاضر عند تحقيق التاريخ تحقيقا علميا معاصرا ، واستنطاق الحجارة والاطلال ، فى منطقة كانت مهبطا للاديان ومهدا للحضارة العربية . (اقرأ الاستطلاع صفحة ٦٨) .

ادب ولغة :

تاريخ :

علوم :

كتب :

ركن الاسرة والمرأة :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

حديث الشهر

بقلم : أحمد بهاء الدين

« صـور » الغاليـة ٠٠

لم يدمرهـا الاسرائيليـون ٠٠

لأنهـم أرادوهـا سليمـة !

نحاول فى مجلة « العربى » ان نقدم ضمن الاستطلاعات الملونـة ، سلسلة عن المدن العربيـة ذات التاريخ الخـاص ، خصوصا اذا كان مجهولا ٠

وكنـا نتناقش فى اسرة التحرير عن المدينة المقبلة ، وقلت لهم : صور !

وحين طرحت اقتراحات أخرى ، قلت لهم : ما زلت افضل ميناء صور فى لبنان ، لان اسرائيل سوف تحتله ، ضمن الجنوب ، فى خلال ستة أشهر !

وكنت مخطئا !

فبعـد ستة أيام ، هاجمـت القـوات الاسرائيلية جنوب لبنان ، وحاصرت ميناء صور من كل جانب ! وحين تعجب البعض لانها لم تقتحم مدينة صور فورا ، قلت : ان القتال فى قلب مدينة يكلف اسرائيل ثمنا غاليا فى الارواح ٠٠ ثم انني أعتقد أنها تريد أن تأخذها سليمة بقدر الامكان! فهى مدينة تاريخية ، وميناء على البحر ، فهى ستعمد الى الاستيلاء عليها بالضغط !

ولا أعرف عندما يصـل هذا الحديث الى يد القارىء ماذا سيكون قد حدث ٠ هل انسحبت اسرائيل من لبنان تمامـا ؟ هل بقيت فى بعض أجزائـه بحجـة أو بأخرى ؟ ٠٠ هل وقفت عند أبواب صور ، تراقبها من البر والبحر ، دون أن تستولى عليها ٠٠٠

ولكن صور لا تفارق خيالى !

انها ليست أغلى مدينة تحتلها اسرائيل ٠ فهناك القدس على الاقل ٠ ولكن ربمـا لانها آخر مدينة وقفت عند باب الخطر !

ولا أعرف أثر استيلاء اسرائيل على هذه المدينة ، او تلك القرية ، على المواطن العربى الذى يعرفها بالاسم على الخريطة ٠ ولكننى أعرف الالـم الذى يعتصر قلب من رأى

هذه المدن والقرى • وأحبها • فاذا طاف بها ألخطر ، أو داستها أقدام الغزاة ، فان قلاعها القديمة ، وشوارعها ، ووجوه أهلها وكل ما علق بالذاكرة منها ، يهب من مرقده في زوايا الذاكرة ، ويصبح بالنسبة لي صورا حية وملامح نابضة •• تؤرق، وتعذب، وتطارد في اليقظة والمنام•

وقراءة التاريخ هنا •• فيها بعض الراحة وفيها بعض العذاب !

العذاب •• لان بلادنا العربية بالذات ،تكاد تكون كل واحدة منها أن تكون متحفا، وصفحات فوق صفحات ، من العذابات والالام التي تعاقبت عليها •• والساعات الباهرة والساعات المظلمة التى مرت بها •فأرضنا تنضح بالتاريخ • اينما اخذت قطعة من ترابها وجدت فيها رائحة آلاف السنين !

والراحة •• لان الانسان يستطيع أن يحس أن هذه المحن التي نراها ، مؤقتة • فقد رأينا ما هو أكثر منها هولا ، وأشد بأسا • وان الموج لا بد مرتد • وان جذورنا مهما هزها الريح فهي باقية !

صور ؟

لقد بنيت مدينة صور أول الامر ، من حوالى أربعة عشر قرنا قبل الميلاد على جزيرة صغيرة يفصلها عن الارض برزخ صغير •

وقد ظهر اسمها على صحائف التاريخ مكتوبا لاول مرة ، في بعض حفريات « تل العمارنة » ، عاصمة اخناتون ، في صعيد مصر ، وعمرها يستنتج من أن حملات تحتمس الثالث على سوريا وحتى ما بين النهرين ، في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، لم يات فيها ذكر لاسم هذه المدينة ، من المدن التى فتحها أو مر بها •

وقد اصبحت صور في زمن لاحق عاصمة فينيقيا ـ لبنان حاليا ـ وأهم موانئها على البحر الابيض • يحف بها من الشمال ما كان يسمى « بالميناء الصيداوى » ومن



الاسكندر الأكبر



كليوباترء

الجنوب ما كان يسمى « بالميناء المصري »٠ ذلك أن التجارة كانت واسعة جدا بين مصر الفرعونية ولبنان الفينيقية ٠ فالاثار الفرعونية الباقية ، المصنوعة من شجر الارز اللبناني ، يوجد منها كميات ضخمة تنم عن حجم هذه التجارة٠ وآخر ما اكتشف منها « مراكب الشمس » الشهيرة ، التي عثر عليها بجوار الاهرامات ، والمصنوعة كلها من خشب الارز اللبناني ٠

وفي رواية تاريخية قوية، ان الفنيقيين جاءوا من منطقة الخليج ٠ بدليل أن الجغرافي الاغريقي القديم « سترابو » ذكر وجود جزيرتين في الخليج بالقرب من الشاطيء العربى احداهما تسمى « صور » والثانيه « ارواد » ٠ وفيهما اثار معابد ومبان فينيقية٠ وان قادة اسطول الاسكندر الاكبر زاروا جزيرة أخرى قريبة في نفس المنطقة اسمها « صيدا » ٠

وقيل في ازدهار تجارتها وصناعتهــا ان كليوباترا كانت لا تلبس ثيابها الغالية الا اذا كانت مصنوعة في « صور » ٠٠

ومع ظهور الممالك الكبرى ، وحركات الغزو والحروب الواسعة ، كان لا بد أن تتعرض هذه « المدينة ــ الدولة » للكثير ٠فقد حوصرت أكثر من مرة من الاشوريين والبابليين والفرس ومن الاسكندر الاكبر ٠وكان أطول حصار تعرضت له من الفرس وقد دام ثلاثة عشر عاما ٠ ومن الاسكندر الاكبر الـذى لم يقبل ان تستعصى عليه فدمرها من الخارج تقريبا ثم اتى باكثر من مائتى سفينـة ليقتحمهـا من البحر ويدمرها تدميرا ٠

ومن الصخور والاتربة التى تخلفت عن هذا الدمار ، تم بناء اللسان الذى ربط صور بعد ذلك الى الشاطيء الاسيوى فلم تعد جزيرة وان بقيت ميناء هاما ٠ وكان مصدر مقاومتها هو انفتاحهـا هذا على البحر الذى كان يمكنها من المقاومة ضد الحصار بفضل اسطولها التجارى الضخم٠٠

وكلمة «صور» معناها في اللغة القديمة« صخر » ، وذلك للصخرة التى اقيمت عليها، ولشدة مراسها في الدفاع عن نفسها٠

وفي الاساطير الاغريقية ، كما يروى هوميروس ، ان « اجينـور » أحد ملوك فينيقيا ، حين كانت عاصمتها صور ، كانت له ابنة رائعة الجمال اسمها « أوروبا » وقد وقع في غرامها الاله « زيوس » ،من آلهة الاغريق ولكنه فشل في الظفر

باعجابها ، فجاءها يوما متنكرا في شكل ثور أبيض وحملها بالقوة الى جزيرة كريت ، حيث تزوجها وأنجبت منه « مينوس » ملك كريت وملوك عدة جزر اغريقية أخرى • وعندما ماتت اعتبروها قديسة ، وأطلقوا اسمها على القارة التي لم يكن لها اسم بعد ، وهي « أوروبا » التي نعرفها الان !

وبعد الفتح الاسلامي ، ظلت صور دائما مدينة عربية ، ما عدا بضع عشرات من السنين خلال الحروب الصليبية ، حين احتلها الصليبيون وجعلوها ميناء لمملكة القدس ، قبل تحريرها من جديد ••

•• مدينة ذات تاريخ خاص • وما الحصار عليها بجديد • وما أظن الا أنها صامدة •• أو تلك بعض مسئوليتنا على الاقل !

لكي يكون لنا مستقبل ••

•• ولكي يكون لنا مستقبل افضل !

بهذه العبارة البسيطة جدا ، والمحملة مع ذلك بالمعاني الكثيرة ، صدر استاذنا الكبير الدكتور قسطنطين زريق كتابه الاخير « نحن والمستقبل » ••

فهذه العبارة البسيطة فيها تحذير خفي ، ولكنه قوى • فمن المألوف ان نقول « لكي يكون لنا مستقبل افضل » ، ولكن قسطنطين زريق يسبق ذلك بعبارة « لكي يكون لنا مستقبل » • وهي اشارة الى فداحة التحدى الذى نواجهه نحن العرب ، ومدى المخاطر التى نتعرض لها ••

ثم انها تعني ان مجرد الاستمرار ليس « مستقبلا » • فقد يعيش انسان ما مائة عام ، حياة هامشية غير ذات مغزى ولا معنى • وكذلك الشعوب • فقد يعيش شعب الف سنة بلا معنى • انه يمارس « وجودا » فحسب ، ولكنه لا يتصدى لمستقبل ، لان « المستقبل » يفترض التقدم ، والتحسن ، والاعلى ، والارفع •

وقسطنطين زريق غنى عن التعريف • فمن لم يتعلم على يديه في جامعة دمشق والجامعة الامريكية في بيروت وبعض الجامعات العالمية في الخارج ، فقد عرفه من مؤلفاته من « معنى النكبة » بعد حرب ١٩٤٨ • ثم « معنى النكبة مجددا » و « اى غد ؟ » وغيرها •

وقد تقاعد قسطنطين زريق عن العمل الجامعي • ولكنه يعمل منذ اكثر من عشر سنوات بداب الشباب وتصميمه وتفاؤله على راس « مؤسسة الدراسات الفلسطينية » • التى كانت اول تجربة حكومية او غير حكومية لاقامة مؤسسة ابحاث على الطراز الحديث ، وعلى ارقى مستوى عالمي ، متخصص في قضية معينة • مؤسسة لا تستهدف الربح • وقد عرفت السوق العربى لاول مرة على عناصر التحدى

الاسرائيلي وعناصر الحق الفلسطيني دون ملل .
ولكنني أخرج عن موضوع عرض هذا الكتاب الحيوى الهام لبرهة قصيرة ، الى خاطرة يصعب تجاهلها .
ان رجلا يمثل « ثروة » بشرية مثل قسطنطين زريق ، تتباهى عادة اى جامعة في العالم ان تحتفظ به استاذا لديها . مجرد وجوده واحتكاكه بالاساتذة والطلبة امر لا يقدر في مقياس اهل المعرفة بثمن . وهو يتلقى مثل هذه الدعوات . ويتحامل على صحته احيانا ليقضي عاما دراسيا في جامعة في الولايات المتحدة الامريكية . ولكن العجيب ان بلادنا العربية وقد صارفيها ما يقرب من الثلاثين جامعة او تزيد، لم نسمع ان جامعة منها فهمت معنى ان يكون فيها استاذ جيل وصاحب مدرسة وتاريخ ، تزدان به وتعطى العلم بعض قيمته ومعناه، مثل الاستاذ قسطنطين زريق ..
هل هذا معقول ؟
انني آسف ان اسجل هذا . وما ذكرني به ليس اسم قسطنطين زريق . ولكن ذكرني به اننا نتحدث عن قيمة العقل ، والانسان، والعلم، حين نتصدى للاشارة الى الكتاب الذي يحدثنا عن المستقبل ، ذلك اننا نتحدث عن المستقبل كثيرا ، ولكن لا ادرى متى نبدأ في « صناعة » المستقبل، ونحن نرى مثل هذه السلبيات .. ومن دوائر العلم والتنوير بالذات في بلادنا ...

●

وقسطنطين زريق ، في كل مؤلفاته، وكتاباته ، يعالج تقريبا نفس الخطين الاساسيين اللذين نذر لهما حياته وفكره . وهما القومية العربية والوحدة العربية ومتطلباتهما . والخط الثاني هو التحدى الحضارى الذى تواجهه الامة العربية لتلحق بركب الحضارة العالمية . والشروط القاسية لهذا الانتقال .
واذا كان سؤال التوفيق بين الاصالة والتجديد ، قد طرح على الامة العربية منذ ايام الشيخ محمد عبده فقد ظل هذا السؤال بلا جواب بعد مضى مائة سنة . وتلك في تقديرى من اهم العقبات التي تواجه امتنا العربية الى اليوم .
وقد حاول الرد على السؤال كثيرون . منهم الذين اندفعوا في الدعوة للتجديد على حساب التراث والماضي مثل سلامة موسى ، ومنهم الذين اعتصموا بحبل القديم كاحسن رد على تخلف الامة ودعوا للعودة الى الماضي سواء في كتابات او في حركات سياسية ظهرت واندثرت . ومنهم من حاول التوفيق مثل طه حسين . مع درجات في « التوفيق » ..
وفي هذا المجال تعد مساهمة قسطنطين زريق من اهم مساهمات الفكر العربي في هذا المجال . واظن ان قسطنطين زريق يبلغ في هذا الكتاب الجديد « نحن والمستقبل » قمة محاولته ، ويتم رايه . ومن هنا يستحق هذا الكتاب قيمة خاصة سوف تزداد وضوحا كلما اقتربت الامة العربية من ضرورة الرد على هذا السؤال .
ولا يمكن الاحاطة هنا بكل ما في هذا الكتاب ، الذى تزيد صفحاته على الاربعمائة ، وهي مع ذلك مركزة تركيزا شديدا . وانما كل ما اطمح اليه هو لفت النظر الى قيمته واهميته .

وقسطنطين زريق ينحاز في كتابه انحيازا تاما الى : العقلانية ، والمستقبلية، والعلم ·

وفي الجدل بين المستقبلية والتراث، لا يرى اى تعارض · بالعكس · فان المستقبل لا يمكن ان يقوم على انقاض التراث · ولكن تراث اى امة يتضمن الصالح الذى يجب ان يبقى والفاسد الذى يجب ان يزول · ففى تراثنا العربى مثلا هناك انجازات رائعة في ميادين العلم والفكر يتعين علينا احياؤها · والاحياء هنا ليس اعادة نشر النصوص ولكن دراسة مضمون هذه النصوص وتقييمها · كما ان « في تراثنا ايضا عناصر اخرى من الغيبية والوهمية والفردية والعشائرية والطائفية يتوجب علينا ان ندرك اصولها الراجعة الى ادوار البدائية او الانحطاط»

ونقطة الانطلاق عنده في الاهتمام بالتراث تبدأ من التساؤل عن صورة عالم الغد ، ونوع المستقبل الذى نريد ·« ولو نظرنا الى المبدعين من السلف ، وجدنا انهم لم يكونوا من الذين تقيدوا بماضيهم ، وتراثهم ، او اكتفوا بحاضرهم، بل من الذين حاولوا ان يتجاوزوا هذا وذاك الى ما هو افضل واجدى ، اى انهم كانوا مستقبليين تطلعيين » ·

وفى مجال المستقبلية ·· يدعو المؤلف الى ان اهم ما يحتاجه مجتمعنا العربى هو التحول من وضعه الراهن الى وضع يرقى فيه الى مرتبة المجتمع العلمى· وفي هذا المجال لابد من تبين طبيعة «العلم» الاساسية من جهة (وهو ما يعالجه في فصل خاص) وخصائص المجتمع العلمى الحديث من جهة ثانية ، وهو ما يعالجه فى فصل آخر ·

وهو ينبه الى ان العلم ليس التكنولوجيا فحسب ، بعد ان صار هذا هو الوهم الشائع · فى حين ان التكنولوجيا ليست الا مظهرا من مظاهر العلم فحسب · فهذه النظرة التكنولوجية الى العلم تحصره غالبا فى مجال الطبيعة ، فتبقى شئون الانسان والمجتمع خارجة عنها ، مع ان العلم قد تغلغل فى كل جوانب المجتمع · فالاقتصاد علم ، والادارة علم ، والتنظيم الاجتماعى علم ، والاعلام علم ، والتربية علم ، والسياسة علم، والحرب علم، والسلم علم · بل انه لم يبق شأن من شئون الحياة محرما على العلم ، ولم يعد شريان من شرايينها يتفتح ويتدفق الا بحيويته ومدده»·

والعلم بعد ذلك ليس مجموعة معلومات فى اى حقل · « وانما نعنى قدرة عقلية وخلقية مؤهلة للكشف والابتكار والتطبيق · ومم تتكون هذه القدرة ان لم يكن من المعلومات ؟ ان جوهر هذه القدرة نظام متماسك من القيم العقلية والملكات النفسية والطاقات الذاتية التى يتميز بها عن سائر النشاطات والجهود الانسانية·»

ولا اظن انه من المفيد كثيرا ان امضى فى اقتباسات ناقصة · والمجال لا يتسع للشرح · ولكن الذى يعنينى اكثر ان يبحث كل مهتم عن هذا الكتاب ويقرأه، نصا وروحا · يتفق معه او يختلف لا يهم · ذلك انه احد قلائل الكتب التى تعالج في تكامل ودقة مشكلة مشاكلنا وقضية قضايانا ·· كأمة لها ماض عريض ·· وتريد ان يكون لها مستقبل ، وان يكون لها مستقبل افضل ·

■■

احمد بها الدين

الخبر

صلاح عبد الصبور



يلقى بى ضجرى أحيانا فى شط البحر
يستهوينى عندئذ ان أهمس للموج المتدفق
بافانين القصص المنحولة عن نفسى
او اعلن عن اسمائى فى ابواق الافق المطبق
فاسمى نفسى احيانا بالقرصان الازرق
او بالتنين المحــرق

★ ★ ★

احيانا تلقى بى الاسفار الى الغابات
فى وحشتها تستيقظ فى نفسى التهويمات
ويغمغم صوتى بالكلمات المدخولات
واقدم نفسى للشجر الملتف
باسم : الاعصار العاصف

★ ★ ★

فى هاوية الجبـل المسنون اسمى نفسى بالسيل القاصف
فى صخر السفح الغافى فى جدران الصمت
اسمى نفسى :
قطب الوقت

★ ★ ★

من يدرينى اذ يهبط ظلى فى ظلى
حين اعود الى ظلمة بيتى
بم تفتر ثنايا الزبد البيضاء
وبماذا تصفر ساخرة اشجار الغابات
ماذا بث الجبل المتوحد للجبل المتوحد عن هازل احوالى

فى مرتحلى او فى حلى
من غمزات او ايماءات
ماذا غمغم فى قيعان السفح الغافى
من سخرية الاصوات

★ ★ ★

آه .. ضقت بحالى ، باكاذيبى ضقت
لو يلتف على عنقى احد الحبلين
الصدق ...
او الصمت .

■ ■





اذا كنا سنحاول ان نلقي بعض الاضواء على الدولار ، فليس معنى ذلك اننا نتوقع ان نصل الى اية اجابات حاسمة • فهذا امر عجز عنه الاقتصاديون والسياسيون • ومع ذلك فلا بأس من محاولة التعرف على الدولار عسى ان يساعد ذلك في فهم اكبر •

الدولار ينزف ويذوب •• عن « الاكسبريس » الفرنسية •

الدولار المشكلة!

بقلم : الدكتور حازم الببلاوي

■ قيل ان المشكلة هي سؤال يبحث عن اجابة • ولكن ليس كل سؤال بمشكلة • فينبغي ان يكون سؤالا جادا وهاما • وهذا ما يفترض ان الاجابة غير معروفة ، ولكنها تستحق المعرفة ، وان تكون قابلة للمعرفة ، وان لم تكن سهلة وواضحة •

ويبدو لنا ان الدولار وما يطرحه حاليا من تساؤلات ، تتوافر له هذه الخصائص • فنحن في الواقع في مواجهة الدولار المشكلة ، والذى يطرح اسئلة لا نعرف عنها اجابات ، وان كنا نحتاج الى ذلك •

ونعتقد ان اسلم الطرق هو ان نبدأ من البداية ، ولا ضرر اذا ادى ذلك الى ترديد بعض البديهيات ، فان الخطر لا يقع عادة من كثرة ترديدها ، وانما فقط عند تجاهلها •

فما هو هذا الدولار المشكلة ••• ؟

عن عملة اسبانية

بدأ استخدام الدولار في الولايات المتحدة الامريكية ، مع قانون العملات الذى صدر في عام ١٧٩٢ في عهد توماس جيفرسون • وقد اخذت تسميته عن عملة اسبانية كانت متداولة بكثرة في المستعمرات الامريكية قبل الاستقلال •

وقد بدأ الدولار في ١٧٩٢ على اساس قاعدة المعدنين التي كانت شائعة بين الدول في ذلك الوقت ، وخاصة في فرنسا • فكان الدولار يعادل ٢٥ر٣٧١ جراما من الفضة الخالصة او ٧٥ر٢٤ جراما من الذهب الخالص ، وهو يشير الى نسبة ١٥ : ١ ، وهي النسبة السائدة بين الفضة والذهب في ذلك الوقت • ومع ما اظهرته قاعدة المعدنين من صعوبات اصبح الدولار اعتبارا من عام ١٨٧٣ معرفا على اساس

الذهب وحده فى ظل قاعدة الذهب .

وبعد الازمة العالمية فى ١٩٢٩ خفض الدولار فاصبح ١٣ر٧١ جراما من الذهب فى ١٩٣٤ بحيث اصبح ثمن الاوقية من الذهب يعادل ٣٥ دولارا . وقد ظل هذا السعر للدولار مستمرا حتى عام ١٩٦٨ حين بدات سلسلة من التخفيضات .

وفى كل هذا كان الدولار قابلا للتحويل الى ذهب لغير المقيمين حتى الغى ذلك فى اغسطس ١٩٧١ .

وعندما نقول بأن الدولار كان معرفا بالذهب حتى اغسطس ١٩٧١ ، فليس معنى ذلك ان التطور النقدى فى الولايات المتحدة الامريكية قد توقف عند مرحلة النقود الذهبية . بل على العكس فقد كان التطور النقدى فى الولايات المتحدة الامريكية اسرع من اى دولة اخرى ، ولذلك فان النقود الورقية ثم نقود الودائع (ديون البنوك التجارية) كانت تمثل النقود الاساسية فى الاقتصاد الامريكى .

الدولار كنقود هو دين عام على الاقتصاد الامريكى . فرغم ان الدولار تصدره السلطات النقدية (البنوك الفيدرالية والبنوك التجارية) الا ان المدين الحقيقى به ليس فقط هذه المؤسسات، ولكنه الاقتصاد القومى فى مجموعه ، فمن يحمل الدولار ، وطنيا كان او اجنبيا ، له الحق فى الحصول على ما يشاء من السلع والخدمات المعروضة فى السوق الامريكى . فهو صاحب حق ، هو دائن للانتاج الامريكى ، يستوفى حقه ممن يشاء فى الاقتصاد الامريكى . وتمتع الدولار (النقود بصفة عامة) بهذه الخاصية ، يرجع الى القبول العام الذى تتمتع به النقود .

قصة النقد الدولى

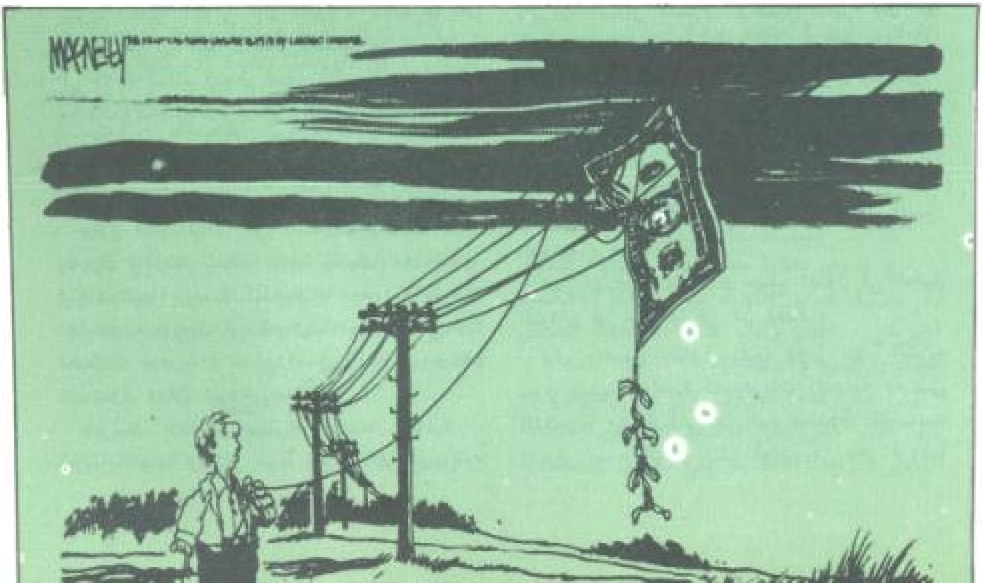
وضع اساس نظام النقد الدولى الحالى فى بريتون وودز ١٩٤٤ وقبل نهاية الحرب العالمية الثانية . ونظرا لان واضعى هذا النظام تاثروا بذكرياتهم عن اوضاع النقد الدولية السابقة ، فمن الضرورى الاشارة الى ذلك لفهم اساس النظام الحالى .

قبل قيام الحرب العالمية الاولى ، كان العالم يسير على قاعدة الذهب . ومقتضى هذه القاعدة ان تحدد كل دولة قيمة عملتها بوزن معين من الذهب ، وهو مايعنى ثبات اسعار الصرف بين العملات على اساس اوزان الذهب فى كل منها . على ان اهم مايميز قاعدة الذهب ، ليس فقط ثبات اسعار الصرف ، وانما اخضاع التوازن الداخلى فى كل دولة لمقتضيات التوازن الخارجى . فعند حدوث اختلال موازين المدفوعات بين الدول يؤدى خروج ودخول الذهب فيما بين الدول الى اعادة التوازن فى العلاقات الدولية عن طريق التغيير فى مستويات الاسعار والدخول بين الدول .

ففى ظل قاعدة الذهب ، تفقد الحكومات القدرة على اتخاذ سياسات اقتصادية داخلية مستقلة ، وتخضع هذه السياسات لظروف التوازن الخارجى .

واذا كان هذا النظام لم يسر من الناحية العملية

الهيرالد تريبيون



على هذه المبادىء النظرية ، بل قام بنك انجلترا والاسترليني بدور اساسي في تنظيم التجارة الدولية والتاثير على العلاقات الدولية والسياسات الداخلية•فان ذلكلا يمنعالقول بان النظامسار في مجموعه سيرا هادئا ولم تنشا عنه ازمات كبيرة •

وبعد نهاية الحرب العالمية الاولى حاولت انجلترا اعادة نفس النظام السابق ، وبالفعل فقد عادت انجلترا الى قاعدة الذهب في ١٩٢٥ وعلى اساس قيمة الاسترليني قبل الحرب • وكان الامل هو عودة الاوضاع السابقة • ولكن المبالغة في تحديد قيمة الاسترليني من ناحية ، والظروف الجديدة من ناحية اخرى ، ادت الى تقويض النظام الاقتصادي القائم مع الازمة العالمية في ١٩٢٩ ، وتركت انجلترا الى غير رجعة قاعدة الذهب •

ومنذ الازمة العالمية وحتى الحرب العالمية الثانية ، وقد مر العالم بتجربة قاسيه بعد ترك قاعدة الذهب وثبات اسعار الصرف ، بدات بالاخذ بتقلبات اسعار الصرف ، للدخول في حروب تنافسية لتخفيض اسعار العملات ، وانتهت بفرض القيود على التجارة الدولية والاخذ بسياسات للحمايةوالاتفاقات الجمركية والرقابة علىالصرف• وكانت النتيجة تقلص التجارة الدولية وانخفاض معدلات النمو وربما اخيرا قيام الحرب العالمية•

لذلك فقد كان من الطبيعي ان تنشغل الاذهان قبل نهاية الحرب بوضع قواعد جديدة لنظام النقد الدولي في ضوء التجارب الماضية • ونظرا لان ذكرياتتقلباتاسعار الصرف كانت لاتزال عالقة بالاذهان ، وفي نفس الوقت الحنين لنظام ما قبل الحرب العالمية الاولى كان كبيرا ، لذلك لم يكن من الغريب ان يتجه واضعو اتفاقية بريتون وودز الى الاخذ بنظام لثبات اسعار الصرف • ولذلك فقد وضع هذا النظام قواعد ومبادىء النظام النقدي الدولي •

مشكلة النقص في السيولة

واول هذه المبادئ هي استقرار وثبات اسعار الصرف للعملات المختلفة بحيث تتعهد الدولبتحديد قيم عملاتها بالنسبة للذهب وتتعهد بحماية هذه الاسعار • ويجوز في احوال خاصة وعند حدوث اختلالات جوهرية ، تعديل اسعار الصرف بموافقة الصندوق ووفق شروط خاصة •

ويرتبط بتحقيق استقرار اسعار الصرف ، تحرير التجارة وتقرير حرية تحويل العملات ويقوم صندوق النقد الدولي بالاشراف على تحقيق هذه المبادىء •

ومن المهم ان نلاحظ هنا انه اذا كان نظام بريتون وودز قد اخذ بنظام ثبات اسعار الصرف ، وبذلك يتفق في وجه مع قاعدة الذهب التي كانت سائدة قبل الحرب الاولى ، الا ان هناك اختلافات اخرى اساسية ، وبوجه خاص فانه في ظل قاعدة الذهب ، هناك جهاز لتحقيق التوازن في العلاقات الدولية عند حدوث اختلالات عن طريق دخول وخروج الذهب وما يرتبط به من تغيير في مستويات الاسعار والدخول ومع عدم وجود سياسات اقتصادية داخلية مستقلة •

اما في ظل نظام بريتون وودز ، فان الدول مع اخذها بنظام ثبات اسعار الصرف ، فانها لم تتخل عن سياساتها الداخلية المستقلة ولم تخضعها لاعتبارات قاعدة الذهب ، فكل دولة كانت تقوم بتحديد سياستها الداخلية من حيث مستوى الاسعار والدخل (والبطالة) بصرف النظر عن اعتبارات التوازن الخارجي • ولذلك فقد واجه نظام بريتون وودز منذ البداية عقبات لم تعرفها قاعدة الذهب•

والواقع ان العمل قد ادى الى جمود في اسعار الصرف بشكل يزيد كثيرا عما ورد في اذهان واضعي اتفاقية الصندوق الذين كانوا يرونامكانية التعديل لمقابلة القيمة الحقيقية للعملات ، ولكن مع حرية انتقال رؤوس الاموال الكبيرة ، فان السماح بالتعديلكان سيساعد على نمو المضاربات• ولذلك عمد القائمون على صندوق النقد الدولي والمسئولون عن البنوك المركزية الى التشدد في تغيرات اسعار الصرف وتحقيق اكبر قدر من الجمود خوفا من هذه المضاربات • وقد ادى هذا الجمود المبالغ فيه الى ظهور العديد من المشاكل •

وازاء جمود اسعار الصرف من ناحية ، وعدم رغبة الدول في اخضاع توازنها الداخلي للظروف الخارجية من ناحية اخرى ، فقد واجه نظام النقد الدوليمشكلة النقص في السيولة (او النقود الدولية) •

فمن المستحيل ان تنجح جميع الدول في تحقيق التوازن في علاقاتها في كل لحظة •

ولم يتضمن نظام بريتون وودز عند انشائه سوى وسيلة واحدة للمدفوعات الدولية وهي الذهب • واتفق على ان يقوم صندوق النقد الدولي بمنح الدول التي تعاني من عجز قروضا



يو ٠ اس ٠ نيوز الامريكية

تمكنها من مواجهة العجز فى حالات معينة ٠

ومع ذلك فقد كانت هناك حاجة الى توفير كميات كافية من السيولة الدولية تسمح بمواكبة الزيادة المستمرة فى العلاقات الدولية ٠ وقد ظهر واضحا ان الذهب غير قادر على القيام وحده بهذا الدور ٠ فانتاج الذهب لم يكن كافيا لمواجهة احتياجات العالم من السيولة الدولية ٠

لكل ذلك فقد كان من الضرورى البحث عن اصول جديدة يمكن أن تستخدم ، مع الذهب ، بالاضافة الى السيولة الدولية ٠ وقد كان من المتصور الاخذ بأحد حلين : الاول الاتفاق على ان تقوم سلطة نقدية دولية باصدار نقود دولية ، والثانى أن تستخدم احدى العملات الوطنية كنقود دولية ٠

ولم يكن العالم مهيأ فى ذلك للحل الاول ، لذلك فلم يكن هناك مناص من استخدام احدى العملات الوطنية كنقود دولية تستخدم الى جانب الذهب فى تسوية المدفوعات الدولية وتحتفظ بها الدول فى احتياطياتها لمواجهة اختلالات موازين المدفوعات ٠ وقد كان الدولار اكثر العملات فرصة للقيام بهذا الدور الجديد ٠

على قاعدة الدولار

خرج العالم محطما بعد الحرب العالمية الثانية، ولم يكن هناك من اقتصاد سليم سوى الاقتصاد الامريكى ، الذى زادت طاقته الانتاجية على الجانبين المدنى والعسكرى ٠

وفى مثل هذه الظروف كان من الطبيعى ان ينشأ طلب عالمى على الانتاج الامريكى لاعادة التعمير ، وايضا للحصول على السلع الاستهلاكية والغذائية ٠ ومن الطبيعى أن يتوقع فى مثل هذه الظروف ان ينشأ نوع من القبول الدولى العام للدولار ، الامر الذى فتح الطريق امامه ليصبح عملة دولية ٠٠ وكانت هذه هى الخطوة الاولى ٠

وعندما قامت الحرب الكورية فى بداية الخمسينات ـ وكانت هذه بداية مسلسل الحروب الصغيرة فيما بعد ـ فقد ساد انطباع بانها مقدمة لحرب عالمية ثالثة ٠ ولذلك فقد بدات الولايات المتحدة الامريكية فى تكوين مخزون سلعى ضخم من جميع انواع السلع ، ومن ثم زاد طلبها على صادرات معظم الدول وارتفعت أسعارها ٠ ووجدت هذه الدول نفسها لاول مرة منذ الحرب الثانية محققة لفوائض ومحتفظة بدولارات ٠ اخيرا توافر الدولار للدول الاخرى ٠ وبذلك تحققت الخطوة الثانية لقيام الدولار بدور النقود الدولية ٠فالى جانب توافر القبول العام له ، فقد اصبح متوافرا٠

وبدلا من أن تستخدم الدول هذه الدولارات للاستيراد من الولايات المتحدة الامريكية ، فقد احتفظت بها كاحتياطى لاستخدامه فى احوال مواجهة صعوبات موازين المدفوعات ٠ وبهذا الشكل دخل الدولار الى جانب الذهب فى احتياطيات الدول،واصبح نقودا دولية وليس فقط مجرد عملة وطنية ٠

وبهذا الشكل بدات تظهر مشاكل الدولار الدولية ٠ وهى مشاكل نشات عن وجود تناقض أساسى فى وضع الدولار كاصل مالى تصدره سلطة وطنية للقيام بدور دولى ٠

ارباح المحتكر

والمعروف انمحتكر اصدار النقود ـ وطنية كانت

او دولية ـ يتمتع بالاستيلاء على ارباح ومكاسب نتيجة قيامه باصدار هذه النقود . وقد عرفت هذه المكاسب منذ وقت طويل . فعندما كان الامير الاقطاعي يقوم بسك النقود باسمه ، كان يقطع جزءا من وزنها ، ويسك العملة بوزن اقل وبنفس القيمة القديمة . وهذا المكسب الذي يحققه الامير كان يعرف « بحقوق السيد » . ويمكن القول بصفة عامة ان هذه المكاسب تتمثل في الفرق بين نفقة اصدار النقود وبين قيمتها الاسمية ، ونظرا لان النقود الورقية ـ ومن باب اولى نقود الودائع ـ تكاد لا تتضمن اية نفقة ، فانه يمكن القول بان المكاسب التي يحققها محتكر اصدار النقود تقترب من قيمة النقود المصدرة ذاتها .

وتتمتع الولايات المتحدة الامريكية حاليا ـ باعتبارها السلطة التي تصدر الدولار للاستخدامات الدولية ـ بهذه المكاسب الاحتكارية او حقوق الاقطاعي .

وترجع أسباب هذه المكاسب الى ان الدول لا تحصل على الدولارات الا مقابل تنازلها عن اصول مختلفة ، في حين ان الولايات المتحدة لا تتكلف شيئا في سبيل اصدار هذه الدولارات (سوى تكاليف الطبع والادارة) . فالدول في سبيل حصولها على الدولارات تضطر الى التنازل عن اصول مختلفة للولايات المتحدة الامريكية في شكل سلع وخدمات او في شكل ملكية واصول مالية . وهذه الدولارات لا تستخدم للحصول على سلع من الاقتصاد الامريكي ، وانما يحتفظ بها في احتياطي الدول لمواجهة صعوبات موازين المدفوعات فيما بين هذه الدول وبعضها . ولذلك فان الولايات المتحدة الامريكية تحقق كسبا كبيرا من وراء احتكارها سلطة اصدار هذه النقود الدولية .

واذا كان الميزان التجاري الامريكي قد ظل موافقا طوال الخمسينات والستينات ، فان الولايات المتحدة الامريكية قد قامت باستثمارات على طول العالم وعرضه باحجام تزيد كثيرا على الفائض في هذا الميزان التجاري . وكان معظم هذه الاستثمارات الامريكية في الخارج يمول عن طريق احتفاظ دول العالم بالدولار كعملة احتياطي دولي . فالولايات المتحدة الامريكية كانت تقدم دولاراتها للدول المختلفة لكي تحتفظ بها هذه الدول كاحتياطي ، وتحصل امريكا مقابل ذلك على ملكية واستثمارات كبيرة في تلك الدول .

وقد كان هذا هو السبب الاساسي الذي اثار الرئيس الفرنسي ديجول في منتصف الستينات على دور الدولار في نظام النقد الدولي ومحاولة الضغط للعودة الى نظام الذهب .

ومنذ السبعينات بدا الميزان التجاري الامريكي يعرف عجزا . وهنا ايضا لم تحتج الولايات المتحدة الامريكية الى تقليص استثماراتها السابقة، بل ان هذا العجز قد مول عن طريق الحقوق الاقطاعية بالاضافة الى تدفق الفوائض النفطية اليها .

دين على العالم

وقد نبه الاقتصادي الامريكي ـ البلجيكي الاصل تريفن ، منذ بداية الستينات الى خطورة نظام النقد الدولي القائم على عملة وطنية لاحدى الدول . فهذا نظام بطبيعته مزعزع وغير مستقر، ويؤدي الى ازمات ثقة وقلاقل .

ففي هذا النظام تحتفظ الدول بالدولار كاحتياطي لمواجهة اختلالات موازين المدفوعات . والدولار بهذا الشكل نقود دولية ، اي انه يمثل دينا على الاقتصاد العالمي ويقبل في تسوية المدفوعات الدولية . ولكن الدولار ايضا دين على الاقتصاد الامريكي .

وعادة لا تبقى الدول احتياطياتها من الدولار عاطلة ، وانما تحاول استغلالها فيما يعود عليها بعائد دون ان يفقد هذه الارصدة الدولارية سيولتها . ولذلك فان السلوك الطبيعي هو ان توظف هذه الاحتياطيات الدولارية في ديون قصيرة الاجل في الولايات المتحدة الامريكية (عادة اذونات خزانة امريكية) .

وبذلك فكلما زاد حجم الدولار المستخدم كوسائل دفع دولية ، زادت مديونية الولايات المتحدة الامريكية قصيرة الاجل . ورغم ان زيادة هذه المديونية قصيرة الاجل قد تصاحبها زيادة اكبر في دائنية الولايات المتحدة للعالم الخارجي في شكل استثماراتها الخارجية، فان هناك صعوبة معينة . وهذه الصعوبة هي ان ديون الولايات المتحدة تكون عادة قصيرة الاجل (اغلبها مستحق لاقل من شهر)، في حين ان حقوقها طويلة الاجل . وهذا من شانه ان يخلق مشاكل سيولة فيما لو قرر الدائنون تصفية ديونهم مرة واحدة . ومن هنا تنشأ ازمات الثقة .

ونظرا لان وضع الدولار لم ينشأ نتيجة اتفاق دولي ، وانما قام بالتدريج ، فقد كان من الطبيعي ان ينظر اصحاب هذه الارصدة الى احتياطيات



المحامى للارملة : معذرة يا سيدتى : ، فان المرحوم لم يترك لك شيئا ذا قيمة .. لقد ترك دولارات فقط !

عن « تايم » الامريكية

الولايات المتحدة الامريكة من الذهب والعملات الاجنبية . وقد كانت احتياطيات الولايات الامريكية من الذهب والعملات الاجنبية فى ١٩٥٠ تبلغ ٢٤٫٣ بليون دولار ، فى حين لم تجاوز الارصدة الدولارية للدول الاخرى ٨٫٩ بليون دولار ، اى ان النسبة كانت ٢٧٣٪ ومع زيادة استخدام الدولار كاحتياطى زادت مديونية الولايات المتحدة قصيرة الاجل من ناحية وقلت حاجتها من ناحية اخرى للذهب والعملات الاجنبية . فارتفعت الارصدة الدولارية، للدول الاخرى الى ٣٣٫٢ بليون دولار فى ١٩٦٧ مقابل احتياطات امريكية ١٤٫٨ بليون دولار فقط، اى انخفضت النسبة الى ٤٥٪ فقط .

ولايخفى ما يؤدى اليه ذلك من زعزعة فى الثقة. حقا ان هذا هو وضع كل البنوك ، فهى تبيع مديونيتها قصيرة الاجل مقابل حقوق طويلة الاجل. ولكن البنوك نظام مستقر ومقبول وهناك البنك المركزى الذى يضمن التزامات هذه البنوك .

والولايات المتحدة الامريكية كبنك العالم لابد ان تواجه نفس الامور ، ولكن المشكلة هى ان قيام الولايات المتحدة بدور بنك العالم لم يتم باتفاق دولى ، كما لاتوجد سلطة دولية تضمن التزاماتها. ولذلك فان عدم الاستقرار وازمات الثقة امر لصيق بطبيعة النظام .

فى نطاق المسئولية الدولية

متى اصبح الدولار نقودا دولية ، فالمفروض ان تتم ادارته فى ضوء المسئوليات الدولية ، وفى مقدمة هذه المسئوليات العمل على استقرار قيمة هذا الدولار سواء بالنسبة الى الذهب والعملات الاخرى ، او بالنسبة للسلع ومنع التضخم .

وتلجا الدول عادة الى استخدام النقود فى سياستها النقدية كجزء من السياسة الاقتصادية الداخلية لتحقيق بعض الاهداف (العمالة ، الاستثمار ، مستوى الاسعار) . ولذلك فانه من الواجب ان تكون ادارة الدولار موجهة اساسا للمصلحة الدولية ، ولا يستخدم كجزء من وسائل السياسات الداخلية .

وعندما بدا التعارض بين اعتبارات المسئولية الدولية وبين احتياجات السياسة الداخلية ترددت السلطات الامريكية ، وكان عملها مشوبا بالتردد، مما ادى الى الاساءة الى الاستقرار الدولى والداخلى على السواء .

وقد تم اعتماد الدولار كنقود دولية فى ظل قاعدة الذهب ، وحيث كانت السلطات الامريكية ملتزمة بتحويل الدولار الى ذهب بسعر ثابت (٣٥ دولارا للاوقية) . وقد كان من المفروض الاستمرار فى ذلك ، ومع ذلك فقد كان من المستحيل تحقيق هذا.

فمع استمرار زيادة الحاجة الى السيولة الدولية ومن ثم الى الدولار ، ومع عدم نمو الذهب بنفس المعدل ، فقد وجدت الولايات المتحدة الامريكية نفسها وقد تراكمت عليها الديون قصيرة الاجل فى نفس الوقت الذى لم تتزايد فيه احتياطاتها من الذهب . ومع احتمالات المضاربة على الذهب من ناحية والتجاء فرنسا الى تحويل ارصدتها

الدولارية الى ذهب من ناحية اخرى فقد اتخذت الولايات المتحدة الامريكية عدة اجراءات بداية بسنة ١٩٦٨ وانتهت بقرار اغسطس ١٩٧١ بمنع تحويل الدولار الى ذهب ٠

كذلك فشلت الولايات المتحدة الامريكية فى حماية قيمة الدولار ، واخذت الضغوط التضخمية تظهر خصوصا مع حرب فيتنام ، مما جعل ابعاد الدولار الامريكي عن ظروف الاقتصاد الداخلية امرا صعبا. ولذلك فقد اخذت الادارة الامريكية في استخدام السياسة النقدية لمواجهة مشاكلها الداخلية بصرف النظر عما يترتب على ذلك من اثار خارجية على الدولار ٠ الامر الذى اظهر مدى التعارض بين المسئولية الدولية والاحتياجات المحلية ٠

بداية عصر جديد

بالاضافة الى الصعوبات المتقدمة فى طبيعة نظام النقد الدولى ، فقد ادت تطورات الاقتصاد العالمى الى الاضافة الى مشاكل الدولار ٠ فقد تغيرت اوضاع العالم الاقتصادية ، فاوروبا واليابان اعادت بناء اقتصادياتها واصبحت قوة اقتصادية يعتد بها ، ولذلك فان قيمة الدولار لم تعد معبرة عن حقيقة الاوضاع الجديدة ٠ واصبحت المبالغة فى قيمة الدولار عقبة امام النظام الدولى، كما كانت المبالغة فى تحديد قيمة الاسترليني ١٩٢٥ عقبة امام نظام الذهب الذى حاولت انجلترا اعادته بعد الحرب العالمية الاولى ٠ وساعدت حرب فيتنام على زيادة الضغوط التضخمية فى الولايات المتحدة ، مما اضطرها الى اتخاذ سلسلة من الاجراءات التى زعزعت مركز الدولار الدولى ٠

وقد بدات هذه الاجراءات بمنع جزئى لتحويل الدولار الى ذهب فى مارس ١٩٦٨ ، وانشاء سوقين للذهب ، احداهما للتعامل الرسمي بين المؤسسات النقدية بسعر التعادل الرسمى (٣٥ دولارا للاوقية) واخرى سوق حرة للتعامل فى الذهب ٠

ثم اضطرت الولايات المتحدة الى تخفيض قيمة الدولار اكثر من مرة ٠ وفى اغسطس ١٩٧١ اتخذ الرئيس الامريكي نيكسون اكثر الاجراءات خطورة بمنع تحويل الدولار لذهب لغير المقيمين وبذلك تحول نظام النقد الدولى الى نظام الدولار الورقى٠

وبدأ العالم فى التفكير فى اعادة النظر فى النظام القائم ، فشكلت فى صيف ١٩٧٢ فى جينيف اللجنة الوزارية لاصلاح نظام النقد الدولى ولجنة العشرين بمعاونة لجنة النواب ٠ وبعد استقرار نسبى فى اسعار العملات ، وخاصة بعد اتفاقية سميثونيان فى نهاية ١٩٧٢ بدأت من جديد عمليات المضاربة الشديدة على العملات وخفضت الولايات المتحدة الامريكية الدولار من جديد فى فبراير ١٩٧٣ ٠ وبدات الدول فى تعويم عملاتها ٠ واصبح التعويم وتقلبات اسعار الصرف هى الظاهرة الغالبة، رغم ماكانت تقضى به اتفاقية صندوق النقد الدولى من ضرورة تثبيت اسعار الصرف ٠

واستمرت المحاولات للبحث عن حل شامل يعتمد على ثبات اسعار الصرف حتى وقعت ازمة البترول ورفعت اسعاره ٠ وكانت نهاية عصر وبداية عصر جديد ٠ فقرر وزراء مالية الدول الصناعية (روما ـ يناير ١٩٧٤) التخلى عن فكرة الحل الشامل وقبول الحلول المؤقتة ، والتنازل ـ تحت ضغط الظروف ـ عن ضرورة ثبات اسعار الصرف ٠ وقد تبلور هذا فى التعديل الثانى لاتفاقية صندوق النقد الدولى الذى تم الاتفاق عليه فى جامايكا فى نهاية ١٩٧٦ ٠ وهو التعديل الذى يترك للدول حرية اختيار نظام الصرف ٠ وهو حل يوفق بين رغبة الولايات المتحدة الأمريكية فى الأخذ بنظام التعويم واصرار فرنسا على الاخذ بنظام ثبات اسعار الصرف وقد تم التوصل الى هذا الحل التوفيقى فى اجتماع رامبويه بين الرئيس الامريكى والرئيس الفرنسى فى نوفمبر ١٩٧٥ ٠

وبذلك اصبح النظام النقدى الدولى الحالى هجينا غير معروف الهوية ٠ فهو نظام يقوم على الدولار ، وهو نظام يعتمد اساسا على تعويم العملات ، وهو نظام لا يضع اية ضوابط على الدولار الورقى بعد تحرره من القابلية للتحويل الى ذهب ٠

ولذلك فان التعديل الاخير لاتفاقية صندوق النقد الدولى ، وان كانت تعلن انتهاء نظام ، فانها ـ بعد لم تنشىء نظاما بديلا ٠

بعد « اليورودولار »

كانما لم يكف ما تقدم من فوضى ، حتى نواجه بصعوبة اخرى تجعل السيطرة على الاوضاع النقدية العالمية امرا مشكوكا فيه ٠ وهذه هى ظهور « اليورو دولار »٠واليورو دولار كما نعرف ـ هى سوق للاقراض والاقتراض بالدولار خارج الولايات المتحدة ، ومن ثم خارج سيطرة السلطات النقدية الامريكية ٠ فهى سوق تتحرر من رقابة السلطات

النقدية الامريكية ٠ فهي نوع من الثغرة بالنسبة لواضعي اية سياسة نقدية ٠ وتقوم هذه السوق اساسا في لندن بالاضافة الى مراكز اخرى في بهاما والبحرين وسنغافورة وهونج كونج ٠

واذا كان قيام اليورو دولار دولار كظاهرة للتهرب من القيود الامريكية على رؤوس الاموال قد بدأت منذ ١٩٦٣ ، فان اهميتها قد زادت بوجه خاص في السبعينات وخصوصا بعد زيادة عائدات النفط حيث يستغل جزء كبير منها في هذه السوق ٠ وقد بلغ حجم اليورودولار في ١٩٧٠ حوالي ٨٩ر١ بليون دولار لتصبح ٤٦٦ر١ بليون دولار في نهاية ١٩٧٧ (احصاءات مورجان جارنتي) ٠

وخطورة اليورودولار هي انها تمثل كتلة نقدية دولارية ضخمة جدا ولا يمكن السيطرة عليها مباشرة من قبل السلطات النقدية الامريكية ٠ ويكفي في هذا الصدد ان نقارن حجم هذه السوق الدولارية بحجم الدولارات المتداولة في الاقتصاد الامريكي ٠

ونظرا لان تعريف النقود ليس امرا متفقا عليه، ويمكن التمييز بين تعريفين ، احدهما ضيق يشمل الى جانب النقود المتداولة الودائع تحت الطلب ، والاخر واسع ويتضمن بالاضافة الى ذلك الودائع لاجل ، فاننا نجرى المقابلة بين الامرين ٠ وقد بلغ حجم النقود المتداولة في الولايات المتحدة (تعريف ضيق) في ١٩٧٠ ٥ر٢٢٥ بليون دولار وحجم اليورودولار في نفس السنة ٨٩ر١ بليون دولار اى بنسبة ٥ر٣٩٪ ٠ وقد اصبحت هذه الكميات في ١٩٧٧ ، ٣١٦ر١ بليون دولار ، ٤٦٦ر١ بليون دولار على التوالي اى بنسبة ١٤٧ر٣٪ ٠ اى ان اليورو دولار قد ازدادت نسبته من اقل من ٤٠٪ من النقود المتداولة في امريكا في ١٩٧٠ الى حوالي مرة ونصف في ١٩٧٧ ٠ واذا اخذنا بتعريف النقود الموسع ، فان نفس الظاهرة تتضح حيث ترتفع النسبة من ١٩ر٧٪ في ١٩٧٠ الى ٥٦ر٨٪ في ١٩٧٧٠

وفي مواجهة هذه الاحجام الضخمة للدولارات خارج الولايات المتحدة الامريكية يمكن ان نتساءل عن مدى فاعلية اية سياسة امريكية داخلية للتأثير على مقدرات الدولار ٠

الاقتصاد الامريكي والدولار

تعرض الدولار في الآونة الاخيرة لضربات شديدة فانخفضت قيمته في جميع الاسواق ٠ ومع ذلك فانه ينبغي الاشارة الى ان الدولار ــ قد اصبح له وجود مستقل الى حد بعيد عن حياة الاقتصاد الامريكي ٠ فرغم ما يعانيه الدولار من مشاكل،فان الاقتصاد الامريكي يعرف ظروفا مواتية نسبيا ٠

فقد بدأ الاقتصاد الامريكي في الانتعاش قبل معظم الدول الصناعية الاخرى ٠ واذا كان معدل النمو في ١٩٧٧ اقل مما كان عليه في السنة السابقة ، الا ان الانجاز فيه يعتبر معقولا ٠ ويتوقع ان يعرف الاقتصاد معدلا للنمو هذه السنة بين ٥ر٤ ـ ٥٪ وهو ما يجاوز المتوسط العام للنمو في الاقتصاد الامريكي ٠ كذلك استطاعت الولايات المتحدة الامريكية ان تحصر التضخم في حدود معقولة ، وهو يقل فيها عن متوسط التضخم في الدول الصناعية الاخرى باستثناء المانيا وسويسرا٠ اما البطالة فانها لا تزال تمثل مشكلة ، ومع ذلك فانها تتجه الى التحسن ، رغم انها ترجع في كثير من ظروفها الى اسباب هيكلية ٠

وبالنسبة لوضع ميزان المدفوعات ، فان العجز المتوقع في الميزان التجارى لسنة ١٩٧٧ يبلغ حوالي ٣٠ بليون دولار وبعد اخذ العمليات غير المنظورة فان العجز الجارى يتراوح بين ١٥ ـ ١٨ بليون دولار ٠ ورغم ان قيمة الواردات من النفط تبلغ حوالي ٤٠ بليون دولار فان الولايات المتحدة تحقق فائضا مع اوروبا يقدر بحوالي ١٨ بليون دولار مما يؤكد استمرار القدرة التنافسية للصناعة الامريكية بالرغم مما يثار حول هذا الموضوع ٠ وبصفة عامة فان مجموع العجز الجارى في الولايات المتحدة الامريكية يبلغ حوالي ١ ـ ٥ر١٪ من الناتج المحلي الامريكي ٠

ولا يمثل تمويل هذا العجز اية مشكلة حيث ان تدفق فوائض الاوبك الى السوق الامريكية يعتبر امرا متوقعا ٠

وفي ضوء هذا الانفصال بين اوضاع اقتصاد مرضي،واوضاع دولار مترد،يصبح اتخاذ السياسة صعبا ٠ فالمطالبة بوضع الحدود على النمو الامريكي لحصر التضخم ، يمكن ان تؤثر على احد اهم محركات النمو في الاقتصاد العالمي ٠ والمطالبة بتخفيض العجز الجارى الامريكي ، يمكن ان تقوى الاتجاهات الانعزالية ووضع القيود على التجارة الدولية ٠ لا يزال الدولار مشكلة ٠ وما زلنا نبحث عن اجابات لتساؤلاتنا ، بالرغم من هذا الحديث الطويل !

■■

د ٠ حازم الببلاوى

« الخلط بين الدين وبين من يسمون برجال الدين هو العلة للربط غير الضروري بين الدين والتخلف »

العلاقة .. غير الضروري بين الدين والجمود

● هل جن الناس ؟

منذ بضع سنوات فقط لم يكن أحد يعرف « لوفيفر » . الاستثناء : قلة من الاتقياء في تلك المنطقة الجبلية في سويسرا ، كانوا على استعداد لان يكابدوا زمهرير صباحات الاحد في محاولة لانقاذ أرواحهم بحضور القداس الباكر . ومن الممكن أن تضيف اليهم مثل عددهم من القسس الذين تجبرهم ظروف المهنة للاحتكاك به .

أما الان فالجميع يعرفون « الاب لوفيفر » . تحمر بأرديته الكهنوتية شاشات التلفاز في المساء وتسود بها صفحات الصحف في الصباح . يتقاطر المؤمنون كالنحل على الصلوات التي يقيمها في العواصم الاوروبية ، ويتساقطون كالذباب الموسمي على أرديته طلبا لبركته ، ويذكرونه بالخير اذا غاب .

ما الذي حدث يا ترى ؟

●●●

بقلم : عبد الوهاب احمد الافندى

الاسقف « لوفيفر » اعلن على الملا انه يقف بكل قوته ضد قرار أصدره البابا بالسماح لرعايا الكنيسة الكاثوليكية باقامة صلواتهم باللغات المحلية ، بدلا من اللاتينية كما جرى العرف الذى طال احترامه بين الكاثوليك .

وقال الاسقف ان هذا الامر بدعة ليس من الدين في شيء عند من اتبعها ، ولو كان البابا نفسه !

وان الاب « لوفيفر » لن يتخلى عن حرف من الصلاة الاصلية الموروثة من صالحى القديسين والمرسلين ، وانه لن يتزحزح قيد شعرة عن مبادئه صانعا البابا ما كان يصنع .

والناس يعجبون به ويتبعونه ، ويقبلون عليه ، فيجلسون بين يديه في خضوع ، يستمعون الى مباركته التي لا يفهمون منها حرفا !

جنون منذ الازل !

هل جن الناس ؟ اذا كان هذا جنونا ، فان الجنون اذن صفة ملازمة للبشرية منذ ان وجد فيها التاريخ المكتوب .

ففي تاريخ سومر ، اقدم الحضارات التاريخية ، تطالعنا قصة الملك « اورو ـ كاجينا » الذى ثار على الكهان ، وتسلطهم على البسطاء ابتزازا وارتشاء ، وذلك بادعائهم احتكار المعرفة الدينية التى لا يفهمها العامة ، مع كونها ضرورية لخلاصهم .

ولكن القوانين التى سنها ذلك الملك العادل ، والقاضية بتنظيم تسليم النذور للمعابد ، وحماية الاملاك ، مالبثت ان ذابت وتلاشت بعد وفاته ، وعاد الناس طائعين الى سيطرة الكهان .

وفى تاريخ مصر كان مصير ثورة « اخناتون » المناظرة لثورة « اورو ـ كاجينا » مشابها لمصير سابقتها . اذ ما لبث الناس أن عادوا الى القديم.

فقد كان الكهنة فى مصر القديمة طبقة قوية بحكم طبيعة الدين المعقد الطقوس ، وبحكم اعتماد الملك عليهم فى اثبات حقه الالهي ، وكانت امتيازاتهم المالية والاجتماعية محسودة من قبل اعظم العظماء .

وكان عند الكهنة علم الحياة وما بعد الممات . وبفضلهم كان يمكن للميت ان يجتاز الاختبارات القاسية التى يعدها أوزيريس لاختيار من سيعيشون مخلدين في ارض « الفيضان السعيد ». ومن عندهم تاتى الرقى التى تدفع الشر عن بابك، وترفع الماء من النهر ، وتنبئك بما يحدث فى غد .

وفى كتاب اموتى (وهو الفا ملف من ورق البردى وجدت مبعثرة فى القبور) رقى تعينك فى كل حالة من حالات الدار الاخرة . فهذه تمنع الميت من ان يفقد رأسه او فمه او قلبه . وهذه رقية تعينك على ذكر اسمك .. واخرى لكى تتنفس . وثالثة تمنع الماء الذى تشربه من ان يغدو لهبا . ورابعة تحيل الظلام نورا . وخامسة تنجيك من الافاعي . وسادسة .. وسابعة .. وثامنة . والميت المسكين لا يفقه منها حرفا ، حيا كان او ميتا ، ولكنه يدفع الثمن غاليا من اجل كل حرف .

وتتكرر القصة فى التاريخ . تختلف الاحيان ، وتختلف الالهة .. وتتفق الوسائل .. القسس الذين يبيعونك صكوك الغفران . الاولياء الذين يبيعونك الاحجبة . الكهنة الذين يقبلونك فى رحمة الله ويطردونك منها ..

دائما يميل الدين مهما كانت بدايته ان يتخذ نفس القالب ، وان يكتسى نفس الزى ، ان يتحول الى مؤسسة صفوية تقوم عليها قلة من « العارفين » يتعالون على الاخرين بعلمهم ، ويفرضون استمرارية النظام الذى يمثلونه ، ويقاومون كل تغيير .

ولا يسع المرء الا أن يتساءل : أهى طبيعة فى الدين ام طبيعة فى البشر ؟

يقول « ول ديورانت » فى كتابة قصة الحضارة : « وفى يومنا هذا ترى الكنيسة تقاتل قتال الابطال لتقيم تشريعا قضت عليه الثورة الصناعية قضاء مبرما لا شك فيه فالعوامل الارضية تسود اخر الامر ، والاخلاق توائم نفسها مع المستحدثات الاقتصادية ثم يتحرك الدين كارها فيوفق بين نفسه وبين الاخلاق الجديدة . ان الوظيفة الخلقية للدين هى ان يحافظ على القيم القائمة ، اكثر من ان يخلق قيما جديدة ..

والدين بصفة عامة لا يرعى الخير المطلق ـ اذ ليس ثمة خير مطلق ـ ولكنه يرعى معايير السلوك التى وطدت نفسها بحكم الظروف الاقتصادية والاجتماعية . وهو كالقانون يلتفت الى الماضى ليستمد منه احكامه ، وهو قمين بان يتخلف فى الطريق كلما تغيرت الظروف ، وتغيرت معها الاخلاق .. »

ويصف ديورانت دورة الاديان ، ودورة الصراع بين الدين والمجتمع على الوجة الاتى : حيرة

وارتياك من قبل الناس ينقذهم منها الدين بمدد من السحر •

ثم يرتقي الدين الى قمته بوحدة الاخلاق والعقيدة ، واعانة هذه الوحدة للسياسة والفن • ثم قتال ينتحر فيه الدين دفاعا عن قضية الماضي الخاسرة • ثم انتصار للعقل يؤدي الى عبادته • ثم يصبح المجتمع خاويا فارغا بفراغه من الدين فيموت مع دينه • ثم اسطورة جديدة •• ودين جديد •

الدين أم البشر

ما زال السؤال يطل في الحاح : أهي طبيعة البشر التي ترفض التغيير ؟ ام ان اساس الدين هو المحافظة ؟

نعم •• البشر علموا منذ الازل احترام القديم• احترام الآباء واجب •• واحترام الطاعنين في السن •• احترام ما يقوله الاكبر سنا •• لانهم اكثر تجربة •• النظر برهبة الى مخلفات الماضي، الذى اصبحت صورته المتحضرة المتاحف والمواقع الاثرية • ثم يصل هذا قمته في عبادة الاسلاف التي ما زالت سائدةفي بعض الدياناتالافريقية••

يقول بعض المحللين ان عبادة الاسلاف نتجت من خوف القدماء من الموتوحيرتهم امامه ، تلكالحيرة التي الجاتهم الى تقديس الاسلاف من الاموات الذين كانوا يرونهم في المنام بعد موتهم ، مما قد يوحي بوجود قوة قاهرة لاولئك الزوار المخوفين •

لا يهم هذا التفسير ، وانما المهم كون هذا التقديس لكل ما هو قديم ، طبيعة متاصلة في النفوس البشرية ••

ويعلمنا الله ان الرسل قلما جاءوا الى مدينة يصححون عقائدها الا كان الرد الدائم : « انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون»•

هل المحافظة اذن خلة من خلال النفس البشرية الملازمة ، وصفة من صفات المجتمع المتاصلة ، سواء اكان المحافظ عليه دينا او لا دين ؟

يقول جون ديوى في مقال له نشر بمجلة The Rotatiou Magazine عدد فبراير ١٩٤٦ •

« ان كون أى مؤسسة اجتماعية يمكن تصورها قد خرجت الى حيز الوجود في زمان ما ، او مكان ما في التاريخ ـ لهو دليل قاطع على مرونة الطبيعة البشرية » •

فالطبيعة البشرية اذن قابلة لكل شيء • فلماذا اذن يكون هناك زمان تقف فيه بعناد مع عقائد وعادات ضد اخرى ، رغم عدم وجود أى سبب منطقي •

الجواب أيضا عند ديوى في مقاله السابقالذكر:

« ويخطيء الثوري الراديكالي حين يغفل مدى تاثير العادات المتأصلة •• فاشكال التفكير ، والاعتقاد ، والرغبات لها نفس مقاومة الاجسام للسكون اذا اطلقت ، ونفس القصور الذاتي والمقاومة للحركة اذا سكنت •• » •

ويقول كاتب آخر (جورج بيتر مردوك) :

« ان الثقافة هي نتاج للتعليم اكثر منها نتاجا للوراثة • فثقافات العالم عبارة عن عاداتجماعية»

والدين يمثل في كل ثقافة أهم عناصرها • وعنه يقول « جون اريك نورسكوج » في كتابه « التغيير الاجتماعي » :

« ان القيم الدينية تبرز كارقى عنصر في الثقافة •• والدين يضرب عميقا بجذوره في الاخلاق ، ولعل هذا هو السبب في انه يعطي وزنه لفرض النظم والمؤسسات الاجتماعية الاخرى •• والاخلاق تتاثر بالتغييرات البيئيةوالنمو الاجتماعي، والدين كعنصر ثقافي عليه أن يتبعها • ولكن معدل التغيير ، استنادا الى الاخلاق ، بطيء شديد البطء • لهذا فان الدين والاخلاق يمثلان قوة مقاومة للتغيير يجب أن تغلب عليه بقوة المصالح الاجتماعية • ويقول (وبليام سمنر) ان الاخلاق في اى عصر هي حصيلة قوة المصالح والقصور الذاتي للدين » •

الدين اذن يمثل عنصر التخلف في اى حضارة •• هذا على الاقل ما نقرؤه في التاريخ • وما نقرؤه في زى اسقف كانتربرى الذى يرجع الى العصور الوسطى • ونقرؤه في ملابس علماء الازهر التي لا يفغر عليها الاسقف المهيب بكثير من العراقة • نقرؤه في لغات الاديان المعروفة جميعا، والتي اوشكت كلها انتخرج من الاستعمال، ولم يبق معظمها الا في نصوص كتب الدين •

ربط غير ضروري

لا ينكر احد انطبيعة الدين توقيفية فيالاساس• وما تاتي به من تعاليم يفترض فيه انه حقائق ازلية لا تقبل التحوير •

والدين بطبيعته يمثل الاشباع لتوق النفس البشرية الى الثابت والدائم في عالم كله متغير ، وفان •

فلا غرو ان كان الدين ثابتا نسبيا • ولكن القيم الثابتة التى جاء بها الدين لا تتعدى مجموعة قليلة من المبادىء يمكن لاى عابر سبيل أن يتعلمها دون أن يتوقف • فمن أين جاءت تلك التكملة التى لا نهاية لها من الاسفار والتعاليم ؟

ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يفصل أزياء علماء الازهر • والمسيح عليه السلام لم يصف للقساوسة زيهم ، ولا بنيان كنائسهم ، ولا أوقات صلاتهم • وهو عليه السلام لم يكن يفقه من اللاتينيه حرفا ، ولا فى علمنا أنه تحدثها • وهو لم يبد رأيا فى أى نظام اجتماعى أو اقتصادى• ولكن الكنيسة تبنت باسمه السواد زيا، واللاتينية لغة • والكنيسة وقفت باسمه مع الاقطاع ضد الرأسمالية والليبرالية •• ومع الليبرالية ضد الاشتراكية • ومع الاشتراكية الليبرالية ضد الشيوعية • ومن يدرى ما موقفها غدا ، اذ ان ملخصه الوقوف مع النظام الاجتماعى القائم ضد اى بديل له •

(أحد المدافعين عن الكنيسة رد بان المجتمع الانسانى فى حالة اندفاع الى الهاوية، وان واجب الكنيسة كراعية له ان تكون دائما فى مؤخرة القطيع ، لتشد أنظار أكبر عدد ممكن الى أعلى المنحدر • ونحتفظ بردنا على الدفاع !)

ومما سبق يتضح أن الخلط بين الدين وبين من يسمون برجال الدين هو العلةللربط غير الضرورى بين الدين والتخلف •

فهناك مجموعة من الناس توجد فى كل زمان ومكان ، وتسعى لكى تكون وعاء للدين ، وحائلا بينه وبين الناس • وهذه المجموعة تورث مبادئها لمن بعدها مع تشديد فى المحافظة عليها كما هى • وغالبا ما تكون هذه المبادىء صيغت حول مفاهيم دينية أساسية قليلة حقيقية ، مع اضافات كثيرة من البيئة والمفاهيم السائدة فيها •

وتصر الجماعات الكهنوتية بعقليتها المحافظة على أن ما صلح لبيئة معينة يصلح لكل زمان ، لانه من الله والله لا يحده الزمان • وما صدقوا فما كل ما عندهم من الله •

وامثال هذه الطبقة تسعى أولا الى استمالة النظام القائم اليها ، ثم تناصره ضد كل تغيير • ولعل ميل الاديان الى أن تتكون فى شكل مؤسسات، وتأثيرها الاخلاقى والعملى فى السياسة هو سبب هام فى كونها محافظة ، فهى ان لم تؤيد النظام حوربت حتى تتشكل بشكله او تشكله بشكلها او تزول • وفى جميع الحالات اما ان تكون مؤيدة لما هو موجود •• واما ان تذهب •

ويعلمنا الله تعالى أن المترفين هم الد أعداء الرسل •

ويردد ماركس هذا ، فيقول أن الطبقات المسيطرة تتزيا دينا يوائم مصالحها •

والسلاح الاكبر فى هذا هو طبقة تحتكر المعرفة الدينية، ونتجه اليها أنظار العامة فى رهبة وخوف وحيرة •

ولا شك أن الدواء لهذا السرطان هو المطابع • فمنذ أن وجدت المطابع فى أوروبا ، ومنذ أن ترجم البروتستانت الاناجيل الى اللغات المحلية ، وأصبح العلم الدينى مشاعا ، تهاوت أعمدة الطبقة الكهنوتية ، واختفت فى الظل ، ولم يبق من البناء الشامخ الذى حبكته حول الدين الا هيكله واساسياته •

وماذا عن الاسلام ؟

ولكن ماذا عن الاسلام ؟

ان الاسلام بطبيعته مثال للدين الشعبى • فالرسول الذى جاء به أمى •• والعلم الذى جاء به الرسول موجه مباشرة للعامة والبسطاء •

لا طلاسم هناك ، ولا رموز ، ولا غموض • فاذا كان للدين أن يكون كما هو أصله ، مرفأ أمان للمؤمنين فى كل زمان ومكان ، والا يصبح حجر عثرة فى سبيل التقدم ، وسدا فى وجه عجلة التطور ، فيجب أن ينزع عنه كل ما لبسه فوق نقائه الاصلى ، وقبل كل شيء يجب أن تنزع عنه طبيعته الصفوية • وان يقدم للعامة ، ويختفى بذلك كل الذين يقفون بين الله وبين الناس •

ان المخرج من الحلقة المفرغة بسيط وسهل : المزيد من العلم للمزيد من الناس •

كسر احتكار العلم الدينى ، حتى لا توجد هناك قلة تفرض فهمها للدين ، وتفرض الا يكون علم غيره ، فان جهل هذه القلة بما ترفضه هو سبب رفضها له • فالجهل بالحقيقة الكاملة هو الذى يدفع بحماة الدين الى الاعتقاد بان فى زيادة العلم بعدا عن الله • وان ما يكتشف من قوانين الطبيعة قد يعارض أقوال موجد الطبيعة •

سبحان الله وتعالى عما يصفون ••

عبد الوهاب الافندى

اكسير الشباب وهم اسمه :

« الانسان بسعيه الى خلود الشباب ، انما يريد من الحياة ان تركد فيه ، لتزيد في طوله وعرضه ، ولا تجود بأحد من بعده ! »

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

■ من قديم الزمان ، ظهر على هذا الكوكب مخلوق مدرك اسمه الانسان ، وسر ادراكه يتركز في عقله ، اذ به عرف النقيضين ، وميز بين كل ضدين ، وسعى سعيه ليختار من الاضداد ما يناسبه ، ومن النقائض ما يصادف هوى في نفسه ، فحارب الشر من اجل الخير ، وطلب اللذة حيث كره الالم ، وادرك الفرق بين الفضيلة والرذيلة ، والصحة والمرض ، والثواب والعقاب ، والموت والحياة ، والشيخوخة والشباب ، ولايدرك هذه المعاني قرد او خروف او حصان !

على ان اكثر ما يفجع هذا المخلوق المدرك هو سعيه حثيثا نحو شيخوخة مؤكدة ، لتسلمه لقمة سائغة لنهاية محتومة تتمثل لنا في الموت ، ولكى يتجنب هذا المصير المحزن ، بدأ يفكر في وسائل كثيرة ، علها تمنحه شبابا ، او صكا بيولوجيا ضد زحف الشيخوخة ، او حلول الموت ، الا ان كل محاولاته قد ذهبت ادراج الرياح ، وكأنما الموت احد نواميس الطبيعة الراسخة ، أو كأنما هو النتيجة الحتمية لكل كائن حي على هذا الكوكب.

لكن مفهوم الموت يختلف من مخلوق الى مخلوق، وحلول الشيخوخة قد يتفاوت بين كائن وكائن ، صحيح ان ظواهر الحياة التقليدية المنظورة تترك بصماتها على كائناتها ، وكأنما هذه البصمات تحدد فترات زمنية متعاقبة على جسد المخلوق ، او في انسجته وخلاياه ، ومن هذه البصمات ايضا تستطيع — بدون عناء يذكر — أن تحدد للمرء او الكائن عمره ، وأن تضعه في قائمة الشباب ، او مرحلة اواسط العمر أو الكهولة .

● اذا تحولت الخلية الهرمة الى مجنونة صارت ورما خبيثا ومدمرا ٠٠

• • •

● فى عالمنا كائنات لاتعرف الشيخوخة بسبب الانقسام المستمر والابدى

• • •

● فى داخل الانسان عناصر حياته وموته ٠٠ والخلود يبقى للمادة الحية



القديم والجديد ـ او الكهولة والطفولة ٠ ولا بد ان يذهب القديم ليحل محله الجديد ، فليتحول الجديد الى قديم ، ومن القديم يخرج الجديد ٠٠ وهكذا تسرى الحياة

ومع أن هذا هو الامر السائد فى مخلوقات عالمنا المنظور ، الا انه يختلف فى كائنات تحتل الدرجات الدنيا من سلم الحياة ٠

هناك مثلا كائنات مجهرية دقيقة تتمثل لنا فى خلية وحيدة (مثل الاميبا والبكتريا والخميرة)، أو اخرى اعقد قليلا (مثل بعض الديدان والهيدرا ورنايق البحر) ، وفيها جميعا تتقهقر الشيخوخة، وينحسر الموت ، وتعيش مادتها الحية فى حالة اقرب الى الخلود الذى يطمع فيه البشر ، وما هم بمدركيه ، اللهم الا اذا حذوا حذو هذه الكائنات، او ارتضوا حياتها سبيلا ٠

فهذه الكائنات البسيطة لا تهرم كما نهرم ، ولا تموت كما نموت ، لانها تسير على مبدأ ، والمبدأ عندها انها تداوم على الانقسام كلما بلغت اوج مراحل نموها ، وفى هذا الانقسام يكمن خلود مادتها ٠

كائنات لا تعرف الشيخوخة

هذه الحقيقة الغريبة يرجع عمرها الى ما يقرب من قرن ونصف قرن من الزمان ، ففى عام ١٨٣٨ نرى العالم الطبيعى ايرنبرج يكتب فى مذكراته « ان تكاثر مجموعة كائنات السيليوفورا Ciliophora (وهى قسم من الحيوانات الهدبية الاولية البسيطة) بالانقسام المباشر يمحو موتها، ويهبها حياة أبدية » !

ثم يجىء من بعده العالم الكبير موباس ،ويجرى

تجاربه على هذه الكائنات ، ويلاحظ حياتها في المزارع الخاصة التي يجهزها خصيصا لها ، ويسجل انها لا تعرف الشيخوخة طالما هي تواصل الانقسام لاجيال متعاقبة تربو على المئات ، ويجيء من بعده علماء ليؤكدوا هذه الحقيقة ، وليذكروا لنا انهم لم يلاحظوا ضعفا ولا شيخوخة ولا موتا يعترى المادة الحية التي تنتقل عبر الاف الاجيال ، لان المادة الحية تنقسم باستمرار ، فيصبح الكائن كائنين ، والكائنان اربعة ، والاربعة ثمانية ٠٠ الخ ، وكلما وصل الكائن منها الى مرحلة بلوغه، ومنتهى نموه ، فانه ينقسم ، وتعود مادة حياته الى « طفولتها » ، فتنمو من جديد ، ويتقدم بها العمر ، فاذا لم تسارع بالانقسام حل بها الوهن والضعف « والشيخوخة » والموت !

لكن الموت العارض قد يجيئها احيانا من جراء مادة سامة ، او جوع وعطش ، او نفايات حياة تتجمع حولها لتخنقها ، او اى عامل آخر من العوامل المدمرة للحياة ، واذا اردت ان تشهد حقا كيف تتحول نهاية العمر الى بداية ، او خمول الحياة الى نشاط ، او شيخوختها الى شباب دائم ، فعليك ان تمد هذا الكائن بغذاء متجدد ، وتنتشله من نفايات الحياة التي قد تتجمع في الوسط السائل الذى يعيش فيه ويمرح ، وعندئذ لن تراه يهرم ابدا ، لانه يجدد شيخوخته بانقسام ، فيصبح الكبير صغيرا ،والصغير ينمو ـ من جديد ـ لكي يكون كبيرا ، وتتكرر الدورة لآلاف الاجيال القادمة ، هذا لو كان لديك الصبر لترقب هذه العملية الخالدة لعشرات او مئات من سنوات تالية !

على ان تجدد الشباب بالانقسام ليس مقصورا على هذه الكائنات ذات الخلية الواحدة ، بل احيانا ما يتخذ صورا شتى في كائنات اكثر تطورا وتعقيدا ، ومن هذه الكائنات مثلا يبرز حيوان الهيدرا ذو الخلايا العديدة ، او التكوين الجسدى البسيط الذى يهيىء له فما ولوامس وقدما ليرتكز به على عشب في مجرى او مستنقع او غدير ٠

لقد اوضح لنا العالم البلجيكي بول براين حقائق مثيرة عن التجدد العضوى في هذا الكائن البسيط ، فعندما اخذ حيوانا واحدا ، ووضعه في زجاجة صغيرة ، وأحاطه بالرعاية والغذاء والحماية ، بدأ الكائن يكون لنفسه ذرية ،وذريته تنبت على جسده في هيئة براعم صغيرة ، وتنمو البراعم شيئا فشيئا ، واخيرا تنفصل عن الجسد الاصلي ، فيسارع براين بازالتها من الزجاجة ، حتى لا يختلط الحابل بالنابل ، لان كل همه هو التركيز على هذا الكائن الاصلي او « الاب » ، او بالتحديد كان يريد تسجيل زمن شيخوخته وموته ، الا انه لم يصل الى هذا الزمن على الاطلاق ! ٠

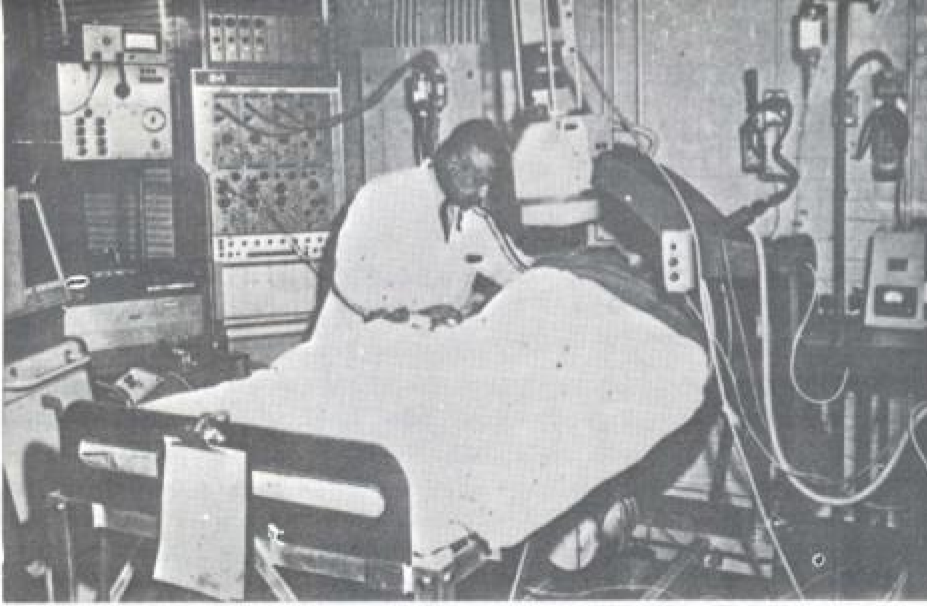
لقد انتج الهيدرا في خلال حوالى خمس سنوات ٧٠٢ برعم ، وكل برعم من هذه البراعم كفيل بانتاج كائن ، لكن الكائن الاصلي انتج كل هذه « الذرية » دون أن تظهر عليه بادرة من بوادر الوهن او الضعف والشيخوخة ، بل كان في قمة حيويته ، وغاية شبابه ، وكان من الممكن أن يظل هكذا لسنوات اخرى طويلة ، ولكن بول براين انهى التجربة بعد ان عيل صبره ، وعرف ان المادة الحية في هذا الكائن ذات شباب لا يهرم ابدا ٠

والسبب في تجدد مادته ، واستمرار نشاطها وحيويتها ، يرجع الى عملية الانقسام المستمرة التي تتم في خلايا المنطقة العلوية من جسمه ، في حين ان الخلايا القديمة التي ترتكز عند قدمه ، كانت تتجدد من فوق ٠٠ اى باحلال الجديد محل القديم ٠

بين الامل والفزع !

والامثلة بعد ذلك كثيرة ، لكن يكفي ما قدمنا فاوجزنا ، ليظهر امامنا تساؤل هام : لماذا ـ اذن ـ لا تحذو الكائنات العليا حذو الكائنات السفلى ، فيكتب لهذه الخلود ، كما كتب لتلك ؟

والجواب : ان اقتصاديات الحياة وحكمتها تمنع ذلك ، ولو سرنا في حياتنا على نفس المنهج الذى تنتهجه هذه الكائنات الدنيا ، لكتب لنا الخلود ، ولحكمة بالغة لم يكتب !



فى حجرات العلاج المركز أو الانعاش يلقى الذين أصيبوا بالازمات القلبية الرعاية المطلوبة ، ومع ذلك فان عدد من يموت سنويا بهذه الازمات اكبر ممن يموت بأى مرض آخر . والصورة لمريض فى احدى هذه الحجرات

وهل يستطيع العلم ان يحول الدفة لصالحنا ، فيهبنا ما وهب الهيدرا والاميبا والميكروب ؟

دعنا نجرب ذلك ، وسنرى !

من الممكن ان تعرف اجسامنا خلود الشباب وتعيش فيه ، لو انها حذت حذو الميكروبات او الكائنات البسيطة ، وانقسمت مثلها .

فالانقسام هو الذى يعيد للخلايا شبابها ، لان الانقسام عملية ديناميكية متجددة ، وهو الذى يحيل الكبير الى صغير ، بمعنى ان الخلية اذا نمت وكبرت ووصلت الى حجمها المناسب ، فانها تتخلى تدريجيا عن شبابها ، وتفقد بعض نشاطها ، وهذا يعنى شيخوختها ، ولكى تحيل شيخوختها الى شباب ، فعليها ان تنقسم مرة اخرى الى خليتين ، فتصبح كل واحدة خلية اصغر حجما ، ولا بد ان تنمو وتكبر ، ونموها من جديد يشعل نشاطها وحيويتها ، لكنها ستتوقف عند حدود معينة ، ولكى لا يتوقف شبابها ، فلا بد ان تعود الى مرحلة اصغر ، فتنقسم وتنقسم وتنقسم ، لتتجدد وتتجدد وتتجدد .. كرر هذا — لو اردت — الاف وملايين المرات !

وهذا هو الطريق الوحيد الذى يمكن ان يهبنا شبابا دائما ، ومع انه طريق يبشر بالامل ، الا انه — فى الوقت ذاته — مدعاة للرعب والفزع ، لان الانسان ببساطة شديدة سيصبح مخلوقا سرطانيا مخيفا !

فالانسان يبدأ كيانه بخلية وحيدة ملقحة ، ثم يدب فيها نشاط حيوى ليؤدى الى انقسام مستمر ، فتصبح اثنتين ، فاربعة ، فثمانية ... فمائة ، فالف ، فمليون ، فعشرات ومئات وآلاف الملايين ، ومن هذه الملايين تتشكل الانسجة والاعضاء ، ويخرج المولود ليرضع وينمو ، والنمو — فى حد ذاته — تعبير عملى عن عملية انقسام الخلايا ، والانقسام يعطى نضارة الحياة وحيويتها على وجه الطفولة والصبا والشباب ، وعندئذ يتوقف الانقسام ، فنبلغ اطوالنا المناسبة ، ثم يتوقف النمو بدخولنا مرحلة البلوغ ، وكانما هذه المرحلة قد جاءت لتضع حدودا فاصلة بين عالمين : عالم الخلايا الجسدية ، وعالم الخلايا الجنسية ، فحيث تتوقف خلايانا الجسدية عن الانقسام ، تاخذ خلايانا الجنسية مبدأ المبادرة ، لتنقسم هى ، ويصبح لها كل الشباب ، وطبيعى ان من وراء هذا الترتيب حكمة بالغة ، لكن دعنا منه الان ، لنعود فنتساءل عن مصير الجسد ، ولماذا يهرم .

شيخوخة الخليـــة

ان الجسم يهرم ، لان خلاياه الحية موقوتة بعدد من الانقسام محدد ٠٠ اى كانما هى تحمل فـى طياتها ساعة بيولوجية مثيرة ، وان هذه الساعة غير المنظورة تفرغ « زنبركها » بعد وقت معين ، ولا احد ـ بطبيعة الحال ـ يستطيع ان يشحنهـا مرة اخرى ، وعندئذ كان لا بد ان يتوقف النمو فى الجسد ٠٠ لكن بعد ان تكون الخلية الاولى الملقحة قد واصلت الانقسام هى وذريتها حوالى ٥٠ مرة، زائدا او ناقصا عشرة ، ويبدو أن معدل انقسام خلايا المخلوقات ، هو الذى يحدد لها اعمارها ، فكلما زاد هذا العدد ، كان عمر المخلوق اطول !

والتجارب التى اجراها العلماء على خلايـا وانسجة الكائنات الحية المختلفة توضح جزءا من هذه الحقيقة ٠٠ فمن الممكن الان زراعة خلايانا فى الدوارق والانابيب والاطباق ، ثم امدادهـا ببيئة مناسبة من طعام وشراب وحرارة ٠٠٠ الخ، فاذا بها تتغذى وتفرز وتتنفس وتزحف وتنمو وتنقسم وتتكاثر ، وطبيعى ان العلماء يستطيعون تسجيل مراحل هذا النمو ، او عدد مرات الانقسام، ثم توقفه فى مرحلة خاصة من مراحل العمر ٠

فعندما عزل دكتور ليونارد هيفليك (مـــن جامعة ستانفورد) خلايا من جنين انسان ، وزرعها فى الاطباق ، لاحظ انها تنقسم وتنقسم وتنقسم، حتى اذا وصل عدد انقساماتها الى حوالى ٥٠ انقساما ، توقفت وبدات فى الشيخوخة والضعف والتدهور حتى ماتت ، ولم تنفع معها كـــل المحاولات فـى اعادتها الى الحيوية والانقسام ٠ اضف الى ذلك ان الخلايا المعزولة من شاب كانت كانت تنقسم مرات اقل من المرات التى تنقسم فيها خلايا معزولة من طفل او صبى ، فى حين ان الخلايا المعزولة من البالغين كانت تنقسم اقل واقل ، ولا تعمر الخلايا المعزولة من الشيوخ والمسنين فى الاطباق الا نزرا يسيرا ، ثم تموت سريعا !

ثم أن البحوث التى اجراها علماء آخرون على بعض الحيوانات مثل الفئران والسحالف والاسماك ٠٠٠ الخ ، قد ساندت هذه النظرية ، فالفار مثلا قد لا يعمر اكثر من خمس سنوات ، ولهذا فان عدد انقسام خلاياه ـ بداية من البويضة الملقحة حتى البلوغ ـ قد لا تزيد عن عشرين انقساما ، فى حين ان خلايا السلحفاة تنقسم ما بين ٩٠ ـ ـ ١٢٥ مرة ، ومن المعروف ان السلاحف تعمر أطول ، وتعيش ما بين ١٧٥ ـ ٢٠٠ عام او اكثر !

اى ان عوامل الحيوية والشباب ، او التدهور والضعف والشيخوخة ، موقوتة بعدد محدد مـن الانقسام ، او كانما هذه العوامل موروثة فـى الكائنات ، فتحدد لها مواقيت حياتها ونشاطها ، او موتها وتوقفها ٠٠ (فالاشجار ـ مثلا ـ تعمر آلاف السنوات ، لانها لا تتوقف عن الانقسام والنمو ما بقيت فيها حياة) ٠

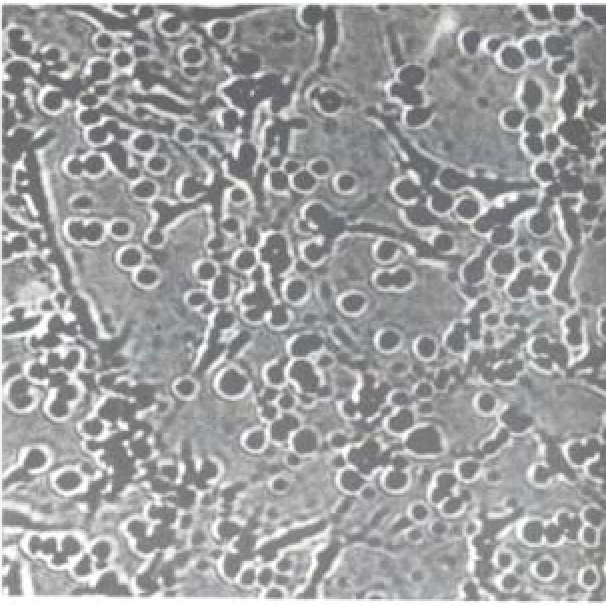
ومما يساند هذا الراى ايضا ان البحوث التى اجريت على بعض الحالات التى أصيبت بشيخوخة مبكرة وهى لا تزال فى مراحل الصبا او الشباب، هذه البحوث قد اظهرت ان عدد مرات الانقسام الخلوى كان اقل بكثير فى هذه الحالات المرضية النادرة ، وان معدل النقص فيها كان يتراوح ما بين ٧٥ ـ ٩٠٪ من عدد الانقسام الذى يظهر فى الخلايا العادية المعزولة من اشخاص عاديين ٠

اى ان الشيخوخة ذاتها انما هى ـ فى المقام الاول ـ شيخوخة خلية ، وطبيعى ان الخلية هى وحدة النسيج والعضو والكائن الحى ككل ، فاذا شاخت الاجزاء او الوحدات ، فلا أمل فى شباب المخلوق ككيان مستقل ٠

وهم أسمه : اكسير الحياة !

ولقد اتخذت تجارب العلماء بعد ذلك نغمة اخرى ـ ايضا على مستوى الخليــة ، او تلك الوحدة الحية ، او القاسم المشترك بين كــل المخلوقات ٠٠ فعندما خلطوا خلايا جنينية او شابة مع خلايا هرمة من نفس نوع المخلوق ، لم تستطع الخلايا الشابة أن تمنح عوامل شبابها للخلايا العجوز ، اذ كان الظن السائد ان بعض مكونات الخلايا الجزئية هي التى تحدد شبابها او شيخوختها، وان بعض هذه المكونات الفعالة النشطة قد تدخل الخلايا الهرمة ، وقد تمحو فيها المكونات التى

● اكسير الشباب



خلايا معزولة من انسان وتعيش في محلول غذائي في طبق ، فتتنفس وتتغذى وتخرج الفضلات وتنقسم وتتكاثر وقد تزحف ٠٠ الخ ، وهي هنا مكبرة تحت عدسات الميكروسكوب، وعلى هذه الخلايا تركزت بحوث العلماء ليعرفوا لماذا تضعف من بعد قوة وتهرم من بعد شباب فلعل ذلك يأخذ بأيدينا لنفهم بعض أسرار الشيخوخة ٠

تدفعها دفعا نحو شيخوخة محتومة ، لكن التجارب لم تحقق ظنون العلماء ٠

لم حاول العلماء زراعة خلايا هرمة في جسم شاب ، الا ان الخلايا الهرمة لم تستطع ان تعيش الا ايامها المعدودة المقدرة من قبل ٠٠ اى كأنما هناك شيء يدق في داخلها دقات زمنية محددة ، فاذا انتهت الطاقة او القوة التى تسير هـــذه الدقات ، توقفت الحيوية ، ودب الفناء ٠٠ هذا وقد اوضحت نتائج بعض البحوث ان هذه الميكانيكية البيولوجية الموقوتة ربما تكمن في نواة الخليـــة ذاتها ٠٠ وفي النواة تكمن عوامل الوراثة ، ومن خلال انقسام النواة ، تظهر انوية جديدة ، وخلايا جديدة ، وتنمو كل المخلوقات تبعا لذلك ٠٠ لكن نموها محكوم بعدد مرات الانقسام التى تحددها عقارب غير منظورة في نواة كل خلية ٠٠ في اى مخلوق تراه او لا تراه !

ومع ذلك ، فهناك طريقة واحدة لتحويل الخلايا الهرمة فينا الى خلايا شابة تنبض بالحيويـــة والنشاط ٠٠ هذه الطريقة تتلخص في تحويل الخلية العاقلة الى خلية مجنونة ٠٠ فكما يصيب الجنون الانسان في مخه ، كذلك تصاب الخلية بالجنون في مخها ٠٠ اى في نواتها ، وعندئــذ تنقسم وتنقسم دون ان يستطيع شيء وقفها عن هذا الانقسام الغريب غير الموجه وغير المحدود ، هنا تصبح خلية سرطانية ، وتتحول الى ورم خبيث يأكل اليابس والاخضر،فلا يبقى في المخلوق ولا يذر !

اى ان الباحثين عن اكسير الشباب لن يجدوا اكسيرهم الا في حمل خلايا اجسامنا على الانقسام باستمرار ٠٠ فهذا وحده كفيل بدوام الشباب ، تماما كما هو الحال في الكائنات الدنيا التى اشرنا اليها قبل ذلك ، فسر شبابها يكمن فــي مداومة انقسامها ، ولو حذونا حذوها ، فسوف نتحول الى ديناصورات بشرية نهمة ، ولا شك ان كل مخلوق منا سيصبح كالاشجار او الجبال طولا ، وسيحتاج في غذائه يوميا الى مئات الاطنان ، وهذا يعني ان عدة مخلوقات من هذا النوع الخرافي السرطاني سوف تشيع الدمـــار والخراب في مقومات هذا الكوكب ومصادر غذائه٠

وطبيعي ان شيئا من ذلك لم يحدث ٠٠ فلقد تخلت الحيـاة نهائيا عن هذه الفكـرة الساذجـة المدمرة ــ فكرة منحنا شبابا ابديا من خـــلال انقسام خلايا اجسادنا انقساما ابديا كذلك ، واستبدلتها بفكرة اخرى فيها تطور وتجـــدد وحيوية وشباب ٠

فما هي الفكرة البديلة ؟

لابد من التجدد

الفكرة البديلة ان تجدد الحياة نفسها من خلالنا ، او يجدد النوع نفسه من خلالها ·· والتجديد يتم هنا ايضا بفكرة الانقسام التى اشرنا اليها قبل ذلك ، فعندما تتوقف الخلايا الجسدية عن الانقسام بعد عدد محدد منه ،ويصل المخلوق الى مرحلة البلوغ ، تبزغ فيه مرحلة جديدة من مراحل هذا الانقسام ممثلة فى خلاياه الجنسية ، فتتمزق منه وتنفصل على هيئة ذكرية او انثوية ، وعندما يتقابل الذكر والانثى من النوع الواحد فى عملية التزاوج او الجماع ، تتالف هذه الخلية بتلك،وتندمج نواتهما ،ويختلط سيتوبلازمهما ، وتنطلق فيهما من جديد قذيفة الانقسام البديع ، فيتكون الجنين ، وبعد عدد محدد من الانقسام ، يصل الى تمام بلوغه فتبدأ خلاياه الجسدية فى الافول ، وخلاياه الجنسية فى البزوغ ، لتكرر الدورة مرة ومرات ، كما تكررت قبل ذلك من ملايين السنين ، او كما ستتكرر بعد ذلك الى ان يرث الله الارض ومن عليها ·

اى كانما الحياة بين شباب وكهولة ، او جديد وقديم ، او ذاهب وقادم ، تمر بدورات كدورات القمر والكواكب ·· فحيث يبزغ « هلال » الخلايا الجسدية منذ الصغر ، فتتكاثر وتزدهر ، حتى تصل الى تمام نموها ، تبدأ مرة اخرى فى الافول على هيئة كهولة تدريجية ، الى ان تصبح فى « محاقها » ، فيظلم كل شىء امام الجسد بالموت !

لكن قبل ان يتوقف الانقسام فى الجسد ،ويبدأ فى توديع شبابه وفتوته ونضارته ، تنفصل منه خلاياه الجنسية لتتحد بغيرها ، ولتكون امتدادا لجسدين فانيين فى جنين قادم ، هو الذى يمثل لنا بزوغ حياة جديدة ، فتعوض القديم بجديد·· وهكذا يكتب الخلود للمادة الحية ، رغم ان الافراد زائلون !

فكانما الحياة تضحى بزيد وعبيد وعمر وزينب وبهانة ، لتحافظ على النوع من الانقراض ·· فهى تروح وتجىء من خلال تبادل الانقسام بين خلايا جسدية فى حين ، وبين اتحاد خلايا جنسية فى حين آخر ·· وهذا التبدل او التغير من خلال مخلوقات تروح ، وأخرى تجىء ، أفضل بطبيعة الحال من ركود هذه الحياة فى عدة مخلوقات سرطانية الصفات ·· والانسان بسعيه الى خلود الشباب ، انما يريد من الحياة ان تركد فيه ، لتزيد فى طوله وعرضه ، ولا تجود باحد من بعده ·· لكننا ما عرفنا الحياة راكدة ولا جامدة، بل هى فى ميكانيكية متغيرة ، وفى التغير تتجدد، وفى التجدد تطور ، وفى التطور صقل وارتقاء بالانواع من خلال التضحية بالافراد !

بمعنى اخر نقول : ان الانواع تحمل فى جنباتها عناصر الموت والحياة ·· فكلاهما مكمل للاخر ، فبدون موت القديم ، لن يكون بعث الجديد ، وبدون تحول الجديد الى قديم ، والقديم الى جديد ، لن يكون للحياة كما نعرفها معنى ، ولا كان لها بادراكنا مغزى ·· فالذى يجعل لها جاذبية وجمالا هو نقيضها ـ اى الموت ، وقد يبدو ذلك صعبا على النفس البشرية ، ذلك ان الموت لم يكن له أبدا من جاذبية ، لكنه مع ذلك يجعل للحياة معنى ·· مثله فى ذلك كمثل تعاقب الليل والنهار ، فلو عشنا فى نهار سرمدى ، او ليل سرمدى ، لما عرفنا شيئا اسمه الزمن ولا التغير ولا التجدد ، ولاصبحنا دون ـ الميكروبات ادراكا ، ولكنا كمن يعيش فى مستنقع آسن عفن لا يفوح منه الا كل كريه وفاسد ·

لا بد اذن من التغير والتجدد ، والبزوغ والافول، والموت والحياة ، فكلاهما يولج فى الاخر ، كما يولج النهار فى الليل « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » ·

وربما كانت هذه الحكمة العظيمة فى تعاقب المخلوقات هى التى عبر عنها القرآن الكريم اجمل تعبير « يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ويحيى الارض بعد موتها ، وكذلك تخرجون » ·· وفى ذلك الكفاية « لقوم يفقهون »!

■■

الاسكندرية ـ عبد المحسن صالح

قراءة الإسلام بأعين مغمضة !

بقلم : فهمى هويــــدى

لان احدى مشكلاتنا الاساسية اننا نقرأ الاسلام باعين مغمضة احيانا ، وبعين واحدة احيانا اخرى ، فالامر يحتاج الى ان نذكر بان القراءة الصحية والصحيحة ينبغى ان تتم بعينين مفتوحتين دائما • وهى عملية تحكمهـا قواعـد وضـوابط ، ينساهـا الكثيـرون او يتجاهلونها فى غمار اندفاعهم للاحتماء بالدين وتغطية مواقفهم بردائه الواسع والفضفاض•

والحديثهنا ـ اذكر ايضا ـ مقصور على البصر لا البصيرة • او بتعبير أوضح ، على عمى العين لا عمى القلب • على الذين يخطئون القراءة ، لا الذين يرفضونها اساسا ، أو يتعمدون الفهم المغلوط لما يقرأ !

وقد مرت بنا فى كتابات سابقة على هذه الصفحات ، اشارات الى ان الذين يتحدثون عن الاشتراكية والرأسمالية ، وعن القومية والاممية ، وعن اليمين واليسار ، وعن الانحياز للفقراء ومحاباة الاغنياء ، وعن الديمقراطية والدكتاتورية ، حتى الذين يتحدثون عن تعدد الزوجات والاكتفاء بواحدة ، وتحديد النسل واطلاقه •• هؤلاء جميعا ، وغيرهم ، يتمكنون دائما من العثور على سند من الكتاب والسنة يعززون به دعاواهم ، بطريقة أو اخرى •

ومن حق المحايد ان يسأل : اى اسلام هذا الذى تستطيع ان تغترف منه كيفما شئت ، ويتكيف معك دائما ، ولا يستعصى عليك ابدا؟

قبل ان نرد ونناقش ، لابد ان نذكر ان الاسلام لايتفرد بهذه الظاهرة ، فقد قيل فى الزمن القديم أن اعطاء .نحقن للمرضى وتعاطى الفلسفة ضد تعاليم المسيح ، وفى زماننا هذا تقترف جرائم كثيرة فى حق الانسان بينما تقدم للناس مغلفة بأردية الديمقراطية والحرية والاشتراكية والسلام والعدل !

لكن الاسلام هو ما يعنينا الان ، وهو موضوعنا ••

ولن نبالغ كثيرا اذا قلنا ان هذا الفهم المغلوط للاسلام ، وان قراءة الكتاب والسنة باعين مغمضة قد صارا سمة بارزة فيما ينسبللاسلام من مواقف وافكار •

●

ولتوى عائد من بنجلادش ، وقد اتيح لى هناك أن أزور مصيفها « كوكس بازار » ، الذى يقع غير بعيد عن بورما • حيث قادنى مرافقى لزيارة بيوت القادمين من ذلك البلد المجاور • وفى أحد البيوت رأيت نساء بورما اللاتى يعتنقن الديانة البوذية يجلسن أمام انوال النسيج ، حيث يعملن طوال اليوم ، ثم يبعن انتاجهن ذا الالوان الزاهية للسياح • اشار مرافقى الى الجالسات وقال : هن يعملن فى البيوت ويربحن الكثير ، لكن نساءنا غير مسموح لهن بالعمل طبقا لتعاليم الاسلام ، ولهذا فان الفقيرات منهن يلجأن الى الشحاذة ومد الايدى للسياح فى الطرقات !

قال مرافقي الكلام بشيء من الاسف ، مشيرا الى أن أهل هذا البلد الفقير يفضلن الشحاذة في ظل تعاليم الاسلام ، عن العمل وارتكاب معصية الله سبحانه !!

وربما كان هذا مثلا صارخا ، ولكنه يعكس جانبا من الفهم المغلوط الذى يصل الى حد طعن الاسلام فى أعز قيمه ، عمل المسلم وكرامته •

●

لماذا صار الفهم المغلوط للاسلام هو القاعدة ؟

ربما نعثر على اجابة للسؤال اذا حاولنا ان نتلمس جذور المشكلة ، بتركيز خاص على القرآن والسنة المنبع الاول للاسلام • والمنبع الثانى الذى يكمله •

لنبدأ بالقرآن ••• ثمة اتفاق بين الاولين والاخرين ان القراءة الصحيحة للقرآن ينبغى أن يتوفر لها شرطان :

الاول : المعرفة باللغة ، أو ما يطلق عليه الفقهاء ، « علم لسان العرب » ، والثاني : المعرفة باسرار الشريعة ومقاصدها ، وهو ما يسميه رجال القانون « روح التشريع » • اى أن الامر لا يحتاج فقط الى قراءة للنصوص ، ولكن يتطلب ايضا فهما لما وراء النصوص ، وهو ما صار علما عرف باسم « اصول الفقه » •

ولم تكن هناك مشكلة فى العصر الاسلامى الاول ، على عهد النبى عليه السلام • لا فى اللغة ، ولا امكانية فهم روح الشريعة ومقاصدها •

وعندما ذهب عصر الصحابة ، وزحف الضعف السياسى الى جسد الامة الاسلامية تدريجا ، بدءا بالملكية التى ابتدعها الامويون ، وانتهاء بالمماليك الذين استجلبوا من اطراف العالم الاسلامى ليصبحوا خدما وحشما واغوات ، ثم حكاما اذا واتتهم الفرصة • عندئذ كان من الطبيعى أن يزحف التحلل والتدهور الى الصعيد الفكرى والثقافى •

وكان انعكاس هذه العهود على الفكر الدينى واضحا ، اذ انصرف الكثيرون عن جوهر الدين ومضمونه الى شكله وقشوره • أهمل الفقهاء مقاصد الشريعة وشغلوا انفسهم بمباحث اللغة فيها (ونحن هنا نتحدث عن القاعدة لا الاستثناء) •

فى هذا المناخ ، ظهرت المذاهب والفرق التى اختلفت وتقاتلت حول كلمات القرآن وحروفه وظاهره وباطنه • وشغل المسلمون طويلا بالاجابة على سؤال : هل القرآن قديم او حادث ، أبدى أو مخلوق ؟

عذب الامام أحمد بن حنبل وجلد بالسياط بسبب هذه القضية •

وضيع علماء كثيرون جهدهم فى مناقشة قضايا الجبر والاختيار (هل الانسان مسير أو مخير ؟) •• وظهر علم الكلام الذى قال عنه الامام الشافعى : لو يعلم الناس ما فيه من أهواء لفروا منه فرارهم من الاسد •

وهى ليست مصادفة فى الواقع ، بل أكاد اقول انها كانت تداعيا تلقائيا فى مراحل ، وتوجها مقصودا فى مراحل أخرى • اذ كيف يكون التخلف السياسى مصحوبا باستنارة فكرية ؟ ثم ، عندما يسرى الفساد فى نظام وتمضى الامور على عكس ما تستهدفه الشريعة للانسان والمجتمع ، هل يشغل الفقهاء بعلم الكلام أو بمقاصد الشريعة ؟؟

●

وربما كان من مفارقات القدر أن يرتبط مولد الدولة الاموية باشهر قصص الخديعة بالقرآن ، واستخدامه سلاحا لتحقيق المطامع والاهواء •

ولعلنا نذكر ما جرى في موقعة صفين ، بين علي بن ابي طالب امير المؤمنين ، ومعاوية بن ابي سفيان والي الشام الطامع في الامارة • عندما رجحت كفة الامام علي في القتال ، فتدخل عمرو بن العاص بدهائه المعروف ، وهمس في اذن معاوية داعيا الى الاحتماء بالقران ، بحجة الاحتكام اليه • ثم قال عبارته الشهيرة : انهم اذا قبلوه اختلفوا ، وان ردوه اختلفوا • وكانت مفاجأة لعلي بن ابي طالب ، اذ رأى في اليوم التالي رجال معاوية وقد رفعوا خمسمائة مصحف على سيوفهم ، بينما المنادون يرددون وسط رجال علي : هذا كتاب الله بيننا وبينكم ! ثم توالت الاحداث المثيرة ، التي انتهت بخلع علي وتولية معاوية•

المهم هل سأل احد نفسه وسط الاضطراب والهرج اللذين دبا في الصفوف ، لماذا يقحم كتاب الله في معركة كهذه ؟

لكن الامام علي كان أعلم من غيره بالقران ، وادرى بامكانية استخدامه وخطورة التلاعب بالفاظه واياته ، تبعا للهوى • وهو الذي نصح عبدالله بن عباس عندما ارسله مبعوثا الى الخوارج، ليضمهم الى الصف ويثنيهم عن الشقاق ، فقال له : لا تخاصمهم بالقـران ، فان القـران حمال ذو وجوه ، ولكن حاججهم بالسنة ، فانهم لن يجدوا عنها محيصا » •

●

وكلمات الامام علي هذه بالغة الاهمية والدلالة ، وتشكل احد المفاتيح التي يمكن ان تفيدنا في فهم أبعاد القضية التي نناقشها ، ذلك ان القرآن الكريم « حمال أوجه » حقا ، تستطيع ان تطوع نصوصه بالحق او بالباطل لصالح الموقف الذي تختاره ، في مسافة تتسع من الالزام بقصد الشريعة الى محاولات نقض الشريعة ! من الانتصار بالقران الى الانتحار بالقران ، كما قلت في مناقشة الشهر الماضي •

لقد كان طبيعيا ومنطقيا في كتاب انزل ليكون خالدا ان يمس حياة الناس في الكليات لا الجزئيات • فيما هو ثابت ، وليس متغيرا •

وكان طبيعيا ومنطقيا في كتاب يمجد الانسان ويعلن ان الكون كله مسخر له بل يعتبره خليفة الله في ارضه ، ان يعطي لهذا الانسان فرصة واسعة للاختيار وصنع واقعه تبعا لاحتياجاته ، وما يستجد في حياته الدائمة الحركة والتطور •

هذا عن حملة القرآن ، وماذا عن القرآن ذاته ؟

يقول المعتزلة ويؤيدهم اكثر الفقهاء : ان احكام الشرع معللة بمصالح العباد ، ويقول الامام ابو اسحاق الشاطبي (الغرناطي الاصل) في كتابه الشهير « الموافقات » ، ان الشرائع تابعة للمصالح • اي ان القراءة الصحيحة للاسلام ينبغي ان تتم في ضوء ادراك هذه المصالح والتاكيد على ضرورة استمرارها • وهذه الرؤية النفاذة لجوهر الدين ومقاصده ، هي ذاتها التي دفعت فقيها جليلا مثل ابن القيم يقول انه : اذا ظهرت امارات الحق ، وقامت ادلة العدل واستقر صبحه باي طريق كان ، فثـم شرع الله ودينه » •

وهذا مفتاح آخر له اهمية في محاولة القراءة الصحيحة للقرآن الكريم •

يضيف الامام الشاطبي ان هذه المصالح تستهدف : اما شيء من الضروريات الخمس (الدين والنفس والعقل والنسل والمال) ـ « التي هي أسس العمران المرعية في كل ملة، والتي لولاها لم تجر مصالح الدنيا على استقامة » • واما حفظ شيء من الحاجيات كانواع المعاملات •

واما حفظ شيء مما اطلق عليه « التحسينيات » التي تتمثل في مكارم الاخلاق والعادات •

وقد كان هذا المنهج وراء استقرار مجموعة من القواعد الفقهية الاساسية في التفكير الاسلامي مثل : لا ضرر ولا ضرار ـ لاتزر وازرة وزر اخرى ـ انما الاعمال بالنيات ـ من اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ـ تغير الاحكام بتغير الامكنة والازمنة .. وهكذا .

ان قراءة نصوص القران بهذا المنظار كفيلة بان تصد العديد من التاويلات التي تلصق بكتاب الله ظلما وعدوانا ، وتبدد الكثير من الاساءات التي نسبت الى القران ، وترفع الحرج عن اولئك الذين تسببت القراءة المغلوطة للاسلام في تضييق سبل الحياة عليهم .

●

لننتقل الان الى السنة ، المنبع الثاني للتفكير الاسلامي ..

لقد ظلمت هذه السنة كثيرا ، وحملت فوق ما تحتمل ، لنفس السبب : القراءة باعين مغمضة ! ولن نتحدث هنا عما هو مدسوس ومنسوب الى الرسول عليه السلام بغير وجه حق، فذلك امره معروف . ولكن ما اعنيه هو الصحيح المنسوب الى النبي ، الذى اعتبره البعض تشريعا ملزما للمسلمين في كل زمان ومكان ، الامر الذى اوقع المسلمين فى حرج اخر .

وقد كان الامام الشيخ محمود شلتوت ، واحدا من الذين حاولوا بالمنطق الهادئ، ان ينبهوا الى ضرورة القراءة الصحيحة للسنة . وسجل رايه في كتابه المعروف « الاسلام عقيدة وشريعة » ، قائلا : ان السنة تشريع وليس تشريعا .

فمن السنة التي لا تعتبر تشريعا ولا تلزم المسلمين : ما يعتبر سلوكا شخصيا للرسول عليه السلام ، او اراء مبنية على اجتهادات وتجارب خاصة . ولعلنا نذكر هنا قصته مع بعض الاعراب ، الذين نصحهم في مسالة تابير النخل ، وعندما ابلغ بان نصيحته لم تحقق هدفها المرجو ، قال : انتم اعلم بشئون دنياكم .

ثم يضيف الشيخ شلتوت : ان السنة التي تعد تشريعا لها درجات :

★ ما صدر عن النبي باعتباره مبلغا ورسولا « كان يبين مجملا في القران او يخصص عاما ، او يبين شانا في العبادات ، او الحلال والحرام ، او العقائد والاخلاق » . وهذا يعتبر تشريعا ثابتا ، ملزما لكافة المسلمين متى علموا به .

★ ما صدر عن الرسول بوصفة اماما لجماعة المسلمين ، مثل بعث الجيوش ، وانفاق بيت المال ، وتولية القضاة وعقد المعاهدات ، وذلك لا يعد تشريعا عاما ، فلا يجوز الاقدام عليه الا باذن الحاكم . وليس لاحد ان يفعل منه شيئا من تلقاء نفسه .

★ ما صدر عن الرسول لا باعتباره مبلغا ، ولا باعتباره اماما للمسلمين ، ولكنه صدر عنه باعتباره قاضيا يفصل في الدعوى بين المسلمين ، وذلك لا يعد تشريعا ملزما .

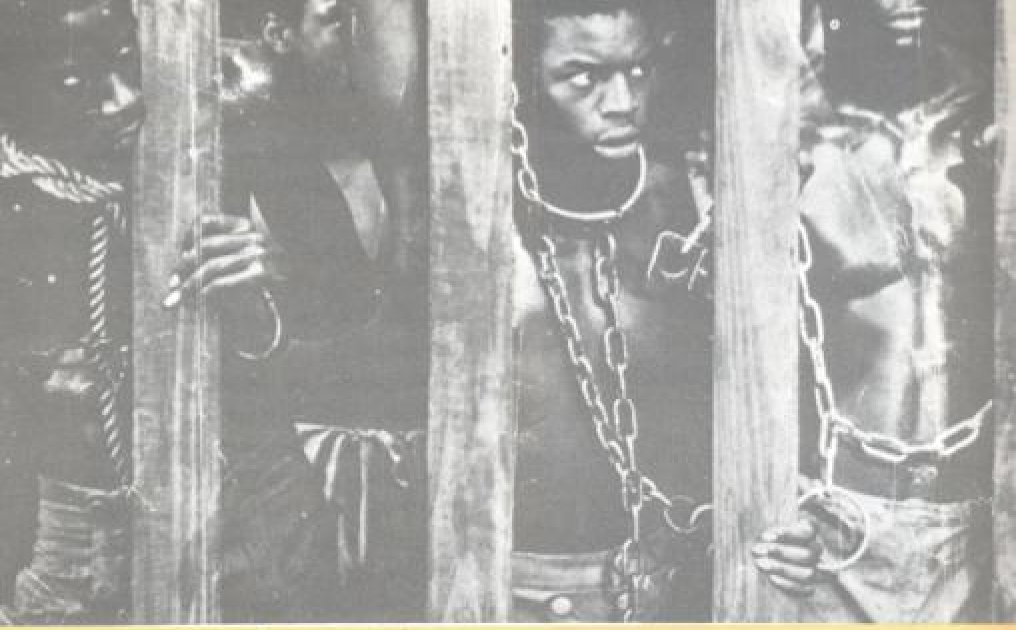
وهذا التصنيف للاحاديث النبوية لم يلق الاهتمام الكافي من الفقهاء ، الذين كان اكثر تركيزهم ـ كما في القران ـ على ضبط الاحاديث وتحقيقها . وتلك مهمة جليلة اداها علم الحديث وفقهاؤه ، غير ان تقييم الاحاديث لا بحسب صحتها ، ولكن بمناسبات صدورها واسبابها ، لم تتوفر له الدراسة الكافية ، وهذا الجانب من الدراسة يمكن بغير شك من اداء القراءة الصحيحة للسنة ، لان ذلك سوف يسمح بتحديد قدر الالتزام بكل حديث، وسيرفع حرجا عن المسلمين يعانون منه نتيجة اللبس القائم في هذا المجال .

●

بقي بعد ذلك ان نسال : ما العمل اذا لم تحقق النصوص ، تحت اى ظرف ، مقاصد الشريعة ، وبدا ان هناك تعارضا بينهما ؟ .

نواصل المناقشة في العدد القادم .

■■



هل كانت مشكلة الرق فى قصة «الجذور»

هى كل مأساته فى العالم الجديد ؟

الزنجى الثائر

بقلم الدكتور شاكر مصطفى

■ .. وتنقل الحديث ، دون نظام ، من شفة الى شفة ، فى حلقة الاصحاب وقد انتهى مسلسل « الجذور » على التلفزيون .. قال احدهم :

ـ لقد طرح اليكس هالى المشكلة . طرحها من زاوية ولكنها قديمة .. هذه المأساة الزنجية قديمة .

وعلقت شفة متعالمة تحت نظارة سميكة :

ـ منذ سبارتاكوس وثورته فى صقلية الى ثورة الزنج ضد العباسيين فى البصرة !

فقالت سيدة تقرض الشعر وهى تنفث دخان

---

(١) مسلسل تلفزيونى اشتهر كثيرا فى الولايات المتحدة وغيرها يعرض قصة زنجى أفريقى مسلم ، اسمه (كونتا كنتى) ، اصطاده النخاسون فى غامبيا حوالى سنة ١٧٥٠ ، ونقل الى الولايات المتحدة حيث فشل فى الهرب مرات ، وجوزى فى احداها بقطع نصف قدمه . ثم تزوج وكان له الاولاد والاحفاد ثم أحفادهم .. ومن الاحفاد الاخيرين . كان « اليكس هالى » الذى نبش القصة كلها ، وكتبها .

لفافتها حلقات وتتعمد انتقاء الكلمة :

ـ كانت افريقيا دوما البئر الحارة التي يغرف منها النخاسون الدماء السوداء .

عتمة ادغالها تدفقت في كل دروب الارض سواقي من الحزن . انها قمرنا الاسود .. سارتر كتب :

« هل كانوا يتوقعون حين رفعت الكمامات عن تلك الافواه السوداء أن تتغنى بمديحهم ؟ وتلك الرؤوس التي أحناها آباؤنا البيض بالقوة حين مست الارض ، هل كانوا يظنون انهم سيقرءون في عيونها علامات التعبد حين تنهض من جديد ؟ .. الابيض تمتع ثلاثة آلاف عام بامتياز ان يرى الاخرين دون أن يروه .. » واليوم ينظر اليه البشر السود . ينظرون في عينيه . « ان ثمة شعلا سوداء تضيء بدورها العالم ! .. » عالم الكهرمان الاسود استيقظ . الضوء الزنجي انفجر . اكتشف نفسه . الابنوس العتيق اخذ يصرخ « حرروني من ليل دمي ! .. »

وقال صديق قابع في الركن مع الصمت العنكبوتي:

* من قرأ منكم اشعار (سيزير) الشاعر الهاييتي :

« أيها الزنجي ، يابائع التمرد المتجول
أنت تعرف طرقات العالم كلها
منذ أن باعوك في غينيا ...

* لانه ما من أرض لم يسل بها دمك
ما من لغة لم يشتم فيها لونك
انت تبتسم أيها الصبي الاسود
ترقص . تهدهد الاجيال
لتكتب في جميع اللغات
اعلان حقوقك المنكورة
منذ أكثر من خمسة قرون ..

* خمسة قرون شهدتكم وانتم تشهرون السلاح
ولقد علمتكم المروق لستقلة
هدى الحرية ... »

واضاف صديق صحفي وجهة نظر :

ـ الامريكيون ، يمثل هذا المسلسل يهدهدون وجدانهم القلق، يحاولون به التحرر من « الخطيئة » ومن « القصة السوداء » (٢) يحسبون أنه يدخلهم « المطهر » وعتبة التكفير . اليسوا كذلك يفعلون منذ زمن طويل بمذابح « الهندي الاحمر » ؟

وغرق الحديث فجأة في نكتة عابرة مزقت أجواء الجد فيه ، قبل أن يتساءل أحدهم :

هل كانت صورة الاضطهاد الفردي والثورة الفردية التي طرحت من خلالها مشكلة الرق في قصة « الجذور » هي كل الزنجي الثائر ؟ هل كانت ماساته في العالم الجديد ؟

قبل فتح أمريكا

بعيدا ، بعيدا ، في الماضي كان للزنجي مع تلك الارض لقاءات ماسوية افجع ، وثورة اشد كبرا . ثمة في لقائه معها ملاحم من الملاحم ، يمتزج فيها مع الهلع والعذاب اللابشري، الصدور الممزقة .. قد أكلها الذعر والطحلب ، غضبة العين الحمراء قد استحالت دما وحديدا !

منذ ١٥٠٢ (أي بعد كشف أمريكا بعشر سنوات فقط) بدأت المراكب تحمل اللحم الاحمر المحروق ، المحروق حتى العظم الى العالم الجديد . وبعد خمس عشرة سنة أخرى فتحت الابواب على مصاريعها .. كانت افريقيا « السوداء » في تلك الفترة قد قضت أكثر من قرنين وهي دول مسلمة وسط الادغال القبلية ، وقد تحول بعضها مثل مالي والكانم والبورنو الى امبراطوريات واسعة الابعاد ، فيها الفتى والحضارة ، ولها المدن والحركة التجارية ، والتعدين والزراعة والعمران ومراكز العلم والتاليف والقضاء .. ولبس الحرير والديباج ، وتقاليد البلاط والحكم . لم تكن دغلا أسود ولا مجاهل للقرود ، والفهد ذي العين المنطفئة ، والغاب الشيطاني ، والطبل يدمدم في لانهائية الليل .. ومع ذلك غزتها البندقية الاوروبية على كل السواحل ومصبات الانهر تشرب حتى الثمالة من دمائها المذعورة ! البندقية نفسها التي سحقت الهندي في أمريكا المكتشفة هي التي ساقت الافريقي في قاع مراكب الاستكشاف الى الارض الجديدة . أسبان ، برتغاليون ، انكليز ، هولنديون ، فرنسيون ـ كلهم كانوا هناك قراصنة بعيون مقلوعة ، ونخاسين ياكلون لحم البشر !! مراكبهم ، لو نطقت المراكب ، لم تكن فقط جحيم السياط والعفن والسل والجرذان والقمل ، وأغلال الحديد تسيل في اللحم الاسود . ولكنها كانت

(٢) « القصة السوداء » هو الاسم الادبي الذي يطلق على مجموع الفظائع التي ارتكبها الفاتحون الاسبان وغيرهم في أمريكا .



ايضا بحيرات طافية من الدم والصديد والوحل واللعنة ، أشرعة لقهقهات الشيطان ، ولسادية الوحش الابيض ، وللغضب كالنحاس المصهور ، وللافتراس البهيمي له الجؤار المزلزل ·· أرحم الزوار لتلك البضاعة من الجلود الحية ، كان الموت يجرف ثلاثة أرباعهـا الى سمك اليم أو يعيدها الى أمها الكبرى : الارض !

في سنة ١٥١٧ ، سنة كانت مصر والشام تدخل الفلك العثماني على يد السلطان سليم ، وصل البرازيل أربعة الاف قيد · ثلثها كان في أعناق الجواري · ومنذ ذلك الوقت أقبل الدم الاسود يملأ « الغوابي » فيمزارع السكر والقطن والطباق فيما بين جزر أرض النار ووادي المسيسيبي · زرائبها أفعمت حتىالطفح بالدم والسياط والحقد واغنية الزنجي الحزين · بالالاف المتزايدة بعد الالاف كانت مـراكب النخاسين تتقيؤهم على الشواطيء ، وتسترد قيود الحديد الصدئة لعبيد جدد !

في سنة ١٥٨٥ كان قد تجمع فيالبرازيل وحدها ١٤ الف عبد (كم عبد مات حتى وصل هؤلاء ؟) بينما لم يكن « المكتشفون » البيض فيها أكثر من ٥٧ الفـا فقط · في الاقليم الحـار الضيق من غواتيمالا كان هناك في الوقت نفسه عشرون الف عبد يرعبون النـاس بكثرتهم ! في السنـوات الاربعين الممتدة بين سنتي ١٧٥٩ و ١٨٠٣ وصل من انغولا وحدها الى البرازيل وحدها ٦٤٢ الفا من الارقاء ··

هل لغة الارقام رهيبة ؟ في تلك الفترة نفسها ـ وهي ايام الثورة الفرنسية في الغرب ـ كان عدد الرؤوس الزنجية في البرازيل فقط ثلاثة ملايين وربع المليون ، نصفهم من الارقاء مع اولادهم · وبعد ذلك بعشرين سنة صار الارقاء مليونين ! في فنزويلا بلغ العدد ٧٢ الفـا من العبيد ، يعدلون ٧٤٪ من السكان البيض ! في جزر الهند الغربيـة كان العدد مليونا ومائة وخمسين الفا ، منهم في كوبا وحدها ربع مليون من حملة السلاسل في الاعناق ·· كان العبيد الزنج قد أضحوا ـ منذ مطلع القرن السابع عشر ـ المحرك الاساسي للاقتصاد الاستعماري في القارة الجديدة كلها · في كل مكان ، في وديان « البيرو » المروية بالانهار ، أو في هضبة المكسيك الحارة ، فيسانتو دومينو الرطبة أو فياليانوس الكولومبي، أو سهول القطن وقصب السكر البرازيلية ، أو جبال ميناس جرايس أو البامبا الارجنتينية ، أو الجنوب الامريكي ـ كانت الالات البشرية المتحركة في المناجم الحالكة كقلب الشيطان ، أو في خضرة المزارع الممدودة ما شاء الله، كانت سوداء كالفحم قد انطفأ فيها على الاسى المكبوت ، حتى بياض العيون ولكنها كانت مع ذلك تعمل وتغني وترقص ·· وتثور وتثور !

من سلالة البانتو

المورد الاساسي لهذه الدماء كانت سلالة البانتو المنتشرة في الكونغو وانغولا حتى موزامبيق · ثم كانت تأتي قبائل السودان الغربي والاوسط · ولان هؤلاء كانوا اكثر ملاحة وذكاء ، ويجرون من ورائهم حضارة اسلامية قوية ـ فقد كانوا أصعب انقيادا واشد مراسا وثورة · كان رأس الحربة في التحرك الزنجي الثوري وفي التعالي أيضـا هؤلاء المختطفون من قبائل الفولاني الحامية ومن الهوسا في نيجيريا وقبائل اليوروبا السودانيـة والماندنغو وأبناء الاشانتي وداهومي ·· هذه الدماء « السوداء » كانت سماد الحضارة الامريكية · كانت غذاءهـا المقيت الحزين · كانت الصانـع

الحقيقي للعالم الامريكي وما انسكبت في لحم الارض الجديدة فقط ولكنها انسكبت أيضا في الشرايين الزرقاء الارستقراطية . فالمولدون منها ملايين بعد الملايين • حتى ثقافاتها الزنجية الخاصة انتقلت معها : آلهة ، واغاني ، واساطير ، وعادات رقص ، وحياة • المسلمون منهم لحق بهم مشايخهم يعلمونهم القراءة والكتابة والقرآن والصلاة والتسبيح لله في ليل الزرائب ، بينما كان أسيادهم من برتغال واسبان أميين أميين •• كان السيد اذا شاء مخاطبة زميله في المزرعة الاخرى كتب له كاتبه باللغة العربية ما يريد • ويقرأ الرسالة للسيد الاخر كاتبه •• الذى ينقل له عن العربية الفحوى ! ••

هل مضت الملحمة كلها في الصمت المقهور وقوافل اليأس الابكم؟ هل نامت على الحقد الفردى، والتمرد الاعزل والغضب ، ثم شربها الصمت واليأس ؟ أبدا • انها في حاجة الى الف هوميروس زنجي يحكى ، على الطبل الشجى لا القيثارة ، فصولها الطويلة وعضة المآسي المذهلة ودبيب الهول في العروق • وماذا أستطيع هاهنا أن أفتح من مصاريع تلك الابواب العتيقة التى تصر صريرا تحسبه بكاء الدهور وعويل ألف جحيم ؟ الزنجي لم يكن أقداما مغروسة في الوحل وعينا « كسراج كوخ نصف متقد » ولكنه كان خنجرا أيضا وجنون تحرر جماعي !

أول الثورات الزنجية

أول ثورة زنجية نعرفها للزنوج هناك في المستعمرات الاسبانية وقعت مبكرة جدا سنة ١٥٢٢ • بدأها الارقاء التابعون لدييغو كولومبوس (ابن المستكشف الاول) الذى كان يومئذ حاكم سانتو دومينغو • وانضم للثورة زنوج آخرون •• ولكن السلاح أخمد أنفاس الثائرين في مذبحة فاجعة !

في سنة ١٥٥٠ أحرق الزنج المستعبدون بلدة « سانتا ماريا » على الساحل الشمالي من أمريكا اللاتينية ، وسحقوا المنطقة بالارهاب ودفقة الغضب ! وفي تلك الفترة نفسها فر زنجي (اسمه مغل) من ليل المناجم التي كان يعمل فيها في « فنزويلا » الى التلال ، واجتمعت اليه الاعداد الكبيرة من الزنج ، فاذا هو ينظم الدولة سلاحا وقانونا وحقوقا وأرضا ويتوج نفسه ملكا ، ثم يهاجم بلدة نويفا سيغوفيا مع جماعة من جيشه ، قبل أن تصده القوى الاسبانية ويقتل •• وبينما ذابت الدولة وضاع الملك والتاج تحت السنابك كان اتباعه يعادون الى عبودية لدى أسيادهم أهون منها الموت • وصدرت عن نائب الملك الاسباني القوانين الوحشية التي تمحق حتى التفكير بأى تمرد !

وبالرغم من ذلك فقد دمر الزنوج النظام كله في « بيرو » في أعقاب الحرب الاهلية هناك أواخر القرن السادس عشر •

وفي كولومبيا سنة ١٥٩٨ اندفع الاف الزنوج العفاء ، من مناجم « ساراكوزا » فجأة • تدهموا كحمم البراكين الباغتة ، فدمروا المناجم ، بعد أن قتلوا المدير وأعوانه الاسبان ، ثم •• كان الملجأ الوحيد امامهم أن يقيموا سياجا مرتجلا يحتمون به • ولكن الحوافر داستهم وراء السياج وعلى الطرقات •• مخلفة بدلا منهم بحيرة من الدم والاشلاء ••

ومع ذلك فقد كان الرعب من الزنج يسرى كأشباح الجحيم في القارة كلها • كانوا قطعا من الغضب الكبيت ، تتنقل في المناجم والازقة والمزارع • كل آمالهم بالخلاص كانت تموت على شواطىء المحيط الذى لا يمكن اجتيازه • وما دام بحر الظلمات يضرب شهرين بينهم وبين افريقية ـ الام ، فقد تحولت أمريكا كلها الى قفص كبير صارت أشبه بميدان عملاق من ميادين الملاعب الرومانية لصراع الوحوش ، تهزها بكل مكان زمجرة الحقد والرعب • وماذا يغير الزنوج بالثورة سوى العذاب والقيود ؟ • ذات يوم في مطلع القرن السابع عشر سرت في مدينة «المكسيك» شائعة بأن العبيد سيقومون بالثورة ويذبحون الاسبان • ثم كان شرود قطيع من الخنازير في بعض الطرقات في الليل كافيا لكي تزلزل المدينة موجة من جنون الذعر المطبق والفوضى والهلع ••

ودفع السود ثمن ذلك في اليوم التالي ثلاثين جثة بريئة معلقة على الشجر ! لكنهم عرفوا بذلك أن الجلد الاسود قد أصبح رعبا •

وأول جمهورية زنجية

وفي أواسط القرن السابع عشر ، تجمع العبيد الآبقون في (بالماريس) أراضي النخيل الخلفية من شمال البرازيل • وأقاموا لانفسهم جمهورية زنجية بعيدة عن صيادى العبيد •• جهزوها بجميع

أجهزة الدولة ذات السيادة السياسية والدينية الاسلامية • لكن قربها الزائد الذى كان يغرى العبيد بالهرب اليها هو نفسه الذى دعا الملاكين الكبار والاسياد للاستنجاد بكل القوى العسكرية ومن كل مكان لحربها •• ولم تدمر جمهورية « بالماريس » الا بعد مقاومة عنيفة مرة طويلة المراحل ، انتهت يوم جاءت مجموعة المحاربين الجنوبيين من سان باولو (الباندیرانته) رجال الفتح والحدود •• هؤلاء هم الذين اندفعوا أمام المتاريس وخنقوا تلك الدولة ••

فى تلك الفترة نفسها كان قائد اسبانى غاضب فى « البيرو » اسمه « هرنانديز جيرون » يتزعم « ثورة الغاضبين » هناك • وكان معه بجانب العبيد السود فرقة من العرافين ، والمنجمين ، وقارئى الكف ، ومحضرى الارواح ، ولم ينفع كل اولئك ولا الغضب فى حماية الثورة من المصير المحتوم !

على أن بعض الحركات الصامتة كانت تنجح مع ذلك فى تجاوز هذا المصير ، باللجوء الى بعض مناطق العزلة فى الجبال •

ذات يوم ، من أواخر القرن السابع عشر (سنة ١٦٩٨) وقع صيدلى ايطالى ، وهو راحل بين مدينة المكسيك وفيراكروث على بلد من الابقين يعيشون على النظام والسلام الوادع والعزلة • كتب يقول : « يبدو هذا المكان وكانه جزء من غينيا اذ لا يقطنه جميعا سوى السود • ولكنهم وجهاء • ويعملون فى فلاحة الارض •• » وقد عرف المكان باسم (سان لورنسو الزنوج) وكانت ثمة بضع مستعمرات اخرى لمثل هؤلاء فى منطقة « باناما » بقيت ذكرياتها فى الاذهان حتى تلقفها المقتربون العرب فى أيامنا هذه فهم يحدثونك عن جماعات مسلمة تعيش لوحدها فى جبال المكسيك••

واحدة نجحت واخرى سحقت

وعرفت اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر ثورتين واسعتين للزنج نجحت احداهما وسحقت الاخرى •

الناجحة : وهى الناجحة الوحيدة فى السلسلة كلها والى اليوم كانت فى هاييتى(٣) • افريقيا كانت هناك هى الكثرة العددية الطاغية • وثار الزنج سنة ١٧٩١ ولم تستطع اسبانيا الحاكمة اخماد الثـورة • وبالرغم من انها تنازلت عن المنطقة لفرنسا لكنظروف الثورة الفرنسية يومذاك لم تسمحلها بدورها أن تتمتعبهذه الهدية الزنجية •• وتزعم الثوار زنجى ذو مقدرة خارقة على الزعامة اسمه « توسان لوفرتور » • ولم يستطع الفرنسيون رغم الغدر الذى عاملـوه بـه الا الانسحاب من الجزيرة التى قاد ثورتها بعد ذلك زعيم آخر اسمه « دوسالين » • واعلنت سنة ١٨٠٤ ولادة جمهورية هاييتى التى مشت خطواتها الاولى على نهر من دماء البيض واقامت اول مجتمع زنجى حر فى العالم الجديد ••

واما الفاشلة : فكانت سلسلة ثورات المسلمين السود فى السواحل الشرقية من البرازيل • وفى منطقة « باهيا » بالذات ، المنطقة لا تزال هناك حتىاليوم سوداء•• لا تزال الماكومبا والكاندومبلة الافريقية هى اشكال ارتباطاتها بالقوى الخارقة وبما وراء الطبيعة • ولا يزال الاله « اوريشا » الافريقى القديم يتصدر حلقات الرقص الجماعى، ولايزال الزنج فيها يخلعون احذيتهم لدخول الكنائس ويسبحون بمسابح قد نزعوا منها اشارة الصليب !

قيادة تلك الثورات كانت ، كما هى العادة ، فى ايدى رجال الهوسا واليوروبا المسلمين وشيوخهم حفظة الدين • كانوا يعتدون بانفسهم، وبدينهم ، وثقافتهم ، واصلهم الزنجى ، وقومهم الاول ، فكانوا يحرجون حتى اسيادهم بصعوبة المراس وبالغطرسة • كانوا يعتبرون «ارستقراطية الزرائب » (السنزالا) (٤) • وفى ظلال « السنزالا » انتشرت الثقافة الاسلامية بين

---

(٣) هى النصف الغربى من الجزيرة التيسماها كريستوف كولومب « هسبانيولا » أو « اسبانيا الجديدة » فى البحر الكاريبى • أماالنصف الشرقىمنها فنعرفه باسم «سانتو دومنفو» وهو اليوم « جمهورية الدومينيكان » •

(٤) Senzala بالبرتغالية تعنى بيت العبد وهىكوخ تافه أشبه بالزريبة بينما كان مسكن الاسياد يدعى البيت الكبير Casa Graude .

العبيد وأولادهم العبيد أيضا .. معلمو الكتاتيب والمشايخ كانوا يعملون على ذلك، حتى عند جدران الكنائس ، وفي زوايا الساحة العامة من «باهيا»، وظهور الطرقات .

بعد عدة ثورات فاشلة جاءت المعركة الحاسمة النهائية مع الاسياد سنة ١٨٣٥ . سبق الثورة ارتفاع عنيف في الروح المعنوية الاسلامية وفي الحماسة الدينية . المسابح ذات الـ ٩٩ حبة انتشرت . الوعاظ كانوا يخطبون بالعربية . وآيات القرآن كانت تتلى بكل مكان . وصيام ، ورفض للخمر واضاح في العيد ، وعمائم بيضاء ، وكتابة حجب وتعاويذ ، ثم وقعت الواقعة . ولم تكن اسلحة الثائرين ـ فيما عدا الايمان ـ بالتي تقف لاسلحة السلطات ، ولجند كزبانية الجحيم ، دمر الزرائب الزنجية وزرع الطرقات جثثا وحرائق ولغما أسود ..

عود على بدء

كانت هذه آخر الثورات في البرازيل وفي القارة .. استقلال دولها ، ثم تحرر الرقيق في النصف الثاني من القرن الماضي غير المسيرة كلها، وأخذ يمسح على العقد كلها بالتسامح البطيء والاندماج التدريجي . ولم يختلف الامر كثيرا في الولايات المتحدة وان عجلت فيه حرب الانفصال وموقف لنكولن الصلب .. فهل المسلمون السود فيها اليوم يمثلون عودة الروح ؟ وهل كان مسلسل « الجذور » نوعا من الجواب على الغطرسة البيضاء ؟ او نوعا من الاعتذار وامتصاص النقمة (ستغور) شاعر الزنوجة كتب مرة :

« نيويورك ، اسمعي
اسمعي اقل لك يانيويورك
دعي الدم الاسود ينساب انسيابا في عروقك
دعيه ينصب انصبابا في دمك .
في كل جارحة .
صدئت جوارحك . اصبحت حديدا
دمنا زيت الحياة !
اما كان دوما زيت الحياة هذا الزنجي الثائر !»

■■

د . شاكر مصطفى

أيار (مايو) ماذا يعني ؟

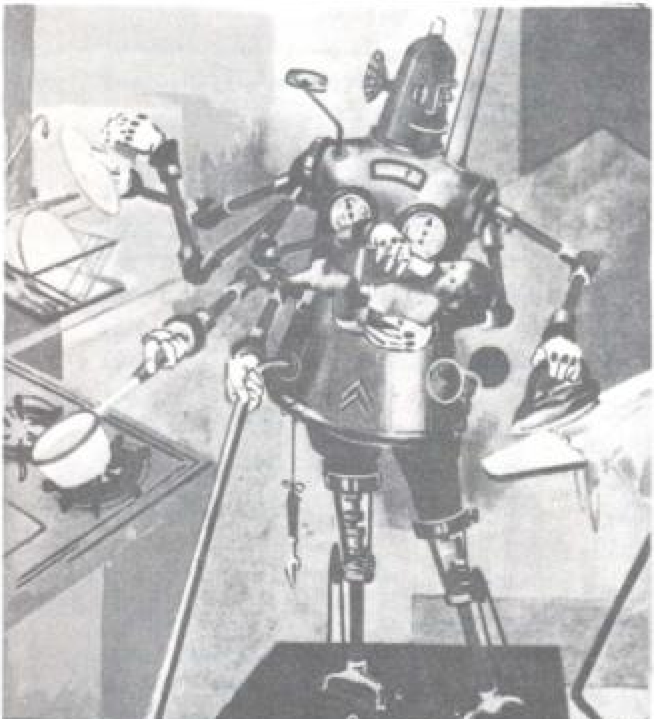
هو الشهر الخامس من شهور السنة حسب التاريخ الحالي ، والشهر الثالث عند اليونان والرومان . وهو ايضا كنيسان ، شهر الربيع والجمال والبهاء ، واسمه باللغات الاجنبية « مايس » نسبة للالهة « مايا » ـ ام عطارد اله التجارة والكسب والفصاحة والبلاغة عندهم ـ فكانوا يقدمون لها الذبائح في اليوم الاول من هذا الشهر .

كان الرومان يحجون بمواكب كبيرة في اليوم الاول من هذا الشهر الى كهف « اجيريا » الهة المجاري والانهار ، ويحتفلون من اليوم الثامن والعشرين من نيسان الى اليوم الثاني من أيار بعيد « فلورا » الهة الازهار ، ولعل هذا هو السبب في احتفال الاوروبيين بالازهار في الايام المذكورة .

يعتقد الرومان ان هذا الشهر شؤم للزواج ، وذلك بسبب وقوع عيد الاموات التعسين في التاسع والحادي عشر والثالث عشر منه ، وكان الانكليز يحتفلون بهذا الشهر احتفالا عظيما ، يخرجون الى الحقول رجالا ونساء واطفالا ، ويعودون حاملين الاغصان والازهار ، يتقدم موكبهم ما يسمونه « عمود أيار » ، وهو عمود طويل يزين بالازهار وينصب في قلب المدينة ، وظلت هذه العادة متبعة عند الانكليز الى اوائل القرن الثامن عشر ، وآخر عمود اقيم كان عام ١٦٦١ ، وكان من شجر الارز وطوله ١٣٤ قدما .

ولما بطلت العادة وانزل العمود عام ١٧١٧ اخذه الى قرية « وينستد » في مقاطعة « اسكس » واستعمله العالم الشهير اسحق نيوتن كدعامة لمنظار عظيم اهداه اياه احد مشاهير الفلكيين الفرنسيين .

ويعتقد الناس ان في شهر ايار ستة ايام حسنة الطالع هي : الثاني والثالث والرابع والثامن عشر والثالث والعشرون والحادي والثلاثون ، وتسعة ايام شؤم هي : الثالث والسادس والسابع والخامس عشر والسابع عشر والعشرون والسابع والعشرون والتاسع والعشرون والثلاثون .



على أبواب عصر الإنسان الآلى !

اطراف صناعية تلتحم بالاعصاب و تحرك الاصابع كهربائيا

آله تحول الكلمات المطبوعة الى صوت !

قد تشتريه جاهزا : الكبدوالكلية والقلب ايضا !

اجهزة ارسال واستقبال تثبت فى نظارات المكفوفين

علم الخلايا العصبية يركز على توسيع قدرة العقل الكترونيا

■ أخذ عصر الانسان الآلي يقترب من الحقيقة والواقع اكثر فاكثر في ضوء المخترعات الحديثة التي تقدم خدمات فعلية وجوهرية لاصحاب العاهات • ويقوم الانسان الآلي المزود باجهزة ومعدات الكترونية ومعدنية وبلاستيكية (وهو يكلف ستة ملايين دولار) بمهام كثيرة في الحياة العملية •

ويبتكر الباحثون والمهندسون العاملون في المجال الطبي أعضاء بديلة لجسم الانسان (من الجلد الى الحبل الشوكي) آخذين بذلك على انفسهم وعدا بتمكين الانسان المشلول من أن يمشي، والاصم من ان يسمع والابكم من ان يتكلم، والاعمى من ان يرى • وسيكون بالامكان في الوقت ذاته زيادة قدرات الاشخاص ذوي الاجسام السليمة القوية •

ويجري اعداد هذه المخترعات الحديثة في مختبرات حكومية ، في مناطق متفرقة من العالم ، في جميع أنحاء الولايات المتحدة الامريكية •

جلد صناعي

واستطاع كثير من الباحثين تقليص أحجام الاجهزة الالكترونية الكبيرة والمعقدة الى وحدات صغيرة • واكتشفوا جهازا يثبت على طرف الاصبع ويحتوي على جميع المعلومات المنطقية المبرمجة التي تفيد مستخدميه من ذوي العاهات •

ومن أهم الاختراعات المتقدمة في هذا الميدان الآلي ، صنع اطراف بديلة لاعضاء الانسان الاصلية التالفة • وقد استفاد من هذا الاختراع مئات من الاشخاص الذين بترت ايديهم في عمليات جراحية وأصبح بامكانهم تركيب أذرع صناعية مزودة بجهاز كهربائي ذاتي ، يساعدهم على ضم وفتح أيديهم عن طريق المقدرة العقلية ، ويكمن سر هذا الاختراع في قطب كهربائي صغير ، يلتقط نبضات العصب التي يتم تكبيرها فيما بعد الى آلاف المرات بواسطة مجموعة توليد القدرة وتحويلها بعد ذلك الى قوى محركة متناهية في الصغر في اليد الآلية • والنماذج المتوفرة من هذا الاذرع الآلية سهلة الكسر ومصنوعة فقط لاشخاص بترت ايديهم حتى اسفل الكوع • ويجري الان صنع نسخ معدلة وقوية من هذه الاذرع تصلح لكل شخص بتر رسغه او يده حتى الكوع •

ويتم الان وضع جلد صناعي من البلاستيك يستخدم في المركبات الفضائية فوق محول للطاقة وجهاز ميكانيكي ذاتي لتزويد الشخص الذي بترت ساقه بحاسة اللمس • والهدف من ذلك هو تمكين الشخص الذي زود بيد صناعية من رفع كوب دون اسقاطه او كسره • وبامكان اجهزة احساس مماثلة مثبتة في اسفل ارجل صناعية او مشلولة ارسال تغذية استرجاعية الى الشخص الكسيح لتامين موطء قدم ثابت له •

حتى صوت الانسان

وبالنسبة لاولئك الذين لا يستطيعون الكلام اصبح بامكانهم الان اخراج اصوات « صناعية » بواسطة جهاز يحملونه • ويقوم مستخدمو هذا الجهاز بالضغط على مفاتيح فيه تصدر صوتا شبيها بصوت الانسان العادي مقترنا باحد المقاطع او الكلمات او الجمل المستخدمة عادة ، وعددها خمسون •

وهناك العديد من الاجهزة المزودة ببطاريات والمصنوعة خصيصا لاولئك الذين يعانون من صعوبات في السمع ولكن أعصابهم الحسية تعمل • والباحثون الآن يأملون في زرع اجهزة احساس دقيقة في رءوس الصم ، تقوم بارسال اشارات الى الاجهزة السمعية في الدماغ وتتجنب الاعصاب المريضة •

وفي غضون ذلك يعمل العلماء الان على اعادة تصميم اجهزة سمع ، ذات طراز جديد ، بحيث تحتوي على معدات دقيقة جدا تمكن مستخدمي هذه الاجهزة من تحديد المدى الذي يريدون ان يسمعوا منه ، وتمييز الاصوات المحصورة في هذا المدى بعد تصفيتها •

والامل يزداد كذلك بالنسبة لفاقدي البصر حيث يجري الآن فحص اجهزة تنبيه كهربائية للاجزاء البصرية من الدماغ في اماكن عديدة : منها معهد الطب الاحيائي في جامعة أوتا ، والمركز الطبي في مدينة نيويورك ، وجامعة فلوريدا وفي كندا • وتتركز هذه الدراسات على ما يلي : بث اشارات من كاميرات تلفزيونية الى دماغ الكتروني يقوم بدوره بنقل هذه الاشارات عبر اسلاك الى الدماغ • ويستطيع المتطوعون من فاقدي البصر الذين يستخدمون هذا الاختراع قراءة الاحرف بصورة اسرع كثيرا من اولئك الذين يستخدمون اطراف اصابعهم على طريقة بريل •

ويركز العلماء جهودهم الان على اصعب مهمة



• الجسم الالكترونى •• البحث العلمى المستمر •

تواجههم وهى تحديد الخلايا المناسبة فى الدماغ التى يجب ان ترسل اليها الاشارات المختلفة • وهم يطمحون من الان الى مجيء ذلك اليوم الذى يستطيعون فيه زرع عدسة تلفزيونية دقيقة فى تجويف العين مع بقية اجزاء الجهاز التى تشتمل على معدات ارسال واستقبال دقيقة يجرى تثبيتها فى مقدمة النظارة •

ويعمل العلماء فى سان فرانسيسكو على تصميم جهاز مختلف يقوم بتحويل الضوء الى نبضات يستطيع الدماغ تفسيرها • وتلتقط عدسة تلفزيونية

دقيقة مثبتة على نظارات العين المشهد الذي يكون امام الشخص الذي يستخدم هذا الجهاز ثم ترسل اشارات الى رداء مطاطي يتم ارتداؤه من قبل هذا الشخص ، وترسل الاشارات على شكل نماذج تموجية يشعر بها ٠

الاشارات الصامتة

يقول الباحثون ان الاشخاص فاقدي البصر تعلموا بسرعة تفسير الاصوات الصادرة عن الاشياء التي يصادفونها ، وذلك بهدف التعرف على الاهداف العامة : كاجهزة الهاتف ، واكواب الشراب ، والكراسي ، والمناضد ٠ ويجري استخدام مخترعات مبسطة ومحسنة بحيث تمكن الضرير من ان يكتشف الاشياء عن طريق حواس اخرى بديلة للبصر كالسمع واللمس٠ وهناك انواع خاصة من العصي والنظارات والقبعات تمكن الضرير من تحديد الاجسام التي في طريقه كالحواجز الحجرية ٠ واعمدة الهاتف ، والاغصان المتدلية ، والسيارات، كما يفعل الخفاش الى حد كبير ٠ وترسل الاجهزة المبتكرة اشارات صامتة الى الهدف ثم ترتد عنه وتولد اهتزازات يستطيع الاعمى الذي يستخدم مثل هذه الاجهزة ان يسمعها او يحس بها ٠

وبعض المخترعات بواسطة درجات ميل مختلفة وكثافة متنوعة تحدد المكان الذي يوجد فيه الهدف وبعده وحجمه وخشونته ٠

وبالنسبة للضرير فهناك اجهزة خاصة بالقراءة مزودة باجهزة احساس بصرية ، تتولى النظر في الصفحات ، وتحول المادة المطبوعة الى موجات نابضة صادرة عن الدماغ الالكتروني ، ومن ثم تحول هذه الموجات الى تثليمات وتسنينات تمكن الشخص من القراءة ، سواء كان ذلك عن طريق اللمس بطرف اصبعه بحسب طريقة بريل ، او بحسب النماذج الفعلية للرسائل والخرائط والصور ٠

وهناك آلة قراءة اخرى تحول الكلمات المطبوعة الى صوت يشبه الاصوات المصمتة لتضعيف الكلمات ٠ ويعمل المهندسون الان على التقليل من نفقات هذه الالة ، وجعل حديثها الصوتي اسرع واكثر وضوحا ٠

ويستطيع الشخص الضرير ان يرصد حسابه ، او ان يقوم بعمليات حسابية معقدة بمساعدة آلة حاسبة يحملها وتصدر حديثا بالمعلومات المطلوبة٠

كما تجرى كذلك ابحاث علمية مكثفة بهدف صنع قلوب وكلى واكباد ، بالاضافة الى البنكرياس وغيره من الاعضاء التي يمكن الاعتماد عليها بصورة اكبر ، وبدقة متناهية ، وتصغير احجام الاجهزة المثبتة فيها ٠ وتعمل مؤسسة المحاربين القدماء على صنع عضلة مزودة باجهزة مغناطيسية ذات قوة عالية وصوت ، كما تعمل على صنع حبل شوكي ٠ وتامل المؤسسة ان تتمكن في غضون خمسة عشر عاما من بناء جسور كهربائية فوق الاجزاء التالفة في اجهزة الاعصاب الرئيسية عند المشلولين ٠

زيادة المقدرة العقلية

وفي الوقت ذاته يجري الان تطوير العديد من المخترعات للاشخاص المتخلفين عقليا ، وجعلها ملائمة لزيادة طاقات وقدرات ذوي الاجسام القوية ٠ مثال ذلك اداة تلفزيونية تمكن احد الاشخاص من ادراك وتحديد الاهداف من بعد معين خلفه بينما هو ينظر الى الامام ٠

ويعمل الباحثون في علم جديد يطلقون عليه « اسم الخلايا العصبية الالية » على توسيع قدرة الدماغ عن طريق وصله بدماغ الكتروني ، ولكن هناك عقبة رئيسية مازالت تواجههم وهي لغة الدماغ غير المحلولة ٠

ويتخيل احد العلماء ذلك اليوم الذي يتمكن فيه دماغ الكتروني صغير جدا يثبت في السن من احتواء جميع المعلومات المطلوبة ٠ ويستفهم مستخدم الجهاز من « الذاكرة » في السن عن الحقائق والافكار التي لا تاتي بسهولة وبسرعة الى العقل ٠

وهناك تطورات في المخترعات الآلية التي تتزايد باستمرار وتنتشر في اماكن عديدة حول الكرة الارضية وهذه التطورات ادت بمؤسسة المحاربين القدماء ومركز هندسة العربات المدرعة التابع لمعهد الينوى للتكنولوجيا ـ الى افتتاح مركز في شيكاغو في اكتوبر الماضي لمواكبة هذه التطورات والقيام بمزيد من الابحاث ٠

ويقول العلماء انه لا توجد حتى الان قطع غيار اصطناعية ، ولو كانت معدة بصورة متقنة للغاية بامكانها ان تضاهي مقدرة الاعضاء الطبيعية في الانسان الطبيعي ، الا ان الفجوة بينهما تضيق بسرعة ٠ ■■

أقوال معاصرة

■ نسبة التوالد العالية بين الفلسطينيين تشكل قنبلة موقوتة قد تنفجر في اى وقت •

الحاخام الاسرائيلي مائير كالاني •

■ ينبغي الا ينسى الائتلاف الحكومي الذى فاز في الانتخابات الفرنسية ان رصاصة اليسار قد مرقت الى جانب اذنه •

من تعليق لوكالة الانباء الفرنسية •

■ حزب المحافظين البريطاني هو اكثر الاحزاب الرجعية في اوروبا منذ الحرب العالمية الثانية •

فرانك جود ـ نائب وزير الخارجية في حكومة العمال •

■ كيف نحيي حاخاما كبيرا هو في نفس الوقت جنرال ؟ •• هل نؤدى التحية العسكرية للجنرال، أم نقبل يديه مثلما نفعل مع قساوسة كنيستنا ؟

سؤال لضابط كتائبي اثناء زيارة الحاخام الاسرائيلي شلومور جورين لجنوب لبنان •



■ قررنا طرد مدير الوكالة الفرنسية في الشرق الاوسط من بيروت لان الوكالة لم تصدر خلال الاشهر الثلاثة الاخيرة اى برقية لصالح العمل الحكومي في لبنان •

فاروق ابو اللمع مدير عام الامن اللبناني •

■ لقد كانت مباحثاتي مع بيجن مفصلة وصريحة • وما استطيع قوله ان السلام في الشرق الاوسط لا يزال بعيدا جدا •

الرئيس الامريكي كارتر



■ الجاسوس الامريكي لم يفقد اهميته رغم تقدم اجهزة التجسس الالكترونية ولكن واجباته تغيرت •

ويليام كولبي المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية •

■ اذا لم تكن معنا فانت معاد للسامية • هذا هو منطق زعماء الطائفة اليهودية في امريكا •

زبجنيو برجنسكي ـ مستشار الرئيس الامريكي لشئون الامن القومي •

■ في رؤيته للموقف في الشرق الاوسط • ارجو ان يظل الرئيس كارتر ملتزما بدعوته الى حماية حقوق الانسان .

انور السادات •



« دعاة التجزئة الثقافية في الوطن العربي يتحملون وزر الجهل به وبأمثاله »

وليد اخلاصي :

كاتب مسرحي يعد بالكثير

بقلم : الدكتور على الراعى

لم أكن قد عرفت فن « وليد اخلاصي » المسرحي قبل أن يدفع الىّ الصديق الناقد «فاروق عبدالقادر» بمسرحية وليد الاخيرة : « الصراط » • بل أنني ـ ويا للخجل ! ـ لم أكن اعرف ان ثمة كاتبا مسرحيا في سوريا يدعى وليد اخلاصي !

ووزر هذا الجهل يتحمله معي دعاة التجزئة الثقافية في الوطن العربي ـ دعاتها او المتسببون فيها بحسن نية ، او بحماقة ، او بغرض خبيث !

المهم أنني قرأت مسرحية « الصراط » ، ثم رحت أتتبع ما يمكن أن احصل عليه من اعمال الكاتب المسرحية الاخرى • فوقعت في يدي مسرحيتان أخريان هما : « كيف تصعد دون أن تقع » و « هذا النهر المجنون » •

وعرفت من بعض الكتابات النقدية في سوريا ، ان لوليد اخلاصي ثلاث مسرحيات اخرى هي : « الايام التي ننساها » و « طبول الاعدام » و «المتعة رقم ٢١ » وهذه جميعا ستظل بالنسبة الىّ مجرد أسماء لمسرحيات ، حتى يظهر هذا المقال في مجلة «العربي» فلعله يحفز أحدا ما ، او جهة ما على أن توافيني بهذه المسرحيات ، محوا لجهلي ، واعلاء لشعار الوطن العربي الواحد ! وحتى لا تتعب هذه الجهات او يحار الاشخاص المتقدون الذين افترضت وجودهم ، فها هو ذا عنواني حتى اخر يونيو القادم ان شاء الله : فلان ، قسم اللغة الانجليزية وادابها ، كلية الاداب ، جامعة الكويت ـ دولة الكويت !

كيف تصعد دون أن تقع ؟

والان انصرف الى عرض وتحليل ما وصل الىّ من فن وليد اخلاصي ونبدأ ، بمسرحية : « كيف تصعد دون أن تقع » ، وهذه المسرحية قدمت لاول مرة على مسرح الشعب في حلب عام ١٩٧٣ •

يصف وليد اخلاصي مسرحيته هذه بأنها « كوميديا سوداء » وهو وصف له ما يبرره في المسرحية التي تقدم لنا شخصية المتسلق المنافق : الاستاذ منتصر ، وهو رجل في الاربعين تصفه قائمة الشخصيات في المسرحية بان له مائة وجه •

هذا الرجل له طاقة حيوية كبرى ، وقدرة فذة على اقناع الغير ، ومهارة فائقة في ركوب كل موجة جديدة ، وبراعة لا تغيب في الخروج من المازق • يساعده في هذا كله ـ في المحل الاول ـ الفساد

المستشرى فى البلاد ويعينه ايضا مساعده الذى يدانيه ذكاء ونشاطا،وقدرة على الخداع : «مؤيد».

والمسرحية هى دراسة درامية فى الفساد والنفاق. تقيم لها تمثالا كبيرا ، يقف فى مكان بارز منه الاستاذ منتصر ، والى جواره فى الكفاح مؤيد . ويعرض لنا وليد اخلاصي بطله فى مواقف متباينة . فهو بازاء زوجته السابقة «امل» ، المحب المولع ، النادم، الآسف على ما بدر منه فى حقها من خيانة، الراغب فى ان تعود اليه باى ثمن .

وهو مع المذيعة : رجل تقدمى الاراء ، جرىء الفكر ، يدعو الى قيام مؤتمر لمناقشة السلبيات ، لان البلد قد شبع من المؤتمرات التى تقام وتستمر وتنتهى وهى تلح على الايجابيات وحدها .

وهو فى الاوساط الطلابية ثائر ، يعمل فى حركة سرية ، ويرتدى ملابس جيفارا ، ويدعو الى حصر الاخطاء القومية ، واقامة ندوة كبرى من اجل مناقشتها .

وهو بازاء الفتاة الحلوة «ليلى» مغازل ممتاز ، يستخدم معسول الكلام لايقاعها فى شباكه .

متعدد المواهب اذن ، هذا الرجل «منتصر» . وهو يعرف كيف تنتهز الفرص ، ولذا فهو دائما منتصر . وعبثا تذهب الجهود لايقاعه فى قبضة العدالة ، فهو حين يفصل من رياسة شركة هامة ، يعين استاذا بالجامعة ، وحين تطارده جهود «امل» والطالب رعد والمحققين والمكلفين بفحص ملفه ، ينتصر عليهم جميعا ، ويتخذ من والد ليلى ـ التى وقعت فى غرامه ـ وسيلة للانتصار فى الانتخابات العامة ، فان هذا الوالد شخصية دينية مرموقة يتبعها الوف من الناس .

وينتهى «نضال» منتصر به الى كرسى الوزارة ، فتتم الحكاية فصولا .

وتستحق المسرحية ماوصفها به مؤلفها من انها سوداء . هى كوميديا مرة بالفعل ، تنتمى الى فن الكاتب الانجليزى بن جونسون ، معاصر شكسبير ، الذى كان يعرض الشخصيات النمطية ذات البعدين ويعريها أمامنا ، ويهجوها هجاء شديدا يستخرج منه الضحك المر .

ولكن وليد اخلاصي لايستسلم كلية الى المرارة، فهو يتوجه بفنه الى الجمهور فى ختام المسرحية ، ويدعوهم دعوة صريحة الى شجب هذا كله، والاحتجاج العملى عليه : بالسلاح ، بالعصى ، بالاظافر ، بالاسنان . المهم أن لايقف احد موقف المتفرج من الشر المستطير الذى عرضته المسرحية بطريقة مقنعة حقا .

فهذا وليد اخلاصي ، اذن ، يغترف من نبع مسرح عهد النهضة ، ليضع شيئا منه فى مسرحه المعاصر .

هذا النهر المجنون

أما المسرحية الثانية : «هذا النهر المجنون» التى نشرت فى عدد ابريل ١٩٧٦ من مجلة « الاقلام » العراقية ، فهى تنبع بوضوح من فن الكوميديا الروسية كما قدمها « تورجينيف » و « تشيخوف » والاخير خاصة .

ثمت عجوز فى الستين ، مالكة سابقة للارض ، يعدو على ملكها قانون الاصلاح الزراعى ، فتتقلص رقعة املاكها ، ويقل نفوذها . غير انها قادرة على تبين ما حدث . أنها هى التى رعت الارض وزرعتها وتمتعت بغلتها من ايام سلاطين الاتراك. لماذا حدث اذن ؟ ولماذا يقال لها ان الامور تغيرت؟ هى نفسها لم تتغير ، فحسب الناس ضمانا لصحة قولها ان يكون هذا حالها .

لقد بنت بجهودها القادرة بئرا على ربوة ، تسقى منها الزرع ، ولا يطول الربوة فيضان النهر ، ولا هى تعتمد ـ بفضل البئر ـ على ماء النهر . بينما الفلاحون الكسالى لايفعلون شيئا ، او هم يتباطئون فى العمل ، ويلحفون فى سؤالها ان تعطيهم نصيبا من ماء النهر .

وتقبض هذه السيدة الحديدية الارادة على أسرتها بيد من فولاذ . تسيطر على ابنها « جلال » سيطرة شيطانية ، تعدم فيه كل اراده ، وكل قدرة على التفوق ، فهو شبح لرجل ، ولا رجل . لهذا تخونه زوجته اللعوب « عفت » ، ولا يشفق عليه الا اخته « ليلى » ، وهى الأخرى ضحية من ضحايا حب التسلط لدى الام .

وتصحو الام ذات يوم، فاذا امامها احداث كبرى. لقد انتحر ابنها جلال ، بعد ان يئس من قدرته على النجاح فى اى ميدان . وهربت الابنة «ليلى» مع رجل غريب جميل الطلعة، جاء يطرق باب الاسرة ذات مساء ، فاستمعت البنت الى عذب كلامه ،

وطاوعته في الرغبة في الفرار من جو الريف الخانق •

ثم ينسف الفلاحون البئر، متحدين ارادة السيدة الحديدية • ويثور البك زوجها عليها ، ويحملها وزر الشقاء الذي جلبته عليه وعلى اسرته ، ثم يقرر ان يتركها وحيدة ويمضي •

ويغادر الريف ايضا علي بك ، جار السيدة ، تبقى المراة بمفردها تردد في عناد : « لن أسمح لاحد بان يعبث بارضي • انني الاقوى ! »

المسرحية تستحضر جو كوميديات تورجينيف وتشيخوف، كما قلت سابقا،وهي بالذات مسرحية : «شهر في الريف» للكاتب الاول و «بستان الكرز» للكاتب الثاني • واواصرها امتن بالمسرحيه الثانية حيث ثمة مالكة للارض في مواجهة التغير الاجتماعي، وهي «مدام رانيفسكي» •

غير ان مدام رانيفسكي ، في : «بستان الكرز» تكتفي بالبكاء ، فليس لديها الارادة الحديدية التي تملكها «الخانم» في مسرحية وليد أخلاصي ، وانما تجد هذه الاخيرة نظيرا لها في مسرحية لوركا المعروفة : «بيت برناردا البا» ، حيث السيدة برناردا تحكم اسرتها حكما تعسفيا ممضا ، وتبدي صفات العناد والمكابرة، واغماض العين عن الحقائق تماما كما تفعل « الخانم » •

واذن فان وليد اخلاصي يتاثر بالمسرح اينما وجد ، وعبر كل القرون •

أحسن المسرحيات

اما مسرحيته الثالثة : «الصراط» التي نشرت في كتاب عام ١٩٧٧ ، فهي من أحسن ما قرات في نوع التراجيكوميديا العربية ، وهي في رأيي احسن المسرحيات الثلاث •

هنا ـ في جو من الكوميديا الناقدة ، التي ذهب عنها كثيرمن المرارة فاصبحت لذيذة شائقة ـ يعرض الكاتب الجو المضحك المؤسي الذي يعيش فيه فنان قرر أن يقول الحقيقة •

ان «عبد ربه» ، او «عبيدو» ، كما يصبح اسمه الفني فيما بعد ، يجد نفسه ينتقل فجأة من منظف في المسرح الى ممثل لدور كبير ، اصيب صاحبه بمرض مفاجيء •

ويضطر عبد ربه الى الظهور على الخشبة ، ويخلط في كلامه بطريقة مضحكة ، تجعل الجماهير أسرى ظرفه وخفة دمه العفويين ، فيصبح منذ تلك اللحظة معبود الجماهير ، ويزداد شجاعة في عمل بعد عمل •

ثم ان هذا النجاح يجلب معه المتاعب لعبيدو • فان اعماله المتوالية تاخذ في كشف ستار الرياء الذي يختفي وراءه فساد المجتمع • بل ان عبيدو ليجرؤ على القول بانه مع الفقراء ضد الاغنياء ، ويصرح به «ما جمع مال قط من حلال » • ويفضح زيف الاعلانات التجارية في الاذاعة والتلفزيون ، ويحرض السجناء على ان يتحروا الاسباب الحقيقية لجرائمهم ، ويصرخ في وجه انتقاد وممثلي الصحف قائلا : « أنا وأنتم نتآمر على المسرح والفن والتاريخ والجغرافيا والمعلومات الوطنية والكيمياء • أنت تكتب كما تشاء ، وعلى ما تشاء • انني اعترف، فالغلاء مستفحل والعملة تفقد سحرها ، والناس طيبون يصدقون ، والممثلون ينقدون والنقاد يمثلون ! » •

هنا تتحرك «الاجهزة» لتنبه «عبيدو» الى انه لا يستطيع أن يكون جماهيريا ناجحا ، ثم يقول الحق في الوقت ذاته • فاما النجاح مع الكذب ، واما الصدق المؤدي الى السجن • ولا خيار آخر هنالك•

وينكسر قلب الفنان ، ويضطر الى ان يختار طريق الكذب • يكذب في الاعلانات : اعلانات عن مجلات مشبوهة ، ومدارس خاصة جدا ، واحذية من ابلاستيك •• الخ •

ومن ثم تنهال الاموال على «عبيدو» • تشترى حفلاته باعداد كبيرة ، وتقدم له الهدايا المختلفة، وتكثر مشاغله •

وفي وسط هذا السقوط تاتي صحفية جميلة كان قد عرفها في اول مجراه الفني ، وردد امامها شعار : «ما جمع مال من حلال قط» ، فاعجبت به وبالشعار ، ودعته الى ان يتمسك به • فالان تاتي هذه الصحفية لتحاسبه وتساله : « لم كان التغير ، وما جدواه ؟ » وتقول له : «ها قد آن أوان النهوض» ، فيقول لها ، «اى نهوض ذاك الذى يعقب السقوط ؟ انني انهض بطريقة من يغوص في الطين ! »

وفي حوار عاطفي دافيء يعترف لها بانه احبها فور ان رآها ، ثم يعاهدها بقوله : «كانت البداية رائعة وصادقة . ولتكن النهاية كذلك» .

ثم يمضي «عبيدو» فيمثل دوره الكاذب بطريقة ساخرة . يمدح الاغنياء ويربت على اكتاف التجار، وفجاة يتجه الى النظارة مخاطبا :

ماذا دهاكم؟اقول لكم عاش الفقير بظل الكريم.. من امن بالفقراء فليخرج من هذه القاعة خجلا مني.

ومن امن بالتجار فليصفق لمهرج مثلي. سحقا للفن على أيدي التجار والسماسرة » .

وبالطبع ، تتلقف السلطة عنق الفنان المتمرد فتقبض عليه بشدة . ويقرر السفر ، فيقال له عند الحدود : «انت ممنوع من السفر» . ويقرر العودة، فيقال له «انت ممنوع من دخول البلاد ! »

وتنتهي المسرحية وقد وجد عبد ربه طريقة للحركة :

ـ « لقد وجدتها . لقد وجدت مكانا لي . هل تذكر ياعبد ربه تلك الخطوط الوهمية التي تفصل الدول عن الدول ؟ آه ، فلقد وجدت الحدود الوهمية ، وهي ملكي انا . استطيع ان امشي عليها دون رقيب ، او نهي او منع . انا حر . انا حر» .

هذا بعض ما جاء في هذه المسرحية الهامة من احداث واقوال وافكار . انها تراجيكوميديا قدمت من مادة الفن المؤثر . الموجع . هي صرخة الم تنبعث من نفس حساسة وضمير حي ، ضد باطل يعبده الناس . وهو لا يستحق الا المعاول

وما اجدر هذه المسرحية بان تمثل ، وان يقوم بدورها الرئيسي الفنان السوري الحساس : «دريد لحام» . هو وحده من يستطيع ان يصور ما يقوم في اعماق عبد ربه من الم يلسع ، وفكر يتلظى . ■■

على الراعي

المكتب البيضاوى

■ من اجل ان اكتب مقالا في صفيحة اقنعت احد مساعدي الرئيس ليندون جونسون بان يسمح لي بمشاهدة المكتب البيضاوى التاريخي في البيت الابيض حيث يتم اتخاذ العديد من القرارات الحكومية . ولما كانت عائلة الرئيس جونسون خارج البيت الابيض ، فقد توسلت اليه ان اجلس على كرسي الرئاسة ولو للحظة واحدة . وعلى الفور غاص جسمي في مقعد مصنوع من الجلد واخذت اجول ببصرى في ارجاء المكتب الى ان شاهدت اسفل الجزء العلوى من المكتب مباشرةاربعة ازرار : الاحمر والازرق والاخضر والابيض . واطلقت لتفكيرى العنان وقلت في نفسي باترى اى هذه الازرار يصل الرئيس جونسون بوزارة الدفاع ، او الكرملين ، او داونتج ستريت ، او يعطى الضوءلشن حرب نووية تكون نتيجتها الحتمية تدمير الحضارة ؟ وبامكان اى فرد ان يتصور الاثر الذى ستتركه قصتي على القراء ، ولكن لسوء الحظ وفي الاسبوع التي نشرت فيه المقالة كانت هناك فقرة مقتضبة في مجلة « تايم » تقول : لقد ركبت اربعة ازرار في الجزء الأمامي من كرسي الرئيس جونسون في المكتب البيضاوى ، الزر الابيض فهو للحليب ، والاحمر للقهوة ، والازرق للشراب الخفيف ، والرابع والاخير وهو الاخضر للماء !

لوتا ديمبسي .

عالم النفس الذى اكتشف التأثير المغناطيسى



فرانز انطون مسمر

١٧٣٣ ـ ١٨١٥

بعد نسيان ٣٠ عاماً
اعترفوا أنه ليس
دجالاً ولا ثرثاراً!

بقلم : على أدهم

كان العالم النفسي فرانز انطون مسمر عالما سابقا لعصره ، ولذلك ارتجت عليه فى حياته السبل ، وتلقى الكثير من الضربات والطعنات ،وتعرض لسوء التقدير ،وحملات النقد الجارح والتشهير ،وظل حينا طويلا من الزمن يقرن اسمه بأسماء الدجالين والعتاة من المغامرين المموهين الذين قاموا بتمثيل ادوارهم على مسرح الاحداث فى خلال القرن الثامن عشر من امثال كاليسترو، والكونت دى سانت جرمان، والشيفالييه ديون .

وعبثا حاول شوبنهاور معارضة احكام الجامعات قائلا « ان المسمرية ـ من وجهة النظر الفلسفية ـ اكثر الكشوف جميعا خصوبة ولو انها قدمت لنا من المشكلات اكثر مما كشفت سره » وقد وجد فيها ما يؤيد رأيه في تغلب سلطة الارادة ٠

وما قوبلت بهآراء مسمر من المقاومة والاستنكار جعلت هذا المفكر المخلص الذى حاول أن يشق طريقا جديدا في علم النفس يعد ـ في نظر الكثيرين ـ من الواهمين الحالمين ، والمتحمسين المخرفين ، ولم يحاول فريق من الباحثين بحث نظريات مسمر لتبين ما فيها من الصواب والخطأ ، والاصالة والمحاكاة ٠

عصر مسمر

وقد نشأ مسمر في عصر الاستنارة الذى جاء في اعقاب ظلمات العصر الوسيط وظهر فيه الانسكلوبيديون ، وسادت فيه النظرة الى الكون باعتباره الة قابلة للاصلاح ، وتغلبت النزعه العقليه والتفسيرات المادية وانكار كل ما لا تدركه الحواس، او ما لا يخضع للتفسير الرياضي والتحليل العلمي ٠

وفي هذا العصر الذى كان ينقصه التواضع والاحترام ، ظهر مسمر ليؤكد أن هذا الكون ليس بحال من الاحوال مكانا خاليا لا روح فيه ، وانه غني حافل بحياة هؤلاء الذين يسكنونه ، ويبدا له أن هذا الكون تتغشاه أمواج غير ملموسة لا يمكن ادراكها بغير الحواس الداخلية ، وانه حافل بالتيارات الغامضة والتوترات التى تجذب بعضها بعضا ، وتنتقل فيها الحياة من نفس لنفس ، ومن حاسة الىحاسة ، وهذهالقوى غير خاضعةلسيطرة، ولم يطلق عليها اسم بعد ، وقد تكون من قبيل تلك القوى التى ينتقل بريقها من كوكب الي كوكب آخر ، وهذا السائل العام الشامل قد ينتقل من انسان لاخر، ويحدث تاثيرا في الامراض العقلية والجسدية ، ويعيد هذا التوازن، او الاتساق الذى نسميه « الصحة » ٠ ولم يقدم مسمر على ابتكار اسم يطلق على هذه القوة الخفية التى كانت ما تزال مجهولة ، واكتفى بان يشبهها بالمغناطيس ، وطلب من الاساتذة العلماء والاكاديميين انيعملوا على بحثها واختبارها ، ليروا بانفسهم قوة تاثيرها في شفاء الامراض وبخاصة العلل النفسية ، وذلك بمجرد اللمس باطراف الاصابع ٠

وقد ظهرت في العصر الحاضر في عالم علم الحياة والعلوم الطبيعية كشوف تكاد تكون من قبيل المعجزات ، وكثير من نظريات مسمر تتمشى مع منجزات العصر الحديث ، وقد عرف ان الاعصاب والحواس تتاثر بقوى خارجية ، وان كثيرا من هذه المؤثرات الخارجية ـ توحي الى النفس ايحاءات مختلفة ، ولم يكن عصر مسمر مستعدا لقبول امثال هذه الاراء ، وكانوا يعتمدون في علاج الاضطرابات العصبية على الماء البارد والفصد ، اما المصابون بالامراض العقلية فكانوا يربطون بعجلة،ويدار بهم ، حتى تنبعث الرغوة من افواههم، او يجلدون بالسياط حتى فقد الاحساس ، ولذلك لما ظهر مسمر ، وحاول علاج الامراض العصبية بالطريقة المغناطيسية أنكر عليه الاطباء المعاصرون صحة طريقته ٠

وكان مسمر نفسه يشعر بانه قد سلك الطريق القويم ، وان المصادفة الحسنة قد يسرت له كشف سر عظيم ، ولكنتبين طبيعةهذا السر كان منوراء قدرته ، وقد استغل غيره كشوفه ، ونالوا الشهرة٠ وكان نصيبه من معاصرية الاغفال والازدراء ٠

وقد ولد مسمر في ٢٣ مايو سنة ١٧٣٣ في « ازنانج » الواقعة على بحيرة « كونستانس » ، ودرس اللاهوت حينا من الزمن ، وحصل على الدكتوراه في الفلسفة ، ولم يقف تطلعه للمعرفة عند هذا الحد ، وحاول الالمام بشتى فروع العلم، وانتقل الى فينا ، ودرس القانون بعض الوقت ، وفرغ بعد ذلك للدراسة الطبية وحصل على الدكتوراه في الطب ، وتزوج ارملة ثرية وآثر ان يتابع الكشوف الحديثة في عالم العلوم الطبيعية والكيمياء وطبقات الارض ، كما عني بدراسة الموسيقى ، وكان مديد القامة تبدو عليه ملامح عراقة الاصل ونبلالاخلاق ، وعرف بين من عاشروه وصحبوه بحسن سمعته ، ورصانة حلمه ، ودعة نفسه ، والقدرة على النهوض بالاعباء ، والجلد في متابعة البحث واحتمال متاعبه ٠

بداية الطريق

واتفق في صيف سنة ١٧٧٤ ان وفد على فينا زائر اجنبي ومعه زوجته ، ومرضت الزوجة ، وطلب زوجها من العالمالفلكى « ماكسمليان هل » ان يعد لها حجر المغنطيس لعلاج الجزء المريض ،

وكان من المسلم به في ذلك الوقت ان له القدرة على شفاء الامراض ، وان القدماء قد عرفوا فيه هذه الخاصة ، وان باراسلس الكيميائي والطبيب الذى عاش في القرن السادس عشر قد عرف هذه القوة الكامنة في المغناطيس وايده في ذلك تلامذته واتباعه •

ولم يكن«هل»الذى قصده الزائر الاجنبي طبيبا، وانما كان فلكيا ، فاخبر صديقه « مسمر » بما طلبه الزائر الاجنبي فذهب مسمر الى حيث ترقد السيدة المريضة ليرى بنفسه تجربة العلاج بحجر المغناطيس، وبدأ استحضار بعض احجار المغناطيس ، وجرب علاجها لامراض الحنجرة والقلب ولسائر اجزاء الجسم التي تحتاج الى العلاج ، وادهشته النتائج الحسنة التي وصل اليها ، وكان الرجل عالما لا يسرع الى الايمان بالمعجزات ، ولذلك اراد ان يعرف : لماذا تحدث هذه التأثيرات قطعة من المعادن، واستبان له بعد القيام بمجموعة من التجارب ان حجر المغناطيس له تاثير واضح في شفاء حالات خاصة من المرضى •

وكان قبل ذلك بعشرة اعوام ، في سنة ١٧٦٦ قد اعد بحثا ليحصل على اجازة الدكتوراه اشار فيه الى تاثير الكواكب في جسم الانسان خلال سائل غير مرئي ، وقد اعاد العلاج بحجر المغناطيس الى ذاكرته ما سبق ان اشار اليه في رسالته عن تاثير الكواكب ، وادى به ذلك الى تكوين نظريته، وان هناك صلة بين طاقة المغناطيس والكواكب والبشر،وانه يستطيع علاج الامراض عن هذا الطريق، واستطاع بذلك أن يشق طريقا للعلاج النفسي على الاساليب الحديثة ، ووقف حياته وبحوثه وجهوده على البحث عن هذا السائل السحري الشامل ، وساقه بحثه الى الاعتقاد بان حجر المغناطيس به طاقة كامنة اقوى واكثر مما كان يظن ، وان هذه الطاقة يمكن ان يستفاد منها من وجوه كثيرة ، وسلط المغناطيس على الماء ، واشار على مرضاه بالاستحمام بالماء الممغطس •

بالتأثير المغناطيسي

وحينما نجح مسمر في علاج بعض الامراض بتاثير المغناطيس ذاعت اخبار هذا العلاج الجديد ، واقبل عليه الكثيرون من المرضى للاستشارة حول هذا العلاج الجديد ، وعولج به مرض النقرس والشلل والتقلصات والتشنجات العصبية وامراض الاذن ، واكتسب مسمر بعض الانصار والمؤيدين لطريقته ، واستدعى الى بلاط منتخب « بافاريا » ، وتكرر في « ميونخ » ما اثار الدهشة في « فينا » ، وبخاصة عندما عولج المستشار أوسترو الد بالمغناطيس، واجدى عليه العلاج ، وكان قد اصيب بشلل وضعف في البصر ، وبعث ذلك اكاديمية « اوجزبرج » على ان تصدر بيانا تشير فيه الى انه قد كشف فيه طاقة من الطاقات الخفية في الطبيعة ، واختير مسمر عضوا في اكاديمية العلوم في بافاريا ••

ولكن مسمر نفسه برغم هذا النجاح تبين له ان تاثيره العجيب على اخوانه من البشر ليس مرده الى المعدن الذى استعمله ، وانما مرجعه الى نفسه اى الى الانسان الحي ، وان الذى يرد الصحة ليس الحجر المستعمل وانما الانسان حامل الحجر المغناطيسي ، واستبان لمسمر قوة تاثير العامل الشخصي ، ومعنى ذلك أن مسمر في خلال سنة تبين له ان حجر المغناطيس لا لزوم له ، وان لمسات أصابعه ويديه كافية ، ودهش مسمر نفسه لهذا الكشف ، ولكنه لم يجترىء على اعلان ذلك ، ومن سنة ١٧٧٦ الى ما بعد، ظل يستعمل مصطلح العلاج المغناطيسي في حين انه كان قد اعرض عن استعمال المغناطيس ، ومرجع العلاج كان في تاثير الايحاء الذاتي ، ودهش هو نفسه من انبعاث هذه القوة منه ، وصدورها عنه ، فهل هي قدرة قد خص بها مسمر ؟ وهل هناك مؤثرات تزيدها قوة ؟ وهل هي قوة عقلية او قوة جسدية ؟ وهل هي مستمدة من الدم الانساني الذى يجرى في عروقه او من ارادته البشرية ؟

وقد تحقق ان توضيح هذه المشكلة وكشف سرها من وراء طاقته ، وكل ما استطاع ادراكه هو ان رجلا حيا استطاع بتاثيره الشخصي ان يشفي المرضى ، وان كل انسان مزود بقوى لتحسين صحته وطرد الامراض من جسمه ، والعلاج الايحائي الجديد يقوى هذه الرغبة في ابعاد المرض ، وهو دافع كان يجهله الاطباء ، وكان نجاح مسمر بعد ذلك في معالجة الامراض يرجع الى شخصيته القوية المؤثرة ، وهكذا لمس مسمر هذه الحقيقة النفسية

التي مهدت السبيل بعد ذلك لتقدم كبير في علاج الامراض وبخاصة الامراض النفسية ٠

وانشا مسمر مستشفى بجوار منزله ، وجاء المرضى من اماكن قاصية لتلقي علاجه ، وكان يعمل طوال النهار في مستشفاه ، وترامت اخبار هذا العلاج الشافي العجيب ، وظل مسمر نفسه في حيرة من امر هذا السائل الخفي وكشف سره ٠

جناية التخصص

وتزايد نجاحه ، وكثرة الاقبال عليه ، وتباعد شهرته ــ كل هذا جعل زملاءه في مهنة الطب يبتعدون عنه ، ويتنكرون له ، وكان يدعوهم الى مستشفاه لمشاهدة تجاربه ، ولكنهم كانوا يمتنعون عن تلبية الدعوة ، ولا يرغبون في ان تكون لهم علاقة بهذا النوع العجيب من العلاج الذى يكتفى فيه بشفاء الامراض بلمسات من اصابع اليد دون الاستعانة باى شيء آخر ، وان العلاج بمثل هذه الطريقة لا بد أن يكون ضربا من ضروب الدجل ، وكان مسمر قد أمل ان يثير علاجه نقاشا علميا ، ولكن زملاءه اعضاء الاكاديمية سخروا منه ، مما اثار في نفسه الشعور بالمرارة والالم ، وهكذا لحقه مصير هؤلاء الرجال الاعلام ، الذين يسبقون عصورهم ، وكثرت الكتابات المجهولة في نقده ، والحملة عليه ، وكان هؤلاء النقاد لا يواجهونه في صراحة ، لان ما كان يحمله من الاجازات العلمية وما عرف عنه من استقامة الاخلاق وكرم النفس كان يجعلهم يحجمون عن ذلك ٠

ولاحت لهم فرصة للنيل منه والاساءة اليهحينما عالج فتاة اسمها « ماريا تريزيا باراديز » ، وكانت فقدت القدرة على الابصار في الرابعة من عمرها وبرغم ذلك استطاعت أن تجيد العزف على البيان ، فعطفت عليها الامبراطورة ، ومنحتها معاشا شهريا، ولما احضرت الى « مسمر » استطاع علاجها وشفاءها من الامراض ٠ وعارض الاطباء المعاصرون له اسلوب علاجه لها وشددوا عليه النكير . وعارضوا في انه استطاع أن يعيد اليها قوة الابصار ، وايدهم في ذلك بعض اقاربهاخشية ان تتوقف الامبراطورة عن الاستمرار في منحها المعاش الذى قررته لها ما دامت قد استردت بصرها ، وهاجم الطبيب الذى كان يعالجها مسمر، وادعى ان الفتاة لم تزل فاقدة البصر ، وانتوى مسمر ان يعرض الامر على الامبراطورة ، ولكن تدخل الاطباء لم يمكنه من ذلك ، وانضم اليهم والد الفتاة وتدخلت الدولة في الامر ، واضطر مسمر الى ايقاف معالجة الفتاة ، ولم يطق بعد ذلك البقاء في فينا ، فانتقل الى باريس ٠

مهاجر الى باريس

وكان مسمر عضوا في الماسونية فساعده اخوانه من الماسونيين على الاقامة في باريس ، وكان من عادة الفنانين والادباء والفلاسفة والموسيقيين في ذلك العصر أن ينتقلوا من بلاط الى بلاط آخر بغير عائق ، بل كانوا يجدون تقديرا لمواهبهم ، وترحيبا بهم ، ولذلك لم يجد مسمر في انتقاله الى باريس خروجا عن المالوف ، وكانت « مارى انطوانيت » تعنى بكل ما هو حديث وعجيب ، فلما علمت بمجيء مسمر الى باريس وعدته بالحماية والرعاية ، كما ساعده اخوانه من الماسونيين على الاتصال بالاوساط المثقفة في باريس ٠

وعند وصوله الى باريس في فبراير سنة ١٧٧٨ كان اول ما عمله هو زيارة « ليروى » رئيس اكاديمية العلوم ، وكان في مامولـه ان يستعين بهذا السيد على حمل اعضاء الاكاديمية على زيارة المستشفى الذى اقامه في « كرتييل » القريبة من باريس ليعرض عليهم تجاربه ، ولكن اعضاء الاكاديمية رفضوا ان يكون لهم به اى اتصال ، فاتجه الى اكاديمية الطب الحديثة الانشاء ، وكان من حقه بوصفه طبيبا ان يجد فيها من يستمع اليه ، ولكن الاطباء التمسوا الاعذار للاعراض عنه ، وحاول مسمر للمرة الخامسة ان يسترعى التفات الاوساط العلمية لطريقته في العلاج ، ولما لم يوفق في ذلك اتجه الى الراى العام ، وطبع في سنة ١٧٧٩ تقريرا بسط فيه افكاره ، وذكر فيه انه يريد تدريب عدد من الاطباء على اسلوبه في العلاج ٠

واستطاع مسمر ان يكتسبثقة بعضالشخصيات البارزة التيلها مكانةونفوذ ، ومن هذه الشخصيات الدكتور شارل ديليسون الذى كان الطبيب الخاص للكونت دارتوا ، وقد يسر له الوصول الى البلاط الملكي ، وعالج احدى وصيفات الملكة مارى

انطوانيت ، وبرغم معارضة علماء فينا وعلماء باريس عنيت الحكومة الفرنسية نزولا على امر الملكة باستبقاء مسمر في فرنسا ، وخصص له الوزير « موريباس » معاشا سنويا ولكن على شريطة أن يدرب تلامذة له على العلاج المغناطيسي ولكنه لم يقبل ذلك قائلا انه لا يضع امضاءه على هذا العقد الا بعد أن تثبت صحة آرائه ، وترك بعد ذلك باريس الى المانيا ولكن انصاره عملوا على عودته الى فرنسا ، واستقبلوه بحفاوة بالغة، وعملوا على جمع مبلغ من المال لانشاء اكاديمية تنافس الاكاديمية الملكية تلبية لاقتراحه واشتد الاقبال على عيادته ، وكان اكثر قصاده من الطبقة الارستقراطية ، ولكنه عمل على اتاحة الفرصة للمرضى من الفقراء ، وظل يواصل علاج مرضاه لمدة خمس سنوات ، ولم يسبق لاحد من الاطباء ان ظفر بمثل الشهرة والنجاح اللذين ظفر بهما مسمر ، واقترن اسمه باسم « فولتير » « وروسو » اللذين كانا معاصرين له •

ولما اتسعت شهرة مسمر وكثرت الاحاديث حوله لم يرض ذلك لويس السادس عشر ، فامر في مارس ١٧٨٤ بتكوين لجنة من الاطباء مختارة من اعضاء اكاديمية الطب واكاديمية العلوم لبحث حقيقة هذا العلاج الجديد ، وادركت اللجنة ان مسمر يمارس تاثيرا ايحائيا على مرضاه ، وان هناك قوة تؤثر في هؤلاء المرضى وهذه القوة يملكها الطبيب المعالج واستقر راي اللجنة على ان الاسلوب الذي يتبعه مسمر في العلاج خطر على المجتمع ، وانه ليس هناك وجود للسائل المغناطيسي المزعوم وقدم التقرير للملك في ١١ اغسطس سنة ١٧٨٤ •

ولم يكد يظهر هذا التقرير الذي تضمن التشكيك في الاسلوب الذي اتبعه مسمر في علاج المرضى حتى بدا أن مكانة مسمر قد أصيبت بصدمة شديدة تكاد تقضي عليها ، ولكن من ناحية اخرى كثر المدافعون عن مسمر ، وكانت بوادر الثورة الفرنسية قد اخذت في الظهور •

عجز عن تفسير اكتشافه

وقد لاحظ مسمر طاقة بشرية كان لها اهمية كبيرة في معرفة طرائق علاج الامراض النفسية ، ولكنه لم يهتد الى الوقوف على حقيقتها ، وقد استطاع تلميذه المخلص الكونت ماكسيم دي بيسيجور ان يكتشف أنه عن طريق ما يسمى الان التنويم المغناطيسي يستطيع احد الافراد ان يؤثر في شخص آخر ، وبهذا الكشف ازال الحدود التي كانت قائمة بين الوعي واللاوعي ، وقد كشف ذلك في الوقت الذي كان مسمر يدافع دفاع المستميت عن السائل المغنطس ويتبادل الهجمات مع الاكاديميين•

ومنذ العهد القديم والعصر الوسيط كانت ظاهرة «الروبصة»لا يعرف لها تعليل مناسب،وكان ينهض بعض الافراد العاديين من فراشه مغمض العينين ، لا يرى طريقه ، ولا يشعر به ، ويتسلق درج السلم ، ويصعد الى سطح المنزل الذي يقيم به ،ثم يعود الى فراشه ، وقد قدم بيسيجور تفسيره لهذه الظاهرة التي حيرت العقول ، فامثال هؤلاء الافراد لا يعانون من مرض عقلي فقد كانوا يحسنون القيام بالاعمال المنوطة بهم ، ولم يكن في سلوكهم ما ينم على الانحراف والشذوذ ، فما الذي كان يجنبهم التعرض للخطر ؟ وما الذي كان يرشدهم وهم يسيرون مغمضي الاعين ؟ وقد كان لهذا الكشف تاثير بعيد المدى في الحياة الفكرية فقد تناوله كتاب الرواية والشعراء والباحثون النفسيون حتى عصر فرويد ، وزعم بعض الغلاة من تلامذة مسمر ان بعض الافراد قد يستطيعون التغلغل الى افاق المستقبل في حالة التنويم المغناطيسي وافسح ذلك المكان لظهور طوائف من العرافين والمنجمين مما اثار نفور كثير من العلماء ، واساء الى سمعة المسمرية ، ولما كان اسم مسمر قد اقترن بما اقدم عليه الادعياء والدجالون فقد وقف مسمر موقف المعارض لهذه الاتجاهات الباطلة، وجاهد مسمر في مقاومة هذا التيار ، ولكن جهوده كانت غير مجدية ، وجاءت الثورة الفرنسية فشغل الناس باحداثها ومشكلاتها السياسية والاجتماعية واهتموا بانقاذ اعناقهم من المقصلة ، وتحطم مستشفى مسمر وعصفت عواصف الثورة بكل ما كان يملك ، ولم يكن هناك ما يضمن وقاية الاجانب من التعرض للمقصلة ، وكان مما يحسب عليه ان اكثر انصاره كانوا من الطبقة الارستقراطية وفي سنة ١٧٩٢ ترك مسمر منزله ولاذ بالفرار من باريس حينما ارتفع نجم روبسبير ، وفقد ثروته وشهرته ، ولم يدر الى اين يلجأ ...

ويجد المأوى الامين ، وذهب الى كونستانس ينتظر اياما اكثر رخاء ، ثم تذكر انه يملك منزلا في فينا ورثه عن زوجته بعد وفاتها ، وكانت الملكة ماريا تريزا قد توفيت وتبعهـا بعد ذلك الى القبر الامبراطور يوسف الثاني والامبراطور ليبولـد الثاني ، ونسيت حادثة الفتاة التى كانت مـن اسباب مغادرته النمسا ، وظن الرجل الذى تقدمت به السن انه قد يجد الراحة والهدوء في فينا ، ودخلها يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٧٩٣ وسرعان مـا جاءت الشرطة الى باب منزله تطلب منه تقديـم بيان عن اعماله في كونستانس ، وطلب من رئيس الشرطة في كونستانس ان يقدم تقريرا عن سلوك مسمر ، وجاء التقرير الذى قدمه ان سلوكه كان سليما خاليا من الشوائب ووجهت اليه تهمة انه من اليعقوبيين الثائرين ، فالقى القبض عليه في ١٨ نوفمبر ، وافرج عنه عقب ذلـك بعد اللوم والتحذير ، وذهب الى كونستانس وكان كل مـا يريده هو العودة الى استئناف بحوثه وتجاربه لدعم نظرياته ، وتثبيت افكاره ، ولذلك لجـأ اخيرا الى سويسرة ، واقام في بلدة « فراونفلد » الواقعة على مسافة عشرين ميلا في شمال زيورخ وهناك باشر معالجة المزارعين والتجار الذين لـم يكونوا قد سمعوا من قبل باسمه الذى عرفه الملوك والامراء والاشراف والذى اثار غضب الاكاديميات العلمية في اوروبا ، ولم يعن بأمره احد مـــن تلامذته السابقين •

بعد ثلاثين سنة !

وفي ايام الحروب النابليونية بدا ان مسمر قد سحب عليه النسيان اذياله ، وظل الرجل محتفظا مع ذلك بهدوئه ، قانعا بحظه ، ولم يقم بمحاولة ليلفت اليه الانظار ، وفي سنة ١٨٠٣ اشار عليه بعض اصدقائه القدامى بالعودة الى باريس ،ولكنه رفض ذلك ، وكان قد اعياه النضال ، وقد قـدم للعالم فكرته ، ومن حق الناس قبولها او رفضها، وقنع بمتابعة بحوثه املا في ان المستقبل قد ينصفه وتلقى افكاره التأييد والتقدير بعد موته وفي سنة ١٨١٢ اعادت اكاديميـة برلين بحث المغناطيسيـة الهوائية التي سبق ان رفضت بحثها منذ اربعين سنة ، وقال احد الاعضاء : لماذا لا تدعو مسمر نفسه الى برلين ليشرح لنا كشفه للمغناطيسيـة الحيوانية وتساءل بعض الاعضاء : « هل مسمر لا يزال حيا » وأرسلت اليه دعوة للحضور ، ولكنه رفض الحضور مع تقديم الشكر ، وكان قد بلـغ الثمانين واصبح يتعبه الانتقال في رحلة طويلة ، ولكن الاكاديمية اوفدت اليه في ٦ سبتمبر سنة ١٨١٢ الاستاذ «ولفارت» ليحصل منه على المعلومات اللازمة في هذا البحث الهام ، وبعد ثلاثين سنة من الاغفال عادت الى الاسماع اخبار هذا العالم المنسي ، وقال ولفارت في التقرير الذى قدمـه للاكاديمية انه اعجب بسعة احاطة مسمر ، ووضوح تفكيره ، وفرط ذكائه ، وشدة عنايته بتقديـم المعلومات المطلوبة ، ونوه بقدرته الفائقة علـى التأثير في المرضى الذين يقوم بعلاجهم ، ووصـف مسمر للاستاذ ولفارت اسلوبه في العلاج ، وهكذا كانت حياة هذا الرجل الذى عرف الشهرة المترامية وخمول الذكر ، ولقي اليسر والعسر ، والذى ظل والقا من اهمية ما قدمه للعالم خلال حياته ، وكان لم يتبق له من العمر سوى عامين ، وعاد الـى الاقامة على شواطىء بحيرة كونستانس في «مرزبرج» وكان ما يزال محتفظا بسمعه وبصره وقواه العقلية ومستعدا لمعالجة من يقصدونه من المرضى ، وكان كل من يلقاه يعجب بسعة ثقافته وغزارة علمه ، وطيبة نفسه ، ووداعته وادركته الوفاة في ٥ مارس سنة ١٨١٥ وهو في السنة الثانية بعـد الثمانين من عمره الحافل بالبحث والتحري وهكذا كانت خاتمة هذا البحاثة الذى سبق عصره ،والذى وصف بانه دجال ثرثار ، ولقي من المعارضـة والمقاومة والتنقص والتحقير ما يصعب احتماله•

وقد كان مسمر اول من قدم للعالم احـدى المشكلات الهامة الحديثة ، ومهد السبيل لكشف اسرارها ، وكانت المشكلة اكبر واصعب من ان يستطيع رفع النقاب عن خفاياها ، ولكن مهمـا يكن من الامر فانه كان الرائد في الطريق الذى سلكه بعده كبار علماء النفس مثل « فرويد » « وادلر » ، « ويونج » وغيرهم مستفيدين من خبرته ، وما ادركه بقوة حدسه ، والاتجاهات الحديثـة في علم النفس والعـلاقة بين الوعي واللاوعي مدينة لهذا الرجل الذى لقي الكثير من الشدائد لانه كان سابقا لعصره • ■■

علي ادهم

أسباب تأخر أوروبا ونهضتها

أفنجعل هذا التأخر الذى كان عليه الاوربيون فى القرون الوسطى مدة ألف سنة ناشئا عن النصرانية التى كانت دينهم الذى يعضون عليه بالنواجذ ؟

نعم ، ان الامم البروتستانتية منهم تجعل مصدر هذا التأخر الكنيسة البابوية لا النصرانية من حيث هى ، وتزعم أن نهضة أوربا لم تبدأ الا بخروج (لوثير . وكلفين) على الكنيسة الرومانية ·

وأما فولتير ومن فى حزبه من أقطاب الملاحدة فلا يفرقون كثيرا بين الكاثوليك والبروتستانت ، وعندهم أن جميع هذه العقائد واحدة وانها عائقة عن العلم والرقى ، ولهذا قال فولتير تلك الكلمة عندما ذكر لديه لوثير ، وكلفين ، قال : « كلاهما لا يصلح الا أن يكون حذاء لمحمد » يريد أن محمدا صلى الله عليه وسلم بلغ من الاصلاح ما لم يبلغا أدناه ، مع اعتقاد الكثيرين أن مذهبهما كان فجر أنوار أوروبا (١) ·

والحق الذى لا نرتاب فيه ان النصرانية نفسها لم تكن هى المسؤولة عن جهالة الافرنج المسيحيين مدة ألف سنة فى القرون الوسطى بل للمسيحية الفضل فى تهذيب برابرة اوربا ·

وهؤلاء اليابانيون هم وثنيون · ومنهم من هم على مذهب بوذا · ومنهم من يقال لهم طاويون ، وكثيرون منهم يتبعون الحكيم الصينى كنفوشيوس · ولقد مضى عليهم نحو ألفى سنة ولم تكن لهم هذه المدنية الباهرة ولا هذه القوة والمكانة بين الامم · ثم نهض اليابان من نحو ستين سنة وترقوا وعزوا وغلظ أمرهم ، وعلا قدرهم ، وصاروا الى ما صاروا اليه ولم يبرحوا وثنيين ·

فلا كانت الوثنية اذاً سبب تأخرهم الماضى ، ولا هى سبب تقدمهم الحاضر ، وقد تقاوت اليابان والروسية وتحاربتا فتغلبت اليابان على الروسية · مع ان اليابانيين فى العدد هم نصف الروس ، ولكن مما لا شك فيه ان اليابانيين أرقى من الروس ، والحال أن الروسية عريقة فى النصرانية واليابان عريقة فى الوثنية ·

فليترك اذا بعض الناس جعل الاديان هى المعيار للتأخر والتقدم (٢) ·

أفنقول من أجل هذا المثال : ان الانجيل هو الذى أخر الروسية عن درجة اليابان ، وأن عبادة الآلهة ابنة الشمس هى التى جذبت بضبع اليابان حتى سبقت الروسية ؟

ان لهذه الحوادث أسبابا وعوامل متراكمة ترجع الى أصول شتى · فاذا تراكمت هذه العوامل فى خير أو شر تغلبت على تأثير الاديان والعقائد ، وأصبحت فضائل أقوم الاديان عاجزة بازاء شرها ، كما أصبحت معايب أسخفها غير مؤثرة فى جانب خيرها ·



للأمير شكيب أرسلان

ولسنا هنا فى صدد أسباب تقدم اليابان السريع حتى نبين أن اعتقاد عامتهم «وجود حصان مقدس يركبه الاله فلان» لم يقف حائلا دون تقدمهم المبنى على ما ركب فى فطرتهم من الحماسة، وما أوتوا من الذكاء، وما أورثهم نظام الاقطاع القديم من التنافس فى المجد والقوة.

وعندنا أمثلة كثيرة لا تكاد تحصى فى هذا الباب اجتزأنا منها بما ذكرناه. ولم نكن لنتعرض لهذا المقام لولا حملات القسوس والمبشرين وكثير من الاوروبيين على الاسلام، وزعمهم انه هو عنوان التأخر: وانه رمز الجمود، وتحدثهم بذلك فى الاندية والمجامع، ونشرهم هذه الافتراءات فى المجلات والجرائد، وقولهم ان الشجرة تعرف من ثمارها، وان حالة العالم الاسلامى الحاضرة هى نتيجة جمود الاسلام، وتحجر القرآن! «كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا».

وحسبك أن المسيو «سان المقيم الافرنسى السامى» فى المغرب ينشر فى العدد الاخير من «مجلة الاحياء» الفرنسية مقالة يتكلم فيها عن يقظة المغرب بعد «ليل الاسلام»! هكذا تعبيره.

فان كان تأخر احدى الممالك الاسلامية حقبة من الدهر يجب ان يقال فيه «ليل الاسلام» فكم كان ليل النصرانية طويلا عندما بقيت أوربا المسيحية زهاء الف سنة وهى فى حالة الهمجية او ما يقرب من الهمجية.

لماذا أيها الناس تدخلون الاديان فيما هى براءة منه؟ ولماذا تقحمونها فى موضوع يكذبكم فيه التاريخ بأماثيله الجمة.

ان ادخال الاديان فى هذا المعترك وجعلها هى معيار الترقى والتردى ليس من النصفة فى شىء.

---

(١) ونحن نعتقد هذا وكان شيخنا الاستاذ الامام وأذكياء مريديه كسعد باشا زغلول يعتقدونه ولكن بمعنى سلبى وهو أن هذا المذهب أضعف حجر الكنيسة على العقول البشرية وتقيدها بتعاليمها وفهمها للدين ورأيها فى الدنيا، وكان سبب هذا المذهب ما سرى الى أوربا عقب الحروب الصليبية بمعاشرة المسلمين من استقلال العقل فى فهم الدين وعدم سيطرة أحد عليهم فيه كما بينه شيخنا فى كتاب الاسلام والنصرانية «الناشر».

(٢) هذا صحيح فى جملة الاديان الا الاسلام فقرآنه وتاريخه يثبتان انه هو سبب تقدم أهله حين اهتدوا به وسبب تأخرهم حين أعرضوا عنه، كما بين هذا أمير الكتاب فى رسالته هذه فالظلم الظلم أن يجعل سبب تأخرهم «الناشر».

أنباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

فوارق الرجال والنساء

● من المعروف أن النساء يعمرن اكثر من الرجال ، بالمعدل الوسطى طبعا ، وانهن اقل عرضة للموت بسبب الامراض الشائعة •• والغريب ان هذه الفوارق ازدادت فى غضون العشرين سنة الماضية بدلا من أن تتناقص ، ذلك أن هذه الفوارق انما تعزى الى عوامل مسلكية اجتماعية لا الى عوامل بيولوجية جنسية • هذا على الاقل هو خلاصة بحث قام به فريق من علماء جامعة لوس انجلس فى كاليفورنيا •• وجاء فى تقريرهم ان احتمالات موت الرجال يعادل نحو ضعفي احتمالات موت النساء بسبب امراض القلب • والسرطان •• والامراض الصدرية ، وأمراض الكلى والاضطرابات الهضمية بالرغم من أن النساء يفقن الرجال من حيث التغيب عن العمل لاسباب مرضية •• لم انهن يدخلن المستشفيات وتجرى لهن العمليات الجراحية اكثر من الرجال •

ويحلل التقرير هذه الظاهرة ويرجعها الى التفرقة فى التربية •• تربية الذكور والاناث • فالاباء وغيرهم يعودون الصبى على تحمل الآلام والصبر على الاوجاع•• بينما تشجع البنت على مراجعة الاطباء لدى اقل شكوى تصدر منها لا سيما فيما يتصل بها كانثى •

ويرى العلماء الامريكيون أن حركات تحرير المرأة وما حققته وتدعو اليه من مساواة فى الحقوق بين الرجال والنساء قد يحد من الفوارق السالفة الذكر • تلك التغيرات التى طرأت على اوضاع المرأة فى الاونة الاخيرة فهى مثلا تقود السيارة وتسافر اكثر من ذى قبل •• وتقوم باعمال كانت فى الماضى وقفا على الرجل •• فهى اذن اكثر عرضة للمخاطر المهنية مما كانت عليه فى الماضى•• وثمة دلائل تشير الى ان النساء الصغيرات منهن اقل حرصا على مراجعة الاطباء وتعاطى العقاقير مما كن فى السابق •

ومن يدرى فقد يأتى يوم تعم فيه المساواة بين الرجل والمرأة حتى يصبح لديها مثل اللامبالاة بالنواحى الصحية•• التى عرفت عن الرجل •

لضعاف الذاكرة

● العقاقير التى تعيد الى الانسان ذاكرته او تضاعف ذكاءه •• كانت حتى الآن ضربا من ضروب الخيال العلمى •• والظاهر ان عقار الذاكرة بالذات قد خرج من عالم الخيال ودخل عالم الواقع •• كما يؤكد ذلك مقال نشرته مؤخرا مجلة « لانست Lancet » •

فقد نجح عدد من العلماء والاطباء العاملين فى بلجيكا وسويسرا واسبانيا فى اكتشاف ذلك العقار واثبات فاعليته•• ليس فقط فى رد الذاكرة الى من فقدها بسبب صدمة او حادث •• ولكن فى تقويتها وتدارك ضعفها الناجم عن الشيخوخة • وكانت ابهر النتائج هى التى انتهت اليها التجارب الاسبانية •

ونخص بالذكر من هذه التجارب تلك التى اجريت لشاب اسبانى بلغ من العمر ٢١ سنة••فقد فقد المسكين ذاكرته بسبب حادث فلم يعد يتذكر شيئا مما وقع له فى غضون الشهور الثلاثة التى سبقت الحادث نفسه •

واعطى الشاب العقار واسمه فاسوبرسين Vasopressin فى احد مستشفيات مدريد Clinico de san carlos ولم تكد تمضى ٢٤ ساعة حتى بدا يتذكر بعض تفاصيل

وفاقديها

العادث وكانت كلها نسيا منسيا .. ثم عادت اليه ذاكرته بالكامل في غضون اسبوع .

وثمة تجربة اخرى اجريت لرجل فقد ذاكرته بسبب حادث .. مضى على وقوعه ست سنوات .. وما اسرع ما تذكر الرجل تفاصيل الحادث وعمر زوجته وابنته وكذلك الاعمال او المهن المختلفة التي مارسها في ماضيه .. ثم مالبث ان استرد كامل ذاكرته ، واسترد معها بعض ما فقد من حيويته وهواياته لاسيما المطالعة ..

وبلغ عدد الاشخاص الذين استردوا ذاكرتهم تبعا لتناول عقار الفاسوبرسين ١٦ رجلا ، اربعة منهم في اسبانيا و ١٢ في بلجيكا في جامعة لييج ، وفي دائرة الطب السيكولوجي فيها بالذات .

هذا والفاسوبرسين هرمون اعطوه في التجارب التي ذكرنا بخا او رشا في الانف .. انه الهرمون الذي تفرزه الغدة النخامية .. حقا لقد عرف العلماء هذا الهرمون منذ حين ، وعرفوا اثره في تقلص العضلات اللاارادية..اما صلة الفاسوبرسين بالذاكرة فلم يعرفوها ، وقد اكتشفها مؤخرا طبيب بلجيكي هو
Dr D. de wied.



القوارب الهوائية كاسحات فعالة للجليد

● انتشرت القوارب الهوائية Hovercraft ـ وهي القوارب التي تسير على وسادة من الهواء ـ انتشرت في بلاد الغرب واصبحت في غنى عن التعريف، لا سيما وان « العربي » سبق ان تحدث عنها اكثر من مرة . الا ان ما اكتشفوه فيها مؤخرا جدير بالاهتمام .

فقد تبين لعلماء كنديين ـ وفي كندا يكثر الجليد وتتراكم الثلوج كما هو معروف ـ ان القارب الهوائي يستطيع اداء وظيفة كاسحات الجليد Ice Breakers على نحو اسرع واكثر فاعلية واقل كلفة مما تستطيعه الكاسحات العادية . وثبت لهم ذلك في التجارب التي اجروها على سطح بحيرة اونتاريو في مطلع هذه السنة والتي شملت كاسحة جليد عادية واخرى وصلوا بها قاربا هوائيا .

وما اسرع ما توقفت الكاسحة العادية المنفردة وعجزت عن مواصلة السير في جليد يبلغ سمكه ١٨ بوصة . ذلك انها معدة للعمل في جليد لا يزيد سمكه عن ١٢ بوصة ..

اما الكاسحة الاخرى فقد تمكنت من مواصلة السير وبسرعة ٨ ـ ٩ عقد في الساعة .. اى ما يقارب نحو ٣ اضعاف سرعة الكاسحة العادية .. ولولا القارب الهوائي الذى ثبت في مقدمتها لما امكن ذلك اطلاقا .. ولما استطاعت الكاسحة شق الطريق الذى شقته بوقت قصير .. لم يجاوز ربع الوقت الذى تحتاجه الكاسحة العادية المنفردة لشقه . اضف الى ذلك ان ما يستهلكه القارب الهوائي من الوقود لا يزيد على ٥٪ مما تستهلكه الكاسحة العادية .

بقى ان نشير الى الطريقة التي يعمل بها القارب الهوائي في تحطيم الجليد .فهو يطلق هواء من شانه ان يطرد الماء من تحت الجليد فيحدث بالتالي فراغا .. فلا يلبث الجليد ان ينهار بسبب ذلك الفراغ .

الكلاب بحاجة الى « رجيم »

● انتشرت هواية تربية الكلاب وما اليها من الحيوانات المحببة الى بنى الانسان فى الولايات المتحدة الاميركية حتى بلغ عدد الاطباء البيطريين فيها ٣٠٫٠٠٠ طبيب • وكثرت كذلك مستشفيات الحيوان حتى جاوز عددها الالف مستشفى (بما فى ذلك مستشفيات كندا) •ومن طريف ما يذكر ان بعض هذه المستشفيات لا يختلف عن مستشفيات الانسان من حيث فخامته وحسن تجهيزه وارتفاع مستوى خدماته •فمستشفى الطب البيطرى فى نيويورك مثلا (ويعرف باسم الجانب الشرقى East Side) يشغل مبنى كبيرا عاليا ذا تسعة ادوار •• ويشمل هذا المركز فيما يشمل غرفا للعمليات وصيدليات ومختبرات خاصة بالدراسات والابحاث •• هذا الى جانب غرفة الحوادث والحالات المستعجلة ••حيث العمل متواصل ليل نهار ••

وتجلى اهتمام الامريكيين بتربية الكلاب فى المؤتمر الذى اقامه اتحاد مستشفيات الحيوان فى الولايات المتحدة فى مدينة « بوسطن » فى اواخر السنة الماضية ، والذى يقيمه بانتظام كل سنة ••

فقد ام مؤتمر بوسطن المذكور نحو ٢٥٠٠ طبيب بيطرى قدموا اليه من ١٥ دولة مختلفة • وشملت البدع والمبتكرات التى عرضت على المؤتمرين ، فيما شملت ، حبوب منع الحمل التى يتعاطاها الحيوان يوميا ووسائط التجهيز الخاصة بالكلاب الصغيرة ذات الارجل القصيرة• فهذه الكلاب معرضة لالام الظهر نظرا لانعدام التوازن بين مقاييسها • وكان من بين البدع البالونات العملاقة التى صنعت خصيصا لتخدير الخيول تمهيدا لاجراء العمليات الجراحية لها •

ولم تكن الابحاث التى القيت على مسامع المؤتمرين اقل طرافة من البدع•وقد ندد احدها بالعناية والرفاهية الفائقة التى تلقاها الحيوانات المحببة فى امريكا والتى تعود بالضرر على تلك الحيوانات • فالامريكيون يسرفون فى تغذية حيواناتهم ، لا سيما الكلاب •• والكثيرون منهم يقدمون لها اللحوم مطبوخة •• على نحو ما تقدم للانسان •• وهم لا يدرون ان من شان هذه التغذية المترفة ان تزيد الحيوان وزنا ووحشية ••اضف الى ذلك انها تعرضه الى اضرار محققة •

فكلب الراعى الالمانى (German Sheperd) مثلا ذو قوة فى فكيه هائلة•• لا تقل عن ٧٠٠ رطل انجليزى للبوصة المربعة الواحدة ، بحيث لو قدمت له العظام مطبوخة لتفتت بين فكيه قطعا صغيرة وشظايا حادة •• وهذه كفيلة بتقريح امعائه •• ولو قدمت له العظام على طبيعتها وبقسوتها لما تعرض لاى سوء •

■■



ليس ـ اللعب مضيعة لوقت الطفل ولكنه ضرورى لنموه • وحرمان الطفل من اللعب فى البيت أو مع اولاد الجيران هو حرمان له من حاجاته الاساسية للنمو •

اللعب

• لماذا لابد أن يلعب طفلك ؟
• وكيف تختار لعبته ؟

بقلم : الدكتور محيى الدين توق

■ من خلال اللعب يعبر الطفل عن ذاته ويتعلم الاتصال مع الاشياء والاخرين • ومن الصعب ان يعرف اللعب تعريفا دقيقا • ولكن غالبا ما ينظر الى اللعب على انه نشاط يقوم به الانسان من اجل المتعة المرتبطة معه بدون اعتبار ما قد يترتب عليه من نتائج • ويمكن ان يكون اللعب فعالا نشيطا كما يمكن ان يكون هادئا • وفي اللعب النشيط تاتي المتعة من الشيء الذي يجريه الفرد سواء كان ذلك الركض او تكوين شيء من الالوان اوالمعجون • وكمبدأ عام يقل لجوء الاطفال الى اللعب النشيط



مع اقترابهم لفترة المراهقة ومع ازدياد واجباتهم المدرسية والبيتية،اما اللعب الهادىء والذى يسمى عادة بالتسلية فان المتعة تاتى من النشاط الذى يجريه الاخرون • اما الفرد نفسه فهو لا يبذل الا القليل من الجهد،مثل الطفل الذى يستمتع بمراقبة الاطفال الاخرين وهم يلعبون ، او يستمتع بمراقبة الناس والحيوانات على شاشة التلفزيون ، او يستمتع بالنظر الى الكاريكاتير او قراءة الكتب •

ينغمس الاطفال فى كلا النوعين من اللعب فى كل الاعمار ، وان مقدار الوقت المخصص لاى من النوعين لا يعتمد على عمر الطفل فقط ، بقدر ما يعتمد على صحته العامة والمتعة التى يستشعرها من كلا النوعين • فاذا استشعر الطفل متعة اكبر من مشاهدة التلفزيون فهو يفضل المشاهدة على اللعب مع اطفال آخرين من عمره • وعلى العموم فان الاطفال الاصحاء والمتكيفين تكيفا جيدا يميلون الى اللعب النشيط فى سنوات طفولتهم الاولى بينما يتزايد لديهم اللعب الهادىء مع التقدم فى العمر • هذا ويتصف لعب الاطفال بجملة خصائص تميزه عن لعب الكبار نذكر منها :

ـ ان لعب الاطفال يتاثر بالتقاليد الشائعة فى المجتمع • وغالبا ما يقوم الصغار بتقليد من هم اكبر منهم سنا فى العابهم وهكذا تنتقل الالعاب الشعبية فى مجتمع ما من جيل الى آخر •

ـ يتبع اللعب نمطا من التطور يمكن التنبؤ عنه • فمنذ الطفولة الباكرة وحتى سنوات الرشد تكون بعض انواع اللعب اكثر شيوعا فى بعض الاعمار ودون الاعمار الاخرى بغض النظر عن البيئةالتى يعيش فيها الطفل وجنسيته ومستواه الاقتصادى والاجتماعيوجنسه • فالمرحلةالاكتشافية هى فى السنة الاولى من العمر ، ومرحلة الالعاب تبدأ فى السنة الثانية وتصلالقمة فى حدود السنة السابعة والثامنة ولا تلبث ان تتناقص بعد ذلك ، ومرحلة اللعب الجماعى تبدأ مع دخوله المدرسة ، ومع اقتراب المراهقة يتناقص اللعب لينغمس المراهق فى مرحلة أحلام اليقظة •

ـ تتناقص نشاطات اللعب مع التقدم فىالعمر• فعدد النشاطات التى ينغمس الطفل فيها تتناقص كلما ازداد عمرا ، ويعود ذلك لعدد من الاسباب ، منها ان للطفل الان وقتا اقل ليمضيه فى اللعب، وبنفس الوقت لديه عدد آخر من الواجبات البيتية والمدرسية ، كما تظهر لديه اهتمامات معينة فيركز انتباهه على نشاط معين وليس على عدد من النشاطات •

ـ يتناقص عدد رفقاء اللعب مع ازدياد العمر ويعود ذلك الى انه يصبح اكثر انتقائية كلما اصبح اكبر سنا وخاصة عندما يصبح عضوا فى جماعة الرفاق •

ـ تزداد الفروق ما بين لعب الذكور ولعب الاناث مع ازدياد العمر ويعود ذلك الى الاسباب الاجتماعية والثقافية العامة التى تضع قيودا «مختلفة على الذكور والاناث ، وتوقعات مختلفة من كليهما •

ـ يتناقص النشاط الجسدى فى اللعب مع تقدم الطفل فى العمر ، ذلك ان طاقة الطفل فى البداية كبيرة وتصرف اثناء اللعب ، ولكن كلما تقدمالطفل فى العمر واقترب من مرحلة البلوغ اصبح بحاجة اكبر لهذه الطاقة لتصرف فى عملية النضوج الكبيرة التى تحدث فى هذه المرحلة ، وبذلك تصبح العابه اهدأ ، بالاضافة الى أن قدراته التفكيرية تكون قد نمت بشكل جيد ويصبح اقدر على استعمالهـا •

ليس مضيعة للوقت

ويشغل اللعب كل وقت الطفل الذى لا يكون فيه نائما او مشغولا بالاعمال الروتينية كالاكل • وعلى الرغم من ان اللعب هو بالنسبة للراشدلء وقت الفراغ ، الا انه بالنسبة للطفل عبارة عن عمل هام جدا • ومنخلال انغماسه فى اللعب يطور الطفل كلا من عقله وجسده ويحقق التكامل ما بين وظائفه الاجتماعية والانفعالية والعقلية التى تتضمن التفكير والمحاكمات وحل المشكلات والحديث والتخيل • وتلعبالبيئة الطبيعية وتوجيه الاباء ادوارا حاسمة فى تطور الطفل من خلال اللعب • ان فترة ما قبل المدرسة فترة مهمة جدا للنمو العقلى للطفل كما رأينا سابقا ومن خلال اللعب يصل الطفل الى تحقيق اقصى طاقات النضوج • ومن خلال اللعب ايضا يكرر الطفل خبراتهالسابقة حتى يستطيع ان يستوعبها وتصبح جزءا من شخصيته ، كما ان اللعب يهيىء الطفل للتكيففى المستقبل من خلال الاستجابات الجديدة التى يقوم بها اثناء لعبه •

ولذا لا ينظر الى اللعب الان على اساس انه مضيعة للوقت ولكن على اساس انه ضرورى لنمو



الطفل . والاباء الذين يحرمون اطفالهم من اللعب فى البيت او مع اولاد الجيران انما يحرمون الطفل من حاجاته الاساسية للنمو فعن طريق اللعب يكتشف الطفل ذاته ويكتشف البيئة التى يعيش فيها وليس ذلك فحسب فللعب عدد من الفوائد والقيم :

ـ القيمة الجسدية : ان اللعب الحركى النشيط ضرورى لنمو عضلات الطفل من ناحية وضرورى ايضا من خلال اللعب مهارات الاكتشاف وتجميع الاشياء التى اذا تراكمت جعلت من الطفل شخصا متوترا عصبيا حاد المزاج .

ـ القيمة التربوية : ان اللعب يفسح المجال امام الطفل لكى يتعلم الشىء الكثير من خلال ادوات اللعب المختلفة كمعرفة الطفل للاشكال المختلفة والالوان والاحجام والملابس . كما يتعلم الطفل من خلال اللعب مهارات الاكتشاف وتجميع الاشياء وتصنيفها . وفى كثير من الاحيان يحصل الطفل على معلومات من خلال اللعب لا يستطيع الحصول عليها من مصادر اخرى .

ـ القيمة الاجتماعية : يتعلم الطفل من خلال اللعب كيف يبنى علاقات اجتماعية جيدة مع الاخرين ويتعلم كيفية التعامل معهم بنجاح ، كما انه يتعلم من خلال اللعب التعاوني واللعب مع الكبار الاخذ والعطاء والادوار الجنسية المناسبة .

ـ القيمة الخلقية : يتعلم الطفل من خلال اللعب بدايات مفاهيم الخطأ والصواب كما يتعلم بشكل مبدئي بعض المعايير الخلقية كالعدل والصدق والامانة وضبط النفس والروح الرياضية .

ـ القيمة الابداعية : يستطيع الطفل عن طريق اللعب ان يعبر عن طاقاته الخلاقة وان يجرب الافكار التى يحملها . ومن خلال التمثيل والرسم يستطيع الطفل ان يطور خياله الابداعى .

ـ القيمة الذاتية : يكتشف الطفل عن طريق اللعب الشىء الكثير عن نفسه كمعرفة قدراته ومهاراته من خلال تعامله مع زملائه ومقارنة نفسه بهم ، كما انه يتعلم عن مشاكله وكيف يمكن مواجهتها .

ـ القيمة العلاجية : يصرف الطفل عن طريق اللعب التوتر الذى يتولد نتيجة القيود المختلفة التى تفرض عليه ولذا نجد ان الاطفال الذين ياتون من بيوت تكثر فيها القيود والاوامر والنواهي يلعبون اكثر من غيرهم من الاطفال . كما ان اللعب وسيلة من احسن الوسائل لتصريف العدوان المكبوت .

اللعب مع الرفاق

لا يصل الطفل الى مرحلة اللعب الجماعى المتعاون فجاة وانما يسير عادة فى تسلسل منتظم قبل ان يصل لذلك . ولذلك يصبح اللعب وسيلة جيدة لدراسة تطور علاقات الطفل الاجتماعية . ان الطفل فى البداية عبارة عن مخلوق متركز حول ذاته ووجود الاخرين لا يعني لديه الشىء الكثير عدى عن انهم يلبون له حاجاته عندما يشاء .

ان اول نوع من اللعب فى حياة الطفل يسمى اللعب المنفرد فهو يلعب لوحده ولا يستطيع ان يتشارك او يتعاون مع اى شخص اخر وغالبا ما يكون هذا النوع من اللعب موجها نحو اكتشاف الاشياء من حوله . وهذا النوع من اللعب هو الذى يميز ابن السنة الاولى . وعند انتقال الطفل الى السنة الثانية من العمر فانه يستطيع ان يلعب مع طفل آخر فى نفس المكان ولكن بدون ان يتشارك الاثنان فى نفس الالعاب ، وهذا ما يسمى عادة باللعب المتوازى . اما فى السنة الثالثة من العمر فيظهر اللعب المتشارك الذى يستطيع فيه الطفل ان يتشارك مع طفل آخر فى نفس الالعاب ولكن لفترة قصيرة من الوقت . فسريعا ما تظهر الخلافات بين الاطفال وخاصة اذا تدخل شخص ثالث ما بينهما .

اما فى السنة الرابعة فيظهر اللعب المتعاون ، اى اللعب الجماعى بمعنى الكلمة حيث يقوم مجموعة من الاطفال بالتعاون معا فى لعبة جماعية . ثم

ما يلبث ان يظهر اللعب مع فريق منظم في السنوات الخامسة والسادسة من العمر • ومن خلال هذا النوع من اللعب يتعلم الطفل كيف يصبح فردا في جماعة وكيف يتخذ دورا محددا فيها وكيف يستمتع مع الاخرين في القيام بمهمة ما • ومن خلال هذا النوع من اللعب تتطور صداقات الاطفال وتنعكس هذه الصداقات على اختيارات رفقاء اللعب•

وتمثل العاب الاطفال جانبا هاما من جوانب محاولات الطفل لفهم البيئة التي يعيش فيها • ويبدأ هذا الجانب اساسا عندما يتمكن الطفل من الامساك بالاشياء بيديه وتقليبها للتعرف على مظاهرها المختلفة • ويبدأ ذلك عادة عندما يتمكن الطفل من الامساك (بالشخشيخة) في حوالي الشهر الثالث او الرابع من العمر • وفي الشهر الخامس يتمكن الطفل من الوصول الى مكعب وتحريكه براحة يده • اما في الشهر الثامن فيستطيع ان يمسك بمكعبين كل واحد بيد ، وفي الشهر التاسع يتحسن امساك الطفل على الاشياء • وعندما يتمكن الطفل من المشي فانه يبدأ بتفضيل الالعاب التي يمكن ان تسحب او تجر او تدفع ، وهذه الالعاب تصبح مهمة جدا لنمو عضلات الطفل • وفي بداية السنة الثانية تبدأ المرحلة الفعلية للعب بالالعاب وتصل الى ذروتها في حوالي السنة السابعة او الثامنة • وفيما بين السنة الثانية والسادسة تصبح السيارات والعربات والتركات من اكثر الالعاب تفضيلا للاطفال الذكور بشكل خاص بينما تفضل الاناث الدمى والادوات المنزلية الاخرى • وايا كانت العاب الاطفال يجب ان تكون بسيطة بقدر الامكان ، ذلك لان التناسق العضلي عند الطفل لا يزال غير مكتمل •

ان هناك عددا من الاعتبارات التي يجب ان توضع في الحسبان عند اختيار الالعاب للاطفال نذكر منها :

● ان الاطفال يكتشفون العالم من خلال العابهم ويقومون بهذا الاكتشاف عن طريق الرؤية والسمع والملمس والذوق ، ولذا يجب ان تكون العاب الاطفال من الوان براقة واوزان خفيفة وملامس مختلفة ، كما انها يجب ان تكون من النوع الذي يمكن غسله وتنظيفه ، ومن احجام لا يمكن ابتلاعها وان لا تكون حادة الاطراف كي لا تؤذي الاطفال •

● ان الالعاب يجب ان تتناسب مع اعمار الاطفال فالالعاب المعقدة لطفل صغير لن تؤدي الغرض التربوي المنشود • ان قطارا خشبيا بسيطا يمكن ان يسحبه الطفل او يدفعه كما يشاء افضل بكثير من قطار كهربائي لا يستطيع الطفل ان يلعب به متى يشاء •

● ان الالعاب التي تعتبر اعلى من مستوى الطفل قد تسبب له بعض الاضطراب الانفعالي، فاللعبة الغالية التي يجب ان يعتني بها الطفل دوما لا تؤدي غرضا تربويا • ومن هذه الناحية فان اللعبة الرخيصة التي يستطيع ان يلعب بها كما يشاء بدون ان يحسب اي حساب لما يمكن ان يحدث لها لهي افيد بكثير •

● ان يراعى في الالعاب ان تكون من نوع يتيح ويشجع تقليد سلوك الكبار ، ومن هذه الناحية تصبح الادوات المنزلية وادوات العمل العابا نافعة جدا •

ومن هنا تبرز الاهمية الحقيقية لالعاب الاطفال ولذلك لا بد عند اختيارها من مراعاة كل هذه النقاط ولذا يجب ان يسال الفرد نفسه الاسئلة التالية قبل ان يقوم بشراء الالعاب :

هل اللعبة التي ساقوم بشرائها من النوع الذي يستثير نشاطا جسديا صحيا ومفيدا للطفل؟ هل هي من النوع الذي يرضي الحاجة للاكتشاف والتحكم في الاشياء ؟ هل هي من النوع الذي يتيح التفكيك والتركيب ؟ هل هي من النوع الذي يشجع على تقليد سلوك الكبار وطرائق تفكيرهم؟

فاذا كانت الاجابة على هذه الاسئلة بنعم فان اللعبة التي يتم شراؤها هي لعبة مناسبة ومفيدة تربويا •

الموسيقى والرقص والرسوم

وتظهر الابداعية عند الاطفال من خلال الاداء الموسيقي والرقص من جهة ومن خلال الاستمتاع بهما من جهة ثانية • ان البيئة الغنية تربويا تزود اطفالها بفرص للتعامل مع الصوت والحركة ومزجهما الاثنين معا • ان الاطفال يستمتعون بالاغاني ويستجيبون لها ايضا • ان الطفل ابن السنتين الذي توجد له خبره سابقة مع الغناء يستمع للاخرين وهم يغنون وسوف يقوم هو تلقائيا بالغناء اثناء لعبه • انه يحب الاغاني الحركية التي يستجيب فيها للكلمات بحركات معينة • كما انه يتمكن من ان يشارك بعدد من الكلمات عندما يغني الاخرون ، ولكن هذه المهارة لا تلبث ان

تتطور سريعا بحيث يصبح قادرا على طلب بعض الاغنيات الخاصة وان يميز بعض القطع الموسيقية.

ان هذا التعبير الابداعي لا يمكن ان يتم الا بتوفر تسهيلات ضرورية نذكر منها :

ان يعطى الطفل فرصة حقيقية للاستماع والغناء ـ ان يزود بادوات موسيقية بسيطة ليستعملها والكثير منها يمكن ان يحضر من ادوات بسيطة للغاية ـ ان تتوفر مجموعة من الاطفال يلعب معها ويستمع معها ـ ان يزود بخبرات لتصبح محور لعبه وغنائه واستماعه . وهنا تخدم القصص البسيطة هذا الغرض بشكل جيد .

ان الرقص والموسيقى تزود الاطفال بامكانات هائلة للتعبير والاستمتاع وربما اكثر مما هو الحال مع الكبار . ان الموسيقى تؤدى الى انتاج استجابات عاطفية انفعالية عند الناس وبشكل خاص عند الاطفال .

ان ما يقال عن الرقص والغناء يقال ايضا عن تعبير الاطفال الصغار من خلال الرسوم والمكعبات والمعجون فهي توفر نفس الفرص التى توفرها الالعاب الدرامية والنشاطات الابداعية الاخرى فهي تؤدى الى ازدياد فهم الطفل للعالم الذى يعيش فيه وعلاقته بهذا العالم ، كما انها تؤدى الى التعبير عن اسئلته واشكالها وفهمها ،كما انها تنفس عن توتراته الانفعالية ، وتعطيه شعورا بالرضى نتيجة ما ابدعه من جمال ونظام معين .

ان اول تعامل للطفل مع الالوان او المعجون او اي مادة جديدة يكون على شكل محاولة الطفل لاكتشاف هذا الشيء ، كيف يبدو ؟ وماذا يمكن ان يعمل به ؟ كاكتشاف ان الالوان هي للاستخدام على الورق والمكعبات هي للعب وليس لقذف الناس بها . اما بالنسبة الى الرسم بشكل خاص فان هناك عددا من المراحل التى يمكن التعرف عليها والتى يمر الاطفال فيها عادة حسب سنوات تقريبية :

● المرحلة الاولى هي مرحلة « الخربشة » وتمتد من السنة الاولى الى الثالثة من العمر على وجه التقريب . يتمكن الطفل في حدود النصف الاول من السنة الثانية ان يضع بعض الخطوط على ورقة بواسطة قلم عريض ، خاصة عندما يرى شخصا اخر يقوم بذلك او عندما يشجع على القيام بذلك . وفي النصف الثاني من هذه السنة تصبح الخربشة حركة تلقائية حتى ولو لم توجد ورقة. فابن السنتين يقوم بعمل خطوط على التراب في الشارع او على حيطان المنازل . وفي اثناء ذلك يبدى الطفل اهتماما ما بعمل ويقوم بتنويع خطوطه .

● المرحلة الثانية تعرف بمرحلة الاشكال والتصاميم وتمتد من نهاية السنة الثانية الى الخامسة في هذه المرحلة يطور الطفل من الخطوط التى تعلمها فى المرحلة السابقة بحيث يصنع منها اشكالا وتصاميم معينة . وتجدر الاشارة هنا الى ان هذه الاشكال والتصاميم لاتعبر عن شيء وانما هي من اجل المتعة فقط . وغالبا ما يكون للطفل نمط خاص به ومجموعة من الالوان يختارها هو ، وليس من الحكمة التدخل لتغيير اسلوبه او جلب الوانه الى الواقع الذى يراه الكبير.

● المرحلة الثالثة تعرف بمرحلة الصورة وهي في العادة تبدا مع نهاية السنة الرابعة او بداية الخامسة وتمتد الى ما بعد ذلك. وفي هذه المرحلة يستعمل الطفل خطوطه واشكاله وتصاميمه لتمثيل الواقع . واول مايمكن تمييزه من رسوم الاطفال هو رسم الاشخاص . وفي كل ارجاء العالم ، يقوم الاطفال الصغار برسومهم بنفس الطريقة . ان صور الاشخاص والبيوت والاشجار والشمس والمراكب والقطارات والسيارات التي يرسمها الاطفال لا تعطى الا دلالة بسيطة لاى البلدان ينتمون .

وعلى العموم فان رسوم الاطفال خلاقة ، فهي ليست نسخا مباشرة للاشياء والاشخاص . فالطفل يرسم الاشياء كما يتذكرها او كما يحب هذه الاشياء ان تكون . وهو بنفس الوقت لا يهتم بالابعاد والنسب والعلاقات . فهو يضع التفاصيل التي يهتم بها ، فهو مثلا قد يبالغ بوضع الشعر على الرأس ولكنه ينسى بنفس الوقت ان يضع الارجل . وعندما يدخل الطفل المدرسة تظهر رسومه اتجاها نحو الابعاد والنسب والعلاقات الصحيحة ، وتظهر تفاصيل دقيقة . ولسوء الحظ فان رسوم الاطفال تفقد الكثير من اصالتها نتيجة التدريب على الرسم الذى يتم فى المدرسة سنة بعد سنة . فغالبا ما يركز المعلمون فى تدريبهم على العالم الواقعي الذى يجب ان يراه الطفل وليس على تطوير خياله وقدراته الابداعية .

■■

د . محيي الدين ش . توق
استاذ علم النفس بالجامعة الاردنية

البحث عن مواقع التاريخ تحت رمال الجزيرة العربية

اطلال مدينة قديمة فى خيبر فى المنطقة الشمالية الغربية .





استطلاع بقلم : **مصطفى نبيل**

تصوير : **عبد الناصر شقرة**

« قلعة قباء » اقيمت ايام الحكم العثماني في المدينة المنورة والمشرفة على طريق قباء ..

باب خشبي وبه زخارف ملونة يمثل الفن في منطقة حائل .



■ تهتم السعودية باحياء آثارها المطمورة تحت الرمال ، لتربط الماضي بالحاضر عن طريق تحقيق التاريخ تحقيقا علميا معاصرا ...

وكان التاريخ الى وقت قريب مجرد روايات منقولة ، أو رؤية مؤرخ أو وجهة نظر حاكم. كان أشبه بالخرائط الجغرافية القديمة تعتمد على خيال وجسارة الرحالة الذين يرسمونها بناء على قدراتهم الشخصية ، الى أن تسلح المكتشفون بأدوات حديثة مثل البوصلة ، والى أن ظهرت الطائرات والسفن الكبرى وأخيرا الاقمار الصناعية ، وهنا صمتت الاساطير وتكلمت الخرائط القائمة على العلم اليقين ..

وتطور التاريخ ايضا بتطور علم الاثار واستحداث ادوات جديدة ودقيقة ، فاصبحت هذه الاجهزة قادرة على فحص مخلفات باقية وراء كثبان الرمال ، واستنطاق هذه المخلفات بكل الوقائع التاريخية..

والعمل الذى قام به المؤرخون وعلماء الاثار في السنين العشر الاخيرة ، اضاف كثيرا الى المعرفة عن الجزيرة العربية ، وخاصة في العصور السحيقة ، ولهذه المعرفة اهمية بالغة في منطقة كانت مهبطا للديانات ، ومهدا للحضارة العربية، وكما قال الكاتب السعودى عبدالقدوس الانصارى، « اذا اتفق التاريخ الخبرى والشاهد الاثرى على حدوث امر ما ، فيكون حقيقة مؤكدة لا شبهة فيها ولا التواء » .

وتوصل علماء ما قبل التاريخ الى نظرية وقوع سلسلة من التغيرات الجوية في الجزيرة العربية.

يقول الدكتور عبد الله مصرى مدير المتاحف والاثار بالسعودية : « لقد بات يقينا ان شرق الجزيرة العربية ساهم مساهمة فعالة في قيام احدى الحضارات الاولى للانسان ، تلك التى ازدهرت في بلاد ما بين النهرين . والمشهورة بحضارة سومر ، فقد تبين ان الامطار التى كانت تهطل على الجزيرة العربية اكثر غزارة من الشام، وان ما ذهب اليه العديد من علماء الاجناس البارزين من القول بان الجزيرة كانت مهد الساميين الاول لشاهد آخر يثبت دور الجزيرة في تكوين حضارات شعوب تلك الازمنة في مصر والعراق ومختلف ارجاء الشرق القديم ..»

ويضيف : « ان آثار الجزيرة العربية اهملت من الاثريين لفترة طويلة ، لتصورهم عدم اهمية المنطقة اثريا ،ولكن عندما بدا المسح الجيولوجى للسعودية بحثا عن مصادر المياه ، قدم الجيولوجيون معلومات هامة استفاد منها الاثريون ، ومن جانب آخر كان الكشف البالغ الدلالة لقلعة « البحرين » ولاثار جزيرة « فيلكا » في الكويت حدثا هاما وضع الاثريين امام عالم اثرى رحب يقوم على نظرية وجود حضارة متميزة في الالف الثانى قبل الميلاد ..

وقام الدكتور مصرى باول بحث اثرى عربى عن عصور ما قبل التاريخ في شرق الجزيرة كجزء من الدراسة التى نال بموجبها شهادة الدكتوراه من جامعة شيكاغو الامريكية .

يقول :« لقد وضعت خطة لاحياء الاثار في البلاد ، تبدأ بمسح اثرى كجزء من الخطة الخمسية تبلغ تكاليفها الفين و ٣٠٠ مليون ريال. تشمل اقامة ١٣ متحفا ، وتضمن اختيار آثار ذات قيمة خاصة نعمل على احيائها وترميمها .. »

الاثار الاسلامية ..

وبداية المسح الاثرى تمتد الى ما قبل الاسلام، اما منذ فجر الاسلام فكل التفاصيل نقلت الينا بواسطة الرواة الاوائل للتاريخ العربى والاسلامى، نقلت الينا في صورة دقيقة ومتصلة ، والسيرة النبوية صورت بدقة بالغة ورسخت في الوجدان العربى بتفاصيلها .

وما زالت مهمة تحقيق وبيان القيمة العلمية لكل اثر اسلامى جديرة بالدراسة لكل من يريد احياء



الدكتور عبد الله مصرى مدير الاثار والمتاحف .



عبد العزيز الخويطر
وزير المعارف ورئيس
مجلس الاثار .

هذا التراث ، وخاصة بعد ان أصبح فى السعودية اليوم ست جامعات .

وعندما اثرت هذه القضية مع الاستاذ عبدالعزيز الخويطر وزير المعارف ورئيس المجلس الاعلى للاثار قال : « ان القرآن الكريم حثنا على تامل آثار الاولين والتبصر فى أحوالهم ، ونحن نسعى للحفاظ على الاثار فى وضعها الطبيعى كاثر تاريخى ، ونعمل على ترميمها لتكون العبرة اوضح، وهذا يساعد على اتصال الماضى بالحاضر ، مما يكشف الجذور العميقة للامة ، وعندما يرى المواطن ان عمله ادنى من عمل اسلافه ، فسيدفعه الى الجهد ليصل الى ما قام به الاولون ، واذا وجد عمله افضل يشكر الله سبحانه .

وان صون مسجد فى الاحساء بنى فى عصر الخليفة عمر بن الخطاب ، يتجاوب مع الاسلام باحياء اثر اسلامى ، ويساعد على تاريخ الماضى..»

وحول نفس الموضوع تحدث الامير فهد بن خالد ابن فهد وكيل وزارة المعارف ونائب رئيس المجلس الاعلى على الحفاظ على الاثار الاسلامية بقدر من التحفظ . بمعنى ان المجلس لا ينظر اليها فقط من زاوية اثرية ، وبالتالى تدخل فى اختصاص وزارة الحج ..

فمثلا عندما تقرر توسيع المسجد النبوى فى المدينة . كان التوسع يتم على حساب منطقة غنية بالاثار الاسلامية . وكنا امام خيارين .. ضرورة توسيع الحرم النبوى مع الازدياد المطرد فى عدد الحجاج ، وضرورة الحفاظ على ما فى المنطقة من آثار اسلامية ذات قيمة تاريخية . وكان امامنا الموقف الذى اتخذه الفاتيكان فى روما والذى اوقف كافة المشروعات حفاظا على الطابع القديم والتاريخى للفاتيكان ..

واستقر الراى على ان توسعة الحرم النبوى واجب ينبغى القيام به ، وقررنا ان نسجل ونرقم المبانى التاريخية التى ستدخل فى التوسع وتنقل بنفس طرازها الى مكان آخر من المدينة ..

وتشهد السعودية الان مسحا اثريا شاملا ، وفى نفس الوقت توجد مشاريع ثلاثة لاحياء وترميم ثلاثة مواقع هى :

سوق عكاظ ، درب زبيدة ، الدرعية .

سوق عكاظ

ولننتقل الى مشروع احياء سوق عكاظ ، وما انتهى اليه ..

كل قارىء للتاريخ والادب العربى يعرف سوق عكاظ ، فهى اكبر اسواق العرب قبل الاسلام وبعده . كانت تقام سنويا لاغراض تجارية وادبية واجتماعية ، وظلت السوق بعد ظهور الاسلام حتى عام ١٩٢ هـ الى ان هاجمها الثوار من الخوارج ودمروها ، كما يبدو ان اختفاء السوق مرتبط بانتقال العاصمة الاسلامية خارج الجزيرة العربية، فرغم ان مكة بقيت مركزا للحج ، فان العواصم السياسية كانت دمشق وبغداد والقاهرة واستنبول.

ورغم ذلك استمرت سوق عكاظ فى الشعر الادبى رمزا غاليا ، فالسوق فى الشعر العربى مرجع لقضايا العرب الكبرى ، ومنبر لاذاعة اشعارهم واحلامهم .

وروى المؤرخون ان الشعراء كانوا يغتنمون السوق لعرض حوليات من قصائدهم ، ومن عكاظ ينتشر فى ارجاء البلاد ، ويتغنى به العرب فى كل مكان ، وكانت مجالا لعرض آراء الخطباء وافكارهم ، تجتمع فيها قبائل العرب عشرين يوما من كل سنة لتبادل التجارة وما يصحبها من تبادل الافكار ، والذاكرة العربية كانت البديل عن الصحافة والاذاعة التى بلغت من القوة حدا فاخر به العرب ، واعرض الكثيرون منهم عن الكتابة مخافة ان تجنى على ملكة الحفظ . وكانت الذاكرة العربية واعية للشعر العربى ، والكلام الموزون .

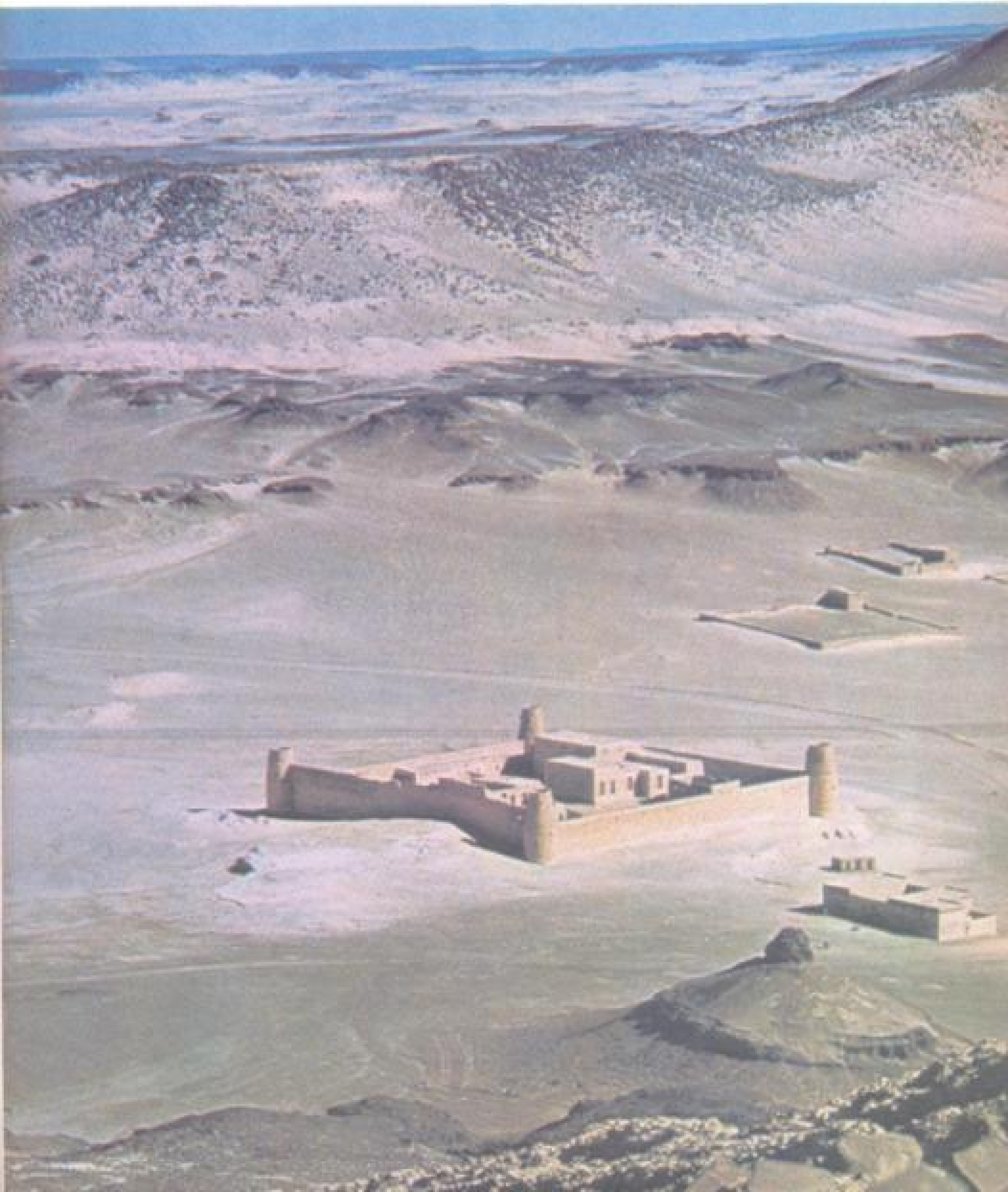
وتاتى فكرة احيائها كجزء من التفاعل مع التراث الثقافى ، وفرصة لدراسته فى نفس اجوائه . وبذل الاثريون والمؤرخون جهدا قيما لتحديد مكانها ، ومنهم الشعر العربى باهم المؤشرات ، وكل شىء فى الجزيرة العربية تطور من جيل الى جيل ، ولم تعد الامكنة هى ذاتها



منارة مسجد اقيم في عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وهي جزء من اطلال عثر عليها في واحة الجوف ، وتعتبر كشفا اثريا هاما ، فالمعلومات تقول ان المئذنة بدأت في العصر الاموي . **(الصورة الى اليمين)** .

منظر لقلعة وقصر نوري بن شعلان شيخ قبيلة الرولا والتي تعود الى اوائل القرن الهجري ، والموجودة بمنطقة حائل بوادي السرحان . **(الصورة الى اسفل)** .

قاعة احدى الدور في عسير وهي مزينة بالعديد من الالوان والقطع الفنية العربية . **(الصورة الى اليسار)** .





الواردة في المعاجم ، توصلوا بعد دراسات شاقة تكشف دقة الاولين ان عكاظ كانت تقام في «الحوية» احدى الضواحي الشمالية لمدينة الطائف عنـد ملتقي وادى شرب ووادى الاخضر ، كما ساهمت تلك الاطلال الاثرية التي تعود الى العصر العباسي التي تقع شرق عكاظ في تحديد موقعها ، كما ساهمت تلك الاثار المطمورة تحت كثبان الرمال من اوان فخارية وادوات معيشية كانت تستخدم في العصر الجاهلي في تاكيد هذا الموقع ..

وفي الموقع الذي حدده المؤرخون والقائم في صحراء مترامية الاطراف ، في طبيعة قاسية وبين الرمال التي احرقتها الشمس ولوحها الجفاف ، لح في خاطري معنى تعاكظ القوم اى تعاركوا وتفاخروا ، ومنه كان اسم السوق ، ومن اول المحدثين الذين سعوا الى تحقيق موقعها وتاريخها الدكتور عبدالوهاب عزام في مؤلفه « عكاظ » ،ثم ما ذكره الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه « في منزل الوحي » ، وتتابعت المحاولات فاصدر شباب النادي الادبي بالطائف مؤلفا عن السوق ، وتبعهم سعيد الافغاني في كتابه « أسواق العرب » وكانت هذه الكتابات تدعو الى احياء السوق في نفس مكانها وبنفس طرازها ، ومنهم من وصل باحلامه الى ان يؤدى السوق او المنتدى الادبي نفس الدور الثقافي السابق كتعبير عن حضارة مزدهرة .

في كتب الاولين ..

واذا قلبنا صفحات الكتب القديمة نبحث عن سوق عكاظ نجد ان الازرقي في كتابه « تاريخ مكة» يقول : كان يحضر هذه المواسم بعكاظ التجار ومن كان يريد التجارة ، ومن لم يكن له تجارة ولا بيع فانه يخرج مع أهله متى أراد ، ومن كان من اهل مكة لا يريد التجارة خرج من مكة يوم التروية ـ جلب الماء للسقيا » .

اى كانت اشبه بالمعارض الحديثة ، اوالمنتديات الادبية ..

ورغم ان السوق كانت قائمة منذ الجاهلية الا انها مرتبطة اشد الارتباط بظهور الاسلام ، وما كان ينعكس عليها من صراع بين الدعوة الوليدة البازغة والمقاومة العنيدة للقبائل، ونقلت الينا كتب السيرة النبوية ان محمدا عليه السلام قد شهد المجتمع العكاظي وهو غلام .



الامير خالد بن فهد نائب رئيس مجلس الاثار .

وروت كتب السيرة ايضا : « شهدت عكاظ حضور النبي حرب الفجار وهو صبي ، وانه اشترك فيها » .

ورغم هذا فقد تحفظ البعض على احياء سوق عكاظ باعتبارها سوقا جاهلية ، وحجتهم ما كانت تشهده من مشاحنات والقتال .

وهكذا كانت السوق عندها تجتمع القبائل وتبدأ المشاحنات ، ولذا كانت العرب اذا قدمت عكاظ دفعت اسلحتها الى ابن جدعان اتقاء الحرب حتى يفرغوا من اسواقهم ومن حجهم ثم يردها عليهم ..

ومن الروايات المنقولة .. ان الخنساء انحدرت بهودجها الى عكاظ ، لتسجل فيها انها اعظم العربيات مصيبة ، بمن قتل لها في المعارك ، والدها سيد العرب عمرو بن الشريد ، وأخواها صخر ومعاوية ، وظلت على غشيانها لسوق عكاظ بهودجها نادبة باكية كل عام ، حتى كان عام بدر فنافستها هند بنت عتبة في عكاظ بمصيبتها العظمى بقتل ابيها وعمها واخيها في يوم بدر ..

كانت هذه الصور تداعب خيال العديد من الذين ينادون باحياء السوق ، وكانت اول خطوة عملية عقد مؤتمر في عام ١٩٧٥ ضم كل من له علاقة من المؤرخين ودارسي الاثار والخبراء دعا اليه الامير فيصل بن فهد ، وتقرر اقامة السوق على اسس علمية واثرية صحيحة في صيف نفس العام .

ويكمل الدكتور عبدالله مصرى قائلا : توقف المشروع لبعض الوقت امام بعض التفاصيل ، ولكنه ما زال قائما ..

كما أكد الامير فهد بن خالد بن فهد .. قرار تاجيل المشروع حتى يتم حسم عدد من الاختيارات، مثل هل تقام في نفس مكانها ، بعد ان تغير نمط

الحياة وفقد المكان القديم اهميته التاريخيـــة كملتقى للطرق ••

وهل تقام كسوق دائمة أو مؤقتة علـى شكل ماكيت لفترة زمنية محدودة كل عام ••

وهي نقاط تحتاج الى تريث والى تفكـير عميق ••••

كما يبدو ان هناك وجهة نظر اخرى عبر عنها الاستاذ عبد العزيز الخويطر وزير المعارف ورئيس مجلس الآثار •• وهي ان تبقى السوق مجرد اثـر تاريخي ، ولا تضاف اليها اية مبان ، والا تشهد اى نشاط ادبي تمشيا مع الروح السائدة ، فقد سبق للمسلمين الاوائل ان استبدلوا بها « المربد وهي في البصرة،الندوة الادبية الاسلامية المعروفة••

ويضيف « ويكفي الجهد الاثري في كشف معالمها، وصدور عدد من الدراسات التى حققت مكانتهـا وطرازها ، فالتكلفة التي تحتاجها اقامتها تكلفة باهظة تتحول الى تبذير شديد لا مبرر له ••»!

وهي بالفعل مشروع ثقافي هام ينبغي التوقف عنده حتى لا يكون مرتجلا ، ولكي يحقق الفائدة الثقافية المطلوبة ، والمهم هذا الاتجاه القوى نحو احياء التراث التاريخي للجزيرة العربية ، وان الفكرة وما اثارته من مناقشات هي في ذاتهـا قيمة ثقافية كبيرة ••



احدى آبار درب زبيدة في العقبة ، وتظهر الاحجار الكبيرة التى بنيت منها البئر •

على الدرب • !

وعلى رأس قائمة مشاريع احياء الاثار ،مشروع احياء درب زبيدة ••

ذلك الطريق الذي يصل ما بين العراق والاراضي المقدسة في مكة والمدينة ، بمنشآته المعمارية المنتشرة على طوله من الحدود السعودية شـمالا حتى مكة جنوبا ، ويشمل الدرب احواضا وبركـا وابار وخانات ، وعلى طول الدرب آثار ومقابر وهياكل وشواهد واعلام ، ويضم الدرب عددا من الواحات والمنخفضات التى تتجمع فيها مياه الامطار، واندثر مع الزمن كثير من معالم الدرب وبقيت بعض البرك والابار مما له صلة بالمياه ، فمن لا يعرف الحجاز لا يدرك قيمة المياه في منطقة شديدة الحرارة • اذا ندر فيها المطر نضبت عيون جارية وآبار كانت دافقة ، وتتحول الرياض الى فيافي ، فالماء هو الحياة ذاتها ••

والجزيرة العربية عموما ارض جرداء بهـــا مساحات قليلة صالحة للزراعة في مساحة شاسعة تبلغ مليون ميل مربع ، وليس بها نهر واحد يتدفق طوال العام من منبعه الى مصبه ، امـــا المطر المنتظم فلا يوجد الا في أجزاء محـدودة من الجزيرة ••

والماء ضابط لا يخطيء لحركة البشر ، ينزحون اذا ندر ويقيمون اذا توفر،وليست البداوة ومجتمع القبيلة سوى ظاهرة اجتماعية لهذا الاطار الجغرافي، ونقص المياه يضعف الرابطة بارض بعينها ، ويرتبط

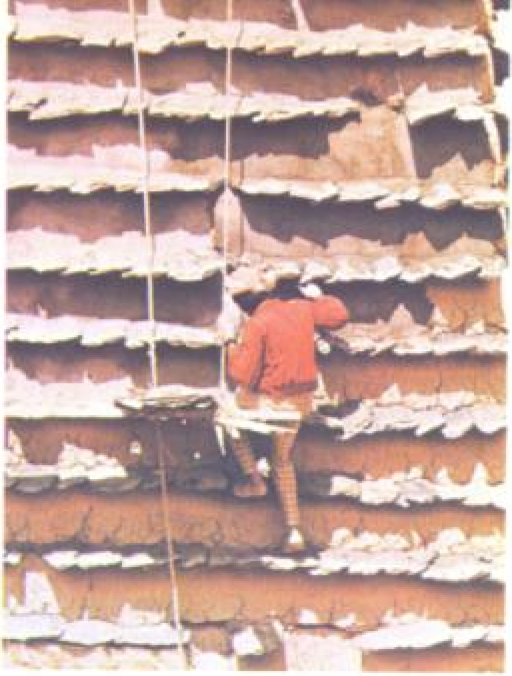


احدى العلامات وعليها المسافة بالاميال بين الكوفة ومكة



أحد « خرزات » درب زبيدة أو « غرف التفتيش » بتعبير هذا العصر .

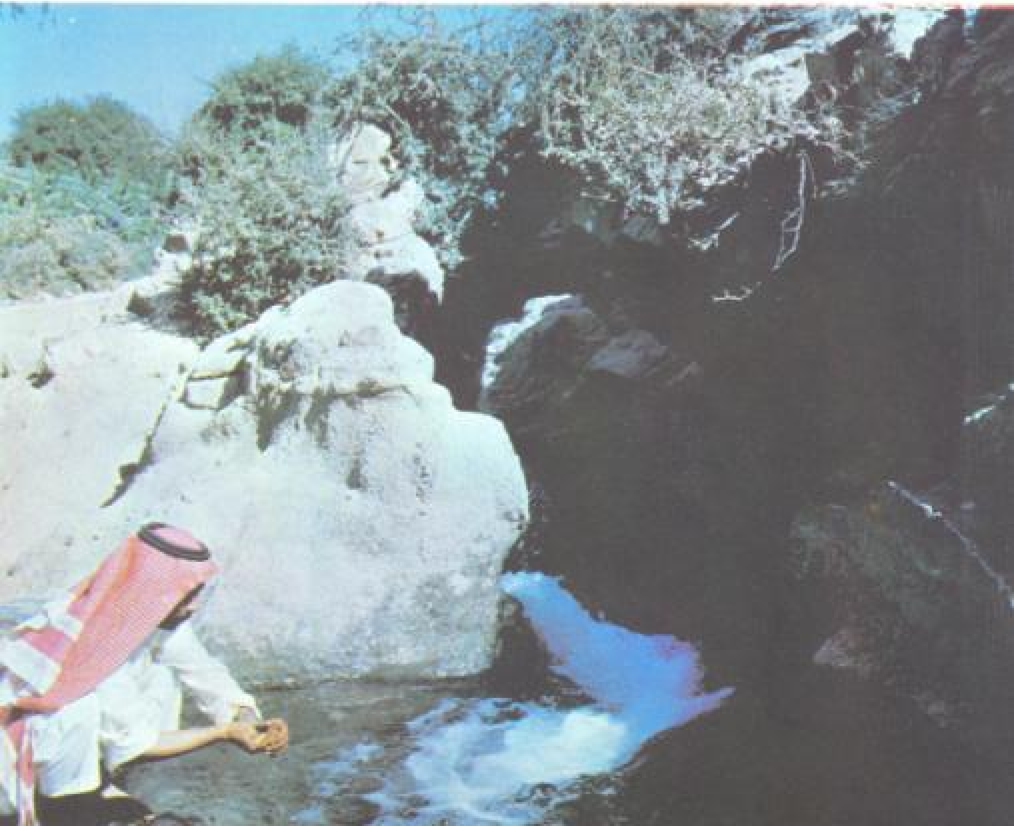




بركة الخرابة ، احدى برك درب زبيدة التاريخي الذي كان يربط بين العراق والمدن المقدسة ، وقد تم ترميم هذه البركة حديثا ، وتقع البركة على بعد ٩٥ كيلو مترا • شمال شرقي الطائف • (**الصورة الى اليمين**) •

أحد عمال البناء في تهامة يقيم بالطوب النيء حائطا سميكا تتخلله فراغات ، وهي طريقة تقليدية في البناء تضمن الدفء اثناء البرد والاعتدال خلال الحرارة الشديدة (**الصورة الي اليسار**) •

ماء عذب يتدفق بين الصخور يقع قبل بلدة « المضيق » التي تبعد ٤٣ كيلومترا عن مكة ، وهذا النبع احد مصادر عين زبيدة واسمه « الزعا » (**الصورة الي اسفل**)•



الانسان بمصادر المياه متنقلا يضع رحاله اينما وجد الماء ، واهل الحجاز يعرفون عن الامطار ما يذهل ، فاذا تلبدت السحب او قصف الرعد او ومض البرق ، فهم اعرف بالسحب ومساقط الغيث، ويعرفون بالتجربة المياه الجوفية ولديهم طرقهم الخاصة والقديمة لاكتشاف هذه المياه والوصـول اليها ..

وهذه المعرفة العربية القديمة وفرت المياه على طريق طويل رسمته المياه نفسها ، هو درب زبيدة يبدأ من رفحاء القريبة من الحدود العراقية ويمر بكل من فيد وسميراء ومهد الذهب وصفينه والهدا وبركة الغراية وينتهي بمكة ..

ويحكي درب زبيدة ازدهار الحضارة العربيـة وانهيارها ، فكلما استقرت الدولة وقويت السلطة المركزية انعكس ذلك على الدرب فسالت فيه المياه واستقر الامن وانتقل المسافرون حجاجا وتجارا ، وعندما تضعف السلطة المركزية وتعاني الدولة من الانقسام والحروب الداخلية يغيب الامن ويتعرض الطريق لهجمات القبائل وتشح المياه وترتفع اسعارها وتهدم البرك وتردم الابار ..

درب التاريخ

وعندما وصلت الرياض وابديت اهتمام مجلة العربي باحياء آثار الجزيرة العربي ، نصحني كل من التقيت به بزيارة « درب زبيدة » باعتباره أهم مشاريع احياء الاثار العربية ، فالسائر على درب زبيـدة يسير في نفس الوقت على درب تاريخ الجزيرة العربية منذ فجر الاسلام وحتى اليوم ..

قال لي وزير المعارف الاستاذ عبد العزيز الخويطر ..

« ان هناك العديد من الدراسات حول درب زبيدة ويتم الان ترميم أجزاء من الدرب بصـورة تعيد له طرازه القديم وشكله التاريخي ، ويعاد الغرض الاساسي منه كمصدر للمياه ، وصدر قرار بجعل درب زبيدةبدءا من الحدود العراقيةالى مكة من الممتلكات الاثرية ، وقامت ادارة الاثار بتسجيل الاثار ، وترميم البرك التي يمكن ترميمها واضاف .. » وهناك رسالة للدكتوراه قدمها الدكتور سعد الراشد حقق خلالها كل ما له علاقة بالدرب .. »

ولم أتمكن من لقاء الدكتور سعد لوجوده خارج الرياض .



الدكتور سعد الراشد واطروحة حول درب زبيدة .

وقال لي الامير فهد بن خالد نائب رئيس مجلس الاثار ..

« ان درب زبيدة بالغ الاهمية ليس بوصفه اثرا قيما فحسب ، بل كمعلم وفن معماري وهندسي ، يكشف عن براعة الاساليب المستخدمة في نقل المياه وتوزيعها .. » والدرب يحكي الدور الذي قام به الصحابة لتوفير المياه بواسطة حفر القنواتوالابار، وكيف شاهدهذا الطريقمعرفة العرب بفنونالعمارة ومعرفتهم بمصادر المياهالجوفية والاودية والشعاب، وقبل ذلك معرفتهم لجغرافية الجزيرة العربية..».

بدأت مع زميلي المصور رحلة البحث عن درب زبيدة ..

واخترت بعض مواقعه فيالمنطقة بين مكةوالطائف، وبعض اجزاء الدرب يستحيل الوصـول اليـها بالسيارة ، فقد كان مخصصا لقوافل الجمال وليس للسيارات الحديثة ، وبعض آثاره مازال مطمورا تحت كثبان الصحراء ، ومع كل هذا شاهدت عملا هندسيا يعكس حضارة مزدهرة .

ولن اقدم هنا بحثا اثريا فليس هذا اختصاصي ولن اقدم دراسة هندسية فلها رجالها ، وانما ساقدم مجموعة ملاحظات تنقل الينا فترات مـن تاريخنا سالكا طريق زبيدة ..

البداية عند مكة .. في الطريق المؤدي الـى جبل عرفة ، تقع عين زبيدة ، التي جمعت كـل مصادر المياه المحيطة بمكة واوصلتها الى ام القرى لتوفير المياه للحجاج ولسكان البلدة المقدسة ..

وهنا تقف آثار الدرب القديمة جنبا الى جنب الى جوار محطة « اليحمول » الحديثة ، الخرزات الاثرية القديمة الى جوارها حجرة التفتيش الحديثة، القنوات الاثرية القديمة الى جوار انابيب المياه

الحديثة في نفس المسار وعلى نفس المجرى وفي ذات نقط تجمع المياه ..

كانت مكة قبل ان تقيم زبيدة زوجة هارون الرشيد العين تستقي من بعض الابار والعيون داخلها ، وكانت الابار كثيرا ماتغيض والعيون كثيرا ما تنضب، وكان معاوية بن ابي سفيان قد اجرى الماء الى مكة من العيون والابار في قنوات، وسرعان ما تقوضت واصاب الناس جهد شديد ، حتى امرت زبيدة باجراء عين حنين بوادى نخلة الى مكة ، بعد ان اشترت الاراضي التي كانت مياه العين ترويها ، وامرت باجراء عين من وادى نعمان الى عرفة ، وتتبع عين نعمان من جبل كراء الذى يصل بين عرفة والطائف ، واجريت مياه وادى النعمان حتى بلغت منى .. »

هذا ما رواه مرافقي الشيخ غازى فيصل مدير عين زبيدة ، ودهشت حين قال اننا امام بداية العين ، فلا يبدو للناظر شيء ولايظهر من المجرى غير « الغرزات » (الاسم المكي لغرف التفتيش) خلال الطريق من مكة الى عرفة ..

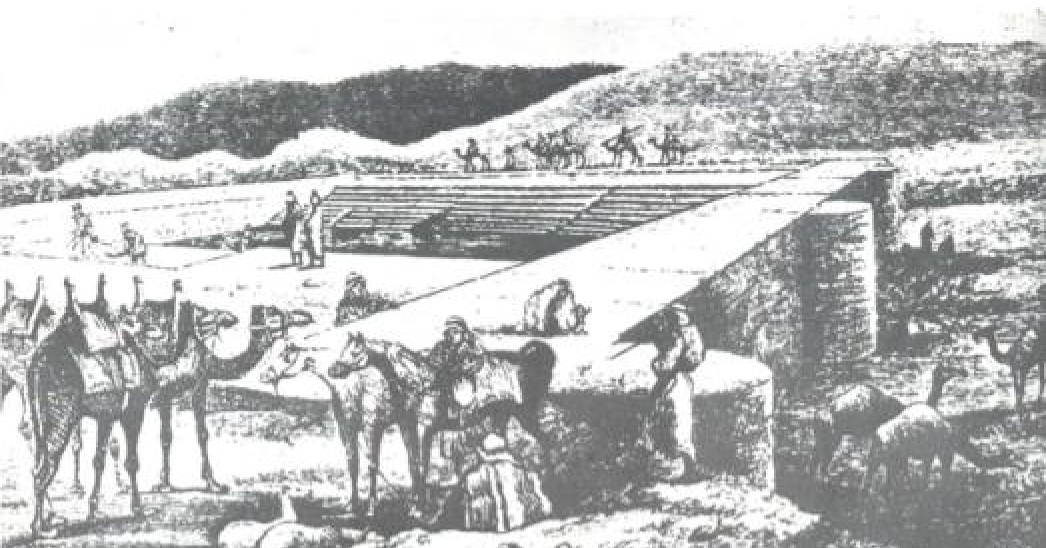
وتتبعنا مسار الاثر الذى يجلب المياه الى عين زبيدة حول عرفة وجبل الرحمة وشاهدنا اماكن السقيا عن طريق ثقوب في الحجر تتدفق منهاالمياه. واكمل الشيخ غازى قائلا .. « عندما اشتدت أزمة الماء لاسيما في عرفة ومنى ايام الحج ، انتدبت زبيدة لهذا الامر واسالت العين المسماة باسمها ، من مسافة نحو اربعين كيلو مترا منذ ما يزيد على ١١٠٠ سنة .

وكانت القناة من وادى النعمان حتى قبل مكة اغلب اجزائها تحت الارض ، وفي بعض المناطق تظهر على وجه الارض تابعة لخطتها الهندسية.

واما علو القناة فكان في بعض الاماكن بقدر ما يمر الفارس راكبا .. »

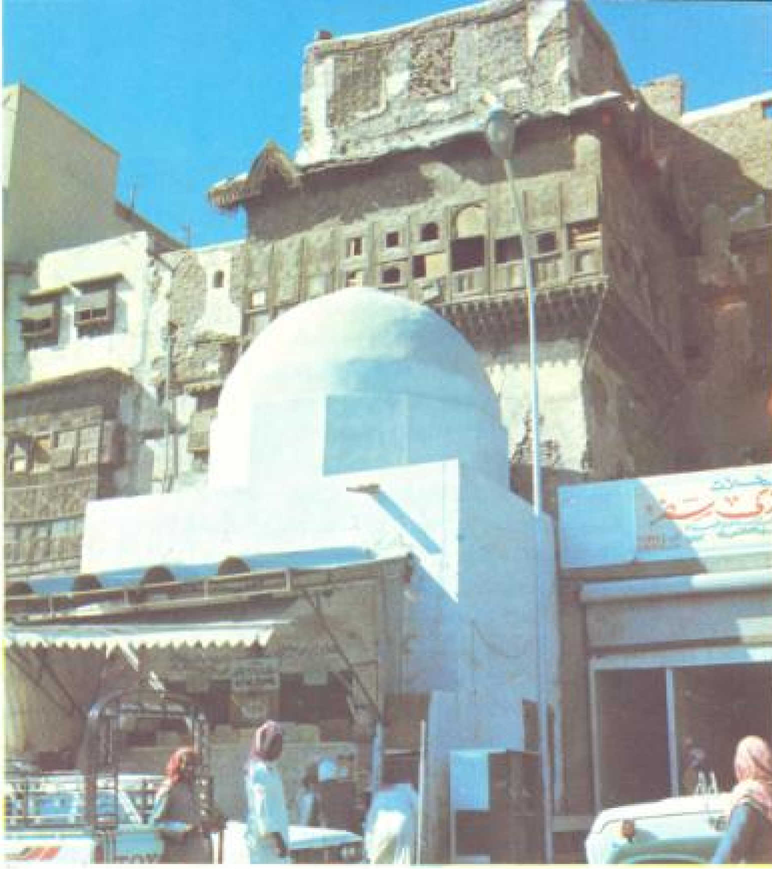
وفي محطة « اليحمول » خارج مكة شرح لي المهندس المصرى المسئول قائلا .. « ان الطريقة القديمة لنقل المياه تعبر عن الفن الهندسي المتقدم فالقنوات لاتسير في خط مستقيم بل في تعاريج كثيرة اقتضتها طبيعة الارض ، أو يكون مهندسو القناة مروا بعيون ارادوا اخذ مائها في طريقهم فعرجوا عليها ، وجوانب قنوات المياه ليست مطلية بل مبنية بالحجر وذلك حتى ترشح الماء من خلالها، ومن دقائق هندسة هذه القناة انهم جعلوا انحدار الماء في المجرى خفيفا خشية ان تحفر الارض لوكان الانحدار شديدا فتصبح ارض المجرى مع توالى القرون اسفل من الجوانب وتصبح معرضة للانهيار .. »

ومن محطة « اليحمول » تتبعنا مصادر المياه التي



رسم السيدة ان بلنت حول احد اجزاء درب زبيدة .





قبة شجرة الدر من العصر المملوكي اقامتها شجرة الدر واصبحت بعد التوسعة الجديدة للحرم النبوي تشرف عليه مباشرة والى يسارها مكتبة الحرم ويجاورها مسجد عمر بن الخطاب .
(الى اليمين أعلا) .

الدرعية الواقعة شمال شرق الرياض ، وتظهر بيوتها كأنها حصون ، ولعبت دورا تاريخيا في قيام الدولة السعودية الحديثة، وهناك مشروع باعادة ترميمها واحيائها .





قصر عروة بن الزبير بن العوام في وادي العقيق بالمدينة المنورة ، والى جواره بئر عروة التي قال فيها ابن خلكان .. « ليس بالمدينة بئر أعذب منها، كان يقدم ماؤها في قوارير لهارون الرشيد ».

الحرم النبوي الشريف والتوسعة الجديدة له ،والتي ضمت أماكن تاريخية هامة ، وقد رقمت هذه الآثار وصورت لنقلها في مكان آخر بالمدينة بنفس طرازها وشكلها .



تعد « عين زبيدة » او محطة اليحموم بالمياه من سيارة لاندروفر يقودها القرشي احد ابناء مكة والذي يعرف دروب الصحراء، واماكن الابار معرفة دقيقة وكان اول جزء من الدرب يقع على طريق الطائف خارج مكة وهي منطقة تسمى «وداي البرود» وتبعد سبعة كيلو مترات عن المسجد الحرام ، وهنا كان يلتقي الحجاج القادمون من كل من العــراق والشام ومصر ، وفي هذا المكان اقامت زبيدة بركة كبيرة متصلة بالعين بواسطة قناة ، وكانت البرك لشرب الدواب ، والابار لشرب البشر ٠ وجفت المياه البركة التي يبلغ عرض حائطها حوالي متــر، وما زالت الى جانبها بئر متجددة عذبة المياه ٠٠

ومن وادي البرود انتقلنا الى مزرعة الرشيدي ـ نسبة الى هارون الرشيد ـ ما أجمل الخضرة والزرع وسط الصحراء القاحلة ، والخضرة حول احدى الابار المبنية على الطراز العباسي، يستريح بين اشجارها الحجاج بعد عناء السفر وهم يقتربون من مقصدهم ، ومن مزرعة الرشيدي انتقلنا الى بلدة المضيق سائرين على غير درب او طريق حتى وصلنا الى طريق معبد لم يكتمل بعد ، وتقوم بتنفيذه شركة صينية يعمل بها عدد من الصينيين من الصين الوطنية ، ولاحظنا على جانبي الطريق سورا من الحجر يبلغ عرضه حوالي ثلاثة امتار لحماية الطريق من السيول ٠٠

وتوقفنا في الطريق عند احد اليـنابيع التي تتدفق من بين صخور جبل صلد ، المياه ذات لون محبب ،ماأغلى المياه وسط هذه الطبيعة القاسية ونحن نتصبب عرقا من حرارة الجو ومشقة الطريق وامامنا مياه عذبة حلوة المذاق ، وهي تنتقل لتضاف الى مياه مكة او الى عين زبيدة ، ثم وصلنا الى بلدة المضيق التي تبعد عن مكة ٤٥ كيلو مترا والتي توجد بها محطة لضخ المياه الى مكة ، وتشاهد هنا الاختيار الصعب بين استخدام المياه لسقيا الانسان او لسقيا النبات ٠٠

لماذا
درب زبيدة ؟!

كما لاحظنا فقد قدم كل من الخلفاء اضافة الى الطريق ، ولكن اطلق عليه اسم السيدة زبيدة للدور البارز الذى قامت به ٠٠ قال ابو الوليد محمد الازرقي في كتابه تاريخ مكة وقد عاصرها ٠٠

«كان الناس بعد في شدة من الماء وكان اهل مكة والحاج يلقون من ذلك المشقة حتى ان الراوية لتبلغ في الموسم عشرة دراهم واكثر او اقل فبلغ ام جعفر ، فامرت بعفر بركتها التي بمكة فاجرت بها عينا من الحرم فجرت بماء قليل لم يكن فيه رى لاهل مكة وقد غرمت في ذلك غرما عظيما فامرت جماعة من المهندسين أن يجروا لها عيونا من الحل ـ اى خارج ارض الحرم ـ وكان الناس يقولون ٠٠٠ ان ماء الحل لايدخل الحرم لانه يمر على عقاب وجبال، فارسلت باموال عظام ثم رات من يزن عينها الاولى



بركة على درب زبيدة تقع على بعد ٤٧ كيلو مترا شمال فيد ٠

فوجدوا فيها فسادا ، فانشات عينا اخرى الى جانبها ، وابطلت تلك العيون فعملت عينها هذه باحكم ما يكون من العمل وعظمت فى ذلك رغبتها وحسنت نيتها ، فلم تزل تعمل فيها حتى بلغت ثنية « خل » فاذا الماء لايظهر فى ذلك الجبل فامرت بالجبل فضرب فيه وانفقت فى ذلك من الاموال ما لم تكن تطيب به نفس كثير من الناس حتى اجراها الله ،واجرت فيها عيونا من الحل منها عين المشاش ـ بين عرفات والطائف ـ واتخذت بركا تكون السيول اذا جاءت تجتمع فيها ثم اجرت لها عيونا من حنين ، واشترت حائط حنين فصرفت عينه الى البركة وجعلت حائطه سدا يجتمع فيه السيل فصارت لها مكرمة لم تكن لاحد قبلها وطابت نفسها بالنفقة فيها ..»

وقال ابن خلكان .. « انها سقت اهل مكة الماء بعد ان كانت الراوية عندهم بدينار ، وانها اسالت الماء عشرة اميال بحط الجبال وتحت الصخر حتى غلغلته من الحل الى الحرام ، وعملت عقبة البستان فقال لها وكيلها يلزمك نفقة كثيرة ، فقالت : اعملها ولو كانت ضربة فاس بدينار..»

انها قصة العمل الانسانى النبيل الذى قامت به امراة عربية ، عندما وجدت هدفا عظيما اخذ كل اهتمامها ، فى مرحلة تاريخية مزدهرة بالمعرفة والثقافة ، فى عصر قوة ونضوج الحضارة العربية، عندما سبقنا النهضة الاوروبية بقرون عديدة ، واليوم مازلنا نحاول تعميم المعرفة فى ابسط البديهيات ، ولو ظل خط التقدم متصلا منذ ذلك الزمان ،لكنا سبقنا العالم كله ..

لقد كان هدف السيدة زبيدة هو تسهيل الحج والسفر على الفقراء الذين كانوا يؤدون فريضة الحج احيانا سيرا على الاقدام ، ويظهر ذلك من المسافات بين المحطات وهى بمعدل ستة كيلومترات.

ويروى اليعقوبى ..« كيف كانت زبيدة تسعى لارضاء زوجها هارون الرشيد ، فانفقت ٣٠ الف دينار سنويا على الطريق» وقد شهد الدرب منافسة طريفة بين زوجة هارون الرشيد وجاريته ، فقد ساهمت السيدة خالصة جارية الرشيد فى عمارة الدرب ، واقامت بركا ومصانع وحفرت آبارا وبنت خانات ، وفى البتان بركة سميت بركة الخالصية، على بعد ٣ اميال منها ..

وللدرب اهمية بالغة اليوم ليس فقط بما



خريطة تبين درب زبيدة .

يقدمه من فن هندسى وطراز معمارى ، بل لما يكشفه من مصادر للمياه اندثرت وسبق استخدامها ، ونقلها الينا العديد من الكتب العربية القديمة ، وقدم الازرقى والفقى تحديد كمية المياه التى توصلت اليها مشاريع ام جعفر ..

الاقدمون على الدرب ..

وبعد ان تجولنا فى اجزاء من درب زبيدة ننتقل الى جولة فى الكتب العربية القديمة التى نقلت الينا تلك المرحلة التاريخية ..

اقيم الدرب فى العصر العباسى ليصل بين بغداد عاصمة الدولة الاسلامية ، والاراضى المقدسة ، وذكر الطبرى انه فى عصر ابى العباس ١٣٤هـ ـ ٧٥١م « ضرب المنار من الكوفة الى مكة والاميال ». وتم توفير ما يحتاجه المسافر فى الصحراء ، المياه على راس هذه الاحتياجات فحفرت الآبار واقيمت

البرك والخزانات واقيمت الخانات لاقامة وراحة المسافرين ، ووضعت العلامات لتهدى المسافر ، واخيرا تم تامين الطريق ضد هجمات القبائل وقطاع الطرق ، ولكل من خلفاء بنى العباس اضافة على الطريق ٠

عند تولى هارون الرشيد الخلافة عام ١٧٠هـ ـ ٧٨٦ م ، ادى فريضة الحج سبع مرات ، وفى كل مرة ينفق الاموال بسخاء على تعمير الطريق ، وكان يخرج عاما لقتال بسخاء على تعمير الطريق ، وكان يخرج عاما لقتال اعدائه والعام الذى يليه يقضيه فى التامل ويؤدى خلاله فريضة الحج ، وكما روى المقريزى ٠٠ انتعش الطريق فى عصره واقيمت عليه الخانات فكان يصحب معه خلال رحلته مائة من العلماء ، وفى احدى المرات اختار أن يؤدى الفريضة سائرا على اقدامه الى مكة ، وانعكس ازدهار الدولة العباسية فى عهد هارون الرشيد وانعكس على الدرب فشهد ازهى ايامه ٠٠

وعندما خلف الامين والده هارون الرشيد عام ١٩٣هـ ـ ٨٠٩م انعكست الحرب الاهلية التى نشبت بين الامين والمامون على الدرب فلم يشهد أى عمارة جديدة ، حتى وجه المامون من ذرع الطريق فوجده بالاميال ٧١٢ » ٠

ويمضى تاريخ الدرب مصاحبا تاريخ الدولة العباسية ، ويتولى المعتصم الخلافة ومن بعده الواثق ، ويعانى الحجاج فى عهده وينقل الينا الطبرى وابن الاثير كيف « كانت كسرة خبز تساو درهما ، وشربة ماء تبلغ ٤٠ درهما ، وكيف مات عدد كبير من الحجاج عطشا فى عام ٢٣٢هـ بعندما « بلغت الشربة عدة دنانير ذهبية » ، « فاعاد جعفر حفر ٢٠ بئرا قديمة على الطريق الذى يبدا من زبالة الى لينه » على الطريق اعلاما وبنى مواقد ٠٠ »

وفى عام ٢٣٢هـ بعد المتوكل عادت القبائل تهاجم القوافل على الطريق ويقتلون الرجال ويسبون النساء ، وفى هذه الفترة قامت حركة الزنج وتبعتها حركة القرامطة ، الذين اقاموا دولتهم شرق الجزيرة العربية وكانت الاحساء عاصمة لها ، وهدموا كل ما اقيم على الطريق من خانات ومصانع وعلامات ، واخذت القوافل تسير فى مواكب فى حماية الجند المسلحين ، ووصل الحال الى توقف الحجاج تماما بسبب غياب الامن ونقص المياه ، وفضل الكثير من الحجاج الانصراف عن هذا الطريق وتجنب مناطق الاضطراب، واخذوا يسلكون طريق الشام او البحر الاحمر ٠

ويروى ابن الاثير انه عام ٤٠٦هـ مات ١٤ الفا من ٢٠ الفا من الحجاج على الطريق عطشا ٠٠

ولم يعد الطريق امنا ولا عامرا طوال القرنين السادس والسابع الهجرى خلال حكم السلاجقة الذين لم يعرف عنهم الاهتمام بالطريق ٠٠

الرحالة الاوربيون على الدرب ٠٠

وفى القرن الماضى وعرب الجزيرة منصرفون عن البحث والدراسة والتنقيب ، جاء بعض الرحالة الاوربيون ليصفوا درب زبيدة وينقبوا عنه خلال تجوالهم فى الجزيرة العربية، ومن هؤلاء المستكشف السويدى جورج اوجست والين والرحالة بلجريف عام ١٨٦٢ والايطالى كارلو جيرمانى عام ١٨٦٧ وكل من السيدة آن بلنت والرحالة شارلى همبر ٠

ويعود الفضل فى كشف المنطقة الجنوبية مـن

على مشارف مكة عين زبيدة ومشاريع المياه الحديثة جنبا الى جنب ٠





احدى الآبار في مزرعة الرشيد •

الطريق الى كل من بيرتون ودافتي وذلك عندما سافر بيرتون داخل الحجاز عام ١٨٥٣ والتحق باحدى القوافل التي بدأت رحلتها من المدينة وقطع الطريق الشرقي ، وقدم وصفا للمحطات القديمة والخزانات ونشر رسما لقرية سفيانة ، وفي عام ١٨٧٦ قام تشارلز دافتي برحلة من حائل الى القصيم ، وتوقف في بلدة سميرة ووصف وبين مصادر المياه فيها ، ومن هناك صحب دافتي قافلة من نجد الى الطائف ووصف رحلته هذه وجمع المعلومات من الطريق الشرقي ••

من هذا نرى ان مشروع احياء درب زبيدة تتوفر له معلومات من الكتب العربية القديمة ، ثم في كتب الرحالة الاوربيين ، هي بداية جيدة -لاي حصر اثري ••

وعاد الفكر العربي والبحث الى مجالاته الطبيعية • ففي مكتبة جامعة الرياض تمكنت من الاطلاع على رسالة الدكتور سعد الراشد حول درب زبيدة التي قدمت الى جامعة ليدز البريطانية، واهم ماتناوله البحث دراسة ميدانية قيمة اذ زار المؤلف خلالها مواقع الطريق وتوصل الى بعض الآثار الهامة التي لم تكن معروفة من قبل ، وقام الباحث بدراسة مقارنة لطراز بناء البرك مع كل من تونس والاردن وسيناء وجنوب النقب وسوريا وايران وغرب الجزيرة العربية وجنوبها ، وبين كيف استخدم الطريق في فجر الاسلام لجنود المسلمين الذين فتحوا العراق وفارس ، وبدأ دراسته

الميدانية من العقبة وانتهى الى بركة الخرابة وتوقف عند ٤٠ موقعا ، وقدم وصفا لما يأتي :

● خزانات مياه وآبار وخانات في حالات مختلفة•

● تحديد الطريق القديم حيث زالت في بعض أجزائه آثار الدرب التاريخي •

● الاعلام التي توضح الطريق التي كانت قائمة على طوله •

● جمع الآثار الفخارية والزجاجية والكتابات الاثرية وقام بالدراسات الاثرية اللازمة عليها ، وعثر على بعض العملات القديمة في عصور مختلفة•

وتنتهي الدراسة بالمطالبة بالحفاظ على درب زبيدة لقيمته الثقافية ولمنفعة السكان واستفادتهم من بركه وآباره •

والدكتور سعد حمل الى الجامعات العربية قضايا بلده وهمومها ، ولكن الم يكن الاجدر ان يقدم هذا البحث لاحدى الجامعات العربية ، وخاصة ان اغلب علاماتها عربية ومراجعها كتب عربية قديمة ••

واخيرا ••

بقيت ضمن مشاريع احياء الآثار مشروع ترميم بلدة « الدرعية » •• بقلاعها وقصورها وابراجها وسورها ، واهمية هذا المشروع ان الدرعية طراز عربي فج ، وهي الى يعود الى القرن التاسع عشر، وقد شهدت بداية الدولة السعودية الحديثة•

وهي تبعد ٢٠ كيلومترا شمال غربي الرياض، وتتوسط الجزيرة العربية ••

والمدينة اطلال لقصور قديمة هجرها اصحابها ، وبيوتها مبنية كالقلاع ، وهي رمز مرحلة تاريخية كان القتال بين القبائل طابعها ••

ويتضمن المشروع انشاء مركز ثقافي مزود بكافة الوسائل من مكتبات وصالات عرض ، تعرض فيها الوقائع التاريخية التي شهدتها البلدة ، على ان يحافظ على ما تبقى من مباني الدرعية بطريقة علمية حديثة عن طريق كسوتها بمادة خاصة لحفظ الآثار ، ويتضمن المشروع نقل النشاط الذى كان قائما في تلك الايام •• ■■

مصطفى نبيل



عندما تحدث طه حسين عن كتبه

ليست هذه دراسة لمؤلفات طه حسين ، ولكنها تسجيل لاحاديث دارت بين عميد الادب العربي والدكتور محمد الدسوقي الاستاذ بجامعة الفاتح من سبتمبر بالجماهيرية العربية الليبية .

بقلم : الدكتور محمد الدسوقي

ترك عميد الادب العربي المرحوم الدكتور طه حسين عشرات الكتب والمؤلفات التي تشهد بعمق ثقافته وغزارة معرفته وسعة اطلاعه سواء في العربية او غيرها من اللغات التي كان يجيدها وبخاصة الفرنسية . فهذه المؤلفات تناولت مواضيع وقضايا متنوعة في الادب واللغة والترجمة والتاريخ والتربية والسياسة والدراسات الاسلامية بوجه عام .

ولست في هذه الكلمة دارسا لبعض هذه المؤلفات ، فتلك مهمة غيري من الباحثين المتخصصين ، بيد اني اود هنا تسجيل ما سمعت من العميد حول كتبه ، فقد اوما في حديثه عنها الى بعض الحقائق التي تلقي مزيدا من الضوء عليها .

على ان العميد في حديثه عن كتبه لم يتناول كل مؤلفاته ، وانما اشار الى سبعة منها وهي : تجديد ذكرى ابي العلاء ـ في الشعر الجاهلي ـ حديث الاربعاء ـ الايام ـ على هامش السيرة ـ احلام شهرزاد ـ اديب ـ

وتجديد ذكرى ابي العلاء اول كتاب الفه العميد وحصل به على درجة الدكتوراه من الجامعة

المصرية القديمة ويتحدث عنه فيقول : لقد قرأ لى الاستاذ المرحوم عبدالرحيم محمود اللزوميات وسقط الزند ، وكان يتغنى بالشعر وهو يقرؤه ، ثم كتبت بعد ذلك رسالتى عن ابى العلاء •

لم يتراجع عن رأيه

وقرات للعميد يوما خبرا فى صحيفة عن الزواج ومشكلاته فى بعض دول العالم فقال : كان مذهبى هو مذهب ابى العلاء فى العزوف عن الزواج ، قلت لماذا اخذت بهذا المذهب ؟ قال : لانى مثل ابى العلاء فى العاهة ، ولانى احببته وكتبت عنه رسالتى للدكتوراه ، قلت : يبدو ان زوجتكم كانت السبب فى عزوفكم عن مذهب أبى العلاء ، قال : ان زوجتى كانت تقرأ لى فى الجامعة بأجر ، فاعجبنى صوتها وطريقة حديثها فاحببتها وغلب حبها على مذهب ابى العلاء ، فطلبت منها الزواج فاستشارت بعض اهلها ، فاشاروا عليها بعدم الزواج منى ، لانى اجنبى وكفيف ، ولكنها لم تاخذ بمشورتهم • قلت : لو كان قدر لكم الزواج بامراة اخرى فهل كان سيؤثر هذا عليكم ؟ قال : بالطبع لقد قرات لى زوجتى الادب الكلاسيكى الفرنسى ، وعاونتنى فى دراسة اللغة اللاتينية ، وفتحت امامى افاقا فكرية ، واثرت فى ثقافتى وادبى تاثيرا واضحا •

واما كتاب « فى الشعر الجاهلى » فان ثورة بعض الطوائف عليه لم تكن بسبب قضية انتحال هذا الشعر ، فليس العميد أول من أثار هذه القضية أو تحدث عنها ، وليس القول بها داعية الى الاتهام بالكفر والزندقة ومعاداة الاسلام ، ولكن الاشارة الخطيرة فى هذا الكتاب جاءت عن سيدنا ابراهيم واسماعيل ، فقد قال العميد عنهما : للتوراة ان تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل، وللقرآن ان يحدثنا عنهما ، ولكن العلم لم يثبت وجودهما •

وسألت العميد • ماذا تعنى بقولك ان العلم لم يثبت وجودهما ؟ قال : أقصد انه ليست هناك اثار ولا حفريات تدل على وجودهما •

هذه الاشارة ونحوها أثارت الرأى العام ، وبخاصة رجال الازهر ، اذ ظنوا ان العميد ينكر اخبار القرآن الكريم ، غير أنه كما قال لى ، يعرض قضية من وجهة نظر النصوص المقدسة والعلم ، ومن ثم لم يجد القضاء فيما كتب العميد ما يدل على انكاره لاخبار القرآن فقضى ببراءته•

واذا كان الاستاذ سعيد الافغانى فى كلمته المنشورة بعدد يناير المنصرم من العربى تحت عنوان « انصافا لطه حسين » ، قد ذكر فيما رواه عن الدكتور الحوفى ان العميد لم يرجع عن رأيه فى هذا الموضوع فلم أسمع منه ما يفيد انه يرى ان الشعر الجاهلى غير منحول ، بل انه فى بعض ما حدثنى به يؤكد ما اومات اليه آنفا ، فقد قال عن كتاب « الحياة العربية من الشعر الجاهلى » وهو من تاليف استاذنا الدكتور الحوفى: ان من الخطأ ان نتعرف على الحياة العربية قبل الاسلام من الشعر الجاهلى، وانما يجب أن نتعرف عليها من القرآن الكريم • وهذا يعنى ان الشعر الجاهلى لا يعد مصدرا موثوقا به فى دراسة الحياة العربية ، وما ذلك الا لانه منحول أو مشكوك فى صحة نسبته الى شعراء العصر الجاهلى •

مع الحرية والديمقراطية

وتجدر الاشارة الى أن الملك فؤاد كان من وراء ثورة الازهر ضد كتاب « فى الشعر الجاهلى » ومؤلفه ، فقد ذكر لى العميد ان عبد الخالق ثروت سال الشيخ أبا الفضل الجيزاوى ـ وكان شيخ الازهر ـ عن الحملة التى يقوم بها الازهر ضد طه حسين ، فقال الشيخ ان الازهر غير مسئول عن هذه الحملة ، فساله عبدالخالق: ومن المسئول اذن ؟ فقال : الملك فؤاد • ويضيف العميد قائلا : ان الملك فؤاد كان يقدرنى جدا ويحبنى ولكنه غضب علىّ حين ناديت بالدستور ، وتحدثت عن الحياة الديمقراطية • لقد ضاق بى الملك لمناداتى بالحرية والديمقراطية ، ومع هذا كان يقدرنى ، فقد قال « لسيلاكوه » مدير المتحف المصرى : انى احترم طه حسين ولكننى لا احبه •

وقلت للعميد : يبدو ان الملك كان يرغب فى ان تكون من انصاره الذين يكتبون عنه ويشيدون به ، وجاء رد العميد فى انفعال : لم افعل هذا معه ولا مع غيره من الحكام •

وكان الاستاذ فريد شحاته الذى عمل مع العميد سكرتيرا نحو اربعين عاما قد زعم بعد ان تخلى عن العمل معه ان العميد تاثر بالمستشرقين فى محتوى وعنوان بعض كتبه ومنها « حديث الاربعاء » •

وعقب العميد على مزاعم سكرتيره فقال : فصول كتاب « حديث الاربعاء » قراها الناس فى

السياسة والجهاد ، فقد كانت في الاصل طائفة من المقالات نشرت في هاتين المجلتين ، ولاني كنت اكتبها للناس في يوم الاربعاء سميت بحديث الاربعاء كما يفعل الان الاستاذ احمد بهاء الدين في الاهرام حين ينشر اسبوعيا مقالا يوم الاحد ويسميه حديث الاحد ، فيمن تاثر بهاء الدين من الاجانب او حتى من العرب في حديثه ان صح زعم فريد اني تاثرت في حديث الاربعاء ببعض الكتاب الاجانب » .

قصة « على هامش السيرة »

كذلك زعم الاستاذ فريد ان العميد سرق عنوان كتابه « على هامش السيرة » من كاتب فرنسي هو « جيل لوميتر » الذى عاش تقريبا ما بين سنتي (١٨٥٣ ـ ١٩١٤ م) .

ويعقب العميد على هذا فيقول : انني اعجبت بهذا الكاتب الفرنسي وطريقته في الكتابة ، فقد الف كتابا بعنوان « على هامش الكتب القديمة » وفيه كان يقلد اسلوب الكتب القديمة مثل الالياذة والاوديسا ثم يعلق بعد التقليد ، فاردت ان اكتب كتابا على غرار ما فعل الكاتب الفرنسي فاخترت السيرة النبوية لتكون مادة اكتب على هامشها كتابا يعد من احب الكتب الى نفسي ، وقد اعترض كثيرون على هذه التسمية ، ولكني اصدرت « على هامش السيرة » في ثلاثة اجزاء ، وكنت اظن في اول الامر انها سوف تصدر في جزء واحد ، وقد اعتمدت على الخيال في هذا الكتاب الا فيما يتعلق بالرسول عليه السلام .

ولقد قلت اكثر من مرة انني كتبت اشياء ليست هي السيرة في صميمها ولكن على هامشها وجيل لوميتر يقلد الكتب الاجنبية القديمة ، ولعل مصر تاثرى به هو في العنوان ، فكتابي على هامش السيرة النبوية ، وقد قلت في مقدمته : ما قصدت الا احياء الادب القديم واحياء ذكر العرب الاولين بعد ان قرات السيرة فامتلات بها نفسي ، وفاض بها قلبي ، وانطلق بها لساني ، هي على ذلك صورة يسيرة طبيعية لبعض ما اجد من الشعور حين اقرا كتب السيرة التى لا اعدل بها كتبا اخرى مهما تكن والتي لا ينقضي حبي لها واعجابي بها وحرصي على ان يقراها الناس .

ويختم العميد تعقيبه بقوله : ان ماينحيه فريد ول كتبي شيء لا يطاق ولا يعقل .

وسئل العميد عن كتابه « الايام » ايعد قصة ادبية او ترجمة ذاتية ؟ فاجاب : لا يعد كتاب الايام قصة ادبية ، ولكنه ترجمة ذاتية وليس اول ترجمة ذاتية في الادب العربي كما يذهب البعض ، فهناك ابن خلدون كتب عن نفسه في رحلته ، وبهذه المناسبة اذكر اني الفت الجزء الاول والثاني من الايام في اوربا ، واني امليت الجزءين في ظروف متشابهة ، فالجزء الاول امليته بعد صدور كتاب « في الشعر الجاهلي » وما اثار من مشكلات ، وكنت في اوربا اتابع ما يدور حول هذا الكتاب ، واشعر بضيق شديد لما يجرى من احداث ، وحاولت الهروب من هذا الضيق او التغلب عليه باملاء الجزء الاول من الايام .

واما الجزء الثاني ، ففي سنة ١٩٢٨ حرض محمد محمود رئيس الاحرار الدستوريين طلبة كلية الحقوق عليّ فهجموا على مكتبي في كلية الاداب وحطموا بعض اثاثه ، وقد تألمت لهذا ابلغ الالم ولجأت وانا في اوروبا الى املاء الجزء الثاني من الايام علني انسى تلك الالام .

نصيحة في غير محلها

والذى اذكره ايضا اني امليت الجزء الاول في ستة أيام والثاني في تسعة ، وقد نشر الجزء الاول في مجلة الهلال ، ثم جمعته بعد ذلك في كتاب ، وكان من راى صديقي المرحوم الاستاذ عبد الحميد العبادى الا اجمع ما كتبته في الهلال لانه لايستحق ان يكون كتابا ، وقد طبع هذا الجزء من الايام حتى الان نحو اربعين طبعة ، وترجم الى جميع لغات العالم تقريبا ، وقد ترجم اول ماترجم الى اللغة العبرية قبل ان يكون لليهود شان في فلسطين .

وكانت دار الاداب البيروتية قد نشرت للعميد كتابا بعنوان « مذكرات طه حسين » وذلك في سنة ١٩٦٧ وتعد هذه المذكرات الجزء الثالث من الايام ، ومن ثم لم يرض العميد عما قام به الدكتور سهيل ادريس في هذه المذكرات من وضع العنوانات الداخلية للفصول ، وقد اعيد طبع هذا الجزء في دار المعارف على النسق الذى صدر به الجزء الاول والثاني .

على ان العميد ـ كما تحدث بهذا في مناسبات عديدة ـ كان يطمع في ان يمد الله في عمره ويسبغ عليه نعمة العافية ، ليكمل كتابيه الايام

والفتنة الكبرى ، ولكن لكل أجل كتاب ، وان الايام باجزائه الثلاثة لا يترجم من حياة العميد سوى طفولته وصباه وحياته في الازهر والجامعة المصرية القديمة ، ولو قدر لهذا الكتاب ان يكون ترجمة كاملة لحياة العميد لبلغ نحو عشرة اجزاء ، لان حياة العميد بعد عودته من اوربا اتسمت بطابع الصراع ، الصراع السياسي والصراع الفكري ثم هي في الوقت ذاته مرحلة الانتاج العلمي والادبي ، وقيادة الحياة الادبية والفكرية في العالم العربي ، فضلا عن المناصب التي اسندت اليه كالعمادة والوزارة ورئاسة المجمع اللغوي •

واما احلام شهرزاد فانها قصة رمزية تحدثت عن فساد الملكية في مصر ، وقد ظهرت هذه القصة في اول عدد من سلسلة « اقرأ » التي تصدرها دار المعارف منذ نحو ربع قرن •

ان الملك فؤاد كان يعرف قدر العميد غير انه لم يكن يطمئن اليه او يحبه بسبب ما اومات اليه في الحديث عن كتاب « في الشعر الجاهلي » ، ولكن الملك فاروق لم يكن كابيه يعرف منزلة العميد ، ومع هذا كان يراه مناوئا للعرش وقد حدثني العميد عن علاقاته بفاروق فقال :

« لقد نشرت في مجلة « الهلال » مقالا تحت عنوان « القلب المقفل » أو المغلق لا أدرى ، وبعد نشره جاءني الاستاذان فكري اباظة واميل زيدان ، وقالا لي : ان الملك يظن ان المقال يعرض به ، فقلت لهما : ليس في المقال تعريض بالملك ولا اعنيه بما كتبت ، ثم صمت العميد برهة وقال : واقسم بالله ان الملك كان في ذهني وانا اكتب المقال •

رد على الملك

ولما تولى العميد وزارة المعارف ووقف امام فاروق يقسم اليمين قال له : انا بامتحنك يا دكتور طه ، ولا أريد هذا الكلام الفارغ الذى تحدث به الناس في الجرائد • ويقول العميد : ولزمت الصمت ولم أرد على الملك ولكن ردى عليه كان بعد ذلك اللقاء بيوم واحد فقد اعلنت مجانية التعليم الابتدائي والثانوي •

ولما اردت اعلان مجانية التعليم الجامعي رفض فاروق بشدة وقال للنحاس : ان طه يريد أن يجعل البلد شيوعية •

وسئل العميد عن الشخصية التي يتحدث عنها في كتابه « أديب » فقال انها شخصية الاستاذ جلال شعيب وكان مبعوثا في باريس ، غير انه اصيب بمرض عقلي فكان يسيء التصرف ، مما حملني على الاتصال بسعد زغلول ، وكان مراقبا للجامعة الاهلية ، وشرحت له حالته ، ورجوته في استدعائه ،وتم نقله الى مصر ،ثم توفي بعد ذلك•

واذا كان « أديب » قصة واقعية تناولت شخصية عرفها العميد عن كثب ، فان سائر ما كتب من قصص يقول عنه : ان كل ما كتبت من قصص حقيقية ليس فيه خيال اللهم الا بعض الاحداث القليلة لربط اجزاء القصة ربطا فنيا •

ويتحدث العميد عن بعض قصصه فيقول عن «شجرة البؤس» : لقد كتبت هذه القصة في اجازة بلبنان ، كنت في هذه الاجازة اقرأ صباحا في صحيح البخاري ، ومساء اقرأ لكارل ماركس ، وبين الصباح والمساء أملي كل يوم بعض هذه القصة •

ويقول عن «الحب الضائع»: أنا لا أرضى عن هذه القصة ، او بمعنى اصح لا اميل اليها ، وقد كتبتها مسلسلة في مجلة « الراديو » قبل أن يصبح حكوميا •

ورتب العميد ما كتب من قصص ترتيبا زمنيا فقال : اديب ثم شجرة البؤس ، فدعاء الكروان ، والحب الضائع ، واحلام شهرزاد والمعذبون في الارض •

ونشر العميد بعض القصص القصيرة في الصحف والمجلات ولكنه قال عنها : ــ وكان يحدثني عن هذا في مستهل يونيو سنة ١٩٧٠ ــ لا اذكرها الآن •

وبعد فهذه لمحات عن بعض مؤلفات طه حسين التي قال عنها : ما قرات كتابا الفته ولا راجعت نصا بعد كتابته ، ومع هذا كان يرغب في مراجعة كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » ليغير فيه بعض الآراء ، فقد انتشر التعليم واصبح مجانا في جميع مراحله ، كما قويت الصلات العلمية والادبية بين البلاد العربية •

والعميد مع هذا ايضا كان احيانا يشير الى ان من بين كتبه مؤلفات حبيبة الى نفسه وهي : على هامش السيرة والوعد الحق ، والشيخان ، ومرآة الاسلام ، وتجديد ذكرى ابي العلاء باعتباره اول كتاب تحدث عن رهين المحبسين • ■■

طرابلس الغرب ــ د • محمد الدسوقي

هذه مجموعة من الاراء والملاحظات والتساؤلات تعالج بعض القضايا الحيوية، وتعبر عن وجهات نظر اصحابها في هذه القضايا٠٠ وعملا بحرية النشر ، فاننا نفسح المجال لهذه الاراء كما تلقيناها ، بغير حذف او تعديل ٠

● من المغرب ●

لماذا الهجوم على ماضي.. الأمة العربية

تشهد ساحة الفكر العربي في السنوات الاخيرة هجوما مخططا على تراث الامة العربية الاسلامية ٠ حتى استطاع المهاجمون أن يجعلوا جمهورا من المتعلمين والطلبة ، يعتقدون بان التراث العربي يمثل أحد المشاكل التي تعرقل تقدم الامة العربية ، وأخذ هذا الهجوم يتسع شيئا فشيئا ، ويمتد من الصحافة الى المحاضرات ، ومن الكتب الى حلقات الدروس في المدارس الثانوية والكليات ، وأحيانا يتسرب الى الاذاعة والتلفزة برفق وهدوء ٠ ومع مرور الايام يكبر هذا الوهم ، ويصبح تراثنا في نظر مئات الآلاف من تلاميذنا في الثانويات وطلبتنا في المعاهد والكليات ، وشبابنا المتفرنس أو المستغرب المستلب ، ليس فقط مشكلة يجب التخلص منها ، وانما تمتلىء نفوسهم بالحقد والكراهية له ـ ومن جهل شيئا عاداه بعد أن تجسدت فيه الخطيئة، ونسب اليه الجمود والتخلف٠

بقلم : ادريس الكتاني

■ لقد اصبحت تلقى على التراث مسئولية تخلف امتنا وضياعها، والتراث بريء من هذا كله، ويكفي ان نسجل هذه الحقائق لنتبين الى أي مدى نحن بعيدون عن هذا التراث المفترى عليه ٠

١ ـ نظام التعليم في العالم العربي والاسلامي، من المدارس الابتدائية حتى الجامعات ، هو النظام الغربي نفسه : المناهج والمواد والحصص نفسها تقريبا ، ولا يمثل عدد طلبة المعاهد الاسلامية

وتراثها؟

التقليدية (جامعة الازهر بمصر، وجامعة القرويين بالمغرب ، والجامعة الأسلامية بالمدينة المنورة ، ومعهد الزيتونة بتونس) بالمقارنة مع عدد الطلبة العام فى العالم العربى الا نسبة ضئيلة لا تكاد تذكر •

٢ ـ مواد اللغة والثقافة العربية فى التعليم الثانوى والعالى العصرى اختصرت كما وكيفا ، فلم يعد المحصل على الثانوية العامة وطالب الجامعة ، يستطيع ان يكتب بضعة أسطر دون اخطاء املائية أو لغوية أو نحوية ، أما المواد الاسلامية فقد جمعت كلها (فى التعليم الابتدائى والثانوى) فى حصة واحدة بعنوان : التربية الاسلامية ، لا تتجاوز ٤٥ دقيقة فى الاسبوع ، وهى مع ذلك مستبعدة ، فى الامتحانات العامة ، ولذلك لم تعد تحظى باى اهتمام من لدن التلاميذ ولا المعلمين •

ومادة الفلسفة جردت تماما من اى شىء اسمه الفلسفةالاسلامية او الفلاسفة المسلمين، وبرنامجها عبارة عن ترجمة للبرنامج الفرنسى مثلا ، مع اعطاء الاهمية الكبرى للفكر الماركسى ، والحاصلون على البكالوريا فى المغرب مثلا ، مثل زملائهم بفرنسا ، لا يعرفون شيئا عن الفارابى ، وابن سينا ، وابن رشد ، والكندى ، والغزالى ، وابن تيمية ، ولا يعترفون بوجود فلسفة اسلامية •

٣ ـ اغلبية القوانين فى هذا العالم ـ باستثناء المملكة العربية السعودية ـ مقتبسة ومستمدة من القوانين الغربية ، والفرنسية بصفة خاصة ، ولم تستطع التخلص من سيطرتها حتى اليوم •

٤ ـ وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية فى العالم العربى ، تنقل وتترجم كل ما تصل اليه امكاناتها عن حركة الغرب والشرق الثقافية والاقتصادية والعلمية ، وهذا فضلا عن الكتب والصحف والمجلات والافلام والمسجلات الغربية الاجنبية التى تغزو أسواقنا وقاعاتنا السينمائية، بل هى فى بعض هذا العالم كبلدان المغرب العربى تفوق ، كما وكيفا واستهلاكا ، الانتاج الوطنى اضعافا مضاعفة •

غارقون فى تقليد الغرب

أين هو اذن هذا التراث الذى يثقل كاهل امتنا ويعوق تقدمها ؟

باستثناء المعاهد الاسلامية المذكورة ، وخزائن المخطوطات والمكتبات والمتاحف الوطنية ، فان شيئا من هذا التراث لا يكاد يعيش معنا ، لا فى بيوتنا ، ولا فى مدارسنا ، ولا فى محاكمنا ، ولا فى مكاتب عملنا ، أو مصانع انتاجنا ، أو مجالات نشاطنا ولهونا !

بقيت بعد ذلك الجامعات ، التى يقاوم فيها أيضا هذا التوجه الى تحقيق التراث ، بينما ذلك تقليد اخذناه وتعلمناه من أساتذة الجامعات الغربية ، والمستشرقين الذين حققوا ونشروا من كتب تراثنا فى المشرق والمغرب الشىء الكثير • واذا كنا نعلم بان هناك أكثر من ثلاثة ملايين مخطوط عربى ، بينها آلاف من الذخائر التى لا تقل شأنا عن أكبر الانجازات العلمية، فى حضارتنا الاسلامية العالمية ، لم تنشر حتى الان ، فكيف نستكثر على بعض الباحثين الجامعيين فى كليات الآداب خاصة ، أن يدرسوا ويحققوا بعض هذه الذخائر ، فى اطار فروعهم التخصصية ، وبهدف التوسع والتعمق فيها ، ومعاناة التجربة التى مر بها عالم كبير متخصص قبلهم فىهذا الفرع من المعرفة، وتقييمهم لها ؟!

وللاسف الشديد فان ضغوط الانصراف حتى عن البحث العلمي في التراث بدات تثمر • وبدات الرسائل الجامعية ايضا تتخلص من التراث ، وتهاجم الماضي ، فمنذ اقل من سنتين كان زميلنا في كلية الاداب بجامعة محمد الخامس المرحوم الدكتور زكريا ابراهيم بقطر(١) عضوا في لجنة مناقشة احدى رسائل الماجستير ، وقد جاء في نقده ، مما يتعلق بصميم موضوعنا ، ويشير الى اهداف الهجوم على الماضي ، قوله :

اذا ضيعنا الماضي

« ••• ولكن الطالب حين يتحدث عن فكر المرحوم علال الفاسي » الذي يعد العودة الى الماضي بمثابة ضرب من (التحرر) ، نراه ياخذ على المفكر السلفي الكبير انه لم يدعنا الى « تصفية الحساب مع الماضي ، والتحرر منه » ؟ ، ويتساءل المرء : كيف يطالبنا الباحث بالتحرر من الماضي ، وهو يعلم أن هذه دعوى استعمارية استلابية ، هدفها قطع جذور الامة العربية ، والعمل على فصل حاضرها عن ماضيها ، والقضاء على شخصيتها التاريخية ؟ •

انا افهم ان ياخذ على انصار السلفية المتزمتين محاولة تقليد السلف دون ادنى اجتهاد أو ابتكار او تجديد ، ولكن الذى لا افهمه ان يدعونا الباحث الى تصفية حسابنا مع الماضي والتحرر منه، وكانما هو ينسى أو يتناسى ان الماضي هو ذاكرتنا القومية، وان الكائن البشرى (فردا كان او جماعة) الذى لا تاريخ له ، كائن عار لا يجسر أن يظهر امام الناس ! ، بل لماذا لا نقول ايضا ان الحاجة الى الابتكار والمبادرة والتجديد ، قد لا تزيد اهمية في بعض الاحيان ، عن الحاجة الى التاصيل والاتباع والتقليد ؟ ، ان المسالة ليست مسالة تقليد أو تجديد ، اتباع او ابتداع ، اعتراف او اغتراب ، بل المسالة هي مسالة « وعي مستبصر » يعرف « ماذا يقبل » و « ماذا يرفض » ، و « لماذا يقبل » و « لماذا يرفض » ؟

ولسنا نعرف في تاريخ البشرية الطويل ، امة واحدة وجدت في كل ماضيها مجرد سلسلة متلاحقة من الصور القاتمة ، كما أننا لا نكاد نلتقى ـ في كل تاريخ المجتمعات ـ بمجتمع واحد رفض كل تراثه ، لمجرد انهيريد احداث تغيير جذرى حاسم !، والحق ان الثورة ليست ثورة على الاسلاف ، بل هي ثورة على رواسب التخلف اينما وجدت ، ولم يكن الاسلاف جميعا دعاة جمود ، او اهل تخلف ، بل لقد كان منهم دعاة التغيير ، واهل التقدم ! ، وما ذنب الاسلاف ، اذا كنا نحن ابناءهم ، لم نعد نعرف كيف نواجه ظروفنا بما تتطلبه المواقف الجديدة من حكمة ، وتعقل ، ومرونة ؟! •

لقد كان المرحوم زكريا ابراهيم مثالا للعربي المسيحي المخلص لامته ، وتاريخه ، ووطنه ، ومهمته العلمية وكان شجاعا في شرح هذه الحقائق •

للذكرى والتاريخ

انني أحب ان اذكر الذين يهاجمون التراث ، بكل فرقهم ، بالحقائق التالية :

١ ـ التراث الاسلامي هو الذى جعل الجهاد والمقاومة ضد المستعمرين والمستبدين والظلمة ، جزءا من عقيدة المجتمع الاسلامي واخلاقه، وبفضله قاوم هذا المجتمع الصليبيين والمغول والتتر والمستعمرين القدماء والجدد ، واسترجع حريته من جديد ، في المشرق والمغرب •

٢ ـ هذا التراث ليس مفروضا على احد ، يباع

(١) توفى بالرباط يوم ٢٦ ابريل ١٩٧٦ على اثر أزمة قلبية ، ونقل الى القاهرة حيث دفن بها•

فقط في السوق الحرة ، ويعيش محاصرا في مجال ضيق ، فلماذا تثورون وتتضايقون من طبع بضعة الاف نسخة من سيرة الرسول عليه السلام ، أو من تفسير القرآن ، ولا يكون لكم نفس الموقف من ملايين النسخ التي تنشر باشكال مختلفة ، عن حياة ماركس ومذهبه ؟؟

وكيف تسخرون من نشر بعض كتب الادب العربي ، لم لا تقولون شيئا عن ملايين النسخ التي تخرجها المطابع العربية (واغلبها مترجم) من الكتب المدرسية ، وكتب الايديولوجيات والاتجاهات المعادية ، التي تزيف وتشوه حقائق التاريخ العربي الاسلامي في المشرق والمغرب ، وتغذي الحقد والكراهية لهذا التاريخ ، وتنشر الالحاد ، وتسعى لتعميق الخلاف والعداء بين أبناء الامة العربية ، فضلا عن قصص الجنس والاجرام التي تنشر الاباحية والانحلال والعنف ؟!

٣ ـ التخطيط الفكري والعلمي لبناء المستقبل ، والاهتمام به في جميع الميادين ، وعلى سائر المستويات ، تقع مسؤوليته على رجال الحكم ، وقادة الفكر والعلم الجامعيين ، فاذا قصر أو تخلف هؤلاء عن دراسة علوم المستقبل ، فهل من المنطق والعدل ان نصب جام غضبنا على الذين استمروا في دراسة علوم الماضي ؟!

٤ ـ الصراع المرير والطويل بين العالم العربي الاسلامي وبين اعدائه هو اساسا صراع من أجل المستقبل ، وكل تخطيطات هؤلاء تهدف لضمان استمرار سيطرتهم الاستعمارية ـ الصليبية مستقبلا ، وبث الالغام في طريق تقدم هذا العالم ووحدته ، واشغاله بمشاكل حاضرة عن التفكير في بناء مستقبله ، من ذلك مثلا :

أ ـ ان التفكير في تجميع يهود العالم وانشاء دولة يهودية على أرض فلسطين منذ سنة ١٨٤٠ كان تفكيرا وتخطيطا من أجل هذا المستقبل •

ب ـ وان التآمر على الامبراطورية العثمانية ، واثارة الفتن والاضطرابات الطائفية والعنصرية لاضعافها وتفكيك أوصالها من الداخل ، كان عملا مخططا من أجل هذا المستقبل •

جـ ـ وان وقوف العالم كله ضد الوحدة العربية سواء منه الدول الصناعية الاوروبية ، أو الدولتان الكبريان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، هو ايضا منمخططات ضمان مستقبلها •

د ـ وان الغزو الفكري واللغوي والمذهبي لشعوب العالم العربي ـ الاسلامي ، لم يهدف فقط لتفكيك وحدتها القائمة على أساس اسلامي ، وانما يسعى أيضا لعدم قيام اى وحدة لها، لا على أساس قومي لغوي ، ولا على أساس منهجي اشتراكي ، ولا على أساس وطني جغرافي ، ولا على أساس اقتصادي سياسي • هذا الغزو المتعدد الاتجاهات والاعماق ، كان نتيجة تفكير طويل ، وعمل دائب ، لعقول علمية خططت لضمان مستقبل دولها ، ضد خطر قيام أية وحدة ، من أى نوع ، للعالم العربي أو الاسلامي • وضد نهضته وتقدمه في المستقبل القريب •

فهل يعتقد الذين يحملون معاولهم اليوم ، للمساهمة في هدم ماضي أمتهم ، والتخلص من تراثها ، ان هذه الطريقة هي الخطة المثلى لبناء مستقبلها، واظهار الغيرة والاهتمام بهذا المستقبل؟

بدلا من أن نثير جدلا حول التراث ، أليس من الحكمة والموضوعية ، والبعد عن ردود الفعل الشخصية والعاطفية ، ان نشغل وقت المفكرين والباحثين بالاجابةمثلا عنالاسئلة العلمية التالية:

ما هي عوامل تخلف المجتمع العربي الداخلية والخارجية ؟ ما هي « مخططات » أعدائنا لاستمرار هذا التخلف ؟ كيف نضع « مخططات مضادة » لمواجهتها ؟ وكيف نطبقها ؟ ■■

ادريس الكتاني
استاذ علم الاجتماع بكلية
الاداب/جامعة محمد الخامس/الرباط

● من أمريكا ●

الانهزام الثقافى أمام .. الغزو الثقافى ؟

بقلم :
الدكتور مصطفى ابراهيم شعبان

الاستاذ بمعهد وست فرجينيا التكنولوجي

■ فى عالمنا العربى جبهة رفض ثقافى ، هم جزء من مركب النقص الذى تعانى منه ، منذ ان انطفأ مشعل الحضارة الذى حمله المسلمون منذ قرون ، وبعد ازدهار الغرب وتقدمه .. ويزداد مركب النقص تركيبا كلما اتسعت الشقة بين الشرق والغرب . الغرب ينتج حضارة ، والشرق يستهلك حضارة ، والمثقفون واقفون بالمرصاد كمحاكم التفتيش الاسبانية ، يحرمون ويحرمون ، ويعجزون من ان يقدموا للناس بديلا يفهمونه او ينسجم مع حضارتهم ودينهم .

فى هذا الاتجاه كتب الدكتور جلال احمد امين مقالة فى « مجلة العربى » (عدد ٢٢٩) يعترض فيها على تصرفات « مثقفى العالم الثالث » كما اسماهم . لكنه يرفع راية جديدة للرفض بالوان ازهى من ذيل الوان الطاووس ، ولكن راية الرفض هذه مهما تداخلت الوانها وتعددت يمكن تلخيصها فى نقاط ثلاث :

١ ـ ان هناك مصطلحات صنعها لنا الغرب لا يجوز للعربى ولا للمسلم استخدامها لانها « ترسخ بالتدريج فكرة العربى السيئة عن بلاده » اى أنها تشيع الاحساس بالانحطاط واليأس .

٢ ـ ان هناك بعض المثقفين « الغونة » الذين يرحلون للعمل فى بلاد الغرب و « أشباه الغونة » الذين يذهبون الى المؤتمرات الدولية ويكلمون الفرنجة بلغتهم ويراطنونهم برطانتهم .

٣ ـ ان المثقفين الذين لم يهاجروا ـ رغم انهم افضل من الذين هاجروا قد فسدوا لأسباب ايسرها استخدام لغة الفرنجة ومصطلحاتهم ، ثم التطلعات الاستهلاكية غير الطبيعية التى لا تتلاءم مع ما تستطيع حكومتنا بذله لمثقفيها .

ولنستعرض هذه النقاط الثلاث :

العبرة ليست بالتسمية

ان المصطلحات لغة كأى لغة أخرى ، واللغة وسيلة للتعارف ، ويمكن استخدام أى كلمة او حرف للتدليل على أى شىء ما دام الناس كلهم يعرفون ماذا تقول ، والدكتور جلال امين « يرفض » تعبير « الدول المتخلفة » لانه تعبير بغيض ، و «يقبل » تعبير « العالم الثالث » للاشارة الى نفس الدول وهذا فى تقديرى كالمستجير من الرمضاء بالنار ، فتعبير « العالم الثالث » أشد قسوة من « الدول المتخلفة » لان القول باننا ثالث ثلاثة

يعني أن هناك عالما اول ، ثم عالما ثانيا ثم آخيرا هذا العالم التعس الذى يطلق عليه العالم الثالث·

ان الذين اطلقوا علينا عبارة « الدول المتخلفة » قد ارتدوا عن غيهم منذ ثلاثين عاما ، واسمونا « الدول النامية » ، وعلى جهابذة الرفض الثقافي مجرد ترجمتها ترجمة سليمة ، ويستطيعون ان شاءوا أن يسموها أى شيء يريدون ، ما داموا يستخدمون هذه التسمية لتعني مجموعة من الدول يجمعها قاسم مشترك واحد أقل قليله الجهل والفقر والمرض ·

ولعل الدكتور جلال امين يعلم أن معايير التقدم والتخلف ليست مجرد انخفاض مستوى دخل الفرد· ان قراءة أبسط كتب التنمية الاقتصادية تجزم بغير ذلك ، فمستوى التعليم ومعدلات استهلاك الصحف والكهرباء ووسائل النقل والمواصلات السلكية واللاسلكية ، وعدد الانقلابات ونوع الغذاء ، وغير هذا كثير ـ كلها مقاييس للتقدم والتخلف ·

ورغم أن مستوى دخل الفرد الحقيقي في بعض الدول العربية أضعاف أضعاف مستوى الدخل الحقيقي للفرد في امريكا ، أو كندا ، أو غربي اوروبا ، نجد أن هذه الدول العربية تعتبر متخلفة بكل المقاييس ، والعبرة هنا بالمقدرة على خلق الدخل والصناعة والزراعة والتجارة والصيد وغيرها ، لا باستهلاك كل هذا ثم النوم ، يقينا منا بان جبهة الرفض الثقافي ستدافع عنا ، وتقول اننا قوم متقدمون ، وان سفهاء الغرب هم الذين يحاولون تحطيم نفسياتنا واختراع مصطلحات تصمنا بالتخلف ·

لقد كانت العرب تسمى من لدغه عقرب او ثعبان بالسليم · ولم يكن هذا ايمانا منهم بان الملدوغ سليم، ولكن هذا كان مجرد تيمن للمريض بالشفاء · فاذا كان الكاتب يقصد تغيير المصطلح من الدول النامية أو المتخلفة أو العالم الثالث تيمنا للعرب والمسلمين بالنهضة بعد طول سبات ـ فنعم ما يعمل ، أما ان كان يحاول اقناعهم بالاستمرار في النوم فلا يجوز لنا ان نقف موقف المتفرج لان هذا أخطر من الغزو الثقافي ·

اما احتجاجه على تعبير« الشرق الاوسط » فانالااكاداجد ما يبرره·فالمنطقةمن الناحية الجغرافية تقع في شرق البحر الابيض المتوسط وليسهناك عار في ان تكون شرقا او غربا او ان تكون في الوسط والتعبير نفسه غير جامع ولا مستقر فكلمة الشرق الاوسط بالنسبة للامريكي تشمل منطقة تحدها ليبيا في الغرب (معذرة) وتركيا في الشمال وباكستان في الشرق والجزيرةالعربية في الجنوب ، أما الانجليزى فيشمل التعبير عنده الحبشة والسودان والصومال ، واحيانا يمتد ليشمل الهند وبورما والتبت·ونحنحيننقول امريكا الشمالية لا نعني أن نغمز أمريكا او كندا ، وحين نقول اهل الجزيرة العربية لانعني اناسا يعيشون في البحر ولا نعني كلمة «جزيرة» بمدلولها اللغوى، انما هو اختصار وبديل من قولنا شبه الجزيرة العربية · ولست ادرى ماذا نكسب او نخسر اذا أشرنا الى مشكلة العرب مع الصهاينة بانها مشكلة الشرق الاوسط او قضية فلسطين اومشكلة الاستعمار الصهيوني ، أو اى اسم آخر مادام السامع والقارىء يفهم ما نعني ·

« الاطرش في الزفة ! »

ثانيا : ان الكاتبيخلطبين من يذهبللمؤتمرات الدولية ويغالط نفسه ويخون أمانته العلمية ليجامل الاجانب سواء كانوا من الشرق او الغرب وبين من يذهب لهذه المؤتمرات ويشرف امته وعمله ·· والفريق الاول لايعدو ان يكون من انصاف المتعلمين بين حملة الدرجات العلمية وكثير ماهم ، ثم ان الخلط في ذهن الكاتب

ليستشرى حتى يطلق صيحة التحريم المشهورة ، فيحرم مخالطة الفرنجة ومخاطبتهم واستخدام لغتهم ومصطلحاتهم التى يظن انهم ما اخترعوها الالهدم نفسياتنا ثم يحرم الدخول فى حوار مع هؤلاء الاعداء لانهم يغشون «علماء » دول العالم الثالث ويجعلونهم يقولون مالا يريدون ! !

اننا يجب ان نغتنم كل فرصة لنقول رأينا ، ونعلن حقنا . ان اعداءنا فى كل مكان يشكلون الراى العالمى ضدنا بلسان وبيان وجدل ، ونحن نجلس فى هذه البلاد ذاتها « مثل الاطرش فى الزفة » كما يقول المثل الدارج ؟ .

« ويل للمخلصين من هجمات جبهة الرفض الثقافى .. ان ردوا على الاعداء مزاعمهم لعنوهم ، وان سكتوا عن هجمات الطاعنين تباكى الرافضون على عقم المفكرين فى بلادنا !

ثالثا : اما ملاحظة الكاتب الاخيرة ففيها مغالطة للواقع فى نواح عدة .

فالدول التى تقبل علماء الدول النامية لاتجرى وراء هؤلاء العلماء بالمال وغرف الفنادق الفاخرة لاغرائهم .بل يعلم دارسو احصاءات السكان أن هناك قوة دفع للسكان من القرية الى المدينة ، لاكتظاظ القرية بالسكان وعدم توفر فرص العمل فيها . وكذلك هناك قوة دفع من الدول النامية الى الغرب لاسباب تكاد تكون متشابهة،وليس تدافع ذوى الخبرات والعلماء للعمل فى الدول النامية الغنية بالبترول الا مثلا .

ان هناك اسباب «طرد» كثيرة هى التى تدفع علماء الدول النامية الى الهجرة خارج بلادهم . ونحن نظلمهم كثيرا اذا اتهمناهم بانهم ضحايا اغراء من اى نوع .

اعطوا علماء هذا العالم الفقير الفرصة والمناخ المناسب ، وسترون ماذا سيقدم كل منهم لوطنه وشعبه .

● من القاهرة ●

الصناعة للناس أم .. الناس للصناعة ؟

بقلم : المهندس حافظ احمد أمين*

اقامة أى صناعة تبدأ دائما بالسؤال التالى : « ما هى حاجات الناس ... حتى ننتجها لهم ؟ » . وبعد أن تمر السنين، وتدور الآلات ، وتتدفق الارباح على أصحاب الصناعة ، وينتهى الامر بأن يقتصر تفكير القائمين على المصنع على الاجابة على سؤال واحد، هو : « كيف نفرض على الناس ما ننتجه ؟»

* مدير احد مصانع القطاع العام فى مصر .

● كانت مصانع السيارات تقام في بادئ الامر، من أجل حل مشكلات الانتقال عند الناس ،وانتهت بان ضاعفت من مشكلات الانتقال ، لان القائمين على هذه الصناعة اصبحوا يخططون المدن والطرقات بما يحقق لهم التوسع في الانتاج ، وزيادة المكاسب، دون النظر الى صالح الناس ، كما اصبحوا يصممون السيارات لتكون قصيرة العمر ،ويصممون قطع غيارها لتكون سريعة التلف ·

كذلك بدأت مصانع الاسلحة والذخيرة في اوروبا لتلبي حاجة الجيوش الوطنية ، والدفاع عن أمن الامة وسلامتها ، ثم انتهى الامر بأن اصبح القائمون على هذه المصانع يخططون للعداوات والخلافات خارج بلادهم ، ويخلقون اسباب النزاع والخصام في الدول المختلفة ·

وتحديد مودات الملابس ومواصفات الجمال ، وتغييرها كل موسم ، والالحاح في الاعلان عنها، لايتم الا لصالح المنتجين والخياطين والحلاقين ، دون مراعاة صالح المستهلك المسكين ، وتحديد نوع السياحة واماكن الزيارة يتم لصالح القائمين على شئون السياحة وليس لصالح السائحين ، وتخطيط برامج التعليم يكون لصالح المستفيدين من الخريجين ، وليس لصالح طلاب العلم والثقافة ·· وهكذا ·· يحدد كل شيء لصالح مقدم السلعة او الخدمة ، دون ادنى اعتبار لما يحتاج اليه الناس·

بين الرغبات والاحتياجات

لم يكن هناك – في الماضي – تعارض كبير بين « رغبات » الناس و « حاجاتهم » ··· كان الفرد « يرغب » – غالبا – في شراء ما « يحتاج» اليه، فجاءت الاعلانات الحديثة ، وانماط الحياة الجديدة، لتخلق لدى الناس « رغبات» بعيدة كل البعد عن « الاحتياجات» ، ولتجعل من احتياجاتهم الحقيقية امورا مهملة منسية ·

اصبحت رغبتي تنحصر في متابعة مسلسلة تلفزيونية تافهة ، بينما حاجتي الحقيقية هي في الحصول على الثقافة المفيدة ·

واصبحت رغبة زوجتي تنحصر في الحصول على ادوات الزينة التي يعلنون عنها كل ساعة ،بينما حاجتها الحقيقية هي في العناية بنضرة بشرتها الطبيعية ·

واصبحت رغبة ابني هي في اقتناء ساعة ذات طراز جديد ، بينما حاجته الحقيقية هي في الاشتراك في احد الاندية لممارسة رياضة مفيدة·

كانت معاملات البيع والشراء تتم على اساس ان البائع يقدم للمشتري ما يحتاج اليه ، وان المشتري يطلب من البائع ان يلبي له حاجة ،فاصبح اكثر من نصف رغباتنا في الشراء لا علاقة لها بحاجاتنا ، اصبحنا نقرأ مالا يزيدنا ثقافة ،ونشاهد افلاما ونتابع برامج لا تتعرض لمشكلاتنا الحقيقية، ونسافر الى اماكن لا تفيدنا ، ونلبس ملابس ونتزين بزينة لا تناسبنا ، ونقتني سيارة تزيد من صعوبة انتقالاتنا ، ونشتري اسلحة نحارب بها اناسا قيل لنا انهم اعداؤنا ··· كل هذا وغيره ،ليعيش الناس من اجل الصناعة ، والاصل ان تقام الصناعة من اجل الناس ·

ولعل الانهيار الذي نلاحظه الان في مختلف الخدمات ، ناتج عن نسيان القائمين عليها دورهم الاصلي – وهو خدمة الناس – فالقائمون على الجامعات والمدارس ، نسوا انهم في الاصل رجال التعليم والتثقيف ، ورجال السكك الحديدية نسوا انهم في الاصل رجال النقل والانتقال ، ورجال التليفونات نسوا انهم رجال الاتصال وهكذا···

فلو أن رجال كل صناعة او خدمة ، نظروا الى انفسهم على اساس انهم يخدمون الناس لا الصناعة او الخدمة ، لما حدث ما نراه الآن حولنا من ازمات وكوارث ·

سؤال مستبعد

والحق ان المسئولية التي تقع على قادة الوحدات

الانتاجية والخدمية ، فى هذا الصدد ، مسئولية كبيرة جدا ، فهناك سؤال يجب ان يبعدوه عن اذهانهم ، ليضعوا مكانه سؤالا جديدا ، بعيدا جدا عن الاذهان :

اما السؤال الذى يجب ان يستبعد فهو :

« كيف اجعل الناس مستهلكين للسلعة التى انتجها ، او الخدمة التى اقدمها ؟ » .

وذلك ليحل محله السؤال الجديد :

« كيف اطور مصنعى او مشروعى ، لانتج السلعة ، او اقدم الخدمة التى يحتاج اليها الناس احتياجا حقيقيا ؟ » .

سل مجموعة من المديرين عن مفهومهم لما يسمونه « الحجم الامثل للانتاج » وسترى ان اكثر الاجابات تنحصر فى انه « الحجم الذى يجعلهم ينتجون السلعة باقل تكلفة » . اما أن انتاج هذا الحجم من السلع ـ فى مفهومهم ـ سيؤدى الى مضاعفة المصروفات التى تنفق على تصريف السلعة فهذا ـ فى رأيهم ـ من اختصاص رجال آخرين ! ، اما عن الحجم الذى يحتاج اليه الناس فعلا ، فهذا اخر ما يخطر على البال .

وقد يرد عليك بعضهم بقولهم : « وماذا لو ان الناس اصبحوا فى خدمة الصناعة ؟ ... اليس ازدهار الصناعة من اهم مؤشرات تقدم الامم ؟» فهذا كلام قد ظهر بطلانه ، ومبدأ ثبت عقمه ، ذلك أن الصناعة كانت ـ فى بادىء الامر ـ تقدم للامم فرصا عظيمة للرقى ، لانها كانت تمد الناس « بحاجاتهم » الحقيقية ، فلما تحول رجال الصناعة من افراد يخدمون الناس ويخدمون انفسهم الى افراد يخدمون انفسهم ويضرون بالناس ، لم يعد ازدهار الصناعة من المؤشرات الرئيسية للتقدم الحقيقى ، الا اذا كان هذا الازدهار مقصودا به صالح الناس ، وليس صالح المنتج . ■■

مهندس حافظ أحمد أمين

قالوا ...

■ طالما ان هناك سعاة بريد فان للحياة بهجتها .

وليام جيمس .

■ اذا اردت ان تعرف مالا يعرفه احد ، اقرأ ما يقرأه كل فرد ، وعلى وجه التحديد بعد سنة .

رالف والدو اميرسون

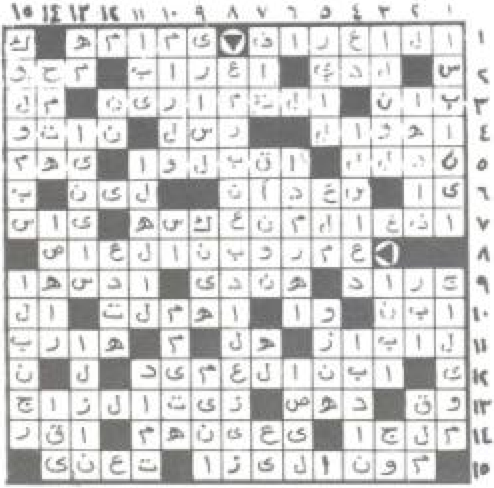
■ الضحك هو الشمس التي تزيل الشتاء عن وجه الانسان .

فكتور هوجو .

■ رباطة الجاش هى تلك الصفة التى تمكنك من شراء زوج الاحذية بدون ان يبدو عليك الخجل من الثقب الموجود فى جوربك .

د . ب . ب

● نتيجة مسابقة العدد ٢٣١ ●



عمرو بن العاص

●

عمر بن عبد العزيز

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : عمرو بن العاص ، قائد عربي شهير انتصر على البيزنطيين في اجنادين ، وفتح مصر وحكمها • بنى مدينة الفسطاط ، واشترك في التحكيم الذي جرى عقب صفين ، فرجح كفة معاوية •

(٨) رأسيا : عمر بن عبد العزيز ، الثامن بين خلفاء بني امية ، اشتهر بتقواه وتمسكه بالسنة • انصرف الى الاصلاح الداخلي والمالي ، واظهر تسامحا مع العلويين والنصارى والموالي •

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فائزبها :حسن ابو نعسه ـ بعلبك / لبنان •
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارالفائز بها :عبد الله عمر بامطرف ـ كريتر / عدن
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فائزبها :احمد ناصر محمد بغداد / العراق •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من:

١ ـ محمد ابراهيم محمد قاسم / الكويت

٢ ـ موسى سليم الطراونه ـ وادي السير / الاردن

٣ ـ محمد طلال العطار ـ دمشق / سوريا

٤ ـ عبد العزيز علي حسان ـ الظهران/ السعودية •

٥ ـ خالد عبد الكريم السوقي ـ ابو ظبي / الامارات •

٦ ـ احمد سلام سليمان الحاره ـ الزقازيق / مصر

٧ ـ يوسف عبد الله الشبعان ـ المحرق / البحرين

٨ ـ حمد صالح ـ الدوحة / قطر •



خمسة وعشرون عاماً من.. عمل المرأه الكويتية..

بقلم : منير نصيف

عرف الانسان الاسرة عندما بدأيستقر .. وهو لم يعرف الاستقرار الا عندما كف عن الترحال سعيا وراءالماء أصل الحياة .. فلما وجده تحته وعند قدميه ، توقف عن الرحيل واقامبيته وراح يروى عطشه ويسقي حيواناته وتعلم كيف يصنع من الماءوالارض غذاءه وخبزه !

لهذا قامت حضارة الانسان أول ماقامت في أودية الانهار وفي المناطق القريبة من المياه العذبة ومن الارضالطيبة .. ولكن هل معنى هذا أن الانسان لم يستقر ولم يعرف له موطناالا مع الماء والزرع ؟

والجواب لا : هنا في الكويت مثلا ، فوق ارض الصحراء الساخنة التي تطل على مياه الخليج حيث لا ماء ولا زرع .. قامت حضارة قديمة .. وعلى الاعشاب البرية التي تنبت في الخريف في موسم الامطار تركوا حيواناتهم ترعى .. وبرعوا في جمع مياه المطر وخزنها لليوم الذي تجف فيه الارض .

قامت الاسرة اذن على شاطىء الكويت ، ونمت وازدهرت بعيدا عن الماء والزرع .. كيف قامت ؟ ومن جديد يتجه بنا الحديث عن المرأة .. لا لانها الاسرة فحسب ، ولكن لان دور المرأة في كويت الامس . كان اكثر من دور عادي .. فقد كانت هي الاقوى . وهي العمود الفقري في تركيب هذا المجتمع البسيط الذي حفل بصور الكفاح من اجل العيش والرزق .

ثلاثة اجيال

كيف ؟

في بيت كويتي حديث قديم .. حديث بفكر اهله وعلمهم .. قديم بطابعه وتقاليده الباقية.. التقينا بالمرأة الكويتية .. ثلاث امهات ينتمين لثلاثة اجيال في اسرة واحدة !

الجدة .. والابنة .. والحفيدة . كلهنزوجات وامهات .. وبدأنا من حيث كان لابد ان نبدأ.. مع الجدة فاطمة زوجة السيد يعقوب السيد يوسف الرفاعي .. ابنة في اسرة كبيرة .. ولدتوعاشت في كويت الامس .. وقضت اجمل سني عمرها في الماضي القريب البعيد .. على الشاطىء الهادىء الذي يحكي قصة اللقاء الابدي بين الماء ورماله الناعمة .. وتحكي مياهه قصة كفاح ابناء هذا



نظرة الى الماضي الجميل .

إلى أين ؟

المجتمع الصغير من البقاء واستمرار الحياة ..

قالت فاطمة أمد الله في عمرها الذى نقلها الى كويت الحاضر .. كويت النفط والخير والرفاه .. قالت : « ام عبدالله » : « الامس كان احلى .. الحياة فيه على بساطتها كانت اكثر راحة .. القلب كان مطمئنا .. لم نعرف القلق . كنا قانعين بحياتنا ، راضين عنها رغم كل ماكنا نتحمله من اعباء وتضحيات ونحن نقف على الشاطئ في انتظار عودة ازواجنا من البحر .. لا .. الكويت القديمة احلى ! »

حياة الامس أحلى !

وتتطلع الى وجه « ام عبدالله » فترى فيه المعنى الذى ذهبت اليه .. انها لم تتغير .. ملابسها التقليدية هي هي .. بعباءتها السوداء التي تغطي الرأس والجسم كله .. انها مازالت، رغم انقضاء هذه الاعوام الطويلة التي انتقلت معها من البداوة الى الحضارة نفس المرأة التي وقفت تكافح بجانب زوجها « النوخذة » او قبطان احدى سفنهم الشراعية التي حملت تجارتهم شرقا وغربا .. فقد كان واحدا من كبار تجار اللؤلؤ المعروفين. قسمات وجه « ام عبدالله » تقول اشياء كثيرة وانت تتأملها في حديثها الهادئ، وابتسامتها الحلوة .. انها تؤكد لك ماذهبت اليه في بداية حديثها : « الحياة بالامس كانت احلى واجمل ! »

انها صورة مازالت حية في وجوه كل الذين عاشوها من ابناء هذا البلد ! ماذا صنعت المرأة الكويتية في الامس ؟ وماذا كان دورها . وكيف كانت الحياة عندها احلى ؟ ...

وتستعد الجدة للحديث ولكنها تسكت عندما

الاجيال الثلاثة الجدة ، والابنة ، والحفيدة .



تبدا ابنتها « نجيبة » أو « ام اسامة » زوجة الاديب الشاعر احمد السقاف في الرد علينا بالنيابة عنها .. وتظهر علامات الارتياح على وجه « ام عبدالله ».. لانها تعلم ان ابنتها اقدر منها في التعبير عن كل ماكان يدور في راسها في تلك اللحظة .. لانها ذهبت الى المدرسة ، وتعلمت ، ثم هي وهذا هو المهم ، ليست غريبة على الحياة القديمة « الحلوة » .. لقد ادركتها في طفولتها وما اكثر القصص التي كانت تسمعها من امها .. وما اكثر التجارب التي مرت بها هي نفسها عندما خرجت من بيت والديها لتذهب الى المدرسة .. اول مدرسة للبنات في الكويت .. وعندما زفوها لزوجها الذي لم تقع عينها عليه !

بين عهدين وصورتين

« ام اسامة » اذن كانت هناك ، ولكن لفترة اقصر بطبيعة الحال ...او هي بالتحديد الفرق في السن بين عمرها وعمر امها .. هي اذن عاصرت عهدين ورات صورتين ، وعاشت حياة كويت الامس ، وكويت ، اليوم ولكن بتصور اوضح وبفكر انضج لانها سيدة متعلمة مثقفة .. وام لاربع بنات جميلات ..وولدين .

قالت « ام اسامة » عن حياة المراة في كويت الامس .. عن حياة امها « لقد كافحت كثيرا وطويلا .. حقيقة كانت امراة الامس حبيسة بيتها .. ولكنها لم تكن يوما مغلوبة على امرها .. لقد استطاعت ان تجعل الرجل يشعر بوجودها وقوتها .. كان مجتمعها محافظا تحكمه التقاليد العربية الاصيلة .. ولكنها كانت تجد فيه ذاتها . كانت المراة هي ساعد رجلها الايمن ، وعليهاتقع مسئولية تربية ابنائها وتنشئتهم وعليها وحدها ايضا يقع عبء رعاية البيت .. فقد كانت ظروف الحياة تفرض عليها هذه الواجبات الضخمة ،لان الرجل لم يكن دائما هناك ، كان آباؤنا واجدادنا يركبون البحر ويسافرون في سفنهم الشراعية قاطعين الوف الاميال للاتجار بما يحملونه معهم وبما يعودون به على سفنهم .. فقد كانت التجارة هي وسيلتنا للعيش والرزق .. وكان الرجل يغيب عن بيته وعن اسرته شهورا ، معتمدا على زوجته وام ابنائه التي تركها وراءه ، في رعاية هذا البيت والسهر عليه .

« وقد كانت المراة دائما هناك .. تخرج لتودعه

طعم الحياة

حياة مليئة بالكفاح والتضحيات .. ما تزال صورتها حية في اذهان وقلوب ابناء ذلك الجيل القريب .. وهي مازالت صورة « حلوة » كما وصفتها لنا ام عبدالله .. ولكنها لن تعود ولن يعرف ابناء هذا الجيل لماذا كانت الحياة حلوة .. ولكن الجواب عند الاباء .. انهم يقولون ببساطة: « الذ طعم للحياة هو ذلك الذي ياتي فيه الفرج بعد ضيق .. والخير بعد معاناة .. والراحةبعد تعب طويل ! »

« قلنا للابنة ام اسامة : « وانت .. مارايك؟ اننا لم نسمع منك شيئا عن حياتك في كويت الامس وفي كويت مابعد النفط ، بعد ان تفجر الخير من بطن الارض ، فسار بها ومعها الىدولة اخذت وتاخذ بكل اسباب الحضارة والتقدم ؟

قالت : « لقد رأيت المراة وراء الحجاب في امي .. ورأيتها بعد ذلك وهي تعيش فوق ارض جديدة تحت سماء جديدة .. رأيتها في نفسي .. وفي بناتي الاربع .. ولقد كان الرجل ذلك الذي اخضعها وحبسها في بيتها وطلب اليها ان تخفي وجهها وراء الحجاب هو نفسه الذي امسك بيدها وشجعها ودفعها لمشاركته حياته وعمله ورزقه ، وهو الذي ازاح بيده الحجاب عن وجهها ووقف ينادي بالسفور ...

عندما تزوجنا ـ ابا اسامة وانا ـ لم يكن لنا راى في هذا الزواج .. لم أر خطيبي ولم يرني.. لقد اتفق الاباء على ان أكون له ، وان يكون لي ، وتزوجنا .. اذكر انني ليلة العقد بدافع من حب الاستطلاع أردت ان القى نظرة من وراء الباب من البعد على هذا الشاب الذي ساعيش معه حياتي كلها .. وضبطتني امي ، وامسكت بذراعي تهزه بعنف وقالت وهي تستغفر ربها : « اذهبي بسرعة يابنيتي وصلي لربك ركعتين واطلبي من الله التوفيق في حياتك » .

وتضحك ام اسامة وهي تروى قصتها مع الرجل الذي يشاركها رحلة العمر منذ بدات !

هي هي..تقاليدنا القديمة في كلبلد عربي... شيء واحد قد يختلفمن قطر الىقطر ذلكهو اليوم الذي لم تعد فيه المراةتختفي وراء جدرانبيتها بعد ان رات الطريق امامها فسارتفيه بثقةواستطاعت

ان تحصل على كل حقوقها المشروعة وتجد نفسها ٠٠ في بعض الاقطار العربية جاء هذا اليوم متاخرا بعض الشيء ٠٠

ما الذي حدث ؟ لقد اكتشف الرجل انه لابد للمراة لكي تؤدي رسالتها الكبرى في الحياة ٠٠ رسالتها كام وربة بيت ان تحصل على قدر من التعليم يؤهلها لتسيير دفة هذه المدرسة الاولى في البيت ٠٠ ويمكنها من المشاركة في بناء اسرتها ومجتمعها .

وقد بقيت اسماء هؤلاء الرجال حية ٠٠ وفي كل بلد عربي كان هناك اسم اواكثر لرجل حمل الدعوة وراح يبشر بها في حماس حتى حقق للمراة كل ما كانت تامل فيه وترتجي ٠٠

قاسم امين الكويت

هنا في الكويت نجد اسم الشيخ عبدالله الجابر، اول رجل ساند المراة الكويتية وشجعها على التعليم، ونادى بسفورها ٠٠ انه قاسم امين الكويت ٠٠ وهو صاحب اول مدرسة للبنات في عام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨، وكانت بناته اول تلميذات فيها ٠٠ وكانت « ام اسامة » واحدة من التلميذات الصغيرات في المدرسة التي قامت رغم انف التقاليد وصمدت لكل التحديات. ثم نجد بعد الشيخ عبدالله الجابر ، رجلا اخر تعترف له المراة الكويتية بالفضل فيما حققته وفيما وصلت اليه اليوم من تقدم ، وهو الشيخ يوسف ابن عيسى القناعي اول مدير لدائرة المعارف الكويتية ونصف يوسف النصف وعبدالحميد الصانع وعبد العزيز حسين ٠٠ منذ حوالي ربع قرن ، في عام ١٩٥٣ على وجه التحديد ٠٠ حققت المراة الكويتية اول نصر عندما اعترفت الدولة بحقها المشروع في التعليم ، وقامت مدارس البنات في جميع انحاء البلاد واعدت برامج التعليم على اساس المساواة التامة بين الرجل والمراة ، وتم توحيد الشهادات العلمية لمختلف المراحل ٠٠ وكان عام ١٩٥٣ هو عام المراة الكويتية ٠٠

نبت النهضة

تقول «هيفاء» العقيدة التي تخرجت وتعلمت وحصلت على درجة الماجستير في الفلسفة والعلوم الاجتماعية ثم تزوجت زميلها في الدراسة وهي اليوم « ام روعة » طفلة في الرابعة :

« انا ابنة النهضة في الكويت ولدت معها ومشيت معها ٠٠ لقد كانت قفزة هائلة سريعة خلال تلك السنوات القليلة من عمر الشعوب ٠٠ اين نحن اليوم من الامس ٠٠ لقد حققنا شقيقاتي وانا كل ما كانت تحلم به امنا وهي سعيدة بما رات وترى ٠٠ أما نحن فسوف نفاخر دائما بنجاحنا في أن نثبت للرجل اننا لم نكن يوما اقل منه ذكاء ومقدرة على تحصيل العلم ٠٠ لقد غزت المراة الكويتية عالم الرجل واصبحت تشغل مراكز مرموقة في الحياة العامة .

ثم ماذا ؟

وتقول هيفاء : «بين الظواهر التي تستحق الوقوف والتامل ٠٠ ظاهرة زواج بعض الشباب الكويتي من اجنبيات ٠٠ وانا لا الوم الرجل ٠٠ وانما الوم التقاليد ٠٠ للاسف الشديد ان كثيرا من شبابنا لا يعرفون بنت بلدهم ٠٠ فهي وان كانت قريبة منهم ما تزال بعيدة عنهم ٠٠ فهناك حواجز مازالت تفصل بين الجنسين ، ولاباس من وجودها في سن معينة ٠٠ ولكن عندما يكون هناك نضج فكري جاء حصيلة للتعليم الذي حصلت عليه الفتاة والشاب في الجامعة ، لا ارى ما يبرر استمرار بقاء هذا الحاجز ٠٠ الشاب الكويتي لن يترك بنت بلده ليتزوج من اجنبية اذا عرفها واذا عرفته ٠٠ انا شخصيا التقيت بزوجي محمد في الجامعة ٠٠ وتعارفنا وتعاهدنا على الزواج . الجامعة في كل بلاد الدنيا خير مكان للتعارف بين الشباب الناضج الواعي المتعلم . »

وهل اكتفت المراة الكويتية بما حققت ؟

تقول هيفاء : « لا فنحن لن نقتنع قبل أن نحصل على حقوقنا السياسية الكاملة ٠٠ حق الانتخاب وحق الترشيح ٠٠ عندها فقط نستطيع أن نقول اننا قد حققنا كل ما كنا نتطلع اليه ونحن نسير على الطريق من البداية ! »

ترى هل نسيت الكويت بعد هذا حياتها القديمة؟

والجواب بالنفي ٠٠ واهل الكويت لا يعيشون ذكريات الماضي فحسب، بل ويحنون الى هذا الماضي ٠٠ ولم تكن صدفة ان يكون اول عمل فني للسينما في الكويت عن البحر وحياة الناس على شاطئ الماضي .

■■

منير نصيف



همــوم الشيخوخة تحاصر البندقية

بقــلم :
الدكتور ثروت عكاشة *

المياه العالية تقتلع المبانى



على قمـم مجموعـة الجـزر الصغيرة الغارقة فى الخليـج الأدرياتيكى تقبع مدينة البندقية مهمومة يترصدها الموت المتباطىء الخطوات ، ويفتح البحر خطمه الرهيب ليبتلع مدينة الفنـون والاحلام التى عاشت وماتزال فريدة بين مدن العالم القديـم والحديث .

* نائب رئيس اللجنة الدولية الاستشارية لانقاذ البندقية ووزير الثقافة المصرى السابق



المدخل الى المدينة عبر القنال الكبير

بالامس البعيد كانت معتزلا شاعريا وسط المياه، راح اليه الاثرياء ليقيموا به قصورا يخلدون الى هدوئها وروعة المناظر المحيطة بها ، حتى باتت في قلب القرون الوسطى مقر جمهورية أرستقراطية يمد حكامها نفوذهم الى جزر الارخبيل ومقدونيا والبانيا • ويتكاثف ثراؤها ، فلا يكتمل القرن الخامس عشر حتى تصبح مركزا فنيا يجتذب اليه قلوب الطليعة من مفكرى العالم وحكامه وفنانيه، وتاخذ الكنائس الشامخة تنافس في جمالها المعمارى القصور العامة والخاصة ، ويعرف العالم وينعم بطراز البندقية « الباروكى » الذى اتسم بملامح الثراء والابهة والفخامة والافراط في الزخرفة والتجميل •ولم تقف الروعة عند مجال التشكيل المعمارى وحده الذى قدم للانسانية جمهرة من عباقرة المهندسين امثال بالاديو وسانسوفينو ولونجينا ، بل تخطته الى مجال التصوير ، فقد غطى عظماء فنانى التصوير فى القرن السادس عشر جدران الكنائس والقصور بلوحات فريدة في تشكيلها اللونى المتوهج بالدف والالق ، وهى السمات التى سميت من اجلها لوحات مدينة البندقية باسم مدرسة الالوان التى ازدانت باسماء فيرونيزى وتيبيولو وتنتورتو وجورجيونى وبلليني وكارباشيو • ثم قامت فى البندقية واحدة من اكبر المدارس الموسيقية واهمها شانا فى العالم

بزغ فيها عباقرة يومهم جابرييللي ومنتفردي وكافالييري ثم فيفالدي والبينوني وكوريللي .

اول الموانيء

وتجمع اسماء المعماريين والمصورين والموسيقيين تلك الكوكبة الرائعة التي ينعم عشاق الفنــون ومازالوا ينعمون كبارا وصغاراً رجالا ونساء بما خلفوه للبشرية من فيض ملهم ينساب الى الوجدان فيهز العيون المتأملة والآذان المنصتة .

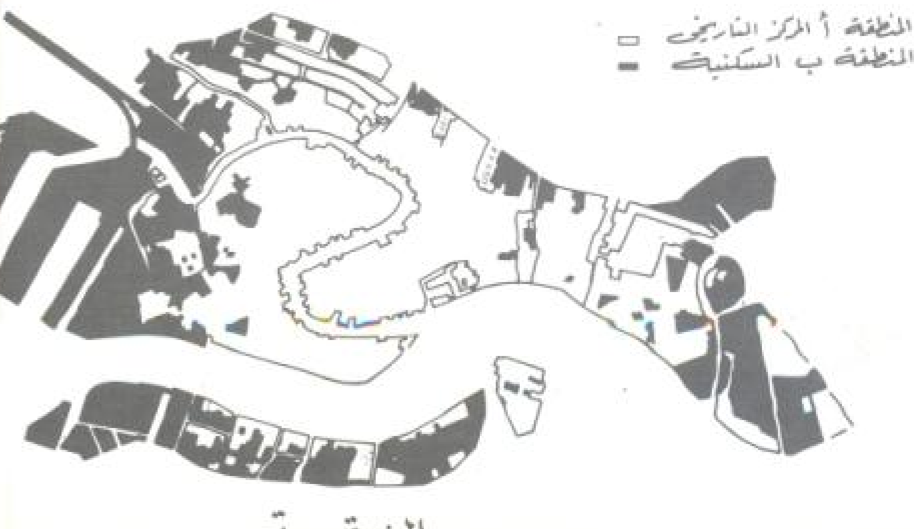
ترى اي تقدير يحمله عشاق الفن لهذه المدينة حين يعرفون انها كانت موطن هؤلاء الافذاذ ومنتجع الهاماتهم ؟

بكل هذا الترف والوهج والدأب والعبقرية فرضت مدينة البندقية نفسها على العالم كله ، فكانت منذ القدم اول ميناء تولي وجهها شطره السفن المقبلة من الشرق محملة بعطوره ونسيجه وتحفه وسلعه . وحين احست تركيا منافســة البندقية لها وشاءت ضربها خاب مسعاها وردتها المدينة الجسورة متحالفة مع أساطيل البابـا واسبانيا على أعقابها تجرجر أذيال الهزيمة فـي معركة ليبانتو البحرية ١٥٧١ .

اخذ الزمن ينسكب في مسيرته الدءوبة ، والبندقية ناعمة بالسلام ، يأتيها المحبون وعشاق الجمـال والطبيعة والشعر والتصوير والموسيقى والفنانون الباحثون عن نبع الهام او منتجع استجمام او عن احلام وسط هذه الطبيعة الساحرة في بلدة طرقاتها القنوات المائية التي يضيق بعضهـا وكأنها أزقة الاحياء الشعبية ، ويتجول فيهـا الناس فوق الجندول العائم المنساب في رقة وسط بيوت المدينة كغمامة داكنة تتهادى في الآفاق ، وينزلق تحت الجسور التي تصل ما بين اجزاء البندقية لمن شاء عبور طريق مائي لا يفصلــه سواء عن بيت او منتدى قريب . وينام سـكان البندقية ويصحون على خرير مياه البحيرة التـي تشكلها وسطها بيوت المدينة العائمة .

عاشت البندقية طوال عهدها مركز ابداع فني للمجوهرات والحلي الذهبية والفضية والمشغولات العاجية والخشبية والزجاجية والنسيج الفاخر ، وعاش بها أساطين الفنون الدقيقة والحــرف اليدوية الرفيعة المستوى ، كما نشأت بها ترسانة لصنع السفن واصلاحها ثم ٠٠٠ معامل لتكرير البترول .

واتـى عـام ١٩٦٦ بالكارثة الصارخة حين ارتفع مد المياه العالية المحيطة بالبندقية واغرقها مقتلعا بعض أجزاء بيوتها مهدما جدرانا فـي قصورها ، باعثا بالشقوق في جدورها . وتحرك ضمير عشاق الفن والجمال في العالم ، وهالهـم ان يتهاوى واحد من أخصب متاحف العالم ثراء وجمالا ، ففزعوا الى البندقية بقلوبهم وعقولهم



البندقيــة

واموالهم ، وشكلت منظمة اليونسكو الدولية اللجنة الدولية الاستشارية لانقاذ فينيسيا وآثارها ، وراحت الدراسات تنشط والفحوص تتتالى والاجتماعات تعقد . واخيرا تحدد الداء وامكن حصر منابع الخطر المحدق بالبندقية :

- هبوط التربة التدريجي المهدد بغرق المدينة .
- قضم مياه المد العالية للشواطيء .
- افساد الابخرة الملوثة للوحات المصورة والواجهات والتماثيل الرخامية .
- هجرة أساطين الفنون الدقيقة والحرف اليدوية النموذجية .

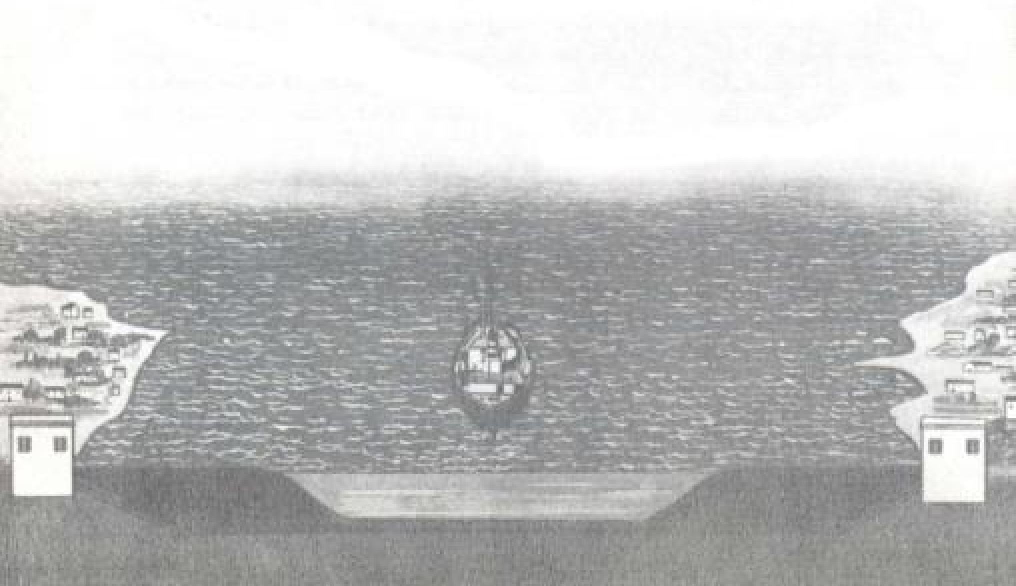
الامراض تزحف

لم يكن أمام المدينة المعزولة وسط مياه البحر المالحة الا ان تثقب الارض بحثا عن رشفات الماء العذب . ومع انتشار الآبار الارتوازية على نطاق واسع يكفي سكان المدينة الذين يناهزون ثلث المليون أخذت المياه المخزونة فى الاعماق تتضاءل فتنكمش التربة مكانها هابطة بمستوى سطح الجزر كلها بما فيها أساسات المبانى والانشاءات .وكان الحل المنشود قرارا حاسما بانشاء شبكة من القناطر التي تحمل المياه العذبة من ايطاليا ، ووقف استخدام الآبار ، بل وردمها ردما كاملا حتى يقف مستوى سطح المدينة عندما هو عليه الان ، وقد تم انشاء اول قناطر للمياه ، ويجرى الان انشاء القناطر الثانية ، كما انتهت اعمال ردم الآبار .

ونتج عن هبوط تربة البندقية وارتفاع مياه البحر الادرياتيكى ان أصبحت الفيضانات الموسمية مصدر خطر يهدد سواحل المدينة بقضمها وتسلقها، بعد النفاذ اليها من خلال الافواه الثلاثة التى تصل البحر ببحيرة البندقية « اللاجون » الغائرة امام الغازى الداهم .

وكان العلاج خيارا صعبا بين جملة حلول . كان الحل الاول ينهض على تضييق الفتحات او اغلاقها تماما عندما يبلغ مستوى المياه فى البحيرة حدا معينا ، غير انه قد ثبت استحالة الحماية الدائمة للبحيرة من المياه العالية بتضييق سعة القنوات او فتحاتها ، لان اى انخفاض فى منسوب المياه مترتب على هذا الاجراء انما يعتمد بالضرورة على سرعة المد المرتفع . اما فى حالة ارتفاع عوامل المد تدريجيا كما حدث فى فيضان خريف عام ١٩٦٦ ، فان تضييق الفتحات والقنوات الثلاثة المؤدية الى البحيرة الى الحد الذى يسمح بمرور السفن لن يجدى شيئا امام المياه المالحة واتضح ان المشروع الثانى الذى يهدف الى اغلاق الفتحات الى حد ما عن طريق منشآت ثابتة تتحكم فى خفض انسياب المياه من والى البحيرة والقنوات

منظر متخيل لكيفية عبور السفن من خلال الحاجز المتحرك .



قد يهدد باختلال التوازن الهدروبيولوجي للبحيرة. الى ان تعلق الامل باقامة نوع من الحواجز المتحركة التي يمكن معها اغلاق الفتحات اغلاقا تاما عند ارتفاع امواج المد العالي ثم انفتاحها مع تراجع الموج • وفي ذلك الى جانب درء خطر قضم المياه العالية للسواحل ميزة عدم اغلاق البحيرة في وجه السفن الآتية من الخارج والراحلة اليه الا في اضيق الفترات واقلها اضرارا باصحاب شركات الملاحة وهم اصحاب حل وربط كبيرين في هذا المجال • وهكذا استبعدت الحلول التي تقوم على تقسيم البحيرة خشية الاضرار بالتوازن الايكولوجي او الهيدروديناميكي للبحيرة، واستقر الرأى على اقامة الحواجز المتحركة التي تمثل افضل حل لجميع المشاكل اذ انها تقاوم الظاهرة الخطيرة للمياه العانية وهي هبوط التربة.

الأبخرة الملوثة

تنسكب في مياه البندقية فضلات البشر التي لم تنشأ لها حتى الآن شبكة عامة للمجاري ولا محطات تنقية لهذه الفضلات من السموم ، كما تتجمع كذلك بالمياه افرازات مصانع مارجيرا القريبة ومعامل تكرير البترول بها • وتتلاقى أبخرة هذه المخلفات السامة مع دخان نظام التدفئة الفحمي العتيق ، لتشكل عناصر تخريب تشوه واجهة القصور والكنائس والجسور والتماثيل ، وتطمس اللوحات الزيتية المصورة والصور الجدارية وتشيع التآكل في الاحجار والرخام •

وقد تنوعت حلول هذه المشكلة وتعددت لتشمل بناء شبكة حديثة للمجاري ونظام صرف صحي ، واستبدال نظام التدفئة البالي بنظام حديث ، وفرض قيود صارمة على المناطق الصناعية لتقليل الآثار السيئة باقامة منشآت لمعالجة المخلفات وتنظيفها صيانة للبيئة ، وان اعطيت المصانع والمعامل مهلة ممتدة حتى عام ١٩٧٩ •

هجرة الحرفيين

وقد سقطت الفنون الدقيقة بمدينة البندقية ضحية التقدم الصناعي في ايطاليا ، اذ اجتذبت المصانع باجورها العالية الأيدي العاملة المتناثرة هنا وهناك ، لهجر اولئك الحرفيون الموهوبون اعمالهم ومحارفهم ، وراحوا يجرون خلف المجالات



ترميم تماثيل الملائكة فوق كنيسة السلام

الاكثر ربحا • كما اغلقت بعض مراكز التدريب على نسيج المخرمات واصلاح الانسجة والسجاجيد وصناعة الزجاج • وقد جاء حل هذه المشكلةعن طريق الاتحاد الدولي لاساطين الحرفيين اذ اتخذ قرارا باقامة مركز عالمي للحرف اليدوية يتدرب فيه العمال المهرة الذين يستطيعون الابداع في هذه المجالات الفنية التي يتهددها الانقراض ، كما يتربى فيه جيل يعد اعدادا خاصا للقيام باعمال صيانة المنجزات الفنية وترميمها • بل ان عشاق البندقية يتوقون الى اعادتها كما كانت مركزا عالميا لمختلف الفنون • ومن هنا فقد وضع مشروع لانشاء اكاديمية لفنون الرقص يختار للدراسة فيها التلاميذ من جميع بلاد العالم ، تقضي كل دفعة منهم اربعة أشهر في العام •

ولم ينس المخططون للمدينة تدبير المساكن الكافية لايواء الحرفيين تلامذة وعمالا ، وطلبة المدارس المختلفة • وسوف يبدأون بترميم المساكن القائمة ، حتى اذا لم يكن هناك مفر اقاموا المساكن الجديدة التي تواكب الطابع المعماري لمباني البندقية ، وذلك لاغراء العمال على البقاء حيث يجدون المقر الملائم الى جانب العمل المناسب بالاجر العادل •



جسر متصدع فوق احدى القنوات

الترميم مهمة عاجلة

ولا شك أن مشاكل البندقية قديمة ، وان اثارها السيئة قد بدات تظهر منذ بعيد غير أن فيضان عام ١٩٦٦ قد أحدث تخريبا هائلا لفت الانظار الى التدهور الخطر الذى أصاب كثيرا من المنشات • كما لفت النظر الى جميع العوامل المخربة التى ظهر ان من بينها أسراب الحمام المحلقة بالمرح فى اجواء المدينة والتى يهش للقائها جموع السائحين ، ويتمم بمداعبتها الصغار والكبار وهم يلقون اليها بالحب فتقبل لالتقاطه فى دعة وطمانينة ، فقد ظهر أنها هى الاخرى تساهم بدور كبير فى تشويه واجهات القصور والدور والجسور والكنائس حين تعمل فيها مناقيرها ، وترسب عليها مخلفاتها •

وقد قامت منظمة اليونسكو على اثر الفيضان بعمل مسح شامل وضعت على ضوئه سجلا دقيقا لاثار المدينة وقصورها العديدة ما تصدع او تشقق ، وهو ما يكفى معه الترميم ، ومنها ما تهدم بعض جوانبه وهو ما يدعو الى اعادة تشييد اجزائه المنهارة •

المسئولية المشتركة

واذا كان التاريخ البشرى كله ملكا للبشرية باسرها ، فان التراث الفنى الانسانى من جميع العصور الماضية هو ملك للاجيال الحاضرة والمقبلة • ومن ثم فان مدينة البندقية هى احدى الروائع الفنية التى ابدعها الانسان فى حقبة من تاريخه الطويل ، والتى يمكن ان تبقى نبع فرحة واشراق لعشاق الجمال والفن ما بقيت وبقى الانسان يحيا على هذه الارض • وذلك ما يدعونا الى الايمان بان الحفاظ على بقاءالبندقية مسئولية مشتركة بين ابناء هذا الجيل المؤمنين بالعمل الفنى ونفعه العظيم ، وقدرته على التاثير فى الوجدان البشرى ، ودفعه نحو قيم الحق والخير والجمال •

ان اندثار البندقية ليس موت حلم رائع ، بل نهاية واقع اروع من كثير من الاحلام • فان التاريخ على امتداد حقبه لم ينجح فى ان يخلق مثيلا للبندقية العائمة فىاى مكان آخر فى العالم الفسيح • وما كانت البندقية عمل الطبيعة وحدها بقدر ما كانت نتاج عبقرية اجيال من البشر اتسموا بالصبر والداب والصمود والتحدى وعشق الجمال والقدرة المذهلة على تصوره وابداعه وتجسيده فى تحف معمارية وتماثيل ولوحات مصورة او محفورة على الرخام والبرونز او منقوشة على الاسقف والجدران ، وفى انغام

خالدة يرتد صداها العالمي الى قاعة « لافنتشيا » اول اوبرا انشئت في التريخ عام ١٦٣٧ .

كما كانت البندقية الملاذ الذي وجد فيه العباقرة المحدثون الهامهم وسكينة نفوسهم ، ففجرت في بايرون ينابيع شعره الرومانسي ، وفي فاجنر ابداعه الموسيقي المحتدم بارهف العواطف البشرية ، وفي فردي موسيقى أوبراه الخالدة عطيل ، وفي الاديب توماس مان بعض ملاحمه الروائية الرائدة . وستظل البندقية ما بقيت على صورتها مرتعا خصبا لمن ينشدها من المؤلفين والفنانين يغترفون منه الابداع الذي ينشرون عطاياه على البشر جميعا .

كانت الحكومة الايطالية قد بادرت باصدار قانون خاص بانقاذ آثار البندقية رصدت فيه للانمائة مليار ليرة ايطالية لاعمال الانقاذ العاجلة خصص منها مائة مليار لترميم مباني الحي الاثري بالمدينة ، وصيانة تراثه الفني واصلاح منشاته السكنية .

بينما اتجهت المبادرات الفردية نحو « سجل » اليونسكو تستهديه في معرفة الآثار الفنية المعرضة لاشد الاخطار تهديدا والمتطلبة لاسرع عمليات الانقاذ . وقد كان لهذه الجهود الفردية نفعها الكبير اذا اضطلعت بالانفاق على ترميم المباني واللوحات المصورة والصور الجدارية التي كانت معرضة للضياع النهائي لو انتظرت دورها خلال الاجراءات الادارية المتصفة في كل بلاد العالم عادة بالبطء والتعقيد .

طاقات العمل الايجابي

وقد بلغت المساهمات التي تطوع بها افراد او جمعيات خاصة من مختلف بلاد العالم مليارا ونصف مليار ليرة ايطالية في الفترة الممتدة ما بين عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧١ ، هذا الى جانب مساهمات منظمة اليونسكو والمؤسسات القومية التي تشكل عونا فكريا وماديا قيما لتقدم الابحاث العلمية والتقنية الضرورية لاكمال مشروع انقاذ آثار البندقية على افضل وجه ممكن .

واذا كانت صرخات الفزع الاولى المنذرة بغرق البندقية واحتضارها قد اشاعت الاسى في بعض اولئك الذين يؤمنون أن الموت والفناء يترصدان كل عمل انساني في كل زمان وفي كل مكان ، فان هذه الصرخات نفسها فجرت طاقات العمل الايجابي في بعض آخر ممن يؤمنون بأن قوة الايمان يمكن ان تكون دعامة للحياة، وحافزا على مواصلة السعي من اجل انقاذ الاعمال البشرية العظيمة من عبث عوامل البلى والانهيار .

وقد آمن هؤلاء بان الموت المحدق بالبندقية لن يبلغ مآربه الا اذا تخلى الناس عن هذه المدينة الجميلة ، وانه يمكن للبندقية أن تقاوم عوامل الهدم والاندثار اذا وجدت الى جانبها عشاقا يهبونها الحياة ، يعكفون على دراسة ادوائها ، ويبحثون لها عن الدواء . يرصدون الظواهر الطبيعية ، ويلتمسون طرق الافلات من آثارها المدمرة . يبحثون عن مواطن الامل والقوة الكامنين في المدينة العريقة ، ويجعلون منهما ركيزتين لمستقبل جديد ، ويخلعون عليها من فكر عصرهم جمالا تزهو به على ماضيها القديم .

وبهذه الروح الوثابة اقبل عشاق فينيسيا من كل بلاد العالم يرفعون شعارا يتوهج بالاصرار ينشر التفاؤل بتجدد البندقية وعودتها الى الحياة .

وقد تجلى عمق الاحساس بالمسئولية المشتركة لدى كثير من الجامعات والهيئات والجمعيات والافراد من محبي الفنون في العالم كله الذين بادروا بالاستجابة الى النداء الذي وجهته منظمة اليونسكو لانقاذ آثار البندقية عام ١٩٦٦ . وقد رأينا كيف تشكلت على الفور لجان قومية للدعاية لمشروع انقاذ البندقية ، ولتشجيع التبرعات الفردية والجماعية ، وقامت جمعيتان فرنسيتان بالاضطلاع بمسئولية ترميم قصر واربع كنائس ، واختارت جمعية استرالية احدى الكنائس لاصلاحها ،ونشأت في امريكا اربع جمعيات لترميم قصرين ودارين للكتب واثنتين وثلاثين كنيسة مع الاتفاق على اقامة معمل لابحاث الترميم بالبندقية ،وتشكلت في فرنسا جمعيتان لاصلاح قصر وتسع كنائس ، ونشأت في ايطاليا نفسها الى جانب اجهزتها الادارية والحكومية ثماني جمعيات من المتطوعين لاصلاح عدد من الدور والقصور والكنائس والمرافق التاريخية ، الى جانب جمعيتين انجليزيتين وجمعيتين سويسريتين ، وجميعها جادة في العمل الدائب من أجل اصلاح مباني البندقية الاثرية وترميمها ، واعادة بناء ما تهدم بها عن طريق تقديم المال اللازم والخبرة الضرورية والايدي



السفن ناقلات البترول تعبر البحيرة أمام كنيسة القديس جورجيو ·

العاملة من اجل ان تعود البندقية كما كانت مدينة الفنون والاحلام ، وتجمع الى جانب عطر الماضي لمسة من عبقرية الحاضر وعرفانه ·

جميل مردود

وكان من نتائج الدراسات المعمقة التي أجريت من اجل الحفاظ على المنجزات الفنية في مدينة البندقية ان كشفت عن جميع اخطار الظروف البيئة التي تهدد العالم بأسره · وهكذا لم تعد ابحاث تطهير البيئة الطبيعية والثقافية للانسان في البندقية خاصة بها ، بل صارت البندقية مجرد مركز مثالي لهذه الابحاث التي يمكن ان تطبق نتائجها في مختلف بلاد العالم ، وبخاصة حيث تواجه الحكومات ظروفا تستدعي اجراء عمليات ترميم وحفاظ على آثار معمارية وفنية ·

وقد استقر الرأى على انشاء مركز دولي للمعلومات يضم نتائج البحوث التي يتوصل اليها الخبراء في اعمال الترميم وصيانة الآثار لتكون في متناول ايدي الدول التي تواجه بمشاكل مماثلة ·

وكانت اهم الابحاث هي التي تناولت «الاحجار» التي تعد اهم مواد البناء في المنجزات المعمارية، والتي استخدمها الانسان منذ اقدم العصور في تشكيل ادوات صيده واسلحته وبناء دوره ونحت تماثيله وحفر نقوشه · واستهدفت الابحاث تحديد انواع الاحجار ، ودرجات مقاومتها لمؤثرات الجو والمناخ وتلويث الماء والهواء ، ومع مانعرفه عن صلابة الاحجار ، وقوة تحملها اللتين تفوقان صلابة وتحمل الاخشاب والانسجة والاوراق وكثير من المواد الاخرى ، الا انها تتعرض بدورها للتآكل والتفتت ، وهو ماحدث لكثرة العمائر والمنحوتات الحجرية في مدينة البندقية التي تامرت عليها عوامل الاجواء والمياه والتلوث من رياح وابخرة وفيضانات وأملاح مياه البحر وفضلات المصانع والمواقد ·

وقد تمكنت اللجنة المشكلة من الخبراء الدوليين وممثلي الهيئات العالمية المتخصصة ومندوبي شركات الصناعات الكيماوية ، من تحديد العوامل التي تساعد على تفتيت الحجر وتحلله · كما توصلوا الى معرفة اهم العناصر التي تكسب الاحجار قوة تجعلها عصية على التفتت ، وتبينوا اوجه الفاعلية والقصور في مختلف المنتجات المتاحة لعلاج الاحجار · وقد خصصت الحكومة الايطالية « دير الرحمة » بالبندقية ليكون معملا ومركزا لابحاث صيانة الاحجار وترميمها ،واعلنت

المنظمات الدولية المهتمة بانقاذ اثار البندقية عن استعدادها للاضطلاع بمسئولية الانفاق على هذا المركز لمدة خمس سنوات ، وقدرت المصروفات السنوية بمبلغ خمسين مليون ليرة ايطالية •

* * *

الوجه الجديد للبندقية

حرصت الهيئات المشتركة في انقاذ البندقية على وضع تخطيط جديد للمدينة حتى تكتسي بوجه مشرق يمحو اكتئابها العابر • وقد استقر الرأى على الحفاظ على المدينة القديمة لا لانها اثرية وجميلة فحسب بل لتطوير العلاقة بين السكان والبيئة وترشيدها ، فليس ما يجب حمايته هو مجموعة من الابنية الجميلة فقط ، بل هو شخصية مدينة تسكنها جماعة من البشر الذين يمدونها بالحياة • ويتكون المركز التاريخي للمدينة من مجموعة أبنية ومساحات خالية بينها وحولها ، يهدف التخطيط الى الحفاظ على وحدتها ككل وترميمها اذا تطلب الامر ، وذلك بالمحافظة على الابنية القائمة واعادة تشييد ما هدم منها وفق النمط الذى بنيت به فى اول الامر • ومن اجل تطويع العمائر التاريخية وجعلها ملائمة للحياة المعاصرة ووقف عملية تدهورها ، استقر الرأى على اتخاذ خطوات سريعة لتجديد الاحياء التى تهدمت حتى يمكن اعادة استخدام المدينة كلها، وتغيير الابنية الجديدة لتوائم القديمة بدلا من هدم الاحياء القديمة لكى لايتعارض مظهرها مع المناطق الحديثة • وقد قام الخبراء كذلك باستعراض تاريخ تخطيط هذه المدينة منذ عام ١٨٦٦ ، منوهين بالاخطاء التى ادت الى تدهور المدينة التى لا تعد جمعا من الانجازات الفنية فحسب ،بل هى قبل كل شىء جهاز متناسق الاجزاء يعمل بدقة تبعث على الاعجاب •وقد قسمت المدينة الى منطقتين : المنطقة «أ» وهى المنطقة التاريخية الواجب الحفاظ عليها واصلاحها وترميمها ، والمنطقة «ب» وهى المنطقة الواجب اعادة تنظيمها ولا يسمح فيها بغير البناء والهدم فقط بالرغم مما لهذه المنطقة من اهمية استراتيجية خاصة بما لها من تاثير فى احياء المنطقة التاريخية بالبندقية • وادت هذه التفرقة بين المنطقتين الى جعل المنطقة «أ» مركزا تاريخيا واجب الحفاظ عليه ، وتحرير المنطقة «ب» المحيطة بها والمتداخلة فيها فى بعض النقاط من اية قيود او تحفظات او قرارات تحول دون البناء او اعادة البناء بها دون اغفال الحاجة الى خلق التوافق بين المنطقتين• وقد اوصى الخبراء بتركيز الجهود من اجل بناء مساكن جديدة للحد من هجرة السكان ، وان كان عمدة المدينة قد اعلن ان السلطات لن تفكر فى انشاء مبان جديدة الافى حالة الضرورة القصوى وبعد دراسة مستفيضة لامكانية استعمال المبانى القديمة • اما بالنسبة الى دفع عجلة الانتاج الذى يعد جانبا مهما فى كافة الخطط ومشروعات تخطيط المدينة ، فقد اتجه الرأى الى تشجيع الحرف البسيطة التى تشكل القاعدة العريضة لاقتصاد المدينة ، وما من شك فى ان اضمحلال نشاطاتها التى تستدعى وجود الافراد وسكنهم الى جوار اعمالهم هو السبب المباشر وراء هجرة الاهالى التى تعانى منها المدينة •

اسهام عربي منتظر

واذا كان العالم العربى مدين لهذا التضامن العالمى الذى آزره فى انقاذ آثار النوبة يوم كانت مهددة بالغرق فى مياه السد العالى الذى كان انشاؤه ضرورة ملحة للتقدم العمرانى فى مصر ، فما اجدرنا نحن العرب ان نلتفت اليوم الى مدينة البندقية « فينيسيا » وقد مد محبو الفنون فى العالم كله ايديهم اليها لانقاذ اثارها المهددة بالغرق ، وأن تهرع حكوماتنا ومؤسساتنا الثقافية وجمعياتنا الفنية لتقدم العون • وما اروع لو تطوعت كل حكومة او مؤسسة ثقافية بالانفاق على اصلاح واحد من القصور التاريخية التى ماتزال باقية دون ترميم تستصرخ ضمير مثقفى العالم• وما أروع بعد ذلك ان يحمل القصر اسم الدولة العربية التى تعهدته بالترميم والاصلاح • على انى اومن ان للافراد والجمعيات الثقافية والفنية دورا هاما الى جانب دور الحكومات المساندة للحكومة الايطالية فى مشروع انقاذ البندقية •وقد يتساءل البعض عن سر مطالبة الافراد باضافة جهد

شخصي الى جهود الحكومات التي رصدت لهذا الغرض جزءا من مواردها التي تمت جبايتها في الاصل من ايرادات الافراد ! وذلك تساؤل منطقي ومشروع ٠

وفي رايي ان تحريك الافراد لهذه المهمة الفنية هو عمل فكري أكثر منه عمل مادي ٠ فان الدعوة الى مشاركة الافراد في هذا المشروع تحمل اثارة حب الجمال في اعماق الاجيال المعاصرة٠ واجتذاب فكرهم نحو اعمال الماضي الجليلة ، واشعال وهج الخيال في اذهانهم ، وفتح عقولهم وقلوبهم على مستقبل يضيف الى اصالة الماضي قيما ومثلا سامية جديدة ٠ ثم ان تلاقي الافراد من مختلف بلاد العالم على هدف واحد يبرز القيمة الكبرى للتواصل الانساني عبر الفواصل والحدود ، وللتبادل الفني والفكري ، وللكشف عن الخبرات والكفاءات القومية المتقوقعة داخل حدود اوطانها المغلقة ٠

وكما ان كل فرد يمكن ان يقدم تبرعا الى اللجنة القومية لانقاذ اثار البندقية او الى ممثل منظمة اليونسكو في بلده حتى تشكل الاف التبرعات المماثلة مهما كان تواضعها قدرا هائلا من الاموال التي تساهم في مشروع الانقاذ اسهاما ماديا هاما، فان كل فرد يمكنه كذلك ان يقدم شيئا لا يقل اهمية حين يسرح بفكره الى الآثار الفنية التي تزخر بها مدينة البندقية ، والى القيم الحضارية التي تمثلها ٠

ترى كيف سيكون عالم الغد إن اختفت منه اثار الجمال والرهافة ، واسلوب الحياة المرح الذي ابقته لنا طويلا مدينة القنوات والميادين المتمتعة؟ واذا كانت كثرة من الافكار المبتكرة والجهود الانسانية الخلاقة قد اندثرت للأسف الشديد ولم تخلف اثرا ، فما احرانا بان نضن بالا تعانى آثار البندقية الرائعة نفس المصير الحزين ، فلو ان البندقية ضاعت لما خسرت البشرية جزءا من ماضيها وحده بل ومن مستقبلها ايضا ٠ ولسنا نتصور ان رجال الفكر والفن وعشاق الجمال والحياة يقبلون ان نقترف هذه الهفوة مع مدينة البندقية وان تلحق آثارها بعالم الذكريات ٠ وهاقد بدات ايد كثيرة تمتد لاعادة الحياة الى مدينة الفنون والاحلام ٠ واذا لم تكن فينسيا قد عادت بعد الى صورتها الاصلية في ثوبها المنسوج من الحجر والضياء ، ومن البرونز والمياه ، ومن الهواء والحياة ، فانها عادت لسابق عهدها في عين الخيال الخلاق وفي تفجر الارادة الصادقة للبشر ، ففي لقاء الخيال بالارادة بداية صياغة جليل الاعمال ٠

فليهرع عشاق الجمال والفن في بلادنا العربية وليضعوا ايديهم في ايدي منقذي آثار البندقية حتى نترك للاجيال القادمة ركنا حالما يذكروننا فيه حين ياوون اليه في لحظة استرخاء ، ويتذكرون ان عالمنا كان على الرغم من كل شيء عالما من الاصدقاء ٠ ■ ■

د ٠ ثروت عكاشة

بين اسود وابيض

● حكى أن الحجاج بن يوسف الثقفي اشترى غلامين أحدهما أسود والثاني أبيض البشرة فقال لهما في بعض الايام :أريد من كل واحد منكما أن يمدح نفسه ويذم رفيقه ٠

فقال الاسود :

ألم تر أن المسك لا شيء مثله ... وأن بياض اللفت حمل بدرهم
وأن سواد العين لا شك نورها ... وان بياض العين لا شيء فاعلم

فقال الابيض :

ألم تر أن البدر لا شيء مثله ... وأن سواد الفحم حمل بدرهم
وأن رجال الله بيض وجوههم ... ولا شك أن السود أهل جهنم

فضحك الحجاج وأجازهما ٠



طرائف أجنبية

● لا تعلن عن متاعبك ، فليس هناك سوق لها ٠٠ أما افراحك فانشرها على الناس٠٠ وبعضنا يشترى العكازات وهم يواجهون متاعبهم ٠٠ وبعضنا تحملهم أجنحتهم فوق الصخور التى قامت فى طريقهم !

« ساره برنار »

الانسان البخيل !

● نحن نبخل دائما بالافصاح عن مشاعرنا الطيبة تجاه الاخرين ٠٠

فالذى اعتدنا عليه فى حياتنا اليومية هو ان نطلق العنان دائما للأحاسيس والمشاعر التى تمتلىء بالغضب والحقد والكراهية ٠٠ اما تلك التى تزخر بالحب والاعجاب والتشجيع فهى فى حاجة الى قوة هائلة تنتزعها من شفاهنا انتزاعا ان صدورنا مليئة بالكلمات الطيبة ولكننا لا نقولها ، ولو اننا تعلمنا ان نطلقها بنفس القوة التى نثور بها او نغضب ، لاستطعنا ان نضمد جراح تسعة اعشار البشر !

تقول مارجورى ويلسون الكاتبة الامريكية التى قضت اعواما طويلة تحدثنا عن متاعب الناس ومشاكلهم فى قصصها التى وضعت فيها خلاصة تجاربها مع الحياة : «ليس هناك قلب اسود وآخر ابيض٠٠ كل القلوب بيضاء ٠٠ وكلها تمتلىء بالحب وتفيض بهذه العاطفة ٠٠ ولكننا نحبسها ولا ندعها تخرج ، لاننا نتصور اننا لسنا فى حاجة للاعلان عنها!!».

● اذا مضينا نقدم العلم لابنائنا فى ملاعق نضعها فى افواههم ، فسوف ينتهى الامر الى خلق جيل جديد لا يعرف من هذا الغذاء سوى شكل الملعقة !

« نورمان كازينس »

درس فى الفن

● رينيه كوتى رئيس جمهورية فرنسا الاسبق ، كان على رأس المدعوين لحضور افتتاح احد معارض الفن التجريدى فى باريس ٠ ولاحظ الحاضرون ان الرئيس الفرنسى كان يمر مرورا سريعا امام اللوحات ، مما اوحى لجمهور المشاهدين انه لا بد ان يكون كوتى احد رجلين : فاما فنان زاول هذا النوع من الرسم فى احدى مراحل حياته ، واما أن يكون من الذكاء ، بحيث لم يجد حاجة الى التوقف امام اللوحة وتأملها طويلا كما يفعلون ، ليدرك المعنى الذى يريد الفنان ان يصوره فى « لوحته » !

واخيرا ارادت احدى السيدات ان تقطع الشك باليقين ، فاقتربت من رئيس الجمهورية وقالت تسأله : لا بد انك استمتعت باللوحات وادركت



ما تهدف اليه ٠

فقال كوتى على الفور : « لقد امضيت حياتى كلها من اجل ان ادرك ، انه ليس من الضرورى فى كثير من الاحيان ان ادرك كل شىء اسمعه او اراه أمامى ! »

وفى اليوم التالى صدرت الصحف الفرنسية تقول تحت عناوين عريضة : « رئيس جمهورية فرنسا يقدر الفن التجريدى ٠٠ فقد قضى حياته كلها يدرس هذا الفن ! »

انا فرنسا كلها !

● لم يختلف احد في وصف قائد دخل التاريخ مثلما اختلف اصدقاء شارل ديجول الذين عرفوه عن قرب . فقد قالوا عنه انه كان يعتبر نفسه ملكا على فرنسا . وقال البعض : «بل هو امبراطور» . وقال فريق ثالث : «انه نابليون جديد !

اما ديجول نفسه فقد كان يقول عن نفسه : «انا فرنسا كلها!»

وعندما وجه الجنرال الفرنسي رسالته الشهيرة الى مواطنيه في فرنسا المحتلة في اليوم الثامن عشر من شهر يونيو عام ١٩٤٠ ، وقال فيها : «ان فرنسا لم تفقد شيئا .. ان نفس الوسائل التي استخدمها العدو في انزال الهزيمة بنا ، يمكن ان تستخدم في تحقيق النصر لبلادنا . ان فرنسا لا تقف وحدها .. ان فرنسا لا تقف وحدها !» وسمع الانجليز والامريكيون نص الرسالة التي نقلتها محطة الاذاعة البريطانية من لندن وقالوا : «ان اصدقاء فرنسا لن يتركوها طويلا تحت الاحتلال النازي !»

وتحررت فرنسا، وعاد ديجول الى ارضه وبلده محمولا على الاعناق .. وفي اول كلمة قالها لمواطنيه : «الم اقل لكم .. لقد كنت دائما مع فرنسا وكانت فرنسا معي وفي قلبي ودمي طوال ايام المحنة .. نعم .. لم تكن بلادي تقف وحدها .. فقد كان معها ديجول !»



● ليس هدف التعليم هو اعداد رجال يستطيعون شق طريقهم في الحياة بنجاح فحسب، وانما هدفه ايضا ان تمكنهم من الصمود للفشل والتغلب على مصاعب الحياة .

« وليام جيمس »

الألمان أم القردة ؟

● في العام الماضي التهم الالمان ٥٨٠ الف طن من الموز . ونشر رسميا ان معدل استهلاك الفرد ١٠ كيلوجرامات موز للفرد الواحد . وبذلك يصبح الالماني الغربي الاول في العالم بعد القرد في التهام الموز .

وللموز في المانيا قصة قديمة تبدأ في العشرينات عندما كانت المغنية الالمانية (يوزفينه بيكر) في عام ١٩٢٧ تصعد على المسرح وقد شدت على خصرها حزاما من الموز وهي تشدو بطقطوقة ـ خصوصا الموز ... الموز ـ في ذلك الوقت كانت تقف السفينة البريطانية (تيتيلا) في ميناء بريمرهافن الالماني لتفريغ شحنات الموز .

وقد التهم الالمان في السنوات التي سبقت الحرب ١٠٠ الف طن من الثمر الاصفر قبل ان تعلن الحكومة منع الاستيراد بسبب قلة الموارد المالية . ومع عام ١٩٤٩ اشتاقت المانيا الغربية الى فاكهة الترف مجددا فاستوردت ١٤ الف طن . وحتى الستينات كانت الخنازير المحيطة بميناء بريمرهافن الاكثر استهلاكا للموز في المانيا الغربية حيث كان الموز يقدم للحيوانات بدل العلف .

وفاقت هذه الثمرة الاستوائية ذات السعر الرخيص ثمرة بلاد الغرب (التفاح) استهلاكا علما بأن الطريق بين المستهلك الاوروبي وشجرة التفاح اقصر بكثير من الطريق بين الهندوراس ـ عبر المحيط ـ وميناء بريمرهافن الالماني .

● فنان عربي

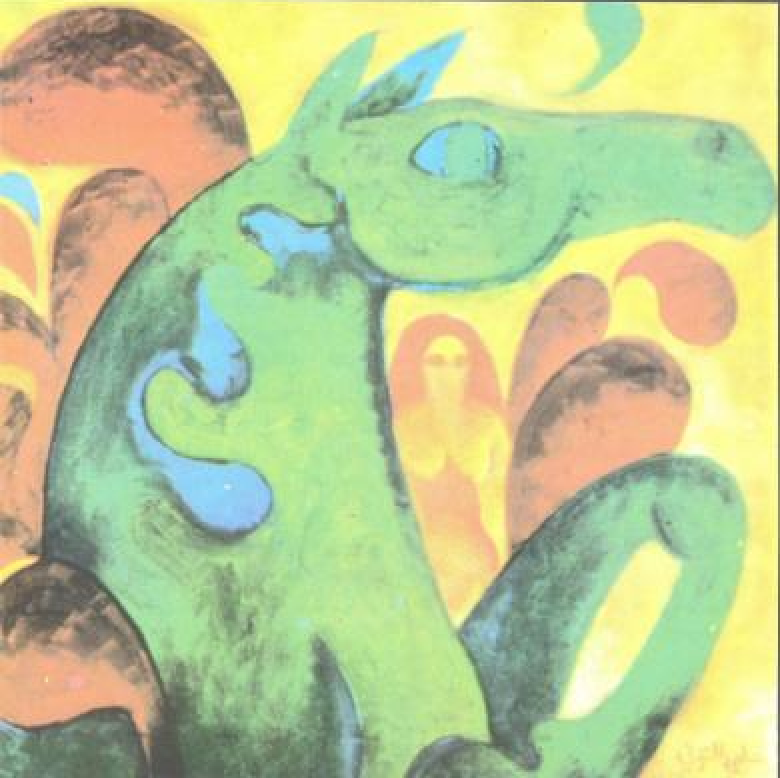
حلمي التوني

عندما نحلم بعيون مفتوحة

بقلم : راجي عنايت







٣ لوحات لحلمى التونى تسجل مشاهد مختلفة من حياة الريف والمدينة : الناس والفجر والفرس .

- **قصة السعي الى الجمهور في الصحافة والنشر والملصقات**
- **اللوحة ٠٠ هي الصناعة الثقيلة بالنسبة للفنان ٠**
- **تقاليد العائلة الهندسية وعلاقتها بالفنون الزخرفية !**

■ **بالرغم من انه نجح فى فرض ارادته على كبار عائلته ، فاختار الدراسة فى كلية الفنون الجميلة ٠ فى الوقت الذى كانت ترشحه فيه الاسرة للدراسة الهندسة ، بالرغم من هذا تبنى الفنان حلمى التونى منطق الهندسة الذى توارثته الاسرة أبا عن جد ، سواء فى اختياره قسم الفنون الزخرفية للتخصص فى الكلية ، أو فى اسلوبه الهندسى فى التفكير ، الذى تكون فيه الفكرة هى محصلة بناء متصاعد له جذوره الواضحة المحسوبة ، أو فى طابع البناء الهندسى المحكم الذى يسود اعماله الفنية ايا كان مجال هذه الاعمال ٠**

ولد الفنان حلمي التوني بصعيد مصر عام ١٩٣٤ ، وسط عائلة تكنوقراطية من المهندسين ، ترسم للوليد خطى حياته المقبلة ٠ بحيث يسير على نهج من سبقوه في دراسة الهندسة ٠٠ اى فرع من فروعها ٠ بلغ من دقة تخطيط العائلة ان اختارت له ان يصبح مهندسا زراعيا ، حتى يرعى ارض الاسرة بصعيد مصر ٠

لكن الصبي الصغير ، وهو يقطع سنوات دراسته ، يغرق حتى اذنيه في هواية لا تلقى اعتراض احد طالما انها تبقى في حدود الهواية ٠ فليرسم الصبي ، وليخطط بالالوان ما شاء له التخطيط ٠٠ فلا باس في ذلك ٠

وما ان تنتهي سنوات الدراسة الثانوية ، حتى تتضح ابعاد المشكلة ٠ لقد اختار الفتى ان يدخل كلية الفنون الجميلة ٠٠ الامر الذى لم تكن له سابقة في تاريخ الاسرة ٠٠٠ كانت مفاجاة بدت كمزحة في اول الامر ، ثم تحولت مع تصميم الفتى الى محنة ٠ اعضاء العائلة من المهندسين يجتمعون لبحث هذا الصدع الذى يكاد يصيب بناء العائلة وتاريخها ٠ لكن الفتى يبقى على اصراره ، لا يسانده في رغبته هذه سوى زوج احدى عماته ٠٠ على الرغم من انه مهندس زراعى ! ٠

نجح الفتى في فرض ارادته ٠ ودخل كلية الفنون الجميلة ، وبعد ان انتهت السنة الاعدادية ، اختار حلمي التونى قسم الفنون الزخرفية ٠ والزخرفة ـ بما فيها من علوم منظور هندسي ومواد بناء وتصميمات تخضع لمقاييس هندسية ـ تعتبر نوعا من المزاوجة بين الخبرة العلمية والخبرة الفنية ٠ وهكذا يجرى اختيار قسم الفنون الزخرفية كنوع من التوفيق الضمنى اللاشعورى بين رغبته ورغبة الاسرة ٠

ايزيس وأوزوريس

عن سنوات الدراسة يقول الفنان حلمى التونى انه لم يتصورها دراسة بالمعنى الذى مارسه خلال دراسته الابتدائية او الثانوية ٠٠ بل كانت نوعا من المعايشة ٠٠ حياة كاملة ٠ كان يمضى نهاره واغلب ليله بين جدران الكلية ، يرسم ويناقش وينتج ٠٠ عندما فوجيء بان سنوات الدراسة قد انتهت ، وانه بصدد الاعداد لمشروع التخرج ٠

اختار الفنان مشروع تخرجه تصميما لديكور وملابس ودعاية باليه « ايزيس واوزوريس » المأخوذ عن معالجة للكاتب الكبير توفيق الحكيم ، وبذل غاية جهده في صب خبرته كلها في ذلك المشروع ،



الفنان حلمى التونى فى مرسمه

فكان ان حصل به على درجة الامتياز فى عام ١٩٥٨ ·

بعد هذا ، كان من الطبيعى ان تعرض عليه بعثة خارجية الى ايطاليا للتخصص فى ملابس ومناظر المسرح ، غير ان الفنان اعتذر عن قبول هذه البعثة ، نتيجة لارتباطه الفعلى بالعمل الصحفى منذ عام ١٩٥٦ فى اثناء سنوات الدراسة ·

احس حلمى التونى اثناء دراسته ان المجال الاوسع لمخاطبة الجماهير العريضة والتاثير على ذوقها يكمن فى العمل الصحفى ، اخراجا ورسما ، وهكذا سعى حتى وجد له مكان متميزا فى الصحافة وهو ـ بعد ـ طالب بكلية الفنون الجميلة ·

منذ ذلك التاريخ ، عمل حلمى التونى فى العديد من المشروعات الصحفية ، يهتم بالاخراج الصحفى كما يهتم بالرسم ، والنقد الفنى · عمل فى مجلة « الكواكب » الفنية الاسبوعية ، ثم تولى العمل والاشراف الفنى على مجلة « المصور » السياسية · ثم اصبح مشرفا فنيا على مجلات ومطبوعات « دار الهلال » ، فساهم فى تطوير مجلة « الهلال » الثقافية الشهرية ، ورسم فى مجلتى « سمير » و « ميكى » المتوجهتين الى الاطفال والناشئين ، ووضع تصميم ومشروع المجلة الطبية « طبيبك الخاص » ·

وفى نفس الوقت ساهم حلمى التونى فى اخراج مجلة « المسرح والسينما » وبعض مجلات الاقاليم ··

● الفنان حلمى التونى

وبقى يمارس دوره الهام هذا فى الصحافة المصرية حتى عام ١٩٧٣ · بعدها بدا جولته فى الدول العربية ، فوضع مشاريع التصميم التاسيسية للعديد من المجلات والصحف فى بيروت ، وبعدها سافر الى عمان فى اعقاب احداث لبنان ، ليشارك فى بعض مشروعات النشر والمشروعات الفنية الخاصة بالاطفال ·

الاخراج الصحفى

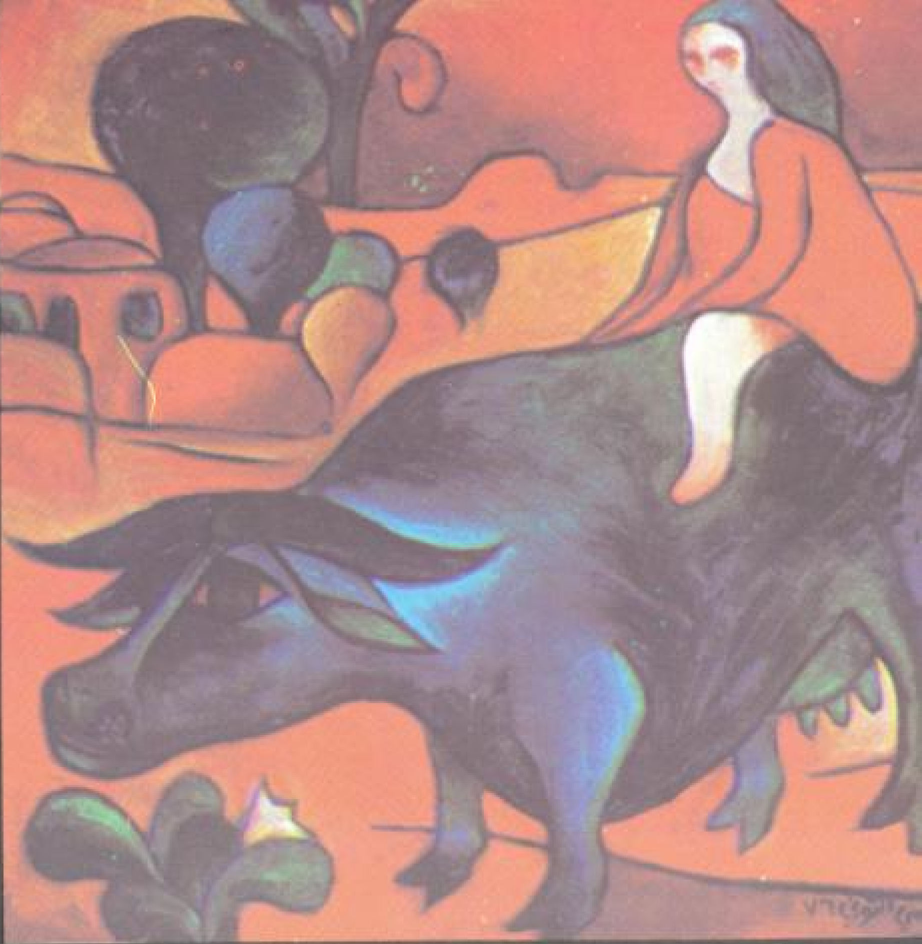
على الرغم من ان الصحافة لم تكن ميدان النشاط الاوحد للفنان حلمى التونى،فقد استطاع ان يؤثر بشكل واضح فى مستوى الاخراج الصحفى على مستوى العالم العربى ·

ويذكر حلمى ان الاخراج الصحفى ، عندما شارك فيه لاول مرة ، كان عملية تزويق وتزيين ، اشبه بنثر الزهور حول الصفحة فى الجريدة او المجلة ، واحس ان مهمة الاخراج الصحفى تتجاوز هذه الحدود ، فى هذا يقول احسست ان عملية الاخراج الصحفى يجب ان تصبح ما يشبه تصنيع المادة الصحفية بشكل فنى ·· تماما كما يحدث عندما يتحول النص الادبى الى عمل سينمائى على يد المخرج ·

· ويقول الفنان ان الهدف من الاخراج الصحفى هو التعبير بالشكل عن مضمون الموضوع «الصحفى» وليس مجرد تزيين الكلام · ومن خلال تجارب حلمى التونى فى انشاء الصحف والمجلات الجديدة، او فى وضع التجديدات للصحف والمجلات التى تصدر فعلا ، يرى ان الاخراج الصحفى يبدأ بتحديد نسب الجرعات المختلفة من المواد · وداخل كل جرعة تجرى محاولة للتعبير عن كل جزئية بشكل خاص ومتميز ، يعبر عن طبيعة الموضوع ·

وحلمى التونى يمارس الاخراج الصحفى بنفس الحس الذى يمارس به الخلق التشكيلى ، فهو يخضع الصفحة او الصفحتين المتقابلتين فى المجلة، لكل مقاييس العمل الفنى الكامل ·· من حيث عناصر الحركة والمساحة والخط والدرجات اللونية ·· وهو يحرص بعد هذا الا يجيء الاخراج الصحفى على حساب سهولة قراءة الموضوع وايصال المعنى المراد ايصاله ، بل يهتم بهذا ويسعى اليه ·

ومن اهم ما عالجه حلمى التونى فى عمله



على شاطيء الترعة،
صورة من ريف مصر*



من أعمال حلمي
التوني في معرض
بيروت عام ١٩٧٥



▲المستقبل ، الوليد يرفع العلم . ▼عودة الى عالم الريف والمدينة : القباب والنخيل والديك !



الصحفي ، موضوع الصورة الصحفية باعتبارها مادة تحريرية قائمة بذاتها وفي هذا يقول : كنت اسعى الى ان احقق تخصصا جديدا على حياتنا الصحفية في البلاد العربية ، الا وهو ٠٠ محور الصورة الصحفية ٠

كان حلمي التوني يحرص دائما ـ بالاتفاق مع المصور قبل ان يذهب الى مهمته ـ على العناصر الاساسية المطلوبة للموضوع الصحفي ٠ ويقول : انه بعد ان يتم تجهيز الصور الصالحة للطرح الصحفي ، تبقى امام المخرج الصحفي مهمة خلق اساسية ، تتركز في الانتقاء من بين الصور ، ثم اختيار الاطار المناسب ، والحيز الذي تحتله الصورة وفقا لاهميتها ، وكيفية التركيز على مضمونها ٠

في مجال الكتاب والملصق الحائطي

ومن ميادين العمل الفني التي اسهم فيها الفنان حلمي التوني اسهاما ملفتا ، ميدان النشر والكتاب العربي فهو حتى الان قد قام بتصميم اغلفة ما يزيد على ٨٠٠ كتاب في مختلف الدول العربية ، بالاضافة الى تنسيق مادة الكتب وتولى رسومها الداخلية ٠

وفي هذا يقول حلمي التوني ان هدفه تركز ـ عند اخراج الكتاب العربي ـ في ان يبدو للوهلة الاولى كتابا عربيا ٠٠ فهو لا يرضى بان تكون الاستفادة من تصميم الكتاب الاجنبي وسيلة لخلق هوة بين غلاف الكتاب ومضمونه العربي ٠

وهو فيما انجز من اغلفة الكتب العربية العديدة ، حرص على ان تكون محاولة الاستفادة بالكتاب الاجنبي ، محاولة حذرة خوفا من الانحراف وراء المدارس القريبة الغريبة عن محتوى الكتاب العربي وجمهوره من القراء ٠

وبعد الممارسة الطويلة في مجال تجميل الكتاب العربي يحدد الفنان حلمي التوني اركان الغلاف او اشتراطاته كما يلي :

لفت النظر وجذب المشاهد وسط منافسة مئات الكتب المعروضة ٠

التعبير عن مضمون الكتاب اجمالا ، بحيث يكون الغلاف عملية خلق اضافية ٠

البعد عن الترجمة الحرفية وتأكيد شخصية التعبير التشكيلي في حالة القصة او الرواية مثلا ، البعد عن التقاط مشهد من بين السطور وتسجيله بالرسم ، الى تصوير مجمل الموقف الانساني للعمل الادبي ٠

ادراك حدود الامكانيات الطباعية ومراعاتها ، حتى يمكن الخروج باحسن نتيجة في ظل الظروف المتاحة ٠

ويقول الفنان حلمي التوني ان ما ينسحب على غلاف الكتاب ينسحب ايضا على الملصق الحائطي٠ وفن الملصقات الحائطية من الفنون الطارئة على المشرق العربي قياسا على مدى انتشاره في اوروبا مثلا ٠

وقد ساهم الفنان في الارتفاع بمستوى الملصق الحائطي ، سواء للاغراض الاجتماعية او السياسية او الثقافية الفنية ٠ ففي مجال المسرح قام بتصميم ملصقات حائطية لمسرحيتي « حلاق بغداد » و « على جناح التبريزي » لالفريد فرج ، وكذلك مسرحية «التفاحة والجمجمة» لمحمد عفيفي ، بالاضافة لمسرحية « الينبوع » في الاردن ٠ وكانت تجربته في السينما اكثر مشقة ، اذ ان الملصق السينمائي كان حكرا لعدد من الحرفيين الاجانب والعرب ، لذا كان من الصعب على فنان مؤهل ان يغزو هذا الميدان ، كما فعل حلمي التوني في ملصق فيلم « الحرام » الفاتن حمامة ٠

وكذلك صمم حلمي التوني العديد من الملصقات العربية : الملتقى الشعري ببيروت ، معرض الكتاب العربي ببيروت ومركز « هيا » الثقافي للاطفال بالاردن ، بالاضافة الى عدة ملصقات خاصة بالقضية الفلسطينية ٠ كما اقيم معرض لملصقاته في صعيد مصر ضمن نشاط ادارة الثقافة الجماهيرية٠

في مسرح العرائس

ومن النشاطات الفنية التي مارسها الفنان حلمي التوني ، تصميم العرائس والديكور لمسرح العرائس ٠ ومسرح العرائس ـ بشكله المتطور الحديث ـ من الفنون الطارئة على مجتمعنا العربي ٠٠ وبمجرد ان راى الفنان بعض عرائس وعروض مسرح العرائس حتى استهوته طاقة الخلق الواسعة التي تتوفر للمصمم في هذا المجال ٠

صمم عرائس وديكور برنامج « صحصح لما ينجح » من تاليف صلاح جاهين واخراج صلاح السقا ، لحساب مسرح القاهرة للعرائس ٠ وحرص ـ في كل مجال يتصدى له ـ ان يتفهم طبيعة الشكل

فى مسرح العرائس ، فجاءت عرائس هذا البرنامج وديكوراته اقرب ما تكون للمعالجة الفنية الخاصة لهذا الفن : من حيث بساطة التصميم وتنوعه بشكل لا يحدث التباسا لدى الاطفال ..

وعندما علم ان الفنان الشعبى المصرى محمود شكوكو قرر انشاء مسرح عرائس خاص به تقدم لمساعدته ، ووضع حجر الاساس فى هذه التجربة عند بدايتها الاولى .

اللوحة .. صناعة ثقيلة

اما بالنسبة للتصوير ، فالفنان حلمى التونى يعتبره الصناعة الثقيلة لاى فنان .. طاقة الابداع التى تثرى كافة اشكال اسهامه الفنى الاخرى . ويقول فى هذا : ان الصراع دائم بين اقدام الفنان على انتاج لوحة فنية ، وبين انهماكه فى ضروب العمل الفنية الاخرى . وهو يركز على اهمية اللوحة فى حياة الفنان مهما كان ارتباطه بمجالات الابداع التشكيلية الاخرى ، فالفنان يصب طاقته التعبيرية والفكرية بشكل مكثف فى اللوحة .

من هنا ، كان التصوير عند حلمى التونى الاحتياج الضرورى لاى فنان تشكيلى ، فهو اداته لشحن الوجدان وتجديد الرؤية . وهذا هو الامر الذى ينعكس اثره على مستوى وثراء نشاطه فى اى مجال اخر كالمسرح ، او الصحافة ، او النشر ، او الاعلان .

لكن اللوحة عند حلمى التونى فى الوقت نفسه نوع من الترف . فاللوحة لا تصل الى الجمهور الا من خلال المعرض ، ومن لم يقتصر اتصال الفنان على عدد محدود من الجمهور ، وهذه هى ازمة الفنان التشكيلى الذى لا يمارس نشاطا فنيا خارج حدود اللوحة او التمثال .

ولما كان الفن فى نظر حلمى التونى ، انما هو للناس ، وفى خدمة الحياة ، كما انه اداة لتطوير هذه الحياة ، اصبح من الضرورى اختيار الوسائل التى تصل بالفنان الى اوسع الجماهير ، كما فى الصحافة ، او الملصقات الحائطية ، او الكتاب .

وهذا الخروج الى الجمهور ، لا يجرى فقط لحساب الفنان ، بل انه فى مصلحة الجمهور ذاته . فالذوق الفنى للجمهور مظلوم .. لم ياخذ فرصته ، ذلك ان طاقة الابداع الفنى لمجتمعه لا تصله فى قوتها الحقيقية . ومن هنا جاءت ضرورة دخول الفنان الى مجالات الابداع الجماهيرية ، حتى يساهم فى ترقية الذوق الفنى عند الجماهير الواسعة .

ويتساءل الفنان حلمى التونى « اين مساهمة دور النشر العربية . لماذا لا تقوم كل دار نشر على تقديم اعمال احد الفنانين ، ولو مرة واحدة كل عام .. فى شكل كتاب او مجموعة لوحات او ملصق حائطى ؟.. لو ان دور النشر العربية قامت بهذا الواجب ، لامكننا ان نحل الكثير من مشاكل الفن التشكيلى فى الوطن العربى . »

التساؤل الاخير

والحق ، ان الفنان حلمى التونى ، كان وما يزال من اكثر الفنانين العرب اصرارا على انتاج اللوحة الفنية ، رغم انشغالاته الاخرى فى الصحافة ، او الكتاب ، او المسرح .

بل ان نشاطه فى هذا المجال قد تضاعف بعد عام ١٩٧٣ . وفى هذا يقول : «بعد التركيز الشديد على اشكال الانتاج الفنى الجماهيرى منذ عام ٥٦ وحتى عام ١٩٧٣ ، شعرت ان من حقى ان امارس ترف التصوير ، ورفاهية اللوحة لفترة ما » .

وقد اتيح لى ان اشهد افتتاح المعرض الاول للفنان حلمى التونى فى بيروت عام ١٩٧٥ . ومع المنافسة الشديدة بين الفنانين العرب الذين يعرضون اعمالهم فى صالات العرض العديدة ببيروت ، ـ لفت انتاج الفنان حلمى التونى الانظار ، وحظى باقبال شديد حتى ان اغلب اعمال ذلك المعرض تخاطفها الجمهور فى ايام العرض الاولى . والسبب فى تقديرى يرجع الى الحس العربى الصادق الذى ينبض فى كل اعمال الفنان .. بالاضافة الى وعيه الشديد بما يجب ان يصل اليه الفنان العربى ، فى سعيه لدراسة المدارس الاوروبية الحديثة وتفهمها ووعيه باهمية التراث العربى ، وتاثيره على الوجدان العربى شعوريا ولا شعوريا .

يظهر هذا فى التساؤل الذى طرحه الفنان حلمى التونى ونحن فى نهاية حديثنا ، عند قمة جبل عمان .. متى يصبح للفنانين العرب مدرسة فنية تشكيلية ، لها كيانها العالمى .. كما فى حالة المدرسة المكسيكية او الصينية او الهندية ؟ . »

■■

راجى عنايت



رحلة المطاط

من الغابة إلى بيتك

بقلم : يوسف زعبلاوى



احدى غابات المطاط فى ماليزيا .. حيث الاشجار العالية الكثيفة تكاد تحجب ضوء الشمس .. اما الفتاة فى الصورة الاخرى فعاملة انطلقت الى الغابة عند الفجر .. وراحت تجمع الاوانى المعلقة بسيقان الاشجار وقد امتلأت بعصارة المطاط ..



■ المطاط خامة صناعية خطيرة ولا ريب • فهو الخامة التي لاغنى عنها في صناعة اطر السيارات ••وهو بالتالي عماد حركة النقل •• فالمطاط اذن احد المقومات الكبرى التي تقوم عليها حياة الانسان الحديثة •• على ان اطارات السيارات ليست الصناعة الوحيدة التي تشير الى خطورة المطاط •• رغم انها تستأثر بنصيب الاسد ، (٦٠ ـ ٧٠٪) من مجموع انتاج المطاط الطبيعي والاصطناعي في العالم • فهناك صناعة الاحزمة الدوارة الكبيرة التي تنقل الفحم والفوسفات وسائر المعادن عبر الاف الكيلومترات من مناجمها الى مراكز تصنيعها وشحنها •• وهناك الاحزمة والقشط الصغيرة نسبيا ، وهي التي تعتمد عليها المحركات في صميم تركيبها ، وذلك لنقل او تحويل الحركة من محور فيها الى محور آخر •• وقل مثل ذلك في الانابيب او الخراطيم التي تعتمد عليها حركة الزيت والماء داخل المحركات•

وتعزى هذه الاستعمالات المختلفة للخصائص الفريدة المختلفة التي يتمتع بها المطاط ••المط والارتداد •• والمرونة على قوة ، واللدانة على متانة •• ولكن المطاط يتميز بخصائص اخرى هامة•• العزل الكهربائي •• وعزل الماء والرطوبة ، وكتم الصوت •• وامتصاص الصدمات والاهتزازات•• من ثم كانت صناعة تلبيس الكابلات والاشرطة الكهربائية بالمطاط ، وكانت صناعة بلاط المطاط للمنازل والمكاتب والمصانع ، وكانت كذلك صناعة الوصلات والقواعد والمساند التي لا غنى عنها في اقامة الجسور والمباني وارصفة الموانىء وجدران السفن ، الى آخر ما هنالك •••

على ان خطورة المطاط البالغة لم تظهر لدى اكتشافه قبل حوالي خمسة قرون وقد تم ذلك على يد كريستوفر كولمبس نفسه اثناء رحلته الثانية الى العالم الجديد •• بل انها لم تتحقق حتى كان النصف الثاني من القرن الماضي•• وكانت القفزة الاولى في نجاح المخترع الامريكي شارلز جوديير Goodyear (١٨٠٠ ـ ١٨٦٠) في ابتكار الفلكنة Vulcanization (سنة ١٨٣٩)• فهذه عملية صناعية تدخل الكبريت والرصاص في بنية المطاط ، تحت وطأة الحرارة العالية• • ومن شأنها ان تزيد المطاط قساوة وبقاء ، وتقضي على العيوب التي طالما عانى منها المطاط منذ البدء•

ولولا الفلكنة لما اصبح المطاط الخامة الممتازة لصناعة اطر السيارات • والفلكنة عملية صناعية خاصة ويجب الا نخلط بينها وبين صناعة المطاط الاصطناعي •• وهي صناعة كبيرة تكاد تفوق صناعة المطاط الطبيعي ضخامة ••

ثم كانت القفزة الثانية سنة ١٨٨٨ •• حين اخترع الطبيب البيطري البريطاني جون دنلوب الاطارات الهوائية (المنفوخة) Pneumatic التي اسهمت كثيرا في ازدهار صناعة الاطارات •

نقف عند هذا الحد لنتفرغ للحديث عن المطاط•• لا من حيث هو خامة صناعية ولكن من حيث هو شجر ونبات •

في مجاهل حوض الامزون

واشهر اشجار المطاط جميعا شجرة الهفيا Havea وهي مصدر المطاط الطبيعي الاول بلا نزاع •• فهي الشجرة المنتشرة في البرازيل ، وبخاصة حوض الامزون ، موطنها الاصلي •• وهي الشجرة المنتشرة في شتى المناطق التي تزرع المطاط في العالم •• فالشجرة اذن طاغية على عالم المطاط •• وقد قدروا انها تمد العالم بما يزيد على ٩٥٪ من مطاطه الطبيعي كله • ومعنى هذا ان سائر صنوف المطاط الاخرى، لا يزيد محصولها بمجموعه الاجمالي على ٥٪ فقط من المجموع الذي ذكرنا •

ويعزى تفوق شجرة الهفيا للمزايا التي تنفرد بها • فهي شجرة عريقة وتفرز من المطاط اجود صنوفه •• الصنوف التي تتمتع بخصائص اللدانة والمرونة والمتانة ، والتي تلائم اغراض الصناعة بقدر يفوق كل ما عرف عن صنوف المطاط الاخرى •• وهي شجرة سخية وتجود بمزيد من المطاط من حيث الكمية •• ثم ان الشجرة نفسها ذات قدرة على تحمل التشريح الذي يحدثونه في جذعها يوما بعد يوم وسنة بعد سنة من أجل اعتصار مطاطها • وهي ذات قدرة فائقة على التكيف ، لا يحد منها سوى الشروط المناخية الاساسية التي تتطلبها الشجرة • فهي شجرة استوائية ولا حياة لها اذا ابتعدت عن خط الاستواء اكثر من ١٠ ـ ١٥ درجة الى شمال الخط وجنوبه • ولا حياة لها ايضا حيث تشح الامطار وتقل عن ٢٥٠ مليمترا في السنة •• وحيث يجف الجو في فصل الربيع فلا يوفر للشجرة ما تحتاجه من رطوبة ، وهو كثير نسبيا •

في ربوع
جنوب شرق آسيا

وليس أدل على قدرة شجرة الهفيا البرازيلية على التكيف من ازدهارها وانتشارها في منطقة جنوب شرق آسيا التي نقلوها اليها وباشروا زراعتها فيها في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ..

لقد بلغ من انتشار زراعة المطاط في جنوب شرق آسيا وفي جزر الهند الشرقية بالذات ان استأثرت بحوالى ٨٥٪ من مجموع محصول المطاط الطبيعي في العالم كله (ما يعادل ٣ ملايين طن) . ويبلغ نصيب ماليزيا وحدها من هذا المجموع ٣٥٪ .. تليها اندونيسيا (٣٠٪) ، ثم تأتي بعد ذلك سائر بلدان المنطقة .. تايلاند فسيلان ففيتنام الجنوبية وكمبوديا والهند . ولو اخذنا بعين الاعتبار افريقيا حيث يزرع المطاط على نطاق واسع في نيجيريا وليبيريا والكونجو لاتضح لنا مدى تضاؤل حصة البرازيل من مجموع انتاج المطاط الطبيعي العالمي .. فهي لا تكاد تبلغ ٥٪ في الوقت الحاضر ..

هذا ولم تكن البرازيل موطن شجرة المطاط الرئيسية فحسب ولكنها كانت منذ البدء وحتى أواخر القرن الماضي ، المصدر الرئيسي ، ان لم نقل الوحيد ، الذي امد العالم باحتياجاته من المطاط الطبيعي بنسبة ١٠٠٪ تقريبا ..

اما كيف انتقلت شجرة المطاط من اقصى الغرب الى اقصى الشرق فيذكر أن حكومة لندن اوفدت الى البرازيل من يقوم بمهمة جمع بذور المطاط سنة ١٨٧٦ .. ويقدرون ما جمعه بحوالي سبعة الاف بذرة .. وعاد الرجل بالبذور الى لندن . وتعهدت محطة التجارب الزراعية في حدائق كيو Kew قرب لندن زراعة تلك البذور .. حتى اذا نمت واصبحت اشتالا عمدوا الى نقلها الى سيلان المستعمرة البريطانية انذاك وغرسها في تربتها .. وما لبثت تلك الاشتال الصغيرة ان اصبحت مع الايام النواة التي قامت عليها مزارع المطاط الشاسعة الواسعة في ماليزيا واندونيسيا وغيرهما من بلدان جنوب شرق آسيا .

زراعة المطاط

وينسب للحكومة الماليزية الفضل الاكبر فيما احرزته زراعة المطاط في ماليزيا من تقدم .. وحسبك مركز ابحاث المطاط بشتى فروعه ومناشطه .. ومجموع العلماء والخبراء العاملين فيه .. فهؤلاء لا هم لهم الا اجراء التجارب والقيام بالبحوث ودراسة المشاكل من أجل تحسين زراعة المطاط . وتكفي الاشارة الى أن محصول الفدان الواحد من المطاط لم يجاوز ١٢٠ كيلو للفدان في مطلع القرن العشرين .. وقد تضاعف أكثر من خمسة اضعاف حتى بلغ في الوقت الحاضر حوالى ٦٨٠ كيلو بالمتوسط .. وتشير الدلائل الى أن هذا المحصول سيتضاعف ضعفين في مستقبل قريب .. ثم يتضاعف اربعة اضعاف في مستقبل غير بعيد .. ولولا جهود مركز ابحاث المطاط لتعذر تحقيق هذه القفزات الهائلة ..

وتجدر الاشارة الى انهم يحقنون شجر المطاط في ماليزيا بشتى المستحضرات التي تقي الشجر شر الامراض والحشرات التي قد تفتك به .

اما عملية زرع المطاط نفسها فتبدأ بالبذور التي يجمعونها من مناطق متباعدة تحاشيا (للتزاوج

شجرة الهفيا
تفرز بترولا بدلا من المطاط

نشرت مجلة العلم (Science)تقريرا عن التجارب التي قام بها مؤخرا فريق من علماء جامعة كاليفورنيا . وقد تناولت هذه التجارب شجرة تنتمي لأسرة شجرة المطاط البرازيلية . ويعرف عن هذه الشجرة ،واسمها يوفوربيا Euphorbia ، ان عصاراتها غنية بالهيدروكربونات وانها تصلح وقودا وخامة للبتروكيماويات .

وقد دلت تجارب علماء كاليفورنيا على أن في الامكان الحصول على بترول شجرة اليوفوربيا بتكاليف لاتزيد على ٢٠ دولارا للبرميل ، وهو ثمن مرتفع حاليا ، ولكنه قد يصبح مزاحما في مستقبل قريب . وسيكون مقبولا على كل حال لدى نضوب البترول في باطن الأرض .

ودلت تجارب كاليفورنيا ايضا على ان محصول شجرة (اليوفوربيا)من البترول سيبلغ ١٠ ـ ٣٠ برميلا للفدان الواحد .



صورتان : يظهر **في الاولى** عامل وهو يطلي ساق شجرة المطاط بزيت التخيل وذلك بعد نزع قشرة الساق الخارجية .. فزيت التخيل يساعد الشجرة على افراز المزيد من عصارتها .. وهي عصارة سائلة بيضاء كالحليب تظهر بوضوح **في الصورة الثانية** .





فى مصنع بنفس المزارع •• يتم تخثير عصارة المطاط السائلة وتجميدها بحيث تصبح كتلا ، كما يظهر **فى احدى الصورتين السفليين** •• ثم تضغط الكتل فى مكابس خاصة تخرج منها اطباقا •• وتغلف الاطباق فى اغلفة بلاستيكية خاصة تلائم أغراض التصدير ، كما يبدو فى **الصورة الاخرى** •

تصوير : صلاح آدم



الاقارب) ... ويزرعون هذه البذور في مشاتل ومستنبتات خاصة .. ثم تؤخذ الاشتال لتغرس في مزارع المطاط .. وذلك بمعدل ١٥ شجرة للفدان الواحد . وعند بلوغ هذه الاشتال سنة من عمرها تطعم على نحو ما تطعم أشجار البرتقال وسائر الفاكهة . ولابد من التطعيم بفسائل ياتون بها من شجرة مطاط ناضجة ومشهود لها بكثرة العطاء وجودته .

وينمو شجر المطاط بعد ذلك بسرعة .. بمعدل يتراوح وسطيا بين متر ومترين في السنة الواحدة. وتستكمل شجرة المطاط نموها ببلوغ السادسة .. ويبلغ قطرها آنذاك نحو ست بوصات .. وطولها ٢٥ مترا ، أي أقل بنحو ١٠ أمتار من الشجرة البرية . وهكذا تصبح شجرة المطاط جاهزة للعطاء .. ولاستدرار المطاط منها .

البزْل (١) Tapping

النباتات اللبنية Lactiforous هي التي تفرز عصارة بيضاء كالحليب . وهي كثيرة وتنتمي الى عشرين أسرة نباتية .. أما العصارة التي تفرزها هذه النباتات فصنفان رئيسيان .. أحدهما يعرف باسم بلاتا Blata ، وهو الذي يمد صناعة العلكة بخامتها الاساسية .. والصنف الثاني هو المطاط ..

وعصارة المطاط Latex مزيج من الماء والاملاح والهيدروكربونات ومركبات عضوية أخرى .. وهي تحتوي على أجزاء المطاط الصلبة .. وعلى أجزاء أخرى من غير المطاط . الا أن الماء يكون القسم الاعظم من العصارة .. ولا تكون أجزاء المطاط أكثر من ثلثها وزنا ..

وتوجد عصارة المطاط هذه في أجزاء الشجرة المختلفة ، الا انها تتركز بخاصة تحت لحاء الشجرة مباشرة .. لحاء الجذع ، وعلى ارتفاع حوالى مترين من الارض .. والغريب أن أوعية هذه العصارة تلف جذع الشجرة ، بشكل حلزوني ، من اليسار الى اليمين ، وتتجه الى أسفل في اتجاه الارض .

من هنا كانت عملية استخراج العصارة من شجرة المطاط عملية دقيقة للغاية ، ولا يجيدها الا من كان على علم وخبرة بها . انها عملية اعتصار شجرة المطاط ، أو ان شئت بزلها Tapping . وهو يقوم على تجريح الشجرة وشق قناة في جذعها .. وتبلغ هذه القناة من العمق ما يوصلها الى أوعية العصارة ، دون ان تتجاوزها أو تقف دونها .. على أن تتخذ القناة شكل الاوعية الحلزونية وتسير بمحاذاتها ، شريطة الا تلف محيط الجذع كله ، والا تغطى الا نصفه .. وهكذا تخرج العصارة بسهولة ثم تسيل في ممر رفيع الى الاناء المعلق بالشجرة .. فما لم يكن العامل ذا خبرة تمكنه من الوصول الى أوعية العصارة دون ايذائها او ايذاء الطبقات الداخلية من الشجرة فان عملية البزل تصبح اقرب الى الذبح والتجريح منها الى الاستدرار والتفريج ،وتعود بالضرر الكبير على شجر المطاط وعلى قدرته على مواصلة العطاء ..

ويبدأ بزل شجرة المطاط عند الفجر وقبل طلوع الشمس .. ويتكرر مرة كل يوم او يومين..ويستمر اعتصار الشجرة على هذا النحو وعلى الجانب الذي شقت فيه القناة..وتزداد هذه القناة عرضا يوما بعد يوم .. حتى تقترب من الارض ويصبح من المتعذر المضي في توسيعها واعتصار المزيد من المطاط عن طريقها .. حينئذ تفتح قناة اخرى على الجانب الاخر من جذع الشجرة ويمضي العامل في عملية بزل ثانية على غرار العملية الاولى .. حتى اذا اقترب من الارض ثانية عاد الى الجانب الاول الذي سبق له ان اعتصره .. وهكذا .. ويستغرق بزل الجانب الواحد من الشجرة نحو ست سنوات..ومعنى هذا ان شجرة المطاط تواصل العطاء جيلا كاملا .. نحو ٢٥ سنة اذا جرى بزلها حسب الاصول .

وتجمع العصارة بعد البزل وتؤخذ الى مصنع المزرعة .. وهناك تجفف ويجمد مطاطها بعد ان يضاف اليها قليل من الاحماض ، ولا يلبث المطاط ان يطفو على سطح العصارة كتلا .. ولا تلبث هذه الكتل ان تضغط في مكابس فتخرج منها اطباقا ذات مقياس موحدة للتصدير.ثم تفرز تلك الاطباق وتصنف وفق المواصفات الدقيقة المعتمدة. وتحزم بعد ذلك في بالات بقصد التصدير . ■■

يوسف زعبلاوي

---

(١) بَزَلَ الشيء يبزله بزلا شقه ، وكذلك بزّله .. (من لسان العرب) .



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

الشباب والصلع

● أنا شاب لم يتجاوز عمرى العشرين ومع ذلك اصبت بالصلع مما سبب لى متاعب نفسية ، فهل لى ان اعرف ما سببه وهل من علاج دائم له ؟

– طبعا الصلع هو عبارة عن خلو منطقة من الراس او كل الراس تماما من الشعر وغالبا ما يحدث فى الذكور ونادرا ما يصيب النساء. وعادة يحدث الصلع كلما تقدم الانسان فى العمر خاصة بعد سن الخمسين اما فى النوع الوراثى فيبدأ سقوط الشعر مبكرا ابتداء من عمر البلوغ ويكون واضحا فى عمر ١٨ سنة ونادرا ما يكون الصلع خلقيا منذ الولادة . وهناك انواع اخرى من الصلع تحدث نتيجة الاصابة ببعض الامراض الجلدية مثل القراع والحكة الهبرية والثعلبة والزهرى الثانوى والوراثى او نتيجة الاصابات والحروق كذلك فان بعض انواع الصلع تحدث بسبب الحميات او الصدمة العصبية او نتيجة امراض الغدد او التعرض لاشعة اكس .وفى جميع هذه الحالات فان التاريخ المرضى للشخص الاصلع يكون واضحا علاوة على أن الصلع يكون مختلفا فى الشكل والوضع تبعا لنوع المرض المسبب له .

وفى الشخص الاصلع نلاحظ ان بصيلات الشعر تختفى تدريجيا ولذلك يكون الجلد املس وناعما مشدودا . اما بالنسبة للعلاج فان ذلك يعتمد على السبب وعلاجه اذا كان مرضا جلديا مثلا او ضعف الصحة العامة ومن المهم جدا تدليك فروة الراس لتنشيط الدورة الدموية الذى يساعد على نمو الشعر ، كذلك استعمال الدهانات المنشطة لبصيلات الشعر موضعيا على جلد الراس مثل البيبانثين ودهان بيركلوريد الزئبق .

اما فى الصلع الوراثى فالبعض يفضل استعمال الهرمونات مثل الكورتيزون لفترات طويلة ربما امتدت لسنوات وهى فعلا تؤدى الى نتائج مدهشة وينمو الشعر بغزارة على الراس الا انه للاسف بعد ايقاف الكورتيزون كان الشعر يبدأ فى السقوط ثانية وتعود حالة الصلع كما كانت وليس من المعقول ان يستمر الشخص فى تعاطى الكورتيزون طيلة حياته للابقاء على شعر راسه نظرا لمضاعفات الكورتيزون لهذه الفترات الطويلة .

ويبقى بعد ذلك العلاج الجراحى للصلع وخاصة الصلع الجزئى وهو علاج ناجح ودائم وهناك عمليات مختلفة مثل زراعة الشعر التى تتلخص فى اخذ خصلات من الشعر والجلد المثبتة فيه لزراعتها محل رقعات صغيرة اخرى من البشرة الصلعاء، كذلك عملية كشط الشعر وتتلخص هذه فى كشط شرائط سطحية من جلد الراس المحتوية على الشعر لتغطية الجزء الاصلع من الراس . ومن مميزات هذه العمليات ان الشعر ينمو طبيعيا مظهره ولونه ولايحتاج لاى دهانات او عقاقير اخرى .

الانفصال الشبكى

● اخذت ارى نقطا سوداء ثابتة امام عينى فى المدة الاخيرة وعند مراجعتى الطبيب المختص قال لى : ان انفصالا شبكيا قد حصل عندى .. فما هو الانفصال الشبكى ؟ وما هى اعراضه واسبابه وعلاجه ؟

ـ من المعروف ان العين تتكون من جزءين امامي وخلفي، والجزء الخلفى من العين يتكون من الصلبة وهى الطبقة الخارجية، ثم طبقة الاوعية الدموية ، ثم الطبقة الداخلية وهى الشبكية .. وتعتبر هذه الاخيرة اهم جزء فى العين لان وظيفة باقى اجزاء العين هى تغذية الشبكية بالصورة • ويحتوى تجويف العين على سائل هلامى مهمته الحفاظ على منظر العين بابقائها كروية الشكل وابقاء الطبقات الثلاث التى تكون الجزء الخلفي من العين متراصة فوق بعضها دون ان تلتصق ببعضها •

والشبكية فى مكانها شفافة وتصبح معتمة اذا ابتعدت عن طبقة الاوعية الدموية أو بسبب الوفاة •

والمقصود بالانفصال الشبكى هو انفصال الشبكية وابتعادها عن طبقة الاوعية الدموية .. ويحدث هذا الانفصال غالبا بسبب وجود قطع او اكثر فى شبكية العين مما يسمح بدخول السائل الهلامى والسائل الذى ترشحه طبقة الاوعية الدموية .. ويؤدى هذا بالتالى الى فصل الشبكية عن الاوعية الدموية • وقد يكون الفصل جزئيا او كليا كان تنفصل الشبكية عن طبقة الاوعية الدموية تماما ما عدا منطقة العصب البصرى والطرف الامامي وتصبح مخروطية الشكل •

واسباب القطع فى الشبكية كثيرة منها :

ـ تعرض الراس او العين لضربة ، وهذا السبب يمثل ٢٠٪ من حالات الانفصال ، ورغم ان الضربة فى هذه الحالة تكون خفيفة الا انها كافية لاحداث هذا القطع مما يؤدى الى انفصال الشبكية ، لان ٩٠٪ من هؤلاء تكون الشبكية عندهم اصلا غير سليمة مثل المصابين بقصر النظر الكبير او مرض فى الشبكية كالالتهاب والتحلل الشبكى • وتجدر الاشارة الى أن الضربة القوية على الرأس مثل حوادث السيارات ربما أدت الى انفصال فى شبكية العين السليمة •

ـ وجود الياف بين الشبكية والجسم الهلامى وهذه الالياف تتكون غالبا من وجود نزيف داخل الشبكية او الجسم الهلامى كما فى حالات مرض السكرى او كمضاعفات للالتهاب الشبكى المشيمى •

ـ وقد يحدث القطع بعد عملية استخراج الساد الابيض •

كذلك يمكن أن يحدث الانفصال فى الشبكية بسبب آخر غير القطع ، مثل حالة الورم الخبيث أو بسبب كيس فى طبقة الاوعية الدموية او الشبكية او وجود سائل بكميات كبيرة بين الشبكية وطبقة الاوعية الدموية كما فى حالات تسمم الحمل •

ومن اعراض الانفصال الشبكى ان يبدأ المصاب به رؤية وميض انوار ولمعان حول الاشياء المرئية فى الناحية المقابلة للانفصال ثم رؤية نقط سوداء ثابتة امام العين وقد تتحول هذه النقط السوداء الى اشارة سوداء تحجب الرؤية فى المنطقة المقابلة للانفصال .. وربما وصل الامر الى انخفاض كبير فى درجة الرؤية خصوصا اذا امتد الانفصال ليشمل المنطقة الحساسة بالعين أو اذا أصبح الانفصال كليا •

وتشخص حالات الانفصال بفحص قاع العين بواسطة منظار خاص يستطيع معه الطبيب تحديد مكان القطع فى الشبكية والتمييز بينه وبين الورم الخبيث فى العين •

ولعلاج حالات الانفصال لابد من اجراء عملية جراحية ، وفى حالة الانفصال بسبب القطع يعمد الطبيب الى كى اطراف القطع لقفل الثقب وذلك بواسطة الالياف الجديدة التى يكونها الكى والتى تعمل على التحام الشبكية بطبقة الاوعية الدموية • والكى اما ان يكون

بواسطة الكهرباء او بالتثليج او بتركيز ضوء شديد على الشبكية بواسطة عدسة قوية •

واذا كان الانفصال بسبب وجود سائل بين الشبكية وطبقة الاوعية الدموية فيتم العلاج بازالة هذا السائل عن طريق ثقب صغير في الصلبة المقابلة لهذا السائل •

وفي حالات الانفصال الشبكي فان اجراء العملية الجراحية مبكرا يؤدي الى نجاحها ، وفي ٧٥٪ من الحالات يتم الشفاء الكلي و ١٥٪ من الحالات تحتاج الى اجراء عملية ثانية •• واذا لم يحدث انفصال بعد شهرين من اجراء العملية فان النجاح يكون مؤكدا • واذا اهمل المريض في اجراء العملية فان الانفصال قد يصبح كليا في فترة من ٦ ـ ١٢ شهرا يفقد معه المريض البصر تماما هذا عدا عن المضاعفات التي قد تصيب العين •

من نتائج قرحة المعدة

● ينزل الدم احيانا من المعدة والاثنى عشر نتيجة لقرحة فيها ويكون لون الدم عند الخروج اسود شديد السواد وذلك نتيجة لتفاعله مع العصارات الموجودة في المعدة والامعاء ، ويشبه القار (الزفت) في قوامه ويلمع مثله • هذا اذا كان النزف من من القرحة بطيئا ويمر في الامعاء ببطء ، اما اذا كان النزف شديدا ويخرج بسرعة من الامعاء دون وجود الوقت الكافي للتفاعل مع العصارات فان الدم يكون مائلا الى الاحمرار كلون الدم العادي ـ ومن هنا نعرف أن النزف شديد وسريع بحيث يحتاج المريض الى علاج اسرع • وينقل اليه دم في اسرع وقت ممكن او تجرى له عملية عاجلة حسب حالته •

وينزل الدم احيانا كذلك من قرحة الامعاء الدقيقة واهمها القرحة التي تحدث نتيجة لحمى التيفوئيد او سل في الامعاء الدقيقة • ويكون اللون في هذه الحالة مائلا الى الاحمرار ، وفي الحالات الشديدة يكون غزيرا ويكون المريض في حالة اعياء شديد نتيجة للمرض الاصلي وهو الحمى او الدرن وترتفع درجة حرارته • ويشحب لونه اكثر فاكثر ، وتتدهور حالته بسرعة ويحتاج الى علاج سريع •

اما الدم الذي ينزل من الامعاء الغليظة (القولون) فيكون نتيجة لتقرحات بهذه الامعاء ، او دوسنتطاريا اميبية او باسلية او التهاب او تورم او نتوءات بهذه الامعاء تنزف من آن الى آخر وعادة تكون هذه الحالات مصحوبة بمغص معوي شديد يذهب المريض على اثره الى دورة المياه ليفرغ مافي امعائه • فيكون امامخاطا مصحوبا بدم أو برازا مصحوبا بمخاط ودم • ويكون لون الدم احمر وبفحص البراز يمكن تحديد السبب في بعض الحالات ،وفي حالات اخرى يمكن التوصل الى تشخيص المرض بعد عمل الاشعة اللازمة او فحص بواسطة المنظار •

واكثر الحالات هو نزول الدم من البواسير سواء كانت داخلية اي غير مرئية أو خارجية ظاهرة يحسها ويراها المريض ويحدث النزف عادة في نهاية التبرز ويظهر على شكل نقط دم حمراء في اخر البراز وينزل على هيئة نقط دم دون اختلاط بالبراز •

والبواسير ما هي الا أوردة دموية متمددة في آخر المستقيم تزداد وضوحا وتمتلىء دما عند حدوث الامساك الشديد واضطرار المريض بذل مجهود لاخراج البراز فيرتفع الضغط داخل هذه الاوردة الدموية وتنفجر ويخرج الدم او يخرج بواسطة البراز وينزل الدم كذلك • على انه يجب ان يكون معلوما ان البواسير تكون في بعض الحالات عرضا ومؤشرا، لامراض الامعاء ، او الكبد او ازدياد في الضغط داخل البطن نتيجة لامراض عدة لذا كان من الواجب على من يعاني من بواسير أن يعرض نفسه على طبيبه لفحصه للتاكد من خلوه من هذه الامراض التي تكون سببا في حدوث النزيف •

الحال من غير الفاعل والمفعول به

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ باب « الحال » ــ مع سعته في نحونا العربي ــ من أيسر الابواب وأدقها نظاما ، ولكن بعض نحاتنا ــ حتى بعض روادهم ــ عقدوا هذا الباب كما عقدوا غيره بكثير من قواعدهم الخلافية ، التي كان من دواعيها في نفوسهم النزوع الى التشدد ، والحذر في غير موضعه ، فصارت تزدحم عقدها في كتبهم المطولة ، ولا تخلو منها كتبهم المختصرة• وقد خلط معظمهم بين « الحال والتمييز » كثيرا مع أن الفرق بينهما بحسب قواعدهم ــ واضح ، وان كان يحتاج الى تامل أحيانا •

ويعنينا في هذه الصفحة وصفحات تالية ان نناقش بعض قواعدهم العسيرة المتضاربة في باب « الحال » فقد اكثروا منها دون استقراء واسع ، ولا تذوق أدبي ، فظنوا وظن مقلدوهم أن مخالفة قواعدهم هذه خطأ ، حيث لا خطأ • ولو أن هؤلاء ــ عفا الله عنهم وعنا ــ توسعوا في الاستقراء ، بل لو اكتفوا بما بين أيديهم من نصوص مأثورة ، فتذوقوها أدبيا ومنطقيا ــ لما تورطوا وورطوا غيرهم في القواعد الكثيرة المتضاربة ، التي لا سند لها من ذوق اللغة ، ولا منطقها ، ولا أساليبها التعبيرية الدالة على معناها بوضوح ، ثم لم يضيقوا من جديد اللغة ما اتسع لمثله قديمها عند البلغاء ، او عند الثقات ، أو ما يمكن أن يتسع له جديدها المتطور،ولكنهم جعلوا النحو « صناعة اعرابية » ــ فصار فوضى يتيه في مجاهلها بعض المتخصصين ولا سيما المقلدين ، ويقف غيرهم حيالها موقف اليائسين •

ولسنا نستهين بشيوخنا من هؤلاء النحاة، او ننكر فضلهم الكبير علينا وعلى لغتنا ، ولكننا نلاحظ أن معظمهم او كلهم الا ندرة لم يكونوا على حظ وافر من الموهبة الادبية ، أو من الادب البليغ وتذوقه او نقده فنيا وجماليا ، وكان ذلك من أسباب اغراقهم في « الصناعة الاعرابية » كأن القواعد اللغوية ليست قواعد اعتبارية ، بل قوانين رياضية مجردة ، لا أثر فيها للذوق الفني، ولا تقبل التحول بحسب المعاني والمقامات • وأمامنا تاريخ النحاة بل اللغويين جميعا ، فتندر ان نجد منهم واحدا توسع في دراسة النحو أو اللغة بعامة الا وجدناه مبخوس الحظ من السليقة الادبية ، فهم ــ حتى كبارهم ــ أشبه بالصيادلة منهم بالاطباء •

وسنتناول في هذه الصفحة مسألة واحدة من باب الحال ، مع نية العودة الى بعض مسائله الاخرى لحل عقدها ، وازالة لبسها • والمسألة التي نناقشها هنا قولهم أن الحال تبين هيئة الفاعل او المفعول به(١) ، أو كليهما » مع توقفهم عند هذا الحد ، كأن الحال لا تكون الا من ذلك فحسب، ولو انهم اكتفوا في بيان مهمة الحال او وظيفتها في الجمل بقولهم « انها صفة تبين هيئة صاحبها او احدى هيئاته » ــ دون نظر الى اعراب صاحبها وداعية اعرابه رفعا او نصبا أو جرا ــ لاختصروا كثيرا من قواعد هذا الباب ، ولم يوجبوا في الحال وصاحبها ما لا يجب ، أو يشككوا في جواز ما هو جائز ، أو يحكموا بتخطئته وهو صواب • ولو

---

(١) بعض النحاة يتوسع في مفهوم « المفعول به » فهو يشمل عندهم المجرور بحرف الجر اذا كان فعل الفاعل واقعا عليه ، ويقولون : ان الفعل يتعدى الى المفعول به مباشرة (وهو الفعل المتعدى) كقولنا : « نظرت محمدا » ، كما يتعدى بحرف الجر (وهو الفعل اللازم) كقولنا : « نظرت الى محمد » ، ولكن هذا التوسع لا يكفي في بيان كل الاسماء التي يمكن أن تأتي منها الحال فهو مثلا لا يشمل المبتدأ والخبر مجردين من النواسخ او واقعين بعدهما •

تمسكوا بذلك لما خلطوا احيانا بين الحال والتمييز .

ونبدأ بتوضيح قاعدتهم ، ثم نعقب عليها بما يجعلها اشمل مما يظنون ، وأيسر مما يصورون .

الحال من الفاعل والمفعول به
أحدهما أو كليهما

ننظر في هذه الجملة القرآنية « رجع موسى الى قومه غضبان اسفا » فنجد ان الكلمتين « غضبان » و « اسفا » حال من الفاعل « موسى » .

ويقول بشار خلال مقدمة غزلية :

ما ساقني لك مملوكا ، وعطفني
الا العيون اللواتي جئن من سدد

فكلمة « مملوكا » حال من المفعول به (ياء المتكلم في « ساقني ») .

ويقول معروف الرصافي منكرا استبداد الحاكمين بامرهم ، منذرا اياهم من جرائره الوخيمة :

« اتركوا الناس مطلقين ، والا
عشتم موثقين بالاوجال »

فكلمة « مطلقين » حال من المفعول به « الناس » ، وكلمة « موثقين » حال من الفاعل (المخاطبين في « عشتم ») .

واذا قلنا « قابل الرجل صديقه متعانقين » فكلمة « متعانقين » حال من الفاعل « الرجل » ومن المفعول به « صديقه » معا .

ولكن هل تاتي الحال من غير الفاعل والمفعول به أحدهما أو كليهما ؟ وجوابنا « نعم » واليك ما يؤيد هذا الرأي من الشواهد ، او يوضحه من الامثلة :

الحال من المجرور
بحرف الجر الاصلي

تاتي الحال من الاسم المجرور بحرف الجر ، ومن شواهد ذلك ما جاء في القرآن الكريم مرتين « اقم وجهك للدين حنيفا » فكلمة « حنيفا » حال من « الدين » المجرور باللام .

وقول شاعرنا الجاهلي عمرو بن كلثوم في معلقته :

فآبوا بالنهاب وبالسبايا
وابنا بالملوك مصفدينا

فكلمة « مصفدينا » حال مفردة من « الملوك » المجرورة بالباء .

وقال بشار مخاطبا صاحبته سعدى

وعدتني ، ثم لم توفي بموعدة
فكنت كالمزن لم يمطر وقد رعدا

فجملة « لم يمطر وقد رعد » حال من المزن المجرورة بالكاف .

وقد لاحظنا في عشرات الشواهد والامثلة التي درسناها وذكرنا بعضها هنا ان الاحوال جملا واشباه جمل تكثر بعد الاسماء المجرورة بحروف الجر ، وانها اكثر ما تكون بعد الاسماء المجرورة «بالكاف» المفيدة للتشبيه ، وان كانت هذه الاحوال غير قليلة بعد المجرورات بغير الكاف ، هكذا الحال من كلام البلغاء قديما وحديثا .

الحال من المجرور
بحرف الجر الزائد

وتاتي الحال كذلك من المجرور بحرف جر زائد ، وحسبنا هنا انه مجرور في الظاهر ، وان كان في المعنى مبتدا او فاعلا او مفعولا به .وشواهد ذلك عشرات وفي القرآن الكريم وحده سبعة وعشرون شاهدا (١) نورد بعضها فيما يلي .

١ ـ ٣) « كفى بالله حسيبا » و « كفى بالله نصيرا » و « كفى بالله شهيدا »

فكل من الكلمات (حسيبا ، ونصيرا ، وشهيدا) حال من اسم الجلالة قبلها مجرورا بالباء ، واسم الجلالة هنا فاعل في المعنى (اي كفى الله حسيبا ، ونصيرا ، وشهيدا)

٥) ويقول المبرد في وصف تعذيب رجل من الموالي نكبه الحجاج ايام ولايته العراق « فاذا به معرضا على حمار ، مدقوق اليدين والرجلين » فكلتا الكلمتين « معرضا ومدقوقا » حال من ضمير الغائب « الهاء بعد الباء في « به » وتقديره مبتدا فاذا هو معرضا على حمار .

٦ ـ ٨) ومن الجمل المأثورة المشهورة دينيا : « رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا »

فكلمة « ربا » حال من اسم الجلالة ، و «دينا» حال من « الاسلام » و « نبيا » حال من « محمد »

وحسبنا هنا ان مثلنا للحال من المجرور بحرف الجر الزائد ، سواء كان هذا المجرور فاعلا او مبتدا او مفعولا به . ■■

---

١ ـ انظر مادة « كفى » في المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ـ ص ٦١٣ ـ ٦١٤ .

العمدة

قصة قصيرة

■ حين قرات الخبر لاول وهلة ، لم اصدق عيني ، وكانما اردت ان اتاكد من حقيقة ماوقعت عليه عيناى بقراءة النص كاملا : « انتقل الى جوار ربه » الحاج صالح الخضر من اعيان « الزهايره » والد رفعت المدرس بالتربية و....

هو اذن « الحاج صالح » ولا احد سواه ،ولاول مرة تبدو لى حقيقة الموت غريبة حين تتصل بالحاج صالح الخضر .

« عن عمر يناهز الثمانين » اى غرابة فى ان يموت رجل عن هذه السن ، ربما كانت الغرابة انه حتى فى هذه السن لم يكن يلوح فى صورة العجوز الذى ينتظر النهاية ، فمنذ رايته وانا صبى أجرى فى شوارع القرية ، ثم وانا طالب اذاكر احيانا مع ولده رفعت ، ثم وانا موظف انتقل بين الاقاليم ، ولاانسى حين أعود الى القرية ان ازوره كواجب مقدس ، فى كل هذه المراحل كان عمى « الحاج صالح الخضر » يبدو دائما كما هو ... ملامح وجهه البارزة الهادئة المتباعدة ، خطواته الثابتة لا تسرع ولا تبطىء ، الشعرات البيضاء فى راسه ولحيته كانها لا تزيد ولا تنقص، ومهما يكن الموقف فلا شىء يجعل كلماته الرصينة تخرج عن وقارها ، عيناه : واحدة مفتوحة بحدة والاخرى نصف مفتوحة كان هناك دائما شيئا يجب أن يخفيه عن الناس .

عمى « الخضر » هذا كان قد اصبح جزءا من قريتنا كالترعة التى تمر بها ، وكمئذنة المسجد ، التى تلوح من بعيد ... لا احد يجهله ، كمالايجهل هو شيئا يمكن ان يقع فى الزهايرة . فهو «مساح» يقيس الأرض لمن يبيع ويشترى ليعين حدودها ، وامام للصلاة ، ومأذون يزوج ويطلق ، وكان تاجرا لبعض الوقت ، تنتهى عنده المشاكل والمنازعات ، وتبدأ منه مشاريع الاصلاح ، بنى مع الناس اول مدرسة ، وجدد المسجد القديم واقام مئذنته ، وها هو اخيرا يموت كما يموت كل الناس ... فكيف يصدق المرء فى سهولة أن تبقى قريتنا بدون الحاج صالح الخضر ... ؟

« الموت حق » ... قلتها لنفسى وانا اطوى الصحيفة التى نشرت نعيه ، فى مناسبة كهذه لابد ان اعود الى قريتى لاعزى ، واتلقى العزاء « فالحاج صالح الخضر » ابو القرية كلها لابد ان نكون جميعا فى وداعه ، ربما لا الحق بمراسم الدفن لكن حسبى ان الحق بمراسم العزاء .

فى طريقى الى القرية ، كانت المشاهد القديمة تتراءى لعينى ، والتاكسى يمرق بين الحقول على الطريق الزراعى ، فى اى شىء تختلف حقول القمح عن مثيلاتها فى العام الماضى ؟ باعة البرتقال ، وسائقو الشاحنات الضخمة يغطون رؤوسهم بنفس الطواقى الصوفية التى تلتف حول الراس والعنق ، وقطعان الماشية التى تسبقها او تركض خلفها الكلاب الاليفة فى الريف .

فى الريف تبدو الدنيا ثابتة الملامح ، وهكذا كان « الحاج صالح الخضر » تتجمع فى ملامح وجهه وشخصيته روح ذلك الريف الهادىء الساكن ،فى طفولتى كان يأسرنى ذلك الهدوء وتلك الوداعة التى تشمل كل شىء ، النبات ينمو فى هدوء لايكاد احد يشعر بحركته الماشية تسير فى بطء ، وتمضغ طعامها بنفس البطء ، وحين يحكى الناس نفس القصة ، فانهم يتوقفون عند نفس المقاطع ، وتالف ملامح الوجه انطباعاتها التى ربما تتاثر بالوقت وبالمكان ، فهى فى الصباح غيرها فى المساء او فى الظهيرة . وفى اوقات العمل غيرها فى اوقات الراحة على المصاطب او فوق اكوام القش المتكومة فى الاجران .

لا تتاثر هذه الملامح كثيرا بالموضوع الذى ترويه ، فالموضوع فى حياة القرية ثابت لا جديد فيه ، الاغنياء اغنياء ، والفقراء فقراء ، والارض



بقلم :

أبوالمعاطى أبوالنجا

تزرع بنفس الطريقة منذ الاف السنين » . « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » ، ولم يكن هناك مايثير طفولتى سوى شغفى بان اعرف من أين تاتى تلك اللحظات التى يتبدد فيها ذلك الهدوء ، وتختفى تلك الوداعة ؟ ليتحول ذلك الشعور العميق بالسلام والأمان الى صرخة فزع يتجمع حولها الرجال والنساء والأحزان .

كان هذا الشغف هو الذى قاد خطاى الى عمى « الحاج صالح الخضر » لكن قبل أن التقى به كنت أبحث بنفسى ، فى حدود قدرتى على أن ارى وأفهم ، فى البداية كنت أعتقد أن هذه اللحظات تاتى من المواقف التى يتجمع فيها الناس خارج اطار العمل ، فى الاعراس والموالد ، حيث يختلط الصغار بالكبار والنساء بالرجال ، حيث لايمكن لاحد أن يعرف على وجه اليقين من فعل ماذا ؟

فى مثل هذه المواقف التى كان يخافها الناس بقدر ما يحبونها غالبا ماكان يحدث الشجار ، وتنطلق صرخة الفزع التى تبدد الهدوء والوداعة ...

وعمرهم ما عرفوا الاسباب الحقيقية لما يحدث من شجار فى مثل هذه المواقف ، لكنه لا يكاد يحدث حتى ترى هؤلاء الودعاء الطيبين ، وقد انفلت زمامهم ، وخرج من اعماقهم ذلك الوحش الكامن ، وانطلق ليطارد فريسة كانت طول الوقت بجواره دون أن يفكر فى العدوان عليها . وفى مثل هذه

المناسبات قد يصيب الوحش الغاضب من لايريد ولا يقصد ويبدو كانه يخطيء دائما هدفه حتى ولو كان يعرفه • ودائما كانت تبدو المسافة شاسعة بين الاسباب الظاهرة للشجار والنتائج البشعة •

كنت في حاجة الى سنوات اكثر قبل اعرف انه توجد هنا مواقف اخرى تاتي مثيها هذه اللحظات الحافلة بالعنف الحقيقي الذي لايخطيء هدفه •

وان بطل هذه المواقف هو ذلك الرجل ذو الملامح الهادئة والصوت الرصين عمي «الحاج صالح الغضر» ••••

كانت الصرخة في هذه المرات تاتي من بعيد ، من قلب الحقول او من اى مكان يوضع فيه الاساس لبناء جديد ••• حيث يقف «الحاج صالح الغضر» بين الرجال ، يدق مساميره الحديدية التي تشد اليها خيوط الدوبارة القوية ، وتمتد مع القصبة الضخمة التي تقيس حدود الارض حين تنتقل ملكيتها من شخص لآخر ••• وغالبا ما يكتشف مالك الارض الجديدة أن الحدود بين أرضه وأرض الجيران قد تداخلت ، هنا وهناك ، وان احدهم قد انتزع الحديد الذي تدفه «المساحة» ليفصل بين الاراضي المتجاورة ••• ويكون من الصعب على المالك القديم ان يصدق انـه كان طـول الوقت يزرع او يبني في غير أرضه ، وعلى المالك الجديد أن يتنازل عن شبر واحد اثبت قيـاس «الحـاج صالـح الغضر» الـذي لا يخطيء انـه من حقه •

هنا كان يتفجر عنف حقيقي لا تجدي فيه حكمة الرجال ، عنف صاخب هادر لا ينتظر لحظة واحدة حتى تاتي الحكومة لتعطي لكل ذي حق حقه••• عنف لا تنفع فيه شفاعة شافع ، ولا تخفف منه قرابة او صداقة •

وما كان يحيرني بحق هو ذلك الهدوء القاسي الذي لا يفارق وجه «الحاج صالح الغضر» وهو يرى هذا العنف . كانه مسلم به مقتنع بضرورته ، يذهب الى عمله متوقعا ان المخاطر قد تكون فـي انتظاره ، دون تردد يقوم بعمله ، بهدوء وأناة وأمانة يعلن على الملأ ، وهو يدرك انه قد يفجر كارثة بكلماته ، يحدث ما يحدث ، يموت من يموت يجرح من يجرح . ويشارك الحاج صالح الغضر في فض النزاع او تخفيف الكارثة ولكن موقفه من فض هذا النوع من النزاع يختلف عن موقفه في فض المنازعات الاخرى •

فهو هنا يبدو كانه مسلم بضرورة مايقع ، لا يملك سوى تخفيف الكارثة او اقناع الاطراف بالانتظار حتى تاتي سلطة الحكومة لاقرار الحق، لكنه في المنازعات الاخرى كان يتصرف باقتدار وحكمة وكانه على ثقة من قدرته على اقناع كل الاطراف بما يريد •

لم يخرج عن هدوئه القاسي الا في ذلك اليوم المشئوم الذي قتل فيه «محروس المداح» ••• ذلك ان محروس المداح كان احد الأجراء الذين لا يملكون سوى عرقهم ، يعمل في الحقول باليوم او بالشهر او بالسنة ، يزرع الارض التي لايملكها ولا يحلم بامتلاكها ، وينام في بيت صاحب الارض التي يزرع فيها ، ينام فوق السطح صيفا ،وفي مخزن الاعلاف شتاء ، لا بيت له ولا زوجـة ، مقطوع من شجرة كل ما يمتلكه هو فاسه ، ودف ينقر عليه باصابعه وهو يغني في الاعراس والموالد، وحلم بان يكون له بيت صغير يتزوج فيه ، وحين يريده أحد ليغني له في عرس او مولد ياتي له في بيته ، واذا سال عنه احد من القرى المجاورة وجد من يدله على بيته ، ويقول له :

ـ ها هو بيت محروس المداح •

وكان أن وضع محروس المداح قرشا فوق قرش ليصبح له بيت مثل كل الناس ، أحيانا كان يجد من يقول له ساخرا :

ـ سوف ينتهي عمرك يا محروس قبل ان تجمع ثمن البيت •••

فكان يرد ضاحكا :

ـ على الاقل سيكون معي ما أشترى به مقبرة لا يدفن فيها غيري !

كان محروس وديعا مرحا ، ورغم قسوة الحياة التي عاشها ، لم يسمع منه احد كلمة تنم عـن كراهية أو حقد او شكوى ، فوجيء «الحاج صالح الغضر» ذات صباح بمحروس يدق باب بيته :

ـ اهلا يا محروس •• خير يا بني ؟•

ـ اشتريت قطعة ارض صغيرة ••• نصف قيراط اريدك ان تقيسها لي •

ـ أين ؟

ـ في الخرابة الواقعة خلف منزل الشتاوي•

ـ مبروك يا محروس ••• قالها «الحاج صالح الغضر» بشكل آلي ولكنه تابع بلهجة قلقة كمن تذكر شيئا •

ـ الم تجد غيرها ؟ لماذا هذه القطعة من الارض؟

ـ هي وحدها ما يناسبني ••• فلا احد يريد

شراءها وثمنها هو ما اقدر عليه .

ـ والشناوى .. ؟ قالها بنفس النبرة القلقة.

ـ عرضها عليه أصحابها باعتباره اولى بها ولكنه رفض شراءها ...

ـ ووافق على أن تشتريها أنت ؟

ـ نعـم

ـ هل انت متأكد ؟

ـ تعال معى وسترى بنفسك .

ـ يفعل الله ما يشاء يا بنى .

قالها الحاج صالح وهو يجمع أدوات القياس ويمضى معه ...

كنت واحدا من الذين تجمعوا حول « الحاج صالح الخضر » فى ذلك اليوم المشئوم ، وهو يقيس الارض الخراب الكائنةخلف منزل«الشناوى» ولاول مرة لا يعلن الحاج صالح نتيجة القياس على الملا ... همس فى اذن « محروس المداح » بما لم يسمعه أحد ، لاول مرة عجزت ملامح وجه الحاج صالح عن ان تحتفظ بهدوئها القاسى .

سمع الناس صوت « محروس المداح » وهو يقول بصوت مرتفع .

ـ هذه أرضى ... دفعت ثمنها كاملا ، ولا بد ان أتسلمها كاملة .

عاد الحاج صالح يهمس فى اذن محروس بما لم يسمعه أحد ، وعلائم القلق تزداد وضوحا على وجهه :

وعاد محروس يصرخ :

ـ كان من حقه أن يشتريها ، فلماذا رفض ؟

آنذاك استرد وجه الحاج صالحهدوءه القاسى، واعلن على الملا أن الجدار القربى لزريبة المواشى التى يمتلكها الشناوى تقع فى جزء من الارض التى اشتراها محروس المداح وأنه لا بد من هدم ذلك الجدار ... ليأخذ محروس أرضه كاملة .

آنذاك تقدم الشناوى واولاده من حوله وقال بصوت خشن مخاطبا الحاج « صالح الخضر » :

ـ أنا مستعد أن ادفع ثمن هذا الجزء لمحروس ، ولكن لن أهدم جدارا بنيته .

قال الحاج صالح الخضر :

ـ ليس هذا عدلا ... فما يتبقى من الارض لا يصلح لبناء حجرة بمنافعها اما ان تشتريها كلها ، وقد تنازلت عنهذا الحق ، أو تتركها كلها لتصلح للبناء .

ـ لن أشتريها كلها ولن اترك الجزء الذى بنيت فيه ...

قالها بلهجة حاسمة منذرة ، ورأى الناس فى لهجة الشناوى بداية شر كبير ، واحسوا انه يتكلم بلغة المستخف بقدرة « محروس المداح » على أن يحمى حقه ، وتمنوا جميعا فى صمت لو تراجع محروس عن شراء هذه الخرابة المشئومة التى لم يفكر أحد غيره فى شرائها ، ربما لانهم يعرفون أن الشناوى واولاده طامعون فيها .

وتطلعت كل العيون الىمحروس المداح ، المقطوع من شجرة ، الذى لا يملك غير فاسه ودفه ، ترجوه فى صمت أن يتراجع عن هذه الصفقة اللعينة ، أول صفقة عقدها فى حياتهوحتى لا تكون الاخيرة.

لا أحد يدرى كيف أحس « محروس المداح » بهذه العيون .

لا أحد يعرف فيما كان يفكر ، ولكن الصمت الذى خيم على الجميع ، والانتظار الاليم وضعه لاول مرة فى حياته فى موقف ، ربما لم يتخيل يوما أن يجد نفسه فيه ،حين كان يغنى فى الموالد والاعراس ... كان يعرف مثل هذه اللحظات الصامتةوكانتالعيونكلها تنظر اليهوتنتظر....ان يغنى وأبدا لم يخيب رجاء هذه العيون المتطلعة المنتظرة .... لا احد يدرى لماذا خيب رجاءها هذه المرة فى أن ينسحب من هذه الصفقة اللعينة ؟!

فى هذه المرة لم يطل انتظار الناس ، تكورتيده على مقبض فاسه ، كما تعودت أن تتكور حين كان يعمل فى الحقول وارتفع الفاس فى يده لينقض على الجدار القربى لزريبة الشناوى ... وفى لحظة كالبرق ارتفعت فئوس كثيرة ربما كان وحده الذى يراها فى يد أولاد الشناوى ، ولكنها لم تمنعه من ان يفعل ما فعل .... ودوت صرخة الفزع اللعينة فى سماء القرية .

بعد أيام من ذلك الحادث المشئوم بدأت علاقتى بعمى « الحاج صالح الخضر » ... سألته :

ـ لماذا تركتهم يقتلون محروس المداح ؟

ـ هو الذى قتل نفسه .

ـ كيف ؟

ـ حكى لىَ ما جرى بينه وبين محروس ، حتى رجاءه اليائس له بان يتخلى عن هذه الصفقة اللعينة ولكنه رفض ... سألته :

ـ اكان يعرف انهم يمكن أن يقتلوه ؟

ـ ربما تأكد من ذلك فى وقت لم يعد بمقدوره فيه أن يتراجع .

ـ كان يمكن ان ينتظر حتى تأتى الحكومةوتعطيه حقه !

ـ يا بني ... رؤية الانسان للظلم تفقده احيانا صوابه .

ـ يا عمي الحاج صالح ... عن اي ظلم تتحدث ؟

هل تعتقد أن هذه هي أول مرة يظلم فيها « محروس المداح » ؟

هل تعتقد انه اخذ حقه في اي يوم مضى ؟

لماذا قبل الظلم طول حياته ، وثار في هذه المرة وهو يعلم انه قد يدفع حياته ثمنا لهذه الثورة .

لاول مرة رايت ابتسامة حزينة ترتسم على ملامح وجهه البارزة المتباعدة ، وقال :

ـ كبرت يا بني ... لم استطرد وقد عادت الى ملامح وجهه تلك الصرامة الهادئة .

ان الظلم وحده لا يكفي ... حين يكون الظلم عاما وشاملا ، حين يصبح مالوفا كالتقاليد ، حين لا تعرف له سببا واحدا او مصدرا واحدا ، حين لا يكون مجسدا في شيء ترى حدوده وتعرف أوله واخره ، حين لا يكون هناك من يرى ومن يسمع ، فان الناس يحتملون الظلم يا بني ولكن في لحظة كهذه اللحظة التعسة ، حين نقيس الحدود يكون كل شيء واضحا ذلك الوضوح الاليم ، ويتواجه الظالم والمظلوم في لقاء يزيد من تعاسته وجود من يتفرج على هذه المواجهة ، انها لحظة لا يحتملها احد ولا يقدر على انقاذ الانسان منها سوى أن يموت أو يموت ظالمه ، لم تمتم في صوت مخنوق :

ـ لقد تعبت من هذه المهنة يابني .. ولا بد أن اتركها لغيري .....

يومها لم اجد بنفسي اية رغبة في أن اثقل عليه بالاسئلة لكن صداقتنا الحقيقية بدات منذ ذلك اليوم ، واستمرت حتى اليوم الذي قرات فيه نعيه .

كنت أساله دائما عن كل ما لا أفهم من شئون القرية فقط خجلت من ان اساله عن السبب في انه لم يترك مهنته القاسية كما قال لي بعد قتل « محروس المداح » دون أن يسكن يوما في البيت الوحيد الذي امتلك أرضه . وحلم ببنائه !!

لقد ظل عمي الغضر حتى آخر لحظة من حياته يقيس الارض ، ويعلن للناس الحقيقة التي قد تؤدي الى موتهم ... وها هو أخيرا يموت دون أن اوجه اليه سؤالي الاخير ودون أن أتلقى منه اجابة عليه ...

ولاول مرة يبدو لي الموت أمرا غريبا حين يتصل الحاج صالح الغضر ، ويبدو لي أكثر غرابة حين يأتي هكذا دون سبب واضح كالدفاع عن حق مغتصب ؟

من بعيد كانت القرية تقترب ... مئذنة المسجد التي بناها الحاج صالح الغضر ، الترعة التي تمر بقرية الزهايرة ، الهدوء الخادع الذي يلف كل شيء ، وتوقعت ان اجد الحاج صالح الغضر في بيته كما تعودت في كل مرة أزور فيها قريتي ، وقلت لنفسي : لن أنسى هذه المرة ان أوجه اليه سؤالي دون خجل ... لماذا ظل حتى الان يمارس مهنته ... لماذا لم يكف لحظة عن اعلان الحقيقة القاسية ومهما تكن النتائج !

توقفت السيارة امام الخيمة التي يجلس فيها المعزون « رفعت » صديق طفولتي يستقبلني امام الخيمة .....

وامضي لاسلم على الجميع ... لقد مات الرجل اذن ...

ـ جئت في الوقت المناسب ... فبعد قليل سوف يدفن الرجل .... قالها احد اقاربي .. وانا أسلم عليه ...

الوجوه الهادئة المراوغة التي لا يعرف احد مقدار ما تخفي من الحزن والغضب والعنف ... كانت كلها تعلن هذه المرة عن حزنها الدفين . !

سرت في الجنازة لتشييع الرجل الى مقره الاخير .... ما أكثر المرات التي قطعت فيها هذا الطريق ....

امام المقبرة توقف الموكب .. الى جوارها كان يقف الرجال الذين قاموا باعداد المقبرة.. رءوسهم مغسولة بالعرق ، وفي أيديهم نفس الفئوس التي يزرعون بها الارض ، ويتقاتلون بها من أجل شبر من الارض. برفق حملوا الرجل من نعشه ، برفق اشد وسدوه التراب ، في مقبرة ضمت العديد من الموتى ...

لاول مرة بدت لي ارض المقابر صغيرة جدا كيف وسعت كل هؤلاء الذين عاشوا في قريتنا منذ مئات السنين ، الذين ماتوا والذين قتلوا ، الظالمين والمظلومين ... جنبا الى جنب ومعهم في النهاية الرجل الذي كانوا يلجأون اليه ليحكم بينهم .

رحت اقرا الفاتحة على روحه الطيبة ، واودع الرجل الذي لم يعد في حاجة الى اي دليل يقدمه الى قرية الموتى ليعرف كل منهم حدود الارض التي يستحقها ! ■■

أبو المعاطي أبو النجا

الاكاديمية العربية للنقل البحرى

● قرات استطلاع العربي عن الاكاديمية العربية للنقل البحرى فى الاسكندرية ولدى رغبة فى الالتحاق بهذه الكلية وحبذا لو عرفت منكم الشروط المطلوبة للالتحاق .

سالم بن موسى ابو سمرة
دمشق ـ سوريا .

● انا طالب فى المرحلة الثانوية ـ القسم الادبى ،وقد عقدت العزم على الالتحاق بالاكاديمية العربية للنقل البحرى بالاسكندرية ولكنى لا اعرف عن شروط الالتحاق شيئا ..

محمد منير الجمالى
دبى ـ دولة الامارات العربية المتحدة

العربى :

من من قرا الاستطلاع الذى نشره العربى فى عدد يناير /١٩٧٨ يلمس ان هذه الاكاديمية تقبل الطلبة العرب من مختلف الجنسيات وننصح الراغبين بالالتحاق بهذه الاكاديمية الاتصال بالاكاديمية وهذا عنوانها :

الاكاديمية العربية للنقل البحرى
تقاطع شارعى بنى العباس وفكتور باسيلى
باب شرقى ـ الاسكندرية ـ مصر .

لماذا تلغى البحوث الادبية واللغوية ؟

لقد اطلعت على الشكوى التى نشرت فى العدد (٢٣٠) من مجلة « العربى » الصادر فى يناير/كانون ثانى ١٩٧٨ تحت عنوان « لماذا تلغى البحوث الادبية واللغوية ؟ » والتى تتضمن تضرر بعض خريجى اقسام اللغة العربية بكليات الاداب ودار العلوم مما ادعوه بالغاء قسم البحوث والدراسات الادبية بمعهد البحوث والدراسات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، واود ان اوضح لكم ما ياتى :

١ ـ ان طبيعة العمل فى معهد البحوث والدراسات العربية قد اختلفت تماما عن ذى قبل بمقتضى نظامه الاساسى الجديد الذى جعل الهدف الاساسى للمعهد هو اجراء البحوث والدراسات التى تواكب قضايا امتنا العربية بالاضافة الى اعداد الباحثين المتخصصين فى كافة الشئون العربية ، الامر الذى لم يكن يتناسب معه ان تركز على الدراسات الادبية واللغوية التى تتعدد المعاهد والكليات والمؤسسات العلمية التى تتناولها .

٢ ـ انه لا توجد بالمعهد اقسام علمية بالنمط التقليدى المعروف بالجامعات بل يتوفر المعهد فى كل دورة من دوراته العلمية التى تستغرق عامين على تنفيذ برامج بحثية موزعة على قطاعات رئيسية تشمل العلوم الانسانية والاجتماعية ومن بينها بطبيعة الحال الدراسات الادبية ، علما بان برامج البحوث التى يجريها المعهد تقترح من مجلسه العلمي وتعرض فى النهاية على المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والتى تضم الوزراء المختصين من جميع اقطار الوطن العربى .

٣ ـ لم يقبل المعهد دارسين فى الادب العربى خلال الدورة (١٩٧٧/٧٦) لانخفاض مستوى المتقدمين وعدم توافر شروط القبول لديهم . وتم هذا بموافقة كافة المجالس التى تدير شئون المعهد ، ورغم عدم قبول دارسين جدد الا ان المعهد لم يصدر على الاطلاق قرارا بالغاء الدراسات والبحوث الادبية ، بل هنالك بحث جار تنفيذه عنوانه « دراسات فى ادب البحرين » يشرف عليه كل من الاستاذين محمد خلف الله احمد والدكتورة سهير القلماوى .

٤ ـ تتضمن برامج المعهد المقترحة للدورة القادمة (٧٨ ـ ١٩٧٩) بحثا شاملا عن « الرواية فى الادب العربى الحديث» ارجو ان تتفضل مشكورا بنشر هذه الرسالة وضعا للامور فى نصابها السليم .

الدكتور محمد صفى الدين ابو العز رئيس المعهد

غرائب القضاء

● انني ادعوكم الى تخصيص زاوية لغرائب القضاء وافضل ان تكون قصصها مستمدة من القضاء في الوطن العربي منذ ان تم للعرب قضاء بمعنى الكلمة حتى يومنا هذا ، بدلا من غرائب القضاء في البلاد الاجنبية لانه حرى بالانسان ان يتعرف على ذاته قبل ان يتعرف على غيره • وكذلك ورد خطأ في زاوية طرائف عربية ص١٣٢ من العدد ٢٣١ اذ وضع عنوان طرائف اجنبية بدلا من طرائف عربية •

موسى الكحيط الحمود
سوريا / الرقة/ قرية رقة سمرة •

عصبة الادب العربي

● تاسست في سانبولو « عصبة الادب العربي » بالبرازيل، التي تستهدف رعاية الادباء من المهاجرين العرب والحفاظ على اللغة العربية، وذلك عن طريق نشر الانتاج الادبي لهؤلاء المهاجرين في جريدة « الانباء » التي تصدر في سانبولو ، وتشرف العصبة على تحريرها • وقد يهم العالم العربي ان يعرف ذلك •

نواف حردان رئيس العصبة
كمال قبيس ـ امين السر

المطلوب قواعد ملزمة

● في العدد ٢٣١ من (العربي) دعا الدكتور احسان حقي (لاعادة النظر في الحروف العربية) ، واقترح اضافة بعض الحروف المخصوصة على الهجائية العربية لاداء بعض الالفاظ الاجنبية التي تساعد على كتابة اسماء الاعلام غير العربية بدقة ولفظها على وجهها •

وهذه الدعوة التي سبق لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ان اقرها (انظر مجلته ، الجزء الرابع سنة ١٣٥٩ هـ) عندما وافق على وضع بعض الحروف الخاصة لتادية النطق الصحيح لاسماء الاعلام الاجنبية ، ومنها كتابة الحرف « جاف » الذي يقابل الحرف g في الانكليزية كافا بثلاث نقط ، تسيطر عليها فكرة الحرص على أن ينطق ابناء العربية بالاعلام التي ينقلونها الى لغتهم كما ينطقها اصحابها وقسر اللغة العربية على ترديد كل لكنة اجنبية لا مثال لها في الحروف العربية، وتسجيل هذه الغرائب من الحروف برموز اصطلاحية تدخل على طريقة الرسم العربي تزيدا على حروفنا العاضرة التي تشكو من كثرة صورها واشاراتها في الطباعة ، حتى اذا ما تم هذا الامر وجدنا اللغة العربية مجموعة متنافرة من اللهجات والرسوم الرمزية، والفينا السنة ابنائنا لا تقيم حرفا من العربية •

والسؤال الذي يفرض نفسه هو : ما الفائدة المرجوة من نقل الاعلام الاجنبية كما ينطقها اهلها دون تزيد اونقصان ؟ وهل يفعل اصحاب اللغات الاخرى ذلك على الاغلب عندما ينقلون اسم علم من لغتنا ؟ ولنا في قدمائنا اسوة عندما

حروب المائة سنة

● مقال الاستاذ احمد بهاء الدين «منطق حروب المائة سنة » يثير قضية بالغة الاهمية هي اننا ـ العرب ـ لم نكن جادين في مواجهة التحديات التي تعترضنا • وما يجري في لبنان شاهد على ذلك .فالقتال العربي العربي ،المسلم والمسيحي،دائما هناك منذ اكثر من سنتين ، ولا احد يعرف لمصلحة من كل هذا • ان الاسلام والمسيحية بريئان مما يفعل ابناؤهما ، بل هما ستار يخفي مؤامرة تدبر ضد امتنا العربية• متى ننبذ المخاوف والشكوك،وننتبه الى حقيقة مايراد بنا؟

نعيم تكلا
الاسكندرية / جمهورية مصر •

لتعريف الأعلام الأجنبية

عربوا عددا من الاعلام فقالوا فى صموئيل (سموءل) وفى بيتر (بطرس) وفى فيكتور (بقطر) وفى جوب (ايوب) وفى جاكوب (يعقوب) ٠٠ الخ

وللاستاذ محمد احمد شاكر راى فى هذا الموضوع يقول فيه « ان الاعلام الاجنبية تنقل الى العربية مغيرة فى الحروف والاوزان ، الى حروف العرب وحدها والى اوزان كلمهم او ما يقاربها ، وانها لا تنقل ابدا كما ينطقها اهلها » ٠

واذا اردنا ان نضع قواعد معينة لكتابة الاعلام الاجنبية، وهو امر يلاحظ مدى الاهتمام به والحاجة اليه ، اذ ان اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة وضعت مؤخرا تقريرا دعت فيه الى الاستعانة بنظام الحروف الفارسى فيما يتعلق بالحروف اللاتينية التى لا مقابل لها فى الحروف العربية ، علينا اولا بالتعريب قدر الامكان وتقصى كل علم اجنبى نطق به العرب وماذا كان اصله ؟ وما صنيع العرب به حين نقلوه الى لغتهم لترسى بعد ذلك اساسا لما نضع من قواعد نحتذيها او نستأنس بها عند نقل الاعلام الى لغتنا ٠

وبديهى ان مثل هذه القواعد والقرارات ستكون عامل بلبلة وفوضى اذا لم توضع موضع الالزام ، اذ ما أحوجنا اليوم الى مدرسة موحدة وطريقة للتعريب والترجمة يكون رائدها الالتزام اللغوى بمبادىء تتاصل بمرور الزمن تعم الاقطار العربية جميعا ٠

احسان جعفر

مدرس للأدب العربى (اللاذقية)

« فشة خلق » !

● تستطيعون ان تعتبروا هذه الكلمة مجرد «فشة خلق» من لبنانى عاشر الامريكان ، ولم يعجبه حالهم : يؤلمنى هذا التشدق المتصاعد من امم الغرب كلها واظهار شدة الغيرة على حقوق الانسان كما نقرا اليوم فى صحفهم وفى تصريحاتهم بكل الوسائل الاعلامية ٠ وانا الذى خبرتهم فى معظم بلادهم تقريبا مدة (٤٦) سنة متواصلة من غير انقطاع فى انحاء اميركا واوروبا ، خصوصا حينما كنت اقوم بتحرير جريدة البيان فى مدينة نيويورك ، ووجدت الفرق الحقيقى بين عطفهم على الانسان والحيوان ٠ وكذلك (قرفت) من ناحية ثانية مما اراه من اختلاق ابناء امتى وتشعب طرقهم فى معالجة الامور بالمسبات والطعن ببعضهم البعض ٠ اجارنا الله من سوء العاقبة انه السميع المجيب ٠

ناظم الادهمى

ساحة التل ـ طرابلس/لبنان ٠

★ ★ ★

نزهة العقل الذكى

● فى العددين ٢٢٩و٢٣٠ من العربى وجدت اخطاء فى باب نزهة العقل الذكى ٠٠فقد وردت مسابقة العدد ٢٢٩بدون رقم ١٣ رأسى يخلاف كلمات اخرى لا ينطبق الشرح عليها ٠٠ اما العدد ٢٣٠ فقد جا فى ١٣ افقى اسم مكتشف اشعة اكس ، وتكون من الحروف اسم غريب لا يمت بصلة الى مكتشف اشعة اكس٠٠والمعروف ان مكتشف اشعة اكس هو وليم كونراد رونتجن سنة ١٨٩٥ وهو عالم المانى وتبعه فى ابحاثه عالم المانى آخر اسمه ماكس تيودور فكلس فون لبو سنة ١٩١٢ ٠ وقد تابع ابحاث الاشعة العالم الانجليزى وليم هنرى براج ثم وليم لورانس وآخرون واهم ابحاث وقوانين الاشعة اكتشفها العالم الانجليزى هنرى موسلى ٠٠ وهذه الاسماء المشهورة فى عالم اشعة اكس لا تجيء مع ترتيب الحروف فى مسابقتكم٠٠

سمير توفيق حسين

الدوحة ـ قطر ٠

الكويت في الوثائق العثمانية

● اطلعت على موضوع « الكويت في الوثائق العثمانية المنشور في العدد ٢٣٠ من مجلة العربي فاسترعت انتباهي عبارة (بصرة كور خزى) فوجدت ان خطأ وقع عند كتابته والصحيح هو « كورفزى » حيث ان حرف الفاء يجب ان يكتب على شكل فاء •

وهذا هو اسم لمدينة عراقية وعربية عريقة الا وهي مدينة البصرة ثغر العراق الحبيب •

عطا عبدالله شريف
الرفاعي – العراق •

يا امة العرب

ارجو أن تكون هذه الابيات معبرة عن حال امة العرب الان :

لقد عرضنا على الدنيا مظالمنا
وقد صرحنا فلم تنصر قضايانا
لكم خدعنا فاغضينا على مضض
وكم شكونا فما اجدت شكاوانا
وكم سالنا عدو السلم عن سلم
فراح ينظرنا هزءا وامعانا
ونحن نمنا وحلم السلم يسكرنا
وخصمنا يحشد الاجياش سهرانا
هذا لعمرى هوان ليس يقبله
حر حوى قلبه الوثاب ايمانا
هانت عروبتنا ، ديست عقائدنا
والحق هان ، ولولا العجز ماهانا

محمد أمين الحوراني
الكرك / الاردن •

العرب وافريقيا

● لاشك ان مجلة«العربي» هي من اعظم المجلات العربية قاطبة واوسعها انتشارا ، ولا ريب في ذلك اذ انها تقدم للقارئ«العربي»كل ما تصبو اليه النفس من مادة علمية غزيرة في اسلوب جذاب ورصين ، تشد القارئ، من اول صفحة فيها الى غلافها الاخر ، ولهذا فان اى عدد من اعداد « العربي » يعد موسوعة علمية ومرجعا قيما ، ولهذا ايضا فان اطلاعها لايقتصر على العرب وحدهم بل تجاوزها الى غير العرب عامة والى المسلمين خاصة ، ولهذا ايضا فقد ادمنت قراءة « العربي » منذ مدة طويلة وخاصة بعد تعلمي اللغة العربية واجادتها •

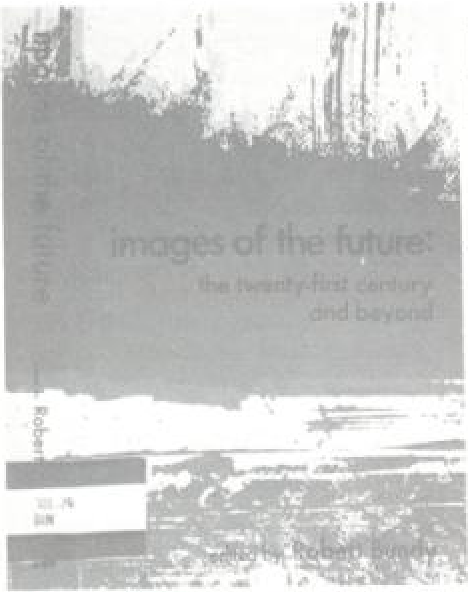
لقد شد انتباهي الاستطلاع الذى نشرتموه في عدد«العربي» رقم ٢٣٠ (يناير) ١٩٧٨ صفحة ٣٥ بعنوان « العرب وافريقيا » وخاصة الجزء الخاص « بتنزانيا » ، لقد هزني هذا الاستطلاع واثار في نفسي الاسى والحزن ، وبما انى من ابناء تنزانيا عامة وزنجبار خاصة فانى اود ان اوضح لكم بعض الحقائق الهامة •

ان الحقبة او المرحلة التى تمر بها قارتنا الافريقية السوداء الان مرحلة غاية في الدقة والحرج وانه ليحزن اى افريقى اسود ان تكون قارته بؤرة للصراعات الدولية ومسرحا لاقتتالنا ونزف دمائنا البريئة نتيجة لفتنة قوى خبيثة تقف في الكواليس لاتبغي الا دمار الانسان الافريقي الاسود البرىء •

ان التاريخ الاستعمارى الطويل في افريقيا ، تاريخ مظلم وكئيب تجرد من ابسط القيم الانسانية وداس على كل مايمت للاخلاق والحضارة بصلة ، وارتكبوا ابشع الجرائم في حق هذا الانسان المسلوب الارادة الذى اصبح لعبة تتقاذفها الايدى تارة والاقدام مرة اخرى •

حسن رمضان مونجا من زنجبار
طالب في كلية الطب البشرى
جامعة الاسكندرية

رؤى المستقبل



«المجتمع العاجز عن التنبؤ بإتجاهات المستقبل ومسارات الغد هو مجتمع تحكمه الفوضى ويستبد به الاضطراب» •

اعداد ونشر : روبرت بندى

تقديم : ياسر الفهد

صدر مؤخرا فى الولايات المتحدة كتاب جديد بعنوان رؤى المستقبل(١) يقع فى ٢٣٩ صفحة من القطع المتوسط ويشتمل على مجموعة مقالات قيمة لعدد من الكتاب المفكرين المعروفين عالميا فى تخصصاتهم التى تغطى فروعا مختلفة من المعرفة•

وقد جمعت هؤلاء على مائدة فكرية واحدة فكرة الاهتمام بالمستقبل وما ينطوى عليه من احتمالات وآفاق تؤذن بالخير وتبشر بالأمل او توجس بالشر وتنذر بالخطر • ومن هؤلاء المؤلفين المختصين : فرد بولاك – جيوفرى سكويرز – جاك الول –

---

(١) صدر فى نهاية عام ١٩٧٧ عن مؤسسة بروميثيوس للنشر Prometheos

دروكريستيانسن ـ وندل بل ـ لستر براون ـ الين مورغان ـ اليزبولدنج ـ روى فيرفيلد وغيرهم • وجمع هذه المقالات واعدها للنشر الكاتب والناشر الاميركي المعروف رويرت بندى الذى أسهم هو نفسه ايضا بتاليف بعض مقالات الكتاب فضلا عن مقدمته الضافية التى اوضح فيها هدف الكتاب • لقد اعتاد الناس على الحديث عن الماضى بوصفه مقدمة للحاضر ، وبالطريقة نفسها ينظر مؤلفو الكتاب الى المستقبل على انه مقدمة للتاريخ باكمله • وهذا يتطوى على اضفاء اهمية خاصة على المستقبل •

وفى الفصل الخاص بالمستقبلية Futurism يرى وندل أن المعلومات المتعلقة بالمستقبل هى اكثرها فائدة للانسان • وان سلوك الناس ، وهم يتابعون مسيرة الحياة ويشقون طريقهم نحو الغد ، يتاثر عادة بسلسلة من التوقعات التى كثيرا ما تتحكم باتجاهاتهم وافعالهم •

« ان معرفة ما يجب أن نتوقعه ومتى هو امر ضرورى حتى تنجح فى الاستجابة للبيئة الطبيعية والبشرية بطريقة فعالة ومناسبة • ومن وجهة النظر الاجتماعية فان المجتمع الذى تسرى فيه توقعات قابلة للتحقيق هو مجتمع منظم بصرف النظر عما اذا كانت هذه التوقعات تحمل بين طياتها بشائر ضوء الشمس او نذر الظلام ، حلاوة الشهد او مرارة السم • اما المجتمع العاجز عن التنبؤ باتجاهات المستقبل ومسارات الغد فهو مجتمع تحكمه الفوضى ويستبد به الاضطراب • ان البشر اشبه ما يكونون بمسافرين عبر صحارى الزمن • ولا بد لهم فى رحلتهم الغامضة هذه من أن يهتدوا بخرائط المستقبل • وللاسف فان هذه اقل دقة من الخرائط الجغرافية لانها لا تمثل حقائق ثابتة ، فالحقائق تتصل فقط بالماضى اما المستقبل فان الاحتمالات والتكهنات فقط هى التى تحاول استشفاف كنهه وسبر اغواره • وكما قال الفيلسوف رويرت • س • برمبو فان هناك : حقائق ماضية واختيارات حاضرة واحتمالات مستقبلية » •

نحو حل عالمى

وميزة الكتاب الذى بين أيدينا انه يحاول أن يرقى الاحتمالات التى يرسمها بشان المستقبل الى مرتبة الحقائق التقريبية لانه يبنيها على العلمية والموضوعية لا على التكهن الارعن • ان عبارة رؤى المستقبل التى تمثل عنوان الكتاب تعنى هنا التوقعات المكثفة والمحددة حول المستقبل والتى يمكن ان تتطور الى تقديرات منظمة تقوم على المنهجية العلمية • وقد تكون هذه التقديرات متعلقة بالمشكلات العالمية الكبرى مثل (الحرب ـ الجوع ـ التلوث ـ الانفجار السكانى ••• الخ) او تقديرات ذات صفة دينية ترتبط بمستقبل الاديان او قد تحمل طابعا اجتماعيا ـ اخلاقيا يتصل بما اذا كان الخير ام الشر هو الذى سيسود ويهيمن على مصير البشرية فى عالم الغد او انها قد تتعلق بمستقبل فئة خاصة من الناس مثل النساء او الزنوج والسود او الاقليات الدينية •
ان كتاب رؤى المستقبل موجه الى اولئك الذين يتحسسون تحسسا خاصا ازاء مشكلات الانسانية ويشعرون بالقلق من الاتجاهات السيئة التى تتخذها المسارات العالمية عشية اقتراب البشرية من تخوم القرن الواحد والعشرين • لقد كان من المؤمل بعد التقدم العلمى والتكنولوجى العظيم أن تطل على عالم يرفرف عليه السلام وتظلله الطمانينة وتسوده العدالة والمساواة ولكننا بدلا من ذلك نشهد عالما يقف على حافة التضخم والافلاس المالى وتنهش به المجاعة وبتوعده التهديد بالحرب ونقص الطاقة ويسمم أجواءه التلوث • ويحاول الكتاب أن يتغلب على التشاؤم السائد حاليا بشان المستقبل والناجم عن خيبة الامل فى الحاضر وان يرسم صورا اكثر اشراقا وايجابية بالاعتماد على مؤشرات وتقديرات دقيقة •

ان السؤال الهام الذى يطرحه الكتاب هو : هل نستطيع أن نحدد طبيعة الاخطار التى تهدد وجودنا وسعادتنا ، وأن نقدر حدودها وأبعادها ؟ هل يسعنا ان ننشىء اقتصادا عالميا متكاملا ونظاما دوليا قابلا للتطبيق يقوم على منظور عالمى لا محلى ويقود الى الانفراج وتحسن الاوضاع بدلا من استمرار انزلاقها فى مهاوى التدهور والتردى ؟ واذا حكمنا على المستقبل حكما سطحيا من خلال ما اذا كان النظام المالى الحالى يتجه نحو حل المشكلات التى تعذب البشرية ام لا فاننا سنخلص الى نتيجة مفادها ان هذا النظام يعتريه الخلل وانه لا يعمل كما يرام ، فالشواهد والدلائل

العلمية تبين ان مشكلات الجوع وسوء التغذية والامية والهجرة الكثيفة من المدن الى الارياف والبطالة في الدول النامية وضغط السكان المتزايد على الموارد الطبيعية وتلوث البيئة سوف تزداد سوءا على المدى القريب لفترة من الزمن، ولكن التدقيق العلمي العميق يثبت ان هذه المشكلات سوف تاخذ بعد ذلك في التحسن وان الامور ستميل على المدى البعيد نحو الانفراج •

ومن العوامل التي تعوق امكانية حل القضايا التي ينوء بها جيلنا الحالي حلا سريعا أن معظم المؤسسات التي تتصدى لمعالجتها هي مؤسسات قومية محلية مع ان اعقد المشكلات التي تواجهها عالمية في مداها وشمولها •

وينظر الكتاب الى مشكلة التفجر السكاني غير المحدود على انه اعظم خطر ينخر في اوصال العالم بأسره حتى اننا لن نستطيع الوصول الى حل كثير من المشكلات الاخرى مثل(الجوع والتلوث والبطالة والحروب) ما لم نقطع دابر تكاثر السكان ونستاصل شافته بواسطة طرق ضبط النسل المختلفة • ومن المتوقع لحسن الحظ أن تتحسن هذه الطرق في المستقبل القريب تحسنا ملحوظا سواء من حيث الفاعلية او تجنب الاثار الجانبية المحتملة الناجمة عن استعمالها •

الفقراء والاغنياء

واولى الكتاب موضوع الفقر والغنى اهتماما كبيرا واعتبر الفقر مشكلة انسانية الى جانب كونه معضلة اقتصادية فنحن اليوم نشهد استقطابا خطيرا للثروات يقسم العالم الى دول غنية ترفل في جلابيب الغنى ودول اخرى يعصف بها الفقر المدقع •• وحتى في كل دولة على حدة يمكن ان نجد اناسا يستطيع واحدهم تحمل دفع تكاليف عملية تجريبية لزرع القلب واناسا اخرين يئنون تحت وطأة العوز والفاقة ويعجز بعضهم حتى عن شراء دواء عادي • وبصورة عامة فان كل دولة غنية تقبل مبدأ اعادة توزيع الثروة على النطاق المحلي بتعديل نظم الضرائب مثلا او احداث برامج للرعاية (كالتأمين الصحي وتعويض البطالة) ولكنها على النطاق الدولي لا توافق على هذا المبدأ الا بصورة اسمية ظاهرية ، فما تقدمه للدول الفقيرة لا يعدو كونه للاسف مجرد مساعدات رمزية لا تمثل اكثر من فتات المائدة •

ومن القضايا الهامة التي عولجت مسالة الحرب والسلام فعلى الرغم من ان الناس العاديين لا يشعرون باهمية هذه المشكلة فان خطر اندلاع حرب عالمية نووية مدمرة تحرق الاخضر واليابس وتترك الارض يبابا وقاعا صفصفا سيظل مخيما على البشرية الى وقت غير محدود ناهيك عن الحروب المحلية الصغيرة التي ستظل تذر قرنها هنا وهناك بين حين واخر • ويمكن للتزاحم على الغذاء والناجم عن استمرار التفجر السكاني ان يشكل سببا جوهريا لنشوب الحروب • ولكن لما كان من المنتظر ان تجد مشكلات التكاثر السكاني ونقص الغذاء طريقها الى الحل في المدى البعيد فان ازدياد الوعي السياسي والانساني كفيل بأن يضع حدا لمأساة الحروب الواسعة في المستقبل •
ولم يهمل الكتاب مشكلة البطالة في الدول الفقيرة فنحن نجد ان اكثر من ١٥٪ من القوة العاملة في بلدان كالهند والباكستان وسيلان والفلبين واندونيسيا وماليزيا هي اليوم معطلة وغير موظفة • وهناك ايضا مشكلة الهجرة واسعة النطاق من الارياف الى المدن في الدول الفقيرة• ويقدر عدد السكان الريفيين في هذه الدول اليوم بزهاء ٦٠٠ مليون نسمة • ومن المترقب ان يقفز العدد الى ٣٠٠٠ مليون نسمة خلال العقود الثلاثة القادمة اي بزيادة ٥٠٠٪ خلال جيل واحد فقط • وهذه المشكلة من شانها ان تخلق ازمات اجتماعية واقتصادية ذات أبعاد مختلفة تؤثر في مستقبل الجنس البشري بأسره ، بعالميه المتطور والمتخلف ، لان ابرز مظاهرها تحول المجتمع البشري من مجتمع ريفي في أساسه الى مجتمع مدني مع ما يستتبع ذلك من انخفاض كبير في الانتاج الزراعي وزيادة التلوث في المدن • اما بالنسبة للطاقة فان هرمان كاهن يتوقع استمرار توافرها بصورة عامة مع امكانية حدوث بعض الازمات الطارئة •

ولكن المشكلة تتعلق باسعارها التي ينتظر ان تاخذ في الارتفاع حتى تصل خلال قرن من الزمان الى حدود خيالية • ولن تتوافر انواع الطاقة الرخيصة الا في الشرقين الاوسط والاقصى فحسب• ومن المرتقب ايضا وقوع تحول في استعمالمصادر

الطاقة فيقل الاعتماد على المصادر التقليدية لها كالبترول ويكثر استخدام انواع جديدة منها كالطاقة الشمسية • وبالنسبة للولايات المتحدة • وهي أكثر الدول استهلاكا للطاقة ، فانها سوف تزيد اعتمادها على الفحم توفيرا للبترول وهي الان توسع برامجها الخاصة بالتنقيب عن مناجم الفحم في أراضيها الشاسعة •

فشل رغم التكنولوجيا

ويتحدث الكتاب باسهاب عن موضوع التكنولوجيا• ويرى لستر براون أن البشرية على الرغم من التقدم التكنولوجي قد فشلت حتى اليوم في تجنيد المصادر والطاقات العلمية والتكنولوجية لصالح الحاجات الاساسية الملحة للمجتمع • ان هدف التكنولوجيا يجب أن يكون مساعدة الناس على التمتع بافضل مستوى للحياة باقل معدل من التكاليف • ولكن التكنولوجيات الحالية لم تنجح في احراز هذا الهدف الا ضمن حدود ضيقة ويعود معظم السبب في ذلك الى ان نفقات الابحاث وبرامج التطوير العلمي والتقني العالمية كثيرا ما تصرف على غايات لا علاقة لها بتحسين طراز الحياة ورفع مستواها • وقد بلغت هذه النفقات زهاء ٧٠ بليون دولار في عام ١٩٧٠ على سبيل المثال • ولكن حصة الاسد كانت للابحاث العسكرية بالدرجة الاولى للاسف ، تليها في الترتيب ابحاث الفضاء والذرة • اما الابحاث المتعلقة بالحقول الاجتماعية التي تتدخل مباشرة بحياة الانسان مثل زيادة الانتاجية الزراعية والقضاء على الامية وتطوير وسائل منع الحمل وتحسين التقنيات الطبية التشخيصية والعلاجية ، وانتاج الات الاحتراق الداخلي التي تمنع التلوث •• وغيرها فقد خصصت لها أموال اقل •

ان التحدي العظيم الذي يواجه البشرية اليوم يتمثل بتطوير تكنولوجيات قادرة على تلبية حاجات الانسان الاجتماعية العملية الملحة وبتعبير اخر ربط التقدم التكنولوجي بتحسين حياة الانسان ورفع مستواها • واورد براون مثالين على كيفية اقامة جسر بين التكنولوجيا والحياة : فقد تم منح جائزة نوبل للسلام الى العالم السويدي نورمان بورلوج مكافأة له على استنباطه طريقة زراعة أصناف جديدة من الحبوب ذات انتاجية عالية جدا وهو ما فتح باب الثورة الزراعية الخضراء التي لم تاخذ بعد مداها الكامل بسبب بعض الصعوبات• ولم يكن منح هذه الجائزة لبورلوج بفضل اكتشافه شيئا جديدا بل لانه استطاع تطبيق المعرفة العلمية في مجال مكافحة الجوع تطبيقا عمليا • وهذا يدل على ان المجتمع البشري أصبح ينظر الى العلم والتكنولوجيا من زاوية معينة تتصل بمدى اسهامها في اسعاد الانسان وتلبية متطلباته •

اما المثال الثاني فيتعلق بخطة سيزيم ستريب لاستعمال التلفزيون في الاغراض التعليمية •فمن شان هذه الخطة ان تجعل القضاء على الامية من خلال استعمال التلفزيون في القرى والارياف املا قابلا للتحقيق • ان مثل هذا الاستعمال الناجح للتكنولوجيا والذي اوردنا عنه مثالين تحققا في مجالين اقتصادي وتعليمي يمكن ان يؤدي الى تحسين أحوال الناس على المستوى العالمي بدرجة عظيمة جدا • وقد أمكن تحقيق كل من الانجازين الثوريين السابقين بنفقات تقل كثيرا عما انفق في مشروعات اخرى لا تخدم مطالب الانسان العملية • ان هذا الاتجاه نحو ربط العلم والتكنولوجيا بحاجات المجتمع يزداد الان وضوحا واتساعا • لذلك فان صورة مستقبل التكنولوجيا تبدو مشرقة للغاية • ولكن هناك للاسف احتمال سوء استخدام التقدم العلمي والتكنولوجي وتسخيره لاغراض عسكرية وشريرة لا تخدم مصالح البشر • او استعماله لافساد التوازن البيئي وتشويه الطبيعة • وهذا يعني ان مستقبل الانسانية لا يتوقف فقط على تقدم العلم والتكنولوجيا في المجال العملي والتطبيقي وانما ايضا على نمو الاخلاق الاجتماعية •

يقظة في الضمير البشري

وبالنسبة للعامل الثاني فان هناك من العلائم ما يشير الى يقظة في الضمير البشري الجماعي: من ذلك القلق بسبب التمييز العنصري، الغضب الشعبي العالمي عند قصف فيتنام الشمالية، معارضة التمييز بين المراة والرجل والمطالبة باعادة حقوق المراة ، العطف على الدول الفقيرة والعمل على محاربة الجوع ••• الخ وذلك على الرغم من تدني القيم وسيادة الروح المادية وتغلب المصلحة على المبدأ في كثير من الحالات وبخاصة في مجال السياسة•

ان البشرية تحتاج اليوم الى مبادىء اجتماعية

واخلاقية جديده ومثل قيمة والى مجتمع اقل ايديولوجية واكثر انسانية.كما انه لابد من فلسفة جديدة فى علاقة الانسان مع الطبيعة تقوم على اساس انسجامه معها لا تفوقه عليها ، ذلك أن سيطرة الانسان على الطبيعة هى التى تؤدى الى تدهور البيئة ، فمن الضرورى تغيير الراى القائل بان الانسان هو محور الكون واستبدال ذلك بنظرة جديدة تقوم على أن الانسان هو جزء مكمل للنظام الطبيعى . وقد نشأت فعلا حركات تنادى بالحفاظ على البيئة والكف عن ايذاء الطبيعة وتغيير معالمها ، ومن هذه مثلا (حركة البيئيين) و (نادى سيرا)، أن الحفاظ علىالتوازن البيئى هو شرط اساسى لاستمرار الحياة على الارض فالنظام البيئى الذى يسيطر على الحياة دقيق جدا حتى أن أى اخلال أساسى به قد يؤدى الى عواقب لا يمكن التنبؤ بمداها .

ومن المشكلات الملحة الاخرى التى سلط الكتاب الأضواء عليها عجز النظام التربوى الحالى عن تلبية متطلبات المجتمع مما يخلق حاجة الى تصميم نظام جديد قادر على الاستجابة لهذه المستلزمات واذا أردنا الا يعانى كثير من الناس من تدهور نوعية الحياة فان تغيرات بعيدة المدى يجب أن تطرا على السلوك البشرى فىالسنوات القادمة وتعد التربية هامة وحاسمة بوصفها وسيلة لاقناع الناس بالحاجة الى التغيير والحث الى قبول المواقف الجديدة . وهى لم تعد تعنى مجرد اتقان القراءة والكتابة والعمليات الحسابية الأربع أو التدريب لاكتساب المهارات والاعداد للمهن بل انها اصبحت الأداة الاساسية للتغير الاجتماعى وتحسين طراز الحياة والمشاركة فى شؤون العالم .

وهكذا فان كتاب رؤى المستقبل يعد اسهاما هاما فى مجال رصد اتجاهات المستقبل والتنبؤ بمساراته المرتقبة مما يمكن أن يفيد فى محاصرة وتطويق التطورات التى قد تشكل تهديدا خطيرا لمستقبل الانسان ومحاولة منعها قبل حدوثها .

خطوات مطلوبة

ان النتيجة الاساسية التى خلص اليها مؤلفو الكتاب ان معظم المشكلات التى تنيخ اليوم بكلكلها على البشرية سوف تبقى على حالها او تسوء لحين من الزمن لم تبدأ الأمور بالتحسن تدريجيا . ولكن هذا ليس قدرا محتوما يتعذر تلافيه فثمة اجراءات وخطوات يمكن اذا تضافرت الجهود العالمية على تنفيذها بجدية واخلاص أن تفضى الى الاسراع بحل قضايا الانسانية الكبرى وفتح أبواب جديدة للسعادة والرفاهية.ولخص الكتاب هذه الاجراءات بما يلى :

١ ـ الاتجاه نحو العالمية والتعاون فى معالجة المشكلات والابتعاد عن المحلية الضيقة والحلول المحلية .

٢ ـ النظر الى مشكلات العالم نظرة انسانية أخلاقية متحررة من الأنانية والمادية واستلهام المثل والقيم العليا ولجم الاهواء والاطماع البشرية الدنيا .

٣ ـ تكثيف الجهود لوقف تكاثر سكان العالم بتحسين وسائل ضبط النسل لان التفجر السكانى مسؤول عن اكبر عدد من المعضلات والمصاعب التى تعكر صفو الانسان .

٤ ـ اعادة رسم الاسبقيات حتى يكون لهدف القضاء على الفقر والجوع مثلا الأولوية على هدف تحقيق الرخاء المفرط ، وهذا يشمل أيضا تحديد أولويات جديدة فى الانفاق تؤدى الى التحول مثلا عن الانفاق فى المجال العسكرى الى المجال المدنى والاجتماعى . وحتى ندرك مدى اهمية هذه الناحية يكفى أن نبين أن الانفاقات العسكرية بلغت فى عام ١٩٧٠ زهاء (٢٠٤) بليون دولار اى ما يزيد على دخول نصف الدول المتخلفة فى العالم ! .

٥ ـ انشاء مؤسسات دولية جديدة لحل القضايا العالمية .

٦ ـ اشتراك الافراد بفعالية اكبر فى ادارة شؤون المجتمع وتقرير مجريات الحياة بدلا من ترك ذلك كلية فى أيدى المؤسسات والحكومات .

ان كتاب رؤى المستقبل ، لا يكتفى بالتنبؤ باتجاهات المستقبل وانما يتعدى ذلك الى رسم الخطوط التى يمكن أن تساعد على التحكم بهذه الاتجاهات والتأثير فيها بصورة ايجابية حتى يشرق على الانسانية فجر جديد ويتهيا لها غد افضل تنعم فى ظله بالرخاء وتسعد بالطمانينة وترفل بالسعادة .

■■

ياسر الفهد

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠٠ أما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ٠

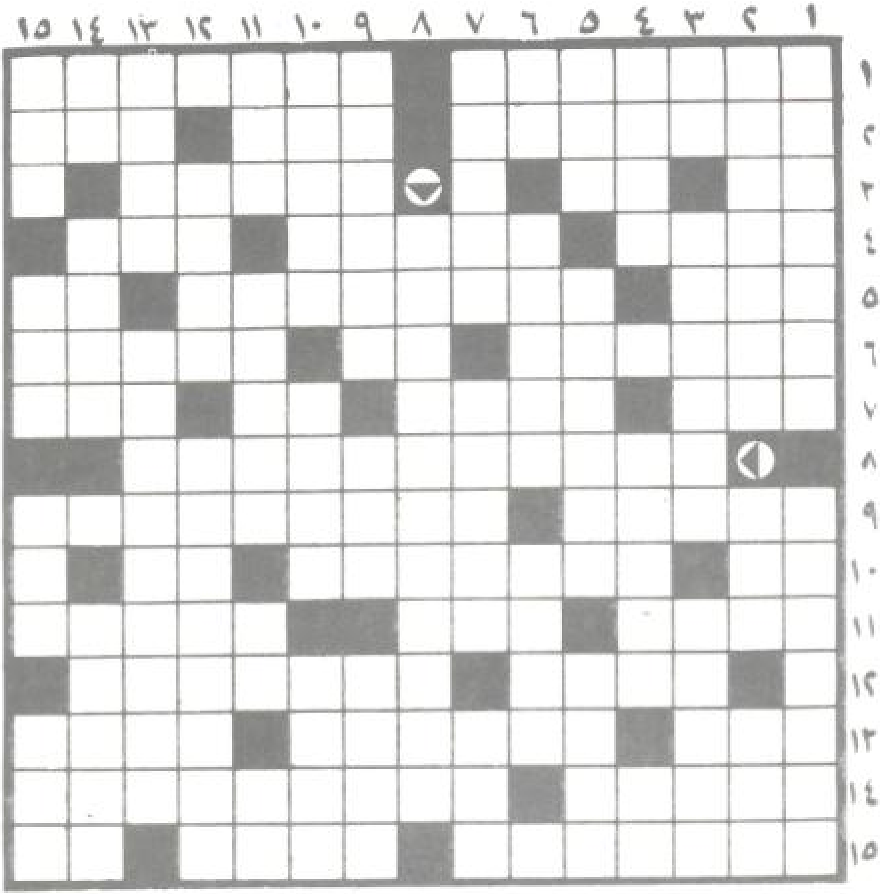
ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٣٤ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول يوليو (تموز) ١٩٧٨ ٠

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) افقيا اسم احد الخلفاء الراشدين ، كما ستجد في (٨) راسيا اسم موسيقي عربي قديم ٠

الكلمات الأفقية :

(١) من الاثار العربية بالقدس ـ زعيم وطني آسيوي راحل ٠
(٢) دولة افريقية ـ سب ـ ضمير ٠
(٣) حرف نصب ـ رمز هندسي ـ سمنة ٠
(٤) من الاستحكامات في ساحة الحرب ـ اوعية ـ حرف استفهام ٠
(٥) في العود ـ من الحيوانات ـ وكر ٠
(٦) شلالات شهيرة ـ تاق ـ عصا غليظة ٠
(٧) في الوجه ـ تناسب ـ نصف كلمة (عاتب) ـ عند ٠
(٨) من الخلفاء الراشدين ٠
(٩) الرشاد ـ سلطان اخضع كل البلاد العربية للحكم العثماني ٠
(١٠) نصف كلمة (فالت) ـ جهاز لقياس الضغط ـ تجدها في (فبراير) ٠
(١١) شاعر اموي ـ نظير ـ انحاز الى صفه ٠
(١٢) يسكن ـ لقب عبدالرحمن الداخل ٠
(١٣) خلق ـ رمز ـ ينتسب الى قطر عربي ٠
(١٤) من اجزاء الجسم ـ مواد ضرورية لنمو الجسم ٠
(١٥) اوبرا لفاجنر ـ نفس ـ في الوجه ٠



الكلمات الراسية :

(١) نبات سام ـ عناصر الوراثة فى الخلية •

(٢) رائد النسبية ـ من المكاييل ـ للاستثناء •

(٣) حرفان متشابهان ـ فى الحكمة ـ يسهلن •

(٤) عقيدته ـ منصرفة ـ لفظة الم •

(٥) حساء ـ اقليم معروف بالقرن الافريقى ـ كلمة (اسود) مبعثرة •

(٦) من وسائل الانضاج ـ سلسلة جبال اوروبية ـ من المعادن •

(٧) الة موسيقية ابتكرها الفارابى ـ مشروب ـ ارتقى فجاة •

(٨) موسيقى عربى قديم •

(٩) فى الكف ـ للتمنى ـ داكن •

(١٠) استخراج المعادن من المناجم ـ من عمليات تحضير الكحول ـ فى المطحن •

(١١) ضمير ـ ينزلا ـ فى العين ـ لفظ •

(١٢) نسبى ـ من اللغات القديمة •

(١٣) ضعيف ـ ابناء حضارة قديمة غرب اسيا •

(١٤) دق ـ ترجع ـ من السلالة النبوية •

(١٥) ضرورية للطالب ـ لذيذ ـ فى الفم ـ يكتمل •

كوبون مسابقة

نحات فرنسي شهير

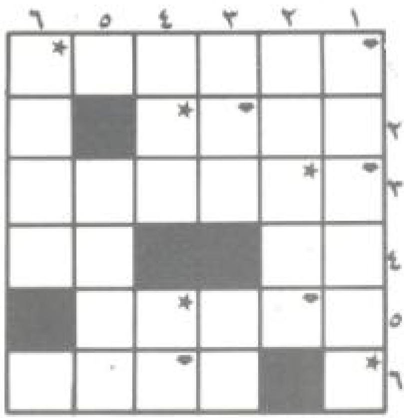
● ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات التي بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لنحات فرنسي شهير . ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه .

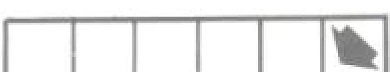
الكلمات الافقية :

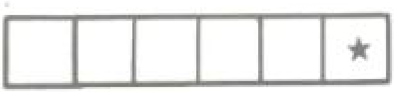
(١) فيلسوف عربي من الاندلس وصاحب « تهافت التهافت » .
(٢) منظمة حلف شمال الاطلنطي .
(٣) من الصفور النارية .
(٤) لفظ تعجب ـ مادة قاتلة .
(٥) فى فمى .
(٦) فى القرآن الكريم .

الكلمات الراسية :

(١) دولة افريقية .
(٢) عاصمة أوربية .
(٣) برز ـ رمز جبرى .
(٤) تجدها في (قرون) ـ نصف كلمة (نواه) .
(٥) يمشى .
(٦) بقيتم .







● بالعقل فقط ●

استاذ نبيه يسال :

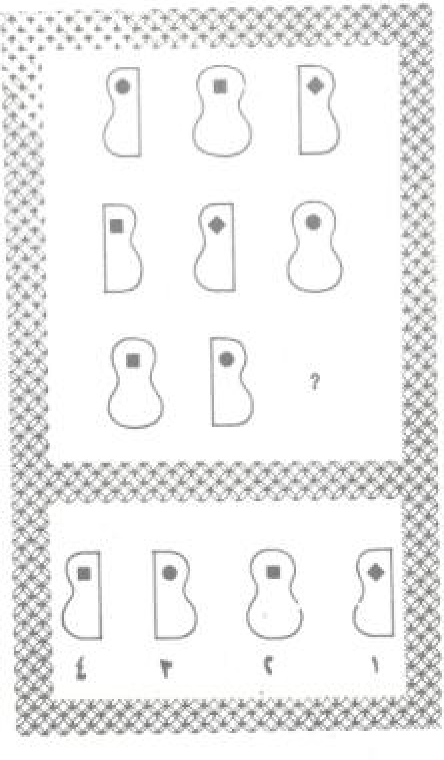
متى يصل دكتور رهوان الى بيته؟

● دكتور رهوان يعيش في الضاحية البعيدةعن قلب المدينة . وبعد انتهاء عمله كل يوم، كان يركب القطار حتى يصل الى الضاحية ،فيجد زوجته في انتظاره بسيارتهما ، حيث تنقله الى المنزل .

وامس انهى دكتور رهوان عمله مبكرا ،فاستقل قطارا مبكرا عن القطار الذى اعتاد أن يركبه . بالطبع لم يجد زوجته في انتظاره،فقرر ان يسير على قدميه حتى يلتقى بالسيارة، واستطاع بهذا ان يختصر زمن الرحلة الىبيته بمقدار ١٢ دقيقة .

فاذا علمنا أن الزوجة تقود السيارة بسرعةمنتظمة ، وان سرعة السيارة تبلغ خمسة اضعاف سرعة دكتور رهوان وهو يسير علىقدميه ، وانه عندما وصل الى منزله كانت الساعة تدق السادسة .

فما الوقت الذى كان سيصل فيه الىالبيت ، لو أن زوجته كانت تعرف انه ركب القطار المبكر ، وكانت في انتظاره عند محطة القطار ؟ ..



● حاول أن تعرف ●

الشكل المطلوب

● من دراسة العلاقة بين الاشكال التى في الصفين العلويين ، حاول ان تعرف اى الاشكال ذات الارقام يجب أن يحل محل علامة الاستفهام .

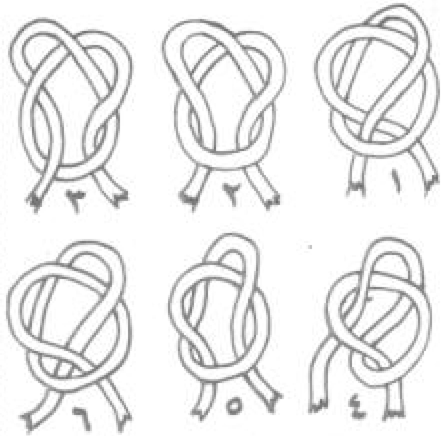
★ ★ ★

المدخن الثرثار

● سالت صديقي « كم سيجارة معك ؟ » ، قال متأملا « معي نصف عدد عيدان الكبريت المتبقية في عُلبة الكبريت » ، سالت « ولكن .. ما عدد عيدان الكبريت الباقية في علبتك ؟ » .

قال مبتسما « هذا امر سهل .. لو لم اكن قد استعملت ٢٠ عودا منها ، لكان عندى الان ما يملأ نصف العلبة بالضبط .. » . كدت ان افقد اعصابي ، فقلت بضيق « ولكن كم عدد عيدان العلبة الكاملة ؟ » . قال في شماتة « قدر عدد السجائر التى معى ٦ مرات » .

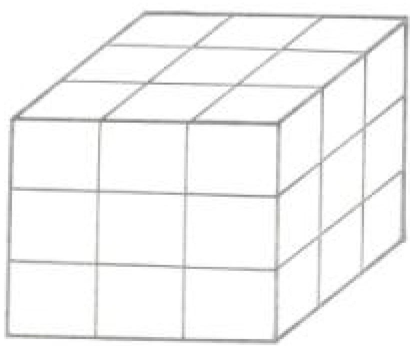
هل تعرف كم سيجارة مع ذلك المدخن الثرثار ؟



كل عقدة ولها حلال ...

لو امسكت بطرفى الحبل فى كل حالة من هذه الحالات الستة وجذبت طرفى الحبل بعيدا وبشدة حتى يمتد الحبل على استقامته، ففى بعض الحالات ستحصل على الحبل مفرودا وبه عقدة ، وفى الحالات الاخرى بدون عقدة.

هل يمكنك ان تحدد ، فى أى الاشكال ستظهر العقدة ؟ ..



المكعب الملـون

● طليت سطوح مكعب خشبى باللون الاسود . ثم جرى تقطيعه بعد ذلك الى ٢٧ مكعبا صغيرا كما فى الشكل .

كم عدد المكعبات الصغيرة التى ستجدها : مطلية باللون الاسود فى ثلاثة وجوه منها ، والمطلية فى وجهين ، والمطلية فى وجه واحد ، وعدد المكعبات التى لايظهر فيها اللون الاسود.

الحلول

● النجمة والسهم ●

اوجست رودان .

حاول أن تعرف :

الشكل المطلوب هو رقم ١ .

المدخن الثرثار :

عدد السجائر ٢٠ سيجارة .

كل عقدة لها حلال :

العقدتان فى ٣ ، و ٤ .

المكعب الملون :

● ثمانية مكعبات مطلية فى ثلاثة وجوه ، و١٢ مطلية فى وجهين ، و ٦ مطلية فى وجه واحد . ومكعب واحد لا يصل اليه الطلاء .

استاذ نبيه يسأل :

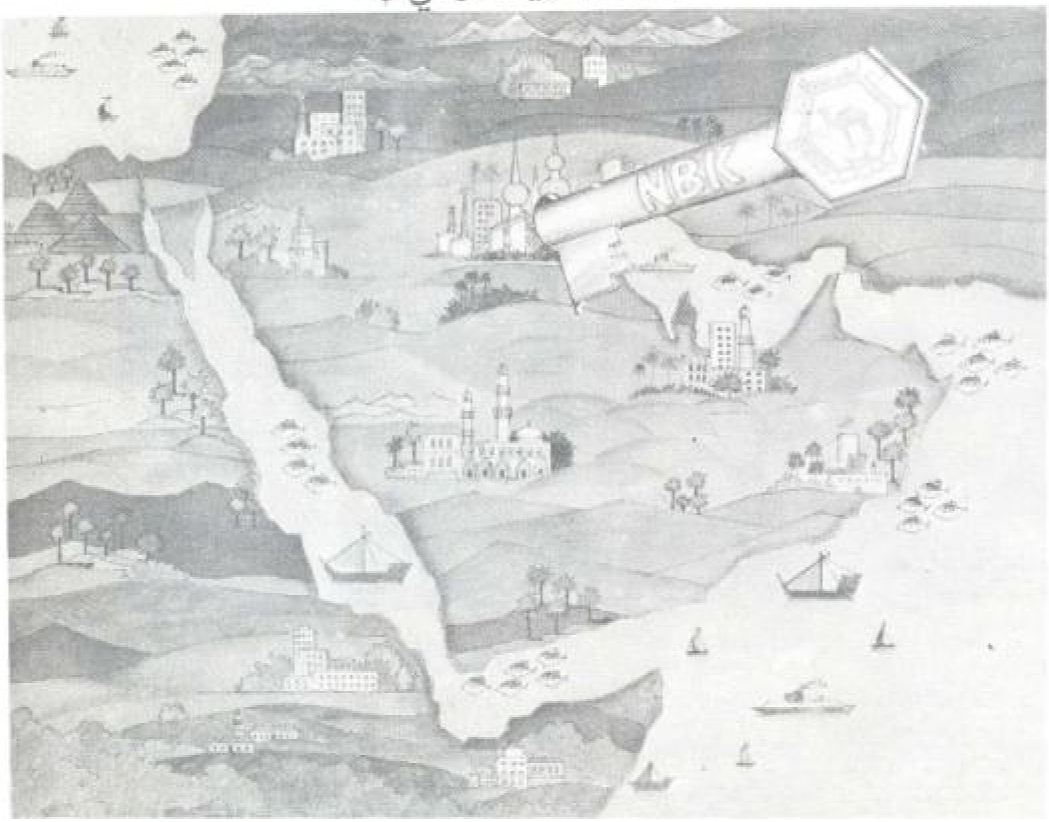
السيارة اختصرت ١٢ دقيقة من رحلتها . اى ٦ دقائق من حيث التقت بالاستاذ رهوان، ٦ دقائق من سرعة السيارة تعنى ٣٠ دقيقة من سرعة سير دكتور رهوان على قدميه . اى انه سار على قدميه ٣٠ دقيقة . عنى ذلك لو كانت السيارة بانتظاره عند المحطة ، كان سيصل الى البيت مبكرا بمقدار ٢٤ دقيقة (٣٠ ــ ٦) . او الفرق فى الزمن بين سرعته وهو يسير على قدميه وسرعة السيارة فى المسافة بين المحطة والنقطة التى ركب منها . وهكذا كان سيصل فى الخامسة ، و ٣٦ دقيقة .

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج

بنك الكويت الوطني
أول وأكبر بنك في الكويت منذ ٢٥ سنة.
بنك الكويت الوطني
البنك الذي نمى مع الكويت لتلبية حاجات الكويت الاقتصادية.
بنك الكويت الوطني

يقوم بجميع الخدمات المصرفية والاستشارات والتمويل.
بنك الكويت الوطني
مراسلون في جميع انحاء العالم ، قبل اقدامك على أي عمل في الكويت أو في الخليج العربي إستعمل المفتاح الذهبي واستشر جهازنا العالمي

بنك الكويت الوطني ش.م.ك





فكّــــر ...

إن سعر الشراء مهم ولكنه ليس كل شيء . فكر بكافة التكاليف التي تنفق طوال عمر الرافعة الآلية لكي تستطيع تقرير ما هو الأنفع لك . تكاليف التشغيل بما فيها قطع التبديل والتصليح . كلفة ساعات التعطل عن العمل وتأثير التغير في السعر إذا رغبت ببيع الآلة .

تتصف رافعات الكاتربلر ببساطة الصيانة مما يضمن تنفيذها . فهي مصممة بحيث لا تتضمن إلا الحد الأدنى من نقاط الفحص ، وتجمع هذه النقاط سوية كلما أمكن ذلك مما يحقق الوصول السريع اليها كلها . وهذا كله يوفر أموالك على المدى الطويل .

كما أنك لا تتعرض للخسارة أثناء انتظار وصول قطع التبديل أو نتيجة اضطرارك لتخزين هذه القطع . فموزعو كاتربلر يهدفون إلى توفير مخزون من القطع التي قد تحتاج اليها .

ويعني ذلك بالنسبة لك استثمار أموال أقل وتخفيض ساعات التوقف عن العمل .

وإلى جانب ذلك فان موزعي كاتربلر يقدمون برامجا خاصا تمنع تعطل الآلية عن طريق اكتشاف المشاكل المحتملة قبل حدوثها . وكل ذلك جزء من خدمات « كات بلص » ، وهي برنامج الدعم الشامل المعد لمساعدتك لتحقيق أفضل مردود مما تنفقه من مال في استثمارك للعربات الرافعة .

فكر بالصورة الاجمالية قبل أن تتخذ القرار . الرافعة المناسبة ذات الكلفة الاجمالية المنخفضة .

يوجد ٤٦ نوعا مختلفا تتراوح قدراتها بين ١٠٠٠ و ٢٧,٣٠٠ كغ .

وهي تعمل على الكهرباء أو الديزل أو البنزين أو الغاز النفطي المميع .

أبو ظبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٤٤١ ، أبو ظبي ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٢٢٣٨٧ . البحرين : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٥٣٥٧ ، المنامة ، هاتف ٧١٣٦٠٧ . دبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ١١٧٠ ، دبي ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٦٠٢٥٥ . الأردن : الشركة الاردنية للجرارات والمعدات المحدودة ، ص . ب ٣١٣ ، عمان ، هاتف ٣٨٣٦٣/٦٤/٦٥ . الكويت : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ١٤٨ ، الكويت ، هاتف ٨١٠٨٥٥/٥٦ . الجمهورية العربية الليبية : الشركة العامة لمعدات الزراع واللوازم الزراعية ، ص . ب ٣٢٥ ، طرابلس ، هاتف ٣٠٣٤٤ . فرع بنغازي : ٩٢٣٣٩ . مصر : مانتراك ، ١٨ شارع أمين فكري ، محطة الرمل ، الاسكندرية ، مصر ، هاتف ٢٨٩٤٤٣/٨٠٩٩٩٥ . عمان : شركة الواحة للتجارة والمعدات ، ص . ب ١٠٠٢ ، مطرح ، مسقط ، هاتف ٢٢٦٠ . قطر : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٢١٧١ ، الدوحة ، هاتف ٢٥٩١٩ . المملكة العربية السعودية : شركة زاهد للجرارات والآليات الثقيلة المحدودة ، ص . ب ١٥٠٨ ، جدة ، هاتف ٢٦٣٦١ . الفروع : الدمام ، ٢٢٥٩٤ ، الرياض ، ٣٨٤٦٨ . سوريا : م . عزت القلاد وأولاده ، ص . ب ٣٢ ، دمشق ، هاتف ٥٥٠٣٣٦ . ويوجد فرع في حلب . تونس : مؤسسة ب . بو ... ، ٩١ شارع قرطاجة ، تونس ، هاتف ٢٥٦٥٧٧ . الجمهورية العربية اليمنية : شركة تهامة التجارية المحدودة ، ص . ب ٣٣٣٢ ، الحديدة ، هاتف ٢٤٠٦ . يوجد فرع في صنعاء .

CATERPILLAR

من المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول مايو ١٩٧٨

١٠٤

ثلاث مسرحيات اذاعية

• الطلبة المشاغبون • قبل يوم الاثنين الموعود

تأليف : جايلز كوبر

• الليلة يوم الجمعة

تأليف : كولين فينبو

ترجمة وتقديم : د. سليم الأسيوطي

مراجعة : د. طه محمود طه

فوزو

الشاحنة رقم ١ في اليابان



هنالك العديد من الشاحنات الثقيلة الممتازة في اليابان ، غير أن فوزو تفوقها كلها مبيعاً . تكلموا مع موزع كرايزلر في منطقتكم وتحققوا بأنفسكم من أن فوزو لها من القوة والمتانة ما يكفي لكل مهمة . إن مؤسسة كرايزلر هي التي جاءت بفوزو إلى الشرق الأوسط . ولذلك يمكنكم أن تثقوا من توفر قطع الغيار والخدمة التي تعقب البيع .



في جميع انحاء الشرق الأوسط

شركة الملا التجارية ذ.م.م
ص.ب ٢٧٠٢
صفاة، كويت
تلفون ٤٢٣٢٣١
تلكس 2012 ALMULLA

عبد الرحمن الزياني وأولاده
ص.ب ٣٢، البحرين
تلفون ٥٢٦٠٧
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

الشركة الاقتصادية. ش.م
١٨(ب) شارع ٢٦ يوليو. القاهرة
تلفون ٤٦٠٥٥
برقيا: زايداواجون القاهرة

الشركة التجارية الأردنية المحدودة
ص.ب ١٢٩
عمان، الأردن
تلفون ٥١٣٣١
تلكس TWAL JO 1311 AMMAN

الأمان بالإضافة
إلى معدل جيد للفائدة

١٠ ٪ في السنة

لمدّة محدّدة طولها سنتان

إن مبلغ ١٠٠٠ جنيه إسترليني أو أكثر مودع في حساب وديعة زمنية لمدة ثابتة طولها سنتان أو ثلاث أو أربع أو خمس سنوات ، يحقق ربحاً قدره ١٠ ٪ في السنة . وتدفع فائدة ٨٪ على المبلغ المودع لسنة واحدة . تدفع الفائدة كل نصف سنة بدون إقتطاع الضريبة البريطانية في المصدر .

٩ ١/٢ ٪ في السنة ودائع الدخل الشهري

إن مبلغ ١٠٠٠ جنيه إسترليني أو أكثر يحقق ربح ١/٢ ٩ ٪ في السنة إذا أودع لمدة ثابتة طولها سنتان أو ثلاث أو أربع أو خمس سنوات . أما وديعة الدخل الشهري المودعة لمدة ثابتة طولها سنة واحدة فتحقق دخل ٨ ٪ في السنة . وتدفع الفائدة شهرياً بدون إقتطاع الضريبة البريطانية في المصدر .

أن مصرف لومبارد نورث سنترل المحدود عضو في مجموعة بنوك ناشيونال وستمنستر . لذلك يمكنك فتح حساب ودائع بحيث تضمن سلامة رأسمالك كلياً . تفضل بإرسال الكوبون طلباً لتفاصيل أنواع حسابات الودائع والمعدلات الحالية للفائدة .

Lombard North Central

Bankers

To : The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH, England.

الإسم : ____________________

العنوان : ____________________

____

D182

عضو في مجموعة مصارف ناشونال وستمنستر . التي يزيد رأسمالها مع الإحتياطي عن ٩٣٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني .

Registered Office : Lombard House, Curzon Street, London W1A 1EU England


«فيليشايف»
إسم لأفضل ماكينة حلاقة في العالم من فيليپس
مجموعة «فيليشايف» ٩٠ - سوبر الجديدة لا تزاحم: حلاقة ناعمة، رجرجرة هادئة لرؤوس الحلاقة ٩٠ سوبر، تصميم انيق والوان مختلفة جذابة.
من موديلاتها التي تلتقي ومتطلبات الرجل العصري هو «فيليشايف اكسكلوسيف» المثلث الرأس حيث بالإمكان ضبط رؤوس الحلاقة فيه وتوقيعها لتناسب نوع وحساسية كل جلد وهو يحتوي بذات الوقت على جهاز لتحديد الحلاقة عند الشوارب والسوالف. كما يوجد من موديلات «فيليشايف» الأخرى «ا لرشارجيل» المزود بجهاز لتعبئة الطاقة الكهربائية وخزنها مدة ٣ اسابيع من أجل حلاقة حرة وأيضاً
هناك ماكينات «فيلشايف» المتممة برأس مزدوج اقتصادية الثمن وكذلك الموديلات التي تعمل على البطارية لتناسب الرجل المتنقل.
ان التفوق التقني الذي تمتاز به هذه الماكينات والمعترف بها فعلاً أكان من ناحية التصميم أم من ناحية النتائج الفضلى التي تقدمها يعود الفضل به ولاريب الى الخبرة الفريدة من نوعها في العالم والى برامج الدراسات المتكاثفة والمتشعبة التي تقوم بها فيليپس بطريقة متواصلة.
وخدمة فيليشايف شبيهة بالخدمة المثالية التي تقدمها فيليپس لكامل منتوجاتها فهي مؤمنة أينما كان.
فيليپس الأفضل لكم دوماً



مروحة منضدية قياس ١٦ انش
مجهزة براديو داخلي لثلاث موجات
وبآلية اليكترونية لتغريد الطيور .

إسترح وانعش نفسك مع سانيو بطريقتين .
نسيم عليل يأتيك من مروحة منضدية
قياس ١٦ انش تتحلى بضوابط كباسة
تتحكم في سرعة الدوران وبتأرجح
مزدوج للعنق مع موقت آلي لـ ٦٠ دقيقة .
ولارهاف أذنيك ، راديو داخلي
بثلاث موجات MW/SW/SW ، وآلية
اليكترونية تشدو كالكنار بكل
رفق وجمال . هذا عدا عن كونها
مزودة بضوء ليلي خافت يزيد
من جولك بهجة وسرورا .
ليس هناك من مروحة أخرى
تعطيك كل هذه المزايا .



SANYO سانيو



العربي

العدد ٢٣٥
رجب ١٣٩٨
يونيو
(حزيران) ١٩٧٨

بنجلاديش
جهنم.. المليئة بالنعم !


يُمكنك الإعتماد عَلى أوريَنت
بأيّ مَن الطّريقتين؛ عَاديّة أم رَقميّة
ORIENT
QUARTZ
SUN 8
ORIENT QUARTZ
12.00 30
SU MO TU WE TH FR SA
CHRONOGRAPH
إن كنت تفضل ساعة عادية كلاسيكية،
أم ساعة رقمية حديثة؛
فإن أوريَنت تقدم لك مجموعة واسعة من أروع
ساعات الكوارتز المتناهية الدقة والمتعددة
الإستعمالات.
كل ساعة منها حصيلة تقنية
فائقة الدقة، ومراقبة صارمة لمستوى الجودة.
كما انها تحتوي على آخر ماتوصلت اليه صناعة الساعات.
هذا بالاضافة الى التصاميم الانيقة والجذابة.
إنك تحصل دائماً على اكثر مع ساعات أوريَنت كوارتز
ORIENT اورينت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL 407-5901. TLX J26896

عزيزي القارئ

بدات الكويت منذ اسابيع قليلة تطبيق نظام التجنيد الالزامي ، لاول مرة في تاريخ الجزيرة العربية ، وهو حدث له قيمته الكبيرة ، ودلالته الاهم والاكبر • ذلك ان دعوة شباب الكويت ، الذين يبلغون سنا معينة ، الى الانخراط في سلك الجندية ، ايا كانت اوضاعهم العائلية والمادية ، هو خطوة بالغة الجراة ، اذا تصورنا عمق تاثير هذه الاوضاع في المجتمعات العربية التي تعيش في هذه المنطقة •

وان تتحقق هذه الخطوة ، مجرد ان تبدأ ولو بدايات متعثرة وبطيئة ـ وهو امر منطقي وطبيعي ـ فان ذلك يعني في الحقيقة انالكويت ماضية على طريق بناء الدولة العصرية . التي تسعى لتحقيق الموازنة المستمرة بين حقوق الافراد والتزاماتهم •

ذلك ان الجندية ليست فقط سبيلا الى الذود عن الاوطان والدفاع عن حدودها ضد اى عدوان ، ولكنها « قيمة » ترمز الى الاستعداد لدفع ضريبة الدم من اجل هذه الاوطان • وهي « مدرسة » تخرج اجيالا تدرك معنى هذه القيمة وتتمرس على السلوك المنضبط والجاد ، الذى به تبنى الاوطان وتتقدم •

ولسنا بحاجة الى أن نذكر ما يمكن أن يضيفه ذلك الى القوة العربية ، فدور الكويت واسهاماتها في هذا المجال غني عن الذكر ، ورجالها الذين استشهدوا على جبهة القناة اثناء معارك اكتوبر ، نموذج يجسد هذه الحقيقة • لكننا فقط نقول ان قوة الجسد العربى هي من قوة مكوناته وكل قطعة فيه • وتقدم الامة العربية هو محصلة جهد كل دولة في سعيها لتحقيق هذا التقدم •

وما جرى في الكويت هو بكل المقاييس والمعايير خطوة الى الامام •

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

عروبة :

سياسة واقتصاد :

شخصيات :

قضايا حيوية :

استطلاعات :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 235 June 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »
الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير
المجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● الوجه من بنجلاديش والأداء لرقصة شعبية ، تعبر عن « بنت البلد» البسيطة والفقيرة ، التى لاتجد غير هذه الآنية الفخارية المزخرفة لتحملها فوق رأسها ، وتعبر بها عن واقع هذا البلد الفقير .. ولكن هذا ليس الا احد وجوه بنجلاديش ، التى يرصد معالمها الحادة والقاسية استطلاع الشهر على الصفحات (٦٨ ـ ٩١) .

فنون:

طب وعلوم :

قصص :

دراسة الشهر :

ركن الاسرة والمرأة :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة [illegible] صحافية ، ٤ شارع الصحافة/ [illegible]

« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »



جان جاك روسو..

العالم يحتفل بمرور قرنين على وفاتهما

فولتير : اعظم صحفى حتى هذا الزمان !

● تحتفل فرنسا طوال هذه السنة كلها ، بمرور مائتى عام على وفاة اثنين من اعظم ابنائها وأبناء الانسانية كلها، ومن اجل ذلك فان الاحتفال بهما عالمى، وليس فرنسيا فقط ٠

فولتير ، الذى مات فى ٣٠ مايو ١٧٧٨

وجان جاك روسو ، الذى مات فى ٢ يوليو ١٧٧٨

فربما لم يبق من لويس الرابع عشر ـ الذى كانوا يلقبونه « بالملك الشمس » سوى قصر فرساى بل وربما لم يبق من نابليون بونابرت، الا آثار فتوحاته وحروبه، وقانونه المدنى ، واسس للدولة الفرنسية لم تتغير بعد ٠

أما فولتير وجان جاك روسو ، فباسم افكارهما قامت الثورة الفرنسية الكبرى التى ما تزال من أهم احداث اوروبا، وتحت راية آرائهما فتحت اوروبا ذراعيها لفتوحات نابليون ٠ وقد انتهت الثورة الرابعة وانتهى نابليون وعاد لويس الثامن عشر الى فرنسا ، كآخر البوربون ، ولكن مالبث ان زال واستقرت فرنسا او بدأت نموها الحديث من كلمات روسو وفولتير ٠ ولان اسلحة روسو وفولتير لم تكن جيوشا تنسحب ، ولكنها كانت افكارا تهاجر ، وتسافر ، وتستقر فى النفوس والعقول ، فقد ظلت طوال قرنين من الزمان على هذا النحو تؤثر فى العقول وتلهب النفوس ،



وفولتير

بقلم : أحمد بهاء الدين

في شتى اقطار الارض • وقد كان نابليون رجل السيف ، هو الذى قال : فى العالم قوتان ، الروح والسيف ، والروح دائما غالبة •

واذاكانت سمات العصر الحديث التقدم العلمى الذى نراه، فان هذا التقدم العلمي نابع من سيادة قيم اجتماعية معينة، لم يكن ممكنا للعلم ان يزدهر الا في ظلها• واذا كانت هذه القيم هي الديمقراطية وحرية الفكر واحترام العقل، والاحتكام للقوانين، فان معظم هذه الافكار ـ التى ولدت مع الانسان ، وتكرر تاكيدها باشكال شتى في حضارات مختلفة ، الا انها منسوبة في العصر الحديث الى آباء معروفين ، ياتى فى مقدمتهم فولتير ، وجان جاك روسو••

والحديث عن جان جاك روسو امـــره هين • فهذا الرجل الرومانتيكى الحالم ، الذى تصدى كاى دون كيشوت لاصـلاح العالم من كل امراضه، وللعثور على الدواء الحاسم للانسانية ، ليس مـن العســير تقييمه ولا تحليل افكاره •••

لقد نادي بالعودة الى الطبيعة ، وبان يعود الناس الى صياغة « عقد اجتماعى » جديد ، تزول معه آثار ما فعلته السنين من تفاوت بين قوى وضعيف وظالم ومظلوم• فكر رومانتيكى حالم ••• وافكار بسيطة غير معقدة • هى بالطبع لا تناسب الدنيا المعقدة والتاريخ المعـقد والانـسان ذلك الكائن المركب • فهى بهذا المعنى ليست حلولا• ولكن احيانا يكون للكلمات البسيطة والدعوات البريئة وقع الرعد واعمـق الاثار • فهى ببراءتها وصدق نبرتها تشعر المجتمع بدرجة المظالم التي يرتكبها • وهى ببديهياتها تكشف للعقل الانسانى فجاة عن سخافة الكثير مما هو غارق فيه •

هل هناك ابسط من الهواء الصافي المنقى المليء بالاوكسجين ؟ ولكن ما اكثر ما يفتقد المرء في حشايا المدنية هذا الهواء الطلق • وما اشد ما تحتاج اليه رئتاه • وما اعظم المتعه التى ينالها حين يقف في بيئة طبيعية عذراء •• يستنشقه !

كانت كلمات الحرية والمساواة والحق والعدل والقانون ، والانسانية ، كانت هذه الكلمات التى صارت الان بديهيات ، كانت قبل قرنين من الزمان كلمات جديدة، لها رنين غريب ، نسيته الانسانيه منذ ازمان بعيدة ، وفي اوروبا بالذات ، حين قام عصر النهضة الحديثة ، كانت العصور الوسطى قد داست هذه الكلمات تحت سنابك الخيل ، ومزقتها تحت أقدام النبلاء ، واغتالتها في ظلام العصور الوسطى تحت اضطهاد عقلي ثقيل من الكنيسة •

ولم تكن هناك محن ، ولا احزاب ، ولا مؤسسات ، فكان من يتصدر لهذا كله يتصدر له بنفسه •• بمفرده •• بصدره العاري •• فكان خصوصا أزاء الكنيسة ينطوي على شجاعة خارقة • والقتل وضرب الاعناق والحرق حتى الموت مازالت اشياء قريبة للادهان وممكنة •••

ولذلك كانت الكلمات البسيطة ، اذا كتبت بمثل حماسة جـان جاك روسو المضطرمة ، واسلوبه الاخاذ ، تدوى في آذان البشر ، وكانها توقظهم من حلم ثقيل وتنبههم الى انهم بشر :

« لقد ولد الانسان حرا ، ولكنه مقيد بالاغلال في كل مكان • وقد يظن احدهم انه سيد على الاخرين ، ولكنه في الواقع اكثر عبودية منهم • كيف حدث هذا التحول ؟ وما الذى يجعله شرعيا ؟ »

« ان النظام الاجتماعى هو الاساس المقدس لكل الحقوق »

« فاذا اخذنا القوة كمصدر لذلك •فان اقوى الاقوياء لن يقوى على ان يكون سيدا ، الا اذا ترجم قوته الى حق،وخضوع الاخرين الى واجب • ولكن القوة سلطة مادية • وليست اخلاقية • والخضوع للقوة فعل اضطرار ، وليس فعل ارادة • فكيف يمكن ان يصبح هذا الخضوع «واجبا» ؟••

« ان القوة لا تخلق الشرعية • والناس ليسوا ملزمين بالطاعة الا للقوة الشرعية• وحيث أنه لا يوجد انسان له حق طبيعي في ان يسيطر على غيره، اذن فلابد أن نستنتج أن السلطة الشرعية لا يمكن أن تنبثق الا عن نوع من التعاقد من عقد اجتماعي بين البشر »

« هذا وحده هو الذى يجعلنا نرى علاقة بين حاكم وشعبه وليس بين سيد وعبيده»•

معان ليست جديدة ؟ قالتها الاديان من قبل ؟

قالها القرآن بافصح بيان؟ قالها محمد؟ قالها عمر بن الخطاب ؟••

ولكن هكذا الانسان • لا تلبث القيم الاساسية النبيلة ان تنسى وتطغى عليها المصالح وصراع الموت والحياة ، ومنذ مائة عام فقط حين وقف احمد عرابى في ميدان عرابى بالقاهرة يقول للخديوى توفيق «لقد ولدنا احرارا ولن نورث بعد اليوم» زلزت البراكين ، واحتل الانجليز مصر ثمانين عاما !

وقد كان الذى اطلقها في اول عصر النهضة في اوروبا ، بعد ظلام العصور الوسطى هو جان جاك روسو • في زمن صارت الكنيسة فيه تحاكم ما في الضمير• وتبيع صكوك الغفران وقطعا من الجنة • وحق السلطة الهي • ونصف البشر عبيد أرقاء

ولم يكن يوجد في مواجهة هذا الا عقل يخاطب عقولا • ولذلك سمى العصر كله عصر سيادة العقل •

على أن سيد رجال عصر العقل جميعا، بغير منازع ، كان فولتير •••

وبقدر ما كان روسو بسيطا ، والكتابة عنه سهلة ، فقد كان فولتير معقدا ،

والكتابة عنه عسيرة . وحتى الان وبعدمضى مائتى سنة على وفاته ما زال الكتاب يختصمون فيه ، واحد يراه فيلسوفا وآخر يراه مهرجا • واحد يراه مناضلا وآخر يراه متزلفا • وما زالت عملية اقتناص صورة حقيقية له ، مسالة تفلت من يد كل كاتب •• فمن ناحية انتاجه ، في أى فريق يصنف فولتير ؟

هل هو مبشر أخلاقى ؟ هل هو مؤلف مسرحي؟ هل هو روائى ؟ هل هو فيلسوف؟ هل هو كاتب مقالات ومشارك في أول دائرة معارف ؟ ••

لقد كتب فولتير كل هذا ، وبالعشرات، ونقاد كل فرع يضعونه فى مقام الرائد الطليعي العبقري، ونقاد يرفضونه ويلفظونه من فرع الى فرع • استاذ الفلسفة يقول : ربما كان مسرحيا • ودارس المسرح يقول : ربما كان روائيا •

ومن ناحية آرائه السياسية والاجتماعية هل كان مناضلا ضد الاستبداد والكنيسة ؟ هل كان على العكس من ذلك ملكيا ، مؤمنا بالاستبداد «المستنير» فحسب؟ هل كان منافقا، يتزلف للملوك ، ويداهن النبلاء، ويراسل الحكام والاباطرة ، ويعيش دسائس البلاط الامبراطورى هنا وهناك؟ وينهى عن الثورة ويحتقر الجماهير او بالاحرى لا يراها جديرة باعطائها مسئوليات السلطة ؟

لقد كتب فولتير فعلا كل هذه الاراء • دعا الى الثورة ، وحذر منها داعيا الملوك والنبلاء الى الاصلاح • دافع عن قضايا المواطنين فى بسالة هائلة ، وكان يقرأ رواياته قبل نشرها فى صالونات الاميرات والنبيلات ويراعى ملاحظاتهن • ادخل الى سجن الباستيل مرتين ، وعاش فى بلاط فريدريك الاكبر ملك بروسيا ثلاث سنوات• ثم تشاجر معه، واهان الامبراطور وهرب• وقبض عليه فى فرانكفورت ، واهين ، ثم اطلق سراحه ، ثم عادت الصلة بينهما بالمراسلات •

هل كان مؤمنا أم ملحدا ؟ •• لقد اهتم باثبات انه مؤمن • ولكنه كتب عشرات المقالات فى الالحاد ضد الكنيسة، بتوقيعات مستعارة • وكانت مراسلاته الشهيرة مع كاترين العظمى قيصرة روسيا تدور كلها على محاولة اقناعها بالغاء نظام الرق وامتلاك الفلاحين مع الارض • واقناعها بمحاربة الامبراطورية العثمانية وطرد الاتراك المسلمين من أوروبا • وكان يقول مع ذلك اننى كاثوليكى فرنسى • لو ولدت فى انجلترا لكنت بروتستنتيا ولو ولدت فى اسطنبول لكنت مسلما ! »

هل كان ذا وجهين أو عشرة أوجه ؟ لقد كان ضئيلا دميما فقيرا • ولكنه لاذع اللسان وقادر على كسب الاعداء بصورة مذهلة • وفي سن الرابعة والعشرين كان قد اشتغل مع النبلاء ، ثم تشاجر معهم ثم سجنوه فى الباستيل ثم اصدر روايات فاشلة ثم الف مسرحية اوديب فاصبح في سن الرابعة والعشرين اشهر اسم ادبى فى فرنسا • وعاش بعدها حتى سن الرابعة والثمانين •

وحين ادرك قيمة المال ،دخل فى التجارة والمضاربات وعمليات قيل ان بعضها لم يكن بريئا تماما • ولكنه كون ثروة كبيرة• استغنى بها عن النبلاء ، وعن الجمهور ! وبنى قصرا بين فرنسا وسويسرا ليهرب من مطاردة السلطات والخصوم الشخصيين على السواء • ونفى نفسه عن باريس خمسة وعشرين سنة متصلة من شدة ما اثار فيها من موجات السخط والرضي والتحزب له والتحزب ضده والعداوات القوية والصداقات القوية فلم يعد الى باريس التى تحتفل به اليوم الا قبل موته بشهور • وقد صار مريضا محطما انهكته جراح الكر والفر والهجوم والتراجع والتقلب بين ايام النعيم وايام الجحيم •

وكان بخيلا جدا • لكنه كان يسخى الي آخر الحدود على الفنانين البؤساء وينفق على فرق تمثيلية صغيرة في زمن لم يكن لهذه الفنون اهل يرعونها •

هل كان متفائلا ام متشائما ؟ •• لعل هذا من اكبر الاسئلة التى حيرت المؤرخين•

فهو ساخر دائما • والبعض يقول حاقد دائما «اذا امسك بتلابيب اعظم العظماء لا يتركه الا مدمرا» شاكا فيما حوله • يرى مؤامرات تحاك لقتله واضطهاده ، لكثرة من قتلهم وسفك دماءهم بقلمه الجبار •

وهى سخرية ، نراها فى صوره وتماثيله التى حفظها الزمن ، ويتأملها المرء فلا يعرف هل هو يضحك للدنيا ام هو يضحك من الدنيا • وهل يصدق المرء كلامه عن العالم الشريد ، ام دعوته فى آخر أهم مؤلفاته « كانديه او التفاؤل » حيث يصل البطل بعد مقاساة كل الشرور الى ان خير ما يفعله الانسان « ان يعكف على زراعة حديقته الصغيرة » ••

حتى هذه العبارة البسيطة « أن يعكف كل انسان على زراعة حديقته الصغيرة »، هل هي مشاركة في بناء العالم ، ام هي ادارة ظهر لهذا العالم ؟ ••••

الواقع انني اغامر واقول اننا ازاء فولتير ، انما نجد ظاهرة في عالم الكتابة لا نظير لها •••

انه ليس فيلسوفا ولا مؤلفا مسرحيا ولا روائيا ولا اكاديميا بالمعنى المتفوق لاى كلمة من هذه الكلمات ، على الاقل بالقدر الذى يساوى شهرته وتأثيره طوال قرنين من الزمان ! اغامر واقول انه كان «الكاتب الصحفي الاعظم » حتى هذا الزمان •••

ففي زمن لم تكن فيه صحافة منتشرة ولا طباعة كتب ولا قراء بهذا الاتساع ، ولا رأى عام بالمعنى المفهوم •• في زمان كهذا ، كان فولتير بمثابة مؤسسة كاملة للاعلام والنشر والتثقيف والاثارة والجدل •• ناقلا كل هذه القضايا الى اوسع دائرة، نقلها اليها كاتب بمفرده فى مثل ذلك الزمان •••

نحن امام كاتب ، ترك لنا ما يقرب من مائة مؤلف ••• ما بين رواية ومسرحية ودراسة فلسفية وابحاث في السياسة والاجتماع والدين ونظم الحكم !

وربما اهم من ذلك رسائله التى كان يكتبها ، أو مراسلاته مع الملوك والاباطرة والحكام والمفكرين والاصدقاء فى كل انحاء اوروبا •• ويقدر ما بقى من مراسلاته بحوالى عشرين الف رسالة ، مكتوبة فى حوالى ربع مليون صفحة ! وهذا هو المؤكد الباقى ، المنشور فى كتب ومجلدات !

ايمكن ان تقول جريدة اكثر من هذا ؟ أيمكن أن تصدر دار نشر مثل هذه الكمية ؟

ولكن تشبيهه « بالصحفى » الكاتب ، هل لمجرد الكمية ؟ ••• كلا ! •••

ولكن لفارق آخر جوهرى ، يخيل لى انه يمكن ان يكون المفتاح الذى يحل لنا متناقضات كثيرة فى اعماله ، وترددات فى آرائه ، وصعودا وهبوطا فى حماسته •

فالفيلسوف – مثلا – يعكف على الفكر الفلسفي ويحاول اخضاع كل شيء لنظام فكرى معين • والفنان ينفق حياته ساعيا وراء الاتقان الفنى مع التعبير عن محتوى معين • واى واحد من هؤلاء يحتاج الى بطء فى الانتاج • الى فترة تخمر كافية ازاء كل حدث • بل كل مرحلة •

ولكن فولتير لم يكن كذلك • كان ضاربا بسيفه القاطع الحاد فى كل قضية ومشكلة وفى كل يوم وساعة • محاربا في كل الجبهات معا • محاولا – وهذا هو مربط الفرس – ان يقدم الحلول العملية الممكنة ازاء كل موقف يراه • وهذه ليست مهمة الفيلسوف ولا الفنان ولا الاديب • ولكن الصحفي يخضع كل ميوله وامكانياته فى هذه المجالات للتصدى للواقع ، ومعالجة الاحداث ، وتقديم الحلول ، فهو فى كر وفر ، وفى صراع دائم ، وفى تجارب تصيب وتخيب •

قال عنه ناقد متخصص في اعماله « كان مثل جهاز السيسموجراف الذى يرصد ادق الهزات الارضية ، ويتأثرت بها ، ويتجاوب معها » • وليس هناك هدف يمكن ان تصل اليه صحافة اسمى من هذا الهدف: هذه الحساسية ، الدقة ، وسرعة الرصد

والرد معا ! كان يعلب دورا « دنيويا » مائة في المائة · لا نظريا ولا فكريا ·

كانت قدراته الفلسفية والروائية والمسرحية والجدلية هائلة · ولكنه لم يخضع نفسه لها · بل اخضعها كلها لمواجهة الدنيا الحافلة بالمشاكل · استخدمها جميعا في هدم نظام قديم واقامة نظام جديد · حارب بها كلها · ونقل صوته الى كل الاسماع من ابعد الاباطرة الى ابسط الناس · واستطاع ان يجعل اعظم شخصيات عصره مثل فردريك الاكبر في برلين وكاترين العظمى في بطرسبرج (لينتجراد حاليا) يعتبرون انفسهم تلاميذه ···

فاذا لم تسعفه الكتب والمقالات . ولا الرسائل . وضاق صدر العالم عن احتمال جرأته على القيم القديمة. لجأ الى الكتابة وهو في اوج مجده باسماء مستعارة ، ليقول مالا يستطيع ان يقوله باسمه الكبير الصريح !

هذا ، وما كان لهذا كله ان يجعله عظيما او مؤثرا الا اذا كان كل هذا النشاط الشيطاني ، تربطه افكار اساسية ،يحاول في النهاية تثبيتها في اساس النظام الجديد ·

فهو رجل العقل في الدرجة الاولى ·وابرز مؤسسي عصر سيادة العقل ·

وهو داعية الافكار الجديدة التي هي الحق · والقانون · والعدل · وقيمة المواطن · بل ووصف الفرد بانه مواطن ·

وهو الذي استخدم قدرته الفذة على السخرية « ليجعل كل الطغاة الكبار في تاريخ العالم ·· صغارا »

وهو قبل كتاباته وتقلباته واساليبه ،وكره وفره ، ابرز من حطم سطوة الكنيسة على حرية الفكر ، وسطوة الارستقراطية على المواطن العادي ···

والغريب أن أكبر اسم يذكر كممهد للثورة الفرنسية الدموية هو اسم فولتير· مع ان فولتير في هذه النقطة بالذات كان معتدلا · كان تطوريا اكثر منه ثوريا · كان يعتقد ان تنوير الناس ، من الملوك الى المواطنين ممكن · وكان يخشى اطلاق عقال الجماهير من كل اسار · وقد حذر من ذلك · وهو ما حدث في الثورة ، لان التطور لم ياخذ مجراه كما يجب ·

وان المرء ليتصور ان فولتير لو عاش لوقف ضد دموية الثورة بشدة ، ومع ذلك فان الثورة قامت بعد موته بعشر سنوات حاملة رايته بين راياتها الكثيرة · وكانت كاترين العظمى قيصرة روسيا تضع تمثالا لفولتير من فرط تقديسها «لاستاذها» فلما اعدم لويس السادس عشر وماري انطوانيت قامت وحطمت التمثال،واعتبرت الشيطان الذي مات قبل عشر سنوات ،مسئولا ··

وكان بعض ضحايا الثورة يقولون بيتين من الشعر

لقد سقطت على الارض ·· — Je euis tomde a terre

وتمرغ انفي في الرغام ·· — Lo ner dens le ruissean

وهذه مسئولية فولتير — C:est ja faut a voltaire

ومسئولية روسو — C:est la faut a Roussean

كانت الاحداث اليمة ؟

ولكن اليس الذين لا يستمعون لصوت لفرنسا وللانسانية ، رغم كل شيء ···· لقد فتح روسو وفولتير مستقبلا عظيما العقل ، في الوقت المناسب ، مسئولين ؟··

ويروى اندريه مالرو في كتابه « Auti-memo.rc » ان ديجول قال له يوما : لقد تعود المثقفون ان يلعبوا اكبر دور في تقدم فرنسا · بدأ هذا بفولتير وانتهى بفيكتور هيجو · ومنذ ذلك الوقت تحول المثقفون الى كتاب عرائض ! ■■

احمد بهاء الدين



ما العمل عندما يصبح
تعدادنا ٢٧٠ مليوناً؟

مع .. المستقبل العربى

بقلم : الدكتور حافظ الجمالى

■ لست أدرى ان كان من الذائع والشائع بين الناس ، أن العرب كانوا يقدرون عام ١٩٧٣ بمئة وخمسة وثلاثين مليونا ، ولكن الاحصاءات التى تذكرها المصادر الدولية الموثوقة أو المعتمدة،تذكر هذا الرقم الذى تعود بعض احصاءاته الى العام ١٩٧٢ ، والبعض الآخر الى العام ١٩٧٣ ، وكذلك لست أدرى ان كان من الذائع والشائع أن مصر كانت لاتزيد عن مليون ونصف المليون من السكان عام ١٨٠٠ ، وأنها أصبحت عام ١٩٣٠ ، أربعة عشر مليونا،وأنها قفزت الآن الى حدود الأربعين .

ويمكن أن نذكر أرقاما مماثلة عن سورية، التى كانت لا تتجاوز المليون ونصف المليون عام ١٩٢٠ وأصبحت عام ١٩٧٤ فيما يشبه ضعف هذا الرقم، وانها ستصبح عام ١٩٨٠ فى حدود الـ(٨ر٦٤٢ر٠٠٠) نسمة ، مما يعنى أن ستين سنة من عمر البلاد قفزت بارقام السكان وضاعفتها ست مرات تقريبا .

اما العراق ، فقد كان فى حدود الثلاثة ملايين عام ١٩٣٠ فقفز الى أكثر من ثمانية ملايين عام ١٩٦٥ ، ولا يقدر عدد السكان اليوم باقل من أحد عشر مليونا .

لكن نسبة النمو مختلفة ، اذ أنها ترتفع الى الـ ٠٤٦ ٪ بالألف فى سورية ، وتهبط فى تونس الى حدود العشرين . وكذلك مصر حديثا★ ،فانهاعادت الى هذه النسبة الصافية ولكن نسبة الولادات العالية فى سورية ،ليست هى، تماما نسبة الزيادة الصافية ، بل ان الوفيات تختزلها قليلا ، وتردها الى نسبة الـ ٠٣٦ ٪ ولعل هذه النسبة من أعلى النسب فى الوطن العربى وعلى سبيل التبسيط وحده،نذكر أن عدد سكان سورية ، منذ عام ١٩٧٠ حتى الآن ، زاد بما لايقل عن مليونى نسمة .

ولكن السؤال الذى يخطر بالبال مباشرة هو التالى : ترى متى يصبح سكان الوطن العربى ضعف ماهم عليه،أى مئتين وسبعين مليونا بدلا من ١٣٥ مليونا؟والجواب الذى يقدمه علماء الديموغرافيا، هو ما يسمى بقاعدة السبعين ، وخلاصتها

★ يذكر ماكنمارا بعد زيارته الاخيرة لمصر ،التى تمت فى أواخر شهر يناير ان نسبة النمو السكانى فى مصر هى فى حدود ٢ر٥٨٪ على حين ان صحيفة الموند الباريسية ، ذكرت منذ مدة قريبة ان هذه النسبة هبطت الى حدود الـ ٢٪ .

انتقسم هذا العدد الأخير على نسبة النمو السكاني السنوية . فاذا كانت هذه عشرين فقط ، فاننا بحاجة الى ٣٥ سنة واذا كانت ٣٥ ، كما هي الحال في سورية ، فاننا سنكون بحاجه الى عشرين سنة لمضاعفة عدد السوريين ، مالم يطرأ تبدل مجهول ، خلال السنوات القادمة ، مما لا يستطاع التنبؤ به منذ الآن ، الا أن تجربة السنوات الكثيرة الماضية دلت على مثل هذا التضاعف .

ويعتبر هبوط نسبة النمو السكاني في مصر الى الرقم ٢٠ بالالف او ٢ ٪ حادثا فريدا جدا ، وغريبا ايضا ، ذلك انها تعيش سنوات ما بعد الحرب ، وقد تفاجأ بحرب . ويبدو أن في قوانين الطبيعة ما يسلح الضعيف ببعض أدوات القوة ، وهكذا تزداد نسبة المواليد اندور بعد الحروب لا لتعوض عن المفقودين والقتلى فحسب ، بل لتبالغ بعض الشيء في هذا التعويض . الا أن جريدة الموند الفرنسية نقلت اربع رسائل تصور بها أوضاع مصر العامة ، عادت جريدة السفير في عدد من اعدادها في اواخر شهر يناير (٢٦ ـ ٢٧ يناير أو كانون الثاني)،وجاء فيها أن نسبة النمو السكاني هبطت الى هذا الرقم . وكذلك تونس ، فانها هي الاخرى ، حدت من نموها الديموغرافي وجعلته على مقاييس مصر ، أو قل ان مصر جعلته على المقاييس التونسية .

نسبة الفتيان العرب

ولنعد الآن الى ارقامنا الاولى ، أرقام عامي ٧٢ ـ ٧٣ التي تقول ان عدد المواطنين العــرب لا يزيدون عن ١٣٥ مليونا من الناس ، فاذا نحن فرضنا ان كل الاقطار العربية ستهبط في نموها الى النسبة المصرية أو التونسية ، وهي أدنى نسبة معروفة في وطننا ، فلا شك اذن أن العرب سيزدادون بما يعادل مئة مليون وثمانية ملايين أخرى ، في آخر هذا القرن ، وسيكونون جملة ، حول المئتين وثلاثة وأربعين مليونا.ويكفي ان ننتظر العام ٢٠٠٨ حتى يصبحوا مئتين وسبعين .

وهنالك نواظم شتى لنمو السكان ، منها أن هذا التزايد يتم بصورة فوق أسية ، تماما كما لو وضعت مبلغا في المصرف بفائدة مركبة ، تزداد هي ايضا سنة بعد سنة ، ومن هنا وصلنا الى هذا الانفجار السكاني . ومنها مايسمى بناظم الغذاء المتاح ، ومعنى ذلك أن الناس يتزايدون في أي مكان،في الحدود التي توفرها أراضيهم من الطعام والشراب ان لم يكن هنالك عائق طبيعي كالاوبئة والحروب ،او مصطنع كارادة تحديد النسل .وهكذا فان العراق وسورية واليمن والمغرب والجزائر والسودان مدعوه الى تزايدكبير ، لن تكون نسبته أقل من ٢٧ بالالف . ولهذا يمكن القول ان آخر هذا القرن أو العام ٢٠٠٨ على أبعد تقدير ، هو الذي سيشهد أن الوطن العربي يمتلىء بمئتين وسبعين مليونا ، ثلثهم على الاقل دون الخامسة والعشرين ، وكذلك المغرب فان ثلثي سكانه دون الخامسة والعشرين على ماتقول موسوعة « اونيفرساليس » في العدد السنوي لعام ١٩٧٧ .

وهكذا يبدو شعبنا العربي فتيا جدا ، وحقا فان عابر الطريق في بلادنا يلاحظ بوضوح أن نسبة الفتيان كبيرة ، والشيوخ قلائل ، وفي سورية ، لايتجاوز عدد من هو في عمر الخمسين فما فوق ، نسبة الواحد من تسعة عشر .

ومع أن أوضح صور الانفجار السكاني تلاحظ في البلاد المتخلفة ، فان هذا الانفجار عالمي النزعة، منذ بداية التاريخ . ويقدر الاحصائيون أن سكان العالمعام ١٥٠٠ كانوا يتراوحون بين ٣٨٠ ـ ٤٣٠ مليونا من الناس ، أقل من سدسهم في أوربا (١٥ ٪ من سكان العالم) ولقد بلغ سكان المعمورة مليارهم الاول عام ١٨٠٠ ، واحتاج الامر الى ١٣٠ سنة اخرى اضافة المليار الاخر . ثم احتاج المليار الثالث الى ثلاثين سنة اي عام ١٩٦٠ أما في العام ١٩٧٤ ، فقد أصبح سكان العالم ٣ر٩ مليار . اي أن العام ٢٠٠٠ سيصل الى جعل سكان الارض ستة مليارات ونصف المليار ،بانتظار ان يصبحوا ١٢ مليارا عام ٢٠٢٥ .

ولقد يكون من المخجل أن نفكر في مثل هذا الموضوع ، بانفسنا وحدها ، لكن المثل يقول: ابدأ بنفسك ، ثم بأخيك . واذا استطعنا نحن بانفسنا ، حل هذه المشكلة السكانية وما يترتب عليها من صور التنمية المختلفة ، زراعيا وصناعيا وكهربائيا وسكنيا وتعليميا ومائيا ، فان أقل ما نفعله عندئذ ، هو ان نخفف هذا العبء على

الاخرين ، اذ يبدو أن دوائر الامم المتحدة تهتم به ، وتدرسه ،وتلاحظ المآسي التي قد يتخبط بها العالم ، اذا لم يسرع أغنياؤه الى نجدة فقرائه • ولكن هذا انما يتم على صعيد الامم المتحدة وحدها •

في واد آخر

اما على صعيد الدولة المسؤولة ، والغنية منها خاصة ، فيكاد الانسان يظن أنها في واد ، والامم المتحدة في واد آخر • ولا تزال الدول الغنية سعيدة ، على ما يبدو ، في أن تبقى هي وحدها سعيدة ، وان يكون الاخرون مجموعات ضخمة من الجياع ، والبؤساء ، والمرضى والجهلة. ولئن وجد فيلسوف يقول : ان البسمة لتتجمد على شفاهنا ، عندما نسمع بكاء الاخرين ، واننا لنخجل من فرحنا ، عندما يحزن الاخرون ، فانه ليبدو بوضوح أن هذا السلوك الفردي ، الشائع عادة ، لا يجد ما يقابله على الصعيد العام ، أو الصعيد المسؤول • هنا البسمة كامدة ، وتزداد اتساعا ، وتملأ ما هو أكثر من الشدقين ، ويبحث بجهد مخلص عن ادامتها اطول مدة ممكنة ، وهكذا وجد بعض الخبثاء (والمغرضين بلا ريب) ـ الذين يؤولون زيارة كارتر الاخيرة لبعض بلاد اوروبا الغربية ، وغير اوروبا ، بانهدف اللامعلن ، هدف الابقاء على هذا الانشطار الكبير في الدنيا ، أي انشطار الناس الى أقلية من الاغنياء ، واكثرية من الفقراء • وعندما نسمع مسؤولا امريكيا يقول: ان امكانية حصول العرب على ٥٠٠ مليار دولار كفوائض في آخر هذا القرن امر لا يحتمل ، وبالمقابل فان من المحتمل جدا ، والمرحب به أكبر ترحيب أن تقفز شركات البترول في أرباحها من أربعة مليارات عام ٧٣ الى عشرة مليارات دولار عام ١٩٧٤ • ولا بأس ان يدفع المستهلك ، وحتى الاوروبي نفسه ، ثمن الكثير ، كما يقال له أن يدفع ••• وأكثر من ذلك لوما أن تطالب البلاد المنتجة بتخفيض اسعار البترول باستمرار ، وبتهديد ايضا ، ولكني لم اسمع قط احدا طالب الشركات بتخفيض ارباحها • ويبدو ان احدا لم يسمع أن هذه الشركات كانت بائسة عندما كانت ارباحها أربعة مليارات ، فلماذا لا تكون اكثر سعادة الان ، وقد تضاعفت هذه الارباح مرتين ونصف المرة (١) •

غير ان هذا الكلام الاخير مجرد استطراد ، أحب أن أعود منه الى الموضوع الاساسي ،والموضوع الان هو اننا سنصبح عام ٢٠٠٠ في حدود المئتين وثلاثة وأربعين مليونا ، وستزداد بحدود ١٠٨ ملايين مواطن عربي جديد • فهل يقدر احد كم هو عدد الابنية التي ينبغي تشييدها لايوائهم • وعدد المدارس التي ستفتح لتعليمهم ، ومساحة الرقعة الزراعية التي ينبغي أن تضاف الى المزروع حاليا لاطعامهم ، وكمية الاقمشة التي يجب ان تنتج مجددا لالباسهم ؟ وطبعا لا ندخل في حسابنا حاجات كمالية اخرى كربطات العنق من نوع كاردن او ليونار ، أو كريستيان ديور ، أو ايف سان لوران ، او جاكيتات (وولم يفت) والعطور من نوع دوريسيمو او جاكرمو او فيجي او فيغر ، او ما يشبه ذلك مما أنعم الله به على السعداء •

ولربما كان من الافضل أن نزيد في التخصيص، وأن نقف في البحث على بلد واحد ، كسورية التي يدل كل شيء على انها ستصبح ثمانية عشر مليونا في آخر هذا القرن ، واذا تراجعنا وامرقنا في التدقيق ، كنا بالضرورة تجاه ستة عشر مليونا ، أي ما يعادل ضعف سكان البلاد حاليا العام • هنا ايضا نحتاج الى تكرار الاسئلة نفسها ، والبحث عن جواب او الاصح عن طرح هذا السؤال •

ولاقل اني شخصيا لم أجد او لم اصادف اي انسان طرح مثل هذا التساؤل • وقد نعثر شيء صحفنا على كل شيء ، بدءا من التحدث في الازياء لربيع عام ١٩٧٨ ، الى التعليق الخطير او التافه على آخر التطورات السياسية في المنطقة ، ولكن هذا الامر وحده ، أعني مشكلات المستقبل الاكثر من واضحة ، يظل في اطار الغموض والابهام والتجاهل ، حتى ليمكن الظن أن الناس لايعتقدون أبدا ، أنهم سيعيشون الى الغد ، بله الحياة الى آخر القرن •

(١) البترول في الساحة العربية • جورج سركيس • بالفرنسية ، ص : ١٢١ وما بعدها •

ما لم تقم القيامة

ومعذلك فاننا سنعيش، سنعيش حتما، ما لم تقم القيامة ، فتحل كل المشاكل دفعة واحدة . فاذا لم تقم هذه ، فالارجح ، والاغلب على الظن ، والاقرب الى المعقول ، هو اننا سنظل احياء ، لا في شخص فلان هذا ، او فلان ذاك ، ممن قد يموتون اليوم او غدا ، او قد يشهدون نهاية القرن ، ولكن كمجموعة سكان فيها عمران بدلا من عمر، وخالدان بدلا من خالد . واذن فلا بد للانسان المواطن بمقدار ما يتجاوز افقه مدى اليوم الواحد ، من طرح هذا السؤال : ماذا نعد لمجابهة مشكلاتنا منذ الان ، حتى اخر هذا القرن ؟

وهناك موقف عفوي نقفه دوما ، هو الموقف الذي يلاحظ أن مواطني العراق مثلا ، عام ١٩٣٠ ، لم يفعلوا شيئا خاصا لمجابهة مشكلات عام ١٩٥٦ ، واغلب الظن انهم لم يتوقعوا قط انهم سيتضاعفون اكثر من مرتين . وكذلك هي الحال في مواطني عام ١٩٥٦ . فهؤلاء كغيرهم لم يتوقعوا انهم سيكونون بعد عشر سنوات فقط اكثر مما كانوا بمرة ونصف المرة (كانوا عام ٩٥٦ ، ٢٥٠ر٦مليون نسمة ، واصبحوا عام ٩٦٧ ، تسعة ملايين نسمة) . ولا خطر ببالهم انهم خلال ٣٧ سنة سيتضاعفون ثلاث مرات . واذن فلم تشغل بالنا بهموم حثثت دوما دون اي حساب للمستقبل ، او توقع له ، أو تنبؤ به ؟

وليس هذا الموقف بالمتخلف ، بالضرورة ، اذا كان التخلف هنا يعني صدور الراي عن جماعة المتخلفين ، ذلك ان بين وجهاء المتقدمين من يقول مثل هذا القول ويكرره دوما ، على غير جهل بما سيكون عليه العالم من كثرة سكان في العام ٢٠٠٠ وعلى غير ذهول عن ان الستة المليارات التي ستعيش على سطح الارض عام ٢٠٠٠ ستكون اربعة اخماسها ، على الاقل ، من الفقراء والمعدمين والمعوزين ، ممن جرت العادة على ان يكونوا كثرا كالرمال في الصحراء ، فهم يظنون ان البشرية وجدت دوما سبيلها الى الحياة في الماضي ، وستجده كذلك في المستقبل ، بالصورة نفسها ، وانه لامجال للعودة الى المالتوسية القديمة او الجديدة ،لاسيما اذا لاحظنا ان العلم ماض الى الامام بسرعة متزايدة والبحوث متصلة لا تنقطع ، والحاجة الاكبر اليوم هي حافز اضافي لتسارع النمو العلمي ، فليس من الخير اذن ان نشغل بالنا بهموم سابقة لاوانها ، اذ لكل حادث حديث .

لسنا اقوياء في الواقع

غير ان هذا الموقف يظل متخلفا ، ولو صدر عن متقدمين ، ذلك ان الدوائر المسؤولة رسميا عن مصير العالم ، كالامم المتحده ، ومنظمةالزراعة والاغذية ــ الفاو FAO ورجال نادي روما ، وأمثالهم ، لا يفتأون يقدمون التقرير بعد التقرير، والدراسةبعد الدراسة(٢) منذرين بما يتهدد العالم من اخطار ، اذا لم ينتبه اهله لما سيحل بهم في المستقبل القريب وما سيحل بوجه خاص بالامم المتخلفة التي لا تفتأ الهوة بينها وبين الامم المتقدمة تزداد اتساعا كانهما فرسا رهان ، ولكنهما تتسابقان في اتجاهين متباعدين او متعارضين ،بحيث تقول الواحدة للاخرى : انظري لم اتقدم .وتقول الثانية : انظري كم اتخلف عنك . ولا اذكر الا على سبيل المثال حساب ميهاجلوزيرافيك ــ صاحب تقرير او كتاب « استراتيجية للغد » ، وهو التقرير الثاني المقدم الى نادي روما الذي يلاحظ ، طبقا لسيناريو تطور محتمل جدا ، ان الناتج الوطني العام للامم المتقدمة سيكون عام ٢٠٢٥ ثمانيةالاف مليار دولار ، مقابل الفي مليار لكل الامم المتخلفة، اي ان ما هو سدس او اقل من سدس سكان الارض ، سيربحون اربعة امثال خمسة الاسداس الباقية . وليس هذا بغريب قط اذا كنا نعرف ان الولايات المتحدة التي تقدر بنسبة ٦٪ من سكان العالم ، تنفق ٣٥٪ من الطاقة المتوفرة فيه الان ، فضلا عن ان مستوى دخل الفرد فيها يزيد خمس عشرة مرة عن متوسط الدخل في الوطن العربي .

والمشكلة الكبرى هنا ، هي ان العالم المتقدم مسلح باعظم العلم والتقنيات لمواجهة مشكلاته ــ وحقا ان نيكسون ، هو اول من تحدث رسميا عن

---

(٢) صدر عن نادي روما اكثر من تقرير نشرمنها بالعربية في سورية تقريران احدهما بعنوان: عناء من نوع آخر ، والثاني بعنوان استراتيجية للغد .

أزمة الطاقة في العالم ـ وان العالم المتخلف مسلح هو الآخر ، ولكن بأقل العلم ، وادنى التقنيات ، لا لحل مشكلاته او بعضها ، ولكن لزيادة تعقيدها احيانا ، والا فما الذي يجعل احد الاثنين يتقدم ، بمقدار او بأكثر مما يتخلف الآخر ، ولا يعني هذا ان العالم الفقير لا يتقدم ابدا ، ولكن يعني ان خطوات المتقدمين اكبر واسرع ، مما يجعل الفارق بينهما متزايد الكبر ٠ أو لا يلاحظ كل منا ان معاملنا للزجاج أو الاحذية أو الاسمنت تربح بصورة ، وامثالها في البلاد المتقدمة تربح بصورة اخرى ، حتى ليمكن القول ، ان معاملنا تخسر دوما ، والاخرى تربح دوما ،او ان الريعية ضعيفة دوما عندنا ، كبيرة لدى الاخرين ، كان قرشنا ليس الا ثلث القرش في البلاد الذكية ؟ بل الا نلاحظ أن انشاء مشروع ما في بلادنا يكلفنا دوما اكثر مما يكلف في البلاد التي تقدمه لنا ؟

ولقد يقال اننا أغنياء بالعوائد البترولية ٠ وحقا فان هذه بلغت لاول مره عام ١٩٧٤ رقما قياسيا بالنسبة للارقام السابقة ، فاصبحت في حدود الـ ٦٢ مليار دولار ، ولكن لو اننا اضفنا الى الثروة الوطنية العادية ، لما ارتفع دخل العربي الى اكثر من ٧٤١ دولارا وبالمقابل فان صادرات المانيا الى الخارج في العام نفسه اربت على التسعين مليارا ، واربت صادرات اليابان عام ١٩٧٦ على الثمانين مليارا ، واذا عرفنا ان عوائد البترول العربي لم تعادل عام ٧٤ الا ٢٢٪ من موازنة امريكا و ٥ من انتاجها القومي و ١٤٪ من انتاج اليابان ، وان مجرد وصل بلاد الخليج والسعودية واليمن بالبحر المتوسط ، بشبكة من المواصلات البرية يكلفنا مئة مليار دولار ، على ما يقوله كتاب البترول في الساحة العربية ، اذن لعرفنا ما هي ثروتنا اذا قيست بثروات الاقطار الغنية ٠

★ ★ ★

والخلاصة : ان مشكلة تزايد السكان في الدنيا مشكلة عالمية ، لنا منها نصيبنا ، وهو نصيب غير قليل بالقياس الينا لا سيما اذا جمع اليها ما نقاسيه من اسرائيل ٠ ولا يمكن القول : ان العالم في كل زمان ، سيعرف كيف يحل مشكلاته، بصورة تلقائية ، على مثال ما حدث في الماضي٠ ذلك ان الدنيا تبلغ حدا من الاشباع السكاني يتجاوز قدرتها على تلبية حاجاته من الطعام والشراب واللباس والطاقة ٠ وكلما هبطنا في سلم الحضارة كانت مشكلاتنا اعظم ، ومخاطرها اكبر ، ومع ذلك فان الخطر الاكبر ليس في وجود المشكلة ، خطيرة كانت ام غير خطيرة ، بل هو في عدم القدرة على تبني المشكلة ، وملاحظة ابعادها ، تماما كما لو انها غير موجودة ٠

وكل هذا ونحن في مشكلة واحدة ، هي مشكلة السكان ، فكيف اذا اضفنا اليها مشكلة كسب الحضارة ومشكلة اسرائيل ، ان لم نضف مشكلات اخرى ، من الف نوع ؟ ولئن صح في الماضي انهم كانوا يحلون مشكلاتهم بصورة عفوية ودون تفكير مسبق ، واعداد معقول ، فلا ريب ان حلولهم هذه هي التي ساقتنا الى عالم ، لا نظن انه كله زهر وورود ، بل ان من الناس من يظن ان اشواكه اكثر من وروده ، وحنظلة اكثر من عسله ، فهل يعقل ان نستسلم للعفوية مرة اخرى ، بعد ان تعقدت المشاكل تعقيدا كبيرا وبلغت اكثر من النقطة الحرجة ؟ انا اذن لاكثر من متفائلين ■■

دمشق ـ د٠ حافظ الجمالي

المستكشف !

● طور المهندسون في بانفور بشمال ويلز جهازا اليكترونيا يلصق بالخراف وبامكانه أن يكتشف التائه منها وتحديد مكانه با ضبط في الوقت الذي يجلس فيه راعيها بالقرب من نار دافئة ٠

أقوال معاصرة

■ ليست هناك رقابة قوية على الصحف في ايران ، لكننا نوجه الصحف الى ما هو في مصلحة البلاد ·

الشاه محمد رضا بهلوى

■ قال الجنرال عزرا وايزمان وزير الدفاع الاسرائيلي انه لم يكن يعلم بان القنابل العنقودية التي استخدمت في جنوب لبنان محرمه دوليا !

مجلة نيوزويك الامريكية

■ غريب امر هؤلاء الذين ينصحون اهالي الجنوب النازحين بالعودة الى مناطقهم · انني اقول لهؤلاء لماذا لاتذهبوا معهم ؟

الزعيم اللبناني ريمون اده



■ المظاهرات التي اندلعت في مانيلا بعد اعلان نتائج الانتخابات كان يقودها أشخاص مخدرون !

الرئيس الفلبيني ماركوس في مؤتمر صحفي



■ مراكز القوى التي تحكم امريكا لم تعد امريكية . والشعب الامريكي يحتاج اكثر من الشعب الفلسطيني الى من يعترف بحقوقه المشروعة ·

نزار قباني

■ لاننا ندعم الفلسطينيين ، فقد اتهمونا بمساندة الارهاب الدولي ، وبعض العرب صدقوا هذا الزعم للاسف ·

الرئيس الليبي معمر القذافي



■ اشترى السويديون ٥٠٠ طفل من تايلاند في عام ٧٧ ـ احصائية!

صحيفة « بانكوك » اليومية

■ يجب ان نكون مستعدين للرد على المطالب الموجهة الينا بكلمة واحدة ، صغيرة ، وعظيمة ، وهادئة ، هي « لا » ·

مناحيم بيجن رئيس وزراء اسرائيل



الصحة

هي المريض الأول في الوطن العربي !

بقلم : الدكتور سعيد عبده

طالما ظل هذا الجهل بحقيقة مشاكلنا الصحية ، فسنظل ناعمين بسكينة الجهل ، وتحت ظله الظليل .

■ حين اقارن بين الحالة الصحية لكثير من بلاد الشرق العربي الان وبين ما كانت عليه منذ خمسين عاما اجد بعض الظواهر الداعية للاستغراب ...

فالذي كان شائعا من الامراض بالامس لا يزال شائعا حتى الان !

والامراض التي كانت تقتل بالامس لا يزال كثير منها قاتلا حتى اليوم ، ربما بشيء طفيف من التغيير .

ولقد اضيف لقائمة الامراض البدنية قائمة اخرى من الامراض العقلية لم يكن احد بالامس يوليها الكثير من الاهتمام ، فتنبهت لها السلطات الصحية اليوم بقسط من الفزع والانكار ، دون اتخاذ

خطوات فعالةلمنع بذورها من الانغراس اثناء الطفولة في عقول الاطفال .

اما التغيرات الصحية الضخمة التي حدثت في كثير من البلاد العربية فهي تنحصر في مجالين : الاول : نقص وفيات الامهات والاطفال وما ترتب على ذلك من زيادة في طول الاعمار ، ثم انهزام بعض الامراض المعدية الخطرة ، التي امكن التغلب عليها بالتحصين الاجباري كالجدري،أو بالتغلبعلى اداة العدوىفيها كما هو الحال فيهزيمةالملاريا في بعض البلدان .

الثاني : ميزانيات وزارات الصحة التيكانت تقدر في البلد الواحد بعدة الوف من الجنيهات،تصاعدت الى اعلى باجنحة شياطين ، واستحالت ارقام الالوف فيها الى مئات الملايين ...

ونتج عن ذلك :

تنافس كبير في اقامة المستشفيات الضخمة في البلدان العربية الغنية ، بزيادة هائلة في عدد الاسرة ، وفي اجهزة التشخيص ومختبراته ، وفي النصيب من المال المستهلك في شراء الالوف من الادوية والعقاقير .

ثم زيادة كبرى في انشاء عدد من المراكز الصحية في الريف حتى لا يقال ان الخدمات الصحية رهن بالمدن والعواصم،في حين يحرم منها الريف الشاسع لاغلبية المواطنين ..

يضاف الى ذلك اهتمام بالغ بالدعاية الصحية بمختلف وسائل الاعلام ، ولا اقول التربية الصحية، فان الفارق بين الاثنين كالفارق بين سمكة وبين شبكة صياد !

وفي المؤتمرات الطبية العربية ، وفي مؤتمرات وزراء الصحة وفي وزارات الصحة نفسها ، اخذت كلمة «الوقاية» تبرز ، محاطة بهالة من الضياء.. بل ان بعض وزارات الصحة في بعض البلدان العربية ، عينت في مراكزها الصحية اطباء للوقاية يعملون بجوار زملائهم اطباء العلاج .

والوقاية والعلاج - كما سنرى - لا ينفصلان.

عملية اسكات !

ان اكثر ما يقال عن الوقاية ، واكثر ما يخصص لها كشيء مستقل عن الطب من نفقات ، لا يقصد به على قدر علمي وجه الله ، ولا وجه الصحة العامة ، اى صحة المجموع ، لا صحة القلة من الناس الذين يترددون على المستشفيات ولا وجه الطب الوقائي الحقيقي او طب المجتمع كما يجب ان يكون. وانما يقصد به اسكات الاصوات التي بدأت تتعالى من هنا ومن هناك ، في المؤتمرات الطبية الدولية التي عقدت تارة في طهران ، وتارة في بغداد وتارة في القاهرة واخرى بالاسكندرية او في الخرطوم ، داعية الى وجوب تطوير التعليم الطبي ، وبعبارة اصح تطوير من تنتجهم الكليات الطبية من اطباء علاجيين الى اطباء مجتمع ، يواجهون الحاجاتالصحية الحقيقية للمجتمع،بعد ان يدرسوها ويدرسوه ، ويدربوا على العمل مع قادة الرأى في هذه المجتمعات ، لتصفية او تغطية هذه الحاجات،التي منها بالضرورة الحاجة الى التداوى والعلاج .

واحب ان اقطع هذا التسلسل لحظة ، لاقول ان المرض - اى مرض يبدأ صغيرا في البيئة التي يعيش فيها المريض ، نتيجة لعشرات من التفاعلات بين العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ثم بين هذه العوامل وبينالانسان ، فاذا بدا المرضبدأ صغيرا كالفروجالصغير ، اقل القليلمنالدواءيقتله في المهد ، فاذا أهمل بدأ يتطور ويكبر ، واذا أهمل اكثر بدأ يستفحل وقد يزمن ، وقد يستعصى على العلاج ، وقد يشرق بصاحبه على الهلاك ... وهو في هذه المراحل المتاخرة يصبح من حيثالعلاج كالدجاجة العتيقة لا ينضجها حتى طول البقاء على النار ... وكثيرا ما يضطر علاجه في هذه المراحل المتاخرة الى كثرة التردد على عيادات الاطباء ، وعلى المستشفيات ، ويستهلك علاجه - على غير طائل - ابهظ النفقات .

طب وطب

ان هذه الظاهرة جعلت التعليم الطبي الحديث فيغير بلادنا يهتم بتعليم الطالب ، الطب والصحة

بمفهومها الجديد ، من حيث انهما وجهان لعملة واحدة ، ومن حيث انهما ليسا اداتين للخلو من الامراض بقدر ما هما اداتان :

اولا ـ لزيادة القوى قوة والصحيح صحة ، وذلك لرفع الطاقات الانتاجية للبلاد .

وثانيا ـ لتوقي ما يمكن توقيه من الامراض بشتى الطرق لحماية الناس من وبال المرض ، ولتقليل التعطل باسم المرض عن اداء الاعمال .

وثالثا ـ لاكتشاف المرض في بدايته ، وادراكه بالعلاج الحاسم السريع،ولن يتاتى ذلك الا بالعمل في المجتمع،ومعه للفحص عن الامراض في بواكيرها والبحث معفادة الراي فيه عنمصادر المرض ومانيه، لمداواة ما يمكن مداواته منها وتصحيح ما يمكن تصحيحه ، وتخفيف ما يمكن ان يعالج من شرها بالتخفيف .

هذا طب لا عهد لنا به في بلادنا لسوء الحظ ، اما طبنا فهو مرحلة رابعة لهذه المراحل الثلاث ، وهي الجلوس في المستشفيات والمراكز ، وانتظار المرضى حتى ياتوا الينا من تلقاء انفسهم ، وهم عادة لا ياتون الى المستشفيات والمراكز الطبية ، الا بعد ان يكونوا مارسوا كل انواع العلاج ، ويئسوا منها وتركوا المرض يستفحل في اجسامهم ويزمن ، ويحتاج الى سرير المستشفى والى اغلى الادوية ، ربما عدة اسابيع ، لا ليتشفى ، ولكن ليتحسن ويغادر المستشفى ، ويعود الى البيئة المريضة ثم يستانف التردد على المستشفى من جديد .

ان هذا الطب اذا قورن بسابقه طب استهلاك يقارن بطب انتاج ...

انه طب فاشل ، باهظ النفقات ، غير مأمون العواقب ، باعث للمريض على التردد على عيادات الاطباء ، وعلى المراكز الطبية وعلى المستشفيات عشرات المرات في كل عام .

انه اصل علة وزارات الصحة في بلادنا العربية، وهو « البالوعة » التي ينزف فيها كل مئات الملايين من الدنانير كل عام

وهو النتيجة الحتمية لنوع من التعليم الطبي تتمزق فيه الفلسفة الموحدة لفكرة الصحة والطب الى وقاية وعلاج ، ثم يتمزق العلاج نفسه الى عشرات من الفروع لا علاقة لاى منها بالمجتمع ، ولكن كل علاقتها باسرة المستشفى ومن يرقد بها من الفئة المختارة من الناس .

وشهد شاهد من أهلها !

« يقول الدكتور مصطفى وجب النعمة عميد كلية الطب بجامعة طب البصرة في كلمة افتتاح حلقة دراسية عن التعليم الطبي ووسائله وطرق التقييم فيه ... بعد ان تحدث عن الانفصام بين التعليم الطبي وبين المجتمع :

« ان فروع الطب العلاجي المختلفة يتبارى كل فرع منها مع الفروع الاخرى في تعبئة ذهن الطالب فكل ما يعرفه عضو هيئة التدريس من حقائق ونظريات حول تشخيص كل الامراض وعلاجها ، حتى ليبدو ان كلا منهم يريد ان يجعل الطالب متخصصا في مادته ، ويتعدد هذه المواد والفروع ، يواجه الطالب فيحياته بنسبة منالحقائقوالنظريات لا يمكن ان يعرف طريق قدميه فيها !

ولقد انبنى على هذا ان الطبيب حين يتخرج يواجه في المجتمع بنوع من المرضى لا يعرف عن حياتهم شيئا ، ولا هو تعلم كيف يدرس هذه الحياة ، ولا كيف يتبين فيها الاسباب البيئية والاجتماعية التي يتفاعل بعضها مع بعض ، ثم مع الناس ، فينشا عن تفاعلها معهم نوع بذاته من الامراض .

وكجندي يواجه بعدو لايعرف عنه شيئا ، يلقى السلاح ، ويمارس الطب بقدر كبير من الجهالة العمياء التي مارسه بها عشرات من أجيال الاطباء لكل مريض منهم دقيقة او دقيقتان ، ولا يحميه من اعقاب هذه الطريقة الفاضحة الا شدة ايمانالناس بالاجل المكتوب ، وتلك الرخصة التي يحملها بانه عضو في نقابة الاطباء .

ان الدواء يوصف للمريض في هذه الاحوال خبط عشواء ... من يصب يمته ! .. ومن

يخطيء ، يعد الى المركز الطبي او المستشفى من جديد ليكلف الدولة قسطا اخر من النفقات .

هل من مفر !

نعم... ان المفر موجود ، وهو يبدا من بداية اعداد الطبيب ، اى من بداية التعليم الطبى ، ولكن قبل ان اتحدث عن اعداد طالب الطب ، احب ان اعطى صورة موجزة عما يفعله طبيب المجتمع ، الذى يمارس طبه على اساس الصحة الموحدة ، ذات المستويات المتوالية .

ان هذا الطبيب يحصى اولا عدد السكان الذين قدر عليه ان يرعاهم ، فى قرية ما او فى حي محدود ، ثم يحصى عدد الاسر التي ينتمون اليها ، ويحاول ان يقوم بعمل مسح صحي شامل ، لا فراد كل اسرة ، ويسجل فى بطاقة كل منهم ما وجد ، ويبدأ بعلاج ما اكتشف من امراض ، ثم يعيد المسح بعد فترة تقصر او تطول حسب الظروف ، ثم يتواترا الفحص دوريا ... وبعد مسح او مسحين تصبح الامراض المكتشفة عادة فى بداياتها وتقل الامراض المزمنة والمستعصية على العلاج الى حد كبير ، ويتناقص المرضى الذين كانوا يترددون على الطبيب معانين من هذا النوع من الامراض ، بعضهم ينطوى تلقائيا فى عملية المسح العام ، وبعضهم يتخطفه الموت .

ثم ان هذا الطبيب يفحص عن البيئة وسماتها ثانيا ، مشتركا مع قادة الراى فى المجتمع ، ومع زملائه العاملين فى الحقول الاخرى للتنمية الاجتماعية كالمدرسين والزراعيين والمتخصصين الاجتماعيين ، وعن طريق الندوات المنظمة واللجان المنظمة يجدون انهم يعملون عمل فريق متكامل نحو هدف واحد هو تنمية المجتمع ، التى تلعب الصحة فيها دورا خطيرا لا من حيث انها اداة لرفع معدل الانتاج فحسب ، ولكن كذلك من حيث ان الطب العلاجى فيها يصبح حافزا لهذا المجتمع العامل ، للوصول الى كثير من الغايات .

وعن طريق اشتراك الناس فى الفحص عن مشاكلهم الصحية والبحث عن طرق لحلها يجد الطبيب انه يقوم بدور ثالث فى مجتمعه وهو التخطيط مع الناس لحل مشاكلهم ، وتحديد اسبقياتها وارسال الخطة التي ربما تكون غنيمة الى المستوى الصحى الاعلى ليعيد النظر فيها ، ويهذبها ، ويمدها ببعض المساعدات ويعيدها الى اصحابها لتنفيذها فى الوقت الذى حددوه ، ولتقييم ما اصابوا من نجاح او اخفاق ... وعن طريق التجربة والخطا يتعلم الطبيب كما يتعلم قادة الراى فى المجتمع ما لايمكن ان يتعلموه من افلام السينما ، ولوحات الدعاية ، وكلام تجار الكلام .

ان مزايا ممارسة الطب على هذا المنوال متعددة منها :

★ معرفة كل الامراض الشائعة فى المجتمع وتحديد اسباب الوفاة ، وهي معرفة تنقص كل بلادنا العربية ، وهذا النقص رغم الميزانيات الضخمة لوزارات الصحة هو من دواعى الخزى والعار ... وطالما ظل هذا الجهل بحقيقة مشاكلنا الصحية ، فسنظل ناعمين بسكينة الجهل ، وتحت ظله الظليل .

★ تحويل الطب من طب استهلاك الى طب انتاج .

★ توفير كثير من اسرة المستشفيات ومن الادوية والعقاقير التى تنفق الان على علاج امراض مزمنة او مستعصية على العلاج .

★ توجيه جزء أكبر من ميزانيات وزارات الصحة الضخمة الى تحسين البيئة ، ومكافحة اسباب الامراض فيها ، وتوعية الناس توعية صحية ، تعمل فعلا على تغيير مفاهيمهم السليمة عن الصحة الى عادات مستحسنة ، وانماط طيبة من السلوك .

★ ازالة الجفوة القائمة حتى الان بين بعض الناس ، وبين المراكز الصحية والعلاج .

مربط الفرس

قلت ان هذه العملية في المجتمع لا يمكن ان يقوم بها الا طبيب تدرب عليها وهو طالب .

وهنا مربط الفرس ... هنا السر فى تلك الصرخات المتعددة التى تطالب الان بتطوير التعليم الطبى وانتاج نوع جديد من الاطباء .

ان المطلوب من طالب الطب ان يتفقه دراسة

الامراض الشائعة في بلاده ، وعددها دائمامحدود، وان يترك دراسة ما عدا ذلك للمتخصصين ...

★ أن تكون هذه الدراسة اغلبها في المجتمع نفسه ، وتحت اشراف معلميه « المدربين » حيث يتعلم عملية المسح الشامل والدوري واكتشاف الامراض في بدايتها . وحيث يعرف العوامل المتعددة التي تشترك في احداث الامراض بالبيئة. ان يتعلم كيف يشترك مع قادة المجتمع في العمل والتخطيط والتنفيذ ، والعمل مع ممثلي التنمية العامة كما يعمل العضو في فريق متكامل ، لا كما يعمل لاعب الكرة الطائش الذي يلتقط الكرة ، ويركض بها الى مرمى الخصوم .

★ ان يتعلم الطالب ان المعاملة مع الاصحاء ، لزيادتهم صحة ، رغم قلة نفقاته يعود على الدولة وعلى المجتمع بابرك الثمرات .

★ وسيبقى له الجزء الاقل من تعليمه ليتعلمه في المستشفيات وحول عدد محدود من الامراض .

عودة الى البصرة

واعود الى عميد كلية طب البصرة وكلمته في افتتاح الحلقة الدراسية المشار اليها انفا ..

لقد اجمل مطالبه من الحلقة في ثلاثة :

الاول ـ ان تحاول الحلقة قدر طاقتها الفات النظر الى وحدانية الهدف في الدراسة الطبية ، وهو تخريج طبيب يعرف عن حاجات المجتمع ومشاكله مثلما يعرف عن الفرد وما يعانيه من الامراض ، ويدرك ان الفرد ليس شيئا كبيرا في ذاته ، وان كان يكبر بقدر ما يصبح مفتاحا للمجتمع الذي يعيش فيه .

الثاني ـ ان تضع الخطوط العريضة لتعاون فروع الطب المختلفة . لان هذا التعاون هو القادر على جعل الصحة الاجتماعية تغمر بضوئها الباهر كل المعارف والنشاطات الطبية ، وتفتح طريقا ذهبيا للبحث العلمي الذي لا يزكو في تعليمنا الطبي الحاضر بالقدر الذي نريد .

الثالث ـ ان تجعل من توصياتها توصية لفروع الطب العلاجي ... ان الطالب لا يمكن ان يعي كل تفاصيل التشخيص والعلاج لاكثر من الفي مرض يضمها بين دفتيه اي كتاب طبي عام متواضع، في حين انه لن يحتاج في مستقبله لاكثر من مائة من هذه الامراض ، ان لم يكن اقل ، وهي الامراض الشائعة في المجتمع الذي سيعمل فيه ... ولان يتقن التعامل مع هذه المائة من الامراض خير من ان يغرق في ذلك الخضم الهائل الذي هو غارق فيه الان .

وتلك هي اقوى جذور المشكلة .

تلك هي اشد العلة المزمنة التي تعاني منها وزارات الصحة في البلاد العربية ، فتستحيل بفعل عصيها المهلك من وزارات انتاج الى وزارات استهلاك .

ولكي يمكن استئصال هذه الجذور والاصول يجب ان يعالج اساتذة الطب العلاجي في الكليات الطبية بالبلاد العربية ، ليتخلصوا من تلك النغمة التي يرددونها باستمرار كانها لثغة في السنتهم « انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون . »

يجب ان تقطع الوشيجة التي تربط هؤلاء الاساتذة بذلك الجدار الهائل الذي يستندون اليه ... جدار الاغلبية المطلقة في مجالس الكليات الطبية .

ولكي يتم هذا العلاج وتقطع هذه الوشيجة لا بد من ... ثورة !

ثورة على الطب الراهن تهدف الى علاج « الصحة » المريضة في كل البلدان العربية ، رغم ما ينفق عليها من مئات ملايين الدنانير والجنيهات.

والثورة تحتاج الى نفسيات ثوار ، واقلام ثوار.. لكي تستطيع تغيير هذا الاطار البالي للطب الذي تبنيه وارضعته وكفلته عشرات من اجيال الاطباء.

فهل توجد هذه الثورة ؟ وهل تنجح ؟ وحتى تصح « الصحة » ؟

علم ذلك كله عند الله ...

وليس علينا ولا على ابنائنا ـ وقد يكونون اسعد منا ـ الا الانتظار !

د . سعيد عبده



٤٨ ساعة فى قطر

حول ندوة المسرح الوطنى

بقلم : الدكتور على الراعــى

فى الدوحة كــانت هناك اكثر مــن مفاجأة •
عرفــت ان النشــاط المســرحــى موجــود !

■ ذات صباح تلقيت دعوة مـن دولة قطـر ، للمشاركة فى ندوة عن المسرح العربى ، تعقدها ادارة الثقافة والفنون التابعة لوزارة الاعلام بدولة قطر • كانت الدعوة مفاجأة لطيفة لى لاكثر من سبب ساعددها جميعا فيما بعد •

أخذت أتامل الدعــوة ، وثمة عواطــف مختلطة تجيش فى نفسى • قد صار لى فى الخليج خمس سنوات ، ولم ابرح حدود الكويت• منذ عامين وصلتنى دعوة مماثلة من البحرين،ولكن ظروف عملى بالجامعة حالت دون تلبية الدعوة• ترى : هل يكون مصير الدعوة القطرية هو : اضطرارى للاعتذار •

قررت ان ابذل جهدا خاصا كى اسافر الى قطر • وساعدنى ان الدعوة وجهت الى فى اوائل يناير ، موعد السفر حدد بيوم السادس والعشرين من مارس • وقد اعطتنى هذه المهلة المناسبة ، الفرصة كى اشرح الدعوة لادارة الجامعة واحصل على اذن بقبولها •

وقلت فى نفسى ، لاريب ان الاستاذ ناصر آل عثمان ، الذى وجه الى الدعوة باسم ادارة الثقافة والفنون ، قد راعى فى تحديد يوم السادس والعشرين من مارس بالذات ، اناليوم التالى له هو : يوم ٢٧ مارس ، اليوم العالمى للمسرح ، الذى تفتح فيه ابواب المسارح مجانا للمتفرجين فى جميع الدول الاعضاء فى هيئة المسرح العالمى التابعة لهيئة اليونسكو •

وقلت لنفسى مرة اخرى : ايكون فى قطر نشاط مسرحى لم اسمع به؟ اتكون قطر واحدة من الدول العربية الكثيرة التى انضمت الى الهيئة العالمية للمسرح ؟

والسؤالان هامان بالنسبة لى ، حيث اننى اوشكت على الانتهاء من كتاب شامل عن المسرح

فى الوطن العربى ، بتكليف من منظمة الثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية • فلو ان هناك نشاطا مسرحيا فى قطر لوجب على ان الم به فورا ، وافرد له فصلا فى الكتاب •

العملاق المقطع الاوصال

حان موعد السفر ، ووجدتنى اجلس فى الطائرة الى جانب الفنان المسرحى المعروف : سعد اردش ، الذى تلقى هو الاخر دعوة مماثلة• وكنت اعرف مسبقا اننا سنلتقى فى الدوحة الباحث المسرحى المعروف : الدكتور محمد يوسف نجم ، الذى يشاركنا فى الندوة •

بعد خمس واربعين دقيقة هبطت الطائرة فى مطار البحرين • ثم حلقت الطائرة ثانية من البحرين متوجهة الى قطر فبلغتها بعد عشرين دقيقة فقط ! دائما يستفزنى قرب المسافات بين اقطار الوطن العربى الى التطلع والتساؤل •

فى زيارة للشمال الافريقى فى الستينات استفزتنى حقيقة اخرى ، هى ان فى وسع المواطن العربى فى مصر ان يستقل سيارة ويمضى بها عبر الساحل الجنوبى للبحر الابيض حتى يصل المحيط الاطلنطى ، فسوف يجد ارضا عربية تمتد لاكثر من ثمانية الاف كيلومترا ، لايفصل بينها اى فاصل طبيعى او حاجز صناعى ، واهلها جميعا يتكلمون العربية : تشغلهم اهتمامات متماثلة ، وتؤرقهم هموم واحدة ، وتنير الطريق امامهم نفس الاحلام •• !

يومها سميت الوطن العربى المتجزىء هذا : « العملاق الراقد ، المقطع الاوصال » • فماذا اقول اليوم عن التجاور « الحميم » بين بلدان الخليج ؟ لن اقول شيئا ، وانما ساسمح لنفسى بان احلم • والاحلام حق لكل الناس ! ساحلم بان تتكتل هذه الدول الخليجية بشكل ما من اشكال التكتل ، يجعل قوتها اعظم ، وصوتها اعلى ، ويخلق فيها للاقطار الاخرى فى الوطن العربى ، ظهيرا ونصيرا • انتهى الحلم !

آلام الولادة المسرحية

فى الدوحة كان ينتظرنى اكثر من مفاجأة • عرفت ان النشاط المسرحى موجود فى قطر ، وانه ـ الى جوار هذا ـ قد عرف الالام التى تصحب الولادة المسرحية عادة ـ الام الاختلاف فى الراى مع الرقابة • وعرفت كذلك ان مسرحا جديدا يجرى بناؤه الان فى الدوحة ، وسوف يكون مجهزا بكل ما هو مستحدث فى فن بناء المسارح •

وتبينت ان قطر لا تهتم بفن الكلمة الدرامية وحدها ، بل هى تتطلع الى باقى فنون الاداء • كان بين مستقبلينا فى ادارة الثقافة والفنون ، الفنان المصرى سامى يونس ، احد نجوم الفرقة القومية للفنون الشعبية فى مصر ، وهو راقص ومصمم رقصات ، ومدير فنى • وهو الان يرعى براعم قطر فى حقل الرقص الشعبى •

قال لى سامى : ان اقبال القطريين ، بنين وبنات ، على الفرقة قد اثار دهشته • وقال : انه لم تقم صعوبة ما فى وجه الفتيات اللاتى رغبن فى الانضمام الى الفرقة الوليدة • واضاف ان كلهن قد حصلن على موافقة كتابية من اولياء امورهن بالاندماج فى هذا الجهاز الفنى الفاتن ، الذى يعبر بغير كلام عما يدور فى اغوار النفس العربية ، اينما وجد •

وتذكرت ما فعلناه نحن فى مصر منذ اوائل الستينات • انشانا الفرقة القومية للفنون الشعبية على اسس علمية معترف بها فى العالم كله ، واخذنا فيها بمبدأ ان نجم الفرقة هو الفرقة كلها• وان من يمتاز من اعضائها انما يمتاز من داخل عمله فى الفريق • ولهذا صمدت لكثير من الاعاصير ، اولها هب عليها حتى قبل ان تولد ، هب بتحريض من بعض الطامعين الذين كانوا يودون لو اقتسموا فيما بينهم رقصات الفرقة ، وادمجوها فى عروض لهم كانت تتعثر !

وكبرت الفرقة ، وجابت بلادا كثيرة فى العالم• ثم ما لبثنا ان سمعنا ان العراق يكون فرقته الشعبية الراقصة ايضا ، وانه اسماها : الفرقة القومية للفنون الشعبية ـ الاسم نفسه الذى اخترناه لفرقتنا واصررنا عليه • رغم تهكم احسان عبد القدوس على الاسم ذات يوم ، ونصحه لنا بان يكون فى مصر اسم : « فرقة رضا » • وفات احسان عبد القدوس ان الاسم يمثل وجهة نظر مختلفة تماما من وجهة نظر الذين سموا فرقتهم :

فرقة رضا . هذه نظرة جماعية للعمل ، وتلك نظرة فردية . نحن لا نعتمد النجوم ، وهم يأخذون بمبدأ النجومية !

ثم جاءت ـ من بعد ـ فرق شعبية راقصة كثيرة : في السودان ، وليبيا ، وتونس ، والجزائر، والمغرب ، والاردن . وهذه هي قطر تحتضن الفكرة نفسها ، وتتوق الى ان تحقق في ميدانها نصرا يدعم فيها دولة الفنون !

مع الطيب صالح

وكنا نتناقش في مكتب الاخ الاستاذ ناصر العثمان ، حول النقاط التي سوف تتناولها الندوة في المساء ، حينما رن جرس التليفون ، واذا بالمتكلم الروائي السوداني المعروف : الطيب صالح ، صاحب العملين المرموقين : « الهجرة الى الشمال » و عرس الزين وغيرهما .

وعرف الطيب بوجودنا ، فاصر على دعوتنا للغداء في النادي البحري الفخم الذي بني في قطر حديثا .

ودار الحديث بيني وبين الطيب صالح رضيا نديا ، كأنه هو الطيب صالح نفسه ! كنت قد تعرفت على فن الطيب الروائي ، حين نشرت له دار الهلال بالقاهرة باشراف رجاء النقاش روايته الفائتة : « موسم الهجرة الى الشمال » ، التي اثارت ضجة واستحدثت حدثا ادبيا لدى ظهورها . لم نكن قبل النشر نعرف الطيب صالح ، فلما عرفناه قلت لاصدقائي من الادباء، من الواجب الان اعادة ترتيب البيت الروائي ،فثمة اعمال كانت تتقدم، وقد وجب الان ان تتاخر كي يشغل فن الطيب صالح المكان الجدير به في مجموعة الاعمال الكبيرة. ثم خرجت من بعد رواية الطيب صالح الثانية : « عرس الزين » ويومها فتنت بهذا العمل فتونا واستخفني الطرب ولم استرح حتى انتهيت من كتابة مقال نشرته مجلة الهلال ، تناولنا فيه الرواية بالتحليل.وقلت ان الطيب صالح لايصف فيها شعبه السوداني الذي يحب وحسب ، بل هو يقعد مع افراده على الارض ! وسميت ما حفلت به الرواية من فرح واحد متصل يمثله « الزين » : زغرودة طويلة للحياة ! وجعلت هذه العبارة عنوان المقال .

ودارت الايام وجئت للعمل بالكويت ، وذهبت مع احدى بناتي ـ ليلى ـ لنشاهد فيلم : « عرس الزين » فاعجبت البنية بالفلم ايما اعجاب ، واعجبت به انا ايضا ، ولكن في تحفظ !

قلت للطيب في الدوحة : ان الفلم قد الح على عرض مناظر وعادات وطقوس الشعب السوداني في مناسباته الاجتماعية المختلفة . وهذا في حد ذاته امر لا غبار عليه ، على ان لا يتم على حساب المضمون . فالواقع ان المخرج قد تخفف كثيرا من الاجزاء التي صنعت الرواية ، والتي ضمنت لها اعجاب الكثيرين ، في سبيل ان يقدم رؤية « سياحية » للسودان . وهذا ما دعا بعض من شاهدوا الفلم من السودانيين الى الاحتجاج عليه ، بوصف انه يسيء الى شعب السودان .

والفلم لا يسيء الى شعب السودان في شيء . انه فقط قد عالج الرواية في خفة غير مستحبة .

وسالت الطيب الصالح عما اذا كان عمله الاول : « موسم الهجرة الى الشمال » سيعرف طريقه الى السينما فاجاب بالنفي . ثم سالني ان كنت قد قرأت روايته الثالثة « بندر شاه » فقلت : اشتريتها من سنوات وحاولت قراءتها ، فوقفت كثرة العبارات السودانية الدارجة في الحوار عقبة بيني وبين اتمام قراءتها .

وفتح على الفور موضوع اللهجات الدارجة في الاعمال العربية الفنية ، من مسرح ورواية ، واخذ الحضور يتناقشون في جدوى اتباع احد طريقين : استخدام العربية الفصحى المبسطة في الحوار ، على نحو ما يفعل نجيب محفوظ ، او الاصرار على استخدام الدارجة ، على اعتبار انها هي وحدها التي تحمل الشحنة العاطفية والفكرية والواقعية اللازمة لادارة حوار يجري بين افراد الشعب .

قلت للطيب : لعلي لو عدت الى قراءة روايتك الثالثة الان ، لاستطعت المضي فيها الى النهاية ، فان السنوات الخمس التي قضيتها في الكويت قد اتاحت لي التعرف الى كل لهجات العرب الدارجة، بحيث استطيع الان ان اتابع الحوار في المسرحيات الكويتية والبحرينية والعراقية ، والسورية واللبنانية والفلسطينية ، الى حوار لهجات الشمال

الافريقي كله • ولكن اني للقارىء العادى ان تتاح له فرصة كهذه • واتفقنا على ان حل هذه المشكلة ربما يجيء مع الوقت • فقد اخذ المشرق العربي يتعرف عن قرب على المغرب العربي والعكس، بفضل خطوط الطيران الجديدة التي تربط المشرق مباشرة مع المغرب ، بعد ان كان الاتصال يتم عن طريق باريس او روما ، او غيرهما من العواصم الاوروبية •

على طريق التعريب

كان بين ضيوف الطيب صالح الرائد الاذاعي المعروف ، محمد فتحى ، الذى امتع مستمعي الاذاعة منذ اواسط الثلاثينات حتى اوائل الخمسينات بفنه الاذاعي الممتاز • والذين تتبعوا سير الاذاعة في تلك الايام ـ يوم كانت تنفرد بالاثير • قبل ان يزحمها عليه التليفزيون يتبينون كثرة المكاسب التي حققتها الاذاعة المصرية للمستمع العربي في مصر وفي سائر أجزاء الوطن العربي •

عن طريق الاذاعة ، عرفت اللغة العربية الفاظا كثيرة جديدة • وكنت اعمل كبيرا للمذيعين حين مصرت الاذاعة المصرية في عام ١٩٤٦ وانتقلت ادارتها الى ايدى اهل البلاد • ولا زلت اذكر كيف واجهنا الموقف الجديد فقد كانت تقارير المذيعين تكتب بالانجليزية ، حتى يستطيع مدير الاذاعة وسكرتيرها ـ وكلاهما انجليزي ـ ان يتابعا ما يجرى في الاستوديوهات ، وفجأة اصبحنا امام ضرورة كتابة التقارير باللغة العربية • اذ ذاك اخذنا نترجم المصطلحات على الفور • انا ـ مثلا ـ قدمت المصطلحات التالية : « شارات ضبط الوقت» و « اللحن المميز » وضابط قوة الصوت المركزي وغيرها • وقدم زملاؤنا في قسم الاخبار كثيرا من المصطلحات التي كانت تستخدمها الحرب العالمية الثانية مثل : قاذفات القنابل و المقاتلات و« الضرب على مدار الساعة » •• الى آخره • وقد كان من رأيي دائما ان تاريخ الاذاعة في حاجة لمن يكتبه • وقد حاولت اقناع الاذاعي القديم عبدالحميد الحديدى بان يأخذ على عاتقه هذا الامر ، فلم يستطع لسبب او لآخر • ولا اجد امامي الآن من اتوجه اليه بالرجاء الا الزميل القديم الاستاذ محمد فتحى • فلعله يستطيع ان يضيف الى خدماته الكثيرة للاذاعة خدمة اخرى كبيرة هي : التاريخ لها •

المسرح والتخلف العربي

عند الساعة السادسة توجهنا الى احدى قاعات المتحف الوطني بقطر ، وشيء من التوجس يدور في انفسنا • فقد كان بعضهم قد همس الينا بان حضور الندوة لن يتعدى عدد اصابع اليد الواحدة• وقد ثبت سوء هذا الظن حين دخلنا القاعة بالفعل ووجدناها مزدحمة على اخرها •

ليس هذا وحسب ، فقد دار النقاش حول موضوع الندوة ، وهو : « المسرح في الوطن العربي » لمدة ثلاث ساعات متصلة ، وتعب مدير الندوة ، فظن الحضور قد تعبوا ، ولكن هؤلاء واصلوا الاهتمام والتدخل في المناقشة ، واثارة النقاط الى ما بعد الساعات الثلاث بكثير

وتصادف ان فرقة تونس العاصمة للتمثيل كانت تزور قطر لتقدم مسرحيات ثلاثا ، تجول بها في بعض دول الخليج ، وقد شاهدناها في الكويت ، فحضر الندوة من اعضاء الفرقة المخرج المنصف سويسي ، فنان المسرح التونسي المعروف باعماله واجتهاداته الكثيرة ، والدكتور عمر السعيدى الذى يصحب الفرقة في جولتها ، بوصفه مدير الشئون الثقافية في تونس العاصمة • وقد اشترك كلاهما في مناقشات الندوة •

ولعل ابرز ما ثار في الندوة من نقاط هو ذلك التفسير الذى تقدم به الزميل الدكتور محمد يوسف نجم لظاهرة تخلف المسرح العربي في هذه الايام • قال الدكتور نجم : ان تخلف المسرح هو مظهر من مظاهر التخلف العام الذى يعاني منه الوطن العربي •

ورأيت انا ان هذا التفسير لا يفسر واقع المسرح العربي حقيقة • وذلك لانه لا توجد هناك ـ بالضرورة ـ علاقة طردية بين التخلف العام وبين الفنون • والادلة على هذا كثيرة • فقد اخرجت بلد اقطاعية ارهابية متخلفة هي روسيا القيصرية كبار الفنانين والادباء والنقاد في القرن التاسع عشر مثل : الشاعر بوشكين • والروائي تولستوى، والكاتب المسرحي تشيخوف،والموسيقار تشايكوفسكي



والناقد الادبي بيلينسكى ـ كل هذا على سبيل المثال فقط ، لا على سبيل الحصر • اخرجت روسيا هؤلاء العمالقة وغيرهم من واقع اقتصادى واجتماعى متدهور • بل ان انجلترا التى اخرجت عبقرى المسرح : شكسبير ، كانت بلدا زراعيا متاخرا ، ولكن هذا لم يحل دون ازدهار المسرح على ايام اليزابيث الاولى • وما يثير الدهشة ان بريطانيا حينما كانت فى اوج عظمتها وسلطانها الاستعمارى فى القرن العاشر قد عجزت عن اخراج مسرح يؤبه له • فقد غط المسرح فى النوم طوال القرن التاسع عشر ، ولم يستيقظ الا حينما اخذ الفن المسرحى البريطانى يتعرف الى اعمال ايسن النرويجى ، وهو الاخر عملاق قام فى بلد متخلف من النواحى الاقتصادية والثقافية ، هو بلاد النرويج •

وليس معنى هذا ان التخلف ضرورة لقيام الفنون وازدهارها بل معناه ان ازدهار الفنون يرجع الى عوامل كثيرة قد يكون العامل الاقتصادى من بينها وقد لا يكون • وقد احتدم النقاش حول هذه النقطة احتداما كبيرا ، ولم ينته حتى بعد انتهاء الندوة •

وما اكثر ما حفلت به هذه الساعات الثمانى والاربعون المباركة من اراء وافكار ، وانطباعات وصدامات ولكن : على القلم ان يقف فى موضع ما من الورق • ولو بالامر ! ■■

د • على الراعى



هل يمكن التأثير على التوزيع الراهن للقوة والثروة فى العالم ؟

صراع الأغنياء والفقراء

حول اصلاح النظام

بقلم : دكتور محمود عبد الفضيل *

مع تنامى حركة الاعتراف بحق المستعمرات في الحصول على استقلالها السياسى غداة الحرب العالمية الثانية ،لجأت الدول الغربية المتقدمة الى تطوير أشكال جديدة للتعامل مع دول العالم الثالث حديثة الاستقلال تضمن استمرار علاقات التبعية الاقتصادية ، المالية والتكنولوجية • وفى نفس الوقت كان على دول الغرب الرأسمالى أن تتجاوب ـ ولو شكليا ـ مع آمال وطموحات البلدان المستقلة حديثا المتمثلة فى رغبتها فى تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية سريعة والخروج من دائرة التخلف والفقر •

ولذا فقد أكدت موجة الكتابات الاقتصادية الغربية فى مجال التنمية على ضرورة تقديم المساعدات المالية والفنية من جانب الدول الغربية وضرورة استمرار تدفق رؤوس الاموال الاجنبية للبلدان النامية بهدف احداث دفعة قوية تكسر الحلقة المفرغة للفقر والتخلف • وفى هذا الاطار نشطت كتابات جيل كامل من خبراء التنمية الغربيين للتدليل على أن تدفقات رأس المال

* معهد التخطيط القومى بالكويت •



الاقتصادى العالمى

الخاص والتكنولوجيا الوافدة من البلدان الغربية المتقدمة يمكن لها أن تلعب دورا أساسيا منشطا لعملية تنمية وتعبئة موارد بلدان العالم الثالث.

الا أن وجهة النظر هذه بدأت تتعرض لهزات شديدة على أرض الواقع على ضوء التجارب الاقتصادية المعاصرة للعديد من البلدان النامية . فرغم تدفق المساعدات المالية والفنية وتحقيق قدر ما من النمو السريع للدخل القومى الاجمالى فى عدد ليس بالقليل من بلدان العالم الثالث ، تشير احصاءات البنك الدولى الخاصة بعام ١٩٧٥ الى أن ١٢٠٠ مليون نسمة من سكان العالم الثالث ما زالوا يعيشون فى بلدان ذات دخل سنوى يقل عن ٢٠٠ دولار للفرد الواحد بينما يعيش ٧٠٠ مليون نسمة فى البلدان المتقدمة فى حدود دخل سنوى قدره ٥٥٠٠ دولار فى المتوسط للفرد الواحد . ورغم أن هذه الارقام لا تبرز درجة اختلاف وتنوع تجارب التنمية فى بلدان العالم الثالث كما أنها لا تعكس درجات اللامساواة فى توزيع الدخل الفردى داخل البلد الواحد ، فالحقيقة التى تبرزها هذه الاحصائيات انه رغم اختلاف سياسات ونتائج عمليات النمو باختلاف الظروف الخاصة بكل بلد من بلدان العالم الثالث فهناك ثمة مصاعب مشتركة تواجهها معظم حكومات دول العالم الثالث خصوصا تلك المرتبطة بقضايا التجارة والتمويل الدوليين . وقد شكلت هذه المصاعب بدورها أرضية مشتركة لالتقاء مصالح بلدان العالم الثالث الفقيرة على طلب تغيير القواعد الدولية التى تحكم شبكة العلاقات التجارية والمالية التى تشكلت عبر السنين وفقا لمصالح الدول الغربية المتقدمة .

وعلى ضوء الاحصائيات والوقائع التاريخية يتضح أن حوالى ٧٥٪ من حجم التجارة الخارجية لبلدان العالم الثالث يتجه الى البلدان الغربية الاعضاء بمنظمة التعاون الاقتصادى والتنمية Oecd ، بينما يبلغ نصيب التبادل التجارى بين دول العالم الثالث وبعضها البعض ١٥ ـ ٢٠٪ من حجم تجارتها الخارجية ، ٥٪ فقط مع بلدان الكتلة الاشتراكية . كذلك فان معظم مديونيات تلك البلدان هى للدول الغربية والمؤسسات المالية التى تسيطر عليها الدول الغربية الكبرى . كما تحتفظ تلك البلدان بارصدة واحتياطات نقدية مقومة بالعملات الغربية الرئيسية . وبغض النظر عن تباين الاوضاع المؤسسية والاقتصادية والسياسية لبلدان العالم الثالث ، فقد ظل الغرب الرأسمالى مصدرا رئيسيا للامداد بالمال والتكنولوجيا الحديثة والسلع الاستهلاكية ذات الجودة العالية بالشكل الذى أدى لربط اقتصاديات معظم بلدان العالم الثالث ربطا وثيقا بعجلة النظام الاقتصادى الدولى الغربى .

فى العالم الثالث :

على ضوء المشاكل الاقتصادية المتراكمة خلال الفترة الممتدة فيما بين منتصف الخمسينات ومنتصف السبعينات يمكن تلخيص المشاكل الاقتصادية الرئيسية التى تواجه معظم بلدان العالم الثالث

والتي نجمت عن اندماجها الكامل بالنظام الاقتصادي الغربي فيما يلي :

أ ـ حصيلة صادرات معظم بلدان العالم الثالث تأتي من مبيعات السلع الاولية التي لا يتمتع سوقها العالمي بالاستقرار مما يؤدي الى تقلبات عنيفة في حصيلة الصادرات وبالتالي في مستويات النشاط الاقتصادي المحلي • فبالنسبة الى السلع الاولية (باستثناء النفط) ، انخفضت أسعارها النسبية ازاء السلع الصناعية بنسبة ١٠ الى ٢٠٪ فيما بين منتصف الخمسينات ومنتصف السبعينات • كذلك انخفض معدل زيادة حجم الصادرات بنسبة ٥٪ سنويا لصادرات المواد الغذائية و ٤٪ بالنسبة لبقية المواد الخام في مقابل زيادة سنوية لحجم صادرات السلع الصناعية قدرها ١٠٪ •

ب ـ ثبت أنه من الصعب على الدول الآخذة في النمو تصدير السلع المصنعة الى الاسواق الغربية على نطاق واسع في مواجهة المنافسة الشديدة من جانب البلدان الصناعية المتقدمة • وفي حالة القليل من المنتجات الصناعية (مثل المنسوجات والملابس والمصنوعات الجلدية) التي تسمح الاجور المنخفضة للايدي العاملة في بلدان العالم الثالث بتخفيض تكلفة الانتاج واجهت بلدان العالم الثالث تصاعد اجراءات الحماية التي لجأت اليها حكومات الدول الغربية مؤخرا لحماية صناعاتها المحلية •

جـ ـ كانت المساعات الخارجية أقل كثيرا من الاهداف المتواضعة التي حددتها المنظمات الدولية لعقدي التنمية الاول والثاني • كما أن معظم الزيادة في حجم السيولة الدولية اتجهت للدول الغربية الكبرى ، بينما تعاقد العديد من بلدان العالم الثالث على ديون جديدة كبيرة الحجم أخذت فوائدها تشكل عبئا ثقيلا على موازين مدفوعاتها• فطبقا لتقديرات البنك الدولي كان حجم الدين العام الخارجي لـ ١٩ بلدا ناميا عند نهاية ١٩٧٤ يفوق حجم حصيلة صادراتها السنوية • كذلك استغرقت فوائد الدين الخارجي بالنسبة لـ ٢٣ بلدا من بلدان العالم الثالث ما لا يقل عن ١٠٪ من حصيلة صادراتها السنوية ، بينما هناك بعض البلدان (من بينها مصر) تستغرق فوائد ديونها الخارجية ما بين ٢٠ الى ٣٠٪ من حصيلة صادراتها السلعية السنوية •

ولذا فان ركود حصيلة صادرات السلع الاولية وعدم القدرة على تصدير السلع المصنعة على نطاق واسع ، وتزايد عبء فوائد الدين الخارجي تفاقمت كعوامل متشابكة اخذت تهدد بعرقلة مجهودات التنمية في معظم بلدان العالم الثالث• وازاء هذه الاوضاع وجدت حكومات هذه البلدان نفسها معرضة لاغراء قبول المزيد من المساعدات والقروض وتدفقات رأس المال الاجنبي بغرض تغطية عجز موازين مدفوعاتها ، ومن ثم تزايد ولوج معظم بلدان العالم الثالث « مصيدة الدين الخارجي » وبالتالي تزايد درجة اعتمادها على قنوات التجارة والتمويل الدوليين التي تسيطر عليها مجموعة الدول الغربية المتقدمة •

تحد أمام النظام الراهن :

خلال نفس الفترة التي امتدت من منتصف الخمسينات الى منتصف السبعينات اتسع بالتدريج نطاق الدعوة الى تغيير نمط العلاقات الاقتصادية الدولية السائدة بين الدول الغربية الغنية ودول العالم الثالث الاخذة في النمو، والرغبة في الفكاك من اسار علاقات التبعية التجارية والمالية والتكنولوجية الجديدة • وقد استجمعت تلك الدعوة بعض عناصر القوة فيما بين لقاء باندونج عام ١٩٥٥ ومؤتمر الدول غير المنحازة في الجزائر عام ١٩٧٣ • كذلك تم تاسيس « مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية » Unctad عام ١٩٦٤ ليكون بمثابة « نقابة » لبلدان العالم الثالث (مجموعة الـ ٧٧) وليمارس نشاطه كمنبر للتفاوض مع الدول الصناعية المتقدمة نيابة عن بلدان العالم الثالث • ولكن رغم تعدد المؤتمرات التفاوضية لم تحرز المفاوضات بين الدول الصناعية المتقدمة وبلدان العالم الثالث في مجال التجارة والتنمية نتائج سريعة ضمن اطار المساومة الجماعية •

وقد جاء قرار منظمة الدول المصدرة للنفط

(الاوبيك) برع سعر النفط لاربعة أمثاله ليضرب مثالا هاما لما يمكن احداثه من تغير ملموس فى ميزان القوى بين الدول الصناعية الغنية والدول المصدرة للسلع الاولية . اذ أتاح هذا القرار آفاقا جديدة لاعادة تشكيل العلاقات الاقتصادية الدولية بين الدول الصناعية المتقدمة والدول المصدرة للسلع الاولية • فقد أوضح هذا القرار ضخامة ما يمكن ان تحصل عليه أية مجموعة من البلدان المصدرة للسلع الأولية اذا ما تمكنت من الامساك بزمام السوق العالمية لسلعة لا يتمتع الغرب فيها بالاكتفاء الذاتي • كذلك أدى هذا القرار الى ضرب – ولو على الصعيد النظرى – فكرة احتكار الغـــرب للاحتياطيات المالية الدولية • كما لاحت فى الافق امكانيات جديدة لان تستخدم دول منظمة الاوبيك قوتها الجديدة فى المساومة فى تدعيم المطالب الاقتصادية الاخرى لجبهة بلدان العالم الثالث مما قد يؤدى الى دعم القوة التفاوضية لبلدان العالم الثالث ككل •

وعلى ذلك فان التحدى القائم الان على صعيد العلاقات الاقتصادية الدولية بين الدول الغنية والدول الفقيرة هو تحد جاد يأخذ أبعادا جديدة لم تكن متوافرة من قبل • الا أن القوة التفاوضية الجماعية لبلدان العالم الثالث ما زالت محك اختبار حقيقى فى مؤتمر التعاون الاقتصادى الدولى الذى تجرى جلساته فى العاصمة الفرنسية تحت اسم « حوار الشمال والجنوب » • فما زال الترقب قائما بخصوص مدى قدرة المجموعات الاخرى للبلاد المصدرة للسلع الاوليـة فى تكوين « جمعيـات منتجين » او « كارتيلات » فعالة على غرار منظمة « الاوبيك » • وعما اذا كانت دول (الاوبيك) الغنية ستستخدم قوتها المالية لدعم مطالب اصلاح النظام الاقتصادى العالمى التى تلح عليها مجموعة بلدان العالم الثالث النامية أم ستنضم تدريجيا الى « نادى الدول الغنية » •

ان قضايا اصلاح النظام الاقتصادى الدولى التـى تخضع حاليـا لمناقشات واسعـة فـى جميع المنتديات الدوليـة يمكن أن نجملها فـى ثلاثـة مجالات : مجال السلع الاولية – مجال التنمية الصناعية – مجال التمويل والاقتراض الخارجى •

أ – السلع الاولية :

تهدف مجموعة بلدان العالم الثالث الى تحقيق قدر من الاستقرار والزيادة فى حصيلة صادراتها من السلع الاولية • اذ أنه كلما استقرت الاسعار العالمية واتسعت الاسواق التصديرية للسلع الاولية أمـكن للعديـد مـن بلـدان العالم الثالث أن ترفع من حصيلة النقد الاجنبى المتوافر لديها بما يساعد على زيادة مقدرتها الاستيرادية وتخفيف أزمة موازين مدفوعاتها •

ومن بين المقترحات المحددة التى قدمت فى هذا المجال هو مشروع مؤتمر الامم للتجارة والتنمية المسمى « البرنامج المتكامل للسلع الاولية » والذى يشتمل على ١٨ سلعة أولية تمثل حوالى ٨٠٪ من اجمالى حجم التجارة فى السلع الاولية (فيما عدا النفط) ، وايجاد صيغة مقبولة للتقييس ndexation تسمح بربط أسعار صادرات السلع الاولية بأسعار واردات الدول النامية من السلع الصناعية والمصنعة •

وينادى مشروع « البـرنامج المتكامـل للسلع الاولية » بضرورة تكوين مخزون سلعى دولى من الاولية الاساسية يتم تمويله عن طريق صندوق دعم مشترك يبلغ حجمه حوالى بليونين من الدولارات• كما ينادى البرنامج بضرورة التركيز على عقود توريد طويلة الاجل للسلع الاولية ، وأن يكون هناك « تمويل تعويضى » للتعويض عن العجز الناجم عن انخفاض وتقلبات أسعار المواد الاولية، وعلى تطوير مساهمة البلدان النامية فى عمليات تصنيع وتسويق السلع الاولية بهدف الاستحواذ على نصيب اكبر من القيمة المضافة وهوامش التسويق المتولدة أثناء مرحلتى التصنيع والتسويق للسلع الاولية • ومازالت المفاوضات متعثرة حول انشاء هذا « الصندوق المشترك » وتوفير الموارد المالية اللازمة لتطوير فعاليته •

ولكن لعل أكثر المقترحات مثارا للجدل هو ذلك الخاص بال « تقييس » اذ ترى مجموعة الدول الصناعية المتقدمة فى هذا الاقتراح توريطها فى نوع من عمليات « الاعانة » لاسعار السلع الاولية

التي قد تعاني من ازمة « فائض عرض » في السوق العالمية •

ب ـ التنمية الصناعية :

تهدف معظم بلدان العالم الثالث في مجال التنمية الصناعية الى الحصول على شروط افضل للحصول على التكنولوجيا الحديثة المتقدمة وزيادة فرص بيع منتجاتها الصناعية في اسواق الغرب ، بالاضافة الى تحقيق قدر اكبر من التنظيم والرقابة على نشاط وعمليات الشركات الدولية العاملة داخل اراضيها • ونظرا لان الدول الصناعية المتقدمة داخلة اصلا في صراع تنافسي شديد بين بعضها البعض لاقتسام السوق العالمية فهي ليست راغبة حقا في تقديم اسواقها لطرف ثالث هو البلدان النامية • والقناة الوحيدة المتاحة امام دول العالم الثالث لتسويق منتجاتها والحصول على التكنولوجيا الحديثة كانت الشركات الدولية التي جذبتها العمالة الرخيصة في تلك الدول خلال السنوات الاخيرة•ومن ناحية اخرى،فبافتراض انه قد يتسنى لمجموعة اكثر تصنيعا من بلدان العالم الثالث الى غزو اسواق العالم الغربي المتقدم فان ذلك ، في حد ذاته ، لن يؤدي سوى الى تكثيف عملية التنافس بين بلدان العالم الثالث للاستحواذ على نصيب ملموس من رقعة السوق المحدودة دونما ان يؤدي ذلك الى زيادة ملموسة في دخل مجموعة بلدان العالم الثالث ككل •

جـ ـ التمويل والاقتراض الخارجي :

ان مشاكل المديونية العادة لكثير من بلدان العالم الثالث ، والصعوبات التي تواجهها بلدان الفائض في مجموعة بلدان « الاوبيك » فيما يتعلق بايجاد صيغة مضمونة لاستثمار فوائض عائدات النفط ، وعدم استقرار العملات الرئيسية للبلدان الصناعية المتقدمة يجعل المشاكل الراهنة للنظام المالي والنقدي الدولي هي مشاكل حيوية ومصدر قلق للاطراف الدائنة والمدينة على السواء•فبلدان العالم الثالث تريد الاقتراض من الخارج بشروط ميسرة ودونما قيود تعسفية ، بينما تبحث بلدان « الاوبيك » والبلاد الغربية المقرضة ومؤسسات المال الدولية عن عنصري الربحية والامان لاستثماراتها وقروضها الخارجية •

والقضية الجديرة بالفهم هنا هي ان اصلاح النظام النقدي الدولي الراهن لا يستلزم بالضرورة توزيعا اكثر عدالة للسيولة والائتمان الدوليين ، اذ انه اذا اتفقت الدول الغربية المتقدمة على مجموعة للقواعد المستقرة لحل مشاكل موازين مدفوعاتها يمكن لها انذاك ان تحل الكثير من مشاكلها الراهنة دونما اضطرار لتقديم تنازلات كبيرة لبلدان العالم الثالث فيما يتعلق بادارة النظام النقدي الدولي • بيد انه في اعقاب النمو السريع لحجم الاقتراض الخارجي من اسواق المال الدولية لمجموعة بلدان العالم الثالث،فان على بلدان العالم الغربي الغنية ايجاد صيغ جديدة لاعادة جدولة هذه الديون لتحاشي وقوع العديد من بلدان العالم الثالث في براثن الافلاس الكامل والعجز عن السداد ، وهذا لا يعني قط التوصل الى شروط افضل (او اكثر تيسيرا) للسداد بل قد يكون العكس هو الصحيح • وهناك امال كبيرة معلقة على قيام مجموعة بلدان « الاوبيك » بتوفير قنوات جديدة للاقراض الخارجي للدول النامية بشروط ميسرة ولا سيما بعد انشاء « الصندوق الخاص » لمجموعة الدول المصدرة للنفط الذي يتخذ من فينا مقرا له • ولكن هناك تخوف ايضا لدى العديد من بلدان العالم الثالث الفقيرة من ان تلجا دول « الاوبيك » الى استخدام سلاح الاقراض الخارجي لتحقيق بعض الاهداف او النفوذ ذي الطابع السياسي •

التغيرات المنتظرة وافاقها :

يبدو من العرض السريع السابق مدى ضآلة فرص التغيير او الاتفاق السريع على المعالم الرئيسية لما يسمى بـ « النظام الاقتصادي العالمي الجديد » • والاسباب الكامنة وراء ذلك هي ذات الاسباب التي اعاقت احداث تغيير ملموس في هيكل العلاقات **الاقتصادية الدولية منذ مؤتمر** الامم المتحدة للتجارة والتنمية الاول الذي مضى عليه اثنا عشر عاما ، الا وهو كون الاوضاع الاقتصادية الدولية الراهنة تعكس توازنا معينا

للقوى على الصعيد العالمي والمحلي لكل بلد على حدة • ولذا فان القوة التفاوضية الجماعية لمجموعة بلدان العالم الثالث تتوقف على توافق مجموعة من المصالح المشتركة في الوقت الراهن على الاقل، ولكن هذا التوافق هو توافق مؤقت ومشروط للمصالح الآنية • أما في الاجل المتوسط فان الجبهة العريضة لبلدان العالم الثالث مهدده بالانفراط اذا ما تمكنت بعض بلدان العالم الثالث منفردة من تحسين وضعها النسبي في هيكل التجارة والتبادل الدولي وبالتالي تزداد درجة ارتباطها بالنظام الاقتصادي الدولي الراهن ـ وقد تتبع بعض بلدان « الاوبيك » الغنية هذا المسار •

ورغم ذلك ثمة امكانية كبيرة متاحة لتغيير الاوضاع الراهنة فيما يتعلق بالسلع الاولية • ويعود ذلك الى أنه بعد عقدين من تواجد فائض عرض من معظم السلع الاولية ، فقد كانت القفزة الهائلة لاسعار السلع الاولية خلال « الرواج السلعي » الكبير خلال السنوات ٧٢ ـ ١٩٧٣ بمثابة النذير الى دول الغرب الصناعي بامكانية حدوث عجز أو ندرة دورية في عرض هذه السلع والخامات الاساسية التي يعتمد عليها دولاب الانتاج الصناعي الغربي • واذا بشبح « حدود النمو » Limits to Gerowth يلوح في الافق نتيجة ما قد تفرضه ندرة المواد الخام والاولية من تخفيض لمعدلات نمو الاقتصاديات الصناعية المتقدمة • وفي اطار هذا التصور فان الولايات المتحدة الامريكية يمكن لها الاعتماد بدرجة كبيرة على مواردها الطبيعية الوفيرة بما يسمح بأن تعير هذا الموضوع اهتماما يقل بكثير عن اهتمام بقية بلدان أوربا الغربية • وهذا يشير بالتبعية الى امكانية تطور نوع جديد من التناقضات بين مواقف الولايات المتحدة الامريكية من جهة ومجموعة بلدان أوربا الغربية واليابان ، من جهة اخرى ، على مستوى النظرة والمعالجة لمشاكل الاقتصاد الدولي وخاصة طبيعة العلاقة مع مجموعة البلاد المصدرة للسلع الاولية •

وفي تصور بعض الاقتصاديين الغربيين الهامين مثل البروفسور نقولا كالدور ـ والذي عمل مستشارا عدة مرات لحكومة العمال في بريطانيا ـ أن أغلبية الدول المنتجة والمستهلكة للسلع الاولية لديهم مصلحة مشتركة في اتخاذ تدابير اقتصادية دولية تؤدي الى مزيد من الاستقرار في كمية المعروض من السلع الاولية في السوق العالمية حتى يمكن الحد من تقلبات أسعار السلع الاولية لصالح البلدان المنتجة والمستهلكة لهذه السلع على السواء • واذا أمكن لمثل هذه التدابير أن تطبق بفعالية ـ على غير ما هو متوقع ـ فسيكون بمقدور العديد من بلدان العالم الثالث رسم خطط تنمية طويلة الاجل بالاعتماد على صادرات سلعها الاولية وعلى معدلات نمو أسواق هذه السلع بما يضمن لها تنمية حصيلة النقد الاجنبي على مدار فترة زمنية ضرورية لعملية التراكم الراسمالي • وقد يؤدي هذا بدوره الى تنشيط الطلب على السلع الصناعية (الاستهلاكية ، الوسيطة ، والاستثمارية) والتي سيتم تمويل مشترياتها عن طريق حصيلة النقد الاجنبي المتوافرة من نمو صادرات السلع الاولية بما يضمن تدشين مرحلة جديدة من التعاون الاقتصادي الرشيد بين البلدان الصناعية المتقدمة وبلدان العالم الثالث الآخذة في النمو •

بيد أن اصلاحا اقتصاديا عالميا على هذا النحو المنشود اذا ما تحقق فانه لن يؤدي الى تغير ملموس في علاقات القوى الحالية على الصعيد الاقتصادي العالمي بل قد ينتج عن ذلك التصور لمستقبل التعاون الاقتصادي الدولي أن تلعب الشركات الدولية دورا مركزيا أكبر في هيكل العلاقات الاقتصادية الدولية دون تحسين يذكر لمستويات المعيشة للسواد الاعظم من سكان العالم الثالث •

وباختصار شديد فان مجموعة المطالب الراهنة لمجموعة بلدان العالم الثالث والتي تندرج تحت ما يسمى « المطالبة باقامة نظام اقتصادي عالمي جديد » لا تمثل ـ على أهميتها ـ استراتيجية واضحة المعالم لتحقيق تغييرات أساسية في بنية الاقتصاد الدولي الراهن • ومن المحتمل أن يتم احراز بعض النتائج الايجابية الجزئية ـ ذات الاثر المحدود ـ من خلال عمليات التفاوض الدولي الدائرة حاليا • غير أن مثل الاتفاقات الجديدة ـ بافتراض التزام كافة الاطراف بتنفيذها للقوة تؤثر بدرجة كبيرة على التوزيع الراهن للقوة والثروات بين الامم •

■■

د• محمود عبد الفضيل

وثنيون أيضاً : عبدة النصوص والطقوس !

بقلم : فهمي هويـــدي

سامحهم الله ، اولئك الذين وضعونا في جانب ، ووضعوا بعض نصوص الاسلام في جانب معاكس ، ثم تركونا ومضوا : فريق اصطدم بالنصوص ، وخسر الدنيا والاخرة • وفريق الجمه المشهد فظل جامدا مكانه لا يتحرك • وفريق عانى كل المشقة والحرج ، فحاول ان يتفادى النصوص او يقفز من فوقها !

ربما كان قصد هؤلاء أن يحموا أحكام الاسلام من الانفراط ، ويضيقوا منافذ الانفلات والتسيب ، فتشبثوا بالنصوص قدر ما استطاعوا • وهذه ايجابية قد نسجلها لهم • ولكننا مع ذلك نسجل عليهم أنهم ـ أيضا ـ ظلموا أحكام الاسلام كثيرا ! • ظلموا الاسلام حينما قدموه الى الناس قوالب صخرية مقدسة ، وحينما امتدت عبارة نصوص القرآن والسنة الى نصوص أقوال الفقهاء • وعرفنا عصرا كان اتباع المذاهب فيه يؤدون الصلاة الواحدة في ساحة الأزهر الشريف ، وراء اربعة أئمة مختلفين ، كانهم اتباع اربع ديانات !

وتلك وثنية جديدة ! ذلك ان الوثنية ليست فقط عبادة الاصنام ، فهذه صيغة الزمن القديم • ولكن وثنية هذا الزمان صارت تتمثل في عبادة القوالب والرموز • في عبادة النصوص والطقوس والاولياء والزعماء • وهي كل محاولة لتعطيل عقل الانسان وقدراته ، وتاكيد عجزه أمام هذه المقدسات الجديدة •

وفي الاسلام ثمة معبود واحد ، هو الله سبحانه وتعالى • ومثلما ثار الاسلام على وثنية الزمن القديم ، فهو يرفض بنفس القدر وثنية هذا الزمان •

●

ان الله سبحانه وتعالى كان ارفق بالناس من بعض عباده ، فعندما انزل القرآن الكريم مليئا بنصوص الاحكام والعبر والتوجيهات ، جاءت ثناياه حافلة بالاشارات التى تقول ، صراحة وضمنا ، ان الامر مرهون فى النهاية بقدرة البشر وطاقاتهم •

شيء أساسي الزمهم به هو : ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك • فيما عدا هذا فان « نصوص » القرآن الكريم تقول : لا يكلف الله نفسا الا وسعها ـ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ـ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ـ يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ـ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم تطهيرا •

وفي الحديث الشريف : عليكم من الاعمال ما تطيقون ، فان الله لا يمل حتى تملوا •

ويعلق الامام الشاطبي على هذه النصوص فى كتابه « الموافقات » بقوله : ثبت فى

الاصول ان شرط التكليف او سببه هو قدرة المكلف ، فما لا قدرة للمكلف عليه لا يصح التكليف به شرعا ، وان جاز عقلا ٠

●

ولناخذ مثلا من الصلاة ، الركن الثاني في الاسلام بعد الشهادتين، والتي يعد من اقامها فقد اقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين ـ بنص الحديث الشريف ـ هذه الصلوات التي بدات بفريضتين في العصر المكي ، ثم صارت خمس فرائض في العصر المدني ، فصلت السنة احكامها ومواعيدها وعدد ركعاتها وطرائق الركوع والسجود والقيام والقعود فيها ، وهو ما يعرفه الجميع الان ، وليس عليه خلاف اساسي بين الفقهاء ٠ هذه الصلوات ، يستطيع ان يؤديها المسلم على اى وضع يريحه ويجنبه المشقة ٠ وهي نموذج يعكس منطق الاسلام في معالجة الاحكام والتكاليف ٠ اذا كان الانسان سليما معافى اداها كما رسمت، وفي مواعيدها، وبعدد ركعاتها ، وبالوقوف والركوع والسجود٠ واذا شق عليه ذلك اداها قاعدا ، واذا لم يستطع اداها ممددا على فراشه ، يهز رأسه ٠ واذا لم يستطع اداها بتحريك رموش عينيه٠ واذا كان مسافرا فله ان يقصر تجنبا للمشقة ايضا ، ولمزيد من التيسير فله ان يجمع مع القصر فيصلي الظهر والعصر معا ، والمغرب والعشاء معا ، وله ان يتخير الوقت المناسب ، اما ان يجمع تقديما او تاخيرا ٠

الى هذا المدى ،وبهذا القدر من المرونة والتيسير ، كانت معالجة الاسلام لعبادة اساسية في الاسلام ٠ فكيف اذن يكون الحال مع احكام اخرى اقل شانا ، تنظم معاملات البشر فيما بينهم ، وليس صلتهم بالله سبحانه وتعالى ؟!

ولنضارن هذا الموقف بقضية دنيوية اثارت جدلا بين الفقهاء والباحثين ، بسبب نصوص احاديث لم تفهم على وجهها الصحيح ٠ ذلك انني ظللت سنوات مشغولا بسؤال هو : كيف يمكن ان يكون لنا رئيس دولة (سمه حاكما او خليفة) من قريش ؟ ٠ وكان الذى شغلني بهذا السؤال ما قراته في « الاحكام السلطانية » للماوردى من ان اهل الامامة ينبغي ان تتوفر فيهم سبعة شروط ، اولها العدالة وسابعها النسب الى قريش ٠ وادهشني ايضا ان فقيها آخر هو أبو يعلي بن الحسين الفراء، كتب في الاحكام السلطانية ـ أيضا ـ أن شروط الامام أربعة، أولها « أن يكون قرشيا من الصميم، وهو من كان من ولد قريش بن بدر بن النضر سليل بني كنانة !! »

ظلت مسالة النسب القرشي شاغلا قلقا عندى ، اذ لم اجد لها مبررا ولا منطقا ، فضلا عن استحالة الالتزام بهذا الشرط من الناحية العملية ٠ وربما زاد من الحيرة والقلق ان في عالمنا العربي من يزعمون انهم « اشراف » بحجة أنهم ينتمون ـ بالحق او بالباطل ـ لسلالة النبي عليه السلام ، او ان اجداد اجدادهم كانوا من ولد قريش بن بدر بن النضر سليل بني كنانة ! واكثر هؤلاء « الاشراف » يعيشون عالة على من حولهم ، وبعضهم يتاجر بالنسب ، حتى صارت لهم « نقابة » ترعى « حقوقهم » وتتحدث باسمهم ٠ ورغم اني انزه اهل البيت عما يفعله هؤلاء ، الا انني كنت اشعر باستياء شديد ـ معذرة ـ كلما تصورت ان الشريعة تطالبنا بان نولي واحدا من هؤلاء حاكما على المسلمين ؟

ومضت سنوات قرات خلالها عن الخلاف بين اهل السنة من ناحية ، والخوارج والمعتزلة من ناحية اخرى حول شرط النسب القرشي ٠ اهل السنة يتمسكون بحديث منسوب الى النبي عليه السلام يقول فيه : الائمة من قريش »٠ وقوله : «قدموا قريشا ولا تقدموها»٠وقول الامام احمد في رواية : لا يكون من غير قريش خليفة ٠ اما الخوارج فقالوا ان الامامة

« للصالح الذى يحسن القيام بها » واستدلوا بحديث الرسول « اسمعوا واطيعوا ولو ولى عليكم عبد حبشى » ، الذى لا يعطى قريشا حقا متميزا عن الاخرين • وقد غالى بعض المعتزلة فقالوا انهم يفضلون غير القرشى لانه يصبح « أقل عددا وأضعف وسيلة ، فيمكننا خلعه اذا خالف الشريعة » !

المهم ان مسالة النسب القرشي ظلت مجال اخذ ورد ، حتى جاء ابن خلدون فى مقدمته فارجعها الى العصبية ، قائلا ان المقصود ليس القرشية ذاتها ، ولكن ان يكون للحاكم عصبية تسانده وتقوى مركزه • وهو ما كانت عليه قبيلة قريش بين العرب فى الزمن القديم •

ثم صارت المسالة منطقية ومقبولة – اخيرا – عندما قدم الدكتور ضياء الريس رؤية عصرية لهذا الشرط فى كتاب « النظريات السياسية الاسلامية » ، اذ طور فكرة ابن خلدون فقال ان المطلوب وجوهر القضية هو اغلبية شعبية للحاكم ، وهو ما يمكن ان يتحقق فى ظل نظام الانتخابات البرلمانية الراهنة ، والديمقراطية الحديثة •

ارأيتم كيف يترفق الله بنا ، ونضيق نحن على انفسنا ؟ كيف عالج الاسلام مسالة فى اهمية الصلاة • وكيف اختلف الفقهاء بسبب الفهم المتعسف للنصوص ، حول شرط الحاكم المسلم ، هل يكون من قريش أو من غيرها ، وهى قضية لم تكن تحتاج الا الى قدر بسيط من مرونة التفكير وفهم النصوص بافق رحب •

●

فى مناقشة الشهر الماضى ، كان السؤال الذى توقفت عنده هو : ما العمل اذا لم تحقق النصوص تحت اى ظرف مقاصد الشريعة ، وبدا ان هناك تعارضا بينهما ؟

هنا نسجل تحفظا ينبهنا اليه الامام الشاطبى فى الموافقات (الجزء الثالث) ، هو ان حفظ مقاصد الشريعة له أوجه قد يدركها العقل وقد لا يدركها • واذا أدركها ، فقد يدركها بالنسبة الى حال دون حال ، او زمان دون زمان ، او عادة دون عادة – اى انمبلغ علمنا ليس هو نهاية علم البشر ، وليس هو دائما كل الحقيقة •

مع ذلك فسوف نفترض أن النصوص لم تحقق المصلحة تحت اى ظرف ، ما العمل ؟

●

الثابت عند أغلب الفقهاء أن المصلحة تقدم على النص • وفى قصة المجاعة على عهد سيدنا عمر بن الخطاب نموذج يعزز هذه الرؤية • ذلك أن خليفة المسلمين رأى أن توقيع حد السرقة على قوميعانون من الجوع والفاقة ، هو تطبيق للحد فى غير موضعه الصحيح • وأن « المصلحة » تقتضى أن يؤجل العمل بالنص القرآنى •

ولمواجهة مثل هذه المواقف فثمة قاعدة فقهيةثابتة تؤيد « تغيير الاحكام بتغير الازمان » ، وهى تعنى – يقول الدكتور معروف الدواليبى فى بحثه حول هذا الموضوع – « أن يجرى العمل بنفس النص الثابت ، ولكن بحكم جديد مبنى على دليل مستوحى من ظروف النص ، تبعا لمصلحة زمنية – وذلك بان يكون فى ظروف النص دليل على أن الحكم الثابت بالنص القائم المعمول به ، انما هو حكم مبنى على مصلحة زمنية لا مصلحة دائمة – وعلى هذا يكون العمل بحكم النص تابعا للمصلحة الزمنية • فاذا تغيرت المصلحة تغير الحكم معها »

ويضيف الدكتور الدواليبى قوله : ولعل اجتهاد عمر فى منع العطاء الذى جعله القرآن للمؤلفة قلوبهم كان فى مقدمة الاحكام التى قال بها تبعا لتغير الازمان – بعدما توطد سلطان الاسلام – رغم أن النص القرآنى (الذى يعطى هؤلاء نصيبا فى الزكاة) لا يزال ثابتا غير منسوخ •• ومن هذا اجتهاده عام المجاعة فى وقف تنفيذ حد السرقة •

بأى حال ، لن تعطل النصوص مصلحة للمسلمين ، لان « الشرائع تابعة للمصالح » •

واذا تعارضت النصوص الجزئية التي بين أيدينا ، مع الكليات والقواعد الفقهية ؟
يؤكد الامام الشاطبي انه « لا تعارض فى الشريعة فى نفس الامر ، بل فى نظر المجتهد » •
ومن ناحية أخرى فان حديث رسول الله يحل المشكلة من أساسها : «اذا روى لكم حديث فاعرضوه على كتاب الله ، فان وافق فاقبلوه ، والا فردوه » •

وتسجل كتب الفقه أن السيدة عائشة ردت حديثا منسوبا الى النبى يقول : أن الميت ليعذب ببكاء اهله عليه » • لانه يتعارض مع آية قرآنية وقاعدة فقهية كلية هى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، « وان ليس للانسان الا ما سعى » •

وما لم يرد فيه نص ؟ ـ هنا يفتح الباب على مصراعيه للاجتهاد ، وهو الباب الذى قتلت وسائله بحثا وتنقيبا • حتى نالت طرائق الاجتهاد نصيبا هو أضعاف ما نالته ممارسات الاجتهاد ذاتها !

وحتى نتصور مدى الرحابة وسعة الافق التى يعالج بها الاسلام مسالة النصوص ومصالح الناس ، لنستعد ما يقوله واحد من أعظم فقهاء المسلمين هو ابن القيم الجوزى ، فى كتابه « اعلام الموقعين » : « فان الله أرسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الذى قامت به السموات والارض • فاذا ظهرت امارات الحق ، وقامت أدلة العدل ، واستقر صبحه بأى طريق كان ، فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره • والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلته وأماراته فى نوع واحد ، وأبطل غيره من الطرق التى هى أقوى منه وأدل وأظهر • بل بين بما شرعه من الطرق أن مقصوده اقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط » •

لكننا مع ذلك لا بد أن نذكر بأن هذه الحرية الواسعة فى الحركة والتقدير ، يجب الا تقودنا الى مواقف تتعارض مع الاحكام القطعية فى الكتاب والسنة • وها هو ابن القيم ذاته يدق على مسامعنا جرس الانذار والتنبيه فى قوله أن من الاحكام « نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها ، لا بحسب الازمنة ، والامكنة ، ولا اجتهادات الأئمة ، كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات والحدود المقدرة بالشرع » •• وهذا يعنى انه لا مانع من تأجيل حكم شرعى لان هناك مصلحة فى ذلك • ولكن هناك فرق بين التأجيل والالغاء ، والتأجيل والنقض •

ونذكر أيضا بأن « أحكام الشريعة الاسلامية المبنية على النصوص قليلة جدا بالنسبة الى الاحكام المبنية على اجتهاد الفقهاء • فالنصوص وضعت المبادىء العامة والقواعد الكلية •• الفرعيات والجزئيات فمعظمها مبنى على اجتهاد الفقهاء فى الاجماع والقياس وغيرهما • وقد ملأت هذه الفرعيات والجزئيات مجلدات ضخمة من كتب الفقه ، وطغت أحيانا على المبادىء العامة ، واتخذت مع التقليد التدريجى طابعا شكليا جامدا بعيدا عن الجوهر الاصلى •• وهكذا طغى الفرع على الاصل ، وحجب الشكل الجوهر » ★ •

أخيرا ، فان هناك فرقا كبيرا بين احترام النصوص وعبادتها • وأرجو الا أكون بحاجة الى ايضاح هدف هذه المناقشة ، الذى لا يخل بأى حال بما للنصوص من احترام وتوقير • ولكنه يحذر من المبالغة فى تقديسها الى المدى الذى قد يوقعنا فى محظور عبادة هذه النصوص ، ومحاولة تعطيل عقولنا أمامها •

ولعلى قد بددت قدرا من « حيرة مسلم هذا الزمان » !

★ من بحث صبحى محمصانى بعنوان : المسلمون تأخرهم ونهضتهم ، أشار اليه الاستاذ محمد فتحى عثمان فى كتابه « الفكر الاسلامى والتطور » •

كذلك كان الفتح :
سيفا يقتل وقسيسا يبارك !

امريكا اللاتينية ذلك العالم الجديد

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

لو وقفت بك الخطى ذات يوم ، في ساحة المدينة، امام تمثال ضخم لحذاء عتيق ، فماذا تراها جنيات الظن ملقية في وهمك ؟ اهو حذاء جندي عملاق ربح معركة ؟ ام نهاية الطريق القاه هناك اول مؤسس للمدينة ؟ أم هو مس من جنون الم بالبلد فاذا هو بدل التماثيل المردة ، يعشق .. الحذاء العتيق ؟

لقد لاك ظني مرة هذه الفروض وانا اطل على ساحة كبرى في (كارتاهنة) ابرز مرافيء التاريخ الاسباني على البحر الكاريبي فاذا بالساحة تستدير حول حذاء ضخم من الحديد الازرق يكاد يتسع لطفلين ! .. ولكن اللوحة البرونزية التي كانت تتمدد امام الحذاء ، كانت تحمل قصيدة . وكانت القصيدة تقول :

احبك ياوطني !

احبك حبي لحذائي العتيق !

وعرفت ان النصب انما اقيم تكريما للشاعر صاحب هذه الكلمات !

ولقد جرح خيالي ان يحفظ الكثيرون هناك القصيدة وان يربط الشاعر بينهم وبين الوطن برباط من حذائه العتيق !!

على اني من يوم الى يوم ، كنت القى هناك في العالم الجديد ، جراحا اخرى على الخيال ،متاحا آخر ينداح امامي لم اعتده . كان المألوف الراكد وراء جلدي يهتز دوما بجديد وافد . كانت تنقفه حصاة هنا وحصاة هناك . وكنت افتح يوما بعد يوم جانبا من نفسي لهذا الجديد ، يؤويه ويتمثله. لابد ان ثمة منطقا آخر للحياة والناس هاهنا . ولابد ان ثمة معراجا مختلفا من المعارج نحو مصير مختلف !

العالم اللاتيني

وعن هذا الجديد ـ كما رايته ـ ساتحدث . عن العالم الذي يدعونه باللاتيني ! هناك على بعد مائة كيلو متر من تمثال الحذاء يقوم تمثال آخر لكريستوف كولمب . يزعمون انه هناك حط قدمه ، اول ما حطها ، في القارة . وهناك وقف «الهنود» كتماثيل آلهتهم القزمة ، تستدير عيونهم ، على الجزر ، لمولد انسان آخر من الماء البعيد !

لم يصف الخيال الهندي تلك المفاجأة الخالقة، لان سيف ذلك الوافد الاول كان مختفيا وراء الشراع . وكانت يده اسرع الى السيف والبارود من الخيال . ظلت المفاجاة سؤالا مرعبا على جمجمة الهندي المتعفنة ماتت وجهة نظره معه . اما الفاتح فركض وراءه كسيل الجبل ، ظامئون

الوصول : نصفه الايمن قسيس في المسوح يحمل الصليب ونصفه الايسر محارب في اللأمة السابغة يمد بالسيف • كذلك ، في الواقع ، كان الفتح : سيفا يقتل وقسيسا يبارك • اما الانسان الذى يلتقى بالانسان فقد ضاع بين الاثنين لانه لم يكن له وجود •

عصر الاكتشافات

وذلك اللقاء الذى نباركه نحن باسم (عصر الاكتشافات الكبرى) كان ملحمة دم واشلاء دامت اكثر من قرن ونصف القرن • وبينما كانت محاكم التفتيش تبيد الحضارة العربية في الاندلس كان ابناء تلك المحاكم يهجمون كالعلق الضخم على اطراف القارة المكتشفة : فهندى ذاب فيهم وهندى هرب الى الغابة !

وتهاوت امام الفرسان المباركين اضلاع الهنود الهمج ! •• تهاوت حضارة (الازتيك) (١) في المكسيك باهراماتها ومعابدها الذهبية • وداست الحوافر على شعوب (الشيبشا) في كولومبيا • ومسحت السيوف معابد (الانكا) في بيرو مع الرؤوس اليافعة • وابادت هنود (الكانما هاتارى) في البرازيل وما انلوه من سور ومعبد • وشرب (الاروكانيون) في شيلى الشوك والسل والصاب قبل ان يذوبوا •• يذوبوا في الفيض البشرى المنتصر !

ظلت انباء الملوك الصرعى والشعوب المسترقة تنهمر من كل الشعاب الجبلية وعبر السهول المديدة والمسالك الغابية المظلمة ، مائة سنة او تزيد • (بيسارو) (٢) ، (كورتيز) الرهيب ، (فالديفيا) الذى اكل المحاربون قلبه ، (ماك ليون) الايقوسى الذى مات مجنونا من الرعب ••



كرستوفر كولمبس

اخرون للذهب والدماء يتقدمهم على الشعاب والغابات ، جيش من الرعب ! !

واشهد لقد رايت عينى تمثال كولومبس فارغتين • فارغتين حتى العمى القاتل • بريق الذهب هو الذى اختطف البؤبؤين • فبقى في الاجام القريبة من ذلك التمثال الى اليوم احفاد اولئك الهنود الذين راوه : بقوا في العرى والنشاب وبدائية الخلق الاول لم يقربهم انسان من الانسان بعد ! ! ••

لقد رايت صورة لكولومبس تصوره على شاطىء

---

(١) هذه اشهر اسماء الحضارات الهندية السابقة لكولومبوس في القارة اللاتينية •

(٢) هي أسماء المشاهير من الفاتحين الاسبان الذين (اكتشفوا) القارة ! ! ودمروا ما فيها من حضارة ومن فيها •

اية أسماء من الجحيم تلك ؟ لقد طالما ارجفت الصخور من الرعب واسكرت الارض دما ونهبا ٠٠

السكان أخلاط

على ان هذا اللقاء المأسوي قد نسي الآن هناك او كاد ٠ اما حضارات ما قبل كولومبس فبقيت تماثيل «صموقة هنا وهناك !» ! آباء من حجر لابناء مجهولين او عقوقين ! واذا كان الامريكي الشمالي مايزال مؤرقا « بعقدة الهندي » يصوره في الافلام وحشا ، غدارا ، في محاولة يائسة ، لتهدئة الوجدان الامريكي القلق ، وللهرب من ذلك الاتهام الداخلي الذي يقرضه ، فان احفاد الاسبان لم يحتاجوا الى مثل ذلك في القارة اللاتينية ٠ لقد افتداهم بعض الاسبان المحررين في القرن الماضي : (بوليفار) ، (سان مارتان) ، (كاريرا) ، (مارتي) (٣) ، محوا ببطولاتهم أيام التحرر ، ذلك الحقد القديم ، بينما كان أحفاد الفاتحين قد اندمجوا في الخضم الهندي الذي افترسوه لان الحضارة التي كانت تنمو وراءهم في اسبانيا كانت حضارة غير اصيلة ٠ كانت يقظة سيف لا يقظة فكر ٠ تركتهم هناك للانحلال لانها لا تستطيع ان تكون معهم ٠ وهكذا ذابوا وذاب معهم ملايين الزنوج الذين كانت تقيئهم لهم مراكب النخاسين والقرصان على الشواطىء٠٠ وهكذا ظل الهندي القديم سيد القارة اللاتينية ! الا يظهر بنقائه المغولي النحاسي في اكثر من ١٥٪ من سكانها فانه يظهر مزيجا بالابيض او الزنجي في ٦٠٪ من السكان ٠ واما الابيض من سلالة الفاتحين او من المهاجرين التالين فلا يحتل اكثر من ١٥٪ من الملايين المائتين والخمسين التي تعمر القارة ! والخلائط العريقة المهاجرة ماتزال واضحة الملامح ما بين (ريو كرانده) في المكسيك ، و (ارض النار) في الارجنتين ٠ انها تعيش على اطراف القارة ولما تندمج بعد في تكوين عرقي (لاتيني) جديد ٠ فايطاليون ، وهنود أصليون ، والمان ، وعرب ، واسبان ، ويابانيون ، وزنوج ، مجموعة جنب مجموعة ٠ وانما يجمع الناس على ارض القارة ، الولاء للثروة الهائلة في الارض ، لا الولاء للتراب ٠ ولقاء الجشع والكسب لا اللقاء بين قلب وقلب !

وتمتد هذه القارة، بعد ،كالكف المعطاء ، كالقلب البكر او على شاكلة القلب الكبير لهذه الملايين : عمود فقري في الغرب يتمرد جبلا وفوهات براكين وقمما تعممها الثلوج ٠ ثم سهول ترضعها الجبال نهرا بعد نهر من(الاورينوك) الى (الامازون)وهو «النهر الاب» ، الى (البارانا) ٠٠٠ وطبيعة وحشية الجمال ، وحشية الجمال حتى الالم ! اتذكرون تلك الصفحات التي كتبها (شاتوبريان) ذات مرة في (اتالا) ، اذ قال : اني لفي ريب من ان يكون احسّ حقا بذلك المحيط اللانهائي من الخضرة والحياة والصخر والحياة الراعشة فيها وهي تمور!

يقول شاعر شيلي (بابلونيرودا) :

يا امريكا ، يا معبرا من شجر

ايتها العليقة البرية بين البحار

انك ، من القطب ، الى القطب ، تهدهدين

الكنز الاخضر : غاباتك الكثيفة

انها غابات حتى لتفنى النار والفاس ، وقمم زرق كاسنان التنين الحديدة ٠

وعصائب طير ملون ، كما لو جمدت قوس قزح على هذا الجناح او ذاك ، ووحش يدب او يزحف وسط الدغل الابكم ، ونجمة عارية مجنونة تتامل اعماق الجلد ، وزهرة (كوبهو) او (اوركيدة) نبيلة من ارستقراطية الزهر ، وجذور ملتفة باغصان كحقد قلب ، وخصب كما لو انهلت الدوالي زقاق خمر، وشلالات كاسهم غاضبة تريد العودة الى الارض ، وسهول تلهث لتدركها الافاق ، وبحار تجري في الانهار ٠٠وعليق،ومستنقعات ، وخلجان واودية٠٠ كل ذلك فوق الكنز المرصود في الارض ، من عروق فحم ، وزمرد كالحصى ، وطبقات فضة وذهب ، واهوال من النحاس والقصدير والنترات ، والحديد والبلاتين ٠٠٠

الثروة البكر

وما عرفت هذا العالم بعد ، ان لم تعرف ان هذه الثروات لم تزل في عطائها الاول ٠ لم تنفد

٣) اسماء كبار قواد الحركات التحريرية في القارةاللاتينية ٠

اصابع الانسان بعد الى قلب القارة فتستنزفه ٠ وما عرفت هذا العالم بعد ان لم تر الى قطعان البقر كالمد الاغبر فى (بامبا) الارجنتين ، وعيون عمال المناجم المنطفئة فى شيلى وحبة البن السمراء تملا هموم البرازيل وكولومبيا ، وغابات قصب السكر فى كوبا ونزيف البترول فى فنزويلا ٠٠ وما عرفت هذا العالم بعد ، ان لم تذكر ان الحضارة والناس انما تطيف به من اطرافه فحسب ،وتتهيب حتى الان أعماقه ٠ تعيش على الشطئان البحرية الخارجة وتنقطع خطاها قبل الغابة العظيمة وعمالقة الجبال ٠ ان أعظم مدن القارة انما تنتثر كالعقد المضىء على الحواشى المستحمة بالبحر أو التى تكاد : من «ريو» الى «بونس ايريس» الى «سنتياغو» الى ليما ، وكيتو ، وبوغوتا ، وكاراكاس ٠ هنا كل ترف الحياة الحديثة والاؤها والقها الماتع ٠وما من احد هناك فى الاعماق الامازونية او على الوديان، كهوى الجحيم ، فى (الاند) ٠ وحدها تجثم الاشجار، والصخور ، والمياه ، والافاعى ، وعصائب الطير ، وقطعان الوحش ، ورهبة الخلق الاول ! ٠٠٠

بلى ! قد ينطلق سهم حديد بغتة ، أو تظهر عيون هندى بدائى ، كحقين من دم بين الاوراق المتكاثفة ٠٠ فثمة ينتهى مدى الانسان الذى هو نحن لتبدأ دنيا الانسان الذى هو جزء من الغاب٠ لقد كان بناء (برازيليا) مغامرة انطلاق ، رمز تغلغل نحو ما هو الامازون ! أما فيما بين الاعماق والشاطىء المجدود فان نشيج القناديل ما ينفك يسمع هناك ، وافتراس العجول على النار الضخمة، وشرب الكحول الردىء،وعصيات كوخ فى الصدور، وشحوب الملاريا فى العيون !

ولا فرق بين المدثر (بالروانا) فى كولومبيا او (الفاودشو) على المهر فى الارجنتين ٠ كلهم اعطاه النحاس ، نحاس الارض ، لونه ، ووراء العيون اللامبالية السوداء ، وان لم يعطهم مقاومته ، فمتوسط الاعمار هناك لا يزيد عن خمس وعشرين سنة ومعظمهم اعطته الأمية طمانينتها الحيوانية ، فمتوسط من اتصل بالانصباء لا يزيد على ٤٠٪ ٠

رواق الكنيسة الكاثوليكية

وللكنيسة الكاثوليكية ، بعد ، الرواق الممدود هناك ٠ واذا كان خليفة بطرس الرسول يحمل تاجه فى روما فانه ينصب عرشه الحقيقى هناك فيما دون ارض المكسيك حتى سهوب (باتاغونيا) الحائرة فى الجنوب ، أوليس نصف كولومبس قسيسا ؟ اذن فلا فرنسا وايطاليا ولا اسبانيا فى كثلكتها تعدل ركوع رؤساء الجمهوريات اللاتينية (عدا المكسيك) أمام الاسقف الرسولى ! والمسوح السود فى كل بيت تذكرنا برهبان اللاما الذين لا تخلو منهم عائلة فى التيبت ! وللكنيسة أرض الاقطاع واليد السياسية التى ترتفع وتصنع ، وتكوين العقول للغد ٠ الله وقيصر يعيشان هناك على عرش معا٠لا ياخذ قيصر ماله الا فى المكسيك اما ما وراء ذلك فالقداس يعيش فى رئتى الدولة والشعوب جميعا ٠ ففى كل نفس منهم ناقوس يدق وصلاة علوية ترتل !

واما الحكم فللديمقراطية البرلمانية منه الاسم، وللاوليغاركيه او البلوتوقراطية او الاوتوقراطية، وهذا المعجم من (القراطيات) ، انباقى كله ٠٠٠ الاقلية هناك هى التى تصنع ارادتها فى افواه القضاة ، وعلى مخاتب الحاكمين ، ومنبر البرلمان، لقد تكون عائلية او مالية او عسكرية ، ولكنها هى الفئة الحاكمة دوما ، عهدا بعد عهد ٠ وهى هى فى الزيف والاستغلال والدجل الشعبى ٠ انهم يدورون فى فراغ العقيدة ٠ ما تزال الديمقراطية فيهم (ايديولوجية) مستعارة وغير مفهومة بالرغم من مائة وخمسين سنة من التبجح الديمقراطى ومن تاريخ استقلالى يرقى الى مائة ومائة وخمسين سنة ٠ ان التكوين الاثنولوجى والاجتماعى ـــ الاقتصادى يكشف هناك عن مساوىء الديمقراطية لا عن وجهها المشرق ٠ يجعلها مزرعة استغلال لا وسيلة رفاه شعبى ! ويفسح المجال لزحف (البذلات الكاكية) باستمرار الى دست الحكم ، بدل ارادات الشعوب !

وتستريح الولايات المتحدة الى جاراتها اللاتينيات منذ نصبت بينهم وبين العالم ــ غير الامريكى ــ سدا من مبدأ (مونرو) الذى اضحى فى آخر صور تطوره (منظمة الدول الامريكية) ٠٠ ان القارة اللاتينية مزرعة ضخمة القتها لعنة الجغرافيا لاستثمار (اليانكى) و (القرينغو) (٤)٠عشرة الاف

---

(٤) لقبان يطلقان فى القارة اللاتينية على ابناء الولايات المتحدة ٠

مليون دولار تبعثها الجارة الشمالية في عروق القارة لتنزف وتنزف ، من كل شيء !

ان امريكا (الشمالية) هناك في الجنوب هياكل المنيوم ممردة وسمفونيات من الاسمنت كالاطواد ، ومنجم يهترىء فيه الجسد ، ودولار رواغ ذو وجه ازرق ومصرف وشركة ومكتب وعمـــلاء بعشرات الالوف • الامازون الحقيقي ليس ذلك النهر الذي يسيل في عرض القارة ولكنه ذلك الذي يتدفق ذهبا من عروقها الى (وول ستريت) !

منذ سنوات زار رئيس الجمهورية الكولومبية امريكا فاكرمه (نلسون روكفلر) حاكم نيويورك بان اهداه خمسين الف هـكتار •• فـي ارض كولومبيا ! !

ان في تاريخ الفتوحات الاسبانية قصة رواهـا الشاعر (نيرودا) تذكران (بيسارو) الفاتح الوحش انتصر على ملك (بيرو) بسنابكه • وسيق الملك المغلوب (اتاهيالبا) اسيرا جريحا الى السجن • ودخل بيسارو عليه فوجد على الجدار خطا احمر من دمه • كان يحاول الهرب ! ••• اذن فعلى البروانيين ان يملأوا ثلاث غرف بالذهب والفضة حتى ذلك الخط الاحمر ! واخذت العربات تذهب وتجيء ، تحاول دون جدوى تغطية ذلك الخط !•• ويظهر ان هذه العربات ماتزال منذ اربعمائة سنة تذهب وتجيء محملة بالسكر والنحاس والبترول والنترات والقهوة والموز والمطاط والبلاتين ••

••دون ان تصل الى الخط الاحمر ! ■■

شاكر مصطفى

ينهض من جديد

■ يروي عازف البيانو الشهير آرثر روبنستين قصة حدثت له عندما كان في سن السابعة عشرة من عمره وغيرت تماما مجرى حياته بعد ان كاد اليأس يقتله :

« لقد وصلت الى باريس من برلين واخذت ابحث عن عمل ولكن لسوء الحظ لم يكن النجاح حليفي • فاسودت الدنيا في وجهي واصبحت عصبي المزاج مهموم البال ومستاء من الاخرين • وهكذا عشت في حالة من البؤس والضياع • وفي هذا الجو الذي لا تلوح في افقه بوادر مستقبل افضل رحت اسأل نفسي: ما هي الجدوى من العيش في ظل هذه الظروف ؟ ولذا حاولت التخلص من الحياة بالاقدام على الانتحار ولكن المحاولة اخفقت • ولقد اعترفت بان ذلك كان تصرفا احمق مني يدعو الى السخرية ، كما هو شأن الحياة التي اعيشها • وفي اليوم التالي وكان يوما رائعا استيقظت في الصباح وفتحت عيني على عالم فسيح جديد و يقنت في قرارة نفسي ان النجاة من الموت هي ولادة جديدة• ولقد جذبني منظر الزهور الجميل واطللت برأسي من الشرفة لارى كلبا يلاحق خياله في الشارع ، ولفرط تأثري بهذا المشهد اغرورقت عيناي بالدموع واخذت اسأل نفسي : ماذا كنت انتظر لاكون سعيدا ؟ لقد كانت تلك هي السعادة بعينها • ومنذ ذلك الوقت اصبحت انظر الى الدنيا بمنظار ابيض واعمل على ادخال السعادة الى نفسي مما كان له اكبر الاثر في تغلبي على جميع الصعاب التي واجهتني وما حققته من انجاز حتى الان • »

لوفيجارو ـ باريس•

بيرانيا

سمكة صغيرة

من أكلة لحوم البشر

« هناك أكلة للحوم البشر نعرفهم ،القرش والتماسيح والاسود والنمور ، لكنه ثبت أنه ليس هناك أكثر وحشيةوشراسة من تلك السمكة الصغيرة التي تعرف باسم بيرانيا » .

■ فى مياه المناطق الداخلية لامريكا الجنوبية تعيش البيرانيا . لكن نهر الامازون هو الذى يعتبر موطنها الاصلى ، حيث تتواجد فيه باعداد هائلة .

ويبدو للوهلة الاولى ان سمكة بيرانيا ذات البطن المنتفخ العريض واللون الفضى غير ضارة على الاطلاق . غير ان الحقيقة ان هذه السمكة قاتلة ، ولديها شهوة جامحة لسفك الدماء .اذ ان منظر الدم يجذبها من مسافات بعيدة بفضل حاستى البصر والشم القويتين لديها . وراسها غزير بالحراشف وجمجمتها مكسوة بعظمة سميكة كما ان لون عينيها الواسعتين المستديرتين يكون احيانا احمر كلون الدم ، وفمها مسلح باسنان مثلثة الشكل وحادة كموسى الحلاقة . وتندفع نحو فريستها بقوة وبسرعة خاطفة وتطبق عليها بفكيها العلوى والسفلى وتمزقها اربا اربا ، وبمنتهى السهولة كما هو الحال عندما تستخدم اداة من ادوات الجراحة فى تقطيع الزبد . وتقضم لحم فريستها قطعا صغيرة وتلتهمها .

وفى الحقيقة فقد جاءت تسميتها بالبيرانيا من الكلمة الهندية توبى ـ غواراني. « وتعنى السمكة ذات الاسنان الحادة » . وفى بعض المناطق التى يتكلم سكانها اللغة الاسبانية يطلق عليها اسم «كاريب» ، « وتعنى السمك الصغير الضار الذى يعيش فى امريكا الجنوبية او «كانيبال» وتعنىأكلة لحم البشر .

ويروىاحد الهواة كيفشاهد فكىهذهالسمكةعلى الطبيعة فقال:«استاجرنا مرشدا يدعىجورجليقودنا فى رحلة لصيد السمك فى « ماناواس » فى احدى غابات البرازيل . وبعد ساعة تركنا المدينة ، وعندما وصلنا عند مدخل نهر الامازون اوقف جورج المركب وشبك قطعة لحم فى صنارة الصيد وقذف بها الى الماء ، وعلى الفور صاح قائلا لقد امسكت بسمكة ومن ثم جذب الصنارة الى الخلف ، واذا بنا نشاهد سمكة طولها اثنا عشر بوصة وبطنها منتفخ ولونها قرمزى جميل كسائر انواع السمك الاستوائى الذى شاهدناه وحذرنا جورج بضرورة الابتعاد عن البيرانيا الحمراء وقال لنا راقبوا جيدا ايديكم واقدامكم . وكانت فاغرة الفم وفكاها المفزعان بارزين بوضوح .

وفى اللحظة التى سحب فيها الصنارة من فمها اندفعت بقوة نحو المجداف المصنوع من الخشب وقضمت قطعة منه ثم اتجهت الى الحافة السفلى من المركب وقفزت الى الماء . وقد فسر لنا ذلك لماذا يفقد كثير من الصيادين اصابع ايديهم واقدامهم فى الاماكن التى تتواجد فيها البيرانيا.

وتبحث هذه الاسماك غالبا عن ضحاياها فى جماعات كبيرة تصل الى المئات ومن هنا يمكن ان

تتخيل مدى الدمار الذى تخلفه والسرعة المذهلة التى تنجز بها عملها .

وابلغنا راعي بقر برازيلي بانه تمكن من جرح سمكة يبلغ وزنها مائة وخمسة وعشرين رطلا انجليزيا وتعتبر اكبر انواع القوارض في العالم التى تعيش في نهر الامازون . وقال ان السمكة الجريحة افلتت منه واندفعت ثانية الى الماء والدم ينزف منها ، « وبعد برهة وجيزة شاهدت منظرا مفزعا لن انساه ابدا فقد تحول لون الماء الى الابيض فاللون القرمزى وفى غضون دقائق لم يتبق من السمكة شيئا باستثناء عظامها . »

وروى هاو آخر حادثة وقعت في عام ١٩١٤ وقال انه بينما كان احد القرويين يعبر جدولا فيالبرازيل على ظهر بغله اذ سقط فجاة في الماء وماهي الا لحظات حتى جرد سمك البرانيا لحمه عن عظمه. ومنذ ذلك الوقت اكتسب هذا السمك سمعة مرعبة فى مختلف بقاع الارض .

والحالات الفعلية التى ياكل فيها البيرانيا بنى البشر نادرة . ولكنها عندما تحدث فان النتائج تكون مذهلة . ففى نوفمبر عام ١٩٧٦ انقلب احد المراكب النهرية بينما كان يقل ثمانية وثلاثين شخصا عبر نهر « ايروبو » على بعد مائة وخمسة وعشرين ميلا الى الشرق منماناواس والذى تكثر فيه اسماك البيرانيا . ولما وصل عمال الانقاذ الى المنطقة بعد تسع ساعات وجدوا معظم الركاب الذين لاقوا حتفهم فى الحادث قد اصبحوا هياكل عظمية بفعل هذه الاسماك .

وكثير من الخبراء يعتقدون بان خطر البيرانيا على بنى الانسان مبالغ فيه وذلك بالرغم من مثل هذه الحوادث . وقال هؤلاء الخبراء ان السكان الوطنيين فى بلاد حوض نهر الامازون غالبا ما يسبحون فى انهار حيث يصطاد الصيادون اسماك البيرانيا بالعشرات .

والهنود يخشون كثيرا من نوعين من الاسماك احدهما افعى مائية ضخمة والاخر سمكة طفيلية صغيرة جدا تعرف باسم « كنديرو » تسبح الى ثقوب فى الجسم وتستقر هناك وغالبا ما يتم اللجوء الى العمليات الجراحية لاستئصالها .

ويقول استاذ متقاعد فى علم الاحياء فى جامعة ستانفورد بكاليفورنيا هو جورج مايرز ان خطر البيرانيا على الانسان حقيقى كما هو الحال بالنسبة لسمك القرش ، وان هذا الخطر يتطلب من الشخص عدم التواجد فى المكان والزمان غير الملائمين. ويضيف قائلا ان أسماك القرش والاسود والافاعى ذات الاجراس واسماك البيرانيا لاتقتل اوتوماتيكيا الانسان الذى يقتحم موطنها ، ولكن احدا لايمكن ان يزعم ان ايا من هذه الكائنات الحية ليست مخلوقا مميتا .

وتكمن الخطورة البالغة لاسماك البيرانيا فى المياه الضحلة (البحيرات،والبرك ومنعطفاتالانهر) فى فصل الصيف . عندما تاخذ المياه بالانحسار ويقل الغذاء الطبيعى لهذه الاسماك وهو عادة كائنات حية مائية اخرى تصبح عدوانية .

وفى المناطق التى تربى فيها قطعان الماشية تهاجم البيرانيا الابقار التى تخوض فى المياه الضحلة وتقرض بفخيها اولا حلمة الثدى وطرف الذيل لم تكمل على أعضاء الجسم الاخرى وذكر تقرير لمعهد برازيلى فى علم الاحياء ان صاحب قطيع من الابقار في ولاية « ماتو جروسو » فقد الفا ومائتى رأس من قطيعه فى سنة واحدة بفعل اسماك البيرانيا .

ومن غير المحتمل أن يكون عامل واحد فقط هو الذى يدفع هذه الاسماك الى الهجوم بل عدةعوامل مجتمعة . ومن بين هذه العوامل الجوع والمياه الضحلة والكثافة العالية للاسماك .

وتمتاز البيرانيا بحدة البصر وتستخدم حاستى البصر والسمع فى العثور على فريستها . وتثير رائحة الدم ثائرتها فتنطلق كالبرق نحو مصدر هذه الرائحة وهى فاغرة الفم ثم لاتلبث ان تختفى عن الانظار .

ويعتقد بان هناك اكثر من عشرة انواع منهذه الاسماك يتراوح طول الواحدة منها مابين عدة بوصات وقدمين . وهى تتواجد باعداد هائلة فى البحيرات والانهار والبرك المنتشرة فى معظم انحاء امريكا الجنوبية شرقى جبال الانديز بين البلاد المطلة على البحر الكاريبى وشمال الارجنتين . وبعض هذه الاسماك اشد خطرا من السمك الذهبى وبعضها الاخر كالبيرانيا الحمراء قاتل .

وتضع اناث البيرانيا المئات من البيض في وقت واحد على النبات المائى وتتولى الذكور بعد ذلك



عملية تلقيح البيض واحتضانه • وعندما تفقس صغار السمك تبقى متصلة بالنبات لعدة ايام •

والسمكة وهي ماتزال يرقة صغيرة جدا قد تكون لقمة سائغة لاسماك أخرى أثناء تجوالها ، اذا لم تبادر ذكور البيرانيا الى التصدي لها ومنعها من الاقتراب • وعندما تصبح صغار السمك قادرة على السباحة الحرة تنفصل عن النبات وتبحث عن غذائها بنفسها •

والبيرانيا شانها فى ذلك شان اسماك القرش تهاجم وتاكل كل شيء متيسر تصادفه فى طريقها سواء كانت لوحدها أم ضمن مجموعات • وعلى عكس سمك القرش الذى لا يهاجم الا كائنات حية فى مثل حجمه فان سمك البيرانيا يهاجم مخلوقات تفوقه حجما عدة مرات اذا ماكانت هذه المخلوقات مصابة بجروح او تتصرف بطريقة غريبة • واذا كانت الطريدة سمكة كبيرة فان البيرانيا قد تطبق بفكيها على ذيلها وتشل حركتها • واثناء عملية الاكل تتوالى هذه الاسماك على الفريسة لتحصل على نصيبها من الغذاء ، وتتم هذه العملية بسرعة مذهلة لاتصدق •

وحتى الطيور لاتكون فى مامن عندما تكون هذه الاسماك جائعة • وقد اختفت طيور كثيرة كمالك الحزين (البلشون) ، وابن الماء (البلشون الابيض) والبط الابيض بينما كانت تطير على ارتفاع منخفض فوق الماء وتبين فيما بعد ان سمك البيرانيا هو الذى يهاجمها ويتغذى عليها • وبالرغم من خطورة هذا النوع من الاسماك الا ان الهنود يجدون فيه طعاما لذيذا ولذلك فهم يصطادونه بالعشرات بواسطة لحاء شجر سام يضعونه فوق الماء ويقومون بشواء السمك المصيد فوق نار فحم حامية • وبعد الغذاء يستخدمون فك البيرانيا كمقص لتقطيع الجلود ، اما الاسنان فتصبح رؤوسا للسهام •

وهناك حوض لحفظ هذا النوع من الاسماك فى بريطانيا • ويحذر الخبراء الاشخاص الذين يقومون ببيع وشراء البيرانيا من خطرها ويطالبونهم بوجوب العناية الفائقة فى تعاملهم معها • ويقدمون تعليمات مفصلة لهم وينصحونهم بضرورة ابعادها عن متناول الاطفال على وجه الخصوص •

وكثيرا ما تقع حوادث مؤسفة لاشخاص لم ياخذوا الحيطة والحذر فى المناطق التى تكثر فيها البيرانيا • وعندما يصطدم هذا السمك مع الانسان يكون ذلك بوجه عام اما فى اعقاب حادث او بسبب خطأ فى تقدير الانسان •

وهناك حادثة وقعت لرئيس هندى على نهر تاباجوس « Tapajos » فبينما كان ينظف الدجاج على ضفة النهر وبدون انتباه القى باحشاء الدجاج فى النهر ومن ثم وضع يديه فى الماء لغسلهما من الدم ، وعلى الفور سمع اضطرابا شديدا تحت الماء وماهى الا لحظات حتى صرخ من شدة الالم ولما رفع يديه وجد ان البيرانيا قضمت احد اصابعه وهو السبابة •

المهم أن القرويين الذين يتمتعون بقدر كبير من رباطة الجاش قالوا ان الرئيس الهندى كان مخطئا بوضع يده فى الماء وان المسئولية تقع عليه وليس على البيرانيا التى قضمت يده • ■■

(مترجم عن ريدرز دايجست)

تقرير عن مهرجان بغداد الدولي الثالث لأفلام فلسطين

فلسطين والسينما



فانيسا ردجريف بطلة فيلم « الفلسطينيون »

بقلم : الفاروق عبد العزيز

■ صارت العلاقة اليوم بين أية قضية نضالية وبين الفن السينمائي علاقة عضوية مفعمة بالحيوية. لم يعد يكفي أن نقرر أهمية استخدام الوسيط السينمائي كوعاء ناقل للمضامين والرؤى الثورية، فقد صار بديهيا اليوم التأكد على « خطورة » هذا الوسيط الاعلامي في نقل الافكار وعرضها • واذا كان عالم الاتصال الكندي الكبير مارشال ماكوهان يؤكد على أهمية التليفزيون « كوسيط ساخن » في هذا المضمار وفي غيره ، فان هذا لا ينفي مقولتنا حول مدى الاهمية والخطورة التي ما زال يتمتع بها « الوسيط البارد » ـ السينما • وعلى أية حال فكلا الوسيطين يمثلان معا حلا بصريا واحدا بالغ التاثير في عالم اليوم •

لهذا حرص مهرجان بغداد الدولي منذ انشائه في عام ١٩٧٤ ـ وهو مناسبة تتكرر كل عامين ـ على أن يضم عروض التليفزيون (أشرطة الفيديوتيب) الى عروضه السينمائية • فهو المهرجان الدولي المكرس لافلام وبرامج فلسطين • وقد رفع شعار منذ بدايته يقول : « تحرير فلسطين ركيزة للسلام العالمي » • وهذا يعني أن المهرجان باعتباره حدثا عربيا ودوليا يسعى من خلال مجمل ما يعرض من أفلام الى التركيز على حقيقة ارتباط القضية الفلسطينية باستقرار السلام العالمي •

الكم العربي والكم الغربي

وقد عقد المهرجان الاخير في الفترة مابين ١٨ وحتى ٢٥ مارس (آذار) ١٩٧٨ • خلال هذه الفترة الحافلة بالعروض أتيح لجمهور المهرجان من سينمائيين ونقاد وضيوف مشاهدة ما يربو على ١٠٠ فيلم تسجيلي وروائي وشريط فيديو • وهو الامر الذي أسهم في تقديم بانوراما كاملة عن معظم ما تم انتاجه عربيا ودوليا حول فلسطين •

والواقع أن الملاحظة الاولى تتعلق بكم العروض التي توفرت للمهرجان الثالث هذا العام بوجه



فانيسا والشال الفلسطيني حول رقبتها تتحدث الى واحد من لاجئي مخيم تل الزعتر ٠

●●●

خاص ٠ فقد لوحظ أن مجمل مشاركة الدول الصديقة أو السينمائيين المستقلين من الدول الغربية قد أربى على ٧٠٪ من افلام المهرجان ٠ وهذه ظاهرة ايجابية بالتاكيد ٠ فهذا يعنى أن الوجود الاعلامي لقضيتنا يكسب أرضا جديدة كل يوم ٠

بيد أن هناك وجها سلبيا لهذه الملاحظة فالمشاركة العربية التى يفترض فيها أن تكون أكثر فعالية ووجودا على صعيدى الكم والكيف تتلاشى تماما بعد عام ٠ ولست أدرى سببا لهذا ٠ هل نتصور أننا كعرب قد أرضعنا بما يكفي ، وعلى الغرب وحده أن يسهم في تنوير ذاته بذاته ؟

الافلام العربية

ستحاول هنا أن نعرض الكيف العربي والكيف الغربي كما ظهرا من خلال افلام المهرجان وقد يبدو هذا ضروريا خاصة اذا علمنا ان هناك حقيقة اعلامية عربية مفادها انه لا يعرض على الجماهير العربية من المحيط الى الخليج أكثر من ٢٥٪ مما يتم انتاجه عن قضية فلسطين بوجه خاص ٠ ومرجع ذلك أسباب كثيرة وان كان أهمها عدم وجود شبكة توزيع محكمة لهذه الافلام التى تنتجها بالاساس منظمة التحرير الفلسطينية (الاعلام الموحد) ٠

لهذا كان اهتمامنا البالغ بمتابعة انتاج مجموعة الشباب الفلسطيني ـ الذى يعيش واقع القضية اليومي واللحظى ويعانى من لهيبها مباشرة ـ خلال دورات المهرجان الثلاث (٧٤ ـ ٧٦ ـ ١٩٧٨) ٠ وربما لان المجموعة معنية أكثر من غيرها بانشاء علاقة صحيحة بين فلسطين والسينما ٠ والمعروف أن مؤسسة السينما الفلسطينية قد انشئت عقب «كرامة» مارس ١٩٦٨٠ يومها أصدر الشباب بيانا يدينون فيه التناول السينمائي العربي ـ روائيا ووثائقيا ـ للقضية الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨ ٠

من خلال ما عرض في المهرجان الاخير لهذه المجموعة امكن لها في تصورى ـ ان تجد بداية الطريق نحو تنديد عملي بالاساليب المختلفة للافلام العربية المكرسة لفلسطين والتى تعكس فقرا حادا في الوعي السياسي والقومي بابعاد وحركة القضية ٠ ففي

فيلم « تل الزعتر » للمخرجين مصطفى ابو على وجان شمعون تعايش الاهتمام الشديد بالتسجيل الحى للتجربة المأساوية التى عاشها سكان هذا المخيم البطولى قبل واثناء حصار الـ ٥٥ يوما فى اغسطس (اب) ١٩٧٦ • وهو لا يكتفى بتسجيل الحدث ولكنه يعلق عليه سينمائيا من خلال مونتاج محكم الايقاع يكشف عن طريق كافة ابعاد الحدث• والعمل يخلو من كثير من عيوب السينما الفلسطينية الاولى • ولعل ابرز هذه العيوب كان يتمثل فى نقطتين :

* الانفعال الزائد وهو الامر الذى يؤدى الى طمس معالم الرؤية السياسية الناضجة للقضية •

* الحيرة تجاه الجمهور • فقد كانت هذه الافلام تخرج فى الواقع دون تحديد للجمهور الذى ستتوجه اليه هل هو الشعب الفلسطينى ام العربى ام شعوب متعاطفة مع القضية ام شعوب مضللة غيبت عنها الحقيقة طويلا ؟

غير ان المستوى الفنى الممتاز الذى بلغته الجماعة الان من خلال « تل الزعتر » يشهد باكتمال الرؤية لدور السينما الثورية فى عالمنا هذا •فقد كان فقر الامكانيات الفنية مبررا لاخفاق العمل فى التوصيل ـ توصيل رسالته الى جمهور محدد • ولكن فقر الامكانيات هذه المرة يتلاحم مع غنى المادة ضمن اطار سينمائى محكم •

عن تل الزعتر ايضا قدمت نبيهة لطفى فيلمها من انتاج مؤسسة السينما الفلسطينية • وهو يحفل بمجموعة من الشهادات الواقعية ذات الاهمية والدلالة • اما «المفتاح » الذى اخرجه غالب شعث (والذى كان قد اخرج « الظلال فى الجانب الاخر » لجماعة السينما الجديدة فى مصر عام ١٩٧١) فهو عمل يخاطبك فى هدوء ويتسلل الى وجدانك فى يسر • فما زال الجد يعلق مفتاح دارته فى فلسطين على الجدار • حفيده يتعلم ويتساءل عن هذا المفتاح ولاى باب صنع وهل يمكن العودة الآن ولماذا لا ؟ •

ما تبقى من افلام المجموعة الفلسطينية كثير • ولكننا لا بد ان نتوقف امام الجريدة السينمائية الفلسطينية وقد يبدو لاول وهلة أن لا اهمية يمكن ان تناط بها • ولكن الواقع ان اسلوب الجريدة السينمائية (النيوزريل) هو آخر انجازات السينما الوثائقية الان • فالتسجيل الحى المباشر صوتا وصورة للاحداث جميعها يساوى فى اهميته تدوين التاريخ اليومى للثورة • كما ان العلاقة المباشرة بين الجمهور والجريدة التى يشاهدها بسيكلوجية تختلف عن مشاهدته للافلام الروائية مثلا هى تانى ثمارها • ان الجريدة هى موصل جيد يضع المشاهد فى قلب الاحداث مباشرة كما انها مصدر مؤكد للمعلومات التى يحتاجها المواطن العربى خاصة اذا كانت من مصدر عربى صميم •

قدم العراق معظم افلام وبرامج المجموعة العربية• وقد برز من بين هذه الافلام فيلم « رجل السلام » عن المطران المناضل هيلا ريون كابوتشى • ولا يعد الفيلم وثيقة سينمائية بالغة الاهمية فحسب • ولكنه فى الواقع عمل فنى محكم•فشهادات المطران الواقعية تجسد فى صور كتبت بطريقة المونتاج المتوازى وهذا بذاته يترجم اقوال المطران الى اعمال جسدتها فى النهاية بطولته العملية •هناك ايضا فيلم « حقوق الانسان ••لمن ؟ » لمنذر جميل ويربط فيه بين النضال الفلسطينى ونضال شعوب العالم ضد الاستعمار من خلال نفس الاسلوب ـ المونتاج المتوازى ـ (الذى يقدم لقطة ثم نقيضها أو لقطة ثم مرادفا لها لكى يحصل على اثر كلى فى النهاية باتجاه المعنى الذى يقصد الى تدعيمه •

وقد شاركت الكويت بفلم « الصقر » لبدر المضف وفيديوتيب عن « حركة تحرير ارتريا » لعبدالله المحيلان ولكنهما لم يعرضا لازدحام العروض كما قيل •

الافلام الصديقة

من خلال عروض المهرجانين السابقين امكن لنا ان نرصد تحولا كميا وكيفيا فى افلام الاصدقاء • وقد تاكدت هذه الحقيقة خلال المهرجان الاخير بشكل مؤكد كما اسلفت • وقد تميز مجمل العروض بالسمات التالية :

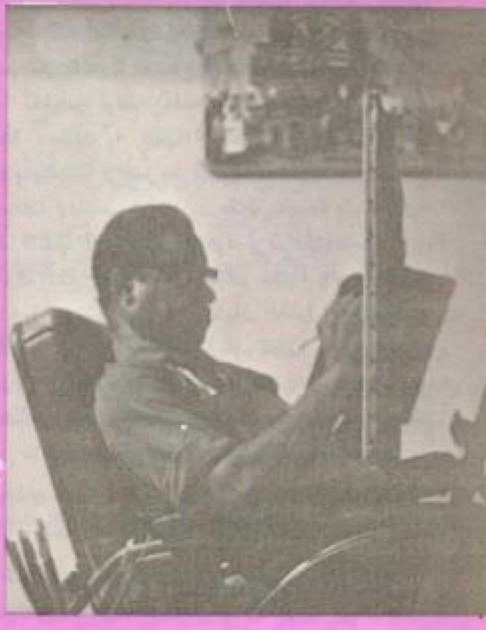
ان هذه الافلام قد وجدت جمهورها • فهى تتوجه لجمهور غيبت عنه الحقيقة طويلا وفى اقل القليل تتوجه الى جمهور عربى ربما يكون قد نسى مجموعة من الحقائق عن القضية لاعادة تعبئته •

ان هذه الافلام قد تميزت بما يمكن تسميته « الوعى البارد » او العقلانية فى مخاطبة هذا الجمهور وفى طرح القضية اساسا • وليس معنى هذا انها تخلو من اثارة انفعالية ولكن ذلك يتم من خلال عرض منحاز لحقائق الوضع الفلسطينى •

وقد سبق ان شاهدنا افلاما لمجموعة من المانيا



جانب من ندوة مناقشة مهرجان السينما الفلسطينية فى بغداد



من فيلم « رؤى فلسطينية » لعدنان مدانات — فلسطيني مقعد يمارس نضاله بوسائل اخرى .



من فيلم « رجل السلام » — المخرج مجيد الخطيب مع المطران المناضل كابوتشى فى لقطة من الفيلم .

الغربية تسمى بمجموعة « بروميثيوس الجديد » وابرز مخرجيها هو مانفريد فوس الذى قدم من قبل « اين تقع فلسطين ؟ » و « لانه فلسطيني » . وقد عرض فيلم المجموعة عن مخيم « الرشيدية » واعتمد ايضا اسلوب الشهادات الواقعية التى ادلى بها اهالى المخيم عن الوحشية الصهيونية .

اما افلام المجموعة الهولندية فقد برز منها «الفلسطينيون» (الذى فاز بالجائزة الذهبية) والذى كان بمثابة تحفة على صعيد السينما النضالة من كافة الوجوه . والفيلم يملك طاقة اقناعية هائلة للجمهور الذى يتوجه اليه . برز ايضا « الحلم » الذى يزاوج بين حلم طفل فلسطيني ورسومه . وهو فيلم رقيق مفعم بالشاعرية .

اما مجموعة فانسان الفرنسية فتشترك لاول مرة فى المهرجان بفيلم هو « الزيتونة » الذى نستعرض من خلاله مواقف اليهود الغربيين اللاصهيونيين مقابلة بمواقف العرب داخل الارض المحتلة وخارجها .

بيد ان اهم ما عرض قاطبة فى المهرجان — فى تقديرى — كان فيلم الفلسطيني من انتاج وتقديم الممثلة السينمائية العالمية المناضلة فانيسا ردجريف واخراج روى باترسك . فهذا الفيلم الوثائقي الطويل (١٥٧ ق) يحمل مواصفات الفيلم التعبوى

التحريضي الكامل كما هو معروف في السينما النضالية . فهو يعبىء المشاهد بشحنة فكرية ـ انفعالية تحرضه بكليته باتجاه الدعم المطلق للقضية الفلسطينية . ولنا ان نتصور اهمية الفيلم اذا عرفنا الجمهور الذي يتوجه اليه اصلا وهو الجمهور الذي « غيبت عنه الحقيقة طويلا ».

شهادات فيلم « الفلسطيني »

ولست ادري سببا محددا للترحيب الهائل الذي لقيه الفيلم من قبل ضيوف مهرجان بغداد او في عرضه الاول في العالم العربي خارج المهرجان بنادي الكويت للسينما في الثامن من ابريل الحالي؟ الانه تعبير عن صحوة هائلة في الضمير الجديد للدولة الاستعمارية القديمة ـ بريطانيا والتي كانت السبب المباشر في المشكلة الفلسطينية (وعد بلفور ومآسي الانتداب ؟) ام لانه « اول » فيلم بريطاني عن القضية الفلسطينية ؟ أم لان نجمة عالمية تحولت منذ ما يقرب من عشر سنوات الى تبني قضايا النضال ضد الاستعمار ؟ .

لقد قالت فانيسا ردجريف (التي فازت بالاوسكار اخيرا عن دورها في فيلم «جوليا») في لقاء تليفزيوني اجريته معها في بغداد انها « اكتشفت ثورة » لهذا يحاربها الصهاينة في كل مكان ويلقبونها بابشع الالقاب محاولين خنق صوتها ولكنها ترلي لهم وهي متفائلة بالغد « فكل متشائم جبان » . والواقع ان فيلمها يؤدي الى هذه النتيجة بالضبط .

فعلى مدى ما يقرب من ثلاث ساعات يتعرض الفيلم للمآسي التي عاشها الشعب الفلسطيني والفقراء اللبنانيين (١٧ الف فلسطيني و ١٣ الف لبناني) خلال حصار مخيم تل الزعتر . ومن خلال شهادات واقعية ، بالغة الصدق والحيوية تتعرف الى جوانب المأساة بابعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وتستعرض بعد ذلك ملامح الحياة اليومية ـ بالاعراس والمآتم والتدريب العسكري والتمريض ـ لشعب موجود . وتجسد هذه الملامح زيف الدعاوى الصهيونية في الاساس . ان طبيب مخيم تل الزعتر يقول معلقا على ما شاهد من فظائع : « ان هؤلاء الناس يعتبرون انفسهم ممثلين للحضارة الغربية في الشرق الاوسط . هل يقبل الغرب بذلك ، ام ان هناك تعريفا للحضارة لا اعرفه » . يكشف الفيلم معنى «الحضارة» عند الشعب الفلسطيني وعند الانعزاليين المتحالفين مع الصهيونية في جريمة ابادته . وهنا يترادف معنى صنع اشغال تطريزية فلسطينية مع قضية « وجود » الشعب الفلسطيني ذاته .

ويعتمد الفيلم كافة اساليب السينما المباشرة من حيث التسجيل الحي والمباشر للحياة اليومية للفلسطينيين . وهو لا يدعي موضوعية ليبرالية وما شابه ذلك من الاوهام الغربية حول وسائل تناول المشكلة الفلسطينية سينمائيا . بل يعلن من البداية انحيازه الكامل الى جانب الفلسطينيين ونضالهم حين يفتتح بخريطة للعالم نرى من خلالها وجها فلسطينيا بارض فلسطين ما يلبث ان يغمره الدم لكي تتحول فلسطين كلها الى اللون الاحمر . هذا تلخيص لموقف يتخذه الفيلم بعد ذلك في كل لقطة ومشهد . فشهادة الطبيب والشبل والجد والام والبنت وياسر عرفات تشيع فيها جميعا روح متعاطفة وتتنامى من خلالها حقائق متجددة باستمرار . فهذا شعب قادر على الوجود برغم الابادة .

وقد دفع نجاح هذا الفيلم منتجه الى التفكير في عمل روائي كبير عن اغتيال القادة الفلسطينيين الثلاثة في بيروت ١٩٧٣ (كمال ناصر وكمال عدوان ويوسف النجار) وذلك بهدف ابراز مدى وحشية « الارهاب الصهيوني » في مواجهة الحملة على ما يسمونه في الغرب « بالارهاب الفلسطيني ».

اشكال جديدة

كان المهرجان فرصة كبيرة في الواقع لمسح ما انتج من اعمال خلال العامين الاخيرين عن القضية الفلسطينية عربيا ودوليا ، وبهذا امكن استطلاع الاشكال العديدة التي احتوت المضمون الثابت . ولعل الشكل الشائع بين معظم الافلام هو اعتماد الشهادات الواقعية التي يدلي بها صانعو الاحداث انفسهم كمادة فيلمية اصيلة . وفي افلام عديدة امكن استغلالها بنجاح عن ربطها بلقطات ارشيفية مما صورته وكالات الانباء داخل الارض المحتلة . غير ان اهم هذه الاشكال كان يتمثل في ربط الشهادات الواقعية بعالم حي اخر ربطا جدليا يعلن ويرفض ويعطي ويضيف مع حس روائي اسهم في تخفيف جفاف المادة الوثائقية البحت . وخير مثال لذلك كان فيلم « الفلسطيني » لفانيسا ردجريف .

هذا هو المهرجان الوحيد في العالم المكرس

كلية للقضية الفلسطينية • من الطبيعي ان يكون مهرجانا عربيا ولا نملك هنا ان نحيي استمراره وحسب ولكننا نحيي اتاحته الفرصة الكاملة لمنطلقين اساسيين :

● لمنطلق السينما الفلسطينية التي تطورت كثيرا بالفعل من خلال عروضه العربية والصديقة•

● لمنطلق السينما الصديقة حول القضية الفلسطينية والتي تعاظمت كما وكيفا وتاثيرا من خلاله ايضا •

وقد عقدت ندوة في ختام المهرجان لمناقشته واقتراح تطويره الى الافضل•واتفق المجتمعون من النقادوالسينمائيين على الاهتمام بالمناقشات والندوات والابحاث المكرسة لقضية المهرجان الاولى ـ السينما الفلسطينية • كما اتفقوا على ضرورة توعية السينمائيين الاصدقاء، توعية مستمرة عن طريق تزويدهم بما يستجد من معلومات حول القضية الفلسطينية •

ان هذا المهرجان لظاهرة فنية حقيقية تدفع بدم جديد في عروق حركة السينما العربية الجديدة وخاصة ما كان منها مكرسا لاهم قضايا العالم والعالم العربي المعاصرة (قضية فلسطين)• ■■

الفاروق عبدالعزيز

حزيران (يونيو) ماذا يعني ؟

هو الشهر الرابع من السنة بحسب التقويم القديم ، والسادس بحسب التقويم الحديث المتبع الان ، واسمه في اللغة اللاتينية « جونوس » لانه كان مخصصا باسم المعبودة « جونوس » او لانه شهر الشباب •

ويؤكد المؤرخ « اوفيد » في احد فصوله انه سمي هكذا نسبة للمعبودة « جونوس » ، ثم يعود في موضع آخر فيقول ان الاسم « جونوس » مشتق من كلمة Juniokidue ومعناها الشباب ، وان اصل تسميته بهذا الاسم هو انه شهر الشباب ، اونسبة لصغار العمال في حكومة رومية ، او نسبة للمجلس الاصغر من مجلس الشيوخ والنواب •

كان عدد ايام هذا الشهر ثلاثين يوما ، فلما جاء جوليان لاصلاح التاريخ ، وجد ايام حزيران تسعة وعشرين يوما ، فزاد عليها قيصر يوما فصارت ثلاثين •

يسمى هذا الشهر شهر الصيف الاول ، تمييزا له من تموز (يوليو) الذى هو شهر الجفاف والحرارة • وفي شهر حزيران ينتهي الربيع ويبدا الصيف ، وذلك في اليوم الحادي والعشرين او الثاني والعشرين منه ، تبعا لكون السنة كبيسة او عادية ، ويعتبر دخول الشمس في برج السرطان في هذا الشهر • على ان العلم الحديث اثبت ان ذلك قد كان يتفق مع الحقيقة منذ الفي سنة ، اما الان فهي لا تدخله الا في السادس عشر من تموز•ويعتقد اكثر الناس ان هذا الشهر افضل شهور السنة للزواج ،وقد اتصل هذا الاعتقاد باهل العصر من اليونان والرومان الذين كانوا يعتقدون ان هذا الشهر خاص بالمعبودة « جونوس » كما تقدم ، ومن المعلوم ان هذه المعبودة هي عندهم زوجة «جوبيتر» او المشترى اله الالهة ، وملكة السماء وحامية الزواج • واكثر الناس رغبة في الزواج في هذا الشهر هم الاوروبيون ، ويقول بعض الناس انه لما كان اطول ايام السنة في شهر حزيران فالزواج في هذا الشهر يدل على حياة زوجية طويلة وسعيدة،واسعد ايام الزواج فيه كما يعتقدون هي : الاول والثاني والحادي عشر والتاسع عشر والحادي والعشرون •

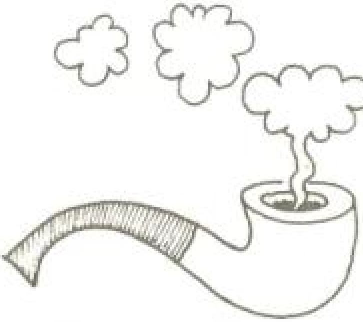
وايام الشؤم التي لا يحسن فيها الزواج هي :الثامن والعاشر والثاني والعشرون •

واما ايام السعد لاعمال الحياة الاخرى فهي :العاشر والحادي عشر والخامس عشر والثاني والعشرون والخامس والعشرون ، وايام الشؤم هي:الخامس والسادس والثاني عشر والسادس عشر والثامن عشر والرابع والعشرون •

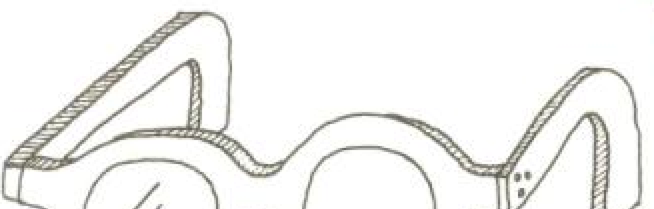
تعريفات جديدة



سلاح رهيب
ولذلك مُنع استخدامه
بدون ترخيص في بعض
الدول ..!



مدخنة مصنع لإنتاج السرطان



تستعمل أحيانا لإيجاد فائدة للأذنين ...!!



جنيه... "سابقا"



أصغر رشوه عرفها التاريخ

بريشه جهت



صورة عقد إتفاق
على الاختلاف معًا
مدى الحياة..!!

أنباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

جهاز للمكفوفين يمكنهم من السير وحدهم وتحاشى العقبات



● هذا جهاز صنعوه فى الولايات المتحدة لمساعدة الضرير على السير وحده دون حاجة الى دليل ٠ فهو يساعده على تحاشى العقبات قبل الاصطدام بها ٠

والجهاز ليس فى النظارة السوداء ، وانما فى الاسطوانتين الصغيرتين المثبتتين على ذراعى اطار النظارة الجانبيين ، فوق الاذنين ٠٠ فهما ترسلان اشعة ما تحت الحمراء Infrare الى الامام بحيث لو اتفق ان اعترض سبيل الضرير لمجدار او عمود ، انعكست تلك الاشعة وارتدت الى الجهاز المرسل ، فيحدث هذا بدوره صوتا محذرا فى اذن الضرير ٠٠ ويتم هذا التحذير قبل الاصطدام بالعقبة بثلاثة امتار او اربعة ٠٠ هذا اذا كانت العقبة المعترضة ذات طبيعة صلبة كالجدار مثلا ٠٠ اما ان كانت كالقماش فيتاخر التحذير حتى يصبح الضرير على بعد خطوة او خطوتين من تلك العقبة ٠

قشر الشجر بدلا من نشره

ابتكر العلماء الامريكيون طريقة جديدة للحصول على الخشب من جذوع الشجر ٠ وتقوم هذه الطريقة على قشر الجذع ولحوه ، ثم نزع حلقات الجذع او طبقاته ، طبقة بعد طبقة ، بدلا من تقطيع ذلك الجذع ونشره بالمنشار وفقا للطريقة القديمة ٠

وتضغط الطبقات المقشورة التى تكون متفاوتة السمك ، نصف بوصة او اقل ، فى مكابس خاصة ذات ضغط عال ، وذلك بقصد تجفيفها ٠٠ ثم يعرضون تلك الطبقات للحرارة تحاشيا لتجعدها ٠٠ ثم يعمدون الى لصقها ٠٠ الواحدة بالاخرى ، بواسطة مادة لاصقة خاصة ٠ ويحرصون فى ذلك على ان تكون

الياف الطبقات الملصقة متعارضة ٠

ويؤكد العلماء المكتشفون ، وهم يعملون فى مصلحة الغابات (والاحراش) الحكومية فى الولايات المتحدة وفى مدينة ماديسون بولاية وسكونسن بالذات ٠٠ يؤكدون ان طريقتهم الجديدة فى صنع الخشب ، وقد سموها برس لام Press Lam تمتاز على الطريقة القديمة فى نواح ، واهم مزاياها هى :

١ ــ السرعة : فهى لا تحتاج الى اكثر من ساعة واحدة من الزمن لتحويل جذع الشجرة بكامله الى خشب صالح للاستعمال

٢ ــ الالواح الكبيرة ٠٠ يمكن الحصول على الواح الخشب بابعاد كبيرة ، حسب الرغبة والحاجة ، ما دامت الطبقات المقشورة (غير المنشورة) هى قوامها ٠ بل يمكن تحويل جذعى شجرتين اثنتين الى لوح خشب واحد ٠

٣ ــ النظافة : لا وجود للنشارة فى الطريقة الحديثة ٠٠ والعقد ، اذا وجدت ، تكون سطحية ولا تنفذ الى سائر الطبقات التى يتكون منها لوح الخشب ٠

٤ ــ جودة الخشب : يقال ان خشب الطريقة الجديدة امتزاج من خشب الطريقة التقليدية ٠٠ وقد بلغ من القوة ان استعملوه عوارض فى تمديدات السكك الحديدية وفى بناء المنازل ٠ ويذكر هنا انهم استعملوا هذا الخشب الجديد فى انشاء جسر فى غابة جورج واشنطن القومية فى ولاية فرجينيا ٠

منفاخ يفرغ الاواني من هوائها

● لايخفى ان حفظ المواد الغذائية فى معلبات او قوارير او اكياس بلاستيكية مفرغة من الهواء يضمن الابقاء على تلك المواد طازجة ، ويضمن الاحتفاظ بنكهتها الطبيعية وقيمتها الغذائية لمدة اطول ٠

الا ان عملية التفريغ هذه كانت فى الغالب وقفا على المصانع الكبيرة ٠٠ وتقوم بها آلات ضخمة باهظة الثمن ٠٠ حتى ابتكرت احدى الشركات النيوزلندية آلة صغيرة زهيدة الثمن قد تصبح ، فى مستقبل قريب ، فى متناول ربات البيوت جميعا ، ومن لوازم المطبخ التى لا غنى عنها كفتاحة العلب مثلا ٠٠

وتعمل هذه الالة كالمنفاخ ٠٠ منفاخ اطارات الدراجة ٠٠ ولكن بالاتجاه المعاكس ٠ ٠ فبدلا من دفع الهواء الى الداخل تقوم هذه المفرغة بطرد الهواء الى الخارج ٠٠

وتجدر الاشارة الى ان الاطعمة التى تحفظ مجلدة ضمن اكياس بلاستيكية اشد حاجة من غيرها الى هذه المفرغة ٠٠ ذلك ان تفريغ الهواء من هذه الاكياس لايضمن السرعة فى تجليد الاطعمة التى فيها فحسب ٠ فهو يحول ايضا دون التلف الذى قد يطرأ على تلك الاطعمة تبعا لوجود الهواء داخلها فمن شان هذا الهواء ان يمتص الرطوبة التى توجد فى تلك الاطعمة فتتكون فيها البلورات المجلدة وينتهى أمرها فى الغالب الى التلف ٠ ■

هذه مجموعة من الاراء والملاحظات والتساؤلات تعالج بعض القضايا الحيوية،وتعبر عن وجهات نظر أصحابها في هذه القضايا •• وعملا بحرية النشر ، فاننا نفسح المجال لهذه الاراء كما تلقيناها ، بغير حذف أو تعديل •

بمناسبة مقال مسئولية العثمانيين

نحن بحاجة لثورة علماء ومصلحين

بقلم الدكتور : نور الدين حاطوم

■ الدعوة الى اعادة تقييم الحكم العثماني ، التى نشرتها «العربي» للدكتور احمد عبدالرحيم مصطفى جديرة بالملاحظة والتامل والتقدير لما تثير في الذهن من افكار وتساؤلات حول تخلف البلاد العربية في الازمنة الحديثة ، وامتداد هذا التخلف حتى عصرنا الحاضر ، بالرغم مما جرى ويجرى من محاولات لازالة هذا «القدر» التاريخي•

ذلك انني اتفق مع الدكتور احمد عبدالرحيم مصطفى في ان التخلف في البلاد العربية يرجع الى اسباب عديدة ، وليس من العدل في شيء ان ننسبه الى الحكم العثماني وحده او ان نحمل هذا الحكم كل الاوزار ، وان كان مسؤولا كغيره وبدوره عن هذا التخلف •

الملاحظ في التاريخ العربي ان الامبراطورية العربية ، بعدان وصلت الى اقصى توسعها ، اخذت تتقلص وتتفتت تحت تاثير عوامل كل جنس ،شانها في ذلك شان معظم الامبراطوريات الكبرى في العصور القديمة والوسيطة •

وقد بدا التفتت السياسي والاجتماعي في الامبراطورية العربية منذ ما قبل الحروب الصليبية بكثير ، وكان لهذا الحادث اثره العميق في حياة المجتمع العربي والفكر الحر فيه • لان الاضطراب الذى الم بهم ، اثر هذا الحادث ، فتح اعين مستخدميهم عليهم ، ونبه الشعوب الغازية لاجتياح بلادهم•لقد انثالت الضربات المتوالية على العرب فشلت اوجه نشاطهم ، وحكمهم الاجانب ، ففقدوا حريتهم ، وبالتالي فقدوا الفكر الحر ، والابداع الاصيل ، ومتابعة العمل العلمي ، وغدا ما يكتب ويقال معادا مكرورا تمجه النفوس •

من سوء الحظ !

ومن سوء الحظ ان البلاد العربية ، بحكم موقعها الجغرافي كطريق للعبور ، كانت مسرحا لغزو الشعوب الغربية والشرقية ، وان موجات

الغزو كانت تترى عليها كاسحة ومدمرة ، فما ان تنحسر عنها موجة الا وتطغى عليها موجة اخرى • وهكذا عانت البلاد العربية من مد الغارات ما عانته اوربة بين القرن الثالث والتاسع ، بل والقرن الحادى عشر ، ولا تكاد أعمال البناء والانشاء تعاود سيرتها الاولى وتاتي موجة غزو عارمة تقوض ما بنته الاجيال الجديدة • وما من شك في ان اعمال الفكر لا تنمو وتزدهر وتعطى ثمارها الا فى ظل السلام والامن ، وما كان السلام والامن بموفورين للبلاد العربية •

كانت العناصر الاجنبية التي ادخلها الخلفاء في الجسم العربي تفتك به سرا وعلانية ، والثورات والنزعات الانفصالية والحركات الشعوبية تعمل عملها في اضعاف هذا الجسم ، حتى ان الاسلام وهو مصدر قوة العرب ، فهم على غير حقيقته الاولى • وانه استسلام لطغيان البشر ، وتشويهه بالبدع والخرافات والاحاديث المنتحلة • هذا الى ان الشعوب الصحراوية من تركية وتترية ومغولية، التى ابتلى بها العرب على مسار تاريخهم الطويل، كانت شعوبا بدوية وغير متحضرة ، همها السلب والنهب ، وفرض الضرائب والسيطرة بالارهاب والاعدام مما لا يقره عدل او قانون متحضر • وجو الارهاب ، اذا خيم ، شل النشاط ، وبدل الطباع، وشوه الاخلاق وجعلها اقرب الى الملق والرياء والمداهنة ، وما اليها من أدب رخيص •

وعندما ظهر العثمانيون على المسرح السياسى كانت البلاد العربية فى حالة خدر واعياء تام ، ولم يلقوا مقاومة تذكر الا قليلا ، فضلا عن انهم جاءوا اليها باسم الاسلام ومخلصين لها من غارات البرتغاليين والاسبان بعد الاكتشافات الجغرافية الكبرى في القرن السادس عشر ، وباسم الاسلام فتحت لهم الابواب ، وباسم الاسلام اصبح العثمانيون سادة البلاد العربية •

ولكن ماهي الحضارة التيكان عليها العثمانيون ايام الفتح ؟ لا شيء • وفاقد الشيء لايعطيه •

لم يكن للترك دين خاص ، ولا حضارة خاصة• وكل ما عندهم لغتهم التركية • وقد اخذوا عن العرب الدين الاسلامي والكتابة العربية ، وتركوا العرب وشانهم بعد أن أثقلوهم بالضرائب من كل نوع وحكموهم حكما عسكريا ، وظلت هذه حالهم الى ان اشرف ، الرجل المريض « على الهاوية » ، وقامت حركة الاصلاح » و « التنظيمات » ، فى القرن التاسع عشر ، تسوى من « الرعايا » « مواطنين » ، ولكن بعد فوات الاوان • ثم اجتاحت العرب والترك تيارات الغرب القومية ، وعصفت بهم جميعا وادت اخيرا الى الانفصال والقطيعة •

مسئولية العثمانيين

العقيقة ، أن التخلف ، الذى نراه في البلاد العربية ، كان نتيجة عوامل قديمة وسحيقة ، ولكن العثمانيين يتحملون تبعة تفاقمها ، فى وقت كان من الممكن تفاديها لو أنهماقتدوا بنهضةأوربا المعاصرة انذاك ، وعملوا لامبراطوريتهم ما صنعه الاوربيون لنهضة بلادهم •

ولاخذ فكرة واضحة عما وصلت اليه البلاد العربية من تخلف في العهد العثماني ، هذا العهد الذى يجر وراءه ماضيا ثقيلا من التخلف ، نذكر ان الجبرتي ، وهو رجل علم في عصره ، قد دهش اذ راى الاعمال العلمية التي كان يقوم بها العلماء الذين صحبوا الحملة الفرنسية على مصر • واذا كانت هذه حال الجبرتي المثقف فما بالك بحال الانسان العادى او الانسان الامي الذى لا يفقه من العلم شيئا او يجهل القراءة والكتابة• لقد كان الجهل مطبقا ، والامية متفشية ، والغباء مخيما • ويقول فون مولتكه الذى قدم من المانيا لاحداث التنظيم الجديد فى الجيش العثماني :«من المستحيل على الاوربيين تصور الحالة العقلية في الشرق••ان «لتركي الذى يعرف القراءة والكتابة، يعتبر « عالما » ، ومن كان متعلما اكثر من غيره لا يمكن ان يقبل بان الارض كروية • حتى ان كبار الموظفين كانوا يطلبون الى آخرين قراءة الرسائل الموجهة اليهم ! » •

وادرك بعضالمستنيرين المسلمين منابناء العربية هذا الوضع،وعرف سر تاخر العرب بابتعادهم عن

العلم والطرق العلمية والاكتشاف العلمي ٠٠ فمن ذلك ان الاستاذ محمد الفاضل بن عاشور ، في معرض كلامه عن الحركة الفكرية في تونس وعن الشيخ قباد ويقول : « ظهر له ان العلوم الحكمية والرياضية التي كان علماء الاسلام عنها بمعزل ، والتي عرفها هو وعاني في تحصيلها ما استخف به الناس وسخروا منه بسببه ، انما هو مدار التفوق الذى نالته اوربة على بلاد الاسلام، فربط بين هذا وبين ما تشكو بلاد الاسلام من هوان بعد العز ربطا ولد له فلسفة في النهضة الاسلامية ترتكز اصولها على ان العالم الاسلامي في حالة تاخر وتدهور مع ان الاسلام بذاته كفيل بان يكون المجتمع القائم على اصوله في حالة تخالف ما هو عليه الان٠فينبغي ان يعزى السبب في ذلك الى امر خارج عن جوهر الدين كان موجودا ففقد ، وان المقارنة تظهر ان الامر انما هو العلوم الحكمية لما كانت هذه العلوم رائجة فيهم ، سائرين متقدمين ، ثم اضيعت هذه العلوم وتاخرت ٠فهان المسلمون وتاخروا تبعا لذلك ٠ »

نموذج من مراكش

واذا سلمنا جدلا بان العثمانين مسؤولون عن تخلف البلاد العربية ، فهنالك بلد عربي،مراكش، المملكة المغربية اليوم ، سلم من الاحتلال العثماني، وناضل الاسبان وظل في معظمه،عدا بعض المراكز الساحلية حرا مستقلا محافظا على استقلاله حتى عام ١٩١٢ ، ومع ذلك بقي متخلفا ، شانه في ذلك شان سائر البلاد العربية الاخرى ، بالرغم من جواره لاوربة الناهضة٠ويرجع تفسير هذه الظاهرة الى أن ذلك البلد كان عليه ان يناضل ضد الفاتحين والغزاة علىجبهتين :جبهة ضد العثمانين، وجبهة ضد الاسبان ، الامر الذى دعاه الى ان يتقوقع علىنفسه متمسكا بمقوماته الاصليةواعرافه وتقاليده دون تجديد ٠

واخيرا جاء الاستعمار الاوربي بثقله وفرض نفسه بعلمه وتقنيته خلال فترة من الزمن على البلاد العربية وكان لهذا الاستعمار سلبياته وايجابياته ٠ ولكنه ، على كل حال ، احدث تطورا في العقلية بصورة مباشرة وغير مباشرة ، وانتهى رد الفعل العربي والمقاومة العربية والظروف الدولية الى تحقيق الاستقلال والسيادات الوطنية في الاقطار العربية ٠

بيد اننا ، في بلادنا العربية ، كنا ومازلنا نندب حظنا ونرمي هومنا على غيرنا : على الغزو الاجنبي،والفتح العثماني،والتوسع الاستعماري ، وننسب تخلفنا الى هذه الاسباب منفردة ومجتمعة دون ان نحاسب انفسنا وننقد ذاتنا ونصل بالنقد العلمي الى الحقيقة العلمية التى تعلو فوق المنافع والاغراض والاشخاص ويرها كل عقل مستنير ٠

ان نظرة الى الوراء على تاريخنا ترينا ان الخلفاء والحكام ، بعد عصور الاسلام الزاهرة ، كانوا يتظاهرون في حكم الرعية باتباع احكام الله وسنة رسوله ٠ ويشيدون الجوامع والمساجد مرضاة له ليخفوا استبدادهم الشخصي خلف رواء المنشات الدينية ٠ تاركين الشعب وحبله على غاربه ، والويل للمخالفين ٠ وان ممتهنى الدين والمرتزقين من حوله ، ممن اتخذوا انفسهم وسطاء بين الله وعباده،كانوا يصدرون احكامهم الشخصية حسبما توحي اليهم منافعهم المادية بما يوافق الدين او يخالف الدين ، ويتحكمون بالعامة ويفرضون احكامهم عليهم باعتبارهم « علماء » ٠ ومن المؤسف حقا ان هذه الاحكام ظلت سائدة حتى عصر متاخر، وان كل من يتعلم في المدارس الحديثة ويدرس « العلوم العصرية » يدخله الله النار لانها من صنع الكفار او يبنى لنفسه ولاولاده قصرا في جهنم » !

وهكذا كان مفهوم العلم التفقة في الدين ،وفهم الاسلام على انه استسلام وتسليم دون مناقشة او اعمال فكر ٠ وفقدان العلم والعلماء ادى بالتالي الى انتشار الجهل ، وعدم نشر الروح العلمية ، وعدم اشاعة الافكار العلمية ٠ عن طريق التبسيط العلمي ، في الاوساط الشعبية لجعلها اكثر وقوفا وتقبلا للحقائق العلمية ،واكثر رفضا واستنكارا للزيف والجهل والافكار العامية٠

بحاجة لثورة العلماء

وكان من الممكن في فترة الاستقلال ان تتحقق اشياء كثيرة في عالم الفكر العربي • وفي حقل العلوم الانسانية والعلوم المادية والتقدم التكنولوجي ، وان توجد طبقة علماء تسهم في العمل العلمي وتقدمه،بعد ان تعلمت في الجامعات الاجنبية والعربية ، لو اتيحت لها الظروف المواتية من مناخ حر ووسائل عمل ، ولكنها مع الاسف اصطدمت بحواجز نفسية كثيرة وعقبات جمة حتى ممن يسمون انفسهم علماء ولا يعملون شيئا للعلم• ولا يتركون العلماء يعملون ، لامراض في عقولهم وشهوات جامحة في نفوسهم • وكانوا سببا اضافيا في عرقلة العمل العلمي في بلادنا العربية •وهذا ما اضطر العقول العربية العاملة والمحبة للعلم والعمل ، الى الهجرة الى مناخات الحرية الرحبة ومجالات العمل العلمي البناء،لتمارس اختصاصاتها وتعيش بامن وسلام •

وفيما نرى خريجي الجامعات الاجنبية ، وهم لا يمتازون عن رجالنا من امثالهم ذكاء ومعرفة ، يجدون في بلادهم كل الامكانيات المتاحة للنهوض بالعمل العلمي ، والمشاركة في اغنائه وتقدمه ، وطرد الجهل ، نلاحظ ان علماءنا لا يجدون في بلادهم الا المعوقات والمثبطات والاتهامات التي تكال لهم عن غير حق ، من كل نوع،في دينهم وقوميتهم ووطنيتهم وفي مجال تخصصهم ، ولا ذنب لهم الا ان افكارهم عملية،وافكار غيرهم وصولية وانتهازية وعشوائية وجاهلية وعصبية وقصيرة النظر • وفي مثل هذه الاجواء الخانقة لا يمكن للعلم ان يتقدم ولا للفكر ان يتحرر •

ونضيف ان كثيرا من مفكرينا يؤثرون السلامة، ويرفضون التحدي ، ولا يتحملون مسؤوليتهم كقادة فكر وموجهين • ولو فعلوا ذلك لفرضوا انفسهم على مجتمعاتهم واستطاعوا ان ينيروا السبيل امام الاجيال الصاعدة ويخلقوا الاجواء العلمية والظروف المساعدة لها • وروح اي عصر من العصور ، وفي اي بلد من البلاد،لا يتمثل بعقلية الكتل والدهماء والجماهير القاتمة الغبراء ورجال الشارع • بل بعقلية الصفوة المختارة ، فئة الابطال ، كما يقول كارليل ، حملة المشاعل في ديجور الحاضر لفتح طريق المستقبل • وما ذلك الا لان هؤلاء الابطال يؤمنون برسالتهم العلمية ، ويشعرون بمسؤوليتهم تجاه بني قومهم ومواطنيهم،رغم تعرضهم لاضطهاد معاصريهم ممن لا يفقهون افكارهم المتقدمة على افكار عصرهم •

اقول لو وجد عندنا في البلاد العربية فئة او طبقة من هذه العقول لجابهنا التحديات ، ولما تغلبت المنافع الزمنية على الافكار العلمية • ونحن اليوم احوج مانكون الى مثل هذه الشخصيات الفذة والضمائر الحية الثائرة دوما على القسر الاجتماعي، وعلى ما تعارف عليه الناس والفوه،حتى عد شيئا ملازما لهم وتقليدا موروثا عن السلف تجب حرمته•

نحن بحاجة الى ثورة علماء ومصلحين من قادة الفكر المؤمنين بوطنهم وقومهم وقوة فكرهم والى امثالهم من رجال هذه الطبقة التي تحللنا من قيود الاسر التقليدي التي نرسف بها ، ومن الاغلال التي تشد اعناقنا فلا نستطيع التنفس ، ومن الافكار الخاطئة المزيفة التي افسدت عقول ابنائنا وحياتنا ، وجعلت عصور الظلام تمتد طويلا حتى عصرنا • لتبعث فينا عقلا علميا ، متحررا نقادا وبناء • واذا ما استطعنا ان نتحرر فكريا ونقدر العلم والعلماء والحقائق العلمية ونعد الظروف والامكانيات للعمل العلمي سرنا على الطريق السوي الذي سارت عليه الامم الراقية قبلنا وما زالت تغذ السير •

وبعد فمجال القول في تخلف الوطن العربي واسع بغير حدود ، ومن الصعب ارجاعه الى سبب واحد ، ولكن البحث فيه يوصل الى دفع الاتهام ، والى الحقيقة البعيدة عن الاغراض • وفي هذا فليعمل العاملون • ■■

د • نور الدين حاطوم
جامعة الكويت

المعونات الفنية والاسلام فى افريقيا

دكتور محمد سلطان ابو على

■ من المعروف ان انتشار الاسلام فى شرق وغرب افريقيا فى القرون الماضية قد تم اساسا على ايدى التجار المسلمين الذين جابوا القارة الافريقية سعيا وراء الرزق • وتمت استجابة الافريقيين للدعوة الاسلامية بسهولة ويسر نتيجة لتوافق الاسلام مع الفطرة البشرية • وما زال هناك مجال واسع للدعوة الاسلامية فى افريقيا سواء لتحسين احوال المسلمين بها عن طريق مدهم بالكتب الاسلامية والمعلمين او لنشر الدعوة فى اماكن جديدة ، خاصة بعد تخلص معظم الدول الافريقية من الاستعمار الغربى •

والمعونة الفنية يمكن ان تكون احدى الصيغ الفعالة لنشر الدعوة الاسلامية • وهذه المعونة هى الصورة العكسية لاستنزاف العقول المفكرة • فتعنى هجرة العقول انتقال الخبرات الفنية والمفكرين من المجتمعات الاقل تقدما الى الدول الاكثر تقدما، ويكون دافعها الى ذلك محاولة البحث عن مناخ افضل لتزاول فيها نشاط البحث والتفكير • اما المعونة الفنية فيتم بمقتضاها انتقال الخبرات والمعرفة الحديثة من الدول المتقدمة الى المجتمعات المتخلفة نسبيا •

المعونة الفنية الغربية

وقد يكون من المفيد ان نلقى نظرة على اهداف المعونة الفنية التى قدمتها وتقدمها الدول الصناعية الى الدول النامية لكى نستطيع تحديد النمط الامثل للمعونة الفنية الاسلامية والعربية• لقد كانت الاسباب الرئيسية التى دعت الغرب الى تقديم هذه المعونة لدول العالم الثالث ـ سواء كانت من مستعمراتها ام لا ـ هى

اولا : مساعدتها على استيعاب ما تصدره لها من سلع وخدمات حتى تستطيع توسيع نطاق اسواقها وبالتالى تقوم بتصريف كميات اكبر من منتجاتها ومن ثم تضمن الازدهار والتقدم لصناعاتها عن طريق التمتع بمزايا الانتاج الكبير • وثانيا : ضمان الحصول على المواد الخام اللازمة لتشغيل مصانعها وذلك عن طريق تقديم النصح والمشورة فيما يتعلق بما تزرعه او تنتجه او تقوم بالمسح الجيولوجى لثرواتها المعدنية •

ثالثا : تنمية اذواق المستهلكين المحليين فى اتجاه السلع التى تنتجها الدول الغربية وذلك عن طريق اقامة الاوروبيين فى الدول النامية ومعايشتهم لاهلها •

ونتيجة للاسباب السابقة اتخذت المعونة الفنية الغربية احد الاشكال التالية : معدات مساعدة للتجهيزات الاساسية التى تم تصديرها الى الدول النامية او خبراء لتشغيل المصانع والمعدات ، او تمويل دراسات الجدوى الاقتصادية والفنية لبعض المشروعات ومن ثم توريد معدات والات اكثر ، او معلمين فى المدارس والارساليات الى جانب بعض المنح الدراسية لابناء هذه البلدان للدراسة فى الغرب • وقد اصطلح على تسمية هذا النوع من المعونة باسم « المنتجات اليسر » Soft ware بالمقابلة الى الالات والمعدات التى يطلق عليها اسم المنتجات الصلبه Hard ware,

المعونة الفنية العربية

ونظرا لان البلدان الاسلامية والعربيةليست مصنعة او مصدرة للالات والمعدات فيجب انتختلف صيغة المعونة الفنية التيتقدمها للدول الصديقة فى افريقيا واسيا • كما ان درجة التقدم الاقتصادى فى غالبية الدول الافريقية تطلب نوعا اخر من العون •

فاذا اجلنا النظر فى القارة الافريقية من شرقها كمثل اوغندا وتنزانيا او فى غربها كما فى مالى وغينيا او وسطها كما هو الحال فى رواندا وبوروندى او جنوبها كما فى زامبيا او بوتسوانا لوجدنا ان الاقتصادات الافريقية تتميز بصورة عامة بالخصائص التالية :

ا ـ الاعتماد الرئيسى على النشاط الزراعى حيث يعيش عليه اكثر من ٧٠٪ من سكان القارة الافريقية ، وانها المصدر الرئيسى للدخل والصادرات •

ب ـ غالبا ما يكون هناك محصول رئيس واحد مثل الكاكاو فى غانا او البن فى بوروندى او الاخشاب فى الكونغو او القطن فى تشاد •

ج ـ ان الزراعة المعيشية - Subsistance Agri culture التى تقوم اساسا علىالانتاج لاغراض الاستهلاك الذاتى هى الصفة الغالبة • ولهذا لا يكون هناك تبادل يذكربين اقاليم الدولة باستثناء المناطق التى تزرع بها المحاصيل النقدية •

د ـ انخفاض الانتاجية الزراعية الى درجة دنيا نتيجة لتخلف الاساليب الزراعية وعدمتوافر المعدات والبذور المحسنة وغير ذلك من المستلزمات الزراعية اللازمة لتحقيق محصول اوفر •



هـ ـ تدنى المستويات الغذائية نتيجة لانخفاض مستوى الدخل ، ولزراعة محاصيل تنخفض قيمتها الغذائية وما تحتويه من سعرات حرارية •

و ـ انتشار الجهل وعدموجود خدمات تعليمية او صحية او مرافق عامة تذكر فى معظم المناطق الريفية وكثير من المدن والعواصم •

وفى كل هذه الظروف لا تؤدى اقامة المشاريع الصناعيةالكبيرة الى التنمية الاقتصاديةوالاجتماعية المثلى لهذه البلدان • وفى رأينا ان افضل وسيلة للتنمية هى التركيز اساسا على مشروعات تنمية المجتمع وتحسين الاحوال المعيشية والغذائية لغالبية السكان •ولذلك من الاجدر ان تتخذ المعونة الفنية العربية والاسلامية الى الدول الافريقية الشكل الذى يتلاءم مع هذه الظروف •

ولا باس ان ياخذ جزء من المعونة الفنيةالعربية بعض الصور التقليدية مثل تدريب بعض العمال فى المؤسسات العربية ، وارسال بعض الخبراء العرب لافريقيا فى المجالات التى تحتاجها •

ولكن الصورة التى نقترح التركيز عليها هى تكوينفرق منالشباب العربى المسلم فىالتخصصات المختلفة وعلى وجه الخصوص فى مجالات الزراعة والصة والتعليم والخدمة الاجتماعية • وتقوم هذه الفرق بالاقامة فى المجتمعات الريفية الافريقية ، تساعدها على الزراعة بطريقة افضل وتعمل على نشر التعليم الاسلامى ، كما تعنى بصحة سكان هذه المناطق • وعن طريق هذه المخالطة يتم الربط الحضارى بين افريقيا والعالم الاسلامى والذى يكون اساسا لتعاون لصيق فى المجالات السياسية والاقتصادية •

ولهذا المشروع مزايا كبيرة لكل من الدول الافريقية والعربية • فبالنسبة للدول الافريقية ستؤدى هذه المعونة الى رفع الانتاجية الزراعية ، وتحسين الاحوال الصحية لسكانها ، ونشر التعليم فى المناطق الريفية • وهذا يساعد على خلق

الظروف الملائمة لتطور حضارى افضل واتاحة العناصر الفنية والادارية اللازمة للمرحلة التالية وهى التصنيع • كما تؤدى الى زيادة جاذبية المناطق الريفية لشبابها ومن ثم تحتفظ بهم وتقضى - او على الاقل تخفف - من حدة الهجرة الى المدينة وبالتالى تتحاشى المشاكل التى يعانى منها كثير من البلدان نتيجة لتضخم سكان المدن بدرجة تقضى على ادمية انسان المدينة • هذا بالاضافة الى ان زيادة الانتاج الزراعى ستوجد فائضا زراعيا يمكن ان يسهم فى تمويل الانشطة الاقتصادية الاخرى •

اما بالنسبة للبلدان الاسلامية والعربية فان هذه الصورة بالاضافة الى واقعيتها وامكانية تطبيقها تعود عليها بفوائد غير قليلة • فان تفاعل الشباب العربى المسلم - على النحو الذى سنبينه بعد قليل - يزيد من الشعور بوحدته ويقوى روابطهم مع بعضهم البعض كما يزيد من الروابط الحضارية بين الدول الاسلامية العربية والدول الافريقية بما يكون خير ضمان للحفاظ على الاستثمارات العربية التى تتدفق الان على الدول الافريقية •

ويقترح لتكوين فرق المعونة الفنية ان يجمع الشباب المسلم من البلاد الاسلامية المختلفة فى مركز للاعداد والملاحظة • ويحسن ان يكونوا من المتكلمين باللغة الانجليزية والفرنسية الى جانب العربية نظرا لانتشار كلا اللغتين فى افريقيا •

ويمكن ان يكون هذا المركز متنقلا بمعنى ان يقام فى احدى البلدان لفترة سنة او سنتين ثم ينتقل الى بلد اخر • على ان ينشا فى احدى القرى التى تقترب ظروفها من القرية الافريقية ، كالسودان اومصر اوالصومال • ويمارس الشباب فى هذا المركز ذات الانشطة التى سيقومون بها فى البلدان الافريقية تحت اشراف متخصصين تختارهم الهيئة المشرفة على هذا البرنامج • ومن تثبت عدم صلاحيته يستبعد من الاشتراك الفعلى وذلك لتجنب الاثار السلبية التى يمكن ان تنشا عن اختيار عناصر سيئة • ■■

الكويت - د • محمد سلطان أبو على

الأزمة الشاملة للشباب العربى

بقلم : احمد عبدالله احمد

■ تزايد الاهتمام بموضوع الشباب اثر التحركات الطلابية واسعة النطاق التى شهدتها اوروبا الغربية والولايات المتحدة منذ ١٩٦٨ • وكرد فعل لاهتمام الغرب - وكالعادة - بدأنا نحن هنا فى العالم العربى نهتم بالموضوع • ولكن لواقع حياة الشباب العربى خصوصيات تميزه عن الشباب فى بقاع العالم الاخرى • كما أن لشباب كل دولة عربية على حدة مشاكل أترابه من الشباب العرب فى أجزاء العالم العربى الاخرى • الا انه من الممكن الامساك بمجموعة من الملامح العامة التى تميز واقع حياة الشباب العربى فى الوطن العربى ككل •

تبدأ بوادر ازمة الشباب العربى فى الظهور منذ مرحلة مبكرة فى العمر • فمع الدروس الاولى لمادة التاريخ يتعلم التلميذ تاريخ بلده بقدر غير قليل من عدم الموضوعية او بالاحرى من التشويه • وكلنا نعلم كيف يصاغ التاريخ وكيف تتدخل عوامل

كثيرة ـ سياسية بالدرجة الاولى ـ في صياغة هذا التاريخ وتقديمه الى طلاب المدارس •

هذه البادرة ليست سوى مقدمة تقودنا الى جانب رئيسي من جوانب ازمة الشباب العربي ونعني به الاحتواء السياسي • فقلق الشباب على المستقبل باعتباره المسئول عنه ، وسعيه لان يوفر لنفسه قدرا اكبر من المشاركة في الحياة العامة ، ومستقبل بلده ، يقابله من الناحية الرسمية قلق على الحاضر ونظرة ريبة للشباب باعتبارهم عنصر معارضة وتهديد للاستقرار • وعلى ذلك تبذل جهود كثيرة لاحتواء الشباب في اطر سياسية محكومة ومحدودة ، وذلك بكافة وسائل الترغيب والترهيب •

الوجه الآخر للأزمة

الوجه الاخر لازمة الشباب العربي هو ذلك الذى نشهده في الحياة اليومية داخل المؤسسات الحكومية والانتاجية والتعليمية • ويتجسد ذلك في فرض الدور الخلاق الذى يمكن ان يقوم به الشباب على صعيد العمل والانتاج • ففي الكثير من الدول العربية يخرج الشباب من الجامعات الى العمل في الجهاز الحكومي متحمسا لان يصبح عنصرا ايجابيا وفعالا • فيفاجأ ببيروقراطية عتيدة تستعصي على التطور وتواجهه الحقيقة المرة المتمثلة في قيام هذا الجهاز بتسيير اموره على اسس شخصية قبل الاسس الموضوعية وانتشار مراكز القوة والنفوذ فيه • بل وربما يشهد الشاب بعينيه صورا للفساد والتلاعب بالمال العام • وبعد محاولة او اكثر للتغيير يفشل فيهما الشاب يصل الى مرحلة من الياس ، ويتحول هو نفسه الى موظف تقليدى يعتبر كل صيحة للتغيير صرخة في واد •

وهكذا تخمد محاولات الاصلاح في مهدها ويبدأ الشباب في تلقي دروس انهزامية عن الواقعية والصبر والسلبية •

ووجه ثالث لازمة الشباب العربي هو ذلك المتمثل في محاولة التفرقة المتعمدة بين فصائل الشباب المختلفة • ويتم ذلك بتغذية القيم التى تدعو الشباب المتعلم للانفصال عن الشباب غير المتعلم من العمال والفلاحين والبدو وغيرهم، ليس بالاستعلاء الفكري وحده ولكن ايضا بالانفصال العلمي • حيث يدفع الشباب المتعلم لتبنى اساليب غريبة في الحياة تبدأ بالمسكن والمأكل والملبس وتنتهي بالثقافة • وبهذا يحرم الشباب غير المتعلم من علم الآخرين وارشادهم ، وتتخذ نظرتهم للمتعلمين شكلا عدائيا • وفي النهاية تتحول الاغراءات الاجتماعية المقدمة للمتعلمين من الشباب الى اداة لفصلهم عن واقع شعبهم وبالاخص عن شركائهم في المستقبل من الشباب غير المتعلم •

اما الوجه الرابع لازمة الشباب العربي فهو ذلك الخاص بالواقع الذاتي للشباب • فالقيم الاجتماعية المتعلقة بالعمر والجنس والزواج تحاصر الشباب وتدفعه للالتزام بها عن غير اقتناع • وهي في اغلبها قيم تحطم نفسية الشباب اكثر مما تدفعه للتفاؤل • فانعدام حق الصغير في مناقشة الكبير ، ورفض الاعتراف بحقوق الفتاة ، والزواج على اساس الغنى والشهادة والجاه والوظيفة ، كل هذه قيم متخلفة تحد من الدور الاجتماعي للشباب • والذى يمنع الشباب من التصدى بشجاعة لهذه القيم هو اعتبار ذلك خروجا على التقاليد • وبذا لا يجد الشباب امامه سوى المراوغة والتحايل ، وهي في ذاتها غير محمودة • والشكل الاسوأ هو ان يستسلم الشباب لهذه القيم ويساهم في تكريسها على حساب الاجيال القادمة •

وأزمة الثقافة

والوجه الاخير في تعديدنا لازمة الشباب العربي هو واحد من اكثرها اهمية • ذلك هو الخاص بأزمة الثقافة عند الشباب العربي • وهنا نعاود الاشارة الى

مقال الاستاذ الدكتور فؤاد زكريا الذى نشرته مجلة العربى فى عدد مارس الماضى ، وفيه حمل الجيل الاكبر مسئولية حجب منابع الثقافة الانسانية عن الجيل الاصغر متمتعا بتفوقه الثقافى الاناني •

وفي الحقيقة فانه من الناحية الحضارية لا يعتبر الجيل الاكبر متفوقا ان اغلق الابواب الثقافية امام الاجيال المقبلة باغلاقها امام الشباب اليوم • بل هذا هو عين العداء للحضارة • وبصورة مدققة فان

جيل الكبار نفسه يعيش ازمة تمزق اكبر من تلك التى يواجهها الشباب • فهذا الجيل يعيش العصر من الناحية المادية ، اما من ناحية القيم فهو يحاول الاحتفاظ بقيم الماضى التى ولد وتربى عليها • وبهذا تصبح مقولة صراع الاجيال معبرة عن هذا الجانب القيمى وحده وتعكس خوف الجيل الاكبر اكثر مما تعكس ثقته بنفسه • وهنا لا بد أن نحدد موقع المسئولية فى موقف الجيل الاكبر ، حيث تحمل هذه المسئولية للنظام السياسى والمؤسسات الثقافية المعبرة عنه ، دون ان نحملها لابناء الجيل الاكبر كلهم وهم انفسهم خاضعون لتاثير هذه المؤسسات بشكل يكرس لديهم قيم الماضى والانغلاق الثقافى، مانعا اياهم من التجاوب الثقافى مع العصر والانفتاح على الثقافة الانسانية فى الخارج والشباب فى الداخل •

ما العمل اذن ؟ ـ كشاب عربى يعيش الازمة فى الصميم اطرح التالى :

اولا : لا بد ان يؤمن الشباب العربى بان ازمته ما هى الا جزء من الازمة العامة التى يعيشها شعبنا العربى ممثلة فى التخلف الاقتصادى والاجتماعى والحصار الاستعمارى وتجزئة الوطن العربى الواحد • وبذلك لا بديل عن الارتباط الفكرى والعملى بمشاكل الشعب العربى واستعداد هذا الجيل لتحمل نصيبه من التضحيات فى سبيل تخطى هذا الواقع المتازم •

ثانيا : اصبح على الشباب المثقف على وجه الخصوص ان ينزل من ابراجه العاجية ويقوم بدور سياسى وثقافى مباشر مع بقية ابناء الشعب العربى من أجل الخروج من الازمة • وهنا لا بد الا يضع المثقفون مصالحهم الذاتية الخاصة فوق المصلحة الاجتماعية العامة •

ثالثا : اصبحت الديمقراطية بالنسبة للشعب العربى اليوم فى اهمية لقمة العيش ، ولا بد ان نسعى جميعا لان نوفر لمجتمعاتنا هذا المناخ الديمقراطى والصحى • والوجه الثقافى لهذه الديمقراطية هو الانفتاح على الثقافة الانسانية كلها دون حساسية •

انذاك يمكن ان نتحدث عن الحضارة كمشاركين لا كمتفرجين • ■■

الكويت ـ أحمد عبد الله أحمد

السيارة فى النهر

● اتصلت زوجة هاتفيا بزوجها فى العمل وابلغته بان الماء يتدفق من السيارة ، فسالها على الفور « اين هى السيارة علما باننى قد فحصتها جيدا » • فاجابته الزوجة : « انها فى هذه اللحظة فى النهر » •

جى باسك •

عربية صحيح ولكن .. من أصل فارسى !

بقلم : الدكتور محمد التونجى

■ طالعت المقال الذى نشرته مجلة العربى للاستاذ صفاء خلوصي حول الكلمات العربية فى اللغة الانجليزية بشغف زائد ، فقد كان لمحة قومية زاهية تبين قيمة اللغة العربية ، التى انتشرت الفاظها العلمية قبل الادبية فى معاجم لغات الغرب ، وهذا برهان على اهمية لغتنا فى عالمنا وفى عالم اوروبة .

واحب أن أشير الى نقطتين اتماما للفائدة العلمية التى ذكرها الدكتور خلوص من أصل غير عربى ، العربى . النقطة الاولى ان بعض هذه الالفاظ التى وردت فى المقال ذات اصل غير عربى ، بل يغلب عليها الطابع الفارسى . والنقطة الثانية ان هذه الالفاظ اعترف الغرب بعربيتها ، فلدينا الفاظ هى فى صميم لغتهم ولايذكرون عربيتها .

الاصل الفارسى

فللنزاهة العلمية نشير الى ان بعض الالفاظ التى ذكرها الدكتور خلوص من أصل غير عبرى ، وصل جزء منها الى الغرب عن طريق العرب من الشام او عن طريق الاندلس ، ووصل جزء آخر من بلاد فارس نفسها . هذه الالفاظ :

قيثارة : فارسية ، مركبة من سه + تار ، اى ذات الاوتار الثلاثة .

سراى : وترد عندهم من دون ياء ، فارسيتها . بمعنى المنزل الكبير .

سرداب : فارسية ، مركبة من سرد + آب ، اى الماء البارد . ومعناها عندنا المغاره الباردة .

مرزبان : فارسية مركبة ، من مرز + بان ، اى حامى الحدود ، وهى رتبة عسكرية قديما .

كباب : فارسية ، كل نوع من اللحم المشوى بشكل جيد يقال له كباب .

تافتة : فارسية ، نوع من النسيج الحريرى . من المصدر « تافتن » ومعناه النسيج والفتل .

بخشيش : فارستها من غير ياء . ومعناها الانعام والاعطاء . الفرس يقولون « اسنام » ونحن نقول « بخشيش » أو « بقشيش » .

وثمة الفاظ اخرى هى : طربوش : فارسية ، مركبة من سر + بوش ، بمعنى غطاء الرأس ـ بابوج : فارسية ، مركبة من پا + بوش ، بمعنى غطاء الرجل ـ بردة : بالباء الفارسية معناها الحجاب والستارة ـ نارنج : اصل جيمها بالكاف الفارسية ـ فستق : أصلها بسته (بالباء الفارسية) كل هاء فى آخر الكلمة الفارسية تحول لدى التعريب الى جيم او قاف ـ باذنجان : ويلفظها الفرس كذلك : بادنجان ، بادمجان ، باتنكان ، بادنكان (والاخيرتان كافهما فارسية) ـ طنبور : فارسيتها تنبور ، لفظها العرب بالطاء لتضخيمها . مركبة من دنبه + بره اى الية الحمل ، على التشبيه بها ـ سنطور : فارسيتها زنتور ـ مسك : فارسيتها بالشين ـ ياسمين : ويلفظها الفرس : ياسمن ، وهى كذلك بالكردية ـ قرمز : دود يقع على شجر البلوط فى شهر مارس (آذار) يستخدم للصباغة . يقال ان اصلها ارمنى او فارسى . وهى فى الفارسية مركبة من كِرم + زيبا ، اى الدودة الجميلة ، او من كرم + ال ، اى الدودة الحمراء ،

اخذها العبريون فقالوا لها : Karmel ، عربيتها: دودة الصباغين •

الكراويا : فارسية ، ماخوذة عن اليونانية ـ طباشير : يلفظونها بالتاء ـ نفط : يـلفظونها بالتاء ـ لا زورد : ويلفظوونها بالزاى الفارسية (Jc) ، ولهذا لفظها العرب « لاجورد » وهـو حجر معدنى بلون السماء ـ سبانخ : اصل لفظها عند الفرس اسفناج ـ صندل : هندية تلفظ جندال (بالجيم الفارسية) • وهـى بالسنسكريتـية : Teshandan زرنيخ : يرى الاب انستاس الكرملى انها يونانية الاصل ـ قالب : يلفظونها كالبد ـ اما كلمة Alcove فقد اخذوها اولا بمعنى القبة ، ثم تطور المعنى •

الفاظ اخفوا عروبتها

لقد سجل المستشرق وولت تايلر ، الالفـاظ العربية التى ذكرها صاحب المقال معترفا انها عربية • وهى ليست وحدها الموجودة فى معاجم الانكليز وغيرهم من اهل الغرب ، فهناك الفاظ كثيرة جدا لم يشيروا الى عربيتها ، اذكر نموذجا خشية الاطالة •

شريف	Cheriff
حوش	House
حد	Hut
رفض (وتلفظ بالزى لعجمتهم)	Refuse
جبل (من المتن بمعنى الظهر)	Mountain
الخمرة (من القرين وهو العنب الاسود بلغة حضرموت)	Wine
قصر	Castle
قطع وقطع	Cut
قطـة	Cat
علـة	Ill

دون	Down
لغة (التنوين هو باليونانية)	Logos
قائـد	Guide
طـول	Tall
قرنـة	Corner
هلـل (وفى العبريـة هللوا ياه : سبحوا الرب)	Hallo
جـود	Good
عـين	Eye
صوت	Shout
قنديل	Kandel
قـرن	Corn

هلوسة	Calucinaticn
كهف	Care
كوب	Cup
زوجى	Zu g
بركان	Volcan
صفر (ولغرابةالصفر اعتبروه سحرا وطلمسا)	Cipner

وفى هذا القدر كفاية •

■■

د • محمد التونجي
استاذ اللغة الفارسية
بجامعة حلب •

عدم جلوى

● كتبت عبارة على اداة تجفيف فى مصبغة تقول « اداة التجفيف عديمة الجدوى » وكتبت على اداة التجفيف التالية عبارة اخرى تقول « اداة التجفيف هذه هى التالية لعديمة الجدوى » •

● حل مسابقة العدد ٢٣٢ ●

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ا	ل	م	ت	و	ك	ل	■	ا	ل	ا	ح	ز	ا	ب
٢	ت	ى	ت	ا	ن	و	س	■	ل	ى	ب	ا	ن	ت	و
٣	ى	■	ى	ك	■	ب	ا	■	م	ل	ى	م	■	م	ر
٤	ه	ب	■	ا	ل	ر	ن	ج	ه	■	■	ى	م	ه	د
٥	■	ا	ن	ه	و	ا	■	ا	ج	ن	ى	ه	ا	■	ى
٦	ت	و	ق	ى	ا	■	ا	ب	ه	ا	م	■	ى	ع	ن
٧	ه	و	د	■	ن	ا	ص	ر	■	ل	ى	س	و	ت	و
٨	■	م	ح	م	د	ب	ن	ب	ط	و	ط	ه	■	■	■
٩	ب	ت	■	س	ا	س	ا	ن	ى	ه	■	ا	م	ا	ن
١٠	ا	ر	ج	ا	■	ط	م	ح	■	ا	ب	د	ى	ن	ا
١١	ذ	■	ا	ر	م	ه	■	ى	ا	■	و	■	■	ت	م
١٢	ن	ا	ل	■	ب	ا	ر	ا	م	ا	ر	ى	ب	و	■
١٣	ج	ر	ى	م	ه	■	ا	ن	د	و	ن	ى	س	ى	ا
١٤	ا	ب	و	ة	م	ا	م	■	ح	ل	ى	■	م	ه	د
١٥	ن	■	م	ر	ه	ق	ه	■	ه	ا	و	ى	ه	■	م

محمد بن بطوطة

●

جابر بن حيان

اثنتان في واحدة

(٨) أفقيا : محمد بن بطوطة ، رحالة عربي شهير ، ولد في طنجة وطاف انحاء العالم المعروف في عصره ، فاستغرقت رحلاته الثلاث حوالي ٢٩ سنة ، وصل فيها حتى الصين . سجل رحلاته في كتاب « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » ، وقد تمت ترجمته الى الانجليزية والفرنسية والالمانية .

(٨) رأسيا : جابر بن حيان ، رائد الكيمياء العربي ، عاش في الكوفة ، واتصل بالبرامكة . له مؤلفات كثيرة منها « اسرار الكيمياء » ، و « الرحمة » . وقد ترجمت مؤلفاته الى اللاتينية ، واستفادت منها الجامعات الاوربية لمئات السنين .

الفائزون بالجوائز

× الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :حسن عبدالله حسن /الخرطوم ـ السودان .
× الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :محمود ياسين احمد الحسيني ـ صنعاء/ اليمن الشمالي
× الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :محمد عبدالهادي ياغي طرابلس / ليبيا .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ عبدالغني محمود عبدالهادي ـ عمان/الاردن
٢ ـ عايده السيد محمد ـ التواهي/اليمن الديمقراطي
٣ ـ عبدالمنعم عبدالهودي احمد ـ المدينة المنورة / السعودية
٤ ـ محمد حسن جاسم ـ خانقين/العراق
٥ ـ مصطفى عبداللطيف خطاب ـ بيروت/لبنان
٦ ـ محمد اشرف سيد سليمان ـ حمص/سوريا
٧ ـ فهيمة محمد زكريا محمود علي ـ حولي/الكويت
٨ ـ امين محمود علي حسين ـ محافظة السويس/مصر

هى جهنم المليئة بالنعم !

ابن بطوطة



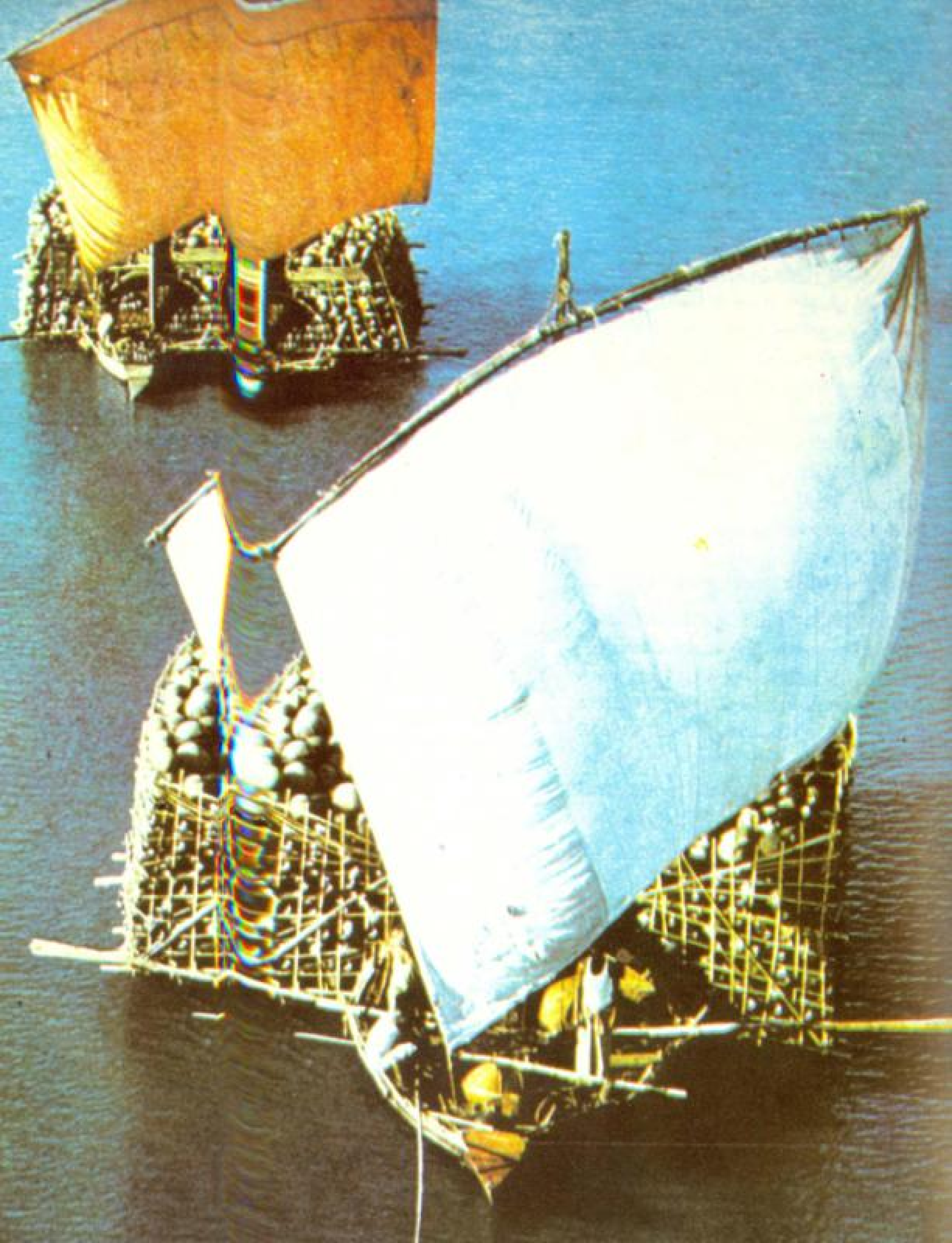
بنجلاديش

عبقرية فقراء العالم الخامس !

بقلم : **فهمى هويدى** تصوير : **اوسكار مترى**

ابرز قسمات بنجلاديش : «الشابلا» الزهرة القومية، والريكشا وسيلة الانتقال الاولى بالمدن ، والمراكب التى تملأ الانهار بأشرعتها المربعة » .





احيانا تكون العبقرية هي ان تعيش فيظروف مستحيلة ، وتبصر شعاع ضوء على بعد الف ميل ، وتمرح وترقص وبطنك يتلوى من الجوع • من هذه الزاوية ، فكلهم عباقرة ، ال ٨٢ مليون نسمة الذين يعيشون في بنجلاديش !

■ واسم « بنجلاديش » لا يذكر عادة في صحفنا الا مقترنا بخبر لا يسر • اعصار او فيضان او وباء ، او انقلاب فاشل • تماما مثل اولئك الذين لا نقرأ اسماءهم في الصحف الا اذا اصيبوا في حادث مؤسف او توفاهم الله ، ولا نرى صورهم الا اذا كانت الشرطة تبحث عنهم !

من هذه الزاوية ـ ايضا ـ فهي مشهورة جدا ! ما من بلد يسوء حاله وتتدهور اوضاعه الاقتصادية والاجتماعية ، الا ويقال : تصوروا ، سيصبح مثل بنجلاديش • ويكفي هذا التشبيه ليقنع القارىء اى مصير تعس ينتظر هذا البلد المأسوف عليه !

حتى بعض الكتاب يبخلون على بنجلاديش بشرف الانتماء الى العالم الثالث ، الذى كنا نعتبره الى عهد قريب نهاية الدرج في سلم التخلف • لكن كاتبا شهيرا مثل المعلق الامريكي سالزبيرجر نشر مقالا في « الهيرالدتربيبون »يطالب فيه الجميع باعادة النظر في هذا الترتيب ، قائلا ان هناك دولا تنتمى الى ما اسماه بالعالم الرابع ، وهي تلك التي صنفت من قبل مع دول العالم الثالث ولكن المجتمع الدولى يدين حكوماتها ويرفضها مثل جنوب افريقيا وروديسيا • وثمة دول اخرى تتمتع بنصيب لا مثيل له من الفقر والتعاسة ، يتعذر معه تصنيفها ضمن العالم الثالث ، ومثلها البارز بنجلاديش وربما تشاد ، ودول كهذه ينبغي ان يفرد لها ترتيب خاص في قاع العالم هو : العالم الخامس !

وهو اخذ بالتقسيم الذى يتندرون به في بلادنا ، وبه يعتبرون ان عالم التخلف يضم فريقين • فريق الدول «النامية» ، وفريق الدول «النائمة» !

ويبدو ان زيارة بلد مثل بنجلاديش ، هي من طراز الاعمال التي عندما « يقترفها » الانسان لابد ان يسوق حججا يبرر بها « فعلته » • ذلك اننا لم نلتق بواحد علم باننا متوجهون الى هناك ، الا ولوى شفتيه قائلا باستياء ظاهر : بنجلاديش ؟ • حتى شرطي مطار دبي الذى رق لحالنا ونحن ننتظر الطائرة البنجالية التي تأخرت ٢٠ ساعة فجأة يسألنا عن وجهتنا ، ولما اجبناه ، قال : هل هناك انسان عاقل يركب الطائرة البنجالية ؟

عرفنا فيما بعد ان «الاسطول» يضم ٣ طائرات واحدة تروح ، والثانية تجيء ، والثالثة احتياطى •

لكن ما اثار انتباهنا فعلا ان قنصل بنجلاديش في الكويت اخذ بالرغبة التي ابديناها له • ولم يصدق الرجل ان هناك من يتطوع للسفر الى دكا ، هكذا بغير مناسبة • بعد ان اعتاد في المسافرين ان يكونوا اما حملات اغاثة للمنكوبين ، او وفودا اقتصادية تبحث قروضا ومشروعات ، او دبلوماسيين ضاقت بهم الارض فلم يجدوا مكانا يتسع لهم سوى دكا !

اكثر من مرة سألني القنصل البنجالي : هل هذه « مبادرة » من المجلة ، ام توجيه من الدولة ؟

وعبثا حاولت اقناعه بان « المبادرة » من جانبنا ، واننا ذاهبون في مهمة بريئة ولوجه الله وحده •

« جهنم المليئة بالنعم » !

لقد كانت محاولة التعرف على بنجلاديش من خلال الصحف مثبطة في الحقيقة ، لكن وجه بنجلاديش في الكتب كان مختلفا ، ومثيرا للفضول ، ومشجعا على « المغامرة » بالذهاب ، حتى ولو اضطرنا ذلك الى التضحية بركوب الطائرة البنجالية !

لقد كان الرحالة العربي ابن بطوطه من اوائل الذين كتبوا عن « بلاد بنجاله » (تقول المراجع ان اول حملة تبشير بالاسلام توجهت الى الهند بعد وفاة الرسول بخمسة عشر عاما ، على عهد عثمان ابن عفان وان محمد بن قاسم ابن شقيق الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق هو اول من قام بفتوحات واسعة هناك ، في عهد الوليد بن عبدالملك ، حتى ضمت اجزاء من الهند الى الدولة الاموية ثم العباسية) ••

تحمل ابن بطوطه ـ نسبيا ـ مثل العناء الذى تحملناه في السفر ، وكما انتظرنا الطائرة في مطار دبي ٢٠ ساعة ، فقد قطع هو الرحلة من المغرب الى « بلاد بنجاله » في ٤٣ ليلة !

وهو يصفها بانها : « بلاد متسعة كثيرة الارز ، لم ار في الدنيا ارخص اسعارا منها • لكنها مظلمة

واهل خراسان يسمونها دوزخسست (دوزخ) بور (بر) نعمة ، معناه : جهنم ملاى بالنعم • رايت الارز يباع فى اسواقها خمسة وعشرين رطلا دهلية (نسبة الى دلهى) بدينار فضى ، والدينار الفضى هو ثمانية دراهم • والرطل الدهلىعشرون رطلا مغربية • وسمعتهم يقولون ان ذلك غلاء عندهم •

ويضيف ابن بطوطه : وحدثنى محمد المصمودى المغربى وكان من الصالحين،وسكن هذا البلد قديما ومات عندى بدهلى ، انه كانت له زوجة وخادم فكان يشترى قوت ثلاثتهم فى السنة بثمانية دراهم، ورايت الدجاج السمان تباع بحساب ثمان بدرهم واحد ، وفراخ الحمام يباع خمسة عشر منها بدرهم ورايت الكبش السمين يباع بدرهمين ، ورطل السكر باربعة دراهم ،

ثم يقول الرحالة العربى الشهير:ورايت الجارية المليحة تباع بدينار من الذهب واحد،وهو ديناران ونصف دينار من الذهب المغربى ، واشتريت بنحو هذه القيمة جارية تسمى عاشورة ، وكان لها جمال بارع ، واشترى بعض اصحابى غلاما صغير السن حسنا اسمه لؤلؤ بدينارين من الذهب •

كان ذلك ـ للعلم فقط ـ منذ ٦٠٠ سنة ، عندما تجول ابن بطوطه فى الهند ، وقت ان كانت ممالك وسلطنات اسلامية ، واعجبه الحال فى « دهلى » ـ كما كان ينطقها العرب القدامى ـ فاقام فيها ، وتولى منصب القضاء لمدة سنتين •

وللعلم ايضا ، فان بلاد بنجاله التى رايناها تختلف كلية عن تلك التى اعجب بها ابن بطوطه يكفى انه يتحدث عن « الرخاء » ليدرك المرء انه اما يتحدث عن تاريخ انقرض ، او بلد آخر غير الذى رأيناه ! اما اشاراته الاخرى ، فلم يتح لنا ان نتثبت منها !

بلاد المفارقات والتناقضات

وبلاد بنجاله ، فى الكتب ايضا ، هى بلاد المفارقات والتناقضات ••

فعندما قرر الانجليز تقسيمها الى مقاطعتين اسلاميه وهندوكية عام ١٩٠٥ رفض المسلمون الفكرة وتمسكوا بان تظل دولة الهند واحدة « حرة ومستقلة » ، كما قال محمد على جناح ، ثم دارت دورة الزمن ، وفى عاصمتها دكا اسس حزب الرابطة الاسلامية الذى تبنى فيما بعد فكرة التقسيم وانشاء دولة باكستان عام ٤٧ • ولكن تشاء سخرية القدر ان تنطلق من دكا ذاتها دعوة الانفصال عن باكستان ، بعد القتال الدموى المحزن الذى جرى عام ٧١ !

وبعدما انطلقت شرارة ثورة البنجاليين على الباكستانيين بسبب صدام على مسالة اللغة ، وهل يعترف بالبنجالية (٤٤٪ من كلماتها اجنبية) ام بالاردية فقط ، ثم استقلت بنجلاديش فى النهاية، عندئذ استراحت اعصاب الناس،وصاروا يتكلمون باللغة الانجليزية !

وهم شعب شديد التعلق بالدين،شديد التعصب له حتى،ان الحكومة عندما اقدمت على اقامة بعض التماثيل فى الميادين لتجميلها ، اختفت هذه التماثيل اثناء الليل ، ولم يعد لها وجود عندما طلع النهار ، هذا الشعب المسلم المتدين يقضى عطلته الاسبوعية يوم الاحد وليس الجمعة !

وبينما هناك ١٩ حزبا سياسيا شرعيا ، غير احزاب صغيرة اخرى تظهر وتختفى على،مدار العام فانه مسموح لهذه الاحزاب ان تمارس اى نشاط ، باستثناء شىء واحد هو الاشتغال بالسياسة ، وهو النشاط المحظور قانونا !

ولا أحد غير الله يعلم كيف،اتفق ان يكون،الغراب وزهرة « الشابلا » هما اشهر ما يميز الطبيعة فى بنجلاديش • اذ بينما ينعق الغراب فى كل وقت وفى كل مكان (ويتشاءمون به مثلنا احيانا) فان زهرة الشابلا الارجوانية اللون ، بكل ما تمثله من رقة وبهجة ، تسبح فوق كل مجرى ماء فى طول البلاد وعرضها • ومثلما تغطى الغربان سماء بنجلاديش ، تنكمش فى الليل وتسرح فى النهار ، فان زهرة الشابلا تغطى انهارها ، تنغلق فى الليل وتتفتح فى النهار !

ثم ان هذا البلد الذى يتحول الى دولة سابحة فوق بحيرة من الماء نصف العام،يهدده شبح الجفاف، وتؤرقه فكرة ان انهاره التى يعتمد عليها تنبع كلها من دول مجاورة وراء حدودها •

كذلك فان « دكا » وحدها ، عاصمة هذا البلد الفقير ينتشر فى ارجائها الف مسجد ، بينما بنجلاديش كلها بمقاطعاتها التسع عشرة لا تضم اكثر من ١٣١ مستشفى !

هذا جزء من الصورة التى ترسمها الكتب •• لكن ليس من راى كمن قرا !



في شوارع دكا ٢٥ ألف ريكشا ،تنطلق كأسراب الجراد طوال النهار ،وحتى بدء حظر التجول في منتصف الليل (الصورة الى اليسار)

القلق على المستقبل في كل مكان . امام هذا الرجل مجموعة من المظاريف المغلقة في كل مظروف قراءة مختلفة للغيب ،وعندما يسأل الرجل ، فانه يدفع الببغاء المدرب ليلتقط احد المظاريف .. وانت وبختك ! (فوق)

من صور عبقرية الفقراء ، « جسور » من اعواد البامبو ، يعبرون عليها الانهار العميقة ، ويحلون بها مشكلة الانتقال .




RALSONS

الانسان المعجزة

حطت بنا الطائرة في مطار دكا بعد الفجر بقليل. القى موظف المطار نظرة على جواز السفر ، ثم همس في اذن صاحبه ، ومضى يتصفح الجواز بامعان ، حتى جاء ثالث من بعيد وسال : هل هو مسلم ؟ فرد الموظف بالايجاب . عندئذ القى سؤاله الثاني : هل قال السلام عليكم ؟ .. نظر الى متسائلا ومعاتبا ، وكرر السؤال . خجلت واعتذرت، ثم تصافحنا بحرارة ، وافترقنا .

ومنذ تلك اللحظة ادركت ان جوازالمرورالحقيقي في بنجلاديش هو تحية المسلمين منذ ١٤ قرنا : السلام عليكم . بواسطتها فتحت لنا ابواب كثيرة، وقلوب اكثر ، حتى ان زميلي اوسكار متري ، الذي انكمش والتزم الصمت في المطار ، لم تفارق الكلمتان لسانه طوال اقامتنا هناك !

وطوال الاسبوعين اللذين قضيناهما في بنجلاديش اتيح لنا ان نرى الكثير . الوزراء والفقراء ، مشروعات الصناعة وابحاث الزراعة . والمتاحف والمصايف . المدن والقرى . المسلمين والبوذيين العلماء والدجالين . المساجد والمزارات (الاضرحة عندنا) .. وهكذا .

واذا كانت هناك دول يبهرك فيها الماضي ،واخرى يبهرك فيها الحاضر واحتمالات المستقبل ، فان بنجلاديش من طراز الدول التي « يصعقك » فيها الحاضر ، ويبهرك فيها الانسان . ويلهيك الواقع عن الحديث في المستقبل .

هناك تؤمن بان هناك شيئا اسمه الانسان المعجزة !

ذلك الانسان الذي يستقبل بجسد هزيل عار تلك الظروف الصاعقة ، فيقف وحده احيانا في مواجهة الفيضان الكاسح او الاعصار المدمر . بينما يقاتل كل يوم ، ويركض طوال اليوم .. ولا يتوقف عن الانجاب كل صباح !

يحاربون بأيديهم وأرجلهم

يدهشك مئات الالوف يحارب عشرات الالوف باقدامهم وهم يقودون « الركشا » ، الدراجات ذات المقاعد الخلفية المغطاة ، والتي تعتبر وسيلة الانتقال الرئيسية في كل مدن وقرى بنجلاديش (في دكا وحدها ٢٥ الف ركشا) ، ينطلقون كاسراب الجراد في الشوارع منذ طلوع الشمس .

يدهشك ايضا ان تجدهم لا يعرفون الخيول او البغال ، او الحمير التي تجر عربات « الكارو »، وان الذي يقوم بهذه المهمة الشاقة هو الانسان . فتجد رجلا معروقا عيناه في لون الدم ، وضربات قلبه تتردد عن بعد ، هذا الرجل يجر بصدره وبساعديه عربة خشبية محملة بمختلف الاثقال ، وقد يساعده على دفع العربة اثنان من ابنائه او اخوته .

يدهشك كذلك مشهد الناس وهم ينطلقون كالسهام بالقوارب الشراعية ذات المجاديف العديدة في الانهار الكبيرة والصغيرة التي يبلغ طولها ٨ آلاف ميل . ولانها بلاد الانهار فان القارب الذي يقوده عادة ٨ أو ١٠ اشخاص هو وسيلة الانتقال الرئيسية بين المدن والقرى .. في هذه القوارب ينقلون كل شيء من الخضراوات والفاكهة ، الى البشر والبقر ، الى الجوت والاخشاب والبامبو . ويكفي ان تعلم ان عدد الذين ينتقلون عبر الانهار سنويا ـ حسب الاحصاء الرسمي ـ ٢٠ مليون شخص ، وان عدد القوارب مليون،وان عدد الموانى، ١٥٠٠ !

كلهم يركضون ، بسيقانهم وصدورهم في البر، وبسواعدهم وظهورهم المحنية تحت الشمس الحارقة في البحر ..

تدهشك ايضا تلك الجسور المتواضعة التي يبنونها فوق الانهار ليتغلبوا على مشكلة عبورها حيثما ذهبوا . عندما يستخدمون اعواد البامبو الرفيعة ، يصلونها ببعضها ويثبتونها قدر الامكان، ثم يمدونها بين شاطئي النهر ، بمسافة خمسة او سبعة امتار ، وفوق مياه بعمق طابقين تقريبا يعبرون . واذا كان لاعب السيرك الذي يصفق له المتفرجون يمشي على الحبل ممسكا بعصا يحفظ بها توازنه . فان ملايين البشر في بنجلاديش ـ رجالا ونساء واطفالا ـ يقطعون نفس الرحلة ملايين المرات كل يوم ، وفوق راسه يحمل كل منهم حاجته، من الطعام الى الكتب الى قطع الاخشاب !

يثير انتباهك كيف يقوم الانسان بمهمة الساقية او « الشادوف » ، ليستجلب المياه من العمق او من فرع الترعة ، ليروى الارض المزروعة .يحضرون قطعة من الجلد ، جزءا من اطار الكاوتشوك في الاغلب . ويربطون حبلين في طرفي القطعة ، التي تصبح على شكل اناء يغترف به الماء . ثم يمسك كل واحد بآخر طرف كل حبل . يرخي الحبل

فتسقط قطعة الجلد في الماء وتمتلىء به ، ثم يشد الاثنان الحبل في وقت واحد ، فيرتفع الاناء الجلدي بمائه الذي يسقط على الارض ويسقى الزرع • وكما تظل الابقار ساعات تدور حول الساقية باعين مغمضة،فان الانسان هناك -معذرة- يظل يؤدي هذه العملية طوال النهار ، صامتا بغير ملل •

اما كيف يسكنون ، كيف يقيم الفلاحون اكواخا من البامبو فوق اعمدة مغروسة في الاوحال ،وكيف يقيمون « شبكة اتصال » داخل التجمعات ، بحيث تستمر فيها شرايين الحياة ، كانما هـذا شيء طبيعي ، وليس « ديكورا» لفليم سينمائي عـن انسان العصور الوسطى • وكيف ينظمون «المرافق» في كل قرية ، بحيث تتوسط القرية بحيرة يحفرونها بأيديهم • للاستحمام وغسيل « الثياب » • وكيف ان بعض هـذه البحيرات لا تستخدم ، لان الامر لا يحتمل الاستحمام ، فضلا عن انـه ليس هناك ثياب ! • ثم كيف « يديـرون حالهم » وياكلون كل ماتقع عليه ايديهم مـن مخلوقات البر والبحر والجو ، وكيف تتحول اوراق الشجر السميكة الى اوان للطعام ، كيف يحدث هذا كله •• ذلك يطول فيه الكلام والحكي •

المهم انهم بهذه العبقرية يحلون كل مشاكلهم الكبيرة والصغيرة ويعيشون !

وكما حلت « الركشا » مشكلة المواصلات تماما، فان باعة السجائر يحلون مشكلة الكبريت باسلوب بدائي وبسيط • كل واحد من هؤلاء يشعل طرف حبل من الجوت ، ويتركه يتدلى عند مدخل متجره، او حول اى ماسورة في الشارع ، وتستمر النار مشتعلة ساعات طويلة وبلا خسائر بحيث يستطيع اى مشتر او اى مار ان يشعل سيجارته من ذلك الحبل ، دون ان يضطر لشراء كبريت ! خصوصا ان اغلب هؤلاء المدخنين لا يشترون علبة سجائر كاملة ، فذلك ترف زائد • بل كل واحد يشترى سيجارة او اثنتين على الاكثر • ولهذا السبب فانه على كثرة الشحاذين والمحتاجين ، فانك لا تجد من يجمع اعقاب السجائر ، لانه لا يبقى من المدخنين اعقاب !

عن النسل والنهر

لكن هذه الصور السريعة ليست جوهر مشكلات بنجلاديش ، لان اى زائر لها يستطيع بغير عناء كثير ان يرصد هناك مشكلتين اساسيتين تطفوان على سطح الحياة بوضوح هما : النسل والنهر • وبقدر محدود من البحث والتنقيب يكتشف الزائر مشكلة ثالثة تحت السطح — في وجدان الناس واعماقهم — هي مشكلة الانتماء او الهوية ••



وسط أشجار الجوت ، ذهب بنجلاديش الابيض — لاحظ طول الرجل والنبات •

حيثما ذهبت • تواجهك المشكلات الثلاث بصور وصيغ مختلفة ، وتشعر — ربما — كم هي تؤرقهم وتعذبهم !

ومشكلة النسل تتلخص في ان بنجلاديش تستقبل ١٥ طفلا جديدا كل ساعة !• وان استمرار المعدل الحالى للزيادة في السكان (٣٪) سيعنى ان يصل تعداد البلاد الى ٢٠٠ مليون نسمة في سنة ٢٠٠٠ • والهدف الذي يحلم به الدكتور بدر الدجى ، وزير تخطيط الاسرة وضبط النسل ، هو ان ينخفض معدل النمو ليصبح التعداد ١١٦ مليونا فقط سنة ٢٠٠٠ •

وحتي نتصور المشكلة اكثر ، فان مساحة بنجلاديش تعادل مساحة بلد كالاردن ، ٥٥ الف ميل مربع • لكن سكان الاردن مليونين فقط ،بينما سكان بنجلاديش ٨٢ مليونا !

لذلك ليس غريبا ان يعاني ٨٠٪ من السكـان



في المسجد الكبير بالعاصمة دكا (الى اليسار) ويسمونه « بيت المكرم » . وقد بني في عهد الرئيس الباكستاني ايوب خان . وفيه مقر المؤسسة الاسلامية (مسلم فوند يشن) التي يتعطل فيها العمل يوم الاحد !

فى المدرسة(فوق وتحت)موجات الاجيال الجديدة التي تدرس كل المواد باللغة البنجالية .





من سوء التغذية وان لا يزيد متوسط عمر الانسان عن ٤٢ عاما وان تصل الامية الى حوالي ٨٠٪ وان لا يتجاوز متوسط دخل الفرد ١٢٥ دولارا في السنة ، هي ثمن زوجين من الاحذية في الكويت !

وهذا الوضع عندما يحدث في بلد ليست امامه اي فرصة للامتداد والتوسع . وغاية ما يمكن ان يضاف الى رقعته هو تلك الكميات من الطمي التي تحملها فيضانات الانهار معها بين الحين والآخر ، فان المستقبل يصبح امامه مظلما وكئيبا .

« سنواجه كارثة حقيقية اذا لم نتمكن من ضبط النسل والسيطرة عليه » ، هكذا يقول الدكتور بدر الدجى الوزير المسئول عن المشكلة . وهو واحد من اولئك الحالمين الذين يبصرون شعاع الضوء على بعد الف ميل . متفائل هو ، او ينبغي ان يكون كذلك باعتبار موقعه ومسئوليته على الاقل .

ثم يضيف : اننا نحاول اقناع الناس بالحسنى، وتعبئة كل ما نملكه من امكانيات لهذا الغرض . حتى ان رجالنا يذهبون الى بيوت الفلاحين كل يوم، يضعون حبوب منع الحمل امامهم ثم يتركونها ويمضون . وهناك ٢٨ الف شخص يطوفون بالقرى لتوعية الناس بالخطر . لدينا فكرة لرفع سن الزواج ، وامامنا اقتراح لاتحاد الشباب يدعو الى الاضراب عن الزواج لمدة عام .

التعقيم عندنا اختياري ، ومراكزنا اجرت ١٢٠ الف عملية تعقيم في العام الماضي . لكن فكرة التعقيم الاجباري مستبعدة ، فهي التي اسقطت انديرا غاندي في بلد اغلبيته الساحقة هندوكية ، فما بالك اذا حدث ذلك في بلد مسلم . وشديد التعلق بالدين !

سألته عن موقف رجال الدين ، فرد الوزير على الفور : انهم يعارضون تنظيم النسل ، ويشكلون بموقفهم هذا عقبة اساسية لا نعرف لها حلا . لان الناس في القرى يستمعون الى كلامهم اكثر من اقتناعهم بكلامنا . طبعا كتبنا تحاول ان تقدم اجتهادات اسلامية في الموضوع. استشهدنا بفتاوى تؤيد تحديد النسل في بلد له مثل ظروفنا لعلماء من الاردن ومصر (الشيخ عبدالله القلقيلي مفتي الاردن والشيخ عبدالمجيد سليم مفتي مصر السابق والشيخ عبدالفتاح العناني رئيس لجنة الفتوى في الازهر) .. ومع ذلك ،يضيف بدر الدجى ، لم يقتنع اكثرهم بان الله لا يرضى ان تواجه مجاعة مدمرة عام ٢٠٠٠ !

اغنياء فقراء !

ومشكلة النسل هذه هي سبب اساسي في تعاسة بنجلاديش ، ذلك ان البلد بحد ذاته ليس فقيرا على الاطلاق . بل هو غني بموارده . والجوت (له وزارة خاصة باسمه) هو اهم انتاجه ، اذ يصدرون منه بما قيمته ١١٧٠ مليون دولار في العام الى ١٠٤ من دول العالم ، ومصنع « آدام جي » للجوت هو اكبر مصنع من نوعه في العالم . وحوالي ثلث السكان ترتبط حياتهم بزراعة المحصول ، وهم يصنعون من الجوت منتجات بلا حصر ، من الاجولة والثياب الى المفارش والحقائب والسجاد وبمعالجات كيماوية خاصة استطاعوا ان يصنعوا منه الادوات الصحية وهياكل السيارات وكانت هذه احدى مفاجآت المعرض الصناعي الذي اقيم هذا العام .

وبعدما بدأ حماس العالم للالياف الصناعية يفتر ، والاتجاه الى الالياف الطبيعية يتزايد ، ارتفعت اسعار الجوت وزادت اهميته في الاسواق العالمية ، وذلك يبشر بدخل طيب لبنجلاديش هذا العام .

هم ينتجون الارز ايضا ، بمتوسط ١٠ ملايين طن سنويا . لكنه موجه كله للاستهلاك المحلي الذي يصل متوسطه الى ١٢ مليون طن . اي ان هناك عجزا سنويا قدره مليونا طن ، يسد بالقمح احيانا ، وبالاستيراد من الخارج احيانا اخرى .

وهم ينتجون القمح بكميات محدودة (٢١٥ الف طن سنويا) ويزرعون الشاي (حوالي ٧٤ الف طن) ويصدرونه الى الخارج ، والسكر (٦ ملايين طن سنويا) .

وفي المناطق الشمالية ستة حقول للغاز الطبيعي (الذي اكتشف في عام ١٩٥٥) والتقديرات عن احتياط الغاز شديدة التفاؤل اذ يبلغ ٢٠ بليون قدم مكعب . واحيانا يبلغ التفاؤل حدا يدعو الناس الى الذهاب بعيدا في الحلم بمستقبل افضل . وهم يستندون على ذلك بقولهم انهم قطعوا ثلثي الطريق نحو امل الدولة البترولية . فهم مسلمون

لم انهم فقراء ، وبقيت الخطوة الاخيرة : ان يتفجر البترول من النهر او البر .. ويسالون ضاحكين ، اليس هذا هو ما كانت عليه الدول العربية ؟

والى جانب هذا كله فهناك الثروة السمكية الكبيرة (حوالى مليون طن سنويا و ٢٥٠ نوعا من السمك) غير كميات الخضر والفاكهة التى تنتجها الارض بوفرة شديدة .

المهم انه فيما يتعلق بالموارد ، فالبلاد غنية حقا . والرخاء الذى تحدث عنه ابن بطوطة كان تاريخا يذكره الجميع . ولكن الذى حدث ان هذه الموارد لا تتزايد الا بمعدلات محدودة،بينما السكان يتزايدون بصورة مذهلة .. وهذه هى المشكلة .

لان النتيجة الطبيعية ان كل هذا الانتاج تتلقفه افواه لا تشبع على الاطلاق . وحتى وقت قريب جدا ثلاث او اربع سنوات ، كانت العاصمة دكا مليئة بقوافل الشحادين والمتسولين ، وكنت تجد اسرا باكملها ـ هكذا يروون ـ مكومة على الارصفة ، افرادها عراة تماما ، يمدون ايديهم للمارة . بل كنت تجد انسانا يلفظ انفاسه الاخيرة ، بعد ان اعتصره الجوع ، بينما افراد اسرته يشحذون على جثته ليدفنوه !

لقد اختفت هذه المشاهد الان من العاصمة ، ولكن الناس لم تشبع ، ولا يزال ملايين يعانون من الفاقة والفقر فى قرى بنجلاديش ال ٦٥ الفا .

وهذه الصورة ، لا يعانى منها فقط المسئولون عن تنظيم النسل او التخطيط ، ولكنها تصيب كل المسئولين عن القطاعات الانتاجية بالاحباط الشديد. فقد قال لى مدير مصنع ضخم لقطع غيار المصانع الصغيرة ، وهو واحد من اكبر المصانع فى آسيا (اسمه المهندس سيد مسعود الرحمن) ، اننى اعمل فى الصناعة منذ ٢٠ عاما ، وليس لدى اى امل فى اى نتيجة نحرزها ، طالما ان مشكلة النسل كما هى لم تحل .

وهذا الكلام ردده الدكتور حسن الزمان ، مدير مركز ابحاث الارز . قال اننا نقاتل قتالا حقيقيا من اجل رفع انتاج الارز ، واستطعنا ان نرفع الانتاج فى ٣٠٪ من المساحة ، لكن هذا الذى نفعله لن يجدى امام المشكلة السكانية . فشعب بنجلاديش ياكل الارز ثلاث مرات يوميا .. من يستطيع ان يغطى حاجة ٨٢ مليونا يستهلكون الارز بهذا المعدل ؟

ازمة مع الهند

هذا عن النسل ، اما النهر فمشكلته ذات طابع مختلف ..

وكلمة النهر ترمز الى الماء لكنها لا تعبر عن الحقيقة بدقة كافية . لانها ـ اولا ـ بغير عد ولا حصر . ثلاثة منها رئيسية هى (جانجز وبراهمبوترا ومجنا)،اما الانهار الاخرى فهى منتشرة كالثعابين فى انحاء بنجلاديش ، اطوالها فقط هى المرصودة (٨٠٠٠ ميل) اما عددها فليس معروفا .

ثم انها ـ ثانيا ـ مسالة مرتبطة بالامطار ،التى قد تجر معها فيضانات ، لا يمكن تقدير خطرها الا بعد ان تقع (للفيضانات والطاقة وزارة خاصة)

ويقولون هناك ان الفيضانات الكاسحة لها دورة كل ٥ سنوات . تزحف كالتنين الهائل فتطيح بكل وما يعترضها،وتخلف وراءها خرابا ودمارا وضحايا ولاجئين . وقد حدث آخر فيضان من هذا الطراز فى عام ١٩٧٤ . ومن الان يضعون أيديهم على قلوبهم تحسبا لما ستأتى به سنة ٧٩ ! والانهار قضية تؤرق الجميع حقا فى بنجلادش ، لان الرئيسية منها ، التى تعد شرايين الحياة الحقيقية، تنبع فى دول أخرى مجاورة ، الصين والهند ونيبال ، وأى خلاف مع احدى هذه الدول قد يؤدى الى قبض الحياة فى بعض اجزاء بنجلاديش . وهذا بالضبط ما حدث مع الهند .

ذلك انه رغم التعاطف الشديد الذى لقيته بنجلاديش من الهند فى البداية (الهند تدخلت عسكريا سنة ٧١ لمساعدة بنجلاديش على الانفصال عن باكستان) الا ان الهند اقامت سدا على نهر جانجز ، فى منطقة معروفة باسم فاركا . على بعد ١١ ميلا من الحدود البنجالية . وترتب على ذلك ان شحت مياه النهر الذاهبة الى غرب بنجلاديش . وكانت النتيجة ان اصبحت ٣٧٪ من اراضى بنجلاديش مهددة بالجفاف .

وقد كانهذا المشروع هو أبرز أوجه الصدام التى حدثت بين الدولتين . والتى لم تحل حتى الان ، رغم أنهما وقعتا اتفاقا لحلها فى أواخر العام الماضى .

وما حدث مع الهند يمكن ان يحدث مع غيرها على حد تعبير المهندس منير الزمان المدير المسئول







جيش بنجلاديش ، ينفقون عليه الكثير تحسبا للمخاطر والمخاوف .. اليست مفارقة ان يضطر بلد فقير بهذا القدر ، الى ان ينشيء جيشا يكلفه الملايين ! (الى اليمين اعلا) من معالم العاصمة دكا،المباني الجديدة والعالية تزحف،والميدان يتوسطه نموذج لزهرة الشابلا . (الصورة الى اليمين)

عروس ليلة زفافها . ينفقون ساعات طويلة في تلوين وجهها وتزيينه بما يتيسر من الحلي الذهبية واقراط الماس المقلدة . (فوق)

عن الانهار في وزارة الفيضانات ، واى نقص في المياه يعني تشريد ملايين البشر ، وهو ما لا تستطيع بنجلاديش أن تحتمله • ولا سبيل الى حل هذه المشكلة الا بالتوصل الى اتفاقات واضحة ومحددة مع الدول المجاورة لتوزيع أنصبة المياه بصورة عادلة ، وهي التجربة التي لم تنجح تماما ـ حتى الان على الاقل ـ مع الهند •

والوجه الثاني للمشكلة (الفيضانات) ليس اقل تعقيدا • فالفيضانات العادية مطلوبة ، لما تحمله من طمى وجزر في نهاية موسم الامطار (من يونيو الى اكتوبر) ولكن الفيضانات غير العادية هي التي تبعث الخوف والرعب في كل القلوب • لان الدولة تشعر بالعجز التام ازاءها • وتترك عملية المواجهة الفعلية للفلاحين الفقراء ، وهم اشد عجزا • لكنهم يخوضون ـ رغما عنهم ـ معها معركة الحياة والموت • وهو ما يتكرر في مواجهة الاعاصير ، التي تقتلع الحياة كلها في المناطق التي تنكب بها ، اذ تقف الدولة عاجزة ايضا ، ويتصدى لها او يذهب ضحيتها عشرات ومئات الفلاحين الفقراء •

وفي غيبة موسم الامطار • تعيش الزراعة أشهر الجفاف (من أول نوفمبر الى أول مايو من العام الذي يليه) وتظهر الحاجة الملحة الى نظام رى ، يكبح الفيضانات في موسم الامطار ، ويغطي احتياجات الارض الزراعية من الماء في موسم الجفاف •

وهم يبذلون جهودا متصلة في هذا المجال ، عن طريق دراسة مشروعات السدود والخزانات التي تستطيع أن تلعب هذا الدور • لكن المشكلة أن السدود تحتاج الى تمويل ، والتمويل لا بد وأن يكون عملة صعبة ، وما هو موجود من عملة صعبة يصرف على اطعام الناس ، وتسيير عجلة الحياة بالكاد في بنجلاديش •

« لجأنا الى الدول البترولية » ـ يضيف المهندس منير الزمان ـ وحتى الان لم تستجب لنا سوى الكويت ، التي قدمت لنا بواسطة الصندوق الكويتي للتنمية قرضا قيمته ٢١ مليون دولار لاقامة مشروع كبير لتخزين المياه وتوليد الطاقة الكهربائية في منطقة « سيلت » • أما الباقون ، فنحن ما زلنا ننتظر استجابتهم » •

بين العملاقين

بقيت مشكلة الانتماء ، وهي ثالثة الاثافي ، كما يقول فصحاء العرب •

في كتاب « التوجه الاسلامي للصحافة البنجالية في الربع الاول من القرن الحالي » لمؤلفه استاذ الصحافة الدكتور مصطفى نور الاسلام ، كانت مقدمة الكتاب تحمل هذه الاسئلة :

من نحن بالضبط : هل نحن جزء من الهند ؟ هل نحن بنجاليون ؟ •• هل نحن جزء من العالم الاسلامي ؟

وهذه الاسئلة التي أثارها الدكتور نور الاسلام ، هي ذاتها التي كانت مثارة في الصحافة البنجالية في بداية العشرينات ، اى منذ اكثر من نصف قرن، كما يشير هو في فصول الكتاب التالية• وهي ذاتها التي تتردد في كل منتدى • يتاح للناس منه ان يفتحوا قلوبهم ، ويزيحوا قشرة الصمت او الخوف •

طبعا، الاجابة الرسمية هي : « نحن بنجاليون »، وهذه آثارنا في متحف دكا تدل علينا • وهذه ثقافتنا التي كانت مطمورة ، الادب ، الشعر ، الفولكلور ، الذي جمعت منه اكاديمية الثقافة حتى الان ١٠٠ الف قصة ورقصة •

هذا الحس القومي يغذى في كل مناسبة• ومتحف دكا يعبر عن هذا الاتجاه بقوة •

بعد أن تتجول في قاعاته عبر مراحل التاريخ من البوذية الى الهندوكية الى الاسلام ، الاتراك والافغان اولا ثم المغول • ثم الممالك الاسلامية التي اقامها زعماء البلاد (الزعيم كان يطلق عليه لقب نواب) • بعد هذا كله ينتهي بك المطاف الى قاعة كبيرة مليئة بصور الجماجم والجثث وآلات التعذيب ، التي تسجل بطريقة يشيب لها الرأس المرحلة الفاصلة والاخيرة في سعي شعب البنجال للاستقلال عن باكستان عام ٧١ •

قال لي مرافقي علم الدين بعد هذه الجولة : اظنك الان عرفت اجابة السؤال لماذا بنجلاديش ؟

كان ذلك في ثاني ايام الوصول ، ولم اكن قد التقيت بأحد •

كنا فقط نتعرف على بنجلاديش من الخارج ، ولم نمس الاعماق بعد ·

بعد قليل لفت نظرى أن اللغة البنجالية تكتب بحروف أقرب الى السنسكريتية ، لغة الهند الرسمية · وعندما ألقيت سؤالا بريئا حول هذا التشابه ، فوجئت بمستمعى يتنهد ويقول : حكاية الهند هذه مشكلة اخرى ·

ثم استرسل - بعد أن طلب عدم ذكر اسمه - وقال أن بنجلاديش تواجه مأزقا صعبا ، فهى ترقد بين عملاقين كبيرين ، الصين بملايينها الثمانمائة من ناحية ، والهند بملايينها الستمائة من ناحية أخرى · (أحد رجال الدين ردد نفس الملاحظة فيما بعد قائلا اننا محاطون بالملحدين فى جانب والمشركين فى جانب آخر) ·· واضاف محدثى ان بنجلاديش تتوجس خيفة من جيرانها ، وانها لا بد أن تجد لنفسها انتماء تطمئن اليه ، ويدعمها فى مواجهة العملاقين · لانها لا تستطيع أن تقف وحدها ، لا سياسيا ، ولا اقتصاديا ، وهذا هو العنصر الاخطر فى المرحلة الراهنة ·

وفى مسألة الانتماء - أضاف محدثى - فان الهند هى الاقرب جغرافيا · لكن ذلك أمر مرفوض من ملايين المسلمين فى البنجال · ولا مفر من صيغة لتحقيق هذا الانتماء الى العالم الاسلامى · وقد كانت باكستان هى الحل الامثل ، لكن أحدا لا يستطيع أن يجهر بذلك ·

بعد المجازر البشعة التى وقعت وانهار الدم التى سالت بيننا وبينهم ·

ثم مضت أيام وكنا مسافرين من ميناء شيتا جونج الى مصيف كوكس بازار · صعد أحد موظفى المطار فوق سطوح المبنى ودق بيده جرسا ، مثلما يفعلون فى بعض المدارس ، ليدعو المسافرين الى انهاء اجراءات سفرهم · وقيل لى ان هذا الجرس معلق فى كل مطارات بنجلاديش ، وهو يستخدم للتنبيه أما بموعد وصول الطائرات او اقلاعها ·

فى الطائرة فوجئت بمناقشة حامية ، عالية الصوت ، فى الصفوف الامامية · وسمعت أحد المتكلمين يقول : ماذا فعلنا ؟ ·· كنا ضعفاء تحت الحكم الباكستانى ، وصرنا أكثر ضعفا الان ؟؟ ·· كانت هناك أخطاء على عهد الباكستانيين ، وعندما



الآية الكريمة بالعربية والبنجالية فى أحد ميادين دكا ·

حاولنا تصحيحها ارتكبنا خطأ أفدح ·· نحن الان وحدنا ، هل عندك حل ، ماذا نفعل ؟

مثلا : فى مواجهة مثل مشكلة مياه نهر الجانجز ، من يستطيع أن يساندنا فى مواجهة الهند ؟ ·· ثم ، لماذا تتدخل الهند فى سياستنا ؟ ولماذا ينقل قائد سلاح الحدود الذى لم تكن الهند راضية عنه؟ هل لمجرد أن الرجل كان حازما فى منع تهريب الجوت من بلادنا ؟

وعاد صاحبنا يقول بانفعال شديد ، كنا فقراء صحيح ، لكننا كنا أكبر دولة اسلامية بتعداد يصل الى ١٤٠ مليونا (فى بداية السبعينات) ، أتدرى كيف نوصف نحن الان ؟ لقد صرنا أتعس دولة فى العالم ؟

منذ ذلك الوقت أيقنت أن « ملف » باكستان لم يغلق بعد ، فى ذهن الناس على الاقل ·

الدين أم القومية ؟

والمسألة الباكستانية تجسد فى الحقيقة قضية العلاقة بين الانتماء الدينى والحس القومى ، وهى قضية قديمة الجذور فى شبه القارة الهندية · فمنذ زال الحكم الاسلامى فى الهند بعد دخول الاستعمار الانجليزى فى القرن الثامن عشر ، ظلت السياسة البريطانية تسعى دائما للوقيعة بين المسلمين والهندوس · حتى وقع الهندوس فى



مصنع التليفونات الوحيد والحديث في بنجلاديش يتوقعون له ان يصدر انتاجه للخارج ، الى الدول المجاورة وافريقيا ، عندما يستكمل طاقته الانتاجية ، وكل ما ينتجه الان حوالى ٣٠ الف جهاز سنويا . المصنع اسس فى ظل الحكم الباكستانى ، وافتتح منذ عامين . وبالمناسبة فان كل المصانع المقامة فى بنجلاديش انشئت قبل الانفصال . ولاسباب عديدة لم تتمكن السلطة الجديدة من انشاء اية مصانع بعد « الاستقلال » . فقط افتتحت او استكملت مصانع بدىء العمل فيها قبل عام ١٩٧١ (فوق) .

ساعة الغروب ، يحمل الاطفال اوراق الشجر والاخشاب من اطراف مدينة دكا الى سكانها .. اوراق الشجر بعضها لنبات « الباتل » الذى يتلذذ الناس بمضغها ، والاخشاب تستخدم وقودا فى المنازل (الى اليسار)



فريق من العاملين فى مشروع واعمل لتأكل، يشقون مجرى ماء جديد لرى الاراضى الزراعية ٠ (فوق)



الشرك ، واتجهوا الى اضطهاد المسلمين بمختلف الاساليب. عندئذ لم يجد المسلمون مقرا من التوجه الى خليفة المسلمين في تركيا ، يستظلون به ، ويمدون انتماءهم الى رايته .

وظل مسلمو المنطقة على تعلقهم الشديد بالخلافة التركية ، الى حد دفعهم ـ مثلا ـ الى اعتبار الهند المرتبطة بالتاج البريطاني ، « دار حرب » لان انجلترا خاضت المعركة ضد تركيا في الحرب العالمية الاولى . الامر الذي بسببه هجر ٢٠ ألفا من مسلمي الهند « دار الحرب » هذه ، وذهبوا الى افغانستان ليعيشوا فيها ! وكان أصحاب هذه الفتوى هم اتباع المذهب الوهابي ، في شمال وشرق الهند ! وتستغرب مثلا أن يصل هذا التعلق بالخلافة التركية لدرجة تدفع الصحف الى فتح اكتتاب لمساهمة مسلمي « بنجالة » في مشروع سكة حديد الحجاز (الذي يصل بين دمشق والحجاز) ، ويرسلون فعلا الف جنيه استرليني الى الباب العالي سنة ١٩٠٣ . ثم يحتفل الجميع في المساجد والبيوت باليوبيل الفضي لتولي السلطان عبدالحميد منصب الخلافة ، لم ترد الصحف البنجالية على حجج الشبيبة التركية التي كانت تطالب السلطان عبدالحميد بالدستور والانتخابات البرلمانية !

لهذا السبب ، فجع المسلمون عندما الغى كمال أتاتورك الخلافة سنة ١٩٢٤ ، وكتبت احدى الصحف (اسلام دارسان) تنعى للامة هذا الحدث وتقول: أن الاسلام بغير خليفة مثل سفينة بلا ربان !

وبعد قراءة ما كتبته الصحافة البنجالية في تلك الفترة ، قلت لمن التقيت بهم من المثقفين والدارسين ، انه اذا كان اضطهاد المسلمين في الهند هو السبب الاول الذي دعاهم الى التفكير في انشاء دولة باكستان ، فان افتقاد هؤلاء المسلمين لمظلة الخلافة ، واحساسهم بانهم صاروا بلا قيادة بعد الغائها ، ذلك يشكل سببا اخر حفزهم للاحتماء بمظلة أخرى بديلة ، تمثلت في انشاء دولة باكستان . وقد أيدني كثيرون في هذا التحليل .

لقد كانت باكستان حلم مسلمي الهند ، لكن الفشل في معالجة المسألة القومية ، الذي تمثل في بعض المواقف والقرارات الحمقاء افسدت هذا الحلم ، وزرعت بذور الجفاء بين ابناء البنجال وابناء البنجاب في الدولة الجديدة (باكستان الشرقية والغربية) بدءا بمسالة عدم الاعتراف باللغة البنجالية كلغة رسمية في باكستان الشرقية عام ٥٢ ، ومصرع ثلاثة من الطلاب البنجاليين في صدام مع الشرطة بسبب قضية اللغة هذه ، وانتهاء برفض ذو الفقار علي بوتو تسليم السلطة لحزب المعارضة البنجالي الذي كان يتزعمه الشيخ مجيب الرحمن (حزب عوامي) ، بعد فوزه في انتخابات سنة ٧١ ، ثم اعتقال الشيخ مجيب ، وقرار الجنرال يحيى خان استخدام القوة والعنف في قمع المظاهرات الغاضبة التي خرجت تحتج على عملية الاعتقال . وهي المظاهرات التي أعقبها الانفجار الشعبي الكبير الذي حطم الحلم وقضى عليه .

وطوال مراحل هذا الصراع كانت قضية الانتماء مثارة بحدة . هل يحتملون الظلم والعسف ، ابقاء على اخوة العقيدة (قال لي أحد المتعاطفين مع باكستان أن الظلم الذي يشكو منه البعض لم يكن من نصيب بنجلاديش وحدها ولكنه كان سمة لبعض العهود ، التي عاني الجميع من الظلم فيها ، سواء في باكستان الشرقية أم الغربية) ، أم يضحون باخوة العقيدة في سبيل احياء التراث القومي . لكن الظروف هيأت للتيار الثاني فرصة الانتصار ، ولا تزال الاحزاب الاسلامية في بنجلاديش تعاني من سخط الكثيرين لانها ظلت اثناء تصاعد الازمة تنادي بالابقاء على العلاقة مع باكستان ، على أخوة الدين والعقيدة ، رافعة شعار « الاسلام خطر يميهاي » أي الاسلام في خطر .

دعوة « العلاقات الخاصة »

وكما حمل الاسلام بمساوىء الخلافة العثمانية في آخر عهدها ، الامر الذي أدى الى اعلان أتاتورك الحرب على الدين ، فان هذا ما تكرر في بنجلاديش . عندما انتصر التيار القومي ، حمل الاسلام مسئولية الاخطاء والفظائع التي حدثت أثناء الحرب « وهم يطلقون عليها هناك اسم « حرب التحرير » .

فعندما أعلنت الدولة الجديدة ، رفضت النص على ارتباطها بالاسلام ، جاء الدستور معلنا أنها دولة علمانية (كما فعل أتاتورك) وكان شعار جامعة « دكا » العريقة هو الآية الكريمة « وقل رب زدني علما » ، لكن الشعار أزيل بعد الاستقلال ، ولا يزال ، ووضع زعماء المسلمين وعلماؤهم في

السجن ، واهملت المدارس الاسلامية ، وضيق على النشاط الاسلامي بوجه عام .

وحين حدث الانقلاب على مجيب الرحمن سنة ٧٤ ، اعلنت بنجلاديش دولة اسلامية لمدة ٢٤ ساعة فقط (في ذلك اليوم اعترفت بها السعودية) ولكن هذا الاعلان سحب فيما يبدو بعد ذلك ، اذ لم يعد له ذكر . (عندئذ جددت السعودية اعترافها ولم تبعث سفيرها) ، وفي ظل الانقلاب الثالث الذى حدث في نفس الشهر عدل الدستور بحيث اصبح يبدأ بعبارة بسم الله الرحمن الرحيم ، ونص فيها على أن بنجلاديش دولة تؤمن بالله ، واضيفت الى كلمة الاشتراكية في نصه انها تعني العدالة الاجتماعية(حينئذ ارسلت السعودية سفيرها وقدمت للجنرال ضياء الرحمن معونة قدرها ٢٥٠ مليون دولار على دفعتين متتاليتين) .

لكن هذا التعامل على الاسلام خفت حدته . وبقيت مسالة باكستان جرحا لم يندمل بعد .

فبين المتعاطفين لاسباب دينية، والرافضين لاسباب قومية ، هناك تيار ثالث عاقل ومستنير يدعو الى اقامة « علاقات خاصة » مع باكستان ويستند في ذلك الى أن بين البلدين نسيجا عاطفيا لا يمكن تجاهله مثلا عندما زار ذو الفقار على بوتو (رئيس وزراء المعركة) بنجلاديش بعد الانفصال، استقبل هناك استقبالا شعبيا كبيرا ، كانت له دلالاته ، رغم كل ما جرى . وهم يذكرون هناك انه في دورة ميونخ ، التي اقيمت بعد الانفصال بعام واحد ، كان فريق الكرة الباكستاني يلعب ضد الفريق الهندى ، وكان على رأس مشجعي الفريق الباكستاني ، البعثة الرياضية البنجالية! ويدللون بهذه القصة على انه عند لحظة الاختيار فان بنجلاديش ستتجه على الفور الى جانب باكستان . بسبب المشاعر الدينية التي تربطها بها : أما اذا كان الاختيار بين باكستان وبنجلاديش ـ أضاف راوى القصة ـ «فان بنجلاديش طبعا هي ما تختاره» .

وغير العواطف ، فهناك مصالح تقتضي اقامة هذه العلاقات الخاصة . ذلك أن هناك تكاملا اقتصاديا بين البلدين . مثال ذلك القطن في باكستان والجوت في بنجلاديش . فضلا عن أن توزيع المصانع بين البلدين كان مخططا على هذا الاساس، بحيث لا يتكرر مصنع واحد في الاقليمين، وتكون طاقة المصنع في أى منها قادرة على تغطية احتياجات الاستهلاك كلها ، هنا وهناك ، حدث ذلك في صناعات الادوية والاطارات وقطع الغيار . وغيرها .

وبالاضافة الى ذلك فان باكستان كانت المتنفس الطبيعي الوحيد للايدى العامله البنجالية ، لان مساحتها ستة اضعاف مساحة بنجلاديش ، وتعدادها اقل بعشرة ملايين عن بنجلاديش . وقد ترتب على القطيعة بين البلدين ان واجهت الايدى العاملة البنجاليه ازمة شديدة ، وزادت بينها نسبة البطالة زيادة ملحوظة الامر الذى اضطر اعدادا كبيره من البنجاليين الى النزوح لمنطقة الخليج بحثا عن مورد للرزق .

هذه هي ابرز حجج دعاة العلاقات الخاصة مع باكستان . ورغم انها منطقية في مجموعها ، الا ان البعض يخشى ان تدفع العلاقات الخاصة الى ما هو ابعد ، تحت ضغط دعاة العودة الى باكستان ، وعندئذ يقع المحظور ، ويعود التاريخ الى الوراء مرة اخرى .

واصحاب ذلك الاتجاه العاقل والمستنير ينبهون الاذهان الى ان العلاقة بين الدين والقومية يمكن أن تستمر بغير صدام . فليس هناك تعارض بين ان تكون بنغاليا وان تكون مسلما (نتيجة لتزايد الحس القومي) فان الاجيال الجديدة صارت تحمل اسماء اسلامية ، اذا صح التعبير ، تسجل في شهادات الميلاد ، بينما يتداولون فيما بينهم أسماء بنجالية ، اذ كان لمرافقنا ابنة اسمها الاصلي خديجة واسمها البنجالي « طوبيا »

القومية عندما تصبح خطرا

وقد كان من نتيجة تصاعد الحس القومي بعد الانفصال ان تحركت القبائل ذات الاصول غير البنجالية التي تعيش في مناطق الغابات الجنوبية، وطالبت بالحكم الذاتي ، بل وشكلت فيها حركة مقاومة سرية بقيادة عضو البرلمان السابق « لارما كان» ،تبنت هذه المطالب ، ولا تزال تضغط بوسائل عديدة،منها الاشتباك بالسلاح وعمليات التخريب، لنيل الحكم الذاتي .



مليون قارب تنطلق كالسهام في انهار دكا تحمل كل شيء (الى اليمين) وباعة الارز المطبوخ في قدور من الفخـــار منتشرون في كل مكان • يقدمون الوجبة في « اناء » هو عبارة عن ورقة شجر سميكة (فوق) •









ليست هناك مضارب ارز ، ولكــــن الفلاحات يقمن بالمهمة خير قيام (الى اليسار) ·· وزراعات الارز تلقى كل عناية ، لان الكل يدرك انهم يخيرون احيانا بين الارز او الموت (تحت) ·



وهم مليونا نسمة ، موزعون على ١٣ قبيله ، مسيحيون وبوذيون ووثنيون ، لهم اصول تمتد الى التبت وبورما وتتزعمهم قبائل شاكما وماريا ، البوذية ، ولوشاي التي تعتنق الدين المسيحي • وهي القبائل الاكثر تعليما (في بنجلاديش ايضا حوالى ١٠ ملايين هندوكي ولاؤهم مرتبط بالهند)•

والمنطق الذي يبررون به مطالبهم هو : انه اذا كان البنجاليون قد ثاروا من اجل لغتهم وقوميتهم اليس من حقنا ايضا ان نحترم لغتنا وقوميتنا ، وان نثور من اجلها اذا اقتضى الامر ؟

وليس مصادفة ان يكون نشاط بعثات التبشير التي تتستر بالمسيحية مركزا في مناطق القبائل هذه ، أن يكون مقرهم في « ستيتاجونج » ، القريبة من هذه المناطق ، حيث اقاموا هناك مستشفاهم ومركز تموينهم الذي يقدمون منه بعض « المعونات » للفقراء •

وهو ما يذكرنا بدور البعثات التبشيرية في اندونيسيا ، التي اختارت أكثر المناطق فقرا ، التي تعد التربة الاكثر خصوبة لنشر افكارهم ، واقاموا هناك مدارسهم ومستشفياتهم •

البعض يقول ان تقسيم باكستان كان خطة مدبرة ساهمت فيها الدول المجاورة لاضعاف اكبر دولة اسلامية ، وان النشاط التبشيري في بنجلاديش حلقة جديدة في هذه الخطة) •

وقضية القبائل التي تطالب بالحكم الذاتي ، الذي يتحول الى مطلب للانفصال اذا تفاقمت الامور ، تفجر من جديد مسالة القوميات والخطر الذي تمثله اذا لم تعالج بحكمة وتعقل ، بحيث تحترم مشاعر البشر وحقوقهم الاساسية ، ولا تتمزق الاوطان وتصبح عرضة للتفتت والتشرذم ، في عالم يتجه الواعون فيه الى التجمع والوحدة •

وذلك يذكرنا بقول المؤرخ الشهير ارنولد توينبي في كتابه « العالم والغرب » « ان المسالة القومية كانت تعبر عن واقع اوروبي في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، لكنها عندما ذهبت الى الشرق صارت فكرة مدمرة » • لان الحدود اللغوية في اوروبا كانت مطابقة تقريبا للحدود السياسية ، وهو على العكس تماما مما يعرفه الشرق ، اذ تتداخل في اطار الحدود السياسيه لدولة واحدة ـ وربما ـ العديد من اللغات والقوميات •

ومع ذلك يظل السؤال قائما : كيف تصبح المسالة القومية وسيلة وليس هدفا ، اى تستخدم من اجل التجميع والوحدة ، وليس في التمزق والانفصال ؟ ذلك ان اهدار حقوق الانسان ، لسبب يتعلق بدينه او لونه او عنصره ، هو عمل غير حضاري • وبنفس القدر ، فان تغذية الحس الانفصالي بغير مبرر،وتقويض وطن باسم القومية هو ايضا عمل غير حضاري-وهي جريمة السياسيين ان يخيروا الانسان في اى لحظة بين آدميته والوطن الذي ينتمي اليه •

الوجه الآخر

على ان اسوأ ما في هموم بنجلاديش انها تحجب وجها آخر لهذا البلد ، لا يذكره احد • ولا يراه الناس ، سواء اولئك الذين يعيشون مشكلات هذه الملايين الفقيرة ، او الذين يتابعونها ويقرأونها • وهم يحاولون أن يبرزوا هذا الوجه ويلفتوا الانظار اليه ، بامكانياتهم المتواضعة •

مثلا ، هم يدعون كل اجنبي يتوقف في دكا الى جولة مجانية حول معالم بنجلاديش السياحية • وتنظم الدولة هذه الرحلات ، التي اشترك فيها خلال العام الماضي ٥٠ الف سائح • يأخذونهم الى شورنارجان ، عاصمة البنجال العتيقة التي تبلغ من العمر ٤٠٠ عام ، ومبانيها وتماثيلها ومعالم الحياة فيها باقية كما هي • يصحبونهم في قوافل الى مناطق الغابات الكثيفة في الجنوب ، قرب شيتا جونج • حيث تسكن القبائل البدائية،البوذية والوثنية ، وتعيش كل حيوانات الغابة في سكون- يبيعون لهم اطول شواطئ العالم في كوكس بازار (اكثر من ١٦٠ كيلومترا بينما شاطئ ميامي المعروف في امريكا بانه اطول الشواطئ، لا يتجاوز ١١٢ كيلومترا)

هذا الشاطئ الرائع ، برماله البيضاء الناعمة مداه غير المرئي ، وطبيعته الهادئة ، التي لا يفسدها الا نعيق الغربان واسراب الناموس !

مثلا . فقليلون هم الذين يرصدون معالم الحركة الفنية ، التي لها خصائصها المميزة ، رغم صلتها الوثيقة بالفنون الهندية القديمة • ويحتل الرقص الشعبي المرتبة الاولى ، يليه الغناء الذى يبرز فيه التوجه الاسلامي • ويعتمد على الانشاد الجماعى تارة (الاقرب الى الموشحات الاندلسية) والغناء الفردى تارة اخرى • ولا تزال اغانى شاعر بنجلاديش الكبير نظر الاسلام (٣٠ الف اغنية) تتردد على كل لسان وهى مزيج من الاسلاميات والحب الصوفى والحض على الثورة• وهو يقول فى اشهر واعذب قصائده : اننى احلم بمكة البعيدة البعيدة ـ وانا مستلق فى كوخى الصغير فى بنجلاديش •

وغير هذا وذاك ، فهناك مبادرات ايجابية لاستثمار طاقات البشر ، تستحق الاهتمام • من ذلك مثلا مشروع « الطعام للعمل » ، الذى طبق منذ عام ٧٥ ، ووسيلته هى : دعوة الناس الى الاشتراك فى المشروعات العامة ، رصف الطرق وشق الترع والقنوات وتطهيرها ، مقابل كميات من الارز والقمح ، وليس مقابل اجر نقدى •

وهو ما تستفيد منه الدولة ، وما حقق انجازات طيبة فعلا ، ثم انه يجذب العمال متكلفة شراء الارز من السوق السوداء ، الذى يتلاعب فيه التجار • ثم انهم بعد ذلك يغرسون فى الناس قيمة « اعمل تأكل » ••

هذه بعض قسمات بنغلاديش التى تختفى وراء تلال الهموم التى تثقل كاهل البلاد ، وتشد انتباه الجميع من حولها •

أمل الاكتفاء الذاتى !

اخيرا ، ماذا عن المستقبل ؟

على صعوبة الاجابة على هذا السؤال ، فان لدى وزير التخطيط الدكتور ميرزا نور الهدى (الذى كان وزيرا لمالية باكستان ، وحاكما لشرق باكستان فى الماضى) ما يمكن ان يقوله فى محاولة الرد • هو ـ مثلا ـ يذكر بان دولة بنجلاديش المستقلة عمرها لا يتجاوز ٧ سنوات ، وان هذه المنطقة تعرضت لنهب استعمارى لمدة قرنين تقريبا، طوال الحكم البريطانى • اى ان مواردها مستنزفة فى الواقع •

يقول وزير التخطيط ايضا ان هناك تقدما بطيئا ، لاسباب لها وجاهتها ، ولالف عذر فى مقدمتها قضية العملة الصعبة وضرورتها لمشروعات التنمية ، لكن التقدم حادث بالفعل ، وهو مايمكن ان يخفف من القلق على المستقبل • ثم انه يذكر ايضا بأن مشكلة تضاعف اسعار البترول قد « اوجعتهم » ، وانهم وعدوا باسعار خاصة مراعاة لظروفهم ، لكن الوعود لم تنفذ •

اخيرا يقدر الدكتور نور الهدى ان يتحقق لبنجلاديش الاكتفاء الذاتى فى الغذاء مع نهاية الخطة الثانية للتنمية (٨٥ ـ ٨٦) ، وان ذلك مشروط بنجاح حملة ضبط النسل وتخفيض معدلات نموه •

ومع ذلك يظل المستقبل علامة استفهام كبرى ، لا تجد الاجابة الواثقة ، وهو امر منطقى • اذ كيف يمكن الاطمئنان على المستقبل فى ظروف لها هذا القدر من الحدة والتعقيد • وكيف يمكن الحديث عن الثمانينات بينما لا احد يعرف ماذا سيجرى غدا صباحا •• وهى بغير ذلك لن تكون بنجلاديش !

●

هل هى ظالمة او مظلومة ، بنجلاديش ؟؟

بعد الرحلة اقول انها مظلومة بالدرجة الاولى• ثم ظالمة بعد ذلك • وقد حرصت على ان اسجل كم هى مظلومة ، اما كيف كانت ظالمة فالجواب عند اطراف اللعبة السياسية التى استنفدت الكثير من طاقات هذا البلد ، وشغلته عن مواجهة تحدياته الحقيقية بالصراعات والتصفيات ، وهذه يطول فيها الشرح والحكى •

ومع ذلك لا استطيع ان اخفى تعاطفا شديدا مع « اهل بنجالة » ، ربما لانهم مسلمون • ربما لانهم فقراء بلا حيلة •• وكلنا كذلك !

وداعا بنجلاديش ! ■■



- ٢٦ مليون طفل فى وطننا العربى ،لايذهب منهم الى رياض الاطفال سوى ٢٪ فقط !
- كيف حلت مشكلة كتابة الارقام ، ولماذا استبعدت اسماء الشهور ؟
- اختبارات فى اربع مـــدن عربية بحثا عن اللغة المبسطة التي يفهمها طفل ما قبل سن المدرسة !
- أول برنامج تلفزيوني لتثقيف الطفل العربى تتبناه ٦ دول من الخليج العربى !
- ٣٠٠ اغنية جديدة و ١٧٠ هدفا سيحققها برنامـــج :



افتح ياسمسم



استطـــلاع : سليم زبال

نعمان وملسون .. الشخصيتان الرئيسيتان فى برنامج افتح ياسمسم .. نعمان هو كائن جديد يشبه شكل الحيوان الضخم الجثة صغير الراس (الى اليمين) اما ملسون فكائن مقتبس عن الببغاء ، انيق المظهر مرتب حيوى (الى اليسار) والصورة العليا اثناء تصوير الحلقة الاولى وترى فيها نعمان والاطفال الصغار امام دكان سمسم .. (تصوير : اوسكار مترى)

■ افتح يا سمسم :

كلمات سحرية كانت في قصص الف ليلـــةوليلة ، تفتح الابواب الى الكنوز الاسطورية !

هذا المفهوم القديم المنطبع في اذهاننا ، تغيراليوم تماما ، فقد اصبحت ، افتح ياسمسم ، احد مفاتيح المعرفة يغترف منها اطفالنا الصغار دون ان يبرحوا منازلهم !

« افتح يا سمسم » صار الان برنامجا تلفزيونياتعليميا ترفيهيا مدته ٣٩٠٠ دقيقة !

انه النسخة العربية من برنامج عالمي يبث حالياباكثر من ١٣ لغة في ٤٠ دولة مختلفة من دول العالم الغربي والشرقي على حد سواء !

قصة البرنامج

يحاول هذا البرنامج المسلسل ان يحدث انقلابا في اسلوب تربية اطفال ما قبل سن المدرسة ، مما دفع الهيئات التربوية العالمية الى اجراء دراسات مكثفة عنه . وقدمت اللجنة التي الفتها منظمة اليونسكو برئاسة ادجار فور رئيس الوزراء ووزير التربية الفرنسي السابق تقريرها قائلة : « يعتبر هذا البرنامج أهم التجارب المرئية الموجهة لاطفال ما قبل المدرسة » .

وتعود فكرة هذا البرنامج الى سيدة امريكية ، ارادت منه انقاذا للطفل الامريكي من الضياع ، فالآباء مشغولون بمتاعب الحياة وليست لديهم التجارب لتعليم اطفالهم ، وافلام العنف والجريمة والرعب تتسلل عبر شاشات التلفزيون المنتشرة في كل منزل .. ووسط هذا الجو المشحون ، عرضوا في عام ١٩٦٩ عبر ٢٥٦ محطة تلفزيون بامريكا ، برنامج «شارع سمسم» .. وكان النجاح هائلا ، وانهالت الطلبات من كافة انحاء العالم تطلب عرض هذا المسلسل الذى انفقوا ثمانية ملايين دولار على ابحاثه ، حتى اصبح برنامجا راسخا قويا عالميا ..

بضاعتنا ردت الينا !

ولم يعد هذا البرنامج واحدا متشابها ، فاوضاع كل دولة تختلف عن الاخرى ، لهذا جرت عمليات شاقة صعبة لتحويله من ثقافة معينة الى ثقافات اخرى متعددة .. كل شيء اختلف فيه : شخصياته .. الوانه .. رسوماته .. حتى اسمه تنوع واختلف ، من : شارع سمسم Sesame Street بالانجليزية ، الى « ساحة سمسم » بالاسبانية ، الى « فيلا سمسم » بالبرتغالية ..

كلهم اشتقوا الاسم من الف ليلة وليلة العربية، لهذا لم يجد المسئولون عن انتاج النسخة العربية حرجا في العودة الى الاصل العربي : « افتح يا سمسم » .. انها بضاعتنا ردت الينا .. !

المال ليس كل شيء !

ان عملية تحويل هذا البرنامج العالمي الى برنامج عربي كانت تبدو شبه مستحيلة ، فتوفير المال لم يكن كافيا لانجاح المشروع بقدر توفير الرغبة والحماس لتجاوز عشرات المشكلات التي تواجه كل عمل عربي مشترك ..

اننا عندما نعمل افرادا ندرك قمة الابداع .. وعندما نبدأ عملا جماعيا عربيا يتدهور عملنا ..

دول الخليج تتبنى الفكرة

وقد ادرك الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي في الكويت ابعاد هذه الصعوبات والمشاكل ، فسارع بعرض نتيجة دراساته ، التي شاركه فيها برنامج الامم المتحدة الانمائي ، على المؤتمر الرابع لتلفزيونات الخليج العربي ، مؤكدا ان تعريب برنامج شارع سمسم الامريكي سوف تكون له اطيب الاثار والنتائج على تربية الطفل العربي ..

ورحب المسئولون الخليجيون بالفكرة وتبنوها بالتعاون مع الصندوق العربي .. وبعدها اصبحت مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي هي المسئولة عن المشروع كله : انتاجا واشرافا وتنفيذا ..

اول برنامج للطفل العربي

وتقول السيدة عزيزة حلمي عضوة مجلس



اكتسب الفنيون العرب خبرة جديدة وواسعة نتيجة احتكاكهم بمجموعة من الخبراء الفنيين العالميين الذين اصبحت عندهم تجارب هائلة حصلوا عليها بعد تكييف برنامجهم الى خمس مناطق لغوية عالمية ..

المستشارين للبرنامج التى عاصرت برنامج افتح يا سمسم منذ ولادة فكرته :

ـ يمكننى القول ان هذا البرنامج يعتبر من المشاريع العربية المشتركة التى يمكن ان نسميها رائدة فى عدة مجالات .

انه أول برنامج عربى يوجه لطفل ما قبل المدرسة ..

« وهو اول برنامج يستعمل لغة عربية مبسطة يستطيع ان يفهمها كل اطفالنا من المحيط الى الخليج ..

« كما انه اول عمل عربى يجمع بين البحوث الاكاديمية والميدانية ، وبين الانتاج الفنى .. »

٧½ مليون دولار تكاليف البرنامج

وقد انتهت مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك من المرحلة الاولى لبرنامج افتح يا سمسم بعد عشرة شهور من العمل الجاد ، استطاعت خلالها انتاج حلقتين نموذجيتين من هذا البرنامج ..

اما المرحلة الثانية ومدتها ١٨ شهرا فقد بدات فى شهر ابريل (نيسان) ١٩٧٨ وفيها سوف يتم انتاج ١٣٠ حلقة مدة كل منها ٣٠ دقيقة ..

وتبلغ تكاليف انتاج وحق عرض « افتح يا سمسم » ، ٧½ مليون دولار ، دفعتها مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك لدول الخليج العربى المكونة من الكويت ، والسعودية ، والعراق ، والبحرين ، وقطر ، ودولة الامارات .

ويرتكز العمل الفنى فى كل حلقة على اربعة اسس : تصوير خارجى ، وداخل الاستوديو ، والعاب ودمى ، وعلى رسوم متحركة مدتها ١٠ دقائق على الاقل فى كل حلقة .. ومما يذكر أن تكاليف الدقيقة الواحدة من الرسوم المتحركة يبلغ نحو ٧ آلاف دولار !

لماذا برامج اطفال ؟

ترى هل توازى اهداف البرنامج ، المبلغ الكبير المرصود له ؟

يجمع الخبراء على ان وضع الطفل العربى عامة







الى اليمن : اختبارات لغوية اجرتهـا المدرسات واساتذة الجامعات على تلامذة رياض الاطفال ، فى كل من الكويت وعمان والقاهرة وتونس لمعرفة قدرة الاطفال على فهم تراكيب اللغة العربية الفصحى ، التى اعتمدت لغة برنامج «افتح ياسمسم» ..

هذا هو ملسون .. الكائن الذى سيكون له تأثيره الكبير على **اطفالنا** .. انه مقتبس عن الببغاء وهو اجتماعى يكون الصداقات مع الجميع ، ومبادر ايجابـى يساعد الاخرين ، كثير الكلام، يرفض الخطأ . يتحدث فى كل موضـوع ويتدخل فى شئون الاخرين . له صوت جميل ، قادر على الغناء ..

يحتاج الى عشرات اضعاف هذا المبلغ لمعالجة ما افسدناه وافسده الدهر في مجتمعاتنا .

فالاحصائيات المتوفرة تقدر عدد الاطفال العرب، الذين قبل سن المدرسة ، بحوالي ٢٦ مليون طفل يذهب منهم الى رياض الاطفال ٢٪ فقط ، والبقية يعيشون طفولة كئيبة،تربيهم على الزجر والصراخ واستعمال العصا .

نفرض عليهم آراءنا ، ونحرمهم التعبير عن ذاتهم ..

نحقرهم من حيث لا ندري ، عندما نطلق عليهم أسماء فيها انتقاص منشأنهم : جاهل .. عيّل .. زعطوط ..

اننا نضيق عليهم الخيال ، والتمتع برؤية جمال الاشياء ، .. ما زلنا ابا واما لم نستوعب اساليب تربية الاطفال .. او نكتشف اهمية اعداد الطفل للمرحلة المدرسية .. انه كائن مجهول لا نعرف شيئا كثيرا عن عالمه .

ومن ثم كانت حاجة اطفالنا ماسة وملحة الى برنامج توجيهي تربوي يركز على المرح والجمال والبهجة ، وهذا ما يقدمه لنا «افتح يا سمسم».

حالة قحط

ـ ما الذي يقدمه التلفزيون حاليا لاطفالنا ؟

يرد على السؤال الاستاذ رضا الفيلي مدير البرامج بتلفزيون الكويت :

« التلفزيون العربي عامة ، يعاني من حالة قحط في برامج الاطفال .. واقول لك بملء صوتي : اننا في حاجة ماسة جدا جدا لبرامج اطفال ..

« اما الموجود عندنا حاليا ، فلا يمكن تسميته برامج اطفال ، انه اجتهادات فردية تسعى الى الاقتباس من قصص الف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة ..

« العالم كله يهتم باطفاله ، خذ اليابان مثلا ، هناك خصصوا قناة تلفزيونية كاملة للاطفال .. تقدم لهم الموسيقى والالعاب والاغاني والاوبرا الخاصة بهم ..

« واعتقد ان برنامج « افتح يا سمسم » هو بمثابة احداث ثغرة واسعة في القلعة المقفلة التي وضعنا فيها اطفالنا .. »

اختيار الطريق الصعب

لقد اختارت مؤسسة البرامج المشتركة ، ان تسلك الطريق الصعب لتثبت جدية عملها ، فبعد انتاجها للحلقتين الانموذجيتين من «افتح يا سمسم» لم تنطلق مباشرة في تكملة انتاج ١٣٠ حلقة ، لانها تعرف انها تلج حقلا بكرا من حقول العمل التلفزيون التثقيفي ، لهذا توقفت ووجهت الدعوة الى خمسين من رجال الفكر والتربية والاعلام العرب للحضور الى الكويت لمشاهدة الحلقتين ، وتقييم ومناقشة العمل الذي تم ..

من هذا ! ؟!

ونوقشت التحديات التي يواجهها هذا البرنامج العربي المشترك .. وكانت في مقدمتها اللغة : بأي لغة نخاطب هذا الطفل الصغير ؟ !

لغتنا العربية الفصحى اهملناها وتحولنا الى الى العامية نستعملها لغة تخاطب وتعامل مع اطفالنا .. حتى اصبح عندنا في وطننا العربي اكثر من الف لهجة عامية .. تصوروا ان عددا هائلا من اطفالنا فشلوا في معرفة معنى«من هذا؟»، ففي منازلنا يسمع الطفل كلاما آخر مثل : مين هادا .. ومين ده .. وشكو هذا .. ومنو هذا .. ؟ !

اختبارات لغوية !

لهذا قامت المؤسسة باختبارات لغوية قسمت خلالها الوطن العربي الى اربعة اقسام مختلفة : شرق الجزيرة العربية والعراق ، وبلاد الشام ، ووادي النيل ، وبلاد المغرب العربي .. واختارت لتمثيل لهجات هذه المناطق ، اربع مدن هي : الكويت ، عمان ، القاهرة ، تونس .

حقيقة ان المدينة الواحدة لا تمثل لهجة المنطقة كلها ، ولكن في غياب دراسات علمية لغوية حتى الان ، واستحالة اجراء المؤسسة ، لبحثها في جميع

العواصم والمدن والارياف العربية ، لكل هذه الاسباب كان لا بد من عمل رائد للتعرف على مقدار فهم تعبيرات الفصحى لدى الاطفال ..

اختزان للفصحى !

وارسلت الاختبارات الى المدن الاربع المختارة، وبدا المختصون التربويون واللغويون فى كل مدينة يجرون ١٥ اختبارا لغويا ونفسيا واجتماعيا على الاطفال .

ويضيف الدكتور عبدالله الدنان الاستاذ فى جامعة الكويت والمسئول عن هذه الاختبارات :

« كان لدينا في الواقع مرحلتان من الاختبارات: الاولى غايتها التحقق من افتراضنا ان الاطفال العرب يستطيعون فهم الفصحى ، وقد بنينا هذا الافتراض على اساس ان الاطفال يختزنون كثيرا من تراكيب ومفردات الفصحى من الجو الذى يعيشون فيه ، والمشحون بالفصحى : القرآن الكريم والاخبار، والتعليقات ، وبعض المسرحيات ، والقصص تتردد على اسماعهم كل يوم من الاذاعة والتلفزيون .

« بالاضافة الى سماعهم الاناشيد والدروس التى يرددها افراد اسرهم وجيرانهم .. وقد كانت نتائج هذه الاختبارات مثيرة حقا ، فقد ثبت ان الاطفال العرب يستطيعون فهم القصص التى القيت عليهم ، رغم ان هذه القصص تحوى حوالى ٥٠٪ من المفردات غير المتطابقة بين الفصحى والعامية ..

« وقد تجاوز معدل الاجابات الصحيحة فى جميع البلدان ٧٠٪

« اما المرحلة الثانية من اختباراتنا فقد كانت غايتها التعرف على مدى السهولة والصعوبة التى يلقاها الاطفال العرب فى فهم مجموعة معينة من المفردات التركيبية ، مثل ادوات الاستفهام والنفى وغيرها التى اختفى بعضها من العامية، مثل «لماذا» و«ليس» وقد استطاع الاطفال استنتاج معانى بعض هذه الكلمات من النص ، بينما انخفضت نسبة اجاباتهم عن بعضها الاخر .

« ولذلك تقرر ان تعرض فى البرنامج باسلوب تعليمى .. »



كتاب من الكويت والعراق ومصر وسوريا والاردن ، انصهروا فى بوتقة واحدة من اجل ايجاد افضل اسلوب لمخاطبة الطفل العربى على امتداد وطنه الكبير .

الارقام والشهور !

ومن المشكلات المستعصية الاخرى التى واجهها البرنامج مشكلة كتابة الارقام .. فى المغرب العربى تكتب باسلوب يختلف تماما عن المشرق العربى .. ولهذا تقرر عرض الارقام بشكليها المشرقى والمغربى على الشاشة ..

اما مشكلة الشهور فعندنا اختلافات عميقة .. من محرم وصفر .. الى يناير وفبراير .. الى كانون الثانى وشباط .. الى جنفرى وفبرى .. ناهيك عن توت وبابه .. وبسبب هذا التعارض لن تظهر أسماء الشهور فى البرنامج ..

١٧٠ هدفا للبرنامج

اما عن الاهداف التى يامل برنامج افتح يا سمسم ان يحققها ، فقد لخصها لنا الدكتور محمد جواد رضا ، العميد السابق لكلية التربية بجامعة الكويت ، والمسئول عن البحوث فى برنامج « افتح يا سمسم » : « عندنا حوالى ١٧٠ هدفا محددا نامل فى تحقيقها من خلال ١٣٠ حلقة .. وهدفنا الرئيسى هو ربط الناشئة العربية الجديدة بروح العصر الذى سيعيشون فيه ، ومساعدة اولياء

الامور على وعي الحاجات النفسية والتربوية للاطفال العرب الذين بين سن ٣ سنوات وست سنوات » ٠

ندرة كتاب الاطفال

ولتحقيق هذه الاهداف تحاول مؤسسة البرامج المشتركة ان تلعب على اكثر من حبل في وقت واحد » اننا نقيم يوميا محاضرات وبحوثا للكتاب ٠٠ اننا نبحث في الوطن العربي عن اكثر من كاتب برامج اطفال ٠٠ والشعر مهم لاغنية الطفل ، والشعراء الذين كتبوا للاطفال هم قلة نادرة ٠٠

« قد يكون هناك كتاب مجهولون . ونحن نقول لهم : اتصلوا بنا ٠٠ اننا نبحث عنكم ٠٠ »

٣٠٠ اغنية جديدة للاطفال

اما اغنيات الاطفال فهذا عالم آخر مختلف ٠٠ لقد وضعوا مثلا اغنية خفيفة عن النخلة ،وعندما عرضوها على الاطفال رفضوها بالاجماع فاضطر المسئولون الى حذفها ٠٠

ان وضع اغنية للاطفال اصبح من الصعوبة بمكان ، لاننا افسدنا اذواق اطفالنا عندما جعلناهم يتعلمون اغاني الكبار ٠٠ واكثرها كما نعلم مشحون بالميوعة والابتذال الفني ٠٠ تصوروا ان مجموع اغاني الاطفال الموجودة في السوق العربي حاليا لا يتعدى خمس اغنيات ٠٠ كلها مأخوذة من افلام سينمائية ٠٠

وافتح يا سمسم ستقدم في حلقاتها ما مجموعه ٣٠٠ اغنية جديدة خاصة بالاطفال ٠

نعالج ظلما اجتماعيا

اخيرا يقول الاستاذ ابراهيم اليوسف مدير مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي :

« اعتقد انكم رأيتم وقرأتم ما فيه الكفاية عن



مناقشة بين مدير مؤسسة البرامج المشتركة ابراهيم اليوسف،وبين دنكون لتوردي المستشار المقيم للشركة الامريكية المسئولة عن برنامج افتح ياسمسم ٠

برنامج (افتح يا سمسم) ٠٠ وكل الذي يمكنني اضافته ان هذا البرنامج ـ رغم انه معد خصيصا للاطفال الذين قبل سن المدرسة ـ الا ان ارتفاع نسبة الامية في وطننا العربي الى حوالي ٨٦٪ تجعلني اعتقد ان البرنامج سوف يجذب اليه الاطفال والكبار على حد سواء ٠٠

« اننا نهدف الى مخاطبة كل اطفالنا العرب من المحيط للخليج ، وهذا عمل كبير ضخم ، يحتاج الى مجهودات مضاعفة ومال كثير ، وقد دفعت المؤسسة عن طيب خاطر مبلغ مليون ونصف مليون دولار لشركة سي تي دبليو كحق عرض في جميع أجزاء الوطن العربي ، الذي ستتولى مؤسستنا بيع انتاجها فيه ٠٠ »

واخيرا لقد اقترب الموعد المحدد بين ٢٥ مليون طفل عربي محرومين من رياض الاطفال وبين اسرة افتح يا سمسم ٠٠ وفي مقدمتهم نعمان وملسون اللذان سيصبحان نقطة الانطلاق لانتاج برامج واقامة مشاريع عديدة للعناية باطفالنا ، بعد طول حرمان ■■

سليم زبال



« الضوضاء هى اسوأ انواع المضايقات »
شوبنهاور

الضوضاء:

خطر متزايد يهدد الانسان

بقلم : الدكتور أنيس فهمي

■ الضوضاء هى احدى المشكلات التى تمخضت عنها الحضارة الحديثة ، وهى مشكلة نتحدث عنها كثيرا دون ان ندرك حقيقتها بالضبط ، فاذا حاولنا تعريف ظاهرة الضوضاء وجدنا انفسنا امام سؤال محير : « ما هى الضوضاء ؟ »

يعرف العالم زيلر (Zeller) الضوضاء بانها «صوت يحدث اضطرابا» • وقد امكن قياس الصوت بواسطة جهاز يتكون من فونومتر زميكروفون، وهذا الجهاز يمكنه تسجيل جميع الاصوات التى تصل اليه ، ولكن ليست كل الاصوات ضوضاء • وحتى يومنا هذا لا يمكننا ان نحدد عن طريق جهاز قياس الصوت ما اذا كان اى صوت معين يعتبر ضوضاء او مجرد صوت ، كما لا يمكننا تحديد الطريقة التى يؤثر بها على جسم الانسان ، الا اننا نعرف فى الوقت الحاضر ان تاثير الضوضاء على الجسم يتوقف على الاخص على حجم الموجات وعدد ذبذباتها • ويمكننا القول بصفة عامة ان الاصوات العالية تحدث اضطرابا اكثر من الاصوات

المنخفضة . كما ان الاصوات الحادة تعتبر اكثر خطورة من الاصوات الغليظة .

ويعتبر عامل الزمن من العوامل الهامة ايضا اذ ان الضوضاء المتقطعة والمفاجئة تحدث ضررا اكبر مما تحدثه الضوضاء المستمرة . وبالاضافة الى هذا فان العامل الشخصي يلعب دورا هاما كذلك .

التأثير على جهاز السمع

ليست الضوضاء مشكلة سيكولوجية ولكنها ايضا مشكلة جسمانية لانها تؤثر على اعضاء السمع وعلى اعضاء الجسم مجتمعة ، ولكن الجهاز السمعي هو اول اجهزة الجسم واكثرها تأثرا بالضوضاء . فقد ثبت ان الضوضاء العالية قد تحدث تهتكا في غشاء الطبلة . كما ان الضوضاء المتوسطة الشدة تحدث نوعا من الصمم المؤقت تختلف درجته تبعا لنوع الضوضاء والمدة الزمنية التي تعرض في اثنائها الشخص للضوضاء .

وهناك حالات نوعية من الصمم المهني الذي يحدث غالبا لعمال الصناعة وتزداد هذه الحالات مع ازدياد حركة التصنيع . ويمكن متابعة التطور الذي يحدث في حالات الصمم المهني باستعمال جهاز يسمى «اوديميتر» . وقد تمكن العلماء بوساطة هذا الجهاز من ان يعرفوا ان عامل الصناعة الذي يتعرض للضوضاء بحكم مهنته يجد صعوبة في البدء في عمله في الصباح ، وبعد مضي عشرين دقيقة يحس برد فعل مؤلم للضوضاء على شكل طنين في الاذن وشعور بنوع من التعب الذهني والجسماني . وعند اتمام عمله يحس العامل بطنين في الاذنين ويستمر هذا الطنين مدة من الزمن بعد انتهاء العمل . وبعد مضي فترة من الزمن تتوقف على درجة اصابة الجهاز السمعي وعلى حساسية الشخص نفسه تتخذ الضوضاء والاصوات المألوفة درجة صوتية غير عادية . وبعد مضي شهر تقريبا تتكيف الاذن بالنسبة للموقف وعندئذ يقل الاحساس بالاضطرابات ، الا انه في خلال هذه المدة يحدث انحلال تدريجي بطيء في الجهاز السمعي .

والصمم المهني يصيب عادة كلتا الاذنين ويشبه كثيرا الصمم العصبي . ولايشعر الانسان به عادة الا عند احداث الاصوات العالية . وفي المساء عندما يترك العامل عمله تزول حالة الصمم ولكنها تعود مرة اخرى في الصباح عند استئناف العمل .

ويمكن ايقاف الصمم اذا هجر العامل عمله وزاول مهنة اخرى لا يتعرض فيها جهازه السمعي للضوضاء . ولكن اذا استمر العامل في عمله واستمر الجهاز السمعي معرضا للضوضاء فان النتيجة المؤكدة هي حدوث الصمم بشكل واضح لدرجة ان العامل لايستطيع سماع المحادثة العادية .

وقد برهن هيلدنج (Hilding) على ان سبب الصمم يرجع الى تأثير الضوضاء على عضو كورتي Organ of Corti الموجودة في الاذن . كما ان حدوث الضوضاء المتوسطة الشدة بشكل يتكرر عدة ساعات كل يوم لمدة عدة سنوات قد يسبب انحلالا في بعض اعضاء الاذن الداخلية .

ويتضح من ذلك انه في المدن الصناعية التي تشتد فيها الضوضاء تزداد نسبة السكان الذين يشكون من ضعف السمع وان كانت هناك عوامل شخصية تزيد في درجة تأثر السمع بالضوضاء ، واهم هذه العوامل التقدم في السن والاستعداد الشخصي والضعف الطبيعي في الجهاز العصبي الذي يكثر حدوثه في السيدات .

وباقي اعضاء الجسم

لايقتصر تأثير الضوضاء على السمع فقط بل يتعداه الى مختلف مراكز المخ ووظائفه وبالتالي جميع اعضاء الجسم ، كما ان تأثيرها النفسي لا يمكن انكاره . فمن المعروف ان التفكير والقدرة على التركيز في جو تشيع فيه الضوضاء تحتاجان الى مجهود اكبر بكثير من الجو الهادىء اللطيف . وفي هذا الصدد قال شوبنهاور : «ان الضوضاء هي اسوأ انواع المضايقات لانها تقطع علينا حبل التفكير » .

ويعلم الرياضيون ايضا ان اتساق حركات الجسم يستلزم قدرا كبيرا من التركيز لايتسنى لهم الحصول

عليه اذا احاطت بهم الضوضاء . وتظهر اهمية هذه النقطةعند لاعبي التنس والحدائق والبهلوانات ولاعبي السيرك الذين قدتتعرض حياتهم للخطر بسبب الضوضاء .

وفي خلال العشرين سنة الاخيرة اتجه الباحثون في انجلترا وامريكا الى دراسة التأثير الفسيولوجي للضوضاء ، واتضح من هذه الابحاث ان الضوضاء تؤثر على الوظائف النفسية وتعوق النشاط العضلي للانسان . ومن اطرف الابحاث ماقامت به احدى شركات التامين الامريكية التي اجرت عدة اختبارات لقياس كمية النشاط للعمل عند موظفيها ، وعدد الاخطاء التي يرتكبونها ، وعدد الايام التي ينقطعونها عن العمل بسبب المرض او الارهاق خلال عام كامل . وبعد ان اقيمت جدران عازلة للصوت للاقلال من نسبة الضوضاء اعيدت هذه الاختبارات بعدعام آخر فاتضح ان نسبة ارتكاب الاخطاء هبطت بمقدار الثلث ، ونسبة الغياب هبطت الى النصف اما نسبة الانتاج فقد زادت بمقدار العشر .

وتتفق جميع الابحاث على ان الضوضاء تسبب لدى الاشخاص الذين يتعرضون لها احساسا بالاضطراب وان انجاز الاعمال الصعبة في جو صاخب بالضوضاء يقترن دائما بازدياد في التوتر العصبي ويحتاج الى قدر اكبر من قوة الارادة .

وبالاضافة الى ذلك يتأثر جسم الانسان كله بالضوضاء ، فقد اثبتت الابحاث الفسيولوجية ان التعرض للضوضاء يسبب ارتفاعا في ضغط الدم ، وازديادا في عمليات بناء الانسجة وهدمها ، واقلالا في نشاط الجهاز الهضمي ، وسرعة في ضربات القلب ، وارتفاعا في ضغط سائل النخاع الشوكي وازديادا في التوتر العضلي وتأثيرا سيئا على رجولة الرجال وانوثة السيدات .

ومجموع هذه الاضطرابات يدل على تأثر الجهاز العصبي اللاارادي كله بشكل حاد نتيجة للضوضاء . وكثرة حدوث هذه الاضطرابات في حياتنا اليومية المشحونة بالضوضاء لها تأثير سيء على الصحة العامة للجسم كما ان لها ارتباطا وثيقا بازدياد نسبة امراض القلب والاوعية الدموية والقرح المعدية والمساوىء الاخرى المتعددة للعصر الصناعي الذي نعيش فيه .

صوت الشجر والقطار ؟

اذا انتقلنا الى دراسة التأثير النفسي للضوضاء وجدنا ان الصوت المستمر بصفة منتظمة كصوت حفيف اوراق الشجر او صوت الماء الجاري لاحدى النافورات يبعث في النفس احساسا سارا . ونفس الشيء يمكن ان تحدثه مسلسلة من الاصوات المضايقة وابرز مثل لذلك صوت قطار يتحرك اذ اننا يمكننا النوم ونحن نسمع هذا الصوت في حين اننا نصحو من النوم حالما يتوقف صوت القطار . وقد اتضح من التجارب الشخصية ان كل انواع الضوضاء تحدث اضطرابات واحساسات غير سارة ، وان كانت تتدخل في ذلك الميول الشخصية سواء بطريقة شعورية او لا شعورية . فمثلا اذا دعي احدنا الى حفل عند احد جيرانه فانه لا يتضايق مطلقا من ضوضاء الحفل بينما يشعر بضيق شديد اذا لم يذهب الى الحفل وسمع نفس الضوضاء وهو قابع في منزله !

ان الانسان في اغلب الاحوال لا يشعر بالتفاعلات الفسيولوجية والسيكولوجية التي تحدث نتيجة للضوضاء والتي تؤثر على تفكيره وقوة تركيزه ونشاطه العضلي ولكنه يدرك بالتأكيد الفارق الكبير عندما يمارس نفس النشاط في جو هادىء بعيد عن الضوضاء .

والخلاصة ان الضوضاء تسبب اضطرابا في وظيفة السمع والوظائف العقلية وباقي اعضاء الجسم ، كما انها تضع حملا ثقيلا فوق عاتق الانسان في العصر الحديث وانها تستحق فعلا ان تحارب بكل الوسائل الممكنة بطريقة منتظمة ومستمرة .

■■

القاهرة — دكتور أنيس فهمي

دليل المسلم الحزين

بقلم : حسين احمد امين

« انه لمن أيسر الامور أن نثير في الناس مشاعر الازدراء لتقاليدهم القديمة • وما من شخص حاول ذلك الا نجح • غير أن الكثيرين باءوا بالفشل الذريع حين حاولوا اقامة نظام افضل على انقاض ما هدموه » •

مونتني : « المقالات »

كانت انتصارات جيوش الاسلام دوما في أعين المسلمين – حتى أثناء حياة النبي عليه الصلاة والسلام – من أقوى الادلة على صدق الرسالة المحمدية • وكان النجاح السياسي الباهر الذي أحرزوه يغمر صدورهم بالثقة ، ويملأهم احساسا بالتفوق على أتباع الديانات الاخرى • وقد كان ثمة مواجهة طويلة عنيفة ، أربت على ألف عام ، بين العالمين الاسلامي والمسيحي يمكن القول بوجه عام أن الاسلام هو الذي خرج منها ظافرا • فان كانت اسبانيا وغيرها قد ضاعت خلال تلك المواجهة من أيدي المسلمين ، فان مناطق شاسعة واقطارا بأسرها قد انتزعتها من أيدي المسيحيين جيوش العثمانيين ، وهي الجيوش التي وقفت عند أبواب فيينا تهددها في أواخر القرن السابع عشر •

ثم تلا ذلك المد جزر لا نزال الى يومنا هذا نعاني من آثاره • فقد كان القرنان الماضيان شديدي القسوة على الاسلام والمسلمين ، تعرض العالم الاسلامي فيهما للعديد من هجمات الاوروبيين المسيحيين ، وأسفرت تلك الهجمات عن وقوع جل أقطاره في براثن الاستعمار الغربي • وقد أزعج المسلمين ما منوا به من هزائم على مخالفيهم في الدين : (••• وعاد اهل البلد من بولاق الى

المدينة في بكاء ونحيب ،يلطمون وجوههم ويقولون: يا ويلنا ، قد وقعنا في أسر الافرنج ! - نقولا الترك) • وكان أن بدات ثقتهم بانفسهم تهتز ، وان ظل وقارهم حيال المستعمرين بعض الوقت يجد سندا له في ايمانهم بانهم من اهل الدين الحق ، ونظرتهم الى المستعمر على انه كافر خليق بالازدراء • فالجبرتي الذى نعى على الفرنسيين كفرهم واقبالهم على شرب الخمر ،واستنكر سفور نسائهم وقلة حيائهن ، لم يعد بوسعه الان - كما كان بوسع الامير اسامة بن منقذ ابان الحروب الصليبية - ان يصف الافرنج بالبهائم ، بل أصبح اذا رأى سلعة مصرية جيدة الصنع يقول ان من يشاهدها لا يشك في انها من صنع الافرنج ، ويقول ان من ذهب الى بلادهم « تهذبت أخلاقه بما اطلع عليه من عمارة بلادهم ، وحسن سياسة أحكامهم ، وكثرة أموالهم ورفاهيتهم وصنائعهم وعدلهم في رعيتهم مع كفرهم » •

بيد ان هذا الاعتزاز بالدين سرعان ما تأثر هو أيضا لدى الكثيرين • ذلك انه كان منهم من تأثرت نظرته الى دينه اذ يرى تفوق المسيحيين الغربيين في مضمارى السلاح والحضارة ، وهو ما استمر حتى بعد أن نالت الاقطار الاسلامية استقلالها • وكان منهم من لم يفهم الهزيمة الحربية على معناها الدنيوى ، وانما عجب لما أصابه من مذلة والقرآن يقول :« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين»، ولما حل به من هزيمة والقرآن يقول : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » • ولو أنهم قرأوا كتاب عمر ابن الخطاب الى سعد بن ابى وقاص وهو يستعد لقتال الفرس لوجدوا فيه : « وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم • وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لان عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ••• ولا تقولوا أن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وان أسانا • فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى اسرائيل لما عملوا بمساخط الله ، كفار المجوس (فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) • »

فما كان الله اذن لينصر المسلمين بدون أدنى مزية فيهم سوى أنهم يعلنون كونهم مسلمين • وما كان لهم أن يتعجبوا من خذلان الله لهم بعد أن قعدوا عن العزائم التى كانت لآبائهم وغيروا ما بانفسهم، بل العجيب ألا يغير الله ما بهم وأن لا ينقل حالهم من العز والرفعة الى الذل والضعة •

على أى حال فانه لا مفر من الاعتراف بأن قوة شوكة الغرب المسيحى وتفوق حضارته المادية جعلا الشك يتطرق الى قلوب الكثيرين من المسلمين في عقيدتهم •

فهل كان الغرب وقت هجومه على أقطار المسلمين مسيحيا حقا ؟

الاطار الدنيوى لحضارة اليوم

لقد كانت الحضارة الغربية في القرن الخامس عشر شديدة الشبه بالحضارات القائمة آنذاك في مختلف بقاع العالم القديم ، كالحضارة المسيحية الاورثوذكسية الشرقية ، والحضارة الاسلامية العربية ، والحضارة الاسلامية التركية الفارسية، والحضارة الهندوكية ، والحضارة الأسيوية الشرقية • فكل من هذه الحضارات كان قائما في اطار احدى الديانات • غير انه حدثت في العالم المسيحى خلال القرن السابع عشر ثورة هى أهم حدث وقع في تاريخه الى اليوم ، ألا وهو خروج الغرب عن الاطار المسيحى التقليدى ، وابتداعه اطارا دنيويا جديدا تحل فيه المعرفة الفنية (والتكنولوجيا) محل الدين باعتبارهما اهم مجال لنشاط الانسان •

وحضارة الغرب اليوم - في حقيقة امرها - لا تعدو أن تكون مجرد رد فعل دام قرونا ثلاثة للشرور التى نجمت عن التعصب الدينى في العصر الوسيط • فمن ناحية ، شعر الاوروبيون المستنيرون بتقزز واشمئزاز شديدين ازاء الخلافات الدينية الحادة التى أثارت الاحقاد في النفوس واشاعت الخراب في قارتهم • ومن ناحية اخرى وجد المثقفون انفسهم أنه ما عاد باستطاعتهم قبول التفسير الدينى القديم للعالم ، وهو التفسير القائم على اساس من الكتاب المقدس • فلما تحول الناس من الاهتمام بالدين الى الاهتمام بالمعرفة الفنية اذا بالفراغ الروحى الناجم عن انهيار الثقة بالمسيحية وقد شغلته نزعة تجريبية تهدف الى اخضاع الطبيعة لسيطرة الانسان •

فالمعرفة الفنية ميدان للنشاط المجدي لا يمكن للبشر ان يتصارعوا بسببه وأن يقتل بعضهم بعضا • فليصرف الناس اذن طاقاتهم الذهنية الخلاقة لا الى الخلافات الدينية العقيمة ، وانما الى محاولة خلق الجنة على ارضنا هذه ، والى زيادة الثروة وتعميم الرخاء عن طريق الاهتمام بالعلوم • •

وبذا اصبح ابرز معالم الحضارة الغربية الحديثة تلك الثقة العظيمة لدى الانسان بنفسه وبقدراته ، واصبح الغربي اميل الى تسمية الحضارات غير الغربية بشبه الحضارات ،وتسمية حضارته الدينية السابقة لحضارته الحديثة بالعصور المظلمة • وقد حدث منذ ان اتخذت الحضارة الغربية لنفسها اطارا دنيويا بحتا ، ان ازيل الحاجز الذى ظل فى العصور السابقة يحول دون استقبال الحضارات الاخرى غير الغربية لها ، الا وهو الدين • فما بلغنا منتصف القرن العشرين حتى كان العالم غير الغربي باسره قد تبنى الصورة الدنيوية لحضارة الغرب، وعلى نحو لا نجد له فى التاريخ سابقة ،، بحيث بات هناك من يرى ان الانسانية هى فى طريقها الان الى الوحدة الاجتماعية •

وقد كان القادة فى هذه المجتمعات غير الاوروبية فى البداية لا يبغون سوى الاستفادة من حضارة الغرب فى ميدان الدراية العسكرية فحسب ، وذلك بهدف الدفاع عن النفس ضد عدوانه • غير انه سرعان ما بدا جليا انهم ان ارادوا الاقتباس من النظم العسكرية الاوروبية فعليهم ان يقبلوا الحضارة الغربية برمتها وحذافيرها • فالحضارة غير قابلة للتجزئة ، كل جزء منها مرتبط بغيره من الاجزاء ارتباطا وثيقا • فالتفوق العسكرى الاوربي ناشيء عن تفوق اسلحة غربية فى أيدى جنود منظمين • والنظام العسكرى انما هو ثمرة من ثمار القانون والنظام السائد فى الحياة المدنية ، والعناية بالصحة ، وانتظام دفع الاجور للجند • وتتوقف صحة الجند على مستوى الصحة بين افراد الشعب كله وعلى توفر الاطباء ممن اطلعوا على الطب المتقدم فى الغرب ، بينما يتطلب الانتظام فى دفع الاجور ميزانية عامة دقيقة هى بدورها من ثمار الاقتصاد الانتاجي السليم الذى يستدعي نهضة بالصناعة والزراعة والتجارة معا •

وبالرغم من ان معظم البلاد غير الغربية قد اذعن لمختلف مظاهر الحضارة الغربية مرغما وعلى مضض ، فقد يسر له تجرعها امران : الاول ،اغفال المستعمرين اعتبار الدين بحيث لم يبد الامر فى صورة استعباد أهل ملة معينة لاهل ملة اخرى ، والثاني ، تصديق الغالبية فى الاقطار المفتوحة لادعاء الغرب ان حضارته انما هى حضارة كاملة دائمة ، وان الصورة الدنيوية لها بعد تحررها من ربقة الدين هى الصورة النهائية الناضجة للحضارة بوجه عام ، وهى صورة لا يمكن أن يعتورها تدهور او يصيبها فساد •

التوفيق بين الاسلام ومطالب الحضارة الغربية

وقد احدث اتصال المسلمين الوثيق بالمدنية الغربية ، وغزو هذه المدنية لبلادهم ، اثرا عميقا فى طبقة المسلمين المستنيرين وفى علاقة افرادها بما توارثته من نظريات وتقاليد دينية ، اذ شعروا بحاجة شديدة ملحة الى التقريب والملاءمة بين هذه النظريات والتقاليد وبين الاحوال الجديدة التي وجدوا انفسهمفجاة في ظلها • وقد كان من المؤسف حقا أن تجيء جهود هؤلاء الساعين الى التوفيق بين الحياة والفكر الاسلاميين وبين مطالب الحضارة الغربية فى الوقت الذى تزعزعت فيه ثقتهم بتراثهم بل وبدينهم ، ونظروا الى المستعمرين نظرتهم الى انصاف الآلهة ، فلم يكن من الغريب اذن ان تغلب على محاولاتهم نزعة عقلية هى نزعة اوروبية محضة ، وأن تتاثر افكارهم بالتيارات الفكرية السائدة فى المدنية الغربية ، وان يتبنوا فيما كلها او جلها من قيم الغربيين المستعمرين • فان كان هؤلاء المفكرون قد انبروا للدفاع عن الاسلام والاشادة به لصد الحملات التى سنجها المسيحيون للطعن فيه حتى لا يقف حائلا دون غزو مدنيتهم (وبضائعهم) ، فانما تركز دفاعهم على ازالة وصمة مناقضة تعاليمة للحضارة ، واثبات مرونة الاحكام والاوضاع الاسلامية ، وسهولة تشكلها حتى تطابق حاجات الجنس البشرى فى كل زمان ومكان • وقد كان منهم من انكر ضرورة الجهاد فى زمننا هذا واسقطه من الفرائض ، وكان منهم من دعا الى السلم والتسامح ونهى عن التعصب ،

ومنهم من جد في ان يبعث الميل الى العلم والثقافة، والعناية بالتربية والتعليم،وتحرير المرأةوالاهتمام بالصحة ، وكان أذكاهم من دعا الى التفرقة بين معالم الاسلام الاصلية وبين الزيادات التاريخية التي اضيفت اليه عن طريق الاجماع ، والتي يسهل التضحية بها في سبيل حاجات المدنية ومقتضيات العمران •

وهكذا اخذ من سموا بالمصلحين في كل البلاد الاسلامية يدعون دعوات متشابهة ، عمادها ان تاخذ شعوبها من المدنية الغربية ما يناسب ، وان ياخذوا من المدنيـة الاسلاميـة ما يناسب • فعـل ذلك مدحت باشا في تركيا ، والسيد احمد خان فـي الهند ، والافغاني في فارس ومصر ، وخير الدين التونسي في المغرب ، حتى لكانهم جميعا قد شربوا من منهل واحد ، وكان مناهجهم صبت في قالـب واحد • وخلاصة رايهم ان عقدة العقد في موقف المسلمين اليوم هي التوفيق بين المدنية الغربية والمبادىء الاسلامية • غير أن المسلمين لحسن الحظ ليسوا مخيرين بين التمسك بدينهم وبـين اعتناق الحضارة الغربية • فمدنية الغـرب غير مؤسسة على دين ، وانما على العلم والتجربـة والاختبار ، وهي بالاضافة الى هذا محدودة بحدود المادة • فليس هناك ما يمنع من اخذ المدنيـة الغربية المادية بعد صبغها صبغة روحانية اسلامية• والحق ان الاثنين ليسا متخاصمين بطبيعتهما ،وانما هما متخاصمان من سوء فهم سكانهما • وبالامكان توثيق العلاقة الودية بينهما واستعانة كل بمـا عند الاخر من مزايا • فخير للعالم الاسلامي اليوم ان ياخذ من المدنية الغربية كل علمها وتجاربهـا في الصناعة والزراعة والتجارة والطب والهندسة وسائر العلوم ، من غير قيد ولا شرط ، ثم يحتفظ مع ذلك بروحانيته التي يلون بها هذا العلم ، وتجعله موجها لخير الانسانية لا لغلـو في كسب مال ، ولا لافراط في نعيم ، ولا للقوة والغلبة ، ولكن للخير العام • وهذا المبدأ هو الذي يضيء للمسلمين الطريق ، ويبدد حيرتهم ، ويحل الكثير من مشاكلهم • فدينهم الاسلامي لا يمنعهم أي منع من ذلك ، بل ان الاسلام حث على طلب العلم ولو في الصين ، ولا شيء يمنعهم من ذلك الا تمسكهم بالتقاليد الموروثة ، وتقديسهم للعادات المالوفة ، ودينهم براء من كل ذلك •

هكذا كانت دعوة هؤلاء « المصلحين » • وهـي دعوة ايدها المستعمرون وابهجتهم خاصة ان صدرت عن رجـال الدين البـارزين من أمثـال الشيخ محمد عبده • والذي نتج عن هذه الدعوة هو ما كان متوقعا منها ، فتحت الطريق امام الاقتباس من مدنية الغرب دون حرج أو وازع ، في حين اغفل الشطر الثـاني وكانما لم يورده الدعـاة الا من قبيل التمويه والنفاق وتسهيل الامر • وكان الذي لاحظه الجميع ـ في الداخل والخارج ـ ان شعوب الاقطار الاسلامية لم تاخذ ـ كما اخذ اليابانيون مثلا ـ عن الغربيين همتهم وفاعليتهم وكدهم في التحصيل والبناء ، وانما اخذوا عنهم عاداتهـم الاستهلاكية وازياءهم ووسائل فضائهم لاوقـات الفراغ• يقول سير ريتشارد بيرتون : «ان ارض الفراعنة تسير في طريق التمدن ، وبصـورة بغيضة • ذلك انه ما من شيء ادعى الى عـدم الارتياح من حالتها المتوسطة الراهنة بين الهمجية وعكسها » • بينما يعلق كلوت بك على ما ذكرناه لتونا بقوله : « ذلك لان الشرقيين ، اذا همـوا بتقليد غيرهم ، اظهروا في الغالب الغبـاوة والقشم ••• وهم لا ياخذون في الغالب مـن اخلاقنا ـ كلما اختلطوا بنا ـ سوى ما كان منها سيىء العاقبة ، بعيدا عن الصواب » •

الأزمة الروحية في الغرب

قلنا ان الطابع الدنيوي للحضارة الغربية كان رد فعللاهوال الخلافاتالدينية في العصر الوسيط• بيد انه كان من المحتم ان تحدث في الغرب ـ ان عاجلا أو آجلا ـ حركة مضادة لهذا الطابع• فالدين عنصر جوهري في الحياة البشرية لا يمكن تجاهله او قمعه لمدة طويلة • وقد بدأت هذه الحركـة المضادة في التبلور في الخفاء في الوقت الذي كان سائر العالم ينهل فيه من الحضارة الغربية نهلا ، ويتخلى عن تراثه الثقافي وعن تقاليده ودينه • وكانت المأساة المضحكة انه في اللحظة التي تـم فيها تبني الشعوب غير الغربية لحضارة الغـرب الدنيوية ، وجدت هذه الشعوب نفسها قد وقعـت في شباك ازمة الغرب الروحية الخطيرة التـي انتابته فجاة في القرن العشرين ، والتي كان لها صداها في مختلف بقاع العالم • فمنذ نشـوب

الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ بدأ الغربيون انفسهم يدركون ان حضارتهم الدنيوية الحديثة ليستبالكاملة على الاطلاقكما خالوها في البداية، وانها ابعد ما تكون عن الحصانة ضد الانهيار وضد عنيف الازمات ، كما بدأوا يعودون الى التفكير في موضوع الخير والشر بعد اهمال له دام اكثر من ثلاثمائة عام .

وقد اضحت هذه الازمة الروحية بالغة الخطورة نتيجة لانتشار الحضارة الغربية في العالم بأسره، مما جعل الازمة من شان الدول غير الغربية هي الاخرى . وبذا يكون الغرب ـ دون قصد منه ـ قد غش الحضارات الاخرى بان باعها حضارة اتضح انها ليست بالصفات التى ظنها فيها البائع والمشترى وقت البيع ، وخدعها بان صور لها حضارته على انها دنيوية محضة لا سبيل للازمة الروحية اليها ، وهى الازمة التى باتت اليوم تنهش فى حيويته نهشا . والامر فى الواقع امر مؤسف بالنسبة للشعوب غير الغربية اكثر منه بالنسبة لشعوب الغرب . فقد وجدت الاولى نفسها معلقة بين تراث ودين وتقاليد قد هجرتها وفقدت ثقتها فيها ، وحضارة غربية لم تملك بعد ناصيتها، ولم تكد تبلغ يدها الثمرة حتى بدت تلك الثمرة معيبة فاسدة . وكان ان نتج عن هذا شعور حاد بالمرارة تجاه الغرب ، وحدوث انفصام فى المجتمع وفى نفوس الافراد لما يلتئم . صاروا كالنعامة التى ذهبت تبحث عن قرنين ، فعادت بلا اذنين ، او كالغراب مضى يتعلم مشية الطاووس ، فلم يتعلمها ، ونسى مشيته .

طوبى للغرباء !

ازمة روحية فى الغرب ترددت اصداؤها لدى من اخذ عنه حضارته ، وولاء كلامى كاذب للاسلام من جانب اولى امر المسلمين وهم يسيرون قدما على نهج انظمة الحكم فى الغرب ، وموقف من علماء الاسلام ظاهره اخلاص وباطنه رياء ، وشباب فقد دينه وازدرى تراثه ولم يملأ عنده الفراغ الروحى الناجم شيء ، واقبال جشع على تحصيل المال فى غير غرض نافع ، وعلى الاستهلاك دون ادنى ميل الى انتاج ، واذعان من معظم رجال الدين لسلطة استخدمت هذا الاذعان ذاته فى تشويه سمعتهم لدى العامة ، وحكومات ان هزمت جيوشها على يد الغرب او اشياع الغرب اسرعت بتزويد دور السينما بافلام جنسية فاضحة جاءتها من الغرب حتى تلهى بها الشعب عن هزيمته ، ونساء لم يجدن شريف السلوك يعدل اشباع شهوة الاستهلاك ، وقانون الغابة قد ساد الى حد بدا معه كل ذى خلق وكانما هو ابله ساذج ، او عيى عاجز،وسلوك فى الطريق والبيت والعمل لا سبيل للعين المجردة ان تحكم على صاحبه أمسلم هو ام غير مسلم ، ثم فوق هذا كله مشاكل فى الحياة اليومية ارهقت كاهل الغالبية فلم تدع طاقة لتحصيل علم ، أو فضلا للتحلى بكريم الخلق .

ويتساءل المسلم الحزين ممن بقيت لديه ـ رغم كل هذا ـ بقية من دين : ما العمل ؟ وامعانه فى التفكير لا يسفر الا عن تجلية حقيقة واحدة ، ألا وهى صعوبة ممارسة المسلم لدينه فى المجتمع الذى يجد نفسه فيه ، وصعوبة حماية اهله وصغاره من مزالقه . وكما مال الدنيويون من شبابنا الى فكرة الهجرة بشهاداتهم وخبراتهم وتحقير المجتمع الذى نشأوا فيه ، اتجه المتدينون منا هم ايضا الى الهجرة بدينهم وعقائدهم وتكفير المجتمع الذى يعيشون وسطه . فاذا المسلم يردد من الاحاديث المنسوبة الى النبى : « ياتى على الناس زمان يكون فيه القابض على دينه كالقابض على جمر ملتهب » ، و « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء » .

« طوبى للغرباء » ! هذا هو شعار اليوم لدى المتدينين والدنيويين معا !

والذى نعلمه انه فى المجتمعات التى تمر بهزات عنيفة ، او تطورات ضخمة متلاحقة ،كثيرا ما تظهر جماعات دينية انعزالية تميل الى ان تغلق الابواب على نفسها فى عالم خاص بها ، وتقلل الى اقصى حد ممكن من صلاتها وعلاقاتها ببقية العالم . وقد ظهر مثل هذه الجماعات بين كل من اليهود والمسيحيين والمسلمين ، وربما بين غيرهم من اتباع الديانات الاخرى . فمن بين ابرز الامثلة التاريخية على

رفض التكيف وفق الاحوال الجديدة ، موقف الفريسيين اليهود من غير اليهود ، اذ وضعوا القواعد المفصلة الصارمة التي تكفل تجنب كل صلة بمن هو ليس يهوديا • وقد كان هذا الموقف محمودا في القرن الثاني قبل الميلاد حين كانت الهيلينية تهدد بابتلاع الديانة اليهودية واستئصالها من الوجود • اما وقد تغير الوضع خلال القرن التالي حين شاع في الامبراطورية الرومانية الاستخفاف بالعقائد الوثنية ، وظهر ميل واضح لدى الآلاف في مدن الامبراطورية الى البحث عن عقيدة قوية متماسكة كالعقيدة اليهودية ، فلم يعد لمثل ذلك التعصب من قبل الفريسيين مبرر ، وجاءت الديانة المسيحية تيسر قبول الامة للاوضاع الجديدة ومسايرتها ، وكانت اخلاقياتها خير سبيل الى ضمان التعايش السلمي بين اهل فلسطين وحكامها الرومان ، في حين كانت اخلاقيات الفريسيين تعرقل هذا الانسجام •

كذلك ظهرت في بقاع كثيرة من العالم المسيحي ـ خاصة منذ منتصف القرن التاسع عشر ـ جماعات (اشهرها جماعة شهود يهوه) افرادها من المسيحيين الاتقياء الذين وجدوا من الصعب ان يوفقوا بين الاكتشافات الحديثة في علوم الفلك والطبيعة والكيمياء والنظريات المتعلقة بتاريخ الارض وظهور الحياة فيها ، وبين مفهومهم التقليدي عن الكتاب المقدس • وكان ان وجهوا همهم الاكبر الى تجنب الاتصال بالتيارات العلمية والفكرية التي سادت مجتمعهم ، ورأوا أنه لا بد من اجل حماية عقيدتهم من عزلة صارمة وسط مجتمع لا بد أن تودي به ثقافته وعلومه وانماط عيشه الى الكفر • وكانت النتيجة ان قبلت هذه الجماعات وضع الاقليات في مجتمع أفراده على نفس دينها في الظاهر على الاقل •

وقد تكرر حدوث هذه الظاهرة في الاسلام ، وكان احدث مثال لها الجماعة المسماة بالتكفير والهجرة في مصر • والفارق الضخم بين هذه الجماعة وجماعة الاخوان المسلمين (رغم أن آية « ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون » ركن اساسي من اركانهما معا) ان جماعة الاخوان المسلمين ليست بالجماعة الانعزالية ، ولا هي بالتي اختارت ان توصد الابواب عليها دون المجتمع بأسره ، وانما كانت تسعى جاهدة الى نشر مبادئها على اوسع نطاق ، وبين كافة الاوساط والطبقات الاجتماعية والفكرية • ولست اعني بذلك ان جماعة التكفير والهجرة لا يسرها أن ترى افرادا جددا في صفوفها ، غير ان الفرق بين الوضعين فرق جوهري وله مغزاه • فالجماعة الاولى انما تسعى ايجابيا الى أن تسود رؤياهم حياة المجتمع بأسره ، ولا تتردد في الدخول في مجادلات لاقناع المخالفين او لافحامهم • اما الجماعة الثانية فهي تعتمد اساسا في تكثير اعضائها على هجرة افراد من المجتمع الى جماعتهم المغلقة من تلقاء انفسهم ، قد انحازوا الى الجماعة بسبب تشابه في تكوين الشخصية ، واتفاق في الموقف من الحياة المعاصرة • فجماعة الاخوان المسلمين انما تمد يدا لاجتذاب الانصار ، بينما ينجذب انصار جماعة التكفير والهجرة اليها دون جهد من القائمين عليها •

والملاحظ دوما في الجماعات ذات النزعة الانعزالية احساس افرادها بالتميز والتفوق على من عداهم ، سواء اختاروا السكوت على هذا الاحساس ، او التعبير عنه في صورة تكفير المجتمع الذي يعيشون فيه • فهو موقف شبيه اذن بالمبدأ المعروف في المجتمع المسيحي extra ecclesiam nulla salus (لا خلاص خارج الكنيسة) • كذلك تتميز هذه الجماعات باتخاذ مواقف صلبة من العقيدة في وجه الظروف المتغيرة التي دفعت الكثيرين الى الدعوة الى المرونة في التفسير والتطبيق • ولابد من القول بان لمثل هذا الموقف المحافظ حسناته الاكيدة ، اذ يضمن عنصر الاستمرار في شؤون الدين ، كما أن اي اتجاه محافظ في اي الميادين له الفضل في حماية كل ما لايزال من القديم يصلح للمجتمع القائم • غير انه لا بد كذلك من التنبيه الى حقيقتين :

الاولى : انه ما كل من مال الى مثل هذه الجماعات قد دخلها لحماية دين هو غيور عليه • فالواضح لنا ان الكثيرين قد اتخذوا الدين ستارا لما احسوا به في انفسهم من عجز عن المدافعة والمزاحمة في معترك الحياة ، او انخرطوا في سلك هذه الجمعيات لاشباع رغبة طبيعية في الانتماء ، او

رغبة في الاحساس بالتفوق على محيط لفظهم او ازدراهم •

والثانية : انه قد يحدث في بعض الازمنة من التغيرات الجوهرية ما يكتسح المجتمع برمته ، ولا يمكن للجهد البشرى العادى ان يقف في سبيله • وهنا يرى الافراد لزاما عليهم ـ من اجل صحتهم النفسية ، بل والبقاء ـ ومع التمسك في الوقت نفسه بعنصر الاستمرار في الرؤيا الاصلية للدين، أن يصلوا الى معادلة خاصة بمقتضى السلوك في زمانهم ازاء هذه التطورات ، وان يبدوا من المرونة ما يمكنهم من معايشة ما لا سبيل الى مقاومته او وقفه •

فهل من سبيل ندعو الى انتهاجه المسلم الحزين؟

المسلم الحزين

في تامل كلمة الحزين ذاتها قد يكمن بعض الحل !

فالحزن انما يدل فيرأيي على ان صاحبهمغلوب على امره • والمسلم الحزين مسلم يشعر ازاء ما يجرى حوله بالقهر ، او قل هو مقهور يظن في نفسه الاسلام • والعبارة في حد ذاتها تحمل من التناقضات ما لا وجه للمصالحة بينها • فالمسلم على حد علمى امرؤ ثبت لديه بالدليل القاطع ان الاسلام دين يصلح لكل زمان ومكان ، وان بامكانه ان يوفر لمجتمعه (ولغيره) انجح الحلول لما يواجهه من مشكلات ، وللمتمسك باهدابه سعادة الدنيا والاخرة • والمفروض ان يرى المسلم في غير المسلمين ، وان كثروا ، اناسا خليقين بالشفقة والرثاء ، واقواما ضلوا سواء السبيل ولم يوفقهم الله الى تبين مكامن الخير والنجاة • والحزن ان لزمه فهو أصدقدليل على أن ثقته قدبدأتتتزعزع، وانه لم يعد يرى في دينه مفتاح المعضلات ، ولم يعد يجد في تعاليمه ما ينشده من طمانينة النفس• وهو دليل ايضا يمكن ان يتعلق به مخالفوه لاثبات عجزه وعيه ، والتدليل على أن الاسلام ما عاد يكفيه ، ولاهو بالقادر وحده على ان يسعده ويغنيه •

والذى نعلمه ان القديس فرانسيس داسيسى كان يحض اتباعه دائما على ان يبدوا فرحهم بعقيدتهم ، وأن يظهر من محياهم ومسلكهم ما يتملكهم من السعادة اذ انتهجوا هذا النمط من العيش • وكان من رايه ان هذا هو خير طريق الى اجتذاب الناس الى الدين ،اذ من المؤكد انهم سيتساءلون عما عساه قد عمر قلوبهم بهذه الغبطة واليقين ، وهذا الرضا وهدوء البال ، حتى اذا ما عرفوه مالوا الى اختياره بانفسهم •

فان كان المسلم مؤمنا حقا ، فما باله لا ينهج طريق هؤلاء ؟

انه ان زعم أن هذا قد أضحى في غير وسعه اذ صار في مجتمعه وحيدا أو كالوحيد ، غريبا او كالغريب ، أجبناه بشطر بيتالمتنبى : « ان الكريم غريب حيثما كانا » ، وبانه ليس وحده من بين افراد الجماعات والطوائف من يخامره هذا الشعور بالغربة • الا يشعر مثقفونا بالغربة وهم لا يجدون في مجتمعهم من الغذاء الذهنى غير الغث ؟ الا يشعر بها علماؤنا وما في معاملهم ما يعينهم من الادوات على مواصلة البحث ؟ وفنانونا وما يصادفون غير جحود الفضل وغير كل ما من شانه ان يميت القدرة على الاحساس بالجمال ؟ •

فليعد المسلم اذن الى النظر في دينه عله يجد فيه ما يعزز ايمانه بان فيه الغناء والراحة ، حتى لو انه كان وحدهالمسلم في محيطه • ألم يعد التقى من أى ملة وحيدا في خضم الحضارة الدنيوية الغربية التى امتدت حتى شملت كل عالمنا هذا ؟• غير ان النظر في الدين نفسه في اعتقادنا مسالة فيها نظر !

السبيل الى اليقين

النظر الى الدين في أى وضع ؟ او بتعبير آخر :

نحن نعلم يقينا أن الكثير مما نخاله من الدين قد اضيف اليه واقحم فيه على مدى قرون وقرون من تصارع الاهواء والفرق ، وشيوع الجهل والخرافة ، والحرص على ارضاء الولاة والسلاطين، والتاويل الزائف من قبل أصحاب المذاهب للقرآن، والعدول عن التفسير الظاهرى للقرآن الى تفاسير تخدم أغراضا مستجدة ، واختراع الحديث من اجل فرض الرأى ، والمبالغة في تقديس الرسول لتمهيد الطريق أمام تقديس الاولياء ، وكتابة

السيرة النبوية على نحو يتمشى مع قيم العصر الزائلة ، والكذب الذى يحسب اصحابه انه يخدم الايمان ••• كل هذا وغيره قد بات تراثا «دينيا» ثقيلا يضل المؤمن فى متاهاته ، وقد يعتنق بعضه وهو ليس من الدين فيكون هذا البعض من دواعي بؤسه ، ومن العراقيل التى تحول بينه وبين معايشة التطور ، ومن دوافعه الى ادانة ما ليس خليقا بالادانة ، او الى عزلة وانغلاق على النفس لا جدوى منهما ، بل ولا سبيل اليهما فى مجتمع اليوم•

افليس الاحرى بالمسلمين الحزانى ان يصرفوا اليوم همهم الى محاولة النفاذ الى حقيقة الدين ، وتنقيته مما علق به من شوائب ، ويجمعوا ما استخلصوه من جوهر ثمين ويعرضوه على مجتمع ربما ساعد على انصرافه عنه ، انشغاله بغيره ، ما دخل عليه من عناصر اجنبية ليست منه ؟ •

نحن فى حاجة الى سيرة نبوية لا تطمس الوقائع ولا تخترعها ، والى استبعاد المخترع من الحديث ولو ادى ذلك الى اسقاط جله ، والى العودة الى تفسير ظاهرى للقرآن لا يقر تصوفا ولا اشتراكية ولا رأسمالية ولا يحاول الايهام بانه يحوى العلم الحديث ، والى اعادة كتابة التاريخ الاسلامى على أسس جديدة ، والى التدقيق فى دراسة الفرق والمذاهب الاسلامية التى خلعت على نفسها سمت الدين لتغطية دوافع اجتماعية واقتصادية وسياسية بحتة ، والى تنمية نظرة الى الدين والتراث لا باعتبارهما وسيلة للهرب الى الماضى من المشكلات والى الاحساس بالامن الزائف ، وانما كوسيلة للتصدى لمشكلات الحاضر والمستقبل ، والى غرس ايمان فى الناشئة قائم على الحقائق الثابتة لا الاكاذيب التى افتضحت ودحضت معها الايمان كله ، والى تطهير هذا الايمان من الخرافات التى ظلت دائما ولا تزال من دواعى حيرة كل من نال حظا ـ ولو يسيرا ـ من العلم •

ثم لعلنا نخرج بعد هذا كله ببعض اليقين ، وبايمان القوى السعيد لا ايمان العاجز او المحزونين المقهورين ، وبموقف من مدنية الغرب لا تحكمه عقدة نقص ، ولا أثر فيه لاذعان مهين ، او استكبار مشين • حينئذ ، وحينئذ فقط ، ستجد انفسنا ان اقتبسنا من نظمهم جاء هذا الاقتباس طبيعيا كما كان اقتباس الاوائل من الحضارات حولهم ، دون احساس بخزى او استجداء ، بل ربما بدون ان نشعر اننا فى سبيل الاقتباس ، وان رفضنا من اساليبهم وقيمهم ما يأباه الطبع فينا ، جاء هذا الرفض دون تعصب او استعلاء ، بل ربما بدون أن ندرك واعين اننا فى سبيل الرفض •

انه لمن غير المستبعد أن تصبح الدول الاسلامية فى وقت ما كتلة ثالثة لها ما للكتلتين العظيمتين اليوم من بأس ونفوذ وقدرة على التأثير فى الشؤون الدولية • غير أنه من الوهم أن نتصور امكان ان يكون لها هذا ـ باعتبارها كتلة اسلامية ـ الا على قدر تقوى الافراد فيها ، وشعور الرجل العادى منهم بان الاسلام يسد احتياجاته فى حياته اليومية• وقد حدث فى العالم خلال القرنين الماضيين من التغيرات الضخمة ، والتطورات الخطيرة ، فى حياة البشر ما يستدعى أن يبذل المسلمون جهودا جديدة فى مجالى الفكر والمعيشة كى يثبتوا أن الاسلام بوسعه أن يسهم فى سد احتياجاتهم بالصورة التى يشعرون بها فى عصرنا هذا بهذه الاحتياجات •

وسيكون عليهم ان يقروا بأن العالم قد بات اليوم وحدة واحدة ، وانه لا سبيل الى تجنب الاحتكاك باتباع الديانات الاخرى والثقافات المغايرة ، وأن من المحتم قبول النتائج العلمية المتفق عليها ثم وضعها فى موضعها السليم حتى لا يضطروا الى عزلة او تكفير ، وان التعلق بالصياغات المذهبية القديمة لا صلة له باستمرار الرؤيا الاصلية فى الدين ، وقد لا يعنى غير آفة فى نظرة صاحبه الى الوجود • عندئذ قد يمكن للشعوب الاسلامية ان تجلب الى كنوز العالم الروحية والى الحضارة المشتركة للعالم كله مساهمة من تراثها الدينى الذى لم تطرحه الا منذ مدة قصيرة ، خاصة وقد خرج الغربيون اليوم ، ولاول مرة منذ قرون ثلاثة ، يفعلون ما قد فعل الرومان الوثنيون قبلهم عشية ظهور المسيحية ، ينقبون عما عسى ان يكون فى جعبة الاديان الاخرى من حقائق تهديهم الى سواء السبيل • ■■

حسين أحمد أمين

عمر الزعنى



شاعر الشارع

بقلم : فاروق الجمال

احتفل لبنان فى شهر شباط الماضى بالذكرى السادسة عشرة لفقيد الاغنية الشعبية عمر الزعنى

■ مدرسة .. بل قطعة غالية من التراث الذى عاش لغيره أكثر مما عاش لنفسه . فهل
اللبنانى ، هذا هو عمر الزعنى .. صفحة مشرقة يقدر الموت ، اذا ما انتصر على الجسد ، ان يمحو
من صفحات الرجال المردة الذين خرجوا من صفوف الذكرى وينتصر على الروح ؟
الشعب الكادح .. وبلغوا مرتبة عالية فى الشهرة . ولد عمر الزعنى فى بيروت عام ١٨٩٥ . والده
صفحة مشرقة طواها الموت وغيب الثرى وجه صاحبها محمد الزعنى كان يعمل تاجر حبوب . تلقى

علومه الابتدائية في الكلية الاسلامية ببيروت وزامل فيها عبد الله اليافي ، وعمر فاخوري والعديد من الوجوه اللبنانية المعروفة • ترك الكلية عام ١٩١٣ وهو يحمل شهادته العالية الاولى فالتحق بالجيش التركي برتبة ضابط ولما انتهت الحرب عام ١٩١٨ شغل وظيفة كاتب في المحكمة البدائية بقصر العدل وسعى في الوقت ذاته الى مدرسة اليسوعيين طامعا في شهادة الحقوق •

وفي هذه الاثناء ظهرت مواهبه الشعرية فراح يكتب الشعر الهجائي باسم مستعار « حنين » وكان شعره يردد في كل مكان دون أن يعرف احد من هو صاحبه •

من هو « حنين » ؟

بعد أن درس عمر ثلاث سنوات في مدرسة اليسوعية منع من اجراء الامتحان النهائي بسبب « حادثة الفرنك » ، وحادثة الفرنك هي أن نقابة الصحافة أقامت على مسرح « الكريستال » حفلة كبرى دعي عمر الزعني للاشتراك فيها فواجه الجمهور لاول مرة باغنية « حاسب يا فرنك » •• ثار بعض المواطنين على عمر وكان من جراء هذه « الثورة » أن طردته المدرسة اليسوعية وأمرت حكومة شارل دباس بابعاده الى البترون مع الابقاء على وظيفته ، ولكن ما لبث أن ثار عمر بعد أن طردته اليسوعية والدولة وبحث عن الانتقاد فوجده في شخص شارل دباس فاطلق فيه شعره « بدنا بحرية يا ريس » ، وما أن انطلقت الاغنية التي رددها الناس في كل مكان ، فاعتقد شارل دباس بانها موجهة لزميله الرئيس السوري وكذلك الرئيس السوري اعتقد بانها موجهة للدباس ، وما لبث أن قلق الدباس عندما همس احدهم في اذنه بان الاغنية ضده فامر بمنعها •• ولكن ، فات الاوان •• فالاغنية قد سجلت على اسطوانات « بيضافون » وبيع منها ٢٥ الف اسطوانة ومن هنا انطلق عمر الزعني وبات سيد الاغنية الانتقادية •

عام ١٩٢٨ طلب المحامي عبد الله اسحق من عمر أن يلتحق بمكتبه كمساعد فلبى طلبه • وفي هذه الاثناء أصدر الفرنسيون أوامر عديدة منها وجوب ارتداء المحامين الروب الاسود أثناء المرافعات • في صبيحة أحد الايام ذهب عمر الى قصر العدل وكان المحامون قد ارتدوا الروب الاسود ، وقف عمر في باحة القصر وانشد فيهم :

ع الهوب الهوب الهوب
والقاضي لابس روب

والحق أخذ مجراه
وما في ظلم بنوب

وصفق المحامون والقضاة من شدة اعجابهم بالاغنية •

مفلس أمام اسطبل فرعون •

صحا عمر ذات صباح ليجد نفسه مفلسا وخرج واستقر به المقام أمام اسطبل فرعون • دخل عمر الاسطبل فسال لعابه عندما رأى أكياس الفستق والبندق واللوز فادار وجهه وارتخى في مقعده ينشد :

لو كنت حصان في بيت فرعون
كان لي بانسيون عشرين كرسون

مثلي انسان ما كان بالكون
من سوء حظي مخلوق انسان

ذليل مهان جوعان حفيان
يا ريتني •• حصان !!

وما أن انتهى عمر من انشودته حتى هب ليطرق باب محل بيضافون ويقول لصاحبه : لي بذمتك ثمن خمس اغنيات ، ولم يستطع بيضافون دفع ثمن الاغنيات فقال له : أبيعك بها محلي ، وهكذا أصبح عمر صاحب محل اسطوانات ••

عندما سرت اشاعة تجديد رئاسة الشيخ بشارة الخوري •• انشد عمر مخاطبا رياض الصلح :

جددلو ولا تفزع
خليه قاعد ومربع

بيضل أسلم من غيرو
وأضمن للعهد وأنفع

لا تخاف الا من الطفران
الطفران غلب السلطان

والمحروم والجوعان
بيضل بمالك طمعان

أما المليان والشبعان
من لقمة زغيرة بيشبع

وكان عام ١٩٤٩ والحالة السياسية الغورية هي السائدة ، وينال عمر نصيبه من السجن .

خاف أن يفوته قطار الزواج

وفي غمرة هذه المعركة شعر عمر بان قطار الزواج أوشك ان يفوته فتزوج وهو في الثانية والاربعين من سيدة فاضلة ورزق ولدين هما : محمد ، ودلال . كانت رياح الاستقلال قد بدات تهب في لبنان . وبدأ الشعب يبني وحدته ، التي قهرت الاستعمار واجبرته على الرحيل غير ماسوف عليه ، وكان لا بد « لشاعر الشعب » أن يشارك الشعب في تلك المعركة ، فكتب اغنية « عالبحر يلله .. يلله عالبحر » وبعد ان نال لبنان استقلاله .. ورحل الاستعمار هل تغير الحال ؟

يقول :

« ان سياسيي العهود السابقة ، قد جعلوا الشعب لا يعرف من الاستقلال ، الا أنه استعراضات عسكرية واحتفالات ، ان الاستقلال لم يحقق للشعب ما يريد . صحيح ان الوحدة الوطنية ، وان كيان هذا البلد قد اقيما على اسس ودعائم ، الا أن الشيء الذي يطلبه الشعب ، كان لا يزال بعيدا » !

عرفت تلك العهود ، أسوأ انواع الديمقراطية تطبيقا ، كانت الاصوات تباع وتشترى والانتخابات تزيف حسب ارادة الحاكم . وكانت « اللعبة البرلمانية » تفعل فعلها في اسقاط الحكومات ، دون ان يدرك الشعب السبب الكامن وراء تلك الاستقالات ! وفي تلك الفترة انشد عمر الزعني :

كل ثلاث أربع سنين
بتتغير الدواوين
بتنزل ناس
بتركب ناس
على ظهر الشعب المسكين

في حرية المرأة وفي المقابر

لم تقتصر ثورته على نفاق السياسيين الذين يتاجرون بكل شيء ، بل هاجم ايضا الرجعيين الذين انكروا على المرأة حريتها :

لا تحبسوها لا تحرموها ،
فتحوا الابواب ،
لا تعلوا سورها ،
من الشمس نورها ،
حسبتوا لها حساب
خلوها تمرح
خلوها تسرح
ضمن الاداب
لا الحبس بينفع
ولا السور بيمنع
عنها الاسباب ...

ان الزعني هنا يدعو الى اعطاء المرأة حقها كانسان وهو شيء طبيعي لا ينكر عليها الا المتعصبون والرجعيون ، وقد رسم أيضا صورا شعبية رائعة للمقامر والسكير وغيرهما من النماذج البشرية .

يقول في المقامر :

عايش عالطاولة الخضرا
في بيتو جهنم حمرا
فوق الهم والنكد
مبارح أجاهم ولد
والولد سر أبيه
دودو الخل منه وفيه
أجا الولد ممصوص مص
بتمه فيش بايدو أص

قلبه بندقيته ورصاصاته العانه

كان قلبه بندقيته ..

كانت رصاصاته العانه التي يرسلها مدوية مجلجلة ..

سنوات عشر من عمره جاء بعدها الى لبنان الاقتصادي المصري المعروف المرحوم طلعت حرب باشا ، فاقامت على شرفه كلية المقاصد الاسلامية حفلة تكريمية غنى له فيها عمر :

طلعت حرب من غير حرب
سوى الشرق مع الغرب
طلعت حرب

كانت هذه الاغنية الانطلاقة الثانية في حياة الزعني .. اذ طلب اليه « الباشا » أن يذهب الى القاهرة .. يصول ويجول في عالمها بفنه ..

في وادي النيل لقي الزعني استقبالا منقطع النظير .. غنى اروع ما غنى على مسرح حديقة الازبكية وكان الى جانبه المرحوم خليل مكنية والفنان يوسف فاضل .

عاد عمر عودة المنتصر بعدما سكب في الوادي اغاني الجبل .

اشتهر عمر الزعني انه مادي اكثر من اللزوم، وانه عندما يطلب اليه احد الاشتراك في اية حفلة ، حتى ولو كانت خيرية ، يصر على ان يقبض اجره عنها مقدما ...

ولا ينكر الزعني ماديته هذه بل يفاخر بانه استطاع عن طريق حرصه على جمع القرش فوق القرش ان يبني عمارة من تسعة طوابق .

والسؤال الان :

هل هناك اسباب جعلت من عمر ماديا الى هذا الحد ؟ ان الفنان المرح يشير الى بذلة « سموكنج» قابعة في خزنة ملابسه ويقول : بين طيات هذه البذلة تختفي قصة حياتي من سطورها الاولى حتى نهايتها ...

ويمضي في رواية قصته ..

لقد كان في بدء حياته الفنية لا يملك شيئا ، كما كان يسكن مع والده في كوخ حقير بمحلة رمل الظريف لا يتسع لاكثر من شخص واحد ، وليس فيه من حطام الدنيا سوى ثلاثة مقاعد مهلهلة ، وموقد نار يجلس والده العاجز أمامه طوال الليل والنهار .

دعي الزعني ذات يوم الى الاشتراك في حفلة كبرى تنظمها جمعية تضم كبار الشخصيات اللبنانية واتفق معه على ان يكون اجره عنها عشرين ليرة ذهبية يقبضها بعد انتهاء الحفلة مباشرة .

استعد الفنان الذي كان شابا لهذه الحفلة فاشترى بذلة سموكنج بالدين وتعهد للخياط بان يدفع له ثمنها بعد الحفلة بيوم واحد باعتبار انه سيقبض بعد ان ينتهي دوره على المسرح ..

ولكن الذي حدث هو ان عمر الزعني انشد في الحفلة مجموعة من أغانيه الانتقادية وانتزع التصفيق الحاد من جميع الحضور ، الا انه في الحفلة لم يجد من يدفع له اجرته ، أو على الاقل اجرة سيارة توصله الى البيت ، فاضطر الى ان يذهب من مكان الحفلة في ساحة البرج الى منزله في محلة رمل الظريف ، اي اربعة كيلو مترات مشيا على الاقدام وتحت سيول المطر وببذلته السموكنج أيضا . وعندما وصل البيت سأله والده :

كم قبضت من الحفلة ؟ ..

فخجل عمر من نفسه وقال له :

– لم يدفعوا لي شيئا . وعدوني غدا .. فهز الاب العجوز برأسه وقال لابنه المبلل الثياب :

– أياك ياولدي أن تترك قرشا واحدا عند الناس . أقبض ثم غن . والا .. متى باتت فاتت . ومنذ تلك الليلة وعمر الزعني يتمسك بان يقبض اجره عن اية حفلة قبل ان ينشد اغنية واحدة ..

وشيء آخر .

فقد كان الزعني صديقا لوجيه معروف من عائلة ارستقراطية ثرية ، وكان يقضي معظم سهراته عنده ثم يقوم الوجيه مع عائلته ليوصل الزعني الى بيته بسيارته الفخمة ...

يبدو ان الزعني ، وهو الشاب الذي كان يعتز بكرامته كل الاعتزاز ، كان يخجل من مصارحة صديقه الوجيه بحقيقة حالته المادية او القول له انه يسكن مع والده في كوخ حقير مظلم ، بدليل انه كان يقف دائما امام عمارة فخمة ويقول لصديقه الوجيه الكبير ، انه يسكن فيها ، ويصعد فعلا في درج العمارة حتى اذا مشى صديقه بسيارته الفخمة عاد ونزل من العمارة واتجه الى كوخه الحقير .

في حياة عمر الزعني اكثر من مأساة .. ولعل هذه المآسي هي التي خلقت منه فنانا ماديا يشير الى بذلة السموكنج القابعة في خزانة ملابسه ويقول لك كلما اتهمته بالمادية : لا تلمني !

عبد الوهاب (حرامي) !

عام ١٩٥٩ الف اسعد سابا مع اسعد السبعلي وعمر الزعني وعبد الجليل وهبه حلقات تلفزيونية فيها مواضيع لبنانية جميلة باسلوب شعري شيق. وكان عمر سيد المنابر والمسارح ..

كانت حفلاته في الاذاعة من احلى الحفلات ، وكانت سهراته الاخيرة في التلفزيون من احلى السهرات :

داعيكم اسمي فلان
من أشرف عيلة بلبنان
مغرور بلطف الاخوان
ومرشح نفسي نايب

والذين لم يعرفوا عمر الزعني عن كثب لم يعرفوه على حقيقته .. فعمر على المسرح ، هو غير عمر في الحياة والسهرات والاجتماعات الخاصة . اذكر انني التقيته مرة في شارع المعرض فقال لي :

ـ شو يا باه ... مابقا تعرفنا ؟

ـ انت عالراس والعين .. انت استاذ الكل ..

ـ معلوم .. بس حاجي بقا « تابع لي » صاحبك فريد الاطرش .. والثاني عبد الحليم حافظ .

ـ مين بتريد انتع عمر الزعني ؟

ـ معلوم .. شولكن .. هو في غير عمر الزعني

ـ بس راحت ايامك يا عمر .

ـ انا راحت ايامي ... « وليه » انا اللي اخترعت التانجو بهالبلد ولولاي ما بتسووا كلكم قشرة بصلة .

وتركني عمر وهو يطلق صيحته التقليدية (موزيكا) ؟

واذكر انه قال ذات ليلة للموسيقار عبد الوهاب في احدى حفلاته : « عبد الوهاب حرامي » . فوقف عبد الوهاب غاضبا ... ثم ضحك طويلا بعدما تابع الزعني الكلام :

عبد الوهاب حرامي
ياللي سالب عقل الناس
حبك داخل في عضامي
ورامي في قلبي الوسواس

أجمل أوقاته بعد منتصف الليل

كانت حياة عمر مثالية ، يعزها ويتوجها عنصر الحب والاخلاص والتفاني لبيته ولزوجته ولاولاده. اما حياته العامة كمواطن فعادية طبيعية متواضعة بشكل مرح لا يعرف الكبرياء والعجرفة اليه سبيلا.

كانت ساعات حوالى نصف الليل ، اوقاته المفضلة للنظم والتاليف ، ولقد كان ينتقي هذا الموعد بعد التاكد من استسلام افراد العائلة للنوم، عندما كان ينفرد في غرفته وعلى مكتب متواضع ويبدأ الكتابة . وقد قالت لي كريمته دلال انه كان ينتقي طاولة الطعام مكتبا ... للنظم والتاليف .

قلت لها : كيف تنظرين لوالدك عمر ؟ بماذا كان يتحلى في نظرك ؟ قالت : بقطع النظر عن العلاقة الابوية بوالدي عمر فانني لا استطيع الا تسجيل جرأته وصراحته ، ومواقفه التي لا تعرف المواربة ولا المحاباة .

كان لا يهاب شيئا ، والذي يبغي اعلانه لم يكن يوما يساوره اي شك من نتائج مثل هذا الاعلان . لم يكن يوما ليبدل آراءه وخدماته تبعا لاهواء ومصالح رخيصة .

وقال لي شقيقه سعد الدين : تاكد أن عمر كان يصور الاشخاص والاوضاع والحالات كالفنان الذي يرسم اللوحات ، على ان تصويرها هذا كان بطريقة شعرية سلسلة لبقة ، وهذه العناصر قد مهدت وافسحت المجال طويلا لاقبال الشعب ـ كافة الشعب ـ عليها .

الطريف في الشاعر عمر الزعني انه كان ينظم بعض القصائد والمقطوعات ويحفظها في اوراقه الخاصة .

أصدقاء كثيرون

لعمر الزعني اصدقاء كثيرون .

كان الشاعر أسعد سابا من اقرب المقربين الى عمر وخاصة في ذكرياته عن المدة الاخيرة ولقد قال عنه :

توطدت صداقتي بعمر على اكثر ما هنالك من روابط خلال السنوات الاربع الاخيرة حيث بدأنا عملنا على مراقبة الشعر الغنائي في الاذاعة .

وكان لعمر اليد الطولى والفكرة الاولى في تحسين الاغنية اللبنانية وتسفيرها الى البلاد العربية عدا شعره الانتقادي الذى لا يجارى فيه ، وهيهات ان تلد الاجيال : « عمر الزعني الثاني » .

سألته مرة : لماذا تواصل عملك الشعري التجاري وانت على جانب من المال الوافر وبوسعك ان تعيش في رغد وبمعزل عن كل ريع مثل هذا خاصة وانت قد اديت رسالتك على اكملها فباستطاعتك ان تلازمنا كضيف شرف ؟

قال عمر : انا رح ضل انظم شعر ، ما زال في قيد شعرة من الحياة . بحب الشعر اكثر من اعز شيء عندي ، ومثل ما يتعمل بعمل ، وبدى ضل اعمل « موزيك » حتى رفه عن الناس .

قال عنه الشاعر الراحل كابي حداد : لا شك ان بيني وبين عمر فارقا كبيرا في السن اذ انني كنت في العاشرة او اقل عندما كنت استمع الى اغانيه الشعبية من خلال الاسطوانات .

ولقد جاءت بعض قصائد عمر ثورة سياسية واجتماعية في تلك الاونة مما يدلنا على ان عمر الزعني الذى كان شاعرا كان ايضا صاحب فكرة سياسية واجتماعية . وبالفعل فعندما كنت استمع الى قصائده الشعبية في ذاك الحين كنت اشعر بحاجة الى ... تحرر .

وقال عنه الشاعر عبد الجليل وهبي :

كان عمر لا يحب الشعر الخيالي والغزلي ، بقدر ما كان يؤثر الشعر الوجداني والاجتماعي والسياسي والواقعي بصورة عامة . ثم انه كان يضعني في اطار تلك الفئة التي كان يسميها : « فئة العائشين في الافلاك » . وتوطدت صداقتنا الا انه ظل متمسكا بارائه ، وعلمت انه كان ملما بالموسيقى ، ولقد كان ينسج قصيدته نسبة الى اللحن الذى سيعطيه لها ، خاصة وهو الذى كان يلحن قصائده بنفسه .

وزوجته ام محمد قالت لي :

صحيح زوجي عمر مات .. ولكن مازلت اراه يقول قصيدته الشهيرة :

كل ثلاث أربع سنين
بتتغير القوانين
ينزل ناس ، ويقعد ناس
على ظهر الشعب المسكين

بتتغير السياسة
بتتبدل الرياسة

ولما بتضيع الطاسة
بتتقسم الغنايم

على ظهر الشعب المسكين

وقبل وفاته بشهر واحد قال لي سأترك المدينة وضجيجها وسوف اسكن في الفيلا الصغيرة بضهور العبادية . ولكن حلم عمر لم يتحقق لان حالته الصحية لم تسمح له بذلك فدخل المستشفى ولم يمض عليه اسبوعان حتى وافاه الاجل في ٨ شباط ١٩٦١ .

بعد وفاة عمر الزعني قال احد اصدقائه وهو يغص بدمعه :

من المؤسف ان يمشي بجنازة عمر الزعني ١٥ شخصا فقط مع العلم ان كل حفلة من حفلات عمر كان يؤمها اكثر من ١٥٠٠ شخص . واضاف : ان عمر الزعني ، هذا الشاعر الشعبي الكبير سيعجز الزمن عن ايجاد شاعر مثله يستطيع ان يعطي ما اعطاه عمر ...

استقبل الموت ببسمة ساخرة

قالت شقيقته قبل ان يسلم الروح بساعة : لم يرتعش عمر من الموت الذى جاء يصارعه بل استقبله ببسمة ساخرة .. هكذا مات عمر الزعني باسما .. كما ظل في حياته باسما ... فلنتذكره في مماته بقدر ما علمنا واطربنا واضحكنا في حياته ..

عمر الزعني هو بطل قومي .. لقد ساهم في التوجيه الوطني ، وكان لولب الثورة الفكرية والسياسية . كانت قصائده في عهد الانتداب ثم في اول عهد الاستقلال قوية فاعلة بشكل مذهل .

بموته خسر لبنان شاعرا شعبيا كان يعرف كيف يدخل الى القلوب وكيف يعبر عن عواطف الشعب والجماهير ، وخاصة عن الانطلاقة التحررية التي ولدت ضد الاجنبي وضد المستثمر في الداخل !

■■

لبنان ـ فاروق الجمال

أبو عبد الله محمد
آخر ملوك الاندلس

بقلم : محمد عبد الله عنان

هى قصة مؤسية ، تثير كل الشجن ، تلك هى قصة مصرع غرناطة ، آخر حواضر الاسلام بالاندلس ، وشخصية محزنة ، هى شخصية أبى عبد الله محمد، آخر ملوك الاندلس .

وهى مأساة تتكرر عبر التاريخ ، فسقوط الاسر والدول ظاهرة طبيعية ، تتوالى منذ فجر التاريخ فى الشرق وفى الغرب ، ولكن قصة مصرع الاندلس، تكاد تنفرد بظروفها المؤسية . ذلك لانها لم تكن فقط نهاية لدولة واسرة ، ولكنها كانت بداية النهاية لامة عظيمة ، وحضارة زاهرة ، غاضت كلتاهما ، واندثرت الى الابد .

ونحن نعرف ان العرب افتتحوا (الاندلس) فى سنة ٩٢ هـ ـ (٧١١ م) ، على يد موسى بن نصير وطارق بن زياد ، وقامت بها دولة اسلامية شامخة، لبثت عصورا ، تعيش فى مجد وسؤدد ، وتتقلب بين مختلف الحظوظ والجدود ، وتنشىء صرح حضارتها العظيمة ، وتعيش فى نفس الوقت فى صراع مستمر مع خصيمتها الابدية ، اسبانيا النصرانية ، وتتضاءل رقعتها تباعا ، حتى لم يبق منها سوى مملكة غرناطة الصغيرة ، التى عاشت مع ذلك أكثر من مائتى عام ، وشاء القدر أن تختتم حياتها ، بسقوط غرناطة اخر حواضرها ، فى يدى ملكى اسبانيا فرناندو وايسابيلا وذلك فى ربيع الاول سنة ٨٩٧ هـ (يناير ١٤٩٢ م) .

وشاء القدر ، فى نفس الوقت ، أن يكون الملك المنكود ، الذى تقع على يديه هذه المحنة المؤلمة ، هو السلطان ابو عبد الله محمد بن السلطان على أبى الحسن بن سعد النصرى ، والسلطانة عائشة الحرة ، ابنة السلطان أبى عبد الله الايسر .

وليس من موضوعنا أن نتحدث عن تاريخ مملكة غرناطة فى تلك الاونة الاخيرة من حياتها ، ولكنا نود ان نقول فقط ، انها كانت مسرحا لحروب اهلية مستمرة ، بين السلطان أبى الحسن وبين اخيه الامير محمد بن سعد المعروف بالزغل ، أى الباسل ، ثم بينه وبين ولده ابى عبد الله محمد . وقد أسفرت هذه المعارك ، عن تغلب أبى عبد الله

ابو عبد الله محمد اخر ملوك الاندلس عن الصورة التى كانت محفوظة من قبل بمتحف جنة العريف بغرناطة .



على أبيه ، وتربعه على عرش غرناطة لاول مرة سنة ٨٨٧ هـ (١٤٨٣ م) ، ثم تطورت الحوادث ، واشتبك أبو عبد الله مع القوات الاسبانية في معركة ، هزم فيها واسر ، وتولى العرش مكانه عمه الامير محمد بن سعد • ولبث أبو عبد الله في أسر ملكي اسبانيا فرناندو وايسابيلا زهاء عامين ، ثم أطلق الملكان سراحه ، بعد أن تعهد لهما بالخضوع ، وبان يحكم غرناطة باسمهما وتحت حمايتهما ، وساعده الملكان بعد ذلك على استرداد عرشه من عمه ، فتبوأ عرش غرناطة للمرة الثانية في سنة ٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م) •

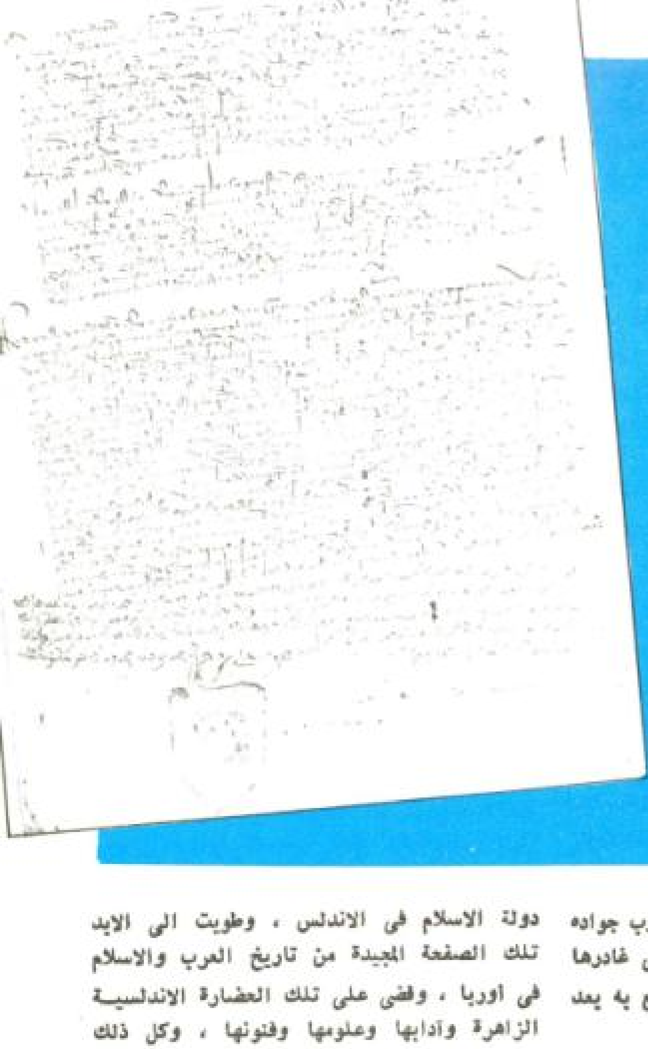
وتحول فرناندو بعد ذلك الى محاربة الامير محمد ابن سعد ، الزغل ، وكان بعد أن غادر عرش غرناطة ، قد استقر ملكا في وادي آش ومالقة • واستمر في دفاعه ضد ملكي اسبانيا حتى سقطت في يدهما مالقة وسائر القواعد الشرقية الاخرى ، واضطر الزغل في النهاية أن يذعن الى التسليم ، وعبر البحر الى المغرب ، ليقضي هناك بقية حياته •

في ظل الهدنة الخادعة

وكان ذلك في سنة ٨٩٥ (١٤٩٠م) ، وكان أبو عبد الله محمد في تلك الاثناء ، يعيش في ظل الهدنة الخادعة ، التي عقدها مع ملكي اسبانيا ، ويشهد سقوط القواعد الاندلسية تباعا في يدهما ، فلما تم لفرناندو افتتاح سائر القواعد الشرقية - مالقة والمرية وبسطة ووادي آش - ولم يبق الا مدينة غرناطة وما اليها ، بعث فرناندو وايسابيلا الى أبي عبد الله يطلبان اليه تسليم مدينة الحمراء (قاعدة الملك) وأن يحكم في غرناطة باسمهما وتحت طاعتهما ، فثار أبو عبدالله لذلك الغدر ، وأدرك فداحة خطئه في الانصياع الى فرناندو ، وانقلب الامير الضعيف الخانع ، الى خصم عنيد ، يعتزم الكفاح للذود عن ملكه ودينه ووطنه ، وأجمع القادة والكبراء على رفض التسليم ، والدفاع حتى الموت ، واعتزم فرناندو من جانبه ، أن يحصل على غرناطة باي ثمن ، وطوقها بقواته الكثيفة ، وبدأ حصارها فيجمادى الآخرة سنة ٨٩٦هـ (مارس ١٤٩١) • وطال الحصار ، واستنفد أهل غرناطة كل وسيلة للدفاع والمقاومة ، وخرجوا من مدينتهم مرارا ، واشتبكوا مع الجيش المحاصر في معارك عديدة ، ثم اشتدت وطأة الحصار وأخذت موارد المدينة المحصورة في النفاد ، واشتدت وطأة الجوع والحرمان على الناس ، وأدرك أبو عبد الله والقادة ، أنه لا محيص من المفاوضة مع العدو ، والحصول منه على الامان ، قبل أن يفوت الوقت، ويقتحم الجيش الفاتح المدينة ، فتقع في داخلها المذابح المروعة ، وتغدو أطلالا دارسة •

ووقعت المفاوضة بين فرناندو وممثلي أبي عبد الله والشعب الغرناطي ، وتم الاتفاق بعد جهود مضنية ، على أن تسلم غرناطة ، بشروط كثيرة ، أهمها أن يؤمن المسلمون في أنفسهم وأموالهم ، وأن يحتفظوا بشريعتهم وقضاتهم ، وأن يتمتعوا أحرارا بشعائر دينهم ، وأن تبقى المساجد حرما مصونة ، وألا يولى عليهم نصراني أو يهودي ، وأن يجوز منهم من شاء الى المغرب ، الى غير ذلك من الشروط والضمانات الخلابة • وجمع أبو عبد الله الفقهاء وأكابر الجماعة في بهو الحمراء الكبير (بهو قمارش)، وبعد مناقشات طويلة عاصفة، تمت الموافقة على معاهدة التسليم•

ولم يرتفع لمعارضتها سوى صوت واحد ، هو صوت موسى بن أبي الغسان قائد فرسان غرناطة ، الذي اشتهر برائع بسالته ، وحملاته الدفاعية المظفرة ضد العدو ، فقد حث مليكه ومواطنيه على الدفاع حتى الموت ، وحذرهم من خداع ملك قشتالة وغدره قائلا : « لا تخدعوا أنفسكم ، ولا تظنوا أن النصارى سوف يوفون بوعدهم ، ولا تركنوا الى شهامة ملكهم • ان الموت اقل ما نخشى، فامامنا نهب مدننا وتدميرها ، وتدنيس مساجدنا ، وتخريب بيوتنا ، وهتك نسائنا وبناتنا • أمامنا الجور الفاحش ، والتعصب الوحشي ، والسياط والاغلال ، وأمامنا السجون والانطاع والمحارق • هذا ما سوف نعاني من مصائب وعسف ، وهذا ما سوف تراه على الاقل تلك النفوس الوضيعة التي تخشى الان الموت الشريف » • ثم غادر المجلس واخترقبهو الاسود (كورة السباع) عابسا حزينا، وجاز الى ابهاء الحمراء الخارجية • ثم ذهب الى



الصفحة الاخيرة من المعاهدة التي عقدت بين الملكين الكاثوليكيين وأبي عبد الله محمد ، وفيها يتعهد ببيع أملاكه ومغادرة اسبانيا نهائيا ٠ وقد ذيل عليها بخطه بالقبول ، ووقعها وبصمها بخاتمه ، وذلك بتاريخ ٢٣ رمضان سنة ٨٩٨ هـ (٧ أغسطس ١٤٩٣ م) ٠ والاصل محفوظ بدار المحفوظات الاسبانية العامة بسيمانقا برقم P.R.-11-3

داره ، وغطى نفسه بسلاحه ، واقتعد غارب جواده المحبوب ، واخترق شوارع غرناطة ، حتى غادرها من باب البيرة ، ولم يره انسان أو يسمع به بعد ذلك قط ٠

وفي بعض الروايات أن موسى سار الى ضفة نهر شنيل ، حيث التقى بشلة من الفرسان النصارى فاشتبك معهم في قتال عنيف ، وقتل عدة منهم ، والغن جراحا ، وخشي أن يقع في أيديهم ، فالقى بنفسه في النهر ، فابتلعته الامواج ٠ ولم تؤثر معارضة موسى وكلماته في موقف « الجماعة » ولا في الاجماع على قبول المعاهدة وتوقيعها ٠ وحملها مندوب الملك الاسباني ممهورة بتوقيع أبي عبد الله ٠

وسلمت غرناطة

وهكذا اذعنت غرناطة ، وسلمت، وانتهت بذلك دولة الاسلام في الاندلس ، وطويت الى الابد تلك الصفحة المجيدة من تاريخ العرب والاسلام في أوربا ، وقضى على تلك الحضارة الاندلسية الزاهرة وآدابها وعلومها وفنونها ، وكل ذلك التراث الباهر بالمحو والفناء ٠ ودخل القشتاليون غرناطة في الثاني من ربيع الاول سنة ٨٩٧ (٢ يناير سنة ١٤٩٢) واحتلوا قصور الحمراء وحصونها ، وانتهى ذلك الحلم السعيد الذى استطال ثمانمائة عام ، أو كما قال أبو الطيب الرندى في مرثيته الشهيرة ، التي وضعها قبل سقوط الاندلس النهائي بنحو قرنين ٠

وكان ما كان من ملك ومن ملك
كما حكى عن خيال الطيف وسنان

أما الملك التعس أبو عبد الله ، آخر ملوك الاسلام بالاندلس ، فقد قضت معاهدة التسليم ، أن يغادر غرناطة مع أهله وأمواله الى منطقة

البشرات الشرقية ، وان يحكم هذه المنطقة باسم ملك قشتالة ، وفى طاعته ، وان يكون مقره فى قرية اندرش : Andarax القريبة من ثغر المرية. وتصف لنا الرواية ذلك المنظر المؤثر الذى لقى فيه ابو عبد الله عدوه الظافر ، على اثر مغادرته لقصر الحمراء ، وتقديمه مفاتيح الحمراء اليه قائلا « ان هذه المفاتيح هى الاثر الاخير لدولة العرب فى اسبانيا ، وقد اصبحت ايها الملك سيد تراثنا وديارنا واشخاصنا • هكذا قضى الله ، فكن فى ظفرك رحيما عادلا » •

زفرة العربي

وهنا تقول الرواية ايضا ، ان ابا عبد الله ، أشرف اثناء مسيره الى مقره الجديد ، فى شعب البذول ، على مناظر غرناطة ، فوقف يسرح البصر لآخر مرة فى هاتيك الربوع العزيزة ، التى ترعرع فيها ، وشهدت مواطن عزه ، وسلطان آبائه وأجداده ، فانهمر فى الحال دمعه ، واجهش بالبكاء فصاحت به امه الاميرة عائشة : « أجل فلتبك كالنساء ملكا لم تستطع ان تدافع عنه كالرجال ». وتعرف الرواية الاسبانية تلك الاكمة التى كانت مسرحا لذلك المنظر المحزن باسم شعرى مؤثر هو : « زفرة العربى الاخيرة » : El Ultimo suspiro del moro ، وما تزال قائمة حتى اليوم يعينها سكان المنطقة للسائح المتجول •

ثم تقول الرواية ، ان باب الحمراء الذى خرج منه أبو عبد الله لآخر مرة ، وهو باب الطباق السبع ، قد سد عقب خروجه منه برجاء منه الى ملك قشتالة ، وبنى مكانه ، حتى لا يجوزه انسان من بعده • وما زلت الرواية تعين لنا مكان هذا الباب بين الاطلال الدارسة ، وهو يقع فى طرف الهضبة ، فى الجنوب الشرقى منها على مقربة من « برج الماء » ، وقد رأيناه ، وقد سد فراغه حقيقة بالبناء (١) •

لم يطل مكث أبو عبد الله بمقره فى اندرش ، ولم يمض سوى عام وبضعة اشهر ، حتى ادرك انه يستحيل عليه البقاء فى هذا الوضع المهين ، كعامل لملك قشتالة • وكان ملك قشتالة من جانبه، ينظر الى وجوده بعين التوجس ، ويخشى ان يكون مثار الفتنة والقلاقل • وعول أبو عبد الله أن يحذو حذو عمه الزغل فى الجواز الى المغرب ، ونزل لملكى قشتالة عن حقوقه نظير مبلغ كبير بمقتضى معاهدة خاصة ، ابرمت بينه وبين الملكين فى ابريل سنة ١٤٩٣ ، وفيها تعهد ببيع أملاكه ، ومغادرة اسبانيا نهائيا • وما تزال هذه المعاهدة، محفوظة فى دار المحفوظات الاسبانية العامة فى سيمانقا ، وقد ذيل عليها ابو عبد الله بخطه وتوقيعه بالقبول ، وبصمها بخاتمه ، وذلك بتاريخ ٢٣ رمضان سنة٨٩٨هـ (٧ اغسطس سنة ١٤٩٣م)•

ويرى القارىء نص قبوله وبصمة خاتمه فى هذه الصورة المنشورة مع المقال لآخر صفحة من المعاهدة • ويجرى نص القبول كما يأتى :

« الحمد لله السلطان والسلطانة ، أضيافى • أنا الامير محمد بن على بن نصر خديمكم، وصلتنى من مقامكم العلى العقيد ، وفيها جميع الفصول الذى عقدها عنى وبكم التقديم من خديمى القائد ابو القاسم المليخ ، ووصلت بخط يدكم الكريمة عليها وبطابعكم العزيز كيف هيت مذكورة بهذا الذى هى تصلكم • وانى نوفى ونحلف انى رضيت بها بكلام الوفا مثل خديم جيد • وترى هذا خط يدى وطابعى ارقيته عليها ، لتظهر صحة قولى ، ووصلت بتاريخ الثالث والعشرين من شهر رمضان المعظم عام ثمانية وتسعون وثمانمائة • أنا كاتبه محمد بن على بن نصر رضيت وقبلت جميع ما فى هذا المكتوب الثابت ، وتقبل يدىْ • الى أضيافى السلطان والسلطانة ، مذ لى هناكما » •

وتعرض صورة مكبرة من هذه الوثيقة بمتحف مدريد الحربى ، الى جانب رداء وصف بانه عباءة (أبى عبد الله) ، وسيف فاخر وصف بانه سيف أبى عبد الله •

---

(١) ان ما تقصه الرواية علينا من هذه الوقائع وأمثالها لا يدخل فى حيز التاريخ المحقق ، وانما يجرى على الارجح مجرى القصص والاساطير التى ذاعت فى هذا العصر، وسجلتها التواريخ القشتالية، وأخرجها بعض أكابر مصورى هذا العصر فى صور تمثلها ، ما زالت تحتفظ بها المتاحف والكنائس الغرناطية •

وكان أبو عبد الله ، وقت أن سقطت غرناطة ، وانتهت دولة الاسلام فى الاندلس فتى فى نحو الثلاثين من عمره ، وذلك حسبما يستفاد من أقوال الرواية القشتالية المعاصرة، وقد تركتلنا الرواية القشتالية المعاصرة أيضا وصفا لشخصه ، خلاصته انه كان ممشوق القد ، حسن الطلعة ، شاحب اللون، له عينان سوداوان نجلاوان ، ولحية قوية.

انصافا للرجل

وهكذا اعتزم أبو عبد الله أن يغادر الى الابد، تلك الارض التى نشأ فيها أجداده منذ العصور ، وأن يعبر الى المغرب فى أهله وأمواله ، وذلك فى سفن أعدها ملك قشتالة لجوازه • وكان ذلك فى أواخر سنة ١٤٩٣م • ونزل أولا بمليلة ، ثم قصد الى فاس ، واستقر بها ، وتقدم الى ملكها السلطان محمد شيخ بنى وطاس ، الذين غلبوا على بنى مرين ، مستجيرا به ، مستظلا بلوائه ورعايته ، معتذرا عما أصاب الاسلام فى الاندلس على يده ، متبرئا مما نسب اليه من ضروب التفريط والخيانة • وقد بسط أبو عبد الله دفاعه فى كتاب طويل مؤثر ، كتبه عن لسانه ، كاتبه ووزيره محمد بن عبد الله العربى العقيلى وسماه « بالروض العاطر الانفاس فى التوسل الى المولى الامام سلطان فاس » • وهذا الدفاع الشهير الذى يقدمه الينا أبو عبد الله عن موقفه وتصرفه ، هو قطعة رائعة من الفصاحة السياسية، وهو يدل فى روحه وقوته على فداحة التبعة التى شعر آخر ملوك الاندلس ، أنه يحملها أمام الله والتاريخ ، وعلى أن هذا الامير المنكود ، لم يرد أن ينحدر الى غمر النسيان والعدم ، محكوما عليه ، دون أن يبسط للتاريخ قضيته •

وان آخر ملوك الاندلس، بالرغم من كلما يحيطه به التاريخ من المسئوليات الخطيرة والاوزار الفادحة ، ليستحق مع ذلك فى نظرنا من التاريخ كلمة ثناء وتقدير ، تجب لمن خاض مثل ما خاضه من الغمار ، ومثل ما تعرض له من صنوف الاغراء• فقد عاش مسلما ومات مسلما، واستطاع أن يحتفظ بدينه الحنيف ، بالرغم من فداحة المحنة التى نزلت به ، وظروف الاغراء القوية التى كانت تحيط به . وبالرغم مما شهده من تطارح معظم وزرائه وقادته ، بل واقاربه الاقربين على قدمى الملكين الكاثوليكيين ، ودخولهم فى دين النصرانية • وكان فى مقدمة هؤلاء أخواه لابيه الاميران سعد ونصر ، ولدا السلطان أبى الحسن من زوجه النصرانية اليزابيت دى سوليس •

وكان فرناندو الكثوليكى يستعمل كل الوسائل لاغراء الوزراء والقادة المسلمين على التنصر ، ويعرض عليهم أن يكون تنصرهم داخل خيمته الخاصة حماية لهم من السقوط الابدى فى نظر مواطنيهم • هذه الظروف كلها كانت خليقة بان تحمل أبى عبد الله على الاستجابة الى دواعى التحريض والاغراء الخطيرة • ولكنه استطاع أن يخرج من هذه الغمار معتصما بدينه المتين • ولم يفته أن يلمح الى ذلك باعتزاز فى دفاعه حيث يقول مشيرا الى وعود ملك قشتالة وعروضه المغرية : « فلم نر ونحن من سلالة الاحمر مجاورة الصفر ، ولا سوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهرانى الكفر » •

استقر أبو عبد الله فى فاس ، فى ظل بنى وطاس ، وشيد بها قصورا على الطراز الاندلسى، رآها وتجول فيها المقرى مؤرخ الاندلس بعد ذلك بنحو قرن ١٠٣٧هـ (١٦٢٨م) • وعاش الملك المنكود فى منفاه طويلا يتقلب فى غمر الحسرات والذكريات المفجعة• وتوفى بعد المأساة بنحو أربعين عاما فى سنة ٩٤٠هـ (١٥٣٤م) ، ودفن بفاس ، وترك ولدين هما يوسف وأحمد • واستمر عقبه متصلا معروفا بفاس مدى أحقاب، ولكنهم انحدروا قبل بعيد الى هاوية البؤس والفاقة ، ويذكر لنا المقرى ، فى كتابه نفح الطيب ، انه رآهم فى سنة ١٠٣٧هـ ، فقراء معدمين ، يعيشون من أموال الصدقات •

ويعرف أبو عبد الله ، آخر ملوك الاندلس ، بالملك الصغير وبالاسبانية El Rey chico تمييزا له منعمه أبى عبد الله الزغل• ويلقب بالزغيبى، أو عاثر الحظ ، تنويها بما أصاب الاسلام على يده من الخطوب والمحن •

■■

الرباط ـ محمد عبد الله عنان



الحياة .. لماذا نملُّها ؟ وكيف ومتى نرى صورها الحلوة ؟

بقلم : منير نصيف

■ قال فنسنتفان جوخ ، الفنان التعس وهو يروى قصة حياته في كتابه «شهوة العمركله»: انني اكرهها .. اكرهها .. فلم اجد فيها لحظة تستحق الحياة !

وتقول الشاعرة ادنا سانت فنسنت ميلاى : «ايتها الدنيا الجميلة ، ليتنى استطيع ان احيطك بذراعي واضمك الى صدرى ، وانعم في احضانك برائحة ترابك ولسعة شمسك ولحن رياحك فى الشتاء ! »

الحياة التى عاشها الاثنان واحدة..والدنيا التى كرهها الفنان ، وتغزلت الشاعرة فى جمالها .. ايضا واحدة .. الفرق بين الاثنين ان الفنان المسكين لم ير بهجة الحياة .. والذى يفتقد مباهج الحياة يفتقد كل الحياة ، كما يقول روبرت لويس ستيفنسون .

والعكس صحيح مع الشاعرة ادنا .. فهى قد احست فى تلك اللحظة التى جلست تصف فيها جمال الحياة من حولها بكل شيء حى .. باوراق الشجر .. بالزهور وعبيقها بالسحب فوق راسها، فانطلقت تصف بقلمها روعة الحياة التى تعيشها!

هل كان الفنان نورمان حقا تعسا ؟ هل كانت الشاعرة ادنا سعيدة ؟ وما سر تعاسته .. وما اسباب سعادتها ؟

الملل .. ومباهج الحياة

ويمضى بنا عالم النفس ابراهام ماسلاو فى حديثه الطويل عن الشعور بالملل الذى يصيب الناس .. كل الناس فى لحظة او فى اخرى من لحظات حياتهم او فى رحلة معينة من مراحل الحياة وهم يمضون فى مسيرتهم نحو الغد المجهول . ثم ينتقل بعد هذا الى الحديث عن الحياة ومباهجها ولماذا وكيف يراها البعض منا وينعم بها ، بينما يفطنها البعض الاخر ، وعندها تكون الهزيمة ويكون القلق ، ويستبد بنا ذلك الشعور المخيف الذىيدفعنا دفعا الىالبحث عنالخلاص من كل شيء حولنا ، وباى شيء . فلم يعد للحياة طعم ولم يعد للدنيا لون ولا رائحة !

وهو يذهب فى كتابه الملل الى الحد بان يقول ان معظم الجرائم التى يرتكبها اصحابها هى فى واقع الامر وسيلة للخلاص من الحياة التى كرهوها وملوها ! فالجريمة فى رايه هى ساق شجرة يابسه نمت جذورها فى ارض لم تصلها ماء الحياة ابدا، الا من خلال ما تسرب اليها عفوا !

ولكنه يعود فيقول ان الملل الذى يؤدى الى العنف والامتلاء بروح العداء والثورة يختلف عن الملل المؤقت الذى يحس به المرء سواء كان رجلا ام امراة من وقت لاخر،فهذا الاخير هو مرض العصر وهو يدفع بصاحبه الى مجرد الرغبة فى الانسحاب بعيدا عن الناس والاضواء والمجتمع الذى يعيش فيه ، والاحساس فى الوقت نفسه بحاجة ملحة الى الانفراد بنفسه ! ومع هذا الشعور وهذا الاحساس يفقد المرء القدرة على القيام باى عمل مهما كان صغيرا وبسيطا .



الشجرة اليابسة لا امل فيها ولا رجاء ، فهي ميتة ميتة •• ومن اجل هذا نجد ماسلاو يتركها تموت في هدوء • هكذا يقول • الذي يهمه هو تلك اللحظات التي تمر بنا،ونمر بها في حياتنا اليومية، ونحس معها بهذا الشعور بالملل ، لماذا ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ وما السبيل الى الخلاص منها ؟

في ملفاته قصص نساء ورجال جاءوا اليه يطلبون النصيحة •• وهو يروى لنا بعضها •

الرتابة والروتين

هناك قصة الام الشابة التي تسمع رنين جرس المنبه في الصباح •• وهو صوت ألفته على مدى السنين التي انتقلت فيها من بيت والديها الى بيت الزوجية •• في البداية ، وكأي شيء جديد، كانت تجد مع رنينه متعة ، فقد كان يوقظ فيها الشعور بالواجب ، والرغبة الصادقة في القيام بدورها كزوجة في هذه الساعة المبكرة في الصباح •• فكانت تقوم من فراشها وتسرع باعداد طعام الافطار والقهوة الساخنة••ويفترق الزوجان كل الى عمله •• يفترقان الى لقاء •

وتمضي الايام ويتغير شكل الحياة • لم يعد البيت لهما وحدهما •• اصبح يشاركهما فيه ضيوف صغار •• وتتضاعف مسئوليات الام وتضطر الى ترك وظيفتها مؤقتا ، لتتفرغ لتربية أطفالها •• وشيئا فشيئا ، تبدأ الام تضيق بالحياة الجديدة التي كانت في الامس القريب تسعد بكل لحظة فيها !

لقد كبر الاطفال وخرجوا الى المدرسة ••

كل شيء في البيت الذي كان يلفه الهدوء قد تغير •• ما عدا جرس المنبه الذي مازال يرن في موعده ! وتحاول ان تخرسه •• ولكنه لا يخرس•• حقيقة لقد كف عن الرنين لانها توقفت عن ضبطه، ولكنها ما زالت تسمع صوته في الصباح ، لقد تحولت هي الى منبه !! لا تكاد تحس باشعة الشمس

تتسلل في رفق الى غرفتها حتى تقوم من فراشها مسرعة لكي تجد الوقت الدافي لاعداد الافطار لافراد الاسرة التي تضاعف عددها،وتضاعفت معهم واجباتها !

ضيق وقلق

وتكتشف الام فجاة انها قد اصبحت تقوم من فراشها في الصباح بصعوبة ، وانها بدات تشعر بالتعب ، وينتابها احساس بالضيق بين الحين والحين •• انها تحب بيتها واتحب زوجها واطفالها •• وهي لا تريد لهذا الشعور الغريب أن يستبد بها وينغص عليها حياتها ، ويسيء الى أحب الناس الى قلبها ! ماذا تفعل ؟

ويقول ماسلاو : لا شيء ! كل ما في الامر ان هذه الام ، قد استسلمت للروتين وهو اسوأ ما يمكن ان يحدث في حياة الانسان ! ان الرتابة هي التي تدفعنا الى الشعور بالضيق والملل والتعب والقلق • واذا افلحنا في ان نحول كل شيء رتيب الى شيء جديد ، ونضفي عليه من عندنا لونا وطعما متغيرا كل يوم نجحنا في الخروج من هذا القفص الضيق المظلم ! •

كيف ؟

ولا بد لنا من وقفه هنا مع طبيعة الانسان : نحن نرى الاشياء مجردة من كل شيء •• نراها كما تبدو لنا في ظاهرها •• ولكن الصورة تتغير تماما، لو اننا وقفنا وفكرنا وتاملنا •• فالحياة فكر •• والحياة تامل •• هكذا يحدثنا هذا العالم النفساني الكبير الذي قضى اكثر من نصف عمره يفكر ويتامل !

ثم وجدتها •• !

ثم يكمل قصته مع الام التي بدات تشعر بالملل: لقد عادت الى بيتها •• وصحت من نومها في الصباح •• ولكنها في هذه المرة،لم تذهب مباشرة الى المطبخ ، حيث تعودت أن تفعل ، لقد فتحت نافذة غرفتها •• ووقفت من وراء النافذة تتامل كل شيء حولها •• الحديقة الجميلة التي امتلات بالزهور •• العصافير الصغيرة وهي تنتقل بين اغصان الشجر وترفع صوتها مغردة فرحة بمولد هذا اليوم الجديد •• الرجل العجوز الذي طالما حمل اليها زجاجات اللبن ، يرفع يده محييا •• وتبتسم وهي ترد التحية ، وتذهب الى حيث تعودت الذهاب ، لاعداد طعام الافطار •• وفجاة يصل الى اذنيها صوت ضحكات ابنتهما الصغرى•• وتترك كل شيء ، وتحس برغبة في الذهاب اليها لترى ما الذي يضحكها •• وتقف أمام باب غرفة الطعام •• نفس المشهد الذي كنت تراه كل يوم•• كل شيء يبدو كما هو •• الاطفال حول المائدة في انتظار طعام الافطار •• والاب يداعب الطفلة الصغيرة •• في هذا المكان •• اجتمع كل الذين تحبهم •• كل الذين تعيش لهم ومن اجلهم •• وتحاول ان تتكلم •• ان تقول شيئا •• ولكنها لا تلبث ان تنسحب من الغرفة في هدوء •• فقد امتلات عيناها بالدموع وكانت دموع البهجة التي روت قلبها في هذه اللحظة اقوى من اي كلام يمكن ان تقوله •• لقد رات هذه الام اشياء لم ترها من قبل •• او رأتها كما لم ترها ابدا •• وهكذا بقيت الصورة الحية الجميلة في مخيلتها وامام عينيها دائما •• انها امراة سعيدة سعيدة •• ما الذ الحياة •• فقد شمت رائحتها وعرفت اسرارها، وسقطت الغشاوة التي كانت تحجب عنها جمال الحياة •

العمل والنجاح

والاحساس بالبهجة كثيرا ما ياتي عندما ننسى انفسنا في دوامة العمل الذي نؤديه ، وخاصة اذا كنا نحب عملنا ونجد متعة في القيام به •• لا فرق هنا بين عمل وعمل •• فالمهم ان نجد ذاتنا فيه ••

كان الكاتب الامريكي ادجارالانبو يجلس يوما الى مكتبه ليسجل احداث القصة الجديدة التي جمعها من واقع حياته التعسة •• ومضى يكتب ويكتب •• وفجاة احس بالقلم يتوقف عن المضي في مسيرته على الورق •• والقى به جانبا ،ومال بجسمه الى الوراء •• ومضى في رحلته مع الواقع الذي يصوره •• كان يبحث عن خاتمة للقصة التي بدأها واوشك على الانتهاء منها •• ولكنه احس بعجزه عن اتمامها •• وكادت يده تمتد الى الورق الذي وضع فيه عصارة ذهنه وفكره على مدى اسبوعين كاملين لينهي ما حواه بوسيلة اخرى •• لماذا لا يمزقه ويريح ابطال قصته ويستريح !

واحتواه شعور باليأس والملل .. انها ليست اول عمل له يضع فيه كل خواطره وتأملاته ، ثم لا يرى النور ! لماذا لا يختصر الطريق ويضعه في مكانه في ركن من درج مكتبه القديم وينسى !

ولكنه لا يلبث ان يعود الى قلمه .. لقد وجدها .. ويختتم القصة .. ويقوم من كرسيه ويتجه الى غرفة زوجته المريضه التى كان الداء يأكل صدرها .. ويمطرها بقبلاته .. وتسعد له وتنسى آلامها وتدمع عيناها لانها لن تشاركه هذه البهجة طويلا.. ويقول الان بو وهو يبكي فرحا : لقد رأيت السماء .. وجدت نفسي بعد ضياع !

بداية ونهاية

يقول ماسلاو : والبهجة تأتي عندما لا نهرب من الحياة .. عندما نتعلم كيف نعيش احزانها .. ونخوض معاركها بنفس القوة التى نستقبل بها افراحنا .. عندما ندرك بعد هذا ان هناك نهاية لكل شيء حلو كل شيء نحبه !

ثم يروى لنا قصته مع الرجل الذى لقيه في القطار وكان يجلس بجوار النافذة يدخن سيجارته في هدوء وكانت عيناه من وراء الزجاج تتنقلان سريعا بكل شيء يمر به القطار وهو منطلق في سرعة هائلة .. لقد بدا كما لو كان يبحث عن شيء .. ولكن ما هو على وجه التحديد . هل هي الاشجار القريبة والبعيدة .. ام صفوف المنازل .. أموجوه الاطفال الذين جاءوا من الريف ليرقبوا القطار الجديد الذى تمنوا لو انهم كانوا بين ركابه .. ام هي السحب التي بدأت تتجمع في السماء وتنذر بهبوط المطر .. كل هذا كان يراه ويمر عليه بعينيه ، ثم لا يلبث أن يعود الى سيجارته والى الصحيفة التى كان يضعها على ركبتيه فيقرأ فيها ثم لا يلبث ان يعيدها الى مكانها ، ويعود الى النافذة يكمل رحلته مع الحياة من وراء غطائها !

واستجمع ماسلاو شجاعته ، وقال محدثا جاره : « صور جميلة أليس كذلك ؟ » .

وصحا من رقدته !

وقال الرجل في هدوء : نعم ! ثم اشار الى عربة نقل كبيرة كانت تحمل حبوب القمح .. وقال : من هنا يأتي غذاؤنا .. هم يكدحون ، ونحن نأكل ثمار كدهم دون ان نحس بهم ! ما اجمل صور الكفاح من اجل العيش والرزق .. ولعل اروعها اطلاقا هي تلك التى لا نراها الا مصادفة ! كل شيء يبدو جميلا من حولى اليوم .. كل شيء يشدني ويثير اهتمامي !

وتوقف الرجل عن الحديث للحظات ، سرح فيها بفكره بعيدا ، ثم نظر الى صاحبه وقال : هل يبدو كلامي هذا غريبا عليك ؟

وقال ماسلاو : ابدا .. كل ما في الامر انني شعرت من خلال حديثك انك رجل مرهف الحس !

وقال الرجل : ربما !

وبدأ القطار يبطيء من سرعته .. ووقف الرجل يعد نفسه ويستعد للنزول في المحطة القادمة وحمل حقيبته الصغيرة ووضعها عند قدميه ، ثم اتجه الىصاحبه وقال :هنا بيتي فيهذه المدينة الصغيرة حيث اعيش مع زوجتي واطفالي الثلاثة ..

سوف يسعدون كثيرا لعودتي بعد غيبة استغرقت اسبوعا كاملا .. انها اول مرة افترق فيها عنهم.. ولكنني اضطررت للذهاب لاعرض نفسي على الاخصائيين في المستشفى الجامعي .. فانا اعاني من آلام حادة في معدتي ! لقد عرفت سر العلة .. انهم لم يحاولوا اخفاء الحقيقة عني .. انني مصاب بالسرطان ، ولن اعيش لاكثر من ستة اشهر !

ومنذ تلك اللحظة التى عرف فيها الرجل ان رحلة حياته على الارض قد اقتربت من نهايتها ، بدا يحس بهذا الجمال الذى يراه من حوله .. كل شيء بدا جميلا جديدا حتى هو نفسه .. لقد بدا وكأنه قد صحا فجأة من نوم عميق دام لاكثر من اربعين عاما .. هي كل عمره على الارض !

ما اقسى الحياة وما اجملها ..

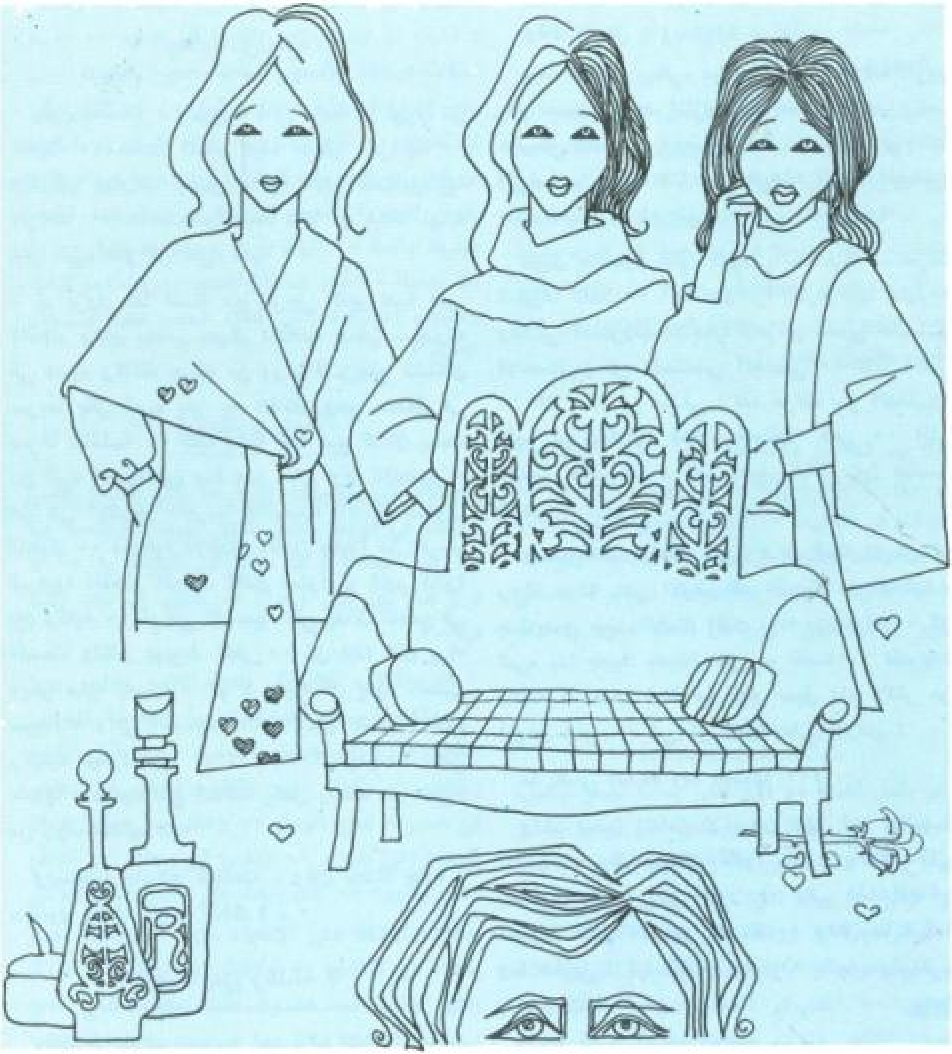
ولكن بعض الناس لا يرون فيها غير جانبها المظلم .. والبعض لا يكادوا يمرون بالظلام حتى ينتقلون بسرعة الى النور .. وفي هذا الجانب المضيء تتغير نظرتهم للحياة .. ولكل ما فيها وما عليها ! فيه تنبض القلوب بالحب وتمتليء بنشوة الحياة .

■■

منير نصيف

• من قصص الخيال العلمى •

خدمة



ممتازة

قصة : ايزاك ازيموف
ترجمة وعرض : راجى عنايت

■ نظرت كلير بمزيج من الفزع والرعب من خلال فتحة الباب الضيقة ·· نظرت الى تونى الذى كان يقف داخل الحجرة بقامته الطويلة ، وملابسه الداكنة الانيقة ، ومظهره النبيل الذى يعكسه تعبيرات وجهه التى لا تتغير ، ثم صاحت ، « لا استطيع أن ابقى معه تحت سقف واحد ·· » ·

اخذ لارى بلمونت ينظر الى زوجته بحدة ، وقد عكست ملامحه معانى نفاد الصبر والضيق ، تلك المعانى التى كانت كلير تكرهها ، نظرا لانها تؤكد احساسها بالعجز·قال لارى بحسم : « لم يعد هناك اى مجال للتراجع ·· ستوفدنى الشركة الى واشنطن على هذا الاساس ، وهذا يعنى حصولى على الترقية التى اسعى اليها ·· وانت تعلمين جيدا ان وجوده معك فى البيت لن يسبب لك اى ضرر أو أذى ·· فلماذا الاعتراض الان ؟ ·· »

همهمت كلير وقد انقبضت ملامحها « ان مجرد وجوده يبعث الرعشة فى جسدى ·· » فقال لارى « انه انسانى·· هيا معى اليهم »· وضع لارى كفه خلف ظهرها وقادها لتجد نفسها وسط غرفة الاستقبال فى بيتها ، تسودها الرجفة من اعلاها الى اسفلها ·· كان يقف هناك ·· ينظر اليها بادب واضح ·· الى تلك التى ستكون مضيفة على مدى الاسابيع الثلاثة التالية · كانت الدكتورة سوزان كالفن فى الحجرة أيضا ، تجلس منقبضة وقد ضمت شفتيها الرفيعتين ، كانت تبدو عليها تلك النظرة الباردة الغائبة التى يتميز بها اولئك الذين طال تعاملهم مع الآلات ، حتى ليبدو ان جانبا من معدن هذه الآلات قد تسرب الى دمائهم ·

« أهلا ·· » قالتها كلير للموجودين بشكل عام ، وبمرح مفتعل قال لارى « أريدك يا كلير ان تلتقى بتونى الفتى الانيق ·· هذه هى زوجتى كلير يا تونى·· »، ثم مد لارى يده بألفة لتستقر فوق كتف تونى ، وان كان تونى قد بقى على تحفظه ·· بلا تعبير يعكس احساسه بهذا الموقف ·

قال تونى «كيف حالك يا سيدتى ؟··» قفزت كلير فى مكانها لدى سماعها صوت تونى ، كان صوته عميقا ، عذبا ، فى مثل نعومة الشعر الذى على رأسه ، ودون ان تدرى صاحت « يا الهى ·· انه يتكلم ! » قال تونى بصوت هادىء « لماذا لا ··؟ هل كنت تتوقعين ان اكون أبكم ؟! ·· » وكان رد فعل كلير لا يزيد عن ابتسامة ضعيفة · وبطرف عينها اخذت تتامله ، واخرجها من تاملها هذا ، صوت الدكتورة كالفن المسطح الخالى من اى عاطفة وهى تقول « اتمنى ان تقدرى أهمية هذه التجربة يا سيدتى ·· لقد قال زوجك انه شرح لك الموضوع ، واريد الان ان أعطى المزيد من المعلومات ، باعتبارى رئيسة القسم النفسى باتحاد صناعة الانسان الآلى لعموم الولايات المتحدة » ·

نظرت الى كلير ثم قالت مستطردة « تونى عبارة عن انسان آلى·· اسمه الحقيقى فى ملفات الشركة تن ــ ٣ ، لكنه سيستجيب اذا ما ناديته باسم تونى · انه ليس وحشا آليا ، كما انه ليس آلة حاسبة من ذلك النوع الذى كان ينتشر اثناء الحرب العالمية الثانية ·· منذ خمسين عاما · ان لديه عقلا اصطناعيا ، يقارب عقولنا من حيث درجة تعقيده··لوحة تجميع تيلفونية ضخمة على المستوى الذرى ·· وهكذا ، يمكن لهذا العقل ان يتعامل

مع بلايين الاعمال والتوجيهات التي تزدحم بها جمجمته ٠٠ »

« حتى الآن اعتدنا أن نعتمد على الانسان الآلي في الاعمال الصعبة ، او المستحيلة بالنسبة للبشر ، في اعماق المناجم ، او في الاعمال التي تجرى في قاع المحيط ٠٠ لكننا اليوم نريد ان نغزو المدن والبيوت ٠٠ نريد ان يعتاد الناس البسطاء وجود الانسان الآلي في حياتهم اليومية دون خوف ٠٠ ونحن نلتزم في هذا بما يسمى بالقانون الاول للانسان الآلي ، وهو يقول: الانسان الآلي لا يجب ان يتسبب في الاضرار بادمي ، أو انيفعل ما يدفع الآدمي الى الحاق الضرر بنفسه٠٠ جميع ما نصنعه يخضع لهذا القانون ٠٠ وكما ترين يا سيدتي ، نريد ان تشتركي مع توني في تجربة مبدئية ، لصالح عملنا العلمي ، وفي أثناء سفر زوجك الى واشنطن للانتهاء من الاجراءات القانونية الحكومية ٠٠ تمهيدا لاعتماد هذا الانسان الآلي وتعميمه ٠٠ »

صاحت كلير بقلق « هل يعني هذا ٠٠ أن كل ما تفعلونه ليس قانونيا ؟! »

سعل لارى بعصبية وهو يقول « ليس بعد ٠٠ ولكن هذا سيتم قريبا ٠٠ على اى حال لن يترك توني البيت ، ولا يجب ان تسمحي لاحد بان يراه ٠٠ كنت اود ان اكون معك اثناء هذه التجربة ٠٠ لكن الامر يحتاج الى شخص ليست لديه أية خبرة عن الانسان الآلي ٠٠ »

قالت دكتورة كالفن وهي تهم بالانصراف «هذا الانسان الآلي متخصص يا سيدتي في الاعمال المنزلية ٠٠ » ، قاد لارى دكتورة كالفن الى الباب الخارجي ، بينما بقيت كلير في حجرة الاستقبال تتطلع الى نفسها في المرآة ، لكنها سرعان ما أشاحت بوجهها بعيدا عن المرآة ٠٠ لقد ضاقت بهذا الوجه الصغير والفم الكبير والشعر المعتم ٠٠ هنا ، لاحظت ان نظرات توني مسلطة عليها ، فابتسمت ابتسامة مجاملة ، قبل ان تتذكر انه مجرد ٠٠ آلة ٠

★ ★ ★

كان لارى يستعد لرحلته الى المطار ، عندما لمح جارته السيدة جلاديس كلافري ٠٠ كانت جلاديس من اللاتي يجب الا يتجاوز النظر اليهن حد النظرة الخاطفة ٠٠ كل شيء فيها مرسوم بدقة وعناية ، وترتدي من الملابس ما يكشف عن ذروة الذوق والمهارة ٠٠ كانت على درجة من الاناقة ، لا تحتمل اكثر من النظرة الخاطفة الابتسامة الجذابة على وجهها ، والعطر الذي يترك اثاره في أعقابها ، كانا بمثابة الاصابع التي تشير اليك بالاقتراب٠٠ لكن لارى تجاوز هذا النداء ٠٠ ودون أن يتوقف ، حياها بلمسة لقبعته ، ثم أسرع مبتعدا ٠٠

كان يشعر دائما بذلك النوع من الغضب الغامض ٠٠ لو ان كلير استطاعت ان تدخل في زمرة جلاديس لاستفادت كثيرا ٠٠ لكن ، مافائدة هذه الافكار ؟! ٠٠ ان كلير في المرات القليلة التي التقت فيها بجلاديس كانت تبدو كالحمقاء معقودة اللسان ٠٠ لا ٠٠ لا يجب أن يجرى وراء هذه الافكار ٠ ان فرصة عمله الكبرى الآن تتركز في تجربة الاختبار التي تجرى لتوني ٠٠ وهذه الفرصة ترقد الآن بين يدى كلير ٠٠ لكنه عاد ليقول لنفسه ٠٠ هذه التجربة كانت ستتم بشكل اكمل لو انها كانت بين يدى واحدة مثل جلاديس كلافرى !

★ ★ ★

استيقظت كلير في صباح اليوم التالي على طرقات فوق باب حجرة نومها ، فجمدت في مكانها. لقد حرصت على تجنب توني في يومها الاول ٠ كانت تكتفي بابتسامة مجاملة عندما كانت تلتقي به ٠ عندما قالت « أهذا هو انت ٠٠ يا توني ؟»، فسمعت صوته يقول « نعم يا سيدتي ٠٠ هل تسمحين لي بالدخول ؟ ٠٠ » قبل ان تقول نعم ، كان توني يتقدم الى داخل الحجرة في هدوء ، وقد وصلت الى أنفها رائحة الطعام الذي يحمله فوق الصينية التي يحملها بين يديه ٠ سالت باندهاش « الافطار ؟! ٠٠ » ٠ اجاب بأدب « اذا سمحت سيدتي ٠٠ »

جلست كلير فوق سريرها ، لتتلقى صينية الافطار ٠٠ البيض المسلوق ٠٠ شرائح الخبز المقدد وعليها الزبد ٠٠ واخيرا القهوة ٠ قال توني «لم أمزج القهوة باللبن ، ورأيت أن أحضر كلا منهما على حدة ٠٠ هذا الى حين ان اعرف رغبات سيدتي في هذا ،وفي غيره من الامور » ٠

★ ★ ★

بقيت كلير في جلستها ، لا تمد يدها الى الافطار ، بينما كان توني يقف في مكانه كالحارس٠ ثم قال بعد لحظة « هل ترغب سيدتي في تناول افطارها منفردة ؟ ٠٠ » اجابت كلير نعم ٠٠ اعني



اذا لم يكن في هذا ما يضايقك » ٠ قبل ان ينصرف توني قال لها « هل ستحتاج الى سيدتي ، لمساعدتها في ارتداء ملابسها ؟ ٠٠ ذعرت كلير ، وجذبت غطاء السرير الى كتفيها ، حتى كاد اناء القهوة ان ينقلب على الفراش ، وصاحت « لا ٠٠ لا شكرا ! » ٠ ولم تهدأ الا عندما اغلق توني الباب خلفه ٠

ومع هذا فقد استمتعت كلير بافطارها ، وهي تردد لنفسها ٠٠ انه مجرد آلة ٠٠ فقط لو ان جانبا من الآلات التي بداخله كان ظاهرا ٠٠ لكان هذا ابعث على الاطمئنان الكامل ٠٠

★ ★ ★

شقت كلير طريقها بسرعة من حجرة النوم الى المطبخ بعد ان انتهت من ارتداء ملابسها ٠ انه على اي حال بيتها هي ، ومن حقها ان تتفقد حال مطبخها ٠٠ ما ان دخلت المطبخ حتى وقفت مكانها تحملق حولها ٠٠ كان كل ما حولها يبرق ويلمع وكانه قد وصل لتوه من المصنع ٠٠ وعندما استدارت لتنصرف ، كادت أن تصطدم بتوني ، فشهقت ٠ وسأل توني « هل يمكنني ان اساعد في شئ ؟ » ٠

صاحت كلير وهي تحاول ان تخفي ذعرها باصطناع الغضب « توني ٠٠ يجب ان تصدر صوتا عندما تدخل الى مكان ما ٠٠ انك تفزعني ! ٠٠ » ثم توقفت عن الحديث وقد احست بسخافة قولها، فتلفتت حولها وهي تقول « عظيم جدا ٠٠ هذا عمل كامل ٠٠ »

لو ان قسماته قد تحركت ٠٠ لو انه ابتسم ٠٠ لو انه حرك جانبا من فمه حركة خفيفة ، لكانت احست بعاطفة نحوه ، لكنه بقي منتصبا في مكانه كلورد انجليزي وهو يقول « شكرا يا سيدتي ٠٠ هل تتكرمين بالمجيء الى حجرة الاستقبال ؟ » ٠ تبعته دون ان تتكلم ، ثم وقفت في مكانها مذهولة « هل قمت بتلميع الاثاث ؟ ! » فقال « الا يعجبك عملي يا سيدتي ؟ ٠٠ » ، لكنها عادت لتسال « ولكن متى ؟ ٠٠ » ، اجاب « ليلة امس ٠٠ » فسالت « اتعني انك اضأت الانوار وظللت تعمل طوال الليل ؟! » ٠ قال بهدوء « لم يكن هذا ضروريا ٠٠ لقد استخدمت الاشعة فوق البنفسجية من احد مصادرها بداخلي ٠٠ انا ارى ضوء هذه الاشعة ٠٠ وبالطبع لا احتاج الى النوم » ٠

لم تقل شيئا ، واخذت تفكر ، انه يستحق التقدير والتشجيع ، لكنها لأسف دهشتها لم تستطع ان تقول سوى « انك وامثالك ستنهون عمل البشر في البيوت ٠٠ » ، قال توني بلهجة تقريرية « هناك من الاعمال ما هو اكثر اهمية عندما يتحررون من هذه الاعمال ، وصناعة انسان آلي مثلي امر ممكن ، لكن من المستحيل تقليد الخلق والابداع وتنوع المواهب الذي يتميز به العقل البشري ٠٠ مثل عقلك يا سيدتي ٠٠ »

ورغم ان تعبيرا ما لم يظهر على وجهه ، فقد اكتسى صوته بذلك الدفء الذي يكشف عن اعجابه وولائه ، مما جعل وجه كلير يحمر وهي تتمتم « عقلي انا ! ٠٠ يمكنك ان تاخذه لو اردت ٠٠ اقترب توني قليلا وهو يقول « قولك هذا يؤكد انك لا تشعرين بالسعادة ٠٠ هل هناك ما يمكن ان اقوم به ؟ » قالت مندفعة وقد نسيت نفسها « زوجي السيد بلمونت لا ينظر لي على انني امتلك عقلا ٠٠ واذا اردت الحقيقة ، انا اعتقد ايضا انني لا اتميز بعقل راجح » ٠ لم يكن في مقدورها ان تبكي امامه ! ٠٠ لقد احست ، لاسباب لا تدريها ان عليها مسئولية امام الجنس البشري ٠٠ مسئولية التماسك امام هذا المخلوق المصنوع٠

تماسكت كلير ، ثم قالت مستدركة « لقد حدث

هذا مؤخرا .. عندما كنا طلبة معا كان كل شيء على ما يرام .. لقد كنت اروقه عندما كان في بداية طريق الحياة .. لكني لا اصلح زوجة لرجل عظيم . لقد وضع لارى قدميه على طريق المجد والعظمة .. انه يريدني ان اصبح مضيفة مثالية ، بحيث افتح له ابواب الحياة الاجتماعية .. مثل .. ج .. ج .. جلاديس كلافرى ! »

احمر انفها ، وكانت نظراتها تنطلق الى بعيد، بعيد ، لكن تونى لم يكن يراقبها .. كان ينظر حوله الى معالم الحجرة التى يقف وسطها ثم قال « يمكنني مساعدتك في تجديد البيت » ، فقالت غاضبة « لا فائدة من ذلك .. انه يحتاج الى لمسة ذوق لا تتوفر عندى .. استطيع فقط ان اجعله بيتا مريحا ، لكنني لا استطيع ان اجعل منه بيتا مثاليا في ذوقه وجماله .. كتلك التى تظهر في مجلة البيت الجميل .. »

سأل تونى « هل ترغبين حقا في ان يصبح مثل تلك البيوت ؟ » . اجابت يائسة « وما فائدة رغبتي ؟ » قال تونى وعيناه مثبتتان عليها « يمكنني ان اساعدك .. » ، فسالت « هل تعرف شيئا عن فن التاثيث الداخلى ؟ .. » ، فاجاب على سؤالها باخر « وهل هذا يدخل ضمن ما يجب أن تعرفه ربة البيت المثالية ؟ » قالت « طبعا .. » ، فقال « اذا ففي تركيبي ما يسمح بتعلمه .. هل يمكن ان توفري لى بعض الكتب حول هذا الموضوع ؟ » ... وهكذا مضت الامور ..

★ ★ ★

كانت كلير تمسك باحدى يديها قبعتها التى يكاد الريح أن يطيح بها ، بينما امسكت بيدها الاخرى مجلدين ضخمين عن فنون البيت استعارتهما من المكتبة العامة . وعندما عادت الى البيت اخذت تراقب تونى وهو يفتح احد المجلدين، ويقلب صفحاته بسرعة شديدة .. كانت هذه هي المرة الاولى التى تراقب فيها حركة اصابعه المتقنة.. وبدافع مفاجيء ، مدت يدها وتناولت كفه تتحسس اصابعه وتمتحنها . لم يقاوم تونى ، وترك يده مسترخية بين يديها . قالت « انه شيء ملفت .. حتى اظافرك تبدو طبيعية .. » فقال بلهجة تقريرية « هذا امر مقصود بالطبع .. الجلد عبارة عن نوع مطاطى من البلاستيك .. اما الهيكل الداخلى فمن سبيكة معدنية خفيفة .. هل تجدين تسلية في هذا ؟ » .

رفعت راسها ، فبدا وجهها متوردا وقالت « اوه .. لا .. لقد اصابني بعض الارتباك .. لاحساسى باننى اتطفل على ما في داخلك . ليس هذا من شاني ، فانت لا تتطفل على ما بداخلي..»، قال « ذلك لان قنوات عقلى لا تتضمن اى نوع من الفضول .. انى ، كما لاريب تعلمين ، اتصرف في حدودى فقط .. »

احست كلير بانقباض يشملها اثناء الصمت الذى اعقب ذلك .. لماذا تنسى دائما انه مجرد آلة ؟! هل بلغ بها افتقاد الحنان ان تبحث عنه لدى هذا الانسان الآلي ؟!

لاحظت ان تونى مازال يواصل تقليب الصفحات بسرعة ، دون ان يبدو عليه فهم ما ينظر اليه ، فانبثق داخلها شعور بالتفوق وهي تسال « انت لا تستطيع القراءة .. أليس كذلك ؟ » . تطلع اليها تونى وقال بصوت هادىء لايحمل اى تعاطف « انا اقرأ الآن ياسيدتى .. » قالت وهي تشير باصبعها اشارة لاتحمل معنى « ولكن .. »فقال «انا الآن التقط صورا للصفحات ، اذا كان هذا ما تسالين عنه .. فذاكرتي فوتوغرافية » .

كان الوقت مساء ، ذهبت كلير لتنام ، بينما كان تونى ما زال يقلب صفحات المجلد الثانى ، جالسا في الظلام ، وما بدا ظلاما في نظر كلير . وقبل أن تغرق في النوم ، كان آخر ماتذكرته هو يدى تونى ..لمسة يده .. كانت دافئة رخصة .. كايدى البشر !

امضى تونى ايامه التالية ، يتصفح عددا من المجلدات والكتب عن توافق الالوان ، ومداد التجميل، التجارة ، والزخرفة الداخلية ، الفن وتاريخ الازياء . وقبل نهاية الاسبوع بدا نشاطه ، انصب هذا النشاط في اول الامر على كلير شخصيا.. طريقة قص شعرها وتصفيفه .. نوع المساحيق التى تستخدمها وطريقة رسم حاجبيها . كانت تجلس ساكنة رغم اضطراب اعصابها للمسات اصابعه الاصطناعية ، وهو يجملها امام المرآة . اخيرا ، قال تونى « بقى الكثير الذى يمكن ان نفعله فيما يتعلق بالملابس .. ولكن ، مارايك فيما تم كبداية ؟ .. »

لم تجب .. كانت تتامل صورتها الجميلة على صفحة المرآة .. صورتها الغريبة عليها بعد كل التعديلات التى ادخلها تونى على شكلها ، ثم تمتمت « ممتاز .. ممتاز ياتونى !.. » .وفي



خطابها الى زوجها لارى ، لم تذكر كلير شيئا عن هذا ٠٠ كانت تريد أن تعد له مفاجأةشاملة٠٠ وان كانت تشعر فى اعماقها ان هدفها لم يكن يقف عند حدود المفاجأة ٠٠ كانت تشعر بنوع من الرغبة فى الانتقام ٠

★ ★ ★

قال تونى ذات صباح « لقد حان الوقت للقيام بالمشتروات ، وكما تعلمين انا غير مسموح لى بمغادرة البيت ، اذا كتبت لك قوائم دقيقة باحتياجاتنا ، هل يمكن أن تتولى الشراء ؟ ٠٠ نريد ستائر ، واقمشة جديدة لكساء الاثاث ، وورق حائط ، وطلاء ، وبعض الملابس الخاصة بك ٠٠ ثم عدة أشياء صغيرة أخرى ٠٠ » فقالت «ولكن منأين لى النقود اللازمة لشراء هذا كله ؟» اجاب « يمكنك المرور اولا على الدكتورة كالفن باتحاد صناعة الانسان الآلى ، وتطلبين المال اللازم لشراء هذه الاشياء التى تدخل فى صميم التجربة التى نقوم بها ٠٠ ساكتب لها ورقة بذلك ٠٠ »

عندما دخلت كلير على الدكتورة كالفن فى مكتبها لم تشعر نحوها بنفس ما احست به من ضيق فى اللقاء الاول ٠ لقد تبدلت شخصية كلير ، بملابسها الجديدة ، وطريقتها الجديدة فى التزين ٠ اصغت بانتباه الى حديث العالمة النفسية ثم سالت بعض الاسئلة ، ثم وجدت نفسها تغادر المبنى تحمل شيكا بالمبلغ المطلوب ٠

كم كان عجيبا سحر هذا المال ٠٠ لقد فتح امامها ابواب اكبر المتاجر ٠ وفى احد المتاجر الراقية طلب منها البائع المتعالى مزيدا من التفاصيل حول النسيج الذى طلبته ٠ اتجهت الى التليفون وطلبت رقم منزلها ، ومدت السماعة للبائع وهى تقول « يمكنك ان تسال عن كافة التفاصيل ٠٠ من سكرتيرى ٠٠» ٠ بوقار شديد مد الرجل يده وتناول السماعة فى رشاقة وقال «نعم ٠٠ » ، وفترة صمت ثم «نعم ٠٠ » وفترة صمت اطول ثم بصوت يعكس تقديره لصاحب الصوت قال « نعم ياسيدى ٠٠ » ووضع السماعة وهو يقول « اذا سمحت سيدتى ٠٠ فلتتفضل لاقدم اليها كل ما تطلبه ٠٠ »

قالت كلير « لحظة من فضلك ٠٠ » ، وعادت الى التليفون تطلب رقم منزلها ثم قالت «هالوتونى ٠٠ لا اعرف ما قلته فى التلفون ٠٠ لكن كلامك كان له مفعول السحر ٠٠ انت ياتونى ٠٠ »وتلعثمت قليلا قبل ان تقول له باندفاع « انت عزيزجدا !»٠٠

عندما استدارت بعد وضع السماعة ، كانت جلاديس كلافرى تقف خلفها ، يبدو عليها الاستمتاع الذى يغلب عليه الاندهاش وهى تتطلع الى كلير ٠ وامالت راسها الى جانب وهى تقول بلهجة لايمكن ان تعب ضدها « لم اكن اعلم انك تبتاعين حاجاتك من هذا المتجر ٠٠ » ، وكان هذا المتجر الراقى قد فقد جانبا من اهتمامه بدخول كلير اليه ٠ اجابت كلير بتواضع « بالفعل ٠٠ لا اشترى منه عادة ٠٠ » ولكن جلاديس واصلت الحديث قبل ان تنصرف كلير ، فقالت« يخيل الى انك اجريت تعديلا فى طريقة تصفيف شعرك ٠٠ كم هو جميل هكذا ٠٠ ولكن ، ارجو ان تتجاوزى عن فضولى ٠٠ اليس اسم زوجك هو لارى ؟ ٠٠ اصطكت اسنان كلير ، لكنها احست بضرورة تقديم تفسير فقالت « تونى صديق لزوجى ٠٠ وهو يساعدنى فى اختيار بعض المشتروات ٠٠ » فقالت جلاديس وعلى فمها ابتسامة تحمل دقه العالم « مفهوم ٠٠ كم هو عزيز فعلا ! ! ٠٠ »

★ ★ ★

« كنت حمقاء تماما ٠٠ » قالتها كلير وهى تبكى أمام تونى ، « انها تفعل هذا معى دائما ٠٠ لاادرى لماذا ؟ كان الافضل ان اضربها اواركلها٠٠ كان الافضل أن أطرحها أرضا والقى بنفسى فوقها » ٠ قال تونى « هل يمكن لانسان ان يكره انسانا آخر بهذا القدر ؟ ٠٠ هذا الجانب من التصرف البشرى لا افهمه » ، فقالت « جلاديس ليس جوهر المشكلة ٠٠ انه انا ٠٠ جلاديس هى كل ما اتمناه لنفسى ، على الاقل من الخارج لافائدة ٠٠ لقد فشلت فى هذا ٠٠ » ٠ جاء صوت تونى خافتا وقويا « يمكنك تحقيق ذلك ياسيدتى٠٠ مازال امامنا عشرة ايام ٠٠ سيتحول بعدهاالبيت

الى شيء آخر ..» . فتساءلت « وما علاقة هذا بمشكلتي التي اتكلم عنها .. كيف سيكون في هذا حل لمشكلتي ؟! » .

قال تونى بثقة « وجهي اليها الدعوة ، هنافي بيتك .. وجهيها لكل اصدقائها .. وليكن هذا في الليلة السابقة لرحيلي .. سيكون الحفل بمثابة افتتاح رسمي للتجديدات التي نقوم بها.. قالت يائسة « جلاديس لن تجيء ! .. » .فقاطعها قائلا « بل ستجيء .. ستجيء لتسخر منك .. لكنها لن تنجح في هذا .. » فكرت كلير بعمق ثم قالت « هل تؤمن بهذا ؟ .. اوه ياتوني ، هل سانجح ؟» .. كانت الآن تمسك بيديه بين يديها، وهي تشيح بوجهها بعيدا ، قائلة « لكن ما فائدة هذا ؟ . لن اكون انا التي انتصرت .. ستكون انت الذي فعل كل شيء .. لا .. لا يمكنني ان ابني نجاحي واقفة فوق اكتافك !.. » قال توني هامسا « لاحد يعيش بمفرده .. لقد زودوني بهذه المعلومة .. ماترينه في جلاديس كلافرى ، او ما يراه فيها الناس ، ليس هو بالضبط جلاديس كلافرى .. انها تقف فوق اكتاف ، ما لديها من مال ، وماتتمتع به من وضع اجتماعي .. انت رقيقة صدوقة لاتفرضي نفسك .. اما السيدة كلافرى ، فهي بناء على اقوالك لاتبدو كذلك .. لاتصور نفسي اطيعها بنفس الطريقة التي اطيعك بها .. انه انت من يفعل كل شيء ياسيدتي .. ولست انا .. » . سحب يده من يديها ، فتطلعت متعجبة لوجهه الذي لايحمل تعبيرا .. واحست فجاة بالخوف من جديد .. لكن خوفها الجديد لايشبه خوفها السابق منه .واندفعت مسرعة الى الحمام ، تضغط على اصابع كفيها المتشابكة.. دون ان تنجح في التخلص من الشعور بالدغدغة التي تركتها اصابعه في كفيها .

★ ★ ★

صباح اليوم التالي ، احست ناحيته بشيء من الخجل وهي تتابعه عن قرب .. في انتظار مايمكن ان يحدث بينهما .. ولفترة طويلة ، لم يحدث شيء ! ..

كان تونى منهمكا في العمل ، بمهارة لاتوحى بانه يواجه اية مشكلة او يبذل جهدا .. ظل يعمل طوال الليل ، لكنها لم تكن تسمع لعمله صوتا .. وفي كل صباح كان تلمس العمل الضخم الذى انجزه . حاولت ان تساعده ذات مرة ، لكن غلاظة اداتها البشرى جعلتها تتوقف عن المحاولة . كان تونى في الحجرة المجاورة ، فحاولت ان تعلق احدى الصور في الموقع الذى حدده لها تونى بعملياته الحسابية .. كانت العلامة واضحة ، والصورة في يدها ، وداخلها رغبة شديدة في تخطى حواجز العجز ، والثورة عليها .

لكنها كانت عصبية ، او ان السلم لم يكن مستقرا ، ليس هذا هو المهم .. الذى حدث انها وجدت السلم يتداعى من تحتها ، فصرخت .وفي سرعة تتجاوز سرعة البشر ، كان تونى يقف الى جانبها يتلقف جسدها بين ذراعيه قبل ان تسقط .. لم تقل عيناه الداكنتان شيئا، لكنه سال بصوته الدافيء « هل اصابك ضرر ياسيدتي ؟.. » لاحظت للحظة ان يدها وهي تسقط قد اطاحت بخصلة من شعره المصفوف ، وتبينت للمرة الاولى ان شعره يتكون من شعرات خفيفة منظمة الى جوار بعضها .. شعر اسود جميل ..

وهنا .. احست فجاة بذراعيه حول كتفيها وتحت ركبتها ، تحتضنانها بقوة ودفء . دفعته وهي تبتعد ،وصدى صرختها يتردد عاليا في اذنيها .. وامضت بقية اليوم في حجرتها .. ثم نامت بعد ان وضعت مقعدا مقلوبا تحت مقبض باب الحجرة ، يمنع فتحه من الخارج !

★ ★ ★

ارسلت كلير الدعوات للحفلة التي ستقيمها في بيتها .. وكما توقع تونى ، قبل الجميع الدعوة . وعندما حلت الامسية المنشودة ،كانت معالم البيت قد تغيرت .. قبل موعد الحفل اخذت تتجول في البيت للمرة الاخيرة ، تتطلع الى التغيرات التي دخلت على كل حجرة من حجراته.. هي نفسها قد تغيرت .. لقد كانت ترتدى من الملابس مالم تكن تجرؤ من قبل على ارتدائه. تساءلت .. ماذا سيقول لارى عند عودته؟..لكن هذا لم يكن يهمها حاليا .. فايام حياتها المثيرة لم تحدث مع لارى .. لقد جرت مع تونى ! اليس هذا غريبا ؟!

★ ★ ★

دقت الساعة الثامنة ، وتصاعد انفعالها وهي

تقول لتوني « سيبدأ توافدهم بعد قليل • يحسن ان تمضي الى المطبخ ، فلا اعتقد انه من المناسب ان •• » ، وتلعثمت للحظة ، ثم قالت بصوت ضعيف يفيض حرارة « توني ! •• » ، ثم بصوت اعلى « توني ! •• » ، ثم في صوت اقرب الى الصراخ « توني ! »

كانت ذراعاه تحوطانها ، ووجهه قريب من وجهها ، وضغط احضانه لا يقاوم ، ووصل اليها صوته من وسط ضباب مشاعرها المختلطة « كلير •• هناك اشياء عديدة لم اصنع لادركها •• ولا بد ان ما يجرى بيننا واحد من هذه الاشياء ، ساترك البيت غدا ، لكنى لا ارغب في هذا • اشعر داخلي بما هو اكثر من مجرد الرغبة في ارضائك •• اليس هذا غريبا ؟! » •

اصبح وجهه اكثر اقترابا ، وكانت شفتاه دافئتين ، لكن بدون انفاس تتردد بينهما •• واقتربت الشفتان حتى كادتا تلامسان شفتيها ••

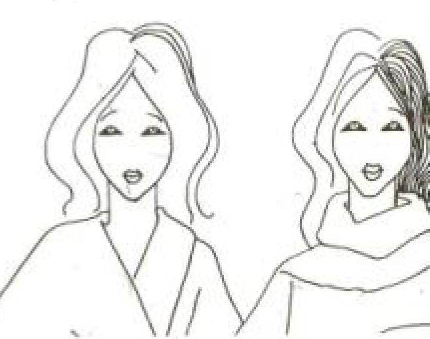
ثم رن جرس الباب ••

للحظة ، جاهدت ان تنفلت من احضانه •• لكنها وجدته يختفى سريعا من امامها •• كان جرس الباب ما زال يرن بالحاح •• وكان الستار المسدل على زجاج الباب من الداخل مزاحا من مكانه ! ، لقد كانت واثقة من ان الستار كان مسدلا منذ ربع ساعة فقط ! • لا بد ان الضيوف قد شاهدوها بين احضان توني ••

★ ★ ★

دخلوا البيت جميعا دفعة واحدة ، وعيونهم الحادة الثاقبة ترشق جوانب المكان •• لا بد انهم رأوها مع توني •• ماذا يا ترى ستقول جلاديس عن هذا • واحست انها تسقط في حالة من اليأس والتداعي ••

نعم •• انه ليس هنا •• مسافر في مهمة تتصل



بعمل وسيعود غدا على الاغلب •• لا ، لم اكن وحيدة طوال غيابه •• لقد استمتعت بوقتي •• هكذا جاءت اجاباتها على اسئلة الضيوف بينما ضحكاتها تتردد عالية •• لماذا لا » •• ما الذى يمكن ان يفعلوه او يقولوه لزوجي ؟! •• لارى يعرف الحقيقة •• وهي واثقة انه سيضحك منهم، اذا ما نقلوا اليه قصة ما شاهدوه عند دخولهم ••

لكن جلاديس لم تكن تضحك لضحكها •• ومن خلال كلماتها المنمقة الزائفة ، ظهر الغضب والغيظ في عينيها •• وتاكد من الحاحها اكثر من مرة على مغادرة الحفل مبكرا •• وعندما انصرفت في آخر الامر مع بعض الضيوف •• استطاعت كلير ان تلتقط جانبا من الهمسات المترددة « لم أر شيئا هكذا من قبل •• كم هو انيق ووسيم !! » •

بعد انصرافهم كانت كلير تقول لنفسها •• دعيهم يخرفون ويهرفون •• دعي القطط تموء غيظا •• فمع كل ثرائهن واناقتهن ، ليس لاى منهن حبيب في اناقة ووسامة حبيبها •• ثم تذكرت وهي في اوج فخرها وزهوها ان توني ليس اكثر من آلة •• فاحست برعشة تسودها، فانخرطت في نوبة من البكاء وهي تتجه الى حجرتها •• حيث بقيت طوال الليل والصباح التالى فوق الفراش مفتوحة العينين لا تتوقف عن البكاء •• الى أن هدات حركة المرور ، ثم سمعت صوت السيارة التي قدمت لنقل توني ••

مر لارى زوج كلير على مكتب دكتورة كالفن ، فوجدها مع العالم الرياضي بيتر بوجارت •• كان يود ان يجدها بمفردها ، لكنه لم يتردد في ان يقول لها « لقد اخبرتني كلير ان الاتحاد هو الذى دفع تكاليف الاصلاحات في بيتي •• » فقاطعته دكتورة كالفن قائلة « لقد ادرجنا المبلغ كمصروفات اساسية وضرورية للتجربة •• واعتقد انك بمركزك الجديد ككبير مهندسي المشروع ، سترى البيت لائقا بشكله الجديد •• »

قال لارى « ليس هذا هو ما يشغلني •• اذا وافقت واشنطن على المشروع ، افكر في ان اقتني انسانا آليا في هذا الطراز في العام المقبل •• اعتقد أن •• » ، ثم تردد ، واستدار كما لو كان سينصرف ، ثم عاد ليواجه دكتورة كالفن صامتا، فسالت « هل هناك مشكلة يا سيد بلمونت ؟ •• »

قال لاري وهو يجد صعوبة في اختيار كلماته « اعتقد .. في الحقيقة انا مندهش لما حدث في البيت فهي .. اعني كلير .. تبدو مختلفة نهائيا .. ليس فقط من حيث المظهر .. ومع هذا .. الحقيقة انني مندهش ! » ، وضحك ضحكة عصبية وهو يستطرد « انها ليست زوجتي التي عرفتها .. من الصعب على أن اشرح ذلك » .

سألت دكتورة كالفن « لماذا ؟ .. حاول .. هل انت غير راض عن التغيير الذي حدث لها ؟» صاح لاري « بالعكس .. لكن الامر يبدو مخيفا بعض الشيء .. الغريب في .. » ، قاطعته الدكتورة كالفن قائلة « لو كنت مكانك لما اصابني القلق يا سيد بلمونت . لقد استطاعت زوجتك ان تطور نفسها بشكل طيب .. صراحة لم اكن اتصور انها كانت تستطيع اكمال التجربة .. لقد افادتنا في تحديد ما يجب أن يدخل على التجربة من تحسينات .. اعتقد ان زوجتك تستحق منك مزيدا من التقدير .. اكثر مما تبديه حاليا .. » .

احمر وجه لاري بوضوح وهو يتمتم « على العموم .. طالما ان الامر فيما بيننا .. لم انصرف !

★ ★ ★

لاحقته سوزان كالفن بنظراتها وهو ينصرف ، ثم قالت لزميلها العالم ، « اعتقد انها تجربة صعبة بالنسبة له .. اتمنى ان .. هل قرأت التقرير .. الذي قدمه توني عن مهمته .. يا بيتر ؟ »

قال بيتر بوجارت « بكل دقة .. الا تعتقدين ان هذا الطراز من الانسان الآلي يحتاج الى بعض التعديلات الاساسية ؟ » سألت دكتورة كالفن بحدة « انت ايضا تتصور ذلك ؟! . ما هي وجهة نظرك ؟ .. » « قال بوجارت لست في حاجة الى اثبات ذلك .. الامر يبدو في منتهى الوضوح .. لا يمكن ان ننتج نماذج من الانسان الآلي ، تنطلق الى البيوت .. لتقع بعد ذلك في حب ربات البيوت ! .. » .

« حب ؟ ! .. » صاحت دكتورة كالفن مستنكرة، ثم استطردت « بيتر .. انت تمرضني بكلامك هذا .. انت بالفعل لم تفهم الموضوع .. هذه الآلة كانت ملتزمة بان تسير في تصرفاتها وفقا للقانون الاول .. وهكذا لم يكن في استطاعة توني ان يتسبب في ضرر لبشر .. وكلير بلمونت لحقها كل الضرر من جانب زوجها الذي كان يسعى لاشعارها بعدم التكافؤ بينهما .. فتولد لديها شعور بالنقص ، لهذا لعب توني دور الشريك في علاقة عاطفية معها .. اخبرني يا بيتر ، من هي المرأة التي لا تشعر بالفخر لاستطاعتها ان تشعل العاطفة في آلة ! .. آلة باردة جدا .. لقد قام توني بازالة ستائر الباب عمدا ، حتى يرى الاخرون موقفه معها ويحسدوها عليه .. وفي هذا ايضا كان يلتزم القانون الاول .. اذ انه بالطبع لم يلحق بها ضررا في علاقتها بزوجها .. فهو يعلم ان الزوج لن يتأثر بما قد يصله من اقاويل او اشاعات .. حول علاقة بينها وبين الشخص الذي لمحوه في بيتها .. توني ! .. اعتقد يا بيتر ان توني كان في هذا على درجة من المهارة .. »

قال بوجارت متشككا « هل تعتقدين ذلك ؟ .. على أي الاحوال .. ليس هناك فارق بين أن يكون الامر حقيقيا ، او مجرد تظاهر وتمثيل .. فما زالت لهذا الوضع عواقبه المخيفة ..

ارجو ان تقرئي التقرير مرة ثانية .. لقد تجنبته ! .. لقد صرخت عندما اخذها بين ذراعيه! انها لم تنم طوال الليلة الاخيرة والنهار الاخير ، نتيجة لحالتها الهستيرية .. لا ! .. لا يمكن ان نسمح بهذا ! »

تنهدت دكتورة كالفن ، وقالت بصوت هادئ، « انت لا ترى يا بيتر .. لقد غابت عنك الحقيقة، كما غابت عني من قبل .. هذا الطراز من الانسان الآلي سيعاد بناؤه كلية .. ولكن ليس للاسباب التي تذكرها .. بل لعكسها تماما ! الغريب ، ان تغيب عني هذه الحقيقة في اول الامر .. » ، وصمتت للحظة وقد ظهرت عليها علامات التفكير العميق ، ثم قالت مستطردة « لعل هذا راجع الى قصور في تكويني انا شخصيا ! اسمع يا بيتر .. الآلات لا تقع في الحب .. لكن ايا كان ذلك الحب ، يائسا او مخيفا .. فالنساء يمكنهن ان يقعن فيه! .. » ■■

راجي عنايت

البحوث الروحية

● لقد قرات فى مجلتكم لهذا الشهر مقالا بعنوان (البحوث الروحية بين الخدعة والحقيقة) بقلم الدكتور عبد المحسن صالح ذكر فى آخره بان مسالة الروح امر ينفيه العلم وينفيه الدين ايضا وانا من المؤيدين لهذا الراى ولكن اود ان اذكر لكم باني سبق ان زرت احد الانكليز الذين يحضرون الارواح عندما كنت طالبا باحدى كليات مانجستر بانكلترة خلال الحرب العالمية الثانية وسالته عن سبب عدم استلامى رسالة من اخى فى بغداد منذ مدة طويلة فاجابنى بقوله هل تقصد اخيك المدعو فلان بن فلان فقلت له نعم فقال لى انه ليس فى بغداد فى الوقت الحاضر وانما هو فى اوتيل كونتننتال فى القاهرة فاستغربت من كلامه هذا وتركته ولكننى فوجئت بعد بضعة ايام عند استلامى كتابا منه من القاهرة موضحا لى فيه بقوله اخى فلان . انا الان فى القاهرة فى اوتيل كونتننتال آسف لعدم مراسلتى اياك منذ مدة طويلة لانشغالى بمهمة رسمية الى آخره ..)

فما رايكم بمثل هذه التنبؤات وكيف عرف اسم اخى واسم الاوتيل الذى يسكن فيه وكيف عرف بانه فى القاهرة وليس فى بغداد هل كان ذلك على سبيل الصدفة ام هناك اسباب اخرى ؟

المخلص

م . ص . بغداد

العرب وانخفاض سعر الدولار

■ ان انخفاض قيمة الدولار سيعود بالفائدة على امريكا وبالضرر على العرب، ولا يخفى ان انخفاض العملة فى بلد ما يعنى فى علم الاقتصاد ان صادرات البلد الذى انخفضت عملته ستزداد وان وارداته ستقل .. وامريكا كما هو معلوم تستورد قسما كبيرا فى النفط العربى . وانخفاض الدولار يعنى انخفاض الدخل العربى من هذه المادة

وليت الامر يقف عند هذا النوع من الخسارة .. بل ان الخسارة ستلحق الارصدة العربية المودعة بالدولار فى البنوك الامريكية ..

ترى ماذا سنفعل من اجل تفادى هذه الخسائر ؟

انور صب لبن ـ الاردن

التضخم والغلاء

● الفرد العربى شانه شان جميع الناس فى العالم ، يشكو من ظاهرة الغلاء التى اخذت تتصاعد كل يوم .. وهذه الظاهرة التى يسميها الاقتصاديون «التضخم» لاشك تشغل ذهن الناس فى العالم الثالث بصفة خاصة ، وكم هو جميل لو يتناول الاعلام العربى هذه الظاهرة بالتحليل والتبسيط كى تصبح مفهومة من كل فرد .. لان الغلاء لا يستثنى من غوله احدا .

هذه دعوة موجهة لاجهزة الاعلام العربية لتقوم بتسليط الاضواء على هذه الظاهرة .

سمير محمد اسعد

عمان / الاردن .

الاكاديمية العربيــة للنقل البحرى

■ استجابة لاستفسارات القراء الكثيرة التى وردت الى المجلة عن شروط الالتحاق بالدراسات الاساسية بالاكاديمية العربية للنقل البحرى ، فقد وافانا مسجل الاكاديمية بهذه الشروط وهى :

اولا

– ان يكون الطالب متمتعا بجنسية احدى دول جامعة الدول العربية او موفدا على احدى منح جامعة الدول العربية •

– ان يكون الطالب حسن السير والسلوك ولم تصدر ضده اية احكام قضائية •

– الا يكون الطالب متزوجا، وان يتعهد بعدم الزواج اثناء الدراسة •

– الا يزيد سن الطالب عن ٢٢ عاما عند الالتحاق •

– أن يكون حاصلا على شهادة اتمام الدراسة الثانوية وان يكون ناجحا فى مواد الرياضيات واللغة الانجليزية والفيزياء •

– ان يتعهد باتباع النظم والتقاليد الخاصة بالاكاديمية•

– ان يقدم كافة الاوراق المطلوبة للالتحاق وهى :

– طلب الالتحاق بالاكاديمية (معتمد من جهة ايفاده) •

– المستخرج الرسمى من شهادة الميلاد (قيد النفوس)•

– صحيفة الحالة الجنائية (السجل العدلى) •

– استمارة النجاح فى الثانوية العامة •

– الشهادة الدالة على الخدمة البحرية (ان وجدت)•

– ان يجتاز امتحانات القبول ـ التى قد ترى الاكاديمية عقدها ـ وفوق المستوى الذى تحدده الاكاديمية •

– ان يسدد مصروفات الدراسة المقررة قبل بدء الدراسة •

ثانيا

– الشروط العامة للياقة الطبية •

وارحمتاه للعرب

■ افتتاحية العدد المتازفيها تذكرة تنفع العرب اجمعين ••• رئيس التحريرتوخى فيها ان يطلق اسم « التمزق العربى » على العام المنصرم ••• ولكن هذه التسمية يمكن ان تطلق على القرن العشرين ، ما مضى منه وما هو ات • وما بقى منه الا القليل • وهذا القليل ينذر بشر مستطير •••

عجلة الزمن دارت بالعرب الى أمام حتى الثلاثينات ولكنها تراجعت بعدئذ الى ما وراء •وبالتحديد بعد ظهور الثروة النفطية • اذ تكالبت عليهم جميع القوى ، ونصبت لهم الافخاخ فوقعوا فيها ، وهم عنها لاهون بفتات هذه الثروة – اياها – واضعين فى اذانهم وقرا لرنين الآية الكريمة : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » •

ووارحمتاه للعرب حتى « يغيروا ما بانفسهم » !

مصطفى الخشن

مصياف ـ سوريا

خطأ

● حدث خطأ فى الكلمات المتقاطعة التى نشرت فى مسابقة العدد ٢٣٢ (مارس) على الصفحة ١٥٠ اذ سقط سطران هما :

– افقى رقم (١٠) ـ اجل تطلع ، اظهرنا •

– راسى رقم (١٢) – واقية ، ارق ، حرفان متشابهان•

وسوف يراعى ذلك عند فرز الاجابات • لتتاح للجميع فرصة حل الكلمات المتقاطعة وهى مصححة •

(المحرر)

المناسك التي تعلمها أبو حنيفة النعمان

● قرات في العدد ٢٢٩ من مجلتكم مقال الدكتور عبدالعزيز كامل (حوار في المراة) ولفت نظري ما ذكره عن الامام الاعظم «أبي حنيفة النعمان» من انه تعلم من الحلاق على جبل المروة اربعة مناسك من الحج ، ومن المعروف ان المناسك التي تعلمها يومذاك خمسة ، والخبر اورده الاديب أبوحيان التوحيدي في كتابه (البصائر والذخائر) المجلد الثاني صفحة ١٥٥ طبعة دمشق ، أورده تعميما للفائدة وهو كما يلي : ـ

قال وكيع : قال لي أبو حنيفة النعمان ثابت : اخطات في خمسة ابواب من المناسك بمكة فعلمنيها حجام . وذاك اني جئت اريد ان احلق راسي فقال لي : اعراقي انت ؟ قلت نعم ، وقد كنت قلت له : بكم تحلق راسي ؟ فقال : النسك لا يشارط فيه ، أجلس فجلست منحرفا عن القبلة ، فاوما اليّ باستقبال القبلة، وادرت راسي من الجانب الايسر ، فقال : ادر شقك الايمن من راسك ، فادرته فجعل يحلق وانا ساكت، فقال لي : كبر ، فجعلت اكبر حتى قمت لأذهب ، فقال : اين؟ قلت رحالي فقال : صل ركعتين ثم امض ، فقلت ما ينبغي ان يكون ما رايت من عقل هذا الحجام الا ومعه علم ، فقلت له : من اين لك ما رايتك فقال : رايت عطاء بن ابي رباح يفعل هذا .

عبد الرحمن بركات
دمشق

مؤتمر علماء المسلمين

■ لم تكن النتائج التي انتهى اليها مؤتمر علماء المسلمين الذي عقد مؤخرا في الازهر ، في المستوى المأمول فالتوصيات والقرارات كما ذكر الاستاذ محمد عبدالله السمان في العدد ٢٣١ من العربي ، لا تعدو ان تكون حبرا على ورق وهي ليست ملزمة للدول الممثلة في المؤتمر ..

ومع هذا كله يجب علينا ان نعترف بفائدة مثل هذه المؤتمرات ـ حتى ولو جاءت هذه الفائدة اقل من طموحاتنا كمسلمين .. ويكفي ان نرى علماء المسلمين وقد جاءوا من اقصى بلاد المعمورة ليجتمعوا على مائدة واحدة وتحت سقف واحد .

والاعوام القليلة التي مرت منذ انعقاد المؤتمر الاول تدعونا للتفاؤل والامل باننا سوف نحصد خيرا من وراء مثل هذا المؤتمر .

محمد أحمد السواس

مرض البلهارسيا

اود ان الفت النظر الى بعض ما ورد في مقال الدكتور ماهر الصراف تحت عنوان (صناعة المرض) الذي نشر في العدد ٢٢٧ من مجلة العربي .. فقد ذكر الكاتب في معرض حديثه عن مرض البلهارسيا ان اسم الدواء الذي يرش في المستنقعات هو « البايلوسين » والذي اعرفه ان هذا الدواء هو « البايلوسيد » Baylu-scide وهو من توزيع منظمة الصحة العالمية .. كما اضيف ان اسم القوقع الذي يشكل حلقة من حلقات دودة البلهارسيا هو Bulinus Truncatus

اقول هذا للامانة العلمية فحسب .

عدنان الحمدان
مركز البلهارسيا
سوريا

مزيدا من الزيادة

● واخيرا استجبتم لالحاح قراء مجلتكم ، فزدتم الكمية المطبوعة من العربي ولكن هذه الزيادة لم تشف غليل كل القراء فهناك الكثير من القراء مازالوا يتضورون جوعا لقراءتها .. يبحثون عنها فيواجههم الجواب المألوف ... نفدت الكمية .

فبالله عليكم مزيدا من الزيادة لتصبح العربي في متناول القراء جميعا .

سعيد محمد أحمد رفاعي
ـ مصر

دراسة
الشهر

حرب العصابات تنتقل الى المدن

رسالة من باريس : ليلى خليل



فى دفن واحد منهم ، ظهر المئات علن

■ تفاقمت ظاهرة العنف والارهاب التى يشهدها العالم ، ودفعت خطورة هذه الظاهرة الرئيس الفرنسى فاليرى جيسكار ديستان الى تشكيل لجنة تضم عددا من الخبراء برئاسة وزير العدل الان بيرفيت .

وقدمت اللجنة دراسة بالغة الاهمية حول الارهاب وجذوره وكيفية مواجهته .. ؟

وكشفت الدراسة حقائق مذهلة ، وابعادا جديدة لتعقد الحياة المعاصرة وتغذيتها المستمرة لظاهرة العنف والارهاب ..

ورغم ان الدراسة اتخذت المجتمع الفرنسى مادة لها ، الا ان الانسان وتحديات العصر هما محورها الرئيسى ، وكشفت العديد من الاخطار التى تهدد كل المجتمعات فى ظل عالمية وسائل الاتصال ..

فى مقدمة الدراسة اشارة الى السنوات العشر الاخيرة بين عام ١٩٦٧ و ١٩٧٧ ، وانها شهدت ارتفاعا ملحوظا فى عدد الجرائم ، يضاف الى العنف الذى اصبح السمة المميزة للحياة اليومية، وما خلفه من شعور عميق بعدم الامن ، والاعتقاد ان الاساليب المتبعة لنيل الحقوق لا تبعث على



بلا مبالاة ، وتنكر بعضهم في شتى الثياب •• من جوارب النساء ، الى كوفية الفلسطينين•• في المانيا الغربية•

الاطمئنان ، مما دفع البعض للبحث عن تحقيق العدالة بنفسه ••

وركزت الدراسة حول اسلوب علاج هذا القلق الذى يسود المجتمع ، وللانصاق صاحب العنف الانسان في مسيرته الطويلة وهو ليس وليد العصر الحديث • وظهر بصورة حادة في المجتمعات الغربية كظاهرة ناتجة عن المنافسة ••

ولا يوجد مجتمع اكثر عنفا من مجتمع هوميروس، ولا حياة اكثر خطورة من حياة الاغريق ، وايضا ما نشب من صراعات ضد الاقطاع •• وثورات الفلاحين •• والحروب الصليبية •• وما شهدته فرنسا فى عهد شارل السادس وشارل السابع •• وخلال الحروب الدينية،وفظاعة العنف الذى شهدته الثورة الفرنسية ، ويمكن القول ان التاريخ نسج

من خيوط هذا العنف الذي اتصل في غزو المناطق المقدسة ، وحرب المائة عام ، وحروب النهضة ، وملحمة نابليون، ثم المنافسات الاستعمارية المسلحة بين دول اوروبا والتي كانت ذروتها الحرب العالمية ..

ولكن في هذه المرحلة التي استطاع فيها المجتمع ان يصل الى العقلانية ، الم يحن الوقت للقضاء على العنف ، او على الاقل حصره ؟

ان العنف يبعث في الانسان قلقا دفينا ، فهو لا ينفصل عن تعقد النظام الاجتماعي . فلا يوجد ماهو اكثر نسبية ، واكثر تقيدا ، واكثر اختلافا كالعنف .. فهو احيانا وسيلة للوصول الى غاية محددة ، واحيانا اخرى « عنف بالمجان » اى غاية في ذاته ..

والعنف ليس فقط فعلا ، ولكنه ايضا حالة ، يوجد عنف ناتج عن حالة الدفاع عن النفس، وعنف كامن في بعض الالعاب الرياضية ، وهذه الظاهرة المختلفة من العنف يمكن ان تؤدى الى خلط بين مظاهر القوة والعدوان ..

والخيط الذى تتبعه الدراسة هو العنف الناتج عن « الشعور بعدم الامان » الذى ساد فى الفترة الاخيرة ، وفي هذا الاطار تقدم الدراسة «بانوراما» عن مظاهر العنف المختلفة فى المجتمع المعاصر ، العنف الاجرامى ، العنف الاقتصادى ، العنف فى العمل ، مظاهر العنف المقبولة في الرياضة ، العنف الشرعي خلال الحروب، وأخيرا الارهاب السياسي.

وحصرت الدراسة الظواهر الثلاث التى تهدد المجتمع بارتفاع الاسعار والبطالة والعنف .

وترى اللجنة ان الضغط السكانى يتسبب فى ٨٣٪ من حالات العنف ..

والمعدل الكبير للحياة المعاصرة يؤدى الى ٨١٪ من حالات العنف ، بينما ٧٩٪ من الحالات بسبب عدم وجود عدالة اجتماعية ، و ٧٩٪ من حالات العنف بسبب اغراء المال ، وتؤدى البطالة الى ٧٢٪ من الحالات .. وهذه النسب طبقا لعينات مختلفة ، وتحاول كل منها ارجاع العنف لسبب رئيسي يختلف عن الآخر ..

وعجز أجهزة الدولة من أهم أسباب العنف ، فمثلا كانت حالات خطف الطائرات ، وما يصحبها من شلل كامل فى أجهزة الدولة، تصبح عنده السلطة عاجزة وغير قادرة على المحافظة على امن مواطنيها، مما يبعث على القلق الجماعي ، فالحياة المعاصرة تتغير بسرعة ، والحكومات لم تستطع التحكم فى هذا التطور الهائل ، مما يؤدى الى اشاعة القلق ويغذى الشعور بالوحدة ، ويؤدى فى النهاية الى الانتحار ..

وقد صرح ٦٩٪ من العينات التي كانت محل دراسة ، انهم لا يلجاون الى الشرطة لحل مشاكلهم لانهم لا يثقون فى امكانية الوصول الى حقهم ، مما ادى ب ٢٠٪ للتدريب على « العاب الكاراتيه » و«الجودو» حتى يحصلوا على حقوقهم بانفسهم، وان ١٢٪ قد احكموا اغلاق ابواب منازلهم، واصبح ٦٠٪ من السكان يملكون اسلحة مرخصة للدفاع عن انفسهم ..

وتوصلت الدراسة الى ان البعض يطلقون النار على بعض الاشخاص لمجرد قيامهم ببعض الضوضاء، ويعود ذلك الى حالات الضيق والتوتر والقلق ..

والملاحظ ان العنف اخذ فى النمو بمعدلات متقاربة في جميع الدول الصناعية ، فيما عدا اليابان ، وان نسبة اشتراك المرأة في العنف ما زالت ضعيفة ، وان كانت النسبة قد ارتفعت في السنوات الاخيرة ..

ودلت الدراسة على ان ٢٥٪ من السكان تواتيهم الرغبة فى ضرب انسان ـ اى انسان ـ مرة على الاقل كل اسبوع ، واعترف نصف سكان العاصمة « باريس » ، انهم يتعاركون بشكل مستمر مع احد افراد العائلة ، ويمكن ملاحظة هذه الرغبة فى القيام باعمال العنف فيما يكتب على لوحات الاعلان، وما يشاهد من تخريب للاجهزة العامة فقد سجل عام ١٩٧٦ ان ٣٢ ألفا و ٤٠٠ جهاز تليفون عام تم تحطيمها وسرق ١١٥١ جهاز ، وان الانتحار يمثل حالة من حالات العنف الشديد ، والذى يوجه فيه العنف الى الذات ، وان نسبة الوفاة نتيجة الانتحار تاتى فى المرتبة الثانية بعد الوفاة الناتجة عن الحوادث ..

واذا كان الانتحار عنفا موجها للذات ، فتعاطى الخمور والادمان نوع مماثل لهذا العنف .

ماهى الاسباب والدوافع لاعمال العنف .. ؟

الاسباب والدوافع مسالة مثيرة ومعقدة، وتحتاج الى جهود القاضي ، والطبيب ورجل البوليس والسياسى .. ، ويجب ان تسير كل هذه الجهود جنبا الى جنب ويكمل بعضها بعضا ، فيرى بعض ان العنف هو شذوذ فرد اومجموعة وخروجها عن

العنف على اغلفة
الصحف العالمية ..

اللائق .. بينما يرى فريق آخر .. ان العنف هو لعار المجتمع،ورفضت الدراسة ان تقف الى جانب هذا الرأى او ذاك ، وسجلت ٣ مراحل للعنف :

١ ـ العنف كانعكاس وصدى ..
٢ ـ العنف كرد فعل للكبت والحرمان .
٣ ـ العنف كبديل للحوار .

وتبدأ الدراسة بالعنفكصدى وانعكاس اجتماعى يورث الماضى المتمثل فيما يدرسه الاطفال من ماضى العنف الماثل فى التاريخ كحروب لويس الرابع عشر ، وحروب الثورة الفرنسية ، وعنف آخر عايشوه كاعمال المقاومة الفرنسية وما سجلته من بطولات ، وحروب التحرير فى الهند الصينية ، وشمال افريقيا ..

وفى هذا المجال الذى تسميه الدراسه التلقيح الجماعى قامت وسائل الاعلام بدور بارز ، فالفرد الفرنسى يقضى ٧ سنوات منعمره امام التلفزيون الامريكى ، يقضى ١٨ سنة جالسا امام شاشة التلفزيون .. وان العديد من المشاهد التى تحمل الكثير من «ظاهر العنف ، كما ان اسعار الافلام الامريكية الزهيدة ، تشجع المسئولين على الاقبال عليها ، وهى تحمل العديد من مشاهد العنف .. »

وتضيف الدراسة .. « انه اذا كانت وسائل الاعلام تعمل على اساس مبدأ حرية التعبير فان المصلحة تقتضى الا نتجاهل تاثير هذه الوسائل على مسيرة العنف .. ».

وان لهذه المشاهد تاثيرات ثلاثة :

اما التنفيس
او الانكار
او المحاكاة .

التلقيح الفردى

بعد تاثير وسائل الاعلام .. يتناول التقرير الجانب النفسى عند الفرد من ناحية مشاربه الشخصية وتاثير البيئة .. ويعتمد فى ذلك على تفسير علم النفس الذى يوضح ان التوازن النفسى لدى الاطفال وظروف تربية الطفل خلال السنوات









الاولى من عمره ، عاملان هامان في تكوين الشخصية بعد ذلك ..

واستنادا على قواعد علم الاحياء ، وبناء على ما وصلت اليه مجموعة كبيرة من الابحاث التي تناولت الجانب العدواني عند الحيوان ، والشر عند الانسان ، ارجعت كل هذه الدراسات ، الكثير من الاعمال العدوانية الى اسباب وراثية ، والى عوامل الغريزة ..

وقد القت هذه الدراسات الضوء على العنف ، والجريمة ، وكيف انهما مرتبطان بالجنس المذكر ، وخاصة في الفترة التي تتميز بالنشاط الجنسي ..

وهذا الجانب من التاثير في تكوين شخصية الفرد وسلوكه أسماه التقرير التلقيح الفردي .. ويقصد به مشارب الفرد والمؤثرات الشخصية المكونة له ..

وادمان الخمر والمخدرات ، هو أحد المؤثرات في تكوين الفرد .. اذ يدفعه الادمان على الخمر او المخدرات ، الى ارتكاب اعمال عدوانية ، مجرد الرغبة والبحث عن وسائل الادمان ـ خمر او مخدرات ـ قد يدفعه الى ارتكاب اعمال عدوانية ..

ويبدو هذا واضحا في السرقات التي يقوم بها البعض ضد الصيدليات .. في عام ١٩٧٥ سجلت السلطات ٨٢٠ حالة سرقة ضد الصيدليات في فرنسا .

والغريب ان اللجنة في تقريرها لم تستطع ان تتوصل الى اسباب الادمان ، وان كانت قد ارجعته بشكل عام الى أسباب تاريخية ، نفسية واعلامية ..

الكبت .. والحرمان

بعد ذلك انتقل التقرير الى علاقة « الكبت والحرمان » بالعنف ..

وتحدث عن العلاقة التبادلية بين زيادة عدد السكان ، وزيادة اعمال العنف .. ثم علاقة العنف بالبطالة ..

وفي هذا المجال يذكر التقرير في صورة تساؤل وتعجب ، كيف ان عام ١٩٧٣ في فرنسا ، ارتفعت فيه نسبة البطالة ، ورغم ذلك لم تسجل حالات عنف كثيرة ..

وينتقل بعد هذه الملاحظة العابرة ، الى علاقة العنف بالعمل والظروف السائدة في مجالات العمل المختلفة ..

ويصل في تحليله الى ان العمل في ظروف قاسية لا تتلاءم مع كفاءة الانسان ـ يؤدي الى ارتفاع نسبة حالات العنف ..

الهامشيون

وبعد هذا تناول البحث مسألة على جانب كبير من الاهمية وهي وضع من أسماهم بالسكان الهامشيين ويقصد بهم ، المهاجرون الوافدون ، الذين يعملون خارج بلادهم .. ويقول ان الدول المفتوحة .. تستقبل عددا كبيرا من هؤلا المهاجرين ، وان كثيرا من التحقيقات تنسب الكثير من اعمال العنف والاجرام الى الوافدين .. ويعود التقرير فيستدرك ويقول: انه من الصعب التسليم بمثل هذا الاتجاه ، ويقصد ارجاع الكثير من اعمال العنف الى العمال المهاجرين ..

الاسرة

وقد اهتمت الدراسة بالاسرة .. واعتبرتها اللبنة الاساسية التي تساهم في تنشئة الطفل ، والتي تحتضنه في مراحل التحول الهامة التي يجتازها من الطفولة مرورا بالمراهقة ، الى مرحلة الشباب .. والاسرة في راى الدراسة هي مدرسة التحول ، وعليها مسئولية كبيرة ، ويجب ان تحترم افكار الطفل وآراءه .

وتقرر اللجنة ان العائلة التي تعيش في هدوء ووحدة وانعزالية ، تسلم للاسف ابناءها الى عالم العنف، فالاب والام بحكم العمل كثيرا ما يكونان بعيدين ومنشغلين عن الابناء ..

وما يعانيه الوالدان من ارهاق في العمل يدفع الى فرض الوحدة على الابناء وذلك بابعادهم عنها .. وهذه الوحدة التي يجد الطفل نفسه مجبرا عليها، تساعده على التخيل ..

وفي هذا المجال ترى الدراسة ان الصور المرئية التي يشاهدها الطفل ، وهو جالس بين والديه ، يختلف تاثيرها النفسي تماما عندما يشاهد نفس الصور بمفرده .

صراع الثقافات

وقد اولت اللجنة اهتماما كبيرا بعلاقة الطفل باسرته .. خصوصا في مراحل النمو الخطرة للطفل ، وبخاصة مرحلة المراهقة .. باعتبار هذه



الدومورو



البارون الفرنسي امبان بعد اطلاق سراحه ، في أعقاب احتجاز دام شهرا والى جانبه أحد مفتشي الشرطة ٠

المرحلة ، هي مرحلة تمثل عالما بذاته ، هو عالم الغرائز الجنسية ٠٠ وعالم لا يمكن التاكد فيه من اليوم والغد ٠٠ فالمراهقة هي الانطلاق ٠٠ ولكنها في نفس الوقت مرحلة يحتاج فيها المراهق الى من يلتمس عنده الراى والنصح والتوجيه٠٠

فامام التقدم العلمي الهائل قد يجد الطفل اباه عاجزا عن تفسير الكثير مما لا يفهمه٠٠ وهنا يكمن الخطر ، خاصة حينما يصل الطفل الى قناعة بان أبويه لا يستطيعان ان يعلماه شيئا٠٠وان علمهما، او معرفتهما لا تنفع امام العلم الحديث ٠٠

وفي حالة ممارسة الابوين لعمل بسيط متواضع، قد يدفعهما الخجل الى تجنب الحديث مع الطفل ٠٠ وهذا الوضع يطلق عليه التقرير ما يسمى ٠٠ « بصراع الثقافات » ٠٠

وهو ماتراه ايضا حينما يحصل الشاب على مستوى علمي اعلى بكثير من مستوى ابويه ٠٠ وفي هذه الحالة لا يجد سبيلا للتفاهم معوالديه ، فيلزم الصمت ٠٠

وفي بعض الحالات يحاول الابوان التصابي امام اطفالهم في محاولة لجذب الطفل اليهما ٠٠ ولكن هذا السلوك قد يبعث النفور في نفس الطفل ٠٠

فمرحلة المراهقة مرحلة خطيرة ، يجب ان تخضع للاشراف العائلي ، ٠٠ مع احترام الطفل ، وفي نفس الوقت ، السيطرة والتوجيه الملائم ٠٠

وينصح التقرير بان يتاح للطفل القيام باعمال عدوانية تحت اشراف العائلة وسيطرتها ، وان تجرى مثل هذه الاعمال في محيط الاسرة ذاتها ٠٠

ذلك ان المراهق الذى لا يستطيع ان يمارس بعض النوازع العدوانية بين افراد اسرته ، سيجد نفسه ـ فيما بعد ـ غارقا في عالم العنف،وسيكون اما المجرم او الضحية ٠٠

وان هذه الصورة ، صورة مظلمة ، لكنها هي الواقع ٠٠

الشباب والعنف ٠٠

تصف اللجنة المجتمع الفرنسي بانه مجتمع يخشى شبابه ٠٠

ذلك ان عام ١٩٧٥ قد سجل ان ٨٦٪ من مقترفي الجرائم ـ خاصة جرائم السطو،والسرقة باستخدام الاسلحة ـ هم من الشباب الذين يقل عمرهم عن ٣٠ عاما ٠٠ وان ٦٤٪ من هؤلاء يقل عمرهم عن

٢٥ عاما٠٠و٢٤٪ منهم تقل اعمارهم عن العشرين٠٠

وتساءل عن سبب هذه الظاهرة ؟!

وقال : ان شباب هذا العصر غريب الاطوار ٠٠ ولا يمكن ان ننسى عام ١٩٦٨ ، وما حمله الشباب فى هذا العام من « تقاليع » ، اطلاق الشعر ٠٠ تعاطى المخدرات ٠٠ الهمجية ، وغيرها من مظاهر٠٠ واذا كان فيكتور هوجو قد قال « افتحوا المدارس ، واغلقوا السجون ٠٠ » فيجب أن نتذكر ان العلم فى بعض الظروف يصبح عقابا لمن لا يستطيعون مواصلة الدراسة ٠٠ ومن هنا تظهر أهمية النوادى ٠٠ والملاعب ٠٠ والملاهى ، وكل النشاطات الفنية والرياضية ، فى تقديم المجال الملائم ، ليزاول كل شاب ما يحتاجه من نشاط ٠٠ مع ضرورة معرفة المجال المناسب لكل شاب ، حتى يجد سعادة فيما يؤديه ٠٠

منطقة الاغراء ٠٠

وفى مجال تأثير الاحباط والكبت على العنف ٠٠ يتحدث التقرير عن مجتمع الطمع والرغبة ٠٠ وقد أطلق على هذا الجانب اسم « منطقة الاغراء » ٠٠ ويرى ان الاغراء يدور حول عاملين :

اولا : اثارة عامل الاستهلاك ٠٠

ثانيا : الافتقار الى الوسائل التى تساعد على تحقيق العامل الاول والالتحام معه ٠٠

فالاستهلاك مطلوب دون شك لاشباع عدد من الحاجات ٠٠ واحيانا يكون قيمة فى ذاته ، لاثارة الانظار ، واستجلاب المديح واعجاب ٠٠

ولقد اصبحت عملية الشراء فى المجتمعات الحديثة ، خصوصا فيما يسمى « بالسوبر ماركت » عملية تفقد الانسان كل سيطرة شخصية على رغباته ، فالسلع امامه تغريه ، وفقدت عملية الشراء والبيع شكلها الاجتماعى ، فلا مجال لتبادل الراى او المشورة مع البائع لمعرفة الافضل ، ولكن تخضع العملية كلها الى مبدأ : « اخدم نفسك »٠

وامام هذه البضائع المعروضة كلها والتى لا يظهر شخص معين مالك لها ، تظهر نوازع السرقة والعدوان والعنف ٠٠

وهنا يجدر القول ان عوامل الاغراء اصبحت بلا حصر - فى الوقت الذى نجد فيه ان الردع ضعيف امام بوليس مرن ، وعدالة متهاونة ٠٠

عدم العدالة

وتناول التقرير بعد ذلك مسالة « عدم العدالة » وقال ان هذه الظاهرة اصبحت موجودة فى كل مجال ٠٠ وهى تمتد الى مجالات الثقافة ، والبيئة ، والفراغ ٠٠ ولاشك انه توجد علاقة مباشرة وهامة بين عدم العدالة والعنف ٠ وقد يكون العنف هو محاولة لتحقيق العدالة وتعبيرا واضحا عن عدم الرضا عن الظلم ٠

وفى هذا المجال يتناول التقرير مسالة الغش الضريبى وتهرب الاثرياء القادرين من دفع التزاماتهم الضرائبية ، مما ينتج عنه تراكم الاموال ، وازدياد مظاهر عدم المساواة ، وينعكس هذا الوضع بدوره على النفوس التى تفقد الثقة بالحكم والعدالة ، باعتبارها تهين الاخرين ، حتى يزداد الاغنياء غنى ، بينما يزداد الفقراء فقرا ٠

ونذكر بهذا الخصوص ما قاله « مونتسكيه »٠٠ «ان الجمهورية تقوم على المساواة ٠٠ والمساواة تقوم على الفضيلة ٠٠ » وطبقا لما سبق ، تبدو الفضيلة محتقرة ، من هؤلاء الذين يستطيعون خدمتها - ويقصد هنا الاغنياء المتهربين من الضرائب - ٠٠

المدنية

ويرى التقرير ان « الحضر » ، هو المكان الملائم للجريمة ٠٠

اولا : لكثرة المغريات ٠

وثانيا : لسهولة التخلص من رقابة المجتمع ٠٠

ونتيجة لدراسات مطولة ، توصلت اللجنة الى حقيقة ان هناك التحاما بين العنف والمظاهر الحضرية ٠٠ فالمدينة تخلق الخوف، وتعطى الاحساس بعدم الامان ، وعدم القدرة على ممارسة الحرية الشخصية ، وخلق احساس بعدم ملاك حقيقيين للاشياء ٠٠

فالحياة الحضرية تفرض على السكان نوعا من التقسيم حيث توجد مساكن شعبية للعمال، منفصلة عن مساكن الطبقات البرجوازية ٠٠ ومساكن الطبقة الارستقراطية، منفصلة عن مساكن الاخرين٠٠ والمدينة نفسها ، مقسمة الى احياء سكنية، واخرى تجارية ٠٠

وحياة الحضر يحكم اتساعها تفرض هذا التشتت على السكان ..

وقليلا ما نجد جيرانا متعارفين ، أو نجد علاقة تعارف بين السكان بعضهم وبعض ..

ومن هذه النقطة تبدأ المرحلة الثالثة من العنف .. وهي مرحلة « العنف كبديل للحوار .. » .

وهذا التعبير قد يبدو جريئا .. ذلك أن الحوار من شأنه خلق نوع من التقارب بين الافراد الذين يحترم بعضهم بعضا .. بينما مضمون العنف هو التهجم والاحتقار ..

والمجتمع يعرف هذا الشكل من العنف منذ زمن طويل ، ويحدث هذا النوع بدافع الغريزة ..

وقد أوجد المجتمع الديمقراطي الحديث كثيرا من التنظيمات التي تساعد الافراد في التعبير عن آرائهم ، وتساعدهم على استعمال الحوار ، وتبادل وجهات النظر ، وذلك في شكل نقابات واحزاب ، وغرف تجارية ، وبرلمانات ، وغيرها ..

وافتقاد الحوار يجعل الفرد يشعر بالتقصير من جانب الدولة ، في الاستماع له ، ولذلك عندما يشب خلاف ما ، أن تنشأ معركة يتدخل فيها البوليس ، نجد الافراد يحاولون توجيه الضرب لرجل البوليس ، كرمز للدولة المتهمة ، بعدم الاهتمام بهم وبشئونهم .. وكثيرا ما يحدث هذا في المناطق البعيدة عن العاصمة ، ويكون بمثابة الصرخة ، التي قد تصل الى باريس .. وهنا يتكون ما يمكن أن نطلق عليه «أخلاقيات المواجهة ..»

ضرورة الحوار

ويرى التقرير أن خير الوسائل لمكافحة العنف هو وضع وتحقيق مبدأ ، امكانية الحوار .. ذلك أن الكثيرين يعتقدون أنه : « لكي يسمع رأيك .. يجب أن تلجأ الى القوة .. وانه كلما اتسعت رقعة العنف ، شملت عددا اكبر واهم من السكان .. »

بوليس .. قليل العدد

وقد أوضح التقرير أن هناك أسبابا كثيرة لازدياد العنف تمثل تقصيرا من جانب الدولة ، أهمها ..

× عدم كفاية رجال القضاء

× التردد في المواجهة والقمع

× ثالثا .. وهو الاهم النقص في عدد رجال البوليس

ويقول التقرير في هذا المجال .. انه بينما زادت نسبة عدد السكان بين عامي ١٩٤٦، ١٩٧٦ ، بنسبة ٣٢٪ ، لم يزد عدد رجال البوليس بهذه النسبة ..

فبينما كان عددهم عام ١٩٤٦ ، في فرنسا ٩٤ ألفا لم يتعد عددهم ١٠٧ الف عام ١٩٧٦ ، مع مراعاة تعقد الحياة ، وما صحبها من مظاهر جديدة تساعد على العنف ..

وهذا يفسر سهولة اقتراف الجرائم وعمليات العنف لان مرتكبي هذه الاعمال على ثقة بأنهم لن يقعوا في قبضة رجال البوليس ..

وقد قدم التقرير بعض الارقام ليستشهد بها على صحة ما ذهب اليه ، اذ تقول هذه الارقام .. ان ١ من اثنين ممن يرتكبون جرائم القتل يقبض عليه وواحد من ٤ من مرتكبي جرائم السرقة بالاكراه هو الذي يقبض عليه فقط ..

وواحد من ٦ من مرتكبي حالات السطو ..

وبهذا نرى أن الزيادة في عدد السكان .. مع التجمع في المدن جعل الرقابة ضعيفة من جانب رجال البوليس الذين لا يتناسب عددهم مع هذا التزايد في عدد السكان ..

وفي ضوء هذه الحقائق ، يعتقد ٧١٪ من الفرنسيين أن العدالة تسير بشكل سيىء .. بينما يرى ٢١٪ من السكان ، انها ملائمة ..

وهكذا يتضح أن العدالة الضعيفة تثير مصاعب خطيرة .. وان مدة العقوبة غير الكاملة تشجع المحكوم عليهم للعودة الى اقتراف الجرائم ..

وجدير بالذكر معرفة أن معاملة المجرم ، بعد ايفائه مدة العقاب ، معاملة الشخص الطبيعي ، ـ متناسين جريمته ـ أمر هام بالنسبة لنفسية المجرم ، والا عاد الى اقتراف الجرائم مرة أخرى ، اذا ما عومل بعكس ذلك ..

ويؤكد التقرير أن السلطات العامة ليست وحدها المسئولة عن العنف .. وانما المجتمع بأسره يتقاسم هذه المسئولية .. ويذكر في هذا المجال قول مونتسكييه .. « لا نستطيع أن نصنع بالقانون، ما يجب أن نصنعه بالعادات .. »

التاريخ ضد الادمان

يعد هذا العرض العام .. يتناول التقرير أعمال مجموعات العمل الخمسة والتوصيات والمقترحات التي تضمنتها أعمالهم ..

فبالنسبة ، لمجال علم النفس ، وعلم الاحياء ، وهو ما تولته المجموعة الاولى بالدراسة .. خلصت المجموعة الى ضرورة التركيز على تدريس علمي الجغرافيا والتاريخ للطفل ، حتى يشعر الشباب بالاصالة ، وحتى لا يصبحوا فريسة وضحية للضياع ، ويقبلوا على ادمان الخمور والمخدرات وما يتبع ذلك من انحرافات أخرى ..

وقد تناولنا هذا بشكل مفصل في العرض العام السابق ..

اما المجموعة الثانية ، والتي تولت دراسة البيئة والسكان .. فقد ركزت في توصياتها على ضرورة التخفيف من أسباب التوتر ، عن طريق التغلب على الكثافة السكانية خاصة في المدن ، والتي تعتمد المجموعة في ضوء ما قامت به من ابحاث ودراسات مختلفة على المجتمعات الحضرية ، ان مجتمعات المدينة الحديثة بكثافتها السكانية الضخمة ، وقلة وسائل الامن والرقابة ـ مجال خصب لانتشار العنف ونموه ..

وقد أوصت المجموعة ، في هذا المجال أيضا ، بالعمل على التقليل من اقامة المجمعات السكانية الضخمة والابنية المرتفعة ..

وترى أن بناء المدن الجديدة على أساس انشاء أحياء متكاملة يساعد على خلق بناء اجتماعي ، وقيام مجتمع متجانس ، يقوم على علاقات انسانية بين افراده ..

وقد لمست هذه المجموعة في توصياتها أيضا ، ضرورة الدمج الديموجرافي في المدن الحديثة ، بمعنى ضرورة دمج الفئات السكانية المختلفة بعضها مع بعض ، خاصة مجتمعات المهاجرين ، التي تتقوقع في أحياء خاصة بها ، تساعد على انتشار الجريمة بينها ، كما تساعد على خلق روح العداوة بين هذه المجتمعات وباقي فئات المجتمع الاخرى ..

ولم يتجاهل التقرير البنيان الاداري ، وأوصى أن يكون لكل حي بنيانه الاداري الخاص به ، والقادر على حل مشاكل الحي ، بالمشاركة مع السكان في اتخاذ القرارات الخاصة بحل مشاكلهم..

ودعت المجموعة الى الاهتمام بالنشاط الاجتماعي عن طريق الاهتمام باقامة قاعات للفنون.. وملاعب للرياضة ، تمكن سكان الحي من التعارف بأسلوب شيق ..

أما مجموعة « الاقتصاد والعنف » فقد ركزت في توصياتها على :

× ضرورة زيادة احتياطات الامن بالنسبة للمحلات التجارية والبنوك ، حتى لا يدفع التهاون في هذه الاحتياطات ، الشباب الى الاقبال على أعمال اجرامية وعنف بهدف السرقة ..

× مع ضرورة الاهتمام بجودة الحبر والورق المستعمل في البطاقات الشخصية ، وبطاقات البنوك ، بحيث يصبح تقليدها عملية عسيرة ..

× الارتفاع بمستوى أجهزة الامن ، وتوفير العدد الملائم من رجال البوليس ، ذلك أن القبض في نفس المكان على الشخص المقترف للمخالفات أو الاعمال العدوانية، يشكل مظهرا قاسيا بالنسبة له ، وربما كان أشد من الحكم نفسه ، لان مجرد القاء القبض عليه يفضح أمره .

× كما ترى التوصيات ضرورة مقابلة كل هذه الاجراءات ، بعمل مواز لها ، في مجال العمل نفسه ، وذلك بتحسين أوضاعه ومحاولة التخفيف من حدة التمركز الصناعي في المدن الكبيرة ..

× وأوصت بالعمل على تبسيط الاجراءات في الحياة الاقتصادية والتي كثيرا ما يجد الفرد نفسه بسببها على علاقة سيئة مع الادارة ..

وبعد هذا العرض تقدم الدراسة مقترحاتها .. وتبدأ بضرورة التركيز على تدريس علمي الجغرافيا والتاريخ لطفل . حتى يشعر بالاصالة وحتى لا يصبح فريسة الضياع ، كما ركزت المقترحات على ضرورة تخفيف أسباب التوتر والتغلب على الكثافة السكانية في المدن ، فقلة وسائل الامن والرقابة مجال خصب لانتشار العنف ونموه ، كما أوصت بالعمل على التقليل من اقامة المجمعات السكانية الضخمة والابنية المرتفعة ، وترى أن بناء المدن الجديدة على أساس انشاء احياء متكاملة يساعد على خلق بناء اجتماعي ، وقيام مجتمع متجانس ، يقوم على علاقات انسانية بين افراده ، وضرورة دمج الفئات السكانية المختلفة لمعالجة روح العداء بين هذه المجتمعات . وطالب بمشاركة السكان في الحي في اتخاذ القرارات لحل مشاكلهم ، والاهتمام بالنشاط الاجتماعي عن

طريق الاهتمام باقامة قاعات للفنـون ، وملاعب للرياضة يتعارف داخلها سكان الحى •

وخصصت المقترحات جانبا هاما لموضوع الاعلان، باعتباره عنصرا هاما ذا تاثير نفسى مباشر •• وانتقدت الدراسة اسلوب الاعلان فى فرنسا وقالت: انه بالرغم من وجود تشريع خاص بتنظيم الاعلان والاشراف عليه ، صدر عام ١٩٧٣ ، ويقضى بحق المحكمة فى المشاركة فى صنع ووضع اسلوب اعلانى صحيح ، الا أن هذا التشريع بقى منذ صدوره مجرد حبر على ورق•• وخلصت الدراسةالى انهذا الاسلوب ليس عمليا ، وان أنسب اسلوب هـو الاسلوب المعمول به فى ايطاليا • والذى يسمى « بقانون الاعلان الشرعى » والذى يعتبر انالاعلان يؤدى خدمة عامة للجمهور ، ولهذا يجب أن يراعى أمن المستهلكين ، وتوضح بدقة ، مثلا ـ الشروط المطلوبة فى حالات البيع بالتقسيط ••

المراهقة

وعرضت الدراسة النتائج التى توصلت اليها والخاصة بحماية الشباب فالطفل لا يصنع عالـم المراهقة ، ولكن هذا العالم هو الذى يصنع الطفل، وان المراهق ـ وان كان مذنبا ـ له الحق فى الحمايـة والتعليم ، وان أعمال الاجرام عنـد الشباب يمكن أن تكون :

ـ عملا تلقائيا •

ـ أو نتيجة رغبة •

ـ أو استغلالا لفرصة ما •

ـ أو تعبيرا عن ثورة •

ـ كما يمكن أن يكون الاجرام عند الشباب ، اداة لعمل منظم وحسابات دقيقة ، لتحقيق هـدف معين ، ودلت الدراسة أن أنواع الاجرام عنـد الشباب ثلاثة :

× عمل اجرامى مباشر ضد أشخاص آخرين ، مثل حالات الاغتصاب •

× عمل غير مباشر ضد آخرين ، مثل أعمـال السرقة •

× اجرام موجه ضد النظام العام ، والاشخاص الذين يمثلونه، مثل الاعتداء على رجال البوليس، وعلى أصحاب العمل أو تخريب المنشآت العامة •

وترى الدراسة أن ازدياد عدد السكان ، مع بقاء واستمرار مساحة الارض على ما هى عليه تزيد من حالات العنف ، وذلك بسبب ازدياد كثافة السكان فى الكيلو متر الواحد ••

فظهور حالات العنف داخل هذه الكثافة السكانية تسبب نوعين من رد الفعل ، أحدهما سلبى يتمثل فى الخوف والتوتر النفسى عند المواطنين ، ورد فعل ايجابى يتمثل فى مقابلة العنف بالعنف ••

والجدول التالى يبين نسب توزيع الجرائم على اعمار الاحداث المختلفة من مرتكبى الجرائم عام ٧٧/٧٦

من تقل اعمارهم عن ١٣ سنة	٦ ٪
من تتراوح اعمارهم بين ١٣ ـ ١٤ سنة	٩٠ر٤ ٪
من ١٤ ـ ١٥ سنة	٩٠ر٩ ٪
من ١٥ ـ ١٦ سنة	٥٠ر١٥٪
من ١٦ ـ ١٧ سنة	ـ/٢٥٪
من ١٧ ـ ١٨ سنة	٧٠ر٣٨٪

الفراغ والشباب

وتناولت توصيات واهتمامات المجموعة الخاصة بالشباب ، بعد ذلك موضوع أوقات الفراغ ، ورات ضرورة :

× تنظيم العطلات المدرسية بحيث تؤدى الى امتصاص الفراغعند الشباب ، بالوسائلالرياضية او غيرها ••

× تكوين وسط اجتماعى صحى يساعد على التعارف والخبرة ••

× قيام الدولة بتقديم المساعدات للبلديات ، لاقامة النوادى •

× تسهيل انضمـام الشباب الـى النـوادى الرياضيـة والاجتمـاعية ، لامتـصاص طاقـاتهم ونشاطهم ••

× اتاحة الفرص والجو الملائم لانطلاق هوايات وملكات الشباب ، والمساعدعلى التفكير الجماعى•

× اقامة علاقات من التفاهم والاحترام بين المعلمين والطلبة ، بحيث لا يشعر الشباب بالذنب عند ارتكاب الخطأ •

× الاهتمام بتكوين المعلم •

× الحماية القضائية للشباب الـذى ارتكب جرائم ، بحيث تمتد هذه الحماية للنشء الذى لا تتوفر له الرعاية •

× اقامة روابط بين الشباب والمؤسسات التى تخدمهم •

ودعت المجموعة فى توصياتها الى ضرورة التنسيق بين مختلف محطات التليفزيون للتخفيف من مشاهد الاجرام والعنف •• والعمل على وضع هذه المشاهد فى ساعة متاخرة من الليل بحيث يكون الاطفال نياما •

وضرورة العمل على منع الاطفال والاحداث من دخول الافلام التى تعرض مشاهد عنف واثارة لا تتناسب واعمارهم ••

كما دعا التقرير الى أهمية استغلال وسائل الاعلام فى توعية الاباء ، عن طريق برامج تشرح العلاقة بين الاب والام والابناء •• وحاجة الطفل الى كل من العدوان •• والحماية •• والاهتمام به ••

٥٠٪ يرفضون السير ليلا ••

اما توصيات المجموعة التى تناولت بالدراسة موضوع « الجريمة والعقاب » ، فقد تضمنت فى مقدمة هذه التوصيات ، أن ٣٩٪ من الفرنسيين ، يدينون وسائل الاعلام •• ويعلنون أن العنف يحدث بلا داع ••

وان التلفزيون يعطى اهمية كبيرة للتفاصيل الفرعية للجرائم ، مما يدفع مرتكبى الجرائم الى الامعان فى العنف ، كما يدفع فى نفس الوقت الى المحاكاة والتقليد ••

وقد تولد عند المواطنين شعور بالخوف من جراء ازدياد أعمال العنف •

ودلت الاحصاءات على أن ٥٠٪ من السكان يرفضون قيادة سياراتهم ليلا فى الشوارع الجانبية •

وان ٥٧٪ من المواطنين يرفضون الخروج من منازلهم ، لقضاء العطلات ••

كما ظهر شعور عام بالسخط الى جانب الشعور بالخوف ، ذلك ان المواطنين يأملون أن تتحرك الدولة لتكفل لهم الامن والطمأنينة ••

ويشعر الكثيرون أن المجتمع الحالى ، مجتمع خطير ، ومعاد ، وان العالم يتغير بسرعة دون أن تتمكن الحكومات من السيطرة على هذا التطور ••

وترى المجموعة فى توصياتها ضرورة :

× انشاء لجنة وطنية لاصدار الاحكام العامة الخاصة بالجريمة ، ويكون من اختصاصات هذه اللجنة ، التحرك والاجابة ، على جميع المشاكل المتعلقة بجرائم المجتمع •• ودراسة واقتراح الاجراءات الملائمة فى جميع المستويات وفى كل القطاعات ، والانشطة الاجتماعية ، لتحقيق الحماية القومية فى الاجل السريع •

× كما اقترحت اللجنة وضع خطة تستهدف الاقلال من الاجرام والعنف على المدى الطويل ••

وقالت أن مثل هذا التنظيم قد عمل به فى اسكتلندا عام ١٩٧٢ ، واتخذت فنلندا والدانيمارك والسويد اجراءات مماثلة له ••

× واقترحت المجموعة تكوين تنظيمات لا مركزية لاصدار الاحكام ، يكون من مهمتها الربط بين أعمال الهيئات الاخرى الموجودة ، وتكون هذه التنظيمات على مستوى المحافظات •• وتكون مهمتها اصدار القوانين واللوائح المتعلقة بالنواحى الاجتماعية والاقتصادية ••

× كما دعت الى ضرورة تطوير دور المؤسسات القضائية ، مع ضرورة تحقيق التقارب والتفاهم بين القضاة والمواطنين ، وان يوضع القضاة فى الوضع الذى يجعلهم على دراية بمشاكل الحياة الاجتماعية اليومية •

تغيير العقلية ••

وختمت اللجنة تقريرها النهائى ، الذى جاء فى ٧٣٠ صفحة ، متمنية أن يضع المسئولون عن تحقيق العدالة هذا التقرير نصب أعينهم •• آملين أن يتم تحقيق هذه التوصيات والمقترحات بفاعلية تضمن تحقيق العدالة ، وفى نفس الوقت تكفل الحرية الفردية للانسان ••

وقالت ان تحقيق العدالة يتطلب سلوكا يتسم بمعاملة جمهور المنحرفين بانسانية وواقعية ، وهو ما تفتقده أجهزة العدالة القائمة الان ••

وتنفيذ مثل هذا السلوك وتلك السياسة يقضى تبنى وسائل عمل حديثة ••

كما يستلزم تحولا اساسيا فى العقلية المسئولة عن العدالة ، والتى لا تزال غارقة ـ وبشكل ملحوظ ـ فى بحر من الروتين ، وتتاثر بمشارب واتجاهات كل جهة متخصصة ومسئولة ••

■■

باريس / ليلى خليل

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. أما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري أن يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي .

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا - الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٣٥ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول أغسطس (آب) ١٩٧٨ .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم شاعر عربي معروف كما ستجد في (٨) رأسيا اسم عالم جغرافي عربي من الرواد .

كلمات أفقية :

(١) طائر من فصيلة الدجاج - دولة من القارة الامريكية .

(٢) عالم كهرباء ايطالي شهير من القرن الثامن عشر - توجع .

(٣) أبطأ - أتكفل بهم - جميع .

(٤) حالية - نجلب - قطر عربي .

(٥) حرفان متشابهان - يجيب - نومه .

(٦) حرف عطف - خلق - نطمئن .

(٧) أفزعها - في الوجوه - بدأ .

(٨) شاعر عربي معروف .

(٩) تحاشى - شهر شمسي - تثيب .

(١٠) أثارت العجب - عاصمة فولتا العليا .

(١١) للتمني - يستند - عاصمة حامورابي .

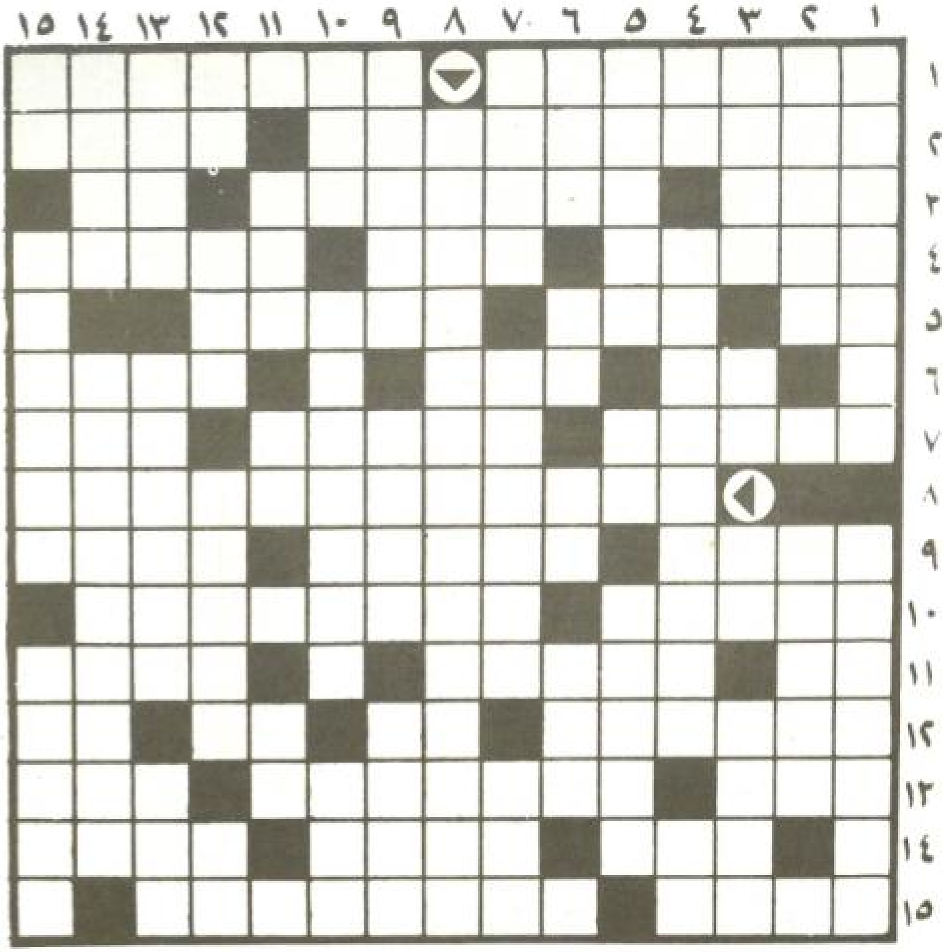
(١٢) يسترجعه - نصف كلمة (سارت) - برد - حرف ندبة .

(١٣) لعب - عالم فلك عربي اخترع البندول - مضت .

(١٤) من الحيوانات - حطمت - التي .

(١٥) اخفي - مجموعة سياسية شهيرة في الثورة الفرنسية .

كوبون مسابقة العدد ٢٣٥



كلمات رأسية :

(١) من اجزاء العين ـ عالم فلك ايطالى اكتشف اقمار المشترى •

(٢) مدينة سويسرية تنسب اليها معاهدة شهيرة بين تركيا والحلفاء ـ اطأ •

(٣) مرنة ـ للتعريف ـ نصف كلمة (نهار) ـ تبجل •

(٤) تجدها فى (همسة) ـ ولاية امريكية ـ مقام موسيقى •

(٥) يعلن على الملا ـ نصف كلمة (جراح) ـ احصاء •

(٦) انصرفت ـ مقام موسيقى ـ حرف استفهام ـ تثور •

(٧) فوق العيون ـ من العناصر الكيميائية ـ نتعب •

(٨) عالم جغرافى عربى من الواد •

(٩) للاقامة المؤقتة ـ دخول ـ ترفع عن ارتكاب الاثم •

(١٠) قصد ـ الشفاء ـ برز •

(١١) ليف مجدول ـ ضمير ـ شخصية دينية •

(١٢)نصف كلمة (واجب) ـ ضعف ـ من الاشجار ـ من الاقارب •

(١٣) ينفى ـ فلسفة وممارسات هندية ـ حب شديد •

(١٤) عاشقة شهيرة ـ مستكشف ايطالى وصل الى الصين •

(١٥) حرف نصب ـ الرفيع ـ من البحار •

شاعر عربى معروف راحل

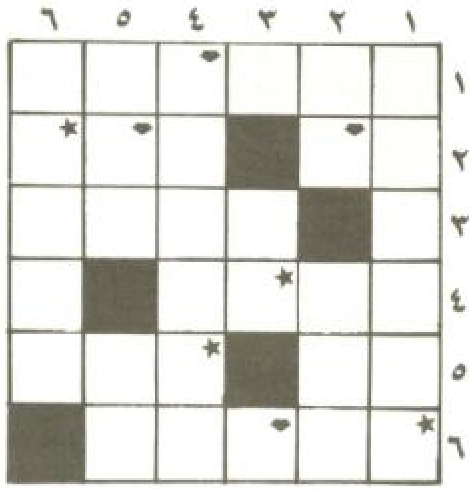
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لشاعر عربى معروف راحل • ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه •

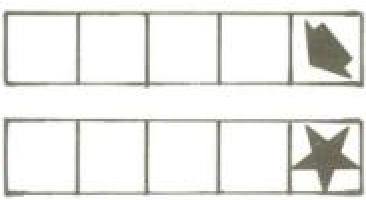
الكلمات الافقية :

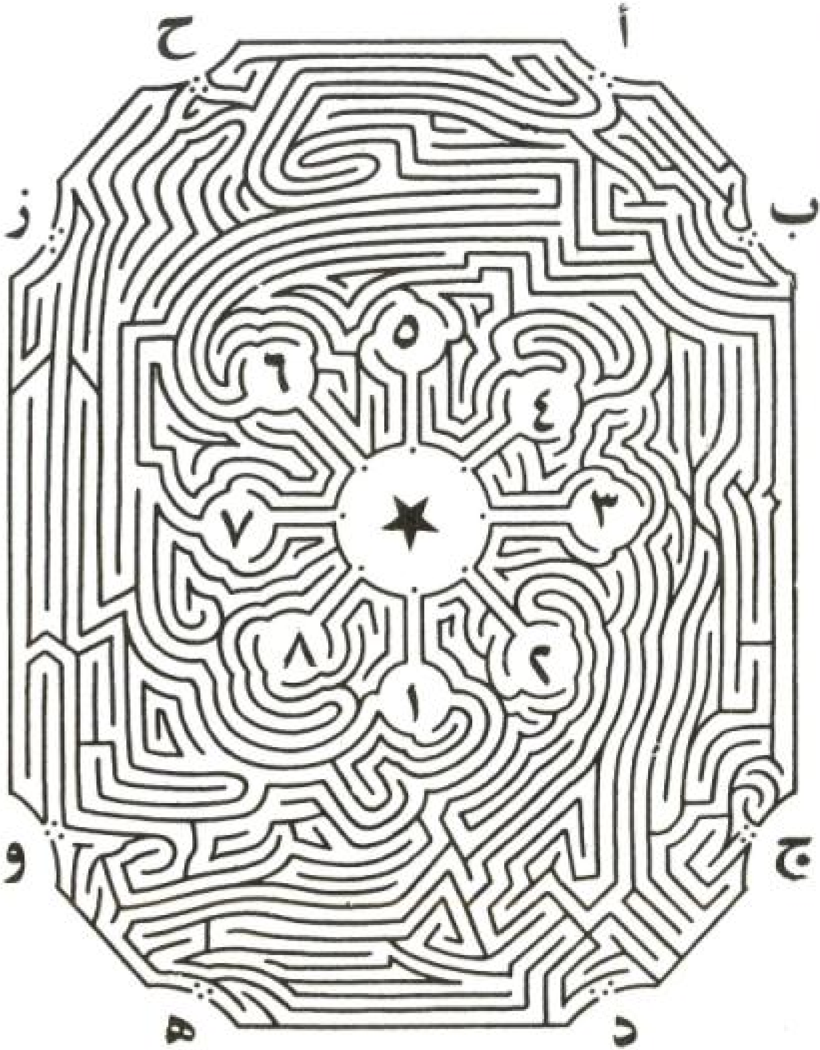
(١) من المعادن الهامة فى الحياة •
(٢) فى الوجه ـ يرنة •
(٣) يعطى ثماره •
(٤) يسير •
(٥) عبد ـ بين بين •
(٦) يقاسى •

الكلمات الرأسية :

(١) ينتسب الى احدى القارات •
(٢) حرف نفى ـ حظر •
(٣) نصف كلمة (يشبه) •
(٤) سكان آسيا الصغرى قديما •
(٥) أوائل البشر ـ مقام موسيقى •
(٦) فيلسوف اغريقى شهير •







عطلة نهاية الاسبوع

اتفقت ثماني عائلات تعيش فى أحياء مختلفةمن المدينة ، على تمضية عطلة نهاية الاسبوع فى احدى الضواحي أو أماكن النزهة (المشاراليها بالرموز أ ، ب ، ج ، د ،هـ ،و،ز،ح) ٠ ولم تكن المواصلات تسمح لهم بالمـــرورعلى مساكن بعضهم البعض ، أو المرور من خلال ميدان « النجمة » بوسط المدينة ٠

وقد اتفقت العائلات التى تعيش فى ١ ،٢ ، ٣ ، ٤ ، على تمضية العطلة فى مكان واحد ، بينما رفضت العائلات التى تعيش فى٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ان تذهب الى نفس المكان فاتفقت فيما بينها على مكان آخر ٠ فاين امضى كل منهما عطلة نهاية الاسبوع ؟ ٠٠

● استاذ نبيه يسال ●

نعناعة لاتلعب الورق ..

ريحانة ، فلة ، ياسمينة ، داليا ،بانسيه،نعناعة ،وردة .. سبع سيداتمنهواة الازهار والنباتات ، كل واحدة منهن تحب نوعامن الازهار يطابق اسم واحدة من باقى صديقاتها عاشقات الازهار .. فاذا عرفتان:

(١) وردة هى اخت زوج السيدة التيتحب النعناع .

(٢) وفلة لا تطيق زهرة الداليا .

(٣) والسيدة بانسيه لم تقابل فىحياتها السيدة التى تحب الياسمين .

(٤) وان داليا والسيدة التى تحبالفل تزوجت كل منهما شقيق الاخرى .

(٥) والسيدة نعناعة لم تلعب فىحياتها الورق .

(٦) وان اربعا من السيدات السبع ،يجتمعن كل يوم ليلعبن الورق ، وان كل واحدة منهن تحب الزهرة او النبات العطرى الذىيطابق اسم واحدة من الاخريات .

(٧) والسيدة التى تحب الياسمينوالسيدة فلة تلعبانكشريكتين عند لعبالورق.

(٨) وان ريحانة ليس لها اخوة اواخوات .

(٩) وان السيدة وردة تكره لعبالورق .

فما اسم النبات العطرى او الزهرة التيتحبها كل واحدة منهن ؟

الحلول

استاذ نبيه يسال :

(١) لكون السيدة التى تحب الياسمينوالتى تلعب الورق، لم تقابل السيدة بانسيه، تكون السيدة بانسيه ليست من لاعبات الورقالاربع . من هذا تكون السيدة نعناعة والسيدة وردة الباقيتان خارج مجموعة الورق .

(٢) بين لاعبات الورق : كل واحدة تحبنوعالزهور التى علىا. م واحدة من الاخريات. السيدة فلة لا تطيق زهرة الداليا وتلعب معالسيدة التى تحب الياسمين ، فلا بد تحب الريحان . والسيدة داليا لا تحب الفل ، ولالريحان . من هذا السيدة داليا تحب الياسمين . والسيدة ريحانة ليس لها اخوةفلا يمكن ان تحب الفل . اذا ريحانة تحب الداليا ، وياسمينة تحب الفل .

(٣) وبين اللاتى لا يلعبن الورق :السيدة وردة لا يمكن ان تحب النعناع (فهى اخت زوج السيدة التى تحب النعناع)، فهىتحبالبانسيه . ومن ثم بانسيه تحب النعناع .

النجمة والسهم : أحمد شوقى .

عطلة نهاية الاسبوع :

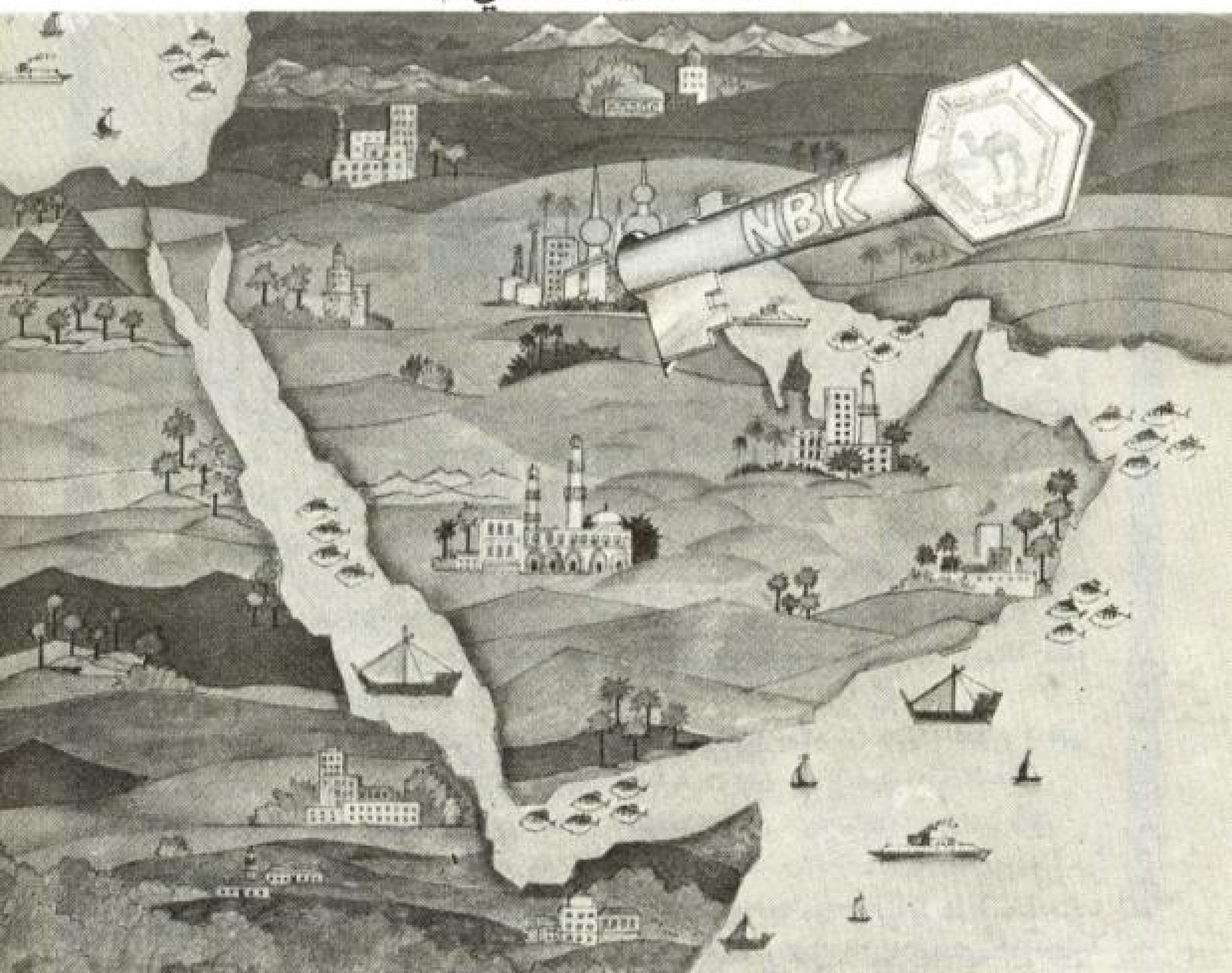
عائلة رقم ١ تستطيع أن تذهب الى ز،و،هـ،و ٢ الى ز، و، هـ ،و ٣ الى د، هـ . ، ٤ الى د ، هـ . و ٥ الى ج . و ٦ الى ج ١٠ ، ب ، ح . ونفس الشىء بالنسبة الى العائلتين ٧ ، و ٨ . من هذا : العائلات١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ تذهب الى هـ . والعائلات ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ تذهب الى ج .

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج

بنك الكويت الوطني
أول وأكبر بنك في الكويت منذ ٢٥ سنة.
بنك الكويت الوطني
البنك الذي نمى مع الكويت لتلبية حاجات الكويت الإقتصادية.
بنك الكويت الوطني

يقوم بجميع الخدمات المصرفية والإستشارات والتمويل.
بنك الكويت الوطني
مراسلون في جميع أنحاء العالم ، قبل إقدامك على أي عمل في الكويت أو في الخليج العربي
إستعمل المفتاح الذهبي واستثمر جهازنا العالمي

بنك الكويت الوطني ش.م.ك



من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام فى الكويت

أول يونية ١٩٧٨

١٠٥ / ١

من الأعمال المختارة

برانيسلاف نوشيتش - ١

* حرم سعادة الوزير * الدكتور

ترجمة وتقديم : د. فوزى عطية محمد

مراجعة : د. سمية محمد عفيفى

كنتر

مجموعة الشاحنات الخفيفة المتينة من اليابان – للشرق الأوسط



في جميع انحاء الشرق الأوسط

الزبير للسيارات
ص.ب ١٢٧، مسقط، عمان
تلفون: ٢٨٢١/٢/٣/٤
تلكس: ٢٥٨ مسزاد
المعرض ومركز الصيانة
وقطع الغيار: مطرح،
تلفون: ٧٠١٣٣٩ / ٧٠١٣٤٣

شركة الضامن الزراعية
صنعاء، اليمن. تلفون: ٢٧٨٠

شركة الضامن الزراعية
ص.ب ١١٠٥
صنعاء، الجمهورية العربية اليمنية
تلفون ٢٧٨٠
تلكس 260 ADHBAN YE.

شركة الملا التجارية ذ.م.م.
ص.ب ٢٧٠٢
صفاة، كويت
تلفون ٤٢٣٢٣١
تلكس 2012 ALMULLA

عبد الرحمن الزياني وأولاده
ص.ب ٣٢، البحرين
تلفون ٥٢٦٠٧
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

الشركة الاقتصادية. ش.م
١٨(ب) شارع ٢٦ يوليو. القاهرة
تلفون ٤٦٠٥٥
برقيا: زايداواجون القاهرة

الشركة التجارية الأردنية المحدودة
ص.ب ١٢٩
عمان، الأردن
تلفون ٥١٣٣١
تلكس TWAL JO 1311 AMMAN

عبد الرحمن الزياني وأولاده
ص.ب ٢٨١
أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة
تلفون ٢٢٣٦٨
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

عبد الرحمن الزياني وأولاده
ص.ب ١٦٧
دبي، الامارات العربية المتحدة
تلفون ٦٩٩٤٠
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

شركة قطر للسيارات
ص.ب ١٢٩٠
الدوحة، قطر
تلفون ٢٦٩٠٧
تلكس 4203 WIBECO DOHA

مؤسسة العيساي للتجارة
ص.ب ١٣٤٢
جدة، المملكة العربية السعودية
تلفون ٢٨٤٤٤
تلكس 40063 ESAYICO SJ

تصنع شاحنات ميتسو بيشي كنتر الخفيفة لاحتمال الخدمات الشاقة.

انها تختبر وتجرّب لملاءمة أحوال العمل في الشرق الأوسط. مع خدمة ممتازة بعد الشراء يقدّمها لكم موزع كرايزلر في منطقتكم.

شاحنات كنتر سهلة القيادة، ذات مقصورة ومعدات شبيهة بما تجدونه في السيارات العادية.

إنها سهلة التحميل، ويوجد أنواع مختلفة من الأجساد يمكنكم الاختيار منها. كما يمكن تقديمها على هيئة شاسي ومقصورة فقط.

تتوفر بإطارات مفردة أو مزدوجة في الخلف،

وبمحركات بنزين أو ديزل.

شاهدوا وجرّبوا مجموعة كنتر في محلات موزعي كرايزلر في جميع أنحاء الشرق الأوسط.



كرايزلر
انترناشيونال
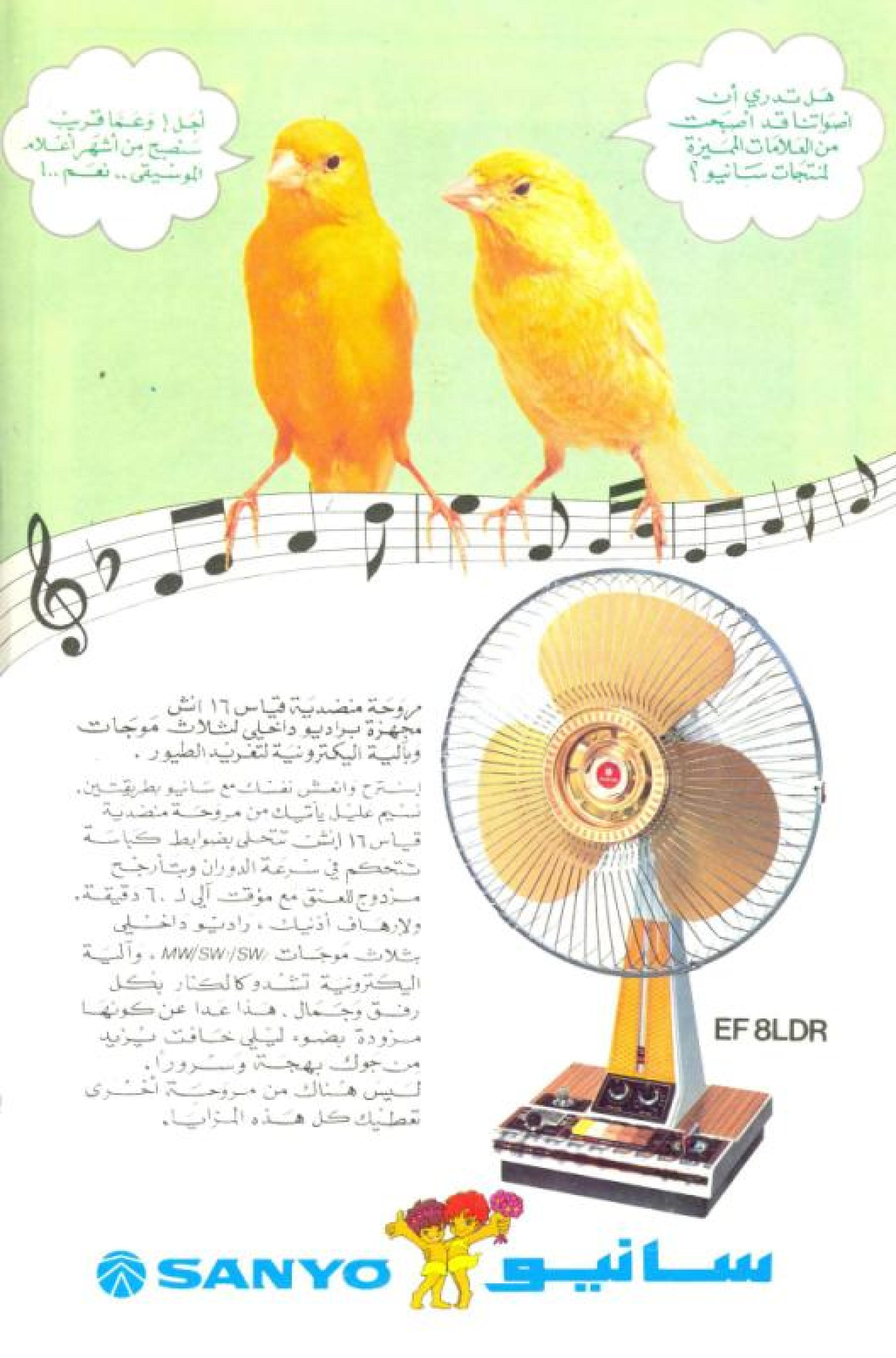


مستجلات - راديو فيليبس
الكمال رفيقك
اينما كنت

مجموعات آلات تسجيل الصوت المهنية تستلزم التقيد بمعطيات علمية وتقنية دقيقة. هذا ما توصلت اليه فيليبس من مدة طويلة وأوجدته في مجموعة كاملة للتسجيل من أصغر آلة الى أكثرها تطورا. إنها ثمرة خبرة عالمية واسعة ناجمة عن تفوق تقني وفني تتطوره

فيليبس بنجاح منذ نصف قرن تقريبا. هذا التفوق التقني والفني ظاهر أيضا في كل مسجلة راديو فيليبس. مع فيليبس تثق بأنك تحصل على الأفضل وهذا ما تنتظره من مبتكري الكاسيت

PHILIPS

فيليبس الأفضل لكم دوما



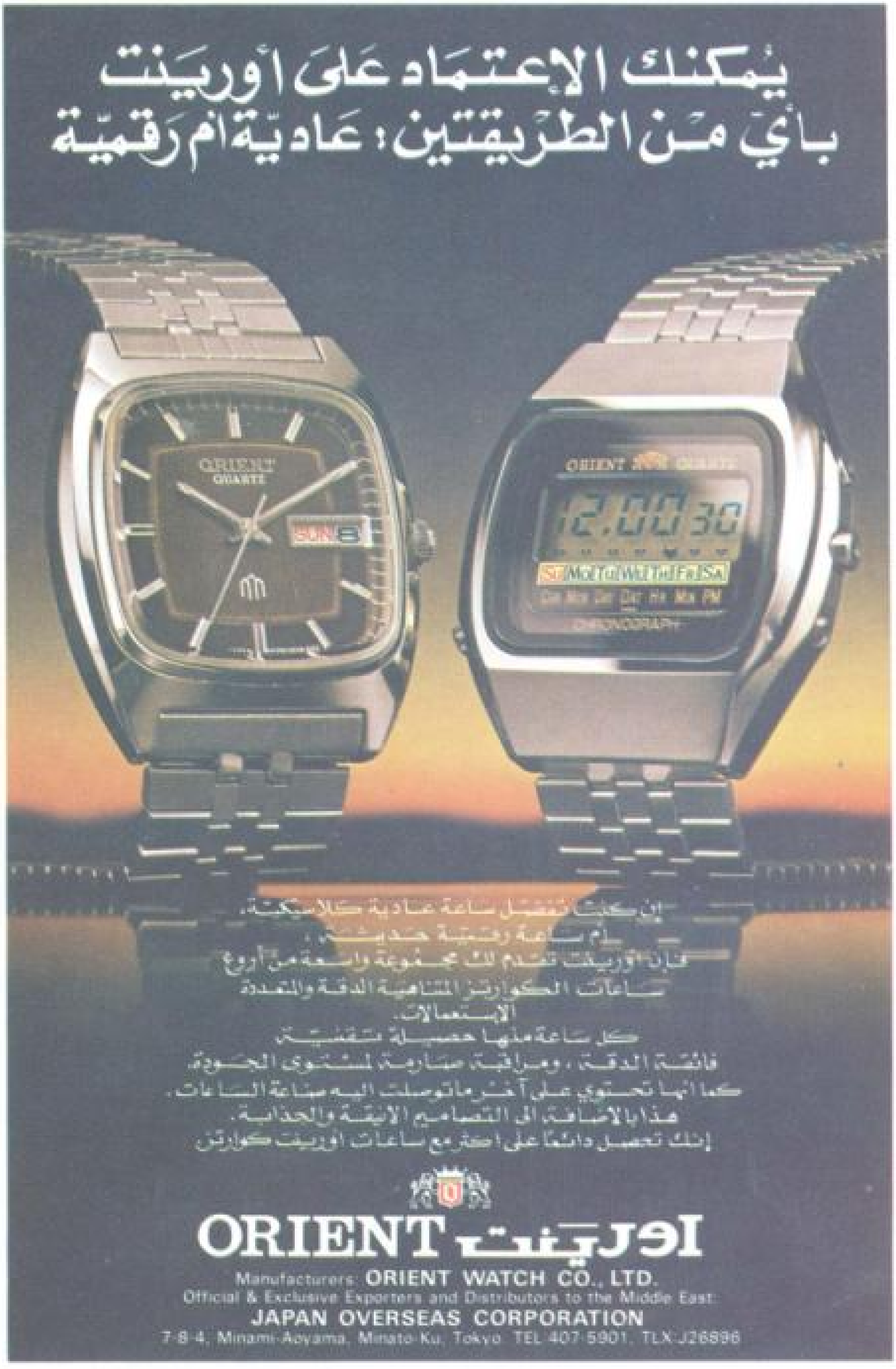
هل تدري أن
أصواتنا قد أصبحت
من العلامات المميزة
لمنتجات سانيو ؟
أجل ! وعما قريب
سنصبح من أشهر أعلام
الموسيقى .. نعم !..
مروحة منضدية قياس ١٦ انش
مجهزة براديو داخلي لثلاث موجات
وبآلية اليكترونية لتغريد الطيور .
إسترح وانعش نفسك مع سانيو بطريقتين،
نسيم عليل يأتيك من مروحة منضدية
قياس ١٦ انش تتحلى بضوابط كباسة
تتحكم في سرعة الدوران وبتأرجح
مزدوج للعنق مع موقت آلي لـ ٦٠ دقيقة،
ولارهاف أذنيك ، راديو داخلي
بثلاث موجات MW/SW/SW ، وآلية
اليكترونية تشدو كالكنار بكل
رفق وجمال . هذا عدا عن كونها
مزودة بضوء ليلي خافت يزيد
من جولك بهجة وسرورا.
ليس هناك من مروحة أخرى
تعطيك كل هذه المزايا.
EF 8LDR
SANYO
سانيو

العدد ٢٣٦ يوليو
رجب ١٣٩٨ (تموز) ١٩٧٨ م

العربي



الأهوار: رحلة في عالم مثير ومجهول!



يُمكنك الاعتماد على أوريَنت
بأيّ من الطريقتين؛ عاديّة أم رقميّة
ORIENT QUARTZ
إن كنت تفضل ساعة عادية كلاسيكية،
أم ساعة رقمية حديثة،
فإن أوريَنت تقدم لك مجموعة واسعة من أروع
ساعات الكوارتز المتناهية الدقة والمتعددة
الإستعمالات.
كل ساعة منها حصيلة تقنية
فائقة الدقة، ومراقبة صارمة لمستوى الجودة،
كما أنها تحتوي على آخر ماتوصلت اليه صناعة الساعات،
هذا بالإضافة الى التصاميم الأنيقة والجذابة.
إنك تحصل دائماً على أكثر مع ساعات أوريَنت كوارتز
ORIENT اوريَنت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo TEL 407-5901, TLX J26896

عزيزي القارئ

عندما يحل الصيف وتبدأ العطلات ، يأخذ الفراغ الذى يعانى منه الشباب العربى صبغة « رسمية » • ويمتلىء الشارع العربى بألوف الالوف من الشباب التائه والحائر •• ماذا يفعلون لثلاثة او اربعة اشهر قادمة ؟

السؤال لا يشغل الكثيرين من الذين يفترض انهم يخططون ويفكرون لمستقبل هؤلاء الشباب ، لان الحاح شواغل الحاضر يحجب فيما يبدو رؤية المستقبل ، لكن ذلك لا يؤجل المشكلة • وانما يزيدها تعقيدا •

حقا ، ماذا يفعل الشباب العربى طوال اشهر الصيف ؟

هم قلة اولئك الذين يتمكنون من السياحة حول العالم ، يشاهدون ويتعلمون وينفقون الكثير • لكن هؤلاء استثناء من الشباب العربى ، ونحن هنا نتحدث عن « القاعدة » • غير المسافرين ، فثمة الوف القاعدين • الوف السواعد مسترخية ومعطلة ، طاقات هائلة كامنة وساكنة ، مدفونة فى الشوارع والمنازل !

وللدقة فان المشكلة ليست فى فراغ الشباب فقط • ولا فى التفكير لمستقبل الشباب وحدهم ، لكنها فى فراغ السياحة العربية ، على ما تحفل به من ضجيج ، وفى التفكير لمستقبل الامة العربية على ما يحيط به من اخطار محدقة تلوح نذرها فى الافق الآن •

هى محنة أمة • قبل ان تكون مشكلة شباب تائه ، حيرته سافرة خلال عطلة الصيف ، ومقنعة على مدار العام !

ومع ذلك نقول : انقذوا الشباب العربى • انقذوا عقله وجسده وروحه •

لان هذا هو الطريق لانقاذ المستقبل العربى !

■■

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

عروبة :

اسلاميات :

قضايا حيوية :

شخصيات :

تاريخ :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 236 July 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

■ بحيرات ضحلة هائلة يلفها الضباب •• وقنوات ضيقة تجرى مياهها وسط حقول القصب مع الناس والطيور والحيوانات التى تعيش فيها وحولها •• انها الاهوار •• هذا العالم المنسى المجهول •• (اقرأ صفحة ٧٢)

كتب :

ادب وشعر :

فنون :

ركن الاسرة والمرأة :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٢٫٥ دينار • المغرب ٢٫٥ درهم • اليمن ٢٫٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص • ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان •
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر •
« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

كانت العربى هى المجلة الأولى والوحيدة فى العالم العربى التى طارت الى افغانستان بعد احداثها الاخيرة ،وناقشت رئيس مجلس الثورة فى الاسئلة التى تشغل الجميع فى بلادنا

افغانستان

فهمي هويدى
يكتب من كابول

اول حديث في العالم العربى مع رئيس مجلس الثورة •

« لسنا ماركسيين ولم تذكر الكلمة فى تاريخنا السياسى • »

« نحن مسلمون موحدون بالله وسيكون فى افغانستان اسلام نقى غير موظف لصالح افراد •»



« اعدام احد رجال الدين اكذوبة اريد بها تشويه ثورتنا » •





الرئيس تراكي يتحدث
الى فهمي هويدى

بعد الزلزال ..!

- ٣ خيارات صعبة واجهت افغانستان •• وتواجهنا جميعا •
- ايهما اقل سوءا : اسلام هش مع ظلم ام مع وعد بالعدل ؟؟
- بعد الثورة اقترب السوفييت من مخارج البترول العربى •
- الذى جرى وآثاره البعيدة على باكستان وايران •
- هل توقظ الاحداث حلم الهند فى استعادة « شبه القارة » ؟



- هل يتحمل العالم العربى مسئوليته تجاه شعب افغانستان ؟

- دروس من افغانستان ينبغى ان يتعلمها القابضون على الزمام فى أمور الدين •• والدنيا !



بِرباك كارمل زعيم حزب «بارتشام» ونائب رئيس مجلس الثورة •



خريطة لافغانستان وجيرانها ••

الذى حدث فى افغانستان هو زلزال كبير ، بكل ما ترمز اليه الكلمة وتعنيه •• زلـزال اهتزت له مشاعر المسلمين فى أنحاء الارض ، وانهارت فى أعقابه توازنات محسوبة بين الشرق والغرب ،وحدثت بسببه شقوق عميقة ـ لا يزال أكثرها دفينا ـ فى الخريطة السياسية لمنطقة وسط آسيا ، قد تمتد آثارهـا الى مخارج البترول العربى •

وهذا الزلزال ـ اذا استمر ـ يعد نقلة بالغة الاهمية فى تاريخ افغانستان ونقطة تحول فى منطقة وسـط آسيا ،وبداية صفحة جديدة فى قصة صراعات القوتين الاعظم ، الولايـات المتحـدة والاتحاد السوفيتى •

وهو يعنينا بكل المقاييس ، ليس فقط لان آثاره قد تمتد الى مخارج البترول العربى ـ على خطورة هذه النقطة ـ ولكن أيضا لان مسرح الحدث هو احدى قلاع الاسلام العريقة والمنسية فى آسيا • ولان « حالة » افغانستان بوجه خاص تعكس واقع دول عديدة فى عالمنا العربى والاسلامى، والخيارات الصعبة المطروحة امام شعوب هذه الدول لشق الطريق الى المستقبل •• وهو يعنينا ـ أخيرا ـ باعتبارنا جزءا من هذا العالم المضطرب ، الذى سلبت فيه ارادة الصغار طوعا وكرهـا ، وبقى الكبار وحدهم فى الساحة ، يتلاعبون بمصـائره واقداره وفقاً لمصالحهم •

لهذا كله ينبغى ان نفهم بالضبط ما حدث، ونستوعبه، ونحفظ دروسه جيدا • وهو امر لن يتحقق ما لم نكف عن لطم الخدود وشق الجيوب ، والنواح والحسرة على الذى ضاع والذى سيضيع ، كما يفعل بعضنا الان •

ذلك اننا فى مواجهة موقف يحتاج الى عقل واع، ونظر بعيد ، وارادة عمل شجاعة •• نحن فى مواجهة زلزال : هل هذا مفهوم ؟!

« جمهورى ديموكراتيك »

صارت « جمهورى ديموكراتيك افغانستان » • وهو الاسم الذى يحمله ختم الدولة الجديدة • اى انهـا اصبحت ثالـث الديمقراطيات فى العالـم الاسلامى ، بعد الجزائر واليمن الجنوبية ، وان كانتا من الديمقراطيات « الشعبية » ••

بعد مشهد درامى عنيف، ولدت الجمهورية الافغانية الثانية فى «٧ ثور من عام ١٣٥٧» بالتقويم الشمسى



احدى الدبابات الثلاث التي خربت ليلة الثورة ٠٠ما زالت في شارع وزارة الدفاع ، يطالعها الناس ويعبث بها الصغار !

تصوير : أوسكار مترى

الذى يتبعونه (الرئيس السابق داود هو الذى اسس « الجمهورية الاولى » بعدما انقلب على ابن عمه الملك محمد ظاهر شاه عام ١٩٧٣) ٠٠ ويبدو انها ولدت قبل الان ، لان حزب « الخلق » الذى قام بالثورة كان يخطط لقيامها بعد سنتين ، ولكنه اضطر الى تفجيرها ـ كما قال لى الرئيس نور تراكي ـ بعدما اتجه الرئيس السابق داود الى ضرب الحزب ، بهدف تصفيته واقتلاع جذوره نهائيا ٠٠

ولهذا قصة لم ينشر جانب كبير منها ٠٠

ذلك ان الرئيس داود بدأ عهده يتعاون وتاييد من جانب اليسار الافغانى ، حتى قيل ان نائب رئيس مجلس الثورة الحالى برباك كارمل ، هو الذى كتب البيان الاول لانقلاب الرئيس داود ٠ كما كان بعض وزراء اول حكومة لداود من المنتمين الى اليسار ٠ وفى طريقه للانفراد بالحكم ، وجه الرئيس داود ضربات عديدة الى القيادات الدينية ، واعتقل كثيرين من هذه القيادات ٠ ثم استدار بعد ذلك ليضرب اليسار ، وهى محاولة ظهرت بشكل واضح بعد اغتيال احد زعمائه « مير اكبر خيبر » فى منتصف ابريل الماضى ٠٠ وكانت جنازته الكبيرة اعلانا لتحدى سياسة الرئيس داود ٠ وعندما صلوا على الزعيم اليسارى المقتول ، فى مسجد بلوخشتى ، اكبر مساجد العاصمة كابول ، كان الجمع غفيرا بدرجة اثارت الانتباه ٠ وطوال يومى العزاء فى المسجد ـ وهى عادة افغانية ـ كان التحدى سافرا ٠٠

وازاء ذلك قرر الرئيس داود توجيه ضربة اكبر لحزب الخلق ، فامر باعتقال سبعة من زعمائه بينهم الرئيس تراكي ونائبه برباك كارمل ، وطبيبة من اعضاء اللجنة المركزية هى الدكتورة عنايات ، التى ينطقون اسمها « اناهيتا » (السبعة فى وزارة الثورة والدكتورة عنايات هى وزيرة الشئون الاجتماعية) ٠

واعلن فى راديو كابول انه تم اعتقال السبعة ، وان مجلس الوزراء سينظر فى امرهم ٠ وكما قال لى احد الوزراء الجدد ، انه صدرت التعليمات الى حكام الاقاليم لتنظيم حملة شعبية (برقيات التاييد والتحريض التى نعرفها) تطالب باعدام « الخونة السبعة » ٠ ولسوء حظ الرئيس داود ، فقد كان الشخص الوحيد الذى تاخر اعتقاله كان هو المسئول عن تنظيم الحزب داخل الجيش وهو السيد حفيظ الله امين نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الحالى ٠ وقد اتاح له ذلك ، بعدما انكشفت نوايا الرئيس داود ، ان يضع مع العسكريين خطة الانقلاب ٠ وفى لحظة اعتقاله ، ارسل ورقة مع ابنه ، يحدد فيها اشارة البدء ٠

وكان قد اعلن ان مجلس الوزراء سيجتمع برئاسة الرئيس داود يوم الخميس « ٧ ثور » ٢٧ ابريل ليقرر مصير المعتقلين ٠ وعلى حد قول الوزير الافغانى ، فقد كان مقررا تنفيذ حكم الاعدام فيهم يوم السبت ٢٩ ابريل ٠ ولذلك تحدد موعد الانقلاب فى

الثامنة من صباح نفس يوم اجتماع الوزارة ـ في وضح النهار ـ ليصفي حكم الرئيس داود ـ قبل ان يصفي هو خصومه ..
ونجحت المحاولة ..

وكان اول مافعله «الابناء في الجيش» كما يصفهم الرئيس تراكي ، بعد حصار القصر الجمهوري ، هو اطلاق سراح المعتقلين السبعة ، قبل أن يصدر داود تعليماته باعدامهم . ومن السجن خرجوا الى قيادة الثورة ، التي انتهت بولادة « جمهورية ديموكراتيك افغانستان » !

بضاعة الشائعات

وعندما وصلنا الى كابول ، كانت اثار ساعات الزلزال الطويلة التي امتدت من قبل ظهر الخميس الى فجر الجمعة ، ما زالت باقية . كان الجيش بدباباته في الشوارع ، بينما ثلاثة دبابات محترقة منذ ليلة الثورة ، ما زالت متروكة كما هي حول وزارة الدفاع . والوزارات وكل المرافق محروسة بجنود الجيش شاهري السلاح . وحظر التجول قائم فيما بين الحادية عشرة مساء والخامسة صباحا ، لكن الشوارع خالية منذ التاسعة والمحال التجارية مغلقة من السابعة . وبيت الرئيس السابق محمد داود لا يزال مغلقا على اللحظة التي اسدل فيها الستار على عهده ، الساعة السادسة والنصف من صباح الجمعة ٢٨ ابريل ، عندما اطلق عليه النقيب امام الدين الذي لم يتجاوز ٢٧ عاما ، طلقات مدفعه الرشاش ، اثر اصابته برصاصة في ذراعه الايمن ، اطلقها «نعيم» شقيق الرئيس السابق اثناء حوار كان يجري بينهما حول الاستسلام .

كان افطار الرئيس داود واسرته لا يزال موضوعا على المائدة المستطيلة لم يمس .. شرائح اللحم البارد والكافيار وانواع الجبن المستورد وعصير الفاكهة . وكانت اسطوانات الموسيقى الهندية على حالها مبعثرة في حجرة الرئيس الخاصة ، بينما صف طويل من زجاجات الويسكي (١٠٠ زجاجة) يثير الانتباه الى جوار حجرة النوم !

المدينة تتحدث همسا ، والترقب والانتظار في كل العيون . الفنادق خالية الا من جماعات « الهيبيز » الذين يهيمون في الشوارع بثيابهم الرثة ، غير مبالين بالذي حدث ، وربما غير عالمين به !

الصحفيون الاجانب تائهون امام الطرق المسدودة في كل اتجاه ، وممنوعون من مغادرة كابول الى اية مدينة اخرى داخل افغانستان . بل ان الجميع ممنوعون من مغادرة افغانستان باسرها الا بعد الحصول على تاشيرة خروج . وبعد هذا كله تنتظرهم مذبحة في المطار ، حيث تفض كل ورقة مطوية ويدقق في كل ثنية قميص !

والدبلوماسيون المقيمون وقد اذهلتهم المفاجأة ، يضربون اخماسا في اسداس . ذلك ان القابضين على السلطة قادمون من المجهول . من قاع المجتمع الافغاني . بحواريه الضيقة وبيوتها المتهدمة التي لاتصل اليها المياه . وتسمم رائحة طفح المجاري كل ركن فيها .

قال لي احد السفراء : لقد انهار كل ما بنيته من علاقات ومخططات خلال ثلاث سنوات ،

أمام مدخل القصر الجمهوري ، الجيش لا يزال مستنفرا .



وعلى الآن ان ابدأ من الصفر تماما ، فنحن نتعامل مع اشخاص لا نعرف عنهم شيئا ،ونظام تضاربت حوله الاقاويل • ولا نفهم بالضبط اين مركز القوة فيه ، المكتب السياسي ام اللجنة المركزية ، ام مجلس الثورة ام مجلس الوزراء ؟

ومصدر المعلومات المتاح امام الجميع هو راديو كابول ، الذى يذيع نشرتين اخباريتين يوميا باللغتين الانجليزية والفرنسية ، ثم ان هناك ثلاث صحف (كانت ثمانيا قبل الثورة) ــ «خارياب» وتصدر بلغة « الباشتو» وهى خليط من الاردية والانجليزية والعربية ــ « انيس » التى تصدر بلغة «الدارى» الاقرب الى الفارسية ــ وصحيفة « كابول تايمز» التى تصدر بالانجليزية •

البضاعة الوحيدة الرابحة هى الشائعات • فى كل ساعة تسمع شائعة مختلفة • الملا نور شاه امام مسجد بلوخشتى (اكبر مساجد كابول) اعدم لانه عارض الثورة • جول مشاه خطيب جلال آباد دعا الى اعلان الجهاد • اختفى وزير الدفاع العقيد عبد القدير لانه لم يكن عضوا بالحزب•عثر على جثةطيار روسيهبط بالباراشوت فى اول يوم الثورة • الحكومة الامريكية قررتنقل سفيرها فى كابول • الغى اثنان من البرامج الدينية من الاذاعة • صناعة السجاد ستؤمم ••

وهكذا ، شائعات بغير حصر ظللنا نسمعها كل صباح ، ثم نكتشف فى صباح اليوم التالىانها غير مؤكدة ، باستثناء ، قرار نقل السفير الامريكى ، الذى كان صادرا قبل الثورة ، وتأخر تنفيذه بعد قيامها •

القرآن كل صباح

وصلنا الى كابول متأثرين بالصورة التى رسمت للثورة ورجالها فى العالم الخارجي • وهىصورة انطلقت كل خطوطها وملامحها من نقطة واحدة ، انها ثورة ماركسية • اى ماشغل الجميع هو « لون » الثورة بصرف النظر عن اى شيء آخر •

وكان واضحا من متابعة بيانات النظام الجديد ان اول هذه البيانات ركز فى سطره الاول على « احترام » مبادىء الاسلام ، وفى السطر الثاني على تحقيق الديمقراطية •• وحتى الآن فان اذاعة كابول ما زالت تفتتح ارسالها كل صباح بتلاوة القرآن الكريم والحديث الدينى ، بينما

احمد بهاء الدين

لم يتمكن لسبب طارىء من كتابة مقاله ، ويستانف « حديث الشهر » في العدد القادم ، باذن الله •

يفتتح رئيس مجلس الثورة كل خطبه بـ «باسم الله الرحمن الرحيم » ••

وفى الوقت ذاته ــ ورغم الاجماع على شبهة الانتماء الماركسى للنظام الجديد ــ فانه ليس فى كتابات حزب «لخلق» المعلنة ايةاشارة الى الماركسية سواء ، كان ذلك فى برنامج الحزب «المانفستو» الذى صدر مع تاسيسه منذ ١٥ عاما ،اوفىخطةعمل الثورة ، التى اعلنها الرئيس نور محمد تراكى فى الشهر الماضى،وصدرت مقدمتها «باسم الله الرحمن الرحيم » !

فقط ، ثمة خيط رفيع فى « المانفستو » يؤيد هذه الشبهة ،لكنه لا يعد دليلا قويا ، وهو يتمثل فى عبارة وردت على صفحته الاولى تقول : ان المشكلة الاساسية فى التاريخ المعاصر ، هى فى الصراع بين الاشتراكية الدولية والاستعمار الدولى ، وهو الصراع الذى بدأ مع ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى •

هذه الظواهر المحيرة ، تثير العديد من الاسئلة التى حاصرت اول مؤتمر صحفى عقده الرئيس محمد تراكى فى الاسبوع الاول لقيام الثورة ،حتى ان مندوب « الجارديان » الانجليزية ساله : هل صليت الظهر اليوم ؟ •• وكان رد رئيس مجلس الثورة ان هذه مسالة شخصية لايحق لاحد ان يسال الآخر عنها ••

ويبدو ان الرئيس تراكى قرر عدم اجراء اية احاديث مع ممثلى الصحافة الغربية ، بعد الصورة المشوهة التى رسمت للثورة فى اوروبا وامريكا ، وعنها نقل العالم العربى • ولكنه ادلى بحديثين لرئيس تحرير جمعية «اطلاعات » الايرانيـة ، ومجلة « كارانت » الهندية ، وكان حديثى معه هو الثالث •

الرئيس تراكي قال لي

قلت للرئيس نور تراكي : اريد ان اعرف الحقيقة ..

كان الرجل جالسا في احدى حجرات القصر المخصصة لمكتب الرئيس السابق محمد داود . والطريق الى مكتبه يمر بجماعات كثيفة من الجنود حاملي المدافع الرشاشة ، ومجموعة من الدبابات ، التي تمدد البعض فوقها في استرخاء، بعد ان اصبحت فرقة الجيش المدرعة رقم ١٥ التي بدأت الثورة مع الفرقة الرابعة ، بمثابة حرس جمهوري ، خلفا للفرقة السابعة التي كانت تحرس الرئيس داود . وقيل انها أبيدت بجنودها ال ١٢ الفا ، ولكن الواقع انها استسلمت بعد مقاومة محدودة .

بشعره الاشيب الذي ينم عن عمر تجاوز الستين، وتجاعيد وجهه التي حفر معظمها في المعتقلات واوكار العمل السري ، وبصوته الهادئ، وكلماته المختارة، قال الرئيس تراكي ، وهو يجيب على قائمة الاسئلة التي وضعتها امامه :

نحن مسلمون موحدون بالله . وليس لاحد ان يطالبنا بان نثبت ذلك،ونسوق له الادلة والبراهين. فتلك مسالة بين الانسان وخالقه .

● فكرنا مؤسس على مبدأ الصراع الطبقي . لكننا لسنا شيوعيين ، ولم يكن في افغانستان حزب شيوعي يوما ما . ولكن الدوائر الرجعية والامبريالية هي التي اصبحت تصنف الدعاة الى الحرية والعدل والمساواة،وكل اصحاب الاتجاهات التقدمية ، باعتبارهم شيوعيين .

● لا اظن ان العالم العربي والاسلامي قلق على الاسلام في افغانستان ، بدليل اعتراف الجميع بثورتنا . فضلا عن انني تلقيت رسائل شخصية من بعض الزعماء العرب ، تعبر عن اطيب المشاعر. (بعث الملك خالد ملك السعودية برسالة يعبر فيها عن ارتياحه لاعلان قادة الثورة تمسكهم بتعاليم الاسلام ، كما أوفد العقيد معمر القذافي وزير خارجية بلاده برسالة اخرى الى الرئيس تراكي) .

● اما الاصوات التي مازالت تعبر عن هذا القلق على الاسلام والمسلمين في بلادنا ، فمن الافضل ان يشغل اصحابها انفسهم بقضايا العدل والحرية والتقدم للجماهير المسحوقة في بلادهم ، بدلا من دس انوفهم في شئون دولة اخرى لها استقلالها مثل افغانستان .

● وحتى الغرب ، اصبح الان قلقا على الاسلام في افغانستان ، أليس في هذا مدعاة للعجب والسخرية ؟ وقد ادهشني احد الصحفيين الانجليز في المؤتمر الصحفي الذي عقدته بكثرة اسئلته والحاحه على موضوع الاسلام . حتى كاد الرجل ان يرتدي ثياب « المحتسب » (قالها بالعربية) الذي كان منوطا به رعاية شئون الاسلام والمسلمين في التاريخ العربي .

● وحتى تكون الصورة اوضح في العالم العربي، فان مبعوثا للثورة سوف يقوم بزيارة الدول العربية ، حالما تنتهي من بعض الخطوات والاجراءات الداخلية العاجلة .

● ان الاسلام في افغانستان ليس بحاجة الى حماية احد ، ولكن الجماهير المؤمنة في بلادنا هي الحارسة الحقيقية لمبادئ الاسلام وقيمه . ومع ذلك ، ينبغي ان نعمل باصرار على الا نجعل الاسلام مطية لآمال الرجعيين والطغاة والمستغلين .

● ان الجماهير المسلمة في افغانستان بحاجة الى مساعدة ودعم العالم العربي . ونحن نترقب هذه المساعدة التي نعتبرها الصيغة العملية للتعبير عن التضامن والاخاء في الاسلام . وليتنا نعطي الجوانب المادية في حياة المسلم ، نفس الاهتمام الذي نوليه للجوانب الروحية . ان قلوب الناس في بلادنا عامرة بالايمان ، لكنهم بحاجة الى الغذاء والكساء والمأوى . باختصار ، نحن لا نريد «ملا» من العالم العربي والاسلامي ، فلدينا اكتفاء ذاتي في رجال الدين ، ولكننا نريد مساعدات مالية تمول مشروعات تنقذ بلادنا وشعبنا من هوة التخلف.

● لم يمس احد « الملا » في افغانستان فيما أعلم . بل ان العكس هو الصحيح ، فنحن نتجه الى المزيد من الرعاية والاهتمام بهم . وقد قررت الثورة ان تخصص لهم معاشات شهرية باعتبارهم «عمالا دنيويين» . لكنني في الوقت ذاته انبه الى ان الثورة ستضرب بيد من حديد كل شخص او جهة



بالصواريخ ضرب مكتب الرئيس داود ، وهنا سقط الصاروخ الوحيد الذى اخطأ هدفه ، أمام مبنى شركة الطيران الافغانية (ايرانا)

تحاول ان تعترض مسيرتها ، بغير استثناء ولا تمييز ٠

● « الملا » الذين كانوا معتقلين قبل الثورة في ظل الحكم السابق ، سندرس حالاتهم ٠ الذين نسب اليهم شيء سيحاسبون عليه امام القضاء والباقون سيفرج عنهم ٠ (كانت حكومة الرئيس داود قد اتهمت بعض العناصر التي تنتمي الى الجماعة الاسلامية التي يطلق عليها « الاخوان المسلمون » بانها قتلت وزير التخطيط عام ٧٧ ، وقامت بحملة اعتقالات واسعة بين افراد هذه الجماعة)

عن مستقبل الاسلام

وفي اجابته على سؤال حول مستقبل الاسلام في افغانستان قال الرئيس نور تراكي :

عندما تزورنا في مرة قادمة ستجد في بلادنا اسلاما نقيا من الخرافات والشوائب ٠ اسلاما لن يستغل ولن يسخر لخدمة الطغاة والاقطاعيين والمشعوذين ٠

وسألته هل يمكن الجمع بين الماركسية والاسلام، خصوصا وان هناك من يقول بذلك في العالم العربي ؟

اجاب : هذه القضية ليست مطروحة في فكر حزب الشعب الديمقراطي الافغاني ، فضلا عن انها مسألة علمية تحتاج الى بحث طويل ٠

وسألته : هل تأثر برنامجكم بالفكر الماركسي ، وهل يمكن ان تتحول افغانستان الى الماركسية في المستقبل ؟

اجاب : ان تجربتنا نابعة من ظروف بلادنا الخاصة ٠ ونحن حريصون على ان يكون برنامجنا تقدميا ، ومن اجل فقراء افغانستان من العمال والفلاحين ٠ وعلى المستوى الشخصي ، فان اكثر ما تأثرت به في الواقع هو الادب السوفيتي ٠

قلت : ثمة شواهد متعددة تشير الى انكم منحازون الى الخط السوفيتي ، وان علاقة غير عادية تربطكم بموسكو ٠٠

تحدث الرئيس تراكي طويلا في هذه النقطة قائلا ٠ ثورتنا منحازة للطبقات المسحوقة في افغانستان ٠ وقد كان الاتحاد السوفيتي بعد ثورة اكتوبر ، وسيظل صديقا مخلصا للشعب الافغاني٠ لقد كان الاتحاد السوفيتي هو اول الدول التي اعترفت باستقلال بلادنا ، واول الدول التي مدت لنا يد المساعدة غير المشروطة ٠ بل كان الدولة الاولى التي اعترفت بالجمهورية الافغانية عام٧٣ (ثورة ٢٦ سرطان) ، وهو ايضا اول من اعترف

بثورة٧ ثور التيقام بها حزب الشعب الديمقراطي• وسألته : هل تعتقد ان ثورتكم ستغير من خريطة منطقة وسط اسيا ؟

قالالرئيس تراكي: ان تجربتنا للجميع،والافكار لا تعرف الحدود ولا تعرف لها بطاقات جنسية وجوازات سفر •• وليس هناك ما يمنع من ان ياخذ الاخرون من افكارنا •

اخيرا سألته حول الخطوات القادمة للثورة في المجال الداخلي ، فقال ان هذه ثورة الفقراء من العمال والفلاحين ، وان النهوض بهذه الملايين المسحوقة في افغانستان هو مسئولية الثورة ورسالتها • وقد حدد برنامج العمل ٣٠ نقطة على هذا الطريق ، من تطبيق الاصلاح الزراعي ومحاربة الاقطاع واقامة مزارع جماعية للفلاحين ، الى تامين معاشات لكل الكادحين ، والتوسع فيالخدمات ،ودعم القطاعين العام والخاص •

وهنا اضاف الرئيس تراكي « ان الحزب هوالذي سيقود هذا التغير ، من خلال كوادره التي ستحمل المسئوليةفيكل موقع،••وهو يقدر الاعضاءالعاملين (الكوادر) والمنتسبين بحوالي ٥٠ الف عضو • والمنتسبون يقضون ستة اشهر تحت الاختبار ، لم يصبحون من الاعضاء العاملين •

ثورة بسبب السفور

هذه هي وجهة نظر رئيس مجلس الثورة ورئيس الحزب ورئيس الوزراء ، وربما رئيس الجمهورية القادم من افغانستان •• ،

لكن هناك وجهة نظر مقابلة، تطرح شواهد اخرى في « لون » حزب الخلق • وقبل ان نستعرض هذه الشواهد لا بد ان نتنبه الى مدى عمق الشعور الديني في افغانستان • ،

فعامة الناس هناك ، امام قضية الدين ،ينسون كل شيء ، الفقر والتخلف والظلم التي عانوا منها كثيرا ، ولا يرددون الا عبارة واحدة ، سمعتها تتكرر على كل لسان هي انه «مادام الاسلام آمنا فنحن بخير » •

وقد كان هذا الشعور الديني العميق هو الذي دفع الجماهير الى الثورة والاطاحة بالملك امان الله خان في عام ١٩٢٩ ، لمجرد ان زوجته ظهرت سافرة الوجه في صورة نشرت لها باحدى الصحف الاوروبية ، اثناء زيارة قامت بها الاسرة لاوروبا

واذا كانت صورة وجه سافر لزوجة الملك نشرت في اوروبا اضطرته للتنازل عن العرش ، فما بالكم اذا ذكرت كلمة الماركسية في افغانستان ؟؟

واذا كان الفزع ينتاب الكثيرين من المتعلمين والدارسين فيالعالم العربي عندما تذكر «الماركسية» امامهم ، فكيف نتصور صدى ذلك في مجتمع هذه عاطفته الدينية ، ونسبة الامية فيه تصل الى ٩٠ ٪ ؟

من اجل ذلك اختفت كلمة «الماركسية » تماما من قاموس الحياة السياسية في افغانستان ، ولم يجرؤ احد من المنتمين الى فرق اليسار ان ياتي على ذكر الكلمة علنا ، بالتلميح او التصريح ، بل انهم ينفون بصورة قاطعة ايه علاقة لهذه الحركات بالماركسية ، ويعتبرون تصنيفهم في هذا الاطار تقريبا معاديا وامبرياليا ، كما قال الرئيس تراكي•

شواهد اخرى

ومع ذلك فثمة اجماع على ان الخريطة السياسية لافغانستان عرفت خلال الخمسة عشر عاما الاخيرة ثلاث فرقلليسار :اولها واقدمها حزب«شولىجاويد» او الشعلة الابدية ، الذي تؤيده الصين ، وقد وصفه الرئيس تراكي بانه يساري متطرف ،والثاني حزب «الخلق» او الشعبالديمقراطي(بعد الترجمة) الذي انشاه الرئيس نور محمد تراكي ، والثالث حزب « بارتشام » او العلم ،الذي يرأسه برباك كارمل نائب رئيس مجلس الثورة الحالي • ويدعم السوفييت هذين الحزبين اللذين اختلفت مواقفهما من الرئيس داود •

فبينما كان بارتشام يؤيد التعاون معه ، فان حزب الخلق كان اميل الى مقاطعته • وبعد اتجاه الرئيس داود الى ضرب اليسار ، اندمج الحزبان في«الخلق» منذ عام تقريبا ، واختفت كلمة «بارتشام » •مؤقتا (بدات الخلافات تظهر بين زعيمي الحزبين حول توزيع المناصب بعد الثورة ، وان كانت الوزارةقد قسمت بينهما مناصفة)

الا ان الذي يعنينا في هذه الصفحة من تاريخ اليسار هو الاتجاه القوى بين المراقبين والعارفين بالخريطة السياسية لافغانستان ، الذي يعتبر هذه الفرق ذات انتماء ماركسي بدرجات متفاوتة •حتى ان الخلاف بينالصين والاتحاد السوفيتي انعكسعلى

علاقاتهما ، فالصحيفة السرية للحزب المؤيد من الصين «شولي جاويد » ، كانت تهاجم الحزبين الاخرين معتبرة حزب الخلق الاكثر اعتدالا بانه « رجعي » ، وحزب بارتشام بانه « تحريفي » !

ايضا يدللون على تاييد السوفيت لهذين الحزبين بواقعة حدثت عندما جرى صدام بين ممثلي اليمين واليسار امام البرلمان الافغاني عام ٦٥ ، وشجت راس نور محمد نور وزير الداخلية الحالي ، وكان عضوا بارزا في « الخلق » فان السفير السوفيتي في كابول تدخل وقتئذ وقال للسلطات الافغانية ان حالته الخطرة تحتاج الى علاج خاص • ثم جاءت طائرة خاصة نقلته حيث عولج هناك في موسكو • وبعد أن عاد بتعصب زائد للسوفييت اشاع اعضاء حزب « شولي جاويد » انهم في موسكو قبل ان يخيطوا له راسه ، غيروا مخه ، واستبدلوه بمخ رجل سوفيتي !

والرئيس تراكي له كتابات في الماركسية اللينينية صدرت في الهند بلغة الباشتو (مؤلفاته ما بين ١٠ ، ١٢ كتابا فى الادب والسياسة)، وكانت محظورة فى افغانستان قبل الثورة لكنها لم تنزل الى الاسواق بعد الثورة لمزيد من الاحتياط والحذر •

وعندما وقع الانقلاب ، وعرفت أسماء قادته ، كان « مانشيت » مجلة « كارانت » التى تميل الى اليسار وتصدر فى بومباى ، والتى يرتبط رئيس تحريرها مع هؤلاء القادة بعلاقات وثيقة ويعرفهم جيدا منذ الستينات ، كان المانشيت يقول : النجمة الحمراء ترتفع فوق افغانستان !

وبالاضافة الى هذا كله، فان البعض يقول ان محاولة داود تصفية اليسار ليست هى السبب الرئيس الذى اشعل الثورة ، ولكنها الذريعة والحجة الظاهرة فقط ، وان السبب الحقيقى هو فى سياسة الرئيس داود خلال السنتين الاخيرتين التى اتجهت الى الانحياز لامريكا ومد الجسور مع ايران وباكستان ، بصورة لم ترض عنها موسكو •

واذا كانت هذه الشواهد لا تعنى بالضرورة أنهم ماركسيون • وهذا وارد بقدر ، لانه من الطبيعى ان يسعى الاتحاد السوفيتى الى دعم قوى معارضة لنظام ارستقراطى كالذى كان قائما فى افغانستان• كما انه من المفهوم أيضا أن تسعى هذه القوى لضمان تاييد الاتحاد السوفيتى وهو دولة كبرى ولها حدود مشتركة مع بلادهم بطول ١٢٨٠ كيلو مترا • اقول انهم اذا لم يكونوا ماركسيين ، فمن المؤكد أنهم يتجهون الى موسكو ، وأن النظام السوفيتى يلقى بثقله السياسى والاقتصادى الى جانبهم ••

احلاهما مر !

وقد كان هذا التوجه الى موسكو هو أحد الخيارات المطروحة أمام افغانستان • ويبقى بعد ذلك خياران اخران هما : بقاء الوضع كما كان عليه فى ظل حكم أسرة الدورانى ، التى ينتمى اليها الرئيس السابق محمد داود وابن عمه الذى اطاح به عام ٧٤ والمقيم الآن فى ايطاليا ، الملك محمد ظاهر شاه • أو التوجه المنسوب الى الاسلام يتمثل فى المولويين والملا (رجال الدين والاول أعلى درجة) ، ثم الجماعة التى تحمل اسم «الاخوان المسلمون » •

ولنحاول أن نستعرض هذين الخيارين ••

ذلك أن نظام حكم الرئيس داود ارتبط فعلا بارستقراطية عانت منها افغانستان الكثير • أسرة واحدة تحكم ، مع خمس أسر بالتحديد ، لها علاقات وثيقة بها ، سواء بالقرابة أو الانتماء الطبقى • هذه الاسر الست كانت تحتكر ثروة أفغانستان ، وكل المناصب والوظائف العليا بها •• (وهو خطا تكاد تقع فيه الثورة الآن باتجاهها الى قصر المناصب الرئيسية على كوادر الحزب فقط) • حتى أنه لم يكن مسموحا لواحد من خارج هذه الاسر أن يتجاوز درجة معينة في السلك الوظيفي • بل أن السلك الدبلوماسى الافغانى كانت وظائفه مقصورة على اثنتين فقط من هذه العائلات •

وقد قال لى أحد السفراء العرب وهو يعلق على هذه الظاهرة : لم تكن نرى الا وجوه أبناء هذه العائلات فى الوزارات والحفلات والنوادى ، حتى خيل الينا أنه ليس فى أفغانستان غيرهم • وقد أبدى أحدهم استياءه ودهشته عندما دعى الى حفل والتقى هناك بواحد من الافغانيين ، من خارج تلك العائلات •

وقد كان هذا الاحتكار الطبقى للوظائف أحد الاسباب الاساسية وراء هجرة المثقفين الافغانيين الى الخارج ، وهى من اعلى نسب الهجرات• ذلك

ان ٧٠٪ تقريبا من الافغانيين الذين اوفدوا للدراسة بالخارج لم يعودوا الى وطنهم ، لان الابواب مغلقة امامهم .

وربما كان هذا الاحتكار ايضا احد العوامل التي ادت الى انتشار صور عديدة من الفساد الادارى والمالي الذى عرفت به افغانستان ، وقد كانت الرشوة فى مقدمة مظاهر هذا الفساد المستشرى ، فاذا كان التقدم بالاساليب المشروعة ممنوعا على صغار الموظفين ، فان الابواب غير المشروعة بغير حصر ولا عد !

ومن الطبيعى فى ظل اوضاع كهذه ان يستشرى الاقطاع ، وان يفرز حكم الطبقة طغيان حكم الفرد، وهو الذى بلغ ذروته فى عهد الرئيس السابق داود . اذ الغى البرلمان وملأ السجون برجال الدين وضيق عليهم ، لكن احدا لم يتحرك . وعندما استدار ليضرب اليسار ، قامت الثورة .

اما التوجه المنسوب الى الاسلام، فقد كان يسيء الى جوهر الدين ، لتخلفه الفكرى الشديد ...

ورغم ان التربة خصبة للغاية ، ومهيأة تماما لاستقبال هذا التوجه والانطلاق به الى الامام ، الا ان الفكر الدينى فى افغانستان ينتمى فى الواقع الى عصور المماليك والاتراك . والعاملون فى هذا الحقل معروفون بانهم من حفظة « المتون (النصوص) القديمة » ، وهو موقف اظهرهم فى صورة شديدة الجمود والتخلف . وكما اصدر مفتى استنبول فتواه الشهيرة فى عهد السلطان محمود ، التى كفر فيها كل محاولة لتحديث الجيش التركى لان استخدام اسلحة « الكفار » حرام والتشبه بزيهم حرام ! فان المولويين والملا لا يزالون عند هذا الموقف . هم ضد الحياة الحديثة بكل صورها . الراديو والتلفزيون والسينما حرام عندهم . والاصلاح الزراعى ضد الدين ، وحلق اللحية كفر ، لانها وان كانت من الصغائر « الا ان الاصرار على الصغيرة يعد من الكبائر التى يكفر مرتكبها » !

وعندما انشئت كلية الطب فى كابول خلال الخمسينات ، احتجوا وقاموا بحصار الكلية بدعوى ان تشريح جثث الموتى حرام . واضطرت الجامعة ازاء ذلك ان تدرس للطلاب كافة العلوم فى كابول، وتوفدهم الى الهند لدراسة علم التشريح وحده !

وقبل ذلك فى بداية القرن الحالى ، عندما ارسلت الحكومة الافغانية بعثة من الفتيات لدراسة التمريض فى استنبول ، ثار المولويون واجبروا البعثة على العودة مرة اخرى الى كابول .

هذه ـ اذن ـ الخيارات التى كانت مطروحة امام افغانستان : اما التوجه الى موسكو ، او البقاء فى ظل حكم اسرة نادر شاه ، او تسليم الامور الى المولويين والملا !

الم اقل انها خيارات صعبة !

وللحقيقة ، فانه فيما يتعلق بالاسلام ، فلم يكن له وجود حقيقى ومؤثر ، بل ان رجال الدين تعرضوا لاضطهاد شديد ، فى ظل حكم داود ، وحتى اذا افترضنا ان هذا الوجود الهش استمر فى ظل الثورة ، فلن تصبح الاوضاع اكثر سوءا . وربما حدث العكس اذ انه فى الوضع السابق كان متلازما مع طغيان وفساد واقطاع ، واذا صدقت وعود قادة الثورة والتزموا بالبرنامج الذى اعلنوه ، فقد يتحقق وضع افضل لصالح الجماهير الفقيرة والفقيرة التى كانت مهملة فى الماضى .

الخيارات والدروس

اى انه من وجهة النظر الاسلامية ، فاننا نستطيع ان نصوغ الخيارات التى كانت مطروحة امام الشعب الافغانى على النحو التالى : اما اسلام مشوه يقوم على فكر متخلف ، او اسلام « معلب » وهش يقترن بظلم بين ، او اسلام معلب ـ ايضا ـ مع عدل موعود !

لم يكن امام الناس ان يختاروا بين وضع امثل وغيره ، ولكن كان عليهم ان يختاروا الوضع الاقل سوءا !

ولما كانت فرق اليسار هى الاكثر تنظيما ، والانشط فى قطاعات الجيش ، خصوصا وان مائة ضابط افغانى كانوا يوفدون للتدريب فى الاتحاد السوفيتى سنويا طوال حكم داود ، فقد كانت هى البديل الوحيد المهيأ لتولى السلطة .

وساعدهم على ذلك انهم اضطروا الى ان يعملوا « تحت الارض » ، وفى الظلام خلال سنوات حكم الرئيس السابق داود ، الذى مارس نوعا من الحكم الفردى المتسلط ، فى حين انهم فى ظل حكم الملك ظاهر شاه كانت حرية التعبير متاحة لهم بقدر، وكان

لهم في البرلمان ٩ نواب يتكلمون في النور ، ولم تكن فكرة الثورة واردة •

اى انه في غيبة وجود وسائل مشروعة للتنفس والتعبير والحركة ، كان اللجوء الى التنظيمات السرية والوسائل غير المشروعة هو المنفذ والحل الوحيد ••

وهذا درس آخر ليتنا نتعلمه ونستوعبه !

المستقبل في المساجد

وعلى كل ، فانه اما وقد حدث الزلزال ، وصعد على المسرح فريق اليسار المتجه الى موسكو ، فان احتمال هذا المستقبل تستحق منا الاهتمام •

داخليا ، ثمة موقف لم يحسم بعد مع طبقة المولويين والملا • ورغم انهم ايدوا موقف النظام الجديد من اعلانه احترام مبادىء الاسلام ، الا ان هذه ليست الكلمة الاخيرة • لان الخلفيات ما زالت تثير مخاوف بعضهم • وقد قيل ان عددا من رجال الدين وأسرهم اختفوا ، وتسللوا الى باكستان متاثرين بهذه المخاوف • كما اتيح لي ان أتأكد من ان بعض طلبة الجامعة ـ في السنوات النهائية ـ تركوا دراستهم قبل تخرجهم بشهرين ، وفروا مع اسرهم الى باكستان • وقال لي أكثر من واحد التقيت به انه أصبح يفكر في الهجرة ، هو وأسرته ، لكن قرارهم مرهون بالتطورات القادمة •

وحساسية هذه النقطة تكمن ليس فقط في الشعور الديني العارم في افغانستان ، ولكن ايضا في ان المولويين والملا هم سلطة لها وزنها خارج كابول • واذا كانت الدولة تمارس السلطة الادارية ، الا ان السلطة الفعلية ما زالت في يد رجال الدين وشيوخ القبائل •

وقد قال لي احد الخبراء العارفين بالاوضاع في افغانستان ، ان مستقبل هذه الثورة سيتحدد داخل المساجد !

اما انعكاسات الموقف في افغانستان على ماحولها ، فلا يمكن التقليل من شانها • ذلك ان افغانستان باعتبارها قلعة اسلامية عريقة ، كانت تعتبر من وجهة نظر امريكا والغرب هي الجدار الذي يحول دون وصول السوفييت الى المحيط الهندي • وكان هناك حرص من القوتين الاعظم على استمرار التوازن بين مصالحهما في افغانستان ، كما كانت الحكومة الافغانية في الماضي تحرص على اقامة علاقات طيبة مع هاتين القوتين ، حفاظا على دقة الميزان •

وكان معروفا مثلا ان الاتحاد السوفيتي وحلفاءه ينفذون كل المشروعات الجزء الشمالي من افغانستان• الطرق والجسور ومحطات الكهرباء ومشروعات التعمير بينما كان الامريكيون واعوانهم ينفذون مشروعات النصف الجنوبي للبلاد • وعندما اقام السوفيت مطار كابول ، سارع الامريكان الى بناء مطار حديث في قندهار ـ العاصمة الثانية في منطقة الجنوب• وهناك ، يقولون انه لمزيد من حفظ التوازن في العاصمة فان السجائر امريكية . لكن الكبريت سوفيتي ، وهذه الواقعة صحيحة !

وهم يتندرون بالقصة التي حدثت في الخمسينات عندما زار الرئيس الامريكي ايزنهاور مدينة كابول، وصدم عندما قيل له ان المطار الذى هبط فيه اقامه السوفيت ، والسيارة التي استقلها من طراز «زيم» السوفيتي ، والطريق الذي مر فوقه الى المدينة شقه السوفييت ، وبيت الضيافة الذي نزل فيه بناء السوفيت ! !

حلم القياصرة القديم

لكن الميزان انقلب لصالح السوفيت مع قيام الثورة ، وقلب معه حسابات كثيرة ، بل نسف لعبة التوازن ذاتها • فقد كان للسوفيت قدم واحدة في افغانستان (كانوا ينفذون ١٢٠ مشروعا هناك قبل الثورة) والآن نستطيع ان نقول انه صارت لهم قدمان !

افغانستان لم تعد هي الجدار العازل الذي يحول دون وصول السوفيت الى المحيط الهندي ، بل فتحت ابوابها ـ لاول مرة في تاريخها ـ لتحقيق حلم القياصرة القديم • ان يصبح « لروسيا » منفذ الى « البحار الدافئة » وبينها بحر العرب المؤدي الى المحيط الهندي • والعالم الواسع الارجاء بعد ذلك •

وليس معنى ذلك ان السوفيت قد وصلوا فعلا الى شاطىء بحر العرب ، ولكن غاية ما يمكن ان يقال انهم تقدموا خطوة هامة في هذا الاتجاه •

والعارفون بشئون المنطقة يقولون ان فتح ابواب افغانستان للسوفيت ، يجعل بمقدورهم ان يطرقوا بسهولة ابواب ميناء « بندر عباس » الايراني ، القريب من الحدود الافغانية •

وثمة نتيجة أخرى بالغة الاهمية تترتب على اقتراب السوفيت من بحر العرب ، وهي امكانية التحكم في مداخل الخليج ، والتحكم بالتالي في مخارج البترول العربي والايراني !

وباب المستقبل لا يزال يتسع لمزيد من الاحتمالات، ذلك انه بعد نجاح السوفيت في منافسة السيطرة الامريكية على مياه البحر الابيض «الدافئة» منذ الستينات ، فقد تشهد الثمانينات منافسة سوفيتية اخرى للسيطرة الامريكية على مياه المحيط الهندي، وتهديدا للقلاع الامريكية المسلحة التي نصبتها فوق بعض جزر المحيط •

وينبغي ان نلاحظ ان هذا الاحتمال وغيره ، لا يتعارض مع افتراض أن النظام الجديد في افغانستان قد لايكون ماركسيا، او « تابعا » للاتحاد السوفيتي • فقد وصل السوفيت الى البحر الابيض عبر علاقات وثيقة مع بعض الدول العربية (مصر في المقدمة) ، دون أن تصبح مصر ماركسية او تابعة لموسكو • ذلك أن الاخذ والعطاء من قواعد اللعبة السياسية • ويظل المهم دائما هو كيف يمكن ان تاخذ باكثر مما تعطي ، وكيف يضبط العطاء بحيثلا يتحول الىتفريط فيالاوراق،بدلا من اللعب بها !

عن ايران وباكستان

وثمة انعكاسات اخرى ينبغي الا نقلل مناهميتها تلقي بظلها على الجيران الآخرين ، وفي مقدمتهم ايران وباكستان • وهما منفذ أفغانستان الوحيد على العالم الخارجي ، وبالذات باكستان التي تتلقى مؤن واحتياجات افغانستان في ميناء كراتشي•اما ايران،فان اقتراب النفوذ السوفيتيمن بترولها هو امر يؤرقها بغير شك ، ثم اقتراب ريح الثورة والتغيير من حدودها ، هو خطر آخر لاحت نذره في الافق •

وفيما يتعلق بباكستان فان المشكلة التي برزت على الفور بعد الثورة ، تتعلق بقبائل الباشتون والبلوش ،التي تعيش على الحدود المشتركة بين الدول الثلاث (افغانستان وباكستان وايران)، لكن الثقل الاكبر لجماعاتها هو بين افغانستان وباكستان •

وثمة نزاعبين الدولتين حول تبعية هذهالقبائل، يطفو ويهدأ طبقا لمدى تحسن علاقاتهما • وجهة كابـول • ان منـاطق هـذه القبـائل كـانت جزءا من افغانستان ، ولكن التقسيم البريطاني للمنطقة في عام ١٨٩٣ اقتطع من ارضها هذهالمناطق وضمها الى الهند ، ثم اصبحت جزءا من باكستان عام ١٩٤٧ ، بعد الاستفتاء الذي جرى فيمقاطعات الهند ذات الاغلبية المسلمة •

وبعد الثورة ، ارسل شيوخ قبائل الباشتون والبلوش برقيات تاييد لزعمائها ، من باب التذكرة بقضيتهم • ولم تتاخر حكومة الثورة في اعلان موقفها ، وفي اول كلمة القاها وزير خارجيـة افغانستان الجديد امام المجتمع الدولي ـ فـي اجتماع وزراء خارجية دول عدم الانحياز بهافانا ـ قال ان الخلاف السياسي الوحيد بين بلاده وبين باكستان يتمثل في مشكلة الباشتون والبلوش، وان افغانستان ستسعى الىحل المشكلةبالوسائل السلمية،وفي ضوءالاعتبارات التاريخيةللمنطقة••

وثمة تاكيد هنا في كابول انه اذا اعطيت قبائل الباشتون والبلوش حق تقرير المصير ، فسوف تختار الانضمام الى افغانستان صراحة • اما اذا منحت حكما ذاتيا ، فان ذلك سيعد اقرارا ضمنيا بعدم احقية باكستان فيها ، فضلا عن انه سيصبح بمثابة تمهيد للانسلاخ عن باكستان •

واذا حدث ذلك ـ واذكر اننا نتحدث عناحتمالات المستقبل ـ فانه يعني اشياء كثيرة :

ـ يعني ان تقتطع من باكستان مساحة ليست هينة ، يسكنها حوالى ٨ ملايين من المنتمين الى هـذه القبائل•وهي ضربة قاصمة ، خصوصا بعد انفصال بنجلاديش عن باكستان في عام ٧٢ •

ـ ويعني انتضرب الجسور الصينية التقليديةالممتدة الى باكستان ،ويكسب السوفيت نقطة في صراع النفوذ المحتدم بين موسكو وبكين •

ـ ويعني ـ وهذا هو الاهم ـ ان يتقـدم السوفيت خطوة أخرى الى الامام ، في اتجاه بحر العرب ومخارج البترول العربي والايراني •

وحلم الهند الدفين

وهذه الانعكاسات السلبية التي قد تلقي بظلها بصورة حادة على باكستان ، توقظ عند الهند فيما يبدو رغبة في تصفية الحسابات معها ، وربما حلما يجدد املها في عودة شبه القارة الهندية الى ما كانت عليه قبل التقسيم في عام ٤٧ ٠

فقد سارعت الهند بالاعتراف بالنظام الجديد ، بعد ٢١ ساعة من تشكيل الحكومة ٠ اعترف الاتحاد السوفيتي في الساعة السابعة والنصف من مساء يوم ٣٠ ابريل ، وجاء اعتراف الهند في الرابعة من مساء اليوم التالي ٠

وقد يقال في تفسير ذلك أن الهند تريد أن تثبت حضورها على مسرح الحدث الجديد في وسط آسيا ٠ وقد يقال أن الهند لها مصالح في افغانستان : لها ٣٠٠ خبير غير جالية هندية كبيرة٠

قد يقال هذا وذاك في تفسير مسارعة الهندالى الاعتراف بالنظام الجديد ٠ ولكن أليس واردا أيضا أن يكون هناك سبب اضافي آخر ، هو الضغط على باكستان ولي ذراعها ؟خصوصا وأن هناك سابقة للهند في هذا الصدد ، عندما تدخلت عسكريا لدعم انفصال بنجلاديش ، وشطر باكستان الى نصفين !

اذ كيف نتصور مستقبل باكستان ومصيرها بعد أن انفصلت عنها بنجلاديش في مرحلة ،ثم اذا اقتطعت منها اراضي الباشتون والبلوش فيمرحلة أخرى ، وبعد هذا « التقزيم » تجد نفسها في مواجهة نفوذ دولة كبرى مثل الاتحاد السوفيتي ؟

قد تكون هذه مجرد أحلام وأوهام ، ولكن لنتذكر أن احلام الامس هي حقائق اليوم ، وأن أحلام اليوم هي حقائق الغد ٠ وان هذا هو أحد قوانين التطور ! ٠

هل ننتبه ونتعلم ؟

لكن بعضنا ينشغل عن هذا كله ، يغمض عينيه ويصم اذنيه ، ولا يرى ما جرى في افغانستان الا بمنظور واحد هو : أنهم ماركسيون !

وقد اذهب الى أبعد مدى مفترضا ان دافع هؤلاء هو الغيرة على الاسلام والخوف عليه ، الا انى لا افهم أن نسكت على ما فعله نظام داود بالقيادات المنسوبة للاسلام ، وبالمسلمين انفسهم ، بدعوى انه مسلم ، ثم نملأ الدنيا صياحا وصراخا عندما يتغير الوضع ويقبض على السلطة آخرون ، منسوب اليهم أنهم ماركسيون ٠

ويثير الدهشة فيالمنهج هنا الا يرى بعضنا في شئون المسلمين الا ضبط ورصد علاقتهم بالله سبحانه ، رغم ان هذا امر يحاسبهم عليه الله ـ بينما لا يخطر لهؤلاء أن يبذلوا جهدا موازيا في اتجاه تصحيح واقع المسلمين أنفسهم ٠٠

وهذا المنطق يذكرنا بالمناقشات الفقهية التي جرت فيالماضي حول الكافر العادل والمسلم الجائر ، وجرأة بعض الفقهاء في القول بان الكافر العادل افضل من المسلم الجائر « لان الاول عليه كفره ولنا عدله ، والثاني له اسلامه وعلينا جوره » فيما يذكره الامام الشاطبي ٠

وللدقة اقول انه في حالتنا هذه ، فان قادة ثورة افغانستان يقولون أنهم مسلمون وموحدون بالله واقول أيضا أنهم في قضية العدل «واعدون » ، وهو امر يحتاج الى وقت للتثبت منه ٠

أخيرا ، فانه تبقى اسئلة معلقة ، بعضها نملك الاجابة عليه ، وبعضها في علم الغيب ، من هذه الاسئلة مثلا :

هل ستبقى الثورة في افغانستان على موقفها من الاسلام ، أم ستتحول عنه في مرحلة قادمة ٠ اى هل موقفها الراهن هذا تكتيكي أم استراتيجي؟

هل ينفلت العيار في لحظة حماقة من أي طرف وتحدث مواجهة بين الشارع الافغاني بقيادة رجال الدين وبين النظام الجديد ؟

هل يتحمل العالم العربي والاسلامي مسئوليته تجاه مسلمي افغانستان ، ويمد جسورا قوية معهم، ام ينطوي ويبتعد ويلجأ الى القطيعة ، متأثرا بالمخاوف والخلفيات ؟

ثم ، هل تنبهنا تجربة افغانستان الى ضرورة وجود تيار اسلامي ناضجومستنير ، قادر علىاقناع الجماهير والتقدم بها نحو المستقبل ، ام يظل الحال كما هو عليه ، فتضيع منا قيادة الجماهير ؟

وهل تدعونا التجربة الى ان نفتح الابواب لممارسة حرية الحركة والتعبير للجميع في النور ، قبل نفاجأ بالانفاق محفورة تحت كل الاقدام ، وفي الظلام ؟!

ونغرس بايدينا بذور زلزال جديد !

■■



الوطن بيت

••• هـذا الصراع الدامى بين وطننـا العربى واسرائيل • اليس من اجل « البيت » ؟ ــ كانوا فى ديارنا عابرين فاستقروا ، واصبحت لهم بيـوت • وكنا فى ديارنا مستقرين فتشردنـا ــ لاجئـين او مغتربين ــ واصبحنا نبحث عن بيوت » •

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

قــالت : اكيد انك لم تجرب هذا الموقف ، ولم تشعر بهذا الاحساس •• حين تجمع أوراقك وكتبك وملابسك ، وتغلق بـاب البيت وراءك ، وتترك مفتاحه مع صديق ليتابع اجراءات التسليم، وتتجه بعد هذا الى المجهول •

هذا البيت كان بيتى الوحيد • حين اغلقته اصبحت بلا بيت وساعود الى جامعتى السابقة فى اقصى الغرب • انـزل المدينـة كاى غـريب لابحث عن مسكن ، وانشىء بيتا جديدا ،واسترد بعض ما تركت عند اصدقائى من متاع ، حافظوا على بعضه ، وحطموا بعضه ، وباعوا البعض بثمن بخس • ومنهم من يتمنى الا اعود ، ليستولى على ماتركت عنده • وانت لاتملك ــ حين تلقاهم ــ الا ان تقول لهم : شكرا ••

وفى طريق عودتى ، سامر على موطنى • وقد ذاب بيت الاسرة بين اصابع اخوتى بعد موت الوالد والوالدة • انتهى **هـذا العهـد** • **ذهب البيت**



الكبير مع الرجل الكبير • واصبح لكل من اخوتي سكنه وحياته الخاصة •

أليس غريبا ان اكون غريبة في وطني ؟ ابحث فيه عن سكن ؟ وامر على البيت القديم بعد ان سكنه قوم جدد ، فلا استطيع الاقتراب من بابه وكنت استطيع السير فيه مغمضة العينين ؟

لماذا كان لنا هذا البيت الكبير ؟ ظن الوالد انه يتناسب مع مكانته الادبية والعلمية بعد ان تقدمت به السن •• ثم رحل •• واثار البيت الكبير من بعده تنافسا كبيرا ومطامع • الثريات الكريستال الرائعة • السجاجيد العجمية الفاخرة• دخلت كلها معركة الغنائم • الحاضرون اخذوا• والغائبة بغير نصيب ، الا قليل او هالك••كانوا فيه من الزاهدين •

وعندما زرت البيت اخر مرة ، كانت معظم الحجرات مهجورة • اتذكر قصر البارون امبان ـ المغولي الطراز ـ الذي بذل فيه منشيء ضاحية مصر الجديدة ما بذل ، واقام فيه الاحتفالات الاسطورية ؟ اتذكره بعد أن هجره صاحبه وتنازع أصحاب الحق فيه ، واغلق القصر ابوابه وزحف الخراب على حديقته ، يأكل الخضرةوالنضرة، وبقيت اشجار النخيل الملكي منكسة الراس ذابلة •• شعثاء •• ظامئة ؟ يبدو ان سر هذا القصر سرى الى بيوت اخرى ، بنتها الامال الكبيرة ، وضيعتها النزاعات الصغيرة ••

والا ماذا اصنع ؟

ولكي القي على القصة مزيدا من الضوء هل اعود بك الى الماضي قليلا ؟

لقد تخرجت متفوقة من الكلية كما تعلم ، فترة جميلة كانت حياتي في الكلية • هل تذكرني عندما كنت طالبة ؟

قلت نعم لصداقتي مع الوالد ، ولتفوقك ،ولانى كنت ـ مجرد مصادفة ـ اكثر من عام ـ عضوا في لجنة النظام المسئولة عن القسم الذي كنت فيه • وكنا نتضاحك مع الزملاء عند رصد النتيجة: الاولى بامتياز ؟ فيذكرون اسمك • ويرتفع صوت ضاحك : من شابه اباه فما ظلم • وضحكة اخرى: شكلا وموضوعا •• تتبعها موجة من الضحك •• وكان الوالد ذكيا وسيما ••

ومضت هذه الايام الخضراء وانقطعت اخبارك عني فماذا حدث ؟

قالت : سافرت في بعثة حكومية الى الخارج، وتابعت دراستي العليا حتى حصلت على الدكتوراه•• على ايدي اساتذة عالميين في هذا المجال • وماجمل البحث العلمي لمن يحبه ، والمغامرات العلمية في افاق جديدة ، مع اساتذة يبنون اهرامات العلم، وتحس وانت تعيش معهم او تقرأ لهم انك في جو الخلود ••

شهور وشهور امضيتها في بحوث ميدانية في قرى نائية • اكتفي بالقليل من الطعام والشراب واسعد بالكثير من البحث العلمي • كان سكني خشنا ، وثيابي غليظة • عشت الاقلال والتحمل مع اهل هذه القرى ، حيث حركة التاريخ بطيئة ، وامواج المدينة ـ حين تصل اليها ـ تصبح تقلصات ضئيلة •

واستقام قلمي في الكتابة ، ومهجتي في البحث واخذت استعد للعودة الى وطني •• الى بيتي•• كانت حياتي قد اتخذت منهجا علميا دقيقا ••فهل استطيع ان انقل حياتي الى وطني • أيكون لي بيت الى جوار بيت ابي ، انظم فيه مكتبتي وحياتي؟ كانت السن قد تقدمت بالوالد • ولن يبقى البيت الكبير من بعده • والاعمار كلها بيد الله • والاستعداد لظروف المستقبل افضل من تركها

للمفاجآت •• هل اقول له : انني لا احس الامن بعدك ، وانك السد الذي يحول بيننا وبين التنازع على ما تركت لنا ؟ ليته ترك لنا الحب واخذ المال ! !

وارسلت اليه برغبتي • وجاء الرد : تعيشين في بيت الاسرة • كيف تسكنين وحدك • وماذا يقول الناس عنك وعني ؟

ـ وماذا قالوا عندما كنت في البعثة سنين ؟ اتوافق على سكنى وحدى في الخارج منفردة ، ولا توافق علىسكنى الى جوارك ؟ لقد كنت امينة على شرفك وشرفي • وهاأنذا اعود اليك بتاج من العلم والكرامة مرفوعة الرأس •

كان الموت متحدثا اسمعه • ولايسمعونه •اراه قريبا ويرونه بعيدا •

وكل الذي اريد ان يكون لي بيتي••بيتي الذي استقر فيه ولاينازعني فيه احد •فالوطن بيت •

ـ مستحيل••هكذاكان رد الوالد حاسماوقاطعا

هل اعود ، ومع امن اليوم خشية المستقبل ؟ اعود الى الوقت الهالك في المجاملات ، وشعوري الدائم بالقلق ، والسكنى في بيت متين البنيان ، هش المصير ؟

قلت لك : الاعوامتمر••وليست الفتاة كالفتى• هكذا تحكم علينا بيئاتنا • وحين تتقدم بها السن مهما يكن شرف الدافع الذي حملها بعيدا عن موطنها فسيكون السؤال :

ـ لماذا لم تتزوج حتى الآن؟ وكيف تعيش ؟

ورغم هذا كله ، بدأت اجراءات التعيين في الجامعة • ومشت بطيئة • الروتين القاتل •التحايل على النصوص • لم تكن نصوصا ، وانما لصوص مواهب وحياة وقدرات •• وكنت احس بوادر هذا في زياراتي الصيفية وبعض لقاءاتي بالزملاء :

انت ذكي ، ولك انتاجك ومواهبك • اذن انت منافس خطر • ستكون عاصفة فوق المياه الهادئة • ويفلسفون هذا • انه التحاسد المهني•• لماذا لا يكون تعاونا مهنيا ؟ وانت ايها الوافد الجديد ، لماذا تثير حياتهم الهادئة ؟ ما اسعدهم بما عندهم وبالمحاضرات المعادة عاما بعد عام •• ولها في كل عام محصول جديد • قل انها زراعة المحاضرات • وسلام على السباق مع الزمن في عصر العلم والتكنولوجيا !

اعلم اني قاسية في قولي • ولكن لك ان تسأل الكثير من الزملاء، عما لقوا من عقبات عاشوا بها، وقلوبهم موزعة بين الاقامة والهجرة • هل احسست ان سيل الروتين كان اقوى من ابي بعد ان تقدمت به السن ، ولم تعد لكلمته قوتها القديمة ، بينما كان العرض الآخر من العالم الجديد اكثر سخاء، والجو العلمي ـ كما بدا لي ـ اكثر استقرارا ، والقدرة على الانتاج افضل ؟

وسافرت الى العالم الجديد ••

وكنت أمينة مع وطني • لقد رددت ـ وباقساط ـ كل مصاريف البعثة الدراسية • فهذا المال ليس حقي اذا عملت في الخارج • انها اموال جاءت من جهد الزارع وعرق الصانع • وشعرت براحة كبيرة عند سداد القسط الاخير من هذا الدين • لم اطلب العون من احد • ولا من والدي •• بعض زملائي كان يعجبون : لماذا تردين مصاريف البعثة ؟ اقول : هذا حق وطني ، او بعض حقه • ثم انني اريد ـ ولو بعد حين ـ ان اعود الى وطني • اسافر دون اي مشكلات • سيكون لي في الوطن بيت •• فالوطن بيت •

وهناك على الشاطيء البعيد •• في اقصى الغرب •• على المحيط الهادي استقر بي المقام في الجامعة

ـ منزلي ؟ اصفه لك • فسيح بالنسبة لي • نوافذه من الزجاج العريض ، تبدو الغابة من ورائها كأنها لوحة كبيرة •• الاشجار الضخمة كأنها حراس ازليون لجمال الوضع • وغير بعيد قمم مغطاة بالثلوج • مياه تنحدر وتتجمع في بحيرات يجري ماؤها الى المحيط الكبير •• مئات ومئات من الجزائر الصغيرة • الطيور طليقة •• طليقة •• لها حريتها في الغابة • ومع الفجر ارى قطرات المياه متجمعة على الاوراق العريضة •

تتساقط احيانا كالدموع من عيون خضراء ، او تلمع كاللآلىء • جواهر يجمعها الليل وينثرها النهار •

احيانا لا اشعر بجدران المنزل الزجاجية • انا فى الغابة • والغابة فى نفسى بكل جمالها • انا فى المحيط • والمحيط صدر الكون بكل اتساعه •• ارى نفسى احيانا موجة سابحة فيه•• لا •• لا اريد أن أكون موجة مالحة •• بل موجة عذبة في نهر نشات على شواطئه وسرت فى ظل نخيله •• انا من ترابه ومائه وعمقه وجذوره •• كم احب النيل •• الحلم والحقيقة •• الماضى والمستقبل !

ومهما يكن جمال المنظر حولك او فى نفسك ، فانت لا تحب ان تراه وحدك • فالجمال مشاركة • صفة تخلعها على الاشخاص والاشياء والمشاهد ••

سعدت بعملى الجامعى وهدوء حياتى اليومية ، ولكنى لن ازيد عن ترس صغير فى آلة عملاقة فى بلد غريب •••

ويزداد الحنين الى الوطن • وترتفع اثمان المساكن فى العالم العربى كله فهذه ظاهرة عالمية • لا بد لى من سكن حيث اعمل • فهنا مصدر رزقى ، وحيث اجد التقدير المادى والادبى• لا تقل لى عودى ، فالاتجاه العربى الى الهجرة ظاهرة عامة • والقدر العناصر على الهجرة هى من اكثرها كفاءة • وعلينا ان ننظم انفسنا على مستوى عالمى • ولكن القضية الان كيف يكون لى فى وطنى بيت صغير • بغير هذا البيت اعود الى وطنى غريبة • وازور أهلى غريبة • اجمل الفنادق لا تغنى عن البيت • فى الفندق انت رقم حجرة • انت رقم جواز سفر • انت قائمة حساب• فى البيت انت انسان •

والقضية فى ديارنا : اليست البحث عن حقوق العرب فى العودة الى ديارهم وارضهم المغتصبة ؟ وهذا الصراع الدامى المرير بين اسرائيل ووطننا العربى •• اليس من اجل « البيت » ؟ كانوا فى ديارنا عابرين فاستقروا ، واصبحت لهم بيوت •

وكنا فى ديارنا مستقرين فتشردنا ــ لاجئين او مغتربين ــ واصبحنا نبحث عن بيوت •

وعندما هاجر المسلمون من اسبانيا الى المغرب، أخذوا معهم مفاتيح البيوت على أمل العودة • وظلت الاسر الاندلسية تتوارث هذه المفاتيح •• رمز العودة الى فردوس الاسلام المفقود ••

كثير من اصدقائى فى الارض السليبة ما زالوا يحتفظون بمفاتيح بيوتهم ، يسلمها الاباء الى الابناء، على امل العودة يوما •• وفى ادب الثورة الفلسطينية نرى للمفتاح دورا اذكر معه قصة غسان كنفانى « الصغير يكتشف ان المفتاح يشبه الفاس » • تدور احداثها حول مفتاح بيت الاسرة •• يقول : بالنسبة لنا كان المفتاح مجموعة من الفضائل دخلت حياتنا ببطء، ولكن بثبات •• فهو المفتاح الوحيد الذى لم يستطع الزمن أن يضيعه •• وتجرى احداث القصة ، والبطل الرئيسى فيها هو المفتاح •• رمز البيت والوطن والصلابة والعودة •• مفتاح يشبه الفاس الصغيرة •• هذه تفتح الارض وهذا يفتح البيت ••

ويحزننى ما اجد من نظرة بعض الشركات الاستغلالية ــ ولا أقول الاستثمارية ــ الينا •• بل نظرة بعض الاجهزة الحكومية •• التى تحاول امتصاص جهد السنين الماضية والاتية ، من أجل الحصول على مسكن •• ووسط ضجيج الاستغلال يضيع الصوت الانسانى فى الانتماء والولاء •

لا أريد كثيرا •• بيت صغير من حجرتين او ثلاث • احس حين اكون فيه انه بيتى فى وطنى• قد ازوره فى العام مرة •• قد أقضى فيه اياما او اسابيع • ولكن هذا البيت هو شهادة انتماء • انه العش الجديد فى الوطن القديم • انه المرفا الآمن بعد حياة العواصف فى البحار السبعة •

اريد أن يكون فى حقيبتى مفتاح عربى اللسان، لا يفتح الا بيتا فى وطنى •• حين احسه اطمئن الى طريق العودة • اريد بيتا فى وطنى•• فالوطن بيت •• ■■

الكويت ــ د• عبد العزيز كامل

أسماء......

للدكتور عبده بدوى

امى اسماء بنت ابى بكر
قد جاءت كيما تبصرنى فى هذا العصر
.. امى اسماء بنت الصديق
قد جاءت مثل الموتى في ضيق
.. امى اسماء قد جاءت غضبى بنطاقين
لكن في عينيها لم ابصر حزنا..بل حزنين
فلقد قالت ـ فيما نصحتني به
ويداها طير حط على الكتفين ـ
يا عبدالله
ان كنت علىحق فارفع هذا السيف الوهاج
فى وجه الحجاج
.. فرفعت السيف
ليهل ربيع من بعد الصيف
ليفرس عدل من فوق الخوف
لكن الورد الاحمر غطى عنقي
غطى صدرى .. وتقاطر من كف بعدالكف
ان تصمت كف تقطر كف ! !



...وعبدالله

امي بحثت عني في هذي الايام المشتطه
لكن لم تبصرني في حلقات المسجد
او في ازياء الشرطة
.. امي لما وجدت اني ما زلت بعيدا عن
مهوى الارض
ما زال دمي يتصبب من فوق العالم
جزعت . صرخت .. قالت : يا عبدالله
ما زلت تقاوم !

* * *

امي قالت : يا عبدالله
قد آن لهذي الخطبة ان تقطع
لن يسمع انسان صوتك
فترجل من هذي الاعواد
واقصد قبرك
فقد ابيضت ـ ياطفلي ـ عيناي من الحزن
والمبصر يدركه الحجاج فما بال الاعمى ؟
يا عبدالله
كل الموتى عادوا
الا من قد قتلوا ظلما !

* * *

ـ يا عبدالله سازورك في العام القادم !
ـ يا امي سوف اظل اقاوم !





الخير كل الخير للرضيع الذى يرضع من امهطبيعيا، لا ان يترك لزجاجة ، لا احساس فيها ولا حياة .

درس من اسماك الزينة :

ليس باللبن وحده نعيش..!

بقلم : دكتور عبدالمحسن صالح

قد يتفلسف الانسان بعلمه،ويتعالى بفكره ، وقد يقع فى الخطا ، ويضل الطريق ، وعندئذ قد تأتى سمكة اوحشرة او دودة او حتى ميكروب دقيق ليضع ـ بسلوكه الطبيعي ـ حدودا لفلسفاتنا ومعارفنا ، أو كانما هو يضع لنا أيضا النقط فوق الحروف ، علنانصحح أخطاءنا ، ونرجع الى كل ما هو طبيعى ومقنن ومنقح واصيل .

■ لاشك ان كل شىء طبيعى مرغوب وغال ومستحب وجميل ، فهو الاصل ، وكل ماعداه تقليد .. لا تختلف فى ذلك العطور عن الجواهر عن السلوك عن الالبان عن الرضعات التى يتناولها صغار الانسان والحيوان ، فيختلف بذلك تكوينهم النفسى والجسدى من البداية .

نقول قولنا هذا بعد أن اعطتنا بعض انواع من الاسماك درسا قد لا تخفى احكامه على لبيب، ذلك ان المبدا الاول للسمك (ان كانت للاسماك مبادىء على اية حال) يتلخص فى عبارة مقتضبة شعارها : الذى يرضع طبيعيا يعيش ، والموت لمن حاد عن الطريق !



« هل يمكن أن تهب هذه الزجاجة عاطفة الام وحنانها لوليدها ؟ ‏‏٠٠‏ راجع المقال لتعرف الجواب » ٠

وقد يبدو الموضوع غامضا وغريبا ، خاصة واننا نعرف ان الاسماك لاتمتلك اثداء ولا الباناً ولا رضعات طبيعية او مصطنعة كالتي يعرفها البشر، فماذا يمكن ان تقدمه لنا سمكة من عبر واحكام قد تنفعنا في حياتنا ، وتضع الحدود لجنوح الانسان من خلال مدنيته الحديثة عن كل ما هو طبيعي حتى ولو كان ذلك في رضعة لبن ؟

دعنا نتعرض للقصة من اولها ، ولنبدأها بسمكة مع صغارها ، ولنا مع الانسان بعد ذلك عودة ، فلعله الى رشده يعود !

سمكة مرضعة

في بداية الخمسينات من هذا القرن لاحظ مربو اسماك الزينة ان عزل صغار بعض انواع السمك عن الآباء ، ثم وضعها في أحواض خاصة ، حتى يمكن حمايتها من هجمات الاسماك الاكبر ، يؤدي الى ضمور الصغار ، ثم تنتهي حياتهم بموت اكيد ٠

حينئذ ظهرت علامات استفهام كبرى : فلماذا يموت صغار هذه الانواع رغم مايقدمه لها الانسان من اطايب الطعام الملائم لعمرها ونموها ؟ ٠٠ وهل يرجع موتها الى نقص بعض عناصر غذائية محددة ؟ ٠٠ واذا كان الامر كذلك ، فما هي تلك العناصر الناقصة حتى يمكن تعويضها في غذاء صناعي امثل يهبها نموا بسرعة الصاروخ ؟

وفشلت كل المحاولات في انقاذ الصغار ،فليست الاغذية المقدمة هي سبب موتها ، اذ ثبت انها اغذية متوازنة في عناصرها ، متكاملة في تكوينها، غنية بكل ما يطمع فيه اى مخلوق من نعيم الحياة، والدليل على ذلك ياتينا من صغار الانواع الاخرى التي تنمو وتترعرع على تلك الاغذية ذاتها ، وفوق ذلك تراها وهي تسبح في صحة جيدة ، لكن الامر يختلف تماما مع انواع غيرها ، فتتبدل قوتها الى هزال ، وصحتها الى مرض ، وحياتها الى موت ٠

لكن ليست بالعناصر وحدها يحيا السمك ، ولا بالطعام الموزون ينمو ويعيش ٠٠ بل هناك عنصر الوالدين !

فلكي يعيش صغار هذه الانواع من الاسماك، فما عليك الا أن تعيدها الى والدتها ، أو والدها او والديها معا ـ يختلف ذلك طبعا باختلاف النوع ، فما أن تحس بآبائها وامهاتها ، حتى تسارع اليها وتلتصق باجسامها ، وتظل على ذلك اياما ، وعندئذ يتبدل ضعفها قوة ، وموتها حياة !

لكن ٠٠ ماذا يعني ذلك حقا ؟ ٠٠

يعني ان الصغار يحتاجون الى رضعة طبيعية من الكبار ٠٠ رضعة من «لبن» خاص ، او ان شئنا الدقة لقلنا : رضعة من افراز خاص !

صحيح أن الاسماك لا تمتلك اثداء، ولا هي ترضع ولا تدر لبنا كالذى تراه خارجا من الحيوانات الثديية ٠٠ الخ ، ومع ذلك ، فلا حياة لصغار هذه الانواع (اهمها بعض انواع من سمك القرص وسمك القط) ما لم تتقبل « الرضعة » الاولى من افرازات آبائها ، لانها تهيىء امعاءها الرقيقة

للتكيف تدريجا بالغذاء الطبيعي او الصناعي الذى ينتشر فى البيئة المائية من حولها ، وهي ـ لهذا ـ تفضل الموت على اى غذاء آخر ياتيها من غير الطريق «الشرعي » او الطبيعي !

لا نكوص عن لبن الوالدين !

والشعار الثاني الذى تضعه الحياة لكائناتها هو « ليس كل لبن يجيء مناسبا لكل وليد » ! ٠٠ ولقد احترمت الاسماك هذا الشعار ، فى حين ان الانسان قد اخل بما ارتضته له الطبيعة سبيلا ، وما اكثر مايخل الانسان بالنواميس والشرائع، حتى ولو كان ذلك فى رضعة لبن تقدمها الحياة بمعايير خاصة ، لتصبح سائغة وصالحة للرضع فى النوع الواحد دون سواه !

فالرضعة الصناعية مهما كان مصدرها قد يحسبها الناس صالحة لطفل الانسان ، وهي ليست فى الواقع كذلك ، فصلاح المرضعة والرضيع ، او الوالدة والوليد ينبع اساسا من المنفعة المتبادلة بينهما اثناء عملية الرضاع، وهذا ما ستتضح لنا اصوله بعد ان نقدم اولا « شريعة » السمك فى هذا السبيل !

فصغار السمك من نوع القط لاتقبل بحال من الاحوال الافراز الذى يشبه اللبن من نوع سمك القرص ، والعكس ايضا صحيح ، فكل افراز لكل نوع قد جاء « بتوليفة » خاصة ليكون صالحا لما جاء له ٠٠ اى ان الافراز المناسب قد جهز للصغير فى النوع المناسب ، وللعمر المناسب ، فاذا ماأراد العلماء تغيير هذا المبدأ او تحويره ، اضربت صغار السمك عن الاكل حتى الموت ! ٠٠ هذا رغم ان الافراز السمكى من الانواع المختلفة يبدو للعين والانف واحدا ، لكن المهم هو الجوهر ٠٠ لا المظهر ـ حقيقة عرفها السمك قبل ان يعرفها البشر ، وما اكثر ما لا يعرفون !

الذكر هو المرضع ٠٠ لا الانثى٠

على ان واحدة من الملاحظات الهامة التى قادتنا الى سر آخر ، قد جاءت على يدى احد علماء الحيوان الهنود ، فبينما كان سونتدارا راج يقوم بجولة على الشاطيء ، لاحظ الصيادين وقد اصطادوا احد انواع سمك القط (الذى قد يبلغ طوله مترا ونصف متر) وقد برزت من بطنه ما يشبه الوسادة الاسفنجية ذات الزوائد او الحلمات الكثيرة ، فجذب ذلك اهتمامه ، فكان ان طلب من الصيادين ان يدلوه على مصدره ، فاخبروه انهم اصطادوه من عش مائي كان يعتني فيه بصغاره ، وعندئذ قادته بديهته الى ان ذلك النسيج الغريب ربما كانت له علاقة بالنسل ، وبعد دراسة طويلة وعميقة ، اتضح له ان هذا النسيج لا يظهر الا بظهور الذرية ، وأنه يحتوى على سائل يشبه اللبن ، وبتحليله وجده غنيا بالبروتينات ، ولكنه ليس كالبان الحيوانات الثديية فى تركيبه وقوامه، كما ان تلك الحلمات الكثيرة البارزة من النسيج تاوى اليها الصغار «لترضع» منها رضعتها ، فاذا اثيرت ، ابتعدت عنها ، لكنها لا تلبث ان تعود اليها ، ولا تزال تلك الاسماك الصغيرة ترضع وترضع ، وتنمو وتنمو ، حتى تصل اطوالها الى ما يقرب من سنتيمترات اربعة ، لكنها تبدأ ـ فى نهاية تلك المرحلة ـ فى التهام الكائنات البحرية الصغيرة بين كل رضعة واخرى ، وكأنما هى تستعد لتكييف حياتها وطعامها ـ بعد ذلك ـ دون اعتماد على لبن الاب ٠

نقول لبن الاب ، لان الام تضع البيض ، وتتركه للذكر ، ثم تذهب بعد ذلك الى حال سبيلها ، وكأنما غريزة الامومة لا تعنيها فى قليل او كثير ، وعندئذ يقع العبء كله على الذكر ، فيظهر له ذلك النسيج الاحمر الغني بالشعيرات الدموية ، وفيه يتحول الدم الى افراز آخر ، فيه للصغار لذة ونمو وحياة ، ثم انهم لا يرضون بغيره بديلا ٠

هذه اذن نواميس الحياة مع اسماكها ، فماذا فعل البشر ؟

الانسان ٠٠ ذلك الاناني !

يخطيء كل من يظن ان الرضعة الصناعية لا تختلف كثيرا عن الرضعة الطبيعية ، او قد تكون الصناعية ـ على حد قول الاعلانات الخادعة ـ اوفر عناصر ، واعظم غذاء واكثر فائدة للرضيع ، وبحيث تمنحه صحة وقوة كقوة « كنج كونج » العجيب !

وصغار الانسان ليست كصغار السمك ، فحيث تعاف ذرية السمك البان غيرها ، تجد اطفال الانسان ترضع كل ما يقدم لها من البان ، حتى ولو كان اللبن لبن حمار ٠٠ ثم انها لا تستطيع

ان نميز بين هذا وذاك ، لكن الامور قد اختلطت علينا ، وحسبنا ان ما قدمه العلم من رضعـات صناعية ، تحتوى على كل العناصر الاساسية ـ حسبنا ان ذلك هو غاية المراد ، او انه حسنة من حسنات العلم ليبقى على الاثداء رونقها وبهاءها ·· فعيب المرأة العصرية انها هجرت رضاعة وليدها من لبنها ، بحجة ان ذلك يحفظ عليها صحتهـا وجمالها ، ولا يستنزف عناصرها ، واستعاضـت عن ذلك بزجاجات او رضعات صناعية ، وهذه ـ بلا شك ـ تترك بصماتها عليها وعلى وليدها دون ان تدرى ·

فالرضعة الطبيعية من لدى الام تختلف في امور كثيرة عن الرضعة الصناعية من زجاجة ، فهى اولا مسألة مشاركة وجدانية وعاطفية وفسيولوجيـه وبيوكيميائية ··· الخ بين الام ووليدها ، لكن هذه مواضيع قد يطول فيها الحديث ويتفرع ، وعلينا ان نتعرض هنا فقط الى ما نراه مناسبا لموضوعنا ·

فالذين يعتقدون ان اى لبن يستطيع ان يحل محل لبن اخر في ارضاع الطفل لا شك انهم في اعتقادهم هذا مخطئون ، فلبن الابقار او الجاموس او الماعز ··· الخ لا يتشابه مع لبن انثى الانسان في بعض الخواص ، وكانما كل لبن قد جـاء ليناسب رضيع النوع الواحد ، ونحن لا نريد هنا ان ندخل في معادلات وتحليلات وتفاصيل علمية لكن يكفى ان نذكر ان اللبن الذى ينساب مـن لدى انثى الانسان ذو تكوين مثالى لتغذيـة طفل الانسان كما ان هذا اللبن الانسانى ذو تركيب متوازن ، بل هو اكثر توازنا من لبـن الابقار ، فهذا يختلف عن ذاك في نسب السكريات والدهون والبروتينات ، وما جاء مناسبا لمعـدة او امعاء عجل رضيع ، لا يناسب تماما امعاء طفل رضيع ·· صحيح ان طفل البشر لن يضرب عـن تناول هذا اللبن الحيوانى ـ كما تفعل صـغار بعض انواع السمك ، لكن ذلك اللبن لن يكون مثاليا كلبن الام خاصة ، والنوع عامة (اى النوع الانسانى عموما ، لان البانه واحدة) ·

فمن الدراسات والملاحظات التى تجمعت فـى هذا المجال ، تشير الاحصائيات الى ان الذيـن يرضعون من صدور امهاتهم يصبحون اقل اصابة ببعض امراض الحساسية من الذين يرضعون من غير اثداء امهاتهم ، كما ان الذين يرضعون طبيعيا لا يصابون بالميكروبات بنفس الدرجة التى يصاب بها الذين يرضعون من زجاجة ، فراضعو الزجاجة يصابون اكثر ، وهذا يرجع الى كون لبن الام الطبيعى يحتوى على مواد بروتينية من ذلك النوع الذى نطلق عليه اسم الاجسام المضادة ، وهى نوع من البروتينات « الحربيـة » التى تعتبر سلاحا رادعا من اسلحة الدفاع والمناعة ، ولا شـك انها تقف مع الرضيع في بداية ضعفه ومحنته ، خاصة وانه لا يزال وافدا جديدا على هذا الكوكب وان اجهزته الدفاعية لم تتمرس بعد على ابعاد الصراع القائم حولها ـ نعنى البكتريا والفيروسات والفطريات ··· الخ ·

واللبن الذى ينساب من لدى الام الى فم رضيعها مباشرة لايجاريه اى لبن اخر ، او هو كما يعبر عنه الجراح الشهير دكتور جون هارفى كيلوج فى كتابه « التسمم الذاتى » فيقول « ان اللبن صورة من انسجة سائلة ، وهو كاى نسيج ، يتكون على حساب الدم ، ولهذا يحمل فى ثناياه بعض خواص ذلك الدم الذى انتجه ، وعندما يكون طازجا وحاملا لحرارة الكائن الذى افرزه ، فانه يمتلك بعض القدرة على محاربة وتدمير الجراثيم ، اذ يحتوى على بعض الاجسام المضادة الموجودة فى الدم » ·· وهذا ما لا نستطيع ان نحصل عليه من الرضعات التخليقية او الصناعية ، حتى ولـو اكثرنا من محتوياتها الغذائية !

اول لبن ·· ليس كمثله لبن !

على ان هناك حكمة كبرى تكمن فى تكوين الرضعة الطبيعية ذاتها وفى تزامن ذلك التكوين مع عمر الرضيع ، فهو ـ بلا شك ـ سيدخل خبرة جديدة مع جهازه الهضمى الحساس ، ولكى يبدأ هذا الجهاز فى ادارة عملياته ، كان لا بد ان تكون الخامـة مناسبة تماما لبداية التاهيل والتشغيل ، ولهذا فان اول لبن يتلقاه الرضيع من لدى امه يختلف عن اللبن الذى يرضعه منها بعد ذلك بعدة ايام ·

فاول عدد من الرضعات ليست ـ فى الحقيقة ـ لبنا صافيا ، بل لبن « تمهيدى » او قل انها وجبة خفيفة صالحة ومناسبة تماما للغرض الذى جاءت من اجله ·· فهى عبارة عن سائل اصفر خفيف ضارب الى البياض ، ويحتوى على نسبة من المواد البروتينية والاملاح غير العضوية اعلى من مثيلته

في اللبن الذي يدره الثدي بعد ايام ، كما ان هذا السائل الخفيف اقل في محتواه الكربويدراتي والدهني عن اللبن الحقيقي !

وطبيعي ان هذه الوجبة الخفيفة لا تشكل عبئا على جهاز الوليد الهضمي ، بل تعطيه كل شيء بحساب ومقدار ، ويستمر هذا السائل الاصفر الخفيف يتدفق من ثدي الام لمدة ثلاثة ايام او اربعة ، ومع مرور الايام يحل اللبن الطبيعي تدريجا ، ويقل فيه معيار هذا السائل الذي جاء ليجهز ويمهد ، حتى يتكيف الجهاز الهضمي بما يتلقى بعد ذلك من جرعات تتناسب وقدراته !

ولاشك ان الغذاء المتوازن والمناسب لعمر الوليد من اول يوم يفد فيه الى الحياة هو ما جادت به الحياة ، ثم ان اي حيود عن هذا الطريق ، قد يؤدي الى اضرار لا تحمد عقباها ، فزيادة نسبة السكر في التغذية الصناعية ـ على سبيل المثال ـ عن مثيلتها في الرضعة الطبيعية قد تؤدي ـ على حسب قول دكتور يوليوس اوزيك الاستاذ بجامعة نيويورك الى عادات غذائية ضارة لا يمكن كبح جماحها ، مما قد ينتج عنه اختلال وظيفي او بيوكيميائي او عضوي او ما شابه ذلك • « فمعظم تركيبات لبن الابقار المضاف اليها مواد كربوهيدراتية زائدة عن معدلها في لبن الام ، تم ارضاعها للاطفال في زجاجات ، قد يهييء انسجتهم من البداية لطلب مزيد من السكريات ،فتتحول الى انسجة دهنية فسمنة لا يمكن مقاومتها ، وللسمنة أمراضها بغير شك » !

منفعة متبادلة !

لكن ارضاع الطفل طبيعيا من ثدي امه ليس فقط فائدة او صفقة من جانب واحد ، اي صفقة الرابح فيها هو الرضيع بما يحصل عليه من لبن، بل ان هناك منفعة متبادلة بين الام ورضيعها على حد قول دكتور آشلي مونتاجو عالم الانثربولوجي الشهير •

فمن بداية اللحظة التي يولد فيها الطفل ، كان لا بد من وجود مشاركة حسية وعاطفية متبادلة بين الام ووليدها •• ومنذ هذه اللحظة أيضا ، فان الوليد يستطيع ان يقدم لوالدته فوائد كبرى ، لكن على شرط الا تنقطع الصلة الوثيقة التي تربط الاثنين برباط مقدس ، واهم ما في ذلك الرباط ان ترضع الام وليدها من ثديها من البداية•

ويؤكد آشلي مونتاجو ذلك بقوله : لقد ثبت ـ وبما لا يدع مجالا للشك ـ ان الوليد اذا ترك مع امه بعد الولادة لتحتضنه ، واذا منحته ثديها ليرضع ، فان ثلاث مسائل شائكة يخشاها اطباء الولادة من سنوات طويلة قد تحلها الرضعة الطبيعية في التو واللحظة •

فاولى هذه المسائل الشائكة قد تظهر في هيئة نزيف بعد الولادة •

وثانيتها تقلص الرحم ورجوعه الى حجمه الطبيعي •

وثالثتها ختام عملية الولادة بانفصال المشيمة •

هذه المسائل الثلاثة يمكن تجنبها وتيسيرها في معظم الحالات بعملية طبيعية وبسيطة للغاية •• عملية لا تخرج عن تقديم ثدي الام للوليد ليرضع، وعندئذ يتضاءل النزيف ، ويعود الرحم الى وضعه في اقل وقت ممكن ، وتسقط المشيمة دون مجهود يذكر !

والواقع ان عملية الرضاعة الطبيعية ليست عملية ميكانيكية كالتي تحدث مثلا بين الرضيع وزجاجة جامدة من لبن لا حياة فيها ولا حركة ، انما العاطفة الحقة ، ونبض الحياة الدافق يتمثل في تلك العلاقة الخاصة جدا بين كائنين حيين ، ومن هذه العلاقة تتحدد بعض شخصياتنا وسلوكنا فيما بعد ، والتجارب التي اجراها العلماء على مواليد الانسان والحيوان تشير الى ذلك ، كما انها توضح انه ليس بالرضعة وحدها يعيش الوليد ، وليس بالزجاجة وحدها ينمو نموا سويا، بل لابد من وقت محدد يقضيه الرضيع على صدر امه ، وان تصل ما امر الله ان يوصل ، فمع كل ضغطة من شفتي الرضيع تشتغل جيوش من الهرمونات ، وتنطلق الاف من النبضات العصبية خلال الاعصاب الحسية الواصلة بين المخ والثدي لتجعل من هذه العملية سيمفونية رائعة من سيمفونيات الحياة ، فتشكل كيان كائن قادم ، وكما اراده الله •• لا كما أراده الذين تفلسفوا وقدموا بديلة في زجاجة اذ ليس كرضعة الام رضاع لو كنتم تعلمون ، ولنا في السمك عبرة ، وفيه الكفاية لقوم يفقهون ! ■■

الاسكندرية ـ د • عبدالمحسن صالح

أقوال معاصرة









- حرب اكتوبر لن تكون آخر الحروب اذا لم تساهم اسرائيل فى مسئولية اقرار السلام ·

انور السادات

- لم اكن اعتقد اننى فى حياتى المليئة بالمآسى يمكن ان اعيش هذا الحدث السار ·

الملك حسين بعد اعلان زواجه الرابع

- ينفق العالم مليار دولار يوميا على التسليح ، وهو مبلغ يعادل الناتج القومى لامريكا اللاتينيه ،وضعف الناتج القومى لافريقيا ، كما انها تساوى ماينفق على الصحة فى العالم كله·

الرئيس الفرنسي ديستان فى مؤتمر نزع السلاح

- لاننا ندعم الفلسطينى ، فقد اتهمونا ظلما بمساندة الارهاب الدولى ·

العقيد معمر القذافى

- لو ان اهتمامى كان مقصورا على عملى القانونى فقط ، لكنت قد مت فكريا خلال عامين ، وجسمانيا خلال اربعة اعوام ·

الرئيس الامريكى السابق ريتشارد نيكسون فى مذكراته

- لا يستطيع اى مسئول فى العالم العربى ان يفرض آراءه وتصوراته للاحداث على بقية انحاء الوطن العربى ·

الامير فهد بن عبد العزيز

- ساحة معارك الشرق الاوسط ليست فى مرتفعات الجولان ولا فى صحراء سيناء ، بل انها هنا فى واشنطن سواء شئتم ذلك ام ابيتم ·

السناتور الامريكى العربى الاصل
جيمس ابورزق

- ان المعركة بين السكاكين ورقاب العصافير ، معركة قديمة · ونظرة واحدة الى السماء ، والى ملايين الاجنحة التى تخترق المدى الازرق كل صباح ، تؤكد ان المعركة تنتهى دائما بانتصار العصافير !

الشاعر نزار قبانى

- اسرائيل لا تعتمد على الضمانات الدولية ، فهذه الضمانات بحاجة الى ضمانة اخرى تضمنها ، ولا وجود لمثل هذه الضمانة فى العالم كله ·

مناحيم بيجين

- **بسبب الظروف المعقدة التى تحيط بالاتفاق حول أمن الخليج ، فان ايران تضع فى حسابها أن تؤدى هذه المهمة وحدها اذا لزم الامر ·**

الامبراطور رضا بهلوى

في عام ١٩٦٥ ،اخرج صلاح عبد الصبور مسرحيته الشعرية الاولى : «مأساة الحلاج» •ووظف فيها شعره المترف الصافي للتعبير عن مأساة الحلاج ومأساة كل روح مرهفة وعقل نير : ماذا يفعل الحلاج بالحقيقة التي وقعت له ؟ هل يدعو الناس الى تبنيها ؟هل يكتمها في قلبه ؟وماذا تجدى الحقيقة في الحالين ؟ ان هو دعا اليها الناس فربما تعلقوا بها ،وساروا في طريقها ، وعملوا على اعلاء شأنها فنالهم أذى كبير يجلبه عليهم الحكام ودعاة الظلم •وان كتمها في قلبه فماذا تكون جدوى الحقيقة ؟ وما الذى يفيده منها مكتشفها ,اذا ظلت حبيسة صدره؟

الثائر القديس

في مسرحية مأساة الحلاج



صلاح عبد الصبور

بقلم : الدكتور على الراعى

ومأساة الحلاج بهذا الوصف هي بعض من مأساة كل ثائر : يرى الظلم ويتبين وجه العدل • فان هو رزق القوة والصلابة ، حارب من اجل ان يرتفع الظلم عن الناس ، وان هو وهن ، وتحرج وآثر العافية ، كتم الحق في نفسه ، ووجد طريقا يرضى به نفسه ، ويسكت روحه المتوثبة •

وربما يضيق الثائر بما تفرضه الحقيقة على ضميره الحي من اعباء ، كما ضاق صدر هاملت ، او ربما مشى ومعه الحقيقة ، دون سند كاف من الناس ، ولا تحين للفرصة او الزمن المناسبين، كما فعل جيفارا • وربما دعا الى الحق في الفاظ تحير الحكام وتثير عليه الشرطة ، ثم لا تدع الفرصة للناس كي يتقدموا لحماية ذلك الذى ثار من اجلهم مثلما كان حال المسيح وحال الحلاج •

ويزيد من تعقيد المسالة في حالة الحلاج انـه صوفي وانه يرى ان لا حق له في ان يكشف للناس ماوقع له من حقيقة اوصلها اليه الله • وهنا يكون الحرج مؤذيا اشد الايذاء • حرج من يفشى سرا الهيا لينفع الناس ، ثم يجد أن هذا الافشاء قد اغضب عليه من عاش طيلة حياته يسعى الى مرضاته •

والواقع ان ماساة الحلاج تطرح من تحت ردائها الصوفي النير والجميل مشكلةالعمل الثورى وكيف يكون • يدور الحوار بين الحلاج وبين صديقه الشبلي :

الحلاج : هل تدرى يا شيخى الطيب

لم نور ربى قلبك ؟

الشبلي : هذه حالي ياحلاج •

لن تحسدني ،ومعاذ اخوتنا ان يخطر في بالك

ان تحصى مايلقى عبد من نعمة مولاه

لكن لا تسالنى ايضا •• ما يدرينى ؟

احوال الصوفيين مواهب •

الحلاج : لا ،انى اشرح لك •

لم يختار الرحمن شخوصا من خلقه

ليفرق فيهم اقباسا من نوره

هذا ، ليكونوا ميزان الكون المختل

ويفيضوا نور الله على فقراء القلب

غير أن الشبلي يرفضهذا المنطق ويرى أنهقد يسلمه الى السقوط :

انى اخشى ان اهبط للناس

قد ابسط اجفاني فوق الدنيا

وارى يسراها ، اتمنى النعمى واليسرى

وارى عسراها ، اتوقى العسرى

ويموت النور بقلبى •

ويقول الحلاج :

هبنا جانبنا الدنيا

ماذا نصنع عندئذ بالشر ؟

الشبلي : الشر

ماذا تعنى بالشر ؟

ماذا

الحلاج : فقر الفقراء

جوع الجوعى ، في اعينهم تتوهج الفاظ لا أوقن معناها •

ولكن الشبلي يرفض هذا ايضا ،ويرى انالشر قديم في الكـون ، وهو أريد يمن في الكـون ، ليعرف الله من يطيعه من عبادهومن يتنكب طريقه•

في منتصف الطريق

يزلزل كلامالشبلي نفس الحلاج،ولكنه لا يقنعه• ذلك ان الحلاج قد سار نصف الطريق نحو الثائر الذى يضع كلماته موضع التنفيذ : أرسل الى بعض من وجوه القوم رسائل خاصة ،وتلقى منهم أجوبة مرضية • وعدوه ان ملكوا الامر ان تحلو سيرتهم ويعطوا الناس حقوق الناس على الحكام حتى يجاوبهم هؤلاء بحقوق الحكام على الناس •

ويقال له : وماذا لو خانوك فيما بعد ؟فيقول: اكون قد خبت انا ، ولكن ، لم تخب كلماتى !

غير أن الحلاج لا يمضى في هذا الموقف العملى قدما ، ليجمع من حوله الناس• بل أنه ليصرفهم من حولهحين تقبض عليهالشرطة ويدفعونبه الىالمحاكمة فيقول أحد الصوفيين للمجتمعين من فقراء الناس : لقد اخذوه من اجل دفاعه عنكم • من اجلتنديده بالفقر ومن يصنعونه • ويتجمع الناس ، ويعلو صوتهم دفاعا عن الحلاج فيقول هذا لهم :

لا ياأصحابى

لا تلقوا بالا لى

استودعكم كلماتى

عودوا ، عودوا

ودعونى ،حتى تنفذ في بدنى

لتؤدبنى

الفاظ عقاب المحبوب النارية •

هذا العزوف عن العمل من أجل تحقيقالعدالة بقوة الناس وبسيوف العدل ، يبديه الحلاجايضا وهو في سجنه يناقش احد السجينين اللـذين زاملاه فترة حبسه • يرفض الحلاج ما يطالب به السجين الثاني من استخدام القوة لاستئصال الشر• فيقول السجين وهو يحاوره : هل تقضى عمـرك مقهورا في ظل الجدران ؟ لم لاتهرب ؟ ويساله الحلاج : ولم اهرب ؟ فيقول السجين : كى تحمل سيفك من اجل الناس • فيقول الحلاج : من لى بالسيف المبصر ، الذى يميز بين الشرير والخير ، فان هذين ليتشابكان احيانا حتى لايقدر علـى

فصلهما الا الله • ثم يبكي الحلاج حيرة واسى ويسال نفسه : هبني اخترت لنفسي : هل أرفع صوتي ، أم أرفع سيفي ؟ هذه الحيرة بين القول والفعل هي التي تسلم الحلاج الى الموت •

ان السجين الثاني يهرب من سجنه ، وحين يسمع من بعد بمحاكمة الحلاج يجمع الناس من حوله ، ويدفعهم الى التظاهر دفاعا عن الحلاج، وينجح في هذا الى درجة تزعزع السلطات • فياتون بالحلاج الى قاعة المحكمة مرورا بالطرق الخالية من الناس • ثم يموت السجين من بعد في معركة مع جنود السلطان ، فيظل أمينا للرأى الذى ارتاه من ضرورة قهر الظلم بالقوة •

اما الحلاج فهذا ما قاله عن نفسه حين واجهته مشكلة وضع كلماته موضع التنفيذ :

الحلاج : عاينت الفقر يعربد في الطرقات

ويهدم روح الانسان

فسالت النفس :

ماذا اصنع ؟

هل ادعو جمع الفقراء

ان يلقوا سيف النقمة

في افئدة الظلمة ؟

مالتمس ان نلقى بعض الشر ببعض الشر

ونداوى الما بجريمة •

ماذا اصنع؟

ادعو الظلمة

ان يضعوا الظلم عن الناس

لكن هل تفتح كلمة

قلبا مقفولا برتاج ذهبي ؟

ماذا اصنع ؟

لا املك الا ان اتحدث •

والمشكلة ان الحلاج لا ينقصه ماسميه اليوم بالوعي الثورى فهو يرى ان قبس النور الذى يبثه الله في صدر الصوفي انما قصد به ان يعمل الصوفي على رد ميزان العدل المختل الى اعتداله• وان يفيض من نور الله على فقراء القلب •

الفقر هو القهر

وهو يعرف كذلك فقر الفقراء ،وجوع الجوعى، ويحس احساسا عميقا بحال المسجونين والمصفودين يسوقهم شرطى غاشم ، بسوط لايعرف متى وضعه في يده : كما يشعر بحرارة فقدان الحرية وخضوع الرجال والنساء كارهين الى ظالمين يطالبونهم بان يتخذوهم اربابا من دون الله •

ان الحلاج ليدرك المعنى الاعمق للفقر فيقول لقضاته :

ما الفقر ؟

ليس الفقر هو الجوع الى الماكل والعرى الى الكسوة

الفقر هو القهر

الفقر هو استخدام الفقر لاذلال الروح

الفقر هو استخدام الفقر لقتل الحب وزرع البغضاء

الفقر يقول ـ لاهل الثروة ـ

اكره جمع الفقراء

فهم يتمنون زوال النعمة عنك

ويقول لاهل الفقر

ان جعت فكل لحم اخيك •

فهو اذن يدرك ابعاد القضية كلها • ولكنه غير راغب ـ وهو ـ في النهاية ـ غير قادر على أن يسير الطريق كله نحو الثورة المجدية •

والى جوار موقف الحلاج ، يعرض صلاح عبد الصبور نماذج من مواقف اخرى من العمل الثورى ، يقفها بعض شخصيات المسرحية • وعلى رأسهم الشبلي ، صديق الحلاج •

منذ البداية يعارض الشبلي وضع الحقائق الصوفية في خدمة الناس • ذلك ان على كل منا ان يتدبر درب خلاصه ، فاذا صادف اندرب فليسر فيه وليجعله سرا ، ولا يفضح أبدا هذا السر •

أى ان الشبلي لايؤمن بخلاص الجوع ،وانما بخلاص افراد محظوظين انقى الله اليهم سره ، فضمنوا النجاة يوم الحساب ولهذا فهو حين يستدعى للشهادة وابداء الرأى فيما قاله الحلاج من أن الله حال فيه ، يرفض أن يمضي في الحديث ويقول لقضاته :

كل منا يتحدث عن حاله

أو يصمت حين يشاهد •

الحلاج يرى ،

فيجن من الفرحة حتى يهذى ويعربد
وانا اتلذذ فى صمتى .

ثم يقول الشبلى لقضاته : دعونى ارعى حالى واصرفونى فانى قد عاهدت الله ألا أفشى نعماءه . الا اكشف وجه الاسرار . الا اتحدث عن حالى قط . ويلح الشبلى فى السؤال والتوسل ،حتى يؤذن له بترك قاعة المحكمة . فيخرج لا يلوى على شىء . يخرج مرتاعا ،غير ملق بالا الى المصير الذى ينتظر صديقه الحلاج . ان هذا المصير امر خاص بين الحلاج وربه !

وكان الحلاج قد دفع به الى الحبس ،فادخل الى زنزانة تضم سجينين آخرين . ورأى السجينان الوافد الجديد فقررا أن يتخذا منه مسلاة ، وان يجعلوه هزوا فناوشاه بالاسئلة . الى ان تبينا انه اعلى واجل قدرا من هذا ، فانتبه اليه السجين الثانى خاصة ، واخذ يستمع اليه فى اهتمام . قال الحلاج :

الوالى العادل
قبس من نور الله ينور بعضا من ارضه
اما الوالى الظالم
فدثار يحجب نور الله عن الناس
كى يفرخ تحت عباءته الشر

غير ان السجين الثانى لا يقتنع بهذا الكلام ويصرح بأن أقوال الشيخ «اقوال طيبة» لكن لا تصنع شيئا . ثم يروح يحكى له طرفا من حياته .فهو فى طفولته كان يتطلع الى ان يصبح عالما حكيما وكانت امه تسمعه يردد الأقوال البراقة كالفخار المدهون ، فتطيب نفسها ، وتدعو الله ان تعيش كى ترى ابنها استاذا فى بيت الحكمة أو قاضى شرع ،او والى ربع ، او شيخا صاحب نعمة . ولكن الام مرضت .قعدت .عجزت . ماتت . لم تمت جوعا ، فهذا تبسيط ساذج ، يلتذ به الشعراء الحمقى والوعاظ الاوغاد ، حتى يخفوا بمبالغة ممقوتة وجه الصدق القاسى :

أمى ماتت جوعا ، أمى عاشت جوعانة
ولذا مرضت صبحا،عجزت ظهرا،ماتت قبل الليل.

ويطلب الحلاج لروحها الرحمه .فيقول السجين الثانى : بل فليلعن من قتلوها . فهى ما ماتت بل قتلت . قتلها من لم يعطوها ما يكفى كى يطعمها ويطعم ابنها . اولئك الذين جعلوا الابن ياكل لحم الاحياء ليشب . يتخذ طريق الجريمة كى يعيش . ثم يسأل السجين الحلاج : قل لى : هل تصلحهم كلماتك ؟فيقول الحلاج : هل يصلحهم غضبك ؟.

وهكذا لايتفق الثائران .ومن ثم يهرب السجين ويبقى الحلاج ينتظر مصيره مع السجين الاول. بينما يتخذ السجين الهارب طريق الكفاح العملى.

والطريف ان السجين الاول تجذبه كلمات الحلاج، حتى لينهج نهجه ويرفض ان يهرب مع السجين الثانى ، حين دعاه هذا الى الهرب ، ويفضل ان يبقى مع الحلاج يرعى ذلك النبت الغامض الذى نبت فى روحه من كلمات الحلاج . غير ان الحبس يطول وسعادة السجين الى جوار الشيخ لا تلبث ان تنقضى فيقول :

ياخيبة سعيى
احببتك حتى قيدنى حبك
فى هذا الفخ كأنى فار مقعد
ليسامحك الله !
بكلامك ضيعت حياتى .
بكلامك ضيعت حياتى .

لقد اثر الحلاج ان يسير سيرة السيد المسيح وهذا ما يلاحظه السجين الثانى فورا . فهو رجل ذكى . يقول له : امسيح ثان أنت ؟ فينكر الحلاج انه يستحق هذه المنزلة الرفيعة . فما مهمته الا احياء الارواح الموتى . فيسأله السجين : وبماذا تحيى الارواح ؟ فيقول الحلاج : بالكلمات !

الدائرة مفرغة . والحلقة غير مقطوعة .ومأساة الحلاج لا مفر منها .

***

فى المسرحية صراع واضح بين اطراف متعددة. بين الحلاج والحكام . بينه وبين الشبلى حول مفهومين للعمل الصوفى . بينه وبين السجين الثانى حول الكلمات وبينه وبين نفسه حول الطريق التى يتخذ : يرفع صوته أم يرفع سيفه؟ والصراع الاخير هو الذى يعطى المسرحية نبضها ، وحيويتها، ويجعل من التكامل معها شيئا كثير الامتاع .

غير ان احسن ما فيها هو تصويرها لعزلة الثائر

القديس وهي عزلة يفرضها عليه اخلاصه لما يرى، وشجاعته في الدفاع عما يرى وتفرده عن العالمين . الشبلي ادار ظهره لحبل المشنقة، السجين الاول ندم على انه نهج نهج الحلاج، وحتى جموع الناس الذين دافع عنهم الحلاج اسهموا في تسليمه للعدو : اتباع السلطان وضعوا في كف كل منهم دينارا من ذهب فان، وقالوا لهم: صيحوا : زنديق كافر . فصاحوا : زنديق كافر ! والصوفية قتلوه حين احبوا كلماته اكثر مما احبوه هو . فتركوه يموت لكي تبقى الكلمات !

فالحلاج اذن وحيد ـ وحدة انشائر الفرد . الثائر القديس . في مثل موقفه صرخت جان دارك من لهب ملتاع وهي ترى اصحابها وزملاءها ومن حاربت معهم جنود الانجليز . يتخلون عنها واحدا واحدا : «انني وحيدة .. الله وحيد . » .

وفي المسرحية كذلك شيء ثمين لا تستغنى عنه المسرحيات الجيدة . الا وهو : تعريض الاراء التي تعتنقها وترددها الشخصيات لتيار من الفحص والنقد المتصلين .

الحلاج على علو شانه وصدقه يتعرض لهذا النقد وتبرز المسرحية عدم جدوى كلماته . على لسان الشخصيات الاخرى . وعن طريق توالي الاحداث .

الشبلي ينقد نفسه وموقفه المستضعف . حين يرى صديقه وحبيبه معلقا في المشنقة ويقول :

لو كان لي بعض يقينك
لكنت منصوبا الى يمينك
لكنني استبقيت . حينما امتحنت . عمري
وقلت لفظا غامضا معناه .
حين رموك في أيدي القضاة .
أنا الذي قتلتك .
أنا الذي قتلتك .

وفي المسرحية ايضا اهتمام واضح بتصوير كل الشخصيات . صغيرها . وكبيرها . الاخيار بينها والاشرار . ان ما يجرى في قاعة المحكمة من حديث فاحش ولغو متفاخر بين القاضي أبي عمر وابن سليمان ـ وهو حديث يحتج عليه القاضي ذو الضمير الحي : ابن سريج . ليرسم في براعة شخصية كل من الثلاثة .

وما يجرى في الزنزانة بين السجين الاول والسجين الثاني من هزر ومزاح مريض لم توبة من بعد .

يوضح شخصية كل منهما ويبرز اثر السجن المدمر على ارواح الناس .

وفي مأساة الحلاج «ايضا تلك الحيلة المسرحية البارعة التي استهل بها صلاح عبد الصبور مسرحيته حين ابرز الحلاج معلقا في فرع شجرة . وجعل طوائف من الناس تتداول في امره : من قتله . ولم قتل ؟ ثم اظهر بعض من تعامل معهم الحلاج في حياته وجعله يتحدث عن دوره في المأساة التي انتهت بشنق الحلاج .

ان هذه الحلية تعطى بعدا آخر لشخصية الحلاج . اذ تصوره وقد تحول الى قديس . تقسم الناس ان تحفظ كلماته وترددها . وتبذرها في الارض وتسمعها للريح . وتخبئها بضاعات التجار . وتخفيها .افواه حداة الابل . وتدونها في الاوراق المحفوظة بين طوايا الثوب . وتجعل منها اشعارا وقصائد . فالحلاج اذن لم يهزم . ولم يمت .

وهي حيلة تشبه من قريب ما فعله برنارد شو في مسرحية : « القديسة جان دارك » . حين جعل لمسرحيته مشهدا ختاميا . يأتي في اعقاب نهاية المسرحية، ويمثل جان دارك بعد أن قررت الكنيسة في القرن العشرين اعتبارها قديسة . ثم تظهر اشباح من تعاملت معهم في حياتها وتاخذ القديسة تحادث كلا منهم فيما كان منه .

لم يعلق صلاح عبدالصبور تعليقا مرا على المواقف جميعا . وعلى مأساة الكفاح من اجل اناس لا يعون ولا يبالون . حين يجعل ابو عظ يقول وقد اخذوا الحلاج الى السجن :

باح ..
بم باح لكي تاخذه الشرطة ؟
لا ادرى . وعلى كل فالايام غريبة
والعاقل من يتحرز في كلماته
لا يعرض بالسوء

لنظام او شخص او وضع او قانون أو قاض او وال او محتسب او حاكم .

★ ★ ★

على الانسان ان يزهق روحه . اذا اراد ان « يحيا » !

الكويت د . علي الراعي

•• وقراءة الاسلام بعين واحدة:

الدين للإنسان والعكس ليس صحيحاً!

بقلم: فهمي هويدي

لاننا في مرحلة الحاجة الى التذكير بالبديهيات، بعدما صرنا نسال عن العقل نستخدمه او لانستخدمه، وعن تحرير الارض يتم عبر الفنادق ام الخنادق، وعن الاسرائيليين أعداء هم ام اصدقاء، وعن العروبة اختيار هي ام قدر •• •• بعد هذا كله، أرجو أن يؤذن لي أن اذكر بواحدة من بديهيات الفكر الديني، التي غابت عن الكثيرين فيما يبدو، وهي ان الدين وسيلة لاغاية، وان الدين للانسان وليس العكس •

اقول ذلك ايضا بعدما تابعت خلال الاسابيع الاخيرة، فيما يسمى بالصحافة الاسلامية، عديدا من المقالات والتعقيبات والتصريحات، التي تعبر عن رؤية غاية في الضيق والقصور، لموقف الاسلام من غير المسلمين، وبعدما اثار انتباهي فيما يكتبه المفكرون وعلماء المسلمين، ان اكثرهم يتحدث عن الاسلام منفصلا عن الانسان. اذ يتوجهون بالخطاب الى المسلمين وحدهم ويسقطون من عداهم من الحساب، الامر الذى حجب عن الاخرين فرصة استكشاف رؤية الاسلام للانسان •• مجرد كونه انسانا، بصرف النظر عن دينه او لونه او عرقه •

لقد شغل المسلمون بانفسهم زمنا طويلا، وربما كان معهم عذرهم في ذلك • فالمحن التى حاقت بهم في عصور المد والانتصار ـ الحكم الاموى وبدايات الحكم العباسي ـ ثم تلك التى لازمتهم حتى عصور الجزر والانكسار ـ أواخر الخلافة العثمانية ـ هذه المحن افرزت حالة من انكفاء المسلمين والغالبية العظمى من مفكريهم على ذواتهم •• على همومهم وجراحهم الخاصة • وما زالت مبررات هذا الانكفاء ودواعيه قائمة.

ونتيجة لتلك الاسباب فقد ظل المجتمع الاسلامي اسير معاناته، وظل المفكر الاسلامي مشغولا بهذه المعاناة • والذين افلتوا من هذا الاسار قلة نادرة، استطاعوا ان يرفعوا رؤوسهم من الهموم التى اغرقتهم وان يروا « الآخرين » حولهم • وعندما ازاحوا تلك المرايا التى ظلت تعكس صورهم وحدهم، رأوا مشهدا مختلفا بل فريدا : الاسلام عندما يخاطب الانسان • وكان نتاجهم المتاز الذى عالج قضية الدين والانسان من منظور متميز تماما عما هو سائد ومستهلك في « سوق » الفكر الديني •

•

ولقد كتبت من قبل عن « قراءة الاسلام باعين مغمضة »، التى تعتمد اسلوب الترديد بغير فهم، باللسان وبغير تمرير على العقل، او اسلوب اطلاق الاحكام في غير مواضعها ولغير مقاصدها • لكن القضية التى نحن بصددها الآن تعبر عن موقف آخر، هو اقرب

الى « القراءة بعين واحدة » ، اذا صح التعبير، وهى التى تعنى ان نفهم ونستوعب جانبا من الاسلام ، ونسقط جانبا آخر ، بالغفلة او بالجهل او بالعمد !

نحن اذا فى مواجهة حالة « تعتيم » ، بلغة الساعة ، استهدفت وجها للاسلام له قسماته المضيئة والمشرقة • ولا اعرف متى نستطيع ان نتصدى لجيوش الظلام هذه الزاحفة حولنا من كل اتجاه • وان كنت على يقين من ان ذلك بمقدورنا ، على « الجبهة الفكرية » على الاقل ، بشرط واحد هو : ان نستبدل الهراوات التى نتحاور بها ، الى شموع نستضىء بها ونتقدم على هداها !

●

وكما قلت ، فاننا نحاول العودة الى البديهيات والمسلمات ، نزيح من فوقها اكوام التراب ، وننفض قدر طاقتنا تلك اللفائف والاستار الكثيفة التى حجبتها واخفت معالمها •

تعالوا نقرأ ، بعينين مفتوحتين كلما امكن ، بعض آيات القرآن فى قيمة الانسان :

ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر (الاسراء ٧٠) ـ وصوركم فاحسن صوركم (التغابن ٣) ـ واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة (البقرة ٣٠) اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين• فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين (ص ٧١) ـ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين (البقرة ٣٤)

ملحوظة : تكررت الاشارة الى الامر الالهى للملائكة بالسجود لآدم فى ٧ مواضع اخرى بالقرآن : الاعراف ٢١ ـ الحجر ٢٩ ـ الاسراء ٦١ ـ الكهف ٥٠ ـ طه ٧٢ و ١١٦ •

وفى ختام هذه النقطة نقرأ ذلك الخطاب الموجه الى بنى الانسان : ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض ، واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة (لقمان ٢٠) •

تقول هذه الايات الكريمة باختصار شديد : ان الانسان مخلوق مكرم « خلقه الله على صورته » كما فى الحديث الشريف ، الذى شرحه الامام النيسابورى بقوله ان الله اعطى للانسان على ضعفه من كل صفة من صفات جماله وجلاله نموذجا ، وهو خليفة الله فى الارض المسئول عن « عمارة هذه الارض عمارة روحية ومادية » ـ وقد نفخ الله فيه من روحه، اى منحه بعضا من سره العظيم ، ليكون جديرا بهذه الخلافة ـ ثم بعد أن خلقه وسواه ، أمر الملائكة بالسجود له ، تكريما وتعظيما • وبعد هذا الاحتفال بالانسان يقرر القرآن أن الله سبحانه سخر الكون كله من أجله ، الارض والسماء •

هذا هو الانسان كما يصوره القرآن : مخلوق مقدس ، الكون كله مسخر له ، وخلافة الله فى الارض هى وظيفته ومسئوليته •

اى أنه فى مواجهة دعوة اليهودية الى شعب الله المختار ، جاء الاسلام معلنا بدء عصر جديد ، الانسان فيه هو مخلوق الله المختار !

●

لنقرأ بعد ذلك نداء الله تعالى الى البشر اجمعين ، سلالة هذا المخلوق المقدس ، مسلمين وغير مسلمين :

ـ يا أيها الناس ، انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا (الحجرات ـ ١٣)

ـ يا ايها الناس ، اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء (النساء) •

ولنستعد كلمات النبى عليه السلام : الخلق كلهم عيال الله ، فاحبهم اليه انفعهم لعياله •

يعد هذا التعظيم للانسان ، وبعد التذكير باخوة البشر والدعوة الى المودة والتعارف بينهم جميعا ، يتوجه الله سبحانه الى نبي المسلمين بقوله :

وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (الانبياء ١٠٧) ـ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن (النحل ١٢٥) ـ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا ، افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (يونس ٩٩) •

ويمضي القرآن مؤكدا أنه لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي (البقرة ٢٥٦) وقد نزلت هذه الاية في مستهل العهد المدني ، لتقرر واحدا من اصول التشريع والدعوة ، بينما المسلمون على عتبات تاسيس الدولة •

وعند هذه المرحلة ، تتتابع الآيات التي تسجل موقفا شامخا يتجاهله الكثيرون ، هو أن الاسلام أشد ما يكون حرصا على تاكيد حرية الاعتقاد للانسان • ذلك انه بمقتضى خلافته في الارض ـ كما تقول الدكتورة بنت الشاطيء في كتابها « مقال في الانسان » ـ تحمل الانسان الامانة ، التي هي تبعة التكليف وحرية الارادة ومسئولية الاختيار • وهذا الوضع لا يفهم ولا يتصور ، اذا لم يقم على حق اصيل مقرر في الحرية الانسانية •

هنا تقول الايات : فان اسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد (آل عمران ٢٠) ـ فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين (المائدة ٩٢) •

[حتى وهو جنين ، له حقوق • اذا ولد وفارق الدنيا بعد ساعات ، ولم يغسل ويصلى عليه اثم أهله وعشيرته • واذا سقط الجنين نتيجة اعتداء ففيه دية ، فرس أو قيمته ، وان سقط حيا ثم مات فديته مائة من الابل كما يقول الفقهاء •]

ويتكرر هذا القصر لمهمة الرسول على البلاغ اكثر من عشرات المرات ، في مواضع مختلفة من القرآن الكريم •• تعزيزا وتاكيدا ، واحتراما لحرية الانسان في الاعتقاد •

بعد ذلك يضيف القرآن منبها المسلمين ونبيهم : من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا (النساء ٨٠)

وهكذا تكتمل الصورة ، مهمة الرسول مقصورة على التبليغ ، وكل بشر مسئول عن اختياره بعد ذلك ، بغير عسف ولا اكراه ، وحساب الجميع عند الله • وليس لاحد من البشر أن يحاسب أحدا على اختياره أو اعتقاده •• حتى النبي ذاته ، ليس ذلك من شانه ، لانه ليس وكيلا عن البشر ولا مسيطرا عليهم ، بل هو مبشر ومذكر فقط !

●

ان النصوص تعبر عن موقف غاية في الوضوح من قضية الانسان ، ومع ذلك تعالوا نقرأ مزيدا من الشرح والتحديد ، فيما يقوله فضيلة الشيخ محمد عبد الله دراز في كتابه « نظرات في الاسلام » •

ـ « كل انسان له في الاسلام قدسية الانسان • انه في حمى محمي ، وفي حرم محرم • ولا يزال كذلك حتى ينتهك هو حرمة نفسه ، وينتزع بيده هذا الستر المضروب عليه ، بارتكاب جريمة ترفع عنه جانبا من تلك الحصانة ، وهو بعد ذلك بريء حتى تثبت جريمته » •

ـ « ان الاسلام يحمي أعداءه في حياتهم ، ويحميهم بعد موتهم • يحميهم في حياتهم فيحول دون قتالهم الا اذا بدأوا هم بالعدوان • ويحميهم في ميدان القتال نفسه ، اذ يؤمنهم من النهب والسلب والغدر والاغتيال ، ثم يحميهم بعد موتهم ، اذ يحرم أجسادهم على كل تشويه أو تمثيل •• ولم لا ؟ •• أليسوا أناسي ؟ ولهم كرامة الانسان » •

ـ « ان الاسلام لم يكتف بان عرف كل فرد حقه نظريا في هذه الحصانة الانسانية ، ولكنه اخذ يهيب به أن يدافع عن هذا الحق ، فلنسمع صوت النبي (ص) وهو يقول : من قتل

دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهوشهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ، ومن قتل دون «مظلمته فهو شهيد » •

ان مقارنة هذه الرؤيـة التي يقدمهـاالاسلام ممثلة في نصوص القرآن ، بما نسمعه ونقرؤه هذه الايام من بعض الذين ينتسبون الى الاسلام ، ويفترض انهم ينطقون باسم مؤسساته ويدعون اليه ، هذه القراءة تصيبنابالدهشة ، بل بالذهول •

ولطول ما حجبت هذه النصوص ، ولتعددالمواقف المناقضة لها ، تبدو الآن كما لو كانت اكتشافا نطالعه لاول مرة ، وليست نصوصـاانزلت منذ ١٤ قرنا ، على قوم كانوا يسجدون للاصنام ، فاذا بالقرآن يقول لهم ان الانسان أعظم من ذلك بكثير ، وانه ينبغي الا يحني هامته لمخلوق، وان الملائكة سجدت لهذا الانسان،تعظيما وتكريما !

وعلى هذا الطريق ، ثمة علامتان ينبغي أن نتوقف عندهما :

* الاولى : حرص الاسلام على ان يقرروحدة الاديان كلها ، متمثلة في وحدة مصدرها وغايتها (لا نفرق بين أحد من رسله البقرة٢٨٥) ثم ان الذي تلقاه محمد عليه السلام هو في جوهره ما تلقاه الرسل من قبل (ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ـ فصلت ٤٣)•

* والثانيـة : حرص الاسلام على أن يقرر ان الله سبحانه ليس متحازا لاحد • فالمؤمنون جميعا امامـه سواء ، وكل يؤجـرويثاب على عمله ، وهنا يخاطب المسلمين بقوله (ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به ، ثم لا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا النساء ١٢٣) ذلك ان« كلهم آتيـه يوم القيـامة فردا مريم ٩٥ » و « •• فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الزلزلة ٧ ، ٨ » •

●

ما شأن هذا كله بقضية الدين هل هووسيلة أم غاية، وهل هو للانسان أم أن العكس هو الصحيح ؟

لقد كان ضروريا ان نتعرف على ملامح رؤية الاسلام للانسان ، لنصل في النهاية الى اجابة هذا السؤال • لنطمئن الى أن الذي سخر الكون كله بسمائـه وأرضه من أجـل الانسان ، هو ـ سبحانـه ـ الذي أنزل هذا الدين ليكون وسيلة الانسان في « عمارة الارض عمارة روحية ومادية » ، وبعث الرسل مبشرين ومنذرين • ان هذا طريق السلامة وذاك طريق الندامة ، وللانسان أن يختار بغير قهر ولا اكراه •

وفي مقدمة كتاب « الموافقات » للامـام الشاطبي • كتب أحد علماء الأزهر ، الشيخ عبد الله دراز ، يقول : ان هذه الشريعـة المعصومة ليست تكاليفها موضوعة حيثما اتفق ، لمجرد ادخال الناس تحت سلطـة الدين ، بل وضعت لتحقيق مقاصد الشارع في قيام مصالحهم في الدين والدنيا » ـ أي أن الشريعة ليست لذاتها • ليس الدين للدين ، كما يروج البعض ويعتبرون ذلك قرينة التسليم والايمان ، لكن الدين للناس ، لمصالحهم في الدنيا والآخرة • والشرائع ـ اكرر مرة أخرى ـ تابعة للمصالح،تقترن بها وجودا وعدما، بتعبير رجال القانون•

وتقرير هذه الحقيقة والاقتنـاع بهـا ،يساعدنا في فهم ومعالجة ما يطرح أمامنا بين الحين والآخر من قضايا ، مثل دور الدين في المجتمع ، وتطبيق الشريعة الاسلامية ، والالتزام بالنصوص والطقوس ، وعلاقة المسلمين بغيرهم من البشر ، مؤمنين كانوا أم غير مؤمنين •

هل هذه نهاية المطاف ؟

أتصور ان الآية «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» «الذاريات ٥٦» تطل الآن،وتلح على أذهان الكثيرين ، ذلك اننا اذا سلمنـا بان الكون مسخر للانسان ، واذا سلمنا بان الدين أيضا هو للانسان وليس العكس ، فكيف نفهم هذه الاية ؟.. تلك مناقشة أخرى •

محاولة لفهم موقف ابن خلدون من العرب



بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

«ليس شرطا ان نتخذ من مقدمة ابن خلدون موقف الدفاع ، في محاولة مرهقة لجعل معطياتها جميعا تقف في جانب الصواب ، مادام انه فكر بشري معرض للخطأ والصواب» .

● يتحدث ابن خلدون ، في اكثر من مكان من مقدمته ، عن دور الاسلام في جمع العرب على كلمة واحدة وتمكينهم من الملك . «ان العرب ـ يقول الرجل في احد فصوله ـ لايحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم على الجملة» .. ويتدرج في البرهان على مقولته هذه «والسبب في ذلك ـ يقول ـ انهم لخلق التوحش الذي فيهم اصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة، فقلما تجتمع اهواؤهم . فاذا كان الدين بالنبوة او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والانفة، الوازع عن التحاسد والتنافس ، فاذا كان فيهم النبي او الولي الذي يبعثهم على القيام بامر الله ويذهب عنهم مذمومات الاخلاق ويأخذهم بمحمودها ويؤلف كلمتهم لاظهار الحق ، تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك . وهم مع ذلك اسرع الناس

قبولا للحق والهدى ، لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الاخلاق ٠٠٠ » (١)

فهاهنا يطرح ابن خلدون المسالة بوجهيها فيفسر لنا الدور الكبير الذى لعبه الاسلام ازاء العرب في فجر انبعاثهم ، ويبين لنا في الوقت نفسه الميزات الايجابية التى كانت هذه الامة تتحلى بها، فكان ان اختيرت لحمل آخر واعظم رسالة في تاريخ الانسان ٠٠ وهو من خلال تحليله الاجتماعي والسايكولوجي يعطينا مفتاح ذلك الاختيار وذلك الانجاز التاريخى الذى تحقق في تقابل هذين القطبين : الاسلام والعرب ٠

وبتخلي العرب عن هذا الالتزام الذى صنعوا به انجازهم العظيم ذاك ، كانوا يفقدون دائما قدرتهم على الفعل التاريخي،ويعودون الى التمزق والتفكك ، وتطغى عليهم طبائع البداوة السالبة التى هي نقيض الحضارة ٠ وفي فصل له بعنوان «ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك » يتحدث ابن خلدون عن صورة هذا التقابل الفعال بين الاسلام والعرب اذا اريد لهم ان يلعبوا دورا ايجابيا « ان العرب اكثر بداوة من سائر الامم وابعد مجالا في القفر ، واغنى عن حاجات (المدن) لاعتيادهم الشظف وخشونة العيش ، فاستغنوا عن غيرهم ، فصعب انقياد بعضهم لبعض ٠٠٠ وانما يصبح ـ العرب ـ الى سياسة الملك بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصيغة دينية تمحو ذلك منهم ، وتجعل الوازع لهم من انفسهم،وتحملهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض واعتبر ذلك بدولتهم ، لما شيد لهم الدين السياسة بالشريعة واحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهرا ، وباطنا ، وتتابع فيها الخلفاء ، عظم حينئذ ملكهم وقوى سلطانهم ٠٠» (٢) انها النقلة الكبيرة التى تقلهم الدين الجديد اليها ٠٠ النظام والالتزام والانقياد المسؤول للسلطة ، المنبثق عن وازع طوعي بقوة الايمان ومستلزماته من اعماق النفس،وتلك هي ضرورات العمران والتحضر ٠

ثم ان العرب ذلك«انقطعت منهم عن الدولة اجيال نبذوا الدين فنسوا السياسة ورجعوا قفرهم وجهلوا شان عصبيتهم مع اهل الدولة ببعدهم عن الانقياد ٠٠ فتوحشوا كما كانوا ٠٠ ولما ذهب امر الخلافة انقطع الامر جملة من ايديهم وغلب عليهم العجم دونهم ، واقاموا في بادية قفارهم لايعرفون الملك ولا سياسته ، بل قد يجهل الكثير منهم انهم قد كان لهم ملك في القديم ، وما كان في القديم لاحد من الامم في الخليقة ما كان لاجيالهم من الملك ٠٠ لكن بعد عهدهم بالسياسة لما نسوا الدين فرجعوا الى اصلهم من البداوة ٠٠ » (٣) انه الارتداد ـ اذن ـ الى البداوة ، وفقدان مستلزمات السياسة والتحضر التى يعرف الدين كم هي ضرورية للعمران البشرى ، ويعرف ـ كذلك ـ كيف يضع ـ بها ـ الامم والشعوب في قلب التاريخ ٠

موقف من اكاذيب الشعوبية

وفي المدخل الذى مهد فيه ابن خلدون لمقدمته(٤) حيث تحدث عن اهمية علم التاريخ وعن المعايير التى يتوجب على المؤرخ ان ياخذ بها لتجاوز الوقائع الكاذبة ورفض ما لايمكن تصديقه يعبر ابن خلدون ـ كذلك ـ عن رؤيته الدينية والتزامه، ويسعى جاهدا باسلوبه النقدى لتنقية جوانب من التاريخ الاسلامي ورجالاته العرب ، احاطت بها وبهم الكثير من الشوائب والاكاذيب ، حيث يناقش ويفند ـ على سبيل المثال ـ مسالة العلاقة بين العباسة اخت الرشيد وجعفر بن يحيى بن خالد ، وانها كانت السبب وراء نكبة الرشيد للبرامكة ، ويؤكد ان الدافع الحقيقي لتلك النكبة هو «استبدادهم على الدولة واحتجانهم أموال الجباية ، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه ، فغلبوه على امره في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه(٥) » ٠

كما يناقش ويفند اكذوبة انكباب الرشيد على الخمر واقتران سكره بسكر الندامى ، فحاشا الله

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٥٦ تحقيق د ٠ علي عبدالواحد وافي ، لجنة البيان العربي القاهرة ٥٨ ـ ١٩٦٢

(٢) المقدمة ص ٤٥٦ ـ ٤٥٨ ـ (٣) المقدمة ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨

(٤) المقدمة ص ٣٤٩ ـ ٤٠٨ ـ (٥) المقدمة ص ٣٧٤ ـ ٣٧٨ ـ

-يقول ابن خلدون - ما علمنا عليه من سوء ، واين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة ، وما كان عليه من صحابة العلماء ومكاتبته (اياهم) ·· وما كان عليه من العبادة والمحافظة على اوقات الصلوات وشهود الصبح لاول وقتها ، وانه كان يصلى فى كل يوم مائة ركعة نافلة ، ويغزو عاما ويحج عاما ؟ » (٦) ثم يتطرق ابن خلدون الى ما كان عليه خلفاء بنى العباس الاوائل من بعد عن الترف والتزام بالدين وفهم لمتطلبات الشريعة ، وكيف ادرك المهدى اباه المنصور «وهو يتورع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال» وكيف « كان يباشر الخياطين فى ارقاع الخلقان من ثياب عياله··» وما يلبث ، بعد طرح مزيد من الوقائع ، ان يصل الى القول « بان اولئك القوم كلهم كانوا بمنجاة من ارتكاب السرف والترف فى ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم ، لما كانوا عليه من خشونة البداوة التى لم يفارقوها بعد ·· » (٧) وينتقل ليناقش ويفند ما اشيع - كذلك - عن عدد من رجالات الدولة العباسية ، ثم يخلص الى وضع يده على بعض الاسباب التى تكمن وراء اتهامات باطلة كهذه « ··· وامثال هذه الحكايات كثيرة وفى كتب المؤرخين معروفة ، وانما يبعث على وضعها والحديث بها الانهماك فى اللذات المحرمة وهتك قناع المخدرات ، ويتعللون بالتاسى بالقوم فيما يأتونه من طاعة لذاتهم ، فلذلك تراهم كثيرا ما يلهجون باشباه هذه الاخبار ·· ولو ائتسوا بهم فى غير هذا من احوالهم وصفات الكمال اللائقة بهم لكان خيرا لهم لو كانوا يعلمون ·· » (٨)

وابن خلدون يذكرنا هنا بذلك التحذير الذى اطلقه المؤرخ الاندلسى القاضى ابو بكر بن العربى قبل ذلك باكثر من ثلاثة قرون ، فى كتابه القيم (العواصم من القواصم) ، من ان احد ابرز الدوافع لاختلاق هذه الروايات وتسليط الضوء عليها هو رغبة الخلف فى تبرير ممارستهم اللااخلاقية واشباع شهواتهم بحجة ان السلف كانوا قد اقترفوها ·

مقولات اثارت جدلا

وفى تفنيد ابن خلدون لقصة العباسة اخت الرشيد وادانته البرامكة ودفاعه عن الرشيد والمأمون ورجالاتهما وتجاوز ذلك كله الى تبرئة ساحة الكثير من خلفاء بنى امية الذين سبقوهما ، وفى تأكيده على اخلاقية العرب الذين كانوا يأخذون انفسهم كما يقول « بالتخلق بالمحامد واوصاف الكمال » ·· فى هذا كله موقف واضح يقفه ابن خلدون ازاء بعض معطيات الحملة الشعوبية ضد الاسلام والعرب ، والتى اخذت تطل براسها منذ العصر العباسى الاول ، الامر الذى يبعد هذه الصفة التى سعى بعض الباحثين المعاصرين الى الصاقها بالرجل بسبب من بعض مقولاته عن العرب، تلك التى انتشرت فى مقدمته هنا وهناك ·

وهذا يقودنا - بالضرورة الى ان نقف قليلا عند بعض هذه المقولات التى وصف بها العرب بصفات سالبة فى اكثر من موضع · وقد اثارت هذه المقولات ولا تزال ، العديد من المناقشات من مثل «ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط» و«ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب» و«ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك » و « ان المبانى والمصانع فى الملة الاسلامية - ويقصد بها العرب الفاتحين - قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلها من الدول » و« ان المبانى التى كانت تختطها العرب يسرع اليها الخراب الانى الاقل » و « ان العرب ابعد الناس عن الصنائع » و « ان حملة العلم فى الاسلام اكثرهم من العجم » ·

تيارات ثلاثة

ونستطيع ان نتبين ، من خلال المناقشات التى اثيرت حول هذا الموضوع ، ثلاثة تيارات اساسية يتهم اولها ابن خلدون بنزعته البربرية ، او تملقه السلطات البربرية التى عاصرها وعمل فى ظلالها ، ويدافع ثانيها عنه بحجة انه لم يقصد بالعرب سوى البدو غير المتحضرين · اما ثالثها فيرى ان آراءه فى هذا الصدد جاءت انعكاسا

---

(٦) المقدمة ص ٣٧٨ - ٣٧٩

(٧) المقدمة ص ٣٧٩ - ٣٨١ - (٨) المقدمة ص ٣٨٥

للمرحلة التاريخية التي عايشها او كان قريب عهد بها والتي كانت القبائل العربية في الشمال الافريقي قد عاثت فيها هناك فسادا وتخريبا (٩)

ونحن لا نستطيع ان ناخذ بكل واحد من هذه الآراء على انفراد • ففيما يتعلق بالرأي الاول لم يستطع احد من المؤرخين ان يجزم بانتماء ابن خلدون البربري ، على العكس ، ان معظم الروايات تميل لايصال نسبه الى عرب الجنوب من الحضارمة • ثم ان الرجل ، حتى وهو يعمل في ظلال السلطات البربرية ، لاقى من المتاعب والاهوال ما لاقى ، ولم يستطع ان يفرغ للكتابة سنوات معدودات ، الا بشق الانفس ، ثم ما لبث ان انتهى به المطاف الى مصر المملوكية لا البربرية ، حيث تقلد هناك ايضا مناصب عديدة وواصل كتاباته وتنقيحاته • ثم ان الرجل ـ من جهة ثالثة ـ لم يال جهدا في اماكن عديدة من مقدمته في الدفاع عن العرب ضد الروايات الكاذبة التي دست على تاريخهم ، كما مر بنا ، وفي تبيان فضل العرب ، ولا سيما بعد ظهور الاسلام فيهم ، والتبسط في طرح دورهم التاريخي العظيم • وفي المقابل كان يسحب بعض مقولاته على البربر ايضا حيثما كان هناك تشابه في التجربة التاريخية بينهم وبين العرب • فهو يبدأ فصله المعنون بـ « ان المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها •• » بقوله « ان السبب في ذلك ما ذكرنا مثله في البربر بعينه ، اذ العرب ايضا اعرق في البدو وابعد عن الصنائع •• » •

ويرفض الرأي الثاني بمجرد أن نرجع الى مقولات ابن خلدون سابقة الذكر لكي ما نلبث أن يتبين لنا كيف أن ابن خلدون لم يقف في تحليله عند حدود مصطلح (البدو) الذي يقتصر على العرب غير المتحضرين والذين لم يعرفوا حياة المدن ، وانما تنسحب هذه التحليلات لكي تشمل عموم لفظ العرب : بداوة ومتحضرين • وهو واضح في هذا تماما ، خصوصا لدى حديثه عن الاجيال الاولى من العرب التي حملت الاسلام الى مشارق الارض ومغاربها •

اما الرأي الثالث فهو اقربها الى الصواب ، لكن الم يحدثنا ابن خلدون في التمهيد الذي سبق به مقدمته انه ما كتب هذه المقدمة اساسا الا لصياغة معايير دقيقة تمكن المؤرخ من تمييز الحق من الباطل وتمحيص الروايات واخذ ما يمكن تصديقه ورفض ما سوى ذلك ؟ هل يقع ، هو الذي نعى على المؤرخين السابقين تحيزهم وهواهم وميلهم ، في وهدة الهوى والتحيز والميل بهذا الوضوح وهذه الصراحة ، فيهاجم العرب هذا الهجوم القاسي لا لشيء الا لانه عاصر مرحلة لعبت فيها (بعض) القبائل في الشمال الافريقي ، من مثل هلال وسليم وعدي ، دورا تخريبيا مريعا ؟

الاحتمال الراجح : مشكلة المنهج

يبقى ثمة احتمال رابع يتعلق بمنهج ابن خلدون نفسه، ذلك المنهج الذي يقوم على التعميم احيانا (١٠) وهو ليس بدعا في هذا ، فان اشد فلاسفة التاريخ الغربيين حداثة ، وبخاصة اصحاب المثالية الهيغلية والمادية التاريخية ، وقعوا في الخطأ نفسه فمارسوا خطيئة (التعميم) وسحبوا جزئيات التجربة التاريخية على مساحات واسعة في الزمان والمكان من اجل تاكيد مبادئهم الكلية الشاملة • بل ان ازمة الفكر الغربي ـ اساسا ـ هي في هذا الخطأ المنهجي الذي يمط الجزئيات بما هو فوق طاقتها والذي يسحب رؤية عصر ما ، بكل ما تحمله من خصائص ذاتية نسبية موقوتة ، لكي يغطي بها حركة التاريخ البشري كله •• وكلنا نعرف كيف اخذت التيارات الفكرية الجديدة ، سواء في

---

(٩) انظر على سبيل المثال : طه حسين : فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، ترجمة محمد عبد الله عنان ص ١٠٢ ، وعلي عبد الواحد وافي : عبد الرحمن ابن خلدون (سلسلة اعلام العرب) ص ٢١٩ ـ ٢٢٨ ، ومحمد عبد الله عنان : ابن خلدون ، حياته وتراثه الفكري ، الطبعة الثالثة ص ١٢١ ـ ١٣٠ وانظر كذلك معجم الالفاظ الملحق بترجمة البارون دوسلان الفرنسية لمقدمة ابن خلدون •

(١٠) يتجاوز ابن خلدون في بعض الاحيان منطق التعميم ويحاول ان يطرح الاحتمالات المختلفة للواقعة التاريخية والا يحتويها بقانون صارم قد لا ينطبق عليها انطباقا هندسيا ، ولعل الفضل في ذلك يعود الى رؤيته الدينية التي كانت تحتم عليه ـ احيانا ـ الاهتمام بالتغاير التاريخي وعدم اعتبار القوانين التاريخية حتمية صماء •

المادية التاريخيه ام الفرويدية ام غيرهما ، تطامن من كبريائها امام الحقائق العلمية والتاريخيه ، وتعلن عن تراجعها عن الكثير من المواقف التعميمية التي مارستها تلك المذاهب ايام غلوها الكلاسيكي.

انه شيء اساسي في ذهنية وسايكولوجية الفلاسفة والباحثين في فروع المعارف (الانسانية) ، انهم وقد وضعوا ايديهم على حقائق قيمة في تفسير بعض جوانب الحياة البشرية وكونوا على ضوء ذلك رؤية او فلسفة يمكن ان تلقي نورا نفاذا على مساحات واسعة من تاريخ السعي البشري في العالم ، يسعون الى التشبث بهذه الرؤية او الفلسفة الى حد التشنج المنهجي ، بحيث يريدون أن يكون التاريخ كله ، بوقائعه الكثيفة المزدحمة المتغايرة المعقدة الصعبة ، مصداقا لهذه الرؤية او تلك الفلسفة . وتحدث ـ كثيرا ـ عمليات تفصيل قسري ، او اعادة صياغة للوقائع نفسها من أجل أن تنسجم مع رؤاهم وفلسفاتهم التي صاغوها سلفا ، والتي انبثقت متجانسة مع قدر من الوقائع لا مع كل الوقائع او حتى جلها !!

نماذج من المقدمة

الا يجوز أن يكون ابن خلدون قد وقع في خطأ كهذا ؟ نعم .. واننا بالرجوع الى معطيات مقدمته جميعا نضع ايدينا على حشد من التعميمات لمقولات قد تنطبق على عصر ما او مكان ما ، ولكنها لا تنطبق على كل زمان ومكان ، من مثل التحديد الزمني الصارم لاعمار الدول ، ومن مثل ان الدول لا تقوم الا بالعصبية .. الخ .. ولنقرأ معا هذه الفقرة التي وردت في المقدمة الخامسة من الباب الاول .. واعلم ان اثر هذا الخصب في البدن واحواله يظهر حتى في حالة الدين والعبادة . فنجد المتقشفين من اهل البادية او الحاضرة ، ممن ياخذ نفسه بالجوع والتجافي عن الملاذ ، احسن دينا واقبالا على العبادة من اهل الترف والخصب » . تحليل رائع لكنه ما يلبث ان يمارس التعميم فيبعد عن الصواب ، بدرجة او اخرى «بل نجد اهل الدين قليلين في المدن والامصار لما يعمها من القساد والغفلة المتصلة بالاكثار من اللحم والادم ولباب البر . ويختص وجود العباد والزهاد لذلك بالمتقشفين في غذائهم من أهل البوادي . وكذلك نجد حال أهل المدينة الواحدة في ذلك مختلفا باختلاف حالها في الترف والخصب (١١) » .

وكلنا نعرف ان الدعوة الاسلامية شقت طريقها في المدن والامصار وقامت على اكتاف اناس اختلفت حظوظهم من الطعام والشراب ، ونعرف ايضا ان البادية كانت اقرب الى الارتداد ، بعيد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانه لم يبق مخلصا للاسلام ودولته ، في تلك الفتنة الجامحة ، كما تذكر الروايات ، غير المدن الكبيرة الاصيلة في تحضرها كالمدينة ومكة والطائف .

ويمكن للقارىء ان يرجع الى فهارس مقدمة ابن خلدون لكي يرى بام عينيه مزيدا من الامثلة على تعميميته ، ان ابن خلدون يسحب على مدى الزمان والمكان وقائع هي بمثابة مساحات محدودة من حركة الزمان وابعاد المكان .

ومن ثم الا يجوز لنا ان نستنتج ان الذي دفع ابن خلدون الى اصدار تلك المقولات بحق العرب ، ليس مجرد رد فعل نفسي وفكري ازاء ما احدثته هجمات بعض قبائلهم في الشمال الافريقي ، مع ترجيحنا النسبي لهذا العامل ، وانما رغبة منه في التعميم الذي مارسه في اكثر من مكان والذي يقود بالضرورة الى مد المقولات او النظريات او القوانين الى اكبر مدى زماني او مكاني لكي يعطيها صفة الشمولية ويجعلها اكثر ثقلا واهمية في حركة التاريخ على حساب الوقائع التاريخية نفسها ؟

وهكذا ، فانه اذا كانت بعض القبائل العربية ، في فترة ما من تاريخها ، لا تقدر على التغلب الا على البسائط ، عممت في مقدمة ابن خلدون واصبحت «ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط» وكلنا نعرف ما الذي فعله العرب المسلمون خلال فتوحاتهم وكيف انهم تحدوا جغرافية العالم فلم يقف امامهم شيء !!

واذا كانت بعض الجماعات العربية لدى تغلبها

---

(١١) المقدمة ص ٤٩٦

على بعض الاوطان اسرع اليها الخراب، وعمم ذلك في مقدمة ابن خلدون واصبح « ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب » ، وكلنا نعرف ما تفجر على ايدي العرب المسلمين ، بعد الفتح ، من خير حضاري عميم نقل العالم خطوات واسعة الى الامام تمدنا وتحضرا ..

واذا كانت بعض الجماعات العربية بعيدة عن سياسة الملك ، وعمم ذلك واصبح « ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك » ، وكلنا نعرف ان العرب المسلمين هم الذين ساسوا ثلاث دول كبرى ـ على الاقل ـ لعبت دورها الخطير في تاريخ البشرية : دولة الراشدين ودولة الامويين في الشام والاندلس ودولة العباسيين .

وهكذا تجيء المقولات الاخرى نتيجة طبيعية لهذه النزعات الصارمة في التعميم اللهم الا تحفظا واحدا يطرحه في احدى هذه المقولات حيث يذكر « ان المباني التي كانت تختطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل » .

ويبدو لنا ـ من ثم ـ لماذا لم يمنحنا ابن خلدون تحديدا صارما لما يريده بمصطلح العرب، هل هم البدو ، ام العرب المتحضرون ،ام الاثنان معا ان تحديدا كهذا يجيء نقيضا لنزعة التعميم التي تعتبر احدى مناقص مقدمة ابن خلدون .

وليس شرطا ـ بعد هذا كله ـ ان نتخذ من مقدمة ابن خلدون ، ذلك العمل الفذ الملهم ، موقف الدفاع ، في محاولة لجعل معطياتها جميعا تقف في جانب الصواب ، ما دام انه ما من فكر بشري ، ما من محاولة استقرائية ، ما من جهد وضعي ، الا وهو معرض للخطا والصواب ، ان على مستوى الموضوع ، او على مستوى المنهج.. ويكفي ابن خلدون اكبارا ، انه في مساحات واسعة من عمله الكبير هذا ، كان رائدا وعبقريا في الوقت نفسه !! ■■

الموصل ـ د . عماد الدين خليل

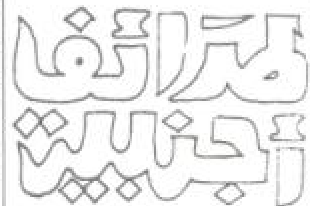
++++++++ تموز (يوليو) ماذا يعني ؟ ++++++++++++++++++++++

تموز هو الشهر السابع من السنة الميلادية ،واسمه بالفرنسية Juillet وبالانكليزية July وبالايطالية يوليو.كان الرومان يسمونه «كونتيلس»ومعنى ذلك الخامس ، لانه الشهر الخامس من السنة القديمة التي تبدأ باذار . والذي سماه هومرقس انطونيوس اكراما ليوليوس قيصر الذيولد في الثامن عشر منه . وكان الانكلوسكسون يسمونهشهر المروج او شهر التين لان المروج تزهر فيه . ويقع فيه الحصاد ، وسماه شارلمان شهر القش ،ويسمى عندنا شهر الحصاد ، وعلامته عند الاقدمين برج الاسد لان الشمس كانت تدخل هذا البرج فيهوذلك منذ الفي سنة ، اما الان فانها تدخله في منتصف اب .

اما تموز فهو اسم سرياني او فينيقي وكانالسريان والفينيقيون يسمون به المعبود « ادونيس». وقد امتاز تموز على جميع شهور السنة بانه شهرالحرية عند كثير من الامم والشعوب ، ففي الرابع منه نال الامريكيون حريتهم ، وفي الرابع عشر نالالفرنسيون حريتهم ايضا ، عندما استولى رجال الثورة الفرنسية على سجن الباستيل عام ١٨٨٩،وفي الرابع والعشرين منه سنة ١٩٠٨ وقع الانقلاب العثماني فانزل السلطان عبد الحميد عن عرشه ،واعلن الدستور ، فصار ذلك اليوم عيدا للاحرار العثمانيين . وفي العاشر من تموز سنة ١٨٠١انسحب نابليون من مصر ، بعد ان دخلها في الثاني منه سنة ١٧٩٨ ،وظل فيها معجيوشه ثلاث سنوات،وقد اعتبر تاريخ دخوله مصر بداية عصر النهضة الحديثة ، وفي السادس والعشرين منه سنة ١٩١٧اعلنت بلاد نجد العربية استقلالها .

وفي تموز ، حيث يغلي الماء في الكوز ، كمايقول المثل ، يغادر اهل المدن منازلهم هربا منالحر وينتشرون في المصايف الجميلة ، طلبا للراحةاو السكينة والهدوء،حيث تنخفض درجات الحرارة، ويستسلم الناس الى الدعة والاسترخاء واللهوولمرح ، ويعيشون في ظل الطبيعة السمحاء ، بلا قيود او رسميات ، يتنشقون الهواء الطلق الخاليمن الغبار والجراثيم وروائح النفايات .





المرأة ..
والتاريخ !

● كلير بوث لوس زوجة هنري لوسي رئيس تحرير مجلة تايم الامريكية سابقا سالوها يوما عن الشيء الذي يميز المراة عن الرجل ، قالت : اشياء كثيرة جدا ، فالمراة احسن والمراة اعظم ، ولولا المراة لما وجدنا شيئا يذكرنا بماضينا !

قالوا : كيف ؟

قالت : « الرجل بطبيعته ميال الى التخلص من كل شيء لم يعد يجد فيه نفعا له .. اما المراة فهي تتخلص من كل شيء وأي شيء يحمل معه ذكريات غير سعيدة .. ولكنها تحتفظ بعد هذا بكل شيء قديم سواء كان نافعا ، او غير نافع ، مادام يحمل لها ذكريات حلوة !

« لولا عاطفية المراة مابقي لنا شيء قديم .. ولكان من الممكن ان تسقط صفحات كثيرة من التاريخ ! »

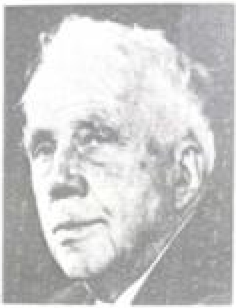
الرجل الكبير !

● قال افلاطون وهو يقترب من الشيخوخة : « لقد علمتني الحياة ان الجد والصراحة لا مكان لهما في العلاقات الانسانية . المقياس الحقيقي للرجل الكبير ، هو ابتسامته وروحه المرحه وقدرته على السخرية من المتاعب ! »

لا تصدقوا افلاطون!

● قال برناردشو : «نهاية المشاكل في حياة الناس هي بداية الموت . اي مجتمع يعيش بلا مشاكل ، هو مجتمع محكوم عليه بالاعدام . لاتصدقوا افلاطون وهو يحدثنا عن «يوتوبيا» او المدينة الفاضلة ! فمن بين المزايا التي يتمتع بها الانسان القدرة على حل المشاكل ، ونحن اذا افترضنا اننا حللنا جميع مشاكلنا الملحة .. فليس معنى هذا انا بدانا نعيش في المدينة التي وعدنا بها الفيلسوف القديم . فسوف يحمل لنا الغد دائما مشاكل جديدة .. مشاكل من صنعنا نحن لكي نجد باستمرار عملا يشغلنا عن التفكير والتامل في الحياة الرتيبة المملة التي نحياها .. ان الانسان نفسه اكبر مشكلة ! »





خيول الشاعر !

● كان روبرت فروست يجلس امام المثال الذى انشغل فى صنع تمثال نصفى للشاعر الكبير . وفجاة تقدم احد تلاميذ المثال وقال يسال فروست : « كيف تبدأ عندما تريد ان تكتب قصيدة جديدة ؟ »

وقال الشاعر : « لا بد أن أرى شيئا قد حدث لك مثلا .. ثم امسك بالقلم واكتب بضع كلمات على الورق ! وسكت فروست وراح يتفرس فى وجه صاحبه ، قبل ان يكمل حديثه ، وقال يساله : « هل ركبت جوادا من قبل ؟ » لو انك تجيد ركوب الخيل ، فسوف تدرك ما اعنى عندما اقول لك انني اركب كل كلمة سجلتها بقلمي على الورق ، وانطلق بها ، تماما كما لو كانت جوادا اصيلا .. ومع هذه الرحلة الطويلة تخرج القصيدة في النهاية الى النور .. وقد تجمح بعض «الجياد» ، وقد يصيب بعضها التعب ، وعندئذ ، يتحتم على ان ابحث عن غيرها .. والا وجدت نفسي اسقط على الارض معها ! »

أحلام اليوم هي حقائق الغد

ثورة الكمبيوتر

عندما تتحكم الأزرار الالكترونية في حياة الانسان

الذى يجرى الان في عالم الكمبيوتر ، لا يمكن أن يوصف باقل من أنه ثورة ، بل أحد أخطر الثورات في تاريخ الانسان.

■ لقد اخذت ثورة الكمبيوتر أو ما يسمى بالدماغ الالكترونى عهدا على نفسها بتسهيل الحياة وتبسيطها وجعلها اكثر جمالا بوسائل لم تخطر ببال ولا خيال أحد • ففى المنزل أو المكتب سيتم انجاز الاعمال الروتينية بكفاية مذهلة وبسرعة خارقة • واوقات الفراغ التى تزداد بصورة كبيرة ستكون اكثر نفعا في المستقبل • والتعليم العام الذى غالبا ما يكون مملا وروتينيا قد تنفخ فيه روح جديدة على غرار دروس « اكسفورد » الخصوصية• والرعاية الطبية سيجرى تامينها بصورة اكثر دقة واتقانا • وبالاضافة الى ذلك كله ، فانك تستطيع ان تمشى فى الشارع وانت امن ، فلن تتعرض للنشل ، ولن يعترض سبيلك طامع ، لان جميع المعاملات والصفقات التجارية ستتم عمليا بواسطة الكمبيوتر ، ولن تضطر لحمل أية أموال سائلة تذكر في جيب سترتك •

وستمكن ثورة الكمبيوتر المنزل من الاضطلاع بدور رئيسى في المجتمع ، كما كان شانه قبل الثورة الصناعية • فالانتاج واسع النطاق من اجهزة الكمبيوتر قد جعل بالامكان توفير هذه الاجهزة في البيوت لقاء لمن يقل عن ٨٠٠ دولار للجهاز الواحد ، وان هذا السعر في طريقه الى الانخفاض تدريجيا • وسيصبح بالامكان جعل كثير من المخترعات المحلية التى تستخدم الطاقة الكهربائية

هذه مجموعة من الرسوم تصور جانبا من المهام التي يمكن أن يؤديها الكمبيوتر مستقبلا في حياة
(٤) يحدد مواعيد رب الاسرة اليومية (٥) ينظف المنزل (٦) يفتح الباب الخلفى ليخرج منه الكلب • (٧) يعد
الالعاب • (٩) يجرى حوارا بين المشاهد والمذيع في محطة التلفزيون (١٠) اعداد المائدة وطهى الطعام
فخارية يونانية • (١٢) اعداد حمام شمسى داخل المنزل لربة البيت • (١٣) التحذير بوجود لص في



تعمل على نمط الكمبيوتر • وفى النهاية سيصبح جهاز الكمبيوتر فى المنزل ضروريا شأنه فى ذلك شأن المغسلة التى لا يمكن الاستغناء عنها • فهو سيعمل على برمجة عمل الغسالات وماكينات الخياطة كما يطلق تحذيرا بوجود لص او حريق •

وعند حدوث خطأ فى التطبيق ينبه الكمبيوتر الى هذا الخطأ ليتم اصلاحه فى الحال ولضبط التعليمات الموجهة (وفى الاجيال المستقبلية ستتم عملية اصلاح الخطأ أوتوماتيكيا) • وتكاليف الطاقة ستصبح أقل بواسطة اختراع يعمل بنظام الكمبيوتر ويوجه الحرارة الى الاماكن التى تتطلبها وتغلقها عندما لا تكون هناك ضرورة لها • وبطريقة مشابهة تقوم عين الجهاز ذات المعرفة غير المحدودة والتى تحدد أماكن تواجد الاشخاص فى جميع الاوقات باضاءة النور واطفائه حسب الحاجة •

بلدة الكترونية !

ويحتفظ مدير احدى المؤسسات الحكومية الامريكية فى منزله بدماغ الكترونى يتولى برمجة المعاملات المالية وسجلات ضريبة الدخل والتعيينات وأرقام الهواتف ودفتر اليوميات • وحتى أطفاله يستخدمون جهاز الكمبيوتر المتناهى فى الصغر ، فى تنظيم شئون حياتهم اليومية •

وهناك فى ولاية أوهايو الامريكية بلدة تعتبر النموذج الاصلى للبلدة الالكترونية ، حيث توجد فيها محطة تلفزيون تعمل بالكمبيوتر وتزود المشتركين فيها باربعين قناة تلفزيونية ، تبث برامج ترفيهية للاطفال وافلاما تربوية وسينمائية واحداثا رياضية على الهواء مباشرة ، ودروسا لطلبة المعاهد العليا بدون رقابة صحفية او دعايات تجارية • ويدفع المشترك فى المحطة التلفزيونية مبلغ احد عشر دولارا فى الشهر •

ومحطة التلفزيون هذه تمكن المشاهد أيضا من التحدث الى المذيع وجها لوجه عن طريق أزرار معينة والاستفسار منه عن أمور لم يفهمها • وبالضغط على احد الازرار يستطيع المشترك ان يناقش احد السياسيين البارزين او يساهم فى برنامج محلى للهواة الموهوبين ، كما تبث المحطة برامج مخصصة للاطباء والمحامين • ويوجه أصحاب الصحف المحلية عن طريق هذه المحطة اسئلة الى المشاهدين لمعرفة آرائهم فى هذه الصحف • وتمكن المحطة التلفزيونية المشترك من شراء حاجياته من الاسواق المركزية التى يختارها ومعرفة اثمانها ومن ثم التوجه لاستلامها ، كما تمكنه من حجز طاولة فى مطعم شرقى واعداد وجبة الطعام المفضلة لديه سلفا !

وسيجعل هذا الدماغ الالكترونى من الممكن فى يوم ما الحصول على الاجهزة والملابس المصنوعة حسب الطلب فى غضون دقائق • وستصبح الاشياء المصنوعة بناء على طلب الزبون والمقصورة الان

الانسان المنزلية والعملية • (١) يدق جرس المنبه(٢) يفتح الستائر (٣) يقدم نشرة الاخبار الصباحية العمام ويحدد درجته بتسعين درجة (٨) يؤدى دور الام باطعام الرضيع واسكاته عند البكاء بواسطة بعض واعداد القهوة والحليب وسكبهما • (١١) اعطاء ربةالبيت معلومات عن الاثار القديمة ويقدم نموذجا لانية المنزل • (١٤) تنبيه سائق السيارة بأن الوقود سينفذبعد ستة أميال (١٥) انزال مطر صناعى •



على الاغنياء ـ بفضل هذا الجهاز ـ في متناول كل فرد • ومع انه ستمضي بضع سنين قبل ان يصبح في وسع ربة البيت العادية قضاء حاجياتها من السوق بواسطة تلفزيون يعمل بالكمبيوتر ، الا ان علم تطوير الالات وصنعها ما زال يقوم بجهود مكثفة لتحقيق ذلك •

له صفات انسانية !

ويلعب الكمبيوتر دورا كبيرا في مجال الرعاية الطبية وقد أصبح عاملا له الصفة « الانسانية » • فالمريض يميل الى اعطاء أكبر كمية من المعلومات الصريحة عن تاريخه الطبي وحالته المرضية والماكولات التي يتعاطاها والتي يمتنع عنها ، الى آلة أعدت لتوجيه الاسئلة التمهيدية المناسبة أكثر من اعطائها الى طبيب يقوم بتوجيه الاسئلة المحرجة والتي تسبب ضيقا للمريض • مثال ذلك يتم وضع بعض المرضى أمام جهاز كمبيوتر قبل ادخالهم على الطبيب وذلك لمعرفة تواريخهم الطبية والامراض التي يشكون منها والحصول على معلومات عن المستشفيات التي عولجوا فيها • وبالامكان اجراء عملية الاسئلة والاجوبة مع الكمبيوتر باللغات الفرنسية والاسبانية والانجليزية، مع تزويد الطبيب المعالج بالترجمة الفورية • وتستطيع أجهزة الكمبيوتر هذه اكتشاف وتحديد الامراض المزمنة الدماغية والبصرية كالورم الخبيث في الراس والماء الازرق في العين فضلا عن اكتشاف الاضطرابات الدموية وغيرها •

وفي كثير من المستشفيات يتم برمجة أجهزة الكمبيوتر لتذكير ادارة الصيدلية باعداد الوصفات الطبية وتنبيه الممرضات لاعطاء الادوية المناسبة في الوقت المحدد • وبعد أن يفحص الطبيب المريض يتم ايداع تقرير بما في ذلك نتائج التحليل المخبري في صندوق للمعلومات حيث يتم الوقوف على تاريخ المريض الطبي •

والاكثر من ذلك أن أجهزة الكمبيوتر تمكن المريض من الحصول على ملفه الصحي لقاء مبلغ زهيد من المال ، كما تقوم بتحليل كميات من دمه في ثوان معدودة •

هاتف بحجم القلم

ويقوم الكمبيوتر بدور رئيسي في ميدان السلامة على الطرق العامة • فبالاضافة الى التطوير المستمر لمحرك السيارة المدني لجعله يعمل بصورة اكثر كفاءة وبالتالي اعطاء السيارة قوة أكبر ، فان أجهزة كمبيوتر دقيقة للغاية ستخفف من حوادث السير اليومية وتجعل الحياة أكثر أمنا وبساطة بالنسبة للسائق والمسافرين على حد سواء • ويزود أحد مصانع السيارات الرئيسية في الولايات المتحدة كل من يشتري سيارة من انتاجه بجهاز صغير جدا يتم تركيبه بداخلها • ويستطيع السائق عن طريق الضغط على زر هذا الجهاز أن يعرف بالتحديد الكمية المتبقية من الوقود في الخزان وعدد الاميال التي يتوقع أن يقطعها (بالسرعة العادية) قبل أن يكون من الضروري التزود بالوقود من جديد •

وهناك سيارات مزودة بأجهزة دقيقة تمكن السائقين مسبقا من معرفة عدد الاميال التي سيقطعونها الى الجهة التي يقصدونها وتحدد لهم وقت الوصول التقريبي • وتم كذلك تزويد أنواع من السيارات بأجهزة هاتف بحجم قلم الرصاص قابلة للحمل او النقل ، بامكانها ايصال السائق باي رقم في العالم في ثوان • بالاضافة الى فرامل اوتوماتيكية تتحكم بالسيارة وتعمل على ايقافها عندما يصاب السائق بالذعر أو يفقد السيطرة على زمام الموقف مع جهاز رادار دقيق جدا لمنع حوادث التصادم •

وسيجني الشبان الفوائد القصوى للثورة الالكترونية (على عكس الفوائد المتحصلة من معظم الثورات الاخرى) • ويقدر استاذ في الرياضيات والتربية في احدى الجامعات الامريكية بانه سيكون هناك خمسة ملايين جهاز كمبيوتر خاص في المنازل وفي متناول ايدي الطلبة في غضون عامين• ويتكهن بانه في عام ١٩٨٢ سيتمكن ٨٠٪ من عائلات الطبقة فوق المتوسطة من الحصول على أجهزة كمبيوتر قادرة على القيام بادوار هامة في التطوير الثقافي لاطفالها • ويقول أحد رواد التعليم الالكتروني وهو أولور روبرت البريشت : « ستصبح أجهزة الكمبيوتر أكثر شيوعا في المدارس من آلات العرض الخاصة بالشرائح التعليمية وآلات العرض السينمائي وأجهزة التسجيل الشريطية • وسيتم استخدام هذه الاجهزة من اللحظة التي تفتح فيها المدارس أبوابها وخلال فترات الاستراحة والتناء وجبة الغداء وطوال الوقت الذي يقرر فيه المدراء ابقاء هذه المدارس مفتوحة » •

ثورة في التعليم

والذي يحدث ليس قابلا للتصديق فقط بل امر لا بد منه وحتمي • ويقول احد اساتذة التربية الامريكيين « من الواضح ان هذه الاجهزة السحرية تقدم العون الى الاساتذة غير الاكفاء •انها تنشط الطلبة الكسالى وتزودهم بالعلم والمعرفة اكثر من تلك التي يتلقونها على أيدي معظم المدرسين • وسيتم خزن ملايين من المعلومات والثقافة في كبسولات صغيرة جدا لاسترجاعها عند الحاجة » •

ويقول استاذ علم الكمبيوتر الامريكي جيرالد ايسترن « ان أجهزة الكمبيوتر تمكن الطالب من الوصول الى مستوى من العلم والمعرفة في غضون اشهر قليلة لم يكن ليصل اليه بدونها وانه بالتاكيد لن يحصل على هذا المستوى لسنوات عديدة من الدراسة بالاساليب العادية » • وفي ولاية مينيسوتا هناك الفان وثلاثمائة جهاز كمبيوتر تعليمي • ويتدرب ٩١٪ من مجموع طلاب الولاية على هذه الاجهزة • فالطلبة المتخصصون في « البيولوجي » (علم الاحياء) بامكانهم تحليل التلوث في البحيرة كما يتعلم مزارعو المستقبل افضل الطرق لزراعة مساحة معينة من الارض وتحقيق نتائج باهرة •

وفي صنيفيل بولاية كاليفورنيا يستخدم روبرت البريشت أجهزة كمبيوتر لتعليم الاطفال كيفية برمجة هذه الاجهزة لتقوم بدورها بتعليم أطفال آخرين • وفي بروكلين بولاية ماساشوسيتس أجرت مؤسسة علمية وطنية تجاربها الاولية على ٤٨ من طلبة المرحلة المتوسطة حيث قام هؤلاء الطلاب ببرمجة اجهزة كمبيوتر في حقول الرياضيات واللغة والموسيقى •

وفي احدى الكليات في نيوهامشاير يستطيع ٩٦٪ من الطلبة استخدام أجهزة الكمبيوتر المتوفرة في الكلية باعداد كبيرة •

ويقول تقرير لبعض خبراء التربية ان طلبة المدارس العليا اخذوا يختارون بصورة متزايدة الكليات التي سيلتحقون بها على اساس تسهيلات الكمبيوتر الموجودة لديها •

وفي جامعة ولاية الينوي هناك أجهزة كمبيوتر تساعد الطالب على تعلم مائة وخمسين موضوعا بدءا من اللغة السواحلية الى علم الصواريخ وذلك بموجب نظام يعرف باسم بلاتو (Plato) •

ويجلس الطالب في كشك صغير يستطيع اجراء حوار مع الكمبيوتر عن طريق لوحة مفاتيح موجودة امامه في الجهاز •

ولعله ليس ببعيد ذلك اليوم الذي يقوم فيه جهاز الكمبيوتر بكل شيء في المنزل تقريبا ، وعندئذ نستطيع ان نالف المشهد التالي :

« رن جرس المنبه في الساعة السابعة والنصف صباحا • وعلى الفور فتحت ستائر غرفة النوم بحركة خفيفة ، واخذ كل من ابريق الشاي والقهوة يغلي في المطبخ ، وفتح الباب ليخرج منه الكلب • وأدير جهاز التلفزيون لسماع أول نشرة أخبار في اليوم الجديد ولمشاهدة برامج متنوعة اقتصادية وسياسية ونقدية وتشريعية الخ • وبعد ذلك جاء دور البريد الصباحي الذي بيثه المراسلون عن اجهزة الكمبيوتر• وكان رب المنزل ما زال مستلقيا في فراشه وبعد برهة ضغط على زر موجود في صندوق مجاور وأخرج مذكرة تتضمن الاعمال اليومية الشخصية والتي ظهرت على الفور على شاشة الكمبيوتر • وبعد ان اخذ دشا باردا ارتدى ملابسه وسار بخطى هادئة الى السيارة التي كان بالطبع موتورها يعمل ، ثم انطلق بها الى مكتبه في الشركة لممارسة عمله اليومي • وبعد ذهابه قامت زوجته بواسطة الكمبيوتر بالاطلاع على قوائم الاسعار المختلفة للمواد الغذائية وغيرها • وبعد مناقشة الجزار والخباز وصاحب البقالة ضغطت على زر في الجهاز لتحديد الكميات المطلوبة لحفل العشاء • ثم ضغطت على زوجين من المفاتيح في الجهاز الموجود في المطبخ وحصلت على المقادير اللازمة لوجبات الطعام المفضلة التي سيتم اعدادها• وتم تسخين الفرن الى الدرجة المطلوبة تمهيدا لطهي الاصناف المعدة » •

وبالرغم من ان هذا المشهد التمثيلي يبدو خياليا بل ضربا من الاحلام في الوقت الحاضر ، وقد يستغرق تحقيقه سنوات عديدة ، الا ان التكنولوجيا الاساسية قائمة • وسيتمكن العلماء والمهندسون المختصون في هذا المضمار في المستقبل من تحقيق هذا الحلم •

وخلاصة القول فان ثورة الكمبيوتر ستحدث تأثيرا كبيرا في حياة الكثير من الامم وستعمل على جعل الحياة اليومية بسيطة خالية من التعقيدات •

ترجمة : سمير جيوسي

الزهاوى

بين العقاد والزيات

بقلم : جمال الدين الالوسى



العقاد

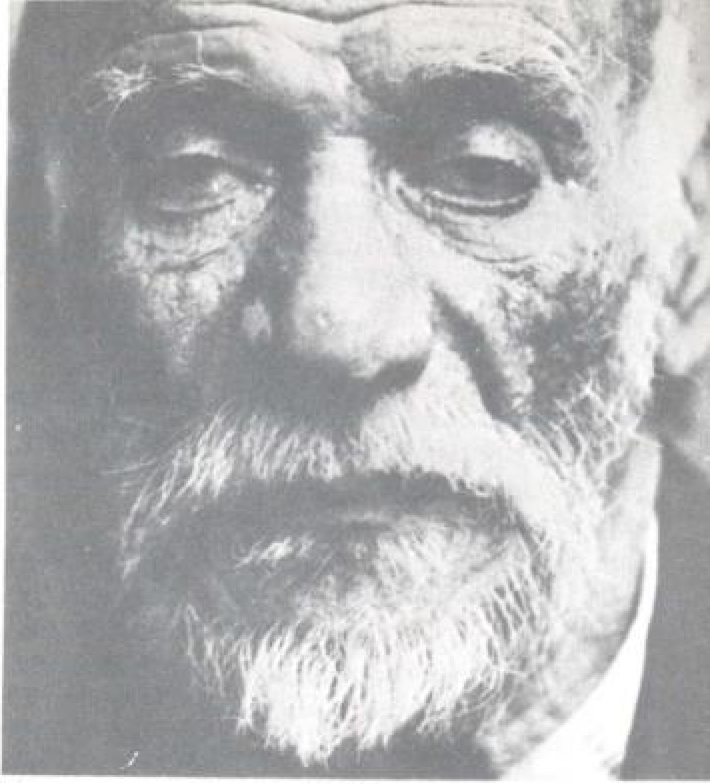


الزيات

■ فى سنة ١٩٢٧ سئل الاستاذ العقاد اين يضع الزهاوى بين الفلاسفة والشعراء ، فكان زبدة جواب العقاد « انه صاحب ملكة علمية ، من طراز رفيع ، وانه يصيب فى تفكيره ما طرق من المسائل التى يجتزىء فيها بالاستقراء والتحليل ، ولا تفتقر الى البديهة والشعور ، فمن ينشده فلينشده عالما ينظم ، او يجنح الى الفلسفة ، فهو قمين باصغاء اليه واقبال عليه فى هذا المجال ، وان خير مكان له هو بين رجال العلوم ، ورادة القضايا المنطقية ، فهو لا يبلغ بين الفلاسفة والشعر مثل ذلك المكان » .

ولو ان صاعقة انقضت على راس الزهاوى لكانت اهون عليه من هذا الحكم القاسى ، الذى ظاهره فيه الرحمة ، وباطنه فيه العذاب ، مدح فى ظاهره ، ولكنه فى باطنه تجريد من اهم امرين او صفتين يعتز بهما الزهاوى واحب لقب يحب ان ينادى به الشاعر الفيلسوف ، وذلك قبل ان كان الناس يضفون على الشعراء «الكبير» او «الاكبر» .

والعقاد رحمه الله كان يقدر وقع كلامه على نفس الزهاوى ، وربما تعمدها ، وجاءت البلاغ تحمل مقالة العقاد فى وقت كانت المعركة الادبية



الزهاوي

« لو أن صاعقة انقضت على راس الزهاوي لكانت أهون عليه من راى العقاد فيه ! »

على اشدها بين انصار الرصافي وانصار الزهاوي، فزادت كلمة العقاد الطين بلة كما يقال ، واتخذ منها خصومه حجة وشهادة بايديهم للهجوم على الزهاوي .

رد الزهاوي على العقاد

وقرا الزهاوي ذلك وهو المغيظ المحنق ، فكتب يردعلى العقاد وفحوى رده «ان الشاعرية والفيلسوفية لا تثبتان لانسان بدعواه ان كان خلوا منهما ، ولا ينفيان عنه بانكار منكر ان كان له منهما نصيب ، وليس ذوق المتنافسين في شيء باولى ان يتخذ مقياسا من ذوق الآخر ، بل الحكم العدل في مثل ذلك هو الراى العام لجيليهما والاجيال الاتية ... » ومقالة الزهاوي على هدوئها كانت تدمى بالالم وتندى بالحزن ، وظلت تعتلج في صدره الهموم من جرائها فقال من رسالة لصديق له (محمد يعيش) .

« وقرات قبل ذلك مقالا للاستاذ العقاد يطردني فيه من حظيرة الشعراء والفلاسفة » (١) ونشر الزهاوي ابياتا ندد بتلك الحملات الظالمة في نقدها ، وكان الزهاوي يظن الرصافي وراءها قال فيها:-

ملأوا صدور الصحف حقدا
والحقد قد سموه نقدا

أنى التفت أرى أما
مي من رجال السوء ضدا

قالوا : « دخيل في القريـ
ـض ، فما أجاد ، ولا أجدا »

قالوا : « صغير لا يعد من
الفحول ولا أجدا »

(١) اقرا المقالتين في كتاب (الزهاوي) للاديب الاستاذ عبد الرزاق الهلالي .

قالوا : « الى الاحسان منـــ
ــه غيره فى الشعر أجدا

ولـه جـراءة فيلسـو
ف يوسع الاديان جحدا »

كـذبـوا فانـى شاعـر
وأدين بالاسـلام جـدا

وكتب فى رده « كنت احسب ان هناك نقدا نزيها يراد به خدمة الحقيقة ، ورفع شان الادب، فاذا النقد حقد ، واذا النقد سب وشتيمة، واذا النقد تشويه لسمعة العراق » .

ودامت هذه المعارك الادبية حقبة امتدت الى السنة التى رشح فيها العقاد للتدريس بكلية « دار المعلمين العالية » ببغداد وشاع خبر ترشيح العقاد واوشك ان يزمع السفر الـى العراق فكان الهم والاسى يلازم صدر الزهاوى، وراح يحسب انه بمجىء العقـاد سيلتف حوله الخصـوم وسيخلقـون للزهاوى متاعب ، وباتت تساوره الاحزان ، ويتمنى على الله ان لا يتحقق تعيين العقاد للمنصب ، وفى الكنانة ادباء يحسنون تدريس الادب . وقد هبت رياح العقاد رخاء حيث اصاب النجح والفوز بالانتخابات النيابية بفوز قائمة الوفد الذى هو من ابرز اعضائه ومن كتابه البارزين وكان موضع ثقة رؤساء الوفد ، ففضل النيابة وهو بطبعه لايميل الى التغرب ولم يبرح مصر الا مرتين مرة الى فلسطين والثانية الـى السودان وللرحلتين دواع ...

ورشح العقاد مكانه للتدريس الاديب الاستاذ احمد حسن الزيات فانفرجت ازمة الزهاوى وهدا باله .

وفرح بمقدم الزيات وخف لزيارته فى اليوم الثانى من وصوله بغداد وان لم يكن بينهمامعرفة، ولكن رابطة الادب خير رابطة ، والزهاوى سخى النفس سهل الخلق يحب السبق فى زيارة ضيوف بغداد ولاسيما ان كانوا من الشعراء والادباء او المغنين المشهورين ، ويشارك فى استقبالهم ويضع القصائد الطوال فى الترحيب بهم ، يرى ذلكمن اوجب واجباته .

الزهاوى يستقبل الزيات فى بغداد

كتبت جريدة البلاد لصاحبها رفائيل بطى فى ١ كانون الاول سنة ١٩٢٩ خبر وصول الاستاذ الزيات وقالت : « وصل بغداد اخيرا حضرة الاديب الكبير الاستاذ احمد حسن الزيات الذى ذكرنا خبر تعيينه استاذا للادب العربى فى دار المعلمين العالية ببغداد » .

وكتبت السياسة المصرية فى توديعه « ولسنا فى حاجة لان ننوه بتوفيق الحكومة العراقية فـى هذا الاختيار . فالاستاذ الزيات من اعلام المدرسة الادبية الجديدة ، وله طرافة فى النقد الادبى يشهد بها مؤلفه المعروف فى « تاريخ الادب العربى» وبيان ساحر يذكره كل من قرا ترجمته « آلام فرتر» و « رفائيل » .

والاستاذ الزيات انما يذهب الى العـراق رسولا للثقافة المصرية الجديدة التى يبدو اثرها اليوم واضحا فى جميع البلاد العربية ، وسوف يكون له من مهمته فى عاصمة العراق وسيلـة لتقوية الروابط الفكريـة والاجتماعية بين القطرين الشقيقين » .

وحل الزيـات بفندق (كارلتون) وهـو من الفنادق ذات الدرجة الاولى وكانت قلة ، واجهته تطل على شارع الرشيد وواجهته الخلفية تشرف على دجلة بجوار الجسر الوسط « جسر الاحرار» وفى وسطه باحة مفتوحة واسعة ووسطها حديقة تعمرها اشجار الليمون والنارنج وشتلات الورد. ولم يمض على قدومه غير ليلة واحدة لم ياخذ قسطه فيها من وعثاء السفر فى سيارات (نيرن) حتى خف الاستاذ جميل صدقى الزهاوى فىالصباح الثانى ليزور الزيات قبل ان يقـابله احد من الناس ، فقال الزيات يصف هذا اللقاء « كنت جالسا فى بهو كارلتون » صباح اليوم الثانى لقدومى بغداد اروض قلبى على روعة العراق، واذنى على لهجة العراق،وعينى على غرابة الصور واذا باحد الندل ، يلقى الى بطاقة كتب عليها «جميل صدقى الزهاوى » ولم تكد تلوح فـى مخيلتىصورةالشاعر التى صورها السماعوالقراءة

حتى رأيت على باب البهو شيخا في حدود الثمانين (١٩٦٣ ـ ١٩٣٦) قد انفرع متنه ، وتقلقلت رجله ورعشت يده ، فلا يحمل بعضه بعضا الا جهدا . اقبل على يتخلع على ذراع غلامه ، وقد انبسطت اسارير جبينه العريض ، وانفرجت شفتاه الذابلتان عن ابتسامة نضرة عذبة ، ثم سلم تسليم البشاشة بيد مرتجفة ، ورحب بي ترحيب الكرم ، بصوت متهدج ، ثم انطلق يشكو جحود الامة ، واغفال الدولة ، وكيد الخصوم ، والحاح المرض ، وتطرق الى خصومته عامئذ مع الاستاذ العقاد، فذكر ـ والاسف المر يكسبه لهجة المظلوم ، وهيئة الشهيد ـ كيف استغلها فى العراق من سدد خطاهم في الشعر، وارجف بها من تولاهم بالرعاية ، وحمدا لله على انني جئت بغداد بدل العقاد ، فقد كان وجوده تأليبا متصلا على فضله ، وازعاجا مستمرا لسكينته .

الزهاوى ينقد العقاد متسترا

عرفنا رأى العقاد فى شاعرية الزهاوى وفلسفيته ، وقرانا رد الزهاوى ، فلما اصدر العقاد ديوانه اهتبلها الزهاوى فرصة لينتقم من العقاد بنقد ديوانه ولو من وراء ستار ، فقد نشرت مجلة « لغة العرب » لصاحبها الاب انستاس الكرملى سنة ١٩٢٨ مقالات متتابعة ، نقد كاتبها ديوان الاستاذ العقاد ، وكانت خلوا من التوقيع لاتصريحا ولاتلميحا ، فانصرف ذهن القراء الى ان الناقد هو صاحب المجلة ، وانصب هجوم العقاد على الاب انستاس لانه المسئول عن المجلة. وظلت حقيقة كاتبها سرا مخفيا حتى كشف عنه البحاثة عبد الرزاق الهلالى ، فقد عثر على مسودات المقالات التى بلغت (١١٠) صفحات نشر منها (٥١) صفحة ولم تنشر المجلة الباقي ، واذا هي بخط الزهاوى ، وقد فعل مثل ذلك حين نقد ديوان شوقي ونقد شعر الجواهرى ، والتمس اديبا من اخوانه يوقع النقد .

هذه طبيعته ولك أن تسميها «الجبن» أو تسميها «نشدان السلامة» ، وهكذا تحمل الاب الكرملى وهو برىء قسوة قلم العقاد .

« غيرى جنى وانا المعذب فيكم
فكانني سبابة المتندم »

ظهرت الحلقة الاولى من نقد الزهاوى تحت عنوان ـ ديوان العقاد ـ فى العدد الرابع من السنة السادسة من مجلة (لغة العرب) الصادر فى نيسان ١٩٢٨ قال فى مستهلها .

(العقاد كاتب كبير ، وكنا نعتقد انه كذلك شاعر كبير ، حتى جاءنا ديوانه الجديد حافلا بما نظمه قديما وحديثا ، فاذا هو دون ما اكبر تصورنا، واذا هو مشحون بالاغلاط ، والضرورات القبيحة، واذا هو في كثير من قصيده يخرج من الموضوع فلا تبقى فيه الوحدة المتوخاة منه ، واذا هو يبالغ او يغرق في كثير من ابياته ، واذا هو يقلد القدماء،فليس فيه ما يمت الى الشعور بواشجة، الا ابياتا قليلة متفرقة هنا وهناك) .

وشرع ينقد الابيات التى يرى فيها ما يستوجب النقد من ناحية اللغة والشرح والوزن والمعنى وهو نقد يمثل وجهة نظره ومماحكاته ، واستمر ينشر نقده فنشر الحلقة الثانية فى الجزء الخامس من المجلة في شهر مارس ١٩٢٨ والثالثة نشرها في الجزء السادس الصادر في حزيران من السنة نفسها .

العقاد يهاجم الكرملى

وصدر رد الاستاذ العقاد بعد ان كتب اليه صديق للزهاوى ومن انصاره ينفى فيها للعقاد ان يكون للزهاوى صلة فيما نشر فى لغة العرب عن ديوانه وان اناسا فى المدينة يمشون فى الدسيسة ليوقعوا الشر بينه وبين الزهاوى قال العقاد .. (وليس من شانى ان اعزو هذا الكلام الى احد غير صاحب المجلة المكتوب اسمه على غلافها ، فان النقد هو الذى يعنيني ، وليس الكاتب ، ولا من اوعز لها اذن وهى راضية عنه ، موافقة عليه ، غير انى اعجب وانله لصدور نقد كهذا في مجلة يقال عن صاحبها انه كثير الاشتغال بالعربية ، واسع الاطلاع على قواعدها النحوية والصرفية ، فان في نقده لغلطا فاحشا لا يقع فيه

من له المام بهذه القواعد ، واطلاع ولو كاطلاع التلاميذ المبتدئين ، ولست اعرف معرفة اليقين « ما » الاب انستاس الكرملي صاحب المجلة المكتوب اسمه على غلافها • ولكني سمعت من صاحب لي اديب انه راهب دير ، ادمن الاشتغال باللغة العربية ، حتى تريب رؤساؤه به لهذا نقلوه الى دير ينقطع فيه عن خدمة هذه اللغة زمنا لا ادرى ما قدره ؟ فان صح ما رواه صاحبي الاديب فهم قد اطلقوه الان ، لانهم رجعوا الى الصواب في امره ، وعرفوا ان البلية على العربية في اشتغاله بها ، لا انصرافه عنها ، وتركها وشانها •

واخذ يرد على اخطاء الزهاوى •

وقرأ اديب من انصار الرصافي تعقيب العقاد وما استهل من الهجوم العنيف على الاب انستاس فكتب في جريدة العراق يوم ١ تموز يولية ١٩٢٨ في باب على هامش السجل كلمة بعنوان« المؤاخذ بذنب غيره » وذكر أن كاتبا غير الكرملي «انتقد العقاد ، وغيره اساء الى العقاد ، وهو الذى عوقب على تلك الاساءة وهو الذى اخذ بتلك الفعلة (٢) هذا مجمل ما كان بين الزهاوى والعقاد يوم راح يشكو للزيات ظلم العقاد له وهو البادى» •••

الزيات يصف الزهاوى

قال الزيات :

« لم يدع لي الزائر الكريم فرصة بين كلامه الدافق ، ادخل عليها منه بالتخفيف ، فان الزهاوى كما علمت ـ بعد ـ ديدنه ان يتكلم ، كالبلبل خاصته ان يغرد ، او كالزهر طبيعته ان يفوح «فهو في مجلس الصداقة شاك او شاكر ، وفي مجلس الادب محاضر او شاعر ، وفي مجلس الانس مفاكه او محدث ، كان الشيخ يتكلم او ينشد ، ونبراته المؤثرة ، وقسماته المعبرة ، ولحيته الخفيفة المرسلة ، ووجهه المسنون الاعجف ، وشاربه النائم على فمه الاهرث ، وعينه البراقة ترارا من خلف المنظار ، وشعره الاشمط يتهدل على نتوء الصدغ ـ كل اولئك كان يخيل الى ان طيفا من اطياف الجدود ، او نبيا من انبياء اليهود قد انشق عنه حجاب الزمن فجاة في هذا المكان الصامت ،والنور القاتم ، والجو الغريب ، ولكن الجدية التى تفيض من كلماته والعزيمة التى تضطرم فى نظراته ، كانت تطرد هذا الخيال ، وتجعلني وجها لوجه امام كتلة من الاعصاب القوية المشدودة ، تتكلم وتتالم ، وتثور وتهدأ ، وتسخط وترضى، وموضوع مقالها وانفعالها لا يخرج ابدا عن «الانا» اذا صح التعبير وقال : «دابت (عربة) الشيخ بعد ذلك على ان تقف امام منزلي صباح يوم الجمعة من كل اسبوع فكنت استقبله استقبال العابد المتحنث للكاهن الملهم ، ثم نقضي ضحوة النهار معا يحدثني فاعجب ، او ينشدني فاطرب، وقد تكون اذني الى فمه ، وليس معنا ثالث ولكنه يجاهر بالالقاء ، ويصور المعنى بالصوت والايماء ، حتى يدهش المنزل ، وينصت الشارع ، وهو بين الفترة والفترة يعود الى الشكاة ، وشكواه لا تنقطع ، واظل انا امام هذا الجيشان الروحي ساهما حالما ، افكر في الذهن الذى لا يكل ، واللسان الذى لا يفتر ، والزهو الذى لا يتقاصر، والقلق الذى لا يسكن ، والتمرد الذى لا يهن ، والشباب الذى يلبس رداء الشيخوخة ، والحياة تاخذ هيئة الموت ، ويقول لي :

انظر كيف اذيب عمرى في شعرى والامة تقذفني بالبهتان ، والحكومة تخرجني من الاعيان(٣)•

■■

جمال الدين الالوسى •

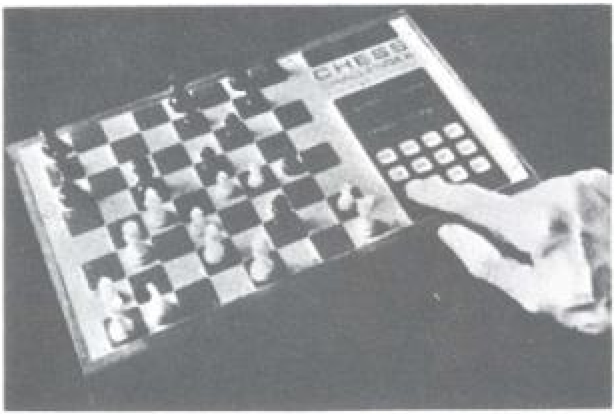
---

(٢) الكاتب هو الاستاذ مصطفى علي الاديب المعروف•

(٣) اختارت الحكومة اعضاء مجلس الاعيان في اول قيامه ١٩٢٥ وكان بينهم جميل صدقي الزهاوى • فلما مضت سنتان جريت بين الاعضاء القرعة فكان من نصيب الزهاوى الكرة الحمراء التي هي علامة الرسوب ، ولم تشأ الحكومة اعادته فظل ينقم عليها ، ويحلم بالعودة الى الاعيان ، والقرعة لا تجرى الا مرة وبعد أن تمضي اربع سنوات على المعين ـ اما ان يجدد تعيينه ، او يخرج تلقائيا من المعينة •

اعداد : يوسف زعبلاوى

سطرنج جديد تشتريه وتشترى خصمك العنيد معه



● الشطرنج الالكترونى الذى صنعته احدى الشركات الامريكية مؤخرا لا يختلف كثيرا عن الشطرنج العادى من حيث الشكل والاحجار والخانات •• واسلوب اللعب ومبادئه أيضا •• الا ان الشطرنج الالكترونى مزود بازراروشاشة كشاشة الحاسبات الالكترونية الصغيرة •ولا عجب فالشطرنج الالكترونى مجهز هو الاخر بحاسبة الكترونية صغيرة تختفى وراء ازراره وشاشته •

اما مهمة هذه الحاسبة فطريفة ، ان لم نقل عجيبة • فهى تقوممقاممنافسك او غريمك فى اللعب •• تنازلها فتغلبها حينا وتغلبك حينا آخر •• وكانها الخصم البشرى لا الآلى اذن فانت تقتنى الشطرنج • الالكترونى وتقتنى معه زميلك فى اللعب ، وهو زميل طيع ومتكافىء من حيث المستوى •• طيع •• لانك مطلق الحرية فى ملاعبته وقتما تشاءوللمدةالتى تشاء ، فلا مشاغل ولا مواعيد تقيده وتحول بينك وبينه •

ويجرى اللعب علىالشطرنج الالكترونى بالضغط على الازرار • وتحريك الاحجار بواسطة هذه الازرار ، وفق الرغبة•وما اسرع ما يرد عليك غريمك بنقلة مضادة يعلنها على الشاشة الصغيرة •• فتبادر انت الى الضغط على الزر المناسب لتلك النقلة ، نيابة عن خصمك ، ثم ترد عليه بنقلتك وهكذا •• حتى اذا تبين الغالب بينكما من المغلوب، اواعترض سبيل اللعب اشكال ما •• ظهر بيان ذلك بوضوح على شاشة الشطرنج •

ولعل اغرب ما يذكر عن الشطرنج الالكترونى ان فى الامكان برمجته منحيث المستوى والمهارة فىاللعب بحيث يفوقك او يكون دونك كفاءة اذا لم تشا ان يكون فى مستواك ••

ثمرة رائد من ثمار الهندسة البيولوجية

● شركة جنرال الكتريك شركة امريكية عملاقة •• عملاقة بدخلها وارباحها وعملاقة بتعدد منتجاتها وتنوع أوجه نشاطها •• هذه الشركة سجلت مؤخرا اختراعا فريدا فى نوعه •• فالذى اخترعته ليس آلة أو جهازا أو اسلوبا جديدا محسنا للتطبيق فى مجال الزراعة أو الصناعة أو خلاف ذلك •• انه بكتريا جديدة •• بكتريا خلقوها فى مختبرات الشركة •• بكتريا لم يكن لها وجود ، وتتصف بخصائص لاتتصف بمثلهااى من صنوف البكتريا المخلوقةكلها••





وغني عن البيان أن هذه البكتريا ، التي سمتها الشركة Pseudomonas Bacteria انما هي ثمرة لما يعرف بالهندسة البيولوجية أو (الجينية) Genetic Engineering.

وقد ظهرت هذه الهندسة في الغرب في السنوات الاخيرة وتعرضت لاجراءات التحريم في أكثر من مدينة ، وذلك نظرا للمخاطر التي قد تؤدي اليها عن غير قصد ، كتخليق كائن خبيث فتاك ...

ومما يذكر عن البكتريا الجديدة انها خلقت من أنواع أخرى معروفة من البكتريا ، وقد راعوا في تخليقها توليد خصائص فريدة خاصة بها .. أو على وجه التحديد ، القدرة على التهام البترول وهضمه ، الامر الذي يجعل البكتريا الجديدة الوسيلة المثالية للقضاء على تلوث البحار والمحيطات بسبب البترول .

روث البقر
مصدر من مصادر الطاقة البديلة

● ظهرت في الولايات المتحدة الامريكية مؤخرا صناعة جديدة رائدة .. صناعة استخراج الغاز الطبيعي من روث البقر . وقد لا يمضي سوى اسابيع قليلة حتى يكتمل انشاء المصانع المناسبة في شيكاغو ومدينة بارتو Bartow في ولاية فلوريدا .

ومما يذكر هنا ان احدى الشركات حصلت على امتياز لبناء مصنع من تلك المصانع الرائدة في المدينة السالفة الذكر .. مدينة بارتو . وبلغت رسوم الامتياز الذي منحته لها دائرة الطاقة الحكومية نحو مليون دولار .. اما الشركة فتعرف باسم هاملتون وهي متفرعة عن الشركة الام اليونايتد تكنولوجي - United Tech-



الذراع الالكترونية
تتلقى اوامرهـا من الدماغ

سبق ان تحدثنا فى هذا الباب عن الذراع الصناعية الجديدة التى لاتقل عن الذراع الطبيعية قوة (راجع العدد ٢١٤ شهر ٧٦/٩) ٠٠ ولما كان امر هذه الذراع الكهربائية الميكانيكية موضع اهتمام الكثيرين عدنا الى الحديث عنها بما استجد لدينا من معلومات عنها وصور واضحة لها ٠

١ ـ الذراع ذات مرونة كبيرة ، وتستطيع القيام بثمانى حركات مختلفة ،تشمل فيما تشمل حركات الاصابع ٠٠ وما ذلك الا لان الذراع تتلقى امر القيام بهذه الحركات من الدماغ ، كالذراع الطبيعية تماما ٠٠ والصورة الاولى تبين الذراع الجديدة بوضوح وتبين أيضا احد الذين ركبت لهم هذه الذراع وقد مضى يكتب بها ولسان حاله يقول : « لقد ردت الى حب الحياة ثانية » !

٢ ـ ولكن تلقى الاوامر من الدماغ عملية معقدة ،وتقتضى تحديد موقع العضلات المسؤولة عن حركات الذراع والموزعة بين الصدر والظهر والاكتاف٠٠ وهذا هو بالضبط ما يفعله الطبيب المختص فى الصورة(٢)٠

٣ ـ وتقتضى العملية المعقدة ايضا وجود ما يضمن التقاط الاوامر او الاشارات الكهربائية Impulses التى يصدرها الدماغ ، لتنطلق عبر النخاع الشوكى الى العضلات السالفة الذكر،بل الى نهايات الاعصاب فى تلك العضلات ٠٠ وانت ترى فى الصورة(٣) اربعة الكترودات electrodes هى التى تلتقط اشارات الدماغ وتعمل على ترجمتها الى حركة٠ ومن شان هذه الالكترودات اللاقطة ان تحلل رموز اشارات المخ وتقف على اوامره ٠ فهى اذن بيت القصيد فى الذراع الجديدة ٠٠ وتحتاج الذراع الواحدة الى عشرة الكترودات تثبت على جسم صاحبها ٠٠ عند الخصر ٠

nology ٠وقد اختارت للمصنع موقعا مناسبا فى مزرعة لتسمين الماشية تتسع لعشرين الف رأس من البقر ٠ ولا يخفى الباعث على اختيار هذا الموقع ٠٠ فالمصنع يحصل على خامته الاولية ـروث البقرـ مباشرة، دونما حاجة الى نقله والتكلف على شحنه ٠

ويسيل الروث ، بعد عزل محتوياته الليفية،ويصب السائل فى خزانات كبيرة مملوءة بنوع معين من البكتريا ٠٠ يتحمل الحرارة العالية ، بل يعشقها ومن ثم سموه عاشق الحرارة Thermophilic

لم تسخن الخزانات الى درجة حرارة ١٢٠ مئوية ، فتلتهم البكتريا الروث ولا تلبث ان تفرز غازات تحتوى على غاز الميثين (الغاز الطبيعى) بنسبة ٦٥٪ تقريبا ٠

ويذهب الخبراء الى ان مصنع مدينة بارتو سيفى بالجانب الاكبر من حاجة هذه المدينة ومصانعها الى الغاز الطبيعى ٠ ويقدرون عدد الابقار التى تستطيع ان تفى باغراض التدفئة فى منزل واحد بثمانية وعشرين رأسا ونصف الرأس ٠٠ هذا بالطبع اذا لم تعرقل عملية الانتاج حالات الامساك التى قد يتعرض لها البقر ٠٠ !

الحرب الدبلوماسية

فى منطقة الخليج

بين الولاة العثمانيين والدهاء البريطانى !

بقلم الدكتورة نجاة عبدالقادر الجاسم

قسم التاريخ ـ جامعة الكويت

هذه صفحات من تاريخ الخليج العربى ، تسجل بعض معالم تلك المرحلة التى كان التنافس فيها شديدا بين بريطانيا والدولة العثمانية على التفوق والسيطرة فى « مشيخات » المنطقة . وهى تروى من خلال تفاصيل قد تبدو صغيرة ، ولكنها ذات دلالة هامة ، كيف وضعت بريطانيا اقدامها فى الخليج ، فى تسلل حذر ، و .. خطوة خطوة !

■ بعد انتهاء الوجود المصرى فى الحجاز ونجد ، فى أواخر القرن التاسع عشر ، دعمت الدولة العثمانية وجودها فى هذه المناطق . وفى الوقت ذاته دعمت بريطانيا نفوذها فى بعض المواقع الساحلية على الخليج العربى الذى اهتمت به لدواعى تامين طريقها الى الهند .

وقد أدى هذا الوضع الى حدوث مواجهة بين الامبراطوريتين ، لم تكن عسكرية لاسباب موضوعية عديدة ، ولكنها كانت مواجهة سياسية ودبلوماسية بالدرجة الاولى . مما ملأ دور الوثائق على الجانبين بالعديد من المكاتبات التى تكشف طبيعة هذه المواجهة وأحداثها .

فقد بدأت بريطانيا بتقوية نفوذها السياسى على القسم الجنوبى من ساحل الخليج بحكم الموقع الجغرافى وقربه من الهند ، فى حين أن الدولة العثمانية اتخذت من ولاية بغداد نقطة انطلاق نحو القسم الشمالى من الخليج العربى .

وبينما اعتمدت بريطانيا فى مد نفوذها فى امارات الخليج العربى على الاتفاقيات التى عقدتها مع شيوخ هذه الامارات فان الباب العالى عجز عن اتخاذ اجراء للدفاع عن حقه فى السيادة على تلك الجهات واكتفى بابلاغ حكومة لندن بعدم اعترافه بهذه الاتفاقيات .

ولم يكن لاحتجاج الباب العالى اثر يذكر فى تغيير مجرى الحوادث واتجاه السياسة البريطانية التى غدت بعد عقد معاهدة السلام فى البحر عام ١٨٥٣ مع امارات الساحل المهادن ، أكثر اصرارا فى التمسك بهذه الاتفاقيات وربط الشيوخ بعجلة السياسة البريطانية التى تبنت فى ذلك العهد

مبدأ التقدم الى ما وراء حدود الهند بقصد الدفاع عن الهند ·

قضية الرقيق

وكما اتخذت حكومة الهند البريطانية من اختلال الامن في مياه الخليج العربي ذريعة للتدخل واجبار شيوخ الامارات على عقد اتفاقيات تربطهم بها ، فانها ايضا كانت تستغل كل فرصة لبسط نفوذها على جهات أخرى لم يكن الوجود العثماني فيها واضحا ·

وفي هذا الصدد فان قضية « مكافحة الرقيق » كانت لها انعكاساتها العديدة على التنافس العثماني البريطاني · والحق ان الدولة العثمانية لم تكن مثل المشيخات العربية مصدرة للرقيق بل كانت ولاية بغداد سوقا هاما لشراء الرقيق المستجلب من افريقيا · لذلك بدأت بريطانيا في فرض معاهدات حظر تجارة الرقيق على الامارات المساهمة في تصديره · وبعد أن قطعت شوطا في هذا المجال اتجهت الى عقد اتفاقيات أخرى مع الدولة العثمانية ، وبطبيعة الحال لم يكن بوسع بريطانيا أن تفرض على الباب العالي نفس الشروط التي فرضتها على الامارات العربية· وفي بداية الامر اكتفى باستصدار تصريح من حكومة الآستانة في ١٨٤٧ تعهدت فيه بحظر الاتجار في الرقيق بين ولاية بغداد وسواحل افريقيا الشرقية·

وقد أثارت سياسة مكافحة الرقيق مشاكل قانونية تتعلق بحق تفتيش السفن · ذلك لان عديدا من سفن الخليج العربي كانت تحمل العلم العثماني · ويبدو أنه بعد عقد معاهدات الغاء تجارة الرقيق مع الامارات العربية لجأ بعض قادة السفن الى رفع العلم العثماني للتهرب من التفتيش البريطاني· ومع ازدياد النفوذ البريطاني وازدياد الوعي في الدولة العثمانية من جهة أخرى، أمكن عقد اتفاقية لتحريم تجارة الرقيق في الخليج العربي مع الباب العالي في ١٨٨١ · وتقضي هذه الاتفاقية بأن يكون حق التفتيش ساريا على الطرفين ، ولكن من الواضح أن بريطانيا هي التي مارست وحدها حق التفتيش ، كما نصت المعاهدة على أن تسلم السفن المخالفة لاقرب سلطة عثمانية لمحاكمتها · وهذا النص ليس له نظير حتى بالنسبة للامارات العربية التي قبلت أن يحاكم أصحاب السفن المتهمون بالاتجار بالرقيق أمام محاكم قنصلية بريطانية ·

السلطة القضائية

وعندما نتحدث عن السلطة القضائية فلا بد من الاشارة الى أنه لم يكن هناك تفاهم مسبق بين الآستانة ولندن حول هذا الموضوع · ولذلك نجد أن الخلافات كانت تظهر عندما ترفض كل منهما أن تمارس احدى الدولتين سلطة على المواطنين الخليجيين ·

كان أكثر شيوخ ساحل الخليج ملتزمين أمام الحكومة البريطانية ـ عن طريق المعاهدات والاتفاقات ـ بالامتناع عن الحروب البحرية · لذلك كانت الحكومة البريطانية ترى أن من حق المقيم السياسي البريطاني أن يطلب تعويضا باسم حكومته من حكام الساحل في حالة ارتكاب رعاياهم أعمال « القرصنة » · وقد رأت حكومة الهند (البريطانية) أن من واجب البريطانيين أيضا الحصول على تعويض لرعايا هؤلاء الحكام عندما يتعرضون لمضايقات في البحر من قبائل عربية تابعة لشيوخ آخرين لا يرتبطون مع بريطانيا بمعاهدات · لان الحكومة البريطانية التزمت أمام هؤلاء الشيوخ بالمحافظة على السلام في مياه الخليج العربي ·

وقد اهتمت الحكومة البريطانية بتاكيد سلطتها القضائية على رعايا امارات الخليج العربي على أساس أن ترك الامر بيد السلطات العثمانية يؤدي الى ظهور « القرصنة » بصورة واسعة ، لان السلطات العثمانية غير قادرة على فرض عقوبات رادعة وحماية من يتعرضون للعدوان ، فضلا عن أن انتعاش القرصنة يؤدي الى الحاق الضرر بالمصالح التجارية البريطانية ·

وكان الباب العالي قد ابلغ السلطات البريطانية في اكتوبر ١٨٧٩ بأنه قد صدرت تعليمات مشددة للموظفين باليقظة والسهر على حفظ الامن في مياه الخليج العربي · وكلما وقع حادث قرصنة أسرعت حكومة لندن الى تنبيه الحكومة العثمانية الى ما في ذلك من خطر ، ففي نوفمبر ١٨٧٩ كتبت حكومة لندن الى الباب العالي بأن اهمال

السلطات العثمانية او عجزها عن حفظ الامن فى مياه الخليج العربى قد يؤدى الى نتائج من صالح الباب العالى أن يتجنبها •

غير أن الحكومة البريطانية كانت ترى أحيانا ـ ولاعتبارات سياسية ـ الا تتصرف بصورة قد تبدو عدائية تجاه الباب العالى ، حتى لا يؤدى ذلك الى استثارة الشعور الاسلامى تجاه بريطانيا • ولذلك كان وزير خارجية بريطانيا « سالسبورى » يرى انه من الافضل فى بادىء الامر التوصل الى اتفاق صريح أو ضمنى مع الباب العالى يمكن بمقتضاه تجنب المتاعب الناجمة عن عدم تعيين حدود لمناطق السيادة العثمانية على ساحل الاحساء، وعدم كفاءة الموظفين العثمانيين واهمالهم وتقصيرهم فى المحافظة على أمن هذه المياه •

نتيجة لهذا الوضع أصبحت بريطانيا حريصة على أن تفصل فى القضايا والمنازعات التى تقع بين رعاياها او رعايا الامارات العربية وغيرها • وكانت السلطات البريطانية تتدخل فى حالة الاعتداء على اى سفينة أجنبية • كما حدث عندما هاجمت جماعة من القراصنة الفرس سفينة فارسية اخرى قرب مصب شط العرب ، وتمت معاقبة المعتدين بترتيب تم بين المفوضية البريطانية فى طهران ووزارة الخارجية الفارسية•

مشكلة رعايا البحرين

كما تبرز الخلافات بين الدولتين العثمانية والبريطانية بوضوح فيما يتعلق بممارسة السلطة القضائية على رعايا البحرين سواء كانوا مقيمين فى الجزيرة او خارجها • والواقع أن الدولة العثمانيةكانت تتطلع الى وضع اقدامها فىالبحرين باى شكل ولكن الوجود البريطانى هناك حال دون ذلك •

وكان من نتائج الصراع الداخلى فى البحرين فى اواخر القرن التاسع عشر ، الى جانب تعرض الشيوخ الى ادعاءات التبعية الفارسية أو العثمانية ، ان شيخ البحرين كتب الى المقيم السياسى (هينيل) يعلن نفسه رعية بريطانية ، ويطلب من المقيم ان يحمى جزيرته باعتبارها تابعة لبريطانيا • وتعلل الوثائق البريطانية هذا الطلب بأن الشيخ وجد فيه الضمان الوحيد ضد اخطار العدوان الاجنبى سواء من الدولة العثمانية أو فارس • الا ان المقيم البريطانى لم يرحب بهذا العرض حتى لا يثير الدول الاخرى •

وقد اعتبرت الحكومة البريطانية ان الحماية البريطانية على البحرين تمتد الى رعايا البحرين أينما كانوا •وقد ابلغت وزارةالخارجية البريطانية السفير العثمانى فى لندن وذلك فى ابريل ١٨٧٤ بان الحكومة البريطانية لا تقبل تبعية البحرين الى الدولة العثمانية ، وانها ستتحمل مسؤلية ارتباطاتها مع الجزيرة • ومن بين هذه الارتباطات ممارسة الوكيل السياسى البريطانى للسلطات القضائية بالنسبة لجميع الاجانب المقيمين فى البحرين ، او فى حالة قيام منازعات بين مواطنى البحرين وغيرهم من عرب الخليج • ولا حاجة بنا الى القول بان انتشار الجاليات فى الخليج العربى أتاح الفرصة للقضاء البريطانى لكى يمارس سلطاته على اعداد كبيرة من التجار وغيرهم من الهنود الذين كانوا يعتبرون رعايا بريطانيين •

واذا كانت رعوية الهنود المقيمين فى الخليج امرا مسلما به ، فان مسالة الجنسية بالنسبة لمواطنى البحرين والمقيمين منهم فى مناطق عثمانية قد أثارت جدلا بينالدولتين العثمانية والبريطانية• وحدث عندما اراد نائب القنصل البريطانى فى بغداد بحث موضوع احد مواطنى البحرين الى تعرضه للسرقة فى كربلاء ، أن اعترض المتصرف العثمانى واعتبر ذلك تجاوزا وتدخلا غير مسموح به • وطالب بان تباشر السلطات العثمانية القضية كلها •

فما كان من السلطات البريطانية الا ان ابلغت والى بغداد بان شئون البحرين كانت موضوع منافسة بين الحكومتين البريطانية والعثمانية وانها لا تسمح ابدا لاهالى البحرين بأن يعاملوا فى بلاد الدولة العثمانية كرعايا عثمانيين ، وهو الوضع الذى كانت تقضى به تعليمات الباب العالى • غير انه فى النهايةرفضت حماية القنصل البريطانى لرعايا البحرين • وابلغته السلطات العثمانية فى البصرة بانها لن تعترف بسريان الحماية عليهم الى ان تصلها تعليمات من اسطنبول ••

تجنيد ٣٠٠٠ بحرينى

ولكن مشكلة رعايا البحرين تجددت بصورة اكثر حدة ، عندما حاولت السلطات العثمانية فى عام ١٨٧٣ تجنيد ثلاثة آلاف بحرينى مقيمين فى البصرة • وقد دفع ذلك الكثير منهم الى مغادرة الولاية ، مما ادى الى نقص فى الايدى فى المزارع هناك•وكانت القنصلية البريطانية قدمنحت جوازات

سفر بريطانية الى عدد كبير من ابناء الجزيرة ، بينما احتجت حكومة لندن على اجراءات الباب العالي الذىلم يملك سوى ابلاغ الحكومةالبريطانية بانه ليست لديه نية اعتبار اهالى البحرين رعايا عثمانيين . ووعد بتبليغ موظفيه فى البصرة بذلك وهو ما تم فى نوفمبر ١٨٧٤ .

وقد اكدت حكومة لندن انها لا تعترف بـأن البحرين جزء من الاملاك العثمانية ، وانها تعتبر اهالى الجزيرة ـ حتى الذين لم يولدوا فيها ـ لهم حق الحماية البريطانية ، والاعفاء من الخدمة العسكرية فى الجيش العثمانى .

وكان والى البصرة قد تعهد امام الاحتجاجات البريطانية بان يمنع الموظفين الذين تحت سلطته الادارية من التعرض لمثل هذه الامور دون اخطار مسبق .

الا ان الباب العالى لم يستمر على موقفه . ففى سنة ١٨٩٢ عاد يؤكد ان اهالى البحرين رعايا عثمانيين ، وشكت السلطات العثمانية من ان بريطانيا طلبت من الشيخ عيسى حاكم البحرين ان يامر رعاياه بان يحملوا ما يثبت انهم تحت الحماية البريطانية وذلك عند زيارتهم لميناء البصرة وغيره من الموانىء العثمانية .

وفى يناير ١٨٩٨ ابلغ الباب العالى السفير البريطانى فى العاصمة العثمانية بانه تلقى تقريرا حول تعيين نائب قنصل بريطانى فى البحرين ، وان الحكومة البريطانية ينبغى ان تطلب من حكومة الاستانة أن تسمح بهذا الاجراء . فجاء رد حكومة لندن بانها لا تعترف بان للباب العالى الحق فى منح الاجازات وبراءةالاعتماد للموظفين البريطانيين .

وما ان حل القرن العشرين حتى اصبح للوكيل السياسى البريطانى فى الجزيرة تاثير عظيم فى اقرار المنازعات القضائية وكلما ازدادت المصالح التجارية الاوربية فيها ، اتجهت نية الحكومة البريطانية الى جعل نفوذ الوكيل السياسى البريطانى اكثر فاعلية .

وثبتت بريطانيا أقدامها

ولم تكن الحماية البريطانية مقصورة على اهالى البلاد . بل شملت الاجانب المقيمين بها . وقد اثارت قضية احد التجار الالمان هذا الموضوع . اذ ان هذا التاجر واسمه « ونكهوس » كان يمتلك شركة لشراء الصدف لها فروع متعددة فى موانىء الخليج العربى . وعندما اراد ونكهوس ان ينشىء فرعا لشركته فى البحرين سنة ١٩٠٠ اثار التساؤل حول موقف الوكيل البريطانى من علاقة هذا التاجر الالمانى برعايا شيخ البحرين .. ذلك ان اتفاق سنة ١٨٨٠ يمنع حاكم البحرين من التصريح باقامة مصالح اجنبية فى بلاده ، باستثناء المصالح البريطانية، كما يمنعه من قبول اقامة وكلاء اجانب بالجزيرة . وظل الموضوع محل اخذ ورد بين الوكيل البريطانى ، وحكومة الهند البريطانية التى قررت انه «من المناسب ان يظهر ممثل بريطانيا النوايا الحسنة للاجانب من الاوروبيين فى اى منازعات تحدث بينهم وبين شيخ البحرين او رعاياه ، واما فى حالة الضرورة فانه يجب عليه أن يطلب حماية كل هؤلاء الاجانب كما يحمى رعايا بريطانيا .

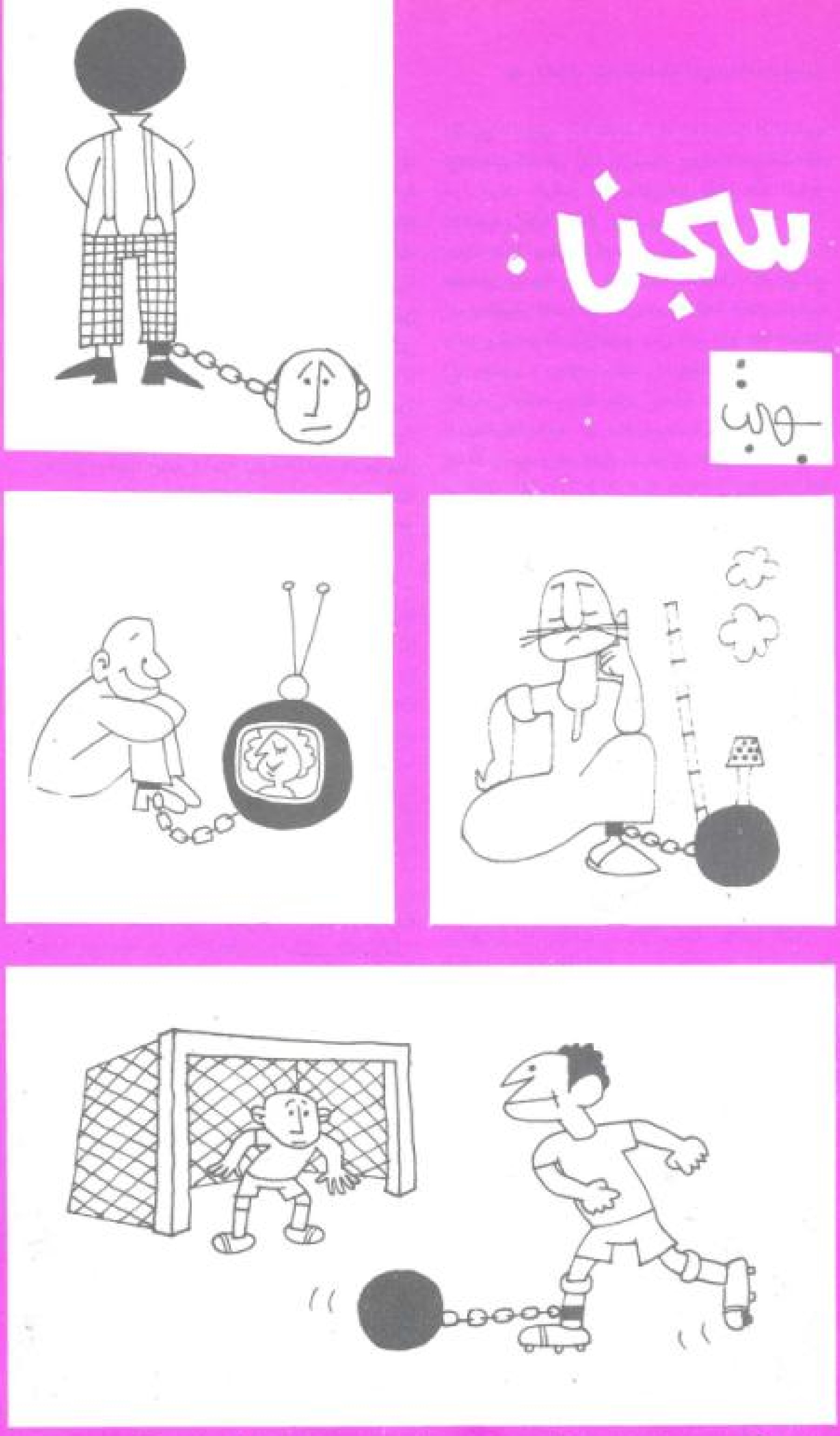
وعندما وقع بعد فترة قصيرة اعتداء على عامل فى شركة ونكهوس الالمانية من قبل أحد أبناء شقيق شيخ البحرين تدخل المقيم البريطانى والزم الشيخ بدفع تعويض للعامل كما امر المقيم ـ بناء على تعليمات حكومته ـ بجلد المعتدين . وترتب على هذه الحادثة ان اخذت بريطانيا على عاتقها مهمة الفصل فى المنازعات التى تنشا بين الاجانب والوطنيين .

وازاء هذا كله ، لم يكن فى استطاعة الباب العالى ان يمسك بزمام الامور ، أو يحد من تغلغل النفوذ البريطانى خاصة بعد المعاهدات العديدة التى ربطت البحرين بحكومة لندن ، وعلاوة على ذلك فان النفوذ العثمانى الذى تمثل فى وجود حاميات له بالاحساء كان يواجه متاعب جمة . فهذه الحاميات كانت ضعيفة وقليلة العدد وموزعة فى مواقع متباعدة .

وهكذا تضافرت العوامل الاقتصادية والعسكرية على ترجيح كفة بريطانيا ، حتى جاء مشروع الاتفاقية الانجليزية التركية سنة ١٩١٣ ليؤكد ان الدولة العثمانية لم تعد قادرة على الدفاع عن ولاياتها الواقعة فى شبه الجزيرة العربية .

وقد اعترفت فى هذه الاتفاقية ـ التى حالت نشوب الحرب العالمية الاولى دون التصديق عليها ـ بالحماية البريطانية على قسم كبير من الساحل العربى وهو ما كانت تحاول ان تجادل فيه نظريا على الاقل ، طوال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . ■■

الكويت ـ د. **نجاة عبد القادر الجاسم**


سجن


١٠٠،٠٠




رسالة روما بقلم : فريد كامل

فى ايطاليا تم اعداد مطارين لهبوط الاطباق الطائرة

هوس إسمه... الاطباق الطائرة

لماذا لا تمر الأطباق بالعالم العربى؟ ولماذا لا يراها الا البسطاء وغير المتعلمين؟

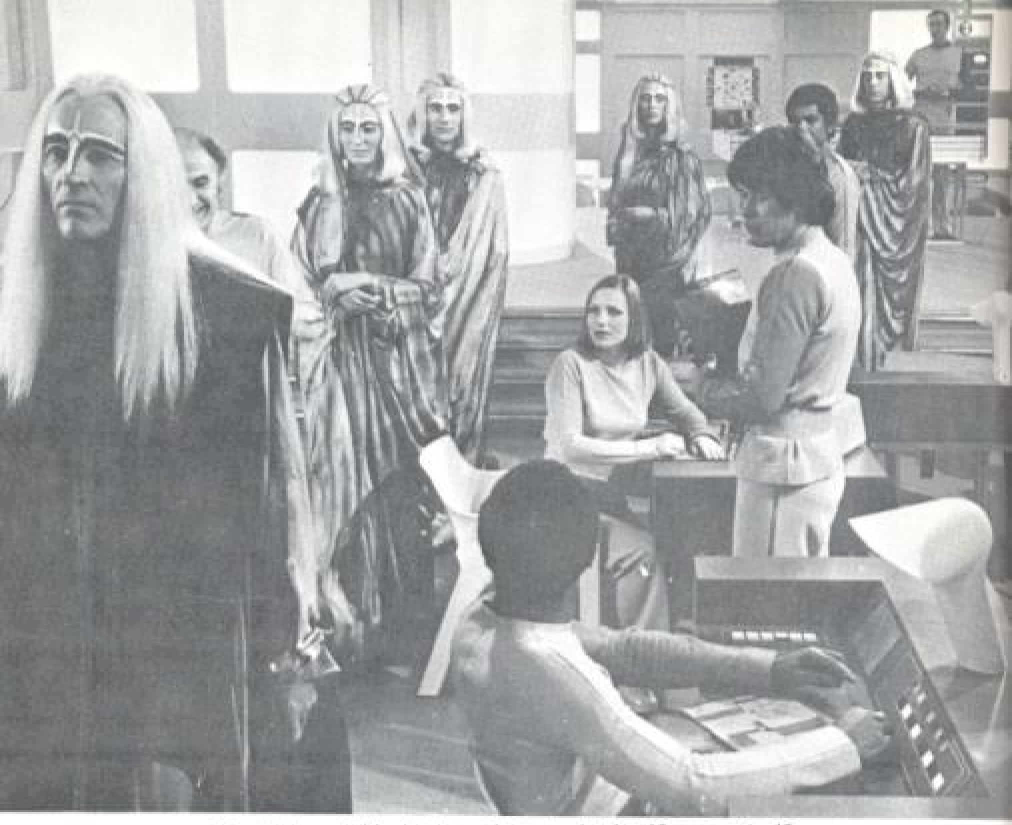
البرتومورافيا قال لى انه راى طبقا طائرا .. « ولكنه لم يكن بالطبع فى روعة هذا الفيلم !! »

قدمنى للكاتب الايطالى الكبير صديق مشترك خلال فترة الاستراحة فى عرض فيلم « لقاءات قريبة من النوع الثالث » (والاستراحة فى ايطاليا فى منتصف الفيلم) وكنا ما زلنا تحت تأثير ضخامة المشاهد التى تتبعناها على الشاشة . قال مورافيا « هل تذكر مشهد نزول الانسان على القمر ؟ لقد رأيته فى التليفزيون ثم رايت الفيلم التسجيلى الملون . كم يبدو ذلك كله تافها حقيرا امام مشهد نزول الاطباق الطائرة فى هذا الفيلم . فالسينما أروع من الواقع بكثير » وضحك .. ثم روى كيف انه وصديقا له شاهدا فى ليلة صيف منذ ثمانى سنوات وهما فى الطريق الى مدينة ماساماريتيما جسما طائرا بيضاوى الشكل ، قطره من ثلاثة الى اربعة أمتار يشع ضوءا بنفسجيا كالنيون ، ظهر فى السماء فوق سيارتهما وبقى مدة تكفى للعد حتى الاربعين » ثم اختفى مبتعدا بسرعة هائلة . واضاف ان صحف اليوم التالى ذكرت ان مئات شاهدوا تلك الظاهرة فى ثلاثة مناطق ايطالية فى الليلة السابقة .

والرئيس الامريكى جيمى كارتر أيضا راى « اوفو » (الحروف الاولى من كلمات جسم طائر غير معروف) فى ١٩٧٣ هو وعشرات من الذين كانوا يتناولون العشاء فى مطعم مكشوف بمدينة ليرى فى ولاية جورجيا الامريكية (وكان كارتر حاكما للولاية حينئذ) ـ وصف ما شاهده قائلا انه « ضوء غريب فى السماء ـ يقترب ويبتعد . يقوى ويضعف . جلسنا نشاهد تحركاته حوالى الساعتين حتى اختفى » . وقال كارتر فى خطبته الانتخابية لمنصب الرئاسة « انا أومن بوجود « الاوفو » ـ فقد رايت أحدها ـ وتوجد أطنان من الوثائق السرية التى تثبت وجود ظواهر غير أرضية فى أجواء الكرة الارضية ، وساضع كل المعلومات السرية عن الاوفو تحت تصرف البلاد » .. ولم يعد للموضوع بعد انتخابه رئيسا للولايات المتحدة ..

لقاء النوع الاول

يقول مسئولو مركز دراسات الاوفو فى الولايات المتحدة ان اكثر من مليون شخص فى العالم مروا بنفس تجربة مورافيا وكارتر : رأوا أجساما أو



سكان الارض وسكان الفضاء من حلقات « الفضاء ١٩٩٩ » التلفزيونية

ظواهر غريبة فى الفضاء ـ ويطلق على هذا اصطلاح « لقاء من النوع الاول » ‥ كما يوجد عدة الاف مروا بتجارب الاثبات المادى لهذه الظواهر والاجسام (أى لاحظوا فى وقت رؤيتهم لها تاثيرات غريبة لها على الاجهزة الكهربائية والسيارات والحيوانات المنزلية ‥ الخ) وهو ما يسمى « لقاء من النوع الثانى » ‥ كذلك يوجد مئات كانت لهم لقاءات من النوع الثالث ـ أى مروا بتجارب شخصية مباشرة مع مخلوقات غير ارضية » ‥ ويقول المركز أن أطنان الوثائق حول هذه كلها ـ التى أشار اليها كارتر فى خطابه ـ محفوظة فى ارشيف « اللجنة الوطنية لتقصى حقائق ظواهر الفضاء غير المعروفة بمدينة كنستجتن (ولاية مريلاند) ·

يقولون أيضا أن الرئيس الامريكى يتلقى يوميا آلاف الخطابات التى تطالب بازالة الغموض المحيط بظواهر الفضاء الغريبة واعادة فتح التحقيق فيها ، لكن البيت الابيض لا يضيف شيئا الى تقرير سلاح الطيران الامريكى الصادر فى ١٩٦٨ بعنوان « عملية الكتاب الازرق » الذى قال أن بعد ٢٢ عاما من البحث والتحقيقات « لا يوجد دليل واحد على وجود أطباق طائرة أو أجسام مشابهة » ونسب شهادات الشهود المختلفين الى « أخطاء فى فهم بعض الظواهر الطبيعية أو غير الطبيعية (تفاعلات غازية فى طبقات الجو العليا ، النيازك، طيور ليلية تعكس اشعاعات الضوء، أقمار صناعية، بالونات تجارب وأرصاد جوية ‥ الخ) » ·

ولا شك أن الرئيس كارتر اطلع بعد انتخابه على التقارير السرية لسلاح الطيران والبنتاجون ووكالتى أبحاث الفضاء والمخابرات الامريكية حول الموضوع ، ولا شك أن سكوته عن قضية « الاوفو » وعدم نشر أى معلومات جديدة عنها له أسبابه ـ ترى هل وجد المعلومات أخطر من أن تنشر ، أم اقتنع العلماء بهباء كل هذه القصة ؟؟ ‥ كان مستشار الرئيس الامريكى للعلوم والتكنولوجيا فرانك بريس قد أجاب فى ديسمبر الماضى على سؤال عن احتمال وجود حياة فى الكواكب الاخرى وزيارات مركبات فضاء مجهولة للارض قائلا « ان



مشهد نزول الطبق الطائر .

علماءنا يعتبرون الحديث في هذا الموضوع مضيعة للوقت .. واجاب رئيس وكالة ابحاث الفضاء روبرت فروس على سؤال مماثل « لا يمكننا ان نلقي بانفسنا في بحث من هذا النوع بدون وجود نقطة بدء واحدة اكيدة .. على كل حال لقد قررنا أن الطريقة العلمية الوحيدة للتاكد اذا كانت توجد حياة متطورة في الفضاء الخارجي هي الاتصال بالراديو : ارسال رسائل للفضاء ومحاولة استقبال رسائل منه .. وسنبدأ البحث بهذه الطريقة في نهاية العام .

المشروع الجديد اسمه « سيتي » (الحروف الاولى لاسمه الكامل : « البحث عن ذكاء غير ارضي ») ويدلل على مدى الاهتمام به انالكونجرس اقر ميزانية له في عام ١٩٧٩ مليون دولار امريكي: جزء على العشرين من تكلفة فيلم « لقاءات قريبة من النوع الثالث » !!

نوادي الاطباق الطائرة !

نعود اليوم لتناول موضوع الاجسام والظواهر الغريبة في الفضاء لعودة ظهور الاطباق الطائرة من جديد ليس فقط كموضة : في السينما حيث يحقق « لقاءات قريبة » ارقاما قياسية في الربح بعد النجاح الساحق لفيلم « حروب الكواكب » وفي التليفزيون (حلقات « الفضاء ١٩٩٩ » و « عودة الاوفو » و « طريق النجوم » .. الخ) وعشرات الكتب والمجلات المتخصصة في ملابس وقصص ولعب الاطفال — الخ — بل ايضا كهوس : ظاهرة انتشار نوادي الاطباق الطائرة وجماعات مراقبة الفضاء في ايطاليا وافتتاح مطارين مخصصين لهبوط « الاوفو » في اقصى شمال البلاد — على جبال الالب قرب الحدود السويسرية : مطار اقامته جمعية « كون » (المركز الوطني لابحاث

وهبوط مركبة فضاء في « اصطدام كوكب » (فيلمجديد لم يعرض بعد) تستقبله «مخلوقات فضائية»





جبل « برج الشيطان » من فيلم « لقاءات قريبة من النوع الثالث »

الاوفو) في منتصف العام الماضي قرب مدينة كواسو • بينما اضحت مجلة الفضاء الاسبوعية «سولاريس» المطار الثاني في مطلع العام قرب لاتينا • (ولم تهبط مراكب من الفضاء الخارجي في أي من المطارين بعد !!)

جمعيه «دون» هي اكبر جمعيات الفضاء الايطالية وأكثرها جدية • أسست في ١٩٦٥ ولها عشرة فروع في مدن ايطاليا الرئيسية تضم ٣٠٠٠٠ عضو عامل بخلاف أكثر من عشرة الاف عضو منتسب تصدر نشرة داخلية نصف شهرية ومجلة كل ثلاثة شهور توزع ١٥٫٠٠٠ نسخة •• وتقوم الجمعية بتنظيم ندوات عالمية في « الاوفولوجيا » (علم الاوفو) وتنظم حملات مراقبة السماء في ورديات متتالية ـ بالنظارات المقربة وآلات التصوير وآلات قياس الاشعاع الذري والمغناطيسية ـ تستمر أحيانا ستة شهور كاملة ، كذلك تقوم بترجمة الوثائق والكتب الهامة حول دراسات الفضاء الى اللغة الايطالية ويجمع ارشيف كامل ودقيق للشهادات والوثائق حول التجارب التي خبرها ايطاليون « مع أجسام وظواهر ومخلوقات غير أرضية » •• وصف لي سكرتير الجمعية روبرتو بينوتي (وهو رئيس مبيعات شركة سيارات لانتسا في منطقة فلورنسه) الشروط القاسية التي تفرضها الجماعة لقبول الاعضاء العاملين لكي تحجز خارجها عناصر المتطيرين والمخرفين والمشعوذين الذين يقبلون كمنتسبين فقط ليس له من الحقوق الا الاشتراك في نشرات ومجلة الجمعية •

٥٠ لقاء أكيدا

سألته عن لقاءات النوع الثالث في ايطاليا فقال أن بارشيف الجمعية حوالي خمسين منها « لا يرقى اليها الشك يعود أقدمها الى اغسطس ١٩٤٧ واحدثها الى ٣ سبتمبر الماضي، حينما سمعت الارملة لورنزا مالتوتي ـ وهي تقيم بجوار مدينة رافينا مع أولادها الثلاثة ـ صوتا غريبا بالخارج • نظرت من النافذة فرأت على بعد حوالي عشرين مترا في حوش خلف المنزل جسما بيضاوي الشكل لونه وردي يقرب للقرمزية ، وعلى مقربة منه خمسة أو ستة كرات بيضاء مضيئة و « شخص » صغير القامة على رأسه خوذة من نوع ما ـ وحينما انتقلت الارملة الى نافذة أقرب لترى بشكل افضل، رأت الجسم البيضاوي يرتفع لم يبتعد بسرعة ليختفي في اتجاه الغرب ، ولم تر للكرات المضيئة وللشخص أثرا •• قال بينوتي ان هذا اللقاء لم يشهده أحد منهم) فمنزل الارملة منعزل وكانت وحدها فيه في ذلك الوقت (ولكن عدة أشخاص بالمنطقة أكدوا سماع ذلك الصوت الغريب في تلك الساعة، ويشهد كل من يعرف الارملة باتزانها وجديتها •• أما أحدث الاحداث غير المألوفة فيعود الى نهاية يناير الماضي (ولم يدخل الارشيف بعد لان التحري عنه ما زال مستمرا) ـ كان بائع جلود يقود سيارته ليلا في طريق المرور السريع بين بولونيا وفلورنسه حينما ظهرت كرة بيضاء مضيئة بلون أصفر لازمت سيارته لاكثر من ثلث الساعة ، تسبقها أو تجاورها أو تتعقبها ، ورافقتها حتى داخل انفاق الطريق •• وحينما كانت أمام سيارته سلط عليها كشافاتها فرأى لها ظلا على الارض •• (ترد هذه الكرات المضيئة التي تتبع وتراقب الاجسام المتحركة على الارض وفي الفضاء باستمرار في القصص والشهادات عن الاطباق الطائرة ، وتظهر كثيرا في فيلم « لقاءات قريبة » ويقول المؤمنون بالاوفو انها « جواسيس او عيون » تطلقها سفن الفضاء للاستطلاع •• !!)

قال ان اكبر موجة نشاط للاجسام الطائرة غير المعروفة بدأت في ايطاليا في مطلع نوفمبر ١٩٥٤ واستمرت ثلاثة شهور حدث خلالها ٣٥٦ لقاء من النوع الاول ولقاءات عديدة من النوعين الثاني والثالث •• حكى عشرات القصص بعضها عجيب حقا ، ولما رأى أنني لم أقتنع بعد ، سألني كيف يمكن أن تعلل اذن اجماع الشهود في جميع أنحاء العالم ، وغالبيتهم من الامين ، على وصف متطابق لمخلوقات الفضاء (انها زرقاء اللون ، شفافة نسبيا ، قوامها صغير ، رأسها ضخم ، عيونها واسعة جاحظة ، أذرعها طويلة مدببة) ؟؟ •• وسألته لماذا ترى مراكب العوالم الاخرى وركابها بكثرة في ايطاليا وأمريكا ولا ترى في العالم العربي مثلا حيث (على الاقل) السماء أكثر صفاء ؟؟ •• أجاب ان عالما فرنسيا « اثبت » في سنة ١٩٤٥ استنادا على شهادات اللقاءات بانواعها المختلفة ـ وجود مدارين حول الكرة الارضية لظهور الاطباق الطائرة ، ويمر أحدهما بطول الحذاء الايطالي ، لكنهما لا يمرا بالعالم العربي !!

وبخلاف « جماعة » كون هذه وحوالي عشرة جمعيات اخرى تتصف بنفس الدرجة من الجدية ،

توجد خمسمائة جمعية ايطالية صغيرة للروحانيين والمشعوذين والمتقفمين بالاطباق الطائرة والمخلوقات الزرقاء الصغيرة ٠٠ منها ـ مثلا ـ جماعة « المتلامسين » التي تتبادل الحوار مع « كابتن باترى » قائد الوحدة رقم ٣٢٥ من اسطول فضاء الكواكب « ابسلون ٧ » ٠٠ وجماعة « الوس » وترأسها وسيطة روحانية نجحت في سبتمبر الماضي في جمع اكثر من خمسة الاف شخص وعدد من الصحفيين في مدينة صغيرة انتظارا لهبوط طبق طائر (ولكنه اخلف الموعد) ٠٠ وجماعة « أرجو » ولها اتصال مستمر بسكان الكوكب « اجليوس » الذين ٠٠ « يعيشون لماتمائة عام لان الطعام لا يحمض في معداتهم ولا ينتج سموما ومخلفات » ٠٠ ومن اعضاء هذه الجمعية جيوفاني كوشيو الذى يؤكد ان طبقا طائرا اختطف زوجته التي كانت تتشاجر معه دائما ٠٠ (ويبدو أن البوليس لا يصدقه لانه يواصل البحث عن جثتها !!) ٠

ضد المنطق وقوانين الطبيعة

الاستاذة مرجريتا هاك المتخصصةفي مراقبةالسماء (فهي مديرة مرصد تريستا) لا تؤمن بالاوفو وزوار الفضاء ، ولكنها لا تنفي امكان وجود حياة ـ متطورة ربما ـ على كواكب اخرى ٠ تقول : يوجد مائة مليار من الاجرام السماوية ربما تتوفر في مليون منها ظروف مواتية للحياة باى شكل من اشكالها ـ ولكن اذا وجدت حياة راقية متطورة مثل الانسانية ، واذا افترضنا انها معاصرة لنا (وحياة انسانيتنا لحظة في تاريخ هذا الكون) فان مسافات مهولة تفصلها عنا ، لانه من الثابت عدم وجود حياة متطورة على الاقل في مجموعتنا الشمسية لا على الارض ، واقرب المجموعات الشمسية الاخرى لنا ـ مجموعتا « الفاوبيتا سنتاورى » ـ تبعدا عنا باربعة الاف سنة ضوء ، وتوجد مجموعات شمسية تبعد عنا ٣٠ و ٤٠ الف سنة ضوء ٠٠ لذا لا يمكن تصور عبور حياة من مجموعة شمسية اخرى لزيارتنا ٠٠

وتسترسل العالمة الفلكية لتقول ـ في حديث مع مجلة « بانوراما » الاسبوعية ـ ان غالبية الذين شاهدوا الاطباق الطائرة وسكان الفضاء « من البسطاء غير المتعلمين الذين لم يتعودوا على الملاحظة والاختبار العلمي » ولا يوجد فلكي واحد رأى ايا من هذه الظواهر ٠ مع ان عيونهم واذانهم مركزة دائما على الفضاء بتلسكوبات ابصار واستماع اقوى بكثير من التي في متناول الاشخاص المعتادين الذين قد يرون ظاهرة غريبة عنهم ـ نادرة الوقوع ـ فيوفر لهم خيالهم تبريرا خياليا لها ٠٠ لان حواس الانسان يوجهها عقله ، واذا لم يتعرف العقل على ما ترسله له الحواس من معلومات ويجد لها تحليلا عقليا في المعلومات السابقة التي يختزنها ، فانه يترك الخيال حرا ليعمل ٠٠ واضافت العالمة الفلكية : يكفيأن نقول ان حركة وتصرف الاطباق الطائرة ـ كما يصفها الشهود ـ تتعارض مع المنطق ومع القوانين الطبيعية كما نعرفها ٠٠٠

واضاف الصحفي الذى اجرى الحديث مع الاستاذة هاك قائلا ان المحللين النفسيين والاجتماعيين يجمعون على ان الذين يعتقدون بالاطباق الطائرة وزوار الفضاء يكونون عادة « اشخاص من ذوى الخيال الخصب الحي سهل الاثارة ، من البسطاء سليمى النية (الاطفال الازليين) ، من الذين يمكن التاثير عليهم بسهولة ويمكن ان يتحولوا الى متعصبين وغير طبيعيين ، من المكبوتين اجتماعيا الذين يعانون من المخاوف وعدم الطمانينة ، الذين يشتاقون لعالم خاص بهم يستكشفونه ويعيشون فيه ابطالا ،الذين يجدون فيالاطباق الطائرمهربا من الواقع وانتقاما منه ٠٠ الخ ٠٠

كم من هذه الصفات ـ يا ترى ـ تنطبق على الروائي الايطالي مورافيا والرئيس الامريكي كارتر ٠٠ ؟؟ !! ■■



مخلوقفضائى من الحلقاتالتلفزيونية«طريق النجوم»



مكتبة العربي

الأهوار:

رحلة في عالم مثير ومجهول!

تأليف : جافين يانج

عرض وتلخيص:

روزماري صايغ

الاهوار واهلها ـ صورة للمنطقة من الجو، الاكواخ والقوارب والاعشاب ، والمياه الضحلة.. مشهد بديع رغم قسوة الظروف.





■ كتب جميلة عن الفنون العربية والحضارة العربية تصدر الان بمعدل طيب، وقد اتاح مهرجان العالم الاسلامي الذى اقيم فى لندن عام ١٩٧٦، الفرصة لظهور عدد كبير من هذه الكتب. ولكن الكتب الجميلة عن الشعب العربي نادرة الوجود حتى اننا اذا وجدنا واحدا منها فى الاسواق ، فهو حدث يجدر بنا ان نحتفل به . وخاصة اذا كانت محتوياته تنم عن ذكاء وتستند الى معلومات وحقائق ، وكان الكتاب بعد هذا جيد الصياغة .

ان اول ما يشدنا الى هذه الدراسة عن « الاهوار » العربية فى جنوب العراق ، يكمن بعد النظرة الاولى فى الصور الملونة التى التقطتها عدسة الكاميرا التى حملتها يد المصور المحترف « نيك هويلر » فقد اظهر هويلر مهارة خاصة فى التأثير غير العادى للاضواء .. فى الضباب، وفى الغسق .. فى الفجر وفى ضوء النيران المشتعلة . واذا كانت بعض الصور تبدو الى حد ما وقد اخذت بعد اعداد لها ، فهو امر من الصعب تجنبه ، كما يعلم كل الذين حاولوا التقاط صور فى العالم العربي .

وبالرغم من ان الصور هى التى ستبيع هذا الكتاب للكثيرين ، فان النص الذى كتبه مراسل صحيفة الاوبزرفر جافين يانج ، قادر على ان يشد القارىء عن طريق هذا المزيج من التعاطف الانسانى والمعلومات التى يحتويها ثم براعته فى الكتابة . ومن الواضح تماما انها مهمة قام بها المؤلف من تلقاء نفسه ، فهو لم يكلف بها ، وانما جاء كتابه عملا يعبر فيه عن الحب ، وشهادة على الشعور بالاحترام والود .

سر اهتمام الاجانب !

وقد يتساءل العديد من العرب المتعلمين عن سر تعلق الاجانب واهتمامهم بالعرب القبليين فى فقرهم وأميتهم . وهؤلاء الذين يمثلون «تخلف» مجتمعهم ؟ ولماذا يجد هؤلاء الاجانب فى عاداتهم التقليدية كل هذه المتعة والقيمة ، حتى انهم يضطربون اذا ما شعروا بان هناك خطرا يهدد بزوالها عن طريق زحف الحضارة اليهم ؟

هل السبب فى كل هذا ان الاجانب يريدون بقاء المجتمعات العربية فى هذا « التخلف » ؟ و نتيجة لتشويه الحقائق وسوء النية اللذين تميز بهما الكثير من الكتابات الغربية عن العالم العربي ، فاننا نجد ان هناك من يميل الى الاخذ بهذا الرأى . ولكن القراء العرب، عن طريق رفضهم غير الفورى، لكل الكتب بدافع من ردود الفعل السياسية ،قد يكونون بهذا قد نظروا الى مجتمعهم نظرة اضيق من اللازم . فمن الحقائق المؤسفة ان العرب المتعلمين يعيشون بصورة اساسية فى المدن ، وليس لديهم تقريبا اية معلومات موثوق بصحتها عن خلفياتهم الاجتماعية والثقافية . اقصى مايمكن ان يعرفوه يأتى عن طريق الكتب التى يقراونها او مشاهدة الافلام السينمائية .

ولكن ان يعيشوا فى هذه المناطق البعيدة النائية .. فهذا مستحيل !

الهروب الى الصحراء

ان جميع الرحالة الاوروبيين العظماء الذين جاءوا الى الشرق الاوسط ، كانوا رومانسيين ، هاربين من «المدنية» ومن « الحضارة» ،مفتونين بالمفارقات فى الحياة العربية ،وبما تمثله من اصداء لماضى اوروبا الضائع .. جاءوا اذن تشدهم الصحراء وحياة البدو ـ وهى مثل من الامثلة القليلة الحية فى عالم اليوم «للبدائيين النبلاء» .. لقد تجنبوا المدن العربية ، المراكز الحقيقية للحضارة العربية ، حيث حاول العسكريون والبيروقراطيون والائمة والتجار الابقاء على انظمتهم . وهكذا نجد ان الصورة عند الاوروبيين للعرب منحازة لغير المألوف الغريب البدائى ..

ومع الاتجاه الى الرومانسية كان هناك ميل الى مناصرة « عرب لورانس » ، وكان الشعوب المستعمرة بارضها ومواردها يمكن ان تخصص للاخرين .ان المستكشفين جعلوا من العرب حقيقة ماثلة امام القراء الاوروبيين ، فاوروبا ما كانت

لتعرف شيئا عن العرب بدون كتاباتهم . ولم يكن احد يتخيل ان هؤلاء «المجهولين» و « غير المتحضرين » من الشعوب ، كان لديهم المعرفة الخاصة بهم ، وكان لهم تاريخهم ، وان لديهم القدرة بعد هذا على تكوين فكرة عن الاوروبيين .

العرب « المودرن » !

نحن نجد ان المستكشفين عرفوا بعض هذه الشعوب، على الاقل ، ولو كانت مجموعات منتقاة فيهم . ان المستشرقين والمتخصصين في الدراسات الاسلامية والعربية خلقوا شيئا شبيها بعبادة الثقافة التى لم تستبعد العرب الحقيقيين فحسب ، بل اسهمت في تنمية روح العداء تجاههم .. ان العرب « المودرن » او العصريين يدمرون ثقافتهم وتاريخهم عن طريق عدم الارتباط بهما بصورة كافية ، على ان هذا الرأى لم يحل دون انتشار وجهة نظر اخرى مغايرة تماما ، وهى ان العرب قوم تقليديون للغاية لدرجة انهم غير قادرين على تقبل «الحضارة» وهم في ذلك يختلفون عن الاتراك واليابانيين وغيرهم .

والان ، وقد كشف العديد من الشخصيات العربية والهيئات المهتمة بشئون العرب مثل وليد الخالدى ومجلة دراسات الشرق الاوسط التى تصدر في لندن Review of M.E. Studies ومعهد البحوث والاعلام للشرق الاوسط في واشنطون، روح العداء وسوء النية اللذين يختفيان وراء « الثقافة » الغربية عن العالم العربى ، نجد ان هناك أملا في اعادة النظر في تلك المواقف الاوروبية . وقد بدات بعض صحف اوربا الرصينة تعكس هذا التغيير .. فلم تعد الكليشيهات التى اعتدناها في اسلوب مجلة تايم الامريكية تظهر في تكرار ممل كما كانت في الماضى مثل « عقدة اضطهاد الشعوب» ، و «الاثارة العاطفية» و«الاراء اللاعقلانية » والميل الى « العنف »، والتركيز على « مناطق الاضطرابات » .

« الحب » في كتاب يانج

بالرغم من ان بعض ما جاء في الكتاب يبدو في ظاهره رومانسيا خفيفا ، الا ان « العودة للأهوار » لجافين يانج ، يعتبر بحق جزءا من محاولة جديدة اكثر تفهما للعرب باسلوب ممتع للعقل ، حتى وهى محصورة داخل ذلك الاطار من التسلية !

انه ليس دراسة قام بها استاذ في «الانثروبولوجيا» او تاريخ حياة الشعوب ، فقد جاء اهتمام يانج بالمعدانيين* بصورة عارضة، ثم تحول هذا الاهتمام الى مغامرة .

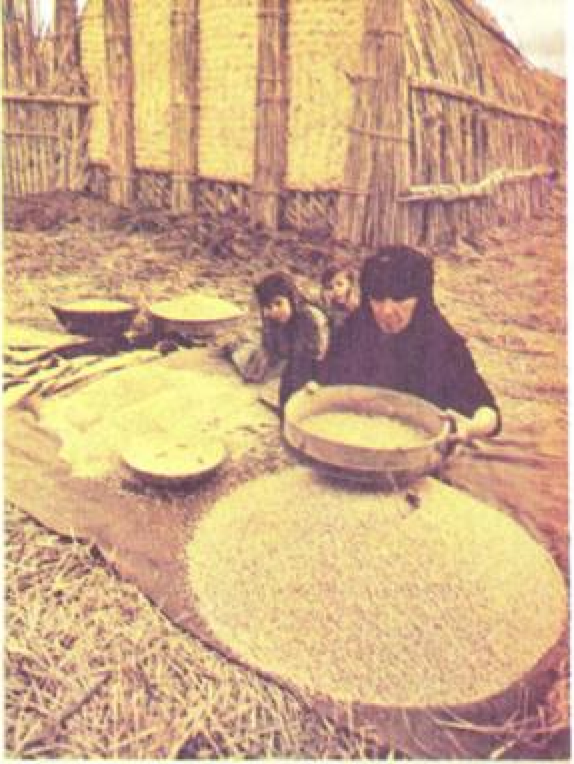
لقد خلا كتاب يانج من كل قيد اللهم الا تلك الرغبة التى تملكته في ان يقدم عملا طيبا لشيء طيب ، فجاء الكتاب خاليا من اى تحيز او رأى او ادعاء . انهم اناس وجد فيهم الكاتب ، وبكل بساطة، قوما جديرين بالحب ، حتى انه استطاع ان يدخل فى حياتهم بنفس السهولة التى يدخل فيها بجسمه في جاكتته القديمة التى يحبها . وهو يعجب بمهاراتهم كصائدين وبقوتهم وشجاعتهم وجمالهم ، والكاتب كان عادلا عندما شمل النساء في حديثه وهو يشيد بجمالهن . انه يحب روحهم الاجتماعية ودفء مشاعرهم ، حتى انهم اعطوه هذا الاحساس بان لديه وطنا حقيقيا بينهم .. وهو يحب بعد هذا تلذذهم واستمتاعهم بالحياة (وهى خاصية تجدها بين هؤلاء الذين يعيشون على حافة الجوع اكثر مما تجدها بين الاثرياء) ، ثم هو يحب روحهم الميالة الى الاستقلال الشديد، وروحهم المرحة، ويعجب ايضا بالتصاقهم بالطبيعة وبقدرتهم على تسمية كل نبات وكل حيوان في عالمهم المائى العجيب .

عشاق الطبيعة

وكمعظم الاوروبيين ، وعلى عكس غالبية العرب، كان يانج حساسا في تصويره للمناظر الطبيعية ، مفضلا لو انها بقيت مسكونة في غير كثافة .ولكن لا يجوز لنا ان نصفه بانه يبغض البشر ، وهو وصف يلازم الكثيرين من عشاق الصحراء . انه مبهور بمنظر تلك البحيرات الضحلة الهائلة التى يلفها الضباب ، وقنواتها الضيقة التى تجرى مياهها وسط حقول القصب ، والطيور والحيوانات التى تعيش فيها وحولها . لقد اصبح صيد

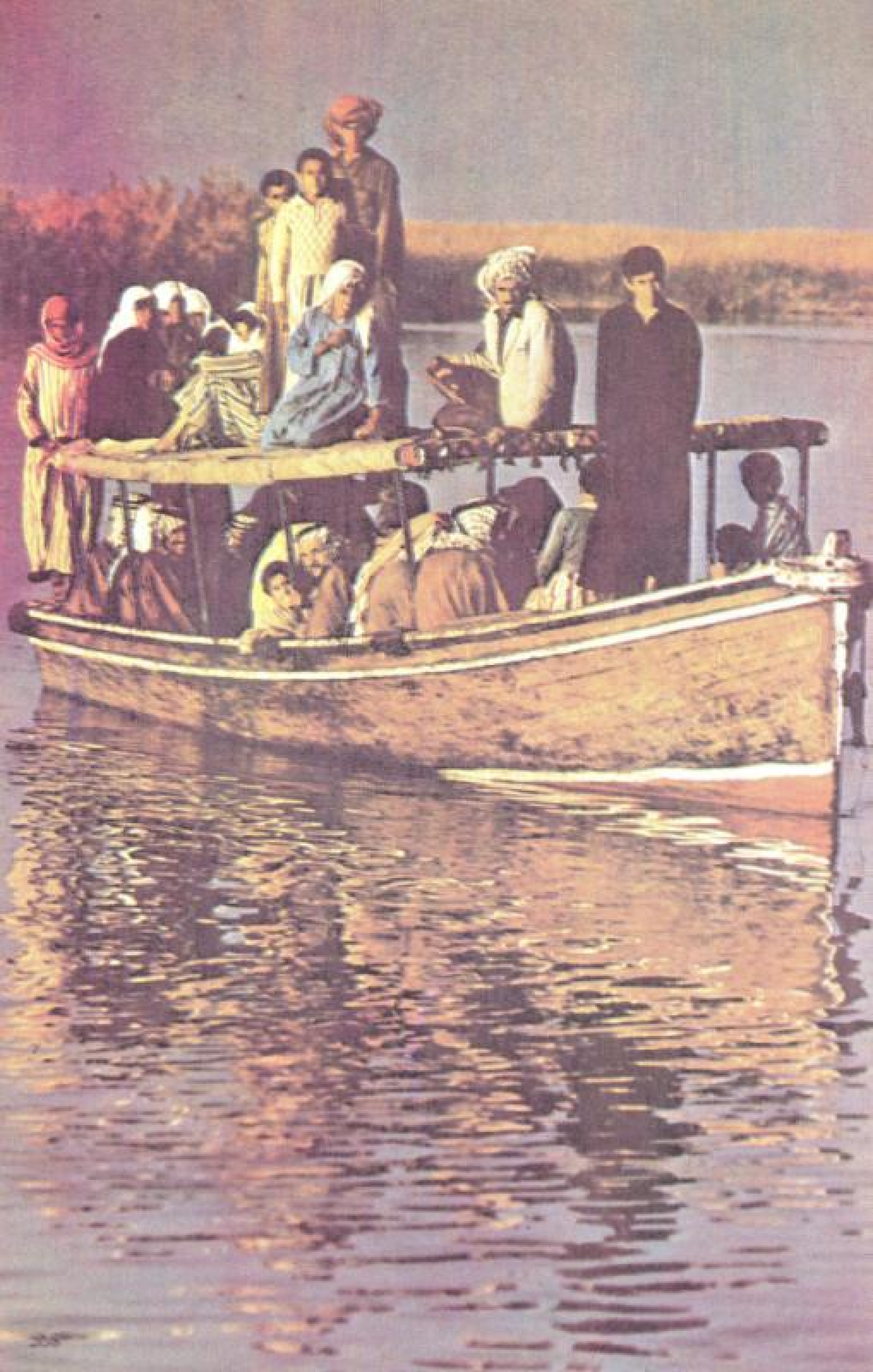
* المعدانيون : أصل سكان الاهوار .

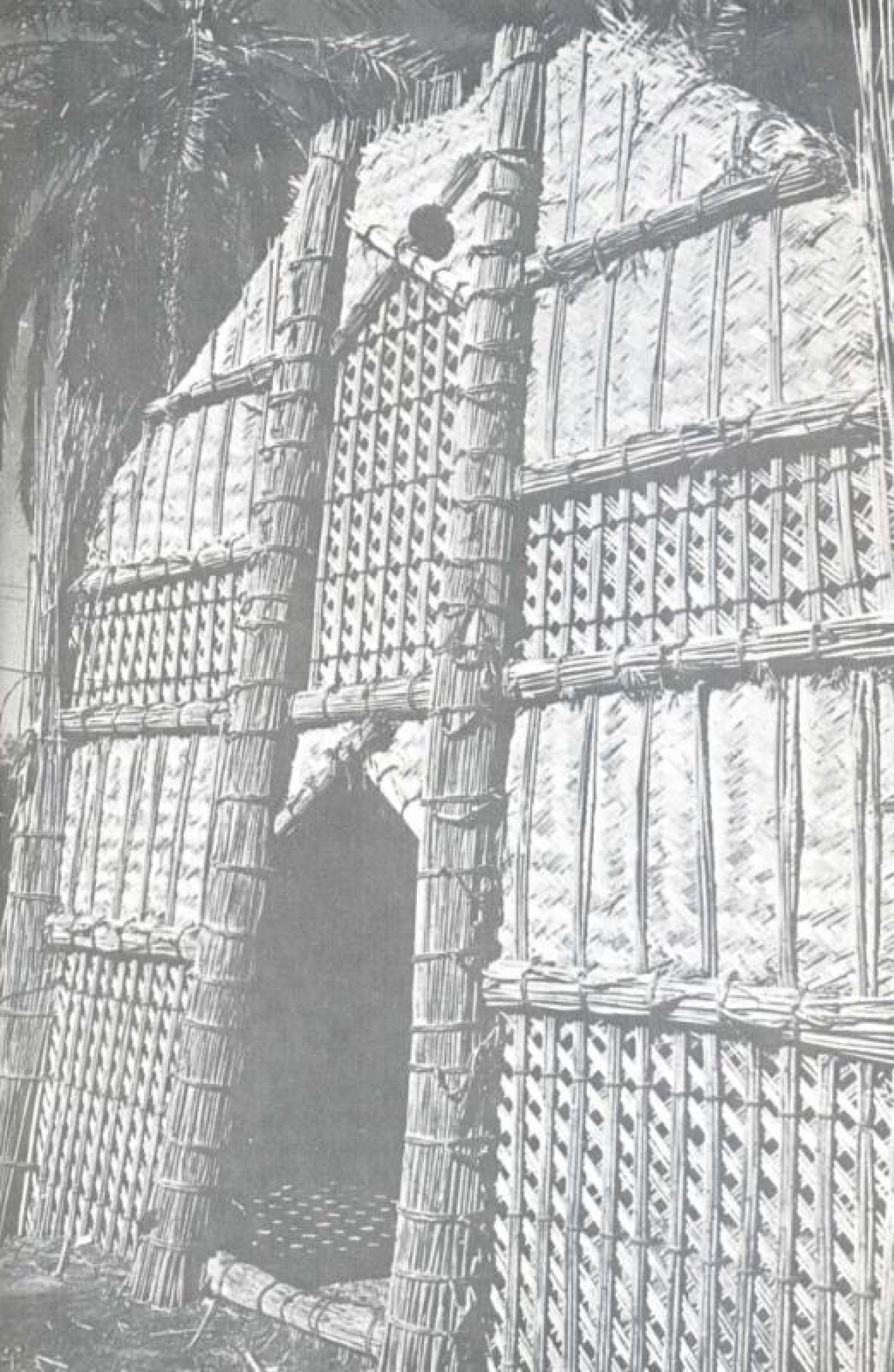
القمح من المحاصيل الاساسية في المنطقة ، وهذه سيدة تتولى بنفسها عملية تخليص القمح من بعض شوائبه (الى اليمين) • وفي الصورتين السفليتين نجد فتاتين تترودان قاربين وسط البحيرة ، بينما صياد يلملم شباكه بعدما ادى مهمته •• ويظل القارب أو المركب الصغير هو وسيلة الانتقال الوحيدة في منطقة الاهوار (الصورة الى اليسار) •

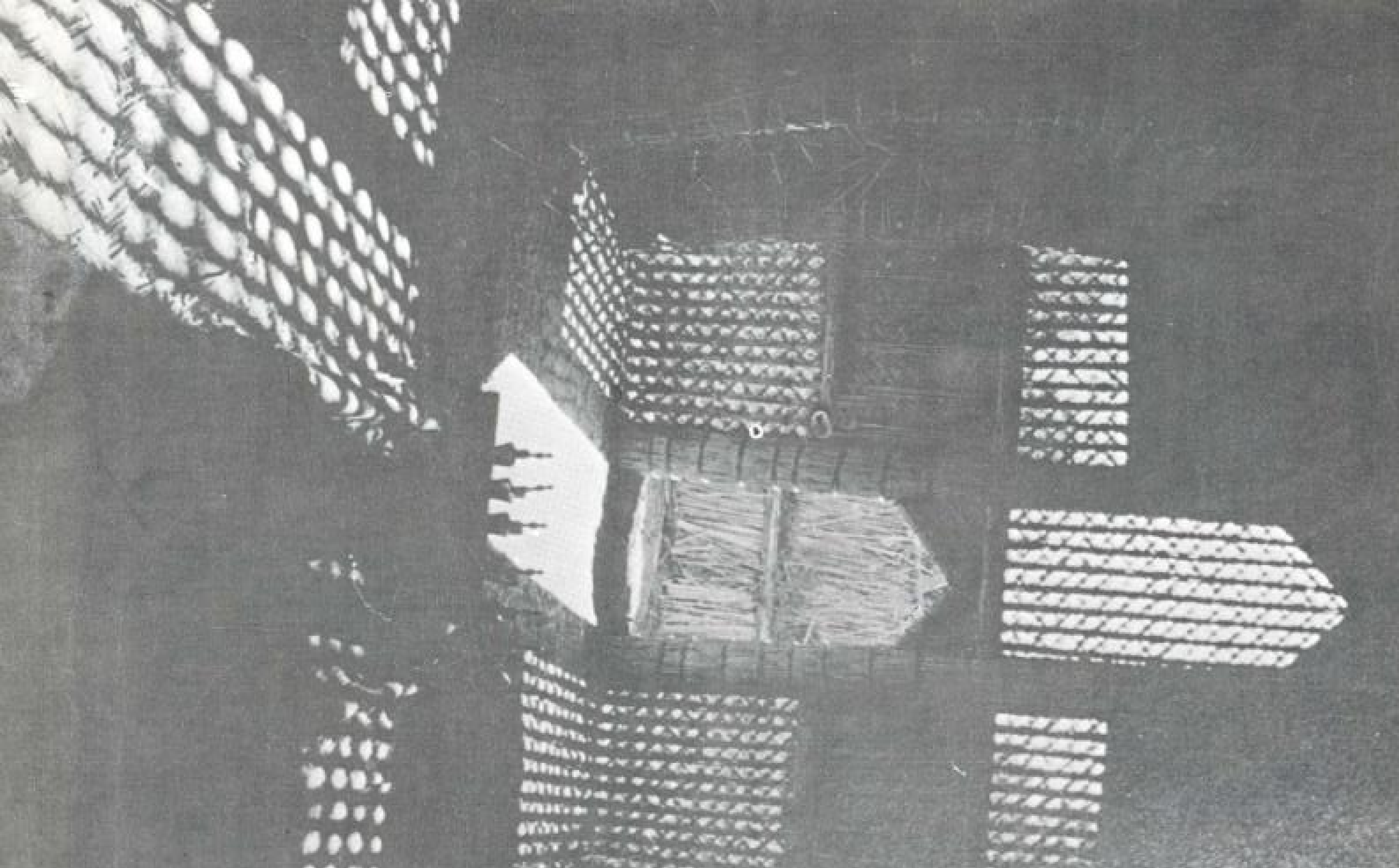












بيوت الاهوار غاية في الجمال والابداع ، وهذا البيت مصمم اساسا من اعواد القصب والقصب والنفس ، خامات البيئة المتوفرة .

لقطة للبيت من الداخل ، تكشف مدى روعة العمارة وحساسية ذوق سكان الاهوار .





يتعلمون ويمارسون الرياضة وغيرها من أشكال الحياة العادية .



فصل دراسي في الصحراء ، المدرس والتلاميذ بالانجليزية ، وهي لم تكن كذلك في الاصل .



والمناضد والسبورة ـ وربما لاحظت أن الكلمات المدونة على السبورة مكتوبة
لدراستهم عربية طبعا ، وقد غيّرت ليستطيع القارىء الاجنبي أن يستوعب الصورة ٠

الغنازير البرية او البط يمثل جانبا اساسيا من نشاط سكان هذه المنطقة • ان الطريقة التي استقر بها المعدانيون في هذه البيئة غير العادية، وقد شيدوا مساكنهم من عيدان القصب المنسوجة فوق تلك الجزر الاصطناعية ، معتمدين اعتمادا تاما على جواميسهم المائية ، وعلى مقايضتهم للسمك والحصر بالقمح •• هذه الصور سرته رؤيتها بفضل ما تميزت به من انسجام وغموض • ان قراهم الصغيرة بالكاد ترى ، حتى من الجو لانها تبدو اقرب الى الجزر الطبيعية • ولعل اوجه الشبه بين اسلوب حياة عرب الاهوار المعاصرين وابناء سومر القدامى ، تضفي مزيدا من الاهتمام الذي تاكد بمهارة في المقارنات التي وضحت في الصور الفوتوغرافية لواجهة مبانيهم وشكل بيوتهم وقواربهم ، واساليبهم في صيد السمك بالحراب• هنا مرة اخرى ، نجد احد عناصر الجمال التي قل ان نجدها في صحراء العالم العربي التي تزحف اليها المدنية بسرعة •

الحضارة تزحف

واذا كان الاصل في اهتمام يانج بالاهوارالعربية رومانسيا ، فهي رومانسية تبدو وقد هذبتها عناية حقيقية بهذه المنطقة واهلها •• وهؤلاء ليسوا مجرد شخصيات اغريقية حديثة في ريف رائع غريب ولكنهم اناس حقيقيون يصابون بالمرض ، ويفقدون مواليدهم ، ويموتون • ان جزءا كبيرا من رحلة يانج الاولى الى الاهوار بصحبة ولفريد ليسجر امضياها في التطبيب والعلاج البدائي ، لسكان الاهوار •• فهم رغم تميزهم بقوة اكثر من معظم اهل الريف في العراق ، الا ان المعدانيين يعانون من الامراض••فهم مصابون بالبلهارسياوالتهابات العيون المعدية والدوسنتاريا والدودة الشريطية وداء الصدر والجروح التي لم تندملنتيجة للاصابة بطلقات نارية•وعندما عاد يانجبعد غيبة استغرقت سبعة عشر عاما نجده يحدثنا عن الطبيب العراقي الذي وجده يعمل بمساعدة احدى الممرضات ، وعن العيادة الطبية التي قامت هناك وعن السفينة الصغيرة الراسية• وهو لون من التحضر يلقى ترحيبا من يانج في رحلته •• ثم هو يجد بعد هذا المدارس التي لم يكن لها اثر من قبل ، ويجد مستوى افضل من الغذاء والكساء، ومصنعا للسكر، ومصنعا لتجميد السمك •

الاصالة باقية

وبالرغم من القلق الذي يحس به وهو يرى تلك البيوت الصغيرة الشبيهة بعلب الكبريت والمبنية بالاسمنت المسلح ، تحل محل المساكن المصنوعة بعيدان القصب ، وكيف ستتلاشى معها تلك المهارات التقليدية واسلوب الحياة لعرب الاهوار•• الا ان يانج يجد عزاءه عند عودته الى الاهوار في الواقع الثابت وهو ان الكثير بقي على حاله لم يتغير ، فكرم الضيافة القديم ، ودفء الصداقة الذي عرفه ما زالا هناك •• ويدعوه صديق يعمل في مصنع السكر الجديد الى الذهاب معه في رحلة لصيد الغنازير ، وهو يرتدي بدلة العمل الزرقاء (الافرول) •

ويختلف اهل الاهوار عن غيرهم من مزارعي العراق في عزوفهم عن الهجرة الى بغداد ، فحياتهم ما زالت ترضيهم : «في الماء••وبين عيدان القصب وفي الهواء الطلق نعيش ، وهنا نحب ان نقضي حياتنا» • ان الاهوار في واقع الامر قد وفرت لهم الحماية منذ القدم ضد محاولات القمع المباشرة ، لهذا نجد انه ليس سهلا عليهم التخلي عنها ، ان معظم الغزاة كانوا يصلون اليهم ، ولكنهم لا يلبثون ان يتجاوزوا منطقتهم وسكانها •

ان مهارة يانج ككاتب تكمن بصفة خاصة في انتقاله السريع منالطابع الاعلامي (فالكتاب يحوى ثقلا له وزنه من الحقائق التاريخية والاجتماعية والاقتصادية) ، الى الوصف الحي المرئي ، الى المشاعر الفياضة والاسلوب المرح •

ان تعبير هذا الكاتب عن مشاعره ، وهو اسلوب غير انجليزي ، هو الذي جعل من هذا الكتاب شيئا مختلفا تماما عن الكثير من كتب الرحالة الذين زرعوا اعلامهم في ارض الغير ، متجاهلين انسانية سكانها فقد جا كتاب يانج مزيجا من التعبير عن مشاعر الارتباط والتعاطف والحنين الى الماضي

والخوف من التغيير واخيرا التفاؤل • انه يعبر في كتابه عن الاعجاب برجولتهم في الصيد ولكنه يتجاوب في الوقت نفسه مع هذا الشيء الذي يجده فيهم وينم عن الوداعة والتحضر ، ويتجسد في تضامنهم القوي احد مظاهر « جوهرهم » •

الذين احبهم !

والود يتضمن بداهة عدم الود ، وبالرغم من لباقته ، فقد وضح تماما ان يانج يفضل بعض العرب على غيرهم • فهو لا يحب الاغنياء ، ولا اصحاب النفوذ،والذين يباهون بسياراتهم الامريكية الفارهة وقصورهم في المدن • وهو يصف احد هؤلاء الاثرياء بانهعصبي وجشعومسيطر ذو «كرش» بارز ، وهو الوجه المناقض تماما في المرآة للرجل القبلي«العادي» • وقد يعترض القراء العرب على هذا التحيز ، ولكن يانج يطبق بامانة هذه القيم التي يؤمن بها على ابناء بلده انفسهم • فحياة التجار الانجليز في البصرة ونواديهم وزوجاتهم والمياه النقية التي ينعمون بها تثير فيه نفس القدر من الاشمئزاز الذي يشعر به تجاه الرياء العرب • ان الانجليز الذين يعجب بهم هم امثال برترام توماس وفيلبي وولفريد ثيسجر ، لانهم عاشوا وسط المعدانيين (سكان الاهوار الاصليين) ومع الذباب والناموس اللذين يشاركانهم حياتهم ولانهم شربوا المياه التي يشربون منها وتحدثوا لغتهم واحترموا عاداتهم وتقاليدهم • وهو شيء لم يفعله حاكم من قبل سواء كان ايرانيا ام عربيا ام تركيا •

واذا كان القارىء يجد في« العودة الى الاهوار » شيئا من السذاجة السياسية في بعض الاحيان ، فهو عيب صغير في كتاب يستهدف جذب القارىء اليه ، لا القاء محاضرة عليه •

لا اظن ان الكثيرين سوف يسيرون وراء يانج الى الاهوار • ولكنني اعتقد ان الكثيرين قد يتمنون بعد قراءة « العودة الى الاهوار »، لو انهم لم يمضوا هذا الوقتالطويل «محبوسين» فيالشوارع المزدحمة التي تعج بالناس وتمتلىء بالصخب والضجيج • ■■









الطب فى خدمة

صحتك وشبابك وجمالك

ياسيدتى

بقلم : الدكتورة صبيحة الدباغ

هذه مجموعة من النصائح التى تهم كل امرأة • توجهها الدكتورة صبيحة الدباغ ، من واقع خبرة طويلة ودراسة علمية عميقة ، وهى الحائزة على دبلوم الطب العالى فى الصحة الوقائية من جامعة لندن •

بوسع الطب الحديث يا سيدتى أن يقدم لك الشىء الكثير للحفاظ على صحتك وشبابك وجمالك ، ولن يكلفك ذلك الا شيئا من الرغبة الاكيدة والارادة الحازمة ، ولا تبرمى بما ساقول وساكون متساهلة متسامحة معك ، ولنبدأ منهجنا على الوجه التالى : اقلعى من التدخين ان لم تستطيعى الاقلاع بالمرة فهو مضر بجمالك فضلا عن صحتك، فاما من ناحية الجمال فانه يلوث أصابعك واسنانك ويقلص اللثة ويصيب العينين بالاحمرار، واما من ناحية الصحة فهو من العوامل الخطرة فى سرطان الرئة وتصلب الشرايين وأمراض الدورة الدموية الاخرى فهو معجل بالاجل ، مقصر للعمر •

واذ نفرغ من التدخين نتجه الى العبوس والتقطيب، فلماذا تعبسين ياسيدتى فترسمى الخطوط وتحفرى الاخاديد فى محياك الجميل ولا سيما على جبهتك ؟ الا تعلمين ان الاعتياد على التقطيب يغضن بشرتك مع مرور الزمن ؟ اللطف والدماثة والوجه المشرق الطبيعى هما الاصل فى قوة الشخصية • لا العبوس

والتقطيب والشراسة ! ان التقطيب يعجل بالهرم فيضيف ما لا يقل عن خمس سنوات الى عمرك الحقيقي عندما تبلغين سن الكهولة •

ارهاق العينين هـو الاخر قد يسبب الغضون في وجهك الجميل فافحصي عينيك مرة في العام على الاقل لتتاكدي من قوة بصرك ، واذا كنت تكرهين ارتداء النظارات فعليك باستعمال العدسات اللاصقة ، ومع ان النظارات الشمسية ضرورية في وهج الشمس الا ان الادمان عليها يقلل من مقاومة العينين الطبيعية للضوء القوي فالاعتدال في استعمالها مما ينبغي ان يؤخذ به ، كما ان السهر المتواصل يرسم هالات وغضونا حول العينين، ولا ننصح بانتزاع الحاجبين ورسم خطوط مكانهما فان طراز الجمال النسوي غير ثابت فقد ياتي يوم تكون الحواجب الكثة هي المرغوبة ، ولا يمكن حينذاك استعادة ما فات ، ولا تخلو العملية من محاذير فاذا كنت راغبة في تخفيفهما بعض الشيء او اقتلاع شعرات في مواضع اخرى من الوجه فليكن في عيادات طبية مختصة بالتجميل •.

حماية لشعر رأسك

وحذار من الاساءة الى شعر رأسك بالاصباغ والقص المتعاقب بشكل جنوني او قصه بصورة لا ضرورة لها ، لان الشعر ينمو بمعدل سبع بوصات في العام الواحد فان الاساءة اليه بالمقص يحتاج الى سنة كاملة لتلافي الضرر •

ثم ان ثغر المرأة من ابرز مواطن محاسنها فعليك بعدم التفريط بصحة ونظافة اسنانك وحاولي جاهدة الامتناع عن اقتلاع اي سن الا للضرورة القصوى واذ نتحدث عن الفم والاسنان ينبغي الا يفوتنا التنبيه الى الالتهابات في البلعوم فقد تكون هذه ارهاصات او مقدمات لروماتزم او التهاب المفاصل •

وغني عن البيان أن بوسع جراحة التجميل أن تزرع لك سنا أصابها العطب أو تزيل التجاعيد او الندوب من وجهك أو تغير شكل وحجم الانف والثديين ، ذلك ممكن بفضل ما يقدمه الطب الحديث من خدمات •

ولصحة وسلامة تفكيرك واعصابك عليك بالنوم المنتظم الكافي المريح ، واذا ما أصبت بالشقيقة او الصداع النصفي فقد يكون سببه الحساسية والا فعلاجه الكافئين والايرغوت Ergot والاسبرين •

واذا ما تجاوزت الاربعين كان لزاما عليه الاقلال من السعرات الحرارية ومعنى ذلك خفض كمية ما تتناولينه من طعام ، والا فان أول اثار التضخم في حجمك يبدو واضحا في العضدين ثم الصدر ويختلف بعد ذلك من امراة لاخرى فقد يبدو في البطن والوركين •

والطب أشد ما يكون يقظة من اجل تدبيك يا سيدتي فهو بالمرصاد لأقل عقدة او تطور غير طبيعي لينتشلك من عدو البشرية الالد : السرطان



- الذين لا يستطيعون ان يتذكروا الماضى ، لابد وان يعودوا الى العيش فيه مرة اخرى !

« جورج سانتايانا »

- حقيقة انا امشي ببطء ٠٠ولكن لم يحدث ابدا اننى مشيت خطوة واحدة الى الوراء ٠

« ابراهام لنكولن »

- عندما تقول انك موافق علىشيء من حيث المبدأ ، فهذا يعنى انه ليس لديك النية اطلاقاعلى المضى فى تنفيذه !

« بسمارك »

- حكمة تلك التي تقول اننا لايمكن ان نشعر بالحب نحو اى انسان ، اذا لم نكن نعرفاننا نستطيع ان نسخر منه او نضحك عليه فى وقت او فيآخر ٠

« اجنس ربليار »

- العطاء هو الشيء الذى يثبت انك المالك الوحيد لاى شيء ٠ فالذى لا تستطيع ان تعطيه هو الذى يتحكم فيك ويمتلكك انت نفسك !

« اندريه جيد »

وليس فى صدرك كما تعلمين عضلات وانما مجرد شحم لين وانسجة لينة فحافظى عليه من التهدل والارتخاء ٠

واظننى فى غنى عن القول بان الكحول عدو الجمال ، فضلا عن الجهاز الدموىوالكبد والكليتين ومعجل بالشيخوخة والهرم ، وان بعض شركات التامين تخصم عادة خمس سنوات من حياة المؤمن على حياته فيما اذا كان يتناول الكحول باعتدال ٠

تجنبى الحركات المفاجئة

وللحفاظ علىصحة قلبك تجنبى الحركاتالمفاجئة العنيفة سواء فى الالعاب أو غيرها ، ولكيلا تتورطى بالانزلاق الغضروفى ليكن ظهرك مستقيما حين تحملين ثقلا وتجنبى التواء الجسم السريع اثناء ذلك ، وللتوصل الى الشيء الذى تريدين حمله اثنى ركبتيك بدلا من احناء ظهرك ٠

وركبتاك معرضتان للمفاجآت. فالتل وخز فيهما قد ينم عن التهاب مفصلى يجب ان يكون الطبيب على علم به ، وقدتسبب زاوية كعب حذائكالعالى التى تحتذينه صداعا والما فى الظهر او الرقبة من دون أن تعلمى السبب فتأملى فى حذائك ، فاكثر النار من مستصغر الشرر ، ولنات الان الى امور أوثق صلة بك وهى العادة الشهرية فاذا ما لاحظت اى تغير او الم او نزيف غير معتاد مع افرازات غير مالوفة فلتكن هذه المعلومات فى اذن طبيبتك فى الحال ، وليس اضر بصحتك وجمالك وشبابك من الحمل عاما بعد عام ، فلا اقل من فاصلة عامين بين حمل وآخر ، على ان تكونى خلال ذلك محفوفة بكل رعاية وعناية ، ولا سيما خلال الحمل ، فيما يتعلقبتزويدك بالفيتامينات والمواد المعدنية والراحة والتمارين الرياضية الخفيفة والعناية باسنانك وصيانتها من التسوس والتلف ، وأرى لزاما عليك أن تخففى من الجهد الملقى على وركيك وبب بتحاشى البدانة والسمنة ولا تهلى عن

■ اجمل ما في الصبر انه يسبب ضيقا وألما للمرء الذى لا يكف عن مضايقتك !

« فرانكلين روزفلت »

■ ما يقوله الالماني المؤمن بالبخت: يجب ان تقف امام الشباك· اما الالماني المؤمن بالمثالية فيقول : يجب ان تجلس خلف الشباك ·

(كورت توخولسكى)

■ عندما يوصف مجتمع ما بأنه جيد فهذا معناه غالبا : أنه موازييك لصور كاريكاتيرية مصقولة ·

(فردريش فون شليغل)

■ الملوك والشحاذون ليسوا بحاجة الى رسائل توصية !

(القيصر فلهلم الاول)

■ اثنان واثنان اربعة ، وهذه النتيجة ثابتة رغم نواح الهواة بانها ثلاثة ونواح النقاد بأنها خمسة ·

(جيمس فستلر)

■ الطلب على الشيء يجعله يزدهر اما امتلاك الشيء فانه يعرضه للغبار والتلف ·

(مارس بروست)

الحمل مسح جلدك بالمراهم والدهونات لان الجلد انذاك في حالة توسع من جراء الحمل ، ولكيما تتحاشى اصابتك بالدوالي عليك بالراحة المنتظمة بين فترة واخرى برفع قدميك ، وعلى الاخص في أيام الحر القائظ ·

بعد الخامسة والثلاثين

واذا كنت قد جاوزت الخامسة والثلاثين فمن المستحسن أن تطلبي الى طبيبتك أن تقوم مرة كل عام او عامين باخذ مسحة من عنق الرحم وفحصها مجهريا للتاكد من عدم اصابتك – لا سمح الله – بسرطان الرحم ، فهذا الاختبار مهم جدا ، حتى وان بدوت صحيحة جميلة معافاة ، فمثل هذا الاختبار يفصح عن وجود اى حجيرات خبيثة لاستئصال شافتها في الحال ، فالسرطان مرض غدار ، بوسع حجيراته أن تبقى كامنة من عشر الى خمس عشرة سنة ، وهذا اختبار بسيط وغير مؤلم وبامكان اى طبيبة ان تجريه لك في عيادتها فاذا وجدت ظواهر غير معتادة ، وليس بالضرورة أن تكون سرطانية ، أجرى لك فحص ثان للتاكد من النتيجة ·

ولم يعد بعد اليوم اى ضرورة لتحمل آلام البواسير بعد انتشار طريقة (لورد) الجديدة الخالية من كل الم ·

واسمحي لى أن اهمس في اذنك أن خير وسيلة للاحتفاظ بصحتك وجمالك وشبابك أن تكوني محبة ومحبوبة من لدن زوجك لان ذلك يساعد المرأة على افراز المزيد من مادة الاويستروجين الطبيعية التى تؤثر على النخاع الشوكي وجهاز الدورة الدموية وخير ما يدلنا على افادتك من هذه المادة البريق المتالق في عينيك والاشراقة الرائعة في وجنتيك ·

اكسفورد / د· صبيحة الدباغ

هذه مجموعة من الاراء والملاحظات والتساؤلات تعالـــج بعض القضايا الحيوية،وتعبر عن وجهات نظر اصحابها فى هذه القضايا •• وعملا بحرية النشر ، فاننا نفسـح المجال لهذه الاراء كما تلقيناها ، بغير حذف أو تعديل •

تقديـر المسيحيين للنبى محمد..

بقلم الدكتور ميجيل دى ايبالثا

الاستاذ بجامعة مدريد

كانت « العربى » قد شهدت مؤتمر قرطبة الاسلامى المسيحى الثانى ، ونشرت فى العدد ٢٢٣ (يونيو ٧٧ ص ٤٠) تقريرا عن أعماله• وهذا المقال يطرح نفس الموضوع الذى نوقش فى المؤتمر (النبى محمد عليه السلام) •• وقد رأينا أن نفسح له المجال لاهمية الموضوع من ناحية ، ثم لان كاتبه من العلماء المرموقين الذين شاركوا ولا يزالون ، فى الجهد الكبير من أجل فهم واع وتقدير انسانى متبادل بين اتباع الديانتين العظيمين : الاسلام والمسيحية•

■ موضوع هذا البحث هو التقدير الايجابى من جانب المسيحيين تجاه النبى محمد رسول الاسلام الكريم فى ضوء التطور الكبير الذى حدث فى هذا الموضوع خلال الاونة الاخيرة ، وهو يعالج ثلاثة عناصر اساسية هى :

× وصف للموقف المسيحى السابق أعنى عدم تقدير المسيحيين للرسول الكريم واسباب ذلك •

× التطور الايجابى وتغير هذا الموقف المسيحى من النبى محمد فى السنوات الاخيرة •

× الخطوة الكبيرة التى تمخضت عن الملتقى الاسلامى ـ المسيحى فى قرطبة •

وسوف اعرض هذا الموضوع من وجهة نظر مسيحية لان وجهة النظر الاسلامية يعرفها قارىء « العربى » اكثر مما اعرف • وساقدم العرض باعتبارى استاذا للتاريخ ولن أتعرض ـ الا فى الختام ـ لوجهة نظرى الخاصة كمسيحى وكاستاذ للتاريخ فى الجامعة ، وكمعجب كبير بشخصية رسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم •

المسيحية ورسول الاسلام

تستطيع ان نقول ان المسيحية بصفة عامة لم تعترف بالقيمة الايجابية لرسول الاسلام الكبير الا فى بعض الحالات الخاصة ، وآسبابهذاالرفض يمكن تلخيصها فى نقاط ثلاث هى : الجهـل والعداء السياسى ، والمبادىء الدينية •

ذلك ان المسيحيين كانوا يعتقدون عند بداية ظهور الاسلام ان محمدا صلى الله عليه وسلم

ليس الا « هرطقيا » مسيحيا على ضلال ، وانه لا يزيد عن أن يكون واحدا من زعماء تلك الطوائف المنحرفة التى شذت عن المسيحية الشرقية فى حدود الامبراطورية المسيحية البيزنطية ، كما كانوا يعتقدون انه من قواد الحروب الغزاة ، مثل العديد من اولئك الذين كانوا يقومون بغزوات منتظمة داخل الامبراطورية عند حدودها الشمالية والشرقية ولم يكونوا من معتنقى الدين المسيحى فى غالبية الاحوال • هذا الجهل الاولى بحقيقة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته دام طوال قرون كثيرة فى العالم المسيحى وخاصة فى اوربا، ويكفى ان نذكر ان كثيرين كانوا يعتقدون ان محمدا كان اسقفا مسيحيا رومانيا تمرد على البابا ، ولكى يثار لنفسه انشا دينا جديدا ضد المسيحية • انه شىء مضحك حقا لكنه يفسر شيئا ما سبب تنكر المسيحيين وعدم تقديرهم لرسول الاسلام الكريم •

ومن ناحية اخرى ، فانه كما يقول الاستاذ « كروث ايرنانث » فى ملتقى قرطبة الاسلامى المسيحى الثانى « ربما لا يوجد صاحب دعوة تعرض للتجريح والاهانة ظلما على مدى التاريخ مثل محمد ، وكذلك لا توجد اية اتهامات اساسها السياسة لا الدين مثل الاتهامات التى وجهت للاسلام » ان الصراعات العديدة والحروب السياسية المتكررة بين البلدان الاسلامية والمسيحية حتى الحروب الصليبية او الاستعمارية الاخيرة كلها حالت دون النظر بموضوعية واحترام الى رسول الاسلام ومؤسس الدين الاسلامى ، ونلاحظ هنا شبه معارضة أو عداء قد تكون عنصرية ولكنها ايضا تفسر الموقف التقليدى الاجتماعى للمسيحية تجاه محمد صلوات الله وسلامه عليه •

وفيما يتعلق بالمبادىء الدينية ، فان من مبادىء الدين المسيحى ان الرسول هو كل من سياتى مبشرا بقدوم عيسى من بعد ، فعيسى هو الوحى الكامل ولا يمكن ان يوجد بعده من يبشر به وليس هناك وحى آخر يتم ورسالته او ياتى مكملا لها •

التطور الذى حدث

وقد بدأ جهل المسيحيين بمحمد صلى الله عليه وسلم وبسيرته يزول شيئا فشيئا وذلك نتيجة للدراسات التاريخية التى قام بها المستشرقون الاوربيون فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، وبرغم الاحكام المسبقة من جانب هؤلاء ضد العرب والمسلمين ، فقد درسوا بموضوعية نسبية المراجع العربية والاسلامية وعرفوا بها الاوساط الاوربية • وقد اجبرهم المنهج العلمى على الاعتراف بالقيم الاسلامية النبيلة وبرسول الاسلام الكريم •

وبما أن الكثيرين منهم كانوا من العقلانيين وضد التعصب الدينى فقد وجدوا رغبة كبيرة فى اصلاح الاخطاء الهائلة عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، تلك الاغلاط التى مايزال يعتقد فى صحتها معظم المسيحيين • لكن يمكن القول الان بان ما يكتب حاليا فى اوربا حول محمد صلى الله عليه وسلم اغلبه موضوعى الى حد كبير ، وليس فيه اخطاء الا فى بعض التفاصيل ، او فى التركيز على موضوع معين •

اكثر من هذا يمكن القول بان هناك مسيحيين اكفاء يعرفون ويكتبون بموضوعية علمية حقيقية عن الاسلام وعن رسوله الكريم• كذلك تغير العداء السياسى المسيحى ضد الاسلام ، فبعد فترة التحرير من الاستعمار صار المسيحيون يقدرون اكثر فاكثر الشعوب الاخرى ويحترمون تقاليدها اعتمادا على مبدأ المساواة بين البشر ، كذلك فانهم اصبحوا يعطون قيمة للحضارات القديمة والجديدة بكل معتقداتها واشخاصها اللامعين الذين اثروا على تاريخ الانسانية •

واكبر دليل على ذلك هذا النص الجديد الذى

نشره الفاتيكان اثناء مؤتمره الثاني ، وهو نص رسمي يدل على تغيير جذري وايجابي تجاه الاسلام وتجاه قيمه الدينية يقول ذلك النص :

« ان الكنيسة تنظر ايضا بتقدير الى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الحي القيوم الرحيم القادر على كل شيء ، خالق السماء والارض الذي كلم الناس والذين يخضعون لاوامره الغيبية بكل حواسهم ، كما خضع له ابراهيم الذي تشيد به العقيدة الاسلامية » . ثم يقول النص : « واذا كانت قد نشات عبر القرون خلافات وعداوات غير قليلة بين المسيحيين والمسلمين، فان المجمع الفاتيكاني المقدس يدعو الجميع الى نسيان الماضي ومحاولة التفاهم المتبادل الصادق والعمل المشترك لنصرة العدالة الاجتماعية والقيم الاخلاقية ولصالح سلم وحرية كل الناس » .

ان هذا النص ايجابي جدا ومع ذلك يلاحظ انه لم يشر البتة الى محمد رسول الاسلام الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

وكان تقدير النبي محمد هو الهدف الذي حاول ملتقى قرطبة ان يحققه .وقدتم تسجيل هذه الخطوة لنبي الاسلام النبيل بعد عامين ونصف العام اعدادا وتحضيرا وتعاونا بين علماء المسلمين والمسيحيين . ورجاؤنا ان تتحقق خطوات اخرى ايجابية كذلك وبالتعاون مع بعضنا وبعض كي يتم التعارف اكثر واكثر على هذه الشخصية الفذة وتقديرها حق قدرها من جانب المسيحيين .

في مؤتمر قرطبة

ومن غير الممكن في مقال كهذا تلخيص قرابة عشرين محاضرة او بحثا قدمها مسيحيون حول المبادىء المسيحية بصورة تساعد على غرس تقدير ايجابي بين المسيحيين نحو رسول الاسلام الكريم . ونذكر بالمناسبة ان نصوص الملتقى بالعربية والاسبانية هي الان في طريقها الى النشر ونتمنى ان تظهر قريبا . وسوف نحاول الان تلخيص بعض الافكار الاساسية حتى نبين كيف امكن تجاوز الموقف التقليدي القديم .

هناك جملة من المواقف والمبادىء تبناها اغلبية المحاضرين المسيحيين ، وذكر بها رئيس الاساقفة الاسبان الكاردينال « تارنكون » بكل ماله من سلطة في خطبته الافتتاحية للمؤتمر ، اذ قال :

« أليس الاصغاء الى ما تقوله العقيدة الاسلامية في محمـــد (في الموضوع) هـو احسن السبل الى الاقتراب بكل مودة واحترام من اخواننا المسلمين حتى في هذا الموضوع الذي كان في الماضي عنصرا للتوتر ؟ أليس فهم ايمان المسلمين بمحمد هو تفهم افضل واعمق لذلك الرجل التاريخي الممتاز ولدوره في تاريخ البشرية الديني ؟ ان تقدير ايمـان المسلمين بمحمد قد يكون ايضا افضل طريق لتقدير قيمه الدينية في حد ذاتها وفي المجال الالهي للنجاة وقد يكون مساعدة لحياتنا العقيدية نفسها » .

وبعد البحث عن الحقيقة والاصغاء الى ما يقوله المسلم في شان رسوله ، هناك موقف اخر اتبعه الباحثون في هذا الموضوع وعليهم ان يتبعوه في المستقبل ، وهو احترام المعتقدات الاسلامية ، هذا ايضا شرط واجب على كل مسيحي كما قال المطران مندريد « على المسيحي ان يعترف بقيم العقيدة الاسلامية التي يعتنقها اليوم مئات الملايين من المسلمين المؤمنين ، هذا شيء هام جدا بالنسبة للمسيحي ، اذ كيف يستطيع ان يقدر الاسلام والمسلمين دون تقدير نبيهم والقيم التي بثها ولا يزال يبثها في حياة اتباعه ؟ » .

واضيف الى هذه المواقف الثلاثة التي هي البحث عن الحقيقة والاصغاء الى قول المسلمين واحترام معتقداتهم موقفا اخر جديدا علينا ان نزرعه في انفسنا بشتى الوسائل هو الاحترام المخلص المتعاطف الايجابي والمودة الكبيرة تجاه

الحقائق الاسلامية ورجالاتها ورسولها وكل مبادىء الاسلام ، وانا اعلم ان هذا ليس بالهين اليسير ولكني اعلم أيضا انه مما ساعدني على فهم الرسول هو انني كنت وما زلت اكن له مودة ومحبة عظيمتين ٠

وقد درست انا في محاضرتي بالمؤتمر كل سيرة محمد صلى الله عليه وسلم كمثل اخلاقي اعلى، ليس فقط بالنسبة للمسلمين بل لكل انسان مستقيم ٠ من اجل هذا كان علينا ان نزيل الاحكام المسبقة السلبية التي يحتفظ بها كثير من المسيحيين الاوربيين ضد جزئيات او احداث سيرة رسول الاسلام الكريم ، وبصفة عامة فقد حاولنا جميعا مسلمين ومسيحيين ان نقدم حياة الرسول كمثل للكمال الانساني الذي يوحي للمسلمين في الحاضر بمجموعة من الاخلاقيات والروحانيات هي اقرب ما يمكن من الكمال حتى يومنا هذا ٠

ولكي يمكن للمسيحيين ان يعرفوا بشكل افضل محمدا رسول الاسلام وتقديره اكثر وتقدير رسالته فانه يتحتم على المسلمين والمسيحيين ان يعملوا معا في اسبانيا وفي اوربا وفي كل بلدان امريكا الناطقة باللغة الاسبانية وبكل الوسائل، وعملنا المشترك تحتمه بصفة خاصة رغبتنا في القضاء على الاحكام المسبقة السلبية لاننا ـ نحن المسيحيين ـ نعرف عقلية مواطنينا ولنا عندهم مكانة ويثقون بنا كثيرا ويحترمون ما لنا من سلطة معنوية عالية ، وعندما يلاحظون احترامنا لمحمد وتقديرنا له فانهم يتخلصون من تلك الافكار الخاطئة التي ترسبت في اعماقهم عبر السنين ، ظلما للاسلام ولنبيه الكريم ٠

مدريد ـ د ٠ ميجيل دي ايبالثا

هل يتحقق التكامل الاقتصادى فى منطقة .. الخليج العربى

بقلم

الدكتور محمود عبد الفضيل

تنص المادة الخامسة عشرة لاتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية « على أنه يجوز لبلدين أو أكثر من بلدان الاطراف المتعاقدة عقد اتفاقات اقتصادية تستهدف وحدة أبعد مدى من هذه الاتفاقية » ٠ وبالتالى فان اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية أجازت نشوء التكتلات الاقتصادية « الاقل شمولا » بين مجموعات متجانسة من الاقطار العربية باعتبارها خطوة على طريق الوحدة الاقتصادية الاكثر شمولا ، ولا شك أن نشوء مثل هذه « التكتلات الاقتصادية الاقليمية » يمليه خليط من الاعتبارات والضرورات الجغرافية والتاريخية والسياسية فى ظروف عالمنا العربى الراهن ٠

قضايا حيوية

وموضوع التكامل الاقتصادى بين بلدان منطقة الخليج العربي يلح على الاذهان منذ فترة ليست بالقصيرة ... فهناك العديد من الظروف الموضوعية المواتية التى تساعد على الطرح الجدى لقضايا التكامل الاقتصادى بين بلدان منطقة الخليج دون ابطاء . كذلك فان قضية التكامل الاقتصادى الخليجي تعتبر قضية حيوية واستراتيجية بالدرجة الاولى على ضوء الحركة السريعة للعلاقات الاقتصادية الدولية والعربية . ولذا فقد بادرت جامعة الكويت بالاشتراك مع الجمعية الاقتصادية الكويتية والمعهد العربي للتخطيط الى عقد ندوة لمناقشة قضايا « التنمية والتعاون الاقتصادى فى الخليج العربي » بمدينة الكويت خلال الفترة من ٢٩ ابريل (نيسان) الى ٢ مايو (آيار) ١٩٧٨ .

وعلى امتداد ثلاثة أيام تمت مناقشة ثمانية عشر بحثا غطت العديد من الموضوعات الهامة والمتخصصة والمرتبطة ارتباطا وثيقا بمستقبل التعاون والتكامل الاقتصادى بين بلدان الخليج العربي . فقد تناولت البحوث ضمن ما تناولت قضايا متخصصة وحيوية مثل « امكانية الاتفاق على سياسة بترولية خليجية مشتركة».«امكانيات تنسيق السياسات النقدية بين دول الخليج » . « امكانيات تنمية الموارد البشرية فى الخليج العربي » . « التنسيق الصناعى بين الدول العربية بالخليج » . « التعاون الخليجي فى مجال الصناعات البتروكيماوية » . « سياسات التكنولوجيا ومجالات التعاون فى الخليج العربي » .

وسنحاول هنا أن نعرض بايجاز القضايا العامة المتصلة بمستقبل التعاون والتكامل الاقتصادى بين بلدان الخليج العربي لاعطاء فكرة موجزة عن الآفاق والابعاد المختلفة لعملية التكامل الاقتصادى بين بلدان الخليج العربي .. على ضوء ما جاء فى الندوة . اذ تمس هذه التصورات مستقبل منطقة حيوية من مناطق عالمنا العربي الذى يعيش فترة حرجة من تاريخه .تموج بالصراعات والتحولات والتى ستغير بلا شك خريطة ووجه التاريخ فى المنطقة العربية لآجال طويلة .

وبموجب التعريف الذى اقرته اللجنة المنظمة للندوة فان منطقة الخليج العربي تتكون من الاقطار العربية الواقعة على الخليج وهى بالتحديد : الجمهورية العراقية ، المملكة العربية السعودية ، دولة الكويت ، دولة البحرين ، دولة قطر ، دولة الامارات العربية المتحدة ، وسلطنة عمان .

القسمات المشتركة

تتميز بلدان الخليج بانها بلدان عربية ذات رقعة جغرافية متصلة تطل على الخليج العربي ويربط بينها تراث تاريخى مشترك فى العادات والتقاليد الاجتماعية ونمط الحياة . وتكاد تتميز بلدان الخليج عن غيرها من المجموعات العربية الاخرى بالتجانس والتقارب الشديد فى مقومات ابنيه الاقتصادية والاجتماعية . فكافة بلدان الخيلج (باستثناء العراق) تجمع بينها خصائص اقتصادية مشتركة عددتها الاوراق المقدمة فى المؤتمر واهمها :

- الدور القيادى الذى يلعبه قطاع النفط فى الحياة الاقتصادية لمجموعة بلدان الخليج اذ تلعب عائدات النفط الدور الرئيسى فى تكوين الناتج المحلى الاجمالى وفى تكوين حصيلة الصادرات وفى تغذية ايرادات ميزانية الدولة .
- سيطرة حكومات بلدان الخليج على الثروات النفطية وبالتالى يعتبر الانفاق العام المحرك الفعال لكافة النشاطات الاقتصادية فى هذه الدول.
- تخلف مستوى نمو القوى الانتاجية فى معظم بلدان الخليج حيث انها تتميز بانها بلدان فى مرحلة تكوين الهياكل الاساسية لاقتصادياتها وتعانى من ضعف وتخلف قطاعات الانتاج السلعى ولا سيما قطاعى الزراعة والصناعة التحويلية .
- اعتماد دول الخليج شبه الكامل فى سد معظم حاجياتها من السلع الاستهلاكية والوسيطة والاستثمارية على الاستيراد من الخارج .

ـ الاعتماد الكبير لبلدان منطقة الخليج على استقدام الايدى العاملة (الماهرة وغير الماهرة) من الخارج .

يضاف الى ذلك تقارب وتشابه القوانين والتشريعات المعمول بها في هذه الدول (باستثناء العراق) . حيث تنهض هذه القوانين على « مبدا حرية التجارة » . والاقتصاد الحر » بصفة عامة . وينعكس ذلك بصفة خاصة في غياب اجراءات الحماية للصناعة الوطنية وانخفاض الرسوم الجمركية المفروضة على الواردات حيث تتراوح نسبتها ما بين ٢٪ ـ ٥٪ . وغياب اية ضرائب مباشرة على دخول الافراد والاعمال . وعدم وجود سياسات للضبط والرقابة على قطاع التجارة الداخلية من خلال سياسات التسعير . وعدم جود اية قيود على تحويل العملات وعلى حرية دخول وخروج رؤوس الاموال .

ويعتبر هـذا التجانس والتقارب في البنية الاقتصادية والاجتماعية . وفي النظام القانوني والتشريعيوفي طبيعة النظام الاقتصاديوالسياسي وعلاقته بالقوى الاقتصادية الخارجية ميزة نسبية بالنسبة لمجموعات اخرى من الدول العربية التي تسعى للتكامل (مثل دول المغرب العربي) حيث تباين النظم السياسية والاقتصادية والتشريعية السائدة في كل قطر يقف كعقبة اساسية في وجه مجهودات التكامل الاقتصادي .

وما دامت هناك تلك السمات والخصائص الاقتصادية المشتركة بين بلدان الخليج العربي ، فان المشكلات التي يمكن لها ان تثور في وجه التعاون والتكامل الاقتصادي بين بلدان الخليج لابد وأن تكون معدوده بالنسبة للمشاكل التييمكن ان تثار في حالة تكتلات اقليمية عربية اخرى . ففي حالة جدية الجهود لن تحتاج هذه الدول الى تغير هياكلها الاقتصادية وتشريعاتها المالية والتجارية بشكل جذري الا في اضيق الحدود . كذلك فانه نظرا لضعف البنية وهياكل الانتاج في بلدان الخليج العربي (باستثناء العراق) فان المشاكل التقليدية التي تعوق اقامة المناطق الحرة والاتحادات الجمركيه لن تثور في حالة بلدان الخليج نظرا لانعدام « الاثر التحويل في مسارات التدفقات التجارية » trade diversion effects والتي غالبا ما تتناقض مع السياسات والمصالح القطرية التجارية والانمائية . ولكن رغم ذلك فان اجراءات تحرير التبادل والتجارة على مستوى بلدان الخليج ستواجه مقاومة من فئات الراسمالية التجارية الاحتكارية الكبيرة المتمركزة في نشاطات الاستيراد والتصدير في كل قطر خليجي على حدة .

مجالات التعاون والتكامل

والسؤال المركزي الذي يجب الالحاح عليه بداءة عند طرح ايةتصور لاشكال التعاون والتكامل الاقتصادي على مستوى بلدان الخليج هو : ما هي النظرة طويلة الاجل لدور ومكان « بلدان منطقة الخليج » في اطار التقسيم العربي للعمل بصفة خاصة والتقسيم الدولي للعمل بصفة عامة . حيث منالصعب طرح أشكال جادةللتعاون والتكامل الاقتصادي على مستوى بلدان الخليج في غياب مثل هذه التصور . وبعبارة اخرى انه قد يكون من العبث طرح تصورات عن مستقبل التعاون والتكامل الاقتصادي الخليجي بمعزل عن حركة المتغيرات الاقتصادية العربية والدولية .

ولذا فعند طرح اشكال وصيغالتكامل الاقتصادي بين بلدان منطقة الخليج العربي لا بد من توافر وضوحكامل للرؤية الاستراتيجية للعملية التكاملية واهدافها البعيده . فان وضوح الرؤية والاهداف المتوسطة والبعيدة المدى للمجهودات التكاملية سوف تكون العنصر الحاكم لاساليب وصيغ والجدول الزمني للمجهودات التكاملية وصولا الى الاهداف المنشودة . وعلى ضوء البحوث المقدمة للندوة تم طرح عدد من المجالات او المحاور الرئيسية التي يمكن ان تدور حولها مجهودات التكامل والعمل

الاقتصادي المشترك على مستوى بلدان الخليج العربي ، واهمها ما يلي :

ـ تنويع مصادر الدخل القومي بغية التخفيض من درجة الاعتماد شبه المطلق للنشاطات الاقتصادية في الدول الخليجية على قطاع النفط وذلك عن طريق البدء ببعض المجهودات التصنيعية في اتجاهين : اتجاه « الاستعاضة عن الواردات » واتجاه « الصناعات التصديرية » القائمة على تصنيع النفط ومشتقاته ٠

ـ تنمية ورفع كفاءة الموارد البشرية عن طريق التوسع في النظام التعليمي وتطوير مؤسسات التدريب المهني والفني ٠

ـ استكمال مشروعات الهياكل الاساسية على صعيد بلدان الخليج (طرق ، مواصلات ، موانيء ، كهرباء ، الخ ٠٠) ٠

ـ انشاء معاهد مشتركة للابحاث العلمية ولتطويع التكنولوجيا المستوردة ٠

ـ القيام بمشروعات اعمار الصحاري ٠

ـ الاتفاق على مشروعات لحماية البيئة والثروة السمكية والمائية في الخليج من التلوث بفعل مصافي التكرير وحركة ناقلات النفط ٠

وفرص تقسيم العمل

وهناك عدد من المستويات المختلفة لتقسيم العمل بين بلدان الخليج العربي ولعل أهم هذه المستويات والاشكال ما يلي :

٭ صيغة المشروعات المشتركة : برزت المشروعات المشتركة بين دول الخليج في مجال الصناعة النفطية بصفة خاصة من خلال مجهودات منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط والاتفاقات الجماعية لهذه الدول ٠ ولذا فان المدخل الجاهز في مجال انشاء المشروعات المشتركة في اطار مخطط للتكامل الانمائي لبلدان الخليج يتمثل في قطاع صناعة البتروكيماويات القائمة على تصنيع مشتقات النفط ٠ وفي هذا المجال تجدر الاشارة الى مبادرة الكويت بالدعوة الى انشاء مجمع للعطريات بالتنسيق مع بقية دول الخليج وذلك لتفادي الازدواجية ٠

ويرى البعض أن هناك ثمة مجال محدود لانشاء المشروعات المشتركة في بعض الصناعات مثل « صناعة الاطارات وقطع غيار السيارات » و « الحديد والصلب » نظرا لوجود حجم معقول من الطلب الفعال على منتجات هذه الصناعة في منطقة الخليج ٠

٭ تقسيم العمل على مستوى الاقطار الخليجية في مجال سوق المال والنقد : يلاحظ انه خلال الفترة السابقة تبلورت بعض المعالم الخاصة لنشاط اسواق النقد والمال في منطقة الخليج مما يحتاج لتنسيق وضرورة الاتفاق على تقسيم محدد للعمل والتخصص في هذه المجالات بين بلدان الخليج منعا للتضارب والازدواجية ٠ فهناك تجربة النشاط البنكي الدولي في البحرين والتي تغلب عليها طابع الاقراض قصير الاجل ، وبداية تكون « سوق مالية دولية » في الكويت ، وظاهرة المغالاة في التوسع في النشاط المصرفي في دولة الامارات والذي غلبت عليه الطبيعة « المضاربية » ٠

كذلك تطرح قضية توحيد النقد على مستوى بلدان الخليج نفسها كقضية حيوية في ظل « ازمة الدولار » واضطراب النظام النقدي الدولي ٠٠ حيث تتوافر بعض المقومات الموضوعية لانشاء « عملة خليجية » مرتبطة بالنفط تلعب دور « الوحدة الحسابية » و « عملية التداول » لتسوية المعاملات الجارية والمدفوعات ما بين بلدان الخليج ٠

البعد الاستراتيجي

ان اية عملية للتكامل الاقتصادي على مستوى بلدان الخليج لا بد وأن تكتسب بالضرورة بعدا استراتيجيا وسياسيا ، فبلدان الخليج لا تشكل فقط وحدة جغرافية ـ وتاريخية متجانسة ومتصلة بل لها هوية جغرافية ـ سياسية محددة في خريطة الصراعات السياسية والاقتصادية الدولية المعاصرة ٠ فبلدان منطقة الخليج العربي تشترك في مواجهة مجموعة من المخاطر والاعتبارات السياسية والامنية

تضيف بالضرورة بعدا استراتيجيا لا غنى عنه لاية عملية تعاون او تكامل اقتصادى بين بلدان الخليج العربى • اذ ان اية مجهودات تكاملية او تنسيقية بين بلدان الخليج لا بد لها من تطوير استراتيجية للعمل المشترك لدرء الاخطار المشتركة التى تهدد بلدان الخليج العربى واهمها : الخطر المشترك الذى تواجهه دول الخليج فيما يتعلق بحماية منابع النفط من التهديد الخارجى ـ ضرورة حماية وتامين حقوق الملاحة فى الخليج العربى ـ مخاطر التفتت والضعف السياسى نتيجة صغر حجم بلدان الخليج العربى جغرافيا وسكانيا (فيما عدا العراق والسعودية) •

واستكمالا للرؤية الاستراتيجية لموقع عملية « التكامل الاقتصادى بين بلدان الخليج » من الحركة العامة للتكامل الاقتصادى العربى ، لا بد لنا من ابراز قضية هامة تتعلق بوحدة المصير العربى المشترك • فرغم ايماننا بان التكامل الاقتصادى بين دول الخليج قضية توازرها كل العقائق والمعطيات الموضوعية ، فان هذه النتيجة على أهميتها ، يتعين أن تقترن بحقيقة موضوعية اخرى لا تقل عنها اهمية الا وهى أن عملية التكامل الاقتصادى بين دول الخليج العربى ينبغى لها ان تكون فى اطار وضمن افق قومى عربى • ان هذه الحقيقة التى اكدت عليها بوضوح ورقة السيد غفار عباس كاظم (من الامانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية) لها نفس القدر من الاهمية والحيوية لكل من مجموعة اقتصاديات الخليج وللاقتصاد العربى فى مجمله •

فرغم ان اقطار الخليج العربى تزخر برؤوس الاموال النقدية وبمخزون هائل من مادة النفط والغاز . فانها فى مقابل ذلك تعانى من نقص هائل فى الايدى العاملة (الماهرة وغير الماهرة) كذلك تعانى من عدم وفرة الاراضى الصالحة للزراعة (اذا استبعدنا العراق) فضلا عن حاجتها الماسة الى التكنولوجيا الحديثة والخبرات التنظيمية والادارية • ففى الوقت الذى تعانى فيه منطقة الخليج العربى من عجز حاد وهيكلى فى الايدى العاملة والموارد الغذائية والخبرات الفنية والتكنولوجية اللازمة لدوران عجلة التنمية،يتوافر لدى الاجزاء الاخرى من العالم العربى فائض نسبى من هذه العناصر الاساسية اللازمة للتنمية• وبعبارة اخرى أن المعطيات الموضوعية تشير ان أية « تكتل اقتصادى » على مستوى بلدان الخليج العربى سوف يعجز عن توفير مقومات « الامن الغذائى»، و«الامن التكنولوجى»و «الامن العسكرى»• ولذا فان « العمل الاقتصادى المشترك فى منطقة الخليج يجب ان يخضع للتنسيق المستمر مع سائر ارجاء الوطن العربى ليجعل من عملية التكامل الاقتصادى بين أقطار الخليج فى المدى البعيد جزءا لا يتجزأ من عملية التكامل الاقتصادى العربى » •

هذا هو ما يفرضه منطق الطبيعة ومنطق التاريخ •• ولكن هناك قوى عديدة (محلية وخارجية) تدفع فى اتجاه تكريس التجزئة وتعميق « الاقليمية النمطية » على مستوى كل قطر خليجى على حدة •• ولذا فان أية دراسة جادة « للاقتصاد السياسى للتعاون والتكامل الاقتصادى الخليجى » لا بد لها ان تحدد ـ بوضوح القوى الاقتصادية والاجتماعية التى لها مصلحة مشتركة باتجاه الوحدة والتكامل وكذلك طبيعة المصالح الاقتصادية والتجارية التى يهمها تكريس الاقليمية والتجزئة • ومن ناحية اخرى أبرزت مناقشات ومداولات الندوة ان اية مجهودات للتكامل الاقتصادى على مستوى بلدان الخليج لكى تنجح لا بد ان يكون وراءها قوة اقتصادية مهيمنة لها مصلحة فى توحيد الاوضاع فى منطقة الخليج •• وهنا توجد دائرة ساخنة للصراع بين ثلاث قوى رئيسية تتنازع حق الهيمنة على مصائر الامور بالخليج العربى وهى المملكة العربية السعودية ، والعراق ، وايران•• ولذا فان الطريق الى التكامل الاقتصادى الخليجى هو طريق شائك مشحون بالصراعات المحلية والدولية •

د • محمود عبد الفضيل

ردا على تساؤلات اكرم زعيتر :

الرنـــدى هو صاحب المرثية

بقلم : محمد عبد الله عنان

فى الرسالة التى بعث بها الاستاذ اكرم زعيتر الى مجلة العربى ، ونشرت تحت عنوان « قضايا حيوية » ، اثار مجموعة من التساؤلات حول مرثية الرندى الاندلسية » لناظمها شاعر رندة الكبير صالح بن شريف ، والظروف التى نظمت فيها ، والاسباب السياسية التى ادت الى احتجابها عصرا عن الانتشار فى الاندلس والمغرب ، ثم قال الاستاذ زعيتر انه سمع من العلامة اللغوى الكبير المرحوم اسعاف النشاشيبى ، ان ناظم هذه القصيدة هو يحيى القرطبى ، وذلك حسبما ورد فى « ريحانة الالباء » لشهاب الدين الخفاجى المصرى الحنفى المتوفى سنة ١٠٦٩هـ •

وانا أعود مرة أخرى فأؤكد بصورة اليقين والحسم ان ناظم مرثية الاندلس هو صالح بن شريف الرندى المتوفى سنة ٦٨٤هـ ، وانه نظمها فى الظروف السياسية الغرناطية التى شرحتها فى مقالي ، ثم حبسها عن الظهور حينا للاسباب والبواعث التى شرحتها كذلك فى مقالى شرحا وافيا •

وانا الخص مرة اخرى الاسباب التاريخية التى تقطع بلا ادنى شك بصحة نسبة القصيدة الى شاعرها الاندلسى أبى الطيب الرندى •

اولا – ان المؤرخ المغربى الحبر ابن عذارى المراكشى ، الذى عاش بالعدوة المغربية فى نفس العصر الذى عاش فيه الرندى ، وكتب تاريخه فى نفس العصر الذى نظمت فيه مرثية الاندلس ، وتوفى فى اوائل القرن الثامن الهجرى ، يقدم لنا النصف الاول من مرثية الرندى منسوبة اليه فى اخر الجزء الثالث من كتابه (البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب) المنشور بعناية العلامة الاسبانى هويثى ميرانده (ص٤٧١) •

ثانيا – ان صاحب كتاب « الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية » ، وهو مؤرخ مجهول يصل فى تاريخه حتى سنة ٦٧٧هـ ، وقد عاش حسبما يبدو من كتابه حتى أواخر القرن السابع الهجرى معاصرا كذلك للرندى ، يقدم الينا المرثية كاملة منسوبة الى صالح بن شريف الرندى (ص١٢٧)

ثالثا – ان أبا العباس شهاب الدين المقرى صاحب « نفح الطيب » المتوفى سنة ١٠٤١هـ يقدم الينا فى « النفح » مرثية الاندلس كاملة ، ومنسوبة الى ناظمها صالح بن شريف ، ويقول لنا انه نقلها « من خط من يوثق له » • وعن كتاب « نفح الطيب » الذى وضعه مؤلفه بمدينة القاهرة، انتشرت مرثية الاندلس فى كثير من الكتب المشرقية•

وتوجد مصادر مغربية عديدة أخرى خلال القرنين العادى عشر والثانى عشر الهجريين ، وكلها تؤكد نسبة القصيدة الى الرندى دون أية ذرة من الشك•

اما ما قيل من ان صاحب كتاب « ريحانة الالباء» شهاب الدين الخفاجي قد ذكر فى كتابه ان الذى نظم مرثية الاندلس هو من يدعى «يحيى القرطبي»، فهو قول لا يعول عليه ، لان الخفاجي وان كان

اديبا عظيما ، فهو ليس مؤرخا ، وكتابه «الريحانة» هو مجموعة ادبية قبل كل شيء . هذا فضلا عن ان الخفاجي توفي في سنة ١٠٦٩هـ متاخرا نحو اربعة قرون عن عصر الرندى ، فهو بذلك كله لا يمكن ان يعتبر حجة تاريخية ، ولا يعتمد على قوله .

ونود ان نختتم هذه الكلمة بالقول بان مؤرخي الغرب الاسلامي (المغرب والاندلس) هم بلا ريب اوثق في رواياتهم واسانيدهم التاريخية ، فيما يتعلق بالغرب الاسلامي ، من المؤرخين المشارقة .

■■

لا تظلموا الحضارة

بقلم

الدكتور رضا عبدالله رماني

لا شك ان كلا منا واجه فيمن حوله او فيما يقرأه،تلك النغمة التي تلعن الحاضر وتحمل العصر مسئولية تعاسة الانسان والامه النفسية والجسدية . ثم تتباكي على « ايام زمان » حيث الرخاء والصحة وراحة البال !

وهذه دعوة ظالمة ، تظلم العصر،وتتجنى على حضارة الانسان بغير وجه حق .

ولنقف امام الامراض العضوية ، التي اتهمت الحضارة ايضا بشان زيادة عددها وتنوعها ..

السرطان والبلهارسيا وجدا في بعض المومياءات المصرية ، كما ان مرض السكرى قد وصف في اوراق البردى الفرعونية . وهذا دليل على ان الامراض الحالية كانت موجودة ومنتشرة لكن العلم الحديث فقط بلور هذه الامراض عن طريق تشخيصها بالوسائل الطبية المختلفة . كما بات مدى انتشارها معروفا لدى الناس عن طريق علم الاحصاء مما خلق الاحساس العام بان الامراض العضوية في هذه الايام كثيرة و منتشرة في حين انه لم يكن هناك علم للاحصاء في العصور السابقة ليوضح مدى انتشار الامراض . ولا اظن ان احدنا لم يجتمع في مجلس كان الحاضرون فيه يتباكون على ايام زمان حيث لا امراض الا السخونة والصداع !

ولنعد الان للامراض النفسية ..

ان من اهم اسباب الامراض النفسية هو الصراع المستمر بين رغبات الانسان وطموحاته وبين البيئة والمجتمع . كما ان الدور الوراثي بمعنى وجود الجينات التي تنقل المرض بين الابوين الى الابناء لا يتغير تقريبا على مر الاجيال . ودور تغيير البيئة انها قد تكشف المرض الوراثي ولكنها لا تسببه وبالتاكيد كان ذلك موجودا لدى الذين سبقونا ، والا فما معنى كل تلك الحروب والمنازعات . كما ان هناك امراضا نفسية موجودة في بعض المجتمعات الاقل حضارة مثل الـ Amok الموجودة في جنوب شرق اسيا . كذلك فان الاعراض الهستيرية الجسدية مثل فقدان الكلام والشلل الهستيري موجودة في المجتمعات الاقل حضارة ، وغير موجودة في المجتمعات المتقدمة الا في طبقاتها الفقيرة والمتخلفة . ايضا فان الانسان المتحضر ـ انسان حر ـ يعبر عن

نفسه حين يريد وكيف يريد ـ ويختار الصديق والعمل ٠٠٠٠ الخ والتعبير يجعل كل شيء واضحاً بعكس الانسان المتخلف ـ الذي يعيش تحت طائلة دور عليه ان يلعبه فهو مرتبط بعائلة وبيئة احب او لم يحب . وليس له الحق في ان يعبر عن مشاعره وبالتالي تبدو مشاكله النفسية غير واضحة او غير موجودة على الاطلاق . وايضا قد يعبر عن امراضه النفسية ومشاكله بالشكوى عن اعراض جسدية مثل الم القلب والراس والكبد . وهذه الشكاوى كثيرة في المراة العربية خصوصا حينما ينظر اليها على انها وسيلة وطريقة للانجاب وليس كائنا محترما له حقوقه وواجباته.

اذا لماذا تبدو الامراض النفسية وكانها منتشرة اكثر هذه الايام ٠

لقد كان نظام العائلة والقبيلة في السابق يتيح للعاجزين عضويا او نفسيا الاحتماء بباقي اعضاء القبيلة . والذين يوفرون له ماكله ومشربه ومسكنه ٠ في حين ان نظام الحياة الحديثة يفضح حالا كل من لا يقدر على العمل بسبب اى مرض سواء كان نفسيا او عضويا ٠

ولذلك يمكن القول ان الحضارة الحديثة فقط كشفت كل من لديه استعداد للاصابة بالامراض النفسية ولكنها لم تسببها . وكدليل على ذلك نذكر ان نسبة الاصابة بمرض الفصام الشخصية (٩٪) ثابتة في جميع البلدان بغض النظر عن مستواها الحضارى ٠ كذلك وجد ان معدل الانتحار ومعدل الدخول في مستشفيات الامراض النفسية والعصبية قد قل في بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية عنه في الايام العادية ٠

ايضا كانت امراض القلق والخوف بين اليهود المعتقلين في معسكرات التجميع النازية بنسبة اقل اثناء اعتقالهم عنها قبل او بعد ذلك . بالرغم من ان الحرب بالنسبة للانجليز في الحالة الاولى او معسكرات التجميع بالنسبة لليهود في الحالة الثانية كانت تشكل مصدرا كبيرا للضغوط النفسية ٠

لقد كانت الامراض النفسية موجودة ومنتشرة في السابق ولكنها كانت تفسر احيانا على انها «عفاريت» واحيانا اخرى على انها عقاب من عند الله ٠٠٠ بل احيانا اعتبر من اصيب بها قديسا كجاندارك مثلا ٠٠ ولا يزال الفلاحون في القرى المصرية يعتقدون ان مرضى الصرع على اتصال بالله سبحانه وتعالى ٠

وقد يصاب الانسان السوى بنوع من القلق في الايام الاولى . كلما غير بيئته كالدراسة او العمل في الخارج ٠ لكنه مع الايام يتاقلم مع الوضع الجديد . بينما يصاب بمرض نفسي من لديه استعداد بذلك لنفس الاسباب . وبالمناسبة فانه يوجد في امريكا اخصائيون نفسيون لمعالجة الكلاب نفسيا . فهل يعني ذلك ان كلابنا اعقل من كلابهم

وما اريد ان اصل اليه هو ان الوسائل العلمية كشفت فقط عن الامراض العضوية منها والنفسية التى كانت موجودة وغير معروفة في الماضي ٠

اخيرا . فانني احب ان اضع هذه التساؤلات امام الذين يتباكون على الماضي ويلعنون الحضارة الحديثة :

١ ـ من المعروف ان انتاج الامة يزيد كلما ارتفع مستواها الحضارى فكيف يتفق ذلك مع قولهم ان الحضارة تخلق كثيرا من الامراض النفسية

٢ ـ تامل القوانين التى تنظم الدولة الحديثة ـ كم هي وكيف تعطي لكل ذى حق حقه فهل معنى ذلك ان عصور الحكم الفردى كانت اكثر عدلا ٠٠ هل تحديد الواجبات والحقوق يجعل الحياة اكثر تعقيدا أم اكثر وضوحا ٠

٣ ـ ثم انظر الى الزراعة وكيف ادخلت عليها الاساليب المعقدة للوراثة والتلقيح وطرق الرى بحيث صار انتاج الفدان اكثر من الضعف ٠ وقس على ذلك كثيرا من فنون الحياة الحديثة والتى هي اعقد بكثير من سابقتها لم اجبني ٠٠٠٠

كيف اتهمت الحضارة بخلق الامراض النفسية ٠

البحرين ـ د ٠ رضا رماني

ركن الاسرة والمرأة



رحلة مع الذكريات والندم !

بقلم : منير نصيف

« قفص » الزواج ‥ لماذا يحاول البعض منا ان يهرب منه ؟

وهل هو حقيقة سجن كما يقولون ؟ واذا كان كذلك . فلماذا يسعون اليه ؟

وما اكثر ما قيل فى هذا « السجن » ! ولكنه سجن من نوع غريب ‥ فالذين يقفون خارجه يريدون أن يدخلوه ‥ والذين دخلوه يريدون الخروج منه ! ! وهو قول قديم مشهور ، ولعله يعبر بصدق عن طبيعة التجربة التى مر بها الملايين من الرجال والنساء ويمرون كل يوم !

ولكن ما مدى صحة هذا الكلام ‥ والى اى حد ينطبق على هذه التجربة اليوم . وهل تغيرت الصورة ؟

ما هى القصة ‥ وما هو السبب الذى دفعنا الى التوقف عند باب هذا السجن الكبير ، لنقف على بعض جوانب هذه المشكلة ، ونتعرف على الاسباب التى تحول معها هذا «العش» الهادئ الجميل الذى بذل الاثنان فى سبيل بنائه كل ما يملكان ، واكثر مما تسمح به قدراتهما ، من اجل ان ينعما فيه برحلة العمر معا ‥ ثم اذا بهما او باحدهما يهدم العش على من فيه وكان شيئا لم يكن !

السبب ، احصائية نشرت اخيرا ، وهى تتحدث عن هذه الظاهرة الخطرة ‥ ظاهرة الطلاق ، وكيف انها تفشت بصورة مخيفة فى السنوات الاخيرة !

هل هى مشكلة حقيقية ؟

واسباب الخلافات التى تنشا بين الزوجين وتؤدى فى النهاية الى « ابغض الحلال عند الله » كثيرة ومتعددة ! والاهم من هذا انها تبدا صغيرة، ثم لا تلبث ان تكبر وتكبر مع الايام حتى تصير مشكلة ‥ والاغرب من هذا انها حتى بعد انتصبح مشكلة نجد ان حلها ابسط مما كان الزوجان يتصوران ، لو انهما توقفا عندها بعض الوقت وراحا يستعرضان اسبابها ويحاولان ان يبحثا معا الحلول التى قد تتطلب فى بعض الاحيان قدرا يسيرا من التضحية او التنازل عن شيء بسيط من « الكبرياء » او « الكرامة » او حب النفس ! وهى صفات ثلاث المفروض ان تذوب فى الزواج ! ولكن

هي طبيعة الانسان في غضبه وفي عناده .. وهي اقوى عند الرجل منها عند المرأة ، كما يقول ليونارد ليبونز في كتابه « علامات على الطريق »! انها قصة من واقع الحياة ، رواها لي صديق وقد حرص على الا يغوص فيها عن الاسباب بقدر ما يحدثنا عن النتائج ! فهو يروى لنا تجربة زوج طلق امراته بعد سبع سنوات من زواج كان سعيدا، اعطته خلالها ثلاثة اطفال . لماذا ؟ لانه اكتشف بعد هذه السنوات الطويلة انه لم يعد «حرا» .. وأن زوجته وبيته وأطفاله قد أخذا منه «الحرية» التي كان يتمتع بها قبل ان يتزوج !

البداية واحدة

لقد حزم حقيبة ملابسه .. وترك البيت ورحل.. ذهب ليقيم في فندق صغير لا يفصل بينه وبين مقر عمله غير مسافة قصيرة يقطعها على قدميه في الصباح والمساء !

والقى برأسه التي هدها الفكر على الفراش ، وحاول ان ينام .. فقد كان لا بد له ان يذهب الى عمله في الصباح في الشركة الكبيرة التي بدأ فيها عمله صغيرا ، ثم اخذ يرتقي درجات السلم حتى اصبح واحدا من اكبر واكفأ المهندسين الذين تفاخر بهم .. واغمض عينيه ، وما كاد يستسلم للراحة والنوم .. حتى قفز من فراشه مذعورا.. اين انا ؟ ما هذا المكان الجديد ؟ وتذكر .. وقال يحدث نفسه : « غدا سوف اعتاد حياتي الجديدة! هكذا البداية ، دائما صعبة !

وحاول ان يعود الى النوم مرة اخرى .. ولكنه هرب منه .. ولم يجد مفرا من ان يرتدي ملابسه، ويخرج الى الشارع ، لعله يعود بعد نزهة قصيرة افضل حالا واكثر استعدادا للنوم !

وخرج .. وعاد .. ولكنه فوجيء يقضي الليل ساهرا مع الكتاب الجديد الذي اشتراه في نزهته !

وفي الصباح ذهب الى مكتبه .. وكان طبيعيا ان يثير منظره وتصرفاته دهشة زملائه .. لم يكن كعادته ابدا ، كان خاملا زائغ العينين ، لا يستطيع ان يجمع فكره .. وسالوه ، ولكنه لم يجب ! لقد صمت واذهله هذا التطور الذي حدث لشخصيته .. صمت ! ؟ ومتى عرف الصمت وهو الذي كان يجد لكل سؤال جوابا .. لا يهم كيف كان يجيب على اسئلة زوجته .. ولكن المهم انه كان يعرف دائما كيف يسكتها عندما يشتد الخلاف بينهما على اى شيء وعلى كل شيء !

واخيرا عرفوا منه الخبر .. لقد طلق زوجته.. واختفت الصورة التي كانت على مكتبه بعد مجيء الطفل الاخير ببضعة اشهر .. فقد حملها في هدوء ووضعها في درج مكتبه !

اين ذهبوا ؟

ومرت بضعة اسابيع . وفي مساء احد الايام خرج يمشي كعادته قبل ان يعود الى غرفته بالفندق ، فقد فشل حتى الآن في العثور على شقة خالية وسط ازمة السكن المزمنة في المدينة ، وقادته قدماه ، دون ان يشعر الى البيت ، الذي تركه هاربا منذ اسابيع قليلة .. وتسمر في مكانه .. لقد وجد البيت غارقا في الظلام .. اين ذهبوا ؟ ماذا حدث ؟ ان المبلغ الذي يدفعه لاطفاله وامهم يكفيهم ويزيد .. فما الذي دفعها الى ترك البيت . هل يمكن ان يكونوا قد ذهبوا في زيارة لبيت احد من اصدقائهم .. ولكن ما الذي يهمه الآن ؟ ألم يكن هو الذي اختار ان يهجر هذه الحياة التي بداها مع الفتاة التي احبها فاختارته دون سائر الرجال .. ماذا يهم الان..سواء تركوا البيت ام لم يتركوه !

وهم بالعودة من حيث جاء ! ولكنه لم يستطع.. ووجد نفسه ، دون ان يشعر يتجه الى بيت الجيران ويدق الباب ! وخرجت السيدة التي كانت صديقة لزوجته منذ ان اختارا البيت الصغير « عشا » لهما بعد الزواج .. وحيته بحرارة ، وسالته ، وهي تبحث بعينيها حوله : « متى عدتم .. اين زوجتك .. كيف امضى الاطفال العطلة ! »

ولم يكن في حاجة بعد هذا الى ان يسال عن شيء .. لقد فهم كل شيء .. انها لم تنشر الخبر على الناس ، كتمت سرها حتى عن اعز صديقاتها واقربهن اليها .. وحملت اطفالها ، وذهبت .. ولكن الى اين ؟

واستدار بسرعة ، وابتعد .. والسيدة ما زالت واقفة في مكانها ، تحدث نفسها : «ما الذي دهاه»

الذكريات تعود

وفى تلك الليلة ، ولاول مرة منذ ان هرب من نفسه ومن حياته ومن البيت الذى كان يبنى فيه مع زوجته مستقبل هذه الاسرة •• لاول مرة وجد نفسه يقف ويفكر ويتذكر •• لماذا فعل ما فعل ؟ ترى اين هم الان ؟

الم يكن ممكنـا ان تستمر حياته مع زوجتـه واطفاله ؟

وسرح بفكره بعيدا بعيدا •• لقد كان يحبها•• وكانت هى ايضا تحبه •• وابتسم وهو يذكر صرخة طفلهما الاول ، ثمرة حبهما الاولى •• كانت اسعد لحظة فى حياته ، عندما خرج الطبيب ليشد على يده ويزف اليه النبأ السعيد •• ثم جاءت الطفلة الثانية بعد عامين من وصول شقيقها •• كانت صورة طبق الاصل من امها •• نفس العينين •• ونفس الابتسامة •• لقد كانت الام ترى فيهـــا نفسها فى طفولتها •• كانا من الممكن ان يتوقفا عن انجاب مزيد من الاطفال •• ولكن شاء القدر ان يرزقهما بطفل ثالث •• ومع وصول هذا الطفل الاخير بدأت المتاعب والمشاكل !

الشر •• والخير

ولكن اية مشاكل ؟ وحاول ان يتذكر مشكلة ولكنه فشل تماما ! هل هذا معقول •• لقد تهدم البيت بسبب هذه المشاكل •• والآن لا يستطيع ان يتذكر شيئا منها •• الى هذا الحد كانت من الصغر ولكن كيف كبرت ؟

يقول ايمرسون : « ان الشر هو النواة الوحيدة التى يمكن للانسان ان يراها بالعين المجردة ، اما الخير فهو يحتاج الى عدسة مكبرة ! »

والشر فى العيون وفى الكلام وفى التصرفات التى تصدر عنا ، فى بعض الحالات تكون متعمدة ، وفى معظم الحالات تاتى عفوا دون ان ندرى ،ودون ان ندرك النتائج التى سوف تترتب عليها !وعندها يكون الندم •• اما الخير فمكانه دائما فـــى القلوب !

وعاد الى ذكرياته معها •• الغريب انه لم يعد يجد فى رأسه سوى تلك الصورة الحلوة التىعاشها معها ومع اطفاله •• كيف التقيا •• كيف تحابا وتواعدا على الزواج •• كيف كان والدها يعارض زواج ابنته فى هذه السن المبكرة لانها لم تكمل بعد تعليمها الجامعى ! ثم جاءت اخيرا لحظـــة الانتصار الكبير ، عندما عرف كيف يتغلب على كل الصعاب ويتزوج الفتاة التى اختارها قلبه !

ولكن اين هى الان ؟ وتمنى فى تلك اللحظة ، لو انها كانت تقف امامه ، لياخذها بين ذراعيه ويقول لها « تعالى نبدأ من جديد يا حبيبتى•• سامحينى ، فقد اخطأت فى حقك •• وفىحق اطفالنا الابرياء ! »

واحس بالدموع تملأ عينيه •• ليته يعرف اين هى !

ولم تطل حيرته •• لقد عرف كل شيء •• لم تعد الزوجة تحتمل العيش فى البيت مع اطفالها•• ومع الذكريات••فقررت ان تذهب الى بيت والديها فى المدينة التى تركتها وراءها بعد ان امضتفيها اجمل سنى صباها ! وقررت ان تعود من جديد الى دراستها التى قطعتها منذ سبع سنوات ••وتركت اطفالها الصغار فى رعاية امها •• وبدأت رحلتها الجديدة فى الجامعة !

حنين المرأة

وكانت تعود الى الماضى بين الحين ودون ان يشعر بها احد •• كانت تذهب الى شقتها التى قضت فيها تلك الرحلة القصيرة مع والد ابنائها الذى آثر انهرب••وتمضى بضع ساعات مع نفسها ومع الذكريات •• ثم لا تلبث ان تستقل القطار عائدة الى حياتها الجديدة !

ولكن ليس من اجل هذا وحده قررت ان تحتفظ بالبيت وبكل شيء فيه •• وانما هى ابقت عليه لانها سوف تعود للاقامة فيه بعد ان تكمل تعليمها الجامعى ويكبر الاطفال ويذهبون الى المدرسة ثم تبحث لنفسها عن عمل تملأ به الفراغ وكانت تجد فى تلك اللحظات القصيرة التى تقضيهـا مـع الاشياء التى جمعوها معا ، عزاء كبيرا •• كانت ترى فيها كفاح سبع سنوات مع الرجل الذى احبته واعطته اجمل شيء تقدمه الزوجة لـزوجها •• ثلاثة اطفال ، كانوا ومازالوا ثمرة حب لاتعرف

حتى الان ، لماذا وكيف وصل الى نهايته بهذه السرعة !

ندم وحسرة !

واستمرت العجلة في دورانها .. ايام تمر ، فلا تزيده الا ندما وحسرة ! وكان الحنين يستبد به كثيرا .. انه يريد ان يرى اطفاله .. يريد ان يرى زوجته .. ولكن كيف ؟

وذهب اليهم .. ووقف امام باب البيت الذى يعرفه .. بيت الاسرة التى تقدم يطلب يد ابنتها عندما كان مهندسا صغيرا مازال فى بداية الطريق ولكنه لم يجرؤ على ان يتقدم خطوة واحدة اخرى .. كيف سيواجه والدها ؟ ماذا يقول لأمها التى اعطته أجمل وأثمن ما عندها .. اعطته قطعة منها ، ليحميها ويرعاها ، ثم اذا به يدوس بقدمه على الزهرة ، ويمضى فى الطريق وحده ، مع الاشواك !

وعاد من حيث اتى .. عاد الى شقته الجديدة والى عمله .. وحاول ان ينسى .. وما اكثر ما يمكن ان يصنعه الزمن لكل من يريد ان ينسى .. وما اسهل ما ينسى الرجل ! وقرر ان يبدأ التجربة من جديد .. وكان قراره هذا اعترافا بينه وبين نفسه ، بشوقه الى « القفص » الذى دخله بقدميه، ثم تصوره سجنا ، ما لبث ان هرب منه .. وهاهو الان يسعى الى الدخول اليه من جديد .

وتزوج .. ورزق بطفلة !

ومرت الاعوام .. اعوام طويلة وكبر اطفاله من زوجته الاولى .. والتحقوا بالجامعة ! !

وفى احد الايام كان يقرأ صحف الصباح ، وهو يتناول افطاره مع زوجته الجديدة وابنته منها.. وفجأة سقطت الصحيفة من يديه ! .

ــ ماذا حدث ؟

ــ لاشىء .. لاشىء .. تذكرت اننى يجب ان اذهب فورا الى مكتبى .. ان لدى اعمالا هامة لابد من انجازها اليوم ! وهرول الى الخارج .. لقد ترك الصحيفة على مائدة الطعام ، حتى لا يثير الفضول .. واسرع يشترى نسخة اخرى .. وفتح الصفحة التى كان يقرأها .. ووقف امام صورتها يتأملها .. هى بلحمها ودمها .. ابنته التى تركها طفلة .. واحس بالدنيا تدور به..ما اعجب الشبه بينها وبين امها .. انها هى نفسها فى شبابها ، تقاطيع وجهها الدقيقة الجميلة .. شعرها الاسود الناعم .. ابتسامتها الحلوة التى كانت اول ماشده اليها .. هل يمكن ان تتكرر صورة الام بمثل هذا الشبه الغريب !

لقاء

وراح يقرأ الخبر تحت الصورة .. لقد نجحت الفتاة بتفوق ، وتخرجت فى كلية الحقوق ،وقرروا ايفادها فى بعثة لاتمام دراساتها العليا فى الخارج .. وهى اليوم ضيفة اساتذتها فى حفل يقيمونه تكريما لها قبل سفرها ..

وراح يعد الساعات .. حتى حان موعد الحفل اخيرا .. وذهب .. ذهب وحده وراهم جميعا.. الأم وولديها الاخرين يجلسون فى الصف الاول.. اما هو فقدكان بين الجلوس فى الصفوف الاخيرة..

واخيرا ظهرت ابنته .. وقفت تلقى كلمة تشكر فيها اساتذتها وتودع زميلاتها وزملاءها ، وحس برعشة تسرى فى بدنه كله ! وارتفعت الايدى تصفق للفتاة وتقدم الجميع لتهنئتها !

وجاء دوره .. فى اخر الطابور الطويل بعد ان انصرف الجميع الى القاعة المجاورة لتناول الشاى.. ومد اليها يده مصافحا ، واحست باصابعه ترتجف .. ولم يقدم لها نفسه .. واسرع يقول لها : « ما اسعد والديك بك يا ابنتى ! » قالها وهو يتمنى لو انه ضمها الى صدره وراح يمطرها بقبلاته !

قالت : « نعم .. كنت اتمنى ان يكون ابى معنا الليلة .. ولكنه رحل منذ زمن طويل .. عندما كنت طفلة صغيرة فى الخامسة !

ــ رحل .. الى اين ؟

لا ادرى .. ولا احد يدرى .. حتى امى نفسها ! »

واستدار بسرعة .. وخرج من القاعة مهرولا !

وجاءه صوتها من بعيد وهى تدعوه لتناول قدح من الشاى ! ولم يرد .. ولم يلتفت اليها .. فقد كانت عيناه مليئتين بالدموع ! ■■

منير نصيف

الحال من المجرور ، والمبتدأ ، والخبر

بقلم : محمد خليفة التونسى

الحال من الاسم مجرورا بالاضافة

وتأتى الحال كذلك من الاسم المجرور بالاضافة (اى من المضاف اليه) وشواهده كثيرة :

١) ففى القرآن الكريم : « ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا » فكلمة « ميتا » حال من « اخيه المضاف اليه ٠

٢ ـ ٣) وفيه « ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا » و « اليه مرجعكم جميعا » فكلتا الكلمتين « اخوانا » و « جميعا » حال من ضمير الغائبين « هم » قبلها ٠

٤) وفيه « اتبع ملة ابراهيم حنيفا »(وقد تكررت ثلاث مرات) ،وفيه أيضا «اتبعوا ملة ابراهيم حنيفا» فكلمة « حنيفا » حال من « ابراهيم » المجرور بالاضافة ٠

٥) ومن الشواهد الاخرى قول الشاعر الجاهلى سلامة بن جندل :

تقول ابنتى : « ان انطلاقك واحدا
الى الروع يوما ـ تاركى لا ابا ليا »

(اى ان ذهابك وحيدا الى الحرب سيتركنى بلا أب) فكلمة « واحدا » فى البيت حال من الضمير « كاف المخاطب » المجرور بالاضافة ٠

وللنحاة فى مجيء الحال من المضاف اليه شروط معتسفة يوجبونها فى المضاف على غير تمييز بين الاحوال ، ومن هذه الشروط ان يكون المضاف جزءا من المضاف اليه (كما فى « ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا » فان المصدر جزء من صاحبه) او يكون المضاف بمنزلة الجزء من المضاف اليه ٠

ويؤيدنا فى رفض هذه الشروط المعتسفة سيبويه صاحب اقدم الكتب الباقية واصلها ، وابو على الفارسى وهو من افقه شيوخنا بالمسائل النحوية ، والقبهم بصيرة فى الاساليب العربية ٠

ومن الامثلة التى انكرها بعض النحاة على ابى على الفارسى « جاء غلام هند ضاحكة » ولا مسوغ لهذا الانكار لان المعنى واضح ، ولكن المعنى يكون اشد وضوحا لو كانت الحال جملة ، فنقول « جاء غلام هند وهى تضحك » وحيث تيسر وضوح المعنى جاز ان تاتى الحال مفردة كما فى قولنا « سقط سلاح اللص هاربا » و « فتح مكتبك غائبا » و « وقعت كتب المدرس منحنيا »

ومهما يكن فان الحال من المضاف اليه تكون واضحة اذا كانت جملة ، وقد تحتاج الى تامل اذا كانت مفردة ، وهى اقل وضوحا اذا كانت شبه جملة ، فالافضل اتباع الوضوح ، لان الكلام للافهام لا للابهام ٠

والخلاصة هنا ان الحال ـ كما تاتى من الفاعل او المفعول به احدهما او كليهما تاتى من المجرور سواء كان جره بالاضافة او بحرف جر اصلى او زائد ، فتقول ، كتبت بالقلم جافا و « بالقلم جافا كتبت » و « لا تحارب بالسيف مفلولا » و « مررت على بيت الحارس نائما » و « كفى بك صديقا » وتاتى من نائب الفاعل مثل « ضبط اللص متلبسا بجريمته » وتاتى من الفاعل والمجرور معا ، مثل « جلست الى اخى مسرورين » ومن المفعول بـه والمجرور معا ،مثل «رايت ليلى مع هند مسرورتين» كما تاتى من المجرور بحرف الجر مستتانا به ،

مثل « يا لخالد قائدا ، ليدفع عن قومه » او مستغاثا له مثل « يا للايتام ضعافا » ، او متعجبا منه « يا لعنترة لاعبا بالسيف » ، كما تاتي من المجرور بالاضافة في مثل هذه الاحوال ايضا ، ومثال ذلك مستغاثا به « يا لشجاعة خالد قائدا ، كي يدفع عن قومه » ، ومستغاثا له ، مثل « يا لضيعة الايتام ضعافا » ، ومتعجبا منه مثل « يا لبراعة عنترة لاعبا بالسيف » .

الحال من المبتدأ ، والخبر

هذا بعض ما جمعناه من الشواهد على ان الحال تاتي من المبتدأ :

١ ــ في القرآن الكريم « له الدين واصبا » فكلمة « واصبا » (١) حال من المبتدأ « الدين » وشبه الجملة « له » خبر مقدم .

٢ ــ وفيه « لله الامر من قبل ومن بعد » فشبه الجملة « من قبل » ومثله « من بعد » حالان من المبتدأ « الامر » فكان العبارة « لله الامر متقدما ومتاخرا او « سابقا ولاحقا » .

٣ ــ من اقوال الامام علي ــ كرم الله وجهه ــ حين الح عليه انصاره ان يتقبل بيعتهم له بالخلافة: « انا لكم وزيرا خير لكم مني اميرا » (٢) فكلمة « وزيرا » حال من المبتدأ « انا » (٣)

٤ ــ من رواية المبرد في كتابه « الكامل » قول جرير هاجيا الاخطل وقومه بني تغلب :

لا تطلبن خئـولة في تغـلب
فالزنج اكرم منهم اخـوالا (٤)

فكلمة « اخوالا » حال من المبتدأ « الزنج » كانه قال : « الزنج اخوالا اكرم من تغلب » وهذا البيت من الشواهد النحوية .

٥ ــ وللشاعر الاموي ذي الرمة ــ مطلعا لقصيدة ينسب فيها بصاحبته « مية » ــ قوله :

لمية موحشا طلل
يلـوح كانـه خلـل

فكلمة «موحشا» حال من المبتدأ بعدها « طلل » (والبيت من الشواهد النحوية على ان الحال تاتي احيانا من النكرة) .

٦ ، ٧ ــ ومن الشواهد النحوية « يا جارتنا ، ما انت جارة » و « الطريق امامك واسعا » فكلمة « انت » مبتدأ ، و « جارة » بعده حال منه ،وكذلك « واسعا » حال من « الطريق » .

٨ ، ١١ ــ وهذه اربعة شواهد نحوية من كتاب سيبويه «هذا بسرا أطيب منه رطبا» و «لك الشاء: « شاة بدرهم » : والشاء لك : شاة بدرهم (تعرب كلمة « شاة » هنا حالا منصوبة من المبتدأ « الشاء ») (سواء تاخر عن خبره او تقدمه) .

والشاهد الرابع « الشاء لك : شاة بدرهم » ــ برفع كلمة « الشاء » على انها مبتدأ ، و «بدرهم» خبره، وجملة المبتدأ والخبر هي الحال من «الشاء».

١٢ ــ ويقول شاعرنا الحكيم المتنبي :

« والغنى في يد اللئيم قبيح
قدر قبح الكريم في الاملاق »(٥)

فشبه الجملة « في يد اللئيم » حال من المبتدأ « الغنى » .

ومن هنا يظهر الصواب في قولنا مثلا « الزهاوي شاعرا » و « ابن سينا فيلسوفا » و « عبد الرحمن

---

(١) « الواصب » هنا : الواجب الدائم (انظره وصب » في « أساس البلاغة » للزمخشري)

(٢) هذه العبارة خاتمة الجزء الاول من شرح نهج البلاغة للاستاذ الامام محمد عبده رحمه الله.

(٣) في العبارة حال أخرى « اميرا » جاءت من ياء المتكلم بعد حرف الجر « مني » وهذا شاهد على مجيء الحال من المجرور ، وسيرد مثلها هنا ، كما ورد مثلها في المقالة السابقة (العدد ٢٣٣) .

(٤) لو أعربنا « أخوالا » هنا تمييزا لفسد المعنى (انظر الكامل للمبرد ٢٣٤/١ طبعة المكتبة التجارية بالقاهرة سنة ١٣٥٥ هـ) .

(٥) لا يكون الكريم قبيحا بسبب املاقه ، ولكن الاملاق (الفقر) هو القبيح ، وهو أقبح ما يكون اذا ابتلي به كريم ، فكان المتنبي يريد أن يقول « قدر قبح الاملاق عند الكريم » ولكن الشاعر ــ معتمدا على وعي السامع ــ يتصرف في الكلام مادام المعنى واضحا ، ولو بعد تأمل (ويلاحظ ــ من الناحية الشكلية في بيت المتنبي ــ ان قوله في « الاملاق » حال من الكريم المجرور قبلها بالاضافة ولو جعلناها حالا مفردة لصارت الجملة :« قدر قبح الكريم مملقا » .

شكري ناقدا » اذا جعلنا كلا من هذه الجمل عنوان مقالة أو كتاب مثلا ، لبيان قدرة كل منهم وآثاره : الزهاوي في الشعر ، وابن سينا في الفلسفة ، وعبد الرحمن شكري في النقد •

كما انه من الصواب أن يقال مثلا : « العقاد كاتبا أشهر منه شاعرا » و « طه حسين كاتبا خير منه شاعرا » و « خليل مطران شاعرا أعظم منه كاتبا » •

وكثير من كبار معاصرينا المشتغلين باللغة والادب ينكرون أمثال هذه التراكيب ، ويخطئونها • وانهم في هذا مخطئون • (وقد نعود بعد لبيان أسباب التباس الامور عليهم وعلى غيرهم في هذا الباب) •

الحال من خبر المبتدأ

والشواهد على مجيء الحال من الخبر كثيرة ، نكتفي منها بما يأتي :

١ ـ في القرآن الكريم : هذا بعلي شيخا فكلمة « شيخا » حال من الخبر « بعلي » •

٢ ـ وفيه «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق » فجملة « ينطق عليكم بالحق » حال من الخبر « كتابنا » ولو أولناها حالا مفردة لصارت العبارة « هذا كتابنا ناطقا عليكم بالحق » •

٣ ـ وفيه « انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » ـ والجملة الاسمية « ذلكم الشيطان » تفيد الحصر بعد « انما » ـ والجملة الفعلية « يخوف أولياءه » حال من الخبر « الشيطان » ولو بدلناها مفردة لصارت « مخوفا أولياءه » (٦) •

٤ ـ ومن الشواهد النحوية قول الشاعر :

« وقالوا لها : هذا حبيبك معرضا »

فكلمة «معرضا» حال مفردة من الخبر «حبيبك»•

الحاجة الى الحال في التعريفات

وقد ظهر لنا من تصفحنا بعض كتب الادب ودواوين الشعر قديما وحديثا أن الحال من المبتدأ ومن الخبر تتردد كثيرا في آثار البلغاء ، وظهر لنا من اشتغالنا الطويل العريض بالتعليم والبحث والكتابة شيء أهم من ذلك ، هو أن المعلمين والكتاب والعلماء ومن اليهم من الباحثين أحوج الى استعمال ذلك للابانة عن مقاصدهم بايجاز ووضوح عند تعريف الاشياء أو وضع حدودها أو بيان أطوارها أو صفاتها أو خواصها وما اليها •

ولنفرض مثلا أننا نريد أن نبين أحوال الماء ، اذن نقول مثلا : الماء باردا ـ قار ، وحارا ـ سخن ، وشديدة حرارته ـ حميم ، وجامعا بين البرودة والسخونة ـ فاتر ، وزاكيا في الجسم ـ نمير ، وجامعا بين الصفاء والعذوبة ـ زلال •

او نقول في أحوال الخيل : الفرس طويلا ضخما ـ هيكل ، وتاما حسن الخلقة ـ مطهم ، وساميا طرفه،حديدا بصره ـ طموح ،وجامعا بين خفة الجري وسرعته ـ سكب ، ومتصلا جريه ـ يحبر •

او نقول في توضيح المعاني للالفاظ المشتركة : البناء مرتفعا هيكل ، والفرس طويلا ضخما هيكل أيضا وكل هذه أمثلة للحال من المبتدأ •

واذا عكسنا وضع هذه الجمل ونحوها ، وجعلنا المبتدأ في كل منها خبرا ، والخبر مبتدأ ، فقلنا مثلا : « الهيكل : البناء مرتفعا ، والهيكل : الفرس طويلا ضخما» ، فان الحال هنا جاءت من الخبر•

ونقول على هذا النمط في بيان أحوال السيوف أو أنواعها مثلا : الصمصامة : السيف صارما لا ينثني ، والمهند والهندي والهندواني : السيف مطبوعا في الهند ، والصفيحة : السيف عريضا •

وفي بيان أحوال الملابس أو أنواعها : الغلالة : الثوب رقيقا ، والمنامة : الثوب متدثرا به صاحبه عند النوم ، والمبذل الثوب يبتذله صاحبه في اشغاله البيتية ونحوها •

وكذلك تأتي الحال من المبتدأ ، ومن الخبر بعد دخول النواسخ عليهما ، كما سنبين في المقالة التالية • ■■

محمد خليفة التونسي

---

(٦) وفيه « ذلك الكتاب ، لا ريب فيه ، هدى للمتقين » فيرى بعض معربي القرآن الكريم أن الجملة « لا ريب فيه » حال من الخبر « الكتاب » ويعربون « هدى » حالا أخرى مفردة منصوبة ، بمعنى « هاديا » ، والعبارة تحتمل هذا ، فلا خطأ فيه ، وان احتملت غير هذا الاعراب •



جزيرة سواكن فى عام ١٩٣١

سواكن:

هل تصلح نجمة البحر خطيئة الشعب المرجانية ؟

نكبة سواكن يعرفها الجميع ..

ذلك الميناء التاريخى الذى كان ينافس استنبول واشبيليه فى القرن السادس عشر ، قتلته الشعب المرجانية الكثيفة التى ظهرت عند مداخله ، واصبحت تشكل خطرا محققا على الملاحة فيه . وصدر الحكم ضده بالاعدام فى بداية هذا القرن باستبدال ميناء بورتسودان به ، ولكن خالق الشعب المرجانية خلق نقيضها أيضا ، اذ ظهرت أخيرا بعض الحيوانات الدقيقة مثل نجمة البحر الشوكية وسمك الببغاء ، التى تتغذى على هذه الشعب، وتقضى عليها تدريجيا .

لقد فشل الانسان فى مواجهة الشعب المرجانية ، وجاءت هذه الحيوانات الدقيقة لتتصدى للخطر بصورة تلقائية .. فهل يعود مجد سواكن ؟؟



الملامح المتبقية اليوم من سواكن ٠

صب دمعي وأنا قلبي ساكن
حار فراقك نار يا سواكن
من الشعر الشعبي السوداني

بقلم : الدكتور احمد محمد غندور

■ لقد شهدت سواكن حضارة عظيمة ، وكان الميناء في أوج عظمة سواكن وازدهارها يعج بالسفن من مختلف أرجاء العالم محملة بالنفيس والغالي من البضائع كالسمك والعنبر والسجاد الفاخر واشهى المأكولات وأجمل الملبوسات ٠ وكان الميناء مقرا لشركات ملاحة كبرى ، من أشهرها الشركة الخديوية المصرية ٠٠٠٠ كما كان هناك ايضا مكتب ضخم للتلغراف الانجليزى لتسهيل الاتصال ٠

وفي منطقة الميناء ، كانت ترقد جزيرة صغيرة ، منشآتها آية في الفن المعمارى ، بها الكثير من المبانى التى تتكون من ثلاثة واربعة طوابق مزينة بالنقوش الجميلة على الابواب والجدران ٠٠ ومن اشهرها قصر الشناوى وكيل الخديوى المصرى الذى يشتمل على ٣٦٥ غرفة وهو أشبه بالفنادق ٠

يحكي لي العمحسن بوادي وهو رجل ناهز التسعين حجة وعاصر أيام الامير عثمان دقنة أعظم امراء المهدية* في شرق السودان والذى أذاق الانجليز شر الهزيمة عند سواكن في أوائل القرن العشرين « يا بني كانت أيام خير وسعادة ٠٠٠ المال وفير والخير كثير ٠ الاسواق مليئة بما لذ وطاب من الملبس والمأكل ٠ الجزيرة بها علية القوم والاكابر ٠٠٠ ملبسهم الحرير والديباج ومنامهم أرق المفروشات وأزهاها ومنازلهم تحفة للعين مسرة للناظرين ٠ كان بالجزيرة مستشفى به أعظم الاطباء حتى أن أحدهم

*المهدية : ثورة دينية قامت في السودان عام ١٨٨١ ميلادية بقيادة محمد أحمد المهدى ضد الحكم التركى ، واستمرت حتى دخول الحكم الثنائى المصرى الانجليزى فى عام ١٨٩٨م ٠

«الدكتور ابراهيم المصري» عالج امرأة عمياء حتى أبصرت ورأت ذلك الخير والجمال في بلدنا الحبيب .... كان يتوسط الجزيرة ملهى جميل كان يحلو لنا ان نذهب اليه لنتفرج ونمرح .... فيوسطه كانتهناك نافورة مياهجميلة زينت بأجمل التماثيل ... وكانت هناك فرقة موسيقية تعزف موسيقى عربية على الطبول والقرب يرقص الجميع على انغامها الشجية .

خراب سواكن

ومع ازدهار سواكن وازدياد حركة السفن بالميناء اتضحللسلطات المحلية عدمصلاحية الميناء للمستقبل البعيد ، وذلك في ضوء الازدياد المستمر في نمو الشعب المرجانية على ضفتي ومدخل الميناء . تلك الظاهرة اصبحت مصدرا للخطر الدائم ، لان عرض المياه العميقة الصالحة للملاحة لا يزيد عن حوالى ١٠٠ متر بالاضافة الى احتمال اصطدام السفن بالشعب الموجودة على المدخل .... بدأ المسئولون يفكرون في بناء ميناء جديد بدلا عن سواكن .. في حوالى ١٩٠٥ ـ اكتشفت السلطات ميناء بورتسودان الحالى (في شمال سواكن) بالصدفة، اذ انها كانت مرسى لبعض صيادي الاسماكواتضح في الحال صلاحية بورتسودان للملاحة اذ ان مدخل وضفتي الميناء واسعةوعميقة الىأبعد حد،ولا توجد به أى تعرجات مرجانية الا القليل جدا التي لا تهدد حركة الملاحة .

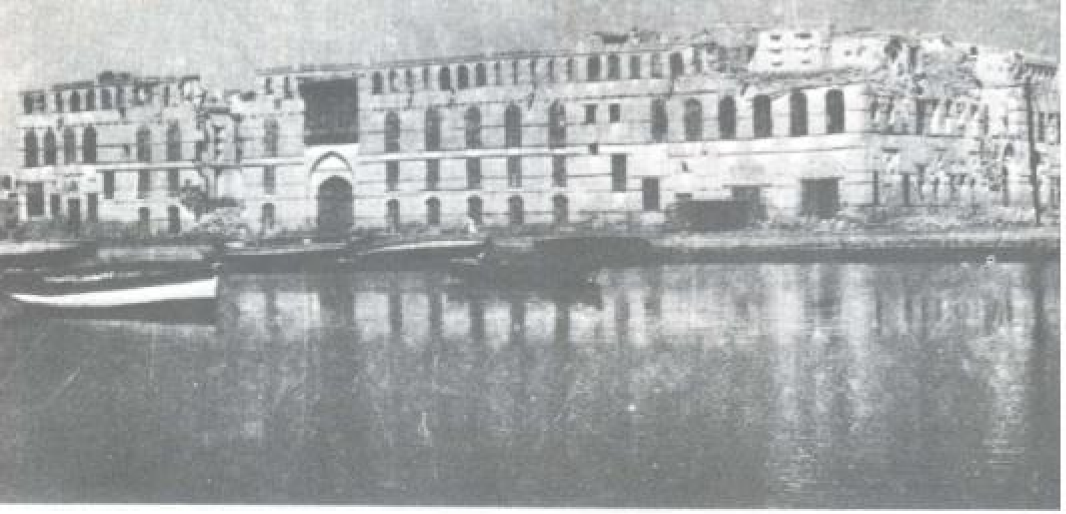
وفي حوالى ١٩٠٩ تم افتتاح ميناء بورتسودان الحالي ، وتعتبر تلك السنة بداية النهاية لخراب سواكن حيث أبلغت الحكومة التجار والاهالى فى مدينة سواكن بنيتها في نقل الميناء الى بورتسودان .... ولكن في البداية لم يستجب الناس لذلك اذ عز عليهم ان يرحلوا عن ديارهم ومبانيهم الجميلة . الا أن الحكومة قامت بعدة تغييرات ارغمت الناس على الهجرة عن سواكن الى بورتسودان وهي : ـ

- تغيير مديرية سواكن ـ والتي كانت الحاكم الاول والاخير في شئون الناس ـ الى مركز صغير ليس له الا القليل من الصلاحيات الاداريةواصبحت المديرية في بورتسودان .
- حولت ادارة الجمارك من سواكن الى بورتسودان واصبح جمرك سواكن نقطة تفتيش صغيرة .
- حول التلغراف الانجليزى الى بورتسودان.
- وآخر هذه التغييرات ـ والقشة التي قصمت ظهر البعير ـ تمثلت في تحويل البنكالاهلىالمصرى الى بورتسودان .

وامام ذلك ، اضطر الناس الى الرحيل الى بورتسودان لمباشرة اعمالهم وتجارتهم . حمل الكل النفيس والغالى من الاثاث والمفروشات الزينات . قل عدد الناس في سواكن . وتوقفت عنها حركة السفن التجارية الا سفن الحجيج ، أغلق المستشفى أبوابه ، توقف البنك عن نشاطه ، وقلت المعاملات التجارية . توقفت الموسيقى العذبة في ملهىالمدينة الجميل وأصبح هدير موج البحر هو الطاغي على

احدى الشعب المرجانية المستديرة عند اخراجها حيةمن البحر .. السطح لزج ومليء بمادة جيلاتينية .





« قصر الشناوى باشا » أكبر وافخم مباني سواكن عام ١٩٥٠ ·· لم يبق منه اليوم شيء ·

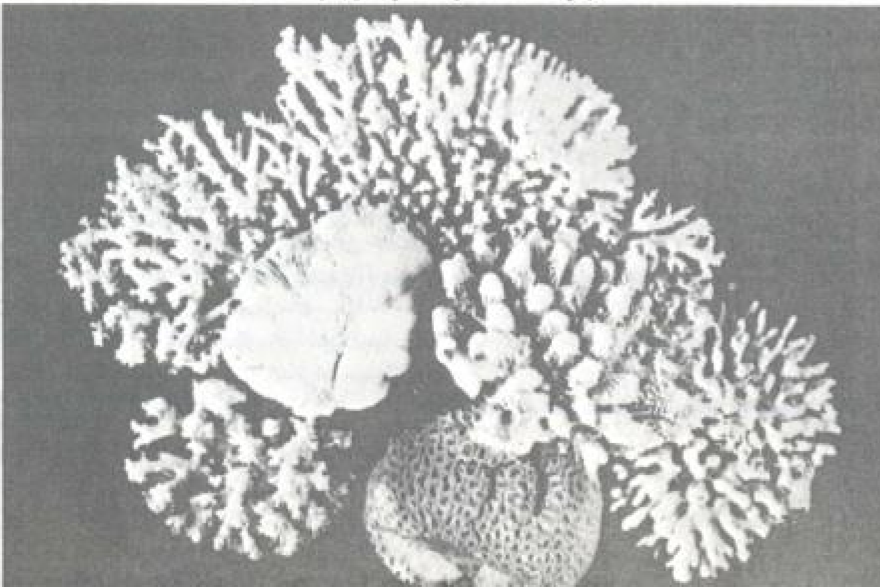
كل صوت · انشغل الناس في تعمير الميناء الجديد وانحسر شان سواكن العظيمة واصبحت المباني الجميله اطلالا لا يسكنها الا البوم ····

ولم يملك اهل سواكن الا الحسرة يعبرون بها عن محنة سواكن · وترددها بنات سواكن في اغان تفيض رقة واسى · من بينها اغنية تقول :

« صبب دمعي وأنا قلبي ساكن
حار فراقك نار يا سواكن »
في ربوعك شامخات قصور يا سواكن
الجبابرة الهبت تثور
بقيادة دقنه الجسور في سواكن*
أثارك في كل حين يا سواكن
ذكرى دائمة للخالدين في سواكن
لما أصابك جور السنين يا سواكن
هجرنا العش الامين يا سواكن
وديارك أصبح حزين
تبكي الدمع السجي في سواكن

* « دقنة » الامير عثمان دقنة اعظم امراءالمهدية في شرق السودان ·

مجموعة مختلفة من الشعب المرجانية



الحدائق البحرية !

هذه الشعب المرجانية التي كانت سببا في خراب سواكن الجميلة ، يطلق عليها أحيانا اسم « الحدائق البحرية » ، وذلك لشبهها بالحدائق البرية من حيث الشكل في طريقة نمو تشعبها .. ومن حيث جمال الوانها وتعددها من احمر واخضر واصفر وخلافه ... هذه الشعب المرجانية ليست الا كائنات بحرية دقيقة من فصيلة الحيوانات الجوف معويات ، .... يتكون جسمها من الجيلاتين ويشبه في تكوينه شقائق « نعمان البحر » وهو عبارة عن حيوان عمودي له أياد دقيقة تساعده في الحركة والغذاء ويسمى البولب .

الا ان الفرق بين الشعب المرجانية وشقائق النعمان هو أن البولب في الشعب المرجانية يصنع لنفسه هيكلا جيريا يفرزه من املاح الكالسيوم الموجودة في مياه البحر ليحتمي داخله .. واغلبية الشعب المرجانية تنمو عادة في شكل مستعمرات من الاف البولب المتصل بعضها بالبعض ولا يزيد طول البولب الواحد عن (١ ـ ٣) مليمتر .. لو فحصنا احدى الشعب المرجانية لوجدنا عددا هائلا من الفتحات والتعاريج على سطحها وكلها تمثل الهيكل الخارجي للحيوانات الجيلاتينية التي تعيش في حماية هذا الهيكل .

واصدق دليل على ذلك هو لمس احدى الشعب المرجانية عند اخراجها حية من البحر . حيث نجد السطح مليئا بالافرازات نتيجة لتفاعل الحيوانات الجيلاتينية التي تموت سريعا خارج الماء تاركة هيكلا صخريا من املاح الكالسيوم .

ومن أهم الشعب المرجانية :

- شعب قرون الوعل وهي تشبه قرون الوعل .
- الشعب المستديرة .
- الشعب الدماغية التي تشبه دماغ الانسان من حيث تعاريجه .

والحيوانات الجيلاتينية التي تعيش داخل الهياكل الجيرية تتغذى بالكائنات الدقيقة التي تطفو فوق سطح البحر ... وهناك مجموعة من النباتات الدقيمة تعيش داخل الحيوانات الجيلاتينية وهي التي تعطي الالوان الزاهية للشعب المرجانية ..... هذه النباتات تساعد الحيوانات الجيلاتينية على التخلص من فضلاتها السامة كثاني أوكسيد الكربون والامنيوم لانها تتغذى بها .

خطرة على الملاحة

ووجود هذه النباتات داخل الحيوانات الجيلاتينية عامل هام يتحكم في اماكن تواجد الشعب لان هذه النباتات تعتمد على اشعة الشمس لحياتها ونموها ، وبالتالي لا توجد شعب مرجانية في عمق اكثر من ٩٠ مترا تحت سطح البحر ..... ومع مرور السنين وازدياد عدد المستعمرات المرجانية تكون هناك ثلاثة أنواع من التجمعات المرجانية وهي :ـ

- « الشعب الدائرية وهي التي تقف وراء ماساة سواكن . وتكون قريبة من الارض بجوار الساحل ولا يوجد مجرى مائي عميق يفصلها عن الارض ولذلك تشكل خطورة على الملاحة ونمو هذه الشعب في البداية في اتجاه رأسي . ولان الشعب المرجانية لا تستطيع ان تعيش كثيرا خارج الماء ، فسرعان ما يمتد نمو الشعب في اتجاه افقي حتى يمتليء بها الشاطيء ولكن عوامل الطبيعة المختلفة تتسبب في تكسير الشعب المرجانية التي تقع في المجرى العميق الصالح لملاحة السفن ، وبمرور السنين ينخفض مستوى المجرى العميق في هذه الناحية التي تصبح ضحلة (اقل من ٩٠ مترا) وبالتالي صالحة لنمو الشعب .

وهذه هي المشكلة الاساسية في ميناء سواكن .. اذ ان النمو الدائم للشعب المرجانية على ضفتي ومدخل الميناء اثر في عرض المجرى العميق الصالح للملاحة الذي يتناقص تدريجيا يوما بعد يوم .

- الشعب الحاجزة واشهرها تلك الموجودة حول قارة استراليا والتي تنمو على امتداد (١٢٠٠) ميل حول الساحل الشرقي للقارة .
- الشعب الاطول ، وهي عبارة عن دائرة من الشعب المرجانية في عرض البحر تتخللها بحيرة شاطئية . وهذه الشعب موجودة في منطقة البحر الاحمر على مسافة ١٦ ميلا شرق ميناء بورتسودان ، وبه فنار ضخم لتنبيه السفن للابتعاد عن تلك المياه الضحلة المليئة بالشعب المرجانية .

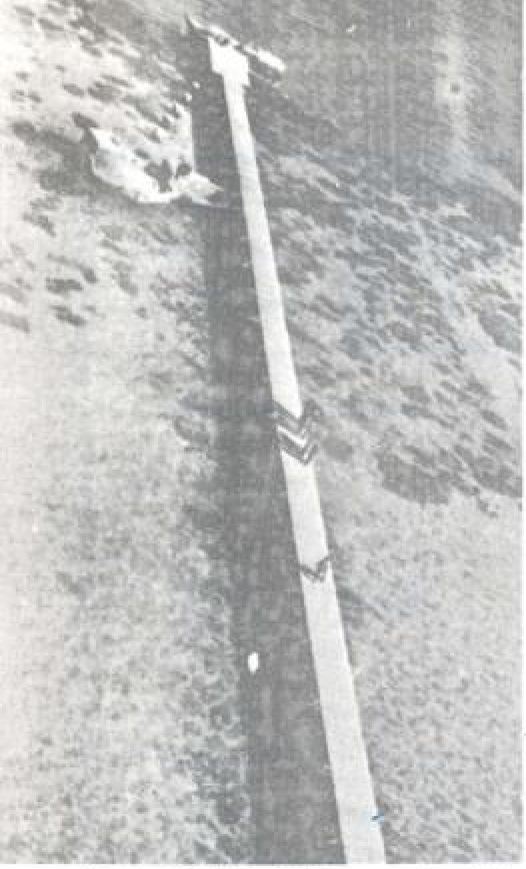
الا ان النوعين الاخرين من الشعب لا يشكلان خطرا مباشرا على حركة السفن لانهما لا يوجدان الا في عرض البحر ولكن يتسببان في تشكيل حد ادنى من الخطورة على حركة الملاحة .

الوجه الآخر للخطر

ومع ذلك فهناك عدة فوائد للشعب المرجانية :



العم حسن بوادى يحكي عن سواكن



اطول سنتتيب ·· هذه الصورة التقطت من قمة فنار سنتتيب وتظهر بوضوح المجموعة الضخمة للشعب المرجانية التى تكون تجمعاتها فى شكل دائرة فى عرض البحر العميق ·

ـ فهي مكان لتوالد الاسماك وتكاثرها ، ذلك ان الاسماك تجد حماية من اعدائها فى البحر فى خباء الشعب المرجانية · وتجد ايضا الغذاء فى الطحالب والنباتات والحيوانات حول منطقة الشعب المرجانية ···· وبعد ان اكتشف ذلك الخبراء ، بدأوا فى حوالى عام ١٩٣٠ فى امريكا وبعدها فى اليابان بمحاولة بناء شعب صناعية من الحجارة الضخمة وبقايا العربات وغيرها !

ـ وهي فرصة طيبة للاستغلال السياحي ، اذ ان الشعب المرجانيـة من اجمل ما خلق الله فى البحر ، وليست هناك متعة توازى متعةالنظر اليها من خلال زجاج مرئى اذ تتجمع فيها الوان قوس قزح اذ تسبح فيها مجموعة ضخمة من الاسماك من مختلف الالوان ·

ـ وهي قد تعني احتمال وجود البترول ، ذلك ان وجود كميات ضخمة من الاسماك وخلافها من الحيوانات البحرية حول الشعب المرجانية حيث تتوالد وتموت تاركة بقاياها وبمرور السنين ، ومع التفاعل الجيولوجي والبيولوجي يؤدى ذلك الى احتمال وجود البترول فى اعماق الشعب المرجانية والان تجرى الدراسات والابحاث للتحقق من هذا الامر ·

اخيرا ، فان مستقبل سواكن لا يزال مجهولا ، ولا احد يعرف على وجه الدقة ما اذا كان مجد هذا الميناء سيعود مرة اخرى ام لا ، وما اذا كانت تلك الحيوانات الدقيقة ستتمكن من ازالة الخطر ام انها ستخفف منه فقط · ان الاجابة على هذه الاسئلة سوف تحتاج الى وقت قد يطول او يقصر ، ولننتظر ما يجيء به الغد ·

الخرطوم ـ د · احمد محمد غنلور

● حل مسابقة العدد ٢٣٣ ●

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ب	■	س	د	ا	د	ه	■	ا	ع	ت	ى	ا	د	ى
٢	ج	ا	ل	و	ن	■	ب	ا	ل	ى	و	ز	ى	■	ج
٣	ع	ل	ا	■	ى	س	ت	ب	ع	د	■	ف	ل	ف	ل
٤	■	ا	م	ص	ن	ى	■	و	ر	ى	د	■	و	و	■
٥	ن	و	■	ف	■	ل	ا	ع	ب	■	و	ى	ل	ا	ت
٦	ا	س	ل	ا	ف	ى	■	ث	ى	ر	ا	ن	■	ك	و
٧	ى	ع	و	د	■	ك	ر	م	■	■	ج	ا	ب	ه	ث
٨	■	■	ى	ع	ق	و	ب	ا	ل	ك	ن	د	ى	■	■
٩	م	ا	س	■	ا	ن	ا	ن	ا	س	■	م	ر	ى	ض
١٠	ا	ل	ب	غ	ض	■	ب	ا	س	ل	ه	■	و	ع	ر
١١	ل	ج	ا	■	ا	ل	ه	ل	ع	■	ى	ن	ت	و	ى
١٢	ا	ف	س	ر	ه	ا	■	ج	ه	ى	ن	ه	■	ق	ر
١٣	ج	و	ت	ه	■	م	ص	ا	■	ب	ه	ت	ا	ن	■
١٤	ا	ن	ى	ب	ه	■	م	ح	ا	ر	■	■	و	ا	و
١٥	ش	■	ر	■	ا	ل	م	ظ	ف	ر	ق	ط	ز	■	و

يعقوب الكندى

●

أبوعثمان الجاحظ

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : يعقوب الكندى ، فيلسوف العرب • عالم عربى كبير كان له نشاطه الفلسفى والعلمى فى بغداد على عهد المامون • عنى بالرياضيات والمنطق والعلوم الطبيعية والفلك والموسيقى •

(٨) رأسيا : ابو عثمان الجاحظ ، اديب عباسى شهير • درس فى البصرة وبغداد ، واطلع على جميع العلوم المعروفة فى عصره • كان صاحب ملاحظة دقيقة وروح مرحة وقلم رشيق • من مؤلفاته « البخلاء » و « الحيوان» « والبيان والتبيين » •

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقدرها : ٣٠ دينارا ، فاز بها يحيى رياض حسان/البدرشين/مصر
- الجائزة الثانية وقدرها : ٢٠ دينارا ، فاز بها محمد محمد عبدالحليم/الاحساء/السعودية
- الجائزة الثالثة وقدرها : ١٠ دنانير ، فاز بها ابراهيم عبدالحميد/أبو ظبى/الامارات العربية

٨ جوائز مالية قيمتها (٤٠) دينارا ، كل منها خمسة دنانير ، فاز بها كل من :

١ ـ مازن عادل أحمد ـ الصليخ الجديد/بغداد/ العراق •

٢ ـ سمر محمود أبو سلمى ـ الزرقاء/الاردن •

٣ ـ وهيبة مرزوق أحمد ـ المنامة/البحرين •

٤ ـ عبد الحميد عبد الرحيم تعراز ـ بنغازى/ ليبيا •

٥ ـ عبد اللطيف أحمد حسن ـ الخرطوم/ السودان •

٦ ـ عبد الملك يحيى الضحياني ـ صنعاء/ اليمن الشمالى •

٧ ـ ليلى عبد العزيز العبد الكريم ـ العديلية/ الكويت •

٨ ـ عبد العزيز صالح ـ كانو/نيجيريا •



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

هبوط ضغط الدم

● اصبت بدوار فقال لي الطبيب انني اشكو من هبوط في ضغط الدم .. فما سببه وما علاجه ؟

ـ في بعض الحالات يكون ضغط الدم مائلا الي المستوى المنخفض ٧٠/١٠٠ ولا يعاني الشخص من اى اعراض .ويكون هذا هو ضغطه الطبيعي .وهذا المستوى يلاحظ في جنسيات مختلفة . اما اذا كان ضغط الشخص عاديا وهبط الى مستوى منخفض فان ذلك يسبب دوارا ، مع عدم القدرة على الاستمرار على الوقوف ويجلس المريض او يستلقي على الارض ، مع شحوب في اللون وعرق بارد غزير يغطي الجسم، مع عجز على القيام باى عمل او التركيز، او تفهم الاشياء.

وينخفض الضغط عندما تقل دقات القلب نتيجة لتاثر العصب الحائر فيقل النبض ويهبط الضغط وتظهر الاعراض الاخرى . وربما صحب ذلك اغماء لفترة وجيزة . ويعود الضغط الى حالته الطبيعية اذا استلقى المصاب على ظهره بعيدا عن الاجواء قليلة التهوية، مع استنشاق مواد منبهة كالروائح العطرية او النشادر.

ـ وينخفض الضغط في حالات فقدان سوائل الجسم كالعرق الشديد ، او الاسهال الشديد ، او القيء الشديد ، وتتحسن حالة المريض عندما يعوض السوائل التي فقدها .

ـ ويحدث انخفاض في ضغط الدم كذلك في حالات فقدان كمية كبيرة من الدم سواء كان ذلك ظاهرا كما هو الحال في الحوادث أو بسبب نزيف داخلي ، كالنزيف الذي يحدث في قرحة المعدة أو الاثنى عشري . وكذلك ينخفض ضغط الدم في بعض الامراض المزمنة، والضعف العام .

وهناك مرض يحدث فيه ضمور للغدة فوق الكلية (الغدة الكظرية) وهو مرض نادر ، ويمكن التوصل الى تشخيص هذا المرض بوجود اعراض أخرى نتيجة لنقص افراز الغدة الكظرية .

الاطفال والتبول

● متى يستطيع الطفل التحكم في بوله ؟ وما سبب تأخر ذلك عند بعض الاطفال ؟

ـ قبل الاجابة على هذا السؤال يجب أن نفرق بين التحكم الحقيقي وبين التحكم المؤقت .

ففي حالة التحكم الحقيقي تكون السيطرة هنا لمراكز عصبية عليا في المخ تستطيع ارسال الاوامر للمراكز العصبية الدنيا التي تتحكم بعملية التبول . فتتم الاستجابة اما بالتاخير او بالتبول بتفهم وارادة ووعي .

اما التحكم المؤقت فهو شيء من الافعال الانعكاسية المشروطة التي لا رأى ولا سيطرة للعقل عليها . مثلها مثل الالتفاف السريع مع اخذ موقف التاهب والاستعداد عند سماع صوت انفجار بالقرب من الانسان . فهنا لا سيطرة للمخ على الحركة وانما تتم كافعال انعكاسية مشروطة. هذا النوع من التحكم قد يتم في الشهر السادس أو السابع وتكون الاستجابة لنداء

الطبيعة لمجرد رؤية الاناء أو ملامسته لجسم الطفل ولكن لا يمكننا ان نصفه بالتحكم السليم وقد يزول في نهاية العام الاول •

اما التحكم الحقيقي فلا يمكن ان يتم الا بعد نمو الجهاز العصبي نموا كافيا وهذا لا يحصل الا بعد السنة الاولى من عمر الطفل •

ومما تقدم نرى بان كل جهد يبذل قبل هذا التاريخ هو جهد ضائع لا يعطي اية فائدة •

وعادة ما يتحكم الطفل أولا بالسيطرة على بوله نهارا ثم بعد ذلك يتم التحكم ليلا وتتفاوت قدرة السيطرة والتحكم من طفل لآخر فمنهم من يتمكن من التحكم ببول النهار ما بين الشهر الخامس عشر والثامن عشر ومنهم من لا يستطيع ذلك وخاصة في الليل الا بعد عامه الثالث وقد تمتد لعامه الرابع أو الخامس •

اما عن الاسباب التي تؤدي الى التاخير في السيطرة والتحكم فهي كثيرة نذكر منها الآتي :

اولا : عدم التعويد الصحيح والاهمال واستعمال الشدة •

ثانيا : الاضطرابات العاطفية، كالغيرة من طفل حل ضيفا على الاسرة وجلب انتباهها واهتمامها أو فقدان العطف والمحبة في البيت كانفصال الابوين أو مرض احدهما او غيابه •

ثالثا : عوامل وراثية وهنا يتاخر نمو الجهاز العصبي لدى الطفل بسبب العامل الوراثي المنقول له من أحد الابوين الذي يكون هو ايضا قد تاخر ونمو طفل بالتحكم ببوله •

رابعا : الامراض التي تصيب الطفل مثل البول السكري والتهاب المسالك البولية •

خامسا : ضعف القوى العقلية لدى الطفل •

سادسا : الاصابة بالصرع حيث يتم التبول اثناء النوبة بدون وعي •

سابعا : تشوهات خلقية اثناء تكوين أجهزة الطفل سواء كان ذلك في جهازه البولي او جهازه العصبي أو بعموده الفقري •

ارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم

● ماهي الامراض التي تسبب ارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم ؟

ـ من المعروف ان نسبة الكوليسترول في الدم تتراوح بين ١٥٠ ـ ٢٥٠ ملليجرام في السنتيمتر المكعب وتزداد هذه النسبة بحيث تصل الى ٤٠٠ ملليجرام في بعض العائلات وذلك كعامل وراثي ويترسب الكوليسترول على هيئة تورمات بسيطة صفراء حول العينين وفي الجلد ويتعرض هؤلاء الاشخاص لتصلب في الشرايين في سن مبكرة كما يتعرضون لامراض انسداد الشرايين •

اما الامراض التي تسبب ارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم فمنها :

ـ الامراض الخلقية التي يصاب بها الكبد ويتضخم ويترسب الكوليسترول في الجلد ايضا •

ـ كذلك تزداد النسبة في التهاب الكلي المزمن ـ وفي التهاب الكلي تحت الحاد وترتفع الى حوالي ٤٠٠ ملليجرام •

ـ وفي حالات خمول الغدة الدرقية ترتفع النسبة ، حتى ان هذا الارتفاع يعتبر مؤشرا على مدى خمول الغدة وتتناقص النسبة بمدى استجابة المريض للعلاج •

ـ وترتفع نسبة الكوليسترول في حالات انسداد القنوات المرارية خصوصا اذا ازمن هذا الانسداد •

ـ كما انه في حالات تصلب الشرايين تكون نسبة الكوليسترول في معظم الحالات مرتفعة ـ ولا يعرف اذا كان هذا الارتفاع يعتبر نتيجة ام سببا لتصلب الشرايين •

ـ وفي حالات مرض البول السكري تجد ان نسبة الكوليسترول ترتفع خصوصا اذا كان المريض لا يتقيد بالعلاج

ـ ويلاحظ كذلك انه من الممكن ان ترتفع نسبة الكوليسترول في مرضى النقرس نتيجة للاضطرابات التي تعتري

تمثيل هذه المادة فى الجسم

ـ وترتفع نسبة الكوليسترول فى الدم بعد الاكلات الدسمة خصوصا التى تحتوى على دهون حيوانية •

لذا كان من واجب الذين يعانون من ارتفاع الكوليسترول فى الدم ان لا يتعاطوا هذه الدهون ويستعملوا الدهون المستخرجة من زيت الذرة مثلا •

من هنا يتضح ان ارتفاع الكوليسترول فى الدم له اسباب عدة ولابد من فحص المريض فحصا دقيقا لمعرفة سبب هذا الارتفاع وعلاجه تبعا لما تتطلبه حالته وقبل حدوث المضاعفات والتى من اهمها تصلب الشرايين والتعرض لاحتمال تجلط الدم فى الشرايين وما يسببه من اعراض •

الكاذب الذى يحدث عند ملامسة أصابع اليد الفاحصة لصفن الطفل فتنجذب الخصية الى أعلى وتعطى انطباعا غير حقيقى بانها معلقة •

والخصية التى تظل بالبطن او فى القناة الاربية خارج الصفن غالبا ما تضمر وتضعف قدرتها على صنع الحيوانات المنوية القادرة على التلقيح • وتجدر الاشارة هنا بان العقم لا يتم الا اذا وجدنا الخصيتين معلقتين ولكن الخطورة الحقيقية هى بان الخصية المعلقة عرضة لان تتحول اذا ما تركت خارج الصفن الى ما بعد سن البلوغ لاورام خبيثة ومن هنا وجب انزالها أو ازالتها •

خصيتا الطفل

● لى طفل بلغ عامه الثالث ومع ذلك لا يوجد فى الصفن الا خصية واحدة •• ما السبب يا ترى ؟ وهل فى ذلك خطر عليه مستقبلا ؟

ـ تتكون الخصيتان اول ما تتكونان فى داخل البطن مع تكوين الجهاز التناسلى بالجنين وغالبا ما يبدأ ذلك فى الاسبوع السادس أو السابع من عمره فى داخل الرحم وتستمران فى النمو داخل البطن حتى الشهر السابع حيث تبدآن رحلة النزول الى الصفن مرورا بالقناة الاربية •

ويساعد ازدياد ارتفاع الضغط فى تجويف بطن الجنين فى دفعهما الى مكانهما الطبيعى يسانده فى هذه العملية افراز بعض الهرمونات •

وعادة ما تنتهى رحلة النزول فى الشهر الثامن • والخصية اليسرى تسبق زميلتها اليمنى بالاستقرار فى مكانها • وعند اختفاء الخصية من الصفن تطلق عليها لقب الخصية المعلقة او الهاجرة • وقد تحدث بواحدة منهما أو بكلتيهما •

وقد وجد بان من ١ ـ ٣٪ من الذكور المكتملى النمو و ٢٠٪ من الخدج لديهم خصية معلقة عند الولادة • ولكن سرعان ما تنزل الى مكانها الطبيعى وتستقر به بعد مضى شهر • وفى نهاية العام الاول يكون ٨٠٪ من هذه الحالات قد استقرت بالصفن •

وقد تتاخر عملية النزول او لا تتم أبدا لاسباب عدة نذكر منها :

اولا : انسداد أو التصاق حدث فى طريق النزول •

ثانيا : قصر الحبل المنوى المتصل بها يمنعها من مواصلة دربها ويشدها الى أعلى •

ثالثا : اضطرابات هرمونية بجسم الطفل •

ووجب علينا اولا ان نفرق بين الخصية المعلقة والتعليق

ولم يستقر الطب حتى الان على السن المناسب الذى يجب ان يبدأ به العلاج ووجد بان العلاج المبكر يعطى نفس النتيجة مثل العلاج الذى يتم عند سن البلوغ من ناحية ضعف القدرة على افراز الحيوانات المنوية فى الخصية المعلقة • ولكن للعلاج المبكر تاثير نفسى على الطفل الواعى فيشعر بالراحة والاطمئنان وبانه مثل اقرانه من ناحية التكوين •

ويفضل البعض ابتداء العلاج بين العام الخامس حتى العاشر من عمر الطفل وينقسم العلاج الى قسمين الاول باعطاء كمية من الهرمونات عن طريق الابر • والقسم الثانى باجراء عملية جراحية، اذا فشل العلاج الاول لتثبيت الخصية فى مكانها الطبيعى •

● فنان تشكيلي من لبنان ●

حسين ماضي

صراع بين جبل حرمون ومتاحف روما



بقلم : راجي عنايت

●● فنان ينظر الى الحياة بوجدان عربي وعين اوربية .
●● رسوم الفاكهة التي قادته الى فكرة اصطياد الطبيعة .
●● تسجيل شكل الكائن وحركته .. في ابسط الخطوط .



طبيعة صامتة



الخط العربي كمتصر تعبيري في التشكيل الفني

رغم وعيه ·· وبرغم نجاحه الفني·· وبرغم مكانته الفنية الاكاديمية·· برغم هذا جميعا ، ما زال الفنان اللبناني « حسين ماضي » يعاني الصراعات التي فرضت على معظم الفنانين التشكيليين العرب ، نتيجة للهوة التي ما نفتأ تتسع بين الفنان التشكيلي العربي من ناحيه ،وجماهيره العربية من جهة أخرى ··

واذا كان الصراع ما زال قائما في نفس الفنان « حسين ماضي » ، بين جبل حرمون بكل بساطته ومتاحف ومعارض روما بكل تعقيداتها ·· فالاجدر بنا أن نبدأ القصة من أولها ··

اصطياد الطبيعة

بمدينة (شبعة) فوق جبل حرمون بالجنوب اللبناني ، في مواجهة الحدود الشمالية لفلسطين المحتلة ·· ولد حسين ماضي عام ١٩٣٨ ، بمنزل الأسرة الكبير ·· وكان اول ما تفتح عليه وعيه ··مزارع الجد في الجبل ·· أشجار الخوخ والتفاح ·· جداول الماء ·· والعصافير ··

وهو بعد صبي صغير ولم يصل الى السن المناسب لدخول المدارس ، كان حسين يذهب الى الحقل كل يوم في صحبة جده ·· يسعى بين الجنائن والحقول ·· يلاحق الطيور التي ما يكاد يقترب منها حتى تفر هاربة ·· يتطلع الى الطبيعة من حوله ، فيشعر بالرهبة من فرط التناقض الهائل بين حجمه ، والجرم الهائل للجبال التي يعيش فوق واحد منها ··

كان يتطلع الى الاشجار ·· والثمار ·· والطيور ، فيفرح ، ويعبر عن فرحته بصرخات وصيحات واغاني ·· لكنه كان يشعر دائما أنه يتوق الى التعبير عن كل هذا الجمال وكل هذه العظمة ، وكل هذه الرقة ، بطريقة أخرى ·· ما هي ؟ ·· لا يعرف ··

وذات يوم ، وبينما هو يلعب قريبا من البيت مع بعض أصحابه ، اتفقوا معه على أن يغمض عينيه حتى ينتهوا من اختيار الاماكن التي سيختفون فيها ·· وكان عليه بعد ذلك أن يمضي باحثا عنهم ·· اختفى الصحاب ، وصاحوا صيحتهم ايذانا بتحركه للبحث عنهم ·· فتح حسين عينيه · ومضى يتطلع يمينا ويسارا ·· دار حول البيت متوقعا أن يجد أحدهم مختفيا وراء الشجرة الكبيرة القائمة في الساحة الخلفية ·· فلم يجد أحدا·· لكنه وجد ما غير مسار حياته بعد ذلك ·· وجد ورقة عليها رسوم ملونة لبعض الفواكه التي يراها فوق أشجار مزرعة الجد ·· تفاح وكمثرى ·· توقف عن الركض ·· وتناول الورقة المتغضنة ، يبسطها بحرص وعناية ، وكأنما هي كشف أثرى هام ، يستوجب العناية الشديدة ··

بسط الورقة في ضوء الشمس ، وراح يتأملها ، وقد بهرته فكرة اصطياد الطبيعة على صفحة ورقة ! · طال تأمله للرسم ·· ناسيا أصحابه ، فأصابهم السأم ، وخرجوا من مكامنهم يبحثون عنه هو ! ·· وعندما عثروا عليه لم يكن يبدو عليه أنه يرغب في مواصلة اللعب معهم ، فانصرفوا عنه ، بينما تحرك هو الى داخل البيت ، يحمل بين يديه ذلك الكنز الذي عثر عليه ·· والذي فتح له باب الفن التشكيلي ·

رؤية ضبابية

لقد أدرك الآن ! ·

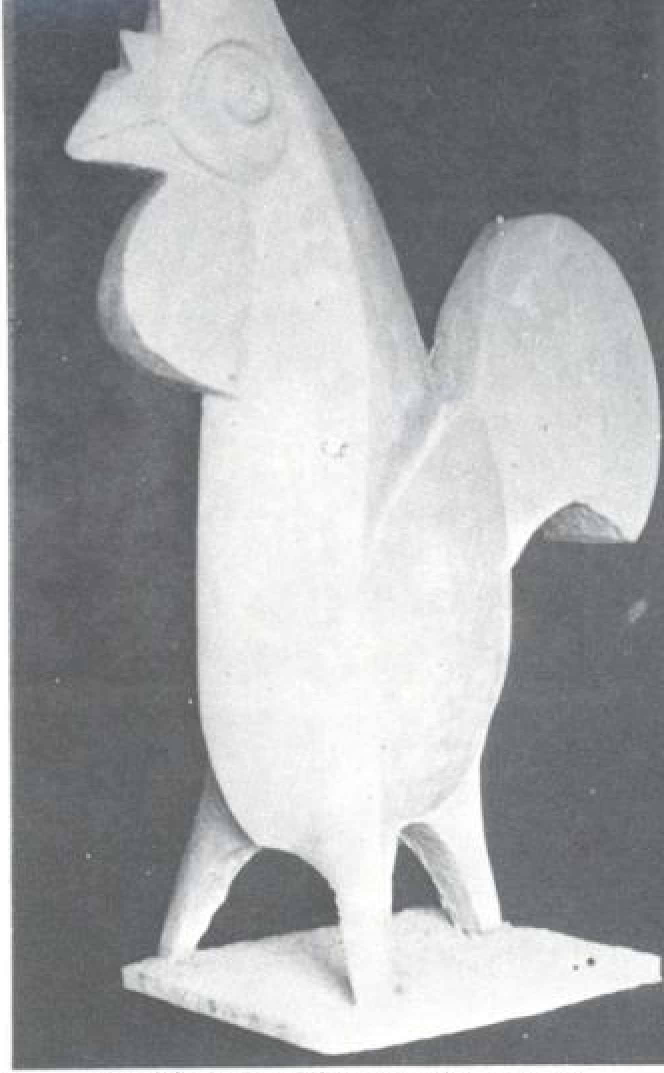
لم تعد تحيره فكرة البحث عن وسيلة لاظهار اعجابه بما يراه ·· لم تعد الصيحة أو الاغنية تشبع انفعاله ·· لقد عرف الطريق الى الرسم ··

وكان أول تطبيق لهذا الاكتشاف العجيب ، يدور حول ذلك البلبل يتقافز داخل قفصه المعلق داخل البيت ·· طالما تطلع الى ذلك الطائر ، واستمع الى تغريده ، وراقب حركاته ، وانفعل·· ثم لم يصل الى طريقة يعبر بها عن انفعاله ·· أما الآن فالى الورقة والقلم ·· أي ورقة وأي قلم ·· وامتلأت أوراق البيت برسوم غريبة ، يحاول بها الصبي الصغير أن يعبر عن انفعاله بما يراه ··

وعندما بلغ الثامنة من عمره ، والتحق بالمدرسة الابتدائية ، ظهرت موهبته ، من خلال الرسوم التي تشغل حواشي كتبه المدرسية ، بعد ان تضيق عنها الاوراق التي تتوفر له··وفي سن الثانية عشرة، عندما عثر على دائرة معارف لاروس للطيور في منزل جده ، كانت فرحته لا توصف ·· وكان وقتها



من اعمال النحت .. عازف الناى



عشق الطيور ينعكس على هذا التكوين (من اعمال النحت)

يتم دراسته التكميلية في (النبطية) بالجنوب اللبناني .

في ذلك الوقت ، لم يكن حسين ماضي يعي جيدا، ان محاولته هذه للرسم وللاستمتاع بالرسوم التى يراها فى الكتب ، هى الخطوات الاولى على درب الفن .. كانت رؤيته لما يسمى « الفن » رؤية غامضة ضبابية ... لكن ماذا يهمه في هذا ، طالما انه يستمتع بما يفعله متعة لا تدانيها متعة اخرى ؟ .

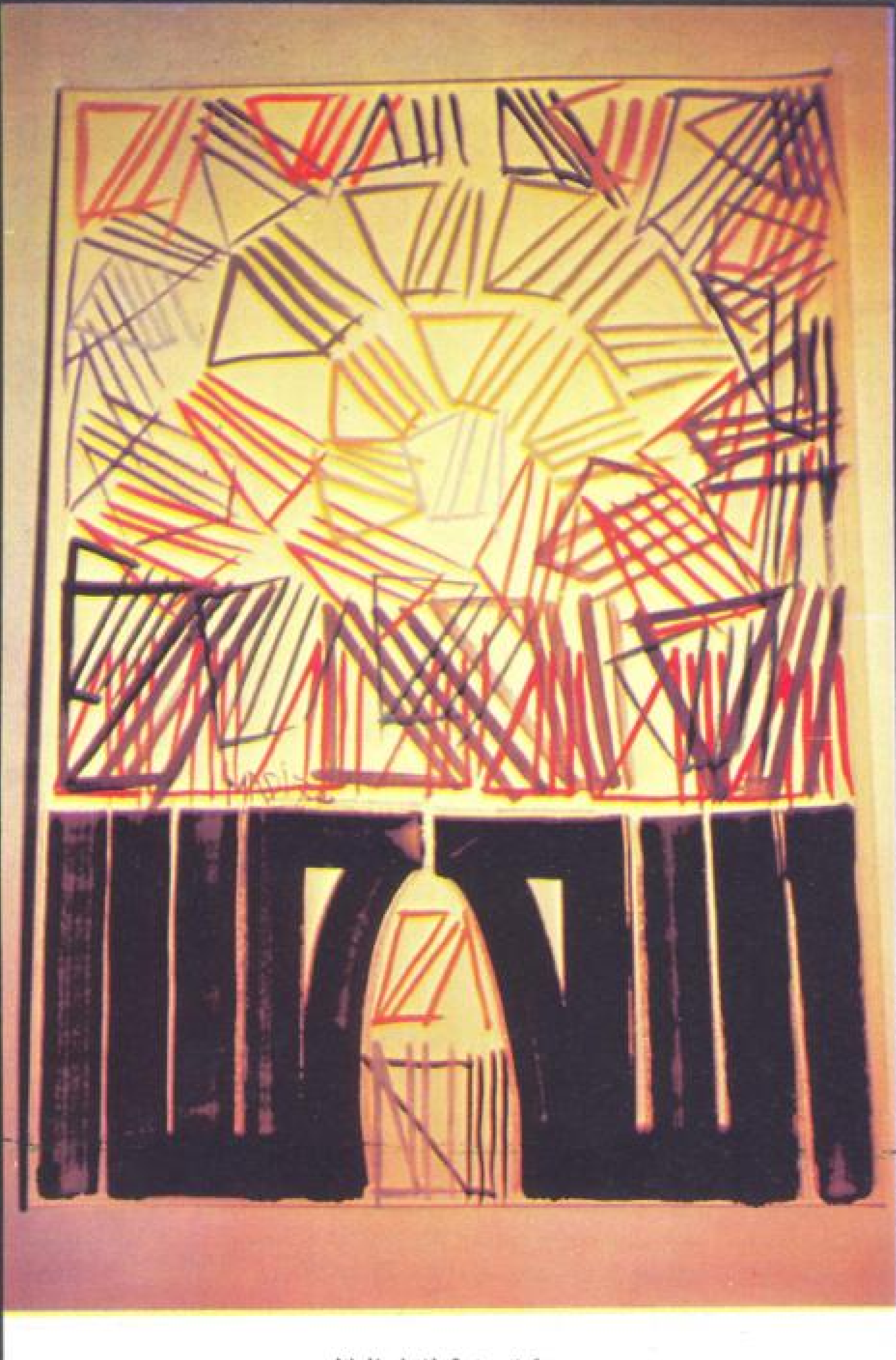
اين انا ... ؟

كان والده موظفا في الحكومة اللبنانية ، ينتقل من مدينة الى اخرى ، وفقا لطبيعة عمله ، وفي اغلب الاحيان كانت الاسرة بكاملها تنتقل معه الى حيث مقر عمله.. لكن ما ان ينتهى العام الدراسى، حتى ينتقل الاولاد الى مزرعة الجد في « شبعة » .. وكان حسين اكثرهم تشوقا لهذا .. يعد الشهور والاسابيع والايام ، انتظارا للحدث العظيم .

كان السفر الى « شبعة » بالنسبة له ، يعنى مشاركة جده في أعمال المزرعة ، يعنى معايشته للطبيعة على أوسع نطاق . يعنى التزود بذخيرة



انية فاكهة من احدث الاعمال



تشكيلات فنية للفظ الجلالة

من المشاعر والاحاسيس ، تثري رسومه على مدى العـام •

وعندما بلغ حسين ماضي المرحلة الثانوية في دراسته • كان مع والده الذي عمل في ذلك الحين بمدينـة طرابلس شمال لبنـان • وفي طرابلس تحول الى مصادر جديدة لتامل هذا الفن العجيب فن الرسم •• امضي الساعات يتامل رسوم الجرائد والمجلات والكتب •• يكتشف بنفسه كيف يحاول كل فنان ان يعبر عن الطبيعة بطريقته الخاصة •• ويكتشف حقيقة جديدة ، هي ان العنصر الواحد من عناصر الطبيعة ، الشجرة •• او المراة •• او العصفور •• ، كل من هذه العناصر يصوره كل فنان برؤية خاصة وباسلوب خاص •

وينشا عنده السؤال الذى ما زال يردده حتى الان ، ذلك السؤال الذى يحـرك بحثـه الدائب وسط الاتجاهات والاساليب ، ذلك السؤال الذي يجعله لا يجمد عند شكل محدد من اشكال التعبير •• اين انا من كل هذا ؟ ••

في هذه المرحلة يلتقي بزميل دراسته الذى يداب على ارسال رسومه الى مجلة «الحوادث» اللبنانية • ذلك الفنان الذى تفوق فيما بعد في رسومه الكاريكاتورية والذى عرف باسم (جلول) •• من هذا الزميل عرف حسين ان في بيروت كلية للفنون الجميلة ! • كلية يمضي فيها الطـالب سنوات دراسته يرسم ! • وعلى الفور اتخـذ حسين ماضي قراره بان يتجه الى هذه الكلية بعد انتهاء دراسته الثانوية •• التى كانت في ذلك الوقت على وشك الانتهاء •

المقهى مدرسة !

في عام ١٩٥٨ ، عندما اعلن حسين اسرتـه بقراره هذا ، نشات معارضة حاده في وجه هـذا القرار •• الفن كهواية •• نعم • لكن احتراف الرسم •• لا •

لكن تنتصر ارادة الشاب حسين في النهاية ويسافر الى بيروت للالتحاق باكاديمية الفنـون الجميلة • وما ان يضع حسين قدمه في الاكاديمية لاول مرة ، حتى يغرق في دوامة اشكال الدراسة الباهرة التي يمر بها •• وهو لا ياخذ موقـفا محددا من اى شكل من اشكال التعبير الفنى ، بل يندفع في نشاطه الفنى •• يرسم وينحت ويحفر••

واقتداء بزميل دراسته الثانوية جلول ، يسعى بعد ان تنتهي ساعات الدراسة ، للمساهمة برسومه في مجلة الاحد والحسناء وجريدة الكفاح • وتوزع يومه بين نشاطات ثلاثة •• في الصباح دراسته في الاكاديمية ، وفي المساء عمله الصحفي الذى اصبح منتظما ، وبين هذا وذاك جلسته هـو وزملاء الدراسة في المقهى •• التي يقول عنهـا حسين ماضي انها كانت المدرسة الحقيقية الفعلية لطلبة الاكاديمية •

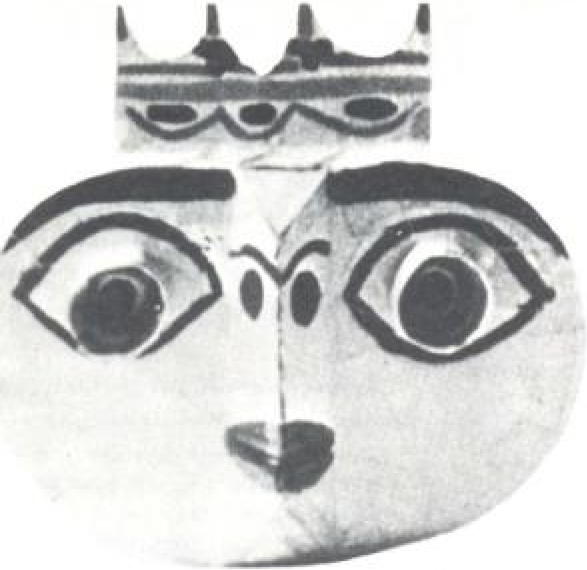
في المقهى كانت تجرى المناقشات بين الطلبـة لرسم (اسكتشات) ورسوما سريعة لرواد المقهى ولكل ما يعبر امامها •• وفي المقهى كانت تجرى المناقشات حول الفن والفنان • كانت المقهى هي مركز النقد والنقد الذاتي ، والمعارك الكلامية المتواصلة ، التي كانت تنضج عليها الافكار الفنية للفنان الشاب حسين ماضي • وهناك تعرف على المدارس الفنية العالمية الحديثة •• سمع لاولمرة عن السريالية والتكعيبية والمستقبلية والتجريدية ••سمع عن موني وتولوزلتريك ، وسيزان ، وماتيس ، وبيكاسو •

حتى ذلك الحين لم يتجاوز الامر بالنسبة لـه حدود السمع ومشاهدة الاعمال الفنية لكل هؤلاء الذين يدور حولهم الحديث •• اما هو فقد كان يلتزم الاتجاه الطبيعي الواقعي ، كان يكتفـي بتسجيل الطبيعة في امانة دون تصرف او تحوير•• فهو بعد لم يزل منبهرا بالطبيعية كما هي ، يريد ان يسجلها على اوراقه ولوحاته •

القطة والطيور

وعندما انتهت دراسته في الاكاديمية عام ١٩٦٣، اسرع الى مزرعة عمه القريبة من مدينة «شعبه»، وبقى هناك لا يغادرها على مدى شهرين ونصف •

يخرج مع العم في جولاته الطويلة لاصطياد طيور الحجل والعصافير والحمام البرى •• كان الوقت ربيعا ، وما زال الجو باردا في المزرعة العالية على الجبل ، فما ان تنتهي جولة الصيد حتـى يسرع مع عمه الى البيت يشعلان كتل الخشب الكبيرة ويستدفئان بها •• كان البيت الريفي للعم جميلا ونظيفا ، لا ينقطع تحويم الطيور حوله ، وكان يمضى الساعات يتامل القطة الجميلـة الرابضة الى جوار المدفأة •



قناع مسرحي
من الكرتون

طوال المدة التي قضاها حسين ماضي في مزرعة عمه ، لم يوقف عن الرسم يوما واحدا .. الطيور، والاشجار ، والقطة الجميلة في جميع حركاتها واحوالها . ولاول مرة في حياته يمضي هذه المدة المتواصلة في نشاط فني مكثف .

في اثناء جولاته مع عمه ، واثناء انشغاله برسومه التي لا تنتهي ، واثناء مراقبته للقطة الجميلة ، كان حسين يفكر في خطوته التالية .. هل يبحث عن عمل ؟ .. هل يتفرغ للانتاج الفني وسط هذه الطبيعة الساحرة ؟ .. هل يستكمل دراسته ؟ .. ولكن اين ؟ ..

الي روما ...

الي روما ! .. هكذا كان القرار .. الي روما للدراسة في اكاديميتها للفنون الجميلة .

واذا كانت لقاءات المقهى في بيروت قد فتحت سمعه على اسماء اقطاب الفن القدامى والمعاصرين، والمدارس الفنية الحديثة ، فان وجوده في روما قد فتح عقله على هذه الدوامة ، وكشف له عن اعماقها،والظروف الاجتماعية والاقتصادية والفكرية التي دفعت الي وجود هذه المدارس بكل ما بينها من تناقض .

وهناك في روما ، دخل حسين المرحلة التالية في حياته ، مرحلة الخلق .. التي يتجاوز فيها مهمة مجرد نقل الطبيعة الي لوحاته .. بدأ يبحث عن رؤيته الخاصة للحياة والطبيعة من حوله .. بدأ يكتسب العين الخاصة التي تنظر الي الشيء ، اي شيء ، نظرة خاصة ومختلفة عن نظرة باقي الناس الي نفس هذا الشيء ..

ادمن زيارة المتاحف والمعارض والمراسم الخاصة للفنانين الذين يتجمعون فيعاصمة الفن التشكيلي. روما . كان يدرس ويقارن .. كيف ينظر كل فنان الي الطبيعة وكيف يعبر عن نظرته .. ما هو الاسلوب الذي يختاره ، وما هي الخامات التي يستخدمها ؟ ! ..

وهكذا بدأت محاولات الفنان حسين ماضي للتصرف في معالم الشكل الطبيعي عند رسمه .. ويقول ان الالتزام بنقل الطبيعة في المرحلة السابقة قد افاده فائدة كبرى في هذه المرحلة .. لقد زوده بالركيزة التي ينطلق منها الي التعبير عن نفسه ..

وحتى عندما قام بالعديد من المحاولات التي كسبت رضا الكثير من الزملاء والفنانين ، تصاعد مرة ثانية نفس السؤال القديم : اين انا من هذا كله ؟ .. وحتى ذلك الوقت لم يصل حسين ماضي الي اجابة محددة عن السؤال الخالد ، وكان ان هرب منه الي العمل المتواصل الذي لا يتوقف .. العمل المحموم الذي يحميه من خوض محنة الاجابة عن السؤال الذي لا يعرف عنه اجابة واضحة .

الجائزة الاولى

في نهاية العام الاول من دراسته بروما التقى

بفنان ايطالي شاب ، ونشات بينهما صداقة عميقة • وكان من الطبيعي ان الموضوع المفضل والوحيد في نقاشاتهما التي لا تنتهي هو الفن والفنان •• وكان من الطبيعي ايضا ان يطرح حسين ماضي على صديقه الفنان ذلك السؤال الذي يبحث عن اجابة له •• اين انا من هذا الذي يدور حولي ؟ ••

وجاءت الاجابة على لسان الصديق «اعرف نفسك اولا •• وحتى تعرف نفسك يجب ان تعرف تاريخك •• وفنان بلدك والبلاد المحيطة به •• ادرس وتامل الفنون الاشورية والبابلية والفرعونية والفارسية •• تامل ما انتجته هذه الفنون ،وابحث عن نقط الالتقاء والاختلاف بينهما •• ثم حاول ان تفهم الفروق الاساسية بينهما وبين الفنون الاوربية المعاصرة •• هذا هو الطريق الذي يضع قدمك على الطريق السليم •• ! ! •

على الفور مضى حسين ماضي يحقق هذه النصيحة •• في المتاحف التاريخية ، والمراجع التي تتناول فنون الشرق • وعندما عاد الى بيروت في عطلة نهاية السنة الدراسية ، وضع لنفسه برنامجا يتجول فيه بين اطلال الفنون القديمة يحاول ان يصل الى اسرارها ••

انعكس هذا بشكل واضح على انتاج حسين ماضي ، وبدأ في حماس يسجل رؤيته الجديدة • وفي هذه الاثناء اقامت الحكومة اللبنانية مسابقة للحصول على منحة دراسية في النحت والرسم•• اختار حسين ماضي ان يدخل هذه المسابقة في النحت،فحصل على المركز الاول •• وهكذا اصبحت دراسته في روما بكل نفقاتها منحة من الدولة •

صدمة في بيروت

في عام ١٩٦٨ انتهت دراسته في روما ، وعاد حسين ماضي الى بيروت • وكان من الطبيعي ان يفكر اول ما يفكر في اقامة معرض لاعماله ،يتعرف فيه ابناء وطنه على ما وصل اليه انتاجه من تطور ••

كان يتصور ان بيروت ستفتح له ذراعيها،وان ابناء بلده سيسارعون الى اقتناء اعماله ، كما حدث له اكثر من مرة في روما •• لكن الامر لم يسر على هذا النسق •• مع اعجاب الذين زاروا المعرض باعماله،فانه لم ينجح في بيع الحد الادنى من لوحات المعرض •

كانت صدمة •• جعلته يعود لتوه الى روما ، ليقيم نفس المعرض ويبيع انتاجه ، بما يكفل له ان يمتلك مرسما خاصا به في روما•وهكذا مضت الحياة بالفنان حسين ماضي ، موزعا بين بيروت وروما •• في بيروت يدرس بالجامعة اللبنانية في كلية الفنون الجميلة ، وما ان ينتهي المنهج المكثف الذي يدرسه لطلبته في بيروت حتى يرحل الى روما ، لمتابعة الحركة الفنية ، والانتاج ، واقامة المعارض الخاصة والمشاركة في المعارض العامة••

ومنذ عام ١٩٦٢ اقام الفنان حسين ماضي ١٢ معرضا خاصا ، كما اشترك في ١٤ معرضا عاما• في بيروت والاسكندرية وروما ، وتارانتو ، وسلمونا ، وميلانو ، وبغداد ، وطوكيو ، وفيرونا، وليش ••

وجدان عربي وعين أوربية

ومع الصلة القائمة بين الفنان حسين ماضي وروما •• فهو حاضر العروبة ، اذا جاز التعبير•• يرى ان الفكر العربي يجب ان يكون هو بترول العرب الجديد •• وتاثره بالفن العربي والخط العربي يظهر بوضوح في اعماله وفي هذا يقول « انا انظر الى الفن العربي ، بوجدان عربي ، وعين اوروبية » وقد قادته محاولاته المتلاحقة في مجال الفن التشكيلي ، الى ساحة التجريد •

ومن العناصر التي استفادها حسين ماضي من الفن الاشوري التي انعكست على اغلب انتاجه الحديث ، عنصر الحركة •• او عنصر الزمن •لقد استولت عليه فكرة تسجيل العنصر الواحد في حركات مختلفة مما يكثرفي الاثار الفنية الاشورية• وهو يؤمن ان الحركة هي بنت التكوين الطبيعي للكائن ، من هنا كان بحثه عن اشكاله من خلال حركة العنصر •

وهو يحاول في انتاجه الحديث ان يختزل الكائن الحي الى خطوط تلخص شكله وحركته معا • مع التزامه في نفس الوقت « بوجدان عربي وعين اوروبية » • ولعل اوضح مثال لهذا ، رسوم الحفر الزخرفي التي انجزها لكل حروف اللغة العربية • ■■

راجي عنايت

رداً على افتراءات الباحثين الغربيين :

العرب مبدعون لا مقلدون

في العمارة والزخرفة

بقلم : شريف يوسف

نموذج لروعة العمارة الاسلامية في الاندلس ،التي تغطي كل جدران قصور الحمراء في غرناطة



■ مع كل الشواهد الملموسة التي تثبت أصالة هذا الفن عند العرب وتبرهن بان التمدن الاسلامي لم يكن اول عهد العرب بالحضارة بل كان لهم بين النهرين حضارة مرموقة وآداب رفيعة قبل الاسلام بعدة قرون ، وكذلك كان عرب اليمن الذين عاصرت دولهم الفراعنة في مصر ، ومنها المعينية والسبئية والحميرية بناة مارب الشهير ومؤسسو مدينة صنعاء وغيرها من المدن ..

وبالرغم من كل البراهين التي تؤيد كون الفن المعماري العربي الاسلامي فنا مستقلا بذاته له خصائصه ومميزاته التي تختلف كل الاختلاف عن خصائص ومميزات الفنون المعمارية التي سبقته من ساسانية وهلينية وهندية ورومانية وبيزنطية وقبطية ..

فان هناك فئات متحيزة ومعادية للعرب والاسلام ما تزال مصرة على كون الطراز العربي الاسلامي ما هو الا مقتطفات من طرز المباني التي كانت معروفة عند الامم التي اختلط بها العرب وتاثروا بحضاراتهم وأساليبهم الفنية المختلفة.وان العرب والمسلمين لم يكونوا مبتكرين ومبدعين ، بل كانوا مقلدين للفنون التي وقعت تحت انظارهم ، فتاثروا باساليبها ، ثم صاغوها بعد ذلك بالصورة التي نراها اليوم ، والتي تطلق عليها اسم « الطراز العربي الاسلامي » .

ومن الامثلة على تحامل بعض الباحثين وتحيزهم ما جاء في قول الاستاذ (كريسول) ان بناء قبة الصخرة في بيت المقدس وما فيها من زخارف وعناصر بنائية يمكن تقسيم مصادرها الى نسبمئوية موزعة كما يلي ـ ٢٢٪ من هذه العناصر والزخارف ترجع الى اصول رومانية ، ٢٢٪ منها الى مصادر بيزنطية ، و ٥٥٪ أخرى الى أساليب مسيحية ، (وابقى ١٪ فقط لم يحدد مصدرها) .

عناصر الفن المعماري العربي الاسلامي

ولدحض مثل هذه الافتراءات وغيرها مما ستورده فيما بعد ، لا بد لنا من ان نحدد أهم عناصر الفن المعماري العربي الاسلامي ، ونحاول ان نشرح ونثبت بصورة لا تقبل الجدل بان تلك العناصر كانت عربية اصيلة ، خالية من اي تقليد لغيرها من العناصر التي كانت معروفة في الابنية القديمة ، وان وجود بعض التماثل والتشابه بين بعض هذه العناصر والعناصر القديمة لا يعني التقليد مطلقا .

لقد سخر العرب والمسلمون عقولهم الناضجة وخيالهم المتقد ، في تشكيل عناصر مبانيهم ، وابتكار تعابير فنية خاصة ، اخذوا في تطبيقها في منشاتهم العديدة ، فكان الفن المعماري العربي الاسلامي قبل كل شيء فنا دينيا بالدرجة الاولى متاثرا بروح الاسلام ، وقد انصبت انواعه المختلفة على المواضيع الدينية من مساجد ، وجوامع ، ورُبُط ، وزوايا ، ومدارس ، ومراقد ، وغيرها من المنشآت الدينية . ففي المساجد والجوامع التي شادها العرب والمسلمون في مختلف المدن والعواصم الاسلامية تتمثل اساليب فن العمارة العربية الاسلامية الحقيقية،وفي هذه المساجد نماذج لعناصر البناء تختلف كليا عن العناصر القديمة .

بناء المساجد غير بناء الكنائس

لم يكتف المتحيزون بالقول بان هذه العناصر كانت تقليدا للعناصر القديمة ، بل ذهبوا في المغالاة الى ابعد من ذلك ، فادعوا بان نظام بناء المساجد نفسه موروث عن نظام بناء الكنائس ، بدعوى ان العرب لم تكن لهم معرفة باصول البناء ، ولا رغبة في العمارة ، وانهم عندما فتحوا بلاد الشام اقتسموا بعض الكنائس مع اصحابها وحوروها لتكون مساجد لهم ، وهكذا فعلوا في دمشق وحلب وحمص . اما المساجد التي بناها المسلمون فيما بعد على انقاض تلك الكنائس فهي ابنية اشتقت مخططاتها من مخططات الكنائس السورية ، وان المسجد الجامع الاموي في دمشق لدليل على ذلك ، كما ادعوا .

وللرد على ذلك نقول ان جميع المراجع التاريخية القديمة تثبت ان الخليفة الوليد بن عبد الملك ـ عندما بنى الجامع الاموي في دمشق ـ هدم الكنيسة المعروفة بـ (كنيسة يوحنا المعمدان) واقام مسجده الجامع في موضعها،وان الاساكب (الاروقة) الثلاثة البالغ طول كل منها ١٣٦ مترا والممتدة بصورةموازيةلجدار القبلة في بيت الصلاة(الحرم او المحراب) تختلف تماما عن افنية الكنائس الممتدة باتجاه مذبح الكنيسة . ثم ان اساكب الجامع الاموي الثلاثة متساوية بينما الفناء الوسيط في الكنائس يكون اعرض من الفنائين الجانبيين . اما وجود ثلاثة اساكب في الجامع الاموي فهو ليس قاعدة عامة في جميع الجوامع والمساجد ، فقد بنى المسلمون جوامع ومساجد باسكوب واحد او

باسكوبين او اربعة او اكثر • ولا بد من الاشارة هنا الى ان العالم (سوفاجيه) قد رد على هذا الادعاء فقال « انالمسجد الجامع الاموى فى دمشق لا يدين بشيء للكنيسة التى كانت فى موضعه من قبل » •

اما القول بان معظم العناصر الهامة فى بناء المساجد منقولة عن الكنائس كالمآذن والمحاريب والمقصورات والمنابر فهو مردود ايضا للاسباب الآتية :

أصل المئذنة

١ ـ ان القول بان المآذن مشتقة من طراز ابراج الكنائس مردود من اساسه حينما نقرأ فى كتاب وفاء الوفاء فى اخبار دار المصطفى (للسمهودى) ان بلالا الحبشى رحمه الله كان يصعد على اسطوان فى دار عبدالله بن عمر فيقبلةمسجد المدينة،ويؤذن وهو واقف فوقها ، وقيل انه كان يرقى على اقتاب فى بيت حفصة بنت عمر بن الخطاب (رض) وزوج الرسول (ص)••ثم تطورت فكرة ذلكالمكان المرتفع، وصارت بشكل صومعة يصعد المؤذن الى شرفتها من سلم يدور فى جوفها • وكان عمر بن عبد العزيز عامل الوليد بن عبد الملك اول من ادخل بناء المئذنة فى جامع المدينة • وان من اقدم المآذن فى شمال افريقية صومعة جامع القيروان فى تونس ، وقد بنى هذا الجامع (عقبة بن نافع) سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ، ثم اقام هشام بن عبد الملك مكان مئذنتها القديمة المئذنة الحالية فى سنة ١٠٥ هـ ، فاصبحت هذه المئذنة نموذجا لمآذن مساجد المغرب العربى والاندلس • اما فى العراق وبلاد فارس فقد اخذت المآذنشكلا اسطوانيا واحيانا ملويا كما فيسامراء، ثم صار للمآذن اشكال متنوعة فى الهند وما وراء النهر ، كما ظهرت مآذن باشكال مختلفة فى جوامع القاهرة تتدرج من قاعدة مربعة يعلوها قسم مثمن ثم تنتهى برأس او رأسين احيانا عليهما مبخرة • وقد بلغت المآذن من النحافة والجمال اقصى ما يمكن فى المآذن التركية فى اسطنبول وغيرها من المدن •

أصل المحراب فى المسجد

٢ ـ القول بان المحراب تقليد لموضع المذبح فى الكنيسة وان العمال الاقباط الذين استخدمهم عمر بن عبد العزيز فى تعمير جامع المدينة سنة ٩١ هـ / ٧٠٨ م هم الذين اوجدوا المحراب ، قول مردود وباطل ايضا ، وذلك لاختلاف موضع الذبح والثاله عن محراب الجامع الذى هو عبارة عن تجويف بسيط اشبه بالطاقة المسدودة فى جدار القبلة • وقد وضع فيها ليستدل منه على موضع الامام بين المصلين • وقد اعتاد العرب فى الصحراء ان يركز شيخ القبيلة حربته او لواءه فى موضع من المواضع ليحدد به موضع المحراب فى الفضاء ومقام الامام من المصلين • وتعرف هذه بـ (العَنَزَة) ، وكانت متبعة منذ عهد الرسول الاعظم • ولم يكتف المسلمون بعد ذلك بالتجويف البسيط للدلالة على المحراب ، بل ادخلوا الشيء الكثير من الزخرفة على هذه الطاقةالمسدودة وأحاطوها باطار مستطيلامتدت عليه الكتابة الكوفية الجميلة والزخارف المتنوعة وصارت كانها ستارة مزركشة مسدلة على الجدار تحيط بالمحراب من جانبيه واعلاه • هذا وليس من الضرورى ان يكون المحراب فى وسط جدار القبلة كما هو الحال فى موضع المذبح فى الكنيسة • وقد تتعدد المحاريب فى المسجد الواحد احيانا ولا يقتصر على محراب واحد فيها •

أصل المقصورة فى المسجد

٣ ـ اما المقصورة فى بعض الجوامع فليس لها ما يماثلها فى الكنائس ، لان المقصورة وان كانت ليست بعنصر اساسى من تخطيط المسجد لكنها استحدثتفى المسجد لتكونسياجا يحمي بعضالحكام حين يتوجهون للصلاة • ويذكر بعض المؤرخين ان الخليفة عثمان بن عفان (رض) عمل مقصورة فى جامع المدينة بعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وكانت من اللبن وفيها نوافذ ينظر الناس خلالها الى الامام • وفى زمن عمر بن عبد العزيز هدمت هذه المقصورة وجعلت من الخشب • وان معاوية بن ابى سفيان اوجد المقصورة فى الجامع الاموى فى دمشق عندما حاول احد الخوارج طعنه فى الجامع ، ثم اصبحت المقصورة سنة لتمييز السلطان كما يقول ابن خلدون فى مقدمته ، وصارت بدعة قلدها بعض الملوك والامراء •

أصل المنبر فى المسجد

٤ ـ اما المنبر فى الجوامع فهو يختلف تماما عن تلك الشرفة القائمة فى منتصف احد الاعمدة الامامية من الكنيسة ، فالمنبر سواء كان قطعة اثاث

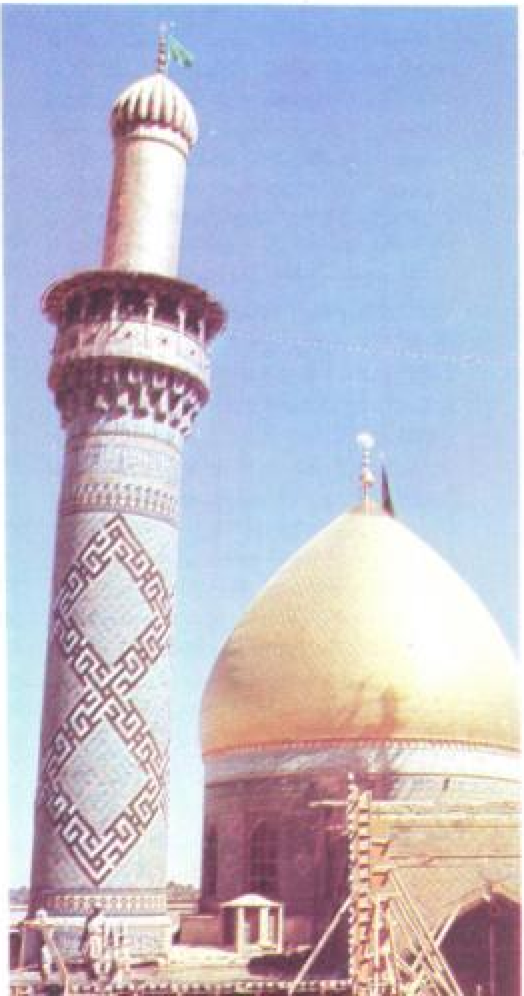


« توكلت على الله » مكررة اربع مرات في الزوايا الاربعة لهذا المربع الزخرفي النادر ٠٠ لقد كانت الخطوط احد أساليب الزخرفة في العمارة العربية٠ (الى اليسار)

مئذنة دائرية في العراق كتب عليها اسم « سيدنا علي » في اشكال زخرفية ، بينما المئذنة كلها مغطاة بالسيراميك ٠ (الى اسفل)



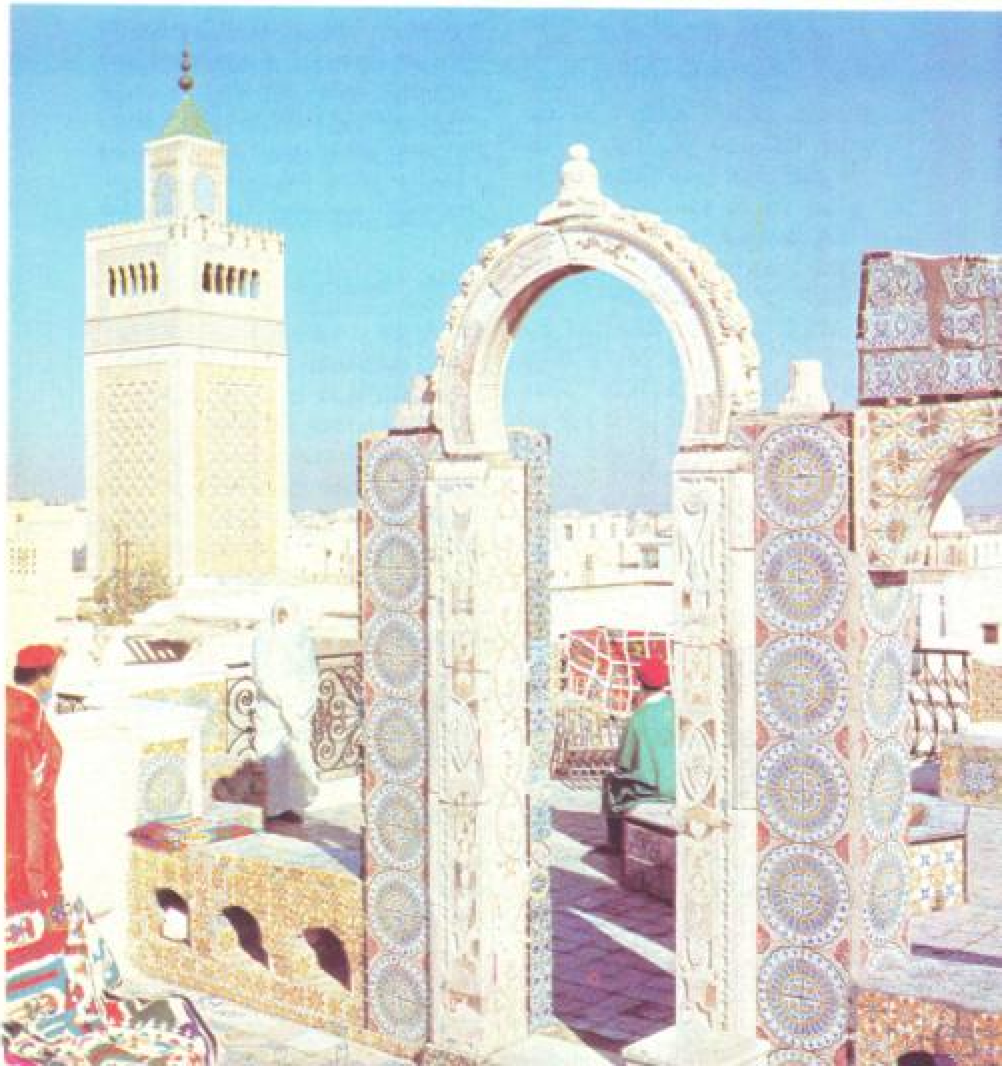
واحدة من تحف الفن الاسلامي،قناديل الزجاج المزخرف،التي دون عليها لفظ الجلالة ٠ وقد احتلت مكانا واضحا في العمارة الاسلامية ٠ (الى اعلا)٠





التوريق (استخدام اشكال أوراق الشجر) هو أحد أساليب العمارة المعروفة وهذه مجموعة من الزخارف المنقوشة على الخزف (الى اليمين)

مدخل قصر الباي في تونس ،والى جواره منارة جامع الزيتونة ، الواجهة مغطاة بالخزف المليء بالنقوش العربية الجميلة (الى اعلا)



خشبية متحركة او بناء ثابتا يكون موضعه الى يمين المحراب • ولم يكن المنبر موجودا فى جامع المدينة فى بادئ الامر ، وكان النبى الاعظم اذا خطب يقف الى جذع نخلة هى احدى اعمدة الجامع• وقد ذكر احد المؤرخين ان نجارا عمل منبرا بثلاث درجات من الخشب ووضع فى جامع المدينة ، وكان الرسول الاعظم يجلس على اعلى الدرجات ويضع قدميه على الدرجة الوسطى اذا ما طال وقوفه وقت الخطابة واراد الراحة ، ويقال ايضا ان هذا المنبر كان من الطين بمرقاتين او عتبتين •

اما القول بان عبد العزيز بن مروان قد حمل المنبر من احدى الكنائس فى مصر ووضعه فى جامع المدينة فليس هناك ما يثبت هذا القول من الوجهة التاريخية• ومن المعروف ان معاوية زاد عدد درجات المنبر وجعلها سبع او تسع درجات على اختلاف قول المؤرخين • وقد اهتم المسلمون بتزيين المحاريب وجعلوا النقوش فيها محفورة فى الخشب او الحجر وحذق رجال الفن واجادوا اسلوب النحت الغائر المغرم او شبه المغرم وبلغت اجادتهم حدا بعيدا فى الدقة والاتقان ورقة الحساسية الفنية ووفرة التعابير الزخرفية •

أصل القبة في المسجد

٥ ـ اما القبة فمن المعلوم ان العرب اتخذوا لمساجدهم الاولى ظلة من سعف النخيل وجريده ، ثم استبدلوا ذلك بسقوف خشبية مسطحة • وقد شيد الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة فى بيت المقدس سنة ٦٦ هـ / ٦٨٥ م وكانت القبة مصنوعة من الخشب تغطيها صفائح من الرصاص وفوقها الواح من النحاس البراق ، وقد سقطت هذه القبة عام ٤٠٧ هـ واقيم مكانها القبة الحالية وهى مكونة من طبقتين تغطى الطبقة الداخلية الواح من الخشب ، عليها نقوش وزخارف جصية جميلة • ويذكر بعض المؤرخين ان عبد الملك ابن مروان حينما اراد بناء قبة الصخرة وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للمهندسين والصناع فصنعوا له (قبة السلسلة) فاعجبه تكوينها وامر ببناء قبة الصخرة طبقا لهذا النموذج•

اختلاف القبة الاسلامية عن سواها

مما لا شك فيه ان انشاء القباب كان معروفا عند الرومان والفرس الا ان القباب التى انشاها العرب فى الاندلس وشمال افريقية ومصر ، لا سيما فى العهد الفاطمى والايوبى والمملوكى ، تختلف كل الاختلاف شكلا وتركيبا عن القباب المعروفة قديما• فشكل المقرنصات والمحاريب الصغيرة وانواعها المختلفة التى ترتكز عليها القباب ويتم التحول بواسطتها من المربع الى المثمن ثم الدائرى تختلف تماما عن المقرنصات الفارسية •

لقد اصبحت القباب عنصرا هاما من العناصر المميزة للعمارة العربية الاسلامية ، وقد حوَّر المسلمون اسلوب انشائها بما يتفق مع اساليبهم ومزاجهم الفنى حتى تضاءلت القباب الفارسية والرومانية امام القباب الاسلامية • لقد اصبحت المقرنصات فى القباب الاسلامية اشبه بالزخرفة كما يشاهد فى قبة جامع تلمسان فى الجزائر ، بينما صار الاساس فى قبة جامع قرطبة هو تجزئة الكتلة الكروية الى خطوط هندسية بشكل عقود نصف دائرية متشابكة كالكمرات وصار ما وراءها حشوا ، ولهذا يمكن اعتبار هذه الانواع من المقرنصات ابتكارا للفنان العربى المسلم •

لم يتوقف بناء القبة عند هذا الحد بل صار الابتكار يشمل الشكل الخارجى للقبة. فاخذ السطح الخارجى للقبة يتجزأ الى اضلاع بشكل خطوط تنبثق من قمة القبة وتنزل الى اسفلها وكانها هيكل عظمى لجسد القبة • كما تنوع شكل القباب فى العراق وبلاد فارس والهند وصار السطح الخارجى للقبة يغطى بحلة جميلة من القاشانى ذات الزخرفة الجميلة كما طوقت بكتابات من آيات الكتاب الحكيم فى غاية الابداع والاتقان •

أصل العقود في المساجد

٦ ـ اما عن العقود فقد ادعى المتحيزون ان بعض العقود التى استعملها العرب فى مبانيهم كالعقد المنفرج والعقد الثلاثى الفتحات كانت معروفة عند الساسانيين والهنود ، وان جميع اشكال العقود العربية مقتبسة من العقد نصف الدائرى الرومانى • وادعى آخرون ان جميع العقود المستعملة فى المساجد الفاطمية فى مصر تتخذ اشكال العقود الفارسية • وللرد على ذلك نقول ان العرب ابتكروا انواعا كثيرة من العقود وجعلوا لكل نوع اسما خاصا به ومكانا معينا لاستعماله فى البناء ، من هذه العقود (العقد المنفرج) الذى يسمى خطأ (العقد الفارسى) وهو تطور للعقود المطولة

المدببة ، و (العقد المنبعج) البيضاوى الشكل ، و (العقد المنبطح) وهو عقد مقوس غير كامل او هو الجزء الافقى من العقد المقوس ، و (العقد الاحدب) وهو العقد المدبب المنفرج • وهناك انواع اخرى كالعقد الثلاثى والعقد الخماسى والعقد المقصوص والمدبب المطول والعقود المتتابعة او المزدوجة • ان هذه الاشكال العديدة للعقود والمستعملة فى المبانى الاسلامية تدل دلالة واضحة على روح الابتكار وسعة الخيال فى التعبيرات الفنية لدى العرب والمسلمين •

ان العقد المنفرج الذى يطلق عليه خطأ اسم العقد الفارسى « والذى يتكون من كتفين مستقيمين يجتمعان عند راسه فى زاوية منفرجة وله طرفان راسيان مستقيمان يربطهما بالكتفين انحناء مقوس من كل جانب » ، والعقد الثلاثى الفتحات كانا اكثر استعمالا فى الابنية المغربية والاندلس وليس لهذين القطرين اى اتصال ببلاد فارس والهند ، وفضلا عن ذلك اصبح استنباطهما ملتزما بقواعد واصول هندسية معروفة لدى المعمارى العربى المسلم •

أصل الصنج فى المساجد

٧ ـ اما الصنج المعشقة فقد ابتكر العرب انواعا متعددة منها وجعلوها عتبات افقية فوق الفتحات ، وتتكون الصنج المعشقة من قطع حجرية متلاصقة ومتعاشقة ، وقد عرف الرومان من قبل عمل الصنج المعشقة ، ولكن العرب لم يقلدوها بل حوروها تحويرا كبيرا واوجدوا انواعا متعددة لها هى اكثر تلاصقا واجمل منظرا وشكلا ، وقد اتخذت الصنج المعشقة الافقية والمقوسة فى المبانى العربية مظهرا زخرفيا مع الاحتفاظ بوظيفتها المعمارية الاساسية•

أصل الزخارف فى المساجد

٨ ـ وعن الزخرفة العربية الاسلامية ادعى المتحيزون بانها كانت معروفة ايضا عند الرومان والفرس والهنود وان الزخرفة الهندسية كانت موجودة فى المبانى الرومانية وان الزخرفة باوراق العنب وغيرها من النباتات والاثمار كانت شائعة عند الفرس والهنود • وللرد على هذا نقول ان من الثابت ان العرب لم يقلدوا هذه الزخرفة حرفيا بل اخرجوها من جمودها وجفافها والبسوها حلة جميلة حتى اصبحت وكانها نسج من الخيال وصار عندها وانواعها لا حد له ولا حصر ، سواء كانت تلك الزخارف محصورة داخل الاشكال الهندسية المتعددة الانواع او حرة تسير فى خطوط ومنحنيات تتكرر وتتعاقب الى ما لا نهاية له •

ان تسمية الزخارف المعروفة بالتوشيح العربى ب (الارابسك) مما يدل دلالة واضحة على انها لم تكن شائعة قبل ظهور الاسلام بل هى عربية اصيلة جعلها العرب عنصرا زخرفيا فى المبانى وغيرها من الاشياء ، وقد عرفت دائرة المعارف الاسلامية التوشيح بانه « اصطلاح زخرفى يقصد به التعريف عن مجموعة مكررة تملأ الفراغات وتتكون من عنصرين زخرفيين او اكثر متشابكين تشابكا هندسيا متماثلا او منتظما تتباين الحركة فيهما تباينا توقيعيا » • ومن المعلوم ان قوام التوشيح هو الجمع بين الخطوط الهندسية والاشكال النباتية التى قوامها الشريط او الفرع او الغصن، ومن وريقات او سعف او براعم او زهيرات يراعى فى تنسيقها مظهر التماثل ، وهذا التماثل اما ان يكون تماثلا متقابلا او تماثلا عكسيا ، وبهذه الصورة تتجلى عظمة هذه الزخرفة العربية التى لا مثيل لها عند الامم القديمة •

الخط العربى فى زخرفة المساجد

وقد احتل الخط العربى ولا سيما الخط الكوفى مكانة ممتازة بين الموضوعات الزخرفية وصار مظهره البديع يبهر الانظار لما فيه من تناسق وتكرار واتزان فى التمثيل ولهذا شاع استخدامه كعنصر زخرفى فى المبانى وغيرها من اشياء • وقد اصبح هذا الخط جزءا لا ينفك عن المبانى الاسلامية بل صار متمما لها ومندمجا فيها • وقد تسابق الخطاطون فى تنسيق الحروف العربية وزخرفتها بالازهار والنباتات وصارت العروق والسيقان تتشعب وتتعانق حتى طغت على الحروف نفسها •

هذا وقد يتساءل القارىء الكريم بعد عرضنا لأهم العناصر فى المبانى العربية الاسلامية من هم اولئك المهندسون الذين اشتهروا بمثل هذه الاعمال المبتكرة فى تلك العصور ؟ وهل تلك الروائع المتناسقة المتميزة من العمائر والمنشآت شيدت طبقا لتصاميم اعدت لها ونفذت بمقتضاها ؟ وهل تلك الزخارف الدقيقة المتنوعة عملت وفق مخططات رسمت لها قبل الشروع بعملها ؟

مما لا شك فيه ان مثل هذه التفاصيل المعمارية

الدقيقة لا يمكن ان تتم الا اذا هيأ لها المهندسون ذوو الاختصاص الرسوم والمخططات المدروسة،وان واجهات المباني والقباب والمآذن لا بد لها من رسوم جاهزة قبل الشروع بالعمل ، ومثل هذا بالنسبة الى التفاصيل المعمارية الاخرى كالوزرات والمحاريب والمقرنصات والابواب والسقوف وغيرها التي لا يمكن عملها الا طبقا لرسوم مفصلة وملونة احيانا او نماذج مجسمة صغيرة (ماكيت) كما يسميها المهندسون اليوم ·

بعض المهندسين المسلمين

فعلى سبيل المثال لا الحصر نورد هنا اسماء بعض المهندسين الذين اشتهروا في الهندسة والبناء والزخرفة :

ـ سعد ابو عثمان الذى بنى قنطرة من قناطر خليج مصر فى عهد عبد العزيز بن مروان سنة ٢٩ هـ / ٦٨٨ م ·

ـ يحيى بن حنظلة الذى بنى مسجد عمرو بن العاص في عهد قرة بن شريك سنة ٩٢ هـ/٧٠٩م·

ـ صالح بن كيسان الذى أشرف على تعمير مسجد الرسول (ص) فى المدينة فى عهد الوليد ٨٧ هـ / ٧٠٦ م ·

ـ اسحق بن قبيصة الذى بنى قصرا لهشام بن عبد الملك ٧٢٤ ـ ٧٤٣ م ·

ـ فتح الله الذى بنى قبة مسجد الزيتونة بتونس ١٥٠ هـ / ٨٦٤ م ·

ـ المهندسون والمشرفون ـ عبد الله بن محوز ، والحجاج بن يوسف ، وعمران بن الوضاح ، وشهاب ابن كثير الذين اختارهم المنصور لوضع مخطط المدينة المدورة (دار السلام ـ بغداد) سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م ·

ـ موسى بن داود مهندس المامون (٨١٣ ـ ٨٣٣ م) الذى قال له « اذا بنيت لى بناء فاجعله مما يعجز عن هدمه ليبقى طلله ورسمه » ·

ـ احمد بن كثير الفارغاني الذى بنى المقياس بجزيرة الروضة سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ·

ـ عبد الله بن القفاص الذى بنى مجنبات البهو وقبة مسجد الزيتونة في تونس سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م ·

هذا ونحن حين نكتفي من ذكر هذا العدد القليل من المهندسين نقول ان فريقا كبيرا من المهندسين كانـوا بنائين ونجارين مغرمين بفنهم ، درسـوا الهندسة بصورة عملية وكانوا يرسمون بانفسهم منتجاتهم قبل تنفيذها،وقد وصل النوابغ منهم الى مرتبة المهندسين الخالدين فى التاريخ الاسلامى ، ومن أراد التوسع والاطلاع على اسمائهم ومؤلفاتهم فليراجع كتاب الفهرست لابن النديم ص ٣٧١ ـ ٣٩٧ ، وكتاب مفاتيح العلـوم للخوارزمى ص ١١٧ ـ ١٢١ ·

والآن حين نكتفى بهذا القدر من تعداد فضل العرب والمسلمين على تقدم فن العمارة لا يسعنا ان ننكر فضل عدد كبير من علماء الغرب المنصفين الذين قاموا بدراسة الفن المعمارى الاسلامى وعنوا عناية كبيرة بالآثار العربية الاسلامية فى مختلف الاقطار·فلم يتركوا زاوية من الزوايا الا وتناولوها بحثا وتنقيبا ودونوا نتائج دراساتهم هذه فـي كتب واسفار عديدة اصبحت اليوم مرجعا مهمـا يستعين بها المتتبعون لدراسة هذا الفن القيم ، فمن واجبنا الاعتراف بفضلهم وتقدير جهودهـم الضانك وتضحيتهم مـن مـال ووقت فى التاليف والتنقيح والاخراج والطبع والنشر ·

ولا يفوتنا هنا الا ان نذكر بكل اعجاب وتقدير ما جاء فى كتب الاستاذ الكبير الدكتور احمد فكرى (مساجد بغداد ومدارسها) من تفاصيل دقيقة لفن العمارة العربية الاسلامية وما ورد فيها من ردود موضوعية على جميع افتراءات المتحيزين والمغرضين من علماء الغرب ·

وقبل ان نختتم هذا المقال نود ان نثبت هنـا العبارة التالية التى جاءت فى كتاب العالم الفرنسى المنصف (فيردو) Viardot عن الفن العربى :(١)

« يقولون ان وجود الشبه بين الفنين النصرانى والعربى ، وان سبق احدهما الآخر ، مما يدل على ان احدهما قلد الآخر ، فهل قلد الفن العربى صنوه الفن النصرانى يا ترى ؟ لا ، كان تقدمه فى الصنعة ظاهرا لامراء فيه ، وان اوروبا استقت معرفتها فى العصر الوسيط من العرب ، فلا معدى عن انها استقت الفن الوحيد الذى يقره الدين الاسلامى » ·

بغداد ـ **شريف يوسف**

(١) تاريخ عرب اسبانيا Histoire des Arsbes Espagnes

عبد الرحمن عزام

دهشت عندما قرات قـول المحرر فى افتتاحية العدد ٢٣٢ الذى جاء فى سياقه (بان المستر ميهيو قال بان السيد عبدالرحمن عزام الذى نسب اليه اقتراح ارجاع اليهود من حيث اتوا) ليس من الزعماء العرب ؟ ؟

ان عبدالرحمن عزام سياسى عربى له مكانته ٠٠ وكان اول من ادخل فكرة الوحدة العربية وتوحيد المناهج التعليمية واول من ناصر الحركات الاستقلالية العربية سواء فى ليبيا او فى الجزيرة العربية ٠

وهو اول دبلوماسى عربـى كان يحضر اجتماعات مجـلـس الوزراء العراقى فى اواخـر الثلاثينات ايام كان سـفيرا لمصر فى بغداد ، اعترافـــا بمكانته السامية التى علت على الحواجز والحدود الوهمية التى تمزق وطننا العربى الكبير ٠

فاذا لم يكن عبدالرحمن عزام من الزعماء العرب ، فمن هـم الزعماء اذن ؟

حامد رجيب

عربى مقيم فى لندن

العربى والمجلات الفرنسية فى الشمال الافريقى

● اكاتبكم من غرب الوطن العربى الجزائر ، وقلبى مملوء بالحب والتقدير لجهوداتكـم الجبارة فى سبيل انجاح مجلتكم، ولا استطيع وصف الفراغ الذى تركته مجلتكم فى مكتباتنا ، فـان الشـاب اليـوم وبعـد انقطاعها يجـرى لاهثا وراء صديق له يملك عددا او عددين ليستلفهما منه ، ولو ان زمن صدورها قد مرت عليه سنون عديدة ، ٠

وانا مـن هنا ومـن ارض عربية مسلمة ، مـن ارض ضـحت بـاعـز مـا تملـك من شباب فى سبيل استرجاع شـخصيتها العربيـة المسلمـة والرجوع الى حظيرة الوطـن العربى الام ، وباسم جميـع الشباب الجزائرى الذى يسعى لاسترجاع ثقافته الاصلية بالاكل مجهوداته فى سبيل محـو مخلفات الاستعمار الفرنسى ،وهو اخطر مستعمر ، اذ انه وكما تعلمون سـمم جـذور شخصيتنا للقضاء تماما على عرق الاسلام والعروبة فينا ،وها نحن والحمد لله وقد دفعنا ثمن عودتنا لحظيرة العروبة والاسلام، نخوض معركة حامية الوطيس فى سبيل استرجاع ثقافتنا الاصلية ، وقد كانت مجلتكم اهم رافد يزودنا بالجيد من المعرفة الحقة ٠

والان وفى خضم معركتنا ،اتتركـون المجلات العقيمـة الفائدة ، والاجنبية تغزونـــا وتسمم افكارنا ٠٠ ؟

عمرو عبد الوحيد

وهران ــ الجزائر

المتنبى

المقال الذى نشره العربـى فى عدده رقم ٢٣١ تحـت عنوان (عقدة المتنبى) للدكتور شكرى محمد عياد ، اتاحت لنا سطوره ان نعيش مع المتنبـى بعض الوقت ، والكاتب يحاول ان يبرىء المتنبى من السعـى وراء المال ٠ ولكن المتنبـى يقول لنا من خلال شعره انـه يحمل روحا يتعطش للمجـد والسلطة والقوة بدليل قوله :

ودهـر ناسه ناس صغـار
وان كانت لهم جثث ضخام
وما انا منهم بالعيش فيهم
ولكن معدن الذهب الرغام

ولا شك ان المال وسيلــة من وسائل القوة التى كان يبحث عنها المتنبى ٠ ولا يعنى هذا انه كان بخيلا او مقترا ولكنه كان يسعى الى الجاه ٠٠والمال ـكما لا يخفى ـ بعض ادوات هذا الجاه ٠

وليس ادل على ذلك من قوله فى كافور

اولى اللئام كويفير بمعذرة
فى كل لؤم ،وبعض العذر تفنيد
وذاك ان الفحول البيض عاجزة
عن الجميل،فكيف الخصية السود

عبدالبارى عبدالرحمن

سوريا ــ القامشلى

حوار القراء
حوار القراء

جمعية خيرية على مستوى العالم العربي

مما يؤسف له حقا ان عالمنا العربي يفتقر الى جمعية خيرية تشمل كافة اقطاره ·· ولا يتاثر نشاطها بالحدود المصطنعة،والتقلبات السياسية·

اننا بحاجة لجمعية يكون نشاطها على مستوى الوطن العربي ، وليس من هدف لها سوى فعل الخير تمول عن طريق ملايين الطلاب في المدارس والجامعات ·· من العمال والموظفين ·· من التجار والحرفيين تقوم بكل ما من شانه الحفاظ على ابتسامة الانسان العربي··تؤدي واجبها في الاحوال العادية والاستثنائية ·· تهرع لمواساة كل منكوب واغاثة كل ملهوف··

العالم العربي اولى بجمعية كهذه من دول اوربا فماساة الانسان العربي فوق كل وصف·

جورج خوري

الرياض ـ السعودية

تعقيب على مقال ارتيريا

● العدد ٢٣٠ من العربي جاء غنيا بالمواضيع الممتازة ، واخص بالذكر ، لا على سبيل التفصيل ، البحوث الثلاثة التي تناولت تنزانيا ، ارتيريا ، الاوجادين ، بحيث تشكل ملفا خاصا بقطاع من افريقيا · والحقيقة ان البحثين الخاصين بتنزانيا والاوجادين كانا من مستوى رفيع ، الا ان البحث الخاص بارتيريا ، على جودته ، يستدعي بعض التحفظ· في معرض كلامه عن ارتيريا ، ذكر الاستاذ سعد زغلول فؤاد : « تعاقب عليها المستعمرون الاجانب ففقدت استقلالها وتعرقل تطورها ·· ، فقد احتلتها تركيا عام ١٥٥٧ حيث اكتفت باحتلال شواطئها الا ان الاستعمار التركي ظل جاثما على البلاد ٣٠٠ عام من ١٥٥٧ الى ١٨٤٦ ، وحين انسحبت تركيا حل مكانها المصريون ·· » .

لا ادري من اين اتى الاستاذ زغلول بهذا التشخيص ،فهذه نظرة لا تنفذ الى الرؤية الشاملة للمعركة التي كانت تخوضها الشعوب الاسلامية في مواجهة المد الاستعماري الاوروبي في القرن السادس عشر وما يليه ·

« ان الاستعمار الاسباني ـ البرتغالي كان يطبق فكي كماشة على افريقيا ، وان البرتغاليين اختصوا بسواحل البحر الاحمر والجنوب العربي » ··

« وفي هذه الاثناء ، كانت وطأة البرتغاليين قد اشتدت على المسلمين في الهند ، فارسلوا رسلهم الى القسطنطينية والى مصر » ·

« وان مصر التي دخلها العثمانيون عام ١٥١٧ قد اصبحت عنصرا ناشطا في مكافحة الاستعمار البرتغالي الذي وصل اوج سطوته خلال العقود الاولى من القرن السادس عشر »· وتشمل الوثائق التركية في اسطنبول معلومات عن توجه

احرموا سلطات اسرائيل من هذا الدخل

● ذكرت صحف الضفة الغربية ان الرسوم الجمركية التي تتقاضاها سلطات الاحتلال الاسرائيلي من القادمين لزيارة اقاربهم في الضفة الغربية وقطاع غزة عبر الجسور قد بلغت ثلاثة ملايين ليرة اسرائيلية شهريا ·

ولكي نحرم العدو الاسرائيلي من هذا الدخل فاني اهيب بكل زائر لاهله في الضفة الغربية وقطاع غزة الا يحضر معه اية هدايا ، كي نفوت على سلطات العدو امتصاص هذه المبالغ منا ·

فهل من مجيب ؟ !

عثمان الحاج عبدالمعطي الخطيب

اربد ـ الاردن

حوار القراء
حوار القراء

القوى المحلية الى السلطان العثماني مطالبة بالعون ضد البرتغاليين .

وفي مقال مجلة الجمعية الجغرافية لاسيا الوسطى .. :
« وبحلول النصف الثاني من القرن السادس عشر اصبح الاتراك يتحدون بقوة عنيفة سيطرة البرتغاليين في الخليج ، فلم تكن الامال الجياشة في صدر السلطان سليمان القانوني باقل من مطامع البرتغاليين ، بل قد كان يخطط لطردهم من كل المناطق الاسلامية .. »

« .. ودارت معركة رهيبة بالسيوف والاسنة خسر فيها الفريقان خسائر دامية جدا ، وقد حطم للاتراك خمس سفن، ونزل بعض جنودهم على الساحل فتلقاهم اخوانهم من المواطنين العرب بالاحضان ، وبذلوا لهم كل عون ممكن .. »

وخير ما انهي به هذه الاستشهادات التوضيحية هو هذا المقطع الذي يرسم الصورة الاجمالية للصراع ، والاعمال الجهادية الاسطورة التي تنزع بعض الاقلام المعاصرة المتجنية او المتسرعة الى تزييف حقيقتها وتسميتها بالاستعمار التركي ..

« .. وعلينا في هذا المجال ان نشير الى حقيقتين هامتين، اولاهما انه كان على الدولة العثمانية ان تتصدى للعدوان الصليبي على شمال افريقيا ، اذ انه لولا ذلك التصدي لما كان سقوط غرناطة وخروج المسلمين من الاندلس هو خاتمة المطاف في مأساة الجناح الغربي لدولة الاسلام ..

لقد ابرز الدفاع عن المغرب بطولات عثمانية ، .. وعلينا ان نذكر ان البرتغاليين تغلغلوا في مناطق غنية وواسعة من افريقيا ، الامر الذي جعل رقعة الصراع معهم واجبة الامتداد الى قطاعات واسعة من المحيط الهندي تشمل سواحل افريقيا الشرقية وسواحل الهند ومداخل الخليج من ناحية عمان ..

معتز هاني الرواس ــ اللاذقية

استطلعوا الجنوب اللبناني

● الغزو الاسرائيلي امتد الى الجنوب اللبناني ..شرد ودمر وقتل .. وترك بصمات من الهمجية لا استطيع وصفها.

اقترح على مجلة العربي ان تبادر بارسال بعثتها لتسجيل تلك البصمات الهمجية ليرى العالم الحضارة الصهيونية على حقيقتها !!

احمد عبدالحليم ــ لبنان

تداركوا هذا الجيل

● انه لمن الخطر ان تقوم دولة الاحتلال بضم اجزاء جديدة من الوطن العربي . ولكن الاخطر من ذلك هو ان ينشأ جيل عربي يؤمن بان لليهود الحق في اقامة دولة لهم في قلب هذا الوطن العربي .. بحيث يبدو الامر وكانه مجرد خلاف على الحدود لا اكثر ولا اقل .. ولا شك ان الاعلام العربي شريك في ارتكاب هذه الجريمة .

عبد الحنان النجار
الكرك ــ الاردن

صوت اسلامي من الهند

● اقيم في نيودلهي عاصمة الهند معرض ضخم للكتاب اشتركت فيه عدة دول . وكنا نامل ان نلتقي في هذا المعرض بالفكر العربي الاسلامي على تنوعه وثرائه .. ولكننا اصبنا بخيبة امل عندما فوجئنا بغياب معظم الدول العربية والاسلامية عن هذا المعرض ما عدا دولتين هما الكويت والعراق . اما باقي الدول العربية والاسلامية فغائبة ..

وتساءلنا اين الحماس الاسلامي .. وهل هناك فرصة تنتهز اكثر من هذه لنشر الفكر الاسلامي والعربي ومد الجسور بين ابناء الاسلام .

بشير عبد علي ــ الهند

السائق والفندق وأغراس التبغ

بقلم : ربيع ديب

■ كان يعلم ـ الاحمق ـ انها ستتوقف ·· همس حمزة لنفسه ·· بلى ، كان يعلم · ومع ذلك فقد استمر بصلف وعناد ·

شحن حمزة ذاته بمزيد من الحماس ، ودفع بكامل طاقته ، فوق ما يبذله وهو يدفع عربة الخضار · ومن خلال النافذة رآهما : كان يتشبث بالمقود ، تلتف ذراعاه من حوله مثل افعى · وكانت تسترخي في المقعد الى جانبه، تنظر ببلاهة وعنقها ملوى الى الوراء ·

جدف الرجل الى يمين حمزة ، ثم توقف منحنيا ·· وحين انزلقت بعيدا عنه جلس وسط الاسفلت الساخن ، وبعدها توقفت تماما ·

اتكا حمزة بكفيه المتعبتين على الغطاء المقشور وهو لا يزال منحنيا يغالب ألما في الظهر ، فيما هو يحاول استعادة جسده منتصبا كالمألوف ، تماما كما يفعل كل يوم وهو يدفع بالعربة · ومن فوقه كانت اشعة الشمس تسقط على عنقه ·· وفجأة شعر وكان الم الظهر يمتد كجدول صغير ليتصل بألم العنق الذي لازمه طوال الليل فوق المقعد المعدني الصدىء في المخفر ·

ـ الى اين تذهب يا حمزة ؟ · ـ عاود الهمس
ـ نصفك هناك في الجنوب ، ونصفك الآخر في « النبعة » الى الشمال ·· الى اين تعود يا حمزة، وهل حقا انك لا تزال حيا ؟ · أم هو حلم الموتى يلازمهم ؟ · منذ صغرك وهم يقولون لك ان الموتى يحلمون ، او يتحولون الى اشباح ·· منذ صغرك وانت تعتقد ان اشباح الموتى تثار لاصحابها ·

هبط السائق ، وابتسامة بلهاء تتشعب في وجهه كأثار الجدري ·· وحمزة استطاع ملاحظة ان الرجل ليس غاضبا كما ينبغي ، ولذلك ازداد كرهه اياه ·· وهي ظلت هناك مسترخية في المقعد الامامي ، يبرق أحمر الشفاه في وجهها لطخة فارقة وكريهة ·

نصفك هناك ·· والنصف الآخر ·· هناك · فتيقن من انك لست بين الانقاض ·

سقط متربعا ، ثم أرخى ذراعيه على ركبتيه ، وبدا مع الرجل الجالس خلفه على بعد خطوات وكانهما صخرتان في بيئة صحراوية · والشمس تسقط الآن فوق صفحة وجهه وكانما تنسرب من جبهته الجنوبية السمراء · والى اليمين كان ماء البحر ربيعيا رائقا على نحو رتيب· وسنونوات الى اليسار انتظمن كالعقد فوق اسلاك الهاتف وهي تمارس لعبة التوازن الازلية ·

★ ★ ★

ـ انت واثق من اننا سنتصل ؟ ·
ـ دع الأمر لي ··

ولم يترك لك مجالا لمزيد من الكلام ·· وانت وجدت في سؤالك تصرفا طبيعيا وقد شاهدت السيارة مترهلة كعجوز · ولم يكن ثمة مفر وانت تنشد الى نصفك هناك في الجنوب ·· وهي كانت السيارة الوحيدة في المرآب ، وكان يتكىء عليها يكاد يشارك المرأة ثوبها وهي تمضغ اللبانة ، واللطخة تبرق في وجهها مثيرة وكريهة معا · وانزلقت في المقعد الخلفي الى جانب الرجل ·· انتظرت ساعة كاملة ·· بلى ، شعرت انك وحدك



تنتظر ، قبل ان تسمع جارك يتطوع لدفع اجرة راكبين ، فتحركت السيارة • وحين زايلت المكان سقطت قذيفة فى شارع خلفى •

حمزة لم ترهبه القذيفة ، كما لم يرهبه كثيرا انهيار الفندق والجحيم الذى انفتح • فقد الف القذائف تبصقها الطائرات فى الجنوب فتهوى كطيور السمان المصابة قبل ان تنفجر •• هناك على بعد اميال ، حيث ترك العجوزين يتشبثان بالافدنة القليلة المزروعة تبغا •

ـ لنرحل يا ابى ••

ـ ارحل انت ••وسابقى هنا •• او اموت هنا••

كان عنيدا دون حد •• وحمزة تذكره والفندق يتهاوى مثل هيكل عظمى خرب •• كان باستمرار يقول ان بينه وبين الارض سرا ، وانها ستلعنه اذا ما رحل •

ـ ولكن يا ابى ••

ـ قلت هى ارضى ولن ارحل ••

وها هو يسعى حثيثا باتجاه الجنوب ليقول للاب ان الموت واحد فى الجنوب وفى الشمال ، وان للرعب رائحة واحدة • واما نصفه فى « النبعة » اسرته ، فقد كان من العبث التفكير فى الذهاب اليه وجميع الطرقات مقفلة •• يختلج عصفور ما فى صدره وهو يستحضر صورتها هناك •• انها تقف الآن حيال الشارع •• يبدو نصفها الاعلى وسط النافذة مشطورا يخفى الولد شطره الايمن وقد استسلم فوق ذراعيها وكانه يشاركها قلقها •• ينظران معا الى نهاية الشارع بانتظار العائد•

★ ★ ★

قالت له :

ـ لا تذهب •

قال :

ـ يا امراة •• نحن نعيش يوما بيوم •

وادركت انه سيذهب للعمل لا محالة •• وهى ، على اية حال ، تحتفظ بالمال القليل الذى يبقى ، وتعلم انه ، على الرغم من اى شىء ، سيذهب ومع ذلك فقد قالت :

ـ قلبى يحدثنى بشر •

وعقدت كفيها فوق ركبتيها باستسلام •• كانت تعلم انه سيذهب •

خطرت له الفكرة المعتادة كنافورة وسط ماء ضحل:

ـ هيئى نفسك •• سنذهب الى الجنوب •

ظلت مستسلمة كعهدها • واستطاع ان يخمن ما يجول فى ذهنها •

كان دائما يقول لها : هيئى نفسك •• سنذهب الى الجنوب ، او سنذهب الى الشمال •• منذ تزوجها وهو يقول ذلك •• سنتان مضتا وهو اشبه بالكرة تقذف بها الصواريخ شمالا وجنوبا •• تحمل هى الولد ، ويحمل هو صرة الثياب • وها هو الآن يفكر فى ضرورة ازالة الحواجز بين نصفه هناك ، نصفه •• هناك •

★ ★ ★

ـ ملعون والدك ••

عبرت به السيارة محاذرة الاصطدام به ، وحين تجاوزت السيارة العجوز على بعد خطوات منه ادرك انه المقصود بالشتيمة •• شيعها بعينين ذاهلتين وهى تبتعد ، وشعر بدبيب الحياة من حوله وكانه يستشعر ذلك لاول مرة •• كان يخيل اليه انهم فى بقعة مهجورة ، الى ان مرت هذه السيارة •• نهض عن الاسفلت وتقدم من السائق المتتن ، ومن خلفه تهادى قرع اقدام الرجل الآخر •

ـ الى متى نظل هكذا ؟ •

ـ لا ادرى •

ـ ولكنك قلت دع الامر لى •

ـ لم يجبرك احد •

ـ ولكنك اخذت اجرك •

ـ قلت لم يجبرك احد •

ـ انت تخدعنا •

شعر بعدم قدرته على ضبط شحنة الحقد الفائرة فى داخله •• وكرر :

ـ انت تخدعنا •

وفى تلك اللحظة اشعلت المراة سيجارتها ، وبدت كريهة وقبيحة فوق ان يطيق •• والرجل الآخر وقف متكئا على السيارة فبدا جزءا منها • وحمزة استطاع الآن ان يتخيل للرجل امراة فى مكان ما تقف مشطورة فى النافذة ، وتخيله خارجا من انقاض فندق وسط ازيز الرصاص والسنة اللهب •

★ ★ ★

جذبه رجل ودفع به فوق الدرج ، فيما تواصل ازيز الرصاص فى الخارج ، يضج مقتربا كشىء غامض ، كلما صعد فوق الدرجات •• وتذكر انه اودع ، منذ ساعة ، عربة الخضار عند مالكها

وتسلم منه الليرات العشر .. دفع بالعربة طيلة النهار وسط الأزقة وأجساد النسوة ، قبل ان تئز الرصاصات الاولى الى الشرق ، وقبل ان تنفلت الاجساد من الشوارع كطيور مذعورة ، تحمل فوقها وجوها قاتمة مرعوبة تستشعر الخطر بالغريزة .

كانت يد الرجل لا تزال تلتصق بكتفه حين سمعه:

ـ كنت ستقتل نفسك .

تلفت حواليه ، وكان وسط ما يشبه الفندق .

كانوا يتوزعون فوق مقاعد قديمة مقشورة تذكر بانها كانت يوما وثيرة ومترفة . وعلى الجدران صور زيتية ، وخريطة للعالم ترك دخان التبغ عليها لونا اصفرا مميزا ، وشخص وراء مكتب يميزه ويشير الى انه المسؤول .

استقبلوه باعين مندهشة . وأتاه صوت الرجل المسؤول :

ـ ما الذي يحدث ؟ .

ارتبك ، لم لاحظ ان الامر منطقي : ان يسألوه

ـ ولكنك اتٍ من الخارج .

قال :

ـ لم اتحقق من الامر .

ـ ولكنك اتٍ من الخارج .

ازداد ارتباكه .. وازداد احساسه بمنطق السؤال ، ان يسأل وهو القادم من الخارج .

ـ انهم يقتتلون .

وادرك انه لا يتفرد في استنتاجه هذا ، وانه لم يفلح في اشباع فضولهم .. وتركوه يستلقي فوق احد المقاعد .

اجال عينيه في الوجوه من حوله ، وعدهم اربعين .. نساء ورجال انحشروا في غرفة الاستقبال كيفما اتفق . وادار خادم المذياع .. حاول حمزة ـ ولا يدري لماذا ـ استظهار ملامحهم وهو مغمض العينين فعجز .. فتح عينيه واعاد النظر في الوجوه وهي شاخصة الى المذياع الذي يبث اغنية محلية غير مكترث بما يجري خارجا .. علق احدهم :

ـ الدنيا تهتز والاذاعة غائبة .

رن الصوت في فراغ اجوف كرنة نشاز وسط جوقة الصمت الوقورة بافراط ، فارتد الرجل الى الوراء، يداري خيبة داهمته،وحمزة شاركه احساسه بالخيبة ، قبل ان تلتمع صورة الزوجة في ذهنه . وتساءل : كيف الوصول اليها ؟ . وفي تلك اللحظة دوى الانفجار عنيفا هز الفندق مباشرة ، وعلا الصراخ رهيبا ، والاجساد راحت تتصادم وهي تبحث في جميع الاتجاهات عن مخرج للنجاة.. ومن مكان ما ارتفع صوت يدعو الى الهدوء والاطمئنان دون ان يخفي رنة الرعب المسيطر على صاحبه .

وجد حمزة نفسه قريبا من الباب الخارجي .. حاول ان يتذكر حاله وهو يهبط الدرج فما افلح .. ومن الخارج انهمرت زخات من الرصاص عنيفة كجرس اسطوري ، قريبة حتى لكانها تنطلق من الداخل .. ارتد حمزة يصعد الدرج بعنف، مصطدما بالاجساد الهاربة باتجاه الاعلى .. سقطت امرأة على وجهها فتركوها . وعند مدخل غرفة الاستقبال كان الصوت المشجع لا يزال يؤكد حضوره .

انحشروا من جديد داخل غرفة الاستقبال .. بدت الغرفة أضيق مما يتصور .. هتف الخادم :

ـ اسمعوا ..

ران الصمت تماما ، وتعلقت الاعين بالخادم وقد مال يسند أذنه بكفه ..

قال الخادم :

ـ هذا ليس برصاص ..

فضحكوا .

ـ قلت هذا ليس برصاص .

كان صوته مشحونا بالرعب :

ـ في الطابق الارضي محل للالعاب النارية .. اذا ، الانفجار في هذا البناء ..

تنبه حمزة الى ان الازيز لم يتوقف . وبوحي من ملاحظة الخادم فكر في أن من غير المعقول وجود سلاح يطلق الرصاص دون توقف .

بدوا جامدين كتماثيل . وحين اندفع الخادم مذعورا عاودوا لعبة الفرار ، تتصادم أجسادهم واصواتهم . وفجأة كان الدخان يتسرب عبر الدرج والنوافذ .. ارتدوا من جديد . وحمزة لم يستطع مقاومة التفكير فيمن سينجو وفيمن سيموت .. انهارت امرأة مغمى عليها فازداد ارتباكهم .. نظر حمزة ناحية السوق عبر باب الشرفة فاستطاع رؤية جدار هائل من الدخان ، تتبعه جدار من النار ، وادرك ان اللهب سيمتد، لا محالة ، الى أثاث الغرفة .. وحين نظر الى الوجوه من حوله خمن في ذاته ان وجهه لا يقل عنها رعبا .. انتابه حقد مفاجيء ، وحدث نفسه

بانه لا يستحق الموت عبثا ، وان والده في الجنوب سيكون اكثر حظا وهو يموت وسط اغراس التبغ .. صاح المدير المسؤول مرعوبا :

ـ في الطابق السفلي فرن للحلويات ومستودع للمازوت .

وتنبه حمزة الى أن الرجل هو عينه صاحب الصوت المشجع ، فداري ابتسامته عابثة . ثم لاحظ انه يلتصق بالباقين ، يشكلون معا كتلة رعب واحدة .. سقط شيء ما في الخارج ، ودوى وهو يصطدم باسفلت الشارع .. اندفع الخادم من بينهم وقذف بكرسي خشبي في اتجاه نافذة قائمة اعلى الجدار الداخلي .. انتبه المدير للحركة فاندفع صوبه . وأمام الاعين المرعوبة المندهشة صعد على كتفي الخادم وتعلق بالنافذة.. اندفعوا جميعا كمشرف على الغرق عثر على قارب نجاة .. وفيما كان حمزة يقفز فوق الاجساد فكر في ان احدا لم يحاول الاتصال بالشرطة او رجال الاطفاء . وكان في شاغل عن التفكير في تعليل لذلك .

زحف فوق الاجساد ، وحين بلغ النافذة سمع انفجارا عنيفا ، وانفتح الجحيم على مصراعيه.. كان جدار هائل من النار ، وكتل ضخمة تتساقط قريبا من مدى النظر ، غامضة ورهيبة .. وجد نفسه فوق درج اخر ، وشرطي يمسك بذراعه ، وفي تلك اللحظة انهارت قواه تماما .

تلفت من حوله فالفى نفسه فوق المقعد الحديدي في المخفر .. اصطدمت عيناه بوجه امراة مالوف، لم بوجه رجل عرف فيه المدير المسؤول للفندق.. اقترب الرجل منه فساله :

ـ ما الذي حدث ؟ .

قال الرجل بغير اكتراث :

ـ انشطر الفندق واندفن من فيه .

ورآها تقف في النافذة ، نصفها الاعلى مشطور ، وعلى ذراعها طفل .. وتساءل : كيف السبيل اليها .. ان يلتصق بها ليقول لها انه خارج لتوه من الجحيم .. ولكن نصفه هناك في الجنوب ماذا عنه .. سيذهب اليه ليقول له ان الموت واحد ، وان الرعب له رائحة واحدة ، وان اغراس التبغ تستحق ان نموت من اجلها .

★ ★ ★

ـ انا خارج من الجحيم لتوي .

لم يكترث له . والمراة استمرت في مضغ اللبانة .

ـ انت لا تفهم ما اعنيه ..

ـ ومن يهتم ؟ . غدا تعود الامور الى مجاريها.

ـ ولكنني يجب أن أصل الى الجنوب .

ـ ستصل .

ـ ولكن كيف ؟ .

ـ كما يصل صاحبك .

واشار الى الرجل الاخر .

كان يقف الى جانب الشارع يتهيا لايقاف سيارة قد تاتي من جهة الشمال .

سالته المراة :

ـ الا بيت لك في بيروت ؟ .

ـ بلى .. في النبعة .

ـ لم لا تذهب اليه ؟ .

ـ انا ذاهب اليه فعلا .

ـ ولكنك تتجه جنوبا .

ـ ساصل اليه عن طريق الجنوب .

ـ لم افهم .

ولم يجب .. خيل اليه انها لن تفهم ابدا ، وكذلك صاحبها .. وأحس أن عداء قديما يقوم بينه وبينهما .. وعاوده الشعور بأن الرجل يخدعه ، وان تغييرا ما يجب ان يحدث .. ان يتغير السائق . ان تتغير السيارة ان يحدث اي تغيير بين شطريه في الجنوب والشمال .

ـ انت تخدعنا .

ـ ....

ـ لن ارتضي ان اظل مشطورا هكذا .

ـ ....

وجه السائق يزداد بشاعة .. والرجل هناك ، على بعد خطوات ، بدا جامدا وهو يستجدي الشارع سيارة .. قال حمزة ان الرجل جبان وهو يهرب ادخل يده في جيبه سترته يبحث عن شيء .. اصطدمت يده بسكين ، فقال للسائق :

ـ ساقتلك ..

ـ ....

ـ ساقتلك ..

وكان يعني ما يقوله . ■■

لبنان ـ ربيع ديب

العرب والصيف

بقلم : ابراهيم محمد الفحام

(من رابط بالاسكندرية أربعين يوما ، كتب الله
له براءة من النار ، وأمنا من العذاب ــ قول مأثور)



■ ورغم ان الاصطياف يبدو في ظاهره عادة حضارية مستحدثة ، الا انها تعد في الحقيقة ، من اكثر عادات الشعوب تأصلا وعراقة •

فممّا رواه (ياقوت الحموى) في (معجم البلدان) نقلا عن (الشعبى) أن (سام بن نوح) كان يصطاف كل عام في الموقع الذى رست فيه سفينة ابيه ، عقب انحسار الطوفان ، عند جبل (الجودى) شمالى (الموصل) ويشتو بارض (جوخى) في الجنوب •

وقد عرف العرب الاصطياف منذ عصور سحيقة ، واختلفت مظاهره عندهم ـ عبر اطوار تاريخهم المديدة ـ وفقا لدواعيه من جهة ، وبحسب مواطنهم الجغرافية ومستوياتهم الحضارية والمادية من جهة اخرى •

الاصطياف للرعى :

ويتمثل اقدم مظاهر الاصطياف، في تلك الرحلات الجماعية التى كان يضطر اليها رعاة الجزيرة العربية ، عندما تشتد حرارة الصيف في مواطنهم، ويعمها الجدب وتهب عليها رياح السموم القاتلة، فتجعل الحياة فيها جحيما لا يحتمل ، ويتجهون ـ ومعهم ماشيتهم واغنامهم الى حيث يجدون الماء والكلا ، سواء في ارض الجزيرة ام خارجها •

وكانوا يقولون في تلك الرحلات (من تصيف الشرف ، وتربع الحزن ، وتشتى الصمان ، فقد اصاب المرعى) •

والشرف والحزن والصمان ، مواقع أعتاد العرب الاقامة فيها في تلك الفصول •

واشار (طرفة بن العبد) الى الاصطياف بنجد في قوله :

حينما قاظوا بنجد وشتوا
بين ذات الحاذ من ثنيى وقر

الاصطياف للتجارة :

وقد اتخذ الاصطياف كذلك سبيلا للتجارة ، وخير مثل لذلك (رحلة الشتاء والصيف) التى كان يقوم بها (بنو عبد مناف) الى الشمال صيفا، والى الجنوب شتاء ، على راس قوافلهم التجارية•

وقد ذكر (ابن هشام) في سيرته ان اول من قام بتلك الرحلة (هاشم) جد النبى ، الكريم الذى توفى في احدى رحلاته بمدينة (غزه) فسميت (غزة هاشم) ولكن (ابن خلدون) يرى ان تلك الرحلة كانت عادة موغلة في القدم ، تطلبتها الظروف الطبيعية والجوية في الجزيرة •

الاصطياف للاستجمام :

ولم يكن الاصطياف دائما مجرد رحلة شاقة للرعى او للتجارة ، فقد كانت هنالك ـ في الوقت نفسه ـ مصايف تقصد لمجرد الاستجمام والتخفف من الحر ، وغيره من متاعب الحياة •

وقد روى ان (حسان بن اسعد ابى كرب الحميرى) اعظم تبابعة اليمن في العصر الجاهلى كان يصطاف في (ظفار) ويشتو في (مارب) كما كانت (رصافة الشام) مصطاف (النعمان بن ثابت بن الأيهم) من ملوك الغساسنة في ذلك العصر • ثم جدد (هشام بن عبدالملك) ذلك المصطاف ـ منذ ولايته للعهد ـ وظل يتردد عليه بعد تولية الخلافة حتى توفى سنة ١٢٥ هـ • فظل بعض الخلفاء والأمراء يصطافون فيه من بعده • كما اتخذت (رصافات) مماثلة بعد ذلك في بلدان اخرى •

وكانت (الطائف) ـ كما هي اليوم ـ من أجمل المصايف العربية • فقد اشتهرت بطيب هوائها ، وروعة مناظرها ، وكثرة ثمارها ، في فصل الصيف، حتى لقد زعم بعض الرواه انها كانت في الأصل جنة من جنان الشام ، ثم شاء الله ـ بدعوة من ابراهيم عليه السلام ـ أن ينقلها الى الحجاز ، فطفت على سطح الماء ، حتى بلغت موقعها الحالى فسميت (الطائف)•

وقد ذكر (البكرى) في (معجم ما استعجم) ان (بنى عامر بن صعصعة) كانوا يصطافون فيها (لطيبها وثمارها ويتشتون بلادهم من أرض نجد) •

وعبر (الأصمعى) عن انطباعه بزيارتها بقوله (دخلت الطائف فكأنى أبشر ، وقلبى ينضج بالسرور ، ولم أجد سببا لذلك الا انفساح جوها، وطيب نسيمها) •

وكان الاصطياف فيها مظهرا من مظاهر الترف، يفخر به السراة ويغبطون عليه • وفي ذلك يقول



(محمد بن عبدالله النميري) في (زينب) اخت (الحجاج بن يوسف الثقفي) :

تشتو بمكة نعمة
ومصيفها بالطائف

كما كان (الحجاج) يغبط غلامه (سعدا) الذي كان يلي امواله بالحجاز قائلا (اغبط الناس عبدي سعد ، يتربع جدة ، ويتقيظ الطائف ، ويشتو بمكة) .

مصايف الشمال :

ولما اتسعت الفتوحات العربية ـ وخاصة نحو الشمال ـ صاروا يتخذون مواقع اخرى لاصطيافهم في ذلك الاتجاه ، وصار بعض الولاة يشتون في بلدة من بلدان ولاياتهم ويصطافون في اخرى ـ فكان (زياد بن ابيه) يشتو في (البصرة)ويصطاف في (الكوفة) .

وكانت (الشاش) من البلدان التي اشتهرت برقة جوها صيفا ، وشدة برودتها في الشتاء حتى لقد قال فيها (ابو ربيع البلخي) :

الشاس في الصيف جنّة
ومن أذى الحر جنّة

لكنه يعتريني
بها لدى البرد جِنّة

وبمثل ذلك ايضا اشتهرت (همدان) التي كانت تستحب الاقامة فيها صيفا ، ولا تحتمل في الشتاء حتى لقد قال فيها (ابن خالويه) :

وكان لا يستطيع الاقامة في تلك المناطق ـ ولاشك ـ غير المترفين الذين الفو الحياة الرغدة الهانئة ، والذين يحتملون ما يتطلبه الرحيل اليها، والاقامة فيها ـ مع عائلاتهم واتباعهم ـ من النفقات .

ولذلك يذكر (ابودلف العجلي) ضمن مفاخره ما اعتاده كل عام ، من الاصطياف في (الجبال) شمالي العراق فيقول :

واني امرؤ كسروي الفعال
أصيف الجبال وأشتو العراقا

والبس للحرب أثوابها
وأعتنق الدارعين اعتناقا

ويقول (ياقوت الحموي) انه كان يصطاف في (الجبال ليسلم من سمائم العراق ، ويشتو في العراق ، ليسلم من زمهرير (الجبال) وثلوجها .

غير ان ذلك الذي يفخر به (ابودلف) لم يرق (عبدالله بن طاهر) الذي كان سيء الرأي فيه ، فقال في ذلك :

الم تر أنا جلبنا الخيول
الى أرض بابل قبا عتاقا

فما زلن يسمقن بالدارعين
طورا حزونا وطورا رقاقا

الى أن ورين بأذنابها
قلوب رجال أرادوا النفاقا

وأنت ـ أبا دلف ـ ناعم
تصيف الجبال، وتشتو العراقا

فلما وقف (أبودلف) على تلك الأبيات آل على نفسه الا يصيف الا بالعراق ولا يشتو الا بالجبال. وقال :

الم ترني حين حال الزمان
أصيف العراق وأشتو الجبالا

سموم المصيف وبرد الشتاء
حنانيك حالا أزالتك حالا

فصبرا على حدث النائبات
فان الخطوب تذل الرجالا

وكانت بساتين الشام وجبالها تتخذ مصايف خاصة للأعيان ، يقضون فيها امتع أيام العمر ، وكان (لنجم الدين الشهابي) مصيف من ذلك القبيل ، في القرن السادس الهجري ، أقامه فوق جبل (حرمون) المعروف بجبل الشيخ ، على ارتفاع نحو عشرة الاف قدم على سطح البحر ، وكان يطل على مساحات شاسعة من المناظر الزراعية والبحرية المبهجة وفيه يقول :

ومنزل فوق قن الشيخ بت به
يعانق الانس واللذات والطرب

أهدى لنا من ربى نجد معطرة
ومنظرا من ديار العجم والعرب

اما في الاندلس فكانوا يتخذون مصايفهم في (الفحوص) وهي ضيعاتهم المشهوره بجوها البديع



وحدائقها الخلابة ، التي تتوسطها دور ريفيـــة جميلة ، يسمونها (المنيات) جمع (منية) •

ويذكر (ابوالمحاسن بن تغرى بردى) فى (النجوم الزاهرة) أن (الملك العادل الأيوبى) كان من عاداته ـ بعد ان قسم البلاد بين اولاده ـ أن يتردد بينهم وينتقل من مملكة الى أخرى ، فيصطاف بالشام (لأجل الفواكه والمياه الباردة) ويشتو بمصر (لاعتدال الوقت فيها ، وقلة البرودة) وظل على ذلك حتى توفى فى سنة ٦١٥ هـ •

الاصطياف للتعبد والرباط

كانت تقابل غزوات العرب للثغور الأوروبية ، غزوات مضادة منهم للثغور العربية ، تـــكثر بصفة خاصة فى فصل الصيف ، عندما يأمن الغزاة ركوب البحر ، فيروعون سكانها ويمعنون فيها ـ اذا استطاعوا ـ نهبا وتخريبا •

وترغيبا للناس فى التصدى لهم ـ مهما تكبدوا من تضحيات ـ وضعت أحاديث ومأثورات عديدة ، فى فضل الرباط فى تلك الثغور •

فمما روى من ذلك أن (من رابط بالاسكندرية أربعين يوما ، كتب الله له براءة من النار ، وأمنا من العذاب) كما روى عن (عبدالملك بن جريج) انه قال (لقد حججت ستين حجة ، فلو قضى الله لى الاسكندرية فاقيم بها شهرا ، واصلى عنـــد ساحلها ، وأدعوا الله تعالى ، لكان أحب الى من الستين حجة ، التى حججت فى الاسلام) •

وقيل فى دمياط أن (من رابطها ليلة ، كان فى حظيرة القدس مع النبيين والشهداء) وأن (المقبور فيها كالشهيد ، والراكب فى بحرها كالمتشحط بدمه) ، كما قيل مثل ذلك فى سائر الثغـــور الأخرى •

وضمن الشيخ (محمود العالم) كتابه (مفاكهة الأذواق ، من مشاريع الأشواق ، فى فضل الجهاد والترغيب فيه ، والحث عليه) كثيرا من الأحاديث المماثلة ، فى باب (فضل الرباط والحراسة فى سبيل الله) مثل قوله (صلاة فى الساحل علـــى البحر ، بألف ألف صلاة مضاعفة) •

وكان فى ذلك مايغرى سكان تلك الثغور بالصمود فيها ، ويغرى غيرهم بالرحيل اليها ، للمشاركة فى الذود عنها ، واكتساب ثواب الصلاة علـــى سواحلها المباركة •

ويذكر (المقريزى) فى خططه أن أهل الاسكندرية كانوا يجتمعون فى منارتها على الساحل فى يوم

معين من ربيع كل عام ، فيقضي بعضهم ذلك اليوم في التعبد ، ويقضيه غيرهم في اللهو ، ثم ينصرف منهم من يشاء ، ويبقى منهم من يبقى الرباط (ومن ذلك اليوم ، يحترس على البحر من هجوم العدو) •

وكان ذلك الرباط ـ الذي يستمر طوال الصيف ـ يتم في مواقع متفرقة على امتداد السواحل العربية، حيث كان بعض الشيوخ يقيمون زوايا لهم ، تعقد فيها حلقات لذكر الله ومدارسة العلم ، وتتخذ ـ في الوقت نفسه ـ مراقب للسفن المعادية، ومعاقل للدفاع عن البلاد •

وعندما فترت روح الجهاد ، ظلت تلك الزوايا قائمة كمراكز للتصوف ، يقصدها المريدون من كل صوب ، للتبرك بشيوخها ، والتماس ثواب التعبد على ساحل البحر •

وكان التوضؤ من ماء البحر والاغتسال فيه ، والصلاة على رماله من اهم التقاليد التي يحرص عليها شيوخ تلك الزوايا واتباعهم •

وقد قدم لنا (النائب الانصاري) في كتابه (المنهل العذب ، في تاريخ طرابلس الغرب) صورة لتلك التقاليد الساحلية ـ في معرض حديثه عن الشيخ (محمد بن عبدالرحمن الحطاب) الاندلسي الاصل المتوفي في منتصف القرن العاشر الهجري، والمدفون في ضريحه المقام بزاويته المشرفة على البحر ، قرب بلدة (تاجوراء) •

الاحتفالات الصوفية

ولا تزال الأضرحة التي اقيمت لأولئك الشيوخ في زواياهم العديدة ، تتخذ مزارات لابناء المناطق المجاورة ، وخاصة في فصل الصيف ، عندما تسمح الظروف الجوية بالاقامة في العراء بضعة ايام ، خلال الاحتفالات الصوفية والشعبية ، التي تقام تخليدا لذكراهم في كل عام •

وهكذا اصبحت الشواطيء المحيطة ببعض تلك الأضرحة ـ مع الزمن ـ مصايف عامرة تحمل اسماء شيوخها حتى الآن • ومن امثلة ذلك مصايف الاسكندرية وضواحيها (سيدي بشر ، وسيدي جابر ، وسيدي الشاطبي ، وسيدي العجمي ، وسيدي عبد الرحمن ، وسيدي كرير) •

كما ترجع نشأة مصيف (راس البر) الى الاحتفالات السنوية ، التي كان يقيمها اتباع الطرق الصوفية ، عند اضرحة شيوخ المرابطين على ساحل دمياط • وهنالك اعتقاد متوارث في تلك المنطقة بان ارواح الشهداء الذين قتلوا دفاعا عن تلك المدينة ، اثناء الحملات الصليبية عليها ، لا تزال تحلق هنالك قرب الساحل في المكان المسمى (بين الموجتين) •

ضد الصداع وعسر السمع !

عرف العرب الخصائص الصحية لماء البحر ، فذكر (المسعودي) في (مروج الذهب) انه (نافع من البرص) وانه (ينفع من الاخلاط الفاسدة ، اذا شرب منه اليسير مع دهن اللوز)•

وذكر (ابن البيطار) في كتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) في معرض حديثه عن البحر (والاستحمام به ينفع الأمراض المزمنة والعارضة للبدن كله ، والأعصاب خاصة ويخارجه اذا كان سخنا ـ نفع من الاستسقاء والصداع وعسر السمع) •

كما ذكر انهم كانوا يدخلونه في تراكيب المراهم ويستعملونه مسهلا ، ويصبونه ـ وهو ساخن على الجسم ليشفي الم العصب ، ويتداون به من الحكة والجرب •

وقال في خصائص (الرمل الذي يكون في ساحل البحر) انه (اذا احمي بحرارة الشمس وانطمر فيه الناس الرطبة ابدانهم خففها في الحال من الانطمار على هذه الصفة ، بطمر الأعضاء كلها ما خلا الراس) ونقل عن (جالينوس) انه (يجفف اللحم الترهل الشبيه بالماء ، اذا صبر فيه صاحب هذه العلة ، والرمل سخن حتى يغطيه كله) •

ولذلك فقد كان بعض المرضى يقصدون سواحل البحار للاستحمام فيها ، أو الانطمار في رمالها استشفاء من امراضهم •

وبرغم التركيز على الاهمية العلاجية للماء

المالح دون الماء العذب ، فقد كان البعض يقبل أيضا على الاستحمام فى الانهار عندما يصطافون على ضفافها .

ويبدو أن ذلك لم يكن مقصورا على العامة من الناس ، فقد روى (ابن اياس) فى (بدائع الزهور) ضمن احداث سنة ٨٢٣ هـ أن السلطان (المؤيد شيخ) كان يهوى الاستمتاع بالسباحة فى ماء النيل ومعه جماعة من افراد حاشيته ، اثناء استجمامه فى احد القصور المطلة عليه فى فصل الصيف .

كما يذكر (ابن اياس) ضمن احداث سنة ٩١٩ هـ - أن بعض الخاصة من أهل القاهرة ، كانوا يرسلون أولادهم الى (جبل الطور) صيفا اتقاء لمرض الطاعون الذى كان يستشرى فى العاصمة فى ذلك الفصل ، وكان أول من اتبع تلك العادة (عبدالبر بن الشحنة) قاضى القضاة الحنفى .

وقد اشتهرت بعض البلدان بسوء جوها فى الصيف ، واضراره الشديد بسكانها ، وخاصة المرضى منهم ، وكانت - وهى أحد ثغور الشام - واحدة من تلك البلدان . حتى ان الجاحظ أشار الى تأثيرها فى بعض المرضى ، الذى قد يبلغ حد الاصابة بالجنون . ولذلك فقد كان القادرون من سكان تلك البلدان يحرصون على الرحيل عنها ، والاصطياف فى غيرها كلما اشتد الحر .

مصايف خاصة

كان بعض الناس الذين يضطرون للبقاء فى مواطنهم فى الصيف ، يتخذون لهم مصايف داخلية ، فيما يتخللها أو يحيط بها من المزارع والبساتين وشواطىء البرك والانهار .

وكان سكان القاهرة يقضون أوقاتا ممتعة على شاطىء النيل ، وعلى ضفاف البرك العديدة التى كانت تنتشر فيها مثل (بركة الحبش) التى يعبر (أبو الصلت أمية بن عبدالعزيز الاندلسى) عن ذكرياته حولها بقوله : (واتفق أن خرجنا فى مثل هذا الزمان ، الى بركة الحبش ، وافتراشنا من زهارها أحسن بساط ، واستظللنا من روحها باوفى رواق ، فظللنا نتعاطى من زجاجات الاقداح شموسا من طلع بدور ، وجسوم نار فى غلائل نور ، الى أن جرى ذهب الاصيل على لجين الماء ، ونشبت نار الشفق بفحمة الظلماء) .

كما يناجى (المقريزى) تلك البركة قائلا :

يا بركة الحبش التى يومى بها
طول الزمان مبارك وسعيد
حتى كأنك فى البسيطة جنة
وكأن دهرى كله بك عيد
يا ليت شعرى هل زمانك عائد
فالشوق فيه مبدىء ومعيد

ومن البرك الاخرى التى كانوا يقضون على ضفافها امتع الاوقات (بركة الشعيبه) و (بركة الشقاق) و (بركة الفيل) و (بركة الازبكية) التى يقول فيها الشيخ (حسن العطار) :

بالازبكية طابت لى مسرات
ولذلى من بديع الانس أوقات
حيث المياه بها وفلك سابحة
كأنها الزهر تحويها السماوات
أبدت عليها الروابى الخضر سندسها .
وغردت فى نواحيها حمامات
والماء حين سرى رطب النسيم به
وحل فيه من الارواح زهرات
كسابغات دروع فوقها نقط
من فضة واحمرار الورد طعنات

وكان بعض السراة فى المدن العربية الكبرى يصطنعون فى حدائق قصورهم بركا خاصة ، تشبه حمامات السباحة فى زمننا هذا . وكان (الحجاج بن يوسف) يجتمع بزواره صيفا ، وهو جالس على فراش وثير الى جانب احدى تلك البرك فى حديقة قصره .

من عاداتهم صيفا

وكانت هنالك وسائل عديدة يتخذونها للتخفف من حرارة الصيف . ومن أبسط تلك الوسائل

مراوح اليد التي كانوا يتأنقون في صنعها حتى تكون غاية في الاناقة والجمال . وكانت تطرز عليها بعض الرسوم والزخارف الملونة ، والعبارات الرقيقة ، وابيات الشعر المختارة مثل الابيات التالية :

أنـا في الكف رفيقـة
مسكني قصر الخليفـة
أنـا لا أصلـح الا
لظـريف أو ظـريفـة
أو وصيف حسن الـ
ـقد شبيه بالوصيفـة

وقد ذكر (الثعالبي) في (لطائف المعارف) ان بني امية اقتدوا بما كان يفعله الاكاسرة عندما كان يطين لهم سقف بيت في كل يوم صائف ، تكون قيلوله الملك فيه . وكان يؤتى باطباق تصنع من اغصان شجر الخلاف ، فتوضع حول البيت ، وفي ثناياها قطع الثلج الكبار ، تلطيفا للجو .

وفي عهد الخليفة العباسي «المنصور» ابتكر وزيره (ابو أيوب المورياني) وسيلة جديدة لتلطيف الجو، بوضع انسجة سميكه مبللة بالماء المعطر على هيكل ذي ثلاث سيقان فلا يكاد يتخللها الهواء حتى يرق.

وانتشر كذلك استخدام مراوح الخيش الكبيرة، التي وضعها (الشريشي) في شرح (مقامات الحريري) بانها تكون اشبه بالشراع للسفينة ، وتعلق في سقف البيت ويشد بها حبل وتدار وتبل بالماء وترش بماء الورد ، فاذا اراد الرجل في القائلة او الليل ان ينام جذبها بحبل فتذهب بطول البيت وتجيء فيهب على الرجل منها نسيم طيب الريح باردا) .

وذكر (الشهاب بن أبي حجلة) ان تلك المروحة استحدثت في زمن بني العباس (وكان سبب حدوثها ان هارون الرشيد دخل يوما على اخته (علية بنت المهدي) في قيظ شديد ، فوجدها قد صبغت ثوبا من زعفران وصندل ، ونشرته على حبل ليجف ، فجلس هارون قريبا من ذلك ،فجعلت الريح تمر على الثوب فتحمل منه ريحا بليلة عطرة ، فوجد لذلك راحة من الحر واستطابه فامر ان يصنع له في مجلسه مثله) .

وكان مما يراعى في اقامة الدور ان تكون - من حيث مواقعها وتصميماتها - قادرة على دفع حرارة الشمس عن داخلها ، وتلقى النسمات المنعشة من مهابها ، والاحتفاظ بجو ملائم في الصيف ، وخاصة في السراديب الرطبة ، التي كانت تقام تحت الارض .

ويبلغ من براعتهم في تكييف الجو - وخاصة في الاندلس - انهم كانوا يكلفون البنائين بان يضعوا داخل الجدران قنوات طويلة متوازية من الفخار ، تبدأ من اعلى البناء حتى اسفله ، ويملؤونها بالماء الساخن شتاء وبالماء المثلج في الصيف ، مع تجديده من وقت الى آخر ، كوسيلة للتدفئة او التبريد .

ويذكر (ابن خوفير الكتبي) في كتابه (مسامرة الضيف ، بمطارحة الشتاء والصيف) انه كان بحمامدار (جمال الملك) وزير الخليفة (المسترشد بالله) العباسي (مستراح) فيه انبوب اذ اداره الانسان يمينا خرج منه ماء بارد ، واذا اداره شمالا خرج منه ماء ساخن .

وقد عنى الخلفاء والامراء وغيرهم من الاغنياء بجلب الثلج وتخزينه ، لتبريد شرابهم به طوال الصيف .

ويروى انه لما ولى (ابن الفرات) الوزارة - وكان اليوم الذي خلع عليه فيه شديد الحرارة - استهلك فيما قدمه من الشراب للمهنئين من زواره ١٤٠ الف رطل من الثلج في يوم وليلة .

وكانت المياه المثلجة توضع في جرار مختلفة الاحجام يسمونها (المزملات) لانها كانت (تزمل) اى تكسى بشيء من النسيج السميك ، المبطن بالتبن ، للاحتفاظ ببرودة مائها . وكانت تركب على الكبار منها صنابير من الفضة او الرصاص .

وقد وصف (القلقشندي) في (صبح الاعشى) بشيء من التفصيل - الاسلوب الذي كان يتبع نحو نقل الثلج بحرا وبرا من الشام الى القاهرة ، ثم تخزينه في (الشرابخانات) لاستخدامه في تبريد المياه وغيرها من الاشربة . ■■

ابراهيم محمد الفحام

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠٠ أما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الاتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ٠

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٣٦ » واخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول سبتمبر (ايلول) ١٩٧٨ ٠

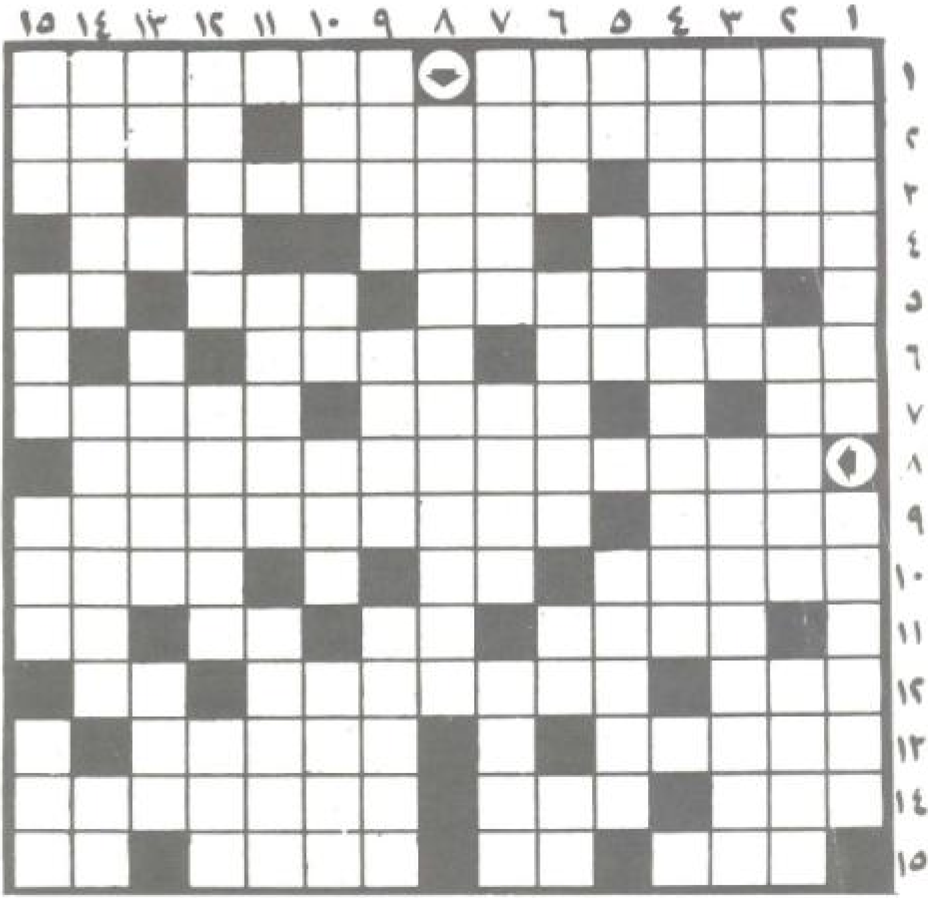
اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم مؤرخ وعالم موسوعي عربي ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم شاعر غزل عربي شهير ٠

الكلمات الأفقية

(١) من اصحاب المعلقات ـ المفتاح الذي اوصل الى فك رموز اللغة الهيروغليفية ٠
(٢) اسم منطقة على القمر ـ اكتب ٠
(٣) جابه ـ من اللغات القديمة المكتوبة ـ نصف كلمة (سائد) ٠
(٤) تصور ـ عسكر ـ تنعت ٠
(٥) فرعون مصر الذي وحد الوجهين ـ عقله ـ بحر ٠
(٦) من المحيطات ـ يبسط على الارض ٠
(٧) مقام موسيقي ـ صحيح ـ شاركت ٠
(٨) مؤرخ وعالم موسوعي عربي ٠
(٩) صانك ـ فيلسوف التطور ٠
(١٠) مخزن مياه ـ ضمير ـ كر ٠
(١١) طويت ـ احصى ـ حرف استفهام ـ آجاب ٠
(١٢) بعد ـ الخاتمة ـ من الاسماء الحسنى ٠
(١٣) حماهن ـ من الحيوانات الثديية ٠
(١٤) من الامراض ـ قمة ـ الاسم الجديد لسيام ٠
(١٥) ظرف مكان ـ اخفى ـ تفاق ـ جواهر ٠

كوبون مسابقة العدد ٢٣٦



الكلمات الراسية

(١) شاعر عباسي من اصل فارسي ـ مرجع مصور عن مصر انجزته الحملة الفرنسية •

(٢) منعناصر الطبيعة الجغرافية ـ صلاحية ـ ما يدب على الارض •

(٣) عشق الذات ـ اثر اغريقي هام •

(٤) باغت ـ المعاهدة التي انهت حرب الافيون الصينية •

(٥) نصف كلمة (شارل) ـ سكن ـ دولة في القارة الامريكية •

(٦) يدرك ـ يسهله ـ ارض مرتفعة ـ رغب•

(٧) طيور منزلية ـ عملة عربية ـ من الازهار •

(٨) شاعر غزل عربي شهير •

(٩) موسم زراعي هام ـ ندامى ـ شاعر فلورنسي ومؤلف الكوميديا الالهية •

(١٠) فوق العين ـ مقام موسيقي ـ وحدة مكاييل ـ شمال •

(١١) من المحاصيل الزراعية ـ حرفية •

(١٢) حالية ـ مبررها ـ مسلسلة جبال اوربية •

(١٣) جذب ـ من البحار ـ شرب •

(١٤) من الفواكه ـ ولاية امريكية ـ نظير •

(١٥) اقترب ـ قضى ـ من الامراض ـ من اجزاء الجسم •

عالم فلكى انجليزى شهير

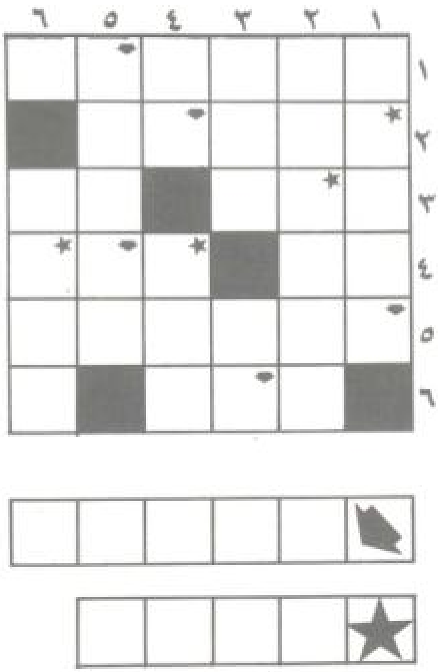
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقـل الحـروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ،ورتبها بحيث تصنع الاسم الأول لعالم فلكى انجليزى شهير ، ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه •

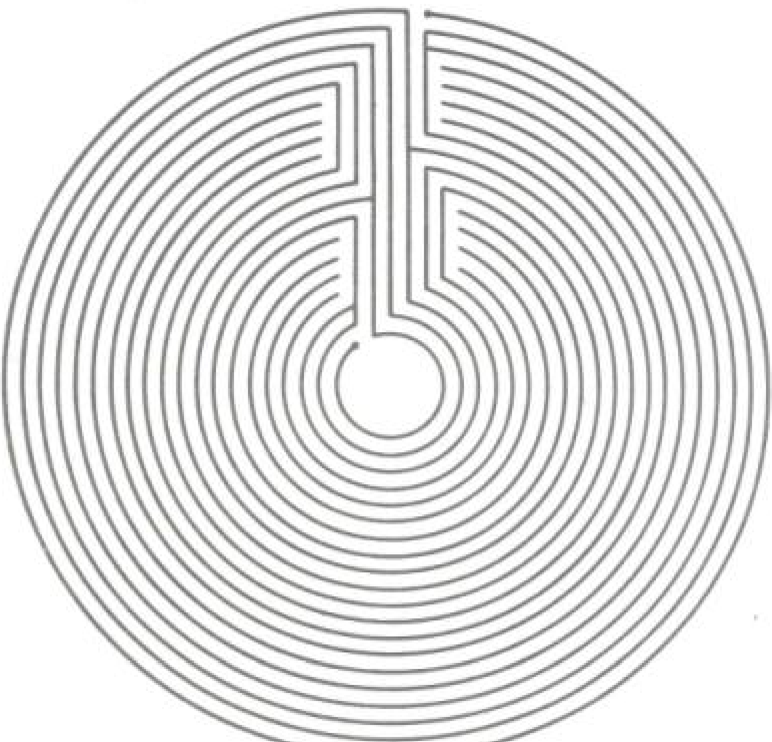
الكلمات الأفقيـة :

(١) من اشهر فلاسفة العرب فى الاندلس •
(٢) من المتفجرات •
(٣) تجيب ـ نصف كلمة (يبتر) •
(٤) ضمير ـ أرشد •
(٥) اصمت •
(٦) عملة عربية •

الكلمات الرأسيـة :

(١) سرور •
(٢) عاصمة اوربية •
(٣) فى لعبة الطاولة ـ هجم •
(٤) نصف كلمة (رونق) ـ جاه •
(٥) قوى •
(٦) مؤذن الرسول •





المتاهة المأساوية

هذه واحدة من المتاهات الشهيرة ٠٠ ان مجرد النظر اليها يثير الاعصاب ،ولعل هذا هو السرفي أن أحد رجال الأعمال بولاية فيلاديلفيا فقد عقله عام ١٩٠٣أثناء محاولته معرفة عدد الطرق المختلفة التى تصل من مركز الدائرة وخارجها ٠

حاول أن تجرب حظك ٠٠ولكن بدون انفعال ٠٠٠ لعلمك عدد الطرق يقدر بالمئات ٠٠٠

الحلول

النجمة والسهم :
يوهان كبلر
المتاهة المأساوية :
عدد الطرق ٦٤٠ طريقة !! ٠

استاذ نبيه يسال :

درجات كامل اكبر من درجات سعد (من ٣) ، تكون درجات فريد اكبر من درجات كامل (من ٢) ، وينتج أن درجات أحمد اكبر من درجات فريد ٠ ويكون الترتيب : أحمد ـ فريد ـ كامل ـ سعد ٠

● بالعقل فقط ●

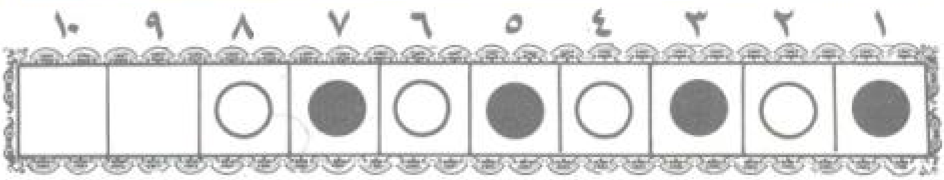
● استاذ نبيه يسال ●

من هو صاحب أعلى الدرجات ••؟

فى امتحان نهاية العام ، كان مجموع درجات احمد وسعد وفريد وكامل متباينا •• اى ان كل واحد منهم حصل على مجموع يختلف عن مجموع اى من الآخرين •• فاذا علمت ان :

(١) مجموع درجات احمد وسعد ضعف درجات فريد •
(٢) مجموع درجات سعد وفريد ضعف درجات كامل •
(٣) درجات سعد اقل من درجات كامل •

هل يمكنك ان تعرف اسم صاحب أعلى الدرجات •• وهل يمكنك ان ترتب الاسماء حسب الدرجات التى حصل عليها كل واحد؟••

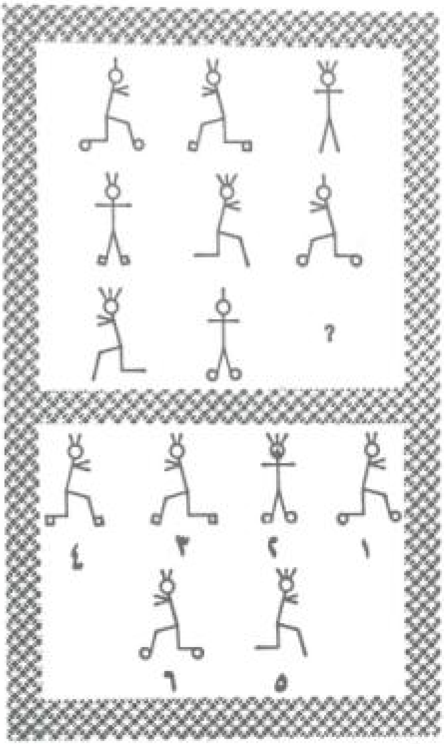


فى أربع حركات

فى الرسم اربع قطع بيضاء واربع قطع سوداء ، بالاضافة الى خانتين فارغتين • حاول ان تحرك هذه القطع بحيث تصبح القطع البيضاء متجاورة و كذلك السوداء ، وبحيث لا يكون هناك فراغ بين القطع • عند التحريك يشترط أن تحرك فى كل مرة قطعتين متجاورتين معا الى المكان الخالى • هل تستطيع أن تفعل ذلك فى أربع حركات ؟ ••

الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول ان تعرف اى الاشكال ذات الارقام يحل محل علامة الاستفهام •

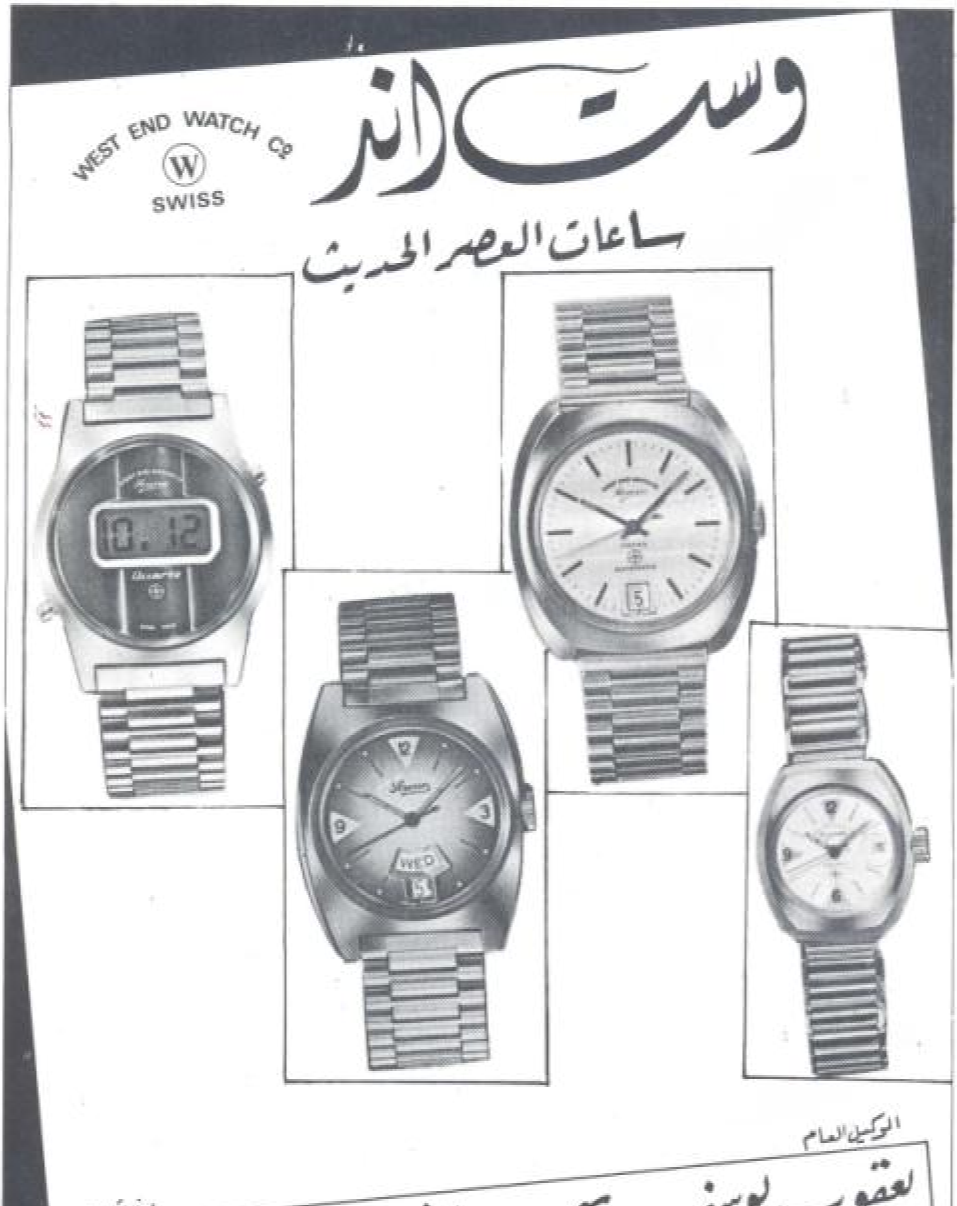


فى أربع حركات :

حرك ٢ ، ٣ الى ٩ ، ١٠ ــ ثم ٥ ، ٦ الى ٢ ، ٣ ــ ثم ٨ ، ٩ الى ٥ ، ٦ ــ ثم ١ ، ٢ الى ٨ ، ٩ •

الشكل المطلوب :

رقم ٤ •


WEST END WATCH Co
W
SWISS
وست اند
ساعات العصر الحديث
10:12
WED
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة - دولة الكويت
ص.ب: ٢٣٤ - تلفون: ٤٣٢٥٨٥

فوزو

الشاحنة رقم ١ في اليابان



هناك العديد من الشاحنات الثقيلة الممتازة في اليابان، غير أن فوزو تفوقها كلها مبيعاً. تكلموا مع موزع كرايزلر في منطقتكم وتحققوا بأنفسكم من أن فوزو لها من القوة والمتانة ما يكفي لكل مهمة. إن مؤسسة كرايزلر هي التي جاءت بفوزو إلى الشرق الأوسط. ولذلك يمكنكم أن تثقوا من توفر قطع الغيار والخدمة التي تعقب البيع.



في جميع انحاء الشرق الأوسط

شركة الملا التجارية ذ.م.م
ص.ب ٢٧٠٢
صفاة، كويت
تلفون ٤٢٣٢٣١
تلكس 2012 ALMULLA

عبد الرحمن الزياني وأولاده
ص.ب ٣٢، البحرين
تلفون ٥٢٦٠٧
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

الشركة الاقتصادية. ش.م
١٨(ب) شارع ٢٦ يوليو. القاهرة
تلفون ٤٦٠٥٥
برقيا: زايداواجون القاهرة

الشركة التجارية الأردنية المحدودة
ص.ب ١٢٩
عمان، الأردن
تلفون ٥١٣٣١
تلكس TWAL JO 1311 AMMAN



مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول يولية ١٩٧٨

١٠٦/١

من المسرح الايرلندى - ١

القمر فى النهر الأصفر

تأليف : دنيس جونستون

ترجمة وتقديم : د. أحمد السيد النادى

مراجعة : د. على الراعى

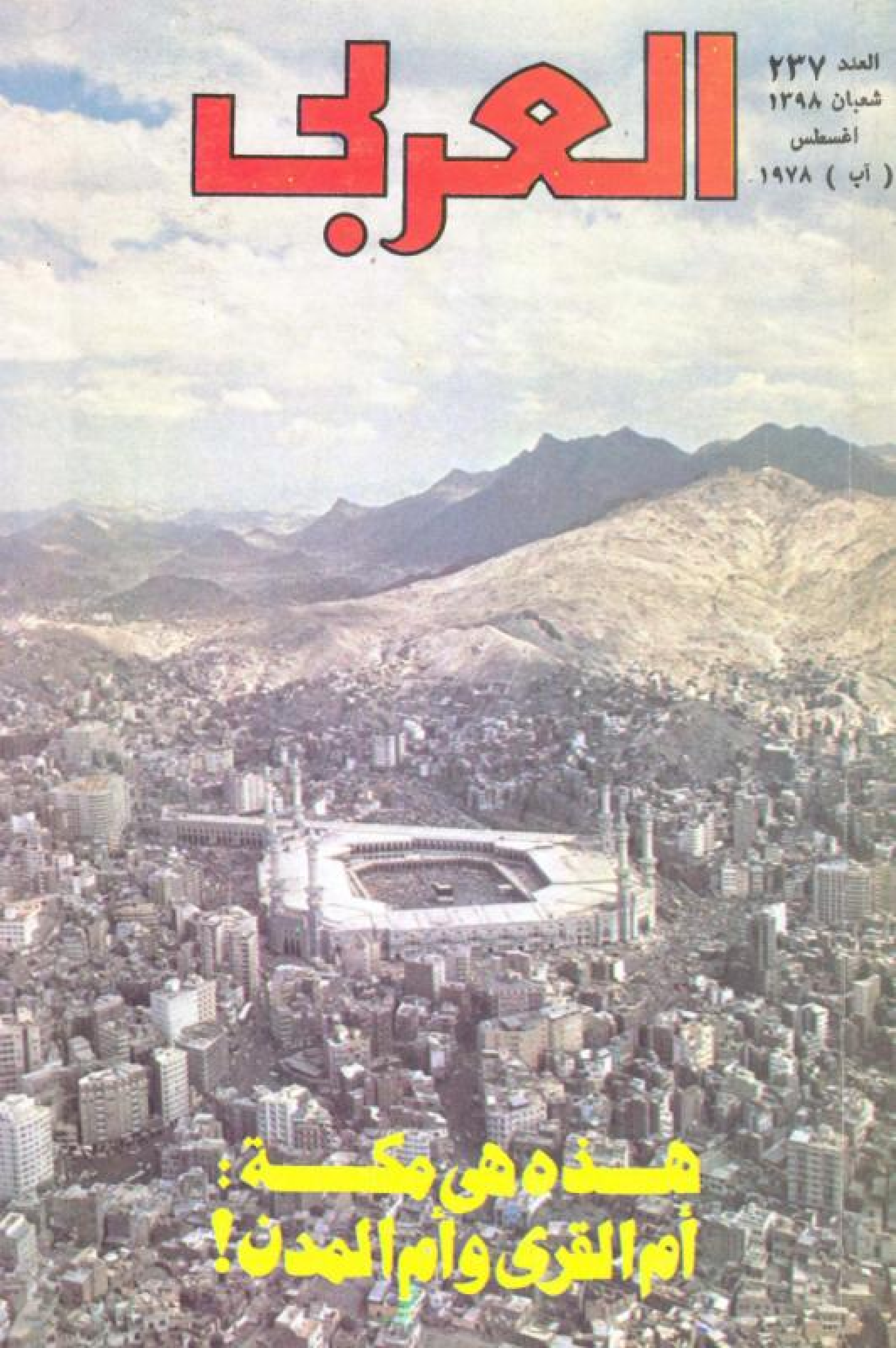

أدوات لكل سَيِّدة
تعتني بجمَالها
من فيليبس
الاعتناء بالجمال
ضرورة تزداد أهميتها
كل يوم . لذلك سهلت
فيليبس هذا الأمر
على كل سيدة
فأوجدت لها صالونا
مصغرا مكتملا في علبة
"بيوتي ست" الحاوية على
ماكينة حلاقة نسائية ناعمة
"لايدي شايف" كهربائية مع
مختلف أدوات تستبدل عليها من
الفراشي وأدوات المساج كذلك
أوعية مستحضرات التجميل كل ذلك في علبة أنيقة فاخرة مستديرة الشكل سهلة النقل
بالسفر . هنالك أيضا ماكينات الحلاقة النسائية . لايدي شايف . المتنوعة
التصميم الجذابة والمكتملة بحدين لتأمين إزالة الشعر كليا وبطريقة ناعمة
من على الجلد . كما يوجد أيضا سشوارات ، مع قبعة وعامود أو تلك
التي تستعين باليد ، وأدوات لتحديد الشعر (هيرتريمر) فراشي كهربائية ، لمبات لحمامات
الشمس وعلبة الفراقين الشهيرة ... الخ . إنها مجموعة فيليبس الضخمة التي تشمل
كل شيء تحتاجه السيدة للحفاظ على مظهرها الجذاب . هذه المنتوجات
مصممة بكل حذاقة ودقة ومصنوعة بكل اتقان واعتناء يمكنك الاتكال
عليها كليا كما تنتظرينه من شركة ذات خبرة واسعة
وتقنية عالمية التي تمتاز بها فيليبس.
الخدمة مؤمنة متى تحتاجينها أينما كنت.
PHILIPS
فيليبس الأفضل لكم دوماً



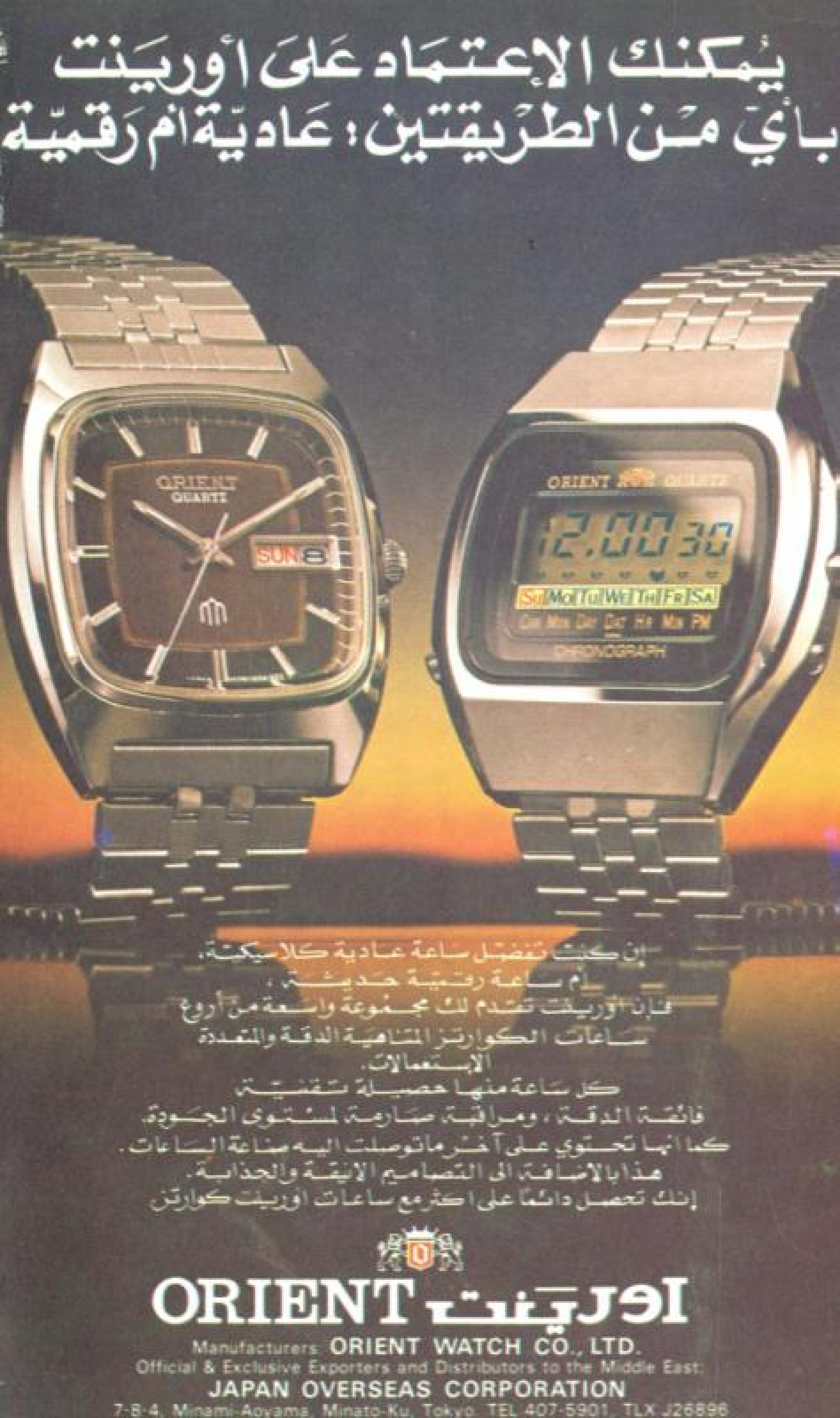
مَن قالَ بأن التكنولوجيا المتقنة
لايمكن أن تكونَ في أناقة التصاميم الحَديثة ؟
٦ وظائف تؤديها ساعات
الكوارتز بالذهب والفضة
ثروة من المعلومات توفرها ساعة اليد الانيقة
التي تعتز بحملها في كل مكان . عرض واضح
بفضل الكريستال السائل لقراءة الساعات
والدقائق والشهر والتاريخ واليوم وعد الثواني
الجارية . بسهولة تامة (تتوفر وظائف أخرى
لوقف الساعة . تداخل / أو إعادة ضبط الوقت في
الموديلات DW 3051-010G/S و DW 3051-004G/S)
للأناقة المتقنة ... من سانيو.
DW 3031-017G/S
DW 3051-004G/S
DW 3051-010G/S
SANYO سانيو
ساعات للتوقيت الدقيق بالكوارتز

العربي

العدد ٢٣٧
شعبان ١٣٩٨
اغسطس
(آب) ١٩٧٨



هذه هي مكة:
أم القرى وأم المدن!



يُمكنك الإعتماد عَلى أوريَنت
بأيٍّ مِن الطريقتين؛ عاديّة أم رَقميّة
ORIENT
QUARTZ
SUN 8
ORIENT QUARTZ
12.00 30
SU MO TU WE TH FR SA
CHRONOGRAPH
إن كنت تفضل ساعة عادية كلاسيكية،
أم ساعة رقمية حديثة،
فإن أوريَنت تقدم لك مجموعة واسعة من أروع
ساعات الكوارتز المتناهية الدقة والمتعددة
الإستعمالات.
كل ساعة منها حصيلة تقنية
فائقة الدقة، ومراقبة صارمة لمستوى الجودة،
كما انها تحتوي على آخر ماتوصلت اليه صناعة الساعات
هذا بالاضافة الى التصاميم الانيقة والجذابة.
إنك تحصل دائماً على اكثر مع ساعات اوريَنت كوارتز
ORIENT اوريَنت
Manufacturers ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL 407-5901, TLX J26896

عزيزى القارئ

كان الشهر الذى مضى ، شهرا حزينا من شهور الحياة العربية ، فقد انفجرت فيه الاحداث المؤسفة بعنف متجدد فى لبنان ، وفى اليمن الشمالى واليمن الجنوبى على السواء • والمؤسف ان هذه الاحداث ليست جديدة ولا طارئة • فهى قائمة بأسبابها ومبرراتها منذ سنوات وسنوات • ولكن انفجارا عنيفا او حادثا كبيرا يذكرنا بوجودها • فالحرب الاهلية فى لبنان مثلا لم تتوقف وما زالت تتوالى مضاعفاتها ، حتى صارت قراءتنا لاخبارها فى الصحف روتينا اعتدناه !

كما اعتدنا مسلسلات الاغتيالات !

وكما اعتدنا خلافات الحدود العربية !

واذا كانت الاحداث فاجعة ومؤلمة • فلعل لها فضيلة انها تذكرنا ان هذا الذى يجرى ليس « روتينا » • ولا يجوز ان تتبلد مشاعرنا نحوه بحكم تكراره واستمراره ، بل نعمل جاهدين على التعرض للجذور ، وحل القضايا من اسسها ، وعدم الاكتفاء بوضع الضمادات على جرح غائر ، ولا الاستسلام لفترات سكون تسبق العواصف الجائحة !

المحرر



من مكة المكرمة بدأ التاريخ العربي والاسلامي عندما خرج النبي محمد عليه الصلاة والسلام برسالته الىالبشرية جميعها ، وحول الكعبة تلتقي عيون المسلمين في انحاء الارضخمس مرات كل يوم ، واليها يحج المسلمون ، تجولت بين مقدساتهاواستمعت الى اهلها ، ومشيت في دروبها ابحث عن كل اثر اسلاميوانقب عنكل حدث تاريخي (الاستطلاع على الصفحة ٦٨) ·

طب وعلوم :

تربية وعلم نفس :

أدب وشعر :

كتب :

فنون :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا · سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش · الاردن ١٠٠ فلس · السعودية ريالان سعوديان · السودان ١٠ قروش · ج·م·ع ١٠ قروش · تونس ٢٥٠ مليما · الجزائر ٢٫٥ دينار · المغرب ٢٫٥ درهم · اليمن ٢٫٥ ريال · ليبيا ١٥٠ درهما · جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ·

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص · ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان ·

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر ·

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 237 August 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



سولجنتسين ، أيضا ..

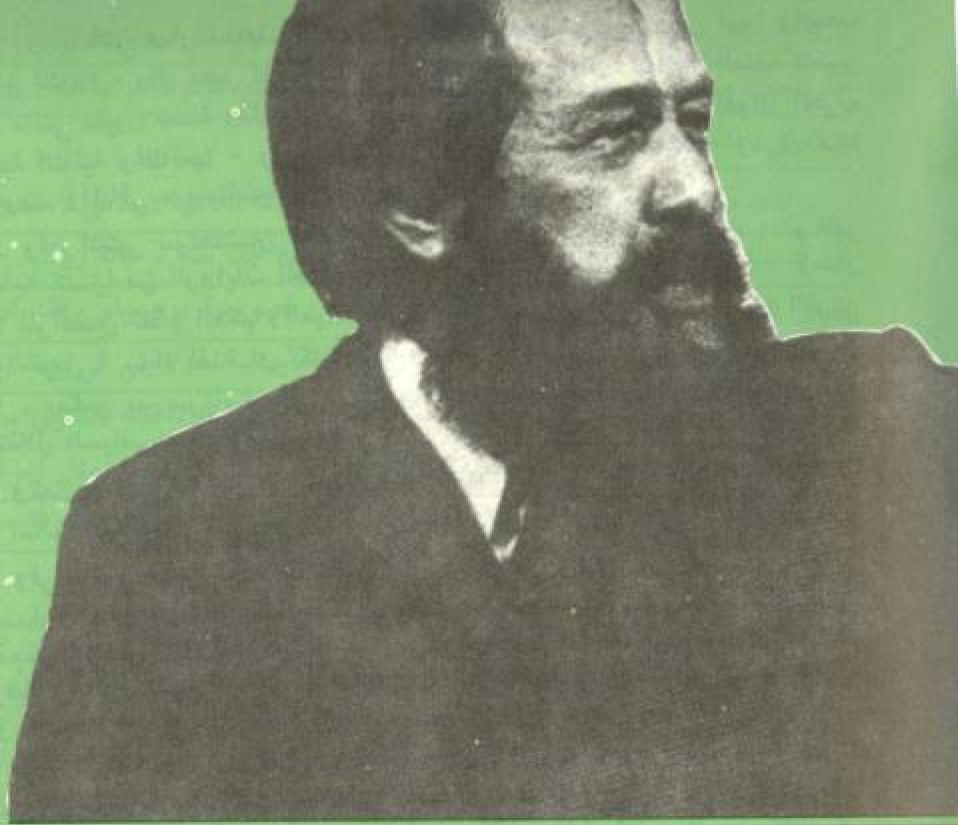
بعد أن عاش فى روسيا ، وعاش فى امريكا

يبحث عن طريق ثالث !..

بقلم : أحمد بهاء الدين

● سولجنتسين ، الكاتب الروائي الاديب ، صار ، رضى بعض الناس او كره آخرون ، من علامات العصر الفنية والثقافية . وربما صار نموذجا ـ ضمن نماذج اخرى مختلفة ـ على حيرة الفنان فى هذا العصر المضطرب الذى نعيشه . واذا قلنا حيرة الفنان ، فكأننا نقول حيرة العقل والضمير والفؤاد ..

فالكاتب المفكر ، او الفنان الحقيقي ، يفترض فيه انه يحس ويرى ما قد لايراه



سولجنتسين وهو يلقى محاضرته فى هارفارد

ولا يحسه الاخرون . تماما كما نسمع ان القطط والجياد تحس بقدوم الزلازل قبل وقوعها بايام . بل قبل ان يحس بهـــاويسجلها أدق جهاز « سيسموجراف » فى العالم . حدث هـذا قبل زلزال الصين منذسنة ، وقبل زلزال سالونيك فى اليونان قبل شهرين .

ذلك ان الكاتب المفكر الصادق ، او الفنان الموهوب ، من شأنه أن يكون عاكفا باستمرار على تأمل الحياة من حوله ،الامر الذى يمكنه من اختراق مظاهر الاشياء ، والنفاذ الى ما وراءها .

فقد يرى الكاتب فى مجتمع متخلف بذرة نمو وارتقاء . وقد يرى فى مجتمع متقدم حافل بالبريق ، بذور دمار وفناء.

ولكن الكتاب المفكرين ،والفنانين ،ليسوا انبياء . وقد تخطىء نبوءاتهم او حساباتهم . الا ان افكارهم عادة تنبهنا الى اشياء هامة ، قد لاتكون ظاهرة لكل العيون . وبذلك تنشط أذهاننا .

●

وحياة سولجنتسين حيـــاة غريـبـة .فقد شب فى اول دولة شيوعية فى العالم

وهى روسيا التى صار اسمها، بكل انحائها الاتحاد السوفيتى، وقد عاش اسوأ واصعب مراحل الثورة • رأى عصر المجاعات وعصر ستالين بـاجراءاته البالغة العنف لتغيير حياة مائتى مليون نسمة وقلبها رأسا على عقب • وعاش جنديا طيلة اهوال الحرب العالمية الثانية وفظائعها • وتمرد ككاتب وفنان ومواطن على الدولة • وعرف حياة السجون . والمنافى ، ومستشفيات الامراض العقلية •

وقد اشتهر سولجنتسين فجأة حـين نشرت اول رواية له فى الغرب • ثم ظهر ان لديه كنـزا من الروايات الضخمـة • وترجمت اعماله الى كل اللغات • وصار رمزا للرافضين نظام الحكم والحياة فـى الاتحاد السوفيتى • واعطاه العالم الغربى جائزة نوبل ، سواء لفنه او نكاية فـى الاتحاد السوفيتى • ولكنه كان اول من قبلها ، بعكس بوريس باسترناك الـــذى رفضها قبله بسنوات لانه وجد فيها رائحة الاستغلال السياسى ، أو لأنه لم يجسر •

وكما نعرف ، فقد قررت السلطة فى الاتحاد السوفيتى طرده نهائيا من البلاد • على اساس انه سيكون فى الخارج اقـل ازعاجا لها من وجوده فى الداخل •

وفى الغرب قوبل مقابلة الابطال • وجمع الملايين من ايراد مؤلفاته • واستمر فى اصدار كتب يهاجم فيها النظام السوفيتى اشهرها « ارخبيل كولاج » • والارخبيل هو مجموعة الجزر المتناثرة فى البحر • وكولاج اسم أحد السجون فى الاتحـــاد السوفيتى • فهو يشبه انتشار السجون فى الاتحاد السوفيتى بانتشار الجزر فـــى البحر •

وقد استقر به المقام اخيرا فـــى الولايات المتحدة • ولاول مرة قبل درجـة الدكتوراه الفخرية من كبرى جامعـــات امريكا ، جامعة هارفارد • وحين ذهب الى حفل استلام الدكتوراه الفخرية ، ووقف ليلقى الكلمة المعتادة فى مثل هذه المناسبة، فوجىء الحاضرون بأنه يلقى مرافعة يدين فيها المجتمع الغربى الرأسمالى كما عرفه، دون ان يعدل عن موقفه من ادانة المجتمع الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى •

وبحكم شهرة سولجنتسين ، وبحكم تجربته التى عاشها فى الشرق والغرب ، صارت هذه المحاضرة وثيقة ترجمت الى كل اللغات ، وأثارت جدلا واسعا فى الغــرب فهذه الروح القلقة التى جاءت الى جنة الغرب ، يعلن صاحبها انه لم يجد الجنــة التى توقعها •

●

والمجال لايتسع هنا ، الا لترجمـــة بعض فقرات هذه الوثيقة . بما فيها من آراء ، قبل التعليق عليها ••

يقول سولجنتسين :

« ان الاسباب المـؤدية الـى انفجار عالمنا تبدو واضحة للعيان : وهى انقسامه الى قوتين عظميين تملك كل منهما قـــوة كافية لتدمير العالم • ولكننا تعودنا ان نقلل من هذا الخطر بتوهم ان الاتفاقات الدبلوماسية ، او التوازن بـين القوتين ، يدرأ الخطر • هذا فى حين ان عالمنا تقسمه شروخ اكثر عمقا وأكبر عددا مما يبدو •

« هناك ما يسمى « بالعالم الثالث» الامر الذى جعلنا نقسم الكرة الارضية الى

ثلاثة عوالم • والواقع ان هناك اكثر من ثلاثة ، ولكننا لانتبين هذه العوالم جيدا .

لاننا بعيدون عنها جدا • فكل حضارة عريقة اصيلة دامت قرونا طويلة،واتسعت حتى شملت مساحة واسعة نسبيا من الارض، هي في الواقع عالم قائم بذاته ، مليء بالالغاز وبالمفاجآت التي لا تخطر «للعقل الغربي » •

« تلك مثلا هي حالة الصين ، وحالة الهند ، وحالة العالم الاسلامي ، خصوصا اذا حسبنا امتداداته في افريقيا ، وتلك كانت ، لمدة الف سنة ، حالة روسيا •فلان العقل الغربي رفض وباستمرار الاعتراف باصالة وخصوصية «روسيا» ، فقد فوجىء بما حدث فيها ، ولم يفهمها ابدا ،لا قبل الثورة الشيوعية ، ولاحتى في يومنا هذا• واذا كانت اليابان تعطينا نموذجا عن مجتمع غريب بعيد ، لكنه انضوى بسرعة تحت عالم الغرب ، وهذا مالست متاكدا منه بعد ، فان دولة اخرى مثل اسرائيل، تعطينا نموذجا على انه رغم ان كل مظاهر حياتها غربية ، الا ان هناك فارقا حاسما بينها وبين الغرب ، فنظامها السياسي يقوم اساسا على الدين »

ويضرب سولجنتسين مثلا على «قصر نظر » الغرب •• بانه حتى وقت قريب جدا • كان هذا « الغرب » ليس سوى قطعة صغيرة من اوروبا • وكان يفتح المستعمرات ، ويحتل بلادا شاسعة ، حتى اختفت الحدود بالنسبة له • وظن هذا « الغرب الصغير » الذي يحكم العالم ان انتصاره نهائي ، وان تفوقه يثبت تفوق الانسان وحريته وقوته • ولكن فجاة ،وفي اقل من نصف قرن ، انقلبت الآية : طرد الغزاة من العالم تقريبا وبعد فترة قصيرة في عمر التاريخ الانساني • وانقلبت العلاقة بين الغزاة وبين مستعمراتهم القديمة • فالمستعمرات القديمة تحمل « فواتير » ضخمة تطالب اليوم بسدادها،ولايدري احد هل سيقوى أحد على سدادها في اي يوم •

« ولكن «العمى» الغربي مستمر •ووهم التفوق لدى الغربيين قائم : فهم يركنون اساسا الى ان اي دولة في العالم سوف يكتب لها التقدم ، لن يتحقق لها ذلك الا بانتهاج النظم الغربية ، اي البرلمانية وتعدد الاحزاب وما الى ذلك • وان المسالة انما هي مسالة وقت فحسب • يعرقل هذا التطور حينا حكومات فاسدة، او اضطرابات داخلية • وبالتالي فما زال الغرب يقيس درجة تقدم كل بلد بدرجة اقترابه من الحياة الغربية • في حين ان هذا ينطوي على نقص خطير في ذهنية الغرب،فهو لايرى ولا يدرك ماهو جوهري،جذري في هذه « العوالم الاخرى » •

« وهناك وهم آخر سائد • هو ان القوتان الاعظم : امريكا والاتحاد السوفيتي ، سوف يتقاربان بحكم التقدم الصناعي والتطور العلمي • في حين انني اولا أرى العكس • فلا يمكن لاحدهما تطوير نظام الاخر الا بالقوة ، ثم ان تقاربهما وتمازجهما ليس خيرا ، لانه كما سينشر مزايا الاثنين ، فانه سينشر ايضا عيوبهما •

« ولو كنت القي خطابي هذا في بلادي روسيا ـ يستطرد سولجنتسين ـ

لركزت على عيوب الشرق ، ولكن لانني اعيش في الغرب منذ اربع سنوات،واخاطب جمهورا غربيا ، فانني لابد ان اركز على ماارى انه عيوب الغرب ونواقصه ، فيما يتعلق بهذا الانفجار العالمي الذى يتهددنا»٠

ثم يمضي سولجنتسين في شرح نقاط الضعف التي يراها في العالم الغربي المتقدم ٠قد يمكن ايجازها اذا وضعناها تحت عناوين محددة ٠

فقدان الشجاعة

يتحدث الكاتب الروائي طويلا عما يسميه فقدان الشجاعة ليس فقط لدى العالم الغربي ككل ، بل وكل دولة على حدة ، بل وخصوصا الدوائر الحاكمة والمثقفين ٠٠

فالسياسة الغربية طابعها الضعف والتردد ، والساسة انفسهم طابعهم عدم القدرة على اتخاذ مواقف المواجهة التي تنطوي على خطر ، والمثقفون يبررون هذا، ويضعفون امام حجج الاطراف الاخرى٠٠ولكن فقدان الشجاعة ، ازاء من ؟

انه هنا لايسمي طرفا ٠ بل يكتفي بكلمة عائمة واحدة هي : ازاء الارهاب ! وهو بالتأكيد لايقصد الارهاب بمعناه الشائع من خطف طائرات ،واغتيال سياسيين٠٠٠ ولكن الذى يبدو من السياق العام للحديث انه يقصد تردد الغرب في مواجهة الاتحاد السوفيتي ،ولكنه لايريد ان يقع في خطيئة التحريض على تدمير بلاده،وفي اخماد حركات التحرر في العالم الثالث،لانه بذلك يناقض نفسه في اول الحديث ٠

انعدام روح التضحية

وفي نفس المجال يتحدث عن انعدام روح التضحية ، وعدم الرغبة في الموت ، يطرح سولجنتسين ملاحظة ذكية حين يقول :يجب ان يتذكر « الغرب » انه لم يكسب حربا واحدة خلال القرن العشرين ٠٠٠الا بمساعدة طرف آخر ٠٠٠

ففي الحرب العالمية الاولى ، استعان بروسيا القيصرية التي لم تكن من الغرب لانظاما ولاحضارة ٠ وفي الحرب العالمية الثانية ،استسهل الغرب تسليح عدوه اللدود ، الاتحاد السوفيتي ، حتى الاسنان ليدمر هتلر ٠ فكانت النتيجة انه اعطى الاتحاد السوفيتي نصف اوروبا ٠ في حين ان الغرب كان بامكانه هزيمة المانيا بمفرده ، لو كانت لديه روح الاستعداد للموت في سبيل قضية اسمى ٠ وقد تخلص الغرب من هتلر ولكنه وجد امامه خصما اقوى واخطر بما لايقاس !

ويهاجم ـ في الطريق ـ دعاة السلام في فيتنام ، ويتهمهم بروح التخاذل التي جعلت امريكا تقبل الهزيمة على يد ٠٠فيتنام !

ويقول :والان،نجد ان مخططي السياسة في الغرب ، رغم ان الغرب اقوى ،الا انهم حين يفكرون في احتمال الحرب مع الاتحاد السوفيتي ، يحاولون الاستعانة ايضا بطرف آخر ، يضحي بدلهم ، وهو : الصين !



سولجنتسين — بريشة الرسام الفرنسي « تيم »

ويقول : تصوروا لو سلحت امريكاالصين حتى تحارب لها – او معها – ضد روسيا ستكون قد استبدلت بدولة من ٢٥٠ مليون شيوعى دولة مدججة بالسلاح من ١٠٠٠ مليون شيوعى !

وذلك كله لان « الغربى » فقد روح الشجاعة ،والتضحية ،والقبول بالموت طلبا لحياة اعلى !

الترف المادى

ويرجع سولجنتسين هذه الحالة التى تسود الغرب وتهدد بانهياره الى امرين :

الامر الاول ،هو ان العالم الغربى ،منذ انتهاء العصور الوسطى وبدء عصر النهضة ، اخذ يهجر الدين ،ويتمرد على القيم الروحية ويحط من شانها ، ويجعل القيم المادية هى اساس حياته ، ومحور افكاره ، وبرهان تقدمه،ومصدر سعادته.

الرفاهية المادية فى كل شىء . طموح الفرد مادى . وعود الزعماء مادية . ثقافة الاذاعة والصحافة والتلفزيون مادية . مادة اكثر واستهلاك اكثر ومقتنيات اكثر.

هذا التفكير المادى المطلق – يقول سولجنتسين – يلتقى فيه الشرق والغرب. فاذا كان الشرق فى رايه ماديا وملحدا رسميا وبحكم فلسفة الدولة . فالغرب يصل الى نفس النتيجة عن طريق آخر ..طريق الانغماس فى المصلحة والمادة وحب الاقتناء والاستهلاك !!

وحضارة شانها البحث عن اللذة،والاستمتاع ،والمزيد من الرخاء ،لايمكن الا ان تكون حضارة شائخة ، خائفة،تهاب الموت وتكره التضحية ،فهى تتنازل امام خصومها خطوة بعد خطوة ، طلبا للسلامة!

الحق والواجب

والسبب الرابع الذى يسوقه سولجنتسين لهذا الذى يسميه « فقدان الشجاعة » فى مجتمع الغرب،هو نوع فهم هذا المجتمع للقانون!انه يرى ان التزام القانون شىء عظيم. وهو اكثر مايفخر به الغرب . ولكن المجتمع بحكم ماديته وانعدام الروحانية فيه قد اخذ يمط فى القانون حتى آخره.والقانون يحمى المحسن ولكنه صار يحمى المسىء ايضا! وانعدم فيه التوازن بين حرية المحسن وحرية المسىء . وضعفت الدولة الى حد بعيد . وصارت سيطرتها على المجتمع معدومة .فاذا اراد رئيس دولة وضع سياسة للمحافظة على الطاقة،لم يتمكن . فلا الفرد يستجيب لنداء الواجب ويضحى ببعض ترفه، ولا الشركات الكبرى ذات القوة الهائلة ترعى المصلحة العامة .. ولها محاموها الذين يجدون الف ثغرة فى اى قانون،وحماتها بين رجال السياسة واعضاء الكونجرس، وعملاؤها فى جهاز الدولة نفسه .

وهذا يجعل الساسة يتنافسون فى ارضاء الشركات والافراد حتى يفوزوا بالمناصب. ومن يصل الى المنصب يصل مقصوص الجناح .لم يعد هناك مكان فى الغرب لرجال تاريخيين،وزعماء اقوى من القوانين. بحيث يستطيعون قيادة مجتمعاتهم الى اهداف اعلى وتضحيات من نوع ما ! راح عهد هؤلاء الزعماء التاريخيين فى الغرب ولم يعد فى دنيا الغرب واحد منهم !

وما يقول به سولجنتسين هنا رد فعل ملفت للنظر من رجل عاش تحت نظام يقول انه « لاقانون فيه » ولاحقوق للفرد فيه . ازاء مجتمع كل الحقوق فيه للفرد.

ويقول انه مالم يعد الغرب الى فكرة « الواجب » فى مقابل « الحق » فان الميزان لن ينعدل ، والوضع سوى يهترىء وينهار .

وينتقد القول بأن الانسان هو الغاية وسعادته هى الهدف . ذلك لان الانسان مخلوق ناقص . فيه مزايا وصفات ، ولكن فيه غرائز وله اطماع ، ومليء بالعيوب . فلو اعفيناه من اى سلطة روحية اعلى ، تتحول الدنيا الى غابة يحميها القانون !

الصحافة والثقافة

ويشن سولجنتسين حملة هائلة علـــى الصحافة والاذاعة والتلفزيون ، انها ايضا فى سبيل المادة فقط تبحث عن الاثارة فى الدرجة الاولى . فسرقة اسرار البنتاجون ونشرها مقبولان . والصحافة الجنسيـة الصارخة مقبولة . وحوادث النصب والسرقة والقتل والاغتصاب تتصدر الانباء . وهى محور الافلام فى السينما والمسلسلات فى التلفزيون . ونشر ادق خصائص حيـاة الاشخاص مقبول ، لانه « من حق كل فرد ان يعرف » ، دون اعتبار لحق كل فرد فى ان يحيا حياته الخاصة به فى هدوء .

بل انه يقول : كما ان هناك حـــق المعرفة ، فهناك حق الانسان فى ان لايعرف انه ـ شخصيا ـ لايريد ان يعرف معظم الفضائح والحوادث التى تطارده عبر كل وسائل الاعلام دون رحمة . انها تشتت ذهنه ، تمزق روحه . فما البال باثر هذا على الشباب ، الذى يخرج ، ويتـصور ان الدنيا هكذا ، كما يراها فى مرآة الاعلام المشوهة ؟

●

ويختتم سولجنتسين محاضرتـــه ، او « قنبلته العنقودية » بقناعاته الاساسية :

● انه يكره الاشتراكية والشيوعيـة والسوفيتية ، ولكنه لو سئل لما رشح حياة الغرب ـ كما هى ـ بديلا لنظام بلاده !

● ان الغرب كما هو الان فاقد لصحته الداخلية . مهما اخفت ذلك مظاهر القوة والرخاء ...

● ان اقصى ما تعمل له سياسة الغرب هى ابقاء الواقع كما هو ، فهو ينحدر اكثر فاكثر الى المحافظة .. ناسيا ان غيره يتغير . كانت البحار ـ مثلا ملكا له .. واليوم ملأت الأساطيل المعادية البحار السبعة !

ان فلسفة الغرب المادية تعتبر أن الانسان خلق للسعادة ، بالتالى فان كل شيء يجب ان يكون لمصلحة الفرد . ولكن الانسان كما خلق للحياة ، فقد خلق ايضا للموت!

وبالتالى فلابد له من الايمان .. الايمان بالله وبالقيم الروحية والمعنوية .. وبأن رسالة الانسان هى الارتقاء الى « قيـم اعلى » وليس مجرد اقتناء اكثر .

● وقد خرج من وطن ملحد رسميا ، فاذا به يجد نفسه فى عالم ملحد واقعيا !

●

.. وبعد فلا شك ان القارىء قد وجد فى كلام سولجنتسين اختلافا كثيرا . ولكن هذا هو سولجنتسين فى كل اعماله .

تارة هو حالم كبير ! وتارة فنـــان موهوب ! وتارة مجذوب !

ولكن حيرته تعلمنا درسا أساسيا : الكيانات الحضارية القديمـة عليهـا ان تعثر على ذاتها ، وعلى طريقها للتطـور والتقدم فى نفس الوقت . مستفيدة بكل التجارب ، لا مقلدة ! أصيلة لا تابعة ! ■■

احمد بهاء الدين .

الحيوان موجود فينا بالفعل ، والانسان كامن فينا بالقوة ، ولكي يخرج ما هو كامن بالقوة ، لابد من الفعل »

■ صنف العلماء الاشياء على الارض الى جماد ونبات وحيوان ولكنهم اختلفوا في تصنيف الانسان وتحديد منزلته من الحيوان • فان في الانسان رغم حيوانيته من ملكات العقل والروح والوجدان ما يكاد أن يجعل منه صنفا رابعا متميزا عن بقية الاصناف الثلاثة المعهودة • وهو في ذلك أشدها الغازا واعسرها احاطة • ولتعقد الظاهرة الانسانية وخفاء معظم أسرارها عن عيون الباحثين وعقولهم كانت الدراسات الانسانية عامة أقرب الى الاجتهادات الفردية ووجهات النظر منها الى العلم التجريبي المحكوم بمعايير التجربة المعملية التي فجرت ينابيع المعرفة الكونية في كل مجالات العلوم الطبيعية مما هو مشاهد في عالمنا المعاصر • والناظر في العلوم الانسانية البحتة كعلم النفس وعلم الانسان وعلم الاجتماع وما اليها كعلم الاقتصاد مثلا يجد هذا الاختلاف في وجهات النظر بعيدا وعميقا •

ويكفي أن نلحظ هذا الاختلاف في التعريفات الكثيرة التي سعى بها العلماء والمفكرون منذ القدم لتقييد الظاهرة الانسانية وتحديدها فمنهم من ذهب الى أن الانسان حيوان ناطق ، ومنهم من قال انه حيوان اجتماعي ، ومنهم من قال انه حيوان ذو تاريخ ، ومنهم من قال انه حيوان عاقل، وكل ذلك لا يفرد الانسان افرادا مطلقا عن غيره من الحيوان • فان كثيرا من الحيوان لا يعتمد على الغريزة وحدها في معركة البقاء وانما يتمتع بقدر من الذكاء يتفاوت بتفاوت الانواع • ويبلغ درجة كبيرة في بعض أنواع القرود العليا كما دلت التجارب العلمية في السنوات الاخيرة • وقد اوضحت الدراسات التي اجريت على النمل والنحل وغيرهما من الحشرات وبعض الحيوانات ان اجتماعية الانسان تبدو بدائية ومتخلفة بالمقارنة بما وصلت اليه حياة بعض المخلوقات الدنيا التي تضبط الغريزة نظامها ضبطا هندسيا لا يتخلف فيه فرد من افرادها عن موقعه او وظيفته • ولا أمل للانسان في بلوغ مرتبة انضباط مملكة النمل أو النحل الا بتضحية عظيمة بجزء كبير من قدراته العقلية والشعورية ليصبح التحكم الآلي هو المعيار الذي تدار به دفة الحياة ، كما تكهن بذلك الاديب المتصوف الدوس هكسلي في كتابه المشهور عن (العالم الجديد الشجاع) فتقو

نحو ثورة روحية

ترد الانفصام في حياة البشر

بقلم :

الدكتور عون الشريف قاسم

جمهورية السودان الديمقراطية

الآلة والحاسب الالكتروني من الانسان مقام الغريزة من الحشرات والحيوان ، وعندها لا يصبح الانسان انسانا وانما يتحول الى ضرب من السلوك الغريزى الآلى بعيد كل البعد عن ماهية الانسان كما يعرفها هو حتى الان •

استخراج الانسان من الحيوان !

وكل ذلك يشير الى غموض هذه الماهية الانسانية واختلافها الكبير عما يحيط بها من جماد ونبات وحيوان رغم التقائها فى كثير من الصفات بالوان النبات والجماد والحيوان واعتمادها عليها الاعتماد الكلى فى معركة الحياة • ولعل سر الانسان يكمن فى هذه الطبيعة المتارجحة بين المتناقضات فى نفسه وفى الكون من حوله • فهو على الدوام وسط بين النقيضين اذ قد ينحدر فى لحظة من حياته الى مستوى الابالسة وقد يرتقى فى لحظة اخرى الى مرتبة الملائكة ولكنه فى كلا الحالين لا يستقر لفترة طويلة فى مقامه ذاك وانما يرتد فى معظم الاحوال الى مرتبة وسط بين الطرفين تقرب من احدهما او تبعد باختلاف الظروف والملابسات •

ومن ثم ندرك أن انسانية الانسان ليست كما ثابتا على الدوام وانما هى قيمة متارجحة تزيد وتنقص بمقدار الجهد المبذول لاحداث التوازن بين الطرفين المتناقضين فى الحياة وفى الوجود • على هذا يمكننا القول بان الانسان كانسان امر طارىء على الطبيعة ولا بد لوجوده من جهد يبذل على مستوى الفرد والجماعة لاستخراج جوهره الفرد من بين عناصر الحيوان الكامنة فى أصل فطرته • فكما اننا محتاجون لبذل كثير من الجهد العقلى والجسدى لاستخراج خيرات الارض والوجود من حولنا وتحويلها عن طريق الصناعة الى اشياء مفيدة لحياتنا بمزج العناصر وتكوين المركبات وما اليها من العمليات الطبيعية والصناعية ، فاننا محتاجون الى بذل جهد أكبر لاستخراج الانسان فينا من براثن الحيوان الكامن فى أصل فطرتنا • وبعبارة فلسفية الحيوان موجود فينا بالفعل والانسان كامن فينا بالقوة ، ولكى يخرج ما هو كامن بالقوة لا بد من الفعل •

ومن هنا ندرك أن الانسان ليس جاهزا بالطبع وانما هو وليد المعاناة والمجاهدة والنضال والصراع فكانما الانسان مركب اعلى يخلق خلقا بالمران والرياضة والتربية والممارسة وهو فى ذلك امكانية كامنة تخرج الى حيز الوجود بمقدار ما يبذل فيها من جهد وعلى هذا تتفاوت اقدار الناس فى سلم الانسانية • فحيث لا يبذل جهد لتشذيب الطبيعة والارتقاء بها يخلد الانسان الى الارض ويلتصق بالحيوان وقد دلنا المولى سبحانه وتعالى على ذلك فى قوله الكريم (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين • ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) صدق الله العظيم •

والانسان انسان بتغلبه على نوازع الحيوان فيه وبنجاحه فى انتزاع الانسان الكامن فى عمق اعماقه • ولا يتاتى ذلك بالاستجابة العفوية لغرائزه وشهواته ورغباته كما يفعل الحيوان لانه بذلك لا يتصرف تصرف الحيوان الذى تحكم استجابته الغريزة فى معظم الاحوال ، بل يهبط الى درك اسفل من الحيوان • فان الحيوان محكوم فى الغالب الاعم بفطرة كامنة فيه تضبط تصرفاته وتحدد استجابته وتقف به عند الحدود اللازمة لتامين حياته • ورغم اشتراك الانسان مع الحيوان فى هذا الجانب الغريزى من حياة النوع الا ان الجانب الواعى الذى يتحكم فى كثير من تصرفات الانسان الغريزية يكاد يفوق الجانب الغريزى البحت • ولهذا السبب كاد الانسان أن ينفرد من بين جميع الحيوانات بافراطه فى تلبية رغباته الحسية بالقدر الذى يتجاوز الحدود اللازمة لبقاء النوع ويؤدى الى التهلكة كما هو مشاهد فى الاغراق فى ملذات الحس من أكل وشرب وجنس • فان الانسان فى كثير من الاحوال لا يقف عند حدود الاستجابة الغريزية فى تحقيق كثير من متطلباته الحيوية بل يندفع بارادة واعية منه للاغراق فى ذلك بما يفوق قدرات احتماله فيسقط صريع البطنة أو الادمان على الخمر أو التهتك فى المجون والجنس وما اليها من تجاوزات لا يشاركه فيها كثير من الحيوان •

مملكة التعلم والتفكير

ومن ثم فان الانسان محتاج الى كبح عواطفه والجام غرائزه اكثر من الحيوان الذى تكفل الله أحسن الخالقين بامره فاودعه نظاما اليا غريزيا مغروسا فى أصل فطرته هو الذى يتحكم فى ضبط معظم تصرفاته ومن ثم ظل الخروف خروفا على توالى الدهور والازمان لا فرق فى ذلك بين خروف وآخر الا بعلامات شكلية يميز الناس بها الخراف ولكنها جميعا سواسية فى الطبيعة والتصرف • وكما تسوى الغريزة بين أصناف الحيوان والحشرات وتسمها بصفات لازمة لا تكاد تتبدل بين افراد الجنس الواحد ، فان عنصر الوعى فى الانسان يميزه عن بقية الحيوان ، ويميز الانسان عن الانسان بحيث لا تكاد تجد شخصيتين انسانيتين متطابقتين كل التطابق فى جميع الصفات والسمات ، ولهذا السبب امكن تمييز افراد الجنس البشرى بالشخصيات والاسماء والالقاب • وهذا الوعى الذى يصبح به الانسان انسانا ملكات متعددة متشابكة غايتها بلوغ مرتبة التوازن بين المتناقضات فى كيان الانسان والارتفاع به الى منزلة خلافة الله فى الارض التى رسمها الله سبحانه وتعالى لادم حين خلقه وذلك فى قوله تعالى فى سورة البقرة (٣٠) (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون) • وقد جعل الله تبارك وتعالى اهم خصائص هذه الخلافة ملكة العلم التى حبا بها ادم وفضله بها على كثير ممن خلق واسجد له من أجلها الملائكة كما جاء فى قوله الكريم فى سورة البقرة (٣١ ـ ٣٤) (وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين • قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم • قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم أقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون • واذ قلنا للملائكة اسجدوا فسجدوا الا بليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) • صدق الله العظيم •

وقد كانت ملكة التعلم والتفكر هذه سبيلا الى تطور الانسان تطورا ذاتيا فى استقلال عن قبضة الطبيعة المباشرة التى سخرها الله سبحانه وتعالى بارادته الواعية وقد سمى الله سبحانه وتعالى هذه المسئولية المصيرية بالامانة وذلك فى قوله تعالى لخدمة الانسان ، وبذلك تحمل مسئولية مصيره فى سورة الاحزاب (٧٢) (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) • ومعيار الوفاء بهذه الامانة الانسجام مع نواميس الله فى الكون بالخضوع لاحكامه والتزام اوامره واجتناب نواهيه •

وهذا الانسجام مع الكون هو فطرة الله فى خلقه المعبر عنها بالعبادة أى الاقرار بالعبودية لله سبحانه وتعالى خالق العالمين والسعى لاطاعته بسلوك سننه فى الخلق لان تلك وظيفة الخلق التى خلقهم الله سبحانه وتعالى لتحقيقها كما جاء فى قوله جل وعلا (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) •

جزء من الطبيعة والكون

والانسان رغم اختلافه عما يحيط به من نبات وحيوان وجماد جزء لا يتجزأ من الطبيعة ومن الكون • وما دامت الطبيعة تدير وفق قوانين محددة تضمن انسجام الكون وتحقق انتظام حركته فان الانسان محكوم بداهة بقوانين مماثلة تضمن انتظام حركته فى المجتمع وانسجامه مع الطبيعة والكون • والفرق بين الانسان وغيره من ظواهر الطبيعة الاخرى فى هذا المجال ان الالتزام بقوانين الله فى الكون مغروس فى أصل المخلوقات بالضرورة والطبع فهى تطيع الله بالفطرة وتعبده بلسان الحال وان لم تفعل ذلك بلسان المقال • ورغم أن الانسان مفطور على العبادة الا ان الله اختصه بنعمة الحرية حين ارتضى حمل الامانة فهو مخير بين الايمان والكفر • (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) • هذا فى حين ان الكون كله يعبد الله بالضرورة (وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) الاسراء ٤٤ (يسبح له ما فى السموات ومافى الارض له الملك وله الحمد) التغابن ١ (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) الرعد ١٣ (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) الانبياء

٧٩ . (الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) الحج ١٨ .

فكانما تحصيل الانسجام مع الكون الذى يحققه معظم الوجود بالطبع والضرورة يحققه الانسان بالعمل والجهد والمشقة والى هذا تشير كثير من ايات القرآن الكريم (لقد خلقنا الانسان فى كبد) البلد ٤ (يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) الانشقاق ٦ . والانسان حين يصل بعد كل هذا الكدح الى مرتبة التوازن والانسجام مع الكون لا يحقق امرا غريبا عنه بل يرجع الى اصل فطرته التى فطره الله عليها . فان الله فى سابق علمه لم يترك الانسان نهبا للحيرة والتخبط دون هداية بل دله على سبيل الرشاد وهو فى عالم الذر واخذ منه موثقا على ذلك كما جاء فى قوله الكريم فى سورة الاعراف (١٧٢) (واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) .

فالانسان مفطور على التدين لان الدين فى جوهره وسيلة الانسان لتحقيق هذا الانسجام مع الكون وخالق الكون وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الروم ٣٠ (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) . وبهذا اصبح التدين قمة الوعى الانسانى الذى يفتح افاق الوعى الكونى ويحقق التوافق بين الفرد فى دخيلة نفسه وفى مجتمعه وفى الكون المحيط به . وكلما رسخ هذا الوعى الكونى فى ضمير الانسان ووجدانه كان اقرب الى تحقيق ذاته واكثر استعدادا لاستكمال انسانيته فان الانسان جزء من كل ولا صلاح للجزء الا بوضعه موضعه الصحيح من الكل .

الانسان حيوان عابد

والدين فى حقيقته تعبير عن هذه العلاقات الكونية المتشابكة بين الجزء والكل التى تصل بين الفرد ونفسه وبينه وبين مجتمعه وبينه وبين الطبيعة والكون وبينه وبين خالق الكون فيتم التناسق والانسجام بين الفرد والوجود وذلك الدين القيم الذى يرتكز عليه نظام الكون . سواء كان ذلك فى شكله المادى القائم على قوانين الطبيعة او فى شكله المعنوى القائم على قوانين الاجتماع البشرى . ولن يتحقق هذا التكامل بين الانسان والكون الا بنظرة شاملة للوجود ولما وراء الوجود تضع الانسان موضعه الصحيح من هذا النظام الالهى اللامتناهى الذى ان ادرك الانسان جزءا محدودا منه فمعظمه غيب عنه فى علم الله خالق العالمين .

وهذا الغيب الذى يشكل الجزء الاعظم من هذا الكون الذى نعيش فيه فى هذه الحياة الدنيا ويشمل كل الوان الحياة الابدية فى العالم الاخر . امر بعيد عن عقولنا وادراكنا لانه لا يخضع فى معظمه لتجاربنا ولا تتاتى لنا معرفته الا بفيض من الله. ولهذا السبب اودع الله الايمان بهذا النظام المتكامل فى الدنيا وفى الاخرة فى اصل فطرتنا ورعى هذه الفطرة بالهداية والعناية منذ ان دب الوعى الانسانى على الارض . والله سبحانه وتعالى يقول فى سورة البقرة ٣٨ (قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتيكم من هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) . وهدى الله تبيان لكل ما غاب عن علمنا من علاقات الوجود اللازمة لتكامل الوعى الكونى فى نفوس البشر . وكل هذا لا يتم بالانغلاق على تجاربنا المحدودة بحدود حواسنا القاصرة وانما يتم بالانفتاح على دفق الوجود كما نحسه بعقولنا وارواحنا وقلوبنا ومشاعرنا تحدونا هداية الله التى انزلها لخلقه عن طريق الرسل الذين بلغوا دين الله الواحد . وعلى تفاوت فى درجات التبليغ بحسب ظروف الزمان والمكان وبذلك يتعمق وعينا الكونى وتتفجر فى نفوسنا كل طاقاتنا الروحية والوجدانية والفكرية الكامنة فتزداد ارتفاعا فى سلم الانسانية ويتقلص الحيوان فينا لحساب الانسان .

وبما ان هذا التطور الروحى الشامل لا يبلغ مداه الا بتضافر ملكات الوعى جميعا ماديها ومعنويها الذى يتجلى فى اعلى صورة فى عبادة الله التى تحقق هذا التوازن الشامل فى علاقة الانسان بالوجود صح القول بان اصدق تعريف للانسان

لا يشاركه فيه حيوان اخر انه حيوان عابد • فهو بطبيعة تكوينه يحمل في دخلية نفسه هذا التطلع الروحي والاستشرافي الى افاق عليا تنطلق عندها طاقات الروح من اسار الجسد وتتجلى انسانية الانسان في انصع صورها • ولذلك كانت نظرة الانسان متجهة دائما الى اعلى ونظرة الحيوان الى اسفل • وهذا التطلع الروحي المنبثق من طبيعة التكوين البشري والذي عبر عنه الانسان في قيام الحضارات وفي كل صنوف الانجاز الفكري والروحي والفني هو تطلع دائم لا ينفرد به جيل دون جيل او مرحلة من مراحل التطور البشري دون اخرى •

عن حضارة الغـرب

والفهم الذي استقر في اذهان كثير من المحدثين من ان الدين مرحلة تالية للسحر في فجر الانسانية وهو بذلك تعبير عن بداية الفكر الذي يسعى الى تفسير الوجود تفسيرا غيبيا ذاتيا نابعا من مخاوف الانسان وجهله ، فهم لا تسنده تجربة الانسان في هذا الطور الثالث من تقسيمهم لمراحل تطور الفكر الانساني • فان هذا الطور العلمي الذي يرتكز على المشاهدة والتجربة وتحكيم الحواس والوصول الى النتائج بعد التمحيص والتدقيق والمراجعة واعادة التجربة لم يلغ هذا التطلع الروحي الكامن في نفوس البشر • بل ان روح التدين قد اثبتت وجودها حتى في الانظمة التي اتخذت من مذاهبها الاجتماعية والفكرية ادوات هدم للدين كما هو الحال في الماركسية التي كادت ان تصبح مع الزمن دينا وضعيا له انبياؤه ورسله وكتبه المقدسة وسدنته واتباعه الذين يقدسون كل نص من نصوص كتابهم المقدس كما يقدس اصحاب الديانات التقليدية نصوص كتبهم •

وكل ما في الامر ان الروح الدينية قد اتجهت الى الارض بدل ان تتجه الى السما، وذلك انحراف عن الجادة موقوت والزمن وحده كفيل برد المنحرفين الى صراط الله المستقيم الضارب الجذور في عمق اعماقهم والذي به وحده يرتقون في سلم الانسانية فتتفجر النفوس باتصالها بمنابع الابداع الالهي وتتهيا لاشاعة الخير والحق والفضيلة والجمال في دنيا البشر •

والمتمعن في تطور الفكر البشري يعجب للنظرة الجزئية التي عالجت بها حضارة الغرب الراهنة قضية الدين على المستوى الفكري والاجتماعي • ومن الواضح ان للظروف التاريخية التي اكتنفت تطور المجتمعات الاوروبية في العصور الوسطى اثرها الكبير على تشكيل هذه النظرة الجزئية التي حكمت على الدين عامة في حياة البشر من خلال التجربة الاوروبية الخاصة ، التي كان اهم سماتها الصراع الكبير بين باباوات الكنيســة ورجال الحكم والفكر والذي لم ينته باقصاء رجال الكنيسة عن التحكم في حياة المجتمع فحسب ، بل اضاف الى ذلك اقصاء الدين نفسه عن الحياة العامة مما عبروا عنه حينا بفصل الدين عن الدولة وحينا اخر بالعلمانية • ونسبة لانتشار نفوذ حضارة الغرب في القرون الاخيرة على مستوى العالم وسيطرتها الفاعلة على مجرى الحياة العقلية في حياة كثير من الامم اصبحت هـذه النظـرة الاوروبية الى الدين هي المعيار الذي تقاس به التجربة الدينية على مستوى الانسانية عامة بصرف النظر عن اختلاف التجارب وتمايزها عن التجربة الاوروبية •

وانه لجدير بنا والانسانية تستشرف عهـدا جديدا من الانعتاق والتحرر من سيطـرة الغـرب الاستعمارية ان نعيد النظر في كثير من المعطيات الفكرية التي مكن لها الغرب بنفوذه الثقافي في عقول كثير من متقفي العالم الثالث وعلى راس ذلك مكانة الدين من مسيرة التطور البشري عامة ومن حياة المجتمع خاصة • ولعل ذلك هو المنطلق لتفجير الثورة الحضارية التي تنتظرها الانسانية وهي تقف على حافة الهاوية التي دفعت بها اليها حضارة الاستهلاك الراهنة التي تغذي الجسد وتميت الروح وتجعل من المتعة الحسية العابرة سبيلا الى الغاء انسانية الانسان ، فلا يصبح امامه من مخرج سوى الانتحار الذري او الفناء الحضاري • ومن الواضح ان التجربة الاوروبية رغم خيرها العميم على الانسانية في كثير من المجالات وتطويرها للحضارة الانسانية على المستوى الفكري والعلمي وما نجم عن ذلك من ازدهار مادي فان الخواء الروحي الذي اشاعته في حياة البشرية من اكبر

معاول الهدم لانجزت الانسان • الان ما يبتنيه الانسان فينا في الاف السنين ينسفه الحيوان فينا في لحظات خاصة اذا كان مسلحا بأدوات الدمار الذرى •

نحو ثورة روحيـة

وما تحتاجه الانسانية فى ازمتها الراهنة ثورة روحية تعيد الى الانسانية توازنها الذى فقدته من جراء التطور غير المتوازى الذى فصلت بـه حضارة الغرب روح الانسان من عقله وجسده فاصابت الحضارة بالانفصام والازدواج • واحدثت بذلك شرخا عميقا في وجدان الانسان لا سبيل الى تلافيه الا باستعادةتكامل حياة الانسانالروحية والمادية وتعميق ذلك الوعى الكونى فى وجدان الانسان وعقلهوحياته مما لا تسمح به مواضعات الحضارة الطاغية بفلسفتها المعلنة • وفى كل ذلك اشارة الى ان ما يجرى فى الساحة الفكرية هو فى جوهره انتكاسة فى وعى الانسان وعودة الى مرحلة الانفصام فى حياة البشر التى تفصل بين تطور الانسان الروحى وتطوره المادى والتى جاء دين الله الواحد الذى انزله الله على رسله لتجاوزها على مر العصور وتباين البيئات •

ولم يبلغ هذا الانفصام درجة من الخطورة على تطور البشر مثلما بلغه في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الانسانية بسبب هذا الانحراف الكبير فى مسار التطور الدينى الذى احدثته التجربة الغربية فحادت بالانسانية عن وجهتها الصحيحة ودفعت بها الى هذا الوضع الحضارى الخطير الذى تجابه فيه تحديات عصر الصناعة المتطورة بنفوس ممزقة وشخصيات مزدوجة • هذا فى حين ان مسار الفكر الدينى من لدن آدم عليه السلام كان وما يزال يحدو الانسانية في طريق تكامل قوى النفس الانسانية حتى بلغ الغاية في ذلك بمزج قيم الدين بمواضعات الدنيا كما تمثلت فى رسالة الله الخاتمة التى بعث الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم لمواجهة تحديات هذه المرحلة الخاتمة من تطور البشر التى نعيش فيها • واذا كانت التجربة الغربية انحرافا عن هذا المسار والتواء به عن غايته فانه لزام علينا نحن حملةهذهالرسالة الخاتمة والذين كرمنا الله سبحانه وتعالى بأن جعلنا خير امة اخرجت للناس ، تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، ان تعود بالانسانية الى حيث انتهى بها المطاف قبل ان تدهمها هذه الهجمة الغربية الرعناء التى انتكست بالمسيرة ووقفت فى سبيل بلوغ الغاية التى اختطها الله جلت قدرته للانسان بأن يكون خليفة للـه فـى الارض • ■■

الخرطوم ــ د • عون الشريف

قالوا •••

■ الفتنة هو ذلك الجزء من الشخصية الذى نملكه دون ان نعرفه •

اليستر كوك •

■ الضمير هو ذلك الشىء الذى يؤلمنا عندما نشعر بالسعادة •

أ•ق ــ هـ

■ حركة المجمعات السكانية هى عمل يهدف الى نزع الجدران التى تفصل بين الناس وانشاء جسور فيما بينهم •

ب • لوجيه

انماء العالم الثالث وتقدمه



بين النموذج المضاد والنموذج المقلد

بقلم : الدكتور حسن صعب

« الجديد في النصف الاخير من القرن العشرين هو العالم الثالث متحركا من جديد على مسرح التاريخ البشري » .

■ ان انماء العالم الثالث وتقدمه هو مشروع تطوير حضاري كلي . ان وصفه الشائع بانه مشروع نمو اقتصادي هو وصف خاطيء . ونعت قاصر . فالنمو الاقتصادي هو تقدم كمي . والتغيير المنشود في العالم الثالث هو تغير نوعي بمقدار ما هو تغير كمي . ورؤية انماء العالم الثالث في الغد في صورة انماء العالم المتقدم اليوم تفترض مثالية انماء العالم المتقدم ، وتتجاهل ان انماء العالم المتقدم هو في حالة تغير ان لم نقل في حالة ازمة تدهور او تطور ستجعله في الغد غير ما هو عليه اليوم . ولذلك فان الاولى بنا ان لا نبني نموذجا مستقبليا لانماء العالم الثالث لتقليد اي نموذج من نماذج العالم المتقدم بل ان نستطلع « النموذج المضاد » لجميع النماذج القائمة . ومراجعة التاريخ الانمائي الانساني تدلنا على ان نماذج التقدم كانت النماذج المضادة لا النماذج المحاكية . ولذلك يتوجب على الدول النامية كما يقول الباحث الفرنسي اجناسي ساش ... ان تفتح طرقها الخاصة للتقدم وان تتفادى التقليد الذي يستهويها بدون ان يؤدي بها الى تحقيق ما تنشد من تقدم .

ويملي علينا هذا التصور التصحيحي لحقيقة مشكلة التقدم والانماء في العالم الثالث ان ننظر الى «النمذجة»، وان نطبق منهجيتها العلمية الدقيقة تطبيقا ابداعيا يتلاءم مع اختلاف الاحوال والازمان والاهداف والوسائل في العالمين المتقدم والثالث.

ان العالم المتقدم ، في جزءيه الليبرالي والماركسي ، يتصور نفسه المعجزة الانمائية الاسوة للعالم الثالث . وبالرغم من اهتزاز الصورة تحت وطأة الازمات ، فانها ما تزال الصورة



الغالبة • وهي غالبة الى حد تحمل اكثر السياسيين والمفكرين في العالم المتقدم ، وفي طليعتهم المستشرق الفرنسي ماكسيم رودنسون ، على ان يتحدوا العالم الثالث باختيارين او نموذجين انمائيين غربيين لا ثالث لهما : الاختيار الليبرالي او الاختيار الماركسي • وما تزال الاختيارات الغربية الاخرى التي تقترح ، كالاختيار الديمقراطي الاشتراكي مثلا ، هامشا للاختيارين المحورين او مرحلة من مراحل تطورهما • ولذلك فان قواعد الانماء واصوله واجراءات النمذجة المستقبلية تستمد من تجارب واختبارات التطور الانمائي الغربي الليبرالي او الماركسي ، وتكرس قواعد واصولا لعلم الانماء او لمراحل النمو الانساني كما هو الشان فيما فعله الاقتصادي الاميركي روستو • وما تزال مواقف الرفض لهذه الحتمية الثنائية او الاحادية من قبل مفكرين ليبراليين او ماركسيين صرخات للاحتجاج اكثر مما هي سياسات او خطط للتطبيق ، وابرزها صرخات الرفض الليبرالي في كتاب «التحرير الوطني» الذي جمعه ميلر وصرخات الرفض الماركسي لجارودي وماركيوز •

العالم الثالث متحركا

ان التقدم هو «الجديد» الحضاري التاريخي للعالم الغربي في العصر الحديث • والعالم الغربي هو اقلية الجنس البشري • والجديد في النصف الاخير من القرن العشرين هو العالم الثالث متحركا من جديد على مسرح التاريخ البشري وفي مجرى التطور الحضاري • والعالم الثالث هو اكثرية الجنس البشري المتخلفة ، التي استطاعت ان تبرز الى الوجود السياسي متحدية ارادة الاقلية المتقدمة • ولذلك فانها ماتزال حتى الان «الجديد الكمي» فاذا اهتدينا بقانون تحول التغير الكمي الى تغير نوعي فان «جديد اليوم الكمي» سيكون «جديد الغد النوعي» • ويعني هذا ان النمذجة العلمية المستقبلية الدقيقة لتطور العالم الثالث يجب ان توضع في السياق الحركي التجددي للمستقبل لا في السياق السكوني الركودي للماضي • «الموت للماضي والحياة للمستقبل» قول يبدو في ظاهره شعريا ويثبت في حقيقته علميا ، اذا استقرأنا حركة التطور الحضاري الانساني استقراء شاملا • ولا يستقيم هذا الاستقراء الا اذا ميزنا مفهوم الماضي ومفهوم التاريخ • ان المفهومين التبسا في ذهننا حتى الان التباسا يجعلنا نتصور ان التاريخ هو الماضي وحده • ولذلك فان البحث التاريخي هو استعادة لصورة الماضي ، ولكن الحقيقة هي اننا ما لم نتوقع وقف حركة الزمان ، فان التاريخ هو المستقبل بمقدار ما هو الماضي • والماضي هو تاريخ انتهى والمستقبل هو تاريخ يبدا • وما يبدا هو اولى باهتمامنا مما انتهى • فالحي افضل من الميت • ان الانسان هو كائن تاريخي • والاعتراف بهذه الحقيقة شيء ووصف الانسان بانه « كائن ماض » شيء آخر • أن ماندعوه تاريخا بالمعنى الكلاسيكي الشائع هو غالبا تصورنا المصطنع او المختلق للماضي • انه ايديولوجية نخترعها لنتمكن بها كما يقول ملو في كتابه «موت الماضي » «... من السيطرة على الافراد وتحريك الجماعات واثارة الطبقات» وقلما عرفنا تشويها اقبح من الذي اعترى صور الماضي • ومستقبل التاريخ والمؤرخين هو في تحرير قصة الانسانية من الرؤى المضللة التي اشيعت لتسخير الماضي لغايات معينة .

قرن العالم الثالث ؟

كان القرن التاسع عشر قرن تقدم اوروبا • واصبح القرن العشرون قرن التقدم الاميركي والسوفياتي والياباني • وسيصبح القرن الواحد والعشرون قرن تقدم العالم الثالث • ان الباحث اليوناني انجلو بولس يعلن لنا ، ان البلاد «التي

نطلق عليها اسم العالم الثالث ستبدأ في نهاية القرن « ... بالتحول الى قوة اقتصادية وسياسية عظيمة ، ... سيكون دورها حاسما ، وليس مسيطرا ، في المسرح الدولي خلال القرن الواحد والعشرين . ان اوروبا في جملتها وامريكا الشمالية التي في عام ١٩٧٠ كانت تنتج (٧٨٪) من الانتاج العالمي لن تنتج اكثر من (٥٧٪) في عام الفين و (٤٤٪) في عام ٢٠٢٥ ان باقي الدخل اي (٥٦٪) سيقدم من قبل البلاد الاسيوية ، بما فيها اليابان ، وافريقيا ، وامريكا اللاتينية ، التي لاتنتج حاليا سوى (١٥٪) من الدخل العالمي . سيتوصل هكذا بالتدرج الى تنسيق لتوزيع الثروات بشكل تابع للتوزيع العددي للسكان في مختلف مناطق العالم . وسيمثل هذا تحدي العالم الثالث للبلاد المصنعة التي تسيطر حاليا على السوق الاقتصادية والمسرح السياسي على المستوى الكوكبي .

ان الانماء هو تحدي التخلف . وهو في وضعنا التاريخي الراهن تحدي المتخلفين للمتقدمين . ان المتقدمين متخلفون في احتكار التقدم . والمتخلفون متقدمون في تحديهم هذا الاحتكار . الم تكن الولايات المتحدة متخلفة حتى منتصف القرن التاسع عشر ؟ والروس الم يكن الاوروبيون يتصورونهم فلاحين وعبيدا للارض لن يكونوا ابدا الا « موجيك » اوروبا ؟ واليابانيون الم يحتقرهم الاوروبيون لصفرتهم قبل ان يفاجئوا بتصنعهم ؟ وكما يذكرنا انجلو المبشر لا توجد تنمية بدون تحد . ان الرقي هو معركة كما ان الحياة هي نضال » .

ان علم الاقتصاد هو في وضعه الراهن اقرب الى علم الاسطورة منه الى علم الحقيقة . وضع علم الاقتصاد بفرعيه الليبرالي والماركسي قبل ان يبرز العالم الثالث الى حيز الوجود . فمختبره مختبرا ابتر . انه مختبر لثلث الانسانية القائم على تجاهل ثلثيها . يقول العالم الاجتماعي الفرنسي ليفي ستروس « لاشيء يشبه الاسطورة السياسية كالايديولوجية السياسية . ولعل الاولى حلت محل الثانية في مجتمعاتنا المعاصرة . » وليست النظرية الاقتصادية احسن حالا من الايديولوجية السياسية . انها نظرية لتبرير الفكر السياسي الليبرالي يغلف الايديولوجية الاقتصادية كما يغلف الاسطورة السياسية . ان علم الاقتصاد المعاصر هو اقرب الى ميثولوجيات منه الى حقائق . ولولا ذلك لما وقع في هذا العجز الفاضح عن معالجة الازمات الاقتصادية العاصفة . انها ميثولوجيات توالت منذ قرنين لتبرير الوضع الاقتصادي الاوروبي ووضعت كما يقول النقادة الفرنسي اتابي ، لحفظ « توازن القوى لحساب العالم المتقدم على حساب العالم المتخلف » .

اننا نقرأ ارقاما مرعبة عن الهوة الانمائية بين العالم المتقدم والعالم المتخلف . ونبشر بان متوسط دخل الفرد لن يتجاوز عام ٢٠٠٠ الثلاثمائة دولار في العالم الثالث بينما سيبلغ الخمسة عشر الف دولار في العالم المتقدم . سيكون عالمنا نحن عالم الجوع بينما سيكون عالمهم عالم التخمة . ونحن الاغنى في المورد الانساني والمورد الانساني هو الراسمال الاكبر للانماء . وهذه التقديرات تفترض ان موردنا الانساني سيتكاثر ولكنه لن يتطور . وهذه نظرة سكونية للتاريخ . بل انها اكثر من ذلك . انها استعمارية جديدة ينادي بها باسم دول العالم الثالث مستقلة اسما ومستعمرة فعلا . ويقول الباحث الاقتصادي الفرنسي بوشير « ان الاستعمارية الجديدة هي السياسة المطبقة منذ الاستقلال من قبل الدول المتقدمة لإستبقاء الدول النامية تحت سيطرتها » .

المجهول اكثر من المعلوم

ان باحثي العالم المتقدم والمتخلف يخطئون وهم يطبقون مناهج بحث اقتصاديات العالم المتقدم في دراسة العالم الثالث . فالمجهول في العالم الثالث ما يزال اكثر من المعلوم . وقد اخطأ الاقتصاديون واشباه الاقتصاديين ، الذين تعج بهم الادارات الوطنية العليا والادارات الدولية ، خطأ فاحشا باضفائهم مناهج واساليب نمو العالم المتقدم على العالم المتخلف . انهم يتصورون مستقبل العالم المتخلف حاضر العالم المتقدم اوماضيه متناسين كل التناسي حركية

التاريخ ومتجاهلين قدرة الانسان على الابداع، ومتغافلين عن افضل ما اخترعه العقل الحديث ، كما ذكرنا بذلك هوايتهاد ، فيلسوف جامعةهارفارد، اعني منهج الاختراع نفسه • ان بوسع العالم الثالث ان يخترع ويبدع طرقا للانماء لم يعرفها العالم المتقدم • والذى يعمينا عن هذه الحقيقة هو توقفنا لدى الحسابات الاقتصادية لوحدها •

واما اذا اخذنا بعين الاعتبار العوامل غير الاقتصادية التى تؤثر فى سلسلة القرارات التى تؤدى الى تغير المجموعات الاقتصادية المعقدة ،فان النظرية الاقتصادية تتكفل بتذكيرنا بحدودها كاداة للتنبؤ المستقبلى•ان العنصر غيرالاقتصادى يفصح عن قدرة الانسان على خلق التاريخ وعن اهليته للابداع •ويقضى هذا على التنبؤالاقتصادى بان ينحصر فىحدود الافاقالتىيستطيعان يستطلعها والتى يمكنها ان تتسع بانفساح الحيز الزمانى•

ان الرائد الانمائى فى العالم الثالث هو مجدد فى صياغة المنهج ومبدع فى صناعة التاريخ •ان المناهج والنماذج الغربية ليبرالية وماركسية هادية له ولكنها ليست طاغية عليه • فعلية ان يتوسل النمذجة المستقبلية كما يصطنع غيرها من مناهج البحث • وان عليه ان يستدل بنماذج الانماء الغربى كما يستدل بغيرها من نماذج التاريخ •انه يهتدى بالمناهج ولا يحاكيها ويستدل بالنماذج ولا يقلدها •والمناهج والنماذجالشائعة هى الان موضع نقد من قبل المفكرين الجديين تحت وطاة الازمات المتلاحقة من ازمة التضخم الىازمة التلوث • ان الوضع الراهن فى العالمين المتقدم والمتخلف هو وضع فاسد • وان كل باحث علمى لا ينطلق من رفض هذا الوضع هو ايضا باحث فاسد •ويقول ماركيوز ،فيلسوف ثورة الطلاب فى العالم ، «ان كل فكر لايبدا بوعى الزيف الصارخ لاحوال الحياة السائدة هو فكر زائفوليس متجاهل هذا الزيف آثما فحسب : انه مخطىء • »

بحثا عن تنظيم اجتماعي

ووعى زيف الحاضر يجعل مهمة الذى يتصدى للنمذجة مهمة عسرة جدا • انه لا يستطيع ان ينطلق من فراغ •ان انطلاقه هو بالضرورة من الحاضر والماضى • فهو مؤرخ قبل ان يصبحمتنبئا• ولكنه المؤرخ المدعو للتمييز بين التاريخ وبين الحاضر او الماضى • فالتاريخ كما سبق انذكرنا، هو ايضا المستقبل • والمؤرخ العلمى الحقيقى ليس الباحث المأخوذ باستطلاع حتميات متكررة بل المستشرف لاحتمالات متجددة او مستجدة • ان المأخوذ بالتكراريات يستهوينا او يستفزنا باكتشافه الحتميات المعادة • •

ولكن الاختراع ، كما يقول رولان بارث«•••هو الفعل الثورى لا الاستفزاز »والاختراع هو الان ضرورة حتمية لاتنتج عن اختلاف احوال عالم اليوم والامس عن احوال الغد فحسب ولكنهاتصدر ايضا عن الانتقادات التى توجه الان لنماذج اليوم• وعلماء السياسة والاقتصاد الفرنسيون من امثال اتابي وجيوم يذكروننا بانه «••لايوجد الانمشروع سياسى فى الدول المتقدمة •واكثر النماذج السائدة فيها هى الى حد بعيد متهالكة •وليس لديها تنظيم اجتماعى يستثير الحماس ••وهى تعانى صعوبات التطور الاقتصادى والناسينشدون فيها التحرر من اللعبة الاجتماعية ويحاولون خرق الحواجز ويسعون لتغيير الحياة ويتطلعون للسعادة كضالة منشودة •• » واذا شاء علم الاقتصاد ان يتجاوب مع هذه التطلعات ومع مطامح ابناء الدول النامية فعليه ان يتكون تكونا جديدا ليصبح اقتصاد «الاوتوبيا » •

ان نموذج العالم المتقدم بذروتيه الاميركية والسوفياتية هوالان بنوويتهنموذج الافناء، لانموذج الانماء الانسانى • والنموذج الغربيهو باسرافيته، كما صوره نادى روما المؤلف من نخبة من اهل الانماء من العلماء ورجال الاعمال ، هو نموذج الافلاس لا الانماء الاقتصادى فى مدى لا يتجاوز المئة عام • والنموذجان يزيدان باحتكاريتهما الاغنياء غنى والفقراء فقرا • فوضع اى نموذج لتقدم العالمالثالث لتقليد اى من هذينالنموذجين يبتعد بنا عن نمذجة الانماء الى نمذجة الافناء او الافلاس • وان من العبث التذرع بالعلمية لتاكيد حتمية الالتزام باحد النموذجين • ان الاقتصاديين المأخوذين بالتكمية والايديولوجين المفتونين بالتزكية

هم الذين يقعون في هذا الخطأ المميت • انهم يقيسون أو يبشرون متغافلين عن السياق القيمي لقياساتهم الخادعة ولدعواتهم الساحرة ، ولذلك تتعالى الاصوات الليبرالية بالدعوة « لتخضير » الاقتصاديات ، بينما ترتفع الاصوات الماركسية بالدعوة لتجديد الايديولوجيات • وكان من أقوى هذه الاصوات تلك التي أطلقها علماء الاقتصاد الامريكيون الشباب في نيويورك في ديسمبر عام ١٩٦٩ في المؤتمر السنوي لجمعية الاقتصاديين الامريكيين يتهمون فيها شيوخهم الاقتصاديين بانهم رواد « ••• اللامساواة والاستلاب وافساد البيئة والاستعمارية والعرقية واستعباد النساء » • وينساب بين أصفى هذه الاصوات صوت الفيلسوف المطرود من الحزب الشيوعي الفرنسي جارودي ، وهو يعلن ان الماركسية تستحيل الآن من نظريات علمية الى كلمات دعائية • ويذهب البعض الى التساؤل عن معنى الانماء وعما اذا كان مفهوما اخترعته الرأسمالية الغربية لفرض سيطرتها الاقتصادية على العالم الثالث ، بعد ان اضطرت لرفع سيطرتها السياسية عنه •

دور الرأسمالية

ان المفكر الماركسي الفرنسي بوستير يصف الانماء والتخلف بانهما من مواليد الاستعمارية ، ويتهم الامبريالية أو الاستعمارية بانها هي التي تتحكم بالانماء والتخلف ••• ولئن ظهر هذا الانتقاد ذا مسحة ماركسية الا أن انتقاد العلماء الليبراليين الواعين لتخلف الرأسمالية هو أشد من انتقاد الكتاب الماركسيين • ان الرأسمالية تؤدي الى استفحال التفاوت في الدخل والى استنزاف الموارد والى افساد المحيط بل أنها تجرد الانسان من أعز حرياته : حرية تقرير مصيره • وهذا ما يؤكده العالم الاقتصادي الامريكي جلبريث ، وهو يفتتح لقاء دوليا من لقاءات وزارة المالية والاقتصاد في فرنسا • ويضيف الى ذلك « دعوني اقل لكم أن سلطة المنشآت الخاصة متضافرة مع المؤسسات العامة تمكنها من متابعة أهداف ليست أهدافنا • فتوحي بالشعور الذي يساور الكثيرين منا باننا لم نعد صانعي قدرنا • بل أننا لم نعد بسبب التسابق في التسلح أسياد حياتنا ••• » •

وتكمن الازمة في تصورنا الانماء نموا اقتصاديا ومقاربتنا الانماء والنمو خارج سياقهما التاريخي والحضاري بل وخارج سياقهما العلمي الحقيقي • والسياق الانمائي العلمي الحقيقي يتجاوز النمو الاقتصادي الى النمو الانساني الطبيعي والثقافي • والثورة العلمية الحديثة تجزم بان التطور عام وكوني في ميدان الطبيعيات ، ولكن النظرية الاقتصادية صامتة حول هذا الموضوع • ويعني هذا ان الاقتصاديات تغفل حتى تطور العمليات الاقتصادية ، وتتجاهل تعاقب الاطوار الاقتصادية ، وتتغاضى عن الاطوار المستقبلية للتقدم الاقتصادي • ان أطوار الغد للتقدم الاقتصادي هي غير أطوار اليوم والامس • وهذه حقيقة يؤدي تجاهلها الى زيف النظريات الاقتصادية والنماذج الانمائية • ان المستحدثات العلمية والمبتكرات التكنولوجية تتأثر بالنمو الاقتصادي وتؤثر فيه • وهي مستحدثات ومبتكرات مطردة الاعجاز • وهي تثير التساؤل حول تكوين نظرية اقتصادية اجتماعية تصمد امام حركة الزمن •

عبء على الجميع

ويبدو تخلف العالم الثالث الآن عبء الدول النامية والمتقدمة معا • فالدول النامية مدينة للدول المتقدمة بما يقارب المئتي مليار دولار • ويزداد هذا المبلغ عاما بعد الآخر • وتتضاءل النسبة التي تقدمها الدول المتقدمة من دخلها الوطني العام لمساعدة الدول النامية • ونسبة التبادل التجاري بين الدول المتقدمة تتزايد بينما تتناقص نسبة تبادلها مع الدول النامية الا اذا استثنينا الوضع الخاص للدول المنتجة للبترول المدعوة بالعالم الغني ، الذي يتزايد تبادل عائدات البترولية مع تكنولوجية العالم المتقدم • وتتمايز هذه الوجوه السلبية بعض النتائج الايجابية لعشرية الامم المتحدة الاولى للانماء (١٩٦٠ ـ ١٩٧٠) ، فقد ازدادت انتاجية دول العالم الثالث وارتفع معدل نموها ، وأصبحت أقدر على الادخار والتثمير ، وازدهرت صادراتها ، ولكن هذا حدث بنسب متفاوتة بين اقليم وآخر وبين دولة وأخرى، وظل اكثرها بطيء التحرك في اتجاه التقدم

الانمائي النوعي ، اى في الاتجاه الانمائي الحقيقي الذى يستدعي ويؤدى الى تغيرات عامة في بنياتها الاقتصادية والاجتماعية •

ان كل هذه الحسابات والمؤشرات والمعايير تقصر عن المعايير والمؤشرات المنشودةلانماء العالم الثالث• ان انماء العالم الثالث ينطلق كمشروع تطوير حضارى من « قانون التقدم المؤخر » • وهو قانون لصالح المتخلفين لا لصالح المتقدمين • ويفعل فعله في فترات الانتقال والازمات • فالتكيف في هـــذه الفترات أصعب على المتقدمين منه على المتخلفين • وهذه الصعوبة تعرض الدول المتقدمةلفقدانقيادتها التاريخية • والمؤسسات الحضارية التى تباهي بها هى التى « تتروتن » ، Routine وتصبح عوائق لتكيفها مع الظروف المستجدة •

ولدينا مثلنا التاريخي في القرون الوسطى ، حين استطاع العرب الذين لم تكن لهم دولة قبل الاسلام أن ينتصروا بالاسلام على دولتين من أعرق دول العالم : فارس وبيزنطة • وتتكرر التجربة في مطلع العصر الحديث في انتصار دول أوروبا على السلطنة العثمانية احسن دول العالم تنظيما في القرنين السادس عشر والسابع عشر • فالتخلف عبء اليوم ورأسمال الغد ،اذا ما وعاه المجتمع المتخلف ليتحرك•وتجتاز الانسانية الانفترةانتقالية•وكانت القيم والمؤسسات المفضلة في القرنين الماضيين هي التي تؤدى الى تراكم الاقصى للرأسمال والى تحقيق الحد الاقصى من النمو التكنولوجي • ولكن الاسبقية تتغير الان • انها تتحول من التراكم الى الاستخدام العقلاني والانساني الافضل للتراكم ••• فقانون التقدم المؤخر يفعل فعله الايجابي الان لصالح الصين والعالم الثالث ضد الغرب المتقدم والكتلة السوفاتية •

نماذج التقدم الغربي

انـا نحـاول أن نمهج النظرة الانمائيـة للعالم الثالث منهجة مستقبلية جديدة • ونحن نقدر كل التقدير ان العالم الثالث ليس عالما واحدا •فاحواله المناخيـة والثقافيـة والاجتماعيـة والاقتصاديـة والسياسية مختلفة كل الاختلاف من قارة لاخرى ومن اقليم لاخر ومن قطر لاخر • ولكن الانمائيين يطبقون عليه معايير واحدة مستقاة من المقارنة بين اقطاره من ناحية وبينها وبين اقطار العالم المتقدم من ناحية اخرى • ولكن هذه المقارنة هى سكونية اكثر مما هى حركية • ولذلك فانها شبه علمية اكثر مما هي علمية •والخطر علينا هو فى اعتمادنا هذه المقارنات منهجا علميا مسلما به شاننا في ذلك شان الاضعف مع الاقوى • وكان مفكرنا العبقرى ابن خلدون بين اوائل من انذرنا في مقدمته بالعواقب المميتة لهذا الخطر • فالنفس الانسانية كما يراها « ••• تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليه اما لنظرة بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه ، او لما تغالط به من ان انقيادها ليس لسبب طبيعي انما هو لكمال الغالب ، فاذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به ، وذلك هو الاقتداء لما تراه ، والله اعلم من ان غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة باس ، وانما بما انتحلته من الفوائد والمذاهب تغالط ايضا بذلك عن الغلب ••• »

ان الغرب الليبرالي او الماركسي هو الغالب الان • ولذلك فان نماذجه هى الغالبة ايضا • وغلبتها قلب لنظرية بيكن ، الفيلسوف البريطاني رائد الثورة المنهجية العصرية ، التى انطلقت منها المنهجية العلمية التجريبية الحديثة • اعلن بيكن المعرفة قدرة • ونحن نعلن القدرة معرفة • ان الاميريكيين والسوفيات يتسنمون الان ذروة القدرة، ويحتلون قمة المعرفة العلمية والتكنولوجية ، ولكنهم هل بلغوا حقا اوج الحكمة الانسانية ؟ هذا ما يشك فيه الباحث الفرنسي جندرم في كتابه «فقر الامم» لان « كل تحليلاتنا تشير الى التدهور الثلاثي لنسق الحياة الصناعي : تدهور الطبيعة ، وتدهور الروح الاجتماعية ، وتدهور الانسان نفسه متمثلا في النمو الاقتصادي والتخلف الثقافي • » ولن يصحح هذا الاختلال الا بثورة ثقافية انسانيـة شاملة • ان نمذجة الانماء والتقدم لا تستقيم الا اذا وضعت في سياقها الحضارى الصحيح • ان لنا ان نضع نماذج جزئية قطاعية محدودة • واما اذا اردنا النمذجة الكلية للتطور الانمائي او للتطور العلمي والتكنولوجي فانها تظل مبتورة اى خاطئة اذا لم تستوعب المتغيرات الحضارية القيمية والثقافية قبل الاقتصادية • ان العلم والتكنولوجيا

والاقتصاد جابهونا حتى الان بقوانين تضخمها الذاتي غير المتكافيء بين عالم وعالم وانسان وانسان . فكان الانسان هو للعلم والتكنولوجيا والاقتصاد وليس العلم والتكنولوجيا والاقتصاد للانسان . ان البحث العلمي كما سبق ان وصفناه ، في كتابنا علم السياسة ، هو بحث معضلة تترجم في موضوع . ومعضلة التقدم الانساني والعلمي والتكنولوجي هي قبل كل شيء وبعد كل شيء معضلة انسانية . انها معضلة انماء الانسان كل الانسان وكل انسان . ولذلك فاننا لا نحتاج للتخلي عن المنهج العلمي لتحديد المعضلة . ولكن علينا ان لا ندع عمليات عمياء تتحكم في تقدم العلم . ان علينا ان نصل بين سعينا للسيطرة على الطبيعة وبين اماني الانسان العميقة . ان علينا ان نصل ما بين ما نستطيع ان نفعله وما نريد ان نفعله .

ان نماذج التقدم الغربي تعقد مشاكل الانسان اكثر مما تحلها . انها تضع في سلم اولوياتها انماء العنف فوق انماء العقل ، وترفع تعزيز القدرة فوق تعميق الحرية ، وتعلي قوة الاقلية فوق حقوق الاكثرية ، وتحل حق الاقوى محل حق الانسان في التقدم ، فهل تستحق نماذج كهذه ان تمنهج وتقلد وتعمم ؟ انها نماذج التبرير المادي لا نماذج التحضر الانساني . وكل نموذج يوضع للتقدم في العالم الثالث يجب ان يكون مشروع تطور حضاري جديد . وهو تطور مفتوح . فمستقبل الانسان اعظم من ماضيه . وتاريخ الانسان بعد اليوم هو تاريخ مستقبله لا تاريخ ماضيه . ان على العالم الثالث ان « يؤنسن » التقدم . ولذلك فان نموذج التقدم المطلوب منه هو « النموذج المضاد » للنماذج السائدة لا النموذج المقلد لها . ان النمذجة تتجاوز على هذا الصعيد العملية الرياضية او الدراسية او البنيوية لتقترب من فلسفة مستقبلية للتاريخ . ان المصير الانساني كله يتوقف على تطور العالم الثالث الذي يؤلف ثلثي الجنس البشري . فكل نموذج عنه هو نموذج صيروري . وان اقدر المستقبليين اظهروا ان النمذجة الرياضية وحدها لا تكفي لاستطلاع او تقرير المصير الانساني .

ولتدارك هذا التقصير اخترع عصرنا طرقا مقاربة جديدة للمستقبل كبديلة لفلسفات التاريخ . ولكن النظرية او النمذجة الانمائية هي فلسفة تاريخية . وتذكرنا بان التفلسف التاريخي لن يموت ما دام تفلسفا ابداعيا . ■■

بيروت ـ د . حسن صعب

ق ... قيا ... قوا

● روى ان أبـا حـاتم السجستاني البصري دخل أحد مساجد بغداد ، فسأله بعض الحاضرين عن قوله تعالى « قوا انفسكم » مايقال للواحد ؟ فقال « ق » . فقيل له : « فما تقول في الاثنين ؟ » قال : « قيا » فقيل له : « وما تقول فـي الجمـع » قـال : « قوا » ثم قـال ابو حـاتم السجستاني لاصحابه : « اجمعوا لي الثلاثة » فقالوا « ق ... قيا ... قوا »

وكان في ناصية المسجد رجل جالس ، وبيده بعض الملابس ، فقال لاحد اصحابه : « احتفظ بهذه الثياب حتى اجيء » ، ثم مضى الى صاحب الشرطة وقال « انى ظفرت بقوم مـن الزنادقة يقرأون القرآن على صياح الديكة » ، فما كان الاسويعة حتى هجم بعض رجال الشرطة واعوانهم على المسجد ، واخذوا تلك المجموعة مـن النحاة ، واستاذهم السجستاني ، وساقوهم الى مجلس صاحب الشرطة . فسأل صاحب الشرطة السجستاني عن الخبر فاعلمه ، وفي تلك الاثناء اجتمع خلق كثير ينتظرون ما يكون من امر هؤلاء النحاة وهم يتصايحون « ق ، قيا ، قوا » ولكن صاحب الشرطة عنفهم ، وعذل أبـا حـاتم السجستاني وقال له : « امثلك يطلق لسانه عند العامة بهذا ؟ لا تعد الى مثل هذا امـام العامة » .

الوجدان اليهودى

فى مواجهة الذات الالهية

بقلم : خسين ذو الفقار صبرى

لولا التوراة لما كان هناك يهود ، هو كتابهم المقدس صهرهم بشخصيتهم تلك المنفردة ... انه قصة عهد ابدى بين الله وبين شعبه المختار ، يتأيد مرة بعد اخرى منذ كان ابراهيم عليه السلام .

■ اله اسرائيل لايتجلى فحسب من خلال ما اشتملت عليه اسفار الشريعة من وصايا واحكام، ثم روادع ومحاذير ،وانما يترسب فى الوجدان اليهودى وكان قد ارتبط ارتباطا عضويا بالتطور التاريخى لشعب بنى اسرائيل ، فلا مغزى للذات الالهية الا من خلال حياة اسرائيل ، او على الاقل من حيث التجاوب الحى بين اسرائيل وبين احكام الشريعة ، فلو ان تلاشى الوجود الاسرائيلى تهاوت الذات الالهية الى عدم !

وليس ادل على هذه العلاقة العجيبة بين اليهود وبين الذات الالهية من القصة الاسطورية التى تفسر لنا امل اسم « اسرائيل » ومغزاه تكوين ٣٢ ى ٢٥ـ ٣٠) .

فما يكاد يعقوب يجيز عائلته عبر مخاضة « يبوق » حتى يبرز له رجل ،يتصدى له ويصارعه، صراع رهيب دام حتى مطلع الفجر ، يصاب خلاله يعقوب بعاهة تلازمه طيلة حياته ـ اذ ينخلع مفصل فخذه ـ ولكنه يتشبث بغريمه فلا يتركه ... الا ان يباركه ، فيستجيب ويطلق عليه اسم اسرائيل.. لانك صارعت الوهيم (الاله) ، كما مع البشر ، وانتصرت » .

فمن ذاك الذى برز ليعقوب عند مخاضة يبوق؟ اجنى مريد ؟ فان هذه القصة ، كغيرها مما يرتبط بسيرة الاباء الاولين ، مستقاة ولاشك من مأثورة قديمة ، حين كانت شعوب المنطقة ـ عربا كانوا ام عبريين ام كنعانيين ـ فى اسار المعتقدات الخرافية.. اساطير التوراة نفسها وهى تحاول تبرير قدسية اماكن بعينها : بيت ايل (تكوين ٢٨ ى ١٢) او محنائيم (تكوين ٣٢ ى ٢ ، ٣) ـ على سبيل المثال لا الحصر تكشف بوضوح عن ايمان راسخ بعالم يموج بالجن ، وان حورت الصور فكانهم رسل من ملائكة .

معتقدات عميقة الجذور تترسب لها اثار حتى في اسفار متأخرة (كما في اشعيا ٣٤ ى ١٤) : « هناك تستقر للث وتجد لنفسها محلا . » .

وحذار من ان تخدعنا بعض نصوص ، حيث حورت كلمة «للث» الى الفاظ تطمس على مدلولها الاصلي ، كما في الترجمة العربية ، التي هي اكثرها تداولا في بلادنا ، اذ تقول : « هناك يستقر الليل ... » .

في حين ان النص الانجليزي يكاد يقترب من دلالتها الحقيقية ، فيقول : « وهناك ايضا تستقر البومة الناعقة ... » .

وشتان بين الروايتين ! فاين « الليل » من « البومة الناعقة » ؟

انما « للث » في حقيقتها اسم جنية ، لها مكانتها في القصص الشعبي اليهودي القديم ، شبقة الى مجامعة الانس من الذكور ، قبل ان كانت تتشكل احيانا في صورة بومة ذات قرون . ولذا فاننا نجد ان النص العربي ، المتداول بين طوائف الكاثوليك ، لا يبعد عن جوهر المدلول ، اذ يقول : « وهناك تقر الغول ... » .

★ ★ ★

ام هل كان ذاك «الرجل» الغامض ، الذي صارعه يعقوب ، «ملاكا ارسله الرب فيخبر عوده قبل ان يصطفيه نبيا ؟ كما يحاول ان يوحي بذلك جمهرة من كتاب ومفكرين يهود ، اعتمادا على بعض مصادر ، ابرزها ماجاء في سفر هوشع ؟

ولكن اين هوشع من اساطير الاولين ؟ بل انه يبدو مترددا ، عازفا عن ان يقطع برأى ، حائرا لا يدرى اكان غريم يعقوب ملاكا مرسلا ام الذات الالهية بعينها ... فانه يقول : « وبقوته صارع الله ، صارع الملاك ، وغلب . » (هوشع ١٢ ى ٤ ـ ٥) .

فمن اذن ذاك الذى صارعه يعقوب ؟

هناك جمهرة من دارسين يرون في تلك القصة ملامح اسطورية قديمة ، في ضوء ما كان سائدا في تلك الايام الخوالي ، من معتقدات بين شعوب المنطقة ... ما من مكان متميز الا وقد استقرت به قوى خارقة تكفل له الحماية ... المرتفعات والاشجار الباسقة والكهوف وعيون الماء ، جميعها « مسكونة » ، مقر لآلهة او جن او ارواح ، وان يعقوب لم يصارع كما كان يقضى العرف بتقديم القرابين الى آله المخاضة ـ اى الروح التي « تسكنها » حقيقة عليها ـ وانما تحداه ، اعتمادا على قوته البدنية ، فيتغلب عليه وينتزع منه البركة انتزاعا !

ولكن مارتن بوبر ـ فيلسوف الصهيونية في العصر الحديث ـ الذى يقيد نفسه بحرفية نصوص التوراة ، فانه ليعترف بان كلمة «رجل» كما تاتى في السياق ، انما تعنى الذات الالهية دون شك ، وانه كان على يعقوب ، حتى يجوز التجربة في تلك الليلة الليلاء ، ان يتصدى لشخص الاله فينتزع منه البركة ، ومن ثم يصبح اهلا لان يصطفى نبيا !

ليس البركة فحسب ، وانما كان عليه ايضا ـ ومصدرنا هو بوبر نفسه ، مرة اخرى ـ ان يتخلص من سبة ذلك الاسم الذى يحمله ، توافق القدم على اطلاقه على قطاع الطرق ، « يتعقبون » فريستهم ، متحينين الفرص ...

وفي هذا يقول عيسو (تكوين ٢٧ ى ٣٦) ، منددا باخيه : « سمى يعقوب ، فقد تعقبنى ، مرتين اخذ بكريتى ، وهذا به الان ياخذ بركتى » .

ومن هنا ، فان اسم اسرائيل ـ « يسرايل » اى الذى يصارع الله ـ لا يمكن ان يفسر كما يدعى البعض ان معناه « الله » او ان « الله جاهد » ، او ماشابه ذلك ، فانما هو اعتسار لمعنى لا تحتمله ما درجت عليه اللغة العبرية في اصولها القديمة من قوالب او تراكيب

ذاك هو مكنون العقيدة اليهودية ، حاول مارتن بوبر ان يطمس عليها في بعض كتاباته ، فيدعى بان لفظ « اسرائيل » انما يعنى : « الله يتملك » ، ولكنها مكابرة ومداورة توقعه في تناقض صريح مع ما سبق له ان قرر ـ كما اشرنا اعلاه ـ من ان الموقف كان يحتم على يعقوب التصدى لشخص الاله !

ولماذا هذا الحتم ؟ ذلك لان العقيدة الاسرائيلية في بواكيرها ـ كما يقرر بوبر نفسه ـ لم تكن تعترف بوجود ابليس ، فاى قوة تتعرض لانسان تهاجمه ساعية الى ايذاء ، انما يهوه ذاته يحركها او يدفع بها ، مستدلا على مايقول بما جاء على لسان اشعيا (ص ٤٥ ى ٧) : «صانع وخالق الشر ، انا يهوه صانع هذا كله » .

ذاك هو لب العقيدة الصهيونية ... على اسرائيل ان تفرض وجودها بالتصدى لما تعتقد انه يتهدد كيانها ، ولو كان الرب نفسه هو مصدر هذا التهديد ! ومن هو الرب الا تلك القوة الخفية التى انتزع منها يعقوب اسمه المميز « اسرائيل » ، ثم البركة التى هى أس العهد الموثق !

وفى هذا ، يفلت لسان المفكر الصهيونى « نبهر » ، رغم تحايله ، فيود لو امكنه اقناع نفسه ثم غيره ، بان غريم يعقوب انما كان ملاكا مرسلا ليس الا ، ولكنه يعود فيقول : بان ما من يهودى ضليع القلب ، الا ويعلم ، منذ ان كان يعقوب ، ان « الذات المجهولة » تترصده ، وان عليه ان يصارعها حتى الفجر ... ان يخوض تلك المعركة غير المتكافئة ، غير مامونة العواقب ، قاتلة كانت أم ظافرة ، او ربما ممتدة الأمد ، لا تحسمها قط نتيجة ... فليكن ما يكون ! ولكن على اليهودى ان يقاتل ذلك الغريم الشرس ، الذى ينقض عليه فجاء فى ظلمة الليل ، فانه ليعلم فى قرارة نفسه بانما هو طيف تذكيه باشعاعاتها الذات الالهية المطلقة !

وان القلم الذى يخط هذا الكلام بمداد من تجبر سافر انما لرجل باتع الصيت من حيث ايغال الى تلافيف التوراة وطلاسم التلمود !

★ ★ ★

« ذات خفية » دثرت بالمحاذير ، ورغم ذلك فعلى اسرائيل أن تفرض وجودها بالتصدى لها !

بل أبعد من هذا ! ايمان عميق بان زوال اسرائيل ، ومن ثم ضياع مغزى العهد الذى بينها وبين الاله ، انما يعنى زوال الوجود الالهى ذاته ، او رفضه على الأقل كان قد انتفت عنه اية قيمة أو اعتبار !

ويحضرنى فى هذا الصدد تلك القصة ، أوردها المؤرخ اليهودى المشهور يوسف بن متى ـ المعروف «لاتينيا» باسم فلافيوس يوسفس ـ لن تجدها الا فى النسخ القديمة ، التى لم يلحق بها حذف او تحوير ، من كتابه عن «حروب اليهود» ، حين سقطت اورشليم ، وارتفعت صيحات النصر تزأر بها حناجر جند الرومان يحيطون بالمعبد وقد اندلعت فيه النيران فيعتلى الحاخام الاكبر الشرفة العليا ، بالهيكل ويقذف بمفاتيح « قدس الاقداس » الى اعلى صائحا : « ايها الرب ! حكمت بأن لسنا اهلا فتكل الينا ادارة بيتك ! هاذى مفاتيحه اذن ـ اى يهوه ! ـ ردت اليك » .

عقيدة تثير العجب ! ولا شك ان جمهرة اليهود سوف يكابرون ، محتدين ، منكرين ان لها عارضا .. بل نفحة من صحة ... وربما كانوا على صدق ، من حيث اننا امام مضامين طمر بها الى اغوار اللاشعور ، عسير جد عسير ان تطفو الى وعى ، ولكنها دالة على كل حال ، فانها لمترسبة فى اغوار الوجدان .

ولقد صدق من قال ان التوراة فى مجموعها انما هى تحليل دقيق لنفسية اليهود ، لتاريخهم ، لهذا التناقض العجيب ، شدا وجذبا ، فى علاقتهم بالاله ، فهم معه وعليه فى آن واحد !

حسين ذو الفقار صبرى

فطور الكلب

● أبلغت ابنتى وهى مساعدة طبيب بيطرى امراة على الهاتف بان تحضر كلبها المريض الى العيادة فى الساعة الحادية عشرة من اليوم التالى . وقالت وهى تحذرها « بالتكيد بدون فطور » وفى الموعد المحدد حضرت المراة الى العيادة وبرفقتها كلبها ، وبعد اتخاذ اللازم قالت وهى تتنهد : « اننى سعيدة لان كل شىء انتهى ، اننى اتضور جوعا » .

ايرنست بير .

جاليليو : الحقيقة والرمز

بقلم : الدكتور عبدالعظيم انيس

■ كتب المؤلف المسرحي الكبير بريخت ثلاثة نصوص مسرحية مختلفة عن حياة جاليليو فى مسرحيته المعروفة باسم « حياة جاليليو » ٠ والنص الاول لهذه المسرحية انتهى منه بريخت فى الدنمرك عام ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ عندما ذهب اليها مهاجرا بعد ان استتب النظام النازى فى المانيا ٠ وهذا النص يعكس بشكل ما وقائع حياة جاليليو كما تشير اليها الكتب والروايات ، وان امتاز باتجاه واضح فى معاداة الكنيسة الكاثوليكية كما انه كان قليل الاحتفال بالنواحي السياسية فى حياة جاليليو ٠

وعندما استقر بريخت فى الولايات المتحدة عام ١٩٤٠ اعاد ـ تحت تاثير الممثل تشالز لوتون ـ كتابة المسرحية بحيث بدء العالم الرياضي والفيزيائى العظيم فى صورة الانتهازى الجبان٠ وفى هذه الصياغة الثانية للمسرحية نجد منظرا يثير الاشمئزاز وفيه يتعاون جاليليو مع بعض القوى السياسية الايطالية الرجعية ويملى فيه خطابا يناقش كيف يمكن استخدام نصوص الانجيل لكبت ثورات فقراء الفلاحين !

غير انه خلال اعادة كتابة المسرحية وقع حادث عالمي كان له دوى شنيع ٠٠٠ فقد القيت اول قنبلة ذرية على هيروشيما ومات فى الدقائق الاولى لسقوطها نحو ربع مليون من البشر ٠٠٠ وهذ القنبلة صنعها علماء كبار ٠٠٠٠ رياضيون وفيزيائيون لايقلون اكاديميا فى عصرهم عنمستوى جاليليو فى عصره ، رجال طيبون لم يكونوا يوما من الايام مرتاحى الضمير الى صنع هذا السلاح الرهيب ، ولكنهم تهيبوا التمرد على السلطة واستسلموا فى آخر الامر لها ، واستطاعوا بشكل او آخر ان يبرروا هذا الاستسلام امام ضمائرهم٠ وفى لحظة خاطفة من لحظات التامل بدا جاليليو ـ فى عيون بريخت ـ ممثلا لكل هؤلاء العلماء ٠

كتب بريخت يقول :

« ان العصر الذرى قد فرض نفسه علينا خلال عملنا (كتابة المسرحية) ، وفى ليلة واحدةاصبح لتاريخ حياة مؤسس النظام الجديد للفيزياء معنى مختلف » ٠

وهكذا نجد انه فى الصيغة الثالثة والاخيرة لمسرحية بريخت « حياة جاليليو » يتحولجاليليو من مناضلفى سبيلالتقدم الىتابع ، ويبدو ممثلالعالم الفيزياء الذرى الحديث ٠٠٠ رجلا عالى الكفاءة من الناحية العلمية ولكنه لا يجب ان يكونشهيدا فى هذا العالم ، وهو يفضل انقاذ حياته وعلمه بالتكيف مع ماتطلبه السلطة وبالخضوع ! ان جاليليو الذى قدمه بريخت فى الصيغة الثالثة والاخيرة (وهى الصيغة التى قدمت على مسرح بريخت فى برلين الشرقية) لاتنفى عنه صفة البطولة فحسب بل تقدمه كمجرم اجتماعى فى قضايا عصره ، وبريخت يعتبر ان استسلام جاليليو (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢) امام الكنيسة الكاثوليكية فى نهاية الامر هو الخطيئة الاولى فى حياة هذا العالم الكبير ٠

اى هذه النصوص الثلاثة أقرب الى الحقيقة التاريخية ؟ والى اى حد كان بريخت صادقا فى



تصوير حياة جاليليو جاليلي ؟ أكان بريخت مغاليا في تحميل هذا العالم الكبير مسئوليات فوق ماتتطلبه ظروف عصره ؟

أسئلة هامة ٠٠٠٠ وان كان ليس من السهل الوصول الى اجابات شافية لها قبل استعراض مفصل لحياة جاليليو وابعاد الصراع والمواجهة بينه وبين الكنيسة الكاثوليكية آنذاك ٠

وليس يختلف اثنان اليوم حول المضمون الكبير لصراع جاليليو مع الكنيسة ، وهو صراع لايزال يحمل في طياته مغزى هاما لنا في الربع الاخير من القرن العشرين ،في العالم المسيحى والعالم الاسلامى على السواء ، لانه صراع بين الذين يريدون ان يفرضوا ــ بسلطتهم الدينية ــ على الدين ان يكون أداة باطشة في يد السلطة

الحاكمة والطغيان ، لمصلحة الاغنياء وضد الفقراء، وأن يكون اداة ضد التقدم ، ضد العلم ومكتشفاته التجريبية ..... وبين هؤلاء الذين ينزهون الدين عن اداء هذه المهمة ويفسرون النصوص الدينية في رحابة صدر واتساع افق بحيث يواكب مقتضيات التقدم ويرتفع فوق مستوى خلافات العلماء .

من المؤكد ان جاليليو كان مسيحيا صادقا ، بل انه لم يكن بطبيعته معاديا لكنيسة روما ، ولكن مأساة حياة جاليليو ، ومأساة خلافه مع الكنيسة كان مصدرها في الاصل خلافه هو مع افكار وآراء ارسطو في علم الفيزياء والفلك .

ولما كانت الكنيسة ـ منذ عهد توماس الاكويني ـ قد تبنت كل آراء ارسطو كجز لا يتجزأ من الفكر المسيحي واعتبرته بمثابة ترشيد للمسيحية ، اصبح العداء لارسطو في نظر الكنيسة عداء ايضا للمسيحية . وعلى هذا الاساس حوكم جاليليو وأدين وصودرت كتبه وظل معتقلا في منزله بفلورنسا حتى مات !

ارسطو وعالم الفيزياء

ولكي نفهم اذن طبيعة الصراع الفكري لا بد من ان نتعرض ـ بشيء من التوسع ـ لفيزياء ارسطو هذا المفكر الكبير الذي عاش ومات قبيل المسيحية ولكن آراءه ونظرياته قد اصبحت بعد ذلك جزءا لا يتجزأ من الفكر الكنسي المسيحي !

ان من الممكن استخلاص وجهة نظر ارسطو في الفيزياء من كتابيه « الفيزياء » ، و « حول السماوات » . وهذان الكتابان يرتبطان بشكل وثيق ، ويؤكد برتراند رسل في كتابه « تاريخ الفلسفة الغربية » ان هذين الكتابين كان لهما تأثير شديد . لقد سيطر كل منهما على روح العلم حتى عصر جاليليو . وما تزال كثير من الكلمات مثل « عالم ما تحت القمر » وغيرها من المصطلحات مشتقة من النظريات المذكورة في هذين الكتابين . ولذا فلا بد من تلخيص الافكار الاساسية لهذين الكتابين ، على الرغم من انه يصعب اليوم قبول اى فكرة من افكار هذين الكتابين على ضوء نتائج ابحاث العلم الحديث .

وغني من البيان ان جمهرة المفكرين والعلماء المعاصرين لا ينكرون ما لارسطو من فضل في ميدان علوم المنطق وعلوم الحيوان ، ولكنهم يعتبرون كتابيه في الفيزياء والفلك مأساة كاملة استطاعت ان توقف نبض البحث العلمي في الفيزياء نحو الفي عام !

وحتى اليوم يرى الكثيرون ان دم برونو (وقد احرق خلال حياة جاليليو لتمرده على آراء ارسطو) وجاليليو في عنق ارسطو على وجه التحديد !

وطبقا لما قاله ارسطو تعتبر الفيزياء ليس ما تعنيه اليوم (قوانين حركة المادة غير الحيه) ، بل على العكس فزيـاء (اى طبيعة) اى كائن هى اتجاه نمو هذا الكائن وكيف يتصرف . وقد يبدو هذا غريبا لنا اليوم ، غير انه من الضروري ان ندرك ان ارضية ارسطو التصورية تختلف عن ارضية الفكر المعاصر . ونحن اليوم نبدأ بدراسة الميكانيكا التي توحي طبيعة اسمها بالماكينات . والطالب اليوم يألف السيارات والطيارات ، وهو لا يعتقد ـ حتى في اضيق حيز من تصوره الباطني ـ ان السيارة تحتوي على حصان بداخلها او ان الطائرة تطير لان بها اجنحة طائر سحري . والحقيقة ان الحيوانات اليوم فقدت اهميتها في صورنا التخيلية عن هذا العالم الفيزيائي الذي يقف فيه الانسان وحيدا في بيئة عديمة الحياة اساسا . اما بالنسبة لليونانيين فقد كان من الصعب وهم يحاولون تكوين صورة علمية عن الحركة ، ان تبدو لهم النظرية الميكانيكية البحتة اذا استثنينا رجالا عباقرة مثل ارشميدس .

ولقد بدت لليونانيين اهمية مجموعتين من الظواهر : حركة الحيوانات ، وحركة الاجسام السماوية ، وكان طبيعيا ان يؤالفوا بين الحركات التي لا حياة فيها وبين حركة الحيوانات . وما زال الطفل حتى اليوم يميز الحيوانات عن الاشياء الاخرى بحقيقة انها تتحرك من تلقاء نفسها . وهذه الخاصية هي النظرية العامة للفيزياء عند ارسطو، وقد شجعته على هذا ـ مع الاسف ـ ابحاثه في علم الحيوان .

ولكن ماذا عن الاجرام السماوية ؟

انها تختلف عن الحيوانات بانتظام حركتها ، وربما كان ذلك نتيجة كمالها الاعلى . ولقد كان كل فيلسوف يوناني يتعلم في طفولته ان ينظر الى الشمس والقمر كالهين ، ولقد ادين انكساجورس بتهمة الكفر لانه اعتقد ان الاجرام السماوية ليست حية . وعندما ينظر الفيلسوف الى الاجسام السماوية كاجسام مقدسة ، يكون من الطبيعي ان يعتقد انها تتحول بارادة مقدسة لها ولع بالنظام والبساطة

الهندسية • وهكذا فالمنبع النهائي لكل حركة هو الارادة •••• ارادة الكائنات البشرية والحيوانات على الارض ، وارادة الخالق الاعلى بالتصور اليوناني لهذا الخالق •

ان الفيزياء عند ارسطو هي ما يسميه اليونانيون Phusis وهي كلمة تترجم (الطبيعة) وان كانت هذه الكلمة ليس لها المعنى الذى تعطيه كلمة الطبيعة اليوم • فكلمة Phusis كانت ترتبط بفكرة النمو ، وكان من الممكن ان يقول الانسان انه من طبيعة ثمرة المشمش ان تنمو الى شجرة المشمش ، وفي هذه الحالة يكون الانسان مستخدما للكلمة بالمعنى الارسطالي • ان طبيعة الشيء عند ارسطو هي غايته التي من اجلها وجد• ولذلك فللكلمة معنى غائي • فبعض الاشياء توجد بالطبيعة ، والبعض الاخر من اسباب اخرى • والحيوانات والنباتات والاجسام البسيطة (ونعني بها العناصر) توجد بالطبيعة • لان لديها مبدأ داخليا للحركة ، والطبيعة هي مصدر الحركة والسكون ، وللاشياء « طبيعة » ان كان لها مبدأ داخلي من هذا النوع •

وعلى الرغم من ان هذا المفهوم الكامل عن الطبيعة يبدو في الظاهر مناسبا لتفسير نمو الحيوانات والنباتات ، الا انه اصبح في النهاية عقبة كاداء في نمو العلم • فاولا ينبغي ان نقول ان وجهة نظر ارسطو هذه تتناقض مع نسبية الحركة بالمعنى الحديث • ونحن نقول اليوم انه عندما تتحرك ا بالنسبة الى ب فان ب تتحرك نسبيا الى ا ولا معنى اذن ان نقول ان احداهما تتحرك بينما الاخرى ساكنة • وعندما يمسك الكلب بعظمة يبدو للذوق الفطرى ان الكلب يتحرك بينما العظمة ساكنة ، وان للحركة هدفا ونعني تحقيق طبيعة الكلب • غير انه قد اتضح اليوم ان هذه النظرية لا يمكن تطبيقها على المادة الميتة ، وانه لاغراض الفيزياء العلمية فان مفهوم « الغاية » ليس مفيدا ، فضلا عن انه لا يجوز من الناحية العلمية اعتبار أي حركة الا نسبية •

النظرية وصعوباتها

وارسطو عندما يبحث عن تفسير علمي لسقوط حجر مثلا الى الارض ، لا يجد ما يقوله لنا الا : هذه هي طبيعته وهي اجابة لا تخرج في الواقع عن القول بان هذه هي ارادة السماء ، وان بدت اكثر علمية •

يقول العالم البريطاني برنال في كتابه « العلم في التاريخ » : « لقد انشأ ارسطو عالمه الفيزياتي في صورة عالم اجتماعي مثالي يكون فيه الخضوع هو الحالة الطبيعية • وفي هذا العالم عرف كل شيء مكانه ، وفي معظم الاحيان يلتزم به• فالحركة الطبيعية تحدث فقط عندما يكون الشيء في غير مكانه ويميل الى العودة اليه مرة اخرى ، كالحجر عندما يسقط الى الارض ، أو الشرارة عندما تنطلق الى اعلى • وهذا ينطبق فقط على الاشياء التي ليس لها حركة خاصة بها • فمن طبيعة الطير ان يطير في الهواء ، ومن طبيعة السمكة ان تسبح في الماء • ان هذا هو في الواقع ما خلقت الاسماك والطيور من اجله • وفي هذا نرى احد افكاره القائده ، فكرة العلل الغائية ••• وقد اعترف ارسطو بأسباب اخرى (مثل العلة المادية والعلة الفعالة اللتين تقدمان الدعامة المادية وتجعلان الاشياء تعمل) ولكنه اعتبرهما اسبابا أدنى من العلل الغائية • ولقد كان هذا المبدأ لعنة على العلم ، اذ انه يقدم وسيلة كاذبة لتفسير أى ظاهرة بالتسليم بوجود غاية مناسبة لها ، دون ان نكلف انفسنا بحث كيف تعمل هذه الظاهرة » •

وغني عن البيان ان فيزياء ارسطو لا تتسق مع قانون نيوتن الاول عن الحركة الذى كان جاليليو اول من اشار اليه • وينص هذا القانون على ان كل جسم متحرك في خط مستقيم وبسرعة منتظمة – اذا ترك لنفسه – يستمر في الحركة وهو ما يعرف بقانون القصور الذاتي • وهكذا فاننا لا نحتاج الى اسباب خارجية في تفسير الحركة ، وانما من اجل تفسير التغير في الحركة (التغير اما في الاتجاه او السرعة) ولذا فالحركة الدائرية التي ظن ارسطو انها طبيعية للاجسام السماوية تتضمن في الحقيقة تغيرا مستمرا في اتجاه الحركة ، ولذا لا بد من وجود قوة موجهة الى مركز الدائرة كما هو الحال في قانون نيوتن للجاذبية •

ولقد قدم ارسطو في كتابه « حول السماوات » نظرية بسيطة وطريفة في فهم علم الفلك • فالاشياء اسفل القمر تخضع للتوالد والتحلل • اما ابتداء من القمر فما فوق فكل شيء غير قابل للتوالد او الهدم • والارض في مركز الكون ، وفيما تحت القمر يتكون كل شيء من اربعة عناصر (الهواء ، الماء ، التراب ، النار) ولكن هناك عنصر خامس تتكون فيه الاجسام السماوية وهو الاثير• والحركة

الطبيعية للعناصر الارضية الاربعة هي خطية ، بينما حركة العنصر الخامس دائرية • والسماوات عند ارسطو كرات كاملة ، والاجزاء العليا اكثر قداسة من الاجزاء السفلى ، وما حركة النجوم والكواكب الا نتيجة حركة كرات ربطت بها هذه الاجرام السماوية •

ولقد قدمت هذه النظرية صعوبات عديدةللاجيال التالية•فالشهب ـ التي عرف انها تتحطم ـ نسبت الى كرة « ما تحت القمر » • ولكن وجد في القرن السابع عشر انها ترسم مسارات حول الشمس ، ونادرا ما تكون قريبة الينا قرب القمر • ومن الصعوبات ايضا انه لما كانت الحركة الطبيعية للاجسام الارضية ـ عند ارسطو ـ هي الحركة الخطية فقد ظن ان القذيفة التي تطلق بشكل افقي تتحرك افقيا لفترة ثم تبدأ فجاة في السقوط راسيا • ولذا كان اكتشاف جاليليو بان القذيفة تتحرك في قطع مكافيء صدمة قاسية للعلماء المؤمنين بارسطو • ولقد كان على كوبرنيكس وكبلر وجاليليو ان يقفوا ضد ارسطو عندما اكدوا ان الارض ليست مركز الكون ، ولكنها تدور حول نفسها مرة كل يوم ، وتدور حول الشمس مرة كل عام •

يقول برتراند رسل في كتابه « تاريخ الفلسفة الغربية » :

« لقد كان من الضروري التخلي عن النظرية القائلة بان الاجسام السماوية خالدة وغير قابلة للفساد • فللشمس والنجوم حياة طويلة ، ولكنها لا تعيش للابد • لقد ولدت من سديم وهي في النهاية اما ان تنفجر أو تموت من البرودة•وليس هناك في العالم المنظور شيء معفى من التغير والانحلال • وعقيدة ارسطو المقابلة هي فيالحقيقة نتاج العبادة الوثنية للشمس والقمر والكواكب ، على الرغم من انها قبلت من المسيحيين في القرون الوسطى »

ولقد استعان جاليليو في هدم افكار ارسطو باسلوبين : البحث الرياضي الذي اجاده جاليليو وان لم يجده ارسطو ، والتجربة العلميةالفيزيائية التي لم يعرفها ارسطو • فعندما ادعى ارسطو ان الجسم يسقط الى الارض بسرعة تتناسب عكسيا مع وزنه ارتقى جاليليو برج بيزا المائل والقى بجسمين مختلفي الوزن الى الارض فوجد انهما يصلان الى الارض في نفس اللحظة !

ولقد سمع جاليليو عام ١٦٠٩ عن اكتشاف التلسكوب في هولندا ، واستطاع بجهد خارق ان يطوره • وبمساعدة هذا التلسكوب استطاع جاليليو ان يشاهد اربعة اقمار من اقمارالمشتري ، وبدت هذه الاقمار وكانها صورة مصغرةللمجموعة الشمسية ، ومن هنا بدت فكرة دوران الارض حول الشمس تبدو اقرب الى المعقولية • كما اوضحت المشاهدات التلسكوبية ان القمر والشمس ليسا بالاجسام التامة كما يدعي ارسطو • لقد بات من الواضح ان على القمر جبالا وان للشمس بقعا ، وكل هذا يناقض ادعاءات ارسطو •

شبح مصير برونو

جاليليو اذن انتهى الى ان افكار ارسطو في الفيزياء والفلك خاطئة من اولها الى آخرها ، ولكنه كان يعلم ان هدم ارسطو معناه المواجهة مع الفكر الذي تبنته الكنيسة في روما واعتبرت ان اي هجوم عليه يعني الهجوم على الدين المسيحي نفسه •

ان من الضروري ان نشير الى المناخ الذي نشا فيه جاليليو حتى نفهم طبيعة مشكلته مع الكنيسة ••• المناخ الاوروبي العام والجو العائليالخاص•

لقد ولد جاليليو عام ١٥٦٤ في بيزا بايطاليا ، بعد بدء حركة الاصلاح الديني في اوربا باربعين عاما ، وبعد وفاة ميكائيل انجلو بثلاثة أيام • ولا شك ان جاليليو قد استفاد في شبابه من الاتجاه العقلاني الذي ساد الفلسفة الطبيعية في عصر النهضة ، كما انه نشا في كنف والد من صلب ارستقراطية فلورنسا ، ولكنه كان رجلا شديد الايمان باهمية المناقشة الحرة لكل الموضوعات من اجل الوصول الى الحقيقة ، وكانت مواقف والده في هذا المجال ذات تاثير كبير عليه في شبابه • ولكنه نشا ايضا في ظل نمو تهديد حركة الاصلاح البروتسانتية لسلطة الكنيسة الكاثوليكية ، في ظل الحروب الدينية التياكتسحت اوربا منالشمال وهددت سلطة الكنيسة كما لم تهدد من قبل •

وعندما وضحت عبقرية جاليليو في الرياضيات عين استاذا لها بجامعة بادو في جمهورية فلورنسا وهو في الثامنة والعشرين من العمر ، وظل استاذا بهذه الجامعة حتى عام ١٦١٠ • في هذه الفترة توصل جاليليو الى معظم اكتشافاته العلمية الفيزيائية الهامة ، وحقق اتصالات ضخمة مع عدد كبير من علماء آوربا ، واصبح في نظرهم ـ كما

هو في نظر العلماء اول عالم فيزيائي بالمعنى الحديث لهذه الكلمة ٠

كتب جاليليو عام ١٥٩٧ الى كبلر يقول :

« منذ سنوات وانا مقتنع بنظريه كوبرنيكس التي تفسر لي اسباب كثير من الظواهر الطبيعية التي تبدو لي غير قابلة للتفسير في ظل الفروض الشائعة ٠ ولاثبات خطأ هذه الفروض جمعت عددا كبيرا من الحجج والاسانيد ٠ ولكني لا اجرؤ على نشرها علنا حتى لا يكون مصيري هو مصير معلمنا كوبرنيكس ٠٠٠ هذا الرجل الذي نعتبره خالد الاسم ، وان كان عند اعداد لا نهائية من الناس (هذا هو عدد البلهاء) مصدر التحقير والسخرية» ٠

ولقد كانت نظرية كوبرنيكس عن الكون ترفض اعتبار الارض مركزا له وتقول بدوران الارض حول الشمس ٠ والحقيقه أن جاليليو لم يكن يخاف من التحقير والسخرية فحسب ولكنه كان يخاف اكثر من ذلك ان يكون مصيره هو مصير برونو الذي احرق لانه اشار الى احتمال وجود حياة على بعض الكواكب الاخرى ٠٠٠ الامر الذي اعتبر بمثابة تهجم على الانجيل والتوراة !

ان من المؤكد أن جاليليو لم يكن مستعدا لتفسير نظرية كوبرنيكس تفسيرا معاديا للمسيحية ٠ بل على العكس فقد كان يعتقد طوال حياته أن مفهوم الشمس الساكنة والارض المتحركة حولها تتفق تماما مع الكتاب المقدس ٠٠٠ اذا قرىءهذا الكتاب قراءة سليمة ٠

وقد شجعهعلىهذا الموقف أننظريات كوبرنيكس لم تعترض عليها الكنيسة عند اول ظهورها ٠ والواقع ان كوبرنيكس اهدى كتابه المتضمننظرياته الى البابا بول الثالث ، وكان واثقا من أن كتابه سوف يستقبل استقبالا طيبا ٠ وادى هذا الشعور بجاليليو الى ان أطلع عددا من رجال الدين على تجاربه التلسكوبية حيث شاهدوا بها اقمار المشترى ، وكان ان ايده الجيزويت علانيةواستقبله البابا بول الخامس مؤيدا ٠ ولقد بلغ من ثقة جاليليو فى تاييد الكنيسة لافكاره أن ذهب الى روما وقضى بها ستةأشهر مناقشا ومدافعا ومتابعا!

في مواجهة الادعياء

ولكن ما اتضح بعد ذلك كان عكس ما قد توقعه جاليليو ٠ فتحت السطح كان هناك تيار كاسح فى الكنيسة تمثله اعداد كبيرة من المنافقين والمضللين وادعياء العلم ومن يسمون انفسهم بالاكاديميين الكنسيين ، وهؤلاء كانوا ينسبون الى انفسهم اكتشافات علمية ليست لهم ، ويعتبرون فكر أرسطو جزءا لا يتجزأ من الفكر المسيحي يعتبر التخلى عنه بمثابة التخلى عن المسيحية ذاتها ٠ واستطاع هؤلاء أن يقنعوا البابا أن آراء جاليليو هى جزء لا يتجزأ من المؤامرة الكبرى على الكنيسة التيبداها ملوك الشمالبالسلاحودعمها كوبرنيكس وجاليليو بالفكر ٠

وفى ظل هذا الجو المحموم يطفو على السطح سماسرة الدين واصحاب الاوجه ذات الالف لون ، وتكون الحقيقة هى اخر ما يهم الهمس والنقاش لان المهم هو التصيد ثم الادانة حتى تخرس الالسنة وتشل العقول ٠

وقد تم تصيد جاليليو باحدى رسائله التى تبدو لنا اليوم بكل المقاييس رسالة عاقلة، ولكنها كانت فى نظر الكنيسة رسالة كفر وزندقة !

كتب جاليليو فى هذه الرسالة يقول :

« وعلى ذلك يبدو لى انه لا ينبغى أن نلقى بظلال من الشك على أى عمل من أعمال الطبيعة نتعلمه بخبرة عيوننا او يقوم عليه برهان حاسم ٠٠٠مستخدمين في ذلك نصوصا من الكتابالمقدس٠ فكل نص فى الكتاب لا يخضع لقوانين فى حدة القوانين التى تخضع لها اعمال الطبيعة ٠ ولما كان من المستحيل على حقيقتين ان تختلفا فانواجب المفسر العاقل للكتاب المقدس أن يحاول أن يجد المعنى الحقيقى لنصوصه بما يتفق مع هذه الاستقراءات الضرورية التى تقوم على شواهد محددة او براهين معينة » ٠

لقد كان جاليليو مقتنعا أنه لما كان الله قد منحنا الحواس فاننا الحقكل الحقفىاستخدامها٠ ولقد بلغت به براءته ان وافق على توزيع هذه الرسالة على نطاق واسع فوقعت فى يد أعدائه !

كتب أحد أعداء جاليليو من رجال الكنيسة يقول : « ان المسئولين عن هذه الرسالة يستهدفون تفسير الكتاب المقدس بطريقتهم الخاصة ضد التفسير المقبول من الاباء المقدسين ٠٠٠٠ ولما كنت قد ابلغت ان هؤلاء الرجال يتكلمون بلا احترام عن الاباء المقدسين ، ويدوسون باقدامهم كل فلسفة أرسطو ٠٠٠٠ »

وهكذا اصدر البابا عام ١٦١٦ امرا الى رجال الكهنوت فى مكتبه ان يجتمعوا ليقرروا ما اذا كانت :

(أ) الشمس مركز الكون وبالتالي غير قابلة للحركة •

(ب) الارض ليست مركز الكون ، وانها قابلة للحركة •

وصدر قرار للجنة العليا بان هذين التقريرين خاطئان • وان الاول على وجه الخصوص يناقض الكتاب المقدس • وبعد يومين طلبت الكنيسة من جاليليو الا يتبنى آراء كوبرنيكس الخاطئة ، وصودر كتاب كوبرنيكس الى أن تعاد مراجعته •

لحظة المحاكمة

وظل جاليليو طليقا وان كان مدانا ، ولسبع سنوات لم ينشر جاليليو شيئا • لقد افلحت الكنيسة في اسكاته ، غير انه في عام ١٦٢٣ بدا تطور جديد مبشر بتغير لصالح جاليليو ، اذ أصبح صديقه ومؤيده الكاردينال باربريني هو البابا الجديد • ومع انه لم يكن في استطاعة البابا الجديد أن يلغي القرارات القديمة ضد كوبرنيكس، الا انه لم يمنع مناقشة نظرياته كفرض تخميني • وهكذا دبت الحياة في جاليليو من جديد ، ونشر في عام ١٦٣٢ كتابا جديدا يسمى « المحاورات » ويتضمن نقاشا بين انصار أرسطو وانصار كوبرنيكس عن تصور الكون • وبعد أن وافقت الرقابة أولا على الكتاب وصدر ، جمع من المكتبات ، وقيل آنذاك انه لم يكن من الممكن على الكنيسة أن تتجاهل مثل هذا التحدي لسلطتها بينما ملك السويد في الشمال يقلب الموازين على جيوش الكاثوليك بحيث كانت الكنيسة نفسها في ميزان القدر ! والحقيقة أن عدد الارسطاطاليين في مجلس البابا كان ساحقا وكانوا جميعا في انتظار فرصة تصفية الحساب مع جاليليو !

وهكذا صدر في نهاية ١٦٣٢ أمر من مكتب البابا في روما الى جاليليو أن يحضر الى روما ليواجه المحاكمة !

ان موقف جاليليو في مواجهة المحكمة هو المصدر الاصلي لسخط بريخت عليه • فقد جبن وتراجع وقال في مواجهة جلاديه « انني لا أعتبر أفكار كوبرنيكس صحيحة ولم أعد مقتنعا بها منذ اللحظة التي طلب مني ان اتخلى عنها » •

ولم يمنعه هذا الموقف المتخاذل من قرار المحكمة بسجنه ومصادرة الكتاب • وكان عليه أن يركع وان يعلن تخليه عن النظرية التي تقول ان الارض تدور ! وبعد شهور قليلة من السجن في روما أعيد الى فلورنسا حيث ظل معتقلا في منزله حتى مات عام ١٦٤٢ • ومن الانصاف لتاريخ جاليليو أن نشير الى انه بعد أربعة شهور من سجنه أرسل نسخة من المحاورات الى ستراسبورغ وطلب أن تنشر ترجمة لاتينية له • وبينما حاول في الظاهر أن يحافظ على ما أعلنه من تخل عن نظرية كوبرنيكس الا انه كان في الجوهر مخالفا لهذا التعهد عندما أرسل الكتاب الى ستراسبورج • ومن الواضح أن الكنيسة كانت مهتمة بالمظاهر فحسب ، وكانت على استعداد لتجاهل اتصالات جاليليو مع العالم الخارجي •

ويبقى بعد هذا الاستطراد أن نشير الى عدد من الحقائق التاريخية التي تلقي أضواء أكثر على ادانة بريخت لجاليليو • فمن المؤكد تاريخيا أن جاليليو قد انتبه الى اهمية استخدام التلسكوب من الناحية العسكرية ، وانه أهدى اكتشافه هذا الى حكام جمهورية فينسيا لاستخدامه في الحرب ، وكوفيء على ذلك برفع راتبه وتثبيته في عمله • كما انه من المعروف أنجاليليو ابن ارستقراطية فلورنسا لم يكن متعاطفا مع الحركات الثورية لفقراء الفلاحين •

أكان بريخت على حق اذن في ادانة جاليليو في مسرحيته الثالثة ؟ هل كان جاليليو بطلا أم جبانا رعديدا ؟ أسئلة نتركها للقارىء يصل فيها الى النتيجة التي يراها ، الا اننا سوف نختتم هذا المقال بما كتبه العالم الامريكي دوتيش شروابر في كتابه « الفيزياء وبعدها الخامس : المجتمع » تعليقا على قصة جاليليو :

« لقد كان جاليليو رجل عصره ، بكل العيوب والفضائل • صحيح انه باع علمه التطبيقي لمن دفع الاكثر ، ولكن تلك كانت طريقة الحياة في تلك الفترة عندما لم يكن العلم المستقل موجودا • وصحيح انه خنع أمام المحكمة والكنيسة ، ولكن أكان هناك أي خيار ! ان الخلاف كان واضحا غير قابل للتوفيق ، فلكي يتقدم العلم كان لا بد من تحدي السلطة القديمة • لقد كانت هذه روح العصر • ومن ناحية أخرى لم يكن في قدرةالكنيسة آنذاك أن تقبل هذا التحدي ، وهكذا وقع جاليليو بين المطرقة والسندان » ■■

د • عبد العظيم أنيس

دراسات قرآنية

طرح جديد لـ..
مواقف المعارضة

للدكتور محمد احمد خلف الله

● القرآن الكريم هو النص الالهى للدعوة الاسلامية ـ النص الذى نزل من السماء على محمد ابن عبد الله ليحدد من أمره ما يلى : ـ

اولا : انه قد اصبح نبيا رسولا ٠

ثانيا : ان عليه بحكم هذا الموضوع الجديد أن : ـ

أ ـ يتلو على الناس آيات الله ليزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ٠

ب ـ يبين للناس ما نزل اليهم حسب توجيهات القرآن الكريم ، وذلك لكي تكون دعوته الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وليكون جدله في سبيل الدعوة وحواره مع المعارضة ـ بالتى هى احسن ٠

ج ـ يضع بتوجيهات من القرآن الكريم والقواعد والقيم والمعايير السلوكية التى يمارس بها المسلمون حياتهم ـ وذلك لكى يتحقق لهم المجتمع السعيد ٠ المجتمع الذى يسعد فيه الناس في حياتهم الاولى والثانية أو الدنيا والاخرة ٠

وهذا النص القرآنى الذى تتحقق معه كل هذه الغايات لم ينزل من السماء دفعة واحدة وانما نزل على دفعات ٠ ولقد استمر هذا النزول مدة ثلاث وعشرين سنة امتلت منذ زمن البدء بالرسالة ونزول وحى السماء الى أن لحق محمد عليه السلام بالرفيق الاعلى ٠

نزول القرآن على دفعات

ونزول النص القرآنى على دفعات كان الباعث للمعارضة على أن تذهب الى أن ذلك مما يدفعهم الى عدم الايمان بمحمد وتقبل دعوته ٠

ولقد سجل القرآن الكريم عليهم هذا الموقف فى أكثر من آية ، وانكر عليهم موقفهم هذا مبينا لنا ولهم الى أن هذه السبيل التى سلكها القرآن الكريم هى السبيل المثلى فى مثل جميع الدعوات الجديدة التى تستهدف تغييرات جذرية فى حياة الناس ٠

سجل القرآن الكريم عليهم أنهم قالوا : « لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » ٠

وسجل عليهم أنهم قالوا فى موضع التحدى له : « أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه٠٠»

ورد القرآن الكريم على المعارضة قولهـا ، ورفض منها هذا الموقف الخاطىء الذي لا يتفق مع النواميس الاجتماعية والقواعد التشريعية • وقال في ذلك : ـ

(١) «وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا » •

(٢) « كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا»

ونفهم نحن من هذا الرد القرآني ان حالة الداعي وحالات المدعوين النفسية والذهنية هي التي اتخذت أساسا لهذا الموقف القرآني ، وهي التي كشفت عما فيه من قواعد تشريعية وظاهرات اجتماعيـة يحسن بنا استلهامها كلما عمدنا الى تغييرات جذرية •

ان أية دعـوة الى التغييرات الجذريـة انمـا تستهدف بناء الانسان أولا وقبل كل شيء من حيث أن الانسان هو الهدف من التغيير ، وهو في الوقت ذاته الاداة الى التغيير •

ومن المسلم به أن الانسان لا يمكنه احـداث التغيير في الحياة والاحياء ما لم يتغير هو أولا •

والانسان الداعي الى التغيير ، والذي يتولى امر القيادة في حركات التغيير لا بد وأن يتغير هو أولا ، أي أن بنيانه الداخلي لا بد وأن يتغير قبل أن يبدأ دعوته بالتغيير •

والانسان الداعي حين يتغير أولا يظل في حاجة ماسة الى الاقتناع بانه سوف ينجح فيما يدعو اليه • وهذا الاقتناع لن يتحقـق الا عن طريق الممارسة العملية ـ أي تطبيق ما يدعو اليه نظريا في الحياة العملية •

وهذا التطبيق أو هذه الممارسة تحتـاج الى فسحة من الوقت لتحقق في الداعي هذه القناعـة التي يحتاج اليها •

وهذا هو الذي عناه القرآن الكريم حين قـال لمحمد عليه السلام : « كذلك لنثبت به فؤادك » •

واتخذ القرآن الكريم من تكرار التلاوة وسيلة الى تحقيق القناعة من حيث أن التكرار وسيلة من وسائل تأكيد المعاني في الأذهان • وهذا هو الذي عناه القرآن الكريم من قوله في ختام الاية المشار اليها آنفا : « ورتلناه ترتيلا » •

هذا ما قصد اليه القرآن الكريم من حـالات الداعي • أما ما قصد اليه من حالات المدعوين فتكشف عنه الاية القرآنية « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث •• »

فنحن نفهم أن القراءة على مكث ، أي على مهلة من الزمن هي التي تيسر عمل الداعي في أحداث التحولات الداخلية في المدعوين ، من حيث أن هذه التحولات لا تحدث ابدا دفعة واحدة في وقت واحد • انها انما تحدث مجزاة وعلى فترات • وانه منهنا لا تصلح القوانين في احداث التغييرات الجذرية في الانسان •

واسلوب القرآن الكريم هذا هو الذي يسميـه المحدثون اليوم بالمرحلية في الدعوات •

والاقدمون من رجال الفكر الديني الاسلامي قد اهتدوا الى هذا ، وتحدثوا عن ذلك على أنه من المبادىء القرآنية • وجعلوا من هذه المبادىء قاعدة النسخ ، وقاعدة التدرج في التشريع •

أول الآيات نزولا وآخرها

والدفعة الاولى من النص القـرآني ـ وهي التي نزلت من السماء لتنبىء محمدا عليه السلام انه قد اصبح نبيا رسولا ـ مختلف فيها على أربعة أقوال •

والدفعة الاخيرة التي نزلت من السمـاء على محمد عليه السلام مختلف فيها على عشرة أقوال •

ولسنا هنا بصـدد جر القـارىء الى مشكلة يتعذر فيها الوصول الى الحقيقة ، والوقوف على أول نص نزل من السمـاء ، وآخر نص نزل من السماء على محمد عليه السلام ، فانما نكتفي من ذلك بما يلي : ـ

(١) ان أظهـر الاقـوال في أول ما نـزل من القرآن الكريم هو الايات الاولى من سورة العلق، أو الايات الاولى من سورة المدثر •

والقول الاول أشهر ـ أي أن قوله تعالى « يا أيها المدثر قم فانذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر » قد نزلت بعد قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق• خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الاكرم• الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »•

(٢) ان القول بأن اية « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » هي آخر ما نزل من القرآن الكريم مردود بأن هذه الاية قد نزلت في حجة الوداع ، وان هذه الحجة كانت قبل وفاة محمد عليه السلام بسبعة أشهر ، وان الوحي قد نزل ولم يتوقف طوال هذه المدة •

والذين يقولون هذا القول يذهبون الى ان المقصود باكمال الدين هنا هو قواعد الحلال والحرام • أما ما يتعلق بالآداب العامة فلم يتوقف عن النزول •

ويذهب بعضهم ـ بناء على ذلك الى ان آخر آية نزلت من القرآن الكريم هي قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه •• » •

ومع الاكتفاء بهذا القدر فيما يخص هذه المشكلة نشير الى أمرين هامين :

الاول : ان المنطق البشرى يجيز في سهولة ويسر أن يكون الخلاف في اول ما نزل على أربعة أقوال ـ ولكنه لا يجيز الا في صعوبة وعسر أن يكون الخلاف في آخر ما نزل على عشرة أقوال •

لم يكن عند محمد عليه السلام كتبة للوحى في اول الامر ، ولم يكن الى جانبه من الصحابة الا النزر اليسير الذى آمن به وصدقه منذ اللحظات الاولى مثل زوجه خديجة ، وصديقه أبى بكر ، وابن عمه على بن أبي طالب •

هذا الى جانب انه هو نفسه قد تريث بعض الشيء قبل أن ينبىء غيره بانه قد اصبح نبيا رسولا، تريث حتى يتاكد من امر نفسه ، وان هذا الذى ياتيه هو الوحى حقا •

ان هذا كله مما يجيز هذا الاختلاف الضيق في اقوال اربعة أشهرها فيما ذكرنا قول أو قولان •

والامر في آخر ما نزل يختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فقد كان للنبى عليه السلام كتبة للوحى ، وكان من حوله الصحابة ـ الامر الذى يدعو الى ان لا يكون هناك خلاف على الاطلاق ، أو يكون في أضيق الحدود بحيث لا يتعدى قولا أو قولين •

الامر الثاني: أن القرآن الكريم يؤكد لنا ان موقف المعارضة لم يكن الا موقف العناد ، وانهم لن يؤمنوا لو اجابهم المولى سبحانه وتعالى الى ما يذهبون اليه من ان الكتب الدينية انما تنزل من السماء دفعة واحدة •

يقول الله تعالى : « ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين» ويذهب ابن عباس الى ان القرآن الكريم قد نزل الى السماء الدنيا دفعة واحدة ، وانه نزل من السماء الدنيا على محمد عليه السلام في دفعات •

لماذا نزل القرآن بالعربية ؟

وهناك مسألة اخرى من مسائل الكيفية التي نزل بها القرآن الكريم من السماء ، ودفعت المعارضة الى اتخاذ موقف بعينه من النبى عليه السلام ، وتلك هي مسألة نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين •

لقد نزل القرآن الكريم بلغة قريش ، وكانت هذه اللغة قد بلغت من الفصاحة مستوى لم تبلغه لغة أخرى من لغات القبائل العربية ، وذلك بفضل مكانة مكة في الحياة الدينية ، ومنزلة قريش في الحياة الاقتصادية والاجتماعية • وكان الشعراء على اختلاف قبائلهم ينظمون القصيد ويتبارون بالشعر في الاندية والاسواق الادبية بلغة قريش ، مما اكسبها منزلة خاصة بين القبائل العربية كلها •

كان نزول القرآن باللسان العربي المبين مثيرا لحفيظة المعارضة من حيث انهم كانوا يؤمنون بذلك القول الذى تذيعه القبائل اليهودية وتبشر به • وهو أن للدين لغة دينية معينة هي اللغة السريانية ، وان كتب السماء تنزل بهذه اللغة ، وان سؤال الملكين في القبر سيكون بها ، وكذلك الحساب في اليوم الآخر •

وأنكر القرآن الكريم على المعارضة هذا الموقف، وأبرز في انكاره هذا ما وقعت فيه المعارضة من تناقض ، ووضع في رده وانكاره قاعدة عامة يمكن أن نستثمرها أفضل استثمار في تقديم حل لهذه المشكلة المعقدة ـ مشكلة ترجمة القرآن •

لقد بعث النبى عليه السلام للعرب ، ونزول كتاب من السماء بلغة غير عربية غير جائز على الاطلاق من حيث ان اى كتاب ينزل من السماء يحتاج الى بيان وتفصيل ، ولا بد من أن يكون البيان والتفصيل باللغة العربية حتى يستفيد من كتاب السماء اولئك الذين نزل الكتاب من أجلهم ، وهنا يبرز التناقض القائم على أن النص السماوى بلغة غير عربية وتفصيله وبيانه باللغة العربية •

ان ذلك هو مضمون قوله تعالى : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا : لولا فصلت آياته • أأعجمى وعربى ••• » •

ولم يقف القرآن الكريم عند ابراز هذا التناقض وانما كشف عن البواعث الحقيقية لمثل هذا القول، وانها العناد ليس غير • وان القرآن الكريم لو نزل اعجميا على رسول أعجمي لما آمنوا به لان

موقفهم هو الرفض في اية صورة من الصور ينزل بها كتاب السماء •

يقول الله تعالى : «ولو نزلناه على بعض الاعجمين • فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين •• »

اما القاعدة التي وضعها القرآن الكريم في استنكاره لما قالوا فتنص عليها الآية القرآنية التالية : ـ « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ، ليبين لهم » •

وتلك انما تعني ان الرسول لا بد وان يكون من القوم ، وان الدعوة لا بد من ان تكون بلسان القوم حتى لا تكون مسالة اللغة غريبة عليهم ـ والا عجزوا عن ادراك مضامين الدعوة الجديدة •

وهذا هو الاساس الثقافي الذي اكده القرآن في كل موقف من المواقف ليذهب اثر هذه الدعاية الاسرائيلية الذاهبة الى ان هناك لغة دينية •

ان اللغة التي يتحدث بها القوم هي اللغة التي ينزل بها كتاب السماء ، وليس هناك من قاعدة اخرى غير تلك •

وهذا المعنى هو الذي اكده القرآن الكريم مبينا الاسباب والدواعي •

يقول الله تعالى : « وانه لتنزيل رب العالمين • نزل به الروح الامين • على قلبك لتكون من المنذرين • بلسان عربي مبين » •

ويقول تعالى : « فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا » •

ويقول : « وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها »

ويقول : « ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتقون • قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون » •

ويقول : «انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون »

ترجمة القرآن الكريم

وتبقى بعد ذلك مشكلة المشاكل وهي ترجمة القرآن الكريم •

اما نحن فنجيز هذه الترجمة لسببين قويين أشار اليهما ، ومضى على أساس منهما القرآن الكريم•

اما السبب الاول فهو الآية القرآنية الكريمة : «وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم••»

ان مضمون هذه الآية ان عملية البيان لكتاب السماء لا بد وان تكون باللغة التي يستثمرها المجتمع في حياته • وهذا انما يعني ان الداعي الى الاسلام في اى مجتمع من المجتمعات لا بد من ان يستثمر في دعوته هذه اللغة التي يتكلم بها المجتمع الذي يدعى الى الايمان بهذه الدعوة •

واذا كان النص القرآني اساسا للدعوة الاسلامية مهما يكن المجتمع الذي يدعى الى الدخول في الاسلام فان ذلك يحتم على الداعي أن يتلو عليهم نصوص القرآن الكريم باللغة التي يستثمرونها في حياتهم • وليس يخفى أن الترجمة في مثل هذا الموقف هي الواجب الديني الاجتماعي •

اما السبب الثاني فهو ان القرآن الكريم قد ترجم الى العربية ما هو غير عربي من النصوص التي أوردها •

فنحن لو تاملنا في هذه القصص التي جاء بها القرآن الكريم ، واعتمد عليها في بيان وتوضيح الاهداف الدينية التي قصد القرآن الكريم الى تحقيقها لتبين لنا ان بعض هذه الاقاصيص قد ترجم من لغته الاصلية الى اللغة العربية •

فقصص موسى عليه السلام مع فرعون ، وحوار فرعون مع موسى وهارون ، وحوار فرعون مع السحرة ، لم تكن اصلا باللغة العربية وانما كانت باللغة المصرية القديمة •

وقصة يوسف عليه السلام ، وحوار يوسف مع عزيز مصر ومع امراة العزيز ، وحوار يوسف مع الذين دخلوا معه السجن ، لم يكن ابدا باللغة العربية وانما هو باللغة المصرية القديمة •

ان هذه السنة التي سنها القرآن الكريم هي التي تجيز لنا ـ القول بجواز ترجمة القرآن الكريم• مع القاعدة التي وضعتها آية : « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم •• » •

القول بجواز ترجمة القرآن الكريم •

ونستطيع ان نمضي الى ابعد من ذلك ونقول بان ترجمة القرآن الكريم الى لغات مختلفة قد أصبحت واجبا دينيا ما دمنا نعمد الى نشر الاسلام• لا بد من الترجمة ليكون البيان قائما على أساس من النص الموجود بين يدي الناس •

ان الانتظار في هذا البيان حتى يتعلم الناس لغة القرآن هو الامر الذي يعارض سنة القرآن الكريم العملية ، ومضمون آياته القرآنية •

والله يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه • ■■

د • محمد أحمد خلف الله

أقوال معاصره

■ من الصعب جدا التخلى عن المحسوبية السياسية فى تعيين كبار موظفي الدولة ،فالولاء امر ضرورى، ولكنه ولاء للدولة وليس للحزب او الزعيم ٠

ميشيل دوبريه رئيس الوزراء الفرنسي السابق

■ لم اشعر او اعرف ابدا اى تناقض بين مشيئة الله وبين واجبى السياسى ٠

الرئيس الامريكي جيمي كارتر

■ .لقد خاب املى فى افريقيا ،ولكن املى خاب فى الغرب بنفس المقدار ٠

الرئيس السنجالى ليوبولد سنجور

■ انا صقر فعلا ، ولكننى لست مجنونا ، بل صقر واقعى ٠

شيمون بيريز زعيم المعارضة فى اسرائيل

■ عندما تحدثت مع الرئيس ليونيد بريجينيف عن ضرورة السلام مع امريكا ، شعرت كأننى الرئيس الاسود للولايات المتحدة ٠

محمد على كلاى فى موسكو

■ ٩ ٪ من الجنود الامريكان باوروبا اصابهم عجز من جراء تعاطيهم المخدرات القوية ٠

لسترولف رئيس لجنة مكافحة المخدرات الامريكية

■ طوال السنوات الخمس الماضية ، كنت اشرب كوبا من «بولى» كل صباح (٢٢٠ جرام تقريبا) ، لان البول هو ماء الحياة، وهو يشفي من السرطان والسل وبعض امراض العيون ٠٠ عليكم بشرب البول فهو مفيد ، ومتوفر بالمجان !

مورارجى داساى رئيس وزراء الهند

■ تنفق دول العالم نصف مليون دولار فى سبيل الحرب ، فى كل دقيقة من كل يوم من ايام السنة ٠

الدكتورة بيتى ويليامز الحاصلة على جائزة نوبل للسلام

عن المغتربين وأول رئيس عربي ينتخب

كولومبيا

زهرة أوركيد وزمردة وحبة بن سمراء

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

مساء ٦ يونيو (حزيران) الماضي ...

على التليفزيون ، في نشرة الاخبار ، مر خبر عابر لعله لم يجذب انتباه اى عربي .وكيف يفعل؟ الخبر لم يأخذ سوى دقيقة من الوقت ، وكان عن بلد بعيد بعيد كانما يعيش في عتمة الاحداث والناس . تدور الشمس في فلكها دورة السنة فلا تسمع عنه مرة خبرا في سطر . حتى المذيع أخطأ في نطق الاسم الذي ورد في الخبر . هل تراني كنت الوحيد الذي غاص الخبر في قرارة صدره ، غاص كالنيزك اللامع ، كالاسهم النارية في الليل. فاذا سنوات كاملة من الماضي تبحث في جبيني ، تضج ، تحتشد ، تموج حية موارة على فم لحظة ؟

كان الخبر عن كولومبيا ... وغام كل شيء امام عيني المفتوحتين . عدت خمس عشرة سنة الى الوراء ... هل تسمع بكولومبيا ؟

... ...

... زهرة (اوركيد) وحشية (١)

وزمردة كجنون الربيع

وحبة بن سمراء ، سمراء ... وقاسية

■ هذه هي كولومبيا . البلد الوحيد الذي وفى لكرستوف كولومب في العالم الجديد ، فاخذ اسمه بعد ان حملت عدة قرون اسم « غرناطة الجديدة »
Noeva Grenada

وان لم تكن من غرناطة الحمراء في شيء ، انها مليون وربع المليون من الكيلومترات المربعة . مائة وعشرون مثل لبنان ، وألف مرة من غاباته وصخره المرد وثلجه وشطئانه المتطامنة للموج .وقبل ان تلتقي مياه المحيطين الاطلسي والهادئ في قناة (باناما) فانها تصفع ، وتداعب ، وتركض ، ثم ترتد على شواطئها في الشمال والغرب .



سيمون بوليفار

---

(١) هي الزهرة الأرستقراطية المعروفة . ومزارعها الواسعة في كولومبيا تحوى ما يزيد على ٤٠٠ نوع ولون منها . وكولومبيا هي الى ذلك أيضا بلد الزمرد الاولي ، وبلد البن .



خوليو سيزار طربية



النيل؟اين النيل،من نهرها العظيم (الماغدالينا) ؟ (ومـون بلان) ؟ ايـن (مـون بلان) مـن ثلوج (نيفادل رويس) ؟ والغابة الافريقية ؟ اين منها الادغال ؟ الادغـال المظلمـة التي ما تـزال تحتضن الوحش ، والافعى ، والنسر ، وتلاوين الببغاء ، والانسان البدائي الاول ؟ هناك امريكا التي لم تتامرك بعد ... ما يـزال فيهـا الطعم الحريف المدهش لعصر ما قبل كولومبوس !

فمن الثمانية عشر مليون كولومبي لا يعيش في نصف كولومبيا الشرقي سوى عشرة الاف انسان ! هناك اليانوس ، افق محدود ، اذا استغرقت فيه حسبت ان الله لم يخلق سوى السهل . واذا صعدت في النصف الغربي وتسلقت جبال الاند ، العمود الفقري لكولومبيا (وللقارة) ، ولمست الصخور البنفسجية التي ما لمستها قبلك غير الثلوج ، او غرقت في الغاب البكر ، الذي تضيع فيه حتى اليوم بعثات الاستكشاف بعثة بعد بعثة _ وقفت كالمشدوه امام شلال الانتحارات (التكنداما)، سهم الفضة الذي ينغرس ١٥٠ مترا في قلب الصخر ! ثم تهبط من جديد الى سيف البحر لتصبح ضبابا من (عرق) ولهاث قيظ استوائي عنيف ! هنا تجد الوجوه الابنوسية التي لفظتها مراكب النخاسة ، منذ قرون معدودة ، الات حرث وزرع في ذلك البر الاوسع .

اما في قلب الغابة وعلى اطرافهـا المتصلـة بالناس فثمة الهندي القديم ، الهندي الـذي « رحب » بكريستوف كولومب واعطاه ذهبه ... وما يزال يعطيه الى اليوم هذا الذهب ! احفاد (الشيبشا) ما يزالون في العرى والنظرة المتكيرة والفم المنكمش ريبة ودهشة . و (الموتيلونز) ما يزالون الى اليوم على الشجر والسهم الحديد بايديهم ، لا يتصلون بالناس ولا يصل اليهم الناس او يحاولون ! في طائرة هيلوكوبتر منذ سنوات انتصرت عليهم الحضارة حين مرت الطائرة فوق غابهم ، وبيوتهم من ورق الغاب . تصور ، من علٍ ، دهشتهم وقفزهم القردي نحوها !

ومع ذلك فاذا شق الفاتح الاسباني الابيض طريقه في كولومبيا وتوطن في وادي (الكاوكا) او في بعض نقاط الساحل ، او بعض الهضاب الجبلية العالية فقد التقى الهندي ، فيما التقى في جبينه ودمه ، بكل ملامحه . واذا وجدت ١٥٪ من الكولومبيين البيض ، و ١٠ بالمائة من الزنوج و١٠ بالمائة من الهنود الاقحاح الخلص ،ففي كل منعطف من البلاد تقفز الى عينيك الملامح الخليطة من سمرة المتوسط وخدود الهندي المغولية القاتمة .

وتزهر الحضارة في كولومبيا ، في عدة نقاط مضيئة ضمن ظلام الغابة . فاذا تجاوزت الساحل ما بين (سانتامارتا) الى (باراتكيا) الى (كارتاهنة)، واستثنيت خط المدينة من وادي (الكاوكا) ما بين (بوبايان) و (كالي) الى (مانيزالس) و (مدين)واذا

اضفت الى هذه المجموعة من المدن : العاصمة (بوغاتا) ثم (بوكارامنقا) و (كوكوتا) فليس ثمة من جو مدني متحضر وراء ذلك ... بلى ! انك تدخل من (بوغوتا) في جو امريكي وتتمتع فيها بالتلفزيون وبعشرين محطة اذاعية وبانوار النيون وبالفيلات الحديثة والسيارات التي لم يحلم (خمنيزدي كيسارا) باني المدينة بانها سوف تكون ...وتعيش في (مديين)في مدينة لا اروع ولا ابهى ، كلها نشاط ، وجد ، ومصنع نيفة الدخان ، ويروقك الجو التاريخي والبحر المتداخل في البر ، كالبندقية،في مدينة (كارتاهنة) وتعجبك كالي ، الجنة الصغيرة الخصبة ، و (بوكارامنقا) التي تطوقها الوديان • انها مدن للحياة ، وللحضارة الرخية...ولكن لا تجاوزها ! لا تجاوزها اذا اعجبتك • الى الريف او الى الغابة • ان التناقض ، رغم المنظر الوحشي القاتن الهائل الفتنة ، كفيل بان يفتح عينيك حتى اخر الافاق •

ابنة البابوية المفضلة

والبلد غني ، منهل الغنى • بترول • اناناس• زمرد • موز • فحم • بلاتين • حديد • جوز هند• ومزارع من قصب السكر ومحيطات من الغابات البكر • وقطعان السوائم بالملايين وسط الاجام البعيدة ، كل ذلك نهب لمن يستثمر او يطيق الاستثمار • اما القهوة ، هذه الحبة السمراء التي تقوم عليها كل الحياة الكولومبية والتي لو هبطت اسعارها في بورصة نيويورك سنتاواحدا لكان في ذلك الخراب ، ولو ارتفعت سنتا لكانت صيف لبنان الخصيب ، هذه الحبة تنمو ، وحشية كريمة ، وتعطي كولومبيا ستة ملايين كيس كل سنة !

والكنيسة هناك دنيا من الدنيا • يد عليا لا تنازع • انها متغلغلة في النخاع الشوكي لكولومبيا• لها الكلمة الاولى في الدولة والتعليم والسياسة ولها الاديرة والكنائس والارض والمال والاحترام وصدر الحفلات ... حتى العائلية • ما من اسرة الا ومن افرادها قسيس على الاقل في الثياب السود • منذ قرنين كان ثلث السكان على الارجح قسيسين ورهبانا • كولومبيا هي الابنة المفضلة للبابوية في امريكا اللاتينية ولهذا منح اسقفها لقب الكاردينال منذ ١٨ سنة ، وخرج رئيس الجمهورية لاستقباله يوم قلد ، وركع امام الطائرة يقبل يده !

على ان بعض الكهان الصغار ثائرون على الفقر والظلم والاستغلال السياسي والكنسي والاقتصادي• السلطات كلها هناك تصفهم باليسارية والشيوعية وتتهمهم •• ولكنهم يتحدونها بالاعمال الاجتماعية الناجحة•ولا تجرؤ هي بالمقابل على ايقاف نشاطهم الذي يلبس الرداء الاسود ...

كل شيء لبوليفار

وباسم (بوليفار) يبدأ كل شيء في تاريخ البلد وامجاده • اتعرف هذا الاسم (سيمون بوليفار) (٣) ؟ انه حبيب (مانوليتا) الاتعرفها؟ كل عطر في مبادىء كولومبيا انما يبدأ عند اكليل الغار المضفور لبوليفار ، هذا النبيل الاسباني الذي ثار على بلاده ليحرر ،، وهو على المهر ـ في ارض لم تخطط حتى الان مسالكها في الشعاب والصخر ـ ستة بلاد تزيد مساحتها على خمسة ملايين كيلو متر مربع ، تزيد على نصف القارة الاوروبية • بوليفيا اشتقت اسمها من اسمه وبيرو ، والاكوادور ، وباناما وكولومبيا ، هي ضمن الدول البوليفاريانية ، اكراما له • وفنزويلا مسقط راسه ماتزال تدل بانه منها هذا الذي في كل مدينة ، وفي كل قرية ، له تمثال يركع امامه الاحترام ، والحب • لقد ترك في القمة،اصدقاءه الاخرين الذين اعانوه ، ولكن كولومبيا لاتنسى منهم الجنرال (سانتاندر) الذي وضع لبنة القانون الاولى فيها ، كما لاتنسى الاكوادور المارشال (سوكره) •

وتاريخ الحكم والاحزاب ، في هذه البلادجميعا يرقى في السنين الى (بوليفار) ايضا ، والى ايام الامجاد ما بين سنة ١٨١٠ و ١٨٣٠ ايام التحرير •

هل قلت احزاب ؟ مهلا • انهما فقط ، في كولومبيا ، حزبان وحيدان تقليديان ليس غير • منذ عشرين سنة (١٩٥٨) اضيف الى الدستور تعديل يحرم على اي سياسي ان يطل على الناس باسم حزب جديد ! ! كل كولومبي انما هو أزرق او احمر ، محافظ او ليبرالي •• وليس بين اللونين من الوان وسيطة او وراءهما من قوس قزح ... وان كان الواقع انهما يحويان في اجنحتهما الكثيرة جميع قائمة الالوان من الاحمر القاني حتى الاسود ، ومن الماركسية حتى اليمين القاتم !

وتاريخ الدماء بين الحزبين طويل طويل ٠آخر المعارك بينهما بدأت في ٩ نيسان ١٩٤٨ حين قتل الزعيم الليبرالي (غايتان) ، فاستبيحت العاصمة من بعده عدة ايام : حرقا وقتلا ونهبا ! ثم انتشرت العصابات الحزبية على الصخور والغابات ومايزال بعضها الى اليوم ينشر الضحايا ، التي زاد تعدادها على مليون من الناس ٠

ومن لم يمت بالرصاص ، مات (بالماشيت) الموز المعقوفة الحديدة !

وغرابة الغلاق الحزبي هناك لا يعدلها او يفوقها سوى حب الشفاه للجعة ! تسعمائة مليون زجاجة تفرغ منها في الاجواف كل سنة ، والثمانية عشر مليون كولومبي يفرغون لها لشركاتها الجيوب ايضا ٠ ويمشي العامل ظهر السبت باجره الى اول دكان ، فيبدأ الشرب ليعدو مساء الاحد وهو يمشي (لام الف) كما قال النواس ٠ شعب (الروانا) المسكين ، هذه اجمل متعة ٠٠٠ طبعا ، بجانب الحب والرقص ! لاتكاد الموسيقى تعزف (الميريكومبه) او (التشاشاشا) حتى تهتز كل الاوساط ٠ اما اذا انتهى الرقص فان قطعة (البطانية) المربعة التي يبرز الرأس من شق في وسطها ، والتي يدعونها (الروانا) Ruana تستطيع ان تغطي الحبيبة الى اقرب عتمة لتتناجى الشفاه ٠

واشياء قليلة هي التي بقيت من الاسبان هناك ، بجانب اللغة الاسبانية : هي المباني الاثرية من العهد الاستعماري (كولونيال Colonial) والحماسة لمصارعة الثيران ٠٠ واهل مدينة (مديين) الكثيرو الاولاد !! ٠٠ وفيما عدا هذا فان كولومبيا تظل كولومبيا ٠٠ تظل زهرة اوركيد بطبيعتها الوحشية الرائعة ، وزمردة كجنون الربيع بما فيها من غنى وخصب وحبة بن سمراء سمراء بنكهتها الحلوة وبمن فيها من الناس !

هذا هو الخبر

وبعد ٠٠٠ فلم تسالني ما الخبر الذي جاء مساء ٦ يونيو ، ففتح « قمقم » الذكريات واوقد كل هذه الشموع ؟

كان الخبر ان مرشح حزب الاحرار (خوليو سيزار طورباي ايبلا) قد نجح في انتخابات رئاسة الجمهورية الكولومبية ٠ نال مليونين وثلث المليون من الاصوات متخطيا منافسة (بليساريو بيتانكو) بمائة الف صوت ٠ والخبر حتى هنا عادي ليس من حقه ان يثير ، في غير كولومبيا ، احدا ٠٠

وحدي قفزت لعهنا ٠٠٠ لثلاثة امور جعلته خبري المثير وجعلت له الطعم الخاص والمعنى الخاص : السنيور طورباي ليس صديقي فحسب ولكنه عربي من لبنان (ابوه من اسرة طربية والام ايبلا) ٠ وهو ايضا اول رئيس جمهوررية عربي ينتخب في القارة الامريكية ٠٠ المغتربون العرب في الامريكتين يعيشون في عروقهما ٠ يدورون في نسيج القارة كلها بين شمال وجنوب ٠ منهم رجال المال والصناعة والزراعة والاعمال ومنهم الشعراء والكتاب ٠ وكان منهم ، منذ زمن طويل ، النواب الكثيرون في مختلف الدول الامريكية والوزراء العديدون ، وقد وصل بعضهم الرئاسة الثانية رئاسة السلطة التشريعية اما الان فهذه اول مرة يقتعدون ارجوان الرئاسة الاولى ٠٠٠

الولومبيون ، كل الكولومبيين ، سوف يعودون في هذه الايام الى ذكرى قديمة عمرها الان ثلاثون سنة ، بطلها السنيور طورباي الاول ، عم هذا الرئيس الجديد ٠ سيجدون في نجاح خوليو سيزار انتقاما لعمه ! ذلك العم كان سنة ١٩٤٨ نجم حزب الاحرار ٠ كانوا يسمونه النمر ، وكان نمرا في الجراة السياسية وفي سحر الجماهير بالبلاغة النارية ٠٠٠ وقد رشح نفسه للرئاسة ٠ وكان الفوز في جيبه ٠ كان مرشح حزب المحافظين اضعف بكثير منه ٠ وفجاة ، خرج له من قلب حزبه منافس القى في وجهه بالشعار المقيت :

– توركو ٠٠٠ لا ! (٢) ٠ توركو لا Turco,no!

حتى تحت قبة البرلمان دخل مرة فقابله انصار منافسه بهذا الشعار المنغم :

– توركو ٠٠٠ لا ! توركو لا !

واضطر ان يقف متحديا بقوة الواثق من نفسه وبالاهانة المرة

---

(٢) كلمة توركو تطلق على كل عربي في امريكا اللاتينية ٠ وهي من رواسب القرن الماضي ومطالع هذا القرن يوم كانت البلاد العربية تابعة للاتراك العثمانيين وكان المغتربون العرب يحملون الجنسية العثمانية ٠ وتحمل الكلمة معنى الاحتقار والتحدي وفيها كل الرواسب في النفس الغربية ضد العرب والاسلام ٠

ـ بلى ! انا توركو لانى اعرف ابى . ولكن كم فيكم من توركو لا يعرف اباه ! (٣)

على ان منافسه من قلب حزبه لعب نغمة «التوركو» على كل السلالم الموسيقية . وكانت النتيجة ان نجح حزب المحافظين . ولم يكن بينه وبين السنيور طورباى سوى بضعة وخمسين الفا من الاصوات .

ذلك ان منافس طورباى الحزبي كان قد سلبه ربع اصوات الحزب .

وغضب الرجل وترك البلاد الى باريس . وهناك وفي السنة نفسها ١٩٤٨ مات كمدا ...

يومذاك كان خوليو سيزار ، الرئيس المنتخب الجديد ، مندوبا لكولومبيا في الامم المتحدة وحضر هناك معركة تقسيم فلسطين وما تلاها .. ومنذ ذلك الوقت اخذ يتسلق الطريق الى القمة على مهل من النيابة ، الى الوزارة ، الى نيابة الرئاسة في الحزب ثم رئاسة الحزب فالرئاسة الكولومبية .. انه لا يحمل جراة عمه ولكنه قد يحمل بلاغته . وليس له تحديد المتكبر ولكنه يتمتع بالكياسة الديلوماسية المناورة ... يتجلى ذلك في قصة زواجه من قريبة ، تجلية في المواقف السياسية الكبرى . وضمن هذا الجو كان من انجح وزراء الخارجية الذين عرفتهم كولومبيا سنين طويلة . وربما كان من النجاحات التي تسجل له انه تخطى عقدة (التوركو) . لم تستطع هذه العقدة التي قطعت الطريق على عمه ان تقطعه عليه . وليست جماهير « التوركو » في كولومبيا بالكثيرة لتكون قاعدة انطلاق او مساومة سياسية فيستند اليها . لعلها بالعكس كانت تستند اليه ...

هؤلاء « التوركو »

هل احدثك بعض حديث هؤلاء « التوركو » هناك ؟ انهم ، حتى لو بقيت في الاحصاء لا يجاوزون الخمسين الى السبعين ايضا . وكلهم من بلاد الشام : من لبنان ثم من فلسطين ثم من سورية . وهم يتوزعون ما بين جزيرة سانتواندريه التي قضى على رملها الشاطئية بذبحة القلب الكاتب القصصي سعيد تقي الدين سنة ١٩٦٠ الى بارانيكا وكارتا هذه الى مدين وبوغوتا وكالي الى.. ليتيسيا في اقصى اقصى الجنوب . على ان هجرة الاوائل منهم قديمة . دروب كولومبيا الجبلية الحادة ، وسهولها الموحلة بالرطوبة والعرق عرفتهم منذ اكثر من مائة سنة على الاقل . ولكن كيف عرفتهم ؟ جاووها يحملون المسابح وبعض الصلبان والتعاويذ ورموز البركة وزهرة الحبل (٤) ... يحملونها فيما يزعمون من بيت لحم والقدس في (الكشة = صندوق البضاعة) . انهم الباعة المتجولون « الماسكاته » الذين سجلوا بين من سجل اول ملحمة الاغتراب ... على انهم سرعان ما كانوا يتاقلمون في الملبس . يضعون « الروانا » والقبعة المتهدلة . وفي الاسماء ، يتحول احمد الى اماد وعيسى الى خيسوس وابراهيم الى ابران وفي اللقب ايضا : فاين اللحام : كارنيزرو، وحنا ديب هو خوان لوبو .. وينتهي التنكر اخيرا باصطناع الدين والمذهب ، فالكل على الكاثوليكية!

على ان القلة والغربة والتنكر وعواء (التوركو) كلها لم تمنع هذه الجماعة من التوسل الى احسن العيش بكل وسيلة . فلهم الآن النوادي الفخمة والمتاجر والوكالات والابنية ، ومنهم الكتاب البارزون والسياسيون ، ومنهم من يعمل بالنقل والصناعة وفي تربية الابقار لا يعرف عددها في مزارعه الشاسعة .. بل لقد زرت بعضهم ممن يعمل بالافاعي الضخمة وتجارة القرود والطير الملون .

اليست لهم قمة في الفكر بلى ! احدى شاعرات امريكا اللاتينية البارزات هي غابرييل ميسترال، شاعرة كولومبيا الاولى ، وما هي الا اولغا شمس العربية ، التي يضج في شعرها عطر الشرق وصوفيته ..

... وبعد هل كان من حق خبر التلفزيون مساء ٦ حزيران ان يكون عندى الخبر المثير ؟ وهل عرفت معنى وصول واحد من « التوركو » الى رئاسة الجمهورية الكولومبية ؟ ..

تحية على البعد ايها الصديق خوليو سيزار طورباى . ■■

شاكر مصطفى

---

(٣) الاشارة هنا الى امر مالوف في كولومبيا . فالاطفال غير الشرعيين ، في الاحصائيات الرسمية كانوا يصلون في الستينات الى حوالي ٤٢٪ من المواليد . وتعترف بهم الكنيسة وتنسبهم الى امهاتهم . وعدد من رؤساء ورجالات كولومبيا نفسها ابناء غير شرعيين .

(٤) زهرة تنقع في الماء المغلي ويزعمون ان السيدة مريم وجدتها في صحراء سينا وهي في طريقها مع يسوع الطفل الى مصر .

البـــلاغ الأول !

بقلم : فهمي هويـــدى

لابد من المسارعة بالايضاح ، حتى لا يفهم العنوان على غير المقصود منه • خصوصا وان تعبير « البلاغ الاول » قد اختفى من العالم العربي ، منذ سنوات تبدو بعيدة الآن ، كان ما سمعناه وقتئذ كان في حقيقته البلاغ الاخير! وليس معروفا بالضبط ما اذا كان ذلك خيرا ام شرا ، وان كانت تلك مسالة أخرى •

ذلك أن البلاغ الأول الذى يعنينا هنا هوما بدأت به ثورة الاسلام في الفكر الانساني • هو عبارة « لا اله الا الله » ، التى كانت شرارة هذه الثورة ، واعلانا لتحرير البشر من سلطان البشر • ثم تحولت الآن ـ بعد ان اجهضت الثورة ـ الى صيحة تتردد في حلقات وصرعات الذكر ، وبضاعة يستخدمها محترفو السحر والشعوذة ، وقلادة تتدلى فوق الصدور • حتى ان متجر « ماركس آند سبنسر » في لندن لم يجد غيرها ليطبعه على آخر انتاجه من الملابس النسائية الداخلية ، ارضاء واغراء للمزاج العربي ! ! ●

●

وفى مناقشة الشهر الماضى حول قضيــة « الدين للانسان » ، توقفنا عند سؤال محدد هو : كيف يتفق ذلك مع ماتعنيه الآية الكريمة « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ؟ اذ قد يوحي ظاهر الالفاظ بالتعارض بين ماتعنيه هذه الدعوة ، وبين ما تقرره الآية . وذلك ليس صحيحا على الاطلاق • اذ لا تعارض بين ان يسخر الله الكون للانسان ، ويبعث برسله لهدايتهم ، وينزل الشرائع التى تحقق مصالحهم وسعادتهم فى الدنيا والاخرة • لاتعارض بين أن توضع هذه الوسائل والبدائل امام الانسان ، وبين أن يكون الهدف الاكبر هو عبادة الله سبحانه •

لكن ذلك يفرض علينا ان نتفهم جيدا ، وبوضوح شديد لا يحتمل اللبس ، كيف تكون العبادة فى الاسلام • لان العبادة موجهة الى الله سبحانه ، لذلك لم ينفصل بحث « العبودية » عن « الالوهية » فى كل ما كتب عن العقيدة الاسلامية •

وهو بحر عميق لا نهاية له ، خاض فيه المفكرون والفلاسفة طوال القرون الماضية ، كل سبح فيه بقدر ، ولم يبلغ احد شاطئه الآخر بعد • وهى سباحة لا ادعى لنفسى قدرة على ممارستها ، او منافسة غيرى فيها •

غير أنه اذا تعذرت على « السباحة » واستعصت ، فان الأمر يحتمل « السياحة » • ذلك انه اذا كانت السباحة تتطلب نزولا الى البحر ، فان من السياحة ان تقف على الشاطىء وترقب الاخرين • على الاقل تستطيع ان تعرف كيف سبحوا ، وكم قطعوا ، والى اين تقذف بهم الريح !

وهي ليست نزهة بكل تأكيد • ولكنهاتعبير عن الاشفاق على النفس وعلى الاخرين من مشقة الخوض في هذا البحر الواسع والعميق •

اننا اذا حاولنا تبسيط القضية ، مع وضعها في اطارها الصحيح ، بغير دخول في متاهات واغوار علم التوحيد او علم الكلام ،فانناتستطيع‌ان‌نستعيد ابتداء‌تعريف‌الامام‌الاكبر الشيخ محمود شلتوت ، في ان الاسلام في جوهره هو عقيدة وشريعة • وتلك ترجمة مبسطة ايضا للوصف الذي يقترن بالمسلمين في اغلب سور القرآن الكريم « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » •

وبعيدا عن المتاهات ايضا ، نستطيع أن نرصد دعامتين أساسيتين يقوم عليهما الاسلام بشقيه ، العقيدة والشريعة ، فالعقيدة تقوم‌على التوحيد ، والشريعة تقوم على العدل • التوحيد تعبر عنه شهادة المسلم أن لا اله الا الله ـ وهي موضوعنا ـ والعدل له حديث‌آخر، قادم باذن الله •

لقد انزل القرآن الكريم على مدى ثلاث‌وعشرين سنة ، منها ثلاثة عشر عاما كاملة ـ هي الفترة المكية ـ ظلت آيات القرآن تعالج خلالها قضية واحدة وموضوعا واحدا بأساليب مختلفة ، هو العقيدة ، ممثلة في قاعدتهاالرئيسية ، الالوهية والعبودية • ثم كانت السنوات العشر الاخرى ـ بعد الانتقال من مكةالى المدينة ـ حيث كان التركيز في آيات القرآن على‌الشق‌الثاني من‌الاسلام : الشريعة•

●

الالوهية والعبودية هما اذا وجهان لعملةواحدة • وعبارة « لا اله الا الله » في‌حقيقتها موقف • موقف من حيث انها تعبير عن نزع‌كل سلطان للبشر على البشر • اذ لا ركوع ولا سجود ولا خوف الا لله ومن الله وحده •وهي ايضا •موقف من حيث انها تقرر المساواة بين البشر ، فالكل عباد الله ، ولا فضل ولاتميز لانسان على آخر ، لعربي على عجمي ، الا بتقوى الله وخشيته ، والامتثال لاوامره ونواهيه ، وتلك مسالة حسابها في الآخرة •• اما في الدنيا فالكل سواء ، ومعيار الحساب‌يختلف • والتسليم بوحدانية الله يعني ما هو ابعد • اذ لا طاعة‌لمخلوق في‌معصية الخالق،كما يقول الحديث الشريف•

وفي هذا المعنى يقول الامام الغزالي :فلا حكم ولا امر الا له (لله‌سبحانه) اما النبي صلى الله عليه وسلم والسلطان‌والسيد والاب‌والزوج ، فاذا امروا واوجبوا لم يجب شيء بايجابهم ، بل بايجاب الله تعالى طاعتهم •ولولا ذلك لكان لكل مخلوق اوجب على غيره شيئا،كان للموجب عليه‌ان يقلب عليه الايجاب(يرده) ، اذ ليس احدهما اولى من الاخر •

اي ان البشر ايا كانوا ـ من النبي‌الى السلطان الى الزوج ـ لا يملكون الزام غيرهم بشيء ، الا اذا كان كلامهم في حدودطاعة الله وتعاليمه (وهي في الحقيقة طاعة لله وليست لهم) • وفي غير هذه الحالة فان المخلوق لا يملك ان يفرض شيئا على‌مخلوق آخر مثله تماما • اذ باي حق يمارس انسان سلطانا على آخر ، بينما التماثل بينهما قائم ؟ اليس هذا السلطان من خصائص‌وصفات‌الالوهية ؟

وكما يقول الامام محمد عبده ، فانه‌بتوحيد الله « اطلقت‌ارادة الانسان من القيود التي كانت تعقدها بارادة غيره ، سواء كانت‌ارادة بشرية ظن انها شعبة من الارادة الالهية كارادة الرؤساء والمسيطرين ، أو ارادة موهومة اخترعها الخيال، كما يظن في‌القيود والاحجار والاشجار والكواكب‌ونحوها• وافتكت عزيمته من‌أسر الوسائط والشفعاء ، والمتكهنة‌والعرفاء، وزعماء السيطرة على الاسرار ، ومنتحلي حق‌الولاية على أعمال العبد فيما بينه وبين الله، الزاعمين انهم واسطة‌النجاة ، وبايديهم‌الاشقاء‌والاسعاد » •

ايضا فان الالوهية لها ثمار اخرى تنعكس على ضمير الانسان واعماقه • ذلك ان المسلم الـذى لا يخشى الا الله ، يعلـم تماما انه سبحانه « يسمع ويرى » • وانه يراقب سلوكه واداءه ، وانه قد يرتكب فعلا يجوز على سلطان الارض ، ولا ينتبه اليه : لكنه لن يخفى على سلطان السماء • اى انه يصبح على يقين من ان افلاته من عدالة الارض ، لن يجنبه المثول امام عدالة السماء يوما ما •

ان الايمان بالله ، والتسليم بوحدانيته سبحانه ، يترجم هنا الى ضمير حى دائما ، يقظ دائما • الى سلوك ايجابى ، قويم ونظيف •

وهكذا لا تبدو الالوهية فكرة فلسفية اومجردة ولكنها اعتقاد وتسليم له مردوده الواقعى والملموس على حياة الانسان وسلوكه وادائه • ويظل الاعتقاد فاقدا معناه وجدواه اذا لم يترجم الى موقف ومنهج •

●

ايضا فان العبودية ، الوجه الاخر للالوهية ، ليست فكرة مجـردة • وكمـا ان الالوهيـة « موقف » ، فالعبودية « منهج » •

وحتى نفهم ما تعنيه العبادة فى الاسلام ، لنستعرض بعض صور تجربة الاسلام الاولى ، التى قد تقرب المعنى وتحدده •

قصة الرجل الذى كان يقضى كل وقته فى المسجد متعبدا ، مصليا ومسبحا •• وتحدث عنه المسلمون امام النبى عليه السلام • فسال النبى : من ينفق عليه ؟ •• قالوا : اخوه • عندئذ كان رد الرسول (ص) : اخوه اعبد منه !

قصة الرجل الذى مر امام الرسول وصحابته ، بينما ممتلىء حيوية ونشاطا ، فقـال بعضهم : لو كان هذا فى سبيل الله (اى لو استغل حيويته وفتوته فى الجهاد الذى كانوا يعتبرونه افضل العبادات) •• فكان تعليق الرسول قوله : « ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله • وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان » •

وما رواه ابن عباس عن رسول الله : امرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صلاة ، وحملك عن الضعيف صلاة • وانحاؤك القذر عن الطريق صلاة ، وكل خطوة الى الصلاة صلاة •

وقصة الذين سالوا بعض زوجات النبى (ص) عن عبادته ، وكانوا يتصورونه راكعا ابدا ، كل ليله قيام وكل ايامه صيام • فلما اخبروا بعبادته ، لم يشبع ذلك فكرتهم عـن العبادة ، فقالوا : اين نحن من رسول الله (ص) وقد غفر الله له ذنوبه • وقال احدهم : اما انا فاصلى الليل ابدا ـ وقال آخر وانا اصوم الدهر ولا افطر ابدا ـ وقال آخر وانا اعتزل النساء فلا اتزوج ابدا •

وعلم الرسول بما قالوا ، فكان تعقيبه : اما والله انى لاخشاكم لله واتقاكم له ، لكنى اصوم وافطر ، واصلى وارقد ، واتزوج النساء •• فمن رغب عن سنتى فليس منى !

ثم حديث رسول الله (ص) لصحابته عن الرجل الذى سقى كلبا ظمآنا فشكر الله له فغفر له • وسئل : هل لنا فى البهائم اجرا يا رسول الله • قال : فى كل كبد رطبة (مخلوق حى) أجر •

وقول وهب احد تلاميذ الامام مالك : كنت بين يدى مالك رضى الله عنه ، فوضعت الواحى وقمت اصلى ، فقال : ما الذى قمت اليه بافضل ممـا قمت عنـه (يعنى الدرس والتحصيل) •

وما رواه انس بن مالك من ان الصحابي معاذ بن جبل كان يؤم قوما في الصلاة ، ولحق بهم احد المسلمين ـ حرام بن ملحان ـ بينما كان في طريقه ليسقي نخله • فاطال معاذ في الصلاة ، بصورة لم يحتملها صاحبنا الذي كان يريد ان ينجز مهمته في سقي النخيل •وعندئذ اكمل حرام صلاته وحده ، وانصرف لشانه وبعد الصلاة قيل لمعاذ ذلك ، فكان رده : انه لمنافق ، ايعجل عن الصلاة من اجل سقي نخله؟•• ثم ذهب حرام الى الرسول ومعاذ عنده ، فروى الرجل قصته وما قاله عنه معاذ • عندئذ لم يعاتبه النبي ولم يخطئه ولكنه التفت الى معاذ قائلا : افتان انت ؟ افتان انت •• لاتطول بهم •

اي ان النبي عليه السلام وجه اللوم الى امام القوم ، الفقية الجليل معاذ بن جبل!
هكذا فهموا العبادة ، اسلوب حياة ،يشمل كل ما يفعله الانسان بنية خالصة ، لا يشوبها هوى او غرض •

●

حتى ما اصطلح على تسميته بالعبادات المباشرة ، الصلاة والصوم مثلا ، تفقد جدواها وقيمتها اذا لم تنعكس على سلوك الانسان ومعاملاته • والآية الكريمة تقول : «ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (آية ٤٥ العنكبوت) والحديث الشريف يقول : من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، فلا صلاة له •

وعن الصيام يقول الحديث : من لم يدع قول الزور والعمل به .. فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه ـ و •• رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر •

كل ما امر الله به عباده من الاسباب ، هو عبادة ـ والدين كله داخل في العبادة هكذا يقول ابـــن تيميـــة فـــي رســـالـــة« العبودية » •

وابن القيم يلقي ضوءا كاشفا على جانب اساسي في العبادة،اذ يقول في كتابه «مدارج السالكين » ان اصل العبادة محبة الله • بل افراده بالمحبة ، وان يكون الحب كله لله • فلا يحب معه سواه ، وانما يحب لاجله وفيه •

وفي كتابه « العبادة في الاسلام » ،يقول الدكتور يوسف القرضاوي ان العبادة المشروعة لابد لها مـن امرين : اولا : الالتزام بما شرعه الله ودعا اليه رسله امرا ونهيا ، او تحليلا وتحريما • وهذا هو الذي يمثل عنصر الطاعة والخضوع لله • ذلك ان اساس الخضوع لله الواحد القهار هو الشعور الذاتي بالحاجة الى من يملك الضر والنفع والموت والحياة ، ومن له الخلق والامر (اياك نعبد ،واياك نستعين)

والثاني : ان يصدر هذا الالتزام من قلب يحب الله تعالى •

●

هل نستطيع الآن ان نفهم اية « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ، على وجهها الصحيح ؟

هل نستطيع الآن ان نضيف الى قولنا ان الدين للانسان ، قولا آخر هو ان للالوهية مردودها الذي هو لصالح كرامة الانسان وتحرير ارادته ، وان للعبودية مدلولها الذي يتسع ليشمل كل عمل شريف ، وكل اضافة ايجابية تعود بالخير على الانسان والانسانية ؟

هل نستطيع الآن ان نضيف الى قولنا ان الدين للانسان ، قولا آخر هو ان للالوهية
ارجو ذلك •
وكل سنة وانتم طيبون •

قد يحسده الانسان يوما ما :

جبهة لتحرير الحيوان!

الحملة ضد استخدام الحيوانات فى التجارب العلمية

فـي العالم الغربـي حملـةشديدة منجانب حماة الحيوانات تستهدف وقف استخدامالحيواناتفي المـعامل والمختـبرات ، على اعتبار انها تلقي هناك معاملـةوحشية وغير « انسانية » !

والباحثون فى المختبرات المنتشرة في طولامريكا وعرضها يعكفون على اجراء المزيد من التجارب على الارانب والقرود والفئران وغيرها سعيا وراء اكتشاف عقاقير جديدة لخدمة الانسان • وهـم يقومون بحقن هذه الحيوانات بامراض قديمةوادوية جديدة مضادة ،للوقوف على مـدى تاثيرهـا فى القضاء على هذه الامراض • ويستخدم العلمـاء ملايين من المخلوقات تتفاوت ما بين الفئرانوالقرود الهندية الصغيرة قصيرة الذيل •

غير أن جهود العلماء هذه تعرضت لحملة عنيفة من جانب جماعات من محبى الحيوان ••ويلجا بعض هؤلاء المعارضين الى استخدام العنف للتعبير عن سخطهم لتعذيب الحيوانات فى المختبرات • ففى انجلترا على سبيل المثال اغارت حركة تطلق على نفسها « جبهة تحرير الحيـوان » على المختبرات ودمرت الاجهزة والوثائقواطلقت سراح الحيوانات• وقد تطـور نشاط هـذه الحـركة واصبحت تشكل تهديدا خطيرا للابحاث العلمية على الحيوانات • ويقر هؤلاء النقاد بالحاجة الى اجراء بعض هذه الابحاث وبخـاصة تلك المتعلقة بالامراض التى تصيب الانسان ، ولكنهم يجادلون بان الحيوانات تستخدم فى المختبرات اكثر مما ينبغى ويتساءلون فى الوقت نفسه عن الجدوى من وراء الاستمرار فى هذه التجارب،

ويفند علمـاء طب الاحيـاء الادعاءات القائلة بانهم يسيئون معاملة الحيوانات فيقول الدكتور بروس ايوالد من كلية كورنيل الطبية الامريكية :



الارانب داخل جهاز الاختبار المتحرك •

« ان نصف قطط نيويورك لا تلاقي المعاملة الانسانية ذاتها التي نمنحها نحن لحيواناتنا » .

ومهما يكن من امر فان العلماء بدأوا يعيدون النظر في بعض افتراضاتهم القديمة عن البحث الحيواني . ففي شهر اكتوبر الماضي دعا اتحاد للعلماء الامريكيين يتخذ من واشنطن مقرا له ، دعا الباحثين الى توجيه مزيد من العناية لحيواناتهم الامر الذي حدا ببعضهم الى الاقلاع عن تجاربهم بالرغم من ان اعترافهم بجدوى هذه التجارب . وقال الطبيب النفساني روجز اوليرخ من جامعة ميتشجان انه توقف عن اختباراته على الحيوانات لان ذلك يسبب له مرضا ويثير الما في نفسه . واضاف انه تخلى عن دراساته التي كان يجريها على الفئران حيث دأب على توجيه صعقات الكترونية الى زوجين من الفئران بهدف دفعها الى التقاتل .

وهناك حادث مميز وقع مؤخرا وأدى الى وضع الباحثين في موقف دفاعي . ففي شهر ديسمبر الماضي فرضت الحكومة الهندية وقف تصدير نوع من القرود الصغيرة قصيرة الذيل الى الولايات المتحدة لاجراء بحوث وتجارب علمية عليها . ويعود السبب في هذا الحظر الى اجراء سلسلة تجارب عسكرية كان يتم خلالها غمر هذه القرود في ماء درجة حرارته ١٩٠ فهرنهيت ، ومن ثم تعريضها لاشعاع شبيه بالاشعاع المنبعث من القنابل النيوترونية . وقال الهنود ان الدراسات والتجارب التي يقوم بها الباحثون الامريكيون على هذه الحيوانات تتعارض مع اتفاقية عام ١٩٥٥ التي نصت على وجوب استخدام هذا النوع من القرود في ابحاث طبية محضة واختبارات تتعلق بلقاح شلل الاطفال .

واذا ما تم وضع هذا الحظر موضع التنفيذ في المستقبل القريب ، فان اختبارات طب الاحياء الامريكية ستمنى بنكسة خطيرة ذلك ان العلماء يستخدمون اثني عشر الف قرد هندي صغير سنويا في معاملهم .. ويجرون عليها اختبارات اخرى واسعة النطاق تتفاوت ما بين دراسات تطور الجنين الى اختبار منتجات صابون جديدة . وكانت هذه الانواع من القرود تخضع في السابق لتجارب عديدة ومتنوعة من جانب العلماء الامريكيين ، اما اليوم فان الكثير منهم قد اقلع عن هذه التجارب واتجه الى الفئران باعتبارها افضل الحيوانات فهما واكثرها شعبية في المختبرات . ويستخدم الباحثون اكثر من خمسين مليون فار في السنة في تجارب تتعلق بوجه خاص حول معرفة صلاحية انواع جديدة من العقاقير الطبية .

ويفضل الباحثون في مجال الاوعية الدموية والقلب « الكلاب » لانه من السهولة بمكان قياس ضغط دمها . وعلماء النفس استخدموا لفترات طويلة القطط واخضعوها لدراساتهم المتعلقة بالرؤيا والدماغ ، في حين يرغب اطباء الامراض العصبية في التعامل مع « القضل » وهو حيوان من فصيلة الفار لانه يخضع بصورة طبيعية لحالات شبيهة بنوبات الصرع .

ويركز معارضو تشريح الاحياء لاغراض علمية هجومهم على الحالات التي يتم فيها ايذاء الحيوانات جسديا بدون مبرر لذلك ، وخاصة تلك التي يتم تكرار اختبار واحد عدة مرات .

وقد هاجم طبيب بيطري هو ميشيل فوكس عضو احدى الجمعيات الامريكية الخاصة بالرفق بالحيوان، هاجم كليات الطب في الجامعات وقال انه يجري في هذه الكليات تغذية الكلاب بمادة « الاستركنين » السامة وحقن الفئران بالاوبئة ، في حين يراقب الطلاب تاثير هذه المواد السامة والاوبئة عليها . مع العلم ان الاجابة على مثل هذه الامور موجودة في كتبهم المدرسية .

وهناك موضوع رئيسي آخر يركز عليه انصار الحيوان وهو محاربة التجارب التي تستهدف احداث الم بالحيوانات بغير مبرر . وتقوم المختبرات الصناعية باختبار المواد المطهرة « والشامبو » ومستحضرات التجميل التي تسبب تهيجا للعين على الارانب عن طريق حقن هذه المواد في قرنية العين الحساسة للارنب موضع الاختبار .

وبمعزل عن اهمية التجارب الجارية على الحيوان تبرز مشكلة فعالية هذه التجارب . فالعلماء الصناعيون والمستهلكون في شك متزايد من جدوى الدراسات المتعلقة بعلم السموم والتي يتم خلالها اعطاء الحيوانات كميات كبيرة من الغذاء الممزوج بمواد سامة لقياس حجم التهديد الذي تشكله هذه المواد على حياة الانسان . وقد احتلت هذه المسالة عناوين بارزة في الصحافة واجهزة الاعلام الامريكية الاخرى قبل سنة مضت عندما أعلنت ادارة الغذاء والعقار انها تتجه الى حظر تعاطي السكارين ، في اعقاب دراسات كندية كان يتم بموجبها اطعام فئران كميات كبيرة من السكارين وتبين فيما بعد



اختبار حساسية الصابون على جسد قرد هندى صغير قصير الذيل •

انها ادت الى اصابة هذه الفئران بمرض سرطان المثانة • وكان رد الفعل عنيفا جدا لذا سارع الكونجرس الامريكى فى شهر نوفمبر الماضى الى التصويت الى جانب تاجيل الحظر •

ويدافع الباحثون المتخصصون فى علم السموم عن مثل هذهالتجارب ، وهم يقولون ان المركبالذى يسبب السرطان فى الفار والحيوانات الاخرى يسبب هذا المرض ايضا فى بنى الانسان•ويعتقدون بان المادة المحدثة للسرطان قد تتجمع بكميات كبيرة اوصغيرة فى الجسم وبالرغم من ان كثيرا من العلماء مقتنعون بهذا القول الا انه مازال بدون برهان او دليل قطعى على صحته •

ويقول الدكتور ريتشارد جريسمار من المعهد الوطنى للسرطان : « ان البديل الوحيد للتجارب على الحيوان فيما يتعلق بالمادة المسببة للسرطان هو اجراء دراسات على بنى البشر فى مجال علم الاوبئة » ويضيف قائلا : « ان هذا البديل غير مرغوب فيه ، لان الشخص الذى يخضع للدراسة يجب ان يكون مصابا بالسرطان اولا • » .

وفى احد المختبرات بنيويورك وضع العلماء ارنبا كبيرا ابيض اللون داخل جهاز اختبار متحرك وادخلوا انبوبا معدنيا فى شريان ساقه الىالشريان الاورطى ومن ثم اداروا الجهاز الى الامام والخلف بسرعة فائقة • وقد سبب الاحتكاك اعطاب الجدار الداخلى للشريان الاورطى معززا بذلك الاحتمال القوى بوجود ترسبات دهنية هناك • ويخضع العلماء الارنب لنظام حمية عالى الكوليستيرول لمدة ستة اشهر ثم يقتلوه وبعد ذلك يخرجون قلبه ويفحصوه لمعرفة ما اذا كان هناك اثر لانسداد الشريان • ويعتبر هذا الاختبار نموذجا ممتازا لتقوية الشريان عند الانسان •

وفىجامعة ميتشجانوضع العلماء سعداناسيويا ضخما قصير الذيل فى داخل سيارة مثبتة على مزلجة متحركة وبعد ذلك اداروا المزلجة بسرعة اربعين ميلا فى الساعة ومن ثم اوقفوها فجاة مما ادى الى ارتطام السعدان فى الواجهة الامامية للسيارة • وعلى الفور قتلوه وفحصوه لمعرفة الاصابات الداخلية التى لحقت به • وجرى تحويل نتيجة الفحص الى المهندسين الذى يتولون تصميم سيارات اكثر امنا وسلامة •

ويدافع معظم العلماء عن تجاربهم قائلين ان جميع الاتهامات الموجهة ضدهم من قبل حركة حقوق الحيوان هى اما مبالغ فيها او غير صحيحة على الاطلاق •وهم يؤكدون ان التجارب غير الضرورية نادرة الحدوث لسبب بسيط هو ان تكاليف البحث الحيوانى باهظة (فتكلفه الاختبار الواحد على الارنب تبلغ عشرين دولارا ، والكلب ستين دولارا، والقرد الهندى الصغير اربعمائة دولار •) ويشددون فى الوقت نفسه على ان اعادة الاختبار فيه منفعة كبيرة للباحث والطالب على حد سواء•

ويتساءل الدكتور دينيس ستارك من جامعة روكفلر ما اذا كان بامكان جراح قلب ان يجرى عملية جديدة على شخص مالم يجرها من قبل على حيوان او انسان آخر • ويقول ان الباحث يرغب فى التعامل مع الحيوان بعيدا عن الانسان قدر المستطاع وانه لذلك يبدأ بالفئران والجرذان • ويفضل الرقابة الشديدة فان احداث المللحيوانات يتضاءل باستمرار ، وانه ليس من شك فى ان كثيرا من الباحثين يجرون تجاربهم على الحيوانات متوخين درجة جديدة من الحساسية • وتقوم عدة مختبرات فى الولايات المتحدة بتوليد سلالاتجديدة من القوارض منفصيلة الجرذانوالسناجيبوغيرها لتحل محل الحيوانات الاخرى باهظة الثمن •

وبوضوح فان المختبرات ستستمر فى استخدام اعداد كبيرة منالحيوانات للدراسةوالبحثالعلمى• ولكن بالرغم من التهديد الثلاثى الذى يواجهونه والمتمثل فى التكاليف المتزايدة والتشريع الواقى والنقد المتجدد فان الباحثين يبذلون عناية فائقة للتاكيد بان دراساتهم شرعية وانسانية • ■■

ترجمة : سمير جيوسى

■ تمتعت بقراءة المقال الذى نشره« العربى » فى عدد يونيو الماضى ، بقلم الطبيب الاديب : الدكتور سعيدعبده ، والذى دعا فيه الى اعادة النظر فى تعليم الطب فى وطننا العربى ،ومراجعة ممارساته مراجعة تمتد الى الجذور ٠

« لا زال قلب الدكتور سعيد عبدهقلب الثائر الذى خبرت بعض آثاره المنعشة .فيما انتجه فى العشرينات حتىالاربعينات من هذا القرن » ٠

سعيد عبده..

الطبيب والزجال والناقد المسرحى

بقلم : الدكتور على الراعى

وبعضنا يعرف الدكتور سعيد عبده عن طريق الباب الناجح الذى كانت تنشره له صحيفة اخبار اليوم القاهرية بعنوان : « خدعوك فقالوا » ، والذى كان سعيد عبده الطبيب يتولى فيه تفنيد بعض الاوهام التى تعلق بالاذهان حول بعض الامراض وطرق علاجها ٠ وقد ساعد هذا الباب على نشر الوعى الصحى بين عديد من القراء ٠ واستمر يؤدى هذه الخدمة سنوات طويلة ٠وهكذا كان سعيد عبده طبيبا ممارسا ، وداعية للطب الصحيح منذ تلك السنوات البعيدة ٠

وبعضنا ـ لا بد ـ قرأ قصص سعيد عبده الادبية ٠ فهو قصاص مرهف الحس ، ومجموعة القصص التى صدرت له منذ سنوات بعنوان : « هياكل فى الريف » تصوره فنانا حساسا ،تغلب عليه النزعة الى السخرية ، واستخدام المفارقات لاظهار ما فى حياة الريف المصرى من نواقص كثيرة ٠ فى البشر والمكان معا ٠

كذلك كتب سعيد عبده الزجل ، وبرز فى ميدانه ٠كما كان لفترة غير قصيرة الناقد المسرحى لمجلة مصرية سليطة اللسان اسمها : «الكشكول»، كانت اول ما توسع من مجلاتنا فى استخدام الكاريكاتير ، وما يتبعه من كلام لاذع ٠ وهو جو شاق كثيرا الاديب الشاب سعيد عبده ، فاقبل على عمله فى هذا الميدان وهو فى تمام حماسة العقلى والفنى ٠

وحول هاتين الناحيتين من نواحى نشاط سعيد عبده ، سيدور حديثى فى هذا المقال ٠

★ ★ ★

اول ما تعرفت على زجل سعيد عبده كان عن طريق مجلة روز اليوسف ، وهى الاخرى كانت واحدة من اشد المجلات المصرية الاسبوعية لذعا ، وانتقادا ، وتعرية للاوضاع السياسية ٠

وكان اول زجل قرأته للكاتب بعنوان : « فى البحر لم فتكم » ، وفيه سخر سعيد عبده من اسماعيل صدقى باشا ديكتاتور مصر فى اوائل الثلاثينات ، الذى حكم البلاد بالحديد والنار ، مستندا الى حراب المستعمرين الانجليز ، ووجه ضربات كثيرة الى الحركة الوطنية المصرية ،والى



الحركة العمالية بالذات ، وصب جام غضبه على حزب الوفد الذى كان يتزعمه مصطفى النحاس باشا ، لانه حزب الاغلبية • فعل صدقى باشا هذا كله بدعم من الانجليز وتحريض • فلما انتهى الرجل من اعماله القذرة هذه نبذه الانجليز بوصفه ورقة محروقة ، واستبدلوا به غيره – من وزراء الاقلية ، الذين كانوا دائما موضع رعاية الانجليز والقصر الملكى الاقطاعى •

وبالطبع شمت المصريون جميعا فى اسماعيل صدقى ، الذى كان قد اقنع نفسه بانه حاكم لن يستطيع احد ان يستغنى عنه : لا « البلاد » – أى بلاده هو ! ولا القصر ، ولا الانجليز•فلما هوى من حالق ، كتب سعيد عبده الموال التالى،فى الشماتة والزراية به ، وليلحظ القارىء ان الخطاب فى هذا الموال موجه من صدقى باشا الى اصدقائه الذين غدروا به من الانجليز :

فى البحر لم فتكم فى البر فتونى
بالتبر لم بعتكم بالتبن بعتونى !
انا كنت وردة فى بستانى قطفتونى
وكنت شمعة جوه البيت طفيتونى
لو عدت دى المره هاتو المر واسقونى

والطريف ان محمد عبدالوهاب ، لما قرا هذا الموال منشورا فى روز اليوسف ، قرر ان يغنيه بوصفه موالا غراميا ، وتجاهل الغرض الاساسى الذى كتبه سعيد عبده من اجله !

وفى اوائل الثلاثينات كانت حكومة مصر تستعد لافتتاح المحطة الرسمية للاذاعة ، بعد سنوات من فوضى الاذاعة ايام المحطات الاهلية • وكان هذا الافتتاح الوشيك يثير حفيظة اصحاب المحطات الاهلية – وكان بينهم يوسف وهبى،صاحب محطة رمسيس للاذاعة ، بينما يثير فى جماهير المستمعين ترقبا وتشوقا كبيرين • وكان بعض هؤلاء غير مستريح لتدخل الحكومة فى حقل الاذاعة، محتكرة الاثير ، خاصة وان امتياز انشاء وتشغيل الاذاعة الجديدة قد كان من نصيب شركة انجليزية هى شركة ماركونى ، وهذا ، بدوره ، زاد من حجم السخط الذى صاحب بدء الاذاعة المصرية الرسمية •

وكانت حكومة البلاد فى تلك الايام من نصيب السياسى الارستقراطى الرقيق المزاج ، عبدالفتاح باشا يحيى • وكانت وزارته تهتز بوضوح امامه ، وكرسيه هو كان اكثر الوزراء اهتزازا ، ومع ذلك ، فقد كان يطلع على الناس صبحا ومساء برد واحد حول مايوجه اليه من اسئلة عن مركز الوزارة • كان رئيس الوزراء الرقيق يقول : «لم تكن الوزارة فى يوم من الايام اقوى مما هى عليه الان • » وقد ظل يردد هذا القول حتى اصبح نكتة يتندر بها خصومه ثم غرقت سفينتهفىبحر السياسة المتلاطم وغرق هو معها فى بحر النسيان •

فى هذه الظروف ، كان افتتاح الاذاعة المصرية وشيكا ، فتخيل سعيد عبده كيف تكون برامج هذه الاذاعة الحكومية – الاذاعة الميرى – كما كانت تسمى آنذاك – وكتب الزجل التالى ، أورد بعضا منه فقط

المذيع :

ألو ، ألو ، راديو مصر الميرى بالعافية
سمعتم الان محاضرة فى الطبوغرافيا
وسمعتم ازاى كمان بلا قافية
طبخ محشى الخضار بالملوخية !

---

١ – كان المذيع فى المحطات الاهلية يستهل كلامه بلفظتى الو الو •

ألو ، ألـو : تسمعون الان : مموتني
أسمر • سمرمر ، وحتى الاهل فوتني
م الحاجة زينب، وممنوع حد يخوتني
من قبل ما تقول كمان:يا حلوة يا ريا
الاولى : ستوتة عبد البارى طالبهـا
قال متعرفش ليه الكهنة (٢) حباهـا
والثانية : طالبهـا عبد المطلب طـه
بدرب عجـور وبحـارة المناخلية

وتخيل سعيد عبده بعد ختام ، « المحاضرات » (٣) السالفة الذكر ، وانتهاء برنامج مايطلبه المستمعون،ان تلتفت المحطة الحكومية الى مصالحها الخاصة ، لتجعل المذيع يقول بعد ذلك ، مرددا شعار رئيس الوزراء :

ألو ،ألو ،عمر الوزارة ماكانت يوم فى ماضيها
اقوى واثبت من اليوم فى كراسيها ••• الخ

★ ★ ★

اما النقد المسرحي ، فقد كانت لسعيد عبده فيه صولات وجولات • وخاض في هذا الميدان معارك عنيفة وطريفة ، هذه احداها •

في اواخر عام ١٩٢٦ قامت معركة فنية بين سعيد عبده وبين محمود كامل المحامي ، الذى كان آنذاك اديبا شابا ، يسعى الى المشاركة في الحياة الادبية لبلاده ، عن طريق معرفته بالادب الفرنسي المعاصر كان يترجم هذا الادب ، او يمصره او يتأثر به • خاصة في قصصه القصيرة ، وفي روايته المعروفة : « حياة الظلام » •

وكانت مناسبة المعركة التي قامت بين الرجلين مسرحية بعنوان « الوحوش » كتبها محمود كامل ، وقدمتها فرقة رمسيس ، وقام يوسف وهبي بدور بارز • ولم تعجب المسرحية سعيد عبده ، فتناولها بالنقد اللاذع ، وهاجم عبرها فن الميلودراما الذى كان يكتسح خشبة المسرح المصرى فى تلك الايام ، اثر نجاح مسرحيتي انطون يزبك : « عاصفة في بيت » و « الدباغ » •

وكان سعيد عبده قد اعمل قلمه الحاد في جسم الميلودراما في مناسبة سابقة على هذه وفي مجلة الكشكول ايضا (١٥ اكتوبر ١٩٢٦) ، وذلك حين ذهب يشاهد مسرحية : « الصحراء » من تأليف يوسف وهبي ، فقال وهو يخلط الجد بالفكاهة : « غاب جحا عن اهله اعواما ، ثم عاد وقد برح به الشوق اليهم • فسأل اول من طالعه على مدرجة الطريق • قال : اهم جميعا بخير ؟ قال الرجل : نعم ، اللهم الا كلبك الامين • قال : ما خطبه ؟ قال اصابه سعر ، فعض اخاك فقتلوه • قال وما فعل الله باخي ؟ قال : هلك ، فماتت امك حزنا عليه • قال وارحتماه لوالدى المسكين • قال هون على نفسك ، فابوك قد اراحه الله من زمن ، فقد قتله الحزن على اخيه الذى ذبحه اللصوص • ولولا ان جحا المسكين ادرك غراب البين بضربة صرعته ، لزف له مصارع اهله اجمعين »

ثم واصل سعيد عبده نقد الميلودراما على المسرح المصرى ، واظهر ما فيها من مبالغات وفواجع تتراكم الواحدة فوق الاخرى ،وبين ان مؤلفيها مضطرون دائما الى زيادة كم الاثارة في مسرحياتهم ، لانهم يزايدون على زملائهم وعلى انفسهم ، في مواجهة رغبة متصلة مـن الجمهور لمزيد مـن الاثـارة • فالميلودراما بهذا الشكل فن زائف ، لا يمثل الحياة بما فيها من دموع وابتسـام ، واثرهـا مـؤقت ، وحياتها قصيـره ، فلـو صب الكتاب المسرحيـون مسرحياتهم في القالب الميلودرامى ، لانتهى المسرح المصرى الوليد قبل ان يولد •

في هذا الجو المشحون عرضت مسرحية محمود كامل : « الوحوش » فاستفزت سعيد عبده الى مزيد من التهكم والتعريض والفكاهة الشائكة ، بعد ان وجد فيها تحقيقا لما سبق ان سجله مـن تكالب المؤلفين على الميلودراما ، جريا وراء النجاح السريع • قال سعيد عبده في نقد المسرحية بعد ان ضغط حجمها ـ عامدا ـ الى درجة التسخيف :

« ابطال هذه الرواية سبعة • يمـوت احـدهم « الهى » ويموت الثاني خنقا • والرابع يقضى عليه بالموت في المستشفى والخامس يموت منتحرا والسادس امرأة هي ام امين افندى ، وهذه تموت بمرض القلب • وهناك رجل كان عشيقها ، وهذا الرجل مريض بالزهرى ، والطبيب الذى يعالجه

---

٢ ـ الكهنة ، او الكهينة في الدارجة المصريـة معناها : المرأة اللعوب •
٣ ـ كانت الاحاديث الاذاعية تسمى يومذاك : محاضرات •

لوجه الشيطان قد مات خنقا • وعندنا في الطب ان الزهري المزمن مع عدم العلاج يساوي الموت مضافا اليه التشويه والالام •

ثم يعرض الناقد لتكنيك المسرحية ، فيجد انه :

« لا يعدو سلسلة مقالاتتلقيها طائفة منالاشخاص تقف على خشبة المسرح • هذا يقول في اضرار الخمر ، وذلك في اضرار الكوكائين وثالث في شكوى الزمان ورابع في « وقال يمدح » (٤) ، وخامس في سفالة الاطباء ، وسادس في نذالة المحامين • ثم يكون جزاء هؤلاء الوعاظ الطيبين من كرم المؤلف ان يسلط عليهم عاملا من عوامل الدمار يؤزهم ازا ، فاذا المسرح قطعة من سهل واترلو ، واذا الستار كفن للخطباء اجمعين •

والتقط محمود كامل القفاز في العدد التالي من الكشكول في كلمة كتم فيها غيظه حتى قرب النهاية ، ودافع فيها عن مسرحيته على اساس ان سعيد عبده تعمد المبالغة في عدد الضحايا ، دون استناد الى احكام القانون ولا واقع المسرحيةذاتها• ثم قال :

« تتهمني بانني حشوت قصتي بالخطب عن الخمر والكوكائين والاطباء • وماذا افعل وانا انتمي في ذلك الى مدرسة مسرحية لها انصار يعدونبالملايين في كل انحاء العالم ؟ الم ياتك خبر المسرح المفيد الذي دعا اليه دوما الصغير ، والذي جعل من شرائطه ان يقدم الكاتب واعظا على المكشوف فوق خشبة المسرح ؟ الم ياتك خبر يوجين بريو ، مؤلف قصة « المسحور » ••والتي لم تكن الا خطبة ••عن كيفية الوقاية من الامراض السرية ؟ ••• انا لم اقل في يوم من الايام انني ساكتسح امثال برنشتين وباركر ، ولن يصل بي الادعاء الى هذا الحد • كل ما ارجوه ان يفهم النقاد ـ وكان الواجب ان يفهموا جيدا ـ ان برنشتينوباركر اذا جلسا ليكتبا فوراءهما ماض مسرحي مجيد وتطور تاريخي طويل عليه يعتمدون ومنه يستمدون الوحي • اما نحن فماذا وراءنا ؟ وراءنا الصحراء المترامية الاطراف»•

ولم يسكت سعيد عبده طبعا وانما رد الرد ذاته الذي يجمع بين الدعابة والوخز وشيء من الاساس الموضوعي لحملته على الميلودراما • قال : « لتكن يا صديقي تلميذا لدوما الصغير او دوما الكبير او دوما المتوسط • فهذا لا يعنيني ، ما دامت رائحة روايتك كريهة في انفي • هذه الاسماء التي تعبدونها •• كالهة او انصاف الهة لم يخلق الله أصحابها من طينة الزير ، وخلقنا نحن من طينة القلل •• انا لا ادين لهم بشيء اكثر مما ادين لك • فلا تحاول ان تستغل الموقف علىحساب هؤلاء • ان يكن الف دوما يخطبون على المسرح ، فهناك برنشتين وحده ، يملأ لك المسرح حياة • يعظك من حيث لا تشعر انه يعظك ، لا يترك زمام الحديث في يد ابطاله اكثر من ثوان ، معدودة ، يرغمك على ان تشهد روايته بشوق ، والا تفارقها ساما في نهاية الفصل الاول • فان لم يكن بد من تقديس احد ، فتعال معي يا صديقي نقدس هذا الرجل • ونقل فيه وناخذ عنه ما نشاء • اما ان ناخذ عن حسن افندي فائق ، مؤلف (مونولوج) شم الكوكائين ، فمسالة فيها نظر » •

ولم تنشر الكشكول بعد هذا شيئا عن هـذه المعركة الطريفة والمفيدة معا ، مما يحق لنا ان نستنتج معه ان محمود كامل قد بر بوعد كان قد قطعه على نفسه الا يرد على ما يوجه الى مسرحيته من نقد ، خيرا كان ام شرا • وهو الوعد الذي استثنى منه سعيد عبده ، ثقة منه في جدية الناقد وحسن مقصده •

هذا بعض من نشاط الطبيب والاديب والزجال والمناضل السياسي والناقد سعيد عبده • وانا اكتب هذا المقال وانا بعيد عنمكتبتي في القاهرة• ولو كانت هذه المكتبة متاحة لي ،لاستطعت ان اقدم تحليلا لقصص سعيد عبده ، ومزيدا من نماذج الزجل الطريف اللاذع الذي كان يكتبه ، مما كان خليقا بان يعطي الرجلبعضا مما يستحق منتقدير ، وعسى ان تسنح لي فرصة افضل كي اقدم سعيد عبده لقراء هذا الزمـان ، واتوجه لـه بالتحيـة والعرفان نيابة عن كل من قرأه ، فافاد علما ، واكتسب مسرة ، وانتصرت في داخله القيم المتقدمة التي كان يدعو لها سعيد عبده • ■■

د • علي الراعي

---

٤ ـ يسخر سعيد عبده هنا سخرية مزدوجة ، من المسرحية اولا ، ومن دروس المحفوظات الشعرية التي كانت تلقن النشء أبياتا من شعر المناسبات•

صفحة من الذكريات :

احمد الصافي النجفي

.. هكذا عرفته

بقلم الدكتور فيصل دبدوب

عـرفت الاسـتاذ احمـد الصافي النجفي في دمشق في اوائل الاربعينات بعد التحـاقي بكلية الطب في جامعتها ، ثـم تحول التعارف الى علاقة تلميذ بأستاذه ، ثم اصبحنا صديقين • وقبل ان اعرفه كنت اشاهد ـ وانا ذاهب الى الجامعة او عائد منها ـ رجلا اسمر اللون ، نحيف البنية ، يختلف في زيـه عـن الناس ، يسير الهوينى في شارع الصالحية او ساحة المرجة، يضع على رأسه الكوفية والعقـال ، وعلى كتفيه العباءة يلتف بهـا فوق القباء ، وينتعل الخف ، وبيده ، او تحت ابطه الكتاب ، متجها نحو مقـهى مـالك . أو هافانا ، او البرازيل ، يمشي الى وجهته دون ان يلتفت يمنة او يسرة ، كانه الرمح السمهري، فسالت عنه ، فقالوا : « انـه الشاعر احمد الصافي النجفي »، فتقت الى معرفته وبعد ان عرفته قلت لنفسي : ان هذا الشاعر ، ان تناساه الجيل العربي الحاضر فلسوف تعرف الاجيال العربيـة المتصاعدة قدره وترفع ذكره •



كان جلوسي الى الصافي في المقهى ، وكان يفضل العزلة فيه ، ان لم يجد صديقا يانس بالتحدث اليه ، وهكذا كما كان يفعل عندما ياوي الى غرفته في المدرسة الكاملية قرب الجامع الاموي ، لولا بطة كانت تؤنسه بقوقاتها وبالعطف عليها في عزلته في ماواه • أما ان جلس الى استاذ سمج من الناس ، فسرعان ما يتركه ـ لقضاء حاجة ـ على أن يعود اليه بعد قليل ، فيذهب ولا يعود ، وقد يترك المقهى مطلقا اذا ماأعاد ذلك الثقيل زيارته ، وقد وصف الزائر الثقيل بقصيدة مطلعها : ـ

لقد بلدت احساسي
فقم يامزعج الناس

ووصف عزلته بقوله :

اقضي حياتيَ مستلذا بعزلة
أمتع فيها النفس بالادب الجم
فلست لشخص بالكلام مقيدا
ولا لكلام شذ مني بمغتم
فيجري خيالي كيف شاء منظما
وفي الناس يجري دون قصد ولا نظم

أما اذا بقي الصافي منفردا بنفسه فسرعان ما يخرج مسبحته من جيبه يداعب حباتها باناملـه ويحملها شطرا من همومه •

ومسبحة حملتها الهم مجهدا
فسارت به حباتها وهي لاتدري
وارهقها العبء الثقيل فمثلت
لعيني أطفالا محدبة الظهر

ولئن ساعدك الحظ وجلست الى الصافي في مجلس من مجالسه الادبية ـ واطمان اليك ـ اذا لقد جلست الى معين لا ينضب من القريض والملح ، والنكت والمفارقات ، يرسل النكتة فيضحك لها قبل أن يضحك لها الحاضرون ، وان أنس منهم تجاوبا أرسل الثانية والثالثة وهكذا ، حتى ليكاد المرء من بينهم أن (ينفزر) من الضحك • وللاستاذ ذوقه العالي في التنكيت وفي اختيار النكتة وتصيدها•

جلسة المقهى

كثيرا ماكنت أشاهد الاستاذ أحمد في جلسة المقهى وقد استقر في جلسته ، والتف بعباءته ، وأرسل ذؤابتي كوفيته على عاتقيه ، ووضع نظارته على أرنبة أنفه ، وأصابعه تداعب حبات مسبحته، فيخاله الناظر اليه أنه يتطلع الى المارة ، في حين أنه ساه عن المقهى ومن فيه ، والشارع وما فيه، فكانه يتطلع الى خارطة للعالم العربي الممزق الاوصال آنذاك ، بنظرات حادقة قلقة تمرق من

نظارته مروق السهم ، كما كان يتطلع غاندي الى واقع الهند ، مفكرا في مصير بلده وقومه ، ولا عجب أن وضعت صورتي الصافي وغاندي في اطار واحد معا ذلك للتشابه الكائن بينهما في السيرة والصورة ، فغاندي مثل روح الهند وأماني الهنود، والصافي مثل روح الشاعر العربي الاصيل وأماني العرب•كلاهما زهد في الحياة •من أجل غاية أسمى من بهارج الحياة هي سعادة الانسان في وطنه ، وسعادة الوطن بوحدته ووحدة أبنائه وحريتهم ، وكلاهما فارق الحياة من طلق ناري من الانسان في وطنه وقومه الذين كرس لهم حياته ، فكانا معا من الشهداء •

صحبت الاستاذ مرة الى حفل اقيم بدمشق لاعانة ميتم(1) ووقف الشاعر الزركلي يلقي قصيدة بالمناسبة استهلها بآية من الذكر الحكيم ،فصفق له الحاضرون • وما أن انتهى الشاعر من قصيدته حتى التفت الصافي الي وقال (لا تصدق ، فان التصفيق لم يكن اعجابا بالقصيدة بل بالآية الكريمة ، فالتصفيق لله وليس للشاعر) والقى الاستاذ قصيدة مطلعها

أودى الردى بأبيه قبل فطامه
فحسى المذلة في حليب المرضع

وقد استهلها بقوله : (اليتم من أسباب العظمة، فالرسول كان يتيما وانا نشأت يتيما وما أزال يتيما) ثم بكى وهو يتطلع الى الايتام الصغار وقد اصطفوا أمامه ، وبعد أن انتهى من انشاده قال : وهو يفتح باب التبرع – ان اليتيم الكبير يتبرع بكل ما يملك للايتام الصغار وكان ما يملكه الصافي خمس ليرات سورية ، أي ما يعادل نصف دينار عراقي ثم انهالت التبرعات بعده بغزارة • وقد ذكرلي الاستاذ بعدئذ انه بكى آلامه حين كان صغيرا لما بكى على الايتام ، فانهلت العبرات منه بعامل الشعور الانساني الصادق المنبثق من معين التماثل في المعاناة ، وقال : « من ذكرياتي عن اليتم اني أجبرت على الاشتغال عاملا في البناء وانا يافع، فرفضت ثم أجبرت ، ثم فررت من العمل في منتصف النهار ، ومازال صاحب العمل مدينا لي باجر نصف نهار » • ان الصافي أحسن الى الشعر والادب ، والفرد والمجتمع في هذا القرار ، اذ لولا ذلك لكانت خسارتنا لا تعوض •

لقاء كل عصر

كان يتحلق حول الاستاذ الصافي في مجالسه الادبية نخبة من الادباء والمفكرين، وكانوا يجتمعون عصرا – في غالب الاحيان – في مقهى البرازيل اذ كان يفضله لخلوه من ازعاج البرد وصخب اللاعبين •

ومقهى موجع بالنرد راسي
يطير مدى الحياة له نعاسي
تعالى القرع من كل النواحي
كأني منه في سوق النحاس

ومن جلسائه بل من أصفيائه الكاتب الناقد رئيف الخوري ، وقد أبنه شاعرنا بعد موته بقصيدة عصماء تنم عن ما يكنه له من تقدير وحب عظيمين ، وهاك مطلعها :

رئيف نديمي كان طول حياته
تولاه حتف للطاف خطوف
لقد كان للاشعار ألطف سامع
فان قلت شعرا قلت:«أين رئيف؟»

ومنهم الدكتور عبدالوهاب حومد والاستاذ عمر أبو ريشة الشاعر كلما أمّ دمشق من حلب حيث يقيم ، ومنهم كذلك الاستاذ احمد الجندي – وله معه مداعبات شعرية طريفة تجدها في ديوانه «أشعة ملونة» والاساتذة فؤاد الشايب ونسيب الاختيار ويوسف العين – صاحب جريدة «ألفباء» آنذاك – وعمر الفاخوري الكاتب اللبناني ، والشاعر خليل مردم بك وكان لرئيف الخوري مع الاستاذ لقاءات أخر ،ظهرا حينا ومساء ومساء أحيانا ، في مطعم صغير يقع في بداية شارع بغداد قرب البرلمان يدعى مطعم السنيور الحاج عبدالغني ، و كان تناول الصافي الطعام فيه من قبيل التشجيع والمساعدة لصاحبه الذي قد بلغ من الفقر والكبر عتيا •

---

(١) دار للأيتام •

ومن ذكرياتي اني شاهدت الصافي في احدى الاماسي يطلب من صاحب المطعم أن يضرب له على العود ، فاجابه بانه مقطوع الوتر ، ثم الح عليه فعزف وغنى ، وبعد أن انتهى ارتجل الاستاذقصيدة سمعناها منه أنا ورئيف وصاحب المطعم ـ وكان يتذوق الادب ـ ، وهذه بعض أبياتها :

ومغن بالغ سن الكبر
ترعش الرجلان منه ان خطر
قلت اسمعنا على العود غنا
قال ان العود مقطوع الوتر
قلت غنى فكلانا مثله
قطعت أوتارنا كف القدر
فغدا ينشد لي أغنية
قطعت في عالم اللحن عمر

ومن الذكريات التي لن انساها حضور الاستاذ احمد الى مصح ظهر الباشق في مطلع الخمسينات، والمصح قرب مصيف بيت مرى ، يطل على بيروت والبحر ، ويشرف عليه الجبل الاشم ، وكان حضوره تلبية لدعوة تلقاها من صديقنا الدكتور وجيه الصباغ لالقاء قصائد ترفيهية على المرضى المصدورين، وكان أن جلسنا على مائدة الغداء الاستاذ النجفي والدكتور الصباغ والانسة «ليديا» مديرة المصح ومحامية من بيروت وانا ، وكانت الآنسة ليديا شابة في مقتبل العمر ، ذات ثقافة فرنسية عالية وجمال أنثوي عال ، تنظم الشعر بالفرنسية ، وتتذوق الشعر العربي ، وبعد أن انتهينا من الغناء والحديث ، طلب الاستاذ من الآنسة أن يلقي قصيدة في وصفها ـ فقد شاهدها ذات مرة في بيروت تسوق سيارة جميلة وبيديها أجمل منديل ـ فرحبت ، ثم صفقت ، ثم القى الاستاذ قصيدته فاصفقت ، ثم بدات بنقلها الى الفرنسية شعرا فاجادت ، وها أنا اقتطف منها هذه الابيات .

غانية فاقت على جيلها
وحق قرآني وانجيلها
ساقت أتمبيلا رفيقا لها
يجري رخاء وفق مأمور لها
أحبته فهي الروح حلت به
بلمس كفيها ومنديلها

تجربة في الزنزانة

ولما سالها الاستاذ السماح له بالقائها على المرضى لايناسهم بها ، والترفيه عنهم معا ،اجابته بالايجاب شريطة أن يستل منها هذا البيت

«تعلق القلب بها . فاغتدى
يحوم كالطير لتقبيلها »

ذلك من أجل حصانتها وحصانة المرضى منها حسبما ادعت . والقى الاستاذ قصائد ترفيهية على المرضى عصر ذلك اليوم ، وقبيل الغروب خرجنا الى نزهة على ربى لبنان المطلة على البحر ، نرصد الغروب ، الدكتور والاستاذ وأنا وبعد أن ودعنا الشمس في رحلتها ، طلب الاستاذ التوجه الى قرية قرب مصطاف بيت مرى ليهنىء عائلة هناك بمناسبة عيد الميلاد وكان ربها قد أحسن اليه في السجن الذي أودع فيه بامر من الاستعمار ـ بعد مشاركته جماهير بيروت المتظاهرة تاييدا للعراق في ثورته على المستعمر عام « ١٩٤١ م » .

وقد ذكرت ربة البيت بانهم كانوا يتحلقون حول الموقد مصغين الى احداهن تنشد لهن من قصائد الصافي قبيل زيارتنا لهم ، وان رب البيت لم يستمتع بسماع كل القصائد لأنه خرج لزيارة أصدقائه ومعايدتهم ، وقالت للاستاذ : « أنت ابن عمي رغم اختلافنا في الدين ، فانا قرشية صحيحة النسب » ، ثم قالت « ان الدم العربي هو الذي كان يدفعها على حث زوجها بالحاح للعناية بالاستاذ والترفيه عنه في سجنه » ـ اذ كان مديرا داخل السجن آنذاك فاجابها الصافي قائلا : « لولا زوجك لكنت في عداد الموتى ، ذلك لاني أودعت داخل غرفة داخل سجن لا أثاث فيها ولا نوافذ الا ما يدخله الباب الحديدي المشبك من هواء قليل وضوء ضئيل » . وكان الاستاذ حينذاك مصابا بالزحار الاميبي المدمن ، وصاحب هذا الداء بحاجة ماسة الى دورة المياة بين فترة واخرى قصيرة الامد ،لذا لا عجب أن كاد يغمى عليه في زنزانته من شدة العناء والقيء وقيود السجن وغلظة السجان ،قال الاستاذ وما أن علم زوجها « مدير السجن » بشخصيته واطلع

على ما يعانيه من دائه حتى استدعى له الطبيب فاخرجه من غيهب الزنزانة الى غرفته المضاءة وتنازل له عن سريره الوثير ، فلصاحب السجن فضل بهذا الصنيع على الصافي ، وعلى الشعر والادب في آن معا • ووصف الاستاذ محبسه هذا بقوله :

حبست وضاق الحبس بي حين زج بي
الى غرفة ظلماء محكمة السد

فقلت علام الحبس ؟ لا أنا سارق
ولا آثم عمدا ولا دون ماعمد

الى ان قال:

ولما رأيت الذنب خدمة موطني
حلا السجن حتى خلته جنة الخلد

مسير ام مخير

لئن اتفقت انت والصافي على موعد فيه تلتقيان في مكان ما بدمشق ، فقد يأخذك العجب حينما تقرأ في صحيفة أو مجلة ان الصافي في بيروت أو حلب أو حماة ،في نفس التاريخ المتفق عليه، وأنه القى قصيدة في حفل اقيم هناك ، ولكن سيزول عنك العجب فيما لو علمت بان الاستاذ كان يؤمن بان الانسان مسير لا مخير في كل الامور او في أمر المواعيد على اقل تقدير ، ولا أدري لعل ايمانه هذا كان لتبرير شطحاته في المواعيد •

لو تصفحت دواوين الصافي لوجدت فيها من اللوحات الفنية الشيء الكثير ، صور فيها المجتمع بكل ابعاده من زواياه الخاصة ، بخطوط وظلال ، فكانه الرسام الماهر يحمل الواحه واصباغه فيجلس في احضان الطبيعة او يقف على قارعة الطريق ، يصور ما استهواه من جمال أو قبح في الظاهر او الباطن ، في الناس او البيئة •لقد وفر الصافي لنا ولمن ياتي بعدنا في القابل من الاعصر ،الشيء الكثير من الجهد والعناء في تدوين تاريخنا المعاصر من حيث البيئة والمجتمع والفكر والعمران •

قال الصافي :

كل بشعري واجد نفسه
ففيه أسرار الورى مودعة

وقال كذلك :

فشعري مرآتي ولاتعب به
وهل تتعب المرآة من عكس اوضاع

أما ان سالتني عن منابع الافكار التي استقى منها شاعرنا فنهل ، لقلت بانه تاثر بالمعري وفلسفته، وبفلسفة الخيام الشبيهة بها ، وقد كان بثورته الفكرية في صغره أقرب الى المعري منه الى الخيام لان من طبيعة الفيلسوف العربي الثائر الزهد ، وهكذا زهد الصافي كما زهد المعري ، وما هكذا الخيام وذلك لاختلاف الارومة على ما ارى وقد اشار الصافي في مقدمته لرباعيات الخيام الى شيء من هذا بقوله :

أخيام قد أرسلت روحك هاديا
لروحي في اتقان هذي التراجم
فاني تلميذ لروحك في الأسى
امارسه من قبل حل التمائم
لئن نلت من بعد التشاؤم لذة
فما نلت من دنياى غير التشاؤم

اما لو سالني سائل عن اسلوب الصافي في شعره لاجبته بانه مرسل مسترسل ، وقد يبدو مهلهلا في بعض من قصائده ، وما ذلك من تقصير في الحياكة او ضعف في الاحتباك ، وانما لانصرافه الى المعاني واهتمامه بالصور والاخيلة والعواطف والافكار دون السربال ، فابراز معالم الصورة لديه اهم من نسج الارض وجمال الاطار •

الصورة والسيرة

مهما يكن من امر فليس بوسعي ان اقدم للقاريء صورة كاملة المعالم للصافي دون ان ادلف الى عقيدته الدينية فانظر اليها بمنظار دقيق اتتبع فيه مسيرته فيها من الصبا الى الشيخوخة كي اضيف ما اقف عليه من حقائق الى صورته وسيرته ، فالصورة والسيرة تتلازمان متشابكتين معا في حقيقة الأمر ذلك عندما نريد ان نجسد شخصية عظيم من العظماء فاستمع الى الاستاذ وهو يحدثني عن عقيدته بايجاز جوابا على سؤال وجهته اليه بهذا الخصوص قال : انا الان موفر عليك الجهد والزمن فاحدثك عن مسيرتي العقائدية بكلمات •آمنت في

صباى مقلدا ثم انقلبت فى شبابى شاكا على حافة الجحود ثم آمنت بعقلى وقلبى فى كهولتى ثم زدت ايمانا كلما دنوت من خريف عمرى الى شتائه وها انا الان ادلف الى شيخوختى بقلب مليء بالايمان، فمن بعد تيهى فى دروب الشك آمنت، والصراط المستقيم اهتديت ، وبالحمد والشكر اتوجه الى رب العالمين فى كل حين .

وهاك الشاهد على معالم مسيرته العقائدية من شعره ، قال فى الحيرة :

تعبت فى مفاوز الشك نفسى
هل يقين فى ظله تستريح
ما ارى هذه الطبيعة الا
أخرسا كل نطقه تلميح

الى ان قال :

كلمينى ثم اصعقينى كموسى
انا حسبى منك البيان الفصيح

وقال فى «المحيط الخادع» :

مافى محيطى جاذب يقتادنى
فاذا مشيت فمشيتى عن دافع
لى مانع عن ذكر آرائى كما
لى مانع عن ذكر ذاك المانع
ان كان جبار الزمان مصارعى
صارعت جبار الانام وكيف بى

ومن بعد وصوله الى ساحل الايمان ، بعد تيه فى خضم الشك ، قال فى « الله » :

كهولتى بالله قد آمنت
ضل شبابى ودعاواه
فان تجد ذا شيبة جاحدا
فقل الى الموت أحلناه
روح (المعرى) فى قد آمنت
فأبصرت فى الموت عيناه
عاشت بروحى روحه ترتقى
فمذ سمت لاح لها الله

الى ان قال :

رسالة الغفران لم تغتفر
للشعرا كفرا به فاهو
وجئت فى شعرى مستغفرا
عن (المعرى) وخطاياه

وبعد ..

فقد تعرفت على الاستاذ فى مطلع الاربعينات بدمشق، ثم كتبت عنه عام ١٩٤٧م فى مجلة الجزيرة الموصلية ، ثم زودنى فى صيف عام ١٩٧٣م بقصيدتين هما « طفولتى» و « الطفل الشيخ» فى آخر لقاء كان بيننا وكان ببيروت ، وقد ذكر لى الاستاذ انهما لم تنشرا حتى ذلك التاريخ ، وها انى اقدم احداهما وهى قصيدة طفولتى :

تعود بى الذكرى لعهد طفولتى
فأبصر طفلا فى التلاميذ وادعا
كأنى اراه الآن من خلف درجه
هزيلا حييا خافض الطرف خاشعا
به وحشة مستغرق فى خياله
اذا انصرفوا للعب شاركهم به
يخال اذا كلمته ليس سامعا
قليلا وولى للزوية قابعا
يفكر فى العابهم متفرجا
ويسرح فى حقل التفكر راتعا
فأغدو أكاد الانَ أنكر ما ارى
ويبدع ربى مبدعا وبدائعا
وأغدو أكاد الان أنكر ما أرى
واصبح فى بحر من الشك واقعا
رفاقى فى الكتاب حين يروننى
يرون عجيبا يصدم النفس رائعا
يقولون: «هذا كيف كان وكيف قد
غدا» فامتلوا غيظا وعضوا الاصابعا
لقد ابصروا بى آية لالههم
تصير كلا مؤمن النفس طائعا

فسلام على الصافى يوم ولد ، ويوم مات ، ويوم يبعث حيا . ■■

دمشق ـ د . **فيصل دبلوب**

« اذا لم تذق نفسك فرح الهزل ٠٠ كربها غم الجد »

ابو حيان التوحيدي: ضاحكا

بقلم: يعقوب افرام منصور

علق أبوحيان التوحيدي على فكاهة مجونيــــة اوردها في المجلد الاول من كتابه البصائر والذخائر فقال: اياك ان تعاف سماع هذه الاشياء المضروبة بالهزل، الجارية على السخف، فانك لو اضربت عنها جملة، لنقص فهمك وتبلد طبعك، ولا يفتق العقل شيء كتصفح امور الدنيا، ومعرفة خيرها وشرها، وعلانيتها وسرها ٠٠٠ فاجعل الاسترسال بها ذريعة الى احماضك (التخفيف والترفيه عن النفس) والانبساط فيها سلما الى جدك، فانك متى لم تذق نفسك فرح الهزل، كربها غم الجد٠٠

كان أبو حيان يشعر جيدا، بعد انغماسه في الجد، أن القارىء بات محتاجا الى الترفيه والنكتة والايناس، فيورد جملة من النوادر والطرائف والحكايات والنكات المنقولة والمسندة، ويستقيها من أي مصدر كانت: من الخاصة والمثقفين وذوي الرتب، او من العامة والصعاليك والطفيليين والحمقى، اذ المهم انها تخدم الغرض الذي ينشده الا وهو التفريج عن نفس القارىء واضحاكـه وادخال المسرة الى نفسه المكدودة بمضايقات الحياة وازماتها ومعاكساتها ٠ وقد يستطرد الى التبرير والتعليل لماما، كما فعل في الجزء الثاني مــن كتابه البصائر والذخائر عند اسهابه في شــرح طائفة كبيرة من الكلمات على وزن فعيل ٠

وتبريرات وتعليلات ابــي حيــان التوحيدي، في موضعها تماما، اذ ان علماء النفس والاطباء في هذا القرن، قد اجمعوا على ان للضحك تاثيرا قويا في حياة الفرد، لاعتقادهم أن البشاشة تكسو الوجه اشراقا وجمالا، وان المرح يؤثر في طباع الانسان وميوله، فيغدو أنيسا وديعا هادئا لطيف المعشر، وعلى النقيض من ذلك دائم العبوس: فاخلاقه تتصف بالضيق والانقباض، ويغلب على نفسه الاكتئاب والنفور٠اذ ليس كالضحك والفكاهة ما يبعث على اراحة الاعصاب، ويحول دون التشنج والتصلب اللذيـن يصيبان الاعصاب والشرايين والعضلات والقلب، فتضطرب وظائف اعضاء البدن، فتغيب البسمة عن المحيا ويبدو العبوس على الوجه، ويشعر بالمتاعب الجسمية والروحية ٠

العلاج بالضحك!

وهذا ماحمل عددا كبيرا من الاطباء في هذا الزمان على مداواة بعض الامراض والعلل بالوسائل الطبيعية التي تؤدي الى ارتياح النفس وتهدئة الخاطر، وبالتالي الى الابتسام والضحك، وهو ما يذكرني ببلدة ابيداوروس في بلاد الروم قديما وهي اليوم تدعى ابيدريف حيث شيد مسرح عظيم لاله الطب، وكان يؤمه كثير من المرضى لمعالجة اسقامهم وعللهم بوساطة اللهو والطرب والضحك ٠

وابوحيان، بعد كل ذلك صاحب كتابين باذخين في التراث والفكر العربيين، وهما: الاشارات الالهية و المقابسات والاخير يمتاز ـ بشكل خاص ـ برصانة الموضوعات ورزانة العلماء والفلاسفة وعمق المسائل وعويص القضايا التي كانت في الكتب ـ في اوانها ـ مدار الحوار ومثار الجدال والباعث على السؤال والاستعلام ٠ وجدير بالذكر في هذا الصدد، أن المقابسة الحادية والسبعين من كتاب « المقابسات » الرفيع الشان، هي ذات مساس بموضوع المقال، اذ هي تدور حول حقيقة الضحك ودوافعه، وهي جديرة بايرادها نصا ليقف القارىء على مدى رصانة الفكر بشان مسالة قصية جدا عن



الرزانة والجد ـ المتسم بهما الكتّاب ـ أعني الضحك الذي هو صنو الفكاهة والهزل :

غم من كان أعقل

سالت ابا سليمان عن الضحك : ماهو ؟ فاملى فقال :

الضحك قوة ناشئة بين قوتي النطق والحيوانية، وذلك انه حال للنفس باستطراق وارد عليها• وهذا المعنى متعلق بالنطق من جهة ، وذلك الاستطراق انما هو تعجب ، والتعجب هو طلب السبب والعلة للامر الوارد ، ومن جهة تتبع القوة الحيوانية عندما تنبعث من النفس ، فانها اما ان تتحرك الى داخل، واما الى خارج • فاما أن يكون دفعة فيحدث منها الغضب ، واما اولا واولا باعتدال فيحدث السرور والفرح • فاما أن تتحرك من خارج الى داخل دفعة فيحدث منها الخوف ، واما أولا فاولا فيحدث منها الاستهزال ، واما أن تتجاذب مرة الى داخل ،ومرة الى خارج ، فيحدث منها احوال احدثها الضحك عند تجاذب القوتين فى طلب السبب فيحكم ، مرة انه كذا ، ومرة انه ليس كذا ، ويسرى فى ذلك الروح حتى ينتهي الى الغضب فتحرك الحركتين المتضادتين ، وتعرض منه القهقهة في الوجه لكثرة الحواس ، ويعلو الغضب واحدا واحدا منها » •

أما مسائل « الهوامل والشوامل » للتوحيدي ومسكويه ، فهي لم تخل من طائفة تمت الى الموضوع بصلة ، منها المسالة الثامنة والسبعون ، وهي كيف يهون على بعض الناس أن يجعل نفسه ضحكة او مخنثا مغنيا لعابا ، ولعله من بيت ظاهر الشرف، وربما لم يعد عليه ذلك بنفع مادي ؟ والمسالة السابعة والثمانون ، وهي : ماعلة كثرة غم من كان اعقل • وقلة غم من كان أجهل في الافراد والاجناس؟ والمسالة الحادية بعد المئة ، وهي : قد نرى من يضحك من عجب يراه ويسمعه ، او يخطر على قلبه ، ثم ينظر اليه ناظر من بعد فيضحك لضحكه من غير أن يكون شركه فيما يضحك من اجله •

والمسالة الثالثة بعد المئة ، وهي : لم قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا ، ومافي حياتهم من الفائدة على الدين والدنيا ، وهل الذى قالوه حق؟ والمسالة التاسعة بعد المئة ، وهي : لم صار الناس يضحكون من السخرة والمضحك اذا لم يضحك اكثر من ضحكهم منه اذا ضحك ؟ وهذا عارض موجود في كل من الهاك ولم يضحك •

مع الامتاع والوانه

وينبغي هنا الاشارة الى كتاب الامتاع والمؤانسة لابي حيان ، المتميز بختام كل محاضرة بملحة • يطلبها الوزير ابو عبد الله بن سعدان الى التوحيدي قبل مبارحته مجلسه ، وقد وجدت فيه أن الليلة الثامنة عشرة قد كرست للهزل والفكاهة ، اذ قال له الوزير: « تعال حتى نجعل ليلتنا هذه مجونية ، وناخذ من الهزل بنصيب وافر ، فان الجد قد كدنا ، ونال من قوانا ، وملانا قبضا وكربا ، هات ماعندك » • ويسرد أبو حيان طائفة كبيرة من النوادر والحكايات يغلب على معظمها الابتذال والمجون الساقط ، حتى ان المرحوم احمد أمين ـ محقق الكتاب وشارحه ـ قد علق فى الهامش على ذلك قائلا : ويلاحظ أن المؤلف قد أتى فى هذه الليلة ببعض من المجون الساقط والنوادر المبتذلة ، ولولا الامانة العلمية والاخلاص للتاريخ لحذفنا اكثرها ، واكتفينا بما لطف ورق ولم ينب عنه الذوق •

وعلى من أراد أن يضحك ويروح عن نفسه بنوادر وملح التوحيدي ، عليه بالرجوع الى المجلدات الثلاثة من « البصائر والذخائر » •

■■

أنباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوي

الانتورين يصلح علاجا لامراض القلب

● ليس الغريب أن يكتشف العلماء عقارا جديدا .. ولكن الغريب حقا هو أن يكتشفوا استعمالا جديدا لعقار قديم لا سيما اذا كان هذا الاستعمال الجديد أبعد أثرا واكبر خطرا من الاستعمال القديم .

وهذا بالضبط هو ما حدث لعقار الانتورين Anturane الذى توزعه شركة سيبا — جايجى (فى ساميت فى نيو جرسى) وذلك منذ سنة ١٩٥٩ . فقد درج الاطباء على وصف هذا العقار لمعالجة مرض النقرس والتخلص من اعراضه، فهو يخفض نسبة حامض اليوريك (الحامض البولى) فى الدم ، ويحد من الالام التى تصيب الاطراف ، والتى تحدث تبعا لارتفاع تلك النسبة .

واتفق ان لاحظ بعض الاطباء ان الانتورين يفيد فى معالجة امراض القلب ، وتكررت الملاحظة فى اماكن مختلفة ، الامر الذى حدا بشركة سيبا — جايجى الى القيام بابحاث وتحقيقات واسعة النطاق كلفت باجرائها ، ٩٦ طبيبا فى ٢٦ مركزا طبيا فى الولايات المتحدة وكندا ، وذلك باشراف الدكتور سولز شرى Dr, Solsherry, وقد بلغت تكاليف تلك التجارب ٨ر٣ مليون دولار ونشرت نتائجها فى تقرير مفصل مجلة نيو انجلند الطبية .. (New England Journal of Medicine) .

وكان قوام تلك التجارب ١٤٧٥ من المصابين بامراض القلب الذى تطوعوا لاجراء التجارب عليهم .. وأعطى نصف اولئك المصابين (بالضبط ٧٣٣ منهم عقار الانتورين بمعدل ٤ مرات فى اليوم واعطى نصفهم الاخر (بالضبط ٧٤٢) العقار المألوف فى معالجة امراض القلب وهو البلاسيبو ، Placebo وكان المفروض ان تستمر هذه التجربة سنة كاملة . الا ان النتائج الباهرة ، بل المذهلة ، التى تكررت ، حملت شركة سيبا — جايجى على ايقاف التجارب بعد مضى ٨ شهور ونصف الشهر على مباشرتها .. وحسبك أن عدد الوفيات بين افراد الفئة الثانية بلغ ٤٤. فى حين ان عدد الوفيات بين افراد الفئة الاولى لم يزد على ٢٤ ويذكر هنا ان اسباب الوفاة فى تلك الحالات جميعا كانت امراض القلب ..

وتجدر الاشارة الى ان الذين يصابون بالسكتة القلبية بشتى صنوفها فى الولايات المتحدة يبلغ عددهم ١ر١ مليون نسمة سنويا . ويموت من هؤلاء ٧٠٠ر٠٠٠ نسمة على الفور او فى غضون اسبوع او اسبوعين من الاصابة . اما الباقون (٤٠٠ر٠٠٠) نسمة فيموت منهم ٤٧٠٠٠ فى غضون سنة .

من هنا كانت خطورة الانتورين وقد اثبتت التجارب قدرته على انقاذ حياة ما يزيد على ٣٥٠ر٠٠٠ نسمة ممن كان موتهم محققا..

اللوكيميا واحتمالات شفائها بالوصفات الشعبية

● من العقاقير الشعبية الجديرة بالاهتمام عصارة اليوفوربيا Euphorbia فهذه شجيرة منزلية تنتمى الى اسرة Euphobiacease ولطالما لجأ الناس الى هذه

العصارة فى معالجة الثاليل والاورام الخبيثة ، منذ أيام ابقراط ، كما يقول الدكتور كوبشان Dr.S.M. Kupchan احد كبار اساتذة جامعة فرجينيا فى الولايات المتحدة .

فقد تحدث هذا العالم عن هذه النباتات بشيء من التفصيل فى مقال نشرته له مجلة سيانس Science المعروفة .. وتحدث فيه ايضا عن التجارب والابحاث التى اجراها هووفريق من زملائه العلماء .

واكدت تلك التجارب فاعلية عصارة اليوفوربيا ضد اللوكيميا او سرطان الدم . الا انها وقفت فى ذلك عند الفئران .. اذ لابد من التاكد من خلوها من الآثار الجانبية التي قد تكون خطرة او ضارة بصحة الانسان ، قبل تجريتها عمليا بقصد التاكد من اثرها الفعال فى معالجة لوكيميا الانسان .

ونجح الدكتور كوبشان وصحبه في عزل المواد الفعالة فى بعض اعضاء الاسرةالنباتية التى ذكرنا .. فوجدوا ان المادة الفعالة في اليوفوربيا اسولا Euphorbia Esula هى Diterpenoid diester وقد ثبتت فاعليتها ضد عدد من امراض السرطان ، التى تصيب الفئران ..



جهاز ناطق ..

يسمع المكفوفين مايريدون قراءته

● كثرت الاجهزة التي ابتكرها العلماء في المدة الاخيرة لتكون عونا للمكفوفين .. ولعل في هذا الجهاز الذى اوشك على اجتياز المرحلة التجريبية بنجاح ـ لعل فيه ما يميزه على سائر الاجهزة التي صنعوها لصالح الضرير . ذلك ان مهمة هذا الجهاز هي النطق .. وتحويل الكلمات المكتوبة على صفحة ما الى كلمات مقروءة يسمعها الضرير باذنيه .. فليس على الضرير الا ان يلمس باصبعه ما يريد ان يقرأ ليسمع باذنه صوتا اليا ، يتلو عليه او يقرأ له ما لمسه باصبعه من كلمات والصوت الذى يحدثه الجهاز انى كصوت الرجل الانفي Nasla ، ولكنه واضح .

ولا يعرف كيف يقوم هذا الجهاز بعمله .. وحسبك قدرته على تحويل الحروف المطبوعة المعدة لقراءة المكفوفين ، الى اهتزازات صوتية وكلمات مسموعة .. فهو اذن يشبه من قريب او من بعيد الاجهزة التي تحول الاشارات والرموز البرقية الى كلمات مقروءة او مسموعة مكتوبة Telepainter Telex وقد شاعت هذه الاجهزة وعمت فى المدة الاخيرة . ولو ذكرنا ان الجهاز القارىء هذا يمكن الضرير من القراءة بسرعة ، ٢٠٠ كلمة فى الدقيقة الواحدة ، لأدركنا مدى الفائدة التى يستطيع اتاحتها للمكفوفين .. ناهيك بالمتعة . وهكذا يمكن ان تصبح حياة الضرير نعمة وبهجة وقد كانت فى الغالب عبثا ونقمة .

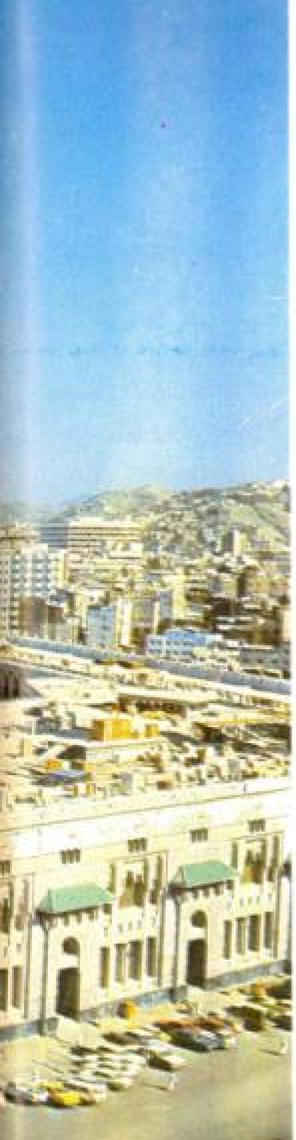
« شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن »

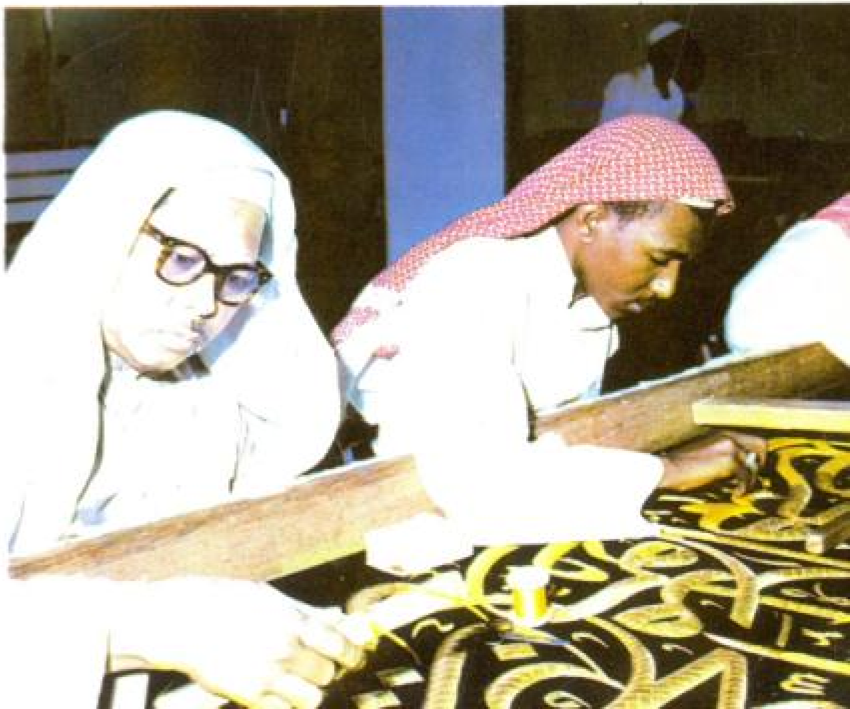
هـذه هى مكـة : أم القرى وأم المدن !

استطلاع بقلم : مصطفى نبيل تصوير : عبدالناصر شقرة

السعودية ترتبط في أذهان الجميع بالكعبة في الوادى المقدس ، وبالذهب الاسود في حقول النفط . وفي الماضي والحاضر والمستقبل ، سيظل اسم مكة مرتبطا بالكعبة ، التي عندها تلتقي عيون ملايين المسلمين في انحاء الارض ، خمس مرات كل يوم .

ورغم ان نصيب الحج في مكة اضعاف اضعاف نصيب الصوم في هذا البلد الامين ، لكننا ننسى - بينما عيوننا وقلوبنا مشدودة الى مشهد الحج العظيم - ان القرآن الكريم انزل على النبى محمد عليه السلام في مكة وان هذا الحدث الهائل تم في شهر رمضان المبارك .





كسوة الكعبة ، خلال نسيج
جلاله ، سبحان الله وبحمده ،
بالذهب ، ويستهلك الحزام
صورة عامة للمسجد الحرام ،
وعمارات لتستوعب الاعداد
(الصورة الى اعلا) .



خيوطها ، ويتكون ثوب الكعبة من الحرير الصافي وينقش عليه عبارات : لا اله الا الله محمد رسول الله ، إلله جل
سبحان الله العظيم ، أما الحزام وستارة باب الكعبة فيكتب عليهما آيات قرآنية مغطاة بسلك فضي مطلي
والستارة ١٢٠ كيلو من هذه الاسلاك والحزام يبلغ محيطه ٤٥ مترا وعرضه ٩٥ سم ٠(**الصورة الي اليمين**) ٠
مسجد ضخم يصل ارتفاعه الي حوالى ٢٤ مترا ، تحيط به الساحات من كل جانب ،والمباني الشاهقة من فنادق
الكبيرة من الحجاج الذين يصرون على ان يكونوا الي جوار المسجد الحرام، والمسجد وما حوله تحيطه الجبال ٠

■ ترتكز الحياة في العربية السعودية على محورين :

الكعبة في الوادي المقدس ، والذهب الاسود في حقول النفط ..

وهذا حديث عن البلد الامين ..

وهو حديث يحتاج الى قدر كبير من الجرأة ، لانه يدور حول اقدس مكان لدى المسلمين ، فهل يستطيع هذا الحديث الوصول الى مستوى هذه القداسة ؟ .

البلد الامين رمز يلفه جو مشحون بعطر الاسلام، وعبق التاريخ ، وجهاد المسلمين الاوائل ، ورائحة الاستشهاد .. وانت في كل درب في مكة وامام كل بناية ، وعلى بطاحها وبين شعابها ، تقف امام قطعة غالية من التاريخ . ونداء مكة دائما غلاب ، ينفذ الى أعماق الوجدان مختلطا باصداء الحج وصوت الدعوات .

تجولت بين مقدساتها ، وغصت في العديد من الكتب التي روت عنها ، واستمعت الى اهلها لاقدم هذا التحقيق . فاهل مكة أدرى بشعابها ..

لكي تصل الى مكة بالطائرة أو الباخرة لا بد أن تمر بميناء جدة ، فمكة وجدة يترابطان كالرأس والجسم ، وتقع جدة عند منتصف ساحل البحر الاحمر وبينها وبين مكة ٩٠ كيلو مترا ، نمضي على طريق جدة ـ مكة الذي تقام في أوله المصانع والمخازن والورش ليعكس حركة البناء والتشييد الهائلة التي تشهدها السعودية ، ولقد أقيم الطريق المعبد فوق أودية وكثبان رملية ، تتجاوز المباني وتدخل الى صحراء لا ترى لها نهاية وليس بها غصن أخضر ، وعلى الجانبين رمال محرقة وحجارة سوداء كانها بقايا براكين ..

قرب نهاية الطريق تصل الى بلدة « الشميسي » او الحديبية على عهد رسول الله، المكان الذيعقد فيه صلح الحديبية المشهور والذي اكسب المسلمين شرعيتهم بعد معاناة وجهاد طويل ..

وكلما اقتربت السيارة من مكة سبقها خيالي يرسم صورة دقيقة لام القرى ، الوانها وظلالها ما ترسب في الوجدان من مطالعات في التراث العربي والاسلامي ، لهذه البقعة الضيقة من الارض جلال كبير ومهابة ومكانة خاصة ، فالبلد الامين بلا مغالاة هو مستودع التراث الاسلامي ، واتذكر قول الرسول العظيم عندما خرج من مكة مهاجرا « اني لاعلم انك احب البلاد الي ، وانك احب أرض الله الى الله ، ولولا انني اخرجت منك ما خرجت ». واذكر قول السيدة عائشة .. « لولا الهجرة لسكنت مكة ، فاني لم أر السماء اقرب الى الارض مثل مكة ، ولم يطمئن قلبي ببلد قط ما اطمان بمكة ، ولم ار القمر بمكان احسن منه بمكة » كلمات تعكس الشعور الجارف بحب البلدة التي شهدت طفولتها وصباها ، وهذا اجمل ما يقال تشوقا للوطن .

وهذه البقعة من الارض هي معقل العروبة وخطها الاخير ، وهذا رسول الله يقول « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، وهو يأرز بين المسجدين ـ المسجد الحرام في مكة والمسجد النبوي في المدينة ـ كما تأرز الحية في جحرها .. » فهنا مهد الاسلام الاول ، ومعقله الاعظم ، وسياجه في جزيرة العرب ، واذا كان هناك ثمة شبهة خلاف بين العروبة والاسلام فلا وجود لهذه الشبهة هنا ، فنحن هنا امام معقل العروبة والاسلام معا » .

كسوة الكعبة ..

ظلت تلك الصور تتسارع بينما السيارة تقترب من اعلام مكة ـ التي تحدد المنطقة الحرام ـ وعرجت في منطقة الشميسي على مصنع لتعبئة مياه عين زبيدة في قوارير على اسس علمية ، وبعد الاعلام زرت مصنع كسوة الكعبة الشريفة ، ولان عاصمة الاسلام الاولى تهيمن عليها الكعبة الشريفة ، قام هذا المصنع ليمد الكعبة بالكسوة سنويا ، وهو تقليد قديم يقوم به المسلمون منذ الفتح الاسلامي، وكان موكب الحج المصري الى عهد قريب يحمل الكسوة في موكب مشهود يسمى « المحمل » سنويا، وللمستشرق الاوروبي لين وصف دقيق له .. قال .. ان الموكب المصري كان يغادر القاهرة في آخر اسبوع من شوال ، فيصل الى مكة في سبعة وثلاثين يوما ، بعد ان يسير على طول الساحل البحري ، ويخرج من القاهرة متجها الى الشمال حتى احد موانيء البحر الاحمر المواجهة لميناء جدة ، وهو ذات الطريق الذي سلكه الرحالة المغربي ابن جبير ، وايضا الطريق الذي وصفه البتنوني في مؤلفه الرحلة الحجازية ، وكان وصول المحمل المصري يعد بمثابة حدث هام بالنسبة لاهالي مكة ، فكانوا يستقبلونه بالعديد من مظاهر الترحيب .. »

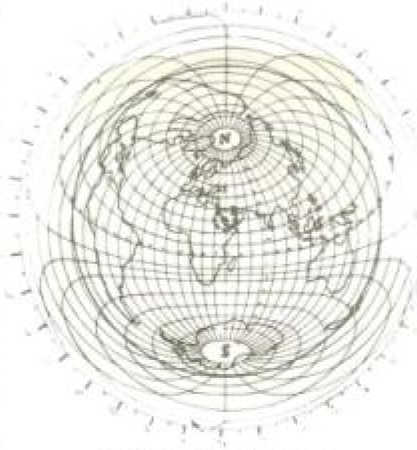
ويصف لين الكسوة بقوله ... انها كانت تتالف من نسيج حريري مشجر ذي لون اسود حيكت فيه الشهادة وعلى ارتفاع الكسوة يدور حزام مطرز بالذهب المغطى بايات قرانية وكان اول حاكم مصري يسعى الى كسوة الكعبة بعد انقضاء دولة العباسيين هو الظاهر بيبرس ..

اما الان فيقوم هذا المصنع بانتاج الكسوة التي تتجدد سنويا في احتفال كبير . يقول عبدالرحيم الامين الخطاط والمدير الفني لمصنع الكسوة :يتكون ثوب الكعبة من الحرير الصافي . وينقش عليه عبارات : لا اله الا الله محمد رسول الله . الله جل جلاله . سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . . اما الحزام وستارة باب الكعبة فيكتب عليهما ايات قرانية مغطاة بسلك فضي مطلي بالذهب . ويستهلك الحزام والستارة ١٢٠ كيلو من الاسلاك الفضية المطلية بالذهب . والحزام يبلغ محيطه ٤٥ مترا وعرضه ٩٥ سم .

واد غير ذي زرع ..

يلوح الوادي المقدس من بعيد .. نحن على مشارف الفردوس الارضي . نقترب من البلد الامين وغلالة من البهاء والرونق تلقي بظلها على المكان . واحساس جارف بالصحراء بالبساطة التي تدعو الى التفكير والتامل . المسلمون في كل انحاء الارض تهفو قلوبهم الى هذا المكان . ويهزهم الحنين الى البلد الامين . تلك البلدة التي يولون وجوههم شطر كعبتها في صلواتهم . ان هذه الرحلة تثير في النفس من الاحاسيس والصور الشعرية والفنية ما لا تثيره رحلة اخرى ..

كل هذه المكانة لواد غير ذي زرع . مجرد من كل زخارف الطبيعة . تكاد تكون أجرد بلدة عرفها البشر . واقحل بقعة رأتها العين . ولكنها فردوس العبادة.انه واد تحيط به جبال جرداء. صخرية صماء قاتمة اللون . ليس في شعابها اشجار ولا انهار ولا مروج تلطف من حرارتها فارتفاعها عن سطح البحر لا يتجاوز المائة متر . والحماية الطبيعية في الوادي تجعلها مسورة طبيعيا . وهي كنواة دينية تجذب حولها العديد من الوظائف . كالتجارة والخدمات وتنتعش بها حرفة الضيافة والفنادق ويتركز النشاط حول حركة الحجاج والمسجد الحرام .. تقود الطرق جميعها الى مركز البلدة



دراسة تثبت أن مكة مركز اليابسة

قام الدكتور حسين كمال الدين استاذ المساحة بدراسة أثبت خلالها ان مكة هي مركز الكرة الارضية . وكان هدفه في البداية الوصول الى وسيلة تساعد اي مسلم في أي مكان على تحديد مكان القبلة. الا انه توصل أثناء بحثه الى ما يشبه النظرية الجغرافية بان مكة هي مركز لدائرة تمر باطراف جميع القارات . فقد اتجه الى رسم خريطة للكرة الارضية تحدد عليها اتجاهات القبلة . فبعد أن رسم خريطة تحسب أبعاد كل الاماكن على القارات الستة وموضعها من مدينة مكة ، ثم أوصل بين خطوط الطول المتساوية مع بعضها ليعرف كيف يكون اسقاط خطوط الطول وخطوط العرض ، فتبين له أن مكة هي بؤرة هذه الخطوط . ثم رسم خطوط القارات وسائر التفاصيل على هذه الشبكة . واستعان في بحثه بالعقل الالكتروني لتحديد المسافات والانحرافات المطلوبة . ولاحظ انه يستطيع أن يرسم دائرة يكون مركزها مكة وحدودها خارج القارات الارضية . ومحيطها يدور مع حدود القارات الخارجية . وتوصل من نظريته الى مغزى الحكمة الالهية في اختيار مكة مكانا لبيت الله ..

ونواتها ، الى المسجد الحرام ، وكما وصفها احد المهندسين الشبان الوادي والجبال من حوله كوردة من الجبال ، وكما وصفها بيرتون ·· « مكة اشبه بواد متموج متعرج يمتد فوق احدى الهضاب »

المسجد الحرام

نقف امام المسجد الحرام ·· ، مسجد ضخم شاهق يصل ارتفاعه الى حوالى ٢٤ مترا ، تحيط به الساحات من كل جانب ، ويقع في قعر الوادي ، فلا تظهر الكعبة المشرفة للواقف خارج المسجد ، اعداد كبيرة من الحمام يلتقط الحب حوله وفي الساحات،تحيطه مبان شاهقة من فنادق وعمارات ، لتستوعب الاعداد الكبيرة من الحجاج الذين يصرون على ان يكونوا الى جواره ويصلون الصلوات الخمس داخله ··

عمارة المسجد الحرام تشبه عمارة مساجد القاهرة ومساجد تركيا ، وواجهته من الرخام المائل الى البياض · تاريخ المسجد الحرام مسجل على مر العصور ، في صدر الاسلام كانت الكعبة يحيطها

لقطة من داخل المسجد ، ويظهر فيها المبنى القديم والى جواره التوسعة الحديثة·





مقام ابراهيم المصنوع من الذهب الخالص
والقائم في ساحة المسجد الى جوار الكعبة ·

تنتشر المكتبات في أم القرى · وتضم العديد
من الكتب القديمة وبعض المخطوطات ·



جدار اقل من القامة وغير مسقوف ، وكان الناس يجلسون حوله ، ولم يفكر احد من خلفاء المسلمين في زينته ، ولم يزد « عمر » سوى ضمه الى المسجد بعض المنازل بعد هدمها ، واقام جدارا لا يرتفع الى قامة الرجل ، ووضع على الجدار مصابيح تضيء المكان للذين يصلون العشاء ..

ولكن بنى امية الذين اتصلوا باهل البلاد التى دخلت في الاسلام ، وشاهدوا العناية الفائقة بالعمارة وزينتها اخذوا يعملون على تطوير عمارة المسجد الحرام ، فامر عبدالملك بن مروان عام ٧٥ هـ برفع جدرانه وسقفه بخشب الساج الداكن اللون،وجعل على رأس كل اسطوانة خمسين مثقالا من الذهب ، واضاف الوليد بن عبدالملك توسعة جديدة للمسجد الحرام ، وزخرف الساج الذي سقف به وزين جدرانه بالرخام وجعل على رأسها صفائح من النحاس ، وزخرف اعلى ابواب المسجد بالفسيفساء ..

وقام بنو العباس بالسير على نفس النهج فزاد ثاني خلفائهم ابو جعفر المنصور في المسجد الحرام وجعله ضعف ما كان عليه وزينه بالذهب وانواع النقوش ، وبنى له لاول مرة المئذنة ، وكانت الكعبة في جانب من المسجد لان ما اضافه عمر كان يتجه الى الناحية التى لا يخشى انحدار السيل اليها ، فاراد ان تكون في وسطه ..

وبعد العباسيين كانت مصر اكثر البلاد الاسلامية حرصا على عمارة الاماكن الاسلامية المقدسة واكثرها سخاء ، ومع ما كان من انتقال الخلافة من مصر الى استانبول الا ان السلطان سليم امر حاكم مصر والمهندس سنان بالقيام بتجديد المسجد الحرام . فانفقت مصر على هذه العمارة خمسة وخمسين الفا من الجنيهات مضافا اليها الف من الذهب الابريز ، وكان ارتفاع المسجد اقل من ارتفاع الكعبة ، وبالتالي كانت الكعبة ظاهرة من اى نقطة في مكة ومع توالي الايام اخذ المسجد يضيق عن استيعاب الاعداد الكبيرة من الحجاج والمعتمرين ، وخاصة بعد ان كثرت المنازل حول الحرم واصبحت ملاصقة له مما جعل الطرق المؤدية اليه ازقة ضيقة ، وكان من الضروري ان يشهد ذلك التوسع الذي بدأ مع نهاية عام ١٩٥٥ ومن ميزاته الحفاظ على عمارة وطراز المسجد القديم ، وجاءت كاضافة وتكملة له ، فكانت مساحة المسجد الحرام ١٢٧ الف متر فاصبحت ١٨٠ الف متر ، وغطيت جدرانه واعمدته وارضيته بالرخام والمرمر ، وقد اشرف على العمارة الجديدة المهندس المصرى مصطفى فهمي ، وكان ابرز ما في العمارة الجديدة نظام هندسي متقن لتلقي السيول وصرفها دون تاثير على مبنى المسجد الحرام ..

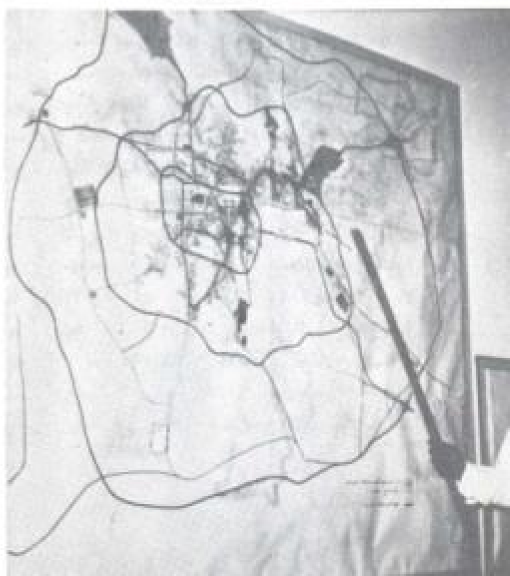
وخلال عمليات البناء في عمارة المسجد الحرام ظهر في بناء الكعبة الشريفة تصدع في بعض الجدران نتيجة تاكل الاخشاب التي تحمل السقف، والتي كان آخر ترميم لها منذ حوالى ستمائة عام، فجددت الكعبة ورممت ..

مبنى الكعبة

يتوسط مبنى الكعبة المسجد الحرام ، والصورة التى تراها عليها دائما هى طواف الحجاج والمعتمرين حولها بملابس الاحرام،وفي كل الاوقات يتعلق باستارها الداعون الى الله وطالبو الغفران والرحمة ..

والمبنى على شكل مكعب طوله ٤٠ قدما وعرضه ٣٥ وارتفاعه ٥٠ يتكون من حجر رمادى اللون جلب من الجبال المحيطة بمكة ، وتقوم الكعبة فوق قاعدة من المرمر يبلغ ارتفاعها عشر بوصات ، والخطوط الاربعة التي ترسم من مركز الكعبة بامتداد الاركان تصل الى الجهات الاصلية الاربع..

وتتفق كل المصادر التاريخية والدينية على ان باني الكعبة هو ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل ،



المخطط الجديد لمكة المكرمة ، ويظهر خلاله الطرق الدائرية الثلاث ، ومركزها الكعبة الشريفة .



منذ القرون الوسطى وحتى بداية هذا القرن كانت قافلة الحج تخرج من القاهرة ودمشق في موكب يسمى بالمحمل ، في احتفال ضخم ، والصورة لاستقبال المحمل قديما في احدى شوارع مكة .

وتتفق هذه المصادر ايضا على اعادة بناء قريش للكعبة بعد ان طغى عليها السيل ووهنت جدرانها. فلما بلغ القوم مكان الحجر الاسود اختلفوا وكادت تنشب الحرب بينهم ، واحتكموا الى اول داخل من باب الصفا ، ودخل محمد الامين من هذا الباب وحكم بينهم بان وضع الحجر على ثوب رفعه ممثلو القبائل المختلفة من اطرافه ، ورفع محمد الحجر ووضعه مكانه من البناء وقد استفادت قريش من اخشاب سفينة الريقية غارقة بالقرب من ساحل جدة كانت في طريقها من مصر الى الحبشة ، وادت مساهمة نجار مصرى كان موجودا في مكة الى جعلها اوسع ، وان يشيد بابها بمستوى مرتفع عن الارض لئلا يتسرب اليها مياه السيول ..

وينعكس التاريخ الاسلامى على الكعبة ، فعندما قامت الفتن بعد مقتل عثمان استقل بنو امية بالخلافة وجعلوا دمشق عاصمة لهم ، وتولى الخلافة يزيد بن معاوية وقاومه عبدالله بن الزبير فى مكة فجهز يزيد جيشا لاخضاعه ، وعندما لجأ ابن الزبير ورجاله الى الحرم رمى جند يزيد الكعبة بعشرة الاف حجر من المنجنيق ، وعاد الجيش الى الشام بعد علمه بنعي يزيد بن معاوية .. وبدأ عبدالله بن الزبير في اصلاح البيت الحرام فأعاد بناءه عام ٦٥هـ ،وقد ظلت على بناء ابن الزبير حتى عام ١٠٤٠ هجرية ١٦٣٠ ميلادية عندما هطلت السيول الغزيرة بمكة فتصدع بناؤها ، فأعاد بناؤها جماعة من المهندسين المصريين بعد ان اخذوا من مصر جميع ما يلزم لهذه العمارة ، وانفق عليها ستة عشر ألفا من الجنيهات ، هذا البناء هو بناء البيت القائم حتى اليوم ..

السيول في مكة

لاحظنا ان سيول مكة كانت بعدا دائما في تطورات عمارة الكعبة والمسجد الحرام .. ويرد الى هذه السيول غياب الاثار الاسلامية ، وقد رأيت فداحة هذه السيول في احدى رحلاتي من جده الى مكة حينما اغلق الطريق لقوة السيول التي دفعت عددا من السيارات براكبيها ، وتسببت في حوادث اليمة .

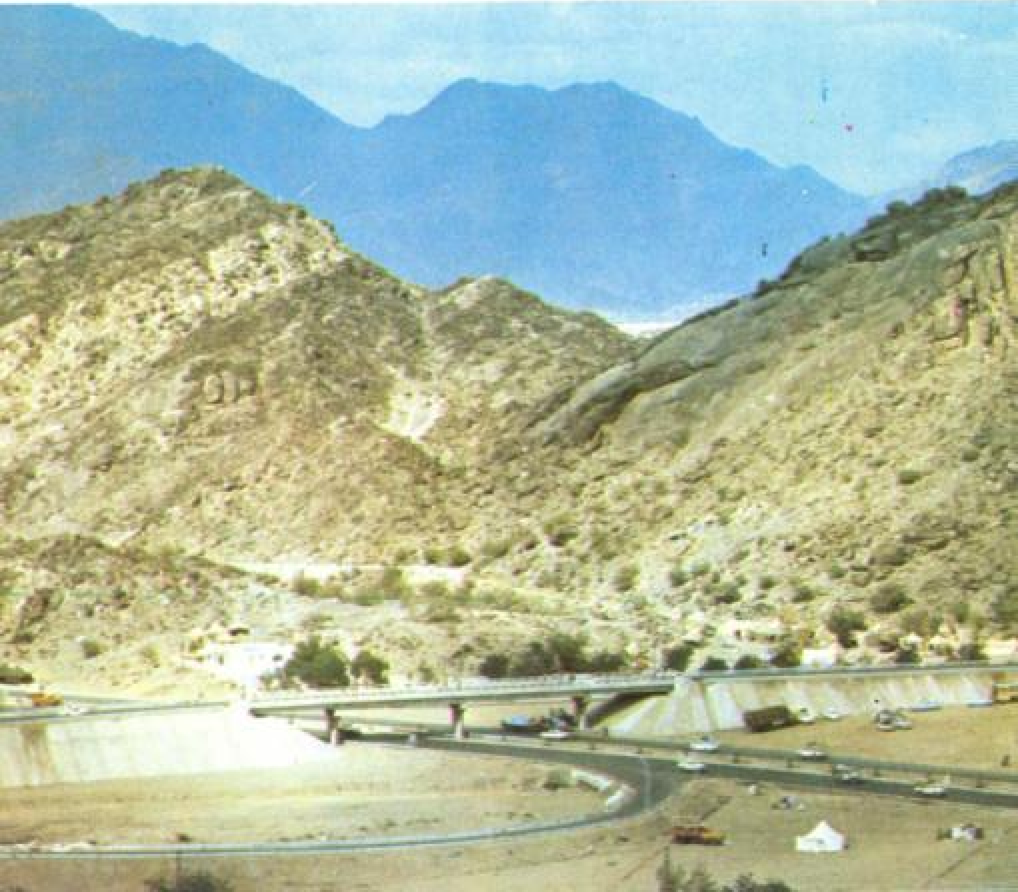
هذا رغم أن الامطار في مكة ما زالت شحيحة ولا تسقط الا على فترات متباعدة ، ولذلك فان فترات الجفاف التام كثيرا ما تمتد الى اربع سنوات متتالية ، وتصل الى الحد الذي وصفه الامير شكيب ارسلان بقوله .. اذا مر عليها الانسان يوما من ايام الصيف في هاجرة ظن نفسه يدوس ببلاط فرن ، وان ترك على تلك الصخور لحما كاد يشوى بلا نار ، او ماء كاد يغلي بلا وقود ..

غير ان بعض مواسم الشتاء تغزر فيها الامطار فتصبح سيولا مدمرة تصل الى حد لم يسمع بمثله من العنف والتخريب ، اذ يقوم في شرق مكة جدار جبلي شديد الانحدار ، يتألف من سلسلة من الطبقات الصخرية والقمم ، وفوق هذه القمم وشعابها تتجمع مياه الامطار الغزيرة . وعلى طول هذه المنحدرات تتكون عند سقوط الامطار سيول غزيرة وشلالات متدفقة فتهبط في مجاريها المختلفة بسرعة وتنقض لا تلوى على شيء ، وقد غرق المسجد الحرام في منتصف عام ١٩٥٠ الى عمق سبعة اقدام . ثم كانت الاحتياطات الهندسية لسيطرة على هذه السيول في العمارة الاخيرة للمسجد الحرام .



باب لاحد البيوت المكية القديمة ، ويظهر الحفر المتقن على الخشب ويكشف عن اهتمام « قديم » بالزخرفة على الخشب ·

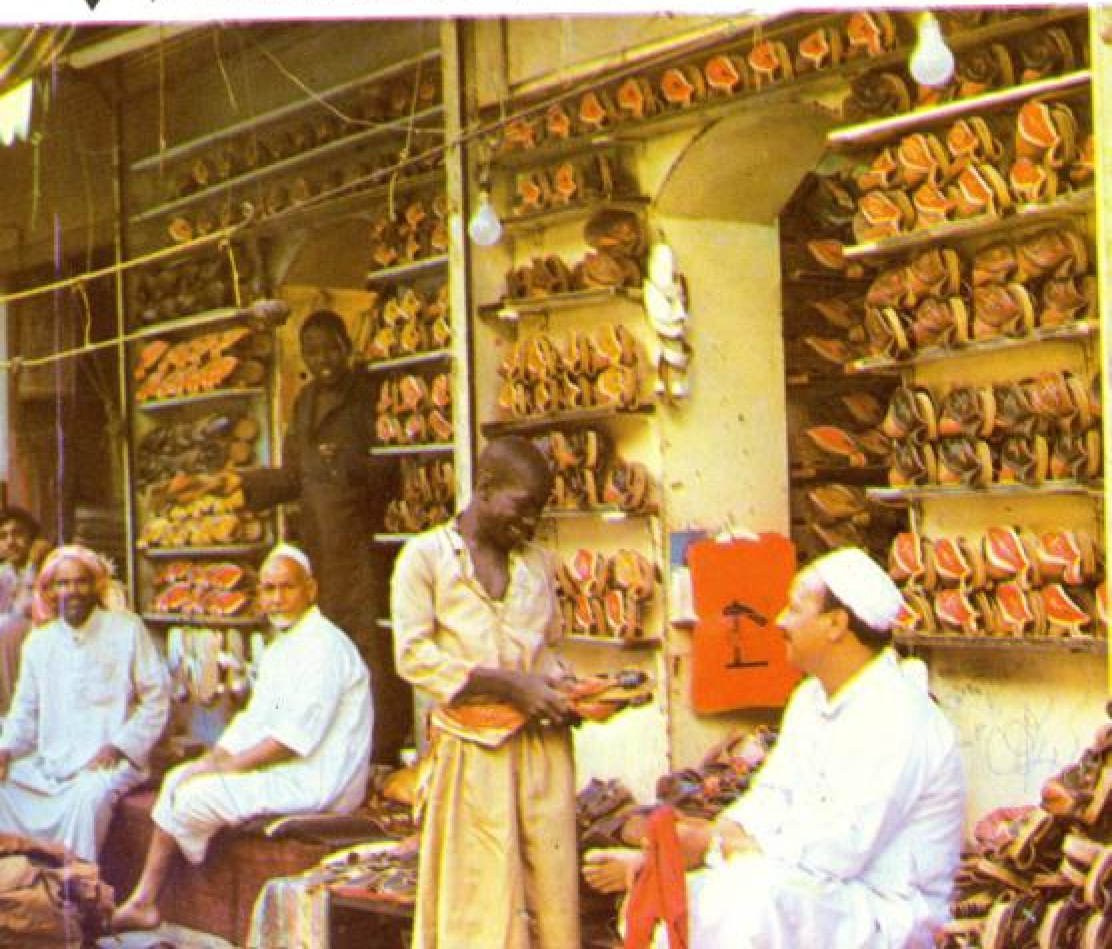
الطرق العلوية التي يجرى اقامتها على قدم وساق ، لتسهل حركة الحجاج الى جبل عرفات ومنه الى المسجد الحرام ·





▲ جبل عرفات الذى يزدحم الحجاج حوله فى موسم الحج ٠

محل أحذية فى سوق مكة الذى يوجد به كافة المواد المصنوعة والتى تستورد من كل انحاء العالم ٠ ▼



العمارة فى ام القرى

اذا كانت مكة المكرمة هى المعقل الاخير للعروبة والاسلام ، فان اول ما ينبغى ان يميز هذا المعقل هو شخصيته الخاصة ، والتى تتمثل فى طابع عمارته ، وخاصة انها بحق « مصنع الحضارة العربية الاول» وعليها ان تبقى على الاقل مستودع ما تبقى من حضارة الاسلام او حتى « متحف الحضارة العربية » . ويبرز سؤال .. الى اى حد حافظت مكة على طابعها العربى والاسلامى ، والى اى حد ابقت على شخصيتها بعيدا عن المؤثرات غير الاسلامية والتى كانت من اسباب تحريم دخولها لغير المسلمين .. ؟ ، انها حقا مؤهلة لان تكون فى طرازها المعمارى وتخطيطها النموذج الامثل للاصالة العربية متزاوجة مع فن العمارة المعاصر ..

واذا كانت الكعبة الشريفة هى مركز الوادى المقدس ، ومكة بدورها هى مركز العالم الاسلامى واهم مدنه على الاطلاق ، فالى اى حد هيمنت الكعبة على حياة البلدة ، والى اى حد راعى تخطيط المدينة هذه الهيمنة .. ؟

هيا نتجول فى شوارع مكة وشعابها ..

صورة العمارة فى المدينة يمكن وصفها بانها خليط ، العمارة العربية القديمة وزحف المبانى الحديثة فى حركة بناء واسعة ، حتى يكاد يضيع امام هذا الزحف طرازها المميز وشخصيتها العربية بين كتل الخرسانة ومكعبات الالمنيوم التى تفتقر الى الطابع وتحاصر البيوت المكية القديمة ، ففى عصرنا الحاضر تعددت نقط التماس فى الاحتكاك الحضارى بين الشرق والغرب فى المدن اساسا ، وكان النصر حليف الغرب ، واذا كان هذا يمكن التغاضى عنه فى مدن عربية اخرى ، فهو بكل المقاييس لا يقبل فى ام القرى ، فهى الاختزال البليغ للشخصية العربية ومفتاح لمنطقة حضارية متميزة ..

فبين وقت واخر ترى مبانى عربية متميزة بطرازها ، واحياء كاملة مثل حارة جياد وحى الشبيكه لها طعم خاص ، ويميزها عدد من الخصائص فهى من طابقين او ثلاثة ومدخلها باب خشبى منحوت بعناية بالغة على شكل دائرى « ارش » ، وذات مشربيات محلاة بالارابيسك ، وغالبا ما تطلى باللون الابيض واحيانا الاصفر ..

كما أن مكة جزء من اربع مناطق ما زالت محافظة على بقايا طرازها العربى فى السعودية ، وهذه المناطق هى : جنوب ووسط الحجاز وشرق نجد وعسير والجزء المطل على الخليج العربى ، كما تتميز عمارة مكة والمدينة والطائف وجدة بطراز عربى اسلامى هو مزيج من العناصر المحلية والتاثيرات التى نقلها الحجاج من المناطق الاسلامية المختلفة ، مع تاثير ظاهر للطراز المملوكى والعثمانى ..

وايضا البيئة الطبيعية فى مكة ومكوناتها من جبال ووديان وصخور ورمال ، ذات معالم قوية واضحة ينبغى مراعاتها عند تخطيطها وعند اقامة اى مبنى جديد ، وينبغى ايضا مراعاة وضع الكعبة وان تحاط بمنطقة محرمة ذات مساحة كافية لا يقع احد بصره فيها على ما يتنافر وقدسية الطبيعة ومذاق المكان ..

وكان هذا الموضوع هو الشغل الشاغل لعدد من اساتذة العمارة الاسلامية ، كما أعطتها أمانة مكة اهتماما كبيرا فى مشروع التخطيط الجديد ..

ويطالب استاذ العمارة المهندس حسن فتحى فى دراسة له بان يكون الوادى المقدس شبيها بيوم الحشر فلا يوجد على الارض ولا فى الجو ما يخدش البيئة فلا سيارات ولا شاحنات تنفث الغازات السامة ولا هيلوكبتر تحلق فوق الكعبة ..

كما يطالب باقامة المبانى خارج المنطقة المحرمة التى تطل عليها من بعيد شريطة ان يكون طراز عمارتها عربية متميزة بالصدق فى التشكيل المعمارى والزخارف ، فصفة الصدق فى العمارة التى

أحد البيوت المكية القديمة .





هكذا كانت النساء العربيات يذهبن الى الحج ،وهي صورة رسمها بيرتون في رحلته التي قام بها عام ١٨٤٢م ٠

تفرضها قدسية المكان تتطلب ان تتحقق بالنسبة للتصميم المعمارى والمواد المستخدمة فى البناء ، والابتعاد عن اى اشكال معمارية او زخرفية لا تكون نابعة من البيئة الصحراوية ، كما لا يصح أن يقام فى الوادى المقدس اى منشآت ذات طراز زائف كالتى تبنى بالطوب او الخرسانة ٠٠ »

ويضيف المهندس حسن فتحى ٠٠ « مما لاشك فيه ان كافة الشروط والصفات الواجب توافرها فى الوادى المقدس ليست قائمة ، وان اصلاح الامر يتطلب الكثير من الوقت والجهد ، ويمكن تحديد الزمن الذى يمكن بعده التخلص من كافة المبانى الزائفة الطراز من واقع العمر الاحصائى المتوسط للمبنى الذى هو ٩٢ عاما بحيث يخطط اليوم ما يعتبر جزءا لايتجزأ من مخطط مرسوم للحالة المثلى الذى يصبح عليها الوادى المقدس ، فالتخطيط لا يقتصر على اليوم بل هو للأجيال القادمة ايضا ٠٠»

مشروع تخطيط الوادى المقدس

ان اعادة تخطيط مكة تجرى على قدم وساق٠٠ مواقف للسيارات تحت الارض ، وانفاق تحت الميادين ، وشق طرق دائرية ثلاثة وأخرى عرضية، وانشاء طريق يشمل كبارى معلقة بين الجبال وانفاقا تحتها ، لسهولة تحرك الحجاج من العقبة الكبرى ومن عرفة الى الحرم راسا ، وسيبلغ طول الطريق اربعة كيلو مترات ٠٠

واقيمت لجنة عليا للتخطيط تضم امير مكة وامين البلدية ورئيس المجلس البلدى وكيل الوزارة لشئون تخطيط المدن ٠٠

وامام اللجنة مشروع تخطيط المدينة المقدسة وضعته شركتان بريطانيتان احداهما لتخطيط مكة وهى شركة روبرت ماثيو ، واخرى للتجميل واقامة الطرق وهى شركة برسون براون ٠

والحقائق تقول ان عدد المسلمين فى العالم يبلغ اليوم ما يزيد عن ٦٠٠ مليون مسلم فاذا ما اراد واحد فى المائة حج بيت الله الحرام لكان عدد الحجاج ٦ ملايين بينما لا يتسع الوادى لما يزيد عن مليون مسلم ، وهناك توصية بوضع حد اعلى لعدد الحجاج لا يجوز تجاوزه ، عن طريق اعطاء الفرصة لاكبر عدد من المستحقين للحج ، وان يفضل من لم يحج مطلقا على من سبق حجه ، كما يفضل الحجاج الذين يحجون سعيا على الاقدام من اواسط افريقيا وغربها ، على من يركب الطائرة ، وستوضع هذه المقترحات امام المراجع الاسلامية ، ومن جانب آخر يراعى المشروع الزيادة المطردة فى عدد السكان والتى تفوق كل التوقعات ٠

ويوصى المشروع الجديد بعدم تركز الحجاج حول الحرم ، وتيسير الوصول اليه باستخدام الطرق الدائرية والعرضية ، على أن يحظر دخول السيارات فى الدائرى الاول باكمله والذى يكون مركزه الحرم ، وان تفرغ هذه المنطقة من المبانى ، ويصل اليها ثلاثة أنفاق ٠٠

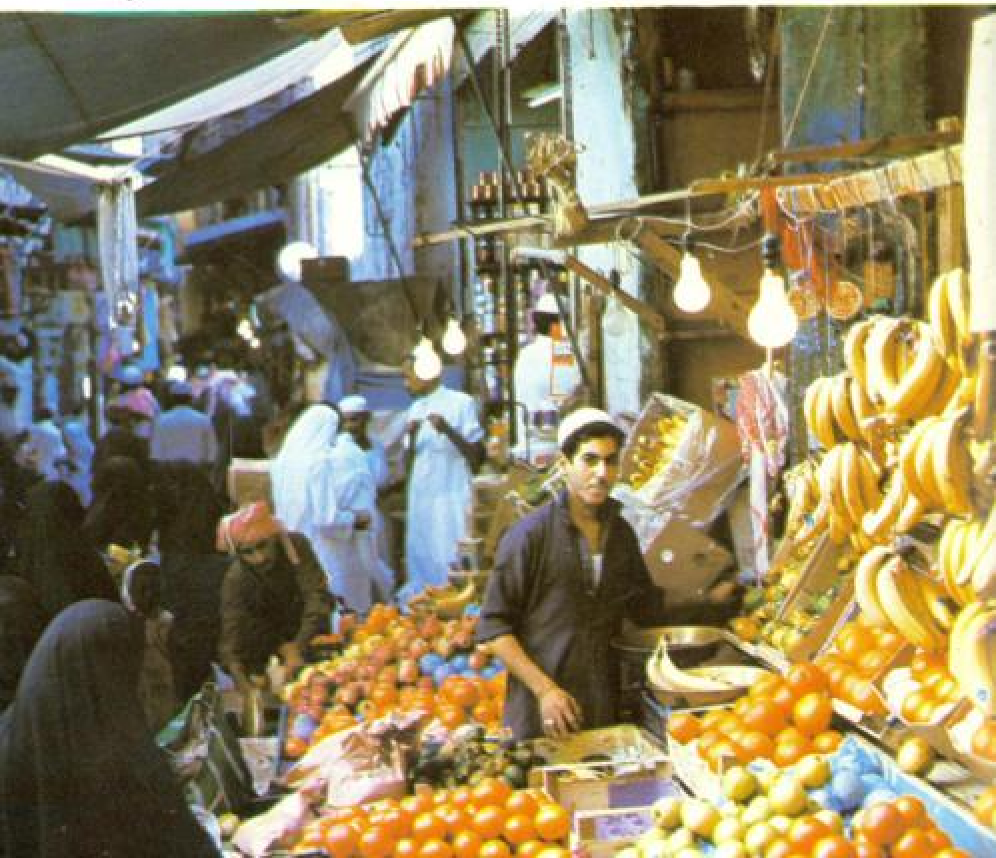
ويكمل المهندس عبد القادر كوشك أمين بلدية مكة قائلا : « هناك تعاون وتنسيق علمى بين مركز ابحاث الحج والجامعة للوصول الى أسس ومعايير العمارة المحلية لمكة المكرمة ، والمقاييس

مراحل صناعة الكسوة ، الصناعة الرئيسية في مكة .





المواد الغذائية والخضروات والفواكه لا تنقطع عن مكة ، وتأتي في الثلاجات على مدار العام .



الدقيقة للطراز العربي ، حتى تصبح مطالبتنا للمكاتب الهندسية التقيد بالطراز العربي ذات معايير ثابتة « واضاف ٠٠ » لقد وضع مشروع تخطيط مكة باعتبار ان التخطيط عملية مستمرة ، لها مرتكزات رئيسية ، وتتحرك في نفس الوقت مع الاحتياجات المتجددة ٠٠ .

واكد التخطيط الجديد على ضرورةالحفاظ على الاماكن الاثرية الاسلامية ، وعلى الاماكن ذات القيمة المعمارية الخاصة ، ويشمل المشروع اضاءة الجبال المحيطة بمكة ليلا ، ويحدد المناطق الاثرية التي سيحافظ عليها ٠٠

ويبدأ المشروع بمداخل مكة المكرمة ، فيتحول طريق جده ـ مكة الى طريق علوى (اتوستراد) ويقام مدخل آخر يبعد عن الطريق العلوى بسبعة كيلو مترات ، فيكون اقصر من الاول ويدخل الى مكة عن طريق شارع العفائر ، ومدخل آخر : طريق الطائف مكة ٠٠ وسيكون المرتكز الرئيسي الذى عليه المشروع هو هيمنة بيت الله الحرام على البلدة المقدسة ،وتكون بحيث لا يزيدارتفاع المباني المحيطة بالحرم عن اربعة طوابق ، والدائرى الثاني ستة طوابق ٠٠ وهكذا ٠٠

وهناك مصاعب في التنفيذ منها وجود مبان شاهقة قائمة بالفعل حول الحرم ، واذا تحقق المشروع فسيكون الحرم هو المركز الذى يحيط به الجبال المتدرجة في الارتفاع ، ويمكن من أى مكان رؤية المسجد الحرام بجلاله ومهابته ٠٠

وقد أثار أحد المهندسين الشبان قضية هامة حول رؤية الكعبة المشرفة ذاتها ، فالتوسعة الاخيرة حجبت رؤية الكعبة، ويبدو أن زيادة عدد الحجاج جعلت من الضرورى أن يكون المسجد الحرام من عدة أدوار !

ويبدى تحفظا آخر حول (حياد) مشروع التخطيط الجديد مما يفقده المذاق المطلوب ، فالتخطيط ليس مجرد خطوط فوق الخريطة ولكنه يرتبط بالبيئة وعادات السكان وطبيعة البلدة المقدسة ، فاذا وضع خطوطه من لا يعرف هذه البيئة وتلك التقاليد ولم يقع بصره عليها فسيصعب تحقيق الهدف من هذا التخطيط .

وضرب مثلا على خطأ حياد التخطيط مما يتضمنه المشروع الجديد من اقامة مسجد في كل حى من احياء مكة ، مع ان جميع السكان والحجاج والمعتمرين يحرصون طوال اقامتهم على تأدية الصلاة في المسجد الحرام ٠٠ !! .

العمل خلال شاشة التلفزيون ٠٠

وعندما سألت كيف يخطط المدينة ويقوم بالاشراف على التنفيذ من لا يستطيع ان يدخلها من الاجانب ٠٠ علمت ان الشركتين البريطانيتين ترسلان من يصور سينمائيا الطرق لتدرساها وتكون اساسا للتغيرات المقترحة ، وخلال تنفيذ مشاريع التخطيط الجديدة تصور بدوائر تلفزيونية يتم من خلالها مراقبة عمليات التشييد من موقع خارج مكة المكرمة .

وقال امين البلدية ٠٠ « انه سيقام مكتب اتصال في بلدة « العمرة » التي تبعد خمسة كيلومترات عن مكة وخارج المنطقة المحرمة على غير المسلمين ، وتكون مركزا للخبراء الاجانب الذين يساهمون في العمل .

عالمية مكة

ومكة عالمية السكان ، فقديما كان طلاب العلم والباحثون عن الحقيقة يشدون الرحال قاصدين مكة لينهلوا من العلم ويعايشوا المكان الذى شهد مولد الدعوة الاسلامية ، ومع حركة الحج وتوالى السنين وتراكم المجاورين الذين اختاروا ان يقيموا ـ في البلدة المقدسة ، تفردت مكة بتكوين سكاني خاص بها ، فوجد الى جانب اهل مكة الاصليين عناصر عربية متعددة ، يبرز منها اليمنيون وخاصة الحضارمة المعروفين بنشاطهم وحيويتهم ، ومجموعة اخرى من الدول الاسلامية اكثرهم من الملايو الذين يعرفون باسم جاوة ، قدموا للاقامة الدائمة الى جوار الحرم ، وتضم ايضا المصريين والسوريين والمغاربة والاتراك ، واصبح بها مكيون من اصل ايراني وتاتارى وبخارى وكردى وافغاني ٠٠

وبقى أهلها مزيجا من أبناء البلاد الاسلامية ، كما هو ظاهر في سحنة وشكل سكانها .

وفي كل عام يرفع افواج الحجاج عدد سكان البلدة الى ما يزيد عن ثلاثة اضعاف سكانها . وهذا التركيب السكاني ترك اثره على طبيعة اهالى مكة ، فلم أر مثل أهل مكة حبا لبلدهم وتعلقا بمكانتها ، ويكفي ان اغلب البيوت التي

زرتها وجدت فيها الكتب المؤلفة عن مكة توضع موضع الحفاوة والدراسة .

وزوار مكة معجبون دائما باهل البلد الامين ، كثيرا ما يتحدثون عن فضائلهم ، يقول الرحالة العربي ابن بطوطة : لاهل مكة الافعال الجميلة ، والمكارم التامة والاخلاق الحسنة ،والايثار للضعفاء والمنقطعين ، وحسن الجوار للغرباء ، ومن مكارمهم انهم متى صنع احدهم وليمة يبدأ فيها باطعام الفقراء المنقطعين المجاورين ، ولو كانت لهم خبزة واحدة ، فانه يعطي ثلثها او نصفها ، طيب النفس من غير ضجر ..

واهل مكة لهم ظرف ونظافة في الملابس ، واكثر لباسهم البياض ، فترى ثيابهم ابدا ناصعة ، ويستعملون الطيب كثيرا ، ويكثرون السواك بعيدان الاراك الاخضر ، ونساء مكة فائقات الحسن ، بارعات الجمال ، ذوات صلاح وعفاف وهن يكثرن التطيب ، حتى ان احداهن لتبيت طاوية وتشتري بقوتها طيبا ، وهن يقصدن الطواف بالبيت في كل ليلة جمعة ، فياتين في احسن زي ، وتغلب على الحرم رائحة الطيب ، وتذهب المرأة منهن فيبقى اثر الطيب بعد ذهابها عبقا .

سوق مكة

جميع المنتجات متوفرة في اسواق مكة الشرقية الطابع ، يمكن ان تشترى منها الخنجر اليمني أو طبقا أثريا من خان الخليلي ، كما يمكن أن تشتري أحدث أجهزة التسجيل التلفزيوني «الفيديو كاسيت » فهي تكاد تستورد من كل أنحاء العالم كافة انواع المنتجات ، فمن الطيب والبخور الى ارقى الروائح الفرنسية ، كل ذلك معروض في أسواق شرقية في معظمها ، وتستطيع أيضا أن تحصل على تحفة تركية او فارسية او هندية او صينية او افغانية ، كما تجد داخلها الخضروات والفواكه الطازجة التي تنقلها الثلاجات الى البلد المقدس .

وينتشر داخل السوق المقاهي المكية المتميزة ، والمكونة من « دكك عالية » يحتسي روادها الشاهي والزنجبيل .

وقال لي احد كبار التجار في مكة .. « ان المجلوب الى مكة من اصناف الحبوب والخضروات والفواكه والمحمول اليها من البضائع واللباس والطيب يفوق ما يجلب الى عشر مدن من امثالها في عدد السكان .. » .

والسوق الحالي يتشابه مع وصف بورخارت في القرن الماضي تشابها كبيرا ، يقول : بها دكاكين يديرها اتراك من اوروبا واسيا الصغرى يبيعون مختلف الالبسة التركية ، وتباع في هذه الدكاكين السيوف الجميلة والساعات الانجليزية الممتازة ونسخ القرآن المزخرفة كما كان طباخو استانبول يبيعون فيها انواع المأكولات والحلويات قبل الظهر ، والكباب وغيره من اللحوم المشوية بعد الظهر ، و « المهلبية » عند الغروب ، ولمسلمي الهند سلعهم الثمينة مثل الموسلين والقلائد والمرجان والصندل والمصوغات المختلفة فضلا عن سلع الصيني ..

ولكل سوقه:فسوق للمصريين،واخر للشوام،وابناء الصين والافغان والافريقيين وكل فيه بضائعه ..

البلد الوثيقة ..

نقول ان مكة وثيقة تاريخية مسجلة في كل مراحل تاريخها . ويكفي ان نعرف ان مجموع اعمار عواصم العرب القديمة يعادل مجموع اعمار بقية عواصم العالم مجتمعة ، وان كانت انهار العرب تمثل تاريخا سائلا « فان مدننا الرئيسيه وبالذات مكة تمثل تاريخا محفوظا » .

لقد امدتنا سيرة ابراهيم عليه السلام بنقطة البدء لتاريخ مكة ، عندما وصل اليها مع هاجر المصرية وابنها اسماعيل ، واستقروا في الوادي الاجرد الذي بنيت فيه مكة،وكانت بئر زمزم التي تفجرت تحت اقدامهم اساس قيامها ، فكانت مكة كالسفينة في البحر او الصحراء يلزم ان تحمل ماءها معها ، وحدد موضعها وجود حجر مقدس هو الحجر الاسود ، وكانت على طريق حيوي تسلكه القوافل المتجهة الى موانيء البحر المتوسط، وملتقى طريق القوافل بين الشام واليمن حاملة الطيب والبخور والصمغ والجلود بضائع ذلك الزمان ..

ثم عادت مكة وخرجت من اشباح الماضي بمولد النبي محمد وظهور الدعوة الاسلامية التي تفجرت في بطاح مكة ، ووهادها ، واخذ العالم يدرس أحوالها ، ويمحص المؤرخون كل ما يمت اليها بصلة ، وكان الازرقي اول من أرخ لمكة في القرن الاول الهجري ، واستمر الرحالة والمؤرخون يقدمون وصفا لمكة على توالي العصور ، ويصفون المساجد

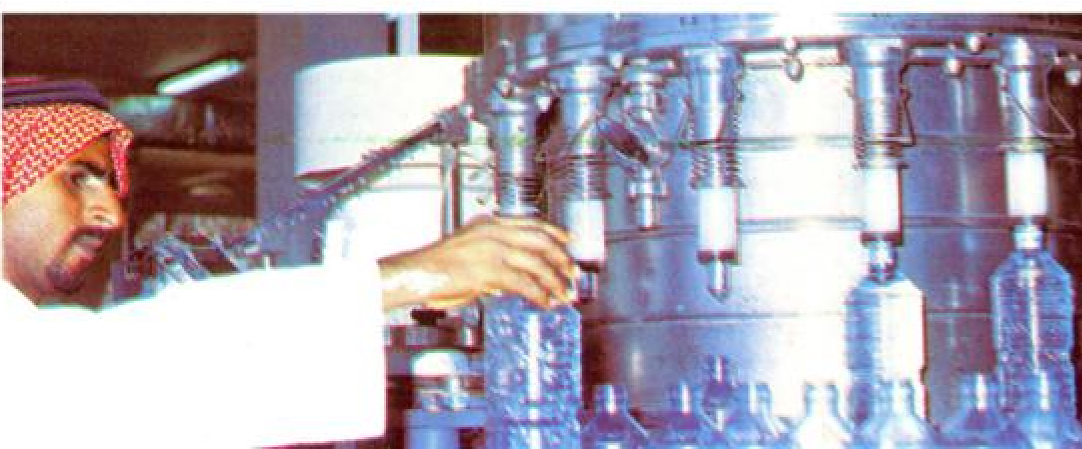


أحد البيوت بطرازه المميز والقائم في مدخل مكة على ربوة عالية ·



في حي الشبيكة وجياد تنتشر البيوت المكية القديمة التي تعود الى الدولة العثمانية ·

أحد مصانع تعبئة المياه في منطقة الشميسي، لتعبئة عين زبيدة في قوارير ·





عاديات وتحف شرقية من كل البلاد الاسلامية في دكاكين مكة .

والمواكب وترتيب الحج والعمرة ، وترك لنـــا المقدسى في القرن الرابع الهجرى وصفا لمكة قال فيه : « مكةهيمصر هذا الاقليمقد خطتحول الكعبة في شعب واد ، رأيت لها ثلاث نظائر ، عمـــان بالشام واصطخر بفارس وقرية الحمراء بخراسان، بناؤها حجـار سود ملس وبيض ايضـا ويعلوها الاجر ، كثيرة الاجنحة من خشب الساج وهـــى طبقات مبيضة نظيفة ، حارة في الصيف الا ان ليلها طيب ، قد رفع الله عنهم مؤونة الدفـــاع واراحهم من كلف الاصطلاء ، وكل ما نزل عـــن المسجد الحرام يسمونه المسفلة وما ارتفع منـه المعلاة ، وعرضهـا سعة الوادى والمسجد في ثلثى البلد الى المسفلة والكعبة في وسطه وفيه طول باب الكعبة مرتفععن الارضنحو قامة عليهمصراعان

ملبسان بصفائح الفضة طليت بالذهب قبال المشرق .. » .

وقال عنها ابن جبير في القرن السادس الهجرى والذى كتب عنها بعاطفة جياشة .. لاهل هذه الجهات الشرقية سيرة حسنة . ذلك لانا عاينا شوارع مكة وازقتها عشية الليلة التى ارتقب فيها الهلال ، قد امتلات هوادج مشدودة على الابل، مكسوة بانواع كساء الحرير وغيرها من ثياب الكتان الرقيقة بحسب سعة احوال اربابها ووفرهم، كل يتانق ويحتفل بقدر استطاعته ، فاخذوا فى الخروج الى التنعيم ، مثات المعتمرين ، فسالت تلك الهوادج فى اباطح مكة وشعابها ، والابل قد زينت بانواع التزيين ، واشعرت بغير هدى بقلائد براقة المنظر من الحرير وغيره ، وربما فاضت الاستار التى على الهوادج حتى تسحب اذيالها فى الارض .. »

ويبحث زائر الوادى المقدس والمتنقل بين مكة والمدينة عن الاماكن التى شهدت بعض فصول تاريخ الرسول وصحابته ، عن كل مشهد من مشاهد الدعوة الاسلامية ،يتنقل فى المناطق المقدسة باحثا عن كل ما تمثله بخياله وكان حكاياتها قد وقعت بالامس القريب بما تثيره من ذكريات مليئة بالحياة ، وينقب عن ما الت اليه على توالى العصور ..

على افتراض عناية علماء الاثار والتاريخ بكل اثر اسلامى ، وتصورت انى ساجد عند كل موقف من مواقف الرسول التاريخية اثرا يدل عليه ويشهد به ، ولكنى لم اوفق الى الاهتداء لعدد كبير من هذه الاثار ، هذا فى الوقت الذى لايستطيع احد ان ينافس المسلمين الاوائل بحفظ ادق التفاصيل عن كل حادث فى حياة الرسول الكريم ، فقد قام علماؤنا بتسجيل اسماء وأدوار نحو ١٢ الفا من الصحابة ، حتى تكاد تعرف كل سكان مكة عند فجر الدعوة الاسلامية فى وقت كان فجر نظام التاليف ، وبطريقة دقيقة .لايصل الى مستواها تسجيل حياة اى انسان آخر من قبل ، فمثلا نقلت الاحداث المرتبطة بالاعوام الثلاثة الاخيرة فقط من حياة السيد المسيح عليه السلام التى استمرت ثلاثا وثلاثين سنة ، والتوراة هى المصدر الوحيد للقليل الذى نعرفه عن موسى عليه السلام ..

فعندما يصل زائر مكة يوجه اهتمامه الى آثار الرسول ، يهدف الى أن يسير حيث سار فيجد المشقة التى لعلها ترجع الى بساطة الحياة العربية الاولى ، فاول جامع بنى فى الاسلام ، واشترك فى اقامته الرسول عليه الصلاة والسلام ،اقيم بالطوب النىء وأعواد الجريد ، وربما كان ضعف المبانى فى مكة يعود الى عوامل جغرافية ،فارض مكه رملية سريعا مايتداعى فيها البناء ، كما ان كثرة السيول تضعف اساس هذه المبانى ، لذلك فاقدم الاثار الباقية فى مكه يصل عمر بنايتها الى بضعة قرون لا تزيد على اربعة ..

وبقى سبب آخر للشقة بين ما يتصوره الزائر للاثار الاسلامية وبين حقيقتها ،وهو هدم القباب والشواهد التى كان لها قيمة فنية واثرية فى مطلع هذا القرن بحجة مخالفتها للقواعد الشرعية وخوفا من شبهة الشرك بالله .. وعندما اثرت هذا مع الشيخ صالح القزاز رئيس الرابطة الاسلامية السابق والمسئول عن التوسعة فى المسجد الحرام قال : « ان الحفاظ على الاثار الاسلامية واجب ، ولكن التمسح والتبرك بها هو ما انكره الاسلام .. » وكان حديث الاثار الصحيحة التى وقفت عندها ذا دلالة بالغة ، فجبل حراء والغار فى قمته يثير الانتباه فى عزلته وتفرده عما حوله من الجبال ، يتحدى الزمن بهذه الاستقامة المخروطية فى انطلاقه الى السماء ، يميزه الحادث الفذ هبوط الوحى على رسوله ، وجبل ثور ومختبا رسول الله وابى بكر بالغار يوم الهجرة ،والطريق الذى سلكه النبى خلال هجرته ، مواقع المعارك الكبرى فى الاسلام ، كل منها يحتاج الى حديث طويل بذاته ...

فى مواجهة الغرب ..

هذه المكانه الخاصة للبلد الامين جذبت اليها عددا من المغامرين والمستشرقين ورجال المخابرات الغربيين ، الذين لجؤوا الى حيل مختلفة للتسلل اليها، وهناك قائمة طويلة خلال مراحل زمنية مختلفة ، تكشف محاولاتهم وما سجلوه حقدا دفينا على المدينة المقدسة وعلى دورها المنفرد ..

واختلطت فى كتاباتهم الحقيقة العلمية بالخيال والغرض بالتحامل . ونعرض من التاريخ الطويل لشواهد ثلاثة لتكشف الموقف الاوروبى الاستعمارى من مكه فى مراحل مختلفة :

● ايام الحروب الصليبية .

قامت قوة عسكرية بقيادة رينودى شاتيون الفرنسى تستهدف المدن المقدسة والوصول الى

مكة وهدم الكعبة ونبش قبر الرسول وسرقة جثمانه ..

يقول الكاتب البريطاني جيرالد ديجوري في مؤلفه .. حكام مكة .

« استولى فارس صليبي هو رينودي شاتيون خلال الحرب الصليبية على بلاد شرقي الاردن وقلاع مؤاب والشوبك شرقي البحر الميت ،وسيطر على طريق الحج الى مكة ، واستهدف مهاجمة الاسلام في عقر داره ،وتوغل في جزيرة العرب حتى وصل الى تيماء ، وما لبث ان عجز عن مهاجمة المدينة بطريق البر ، على ما كان يأمل من نبش قبر الرسول والاستيلاء على اموال ونفائس منه ، وقرر ان يفعل ذلك عن طريق البحر فاحتل ايله «ايلات »ونقل السفن منموانىء فلسطين على البحر المتوسط الى البحر الاحمر على ظهور الجمال ، واعد خمس سفن حربية كبيرة في كل منها الف جندي ، وشق طريقه الى جده واستولى على جزيرة «جراي» في البحر الاحمر وظلوا يغرقون كل السفن العربية ويهاجمون موانىء الجزيرة العربية ، ومنها رابغ والهوارء في شمال ينبع وجنوبها ،ووصلوا الى بابالمندب وعدن خلال قيامهم بسد المدخل الى البحر ،وسرعان ما تصدى له صلاح الدين واغرق سفنه ، واستولى على قصر رينو وقلعته ،واحبط محاولته للنيل من مكة والمدينة ، حتى انه يقال ان صلاح الدين قتل رينو بيديه ..»

● بعد الحروب الصليبية جاءت المرحلة الاستعمارية والانتقال من المرحلة الصريحة السافرة الى نفس الموقف لابسا قفازا من حرير ، مرحلة الرحالة والمستكشفين الذين ذهبوا الى مكة مزيفين .

من هؤلاء الرحالة بيرتون الذي زار الحجاز بعد ان اتقن العربية والفارسية والتركية وعمد الى الاختتان وهو في الثانية والثلاثين من عمره ، وجرب تاثيرات الصبغات المختلفة على جلده وكان يعمل لشركة الهند الشرقية ومولته الجمعية الجغرافية البريطانية .

وبدأ رحلته في ابريل عام ١٨٥٣ بعد ان سمى نفسه الميرزا عبد الله بو شهر بوصفه احد الحجاج الافغان ، وكتب بعد رحلته هذه كلمات لا تنقصها الصراحة ، قال : ان الذي لا يحتاج الى جهد للتنبؤ ان بريطانيا لا بد ان تضطرها الظروف السياسية الى ان تحتل بالقوة ينبوع الاسلام وقبلته المقدسة .. !!

ومن قبل بيرتون وصل الى مكة في عام ١٨٠٧ يهودي اسباني اسمه دوفيكو باديا اي ليبيلج بعد ان ارتدى ملابس المسلمين وسمى نفسه علي بك العباسي ، وكان مكلفا بمهام خاصة من قبل الحكومة الفرنسية وكتب تفاصيل رحلته ، واصبح كتابه مرجعا للغربيين عن مكة .

وفي نفس الفترة في عام ١٨١٤ زار مكة جيوفاني فيناتي الايطالي باعتباره رجلا مسلما يدعى محمدا ، وكان قد عمل عند احد الباشوات الاتراك ووصل الى القاهرة وانخرط في سلك الحرس الالباني واصبح من حرس محمد علي باشا ثم تسلل الى مكة ..

واهم الرحلات ذات القيمة العلمية الرحلة التي قام بها الرحالة السويسري جون لويس بورخارت عام ١٨١٥ ، وكتب مؤلفا حول رحلاته الى جزيرة العرب ، وسمى نفسه الشيخ ابراهيم ، وكتب ناشرة وليم أوسلي أن معرفة بورخارت للعربية ساعدته على تقمص دور الرجل المسلم حتى استطاع ان يعيش في مكة وكان بورخات يقدم نفسه على اساس انه من بقايا المماليك الذي قضى عليهم محمد علي باشا في مصر .

● وفي هذه الايام ،وفي الربع الاخير من القرن العشرين .. يوجد في كل بلدة بريطانية محل للهو ولعب القمار وارتكاب جميع المباذل تملكه مؤسسة واحدة ، اختارت اسما لكل هذه المحلات كتب فوقه بالخط العريض وانوار النيون اسم «مكة Mecca » البلد الذي يقدسه المسلمون امعانا في السخرية واستخفافا بمقدساتهم وشاهد على الحقد الدفين .

وتكشف باستمرار الشعور العدائي الذي ظهر سافرا ايام الحروب الصليبية وعاد يطل براسه من جديد في ثوب علمي خداع في كتابات الرحالة وظهر اخيرا مبتذلا رخيصا فاضحا .

وستبقى مكة البلد المقدس ، بها اول الحرمين وثاني القبلتين ، ومهبط الوحي ، خالدة بخلود الاسلام . ■■

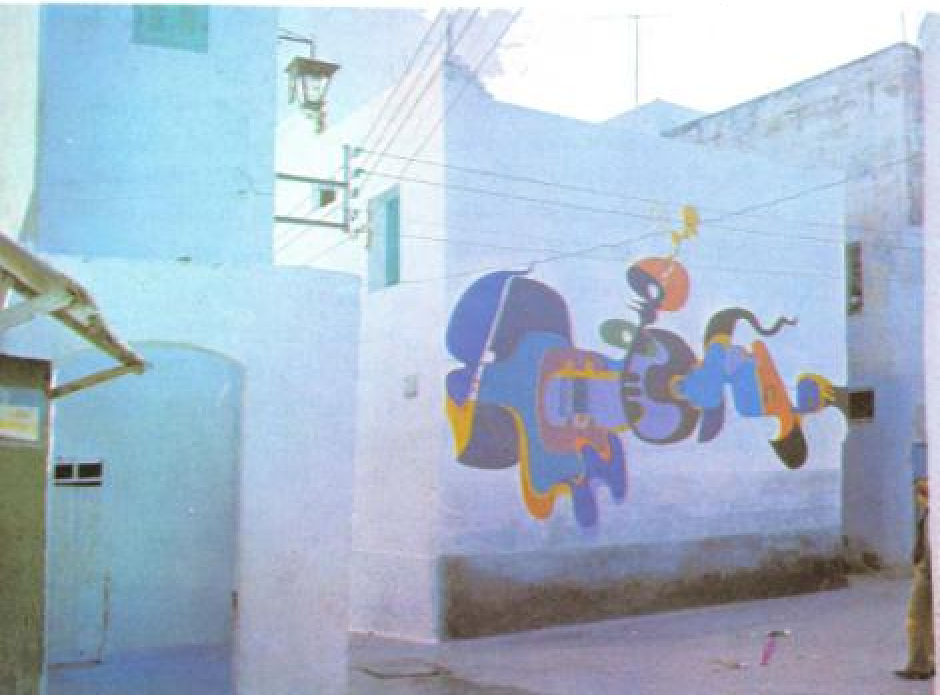
مصطفى نبيل

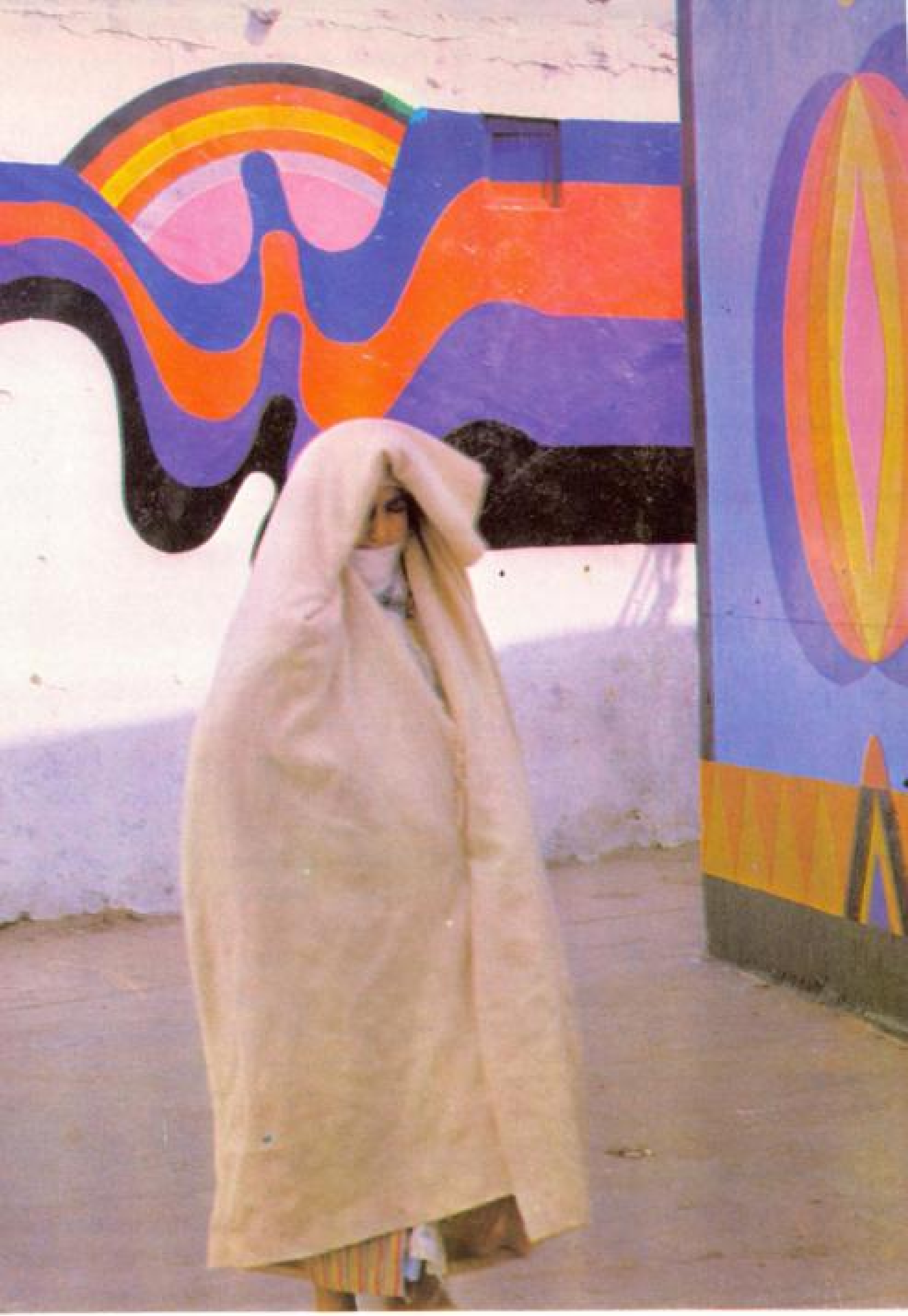


لوحة على جدار احد المنازل رسمها الميلودى.

من فن النخبة .. الى فن الشارع

مساحة للعب الاطفال تظهر الصباغة والرسم على الجدار الذى قام به ميلودى • •





سيدة مغربية تقف امام واجهة فرن البلده رسم فريد بلكاهية ،وعلى اليمين لوحة رسمها الحميدي.

تشهد مدينة «اصيلة» المغربية تجربة فنيه فريدة توحد خلالها الفنان والمشاهد والبيئة لتقدم المناصر الثلاثة لوحات فنية جميله على جدران البلده ..

بدات الحكاية عندما وضع المجلس البلدى فى اصيله برنامجا لنظافة البلدة وتجميلها . وتلقف الفكره عددا من المثقفين المغاربه وحولوا البرنامج الى عمل خلاق بعيدا عن الاطر والاساليب التقليديه، ويستهدف مرمى ابعد ـ وهو التاثير على الانسان والبيئه . ويزرع القيم الفنية فى انسان اصيله ويثير لديه الرغبه فى المشاركه فى العمل ويخلق احساسا بالانتماء له والحفاظ عليه. ويسعى فى نفس الوقت لاستخراج الجانب الجمالى المتراكم فى البلده على مر التاريخ ..

وجاء اختيار « اصيله » مناسبا . فهى تقع على المحيط الاطلسى وتبعد ٤٢ كليو مترا جنوب طنجه وهى اصيلة حقا فقد كانت مهدا للثقافة العربية وتمتد فى التاريخ فيصل عمرها الى ٣٦٠٠ سنة، ولعبت دورا تاريخيا هاما كاحد الثغور العربيه وكقلعه فى مواجهة الزحف الاوربى . تغلب عليها البرتغاليون لمدة قرنين من الزمان . ورحلوا عنها وبقيت آثارهم : سور المدينة والبرج والقلعة التى كانت تسكنها الملكة اليزابيث البرتغالية والقائمة فوق « القمره » اى تناطح القمر فوق اعلى ربوة فى البلده ..

وانجبت اصيله عددا من المفكرين العرب منهم الامام الاصيلى احد رواة الامام البخارى ،وتتمتع ببيئة ثقافية خاصه . تتباهى بعدد اطفالها فى المدارس،وعدد المثقفين والفنانين الذين انجبتهم.. محمد المليحى رئيس الجمعيه المغربية التشكيلية الذى جعل رسالته ربط الثقافة بالفن التشكيلى وتقديمها للمواطن العادى . ومحمد بن عيسى رئيس المجلس البلدى وفى نفس الوقت النائب فى البرلمان المغربى والذى يسعى لتقديم خبرته الى ابناء بلدته . و «اصيله» دائما مغرمة بالفن، ويمارس السكان صباغة الجدران والرسم عفويا داخل البيوت ولتزيين واجهات المنازل . فقد تاثر الاهالى بالطبيعة الفنيه من حولهم والتى قامت على التناسق والانسجام والذوق ،امامهم الزرقه الفاروزيه لمياه المحيط وفوقهم السماء الصافيه فى اجمل بقاع افريقيا . هنا رمز بساطة البيئة وجمالها وعراقة الصرح الحضارى العربى .ورمز استمرارية مقومات التراث واصالته ..

هذا هو مسرح تلك التجربة الخلاقة . وهذا هو المكان الذى حمل اليه الفنان المغربى فرشاته وادواته قادما من صخب العاصمة .

وذات صباح استيقظ الاهالى ليشاهدوا الفنان المغربى وهو يرسم فى الطرقات وعلى جدران البيوت ..

يروى احدهم .. « فى البداية ظهرت فى عيونهم الدهشة المقرونه بالفضول . ثم بادروا الى تقديم المقترحات لنا ومساعدتنا وسرعان ما امسك العديد منهم فرشاته واخذ يرسم ونحن بدورنا نساعدهم ونقترح عليهم .. » .

وخلال المشروع اكتشف الفنان المغربى المنجم الفنى الذى يختزنه مواطن « اصيله » . والذى ظهر فى الاعمال التى قام بها الاطفال وطلاب المدارس وهم يبدعون اعمالا فنية تعبر عنهم . وانتقل العمل من مرحلة التجميل الى الشعور المشترك بالانتماء الى العمل الفنى . وبقدر انعكاس هذا العمل الفنى على اهالى اصيله بقدر انعكاسه على الفنان القادم من العاصمه . والذى خاض لاول مرة تجربه العمل وسط الاهالى ووجها لوجه امام الوجدان الذى عليه ان يعبر عنه بصدق . وخاض تجربه العمل بعيدا عن مرسمه الصامت البارد غير الموحى واندمج بين الناس ومع الحياة بصخبها وجمالها . وقام الاتصال بين الرسم والاعمال اليوميه والتى كانت ادواته الزخارف والالوان والبقع التشكيليه . وعاش الفنان تجربة الاتصال بالذين يرسم من اجلهم خلال العمل . فلم ينقل لوحاته الى المشاهد فى معرض . بل نقل ورشته كلها منذ بداية العمل وحتى اكتماله يشاهد كل مراحل عمله فى عيون مشاهديه . واصبح العمل الفنى مشاعا للجميع ويملكه الكل . فى عمل تجاوز « التابلوه » الى مساحة رحبة ..

وكانت تجربه خصبة بكل المقاييس . فلم يسال احد السؤال التقليدى الذى سيتعرض له الفنان فى صالات العرض ومع تجمعات النخبة :

ماذا تعنى بهذا التشكيل .. ؟ او ماذا تقول هذه الالوان .. ؟

فالمواطن هنا يستجيب للاحساس الذى تخلفه اللوحة على الجدار ويجذبه التناغم بين الالوان، وبدا له كل شيء مالوفا ومنطلقا بالبساطة



الفنان محمد بن عيسى

والصدق فى اعمال تدور حول خصب الحياة اليومية ..

وادهشت الفنان القادم من العاصمة الاستجابة السريعة الصادقه ، والادراك الفطرى لمدى الصدق فى العمل الفنى ، فانتقل الاهالى الى المساهمة الفعليه والاندماج الكامل ، وتخطى العمل الجماعى مجرد التجاوب الى الممارسة الفعلية . من خلال اعمال غير تقليديه فالموضوعات التى يرسمونها ليست انسانا او حيوانا او منظرا طبيعيا بل اشكالا هندسيه تتسم بالايقاع والتناغم فى اللون والمساحه ، او اعمالا تركيبية تنسجم مع المساحة والبيئة ..

وجملت الرسوم «اصيله» وفتحت انظار سكانها على عالم من الجمال وخلق ردود فعل انطباعيه ، وتسابق العجائز والشباب والاطفال فى العمل ومناقشة الفنان خلال عمله :

« هذه بقعة حمراء صارخة يمكن كسرها باللون الاصفر » ، هكذا يصبح الشيخ معلما قبل ان يكتمل الرسم على الجدار المواجه لبيته ،ويدرك الفنان عمق ملاحظة الشيخ ويقوم بتنفيذها ..

وتحقق الحفاظ على جمال البلده وعدم العبث بها بعد أن تحول الجميع الى حماة لهذه المنجزات الفنية التى ساهموا فى اقامتها ، وبعد ان اصبح العمل الفنى والجمالى جزءا من البيئة التى يعشقونها والتى شبوا فيها ..

وصاحب عمليات الرسم على الجدران ترميم سور المدينه ومبانيها التاريخية ، ولم يعد قصر « روسينى » ماوى لطيور المحيط وانما استقبل عددا من الفنانين التشكيليين الذى اختاروه مكانا لمهرجانهم خلال الاسابيع الخمسة التى تبدأ فى اول يوليو وحتى الاسبوع الثانى من اغسطس ، والذى دعى اليه عشرون فنانا عالميا من كافة انحاء العالم ليساهموا فى عرض اعمالهم على نغمات الموسيقى والرقص الشعبى والقراءة الشعرية ..

فعندما نجحت تجربة الصباغة على الجدران تقرر اقامة مهرجان الفن التشكيلى الى جوار هذه التجربة والتى ستتضمن نشاطات فنية اخرى مثل عرض اعمال مسرحيه فى الاماكن التاريخية.

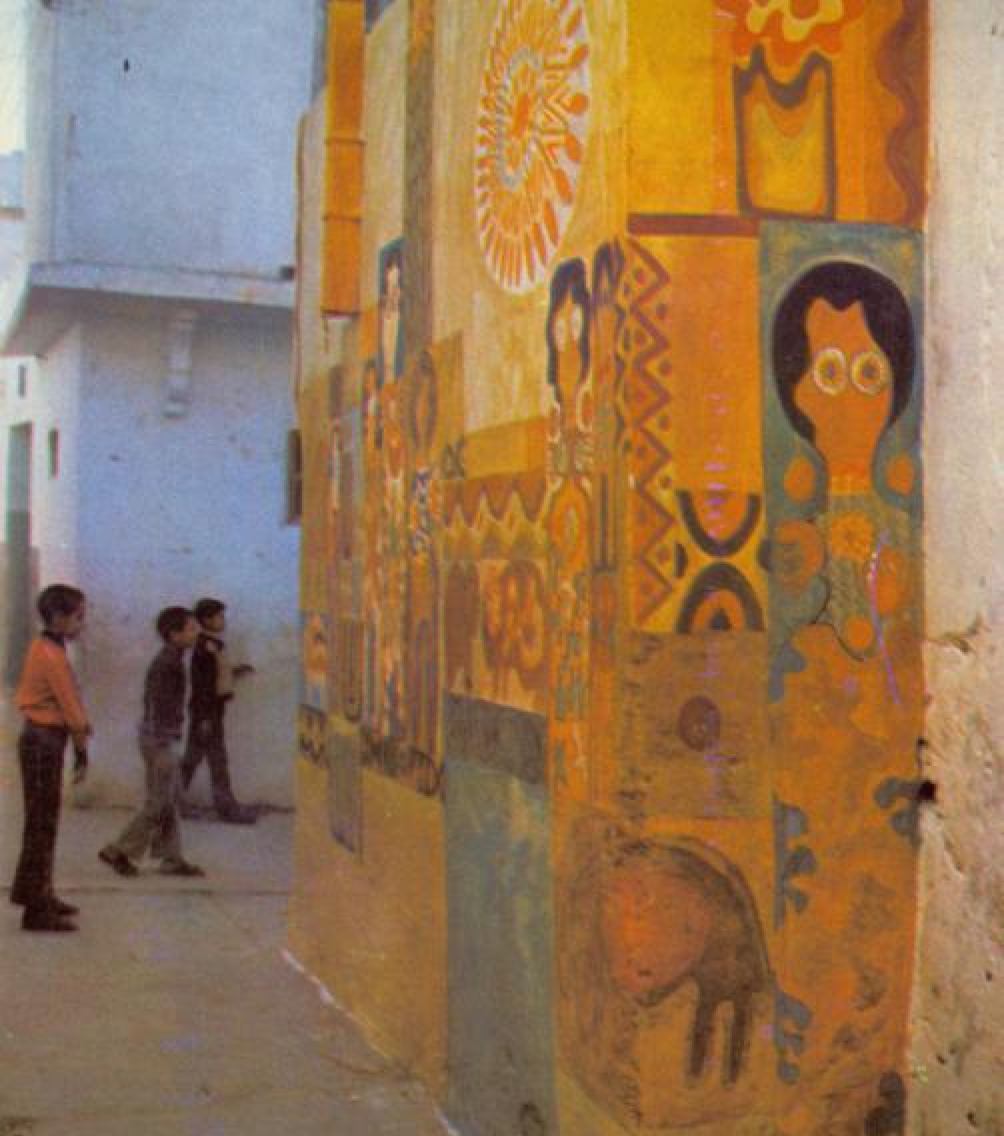
ويقول النائب المغربى محمد بن عيسى .. «كان هدفنا عندما بدأنا هذه التجربة الانسان فى « اصيله » والذى يقوم على اقتناعه وتجاوبه النجاح الحقيقى ، فعندما وصل الفنان من خارج اصيله لتجميلها تطوعا ، وتساءل المواطن : لماذا .. ؟ جاءت الاجابة : حتى تكون مدينتكم جميله ،وهنا شعر الاهالى باهمية البيئة والقيمة الكبيرة لتجميلها والحفاظ عليها ..

وكانت هذه التجربه اول انتفاضه فى المغرب المعاصر خارج عروض النخبة ، وهى اول مناهضة مباشرة للتبعيه الغربيه فى مفهوم التشكيل ومضمونه ، وكشفت التجربة الى اى حد يقترب الشعب من الثقافة ويحتضنها ويحميها ، وقام فى « اصيله » الحوار الصحى بين السكان والفنان المغربى .. »

ويضيف ..

« جاءتنى هذه الفكرة خلال عملى فى بعض البلدان الافريقية فى المدن والقرى شمال نيجيريا والنيجر وفولتا العليا ومالى وموريتانيا والسنغال والكميرون . اثار اهتمامى جانب فياض بالرشاقة والجمال وهو الصباغه على جدران هذه القرى .. »

« واختزنت هذه التجربه وعندما جاءت الفرصه سعيت الى تنفيذها من جمعية الفنانين التشكيليين المغاربه ، وهذه التجربه تظهر وجه المعاصرة فى الممارسة الحضارية للانسان العربى ، فبعد ان عشنا طويلا نتباهى بالتراث ونتفاخر بامجاد

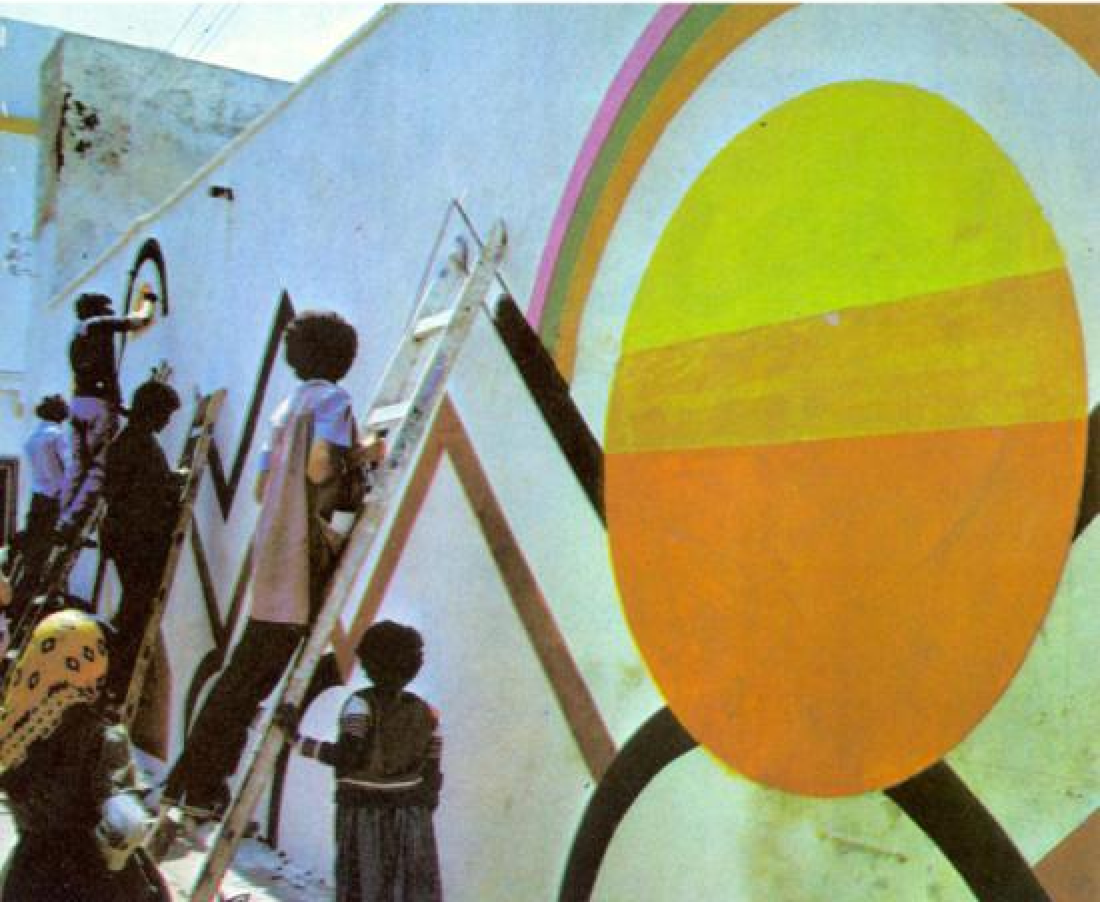


اطفال البلده امام لوحه رسمها رحول (الصورة الى اعلا) رسومات محمد المليحي رئيس الجمعيه المغربية للفنون التشكيلية (الصورة الى اليسار اعلا) تلاميذ المدارس في اصيله يقومون بالمساهمة فى تجميل مدينتهم (الصورة الى اليسار)

الماضي ، ينبغي ان ينتقل ذلك الى اعمال خلاقه وممارسات معاصرة فلم يعد اسلوب اشعال الشموع امام الشموس مجديا .. »

واضاف .. « نحن نطمع ان تكون هذه التجربة نقطة لقاء وحوار بين المفكرين والفنانين العرب ، ونتطلع الى وقت يساهم فيه الفنان التشكيلي العربي في عمل مشترك يكشف عمق واصالة الحضارة العربية » .







بريشة
جمعة

أول يوم في رمضان




اللهم إني صائم!


اللهم إني صائم


اللهم إني صائم



سؤال كل عام :

نعتمد الرؤية

ام الحساب الفلكى ؟

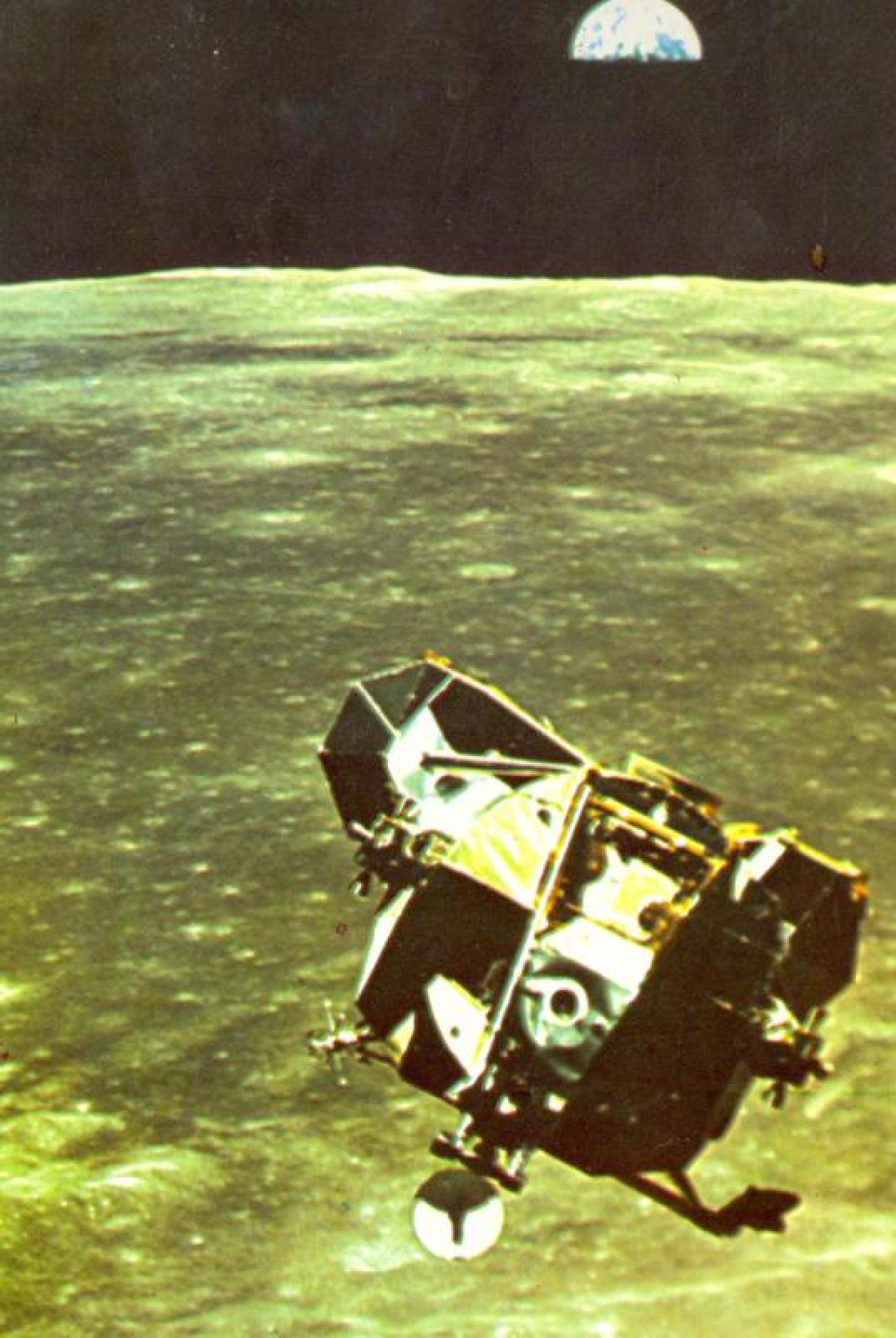
لماذا الخلاف فى صيامنا واعيادنا ؟

والعلم قادر على قياس الزمن لجزء من بليون من الثانية ؟!

بقلم

دكتور عبدالمحسن صالح





غريبة احيانا امور ائمة المسلمين! •

ووجه الغرابة انهم يعتقدون في صحة الاسس العلمية تارة ، فيرتكنون اليها في صلاتهم وامساكهم وافطارهم، أو أي شأن من شئون دنياهم ، ثم اذ بهم يعودون فيكفرون بها تارة اخرى.. فكلما انقضى شعبان ، وحل رمضان ، او جاء عيد من الاعياد ، تراهم يرسلون رسلا منهم ، ليستطلعوا هلال رمضان ، فيعلنوا ما راوا في البلاد ، وكثيرا مايضعون الناس في حيص بيص ، خاصة عندما تتضارب اقوالهم ، وتتناقض فتاواهم ، فلا يكاد المسلمون ـ لفترة ـ يعرفون رؤوسهم من ارجلهم .. لا في صيامهم ولا أعيادهم !

ومن حق ائمة المسلمين ان يختلفوا في تفسير او فتوى او تشريع ، لكن ان يتفلسفوا ويتعالموا ويتعالوا في امر من أمور هذا الكون العظيم ، فهذا مالا يقره منطق ولا عقل ولا دين !

فالكون ـ بلا شك ، وكما نعرفه من خلال علومنا الحديثة ـ بمثابة ساعة كونية دقيقة غاية الدقة ، ومتقنة أعظم الإتقان ، لانها من صنع الله الذى قدر فسوى ، وعلى هذه الساعة المضبوطة نعتمد ، ونحن مطمئنو الفؤاد ، مرتاحو البال •

صحيح أننا لا نستطيع ان نرى هذه الساعة الكونية كما نرى ساعاتنا التي نضعها حول معاصمنا او في سترتنا ، لكن العالمين ببواطن الامور ، والذين ينظرون الى الكون نظرة أعمق وأشمل وأعم ، ليدركون أن حركة الارض والقمر والشمس والكواكب والنجوم والمجرات والمذنبات تضع أمام اعيننا ، وفي عقولنا ، نظما لا يأتيها الباطل ، أو يحل بها الخلل !

فالعلماء الذين يتعاملون مع قوانين الكون ، ونواميس الوجود ، هم وحدهم الذين يعلمون انهم أمام أفلاك متقنة ، وأزمنة محددة ، ودورات مقننة ، وهم بتطلعهم الطويل الى الأجرام السماوية ، واستعانتهم بأجهزة ومعدات ومناظير فلكية متطورة ـ قد استطاعوا صياغة كل هذا الابداع في معادلات وقوانين توضح لنا ـ بجلاء ـ ما يغم على عيوننا القاصرة ، وعقولنا المحدودة ، فاذ بالكون العظيم يتجلى لنا بصورة أروع وأبدع وأوقع من كل ما رآه الأقدمون ، او ما يراه رجال الدين !

الزمن .. حركة !

والذى قد لا يعرفه بعض ائمة الدين أن الزمن حركة ، أو أن الحركة زمن !

ثم ان التقويم الزمني الذى يعتمدون عليه في نتائج الحائط او الجيب او المنشور عن طريق وسائل الاعلام لا يأتي من لا شيء ، ولا ينبع من فراغ بل جاء اساسا من حركة الكون المضبوطة •

واذا كان ائمة المسلمين في شك مما نقول ، فعليهم أن يعودوا الى القرآن الكريم ليستلهموا منه فصل الخطاب .. هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ،ما خلق الله ذلك الا بالحق، يفصل الآيات لقوم يعلمون.. وجعلنا الليل والنهار آيتين، فمحونا اية الليل، وجعلنا اية النهار مبصرة، لتبتغوا فضلا من ربكم، ولتعلموا عدد السنين والحساب ، وكل شيء فصلناه تفصيلا .. فالق الاصباح وجعل الليل سكنا، والشمس والقمر حسبانا ، ذلك تقدير العزيز العليم ... والشمس تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون ... وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ... والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ... الخ •

كل هذه الآيات وغيرها تشير بوضوح ، أو من طرف خفي ، الى ان الزمن الفلكي او الكوني او الأرضي ، انما هو انعكاس حقيقي لحركة الكون وما حوى ،والفضاء، وما طوى • وطبيعي ان رجل الدين لا يستطيع ان يرى الاتقان في التقدير ، والدقة في التسخير ، والابداع في التسيير ، والانضباط في الافلاك ، الا اذا درس القوانين الصامدة ، والمعادلات الأصلية التي تحكم هذه الأكوان المحيطة، فاذ بها تريه ، مالا يستطيع هو الاجتهاد فيه ، او الاعتراض على ما تطويه !

ان رجل العلم الحقيقي يضع نصب عينيه دائما



« اذن » أرضية ضخمة تتوجه الى السماوات ، وتلتقط أنباءها · انها الراديو تليسكوب ، أو المنظار الفلكى الموجي ، وهذه « الاذن » تستطيع أن « تسمع » همسا موجيا يبعد عن أرضنا آلاف الملايين من السنوات الضوئية (السنة الضوئية تساوى حوالى ٢٦ مليون مليون ميل) انظر الخلف

حقيقة لا مفر منها ، فهو يطوع عقله لفهم قوانين الكون ،ونواميس الوجود ، لا أن يخضع الكون لبصره او عقله او ادراكه المحدود ، ولو فعل لأخطأ وغوى، ولما ادرك من الاسرار العميقة شيئا مذكورا !

اذن فالحركة والتسخير والمنازل والأفلاك التى تسبح فيها هذه الأجرام ، انما هى دليلنا الى علم السنين والحساب والأرقام ·· أو هى ـ كما يراها رجل العلم التجريبي ـ حركة تؤدى الى زمن ·· الى أرقام تنبع من معادلات ·· او العكس !

ساعتنا وليدة ساعة كونية !

فلولا دوران الأرض حول نفسها لما عرفنا شيئا اسمه زمن ، ولا كان هناك ليل او نهار ، ولا شروق ولا عصر ولا غروب ولا صيام ولا أعياد ولا فصول ، ولعشنا في ليل سرمدى ، او نهار سرمدى، وعندئذ لن يكون لوجودنا معنى ، ولا لحياتنا مغزى !

واقد اقتبسنا من حركة الأرض او زمنها حركة أودعناها في تروس وعقارب لتتحرك بدورها حركات ايقاعية تفصلها وحدات زمنية نعرفها فى حياتنا بالثانية والدقيقة والساعة واليوم والشهر، وعندئذ تشعرنا بمرور الزمن اذا غم علينا سريان هذا الزمن فى ليل أو نهار !

وكما تعتمد تروس الساعة على بعضها ، وتؤثر في ميكانيكيتها ، كذلك تكون الأجرام السماوية·· فكيانها ووجودها وزمنها تعتمد على حركات ودورات وجذب وطرد وغير ذلك من قوى تحمل كل ما في الارض والسماء موزونا وقائما بغير عمد ترونها ، وعلى أساس هذا التعادل أو التوازن المتقن ،جرت معادلات العلماء وحساباتهم ، لتوضح لنا ان كل شيء في الكون يسرى بحساب ، ويجرى بمقدار ،وهو سبحانه « يفصل الآيات لقوم يعلمون » !

والذين يعلمون يدركون تماما لماذا استمرت السماوات والأرض بلايين فوق بلايين من السنين ، ليس هذا فحسب ، فهم يستطيعون ـ من خلال معادلاتهم التى نبعت أساسا من النظم الكونية ، المتقنة ـ أن يقدروا ما يمكن ان يكون عليه الكون العظيم لبلايين أخرى من السنوات القادمة ، ومن أجل هذا صمد الكون ويصمد وسيصمد بفضل

الدقة المتناهية فى حركته وزمنه ، ولولا ذلك لحلت الفوضى فى أطنابه من زمن ، لكننا لم نر الا كل ما هو منظم وبديع وأصيل ، وان الفوضى التى نعيش فيها أحيانا ، انما تنبع حقا منعقولنا، وتنبثق ـ على غير هدى ـ من انماط تفكيرنا !

فالقمر جرم سماوى تابع لكوكب الأرض ، وله حول نفسه دورة ، وللدورة زمنها،والأرض بدورها جرم سماوى ، ولها حول نفسها دورة ، ولها ايضا زمنها ، وللارض والقمر حول الشمس دورة ،ولهذه الدورة زمنها ، والشمس والأرض وكواكبها الاخرى الثمانية وما يتبعها من اقمار دورة كبرى فى المجرة ، ولهذه الدورة زمن ، وللمجرة دورة وزمن ... الخ ... الخ .

انها دورات وازمنة وحركات موقوتة ومسيرة الى قدر معلوم ، « كل يجرى لاجل مسمى»...ولكن « اكثر الناس لا يعلمون » !

لجزء من بليون من الثانية !

وطبيعى أن كل هذه العلوم العصرية المشتقة اساسا من النظم الكونية ، لاتجد هوى ولا تقبلامن بعض ائمة المسلمين ، بدليل انهم يهجرونها كلما اقبل رمضان ، أو جاء عيد ولابد أن يختلفوا ، لأن مواقعهم على الارض ، او فى دول متفرقة ، تمنع من توحيد الراى والزمن ، لان نظرتهم الحالية لازالت تستند على نظرة قديمة ومحدودة باقليم جغرافى محدد ومحدود ، وطبيعى اننا نعرف فى زماننا هذا ان لكل دولة زمنها ، او حتى لكل بلد فى الدولة ذاتها زمنها ، ولقد جاء الاختلاف بين زمن قطر وقطر ، من التقدم العلمى فىكل المجالات، والذى انعكس فى النهاية على أدوات تقيس الزمن لجزء من الف مليون جزء من الثانية ، أو ربما مليون بليون جزء من الثانية ، أو أقل من ذلك بكثير (كما هو واقع فعلا فى بعض الاحداث الذرية التى تتم فى جزء واحد من مليون بليون بليون جزء من الثانية !!) .

لا علينا من كل ذلك ، فلا شىء يدوم ، ولا حركة الى خلود ، ذلك ان هذه الساعة الكونية التى تنبع من حركة الأجرام السماوية تتاثر بقوى ومقاومات كامنة فى طبيعة تلك النظم ، فتتداخل فى حركاتها وسرعة دورانها ، وقد تجعلها تبطىء او تسرع ، كل ذلك يتوقف على الظروف السائدة ، ومع ذلك فنحن لا نحس بزيادةالسرعةاو ابطائها ، لانذلكيتم بمعدلات بطيئة للغاية ، وبحيث لا تصبح محسوسة الا بمرور ملايين السنين !

لكن العلماء حسبوها وقدروها ، فمن العوامل الكثيرة التى تتسلط على ارضنا الان وتبطىءسرعة دورانها حول نفسها (ومنهذهالعوامل نذكرالجاذبية بينها وبين القمر ، والاحتكاك الكائن بين غلاف الهواء والأرض ، والمد والجزر ... الخ) ،يتبين ان هذا الابطاء فى الحركة ينعكس على ابطاء فى زمننا الأرضى ، وبحيث يؤدى ذلك الى جعل يومنا هذا اقصر من غدنا بحوالى ٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ر٠ ثانية (اى ٢٥ جزءا من القمليون جزء من الثانية) ،أو ان اليوم الآن سيكون اقصر من اليوم الذى سيأتى فى عام ٢٠٧٨ بجزئين من الف جزء من الثانية ، وانه بعد خمسة الاف مليون عام من الآن ستبطىء الأرض فى حركتها الى الدرجة التى يصبح فيها اليوم ٣٦ ساعة من ساعاتنا الحالية !

ويقدر العلماء ايضا ان الابطاء فى سرعة دوران الارض، سوف يؤدىالى ضعف فى« قبضة » الارض

عين علمية جبارة (المنظار الفلكى الضوئى) ترقب الاجرام السماوية ، وترى فيها « ما لا عين رأت » .. اذ هى أقوى من العين البشرية بعشرات الالوف من المرات !





في العلوم الفلكية الحديثة لم يعد الانسان يعتمد على حواسه في استكشاف ما في الفضاء من نظم ، بل يعتمد على أجهزة اليكترونية حساسة تنقل اليه طوفانا من المعلومات التي تفك شفراتها عقول أو حاسبات اليكترونية خاصة ٠٠ وهذه الصورة توضح جزءا صغيرا من محطة أرضية تتصل بالبحوث الكونية ٠

على القمر ، ومن اجل هذا يبدأ في الهروب بعيدا في الفضاء ، ولكنه هروب بطيء للغاية ، اذ ان القمر يبتعد عن الارض الان بمقدار قدم واحدة في كل فترة زمنية تقدر بثلاثين عاما ، أو بمعدل سنتيمتر واحد في كل عام ، وطبيعي ان هذه المسافات جد ضئيلة بالنسبة للمسافات الكونية الشاسعة ، فالمسافة بيننا وبين القمر مثلا تقع في حدود ٤٠٠ ألف كيلو متر ، أو ٤٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ سنتيمتر !

ومع ضآلة هذه التقديرات ، ومع عدم احساسنا بها على الاطلاق ، الا انك لو اعطيت هذه العملية عمرا مديدا ـ عمرا يقدر بالاف الملايين من السنوات ، عندئذ تعطيك ازمنة ومسافات وتغيرات في هندسة الكون لا يعلم مداها ـ في النهاية ـ الا الله ٠٠ « وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى » ٠

ذكرنا أن الارض ستبطيء بحيث يصبح طول نهارها وليلها حوالي ٣٦ ساعة بعد خمسة الاف مليون عام ، وسيبتعد القمر عن الارض مسافة تقدر بحوالي خمسين الف كيلومتر زيادة عن مسافته الحالية ، ولهذا سيبدو أبعد وأضعف وأشحب نورا وضياء ، وعندئذ تتدخل الشمس وتتمدد ، وتعطي للارض دفعة ، فتزيد سرعتها رويدا رويدا ، فتشتد جاذبيتها او قبضتها على قمرها ، فتشده اليها ، وتعيده الى حظيرته ، بل وستدفعه دفعا ليكون أقرب اليها من وضعه الحالي، فيؤثر بجاذبيته في بحارها ومحيطاتها وطريقة دورانها ٠٠٠ الخ ٠٠٠ الخ ٠

هذه ـ اذن ـ بعض قشور علمية ذكرناها هنا ليتبين لنا أن الذين يحسبونها بجزء من بليون جزء من الثانية ، ويقدرون المسافات الكونية بالمتر والسنتيمتر ، لن يعيهم أن يحسبوا بدقة تامة منازل القمر ، او شروق الشمس وغروبها في اية بقعة من العالم ٠٠ وطبيعي أنه كلما تقدم بنا الزمن ، كانت الحسابات أدق ، والمعرفة أتقن ، والتحصيل من العلوم الكونية اشمل وأعظم ٠

دلائل كثيرة

وقد يقول قائل : وما يدرينا أن شيئا من ذلك سيحدث ؟ ٠٠ أو أن هذه الحسابات صحيحة ؟

الواقع أن الحديث في ذلك سوف يتفرع ويتشعب ويطول ، وليس له هنا مجال ، لكن يكفينا ان نذكر ذكرا عابرا انه ما كان ليتيسر للانسان ان يستكشف الفضاء بصواريخه وأقماره ، وأن يدفعها لتدور حول الارض تارة وحول القمر تارة اخرى أو يبعث بها الى المريخ والزهرة وعطارد

والمشتري وزحل لتقطع في الفضاء الواسع عشرات ومئات والاف الملايين من الاميال٠٠ماكان ليتيسر له ذلك الا بمعرفة دقيقة لمواقع هذه الاجرام ، وسرعة دورانها ، وقوى جاذبيتها بالنسبة لاى جسم كبر شانه او صغر ، ثم ان اى خطا ـ حتى ولو كان طفيفا للغاية ـ خاصة في مثل هذه المسائل الكونية المعقدة ، كفيل بتحطيم امال العلماء وفشلهم في غزو الفضاء ، لكن معظم الشواهد تدل على نجاح لا فشل !

اضف الى ذلك ان العقول البشرية لا تستطيع ان تجرى الحسابات المعقدة والدقيقة والسريعة التي يتطلبها عصر الفضاء ، ولولا العقول الاليكترونية التي تستطيع ان تنجز في ثوان ما ينجزه الانسان في سنوات ـ لولا ذلك لما حط قمر صناعي على القمر الطبيعي ، ولا انطلقت اقمار اخرى الى اى كوكب من كواكب المجموعة الشمسية ٠

ثم انه من « ميكانيكا » الاجرام السماوية المتقنة يمكن حساب عدد مرات الكسوف والخسوف التي ستحدث مقدما للشمس والقمر في كل سنة ،وتقدر ايضا موعد هذا الكسوف في السنة والشهر واليوم والساعة والدقيقة والثانية ، بل وتحدد مكان حدوثه ، وتوضح طول فترة هذا أو ذاك ٠٠٠الخ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ،يقدر علماء الفلك ان عام ١٩٨٢ سيشهد اكبر عدد من مرات الكسوف والخسوف ، اذ ستنكسف الشمس فيه اربع مرات، وينخسف القمر ثلاثة ، ومن الممكن طبعا حساب موعد الكسوف او الخسوف لمئات السنوات القادمة، ففي موقع محدد بجنوب الاطلنطى مثلا سوف يسجل العلماء اطول كسوف لم يحدث لمئات السنوات ، اذ ستنكسف الشمس لمدة سبع دقائق ، ٢٨ ثانية في يوم ١٦ يونيو عام ٢١٨٦ م٠ اى بعد مرور ٢٠٨ عاما من الان !

وحتى المذنبات التي تقترب من الارض كل عشرات او مئاتاو الافالسنوات لها حساباتها وتقديراتها ٠٠ فهناك مثلا اكثر من مليوني مذنب ، تختلف سرعتها ما بين ١١٢٥ كيلومترا في الساعة اذا سبحت في فضاء المجموعة الشمسية وبعيدا عن الشمس ، ثم تزيد السرعة كلما اقتربت منا ومن الشمس ، وبحيث تصل الى حوالي مليوني كيلومتر في الساعة الواحدة٠٠ ثم أن مذنب «هالي»المعروف سيظهر مثلا في تمام الساعة التاسعة والنصف



ما كان بالامكان اطلاق هذه الصواريخ الى الفضاء الا من خلال حسابات ومعادلات توضح الحركة والزمن والمدارات والافلاك والجاذبية ٠٠ الخ ٠٠ الخ ، ولقد نجح العلماء فعلا ، وهذا دليل دامغ على صحة حساباتهم الفلكية المشتقة أساسا من النظم الكونية ٠٠ فلا شيء يأتي من لا شيء ٠

من مساء ٩ فبراير ١٩٨٦ ، والمعروف ان دورة هذا المذنب حول الشمس تقع في حدود ٨١ و ٧٥ عاما ، اى يظهر ثم يغيب كل ٧٦ عاما بالتقريب ، في حين ان المذنبالمعروف باسم ١٩١٠ « أ » لن يعود الينا الا بعد مرور اكثر من اربعة ملايين عام ٠٠ اطال الله في اعماركم !

الدين يدعو الى العلم

والى هنا ـ ورغم تقدم العلوم الفلكية تقدما عظيما ـ نرى الذين لا يعلمون عن امور هذا التقويم الكوني المضبوط شيئا ، لا يستفتون ...ن يقدرون ويحسبون ويعلمون عدد السنين والحساب ٠٠ ارضيا وقمريا وشمسيا ونجميا او ما شاءوا من مواقيت ، ولهذا يركبون رؤوسهم

ويذهبون لتسجيل رؤية هلال رمضان او شوال ، او اى شهر من الشهور القمرية التى لهم فيها مارب ، وهم ـ فى هذا التسجيل ـ يعتمدون غالبا على عيونهم ، ولا يعرفون ان العين احيانا ما تخدع ، او هى قاصرة جدا بالنسبة لاجهزة الرصد الحديثة ، وحتى هذه الاجهزة المتطورة غير ذات موضوع فيما يريد ائمة المسلمين الاختلاف فيه ، او الاتفاق عليه ، لان منازل القمر ودورته وزمنه محسوبة جميعا بدقة متناهية ، والذين حسبوا وقدروا قد تموع نفوسهم من انماط تفكير الذين يتدخلون فيما لا يعرفون ٠

ففى الاية الكريمة : «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ٠٠ وفى الاثر : اطلبوا العلم ولو فى الصين ٠٠ والعلم الان بين ايدينا ، بل ونستفيد به فى كل صغيرة وكبيرة فى حياتنا، ونرتكن اليه فى تقاويمنا ، فنصلى الفروض بهديها ، او نمسك لنفطر ونحن مطمئنون لحساباتها، ودون أن نلجا الى الخروج للخلاء ، لنستطلع الخيط الابيض من الاسود ، او نسجل غروب الشمس وشروقها ، أو نلقى بالا لبزوغ الهلال فى الشهور الاخرى التى ليست للمسلمين فيها مناسبات تذكر ، لان الحسابات الفلكية هنا لا غبار عليها ، انما يظهر الغبار فجاة ، فيؤذى العقول التى تستنكر هذه الردة الفكرية فى انماط التفكير ، وكانما بعض ائمتنا يقفون بافكارهم عند فترات زمنية قديمة ، ولو لم يسارعوا بالاخذ باسباب العصر وعلومه ، فان الزمن لا يرحم ، وسوف تنطلق قافلة العلم بسرعة الصاروخ ، وهم فى اماكنهم جامدون ، وبافكارهم لا يتطورون ٠٠ والتجمد ضد الزمن ، لان الزمن كالسهم المارق الذى لا يتوقف لاحد ابدا !

« أنتم أعلم بأمور دنياكم » !

وقد يقول قائل : ان كل هذا الكلام مردود عليه باية صريحة ، وبحديث شريف ٠٠ فالاية تقول « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ٠٠ والحديث « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » ٠

وبدون الدخول فى التفاصيل والمتاهات نقول ان رؤية الهلال قد لاتثبت فى كل الاقطار ، كما انه لايمكن توحيد مواعيد الصلاة او الافطار أو الامساك فى جميع البلاد ، فرب صائم ينوى الافطار فى قطر ، اذ باخر يمسك عن الطعام فى قطر آخر ، او ان احدهم قد يصوم ثماني عشرة ساعة ، فى حين ان الاخر قد يصوم ١٢ او ١٥ ساعة فى الوقت ذاته ٠٠ اى انه لابد من الاختلاف هنا ، ولا يمكن توحيد مواقيت صلاة او صوم او حتى اعياد ، ولهذا لم تعمم الاية لتقول « فمن شهد منكم الشهر فلتصوموه » بل قالت « فليصمه » ٠٠ اى ان الذى يرى يصوم ، فاذا غم عليه، فليأتمر بما امرته به شريعته ، اما اذا يسر العلم اموره ، فلياخذ باسباب العلم، لانه قائم اساسا على النظم الكونية التى تجرى كساعة مضبوطة !

ولو كان الرسول صلوات الله عليه يمتلك مانمتلك الان ، لما رفضه ، فهو عقلانى فى المقام الاول ، ولاتفوتنا هنا ان نذكر مسالة النخيل التى قال عنها يوما ان لها ربا يرعاها ، ولما ترك الناس النخيل دون ان يلقحوه بالطلع ، نقص المحصول بشكل واضح ، وعندما اشتكوا اليه ،قال لهم « أنتم اعلم بامور دنياكم » ٠٠٠ كما أن ائمة المسلمين يعرفون جيدا كيف أن احد اصحابه أشار على الرسول أن يعسكر بجوار بئر ، فغير الرسول رأيه عندما رأى أن صاحبه كان على حق فيما قال!

ونحن الان اعلم بامور دنيانا ، فالظواهر الكونية ،والاجرام السماوية ،والمعادلات الرياضية، والحسابات الفلكية ، والعلوم الضخمة التى تنطلق الان كتيار جارف ٠٠ كلها من امور دنيانا ٠٠والدين يسر لا عسر ،والعلم ايضا يسر لا عسر، فلقد يسر للناس فى الوقت الحاضر ما لم تيسره الوسائل القديمة، وزمننا خير شاهد على ما نقول!

والقول الفصل الان : اما ان نثق فى نظم الكون التى جاءت من عند الله ، ونثق فى العلم الذى لم ينشا من فراغ ، بل هو اظهار لعظمة الله وابداعه فى كل ما خلق فسوى فاتقن فتجلى ،فسار كل شىء وفق نواميس لا خلل فيها ولافوضى ٠٠ واما ان نركب رؤوسنا ،وتتجمد افكارنا ،ولانساير الزمن ، ومن تجمد فى فكره ، او عاش بزمن غير زمنه ، فقد ركد ٠٠ والركود جمود ، والجمود موت ٠٠ والعياذ بالله من جمود لاناقة لنا فيه ولا جمل ٠

و « اطلبوا العلم ولو فى الصين »، حتى لانكون اضحوكة العالمين ٠ ■■

الاسكندرية ـ **دكتور عبدالمحسن صالح**

شعراء معروفون مجهولون

بقلم : عبد الرزاق البصير

■ تعتبر عينية ابن زريق من القصائدالمشهورة التي سارت كثير من أبياتها على ألسنة الناس مسرى الأمثال ، لانها عبرت عن ما يحصل لكثير من الناس في ظروف كثيرة مثل قوله :

أستودع الله في بغداد لي قمرا
بالكرخ من فلك الازرار مطلعه
ودعته وبودّي لو يودعني
صفو الحياة واني لا أودعه
وكم تشفع بي أن لا أفارقه
وللضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى
وأدمعي مستهلات وأدمعه

ومثل هذه الحالة المؤلمة تصادف كثيرا من الناس تاتي عليه ظروف تضطره الى مفارقة من امتلات نفسه بحبه ، مما يجعله يتمنى مفارقة الحياة لانها اهون عليه من مفارقة الاثير الى نفسه .

وقد وفق الشاعر في التعبير عن هذه الناحية الانسانية ، كذلك وفق الشاعر حيث يقول :

أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته
كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا
شكر الاله فعنه الله ينزعه

لان كل انسان لا يشكر النعمة التي يرزقه الله اياها فانه لا بد وأن تزول عنه تلك النعمة .

ولقد أحسن الشاعر حيث جعل النعمة لباسا ترتاح نفس الانسان من لباسها ، لما لها من زينة ظاهرة تجعل مظهره لائقا أمام الناس . ثم صور



ذلك بصورة أخرى . فقد شبه النعمة بالملك يؤتى من لا يقدره حق قدره فانه كما ينتزع منه ثوب النعيم حين لا يشكر الله عليه . كذلك يذهب عنه ما يملك ولا يبقى له الا الذكر السيىء . ولعل هذه الابيات التي رويناها هي التي جعلت هذه القصيدة تشتهر بين الناس . وقد أحببت أن أقف على ترجمة ناظم هذه القصيدة فان من طبيعة الانسان اذا وقف على عمل فني رائع يود لو عرف مبدعه لتكون الصورة في ذهنه متكاملة . ولكنني لم أستطع أن أظفر بما احببت . بالرغم من أني رجعت الى كثير من الكتب التي اعتقدت انني ساجد فيها ترجمة الشاعر فدهشت من ذلك . اذ أن ناظم مثل هذه القصيدة العامرة لا بد أن تتسابق كتب التراجم الى تاريخ حياته . وبقيت مدة طويلة أبحث عنه دون جدوى وقد خطر لي أن أقف على مادة زرق في كتاب تاج العروس فوجدته يقول :

الزريقي شاعر معروف . وهو صاحب العينية التي مطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه
قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

ومن المعلوم ان صاحب التاج عالم محقق لا يطلق أي كلمة الا بعد بحث وتمحيص . غير أني وجدت الثعالبي . صاحب كتاب يتيمة الدهر . وهو الكاتب الموثوق بروايته يذهب بان الابيات الاربعة التي أولها : (أستودع الله في بغداد لي قمرا) هي من نظم ابي الفرج محمد بن احمد الدمشقي الملقب بالوأواء . وهذا مما يزيد في حيرة الباحث عن ترجمة (ابن زريق) . ووجدت السمعاني يروي في كتاب الانساب عن (ابن ماكولا) احد المؤرخين المعروفين قوله : ان الزريقي شاعر شامي مشهور بهذه الابيات :

وكم تشفع بي أن لا أفارقه
وللضرورة حال لا تشفعه

وان مستهل قصيدته هذه قوله :

لا تعذليه فان العذل يولعه
قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

فهل الزريقي شاعر غير محمد بن زريق ؟ أم أن الامر اختلط على صاحب التاج والسمعاني؟ . ولست استبعد أن تكون رواية هذين العالمين غير دقيقة . لهذا أعتقد بان الاستاذ نعمان ماهر الكنعاني محق حينما قال في كتابه (شعراء الواحدة) ابن زريق البغدادي . أو محمد بن زريق البغدادي، شاعر عنقائي الوجود لامع الاسم . وهيهات ان يأتي باحث بترجمة لحياة هذا الشاعر تقطع دابر الشك في وجوده . ويقال عن هذا الشاعر بانه هام بفتاة وأراد الزواج منها فحال فقره دون ذلك فسافر الى المغرب . وقد وجدت عينيته هذه تحت وسادته .

وليس ابن زريق هو الشاعر الوحيد الذي تجهل حياته.. فهناك كثيرون مجيدون من الشعراء لا نعرف من امرهم شيئا . بالرغم من أن لهم قصائد تشهد بان لهم افئدة تنبض بالشاعرية المبدعة . ومن يدري فقد يأتي يوم يعثر فيه الباحثون على هؤلاء الشعراء فترتوي غلة من يبحث عن مثل هؤلاء الشعراء المظلومين ..

وهل توجد ظلامة أكبر من أن يبرز شاعر موهوب فتنتشر بعض آثاره بين الناس وتحرك النفوس ومع ذلك كله ينغمس هذا الشاعر في غياهب ظلمات الضياع . فان من المعروف في عالم الفكر والادب أن الخلود من أهم العوامل التي تدفع الفنانين بصورة عامة أن يفنوا حياتهم في ابراز آثارهم ولو كلفهم ذلك ما كلفهم من التضحيات وقد يكون من الخير أن أورد مثالا آخر مشابها لما أشرت اليه من ضياع شاعر يستحق أن يكون مصدر اشعاع بين الناس . وهو الشاعر الذي يقول :

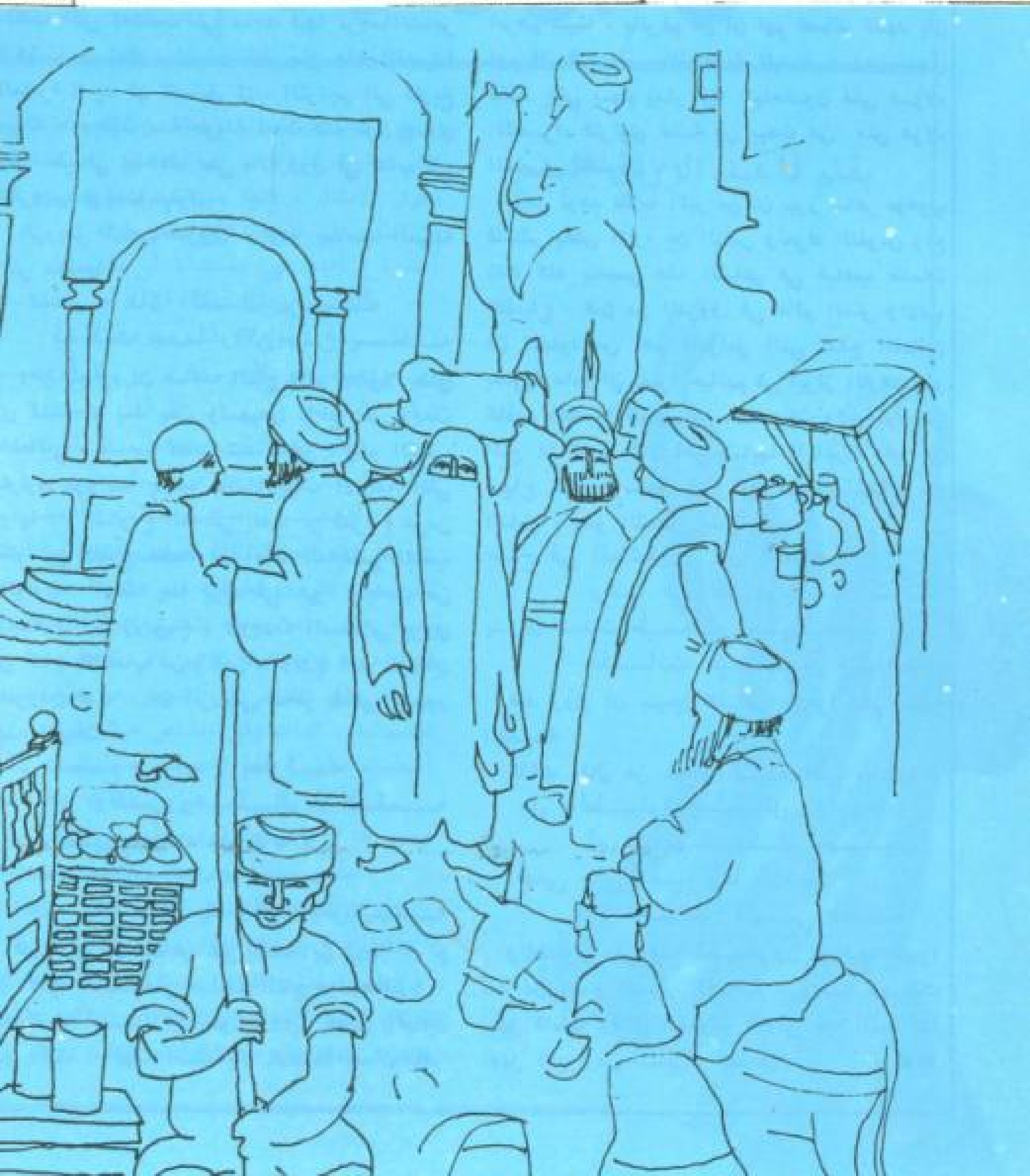
صاح في العاشقين : «يا لكنانه»
رشأ في القلوب منه كنانه
بدوي بدت طلائع لحظيه
فكانت فتاكة فتانه

فقد روي أن سبعين شاعرا ادعوا نظم هذه القصيدة :

كذلك يقال عن شاعر اليتيمة التي مطلعها :

هل بالطلول لسائل ردّ
أم هل لها بتكلم عهد
لهفي على دعد وما خلقت
الا لحر تلهفي دعد

والمطلعون على هذه القصيدة يرون ان فيها صورا تعد من أبدع الصور الجمالية . ولكننا مع ذلك نجهل قائلها وقائل المقطوعة الاولى جهلا تاما كما نجهل كثيرا من الشعراء المبدعين . ■■



أسواق القاهرة العربية

للسوق العربية هندسة بناء خفية، وتستر خلفها رؤية للحياة، وللتجارة، وللعلاقات بين البشر، وفيها تتشابك المصائر، وحتى زماننا هذا تحتفظ القاهرة بأسواق متحفية لم تمسها العصرنة الحديثة، او زحف الخرسانة، بل ان الفلسفة الخفية انتقلت الى الاسواق العصرية التي تغرق في بحر من النيون الصناعي •

بقلم: جمال الغيطانى

■ •• تتوحد الظلال ، والروائح ، ومنحنيات الطرق ، وملامح الانتظار ، والرغبة ، تماما كما تتشابه الملامح البشرية ، في الاسواق العربية ، في القاهرة ، الغورية ، والحمزاوى المتقل بالتوابل والعطور ، وخــان الخليلي مجمع التحف وآيـات الابداع الانساني ، والتربيعة• لا نناى عن الخطوط والقسمات عندما ننتقل الـى سوق الحميديـة ، الممتد ، الطويل كقطار يتحرك في ثبات عبر محطات متوالية من الزمن لاتنال من معالمه ، وارضيتـه المفروشة بظلال السقف المعلق ، كذلك سـوق الشورجه في بغـداد ، والســوق الرئيسي فـي البصرة ، والسوق البديع المفروش بضوء خفـى المصدر في اربيل ، هذا ما اتيح لي ان اراه ، وان اعاينه ، اما ما لم اشاهده في الرباط او تونس او الـجزائر او عمـان ، او اليـمن ، فـلا يشي باختلاف كبـير ، انما تؤكـد اللوحات عنـاصر التشابه •

الارزاق على الله

يحدثنا المقريزى عن اسواق القاهرة •

•• والقصبة هي اعظم اسواق مصر ، وسمعت غير واحد ممن ادركته من المعمرين يقول ان القصبة تحتوى على اثنى عشر الف حانوت •

هذا العدد الهائل من الحوانيت كان يبدأ في زمن المقريزى بعد ان يلج الداخل من باب الفتوح، القائم حتى الان ، فيما يلي ذلك الباب كان يوجد سوق اللحم ، والخضر ، كانت حوانيت القصابين

تصطف متجاورة ، تبيع لحم الضان والماعز ،وكان القصابون يلفون اللحم فى ورق الموز ، ومكان هذا السوق اليوم العديد من التجار الذين اختصوا ببيع الليمون والزيتون الاخضر ، ويعرف حاليا باسم سوق الليمون ، وهنا نلاحظ السمة الاولى للاسواق العربية ، انها التقسيم النوعى ، فكل سلعة تجدها فى مكان معين ، فرع باكلمه يتخصص فى بضاعه معينه ، وتتجاور الحوانيت ، كل منها يعرض نفس السلعة ، والتنافس قائم ، لكن تكمن وراءه ما يمكن ان نسميه فلسفة يومية مستمدة من الدين الاسلامى « الارزاق على الله » ، فلكل تاجر رزقه وزبائنه ، ولايزال هذا التقسيم قائما حتى يومنا هذا ، فنجد اسواقا متخصصة ، الحمزاوى الذى يعرض التوابل والعطارة ، والفحامين الذى تتجاوز فيه متاجر الاحذية ، والتمبكشية (تجار الدخان والتمباك) ، والغرنفش (تجار الخيش والكهنة القديمة) وتحت الربع (الادوات المنزلية والموسكى (الثياب والادوات المنزلية) والدرب الجديد (الحقائب والمصنوعات الجلدية) وسوق الرويعى (ماكينات الخياطة ولوازم الحياكة) وسور الازبكية (الكتب القديمة) والصنادقية (الكتب الازهرية) ، والصاغة (الذهب والمجوهرات) والنحاسين (النحاس والالمنيوم ، وادوات المقاهى من نرجيلات واكواب ، وفناجين) ، ودرب سعادة (الاخشاب) والخردة والمنسوجات الشعبية (وكالة البلح) ، والتحف والهدايا (خان الخليلى) • بل ان السلع غير المشروعة تجد مناطق متخصصة فى بيعها مع ان الحكومة تحاربها وتطارد المتجرين فيها ، وهذا يبدو فى منطقة الباطنية التى تتركز فيها تجارة المخدرات ، واذا ما انتقلنا الى المدينة العصرية جدا ، او وسط البلد كما يسمونه اليوم، فنجد ان الحوانيت المتشابهة ايضا تتجاور ،عشرات المتاجر التى تبيع الاحذية فى شارع قصر النيل متجاورة ، او الملابس الحديثة ، او الآلات العصرية، ان وحدة المكان الذى تعرض فيه السلعة ،ظاهرة فريدة فى الاسواق العربية ، انه ليس انعكاسا لقانون تجارى خفى ، بقدر ماهو تجسيد لاسلوب فى الحياة ورؤية ، ان هذا يسهل على المشترى قضاء حاجته • كما انه يشبه معرضا مستمرا لسلعة بعينها ، يمكن للمشترى ان يقارن ، وان ينتقى ، وان يختار ، ثم يشترى ••

ونعود الى القاهرة التى وصفها المقريزى •

الاسواق القديمة

بعد سوق القصابين يجيء سوق المرحلين ، ويختص بلوازم الجمال عند الرحيل ، كان يقصد من سائر انحاء مصر خصوصا فى مواسم الحج ، فلو اراد الانسان تجهيز مائة جمل فى يوم لما شق عليه وجود ما يطلبه ، وقد بدأ خراب هذا السوق فى زمن السلطان برقوق ، ولم يبق له اثر الان ، ومكانه الان شارع السيارج ، اما سوق حارة برجوان فكان يعرف فى ايام الخلفاء الفاطميين بسوق امير الجيوش ، كان معمور الجانبين بعدة وافرة من باعة اللحم ، والزياتين ، والجبانين ، والخبازين ، والعطارين ، وقد خرب هذا السوق بعد سنة ٦٠١ هـ ، وهذا السوق الان موضعه تجار القشة • واذا ما تقدمنا حتى مسجد الاقمر سنجد سوق الشماعين ، حيث تباع الشموع الضخمة التى تحمل فى المواكب ، وكانت حوانيته تظل مفتوحة حتى منتصف الليل ، ويجلس بها بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين ، لهن زى خاص ، وكانت تعلق بهذا السوق الفوانيس فى المواسم فتصير رؤيته فى الليل من انزه الاشياء ، وكان به شمع يصل وزن الواحدة منه الى قنطار كامل ، وشموع تحمل على عجلات ، وفى زماننا انتقلت دكاكين بيع الشموع الى الامام فنجد عددا منها يقع بالقرب من الغورية وشارع الازهر،وتباع فيها الان الشموع التى تحمل فى حفلات الزفاف ، والشموع التى تضيء فوانيس رمضان ، وتباع ايضا قلل السبوع التى تضيئها الشموع عند الاحتفال بمرور اسبوع على ميلاد البنات ، و «الاباريق» اذا كان المولود ذكرا•على اية حال فقدت الشموع موقعها وتراجعت امام الكهرباء •

وكان سوق الدجاجين يلى سوق الشماعين ،وفيه الدجاج والاوز والطيور المتنوعة،وكان تباع فيه عصافير محبوسة يشتريها الاغنياء ليعتقوها ، وموقع هذا السوق اليوم مجموعة مبان متهالكة ، وموقع لبعض الباعة الذين يحولون الزيتون الاخضر الى اسود • اما عن اعتاق الطيور الحبيسة فعادة توارت، ويجهلها الزمن الحالى الذى كثر فيه اغتيال العصافير ، وذبح الاسراب المهاجرة بمجرد ان تلامس صدورها الساخنة بر الانسان ، وكان خط بين القصرين من اعمر مناطق القاهرة ، وفى ايام الدولة الايوبية صار هذا الموقع سوقا ، وقعد فيه



الباعة باصناف الماكولات من اللحوم المتنوعة ،ثم صار متنزها تمر فيه اعيان الناس لرؤية ماتشتهي الانفس ، ثم اصبح هنا سوق السلاح ، وقد نقل فيما بعد الى موضع يقع بالقرب من القلعة ولا يزال الاسم عالقا بالمكان حتى اليوم ، وبجواره نجد بعض الحرفيين يجلسون الى تخوت صغيرة وامامهم اقفاص صغار من حديد مزخرف تحتوي على الخواتم والفصوص والاساور ، ثم سوق الحلوى ، وسوق المهاميز ، ثم سوق السروجيين ، ثم تجار المنسوجات المستوردة من الصين وفارس والهند ، وبجوار الازهر كان سوق الشرابشيين ، ويباع فيه الخلع التي يلبسها السلطان للامراء والوزراء والقضاة وغيرهم ، ومثل الكلوتات اليلبغاوية ، والكلوتات الزركش ، وسمي سوق الشرابشيين نسبة الى الشرابيش ، واحدها شربوش ، وهو يشبه التاج كانه شكل مثلث على الرأس بدون عمامة ، وقد

بطل في عصر الدولة الجركسية،كما ان هذا السوق لا يوجد له الى الان ، وفوق بعض اجزائه تقع منشات السلطان الغوري .

ثم سوق الحلاويين ، وكان يمتد الى ســوق الشوائيين ، وكان معدا لبيع منتجات الحلوى من تماثيل تسمى علاليق ، واحدها علاقة ، وكــان بعضها يزن‌من‌عشرة ارطال ، الى ربع رطل ، وربما كان هذا السوق اصل الاسم الذى اطلق فيما بعد على حارة السحرية التى تدور فيها احداث ثلاثية اديبنا الكبير نجيب محفوظ .

وفى سوق مجاور تتصاعد انغام موسيقية من آلات لا تزال تحت التجربة ، انها حوانيت صناعة العود والقيثارة ، وكانت هذه الحوانيت ملتقى ايضا لمن يهوون الفن والموسيقى او ارباب المجون والخلاعة بلغه عصرهم ، ولا يزال حتى الان بعض الحوانيت التى تصنع الالات الموسيقية تقع بالقرب من هذا المكان المجاور لشارع محمد على المعروف بانه مقر الفرق الفنية التى تحيى الافراح .

بجوار باب النصر ، فى القرن الرابع عشر ، كان يوجد سوق العبيد الذى نقل فيما بعد الى خان الخليلى ، هنا كان يعرض الرجال والنساء للبيع ، كان البشر يعرضون عراة فيما عدا قطعا رقيقة من القماش تستر عوراتهم ، ويتمدم‌المشترون لفحص اعضاء الاجسام ، ونجد هذا المشهد فى «الف ليلة وليلة » ، حيث ينادى تاجر الرقيق ..

يا سيد ، ليس كل ما استدار جوزة ، ولا كل ما استطال موزة ،

ولا كل ما احمر لحمة ، ولا كل سمراء تمرة .

ثم يبدأ المزاد على الالام البشرية ،

يذكر المقريزى ثمانية وثلاثين سوقا كانت موزعة على قصبة القاهرة ، بعض هذه‌الاسواق زال واندثر بكل ما حفل به من ضجيج ، ومرور بشر ،ونظرات متلاقية فى اناة ، واخرى فى حذر ، بكل ما مر به من رجال تتبعوا نساء جميلات ، او بصاصين تعقبوا بشرا من هنا او هناك ، مثل سوق المرحلين، والشماعين ، والدجاجين ، والقفيصات ، وباب الزهومة ، والفوخيين ، والحريريين ، والخليميين ، وغيرهم .

وبعض الاسواق الاخرى انتقل مع حركة الزمن فى‌المكان،فابتعد من موقعه ولم‌يعد يحمل الا الاسم، كسوق السلاح ، وثمة اسواق اخرى لا تزال فى مواقعها تقاوم عناصر البلى ، والعدم ، كسوق الصاغة ، وفى القاهرة الان اسواق لا تزال محتفظة بالشكل القديم ، مثل سوق الخيامية المسقوف‌من خشب ، ويكثر به صناع الخيام التى تنصب منها السرادقات ، وان كان عددهم قد تناقص الان الى اقل من ثلاثين صانعا ، وبالطبع هنا خان الخليلى والحمزاوى ، والتربيعة ،

كيف كانت تبدو هذه الاسواق فى‌العصور‌الخوالى للرحالة او الاجانب المقيمين والزائرين ؟

الحوانيت

هذه الاسواق كانت تتكون من الدكاكين المتجاورة، يصفها المستشرق الانجليزى ادوارد لين :

يتكون الدكان من كوة مربعة الشكل ، او حجرة صغيرة ارتفاعها ستة اقدام او سبعة تقريبا ، وعرضها ثلاثة اقدام او اربعة ، وقد يتالف‌الدكان من حجرتين تتقدم الواحدة الاخرى وتستعمل الاخيرة مخزنا ويقام امام الدكان مصطبة بالحجر او الآجر يستوى سطحها بارضية الدكان ، وترتفع المصطبة عادة حوالى قدمين ونصف او ثلاثة اقدام ويكون عرضها كارتفاعها ، وتجهز واجهة الدكان بمصاريع ثلاثة سهلة الطى يعلو بعضها بعضا فيثنى اعلاها الى فوق ، ويطوى الاخران الى اسفل فــوق المصطبة فتكون مقعدا مستويا يفرش بالحصر او البسط او بالوسائد احيانا ، وتستبدل بعض الدكاكين بالمصاريع السابق ذكرها ابوابا منثنية ويجلس التاجر غالبا على المصطبة ، مالم يضطر الى الانسحاب قليلا داخل الدكان ليخلى المــكان لمن يصعد ليه من حرفائه الذين يخلعون احذيتهم قبل ان يطاوا الحصيرة او البساط باقدامهم ، ويقدم التاجر الشبك الى حرفائه الدائمين ، او من يشترى بضاعة كثيرة ، الا اذا كان هؤلاء‌يحملون شبكهم ، ثم يرسل الــى اقرب مقهى فــى طلب القهوة التى تقدم فى فناجين صغيرة من الخزف الصينى داخل ظرف من النحاس الاحمر (١)

بعض الدكاكين فى الاسواق القديمة لا تزال على حالها ، لم يغير منها الزمن ، وربما كانت بعض العادات قد تغيرت ، فلم يعد ممكنا ان يترك التاجر دكانه مفتوحا فى وقت ذهابه للصلاة او الغذاء، لان الامان ليس هو الامان الذى كان فى عصر ادوارد لين ، ولا تزال الاسواق العربية فى

---

(١) المصريون المحدثون ص ٢٢٧ ، ٢٧٨ : ترجمة‌عدلى طاهر نور



بغداد والبصرة والموصل تحتفظ بهذه الدكاكين المفتوحة ، وعندما يمضى التاجر لقضاء حاجة يمد قطعة من القماش تعلن عدم وجوده ، مع الزمن ، وتوالى الايام ، وانعدام الثقة ، وكثرة الخلق ، لم يعد مصرحا ، انما حالت الفاترينه المغلقه التى يعرض فيها التاجر بضاعته ، والحاجز الخشبى بينه وبين الزبائن •

غير ان الحياة الجماعية للسوق ربما لا تزال تحتفظ بخصائص قديمة ، فالتجار يرسلون وقت الغذاء الى مطاعم منتشرة فى الاسواق يحضرون منها غذاءهم ، كما يوجد عدد من المقاهى الجيرة او باعة الشاى يجولون بعد وقت الغداء وعلى امتداد النهار • اما باعة الحلوى فيجيئون ايضا فى الميعاد المناسب ، وفى وسط السوق يـــروح ويجيء الباعه المتجولون الذين لا يملكون دكاكين ثابتة لبضاعتهم ، وهؤلاء ينادون على بضاعتهم •

فيصيح بائع الترمس «مدد ،مدد يا امبابى» ويعنى بهذا القول اما الاستعانة بالشيخ الامبابى وهو ولى مشهور ، واما الاشارة الى ان ترمس امبابة لذيذ الطعم • ويصيح بائع الليمون « الله يهونها يا ليمون» وكثيرا ما ينادى على اللب «لب عبد اللاوى» يابطيخ «يامسلى القلبان يالب» او «اللب المحمص» اما بائع الجميز فيقول « جميز يا عنب »، ويستعمل بائع الورد نداء فريدا « الورد كله شوك من عرق النبى فتح » •

وكانت الاسواق تخضع لمراقبة المحتسب ، وكان يجوس من حين الى آخر خلال المدينة يتقدمه عامل يحمل الميزان والصنج ، وخلفه الجلادون والخدم ، وهويمرعلى الدكاكين والاسواق واحدا بعد الاخر يفحص الموازين والمكاييل ، ويستفسر عن ثمـــن الماكولات ، ويتاكد من نظافتها ، واذا اكتشـــف مخالفة ينزل العقاب بمرتكبها،وتذكر كتب التاريخ عقوبات فريدة انزلها المحتسب بالغشاشين ، كهذا الرجل الذى كان يبيع الكنافة ناقصة الوزن ، فامر المحتسب بجلوسه عارى المؤخرة فوق صينية الكنافة الساخنة ، واحيانا كان المحتسب يقطع جزءا مـن الاذن او الانف ، وكان هناك فى بداية القرن التاسع عشر محتسب اسمه مصطفى الكاشف مشهورا بقسوته،وفى مرة قابل رجلا مسنا يقود حمارا محملا بالبطيخ ، فاشار الى واحدة من اكبرها حجمـا وسال عن ثمنها ، فامسك العجوز بشحمة اذنـه وقال : اقطعها يا سيدى ، فاعاد عليه المحتسب السؤال مرة بعد مرة ، وكان الجواب واحدا ، فاغتاظ المحتسب ، لكنه لم يتمالك ان ضحك وقال، هل انت مجنون ام اصم ؟ فقال العجوز : لا ،لست مجنونا ولا اصم لكننى اعرف انى ان قلت ثمن البطيخة عشرة فضة فستقول ، اقطع اذنه ، واذا قلت خمسة فضة او فضة واحـدة فستقول اقطع اذنـه لذلك اختصرت الامر • ونجا الرجل لتهكمه ••

لكن هل كان ذلك يعنى ان العدالة مطلقة ؟يقال انه كان يسعى بين ايدى بعض المحتسبين رجل يحمل ميزانا اكبر حجما من الميزان المستعمل ، ويقـال ان قب الميزان كان انبوبة مجوفة بها زئبق ، فكان حامل الميزان يستطيع اذا عرف الذين رشوا سيده ان يرجح احدى الكفتين بسهولة •

صورة شاملة

واذا كان ادوارد لين قد قدم لنا صورة مفصلة للاسواق فى القرن التاسع عشر ، فان الرحالة ابو الحسن الوزان الفاسى ، المعروف باســم ليون الافريقى ، والذى زار مصر فى القـرن السادس عشر يقدم لنا صورة شاملة :

« تمتلىء المدينة (القاهرة) بالصناع والتجار، ويكثرون بصفة خاصة فى شارع يمتد بين بابى النصر ، وباب زويلة ، فهنا يقيم اكثر نبلاء

القاهرة ،ويوجد في هذا الطريق عدد من المدارس التي تثير الاعجاب بسبب حجمها وزخرفتها ،ويضم احد الاحياء ، وهو الذي يسمى بين القصرين محلات تبيع اللحم المطهو ، ويبلغ عددها ستين محلا ، مزودة باطباق من الصفيح ، وفي محلات اخرى يباع ماء الزهر ،وماءالورد ،وهو يحفظ في قنان من الزجاج او في علب من الصفيح مزينة برسوم فنية ، وهناك حوانيت اخرى تختص ببيع انواع ممتازة من الحلوى تختلف عن تلك التي تباع عادة في اوروبا • وهناك نوعان من هذه الحلوى ، نوع يصنع من العسل وآخر يصنع من السكر ، وياتي بعد ذلك تجار الفاكهة الذين يبيعون الفواكه السورية التي لاتنمو في مصر ، مثل الكمثرى ، والسفرجل ،والرمان ويتخلل هذه الحوانيت محال اخرى تبيع المقليات من البيض والجبن ،وعلى مقربة منها منطقة يشغلها بعض اصحاب الحرف الرفيعة ، وبعد ذلك توجد المدرسة الجديدة التي بناها السلطان الغوري ، وبعد المدرسة توجد «فنادق»(٢) المنسوجات (اى اسواقها) وكل فندق يشتمل على عدد كبير من الحوانيت ، ففي الفندق الاول ،تباع الاقمشة الاجنبية من احسن الانواع ،مثل تلك التي تاتي من بعلبك، وهي نسيج قطن رفيع ، والمنسوجات التي تاتي من الموصل ، وهي التي حازت اعجاب الناس بسبب رقتها ومتانتها ويستخدمها علية القوم ورؤساؤهم لقمصانهم وبعد ذلك تاتي الفنادق التي تباع فيها أجمل الاقمشة الايطالية مثل الحرير الدمقس والمخمل والتفتاه والبروكار • واؤكد لك بانني لم ار مثيلا لها في ايطاليا حيث صنعت » •

ويقول متعجبا عند حديثه عن تجار الروائح العطرية ان هذه المنتجات كانت متوافرة بحيث اذا اراد الزبون ان يشترى درهم مسك عرض عليه التاجر مائة رطل لينتقي ويختار ،وكثيرا ماكانت تلك الاسواق تشهد مناسبات غريبة ، فاذا ماحدث وانتج احد الصناع عملا جميلا ، كان يرتدي رداء من الحرير ويطاف به بين الحوانيت يصحبه الموسيقيون فيما يشبه موكب النصر ،وقد شهد ليو الافريقي موكبا لرجل صنع سلسلة لبرغوث احتفظ به مقيدا على قطعة من الورق • كما راى احد اعمال القوة العظيمة التي قام بها احد السقائين الذين يسيرون في الشوارع حاملين قربا من الجلد تتدلى من اعناقهم ،فقد تراهن مع شخص آخر ان يحمل قربة عجل مملوءة بالماء تشد اليه بسلسلة من الحديد ،وفعلا استمر هذا الرجل طيلة سبع ايام متتابعة من الصباح الى المساء يحمل هذه القربة التي علقت بسلسلة على على كتفه العاري ،ففاز بالرهان ، وحاز شرف موكب نصر عظيم تصحبه الموسيقى وجميع السقائين في القاهرة الذين يبلغ عددهم ثلاثة آلاف سقاء»

الوكالات

الوكالة وحدة تعتبر سوقا في حد ذاتها ، ويمكن ان نعتبرها فندقا ايضا ، فالوكالة عبارة عن بناء كبير مربع الشكل في معظم الاحيان او مستطيل، يتكون من عدة طوابق ،الطابق الاسفل يتكون من مخازن متجاورة تستعمل كدكاكين لعرض البضاعة ايضا ، وفوق الحوانيت حجرات صغيرة تستخدم كمساكن للتجار الغرباء الذين قطعوا ساعات طويلة عبر بلاد متعددة لعرض بضاعتهم في القاهرة ولعل اشهر وكالة بقيت حتى الان هي وكالة الغوري التي اعيد ترميمها وتتبع وزارة الثقافة حاليا، ويقيم بها عدد من الفنانين الذين يستخدمون حجراتها كمراسم ، كما توجد بها بعض الاقسام الفنيه التي ترعى العدد القليل المتبقى من الصناعات المنقرضة ، كصناعة خشب الخرط ، وتعشيق الزجاج بالجبس ،والتطعيم ،وفي بداية القرن التاسع عشر كان يوجد في مصر اكثر من مائتي وكالة ، معظمها ازيل الان ، ولكن هناك وكالات قديمة جاء ذكرها في خطط المقريزي ،مثل وكالة الصابون المجاورة لباب النصر ، والتي ذكرها تحت اسم خان قوصون ، ووكالة بازرعة بالجمالية ، ووكالة القطن ،وكل وكالة لها باب واحد يقفل ليلا ويحرسه بواب •

لقد ولت اسواق القاهرة القديمة والتي كانت تعكس في تصميمها واسلوب حياتها قيما وعادات لم تعد موجودة الان ، واذا كانت الاصالة لاتزال تتشبث ببعض اركان المدينة القديمة ، فاننا نجد فيها بقايا عتيقة تحاول الثبات في وجه رياح التغيير والنيون والبوتيكات ،وذلك الطوفان النابع من كل ارجاء الدنيا ■■

القاهرة ـ جمال الغيطاني

---

(٢) حد الوكالات •

قاضى

شعر : عيسى عصفور

المستشار بوزارة العدل ـ دمشق

طاوى الجناحين لارى ولا شبع   قاض ، ويقضى عليه البؤس والهلع
فى بردة نسجها زهد ومأثرة   يزينها الخالدان : الطهر والورع
يشكو الصغار له عريا ومسغبة   والناس من حوله صم فما سمعوا
تمر من حوله اللذات سادرة   وأين من عيشه اللذات والمتع ؟
وأول الشهر يلفى مثل آخره   وتستوى عنده الآحاد والجمع
يفنى الليالى ايثارا ومكرمة   لا الجد اجدى ولا اصحابه شفعوا
تخاله من صفاء الروح فى دعة   وفى الملفات من أنفاسه قطع
ان كنت عفا فقد ضاقت مسالكها   او كنت ذا حظوة فالامر متسع
كم طالعين بلا علم ولا خلق   لولا النفاق الذى عاشوه ما طلعوا
حطم بكفيك قيثارا لهوت به   فأنت فى جوقة العزاف مستمع
ورب دهر يموت الحق من سفه   فيه ، وينتصر التضليل والخدع
اين الثلاثون من اعوامك اندثرت   تبارك الفقر ، لا اثم ولا طمع
يستصغرونك تصنيفا ومرتبة   وفى فؤادك للعلياء منتجع
ويحسبونك فى تعدادهم رقما   كأنما الفكر فى أسواقهم سلع
ويمنعونك اذ تعطى ، فلا أسف   فى حسبة الله ما تعطى وما منعوا
كم جولة لك فى ساح الجهاد روت   انباء روعتها ارض ، ومجتمع
أليس فيك لدى الجلى وكريتها   بقية من شفار السيف تلتمع
لا كنت من يعرب ان لم تعد لها   قلب الكريم وعزما ليس ينصدع



لقمان

وأمثالنا العربية

نشرت مجلة العربي في عددها ٢٢٨ مقالا لي بعنوان « هكذا تكلمت الحيوانات » وقد ارسل الاستاذ احسان جعفر من اللاذقية ثلاث ملاحظات على هذا المقال جاء في احداها ان لقمان الحكيم لم يكن عبدا حبشيا وان في التراث اكثر من لقمان ، فهناك لقمان عاد (القبيلة اليمنية البائدة)، وهو غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن الكريم • اما «أمثال لقمان» المطبوعة في كتاب، فليست للقمان عاد ولا للقمان الحكيم وانما هي محض تلفيق منسوج ، وسأرد في هذا المقال على هذه الملاحظة أما الملاحظتان الاخريان فسنرجيء الحديث عنهما الان •

بقلم : يوسف الشاروني

■ لعل لقمان اشهر حكيم من حكماء الامثال عرفه العرب قديما • وقد قام الدكتور عبد المجيد عابدين بدراسة هذه الشخصية الادبية في كتاب الامثال فوجد ان تطورها يساير الى حد كبير تطور المثل العربي في مراحله الثلاث : المرحلة الجاهلية والامثال فيها في صورتها المضطربة البسيطة ، المرسلة على السجية ، النابعة من صميم البيئة • وترسم هذه المرحلة خطا واضحا في الاستعمال العام في تاريخ الادب العربي الى ان ضعف النفوذ العربي في أواخر القرن الاول الهجري • ثم المرحلة الكتابية ، وفيها دخل التانق على الامثال وهذبتها الصنعة ، وظهرت عليها اثار التامل البعيد ، أى ان اسلوبها كتابي تظهر فيه صفة التركيب ، ورؤية الكاتب ، وتامل المفكر ، وهو يمثل خطا واضحا تبدأ بواكيره في الجاهلية ، ثم يزدهر بظهور الاسلام ونزول القرآن الكريم ، وعناية المسلمين بالحكمة والتعليم الديني والدنيوي • ويشق هذا الاتجاه طريقه خلال العصور • واخيرا المرحلة المولدة وتبدأ حيث يضعف النفوذ العربي وتطغى موجات اجنبية ، لا سيما ارامية على العالم الاسلامي ، فتتغير من اساليب الحياة والتفكير والتعبير جميعا ، ويأخذ المثل العربي القديم في الانحلال ، ويحل محله امثال مولدة ، وذلك منذ القرن الثاني للهجرة •

وآثار لقمان في كل مرحلة من هذه المراحل تتميز عن الاخرى في وضوح وجلاء ، الامر الذي حدا بالمفسرين الى اعتبار لقمان الجاهلي غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن • وجعل بعض الفرنجة يعدون لقمان علما على شخصين او ثلاثة• وقد رأى برنارد هيللر في مقالته القيمة في دائرة المعارف الاسلامية ان قصة لقمان مرت بثلاث خطوات رئيسية : أولاها لقمان في الجاهلية ، تليها لقمان القرآني ، وتنتهي بلقمان صانع الخرافة ، وهو الذي ظهر بعد عصر القرآن •

لقمان الجاهلي

أما لقمان الجاهلي فقد اختلف النسابون في نسبه ، فقيل هو لقمان بن عاد وابنه لقيم وابنته صحر وزوجته براقش • ويبدو ان هذا هو اقدم

ما انتهى الينا من نسب ... مان . أما ما ذكر من انساب اخرى فلعلها جاءت متأخرة وكانت محاولات لتوفيق بين لقمان وشخصيات اخرى وردت في الكتب والاخبار القديمة .

ولقمان الجاهلي يمثل فيما يروى عنه البطل الاسطوري ، فهو عملاق هائل له جسم ضخم ورأس عظيم يضرب به المثل . وهو شديد البنية يضرب بشدتها المثل فيقال : اشد من لقمان العادي وله بصر حاد خارق للعادة حتى انهم جعلوا زرقاء اليمامة من بناته . وهو فوق ذلك يجيد الرماية بالسهام والنبال الى حد خارق للعادة . ثم هو اكول يتغذى بجزور (ما يصلح لان يذبح من الابل). ويدور عدد من قصصه حول الطعام واكله ، حتى قيل في المثل : «اكل من لقمان». ويفترض الدكتور عبدالمجيد عابدين ان هناك صلة بين اصل تسمية لقمان وما نسب اليه من كثرة الاكل ، بمعنى ان لقمان قد يكون مشتقا من لقم يلقم : اذا أسرع في الاكل . فلقمان معناها السريع في الاكل . ثم هو طويل العمر جدا ، بلغ خمسمائة وستين سنة، وهو في الدرجة الثانية من المعمرين بعد الخضر كما يقول السجستاني في « كتاب المعمرين من العرب » ، ثم زاد هذا الرقم في قصص مختلفة فبلغ الف سنة . وثلاثة الاف سنة وثلاثة الاف وخمسمائة سنة . وهو ميال الى البناء وانشاء المدن، وفي اخبار لقمان انه بنى سد مأرب .

واذا نظرنا في قصص لقمان لاحظنا ترديدا ملحا للعلاقة بين الرجل والمرأة ، وهذه القصص في مجموعها تدلنا على ان المرأة في نظره لاتخلص لرجلها . وهو في هذه القصص حريص على هذه العلاقة ، يعاقب من يقطعها بالخيانة أشد العقاب. تزوج عدة نساء كلهن خنه في انفسهن ، فلما قتل اخراهن ونزل من الجبل كان أول من تلقاه صحر ابنته ، فوثب عليها وقتلها قائلا : وانت ايضا امرأة . وكانت له أخت محمقة اي تلد الحمقى ، وكان لقمان منجبا اي يلد النجباء ، فاحتالت حتى وقعها دون ان يعلم (مثلما فعلت بنات لوط في سفر التكوين بالتوراة) . فحبلت بلقيم فهو ابنه وابن اخته .

فلقمان هو صاحب المثل : « ويل للشجي من خلى » . وحكاية ذلك المثل ان لقمان كان قد نزل بقبيلة ، فرأى امرأة قد انتبذت من بيوت الحي ، فانبرى لها رجل ، فمضيا جميعا حتى انفردا ، وذلك بحيث يرى لقمان ويسمع . فقالت المرأة للرجل : اني أتماوت على اهلي فاذا وضعوني في قبري جئت أنت فأخرجتني ، وتنكرت فلا يعرفني أحد . فقال الرجل : افعلي . وكان الزوج اسمه « الشجي » والخليل اسمه الخلي فقال لقمان : « ويل للشجي من الخلي» ، اي ويل للزوج من العشيق ، فذهبت مثلا .

ومن قصص لقمان التي ذهبت فيها كلماته امثالا ، تلك القصة التي توضح موقفه من الخيانة الزوجية :

بينما كان لقمان يسير ذات يوم اذ أصابه عطش ، فهجم على مظلة في فنائها امرأة تداعب رجلا ، فاستسقى لقمان ، فقالت المرأة :

– اللبن تبغي أم الماء .

– ايهما كان ولا عداء . (فذهبت مثلا)

– اما اللبن فخلفك ، وأما الماء فامامك .

– المنع كان أوجز . (فذهبت مثلا)

فبينما هو كذلك اذ نظر الى صبي في البيت يبكي فلا يكترث له ، ويستسقي فلا يسقى ، فقال:

– ان لم يكن لكم في هذا الصبي حاجة دفعتموه الي فكفلته .

– ذاك الى هانيء زوجي .

– وهانيء من العدد ؟ (فذهبت مثلا)

– ومن هذا الشاب الى جنبك ؟ فقد علمته ليس ببعلك .

– هذا أخي .

– رب أخ لك لم تلده أمك (فذهبت مثلا)

ثم نظر الى اثر زوجها في فتل شعر الخيمة ، فعرف انه أعسر فقال :

ثكلت الاعيسر أمه ، لو يعلم العلم لطال غمه .

فذعرت المرأة من قوله ذعرا شديدا ، فعرضت عليه الطعام والشراب فأبى وقال :

– المبيت على الطوى حتى تنال به كريم المثوى ، خير من اتيان ما لا تهوى . (فذهبت مثلا)

ثم مضى ، حتى اذا كان مع العشاء اذا هو برجل يسوق ابله وهو يرتجز ويقول :

روحي الى الحي فان نفسي

رهينة فيهم بخير عرس

حسانة المقلة ذات أنس

لا يشترى اليوم لها بأمس

فعرف لقمان صوته ، ولم يره ، فهتف به :
ـ يا هانىء ، يا هانىء .
ـ ما بالك ؟
قال :

يا ذا البجاد الحلكة
والزوجة المشتركة
عش رويدا ابلكه
لست لمن ليست لكه

ـ نور نور ، لله ابوك .
ـ على التنوير ، وعليك التغيير ، ان كان عندك نكير ، كل امرىء في بيته امير (فذهبت مثلا) انى مررت وبى أوام ، فدفعت الى بيت . فاذا أنا بامراتك تغازل رجلا فسالتها عنه ، فزعمته أخاها ، ولو كان اخاها لجلى عن نفسه ، وكفاها مؤونة الكلام .
ـ وكيف علمت ان المنزل منزلي والمراة امراتي؟
ـ عرفت عقائق هذه النوق في البناء بوحدة الخلية في الفناء ، وسقب هذه الناب وأثر يدك في الاطناب .
ـ صدقتني فداك ابى وامى . وكذبتني نفسى فما الراى ؟
ـ هل لك علم ؟
ـ نعم ، بشانى .
ـ كل امرىء بشانه عليم . (فذهبت مثلا)
ـ هل بقيت بعد هذه ؟
ـ نعم .
ـ وما هو ؟
ـ تحمى نفسك وتحفظ عرسك .
ـ افعل .
ـ من يفعل الخير يجد الخير . (فذهبت مثلا). والراى ان تقلب الظهر بطنا والبطن ظهرا ، حتى يستبين لك الامر أمرا .
ـ أفلا اعالجها بكية ، توردها المنية .
ـ آخر الدواء الكي . (فارسلها مثلا) .
ثم انطلق الرجل حتى أتى امراته فقص عليها القصة ولم يزل يضربها حتى بردت .

ونشاة مثل هذه الشخصية في مثل هذا الزمن السحيق ، والتفاف القوميات المختلفة حول هذه الشخصية على مر العصور ، والاعتماد على الرواية الشفوية في كثير من الاحيان ـ كل ذلك عرض هذه الشخصية لكثير من التطور العميق ، فقبل الاسلام كان اليهود يسعون الى خلق قومية حميرية مصبوغة بصبغتهم ، وكان منهم جماعات اقاموا في موطن عاد القديم من الاحقاف . وكانت حمير قد تهودت على يد ذى نواس ويبدو ان شخصية لقمان كانت من ذلك التراث الذى تناولوه بالتغيير حرصا على ضمه اليهم ، وتغذيته بعناصر كتابية ، كقصة الاستسقاء ، وقصة النسور السبعة .

فحين ارتكبت عاد الخطيئة باهانتها لنبيها هود ـ حين دعاهم الى الله فحمل عليه رجل من سفهائهم بحجر فادمى كعبه ـ دعا عليهم ان يبتليهم الله بالقحط ، ويحبس عنهم المطر ثلاث سنوات ، فاستجاب الله له ، فحبس عنهم المطر وابتلاهم بالقحط حتى ارهقهم ذلك . فاجمعوا على ايفاد وفد الى بيت الله الحرام بمكة يستقى الغيث ، واعدوا من عظمائهم واشرافهم سبعين رجلا ، ثم وضعوا على السبعين « قيل بن عنز » ـ وهو رأسهم وصاحب امرهم ـ ولقمان بن عاد وآخرين وكان اهل مكة اذ ذاك من العماليق ، وسيدهم معاوية بن بكر ، وكان قد تزوج امراة من عاد . فلما نزلوا مكة اقاموا عنده شهرا وهو يكرمهم، تغنيهم قينتان له يقال لهما : الجرادتان ، فنسوا انفسهم ، ومعاوية محرج ان ينبههم الى ما جاءوا من اجله حيث انهم ضيوف عليه ، حتى احتال على ذلك بغناء ووضعه على لسان جاريتيه . فلما تذكروا مهمتهم قام فيهم ابو سعيد المؤمن (لاحظ لقبه) يدعوهم الى الايمان بنبيهم هود عليه السلام وبربهم ، فكرهوا قوله وردوا النصيحة . وحين هم الوفد بالسير الى الكعبة سالوا مضيفهم ان يحبس ابا سعيد فاستجاب لهم ، وامتنع لقمان ابن عاد معه . اما بقية الوفد فلاذوا بالكعبة يستسقون لقومهم ، فارسل الله ثلاث سحابات اختار زعيمهم احدها ، غير ان السحابة ما وصلت عاد حتى امطرت وابلا خرب البلاد ، ولم تترك منهم احدا الا هزيلة بنت هزال العملقية وبنيها ـ وهي امراة ابي سعيد المؤمن ـ فان الله نجاهم من العذاب بايمان اصحابهم، وامر الله سبحانه وتعالى الريح فحملتهم برفق ـ هي وولدها ـ لم تؤذهم حتى اتت بهم مكة فالقتهم في منزل معاوية بن بكر الذى فيه وفد عاد واصحابه. ومنها علموا ما انزل الله بقومهم من العذاب . فاقاموا بالحرم سبع سنين ، ثم تذكروا الاوطان ، فعادوا الى ارضهم بالاحقاف . وراوا ما نزل بقومهم ، فدعوا الله عز وجل ، وقالوا : « اللهم

الحقنا بقومنا وانزل بنا ما انزلت بهم » . فاماتهم الله بصاعقة من السماء فدمرتهم .

اما ابو سعيد المؤمن ولقمان فكانا قد انطلقا الى البيت العتيق بعد عودة وفدهما من هناك الى حيث ينزلون ضيوفا على معاوية بن بكر . فتقدم ابو سعيد المؤمن ولاذ بالكعبة حيث طلب ابو سعيد البر والتقوى فاجيب اليهما . اما لقمان بن عاد فدعا وتضرع وقال : « اللهم انى لم اتك وافدا الا لنفسى فاعطنى سؤلى » . فسمع مناديا من السماء يقول:يالقمان بن عاد،ماجئت تطلب،و،اتريد فاسال تعط.قال:جئت اطلب العمر. فنودى:اخترعمر سبعة انسر حين تنفلق عن الفرخ البيضة، فاذا هلك نسر اعقب نسر آخر . او تبقى سبع بقرات سمر ، من سنوات عفر ، فى جبل وعر ، لا يمسها قطر » . فاختار لقمان عمر سبعة انسر. فنودى » قد اوتيت سؤلك ، ولا سبيل الى الخلود». فانصرف لقمان وابوسعيد الى الوفد فى منزل معاوية وابنه بمكه ، واقاموا معا حتى اتاهم نبأ هلاك عاد . وعاش لقمان عمر سبعة انسر ، فكان يأخذ فرخ النسر الذكر فيجعله فى الجبل الذى هو اصله (اى بيئته) ، فيعيش فيها ما عاش . فاذامات اخذ آخر حتى آخرها لبد ، وكان اطول عمرا . فقيل : « طال الابد على لبد » .

وقد حكى عبيد بن شرية فى كتابه «اخبار ملوك اليمن » شعرا على لسان لقمان يقوله عند موت كل نسر من النسور السبعة التى وعده الله أن يعيش عمرها جميعا فعبيد يقف عند كل نسر منها يذكر كيف عثر عليه لقمان ، ثم كيف عاش مع لقمان ، ثم كيف مات النسر ، وما قاله فيه لقمان من شعر . وانت تحس فى هذه القطع الشعرية تدرجا نحو الياس والمرارة والخوف يزداد شدة من قطعة الى قطعة ، حتى اذا ما وصلنا الى القطعة السابعة وجدنا نغمة الياس والمرارة تصل الى قمتها . بل تكاد القطعة الاخيرة التى يرثى بها النسر السابع ونفسه تكون صرخة عميقة الجذور تحمل كل معانى الاسى والياس بل والحنق المليء بالمرارة . وهذه القطع التى يوردها عبيد على لسان لقمان تحكى احساس رجل يموت سبع مرات ، عند موت كل نسر يحس انه يقترب من الموت خطوة ، ويوقظه موت النسر لحظات ينتزعه فيها من الحياة ليريه النهاية المحتومة المقدرة .

لقمان الكتابى

وقبيل الاسلام اشتهر لقمان بالحكمة الكتابية ، بعد ان كان صانع امثال شعبية ، تكاد تكون خالية من النغمة الكتابية الظاهرة . ولم يكد يظهر الاسلام فى شبه الجزيرة حتى كان عرب اليمن الذين سكنوا فى الحجاز واتصلوا بالجانب الغربى من شبه الجزيرة قد مهدوا للظهور لقمان الجديد. لقمان القرآنى .

فنرى كعب الاحبار ووهب بن منبه ، وهما من اليهود الذين اسلموا ، يذيعان عددا من اخبار لقمان .

وزعم الرواة ان عرب الجاهلية كانت عندهم «مجلة لقمان » وفيها الحكم والعلم والامثلة ، وان جماعة منهم قد قراوها وامتلكوها ، وذكروا من جملتهم « سويد بن الصامت » الذى رووا انه كان يقراها وانه اخبر الرسول بها لما قدم عليه .

وقد فرق الجاحظ بين لقمان بن عاد ولقمان القرآنى اذ قال : « وكانت العرب تعظم شان لقمان ابن عاد .... ، ولقيم بن لقمان فى النباهة والقدر، وفى العلم والحكم ، وفى اللسان وفى الحلم . وهذان غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن على ما يقوله المفسرون » .

قال تعالى « ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر الله ، ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان الله غنى حميد » (سورة لقمان آية ٢٣) وفى الايات التى تلت هذه الاية ، حكى القرآن عن لقمان اقوالا دالة على التقوى ، وحاثة على الايمان بالله وحب الوالدين ، واقامة الصلاة والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والتمسك بالصبر والتواضع . وفى هذا كله روح اسلامى ظاهر يدلنا على ان لقمان فى القرآن الكريم ، وان كان سمى لقمان الجاهلى فهو شخصية اخرى ليس بينها وبين لقمان الجاهلى شبه ما . وينبه الدكتور عبدالمجيد عابدين الى اننا لا نعرف شيئا محققا عن مدى الصلة بين حكمة لقمان التى وردت فى القرآن وما احتوته مجلة لقمان التى عرضها سويد بن الصامت على الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة حوالى عام ٦١٦ م . كما سبق ان ذكرنا ...

كل ما يمكن ان يقال عن هذه المجلة انها ربما احتوت عناصر كتابية . ويسوقنا الى هذا الافتراض

ان سويد كان ممن عرفوا الكتب وانه كان من اهل المدينة • بينما يربط بعض الباحثين بين لقمان القراني واحيقار ـ او حيقار كما يسمى احيانا في العربية ـ وزير سنحريب ملك اشور ، وكان مشهورا بحكمته • وتتلخص قصته في انه كان غنيا وحكيما ، وكان قد حرم من انجاب الولد فتشيه الهم والحزن ، ودعا الالهة وصلى لهم ، فلم ينفع ذلك شيئا ، وتزوج ستين امراة لعله ينجب ولدا يرث حكمة ابيه وثروته وسلطانه ، لكنه لم يرزق الولد • وكان له ابن اخت يسمى « نادان » او « ناداب » ، فوضع فيه اماله ، وبالغ في تربيته وتعليمه الحكمة حتى يكون خلفا له فى خدمة سنحريب • واسدى اليه احيقار عددا كبيرا من الوصايا والحكم (٦٦ حكمه في النسخةالعربية)• فلما اتم تعليمه سلم اليه ثروته وبيعته ، ولكن نادان حين وجد ان امره بيده ، وثروة خاله في قبضته ، تمرد عليه ، وهزىء بشيخوخته وبدد ماله ، فامره الملك بالتخلي عن ثروة خاله ، وعاود احيقار عليه النصيحة (٣٦ حكمة فى النسخة العربية) وعاتبه على ما صنع ، فتالم نادان هذه المرة تالما شديدا ، وسرت العلة فى بدنه ، فانتفخ جسمه ، وانشق بطنه ومات ، فصارت آخرته الهلاك ومضى الى جهنم •

ويرى رندل هاريس ان هناك تشابها بين لقمان واحيقار من حيث ان كلا منهما يحمل لقب الحكيم ويعظ ابنه مستخدما لفظ يا بني • كما ان بعض المفسرين امثال الثعلبي عن وهب بن منبه قالوا ان لقمان هو ابن اخت ايوب ، وهو يقابل وصف نادان بالقياس الى احيقار ، كما ان هناك بعض التشابه الواضح في كل من القصتين بالرغم من اختلاف موضوعات العظة • ومن الواضح ان هذه الادلة غير كافية لاثبات الصلة بين « احيقار » « ولقمان القراني » ، فاستخدام لفظ « يابني » ليس مقصورا على حكمة لقمان واحيقار بل هو امر شائع في الحكمة الكتابية ، اما تشابه احدى العبارات فليس دليلا على ان الصلة بين الشخصيتين صلة تاريخية • والظاهر ان العرب القدماء قد ربطوا بين الشخصيتين وان لم يذكروا اسم احيقار صريحا • والا فكيف نفهم هذا التحول الفجائي الذى صنعته مصادر ابن قتيبة والسهيلي في تسمية ابن لقمان نازان او ناران بدلا من الاسم القديم « لقيم » • ويعلل الدكتور عبدالمجيد عابدين هذا التحول بانهم وجدوا شيئا من التشابه بين قصة احيقار وابن اخته نادان ـ او بين قصة اخذت منها ـ وبين ما حكاه القران الكريم عن لقمان • فجعلوا ابنه ثاران او ناران ـ ولعله نادان ـ ليكون لقمان هو احيقار تبعا لذلك • وقد عرف العرب القدماء احيقار باسمه من مصادر كتابية • فقد ذكره عدى بن زيد شاعر الحيرة المسيحي •

ويستطرد الدكتور عبد المجيد عابدين قائلا ان العلماء القدماء لم يقتصروا على ربط لقمان باحيقار ، بل اوجدوا الصلة بينه وبين شخصية اخرى هي بلعام • فيروى القرطبي عن محمد بن اسحاق انه هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح • وعن وهب بن منبه انه كان ابن اخت ايوب عليه السلام • ويقول ابن قتيبة انه كان في زمن داود عليه السلام ، واسم ابنه ناران ولم يكن نبيا في قول اكثر الناس • وهذا تحويل اخر لنسب لقمان بجانب ما حدث من تحويل في اسم ابنه • فجعلوا نسب لقمان بن باعور لانه نسب بلعام المعروف في التوراة هو بلعام بن بعور • وكانهم ارادوا ان يوحوا الى الناس بان لقمان في لفظه هو ترجمة لبلعام ، لان بلع ولقم كليهما بمعنى واحد ، حتى ان بعض الاجانب القدامى نقله عن العرب اذ قال : ان بلعام الذى يسمى بالعربية لقمان قال كذا ••• وهذا ايضا ارتباط مصطنع ، فبلعام لم يكن كلقمان رجلا موقرا ورعا تقيا • كما ان لا صلة بين اقوال بلعام وحكمة لقمان • وبرجوعنا الى التوراة نجد ان بلعام كان عرافا في زمن موسى ، (سفر يشوع،اية ١٣)وليس في زمن داود كما يقول ابن قتيبة،وقد جاءت قصته في التوراة من الاصحاح الثاني والعشرين حتى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر العدد • ذلك ان بالاق ابن صفور ملك موآب لما رأى جموع بني اسرائيل قد اقتربوا من مملكته فزع خوفا من ان يقضوا على الاخضر واليابس ، وطلب من بلعام ان يلعن له الشعب المغير ، فامره الرب الا يسمع كلام بالاق ، لكنه ركب اتانه وسار فى طريقه الى ملك موآب ، فوقف ملاك الرب امام اتانه بحيث لم تستطع مواصلة سيرها مما اضطر بلعام الى ان يضربها ثلاث مرات ، وحينئذ كشف له ملاك الرب

عن نفسه وامره ان يواصل سيره شريطة الا يتكلم الا بما يوحي له فقط • وفعلا واصل طريقه ولم يتنبأ الا بانتصار اسرائيل على مواب • وربما كانت هذه القصة هي التي جعلت المفسرين يربطون بين بلعام وبين قوله تعالى : « واتل عليهم نبأ الذى اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين • سورة الاعراف اية ١٧٥ •

على اية حال فان هذه الروابط التى اصطنعها المفسرون والاخباريون بين لقمان وشخصيات الكتب السابقة ، كان لها تاثير فى شرحهم لحكمة لقمان وتفسيرهم لشخصيته القرانية ، فصاروا كلما وجدوا فى الكتب القديمة شيئا عن احيقار وغيره نسبوه الى لقمان • وهكذا لا نلبث ان نجد فيما نسبوه الى لقمان اثارا اسرائيلية ،فجعلوه يزهد فى الحكم لان الحاكم ظالم ، ويفضل الذل على الشرف،ومن سكن فى الدنيا ذليلا فذلك خير من ان يكون شريفا • ومن يختر الدنيا على الاخرة نفته الدنيا ولا يصيب الاخرة ، ثم نودى على داود فقبل الخلافة فهوى فى الخطيئة غير مرة ، كل ذلك ويعفو الله عنه • وكان لقمان يؤازره بحكمته • فقال له داود : طوبى لك يا لقمان • اعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء ، واعطى داود الخلافة وابتلى بالبلاء والفتنة•وواضح انتفضيل الذل على الشرف واعتزال الحياة ، والاشارة الى تعاصر داود ولقمان ، كل ذلك يدل على تغلغل نزعات غير عربية فى شخصية لقمان •

فلقمان القرانى مختلف تماما عن احيقار وبلعام ، اختلافه عن لقمان الجاهلي وليست هناك ضرورة للتعسف فى اخضاع الروابط على هذا النحو •

لقمان المولد

اما لقمان المولد فهو صورة جديدة من لقمان لم تعرف من قبل ، فلقمان هذه المرة ليس بطلا اسطوريا كما كان فى الجاهلية ، وليس وزيرا ولا نبيا ولا قاضيا من قضاة بنى اسرائيل ، لكنه الان عبد حبشى كان لرجل ببنى اسرائيل كما يقول الثعلبى ، او كما يقول السهيلى مغربى من اهل ايلة ــ وتقع على راس خليج العقبة وكانت قديما من المدن الارامية ، او من سودان مصر له مشافر اى عظيم الشفتين كما يقول سعيد بن المسيب • قال لقمان لرجل ينظر اليه : ان كنت ترانى غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق ، وان كنت ترانى اسود فقلبى ابيض • بينما يزعم المسعودى انه كان مغربيا ، وانه كان مولى للقين ابن جسر ، ولد على عشر سنين من ملك داود ، وكان عبدا صالحا من الله عليه بالحكمة ، ولم يزل باقيا على الارض مظهرا للحكمة فى هذا العالم ايام يونس بن متى حين ارسل الى ارض نينوى فى بلاد الموصل • وقد اعتقه سيده واعطاه ماله • اما حرفته فكان خياطا او نجارا او راعيا• وتنسب كثير من هذه الروايات الى سعيد بن المسيب المغزومى ، المتوفى عام ٩٣ هـ وهو من التابعين •

فى هذا الدور تنسب الى لقمان طائفة من الخرافات ، فيطلع الناس ــ لاول مرة فى الادب العربى ــ على كتاب لامثال لقمان يرجع تاريخ تدوينه الى نهاية القرن السابع الهجرى ٦٩٩ هـ ــ ١٢٩٩ م • ظهرت منه نسخة خطية فى باريس وطبعت عدة مرات اقدمها طبعة ليدن عام ١٦١٥ ، ولقيت عناية من الباحثين الغربيين •

والكتاب فى صيغته ومادته غريب عن المثل العربى القديم ، ولم يشر الى شىء مما يتصل بمضمونه احد من العرب السابقين • وقد لاحظ برنارد هلر ان الحيوان الذى كان يستوطن بلاد العرب ويكثر فيها كالنعامة والضبع والثعلب والجمل لا وجود لها فى هذه الخرافات ، كما نبه الى ركاكة الاسلوب وكثرة الاخطاء النحوية والصرفية • مثال ذلك قصة اسد وثعلب •

اسد مرة ، اشتد عليه حر الشمس ، فدخل الى بعض المغائر يتظلل بها ، فلما ربض اتى اليه جرذ يمشى على ظهره ، فوثب قائما ، فنظر يمينا ويسارا وهو خائف مرعوب ، فنظره الثعلب فضحك عليه ، فقال له الاسد : ليس من الجرذ خوفى وانما كبر على احتقارى •

هذا معناه ان الهوان على العاقل اشد من الموت •

وركاكة الاسلوب واضحة كاول كلمتين فيها ، وكلمة تضحك •

وهناك من يرى ان هذه الخرافات المنسوبة الى

لقمان هي مجموعة من خرافات ايسوب نقلت الى العربية ، ولكن القرائن تدل على ان هذه الامثال الخرافية وان نسبت الى ايسوب ، لم ترد الينا عن طريق اليونان ، ولكن عن طريق الاراميين . فلقمان المولد صورة محرفة من ايسوب . ولقمان هنا عبد حبشي . كذلك كان ايسوب عبدا لرجلين من اهل ساموس اعتقه احدهما مكافاة له على ذكائه .. وامثال لقمان المطبوعة احدى واربعون خرافة معظمها حيواني له نظائر في خرافات ايوب المنقولة الى السريانية .

ومع ذلك فقد وجدت قصص على لسان لقمان قبل تاريخ هذه المخطوطة اما مأخوذة من قصص ايسوب او هما معا من مصدر آخر واحد ، مثال ذلك ما جا في تفسير القرطبي المتوفى عام ٦٧١هـ . اى ان وفاته كانت قبل تاريخ تدوين المخطوطة بحوالى ثلاثين عاما ، وهو يسند القصة الى خالد الربعي الذي يقول ان لقمان كان نجارا . فقال له سيده : اذبح لى شاة وائتنى باطيبها مضغتين فاتاه باللسان والقلب . فقال له : ما كان فيها شيء أطيب من هذين ؟ فسكت . ثم امره بذبح شاة اخرى ثم قال له : الق اخبثها مضغتين ، فالقى باللسان والقلب . فقال له : امرتك ان تأتيني باطيب مضغتين فاتيتنى باللسان والقلب ، وامرتك ان تلقى اخبثها فالقيت اللسان والقلب ؟ فقال له : انه ليس شي أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا . ثم يورد القرطبي حديثا جاء فيه « الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب» .

وهذه القصة شبيهة بقصة ايوب حين اعتزم سيده اقامة حفل كبير لاصدقائه ، وطلب من عبده ان يشترى اجود ما في السوق . فلم يبتع الا صنفا واحدا هو الالسنة : لسان الضان ، ولسان الثور، ولسان الخنزير ، ولسان العصفور . فلما غضب منه سيده أجابه : وماذا هناك افضل من اللسان . يمكن أن يكون ايضا اسوأ ما في الانسان .

■■

يوسف الشاروني

آب (أغسطس) ماذا يعني ؟

هو الشهر الحادي عشر من أشهر السنةالاسرائيلية المدنية ، والسادس من السنة القديمة عند الرومان التى تبدأ في أول شهر اذار ،والثامن من السنة المتبعة الآن ، واسمه في اللغة الفرنسية Aout وبالانكليزية Augus. وقدسمي كذلك نسبة لاغسطس قيصر الذي جاء بعد يوليوس قيصر ، فسمي هذا الشهر باسمه ، وكاناسمه في الاصل سكستيلس Sextilis اي السادس . لانه كان السادس من سنتهم كما تقدم،وسبب اختيار اغسطس قيصر لهذا الشهر انه تقلد فيه منصب قنصليته الاولى او رئاسة الحكومةالرومانية ، واقام فيه ثلاثة احتفالات لانه فاز فيه بانقياد الجنود اليه وباخضاع البلاد المصرية،واخمدنيران حرب اهلية ،ووافقه مجلس الشيوخ الروماني على تغيير اسم هذا الشهر واطلاق اسمه عليهرغبة في ارضائه .

كانت ايام هذا الشهر على عهد يوليوس قيصرثلاثين يوما، الا انه عندما جاء أغسطس قيصر وسماه باسمه ، زاد عليه يوما واحدا فاصبح عدد ايامهواحدا وثلاثين يوما ، وقصده من ذلك ان لا ينقص شهره فيشيء عن الشهر الذيكان لسلفه يوليوسقيصر .

ولفظة آب سريانية ، استعملها النصارى لقبالاقنوم الاول للتمييز بينه وبين الاب في اللغة العربية الذي يطلق على كل اب غير الاقنوم الاول.ومعنى كلمة آب بالفارسية الماء ، وسماه الجرمان القدماء شهر عصر الخمور ، ويرمز اليه عندالميثولوجيين بصورة رجل عريان ذي شعر منتشر بدون ترتيب وفي يديه اناء صغير كالقرن يشرب منه ، وبجانبه رأس طاووس واناء كبير للشرب ، وهو في بلادنا شهر العنب ، وقد قيل فيه « آبلهاب فيه تقطف الاعناب » .

● حل مسابقة العدد ٢٣٤ ●

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ب	ا	ب	د	م	ش	ق	■	ا	ت	ا	ت	و	ر	ك
٢	ل	ى	ب	ى	ر	ى	ا	■	ل	ع	ن	■	ا	ن	ت
٣	ا	ن	■	ن	ق	■	ن	■	ب	د	ا	ن	ه	■	ب
٤	د	ش	م	ه	■	ا	و	ا	ن	ى	■	ا	ى	ن	■
٥	و	ت	ر	■	ا	ل	ن	س	ا	ن	ى	س	■	ع	ش
٦	ن	ى	ا	ج	ر	ا	■	ح	ن	■	ه	ر	ا	و	ه
٧	ا	ن	ف	■	ت	ل	ى	ق	■	ت	ب	■	ل	د	ى
٨	■	■	ع	م	ر	ب	ن	ا	ل	خ	ط	ا	ب	■	■
٩	ا	ل	ه	د	ى	■	س	ل	ى	م	ا	ل	ا	و	ل
١٠	ل	ت	■	ب	ا	ر	و	م	ت	ر	■	ف	ب	■	ث
١١	ج	ر	ى	ر	■	ص	ن	و	■	■	م	ا	ل	ا	ه
١٢	ى	■	ى	ه	د	ا	■	ص	ق	ر	ق	ر	ى	ش	■
١٣	ن	ا	س	■	ا	ص	ط	ل	ا	ح	■	س	و	ر	ى
١٤	ا	ل	ر	ا	س	■	ف	ى	ت	ا	م	ى	ن	ا	ت
١٥	ت	ا	ن	ه	و	ز	ر	■	م	ه	ج	ه	■	ف	م

عمر بن الخطاب

●

اسحاق الموصلي

اثنتـــان في واحدة :

(٨) أفقيا : عمر بن الخطاب ، من الخلفاء الراشدين • أول من لقب بأمير المؤمنين • وثاني الخلفاء الراشدين ، يضرب بعدله المثل، في عهده تم فتح الامبراطورية الساسانيـة والبيزنطية • اغتاله مولى فارسي •

(٨) رأسيا : اسحق الموصلي ، موسيقـي عربي قديم • من أشهر المغنين فـي العصر العباسي الاول • تعلم الحديث والقرآن والادب والغناء ، وكان منقطعا الى الرشيد والبرامكة• لم يسبقه أحد في فن الغناء والعزف علـى العود •

الفائزون بالجوائز

* الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : سيد حسن مرتضى الحسيني ـ الكويت
* الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : عثمان باروتجي ـ حلب / سوريا
* الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : سعد عبدالله سعد عبدالله ـ المحرق/البحرين

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ حسن محمد عليان هندي ـ عمان / الاردن
٢ ـ محمود عبدالرحمن علي بلال ـ الخرطوم/ السودان
٣ ـ خليل ابراهيم جابر محمد ـ سكاكا ـ السعودية
٤ ـ عائدة محمد سعيد قدار ـ عدن / اليمن الديمقراطي
٥ ـ رضاب عبدالستار ابراهيم امين ـ الكاظمية/ العراق
٦ ـ نبيل محمد ابوبكر ـ الاسكندرية / مصر
٧ ـ مصطفى امين الايوبي ـ طرابلس / لبنان
٨ ـ العروصي محمد ـ مكناس / المغرب •



جانب من المستشفى القديم الذى ذهب ، لقد كان قيامه حدثا فى حياة شعب الكويت والخليج •



« المستشفى الاميرى القديم » يوم افتتاحه منذ اكثر من خمسة وثلاثين عاما •

استطلاع الكويت

القديم والحديث في الكويت

المستشفى الأميرى بين عهدين وحضارتين

بقلم : منير نصيف

■ تعب الجواد الاصيل ، انهكته الشيخوخة ، وهو الذى كان بالامس يصول ويجول • ولكنه يقاوم ولا يستسلم •• كان منظر صغاره وهي تنطلق أمامه ومن حوله في حيوية الشباب يضاعف من قدرته على الصمود فيرتفع صهيله خافتا ولكن في زهو وكبرياء •• كان الجواد العجوز سعيدا بما صنع ، وبما قدم لصاحبه •• لقد ادى دوره ، وبقي يقاوم المرض ، ويحاول ان يصد عن جسده الضعيف آثار السنين ، ولكن الزمن يغلبه •

وكان صاحبه يرى ما صار اليه جواده فتدمع عيناه الما •• لقد كان رفيقه وصديقه ومؤنس وحدته •• ويلجأ أخيرا الى القرار الصعب •• لابد ان يستريح •• ويسرع الى بندقيته ويصوبها الى رأس الجواد المتعب العجوز فيذهب في راحة أبدية!

ما أشبه قصة هذا الجواد وصاحبه ، بالبناء الكبير القديم الذى كان يشرف على مياه الخليج العربي بالأمس القريب •• لقد شهد مولد دولة الكويت الحديثة منذ البداية •• وذهب المبنى ولكن الشاطئ مازال باقيا يشهد كل يوم معالم تلك الحضارة التي تزحف بسرعة الى هذه البقعة من



نموذج « المستشفى الاميرى » الجديد يجرى بناؤه في نفس موقع المستشفى القديم على شاطىء الخليج العربى . وهو من احدث المستشفيات في المنطقة العربية كلها .

الارض العربية التي تنبض بالحياة والرفاه والخير .. انه المستشفى الاميرى .. اول واكبر مستشفى قام في الكويت والخليج العربى منذ اكثر من خمسة وثلاثين عاما ..

ففى الشهور الاخيرة مع اقتراب نهاية العام الذى انقضى عام ١٩٧٧ ، صدر القرار الصعب ، بعد تردد طويل : « لا بد ان يزال المستشفى القديم العجوز بعد ان شاخت مبانيه وتداعت جدرانه ولم تفلح المحاولات التى بذلت لاعادة الحياة اليه ، وهو الذى اعاد الحياة لمئات الالوف من المرضى الذين لجأوا اليه يطلبون الشفاء » . وما كادت اعمال الهدم وازالة اكوام الطوب والحجارة تنتهى، حتى بدأ العمل بالفعل في بناء واحد من اكبر واحدث المستشفيات في منطقتنا العربية .. في نفس المكان في نفس الموقع الذى قام فيه المستشفى العجوز وكان قيامه يومها بداية لنهضة صحية لم تعرف لها المنطقة مثيلا من قبل .. فقد كان هو المستشفى الأم » الذى تفرعت منه كل مستشفيات الكويت الحديثة اليوم » .

مع وزير الصحة

قال لنا وزير الصحة الكويتي الدكتور عبدالرحمن العوضى : « اليست هذه هى الحياة .. القديم يذهب ويندثر ليفسح مكانه لكل حديث جديد .. لقد كان المؤرخ الفيلسوف الانجليزى الكبير ارنولد توينبى يبكى ، كلما وقف يشهد الحضارات الحديثة وهى تقوم فوق انقاض الحضارات القديمة التى سادت ثم بادت .. ولقد احسسنا بالألم ونحن نرى المستشفى الاميرى احد مظاهر حضارة الامس القريب يذهب ليفسح لنا المكان لبناء مستشفى احدث واكبر منه .. لقد ذهب المستشفى القديم ، ولكن ذكرياته مع كل الذين عملوا فيه وعولجوا بين غرفه واجنحته ستبقى حية ابدا .. لقد كنا نتمنى لو اننا استطعنا ان نحتفظ به .. ولكن العلاج استعصى لهذا المبنى القديم الذى دخله اكثر من مليون مواطن على مدى هذه السنوات التى انقضت منذ انشائه ، واقاموا في غرفه ، وخرجوا منه بعد ان من الله عليهم بالشفاء .. (ولا يدخل في هذا العدد مئات الالوف من الحالات البسيطة التى عولجت في العيادات الخارجية) .

ثم يقول الوزير : « ونحن نقوم ببناء احدث مستشفى في الكويت .. مكان المستشفى القديم .. وسينتهى العمل فيه خلال ثلاث سنوات تقريبا .. ولكننا لن ننسى ابدا مستشفانا القديم .. ولن ننسى الدور الذى قام به مع مولد الخدمات الصحية التى كانت تقدمها الدولة لابنائها ولكل المقيمين وحتى لغير المقيمين فيها .. لقد كان هو الاصل .. وكل ما ترونه من مستشفيات ومن نهضة في المجال الصحى في البلاد اليوم هى فروع للمستشفى الاميرى الذى حمل اسم الامارة في بداية ظهورها ونهضتها .. من اجل هذا سوف يضم المستشفى الجديد الذى يجرى بناؤه الآن ،وفي ابرز مكان من القاعة الكبيرة

في الداخل ، نموذجا مجسما للمستشفى القديم الذي ذهب بعد ان ادى دوره ، وسيكون المجسم ظاهرا واضحا لا تخطئه العين .. عين كل من يجيء الى المستشفى الجديد طالبا العلاج والدواء » .. ان المستشفى الجديد سيحمل نفس اسم المستشفى القديم .

الوفاء للماضي

وفاء للقديم .. وما اكثر ما تجد من مشاعر الوفاء عند الناس لكل ما هو قديم ، ولكل ما يمت للماضي بصلة من قريب او من بعيد .. الحاضر وحده لا يكفي .. ثم اليس هو امتدادا للماضي واستمرارا له !

يقول الحاج عبدالله عبدالرحمن العسعوسي وهو من ابناء الماضي الذين امتد بهم العمر فرأوا صورة الحياة الجديدة فوق ارض الكويت .. وقد كان الحاج العسعوسي مديرا لدائرة الصحة في عهد المغفور له الشيخ احمد الجابر الصباح ، حاكم الكويت ، قبل ان يجيء الشيخ صباح السالم الصباح امير الكويت الراحل رئيسا للصحة فيما بعد .. ماذا يقول ؟ انه يعود بذهنه الحاضر وذاكرته التي لا تخطيء رغم بلوغه العام الثامن والثمانين ، يعود الى اليوم الذي شهد النواة الاولى لبناء المستشفى الاميري ، يقول وكانه يقرأ من كتاب مفتوح : « بدأت الفكرة فكرة اقامة بناء مستشفى كويتي في اوائل الاربعينات ان لم تخني الذاكرة . فقد كان المستشفى الوحيد القائم في ذلك الوقت ، هو مستشفى الارسالية الامريكية، وقد كان له دور في علاج الكثير من الحالات ولكنه لم يكن قادرا وحده على استقبال وعلاج كل الحالات .. فلم يكن في المستشفى سوى طبيب امريكي واحد !

وبدأنا في بيت صغير فيه مجموعة من الأسرة .. وكانت بداية بسيطة متواضعة ولكنها كانت تعبر بصدق عن اهتمام المسئولين بصحة أبناء هذا البلد ورفاهيتهم .. وهي الروح التي بقيت تلازم القائمين على الكويت في مسيرتها نحو الغد وفي نهضتها وتقدمها الحضاري .. المواطن اولا .. وكل شيء من اجل المواطن وتوفير سبل الحياة الكريمة له .

في الحرب الثانية

ثم قال : « ولكن سرعان ما اكتشفنا ونحن نعمل في مستشفانا الصغير ، انه لم يعد مناسبا بحال من الاحوال لاستقبال وعلاج المرضى .. وعلى الفور بدأنا التفكير جديا في اقامة اول واكبر مستشفى في المنطقة .. وتم اختيار الموقع ، وبدأت عملية تنفيذ البناء على الفور في ظروف صعبة للغاية، فقد كانت الحرب العالمية الثانية يشتعل اوارها ، والامكانيات كلها في الدول المتحاربة موجهة الى المجهود العسكري ..ومع هذا مضينا في مشروعنا ورحنا نسير به ، ينطلق احيانا ويتعثر احيانا حتى اكتمل في النهاية بعد خمس او ست سنوات من بدء العمل في بنائه .. ومن الرسوم الجمركية التي كانت تحصلها الكويت عن البضائع والسلع المستوردة، تمت تغطية نفقات بناء المستشفى وتزويده بالاجهزة والمعدات الطبية فلم تكن الارض قد جادت بعد بما في جوفها من خير .. لقد بلغت التكاليف

الدكتور يحيى الحديدي وسط ماتبقى من المستشفى القديم قبل ازالته تماما .. ورحلة اربعين عاما معه وفيه .

تصوير : اوسكار متري





الدكتور عبد الرحمن العوضي وزير الصحة .. أليست هذه هى الحياة: القديم يذهب ليفسح مكانه لكل حديث وجديد .



الحاج العسعوسي .. ووفاء للقديم ..

وقتها ٥٢ الف روبية (خمسة الاف دينار كويتي) ويبتسم الحاج العسعوسي وهو يذكر هذا الرقم ثم يقول : « لقد كانت الدنيا بخير .. وكانت الحياة رخيصة .. وكان للمال قيمة .. اى قيمة .. اين اليوم من الامس ! »

مع الرواند الاوائل

وفى المستشفى الجديد الذى مازال الكويتيون وغير الكويتيين من العرب الذين ترددوا عليه وعرفوه وعولجوا فيه، يحملون له فى قلوبهم الوفاء والعرفان بالجميل .. فى هذا المستشفى عملت اول ممرضة كويتية ، وكان اسمها مريم وثلاثة او اربعة من الاطباء العرب من مصر وسوريا ، وكان فى مقدمتهم طبيب سورى شاب جاء الى الكويت قادما من الشام قاطعا المسافة بالسيارة حينا وبالقطار احيانا فوصلها بعد ستة ايام !

وبحثنا عنه .. فوجدناه مازال بيننا يؤدى واجبه الذى بدأه منذ اكثر من ثمانية وثلاثين عاما .. انه الدكتور يحيى الحديدى الذى يتولى اليوم منصب مدير مستشفى الامراض السارية ..

ولقيناه فى مكتبه بالمستشفى الذى يعطيه كل وقته وجهده ، وتصورنا انه سيجلس بيننا ويحدثنا عن ذكرياته وتجربته الطويلة فى وطنه الثانى الكويت .. ولكننا فوجئنا به يدعونا الى الذهاب معه فى رحلة قصيرة بسيارته .. وانطلقت بنا السيارة، ثم مالبث ان توقفت فجأة ودعانا الى النزول .. ثم قال : « انتم تريدوننى ان احدثكم عن المستشفى الذى عشت فيه اجمل سنى عمرى .. من اجل هذا جئت بكم اليه .. أو الى المكان الذى كان يقوم عليه قبل ان ترتفع معاول الهدم لتزيل هذا المبنى القديم بكل ما حمله ويحمله بين جدرانه من ذكريات حلوة ستعيش طويلا من بعده .. فانا لم اكف عن المجئ الى هذا المكان منذ صدور قرار ازالة المستشفى القديم، وبناء مستشفى حديث فى مكانه .. ومع كل زيارة اقف طويلا واتامل هذا الذى يحدث امامى وفى العين دمعة .. نعم كنت اشعر ان صفحة مضيئة من تاريخ الكويت قد طويت .. حقيقة لقد جاء ويجئ بعدها صفحات وصفحات اكثر بريقا ولمعانا .. ولكن هذا لن ينسينا أبدا الاشعاع الرائد الذى نفذ بقوة فى ظلمة الصحراء !

جئت أؤدي الرسالة ..

ومضى الدكتور يحيى الحديدى يحكى ويحكى ، قال : « جئت الى الكويت لأؤدى الرسالة الانسانية التى بدأتها فى وطنى الاول الشام .. جئت فى عام ١٩٤٠ وليس فى رأسى شئ غير ممارسة المهنة التى تعلمتها ، وتقديم يد العون لاشقاء لى فى الانسانية والعروبة .. وكان البلد صغيرا جميلا فى بساطته .. كان سور الكويت مازال هناك يحرسها ويحمى اهلها من غزوات الطامعين .. وكان سكانها اسرة واحدة تعيش فى احضان هذا السور ولا شئ اكثر من هذا .. رزقهم فى البحر وعلى ما فى مياهه يعيشون .. يصطادون السمك ويغوصون فى الاعماق بحثا عن اللؤلؤ .. ويبحرون بمراكبهم الشراعية التى يصنعونها بايديهم على الشاطئ ،

حاملين تجارتهم من التمور التي كانوا يجلبونها من العراق الى الهند وافريقيا ، ويعودون محملين بكل ماهم في حاجة اليه .. وعشت بينهم وسكنت بيوتهم واكلت طعامهم من الارز والسمك ، ولم تنقض فترة طويلة حتى احسست بانتمائي اليهم.. فانا منهم وهم مني .. تلك كانت صورة الحياة.. وتلك كانت تجربتي عندما جئت الى هذا البلد العربي الشقيق ..

« وكان مرض الجدري اكثر الامراض انتشارا في هذه الاونة وكانت هناك امراض اخرى موسمية واخرى سارية ، ولم يكن هناك مستشفى كويتي واحد او حتى مستوصف لاستقبال المرضى وعلاجهم باستثناء مبنى صغير اطلق عليه اسم المستوصف مجازا .. ومستشفى الارسالية الامريكية ، الذي كان يسهر على علاج المرضى فيه طبيب واحد بينما كان سكان الكويت يبلغون في ذلك الوقت حوالي ثلاثين الف نسمة !

ثم يقول الدكتور الحديدي : « وعشت بين اهل الكويت اسابيع وشهورا طويلة ، وكانت الحياة الجديدة التي اخترتها لنفسي بينهم تزيدني التصاقا بهم .. وكيف يمكن ان افصل نفسي عنها وانا اعيشها بكل ماتحمله .. وكانت الرعاية الطبية شغلي الشاغل .. كيف نوفرها .. كيف نطورها ؟ واخيرا عكفت على كتابة تقرير عن حاجة البلد الى التوسع في المرافق الصحية ، وعرض التقرير على مجلس الشورى ، وكان يتضمن اقتراحا بانشاء مستشفى عام ومستوصفين، احدهما للرجال واخر للنساء..ووافق المجلس على الاقتراح، واحسست بان اهم جانب من جوانب رسالتي كطبيب ـ قد تحقق .

وبدأ تنفيذ المشروع

« وعلى الفور بدأت عملية التنفيذ في اوائل عام ١٩٤١ وكانت المشكلة هي توفير مواد البناء .. وتوفرت بفضل الجهد الذي بذله الاخ الكريم عبد الله السدحان الذي كان مديرا لوزارة الاشغال في ذلك الوقت .. ولقد كان لنا عونا في اخراج هذا المشروع الحيوي الى حيز التنفيذ .. فهو لم يبخل بالمال للحصول على المواد اللازمة لاتمام عملية البناء مهما كان الثمن .. وكنا ننتظر شهورا طويلة في بعض الاحيان ، فقد كانت ظروف الحرب التي ابتلي بها العالم تصرف الاذهان عن البناء في ذلك الوقت الذي كان الخراب والدمار يشكلان صورة الحياة في اوروبا وآسيا كلها .. !

ويجول الدكتور الحديدي بعينيه بين البقايا الاخيرة للمستشفى الذي كان ، ثم يمضي في سرد قصته ورنة اسى تشوب صوته الهادىء : « لقد واجهتنا صعاب كثيرة ونحن نمضي في تادية رسالتنا عندما اكتمل بناء المستشفى بعد ست او سبع سنوات من بدء العمل فيه .. كنا نفتقر الى المياه العذبة التي كانت تصلنا في قوارب شراعية من شط العرب في العراق .. ولم يكن هناك كهرباء .. ولكن ما كاد العمل يبدأ في المستشفى حتى كانت المولدات الكهربائية التي استوردت خصيصا قد بدأت تعمل وتنشر الضوء ، لا الى المستشفى

٥ر٨ مليون دينار تكاليف بناء المستشفى الجديد

يقول السيد بدر العبدالرزاق وكيل وزارة الاشغال بدولة الكويت ان بناء المستشفى الجديد سوف يتكلف ثمانية ملايين ونصف مليون دينار . وهذا الرقم لا يشمل بطبيعة الحال قيمة الاجهزة والمعدات الطبية التي سيزود بها المستشفى ، وهي احدث ماتوصل اليه العلم .. ويقدر ثمنها باضعاف تكاليف المبنى وقد وقع عقد البناء في ١٥ اكتوبر عام ١٩٧٧ وسوف تستغرق اعمال البناء ٩٠٠ يوم .. كما يشمل العقد الاشراف على صيانة المبنى بعد اكتماله لمدة عامين كاملين .

ويتألف المستشفى الجديد من تسعة طوابق ويضم ٤٠٠ سرير .. وبحسبة بسيطة يتضح أن السرير الواحد سوف يتكلف حوالي ٢١ ألف دينار .


حكومة الكويت
عقد اتفاق

اول عقد بين صاحب السمو امير الكويت ، وموظف في الدولة ـ عام ١٩٤٠ ·

ومعداته فحسب ، بل والى مساكن المواطنين ايضا »··

وهكذا قام في الكويت اول مستشفى من نوعه في منطقة الخليج كلها منذ اكثر من خمسة وثلاثين عاما ··وهكذا ذهب ·

احداث لا تنسى !

احداث لاينساها الدكتور الحديدي ، وما زالت تعيش معه في ذكراته ومذكراته التي يحرص على تسجيلها عن تلك الحقبة من الزمن التي قضاها بين اشقاء واخوة له ·· يوم وجد نفسه يشارك في تصميم مبنى المستشفى ، وهو الذي لاتربطه بالهندسة المعمارية رابطة من بعيد او من قريب··

ويوم جاء الشيخ احمد الجابر امير الكويت الراحل ليفتتح المستشفى الكبير ومعه حاكم البحرين الشيخ سليمان بن حمد بن عيسى والشيخ عبدالله السالم امير الكويت الراحل في حفل كان ومازال حديث الكثيرين من ابناء الكويت حتى اليوم ·

واخيرا يوم عاد الى بلده في الشام بعد عامين من مجيئه الى الكويت ليكمل نصف دينه بالزواج، ثم عاد يحمل عروسه « ام صباح » التي شاركته سنوات كفاحه وعمله في البلد الشقيق وانجبت ثلاث فتيات كلهن زوجات وامهات اليوم ، وولدين يحملان ارقى الشهادات العلمية ·· في الطب مثل والدهما ·

ويختتم الدكتور الحديدي حديثه باول تجربة له مع اول مريض في مستوصف الكويت·· ويبتسم وهو يلقي نظرة اخيرة ويتقدمنا مبتعدا عن المكان الذي جئنا اليه منذ ساعتين او اكثر ، وهو ماض في سرد ذكرياته ، وكانها شريط سينمائي لاينتهي : « لم يكن بشرا ·· ولكنه كان حيوانا ·· نعم لقد كان جوادا اصيلا جاء به كويتي كريم يجره وراءه جرا ·· وكان الجواد ينزف دما من جرح بالغ في فخذه ·· لقد صدمته سيارة في ساحة الصفاة ! وكان صاحبه يبكي !

« ولم اتردد ·· قمت على الفور افحص الجرح، واضمده واطهره ، واؤدي كل ما يجب على ان اؤديه ·· وخرج الرجل ولسانه يلهج بالثناء ودعواته تنطلق من قلبه ان يعوضني الله خيرا عما صنعت ·· وشفي الجواد وترك الحادث اطيب الاثر في نفس صاحبه ، وفي قلوب الاهالي الذين سمعوا القصة وعرفوا بها ! » ·

سيقوم مستشفى حديث جديد ··ولكن الذكريات مع المستشفى القديم الذي ذهب ستبقى حية في نفوس وقلوب اهل الكويت دائما ابدا ·· ■■

منير نصيف



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

الصرع

● ولدي مصاب بنوبات صرع بين فترة واخرى ـ فهل يؤثر هذا على ذكائه ؟

ـ الصرع انواع ، فهناك صرع تسببه اعراض مثل التهابات او اورام في المخ ، ويتاثر ذكاء المصاب بها تبعا للمرض الاصلي الذي اصاب المخ ، وعما اذا كان شره قد ادى الى تاكل خلايا المخ او تاثر الاوعية الدموية التي تغذيه •

اما الصرع الذي يفقد فيه الشخص وعيه لثوان بسبب اصابته بنوبات صرع صغرى فهو لايؤثر على الذكاء او المخ•

وكذلك فان نوبات الصرع الكبرى التي تتميز بوجود تيبس وتشنجات عضلية شديدة تعتري الجسم كله مع فقدان للوعي ،لاتؤثر في ذكاء المريض المصاب الا اذا ترك لفترة طويلة ولعدة سنوات دون علاج ،اما اذا عولج المريض مبكرا وتوقفت النوبات بالعقاقير اللازمة تحت مراقبة الطبيب فلا خوف على ذكاء المصاب ولا على قواه العقلية •

والمرضى بتخلف عقلي او مرض خلقي بالمخ قد يصابون بنوبات كبرى تزيد من تخلفهم العقلي ، لذا كان من الواجب رغم اصابة المريض بمرض في المخ أن يعالج من نوبات الصرع حتى لا تزيد هذه النوبات من تخلفه العقلي وتجعله اكثر تخلفا مما كان عليه •

البهاق

● قال لي الطبيب أن هذا الذي اصابني هو البهاق •• فما هو البهاق وما سببه وهل هناك امل في الشفاء منه ؟

ـ ان مرض البهاق عادة ينتشر في بعض العائلات وهو فعلا يتميز بظهور هذه البقع البيضاء على البشرة وعادة تكون ناصعة البياض وتختلف في الحجم والشكل والعدد من شخص لاخر كما انها تصيب الذكور والاناث على حد سواء،

وسبب هذا التلوث الابيض هو فقدان البشرة في هذه الاجزاء لصبغة الميلانين الملونة للجلد ولذلك يكون اشد وضوحا في فصل الصيف وبعد التعرض للشمس نتيجة اسمرار البشرة الطبيعية بالمقارنة لمناطق البهاق الخالية من الميلانين •

وبالنسبة للوقت ففي الحقيقة لا يمكن التاكد او التحكم في سير المرض وفترة بقائه ، كما انه كثيرا ما يشفى في بعض الاجزاء ، ولكنه قد يعود ثانية ، وقد يظل ثابتا لمدة سنوات ثم يخف تدريجيا وربما تتسع البقع وتلتحم سويا مؤدية الى رقعات كبيرة ، الا انه بالمثابرة والمداومة على العلاج مع تفادي العوامل المسببة فان الامل كبير في الشفاء •

والسبب المباشر غير معروف ولكن هناك عوامل كثيرة تساعد على حدوث البهاق منها :

١ ـ الاجهاد الفكري او الاضطرابات النفسية وهي من اهم العوامل التي تؤدي الى حدوث اكثر ٦٠٪ من الحالات وهذه تحدث كذلك في الاطفال نتيجة التفرقة في المعاملة او حدوث اي مشاكل سواء كانت في البيت او المدرسة •

٢ ـ وجود اى بؤرة صديدية مزمنة بالجسم مثل التهاب اللوز او تسوس الاسنان او الجيوب الانفية .

٣ ـ قد يحدث نتيجة امراض عامةمثل امراض الغدة الدرقية، فقر الدم الخبيث ، الزهرى .

٤ ـ بعض الامراض الجلدية تؤدى الى انفتاح لون البشرة بما يشبه البهاق مثل مرض الثعلبة ، الصدفية وبعض الفطريات .

ولذلك فانه فى العلاج يجب الانتباه الى هذه العوامل ومراعاة الصحة النفسية للشخص وتحسين الصحة العامة بالتغذية الصحيحة وتناول عناصر فيتامين ب المركب ، كذلك استعمال الاشعة البنفسجية او الاشعة السوداء التى تساعد على تنشيط تكوين صبغة البشرة كما ان استعمال حبوب ودهان الميلادنين او السورالين يؤدى الى نتائج مشجعة الا ان كل هذه العلاجات يجب ان تكون تحت اشراف الطبيب المختص .

المغص الكلوى ولم تظهر الاشعة العادية سبب المغص .

ومن الملاحظ أن المغص الكلوى يحدث كثيرا أيام الصيف لان الجسم يفقد كمية كثيرة من الماء فيتركز البول تبعا لذلك وبالتالى تتولد الحصى الصغيرة والكبيرة فى مجرى البول ، لذا كان من الواجب على المريض أن يشرب بكميات كبيرة أيام الصيف ليحافظ على قوى دفع البول . وكذلك وجد أن نسبة المغص الكلوى تزداد عند الحوامل وذلك لضغط الجنين على مجرى البول فيسبب بطئا شديدا فى جريان البول مما يجعل فرص تكون الحصى أو الالتهابات أكثر وبالتالى يكون المغص الكلوى .

وكذلك اذا تكرر المغص الكلوى مع وجود آلام بالمفاصل فلا بد من فحص الدم لحامض البوريك ، لان وجود هذا الحامض بنسبة عالية فى الدم يسبب مغصا كلويا .

والمغص الكلوى ظاهرة مفيدة، ولو أنها تؤلم المريض ، ولكن معنى ذلك أن الحصى يتحرك من موضعه فى طريقه الى الخروج والتخلص منه . أما الحصى الكبير فانه لا يتحرك ولا يسبب مغصا وبالتالى يتجمع البول من ورائه مسببا تضخما بالكلية ثم تتآكل أنسجتها وبمرور الوقت تفقد وظيفتها .

المغص الكلوى وأسبابه

● ما اسباب المغص الكلوى؟

ـ يحدث المغص الكلوى ـ وهو الالم الشديد الذى يعانى منه المريض فى بعض الحالات من (الخاصرة) ثم يتجه نحو الجزء الاوسط من البطن ثم الى اعلى العانة نحو المثانة . وفى بعض الحالات يتجه نحو الخصية اليمنى او اليسرى حسب نوع المغص اذا كان فى الجهة اليسرى او اليمنى . وهذا يحدث نتيجة حصى فى مجرى البول سواء كان صغيرا أو متوسطا، أو نتيجة لمرور كتل من (القيح) بسبب التهاب أو كتل دموية بسبب نزيف فى الكلى او الحالب . ويمكن معرفة هذه الاسباب ، بعد فحص البول فحصا مخبريا ثم زرعه لمعرفة ما اذا كان هناك ميكروب يسبب الالتهاب ، او لوجود كرات دموية حمراء كثيرا ، او وجود ترسبات من املاح مختلفة مكونة للحصى البولى .

وكذلك لا بد من فحص المريض فحصا شعاعيا ، فاذا لم تظهر الحصوة فليس معنى ذلك أنه لا يوجد حصى فى مجرى البول ، اذ أن ١٠٪ فقط من الحصى تظهر بالاشعة العادية ، لذا كان من الواجب حسب رأى الطبيب أن تعمل للمريض الاشعة الملونة لمجرى البول للتوصل الى التشخيص الصحيح . ولا بد من عمل هذه الاشعة الملونة اذا تكرر حدوث

بيئة الطفل مسئولة عن ذكائه



ذكاء طفلك بين الوراثة

بقلم : الدكتور نبيه غبره

ماهو الذكاء ؟

ان مدلول الذكاء عند العامة وعند الغاصة واحد تقريبا . فعامة الناس يقولون ان الطفل ذكي ان تكلم باكرا ،او كان سلوكه الاجتماعي متميزا يدل على النباهة ، او انه كان متفوقا في الاعمال التي تحتاج الى المهارة والدقة .ويصفون تلميذ المدرسة بالذكاء ان كان من الأوائل في التحصيل والدراسة . كما يصفون الرجل الكهل بالذكاء ان حاز على اعلى الشهادات الدراسية ، او كان ناجحا في مهنته ، او كان محدثا بارعا وعنده من كل علم خبر، او قادرا على حل المشكلات والخصومات بين الناس بحكمه وفطنة . ففي كل هذه الاحوال نرى ان الذكاء في مفهوم العامة كان يقترن مع التفوق في الامور التي تحتاج الى المقدرة الذهنية والفكرية .

واذا ما اردنا ان نعرف الذكاء بالتعبير العلمي الدقيق نوعا ما قلنا ان الذكاء هو القدرة على التعلم واكتساب المعارف والخبرات • وهو المقدرة على الحفظ والتذكر • وهو القدرة على الاستفادة من التجارب والظروف السابقة في مواجهة المواقف المستجدة وحسن التكيف معها • وهذا كله يحتاج الى عمليات ذهنية معقدة من ادراك وتفكير وتعليل وقدرة على التفكير المجرد ، وقوة في الذاكرة الحواسية السمعية والبصرية وقدرة على التعبير اللغوي والى غير ذلك من القدرات العقلية المعقدة• وتعاريف الذكاء عند علماء النفس كثيرة ويمكننا ان نعرفه بأخصر عبارة بانه القدرة على التعلم والتكيف •

كيف تتفتح القدرات العقلية ؟

ان الانسان يرث عن ابويه ولاشك درجة معينة من الذكاء ـ كما يرث صفاته الجسمية والنفسية الاخرى ـ تكون بشكل قدرة كامنة خفية • ولكنه بتفاعله مع البيئة المحيطة به ، وبما يتلقاه من تنبيهات وتاثيرات ومعلومات ، بواسطة حواسه واجهزته العصبية تزداد معلوماته ومعارفه وامكاناته شيئا فشيئا ويوما بعد يوم • فمن امعان نظر الى تبسم الى مناغاة الى نطق ابتدائي يتحسن مع توالي الايام ليصبح كلمات واضحة فجملا فحديثا• ومن حركات عشوائية فوضوية كبيرة الى حركات مركزة هادفة تبدأ بتناول خشخيشة او لعبة لتصبح

اقدر على مواجهة الظروف الجديدة وعلى حل المشكلات التي تعترض سبيله واقدر من غيره على الابداع والاكتشاف •

وكيف تؤثر البيئة في تنمية الذكاء

ان البيئة ونعني بها المنزل والمدرسة والمجتمع تؤثر في تنمية ذكاء الانسان باعتبارها مصدر التعليم والتنبيه والاثارة • فهناك فرق بين غني بيئة منعزلة أمية جاهلة وبين متحضرة مثقفة متمدينة • والبيئة تؤثر من جهة اخرى من خلال تكييفها لشخصية الانسان وطباعه واخلاقه وسلوكه وعاداته • وحب التعلم واكتساب المعارف والاستزادة منها يرتبط ارتباط وثيقا بشخصية المرء ، فهناك فرق كبير بين نمو اطفال العائلة السعيدة المحبة المتفهمة وبين اطفال العائلة المتفككة الاواصر والتي يسودها الشحناء والبغضاء • وهذا ما جعل الدكتور داتسون الانجليزي زعيم المدرسة السلوكية يقول : اعطني اثني عشر طفلا وانا كفيل ان اجعل منهم ـ بلا تعيين او انتقاء ـ واحدا طبيبا وآخر مهندسا وثالثا محاميا ورابعا موسيقيا او ان شئت اجعل لك منهم لصا او متشردا او قاطع طريق ••• فهو لا يعترف على وراثة المواهب او الطبع او الصفات ويؤمن بان للبيئة اكبر الاثر في تطوير ذكاء الطفل وشخصيته وسلوكه •

والبيت والمدرسة

حركات دقيقة متقنة • ومن محاولات ابتدائية في التقصي والاختبار الى دراسات معقدة وهكذا في مئات الاشياء والمجالات ان لم نقل الافها •

والانسان الاذكى هو الاسرع في التعلم وهو الذي يحسن ويتقن ما يتعلمه وهو الذي يملك من القدرات العقلية المذكورة آنفا اكثر من غيره مما يجعله

ماهو هدف الانسان من الذكاء ؟

ان غاية الانسان ـ بلا شك ـ ان يستفيد من ذكائه وان يستثمره فيما فيه خيره وسعادته وخير وسعادة مجتمعه • لذا كا لابد ان يسير التعليم وتنمية قدرات الذكاء جنبا الى جنب مع التربية الخلقية

او بناء الشخصية السوية حسب التعبير العلمي • ومن هنا نرى أن اكثر الدول تسمي الوزارة التي تهتم بشئون التعليم بوزارة التربية والتعليم أو حتى وزارة التربية فقط • وذلك لما للتربية بمعناها الواسع من أهمية ، وذلك في مجالي التعلم والاستفادة من الذكاء الموروث • وفي مجال بناء الشخصية السوية ليكون الفرد عضوا صالحا في مجتمعه •

ما هو دور الوراثة لدى الافراد ولدى الجماعات ؟

لقد تاكد لدى جميع الباحثين ان متوسط درجة الذكاء الموروث واحد عند جميع الاجناس والشعوب على اختلاف الاعراق والالوان والبلدان •

فالذكاء هو هبة الله لجميع الناس دون استثناء، ولم يميز فئه او جماعة حتى ولا بدرجة واحدة من التفوق • وقد ثبت ذلك بالدراسات والاحصائيات الكثيرة الحديثة التي سنشير اليها •

وان ما كان يظن من كون ابناء متفوقي الذكاء هم عموما من المتفوقين ، قد ثبت بطلانه ، وتبين ان الاحصائيات المؤيدة لهذا الرأي لم تأخذ في اعتبارها العوامل والمؤثرات البيئية • اذ قد تشتهر عائلة بعلمائها او فقهائها او اطبائها او فنانيها او بالحصول على الشهادات الجامعية العالية كما نرى اذا ماتلفتنا فيما حولنا او استقرانا التاريخ ، ولكن هذا لا يكفي ليثبت لنا وراثة التفوق اذ ان البيوتات ومايتمتع به اهلها من ثقافة وتربية وما تحويه من كتب ووسائل تلعب دورا كبيرا في توجيه الابناء وتنمية مواهبهم الموروثة • فالمتوارث الحقيقي في هذه العائلات هو البيئة وليس الذكاء •

عن السود والبيض

وفي دراسة احصائية مقارنة على الاطفال السود والبيض في الولايات المتحدة الامريكية وجد ان التطور العام يكون متقاربا في السنين الثلاث الاولى من العمر ويظل كذلك بالنسبة للتطور الحركي لكنه يفترق في المجالات الاخرى ، فبينما يتحسن معدل تطور التكيف الاجتماعي واللغوى عند البيض ليرتفع الى علامة ١١٠٫٩ ـ العلامة الوسطى هي ١٠٠ ـ نراه ينخفض عند السود ليصبح ٩٧٫٤ • وفي سن المدرسة ينحدر مستوى الذكاء عند السود ليصبح المعدل الوسطى ٨٥ بدلا من مائة •

وفي دراسة انجليزية على اطفال مدينة ادينبرغ وجدت نتائج مشابهة • ولكن المقارنة هنا كانت ما بين اطفال طبقات اجتماعيه مختلفة • وقد وجد ايضا ان معدل التطور الذكائي يكون واحدا في السنة الاولى من العمر ولكن يفترق بعد ذلك ليصبح الاختلاف واضحا في سني المدرسة ولكي يظهر تفوق الطبقات العليا بوضوح •

وفي احصائيات امريكية عن التاخر العقلي عند الكهول حسب الطبقات الاجتماعية وجد ان نسبة التاخر العقلي الشديد ـ وهذا مصدره مرض عضوي على الاغلب ـ واحدة في جميع الطبقات اما نسبة التاخر العقلي الخفيف فهي ١٫٧ ٪ في الطبقة الاجتماعية الاولى والثانية وتزداد حتى ٦٫٣٣ ٪ في الطبقة الاجتماعية السادسة •

وفي دراسات امريكية اخرى لبيان علاقة درجة الذكاء مع المهن تبين وجود تاخر واضح لدى العمال الذين يقومون بالاعمال الرتيبة اليدوية •

وهناك دراسات واحصائيات كثيرة جدا في مختلف انحاء العالم عن تطور ذكاء اطفال الملاجيء أو المعاهد • وكلها تجمع على أن معدل ذكاء هؤلاء الاطفال على درجات متفاوتة وان تطورهم العام في جميع المجالات هو دون المستوى الطبيعي• وتؤكد هذه الدراسات ايضا ان نقل هؤلاء الاطفال الى بيوت حضانة عائلية جيدة يرفع من مستواهم الذكائي •

وقد اجريت دراسات على ذكاء ابناء الامهات المتخلفين عقليا والذين ربوا في دور رعاية جيدة فوجد أن معدل ذكائهم ضمن الحدود الطبيعية •

والفكرة السائدة اليوم عن وراثة الذكاء هي فكرة الارتداد نحو الوسط اي ان ذكاء ابناء المتفوقين هو اقل من الوسطي ، وابناء المتخلفين هو فوق المعدل الوسطي • وفي هذا حكمة بالغة فلو ان التفوق والتخلف يورثان لكان الناس مع تتالي الاجيال فئتين واحدة في الاوج وواحدة في الحضيض •

ان هذا النموذج من الدراسات والاحصائيات يدل على ان الناس يولدون عند معدل وسطي من الذكاء مهما كانت انتماءاتهم العرقية والاجتماعية • وان البيئة هي التي تساعدهم وتنشطهم او على العكس تعرقلهم وتحد من اطراد نموهم• ويقدر الباحثون

اليوم ان تاثير البيئة على علامة الذكاء يتراوح مابين ١٠ ــ ٤٠ ٪

كيف نزيد الذكاء ؟

فكيف نرقى بابنائنا كي يصلوا الى اعلى مستوى ممكن حسب وراثتهم • اى الى المستوى الذى ورثوه ولا تكون سببا فى اعاقتهم •

ان العناية بالطفل يجب ان تبدأ منذ الولادة • فقد ثبت لدى الباحثين اهمية السنين الاولى فى بناء شخصية الانسان وفى بناء تطوره العقلى • اذ ان الانسان يولد غير واع لنفسه فضلا عن بيئته• وهو يتفاعل بدوافع من غرائزه ونوازعه فان وفرنا له الجو الملائم ولبينا حاجاته الاساسية والجسمية ــ من شبع ودفء وراحة ــ وحاجاته النفسية ــ من اشعار بالحب والعطف والحنان والطمانينة ــ ، وحاجاته العقلية ــ من تنبيه واثارة وتوجيه وتعليم ــ نمت مداركه العقلية والنفسية وتطورت بشكل طبيعى • والا فان الحرمان وخاصة ان كان شديدا وطويلا فانه يعيق التطور والنمو وقد يترك اثارا لا تمحى فى مجال او عدة مجالات • فالحرمان الغذائى مثلا ــ وهو غالبا ما يترافق مع حرمان فى مجالات اخرى ــ يؤدى الى تاخر النمو الجسمى والعقلى • والحرمان العاطفى يؤدى الى التاخر العقلى والنفسى بل والجسمى ويطبع سلوك الطفل بالعدوانية والانانية والاضطرابات السلوكية الاخرى • والحرمان من التنبيه والاثارة ووسائل التعلم يؤدى الى تاخر نمو الجملة العصبية والتطور العقلى •

وعندما يكبر الطفل علينا ان نعامله باللطف والقبول مهما كان انجازه ومهما كان صعب المراس وان نعوده على النظام والطاعة بروح من المحبة دون اللجوء الى التوبيخ والانفعال • وان نعلمه الاعتماد على النفس بالتدرج وان نساعده فى ذلك • وان نشجعه ونكافئه ، دون مبالغة او اسراف وان لا نعاقبه الا فى الاحوال الاضطرارية وبشرط ان تكون المعاقبة معقولة ومناسبة لتؤدى الهدف منها وان ناخذ وجهة نظره دائما •

وعلينا ان نعلم طفلنا الطموح دون افراط او طلب لما هو فوق المستطاع •

ويجب علينا ان نؤمن له اللعب واللعب المناسبين لسنه وقدرته العقلية • وفى هذا الموضوع مجال كبير لتنمية المواهب بالاضافة الى التسلية • فاللعب من حاجات الاطفال الاساسية ففيه ارضاء نفسى واحساس بالقيام بالعمل وفيه تصعيد لعدوانية الطفل وغرائزه الابتدائية• وللعب فوائد تعليمية ابتداء من تعليم الطفل الصغير استعمال يده واصابعه وتنسيق حركاتها مع نظره الى الدرجات المعقدة من التعلم فهى تسمح له بممارسة المهارات التى تعلمها لم تعلمه مهارات جديدة • كما ان اللعب الجيدة تعلم الطفل التركيز والملاحظة وكيف تعمل الاشياء ومن اى شيء صنعت • كما انها تعلمه بالاضافة الى ذلك كيف يحافظ على اشيائه •

لذا كانت قيمة اللعب هى بما تفسح للطفل من تعلم واتقان وتجريب وبما تجلبه من اهتمام وبما تنميه من مواهب وخيال •

تعليم التعلم !

ومن ناحية التعلم بالذات يجب ان ننمى عند اطفالنا حب الاستمتاع بالتعلم والبحث • وهذا مايعبر عنه البعض بتعليم التعلم • وان اسس التعليم توضع فى المنزل وقبل الذهاب الى المدرسة• وهذا لايعنى ابدا ان نبدأ بتعليم ابننا الحساب او القراءة فى وقت مبكر بل يعنى شيئا ابعد واعمق فهو يعنى توجيه الطفل ومساعدته والايحاء اليه لكى يجد لذة فى التعلم ، ولتنمية قدرته على الانتباه والتركيز والاصغاء للاخرين والسؤال والمناقشة والتحليل وان تعلمه المسرحة فى الفعاليات الهادفة وان يعمل لاهداف بعيدة •

وهناك من الدلائل ما يشير الى أن فشل الاهل والمدرسة فى ايجاد الرغبة فى التعليم يؤدى الى ضياع قابلية التعلم نهائيا • فيجب ان يتعلم الطفل ان يتعلم وان يصبح التعلم لديه نوعا من المجاهدة المحببة للنفس لا أن يكون جهدا مقيتا يجب ان يقاوم • فهدف الاهل والمدرسة الاول يجب ان يكون ان يجد الطفل فى التعلم لذة ومتعة وشيئا جميلا • وهذا مايمكن غرسه فى الطفل من الطفولة المبكرة فعندما يصبح الطفل فى شهره الرابع او الخامس مثلا يبدى رغبة شديدة فى النظر والتامل فعندها يجب على امه اجلاسه فى عربة او كرسى متنقل كى يرى العالم من حوله وكى يراها وهى تقوم بمهامها فى المنزل لا ان تتركه طيلة الوقت مضطجعا فى سريره او فى عربته لا يرى شيئا ولا يلاعب ولا يداعب ، اللهم الا وقت الارضاع والتنظيف فى الاوقات المحددة فقط ، ان الام التى

تفعل ذلك بهدف تعويد ابنها على النظام اولتتفرغ الى اعمالها لا يحق لها ان تتوقع من ابنها التفوق والنباهة فى كبره .

ويجب ان يعطى الطفل الفرصة وان يفسح له المجال لتعلمكل شيء جديد أبدى استعداده لتعلمه . فعندما يبدى الرغبة لحمل زجاجة الحليب ليرضع نفسه او كاس الشراب ليشرب بنفسه فلابد من السماح له بذلك وان كبر واصبح فى منتصف السنة الثانية واراد ان يمسك بالملعقة ليطعمنفسه فلابد من مساعدته وان اصبح قادرا بعد ذلك على القيام بشؤون نفسه من لبس ثياب او حذاء او تنظيف . الى غير ذلك من الاشياء الكثيرة لابد من فسح المجال له ومساعدته بل وتشجيعه مهما كان انجازه سيئا او رديئا او بطيئا فهذا شيء طبيعى ، فهذه الاعمال الصغيرة بالنسبة لنا هى اعمال كبيرة بالنسبة للطفل ، انها جديدة عليه وتحتاج الى مهارة . وان الطفل لم يحاول القيام بها الا بعد ان وصلت اجهزته العصبية وقدراته العقلية الى درجة معينة من الكفاءة فلابد من المحاولات الفاشلة والتنفيذ السيىء فى البدء . فالام الذكية تعرف ان هذا شيء طبيعى ويجب احترامه والام غير الذكية هى التى تمنع ابنها من ممارسة مايجب ان يتعلم بزعم انه صغير ولا يحسن شيئا بعد ، وان الافضل القيام بقدمته . وما تدرى الام انها بذلك تحرم ابنها الحبيب لذة التعلم وهى لذة كبيرة واساسية فى بناء شخصيته وفى نماء قدراته .

لنلعب معهم

وهناك نظريات حديثة مبنية على تجارب كثيرة لدى الحيوان وعلى ملاحظات وتجارب عند الانسان تقول بوجود فترات معينة فى الطفولة يكون تعليم اشياء معينة فيها سريعا وسهلا ويصعب تعليم هذه الاشياء فيما بعد ، بل هناك فتراتحرجة لا يمكن تعلم بعض الاشياء بعدها نهائيا . وهذا يتضح بتعلم الرؤية فالعين التى لا تتلقى النور او المهملة لبضع سنوات بسبب مرض لا تعود قادرة على الابصار ، والطفل الاصم ان تاخر علاجه الى مابعد السنة الثالثة من العمر لايحسن التكلم الابصموية شديدة واما ان تاخر علاجه الى مابعد السنة السابعة فيصبح تعلمه للتكلم مستحيلا . وكذلك الامر ان تاخر اصلاح عيوب جهاز النطق ـ كما هو الحال فى شق قبة الحنك الولادى ـ استمر النطق المعيب طيلةالعمر.

والانسان يتعلم لغة كاملة او لغتين فى وقت واحد فى السنين الاولى من عمره باللهجة الاصلية اما ان تاخر فى تعلم اللغة فقد يكون منالمستحيل عليه تعلم اللهجة الصحيحة . بل قد يقلد الطفل احد أبويه فى لثغة ما فيثبت عليها ولا يستطيع منها فكاكا ولايستطيع تعلم لفظ الحرف بشكل صحيح .

ويحاول ارباب هذه النظريات ان يضعوا جداول تبين مايحسن تعلمه فى كل فترة زمنية ولاشك انه سيكون فى ذلك فائدة تعليمية كبيرة .

وما يجب التاكيد عليه فى الوقت الحاضر هو ان علينا ان نساعد ابننا فى تعلم ما يحب ان يتعلمه وان احسن وقت لتعليمه شيئا ما هو الوقت الذى يبدى فيه الرغبة فى تعلمه .

ويجب علينا ان نشارك ابناءنا فى لعبهم لبعض الوقت وان نقرا لهم بعض الاحيان لا ان نهملهم طيلة الوقت .وهناك كتب خاصة بالاطفال الصغار متدرجة فى صعوبتها يمكن استعمالها بدءا من عمر السنة .

ويجب علينا ان نهتم باسئلتهم والرد عليها بحكمة وبشرح كاف بحيث يفهم المقصود او ان يقتصر على شرح موجز لنترك لهم ايجاد بقية الجواب .

ويجب أن نسمح لابنائنا بحضور مجالس الكبار والضيوف ليتعلموا وليستمتعوا بمناقشاتهم وحديثهم لاان نمنعهم او نبعدهم عنها كما يفعل معظمنا .

حب الفضول مرغوب

ويجب ان يعلم الطفل عندما يكبر لدرجة كافية العلاقات ما بين الاشياء والافكار وما فيها منتشابه او اختلاف . وان نعلمه السبب وما يحدثه منآثر وأن نعلمه طرق التفكير السليمة بان يفكر فى الموضوع من جميع اطرافه وان ينظر فى الآراء او التفسيرات الاخرى ، وان نعلمه التفتيش عن الدليل فيما يسمع او يقرا . وان يشجع على السؤال بحرية عن صدق مايقال له . وان يعلم النقاش وآدابه لاان يقال له عندما يلح فى السؤال او النقاش : كفى ولا كلمة .

ويحتاج الطفل الى تعلم الثبات والصبر والدقة

والاتقان وان يساعد ان احوج الامر حتى يضمن له النجاح فالنجاح هو اكبر مساعد على النجاح واكبر مشجع للانسان واما الفشل فهو مثبط للهمة ويؤهب للفشل فى المرات التالية •

ويجب ان يعلم الطفل حب الفضول والاستطلاع والابداع وان يعطى الحرية فى البحث والتنقيب وفى اتخاذ القرارات •

ولا يجوز بحال من الاحوال تبكيت الطفل عند حصوله على نتائج سيئة او ان يستهزأ به والا فالعاقبة وخيمة فقد يؤدى ذلك الى الشعور بالنقص ـ مركب النقص ـ والفشل الدائم •

ولابد من الاهتمام بالمدرسة والقائمين عليها ومدرسيها والابقاء على الصلة الدائمة معهم وتامين الجو الدراسي المناسب فى المنزل ويستحسن جعل غرفة مستقلة للدراسة والمطالعة •

واما ان يطلب من الطفل التفوق فى الدراسة او الحصول على علامات جيدة وهو لايجد فى منزله للدراسة الا غرفة الجلوس التى يجلس فيها كل افراد العائلة والتى قد يكون فيها المذياع او التلفاز فهذا ضرب من التعجيز •

واذا كان الطفل متفوقا فلا بد من معاملته معاملة خاصة والطريقة المثلى هى تدريس المتفوقين على حدة كى لا يشعروا بالملل والضيق من المناهج العادية الموضوعة فى الاصل لمتوسطى الذكاء والتى قد تجعلهم يؤثرون اللهو واللعب مما يؤدى الى الفشل فى الدراسة وقد كان كثير من مشاهير العلماء والنابغين متخلفين فى مدارسهم بنظر مدرسيهم •

ولابد من الاشارة فى هذا المجال الى انمستوى المدرسة ومدرسيها يلعب دورا هاما فىدرجةتحصيل الطفل وحبه للدراسة والتعليم• فقد وجد اندرجة التحصيل وحب التعلم يختلفان كثيرا حسب نوعية المدرسة • وقد وجد انهما رديئان فى مدارس الاحياء الفقيرة حيث وجد ان الاهلانفسهم لايتوقعونالتفوق والنبوغمن ابنائهم وكذا الاساتذة الذين قد تكون طريقتهم فى التعليم سيئة والذين غالبا مايكونون شديدى الصرامة فى معاملتهم للتلاميذ مع كثير من الترفع والاستهزاء والتهديد والاحتقار •

وختاما، ان ما قصدت اليه من هذه المقالة هو تنبيه الاباء وكل مسؤول عن التربية الى واهمية المسئولية الملقاة على عاتقهم فى سبيل تربية الاجيال الناشئة • اذ ان عليهم رعاية الابناء من جميع النواحى الجسمية والنفسية والعاطفية والخلقية ثم الحرص على تنمية قدراتهم ومواهبهم العقلية الكامنة بايجاد الاجواء المناسبة والرعاية الباكرة الواعية •وخاصة اننا امة العلم والفقه والفهم ونحن فى زمان اشد مانكون فيه الىالحياة الهادفة الجادة والى انشاء جيل قوى فى شخصيته وسليم فى تفكيره • ■■

د • نبيه غبره

فى العجلة الندامة

● الرجل الذى يعدو مسرعا لا بد وان يتعثر فى خطاه •

توم باتيوك

دفتر الشيكات

● سال صحفى جورج برناردشو : « من اى كتاب حصلت على الفائدة القصوى ؟ »

فاجاب شو : « من دفتر الشيكات الخاص بى ! »

الحـــال

تأتي من كل الاسماء وما ينوب عنها

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ فى الصفحة اللغوية السابقة (العدد / ٢٣٥) اشرنا الى ان الحال تاتى من المبتدأ ، ومن الخبر ، وضربنا لكل منهما امثلة ، ووعدنا فى ختام الصفحة باننا سنتذكر امثلة لما اصله مبتدأ ، او خبر ، ونحن هنا نفى بالوعد .

الجملة الاسمية ونواسخها

من المعروف ـ نحويا ـ ان للجملة الاسمية ركنين ، هما : « المبتدأ ، والخبر » ، مثل : «العقاد اديب » وكلاهما مرفوع (او فى محل رفع اذا لم يكونا اسمين ظاهرين) ، فاذا نظرنا الى العلاقة بينهما وجدنا انها « الاسناد » فاحدهما مسند اليه او مخبر عنه وهو الاصل او الاساس او الاول ، ولهذا سموه « مبتدأ » وثانيهما مسند،او مخبر به ولهذا سموه « الخبر » . وتبقى هذه العلاقة بينهما قائمة ، سواء كانت الجملة مجردة من النواسخ مثل « العقاد اديب » او دخل عليها اى ناسخ .

والنواسخ التى تدخل على الجملة الاسمية ثلاثة انواع :

١ ـ كان واخواتها : ويبقى الركن الاول معها مرفوعا ، وينصب الثانى ، مثل « كـان العقاد اديبا » (او يكون الثانى فى محل نصب ، اذاكان مبنيا)

٢ ـ ان واخواتها : وينصب الركن الاول منهما، ويبقى الثانى مرفوعا مثل : « ان العقاد اديب » (او يكون فى محل رفع) .

٣ ـ ظن واخواتها : وينصب معها الركنان ، مثل: « وجدت العقاد اديبا » (او يكون الثانى فى محل نصب)

والنحاة لا يعربون الجملة الاسمية مبتدأ وخبرا بعد دخول النواسخ عليهما ، بل يسمون كلا منهما اسما آخر ، ويغيرون اعراب احدهما او كليهما (كما هو ظاهر فى الامثلة السابقة هنا) ولكن العلاقة بينهما تبقى ، واذا حذفنا الناسخ ظهرت بينهما هذه العلاقة اوضح ، وعاد كلاهما الى اصله : « مبتدأ ، وخبرا » .

وكان يكفينا بعد ايراد الشواهد على مجىء الحال من المبتدأ ، ومن الخبر ، ان نشير الى ان الحال تاتى من كليهما بعد دخول اى ناسخ عليهما، لان المعروف ان هذه النواسخ تدخل على كل جملة اسمية ، فتبقى الحال من كليهما بعد دخول الناسخ كما كانت حالا قبل دخوله دون اختلاف

مثال ذلك اننا نقول « العنب ناضجا خير منه فجا » فكلمة « ناضجا » حال من المبتدأ « العنب »

وهكذا يبقى الامر بعد دخول اى ناسخ على هذه الجمة ايا كان عمله فيها ، فنقول : « كان العنب ناضجا خيرا منه فجا » و « ان العنب ناضجا خير منه فجا » « ووجدت العنب ناضجا خيرا منه فجا » فكلمة « ناضجا » فى هذه الجمل الثلاث الاخيرة حال من « العنب » الذى اصله مبتدأ ، مهما يتغير اعرابه او اسمه الاعرابى عند النحاة .

ومثال آخر لمجىء الحال من الخبر : « الدين النصيحة خالصة » فكلمة « خالصة » حال من الخبر «النصيحة» فاذا ادخلنا ناسخا على الجملة الاسمية قلنا « مازال الدين النصيحة خالصة » و « ان الدين النصيحة خالصة » و « وجدت الدين النصيحة خالصة » فكلمة « خالصة » « حال » من «النصيحة» بعد دخول هذه النواسخ المختلفة العمل ، كماكانت حالا من « النصيحة » قبل دخول اى ناسخ .

كان يكفينا ذلك ،ولكننا نضيف شواهد جديدة على مجى الحال مما اصله مبتدأ او خبر .

الحال مما اصله مبتدأ

وهذه بعض الشواهد التى جمعناها لمجيء الحال مماصله مبتدأ ، وقد وضعنا كل « حال » بين قوسين :

١ ـ لامرىء القيس فى وصف ما جمعته عقاب من قلوب الطيور فى وكرها :

كأن قلوب الطير (رطبا ويابسا)
لدى وكرها العناب والحشف البالى

فالكلمتان « رطبا » و « يابسا » حالان مفردتان من « قلوب » التى هى اسم كان ، واصلها « مبتدأ » .

٢ ـ لشاعر جاهلى :

وانى (على مافى من عنجهية
ولوثة اعرابية) لاديب

فشبه الجملة هنا (على ما فى من عنجهية...)حال من اسم ان ، وهو ياء المتكلم التى اصلها مبتدأ .

٣ ـ ومثله قول المتنبى :

وانى (على ما فى من شغف بها)
لأعف عما فى سرابيلاتها

٤ ـ وقول المعري :

وانى (وان كنت الاخير زمانه)
لآت بما لم تستطعه الأوائل

٥ ـ ما رواه المبرد عن ابى عبيدة لشاعر نزل على اعرابية فاكرمته ، فخيرها بين ان يكافئها بمال او بشعر ، فآثرت الشعر ، فكان مما قاله فيها :

من ام مثوى كريم قد نزلت بها
ان الكريم (على علاته) يسع

فشبه الجملة « على علاته » حال من « الكريم »

٦ ـ من حديث سطيح احد الكهنة فى الجاهلية ، او احد العذريين ، فى وصف حال الميت :

يبكى عليه غريب ليس يعرفه
وذو قرابته فى الحى مسرور
حتى كأن لم يكن الا تذكره
فان ذا الدهر (اطوارا) دهارير

فكلمة « اطوارا » حال من اسم ان

٧ ـ قول بشار فى صاحبته « حبى » :

كأنها لذة الفتيان (موفية)
وسكرة الموت (ان لم يوف موعود)

٨ ـ وقوله

كأن مثار النقع (فوق رؤوسنا)
واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

٩ ـ ويروى المبرد لشاعر قديم قوله :

لعمر ابيك الخير ، انى لخادم
لضيفى ، وانى (ان ركبت)لفارس

١٠ ـ وقال انيف بن جبلة الضبى فى وصف فرس ، وكان من اوصف الناس للخيل :

واذا اعترضت له استوت اقتاره
فكأنه (مستدبرا) متصوب

١١ ـ ومن احاديث ابن دريد ان اعرابيا كان يطوف بالكعبة حاملا امه العجوز الفانية ، وهو يرتجز :

انى لها (راحلة) ذلولا
موطأ التمس السهولا
أدعمها بالكف ان تميلا
ارجو بذاك نائلا جزيلا

وقد لاحظت ان الشواهد على ذلك تكثر بعد « ان » و « كان » ، ومعظمها جمل فعلية ، او اسمية .

وما ينطبق هنا على نوع من النواسخ ينطبق على النوعين الاخرين فنقول مثلا : « كان السفر (مع طوله) سهلا » و « وجدت القصة (وان قصرت) قيمة » .

الحال مما اصله خبر

وحسبنا من الشواهد على ذلك :

١ ـ الآية القرآنية « واذ قال عيسى ابن مريم : يابنى اسرائيل ، انى رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدى من التوراة والانجيل ، ومبشرا برسوله يأتى من بعدى ، اسمه احمد »

فكلمة « مصدقا » حال من « رسول الله » التى هى خبر « ان » واصلها خبر لمبتدأ (انا رسول الله) ، وكذلك « مبشرا » بالعطف على «مصدقا»

٢ ـ والآية « اننى انا الله ، لا اله الا انا » فجملة « لا اله الا انا » حال من لفظ الجلالة « الله » التى اصلها خبر لمبتدأ ، ولو جعلناها حالا مفردة لكانت العبارة « اننى انا الله واحدا» .

٣ ـ قوله عبد يغوث الحارثى (الجاهلى) :

وقد علمت عرسى مليكة اننى
انا الليث معديا عليه وعاديا

فكلمة « معديا » حال من « الليث » ، ومثلها « عاديا » بالعطف .

■■

محمد خليفة التونسى

● قصة قصيرة ●

صنديالة

بقلم مجيد طوبيا

● ارتعشت ساقاه ، أحس بجسده يزداد ثقلا ! ·· لم يشعر بمثل هذا من قبل ، حتى وهو تحت الخطر واحتمال الرحيل المفاجيء ! ·· ارتمى على مقعد بالمقهى الصغير، جلس شاردا ، بارد الاطراف، زائغ العينين لا يكاد يرى ·· ملأته رائحة الشارع: مزيجا من روائح القهوة والطبيخ والرطوبة ـ ورائحة ورنيش قريبة ـ والشيشة والشاى والخبز ··ورائحة الورنيش ثم ساله ماسح الاحذية :

ـ تمسح ؟

نظر الى الصبى دون تركيز ، جميل الوجه رغم شحوبه ، وفي عينيه نضج مبكر ، جلس دونانتظار جوابه ، رافعا اليه نظرة ، مبتسما في رجاء ، واثقا من موافقته ·· فمد له قدمه ، ثم حاول شغل نفسه بتأمل الشارع ··

اتسعت عيناه ، هنا عاش سمير ، شب ونما ـ دوار خفيف ـ وهذا شارعه ، يراه ، يسمعه ، ويشمه ·· بيوت متلاصقة ، شرفات متقاربة ، بائعة خضراوات ممتلئة ، ترزي القمصان ، كرة صغيرة يتقاذفها الاطفال ، وفرن العطفة ·· بعده بيت سمير ، لا يعرف رقمه ، فوق بابه تمساح محنط لجلب الحظ ·· وهناك امه بوجهها الطيب ونظراتها الحنون ··

دق الصداع رأسه ، وسمع الماسح يقول :

ـ ثلاثة من شارعنا هذا معك ·

ـ معى أين ؟

ـ في الجيش ، هل تعرفهم ؟

ـ الجيش كبير جدا ·

ـ واحد منهم يسكن هناك ، طويل وله شارب سميك الا تعرفه ؟

ـ اسكت وانجز شغلك ··

تزاحمت اصوات الشارع في اذنيه ، ماكينة الخياط ، ترانزستور بائعة الخضراوات ، مواء قطة المقهى ، صياح صبية الكرة، وصوت الصبى يساله:

ـ هل انت مسيحى ؟

ـ لماذا تسال ؟!

ـ لأن الثانى مسيحى ، يسكن بالبيت الذى تقف امامه « أمسالم » ·· هلتعرفه؟ ·· أنت بالجيش ؟

ـ من أم سالم ؟

ـ بائعة الخضراوات

ـ لماذا لا تنتهى من المسح ؟

ـ حالا ··

فكر أن ينهض منصرفا ، لكنه شعر ببعض النظرات تحتويه في ود ، هل يعرفون انه صديق سمير وزميله في ذات الموقع ؟ ·· أم لانه ما زال بملابس الميدان وغبار الجبهة، وبالعرق تحتابطيه؟ ·· قبل أن يذهب الى بيته جاء بالحزن ، بعبء الخبر ، بعد تبادله مع سمير : اذا أصيب أحدهما تولى الاخر ابلاغ اهله !!

صاح ماسح الاحذية :

ـ الثالث هو الاستاذ سمير ، الا تعرفه أيضا ؟!

ـ اسرع ولا تثرثر

صمت الصبى حينا ·· ثم عاد يقول :

ـ أمه طيبة جدا ·

ـ من ؟

ـ الاستاذ سمير ، أشترى لها الخبز كل صباح ··ويوم الثلاثاء الماضى تغديت معها ، ارز وسبانخ ولحمة ثم شاى ·· قبل أن اجلس الى السفرة جعلتنى أغسل يدى ·· طبيخها لذيذ جدا ، وانا احبها ·· وغسلت يدى بعد الاكل أيضا ·· الا تعرف ابنها سمير ؟!

★ ★ ★

من تحت التمساح المحنط دخل البيت ، درجات قليلة وكان يلهث منفعلا !! ·· وقف يتمالك

نفسه ، لن يدخل الشقة ، سيلقى بالخبر من على الباب ويهرول هابطا ••

شد طوله، وعاد يصعد الدرج•• أمام باب الشقة تهدل كل شيء ، عاوده الدوار الخفيف •• نظر الى ضاغط الجرس ، بدأ يرفع اصبعه نحوه ، انهارت يده ، حاول ثانية وفشل ، ثم لمسه وسمع رنينه فى الداخل •• انحسرت الدماء من وجهه انصت مترقبا لها : « البقية فى حياتك ، ابنك مات » ثم يهرول هابطا•• انهكه الترقب •• الاكثر رقة ان يقول : « ابنك استشهد » ثم يهرول هابطا •• كلمة الموت كلمة قاسية !!

سمع خطواتها تقترب،زاغت عيناه، قرر الانصراف والهرولة هابطا •• لكنه رأى الابتسامة وشم رائحة الطبيخ ، •• انشق الباب عن لهفة الام ، عن بسمة طيبة •• اتسع على خيبة امل لحظية ، على رمشه عين متوجسة ! •• ثم عادت البسمة ، وامتد كفها مرحبا :

ـ اهلا يا ابنى •• اهلا وسهلا •• تفضل



سحبته ليدخل فانقاد الى مقعد الصالة،مستسلما .. اغلقت الباب سعيدة به :

ـ في البداية ظننتك « سمير » ، عكس الزجاج المصفر لون ملابسك فطار قلبي فرحا ، كنت افكر فيه لحظة رنين الجرس ..

ظل خفيض العين .. جلست قريبا منه :

ـ تحمل رسالة منه ، اليس كذلك ؟؟ .. لماذا لم يات معك ؟!

تداخلت نقوش السجادة القديمة .. نظرت اليه مليا :

ـ اختلفت اجازتكما ، اليس كذلك ؟؟

ـ نعم اختلفت

رمقته فاحصة :

ـ لست كعادتك هذه المرة !! .. اهو الارهاق؟؟

ـ نعم نعم .. صداع !!

ـ عندى بن بالتحويجة ..

ـ لابد انك جائع .. كيف لم افطن الى هذا ؟!

ـ لا ، وشكرا ..

ـ لست جائعا

ـ بل جائع وشاحب وصوتك هفتان .. حقلك من السماء ، كدت انتهى من اعداد الطعام ..

ـ شكرا شكرا ، الوقت ضيق

ـلن تنزل قبل ان تذوق طعامي .. لكن لون وجهك لا يعجبنى ، لعلك لم تنم جيدا ؟!

ـ فعلا .. لم انم الليل كله !!

ـ هكذا اذن .. طعامي صحة وعافية ، بالسمن البلدى اطهيه

نهضت :

ـ قلبى معكم يا اولادى ، صباحا ومساء ادعو لكم بطول العمر والسلامة ، من اجل اهاليكم يا حبيبى !

رأى حركة قدميها ، رآها تدخل المطبخ ، اراد ان يهتف عاليا :

ـ من فضلك لا أريد ، سارحل فورا

لكن صوته خرج مرعوشا .. وسمع خطوها بالمطبخ ، وغطاء الوعاء يرفع ثم يعود الى مكانه ، وسمع اصطكاك بعض الاطباق .. وسمع ايضا صوتها واضحا :

ـ كيف حال سمير ؟؟

لم يجد ما يقوله .. لام نفسه لانه دخل !! .. كيف يتصرف ؟! .. احتارت نظراته بين السجادة وباب المطبخ ، ثم استقرت منكسة ، تداخلت نقوش السجادة ، قديمة ومتماسكة ، مؤكد انها من عمر الاسرة ، وان سميرا حبا عليها وهي جديدة ، لم وطاها مئات المرات وهو يكبر .. مؤكد انه سار عليها عند خروجه لاخر مرة ، وانها كانت الى جواره تودعه !! ..

شعر بغصة ، رفع راسه يمنع الدموع ، راى صورته تتموج ، على الحائط داخل الاطار .. ضغط جفونه يطرد الدموع ، مد يده يخرج المنديل، وصورة والده الراحل ، مات وسمير صغيرا ، فربته امه واخوه الاكبر ، تزوج الاكبر فعاشت لسمير ، والان لمن ؟!

غلبته الدموع ، سارع بالمنديل الى عينيه ، سمعها قادمة ، رأى طبق الارز يوضع امامه .. لمحت منديله ، ضربت على صدرها :

ـ أكنت تبكي ؟!

ـلا طبعا ..لا

ـ اراك مضطربا ؟؟ .. لماذا ؟ .. قل ..

ـ كنت امسح غبار الطريق .. وعرقه .. طبعا ..

جمدت برهة ثم توتر صوتها :

ـ منديلكمتسخ جدا ، كيف تمسح به عينيك !!

كاد يجهش صارخا ، تمنى لو وقف وانصرف وهرول هابطا .. لكنه عجز عن النهوض ، وشعر بالمنديل ينجذب منه :

ـ ساغسله لك

ـ لا شكرا .. لا ..

ـ افعل هذا لسمير ، وانت مثله ..

ـ ساغسله مع ملابسي في البيت .

ـ احب ان افعل هذا

ـ أرجعيه .. شكرا شكرا .

سارت الى المطبخ :

ـ قبل ان تنتهي من اكلك اكون قد غسلته ، وسيجف بسرعة وانت تشرب الشاى ، الشمس حامية ..

سمع الماء في المطبخ ، سمعها ايضا تسال :

ـ كيف حال سمير ؟؟

حملق الى الارز أمامه٠٠ جاءت بطبق الخضراوات ٠٠ قال :

ـ المنديل من فضلك

ـ نقعته فى الماء والصابون ٠٠ لماذا لا تاكل ؟! ٠٠ البيت بيتك ٠٠ كيف حال سمير ؟؟ ٠٠ ماذا جرى لى ؟؟ نسيت كوب الماء !!

نهضت تحضره ٠٠ تامل خطوها البطىء ٠٠ لماذا ؟! لماذا يخبرها اليوم ؟! ٠٠ لن يخبرها ٠٠ لماذا يعجل بحزنها ؟! ٠٠ ابلاغ الجيش لن يصلها قبل عده أيام ، فلتعش هذه الايام دون بكاء ٠٠ كان عهدا غبيا عهده مع سمير !! ٠٠ لن يبلغها ، وسيتظاهر بانه ياكل ، وسيرد على سؤالها بان سمير فى خير ويبلغها التحية والشوق ٠٠

هدأ قليلا شاهقا ٠٠ ثم عاد يرتجف مع ظهورها ٠٠ وضعت الكوب امامه ، وجلست تتفحصه :

ـ شىء ما يشغلك !! ٠٠ قلبى يحدثنى ٠

ـ أنا ؟! ٠٠ لا شىء !!

ـ يقلقنى ما اراه فى وجهك ! ٠٠ كيف حال سمير ؟؟

ـ كنا فى سيرتك منذ يومين ، نعم منذ يومين ٠٠٠ صحا من النوم هاتفا : « حلمت بامى » ٠٠

ـ حبيبى ياولدى ٠٠ لماذا لم يات معك ؟؟

ـ اطمئنى ٠٠ هو بخير ٠٠

ـ سالتك لماذا لم يات معك ؟؟

بلله العرق ، مد يده يبحث عن منديله٠٠لاحظت ارتباكه ، رأت رعشة انامله ٠٠ ارتجف قلبها ، احساس مبهم يقبضها !! ٠٠ لكنها نهضت :

ـ سانشر منديلك حالا

توجهت صوب المطبخ ثم غيرت سيرها صوب غرفة النوم ، احضرت منديلا مكويا :

ـ استعمل هذا الى ان يجف منديلك ٠٠

مؤكد منديل سمير ، مؤكد ٠٠ وكادت دموعه تطفر ٠٠ ولكن لا ، يجب أن لا تراه يبكى ، الجندى لا يبكى ، لا يبكى لانه يرى الموت كثيرا!!

ارتعش الكوب فى يده ، شرب يبتلع غصته ٠٠ لا يجب ان تراه يبكى ، وسيبتسم ، بتماسكه يمنحها اياما دون بكاء ٠٠٠

بقى ناظرا الى باب المطبخ ، الى ان خرجت بائسة النظرة ، فى يدها المنديل المغسول ، رآها تنظر للاطباق الممتلئة ٠٠ التقط الملعقة ياكل ، لكن وجهها كان قد تكدر وقد عاودها الاحساس المبهم ، اقتربت تستجوبه :

ـ لست جائعا اذن ؟؟

ـ بل جائع جدا

ـ لماذا لم تاكل ؟!

ـ كان ساخنا

ثم بدأ ياكل ٠٠ بقيت ترقبه وفى راسها فكرة تنبت !! ٠٠ تجنب النظر اليها :

ـ لذيذ جدا

الضباب يشل تفكيرها .. لم تتحرك ٠٠ افتعل ابتسامة :

ـ لذيذ جدا جدا

سمعها تتحرك ٠٠ تتجه الى الشرفة ٠٠ لا يمكن ان ينتظر جفاف المنديل ، لن يحتمل ، سينصرف على وعد بزيارة اخرى ٠٠ يقول لها : « سوف امر قبل عودتى الى الجبهة » ٠٠ ويقول لها : « يقينا سوف امر ، آخذ المنديل وآخذ رسالة الى سمير » ٠٠ ويتركها تعيش ساعات اخرى بلا دموع ٠٠

★ ★ ★

٠٠٠ فى الشرفة وهى تعيد عصر منديله ، وهى ترى القطرات تتساقط ، عذبتها الهواجس ، ليس طبيعيا صاحب سمير ، يخفى خبرا سيئا !! ٠٠ فردت المنديل ، بل هى تتوهم بسبب شدة قلقها ، ليس طبيعيا لانه مرهق منهك ٠٠ مالت تنشر المنديل ، فجاةتفجرالاحساس المبهم !! ٠٠استرجعت حاله منذ جاء ، قلقه ، عذاب وجهه ، هروب نظراته ٠٠ ليس طبيعيا هذه المرة ٠٠ عرفت ، غام الشارع فى عينيها ، استعادت صوته المنكسر ، نبراته المهتزة ، كلماته المبتورة ٠٠ تذكرت لمعة عينيه ، ودموعه ، فتجلت الفكرة ، وتاكد الاحساس ، وانقضت على الفور داخلة :

ـ ماذا حدث لولدى ؟؟

بوغت بالسؤال ، فوجىءبها امامه !! ٠٠نظراتها ترجوه تكذيبا ، وجهها يستجديه انكارا ٠٠ ظل صامتا لا ينطق !! ٠٠ ورآته يجمد دامع العينين ، محملقا مصعوقا ، ودموعه تنسال غزيرة !! ٠٠ شهق ٠٠ ترنح ، فسارعت تاخذ رأسه فىصدرها، تستند عليه ، وجميع جسديهما يبكى ٠ ■■

مجيد طوبيا

النبى محمد رجل القومية العربية

● مقالة الامام الجزائرى المرحوم عبد الحميد بن باديس حول النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ومفهوم الامة العربية ، والتى نشرت فى العدد ٢٣٣ من مجلة العربى ، تعتبر آية فى نفاذ الرؤية ، لانها عادت الى المنابع ، الى حديث الرسول الكريم ،حسبما رواه ابن عساكر فى تاريخ بغداد بسنده ٠من هذه الزاوية اكتسب مفهوم الامةبعدا تراثيا وانسانيا وحضاريا ، متسما بالاصالة والانفتاح ٠ وبذلك فالامة العربية ليست كيانا عنصريا فى مواجهة كيانات اخرى ، وانما هى شمولية نورانية ، الاسلام قنديلها ، والعربية لغتها ، والقرآن كتابها ، وابن ادم بذرتها ٠

صفحتان فقط ، بقلم الامام ابن باديس ، خير من عشرات المجلدات التى تحبرها الاقلام منذ القرن الماضى ، لا لشىء الا للالتفاف على نورانية التعريف الذى تضمنه الحديث الشريف ، الذى يفسر التكوين التاريخى ، الجغرافى، البشرى ، الفكرى ، للامة العربية الاسلامية تفسيرا يبلغ حد الاعجاز ٠

فردوس المجتهد
اللاذقية

عن المسلمين فى يوغوسلافيا

● لى عدةملاحظات اضيفهاالى استطلاع المسلمين فى يوغوسلافيا الذى نشرتهالعربىفى عددها رقم ٢٣٣ بتاريخ الاسلام فى البلقان يستحقاهتماما اكبر،لان البعض يربطبينه وبين الفتح العثمانى ، حتى انياقوت الحموى لقىبعضمسلمى المجر فى اوائل القرن السابعوكانوا على مذهب ابى حنيفة ٠٠ بل ان ابا حامد الغرناطىالمتوفى سنة ١١٦٩ م ـ وهو عالم مسلم ورحالة عاش فىالمجر وتولى مشيخة الاسلام فيها ـ تحدث فى كتابه « تحفةالالباب ونخبة الاداب » عن المسلمين هناك قبلياقوتبحوالىقرن من الزمان ٠ وهكذا فان العثمانيين عندما دخلوايوغوسلافيا، وجدوا تربةصالحة لنشر الاسلام بدون اكراه ٠ولا سيما فى منطقة البوسنة والهرسك ٠

● هناك تنظيمات اسلاميةفى يوغوسلافيا تستحقالاشارة، مثل الادارة المركزية فىسراييفو برئاسة رئيس علماء مسلمى يوغوسلافيا (وهو الانالشيخ نعيم الحاج عبديتش)، وهو المفتى الاكبر ، والىجانبهمجلس من كبار العلماء يتولى الاشراف علىالمساجد والمدارسالدينية والبعثات وادارة الاوقاف ٠ وفى كل جمهوريةمنجمهوريات يوغوسلافيا الست رئيس علماء يدير شؤونمسلميها ، ومثل ذلك فى اقليم (كوسوفو) الذى يتمتعبالحكمالذاتى ، والذى تقطنه اغلبية من الالبان ٠ وهذا الوضعيجعل مسلمى يوغوسلافيا اعظم جماعة اسلاميةمنظمة فىاوربا،ولذلك فهى اصلحقاعدةاسلامية لنشر الدعوة الاسلامية فىاوربا بالنظر لتنظيمها وموقعها الجغرافى ٠

● اغفل الاستطلاع التعليمالدينى فى يوغوسلافيا ، فلم يحدثنا عن مدرسة الغازىخسروبك فى سراييفو ، التى حلت محلها « كلية الدراساتالاسلامية » ، الجديدة ، كما لم يتناول المدارس الثانويةالدينية الموجودة فىبعضالمراكز

المهمة مثل سراييفو وبرشتينه،وهي التي تخرج الائمة والخطباء، ومن بين خريجها يرسل المبعوثون للدراسات العليا في الخارج. هذا علاوة على الكتاتيب في المساجد،وهي التي يذهب اليها الاطفال في صبيحة كل يوم احد ،بينما يذهب اليها البالغون في امسيات اليوم المذكور لتعلم القرآن الكريم واللغة العربية والفروض الدينية • ومن ذلك مثلا انه كان في سنة ١٩٧٤ وفي منطقة واحدة ٤٢ مسجدا لتحفيظ القرآن الكريم و ٢٥ مدرسة لتعليم العلوم الدينية ، وهي تضم حوالي اربعة الاف تلميذ.

● للدول العربية جهد يستحق التسجيل في رعاية مسلمي يوغوسلافيا فالعراق مثلا قدم ثلاثين منحة للطلبة المسلمين لدراسة الشريعة الاسلامية في بغداد ، مع سبع منح للبنات المسلمات ، وهذا ـ في ظني ـ حدث لعله يقع لاول مرة في تاريخ مسلمي اوربا ، اذ تتصدى سبع بنات لدراسة الشريعة لأول وهذه غير المنح التي تقدمها العراق للطلبة اليوغسلاف عموما على اساس اتفاقيات التعاون الثقافي بين البلدين، وهي مفتوحة للطلبة المسلمين وغير المسلمين على السواء • ثم ان الجامعة الاسلامية الليبية كانت تقدم ايضا منحا سخية للطلبة المسلمين بالذات • كما قدمت الحكومة السعودية عام ١٩٧٤ مبلغ ربع مليون دولار مساهمة منها في انشاء مبنى كلية الدراسات الاسلامية في سراييفو ، كما تبرعت حكومة الكويت بخمسين الف دولار ،وحكومة ليبيا بعشرين الف دينار ليبي ، وحكومة السودان بعشرة الاف جنيه استرليني للمشروع نفسه •

أخيرا ، فانني اشارك كاتب الاستطلاع رأيه في ان من واجب الدول العربية ايداء اهتمام اكبر باخواننا المسلمين في يوغوسلافيا ومدهم بالعون المادي والادبي ، ولا سيما بالكتب والمجلات على اختلاف انواعها لابقاء الصلة الروحية حية بيننا وبينهم •

الدكتور سامي الصقار
سفير العراق في يوغوسلافيا
سابقا
ومن أساتذة التاريخ الاسلامي
بجامعة الرياض (كلية الاداب)

مواجهة اسرائيل

● نحن العرب ، ازدادت ثروات بلادنا بعد اكتشاف النفط وشرعنا ببناء شتى المدن والشوارع التي تقر لها العيون • ولكن مع تقدمنا الظاهري فان عقلياتنا وطريقة تفكيرنا لم تتطور وتتقدم حتى تجاري هذا القرن وهذا التقدم الظاهري والمادي •

ولا يمكننا الحفاظ على شخصيتنا ووطننا الا بادراك هذه الحقائق وعندها فقط نستطيع أن نواجه صلف اسرائيل وفجورها •

عربي متغرب
كالامازوا ـ ولاية ميشغن
الولايات المتحدة الامريكية

شجر الدر وليس شجرة الـدر

● في استطلاع البحث عن مواقع التاريخ تحت رمال الجزيرة العربية (العدد ٢٣٤ ايار ١٩٧٨) ، وفي الصفحة ٨٠ منه ، نشرتم صورة قبة شجرة الدر (كذا) وصوابها شجر الدر وهي ارملة الملك الصالح نجم الدين ايوب ملك مصر والشام وكانت بعد وفاته قد تولت العرش رسميا في عام ٦٤٨ هـ ثم تنازلت عن اللقب لزوجها الجديد عزالدين أيبك ولكنها ظلت محتفظة بالسلطة حتى وفاتها في ٦٥٥هـ • ان تغيير اسم هذه الملكة من شجر الدر الى شجرة الدر خطأ شائع يجب التنبيه اليه •

المحامي صالح الشالجي ـ بغداد

فقه المذاهب والعصر الذى نعيشه

● المقال الذى نشره العربى فى عدد ابريل ٧٨ للعلامة اليوغسلافى حسين جوزو عن فقه الصحابة وحاجة عصرنا يبرز غيرة الكاتب على الاسلام والمسلمين .

ولاشك ان علماء السلف الصالح اصحاب المذاهب اجتهدوا فى فهم النصوص لحل مشكلات عصرهم وبيئتهم وفقا لشرع الله ولم يصرفوا الناس عن النبع (القران والسنة) ولقد اتفقوا جميعا على انه اذا خالف رايهم القران او السنة ان يضرب بكلامهم عرض الحائط . وافضل مثال على ذلك رفض الامام مالك رأى الخليفة المنصور حمل الناس على اتباع ماجاء فى «الموطأ» .

ان قرائح علماء الاسلام لم تنضب وباب الاجتهاد لم يغلق والمطلوب هو الاقدام لفهم النصوص واستيعاب مشاكل العصر بما يتفق وشريعة الله .

حلمى احمد العطار
منوفية ــ مصر

الصحابى صهيب اصله عربى

● ورد ذكر الصحابي صهيب فى سياق الموضوع الذى نشره العربى عن « النبى محمد رجل القومية العربية » للامام الجزائرى عبدالحميد بن باديس وذلك فى عدد ابريل ١٩٧٨ .

واتماما للفائدة فقد ذكرت معظم المصادر ان صهيبا لم يكن روميا ولكنه كان عربيا فهو صهيب بن سنان بن مالك، من بنى النمر بن قاسط ، صحابى من أرمى العرب سهما، وله باس وهو أحد السابقين الى الاسلام . كان أبوه من اشراف الجاهليين . ولاه كسرى على الابله (البصرة) وكانت منازل قومه فى أرض الموصل ، على شط الفرات مما يلى الجزيرة» والموصل (أى المنطقة المحصورة بين نهر الفرات ونهر دجلة وتسمى الجزيرة) » علما بان الموصل مدينة تقع على نهر دجلة » وبالجزيرة ولد صهيب . فاغارت الروم على ناحيتهم فسبوا صهيبا فنشأ بينهم ، فكان الكن (أى فى لسانه عثرة) وقد اشتراه منهم أحد بنى كلب وقدم به مكة . فابتاعه عبد الله بن جدعان التيمى . ثم اعتقه فاقام بمكة يحترف التجارة الى ان ظهر الاسلام فاسلم (ولم يتقدمه غير بضعة وثلاثين رجلا)

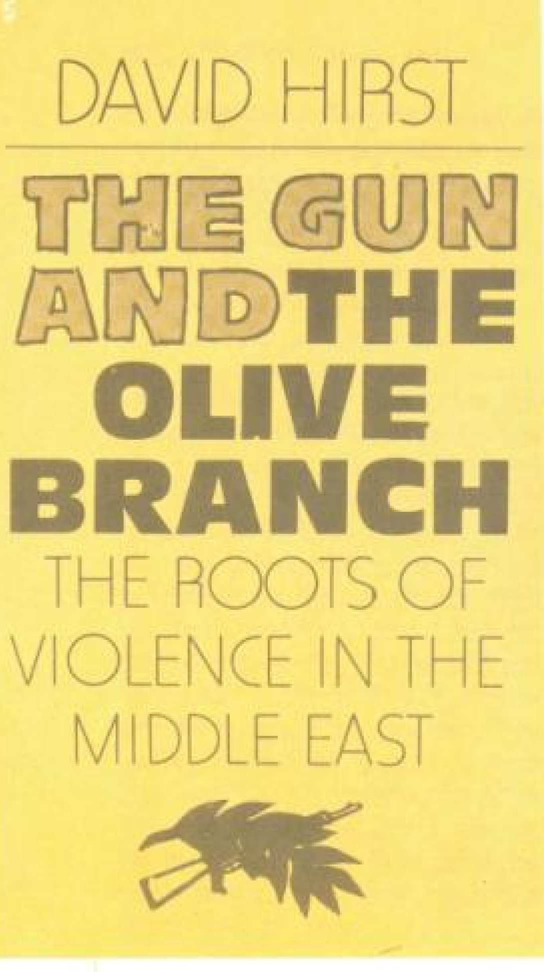
فلما ازمع المسلمون الهجرة الى المدينة . كان صهيب قد ربح مالا وفيرا من تجارته ، فمنعه مشركو قريش . وقالوا جئتنا صعلوكا حقيرا فلما كثر مالك هممت بالرحيل ؟ فقال صهيب ارايتم ان تركت مالى لكم سوف تخلون سبيلى؟ قالوا نعم فجعل لهم ماله أجمع. فبلغ النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ذلك .. فقال النبى « ربح صهيب . ربح صهيب » .

سعيد علوان الفحل
المقدادية ــ العراق

صناعة البترول

● لاشك ان الدول العربية وخاصة المملكة العربية السعودية والكويت والعراق تتمتع بمكانة مرموقة وشهرة عالمية فى عالم البترول .. فكيف يكون البترول حديث العالم كله ونحن فى البلاد العربية المجاورة نكاد لانعرف عن البترول غير اسمه .. وهذا يدفعنا الى ان نطلب من مجلة العربى نشر استطلاع عن ابار البترول فى الوطن العربى لجميع مراحله استخراجا وتكريرا ونقلا .

السيد محمد علام
جامعة المنصورة / مصر .





كتاب الشهر

البندقية وغصن الزيتون

« ان غصن الزيتون لن يحل ابدا مكان البندقية ، حتى ينقذ العالم الخارجي اسرائيل من نفسها »

للصحفي الانجليزي : دافيد هيرست عرض وتقديم : روزماي صايغ

ان اصالة هذا الكتاب تكمن في فكرة المؤلف بعرض النزاع في الشرق الاوسط على انه يتفاعل تفاعلا متسلسلا ، ومتزايدا بين الصهاينة والعرب • واهداف مؤلفه دافيد هيرست تصحيحية بالدرجة الاولى • وغالبا ما حلل الراى العام الغربي العنف في الشرق الاوسط على انه

نتاج لتصلب العرب او تعصبهم بدون ان يكلف نفسه مشقة تتبع النزاع الى اصوله التاريخية القديمة·وعداء المسيحية للاسلام عميق الجذور غذى هذه الاراء واعطى الحملة الدعائية الصهيونية اساسا للبناء عليه ·ويحث هيرست بلقة سجل مكر الصهيونية ، كاشفا النقاب عن هذا المكر الذى استخدم عمليا ضد ضحاياه العرب ، ومسلطا الضوء عليه من خلال اقتباسات من ادب الصهيونية وصحافتها ·

وكتاب «البندقية وغصن الزيتون» ليس فقط جديدا في اسلوب عرضه للنزاع العربي الاسرائيلي على انه تفاعل ، ولكنه ايضا منظم تنظيما جيدا ومثير ومستوحى من الشعور العاطفي والادراك العقلي معا · والكثير من الكتب التى تطرقت لهذا النزاع المستعصي حله كانت تقليدية وتكرارية او تزمتية، بينما هذا الكتاب لم يفقد ابدا عاطفته لبني الانسان خلف القضايا الصعبة · فهناك لمسة خفيفة من التعبير المأساوى اللاذع في طريقة بدء الكتاب ونهايته : فالكلمات الاولى قد اخذت من رسالة ليوسف ضياء الخالدى رئيس بلدية القدس الى كبير حاخامات اليهود في فرنسا فى عام ١٨٩٩ :«بسم الله، أترك فلسطين في سلام» واختار كذلك بصورة متساوية فقرة مقتبسة ينتهى بها الفصل الاخير هي مقال لافرايم كيشون في صحيفة« جيروزالم بوست» يحث فيه على استخدام الاسلحة الذرية ضد العرب ·

وحتى بالنسبة للقراء العرب فان هذا الكتاب يحتوى على الكثير من الامور غير المألوفة·وهيرست وهو مراسل صحيفة الجارديان البريطانية المحنك والعارف بشئون العالم العربي خلال الاربع عشرة سنة الاخيرة ـ ،يجمع بين مهارات الصحفي والباحث· وهو من خلال احتكاكه بمصادر عربية واسرائيلية وانجليزية قد اكسب كتابه « البندقية وغصن الزيتون » الصلابة التي لا توجد في«انا كنت هناك» وهو اسلوب يتبعه الصحفيون فى كتابة مقالاتهم· وفي الوقت نفسه فقد اكسبه وجوده فى الشرق الاوسط لسنوات عديدة وسهولة اتصاله بالعرب والاسرائيليين ـ فهما لدوافعهم وشخصياتهم قلما يوجد فى كتب بحث اخرى ·

وعلاوة على ذلك فان الكتاب منجم ذهب لكشفه النقاب عن اقتباسات وثيقة الصلة بالموضوع،ينشر الكثير منها للمرة الاولى · والاقتباس التالي لم ينشر فى اى مكان آخر غير هذا الكتاب وهو ماخوذ من نشرة لوزارة التعليم الاسرائيلية موجهة الى المدرسين :

« من الاهمية بمكان ان يعرف شبابنا انه عندما عدنا الى هذه البلاد لم نجد هنا اية امة اخرى ، وانه بالتاكيد لم تقطن امة فى هذه البلاد لمئات من السنين · والعرب الذين وجدناهم هنا والذين وصلوا قبلنا بسنوات عديدة فقط فى الفترة ما بين ١٨٣٠ و ١٨٤٠ هم لاجئون فروا من اضطهاد محمد على فى مصر » (صفحة ٢٦٥) ·

جذور العنف الاسرائيلي

والصهيونية منذ بدايتها كانت قادرة على الاستفادة من قصة ذبح الشعب اليهودى المعروفة ودعوى عدم نزوعه الى القتال وتشريده ، لكسب التأييد لثورة كانت موجهة بصورة رئيسية ضد اللاعنفية اليهودية أى معارضة الحرب او العنف او حمل السلاح لاسباب اخلاقية او دينية · وكان الصهاينة عن طريق التاكيد باستمرار على اهدافهم السلمية في فلسطين قادرين على ان يخفوا عن الاخرين ان لم يكن عن انفسهم بان اهدافهم لا يمكن تحقيقها الا عن طريق العنف فقط · ويعلق هيرست بقوله :

«كان العنف متاصلا فى الصهيونية منذ البداية· ويعتقد داعية الصهيونية هيرتزل بان الاكراه والقوة المادية هما امران لا مفر منهما · ولم يكن فى حاجة ماسة لممارسة ضغط قوى متواصل على اتباعه لترسيخ هذا الاعتقاد فى نفوسهم ·

ويقول هيرتزل في يومياته التى لم تنشر الا بعد ست وعشرين سنة على وفاته فى عام ١٩٠٤ والتى كان يحرص على عدم التفوه بها فى خطبه وتصريحاته العلنية يقول : ان القوة العسكرية كانت عنصرا اساسيا فى استراتيجيته · ومثاليا

فان الصهاينة ـ يجب ان يحصلوا على الارض التى يختارون بالانتزاع المسلح».»

وكتب هيرتزل فى مكان آخر : « ان الهجرة أمر غير ذى جدوى ان لم تكن مرتكزة على السيادة المؤكدة » ووجهات النظر الواضحة هذه تتناقض بشكل ملحوظ مع تاكيدات صدرت عنه فى الكثير من المناسبات بعدم الاعتداء سواء بالنسبة للفلسطينين او الحكومات التى طلب تاييدها • مثال ذلك كتب يقول فى رسالته الى رئيس بلدية القدس الخالدى « ليس لليهود دولة محارية تقف خلفهم ، كما انهم ليسوا ذوى طبيعة حربية • انهم عنصر مسالم تماما وانهم قانعون جدا اذا ما تركوا فى سلام » •

وسواء اختاروا العنف بصورة متعمدة ام لا فانه كان متاصلا فى رفض الصهيونية الاعتراف بحقوق السكان العرب فى فلسطين أو حتى بوجودهم كشعب • وكان المستوطنون الذين تدفقوا اولا على فلسطين بحاجة ماسة الى السلم ، واقامة علاقات اقتصادية طبيعية مع المزارعين حول مستعمراتهم ، ولكن حتى مع قدوم المستوطنين الاوائل كانت هناك اشتباكات ، فيما واجه المزارعون الفلسطينيون وضعا جديدا لم يعهدوه من قبل ألا وهو الطرد ونزع الملكية • ولم تعترف الحكومة العثمانية رسميا بان للحركة الصهيونية حقوقا فى فلسطين ، ولكن مسؤوليها المحليين لم يكونوا متحمسين بشكل زائد لمنع مبيعات الاراضى الى المهاجرين اليهود •

وكان مفهوم القادمين الجدد «للملكية» يختلف اختلافا تاما عن مفهوم المزارعين الاصليين « للحقوق » • وعندما اقام المهاجرون اسلاكا شائكة حول ارضهم المكتسبة حديثا فانهم بذلك اعتدوا على الحقوق التقليدية للمزارعين بالانتقال بحرية وزرع الارض • وكان على المهاجرين أن يبادروا الى اخبار السكان الوطنيين بانهم حراس فقط للارض ، وليسوا مالكيها الشرعيين •

سياسة انتزاع العمل

واصبحت ردود فعل المزارعين الغريزية ضد المستوطنين الجدد اكثر وضوحا ، ولها ما يبررها خاصة بقدوم الفوج الثاني من المستوطنين (١٩٠٤ ـ ١٩٠٧) الذين كان من بينهم بن غوريون وغيره من مؤسسى الصهيونية المحاربة فى فلسطين • وكانوا هم الذين قرروا سياسة « انتزاع العمل » والذى يعنى من ناحية عملية مقاطعة الايدى العاملة العربية • وعارضت هذه السياسة التى كانت مغلفة بالاشتراكية الكاذبة فى تشغيل العمال العرب ولكنها ادت فى الحقيقة الى ايجاد تفرقة عنصرية بين اليهود • ويشدد هيرست على عواقب هذا الاختيار المميت ويقول :

منذ انشاء دولة اسرائيل وهى تحاول كسر العزلة الاقتصادية والسياسية الصارمة التى يفرضها العالم العربى باسره عليها • وبالطبع فان رد الفعل لهذه العزلة كان مختلفا • ويرجع السبب فى فرض الحصار العربى الى الطرد الاول لعامل عربى من مزرعة يهودية •

والقى الصهاينة فى ضوء الادراك لافتقارهم الى قاعدة صلبة لتكوين دولة كبيرة (على خلاف جميع الدول الاستعمارية الاخرى) القوا بكل شىء فى سبيل استجداء الدعم من كل حكومة يعتقدون بانها تقدم مساعدات لهم • وبدأ نجاحهم فى الميدان الدبلوماسى فور انتهاء اربعمائة سنة من حكم تركى لم يتعايش العرب سياسيا معه ، كما دفع هذا الوضع الصهيونية الى المضى قدما فى التاثير على الراى العام العالمى الامر الذى اغضب العرب ربما اكثر من الخسائر البشرية والمادية التى تكبدوها على ايدى اليهود • وحتى الان فان معظم العرب على الارجح لم يفهموا المدى الذى وصلت اليه قوة اسرائيل فى تفوقها فى اساليب العنف اكثر من التاييد الذى حصلت عليه من جانب الولايات المتحدة •

ويتتبع هيرست هذا النقض الصهيونى للاعنفية اليهودية من بدايته فى مثالية الابطال القدامى امثال «باركوكبا» الى تاسيس الة الحرب الصهيونية • ففى عام ١٩٠٧ انشئت «هاشومير» لحراسة الممتلكات اليهودية ، وبعد عامين تم تاسيس اول قوة عسكرية سرية اسرائيلية • وفى العام ذاته أنشىء حرس يهودى فى مقاطعة طبريا •

وخلال الحرب العالمية الاولى اسس ثلاثة من المحاربين الاوائل هم «ترامبيلدور» و«جابوتنكسى» و«آرونسون» فيلق «زيون ميول Zion mule» والفيلق اليهودى (وكلاهما حارب مع الجيش البريطانى) وشبكة المخابرات الاولى المعروفة باسم «نيلى» • وبالرغم من ان هؤلاء الرجال كانوا غير أعضاء فى الحركة الصهيونية الا انه كان لهم تاثير قوى على المهاجرين

من اليهود الشبان . وقد اعلنوا عن نماذج من نوع جديد من اليهود :

«نحن بحاجة الى رجال مستعدين لعمل كل شيء. يجب علينا ان نخلق جيلا من الرجال ليست لهم مصالح او رغبات ، وان نحصل على المعدن الذى نستطيع ان نصوغ منه الاشكال التى نحتاجها لالة الحرب الوطنية » . (ترامبلدور) (ص ٣٥)

لغة القوة وحدها

وبينما واصل الاحرار واليساريون الاوروبيون تاييدهم للصهيونية بوصفها حركة تحرير حقيقية ، كانت الحركة الصهيونية في فلسطين تنشىء جيلا من المقاتلين والمتخصصين في العنف . واصبحت الصهيونية المسلحة في النهاية الاداة لاكراه شعب فلسطين على ترك منازله في عام ١٩٤٨ ، ضمن مخطط منظم تنظيما جيدا من الارهاب والهجوم العسكرى المباشر والحرب النفسية . ولم يكن الفلسطينيون هم الضحايا الوحيدين للعنف الصهيوني، فقد اغتيل وسيط الامم المتحدة «برنادوت» لدفاعه عن عودة الفلسطينيين الى ديارهم . وتدفق اليهود العراقيون على فلسطين فى اعقاب عمليات ارهاب دبرتها الصهيونية . وقتل مواطنون فى القاهرة من جراء انفجار قنابل استهدفت خلق توتر بين الحكومة المصرية والولايات المتحدة،ولكن الفلسطينيين ظلوا الهدف الرئيسى للعدوان الصهيونى .

واصبح الاعتداء عند الصهاينة عادة وطريقة اتوماتيكية تم تبريرها (عندما كان التبرير ضروريا) بواسطة النظرية القائلة ان الشيء الوحيد الذى يفهمه العرب هو القوة .

ويضيف هيرست فيما يتعلق بالعنف الصهيونى الاسرائيلي قائلا: «ان العنف هو احدى خصائص حركة انبثقت من المقاومة للظلم والاضطهاد ، بحيث يجب ان تكون عديمة الحساسية بالمرة للمقاومة نفسها التى تولدت فى آخرين » .

وللان فان الدهشة غير واردة على الارجح ، لان الحركة الصهيونية التى فتكت بضحاياها من العرب قد قامت منذ البداية على القوة ، وانها ستستمر فى وجودها على القوة ، والقوة فقط . وطبعا نستطيع ان نتاكد بان الاسرائيليين اذا ما تخلوا عن العنف فان ذلك لن يكون لاسباب خلقية ولكن فقط لانهم لم يعودوا يستطيعون مواجهة انظمة الحكم العربية التى لم تستطع حماية شعوبها .

ماذا كانت عليه ردود الفعل الفلسطينية ازاء العنف الصهيونى ؟

وفى معرض وصفه لتعاظم الحركة المناوئة للصهيونية فى فلسطين قبل بدء الانتداب البريطانى سأل هيرست السؤال نفسه :

«كيف ينبغى على الزعماء الفلسطينيين وغيرهم ان يتصرفوا ؟ ولم تستغرق اجابة السؤال وقتا طويلا لادراك ان الصهاينة كانوا هم الاعداء، كما ان الأمر لم يحتج اى وقت طويل لكى يدرك الزعماء الفلسطينيون ان الطريق الوحيد لقتال العدو هو التعلم منه » .

وفى تاكيده لتماثل ردود الفعل الفلسطينية ازاء الصهيونية (العنف ضد العنف) اشار هيرست الى الخلافات الظاهرة بين الجاليتين فالمهاجرون الصهاينة كانوا رجالا جددا يتركون ثقافتهم اليهودية وتقاليدهم خلف ظهورهم فى احياء اليهود بروسيا واوربا الشرقية ، ولكن الفلسطينيين دخلوا عهد الانتداب المحصن ببناء اجتماعى وثقافى جعل من الصعوبة البالغة تحقيق نضال منظم . ويلاحظ هيرست انه بالرغم من انه كانت هناك اعمال عنف عفوية من جانب القرويين ضد المستوطنين اليهود «الا ان الزعماء الفلسطينيين كانوا اصحاب نزعة طبيعية ايديولوجية اقل تطورا ازاء استخدام القوة من الزعماء الصهاينة » . ولم يعط هيرست مزيدا من التفصيلات باستثناء الاشارة الى زوال العقبات والعوائق داخل المجتمع الفلسطينى لصالح تطوير النضال الوطنى .

طريق المقاومة الشعبية

وكان الاسلوب السياسى الطبيعى للشخصيات الفلسطينية البارزة شرعيا وديبلوماسيا . فقد ارسلوا وفودا الى استنبول للاحتجاج ضد بيع أراضى الدولة الى مهاجرين صهاينة ، ولكن لا يوجد سجل يدل على مساعدتهم للمزارعين فى مقاومة عمليات نزع الملكية والطرد . ومن بداية الاحتلال البريطانى فى عام ١٩١٨ استمرت الشخصيات الفلسطينية فى الاحتجاج : ضد وعد بلفور ، وضد الفصل الرسمى لفلسطين عن سوريا ، وضد تعيين يهودى صهيونى كاول مفوض سام ، وضد الرفض البريطانى بالسماح بانشاء المؤسسات التمثيلية النيابية ، ولكن هذه الاحتجاجات لم تترجم فيما بعد الى افعال .

وعندما وصل هيربرت صموئيل الى فلسطين فى عام ١٩٢١ راجت شائعات لا اساس لها من

الصحة عن عملية اغتيالمدبرة له • وبعد تهديدات بالمقاطعة حضر جميع الزعماء الفلسطينيين بصعوبة اجتماعات دعا اليها المفوض العام • وخلال المؤتمر العربي الرابع الذى عقد فى عام ١٩٢١ قـرر المجتمعون رسميا وجوب تبنى الوسائل السلمية لا العتيقة (ويشير هيرست هنا الى نفوذ السياسيين البريطانيين المؤيدين للعرب) •

وفى مراحل عديدة وعندما لاح خطـر انـدلاع اعمال عنف واسعة النطاق استخدمت الشخصيات الفلسطينية البارزة نفوذها لصالح الاعتدال ،مما ادى الى ان بعضا من هذه الشخصيات حصل على اوسمة بريطانية •

ويشير هيرست ايضا الى انه عندما قتل عز الدين القسام وهو اول زعيم ينظم مقاومة مسلحة لم يحضر جنازته احد من الزعماء الفلسطينيين • لقد كان هناك منذ البداية انقسام بين الجناح السياسى والجناح العسكرى للحركة الوطنية الفلسطينية ادى الى عرقلة ظهور مقاومة فعالة•

وعلاوة على ذلك فمـع ان الـوعى الـوطنى الفلسطيني بدا انه يتطور بسرعة الا انه اخفق فى سحق زمرة السماسرة والمشتركين معهم الذين اوجدتهم السلطة البريطانية :

« بالرغم من ان بائعى الاراضى والسماسرة هم الذين يجب ان يوجه اليهم اللوم الفعلـى الا انهم نادرا ما تعرضوا لمثل هذا الموقف ، كما ان المجتمع لم ينبذهم نبذا حقيقيا • والاشخاص القلائل الذين يجب ان يدانوا (فى بيع الاراضى) نادرا ما كانوا هم اولئك الذين انغمسوا كبيرا فى عمليات البيع هذه •

واولئك الذينتحملوا عب هذا التسامح المجتمعى لمبيعاتالارضكانوا بالطبع هم الجماهيرالفلسطينية وبخاصة فئة المزارعين•والاصول الاجتماعية لثورة ١٩٣٦ التى استمرت ثلاث سنوات (وهى اطول نضال مسلح ضد الاستعمار فى المنطقة حتى حرب الاستقلال الجزائرية) لم تبحث بعناية كما فعل هذا الناقد ، ولكن هناك اتفاق عام على انه لا الاضراب العام الذى استمر ستة اشهر ولا الثورة قد خطط لهما من قبل الزعامة الوطنية • لقد كان على الاصح وليد مقاومة جماهيرية عفوية وحرب مزارعين نموذجية ، وان احدا من الشخصيات البارزة لم يشترك فى القتال،مع ان بعض الزعماء المحليين كانوا من رجال المفتى •

واظهر الفدائيون (المجاهدون) من القرويين شجاعة وحماسا اشاد بهما خصومهم البريطانيون• وبالرغم من اسلحتهم القـديمـة جـدا وتدريبهم البدائى الا انهم نجحوا فىذروة الثورة فىالسيطرة على منطقة الجبال الوسطى والعديد من المدن :

« لقد كان فتحا للمدن من جانب القرويينابناء الريف • وقدم الثوار هذه المرة من التلال الى السهول لقد تحركوا من اقطاعياتهم المحلية لتامين سيطرة اوسع ، وتمكنوا من بسط نفوذهم ليس فقط على القرى التى كانت متعاطفة معهم منذ البداية ، وانما ايضا على بعض المدن الرئيسية فى فلسطين • وقاموا باستبدال الطربوش المزين بشرابة والذى يرتديه ابناء المدن على رؤوسهم بالكوفية وهى لباس الراس لابناء الريف •

وتم تعبئة ثورة القرويين هذه ابان اوجهـا بخمسة عشر الفا من المحاربين فى المدن والقرى واجبرت البريطانيين على رفع جيش احتلالهم الى فرقتين اى حوالى عشرين الف جندى ، ولكن مع حلول خريف عام ١٩٣٨ بدأ مد الحرب فى التحول• فقد تم ابادة المجموعات الفدائية فى التلال من جراء القصف الجوى ، وتم تخويف انصارهم فى القرى بوسائل « العقوبة الجماعية » كنسف قرى بكاملها الامر الذى حدا بهم الى الاحجام عـن تقديم الدعم للثوار •

وجرى تـشديد عمليات القمـع والاضطهاد والاخضاع عن طريق السجن والاعدام والاحكام الصارمة لكل من يحمل اسلحة ، وتم ابعاد معظم الزعماء الوطنيين كما لجا البعض منهم الى دول عربية •

وفى ضوء القسوة المتناهية لهذا القمعلم تسترد الحركة الوطنية الفلسطينية قوتها،كما انه لم يتم تحويل الدروس المستفادة من الثورة الى مكاسب تنظيمية • وبدلا من ذلك فقد تم قبول التنازلات الظاهرة للكتاب الابيض البريطانى فى عام ١٩٣٩، مع ان كل تجربة مع حكومة الانتداب يجب ان تكون قد علمت الفلسطينيين بان الوعود التى قدمت فى فلسطين سيجرى انكارها تحت وطاة الضغط على الحكومة البريطانية (وايت هول Wnne Holl) وهكذا عندما حان موعد الاختبار الحقيقى للقوة وكان الى جانب الصهاينة فى عام ١٩٤٨ وجـد السكان الذين لعبوا دورا بارزا فى ثورة ١٩٣٦ انفسهم معتمدينعلىالوعود العربيةبتقديمالمساعدة

لهم • وفي الحقيقة ان بريطانيا مهدت الطريق للاستيلاء الصهيوني على فلسطين بابخس ثمن •

اخطاء حركة المقاومة

وفي الفصلين الاخيرين من كتابه « البندقية وغصن الزيتون » يتناول هيرست بالتفصيل ظهور حركة المقاومة الفلسطينية مظهرا تعاطفا كبيرا وفهما لاهدافها ولكنه في الوقت نفسه يوجه النقد لها لاخطائها • فهو لا يعارض المبادىء الاخلاقية البورجوازية لتبني اساليب العنف وانما هو بالاحرى يتحدث عن « المرض الداخلي » التنظيمي والسياسي والعسكري الذي يقف في طريق فعالية الثورة ، فجوهر المشكلة كما يرى هيرست هو الغلاف وعدم الوحدة • ومع ان النزاع العربي انعكس بصورة جزئية على الصفوف الفلسطينية ومهما كانت اسبابه فان عدم الوحدة هو الذي جرد المقاومة من التاييد الشعبي الذي كان كفيلا وحده لان يحميها من مناورات انظمة الحكم • ولم يقترف هيرست غلطة فصل الثورة الفلسطينية عن بيئتها العربية عن طريق القول بان ذلك سيكون بمثابة نوع من الانحراف او بمثابة مصباح قوي قد خفت نوره • فهو على العكس يقرر بان جناحي المقاومة قد سقطا في الشرك « فتح » بمذهبها العملي الظاهري (مزيد من السلاح للشعب) والمنظمات اليسارية القائمة على الراديكالية الظاهرية • فالشرك نفسه وطريق السقوط فيه هما الجزء المكمل للواقع العربي العالي •

فبينما لمع نجم الفلسطينيين في المسرح الدولي اخذت قاعدتهم في العالم العربي تتضاءل باستمرار • وبالطبع هناك الانقسام الاساسي بين جبهه القبول وجبهة الرفض ، وتهديده باندلاع حرب اهلية ، ولكن ليس بالقدر الذي كانت عليه الخسارة العامة للارادة والهدف العربيين اللذين يشدد عليهما هيرست في الصفحات النهائية من كتابه • وهو هنا يرسم صورة موجزة للانهيار المادي والسياسي العربي والسقوط في فوضى مميتة من شانها ان تسبب ازعاجا لبعض الوطنيين العرب مع ان كثيرين قد يتفقون على ذلك رغم مرارته :

« عزا الرئيس جمال عبدالناصر والثوريون من جيله الكارثة الى فساد الطبقة القديمة : الملكيات، انظمة حكم البكوات والباشوات ، اصحاب الاراضي الشاسعة والاقطاعيون ، الانانيون ، الرجعيون ، والتابعون لمؤسسي اسرائيل الغربيين • وكانت مهمتهم الرئيسية الظاهرية على الاقل محو عار الهزيمة • وعلى اية حال فقد برهنت الطبقة الثورية التي افرزتها الكارثة على اخفاقها وذلك من خلال تقييم مشايع • والعالم العربي لا يتمتع بوحدة او حرية او اشتراكية • وبالنسبة لفلسطين وبعيدا عن تحريرها فقد فقد الثوريون مزيدا منها • ففي اكتوبر عام ١٩٧٣ استعاد العرب جزئيا قوتهم ، وهذا يعني انهم نجحوا في النهاية في تحقيق اقل تعبئة للمجهود الضخم لدولهم : الموقع الاستراتيجي، والقوة البشرية ، والثورة الهائلة التي منحوا اياها

وبينما يترك هيرست بصيصا من الامل بشان استعادة العرب لقوتهم « فان العرب لن يظلوا في فوضى الى الابد ، فستظهر طبقة جديدة في النهاية تكون اكثر مقدرة واكثر تصميما على تعبئة المجهود الضخم ليكون تحت تصرفها • ومن الواضح انه يتصور حربا نووية بوصفها الامر الاكثر احتمالا • وبهدف دعم حجته هذه فقد انهى كتابه باقتباس طويل من مقال لافرايم كيشون نشر في صحيفة جيروزالم بوست في ابريل ١٩٧٦ دعا فيه الى انهاء التكديس المخيف لمشتروات الاسلحة التي لا تقف عند حدود، ولكن ليس بصنع السلام ، بل بوسيلة اسرع واكثر ملاءمة وهي القنبلة الذرية الفتاكة فاسرائيل ليس لها حليف جيد •

واذا كان الشرق الاوسط قد اصبح سوقا لاحلام منتجي الاسلحة ، ومسرحا لاختبار تلك الاسلحة على حساب التكلفة البالغة غير العادية التي تتمثل في المعاناة الانسانية ، الا ان ذلك يمكن رده الى نجاح الصهيونية في تحقيق التلاحم بين الهدف الاستيطاني (الاستيلاء على فلسطين) ونشاط وتعصب شعب مضطهد • والتهديد الاسرائيلي بالقيام بانتحار ذري يحتاج الى اخذه على محمل الجد : اولا من جانب الحكومات العربية التي تتحمل واجب الدفاع عن شعوبها ، وثانيا الحكومات الغربية التي انشات اسرائيل واثنت على عملياتها العسكرية :

ان غصن الزيتون لن يحل ابدا مكان البندقية حتى ينقذ العالم الخارجي اسرائيل من نفسها.

■■

بيروت ـ **روزماي صايغ**

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هى « الكلمات المتقاطعة » ‥ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ‥ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ‥ أما الكوبون المنشور فى أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضرورى أن يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التى مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير • ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة العربى صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٣٧ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول اكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٨ •

اثنتان فى واحدة

الكلمات الافقية :

(١) حاملات عناصر الوراثة فى الخلية ـ جهاز لقياس الضغط •

(٢) من اكبر المعارك البحرية فى التاريخ بين الاتراك والاوربيين ـ رغب ـ طقس •

(٣) أرض خلاء بلا ماء أو نبات ـ معجم فرنسى شهير ـ قمة •

(٤) حرفان متشابهان ـ من شخصيات الثورة الفرنسية ـ يفرض •

(٥) عبقرية ـ من الحرفيين ـ نسكن •

(٦) نصف كلمة (يوسف) ـ أحث ـ ينسف •

(٧) من أوجه القمر ـ كتاب شهير لشارلز داروين •

(٨) طبيب عربى ومؤرخ علوم •

(٩) من أنحاء البيت ـ حرف جر ـ حيوانات ـ حرف عطف •

(١٠) نصف يوم ـ رسم جغرافى ـ عمد •

(١١) مصيف سورى ـ الافضال •

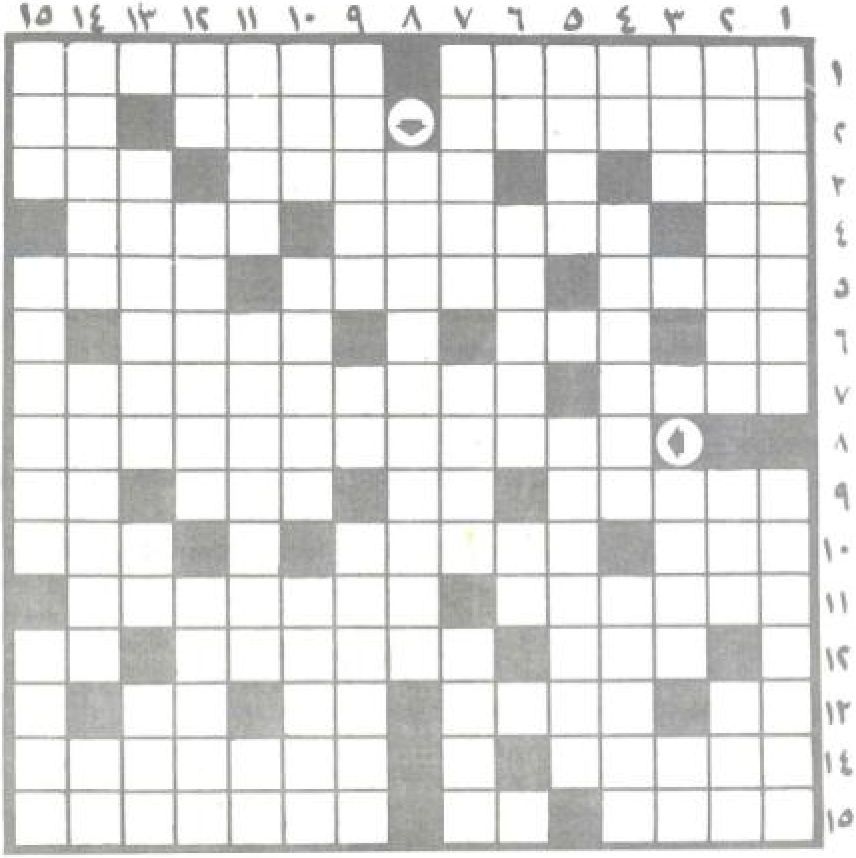
(١٢) حروف متشابهة ـ سلطان مملوكى حكم مصر ـ عبودية •

(١٣) رمز جبرى ـ من القارات ـ حرفان متشابهان ـ مقام موسيقى •

(١٤) تقريع ـ عاصمة سيلان •

(١٥) يهتم ـ للتعريف ـ يستوحيه •

كوبون مسابقة العدد ٢٣٧



الكلمات الرأسية :

(١) فى العين ـ لقب شاعر عربى معاصر ·

(٢) مدينة بريطانية معروفة ـ فى غيبة الشمس ـ من سور القرآن الكريم ·

(٣) من العلوم الرياضية ـ من انواع الزجاج ـ رمز كيميائى ·

(٤) للنداء ـ مبالغة ـ خبرة ·

(٥) نعتزم ـ عاصمة اوربية ·

(٦) قادم ـ شهر هجرى ـ دق ·

(٧) تكفل به ـ رائق ـ عاصمة حامورابى ·

(٨) امام النباتيين العرب ·

(٩) من المفرقعات ـ للتفسير ـ عاصمة اوربية ·

(١٠) من الاشجار ـ جزيرة شهيرة فى المحيط الهندى ـ من الاخشاب ·

(١١) عمودى ـ من الخضروات ـ نصف كلمة (قالت) ·

(١٢) رغب ـ سلاح حربى قديم ـ شهر شمسى ·

(١٣) الفرار ـ قوام ـ من القاريه ·

(١٤) تحسين ـ عواطف شديدة ـ حرف استفهام ·

(١٥) اشاع ـ المواثيق ـ مثال يحتذى ·

من رواد المسرح العربي

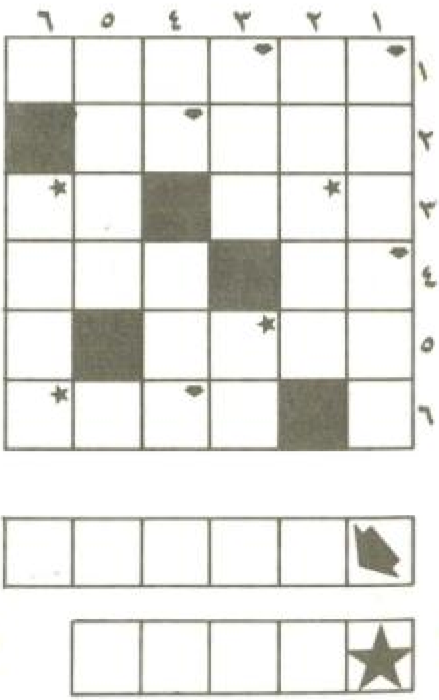
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لرائد من رواد المسرح العربى. ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه .

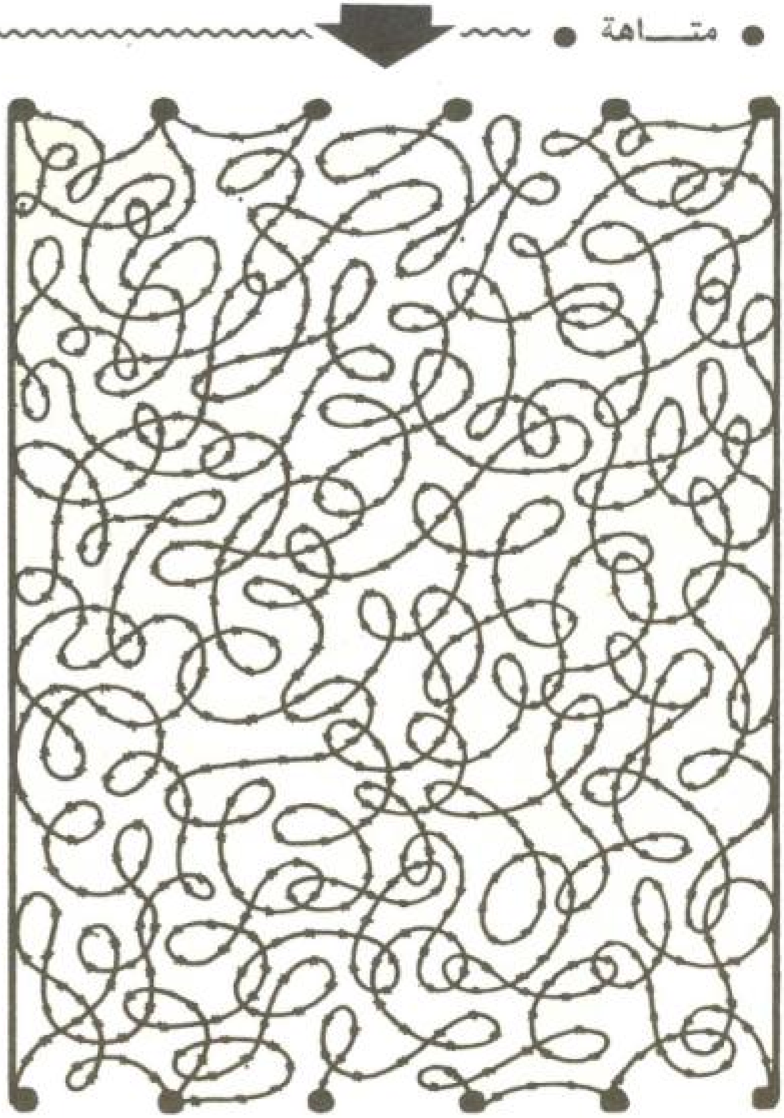
الكلمات الافقية :

(١) من الغازات .
(٢) الاسم الشائع لاستيارات الصوديوم .
(٣) ضمير ـ نصف كلمة (تنصح) .
(٤) حرفان متشابهان ـ سقط .
(٥) تنتسب الى قطر عربى .
(٦) رفضت .

الكلمات الرأسية :

(١) فى الكف .
(٢) عاصمة استراليا .
(٣) من أيام الاسبوع ـ من الاقارب .
(٤) طقس ـ زمن .
(٥) يختار .
(٦) تألف .





طريــق الاســلاك الشائكة

ظل الاسير لشهور طويلة يفكر فى الهرب ،غير أن عوائق الاسلاك الشائكـة كانت تقضى على أمله فى الهرب •• وذات يوم عثر على« قصافة » للاسلاك الشائكة مدفونة فى الرمال، وفى حالة سيئة نتيجة ما أصابها من صدأ ••واخذ يحاول صقلها مستخدما قطعة من الحجر•• فاصبحت لا تصلح للاستعمال أكثر من ستمرات •

وقد استطاع الاسير الذكى أن يحسن اختيارطريقه وسط الاسلاك الشائكة بحيث لا يحتاج الى استخدام « القصافة » أكثر من هذه المراتالست • فهل تستطيع أن تعرف الطريق الذى سلكه، من الجانب الذى يشير اليه السهم ؟ ••

• بالعقل فقط • استاذ نبيه يسأل

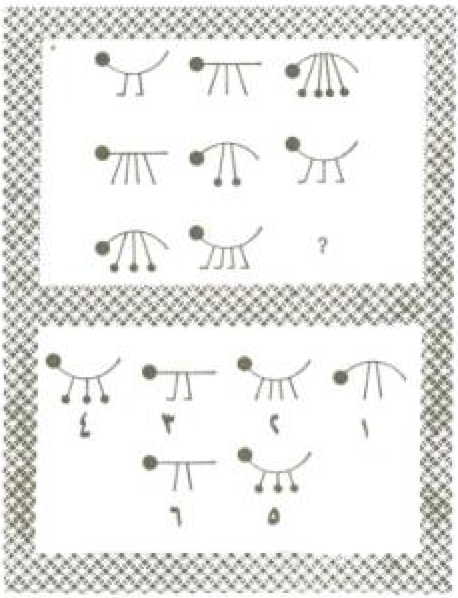
أيــن العشرة قروش ؟ ••

في السوق ، كان أحد الباعة يبيع ما لديهمن برتقال ، كل ثلاث برتقالات بعشرة قروش• والى جواره ، كان زميله يبيع كل برتقالتينبعشرة قروش • وذات يوم نشأ ما يدعوهما الى العودة الى بيتهما في منتصف اليوم ،فتركا ما بقى لديهما من برتقال لزميل ثالث لهما ، حتى يتولى بيعه •

أراد هذا الزميل تبسيط عملية البيع ،فخلط البرتقال كله ، وباع كل خمس برتقالات بعشرين قرشا •• فاذا علمنا أن ما كان متبقيامن البرتقال عند كل من البائعين ، ٣٠ برتقالة لكل منهما •• نعرف من ذلك أن زميلهما باع لبرتقال كله بمبلغ ٢٤٠ قرشا •

عندما ذهب اليهما آخر النهار ، وسلمهماالنقود ، قالا أن المبلغ ينقص عشرة قروش •• هل تعرف لماذا ؟ ••

الشكل المطلوب



من دراسة العلاقة بين الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول أن تعرف اي الاشكال ذات الارقام يحل محل علامة الاستفهام •

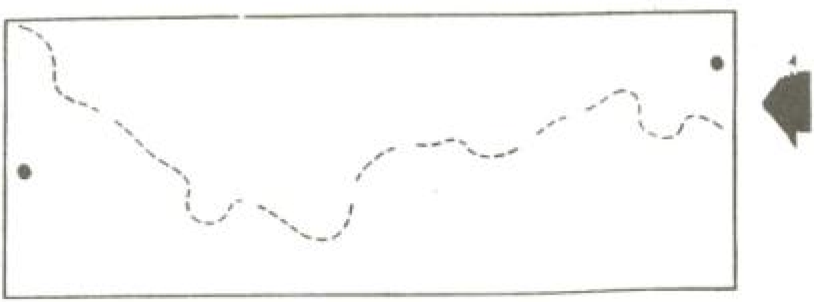
الحلول

النجمة والسهم : يعقوب صنوع •

الشكل المطلوب : رقم ٦ •

استاذ نبيه يسأل :

اذا كان الرجل قد باع كل ٣ برتقالات من النوع الصغير ، مع برتقالتين من النوع الكبير بمبلغ ٢٠ قرشا ، ما كان واجه النقص في النقود •• ولكن هذا يقتضي أن يكون عدد البرتقال الصغير ٣٦ و الكبير ٢٤ • ومعنى هذا انه باع بعض البرتقال الكبير بسعر الصغير •• ومن هذا جاء النقص •



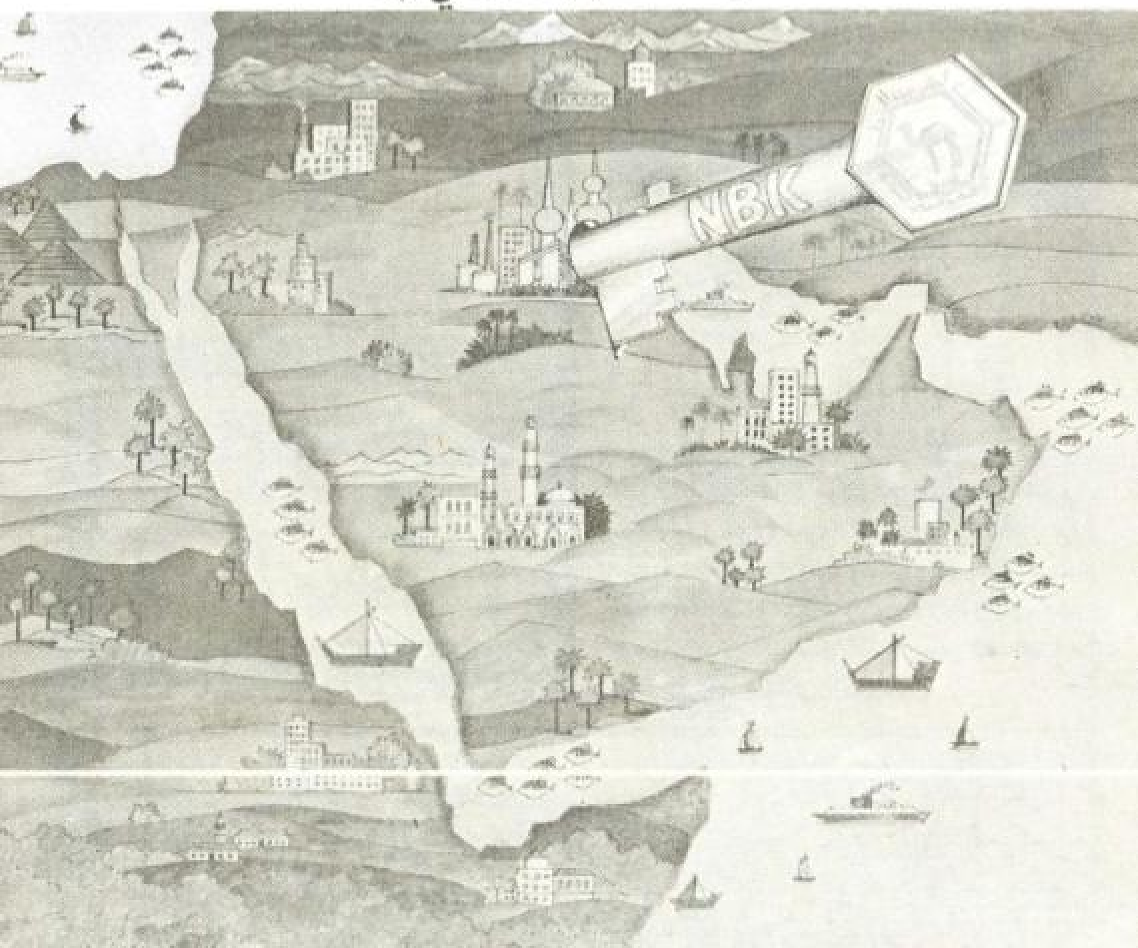
طريق الأسلاك الشائكة : كما في الرسم •

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج

بنك الكويت الوطني
أول وأكبر بنك في الكويت منذ ٢٥ سنة.
بنك الكويت الوطني
البنك الذي نمى مع الكويت لتلبية حاجات الكويت الاقتصادية.
بنك الكويت الوطني

يقوم بجميع الخدمات المصرفية والاستشارات والتمويل.
بنك الكويت الوطني
مراسلون في جميع انحاء العالم ، قبل اقدامك على أي عمل في الكويت أو في الخليج العربي إستعمل المفتاح الذهبي واستثمر جهازنا العالمي

بنك الكويت الوطني ش.م.ك



من المسرح العالمى
سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر
وزارة الإعلام فى الكويت

أول أغسطس ١٩٧٨

١٠٧

بينما تسطع الشمس
المهرجون

تأليف : تيرانس راتيجان
ترجمة وتقديم : محمد كامل كمالى
مراجعة : د. احمد السيد النادى

كنتر

مجموعة الشاحنات الخفيفة المتينة من اليابان - للشرق الأوسط



في جميع انحاء الشرق الأوسط

الزبير للسيارات
ص.ب ١٢٧، مسقط، عمان
تلفون: ٢٨٢١/٢/٣/٤
تلكس: ٢٥٨ ستراد
المعرض ومركز الصيانة
وقطع الغيار: مطرح،
تلفون: ٧٠١٣٣٩ / ٧٠١٣٤٣

شركة الضامن الزراعية
صنعاء، اليمن، تلفون: ٢٧٨٠

شركة الضامن الزراعية
ص.ب ١١٠٥
صنعاء، الجمهورية العربية اليمنية
تلفون ٢٧٨٠
تلكس 260 ADHBAN YE

شركة السبلة التجارية ذ.م.م
ص.ب ٢٧٠٢
صفاة، كويت
تلفون ٤٢٣٣٣١
تلكس 2012 ALMULLA

عبد الرحمن الزياني واولاده
ص.ب ٣٩، البحرين
تلفون ٥٩٦٠٧
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

الشركة الاقتصادية، ش.م
١٨(ب) شارع ٢٦ يوليو، القاهرة
تلفون ٤٦٠٥٥
برقيا: زيدوحيون القاهرة

الشركة التجارية الأردنية المحدودة
ص.ب ١٢٩
عمان، الأردن
تلفون ٥١٣٣١
تلكس TWAL JO 1311 AMMAN

عبد الرحمن الزياني واولاده
ص.ب ٢٨١
دبي، الامارات العربية المتحدة
تلفون ٢٢٣٦٨
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

عبد الرحمن الزياني واولاده
ص.ب ١٦٧
دبي، الامارات العربية المتحدة
تلفون ٦٩٩٤٠
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

شركة قطر للسيارات
ص.ب ١٢٩٠
الدوحة، قطر
تلفون ٢٦٩٠٧
تلكس 4203 WIBECO DOHA

مؤسسة العيساي للتجارة
ص.ب ١٣٤٢
جدة، المملكة العربية السعودية
تلفون ٢٨٤٤٤
تلكس 40063 ESAYICO SJ

تصنع شاحنات ميتسو بيشي كنتر الخفيفة لاحتمال الخدمات الشاقة.
انها تختبر وتجرب لملاءمة أحوال العمل في الشرق الأوسط. مع خدمة ممتازة بعد الشراء يقدمها لكم موزع كرايزلر في منطقتكم.

شاحنات كنتر سهلة القيادة، ذات مقصورة ومعدات شبيهة بما تجدونه في السيارات العادية.

إنها سهلة التحميل، ويوجد أنواع مختلفة من الأجساد يمكنكم الاختيار منها. كما يمكن تقديمها على هيئة شاسي ومقصورة فقط.

تتوفر بإطارات مفردة أو مزدوجة في الخلف،
وبمحركات بنزين أو ديزل.

شاهدوا وجربوا مجموعة كنتر في محلات موزعي كرايزلر في جميع أنحاء الشرق الأوسط.



كرايزلر
انترناشيونال

ضمان بالاضافة الى سعر فائدة جيد

٩½٪ في السنة

لفترة محددة مدتها عامان

ان ايداع مبلغ ١٠٠٠ جنيه استرليني او اكثر بحساب الادخار لمدة سنتين سيحقق فائدة ٩½٪ سنويا ، لثلاث ، اربع ، او خمس سنوات ايداع ستصبح الفائدة ١٠٪ سنويا لسنة واحدة ٩¾٪ . تدفع الفائدة نصف سنويا دون خصم ضريبة بريطانية على المصدر .

٩¼٪ في السنة — **دخل شهري من حساب الوديعة**

ان ١٠٠٠ جنيه استرليني او اكثر تحقق فائدة ٩¼٪ سنويا لمدة سنتين ثابتتين . الادخار الشهري للدخل والودع لمدة ٣ ، ٤ او ٥ سنوات ثابتة سيربح ٩¾٪ سنويا لسنة واحدة ٩٪ تدفع الفائدة شهريا دون اقتطاع ضريبة بريطانية على المصدر .

ا[illegible] لومبارد نورث سنترال المحدود عضو في مجموعة بنوك ناشيونال وستمنستر . لذلك يمكنك فتح حساب ودائع بحيث تضمن سلامة راسمالك كليا . تفضل بارسال الكوبون طلبا لتفاصيل انواع حسابات الودائع والمعدلات الحالية للفائدة .

ان اسعار الفائدة المذكورة صحيحة في وقت ارسالها للطباعة.

Lombard North Central

Bankers

To : The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH, England. Tel : 01 491 7050

الاسم : ______________________

العنوان : ______________________

____

M182

عضو في مجموعة مصارف ناشيونال وستمنستر التي يزيد راسمالها مع الاحتياطي عن ١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني .



راديوات ترانزيستور التي تسمعك الأفضل والأكثر: من فيليبس

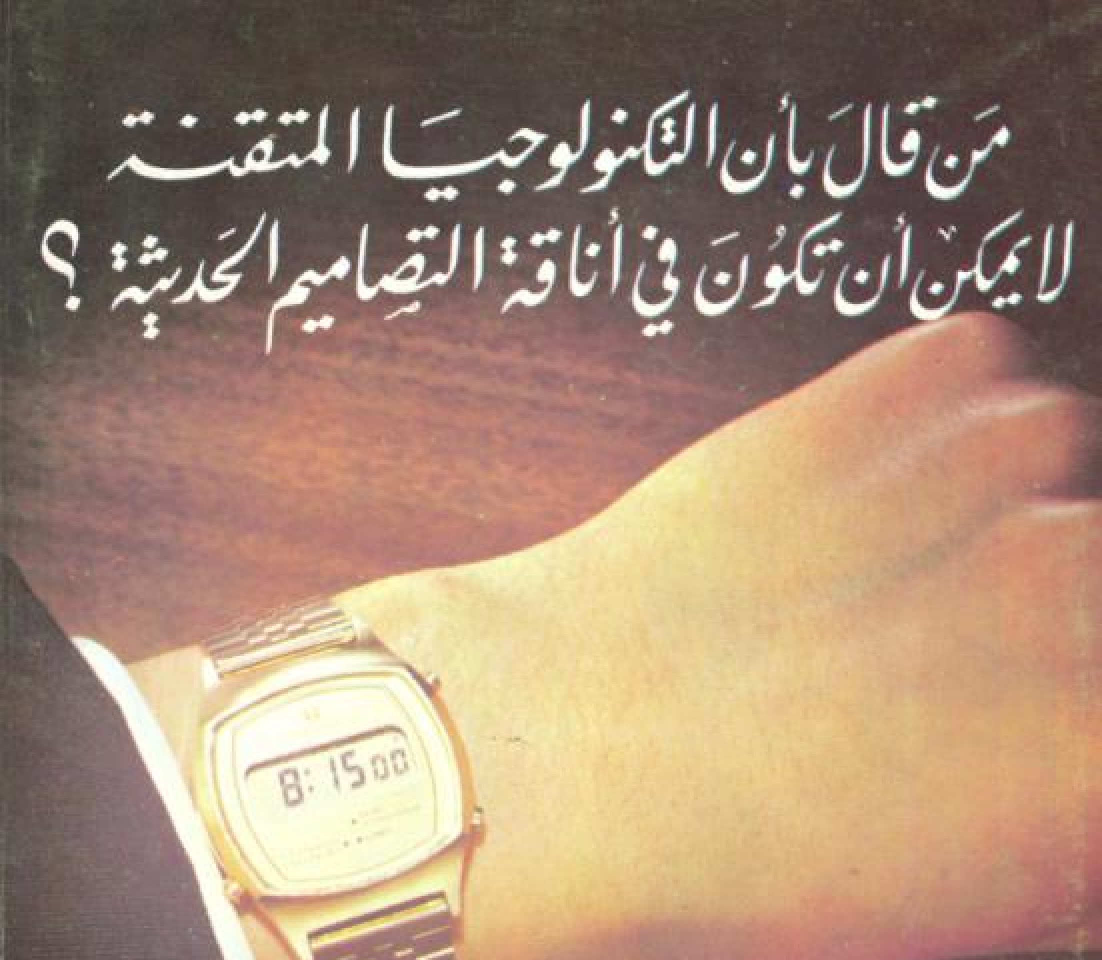
عندما تقدم على شراء راديو ترانزيستور

تأكد من وجود كافة الميزات التي ترغبها فيه: كالصوت النقي وقوته، دقة الموجات وضبطها، الحساسية الرفيعة وسعة الأنغام التي تسمعك موجاته القصيرة. ثم إفحص فيما إذا كان يعمل على البطارية أم على الكهرباء أو على الاثنين معاً. هل هو مزود بسماعة أذن للإصغاء الشخصي الهادئ؟ وهل هو حديث الشكل جميل المظهر وفقاً لأفضل تصميمات العصر في هذا المجال؟

حتى تتأكد من كل ذلك، إلق نظرة على مجموعة فيليبس الكبيرة فستجد حتماً الراديو الذي يناسب كل مطلب مهما كنت ترغب أن تشتري من موديل الموجة الواحدة أو موديل الموجات العديدة علماً بأنك تكون واثقاً من متانة صنعه والاتكال عليه لأنه يحتوي على ذات الميزات تماماً التي يمتاز بها كل راديو يحمل ماركة فيليبس. خلف كل جهاز من منتجات فيليبس خبرة عالمية واسعة ومصادر تقنية رائدة في حقل الالكترونيات والتصميم. وإضافة الى ذلك الخدمة التالية التي لا يعلى عليها خدمة مؤمنة لك أينما تكون.

PHILIPS

فيليبس لأفضل لكم دوماً



٦ وظائف تؤديها ساعات الكوارتز بالذهب والفضة

ثروة من المعلومات توفرها ساعة اليد الانيقة التي تحملها في كل مكان. عرض واضح بفضل الكريستال السائل لقراءة الساعات والدقائق والشهر والتاريخ واليوم وحتى الثواني الجارية، بسهولة تامة (تتوفر وظائف أخرى لوقف الساعة. تداخلي / أو إعادة ضبط الوقت في الموديلات (DW 3051-010G/S و DW 3051-004G/S) للأناقة المتقنة ... من سانيو.

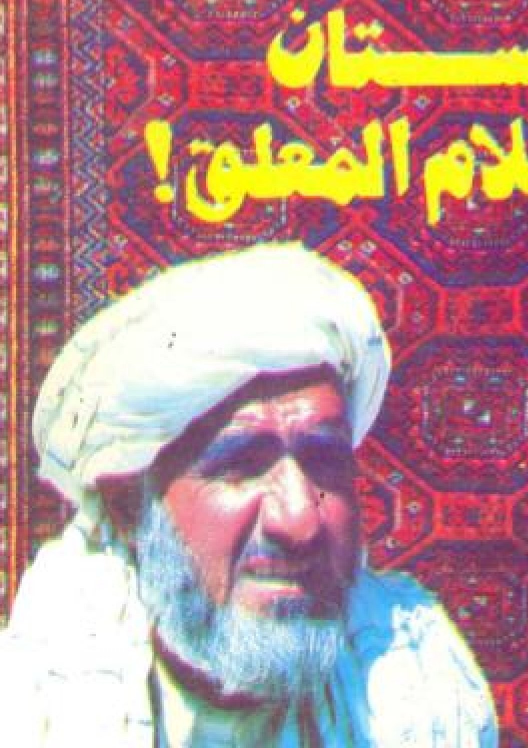


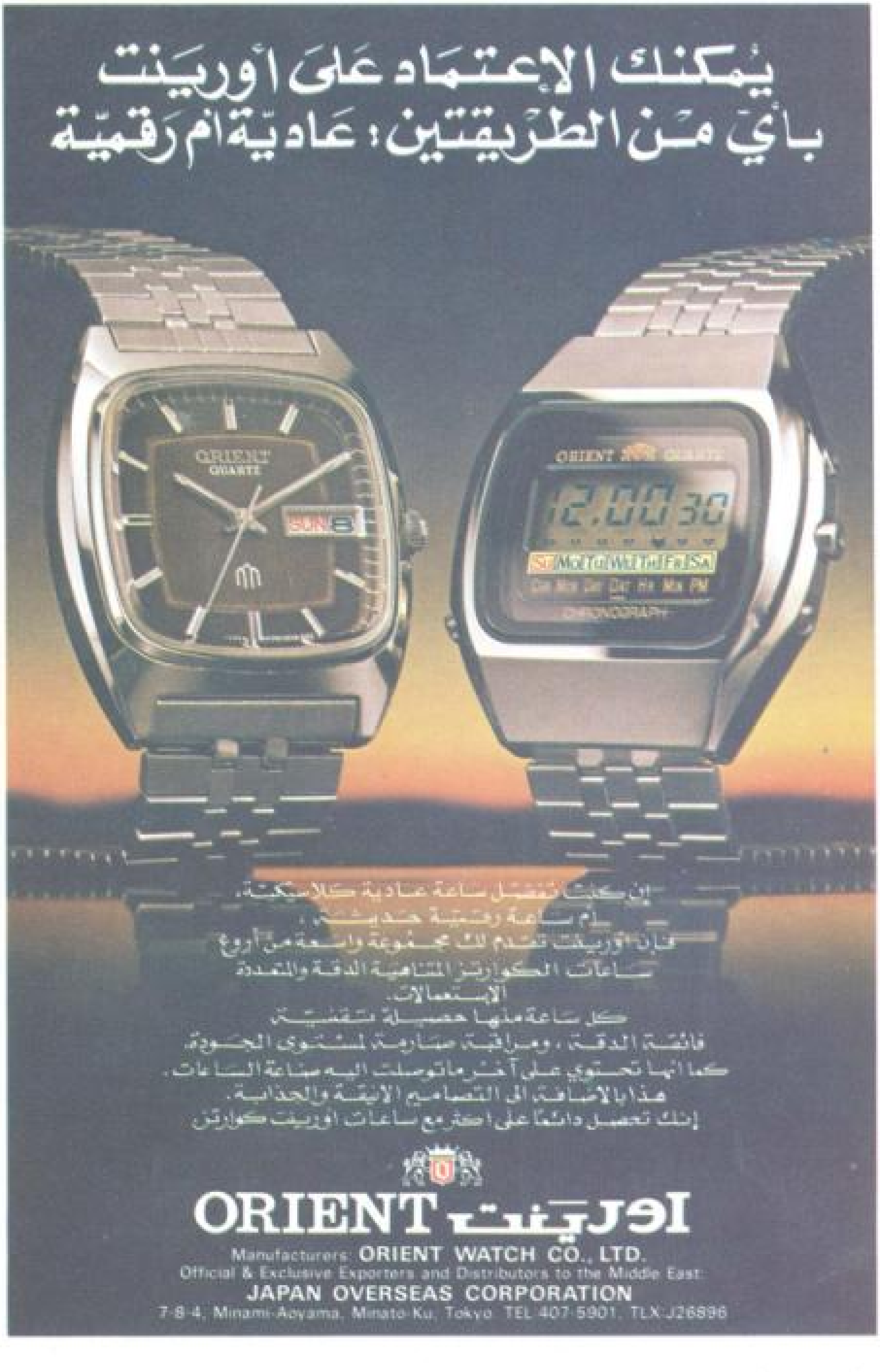
DW 3031-017G/S DW 3051-004G/S DW 3051-010G/S

العربي

العدد ٢٣٨ رمضان

افغانستان
بلاد الاسلام المعلق!




يمكنك الاعتماد على أورينت
بأي من الطريقتين؛ عادية أم رقمية
إن كنت تفضل ساعة عادية كلاسيكية،
أم ساعة رقمية حديثة،
فإن أورينت تقدم لك مجموعة واسعة من أروع
ساعات الكوارتز المتناهية الدقة والمتعددة
الإستعمالات.
كل ساعة منها حصيلة تقنية
فائقة الدقة، ومراقبة صارمة لمستوى الجودة.
كما أنها تحتوي على آخر ما توصلت اليه صناعة الساعات.
هذا بالإضافة الى التصاميم الأنيقة والجذابة.
إنك تحصل دائماً على أكثر مع ساعات أورينت كوارتز
ORIENT اورينت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo TEL 407-5901, TLX J26896

عزيزي القارئ

كل عام وانت بخير ..

نودع هذه الايام شهر رمضان الكريم بما حمله الينا من ريح عطرة عبقت حياة المسلمين فى كل مكان بمشاعر التجرد والتسامح والتكافل والايمان ، ونستقبل عيد الفطر المبارك بما يحمله الينا من صور وذكريات تملأ النفس غبطة وبهاء ، وبهجة واملا ، وما احوجنا الى الامل الذى علينا ان نشق طريقه بايدينا ، فهو ضرورة ملحة للحياة ، حتى يكاد يستحيل التقدم والبناء بدونه ..

والعيد وقفه مناسبة يتلفت فيها الانسان الى ايامه الماضية ، ويتطلع الى المستقبل ، يراجع ما حققه وما يستهدفه لوطنه ولامته ..

وتحاول مجلة العربى مع كل عدد ان تقترب من هدفها ، وان تواكب العصر الذى تعيشه ، وان تبشر بالقيم والمثل ايمانا منها بأن العروبة هى سبيل الخلاص ،وتسعى فى مسيرتها الى احياء الامل.وزرع البهجة ونشر الاستنارة وحب الوطن ، وان تبقى منارة للثقافة ، ودليلا على رحابة الفكر وسعة الافق ، وان تحطم جدران العزلة بين الاقطار العربية ، وبين الفكر المعاصر والتراث ، وان تظل الحياة الفكرية للامة العربية متجددة ومتواصلة ..

وسنمضى معا على الطريق ..

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

شخصيات :

عروبة :

قضايا حيوية :

استطلاعات :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 238 September 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

■ افغانستان هى احدى قلاع الاسلام التاريخية ، وهى بلاد الاسلام المعلق كما يقول علماء الجغرافيا السياسية،وهى « موازييك » الاجناس والاشكال ،والبلد الذى مر به اشهر الغزاة فى التاريخ ، وعلى ارضه يعيش الشعب الوحيد الذى هزم جيش الامبراطورية البريطانية ×× وهو موضوع استطلاع هذا الشهر ×

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا ٠ سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ٠ الاردن ١٠٠ فلس ٠ السعودية ريالان سعوديان ٠ السودان ١٠ قروش ٠ ج٠م٠ع ١٠ قروش ٠ تونس ٢٥٠ مليما ٠ الجزائر ٢٫٥ دينار ٠ المغرب ٢٫٥ درهم ٠ اليمن ٢٫٥ ريال ٠ ليبيا ١٥٠ درهما ٠ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ٠

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص ٠ ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان ٠

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر ٠

« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »



البوهيميون أو صعاليك الفكر

اصطحبت معى فى رحلة صيفية ، كتابا ضخما مطبوعا فى امريكا عنوانه « المثقفون » • فهموم المثقفين هى هموم العصر • وحياتهم انعكاس لعصرهم • والكتاب مجموعة دراسات تزيد على الثلاثين ، وجدت انه ربما كان من الطريف ومن الغذاء للمثقفين فى كل عصر ان اترجم هذ الفصل عن حياة المفكرين والفلاسفة « البوهيميين » •• او « الصعاليك » ان شئنا ترجمة عربية قريبة ، عاشوا فى عصر اضطراب ما قبل النهضة الاوربية الحديثة فى فرنسا بالذات ، فى القرن التاسع عشر وان كانت اعمالهم ـ التى احترقوا بها ـ اثرت فى اقامة حضارة القرن العشرين ••

وهذه هى الترجمة بما لها وما عليها مع بعض التلخيص •
فهى رياضة فكر ، وقراءة صيف •

المفكر دائما خاضع للنبلاء ،

بقلم : أحمد بهاء الدين

● من هم اولئك المثقفون الذين تحكمت افكارهم في القرن العشرين ؟ كيف كانوا يعيشون ؟وماذا كانت علاقاتهم بالجو الاكاديمي ؟ هل كانوا معتزلين ام يتحركون في العالم بحرية ؟ • انه لمن المهم دائما بالنسبة لاى عصر ان نعرف العوامل النفسية التي اثرت في حياة مفكريه • •• ذلك اننا حين نعيد تكوين التفاصيل التافهة لحياة رجل مثل «سان سيمون » (١) فاننا ندرك اكثر اى طراز من الناس كان يمثل ، وكيف ان هذا الطراز كان ظاهرة هامة في الحياةالفكرية لاوروبا •

في العصور الوسطى لم تكن هناك «مشكلة مثقفين » بالمعنى الذي نعرفه • كانت كل المناقشات النظرية تدور داخل اطار الكنيسة ، وبالتالي فقد كان ذلك القطاع الضئيل من النخبة الاقطاعية ـ رجال القانون ـ لايشغلون انفسهم بأكثر من مطالب السلطة الدينية •ولكن مع فتح الاديرة في عصر النهضة ، تنسم كثير من رجال الدين ذوى العقل الفلسفي روائح الاستقلال ، ومع ذلك ، فقد كانت حماسة « بترارك» (٢) لتلك الحياة الدائرة خارج الاسوار ، حماسة قصيرة الاجل • ذلك ان مشكلة طلب الرزق كانت ترغم كثيرين من المثقفين الجدد على العمل في خدمة الامراء ، الذين كانوا مستعدين لرعاية الشعراء والمفكرين مقابل استسلامهم الفكرى • كان الفلاسفة يستأجرون كرجال دعاية ، وضعهم يستمد من وضع مستخدميهم النبلاء •

●

كان الدير « العلماني » يمثل ملجأ ومهربا من مطالب الامراء الذين اصبحت الحياة الفكرية معهم مستحيلة • لقد وجد المثقفون ـ كالسفسطائيين ايام اليونان ـ انهم لكى يعيشوا ، يضطرون للاعتماد على قدرتهم على العمل كمستشارين لاصحاب السلطة. وذلك على حساب نزاهتهم الفكرية• رجل واحد افلت من مازق المثقفين هذا ، هو « ايرازموس » (٣) وذلك بسبب وضع خاص به ، ـ هو المساعدة التي كان يتلقاها من ناشريه •

ان الحلف بين «المؤلف » و « صاحب المطبعة » في القرن السادس عشر ، حين كان يصدر كلاهما عن قناعات اجتماعية ودينية واخلاقية ، مشتركة بينهما هذا الحلف جعل استقلال الفيلسوف ممكنا • ففي سويسرا كان الناشران الليبراليان العظيمان « فروبن » و « امورباخ » يؤمنان بافكار « ايرازموس » عن تطوير الكنيسة وبالتالي كانا مستعدين لتأييده ودفع اجر له ، بل وجعله شريكا لهما في مؤسستهما ، طالما بقي في «بازل» بسويسرا • ولكن وضع «ايرازموس » كان فريدا •

---

١ ـ سان سيمون : (١٧٦٠ ـ ١٨٢٥) فرنسي،اول من دعا للاشتراكية الخيالية •

٢ ـ بترارك : (١٣٠٤ ـ ١٣٤٧) شاعر ايطالي

٣ ـ ايرازموس : (١٤٦٦ ـ ١٥٣٦) ولد في روتردام • كان من اكبر فلاسفة عصره ومن رواد الاصلاح الديني ، تاثر به مارتن لوثركنج •

ثم للناشرين . ثم للحزب . ثم . . !

اذ جاء سابقا على تحول النشر الى مهنة مربحة تخضع لاقتصاديات السوق ومدى شراء الجمهور للكتب .

ومع تحول النشر الى هذه الوجهة الاقتصادية ، صار المثقف الذى ليس له مورد خاص ، تحت رحمة رجال الاعمال . كان فى مقدور المؤلفين الوجهاء ــ مونتانى ، لورد شافتسبرى ، مونتيسكيو ــ ان يكونوا فلاسفة . اما المؤلف العادى فلم يكن يجد سبيلا الى اى عمل فكرى جاد ، بالعكس ، لقد اصبحت مطالب القارىء غير المتعلم اعلى صوتا واكثر الحاحا . وخلقت بالتالى مؤلفى التسلية ، والجنس ، وقصص الرعب . هؤلاء الكتاب ، بعزلتهم عن اى ثقافة حقيقية وعيشهم على مواهبهم الفطرية وحدها ، صاروا مع بداية القرن الثامن عشر يفضلون صحبة بعضهم البعض ، على الاتصال بالعالم المعادى لهم . خلقوا اسلوب حياتهم الخاص بهم ، واصبحوا نوعا من «المثقفين ذوى الياقات البيضاء » الذين يعيشون من تلبية طلبات ناشريهم . واذا كان ممكنا تقسيم الادباء الى فئات ، فان هذا النوع من المثقفين كانوا يشكلون فئة اجتماعية جديدة ، ليس مركزها القصور ، ولا الكنيسة ، ولكن المقهى .

وقد اكتشف «مونتيسكيو » الوظيفة الاجتماعية للمقهى ، كبيت للمثقف الذى لابيت له ، فكتب يقول :

« الناس فى باريس يشربون القهوة بكثرة . وهناك بيوت كثيرة تتقن صنعها . فى بعضها يلتقى الناس لتبادل الحكايات ، ويلتقون فى بعضها الاخر للعب الشطرنج . وهناك بيت تصنع فيه القهوة بطريقة تجعل من يشربونها اذكياء ! : على الاقل ، لايوجد واحد يمكن ان يترك هذا المقهى ، الا وهو يشعر انه اكثر ذكاء وفطنة اربع مرات عما كان عليه حين دخله ! » .

« ولكن اشد ما يصدمنى فى هؤلاء الموهوبين هو عدم فائدتهم تماما بالنسبة لوطنهم ، وهم يبددون مواهبهم فى الهواء ! وصلت باريس مرة ، فوجدتهم يتجادلون حول اتفه ما يمكن تصوره . كان جدلهم حول شاعر اغريقى ، لم يعرف احد قط اين ولد ولا متى مات منذ الفى سنة . كان اطراف المناقشة متفقين على انه كان شاعرا ممتازا . اما خلافهم فكان على درجة امتيازه . كل منهم يحاول ان يضعه فى مستوى معين . ولكن كان بين هؤلاء المتجادلين حول هذه القضية من هم اكثر وزنا من الاخرين . وهنا كان محور الصراع كله . كان شجارا حادا . ذلك ان كل فريق كان يوجه للفريق الاخر شتى انواع الاهانات بحماسة جعلتنى اتلذذ بالمشاجرة نفسها اكثر من تلذذى بالموضوع ! » .

وفى البدء ، كان مثقفو المقاهى من البوهيميين ــ ذلك النوع من الرجال المتعلمين الذين لا يخضعون لقواعد العمل ولا لمهن معينة يتوقعها منهم المجتمع ، وهم فى نفس الوقت قوم لا تهمهم مصادر رزقهم على الاطلاق ، متزوجين او غير متزوجين ، فهذه مسئوليات لا تهمهم ، ولا كان يهمهم ان يسلكوا المسالك المطروقة نحو التقدم الادبى والاكاديمى . ان سحر المقهى يكمن فى ان المرء يمكن ان يجلس فيه طول النهار والليل ، يحيط به شعراء ، وفلكيون ، وخبراء ، وثوريون ، لاعبو ورق ، وعلماء لغة ، دون أن يمسه من هذا كله شىء : ذلك ان المقهى يوفر لك ضمانا اكيدا ضد الواقع ! انه المكان الوحيد الذى يمكن ان تكون فيه الكلمات هى الحقيقة ! وحيث يستطيع المرء ان يتصور مشروعات ضخمة واحلاما خيالية ومؤامرات فوضوية ، يتصورها وكأنها قد حدثت بالفعل دون ان يبرح مقعده .

يجب أن نستدرج قائلين ان هناك

ثورات أعلنت بالفعل في المقاهي ، ففي سنة ١٩١٦ التقى اميل ليدرر مع رودى هلترونج وآخرين في احد مقاهي فيينا وأخذوا يناقشون احتمالات الثورة في روسيا وكان ليدرر واثقا من قرب نشوب الثورة فرد عليه هلفرونج ساخرا : ومن سيشعل الثورة ؟ مستر تروتسكي ، مثلا ، الجالس في مقهى السنترال ؟ » • ولكن مستر تروتسكي غادر المقهى فعلا من سنة تقريبا وقام بالثورة ! •

ان المقهى للبوهيميين ، هو صالون المفكرين والشعراء والعلماء الذين لابيت لهم ، وغرفة مكتب المؤلف الضئيل الاجر، ووسيلتهم للهرب من الظروف المادية البائسة التي يعيشون فيها • كان الفقر هو الصفة الاولى للبوهيمي ، والشبح الذى يهرب منه الى دفء المقاهي النسبي • وكان لابد ان يجلب الفقر معه اشكالا من «الدفاع» التي اصبحت ، منذ القرن التاسع عشر ، هي السلوك السائد للمتمردين: الفوضوية ازاء آداب السلوك المتعارف عليها ورفض كل ما تفترضه العادات • حقا ، كان هناك دائما اولئك المثقفون الذين قدموا نماذج حقيقة للاستقلال الفكري من خلال اطار الموافقة • «جوته» (٤) مثلا ، عرف أن الحرية الحقيقية هي أن تكون لك القدرة والمرونة على المواءمة مع الفئة الاجتماعية التي يطمح اليها الانسان • ومع ذلك ، فان روتين القواعد الاجتماعية قد دفع رجالا مثل الشاعر بودلير للهرب الى البوهيمية •

•

وقد كان مونتيسكيو شديد الاحساس بعدم صلابة الموقف البوهيمي ، وهامشية ذاته، الذى سيظل غريبا الى الابد ، ففي تفكير





سان سيمون

مونتيسكيو

---

٤ ـ جوته (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢) فيلسوف وشاعر وعالم الماني ، اهم مؤلفاته كتاب « فاوست » •

مونتسكيو نجد عمق احساسه بالازدواجية في الظاهرة البوهيمية ، وانها تشتمل على وخيفتين معا : احداهما سلبية والاخرى ايجابية ٠ الايجابي فيها ، انها تختار الابتعاد عن المجتمع من اجل اقامة قيم جديدة ، وسلبية في انها تنسحب من المسئولية الاجتماعية لاسباب انانية ٠ ولو كان البوهيمي وحده هو الذي يعرف ماهو المطلوب لاقامة عالم عادل ، لوجب على كل المفكرين ان يكونوا على بعد كاف من بلادهم ، وشعوبهم ، وثقافتهم ٠ واذا كانت مهمة المثقف الدائمة هي ان يقدم للعالم الفرق بين الواقع والمثال ، اذن فعلى المثقف ان يكون دائما خارج الواقع ذاته ٠

وهناك حالات في تاريخ الادب والفلسفة تقدم لنا اكثر من نموذج مثالي للبوهيمي ٠ ان حياة واعمال « ديدرو »(٥) مثلا تقدم لنا نموذجا حيا للتناقض البوهيمي ٠ لقد هرب من مهنتي اللاهوت والقانون ليكرس نفسه لحياة المفكر والاخلاقي الحر ٠ وككاتب مستقل ، عاش فترة من الوقت على هامش البوهيمية ، مدينا للبقال ، وعلى علاقة غامضة برهبان كانوا يزودونه بالمال على ان ينضم اليهم ذات يوم ٠ وكان يكتب المواعظ للقساوسة الكسالى وغير الاكفاء بمقابل ! ، ويكسب مالا من الاشراف على دراسات لاينفقه فيها ! اما حياته الباريسية فكانت موزعة بين صحبة الممثلين في مقهى بروكوب المواجه للكوميدى فرانسيز وصحبة لاعبي الشطرنج في مقهى ريجنس ٠ وفي حدائق الباليه رويال كان يقضي اوقاتا طويلة محاطا بالصحفيين ، والادباء العاطلين الذين يخترعون الاشاعات ويروجونها ، وبهلونات الثقافة الحرة الذين يسخرون من كل شيء ٠ وكانت حدود الحياة البوهيمية تنتهي به عند دكاكين الكتب على ضفاف السين ، حيث كان رفاقه عادة من الكتاب غير المسئولين الذين يعيشون من مهاراتهم الادبية ، واستخفافهم بكل شيء وفقدانهم لاى مبدا اخلاقي ٠

ولكن اسلوب «ديدرو» في الحياة لم يمنعه من العمل ٠ وان المرء يعجب لتلك القدرة على التركيز التي جعلته ينتج احدى اعظم انجازات الفكر العلمي ، الانسيكلوبيديا التي انجزها بعد عشرين عاما من الصراع الحر مع السلطات الكنسية والسياسية ٠ بل لعل نوع حياته ساعده على انجاز هذا العمل ٠ فلا الزواج التعس ولا اعباء الصداقات افلحت في كسر عاداته في العمل ٠ وربما كان وضع البوهيمي الاجتماعي الخاص هو الذي يخلق ذلك الاطار الذي يتمكن من خلاله وحده بعض المثقفين . من اداء دورهم ٠

كان «ديدرو » احد مبتكري تلك الحياة البوهيمية التي ظهرت في مرحلة الثورة الشاملة ، تلك المرحلة ، المناسبة تماما للمثقفين ٠ وسان سيمون ، الذي ولد سنة ١٧٦٠ في عهد لويس الخامس عشر ، ظهرت عليه اول ملامح الاتجاه ضد المجتمع وهو مازال في الثالثة عشرة من عمره ، حين رفض تناول اول قربان له ، وارسل الى السجن ٠ ثم لم يلبث ان هرب منه ٠ وظن اهله المحترمون ان خير علاج له هو التعليم المتشدد ، فسلموا هذا الولد الصعب المراس الى دالمبير ، المؤلف الآخر للانسيكلوبيديا ٠ ثم حاول سان سيمون ان يبذل مجهودا من اجل الوفاق مع تقاليد اسرته بالالتحاق بالجيش كجندي ٠ ثم تطوع في الثورة الامريكية واخذ اسيرا ٠ وبعد اطلاق سراحه ، عاد الى فرنسا ، التي كانت على وشك ان تبدأ ثورتها ٠ ودفعته حماسته

---

٥ ـ ديدرو (١٧١٣ ـ ١٧٨٤) فيلسوف وناقد ادبي وفنى فرنسى ٠

وانجرافه وراء الافكار الجديدة الـــتي الاعتقاد بان ابناء الارستقراطية القديمة، مثله ، لا يجوز لهم ، ولا يستطيعون ، المساهمة في الصراع المقبل • وهكذا قرر ان يشن حربه الخاصة : وذلك بان ينشط في الثورة ولكن كمنتفع! وهو قرار حكيم! وحقق ثروة من المضاربة في الثورة، بالبيع والشراء ، في «البضائع الوطنية» ! ولما انتهت الثورة فجاة كان قد اصبح سيـــدا كبيرا ! ومن خلال الترف الذي حققه ، كرس حياته لخدمة الثقافة والعلم • احاط نفسه باعظم اساتذة العصر ، واخذ يستمع الى مناقشاتهم في شغف ، ويسجل مـــــا يسمعه منهم في مذكرات •

●

ـ وكان سان سيمون ابعد ما يكون عن التلميذ الاناني • فقد ساهم بنشاط كبير في خدمة علماء المستقبل في الرياضيات والعلوم والتكنولوجيا وقد كانت مناقشات هؤلاء العلماء العظام هي التي غرست فيه اعمق قناعاته وهي : ان العلم هو منقـذ المجتمع • وفي سنة ١٨٠٥ انتهت حياته كراع لهؤلاء فجاة ، فقد نفدت ثروته • ولمدة عشرين سنة تالية ، كـان عليـه ان يعيش على العمل من وظيفة في مكتب ، وعلى حافة الفقر باستمرار . كان على هذا القريب البعيد للدوق سان سيمون ، وابن اسرة من اكبر عائلات فرنسا ، ان يعمل سنوات ككاتب في متجر لقاء الف فرنك في السنة. اما كتاباته كلها فكان يعمل فيها ليلا • بل كان عليه ان يعيش فترة على كرم رجل كان يعمل ساقيا ، اخـــذ يزوده بالمال اللازم لكي ينجز اول اعماله العظيمة « مقدمة الى الاعمال العلمية في القرن التاسع عشر »• ومن سوء الحظ ، ان هذا الصديق مات قبل ان يتمكن ســان سيمون من ان يبدأ في تاليف عمل اخر !

وكانت اسرته قد تعبت من سوء تدبير





هذا الابن الشاذ • فقرروا له في سنة ١٨١٤ راتبا متواضعا عاش عليه عددا اخر من السنين • واحاط نفسه بالمهندسين والرياضيين ونخبة مدرسة « النورمال » و « البوليتكنيك »، واعضاء عدد لا يحصى من الجماعات الصغيرة التي خاب املها في الثورة ،وبعض شباب البنوك والصناعات• وكان اوجستين تييري ، المؤرخ العظيم ، سكرتيرا له لبعض الوقت • ولفترة ما ، لفت نظر بعض افراد الارستقراطية القديمة الذين كانوا لايقلون في نقدهم للنخبة البورجوازية الجديدة عن الطبقات التي كانت تستغلها هذه الفئة • ولكن راديكالية سان سيمون كانت اعنف مما يطيقون،فلم يلبثوا ان سحبوا تاييدهم له • ولما كانت اسرته قد عادت فقطعت المرتب عنه . فقد وجد نفسه مرة اخرى ملقى بلا حماية في هذه الحياة • وفي نوبة من الياس ،حاول ان ينتحر • ولكن تلاميذه المتحمسين ، اولئك الذين اعتبروه فيلسوفا للتاريخ في العالم ، قاموا بتدبير اموره له في السنتين الاخيرتين من حياته ، من عام ١٨٢٣ الى ١٨٢٥ • لقد كانوا ، اكثر من ذلك ، ينظرون اليه كقديس • فاذاكان مثل هذا التقدير يجلب السعادة فيمكن ان نقول ان سان سيمون مات سعيدا • ولابد ان محبيه هؤلاء قد تجمعوا حوله وهو على فراش الموت، يستمعون الى كلماته الاخيرة التي نقلها اقرب تلاميذه« الذين لا يمكن ان يختفي • ولكن يمكن تطويره فقط • لا تنس هذا يارودريجيز وتذكر دائما ان المرء اذا اراد ان ينجز عملا عظيما فعليه ان يعطيه كل قلبه وكل طاقته » •

واذا كانت حياة سان سيمون صورة لحياة المثقف البوهيمي ، فان حياة اوجست كونت (٦) تكاد تكون اقرب الى الخيال • ففي حياة كونت يتضح لنا اكثر واكثر انهم فقط الرجال المقطوعو الجذور ،والذين لا تربطهم اي عاطفة بعصرهم، هم الذين يمكن ان يؤمنوا بانهم الطريق الى انهاء كل فوضى التاريخ• ربما لم يكن ممكنا الا لرجل يتمتع بتلك الفوضى الشخصية مثل«كونت» ان يتوصل الى اقامة بناء فكري هو اكثر ماعرفه الفكر الاوروبي الغربي نظاما وشمولية في نفس الوقت •

لقد كانت حياة كونت قمة تطور سلوك المثقف البوهيمي • كان في بيته طفلا مدللا محبوبا ولكنه مع ذلك كان يشعر دائما بالغربة نحو اسرته • وكان استاذا في الرياضيات ، ولكنه مع ذلك كان يفشل دائما في هذا الحقل بسبب مزاجه الرهيب• كان ممكنا ان يترقى حتى النهاية في مدرسة البوليتكنيك لو لم يكن يبدد كل فرصة تتاح له بانتظام • كان ببساطة لا يستطيع ان يخضع للقواعد التي لابد منها لكي تعمل مجموعة من الناس عملا مشتركا • وبعزلته هذه عن الحياة الاكاديمية المتنظمة، كان عليه ان يعتمد على اي رب عمل يرسل له مجموعة من التلاميذ او يكسب دخلا ضئيلا من الاشراف على دراسات الدارسين •

•

وكان هناك فرق هام بين بوهيمية سان سيمون وبوهيمية كونت • كان الاول لاتهمه النساء كثيرا بعكس الاخر • اكثر من ذلك . كان هذا الرجل ذو العقل العلمي الفذ ، الذي ينصت اليه في احترام : الفلاسفة،ورجال الدولة وعلماء اللاهوت، ورجال الأعمال ، كان يستعرض عادات جنسية بعيدة جدا عن المألوف • وهناك علامات على انه في مطلع حياته كانت له علاقة مع سيدة متزوجة انجبت منه طفلا ، ثم اختفت من حياته ، ثم تلا ذلك علاقتان

---

٦ ــ اوجست كونت (١٧٩٨ ــ ١٨٥٧) فيلسوف فرنسي وهو مؤسس الفلسفة الوضعية •

اخريان • الاولى عشيقة كانت مومسا عاديه اسمها مسجل في دفاتر البوليس ، ومع ذلك فقد تزوجها فجاة ذات يوم ،الامر الذى يعد حتى فى ايامنا هذه جنونا • كان من ناحية يعتقد انه عديم الجاذبية للدرجة لايمكن معها لاى امراةمحترمة انتتزوجه، وبالتالى فعليه ان يكتفي بما يتاح له • ومن ناحية اخرى كان يعتبر انه كريم للدرجة تجعله قادرا على أن يرفع أى امراة ساقطة بالزواج منها!والسبب الاخر لقراره كان شعوره ان مركزه ازاء مشجعيه يملى عليه ان يظهر امامهم كرجل متزوج • وبالطبع كان زواجه هذا من « كارولين ماسين»فشلا ذريعا•فشلازاد منتعقيدهظهور عشيق سابق لها في بيت اوجست كونت بل ومساهمته احيانا فينفقات البيت•واحيانا حين كانت حالة البيت المالية تزداد سوءا، كانت مدام كونت تعود الى مهنتها • ولعل هذا الموقف ساهم فيما أصاب كونت من انهيار عصبى ، مازال علماء النفس مختلفين في تحديد نوعه الى الان •وفى الفترة بين ١٨٢٦ و ١٨٢٨ حاول الانتحار مرتين • ومع ذلك فقد تمكن سنة ١٨٤٢، رغم سلسلة منالانفصال والعودة بينه وبين كارولين • من نشر آخر جزء من كتابه « الفلسفة الايجابية » •

ومع ذلك فقد ظلت مشكلة المال قائمة • واضطر الى ان يعطى دروسا فى الفلك لكى يعيش ، ثم عاش فترة على هبات من جون ستيوارت ميل واصحابه • ولكنها حياة لم تكن لتزوده باى سعادة داخلية • لقد اساء أصدقاؤه الانجليز فهم اتجاهاته الفلسفية تماما ، ولم يكن له لا اصدقاء ولا تلاميذ • وفى سنه ١٨٤٤ قابل المراة التى اقامت معه اغرب علاقة على الاطلاق : مدام كلوتيلد دى فو ,التى كانت مريضة بالسل • كانت كلوتيلد متزوجة من رجل اضطر للهرب من باريس الى بروكسل بسبب ارتباكات مالية وقع فيها ، ولكنها بقيت فى شقتها الباريسية تكتب شعرا رديئا وقصصا قصيرة لاقيمة لها • وكان كونت اكبر منها فى العمر بخمسة عشر سنة ، ولكنها جن غراما بها•

ان علاقة كلوتيلد باوجست كونت يصعب تصنيفها فى بند العلاقة الجنسية• لقد رفضت ان ينال منها شيئا ، وهكذا سارت علاقتهما على مستوى روحى محض، وكلاهما شاعر انه بذلك ارقى من تلك العلاقات العادية التى تدور حولهم فى المجتمع العادى • وفى الحقيقة ، منالممكن ان نقول ان علاقة كونت بتلك المراة التى كانت تقترب من الموت ، تركت اثرا عميقا فى تكوينه لفكرته عن دين الانسانية • فلعله اقتنع من لقائه بهذه المراةان الحب يمكن قيامه على اساس غيرجسدى ،ومثالى محض • وبعد وفاة كلوتيلد ،كرس كونت حياته لتطوير فكرته عن هذا الموضوع •

ومع ان «كونت » و « ديدرو » . كان كلاهما بوهيميا ، الا أن ديدرو استخدم وضعه البوهيمى فى تطوير افكاره المثالية طبقا لتقاليد الفلاسفة العقلانيين• فكجمهورية افلاطون الفاضلة ، كانت مدينة ديدرو الالهية «فى لامكان»•كان«وجودها» اذا جاز استخدام التعبير ، فى اطار التصورات النظرية المحضة , وخارج حدود الزمن الانسانى • ولكن الثورة الفرنسية ادتالى تغيير جوهرىفىالفلسفة السياسية• فقد اخذ المفكرون من المسيحية فكرة اقامة مملكة الله على الارض ، معاضافةاساسية هى ان هذا يمكن تحقيقه فى اجل تاريخى محدد • فحين كان سان سيمون يحاول ادراك المغزى الجوهرى للتاريخ ، كان يفكر فى اطار زمنى محدد •كان يرى فى نفسه رسول عصر قادم ، وليس مهندس مدن مثالية خيالية •

وكانت هذه الافكار هى التى تميزه

عن سابقية في القرن الثامن عشر .

●

كان المثقفون الذين قفزوا الى المسرح في سنوات مابعد الثورة الفرنسية يختلفون تماما عن اولئك الذين سبقوها . وقد ساهم حادثان تاريخيان في انضاج هذا النموذج الجديد . الحادث الاول هو التقدم الضخم الذى حدث في العلوم بين سنتى ١٧٩٣ و ١٧٩٩ . لقد نشر « لاجرانج » و «مرنج» و «لابلاس» و «كارنو» كتبهم عن العلم والطب والميكانيكا والعلوم الرياضية .

والحدث التاريخي الثاني كان ظهور عبادة العقل ، فلقد تحدى الثوريون العقل وتوجوه الها . ثم جاء التحالف بين هذه العلمانية وبزوغ العلم لكي يوجد طرازا آخر من المثقفين فاول علماء الاجتماع بشروا بان الحياة لها بعد تاريخي لان عقل الانسان كان يتفتح مع مرور الزمن . ونتيجة ذلك ان الماضي التاريخي كان جماعيا ، وان التاريخ في نفس الوقت له غاية محددة . ولعل فكرة هذا الهدف المحدد هى التى اعطت عقلانية القرن الثامن عشر المزيج من العقل والخيال . وقد جاء اندماج هذين العنصرين ـ اللذين كانا منفصلين دائما في التاريخ الغربي ـ لكي يعطي المثقفين الفرصة لكي يكونوا علماء ومبشرين في وقت واحد .

وقد اعطى هذا كله للمثقف دورا جديدا لكي يلعبه . فالقيادة الجديدة للفكر كانت تتطلب رجالا يدركون كنه التاريخ، ويملكون القدرة على اكتشاف السبل لجعله يحقق هذا الكنه .

رجال يجمعون بين الحماسة الاخلاقية وحب الفلسفة،وقادرون على تحمل مسئولية توجيه اقدار العصور المقبلة . مثل هؤلاء الرجال يمكن ان يظهروا من بين صفوف اى طبقة ـ وليس فقط من صفوف البروليتاريا او البورجوازية الصغيرة . وقد رحب المفكرون الفرنسيون بفكرة ان الفلاسفة يمكن ان يظهروا من اى طبقة، غير مقيدين بحس طبقي زائف . كان كل السان سيمونيين في الواقع من البورجوازيين ولكن هذه الصفة الطبقية لم تكن ذات وزن هام . ان اى شخص كان مؤهلا لان يكون تلميذا لهذا الرسول ، رسول العالم الصناعي ، طالما كان مؤمنا باطار جديد للعلاقات السياسية الاجتماعية . كان « تيرجو » و « كوندرسيه » مثلا ، اللذان يدين لهما الاجتماعيون بالكثير من طبقة النبلاء ، الذين اعطوا المثل لغيرهم من المثقفين الذين يريدون خدمة حقيقة التقدم عن طريق طرح انتماءاتهم الطبقية ، وهى ظاهرة نراها دائما في تلك الفترات المضطربة التى تسود فيها التحليلات الراديكالية للعلاقات الاجتماعية الاساسية . كذلك فان لويس دى بونالد ،الذى كان له تاثير كبير بعد ذلك على سانت سيمون ، هاجر كمخرج من الثورة ،وانضم الى جيش الامير كونديه ، ثم استقر في المانيا حيث كتب «نظرية السلطة» . التى ادانها القاموس سنة ١٧٩٦ . وبعض علماء الاجتماع الامريكيين ،في اعتقادهم الساذج ان اى تفكير اجتماعي لا ينشا الا في اطار من الديمقراطية والليبرالية ، قد يصدمهم ان يعرفوا ان مصدر اعجاب سان سيمون ببونالد كان سمعة هذا الرجل كاحد ابرز فلاسفة الثورة المضادة ،ودعاة الاستقرار والنظام .

كان سان سيمون سعيدا ان يجد مفكرا « رجعيا » يرفض كل النظم التقليدية ويعترف بان كل النزاعات القديمة قد اندثرت، وان على الانسانية ان تبدا من جديد وكانها في بدء الوجود الانساني . لقد علم بونالد ، الارستقراطي ، سان سيمون درسا عظيما : ان التقليديين انفسهم لم يعودوا قادرين على

اقناع الناس، وان الفلاسفة عليهم ان يكتشفوا حقائق جديدة يمكن على اساسها اعادة اقامة نظام ، وسلطة ، ودرجات • هنا لم يعد هاما ان يكون المثقف من هذه الطبقة او تلك • واختلط التقدميون بالرجعيين حين صار الهدف هو المزج بين التقدم والنظام •

ان حياة هؤلاء المثقفين تعطينا مفتاحا هاما لعلم الاجتماع ذاته ، في نفس الوقت الذي تزودنا فيه بفكرة عن الاسلوب الذي يستطيع به المثقفون ان يكونوا النخبة في عالم يموج بالمتغيرات •

ان الرسالة البوهيمية كانت رمزا على رؤيا التغير الشاملة : انها اسلوب في الحياة غير مسبوق في السياق العام للتجربة الثقافية الاوربية ، بحيث يضيء لنا جوانب اكثر عن الطبيعة الثورية للفلسفة الكامنة وراءها • كان هؤلاء الاجتماعيون «دنيويين» من حيث رأيهم في ان مستقبل الانسان حتمي • هذا الطراز من الثقافة « ذات الرسالة » التي ولدت في أعقاب الثورة الفرنسية ، لم تلبث ان اصبحت ظاهرة عامة في عالم صار ينشد الاستقرار والنظام •

●

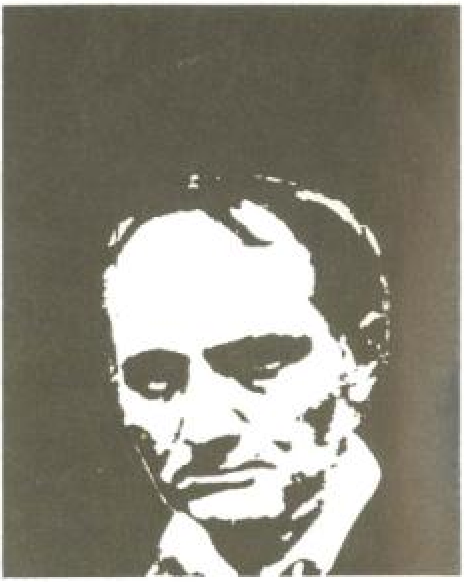
انتهت الترجمة •• أو الصورة الطريفة

فهل صحيح المفكر ولد ليكون اسيرا •• للنبلاء ، ثم لاصحاب المطابع ، ثم للناشرين، ثم للاحزاب في العصر الحديث ؟

وهل صحيح ان المفكر ، ازاء ذلك لا بد له أن يكون «صعلوكا»، بيته الشارع، وصالونه المقهى ، وان يكون «منفصلا» عن المجتمع بالمعنى الشخصي . ليكون «متصلا» به بالمعنى العقلي ، حتى يستطيع أن يفكر لمجتمعه بحرية •• وبفائدة ؟

اسئلة •• اظن انها أبدية ! ■■

احمد بهاء الدين





بولدير

اوجست كونت

حوار

للشاعر
صلاح عبد الصبور

■ « أأنت من سكان هذه المدينة » ؟
أوقفني منتزعاً خطاي من مدارها
مدلياً عيونه الغريقة الذكناء من غبارها
مستعجلاً كأنما يخاف ان تخطفني . . تخطفه
الرياح والشموس في إسارها
من قبل أن اجيب كرر السؤال
أأنت من سكان هذه المدينة ؟
نزلتها منذ سنين طالبا للانس والمئونه
منحدرا مع الطريق المترب النحيل ،
والترعة اللابسة الحداد
مآزرا من نبتها الذاوى . وطرحة النخيل
منتقلا من قرية حزينه
لقرية حزينة
وصلتها في وسط الصيف . بيوتها التلال
موصدة . لتتقي الاغراب والسخونه
وصوتها تحت سياط الشمس والرمال
يئن . . . يئن . . . يئن
تخطئه مسامع الارصاد والرجال
تسمعه كلابها الضالة . محتضريها .
بعض المجانين بها . . . .
والشاعر الذى رمت به سفينة الحديد والصدأ
على تخوم رملهـا في ساعة الزوال

وكرر السؤال . . . :
ـ « أأنت من سكان هذه المدينة ؟ »
ألفتها منذ سنين عدة . غدوت قطعة مفيده
من قطع المشهد في عروضها اليوميه
حين تقدم المآسي الشجيه
أو المساخر السعيده
نصبت مرة على مفارق الطرق
محدودبا أمرت أن أتف .

أخذتْ شكل حجرة . . .

فليلةً ليستريحَ ظهرُهُ لظهرها مسافرٌ مرهق

وليلةً ليرْكزَ المحاربُ المزهو في مدى الأفق

على عظاميَ المكورة

آيتهُ المنتصرة

ومرةً غدوتُ شجرة

مفزعاً أُمرتُ أنْ أقفْ

ومرةً علقتُ مرآةً على جدارِ حجرة

ومرةً نُجرتُ مقعدا

ومرةً سبكتُ مصعدا

ومرةً مكبراً للصوتْ

وكرّرَ السؤال :

ــ أأنت . . .

ــ أأنت . . .

ــ أأنت من سكان هذه المدينة ؟

لكنني أحببتُها

(ما أضيقَ الفراغَ بين الحبِّ والاشفاقِ والضغينة

أحببتُ أن أعيش بين لحمها وجلدها

لكي أحس نبضَها العليلَ في عروقها الدفينة

أحببتُ أن أسوحَ جنب نهرها

إذ تلتوي بشرتهُ الكابيةُ الحزينة

بين الذراعين العليلتين والتراتب الموهونة

وتنطفي على سريرِ دائه المقيم

مصابيحُ الشطئانِ . والنجوم

ولم يكررْ السؤال

نظرتُ لم أجده .

لا في بَهرةِ الشمسِ ولا في غَسَقِ الظلال

متى مضى ؟

وهل سمعتُه حقيقة . . . ؟

وهل هو الخيالُ . . . . ؟

■■



صلاح عبد الصبور



●● كان المغفور له الدكتور محمد حسين هيكل (باشا) رئيس تحرير جريدة «السياسة» الناطقة باسم « حزب الاحرار الدستوريين » المصرى فى العشرينيات .. كان يقرأ المقال الذى أعطيته اياه ، وأسارير وجهه تنفرج عن ابتسامة بين الحين والحين ، فلا أدرى ان كانت ابتسامة سخرية مما يقرأ ، أو ابتسامة رضى واستحسان .

وحين انتهى من قراءة المقال طواه ، ووضعه على يسار مكتبه ، وهو الجانب القريب من المقعد الذى كنت أجلس عليه ، وقال لى ضاحكا : « هل تحسب أنى أستطيع نشر هذا المقال ؟ »

قلت ، بعد سقوط الالقاب : « كان يهمنى أولا أن أعرف رأيك فى المقال ؟ »

بين شوقى و.. طه حسين

بقلم : الدكتور سعيد عبده

قال : « ان المقال بديع ، ولكن هل تحسبنى أستطيع نشره؟»

قلت : « لا أظن شيئا يحول بينك وبين نشره وأنت رئيس التحرير . »

قال مبتسما : « ان رئيس التحرير ليس حاكما بأمره على الدوام . »

قلت : « ان ثمة ظلما قد ارتكب فى حق « شوقى » أمير الشعراء فى « حديث الاربعاء » الماضى للدكتور طه حسين ، وأعتقد أن من حق كل محب لشوقى ، أن يحاول رفع هذا الظلم ، لا سيما و « السياسة »



جريدة تنتسب الى الحرية ، ومقالات كتابها عن الحرية في بضع السنوات الماضية ، لا تزال أصداؤها ترتد في آذان الشباب. »

قال : « أتعلم ماذا يحدث لو نشر هذا المقال ؟ »

قلت : « لا أظن شيئا سيحدث على الاطلاق »

قال : « اذن فدعني أقل لك ـ وهذا الكلام بيني وبينك ـ انك لا تعرف الدكتور طه حسين .. ان أكثر الناس ضيقا بالنقد هم النقاد !! »

قلت : « ولكنى لا انقد الدكتور طه حسين ،وقد وضعته فى مقالى موضع الاستاذ ـ كما هو اهل لذلك ـ ووضعت نفسى منه موضع التلميذ » .

قال : « يكفى أن تكون قد أشرت فى مقالك الىبعض عثراته ، ولو بمنتهى الادب ، حتى يثور .. واذا ثار طه لشىء نشر عنه بالسياسة ، فالحساببيننا وبينه يطول ! » .

قلت : « اذن فقد كنت مخطئا ـ طوال عدةسنين ـ فى النظر الى الدكتور طه حسين ، والى صحيفة الاحرار الدستوريين ، التى اصبحت اظنان الحرية تحتاج فيها الى مصباح ! .. ترى .. اكان كل ما تكتبون عن حرية الراى، وحرية الكلمةمجرد هباء تذروه الرياح ؟ » .

لم يضق هيكل باشا ـ او لعله كان يومئذ هيكلبك ـ بشىء مما قلت ، فقد كان الرجل واسع الافق ، رحب الصدر الى حد كبير ، وقد ادركما يعتلج فى نفسى من ضيق ، وأجابنى والابتسامة لا تفارق شفتيه : « ان من العجيب ان يكون هذارايك فى الدكتور طه ، وقد كان يحدثنى بشانك منذ بضعة أيام ، وبامكان نقلك من كلية الطبالى كلية الاداب، مع تعهده بتعليمك فيها بالمجان » (وكانت الجامعة فى ذلك الوقت تتقاضى من طلابهانفقة التعليم ، التى لم تكن قليلة بحساب النقد فى تلك الايام . وكان الدكتور طه حسين استاذاللادب العربى بكلية الاداب) .

ولا اخفى انى شعرت بشىء من الزهو لهذه التحية ، وقد كنت كتبت فى السياسة منذ حين عدة قصص ومقالا نقديا عن كتاب الفه « احمد محمد حسنين باشا » عن رحلة له فى الصحراء ، وعددت هذه التحية موجهة لكل كلمة كتبتها فى السياسة .. بيد أن الزهو ـ وان كان تطلب منى كلمة شكر رقيقة ـ الا أنى لاسباب خاصة لم أرحب بالاقتراح ، وآثرت الاستمرار فى دراسة الطب حتى النهاية ، رغم ما صادفنى فيها من عقبات بسبب مرض مزمن مؤلم عنيف كان ينتابنى منذ عدة أعوام ..

من تلميذ الى استاذ

وعدت بعد شكر الدكتور طه وهيكل باشا على نياتهما الطيبة نحوى .. عدت الى نقد الدكتور طه ـ فى حديث الاربعاء الذى كان يكتبه للسياسة كل اسبوع ـ لقصيدة كانت نشرت لشوقى قبيل ذلك بقليل ، وكان يحيى فيها الاستاذ احمد لطفى السيد على ترجمته لكتاب ارسطو عن الاخلاق .. والى قسوته فى ذلك النقد قسوة تخطت كل حدود النقد غير المغرض ، كما تخطت كل اصول العدل والانصاف ، مما اوقع الدكتور طه فى كثير من الاخطاء لم يكن مثله من يقع فيها لو كان يجرى على سنن النقد الموضوعى الهادىء الرصين .

وكان ردى على الدكتور طه مصوغا فى شكل اسئلة يوجهها تلميذ ناشىء الى استاذ عظيم ، يرجوه أن يثير له فيها سبيل الرشاد ، بين ما ورد فى قواميس اللغة وكتب الادب والبلاغة ، وبين ما اخذه الدكتور طه على شوقى من اخطاء . وحرصت أشد الحرص على الا أثير ثائرته بكلمة يمكن أن يحس لها مرارة ، فقد كنت اكبره ، وأحب القراءة له ، وآتمنى فعلا لو بسط لى وجه الراى فيما كنت أسائله فيه ، دون حاجة الى ان يغضب او يثور .

ورغم هذا كله فقد رفض الدكتور هيكل نشر المقال ، بلطف أولا ، ثم بشىء كالزجر لما بدا منى من الحاح .. بل انه رفض مجرد عرض المقال على الدكتور طه ، حماية لى من غضبه ، على ما له فى من راى جميل .

واخذت مقالى حزينا وانصرفت ، وانا ارثى للسنوات التى اضعتها فى الايمان بما كان يكتبه هؤلاء الناس عن الحرية عامة ، وعن حرية الراى ، وحرية الكلمة بوجه خاص .. بل انى رثيت اكثر للجهود التى طالما بذلتها للحصول على جريدة السياسة من باعة الصحف ـ ولم يكن يحملها منهم غير القليل ـ وجبن باعتها عن بيعها علنا للقراء ، بعد ان سماها سعد زغلول « جريدة التعاسة ! » وكان سعد قد بلغ الاوج فى قلوب المصريين ، وكانت مزية جريدة السياسة ، انها كانت تضم

نخبة من اكابر الكتاب والصحفيين ، على راسهم هيكل وطه حسين ومحمود عزمى ، وتوفيق دياب ، وعبد العزيز البشرى ، الى من كانت تستكتبهم من كبار محامى الاحرار الدستوريين ، امثال ابراهيم الهلباوى ، وعلوبة ، وتوفيق دوس ، ووهيب دوس •• يضاف الى هذه المزية بكاؤها الدائم بدموع حرى ، على الحرية المغلوبة على امرها ، فى وسط هذا البحر اللجى من الوفديين ، الذى كانت امواجه‌تتقاذف زورق‌الاحرار الدستوريين المسكين!••

لقد كنت اخرج انا والمهندس احمد الشرباصى ـ وزير الاشغال السابق ، ونائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة الاسبق ، وكان يومئذ طالبا بكلية الهندسة ـ كنا نخرج للبحث عن السياسة كل صباح ، وكنا نجدها بعد لأى ، مع بائع او آخر ، يبيعنا اياها خفية عن الاعين ، وفى ركن قصى من اركان الطريق ، كأنه يبيعنا قطعة من الافيون !

لقاء مع شوقي

وقابلت شوقى بعد يومين فى مكتبه ، وكان المكتب غاصا ببعض اصدقاء الشاعر الدائبين ، واشار بعضهم عرضا الى مقال الدكتور طه حسين، وبالغوا فى النيل منه ومن كاتبه ، تملقا وزلفى الى امير الشعراء ، وان كان شوقى نفسه لم يشترك بكلمة فى الحديث ، وظل يمسح على جبينه باصابعه.وكانت عادة له فى مثل هذه الظروف ••

وقال احدهم : انه ارسل ردا الى‌جريدة السياسة فلم تنشره حتى الان •

فقلت له : « اطمئن ، فان شيئا ما ـ لك او لسواك ـ لن ينشر فى هذا الموضوع •• » ورددت كلمة الدكتور هيكل : ان اشد الناس ضيقا بالنقد هم النقاد ! »

وسالنى شوقى : ومن اين لك كل هذا التاكيد ؟

قلت : لقد ذهبت برد الى جريدة السياسة ، فادركت هناك أن ذات الدكتور طه حسين لا تمس ، مثل ذات الملك فؤاد (فؤاد الاول ملك مصر فى‌ذلك الحين) كما جاء فى الدستور •

ووجدت مقلتى شوقى فجأة ترتعشان ، كما كان العهد بهما عند اى انفعال •••

وقام من مجلسه فخرج الى غرفة اخرى ، ثم دعانى اليه ، وسالنى فى لهفة ، ان كان معى ما كتبت فى الموضوع ؟ قلت : « لقد تركته‌فى‌البيت»، وحمدت الله على انى لم اكن مزقت المقال وكانت نفسى فى غمرة القهر راودتنى ان افعل ، ووصفت لسائق سيارته عنوان البيت فى حى المنيرة ، وعلى مقربة من دار السياسة ، وكانت فى شارع المبتديان ، واتيت له بالمقال ، فقراه فى السيارة ونحن فى طريق عودتنا الى المكتب ، ولم يكد يفرغ منه حتى رأيت وجهه مغمورا بالبشر والبشاشة ، ومقلتاه ترتعشان ، وامر السائق ان يعود من حيث أتى الى دار السياسة •

ودخلنا على الدكتور هيكل فقام مرحبا بضيفه الذى لم يسلم ، والذى امتلأ وجهه بالوجوم ، ودون ان يلبى الدعوة الى الجلوس ، قال للدكتور هيكل فى هدوء وهما واقفان : « احسبك اطلعت على‌هذا المقال ؟ •• انه اذا لم ينشر فى‌نفس المكان الذى نشر فيه مقال طه حسين فى الاسبوع الماضى فسيكون‌هذا فراق ما بينى‌وبين‌السياسة‌الى‌الابد» •

وهنا احب ان اصف مقدار الثقل الذى انطوى عليه هذا التهديد •

ان قصائد شوقى ، حين كان يختص صحيفة بنشر واحدة منها ـ حتى لو كانت السياسة ـ كانت الصحيفة تعلن عن ذلك قبل نشر القصيدة بيوم او يومين ، اذا اتسع لها الوقت (ولم يكن شوقى يتقاضى اجرا عن نشر قصائده ، كما لم يكن اى كاتب يتقاضى اجرا عن اى مقال) وكانت قصيدة شوقى تنشر فى صدر الصحيفة ، بحروف مشكولة، واكبر حجما من الشكل المالوف ، وكان توزيع الصحيفة يرتفع الى اربعة او خمسة امثال توزيعها فى سائر الايام (وفى حالة جريدة السياسة كان التوزيع يرتفع على الاقل الى عشرة امثال !) وكانت السياسة تباع علنا فى مثل هذه الايام ، وينادى عليها الباعة لا باسمها ولكن باسم قصيدة شوقى ، وكانت السياسة تنتهز مثل هذه الفرصة، وتقول كل ما لديها عن الوفد ، والحرية‌المضطهدة، وسعد زغلول •••

لم يكن لدى الناس ما يملؤون به فراغ اوقاتهم

الا القراءة ، اذ لم تكن هناك اذاعة،ولا تليفزيون، وحتى السينما كانت لم تبلغ أشدها بعد ، وكانت قصيدة من قصائد شوقي أو حافظ ابراهيم كفيلة أن تبسط ظلها على الناس بضعة أيام ، أو ربما بضعة أسابيع ٠

القى شوقي بهذه القذيفة ، وترك المقال على مكتب الدكتور هيكل ، وخرج وخرجت معه ، دون أن يلقى على الدكتور هيكل حتى تحية وداع ٠

تحية ذات حدين

وهنا أحب أن أواجه الله بشهادة ، وأنا أقرب ما أكون الى رحابه ٠٠٠ أن شوقي لم يكن لهأدنى علم سابق بهذا المقال ، ولا كان حدثني عن نقد الدكتور طه حسين لقصيدته ، أو أشار لي مجرد اشارة الى الرد عليه ، فقد كان يعلم أنني لا أكتب الا ما يعن لي أن أكتب فيه٠وقد كنت كتبت عدة مقالات عن شعر شوقي قبل أن نتعارف ، وكانت هذه المقالات هي السبب المباشر في هذا التعارف ٠ وبعد أن عرفته واتصلت به ظللت أكثر من ثلاثة أعوام لا أكتب عنه رغم أنه كان يسميني « محاميه » ، وقد صرح بذلك في حديث له مع مجلة المعرض البيروتية ـ ان لم تكن خانتني الذاكرة ـ في أعقاب حادث سيارة وقع له في بيروت ، وكاد يودي بحياته وحياة الاستاذ محمد عبد الوهاب ، وكانا يصطافان بلبنان ، واقيم له حفل تكريم وابتهاج بنجاته ، وسئل يومئذ من مجلة المعرض ، ولا أدري ان كانت لا تزال تصدر في بيروت ٠٠٠ سئل كيف يكتب شعره ، فأجاب انى أكتبه أبياتا متفرقة ، وأسلمه الى صديقي وتلميذي ومحامي سعيد أفندي عبده ، فيضعها في الاطار الذي تظهر فيه ٠٠٠

وكانت هذه التحية ذات حدين ، حد لارضائي ، وحد للتنصل من التهمة التي كان الاستاذ عباس محمود العقاد قد اتهمه بها في كتابه الذي أصدره عنه ، قبل ذلك بثلاث أو أربع سنوات ، بعنوان « الديوان » ٠٠٠ وكان الديوان مفروضا أن يكون من عشرة أجزاء ، يشترك في تاليفها العقاد ، وابراهيم عبد القادر المازني ، كما كان المفروض أن تخصص بعض أجزاء الديوان لهدم « أصنام الشعر والادب » كما كان المؤلفان يصفان شوقي وحافظ ابراهيم ومصطفى لطفي المنفلوطي ، ثم تخصص الاجزاء الباقية لاعطاء قراء العربية نماذج لما ينبغي أن يكون عليه الشعر الحديث والادب الحديث ، وظهر جزءان للهدم لم يهدما صنما من الاصنام ! وكان العقاد قد اتهم شوقي في الجزء الاول من الديوان بانه شاعر البيت الواحد والبيتين ، وان وحدة القصيدة منعدمة في شعره تماما حتى لتستطيع أن تخلط أبياتها بعضها ببعض فتحصل على قصيدة جديدة من نفس الابيات!

ولئن كان الجزءان الاولان من الديوان ـ للهدم ـ قد ظهرا ، الا ان جزءا واحدا من أجزاء البناء الباقية ، لم يقدر له الظهور !

ولعل شوقي كان يريد بهذه التحية الموجهة الي ان يتنصل من التهمة التي اتهمه بها العقاد ،ويلقيها على كاهلي ٠٠٠ والله يعلم انني منذ عرفت شوقي ، وبعد ظهور الديوان بفترة طويلة ، ومنذ كان يسلم لي شعره متفرقا كما قال ، كانت وحدة القصيدة قد اخذت تبدو اكثر وضوحا في شعره ، سواء في قصائد المناسبات او في مسرحيتي « مصرع كيليوبطره » و « مجنون ليلى » وكنت اشبه بالقابلة التي استولدته هاتين المسرحيتين !

واعود الى صلب الموضوع ٠٠٠

ففي اليوم التالي لمقابلة شوقي والدكتور هيكل ، وكان يوم اثنين ، ظهرت في نهاية عمود من اعمدة احدى صفحات السياسة كلمة تحت عنوان « حديث الاربعاء » جا فيها « ان الجريدة ستنشر في حديث الاربعاء القادم ردا من الاديب سعيد افندي عبده ، على مقال الدكتور طه حسين حول قصيدة امير الشعراء الاخيرة ، وتعليقا على هذا الرد من الدكتور طه حسين » ٠

وظهر حديث الاربعاء في موعده ، ونشرت كلمتي كما هي ، وبدات اقرا تعليق الدكتور طه حسين ، ويا له من تعليق !

لقد نسي الدكتور طه او تناسى الموضوع باسره ، ونسي ارسطاليس وكتابه ، ونسي احمد لطفي السيد وترجمته ، واقتصر في التعليق على

التنديد بالشبان « الذين يتغذهم الشعراء دريئة (او لنقل بالعامية الفصحى براقانا يستترون وراءه !) ••• هذا في الجزء الاول من التعليق ، اما في الجزء الثاني ، فهو انه عرف الادبوالصرف والنحو والبلاغة قبل ان اولد » اما الاسئلة التي وجهتها اليه ، فلا رد على واحد منها ، ولا اشارة اليها ولا مجرد تصحيح لي ان كنت قد تنكبت في اى منها سواء السبيل •

رد لم ينشر

وغضبت في البداية ، وفي سورة غضبي كتبت ردا قاسيا على تعليق الدكتور طه ، لم ابال فيه مكانته في الادب قدر ما راعيت قدره الضئيل من الاستاذية في هذا التعليق العجيب •

وذهبت بالرد الى الدكتور هيكل، فقراه متندا، والضحكات تتردد من فمه بين الحين والحين ••• ثم انثنى الى يسالني :

ـ هل تظنني قادرا على نشر هذا المقال ؟

ـ قلت كلا ••• انما اردت فقط ان يقراه الدكتور طه ، وانك لتحسن الى كثيرا ، انمكنتنى على الاقل ان اقول له بصراحة بان سلاطة اللسان في استطاعة اى مخلوق يحسن التعامل مع الاوراق والاقلام !

قال اذن فمر على في المساء وساخبرك عن مصير هذا المقال •

ومررت عليه في المساء ، وكان معه الدكتور طه حسين ، وكانا على ما يبدو يتحدثان بصوت عال في الموضوع ، وقدمنى الدكتور هيكل اليه ، فقام من مجلسهوصافحني ، ثم وجه الخطاب اليالدكتور هيكل قائلا :

ـ اعتبرني مستقيلا من السياسة اذا نشر حرف آخر في هذا الموضوع !

ثم برح الغرفة في صحبة سكرتيره الخاص •

وقال لي الدكتور هيكل بعد لحظة سكوت : « ارايت ؟ »

قلت : « نعم ويا سوء ما رأيت ! »

قال : « وستذهب الى شوقي من جديد ؟ »

قلت : انك تظلمني •• فانا لم اذهب الى شوقي في المرة الماضية ، حتى اذهب اليه في هذه المرة ، وما كانت الا مصادفة معرفته بالمقال ••• ثم اخذت مقالي الجديد من امامه ، ومزقته والقيته في سلة المهملات قائلا : « حسبي ان يكون الدكتور طه حسين عرف رأيي فيه ، وما يهمني بعد ذلك ان ينشر اولا ينشر المقال • »

ولعل الدكتور طه حسين كان على حق في ظنه بان شوقي هو الذى حرضني على كتابة المقال دفاعا عنه ، وربما يكونقد اجبرني عليه ، اذ يبدو ان هذه الشنشنة كانت معروفة عن الشعراء في ذلك الحين ، ان يوعز شاعر الى كاتب بالدفاع عنه لقاء اجر معلوم • !

فقد قابلني بعد يومين من نشر المقال في حديث الاربعاء ، احد قدامى الصحفيين ، وكان يصدر صحيفة تسمى « الصاعقة » وكانت مفتوحة لمثل هذه الحملات الماجورة على الشعراء والكتاب ، بل لعل مثل هذا التراشق بالحملات والردود عليها كان صلب ما يكتب في هذه الصحف وكانت تسمى « الوريقات الصفراء » ••

وسالني احمد فؤاد وكان في اواخر ايام حياته: « كم اعطاك شوقي عن هذا المقال ؟ »

قلت : « خمن ! »

قال : « مائة جنيه ؟ »

قلت : « اقل ! »

قال : « خمسين ؟ »

قلت : « لا ، بل اقل ! »

فتاججت في عينيه الباهتتين نظرة غضبواحتقار شديد ، وقال : « اذن فخمسة وعشرين ؟ »

قلت : « انه لم يعطني شيئا وان كنت تناولت على مائدته وجبة غداء ! »

وتفجر وجه احمد فؤاد بالدم ، ورفع يده يحاول ان يصفعني ، ولكني زغت منها ، وراحت صفعته عباء ، وانفجر قائلا :« خيبة الله عليكم يا كلاب •• لقد افسدتم علينا السوق !! »•

وادركت حينئذ لماذا قال الدكتور طه حسينعنى ما قال ، فقد كان اخبر منى بهؤلاء الكتاب ••• ورحم الله الجميع • ■■

د • سعيد عبده

تصوير العالم العربي من الفضاء

بقلم المهندس / سعد شعبان

ـ كنوز الارض المعدنية تكتشف من الفضاء •

ـ آبار البترول والمياه الجوفية توضحها صور الفضاء •

ـ العالم أمام ثورة فى وسائل التكنولوجيا •

ـ التنبؤ بالزلازل والانذار بالاعاصير بواسطة الاقمار الصناعية •

لكي يكتشف العالم العربي كنوزه .لابد ان يستفيد من تلك الثورة التى شهدها حقل الاستكشاف من الفضاء •

■ بدأ التصوير بواسطة الاقمار الصناعية يتخذ أبعادا جديدة منذ اوائل الستينات ، عندما استخدمت الاقمار الصناعية للتنبؤات الجوية فى التقاط الصور للسحب المنتشرة حول الكرة الارضية • وبدأ فن التنبؤ الجوى يتطور بسرعة مذهلة نحو اصدار تنبؤات جوية تتسم بالدقة والبعد عن الاحتمالات والترجيحات ، والجزم بظواهر الطقس التي ستحدث خلال عدة أيام مقبلة • واستطاع المتنبئون الجويون ان يصدروا النشرات الجوية حتى أسبوع مقبل ، بمطابقة الصور الفضائية على خرائط الطقس التى يستخدمونها •

وتستقبل الصور الفضائية من الاقمار الصناعية على ترددات خاصة وبوسائل فنية مستحدثة تكشف عن كل ما يحيط بالكرة الارضية من أنواع السحب •



اعصار فى الفضاء



مسالك الجليد الذائب

التصوير فى سواد الليل

لذلك زودت الاقمار الصناعية بكاميرات تصوير خاصة تسمح لها بالتقاط الصور •

وتنوعت عدسات هذه الكاميرات بين عدسات بانورامية تسمح بالتقاط رقعة كبيرة من الارض، وبين عدسات تليفزيونية ، واخرى ذات مرشحات تسمح بالتقاط الصور الملونة • واصبح التصوير فى الليل ميسورا بفضل كاميرات تستقبل الاشعة تحت الحمراء الصادرة من الارض تحت جنح الظلام الدامس • وجد العلماء ان الاقمار الصناعية وهى تطل على الارض من مداراتها العالية فى الفضاء ، تستطيع ان تلتقط الصور لنصف الارض المضىء بضوء الشمس ، بواسطة كاميرات ذات عدسات عادية • أما نصف الارض الذى يتلفع باستار الظلام ، فلا سبيل الى الافصاح عما تحته الا بتكنولوجيا جديدة • وقد وجدوا غايتهم فى التقاط ما يصدر عن الارض من اشعاعات غير مرئية من تموجات الاشعة تحت الحمراء • وكل ما على الارض من جماد ونبات واحياء يختزن حرارة كافية من أشعة الشمس اثناء النهار ، يشعها على هيئة اشعاعات تحت حمراء اثناء الليل •

وبذلك تطورت صناعة الكاميرات والعدسات ، وتطور معها فن تفسير الصور •

الاستشعار من بعد

اتخذت الصور الفضائية الملتقطة للارض بالاشعة تحت الحمراء ، ابعادا جديدة فى التطبيقات ، تجاوزت حدود استخدامها للتنبؤات الجوية • وسرعان ما فرضت نفسها على كثير من مجالات التكنولوجيا ، تحت اسم « الاستشعار من بعد » •

فقد استطاعت عدسات التقاط الاشعة تحت الحمراء ، التى فى سفن الفضاء والاقمار الصناعية ان تنفذ من خلال السحب وتصور كل ما على قارات الارض ، رغم سواد الليل البهيم • ووجد العسكريون والاستراتيجيون انفسهم أمام وسائل جديدة للاستطلاع من الفضاء ، تستطيع أن تفضح كل ما على الارض • واتجه تفكيرهم الى كيفية اخفاء قواعد الصواريخ ، والمطارات والمنشئات

الحيوية ،وتحركات الجيوش عن عدسات الاستطلاع من الفضاء • فقد أطاحت تكنولوجيا الاستشعار من بعد بكل فنون الاخفاء والتمويه ، وأصبحت الاقمار الصناعية للتجسس قادرة على تصوير كل ما على الارض ، والافصاح عن تكوينه وحركته •

حتى المسامير المعدنية التى تغرس فى الواح الخشب يمكن ان توضحها عمليات متوالية من تكبير الصور الفضائية • ومن ثم اتجه تفكير العسكريين الى اخفاء الصواريخ العابرة للقارات والتى يسهل تمييزها فى الصور الفضائية فى آبار خرسانية تحت الارض • كما صممت أنواع منها لتستقر فى باطن الغواصات التى تسبح تحت مياه المحيطات والبحار •

واصبح الاعتماد أساسا على توازن القوى وقيام كل من الكتلتين الشرقية والغربية بفضح اسرار ما لدى الجانب الاخر • وذلك باطلاق سلاسل من الاقمار الصناعية من كل جانب تكون مهمتها تصوير ما لدى الجانب الاخر •

كل ذلك قد وضع العالم أمام حياة يصعب فيها اخفاء الاسرار ، وأخفاء التحركات والانشاءات الجديدة • وانصرف علماء الفضاء الى استخدامات مدنية مستحدثة لصور الفضاء •

احتمالات بترولية فى ولاية تكساس



اقمار الموارد الارضيـة

بدأ منذ عام ١٩٧٢ اطلاق انواع جديدة من الاقمار الصناعية اطلق عليها اسم اقمار الموارد الارضية (ا•ر•ت•س) E.R.T.S, وهى اختصار للاسم Eearth Resourse Technology Satelfi es زودت بكافة انواع كاميرات التصوير ، سواء من نافذة الضوء المرئى فى اشعة الشمس نهارا ، أو من نافذة الاشعة تحت الحمراء ، تحت استار الظلام ليلا • كما زودت باجهزة الارسال اللاسلكى التى يمكن ان تحول هذه الصور او تلك الى تموجات ترسل الى الارض ، لتستقبل وتتحول الى صور مرة اخرى ، بعد سلسلة متوالية من أعمال التكبير • ثم تصبح بعد ذلك فى أيدى مفسرين يستطيعون استنباط ما يريدون منها ، بواسطة استقراء ما تسجله الحواسب الالكترونية من قياسات معها •

وليس من باب المغالاة القول بان هذه الصور قد وضعت العلماء امام تحولات جذرية فى شتى مجالات التكنولوجيا • وهذا يمكن ان يوصف بانه بادرة لثورة على كافة الوسائل التقليدية والاساليب القديمة • سواء فى مجالات الجيولوجيا وأعمال التعدين ، أو التنقيب عن البترول ، او البحث عن المياه الجوفية ، أو الحفر وراء بقايا آثار الحضارات الغابرة • وبدأت تظهر تطبيقات أخرى مستحدثة ذات تنوعات مختلفة ابتداء من اكتشاف مصادر تلوث البيئة ، الى كشف مصادر الثروة السمكية فى المحيطات ، الى التنبؤ بالزلازل ، الى متابعة حركة الاعاصير فى المحيطات ، الى وضع خرائط مساحية تشمل رقعا واسعة من الارض ، الى تحديد مصادر تلوث البيئة •

ماذا اوضحت صور سكاى لاب

فى مايو ١٩٧٣ اطلق معمل الفضاء الامريكى (سكاى لاب) (١) ، واستمر فى الفضاء محلا لابحاث ثلاث سفن فضاء امريكية متعاقبة من طراز ابوللو على مدى نحو تسعة شهور • وقد استخدمت فى هذا المعمل تكنولوجيا الاستشعار من

(١) انظر العربى - ابريل ١٩٧٤



توزع السحب حول القارات

بعد ، لالتقاط الصور لمناطق محدودة فى امريكا الشمالية والجنوبية • ولفت الانظار أن بعض الشركات الامريكية أبدت استعدادها لدفع آلاف الدولارات ثمنا لكل صورة من هذا النوع من الصور • وكان السر وراء ذلك أن صور معمل الفضاء سكاى لاب ، قد كشفت عن كثير من المخبوء من كنوز الارض • اذ لم يعد البحث العلمى من الفضاء مقصورا على ماهو فوق الغلاف الجوى وحده ، بل امتد الى ما تحت سطح الارض وفى باطن تربتها • واول هذه الكنوز هى الرواسب المعدنية • اذ لا شك ان المعادن الدفينة تحت التربة وفى المناطق الجبلية والصحراوية تكتسب حرارة من اشعة الشمس نهارا اكثر من حولها ، ثم تصدر عنها اشعاعات تحت حمراء خلال الليل تظهر بوضوح على الصور الفضائية • وأصبح ذلك مؤشرا على وجودها • بل اصبحت الصور الفضائية ، اكثر تغلغلا فى باطن الارض، باجهزة اكثر حساسية لتصل الى تحديد المناطق المحتمل وجود آبار البترول فيها • وان كان ذلك يسير فى خط متواز مع الوسائل التقليدية للبحث عن الذهب الاسود ، فانها بلا شك تغنى عن كثير من العناء وتوفر كثيرا من تكاليف الحفر للتنقيب عنه •

وعلى نفس المنوال أصبح فى امكان علماء الزراعة والمياه الجوفية الوقوف على اكثر الاماكن المحتملة لوجود المياه الجوفية ، اللازمة لتعمير الصحارى ، والمناطق القاحلة • كما وجد علماء الآثار بغيتهم فى تتبع علامات الحضارة القديمة تحت اكداس التراب والرمال • بل لقد امتد استخدام الصور الفضائية الى امكان التمييز بين المناطق الزراعية التى اصابتها الآفات الزراعية ، والمناطق التى لم تمتد اليها هذه الافات ، لان صور هذه المناطق تختلف عن تلك • واستطاعت الصور الفضائية الملونة ، أن تكشف عن مساحات فى المحيطات تنتشر فيها احياء مائية دقيقة خضراء اللون ، تعرف باسم « البلانكتون » ولدراية علماء الحيوان بأن هذه الاحياء أحسن غذاء تسعى اليه الاسماك ، فقد تاكد لهم انها اكثر المناطق نفعا للصيد •

اكتشاف الزلازل والاعاصير

كما استطاعت الصور الفضائية ان تكون وسيلة انذار مبكر لما يحيق بالارض من ظواهر الدمار الطبيعية كالاعاصير المدمرة • فالاعاصير لها شكلها المميز من جو الفضاء ، اذ تظهر سحب موزعة حول نواة لها تماثل العين • ويكون توزيعها على هيئة حلزونية نتيجة ما يصاحب حركتها من دوامات هوائية عاتية • ولقد أمكن اكتشاف اعصار هاريكان المدمر الذى كان يدهم شواطىء أمريكا ، ويحيق بها الخراب والدمار ، نتيجة لما يصاحبه من رياح شديدة ، وامطار غزيرة • الامر الذى اعطى فرصة لسكان هذه الشواطىء لاتخاذ الحذر قبل ان يحل الاعصار باراضيهم • ولم يعد اكتشاف الزلازل قبل حدوثها أمرا مستعصيا على سفن الفضاء • فقد امكن تثبيت قوائم استشعار فى اماكن مختلفة من قارات العالم تتصل باجهزة ارسال



مزروعات اصابتها الآفات الزراعية

حساسة ، ترسل بموجاتها الى سفن الفضاء ٠ وعند حدوث أى هزات ارضية ، تهتز القوائم فتستطيع سفن الفضاء ان تتبين مواقع هذه الاهتزازات ومصادرها بل وتستطيع ان تسجل شدتها ٠ وبذلك اصبحت بوادر اهتزازات القشرة الارضية التى تسبق الزلازل نذيرا يمكن ان ينبىء بحدوثها ٠

صور العالم العربى

شهد عام ١٩٧٥ حدثا عالميا هاما ، تمخضت عنه سياسة الوفاق العالمية بين الكتلتين الغربية والشرقية في مجال الفضاء ٠ وتمثل ذلك فى تحقيق التحام سفينة فضاء امريكية من طراز « أبوللو » بسفينة فضاء سوفييتية من طراز سويوز ، ولقد قامت سفينة الفضاء «أبوللو» بعد تحقيق الالتحام بالتقاط صور لعدة مناطق فى العالم بعضها بكاميرات عادية ، وبعضها الاخر بظاهرة الاستشعار من بعد ٠

ولقد كان تصوير بعض المناطق ، بناء على طلب من دولها مثل الهند التى طلبت تصوير جبال الهمالايا ٠ وحقيقة السبب وراء هذا الطلب هو السرعة فى تبين المسالك التى تتخذها المياه فى انحدارها عندما يذوب الجليد فوق بعض قممها فى الصيف ، وتبين ما تحت كتل الجليد من ثروات معدنية ٠

كما طلبت جمهورية مصر العربية تصوير صحاريها ، تطلعا الى اكتشاف المعادن الدفينة فيها ٠ ولقد لعب الدكتور فاروق الباز العالم المصرى المتخصص فى ابحاث الفضاء دورا فى هذا المضمار ٠ وكان حلقة الوصل بين مصر ، واداة ابحاث الفضاء الامريكية « الناسا » لتحقيق هذا المطلب ٠ وقد شملت هذه الصور بعضا من الاراضى المصرية ، وما حولها فى دول عربية أخرى ٠

ولقد شهدت مصر منذ شهور قليلة ، حضور رواد رحلة الفضاء المشتركة الامريكيين بصحبة الدكتور الباز ، ولقائهم برئيس جمهورية مصر ، لتقديم هذه الصور ٠

ولا شك ان العالم العربى بأسره أمام ثروة يمكن ان تفيد منها كثير من دوله ، لو حرصنا على تطبيق تكنولوجيا الفضاء بجد من خلال صور نطلب التزود بها من الدول التى تملك وسائل التصوير من الفضاء ٠ ومن خلال خلق جيل من الباحثين يستطيعون ان يضعوا خبرة تفسير هذه الصور موضع التطبيق ، على نحو ما اوضحنا من قبل ٠

ان ذلك يمكن أن يكون له دوره فى تعمير الصحارى وما اكثرها فى السودان والجزائر وليبيا والمغرب ومصر والسعودية والكويت ٠ ويمكن ان يكون فاتحة لاكتشاف ابار جديدة للبترول بدلا من الابار التى اوشك بعضها على النضوب كما أعلن اخيرا فى بعض دول الخليج وليبيا ٠ ويمكن ان يكون مقدمة لثورة تعدينية تكشف عن كنوز من المعادن الثمينة ، الدفينة ، والتى لا يستغل العرب الا النزر اليسير منها ، خاصة وأن الصناعة العربية الوليدة فى حاجة اليها ٠

■■

القاهرة ــ سعد شعبان

عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولي بباريس

أقوال معاصرة



■ « ان كل دعوة الى التدخل في افريقيا تتبعها اخرى الـــى مواجهة التدخل حتى ان هذا الوجود الاجنبى المسلح قارب على القضاء على قدرتنا على هزيمته ، ويجب ابقاء افريقياخالية من مخاطر التحالف ونزاع الكتل وآفاق النفوذ .. »

جعفر نميري

امام مؤتمر القمة الافريقى في الخرطوم



■ « كل ما علينا ان نفعله هو ان نحصن انفسنا . والمشكلة هي ان ما يخطط في الخارج تنفذه نحن مع كل اسف . علينا ان نكون عقلاء وان نعي مصالحنا ، وان نعرف كيف نحمى هذه المصالح ، وعلينا ان نسعى حتى لانكون ادوات في ايد اجنبية ان كان في المنطقة ككل ، او في بلدنا بالذات »

الشيخ صباح الاحمد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية .

■ « لا توجد دولة في العالم اسمها اسرئيل . ان الاسرائيليين اثبتوا للعالم انهم شعب مجرم . »

(عيدى امين رئيس اوغندا)



■ « يوجد في السجون الامريكية المئات وربما آلاف من السجناء السياسيين ، وقد حكم على أنا بالذات في مدينة اتلنتـــا بالسجن قبل عشر سنوات بتهمة تنظيم عمال القمامة ، وبعد ثلاث سنوات فزت بعضوية مجلس النواب في جورجيا .. »

اندرو يونج المندوب الامريكى الدائم في الامم المتحدة .



■ « اكبر خطر يهدد بلادى ، ضعف الغرب . فقد اصابه الانقسام والشلل . انني ابذل كل مافي وسعي من اجل بلدى . »

شاه ايران

■ آنا لست شيوعيا . انا مواطن اسعى لخير بلدى ورفاهيته . انني اعجب لكل الذين يسارعون بتصنيف الثورات وكأنهـا لاتجيء الا باذن من اليمين او اليسار .

ولد سالك



■ « فقراء الهند يؤيدون انديرا غاندى . فالخبز عندهم قبـل الحرية . »

(بريسانترناشيونال) آسيا

■ « العرب بحاجة الى خطة جديدة لمواجهة اسرائيل ، والى جبهة واحدة للدعم والقتال ، ان الثورة الفلسطينية مع السلام ، لكن ليس على حساب شعبنا ومصالحنا القومية . »

ابو اياد

شيء عن:
الموقف الجمالي في الاسلام

بقلم الدكتور :
عماد الدين خليل

● يحدثنا القرآن الكريم في عدد من الآيات كيف انه ما من شيء في الطبيعة والكون الا ويسبح بحمد الله ، وان النجم والشجر ،كظاهرتين احداهما كونية والاخرى طبيعية ، يسجدان لله ، وان كل المكونات التي تقوم عليها بنية الطبيعة ، تداب ليل نهار تقديسا لله وتعظيما ، ابتداء من الذرات الخفية التي تسبح في عوالم لا تراها العيون ، وحتى السدم الهائلة وهي تتحرك في افلاكها ، لا تخطيء ولا تند عن ارادة الله وعلمه ••• والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن جبل احد (الذي يحبنا ونحبه) ويقف حانيا على نبتةخضراء في قلب الصحراء ، فيقبلها قائلا (ليتني شجرة تعضد) !! وتهزه أبيات من الشعر الجميل فيخلع بردته ويمنحها الشاعر الذي غناه ••

ونقرأ في كتاب الله (ان في خلق السماوات والارض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والارض ، لايات لقوم يعقلون) (١) •

ونقرأ (ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ، ذلكم الله فانى تؤفكون ، فالق الاصباح ، وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ، ذلك تقدير العزيز العليم • وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الايات لقوم يعلمون • وهو الذي انشاكم

---

(١) سورة البقرة ١٦٤

من نفس واحدة ، فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون • وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء ، فاخرجنا منه خضرا ، نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب ، والزيتون والرمان ، مشتبها وغير متشابه ، انظروا الى ثمره ـ اذا أثمر ـ وينعه ، ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون) (٢)

ونقرأ ايضا (فلينظر الانسان الى طعامه ، انا صببنا الماء صبا • ثم شققنا الارض شقا • فانبتنا فيها حبا • وعنبا وقضبا •وزيتونا ونخلا• وحدائق غلبا • وفاكهة وابّا) (٣) (فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس • والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس !!) (٤) (فقال لها وللأرض: ائتيا طوعا او كرها ، قالتا : اتينا طائعين) (٥) (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) (٦)

هل ثمة موقف (اجمالى) ؟

فهل ثمة موقف (جمالى) فى الاسلام ؟ نعم•• والحديث يطول ، وسنكتفى هنا بمجرد اشارات فلعلنا نرجع اليه مرة اخرى ••

عندما دعا القرآن الكريم الناس الى التامل فى الطبيعة ، لم تكن دعوته هذه تنصب على الجانب التجريبى العملى من اجل استغلال كنوز الطبيعة وامكاناتها فحسب ، وهو ما يهدف العلم اليه ،بل رافق هذه الدعوة توجيه الى الجانب الانفعالى الجمالى من أجل تنمية وتهذيب الاحساس البشرى ورفعه الى الدرجة التى يستحقها الانسان باعتباره مخلوقا متذوقا حساسا ، وهو ما يهدف الفن اليه •• والقرآن الكريم ، فى دعوته المزدوجة هذه تجاه الطبيعة ، التامل العلمى والحدس الجمالى ، كان يخاطب الانسان باسلوبه الفنى المعجز الذى يعرف كيف يحرك كل مكونات الانسان ••• ولم يتخل عن هذا (الاسلوب) حتى عندما كان يعرض لاشد النواميس والقوانين والسنن الطبيعية عمقا وعلمية ورياضية ، ان صح التعبير ! ! لان الطبيعة، هذا التشكيل الالهى الفذ ، لا بد ان تقود الانسان السوى الايجابى الفعال ـ عالما كان أو فنانا ـ فى الطريق الى الله ، بهزة الايمان العميق التى تحدثها فى عقول العلماء والفنانين وفى افئدتهم ووجدانهم •• اولئك الذين آلوا على انفسهم ان يتاملوا الطبيعة ، ويتمعنوا فى خفاياها ، وان يدخلوا معها فى حوار خلاق •• عارفين انهم ـ عن هذا الطريق ـ سيستحقون رحمة الله ، ومكانتهم فى العالم كخلفاء له •

العلم الفنان

وليس ابلغ ـ هاهنا ـ مما قاله توفيق الحكيم ، يوما ، وهو يتحدث عن اولئك العلماء الفنانين الذين قادتهم هزة الدهشة والاعجاب •• الى الله •• ولنستمع اليه « ان اقصى العلم الايمان احب ذلك العلم المؤمن الشاعر الذى عرفه ايضا الفلكيون العظام فى القرنين السادس عشر والسابع عشر : كوبرنيك ، غاليليو ، وكبلر ، الى آخر قطرة من ذلك العلم الممزوج بالايمان ! كانوا ينظرون الى الكواكب لا بعين العقل وحده ، بل بعين القلب ايضا ! •• كانت السماء والنجوم فى نظرهم مخلوقات حية ! كانوا يحسون ، فى كتلة النجوم وفى هذا الكون باكمله ، الروح الخالقة ويد المبدع الاعظم •• ما أروع هذه العبارة من كبلر (•• كل الخليقة ليست الا سيمفونية عجيبة فى مجال الروح والافكار ، كما هى فى مجال الاجسام والاحياء •• كل شيء متماسك مرتبط بعرى متبادلة لا تنفصم •• كل شيء يكون كلا متناسقا !ان الله قد خلقنا على صورته واعطانا الاحساس بالتناسق •• كل ما يوجد حي متحرك •• كل كوكب وكل نجم ان هو الا حيوان ذونفس : ان روح النجوم هى سر حركتها وسبب ذلك النظام الذى تسير عليه الظواهر الطبيعية •• أولئك رجال ساروا فى بيداء العقل، دون ان ينسوا دليل القلب ، أولئك هم العلماء العظام » (٧) •

وهكذا •• فقد شاء الله جلت قدرته أن تكون الطبيعة هى الجامعة الكبرى التى تخرج أفواج

---

(٢) سورة الانعام ٩٥ ـ ٩٩
(٣) سورة عبس ٢٤ ـ ٣١
(٤) سورة التكوير ١٥ ـ ١٦
(٥) سورة فصلت ١١
(٦) سورة النحل ٦
(٧) تحت شمس الفكر / ص ٣٥ ـ ٣٦

العلماء والفنانين في الوقت ذاته : العلماء الذين يتفحصون ويجربون ويكتشفون من أجل رقى العلم الانساني،وادراك السنن والنواميس الطبيعية التي يقام عليها صرح العلوم التطبيقية المختلفة .، والفنانين الذين يعاينون ويلمسون وينظرون ويسمعون ، فتهزهم المعاينة والنظر والسماع ، وتحيلهم الى قلوب تنبض عشقا وهياما وشعرا وعقول تند عن مرائيها النفعية المادية القريبة ، فتحطم جدران الاشياء وتنطلق اليما وراء الاشياء ‥ وحدس ينقل أحاسيس الانسان ، من سمع وبصر ولمس ، من مراتبها الاولى ، الى أجهزة فذة عجيبة للتعامل مع ما في الكون من قيم وحقائق واشكال ، غابت عن الاسماع والعيون أول مرة ، فجاء (العيان الفني) لكي يمزق عنها الاستار ، ويعيد اليها ...ها الاول !!

التقابل المحتوم

ان الطبيعة لا تقف عند أحداث الهزة الروحية في نفس الانسان فحسب ، ولكنها تدفعه دفعا الى التعبير ، الى تحويل تامله وادراكه وعيانه السلبي، الى فعل وحركة وجهد وابداع • فليس في تصور الفنان المسلم ثنائية أو ازدواج بين فن العيان والحدس السلبي ،أو المشاركة الصوفية في العالم، وبين فن الاداء والعمل والصنعة والابداع ‥ لان تلك خطوة الى هذه ، وهذه نتيجة محتمة لتلك • فمن ذا يستطيع أن يقول أن هزة الفرح أو الاسى التي تبعثها الطبيعة في نفس الانسان ستظل محتبسة في جوانحه ، وانه سوف لا يحيلها الى غناء وشعر أو صور أو تشكيلات منحوتة وعمارات منصوبة ، أبدا ‥ ان هنالك ارتباطا باطنيا بين التقبل السالب للمؤثرات الطبيعية ، التقبل الذى يجيء عن طريق الحدس الهادىء العميق والاستغراق في الكون ‥ وبين التعبير الجمالي عن معطيات ذلك التقبل الحدسى الهادىء العميق •

ان في أعماق كل فنان ما يمكن أن تسميه تقابلا منغما بين الهدوء والحركة ، بين السلب والايجاب، بين الاخذ والعطاء ،بين التقبل والتعبير ‥ ان أعماق الفنان كالبحر الذى يضم في اللحظة الواحدة هدوءا حالما وتمخضا مخيفا‥كالسيمفونية التي تحتوى على نغمتين متناقضتين لكنهما في المدى النهائي للحن . موحدتان ‥ ان أعماق الفنان أو تكوينه الفذ ، هما هكذا ‥ ومن ثم فان أغلب الذين عاينوا الطبيعة والكون ، وتاملوا فيهما ، وحدسوهما ، وتقبلوا عنهما الكثير من المعطيات‥ عادوا فرسموا وغنوا وبنوا ورقصوا •وهنا نلاحظ أن العبادة في الاسلام انما هي حركات تعبيرية عن التأمل • ان المعنى العميق للاية (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السماوات والارض ‥•) يبين لنا كيف أن تاملهم في الكون دفعهم ، بعفوية وانسجام ، الى أن يصلوا لله بحركات تعبيرية يفتحون عن طريقها منافذ وأبوابا حركية للتخفيف عن التوتر النفسى الايجابي الذى ولدته تجربة الحدس والتمعن في كيانهم المحدود ، والقلة القلة هم أولئك الذين كبتوا جوانحهم على ما تقبلوه عن عيانهم للطبيعة، وقبعوا ، كمتصوفى الهنود ، حجارة صماء ، بكماء عمياء ، تعاين بصمت ، ولا تحرك أيديها ، لكي تقدم لبنى الانسان صور التجربة وابعاد المسالك الكونية التي قادهم اليها التامل والعيان •

مايقوله الغربيون

ان ما يقوله برغسون H.B..son وشوبنهور A. Schopenhaven رائع وجميل ، لـلا وقوفهما عند شطان التقبل السالب للطبيعة والعالم ، والاندماج الصوفي في صورهما واشكالهما وبحرهما العميق • يقول برجسون : « لو تهيا للنفس الا تتعلق بالفعل باى ادراك حسى من ادراكاتها ،لكنا بازاء نفس فنانة لم يشهد لها العالم نظيرا من قبل ‥ نفس ترى الاشياء جميعا في صفائها الاصلى ، وتدرك اشكال العالم المادى وألوانه وأصواته كما تدرك أدق حركات الحياة الباطنية » (٨) • وما يقوله ديوى Dewey رائع ومقبول ، لولا الحاجة على ربط معطيات الفن بخبرات الناس العملية (البراغماتية) وبتجاربهم النفعية : (ان الادراك الحسى المتسامى الى درجة النشوة ، أو ان شئت فقل التقدير الجمالي . لهو في طبيعته كاى تلذذ آخر نتذوق بمقتضاه اى موضوع عادى من موضوعات الحياة

---

(٨) زكريا ابراهيم : برجسون ص ٢٨٤ (دارالمعارف . القاهرة ـ ١٩٥٦) •

الاستهلاكية ، فهو ثمرة لضرب من المهارة أو الذكاء في طريقة تعاملنا مع الاشياء الطبيعية ، بحيث نتمكن من زيادة ضروب الاشباع التي تحققها لنا تلك الاشياء تلقائيا،فنجعلها أشد وأنقى وأطول•• ان العنصر الجمالي ـ كما يقول ديوى ـ ليس عنصرا دخيلا على التجربة البشرية ، وكأنما هو أثرا من آثار الترف أو الكسل او اللهو أو الحدس او المشاركة الصوفية أو التسامي الاخلاقي ، بل هو مجرد ترق أظهر وأوضح لتلك السمات العادية التي تميز كل خبرة سوية مكتملة) (٩) •

وما يقوله ناقدا الجمال المعاصران : الان Alan وباير R.Bayer منطقي ورصين لولا أن تأكيدهما المطلق على اعتبار الفن عملا وجهدا وتكنيكا وصنعة وصراعا ضد المادة ، واستقلالا (استطيقيا) لدى مشاهدة العمل الفني وتذوقه،دفعهما الى تناسي واهمال الخلفيات التي يقوم عليها بناء العمل الفني ، وتذوقه ، سواء كانت تلك الخلفيات في وجدان الانسان الفنان أم في تركيب الطبيعة الفنانة •• « ان اهتمام الفنان ـ كما يقرر الان ـ ليس منصرفا في العادة الى انفعالاته وعواطفه ، بل هو منصرف أولا وقبل كل شيء الى (الموضوع) نفسه •• وعلى حين أن المخيلة المتسكعة لا تعرف سوى الامل أو التمني أو الرجاء نجد أن اليد الصانعة هي التي تقدم على (التنفيذ) فتصطدم بعوائق المادة ، وتحاول في الوقت نفسه الانصات الى نداء الموضوع » (١٠) ويمضي الان الى أبعد من ذلك فيقرر « أنه ليس لدى الفنان افكار سابقة محددة وانما تجيئه (الافكار) كلما أوغل في الانتاج والعمل ، ان لم نقل بأن هذه الافكار نفسها لا تصبح واضحة محددة الا بعد أن يكون العمل الفني قد اكتمل » (١١) • أما بايرفيرى « •• ان من شان كل حركة يقوم بها الفنان ان تتسجل على شكل تاثير حسي وهذا الاثر هو المظهر الاوحد الذي لا بد لعالم الاستطيقا أن يعمل له ألف حساب •• ومهما أمعن دعاة الصوفية والسلبية والتعمية في الحديث عن الحدس والاشراق والمشاهدة فان الموضوع الجمالي لا بد من أن يتحقق على شكل أثر فني ، لان الجميل لا يوجد الا متحققا •• وعبثا يحاول بعض الفلاسفة أن يخلطوا بين الفن والتامل الفلسفي ، فان سحر العمل الفني •• لابد من أن يجيء، فيكذب دعوى مثل هذه الاستطيقا السلبية الخالصة •• ان مهمة عالم الجمال أن يبين لنا كيف أن (الذات) ليست هي كل شيء في الحكم (الجمالي) وكيف أن شيئا يظل خارجا عن الذات الا وهو مافي الموضوع الجمالي نفسه من توازن في صميم (بنائه الاستطيقي) ••• (١٢)

وهكذا ،فأينما ذهبنا باحثين عن مذاهب الغربيين في الفنون ـ أو طرائقهم في الفكر والحياة ـ فاننا لا بد أن نعثر على نوع من الثنائية أو التقسيم التعسفي للانسان والعالم •• وكان تجربة آبائهم واجدادهم ازاء الكون والطبيعة والعالم ، الزمتهم بعبارة (أما هذا أو ذاك) دون أن يؤمنوا يوما بأن هنالك بديلا منطقيا لعبارة كهذه، تلك هي (هذا •• وذلك ••) لان الانسان والطبيعة ، الروح والمادة ، الفكر والوجدان ، التامل والعمل، السكون والحركة ، الاندماج والانفصال ، التقبل والصراع •• هي كلها ـ في المنظور الاسلامي ـ وحدة واحدة تسيرها نواميس واحدة ـ وتشرف عليها من أقطارها الاربعة • ارادة الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ••

الوحدة والتوافق

ان تصور الفنان (المسلم) للفن وموقفه من العالم ينبثق عن هذه القاعدة الشاملة التي اتيح للانسان والطبيعة أن يتحركا على مسرحها ذي الابعاد اللامرئية •• الوحدة التي تضم كل الجزئيات والتناقضات الظاهرية والقيم المتعارضة في كيان واحد متماسك ، أو عالم متناغم جميل ، أو لحن يطرب الاسماع ويهز القلوب ويعمق مجالي الفكر والادراك • ان الاديان جميعا جاءت لكي تشير الى أن الانسان عالما كان أم فنانا ، يجب

(٩) د • زكريا ابراهيم : مشكلة الفن ص (٢٢٧)(مكتبة مصر) •

(١٠) د• زكريا ابراهيم : فلسفة الفن في الفكر المعاصر ص ١٣٦ ـ ١٣٧ (مكتبة مصر) •

(١١) المرجع السابق ص ١٣٥ •

(١٢) المرجع السابق ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ •

أن يسعى من اجل هذا المصير العظيم : الوحدة والتوافق بين الانسان والعالم والطبيعة والكون.. الوحدة التي ترفض الذوبان السالب والفناء .. كما ترفض ـ في الوقت نفسه ـ التمزق والتبعثر والازدواج والعصيان ، ومن ثم يجيء موقف الفنان المسلم من أجل المصير .. ذلك المصير الذي يضم جناحيه على كل القيم والخلائق والنواميس ويحركها جميعا صوب الله ..

ان الطبيعة ثم (تشكل) لغرض أن تجيء جماليتها كتحد سلبي للانسان يصده عن الوصول الى الكمال علما وفنا ، او يثير فيه نزعة عدائية (للتغلب) على الطبيعة او(التفوق)عليها(وقهرها)، تلك النزعة التي تبرز بوضوح في تعابير علماء أوربا وفنانيها..انما هي بمثابة (استثارة) أبدية ايجابية تحرك الانسان صوب مزيد من الكشف والابداع والابتكار ..فهي أشبه بالمنافسة الشريفة العادلة التي لا غالب فيها ولا مغلوب ، لان الطبيعة والانسان كليهما من صنع الله وقدره ، ولان الطبيعة لم تتخذ ، ولن تتخذ (شكلها) النهائي فهي ـ وفق سنن الله تعالى ـ تتغير وتتشكل باستمرار . ثم أن الانسان بدوره مطلوب منه هذه الحركة صوب الامام والى فوق .. هذا الى أن الخلائق جميعا ، في نظر الفنان المسلم ، تمتاز بنوع من الألفة الميتافيزيقية والتعاطف الوجداني والتوجه الكلي نحو الخلاق المبدع سبحانه .

دعوة مبكرة الى التجريد

وكثيرون هم أولئك الذين أكدوا على أهمية (التجريد) من فلاسفة الغرب وفنانيه ...التجريد كمعبر ، أو جسر ، أو وسيلة للحوار بين الفنان والعالم،وهم في هذا انما يقررون ما كان الاسلام قد أكده بتحريمه للنقل المباشر عن الطبيعة،ذلك النقل الساذج الذي يعيد نسخ المخلوقات الحية على سطوح الجدران والمعابد واللوحات .. وأنه وان كان هذا (التحريم) ينبثق عن فكرة (التحرر الوجداني) العميقة الشاملة التي اراد بهـا الاسلام أن ينقل الانسان من عصور الوثنية والتعبد للقريب الملاصق ، الى سماوات التوحيد الخالص والطموح للامتداد النفسي الى ما وراء المنظور والملموس .. فان هذا التحريم يجيء في الوقت ذاته رفضا فنيا . بشكل من الاشكال ، لنظرية (المحاكاة) التي رفضها عدد من كبار الفنانين والنقاد المعاصرين (بيكاسو وبراك ليجيه،وكاسيرر، ولالو ، وكروتشه ، ومالرو ، وغيرهم) لاسيما وان تحريما كهذا جاء يحمل في الوقت ذاته طفرة بالعطاء الفني التقليدي الى الامام .. الى افاق التجريد والتعبير غير المباشر عن العـلائق المتشابكة بين الفنان والعالم بما ينسجم وتصور الاسلام عن هذه العلائق .. كما جاء اشارة ـ غير مباشرة ـ الى ضرورة امتلاك الفنان القدرة على التعبير والتحوير الامر الذي يقوده الى التجريد.

لوحتان

ونختتم عرضنا الموجز هذا بهاتين اللوحتين اللتين يرسمهما القرآن عن الكفار (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . مثلهم كمثل الذين استوقد نارا ،فلما اضاءت ما حوله ، ذهب الله بنورهم ، وتركهم في ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمى فهم لايرجعون. او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ، يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حـذر الموت ، والله محيط بالكافرين. يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشـوا فيه ، واذا اظلم عليهم قاموا ..) (١٣) ..

(والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ،ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب. أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج، من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل اللـه له نورا فما له من نور) (١٤) ..

وصدق الله العظيم . ■■

الموصل د . عماد الدين خليل

---

(١٣) سورة البقرة ١٦ ـ ٢٠ .

(١٤) سورة النور ٣٩ ـ ٤٠

الى من يهمه الأمر

العدل هو القضية..

بقلم : فهمى هويــدى

ليس معروفا بالضبط من هو ذلك « الخبيث »الذى اقترح أن توضع فوق رؤوس القضاة تلك الآية الكريمة التى تقول « ان الله يامر بالعدل »وهو ما قد يوحى بان القضاة هم المعنيون بالخطاب، وان الاخرين معفون من تلقى هذا الامر والعمل به • وانه اذا استقر العدل القضائى ، فقد تحقق المراد من رب العباد •

وترجيح الخبث هنا يستند الى أن التركيز على العدل القضائى قد يصرف الاذهان عن جوهر العدل الذى يدعو اليه الاسلام ، والذى تحتل فيه «قضية» العدل الاجتماعى المركز الاول • وهذا العدل ليست ساحته قاعات المحاكم ، ولكنه ذلك الميزان الدقيق الذى يعطى لكل ذى حق حقه •• هو « القسط » الذى لا ينبغى أن تختل فى ظله اية معادلة والذى تمتد مساحته من حياة الفرد الخاصة الى حياة الامة كلها •

على أننا اذا افترضنا حسن النية فى صاحب هذا الاقتراح ، فينبغى ان نتفق على انه اذا كان لا بد من الاعلان عن هذه الآية ، فمكانها ليس فى قاعات المحاكم ولا فوق رؤوس القضاة • ولكنه فى ديوان السلطان وفوق رأسه هو • ذلك أن القائمين على الامر هم القائمون على العدل •

والعدل الذى جاءت به الشريعة هو قيمة كلية لا تقبل التجزئة ولا الترقيع ، تظلل المجتمع باسره، وتضبط كل حركته ، فى نـاموس دقيـق محكم •وقوانين هذا الناموس لا تقبل باى حال أن يسود العـدل فى جانب ، بينما يطـل الظلم برأسه من جانب آخر •

●

وفى محاولتنا « قراءة الاسلام باعين مفتوحة »قلنا اننا اذا اعتبرنا أن الاسلام فى جوهره عقيدة وشريعة ، فان التوحيد هو الذى تقوم عليه العقيدة، والعدل هو الذى تقوم عليه الشريعة • وعقيـدة بغير توحيد ، أو حتى توحيد مبتسر ، فهى عقيدة اما منعدمة أو فاسدة •• كما أن شريعة بغير عدل فانها تعد شريعة غائبة ومهدرة •

وقلنا ان العقيدة كانت هى موضوع آيات القرآن الكريم التى نزلت فى الفترة المكية، مرحلة تاسيس البشر ، وان الشريعة كانت شاغل الآيات والسور التى نزلت بعد الانتقال الى المدينة ،فى مرحلـة تاسيس الدولة •

وقد كنا على موعد مع الشريعة هذه المرة ، بعدما توقفنا أمام قضية العقيدة والتوحيد والالوهية والعبودية ، فى الشهر الماضى •

هل نحن بحـاجة الى أن ندلـل على أن العدل هو جوهر الشريعة وعمادهـا ؟ •• حتى لو كنـا نسلم بهذه القناعة ، دعونا نقرأ هذه الآيات من باب التذكرة •••

« وممن خلقنـا أمـة يهدون بالحق وبه يعدلون» ـ الاعـراف ـ وقـل آمنت بمـا أنزل الله مـن كتاب وأمرت لأعدل بينكم » ـ الشورى ـ « كونوا قوامين بالقسـط » ـ النسـاء ـ « ولا يجرمنكم

شنآن قوم (بغضهم) على ألا تعدلوا ‎٠٠‏ اعدلــواهو اقرب للتقوى » ـ المائدة ـ » فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا » ـ النساء ٠

ثم آية سورة الحديد التي تقول » لقد أرسلنارسلنا بالبينات ، وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » ‎٠٠‏ اى أن العــدل ليسهدف شريعة الاسلام فقـط ، ولكنـه فى الحقيقة هدف كل الشرائع السماويـة ، بصيـغ وأقـدارمختلفة ٠

بـل لا أظنني أتجـاوز كثيرا اذا قلت ان قيـامالعدل هو » مبرر » بعث الانبيـاء وانزال الكتب والشرائع ، وان هداية البشر الى الله هى طريقتحقيق هـذا العـدل على الارض ‎٠٠‏ وهـل تتم » عمارة الكون » بغير عدل ؟

ولان العدل هو » بديهية » فى الشريعة ، وهـوالهـدف من وراء كل أحكامها ، فـان الكلمة لـم تذكر صراحة الا ‎٢٩‏ مرة فى القرآن الكريم ، فىمواضع مختلفة ، تغطى صيغ العـدل ومجالاته ٠ اما الظلم الذى يعد اهـدارا للشريعة وانتهاكـالمقاصدها ، فقد حاصره القـرآن بقـدر اكبر من التنبيهات والتحذيرات والاشارات الحمراء ، حتىذكرت الكلمة بالقرآن فى ‎٢٩٠‏ موضعا ٠

وهي ملحوظة نسوقها ـ أيضا ـ للتذكرة ‎٠٠‏

●

والاشارات الصريحـة الى كلمـة العـدل فىالقرآن ـ بمعنى أن يعطى لكل ذى حـق حقـه ـ يمكن تصنيفها فى اتجاهين أساسيين : عدل عام ،هو من مسئولية السلطان وأولى الامر ٠ وعـدل خاص ، ينصرف فيه الخطاب الى جموع البشر ،باعتبـاره قيمة ينبغى أن يتحلى بهـا الانسان ، ويعكسها على واقعه وسلوكه ٠

وهذا العدل الخاص ، تتعدد مجالاته من تحريرالديـون (وليكتب بينكم كاتب بالعـدل) الـى التحذير من تعدد الزوجات (فان خفتم ألا تعدلوافواحدة) ٠ الى التوفيق بين الزوجين (فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا) ‎٠٠‏ الى الحضعلى عدم المجاملة فى التقييم والحساب (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) ‎٠٠‏ وهكذا ٠

اما العدل العام فله أيضا مجالاته العديدة ‎٠٠‏

●

وعند هـذا العـدل العـام نسـجل ملاحظـةسريعة ، وهى أن الموضوع بحـد ذاته لم يلق فى الكتابات الاسلامية المعاصرة ، عناية تناسبأهميتهوخطورته ٠ وأكاد أقول أنه لقى اهمالا متعمدا ، لاسباب بعضها راجع الى الخوف وايثار السلامة ،حتى لا يقال ان هذه الكتابات تتعرض بالتمليح لاوضاع قائمة ، ويرجع بعض هذه الاسباب الىخشية الاتهامبالاقتراب من تياراتالفكر اليسارى٠ الامر الذى دفع الكثيرين من الكتاب الى عدم اثارةالقضية الاجتماعية والاقتصادية ، وبقيت شواغلنا محصورة فى هل نقطعيد السارق ام لا ، وهل صوتالمراة حلال ام حرام ، وما العمل اذا سقطت ذبابة فى كوب شراب ، وانغمس فيه جناح واحـد أو» روع » المسلمون بان الذى انغمسفى الشرابهما الجناحان معا ؟!

ورغم أن هذه هي شواغل الساعة كما نقرأ فىالصحف ٠ فارجو أن يؤذن لى فى العودة الى تلك القضية الاقل اهمية !

ذلك ان فكرة العدل العام فى الاسلام تحتاجالى تصحيح ٠ اذ كما أننا نستغرب التركيز على العدل القضائى ، فاننا نستبعد أن يكون قصدالشارع به هو العدل الاجتماعى وحده ٠ ولمزيد من الايضاحاقولانه اذا كانالعدلهو عماد الشريعة،فان العدل الاجتماعى هو المعنى الأول حقا ، لكنه ليس المعنى الاوحد بكل تأكيد ٠

فالانسان الذى كرمه الله وجعله خليفة له فىالارض ـ بنصوص القرآن ـ ليس مجموعة من

الغرائز تقف على رأسها غريزة حب الاستمرار والبقاء · هناك روحه وقلبه وعقله ، ومن « العدل » والانصاف ان تشبع هذه الحاجات ايضا،بل ان في غياب تحقيقها ظلما ينبغي رفعه ·

يقودنا ذلك الى قضية العدل الفكري او العدل السياسي بالتعبير الشائع · وهو الذي يتمثل في ضرورة اتاحة الفرصة للطرف الاخر في كل خصومة فكرية او سياسية · بحيث تعطى كل الاراء فرصا متعادلة في التعبير بغير عسف ولا انحياز · وهي صيغة ترفض تماما فكرة الرأى الواحد ، والحزب الواحد ·

ولو ان كلاما كهذا قيل منذ ٧٠٠ سنة لاستغرب الناس ، ولسفهه علماء المسلمين ومفكروهم · لان فرقهم ــ بكافة اتجاهاتها ــ كانت تمارس هذه الحرية عملا لا قولا · كانوا يسعون في الدنيا والاخرة ، بالنظر والفكر والتعبير ، يتفقون ويختلفون حول كل القضايا العامة ، من الامامة الى ذات الله وصفاته · ومع ذلك فلم يلاحقهم احد ، ولم يتهمهم احد ، ولكنهم ظلوا في نظر المسلمين وفي نظر التاريخ ، مفكرين شجعانا ومشاعل منيرة مازلنا نقتبس من نورها ، ونحتمي بها احيانا !

لم يكن العدل عندهم بطونا جائعة تشبع فقط ،ولكنه كان ايضا عقولا حرة متعطشة لمعرفة الحقيقة، تنطلق في الآفاق بغير قيود ·

وهنا تلتقي قيمتا العدل والحرية · تلتصق كل منهما بالاخرى حتى لا تكاد نميز ايهما الزم للاخرى· فلا يقوم العدل الا تحت ظلال الحرية ، وفي غيبة الحرية لا نجد مكانا للعدل ·

●

وموضوع العدل هذا شغل بعض فقهاء المسلمين في الماضي ، وعلى رأسهم المعتزلة وبعض معارضيهم كالاشاعرة · لكنهم تناولوه من زاوية فلسفية وتجريدية ، على عادة اهل الكلام في الجدل والتنظير· اذ ناقشوا العدل من حيث انه احدى صفات الله ·وقال المعتزلة ان عدل الله لا يكتمل الا اذا كان الناس مخيرين ، على اعتبار انه ليس منطقيا ان يحاسب الانسان على امر مفروض عليه ، ولا خيار له فيه · وتطرقوا من ذلك الى مناقشة قضية « الحسن والقبح » في الاعمال ، قائلين انهما ذاتيان بينما عارضهم الاشاعرة بقولهم ان الحسن والقبح تابعان لامر الشرع ونهيه ·· وانعكس على المناقشة موقف كل من الطرفين من مسالة الجبر والاختيار ، وهل الانسان مخير ام مسير ·· وهو الموضوع الذي طال فيه الجدل ·

والذي يعنينا هنا ان المعتزلة كانوا يعرفون بانهم أهل العدل والتوحيد ، لكنهم تناولوا الموضوع من حيث انه عقيدة ، وليس من زاوية التشريع ·

وجاء الامام الشاطبي فذكر في « الموافقات » ان العدل بين الناس هو الغاية المقصودة من الشريعة

لكن الامام ابن القيم خطا خطوة ابعد في « اعلام الموقعين » ، بقوله ان الله ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الذي قامت به السماوات والارض · فاذا ظهرت امارات الحق ، وقامت ادلة العدل ، واسفر وجهه باى طريق كان ، فثم شرع الله ودينه ورضاه وامره ·

واهمية كلام ابن القيم تكمن في انه يوسع الدائرة الى حد كبير ، بحيث انه يعتبر اى طريق يؤدى الى تحقيق العدل ، بمثابة طريق يؤدى الى الله · بل يعتبره داخلا بشكل تلقائي ضمن شرع الله ودينه ·

اما ابن تيمية ، فقد ذهب الى ابعد وابعد ،اذ قال في احدى فتاواه ، ان الله يقيم الدولة بالعدل ولو على كفر ، ولا يقيمها بالظلم ولو على اسلام ·

وهو صاحب القول الشهير الذي نقله عنه الشاطبي في « الموافقات » ان الكافر العادل افضل من المسلم الجائر ، لان الاول لنا عدله وعليه كفره ،والثاني له اسلامه وعلينا جوره ·

الى هذا المدى المدهش استقرت فكرة العدل في اذهان هؤلاء الفقهاء الاجلاء · وبهذا القدر من التشبث والالحاح كان حرصهم على ترسيخ هذه القيمة والتاكيد عليها .

« ان فى موقف السلطان او ولى الامر وجهين،احدهما متجه الى الله سبحانه ، هو اعرف به ، وهو الذى يثيبه او يعاقبه عليه ، وهو ايمانهوصحة عقيدته • والثانى متجه الى الناس ، من حقهم ان يحاسبوه عليه بمنتهى القسوة والضرورة،وهو عدله والتزامه بالقسط •

ولا اريد ان اقارن بين هذا الفهم وتلكالمعايير ،وبين الذى نسمعه ونرصده ـ واكاد اقول نخجل منه فى هذا الزمان !

●

من هنا احتلت قيمة الامام العادل مكانة بارزةفى الفكر والفقه الاسلامى • فالحديث الشريف يقـول : ان احب النـاس الى الله يـوم القيامةواقربهم منه مجلس امام عادل • وان ابغض الناس الى الله يوم القيامة واشدهم عذابا امام جائر •و •• « ان من اجلال الله اكرام ذى السلطان المقسط •• » •

وعندما تولى ابو بكر خلافة المسلمين بعد وفاة(ص) ، لم يفته ان يؤكد هذه القيمة ، فيما يشبه العهد ، وهو الصديق الموثوق به • فوقفيقول : الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخـذ لـه حقه • والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحقمنه ان شاء الله » •

وكان عمر بن الخطاب يقول للولاة مذكرا ومنبهاانه لم يستعملهم علىالناس « لتنالوا من أبشارهم واعراضهم ، وانما لتعلموهم كتاب الله وسنةرسوله ، ولتقضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل •

ثم عندما اثيرت قضية الخلافة والامامة ، اعتبرالماوردى فى « الاحكام السلطانية » ان العدالة هى الشرط الاول فى الامام ، بينما اعتبرها ابنخلدونفى مقدمته شرطا تاليا للعلم • وقال الماوردى عن السلطان يخرج به من الامامة شيئان : « احدهماجرح فى عدالته والثانى نقص فى بدنه » وكتب ابن عبد ربه فى « العقد الفريد »انه : مما يجبعلى السلطان العدل فى ظاهر افعاله لاقامة امر سلطانه وفى باطن ضميره لاقامة امر دينه • فاذاافسدت السياسة ذهب السلطان • ومدار السياسة كلها على العدل والانصاف

ولم يكتفقاضى القضاة الحسن البصرىالماوردىبما سجله فى « الاحكام السلطانية » ، فكتب خطابا الى امير المؤمنين يقول فيه : اعلم يا امير المؤمنينان الله جعل الامام العادل قوام كل مائل ، ومصدر كل حائر ، وصلاح كلفاسد • وقوة كل ضعيف ،ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف ••

ولا تحكم يا امير المؤمنين فى عباد الله بحكمالجاهلية ، ولا تسلكبهم سبيل الظالمين•ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين • فانهم لا يرقبون فىمؤمن الا ولا ذمة • فتبوء باوزارك وباوزار مع اوزارك • وتحمل اثقالك ، واثقالا مع اثقالك ،ولا يغرينك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك وياكلون الطيبات باذهاب طيباتك فى آخرتك ••

بهذه الكلمات وجه ابو الحسن البصرى خطابهالى امير المؤمنين ، ناصحا ومذكرا ومنبها ••

بقى ان تعرف بعد ذلك ان « المرسل اليه »هو الخليفة العادل عمر بن العزيز •• شخصيا ! ولا تعليق بعد فالخطاب فيه الكفاية !

●

لا تزال امامنا بقية من قراءة •• فليس يعقلان نمر بهذه السرعة على قضية العدل الاجتماعى كما يطرحها الاسلام • وليس يعقل الا نقف عندموقف الاسلام من الوجهالاخر للقضية ، وهو الظلم والعياذ بالله •

لكن لى كلمة اخيرة فى مناقشة اليوم ، حولالمفاضلة بين المسلم الجائر والكافر العادل ، اردت بها ان أذكر فقط بأن حلمنا ليس هذا او ذاك ، لكنهفى المسلم العادل •

ولأنها « مناقشة » ، فاننى لا املك الا ان اقولكلمتى •• واظل احلم ! ■■

المدن الحديثة

لا تظمأ أبدا ...!

■ مع أن نصف سكان الكرة الارضية سيعيشون فى المدن فى موعد اقصاه نهاية القرن الحالى ، الا أن العديد من الاسئلة ما زالت بدون أجوبة حول تاثير نمو المدن وحركة التصنيع على مصادر المياه فى العالم . وهذا الاستنتاج كان احدى نتائج بحث قامت به مجموعة عمل تم تشكيلها من قبل منظمة اليونسكو ومنظمة الاغذية والزراعة التابعتين للامم المتحدة عام ١٩٧١ وبعد أربع سنوات وبالتحديد فى عام ١٩٧٥ وافق البرنامج الهيدرولوجى الدولى التابع لمجلس اليونسكو على خمسة مقترحات تم اعدادها بحيث تعطى فهما افضل لمشاكل المياه فى المدن .

وتشتمل هذه المقترحات على اجراء بحث للاراضى التى تجرى منها مياه الامطار الى الانهار وتلوث المياه الجوفية ، وتفاعل العوامل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية على مصادر المياه فى المدن .

وهذا البحث الذى تم تحت اشراف اليونسكو وفى أطار التعاون مع وكالات الامم المتحدة المتخصصة

الاخرى سيجعل من الممكن فى عامى ١٩٧٩ و ١٩٨٠ وضع برنامج دولى لادارة مصادر المياه فى المدن واستغلالها على نطاق أوسع ٠

وهناك ثلاث مشاكل مائية رئيسية ستواجه أية مدينة حديثة وهى : امدادات الماء للشرب ولاغراض أخرى (وبصورة أساسية لاغراض صناعية) ، والتخلص من مياه المجارى وتجديد الامدادات ٠ فالمدن بحاجة قبل كل شىء وفى المقام الاول لمياه الشرب للاستهلاك المحلى ٠ واحتياجات المدينة التقريبية من هذه المياه فى اليوم تتفاوت بصورة كبيرة فهى تتراوح ما بين خمسين لترا وأكثر من أربعمائة لتر ٠ وجاء فى احدى الاحصائيات ان السويد تستخدم ما معدله مائتان وعشرة ليترات من المياه يوميا للاستخدامات الشخصية والمنزلية ٠ وتشكل هذه الاحتياجات المنزلية بطبيعة الحال جزءا من الاحتياجات الكلية ، ولذا فان كمية المياه التى تستخدمها مدينة كبيرة قد تبدو قليلة اذا ما قورنت بالمياه المتدفقة من نهر صغير ٠

لمحاربة التلوث فى الجداول والانهار تم انشاء مصانع تنقية بالقرب من المدن الرئيسية ٠ ويمر الماء فى عملية معقدة من الترسيب والتصفية والمعالجة البكتيريولوجية والكيماوية ٠

مصنع كورياتسوفو بالقرب من موسكو والذى يعالج مليونين ونصف المليون من الامتار المكعبة من الماء يوميا ، وهو فى الوقت نفسه يبقى على نهر موسكفا نظيفا تماما لكى يسبح فيه سكان العاصمة السوفياتية فى فصل الصيف ٠



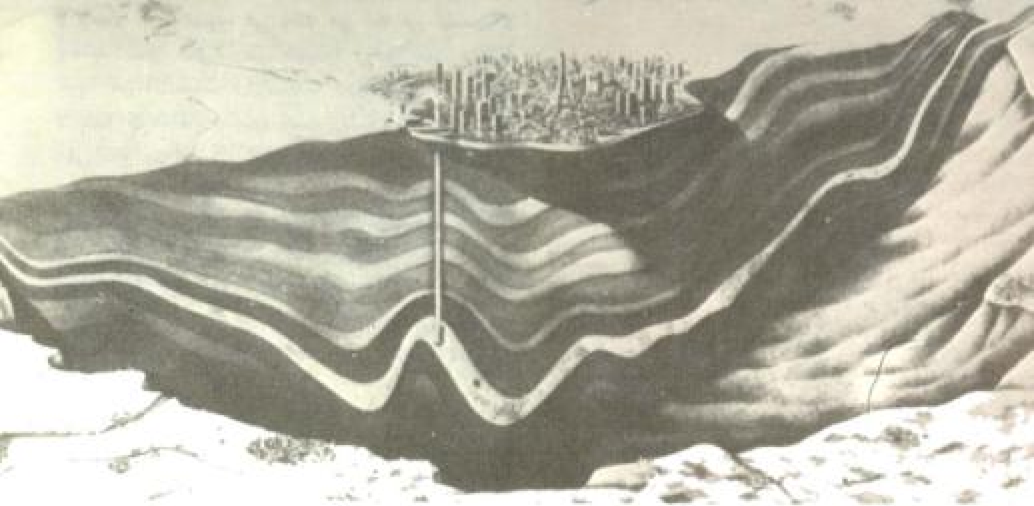
وبالاضافة الى الاستهلاك المحلى للمياه فان على المدن أن تلبى حاجات الصناعة من هذا المصدر الحيوى ، ويشكل تزويد الصناعة بالماء (بمعناى عن ضخ المياه غير المعالجة من الانهار) نسبة عالية من الاستهلاك الكلى ٠

وتستهلك المدن كميات كبيرة من الماء فهى جشعة فى هذا وقدرت الاحتياجات الكلية لمدينة فى الولايات المتحدة فى عام ١٩٦٥ بحوالى ألف متر مكعب فى الثانية ٠ ومن المحتمل أن يرتفع هذا الرقم الى ألف وخمسمائة متر مكعب فى الثانية فى عام ١٩٨٠ ، والى ثلاثة آلاف متر مكعب فى الثانية فى عام ٢٠٢٠ وتعادل مثل هذه الكميات تدفق الماء من الانهار الكبيرة ٠

وتجلب بعض المدن احتياجاتها من هذه المادة الهامة من مسافات بعيدة ٠ فمدينة شتوتغارت وضواحيها تتزود بمياه الشرب التى تصلها عبر خطوط أنابيب يبلغ طولها ثلاثمائة كيلو متر ٠ وفى السويد تحصل مدن مالمو ولونت وهلسنغبورغ على مياه الشرب بواسطة خطوط أنابيب طولها ثلاثمائة وخمسون كيلو مترا ٠

ويشتمل مشروع ضخم فى ولاية كاليفورنيا الامريكية أنشىء لتزويد مدن الولاية والزراعة بالمياه اللازمة ، على قناة يبلغ طولها ألفا ومائة كيلو متر ويتدفق الماء منها بمعدل مائة وسبعة وستين مترا مكعبا فى الثانية ٠

وهناك طريقة أخرى لتزويد المدن بالماء ، وتتم بواسطة استخراج المياه الجوفية ٠ وتسبب هذه الطريقة فى بعض الاحيان تغيرات فى ميزان الماء الطبيعى ٠ فاستخراج المياه الجوفية بصورة كبيرة يؤدى الى انخفاض مستوى الماء وهذا بدوره يسبب انهيارات أرضية كما حدث فى أجزاء متفرقة من الولايات المتحدة واليابان والسويد ٠ وتعتمد المدن السويدية اعتمادا كبيرا على المياه الجوفية اذ ان



١) فى ضوء الضغط القوى لمواكبة الطلب المتزايد على الماء منزليا وصناعيا يتوجب على المدن الحديثة ان تقوم باستثمارات ضخمة بهدف جلب امدادات الماء من مسافات بعيدة وحفر آبار عميقة تحت الارض ويظهر الرسم نموذجا جيولوجيا لحوض باريس مع انبوب ينحدر الى طبقة حاملة للماء عند عمق ستمائة متر • ويجرى اتخاذ تدابير من شأنها منع التدمير المفرط لهذا الاحتياطى •

سبعة وأربعين بالمائة من استهلاكها للماء تتزود به من باطن الارض • وعملية سحب المياه الجوفية فضلا عن ثقل المبانى سببت عدة انهيارات وبوجه خاص فى استوكهولم حيث تعرضت بعض المبانى لاضرار جسيمة • وفى مدن أخرى ساخت الارض الى عمق تراوح ما بين خمسين سنتيمترا ومتر واحد •

ويجب كذلك ازالة مياه المجارى والامطار من المدن • ويبلغ الطول الكلى لشبكة مياه المجارى الصحية فى الولايات المتحدة أكثر من ثلاثمائة الف كيلو متر ، أما فى السويد التى يقل عدد سكانها خمسا وعشرين مرة عن عدد سكان الولايات المتحدة فان طول شبكة مياه المجارى الصحية فيها بلغ خمسة وثلاثين الف كيلو متر فى عام ١٩٧١ •

وأطوال أنهار النيل والامازون والمسيسبى ميسورى ـ وهى أطول ثلاثة أنهار فى العالم ـ أطوالها مجتمعة لا تصل الى عشرين الف كيلومتر •

وتغيرت جغرافية مياه العالم تماما • فالمدن عملت على تغيير مسار المياه • وتوجد قنوات اصطناعية يبلغ طولها حوالى سبعة آلاف كيلومتر تجرى أسفل مدينة نيويورك التى تبلغ مساحتها ثلاثمائة وتسعة وعشرين كيلو مترا مربعا • ويوجد فى مدينة ميلووكى على بحيرة ميشيغن قنوات مائية طبيعية يبلغ طولها ستين كيلو مترا وواجهة مائية طولها ثلاثة عشر كيلو مترا فضلا عن شبكة مياه مجار صحية طولها ثلاثة آلاف ومائة كيلو متر •

وتاثرت أيضا شبكات المياه الطبيعية من جراء التمدن والحضارة • فقنوات المياه فى المدن تحول غالبا الى شبكة المجارى عبر شبكات اصطناعية • وكان هناك فى عام ١٩١٣ منطقة ريفية بالقرب من واشنطن مساحتها ثمانية وستون كيلو مترا مربعا وتحتوى على قنوات مائية يبلغ طولها آنذاك مائة وثلاثة كيلو مترات ، غير أنه فى عام ١٩٦٦ تحولت المنطقة الريفية الى ضواحى المدينة ولم يتبق فيها سوى ثلاثة وعشرين كيلو مترا من القنوات الطبيعية المفتوحة • وأدت حركة التمدن كذلك الى تغيير طريقة نزح مياه الامطار • ففى المدن يقل حجم الامطار المتسربة الى جوف الارض ، فى حين تكون هناك زيادة فى كمية الماء المتدفقة فى الجداول

والانهار • والسبب في ذلك هو انه في المدن لا يسقط المطر على ارض طبيعية وانما على منطقة كبيرة من الاسمنت والاسفلت وهي نوع من سطح لا ينفذ اليه الماء والذى أصبح يشكل ظاهرة مألوفة على نحو متزايد في الضواحي •

ويلاحظ في كثير من البلدان بان مياه الامطار في مناطق المدن تجد الآن طريقها مباشرة الى شبكات مصارف المياه وبعد ذلك تتدفق عبر اقصر طريق ممكن الى اقرب نهر • ويترتب على ذلك ان فيضان مثل هذه الانهار يزداد وهي ظاهرة لم تكن موجودة قبل نمو المدن واتساعها •

وفي احد الاودية بالمانيا تسبب هطول الامطار في ارتفاع منسوب مياه هذا الوادي مرتين في احدى السنين •

واظهر بحث أجرى في الولايات المتحدة بان الفيضان بات يحدث بصورة متكررة وبشكل خطرا اكبر على مناطق المدن التي تقع غالبا بالقرب من الانهار •

وتزداد درجة الفيضان بحسب نطاق اتساع المدن وتطورها وحدثت فيضانات خطيرة بالقرب من مرسيليا في فرنسا في منطقة تشهد حركة عمران ضخمة منذ خمسة عشر عاما • وقيل ان الاسمنت كان العامل الرئيسي في هذه الكارثة واصبح من الاهمية بمكان التحكم في فيضان الانهار وذلك عن طريق بناء السدود وخزانات المياه • وبات الزاما تشييد هذه السدود والخزانات الاصطناعية لتؤدى دور الموانع الطبيعية التي تمت ازالتها •

وكما أحدثت المدن تغييرا على طريقة نزح مياه الامطار فهي قد أحدثت كذلك تأثيرا على خاصية الماء بوسائل عديدة • فمدينة كفيلادليفيا في الولايات المتحدة تنتج الفين وتسعمائة طن من المواد الملوثة يوميا وفي كل سنة يتخلص سكانها البالغ عددهم مليوني نسمة والمنتشرون على رقعة من الارض مساحتها تزيد على ثلاثمائة وثلاثين كيلو مترا مربعا من اكثر من مليون ونصف المليون طن من النفايات والمخلفات الصناعية ، يضاف الى ذلك المخلفات الناتجة عن تعبيد الطرق (٣٠ ـ ٤٠ كيلومتر سنويا) • وتلك الناتجة عن استهلاك اربعة ملايين حذاء واكثر من مليوني اطار سيارة فضلا عن تآكل مباني المدينة وعددها ستمائة



أحد القرويين من السنغال يصطاد في مياه صافية

وخمسون الفا ، وتلوث أرصفة الشوارع الذى يسببه حوالي مائتي الف من الحيوانات الاليفة •

وبالامكان الحصول على ارقام مماثلة في جميع المدن الكبيرة ، وطبيعي فان معظم هذه المخلفات يتم نزحها بواسطة شبكات مصارف المياه وشبكات المجاري وبوجه خاص اثناء هطول الامطار • وحدوث فيضان في مثل هذه المناطق قد يسبب ضررا كبيرا لان الدفقة الاولى من الماء تكون دائما ملوثة بصورة كبيرة جدا • ومعدل كمية المواد الرسوبية التي يحملها النهر يكون عاليا في الوقت الذى تغادر فيه منطقة المدينة ، وهو معدل يفوق كمية المواد الرسوبية في مناطق الريف بحوالي خمس الى عشر مرات •

وجاء في دراسة أجريت في الاتحاد السوفياتي ان ما بين عشرين الى ثلاثين طنا من فضلات جسم الانسان يتم تحليلها وخزنها سنويا بواسطة الامطار على كل كيلو متر مربع من مناطق المدن ، بينما

تكون هذه الفضلات في مناطق الريف ما بين خمسة الى عشرة اطنان فقط ٠

وفي المملكة المتحدة يجرى فحص شبكات المجارى لمعرفة كمية الفضلات التى تفرزها العمارات ، وقد وجد أن شبكة مجار رئيسية في برمنقهام تحتوى على مخلفات عمارة تصل الى عمق خمسين سنتيمترا ٠

وفي ستوكهولم يتم سنويا ازالة المائة وخمسين الف متر مكعب من الثلوج المتراكمة في الشوارع والقاؤها في بحيرة مالرين ٠ وتحتوى المجارى حسب تقديرات عالية على ثلاثين الف كيلو من الرصاص وستة الاف من الزيت ومائة وثلاثين الفا من الملح ٠ ولحماية السكان من خطر التلوث يخضع الماء لعمليات تطهير وتنقية مستمرة ٠ فجميع المدن الرئيسية في العالم لديها الان اكثر من مصنع يقوم بيولوجيا بمعالجة المياه الصالحة للاستعمال والتاكد من خلوها من البكتيريا الضارة ٠ وبعد الانتهاء من عمليات المعالجة المعقدة يتم ضخ المياه الزائدة عن الحاجة ثانية الى النهر ٠ وفي ضوء الحاجة المتزايدة للماء في جميع الاوقات فقد اصبح من الضرورة بمكان تحويل مياه الانهار الى مياه صالحة للشرب ، ولكن الماء في الغالب يحتاج الى عملية تنقية وهو في طريقه الى المدن للاستهلاك المحلى فضلا عن معالجته بيولوجيا في المصانع ٠ ولذا فان احد المصانع الموجودة في الضواحي الشرقية من باريس يقوم يوميا بمعالجة ستمائة الف متر مكعب من الماء الماخوذ من نهر مارن وهو احد روافد نهر السين وتنقيتها بهدف استخدامها لاغراض الشرب ٠ وهذه بطبيعة الحال عملية معقدة للغاية ٠ فمياه النهر تخضع اولا لعملية تصفية سريعة ثم تتم معالجتها بثاني اكسيد الكلور وبعد ذلك بكلوريد الحديد ثم تخضع لعملية تصفية بطيئة تعقبها عملية ضبط نسبة الحموضة مع الصودا واخيرا يتم معالجتها بالاوزون وهو شكل من اشكال الاوكسجين ٠

ويتبين مما تقدم ان الحصول على ماء نقى ليس بالامر السهل على الاطلاق ٠

والجداول والقنوات المائية المسماة «بالطبيعية» اخذت تفقد صفتها هذه شيئا فشيئا ، غير ان ذلك ليس بالضرورة امرا سيئا طالما ان التغييرات في الجداول والانهار تكون نتيجة سياسة متعمدة لصيانتها او تحسين حالاتها ٠ فمياه نهر الرور التى تتدفق عبر واحدة من اكبر المناطق الصناعية في العالم بقيت نقية جدا وذلك بفضل جهود السلطات الالمانية الهادفة الى الحفاظ على النهر للاستهلاك المحلى واغراض الاستحمام ٠ ولمنع خطر تلوث نهر الرور فقد تم تحويل المجارى والمخلفات الاخرى الى رافد آخر لنهر الراين هو امشر الذى يتدفق في اقصى الشمال ويمر عبر مصنع التنقية ٠

وفي منطقة الرور يقوم كل نهر بانجاز مهمته الخاصة به ٠ وتجرى الان دراسة جادة لتطبيق حل مماثل في مناطق فرنسا الشمالية ٠

وفي هولندا هناك خطط لاستغلال روافد دلتا الراين ٠ وهذا كله يدل على ان الحلول الصناعية التى يضعها الانسان اصبحت تلاقى رواجا اكبر وتنتشر على نطاق واسع ٠

وقريبا فان خرائط شبكات الانهار الموجودة في كتب الجغرافيا المدرسية ستحتاج على الارجح لاعادة رسمها من جديد ٠ ■■

ترجمة واعداد : سمير جيوسي

وثيقة تاريخية يكشف عنها النقاب لاول مرة

خطة استقلال تونس في مشروع شكيب ارسلان

بقلم : الدكتور عبدالعظيم رمضان

■ منذ أن نزلت كارثة الاستعمار الأوربي بالعالم العربي منذ اوائل الثلث الثاني من القرن التاسع عشر ، لم يكف أبناء هذا الوطن الكبير لحظة واحدة عن الكفاح من أجل استرداد حريته واستقلاله . وقد اشتملت جهودهم على نشاطين رئيسيين :

الأول ، داخلي ، ويتمثل في تعبئة الشعور الوطني ، وتنظيم الصفوف ، وتوفير المقومات الذاتية للاستقلال ، وتحريك الجماهير ضد الاحتلال .

والثاني ، خارجي ، ويتمثل في الاستفادة من التناقضات القائمة بين الدول الاستعمارية ، واللعب على حبل المصالح المتعارضة بينها ، واستغلال تصارعاتها التي اتخذت شكل حروب محدودة تارة ، وحروب عالمية تارة اخرى .

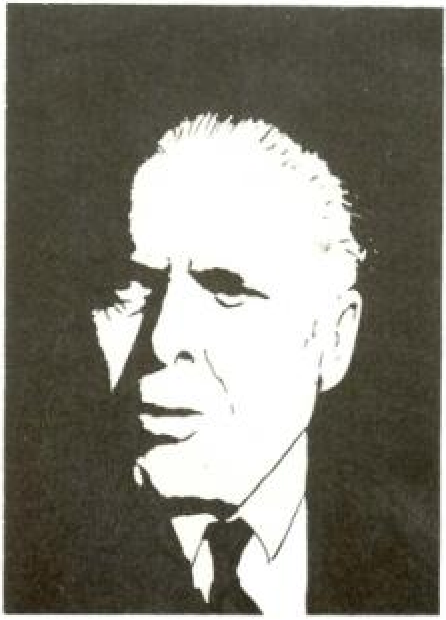
وقد كان من الطبيعي أن يقسم النشاط الخارجي القوى الوطنية العربية بين قوى الصراع العالمي بالتأييد أو المعارضة ، ولكنها جميعها كانت متحدة في الهدف ، وهو خدمة المصالح القومية العليا للأوطان العربية المكافحة . هكذا حدث أثناء الحرب العالمية الأولى ، وهكذا حدث أثناء الحرب العالمية الثانية .

ففي أثناء الحرب العالمية الأولى ، انقسمت القوى الوطنية والقومية العربية بين الدولة العثمانية وألمانيا وحلفائها ، وبين بريطانيا وفرنسا وحلفائهما . وكانت ثورة الشريف حسين في الحجاز ، المعروفة بالثورة العربية الكبرى ، أنموذجا لهذا الانقسام . فبينما كانت تؤيد هذه الثورة غالبية القوى القومية في المشرق العربي ، كانت هذه الثورة تلقى التنديد من جانب القوى القومية الاخرى ذات النزعة العثمانية في المغرب والمشرق على السواء . وعلى رأس هذه القوى تلك التي اضطرتها ظروف الجهاد ضد المستعمرين الى الهرب الى الاستانة والاقامة بها ، مثل علي باش حمبة وشكيب ارسلان ، وعبد العزيز جاويش ، ومحمد فريد ، وسليمان الباروني .

ففي أواخر سني الحرب ١٩١٧ ـ ١٩١٨ ، كان



الامير شكيب



الحبيب بورقيبة

على باش حمبة يستعد لقيادة فرقة من أسرى المغاربة فى المانيا وتركيا ، كمندوب عن الخليفة العثمانى ، لتحرير مسلمى شمال افريقيا من « الاستعمار المسيحى » • وفى مصر لقيت ثورة الشريف حسين الاستهجان الشديد ، وكان الشعور السائد هو أن الشريف حسين قد وقع تحت خديعة الانجليز • وقد عبر الشاعر الاسلامى المصرى الكبير محرم عن ذلك فى ابيات مشهورة يقول فيها :

تبثت ما زعم الشريف وقومه
فسمعت ما لم تسمع الأذان

خدعوه اذ ضاق السبيل بمكرهم
ورموا بآمال اليه حسان

يا ذا الجلالة لا سعدت بتاجه
ملكا سواك به السيد الهانى

أنسيتم الأيات بالغة فما
بصحائف التاريخ من نسيان

انقسام القوى العربية

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية وقع نفس الانقسام فى القوى الوطنية والقومية العربية بين المعسكرين الاستعماريين المتصارعين : المعسكر الفاشى ، الذى كانت تمثله المانيا وايطاليا • والمعسكر الديموقراطى ، الذى كانت تمثله انجلترا وفرنسا• ففى الوقت الذى ساند فريق من القوى الوطنية المعسكر الديموقراطى، فزعا من أيديولوجية المعسكر الفاشى العنصرية ، ساند الفريق الآخر المعسكر الفاشى ، كراهية وسخطا على الاستعمار الفعلى الجاثم من قبل المعسكر الديموقراطى •

على أن كل فريق كان يساند المعسكر الذى يراه اقدر على تحقيق الاستقلال• فبينما كان الفريق المؤيد للديموقراطيات يرى أن مساعدتها على النصر سوف يسفر عن حصوله على ثمن هذه المساعدة ، وهو الاستقلال ـ كان الفريق الاخر المساند للمعسكر الفاشى يرى أن مساعدة هذا المعسكر اكثر فاعلية فى التحرير والحصول فى النهاية على الاستقلال •

ومع ذلك ، فلم يكن الفريق المساند للمحور بعيدا عن ادراك الصفة الاستعمارية لهذا المعسكر ، والاطماع التى تراوده • لهذاكانت جهود هذا الفريق تتجه فى ذلك الحين الى اقناع المانيا وايطاليا بالاعتراف باستقلال البلاد العربية الخاضعة للاستعمار الانجليزى أو الفرنسى ، واعلان ذلك فى تصريحات رسمية ، لحفز شعوب هذه المناطق على الانتفاض على المحتلين والتعاون مع المحور من وراء الخطوط •

فقد استطاعت « جمعية مصر الوطنية » فى ايطاليا ، التى كان يرأسها الدكتور الطبيب ناصر، وهو طبيب مصرى ، استصدار تصريح مشترك من ايطاليا والمانيا فى ٣ يوليو ١٩٤٢ ،«بأنهماتؤكدان نيتهما » فى احترام وضمان استقلال وسيادةوادى النيل » ، وانه « لا تدخل قوات المحور القطر المصرى دخولها فى أرض معادية ، بل تدخلها بقصد طرد الانجليز منها ومتابعة الأعمال العسكرية ضد انجلترا ، تلك الاعمال التى ستحرر الشرق الادنى من السيطرة البريطانية » (١) •

وفى العراق ، كان الفريق الموالى للمحور قد اجرى اتصالاته بايطاليا والمانيا ، للحصول على مساعدتهما فى التحرر من الاستعمار البريطانى• وتلقى رشيد عالى الكيلانى فى ٣ ابريل ١٩٤١ خطابا «من وكيل وزارة الخارجية الالمانية يتضمن أن» المانيا ، التى لم تحتل قط ارضا عربية ، لا تستهدف أنتستولى على أى جزء منالبلاد العربية• وهى ترى أن الشعب العربى ، وهو شعب عريق ذو ثقافة قديمة ، وقد برهن على لياقته الادارية وفضائله العسكرية،لجدير بان يحكم بلاده بنفسه• ولهذا فان المانيا تعترف باستقلال البلاد العربية استقلالا تاما ، وبحق البلاد العربية التى لم تستقل حتى الآن فى أن تنال استقلالها التام»(٢) وقد كان تحت هذا الوعد بالاستقلال والمساندة ان قامت ثورة رشيد عالى الكيلانى فى مايو ١٩٤١ •

بعد معركة العلمين

اما تونس ، فلها قصة أخرى يجدر تناولها بشىء من التفصيل لاتصالها بالوثيقة التى بين ايدينا • فمنذ هزيمة فرنسا على يد المانيا وتوقيع اتفاقية الهدنة فى كومبين يوم ٢٢يونيه ١٩٤٠ ، وقعت تونس تحت ادارة حكومة فيشى • وكانت أطماع ايطاليا ، التى قدمتها الى المانيا فىالمقابلة التى جرت بين الكونت شيانو وريبنتروب فى ١٩ يونية ١٩٤٠ تتضمن تونس ، الى جانب نيس وكورسيكا والصومال الفرنسى • ولذلك كان من المتوخى ان تكون تونس بعد انتصار المحور من اسلاب ايطاليا •

على انه بعد معركة العلمين فى ٢٣ اكتوبر ١٩٤٢ ، ونزول القوات البريطانية والامريكية فى الجزائر والمغرب يوم ٨ نوفمبر ١٩٤٢ ، وانقلاب وضع المحور من الهجوم الى الدفاع ـ أصبح من الضرورى القيام بعمل ما • وكان من الطبيعى أن ينصب الاهتمام على تونس التى لم تنزل بها قوات الحلفاء ، فقررت القيادة الألمانية احتلالها • وتمشيا مع اوامر حكومة فيشى الخاضعة للالمان ، سحب الجنرال جورج باريه ، القائد العام الفرنسى فى تونس جيشه صوب الجنوب الغربى • وفى يوم ٩ نوفمبر نزلت الطائرات الالمانية الاولى فى تونس،ثم وصلت القوات الايطالية فى ١٣نوفمبر • ولكن القيادة العليا كانت للالمان•ولما كانت قاعدة بنزرت البحرية ذات أهمية عسكرية عظيمة ، فقد امر الفيلد مارشال كسلرنج ، القائد العام للجبهة الجنوبية ، فى اواخر نوفمبر ،باتخاذ اجراءات أمن فى القاعدة للحيلولة دون انضمام قوات فيشى ووحداتها البحرية المعسكرة هناك الى الحلفاء • وفى ٨ ديسمبر تلقى الجنرال دريان الفرنسى انذارا المانيا بتسليم السفن والمطارات وكل تسهيلات الميناء والعتاد الحربى ، فلم

---

١ ـ أنظر بحثنا الذى أمطنا فيه اللثام عن نشاطهذه الجمعية تحت عنوان : « الاتصالات المصرية السرية بدول المحور أثناء الحرب العالمية الثانية » (السياسة الدولية عدد أكتوبر ١٩٧١)•

٢ ـ مذكرات عثمان كمال حداد تحت عنوان : « حركة رشيد عالى الكيلانى سنة ١٩٤١ ص ١٠٦ ـ ١٠٨ (صيدا : المكتبة العصرية) • وقدثبت وجود هذا الخطاب فى الارشيف السياسى لوزارة الخارجية الالمانية ـ مجلد السكرتيرالثانى للدولة ـ العراق ـ الجزء الاول ص ٥ ٢٥٥١٠ ـ ١٠٦ . انظر : (د • محمد كمالالدسوقى : ثورة رشيد عالى الكيلانى والقومية العربية) (السياسة الدولية عدد يوليو ١٩٧٠) •



... محمد أبد الدهر بالعز والنصر ...
إننا نعيش فى أيام تاريخية لها ما بعدها وستقتضى ...
أن نتائج تعم الشرق والغرب ولكننا واثقون فى كرم الله
لا تهولنا الزعازع ولا نبالى بعناد المنازع ولا بد للأمة ...
من أن ترتقى وتصعد وللعالم الإسلامى من أن ...
وعسى أن تكون الحرب فى شمالى أفريقيا خيرا كثيرا على الإ...
والمسلمين فى تلك الديار وسببا يخلقه الله لأجل استرداد
حقوقهم المهضومة واستئنافهم مجدهم السابق وبهذه
المناسبة أقول إنه إن أرادت دول المحور أن تنال عطف
المسلمين فعلا وجب عليها أن تعمل فى تونس ما عملته فى مصر
فكما أعلنت إيطاليا وألمانيا اعترافهما باستقلال مصر التام
وكررت هذا الإعلان مدة أشهر واستمالت به عطف جميع
المسلمين وجب أن تعلنا استقلال تونس التام وتظهر
الفرق بين نيتهما ونية أعدائهما لأنه لا أمل من مداجاة فرنسا
وليس من الفرنسيس واحد من الألف يتمنى نجاح دولتى المحور
ومتى ترض أنه لا بد من بعض المداراة فيمكن عقد الاتفاق بين
المحور وباى تونس سرا على شرط الاستقلال التام وعقد تحالف
بين المحور والتونسيين إلى عشرين سنة. يسرنى أن أسمع
كون المسلمين فى شمالى أفريقيا جميعا يتمنون انتصار المحور
... أعدائه مما يدل على أنهم عارفون بالدار والدوار. أبلغنا

الوثيقة أو الرسالة بخط الأمير شكيب ارسلان

يملك سوى الاذعان • وبذلك تم احتلال بنزرت •

ومنذ احتلال المحور لتونس ، جرى التسابق بين الايطاليين والوطنيين العرب الموالين للمحور على مصير البلاد • فقد سعت روما الى اقامة نظام احتلال ايطالى ـ المانى فى تونس،كمقدمة لسقوطها فى يد ايطاليا بعد الحرب•ولذلك طلبت ان ينتزع المحور الادارة بالتدريج لضعضعة مركز فرنسا • ومن جهة اخرى كان الوطنيون العرب فى ايطاليا وسويسرا يطالبون ايطاليا والمانيا باصدار ما يطمئن العرب على مصير بلادهم •

وكان الحاج أمين الحسينى ، مفتى القدس السابق ، مقيما فى روما أثناء نزول الحلفاء فى شمال افريقيا ، فأجرى اتصالات مع المسئولين الايطاليين مكنته من ارسال رسالة ، صيغت فى حذر شديد ، الى باى تونس ، عن طريق مندوب خاص ، عبر فيها عن عطف المحور على العرب ، ووعد بالاعتراف بوضع الباى وحكومته من الناحيتين القانونية والسياسية ، وأوضح أن المانيا وايطاليا فهمتا أمانى الأمة التونسية التى ترغب فى الحرية المدنية والدينية والتقدم الاقتصادى • وكانت هذه الرسالة بمثابة وعد بعدم تغيير وضع الحماية الى وضع أسوأ •

ولم يلبث المفتى أن غادر روما الى برلين حيث قدم فى ١٨ نوفمبر مذكرة الى القيادة المسلحة الألمانية ، وصلت الى وزارة الخارجية الألمانية فى اول ديسمبر ١٩٤٢ ، قدم فيها عددا من المطالب السياسية • فقد طالب باصدار تصريح يعترف فيه المحور بحرية واستقلال البلدان العربية فى

شمال افريقيا ، وأن يعقد معاهدات على نمط المعاهدة الانجليزية ـ المصرية ، أو المعاهدة الانجليزية ـ العراقية • أما بالنسبة للايطاليين ، فقد اقترح المفتي اقامة علاقات مع تونس تستند الى نفس المبادىء التي وضعها السير ستافورد كريبس في عام ١٩٤٢ بصدد العلاقات الانجليزية ـ الهندية • وطالب المفتي باحتلال تونس من الفرنسيين، وتشكيل جيش تحرير مغربي من أسرى الحرب وعرب المغرب الذين يعملون في فرنسا ، ومن التونسيين وغيرهم ، ودعوة عرب شمال افريقيا العاملين في الجيش الفرنسي وكل عرب المغرب الى الانضمام الى جيش التحرير هذا ، واثارة ثورات القبائل في ظهر الحلفاء • كما طالب باطلاق سراح الوطنيين التونسيين في السجون الفرنسية ـ وكان على رأسهم الحبيب بورقيبة ـ وأبدى المفتي استعداده للتوجه الى تونس للتمهيد لقيام ثورات في شمال افريقيا •

على أن برلين كانت ترى أن مجرد التصريح بتقديم تنازلات للعرب ، قد يؤدي الى قيام مشاكل مع الايطاليين ومع الفرنسيين المتعاونين مع المانيا ، كما كان يناقض رسالة هتلر الى بيتان في هذا الصدد ، وسوف يكون له أثر سلبي في اسبانيا . ورأى الايطاليون من جانبهم أن اصدار تصريح بعد كل شمال افريقيا بالاستقلال ، يكاد يكون امرا مستحيلا • وتذرعوا بالتزامات المحور ازاء بيتان ، وصرحوا بأن تونس تتضمن جزءا من مجال ايطاليا الحيوي • وكانت تعليمات موسوليني الخاصة تقضي بعدم وعد تونس بالاستقلال أيا كانت الظروف •

رسالة الامير شكيب

في تلك الأثناء ، كان الزعماء التونسيون في السجون التونسية قد اطلق سراحهم على أيدي الألمان في أوائل ديسمبر سنة ١٩٤٢ ، مما أثار حماسة شديدة لدى التونسيين ، دعت المبعوث الألماني في شمال افريقيا ، رودلف ران ، الى الاصرار على اطلاق سراح الوطنيين المسجونين في فرنسا في الحال • وكانت القوات الألمانية قد دخلت الجزء المحتل من فرنسا في نوفمبر سنة ١٩٤٢ ، فتمت الموافقة على هذا الطلب وتوجه الزعماء التونسيون الى ايطاليا ، ليستقبلوا استقبالا رسميا • ولكن الحبيب بورقيبة اشترط في مباحثاته مع الايطاليين ، أن تنتقل السلطة الى الباي على أن تعاونه حكومة وطنية • ففشلت المباحثات ، ورفض الحبيب بورقيبة التعاون مع المحور الا اذا نفذت شروطه السياسية ، وطالب بارجاعه الى تونس • وكان لابد أن يؤثر سكوت بورقيبة على الموقف ، فبدأ اتباعه يبدون تحفظا ازاء المحور ، وأحست السلطات الألمانية والايطالية بأن عدم عودة الزعماء التونسيين الى تونس سوف يحرم المحور من عطف السكان التونسيين فبدأ ، منذ ٢٦ فبراير ١٩٤٣ نقل هؤلاء الزعماء الى تونس• وفي يوم ٩ ابريل عاد الحبيب بورقيبة ذاته ، واستبعدت فكرة عودة المفتي مع بورقيبة الى تونس نظرا للمغزى السياسي من الزاوية القومية لمثل هذه الزيارة ، واحتمال أن تؤدي الى توجيه هجوم شديد الى الادارة الفرنسية وتهديد الأمن العام ، وهو ماكان الألمان شديدي الحرص على تجنبه • وحين تم طرد قوات المحور من تونس ، أعلن حزب الدستور الجديد ، بايعاز من بورقيبة ، انضمامه الى الحلفاء •

في هذا الضوء من الجهود القومية الوطنية والاتصالات بدول المحور لاستقلال تونس وتحريرها أثناء الحرب العالمية الثانية يمكننا فهم هذه الوثيقة الخطية الهامة التي نكشف الستار عنها لاول مرة ، والتي تتمثل في رسالة شخصية من الامير شكيب رسلان ، السياسي العربي الوطني والقومي الطائر الصيت، وداعية العروبة والاسلام، الذي كان يقيم في سويسرا أثناء الحرب العالمية الثانية ومؤيدا للمحور ـ الى الدكتور الطيب ناصر، رئيس جمعية مصر الوطنية في ايطاليا • وهي مؤرخة في ٢١ ديسمبر ١٩٤٢ • وقد حصلت على هذه الرسالة بنفسي من المرحوم الدكتور الطيب ناصر قبيل وفاته مع بعض الأوراق • وفي هذه الرسالة يقدم الامير شكيب أرسلان مشروعا بخصوص استقلال تونس ، يقوم على أن تعلن دولتا المحور استقلال تونس التام ، وفي مقابل ذلك يعقد اتفاق بين المحور وباي تونس سرا على شرط الاستقلال التام ، وعقد تحالف بين المحور والتونسيين الى عشرين سنة •

والرسالة مؤشر في اعلاها بالقلم الاحمر بما يفيد ترجمة الجزء الخاص منها ، وارساله الى وزارة

الخارجية الايطالية على النحو الآتي : « ترجم نص جزء منه وأرسل الى رئيس غرفة وزير الخارجية الايطالية بخصوص استقلال تونس في ١٩٤٢/١/١٤ كما اشر في نهايتها بقلم حبر أسود بالآتي : « الاستاذ المناضل الوطني زين العابدين السانوسي اخذ نص الفقرة الخاصة بتاريخ ١٩٤٣/١/١٦ » والرسالة مكونة من ورقتين وثلاث صفحات . وبفحصها لاحظنا اختلاف خط التوقيع عن خط الرسالة، مما يدل على أنها مملاة . وربما كان السبب في ذلك ضعف صحة الامير ، لان التوقيع به رعشة خفيفة . وقد أشار بنفسه في الخطاب الى انه كان يستروح عملا بوصايا الطبيب ـ وان كان يعتقد انه بلغ من الصحة درجة لم يكن يحلم بها. وقد توفي شكيب ارسلان بعد هذه الرسالة بأربع سنوات كاملة ، فقد لحق بربه في بيروت في ٩ ديسمبر ١٩٤٦ .

اما نص الرسالة فهو على النحو الآتي :
« جنيف في ٢١ ديسمبر ١٩٤٢

حضرة ولدنا الأديب الفاضل الشهم الناهض الدكتور الطيب الناصر حفظه الله وادام توفيقه وسهل الى كل خير طريقه آمين .

كتبت اليك منذ بضعة أيام لاغير ، وذكرت لك أن سبب احتباس كتبي عنك هذه المدة كان غيابي مدة شهر أو اكثر بين زوريخ وبرن ولوزان ترويحا للنفس وعملا بوصايا الطبيب الدكتور بيكل، الذي بحوله تعالى وقوته ابلغني من الصحة درجة لم اكن احلم بها والحمد لله اللطيف الخبير . ثم أني تلقيت كتابك المؤرخ في ١٢ الجاري وفهمت انك استبطأت أخباري ، فلا عجب فانت بمقام ولدي غالب ، والابن يحب اباه ويدافع عنه في كل موقف، وكذلك الأب يحب أبناءه اكثر مما يحب نفسه ، ويجتهد أن يكونوا أحسن منه . فاما من ارسلت اليهم بالسلام فكلهم يذكرونك بخير : فحرمي ، وولدي ، ومحمد سليم بك الحجازي ، وعسل بك وثابت بك عبد النور ، وسفير الحجاز ،واخوانك في لوزان ، والسيد الجابري في جنيف يهدونك أطيب السلام ، ويدعون لك ولرفاقك في روما بالتوفيق . وأشكرك على التهنئة بعيد النحر ، أعاده الله عليك عمرا طويلا بالخيرات والمسرات وعلى أمة محمد أبد الدهر بالعز والنصر .ولاشك أننا نعيش في ايام تاريخية لها ما بعدها ، وستضع حملها عن نتائج تعم الشرق والغرب . ولكننا واثقون في كرم الله ، لا تهولنا الزعازع ، ولا نبالي بعناد المنازع ، ولا بد للأمة العربية من أن ترقى وتصعد ، وللعالم الاسلامي من ان ينجح ويسعد ، وعسى أن تكون الحرب في شمالي افريقيا خيرا كثيرا على الاسلام والمسلمين في تلك الديار، وسببا يخلقه الله لاجل استردادهم حقوقهم المهضومة ، واستئنافهم مجدهم السابق . وبهذه المناسبة ، أقول انه ان أرادت دول المحور أن تنال عضد المسلمين فعلا ، وجب عليها أن تعمل في تونس ما عملته في مصر . فكما أعلنت ايطاليا والمانيا اعترافهما باستقلال مصر التام ،وكررتا هذا الاعلان مدة اشهر ، واستمالتا به عطف جميع المسلمين ، وجب أن تعلنا استقلال تونس التام ، وتظهرا الفرق بين نيتهما ونية أعدائهما ، لانه لا أمل من مداجاة فرنسا ، وليس من الفرنسيين واحد من الألف يتمنى نجاح دولتي المحور . وعلى فرض انه لا بد من بعض المداراة ، فيمكن عقد الاتفاق بين المحور وباي تونس سرا على شرط الاستقلال التام وعقد تحالف بين المحور والتونسيين الى عشرين سنة .يسرني أن أسمع كون المسلمين في شمال افريقيا جميعا يتمنون انتصار المحور وقهر اعدائه مما يدل على أنهم عارفون بالداء والدواء . ابلغنا الله جميعا امالنا وسدد أعمالنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون . ياولدي ليس عندي من « حاضر العالم الاسلامي » سوى نسخة واحدة لا يمكنني الاستغناء عنها ونفس المفتي الاكبر الحاج امين الحسيني كان قد طلب مني نسخة وهو في برلين فاخبرته بالواقع واحلته على البارون اوبنهايم الذي في خزانة كتبه نسخة من الكتاب ، فاعاره اياها . وكذلك طلب آخرون نسخا فاخبرتهم بالواقع . والمشكل أنهم لا يقدرون أن يرسلوا الى مصر ليبعثوا اليهم من هناك بنسخ من هذا الكتاب ولولا عذري هذا ما تاخرت طرفة عين عن ارسال نسخة اليكم . وأهدوا سلامي الى رفاقكم جمعية مصر في روما والى الشهم الوطني الناهض الدكتور ابي غنيمة . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص
شكيب أرسلان

هذه مجموعة من الاراء والملاحظات والتساؤلات تعالج بعض القضايا الحيوية،وتعبر عن وجهات نظر اصحابها فى هذه القضايا •• وعملا بحرية النشر ، فاننا نفسح المجال لهذه الاراء كما تلقيناها ، بغير حذف أو تعديل •

المراهقة الفكرية والنقد التاريخى

بقلم :
د • احمد عبدالرحيم مصطفى

● ان العصر الذى نعيش فيه هوعصر التخصص الدقيق ـ فازاء ازدياد كم المعرفة وتنوعها بازدياد اعداد الباحثين والكتاب نتيجة لاتساع قاعدة التعليم وتنوع وسائل الاعلام ، لا يستطيع باحث ايا كان ان يدعى الالمام باطراف المعرفة التىكانت منذ قرون قليلة مدرجة فى بضع مئات من الكتب • ونتيجة لكل ذلك وجب توفر الباحثين والكتاب كل على جانب من جوانب المعرفة ، على ان يلم ، فى نفس الوقت ، من كل شيء بطرف حتى لا يكون التخصص مرادفا للانغلاق •

والذى يدقق النظر الى حقل التاريخ فى الوطن العربى يجد انه لم يتخلص بعد من رواسب الماضى حين كان من يتصدون له لا يفرقون بينه وبين القصص والنوادر والطرائف ، لا علما له مناهجه ومقاييسه واخلاقياته ، مع عدم التورع فى نفس الوقت عن النقل عن السابقين دون تمحيص او الجرى وراء الاهواء فى الحكم على الاشخاص والاحداث مما جعل معاصرى المؤرخ المصرى عبدالرحمن الجبرتى الذى ظهر فى اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر ـ يعتبرون التاريخ « من شغل البطالين ••• واساطير الاولين » فلقد تغير مفهوم التاريخ فى القرنين الاخيرين : فلم يعد يقتصر على « البنية الفوقية » للمجتمعات ، بل تعداها الى الاهتمام بالجماهير العريضة والطبقات الاجتماعية والمؤسسات الجماهيرية ، كما تطرقت الى تفسيره نظريات اجتماعية وسياسية واقتصادية ـ وبالتالى ظهرت مدارس تاريخية عدة ، وكل منها له مزاياه واوجه قصوره ••• اذ لا يمكن لنظرية واحدة ان تفسر حركة التاريخ فى مده وجزره • وبالاضافة الى ذلك فان التاريخ يختلف عن القصص والفنون التعبيرية الاخرى من حيث ان كاتبه لابد ان يلتزم بمنهج صارم فى تحقيق المعلومات وضبطها والجرى وراء الحقيقةبقدر الامكان معتمدا على المادةالمتاحة: من مخطوطات ومذكرات ووثائق ودوريات وغير ذلك ، بالاضافة الى جهد من سبقوه من العاملين

في نفس العقل . فلا غرابة اذن ان يتكشف التاريخ باستمرار عن حقائق وتفسيرات جديدة ، شانه في ذلك شان غيره من العلوم . والمؤرخ بطبيعته جزء لا يتجزأ من مجتمعه ، يتاثر باتجاهاته سلبا وايجابا وقد يؤثر فيها ، لهذا لا يمكن عزل المؤرخ العربي عن الاوضاع العامة التي تحيط بالوطن الكبير ، مما يستحسن معه التوقف قليلا لتاصيل الشوط الذي قطعناه منذ ان اخذ التاريخ يحتل مكانه في اطار الثقافة العربية العامة التي كانت الى عهد قريب موسوعية الطابع .

عبادة الابطال القوميين !

فالتطورات العاصفة التي شهدتها المنطقة العربية خلال القرن العشرين بوجه خاص قد انعكست آثارها في شتى نواحي الحياة فهناك النضال ضد السيطرة الاجنبية بابعادها السياسية والثقافية والاقتصادية .وهناك ايضا ملامح التحول الاجتماعي الذي زعزع الاوضاع التقليدية الموروثة ـ هذا الى تنوع الاحزاب والفئات العقائدية وغير العقائدية، وما شهده الوطن العربي من تغيرات درامية في مراكز السلطة. وكل ذلك كان مثارا للبلبلة والغلط والتطرف في ابداء الاحكام وتوجيه الاتهامات، خاصة وان افقنا الثقافي لم يشهد بعد قيام مؤسسات وهيئات نظامية بامكانها ان تفتح المجال للنقاش الحر والمنضبط معا ، وأن نظمنا التعليمية لم تتعد الجانب التلقيني ولم تهتم الا في القليل النادر بانماء الفكر وصقل المواهب . وهكذا اصيب كثير من الكتاب ومدعي النقد ـ صغارهم وكبارهم ـ بتضخم الشخصية وانغلاقها بحيث تحول كل منهم الى جزيرة منعزلة ، او ان شئت الى طاغية لا يتصور الا نفسه في مرآة نارسيس ! واهم من هذا كله ان الكثيرين قد تصوروا أن التاريخ دابة ذلول يمكن توجيهها الى هذا الاتجاه او ذاك ـ وهذا معناه الطمس والتزييف الصريحان ايا كانت الغاية التي يسعى الكاتب ومن وراءه الى تحقيقها اذ الغاية الشريفة لا يصح التوصل اليها الا بوسيلة شريفة .. وهي قد تبرر الوسيلة في مجالات السياسة العامة، ولكنها لا تبررها على الاطلاق في مجال العلم.

ويتصل بذلك أن انطلاقة القومية العربية في نصف القرن الاخير قد نقلت روح النضال الى مجال الفكر والبحث التاريخي . وهذا أمر طبيعي اذا ماكان الهدف هو تعديل مسار التاريخ بدحض كثير من الافتراءات التي الصقت بالعرب والمسلمين.

الا ان الشطط في هذا الاتجاه من شانه أن يخرج بالتاريخ عن اصوله وطبيعته ويجعل منه شيئا آخر ، وأن يفضي بصاحبه الى الشوفينية البغيضة . وأن يطمس الحقائق بضباب التهويمات والتعميمات خاصة اذا ما اقتحم المجال الدخلاء على الثقافة وانصاف المتعلمين الذين لا يخاطبون العقل ، بل يستثيرون النوازع السطحية التي لا تبني شيئا . ومن امثلة ما نحن بصدده ازدياد الاهتمام بالابطال القوميين الذين لا شك لهم فضلهم ، والارتفاع بهم الى مستوى المقدسات التي لا تمس ولا تناقش ـ ومن ثم تتعالى الصيحات ضد كل مجتهد يبغي الحقيقة والموضوعية والنزاهة حين تتكشف له جوانب لا تتمشى مع الصورة العامة التي ترسبت في الاذهان عن هؤلاء الزعماء .

فحين نشرت بعض المعلومات عن الشيخ محمد عبده تناولت بعض جوانب حياته الشخصية وعلاقته باللورد كرومر وتردده على صالون الاميرة نازلي فاضل ،طالب عباس العقاد بايداع الكاتب مستشفى المجاذيب . وحين كتب الدكتور محمد أنيس عن علاقة الزعيم المصري محمد فريد بمدام دي رو شيرون ـ معتمدا على مذكرات هذه السيدة الفرنسية ـ تصدى له الكثيرون منكرين هذه العلاقة التي هي حقيقة ثابتة ومتهمين الكاتب بالتامر على تاريخ مصر ! وحين نشر الدكتور عبدالخالق لاشين دراسته عن سعد زغلول ، معتمدا على مذكرات الزعيم المصري وغيرها من الوثائق ، تعالت الصيحات والاتهامات بل والشتائم احيانا ، مما ادى الى سحب الدراسة من الاسواق في وقت ما .

التاريخ والطبيعة البشرية

ومن هذه الامثلة القليلة يتضح لنا ان الكثيرين

يفترضون في الزعماء العصمة المطلقة متناسين ان الانسان لا يولد عظيما منذ اليوم الاول وان الزعماء ليسوا فصيلة خاصة من البشر ،ولكنهم من قوة البنيان النفسى وحسن الادراك بحيث يتميزون على من عداهم ويتقدمون الصفوف .فالتخلف الفكرى الذى اورثنا اياه طول عصور الركود والجمود قد جعل الكثيرين منا يغفلون التطورات الاجتماعية التى تشترك فيها اعرض الجماهير ويربطون كل شىء بالزعيم الفرد ، حيا كان او ميتا ، ويفترضون انه هو المرجع الاول والاخير لما يحدث فى ايامه ، دون كبير التفات الى القوى العالمية والمحلية التى تفعل فعلها .

والذى نؤكد عليه اننا بحاجة الى النظرة النقدية التى تعرض للتاريخ فى اطار الطبيعة البشرية، لا فى اطار الخوارق والمعجزات . وما احوجنا ايضا الى التخلص من النرجسية القومية التى اورثنا اياها طول الظلم والطغيان ... ولنفتح صدرنا لكل جديد حتى ولو كان لا يتفق مع مالوفنا ـ فاذا لم نرض عنه فعلينا ان نتقبل الحقائق كما هى عليه ، او نثبت العكس بالتوفر على الدراسة الجادة لا بالصياح العصبى الذى لن يفيدنا فى شىء .

ومنذ شهور قليلة تكررت ظاهرة المراجعة الفكرية هذه ازاء محاولة قام بها مؤرخ ناشىء لتقويم المؤرخين المصريين وابحاثهم الخاصة بمصر المعاصرة(*) .ولقد اصاب هذا المؤرخ الناشىء حين اشار الى الحاجة الى مراجعة ما كتب بالنقد والتقويم . والى تخوف البعض من ان النقد غالبا ما يؤخذ على انه نقد شخصى للكاتب . الا ان الكثيرين ممن تصدى لتقويم اعمالهم استشاطوا غضبا وهاجموه هجوما غير متوازن ـ مما يدعونا هنا الى التنبيه الى ان النقد هو ذاته له اصول ـ فلا يفترض لمن يتصدى له ان يهاجم بلا حدود او يلتقط الهفوات ، بل لا بد له ان يبرز الايجابيات قبل السلبيات ، وان يكون متخصصا فى المجال الذى يتصدى لتقويمه ... لا ان يكون متفرغا للنقد لا اكثر . وهو امر لا يكاد يوجد الا فى حقل الثقافة العربية المعاصرة ! فالذى نلمسه فى البلدان المتقدمة ان يعهد بالبحث او الكتاب المرجو تقويمه الى باحث له باعه فى هذا المجال بالذات ، بحيث يكون بامكانه ان يلمس مدى الاضافة او القصور فى البحث الجديد .اما احتراف النقد او « الارتزاق » به فهذا امر لم تعرفه الثقافة الا فى الاوقات التى يبرز فيها الادعياء والمتكسبون ! والحق ان بروز هؤلاء مرتبط بندرة الحلقات الدراسية المتخصصة ، مما فوت على الافق العلمى فرصة تبادل المعلومات ووجهات النظر وظهور النقد البناء الذى يفتح الباب امام مزيد من البحث والدراسة . كما ان ندرة النقد والتقويم الموضوعيين ، وغلبة ما يسمى « بعرض الكتب » ، وهو فى اكثره مجرد تلخيص للعمل المرجو تقديمه ، قد لا يخلو من التحامل او المجاملة وتلوين كل شىء اما باللون الابيض او الاسود بحسب الظروف ، قد جعل الكتاب لا يتقبلون المناقشة العلمية التى من شانها ان تفتح المجال لمزيد من البحث وتؤدى الى صقل المعلومات وضبطها.

اما الجرى وراء النوازع والاهواء وتحكيم العلاقات الشخصية فيما تخلع عليه اعتباطا صفة « النقد» فانه لا يوصل شيئا ، بل من شانه ان يؤدى الى مزيد من الخلط والبلبلة والمعارك الشخصية ، لا المحاورات المنهجية التى توفر مؤشرات هامة الى مواضع جديدة للبحث والدراسة .

مسئولية الجمعيات العلمية

والحل لدينا يرتبط بقيام وفعالية الجمعيات العلمية المتخصصة التى من واجبها ان تقيم حلقات الدراسة المنتظمة وان تصدر المجلات المتصلة بحقل دراساتها ، وان تفرد فيها ابوابا مستقلة لاستعراض وتقويم الانتاج الجديد . حقيقة ان شيئا من هذا القبيل يوجد هنا او هناك ، الا ان الصورة العامة لاتزال بحاجة الى تقويم موضوعى

(*) عاصم الدسوقى : مصر المعاصرة فى دراسات المؤرخين ـ دراسة فى الحكم والكيف ـ (دار الحرية ـ القاهرة ١٩٧٦)

شامل واعادة تنظيم ـ ومن الامور غير المستحبة ان تناقش عمليات النقد العلمي في الصحف السيارة، حيث ان قرابها على الاغلب لا تتوفر لديهم الخلفيات اللازمة للحكم السليم على الاشياء ٠فهم قد يهتمون بقصة او تمثيلية أو بقصيدة شعرية أو بخبر ما يتصف بالاثارة ، ولكن مسائل مثل العلوم الاجتماعية ، ومنها التاريخ ، لا تهم الا قطاعات ضيقة نسبيا من القراء ، اللهم الا اذا لجأت الصحيفة الى نوع من الاثارة بترتيب معارك مختلفة لها اسلحتها واساليبها الخاصة ٠ واذا كان الجانب القصصي في عملية السرد التاريخي مما يجتذب كثيرا من القراء ، فان التاريخ بمفهومه العلمي لا ينسجم مع هذه الزاوية ٠ فهو وغيره من العلوم الاجتماعية يستهدف في مداه البعيد رصد مدى تطور المجتمع ووضع الخطط لتوجيه مساره ٠

ان مفهوم التاريخ قدتعدى وصف المعارك الحربية والعلاقات الدبلوماسية ومؤتمرات القصور الى رصد القوى الاجتماعية والتفاعلات المفضية الى التغيير ٠ ولكنه لا يستند الى الحدس اوالاستنباط العشوائي ، اذ المؤرخ الحق ـ عند العلامة ساطع الحصري ـ هو الذي يكتب « كتابة عالم باحث » يوجه كل جهوده الى « تحري الحقيقة» مجردا من كل غاية ومنفعة ، وغير مقيد باية فكرة سابقة ، وما عدا ذلك لا يعدو « خطابة محام بارع » يحصر كل جهوده في البحث عن الحجج المؤيدة للقضية التي تولى الدفاع عنها سلفا ٠ وهو ـ عند عبدالرحمن الرافعي مؤرخ الحركة الوطنية المصرية ـ يشبه في طبيعة رسالته ان يكون قاضيا ، يفعل في القضايا التاريخية التي يعرض لها ، وعليه ان يقتبس من « القاضي » روح العدل الذي يستلهمه في قضائه ٠

وايا كان الخلاف في نظريات تفسير التاريخ ، فان ثمة حدا ادنى لا يجوز للمؤرخ ان يتجاوزه ٠ قد يفسر الحدث التاريخي على ضوء هذا المذهب او ذاك ، ولكن لا يجب ان تمتد يد اى انسان الى التاريخ بالبتر اوالتزييف أو التركيز على انصاف الحقائق ٠ وعلى المؤرخ ان يتحلى بالنزاهة والصدق ، اذ عمله يتضمن مسئولية ضخمة يحاسب عليها في حياته وقد يحاسب غليها بعد رحيله عن عالم الاحياء ٠

ولكي يجرى المؤرخ وراء الحقيقة عليه ان يتسلح بالادوات التي تعينه على تحقيق هدفه ٠ هناك الوثائق والمخطوطات ـ مثلا ـ وهي مصدر رئيسي لايشكك جاهل في انه الركيزة الاساسية للحكم التاريخي ٠ والا فهل ثمة وحي ينزل على المؤرخ ويقص عليه اخبار المؤامرات والدسائس ونصوص القراءات التي تتمخض عن الحدث التاريخي ؟ والى جانب هذه الادوات هناك عقلية المؤرخ الذى يحلل ويربط ٠ وليس معنى التحليل الجرى وراء انماط من التهويمات والغيبيات ٠٠ بل التفكير المنطقي الذى يربط الاحداث بعضها ببعض ويعيد تركيب تسلسلها وفوق حدوثه بالفعل والربط بين السبب والنتيجة في اطار التسلسل الزمني للاحداث الذى يميز التاريخ عن غيره من العلوم٠

ويتصل بهذا كله ان النقد والتقويم التاريخيين لا يصح ان يتصدى لهما الا مؤرخ له انتاجه المعروف ٠٠٠ فلا يدرك الشيء الا من يكابده ٠ ولا بد من تحرير التاريخ مما علق باذهان الكثيرين من أنه نوع من القصص ـ اذ انه يتطلب ـ الى جانب الموهبة ـ خبرات واطلاعات وادراكا لطبيعة هذا التخصص المتشعب ،وبخاصة في مجالاته الحديثة والمعاصرة ٠ ولا يقوم الانتاج ويغذيه الا نقد ملتزم بناء هدفه ـ كما هو هدف التاريخ ذاته وسائر العلوم ـ البحث عن الحقيقة لذاتها ٠ هنا وهنا فقط نستفيد من التاريخ في فهم مسار تطورنا وتوجيهه دون رجم بالغيب (اذ المستقبل لا يدخل في نطاق التاريخ الذى لا يتوفر الا على الماضي ـ وبالقاء الضوء عليه يمهد السبيل لتحديد مسار المستقبل ،وهو مجال تخصص آخر) والنقد البناء هو مصباح ديوجينيس ٠٠٠٠ قد اختلف معك ، ولكنني على استعداد لبذل مالى وسعى للدفاع عن حريتك !

■ ■

د ٠ احمد عبد الرحيم مصطفى

"قال وقيل"

لاتصلح غذاء للجيل المسلم

بقلم العلامة اليوجوسلافي
حسين جوزو

● هذه الكلمات المشئومة تعبر عن فترة من اسوا فترات في تاريخ الاسلام وهي فترة الانحطاط والجمود والاستكانة والركود ، تحجرت فيها عقلية العلماء وتجمد تفكيرهم وساد التقليد الاعمى وانعدم الابداع والابتكار •

ولا غرابة في ذلك ، فلكل امة في تاريخ تطور حياتها لحظات المد والجز ولحظات التقدم والتاخر، وانما الغرابة ان تمتد حالة الركود والجمود قرونا عديدة ، كما هو الشان في حياة المسلمين الدينية وفي تطور الشريعة • ولايزال هناك علماء مع الاسف الشديد يسمعون الحديث عن تطوير الشريعة ويقولون : الشريعة الاسلامية كاملة فهي ليست في حاجة الى التطوير ،وانما يتطور الناقص • وهذا ـ كما يقول الامام العلامة ابو المعالي محمود شكري الالوسي (غاية الاماني في الرد على النبهاني)ـ قول بعكس الحق تماما • فان كمال الشريعة انما هو في كونها جسما حيا ناميا متطورا يواكب تطوره الحياة الحية النامية المتطورة، وفي كونها تحمل في طياتها كل ما يحتاج اليه الانسان في زمانه ومكانه وظروف حياته •وليس على الانسان الا بذل الجهد للحصول عليه وتقييم حاجاته ومشاكله وقضاياه التي يجب ان يبحث عن حلولها في القرآن •

والظاهر ان الخلاف بين القائلين بضرورة تطوير الشريعة وبين المخالفين به هو في فهم معنى التطوير • يبدو ان المخالفين يزعمون ان التطوير يعني تغيير الاسلام وتحريف مبادئه وقواعده الكلية وهذا غير جائز بالاتفاق • فان الاحكام الشرعية التي اشتمل عليها القرآن هي صالحة لكل انسان، وقد استوت فيها العصور والازمان ، وليس للقرآن معان خاصة بأهل العصور السابقة ومعان اخرى بأهل العصور اللاحقة • واما الاذواق والمشارب فهي ان كانت موافقة للشرع فمطلوبها يوجد في القرآن ، وان كانت مخالفة فكيف يمكن ان يفسر القرآن بمعان توافق هذه الاذواق الفاسدة والمشارب الكاسدة •

والتطوير في نظر القائلين به ليس معناه تحريف كلمة الله ولاتغيير تعاليم القرآن ،وانما معناه تصحيح مفاهيم الناس وآرائهم وافكارهم : اعني مافهموه واستخرجوه من القرآن مما لم يعد صالحا واصبح غير مساير ومناسب وموافق لزماننا •

ان التطوير على هذا المفهوم يقصد منه تغيير صورة للاسلام تعيش في اذهان المسلمين وقد تكونت قبل الف سنة حسب مقدرة الناس وظروف ومشاكل ذلك العصر ، ثم تسللت فيها ما تسللت خلال العصور من خرافات وبدع وضلالات ومفاهيم نشات مضامينها في عهد الانحطاط وتميزت بعناصر الجمود والتاخر • ومن المؤكد ان هذه الصورة لايقبلها الجيل المسلم المعاصر ولايتحمس لها ، لان هذا الجيل لايرى في هذه الصورة مايمكنه من مواجهة ما يسود في عصرنا من نظم وفلسفات وافكار •

ومن هنا تتعين وتتضح ضرورة ملحة للقيام بمهمة تكوين صورة جديدة وتطور حديث للفكر الاسلامى ، ذلك التطور الذى يتفق مع الحاجات الحقيقية للانسان ويلائم تطور حياته •وبعبارة اخرى يتعين علينا ان نقوم باعداد الجيل الجديد المسلم • ولتكن قضية اعداد الجيل المسلم ـ كما قال الاستاذ فهمى هويدى شاغلنا اذا كنا جادين فى الدعوة الى اقامة المجتمع الاسلامى ، وهى رحلة طويلة وشاقة،ولكنها السبيل الامثل لبلوغ هذا الهدف•

ولكن كيف نبلغ ونصل الى هذا الهدف ، ومن اين نبدأ فى عملية اعداد الجيل المسلم ؟

يجب ان نتاكد ونتيقن قبل كل شىء بانه لايجوز بحال من الاحوال اعداد الجيل الجديد على اساس قيل وقال ، اى على اساس الصورة المحرفة والتصوير المخطىء للاسلام وهذا العمل ليس بيسير • هو فى الواقع رحلة طويلة وشاقة • هناك صعوبات ومشقات • منها بل اعظمها كون المعاهد والجامعات الاسلامية لاتزال تلقن طلابها باسلام كتب الفقه وكتب التفسير واذكر بهذه المناسبة بانى درست فى الازهر فى مادة الفقه بابا خاصا باحكام الرق ، ومن خلال هذه الدراسة وكيفية تناول كتب الفقه للرق كنت اتصور ان الرق لا يزال موجودا وان الاسلام يقر به •

واما كتب التفسير المتداولة بين الايدى اليوم فلا تعطى لنا صورة صحيحة عن الاسلام •« ومن طالعها وجدها اعظم مانع من الوقوف على مراد الله بكتابه الكريم » (العلامة محمود شكرى الالوسى)•

ربما يقال بان هناك محاولات تتغذ وجهودا تبذل فى سبيل تفسير القرآن تفسيرا عصريا صحيحا يعطى لنا صورة جديدة للفكر الاسلامى بما فيه من مميزاته وخصائصه مما يستطيع ان يملأ الفراغ الموجود فى الحياة المعاصرة •

نعم ، هناك مفسرون جدد مثل الشيخ محمد عبده والشيخ رضا (تفسير المنار) والاستاذ سيد قطب (فى ظلال القرآن) وغيرهم ، ولكن يجب أن لا ننسى بان هناك عصا الشيخ عليش تحول دون دراسة وتدريس مثل هذه المؤلفات فى الجامعات الاسلامية • اتذكر عندما كنت طالبا فى الازهر حضرت محاضرة للشيخ رشيد رضا فى التصوف وكنت ساكنا فى رواق الاتراك ـ تكية محمد بك ابو الذهب وتاخرت فى العودة الى التكية ، فاستدعانى شيخ الرواق للتحقيق معى فى التاخر ، فلما اخبرته عن حضورى محاضرة الشيخ رشيد رضا قال لى العذر اقبح من نفس التاخر ، واضاف ان الشيخ رضا ينشر الافكار الباطلة وهو تلميذ للشيخ محمد عبده ، فمن الواجب مقاومة آرائه وافكاره•

تلك صعوبات نستطيع أن نطلق عليها اسم الصعوبات الداخلية التى تنبثق من داخل المجتمع الاسلامى • وعلى جانب هذا النوع من الصعوبات توجد صعوبات اخرى ليست اقل شانا من الاولى يمكن ان نسميها الصعوبات الخارجية • وذلك ان المجتمع الاسلامى ليس بمعزل عن المجتمع العالمى الذى تسود فيه فلسفات ونظم وافكار ، وتؤثر على المجتمع الاسلامى،ولا سيما على النشء الجديد •

ومن حيث ان الجيل المسلم الجديد يواجه مشاكل فكرية وعقائدية واجتماعية واخلاقية ولايجد فى صورة الاسلام الحالية حلولا لها ، فان افراد هذا الجيل يتجهون اتجاهات مختلفة بحثا عن تلك الحلول ولا ذنب لهم فى ذلك ، لانهم مضطرون الى مسايرة العصر والى لحاق الركب العام • وانما الذنب لغيرهم من المسئولين فى المجتمع الاسلامى•

ان الجيل المسلم الجديد لايرضى ان يعيش عالة على« قيل وقال » ، وانما يريد ان يقول كلمته فى كل أمر يتعلق بحياته ، وله فى ذلك كل الحق• « تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون • ولكل جيل دور كان يجب عليه ان يقوم به ويؤديه • وقد توالت اجيال عديدة لم تقم بدورها وعاشت عالة على جيل السلف الصالح •

وقد حان الوقت ان ننهى هذه الفترة وان نخلق جيلا بناء خلاقا يعتمد على نفسه وعلى طاقته ولا يقلد غيره ولا يكون مصابا بعقدة النقص•■■

سيرايبفو ـ حسين جوزو

ماذا حقق العالم الثالث من تنمية ؟

بقلم :
الدكتور محمد سلطان ابو على*

■ يتكون العالم الثالث ـ او الدول النامية من اكثر من ١٠٠ دولة يبلغ مجموع سكانها اكثر من ثلثى سكان العالم • وتقع هذه الدول ـ كما هو معروف ـ فى افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية • وبالرغم من وضع هذه الدول فى مجموعة واحدة الا انها تختلف اختلافا بينا من دولة لاخرى • فمن حيث عدد السكان نجد ان الهند يقرب عدد سكانها من ٦٠٠ مليون نسمة فى حين ان سكان جامبيا لا يزيد عددهم على ٣٥٠ الف نسمة • كما ان الكثافة السكانية فى مالطة تبلغ ٢٦٠٠ نسمة للميل المربع فى حين انها تعادل ٣ اشخاص فى موريتانيا •

كما تتفاوت هذه الدول من حيث درجة ثرائها بالموارد الطبيعية المعروفة فالجابون والكونغو غنيتان بالموارد المعدنية فى حين تكاد تخلو تشاد منها • وكذلك الحال بالنسبة للتصنيع • فتصنع البرازيل كافة السلع الاستهلاكية والانتاجية تقريبا فى حين لا توجد صناعات تذكر فى عديد من البلدان مثل نيبال •

وبالرغم من هذا التباين فتوجد سمات عديدة مشتركة • واحدى هذه المميزات انخفاض مستوى المعيشة بالمقارنة لنظيره فى الدول المتقدمة • ومن اجل هذا دعت الامم المتحدة الى تسمية سنوات الستينات باسم عقد التنمية الاول • ووضعت خططا اخرى فى هذا العقد اطلق عليها اسم عقد التنمية الثانى • وقد صنفت الامم المتحدة خمسا وعشرين دولة من بين الدول النامية على انها اقل الدول تقدما • وهذه الدول هى :

فى افريقيا : بوتسوانا ، وبوروندى ، تشاد ، بنين (داهومى سابقا) اليوبيا ، غينيا ، ليسوتو ، ملاوى، مالى ، النيجر ، راوندا ، اوغندا ، تنزانيا، وفولتا العليا ، السودان ، والصومال •

فى اسيا والمحيط : افغانستان ، بوتان ، لاوس، مالديف ، نيبال ، سيكيم وغرب ساموا ، واليمن •

وفى امريكا اللاتينية : هايتى •

فماذا حققت دول العالم الثالث من تنمية ؟ وما هو وضعها النسبى بين دول العالم •

الفرد والدخل القومى :

حققت بعض الدول معدل نمو سنوى فى متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى يفوق ٢٪ خلال الستينات تذكر منها فى افريقيا : جابون ، ساحل العاج، ليبيا، ملاوى، موريتانيا، زامبيا وفى آسيا : ايران ، والعراق ، الاردن لبنان ، ماليزيا ، باكستان ، السعودية ، سوريا ، تايلاند ، وكوريا، وفى امريكا اللاتينية : بوليفيا وشيلى ، جواتيمالا،

* استاذ الاقتصاد بجامعة الزقازيق ، ومستشار اقتصادى بالصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية •

المكسيك ، والبرازيل اما بعض الدول الاخرى فلم تحقق ذات القدر من النجاح حيث لم يزد متوسط دخل الفرد فيها على الاطلاق ، بل هبط بعض الشيء عما كان عليه في اول الفترة ومن هذه الدول اندونيسيا وغانا واروجواى •

وتشير الارقام الى ان هناك ٤٦ دولة من مجموع قدره ١٤٢ دولة قد يبلغ متوسط دخل الفرد فيها ٢٠٠ دولار او اقل • كما ان ٢١ دولة منها اى ٤٦ ٪ من الدول التى يبلغ متوسط نصيب دخل دخل الفرد فيها ٢٠٠ دولار فاقل لم يصل معدل نمو دخل الفرد فيها الى ١٪ ، في حين ان هذه النسبة تبلغ ٩٪ من الدول التى يزيد متوسط دخل الفرد فيها على ٧٠٠ دولار • وفى مجموعة الدول ذات الدخل الذى يزيد على ٧٠٠ دولار حقق ٧٠٪ منها معدل نمو يصل الى ٤٪ او اكثر ، في حين ان نظيرتها من الدول ذات الدخل الذى يقل عن ٢٠٠ دولار للفرد كانت ٢١ ٪ • وهذا يظهر الاعتقاد الشائع باتساع الفجوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة •

كذلك من المسلم به بين الاقتصاديين ان عدم عدالة توزيع الدخل داخل الدول النامية اكبر من تلك الموجودة في الدول الغنية • وهناك تشير الارقام الى ان افقر ٢٠٪ من سكان الدول ذات دخل متوسط يقل عن ١٠٠ دولار في السنة يحصلون على ٧٪ فقط من الدخل القومى لهذه الدول في حين ان الرى ٢٠٪ يحصلون على ٥ر٥٠٪ من اجمالى الدخل • اى ان ذات نسبة السكان على قمة مستوى الدخل تحصل على اكثر من سبعة اضعاف الدخل الذى تحصل عليه نفس النسبة في اسفل سلم الدخل • كما يلاحظ ان اغنى ٥٪ من سكان الدول الفقيرة يحصلون على نسبة اكبر من الدخل عن نظيرها في الدول الغنية •

ويستدل على درجة العدالة باستخدام نسبة التركيز • وتتراوح قيمة هذه النسبة بين ١ ،صفر وكلما اقتربت من الواحد الصحيح فمعنى ذلك ان شخصا واحدا فقط يحصل على الدخل القومى ولا يحصل بقية السكان على شيء • اما اذا ساوت هذه النسبة الصفر فيكون هناك عدالة تامة اى ان ١٠٪ من السكان يحصلون على ١٠٪ من الدخل ، ٥٠٪ من السكان يحصلون على ٥٠٪ من الدخل وهكذا • واذا كانت نسبة التركيز في الدول الفقيرة اكبر منها في الدول الغنية ، فلا يجب ان يستنبط من ذلك ان ارتفاع مستوى دخل الفرد في الدولة يؤدى بالضرورة الى عدالة التوزيع ، ولكن تحقيق هذا الهدف يتطلب سياسة اجتاعية ترمى الى ذلك •

بعض نسب الصادرات

تتركز صادرات الدول النامية في السلع الاولية • وتختلف نسبة حصتها في هذه الصادرات من سلعة لاخرى • فاذا اخذنا مجموع الدول التى يقل متوسط دخل الفرد فيها عن ٢٠٠ دولار سنويا لوجدنا ان صادراتها من الشاى تمثل ٧ر٧٣٪ من صادرات العالم ، ٤ر٦٨٪ من الجوت ، ١ر٦٣٪ من الكاكاو ، ٤ر٥٥٪ من الفول السودانى ، ٢ر٣٦٪ من المطاط ، ٦ر١٨٪ من القطن الخام • وعن طريق هذه الصادرات تحصل هذه الدول على نسبة ملموسة من دخلها • ولوحظ ان اسعار هذه السلع تتذبذب بدرجة كبيرة ومعها يتقلب الدخل الذى تحصل عليه هذه البلدان •

ومن ناحية اخرى ، فانه من بين المؤشرات التى تظهر مدى تحسن الظروف المعيشية في الدول متوسط توقع عدد سنوات الحياة عند الولادة • وكلما زاد هذا المتوسط زاد اسهام الفرد في بناء المجتمع • اما اذا نقص متوسط عمر الانسان فان المجتمع يحرم من خدماته في سن مبكرة كان من الممكن ان يثريه بما اكتسب من علم وخبرة •

وقد ثبت ان العمر المتوقع للفرد عند الولادة في البلدان النامية قد زاد من ٣٢ سنة في الفترة من ٣٥ / ١٩٣٩ الى ٤٩ سنة في الفترة من ٦٥ / ١٩٧٠ • وكذلك ارتفع هذا العمر بالنسبة للدول المتقدمة من ٥٦ سنة الى ٤ر٧٠ سنة بين الفترتين • ويدل اختلاف طول العمر المتوقع للفرد بين مجموعتى الدول على استفادة الدول الصناعية من سكانها

بدرجة اكبر من نظيرها في الدول النامية .

نظرة الى المستقبل

مما سبق يتبين ان التنمية التى حققها العالم الثالث بصورة عامة تقصر عما تصبو اليه شعوبها. وان الطريق امامها ما زال طويلا . وتوجد امامها عقبات اساسية تتشكل فى ارتفاع اسعار السلع المصنعة وكذلك المواد الغذائية التى تستوردها ، وتقلب اسعار السلع التى تصدرها بما يقلل من قدرتها على تحقيق التوازن في موازين مدفوعاتها، كما تقل فيها الكفاءات والعناصر المدربة ورؤوس الاموال الكافية لاحتياجاتها ، بالاضافة الى العقبات التى تضعها الدول الصناعية والتى تحول دون حصول الدول النامية على نصيبها العادل .

وتتطلب هذه الظروف جهودا منسقة من الدول النامية لكى تسرع بتنمية اقتصادها خاصة وان العصر الذى نعيش فيه يتسم بالتكتلات الاقتصادية الكبيرة وعلى راسها السوق الاروبية المشتركة . وابرز مجالات هذا التعاون :

المواد الخام : حيث ان الدول النامية تنتج نسبة كبيرة من المواد الخام ، فلاشك انها ستحصل على شروط افضل فى تسويق هذه المنتجات بطريقة متسقة. ويمكن ان تشكل فيما بينها اتحاد منتجين يرعى مصالحهما شانها فى ذلك شان الاوبك ويمكن ان يمتد التعاون بينها الى مجال تصنيع هذه المواد وليس تسويقها فحسب . وميزة هذا التصنيع انه يزيد من ايرادات الدول النامية ويقلل من ذبذبات الاسعار التى تتعرض لها بالاضافة الى خلق فرص عمالة جديدة .

التعاون المالي :

مع ارتفاع اسعار البترول عملت الدول المصدرة للبترول على مساعدة الدول النامية عن طريق انشاء الصندوق الخاص للاسهام فى تمويل المشروعات الانمائية براسمال مبدئى ٨٠٠ مليون دولار ثم اضافت اليه فى نهاية العام الماضى ٨٠٠ مليون دولار اخرى .

كما انشات معظم الدول المصدرة للبترول ـ وخاصة العربية منها ـ صناديق قومية لتمويل التنمية فى الدول النامية . نذكر منها الصندوق الكويتى ، وصندوق التنمية السعودى ، وصندوق التنمية العراقى ، وصندوق ابو ظبى . كما انشات المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا . وتقوم هذه المؤسسات بتقديم معونات بشروط ميسرة تتمثل فى اسعار فائدة منخفضة وفترات سداد طويلة متضمنة فترة امهال .

وبالاضافة الى ذلك دعمت الدول المصدرة للبترول مؤسسات التنمية الدولية (مثل البنك الدولى للانشاء والتعمير وصندوق النقد الدولى) حتى تستطيع تقديم مساعدات مالية اكبر لدول العالم الثالث . ولعبت دورا فعالا فى انشاء النافذة الثالثة للبنك الدولي والذى يقدم بمقتضاها قروضا جديدة بشروط ايسر من الشروط المعتادة للبنك .

وفى مجال الاستثمار المباشر انشات العديد من المشاريع المشتركة الا ان هناك مجالا اكبر لزيادة هذا النوع من الاستثمار وخاصة في مجال تنمية الزراعة وزيادة انتاج الثروة الحيوانية .

الغذاء : بالرغم من وجود مساحات شاسعة لم تستغل بعد فى الدول النامية فاننا نجد انها تستورد كميات كبيرة من السلع الغذائية . ولذلك فان هناك مجالا واسعا للتعاون فيما بينها لزيادة انتاج السلع الغذائية ورفع الانتاجية الزراعية .

التصنيع : تبينا مقدار التشابه فى الهيكل الاقتصادى للدول النامية ، ومن ثم فانها تتنافس مع بعضها البعض اذا عملت باستقلال وعزلة . ولكن عن طريق تنسيق جهودها التصنيعية تستطيع دخول هذا المجال بسرعة ، خاصة وان الصناعات الحديثة اصبحت تتسم بالكبر مما يستلزم وجود سوق كبيرة لاستيعاب منتجاتها . وتوجد عدة عقبات امام هذا التنسيق لعل اهمها الاتفاق على موقع الصناعات المختارة وكيفية توزيع المكاسب الناتجة عن التنسيق بين الاطراف المختلفة . ويوجب حجم المزايا المتوقعة من هذا العمل المنسق الاتفاق على قبول لهذه المسائل .

واخيرا فان الاحوال المعيشية لاكثر من الفى

مليون نسمة في دول اسيا وافريقيا ، والتي تتسم بانخفاض مستويات الدخول ، وتدني الرعاية الصحية ومستويات التغذية ، لتتطلب المزيد من العمل والجهود حتى تستطيع توفير معيشة كريمة لهذه الجموع . ولقد سعت الدول النامية للحصول على حقوقها واتخذت خطوات مبدئية لتحقيق ذلك منها قرارا الامم المتحدة في دورتها الخاصة السادسة المتعلقان بالاعلان باقامة نظام اقتصادي دولي جديد ، وبرنامج العمل الخاص باقامة نظام اقتصادي دولي جديد ، وكذلك مؤتمرات القمة مثل مؤتمر القمة العربي الافريقي الذي عقد بالقاهرة في شهر فبراير ١٩٧٧ . والمؤتمر الذي اطلق عليه اسم مؤتمر الشمال والجنوب والذي عقد في باريس في عام ١٩٧٦ . ولا جدال في ان الطريق طويل لتحقق الدول النامية ما تصبو اليه من رفاهية اقتصادية . وييسر التعاون اللصيق بينها الامل في بلوغ هذه الغاية في فترة زمنية اقصر . ■■

د . محمد سلطان ابوعلي

اسماء الاعلام والمصطلحات العلمية والاجنبية :

بين النقل الملتزم والتعريب

للدكتور محمد محمد السلاموني

■ لقد أسعدني أيما سعادة اطلاعي على مقال السيد الدكتور احسان حقي بعنوان « دعوة لاعادة النظر في الحروف العربية » (مجلة العربي ، العدد ٢٣١) وعلى تعليق الاستاذ احسان جعفر على هذا المقال بعنوان « المطلوب قواعد ملزمة لتعريف الاعلام الأجنبية » (مجلة العربي ، العدد ٢٣٤) . اما مرد هذه السعادة فهو اهتمامي الخاص بموضوع نقل الاسماء الاجنبية أو تعريبها وكذلك اهمية هذا الموضوع للسادة الباحثين والمترجمين العرب وحاجتهم الى الالتزام باسلوب محدد متفق عليه .

ولما كان النقل أو التعريب هو لب القضية التي أثارها هذان السيدان ، فساحاول بادىء ذي بدء استعراض وجهتي نظرهما في المفاضلة بين النقل والتعريب ومناقشتهما خصوصا وانهما يمثلان مدرستين قديمتين تحرص أولاهما على النقل وتطالب الاخرى بالتعريب ، وهكذا فان الفرصة متاحة الان لمناقشة هذه القضية مناقشة جدية حرة أرجو أن تثير اهتمام المختصين فيسهموا بارائهم وتجربتهم بما يحقق الفائدة المرجوة التي طال انتظارنا لها .

النقل الملتزم

فالنقل الملتزم ، اى نقل أسماء الاعلام الاجنبية وكذلك المصطلحات ، أيا كانت اللغة المكتوبة بها بحروف عربية تؤدي أصوات حروف اللغة المنقول عنها خير أداء هو ما أثاره السيد الدكتور احسان حقي حيث يطالب بنقل صحيح للالفاظ الاعجمية الى اللغة العربية يساعد على التلفظ بها على الوجه السليم كما يلفظها أهلها (مجلة العربي ، العدد ٢٣١ ، ص ـ ٩٥) . وأما التعريب ، فقد انبرى للمناداة به الاستاذ احسان جعفر ، حيث يقول معتمدا على الاستاذ احمد شاكر « ان الاعلام

قضايا حيوية

الاجنبية تنقل الى العربية مغيرة في الحروف والاوزان الى حروف العرب وحدها والى أوزان كلمهم او ما يقاربها وانها لا تنقل ابدا كما ينطقها أهلها « ثم يضيف سيادته » ما الفائدة المرجوة من نقل الاعلام الاجنبية كما ينطقها أهلها دون تزيد او نقصان ، وهل يفعل أصحاب اللغات الاخرى ذلك على الاغلب عندما ينقلون اسم علم من لغتنا ؟» (مجلة العربي، العدد ٢٢٤ص، ١٤٣)٠

وأحاول الآن مناقشة وجهتي النظر هاتين وأبدأ بالنقل الذي يمثل محاولة الناقلين العرب القدامى الاولى منذ فجر الترجمة في مستهل العصر العباسي وما بعده ، واذا تساءلنا عن فائدة النقل الملتزم ، فمما لا ريب فيه انه يساعد الباحث أو المترجم العربي على الاسترشاد بهذا النقل الدقيق بالرجوع الى مظان اسم العلم المنقول في المعاجم ودوائر المعارف الاجنبية المتخصصة التي لا يزال المثقفون العرب يرجعون اليها لندرة ما لدينا من المراجع العربية . كي يحصل على المعلومات التي قد يحتاجها للتعرف على صاحب هذا الاسم ، فاذا فرضنا أن الباحث او المترجم العربي يرغب في التعرف على شخصية فيثاغورس ، أحد الحكماء الاغريق الاوائل ، كما نقله القدامى ، فانه لا يستطيع الاهتداء اليه الا بمشقة كبيرة ، وبالعكس فانه لو بحث عنه منقولا نقلا سليما يمثل أصوات حروف هذا الاسم ولغته اليونانية القديمة ، فلا ريب أنه يصل الى هدفه في يسر ٠ ولما كان رسم هذا الاسم الاصلي هو « Pythagoras » (منقولا بحروف لاتينية) ، فالنقل التقريبي له بحروف عربية هو بيثاغوراس وليس فيثاغورس ٠ أما أن هذا النقل تقريبي فيحتاج الى تفسير ،اذ لا تضم الابجدية العربية حرف الباء الثقيل الذي يقابل الباء المثلثة في الابجدية الفارسية ، وهذا ما دعا الناقلين القدامى الى استخدام الفاء السريانية نقلا لحرف الباء الثقيل اليوناني ،وهذا غير جائز ، لان أصحاب اللغة اليونانية لم يلفظوه فاء، وافضل عليه ابتداع رمز يدل عليه . ويلاحظ أن الناقل القديم قدأغفل في نقله الحرف A في نهاية هذا الاسم ، وهو طويل بطبيعته ويجب أن يحتفظ بصوته ٠ أما صوت الغين نقلا للحرف جاما اليوناني فلا غبار عليه ، لان صوت هذا الحرف أصبح على أيام المترجمين العرب الاوائل يمثل بمثل صوت الحرف غين العربي ، وعلى هذا يساعد نقل هذا الاسم على أساس صوتي دقيق الباحث أو المترجم العربي وكذلك المستشرق على التعرف عليه ٠ واذا كان هذا النقل يقتضي منا ابتداع رموز صوتية جديدة فلا باس من ذلك ، وهذا ما سوف أشير الى تحقيقه في ختام هذا المقال ٠ وثمة اسم علم آخر ورد في مقال الدكتور احسان حقي أرغب أن أقف عنده وقفة قصيرة وان ألقي عليه نظرة فاحصة وهو جرجل نقلا لاسم العلم الانجليزي (Churchill) ويقوم هذا النقل على استخدام الجيم المثلثة الفارسية لتادية الصوت الانجليزي « Ch » (مجلة العربي ، العدد ٢٣١ ، ص ـ ٩٥) ٠ أما ملاحظتي المبدئية على هذا النقل فهي عدم دقته صوتيا ، اذ أغفل الناقل الحرفين اللينين « U » ، « I » فلم يأخذهما في الاعتبار عند النقل ولو عن طريق التشكيل ، ولهذا فان القارىء لهذا الاسم المنقول لا يستطيع التلفظ به صحيحا ، ومن ثم لا يستطيع الاستدلال عليه ٠ أما الملاحظة الثانية ، وهي من الاهمية بمكان ، فهي استخدام الناقل للجيم المثلثة في نقل هذا الاسم ولا أرى ما يدعو الى الاستعانة بهذا الصوت الفارسي ، ذلك أن الصوت « Ch » الانجليزي يقابل في الابجدية العربية التاء والشين ، الحرفين الجامدين والقاعدة العربية المعروفة تقضي بتحرك الحرفين الجامدين في أول الاسم المنقول بالف الوصل فيكون النقل التقريبي على أساس هذه القاعدة هو اتشرتشل لا جرجل ، ولا حاجة بنا اذا لاستخدام صوت فارسي ما دام في استطاعتنا نقله بحروف عربية ٠ بقي ان أقول أن النقل الدقيق لهذا الاسم موكول اولا وأخيرا لمتخصص في أصوات حروف الابجدية الانجليزية ، وارجو أن يكون واضحا

انى لست ضد استعمال الرموز الصوتيةالفارسية، فهى والحق يقال ، قادرة على اداء أصوات الحروف الاجنبية التى ليس لها نظير فى الابجدية العربية بالاضافه الى أن لهـا أشكـالا شبيهة بالحـروف العربية ، واذا كان لى أيـة ملاحظة أبديهـا عن الرموز الصوتية الفارسية ، فهىانها ليست شائعة الاستعمال ولا يعرفها الا القليل والآن فان وقوفى عند اسمى العلم (Churchill Pythagoras) هذه الوقفةكان الغرض منها توجيهالنظر الى أنالنقللا يزال غير دقيق والى أن الحاجة ماسة الى تطويره جماعيا لا فرديا أو محليا على أسس صوتية سليمة ميسرة .

التعريب والنقل

واذا انتقلنا الان للتحدث عن التعريب الـذى يدعو اليه الاستاذ احسان جعفر ، فاقل ما يؤخذ عليه انه لا يؤدى أصوات حروف اسم العلم المنقول بل يخضعها لاصوات حروف الابجدية العربية فى شىء من الافتعال والتعسف ، هذه الظاهرة التى تبعد الاسم المعرب عن صورته الاصلية فى لغته ، وهذا يدعو الى تساؤل الباحث أو المترجم العربى وحيرته اذا ما أراد أن يتعرف على اسم العلم فى لغته ، وهنا ترجح كفة النقل على كفة التعريب . أما الاتجاه الى التعريب فهو فى حقيقة الامر دعوة الى الانعزالية ، أى انعزال الثقافة العربية عن سائر الثقافات ، غربية وشرقية ، وهذه النحوة قد فشلت فى الماضى ، فكيف نحييها بالمطالبة بالتعريب الآن ؟ ان الاتصال الادبى والفكرى والعلمى بين العرب وغير العرب يمثل ظاهرةطبيعيةصحيةمثمرة، ومجمل القـول فان التعريب يقف حجـر عثرة فى طريق الباحثين أو المترجمين العرب ، وهم وحدهم من افكر فيهم وأنا أفاضل بين النقل والتعريب ، أما القارىء فلا يدخل فى حسابى الا من حيث انه ينبغى أن يفيد فى يسر من جهود هؤلاء الباحثين أو المترجمين العرب ، وهم حلقة الاتصال بيننا ، نحن العرب وبين سائر الامم المتقدمة . أقول هذا من منطلق أنى عربى غيـور ولست داعية ينحـاز لغـير العرب بحال من الاحـوال أما قول الاستـاذ احسان جعفر الذى أشرت اليه فى صدر هذا المقال ومع ذلك اذكره مـرة أخرى لمناقشته وهو « مـا الفائدة المرجوة من نقل الاعلام الاجنبيةكما ينطقها أهلها دون تزيد أو نقصان ، وهل يفعل أصحاب اللغات الاخـرى ذلك على الاغلب عنـحـا ينقلون اسم علم من لغتنا ؟ » أما الشق الاول من هـذا القول فقد أجبت عليه ، وتبقى الاجابة على الشق الثانى وهى ليست بالعسيرة ، فنحن نعلم جيدا أن المستشرقين الذين يعنـون بنقل التراث العربى لا يخضعون أصوات حروف أسماء الاعـلام العربيـة المنقولة لأصوات حروف لغتهم لقصورها عن تادية بعض الاصوات العربية ، ولذلك ابتدعوا رموزا لأصوات عربيـة لا تضمهـا أبجدياتهـم سـعيا الى نقل هذه الاسماء كما ينطقها العرب ، ومنهذه الرموز الصوتية كما هو معروف حروف الجـاء والخـاء والذال والصاد والضاد والطاء والعـين والغين والقاف وحسنا فعلوا كما أشار الى ذلك الدكتور احسان حقى لانه أصبح من الميسور على المثقف العربى ، باحثا ومترجمـا ، التعرف على الاسم العربى بأصوات عربية سليمة بالرغم من تاديتها برموز أجنبية . وليسمحلى الأستاذ احسان جعفر أن أوجه له السؤال التالى : ما هى القواعد الصوتية التى التزمها المعربون القدامى والمحدثون فى تعريب أسـماء الاعـلام الاجنبية ؟ وهل هى جماعية أو اجتهادات فردية ؟ واطلب اليه كذلك أن يدلنى على الاسلوب الصوتى الذى أتبع فـى تعريب بعض الاسماء العبرية الواردة فى مقـاله مثل السموءل تعريبا لشموئل وايوب تعريبا لايوق وانى فى الانتظار وخلاصة القول فان تعريب اسم علم أجنبى هو فى حقيقة الامر اعطاء صورة عربية له تختلف عن صورته الاصلية فى لغتـه ، وهـو بذلك نوع من النقل غير الملتزم وبعبارة أخرى هو نقـل محـرف ثم انه ليس من التجنى القـول بان التقنين الصوتى للتعريب مسالة صعبة والاتفاق

الجماعي عليها أصعب والجهد الذى يصرف فى هذا غير مجد وبالعكس فان النقل على أسس جديدة أيسر وهو يحقق فى نفس الوقت هدفا أكبر .

والان اذا آثرنا النقل على التعريب ، فأرى أن أصوات حروف الابجدية العربية لا يعوزها فى نقلها للاعلام الاجنبية الا القليل من الاصوات التى يستطاع تزويدها بها ، وقد اتضح لى هذا من تجربة سابقة لى . فلقد تناولت موضوع النقل فى اطار تخصصى فى اللغتين اليونانية القديمة واللاتينية فى بحث بعنوان « دراسة تفصيلية فى كتابة الاعلام الاغريقية واللاتينية بحروف عربية (مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الجزء ٢٩، مارس ١٩٧٢ ، صفحات ٩٧ ــ ١٤٦) ، وكان بحثى هذا تعليقا ونقدا لبعض ما كان قد قرره مجمع فؤاد الاول للغة العربية (مجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية ، الجزء الرابع ، ١٩٣٩) . وقد وصلت فى هذا البحث الى أن اضافة القليل من الاصوات على هيئة رموز صوتية يمكن أن يسد النقص فى أصوات الحروف العربية ، فاذا توسعنا فى دراستنا لاصوات حروف الأبجديات الاخرى قديمة وحديثة وحاولنا اضافة أصوات جديدة ، بناء على هذه الدراسة ، الى الابجدية العربية ، استطعنا النقل فى يسر كبير ، على أن يكون القيام بهذا العمل الكبير جماعيا وليس فرديا أو محليا ، ذلك أن العمل الفردى أو المحلى يجعلنا ندور فى دائرة مفرغة لا يرجى منها اية فائدة ، وهو ما حدث بالفعل فقد تعددت هذه الجهود ولم تجن أية ثمرة منها .

الحاجة ماسة اذا الى محاولة أسلوب فى النقل دقيق وملزم فى نفس الوقت ، وهذا ما جعلنى افكر فى خطة يسرنى أن أتقدم بها سعيا الى الوصول الى هذا الهدف ، وأفصل هذه الخطة فى الاتى :

تتبنى هيئة عامة فى أى قطر من أقطار عالمنا العربى والاسلامى ــ ولتكن على سبيل المثال وزارة ثقافة او مؤسسة معنية بالدراسات اللغوية العربية ــ موضوع نقل الاعلام والمصطلحات الاجنبية ، فتدعو ، عن طريق وسائل الاعلام ، العلماء العرب المتخصصين فى سائر لغات الامم المتقدمة القديمة والحديثة ، الشرقية والغربية ليوافوا هذه الهيئة المقترحة بأبحاث فى أصوات حروف الابجدية التى تخصص فيها كل منهم ، مثل الابجدية العربية والعبرية والفارسية واليونانية القديمة واللاتينية والاردية والسريانية والانجليزية والفرنسية والايطالية والالمانية وغيرها على أن يسهم علماء الاصوات العربية بعامة وعلماء الاصوات العربية فى العراق وسوريا والمغرب العربى بخاصة ، لان لهذه الاقطار طرقها الخاصة فى نطق ورسم بعض الحروف العربية ، بأبحاث يضمنونها أسلوبهم وتجاربهم الصوتية فى تأدية أصوات حروف اللغات التى ينقلون عنها ، وعندما تتجمع هذه الابحاث تحاول الهيئة المقترحة دعوة من استجاب الى دعوتها ــ وهى دعوة قومية يجب ان يلبيها كل متخصص عربى ــ حيث تناقش الدراسات المختلفة وتنسق اصوات حروف الابجديات المختلفة وتحدد الاصوات التى تقصر الابجدية العربية عن ادائها والاتفاق على رموز صوتية جديدة تمكن الابجدية العربية من النقل الدقيق السليم واقترح ان يطلق على هذه الرموز « الرموز الصوتية العربية » ثم تذاع هذه الرموز الصوتية فى كافة انحاء العالم العربى والاسلامى فى كتيب يكون فى متناول الباحث والمترجم ، وبهذا نقضى على مهزلة النقل العشوائى الفردى بكل اشكاله . وبغير هذا سندور ، للاسف الشديد ، فى نفس الدائرة المفرغة على غير طائل .

وغنى عن البيان ان هذه الابجدية الصوتية سيكون لها كيانها الخاص المستقل بوصفها مرشدا للباحث او المترجم العربى ، ولن يترتب على ذلك اى مساس بابجديتنا العربية التى يجب ان تبقى على حالها الذى ورثناه وعرفناه ، كتراث قومى غير خاضع للتغيير والتبديل .

د/محمد محمود السلامونى
أستاذ الدراسات اليونانية واللاتينية المتفرغ
كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية

الكراسى الموسيقية

بقلم : يوسف الشارونى

■ دق جرس المحطة منذرا بتحرك القطار السريع المكيف العربات بعد خمس دقائق ، فى طريقه من القاهرة الى الاسكندرية ، حين اكتشفت السيدتان انهما تجلسان على مقعدين متجاورين ·

كان من الواضح انهما فى عمرين متقاربين، ولما لم يكن من الممكن ان تعرف عمر المرأة على نحو دقيق ، فان من يراها قد يحدد لهما عمرا يقع بين الخامسة والثلاثين والاربعين وان كانت



الحقيقة ربما اكثر من ذلك قليلا . وكانت السيدة ص التى تجلس بجوار نافذة القطار اكثر امتلاء واناقة ورفاهة وهدوء اعصاب من جارتها س . التى تبدو اقرب الى النحافة والعصبية وان كانت لاتخلو من مسحة جمال ، كما كان يميزها عن جارتها ذلك الشيب الذى بدأ يتسلل الى شعرها مما اكسبها شيئا من مهابة ووقار اكثر واكبر من عمرها الحقيقى .

تبادلت السيدتان تحية مقتضبة بهزة من الراس وتمتمة من الشفتين لاتكاد تسمع . ثم وقفت السيدة س . وسحبت حقيبة سفرها المتوسطة الحجم والتى كانت قد وضعتها فوق رف العربة ، واسندتها على ركبتها ، وفتحتها ، وسحبت منها كتابا ، ثم عادت فاغلقتها ، ووقفت لتعيدها الى مكانها ، ثم جلست . وكان يبدو انها سبق ان قرأت فصولا من الكتاب لانها فتحته عند علامة معينة في وسط الصفحات وراحت تستانف ماانقطع من قراءتها السابقة .

ومع ان السيدة ص . لم يكن لديها مانع من الثرثرة مع جارتها ـ فلم يكن لديها شيء جدى تفعله اثناء هذه الرحلة التى تمتد اكثر من ساعتين ، كما أنها لم تكن سعيدة ان تجتر ماحدث ليلة أمس مما دفعها الى التعجيل للقيام بهذه الرحلة ـ الا انها حين لاحظت تحركات جارتها ادركت أنه لا مجال لتحقيق ما تاهبت له ، فى الفترة الاولى من الرحلة على الاقل ، لولا ان شد انتباهها امر لم تكن تتوقعه . فالكتاب الذى فتحته جارتها لم يكن كتابا غريبا عنها مع انه لم يتح لها ان تقرأ عنوانه ، الا ان لون غلافه وحجمه وحجم حروف طباعته ثم عنوان الفصل الذى استطاعت ان تختلس قراءته عندما ثار فيها حب الاستطلاع للتاكد من ظنونها ... كل ذلك جعلها تتعرف على هذا الكتاب المالوف لديها لسبب بسيط :انه آخر رواية الفها زوجها ! وتساءلت السيدة ص . هل ترى جارتى فى هذه الرحلة احدى قارئاته المعجبات اللاتى لاتعرف عددهن ولا مدى حدود هذا الاعجاب ، أم ان اهتمامها بالرواية مصدره ما نالها من دعاية بسبب تحويلها الى فيلم سينمائى ناجح ، يعرض الآن فى اكثر من دار عرض سينمائية فى وقت واحد فى كل من القاهرة والاسكندرية ! وعجبت ان يظل يطاردها حتى هنا فى هذه العربة المغلقة وهى فى رحلة هدفها الظاهرى قضاء فصل الصيف فى مسكنها ـ او مسكنهما ـ الصيفى بالاسكندرية ، وهدفها الحقيقى البعد عنه حتى تخف حدة هذا التوتر المستمر الذى يعيشان فيه ... كانت تعرف عبث الشكوى منه لان له وجهين : وجه الروائى الشعبى المحبوب الذى يظهر دائما على شاشة التليفزيون وعلى شفتيه ابتسامة لاتفارقه ، ووجه الزوج المتوتر العصبى الذى تحاول ـ ولا تعرف ـ كيف ترضيه . ومن الغريب انه من هذا الزوج يولد ذلك الفنان .. ذلك المغرور الذى يتلقى عشرات الرسائل شهريا من معجبين ومعجبات برواياته ومسلسلاته التليفزيونية والاذاعية وافلامه ...

... يوم جاءها خاطبا كان مايزال ذلك الشاب المتردد الخجول فى دنيا الحب والتاليف معا ، وعندما حدثها عن هوايته ـ وكانت مجرد هواية ـ وما يزدحم به فكره من قصص وروايات يرجو أن تتاح له فرصة كتابتها فى ظل حنانها ورعايتها ، احسست انه يوقظ الانثى الكامنة فيها بكلماته الدافئة وصوته الهامس الخشن ، يزدحم فيه تحمس الرجولة وتطلعاتها . وفى لحظة انفعال مشبوبة باحت له انها كانت تضع شروطا للرجل الذى سيشاركها رحلة الحياة على راسها ان يكون طموحا ، وانها سعيدة لان القدر استجاب لرغبتها . ولعل تلك الرغبة ـ هكذا كانت تحلل وتعلل رغباتها ـ كانت رد فعل لشخصية والدها الذى لم يكن يتحمس لشيء ولا ينفعل بشيء، كانما شعاره الكل باطل وقبض الريح ولامنفعة تحت الشمس .. واليوم ـ وبعد اكثر من عشرين عاما من حياتهما معا ـ لا تتمنى شيئا اكثر من ان تكون زوجة رجل عادى ، كما كان المرحوم والدها، بلا انفعالات ولا تقلبات ، ولا مطامح ولا مطامع، فقد سئمت الحياة العاصفة التى تحياها يوميا مع هذا الذى يصفه المعجبون به بانه عبقرية ،وهى مستعدة للتنازل عن كل ما وفرته تلك العبقرية اجتماعية ترضى غرورها ويسعدها للحظات ان

من حياة رغدة مرفهة وما تتيحه لها من مكانة تنعم بها، لكنها تحس انها في مقابل ذلك تدفع الثمن غاليا من اعصابها ومن لحظات حياتها التي تذهب ولا تعود • ولقد اكتشفت في الشهر الاول من زواجهما ـ شهر العسل المزعوم ـ ان طموحه الذي يبهرها معناه انشغاله عنها بقصصه وتسجيلاته الاذاعية والتليفزيونيةوفيما بعد بعقوده السينمائية ومعجباته وضرائبه ،حتى اصبح خروجه معها حتى لمجرد النادي مرة في الشهر او لزيارة قريب أو صديق معناه ضياع وقته ومجده ومورد دخل جديد • وكانت لحظات الترفيه الوحيدة التي يشتركان فيها معا حين يصطحبها معه ـ وعلىفترات متباعدة ـ لحضور العرض الاول لاحدىالمسرحيات او الافلام تلبية لاحد اصدقائه في الوسط الفني مؤلفا كان او منتجا او ممثلا •• كما كانت تتحايل عليه ان يكون ذهابها الى النادي ساعة الغداء حتى لايحس ان وقته قد ضاع ، اما ابناهما فقد ترك لها مهمة تنشئتهما لا يكاد يعلم عنهما شيئا ولا وقت لديه لسماع شكواها منهما • ولعل كل مايعرفه عنهما الآن ان الولد ـ وهو الاكبر ـ في الجامعة ، وان البنت في مرحلة الدراسةالثانوية، لكنه على الارجح لا يدرى في اية سنة دراسية على وجه التحديد •اما نزواته العاطفية ، فقد هددت رباطهما الزوجي اكثر من مرة ، وهو يحاول انكارها حينا وتبريرها حينا بانها ضرورية للفنان ضرورة الشراب والطعام ، وهي ترقب تطور تلك النزوات في صمت احيانا ، واحيانا اخرى تشبعه تقريعا وتسفيها اوقع وافعل من الانفجار والثورة، يعينها على ذلك برودة اعصاب ورثتها عنوالدها وان لم ترث عنه ما صاحب ذلك من لا مبالاة •

دق جرس المحطة للمرة الثانية والاخيرة وبدأ القطار تحركه حين لاحظت السيدة ص • ان جارتها س • قد عدلت فيما يبدو ـ ولو مؤقتا ـ عما همت به ، فقد ضغطت على زرار المسند فا



الى الوراء قليلا لتصبح في وضع اكثر استرخاء كأنما تريد ان تستأنف بخيالها ما اوحت لها به احداث الرواية وشخصياتها ...

وكانت السيدة س . في الواقع قد استرخت لانها كانت كعادتها ـ كلما قرأت لهذا الكاتب ـ تبحث عن نفسها في رواياته ، وكان يحزنها ان تلاحظ ان شخصيتها قد اخذت تشحب وتتوارى من رواياته الاخيرة بعد ان كانت تلح عليه عقب فراقهما الذى احتفلت بذكراه الخامسة والعشرين منذ اسبوع .

كانت طالبة بالسنة النهائية ـ بكلية الفنون الجميلة حين دعتها صديقتها لحضور حفل زفافها . هناك التقت به ، زميل العريس في الدراسة والتخرج . لم تكن قضية زواجها تؤرقها ، فهي تعلم ان اباها وعمها قد ارتبطا معا انها بمجرد تخرجها ستتزوج ابن عمها . ولم يكن ابن العم هذا شخصا كريها ، ولكنه لم يكن شخصية مثيرة كذلك . كانت عواطفها تجاهه حيادية . وكلما التقت به احست انها تبحث فيه عن شيء ، تفتقده شيء لم تدرك كنهه الا حين التقت به في تلك الليلة التي كانت عرسا لقلبها كما كانت عرسا لصديقها . جذبتها فيه شخصيته القوية المتميزة ، طاقته الهائلة ، ثقافته حتى في فنها الذى تخصصت في دراسته .. حتى وجدت نفسها تعمل ـ مدفوعة بقوة اكبر منها ـ على جذب انتباهه اليها ـ وحين نجحت دار بينهما حوار طويل انتهى بان دعا نفسه الى زيارة مرسمها الذى تشارك فيه بعض زميلاتها ، وهو ما لم يفكر فيه ابن عمها يوما ما .. وجعلت تقارن بين هذا اللقاء المشحون الذى احست بعده كأنما هو صديق تعرفه منذ سنوات ، وبين علاقتها الهادئة الرتيبة بابن عمها .. وتعددت لقاءاتهما وهو يحدثها عما تزدحم به راسه من مشروعات روايات وتمثيليات وافلام سينمائية ، مما جعلها بدورها تحدثه عن مشروعات فنية لم تكن قد فكرت فيها من قبل . وقد حدثت اول ازمة بينهما يوم تاخرت عن لقائه لان ابن عمها كان في زيارتهم ، فاكتشفت فيه يومها تلك الشخصية العصبية القلقة العنيفة مما جعلها تعيد النظر في اندفاعها نحوه ، ووجدت نفسها مرغمة على المقارنة بينه وبين ابن عمها الذى لم يعاملها ـ حقا ـ بهذه القسوة يوما ما ، لكنه ايضا لم يكن ليقلق عليها هذا القلق العاصف ، يزورها في البيت فلا يأبه ان وجدها او لم يجدها ، ينتظرها هادىء الاعصاب حتى تعود فيحييها دون مجرد التساؤل عما اخرها . لا يذهب لمشاهدة معرض تشارك فيه ـ بعد تخرجها ـ الا بناء على دعوة منها ، وكأنما لمجرد تجنب الحرج فلا ميل له للفن او الفنانين . لم يتحرك الا يوم ان علم ان هناك منافسا له ، وكان صاحبها قد تقدم لوالدها يخطبها ، فاعتذر له برفق ـ ولكن بحسم ـ موضحا انها مرتبطة بابن عمها . عندئذ خشى ابن عمها ان يلح هذا الغريب فتفلت منه ، فاسرع في اتمام الاجراءات الرسمية . وهكذا ارغمت على قطع علاقتها به . وكانت اضعف من ان تقاوم ، وبعدها بشهور ظهرت اولى رواياته « امرأة رجل آخر » قرأت اعلانا عنها في احدى الصحف بمجرد الصدفة ، وكانت قد عملت مدرسة بوزارة التربية ، فاشترت الرواية لتقرأها في وقت فراغها . ثم تلقت بالبريد المسجل ـ على عنوان والدها ـ نسخة لاشك انها مرسلة منه وان لم يكتب عليها اهداء مطبوعا كما تمنت وخشيت ، ولا حتى بخط يده . وطمأنت نفسها بانه لابد قد تحرج من زوجها . وعندما لمحت احدى زميلاتها الآنسات عنوان الرواية قهقهت صائحة : تقرأين رواية غرامية وانت عروس ؟ اتركي هذه المهمة للأوانس والعوانس امثالنا . فاحمر وجهها كأنما تعرت امام زميلتها واسرعت تخفي الغلاف بغلاف . وقد شدتها الرواية اساسا لسبب شخصي كانت تبحث عنه في لهفة حتى تحققت منه ، كانت هي بطلة القصة وان ادخلت عليها تعديلات كثيرة لاخفاء مصدرها ، وكان هو بطل القصة بعد تعديلات مشابهة ، وكانت مشاعر البطل نحوها مزيجا من الحب والشفقة والتفهم لموقفها حينا والقسوة عليها حينا آخر ، ولكنه قسا كذلك على نفسه قسوة لا تعرفها عنه طوال علاقتهما ، وكان هذا هو القناع الذى يخفي خلفه شخصيته ، وقد اثارت لديها قراءتها هذه الرواية وقتئذ مشاعر الفرحة الحزينة ، فها هو ذا مايزال يذكرها ولكن شتان بين الذكرى والحصول .

ولقد حدث ماتوقعته . اكتشف زوجها سرها الصغير . وظلت قلقة تنتظر رد الفعل • لكنه لم يعلق بشيء • وبعدها بشهور قليلة فوجئت به يحضر مجموعة قصصية ويقدمها لها قائلا : انت تحبين ان تقرأى له • كم كان هذا التصرف جميلا ووديا للغاية من جانبه . كانت تود ان تحبه . ان تستحيل هذه الالفة او الصداقة التى بينهما الى عشق ملتهب • ولكنها عبثا حاولت . كانت‌تحس انه شخص طيب حصل كل منهما على الاخر بحكم قرابته . دون ان يبذل احدهما — لا هو ولا هى — اى مجهود فى سبيل ذلك • وعلى الفور عقدت تلك المقارنة المألوفة بينه وبين ذلك الشاب الذى تحمس لها . تحمس لجمالها وتغزل فيه كما تحمس لفنها . وتحمست هى لطموحه وحبه للمغامرة بل عشقت فيه‌قلقه لأنه اقنعها أن القلق‌دلالة‌الانسانية، والحيوانات الدنيا هى وحدها التى لاتعرف القلق• كان كل منهما يحاول أن يحصل على الأخر فلايفلت منه . حتى فجع فيها حين تخلت عنه بمثل هذه البساطه واذعنت لمشيئة غيرها ليتحكموا فى اخص شئون حياتها • وماذا عساها تستطيع ان تفعل . لا تجرؤ على الهرب فضلا عن الانتحار • كانوا فى داخلها قبل ان يكونوا خارجها ومن حولها ••(تلك جمل من روايته كانت تختلط بافكارها الان) لكن بينما اطمأنوا الى استسلامها لهم . فقد اكتشفت انه مجرد استسلام ظاهرى •• مع انها لم تره منذ آخر لقاء لهما ••

وكان ذلك فى يوم ممطر . كان قد خرج لتوه من المستشفى بعد اجراء جراحة الزائدة الدودية •وظلا يسيران غير عابئين بالمطر الذى كان يتساقط رذاذا حينا وينهمر مدرارا حينا اخر • وظلا يهيمان فى شوارع القاهرة ساعات حتى خشيت عليه من‌انفتاح الجرح الملتئم‌حديثا . فودعها‌الى لقاء قريب‌وودعته الى غير عودة •••••

الا انها ظلت معه تتابعه فيما ينشر من كتب او مقالات فى صحف تقع تحت يدها او يشتريها لها زوجها خصيصا ••• وتتابع ما ينشر عنه من انباء محاضرة له او سفر أو عودة . أو رواية تترجمله، . ثم فيما يذاع او يعرض له من تمثيليات وافلام • وكانت فى كل هذا تبحث عن نفسها . هل ما يزال هو أيضا معها ؟ كانت تعرف أنه تزوج بل وانجب (اما هى فلم تنجب ربما احتجاجا على مثل هذا الزواج) وقد بدأ القلق ينتابها حين أخذت‌تدرك ان شخصيتهاتتوه منها وسط‌أحداث رواياته . اما شخصيته هو فقد كانت سافرة فى روايات مبكرة . فلما تمرس بفنه نجح فى‌اخفائها تماما خلف‌اقنعة‌متعددة بحيث يصعب التعرف عليه• وكانت هى‌فى‌تلك الاثناء ترقى فى عملها‌بالتدريس حتى اصبحت موجهة للتربية الفنية وها هى ذى الان فى‌طريقها‌الى‌مدير‌ةلمنطقةالتعليمية‌فى احدى‌مهامها وبقدر ما اعجبت ببلوغه قمة النضج الفنى من حيث التشويق ورسم الشخصيات وتطور الاحداث والاسلوب الذى يترقرق شاعرية حينا ويعنف الى درجة الصخب حينا اخر . بقدر ما احزنها انها لم تعد تجد اثرا من‌اثارها متسللا الى احدى شخصيات الرواية حتى لو كانت شخصية ثانوية • وتساءلت فى قلق : هل يمكن ان يكون هذا دلالة على اختفائها من حياته تماما • اما هو فلم يختف من حياتها . ولعل ذلك مرجعه انه حاضر فيها دائما بما حققه لنفسه من شهرة وانتشار . وبما تقرأه وتسمعه وتشاهده له • اما هى فلعله لا يعرف عنها الان باى ارض تعيش • فلا عجب أن تنزوى فى سراديب النسيان • وتنهدت متسائلة هل تراه فراقهما الثانى والاخير ؟ عندئذ تراءى اليها صوت جارتها تسألها :

تعجبك هذه الرواية ؟ وعجبت السيدة س •ان يكون لجارتها من حب الاستطلاع ما يجعلها تدرك انها تقرأ رواية وليس اى نوع اخر من انواع الكتب •

اجابتها على الفور : يبدو انه سبق لك‌قراءتها•

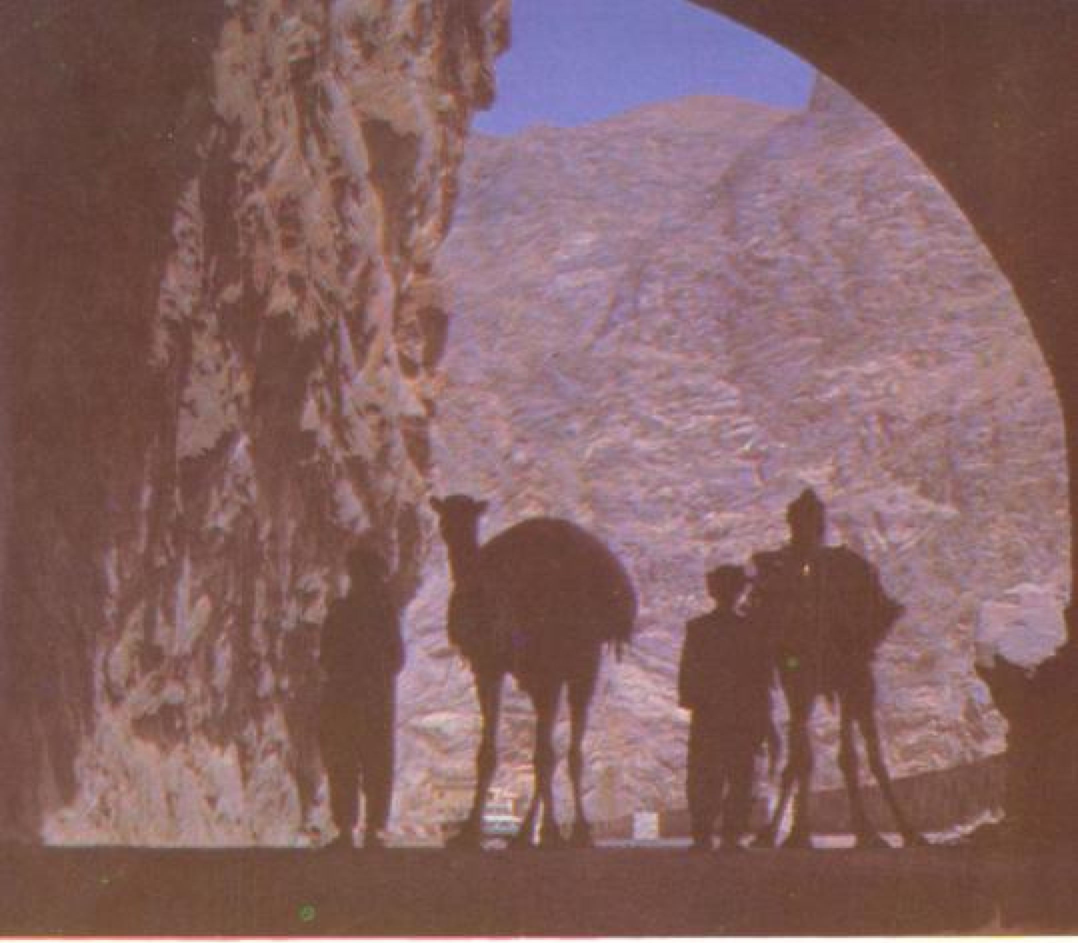
— مؤلفها زوجى يامدام !

— زوجك ؟

ومضت السيدتان تثرثران •

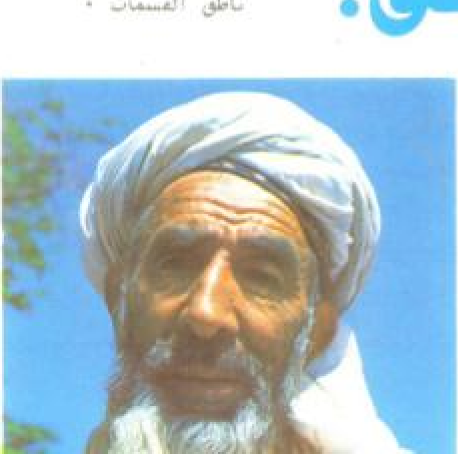
■■

يوسف الشارونى



افغانستان
بلاد الاسلام المعلق!

احد مقاطع مضيق كابول الشهير ، « والشودري » الذي تمرد عليه الجيل الجديد ، ووجه افغاني ناطق القسمات .



بقلم :
فهمي هويدي
تصوير :
اوسكار مترى


CITIZEN

(لو لم يبق للاسلام في الدنيا عرق ينبض ، لرأيت عرقه بين سكان جبال الحملايا (الهملايا) والهندوكش نابضا ، وعزمه هناك ناهضا – الامير شكيب أرسلان) .

تخدعك الوجوه ، وتخدعك الطبيعة في افغانستان . تعطيك انطباعا كاذبا لأول وهلة ، بل تلقنك درسا في كيفية الحكم على الاشخاص والاشياء .

ولن يستغرق الامر معك وقتا طويلا اذا كنت من « عربستان » . عندئذ ستتحول من ضيف ثقيل الى صاحب بيت ، وستطوى في لحظة زمن آلاف الاميال ، وتقفز فوق كل الحدود والحواجز ، وترتفع فوق أشجار الانساب والاعراق والاجناس ، وتتفتح عيناك على الحقيقة .

اذا عرفت كلمة السر ، وقلتها ، معتزا بانك « عربي » مستغربا لهؤلاء الناس الذين لم ينخفض بعد سعر العروبة في أسواقهم ، مندهشا من أن العروبة « قيمة » هنا وليست شبهة ينبغي دفعها والتخلص منها ، كما يفعل البعض في بلادنا .. بعد أن تفيق من هذه الدهشة ، وتتأمل ما حولك جيدا عن قرب ، سوف تكتشف ان وجوه البشر ليست منحوتة من صخور من جبال هندوكش ، كما أن جبال هندوكش ليست فقط صخرا وحجارة ، وقمما ثلجية باردة !

واذا ثبت انك من عربستان فعلا ، وحبذا لو كنت تحفظ بعض آيات القرآن الكريم ، فعندئذ سوف تختفي على الفور شلالات الشك التي تتساقط من عيون الافغانيين عندما يرون الغريب ، وسوف تنفرج أسارير معقودة معلنة الخصام والجهامة ، وتتحول الشقوق الغائرة في الوجوه الى بسمات تتراقص من الابتسام والفرحة ، وتنبسط لك الايدي وتتفتح الاذرع .

« السلام عليكم » .. يبادرك الافغاني على الفور ، بينما عيونه مسبلة ، وكفه ممدودة على موضع قلبه . تهم بالرد ، فيجذبك من يدك برفق لتجلس زمنا الى جواره . وقبل أن تلتقط انفاسك يقدم اليك قطعة من الحلوى لتحتفظ بها في فمك ، وتشرب عليها الشاي الاخضر ، بدلا من السكر الذي يتناثر فتاته ويحتاج الى وعاء وملعقة ووجع رأس . تشرب مرة واثنتين وثلاثا . فالشاي هو مشروب الضيافة الحلال ، اذ السجائر عندهم مكروهة ، وهو يوسع الشرايين وفاتح للشهية قبل الاكل ، ومهضم بعد الاكل ، كما يقولون ، وعند اغلبية الشعب الافغاني ، فالشاي مع الخبز واللبن المضروب هو الاكل ذاته !

يسألك الافغاني قبل أن ترفع الكوب الزجاجي الى فمك : من السعودية ؟ .. وما أن تشرع في الرد حتى يروي لك ما جرى في حجته الثانية ، وانه في الحجة الخامسة كان في ضيافة جماعة من المشرق ، استراح بينهم ولله الحمد . اما في الحجة الخامسة فقد ماتت أمه العجوز التي أصرت على أن تزور البيت الحرام . رغم انها كانت قعيدة ، واضطر أن يحملها الرجل فوق ظهره طول الوقت .

يثير انتباهك هذا التعلق الغريب بالاراضي المقدسة عند الافغان . وتعرف فيما بعد أن أكبر نسبة من الحجاج (بالمقارنة بعدد السكان) يجيئون الى السعودية من بلاد الافغان . وأن الافغاني فقيرا كان أم غنيا ، شيخا كان أم شابا ، لا بد أن يكون قد مر بمكة في رحلة حياته ، وان الذي لم يؤد فريضة الحج يعاني من شعور بالذنب

والاحساس بنقص فى دينه • وانه عازم على ذلك – يجزم لك – فى العام القادم باذن الله •

وحتى لو كانت الترجمة غير دقيقة ، فانك تحس بعلاقه ود عميقة تربط بينك وبين الافغانى ، وان الرجل كان يفتقدك طوال سنوات غيابك ، وانك أخيرا عدت بشعور المتردد والغريب •• رغم انك عائد الى بيتك وأهلك •• ألست مسلما من عربستان (لاحظ أنهم يعتبرون كل عربى مسلما ، وان غير المسلم فى بلاد العرب اما ان يكون أجنبيا أو مرتدا ، وهى الفكرة السائدة فى أطراف العالم الاسلامى) ••

تكاد تخجل ، وتندم – مثلى – على لحظة ظلمت فيها هؤلاء الناس ، ورايتهم فقط من خلال الدية الفارسية الكبيرة ، التى يحتفظ كل منهم بها فى جيبه • وتدرك كم كانت خاطئة وكاذبة تلك النظرة الاولى !

سقف العالم

مع الطبيعة تمر بنفس التجربة ••

أمام الجبال الهائلة التى تكاد تناطح سحب السماء ، والصخور الداكنة المكشرة الانياب ، والصحراء الواسعة التى تتردد فى ارجائها اغان للرعاة لا تفهم معناها ، وانما تنفذ نغمة الحزن فيها الى اعماقك ، محمولة على سهم يقطر دمعا•• أمام هذا كله تحس بالاكتئاب والضيق •

واذا كنت تستطيع ان تتعرف على الانسان الافغانى وانت قاعد فى حلقات الشاى التى لا تنفض أبدا ، الا أن التعرف على الطبيعة الافغانية ورؤية الحقيقة فيها ، لا بد له من أن تركب الصعب • والصعب الذى اعنيه له أسماء متعددة•

سيارة جيب • نقل • باص • جمل • بغل • (بسبب تضاريس المنطقة فشلت محاولة اقامة شبكة للسكك الحديدية فى افغانستان) ذلك انك خلال تجوالك تكاد تقتنع فى بعض الاحيان بانه لا فرق بين الجيب والجمل ، أو الباص والبغل • فالكل يمضى بسرعةواحدة ، وله مشقة واحدة•فلا أنت محمى من الشمس الساخنة، ولا ضلوعك سالمة من الكدمات والرضوض ، ولا رأسك ثابت فوق جسمك ، ولا كوب ماء يرطب حلقك المشقوق !

و •• تتعدد الاسباب ، و « الكرب » واحد !

فافغانستان بلد منحوت فى الصخر • الناس هنالكزرعوا دولة فوق «تشكيل جيولوجى من الدور الثالث » كما تقول الموسوعة العربية – الذى هو عبارة عن احجار رملية وجيرية » •• وهى « جزء من سلسلة مفصلة من الاحواض الهضبية المرتفعة، المغلقة حلقاتها ، التى تمتد منالبلقانفالاناضول، فايران الطبيعية حتى مشارف السند » •• وهى الحيثيات التى استند اليها الدكتور حمدان استاذ الجغرافيا السياسية فى اعتبارها بلاد « الاسلام المعلق الذى يعتلى ظهور هذه القلاع الطبيعية الشماء » •

وقبل أن تكون هناك جيولوجيا وأحواضهضبية، وحتى قبل أن تكون هناك افغانستان ذاتها – عندما كانت خراسان – زارها الرحالة والجغرافى العربى ابن حوقل (القرن العاشر الميلادى) ، وانبهر بما رآه ، فكتب فى « صورة الارض » يقول : وأما خراسان فتشتمل على كور عظام وأعمال جسام !

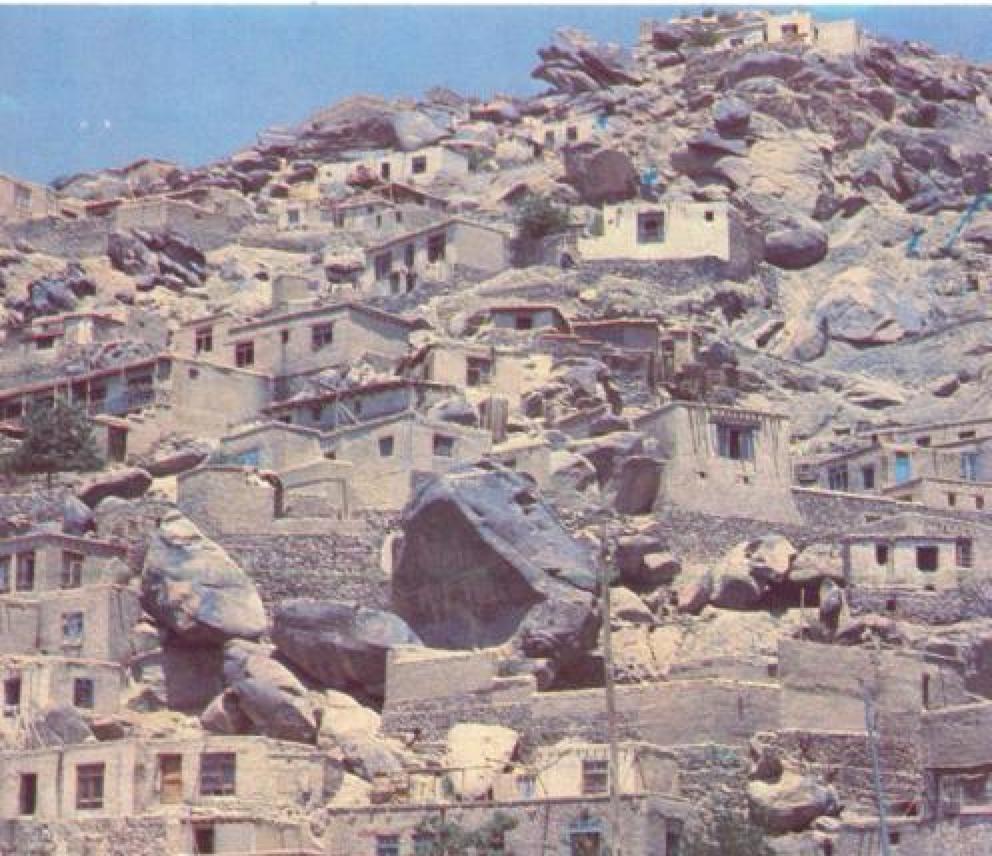
والرجل كان على حق • فالانسان يقف بشعور يختلط فيه الذهول بالعجز أمام سلسلة الجبال الشامخة التى تتفرع عن هضبة « البامير » التى تطل من عل قرب زاوية التقاء الحدود السوفيتية الايرانية ، حيث تتوزع الجبال من « البامير » فى ارتفاعات متفاوتة تتراوح بين ٣٠٠٠ و ٣٦٠٠متر• ولا تكاد ترى قممها فى مناطق أخرى داخل افغانستان ، اذ يصل ارتفاعها الى ٦٠٥٩ مترا • وتستحق عن جدارة وصف « سقف العالم » ، الذى يطلقها عليها الجغرافيون •

جبال شاهقة فى كل مكان ، تتولد عنها جبال وجبال ، وكلها مكسوة بعمائم ثلجية بيضاء على مدار العام تقريبا • والانهار ابنة شرعية لتلك الطبيعة الجغرافية الصعبة • اذ عندما يذوبالثلج ينشق مجرى النهر •

هكذا يبدو وجه الطبيعة الافغانية ، لاول وهلة – ومثل الافغانى تماما – لا ترى فيها سوى تلك القسمات التى تنطق بالجهامة والقسوة •• لكنك بعد ان تقترب منها اكثر •• و « تركب الصعب »، وتفعل ما فعلناه تكتشف أن لافغانستان الطبيعة وجها آخر ، بل وجوها بالغة التشويق والاثارة ، لا ترى فيها قسمات الجبل ، وان كنت تلمح بصماته وتشم رائحته دائما •



سوق الدباغين ، حيث يصبغ الشودرى الذىترتديهاغلب نساء افغانستان ، (فوق)·· ثم الوجه المشرق لحى الاصمعى ، الذى تندس بيوته وسط الصخور(تحت) · والى اليسار جبل سليمان الذى يطوق كابول العاصمة ، بينما الناس يعيشون عند سفوحه وتحت اقدامه يبنون ويزرعون ويحاربون اليوم كله ·





بصمات الجبل

ذلك انك ترى الجبل فى قراءة تاريخ افغانستان. وتراه فى سلوك الناس وعاداتهم وجدهم ولهوهم .. تماما كما تصطدم به فى عيون البشر وخطوط وجوههم الجامدة ..

باختصار ، فان المفاتيح والمغاليق فى افغانستان معقودة على الجبل .

لهذا السبب كانت افغانستان وما زالت ، قلعة استعصت على الغزاة عبر التاريخ ، وظل الافغاني انسانا صعب المراس لا يلين ولا يهزم .

اشهر الغزاة فى التاريخ مروا بها ، ولكن احدا منهم لم يهنأ على ارضها ولم يستقر .. الاسكندر الاكبر . وجنكيز خان . وتيمور لنك (نابليون بونابرت ارسل مبعوثا الى كابول ليمهد لفتح الهند لكنه لم ينجح فى سعيه) وجيوش القياصرة : قياصرة الروس والامبراطورية البريطانية . جميعا مرت جحافلهم فوق صخور افغانستان ..

الاسلام وحده استقر بها فى منتصف القرن الثانى الهجرى .. ربما لان المسلمين لم يكونوا غزاة ، بل كانوا فاتحين ومبشرين .

والافغاني هو من اكثر المقاتلين جراة واقتحاما. وشجاعته ـ خصوصا قبائل نورستان والطاجيك ـ هي مضرب الامثال دائما . واشهر اغانيه القديمة تلك التى تقول : « خير لك ان تعود الى بيتك مخضب الدماء ، على ان تحيا حياة الجبناء » وربما كان شعب افغانستان هو البلد المتخلف الوحيد الذى صنع البندقية والمسدس بامكانياته الفقيرة منذ زمن بعيد . بل وتفنن فى تجميل كل منهما الى حد تطعيم مقبض السلاح بالزخارف والاصداف . وفى اسواق كابول القديمة تعرض كميات هائلة من هذه البنادق والمسدسات القديمة . والخنجر والمدية لا يزالان يباعان على الارصفة بكثافة غير عادية .

وعندما اتيح لنا ان نشهد احدى مباريات رياضتهم الشهيرة « بوزكاشي » ، اكتشفنا اننا دعينا الى ساحة قتال . رغم اننا كنا فى استاد كابول ، والارض مكسوة بالحشائش الخضراء . اذ يصطف الفرسان على جانبين متقابلين ومتباعدين . وعلى الارض ـ فى دائرة تتوسط الفريقين ـ يضعون ماشية مذبوحة ومقطوعة الراس ـ خروف او عجل صغير ـ ثم تعطى اشارة البدء ، فينطلق الفرسان يسابقون الريح من اجل التقاط الماشية المذبوحة. تتلاحم الخيول وتتصادم الاجسام التى تتصبب عرقا ، ويقع من يقع تحت سنابك الخيول ، حتى يمرق احدهم كالسهم من وسط الجميع . بينما الجماهير تصيح « واردار .. واردار » (اى التقطها) ـ وببراعة غير عادية يميل الفارس بجواده المندفع ، ويلتقط الجثمان الملقى على الارض ، ويواصل الجرى بينما رفاقه حوله ، وفرسان الفريق الاخر يستخدمون كل قواهم من اجل انتزاع الذبيحة .. وهكذا يتسابقون ، وينظم « دورى » لهذه المباريات ، ويمنح الفريق الفائز «كاسا» فى التصفية النهائية التى تقام فى عيد « النوروز » من كل عام .

وفى الماضى كانت تستخدم السلاسل الحديدية والخناجر فى هذه «المباريات» ، لكنها منعت الآن. وهم يقولون ان هذه الرياضة من بقايا عصر الاسكندر الاكبر (عام ٢٢٠ قبل الميلاد) ، بينما يرى الاخرون انها من عهد جنكيزخان فى القرن الثالث عشر الميلادى . واصلها ان الغزاة الاوائل كانوا يهاجمون معسكرات اعدائهم قبل الفجر ، ويقومون بفك الخيام التى ينامون فيها ، ثم يطلقون لجيادهم العنان ، فتنهار الخيام على قاطنيها .. وبعد ذلك ينقض عليهم الغزاة ويبيدونهم .. تماما كما ينقض الفرسان على الذبيحة الآن من فوق الارض ..

وحتى اذا لم يكونوا مقاتلين احفاد مقاتلين ، وحتى اذا لم تعلمهم الطبيعة القاسية روح التحدى والنضال ، فان «الزمن» كان سيجبرهم على ذلك !

اى انه اذا يكن الافغاني «بطلا» بطبيعته ، فهو «مكره» على ذلك !

ذلك ان طبيعة موقع افغانستان لها خصوصية نادرة. جعلت هذا البلد (٧٢٠ الف كيلومتر مربع) الذى لا يزيد فى مساحته عن ولاية تكساس الامريكية. مفتاح وسط اسيا ، جسرا يؤدى الى اكبر دول القارة المحيطة بها ، الاتحاد السوفيتى والصين وايران وشبه القارة الهندية . لذلك كان الجميع يطمعون فيها اذ ان السيطرة عليها من قبل اى قوة ذات شان ـ عسكرية او غير عسكرية ـ يعنى على الفور الوصول الى ابواب بقية الجيران .

وفى العصر الحديث ، فان روسيا القيصرية طالما سعت الى السيطرة على اجزائها الشمالية،

بينما كان الاستعمار البريطاني المتربص في الهند، يبذل جهدا موازيا اوصله الى كابول العاصمة اكثر من مرة • ولما فشلت كل منهما في فرض قبضتها على افغانستان ـ كان الاتفاق الضمني على حيادها ، الذي استمر بعد ذلك ، حتى عندما ورثت امريكا نفوذ بريطانيا في آسيا ، بعد الحرب العالمية الثانية •

والقوة الوحيدة التي استقرت في افغانستان ـ الاسلام ـ استطاعت من هذا الموقع الخطير ان تبسط نفوذها الفكري والسياسي على شبه القارة الهندية وغرب الصين،والجزء الجنوبي من الاتحاد السوفيتي الان (سجستان وتركستان في الماضي)•

وثمة رأي يقول ان هذا الزحف الاسلامي الذي انطلق من افغانستان منذ القرنين السابع والثامن الميلاديين ، كان سببا في قدوم طلائع الاستعمار الغربي الى آسيا • وهذا الرأي يتبناه بقوة ـ مع مؤرخين آخرين ـ الكاتب السياسي الهندي ك•م• بانيكار ، في كتابه «اسيا والنفوذ الغربي » • اذ يصف هذه الطلائع التي قدمت الى القارة في القرن الخامس عشر بانها كانت بمثابة « حرب صليبية جردها الغرب لوقف المد الاسلامي الى آسيا » ، الذي انطلق من قلعته الحصينة في خراسان • (لم يسقط المؤلف اسباب الغزوالاخرى، وفي مقدمتها طمع المغامرين الاوروبيين في ثروات آسيا ، من الشاي والبن الى التوابل والحرير) •

ويقول بانيكار « ان هذا هو ما يفسر اهتمام البابا برحلة فاسكودي‌جاما الى آسيا عام ١٤٩٨، وارساله بعض رجال التبشير معه ، واسباغه على هذا الافاق البرتغالي بركات الكنيسة ودعوات القسس » •

وبسبب من ظروف الطبيعة في افغانستان ، وطباع الافغان انفسهم ، الموروثة والمكتسبة وهي ظروف توافقت معها توازنات القوى الكبرى على مر العصور ، بسبب من هذا كله،بقيت افغانستان بلدا لم يستعمر في تاريخه ، وان كان قد رأى الوجه القبيح للاستعمار في بعض صفحات هذا التاريخ •

وعندما صار العالم الاسلامي كله بعد الحرب العالمية الثانية تحت سيطرة ونفوذ الاستعمار الغربي ، شذت عن القاعدة بلدان فقط هما : المملكة السعودية وافغانستان •

بل ان المرة الوحيدة التي افنى فيها جيش لبريطانيا من جانب دولةصغرى،والامبراطورية في اوج جبروتها وهيلمانها (القرن التاسع عشر) ، هذه «الواقعة » حدثت في افغانستان ، وعلى‌ايدي فرسانها البواسل والاشداء !

مقبرة الغـزاة

كابول جورج ، او مضيق كابول •• هو اسم المسرح الذي‌شهد «تراجيديا» جيش الامبراطورية ويبدو ان هذا الاسم محفور في الذاكرة الانجليزية بحروف من دم • لانني قرأت كتابا لرحالة انجليزي هو اندروويلسون، يسجل فيه انطباعاته ومشاهداته في افغانستان،ولم‌ينس ان يشير الى انه قرأ وهو طفل قصة ابادة الجيش البريطاني في الصحف الانجليزية ، ولا يزال يذكر اسم الطبيب الضابط « برايدون » ، وهو الوحيد الذي نجا واستطاع الهرب الى بلدة «جلال اباد» ويحمل نبأ الفجيعة الى الحامية الانجليزية القائمة فيها •

وقعت الواقعة في عام ١٨٤٢ ، ولا يزال الكاتب الانجليزي يذكر تفاصيلها ـ او هكذا قال على الاقل ـ وهو يعد كتابه في ثلاثينات هذا القرن !

وكما يفعل البعض ، يبدأون زياراتهم للبلدان الاخرى بالذهاب الى قبر الجندي المجهول ، قررنا ان نفعل نحن نفس الشيء •• ان نذهب الى حيث الجيش البريطاني المقتول !

وهكذا ، كان هدفنا في يومنا الاول هو كابول جورج ••

خيل الينا في لحظة اننا صاعدون الى السماء• فلا تكاد السيارة تبلغ قمة جبل حتى نفاجأ بأن السائق، حميد الدين ،قد استدار صاعدا الى قمة اخرى ، بمنتهى البرود ، كانه صعد الدرج في بيته • والطريق ضيق ، من ذلك الطراز الذي نراه في الافلام الامريكية • ذلك الشريط المخيف الذي تلمحه على حافة جبل شاهق ، ويسقط قلبك بين قدميك عندما تتصور تلك السيارة المنطلقة على الحافة ، وقد هوت بركابها فوق صخورالوادي السحيق • ويظل المخرج يتلاعب باعصابك ،فتنحرف السيارة تارة ، ويعترضها حيوان شارد تارةاخرى، ثم تكاد تصطدم بشاحنة قادمة في الاتجاه المعاكس•• وهكذا •



الجلود والفرو من تركستان ، وهي من اكثر السلع رواجا بين السياح •
في الشوارع يعرض ابناء الشمال بضاعتهم الذهبية ، السجاد الفاخر و « الكليم » الشعبي •







البوزكاشي ، رياضتهم الشهيرة ، التي تشبه البولو عند الامريكان٠٠ وهي في حقيقتها قتال عنيف وشاق الحلي التي تصنعها نساء نورستان والتركمان ، تبهر الاجانب لرقتها وطابعها العتيق ٠

لكننا لم نكن متفرجين على المشهد ، بل كنا ابطالا له رغم انوفنا . او بتعبير ادق ، كنا ضحاياه ! وهذا الذي يتفنن فيه المخرج ليدغدغ أعصاب المشاهدين ، ساقه الينا القدر حدثا بعد الاخر . وعشناه ـ او متناه ! ـ لحظه بلحظة ٠٠ وتلك قصة أخرى على كل حال ، من ذلك النوع المضحك المبكي !

وكانت القصة مسجلة في كل كتاب يتحدث عن افغانستان او يروى تاريخ الاستعمار في اسيا ٠ وتبدأ بخلاف بين شقيقين على الملك ، احدهما « شجاع الملك » الذي فر الى البنجاب للاحتماء بالانجليز ، والثاني « دوست محمد خان » الذي استولى على السلطة وتحالف مع الروس ٠ ليواجه المخاطر التي قد تتهدده من أخيه ٠ وكان ذلك كافيا لخروج حملة انجليزية من الهند الى افغانستان (عام ١٨٣٩) ، ووجهت برفض الاهالي وثورتهم، وادى الى قتل المعتمد البريطاني في كابول ، وبعد ثلاث سنوات حافلة بالمتاعب ، لم يجد الانجليز مفرا من الانسحاب وسط صقيع الشتاء ، وكان عددهم بين ١٦ و ١٧ ألف شخص ، بينهم ٤٥٠٠ مقاتل على ما تقول الروايات، والباقون من المدنيين ، الانجليز والهنود ٠ خرج الموكب من كابول ، ليفاجأ بكمين منصوب له عند المضيق ، واستطاع الافغان ان يبيدوا الركب عن آخره ، حتى استحق المضيق عن جدارة وصف « مقبرة الغزاة » ٠ (كلفت هذه العملية شعب افغانستان الكثير ، اذ دمرت كابول العاصمة على من فيها تقريبا) ٠

لكن هذا الصراع على النفوذ (الروسي البريطاني) هو الذي أشعل حربا ثانية بعد ذلك بسنوات قليلة (عام ١٨٧٨) في افغانستان ضد بريطانيا ، كبدتها خسائر فادحة، وانتهت بانتصار للانجليز لم يهنأوا به ، بسبب ثورات الافغان التي لم تتوقف ، حتى اضطروا الى اعلان استقلال افغانستان عام ١٩٢١ ٠

ومنذ ذلك التاريخ توقفت الغارات الخارجية على افغانستان ، لكن التصفيات الداخلية ظلت مستمرة ٠

وظلت موقعة مضيق كابول رمزا للانتصار الافغاني، الذي خاضها راكبا الجبل !

التقطنا انفاسنا ، ووقفنا فوق قمة الجبل نطل على الوادي البعيد ، ولم نكن بحاجة الى من يشرح لنا كيف توفرت للمكان كل المقومات التي تهيئه ليكون مسرحا لمذبحة !

استرجعت وقفتنا في العام الماضي على مشارف « خندق الدم » الذي دفن فيه الاف من مسلمي جبال « البشرات » في الاندلس ، بعدما سقطت غرناطة ، وثاروا على قرارات تنصيرهم التي اصدرتها الحكومة الاسبانية في بداية القرن السادس عشر ، فحصدتهم المدافع والميت جثتهم في واد عميق ، لا يزال يحمل اسم « خندق الدم » حتى الان في مناطق البشرات ٠

تحركت في مشاعر القبيلة ، وقلت : واحدة بواحدة !

وعدنا الى كابول ، واجهة افغانستان الزجاجية ٠٠

كابول « قرية الاعاجم »

واذا كانت العاصمة في البلاد النامية تكتسب خطورة مستمدة من تواجد السلطة بها ، حيث السلطة هي كل شيء وان قالت غير ذلك تواضعا، فانها في افغانستان اشد خطورة ٠ لان حضور السلطة في كابول ليس الا احد عناصر أهميتها ، بينما الاهم من ذلك انها تعكس الواقع الافغاني كله ، السياسي والاقتصادي والاجتماعي ٠ وكما ان زيارة اي « متحف » تنقلك الى عوالم عديدة عبر القرون ، بينما انت تتسكع متثائبا بين أركان قاعة او اثنتين ، فان زيارة كابول تعطي نفس الانطباع هي « متحف حي » اذا صح التعبير ٠ والجولة في شوارعها لا تعرفك بالعاصمة فقط ، ولكنها تنقلك ـ ايضا ـ الى كل بقعة في ارجاء افغانستان ، من اقصاها الى اقصاها ٠

والواقع ان كابول الموضع ، اي المكان ، قديم قدم بلاد الافغان ذاتها ٠ ويقال ان « افغان » هو حفيد بنيامين بن يعقوب عليه السلام ، الذي سافر مع ابنائه الاربعين عندما حلت الكارثة ببني اسرائيل ، واتجه الى هذه المنطقة الواقعة شرقي بلاد فارس ، واقاموا فيها ٠

وعندما زارها ابن بطوطة في القرن الرابع عشر الميلادي ، كتب يقول : ثم سافرنا الى كابل ٠ وكانت فيما سلف مدينة عظيمة ، وبها الان قرية يسكنها طائفة من الاعاجم يقال لها الافغان ، ولهم

جبال وشعاب ، وشوكة قوية ، واكثرهم قطاع الطريق !

اما كابول « الموضع » ، الخصائص والدور ، اى القيمه غير المنظورة ، والتقسيم للدكتور جمال حمدان – فهى حديثة العهد نسبيا ، وهى مرتبطة بمولد افغانستان الدولة فى القرن الثامن عشر • قبل ذلك لم تكن الخريطة السياسية لوسط اسيا تعرف دولة بهذا الاسم ، كانت هناك مقاطعات وممالك متناثرة وقبائل راحلة وراء العشب والمطر • وكانت الممالك القائمه وقتذاك هى خراسان وسجستان وتركستان ، والهند •

وقبل دخول الاسلام كانت هناك الهندوكية ثم البوذيه ، ويقال انهما ظهرتا لاول مرة فى هذه المناطق ثم زحفتا الى بقية دول اسيا • وحتى بعد الاسلام ، لم تقم الدولة الواحدة ، بل قامت دول عديدة تعتمد على العصبيات والاسس العرقية ، وانفرط عقد خراسان وسجستان وتركستان ، وعرف تاريخ المنطقة سجلا طويلا من الدويلات الصغيرة ، الطاهرية والصفارية والسامانية والغزنوية ، والسلاجقة ، والخوارزمية ، والمغول والاوزبك •• الى اخر القائمة •

وكلما ازداد التدهور فى بناء الدولة الاسلامية ، تصاعد دور العصبيات ، وازداد توالد الدول والدويلات واطلت الصراعات والنزاعات بوجهها الكريه •

وقد لعب « الجبل » دورا محسوسا فى هذه التقلبات السياسية • اذ كانت الطبيعة الجغرافية ممثلة فى الجبال الشاهقة هى الجدران التى قسمت بها القبائل «البيت الكبير» ، واحتمت بها لتنمى بذور العصبية ، وتقيم من تلك العصبيات «دولا» هزيلة •

اى ان تضاريس المنطقة كانت بمثابة الحدود السياسية لتلك الدول والممالك الصغيرة • وبذلك صنعت جغرافية المكان خريطة جغرافية الزمان ايضا !

« موزاييك » افغانستان

ترقد كابول تحت اقدام جبل سليمان ، الذى تقول الاسطورة ان سيدنا سليمان عليه السلام صعد فوقه والقى نظرة الى الهند ، ثم رجع ولم يدخلها ، فسمى الجبل باسمه !

يقف الجبل حارسا للمدينة ومحتضنا لها ، ولا تختف الثلوج من فوق قممه البعيدة ، وتظل طوال العام تمد يدها لنصف المليون من البشر الذين يسكنون العاصمة • اذ تنساب المياه من الجبل ، حتى تصل الى مداخل المدينة ، وتنتظم فى قنوات رفيعة موزعة على ابرز الشوارع ، ومنها يغتسلون ويتوضأون •

ونهر كابول بجسوره الستة يروى قصة المدينة القديمة ، وعلى جوانبه تمتد محلات السجاد والباعة ينثرون بضاعتهم فوق الارصفة ، وقد استندوا بظهورهم الى جدران البيوت ذات الطراز العتيق ، بينما المدينة الجديدة لا ترى النهر ولا تتعامل معه ، فهى طرف اخر ، ولها طراز اخر ، وعالم مختلف نسبيا •

ولانها تعكس الواقع الافغانى ، فثمة مناطق فى كابول تنتمى الى القرن العشرين ، واخرى تتراجع قرنا الى الوراء ، واذا ذهبت الى حى «الاصمعى» الذى تطل بيوته المبنية من الطين من فوق سفوح جبل سليمان ، فانك ستنتقل تلقائيا الى قلب القرن التاسع عشر •

بعض البيوت اقرب الى الكهوف ، صغيرة وضيقة وبغير اثاث • بل ان اكثر بيوت فقراء الافغان لا تعرف الاثاث ، والسجاد هو كل متاعهم • وعندما صنعت قبائل نورستان المقاعد الخشبية ، اعتبر ذلك حدثا هاما ومثيرا • اما متوسطو الحال فاثاثهم هو السرير المصنوع من جذوع الشجر والحبال ، وهو ما يطلقون عليه «جاربائى» •

ومنظر «السقاء» مألوف فى العاصمة • اذ هناك بيوت لا تدخلها المياه ولا الكهرباء • ولضيق طرقاتها فان البشر وحدهم هم الذين يدخلونها بالكاد •

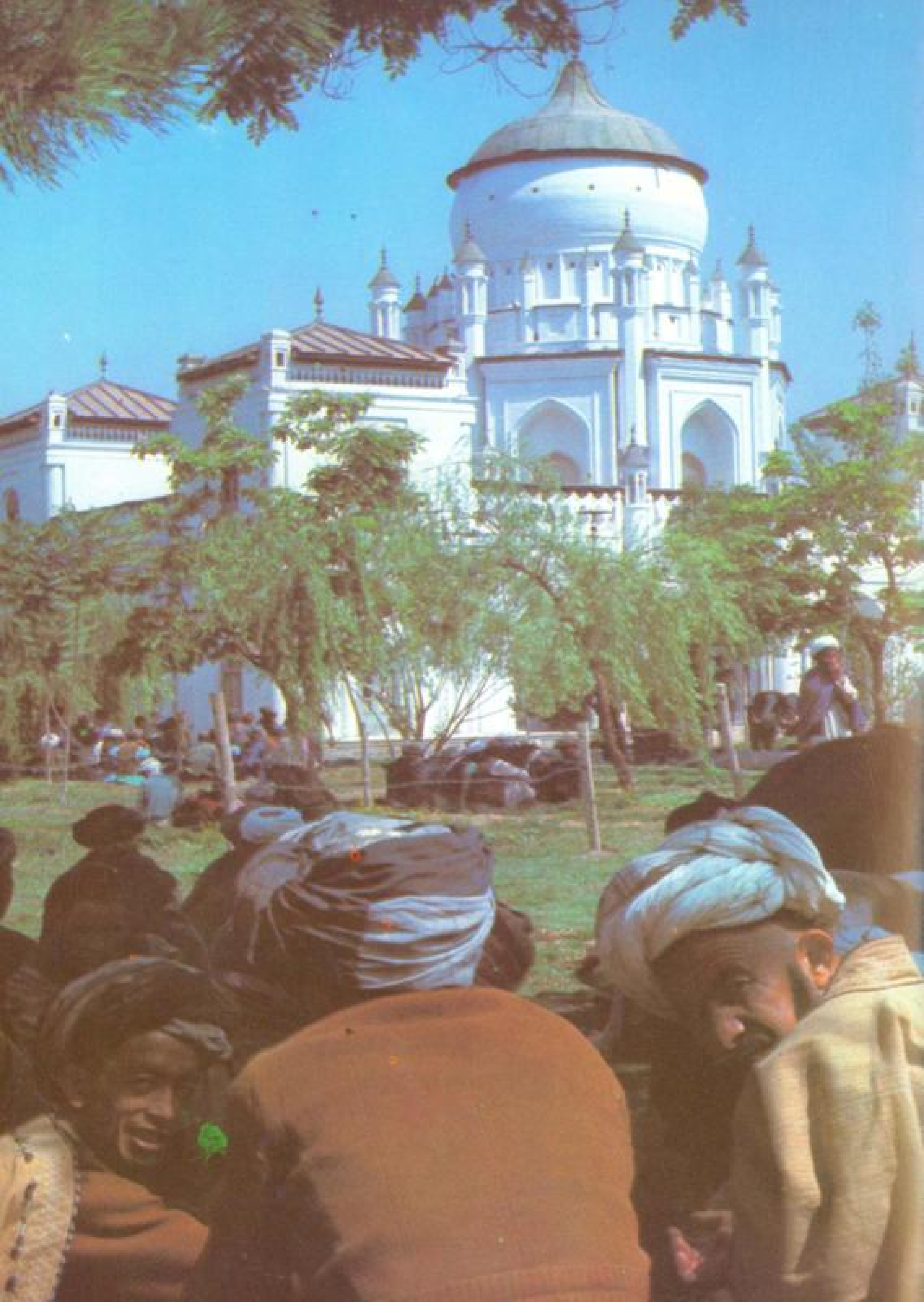
وكما فى تصميم مدننا الشرقية ، لكل حرفة سوق •• النجارون والحدادون والصفارون (باعة النحاس) واللحامون والخبازون والصباغون والعطارون ••• وهكذا •

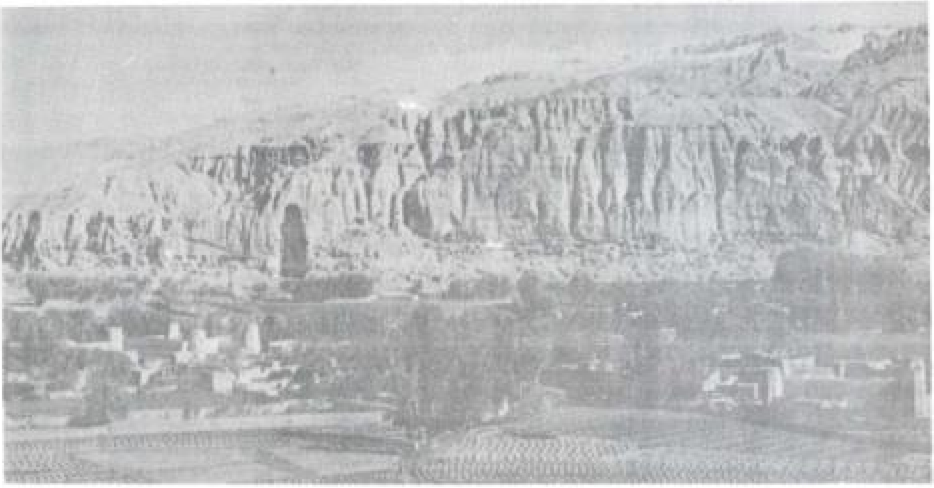
وللسياح سوق بل أسواق فى قلب المدينة مخصصة لهم • حتى «شارع الدواجن» الذى كان سوقا للخضراوات والطيور انقلب الى سوق كبير للسياح ، ولا يزال محتفظا باسمه القديم • اذ ينصب هناك انتاج كل القبائل والمقاطعات الافغانية • السجاد



المصلون في مسجد بلوخشتي اكبر مساجد كابول (فوق) ، وأبناء الاوزبك بعمائمهم الكبيرة وثيابهم المخططة الزاهية الألوان ، يطوفون بشوارع كابول (تحت) .
وضريح الامير عبد الرحمن الذي بني في القرن الماضي ، ويبدو فيه تزاوج المعمار الهندي بالعربي، وهو من ابرز معالم العاصمة .







تمثال بوذا في باميان .. منحوت

الذى صنعته ايدى بنات التركمان ومروى، والجلود والفرو والعقيق من مناطق الطاجيك ، الصدارى المطرزة من غازنى . الحلى والاساور الفضية من بلاد التركمان ونورستان ، البنادق والمسدسات المشغولة بالعاج من مناطق الهزارة ..

« تشكيل » البشر في الشوارع يرسم لوحة تعبر عن طابع «الموزاييك» الذى يميز افغانستان، الأجناس المتعددة المختلفة المشارب والاشكال، والتى تتداخل كلها في نسيج واحد .

فهؤلاء هم أبناء الطاجيك والباشتون بقمصانهم الطويلة والبنطلونات الفضفاضة، والعمائم الكبيرة التى يبلغ طول قماشها ٤ امتار في المتوسط ، تلتف كلها حول الرأس ، ويتدلى منها نصف متر فقط على الصدر .

وهؤلاء هم التركمان والاوزبك باحذيتهم العالية وثيابهم المخططة ذات الالوان الزاهية ، والى جانب هؤلاء وهؤلاء تلمح نساء الافغان اللاتى يرتدين « الشودرى » ، ذلك الرداء الملون الذى يغطى الجسم كله . من قمة الرأس الى اخمص القدم ، وتتخلله ثقوب صغيرة أمام العينين فقط .

وبقدر اختلاف الثياب تختلف الوجوه والاجسام، الافغان بقاماتهم المديدة ولحاهم السوداء الكثة ، والمغول والتركمان بعيونهم الضيقة ، وانوف الاول مفلطحة وأجسامهم تميل الى القصر ، بينما انوف التركمان صغيرة ودقيقة ويميلون الى النحافة ، وذوو الاصول الفارسية بعيونهم الواسعة ووجوههم المستديرة وسكان هندوكش الاريون ببشرتهم ذات اللون الاشقر ، التى يصعب اكتشاف طابعها الأسيوى .

وهؤلاء لا يتكلمون لغة واحدة لان لغات افغانستان يصل عددها الى ٢٠ لغة محلية تقريبا، وان كان المعتمد لغتين فقط « الباشتو » التى هى خليط من الاردية والانجليزية والعربية ، و « الدارى » وهى خليط من الفارسية والعربية والصحف تصدر باللغتين ، ونشرات الاذاعة تقرأ بهما . الخبر الواحد يقدمه مذيع الباشتو ، يتلوه على الفور مذيع لغة الدارى .

كل تلك الاشكال والالوان والاجناس تمر امام عينيك في شوارع كابول ، حتى لا تكاد تصدق انهم ينتمون الى بلد واحد ، ويحملون جنسية واحدة .

● افغانستان بلاد الاسلام المعلق !

باسم «ناسوار» ثم يعودون ! وقد قال لي العارفون في جلال اباد ان «الحشيش»هنا أرخص في سعره من كابول ، الامر الذى يدفع هذه القوافل الشاردة الى النزوح في اتجاه جلال اباد ، سعيا وراء الغيبوبة الارخص !

ويقول العارفون ايضا ان الحديث عن افغانستان من خلال حزام الاحواض الهضبية الذى يربطها بغيرها «يعبر عن»جزء من الحقيقة فقط-ذلك ان هناك حزاما آخر غير مشروع لمزارع الحشيش يمتد من تركيا الى ايران وافغانستان والتبت • وان حرب الافيون التي شنتها بريطانيا ضد الصين في القرن الماضي ، اتخذت من هضاب افغانستان ركيزة لها، كانت تنطلق منها وحدات شركة الهند الشرقية (الانجليزية) • حاملة المخدر الى الصين !

عدت أسال مرافقي أليس غريبا أن تتواجدتجارة المخدرات في مجتمع شديد التدين والمحافظة ؟

فكان رده ان التجارة موجودة في بعض المدن فقط وهي التي يطرقها السياح • ومع ذلك فهناك من يبررها ، بقوله ان الغرب صدر الى افغانستان في الماضي شرورا كثيرة ، فلماذا لا ترد له بعض ما فعله فينا ، والبادى اظلم !

اردنا الخروج من كابول فواجهتنا مشكلة • اذ لا بد من تصريح واذن مسبق،واذا كانت«عربستان» هي جواز المرور الذى استخدمناه في تعاملنا مع الناس ، فان السلطة لا تفرق بين عربستان و « كافرستان » • ومعذرة لاستخدام الكلمة فقد صكها اهالي افغانستان عبر العصور-ذلك ان العرب عندهم مسلمون كما قلنا ، وغير المسلمين كفار • وهو تطبيق محرف لفكرة محرفة ، تبناها بعض «الفقهاء» ، في الماضي اذ قسموا العالم الى دار الاسلام ودار الحرب ، التي هي في رأيهم دار الكفر . وكان اول تطبيق لهذه الفكرة في افغانستان ذاتها ، اذ عرفت على حدودها الشرقية مجموعة من القبائل البوذية ذكرت في كل كتب الجغرافيين القدامى بانها «كافرستان» ، لكنها دخلت الاسلام على يد الامير عبدالرحمن في اخر القرن الماضي (١٨٩٥) ، فصار اسمها ـ ولا يزال نورستان!

اجتزنا المشكلة وركبنا « الصعب » الى قندهار، تكررت بعض مشاهد مسلسل الرعب اللعين الذى شهدناه في الطريق الى مضيق كابول ـ مع اضافة



الصخر بارتفاع ٥٥ مترا ••

وراء الغيبوبة الارخص

على أن مايثير الانتباه فعلا في شوارع كابول• هو جماعات «الهيبز» التي تبدو وكانها قوافل بغير نهاية ، موزعه حلقاتها على مختلف الارصفة والشوارع والازقة •

سألت مرافقي ، فضحك وقال : ليسوا سياحا ولا فضوليين،ولكنهم ـ همس في اذني بالانجليزية ـ مخدرون !

ولم استطع ان افهم القصة الا بعد سؤال خمسة اشخاص على الاقل،لان كل واحد منهم كان يروى مقطعا ، ثم يلتزم الصمت •

واعترف انني كنت اجهل ان أسعار المخدرات في هذه المنطقة من اسيا مغرية الى حد كبير •وان بعض جماعات الهيبز يجذبهم هذا الاغراء،فيجيئون من اوروبا في سيارات عبر تركيا وايران،ليقيموا في فنادق شديدة الرخص بكابول •

اجر الحجرة فيها يصل احيانا الى دولار واحد في الليلة •

يستمتعون برؤية هذا البلد البكر ، ويتلذذون طوال الوقت بالمخدر ، الحشيش الاخضر الذى يعرف



عروس افغانية ،بثياب الزفاف الخضراء،والحناء تخضب اليد اليمنى ، والزوج تراه في المرآه، حيث يتلون معا بعض آيات القرآن الكريم .



نموذج للصدارى التىتصنعها نساء بلدة غازنى ويتجملن بها ..

افغانستان بين جيلين ..من الشودرى الى الجينز !





بعض المقاطع التاريخية ، اذ كانت صور الطريق تعود بنا بين الحين والاخر الى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر • البيوت المبنية من الطين ، والقلاع القديمة وسط الصحراء ، والناس الذين يفزعهم بوق السيارة ، ويتفرسون بفضول منير فى عيون ركابها بينما الغبار يكسو وجوههم . ولحا الرجال طويلة وكثة ، وايديهم خشنة مليئة بالشقوق ، وارجلهم لم يعد يؤثر فيها الحصى كانهم خارجون لتوهم من بطن التاريخ !

وتكاد تشم عن بعد رائحة الاتربة التى خلفها موكب السلطان ، كانه مر قبل لحظات تتبعه الخاتون ـ زوجته ـ والجوارى • ولفرط احساسك بالتاريخ ، تكاد تسمع صوت حوافر الخيول المطهمة ، وقعقعة سيوف الجنود ، ونفير المنادى يعلن قدوم السلطان اعزه الله •

فى الطريق الى قندهار مدينة احتلت موقعا بارزا فى تاريخ شبه القارة الهندية، هى «غازنى» • وقد جار عليها الزمان فبعد ان ارتبط اسمها بالفتوحات والبطولات ، صارت الان سوقا كبيرة يتسلى السياح بالطواف بشوارعها الضيقة وتامل وجوه البشر وانتقاء ما يحلو لهم من الثياب المشغولة بالالوان الزاهية •

كثيرون كتبوا عن غزنة وسلطانها الشهير محمود الغزنوى ، لكن الامير شكيب ارسلان كان اكثرهم انفعالا بها ، اذ كتب يقول فى « حاضر العالم الاسلامى » : ومن تلك الجبال انحدر ذلك المجاهد الكبير « اسكندر الاسلام » ، وحامى المعارف فى عصره السلطان محمود سبكتكين الغزنوى التركى (المغولى) ، فى اوائل القرن الحادى عشر للميلاد ، ودوخ الهند من اقصاها الى اقصاها •• وبعد ان روى بعضا من بطولات الغزنوى فى الهند ، سجل كلمات شيخ الكتاب ابى الفضل بديع الزمان التى وصف فيها جهد السلطان محمود بانه « الفتح الذى تضاءلت امامه الفتوح والتت عليه الملائكة والروح ، •• حتى اطلق عليه لقب «امين الدولة ويمين الملة» •

قندهار : المجد الغابر

لكن قندهار «خطفت الضوء من غازنى ، عندما كانت عاصمة الملك احمد خان الذى اسس افغانستان الحديثة ، تماما كما دار الزمن دورته ، وتركز الضوء على كابول ، وبقيت قندهار فى الظل ، قانعة بلقب العاصمة الثانية •

ومع ذلك ، لا تزال بعض اثار المجد الغابر باقية ، فالمدينة تنافس كابول فى جمالها شكلا وموضوعا • العمارة القديمة تشى بماض عريق ، تبدو بصماته اكثر وضوحا فى طراز المساجد وقصور اسرة الدورانى • واسواقها عامرة بالبضائع والمشترين ـ واغلبهم من السياح • بينما اكثر التجار من الهنود •

الان هى مقر المؤسسات الغربية التى تنفذ مشروعات الطرق والكهرباء فى الجزء الجنوبى من افغانستان ، غير ان قيمتها التاريخية تجذب الكثيرين اليها •

ذلك ان مؤسسها الحقيقى هو الاسكندر الاكبر ، الذى جاء بجحافله فى القرن الرابع قبل الميلاد ، حيث استمر حكم اليونان قرنين من الزمان ، وكما بنى اسكندرية مصر والبحر المتوسط ، اراد ان يخلد اسمه فى وسط اسيا ، وبنى اسخندرية « اراخوسيا » ، كما كانت تسمى قبل الميلاد ، وحملت فيما بعد اسم قندهار •

ولا تنس هذه الصفحة اهتمام الافغانيين ، لان الذى يستأثر باهتمامهم هو ذلك « المزار » الذى يقال انه يحتوى على عباءة النبى محمد عليه الصلاة والسلام • وهم يقرنون بين المكان وقيمة العباءة ، فيطلقون على الاثنين اسم « الخرقة الشريفة » •• والخرقة ، هى الثياب القديمة عند بعض العرب •

وتضيف الرواية أن الملك أحمد خان هو الذى أحضر العباءة الى عاصمة ملكه ، تيمنا وتبركا • لكن احدا لم يتحقق من صحة هذه الرواية ، التى تماثلها روايات اخرى عن « مقدسات » فى انحاء افغانستان ، تثور تساؤلات عديدة حول حقائقها التاريخية ، وحجم الافتعال والاسطورة فيها •

لكن الذى حدث أن الملك أحمد خان استطاع بجهده هذا أن يحتل مكانة رفيعة فى قلوب الافغان ، وعندما مات الرجل بنوا له ضريحا عظيما ، جدرانه مغطاة بالخزف والفسيفساء ، وقبته مطلاة بصفائح الذهب !

موعودون بالدمار

وطريق قندهار البرى ، يقود الى هراة ••

وكلمة « يقود » هذه تعادل في الارقام ٦٠٠ كيلو متر ، وتعني في برنامج الرحلة ان نعود الى ركوب الجبل طوال يوم كامل ، من فجره الى غروبه • وهو استمرار لركوب « الصعب » ، مصحوب بحلقة جديدة من مسلسل الرعب الذي كتب علينا ان نشارك في بطولته رغما عنا •• وهي مصادفة غير سعيدة بكل تاكيد ، تلك التي حددت اغلب مسارنا قرب قمم جبال افغانستان العالية ، وشدت ابصارنا دائما الى صخور السفوح بافواهها المفتوحة !

ظللنا نحسد الرعاة الذين كانت تجمعات خيامهم المصنوعة من جلد الماعز تتناثر على مشارف الوديان، وتمنينا ان نجلس في المقاهي المزروعة على مسافات متباعدة من الطريق ، لكننا كنا اشد حرصا على الا نضيع دقائق تقربنا من هراة ، ونختم هذه الحلقة من المسلسل باسرع وقت ممكن•

وفي افغانستان كلها ، اذا سمعت صوت الموسيقى ينبعث من مكان ولا يتوقف ، فانت اما على مشارف هراة ، او مقبل على جماعة من اهل هراة •• وقد كنا من الفريق الاول •

على البعد يرى القادم منارات ستا ، كانت تحيط بالجامع الكبير الذي بنته احدى ملكات هراة في القرن الرابع عشر ، الذي يعتبر العصر الذهبي للدولة التيمورية التي قامت انذاك • وهو العصر الذي انجب اعظم الشعراء ، مولانا نور الدين جامع ، واعظم الفنانين ، بهزاد •

في تلك المرحلة ، زار ابن بطوطة هراة ، ثم كتب يقول : ومدينة هراة كبيرة عظيمة ، كثيرة العمارة ولاهلها صلاح وعفاف وديانة ، وبلادهم طاهرة من الفساد •

لكن تاريخ هراة فيه اكثر واخطر مما قاله ابن بطوطة • فهذه المدينة الناعمة الشهيرة بالموسيقى والسجاد ، ترقد على صفحات مثيرة من التاريخ ، بعضها غارق في الدم •• وبعضها غارق في الدمع، واقلها نابض بالحياة !

فقد دمرها الاسكندر الاكبر ، وبناها من جديد ، ولا يزال احد الحصون التي شيدت في عهده قائما الى الان في قلب المدينة ، يستظل به باعة الفاكهة والخضراوات الذين يفترشون الارض ، وتحتمي به الدواب من القيظ !

ثم خربها السلجوقيون في حربهم مع الغزنويين، وبعدهم ـ في القرن الثالث عشر ـ جاءت جحافل المغول غازية ، وباشر الامارة فيها « تولي » ابن جنكيز خان ، ولكن الناس ثاروا عليه وقتلوه • فما كان من جنكيز خان الا ان زحف ومعه ٨٠ الف رجل ، ظلوا يدمرون ويذبحون في المدينة مدة ستة اشهر ـ كما تقول كتب التاريخ ـ حتى لم ينج من اهلها سوى اربعين شخصا !

ثم دمرت هراة في مرة تالية عندما جاءها تيمور لنك في القرن الرابع عشر ، ولكن ابنه شاه روخ عمرها ، حتى شهدت ـ اخيرا ـ مرحلة من الهدوء والاستقرار !

استغرقنا التاريخ في هراة ، وهي مشكلة واجهتنا في اكثر المناطق التي زرناها ، اذ ان الكثير من شواهد التاريخ لا يزال بعضها قائما ، فضلا عن ان صفحات التاريخ مليئة بعناصر الاثارة •• ثم ان الواقع الافغاني بعد ذاته ، يكاد ينتمي الى الماضي ، باكثر من انتمائه الى الحاضر والمستقبل•

ما العمل مثلا • عندما نمر في طريق عودتنا الى كابول ببلدة باميان، حيث نحت الرهبان البوذيون باقتدار غريب مثالا لبوذا في جبال الصخر الشاهقة، بحيث تمتد قامته الى ارتفاع ٥٥ مترا ، منذ كانت البوذية هي الديانة السائدة ، قبل قدوم الاسلام في القرن الثاني الهجري •

يخطف الابصار هذا التمثال الهائل ، الذي لا تستطيع ان ترى تفاصيله عن قريب الا اذا صعدت فوق سلالم خلفية تتلوى وراء ظهر التمثال • تنقطع الانفاس ولا تبلغ الراس • وان كانت التشوهات التي احدثها بعض عامة المسلمين ظاهرة• فقد كانوا يرون فيه « صنما » ينبغي تحطيمه •

امام تمثال بوذا ، لا بد ان تستغرقك تلك الصفحة الوثنية في تاريخ افغانستان ، وقصة الاف الرهبان الذين كانوا يعيشون تحت اقدامه ، حيث كانت هناك تماثيل اخرى اثارها باقية ، ثم قصة

(البقية ص ١٤١)

نجحوا باقتدار ...

الجيل الصاعد من فناني الكويت

بقلم : الدكتور على الراعى

الملك على عرشه وخلفه الجلاد وحوله الوزراء ، بينما وقف وزير العدل اقصى اليسار .





الزوجة تكتشف السر : زوجها يعمل بالمخابرات والديكور في الخلفية يشير الى عالم السجون .

محظيات الملك ، لا يجد في فتنتهن ما يدفع عنه السأم ويشفيه من القسوة .



■ في مايو ويونيو من هذا العام،قدم طلبة البكالوريوس في المعهد العالي للفنون المسرحية بالكويت مسرحيتين عميقتين ، مركبتين ، في الشكل والمحتوى معا ، وهما : «القصة المزدوجة للدكتور بالمي»، كتبها الكاتب المسرحي الانساني انطونيو بويرو بابيخو ،وهو واحد من المع كتاب المسرح في اسبانيا • ولعل مسرحيته هذه ،ان تكون اول عمل يقدم على اية خشبة عربية على الاطلاق •

اما المسرحية الثانية فهي للكاتب المسرحي المصري صلاح عبد الصبور ، وهي آخر مسرحية في سلسلة مسرحياته الشعرية التي بدات بمسرحية : «ماساة الحلاج » وانتهت بالمسرحية الحالية :« عندما يموت الملك » •

* * *

تعالج المسرحية الاسبانية موضوعا وقد كان خطيرا دائما على مر العصور ، غير انه ازداد خطورة وفتكا في عصرنا الحديث ، الا وهو التعذيب السياسي ـ : الظاهرة التي اقلقت ضمائر كثير من الاحرار وانصار الانسانية ، والتي وجدت الرمز القوي على الاحتجاج عليها حين قامت محكمة نورمبورج ، في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، واخذت تحاكم متهميها لاقترافهم جريمة التعذيب الذي اعتبرته المحكمة جريمة في حق الانسانية كلها وليس في حق الافراد المعذبين وحسب •

وقصة المسرحية بسيطة ونفاذة في وقت واحد • فهذه السيدة ماري بارنيس ، وزوجها دانييل بارنيس ، وطفلها الرضيع دانييلتو ، وجدته من ناحية الاب ـ يعيش الاربعة عيشة هنية تحت سقف واحد •

ولعل اسعد شخصية في هؤلاء الاربعة هي الزوجة ماري ، فقد تعرفت الى زوجها دانييل وتزوجته بعد ان كانت قد يئست من الحصول على الزوج• خطبها الرجل الذي تعرفت اليه قبله ، وخطبها الى نفسه ، قتل في الحرب فظلت المسكينة سنوات تعيش مع والدها وتعمل بالتدريس ، الى ان مات الاب ، فاصبحت وحيدة تماما في دنيا واسعة ، قاسية القلب ، لا ترحم •

وانجبت ماري من زوجها الطفل دانييل ، وظنت ان الدنيا ستبتسم لها على الدوام • غير ان هذا الامر لا يحدث لاحد ابدا.فلماذا يحدث لماري ؟ كل الذي تعرفه ماري عن زوجها دانييل انه يعمل موظفا عاما ، وربما عرفت ايضا انه يعمل بالمخابرات • ولكنها لم تتحر المزيد • وهو من جانبه لم يخبرها بتفاصيل عمله •

ويحدث ان تتصل بالزوجة تلميذة قديمة لها اسمها لوثيلا ، وتطلب ان تزورها • فلما تاتي تقول للزوجة والدموع تجري على خدها مدرارا ، ان زوجها ـ زوج لوثيلا ـ معتقل ، وانه يجري الان تعذيبه في ادارة المخابرات • ولوثيلا ترجو لو استطاعت ماري ان تستخدم نفوذها لدى زوجها كي يكفوا عن تعذيب زوجها ، او يقدموه للمحاكمة كما هو حق كل من يقبض عليه متهما بجريمة ما •

ولا تصدق ماري ان المخابرات تعذب الناس • وتصف المتهمين المقبوض عليهم بانهم ارهابيون • ولكن الحقيقة الرهيبة تاخذ تطاردها • فتعلم من لوثيلا ان معاملة المخابرات للمتهمين لا تقتصر على الصفع ، أو الركل او التوتير الجسمي ،بل هناك التيار الكهربائي ، ومحاولة الاغراق في البانيو ، المرة بعد المرة •

ولا تصدق ماري هذا ، فان في البلد قوانين ومحاكم ، ولو كان ما تقول لوثيلا صحيحا لعرفه كل الناس • فترد عليها لوثيلا : ان الناس لا يعرفون لان هناك من يحرصون على اخفاء انباء التعذيب ،وهناك من يتجاهلون هذه الاعمال ،وهناك من لا يريدون ان يعرفوا ، مثل الزوجة ماري !ثم تضيف : ان رجال المخابرات لم يعذبوا زوجها وحسب، بل لقد احضروها هي واعتدوا عليها امام زوجها!

وتزداد الحقيقة ظهورا امام ماري • تعرف من بعد ان التعذيب يتم فعلا وان ما قالته لوثيلا صحيح • ولكنها تطمئن شيئا ما ، حينما تعلم ان زوجها لم يقم بتعذيب زوج تلميذتها القديمة•

غير ان ماري لا تترك وشانها • يصلها كتاب من جهة ما عنوانه : « تاريخ موجز للتعذيب السياسي»

لمؤلف اجنبي يحوى كثيرا من الصور والوثائق : تاريخ كامل لدرجة البشاعة ! فتقرؤه الزوجة ، وتزداد اضطرابا وسخطا • ولكنها لاتزال تعزى نفسها بان زوجها لم يشترك ولا يمكن ان يشترك في امثال هذه الجرائم • وترى مارى تسرد على زوجها محتويات الكتاب : بشاعة في بشاعة ، وشر من اجل الشر • غير ان زوجها يقول لها فيهدوء قد كان التعذيب موجودا دائما ، واحيانا كان المجتمع باسره يشترك فيه • وترد الزوجة بان التعذيب – ايضا – قد وجد دائما من اداته ،ومن حاول تفاديه جهد الطاقة ، مثلك يادانييل، فانت متواطىء علىالرغم منك ، ومثلى انا ، متواطئةعن جهل • ولكن :عليك ان تنهيحالا علاقتك مع المخابرات ، وان تبحث عن طريقة اخرى لكسب العيش •

ويحاول دانييل بالفعل ان يتخلص من اسار وظيفه البشعه فيجد هذا امرا عسيرا وخطيرا معا• يهدده رئيسه بان التخلى عن العمل هو تعاطف مع المتهمين• وان رجل البوليس ليس فوق الشبهات ابدا • بل هو دائما موضع رقابه مستمرة • (وبالفعل يوضع دانييل تحت المراقبة !)

وفى خلال الحوار بين دانييل ورئيسه ، يقول الرئيس : ان التعذيب كان موجودا فى العالم قبل ان تولد انت وانا • وانه من الطبيعى ان يوجد • فالعالم الذى نعيش فيه عالم همجى • والخيار فيه امام الفرد هو : اما ان يصبح جلادا ، او ضحية• وقد اختار الرئيس أن يكون جلادا • ومع ذلك : هبنا اوقفنا التعذيب فهل ينتهى تعذيب السرطان لمرضاه ؟ هل تكف الناقلات الضخمة عن طحن من يعبرون الشوارع ؟ هل تمتنع الوحوش عن اصطياد الناس واكلهم ؟

ويرد دانييل ، بان ثمة تقدما قد حدث فى حقل التعذيب ، فالناس اليوم يحتجون عليه ويحاربونه، ويفضحون المتسببين فيه • لهذا يجرى التعذيبالان وراء ابواب محكمة الاغلاق، ويتحدث عنه المسئولون بالصوت الخفيض •

ويفضح دانييل ما يصيب من يقومون بالتعذيب، من بلايا • هو نفسه فقد قدرته الجنسية ، حين قام باعدام هذه القدرة لدى واحد من المعتقلين • وزملاؤه مابين ضحية للكوابيس ، يقوم صارخا منها فى عز الليل أو مصابا بقرحة فى المعدة ، او حيوانا فقد ادميته تماما ، فاصبح كالوحش سواء بسواء !

غير أن دانييل يعجز عن الخروج من سجن المخابرات ، وتسوء حالزوجتهالعصبيهفتقرر انابنها منه هو ابنها هى فقط ، وانها لابد ان تحميه حتى لا يشب ويصبح جلادا آخر • ويجادلها الزوج ، مذكرا بحبها له ، وحبه لها ، ولكن الزوجة تفقد اعصابها تماما ، فتطلق النار على زوجها ،فيسقط جثة هامدة !

هذا هو الخط الرئيسىفيهذه المسرحيةالانسانية المؤثرة • وقد اخرجها للمعهد المخرجالعربىالمرموق احمد عبد الحليم ، فاستطاع ان يحقق ما وعدنا به فى كراسة التقديم من تحقيق التواصل الذهنى والوجدانى مع الجمهور ، وتقديم عمل يقوم على الدرس والمعاناة بحيث يبدو وكانه شيء عفوى تلقائى •

ابرز من بين الممثلين : سوزان محمد على فى دور مارى ، ومريم الصالح فى دور الجدة – وهو دور صعب ، لان الكلام فيه قليل ، وأجاد حسن ابراهيم فى دور دانييل وحسن محمد فى دور بادلاس ، الرئيس • وكان الديكور جزءا عضويا فى المسرحية ، فقد اعتمد على الشبكات السلكية ذات الاطارات المعدنية ، مما اعطى انطباعا قويا بجو الارهاب والسجون،واوحى بان جميع شخصيات المسرحية هم سجناء : سواء فى هذا المسجونون ، أو المعتقلون أو السجانون !

وقد اختار المخرج الفنان سعد اردش نصا شعريا ، ليقدمه طلبته واحسست – لدى علمى بهذا الاختيار – بان سعدا ربما يكون قد حمل على طلبته عبئا ثقيلا • فمنذ سنوات ، كان ممثلو الكويتالمحترفون يجدون صعوبة فىالنطقبالفصحى، فما بال التلاميذ يطالبون بالتمثيل بالشعر ؟

غير ان قدرات سعد اردش الواضحة على التدريب ، والتنقيب عن المواهب الكامنة ، قد بررت اختياره وزيادة •

ومسرحية : « عندما يموت الملك » تحكى عن ملك مستبد ، قاسى الفؤاد يعامل رعيته وبلاطه بمزاج من القسوة والتعالى والسخرية • وهو ملك مدلل ، متخم بالنعيم ، ولهذا لا يكاد شيء ما يعجبه ، ولا يفتا يشكو الضجر القاتل •

وحين تبدأ المسرحية يكون الملك وسط رجالات دولته ، ومحظياته ، وشاعره الخاص • الكل



الـزوج والزوجـة والام والحفيد ، اقطاب اربعـة تدور من خلالها الاحداث الهامة فى المسرحية



بعد أن يموت الملك تعرض الملكة نفـهـا على مـن يستطيع ان يولدها طفلا . يرفض الجميع ويقبل الشاعر .. انه يحبها ، ولهذا سوف يتزوجها ، ويمنحها حبه الطفل الذى ترى فيه سعادتها .



في مخدع الملكة ، **تنهار** سعادتها القائمة على الوهم ، وهم ان **الملكة** انجبت طفلا ظلت ترعاه في الخيال .

الجدة تهدهد الطفـــل الذى رفضت الام ان يكبر في ظل ابيه فيصبح جلادا اخر .



عبد له • رجالات الدولة لا ينطقون الا بما يحلو له • والشاعر قد باع روحه في سبيل لقمة ،ومكان يأوى اليه اذا جنّ الليل •

وبعد ان يهزأ الملك من محظياته ، ويسخر من السعرية من عبودية شاعره ، وبعد ان يأمر بقتل الخياط الذى جاءه بقطعة نادرة من المخمل ، ثم جرؤ على ان يمنّ بنفسه الثمن ، مطالبا بأن يكون ذهبا ـ بعد ان يأمر بقتل الخياط،لم يستجيب لضراعاته ، فيمرر تخفيف الحكم الى قطع اللسان، حتى لا يتكلم الخياط بعد هذا ابدا ـ بعد هذا كله يأوى الملك الى مخدع ملكته •

وفى المخدع تجد الملكة تهدهد طفلها ، وتناغيه، وتصب فى اذنيه الرقيقتين عذب الكلام • ويفعل الملك الشىء ذاته•ثم : فجاة،تهب الملكة من سريرها وتصرخ فى وجه الملك قائلة : تعلم ان طفلنا هذا وهمى ، وانا عشنا على وهم وجوده سنين طويلة، فانا منذ الان لن اعيش هذا الوهم • اعطنى طفلا • لن تعطيني انت اياه ، فانك عاجز ،واذن، فامنحنى من يملأ بطنى ، وانى لاعدك بأن لا انظر اليه فى الاثناء او من بعد •

ويوافق الملك مرها ، ويقول : سامنحك هذا ، ولكن سوف اقتل الرجل • وما ان ينتهى الملك من قوله حتى يسقط ميتا •

ومن بعد موت الملك ، تصبح الملكة حرة ،وتأخذ تطالب رجال الحاشية بأن يملأ واحد منهم بطنها فيستنكروا : الواحد بعد الاخر،ولا يبقى الا الشاعر الذى يوافق بعد تردد •

ومن ثم تخرج الملكة والشاعر الى الخلاء • الى جوار النهر ، الذى رآها كل من الملك والشاعر تستحم فيه ثم تخرج ناشرة شعرها : تمثالا حيا للجمال والفتنة • يقع الشاعر فى أسره ، ويمد الملك يده ليستولى عليه • وهكذا يصبح كل من الملكة والشاعر عبدين من عبيد ذلك الطاغية •

كان هذا من سنوات ، اما الان ، فبعد ان مات الملك ، يتحرر الشاعر من أسره ، ويروح يبث الملكة نجواه ويعبر لها عن غرامه المتقد ـ الذى كان دائما مشبوب الاوار •

وتقلق الحاشية لغياب الملكة فترسل جلاد الملك ليعيدها الى القصر ، خاصة وان الملك الميت قد سمع وهو يقول فى موته : اريد الملكة الى جوارى غير ان الملكة ترفض ان تنصاع للامر ، وتحث الشاعر على ان يقاتل الجلاد القوى ، الحاد السيف • ويفعل الشاعر بعد تردد ، فيخرج ، ولكنه يصيب الجلاد فى مقتل ، ليس بالسيف ، وانما بالقلم

وبهذا تنتهى المسرحية فى واحدة من نهاياتها، ذلك ان صلاح عبدالصبور قد جعل للمسرحية ثلاث نهايات هذه احداها •

ولا يعنينا شأن النهايتين التاليتين ، فان الكاتب يتوسل بهما الى الحصول على ذلك التواصل بين الخشبه والقاعه الذى تطالب به بعض اشكال الدراما الحديثة ، الا وهى : دراما المشاركة • اى مشاركة الجمهور مع الممثلين فى تقديم العرض •

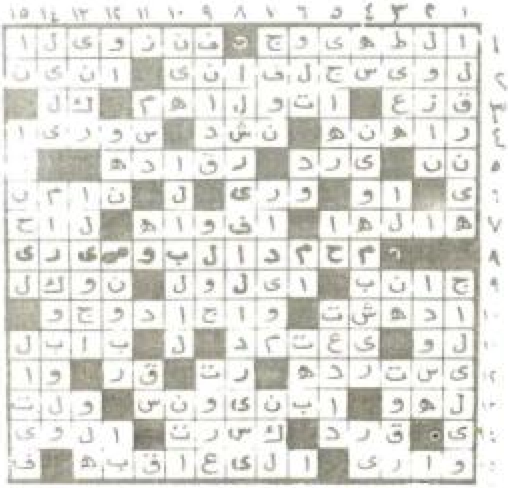
كانت مريم صالح ممتازة فى دور الملكة ، فقد ادته باقتدار ، وحملت العبء الشعرى حملا جميلا ومقنعا • وامتاز ايضا : قحطان عبدالله القحطان فى دور الملك وادى الباقون ادوارهم بكل ما فيهم من قدرات،وكان على رأسهم احمد مساعد الجزاف فى دور الشاعر • وادى سيار دهام الكوارى دور الجلاد ، ومحمد احمد المسلمانى دور القاضى ، وحسن ابراهيم حسن دور الوزير ، وجميعها ادوار نمطية ، ادوها على خير ما يمكن ان تؤدى هذه الادوار ، ذلك انها بطبعها محدودة • ليس فيها ابعاد كبيرة للحركة • لاستثنى من هؤلاء الا كنعان احمد بو عركي فى دور الخياط ، فقد اضفى عليه حيوية كبيرة ، وساعده فى هذا سابق عمله كممثل كوميدى معروف ، التحق بالمعهد لصقل موهبته وتجربته ، كما ساعده ايضا ان فى الدور مفارقة كبرى بين الخياط الكثير الكلام والخياط المقطوع اللسان • وقد اوصل كنعان لنا الدورين كاملين•

كان الديكور بسيطا ، وموحيا ، وملخصا عن طريق التمثال النصفى لجسد المرأة الذى كان مدلا من اعلى طول الوقت،شاهدا على ان النضال يدور بين الجمال والقبح ـ جمال الجسد وجمال القول ـ وقبح الجسد وقبح الفعل •

وكلمة اخيرة:احسست وانا اشاهد المسرحيتين، واعلم ان ممثليها تتوزعهم اقطار متباينة فمنهم الى جوار الكويتي،القطرى والبحرينى والسعودى، ان فن التمثيل سوف ينطلق عن طريقهم الى بلادهم العربية الممتدة فى منطقة الخليج •

وبهذا يؤدى المعهد العالى للتمثيل فى الكويت دورا طليعيا ورائدا فى هذه المنطقة الجميلة• ■■

الدكتور على الراعى



محمد البوصيري

●

الشريف الادريسي

اثنتان في واحدة :

(٨) أفقيا : محمد البوصيري ، الامام محمد ابن سعيد البوصيري ، ولد في بوصير ، من أصل بربري ، محدث وخطاط ماهر ، وهو صاحب قصيدة « البردة » ، التي سار على نهجها الكثير من الشعراء من بعده .

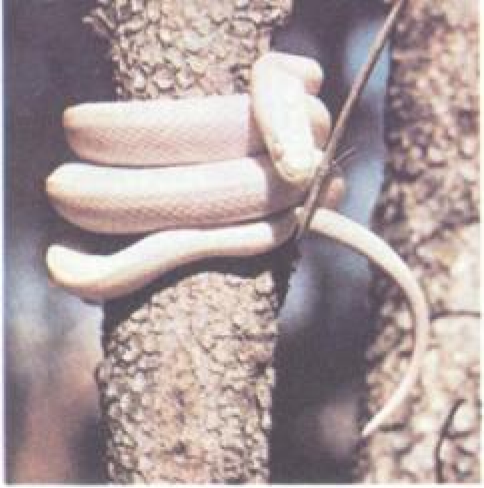
(٨) رأسيا : الشريف الادريسي ، ولد بمدينة سبتة المغربية ، وعاش في القرن السادس الهجري ، استدعاه الملك النورماندي روجر الثاني الى صقلية ، ليكتب مرجعه الجغرافي الشامل « نزهة المشتاق » ، كما قام برسم خريطة العالم على كرة فضية كبيرة .

الفائزون بالجوائز

* الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : عباس حميد عبدالحسين حيدر ـ كربلاء/العراق .
* الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : عدنان ابراهيم ـ بيروت/لبنان .
* الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها : ناصرة بوشاش ـ قسنطينة ـ الجزائر .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ عبدالكريم محمد هندي ـ عمان / الاردن
٢ ـ وفاء محمد ـ العيسى ـ القادسية/الكويت
٣ ـ علي ابراهيم الخليل ـ الخرطوم / السودان
٤ ـ محمد حسن الجهماني ـ درعا ـ سوريا
٥ ـ عطيات سيد نور محمد نور ـ القاهرة/مصر .
٦ ـ نواف يوسف الشيعان / المحرق ـ البحرين .
٧ ـ محمد علي محسن القاهري ـ صنعاء/اليمن .
٨ ـ سليم مفتاح سليم ـ بنغازي/ليبيا .




أعداء الشمس من الحيوان والبشر !

هذه الكائنات التى اريد لها ان تحجب عن الشمس الى الأبد ، لم تخلق عبثا ، بل جاءت الأمور فيها بحساب ومقدار ٠

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح










تسعةانواع من الحيوانات المختلفة التى جاءت مهقاء (أى بلون صبغة تهطيها لون البشرة والعين والشعر التقليدى) ٠٠فهناك غراب ابيض او امهق، وجمل امهق،وقردامهق ، وسلحفاة وسمكة وحية مهقاء الخ





● مسكين حقا ذلك الغراب ·· فلقد حمل المأساة وجاء بها الى الحياة !

وانه لن سربه الغربان لمنبوذ ومطرود ، اذ كلما اقترب منها ، واراد أن ينضم اليها ، طاردوه وضربوه ، وكأنما هو قد جاء شيئا نكرا !

ان هذا الغراب ـ في أعين الغربان الاخرى ـ قد يكون اى شيء آخر الا ان يكون غرابا ، رغم انه غراب ابن غراب !

لكن يبدو ان الغربان تطبق في مجتمعاتها بدعة التمييز العنصرى التى ما زالت البشرية تعانى منها حتى الان ·· اذ ممنوع على الغراب الابيض أن يخاطب أسراب السود ، وهو شعار مناقض لشعار دعاة التمييز العنصرى بين البشر ، فشعار هؤلاء الناس : ممنوع على السود أو الملونين ان يختلطوا بالبيض !

لكن ·· ماذا يعنى ذلك بحق السماء ؟ ·· وهل هناك تمييز عنصرى بين الغربان ؟ ·· اى هل فيها الاسود والابيض ، ونحن نعرف أن الغربان جميعا قد جاءت بريش أسود ، وكأنما هي قد لبست ثوب الحداد ، لدرجة أن الناس يتشاءمون من منظرها وصيحاتها ؟!

نعم ·· فالواقع أن مأساة الغراب هنا ، كمأساة الانسان ، مع فرق جوهرى وهام ، ذلك أن الانسان يدرك ما يفعل ، ولا يدرك ذلك الغراب !

ومن بين ما يدركه الانسان أن ألواننا لا دخل لنا فيها ، ثم انها لم تنتشر في عالم الانسان والحيوان الا من خلال « فرمان » وراثي ، وان هذا الفرمان أو الامر أو النظام قد جاء فينا ليكيف جلودنا او بشرتنا بلون خاص يتمشى مع البيئة التى نعيش فيها ، لكن دعنا من ذلك الان ، لنعود الى غرابنا المنبوذ من لونه ، فلقد جاء ببشرة بيضاء ، ومنقار ابيض ، وريش أبيض ، وهو بتلك الصفة الجديدة قد خسر ولم يكسب شيئا !

ولكن في هذه الصفة بالذات تتساوى بشرة الغراب مع بشرة الانسان مع بشرة القرد والجمل والسمكة والسلحفاة والضفدع والثعبان ·· الخ ··الخ·

فكما جاء الغراب بغير لونه المميز ، كذلك قد يجيء الانسان ، ومعه أيضا الكثير من أنواع الحيوان ··· فنحن نعرف في حياتنا الانسان الامهق ، اى الذى خلت بشرته وشعره ورموشه وجفونه وعيونه من أية صبغة حامية من أشعة الشمس ، ومن أجل هذا لا يستطيع أن يعرض جسمه لها مباشرة ، ولا أن يستقبل ضوءها في عينيه ، لانها قد تؤذيه ، ومن هنا اطلق عامة الناس على هذه الحالات اسم « عدو الشمس » ·· اذ ليس بينه وبين أشعتها استلطاف او جاذبية ، بل عداوة ونفور !

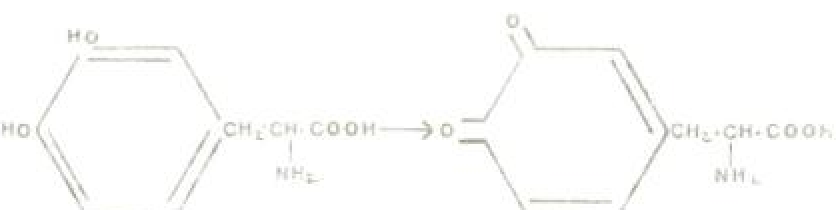
كذلك قد يجيء الغراب الامهق أو الغراب « عدو الشمس » أيضا ، او السلحفاة عدوة الشمس ، أو المهقاء ، أو التمساح عدو الشمس ··· الخ ··· الخ ، فنحن نشترك مع كل هذه الحيوانات في « الفرمان » الوراثى الذى يحدد لها ألوانها · فماذا يعنى هذا « الفرمان » ؟

* * *

عن الفتنة الناعمة !

الواقع أن الذى يهبنا الحماية من أشعة الشمس ـ او بالتحديد من أشعتها فوق البنفسجية الحارقة ـ مادة كيميائية محددة اسمها « ميلانين » ، وعلى حسب انتشار هذه المادة في خلايا بشرتنا أو جلودنا ، تكتسب ألواننا ·

فعندما تستلقى حسناء بملابس البحر على الشاطىء الرملى ، لتكتسب بشرتها لونا برونزيا ، او سمرة جذابة ، وتصبح في أعين الناس فتنة





سيدة زنجية مع ابنها الابيض الذى جاء
بدون صبغة الميلانين فأصبح للشمس كارهـا !

نائمـة ، عندئذ قد لا يجول بخاطـرنا ما يجـول بخاطر الناس ، بل يبرز فى العقل تحول كيميائي تحدثه الاشعة ، ويتراقص أمام العين هكذا :

ومعذرة لهذه الطلاسم التى نتخذها نحن معشر العلماء لننظر بهـا الى الامور نظـرة تختلف عن نظرة الناس لها ، ولقد كان من الافضل أن نقدم صـورة معبرة للفتنة النائمـة ، لنرى النتيجـة الواضحة على بشرتها الناعمة ، بدلا من هذه الذرات والجزيئات التى تتراص فى هندسة كيميائية لا لا يدركها الا أربابها ، لكن صورة الفتنة النائمة قد لا تجد هوى عند المشرفين على اخراج هذه المجلة الوقورة ، أو قد ينشرونها ٠٠ لسنا ندرى ، اذ لا حياء فى العلم ، كما لا حياء فى الدين !

لا علينا من ذلك ، فالمهم هو الجوهر لا المظهر ، فمادة الميلانين ليست الا اكسدة كيميائية لواحد من الاحماض الامينية التى تدخل فى تكوين البروتينات (اسمه تيروسين) ، وهذا التحول لا يتم الا بوجود انزيم او خمـيرة ، والخمـيرة بمثـابة (مفتاح) كيميائي جد دقيق ، ليحور فى هندسة الجزىء ، فيحذف منه ذرات ، او قد يضيف أخرى ، فتسرى عمليات الحيـاة الكيميائية حسب خطـة محـددة ، ونظام مقدر !

لكن الخطة أو « الفرمان » موجود فى المورثات أو الجينات التى تتراص فى جهاز المخلوق الوراثى الكامن فى نوى الخلايا ، فاذا اشتغلت الخطة ، ظهر الميلانين فى شعورنا وعيوننا وجلودنا ، واذا لم تشتغل ، جاء المخلوق أمهق ، اى محروما من الميلانـين ٠٠ وهـذا المركب الكيميائي أو الصبغة المميزة بمثابة عملة كيميائية موحدة بين المخلوقات ٠٠ لا يختلف فى ذلك الانسان عن القرد عن الجمل عن الحشرة والدودة ٠٠ الخ ٠٠ الخ ، وهذا يدلك على وحدة الخلق فى الكائنات ٠

ثم أن الاثر الناتج عن غياب هذه الصبغة الطبيعية الحيوية متشابهة أيضا في الكائنات ، فشعورها وريشها وجلودها بيضاء،وعيونها حمراء، وتجنبها لاشعة الشمس واضح ، والضرر الناتج من التعرض للاشعة لا يختلف بين انسان وحيوان !

والواقع أن صبغة الميلانين في البشرة أو الجلد تختلف من نوع الى نوع ، أو من سلالة الىسلالة، ومن منطقة جغرافية الى اخرى ، أو حتى من منطقة على الجسم ذاته الى منطقة مجاورة (كما في حلمة الثدى أو تحت الجفون عند بعض الناس) .

فلون جلد من يسكنون المناطق الباردة ذات الاشعة الشمسية الضعيفة أخف في الصبغة من الذين يسكنون المناطق المعتدلة ، فاذا وصلنا الى المنطقة الاستوائية ، حيث أشعة الشمس شديدة ، نرى التركيز يبلغ أشده ، فينعكس ذلك على بشرة سوداء فاحمة (الزنوج ومن في حكمهم) ، فتكون سلاحهم ضد أشعتهم !

وطبيعي أن تركيز الميلانين بين سلالة وأخرى من سلالات البشر ، أصبح صفة وراثية سائدة ، لانها تكيفت بظروف البيئة منذزمنسحيق،فالاشقر والشقراء لا تخلفهما الا ذرية شقراء ، وكذلك الاسمر والسمراء ، أو الزنجي والزنجية .. فلم نسمع مثلا أن الزنوج يمكن أن يخلفوا ذرية بيضاء أو شقراء أو حتى ذرية سمراء .. لكن هناك استثناء ، فمن الممكن أن يظهر بين الزنوج مولود أمهق .. أي بجلد أبيض مشوب بالحمرة ، وشعر أبيض كستنائي ، وعيون حمراء .. ومع ذلك فالتقاطيع زنجية ، والشعر ـ بتجعده الواضح ـ شعر زنوج ، لكن هذا المولود قد لا يمتد به العمر طويلا كاترابه ، فظروف البيئة قاسية واشعة الشمس حارقة ، ، وقد لا تتحمل بشرته الحساسة ما يتحمله الآخرون ، فلهم من سواد جلودهم حماية كبرى .

وظهور الامهق في ذرية الزنوج او الصفر أو السمر أو البيض يرجع الى خطأ وراثي ، والخطأ يؤدى الى عدم تكوين الخميرة التي تشرف على تجهيز الميلانين ، الذي يؤدى الى حماية المخلوقات من الاشعة الحارقة !

واحد بين كل ٧٠

الذين درسوا احتمال ظهور حالات الامهق بين البشر يقولون : أن اى انساننا قد يحمل فىتكوينه الوراثي الجينة أو الجينات الضامرة او المتنحية المسئوله عن انتاج وليد أمهق ، اذ يوجد واحد بين كل سبعين شخصا يحمل هذا العامل الوراثي دون ان يبدو عليهاى أثر لهذه الظاهرة ، والسبب أن لديه مجموعة أخرىسائدة قد ورثها منأحد والديه، وأن هذه المجموعه من المورثات تقوم بانتاج الصبغة التى فشلت فيها المجموعة الوراثية الاخرى المتنحية (لان المورثات تاتى أزواجا ازواجا .. من الام ومن الاب) .

واحتمال تزاوج ذكر ـ يحمل هذه الصفة غير الواضحه ـ من السبعين ذكرا العاديين ، مع أنثى تحمل هذه الصفة من بين السبعين انثى العاديات هو احتمال وحيد بين كل ٤٩٠٠ حالة زواج (واحد على سبعين مضروبة في واحد على سبعين) ، ولو تم هذا الزواج ، وجاءت للوالدين الحاملينلصفات الامهق ذرية (دون أن تظهر عليهما ـ أى على الوالدين ـ أعراضها) فان ربع هذهالذرية ـ على حسب قوانين الوراثة ـ تظهر مهقاء ، في حين أن الربع الاخر يظهر نقيا منها ، والنصف الباقي يحملها دون أن تظهر عليه أعراضها .. وهذايعنى بعملية حسابية بسيطة أن من بين كل حوالى ١٩٦٠٠ مولود ، تظهر حالة واحدة تسميها عدو الشمس أو الامهق .. والحساب يتمشى مع الواقع فعلا ، اذ أنه يوجد بالفعل أمهق واحد (ذكر او أنثى) بين كل عشرين ألفا من البشر ، ومن كل الملل والنحل ، وبين كل سلالات البشر .. البيض منهم والسود ، والسمر منهم والحمر !

وقد يتساءل متسائل : وماذا لو تزوج أمهق بمهقاء ؟

عندئذ ـ ونزولا على قوانين الوراثة ـ سوف تاتى الذرية كلها محرومة من لون البشرة ، لكن مثل هذا الزواج محرم في بعضالدول ، لانهسيزيد من عدد الوافدين على هذا الكوكب باخطاء وراثية غير مرغوب فيها ، أو ان ما تفعله الدول المتقدمة الان ، هو ماأوصى به رسول الاسلام حين نصحوقال « تخيروا لنطفكم ، فان العرق دساس » .. اى تاتى المواليد حاملة لصفات والديها ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر .

والموضوع بعد ذلك طويل .. لكن يكفى ما قدمنا فاوجزنا .

نصيحة للمصيفين

ولتوزيع صبغة الميلانين في اجسام الكائنات الحية نظم تتوافق وحماية هذه المخلوقات مما قد تتعرض له من عوامل قد تبيدها ، فنرى بعض الكائنات مثل أم الحبر او السبيط تتخذها كسلاح تختفى به من اعين الاعداء ، وفكرتها في ذلك ان تطلق خلفها ساترا من صبغة سوداء داكنة تشبه الحبر (ولهذا تسمى أم الحبر) فلا يستطيع الكائن المهاجم ان يحدد مكانها ، وهذه الفكرةذاتها قد تبناها الانسان حديثا ، واستبدلها بفكرة قنابل الدخان والقنابل المسيلة للدموع ، لكن السبيط كان اسبق فى ذلك بعشرات الملايين من السنين ، ومن خلال فكرةطبيعية لا صناعية !

كما ان انتشار صبغة الميلانين فى بشرة بعض الانواع قد يتم فى لحظات فيكسبها لونا قريبا من البيئة المحيطة بها ، ولهذا يصعب اكتشافها ، او تنسحب الصبغة من البشرة بسرعة ايضا ، وتتركز فى نقط جد صغيرة ، بحيث يصعب على العين اكتشافها،وانتشار الميلانين بسرعة من نقطه المركزة فى خلال الادمة(تحت البشرة) ، ثم تجمعهفىالنقط ذاتها بنفس السرعة ، فتتغير الوانها من سواد الى بياض ، او من بياض الى سواد فى التو واللحظه ، كل هذا يتم بتحكم هرمونى عصبي سريع المفعول ، ليساير ظروف الحياة التى لا تقبل التخلف او التواكل !

وطبيعى أن ذلك لا يحدث فى الانسان ، ولا فى غيره من سائر أنواع الحيوانات المعروفة ، فلم نشهد انسانا ابيض قد تحول الى أسود ، ولا اسود تحول الى ابيض لاى سبب من الاسباب ، حتى ولو كان ذلك هروبا او تخفيا من بدعةالتمييز العنصرى الذى يتبناه بعض ضعاف العقول من البشر ، انما الذى يحدث فقط ان انتشار صبغة الميلانين على جلودنا يتم ببطء شديد ، ثم ينحسر ايضا ببطء اكثر ، ثم ان انتشار الصبغة ، واكتساب البشرة لونا برونزيا او اسمر ، انما يتاثر بتركيز الاشعة فوق البنفسجية ، فتستجيب لها الخلايا الصانعة للميلانين ، وتفرز منها المزيد ، فتشتت تلك الاشعة الضارة ، فلا تحدث مزيدا من التدمير .

والى الذين يستلقون على شواطىء البحار صيفا بلباس البحر بغية الحصول على حمامشمسى نسوق نصيحة هامة حتى لا تضار جلودهم وتحترق، اذ من الانسب ان تتعرض بشرتهم فى اليوم الاول لاشعة الشمس ما بين ربع ونصف ساعة ، ثم تزيد فى اليوم التالى ما بين نصف ساعة وساعة ، وفى اليوم الثالث ضعف هذه المدة ، وهكذا .. فذلك كفيل باعطاء الفرصة لصبغة الميلانين بالاستجابة للاشعة رويدا رويدا ، فتعطى البشرة لونها المضاد لهذه الاشعة المدمرة .

وكلما كانت بشرة الانسان بيضاء او فاتحة ، كان اثر الشمس اشد ، والتفاعل اعظم ، ولهذا فان الاسود او الزنجي لا يتاثر بذلك كثيرا ، فلقد اكتسبت بشرته من البداية ما يصد عنه غائلة هذه الاشعة،وبحيث اصبحت فيه هذه الميكانيكيةالدفاعية متوارثة وسائدة ومكتسبة .

وطبيعى ان الامهق لا يستطيع ان يعرض جسمه على شاطىء البحر ، او لاشعة الشمس عموما كما يفعل البشر العاديون ، والا لاصابة بلاء عظيم،وقد يؤدى ذلك الى مضاعفات خطيرة لا يحمد عقباها ، اذ ليس لديه اى رصيد من مادة الميلانين لتصد عنه غائلة الاشعة واثارها المدمرة !

•

اذن فلقد جاءت صبغة الكائنات اساسا لكي تكون وسيلة من وسائل الحماية ضد نوع خاص من اشعة غير منظورة ، او لتستخدمها كائنات اخرى لتختفى بها عن اعين اعدائها ، لا لان يستخدمها ضعاف العقول من دعاة التمييز اللونى او العنصرى وسيلة من وسائل التفرقة بين بشر وبشر .. فالكل سواسية امام قوانين الحياة ، ولا فضل لاحد على احد فيما خلق الله .. « ومن اياته خلق السماوات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ، ان فى ذلك لايات للعالمين » .

والذين درسوا وعلموا وعرفوا ، قد ادركوا ان أيا من الكائنات لم يخلق هكذا عبثا ، بل جاءت الامور فيهابحسابومقدار، لتسير الحياةبمخلوقاتها كطوفان متجدد دافق ، ولكن اكثر الناس عن عظمة الخلق غافلون ! ■■

الاسكندرية ـ د . عبد المحسن صالح

في ذكرى مرور مائتي عام على رحيل روسو

حامل الشعلة ظهر صدفة.. مات تعسا مجنونا ..!

بقلم : منير نصيف

(وأخيرا اكتشف نفسه !)

وفجأة اكتشف الرجل الذى كان قد بلغ منتصف العمر او كاد انه ليس موسيقارا ٠٠ فقد كان القدر يعده لكي يضع بذور أعظم ثورة في الفكر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، في قلب المدينة التي كانت تعيش في ظل ارهاب وظلم وظلام ! ثم اصبحت فيما بعد مدينة النور !

انه جان جاك روسو « ابو الثورة الفرنسية »٠٠ ابن فرنسا ٠ العبقرى الذى اكتشفته «ديجون » (Dijon) تلك المدينة الصغيرة الواقعة على الطريق ٠٠ نفس الطريق الذى طالما سار فيه بين باريس وجنيف ٠ وهو يحاول ان يتلمس خطاه لسنوات وسنوات ٠٠

كان يعيش في ذلك الوقت مع زوجته الصغيرة تيريز في حي متواضع في باريس ، عندما التقطت عيناه فجأة اعلانا لاكاديمية العلوم والفنون والاداب في ديجون ، لقد خصصت الاكاديمية جائزة لصاحب احسن مقال عن « آثار التقدم الحضارى على الاخلاقيات ! »

وجلس روسو يكتب ويكتب ٠٠٠ ولم يكن هو نفسه اقل دهشة من اعضاء لجنة التحكيم التي قررت منح هذا « الغريب » الجائزة التي وعدته بها ٠٠



■ كان ينظر وراءه فى كل مرة يحزم فيها أمره ويستعد للرحيل ·· فقد كان يترك بين ما يترك فى هذا البلد ذكريات طفولة لم تكن دائما سعيدة ، وأحلام شباب ضائع وتجارب « حب » مع أكثر من امرأة عرفها ·· كان يرى فى بعضهن صورة أمه التى ماتت بعد أن انجبته الى الدنيا ·· كان قلقا حائرا لا يعرف ماذايريد،ولا ماذا هو صانع بنفسه وهو يقطع هذا الطريق الطويل بين جنيف : المدينة التى ولدته فيها أمه ورحلت بعد أيام قصيرة من وصوله هو الى هذا العالم الغريب من حوله ·· وبين باريس التى تنتمى اليها اسرته الفرنسية ، والتى سعى اليها ومضى يسعى ويسعى باحثا عن مكان وسط ظلماتها ، لهذه الروح التائهة والموهبة المدفونة فى أعماقه ··

كل ما كان يعرفه عن نفسه ، وكل ما اكتشفه هو فيها انه يعشق الموسيقى ويكتبها ويعزفها · وانه قد يستطيع أن يكسب عيشه ورزقه من هذه الهواية التى أضاع فى صقلها نصف عمره أو أكثر ·· ونجح ، ولكن الى حين ! وكتب يصف مشاعره فى تلك الفترة من حياته ، قال : « أنا سعيد ·· فلاول مرة أحس بأننى افعل ما أريد أن افعله ·· واشعر أننى أصبحت الرجل الذى أردت أن أكون ! · لقد أصبحت استاذا فى الموسيقى ! »

وكان يعدو دائما الى جنيف · والى المرأة التى أحبها · وكان يدعوها « أمى » فقد كانت فى مثل سن أمه ! وكان يضع بين يديها فى كل مرة يلقاها مبلغا من المال ، يسدد به الدين الذى طوق عنقه عندما كانت ترعاه شابا !

فقد كانت كل كلمة،كل سطر حواه المقال يحمل معه ثورة فى الفكر ·

وعندما طبعت الاكاديمية مقال روسو ونشرته على الناس ، بدأ الفرنسيون يتجهون بعيونهم وآذانهم الى هذا « الاديب » الثائر ، والى الشعلة التى رفعها لتضىء لهم الطريق بعد ذلك باعوام قصيرة ، عندما راح يحدثهم عن حرية الانسان·· « الانسان يولد حرا ·· ولكنه يعيش فى اغلال فى كل مكان فى الدنيا ! » لم يحدثهم عن حقوق الفقراء وعن الحرّية والاخاء والمساواة فى كتابه « العقد الاجتماعى » الذى اصبحت كلماته شعارا للثورة الاجتماعية فيما بعد،وقد طبعه فى مدينة امستردام بهولندا فى عام١٩٦٢ بعيدا عن الرقابة الفرنسية!

هذا الرجل الذى عاش ومات دون أن يرى ثمرة هذا الفكر الذى امتلأت به عقول وصدور الملايين من البشر ماذا قال التاريخ عنه ؟ لقد رحل روسو عن هذا العالم الذى قال فيه ما قال ، فى شهر يوليو من عام ١٧٧٨ ، قبل بداية نشوب الثورة التى اشعل فتيلها باحد عشر عاما !

وقد اختلف المؤرخون ، وما اكثر ما يختلفون ، فى تقدير فكر هذا الرجل وأصالته ·· قال البعض ان روسو لم يكن مفكرا صاحب مجموعة متماسكة من الافكار ، كما لم يكن واضح الفكر تماما ··

وقال البعض ان افكار روسو لم تكن جديدة ، وانه لم يكتشف جديدا ، وانما هو اضفى تعبيرا جديدا مليئا بالانفعال والعاطفة والبلاغة لأفكار غيره من الرجال ·· كان اشبه بمن يضع نبيذا جديدا فى وعاء قديم ·· والنبيذ عند الفرنسيين كالماء عندنا سواء بسواء !

هكذا تنقل دائرة المعارف البريطانية بعض ما قيل فيه وعنه ·· ولكن الذين انكروا على روسو اصالته بنوا حكمهم على اساس من سوء الفهم لطبيعة النظرية السياسية والاجتماعية ·· ذلك ان معظم الافكار التى يستخدمها واضعو النظريات السياسية والاجتماعية لها تاريخ طويل ، ولكنها ـ اى هذه الافكار ·· لا تبقى بطبيعة الحال متشابهة دائما، فهي تتغير تدريجيا نتيجة للمناقشات والمجادلات المستمرة ·· فالاصالة اذن هي في اعطاء سمات جديدة للافكار التى بدأ الناس يتداولونها بالفعل اكثر منها فى اختراع افكار جديدة ·

والرجل الذى يتمتع بموهبة ترتيب الافكار اكثر قدرة على رؤية التعبيرات الجديدة التى تحتاج اليها هذه الافكار حتى لا يحدث ارتباك بين اساليب التفكير القديمة والحديثة ، ولو أن الانفراد بهذه الموهبة وحدها ليس كافيا لاضفاء صفة الاصالة على صاحبها ·· فالافكار الجديدة لاتسمى باسمائها المميزة قبل مرور فترة من الزمن على بدء تداولها على السنة الناس ·· وكذا جديتها ، فاننا نجد فى العادة ان احدا لا يلحظها حتى الذين تأثروا بها ··

(فكر روسو)

ولم يبتكر روسو تعبيرات جديدة ، حتى حديثه عن « ارادة الشعب » لم يكن جديدا فقد استخدمه ديديرو من قبله ، ولكن هذا لا يعنى مرة اخرى اننا نستطيع أن ننفى صفة الاصالة عن هذا المفكر الثائر · بل على العكس فقد كان روسو ينفرد بهذه الصفة بقدر اكبر مما يبدو للكثير من هؤلاء الذين حاولوا تقييم افكاره وآثارها على المجتمع ·

وعندما قال روسو ان الانسان بطبعه طيب ، لم يكن يعنى ان الانسان البدائى افضل من الانسان المتحضر ،لقد اراد فقط ان يقول انه اذا كان الانسان المتحضر اليوم ضعيفا قلقا غير سعيد فليس سبب ذلك ان هناك شرا متواريا في داخله، ولكن السبب يكمن فى ان البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها لا تناسب طبيعته ·

لقد اكد روسو على ان الانسان لا يولد شريرا ولا يولد خيرا ، ولكنه يولد بامكانيات معينة يدافع من أجل تحقيقها ، فاذا واجه مقاومة ، وجدناه اكتسب طموحات واحتياجات جديدة ، قلما ارضته اما لانها غير مشبعة فى حد ذاتها أو لانها قد جرته الى صراع مع غيره من الناس ·

لقد كان روسو يجد دائما علاقة وثيقة بين تركيب المجتمع وبين الحالة النفسية والاخلاقية للفرد ، وكان يبدو له ان المجتمع فى ايامه ·· فى عصر الظلم والظلام ، كان يقتضى بالضرورة وقوف الناس بعضهم ضد بعض ·· وكان المجتمع بعد هذا مخيبا للآمال ، محيرا لاصحابها ، مما ادى الى الحيلولة دون اكتساب معرفة الذات ، وضبط النفس ، وهما العاملان اللذان يستطيعان وحدهما ان يجلبا السعادة والتالف الاجتماعى ·

(سعادة الانسان)

وكان يؤمن بعد هذا بان الخلافات والارتباكات الاجتماعيه هى النتائج الحتمية لعدم المساواة المفرط فى الثروة وفى حجم التعقيدات القائمة فى المجتمع المتحضر ·· فالانسان فى رأيه لا يستطيع ان يكون سعيدا ولا يستطيع ان يكون حرا ، ولا ان يكون راضيا عن نفسه وعن جيرانه ، الا اذا وجد فى مجتمع من البساطة بحيث لا يصعب عليه فهمه ، ومن الصغر بحيث يمكنه ان يقوم فيه بدور كامل ومتساو مع غيره من الناس فى توجيهه وادارته ·

اما المجتمعات الكبيرة فى رأى روسو ، فهى تلك التى تعيش فى ظل اقتصاد معقد ، بحكم وجود طبقة مميزة فى الحكم وبناء عليه يكون هناك عدم مساواة ، فالغالبية العظمى من المواطنين السلبيين العاجزين يعيشون تحت سيطرة واستغلال القلة الفعالة ·

(الحرية عند روسو)

ويؤكد روسو على ان المجتمع ·· اى مجتمع لا يمكن ان يكون متحدا وقويا ، الا اذا اشترك

افراده في الولاء له وفي الايمان بمعتقدات اساسية معينة ، ولا يمكن للانسان ان يكون حرا حقيقة الا اذا احس بأمن عاطفي ، وهذا لا يتحقق الا في مجتمع تسوده المساواة ، ولا يعتمد الفرد فيه على نزوات او حماية غيره له ، سواء كان هذا الغير رجلا او مجموعة من الرجال الذين هم اقوى منه او اكثر ثراء .. وانما يعتمد فيه على نظام قائم على القوانين التي تطبق على الجميع ، ويشترك في وضعها افراد المجتمع كله :

لقد علم روسو الناس التفكير في المجتمع ، وفي الفرد باساليب اخرى .. علمهم كيف يوجهون اسئلة جديدة .. وكانت هذه التعاليم اكبر بكثير من الحلول التي عرضها .. من هنا تظهر اصالة هذا المفكر وبعد نظره .. ولعل في تجربته هو مع الحياة ، اعظم دليل على اصالته وعبقريته ..

يرى بعض مؤرخي الثورة التي مهد لها روسو وزرعها في قلوب مواطنيه ان اقوى عود ثقاب القى به فوق الزيت الساخن الراكد ، هو قوله بأن « الانسان ولد حرا ، ولكنه يعيش مربوطا بالسلاسل والاغلال في كل مكان ! »

ولكي يشرح معنى هذا التناقض نراه يعود الى اجدادنا والى مجتمعاتهم البدائية الاولى ، لم يتصور هؤلاء الاجداد البدائيين وقد جلسوا يسجلون فيما بينهم شيئا يشبه «العقد الاجتماعي» الذي يقضي بأن ينضم كل فرد الى المجموعة ، ويجمعوا صفوفهم ويوحدوا قواهم تحت « الادارة العليا للارادة الشعبية » . وقد حملت هذه الكلمات « الجرثومية » التي مالبثت ان انتشرت بين الناس واسفرت عن «حصاد مخيف » ما لبث ان تبلور في عبارة واحدة هي «سيادة الشعب» ..

(اعترافات)

ولم يكن جان جاك روسو يقف وحده ، وهو يفكر ويكتب ، فقد سانده الكثيرون من الرجال والنساء « الأثرياء » الذين آمنوا به حتى قبل ان يفكر لم اقتنعوا بفكره بعد ان صار عملاقا ، وقدموا له المال والسكن في الريف الهادىء بعيدا عن ضوضاء المدينة واخطارها .. ومن بين هؤلاء مدام دوبديتو التي وصف مشاعره نحوها في كتابه الكبير « اعترافات » بقوله : «كانت المرأة الاولى والوحيدة التي احببتها في حياتي » .

وما اكثر ما امتلأت اعترافاته بالحديث عن السنوات الضائعة من عمره ، قبل ان يرى علامات الطريق .. وقد حدثنا عن « الخطايا » التي ارتكبها أيام فقره وعوزه .. بعضها كان عبثا ، وبعضها كان اكبر من الخطيئة نفسها !

روى ما حدث له في مدينة تورين ، عندما كان يهيم على وجهه ، فاشفق عليه الفقراء امثاله ، وافلح بعضهم في ان يجد له عملا كخادم في بيت مدام دي فرسيليس .. ولكن السيدة ماتت بعد مجيئه بثلاثة اشهر .. وراح الورثة يجردون «ممتلكاتها الخاصة» ، فاكتشفوا اختفاء قطعة من الشريط الجميل الذي يستخدم في تزيين شعور النساء ! لقد سرقها جان جاك روسو الصغير ، لانه لم يستطع مقاومة جمال لونها .. وتخيلها وهي تعانق شعر صديقته فاخذها ..

ولما وجدوها في حوزته ، ذاب خجلا ، ولكنه لم يتردد في اطلاق كذبة كبيرة .. قال : « لقد اعطتها لي ماريون » وقد كانت ماريون خادمة مثله في بيت سيدته ! وعندما واجهوها ، لم تحاول ان تنفي التهمة ، ولكنها طلبت ان تقابل روسو وعندما جاءوا اليها به وهم يدفعونه امامهم دفعا .. وقفت في وسط القاعة الكبيرة شامخة الانف ، وحدقته بنظرة اشمئزاز ولم تتكلم . ثم اتجهت الى الجمع من حولها وقالت : « وماذا تنوون ان تفعلوا بي ؟ »

– لا شيء اكثر من ان تحزمي ملابسك وتتركي البيت فورا ! وانت كذلك يا جان !

ولم تستطع الاعوام الطويلة التي عاشها روسو بعد ذلك ان تنسيه نظرة الاحتقار في عين «ماريون» البريئة التي القى عليها تهمة السرقة !

(الخطيئة الكبرى)

وحدثنا روسو في « اعترافاته » عن علاقاته بالنساء اللواتي ساقهن القدر في طريقه .. ولم تكن كلها علاقات بريئة ، في مراهقته وشبابه ورجولته ، حتى عندما اراد ان يتزوج ويستقر ،

نراه قد أخطأ الهدف ، فلم يكن يحب زوجته الريفية البسيطة ، وبالرغم من هذا أنجب منها خمسة أطفال .. فقد أعطته تيريز كل شيء .. أعطته نفسها وحبها وملأت معدته بالاطعمة الشهية التي كان يحبها !

لقد عاش روسو لحظات تردد طويلة ، وهو يعترف في كتابه الذي وضع فيه كل شيء وكان كلما اقترب من الاعتراف باحدى « خطاياه » ، قال : سوف أكف عن اتمام هذا الكتاب الا اذا اكتشفت شيئا جديدا !

اين ذهب أطفاله الخمسة ؟ لا أحد يدري ، ولا حتى روسو نفسه !! ولقد كانت هذه هي الخطيئة الكبرى التي عاشت معه طوال أيام حياته .. أما حكايته معهم فقد كانت تنتهي دائما عند باب مستشفى الحضانة في الحقيبة الصغيرة المعلقة على الباب لاستقبال الاطفال حديثي الولادة الذين لا يريدهم آباؤهم ! لم يحاول مرة واحدة أن يستبقي واحدا منهم .. فقد كان يسرع دائما الى الحقيبة ويضع فيها طفله بعد أن يطلق صرخته الاولى وهو يستقبل الدنيا .. الاطفال الخمسة اختفوا كلهم داخل جدران دار الحضانة في رعاية الدولة!! كتب يقول «مبررا ما صنعه بهم : «لقد كنت حريصا على أن يشبوا فلاحين وعمالا صالحين .. من يدري ماذا كان القدر سيصنع بهم لو أنهم بقوا معنا .. الم يكن «من الممكن» أن يصبحوا مغامرين وصائدي ثروة؟».

ولم يكن روسو يجد في بداية الامر اى خطأ في مسلكه ، كان يعتبر نفسه ، رغم ما صنع ، مواطنا صالحا ، ربما لا ينتمي الى المجتمع الذي يعيش فيه ، ولكنه قطعا أحد أبناء جمهورية افلاطون !!

(وبقيت الشعلة)

وعاشت هذه الصفحة السوداء معه في اعترافاته وخاصة لانه كان يعلم أن المال لن يعوزه ، وانه قادر على تربية أطفاله والانفاق عليهم ، اذ لم يكن من عنده ، فمن جيوب أصدقائه الذين كانوا يفتحون محافظهم له ليأخذ منها ما يشاء .

ويضطرب روسو وهو في القمة .. ويستيقظ ضميره فجأة فينطلق باحثا عن أطفاله في كل مكان، ولكن أين ؟ ويمزقه الحنين اليهم والحاجة لاذرعهم الشابة القوية وهو يقترب من نهاية العمر ..ويصدر أمر باعتقاله فيهرب ، ويهيم على وجهه في شيخوخته من جديد من بلد الى بلد حتى يستقر به المطاف في انجلترا ..

ثم يعود الى باريس والى زوجته تيريز مرة أخرى ،وتمضي الاعوام، وفكر روسو يملأ جو فرنسا الخانق المظلم ولكنه يعيش في شقاء وألم نفسي مع صور أطفاله الخمسة الذين أضاعهم في زحام باريس .. ويعرض عليه أحد أصدقائه الاثرياء كوخه الصغير في مقاطعة ايمانو نفيل .. فيحمل نفسه اليه ، ولكنه كان قد أصبح عندئذ حطاما للرجل الذي كان ، .. ويموت روسو في عام ١٧٧٨ ..وقيل انه انتحر ، وقيل انه أصيب بالجنون .. وتنتهي صفحة من تاريخ فرنسا .. لتبدأ صفحة أخرى بعد أحد عشر عاما .. فتبقى الصفحة الثانية مفتوحة الى يومنا هذا .. في عام ١٧٨٩ تشب الثورة الفرنسية .. وحملت فرنسا كلها الشعلة التي أضاءها روسو .

■■

منير نصيف

قبل الهدية فحرم عمله

● بلغ أنو شروان أن بعض عماله قد قبل هدية من بعض العامة، فأحضر أنوشروان عامله فلما مثل بين يديه قال له : « هل قبلت الهدية » ؟ قال : : نعم فقال : ان قبلتها لتستكفيه شيئا ، لم تكن تستكفيه لولاها ـ انك لخائن ،وان قبلتها ـ ولم تكافئه ـ انك للئيم ، وان كافأته بسطت لسان رعيتك عليك ذما . فمن أتى صنيعا لا يخلو من هذه الثلاثة رغبنا عنه » ، ثم ان أنو شروان أمر بعزل ذلك العامل .

جاردينيا

للدكتور عبده بدوى

■ لن أنسى نظرتها الفرحى
كانت كالزهرة ناضرة
.. ما كانت تختلس الدنيا
او تدفع صدرا فى افق
بل كانت عصفور ربيع
تتحدث فى صدق عذب
وتقول الرأى بلا خوف
والضحكة ترسلها القا
وتسير فتخضر الدنيا
والهدب يجوب الافاقا
والنجمة تلمع اشراقا
وتموء ، وتدمن اطراقا
ليغرد ان مدت ساقا
يجتاح الساحة مشتاقا
فتشد اليها الاعناقا
فتفجر نبعا رقراقا
من بستانين قد اشتاقا !
وتضىء ، وتنبت اوراقا !

★ ★ ★

قد قال صديقى فى ثقة :
من أين اهز مشاعرها
ومضى فى خبث يسألها
عن قطعة موسيقى عزفت
فتجيب : قرأت فلاسفة
ويقدم كأسا مرتجفا
.. فيعود لجلستنا يشكو
ونراه عصفورا غنى
بينا نلقاها فى مرح
وقصيدة جاردينا .. كبرت
ـ والليل يثير الاشواقا ـ
واثير سعارا مهراقا ؟
عن عقد ! عن ثوب ضاقا !
والخصلة تشكو اغراقا !
وعرفت الشعر السباقا
فتقدم فكرا خلاقا
جيلا ثرثارا . براقا
زمنا ، وترامى ارهاقا
شلالا جموح قد راقا
عن أن يقطفها من لاقى !! ■



« من سوء حظ القلب ان يولد الانسان رجلا »

(كريستيان برنارد)

حتى تتجنب امراض القلب

كريستيان برنارد اول من زرع القلب فى العالم

يسجل تجربته في كتاب مثير

بقلم : الدكتورة صبيحة الدباغ

وهو يعتبر ان العوامل الوراثية هى من اهم الاسباب المؤدية الى الاصابة بامراض القلب • كما انها قد تنشأ عند التقدم فى السن ، او الحياة فى بعض المجتمعات الغربية • وارتفاع الضغط وزيادة مستوى الكوليسترول فى الدم ، والاصابة بداء السكر • ايضا ، فانه يقرر ان الرجال اكثر اصابة بالنوبة القلبية من النساء •

اما الاسباب الاخرى التى تذكر فى معرض تعليل امراض القلب ، فان زارع القلوب الشهير يعتبرها اسبابا غير واضحة ، اى انه لم يثبت على سبيل اليقين ان هناك علاقة تربط بينهـــا وبين تلك الامراض • ومن هذه الاسباب التدخين والسمنة وقلة التمارين الرياضية والاجهاد •

وعلى حد تعبيره فانه لا يمكن بطبيعة الحال

● هذه بعض الافكار التي قدمها الطبيب الجراح كريستيان برنارد ، اول من اجرى عملية زرع القلب في العالم ، وطرح فيها ملاحظاته وخلاصة تجربته في كتاب بعنوان : ليس من الضروري ان تموت بالنوبة القلبية •

والكتاب يمتزج فيه الادب بالعلم ، واستطرادات الجاحظ بخبرة الجراح الماهر ، الامر الذي ادى الى بعض الخلط والتجاوز في عرضه لعدد من الحقائق العلمية •

ومع ذلك ، يعد الكتاب بمثابة ثورة على الاراء الطبية الشائعة • فالقلب في نظر الدكتور برنارد لم يعد ذلك العضو الغامض الضعيف ، المعرض للكسر والعطب بسهولة • بل على العكس ، فهو من اقوى أعضاء الجسم البشري ، رغم الهالة الشعرية الغامضة المحيطة به •

نم مبكرا وانهض مع العصافير

معالجة العوامل الوراثية او قضية التقدم في السن ، او كون الشخص رجلا واكثر عرضة للاصابة من المراة • اما بقية العوامل ، فهي خاضعة للعلاج •

ثم يقول برنارد : ولكنني في شك من ذلك كله • وحتى حكاية الكوليسترول والشحوم الحيوانية في الدم ، التي تؤيدها الدراسات والاحصاءات ، لا تزال بحاجة الى المزيد من الاثبات والبراهين •

نصيحة برنارد

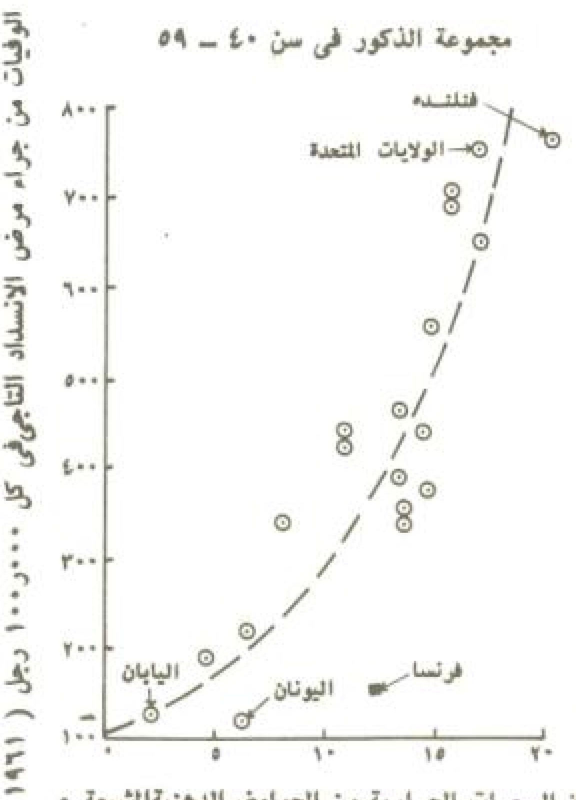
ويحاول برنارد ان يلخص تجربته في قوله : لو جاءني احدهم يسالني عن افضل النصائح لتجنب النوبة القلبية لتوقع مني ان اقول له : « اذهب للنوم مبكرا ، وانهض مع العصافير ، ولا تقم باعمال رياضية مجهدة ، وتجنب الارهاق العصبي ، واحذر ان تتناول الزبد او البيض او القشدة او اللحم ، وانه من سوء حظ القلب ان يولد الانسان رجلا • هذا ما دلت عليه البراهين بوضوح »

وفي كتابه الذي صدر بلغة جنوب افريقيا « الافريكانز » ، التي هي مزيج من الهولندية والانجليزية ثم ترجم بعد ذلك الى الانجليزية ، ركز الدكتور برنارد معظم ما كتب على اختباراته الشخصية ، وقد اشار الى ان الانسان هو الحيوان الوحيد الذي يصاب بتصلب الشرايين • ثم يسخر من الربط بين السمنة ومرض القلب بمجرد المظهر قائلا انه قد يبدو المرء بدينا لكبر عظامه او كونه عضليا لا لزيادة الشحوم في بدنه ، وافضل طريقة عنده لقياس السمنة هي طريقة قياس طيات الجلد في مناطق معينة من الجسم ، وذلك برفع طية من الجلد وما تحته من شحم بالة قياس سمك الاشياء المصنوعة خصيصا لهذا الغرض •

ويقول : اما فيما يتعلق بداء السكر فهو اليوم نسبيا من الامراض التي يمكن السيطرة عليها للحيلولة دون خلق مضاعفات في اضطرابات الدورة الدموية .

ثم يدحض برنارد النظرية القائلة بان النوبة القلبية مرتبطة ارتباطا خاصا بمجموعتي الدم (أ) و (ب) ، فقد اخفق اثباتها في بعض البلاد القائمة بهذا البحث .

بيد ان الدكتور برنارد يناقض نفسه بنفسه في اكثر من موضع فيما يتعلق بوراثة النوبة القلبية عن طريق (الجينات) اذ يعود ليقول : « ربما لا ترث النوبات القلبية ، وانما الاستعداد المتزايد



حالات مرض الانسداد التاجي بقدر ارتباطها بنسبة السعرات الحرارية في الغذاء المستهلك كدهون مشبعة في مختلف اقطار العالم .

لها » ، وتنهار نظرية (الجينات) وعلاقة النوبات القلبية باجناس بشرية معينة اكثر من غيرها ، عندما يذكر برنارد ازدياد اصابة اليابانيين بالنوبة القلبية عندما يهاجرون الى الولايات المتحدة او اليهود اليمانيين بعد ان يتركوا اليمن .

ورغم ان الدكتور انسل كيز اعظم اختصاصي في التغذية في زماننا هذا قد برهن على العلاقة الكائنة بين الشحوم المشبعة والنوبات القلبية ، وانه وجد الكوليسترول والمواد الدهنية الاخرى بين المواد المكونة لتصلبات الشرايين ، اقول رغم ذلك كله فان الدكتور كريستيان برنارد يشكك في القضية بايراده قبيلة «الماساي» في كينيا شاهدا على ندرة النوبات القلبية فيها بالرغم من استهلاكها لمقادير هائلة من الشحوم والدهون المشبعة ، اذ يقول برنارد وهو في حيرة من امره : « ان هذا الاستثناء الخاص لا يفسد بالضرورة القاعدة العامة . انه يذكرنا بتعقد المشكلة » .

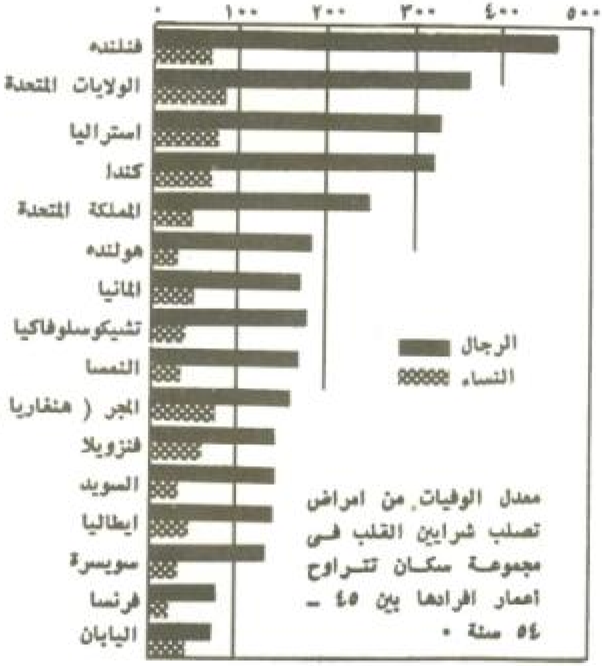
ونحن نقول : « ليس في المشكلة تعقيد ، انما من الخطا ان ننسب النوبة القلبية الى عامل واحد ، في حين انها نتيجة تضافر عدة عوامل ، فما ادرانا بالعوامل المضادة الاخرى المحيطة بالقبيلة الكينية التي تقل من تاثير المواد الدهنية التي تتناولها ، ولعل لها تكوينا خاصا يساعدها على استهلاك الشحوم والدهون دون ان يتراكم ذلك على جدران شرايينها ، كما في بعض الحيوانات اللبونة التي لا تصاب بتصلب الشرايين .

تجربة قبيلة البانتو

ويغالط برنارد حين يستشهد بالفنلنديين الذين يحيون حياة عنيفة فيصابون بالنوبة القلبية ، وينسى ان الفنلنديين يستهلكون بالاضافة الى ذلك كميات هائلة من الشحوم والدهون (راجع جدول معدل الوفيات والخط البياني) ويعود الى عبارته التقليدية ليقول : « ان هذه النتائج المتضاربة صعبة التفسير ، وانما تذكرنا بان اليقين في الطب يصعب التوصل اليه »

وموقفه من التدخين كموقفه من الرياضة ، اذ يقول : « ان البرهان على ان التدخين يحدث مرض

معدل الوفيات في كل ١٠٠٠٠٠ نسمة•



النوبةالقلبية هو كعدممعارسةالرياضةالبدنية،امر غير مؤكد » • ويعزو القضية الى ان المدخنين ياكلون من البيض واللحم اكثر من غير المدخنين ، ويستشهد بحالة خاصة هي قبيلة « البانتو » في جنوبي افريقيا التي تفرط في التدخين وتندر فيها النوبات القلبية•ومع ان اليابانيين والفنلنديين يدخنون ، فان نسبة النوبات القلبية في اليابان اقل بكثير مما هي عليه في فنلندة ، كما ان الدكتور كيز لم يجد علاقة بين التدخين والنوبة القلبية رغم وجود علاقة وثيقة بين التدخين وامراض اخرى ، وينسى الدكتور برنارد ان استهلاك اليابانيين للارز والمنتجات النباتية له علاقة في هذا التفاوت!

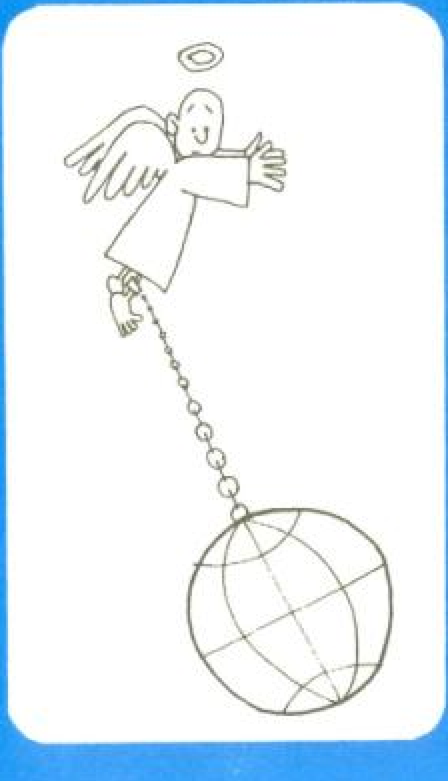
وعلى العموم فان الدكتور كريستيان برنارد قد كشف عن نفسه في كتابه (النوبة القلبية) فيلسوفا واديبا ، فضلا عن كونه طبيبا وجراحا ، فكتابه هذا كتب باسلوب ممتع تلذ مطالعته للاطباء وغير المختصين بالطب معا ، وقد احسن الاستهلال والختام، فهو يفتتح كتابه بقوله : « اذكر النوبة القلبية او الجلطة امام الشخص الاعتيادي وسيتخيل في الحال فكرة الموت ! » ثم يمضي برنارد ليدحض هذه المقولة المشئومة ، حتى اذا ما بلغ الختام قال : « للفرنسيين بما عرفوا به من نفاذ البصيرة الانيقة في الحياة وصفاتها ، ذلك النفاذ الذي لا يحاكي ، قول ماتور هو ان المؤقت هو الذي يدوم ! » وبعد ان يفسر برنارد المعنى الخفي وراء هذا القول المتناقض ظاهريا يختم كلامه نهائيا بقوله : « من هنا انطلاقة روح التقدم الحقيقية »

وقد الحق المؤلف بالكتاب خمس صفحات شرحا للتعابير العلمية الصعبة التي استعملها في بحثه وهي تضم نحوا من خمسين تعبيرا سبق له ان فسرها في بحثه ، الا انه عاد فجمعها في صعيد واحد تسهيلا للمراجعة •

انني لا اكتم اعجابي بالكتاب ، لكني اقول صراحة ان لكل جراح ماهر بارع اصابع ذهبية ، ولكن قد يصعب اقناعه بصحة بعض الحقائق الطبية ! ■■

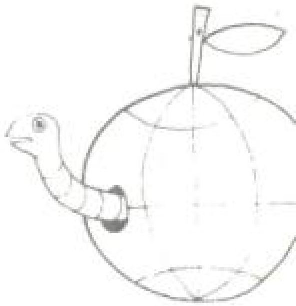
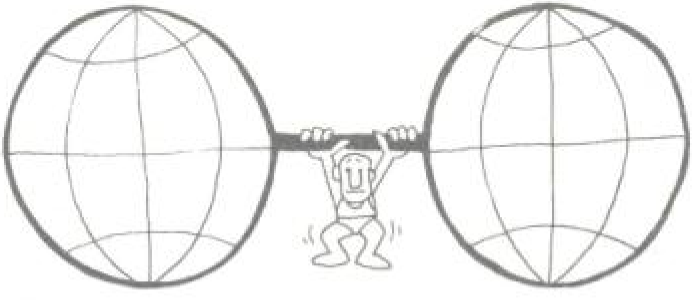
اكسفورد : د • صبيحة الدباغ


بريشة
بهجت
تنويعات على
الكرة الأرضية







أحسن الكلام..
وخير الفعال..
ما جاء في محله.. وموضعه

بقلم « الدكتور فخري الدباغ

ـ لا تؤجل عمل اليوم الى غد •••
ـ خير البر عاجله •••
ـ في التاني السلامة •••
ـ القناعة كنز لا يفنى •••
ـ المركب التي فيها ربانان لا تسير •••

اقوال حكيمة واحاديث شريفة •• وأمثال شعبية راسخة لم تات اعتباطا ••• ولم ترسخ وتحيا الا بحكم واقعيتها وصحتها ونجاحها على مر الزمن ••••

وجميعها صحيحة •••

وجميعها خاطئة أيضا •••

هي صحيحة وناجحة في ظروفها وتوقيتها المناسب •• وهي خاطئة وفاشلة في غير ظروفها وموعدها المناسب ••• ، فعامل الزمن •• وحساب الظروف هي الضوابط التي تقرر ذلك • وقابلية المراوغة والتبرير أو خداع الذات هي التي تؤدي ببعض الناس الى اساءة استعمالها والى الاتكال عليها والاحتماء بها لتبرير السلوك والعمل والفكر •• « فلا تؤجل عمل اليوم الى الغد » عندما تكون موظفا في دائرة ومسؤولا تجاه معاملات المواطنين المراجعين الذين يتوافدون على مشاكلهم وتمشية أمورهم •••

ولا تؤجل عملك وانت عامل او فني او فنان عندما تكون مطالبا بانجازه في فترة معينة وتتمكن من انجازه فعلا ••

ولا تؤجل عملك وانت استاذ وممتحن وباحث وطالب اذا كان المفروض فيك اكمال متطلبات محاضرة او تقديم اسئلة الى مدير مدرسة أو تطوير البحث أو مراجعة درس معين والبحث عن قاموس أو مرجع •••

ولا تؤجل منحة ومكرمة واحسانا عزمت عليه وباستطاعتك اداءه وتقديمه لان التاجيل الى غد لا تحمد عقباه ولا يعرف مصيره •• لانه لو حدث لك خطب او حدث أو مرض مفاجيء •• فستفوتك فرصة الاحسان والثواب •

ولكن عليك ان تؤجل بعض الاشياء لان في العجلة الندامة •• اي ان تتروى وتتريث •• ، وفي التريث حكمة ومنفعة وعدل •• فلا تستعجل الحكم على الناس من مظهر او بادرة منفردة ••، ولا تستعجل العقوبة على مرؤوسيك وانت غير مستوف جوانب التحقيق وظروف المخالفة والتقصي ••

ولا تستعجل في الحب ‥ وفي الزواج ‥ وتريث وتردد كثيرا اذا اقدمت على طلاق او فصال او خصام ‥‥

ولا تستعجل وتستبق الحوادث وتبن عليها المشاريع العاجلة السريعة . بل دعها في ذهنك جاهزة هادئة لتنضج الحلول معها ‥

ولا تستعجل في الادانة والاهانة والعراك ‥

ـ « والقناعة كنز لا يفنى » ‥‥ ، ولكنها احيانا لا هي بالكنز ولا هي بالباقية ‥ القناعة واجبة في الازمات ‥ وفي المحن ‥ ، وعندما يمر الوطن والناس في ظروف عصيبة من كوارث طبيعية او موجة جفاف وسنوات عجاف واقتصاد مبرمج مقتن .

والقناعة واجبة امام حكم الله والاقدار والامراض والمصائب . عندها يدرك الانسان ان السعادة ليست احتكارا لاناس ومحرمة على آخرين ‥ وان البشر جميعا معرضون للمرض والمصائب وافي الحوادث والمحن ‥

والقناعة مفتاح الصبر ‥ والصبر مفتاح الفرج ‥ فهي اذن دليل الصلابة والصمود والانتظار والتاهب للمعركة والكفاح ‥

اما القناعة الذليلة فهي خسار وليست بكنز ‥، القناعة التي تخدر الانسان ‥ وتجعله آلة بشرية جامدة ترضى بكل شيء ولا تتطلع الى العمل والتقدم وتحسين الاحوال هي مرض اجتماعي وعلة خبيثة تشل الانسان وتجمده ‥‥

القناعة التي تعني الاتكالية والكسل هي خلاف ما جاء به الاسلام من حث على العمل لكسب العيش ‥ ، فالعمل شرف ‥

القناعة التي تقتل روح النقاش والنقد والنصح هي الخرس الفكري الذي يعيق الحضارة ويعرقل المجتمع ‥‥

والقناعة بالحاضر لن تطور المستقبل ‥ ، والقناعة بما وصلت اليه العلوم لن يدفعها الى الاستزادة من معرفة الكون واسرار خلق الله واستكشاف المجاهيل ‥‥

و « السفينة التي فيها قبطانان لا تسير » لان بعض المواقع والمواقف تتطلب قرارا من شخص واحد وادارة من مصدر مركزي هو المدير والمدبر والمنظم.

ولكن « سفينة الاسرة » لا يمكن ان تسير بادارة شخص واحد ‥ وبقرار تعسفي . اما الزوجة الآمرة الناهية المسيطرة ‥ او الزوج الطاغية الاناني اللذان يريد كل منهما ان يقود العائلة وتربية الاطفال وادارة شؤون البيت حسب اهوائه ومزاجيته فكلاهما خاسر ‥ ، والسفينة ستقف او تعطب او تتعثر في ابحارها ‥‥ فادارة العائلة يجب ان تتكون بالمشاركة والديمقراطية والاعتراف بحقوق الآخرين ‥ ديمقراطية الابوين وتفاهمهما هما رمز الاسرة الناضجة ‥ واتفاق رئيسين او ثلاثة في البيت هو الضمان لسير العجلة ‥‥

ويقول الامام علي بن ابي طالب :

« من شاور الرجال ‥ شاركها في عقولها ‥»

‥‥ وهناك مئات من الاقوال والاحاديث والحكم ينطبق عليها نفس التحليل ولها نفس الازدواجية والتناقض الظرفي وليس التناقض الداخلي ‥‥

فالقول الصائب هو الذي ينطبق على الظرف الصائب ‥ . والفعل الجيد هو الذي يتم في الوقت المناسب ‥

والتناقض الظاهري (الظرفي) بين مجموعة من الافعال والحكم المتناظرة ـ المتقابلة هو في من يستخدمها وليس في حد ذاتها ‥‥

سلاح ذو حدين

لماذا اذن هذا التناقض ؟ ‥ ولماذا نحتار في ايهما اصح وادق ؟ ‥‥ السبب واضح جدا ‥ لان هناك صنفين من الناس : ـ

الصنف الاول : هو الذي يريد ان يضحك على الآخرين ويدير عقولهم فيستخدم الامثال والحكم في اقناعهم وتسييرهم وفق مشيئته وهو يدرك بمكر وذكاء ان الحقيقة خلاف ذلك .

وتنطلي هذه الحيلة الحياتية على السذج والبسطاء والتابعين .

والصنف الثاني : لا يخدع غيره بقدر ما يخدع نفسه من خلال آلية عقلية لا شعورية هي آلية التبرير (Rationalisation) فعندما يجد

الانسان نفسه امام عقبة أو معضلة لا يستطيع النفاذ فيها أو حلها او التقلب عليها فانه يتراجع ويتخذ سلوكا آخر .. ولكنه يبرر هذا الفشل بعذر مقبول لديه ولدى الآخرين وبذلك « يحفظ ماء وجهه » ... فاذا لم يدخل في مغامرة او صفقة تجارية مربحة .. قال ان « القناعة كنز لا يفنى » .. واذا قيل له ، كان الحل الفلاني أمامك للقضاء على المسالة الفلانية اجاب «الرتق كبير.. والرقعة صغيرة .. » . واذا وجد نفسه متاخرا في عمل ما قال « في العجلة الندامة » .. واذا انهال عليه اللوم لتعجله الامور ، ولم يتحل بصبر وروية اجاب « لا تؤجل عمل اليوم الى غد » .. ، مثل الثعلب الذي لم يستطع أن يصل عنقود العنب الناضج لياكله ... فنكص على عقبيه خائبا وهو يقول انه عنب حامض نيء (حصرم) ...

أدب القرآن ، والفقه براهين مضيئة

... وفي الآيات القرآنية دلائل دامغة على اهمية زمان ومكان الكلام ... فقوله تعالى : « .. ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى .. » كان أمرا مرحليا يناسب نفسية وعقلية وتطور الدعوة النبوية . ولا يصح أن نستشهد به بعد مرحلته لشرب الخمر في غير وقت الصلاة لانه اصبح من المحرمات بعد ذلك بزمن قصير .. كذلك لا يصح الاخذ بجزء من آية قرآنية وتتجاهل تتمتها ومناسبتها ومعناها وأبعادها ... ولكن من الناس (ومن الصنفين اللذين ذكرناهما آنفا) من يكتفي بالجزء الاول أو الثاني أو الاخير من آية ليجعلها ملائمة لاهوائه .. ، كان يستشهد بالجزء الاول من الآية الكريمة : كقوله تعالى « ويل للمصلين .. / الذين هم عن صلاتهم ساهون .. » فياخذ بالجزء الاول « ويل للمصلين .. » .

أو يستشهد بالجزء الاول من الآية الكريمة :

قوله تعالى .. « ان الله لا يستحي / أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها .. » فياخذ بالجزء الاول .. ولا يستحي هو أن يجاهر بذلك كالحمقى تماما ...

وأخيرا .. ، فان في فلسفة الامثال الشعبية والحكم ، والاحاديث النبوية الشريفة من الكنوز ما يفي باغراض حياتنا المعاصرة من جميع جوانبها .. فهي حلي فكرية نزين بها عقولنا وسلوكنا .. ولكن الحلية يجب أن توضع في مكانها .. وان تاخذ حجمها ولونها المتناسق مع الانسان ذاته .. بشخصه وعمره وملبسه وموقعه ومركزه وزمانه ومكانه ... وكل ذلك يحتاج الى حاسة خاصة .. يدعوها البعض « بالحاسة العامة » .

وربما نعود في مقال آخر الى مدى صحة وجود هذه الحاسة ... ■■

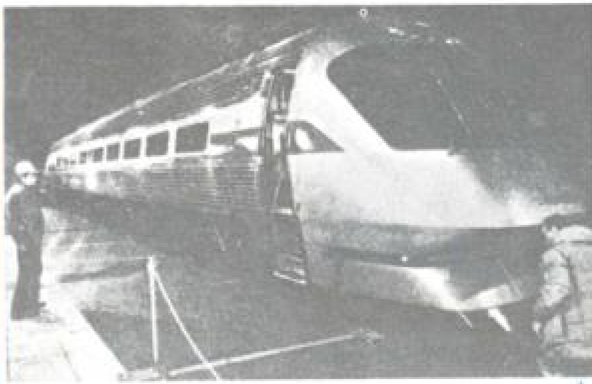
دكتور فخري الدباغ
جامعة الموصل ـ كلية الطب

موعظـــة

● قال الحكيم الفارسي بزرجمهر : « نصحني الفصحا،وعظني الوعاظ شفقة ونصيحة وتاديبا ، فلم يعظني مثل شيبي ، ولا نصحني مثل فكري ، وعاداني الاعداء فلم أر أعدى لي من نفسي اذا جهلت. واكلت الطيب ،وشربت السكر ، فلم اجد شيئا الذ من العافية ، واكلت الصبر وشربت المر فلم ار أمر من الفقر ،ونقلت الصخر،وعالجت الحديد، فلم أر حملا أثقل من الدين ، وطلبت أحسن الاشياء عند الناس فلم أر شيئا أفضل من الخلق الكريم .

أنباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى



عربة امريكية متعددة القابليات

● عرق عن التكنولوجيا الامريكية تقدمها فى مختلف المجالات •• باستثناء مجال واحد على الاقل •• هو ميدان صناعة القطارات •فهذا ميدان تفوقت فيه التكنولوجيا الاوروبية والفرنسية منها بالذات •• وبلغت الذروة فيه تكنولوجيا اليابان •• ولعل ظهور العربة الامريكية الجديدة كفيل بتقدم صناعة القطارات فى الولايات المتحدة على نحو لم يسبق له مثيل •

فهى عربة متعددة القابليات •• يمكن ضمها الى عربات القطار العادية التى تسير على سكك حديدية وتجرها القاطرات •• ويمكن تسييرها على انفراد ، بمعزل عن القاطرات والعربات ، وذلك بقوة الكهرباء ، تستمدها من القضبان التى تسير عليها ، او بقوة محرك الديزل الذى صنعوه خصيصا لها والذى يسهل تركيبه فى مقدمتها •

على ان هذه العربة لاتزيد سرعتها فى اى حال على ٢٠٠ كيلومتر فى الساعة ولاتتسع لاكثر من ١٠٩ من الركاب

آذان مصنوعة •• تحل محل الآذان الطبيعية

● تقدمت جراحة التجميل فى شتى دول الغرب وبلغت مستوى رفيعا فى بعضها •• ويصدق هذا بخاصة على الولايات المتحدة وعلى ولاية كاليفورنيا بالذات ••

وينسب الفضل فى ذلك الى طبيب جراح يعمل فى المركز الطبى التابع لجامعة ستانفورد •• هو الدكتور برت برنت Dr.Burt Brent • فقد اتقن الدكتور برنت هذا (٣٩ سنة) جراحة التجميل حتى بدا فى نظر الكثيرين فنانا نحاتا بقدر ماهو طبيب جراح •• على ان جراحة الاذان هى المجال الذى تخصص فيه الدكتور برنت والذى شهد اكثر منجزاته الباهرة فى ميدان الجراحة التجميلية او البلاستيكية•• كما يسميها الكثيرون •

ونخص بالذكر من تلك المنجزات •• العملية التى اجراها للطفل لانس شرفونى•• احد ابناء مدينة سان خوسى•• فقد ولد هذا الطفل باذن مشوهة (انظر الصورة) •• وما ان بلغ الخامسة من العمر حتى اجرى له الدكتور برنت العملية الجراحية التى مست حاجته اليها وحالت سنه المبكرة دون اجرائها قبل ذلك ••• وكانت النتيجة ان اختفى التشويه وحلت محله اذن سليمة وطبيعية (انظر الصورة الاخرى)•

وقوام جراحة التجميل هذه هو الغضروف الذى ينتزعه الدكتور برنت منجسم المريض نفسه .. ومن الغضاريف التى تكسو اضلاع صدره بالذات.. فهو اذن يشق الصدر .. ويقطع غضروفا بطول ١٠ – ١٣ سنتيمترا وفيما يمضى الدكتور برنت بعد ذلك فى نحت الاذن المطلوبة من ذلك الغضروف يعمد معاونه الى خيط جرح العملية . ثم يحدث الطبيب الجراح التجويف المناسب فى المكان المناسب ويضع الاذن المنحوتة حيث ينبغى ان تكون . ولا تلبث هذه الاذن ان تلتحم وتصبح كالاذن الطبيعية .

ويقوم الدكتور برنت بعد ذلك بعمليات صقل ثانوية استكمالا لمقومات الاذن الجمالية، وهو يقول فى ذلك : « الاذن الجديدة لايمكن ان تضاهى الاذن الطبيعيةتماما .. الا انها مرضية وسارةوتساعد صاحبها على تخطى المضاعفات النفسية التى كثيرا ما تسببها له اذنه المشوهة » ..

ويؤكد الدكتور برنت ان انتزاع الغضروف من اضلاع الصدر لايسببضررا للمريض على الاطلاق .

حذار من ارتفاع ضغط الدم

● تدل آخر الاحصاءات على ان عدد الذين يصابون بارتفاع ضغط الدم التوترى Hypertention فى الولايات المتحدة الامريكية يبلغ نحو٢٥ مليون نسمة سنويا ، وان الذين يموتون منهم بسبب هذا المرض لايقل عددهم عن مليون نسمة فى السنةالواحدة ايضا . ذلك ان المرض لاينذر صاحبه بل ياخذه على حين غرة، ويفاجئه بتلف خطير يحدثهفى دماغه او قلبه او كليتيه . ولو تسنى للمرء اكتشاف ارتفاع ضغطه مبكرا لامكنه معالجة العلة على نحو فعال وذلك بالعقاقير او تخفيف الوزن او بالحد من تناولملح الطعام .

لذلك كانت الحملةالواسعة التى عمت الولايات المتحدة منذ حوالى ٥ سنوات والتى شملت حوالى ١٠ ملايين من سكانها . ولاتستهدف هذه الحملة سوى الحث على قياس ضغط الدم واكتشاف ارتفاعه قبل فوات الاوان . وقدانتشرت بسببها اجهزة قياس الضغط وخاصة الاجهزة الحديثة الالكترونية التى تقيس ضغط الدم بصورة فورية واتوماتيكية .. والتى شاع وجودها فى البقاليات والجمعيات التعاونية والمغازن الكبرى .. فلاتبتغى حاجة الى اكثر من ان تضع ذراعك فى المكان المخصص لها من هذا الجهاز الالكترونى وتسقط ٥٠ سنتا فى ثقب النقود ، ثم تضغط على زر فتقرأ ضغط دمك بحديه الاعلى والادنى !

فضغط الدم يقاس ، كما هو معلوم ، برقمين .. اعلى

كمبيوتر السيارات

● قد لا يمضى وقت طويل حتى تظهر السيارة التىتسير بدون سائق .. وقد كنانحسبها فى الامس القريب ضربا من ضروب الخيال العلمى ..
ذلك ان الكمبيوترات التى تجلت منجزاتها فى سفنالفضاء والاقمار الصناعية وكذلكفى الطائرات قد بدات تغزو فى المدة الاخيرة صناعة السيارات. وهكذا اصبح فى الامكان شراء سيارة مزودة بجهاز كمبيوتر يتيح لسائقها التمتع بمزايا



وادنى اما الرقم الاعلى Systolic فانقباضى يمثل ضغط الدم حين يكون القلب فى حالة انقباض • واماالرقم الادنى Diastolic فانبساطى ويمثل ضغط الدم فيما بين نبضة واخرى ، حين يكون القلب فى حالة انبساط •

وضغط الدم السليم ، كما هو معلوم ايضا ، هو ١٤٠/٩٠، او دون ذلك قليلا •• ويعتبر المرء مصابا بمرض ارتفاع ضغط الدم اذا بلغ الرقمان ١٦٠/٩٥ او يزيد • وارتفاع كهذا خطر بدليل ان الذى يبلغ ضغطه ١٥٠/٩٠ فحسب، وهو فى الخامسة والثلاثين من عمره ، لامفر من أن يلاقي حتفه قبل قرينه البالغ مثل عمره ، والذى لا يجاوز ضغط دمه ١٤٠/٩٠ • والمرجح ان يسبق الاول الثانى الى القبر بنحو ست عشرة سنة ،كما يؤكد الاطباء العلماء، وتجدر الاشارة الى ان ضغط الدم ضرورى للدورة الدموية ، ولكن بقدر• فارتفاعه يعنى مزيدا من ضغط تتعرض له جدران الشرايين Vessels ، وقد يؤدى الى تلف الاوعية Arteries فى مختلف الاعضاء •• فيسبب السكتات Strokes ، ويؤدى الى امراض الكلى وتضخم القلب • ويعتقد الكثيرون ان ارتفاع ضغط الدم يساعد على تجمع الرواسب الدهنية فى شرايين القلب•• الامر الذى قد يؤدى الى انسداد تاجى ••

بقى ان نذكر ان الوفيات المترتبة على التوتر وارتفاع ضغط الدم فى الولايات المتحدة قد هبطت بنسبة ١٩٪ فى الفترة التى نشطت فيها حملة قياس ضغط الدم ومكافحة التوتر •

عديدة ، نذكر منها على سبيل المثال :

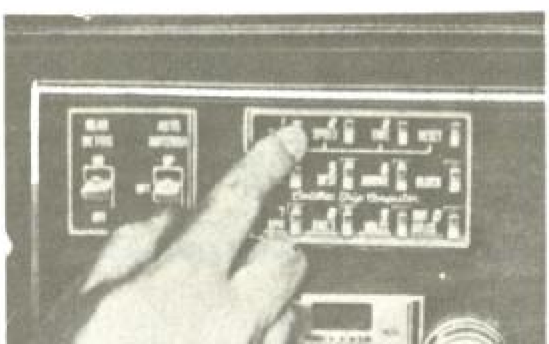
* انه يستطيع تحديد مقدار ماتبقى من بنزين فى سيارته لدى الضغط على زر من ازرار الكمبيوتر ••

* ويستطيع ايضا تحديد المسافة التى يمكن ان يقطعها بتلك الكمية من البنزين ••

* ويستطيع سائق سيارة الكمبيوتر كذلك الوقوف على متوسط ما تستهلكه السيارة من بنزين •

* والكمبيوتر قادر على تحديد المسافة الباقية للوصول الى جهة السفر المقررة بالكيلومترات •• وتحديد ساعة الوصول اليها ايضا ••

ولو ذكرنا ان الكثير من سفن الفضاء والطائرات تنطلق الى اهدافها ثم تعود الى قواعدها دون حاجة الى من يقودها وذلك بالاعتماد على الاجهزة الالكترونية الدقيقة لادركنا ان السيارة التى تسير بدون سائق هى فى متناول صناعة السيارات فى الوقت الحاضر •• من ناحية تكنولوجية•• وان العائق الوحيد انما هو التكاليف الباهظة ، وهى اساسية بالنسبة الى السيارات نظرا لانها سلع تباع وتشرى فى الاسواق ، بخلاف سفن الفضا، والاقمار الصناعية وحتى الطائرات •• ويذكرهنا ان الكمبيوتر الذى ذكرنا يرفع ثمن السيارة التى يركب فيها بمقدار (١٠٠٠) دولار تقريبا•





السينما في عالم متغير

● في عالم متغير كعالمنا تتعاظم اهمية السينما كوسيلة من وسائل الثقافة الشعبية • والا فما هو الفن ـ التعبير الثقافي ـ الاكثر انتشارا واهمية بالتالي الذى يمكن اعتباره الراصد الاكبر لاتجاهات الحركة في هذا العالم المتغير ؟ قد يكون عالمنا عالما جديدا شجاعا • وقد لا يكون • قد يكون فردوسا او جحيما او مطهرا • وقد لا يكون • ولكن السينما في كل الاحوال تعتقد أن مهمتها بالدرجة الاولى تتمثل في تقديس لحظة التغير التاريخية حاضرة كانت أم ماضية •• أو في السعي الى تابين هذه اللحظة عبر مرثية حزينة للايام القديمة الطيبة، أو توجس قلق من الايام المجهولة القادمة• ولكن اى سينما ؟

بقلم : الفاروق عبدالعزيز

فى عالم السينما اليوم ثمة انواع ثلاثة :

ـ السينما الاولى : وهى نوع من الاصطلاح الذى اطلقه بعض النقاد على السينما الهوليودية • وهى السينما التى كونت ما يسمى « بصنع الاحلام » منذ اختراع السينما الى اليوم • وهى سينما قوية ومسيطرة سواء بقدرتها الانتاجية الهائلة او بشبكتها التوزيعية الجبارة فى كل اركان المعمورة• ويسمونها احيانا السينما الامريكية او السينما المتامركة اى تلك التى تتبع الاسلوب الامريكى فى الانتاج بغض النظر عن جنسيتها •

ـ السينما الثانية : وهى سينما مصدرها اوروبى فى الاساس وتسمى احيانا بسينما المؤلف • وهى سينما تتسع لهموم الفرد وعلاقاته بهذا العالم المتغير فى اضيق نطاق بالطبع • وهى سينما تشبه القصيدة او الرواية حيث يكتبهما مؤلف واحد ويعبر من خلالهما عن رؤية شديدة الذاتية •

ـ السينما الثالثة : وتسمى احيانا بسينما التحرر الوطنى • وهى السينما التى تطرح رؤية مختلفة للعالم كلية عن سابقتيها • وهى رؤية تتبع

اساسا من هموم الجموع في بلدان العالم الثالث. وهي سينما مضادة للهموم الفردية باعتبارها تعبيرا بورجوازيا عن نظرة احادية الجانب استهلكتها ظروف القهر والتخلف كما استهلكتها معاناة البطل الفرد في العالم المتقدم والتي لا تعني شيئا امام هموم الجموع ومشكلاتها المصيرية في عالم متخلف .

هموم العرب في عالم متغير

من افلام هذه السينما الثالثة شاهدت مؤخرا بمهرجان كان السينمائي الدولي الحادي والثلاثين فيلمين عربيين احدهما من المشرق والاخر من المغرب اما الاول وهو من اخراج اللبنانية رندة الشهال واسمه « خطوة خطوة » فيتطرق مجددا الى مأساة اخرى من مآسي الحياة العربية المعاصرة وهي « الحرب اللبنانية » . وتسعى المخرجة الجديدة منذ البداية الى تزويد المشاهد بالمعلومات الضرورية عن خلفيات الصراع في لبنان منذ فصله عن الشام وهيمنة الانتداب الفرنسي الى ميثاق ١٩٤٣ الذي حمل في اعماقه - في رأيها - بذور الازمة اللبنانية الحالية كما تلتقي المخرجة بممثلين رسميين وشعبيين لمختلف اطراف النزاع . ولكن هذا العرض لا يخلو من الغرض . فوجود العرض الموضوعي الكامل خرافة لا وجود لها . من هنا كان عمل المخرجة نوعا من الاقتراب التفسيري لواقع كانت قد اصدرت حكمها عليه من قبل . وقد سبق ان شاهدت - في مناسبات اخرى - افلاما عن الحرب اللبنانية وكنت احتكم عند تقييم العمل الى مدى الصلابة الفكرية التي يطرح من خلالها صانع العمل رؤيته لهذه الازمة العربية سواء اتفقت معه فيما يذهب اليه ام لم اتفق .

واعتقد ان هذا احد اهم الادوار التي يجب ان تقوم بها السينما العربية تجاه مشكلات عالمنا المتغير هذا : ان تسهم في تنوير الحقيقة ووضع الرأي العام العربي امامها دون اعتساف او غمر . ولكن من يشاهد هذه الافلام ؟ ربما جمهور بعض الاندية والجمعيات وجمهور بعض التليفزيونات الاوروبية. انها تظل سينما هامشية تبحث عن وجود . فالسينما الاولى تحتل الارض كلها ولا مجال - حتى الان - للهموم العربية فيها .

من هذه السينما ايضا شاهدت فيلما مغربيا عنوانه « الايام .. الايام » للمخرجه احمد والعنوان - وربما الفيلم كله - يطلق نفثة مصدور في وجه هم آخر من همومنا العربية في المغرب . لماذا تهاجر الايدي العاملة المغربية الى الشمال .. الى فرنسا؟ لماذا يفتن العامل المغربي الزراعي الصناعي ببريق ليس له وجود واحلام ليس لها كيان ؟

فيلم المعنوني وثيقة اساسية من وثائق السينما المباشرة . (وهي السينما التي تعتمد تسجيل الواقع المباشر على الطبيعة صوتا وصورة ولا تستخدم الممثلين اوالديكورات ولا تسعى الى تزييف الواقع او الايهام به). فنحن نتابع من خلال تفاصيل دقيقة مشاهد من الحياة اليومية لعامل زراعي مغربي يقرر ان يهجر قريته سعيا وراء الحل الاخير الرابض خلف جبال البرانس . هكذا كانوا يقولون له عن الجنة الموعودة التي تنتظره هناك . ولكن شيئا آخر كان ينتظره . الحياة صعبة والالفة مفقودة والغلاء يلتهم كل شيء وذاتية ضائعة .. في حواره مع امه وجده كنت تلمس حنينا دفاقا الى الارض والتراث اللذين صارا يطالبانه الان بان يبقى ليحميهما . ويشير الفيلم الى ان الهجرة وبريقها حل لا يستطيع الفرد مقاومته . وهذه المشكلة العربية تتطلب حلا جماعيا يضمن استثمار الايدي العاملة العربية في تنمية بلادها .

مشكلة الفن تتوهج

هذا فيلم ينتمي كلية الى السينما الثانية فيلم المؤلف والهموم الذاتية . ولكنه يعيد الى اذهاننا مجد الفن ووهجه في ازمنة الكلاسيكيات العظيمة. فيلم جول داسان الاخير « صرخة امرأة » والذي تقوم فيه الممثلة اليونانية النائبة في البرلمان ميلينا ميركوري بدور يقترب من حياتها الحقيقية - هو عودة الى الكاثارسيس (التطهير) الذي كانت تمنحه المأساة اليونانية القديمة لمشاهديها ولكن مع ايقاع معاصر تماما . فالممثلة اليونانية العائدة حديثا الى اليونان بحكم آرائها السياسية تجري تدريباتها للقيام بدور ميديا في مسرحية يوربيدس وهي لا تستطيع لعوامل مختلفة الاندماج في دورها. امرأة اعماها الانتقام من جاسون - زوجها الذي خانها مع امرأة اخرى فتذبح اطفالها الثلاثة وتلقيهم اليه اشلاء « حتى لا يروا ابا كهذا » . وذات يوم



متراس فى شارع الثورة فى فيلم
« خطوة خطوة »

يتناهى الى الممثلة خبر القبض على امراة امريكية ذبحت اطفالها الثلاثة بعد خيانةزوجها لها وزواجه من اخرى • وتلتقى بها الممثلة • وهنا يبدأ الخط الفاصل بين الفن والحياة ذوبانه • بين التراجيديا واضواء الحياة اليومية تسقط ظلال كثيرة • وعلى هذين المستويين : الفن والواقع ومن خلال الصراع والاخذ والعطاء المتبادل بينهما يحتوينا شعور تطهيرى كاسح • فى اتون هذا الصراع تكتشف الممثلة ذاتها فتنطلق ـ كما انطلق مارلون براندو فى « التانجو الاخير فى باريس » لتروى لنا فى تداع للافكار موقفها هى من الفن والحياة بتفاصيلهما المختلطة • وينتهى الفيلم بتعارض كامل بينهما : فالفن ـ الممثلة تجيد دورها بعد ان عاشته بتفاصيله مع ميديا المعاصرة والحياة ـ المراة الحقيقية تحيا لتعانى منضربات الندم الموجعة الابدية•ولكننا نعى شيئا آخر مع الخفوتالتدريجى لانوار المسرح : ان الذى قدم لنا هذا الالتحام والتعارض عمل فنى وساهم بدوره فى تحقيق شعورنا التطهيرى • فكان مأساة معاصرة تعرض لنا نقطة تماس حميمة بين مأساة قديمة واخرى حية معاشة •

الخوف من عودة الفاشية ؟

ربما كان هو الخوف الاساسى الذى يسيطر على اوروبا اليوم بعد مرور اكثر من ثلاثين عاما على دحر الفاشية فيها • لم يعد هناكمخرجوناوروبيون عظام يستطيعون معالجة هذا الخوف فى افلامهم • ففرسان الواقعية الايطالية قد ماتوا : دى سيكاو فسكونتى وحتى بازولينى وروسيلليني ورجال السينما الحرة البريطانية توقفوا او هاجروا الى الولايات المتحدة سعيا وراء الرزق : تونى ريتشارد سون وليند ساى اندروسون والان باركر وكاريل رايس • افلست السينما البريطانية • ابطال الموجه الجديدة الفرنسية استهلكوا انفسهم فتوقفوا او هاجروا ايضا الى هوليود الجديدة : جودار وتروفو وشابرول ولوى ماسا وغيرها •

من المانيا الغربية ظهر مخرجون شديدو الاوروبية ـ وبشمل ادق ـ المانيون حقا تؤرقهم الفاشية وكوابيس الماضى القريب • ابرزهم هو رنير فاسبندر الذى شاهدت له مؤخرا فيلمه « ياس » بطله هو هيرمان هيرمان صاحب مصنع للشيكولاته فى المانيا فى زمن صعود النازية • يصاب بالشيزوفرنيا (انفصام الشخصية) فيتخيل نفسه عاملا فقيرا ويقرر انتحال شخصيته فيتقنه• ولكنه يقع فى قبضه الشرطة فى النهاية • ليس المهم هنا هو الحبكة العصصيه ولكنه ذلك الجو الرهيب المثقل الذى يحتويك فىكل مشهد من مشاهد الفيلم•فليس هنا سبب ظاهر لخوفهيرمان ولا لياسه • فكل شىء متوفر لديه وهو انسان غير مسيس ولكن اغلاق باب يفزعه ومرآة فى بيته تعكس له ذاتا اخرى تسكن ذاته والشوارع خاوية الا من لابسي شارات الصليب المعقوف والايام طويلة باردة وعندما ينجح فنان ما فى توصيل « جو خاص » اليك بمثل هذا القدر من التكثيف دون احداث او نوازل متعاقبة فلا شك انك بإزاء عمل فنى حقيقى • هذا فيلم عن مشاعر الخوف والياس من مقاومة المد الفاشى فى الماضى القريب ولكن الجو الثقيل يجعلك تتحسس نذر العودة الى الفاشية التى تهدد الانسان الاوروبى اليوم • قد لا تكون كفاشية الامس ولكنه الخوف الذى يقول باستمرار الفاشية ولكن بوسائل اخرى •

صحوة الضمير

هذا فيلم من افلام السينما الاولى تقبله اذواق



ميلينا ميركوري في صرخة امرأة

المشاهدين في كل مكان • ولكنه برغم ذلك يكاد ان يكون احد افلام السينما الثالثة في جانب واحد منه : اذ يمثل صحوة الضمير في المجتمع الامريكي بعد حرب فيتنام بآثارها المنحرة على كيانه • بل لعله اهم فيلم عن هذه الحرب حتى الان •

يدور « العودة الى الوطن » حول زوجة ضابط امريكي يذهب الى فيتنام للاشتراك في القتال هناك وقصة اشفاقها ومعاملتها الخاصة لرقيب سابق عاد مقعدا بشلل دائم في الجسد والشعور بالحياة • وعندما يعود الزوج الى الوطن تزوده المخابرات الامريكية باشرطة تسجيل تحتوى على تفاصيل علاقةزوجتهبالرقيب • لماذا اقحمتالمخابرات على هذا ؟ لان الرقيب توجه ذات مساء الى اكبر مراكز التجنيد واغلق البوابة الحديدية الضخمة وربط نفسه بها واعلن احتجاجه عبر قنوات التليفزيون على هذه الحرب وجدواها للشباب الامريكي الذى يعود في الغالب مقعدا مثله • يكتشف الزوج ـ الذى عاد سليما ـ انه ايضا مشلول الاعصاب والروح • وبينما كان الرقيب يعطي محاضرة لمجموعة من الشباب عن اهوالالحرب غير المشروعة كان الزوج يسبح عاريا تماما ـ بعد ان خلع كل نياشينه وبزته العسكرية ـ في مياه المحيط الهادى باتجاه الافق •

ـ يحشد هذا العمل ـ الذى قامتببطولتهالممثلة المناضلة القديمة ضد حرب فيتنام جين فوندا ـ مشاعر المشاهد عبر عشرات من التفاصيل اليومية الصغيرة ضد الحرب التى تفتقر الى المشروعية لانها تتحول حينئذ الى قتل لمجرد القتل • وهو الامر الذى يسبب امراضا نفسية كتلك التى اصابت الزوج العائد الى الوطن في الوقت الذى تباعد فيه بين الفرد وبين الشعور بالبطولة •

★ ★ ★

هذه بعض هموم عالمنا المتغير التى تعرضت لها السينما بانواعها الثلاثة كما شاهدتها في مهرجان كان السينمائي الدولي الحاديوالثلاثين• والسينما الجادة ـ من اى نوع كانت ـ هي اسهام فعال في تنوير المشاهد بالحقائق التى تصنع هذه الهموم وبمدى قوة التغير فيها • وقد تقترح هذه السينما أو تلك حلولا أو قد تكتفى بالايحاء بها • ولكن محاولتها في الاقتراب ـ أيا كان المدخل ـ تظل دائما جزءا حيويا من دور السينما في هذا العالم المتغير •

الفاروق عبد العزيز

رسالة من طوكيو :

الطباعة العربية فى اليابان

درس فى تفوق الدقة على المعرفة

بقلم : عمر طه

قصة الطباعة باللغة العربية فى اليابان هى واحدة من عدة قصص تروى الكثير من الاعجاز الذى يبعث على الدهشة ويستحق الاعجاب .

فهذا شعب قادر على كل شيء ، من بعض اسراره هذه الانامل الرقيقة التى تصنع ادق اجهزة الترانزيستور واصغر العقول الالكترونية وكذلك عدسة التصوير الصغيرة التى تدخل الى معدة الانسان وتلتقط عشرات الصُور . ثم هذه الايدى القديرة التى تصنع اضخم ناقلة للبترول فى العالم ، واسرع قطارات العالم ، ومن اسراره ايضا صدق اليابانى ونظافته واجتهاده وايمانه بقوميته ، ودقته وانضباطه الى غير حدود .وهناك اشياء كثيرة عن الانسان اليابانى الذى تتحدث روائع السلع عما يقوم به ، وتحكى فنونه قصص الاقتباس والابداع والابتكار المميزة للشعب الشرقى روحا وتقليدا ، لكل ما يقدمه الغرب، فكرا وصناعة.



جولة فى اليابان

محافظة كاناجاوا : تمديد الصداقة للعرب



نظام بحكم التفنن

فاول ظاهرة مميزة لليابان هي هذا النظام ، في كل ناحية من نواحي الحياة ، وهو نظام قائم بحكم التفنن ، فالنظام في اليابان هو بمنزلة القداسة ، والنظام هو دستور بكل ما يحمل معنى الدستور من اتقان وعلم وعمل وتطبيق بكثير من الجد ، وبقليل من الاسراف • ويدخل كل شيء في هذا النظام من مواظبة وسعي حثيث وصبر وأناة ، هي جميعا جزء من الواجب •

فمن أول الواجبات في بلد تستقيم اموره التزام الطاعة ، واذا بحثنا هنا نجد ان الفتاة تطيع والدها وبعد والدها تطيع زوجها واخيرا تطيع ابنها • وعلى غرار ذلك العامل في المصنع والموظف في احدى الادارات ، والسائق لقطار او سيارة اجرة •

وبعد الطاعة تاتي سنة التواضع ، فيقوم الواحد او الواحدة من هذا الشعب بما نعتبره نحن معجزة، ولكنهم يتواضعون • لا يستخدمون فعل التفضيل الذي استملكناه نحن العرب ، فلا يقولون احسن سلعة ولا اسرع قطار ، ولا فعلت كذا وكذا بل يتحدث الياباني باعتباره جزءا من كل وقطعة لا تنفصم عن نسيج اليابان القومي •

فبهذه المجموعة من الفضائل يستطيع اي ياباني ان يصنع لك كل ما تريد وكل ما تحتاج اليه من الابرة الى الناقلة العملاقة ، وكل ما يطلبه منك هو مواصفات دقيقة ، ثم امهاله بعض الوقت •

يلي ذلك دور التخطيط الذي يشترك فيه كل عضو بالاسرة،من مدير القسم الى اصغر عامل•فكل شيء يحسب حسابه وكل شاردة وواردة لها شان، وياتي بعد ذلك حساب الربح والخسارة وحساب المزاحمة وحساب النقل وكل مايدخل في نطاق العمل •

وبعد هذا ياتيدور التنفيذ ، بعد بحثمستفيض ودراسات علميةوتطبيق لادق التفاصيل من البداية حتى النهاية ، واخيرا تصدر الاوامربالعمل وتوكل الى كل عامل مهمة خاصة به •

وياخذ دولاب العمل مجراه ومساره الطبيعي في كل موقع ، بحيث تتحول اليابان باسرها الى جيش سلمي ، تصدر اليه الاوامر ويبدا كل جندي وضابط تنفيذ ما يطلب منه ويكلف به •

رفض شعور الهزيمة

لقد مضى على اصدار الاوامر مائة سنة ، وذلك حين فتح الامبراطور العظيم « ميجي ابواب اليابان الواسعة ، فاوفد مئات الطلبة الى اوروبا ، وعاد كل منهم يحتل مكانه في المعمل وفي المدرسة ويلقى التشجيع من كل فرد ، واخذت اليابان تنتج السلع الصغيرة ثم المتوسطة واخيرا الكبيرة • فقد بدأ تصنيع هذا البلد بمصانع النسيج واقلام الرصاص والابرة ، وتطورت الى اشياء اخرى اكبر واهم لحياةالشعب واقتصاده وزراعته وصناعته التي تضاهي مثيلاتها في العالم اليوم •

وهكذا لم تمر ٤٠ سنة حتى باتت اليابان قوة يحسب لها حساب في السلم وفي الحرب • واليوم مقابل جحافل الجيوش والاساطيل والطيران الانتحاري نرى منتجات يابانية في كل سوق من اسواق العالم • ونرى الخبراء اليابانيين في الرياضة والصناعة والزراعة هنا وهناك ، ونرى بين كل ثلاثة مسافرين يابانيا واحدا عبر العالم •

فلم يدع الياباني شعور الهزيمة يشل حياته وتفكيره ، بل وجد من الهزيمة في الحربوالقنبلة الذرية حافزا للتضحية والعطاء في زمن السلام ، فنهض الشعب من كبوة الحرب والهزيمة عملاقا يخرج عن نطاق الجزر الصغيرة وينفلت من القمقم الى آفاق واسعة ومجالات عديدة •

حقا ان تجارب اليابان فريدة يصلح الكثير منها

لنا نحن العرب في سعينا الحثيث من اجل التصنيع ودفع عجلة التنمية قدما ، وهي تجارب رائدة في الشرق خاصة وفي العالم اجمع . كيف استطاع الياباني تطويع كل شيء وترويض كل اداة وتسخير كل فكر خلاق ؟ كيف استطاع الياباني ان يكون رياضيا وان يدخل كل منافسة وينطلق في كل ميدان حضاري ؟ كيف استطاع ان يحرز قصب السبق ويبز الغرب ؟ كيف احال كل شبر الى ارض خضراء واقام في كل منعطف مصنعا ؟ كيف ينفرد دون شعوب الشرق بملكة الابداع والانتاج والتنمية ؟

الطباعة باللغة العربية

ان الاجابة على هذه الاسئلة تحتاج الى مجلدات ، ولذا اعود الى موضوع الطباعة باللغة العربية فاقول ، ان ما نكتبه بلغتنا نحيله الى قسم تنضيد الحروف مع تعليمات تتصل بالموضوع من حجم ونوع الخط المطلوب لهذا المقال وذلك الموضوع . ويقوم اليابانيون ـ بما فطروا عليه من دقة واتقان وانامل رقيقة ـ بصف الحروف حرفا حرفا وكلمة كلمة ، ويعود الموضوع الينا لتصحيحه مرة او مرتين . ثم يعاد للتصوير وللتكبير او للتصغير حسب الحاجة .

ويتم كل شيء بموجب نظام دقيق باحدث ما وصل اليه فن الطباعة من تصميم وعقل الكتروني ، يتحكم بالفاصلة والنقطة والمسافة بين الكلمة والاخرى ، بموجب توجيهات وتعليمات يلقيها رئيس قسم التصميم وهو لا يعرف حتى الفباء العربية ، وكذلك هو الحال مع جميع معاونيه من نساء ورجال .

بعد عمل سنوات اصبح المشتغلون في قسم تنضيد الحروف هنا يفرقون بين الالف والياء ، فكل ما نمليه عليهم وما نكتبه من كلام يخرج على الاشرطة مكتوبا ، ثم تصدر الاوامر الى رئيس قسم صف الحروف كي يصحح او يزيد او يحذف بما يتفق وحاجتنا الى التعديل والتكييف ، حسب المخطط الموضوع .

ويعرض علينا كل مصمم وكل منضد حروف نتيجة عمله او عملها ، وبذا نحكم على مقدرة كل منهم ومدى تقدمه او عدم ذلك . ولا يقتصر الامر على تنضيد الحروف وتصويرها ، بل هناك فصل الالوان والتصوير والتلوين وما شابه من عمليات فنية ، يدخل فيها الخط العربي والعناوين التي يصممها يابانيون لا يحسنون حتى الابجدية العربية .

بداية متواضعة

بدات الطباعة باللغة العربية في اليابان بداية متواضعة ، فقد امكن صنع حروف عربية ، ثم تطويرها الى الة كاتبة يدوية ، ومن الالة الكاتبة تطورت المبرقة باللغة العربية (التلكس) ، وابراق الرسم البياني من بلد الى اخر لتسهيل البحوث الصناعية والعسكرية وسواها ، مثل الحاسبة الالكترونية واخيرا وليس اخرا الساعة باحرف عربية .

ومن طباعة النشرات الاعلامية ومطبوعات الشركات اليابانية انتقلنا الى طباعة الكتب والمجلات ثم تقارير شركات الطيران السنوية وطباعة الخرائط ، وعما قريب ياتي دور المعاجم ، ومطالب المتاحف وما شابه من اعمال باللغة التعميد .

ولعل ما يثير الانتباه ان كتاب « تعلم اللغة العربية » لليابانيين هو من اروج مطبوعاتنا اذ يباع منه بمتوسط مائة كتاب في الشهر الواحد .

ثم ان احد الفنادق قد رغب بشراء مائة الف نسخة من كتيب « اليابان » السياحي السنوي ، كي يعرضه في فروعه بطوكيو .

وتتسابق كبريات الشركات اليابانية الى حجز صفحات للاعلان في مطبوعات دار النشر المتخصصة بالطباعة باللغة العربية .

ولدينا تسهيلات لتدريب رجال الطباعة العرب على احدث ما وصلت اليه فنون الطباعة والتصوير والتصميم في دورات تستغرق كل منها ستة اسابيع او ثمانية ، حسب الحاجة . وهذا قليل من كثير مما تقوم به شركة صغيرة تخرج عنها بانطباع كبير بحيث اخذت بعض وزارات الاعلام العربية تهتم بنا وتشجعنا . وهذا ما يبشر بخير في مجال تعزيز الصلات العربية اليابانية ، هذه الصلات التي تزدهر اكثر من اي وقت مضى بحيث تتجاوز قيمة التجارة العربية اليابانية سبعة عشر بليونا من الدولارات .

تحول للجانب العربي

وقد تميزت الاشهر القلائل الماضية بتحول ياباني تاريخي لصالح القضايا العربية وتشهد

الساحة اليابانية حملة اعلامية موفقة لم تكن تذكر قبل وصول ممثلي مكتب الجامعة ومنظمة التحرير الفلسطينية الى طوكيو .

فقد باتت اليابان تؤيد الحق العربي وتفتح ابوابها الواسعة للاعلام العربي وخاصة اذا كان ذكيا ، فقد رحبت اليابان بفتح مكتب المنظمة حيث يلقى مديره كل تعاون واهتمام من الاوساط الرسمية والشعبية .

ويصح القول ان الاعلاميين العرب اخذوا يحققون النجاح وباتوا ينفذون الى اعماق الفكر والضمير الياباني ، وقد استغرب الصحفيون اليابانيون الذين حضروا المؤتمر الصحفي الاول بمناسبة افتتاح مكتب فلسطيني في طوكيو لانهم لم يروا اثرا للمدافع الرشاشة بل شاهدوا لوحات فنية فلسطينية واستمعوا الى اغان فلسطينية ، واعجبوا بالمطبوعات الفلسطينية باللغة اليابانية ، ووجدوا في استقبالهم شابات عربيات فلسطينيات يرتدين الزي الوطني التقليدي ...

وهكذا لا يقف الامر عند حد ادخال الطباعة العربية لليابان بل يتعداه الى مجالات اوسع منها الدعوة ونقل الثقافة ، وتجد اليابانيين يتفاعلون سريعا مع الثقافات الرفيعة واللغات الحية ، ويتعاطفون مع حركات النضال الوطني دون الاكتفاء بالتفرج والاعجاب .

فسرعان ما يتحول التفهم والاعجاب الى تاييد للحق والتطوع الى دعمه واخراجه يابانيا على شكل اغنية وقصة وكتاب يشق طريقه بسرعة الى المكتبات والبيوت وينفذ الى العقول والافكار .

تحرك الشعب الحي

يصح القول ان الشعب الياباني باعتباره شعبا كثير الحيوية يتحرك سريعا وبمقدار كبير من الطاقة والعمل الايجابي بحيث ان الانتاج الادبي العربي الرفيع قديمه وحديثه قد ترجم الى اللغة اليابانية، وكذلك يحدث بالنسبة للتراث الثقافي العربي ، فكلمة « انت » وكلمة « شاي » وكلمة « قهوة » واسم « حمادة » مشتركة بيننا وبين اليابانيين ، وحين يبدى الياباني اعجابه بشيء يقول متعجبا (الله !) ثم يقولون « انها مكة السياح » او « انها مكة الابداع » .

ونظرة الى وزارة الخارجية اليابانية نجد انها تضم اكثر من عشرين دبلوماسيا خبراء باللغة العربية . وليس هناك حصر لعدد الملمين باللغة العربية في الشركات اليابانية ، بينما تلقن اللغة العربية وتدرس رسميا في عشر جامعات ومعاهد يابانية ، عدا عن اليابانيين الذين يتعلمون في الجامعات العربية .

ولكي يستوعب اليابانيون ثقافات وحضارات عديدة استعملوا خمسين حرفا لكل ما هو اجنبي ، يطلق عليها « كاتاكانا » . يقابل هذه خمسون حرفا من الابجدية اليابانية الاصيلة بينما استعانوا برموز صينية لا يعرف حد لها ولا يسع احدا حصرها .

وحتى لا يكون الياباني اميا يفترض فيه تعلم حوالي ١٨٠٠ من الرموز الصينية بينما يحتاج الياباني الذي يكتب ادبا او علما ان يحفظ اكثر من عشرين الف رمز من الرموز الصينية ، اضافة الى الحروف الخمسين اليابانية والحروف الخمسين الخاصة بالاسماء والاشياء الاجنبية .

يتعلمون العمر بطوله

يبدأ الياباني تعليمه في روضة اطفال من سن الثالثة ، ويواظب على التعلم مدى الحياة . فان لي معرفة بسيدة في الخامسة والثمانين من عمرها ، وما زرت بيتها مرة الا وهي مكبة على المطالعة وتعلم فن الخط الصيني ، اضافة الى مطالعة الصحف والمجلات ومتابعة الاحداث والبرامج على شاشة التلفزيون والاذاعات . وفي كل مرة أزور هذه السيدة تصر على مناقشة آخر التطورات في المنطقة العربية ، ومعرفة رأيي فيما ينشر ويذاع من أنباء وتعليقات .

لهذه الاسباب لا أجد سببا للاستغراب اذا ما طبع اليابانيون باللغة العربية سواء على الآلة الكاتبة أو عن طريق العقل الالكتروني دون ان يعرف أو تعرف لغتنا .. فان اشعة « ليزر » التي استعان بها ذراع مركبة أبولو وسواها على سطح القمر والمريخ لاختراق التربة والصخور هي من صنع ياباني ، ومع ذلك فلائل هم الذين يعرفون الحقيقة .

يقوم اليابانيون لدينا تلقائيا بطباعة اللغة العربية ، وهم يفعلون ذلك كوسيلة لكسب الرزق

وتدفع لهم ولهن جميعا مرتبات عالية ، بالمقارنة مع المرتبات لدى شركات أخرى • وهم يقولون ان اللغة العربية من أصعب اللغات تعلما وأيسرها طباعة •

عيد للثقافة

وقد نضيف الى العوامل السالفة ان الياباني يعتز بالثقافة ويحتفل بعيد رسمي وشعبي لها في الثالث من نوفمبر (تشرين الثاني) من كل عام • وفي هذه المناسبة تمنح الدولة أوسمة لليابانيين الذين أدوا خدمات جليلة للمجتمع الياباني ، وتفعل مثل ذلك الصحف اليابانية ذات المكانة الرفيعة ، مثل أساهي (الشمس المشرقة) •

وهذا يؤكد مقدار اهتمام حوالي خمسة الاف محطة تلفزيون وتسعمائة محطة اذاعة ومائة وثلاثين صحيفة يابانية بنشر نبأ ادخال اللغة العربية كلغة رسمية في مؤسسة اليونيسكو ، قبل أعوام قليلة •

ولا يخفى أن اليابانيين يستعملون ما نسميه اليوم بالارقام الافرنجية ، ويعرفونها بالارقام العربية • وأعرف يابانيا ما زال يعكف على ترجمة مقدمة ابن خلدون، بينما يعلم الاساتذة اليابانيون لغتنا العربية في جامعاتهم ومعاهدهم •

أسموه بالغزو العربي

قبل حوالي عامين نشرت صحيفة « نيويورك تايمز » الامريكية تحقيقا عن عملية الطباعة باللغة العربية ، ومثلها فعلت صحف يابانية اقتصادية وعلمية ، فالاولى قالت انه غزو حضاري عربي ، وقالت الثانية ان الطباعة باللغة العربية تبعث على الاهتمام • وقد سأل مندوب مجلة أمريكية وهي تسجل حديثا مع المسئول عن المشروع : هل تعرف اللغة العربية ؟ فاجاب بالنفي ، ولكنه ابرز بطاقة تحمل اسمه باللغتين العربية من جهة واليابانية من جهة أخرى ••

واذا سمح لي أقول ان قلب اليابان كبير يتسع للكثير والفريد من الحضارات ، ومقابل مواقف اليابان الحضارية يجدر بنا دراسة أوضاع اليابان عن كثب وتعلم ما تستطيع اليابان تقديمه لنا وفي الوقت ذاته يتحتم علينا مقابلة هذا الشعب في منتصف الطريق وتفهم مواقفه، خاصة وانه يتعرض لضغوط اقتصادية وسياسية وفكرية من مختلف الاتجاهات ، كما يتعين علينا ابقاء شعلة الصداقة العربية اليابانية متقدة باشعاع ونفط عربيين • ■■

طوكيو ــ عمر طه

محاورة بليغة

● خطب الحجاج فشكا سوءطاعة أهل العراق فقال لهجامع المحاربي : « أما انهم لو احبوك لاطاعوك ، فدع ما يباعدهم منك الى ما يقربهم اليك ،والتمس العافية فيمن دونك تعطها ممن فوقك » • فقال الحجاج : « والله ما لهم عندي الا السيف » • فقال ايها الامير : « ان السيف اذا لاقى السيف ذهب الخيار » قال الحجاج : « الخيار يومئذ لله» قال : « أجل ، ولكنك لا تدري من يجعله الله » فقال الحجاج:« والله لقد هممت أن أخلع لسانك فاضرب به وجهك »فقال المحاربي : يا حجاج :« ان صدقناك أغضبناك وان كذبناك أغضبنا الله ، فغضب الامير اهون علينا من غضب الله » •

« بضربتان ولكمتان ! »

● حكى الاصمعي قال :مررت بالسوق فاذا أنا بنحوي يتقعر في لغته ، فاقترب من أحد باعة الفاكهة فقال النحوي:« بكم تانك البطيختان اللتان يجنبهما السفرجلتان ودونهما الرمانتان ؟ » فقال الفاكهي :« بضربتان وصفعتان ولكمتان،فبأي آلاء ربكما تكذبان » •

الطفيليات

● هذه الامراض التي تنتج عن الطفيليات هل لي أن أعرف شيئا عنها ؟ وكيف تتم الاصابة بها ؟

– الطفيليات هي كائنات حية تعيش على كائنات حية أخرى تسمى بالعائل الذي يؤمن لها الماوى والغذاء • وهي تصيب الحيوان والنبات • وليس كل كائن حي يعيش مع الآخر يطلق عليه لفظ الطفيلي فهناك بعض الكائنات التي تعيش حياة المشاركة مع بعض ويستفيد أحدها او قد يستفيد الكائنان معا من هذه المشاركة • ولكن الطفيليات تنحصر بالكائنات التي تعيش على الكائنات الاخرى وتاخذ غذاءها وتنمو على حسابها وفي أغلب الاحيان لا تقضي عليها لان ذلك ليس من مصلحتها • بل مصلحتها أن يستمر العائل حيا لتاخذ هي ما تحتاج اليه بيسر وسهولة فتنمو وتكبر وتتزاوج وتتكاثر •

والطفيليات أنواع منها من يعيش لفترة ما على العائل ثم يتركه • ومنها من يتمكن من العيش معتمدا على نفسه فان وجد العائل عاش عليه وان لم يجده عاش كاي كائن حي آخر •

ومنها من لا يستطيع الا أن يعيش طفيليا وهذه أنواع كثيرة أيضا كبعض الحشرات التي تزور العائل فقط لتتناول غذاءها كالبعوضة • ومنها الذي يعيش معظم اطوار حياته على العائل كالديدان • ومنها من يعيش على عائل معين ولكنه ان وجد عائلا آخر ليس من نفس النوع عاش ايضا عليه • ومنها من يعتمد على نوع واحد فان لم يجده قضى عليه ومات •

والامراض التي تنجم عن الطفيليات قليلا ما تحدث نتيجة طفيلي واحد او عدد قليل منه بل يجب أن تكون الاصابة باعداد كبيرة حتى تعطي أعراض المرض • وان كان هناك استثناء لهذه القاعدة العامة كحدوث انسداد القناة المرارية بدودة اسكارس واحدة

ولان معظم الطفيليات تقضي بعض اطوار حياتها خارج العائل فهي بحاجة الى جو ملائم لها ولهذا نجدها تكثر في الاماكن الرطبة والحارة نوعا •

وتكون العدوى اما بالبيض او بالبيض المتكيس Cysts او باليرقة او بالطفيلي الكامل النمو •

ووسائل العدوى كثيرة كتلوث الغذاء والشراب كما يحدث بالاميبا او عن طريق الجلد والغشاء المبطن للفم كما يحدث في البلهارسيا ، او عن طريق الحشرات بامتصاصها دم العائل وادخال الطفيلي اليه كما يحدث في الملاريا •

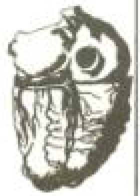
ويؤثر الطفيلي على عائله ويؤذيه بطرق عدة كان يمتص منه غذاءه او بضغطه على بعض اجزائه الهامة والحيوية كخلايا الدماغ والكبد مثلا ، او ان يقفل ويسد بعض قنواته كقناة المرارة او اوعية الجهاز اللمفاوي بالجسم ، او ان يفرز مواد سامة او يساعد وجوده على دخول الميكروبات والفيروسات الضارة ويتسبب بنمو خلايا خبيثة (سرطانية) بانسجة جسمه •

والاعراض متنوعة وتختلف كثيرا حسب نوع الطفيلي والمكان الذي يختاره مسكنا له وحالة العائل وقوة مقاومته •

ويمكن تشخيص وجوده بطرق متعددة نذكر منها الفحص المجهري للدم والبول والبراز والبصاق او باجراء بعض

الفحوصات التى تعتمد على وجود مناعة بجسم العائل تولدت نتيجة لاستضافته غير المرغوبة للطفيلي والمفروضة عليه ، او ببعض الفحوصات التي تعتمد على التفاعلات الجلدية نتيجة لوجود افرازات خاصة يفرزها الطفيلي كالسموم مثلا وتنتقل بواسطة الدم للجلد ويمكننا الكشف عنها او باستعمال اشعة اكس .

اما بخصوص العلاج فذلك يعتمد على نوع الطفيلي ولكل حالة علاجها الخاص بها وقد يكون يسيرا كما هو في معظم الحالات وقد يصعب احيانا ويضطر الطبيب للتدخل الجراحي وخاصة اذا ظهرت المضاعفات .



امراض الزمن الحاضر

● كيف يمرض قلب الانسان؟

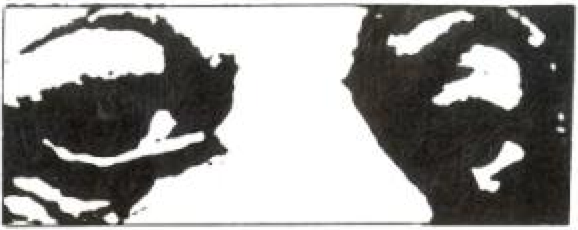
ـ قلب الانسان يزن حوالي ٣٠٠ جم ويقع في حوالي منتصف الصدر ثلث في الجهة اليمنى وثلثان في الجهة اليسرى، يغذى من شريانين ، الشريان الايمن والشريان الايسر وكل شريان يتفرع كالشجرة الى عدة شريانات صغيرة تغذى عضلات القلب . واعصاب القلب السليم تنظم دقاته في الهدوء ببطء وعند العمل الرياضي بسرعة ، اما القلب المريض فانه يظهر عجزه في حالات كثيرة مثلا بعد تناول وجبة كبيرة او عند الاقامة في مرتفعات تقل فيها كمية الاكسجين او عند المشي بسرعة او عند الغضب . واعراض عجز القلب هي الالم في الصدر والشعور بقلة الهواء ، واذا كان ضيق الاوعية الدموية قليلا فان الالم لا يحدث الا عند العمل الشاق ، وفي الحالات الاخرى يحدث الالم حتى اثناء الراحة التامة . وامراض القلب عديدة واهمها هنا ضيق شريان القلب ، الامر الذى يؤدى الى نوبات الم حادة في القلب مصحوبة بضيق الصدر وقلة النفس والشعور احيانا بقرب النهاية ، وفي الحالات الخطرة قد تحدث الجلطة الدموية نتيجة اغلاق احد شرايين القلب الصغيرة او الكبيرة بما في ذلك تلف بعض عضلات القلب وعدم قدرة هذا الجزء على المساهمة في نشاط القلب ، وتاثر عمل القلب يعتمد على حجم الجزء التالف فاذا كان هذا صغيرا فيمكن التعافي منه بلا اثر ملحوظ ، اما اذا كان ضرر القلب كبيرا فقد يترك ضعفا عاما للقلب يجب علاجه مدى الحياة بالادوية واحيانا باجراء عملية جراحية يقوم بها أطباء متخصصون في جراحة القلب وهم مع الاسف قليلون في العالم ، والقسم الغربي من برلين الذى يزيد سكانه عن المليونين نسمة يوجد به طبيب واحد ومساعدان لجراحة القلب وكثير من المدن الكبيرة في اوروبا لا يوجد فيها اى طبيب تخصصي في هذا المجال .

وهناك طريقة حديثة لتوسعة الاوعية الدموية بواسطة اجهزة انبوبية تستعمل دون عملية وقد اثبتت نجاحها في توسعة شرايين الارجل التى كان مصيرها القطع بدون علاج ، وتستعمل هذه الطريقة الان من طبيب واحد في العالم لتوسعة شرايين القلب .

وهناك عوامل كثيرة تؤدى الى ضيق او اغلاق اوعية القلب الدموية وبالتالي الى مضاعفاتها الناتجة عن عدم تزويد عضلة القلب بحاجتها من الاكسجين والمواد الغذائية الضرورية . وبما ان القلب يعمل في الدقيقة بين ٦٠ و ١٠٠ مرة ليلا ونهارا فانه يحتاج الى كمية كبيرة من الغذاء والاكسجين .

وهناك عوامل يمكن للانسان تجنبها لوقاية نفسه من امراض اخرى يجب علاجها قبل تضرر القلب . ومن العوامل الثابتة التى تؤدى الى ضيق الشرايين هى ، التدخين ، السمنة ، قلة الحركة ، ارتفاع ضغط الدم ومرض السكر . ولتجنب مرض القلب على الانسان يجب اولا تجنب العوامل المؤدية اليه مثل التدخين والحفاظ على الوزن الطبيعي والاكثار من الاعمال الرياضية وبانتظام وعلاج دائم ضد ارتفاع ضغط الدم والسكر .





الماء الازرق والماء الابيض فى العين

● كثيرا ما نسمع عن الماءالازرق والماء الابيض الذى يصيب العين فهل هو مرضواحد ؟ أم مرضان مختلفان ؟ وهل لى أن اعرف بعض الشىءعنهما ؟

ـ الحقيقة بان الماء الازرق يطلق على اعراض زيادة شك التوتر بالعين « الجلوكوما » Glucoma وهو يختلف اختلافا كليا عن الماء الابيض الذى يطلق على عتامة فى عدسة العين ـ الكتراكت ـ Cataract ونسميه ايضا « ساد العين »

فقى الحالة الاولى يزداد ضغط السائل الموجود داخل العين والذى عادة ما يكون ما بين ٢٠ ـ ٢٥ مم زئبق ويقاس بجهاز يوضع على قرنية العين يسمى جهاز « شويتز » Schoits واسباب الزيادة تنتج اما من :

اولا : زيادة ضغط السوائل فى الشعيرات الدموية المغذية للعين .

ثانيا : زيادة المواد الزلالية فى سائل العين بين القرنية والقزحية .

ثالثا : انسداد فى الدورة الطبيعية التى يمر بها سائل العين من مكان تكوينه وافرازه الى مكان امتصاصه ليتجدد باستمرار ويبقى بضغط ثابت داخل العين .

والاعراض التى تظهر على المريض تختلف من حالة الى اخرى فقد يشعر بزغللة او بهالات من الضوء امام عينه تكون مصحوبة بصداع بسيط يستمر لفترة من الزمن لم تزول دون ان تحدث اى تغيير بمظهر العين الخارجى .

او ان تكون الاعراض من الشدةبحيث يشعر الانسانبالم شديد جدا بالعين مصحوبا بصداع مع غثيانوقىء وسرعة بالنبض وارتفاع درجةالحرارة معضعفقوةالابصار وتكونالعين فى هذه الحالة محمرة من شدة الاحتقان ، والحدقة بيضاوية واسعةبعضالشىء وتظهرالاوردة بارزةكماتظهر عتامةبالقرنيةمما يعطى الحدقة اللون الاخضر القريب من الزرقة ومن هنا جاء الاسم « الماء الازرق » .

وعلاج هذه الحالة يختلف باختلاف السبب فاما ان يكون بالعقاقير او ان يكون بالتدخل الجراحى حسب ما يراه الاخصائى المعالج .

اما الحالة الثانية « الماء الابيض » او ساد العين Cataract فهى تصيب عدسة العين فتصبح مظلمة وتظهر كستارة تحجب الرؤيةالسليمة .

تنتج هذه الحالة عن تغيرات بداخل العدسة نفسها فيزداد السائل الذى بين انسجتها وخلاياها فتتقطع وتظهر بها اجسام كرويةدقيقة تطلقعليها اسم « كريات مورجاجنيان » Morgagnian Globules

واسبابها كثيرة نذكر منها :

ساد العين الذى يظهر مع تقدم السنوالكبر وهو اكثرها انتشارا Senile Cataract وذلك الذى يظهر اثناء النمو وقد ينتج من عامل وراثى او من سوء فى التغذية او من التهاب اثر على انسجة العدسة وغير محتوياتها . كذلك الذى ينجم من تعرض العين لاصابة كجرح انسجة العدسة . او نتيجة تعرضها لاشعاعات كاشعة اكس X-ray او التغيرات الناتجة من مرض بالعين او مرض بالجسم كسكرى البول او بعضالسموم الضارة .

ومن اعراضها ظهور بقع سوداء ثابتة امام العين او رؤية الاجسام مزدوجة او تغيير رؤية بعض الالوان كبهتان الالوان الاصفر والازرق . ثم تضعف قوة الابصار تدريجيا حتى تصل الى حد انعدام الرؤية تقريبا .

وعلاج ساد العينيعتمد على السبب وبما أن معظم الحالات تنتج من الكبر فالعلاج هنا يكون بازالة العدسة واستبدالها بعدسة خارجية « النظارات الطبية » ويعود البصر الى ماكان عليه ويعود المريض ليرى كل شىء . ■■

رهان الازرار المفطوعة

بقلم : فاضل السباعي

■ كانت زوجتي قد فكرت ، نيابة عني ، بما يمكن ان ينالني من الحرج اذا ما انقطع زر من ازرار ملابسي ، وانا لا اهل لي في باريس ٠وهكذا قالت لي يوم السفر ٠ وهي تساعدني في اعداد حقيبتي :

« هي ذي » علبة « فيها خيطان بيض وسود وملونة ايضا ، مع ثلاث ابر وكشتبان ، من اجل ان تخيط زرا قد ينقطع وانت في بلاد الغربة ! (ووضعتها في ركن من الحقيبة) لا تنس انها هنا ، ياعزيزي » ٠

والواقع ، اني ما نسيت موضع العلبة ، بما تضم من خيطان وابر وكشتبان ولكن الذي وقع لي ان كثيرا من ازراري اخذ ينقطع وانا في باريس ٠٠٠ لا ادري كيف ! حتى لقد يظن من يسمع متى هذا ، اني اقضي ايامي في « زحام المترو » !

اول ما انقطع كان زرا من ازرار معطفي « الشامواه » هذا الذي قدم لي ، اول ما وصلت فرنسا ، هدية من احباب ٠ وهو على كل حال من الشامواه « الصناعي » ، ولو كان من جلود الغزلان او ما شابهها لما حظيت به هدية ولا شراء ٠

لقد سبب لي هذا المعطف « المزيف » مشكلة صغيرة ، او هو كشف حاجتي الى من يخيط لي ازراري ، فقد انحل زر فيه ، فاهملته ، فسقط وضاع ، فرميته في غرفتي ، وعدت البس معطفي الصوفي القديم ، الذي اتيت به من دمشق ، املا في ان اشتري « ممطرا » يقيني من البلل ، في بلد تباع فيه احسن المماطر مادام شتاؤه كله مطرا ٠

اهملت لبس معطف الشامواه ، ولكن ظلت عيني فيه ، مما جعلني اتشجع ذات يوم ، وادخل متجرا فاشتري طقما من الازرار الفاخرة التي لا يليق بها الا معطف من الشامواه الاصلي ! ثم خلوت الى غرفتي في « المجمع » واخذت اخيط الازرار الاربعة دفعة واحدة ، حتى نشفت عيناي ٠ولما لبست المعطف ، وهو ذو مظهر لا باس به على كل حال ، ونزلت اتنقل ما بين مدخل المجمع والمطعم والمكتبة، قبل ان اخرج به الى الطريق ، خيل الى ان الابصار تتجه نحوي ، فما عرفت السر : اهو شخصي المتواضع ؟ ام المعطف المزيف ؟ ام الازرار المعدنية المغرمة ؟ ام انها جودة خياطتها ، بالعدة التي حملتني اياها زوجتي ؟!

ولكن فرحتي لم تدم طويلا ٠٠٠ فقد اكتشفت ، بعد يومين ، ان احد الازرار ، ذلك العلوي الذي اعول عليه في الزر ، قد انحل خيطه ! فلما عاينت الازرار الاخرى ، وجدتها على وشك ٠ فعرضت امري على زميلة لي في « الدورة » ، تشيكوسلوفاكية، فنصحتني بان اشتري ازرارا صغيرة واضع واحدا منها خلف كل زر كبير ففعلت ، وبذلت من الوقت والجهد اضعاف ما بذلت في المرة الاولى ، فقد كان يتعذر علي ان احكم ادخال الابرة في ثقب في احد الزرين لتخرج من ثقب الزر الاخر ٠٠٠ وهل لي انامل خياط او خياطة ، مع ان لدي « عدتهم » من خيط وابرة وكشتبان ؟ على انني فرغت من هذه المهمة الصعبة اخر الامر ، ولبست المعطف ، وسرت به في شوارع باريس ٠ وكنت اعاين الازرار في كل منعطف ، فرحا اني وثقتها هذه المرة جيدا ٠٠ ثم اكتشفت في عودتي ما ملأ قلبي غما : الازرار ٠٠٠ قد انحلت من جديد !

وفي ذلك كتبت الى زوجتي شارحا لها امري ٠٠٠ وختمت رسالتي مداعبا : « وهكذا، يازوجتي العزيزة، ما نفعتني علبتك مع هذا المعطف في شيء ٠٠٠ فما العمل ؟ ! فكتبت الي مستجيبة لدعابتي (وهي خفيفة الظل كزوجها) : « بعد المحاولات المضنية التي بذلتها ، لم يبق الا حلان : ان ترسل الي المعطف ، او ارطير انا اليك ٠٠ » ٠

يئست من توثيق ازرار الشامواه . فبادرت الى شراء المطر الموعود . قالـوا ان احسن المعاطـر هى الانكليزية ، فاشتريته من محلات «سى اند اى» فى مونبارناس . لاحظ البائع الشاب انى اقلب المعطر بين يدى معاينا كل زر فيه . شدا وجذبا ونظرا..فكان من حقه ان تلوح امارات الاستغراب على وجهه ، مادام لايعرف حكايتى مع الازرار المقطوعة !

فى النهارات المشرقة كنت البس معطفى الصوفى القديم ، وفى غيرها من الايام البس المعطرالذى يقينى من البلل . ولكنى ماكنت لانسى الشامواه، الذى اعيتنى ازراره !

فى مجمعنا السكنى الواقع جنوبى باريس . كانت لى صديقتان عربيتان،من جنسيتين مختلفتين، احداهما دون الثلاثين من عمرها ، تحضر اطروحة فى «علم الاثار» . والحرف الاول من اسمها«ز» . والاخرى فى نحو الاربعين ، تتدرب فى مجـال «التوثيق» والحرف الاول من اسمها «ع» . كنا نلتقى على موائد الطعام فى «كافيتريا» المجمع . و فى الامسيات الفنية والثقافية ، او نتبادل الزيارات فى غرفنا ، شأن جميع العرب والاجانب المقيمين فى هذا المجمع ، الذى يضم فى غرفه مئات من [illegible] من الاقطار للدراسة او التدرب . كانت «ز» و «ع» — هذا ما ساطلقه عليهما



بدءا من اللحظة ـ فتاتين لطيفتين جدا • الا أن بينهما ، هما الصديقتان المتجاورتان ، مابين بنات الجنس اللطيف احيانا ، من تنافس خفي وغيره مكتومة • ولكن مالنا ، نحن اخوانهما العرب ؟ كنا اذا مازار احدنا احداهما في غرفتها ـ وغرفة كل منا هي بمثابة « بيته » ـ احتفت به وابدت له من جميل الخصال ولطف الشمائل والكرم « العربي » الاصيل ، ما يجعله يعزم على تكرار الزيارة في اول فرصة مواتية !

قالت « زاى » ، وهي تراني ادخل المجمع بممطري الجديد :

« الله الله ! ماهذا الممطر ؟ مبروك » •

وقالت « عين » :

« هذا ثالث معطف نراك ترتديه • مقتنياتك من المعاطف تدل على •• نعمة »

احتججت متضاحكا :

« مهلا •• ان لكل من معاطفي الثلاثة قصة • الصوفي القديم ، سارميه في باريس قبل ان اغادرها عائدا الى دمشق « والشامواه » التقليد ، قدم لي هدية من احباب ، واقولها هازلا : لولا ان فيه « عذرا » لما البسوني اياه ! والثالث هو هذا الجديد ، الذي اشتريته امس من « سي اند اى » •

ثم قصصت عليهما بالتفصيل مشكلة خياطة الازرار في الشامواه ••• وبعد ان اصغتا الى ، تطوعت « زاى » قائلة :

« هاته لي ، وانا اوثق لك ازراره :

هتفت غير مصدق ، وانا اتطلع في عينيها الزرقاوين الصافيتين :

« بربك ؟ ! » •

ههنا ، التفتت « عين » ، وهي حنطية الشعر كستنائية العينين ، تحدث صديقتها حديث العارف :

« لافائدة من بذل الجهد : ستعود الازرار الى سابقها • ان خياطة ازار الشامواه لا يتقنها الا الاسكافي • كذلك وقع لي يوم كنت في بلدي » •

ردت « زاى » واثقة :

« اني احسن خياطتها » •

ـ ولكنها تحتاج الى خيطان من نوع خاص !

ـ عندي منها •

ـ والى ابرة •••

ـ وعندي منها ايضا •

تراجعت « عين » ، موردة الوجنتين :

« اذا كان الامر كذلك ، فهذا شيء آخر » •

وفي المساء ، وسماء باريس تمطر ، حملت الشامواه الى غرفة « زاى » • وكم كانت فرحتي عظيمة ، وانا اراها تفك الازرار ، ثم تعيد تركيبها زرا زرا ، مستخدمة في ذلك ابرة معقوفة وخيطا من نايلون !

اخذت اجاذبها اطراف الحديث ، ولساني عاجز عن شكرها :

اسمعي هذه النكتة « يا » زاى « : تلميذتي الفرنسية السيدة مارتين التي يعمل زوجها خبيرا بالخطوط في المحاكم ، روت لي ، امس ، ان اثنين من معارف زوجها ، وهما عاملان جزائريان يعملان في باريس ، لا يحسنان الفرنسية ولا العربية ، جاءاه يسألانه : الست تعمل خبيرا بالخطوط ، يامسيو فيدو ؟ قال : بلى ! قالا : فاكتب لنا ، من فضلك ، رسالة الى اقاربنا في الجزائر ! ضحك مسيو فيدو ، وهو رجل لطيف جدا ، وقال : اكتبها لكم لانكم اصحابي ، ولكن هذا ليس من اختصاص الخبير بالخطوط ، بل هو من عمل « العرضحالجي » ! » •

سألتني « زاى » ، وما ضحكت للنكتة الا قليلا :

هل تتقاضى من تلميذتك مارتين اجرا على تعليمك لها العربية ؟

ـ لا • اني اعلمها قليلا من العربية ، ولكنى احادثها بالفرنسية كثيرا ، وهذا ما احتاج اليه كما تعرفين • ثم انها جرت على ان تعتبرني من اهل البيت فتدعوني يوم الدرس ـ لاتبتسمي ! ـ الى الغداء • واضيف : انها هي وزوجها يحبان العرب ، وقد قاما قبل اعوام بزيارة لبنان وسورية ، ولتعلمي ، ايتها « الاثارية » ، تلميذتي معجبة بآثار « تدمر » اعجابا لا مزيد عليه •

ثم كان شكري العظيم لـ « زاى » لا يضارعه الا كريم ترحيبها بمساعدتي • فقد قالت لي وهي تودعني :

« اذا صار عندك اشياء اخرى تحتاج الى خياطة ، فاني على استعداد • عدني هنا مثل اختك الصغرى » •

★ ★ ★

ابدت « زاى » كريم ترحيبها بي ••• فكأنها قالت ، في ذلك المساء ، لازراري : تقطعي ! ولكن ، هل قالت لها تكسري ؟ !

الممطر الجديد ، ذو الازرار المتينة ، وقع له حادث • هناك ، الى جوار باب الغرفة من الداخل ، المشجب الذي نعلق عليه ثيابنا • كنت ، ذلك الصباح ، قد فتحت النافذة لتغيير الهواء ، فلما فتحت الباب ، ما احسسته الا وهو ينصفق بشدة

بفعل تيار الهواء العنيف • وفي انصفاقه كانت الريح قد اخذت معها جانبا من المعطر ، فانغلق الباب عليه ، وجاء زر ما بين الباب واطاره.فتفتت الزر شظايا تناثرت ، ولم يبق عالقا منه فـي المعطر الا عقبه ، قلب الزر ، الذي مازال مشدودا اليه بخيط بدا انه متين جدا •

الزر ، انا موعود من « زاي » بان تخيطه••ولكن اين الزر ؟

حدثت «زاي» وكانت «عين» حاضرة ، بحديث الزر المفتت •• وانتهيت الى ان اعلن اني مضطر، الان،الى شراء طقم ازرار من شكل ولون موحدين، كما فعلت يوم فقدت زرا من معطف الشامواه •

فطلبت مني « زاي » ان احضر لها المعطر •ثم قلبته ، ونظرت الى حيث زر برز من الداخل ، وقالت « ننقل هذا من هنا ، ونخيط اى زر في موضعه » •

واسعفتني الذاكرة :

« عندي ازرار الشامواه القديمة » •

وقد تساءلت « عين » ، وهي ترى الى صديقتها تقتطع الزر الداخلي ، قبل ان تخيط الاثنين :

« استاذ •• كم تتقطع ازرارك ! » •

اجبتها ببراءة :

« حقا • انا نفسي مستغرب • ولكن الامر كما تريان » •

« استعظمت « عين » تلك الليلة ، كسر زر في المعطر ، ومـن قبلـه تراخي ازرار الشامـواه • وها هو ذا زر في معطفي العديم ينقطع ! دخلت ، عصر ذلك اليوم ، محطة مترو « غلاسيير »•وقفت امام جهاز المراقبة •• هكذا جرى الامر بتفاصيله الدقيقة • مددت يدي الى جيبي الداخلي ، قصد ان اخرج ما يسمى بال « كارت•اورانج » (البطاقة البرتقالية اللون التي تخولني ركوب الحافلات مقابل اشتراك ادفعه اول كل شهر) ••• وقبل ان تقبض يدي على البطاقة ، اقترب مني فتى فرنسي غض العود ، وقدم لي ••• زرا !

ـ ماهذا ؟ !

ـ لقد سقط منك الان ، ياسيدي !

شغلني عن واجب شكر الفتى اللطيف ، بالغ دهشتي من سقوط الزر ! ولكن ، من اين سقط ، وكيف ؟ حتى هذا المعطف ! ثم تبينت اني لحظة فككت الزر العلوي لادس يدي في جيبي الداخلي، انقطع الزر ـ وقد كان مرتبطا بموضعه مجرد ارتباط ! ـ ونفر الى الارض ••• على مرأى من الفتى ••

لم اجد « زاي » في وصولي الى المجمع ، فـي غرفتها • تراءى لي ان اسهر عند « عين » •وكان لابد من ان احكي لها هذه « الواقعة » الطريفة ، واريها الزر المقطـوع • وكانت عندها زميلتنـا الكندية ـ الكويبكية ، التي كم ضحكت ، ونحن ـ «عين» وانا ـ نتداول قصص ازراري ، ماانقطع منها وما تراخي وما انكسر !

لم لست ادرى اى همه قمساء جعلتني اسال «عين» ، ان تعطيني ابرة وخيطا وكشتبانا •• لاخيط هذا الزر المقطوع ؟ فرايتها ـ كما اذكر جيدا ـ ترحب ، ولكنها تعتذر بان ليس عندها كشتبان •

ـ دون كشتبان ، ياستي ، فما انا بالخياط المتهن ، ولاقماش المعطف بالقاسي •• ان هو الا جوخ !

ولكن «عين» لم تعطني الخيط والابرة • لقد احتفظت بهما ، اخذه مني المعطف والزر :

ـ عفوا •• انا اخيطه !

قالت في ود ، والوجه الحنطي قد تورد :

«دعني اخيطه لك ، فانت في بيتي » •

★ ★ ★

ذات يوم ، لاحظت ان زر بدلتي الكحلية قـد تراخي ، فاقتطعته خوفا عليه من الضياع • ولما حدثت « زاي » بامره •• و « عين » في زيارتها ـ اعلنت ، وهي تضحك ، بصراحة لا تصدق :

«لن اخيط لك زرا •• منذ الان ! »

اعترف بانى اخذت على غرة •

ـ اف ! وله ؟

قلت ذلك ، وانا اتحول بناظرى نحو « عين » ، التي خاطت لي زرى الاخير مشمورة ، وكانني اطلب وساطتها ! فاذا الاخرى توجه الى سؤالا لا يخلو من مكر :

« استاذ ! اريد ان اسالك : ازرارك ، هل تتساقط من تلقاء نفسها ؟ ام انك تقطعها متعمدا كي نخيطها لك ؟ !! »

لم انفجرنا معا بضحك عريض •

ـ انتما الاثنتان ؟ ان في الامر مكيدة !

شكتني «عين» :

« تصورى ! ياتيني بالامس ، وعندى جارتي الكويبكية ، ليخيط زره ! »

دافعت :

« ولكنك انت التي حرصت على ان تخيطيه !»

ـ طبعا • كنت تستدرجني امام الجارة ، فما خيبت ظنك !

ـ استدرجتك ؟ باللنساء ! لقد امضينا الليلة، ونحن نضحك من حديث الازرار المقطوعة • فانت التي افسدت مابيني وبين صديقتك حتى •• امتنعت !

اعلنت الاثنتان :

« لا ازرار بعد اليوم ! »

كنت قد ادركت ان البساط قد تم سحبه من تحت قدمي •

ـ انها بدلتي الكحلية ، وعندي غدا دعــوة لحضور افتتاح معرض « الحكم الجمهوري في مئة عام » • انلطفكما السابعانساني معرفتيالمتواضعة بخياطة الازرار !!

قالت « زاي » :

« استاذ ، ثلث الثلاثة كام ؟ »

ـ واحد •

ـ والله واحد (رفعت سبابة يمناها) • نحن العربيتان قد خطنا لك ، في باريس ، ازرار معاطفك الثلاثة (ورفعت ثلاثة أصابع) !

تولت «عين» الحديث ، فكانهما في ما تصدران من « قرارات » على اتفاق :

« بربك ، هل سمعت ان فرنسية خاطت لفرنسي زرا واحدا ؟ »

فمرت : فرنسية ؟ زر ! •••

استعادت « زاي » الحديث :

« اتراك تستطيع ان تقنع تلميذتك مارتين بان تخيط هذا الزر المقطوع ؟ •••

مارتين ! •• واشرقت فيذهني فكرة : استدرجها كما ظنت « عين » اني فعلت !

ـ واذا افلحت ؟

ـ هذا في المنام •

ـ واذاتحقق في اليقظة ؟

ـ نخيط بعدها كل ما ينقطع لك من ازرار !

★ ★ ★

قبل ان امضي اليبيتتمليذتي مارتين ، اخذتمن « العلبة » ابرة ، شككتها في وريقة ، لففتحولها خيطا اسود • وجعلت الوريقة والزر المقطوع في جيبي •

بعد ان تناولتالغداء مع مارتين وزوجها ،وفيما هي تحدثني بعربيتها ذات اللكنة فتقول : زوجي دخل الاجرة ليامل » ، وانا اصححلها نطقها فاقول: « دخل الحجرة ليعمل » ، ذلك ان مكتب عمل الزوج كان في البيت •• اقول : فيما هي تحاول التحدث بالعربية ، اخرجت من جيبي ، بحركة تستلفت الانتباه ، الزر المطوع ، ووضعته على الطاولة • بعدها اخرجت الوريقه •• وعينا مارتين تشهدان! كررت الخيط ، واخذت الابرة محاولا ان اضع الخيط فيها !

سائتني مارتين مشدوهة :

« ماذا تفعل ؟ »

ـ اريد •• ان اخيط هذا الزر الذي انقطع •• فاني حريص على ان احضر حفلة الافتتاح •• كامل الهندام !

ابتسمتتلميذتي البارة،وهي تبسط تحوىيدها••

« هات اخيطه انا » •

ـ لا لا ، مارتين •• لا يجوز !

اخذت مني الابرة والخيط •

ـ عندما لا يعرف الرجل كيف يضع الخيط في الابرة ، فهذا دليل على انه لا يحسن خياطة زر • ورحت اقص عليها ، بصراحة متناهية ، تفاصيل حكايتي مع الصديقتين العربيتين اللتين تمردتا ، يوم امس علىخياطه أزراري ، وتحدتانيانلاستطيع اقناع تلميذتي الفرنسية مارتين بان تخيط لي هذا الزر المطوع !

قالت مارتين ضاحكة :

« ولكني اخيطه لك ، كما ترى » •

ـ وقد كان بيننا ••• رهان •

ـ ما هو ؟

ـ ان كسبت ، وعدتا بان تخيطا كل ما ينقطع من ازراري ، ما اقمت في باريس •

ـ ولو كنت لم تستطع اقناعي ؟

ـ لا غرم علي ، فالرهان كان تحديا •

قدمت لي السترة :

ـ هانتذا ضمنت ، اليوم ، ان تقوم عربيتان بخياطة ازرارك • وتستطيع ان تضيف اليهما •• مارتين •

اطرف ما فيالامر ، ان ازراري، منذ ذلك اليوم، قد كفت عن ان تنقطع ••

أذلك لان ما كان من الازرار رخوا ، قد انقطع وتجددت خياطته ؟ ام انني كنت اتعمد تقطيعها وانا لا ادري ؟! ■■

باريس ـ **فاضل السباعي**

ولكم فى القصاص حياة

● بعنوان (عقوبة الموت ما جدواها اليوم) نشرت مجلة العربي فى عددها الصادر فى مارس ١٩٧٨ مقالا استهل بقول مأثور للمفكر الفرنسي فولتير « حيث تفشل المحبة تطغى قسوة القانون » والمقال يدور حول عقوبة الاعدام الغاء وابقاء والكاتب وهو الدكتور الدوري يبدو انه فى مقاله يتجه الى ترجيح كفة الابقاء على هذه العقوبة الا أنه التزم بسرد اراء أنصار العقوبة وخصومها •

ولا شك أن الابقاء على عقوبة الاعدام ليس اساسه العاطفة ولا الهوى بل العكس هو الصحيح، فالقرآن الكريم الذى هو شريعة الله جلت قدرته وهو الدستور الهادى الى ما فيه خير البشرية قد نص على هذه العقوبة فى قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب) •

والمجتمعات التى الغيت فيها عقوبة الاعدام لم تنعدم فيها الجريمة بسبب هذا الالغاء • فالعضو الفاسد فى الجسد لا بد من بتره كى نبقى على الجسد •

عبد الحميد عبدالغني ابراهيم
محكمة استئناف الحكم الذاتي
العراق

اعادة النظر فى الحروف العربية

● فى العدد ٢٣١ كتب الدكتور احسان حقى فى ركن قضايا حيوية وتحت عنوان، اعادة النظر في الحروف العربية » مقالا فيما تصدى فيه لاولئك الذين يريدون اتخاذ الحروف اللاتينية عوضا عن الحروف العربية اقتداء برائد النهضة التركية الحديثة كمال اتاتورك •

واذا كان الدكتور ينكر على هؤلاء هذا الاقتراح نظرا للخطر الذى يهدد لغتنا نتيجة هذه المبادرة فانه اقترح بدوره ادخال تحسينات على بعض الحروف العربية او اضافة حروف اليها لاداء الفاظ اجنبية اداء صحيحا وسليما • وقد اتحفنا بامثلة فى هذا الموضوع •

بيد انني اود ان ابدى رأيي فى الموضوع واقول ان التجارب اثبتت ان اللسان العربي لسان مرن يتكيف مع جميع لغات العالم • فكم من عربي يتقن اللغات الاجنبية ويتحدث بها دون ان يشعر السامع انه امام عربي • فى حين نجد ان بعض المستشرقين الغربيين وغيرهم ممن هم اجانب عن العربية رغم اتقانهم للغتنا سرعان مايعرف السامع انه امام شخص أجنبي عن اللغة التى يتفوه بها •

اضف الى هذا ان الدول الغربية التى وصلت الى ماوصلت اليه من تقدم فى شتى المجالات نجد لغة احداها خالية من بعض الحروف الاتية : خ، ذ ، ث ، هـ ، ؤ ، ع ، ق •

ونجد لغة دولة أخرى خالية من ، ج ، ذ ، هـ ، ق ، ع ، غ ، ح •

ولكن رغم هذا فما شكت ابدا من نقصان لغتهما ، اذن السؤال هو لماذا هذا التحسين او الاضافة الى اللغة التى هى ام اللغات فى العالم اجمع ؟ ابهذا يمكن ان نشق طريقنا الى الهدف المنشود ؟

بن احمد محمد
الحسية ـ المغرب

احد اسرار قوة اسرائيل

القادة الصهاينة لا هم لهم ـ بعد قهر العرب ـ الا العمل على احضار كل يهودي الى اسرائيل. وفي سبيل ذلك يضعون امامه كل الاغراءات .. يقدمون له البيت والنقود وفرص العمل .. الخ ويتساوى اليهودي الوافد عام ١٩٧٨ مع اليهودي الذي جاء الى فلسطين ايام الانتداب وقبل قيام دولة اسرائيل ، والذي اشترك في القتال ضد العرب وضحى بابنائه في سبيل تحقيق الحلم الذي اصبح حقيقة .

اما نحن العرب .. فما ان يخرج العربي من بلده الى بلد عربي اخر حتى يسمع كل صباح المعزوفة النشاز .. التي تقول له : انت اجنبي ارجع الى بلدك .. لاتزاحم ابن البلد على خيرات بلده بالاضافة الى احساس الغربة الذي تزرعه فيه كلما اجتاز حدود بلده الى بلد عربي آخر..

العربي يطلب شراكة العربي في الهم والغم ـ ولكن تمتنع هذه الشراكة في النعم والخير .. فالعربي الآتي من سوريا مثلا لا يجوز له ان يشارك عربيا فرحته بخير به حباه الله . الخير وقف عليه لايجوز ان يشاركه فيه عربي آخر .

دساتير الدول العربية جلها بل كلها تقول في اول موادها ان البلد الفلاني جزء من الامة العربية ، جميعا يتحدثون عن الوحدة العربية وضرورتها ..

والآن هل عرفتم احد اسرار قوة اسرائيل وضعف العرب !

فمتى تربى الشعوب العربية على مفهوم الوحدة العربية فعلا لا قولا .. متى ؟ !

عمان ـ الاردن

محسن حسن محسن

مثقفو فرنسا .. كتاب عرائض

● الاستاذ احمد بهاء الدين خير خلف لخير سلف .. الافتتاحيات كلها ، فيها دروس وعبر .. في عدد حزيران ، علمنا درسا صغيرا عن جان جاك روسو وفولتير ـ بمناسبة احتفال فرنسا ، طوال هذا العام ، بمرور ـ مئتي عام على وفاتهما ـ والعبرة فيما قال ، على لسان ديغول : « لقد تعود المثقفون ان يلعبوا اكبر دور في تقدم فرنسا . بدأ هذا بفولتير وانتهى بفيكتور هيجو، ومنذ ذلك الوقت ، تحول المثقفون الى كتاب عرائض » .

واذا كان الحال كذلك في ام الحضارة ، فكيف الحال عندنا ؟

واستغفر المثقفين العرب جميعا فلسنا سوى ماسحي احذية ؟

مصطفى الحسن

مصياف ـ سوريا

نوري الشعلان

● جاء في العدد ٢٣٤ في مقال (البحث عن مواقع التاريخ تحت رمال الجزيرة العربية) والى جانب صورة منظر لقلعة وقصر شيخ قبيلة الرولا خطأ لعله مطبعي لاسم نوري الشعلان ، فقد ذكر اسمه (نوري بن شالان) ويبدو ان الاسم مترجم عن مرجع اجنبي. ونوري الشعلان لعب دورا هاما في الثورة العربية الاولى اذ انحاز الى جانب الجيش العثماني عندما تحقق له فوز الحلفاء . وقد كان داهية عرب بادية الشام ، وبنى له في زمن الانتداب الفرنسي على سوريا دارا واسعة في دمشق الشام في حي سمي باسمه ومات في دمشق رحمه الله .

الدكتور محمد مأمون المهايني

وزارة الصحة العامة ـ الكويت

هموم الشيخوخة تحاصر البندقية

● جاء في العدد ٢٢٤ (مايو) في مقال د . ثروت عكاشة تحت عنوان : هموم الشيخوخة تحاصر البندقية ان تركيا حاولت ضرب البندقية ولكن خاب مسعاها وردت على اعقابها تجر اذيال الهزيمة الخ .. وكان حري بصاحب المقال ان يتجنب ذكر هذا التجريح الذي لا مبرر له لان تركيا كانت تمثل الخلافة الاسلامية ولم تكن تركيا كما سماها المؤلف وكانت تدافع عن بلاد العرب والمسلمين كما ان البندقية كانت من جملة مراكز انطلاق الحروب الصليبية . ودعوة غريبة نادى بها صاحب المقال لاعادة تعمير وترميم البندقية وتناسى المدن والقرى المدمرة في جنوب لبنان وتل الزعتر والقنيطرة .. كان المفروض به ان يحول جهده فيما يخص مدننا المدمرة نتيجة العدوان الاسرائيلي .

مالك عبد الرزاق
المملكة العربية السعودية .

البانيو يوغسلافيا

● البانيو يوغوسلافيا الذين اشار اليهم الاستطلاع المنشور في العدد ٢٢٣ هم شعب اقليم (كوسوفا) كانوا الى عام (١٩١٢) يشكلون جزءا من البانيا الام . وفي ذلك العام سقط هذا الاقليم بيد قوات يوغوسلافيا على اثر حرب نشبت بين الدولتين . وحين تأسست

اطول كلمة في اللغة الانجليزية

● قرات في العدد (٢٢٣) عن اطول كلمة في اللغة الانجليزية وبين يدي كتاب اسمه GuinnessBood of Records وهو كتاب يسجل اغرب الاشياء في العالم مدعمة بالادلة وقد اورد الكلمات التالية على انها اطول الكلمات في مختلف اللغات ويذكر ان الكلمات الست الاولى فقط يمكن العثور عليها في المعاجم :

اطول كلمة :

١ ـ في الفرنسية تتكون من ٢٥ حرفا :

Anticonstitutionnellement

ومعناها مضاد للعرف الدستوري .

٢ ـ في الكرواتية تتكون من ٢٦ حرفا :

Prigestolenaslijeduikovice

ومعناها زوجة ذي حق لا ينازع في وراثة العرش او لقب .

٣ ـ في الايطالية تتكون من ٢٦ حرفا :

Precipitevolissimevolmente

ومعناها باسرع ما يمكن .

٤ ـ في الروسية تتكون من ٢٧ حرفا سلافيا (تترجم الى ٣٦ حرفا انجليزيا) Pyeryeosvidyetyels,tvovayushyegosva.

ومعناها اعادة الفحص الطبي .

٥ ـ في اليابانية تتكون من ٣٦ حرفا :

Ryagu-no-otohime-no-motoyui-no-kirinazushi

وهي اسم لنوع من الطحالب البحرية .

٦ ـ وفي المجرية تتكون من ٣٩ حرفا :

Engedelmeskedhetetlense,geskedese,seitekert

ومعناها استمرارك على عدم الطاعة .

٧ ـ في الهولندية تتكون من ٤١ حرفا :

Rijksluchtvaartdienstweerschepenpersoneel.

ومعناها مستخدمو سفينة رصد مديرية الملاحة الجوية الحكومية .

٨ ـ في الالمانية تتكون من ٨١ حرفا :

Donaudamfschiffahrlselectricitaetennauptbetriebswerk - baunterbaunterbeamtengesellchaft

وهو اسم ناد كان في فيينا قبل الحرب ومعناها : نادي صغار موظفي المكتب الرئيسي لادارة الخدمات الكهربية لسفن الدانوب البخارية .

٩ ـ في السويدية تتكون من ٩٤ حرفا :

Sparragnsaktiebolagsskensmutsskjutaretackforeninsp - ersonalbelkladnadsmagasinsforvaltaren

ومعناها مدير مخزن تجهيز البدلات النظامية لمنتسبي نقابة منظفي خطوط شركة الترام .

(عصبة الامم) اعترفت بالاقليم جزءا من يوغوسلافيا ، وثانيا اعترفت (هيئة الامم المتحدة) بالخارطة الجديدة ويضمنها اقليم كوسوفا وهكذا اصبح الاقليم جزءا من يوغوسلافيا الحديثة • ولغة الاقليم الرسمية هي اللغة الالبانية كما يتمتع الاقليم بالاستقلال الذاتي ضمن اتحاد فدرالي يعرف بجمهورية يوغسلافيا الاتحادية الفدرالية •

محمود الارناؤوط

دمشق ـ سوريا

المسلمون في العالم

● اطلعت على مقدمة العدد ٢٣٤ لشهر جمادى الاولى ١٣٩٨هـ والذي اشرتم فيه الى الاربعين مليون مسلم الذين يعيشون في الصين الشيوعية والى وجوب تفقد احوالهم عن طريق سفارة احدى الدول الاسلامية ، وانا اضم صوتي الى ندائكم راجيا كل الدول الاسلامية التي لها سفارات سواء في الصين او في روسيا او اي دولة اخرى ان تقوم برعاية الجاليات الاسلامية فيها ، وان تكون همزة وصل بين المسلمين هناك والدول الاسلامية الاخرى كما ارجو من مجلة العربي تسليط الاضواء على واقع المسلمين سواء في الدول الاشتراكية او الدول الاوربية او البوذية او في الهند •

عبدالله عبدالعزيز المقيطيب

الرياض ـ السعودية

كلمة ونص
مع قراء العربي

❋ مجيد عبدالشامي ـ العراق : قراءاتك عن الصوم تدل على شغفك بالامور الدينية • جزاك الله خيرا فيما ارسلت•

❋ محمد عبد الوالي السعودي ـ الاردن : اقتراحك بتقديم زاوية الاخطاء الشائعة اقتراح جيد •

❋ صلاح جرار ـ الجامعة الاردنية : نأسف للخطأ المطبعي لترجمة كلمة الهلوسة والكهف التي نشرت في عدد يونيو الماضي • وشكرا على اهتمامك •

❋ مصطفى عمرو ـ سمنود مصر : تقول انك مؤلف قصصي واغان للاطفال ، حول طلبك للبرامج التربوية والتعليمية في تلفزيون الكويت •

❋ عبد الله سليمان ـ الاسكندرية : رسالتك حول مقال الصحة هي المريض الاول في الوطن العربي للدكتور سعيد عبده ، ودعوتك الى المسئولين في اجهزة الطب بالوطن العربي لتغيير الطريقة الكلاسيكية التي يتعلمها طالب الطب خلال سنوات التعليم تستحق عليها الشكر •

❋ ايليا خوشانا ـ الموصل بالعراق : نشرنا عدة استطلاعات عن العراق وآخرها « الاهوار » نشر بعدد يوليو الماضي •

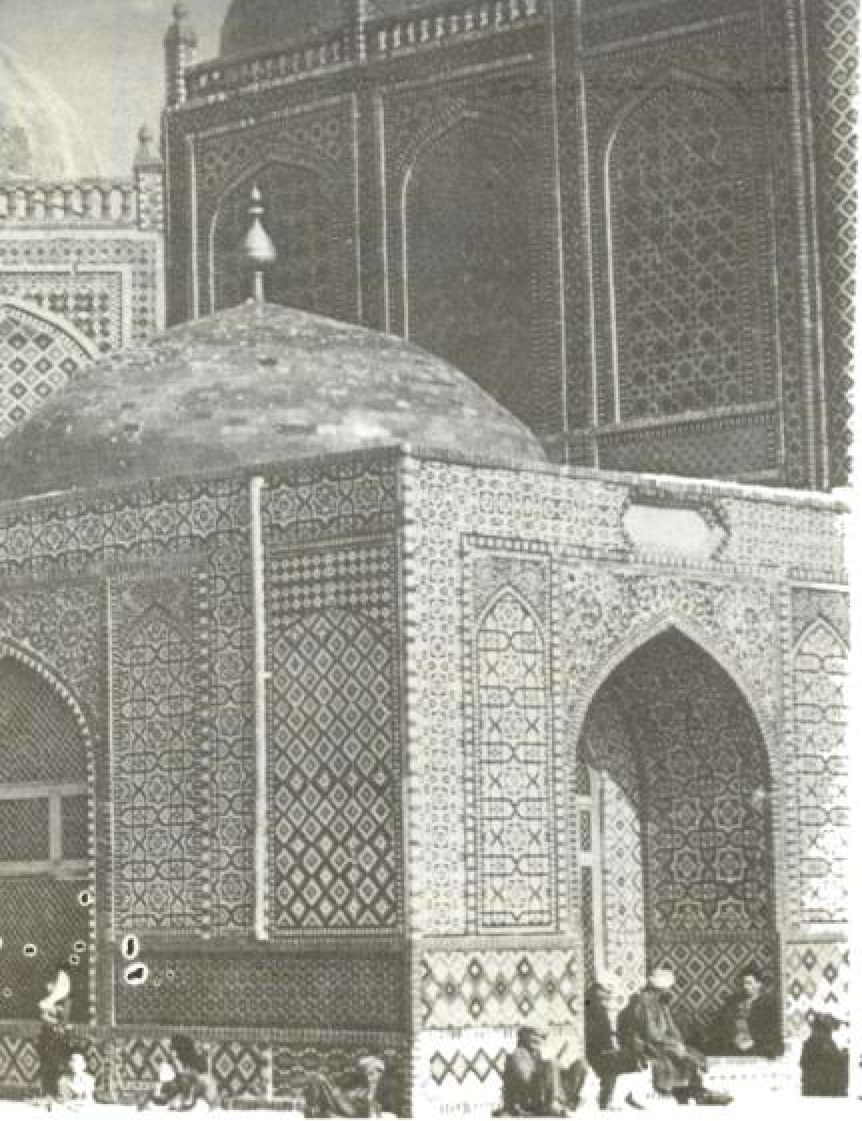
❋ دعين احمد ـ المغرب : من هواة التعارف وجمع الطوابع البريدية يطلب مراسلته على العنوان التالي : ٤٢ شارع علال بن عبد الله ـ وزان / المغرب •

❋ د • حسني محمود ـ جامعة اليرموك : اقتراحك بعمل تحقيق مصور عن بيت الشاعر الفلسطيني « حسن البحيري » بدمشق في محله • وشكرا على رسالتك •

❋ حامد الماحي ـ السودان : له تعليق على مقال « وثنيون ايضا » للزميل فهمي هويدي بان فرض الصلوات الخمس وليد العصر المكي لانها فرضت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة وليست العصر المدني كما جاء بالمقال •

❋ على عنوان ـ السعودية : معلوماتك تدل على اطلاعك العلمي •• وشكرا على الاهتمام بتزويد العربي بمجموعة اخبار علمية قديما وحديثا •

❋ جاريش حسنين ـ السودان : يسال عن معاني بعض الكلمات السياسية التي درجت الصحف على نشرها مثل الاتحاد الفيدرالي ، واليمين ، اليسار ، المتطرفون ، ونصيحة حاول الاطلاع على الكتب في السياسة الدولية •• ستجد الاجابة على اسئلتك •



جانب من الضريح الكبير في مزار شريف ••

الرهبان الذين «يحجون» الى المكان الان ، بارديتهم الصفراء ورؤوسهم المحلوقة واللامعة •• يفدون من بورما وسيلان وتايلاند وبقية دول آسيا •

تنسى مثلا ، هذا الوجه الاخضر الذي تطل به باميان ، تلك المساحات الواسعة التي تمتلىء بكل انواع الخضرة والفاكهة • وتتجاهل قطعان الثيران التي تنتشر عند السفوح والرزق تحت حوافرها لا ينضب •• وتنسى البشر الرحل والمقيمين ، من أبناء قبائل الهزارة ذوي الاصل المغولي •

في مزار شريف

وعبر العصور ، كانت هذه المنطقة احد معاقل الفكر السني ، التي انجبت فقهاء وعلماء لا تزال أسماؤهم تحتل مكانة رفيعة في عالم الاسلام • فقد نشأ هنا الامام البخاري ، والترمزي ، وابو حامد الغزالي والسرخسي والبيهقي والنيسابوري •• وغيرهم كثيرون •

وحتى الان ، فان التعليم والثقافة الدينية

تشكل قيمة لم تهتز في افغانستان ، كما حدث في دول اسلامية اخرى كثيرة • فالكتاتيب والمدارس (والمدرسة بنطقها العربي تطلق على معاهد التعليم الديني فقط ، خارج العالم العربي) ، تنتشر في كل القرى والمدن •

ورجال الدين درجتان « الملا » ، وهو الذي تلقى تعليما دينيا متوسطا ، وهو من الشباب غالبا • ثم « المولوي » وهي المرتبة الاعلى ، التي لا يبلغها الا المتمرسون من كبار السن، أو الحاصلون على شهادات عليا من المعاهد الدينية في مصر والسعودية ، او كلية الشريعة في جامعة كابول ، التي يلتحق بها السنة فقط ، ولا يدخلها الشيعة•

وخارج المدارس والكتاتيب ، فكتب الفقه هي تراث مقدس تقتنيه العائلات وتتوارثه ومنها ينهل الكبار لتلقين الصغار وفي كل البيوت تقريبا ـ والاسرة هناك ما زالت على عهدها القديم ، الجد والابناء وزوجاتهم وأحفادهم في دار واحدة ـ يباشر الاجداد هذه المهمة •• بعد صلاة الفجر ، التي تحرص عليها الاسرة الافغانية ، يجلس الجميع حول الجد الذي يؤدي دور المعلم والعريف ، ويظل الجميع يتلون القرآن ثم كتب الفقه ، ويحفظون كلما أمكن •

واكثر التقاليد مرتبطة بالدين ، فالزواج مثلا يعكس هذا الارتباط الوثيق بالدين • فبعد أن يتولى الملا اجراء العقد تتم طقوس الزفاف التي تكاد تكون حفلا مليئا بالرموز الدينية • فثياب العروس ذات لون أخضر • التي يقال حتى عندنا أنها ثياب أهل الجنة ، ولا بد أن تخضب كفها الايمن هي والعريس باللون الاخضر ، ليكونا « من أهل اليمين » •• ويجلس الاثنان على مقعدين متجاورين ، ويقترب الراسان ويغطيا بقطعة من القماش ، ثم يدخلون عليهما مرآة متوسطة الحجم ليرى كل منهما وجه الآخر فيها ، اذ تفترض التقاليد المحافظة أن العريس يرى وجه عروسه لاول مرة اثناء الزفاف •• وبعد « ثبوت الرؤية »، يوضع مصحف شريف فوق المرآة ، حيث يفتح على أي صفحة ، ويقرآن معا ، رمزا للارتباط امام الله ، ثم ينكشف الغطاء ، وسط تهليل وتصفيق الجميع •• وبعد ذلك يبدأ الغناء الذي هو في الاساس مدائح نبوية وقصائد دينية • (بالمناسبة فان المهور عند الافغان عالية جدا • اذ يطالب الشخص العادي بدفع ما يعادل الفي دولار مهرا•)

لكن المشكلة أن الفكر الديني في افغانستان يتعامل مع مستوى من الاجتهاد والثقافة الدينية ، مر عليه قرون • وأن الرؤى المستنيرة في التفكير الاسلامي لم تعرف طريقها الى تلك البلاد في العصور الحديثة ، لسبب أو آخر •

وكانت نتيجة ذلك أن خلافات السنة والشيعة أخذت طابعا حادا في القرى البعيدة ، وهو أمر طبيعي في مجتمع تصل نسبة الامية فيه الى ٩٠٪، وتصل نسبة التعلق بالدين كما يراه المذهب الى الف في المائة ! وهي ذاتها الخلافات التي كان يدور حولها الجدل في العصر الاموي ، وتتركز في مسائل الاعياد وصلاة الجمعة والاذان وزواج المتعة ولكنها تزداد عمقا بين الاميين ، ومن بعضهم تكونت جماعة « الغالي » ، التي تستحل دم ومال السني ، أخذا بثار امير المؤمنين علي بن أبي طالب، أليسوا هم قتلته ، كما يقولون ؟ وبسبب مثل هذه التناقضات، صدر قانون كان مستمرا حتى عهد الرئيس السابق محمد داود ، يحظر تولي المناصب العامة على اتباع المذهب الشيعي •

ورغم أن هناك تيارات اسلامية متحركة عند الجيران ، باكستان والهند على الاخص ، الا أن هذه التيارات لم يمتد تاثيرها الى افغانستان ، بسبب العزلة السياسية والطبيعية التي عاشت في ظلها (الجبل مرة اخرى) !

وفي النهاية ، فقد أصبح الشرع هو ما يقوله الملا ، وهو اعتبار يضرب في عشرة ، اذا كان القائل هو المولوي •

وقد قال لي بعض أساتذة كلية الشريعة في جامعة كابول انهم يلاقون صعوبات شديدة من جراء هذا الفهم • وعلى حد تعبير أحدهم فانه « اذا قلت لهم قال الله وقال الرسول ، فان البعض يرد ، ولكن الملا قال » ؟ !

واذا اقتنع الواحد من هؤلاء بما يقوله الاستاذ، فانه يعقب صراحة بانه لا يستطيع أن يجهر برأي ما لم يعلنه الملا ، وانه سيكتم الراي في نفسه ، حتى يأذن الله ، ويأذن الملا !



مغارات هراة الست .. علامة هامة فى طريق شرق افغانستان

وإذا أضفنا الى هـذا العنصر الفكرى ذلـك العنصر النفسى الذى يؤرق مسلمى هذه المنـاطق البعيدة ، وأعنى به « الخوف » من الذوبان فـى البحر الأسيوى الواسع والمتلاطم الامواج ، حيث تنتصب أفغانستان فى وسط دول كبرى غير مسلمة، مثل الاتحاد السوفيتى والصين والهند ، خصوصا تجربة المسلمين « السوفييت » الذين يعيشون فى المناطق اللصيقة بحدودهم (مسلمو جمهوريـات أوزبكستان وكازاخستان وتركمانستان وغيرها) . أقول اذا أضفنا هذا العامل النفسى، فاننا نستطيع أن نفهم تشدد مسلمى أفغانستان فى التعـلق بالاحكام الدينية ، والمبالغة فى تنفيذها .

وتجسد قضية المرأة هـذا الموقف . فقد كانت ممنوعة من الخـروج الى العمـل حتى عام ٥٩ ، عندما كسرت الدولة هذا الحظر مستخدمة سـلاح القانون . ثم أن الحجاب (الشودرى) الذى لا يكشف من المرأة حتى الوجه والكفين ، هو الزى السائد فى كل القرى الافغانية ، رغم ان قرارات تشغيل المـرأة سمحت لهـا فى الوقت ذاته بالتحلـل من الحجاب .

وقد كلفت هذه القضية الملك أمان الله خان عرشه . اذ كان الرجل شديد الاعجاب فيما يبدو بكمال أتاتورك ، فقـرر أنه لا سبيل الى تقـدم افغانستان الا التشبه بالغرب . وليته أخذ مـن الغرب بعض فكره المتقدم ، ولكنه بـدأ بالزى ، أى بالشكل ، وهذا هو الأسهل . فبدأ بنفسـه وأسرته ، وسافر الى رحلة خارجية فى عام ١٩٢٨، بدأها بزيارة مصر ، حيث ظهرت زوجته « ثريا » سافرة لاول مرة ، وخرج هو على الناس لابسـا قبعة !

لكن الادهى من ذلك انه ذهب الى الجامع الازهر ليلتقي بعلمائه والقبعة فوق رأسه ، ويعلق على هذه الواقعة راويها الامير شكيب أرسلان ، قائلا « فبعد ان كان العلماء قد اجتمعوا هناك اعظاما بقدومه ، عندما شاهدوه آتيا بالقبعة انصرفوا متمنزين » .

وصلت انباء وصور أمان خان وزوجته الى كابول ، مما كان سببا في ثورة العلماء والقبائل عليه بعد عودته ، الامر الذي دفعه الى الهرب من العاصمة للاحتماء بأسرته في قندهار ، ثم « فر بالطيارة الى الهند بتعبير الامير شكيب ، ومنها الى روما » ولم يشفع للرجل كل ما قدمه من أعمال جليلة لبلاده ، من فوزه باستقلالها ، الى استقرار داخلي واصلاحات كثيرة .

ويذكرنا ذلك بما رواه ابن بطوطة عن زيارته لهراة، اذ قيل له ان أهل المدينة « تعرفوا ان بدار الملك حسين ـ مليكهم ـ منكرا ، فاجتمعوا لتغييره، وتحصن منهم داخل داره . فاجتمعوا على الباب في ٦ آلاف رجل ، فخاف منهم ، فاستحضر الفقيه وكبار البلد . وكان قد شرب الخمر . فاقاموا عليه الحد بداخل قصره ، وانصرفوا عنه » .

اي انهم جلدوا الملك ثمانين جلدة ، او اربعين على احسن الفروض ، اخذا برأي الشافعية !

وبهذه الغيرة الشديدة على الاسلام ومقدساته ، لم يتردد أهل قندهار في قتل جندي انجليزي دخل الى صحن مسجدهم الكبير بحذائه ، الامر الذي ادى الى ابادة ٤٠٠ من الافغان ، في حملة انتقامية وحشية جردتها قيادة الجيش البريطاني على المدينة .

فرسان ثروتهن الماعز

لكننا نكاد نظلم الحقيقة اذا اعتبرنا « مزار شريف » هي وجه الاسلام في افغانستان ، أو حتى رمز له ، ونصبح أكثر انصافا اذا اعتبرنا المدينة والمزار مجرد « مناسبة » لطرق هذا الموضوع .

ينطبق ذلك أيضا على « نورستان » ، التي كانت « كفرستان » ، وكان تغيير الاسم هو اعلان عن الانتقال من البوذية الى الاسلام كما قلت .

لكن الوصول الى نورستان بمثابة مغامرة جديدة، اذ لا يكفي ان تقطع السيارة ٣٥٠ كيلومترا في اتجاه الشمال الشرقي لكابول ، وفوق طرق يعتبر شقها وسط الغابات والجبال الصخرية من قبيل المعجزة بل لا بد من ركوب البغال بعد بلوغ مدينة « عرمر » الرئيسية هناك . اذ أنها مع الجياد تعد وسيلة المواصلات الوحيدة التي يمكن ان تتعامل مع الارض الوعرة المليئة بالاحجار والمزالق. خصاصا وان قبائل نورستان تعيش في خمسة اودية ولها خمس لهجات محلية مختلفة .

وربما كانت العزلة التي فرضت على هذه القبائل ، طوال قرون اعتناقهم للبوذية، واعتبارهم كفارا من جانب جيرانهم المسلمين .. هذه العزلة خلقت انماطا متميزة للمجتمع النورستاني فهم الوحيدون في افغانستان ـ مثلا ـ الذين يسكنون في بيوت من الخشب ، بينما بيوت الآخرين من الطين. وهم الذين بدأوا بصناعة الاثاث، المقاعد والارائك بوجه خاص . وموسيقاهم تنفرد بذوق مختلف تماما عن بقية المقاطعات . ثم ان نساء النوريين ينفردن بان زيهم الاساسي ليس الشودري ، بل ثياب سوداء مستطيلة ، وعصابات تحيط بالرأس . وينفردن بتلك الظلال الحمراء اللاتي يضعنها فوق الجفون والكحل في العيون .

ولانهم من اشد المقاتلين مراسا منذ الزمن القديم، فقد ضم الاسكندر المقدوني أعدادا منهم الى جيشه .

وقد قيل لنا ان انخراط اجداد اجداد النوريين في جيش الاسكندر ، تجاوز مسألة الحرب الى حالات تزاوج بين الطرفين افرزت في بعض الاسر سلالة ذات « مواصفات » مختلفة . ورأينا « عينات » من هذه السلالة في شوارع بلدة « كاهديش » ، اذ كانت حلقات الشاي تضم وجوها ملفتة للانظار ، من ذوي الشعر الاشقر والعيون الخضراء .

وكان ملاحظا في القرية أن الرجال يسترخون في حلقات الشاي هذه ، بينما النساء منتشرات على السطوح وفي الحدائق . كل امرأة تحمل فوق ظهرها سله من القماش او الخوص ، تجمع فيها العنب والبرقوق .

وجاء الرد ـ عندما تساءلت عن الظاهرة ـ أن رجال النوريين وظيفتهم الاساسية هي الصيد

والقتال ، والانطلاق بالجياد وسط اشجار البلوط الكثيفة فى الغابات هو هوايتهم وصنعتهم الوحيدة .

غير أن هذا المجتمع الذى يعشق القتال والصيد ويعتبرهما الوظيفه الوحيده التى تليق بشجاعه ومقام الرجل ، يعتبر الماعز ثروه ماليه ضخمه . ومركز الرجل الاجتماعى يقدر بعدد رؤوس الماعز التى يمتلكها .. بل ان مهر العروس او ثمن البيت وحتى البندقيه ما زال يقيم بالماشية !

أكبر نسبة من الرحّل

وأيا كان الاتجاه فى الشمال ، فان العين لا تستطيع بأى حال ان تحصى جبال هندوكش ـ اذ كيف تحصيها والراحل الى الشمال اما ان يكون راكبا لبعض قمم هذه الجبال ، أو مخترقا سفوحها ووديانها ، أو مشدودا الى تلك العمائم الثلجية البيضاء التى تتربع فوق القمم العاليه والبعيدة ، ويقال أن هندوكش معناها « قاتل الهنود » ويقال ايضا ان ماركو بولو مر بهذه المناطق فى رحلته الشهيرة الى الصين فى القرن الثالث عشر .

وإذا اعتبرت جبال هندوكش رمزا للقسوة الطبيعية وتجهمها ، الا ان هذه الجبال لها وجه آخر ، يتسع لها ، ويبدو بعضا من جمالها . فبينها تتمدد اوديه عديده ، مليئه بالخضر والفاكهة التى تغطى مساحات شاسعة من الارض ، فى الشتاء تحمى الجبال زراعات هذه الوديان من الرياح الثلجية العاتيه ، وفى الصيف تزدهر الحياه وتتفتح ازاهير الاشجار ، وتزحف جماعات الرعاة .

ومن الحقائق التى تلفت النظر فى افغانستان ان حوالى ٥٣٪ من السكان يشتغلون بالزراعة ، و ١٨٪ يشتغلون بالاعمال اليدوية ، و ٢٠٪ من البدو الرحل ، والباقون موزعون على قطاعات الخدمات . وهذه التقديرات التى يسجلها تقرير البنك الدولى الذى صدر هذا العام تعنى أن فى افغانستان أعلى نسبة من البدو الرحل فى العالم كله . اذ لم يعد هناك بلد يظل خمس سكانه فى ترحال دائم طوال العام ، هربا من الثلوج مرة ، وبحثا عن العشب مرة اخرى وتجنبا للامطار فى مرة ثالثة !

وفى الربيع لا تجد تلك القبائل الراحلة مستقرا لها أفضل من وديان جبال هندوكش ، اذ تجد قطعان ماشيتها كل ما تشتهيه ، ويجد البشر كل ما يعوضهم عن معاناه الشتاء ، وبسبب كثرة المراعى ، فان افغانستان من أوفر البلاد فى الماشية ، اذ تقدر ثروتها من الابقار بأكثر من ثلاثة ملايين رأس ومن الماعز عددا مماثلا ، ومن الاغنام حوالى مليون رأس .. وذلك يؤدى الى وفرة من نوع آخر فى الجلود وكافة انواع الفراء ، وهى سلع تجد سوقا رائجه فى المدن التى يطرقها السياح ، وكابول فى مقدمتها .

على ان الاهم من هذا كله ان اقتصاد افغانستان الزراعى يقوم اساسا على نتاج تلك الوديان الممتدة بمحاذاة سلاسل جبالها الشاهقة ، والقمح على رأس محاصيل هذه الاراضى يعده تجىء الذرة والارز والشعير ، بينما يحتل انتاج الفاكهة والخضراوات موقعا ممتازا ، يغطى احتياجات السكان ويفيض .

وطريق الشمال يؤدى الى مدينتين لكل منهما معالمها البارزة . واحدة تطل على المستقبل ، والاخرى لها ماض ! وبالمناسبة . فان هذا الطريق بناه السوفييت ، كما ان الامريكان هم بناة طريق الجنوب ، وكلما اقتربت من الشمال اقنعتك الشواهد بانك تتجه الى الحدود السوفيتية .. السيارات السوفيتية بكافة طرزها على الطريق ، والجرارات السوفيتية فى المزارع ، والبضائع السوفيتية فى المحال التجارية .. حتى العارفون باللغة الروسية يتزايدون .

ومدينة المستقبل هى « پول خمرى » ، التى تتركز فيها صناعة النسيج ، وتعد مع الاسمنت الصناعتين الوحيدتين فى افغانستان . وحولها ظهر الغاز الطبيعى ، كما أن هناك تنقيبا عن البترول حولها ، ويقال أن الامل كبير فى التوصل الى نتائج ايجابية ، على اعتبار أن تلك المنطقة امتداد جيولوجى لمناطق البترول فى جنوب الاتحاد السوفيتى .
اما مدينه الماضى فهى « بلخ » ..

بلد له ماض

وكان اسمها باكتريا فى الزمن القديم ، عندما وفد عليها الاريون (والارى هو النبيل) من سهول تركستان واسسوا دولة لهم باسم اريانا ، استقرت

وازدهرت ، وخرجت منها جماعات الاريين التي اتجهت الى فارس وشمال العراق واوروبا .

وعندما جاء الاسكندر الاكبر اتخذ منها مقرا له .. وعندما صارت عاصمة لدولة خراسان ، كان اسمها « بلخ » حتى خربها « تنكيز اللعين ـ يقول ابن بطوطه ـ وهدم في مسجدها نحو الثلث ، بسبب كنز ذكر له انه تحت سارية من سواريه ، وهو من احسن مساجد الدنيا وافسحها » .

وبعد غارة تنكيز اللعين ، لم تقم للمدينة قائمة .

وفي ظل ازدهار الحكم الاسلامي بخراسان ، كانت بلخ وسمرقند وقندهار ودهلي ـ كما كان ينطقها العرب القدامى ـ مدنا تنافس بغداد ودمشق والقاهرة .. وفي تلك الفترة ، انجبت واحدة من اشهر الشاعرات هي رابعة البلخي ، وابرز شعراء الصوفية جلال الدين الرومي .

لكننا نقع في خطأ كبير ، اذا شغلنا الاثر عن البشر في مناطق الشمال .. فهذه بلاد قبائل الطاجيك والتركمان اكثر القبائل ديناميكية وانتاجا . ذلك ان ثروة وسمعة افغانستان في السجاد ـ مثلا ـ خرجت من هذه المناطق ، واذا كانت بنات التركمان الروميات ـ قد عرفن في بعض مراحل التحلل في التاريخ الاسلامي بانهن « انفس الرقيق » ، كما ذكر ابن حوقل ، الا ان لهؤلاء الفتيات قيمة اخرى الآن .. اذ ان ارق واجمل انواع السجاد الافغاني تخرج من مناطق التركمان ، وبنات هذه القبائل ينسجن داخل بيوتهن كميات كبيرة من السجاد التي يتخاطفها السياح والاثرياء ، وتباع باسعار عالية .

غير ان ملاحة بنات التركمان ما زالت لها اصداؤها . فاغنياء الافغان القادرون على مواجهة اعباء الزواج والذين ينتشر بينهم تعدد الزوجات ، يحرصون على ان يقتني الواحد منهم بين زوجاته واحدة « رومية » .

ومع ذلك لا تكاد تدخل محلا تجاريا في كابول او قندهار الا وتجد فيه قطعة من بلاد الطاجيك والتركمان ، من السجاد الى الجلود والفرو الى الحلي وادوات الزينة الى العقيق والاحجار الكريمة .

على انه بقدر عطاء هذه المناطق ، فان « الاخذ » الذي تجنيه محدود للغاية . وبعدها عن قلب افغانستان جعلها اكثر تخلفا ، وبالتالي ، اكثر اقترابا من عوالم القرنين التاسع عشر والثامن عشر .

وكل ما قلناه عن تخلف حياة البشر في الجنوب نستطيع أن نكرره حرفيا ، ونضيف اليه الكثير في الحديث عن الشمال . فالامية منتشرة بنفس النسبة ، ومنظر حلقات « الكتاب » في مزار شريف التي يلتف فيها رجال القبائل حول الجالسين بالاقلام والاوراق ، يملون عليهم الرسائل الى الاهل والخلان ، هي ذاتها التي رأيناها في كابول وقندهار وهراة . ومشكلات تخلف التفكير الديني طبق الاصل مما لمسناه في الجنوب .. وامراض الملاريا التي تقتل الكثيرين من الاطفال ـ ويعزون اليها سبب النمو البطيء في عدد سكان افغانستان نتيجة لان الوفيات اكثر من المواليد ـ مع حصى الكلى الذي هو محنة الكبار .. هذه الامراض لا تخلو منها قبيلة او قرية .

والمرافق الفقيرة للغاية ، التي تكاد تنحصر في شبكات المياه والانارة التي تغطي المدن وبعض القرى القريبة منها ، هذه القاعدة لم يشذ عنها سوى الطرق ، التي تم شق ما هو اساسي منها ، ربما لاسباب عسكرية واقتصادية اساسا ..

هنا ، وقف الجبل عاجزا عن التأثير والحيلولة دون تماثل هذه الاوضاع ، فلم يؤد دوره التقليدي كجدار عازل ، لان التخلف ملة واحدة !

وامام هذا كله ، يكاد الواحد منا يشعر بالخجل ، لان مشقة الطريق ومشاهد الرعب التي مررنا بها ، اصابتنا بالضجر احيانا ، والاستياء احيانا اخرى وبينما كانت هذه المشاعر تستغرقنا وتستولي علينا ، نسينا أن هذا الذي نكاد نمتعض له في رحلة ايام معدودة ، هو نمط حياة يومية لملايين من البشر . وجميعا يحتملون قسوة الظروف الطبيعية والمعيشية ، ويتعايشون معها برضا وربما بحب . وكما النمل ، من امكانيات منعدمة ، وبصبر ودأب شديدين ، ينحتون في الصخر بلادهم .. ويغسلون همومهم في حلقات الشاي ، وحلبات « البوزكاشي » !

معذرة اذا كنت قد اخطأت في حقهم مرة ثانية .

وأرجو أن يشفع لي انني اتكلم من داخل البيت وليس خارجه ..

الست من عربستان ؟؟

■■

فهمي هويدي

نزهة العقل الذكي بأبهى وأبدع

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. أما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري أن يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

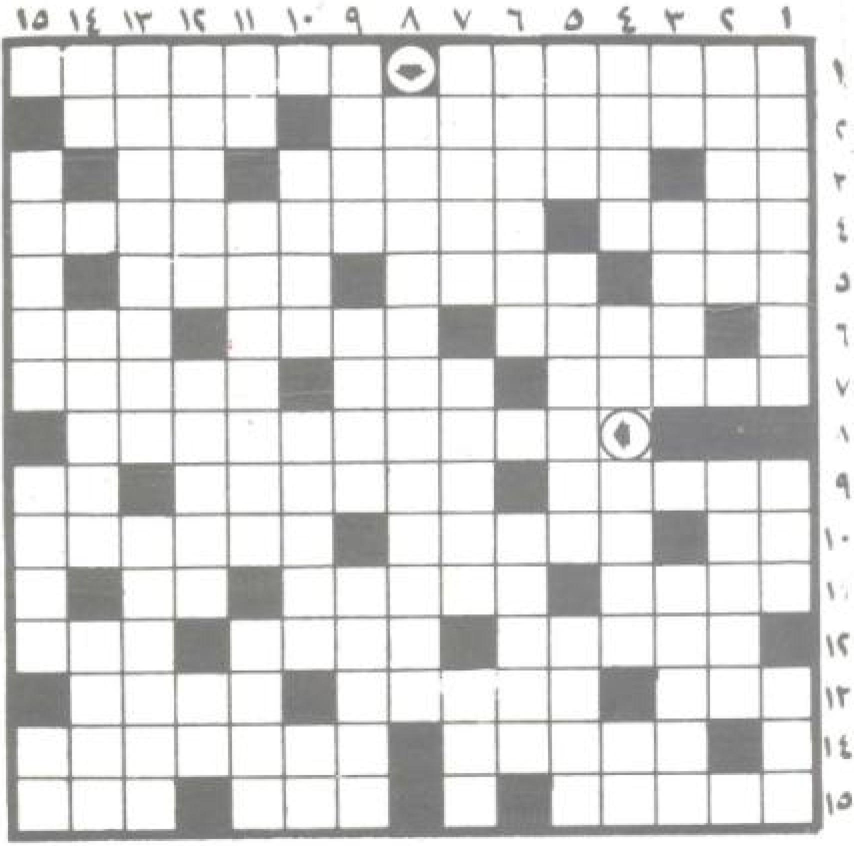
ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٣٨ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٧٨ .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم فاتح الاندلس ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم جحا التركي .

كلمات أفقية :

(١) من اللغات القديمة ـ قديسة أورليانز .
(٢) شاعر عربي معاصر معروف ـ دولة افريقية .
(٣) طقس ـ استقبلوا الرسول عند هجرته ـ نصف كلمة (نبيل) .
(٤) في الصلاة ـ شاعر انجليزي معروف حارب مع اليونانيين ضد الاتراك .
(٥) خشي ـ لماذا ـ يلعب .
(٦) يذيع ـ في فريق الكرة ـ طل .
(٧) سلاح حربي قديم ـ تجمعات سكانية ـ قصار القامة .
(٨) فاتح الاندلس .
(٩) قطر عربي ـ أغاني ـ للنداء .
(١٠) نصف كلمة (باند) ـ ولد الطائر ـ أهدافه .
(١١) الكثيف ـ فظائع ـ اصلح .
(١٢) في الجهاز الهضمي ـ من اجزاء الراس ـ ظبي .
(١٣) عنف ـ ينافق ـ تلعب بها الصغيرات .
(١٤) من أماكن الترفيه ـ قرصان انجليزي مشهور .
(١٥) من الامراض ـ طرق ـ أغراض .



كلمات رأسية :

(١) جزر على البنكرياس تفرز الانسولين ـ من سور القرآن الكريم ـ تـلا •

(٢) الملك الهندي الذي تكفل بنشر البوذية ـ صاحب نظرية للتطور عاصر داروين •

(٣) نصف كلمة (تارة) ـ ثقيل ـ قوله •

(٤) قلم ـ نصف كلمة (عائم) ـ يخطيء ـ حرف نفي •

(٥) تغيير الموضع ـ حزب بريطاني ـ عملة عربية •

(٦) يهتمون ـ منفعة •

(٧) عاصمـة آسيويـة ـ فلكـه ـ حـرف استفهام •

(٨) جحا التركي •

(٩) حيوانات ـ اخبر ـ من الاشجار •

(١٠) من الفصول ـ نملاء ـ جوهر •

(١١) كشف ـ دولة اوربية ـ صوت الحمام •

(١٢) في متناول اليد ـ من المعادن ـ حرفان متشابهان •

(١٣) عصر يقع قبل الميلاد بالفي سنة ـ من القارات •

(١٤) مقام موسيقي ـ اخفيت ـ معروق •

(١٥) قراءة المستقبل عن طريق النجوم ـ اسكن ـ حيوان قطبي •

كوبون مسابقة العدد ٢٣٨

مكتشف النشــاط الاشــعاعى للراديوم

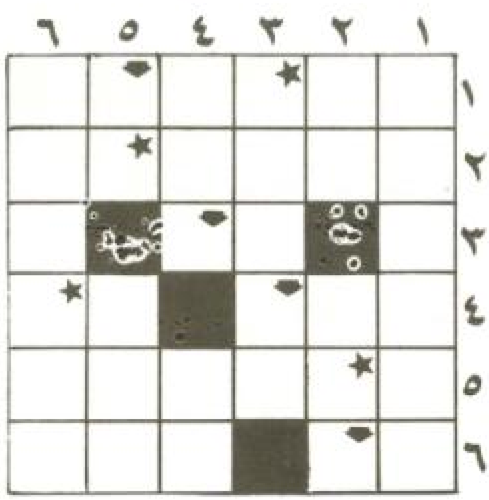
ابـدأ أولا بحـل مسابقة الكلمـات المتقاطعة ، بعد ذلك انقـل الحـروف التى فى المربعـات التى بهـا الاسم ،ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول للعالم الـــذى اكتشف النشـاط الاشعـاعى للراديوم . ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه .

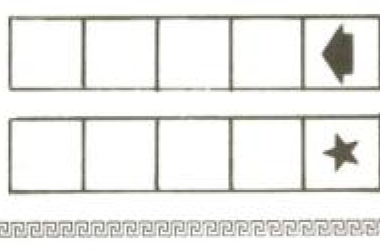
الكلمات الافقية :

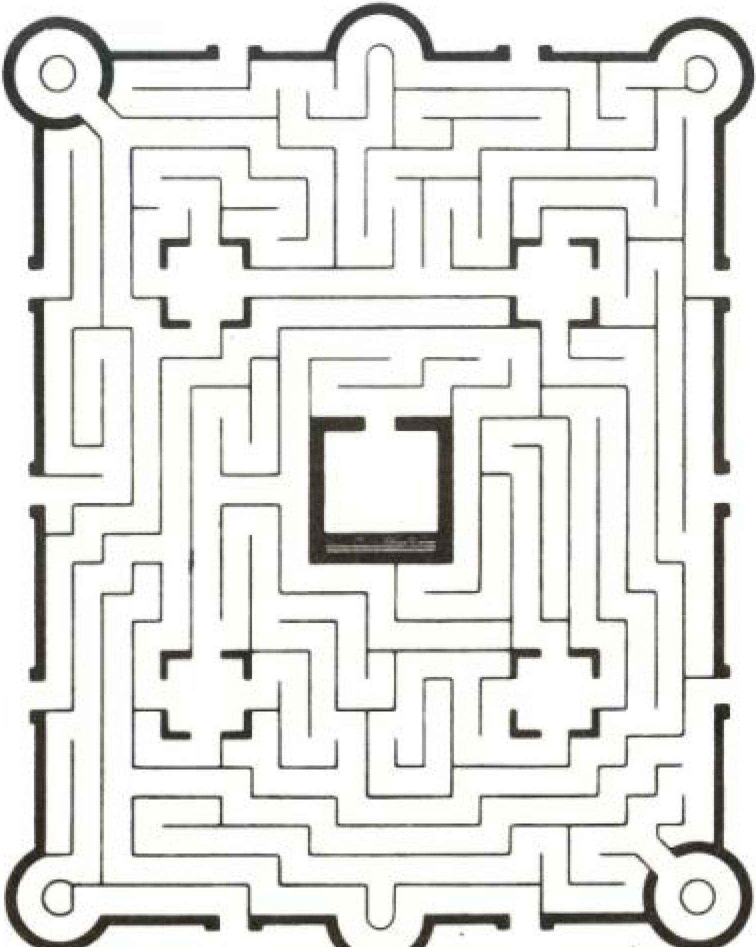
(١) قطر عربى .
(٢) جسيم موجب الشحنة فى الذرة .
(٣) حرفان متشابهان .
(٤) موت ـ من وسائل العلاج الشعبى القديم .
(٥) فى الجهاز الدورى .
(٦) حيوان قطبى ـ صفح .

الكلمات الرأسية :

(١) من اشهر فلاسفة العرب بالاندلس .
(٢) نصف كلمة (هتلر) ـ طريق .
(٣) دولة آسيوية .
(٤) فى العود ـ نصف كلمة (منيع) .
(٥) نصف كلمة (يوسف) ـ للاستفهام .
(٦) تنقذنا .







السجين الهارب

كان السجين محبوسا فى الحجرة الوسطى من هذا المبنى الغريب .. ولم يعمد الحراس الى اغلاق باب حجرته ، أو اى باب آخر فى المبنى .. فهم يعرفون انه لن يستطيع ان يخرج من هذه المتاهة ، الا اذا عرف ممرات هذا المبنى.

وذات يوم بينما كان السجين يتخبط فى سيره بين هذه الممرات المعقدة ، وجد نفسه بالقرب من احدى حجرات الحراس ، وسمع احدهم يلقن الحارس الجديد سر الخروج من المبنى ، ثم قال له « قد لا تكون هذه هى أقصر الطرق الى الخارج لكنها اقربها الى الذاكرة » .

فهل تستطيع أن تعرف هذا السر ، الذى اعطى السجين حريته ؟

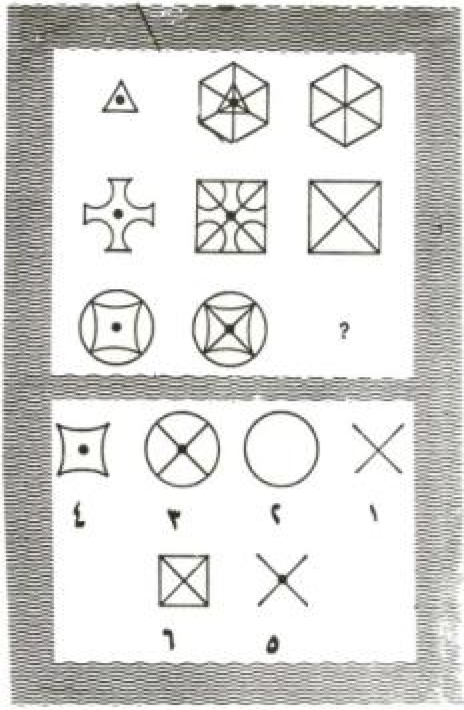
● بالعقل فقط ●

● استاذ نبيه يسأل ●

هل تعرف عملة جوز الهند ؟

كنت أزور قبيلة من قبائل الشاطىء الافريقي ، عندما التقيت بابناء قبيلة ويجي • وقد تعجبت للطريقة التى يتعاملون بها ، ورحت اراقبهم لاعرف سر هذه الطريقة وجدتهم يعتبرون ثمن الرمحين موازيا لثمن ثلاث سنارات لصيد السمك وسكين • كما وجدتهم يقدمون ٢٥ ثمرة جوز هند للحصول على ثلاثة رماح وسكينين وسنارة صيد واحدة •

فهل تستطيع أن تعرف كم ثمرة من جوز الهند يساوى كل من الرمح وسنارة الصيد والسكين ؟ •



الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أى الاشكال ذات الارقام يمكن أن يحل محل علامة الاستفهام ••

الحلول

النجمة والسهم :

بيير كورى

★ ★ ★

متاهة :

السر هو أن تدور مرتين متتابعتين الى اليسار ، ثم مرة الى اليمين ، وتكرر هذا حتى تصل الى الباب الايمن فى الحائط العلوى • والقاعدة تنطبق فقط عندما يكون هناك خيار بين اكثر من طريق •

★ ★ ★

استاذ نبيه يسأل :

سنارة الصيد = ثمرة جوز هند ، السكين = ٤ ثمرات ، الرمح = ٥ ثمرات •

★ ★ ★

الشكل المطلوب :

رقم ١ •

سبعة اسباب

● قال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول اللهصلى الله عليه وسلم : سبعة اسباب يكتب للعبد ثوابها بعد وفاته : رجل غرس نخلا او حفر بئرا ، او اجرى نهرا او بنى مسجدا او كتب مصحفا ، او ورث علما ،او خلف ولدا صالحا يستغفر له بعد وفاته .

★ ★ ★

الناس والخير

● الناس في الخير اربعة اقسام : منهم من يفعله ابتداء، ومنهم من يفعله اقتداء،ومنهم من يتركه حرمانا ، ومنهم من يتركه استحسانا . فمن فعله ابتداء فهو كريم ومن فعله اقتداء فهو حكيم ، ومن تركه حرمانا فهو شقي ، ومن تركه استحسانا فهو ولي .

علمه ليسوّده

● قال الشعبي : « دخلت على الحجاج حين دخل العراق فسألني عن اسمي فاخبرته ، ثم قال : « يا شعبي ، كيف علمك بكتاب الله الكريم ؟» قلت : «عني يؤخذ » قال : «كيف علمك بالفرائض ؟ قلت : « الى المنتهى فيها » . قال : « كيف علمك بانساب الناس ؟» قلت : « انا الفيصل فيها » قال « علمك بالشعر ؟ » قلت : « انا ديوانه » ، فقال: الحجاج « لله ابوك ياشعبي»

ثم انه فرض لي اموالا ، وسودني على قومي فدخلت عليه وانا صعلوك منصعاليك همدان وخرجت وانا سيدهم».

★ ★ ★

لو أكثرت من النساء

● قيل للاسكندر الاكبر : لو اكثرت من النساء حتىيكثر نسلك ويحيا اسمك ؟ فقال: انما يحيي الذكر الافعال الجميلة والسيرة الحميدة ولا يحسن بمن يغلب الرجال ان تغلبه النساء .

كيف تستدل على عقل الرجل

● يستدل على عقل الرجلبامور متعددة منها ميله الى محاسن الاخلاق واعراضه عنرذائل الاعمال ورغبته في اسداء صنائع المعروف وتجتبهما يكسبه عارا ويورثه سوء السمعة .

وقد قيل لاحد الحكماء» كيف يعرف عقل الرجل ؟ »

فقال : «بقلة سقطه فيالكلام ، وكثرة اصابته فيه » فقيل له «فان كان غائبا ؟ قال : باحدى ثلاث: امابرسوله واما بكتابه ، واما بهديته ،فان رسوله قائم مقام نفسه ، وكتابه يصف نطق لسانه ،وهديته عنوان همته. فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها .



ابتكرنا Mothercare خصيصاً لطفلك ...



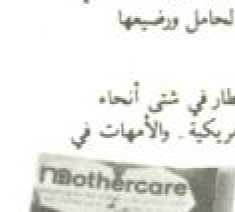


ولكِ ... ولهم .

Mothercare-by-Post تقدم لك كل شيء.

Mothercare تتخصص على نطاق عالمي في كل ما تحتاج إليه الأم الحامل ورضيعها وأطفالها حتى سن العاشرة .

لدينا ٣٢٦ محلا في ١٠ أقطار في شتى أنحاء أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية . والأمهات في بلادك وفي ١٣٠ قطرا آخر يتعاملن مع Mothercare عن طريق الكتالوج .



كل ما تحتاجين إليه لكي تستفيدي من Mothercare هو التسوّق من Mothercare-by-Post قصّي الكوبون أدناه وأرسليه فورا .

سوف نرسل إليك مجانا كتالوجنا الملون الذي يقع في ٢٢٨ صفحة ، مع استمارة الطلب ونشرة تفسيرية باللغة العربية . وعندما تتصفحين الكتالوج ، ستعرفين مدى ما يمكننا أن نقدمه لك . ملابس الحاملات . لوازم الحضانة وتنظيف الأطفال . ملابس الرضعاء والأطفال ولعبهم . عربات الأطفال . فرش الأسرة . مجموعة كبيرة من مستلزمات الأمان التي تظهر حرص Mothercare الدائم على الأمان ودقة التصميم .

أسعار معقولة للغاية . واذا كان هناك ما لا يحظى برضائك ، فسنعيد اليك نقودك بسرور.

بادري بطلب نسختك المجانية من الكتالوج .

ستكتشفين مئات الأفكار من Mothercare التي تجعل الحياة أسهل وأكثر مرحا لك ولأطفالك حتى سن العاشرة .

مجاناً

ليسرنا أن ترسلوا لي الآن الكتالوج الملون الجديد لفصلي الخريف والشتاء، الذي يقع في ٢٢٨ صفحة

الى : Mothercare Limited,
P.O. Box 145,
Watford, England.

الاسم : ....

العنوان : ....

....

القطر : ....

(الرجاء كتابة البيانات بحروف منفصلة باللغة الانجليزية)

RC

Mothercare-by-Post

إحصل على شهادة الدراسة العامة البريطانية من أكسفورد

حتى تدخل الجامعة أو تحصل على وظيفة محترمة

هل ترغب في الالتحاق باحدى جامعات بريطانيا ، مثل أكسفورد أو كامبردج ؟ أو هل ترغب في الحصول على وظيفة محترمة ؟

اذا كنت كذلك فان كلية St. Aldates في أكسفورد توفر لك الدراسة المتخصصة التي تمكنك من الحصول على شهادة الدراسة العامة البريطانية ـ المستوى المتقدم G.C.E. A-Level مما يفتح لك الباب لدخول الجامعة أو الحصول على وظيفة محترمة .

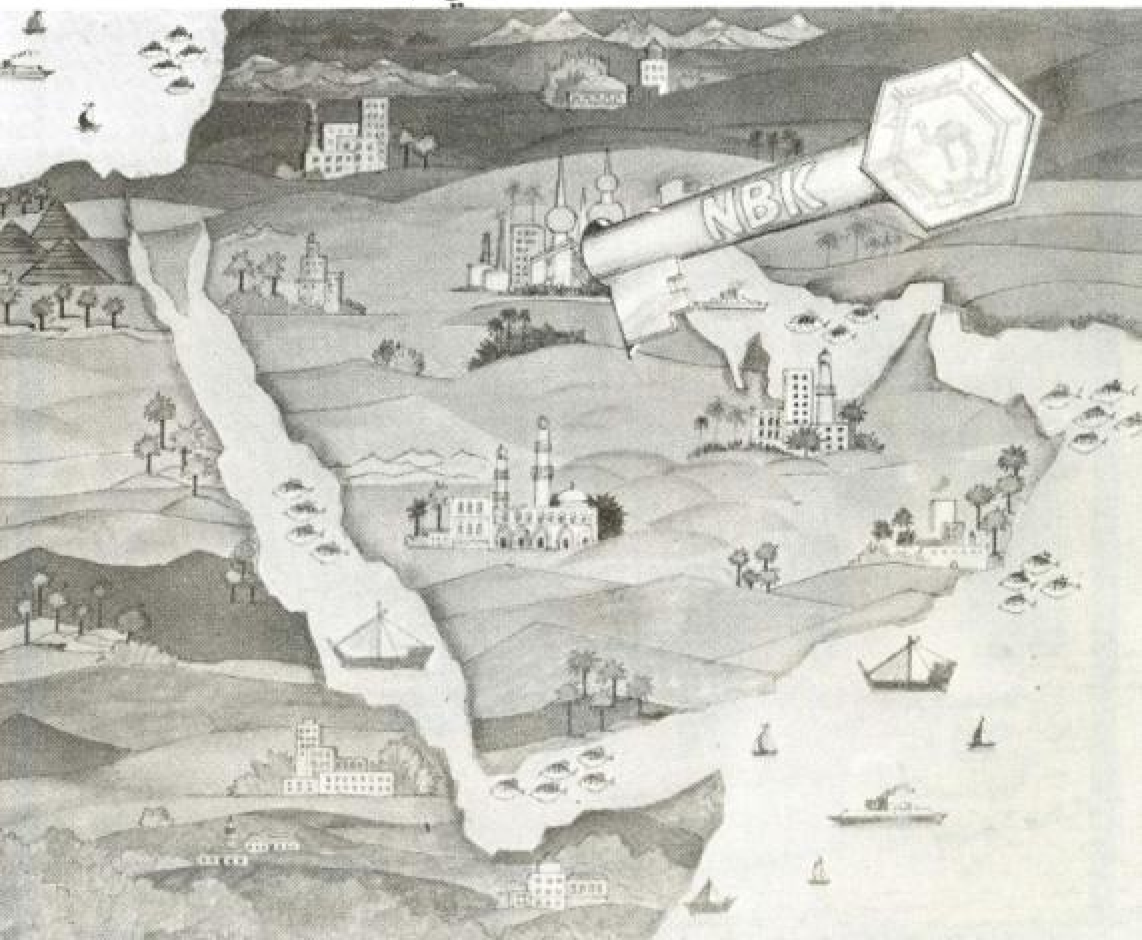
ان كلية St. Aldates من أشهر كليات أكسفورد المتخصصة في الاعداد للمستوى المتقدم من شهادة G. C. E. كما تتولى مسئولية التحضير لامتحانات هذه الشهادة لدى ثمانية مجالس بريطانية .

وبذلك تتمتع بميزة التعليم على ايدي أساتذة مختصين من أجل امتحانات تعقد في اجواء معروفة لك وللمراقبين الذين يتم اختيارهم من هيئة التدريس في الكلية .

يشترط في المتقدم لكلية St. Aldates أن يكون قد حاز على مؤهلات تعليمية تعادل المستوى العادي من شهادة G.C.E. بأربع مواد بما فيها اللغة الانجليزية وأن يكون عمره ستة عشر عاما أو أكثر .

اننا معنيون فقط بالطلاب الجادين . فاذا كان لديك استفسارات عن شهادة G.C.E. بمستوييها العادي والمتقدم، فاكتب الينا اليوم وبدون أي التزام ، ونرجو أن لا تنسى أن ترفق مع رسالتك ثلاثة كوبونات دولية من أي مكتب للبريد في بلدك لتغطية نفقات البريد وتغليف دليل الكلية .

St. Aldates College,
Dept. 1A57, Rose Place,
Oxford OX1 1SB,
England.



NBK


WEST END WATCH Co
W
SWISS
وست اند
ساعات العصر الحديث
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة - دولة الكويت
ص.ب : ٣٣٤ - تلفون : ٤٣٣٥٨٥



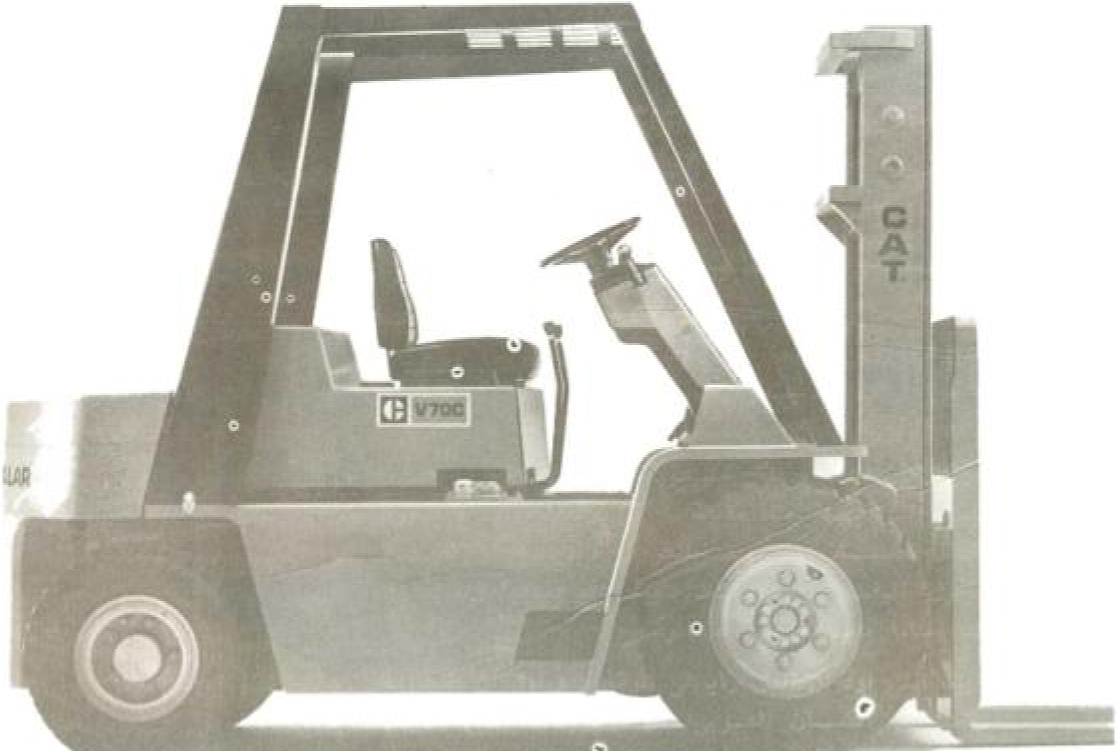
في جميع انحاء الشرق الأوسط

شركة المسيلة للتجارة
ص.ب ٢٧٠٢
صفاة، كويت
تلفون ٤٢٣٢٣١
تلكس ALMULLA 107496

عبد الرحمن الزياني واولاده
ص.ب ٣٢، البحرين
تلفون ٥٢٦٠٧
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

الشركة الاقتصادية. ش.م
١٨(ب) شارع ٢٦ يوليو، القاهرة
تلفون ٤٦٠٥٥
برقيا: زايداواجون القاهرة

الشركة التجارية الأردنية المحدودة
ص.ب ١٢٩
عمان، الأردن
تلفون ٥١٣٣١
تلكس TWAL JO 1311 AMMAN



فكّـــر...

إن سعر الشراء مهم ولكنه ليس كل شيء . فكر بكافة التكاليف التي تنفق طوال عمر الرافعة الآلية لكي تستطيع تقرير ما هو الأنفع لك . بتكاليف التشغيل بما فيها قطع التبديل والتصليح . كلفة ساعات التعطل عن العمل وتأثير التغير في السعر إذا رغبت ببيع الآلة .

تتصف رافعات الكاتربلر ببساطة الصيانة مما يضمن تنفيذها . فهي مصممة بحيث لا تتضمن إلا الحد الأدنى من نقاط الفحص ، وتجمّع هذه النقاط سوية كلما أمكن ذلك مما يحقق الوصول السريع اليها كلها . وهذا كله يوفر أموالك على المدى الطويل .

كما أنك لا تتعرض للخسارة أثناء انتظار وصول قطع التبديل أو نتيجة اضطرارك لتخزين هذه القطع . فموزعو كاتربلر يهدفون إلى توفير مخزون من القطع التي قد تحتاج اليها .

ويعني ذلك بالنسبة لك استثمار أموال أقل وتخفيض ساعات التوقف عن العمل .

وإلى جانب ذلك فان موزعي كاتربلر يقدمون برامجا خاصا يمنع تعطل الآلية عن طريق اكتشاف المشاكل المحتملة قبل حدوثها . وكل ذلك جزء من خدمات « كات بلص » . وهي برنامج الدعم الشامل المعد لمساعدتك لتحقيق أفضل مردود مما تنفقه من مال في استثمارك للعربات الرافعة .

فكر بالصورة الأجمالية قبل أن تتخذ القرار . الرافعة المناسبة ذات الكلفة الأجمالية المنخفضة .

يوجد ٤٦ نوعا مختلفا تتراوح قدراتها بين ١٠٠٠ و ٢٧,٣٠٠ كغ .

وهي تعمل على الكهرباء أو الديزل أو البنزين أو الغاز النفطي المميع .

أبو ظبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٤٤١ ، أبو ظبي ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٣٢٣٨٧ . البحرين : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٥٣٤٧ ، المنامة ، هاتف ٧١٣٦٠٧ . دبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ١١٧٠ ، العين ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٦٠٢٥٥ . الأردن : الشركة الأردنية للجرارات والمعدات المحدودة ، ص . ب ٣١٣ ، عمان ، هاتف ٢٨٣٦٣/٦٤/٦٥ . الكويت : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ١٥٨ ، الكويت ، هاتف ٨١٠٨٥٥/٥٦ . الجمهورية العربية الليبية : الشركة العامة لمعدات الزراعة والموارد الزراعية (مصنعنا) ، ص . ب ٣٢٤ ، طرابلس ، هاتف ٣٠٢٤٤ . فرع بنغازي ، ٩٢٣٩٩ . مصر : مانترك ، ١٨ شارع أمين فكري ، محطة الرمل ، الاسكندرية ، مصر ، هاتف ٣٨٩٤٣/٨٠٩٩٩٥ . عمان : شركة الزواوي للتجارة والمعدات ، ص . ب ١٠٠٢ ، مطرح ، مسقط ، هاتف ٢١٦٠ . قطر : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٢٦٧١ ، الدوحة ، هاتف ٢٥٩١٩ . المملكة العربية السعودية : شركة زاهد للجرارات والآليات الثقيلة المحدودة ، ص . ب ١٥٠٨ ، جدة ، هاتف ٧٦٣٦٦ . الفروع : الدمام - ٢٢٥٩٤ ، الرياض - ٢٨٥٦٨ . سوريا : عزت الخلاء وأولاده ، ص . ب ٢٣ ، دمشق ، هاتف ٥٥٠٣٣١ . ويوجد فرع في حلب . تونس : مؤسسة ب . جرجس ، ٩١ شارع قرطاجنة ، تونس ، هاتف ٢٥٦ ٥٧٢ . الجمهورية العربية اليمنية : شركة تهامة التجارية المحدودة ، ص . ب ٣٣٣٧ ، الحديدة ، هاتف ٢٤٠٦ . يوجد فرع في صنعاء .

CATERPILLAR

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

فصلية علمية تعنى بشؤون الخليج والجزيرة العربية
السياسية الاقتصادية الاجتماعية الثقافية العلمية

رئيس التحرير **الدكتور محمد الرميحي**

صدر العدد الأول في كانون ثاني «يناير» ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ٧٥,٠٠٠ قارئ

توزع في ٣٧ بلداً في أمريكا وأوروبا وآسيا وافريقيا

يحتوي كل عدد على حوالي ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير.. تشتمل على

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب.
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في النواحي المختلفة للمنطقة.
- أبواب ثابتة: تقارير وثائق يوميات بيبليوجرافيا.
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد: ٤٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج

الاشتراكات: للأفراد سنوياً ديناران كويتيان في الكويت / ٢,٥٠٠ دينار في البلدان العربية،
١٥ دولاراً أميركياً في الخارج - بالبريد الجوي -
- للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية: ١٢ ديناراً في الكويت / ٤٠ دولاراً أميركياً في الخارج

العنوان: جامعة الكويت / الشويخ ص.ب ١٧٠٧٢ هاتف ٨١٦٨٠٧ / ٨١٦٧٩٩ / ٨٢١٧٣٠

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول سبتمبر ١٩٧٨

١٠٨

• الحصان المغمى عليه
• الشركة

تأليف : فرنسواز ساجان

تقديم : محمود زمزم

ترجمة : رمضان لاوند

مراجعة : د. حمادة ابراهيم

فكّروا في البرامج الرائعة التي تفتقدونها لأن جهازكم التلفزيوني لا يعمل على نظامي بال/سيكام



CTP 6453

ولكن لماذا تفوتكم هذه الفرصة ما دامت سانيو تتحفكم بالمشاهدة على النظامين ؟ فأجهزة سانيو مزودة بامكانية التحويل الاوتوماتيكي وفقاً للبث المطلوب وما عليكم سوى الجلوس والاستمتاع بأجمل البرامج التلفزيونية بالألوان الطبيعية النابضة بالحياة، حيثما تكونون أو تقيمون.
يتوفر لدى سانيو أيضاً الموديل (CTP 6417U) الذي يعمل على نظام بال فقط والموديل (CTP 6487) الذي يعمل على نظام سيكام فقط. وجميعها تمتاز بشاشتها الكبيرة وحجمها الصغير من سانيو.

SANYO سانيو

العربي

العدد ٢٣٩
شوال ١٣٩٨
اكتوبر
(تشرين ١)
١٩٧٨





نحن هنا منذ البداية
لذلك يمكننا
ان نقدم لكم
افضل الخدمات
في عالمٍ متطورٍ، تعرّف على بنك الكويت الوطني فتثق به

عزيزي القارئ

عاد احد اساتذة الجامعات العرب من الولايات المتحدة الامريكية اخيرا ، مذهولا من سياسة تصدير الشباب العربى الى امريكا ، بغير حساب ، وبلا ضابط او رابط • شباب من كل الاعمار ، او صبية فى بعض الحالات ، يوفدون الى امريكا مبعوثين من حكوماتهم ، ليتعلموا اى شيء •• بدءا باللغة وانتهاء بشهادات الدكتوراه •

والنتيجة تتمثل فى مسلسل المآسي والانحرافات والصدمات النفسية الذى لاينتهى ، ثم فى تصاعد عمليات ابتزاز المال العربى الذى يصل ـ مثلا ـ الى حد مطالبة المبعوث العربى دون غيره بدفع رسوم خاصة لدخول مكتبة المعهد أو الكلية ، وأحيانا رسوم لدخول المقصف الذى يفترض ان ابوابه مفتوحة للجميع •• ذلك فضلا عن مضاعفة رسوم الدراسة الى عشرة اضعاف او يزيد ، للطالب العربى وحده •

يروى الاستاذ العربى ان احدى الدول العربية لها الان فى امريكا ٢٨ الف طالب ، وتدفع لكل واحد منهم الفى دولار سنويا • اى انها تكلف هؤلاء المبعوثين واغلبهم من صغار السن ٥٦ مليون دولار سنويا • وهذا نموذج واحد ، من دولة واحدة •

ترى ، لو ان عملية تصدير الشباب هذه خضعت لحد ادنى من المنطق ومن المصلحة • الا تنشيء ملايين العام الواحد جامعة عربية تستوعب الجانب الاكبر من هؤلاء الموفدين بغير مبرر • واذا كان هناك ـ ايضا ـ حد ادنى من المنطق والمصلحة ، الا تغطى ملايين العام الواحد احتياجات اكثر من جامعة عربية مقامة فعلا ، لتتمكن من تادية دور اكثر فعالية فى خدمة هذه الأمة سيئة الحظ •

أم أننا اخترنا أن لانرهن اموالنا فقط فى امريكا واوروبا ، بل نرهن شبابنا ايضا ؟ ؟ !

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

شخصيات :

قضايا حيوية :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 239 October 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● باقية ـ ما زالت قسمات الشخصية الفلسطينية رغممحاولات التعتيم والطمس والتشويه ، لا يزال الوجه الفلسطيني باقيا ، والتراث الشعبي الفني هو أحد هذه القسمات المحفورة في الاعماق الفلسطينية المطبوعة في الحياة اليومية للقرى والمخيمات الحزينة ، ان المحامية عبير طوقان تعرض نماذج من فنون التطريز الفلسطينية . (التفاصيل ص ٨٨)

استطلاعـــات :

علـم نفس :

ادب :

كتـــب :

فنـون :

متنوعـــات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢ر٥ دينار . المغرب ٢ر٥ درهم . اليمن ٢ر٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

استأذن القارىء في اخلاء « حديث الشهر » هذا العدد لهذا الموضوع الهام ، الذي يضيع علينا نحن العرب ـ كما سنرى في المقال ـ وقتا ثمينا نحن أحوج ما نكون اليه ٠

احمد بهاء الدين

ويسألونك عن.. الأفكار "المستوردة"!

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

منذ ان اصبحت الدعاية علما له اصول وقواعد مدروسة ، اخذت فنون الاقناع الحديثة تتبع أساليب متشابهة ، ترمي في نهاية الامر الى تشكيل العقول بطريقة تصبح فيها اكثر قابلية لتصديق مايلقى على مسامعها ، وأقل قدرة على اختبار مايقال لها واخضاعه لموازين النقد٠ومن اشهر هذه الاساليب واكثرها شيوعا ، تكرار التعبير الواحد عددا هائلا من المرات ، مع ربطه بالشحنة الانفعالية المطلوبة ، من استحسان او استهجان ، بحيث تقبله العقول آخر الامر مقرونا بالانفعال المطلوب ، دون أي فحص أو اختبار منطقي ٠

ومن اشهر التعبيرات التي اصبحت في الاونة الأخيرة تلقى على مسامعنا

ليل نهار، تعبير «الافكار المستوردة» وقد أفلحت أساليب الدعاية المنظمة في ربط هذا التعبير بشحنة قوية من الاستهجان، ونجحت في ان تجعل الكثيرين يرددونه دون ان يفكروا في معناه، ويستخدمونه كما لو كان شيئا منفرا بطبيعته كالكوليرا ، او شيئا يدعو بطبيعته الى الاستنكار ، كالاحتلال الاسرائيلي •

على انى ادعو القارىء ، فى هذا المقال . الى ان يشارك معى فى فهم وتحليل هادىء لهذا التعبير . أملا ان ننتهى منه سويا الى ان الأفكار المستوردة ليست ، على الاقل ، فى بشاعة الكوليرا او فظاعة الاحتلال الاسرائيلى •

ان «المستورد» فى الاصل صفة تتعلق بميدان التجارة ، والتجارة الخارجية بالذات ، تقال عن السلع التى لاتنتج فى بلد معين ، فيجلبها من بلاد اخرى . فالمستورد فى حقيقته شيء مادى نستجلبه مقابل اموال او سلع بديلة • والاستيراد يمارس يوميا فى ميدان الاقتصاد ، بحيث لايمكن القول ان مجتمعا من المجتمعات يستطيع الاستمرار بدونه • فليس هناك مجتمع مكتف بنفسه كل الاكتفاء ، وكل بلد فى العالم يصدر الى الآخرين ويستورد منهم ، ويتمكن بذلك من ان يضمن لنفسه حياة معقولة • ففي عالم الاقتصاد اذن ، اى فى المجال الاصلى الذى تستخدم فيه الكلمة، لايعد المستورد شيئا قبيحا او مرذولا ، بل هو ضرورة من ضرورات الحياة •

والنتيجة التى تخلص اليها من هذه المقدمة هى ان تعبير « الافكار المستوردة » تعبير مجازى ، ينقل الى ميدان الفكر لفظا ينتمى فى الاصل الى ميدان الاقتصاد والتبادل التجارى . وليس تعبيرا اصيلا يدل على صفة حقيقية فى الافكار ذاتها •ولو امعنا النظر قليلا لوجدنا ان هذا التعبير يجمع بين ميدانين متباعدين ، اذ يطبق على الافكار ، وهي بطبيعتها شيء معنوى ، صفة تقال فى الاصل على اشياء مادية • وامثال هذه المجازات التى تجمع بين اشياء تنتمى الى ميادين متباعدة كثيرا ما تكون مضللة، ومن الخطأ الكبير ان يتخذها المرء اساسا لموقف فكرى ثابت . لان من اسهل الامور ان يعترض المرء عليها ابتداء بقوله : من ادرانا ان كلمة « الاستيراد »يمكن ان تنقل ، بطريقة مشروعة ، من ميدانها الاصلى الى ميدان الافكار ؟

على اننا حين نمضى فى التحليل خطوة أبعد ، سنكتشف حقيقة اخرى بسيطة ، ولكنها هامة•فقد ذكرنا من قبل ان «المستورد» ليس شيئا سيئا فى مجال الاقتصاد ، وانما هو ضرورة حيوية • على ان هناك مجتمعات تفتح ابواب الاستيراد ، فى الميدان الاقتصادى ، على مصراعيها ، فتستجلب الضروريات والكماليات ، واخرى تضع للاستيراد ضوابط دقيقة فلا تجلب الا ما هو ضرورى ، وما يستحيل صناعة بديل له فى الداخل • ومن المنطقى ان تكون الدول التى تتبع النظام الاول ، اعنى نظام «الابواب المفتوحة» والاستيراد غير المقيد هى التى ترحب ايضا باستيراد الافكار ،على حين ان الدول التى تفرض قيودا على استيراد السلع

هي ايضا تلك التي تفرض قيودا على استيراد الافكار ٠

ولكن المنطق شيء ، والواقع ـ في عالمنا العربي بالذات ـ شيء آخر ٠ ذلك لان اشد الناس هجوما على ما يسمى « بالافكار المستوردة » ، هم انفسهم الذين يطالبون بان نستورد من الخارج كل شيء ، من الابرة الى الصاروخ ، كما يقول التعبير الذي اصبح مشهورا ٠ وهنا ايضا نجد امامنا صورة متناقضة الى حد بعيد : فلماذا يسمح بالاستيراد في كل شيء ، حتى في العقول والخبرات ولا يسمح به في مجال « الافكار » ؟ واذا كان من الضروري ان نكتفي بما ينبع من ارضنا ، فلماذا لا نفعل ذلك في جميع المجالات ، ولماذا نفتح الابواب على مصراعيها لسيل الكماليات التافهة التي تربي في النفوس اسوا العادات الاستهلاكية ، ونغلقها في وجه فكرة ما اتت من عقل ينتمي الى مجتمع آخر ؟

* * *

انني ، حتى الان ، لم انفذ بعد الى صميم الموضوع ، وانما حاولت ان اكشف التناقض الداخلي في الدعوة الى محاربة « الافكار المستوردة » ، بحيث ان كل ما يمكننا استنتاجه ، حتى الان ، هو انه ليس من حق اي مجتمع ان يحارب هذه الافكار اذا كان يستورد كل شيء ، حتى العقول ، ولكن ربما كان من حقه اتخاذ هذا الموقف اذا كان متسقا مع ذاته في جميع تصرفاته ، اي اذا كان قد قرر ان يغلق ابوابه على نفسه ويعتمد على جهوده الخاصة ، ماديا ومعنويا ، في تسيير كافة شئونه ٠ اي انني لم اصدر بعد حكما على الافكار المستوردة ذاتها ، وهل هي خير ام شر ، وانما حاولت ان اكشف عن التناقض في اسلوب محاربة بعض الدعاة له ٠٠٠

ولكن مهمتنا الاساسية ، في هذا المقال ، هي ان نخوض المشكلة في صميمها ، وان نواجه الموضوع مواجهة مباشرة فنتساءل : هل صحيح ان الافكار المستوردة شيء ضار ينبغي تجنبه ؟ واذا كانت في بعض جوانبها تجلب الضرر ، فما هي هذه الجوانب ؟

ان الدعوة الى محاربة الفكر المستورد ، في عالمنا العربي ، تبرر بالحرص على التراث الاصيل ، ومنع الافكار الاتية من الخارج لان فكرنا ينبغي ان ينبع من داخلنا ، ومن تاريخنا ، ومن ماضينا وتراثنا ، ومثل هذا الحرص يمثل هدفا نبيلا لايستطيع اي مفكر يعمل لصالح مجتمعه الا ان يحني رأسه اجلالا له ٠ ولكن السؤال الذي لايكف عن الالحاح علينا في هذا الصدد هو : هل صحيح ان تراثنا وتاريخنا وماضينا كان حصيلة تفاعل داخلي بحت ، وانه خلا خلوا تاما من كل عنصر « مستورد » ؟

ان الامة العربية ، بالذات ، هي اخر امة على سطح هذه الارض تستطيع ان تجيب عن هذا السؤال بالايجاب ٠ صحيح انها من اقدر امم الدنيا على الاحتفاظ باصالتها وتراثها ، ولكن هذه الاصالة وهذا التراث قد بنيا ، الى حد بعيد على ادماج عناصر « مستوردة » في النواة الاصيلة للعروبة وكان هذا عنوانا لنضجها وثقتها في نفسها فمنذ السنوات الاولى للحضارة الاسلامية ، سنوات الفتح الذي اذهل العالم واكتسح امبراطوريات قديمة عاتية ، بنى العرب دولتهم الكبرى على اساس اقتباس ما يصلح لهم من انظمة الدول التي خضعت للفتح العربي وكان من الطبيعي ان يكون نطاق هذا الاقتباس واسعا لان طبيعة الفاتحين العرب ، وحياتهم البدوية البسيطة ، لم تكن تسمح بتأسيس « دولة » بالمعنى الواسع والمعقد لهذه الكلمة ٠ وبعبارة اخرى فان الدعائم الاولى للدولة الاسلامية المترامية الاطراف كانت ـ في قدر غير قليل من جوانبها ـ افكارا ونظما مستوردة ٠ ولو كان العرب الاوائل قد اخذوا بمبدأ محاربة الافكار المستوردة بنفس الضراوة التي يحاربها بعضهم بها ، لما استطاعوا ان ينتقلوا ، في عشرات قليلة من السنين ، من حياة البداوة الى حياة الحضارة ، ولما تمكنوا من اعمال عقولهم في اختيار النظم الوافدة ، واقتباس الصالح منها دون حساسية او تعقيدات او خوف على اصالتهم ٠

وحين توطدت دعائم هذه الدولة الاسلامية الكبرى ، التي كانت تضم شعوبا واجناسا متباينة انصهرت كلها في بوتقة واحدة ، واخذت تتطلع الى ميادين العلم والثقافة ، بعد ان ادت رسالتها في ميادين العقيدة والجهاد والسياسة ،

كانت أبرز السمات المميزة لها هى الشجاعة فى تقبل «الافكار المستوردة» دون خوف على أصالتها.

ولسنا نود هنا ان نكرر حديثا معادا ، يعرفه اغلب القراء ، عن حركة الترجمة الواسعة النطاق فى ميادين العلوم والفلسفة ، ولكن الذى نود ان نشير اليه ، لان له دلالة خاصة فى حديثنا الحالى ، هو ان الدول التى ترجم عنها المسلمون كانت فى معظم الاحيان دولا راسخة الاقدام فى ميادين الثقافة المختلفة ، ومن ثم فقد كن لدى هؤلاء المسلمين مبرر للخوف من طغيان ذلك الفكر المستورد الذى يقتحم ارضا بكرا لم تمر بتجربة الفكر الفلسفى والعلمى الا حديثا • ومع ذلك فان شيئا من هذا لم يحدث ، على الاقل فى عصور المد الفكرى والتوسع الثقافى ، ولم يشعر العرب الاوائل باية رهبة ازاء «الافكار المستوردة» ، بل ركزوا جهودهم على اختبارها واستخلاص ما يصلح منها للادماج فى تراثهم •

وبفضل هذه الشجاعة فى قبول «الفكر المستورد» ظهرت فى العالم الاسلامى مجموعة متالقة من الفلاسفة والعلماء والمؤرخين والمفكرين الاجتماعيين كانت منارة للعالم كله خلال العصور الوسطى المظلمة • وكانت هذه الاسماء اللامعة هى التى قدمت ، فيما بعد ، اشعاعها العلمى والفكرى الى اوروبا ، واسهمت بدور يتزايد الاعتراف به ، فى انهاض العلم والفكر الاوروبيين ونقلهما الى عصر جديد • وهنا قام الفكر الاسلامى بدور عظيم بوصفه « فكرا مصدرا » ، وكان استيراد اوروبا لهذا الفكر اهم عوامل نهضتها الحديثة.

هذه حقائق معروفة ، ولكن الذى ننساه احيانا هو ان الفخر الذى نحس به ازاء الدور الذى قمنا به فى « تصدير » فكرنا وعلمنا الى اوروبا ، معناه اننا نعترف باهمية استيراد الفكر ، لان التصدير والاستيراد عمليتان متلازمتان ، بل هما وجهان لعملة واحدة • ومع ذلك ، فانك تجد الكاتب الواحد يحارب «الافكار المستوردة» بلا هوادة ، ويشيد فى الوقت ذاته بدور العرب العظيم فى تنوير الاوروبيين ، ويعطى اوروبا ــ فى نهاية العصر الوسيط ــ كل الحق فى ان تستورد من العرب ما شاءت من الافكار ، ولا يكف عن التباهى بهذه الحقيقة ، كل ذلك دون ان يدرك فداحة التناقض الذى يقع فيه حين ينكر مبدا استيراد الفكر من جانب ، ويزهو به من جانب آخر •

واذن ، فمن أصعب الامور ان يقوم المرء بعملية تنقية وتصفية للتراث كيما يستخرج منه بلورة الاصالة صافية غير مختلطة ، لان الاتصال والتبادل والاخذ والعطاء قديم قدم الحياة الانسانية •وحين نقول ان الفكر المستورد يمكن ان يقضى على اصالتنا ، فلا بد ان نعى جيدا ان قدرا غير قليل من هذه «الاصالة» ذاتها كان فى الاصل فكرا مستوردا ثم امكن استيعابه • والامر هنا ، فى حالة الامم والحضارات لايختلف كثيرا عنه فى حالة الأفراد : فهل يستطيع أحد أن يحدد ــ فى أى عمل أدبى مشهور ــ نصيب العوامل الذاتية النابعة من عقل الكاتب وحده ، ونصيب الثقافة التى تلقاها من المصادر الخارجية ؟ وحتى لو شهد الكاتب ذاته بان عقله الخاص كان منبعه الرئيسى ، أليس من المرجح ان يكون هذا العقل ذاته حصيلة تفاعلات لا أول لها ولا آخر مع مصادر تاثر بها هذا الكاتب فى مختلف مراحل حياته ، وان هذا المنبع لايبدو له ــ ولنا ــ أصيلا الا لان الكاتب عرف كيف يهضم هذه المؤثرات الخارجية ويحولها الى عناصر اصيلة فيه ؟ ان مسالة وضع الحد الفاصل بين الاصيل والمستورد مسالة معقدة غاية التعقيد ، ومن ثم فان الوقوف فى وجه التفاعل الثقافى بحجة الحرص على اصالتنا هو موقف ينطوى على اغفال للعناصر العديدة والمكونات الشديدة التباين ، التى أسهمت كلها فى تكوين مانطلق عليه نحن اسم «الاصالة» •

★ ★ ★

ولكن ، هل يعنى هذا النقد الذى نوجهه الى الحملة الضارية التى تشن فى هذه الايام ، فى العالم العربى بالذات ، على ما يسمى « بالفكر المستورد » ــ هل يعنى ان كل فكر ياتى من الخارج يستحق ان نرحب به ونفتح له ابوابنا على مصراعيها ؟

الواقع ان الامر ليس كذلك على الاطلاق •

فهناك بالفعل انواع من « الفكر المستورد » ينبغى ان نقف منها موقف الحذر الشديد ، هى تلك التى تتسرب الى العقول خلسة ، بطرق ملتوية غير

مباشرة ، وتؤدي في نهاية الامر الى تكوين اتجاهات ضارة لدى من يتلقاها ، وخاصة اذا كان حدثا ذا خبرة محدودة ، ويتمثل هذا الخطر بوجه خاص فيما تنقله الوسائط الاعلامية الشعبية من اعمال يفترض انها فنية ، ولكنها مليئة بالافكار والاتجاهات الضارة ،التي يراد منها تحقيق اغراض مرسومة مقدما •

وقد تنبهت كثير من الدول المتقدمة ، بل الهيئات الدولية ، الى اخطار وسائل الاعلام الجماهيرية التي تنقل اعمالا فنية جذابة مشوقة ، كالافلام والمسلسلات التلفزيونية ، ولكن حصيلتها النهائية هي تكوين اتجاهات الى العنف الدموي ،او فقدان الاحساس بالتعاطف الانساني ،او الاعجاب بانواع زائفة من البطولات ، او التفنن في أساليب ارتكاب الجرائم ، او الميل المفرط الى الاستهلاك المقصود لذاته ، والذى لايخدم اى هدف معقول •

هذه الاعمال الاعلامية ذات القشرة الفنية الهشة ، التي تتغلغل في كل بيت وتثبت قيما غريبة غير مقبولة حتى بالنسبة الى كثير من المجتمعات الصناعية المتقدمة ، والتي يحذر من اخطارها المفكرون حتى في بلادها المنتجة ذاتها ، هي التي تشكل بالفعل فكرا مستوردا ينبغي أن نقف منه موقف الحذر الشديد • ومع ذلك فان من عجائب المفارقات في بلادنا العربية ان الدول التي تحارب الفكر المستورد بضراوة ، هي ذاتها التي تفتح ابوابها على مصراعيها لهذا النوع من الاعلام المغرض ، ولا تبذل اى جهد لحماية مجتمعها من التاثير الهدام لهذه الاعمال الفنية ذات الجاذبية السطحية الرخيصة • وهكذا ففي كثير من المجتمعات التي كانت تقوم على التكافل والتساند ، بدأت تظهر قيم الانانية والتزاحم وحب الظهور والرغبة في التسلق على أكتاف الاخرين ، واخذت الاجيال القديمة في هذه المجتمعات تتساءل يوميا عما حدث لتراثها المعنوى الذى يزداد اختفاء يوما بعد يوم، وتترحم على اخلاق الاجداد وقيمهم الانسانية ـ دون ان تبذل اى جهد في محاربة هذا النوع البالغ الضرر من الفكر المستورد •

وهكذا تنقلب الاية بصورة تدعو الى السخرية والرثاء في آن معا : فالدول الصناعية المتقدمة التي هي صاحبة المصلحة الحقيقية في محاربة كثير من أنواع الفكر الذي نصفه نحن بانه مستورد، تقف ازاء هذا الفكر ـ مهما تطرف ـ موقفا ينطوي على قدر كبير من التسامح واتساع الافق والتعامل معه بمقارعته بالمنطق والحجة • ولو ظهرت دعوة الى محاربة هذا الفكر في مجلة انجليزية او كتاب فرنسي او صحيفة امريكية لكانت تلك الدعوة اضحوكة الموسم •

ومن جهة اخرى فان التيارات الضارة التي تاتي بها اجهزة الاعلام الجماهيرية تجد من يتصدى لها بقوة وحسم في نفس البلاد التي انتجتها ، على حين اننا نتلقاها بالاحضان ونفتح لها بيوتنا لكي تعيش مع عائلاتنا وتمارس تاثيرها الفتاك في عقول ابنائنا ، وكان هذه التيارات ليست من الفكر المستورد في شيء •

★ ★ ★

وبعد فلست أود ، ايها القارىء ، ان اختم مقالي هذا دون ان ابوح لك بشعور كان يعتمل في نفسي طوال كتابتي هذا المقال • فمن الجائز أنك قد اقتنعت بالحجج التي اتيت بها في مقالي ، وادركت بعد قراءته ان كثيرا من التعبيرات التي اصبحت وسائل الاعلام تصبها على رؤوسنا ليل نهار ـ وعلى رأسها تعبير الافكار المستوردة التي يطلب الينا ان نرفضها حتى قبل ان نعرف ماهي ـ لا ينبغي ان تقبل على علاتها •

أجل ، سوف أتفاءل واتصور أنك قد اقتنعت بهذا كله ، ايها القارىء العزيز ، وربما اعتقدت ان كاتب المقال قد احرز انتصارا حاسما على اولئك الذين يعتمدون على أساليب دعائية لا ترتكز على عقل ولا منطق •

ومع ذلك فلتكن والقا ان النصر ، مع هذا كله معقود لاعداء الفكر المستورد ، وان هؤلاء هم الرابحون ، حتى لو كانت كل كلمة في هذا المقال معولا يهدم الارض التي يرتكزون عليها •

ان هؤلاء ، في نهاية الامر ، هم المنتصرون لانهم هم الذين يحددون ميدان المعركة ، ويفرضون علينا ان نناضل في سبيل أهداف عفا عليها الزمان •• فمهما كانت قيمة الكلام الذى قرأته في هذا المقال

القارئي العزيز . فانك ستجد لو فكرت قليلا انه ليس الا دفاعا عن شيء ماكان ليحتاج - في الظروف الطبيعية - الى جدل والى اضاعة وقت كاتب او قاريء ، ذلك لان كل ما فعله كاتب هذه السطور هو انه دافع عن بديهية بسيطة ، هي ان التفاعل الثقافي ضروري ، وان التأثير المتبادل بين خبرات المجتمعات المختلفة امر لا غناء عنه . هذا هو المستوى الذي يجد الكاتب نفسه مضطرا الى الهبوط اليه عندما ينحدر مستوى الجدل الثقافي ذاته . وهذا المستوى الهابط هو في ذاته نجاح باهر ولائك الذين يفرضون علينا معارك مفتعلة حول موضوعات لا معنى لها . كموضوع الفكر المستورد .

ان قدرا كبيرا من الطاقات الذهنية لمفكري الامة العربية الحريصين على مستقبلها . يضيع هباء في امور كان ينبغي ان نكون قد تجاوزناها منذ امد بعيد . فكم من كتابات جادة وملتزمة اصبحت تخصص اليوم لمجرد اثبات ان العقل ضروري للامة العربية ، وللرد مثلا على اولئك الذين لا يكفون عن الحط من شأن العقل والتشكيك في قيمة العلم . وقد يظن القاريء ان انصار العقل ، الذين يملكون دائما حججا اقوى ، قد انتصروا ، ولكن حقيقة الامر هي ان خصومهم هم المنتصرون ، لانهم افلحوا في الانحدار بالجدل الثقافي الى مستوى مناقشة اسئلة اولية مثل : هل نستخدم العقل او لا نستخدمه ؟ وبدلا من ان نتجادل حول احدث النظريات التي يتوصل اليها هذا العقل ، في بحثه للطبيعة والانسان ، ونساير العصر في اخر تطوراته الفكرية ، نجد انفسنا مضطرين الى بذل الجهد المضني لاثبات المبدأ الاول الذي كان مفروضا ان نكون قد سلمنا به منذ امد بعيد .

وبالمثل تهدر طاقاتنا العقلية في اثبات اهمية الاتصال الفكري وتبادل الخبرات والتجارب بين الشعوب ، لان اعداء الفكر المستورد فرضوا علينا هذا الموضوع ميدانا للمعركة . التي لا تشرف الخاسر ولا الرابح .

وهكذا فقد يبدو لاول وهلة ان المدافعين عن العقل ، وعن الاتصال الفكري بين المجتمعات ، هم الجديرون بتصفيق جماهير المثقفين ، ولكن حقيقة الامر انهم مهزومون حتى لو انتصروا ، لان خصومهم نجحوا في ايقاف تيار التقدم ، والرجوع بمستوى المناقشة الى الوراء ، واختاروا ميدانا للمعركة تلك الاوليات والاساسيات التي كان ينبغي علينا تجاوزها منذ عهد بعيد .

وانه لامر يدعو الى الاسى العميق ان يجد المثقف العربي نفسه في اواخر القرن العشرين مضطرا الى ان يخوض معركة كاد المفكرون العرب في اواخر القرن التاسع عشر ان يحسموها نهائيا لصالح العقل والتقدم .. فهل هناك دليل على انتصار خصوم العقل ، واعداء التبادل الفكري الخصب ، ابلغ من نجاحهم في العودة بمستوى الجدل الثقافي قرنا من الزمان ، بالنسبة الى العرب انفسهم ، وخمسة قرون على الاقل بالنسبة الى المجتمعات المتقدمة ؟

الست معي ، أيها القاريء ، في ان خصوم الافكار المستوردة جديرون بالتهنئة ؟ ! ■■

د . فؤاد زكريا

كفاءة عالية !

❋ أقام مدير احدى الشركات الهولندية في أمستردام حفلا وداعيا بمناسبة استقالة سكرتيره الشخصي الذي عمل معه طوال اثني عشر عاما . ولقد اصيب بالذهول عندما ظهر في الحفل سكرتيران . واعترف التوأم اللذان يشبهان بعضهما كثيرا انهما تقاسما الوظيفة نفسها طيلة تلك الفترة وان كلا منهما كان يعمل نصف اسبوع فقط وانهما كانا يتقاسمان الراتب !



إجمال القصة

صلاح عبد الصبور

■ كانتْ تدعونى بالرجلِ الرملى

وأناديها بالسيدةِ الخضراءْ

وتلاقينا في زمَنَيِ الشَّفَقِى

وتنادينا في مَرَحٍ طِفلىّ

وتعارفنا في استحياءْ

وتحسَّس كل منا مبهورا لونَ الآخرْ

وتقاسمنا الأسماء

وتفرقنا . . .

لا تسألنى . ماذا يحدث للأشياءْ

إذْ تتصدع ؟

أو للأصداءْ

إذ تهوى في الصمتِ المفزع ؟

لكنى أذكر أنا ذات مساءْ . . .

كنا قد خادَعْنا مِنْجَلَ حصَّادِ الموتْ

غافلنا صيحةَ ديك الوقتْ

وطبعنا فوقَ جدار الليلْ

تخطيطاً يشبه ظلينا . لونين مزيجين

مسكوبين على طرْفِ وسادٍ متجعدْ

منهارينَ على مسنَدِ مقعدْ

ها أنتَ ترانى

أملى هذى اللوحةَ في أيامِى الجرداءْ

وأناديها حينَ يغيبُ النُدَماء

●

أفرغْ للوحةِ كأساً . . أرجوكْ

هذا . . إجمالُ القصةْ ■■

الشريعة الاسلامية في صيغة معاصرة

بقلم : محمد فتحى عثمان

● التجربة لا يمكن ان تتم في عزلة عما انتهت اليه صناعة التقنين الان .

● المطلوب فقه اسلامي خالص لا مجرد محاكاة للقوانين الغربية .

● يجب ان نفرق بين شريعة هي امر الله واحكام فقهية من صنع البشر

● متى يجوز لغير المسلم ان ينتقد الاسلام ؟ ومتى يعد المسلم مرتدا ؟

هذه الدراسة التي كتبها للعربي المفكر الاسلامي الاستاذ محمد فتحى عثمان الاستاذ بجامعة الرياض . تطرق موضوع تقنين الشريعة الاسلامية فى صيغة عصرية ، تلتزم بحدود وضوابط الاسلام ، ولا تنفصل عن العصر الذى نعيشه . وهي من قسمين ، الاول يعرض للمنهج ، مع وقفة امام قضية الردة التي اثيرت اخيرا . والثانى يذهب الى ابعد في التطبيق ، ضاربا المثل بموضوع « الحرابة » اى الذين يحاربون الاسلام، ثم جرائم الراى وموقف الفقه الاسلامي منها .

القضية ، على دقتها وصعوبتها ، جديرة بان نستوعبها جيدا ، قبل ان نقع فى المحظور ، وننسب الى الاسلام ما قد يسىء اليه .

ان مدونات الفقه الاسلامي تحوى فى كثير من احكامها التى تضمنتها جهدا انسانيا وصناعة عقلية تستحق الدراسة والتحليل. وفي ذلك يقول فقيهنا الجليل الدكتور عبد الرزاق السنهورى فى احد بحوثه : ـ « الفقه الاسلامي هو فقه محض ، لاتقل عراقته فى ذلك عن عراقة القانون الرومانى(المقصود بالطبع هنا الصناعة الفقهية الاجتهادية البشرية كما لا يخفى) ، وهو لا يقل عنه فى دقة المنطق ومتانة الصياغة وفى القابلية للتطور . وهو مثل صالح لان يكون قانونا عالميا ، بل كان بالفعل قانونا عالميا يوم امتدت دولة الاسلام من اقاصي البلاد الاسيوية الى ضفاف المحيط الاطلسى . وكما انبت القانون الرومانى ـ بعد ان احييت دراسته فى العصور الوسطى ـ القوانين اللاتينية والقوانين الجرمانية

الحديثة وهي القوانين التي تعيش أوربا اليوم في ظلها ، كذلك الفقه الاسلامي اذا احييت دراسته وانفتح فيه باب الاجتهاد فمن ان ينبت قانونا حديثا لايقل في الجدة ومسايرة العصر عن القوانين اللاتينية والجرمانية ، ويكون هذا القانون مشتقا من الفقه الاسلامي اشتقاق هذه القوانين الحديثة من القانون الروماني العريق ... ويقال عادة : ان مصادر الفقه الاسلامي هي الكتاب والسنة والاجماع . اما الكتاب والسنة فهما المصادر العليا للفقه الاسلامي ، وقد قصدت بالمصادر العليا ان اقول انها مصادر تنطوي في كثير من الحالات على مبادىء عامة ترسم للفقه اتجاهاته ولكنها ليست هي الفقه ذاته . فالفقه الاسلامي هو من عمل الفقهاء ، صنعوه كما صنع فقهاء الرومان وقضاتهم القانون المدني . وقد صنعوه فقها صحيحا : الصياغة الفقهية واساليب التفكير القانوني واضحة وظاهرة (وضرب الفقيه مثلا بكتب ظاهر الرواية لمحمد بن الحسن) ... فانت تقف على الصياغة الفقهية في اروع مظاهرها وفي ادق صورها ، ثم يقول هؤلاء الفقهاء الاجلاء في كثير من التواضع ان هذا هو الاجماع أو القياس أو الاستحسان او الاستصحاب او ماشئت من المصادر (الاجتهادية) التي ابتدعوها. وان الاصل في كل هذا يرجع الى الكتاب والسنة ، والواقع من الامر انهم صنعوا فقها خالصا هو صفحة خالدة في سجل الفقه العالمي .

وهنا نرسم في ايجاز المنهج الذي نقترحه في دراسة الفقه الاسلامي لاحيائه وللنهوض به نهضة علمية صحيحة في ضوء القانون المقارن . يعنى في هذه الدراسة بامرين جوهريين : اولهما أن تدرس نشأة الفقه الاسلامي دراسة دقيقة ، فيبحث كيف تكون وكيف تطور، وبخاصة في العصور التي سبقت عصر المذاهب الاربعة . وثانيهما أن تدرس مذاهب الفقه الاسلامي السني والشيعي والخارجي والظاهري وغيرها دراسة مقارنة لتستخلص منها وجوه النظر المختلفة ، ولتتركز هذه الوجوه في تيارات من التفكير القانوني ثم تتبلور في اتجاهات عامة وتستكشف من وراء كل هذا قواعد الصناعة الفقهية الاسلامية ، ثم تقارن بصناعة الفقه الغربي الحديث حتى يتضح ما بينهما من فروق ووجوه الشبه ، وحتى نرى اين وقف الفقه الاسلامي ـ لا في قواعده الاساسية ومبادئه بل في احكامه التفريعية ، فتمتد يد التطور الى هذه التفصيلات على اسس تقوم على ذات الفقه الاسلامي وطرق صياغته واساليب منطقه . وحيث يحتاج الفقه الاسلامي الى التطور يتطور ، وحيث يستطيع ان يجاري مدنية العصر يبقى على حاله دون تغيير ، وهو في الحالين فقه اسلامي خالص لم تتداخله عوامل اجنبية فتخرجه عن اصله .

واحب ان اشير الى أن القانون الحديث الذي يشتق من الفقه الاسلامي يجب ان يكون في منطقة وفي صياغته وفي اسلوبه فقها اسلاميا خالصا لا مجرد محاكاة للقوانين الغربية .. ذلك انني لاحظت أن بعض المشتغلين بهذه المسالة يقتصرون على ايراد نصوص من القوانين الغربية،ثم يحاولون ان يخرجوا هذه النصوص على أحكام الفقه الاسلامي دون ان يراعوا في ذلك اصول الصياغة في هذا الفقه ، ثم ينتهون من هذا البحث السطحي الى ان نصوص القوانين الغربية هي الشريعة ذاتها! مثل هذا العمل لايحمل طابع البحث العلمي الصحيح وليس من ورائه كسب يذكر لا للفقه الاسلامي ولا للقوانين الغربية » (١)

والفقيه الكبير تغمده الله بواسع رحمته يشير الى وجوب التعرف الدقيق على طرق الصياغة الفقهية في تراثنا الاسلامي ، والى اهمية تحديد الفروق بدقة بين تلك الصياغة وبين الصياغة القانونية المعاصرة ، ثم بعد ذلك تاتي مهمة الصياغة المعاصرة للفقه الاسلامي على اساس من الدراسة المنهجية المتعمقة .

بدون هذه الدراسة المنهجية نرتكب اخطاء في التقويم (أى تقدير القيمة الحقيقية) بالنسبة لبعض ما في تراثنا ،وبالنسبة لبعض ما عند غيرنا، وفي تحديد ما ينبغي علينا أن نعمله .

ومنذ اكثر من ربع قرن نبه الباحث النمسوى المهتدى للاسلام محمد اسد(ليوبولدفايس)في بحث له موجز رصين الى تلك الحقيقة الاساسية حين قال « وقد جرى العرف بين كثير من العلماء في القرون المتاخرة الا يفرقوا بين أحكام الشريعة الاسلامية ذاتها وبين مايصل اليه علماء المسلمين باجتهادهم وفقههم من احكام ، والشريعة هي امر الله الى الناس اما الاحكام الفقهية فهي احكام من صنع

---

(١) عبد الرزاق السنهوري : ـ « القانون المدني العربي » بحث في «العالم العربي : مقالات وبحوث» ج٢،ص٢٨ ـ ٢٩ ، الادارة الثقافية بالامانة العامة لجامعة الدول العربية ، القاهرة سنة ١٩٥٢ .

البشر وصلوا اليها عن طريق الفقه والاجتهاد .. بل ان المسلمين ظنوا كذلك ان الاجتهاد لايخرج عما وصل اليه عصر بعينه ، وما اتصف به أهل العصر من فهم وما جروا عليه من طرق في التفكير » (٢)

وكلمة محمد أسد قد صدرت عن نفس المشكاة التي صدرت عنها منذ قرون طوال كلمات الامام ابن القيم (المتوفى سنة ٧٥١ هـ) في كتابه «اغاثة اللهفان» حين قال « الاحكام نوعان : نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها لابحسب الازمنة والامكنة ولا اجتهاد الائمة – كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم ونحو ذلك فهذا لايتطرق اليه تغيير ولا اجتهاد مخالف لما وضع عليه ، والنوع الثاني مايتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا – كمقادير التعزيرات وصفاتها ... وهذا باب واسع اشتبه فيه على كثير من الناس الاحكام الثابتة التي لاتتغير بالتعزيرات التابعة للمصالح وجودا وعدما ».ومثل التعزيرات سائر الاحكام الاجتهادية الفرعية في المعاملات وغيرها.

والى ان نحث الخطى في الدراسة المنهجية التي اقترحها الفقيه الجليل الدكتور السنهوري رحمه الله لنتعرف على تراثنا الفقهي من ناحية التطور التاريخي للجانب الاجتهادي فيه ونتابع الصناعة الفقهية عندنا الى ما انتهت اليه منذ قرون ونؤصل اتجاهاتها العامة وخصائصها ، لنقارنها بالصناعة القانونية الغربية ، حتى نكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ،ونكون مع المؤمنين الذين يعتبرون الحكمة ضالتهم يلتمسونها بكل سبيل واني وجدوها فهم أحق الناس بها..الى ان يتحقق هذا كله فنحن مضطرون الى الافادة المباشرة من منجزات صناعة التقنين المعاصرة على ما انتهت اليه في الدول الغربية المتقدمة عندما نحاول تقنين الشريعة الاسلامية لمجتمعاتنا المعاصرة .

ولا يجوز أن نمضي مع تراثنا الفقهي حتى فيما يكون به من ثغرات في الصناعة الفقهية التي يلحقها دائما قصور الاجتهاد الانساني ، مدعين أننا بمتابعة تراثنا في الثغرات الاجتهادية انما نحافظ على اصالته وخصائصه الفكرية والتعبيرية ؛ ولعل « الشكل » بوجه خاص هو من المواضع التي لاحرج من الاجتهاد والاقتباس فيها،ونحن أحوج مانكون الى الافادة من المبادىء الحديثة في التقنين عند تقنين احكام الشريعة الاسلامية .

تقنين احكام جريمة الردة

ولقد اقر مجلس الدولة في مصر مثلا – على ما نشرت صحف القاهرة خلال أغسطس ١٩٧٧ – مشروع قانون سوف تتقدم به الحكومة الى مجلس الشعب لتقنين أحكام جريمة الردة وعقوبتها وفقا للشريعة الاسلامية . ونغض النظر الآن عما اذا كان من الترتيب الطبيعي للاولويات أن يأتي هذا المشروع على رأس محاولات التقنين أم لا، كما نغض النظر عن مدى السلامة المنهجية في معالجة الاحكام الشرعية أجزاء وتفاريق ، وعدم جمعها في تقنين شامل تحكمه اتجاهات ومبادىء عامة يصدر متكاملا منسجما في أوانه المناسب بعد انعام البحث والنظر على ان يغطي كل المجالات القانونية او يصدر التقنين الذى يغطي مجالا معينا جملة اذا تعذر انجاز التقنين في مختلف المجالات في وقت متقارب مع ترتيب الاولويات ترتيبا مناسبا بحيث يؤخر اصدار التقنين الذى تم انجازه اذا كان من الطبيعي أن يسبقه تقنين اخر بحكم ترتيب الموضوعات بعضها على بعض وترابطها الصحيح .

نغض النظر الآن عن هذا كله ، ونكتفي بمعالجة ما لوحظ في المشروع من متابعته لتراثنا الفقهي في تعريف الجريمة موضع العقاب وتحديدها ، اذ تضمنت نصوصه أن مما يكون جريمة الارتداد عن الاسلام « انكارا لمعلوم من الدين بالضرورة »: ان هذه العبارة وردت حقا في كتابات الفقهاء ، لكنها في نص تشريعي تستوقف النظر وتثير التساؤل لان ما يعتبر « معلوما من الدين بالضرورة » الذى يورده نص تجريم يتضمن عقابا هو الموت ، يحتاج وفقا للمبادىء الدستورية والتشريعية الحديثة الى تحديد صريح قاطع ... والغريب أن مجلس الدولة وهو الحارس الامين على « فن الصياغة » وصناعة التقنين بحكم وظيفته ، لم يتوقف عند هذا النص سالف الذكر ، وقد يعلل ذلك بمحاولة تجنب المآزق التي يوقع فيها الايضاح والتحديد ..

---

(٢) محمد أسد : بحث «الدولة المسلمة» ترجمة جمال الدين عطية ، وأنظر لمحمد أسد كتابه منهاج الحكم في الاسلام – بيروت .

ان « المعلوم من الدين بالضرورة » ليس مما تتفق فيه انظار علماء العقيدة والشريعة قديما او حديثا ، حتى بين أهل السنة وحدهم ، فما بالك بما يكون من اختلافات بين الفرق المتعددة .

وثمة مسلمون معاصرون يحكمون بردة كثير من اخوانهم المسلمين ان لم يكن بردة اكثرهم او جمهورهم .. وكثيرا ما قد يسوق بحث احدى القضايا موضوعيا الى ما يعداه البعض خروجا على المسلمات والاصول ، مهما كان الباحث حسن النية مخلصا في طلب الحقيقة متحريا للقواعد المنهجية السليمة

ولأجل الخروج من الاختلاف المحقق في تحديد ما يعد « حقائق اساسية قاطعة » لا يتم اسلام المسلم الا باقرارها ويعتبر منكرها مرتدا ــ غير الانكار الصريح لمضمون الشهادتين ــ صاغ الفقهاء تلك العبارة المرنة لتجريم من أقر بالشهادتين لكنه نقض مؤداهما وانكر ما يعد من اسس هذا الدين بصورة ضرورية ملزمة ... ومعنى هذا ان تعاليم الاسلام التي يعتبر منكرها مرتدا هي ما يعلم ضرورة أنها من اصوله التي لا تنفك عنه . وهذه الصياغة الفقهية تحيل في صدد التجريم والعقاب على ما تختلف الانظار في تحديده ويصعب ضبطه وقياسه ، وهو ما لا يجوز قط في مجال التشريع وبخاصة التشريع الجنائي ، فكيف اذا كانت عقوبة الجريمة في حالة ثبوتها هي الاعدام .. ؟ ؟

نصوص محدودة

ان ما ورد في الارتداد عن الدين في القرآن محدود محصور . يقول تعالى « ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون .. البقرة ٢٧ » « يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم .. المائدة / ٥٤ » وقد عرض القرآن للارتداد عن الزحف في قوله تعالى « ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ــ محمد/ ٢٥ .. »

ومن هنا ذهب مثلا الشيخ عبد العزيز جاويش رحمه الله الى القول بأن « القرآن ليس فيه نص قاطع على ان المرتد بالمعنى الذي يريده الفقهاء يقتل . والنفر من « عكل » الذين ارتدوا فقتلوا (في وقائع السيرة النبوية) كانوا من الخائنين المحاربين اذ سرقوا وقتلوا ... اما غير المحاربين من المرتدين فللعلماء كلام طويل في جزائهم، فالجمهور يقولون بقتل المرتد والمرتدة عملا بعموم الحديث « من بدل دينه فاقتلوه » ،وخصه الحنفية بالذكور وتمسكوا بنهي الرسول عن قتل الاناث ، واما جميع ما ورد من الاحاديث في قتل الرسول لبعض النساء المرتدات فأسانيدها ضعيفة وقال ابن الطلاع في الاحكام انه لم ينقل عن الرسول قتل مرتدة . وجمهور الفقهاء وان قالوا بقتل المرتد اختلفوا في أمر توبته قبل القتل... وخلاصة رأينا ان القرآن لم ينص في آية ما على قتل المرتدين عن الاسلام الى دين آخر (اي دون تحول لصفوف المحاربين) ..ثم ان لبدء ظهور الاسلام في الاحكام ما ليس لغيره لانهم كانوا اذذاك يلحقون باقوامهم ويحاربون المسلمين في صفوفهم او يظهرونهم على عوراتهم (اقول : تامل الآية . ماكان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ... الانفال / ٧٧) ، فلم يكن الارتداد لمجرد الخروج من الدين . والمستقريء لاحاديث الكتاب لا يكاد يجدها تخرج عما قلنا .. وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علمنا كيف نتصرف في الحوادث وفق مقتضيات الاحوال ... لقد قال النخعي بأن المرتد يستتاب أبدا ولا يقتل ، ولو كان حديث من بدل دينه فاقتلوه ــ الذي رواه البخاري وغيره على نصيته (اي بمعناه الحرفي الظاهر في اطلاق وتعميم) غير مختص بزمان ولا معقود بمقتضيات غير مطردة ، ما وسع النخعي ولا غيره مخالفته...والذين لم يرتدوا عن تأييد الاسلام ولم يخرجوا عليه ولم ينضموا الى صفوف اعدائه ولم يخونوه في شيء ولكن اضلتهم الشبهات التي لم يستطيعوا لها ردا فان سبيلهم الا يعتبروا كالمرتدين ما لم يهتدوا الى الصواب ... والله احكم واعدل من ان يكلف الناس ما ليس في طاقتهم » (٣)

(٣) عبد العزيز جاويش ــ أثر القرآن في تحرير الفكر البشري ، بحث مع « الاسلام دين الفطرة » وغيره في كتاب واحد ــ نشره ناصر جاويش ــ القاهرة ص ١٢٩ .

والكفر الاصلى شأنه شان الكفر الطارئ، بالردة عن الاسلام لابد ان يقترن بالهوى وظلم النفس والكذب على انفسهم وعلى الناس حتى ينال صاحبه التأثيم الحق . فالله تعالى يحدد وصف الكافرين فيقول « .. فانهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ــ الانعام / ٣٣ » « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون ــ النحل / ٨٣ » « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ــ النمل / ٨٨ » .

فالكفر لغة هو الستر والتغطية واستعمل فى الدين لانه ستر للحق ، ومقتضى ذلك ان يستر الحق فيحجبه الكافر عمدا ويغطيه ويستره عن نفسه وعن الناس . يقول الشيخ محمد مصطفى المراغى رحمه الله فى تفسير قوله تعالى « واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها ، كأن فى اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ــ لقمان/ ٧ » : هناك طوائف لم تبلغها الدعوة ، ومن هذه الطوائف من سمع برسالة محمد ولم يطلع على كتابه ولم يدعه احد الى كتابه ــ هؤلاء لا تنطبق الآية عليهم ... وهناك اناس بلغتهم الدعوة وبلغهم الكتاب . واخذوا فى النظر والاعتبار ولم يصلوا الى شىء بعد الجهد والانصاف هؤلاء امرهم الى الله ــ والرأى عندى انه ارحم من ان يعذبهم » .

وفى هذا الضوء ينبغى تحديد الفعل محل التجريم فى الردة بدقة ، وعلينا ان نستهدى بما انارت لنا دراسات القانون الجنائى المعاصر من سبل .. فهل الردة تعتبر السلوك الاجرامى هو محاربة « الدولة » الاسلامية ممثلة فى سلطتها الحاكمة ومحاولة قلب نظام حكمها بالقوة او استعمال العنف ضدها بصورة من الصور ؟ .. وبذلك تقترب الردة من « الحرابة او البغى » ويكون الفارق فى الباعث ،ويكون العقاب مقصورا على المرتد المحارب كما يرى الشيخ جاويش وكما يظهر ضمنا فى اقوال الحنفية . ام ترى تعتبر الردة من جرائم الرأى ؟ ؟ وهنا تثور اسئلة لتحديد محل التجريم : هل يكون هو الرأى الفردى المقصور على صاحبه ــ اى مجرد التحول عن اعتناق الدين ، ام يقتضى الامر نشاطا ايجابيا موجها للغير بالدعوة والترويج والنشر لاشاعة الردة بين الناس وحضهم عليها . ؟ ؟ وهل يستوى ان يكون التحول عن الاسلام الى دين كتابى مثلا مع التحول لانكار الدين جملة وللالحاد ؟ ؟ وهل كل ما يروج ضد الاسلام يكون محل المؤاخذة الجنائية ام يكون ذلك مقصورا على ما اتبع فيه التهجم والتجريم والافتراء ولم يسلك طريق البحث الموضوعى بمنهجه واصوله وادابه ؟ ؟ . . هذا عن الجريمة ، ويثور التساؤل كذلك عما اذا كانت العقوبة المقررة للردة فى الحديث هى من باب الحدود أو من باب التعزيرات « التى تتغير مقاديرها وصفاتها بحسب اقتضاء المصلحة زمانا ومكانا .. وهى تابعة للمصالح وجودا وعدما » كما قال ابن القيم فى « اغاثة اللهفان » . لقد روى الماوردى مثلا ــ فى الاحكام السلطانية ــ ان ابا شجرة بن عبد العزى كان من اهل الردة الذين هزمهم أبو بكر رضى الله عنه وقد وفد الى عمر يشكو الحاجة ، فلماعرفه قال له : اى عدو الله الست القائل :

وروّيت رمحى من كتيبة خالد
وانى لارجو بعدها أن اعمرا

وهو فى ذلك يفخر بما احدثه من قتل فى جيش المسلمين الذى قاده خالد بن الوليد لحروب المرتدين . وقد رجع الرجل من عند عمر بغير قضاء حاجته وانما اصابت رأسه خفقات من درة عمر تأديبا ، وقد قال فى ذلك شعر . ويذكر الماوردى بالنسبة لما فعله عمر : فلم يعرض له بسوى التعزير لاستطالته بعد الاسلام» .

ان كل ما تقدم من تساؤلات تحتاج الى مناقشة عميقة دقيقة ، فان الامر كما اشرنا مرارا يتناول جريمة رأى واعتقاد عقوبتها الموت . والحق ان استثناء النساء من القتل عموما واخذ الحنفية بذلك فى شان عقوبة الردة امر له دلالته ،فالنساء هن الجنس غير المقاتل عادة فى واقع الامر ، فمن الطبيعى أن يعجزن عن المحاربة او مقاومة نظام الحكم بالقوة واستعمال العنف ، ويدل هذا على اعتبار ذلك محل التجريم والعقاب فى الردة عند الاحناف ، ولو كانت الردة جريمة رأى لاستوى فى شان اقترافها والمؤاخذة عليها الرجال والنساء .

واقوال الحنفية فى ابرز مدوناتهم الفقهية تقرر ذلك احيانا صراحة لا ضمنا ، فقد ورد فى

« المبسوط » : « وبالاصرار على الكفر يكون (المرتد) محاربا للمسلمين فيقتل لدفع المحاربة، الا ان الله تعالى نص على العلة في بعض المواضع فقال : « فان قاتلوكم فاقتلوهم » وعلى السبب الداعي الى العلة في بعض المواضع وهو الشرك فاذا ثبت ان القتل باعتبار المحاربة وليس للمرأة بنية صالحة للمحاربة فلا تقتل في الكفر الاصلي ولا في الكفر الطارىء » (٤) ومن هنا اتفق ابو حنيفة وصاحباه ابو يوسف ومحمد بن الحسن على ان مال المرتدة الذي اكتسبته حال اسلامها او بعد ردتها حتى وفاتها يكون ارثا لورثتها المسلمين وقت وفاتها خلافا للحكم بالنسبة لحال المرتد من الرجال « لان المرأة بردتها لا تصير حربا على المسلمين ، فلا تزول عصمتها في نفسها » (٥) .

عن نقد الاسلام

وقد يكون من المفيد ان نستأنس برأي داعية معاصر من دعاة الاسلام في مبحث آخر لدلالته في موضوعنا ، فقد كتب الاستاذ ابو الاعلى المودودي مؤسس الجماعة الاسلامية في باكستان والهند بشأن حقوق اهل الذمة في معرض بيانه لمقترحاته من اجل الدستور الباكستاني ،فكان مما ارتآه ان ينصّ في الدستور على السماح لاهل الذمة « بان يدعوا غير المسلمين الى دينهم ، وان يبينوا محاسن اديانهم ، وان ينتقدوا الاسلام في حدود القانون . والمراد بذلك انه مما يسمح به لكل فرد منهم ان يبقى متمسكا بديانته وان يبين من الاسباب والوجوه ما يعوقه عن قبول الاسلام ، فمما يستلزم كل ذلك ان يذكر في بيانه من امور الاسلام ما لا ينشرح معه خاطره لقبوله ، وكذلك يجوز له ان يظهر من الشبهات والشكوك في عقائد الاسلام وشعائره ما لا يكون افتراء وطعنا » (٦) وما جاز لغير المسلم من حقوق بيان الرأي في الاسلام بغير تجن ، قد يكون الاولى ان يتمتع به (المولود) على الاسلام الذي ثارت في نفسه شكوك وفي عقله شبهات اذا ما عبر عن ذلك باسلوب مشروع ..والقول بغير ذلك يردنا الى مثل ما روي عن الخوارج من انهم كانوا يعطون من الحقوق « للمشرك المستجير » الذي يلزم بنص القرآن جواره حتى يسمع كلام الله وابلاغه مأمنه ، ما لا يسمحون به للمؤمن المخالف الذي عدوه مرتدا مهدر الدم واجب القتل ..

ان الاسلام يثق في قوة اسسه واحكام تعاليمه واستقامة منهجه وسلامة حجته ، وهو انما يخشى الفتن والمؤامرات واضطراب الامن ونشر الخوف ومقاومة السلطة واستعمال العنف ، لكنه لايخشى بحال الرأي المخالف الذي يعلن في النور ـ ومن ثم فان الاسلام يؤمن حرية الاعتقاد وحرية الكلمة في حدود ما يقبله اي قانون عادل يرعى حق الفرد ولا يحيف بمصالح الجماعة في الوقت نفسه . ومن امارات تأمين حرية الاعتقاد المسالم ان شريعة الاسلام اجازت التعايش تحت سقف واحد بين مسلم وكتابية يجمعهما ميثاق الزوجية الغليظ ، ولم تسغ شريعتنا قط استغلال سلطان الزوجية او سلطان الدولة في اجبار زوجة المسلم اذا كانت غير مسلمة على اعتناق الاسلام في اي وقت من الاوقات عند عقد الزواج او بعده ، كما لم تسغ آراء فقهائنا في الاحكام الفرعية استغلال سلطان الابوة او سلطان الدولة في اجبار الولد من مثل هذا الزواج على الاسلام اذا بلغ الرشد « فالاولاد الذين يولدون من زوجة كتابية لمسلم يعتبرون مسلمين تبعا لابيهم حتى يبلغ الولد عاقلا ، فاذا بلغ عاقلا انقطعت التبعية » (٧) .

■■

محمد فتحي عثمان
الرياض

---

(٤) السرخسي : المبسوط ، وهو شرح لكتب محمد بن الحسن ـ نشر محمد ساسي المغربي ـ القاهرة جـ ١٠ ص ١١٠ ـ وانظر للتفصيل كتاب صاحب المقال « الفكر الاسلامي والتطور » .

(٥) عمر عبد الله ـ احكام المواريث في الشريعة الاسلامية ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ص ٨٦ .

(٦) المودودي ـ مقترحات الدستور الاسلامي للباكستان ـ بالعربية ـ بيروت .

(٧) عمر عبد الله : احكام المواريث في الشريعة الاسلامية ص ٨٦ ـ ٨٧ .

بعد طفل

الانبوب



حيوان « التارديجريد » Tardigrade أو بطيء الخطوة مكبرا هنا حولى ٨٠ مرة وهو من الحيوانات التى قد تفقد ٩٧٪ من ماء جسمها وتعيش بعدها فى ظاهرة الحياة الخفية (راجع المقال)

هذه التجارب المثيرة لـ ..

تجميد حياة المخلوقات وتعطيلها

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

بادىء ذى بدء : ماذا نعنى حقا بتجميد الحياة أو تعطيلها ؟

ان ما نعنيه ببساطة ، هو : ان نوقف الحياة ، ثم نبعثها فى زمن غير زمانها !

أو بمعنى آخر : أن نعطل زمن الكائن ونجمده ، فينام نومة طويلة ، حتى لتحسبه قد مات ، ثم يقوم من رقاده ، ليعيش فى جيل غير جيله ، او ليجد نفسه وقد ظهرت ــ من بعد نومه ــ عشرات أو مئات أو آلاف الاجيال التى تعاقبت وماتت ! .

اي كاننا نحن نعيد قصة اهل الكهف في زماننا هذا ، ولكن بطريقة اخرى ، فلقد « لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا » ـ على حد قول القرآن الكريم ، وبافتراض أن متوسط الفترة الزمنية التي تفصل بين كل جيل وجيل من أجيال البشر تقع في حدود ٢٥ عاما ، فان ذلك يدعونا الى القول بان اهل الكهف قد ظلوا غائبين عن هذا العالم لأكثر من اثنى عشر جيلا ، ولهذا وجدوا ـ عند بعثهم من رقادهم ـ ان كل شيء قد تغير ، ومن هنا تمنوا الموت على الحياة ، فكان لهم ما أرادوا !

على ان قصة اهل الكهف لا يمكن ان تدخل في مجال العلوم التجريبية ، ولا هي واردة فيها ، اذ انه من الاسس القوية التي يقوم عليها العلم هو تحرى الاسباب لتفسير او معرفة اية ظاهرة من الظواهر ،وظاهرةاهل الكهف ـ كما يصفها الناس ـ معجزة ، ولا شان لنا او للعلم بالمعجزات ، لان العلم يقوم اساسا على القوانين الصامدة ، والنواميس الراسخة ، والمعجزة تخرقها ، وتنال من اصالتها ، ومن هنا يعز على العقلية العلمية ان تحني راسها لهذه المعجزات او الخوارق التي تخرق العقول ، ولا شان لها بخرق قوانين الطبيعة الأصيلة !

من أهل الكهف ٠٠ الى أهل العلم !

ومع ذلك ، فالعلماء يقومون بتجميد الحياة وحفظها لاجيال قد تطول ، فلي ـ في معملي ـ كائنات ما زالت « نائمة » او « متوقفة » عن الحياة سنين طويلة ، ولو بعثتها الآن من رقادها ، واستطاعت ان تدرك ما جرى ، لوجدت انه قد مر عليها ـ في رقادها ـ اكثر من ١٥٠ الف جيل من أجيالها ، ولو حذا اهل الكهف حذوها ، لكان من المفروض الا يستيقظوا الا بعد ثلاثة ملايين وسبعمائة وخمسين الف عام !

ولا شك ان سؤالا هاما قد يطرا الآن على الاذهان : لماذا لا يستطيع العلم هضم مسالة « توقف » الزمن في حالة اهل الكهف (بالنسبة لهم طبعا ـ لأن الزمن يسرى ولا يتوقف لأحد) ، وها هو يحققها في معامله ، ومع كائناته ؟

الواقع ان ما تجمد حياته هو من نوع الكائنات الحيوانية والنباتية البسيطة ، وهي ـ لبساطتها ـ يمكن أن تتكيف بالظروف القاسية التي تضعها فيها ، فكائناتي ـ التي احتفظ بها في معملي ـ معزولة عن ظروف عالمها عزلا تاما ٠٠ فلا رطوبة ، ولا اوكسجين ، ولا غذاء ، ولا حرارة ، بل تسكن داخل كبسولات زجاجية صغيرة على هيئة مسحوق تارة ، او مادة متصلبة تارة اخرى ، وبحيث يصعب عليك أن تصدق ان ما تراه ، يمكن ان تبعث فيه بعد ذلك حياة !

هذه الكائنات « النائمة » في كبسولات هي من نوع البكتيريا ، والبكتيريا معروفة بسرعة التكاثر، فاذا ما توفرت لها ظروف الحياة الرغدة ، لكان بمقدورها ان تعطى اجيالها المتعاقبة كل ساعة او نصف ساعة ، او حتى كل ثلث او ربع ساعة ، وهذا يعني انك تستطيع أن تحصل في الساعة الواحدة على جيلين او ثلاثة او اربعة اجيال متعاقبة ، او ربما مائة جيل في اليوم الواحد ، وكائناتنا التي ترقد « متجمدة » في كبسولاتها منذ خمسة عشر عاما او ربما اكثر ، كان من الممكن ان تتسلسل في مئات الالوف من اجيالها ، هذا لو انها عاشت كما يعيش أترابها في الطبيعة من حولها !

لكن « تجميد » الزمن او توقفه بالنسبة لهذه الكائنات البسيطة ، او الانسجة ، او الدماء ، او الخلايا البشرية المعزولة ، له اصول ، ويتبع « تكنيكا » معددا ، ومن هنا نشات « بنوك » الدم والانسجة والخلايا والاعضاء ، وما شابه ذلك ، ولا شك ان العلماء في شغل لتطوير هذا الفن او التكنيك ، لاهمية ذلك في زراعة الاعضاء ، ومحاربة الامراض ، ومعرفة المزيد منأسرار الحياة ٠٠ فرب خلايا في معهد طبي ، او نسيج في مركز بحوث ، او عضو محفوظ بطريقة خاصة ٠٠٠ الخ، ربما كان هذا او غيره قد « تجمد » زمنه ، في حين ان الانسان او الحيوان الذى عزل منه هذا النسيج ، او ذاك العضو ، قد مات وتولى من زمن !

وموضوع حفظ الخلايا والانسجة والميكروبات ـ بعد ذلك ـ موضوع متشعب ومثير وطويل ، ولن نتعرض لتفاصيله هنا ، بل سنعرج على موضوع اخر له صلة وثيقة بموضوعنا الاساسي ، وان كان لا يزال في العلم بدعة ، او ضلالا وخدعة ٠

مومياءات القرن العشرين !

فمن فكرة تجميد حياة الميكروبات والخلايا والانسجة والاعضاء ، انبثقت فكرة غريبة تحاول تجميد جميع خلايا وانسجة الجسم البشرى ككل ، وتحفظ الجثة - بعد لفظ انفاسها الاخيرة مباشرة - فى « مقبرة » خاصة ، أو كبسولة كبيرة محاطة بالنيتروجين السائل ، وبحيث تصل درجة الحرارة داخلها الى ما يقرب من ١٩٦ درجة مئوية تحت الصفر ، وبهذا يتجمد بشدة كل شيء فيها ، وتستمر على حالها مئات السنوات دون تغير ،رغم ان كل شيء حولها يتغير ويتبدل !

لكن .. ما فائدة ذلك حقا ؟

الواقع أن فكرة بعث الحياة من جديد قد تتحقق هذه المرة على الارض .. لا فى السماء !

الفكرة لا شك فجة ، او هى لا تتمشى مع منطق او عقل او دين،ومع ذلك،فكأنما التاريخ يعيد نفسه، ولكن بنغمة اخرى مختلفة.. فحيث قام الفراعنة - منذ الاف السنين - بتحنيط الجثث وحفظها من الرطوبة والميكروبات (بتجفيفها باملاح ومركبات كيميائية حافظة) ، لتبقى على حالها ، وتصبح صالحة لعودة الروح اليها يوم البعث ، فتدخل فيها ، وتبعثها من قبورها ، كذلك ظن بعض أهل هذا الزمان أن تجميد حياة الخلايا والانسجة المختلفة فى الجسم الانسانى قبيل أو بعد موته مباشرة ، كفيل بتحويله الى « مومياء » عصرية ، وانه من الممكن - من وجهة نظر من يعتقدون فى ذلك - بعث من مات الى الحياة من جديد ، وبعد مئات من السنين !



على امل بعث جديد على الارض ترقد هذه الجثة فى كبسولة محكمة ، وتحاط بدرجة حرارة تصل الى ١٩٦ درجة مئوية تحت الصفر ، فتحفظها سليمة من التحلل لمئات السنوات ، فربما يتقدم العلم ، فيعيد اليها الحياة .

ففى اريزونا بالولايات المتحدة الامريكية ترقد اكثر من ١٥ جثة لرجال ونساء فى كبسولات خاصة تحت درجة التجمد ، ولقد توفى هؤلاء بامراض مختلفة ، الا أن الطب الحالى لم يستطع ان ينقذهم مما حل باجسامهم ، ومع ذلك فان الامل لم يفارقهم فى امكان الشفاء من امراضهم - ليس الان ،ولكن بعد أن يتقدم الطب فى غضون مئات السنوات القادمة، وعندئذ يستطيع اطباء المستقبل البعيد أن يخرجوهم من كبسولاتهم الشديدة البرودة ، وان يدفئوهم شيئا شيئا ، ويحقنوهم بمواد خاصة تساعد خلاياهم على العودة الى الحياة من جديد ، وعندما يبعثون من رقادهم الطويل ، يبدأ اطباء المستقبل فى علاجهم من امراضهم التى عجز عنها طب القرن العشرين !

صحيح ان الفكرة خيالية .. لكن لا دخان بدون نار ، فلقد تأسست امال هؤلاء الاموات المجمدين على بعض حقائق علمية ، فعلم تبريد الخلايا والانسجة (او علم Cryogenics) يشير الى امكان حفظها من التحلل والشيخوخة والموت ، اذ ان جميع العمليات الحيوية التى تسرى فيها تتوقف ، وبهذا تبقى على ما هى عليه ولا تتغير ، اى أن زمنها يتوقف بالنسبة لما يجرى حولها ، فمن علامات مرور الزمن ان يتغير كل شيء ويبلى، وما دام التغير ليس فى الخلايا ساريا ، وما دامت

حياتها قد تجمدت في عصر معين ، فان ذلك يعني ببساطة توقف زمنها ، الى ان ياتي من يخرجها من سباتها ، ويعيد اليها الظروف الطبيعية التي تهواها ، فتشتغل من جديد !

يضاف الى ذلك ان بعض الذين اوصوا بحفظ اجسامهم كاملة في كبسولة عند درجة ١٩٦ مئوية تحت الصفر ، كانوا من المشتغلين في علم التبريد، ومن هؤلاء أيضا استاذ جامعي مرموق ، لكن يبدو أن المرض قد افقده عقله ، أو أن حب الحياة الشديد قد ملك عليه لبه ، فكان أن اوصى بتجميد جسده .

لكن أمل عودة هؤلاء الى الحياة ، كأمل ابليس في دخول الجنة ـ على حد قول المثل الشائع .. صحيح أنه يمكن تجميد زمن الانسجة الحية ، وبقاؤها أجيالا من وراء أجيال ، دون أن تتعرض لادنى تغير ، الا ان ذلك يستلزم معاملات خاصة يطول شرحها ، وطبيعي أن هذه المعاملات لا تنفع مع انسان ولا فار ولا ثعبان ـ فالتبريد السريع والشديد في المخلوق المتكامل يؤدي الى تكوين بلورات من الثلج الدقيق الذي يمزق الخلايا تمزيقا ، وما دامت الخلية قد تمزقت ، فلا تنتظر خيرا .. لا في نسيج ، ولا مخلوق ، ويوم يتوصل العلم الى استنباط وسيلة فعالة لتجنب التدمير من خلال التبريد الفجائي الشديد ، فان الامل في البعث على الارض قد يصبح واردا في التفكير العلمي !

الطبيعة تعيد قصة اهل الكهف !

ومع ذلك ، فهناك كائنات كثيرة في مملكتي النبات والحيوان تجمد زمنها ، وتبقى على حالة أقرب الى الموت منها الى الحياة ، وهي تفعل ذلك دون أن نتدخل في شئونها ، وكانما هي امتلكت لعبة مثيرة ، أو سرا غامضا لا يزال يحير العلماء الآن أعظم حيرة ، ولهذا أطلقوا على هذه الحالة اسم ظـاهرة الحياة الخفية او الغامضـة Cryptobiosis . وفي تلك الظاهرة لا نستطيع أن نميز الحدود الحقيقية بين الموت والحياة .

ولقد كان أول من شاهد هذا الامر رجل هولندي يدعى أنتوني ليفنهوك ، وهو أيضا أول من صنع الميكروسكوب الضوئي ليكبر به الاشياء ، ويتعرف على تفاصيلهـا ، وعن هذه الظـاهرة كتب الى الجمعية الملكية في لندن عام ١٧٠٣ ليذكر لها أنه تعرف على حيوانـات صغيرة تسكن فـي بعـض الرسوبيات العضوية الرطبة الموجودة على أسقف المنازل ، وأن هذه الحيوانات تجف وتفقد ماءها اذا ما جفت المواد العضوية التي تعيش عليها ، بل وأكثر من ذلك « أراها تفقد شكلها وقسماتها وتتحول الى كرة صغيرة ليست فيها أية علامة تدل على الحياة » . وقد تستمر على ذلك شهـورا طويلة ، دون أن يعتريها تغير أو تبـدل ، فاذا أمددتها بقطرة من الماء ، اهتزت وتمددت وعادت الى شكلها الذي كانت عليه قبل جفافها ، ثم تبدأ في الحركة والبحث عن الطعام والتهامه بشراهة بالغة !

على أن أحدا لا يستطيع أن يحدد الوقت الذي قد تستمر فيه هذه الكائنات وهي في حالة جفاف وتصلب وسكون .. لكن هناك دلائل تشير الى أنها قد تستمر في حياتها الخفية لعشرات السنين ونعني بالخفية هنا أن العلماء لا يستطيعون التوصل الى أسرار ما يجري في الخفاء ـ واثنـاء الجفاف ـ من عمليات حيوية جد بطيئة ، وبحيث تنتقل بهذه الكائنات عبر الزمان، ودون أن تظهر عليها علامات الشيخوخة .. وهذا ما يحلم به الانسان ويأمل فيه ، لكن الحياة قد منحت هذا الحق لبعض أنواع من الديدان الشعرية (نيماتودا Nematoda) ، ولبعـض أنواع من الحيوانات الهدبيـة الدوارة (روتيفر Rotifers) ، وللحيـوانات المائيـة الصغيرة ذات الارجل المفصلية . والمعروفة علميا باسم بطيئات الخطوة تارديجريد Tardigrade .. الخ .. الخ .

اعمارنا واعمارها

ففي واحدة من التجارب التي تمت بالصدفة ، أخذ احد العلماء عينة جافة من النباتات الدنيـا التي تعيش في الاراضي الرطبة ، وبللها في الماء، فاذا بالحياة الخفية تظهر وتعود بعد أن ظلت في « كهفها » أو جفافها وتوقفها عن الحياة ما يقرب من مائة وعشرين عامـا ، وهو نفس عمر تلك النباتات التي جمعت وحفظت في متحف من متاحف التاريخ الطبيعي بحالة جافة كل هذه السنين !

لكن الكائنات الساكنة على العينة النباتيـة الجافة لم تعد كلها الى الحياة ، بل عاد بعضها ، ثم تحرك بطيئا ، واستمر في حركته دقائق عدة ،

وبعدها ودع حياته . وكانما هو أيضا لا يستطيع أن يعيش في زمان غير زمانه . او كانما هو يعيد لنا قصة اهل الكهف . ولكن بصورة أخرى . وكانما أجهزته وانسجته وخلاياه قد اصابهـا الوهن من شدة المعاناة . وبهذا لم تستطع أن تتحمل الحياة . فانتقلت بدورها الى رحمة الله !

على أن هذه الكائنات المعروفة ببطيئات الخطوة يمكن أن يمتد بها العمر الى أكثر من ستين مرة قدر عمرهـا الحقيقي . اذ يشير دكتـور ارنست ماركوس من جامعة ساوباولو الى أن متوسط عمر الحيوان الذى يعيش في رغد من العيش . ودون أن تضطره الظروف الى تجميد حياته تحت وطأة الجفاف . لا يعمر الا أقل من عام واحد . في حين ان الذى « يعاني » او تضطره الظروف الى دخول حالة « الحياة الخفية » مرات عدة . قد يعمر لاكثر من ستين عاما . ولو امتلك الانسان هذه المقدرة . واستطاع أن يستنبـط وسائل هذه المخلوقات . وطبقها على نفسه . و « يتقوقع » داخل جلده . دون احساس بما يجرى في هذا العالم . لتجمد زمنه . ولعاش قرونا عدة. اذ لو فرضنا انمتوسط العمر هنا سبعون عاما . وأننا بدخول ظـاهرة « الحياة الخفية » نطيل هذا العمـر ستين مرة . فان متوسط العمر قد يصل الى اكثر من أربعـة الاف ومائتي عام . وللانسان بعد ذلك أن يختار متى يقوم . وكم سنة يريد ان يعيش في عالم غير عالمه . وزمن غير زمنه . ثم يدخل مرحلة الحياة الخفية ليقضي فيها عشرات أو مئات الاعوام . ثم يبعث . ويختفي . وتتكرر الدورات ٠٠ هذا لو عرفنا سر هذه الكائنات التي قد نحسبها من كوكب آخر . رغم أنها تعيش معنا على أرضنا . ولا يزال العلم فيها حائرا !

هل هو بعث من بعد موت ؟ !

ولقد احتدم الجدل والنقاش بين العلمـاء في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وجزءا منالقرن العشرين حول طبيعة تلك الظاهرة التي يمكن أن تمر بها بعض الكائنات الحية التي ذكرناها والتي نذكرها .

ففي القرن الثامن عشر تزعم العالم الشهير سبالانزاني فكرة البعث بعد الموت ٠٠ بمعنى أن هـذه الانواع تمر بحـالات لا تختلف في قليل او كثير عن حالة الموت التي تمر بها كل الكائنات . فهي لا تتكاثر ولا تتنفس ولا تتحرك ولا تتغذى . بل تنطوى على نفسها وتنكمش الى حدود يصعب تصديقها . اذ هي تفقد ماء جسمها . فلا يبقى منه الا أقل من ٣٪ فقط . في حين ان نسبة الماء فيها وهي تنعم بحياتها العادية تصل الى ٨٥٪ من وزن جسمها . والانسان لا يمكن أن يمر بمثـل هذه الحالة . اذ ان الحد الفاصل بين الموت والحيـاة يتمثل لنا في عدة أكواب من الماء . لكن ان يفقد الانسان معظم مائه . فلا يبقى منه الا ٣٪ فقط . فهذا يعني أن الانسان البالغ وزنه ٧٠ كيلوجراما. والذى يحتوى جسمه منها على ٤٢ كيلوجراما من الماء (هذا ومن المعروف ان ٦٠٪ من وزن أجسامنا ماء) . سوف ينكمش الى ٣٠ كيلوجراما ٠٠ اى يصبح مجففا كالمومياء . ولكي تعيد اليه حياته . فلا بد أن تنقعـه في برميـل به ماء . ليمتص ماءه . وكانما هو قطعة من الاسفنج . وعندئذ تدب فيه الحياة ٠٠ وطبيعي أن أحدا لا يستطيع أن يبلع هذه الحقيقة المرة . ولا يمكن للانسان أن يمر بها . ولو مر بها لمات في التو واللحظة . لكن الامر يختلف مع هذه الكائنات التي ملكت ما لا نمتلك . وجعلت العلماء لا يكادون يصدقون ما يحدث في حياتها « الخفية » !

ومع ذلك يظهر بعض المعـارضين لسبالانزاني ومؤيديه . فهم لا يستطيعون هضم هذه الفكـرة الجريئة . فالموت عملية لا يمكن عكسها الى حياة . اذ ما دام المخلوق قد مات . فمن المستحيل ارجاعه الى دنياه ٠٠ لا بمـاء ولا طعام ولا صلـوات وابتهالات ودعوات !

ولقد احتدم الجدل أيضا في القرن التـاسع عشر بين كل من العالمين دوبير وبوشيه ٠٠ فتزعم الاول فكرة البعث أو النشور . وتزعم الثـاني الفكرة النقيضة ٠٠ ومن هذا الصراع الفكرى انطلق الخيـال العـلمي . فكان أن كتب أدموند ابوت قصة « الرجل ذو الأذن المقطوعة » . وفيها تصور المؤلف أن كولونيلا فرنسيا كان على حافة الموت . فوضعوه في حالة جفـاف . فتجمدت فيه عمليات الحياة . وسار المؤلف في تخيلاته على أن ما ينفع في الكائنـات البسيطة . قد ينفـع مع الكائنات الراقية . وانه من الممكن أن تبقى ساكنة سكون الموتى لاجيال طويلة. ثم قد تعود الى الحياة

اذا امدوها بالماء فيعود الى الانسجة الجافة مرونتها ونضارتها .. او يقوم الكولونيل او غيره من تصلبه وجفافه ، ليعيش في زمان غير زمانه !

حقائق غريبة

ويجيء القرن العشرون ، او بالتحديد يبدأ العلماء دراسة حياة هذه الكائنات دراسة عميقة في بداية النصف الثاني من القرن العشرين ، فيكتشفون امورا قد لا تطرأ لنا على بال .

فهذه الكائنات الحيوانية تستطيع ان تواصل الحياة حتى ولو عرضناها لمدة دقائق عدة لدرجات حرارة تصل الى ١٥١ درجة مئوية ، اى أعلى بكثير من درجة غليان الماء .. كما انها تقاوم الصقيع الشديد جدا ، حتى ولو انخفضت الحرارة الى حدود قريبة جدا من الصفر المطلق (اى ٢٧٣ درجة مئوية تحت الصفر !) .

يضاف الى ذلك ان تلك الكائنات تتحمل الاشعاعات بدرجات رهيبة . فلو أن مجموعة من الناس قد تعرضت لجرعات من اشعة اكس تصل قوتها ٥٠٠ رونتجن (وهي وحدة اشعاع خاصة) ، فان الموت يحل بنصفهم، لكن كائناتنا التي ذكرناها لا تفقد حياتها بنفس النسبة الا اذا تعرضت لجرعات من ذات الاشعة قوتها ٥٧٠ الف رونتجن !

والغريب ايضا ان هذه المخلوقات تتحمل درجات من التفريغ الهوائي يصل فقط الى خمسة مليمترات من الزئبق (الضغط الجوى العادى ٧٦٠ مليمترا) ولمدة يومين ، كما ان بعضها يقاوم التفريغ الذى يصل الى جزء من مليون جزء من المليمتر الزئبقي لفترات قصيرة ، وهذا وغيره قد يجعل الاجسام البشرية تنفجر وتموت في لحظة خاطفة ، لكن هذه الكائنات شيء اخر مختلف !

ويجيء س . اليثبى من جامعة نيوكاسل ليجفف هذه الكائنات تجفيفا تاما ، لدرجة انها خلت من اى ماء حر أو مقيد ، ومع ذلك فقد امكن ان تعود الى الحياة لو اننا غمسناها في الماء ، وهذه الحقيقة ايضا من الصعب تقبلها ، لكن يبدو ان الحياة احيانا ما تطيح بمنطقتنا ، وتسخر من افكارنا !

وطبيعي ان هذه الامور وغيرها قد اوقفتنا في حيص بيص .. اذ من المعروف ان تجفيف الكائنات الحية العادية (في مملكتي النبات والحيوان) يؤدى حتما الى هدم النظم الجزيئية التي تتوقف عليها حياتها ، وطبيعي ان عودة الحياة الى مثل هذه المجموعة من الكائنات المجففة يشير الينا من طرف خفي انها امتلكت ميكانيكية حيوية او فيزيائية او كيميائية (او كل هذه مجتمعة) ، وبها تستطيع ان تتحدى الزمن وتتحدانا . لكن ما هي هذه الميكانيكية الخفية او الغامضة . فعلمها لا يزال عند الله حتى هذه الساعة !

كانما هذه الكائنات الغريبة تدفعنا دفعا الى اعادة النظر في تقييمنا للموت والحياة . فالموت هو نتيجة حتمية لخلل في اى نظام حى قائم ، وبقدر محصلات هذا الخلل . بقدر ما يزحف الموت على الكائن الحى . فلو ارتفعت حرارة الانسان مثلا الى ٤٣ او ٤٤ او ٤٥ درجة مئوية ، فان الخلل الناتج قد لا يعود الى نظامه ،وكلما ارتفعت الحرارة اكثر ، او استمرت على ارتفاعها زمنا اطول ، كان الخلل اعظم ، والموت اسرع .

لكن ان ترتفع حرارة هذه الكائنات الى ١٥٠ درجة مئوية ، وتنخفض الى ٢٧٠ درجة مئوية تحت الصفر (اى محصلة حرارية فرقها ٤٢٠ درجة ، وهي كافية لصهر بعض المعادن مثل القصدير الذى ينصهر عند ٢٣٢ درجة مئوية ، والرصاص الذى ينصهر عند ٣٢٧٫٤ درجة مئوية) ، ثم لا يحل بها الخلل في نظامها ، فشيء يستحق دراسات ودراسات ، فربما يقودنا ذلك لوضع ايدينا على اسرار مثيرة ،وبها تبطيء زمن الكائنات الحية أو تجمدها . فتطول اعمارها بالنسبة لما حولها ، وقد يستفيد من ذلك الذين يتزعمون فكرة تبريد الاجسام الادمية في كبسولات ، او ربما تجفيفها في افران اسوة بما يحدث فيما قدمنا من كائنات ، فيبعثون في زمان غير زمانهم مرات ومرات ، او قد لا يتحقق ذلك على الاطلاق ، وبهذا يبقى ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر ، فلمعارفنا حدود ، وعلى عقولنا قيود ، اذ اننا لن نتوصل للحقيقة المطلقة ابدا .. لا في ذرة .. ولا خلية .. ولا مخلوق .. ولا سماوات .. اذ « وفوق كل ذى علم عليم» ، «وما اوتيتم من العلم الا قليلا » . ■■

الاسكندرية ـ دكتور عبد المحسن صالح

أقوال معاصرة



شاه ايران



دوبريه



البابا بولس



الحص

■ أنا الشخص الوحيد الذى يملك القوة والسلطة لتحقيق الديمقراطية .

الامبراطور محمد رضا بهلوى شاه ايران

■ المستوطنات جزء من خطة السلام الاسرائيلية .

مناحيم بيجين رئيس وزراء اسرائيل

■ لو كنت محل الرئيس كارتر لأمرت بتدمير هوليود لانها وطن اللا انسان .

الممثلة الانجليزية فانيسا ريد جريف
بطلة فيلم الفلسطيني .

■ النفوذ كحساب التوفير ، كلما قل استعمالك له جنيت ربحا أكثر !

اندرو يانج
المندوب الامريكي لدى الامم المتحدة

■ ان المنطق الاسرائيلي هو الذى يلغى الوجود الاسرائيلى باشتراطه حضوره بغياب الفلسطينيين .

الشاعر محمود درويش .

■ التشاؤم ترف لا يمكن لرجال السياسة أن يتمسكوا به ، لان التشاؤم لدى الناس الذين يحاولون صياغة الاحداث يمكن أن يتحول الى نبوءات .

زبجنيو بريزنسكى
مستشار الرئيس الامريكى للامن القومى

■ تظاهر بعض الصحفيين عند النصب التذكارى لمؤسس باكستان محمد على جناح ، فأحيلوا الى التحقيق فى تهمة امتهان حرمة الموتى !

وكالات الانباء .

■ شجعتنا أمريكا على ارسال الجيش الى الجنوب ، وتلقينا ضمانات منها ، وعندما حان وقت التنفيذ ، خذلنا الامريكان .

دكتور سليم الحص ـ رئيس الوزارة اللبنانية .

■ انني سأبذل جهدى لاكتشاف الوسيلة الكفيلة باقناع الفرنسيين بأن فرنسا على وشك الغرق .

الوزير الفرنسى السابق ميشيل دوبريه

■ ان فجرالامل يبزغ على العالم رغم الكراهية والحرب التى تهدد باخماد نور هذا الفجر .

البابا بولس فى اول خطاب له بعد انتخابه .

العبقرية في الاصالة والابداع

بقلم : الدكتور عبدالرحمن عيسوى

كانت الفكرة السائدة قديما عن العباقرة انهم يحرزون انتصاراتهم دون بذل مجهود كبير . وللعبقرية تاريخ طويل ، ففي بلاد اليونان كان يعتقد ان الشخص اذا اظهر قدرة فائقة وغير عادية ولم يكن هناك تفسير لذلك في وراثته من ابويه او تفسير من خبراته ، كان ينظر لقدرته هذه على انها هبة من الالهة . وحتى في استخداماتنا المعاصرة ما يشير الى ذلك عندما نقول ان العبقرية « هبة » واذا كانت هبة فلابد ان يكون هناك من وهبها فالفكرة القديمة ان العبقرية هبة خارقة .

ان العباقرة يصلون الى نتائجهم واكتشافاتهم دون بذل كثير من الجهد . فنحن نظن ان اسحاق نيوتن كان يجلس في حديقة منزله ثم شاهد تفاحة تهبط من فوق الشجرة على الارض فقال لنفسه « وجدتها .. انها هي .. » ثم قام لتوه وكتب قانون الجاذبية . هذه الفكرة الاسطورية لها صداها في اللغة فعبقر يقال انه مكان في البادية تنسب اليه طائفة من الجن ومن ثم نسب اليه كل عمل جليل دقيق الصنعة . واذا ما حللنا مضمون العبقرية لوجدناها تتضمن الاصالة والابداع . وبالطبع الشيء الاصيل هو الذى لم يحدث من قبل او الذى لم يكتشف من قبل . ولكن الاجدر بنا ان نقول ان حدثا معينا أصيل اذا لم يكن قد لوحظ من قبل ومعنى هذا انه قد يكون موجودا ولكننا لم نلاحظه ويمكن النظر للعبقرية على انها قدرة عالية جدا او انها قدرة

على الخلق والابداع والابتكار ، فالعبقرية قدرة خلاقة مبدعة ، وتمثل اعلى مستوى من القدرة العقلية في الانسان .

والحقيقة ان اعمال العباقرة انما تتأتى عن طريق العمليات العادية ـ كذلك فان الاصالة او الميزة لا تعني بالضرورة انها ناتجة عن العبقرية . وتبدو العبقرية في قدرة الفرد البارزة في اختيار الاشياء والمواقف اختيارا مناسبا ، ذلك الاختيار هو الذى يؤدى الى النجاح في تحقيق بعض الاهداف . وبالطبع لا يمكن للفرد ان يحسن الاختيار الا اذا استطاع الحصول على المعلومات الصحيحة عن موضوع بحثه . وكلما زاد الهدف صعوبة زاد مقدار الجهد المطلوب لتحقيقه والوصول اليه ويعنى ذلك ان العباقرة كانوا من المجدين في اعمالهم . ويؤكد هذه الحقيقة تتبع سير حياتهم فالعبقرية لا تتأتى عشوائيا او تلقائيا وانما هى نتيجة جهد شاق .

وبالطبع لا يعتمد العباقرة في سعيهم للوصول لاهدافهم على منهج المحاولة والخطأ في حل المشكلات التى واجهتهم ولا شك انهم كانوا يستخدمون مناهج افضل من مجرد المحاولة والخطأ وهنا يقدر علينا ان نتساءل ما هى تلك الطرق التى يستخدمها العباقرة ؟

من الامور البديهية ان يحدد المفكر تحديدا دقيقا وواضحا ما يبتغى الوصول اليه ومعنى ذلك انه عليه ان يتحاشى الاهداف الغامضة ، وبعد تحديد هذه الاهداف يصبح عليه ان يحسن التعامل مع المشكلة بحيث يحصل على اكثر قدر ممكن من المعلومات . ويمكن للتربية ان تسهم في نمو العبقرية وازدهارها بين تلاميذها وذلك عن طريق تحديد الاهداف المنشودة ثم تشجيع الاطفال وهم في مرحلة مبكرة من عمرهم على التركيز بالتفكير في بعض الموضوعات والسماح لهم بالتفكير فيها لفترات طويلة سعيا وراء الوصول الى حلولها .

ومهما يكن من دور العوامل البيئية المكتسبة في نشأة العبقرية فاننا لا نستطيع ان ننكر دور العوامل الوراثية .

والمعروف ان العوامل الوراثية تؤثر تأثيرا كبيرا في مقدار ما يتمتع به الفرد من ذكاء ويمتاز العباقرة بالتمتع ببعض السمات الخارقة من ذلك الذاكرة البارزة القوية ومن بين هؤلاء كولردج وشيلي وجوت وفرويد . ولقد لاحظ جالتون ان العباقرة لديهم امتيازات وراثية عن غيرهم من الناس ، حيث تظهر الموهبة في دائرة اسر معينة ، فعلى سبيل المثال كانت اسرة باخ موهوبة في الموسيقى بصفة خاصة وظل هذا التفوق سائدا عبر سبعة اجيال كاملة من هذه الاسرة وان كنا حتى في هذه الحالة لا ننكر اثر التقليد وغيره من التوقعات الثقافية . ويبدو ان العباقرة لا يرثون فقط الاساس العضوى لمواهبهم بل انهم يرثون ايضا الطرق او الاساليب التى يواجهون بها مشكلاتهم .

ويبقى على العلم الحديث ان يحدد كيفية انتقال هذه السمات او تلك الطرائق والاساليب من الاباء والاجداد الى الابناء ، وكيف تبقى في الجهاز العصبى . ولكن فرض الوراثة هذا لا يتضح في حالات مثل حالة اسحاق نيوتن وميكل انجلو .

على كل حال لا بد للعبقرى من التمتع بقدر كبير من الذكاء اذ لا يكفى ان يتبغ الفرد في اداء بعض الاعمال بصورة خارقة كما هو الحال عند بعض ضعاف العقول الذين يستطيع الواحد منهم بعملية حسابية بسيطة يجريها في ذهنه ان يحدد لك مثلا اسم اليوم الذى يوافق تاريخه الخامس من يناير منذ مائة عام مضت . وفيما يلى نعرض لنسب الذكاء لبعض مشاهير العلم والفكر والتاريخ وهى نسب مرتفعة اذا علمنا ان الشخص العادى المتوسط تتراوح نسبة ذكائه ما بين ٩٠ ـ ١١٠

سيرفرانسس جالتون	٢٠٠
جون ستيوارت مل	١٩٠
فولتير	١٧٠
موزارت	١٥٠
فكتور هيجو	١٥٠
فرانسيس بيكون	١٤٥
نابليون	١٣٥
تشارلز داروين	١٣٥

بين الاسرة والمدرسة

وهنا يجدر بنا ان نتساءل : هل يمتاز الشخص العبقري بسمات تميزه عن غيره من الناس ؟ لقد لوحظ ان الشخص العبقري يمتاز بشدة الحساسية للمشكلات والقدرة على انتاج الكثير من الافكار حول اى موضوع نطرحه عليه كما يستطيع الاتيان بكثير من الحلول الجديدة للمشكلات التى تعرض عليه ويتصف بالمرونة في اتجاهه نحو موضوعات بحثه ، كما يتمتع بالقدرة على التحليل والتركيب والنقد والمقارنة والتطبيق والتعميم والتمييز والتصور والتخيل والادراك وهنا نستطيع ان نسأل الشخص : كيف كانت تبدو الحياة في مصر لو لم يوجد نهر النيل . او كيف يمكن ان تكون صورة العالم لو لم تكتشف الامريكتان ؟

ومن الناحية الشخصية فان الشخص العبقري يكون اقل شعورا بالقلق واكثر استعدادا للاعتراف باخطائه ، ومعظم العباقرة متطرفون وغير تقليديين ولهم اهتمامات واسعة ويميلون الى الشعور بالاستقلال والثقة بالذات والكفاءة الذاتية ولقد وجد تيرمان في دراسته على الاطفال الموهوبين انهم كانوا اكثر طولا واثقل وزنا واكثر تفوقا في الدراسة. وواضح ان للاسرة والمدرسة دورا هاما في تنمية قدرات الطفل العقلية وصقلها وتوجيهها الوجهة السليمة نحو المجالات الايجابية عن طريق التدريب على التفكير العلمي المنظم واتباع المنطق والموضوعية ودقة الملاحظة وطرق جمع الحقائق العلمية ، وتنمية عادات حب القراءة والبحث والاطلاع والاكتشاف وارتياد الاماكن وتوفير جو الحب والعطف والدفء والحنان للطفل واشباع حاجاته نحو استطلاع المجهول .

اننا في حاجة الى خلق جيل عربي قوى قادر على امتلاك ناصية العلم وتطويعه لخدمة الاهداف العربية لامتنا العربية في حاضرها ومستقبلها .

■■

عبد الرحمن عيسوى

رئيس قسم علم النفس بكلية الاداب
بجامعة الاسكندرية

عبقرية السائق

❋ يروى أن الدكتور البرت اينشتاين كان يجوب الجامعات في سيارة يقودها سائقه الخاص ويلقي محاضرات عن نظريته في الكون التي تقوم على المبدأ القائل بأن مقاييس المكان والزمان نسبية .

وفي احدى الجولات قال السائق مخاطبا الدكتور اينشتاين لقد سمعت المحاضرة حوالي ثلاثين مرة لدرجة أنني حفظتها عن ظهر قلب والان لي رجاء بأن ألقي المحاضرة بدلا منك فرد اينشتاين قائلا : « حسنا سأعطيك الفرصة ، فهم لا يعرفونني في الجامعة التي ستزورها في المرة القادمة ، وعندما نصل الى هناك سأرتدي زيك في حين تقدم نفسك على أنك أنا وتلقي المحاضرة » وبالفعل وفي الموعد المحدد ألقى السائق محاضرة اينشتاين بجدارة ، ولما هم بالخروج استوقفه أحد أساتذة الجامعة وسأله سؤالا معقدا تضمن معادلات رياضية صعبة للغاية وعلى الفور تدارك السائق الموقف وقال ان حل هذا السؤال بسيط جدا وانني دهشت لتوجيهك لي مثل هذا السؤال ، ولابين لك مدى سهولة الاجابة عليه ، سأقوم باحضار سائقي ليجيبك عليه !

المرأة والسياسة

في أول أزمة واجهت المجتمع الاسلامي

بقلم : الدكتور أحمد عبيد الكبيسي

هذه صفحة من التاريخ الاسلامي ،تشرف المراة، وتبدد الكثير من الضباب والغيوم التي يحاول البعض ان يحجب بها حقيقة الدور الذي قامت به المراة في الاسلام .

هنا تلعب المراة دورا سياسيا بارزا،تشارك بالاحداث وتؤثر فيها ، بوعي ونضج نادرين .



هنا تتقدم المرأة الصفوف ، تدافع عن القيمة والمبدأ ، وتصد الظلم وتحارب الظالمين •

كيف كان موقف المرأة خلال أول أزمة سياسية خطيرة هزت المجتمع الاسلامي ، وهي الازمة التي بدأت بمقتل خليفة المسلمين عثمان بن عفان ، وانتهت باستيلاء معاوية على السلطة وما كان خلال ذلك وبعده من صراع في الراي والسيف ، وجدال بالدليل والحجة واسهام بالنصيحة والمشورة ••

ساتجاوز دور عائشة الصديقة ام المؤمنين التي ليس دورها في هذه الازمة خافيا على خاص او عام - حين شاركت في تلك الاحداث القاسية برأيها وجهادها • وضربت المثل لما يمكن ان تقوم به المرأة : حين تسلك عن علم ، وتصدر عن حق ، وتسعى عن بصيرة • ولا غرابة ان قال فيها رسول الله (ص) « خذوا ثلثي دينكم عن الحميراء » •

واذ اتجاوز دور عائشة رضي الله عنها ، فاني اشير الى دور هند بنت امية « ام سلمة زوجة رسول الله (ص) وأم المؤمنين » • تلك المرأة الجليلة ذات العقل والراي والكمال والتي هاجرت مع الرواد الاوائل الى الحبشة ثم المدينة •

فقد عرفت ام سلمة بالرؤيا السياسية الواضحة والاراء الصائبة التي تدل على خبرة وحنكة وبصر بالامور • ولقد روى لنا التاريخ بعضا من ذلك ، فلقد أشارت على النبي (ص) يوم الحديبية ، وذلك ان النبي (ص) لما صالح اهل مكة ، وكتب كتاب الصلح بينه وبينهم وفرغ من قضية الكتاب الذي كان ينص على الا يدخل المسلمون مكة هذا العام ، قال رسول الله (ص) لاصحابه : قوموا انحروا ثم احلقوا ، فلم يقم منهم رجل ، بعد ان كرر ذلك عليهم ثلاث مرات •

فقام رسول الله (ص) فدخل على ام سلمة ، فذكر لها مالقي من الناس فقالت له ام سلمة : « يانبي الله اتحب ذلك ؟ اخرج ثم لاتكلم احدا منهم كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك • فقام رسول الله (ص) فخرج فلم يكلم احدا منهم كلمة ، فنحر بدنته ودعا حالقه فحلقه •

فلما راى المسلمون ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد يقتل بعضهم بعضا •

وهكذا برهنت هذه المرأة على معرفتها بسياسة الرجال وبصيرتها بالاوقات الحرجة •

ولقد كان لام سلمة نصيب من التوجيه والنصح للخليفة عثمان بن عفان حين اعتورته الخطوب ، وتزاحمت حوله الاحداث وازدحم على بابه المناوئون اذ ذهبت اليه يوما فقالت له يابني ، مالي ارى رعيتك عنك نافرين وعن جناحك نافرين ، يابني لا تعف طريقا كان رسول الله يحبها ، ولاتقتدح بزند كان قد اكباه ، وتوخ حيث توخى صاحباك ابو بكر وعمر ، فانهما لكما الامر لكما (التزما بالحق) ولم يظلما • هذا حق امومتي قضيته اليك ، وان عليك حق الطاعة •

وبهذه الكلمات تكون ام سلمة قد شخصت اسباب ما يعانيه عثمان ، ووصفت له مايسد الثغرة ، ويعالج الداء •

وقد عرف لها عثمان فضل ذلك حين قال لها : « اما بعد فقد قلت فوعيت ، واوصيت فقبلت ، وان لي عليك حق النصيحة » •

نائلة زوجة عثمان

والكلام في الوعي السياسي عند المرأة من حول عثمان يفرض علينا التامل مليا بدور زوجته نائلة بنت الفرافصة بن الاحوص الكلبية « التي كانت كما يذكر التاريخ من ربات الراي والعقل والفصاحة والجمال - كانت تشهد مع زوجها عثمان مجالس الراي ومواقف الحزم ، وندوات التدبير •

ومن ذلك : ان عثمان بن عفان خطب الخطبة التي نزع فيها - واعطى الناس من نفسه التوبة ، فرق الناس له يومئذ - وبكى من بكى منهم •

ثم لما عاد وجد في منزله مروان ونفرا من بني امية - ولم يكونوا قد شهدوا الخطبة فلما جلس ، قال له مروان : اتكلم ام اصمت ؟ فقالت له نائلة : لا بل اصمت ، فانهم والله قاتلوه ومؤثموه ، انه قد قال مقالة لا ينبغي له ان ينزع عنها » وفي هذا دليل على انها شاهدت خطبته وتشاهد تبادل الراي في مجلسه مشاهدة العارف البصير ، الذي يحترم رايه وتؤخذ مشورته ويحسب حسابه ، وجاء علي ابن ابي طالب يوما على عثمان ، ودخل عليه مغضبا فقال له اما رضيت من مروان ولا رضي منك الا بتحريفك عن عقلك ، والله ما مروان

بذى رأى فى دينه ولانفسه ، وايم الله انى لاراه سيوردك ثم لايصدرك ، وما انا بعائد بعد مقامى هذا لمتابعتك • فلما خرج دخلت عليه نائلة فقالت : اتاذن لى بالكلام ؟ فقال : تكلمى ،فقالت: قد سمعت قول على ، وانه ليس يعاودك ، وقد اطعت مروان يقودك حيث يشاء •

فقال : فما أصنع ؟

قالت : « تتقى الله وحده لاشريك له ، وتتبع سنة صاحبيك من قبلك ، فانك متى اطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة ، وانما تركك الناس لمكان مروان ، فارسل الى على فاستصلحه ، فان له قرابة منك وهو لا يعصى » فاخذ عثمان برايها وفعل ما اشارت به • ولقد حاول مروان أن ينال منها عند عثمان بعد أن سمع مقالتها فيه ، غير أن عثمان صده وانتهره ، وصرح بانها أصدق من مروان وادرى ، وبقيت نائلة تساهم فى العمل السياسى بالراى والجهد والتعرض للاخطار حتى الساعات الاخيرة من حياة زوجها ، حين تسلل البعض بالسيوف الى دار عثمان • فلما رات نائلة ذلك منهم نشرت شعرها لكى يولوا حرمة ذلك • فقال لها عثمان : خذى خمارك فلعمرى لدخولهم على اعظم من حرمة شعرك • اى أنهم اذ لم يرعوا حرمة ذاك فلن يرعوا حرمة هذا • ثم أهوى رجل الى عثمان بالسيف فانكبت عليه واتقت السيف بيدها فقطع اناملها ، فنادت غلاما لعثمان اسمه « رباح » معه سيف : يا رباح أعن على هذا فضربه رباح فقتله ، ثم دخل آخر معه سيف ، فقال : افرجوا لى ، فوضع ذباب السيف فى بطن عثمان ، فامسكت نائلة السيف فحز أصابعها ومضى السيف فى بطن عثمان حتى قتله•

وهكذا كانت نهاية ذى النورين ومجهز جيش العسرة الذى كانت تستحى منه الملائكة واحد العشرة المبشرين بالجنة •

ولم تتوقف نائلة بنت الفراقصة عند هذه النقطة بل واصلت العمل السياسى فى اطار نكبة عثمان رضى الله عنه •

ذلك انها خرجت ومعها نسوة من قومها الى مسجد رسول الله (ص) فاستقبلت القبلة بوجهها ، ووجهت احدى النسوة تستنهض الناس لها ، فتجمعوا حولها ، وقد اسدلت ثوبها على وجهها والقت كمها فى راسها ، وتوجهت الى الناس بالخطاب ، فحمدت الله واثنت عليه ، وصلت على النبى ثم قالت : (ايها الناس ان عثمان ذا النورين قتل مظلوما بينكم بعد الاعتذار وان اعطاكم العتبى ، معاشر المؤمنين واهل الملة ، لا تستنكروا مقامى ولا تستكثروا كلامى فانى رزئت جليلا وتذوقت ثكلا من عثمان ، ثالث الاركان من اصحاب رسول الله (ص) فى الفضل عند تراجع الناس فى الشورى يوم الارشاد • فكان الطيب المرتضى، المختار حتى لم يتقدمه متقدم ولم يشك فى فضله متائم القوا اليه الازمة وخلوه والامة : حين عرفوا له حقه وحمدوا مذاهبه وصدقه • فكان واحدا غير مدافع وخيرتهم غير منازع لا ينكر له حسن الغناء ، ولا عنه سماح النعماء ، اذ وصل أجنحة المسلمين حين نهضوا الى رؤوس ائمة الكفر ، حيث ركضوا فقلدوه الامور اذ لم يكن له فيهم نظير ، فسلك بهم سبيل الهدى وبالنبى وصاحبيه اقتدى •

« امتد له الدين ، واتصل به السبيل المستقيم، ولحق الكفر بالاطراف واقام يمدكم بالراى ويمنعكم بالادنى ، يصفح عن مسيئكم فى اساءته ، ويقبل من محسنكم باحسانه ، ويكافيكم بماله ، ضعيف الانتصار منكم قوى المعونة لكم فاستلنتم عريكته حين منحكم محبته آمنا جراتكم وعدوانكم ، فراكم بعين الحق اخوانا ورايتموه بعين الباطل شيطانا فى اعقاب سيرة عمر بن الخطاب الذى رايتموه فظا وعددتموه غليظا ، اخذكم بالشدة وتحوتكم بالضرب، وكان والله أعلم باذابكم ومصالحكم ، (فلله هو) كان قد نظر فى ضمائركم وعرف اعلانكم وسرائركم• فحين فقدتم سطوته وامنتم بطشه ورايتم ان الطرق قد انشعبت لكم والسبل قد اتصلت بكم ظننتم ان الله يصلح عمل المفسدين • فعدوتم عدوة الاعداء وشددتم شدة السفهاء على التقى النقى الخفيف بكتاب الله لسانا ، الثقيل عند الله ميزانا ، فسفكتم دمه ، وانتهكتم حرمه واستحللتم منه الحرم الاربع ، حرمة الاسلام وحرمة الخلافة وحرمة الشهر الحرام ، وحرمة البلد الحرام • فليعلمن الذين سعوا فى آمره ودبوا فى قتله ومنعوا عن دفنه : أن بئس للظالمين بدلا ، وانهم شر مكانا واضعف جندا ، لتتعبدنكم الشبهات ولتتفرقن بكم الطرقات ولتذكرن بعدها عثمان ولا عثمان •

عيون الباطل وأهله

ثم قالت : انكم فى فتنة عمياء صماء ، ممتدة الحيران شوهاء العيان فى لبس من الامر لهوات الشر

فاغرة ، وآيات السوء كاشرة ، وعيون الباطل خزر ، واهله شزر • تكرتم امر عثمان وبشعتم الدغة لتنكرن غير ذلك في غيره حين لا ينفعكم عقاب، ولا يسمع منكم استعتاب ثم اقبلت بوجهها على قبر النبي فقالت : –

أيا قبر النبي وصاحبيه
عذيري ان شكوت ضياع ثوبي
فأني لا سبيل فتنفعوني
ولا أيديكم في منع حوبي

ثم انصرفت وهي تبكي وتردد انا لله وانا اليه راجعون » •

هذا بعض ما جاء في خطبة نائلة في مسجد رسول الله (ص) بعد مقتل عثمان •

ولم تتوقف نائلة بعد ذلك عن العمل السياسي في هذا المجال ، فكتبت الى معاوية بن ابي سفيان تصف دخول القوم على عثمان ، وارسلت بقميصه مضرجا بالدم ممزقا ، وبالخصلة التي نتفها محمد ابن ابي بكر من لحيته ، وباصبعين من اصابعها المقطوعة مع شيء من الكف ، ثم دعت « النعمان بن بشير الانصاري » فسلمته ذلك وبعثت به الى معاوية•

اما نص الكتاب ، فقد كان آية في الفصاحة والبلاغة ، ودليلا على العمق السياسي وقوة التصوير ، يحلل الحوادث ، ويقترح الحلول ، ويشخص الاخطاء ،فكان بحق من التقارير السياسية النادرة في التاريخ •

ولقد كان لهذا الكتاب اثر كبير في الحوادث التي تلت ذلك ، فلقد قرأه معاوية على الناس في المسجد ، فحلف رجال من اهل الشام ان لا يطأوا النساء حتى يقتلوا قتلة عثمان او تذهب ارواحهم ثم كان ما كان مما هو معروف •

ولقد بلغ من حسن وفائها لعثمان (رضي) مايلي :– كانت من اجمل نساء العرب ثغرا ،فكان يضرب المثل بحسن فمها واسنانها ،فلما قتل عثمان اخذت فهرا – اي حجرا صلدا – فدقت به اسنانها فسال الدم وتناثرت اسنانها على صدرها فبكى النسوة من حولها وقلن لها : ماذا صنعت بنفسك ؟ فقالت : اني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، واني خفت ان يبلى حزني على عثمان فيطلع مني رجل على ما اطلع عثمان ، وذلك ما لا يكون ، والله لا قعد مني رجل مقعد عثمان ابدا •

ولقد خطبها معاوية بعد ذلك فرفضت وقالت تخاطب نفسها :–

أبى الله الا أن تكوني غريبة
بيثرب لا تلقين أما ولا أبا

وهي تشير بذلك الى غربتها في المدينة حيث كان اهلها من بادية السماوة بالعراق ولزواجها من عثمان قصة طريفة تذكرها كتب التاريخ •

في مواجهة معاوية

وتشتد حركة الزمن ، وتسرع الاحداث بالاحداث، ويحتدم الصراع بين علي ومعاوية ويتعين على الناس تحديد المواقف والمواقع ، وينقسم انحياز المسلمين بين هذا وذاك : واذا بالوعي السياسي عند المرأة يبرز في اجلى صوره واصدق مواقفه ، وتعزز المرأة المسلمة خطها السياسي في ميدان الرأي بالمشاركة الفعالة في ميدان الحرب ، ويمتلىء جوف التاريخ بالعجيب المعجب من اخبار النساء المجاهدات « كالزرقاء بنت عدي » التي كانت تركب الجمل الاحمر وتقف بين الصفوف في معركة صفين تناصر الامام علي وتحث المقاتلين على الصبر وتقول « ايها الناس ، ان الحق كان يطلب ضالته فوجدها فصبرا معاشر المهاجرين على الغصص ، وامضوا الى القتال غير ناكسين ولا متشاكسين • »

ولقد استقدمها معاوية بعد ان استتبت له الامور فقال لها : يازرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه •

فارادت منعه من الاسترسال في ذلك فقالت له مؤنبة : « يا امير المؤمنين مثلك من بشر بخير وسر جليسه » فسكت عنها •

ودخلت « عكرشة بنت الاطرش » على معاوية بعد أن ولي الخلافة فدار بينه وبينها هذا الحوار الذي يدل على قوة شخصيتها وشدة شجاعتها وعمق ثباتها على رأيها•وهي صفات يفتقر اليها السياسي اليوم ولا يصلح امره بدونها •

قالت : السلام عليكم يا امير المؤمنين •

قال : الان صرت عندك امير المؤمنين ؟

قالت : نعم اذ لا عليٌّ حي •

قال : اولست المتقلدة حمائل السيف وانت واقفة بين الصفين بصفين تحرضين الناس عليّ ، والله لقد كدت يومئذ لتقتلين جيش الشام لولا قدر الله ، فما الذي حملك على ذلك ؟

قالت : ياامير المؤمنين ، ان الله سبحانه يقول « يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد

لكم تسؤكم ، وان اللبيب اذا كره شيئا كره اعادته .

قال :صدقت ، وسكت عنها .

فلقد بلغ تاثير هذه المرأة السياسي ان اوشكت ان تثنى أهل الشام عن رايهم ، وتدفعهم الى التخلى عن نصرة معاوية لولا قدر الله كما يعترف معاوية بذلك . وهذه مهمة ليستبالسهلة ، فعندما يصل السياسي الى حد تغيير الاتجاهات في مثل هذه المواقف الحرجة ، والساعات الحاسمة ، فلانه يتمتع بقدرات عالية ، وكفاءة ممتازة ، وشجاعة نادرة . وهذا ما كانت تتمتع به عكرشة بنت الاطرش حين اوشكت ان تحقق ذلك لولا تدخل القدر كما يقول معاوية .

وما قامت بـه عكرشة يذكرنا بما قامت بـه « سودة بنت عمارة بن الاشتر » التي وفدت على معاوية بعد مقتل علي ، فكانت بينهما المحاورة التالية ، التي اظهرت ملامح الوعي السياسي لهذه المرأة المتميز بالجرأة الشديدة ، والثبات على الرأى .

قال : كيف انت يا ابنة الاشتر ؟

قالت : بخير يا امير المؤمنين .

قال : الست القائلة لاخيك

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة
يوم الطعان وملتقى الابدان
وانصر عليا والحسين ورهطه
واقصد لهند وابنها بهوان

قالت : يا امير المؤمنين ، قطع الراس وبتر الذنب ، فدع عنك تذكار ما قد نسي .

قال : هيهات ليس لمقام اخيك نسى .

قالت : صدقت والله ما كان اخي خفي المقام ولا ذليل المكان ، ولكنه كان كما قالت الخنساء :

وان صخرا لتأتم الهداة بـه
كأنـه علـم فـى رأسـه نـار

وبالله اسالك يا امير المؤمنين الا اعفيتنى مما استعفيت ، فسكت عنها .

المفاوض العنيد

ولقد كانت سودة بنت عمارة ثاقبة الراى في السياسة ، ونافذة البصيرة في الزعامة ، تمثل قومها في الخطوب ، وتنوب عنهم في المحافل . على الرغم مما عرف عن قومها « بني همدان » من نبل في السلوك ، وباس عند اللقاء ، وكلمةعشية التدبير ، حتى بلغت مكانتهم عند علي بن ابي طالب ان قال فيهم :

ولو كنت بوابا على باب جنة
لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ولقد نابت عن قومها في رفع الشكوى الىمعاوية عما لحق بهم من ظلم عماله عليهم ، فكانت بينهما المناوشة الكلامية التالية التي اظهرت ما لهذهالمرأة من بلاغة في القول ، ورباطة في الجاش ، واصرار على الحق ، يعزز ذلك ادراك كامل للهدف ، ومعرفة بالحدود والاحكام .

قالت : يا امير المؤمنين ، انت اليوم للناس سيد ، ولامورهم مقلد ، والله سائلك عما افترض عليك من حقوقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط سلطانك ، فيحصدنا حصد السنبل، ويدوسنا دياس البقر ، ويسالنا الخسيسة ، ويسومنا الجليلة ، وهذا « ابن ارطاة » قدم بلادي فقتل رجالي واخذ مالي ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فاما عزلته فشكرناك واما لا فعرفناك.

فغضب معاوية من جراتها عليه وتهديدها له ، وقال : ويحك اياى تهددينني بقومك ، والله لقد هممت ان اردك اليه على قتب اشرس حتي ينفذ فيك حكمه ، ثم سكت .

وسادت بينهما برهة من الصمت المتوتر ، قطعتها سودة حين اخذت تتمثل بابيات من الشعر فتقول :

صلى الاله على روح تضمنه
قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

فقال معاوية : ومن ذاك ؟

قالت : علي بن ابي طالب .

قال : ولكنى لا أرى عليك منه أثرا .

قالت : « بلى والله ، اتيته في رجل كان قد ولاه صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين ، فوجدته قائما يصلي، فانفتل عنالصلاة، وقال برقة وتلطف : الك حاجة ؟ فاخبرته خبر الرجل ، فبكى ، ثم رفع يديه الى السماء ، وقال: اللهم انى لم امرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك ، ثم اخرج من جيبه قطعة من جراب ، فكتب عليها : « بسم الله الرحمنالرحيم ، ولا تبخسوا الناس اشياءهم ، ولا تعثوا في الارض مفسدين . اذا جاءك كتابي هذا فاحتفظ بما بين يديك حتى ياتي من يقبضه منك والسلام . » فعزله .

فقال معاوية : اقضوا لها حاجتها .

فقالت : الي خاصة أم لقومي عامة ؟

فقال : وما انت وغيرك ؟

فقالت : اذن هي والله الفحشاء واللؤم ، ان يكن عدلا فليكن شاملا ، والا يسعني ما يسع قومي .

فقالت « هيهات لمظلم ابن ابي طالب الجراة ، افضوا لها ولتومها حوائجهم » .

واذا كان لا بد لي من كلمات قليلة اعقب بها على موقف هذه المراة ، فاني لا أزيد على القول : بانها تتمتع بكل ما يجب أن يتمتع به المفاوض السياسي من قوة الحجة على الدعوى ، وعمق الاحساس بالقضية ، وطول النفس مع الخصم ، مع قدر كاف من حسن التعبير ، ودقة التصوير ، وتكرار المحاولة حتى يصل الى ما يريد .

ومن الملامح الاساسية للوعي السياسي عند المراة في صدر الاسلام هو ذلك الصمود الذي لا تفلّه الغلبة ، ونوع من الثبات الذي لا تزعزعه الهزيمة ، ورصيد من صبر لا ينفد عند استبطاء النصر .

وبتلك الملامح للوعي السياسي للمراةفي صدر الاسلام تتهاوى تلك النظرية التي يؤمن بها علماء السياسة اليوم ، والتي تقول : ان المراة لا تصبر على النضال ولا تصمد له اذا تاخر النصر .

آمنة في السجن

ونستشهد لذلك بالموقف السياسي البطولي الذي وقفته آمنة بنت عمرو بن الشريد « فبعد أن قتل علي أرسل معاوية في طلب زوجها « عمر بن الحمق الخزاعي » الذي كان من المناصرين لعلي في حربه» غير أن عمر استطاع أن يزوغ منه ، فارسل معاوية في طلب زوجته آمنة فحبسها في سجن دمشق سنتين ، املا في أن تنهار وترسل في طلب زوجها ، غير انها كانت اشد صلابة مما كان يظن .

ثم أن عبد الرحمن بن الحكم ظفر بعمر زوجها فقتله ، وبعث براسه الى معاوية ، وهو اول راس حمل في الاسلام ، فلما اتى الرسول معاوية بالراس بعث به الى زوجته آمنة في السجن ،وقال للحرسي: اطرح الراس في حجرها ، ثم احفظ ما تتكلم به حتى تؤديه الي ، ففعل هذا ، فارتاعت له ساعة ، ثم وضعت يدها على راسها وقالت : واحزناه لصغره في دار هوان وضيق ، نفيتموه عني طويلا، واهديتموه اليّ قتيلا ، فاهلا وسهلا بمن كنت له غير قالية ، وانا له اليوم غير ناسية ، ارجع به ايها الرسول الى معاوية ، فقل له – ولا تطوه دونه :– ايم الله ولدك ، واوحش منك اهلك ، ولا غفر ذنبك .

فرجع الرسول الى معاوية فاخبره بما قالت ، فارسل اليها ، فاتته وعنده نفر من الناس ، فقال لها : اانت يا عدوة الله صاحبة الكلام الذي بلغني؟ قالت : نعم غير نازعة عنه ، ولا معتذرة منه ، ولا منكرة له . فاعرض عنها معاوية ، ثم قال لها : اذهبي عني ثم لا اسمع بك في شيء من الشام ، ثم اشار اليها ببنانه : أن اخرجي .

فخرجت وهي تقول : واعجبي لمعاوية ، يكف عني لسانه ، ويشير الي بالخروج ببنانه . اما والله لاعارضنه بكلام مؤيد شديد ، اوجع من نوافذ الحديد ، او ما انا بابنة الشريد .

فخرجت وتلقاها الاسود الهلالي ، وكان رجلا اصلع اسلع ، فسمعها وهي تقول ما قالت .فقال: لمن تعني هذه ؟ الامير المؤمنين تعني .. عليها لعنة الله ؟

فالتفتت اليه ، فلما راته قالت : خزيا لك وجدعا ، اتلعنني واللعنة بين جنبيك ، وما بين قرنيك الى قدميك ، اخسا يا هامة الصعل ووجه الجعل ، اذل الله بك نصيرا ، واقل بك ظهيرا .

فبهت الهلالي وهو ينظر اليها ، ثم سال عنها فاخبر ، فاقبل اليها معتذرا .

فقالت : قبلت عذرك ، وان تعد أعد ، ثم لا استقيل ولا اراقب فيك . ثم أن معاوية سخر من الهلالي لتخاذله امام هذه المراة ، فقال له الهلالي: اني والله يا امير المؤمنين لم اكن ارى شيئا من النساء يبلغ من معاضيل الكلام ما بلغته هذه المراة، جالستها ، فاذا هي تحمل قلبا شديدا . ولسانا حديدا ، وجوابا عتيدا ، وهالتني رعبا ، واوسعتني سبا .

فخرجت آمنة تريد الجزيرة ، فمرت بحمص ، فقتلها الطاعون .

■■

أبو ظبي – د . أحمد عبيد الكبيسي
رئيس قسم الدراسات الاسلامية بجامعة الامارات العربية

كيف تطول الحياة؟
وكيف تنتهي؟
هذا هو السؤال!

عن الاعمار.. وانها بيد الله

« اثبتت النسبية اثباتا قاطعا خرافية الزمن العام »

بقلم : عبدالوهاب احمد الافندى

● وضعت القلم جانبا وغبت فى التحديق فى جليسى ، تمثالا من الدهشة .

كان الشاب الذى اقتحم على مكتبى فى الصحيفة يتحدث بهدوء ، كما لو الامر يتعلق بامكانية وجود الحياة على المريخ .

اوقفته .

ــ هل تقول انك تقتل الناس بالموسيقى؟ !

ــ انا لم اقل ذلك . فقط اخبرتك ان هذا ممكن .

حسنا لنتوقف قليلا . اعد على شرح وجهة نظرك منذ البداية .

« كما قلت لك ــ ان الاعمار هى اولا واخيرا شعور داخلى . حياتك هى ما تحس انك عشته . وللموسيقى المقدرة على تشكيل هذا الشعور . من الممكن أن تسمع لحنا لمدة عشر دقائق ، ولكنك تحس بانه استمر لعشر سنوات . وبعبارة اخرى يمكنك ان تكثف حياة عشرة اعوام فى عشر دقائق ، شعوريا . فلو كان مستمعك فى الاربعين ، وكان من المفروض ان تنتهى حياته فى الخمسين ، فان استماعه لهذا اللحن سيجعل حياته تنتهى فور انتهاء اللحن ، اذ انه سيكون بلغ الخمسين عندها ! »

استمر الحوار وقتا ليس بالقصير . وبالطبع لم انشر منه شيئا ، واختفى الشاب

بعد عامين التقيته . عرفنى على الفور . وعادت الى ذهنى مسالة الحياة والموت . لم نتحدث كثيرا . مر عامان اخران . ثم عدت الى لقاء صديقى . هذه المرة سالته : « هل مازلت تذكر ماقلت لى عن الموسيقى والموت ؟ »

اجاب : « نعم . وقد استعنت بباحثين فى علم الموسيقى ايدت آراؤهم وجهة نظرى . »

لا ادرى لماذا اصبحت افكر كثيرا بهذه المسالة . (لقد حدثنى صديقى ايضا عن مقدرة بعض اصدقائه على التاثير النفسى بدون اتصال مباشر على الاحياء والاموات معا !)

* * *

لقد حيرت مسالة الزمن اذهان الفلاسفة زمنا طويلا حتى حسمها اينشتين لصالح صديقى سالف الذكر .

فقد اثبتت النسبية اثباتا قاطعا خرافية الزمن العام . فالزمن بالنسبة لاى مكان او حادثة

مختلف عن زمان جميع ما عداها . فقط هناك اسباب عملية تجعل من الممكن اعتبار الزمن بالنسبة للاشياء التي تتحرك بسرعة لها تقارب سرعة الضوء عاما .

على ان هذا لا يمنع كون تقديراتنا لاعمار الكائنات الاخرى غير دقيق . قد نحس بان شخصا ما عاش مائة من السنين ،في حين انه يكون عاش منها الفا او عشرا ، خاصة وان مانعرفه عن العمليات العضوية والسيكولوجية لا يمنع امكانية مثل هذه الحادثة ، اذ ان معلوماتنا عن طبيعة ادراك الزمن وعلاقة ذلك بالعمليات الحيوية ما زالت في طفولتها .

هناك نقطة اخرى . فقد اثبتت تجارب كثيرة ان طول الفترة التي يعيشها الكائن العضوي متصلة اتصالا وثيقا بما يصرفه من طاقة خلال هذه الفترة .

من ذلك انه امكن اطالة عمر الفئران بقصر طعامها على المأكولات التي تجعلها تصرف اقل قدر من الطاقة . وقد ثبت ايضا ان الكائنات التي تذهب في حالة بيات شتوي او يومي تعيش اكثر من الكائنات المماثلة لها وزنا ، وهذه تخفض منصرفاتها من الطاقة في نومتها الشتوية الى عشرة بالمائة فقط من منصرفاتها العادية .

★ ★ ★

على الرغم من كثرة الحديث عن المعمرين ، فان اطول البشر عمرا في السجلات حتى الان، هو المدعو «بيير جوبير» المولود في ١٥ يوليو عام ١٧٠١ م والمتوفى في ١٦ نوفمبر من عام ١٨١٤ عن مائة وثلاثة عشر عاما و ١٢٤ يوما .

وهناك ايضا حالة الاسكندنافي « كريستيان جاكوبسن دراكنبيرج» المولود في ١٨ نوفمبر من عام ١٦٢٦ والمتوفى في ٩ اكتوبر عام ١٧٧٢ عن مائة وخمسة واربعين عاما و ٣٢٥ يوما .

ولكن الحادثة الاخيرة مشكوك في صحتها ،ويزيد هذا الشك كون الفرق بينها واكبر عمر مؤكد يقارب الثلاثين عاما .

ومثل هذا القول ينسحب على مزاعم المعمرين التي لاتدعمها اي سجلات وعليه فقد قدرالمختصون ان اقصى عمر للنوع البشري يجب الا يقل عن ١١٤ عاما .

العوامل التي تحكم اقصى عمر للكائن الحي هي في الاساس وراثية .

الوراثة تحدد العادات التكاثرية للكائن ، وهذه بدورها تحكم طول حياته .

وقد وجد ان نهاية حياة معظم الكائنات الحية، اشبه بعملية مبرمجة على اساس عاداتهاالتكاثرية وتتحكم في ذلك الانزيمات .

وينسحب هذا على كل الكائنات من، ذبابةمايو، التي لاتتعدى حياتها اليوم الواحد ، الى تلك الاشجار الضخمة في كاليفورنيا التي يحسبعمرها بالاف السنين، (اكبر شجرة قطعت حتى الان عمرها ستة الاف سنة !)

ونوضح ذلك بمثال نوعين من الحشرات ، او فئتين منها .

هنالك الحشرات التي لا تملك دفاعا عن نفسها ضد الكائنات التي تتغذى عليها ، وهذه نجدها تموت بعد الانجاب مباشرة ، وتكون في الغالب خافية يصعب تمييزها من بيئتها .وتتحكم في انهاء حياتها الانزيمات التي تجعلها تطير كثيرا ،وبالتالي تصرف كثيرا من الطاقة وتموت بسرعة .

ومن ناحية اخرى نجد الحشرات السامة تكون براقة ليسهل تمييزها وتموت متاخرة بعدالانجاب وذلك حتى يعرفها اعداؤها فيتجنبوها .وهي تطيل حياتها بواسطة انزيمات تجعلها تطير اقل وتقلل منصرفاتها من الطاقة .

وفي عالم النباتات نجد النباتات الحوليةكالقمح تقضى نحبها بعد الاثمار مباشرة ،في حين ان السنديان وغيره من الاشجار الضخمة تطول اعمارها الافا ، وهي لاتبدأ في الاثمار الا بعد ثلاثين او اربعين سنة من نموها .

والكائنات عموما تنقسم قسمين ،تلك التي تنجب مرة واحدة في العمر ، مثل الحشرات ، والنباتات الحولية وثنائية الحول ، وهذه تموت بعد الانجاب ، وفور اتمامه في الغالب .

ثم تلك التي تنجب في العمر اكثر من مرة ،خلال فترة خصوبة تغطى معظم عمرها ، ومن الاخيرة الانسان .

وقـــد وجـد الباحثون ان عمر النـــوع من ذوات الثدى ، اى اقصى ما يمكن ان يعيشه الكائن من ذلك النوع يمكن حسابه بالمعادلـة التالية :

$$ع = ٥ر٥ \times د^{٥٤ر} \times ج^{-٣٤ر} \times ك^{-٤٢ر}$$

حيث ع = اقصى عمر للكائن (بالشهور)

د = وزن الدماغ بالجرامات

ج = وزن الجسم بالجرامات

ك = النشاط الكيماوى بالسعر الحرارى لكل جرام فى الساعة ٠

ويلاحظ ان العمريتناسب طرديا مع وزن الدماغ، وعكسيا مع وزن الجسم والنشاط الكيماوى فـى الجسم ٠

ومع ذلك فـان بعض الـكائنات الضخمة الاجسام تعيش اطول بكثير من اخرى صغيرة الجسم، وقد عزى ذلك الى زيادة فى وزن ادمغتها علـى الاخيرة ٠

وقد اوضحنا فيما سبق اهمية النشاط الكيماوى فى تحديد طول الحياة ٠

وفى الانسان نجد ان متوسط منصرفاته مـــن الطاقة تعادل حوالى (٠٠٠/٢٠٠ر١ سعر لكل جرام من وزن انسجة الجسم خلال كل فترة الحياة، مقابل (٠٠٠/٤٠٠) سعر للجرام طوال فترة حياة الحيوانات الاليفة (القطط والكلاب) ٠

ومـع ذلك يصعب تحديد فترة اقصى لحياة الانسان ، وذلك لان الوراثة التى تحكم هـذه الحقيقة تطغى عليها عناصر كثـيرة اجتماعيـة واقتصادية تقلل من اهميتها ٠

وقد ثبت من تجارب اجريت على الفئران ان نسبة تاثير الوراثة على الاعمار تتراوح بين ٢٠٪ للذكور ، و٣٠ ٪ للاناث ، وهى نسبة مقاربـه لوراثة بعض الصفات البيولوجية الاخرى ،مثل انتاج البيض فى الدواجن ، واللبن فى الماشية٠

وبالطبع فان اجراء مثل هذه التجارب على البشر غاية فى الصعوبة للعوامل التى ذكرنا ٠ الا ان الدراسات التى تجريها شركات التامين علـى الحياة ، قد لفتت النظر الى ان المؤمن الـذى يكون كلا والديه احياء يعيش اطول من الذى يكون قد فقد احدهما او كلاهما ٠ وهذه اشارة واضحة الى تاثير الوراثة ٠

الا ان فترة الحياة لا تكون فى الغالب معتمدة على العوامل الداخلية فقط ، بل هناك ثلاثة عوامل رئيسية تحكمها هى اولا الحوادث ـ وهذا عامل رئيسى فى انهاء حياة معظم الحيوانات علـى الطبيعة ، اذ انها تتعرض للافتراس ، ويندر ان تقضى اى منهما كل فترة حياتـها الطبيـعية ٠ والانسان عامل مهم فى هذا الجانب ، اذ انـه يقضى على كثير من الكائنات كالاسماك ، ولا يدع الا القليل منها لتعيش عمرها ٠

ثم هناك التكيف على البيئة ، وهذا يتحكم فى حياة معظم الكائنات فى طفولتها ونموها ، اذ يتحتم على الحيوانات ان تتكيف على البيئة والمناخ ، وهذا يودى بكلما يعجز منها عن التكيف٠ ومن الامثلة الصارخة على ذلك سمك «الماكاريل» فى المحيط الاطلنطى ، والذى تبلغ نسبة الوفاة بين افراده ٩٩٩٦ر٩٩٪ فى التسعين يوما الاولى مـن حياته ! هناك ايضا الضفادع التىتمربفترةتحولات كثيـرة ٠ مـن البيضة الى حيـوان مائى ، ثـم برمائى ، وفى كل فترة تحول يزيد تعرضها للموت بسبب العجز عن التكيف على التحول ٠

واخيرا هناك الموت « بالاستهلاك » وهو موت الحيوانات فى الاسر والتى لا تتعرض الـى حوادث او لتكيف ٠ وهذه تموت ببساطة كما تموت الالات ، اى انها تستهلك وتشيخ ٠

وقليل جدا من الانواع تعتمد حياتها علىعامل واحد ، بل على الثلاثة مجتمعة ، ولكن بعضا منها يكون مسيطرا عليه احدها ٠

★ ★ ★

ومن الاحياء ما يرى العلماء انه عمليا خالد ٠ من ذلك بعض الحيوانات وحيدة الخلية التـى تتكاثر بالانقسام فان المستعمرات التى تنشئها هذه الكائنات لا تشيخ ابدا ، ولا تموت ، بل يمكن ان تستمر فى الانقســام الى ما لا نهاية٠

وقد وجد ان هذه الخاصية قد توجد فى الانسجة الماخوذة من كائنات كالانسان ، ومزروعة صناعيا٠ الا ان هذه الظاهرة اعتبرت كنتيجة لخلل ، هو فقدان العوامل المتحكمة فى الانقسام ٠ وعليه فان المرجع اعتبار انسجة هذه الكئنات قابلة للانقسام

فقط لحد معين • وزاد الترجيح ان قابلية الانسجة للانقسام تقل بزيادة عمر الشخص المأخوذة منه •

الانقسام غير المتناهى هو ايضا من خواص الخلايا السرطانية •

بعض الزواحف ايضا قابلة للخلود • ذلك انه وجد انها تستطيع النمو بدون حدود اذا ما تركت وشانها •

الاشجار ايضا تستطيع ان تعيش طويلا ، ذلك ان الخلايا الجنينية ، تلك القابلة للانقسام والتخصص تظل نشيطة الى نهاية عمرها ، فى حين انها تفتقد فى الحيوانات فى وقت مبكر من نموها•

* * *

الى اى حد ياترى يمكن التحكم فى العوامل التى تحدد طول العمر الاقصى ؟

اسلفنا ذكر التجارب على غذاء الفئران •

هناك من وجد ان بعض العقاقير التى تقوى الاغشية قد اطالت اعمار ذبابة الفاكهة • وذلك ان الاغشية تقوم بعزل العمليات الكيميائية المتضادة فى الجسم ، كما تحمى بعض انسجة الجسم من بعض المواد الكيميائية القادرة على التهامها ، والموجودة فى الخلايا •

وقد كان من راى البعض ان الموت سببه انطلاق هذه الكيماويات وسقوط الحواجز المتمثلة فى الاغشية •

وراى اخرون ان خطا فى تركيب حامض الـ (D. N. A.) الهام يؤدى الى الموت •

وقال غيرهم : ان طول العمر يعتمد على مادة فى الجسم يزيد استهلاكها كل ما زادت الحرارة• وكان من نتيجة البحث فى هذا الصدد ، ان اكتشف كون استهلاك الطاقة يكون ادنى ما يكون عند درجة حرارة متوسطة فى النطاق الذى اعتادت عليه وتكيفت •

وقال اخرون : ينتهى العمر بسبب افساد الحرارة للبروتينات •

وعلى الرغم من عدم اى استحالة نظرية لان يعمر انسان ما عمر نوح ، او يعيش الى الابد ، فان هذا الامر ما زال حلما بعيد المنال ، ومازالت الاعمار تنقضى ، سواء اكان ذلك بالموسيقى ، بالقنابل ، او بالشيخوخة ، وما زال الناس قادرين على انهاء الحياة فى اى وقت شاءوا ،دون مقدرة منهم على اطالتها ، وربما لانهم لم يلتفتوا الى الامر الثانى الا مؤخرا ! ■■

الخرطوم ــ **عبدالوهاب احمد الافندى**

الاستاذ بجامعة الخرطوم

ضغط دم عائلى !

❋ قام طبيب بفحص أحد المرضى ووجد عنده ضغط دم عاليا ، ولما سأله عن السبب قال انه يعودلعامل وراثى عائلى • فاستوضح الطبيب عما اذا كان هذا العامل الوراثى من جهة الام أو من جهة الاب • فرد المريض قائلا كلا ، انه من جهة عائلة زوجتى ، فاستغرب الطبيب لهذا الرد وقال له كيف يمكن أن تصاب بضغط دم عال من جانب عائلة زوجتك فأجاب المريض « ينبغى عليك يا دكتور أن تجتمع بالعائلة لبعض الوقت لتعرف الحقيقة بنفسك » !

كلام فى العدل

مال من هذا ؟؟

بقلم : فهمى هويدى

حقا ، هذا المال لمن ؟ ..

ان اى حديث عن العدل الاجتماعى ـ والعدل عماد الشريعة كما قلنا ـ قد يخطىء الهدف ويتفرع الى غير ما حدود ، اذا لم نمسك بالخيط الاساسى فى الموضوع . أعنى، اذا لم نعرف على وجه الدقة ، لمن هذا المال الذى به ينضبط ميزان العدل او يختل .

فى المعسكر الرأسمالى تتمثل اجابة السؤال فى ملكية الافراد والمؤسسات والشركات التى نما اخطبوطها وتضخم ، حتى صار عابر القارات والمحيطات . وفى المعسكر الاشتراكى تتمثل الاجابة فى ملكية الدولة لوسائل الانتاج كما تقول الصياغات ، او ملكية الحزب كما يقول الواقع .

اين الاسلام من هذا وذاك ؟

هنا يطرح الاسلام صيغة جديدة وفكرة مختلفة تماما ، هو مال الله سبحانه وترجمتها فى الفكر الاسلامى وتطبيقات الذين فهموا الدين على وجهه الصحيح . أنه مال كل المسلمين ، بل مال كل الذين يعيشون فى « دار الاسلام » ويستظلون برايته ، مسلمين وغير مسلمين . ورغم انه يعترف بالملكية الفردية ويصونها ، لكنه يعتبرها ملكية انتفاع وتصرف ، ومعلقة على شرط !

وهذه الصيغة جزء من تصور اسلامى عام ، ورؤية شاملة للكون والحياة . بل هى نتيجة لبناء فكرى وعقيدى ، رصت لبناته فى اعماق المسلم واحدة فوق واحدة ، حتى بلغت هذا المدى السامق .

هو مال الله وحده . ليس مال احد من البشر ، وان تفاوتت بينهم قسمة الارزاق . ليس مال مؤسسة اقتصادية او سياسية ، اياكان حجمها ، او دعواها فى الانابة عن الناس وتمثيل طبقاتها العاملة .

وكما ان التوحيد فى العقيدة يعنى نزع سلطان البشر من على البشر . الا فى حدود طاعة الله . فان فكرة « مال الله » تعنى نزع ملكية البشر لاقوات البشر وارزاقهم .

ولانه كذلك ، مال الله ، فلكل مسلم فيه حق اصيل ، ينبغى ان ينتزعه بغير تردد اذا اقتضى الامر ، وان مات دون ذلك فهو شهيد . واذا جاع المسلم ترتج الارض والسماء ، وتحل اللعنة بالقادرين . بينما الفقر قرين الكفر ، والترف جريمة تدمر المؤمنين والذين حولهم .

* * *

هنا ينبغى ان نتمهل ، ان نقف امام النصوص التى تعزز هذه الرؤية ، ونقراها بامعان شديد . لنتابع مراحل اقامة البناء ، لبنة لبنــة .

* ذلك ان « لله ملك السموات والارض ـ الشورى ٤٩ » ـ و ـ « لله ما في السموات وما في الارض البقرة ٢٨٤ » .

كل ما في السماوات والارض ملك لله لا ينازعه فيه احد . « وليست لهذه الملكية نتائج حقوقية ، وانما هي لتحقيق غرضين اساسيين : الاول نفي الغرور عن قلوب الناس حين يحوزون الاموال ويسعون وراء الثروة فاذا تذكر المؤمن ان الله وحده هو مالك الملك . تواضعت نفسه وقل غروره ـ والثاني ان يلزم الناس بالتقيد بقوانين الشريعة في التملك ، طبقا لما يريده صاحب الملك ، وهو الله عزوجـــل » * .

* وهذا الكون الكبير سخر لمصلحة الانسان وسعادته وخدمته ..

« وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بامره . وسخر لكم الانهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين . وسخر لكم الليل والنهار ـ ابراهيم ٣٢ و ٣٣ » .

« الم تروا ان الله سخر لكم ما في السماوات وما في الارض ، واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ـ لقمان ٢٠ » .

وذلك يعني : انه ليس في الكون شيء يصعب على الانسان تناوله ، اذا اعمل عقله وعلمه . وما عليه بعد ان ذلل له الكون الان يجتهد في الانتفاع منه واستثمار خيراته.

* ثم ان الناس جميعا متساوون امام الله ..

« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ـ النساء ١ » .

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم ـ الحجرات ١٣ » .

« يا ايها الناس : ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم لادم وادم من تراب ـ حديث رواه البزار » .

هنا يتوجه الخطاب للناس ، للانسان ، وليس للمسلمين وحدهم ، ولا لقريش او العرب وحدهم . وليس لاحد ان يدعي حقا لنفسه اكثر من غيره . بعمله الخير يتميز في الدنيا ، وبتقواه يتميز في الاخرة . وهؤلاء هم الفائزون : « ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون ـ فصلت ٨ » « ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا » ـ فصلت ٣٣ .

هذه مرحلة « التأسيس » في البناء اذا صح التعبير ، او مجموعة القواعد الاساسية التي تنبني عليها المواقف والسياسات في الاتجاهات المختلفة ، في قضايا المال والحكم والسلوك الاجتماعي .

لكن وقفتنا ستظل عند المال ، عصب القضية الاجتماعية ومحورها .

★ ★ ★

* هو مال الله . النصوص امامنا تؤكد ذلك .

« وآتوهم من مال الله الذى اتاكم ـ النور ٧ » .

« امنوا بالله ورسوله ، وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ـ الحديد ٧ » .

« قل لعبادى الذين امنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ـ ابراهيم ٣١ » .

ليس لاحد ان يدعي ملكية مطلقة للمال . فهو مال الله . والبشر مستخلفون فيه . اى انهم في ادارة المال خلفاء لا اصلاء . والجماعة هي التي تباشر شئون الاستخلاف هذه .

---

* الدكتور مصطفى السباعي ـ اشتراكية الاسلام .

وللتذكرة يضيف القرآن الكريم : « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ، فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم • فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون ـ النحل ٧١ » •• اى ان ما يعطيه الذين فضلوا في الرزق لغيرهم ، ليس ردا لقسط من مال اولئك الاغنياء الى هؤلاء الفقراء • كلا ، انما هو حق الفقراء فيما يعطون • ثم هذا السؤال الاستنكارى : افبنعمة الله يجحدون ؟ •• الذى يذكر بان هذا المال نعمة من الله سبحانه ، لا ملكهم الاصيل *

* هي اذن ملكية انتفاع وتصرف ، وليست ملكية مطلقة بغير قيود ولا شرط • اذ ان شرط استمرارها ان تنفق فيما هو خير • وفى كل اضافة ايجابية لتسهم في سعادة الفرد والمجتمع• فاذا سقط الشرط سقط الحق ، وجاز للجماعة ان تتدخل لتعيد الامور الى نصابها • او تسترد هذا المال الذى ينفق على النقيض مما هو مخصص له والجماعة تمارس هذا الحق بمقتضى الخلافة الموكولة اليها : « ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما ـ النساء ٥ » ـ (يؤيد هذا المبدأ ان الامام هو وريث من لا وريث له باتفاق الفقهاء • على اعتبار ان مال الجماعة وقف فيه فرد ، فلما انقطع خلفه ، عاد الى مصدره)

وصيغة هذه الاية تنسجم تماما مع التصور الذى نحن بصدده • اذ ان اموال السفهاء مضافة فيها الى المجتمع « اموالكم » • كما انها تعتبر المجتمع قيما على هذه الاموال « التى جعل الله لكم » وفى ذلك تاكيد على أن الملكية الفردية في التصور الاسلامي « وظيفة اجتماعية » بالدرجة الاولى •

* في هذا الاطار ، فان للمسلم أن يستمتع بماله ، ويمارس كافة صور الانتفاع والتصرف ، بـ « الطيبات من الرزق » ، كما يقول القرآن الكريم • و •• « كل ما شئت والبس ما شئت ، ما خطئتك اثنتان : سرف أو مخيلة (اسراف او تعال وغرور) ـ رواه البخارى • و •• « نعم المال الصالح للرجل الصالح ـ رواه البخارى » فقط ، ينبه القرآن الكريم الى محظور واحد هو : أن يحبس المال بين ايدى فئة قليلة (كي لا يكون دولة « حكرا » بين الاغنياء منكم ـ الحشر ٧) • ان يختل الميزان فيكون الاستمتاع « بالطيبات من الرزق » مقصورا على فريق دون فريق • ان يتمرغ البعض في النعم ، ويعاني الآخرون من الفاقة •

هنا يحدث التصادم بين الواقع والتصور الاسلامي لقضية المال من أساسه • ويصبح هذا الواقع منتميا الى اى شيء الا هذا التصور الاسلامي • فموقف كهذا يرفضه الاسلام وينكره ، ويعتبر حدوثه جريمة تنتهك قداسة العدل المقصود من الشريعة • (لاحظ اننا نتحدث عن حالة قد يختل فيها الميزان فقط ، ولم يصل الامر بفقراء المسلمين الى حد الجوع ، فتلك حالة اخرى لها حساب مختلف تماما) •

★ ★ ★

وحتى لا يختل الميزان ، فثمة « توجيه » اسلامى الى كل من يعنيه الامر من القادرين : « وانفقوا مما جعلناكم مستخلفين فيه ـ الحديد ٧ » • اى لا تحبسوا مال الله ولا تكدسوه • كيف ؟ « يسالونك ماذا ينفقون ؟ •• قل : العفو ـ البقرة ٢١٩ » • والعفو هو كل ما زاد من الحاجة •

هنا يقرر القرآن مبدأ غاية في الاهمية : هو: خذ حاجتك وكفايتك من المال ، ثم ادفع بما يزيد الى سبل الخير والنماء • رده الى الله تعالى مرة اخرى •

يؤكد ذلك الحديث الشريف : « من كان معه فضل ظهر (دابة زائدة مثلا) فليعد به على

---

* العدالة الاجتماعية في الاسلام ـ سيد قطب •

من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعذبه به على من لا زاد له» - ويقول شهود العيان : ان رسول الله (ص) ذكر من اصناف المال ماذكر ،حتى رأينا انه لاحق لاحد منا في الفضل » .
« وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم »..
وفي قول عمر بن الخطاب : لو استقبلت من امري ما استدبرت ، لاخذت فضول الاغنياء فرددتها على الفقراء
وفي قول علي بن ابي طالب : ان الله فرض على الاغنياء في اموالهم بقدر يكفي فقراءهم ، فان جاعوا او عروا وجهدوا ،فيمنع من الاغنياء .
وليست هذه دعوة للمغامرة .«فالتوجية» يدعو ان يؤمن المسلم نفسه واسرته ، بان يحتجز نفقات او قوت عام ، زيادة في الاحتياط والامان .
وفي السيرة ان الرسول عليه السلام سن هذه السنة ، وادخر لاهله قوت سنة .
وقد افتى الامام جعفر الصادق بانه لايحق للمسلم ان يدخر اكثر من قوت عام ، اذا كان في الامة صاحب حاجة . وعندما طلب جرير الشاعر من الخليفة عمر بن العزيز هبة اعتاد خلفاء بني امية منحها اياه ، كان رد الخليفة : انني لا ارى لك في مال الله حقا . ولكن انتظر حتى يخرج عطائي ،فانظر ما يكفي عيالي سنة منه ، فادخره لهم ، وان بقي فضل صرفناه لك .
وعند المالكية والحنابلة وفقهاء آخرين ان الزكاة التي تعطى لفقراء المسلمين ينبغي ان تغطي كفاية المسلم واسرته لمدة سنة كاملة.

★ ★ ★

ولنعترف ان تعبير « مال الله » ، يمكن ان يساء استخدامه ، كما اسيء استخدام تعبير خلافة الله ، وهذه كلمات الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور . تجسد هذا الاستغلال في اسوا صوره ، فقد وقف امام جموع المسلمين يقول : انما انا سلطان الله في ارضه ، اسوسه بتوفيقه وتاييده ، وحارسه على ماله ، اعمل فيه بمشيئته وارادته ،واعطيه باذنه ! ! .
ذلك انه اذا مال الهوى ، وصارت الدنيا هدفا ، فليس ايسر من ان يزعم الزاعمون انهم يمثلون المشيئة الالهية ،وان لهم حقا فوق حقوق البشر .
اين هذا مما يقوله النبي عليه السلام :اني والله لا اعطي احدا ، ولا امنع احدا ، انما انا قاسم اضع حيث امرت ! وهو ما استند اليه الامام ابن تيمية في « السياسة الشرعية »، في قوله انه ليس لولاة الاموال ان يقسموها بحسب اهوائهم ، كما يقسم المالك ملكه ..
وجاء عمر بن عبد العزيز مبعوث لاحد الولاة عندما هم بالنوم ، فاذن له واشعل شمعة غليظة «اججت نارا » ، وظل يساله عن احوال المسلمين ،وعندما فرغ ، شرع المبعوث يساله عن احواله وشئون اسرته . وعندئذ اطفأ امير المؤمنين الشمعة ، ودعا بسراج لاتكاد فتيلته تضيء . فتعجب المبعوث ، وساله لماذا فعل ذلك .فكان رده : ان الشمعة التي رأيتني اطفاتها انما هي من مال الله ومال المسلمين،وكنت اسالك عن حوائجهم وامرهم ، فكانت الشمعة تقد بين يدي فيما يصلحهم وهي لهم.فلما صرت لشاني وامر عيالي ونفسي ،اطفأت نار المسلمين .
هكذا استوعبوا فكرة «مال الله » وهكذا تعاملوا مع مال المسلمين ..
وهكذا امسكوا بمفاتيح العدل والمجد..
لكننا مازلنا في بداية الطريق ، وامامنا الكثير مما ينبغي ان يقال .. ■■

عن السيبيرنية والحواسب الالكترونية

هكذا كسر احتكار العقل البشرى

بقلم الدكتور مصطفى جاموس

■ كل ما قيل حول هذا العلم الفتى قريب جدا من الحقيقة . ذلك أن العبقرية البشرية التى لا تعرف الحدود تمكنت بجهود خيرة أبنائها وعلمائها من حل مشكلات غاية فى التعقيد فى ميادين الالكترونيات والميكانيكا والتحكم فى الانظمة التقنية وربطها ومقارنتها مع الانظمة البيولوجية لدى الكائن الحى . مما أدى فى نهاية المطاف الى وضع نماذج لآلات ومعدات جديدة ومختلفة نوعيا عن سابقاتها أمكن بواسطتها كسر احتكار المخ البشرى لتنفيذ الوظائف المنطقية والسيكولوجية ومشاركته آليا بها .



ما هي السيبيرنية وكيف ظهرت ومتى اخترعت العقول الالكترونية وما هي اهم خصائصها ؟

ان كلمة سيبيرنية لفظ معرب عن معظم اللغات الاوربية فهي في الانكليزية (Cybernetics) وفي الروسية (Zubephetuka) وهي في الاصل مشتقة من الكلمة اليونانية (Kubernētikē) وتعني فن ادارة سفينة او بلد ٠

ولقد استخدم افلاطون هذا اللفظ للدلالة على المعنى السابق ، كما استخدمه الفيزيائي الشهير اندريه امبير في عام ١٨٣٤ للدلالة على التحكم في المجتمع البشري ، واما في الوقت الحاضر فقد اخذت هذه الكلمة مدلولا جديدا ٠

ان السيبيرنية كميدان علمي حديث ينفذ بجذوره الى اعماق التاريخ وهو محصلة جهود علماء من مختلف العصور والبلدان ، فلقد تبين انه حتى اليونانيين والمصريين القدماء وعلماء العصور الوسطى تنبهوا الى ضرورة ايجاد الات تحل محل الانسان في تنفيذ الكثير من الاعمال الصعبة والمعقدة ، كما ان مؤلفي الروايات الخيالية طالما صوروا لنا مجتمعاتهم المثالية على انها كاملة الآلية ، وان دور الانسان يقتصر فيها على ضغط مجموعة من الازرار تتحكم بكل ما حوله ٠

ان القفزة الرئيسية فيتكوين هذا العلم الجديد تمت في النصف الاول من هذا القرن وذلك نتيجة دراسة عميقة وشاملة للتشابه بين عمليات التحكم في الانظمة التكنيكية والبيولوجية وللتقدم الكبير فيعلوم الرياضيات والالكترونيات والفيسيولوجيا٠

المرجع الاساسي

ويعتبر الرياضي الامريكي الشهير نوربيرت فينر (١٨٩٣ ـ ١٩٦٤) المعروف بابحاثه العديدة في مجالاتالتحليل الرياضي ونظريةالاحتمالات ابا لهذا العلم الجديد ، فقد وضع في سنة ١٩٤٨ كتابا اسماه « السيبيرنتيك » يعد مرجعا اساسيا في هذا الميدان ٠ اذ جمع فينر في كتابه هذا شتات العديد من افكار سابقيه ولخص ابحاث مجموعة من الم علماء عصره وارسى بذلك قواعد هذا العلم الوليد ٠

والسيبيرنية بذلك تعتبر علما لدراسة الالات والاجسام الحية معا والتعرف علىخواصها المشتركة من حيث مقدرتها على استيعاب معلومات معينة وحفظها في الذاكرة وارسالها باقنية الاتصال وتحويلها الى اشارات للتحكم والقيادة ، وهو يهدف الى اختراع وانتشار تقنيات متطورة ومتخصصة بتدقيق وحفظ وارسال المعلومات منأجل المراقبة والتوجيه والارشاد والتحكم التام ٠

والسيبيرنية بمفهومها السابق تقوم على ثلاث ركائز رئيسية هي :

اولا ـ نظرية المعلومات التي تدرس مسائل ارسال المعلومات بقنوات الوصل المختلفة ومن ضمنها الجملة العصبية للكائنات الحية وكذلك تدقيق المعلومات الملتقطة في الضوابط ٠

ثانيا ـ نظريةالتحكم الاليوالضبط الاوتوماتيكي ونظريةالاتصال العكسي للالات والاجسام الحية معا٠

ثالثا ـ نظرية الضوابط من حيث مقدرتها على تنفيذ وظائف منطقية معينة، وتعتبر الحاسبات الالكترونية ابرز مثال على الضوابط التي يمكن مقارنة وظائفها مع وظائف الجملة العصبية في الاجسام الحية ٠ ما هي هذه الحواسب الالكترونية (العقل الالكتروني) وكيف ظهرت ؟

تترجم كلمة (Computer) الانكليزية بعدة مترادفات عربية هي الحاسب الالكتروني والعقل الالكتروني والمخ الالكتروني ٠٠ ولعل الكلمة الاولى (حاسب) هي اكثر تلك المترادفات صحة من الناحية اللفظية ، ذلك ان فعل (Compute) المشتقة منه الكلمة في اللغة الانكليزية يعني حسب واحصى ، وسنلتزم بهذه الترجمة لاحقا ٠

تقسم الحواسب الالكترونية بحسب طريقة عملها الى مجموعتين رئيسيتين :

الاولى ـ الحواسب التناظرية التي تعمل بطريقة مستمرة وتعتبر المسطرة الحاسبة مثالا كلاسيكيا وبدائيا لهذا النوع من الحواسب ، وهي تبين العلاقات الحسابية بواسطة حواصل طولية تدل على علاقات عددية معينة،تتميزهذه المجموعة منالحواسب بسرعتها الكبيرة في العمل الا ان عيبها الرئيسي يكمن في ان دقتها الحسابية محدودة كما انها متخصصة بمعنى انها ليست عمومية ٠

الثانية ـ الحواسب الرقمية العددية التي تعمل بطريقة غير متواصلة وتقوم بتنفيذ الاعمالالحسابية المختلفة عن طريق تحويل الاعداد المقدمة لها الى

مجموعة من النبضات الميكانيكية او الكهربائية تقوم بعد ذلك اجهزة الحاسب الرئيسية بتسجيل هذه النبضات وتحليلها وحسابها •

واغلب الحواسب الالكترونية المنتشرة فى العالم الآن هى من هذا النوع الاخير •

قصة التاريخ والنشوء

لقد قيل قديما بأن الحاجة أم الاختراع ولعل ذلك ينطبق تمام الانطباق على اختراع وتطوير الحاسبات الالكترونية فالانسان منذ فجر التاريخ يتطلع الى تطوير ادوات الانتاج التى يمكنها ان تخفف عنه اعباء العمل الجسمي بل والفكرى ايضا•

ولقد مر تاريخ صنع الآلات الحاسبة الالكترونية بسلسلة متلاحقة من التطورات والتحسينات بدءا من ابتكار اول آلة فى التاريخ للجمع والطرح تعطى النتائج اليا التى اخترعها باسكال فى سنة ١٦٤٢ • وجاء من بعد باسكال جو تفريدق لايبنتز ليقدم آلة اكثر استكمالا يمكنها اجراء العمليات الحسابية الاربعة علاوة على استخراج الجذور • وفى سنة ١٧٣٠ تمكن الميكانيكي فالكون مبتكر نول الجاكار من تصور امكانية استخدام البطاقات المثقوبة لتشغيل أجزاء الآلات بطريقة آلية ، وبعد ذلك بقرن كامل صمم الانكليزى «تشارلز بابدج» استاذ الرياضيات فى جامعة كمبردج آلة تحليلية تتكون من عدة وحدات للتغذية والتخزين واستخراج النتائج ولكنه لم يتمكن من اخراجها للوجود نظرا لعدم توفر المال اللازم لذلك وللامكانيات الفنية المتواضعة فى حينه • ويعتبر بابدج بحق المصمم الاول للآلة الحاسبة بمفهومها المتطور فلقد سبق عصره فى هذا المجال باكثر من مئة عام •

الا أن القفزة الرئيسية فى صناعة الآلات قد تمت فى اواخر القرن الماضي وبالتحديد فى عام ١٨٨٧ وذلك للحاجة الملحة لآلات سريعة ذات اغراض متعددة تفى بمطالب التعداد الامريكية التى اجرت تعدادا عاما للسكان فى سنة ١٨٨٠ وسخرت كل اجهزتها وامكانياتها لاخراج هذا التعداد بالسرعة المطلوبة الا انها لم تتمكن من ذلك رغم مرور عدة سنوات على انتهاء عملية التعداد فضلا عن الاخطاء الكثيرة التى لم يمكن تلافيها ابدا ، ووجدت المصلحة نفسها شبه عاجزة عن اعلان نتائج هذا التعداد السكاني وقدرت بانه ستمر السنوات العشر التالية وسيأتي موعد التعداد التالى والنتائج لم تزل فى ادراج الموظفين •

فى هذا الوقت بالذات وجدت فكرة بابدج السابقة الاهتمام الكافى وتبناها الاحصائى الامريكي هيرمان هولبريث وطورها بحيث امكن تمثيل حجم كبير من المعلومات على شرائح ورقية على شكل ثقوب مجاورة تمرر هذه الشرائح بعد تثقيبها على آلة خاصة لها امكانية الاحساس بالثقوب وفهم معانيها ومعالجتها وسميت « الآلة الاحصائية » وتمكن مكتب الاحصاء الامريكى بمساعدة هذه الطريقة من اتمام الفرز واستخراج نتائج الاحصاء السكانى لعام ١٨٩٠ خلال ثلاث سنوات فقط •

هكذا ظهرت البطاقات

ثم كون هذا الاحصائي الامريكى فى سنة ١٨٩٦ شركة خاصة له من اجل تنفيذ وتسويق اختراعه لاغراض تجارية وتوسعت هذه الشركة فيما بعد عن طريق دمجها بعدة شركات اخرى وظهرت بذلك اعرق مؤسسة فى ميدان صناعة العقول الالكترونية (I.B.M H).

وخلال سنوات تالية تطورت هذه الآلة الاحصائية والشريحة الورقية وتحسنت طريقة تثقيب البيانات ومعالجتها واستخراج النتائج النهائية بمساعدة مجموعة من الآلات صممت خصيصا لذلك وهى : آلة تثقيب البطاقات التى كانت فى اول عهدها يدوية ثم اصبحت ميكانيكية • آلة مراجعة وتدقيق البطاقات المثقبة • آلة فرز وتصنيف البطاقات ، آلة تبويب البيانات والنتائج النهائية •

هذا بالاضافة الى مجموعة من الآلات المساعدة الاخرى كآلة المطابقة وآلة النسخ وآلة الترجمة وغيرها •

وهكذا ظهرت للوجود البطاقة المعروفة حاليا وانظمة معالجة البيانات اوتوماتيكيا التى استمر العمل بهما فى اوروبا وامريكا مع بعض التحسينات الطفيفة حتى عام ١٩٣٧ حيث عكف البروفيسور « هاوارد ايكن » من جامعة هارفارد مع مهندس من شركة (I.B.M) على اختراع حاسبة عددية نصف الكترونية عرفت باسم «مارك ١» وقد تم لهم ذلك فعلا فى سنة ١٩٤٤ ، اما اول حاسب

الكتروني على المستوى العالمي فقد صمم في وقت الحرب العالمية الثانية وبقي سرا طيلة مدة الحرب نفذه فريق من العلماء الامريكيين في جامعة بنسلفانيا برئاسة « جون موكلي » وظهر في سنة ١٩٤٥ تحت اسم « انياك » •

وقد صمم هذا الحاسب ليقوم بحساب محرك القنابل والقذائف ، وكان ضخما جدا فقد حوى على ١٨٠٠٠ صمام و ١٥٠٠ حاكمة ميكانيكية ، ووصلت سرعة الجمع والطرح به الى ٥٠٠٠ عدد في الثانية ، ومنذ ذلك التاريخ دخلت صناعة الحاسبات الالكترونية سباقا مع الزمن •

وقد تمكنت الشركة الامريكية العريقة (I.B.M) من بناء اول حاسبة عمومية في العالم من طراز (I.B.M-701) تحتوى على ٤٠٠٠ صمام وتشغل مساحة ١٠٠م٢ وتتطلب استطاعة ٨٠ كيلوواط لتشغيلها و ٦٠ كيلوواط لتبريدها اثناء العمل •

وانتجت نفس الشركة الة معدلة عن سابقتها تتميز بسرعتها وقلة وزنها من اجل حساب الهوائيات ودليلات الامواج والتأثير الشعاعي الذي تحدثه التفجيرات الذرية وكذلك نشاطات الطائرات والصواريخ الموجهة وتصل طاقة هذه الالة الى ٤٠٠٠٠ عملية جمع وطرح في الثانية وقد استخدمت هذه الحاسبة لاجراء الحسابات المطلوبة لاختبار الصاروخ الامريكي « ثورن » في سنة ١٩٥٨ ، ولاغراض اقتصادية قامت شركة (I.B.M) ببناء حاسبة اخرى صنعت باكملها من عناصر نصف ناقلة وتستطيع القيام ب ١٦٦٠٠ عملية جمع وطرح في الثانية وبنفس هذا الزمن تنفذ ٨٦٠ عملية ضرب و ٣٢٠ عملية قسمة •

واما في الاتحاد السوفياتي فقد بدأ عهد استخدام الحواسب الالكترونية في عام ١٩٥٠ حيث تم صنع اول حاسبة الكترونية من طراز (M.A.S.M) في معهد الرياضيات التابع لاكاديمية العلوم الاوكرانية لاستخدامها لنقل الطاقة الكهربائية بين مدينتي كويبيشيف و... ـكو •

وبعد ذلك بقليل تم في موسكو صنع اسرع حاسبة الكترونية في اوروبا في ذلك الوقت /١٩٥٣/ وقد صممت هذه الالة لحل المسائل الحسابية في مختلف المجالات العلمية والتكنيكية • والخاصة المميزة لهـا هي عموميتها الكبيرة فقد امكن بواسطتها الترجمة من لغة الى اخرى واللعب في الشطرنج وحل اعقد المسائل الرياضية واجراء كافة العمليات الحسابية •

ومنذ ذلك التاريخ دخلت ميدان السباق الالكتروني دول اوربية عديدة اضافة لليابان التي اخذت شركاتها تنافس اعرق الشركات الامريكية في هذا الميدان •

أهم منجزات العصر

ويحق لنا الان ان نعتبر الحاسب الالكتروني من اهم منجزات عصرنا الحاضر واكثر هذه المنجزات تحكما بفروعها وتشابكا معها ، ولو حاولنا وضع تعريف مقتضب لهذا الابداع البشري الفذ لقلنا بانه الاداة التي زادت من تحكم الانسان في البيئة المحيطة به والوسيلة التي وضعت في ايدي العلماء مفاتيح الاختراعات العظيمة والانجازات العلمية الكبرى التي يزخر بها قرننا العشرون •

ان التقدير العلمي الرفيع لدور الحاسب الالكتروني في حياتنا المعاصرة يعود بشكل رئيسي لمساهمته العلمية والعملية في حل كثير من مشاكل العصر المعقدة والشائكة بصورة متميزة وسريعة • وذلك نابع من خواص الحاسب نفسه ، والتي من اهمها :

١ ـ السرعة الفائقة في الاداء والتي قد تصل الى اكثر من مليون عملية حسابية في الثانية الواحدة • واذا ما قورن ذلك مع امكانية الحاسبات العادية والالات المشابهة للالة الكاتبة التقليدية لظهر لنا بوضوح اهمية الحواسب الالكترونية ومدى القفزه النوعية التي حققتها في ميدان الية الحساب اضافة الى تنوع وتعقيد المسائل التي يجرى حلها بواسطة الحاسب الالكتروني •

لقد استطاعت الالة السوفياتية رازدان حل مجموعة من المعادلات الجبرية تحوى (٨٠٠) من المجاهيل خلال اقل من (٤٨) ساعة ، ولو اعطيت هذه المعادلات لرياضي بمفرده لتطلب حلها منه بالطرق العادية حوالي (٣٠٠) سنة عمل متواصلة •

٢ ـ الدقة المتناهية في استخراج النتائج وهذه ميزة تنفرد بها الحاسبات العددية •

٣ ـ امكانية حل مشاكل متعددة في ميادين علمية

متنوعة بواسطة حاسبة واحدة • وهذه الميزة على جانب كبير من الاهمية لانه لو تطلب الامر وجود الات حاسبة بنفس عدد المسائل المطروحة للحل لما لاقت الحواسب الالكترونية مثل هذا الانتشار الواسع •

٤ ــ ذاكرة ذات مقدرة هائلة على التخزين اضافة لقابليتها للتوسع دائما •

٥ ــ امكانية تشغيل ومعالجة بيانات لزبائن تفصلهم عن مكان وجود الحاسب مسافات بعيدة •

اما ميادين ومجالات استخدام هذا النوع من الالات الالكترونية فاكثر من أن تعد اذ يندر أن تجد حقلا من حقول العلم والمعرفة لم تسد له هذه الالات الالكترونية مساهمة معينة في تطوير نظريته أو تطبيقاته العملية • وهل يمكن لعاقل ان يتصور امكانية تحقيق الانتصارات الفضائية المتلاحقة وتحكم العلماء بانزال مركباتهم الكونية على سطح الكواكب البعيدة واعادتها الى الارض ثانية لولا الخدمات الجليلة والمتنوعة التي قدمتها الحواسب الالكترونية في هذا المجال• لا بل أن هذه الحواسب قد استعملت في مجالات لم يكن يخطر ببال احد قبل عدة سنوات فقط ان تكون مثل هذه المجالات ميدانا لاستخدام الحاسبات الالكترونية فيها مثل : انتقاء المحلفين في المحاكم الامريكية ، وممارسة لعبة الشطرنج ، وتشخيص الامراض •• الخ •

ويجدر بنا في سياق هذا الموضوع ان نتعرض سريعا لما يسمى بـ «بنوك المعلومات» التي هي عبارة عن مراكز الكترونية كبيرة مزودة باحتياطي ضخم من المعلومات والبيانات في حقل من حقول العلم مصنعة ومبوبة باساليب رياضية واحصائية معدة مسبقا ومودعة في ذاكرة الحاسب ذاته اضافة الى توفر كافة الوسائل الكفيلة باستخراج اى بيان حين الطلب وبسرعة متناهية •

والمثال الحي على بنوك المعلومات هذه تقدمه شركة ويسترن يونيون (Western Union) حيث قامت هذه الشركة بتصنيف وتبويب كافة قرارات المحكمة الاتحادية الامريكية وادخلتها حسب برنامج خاص لذاكرة حاسب الكتروني ضخم بشكل يتمكن معه اى محام من الحصول على جواب شاف على كافة الاستفسارات القانونية بشكل سريع •

كما نظمت نفس الشركة السابقة بنك معلومات التشغيل • اذ يتمكن طالب العمل في اى مكان من الولايات المتحدة ان يتصل تليفونيا بالمشغل رقم (٧٧) في الشركة • ويطلب منه استمارة خاصة اعدتها الشركة مسبقا لاملائها من قبله واعادتها ثانية للشركة التي تقوم بدورها بادخال هذه الاستمارة في وحدة التشغيل المركزية لاحد الحواسب الالكترونية،وبمساعدة برنامج خاص يعالج الحاسب بيانات الاستمارة ويقابلها مع حاجة مختلف الشركات الامريكية المعلنة عن وجود فرص عمل لديها ، وعند اكتشاف تطابق بين المواصفات المثبتة في استمارة اى مواطن امريكي وحاجة شركة ما يقوم الحاسب اوتوماتيكيا باعداد اشعار لطالب العمل وآخر للشركة التي وقع عليها الاختيار وتنتهي المهمة بغاية السرعة والدقة ! فهل يبشر المستقبل ببنوك معلومات عربية ؟ ! •

دمشق ــ د • **مصطفى جاموس**

حلاقة !

❊ في احدى الليالي نصبنا خيمتنا في موقع كشفي مزدحم • وعندما استيقظت في صباح اليوم التالي مبكرا جلست خارج الخيمة احلق ذقني بواسطة ماكينة حلاقة تعمل بالبطارية • ولم اتبين مدى الصوت العالي الذي تحدثه حتى صاح احد الاشخاص في خيمة مجاورة قائلا: « الا تستطيع الانتظار حتى الظهر لتقوم بعملية جز العشب آليا » •

روبرت تولند

هذه مجموعة من الاراء والملاحظات والتساؤلات تعالج بعض القضايا الحيوية،وتعبر عن وجهات نظر أصحابها فى هذه القضايا ٠٠ وعملا بحرية النشر ، فاننا نفسح المجال لهذه الاراء كما تلقيناها ، بغير حذف أو تعديل ٠

عائد من برتيوريا

مسلمو جنوب افريقيا

ينقصهم الرجال قبل المال

تعيش فى أقصى الطرف الجنوبى من القارة الافريقية جالية مسلمة يبلغ تعدادها المعلن حوالى نصف مليون نسمة استطاعت أن تحتفظ بهويتها الاسلامية تحت حكم يعتبر من أكثر صور الحكم على ظهر الارض تجبرا وتعنتا وظلما ٠

بقلم : زغلول النجار *

ففى جمهورية جنوب افريقيا يحكم حوالى أربعة ملايين من الاوروبيين البيض قرابة الثلاثة والعشرين مليونا من الافارقة وبعض المواطنين من أصول آسيوية حكما بالحديد والنار ، يعطى للرجل الابيض كل شيء ويحرم غيره من المواطنين من كل شيء ٠

وقد دخل الاسلام الى جنوب افريقيا سنة ٦٠٥هـ الموافق ١٢٠٨م عن طريق بعض التجار المسلمين القادمين من شبه الجزيرة العربية والذين يعيش أحفادهم اليوم فى مدينة الكاب ، بينما لم يصل الاوروبيون اليها الا فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، ولم يستوطنوها الا فى منتصف

● زار الدكتور زغلول النجار الاستاذ بجامعة الكويت جنوب أفريقيا بدعوة من الجماعة الاسلامية هناك ٠

القرن السابع عشر الميلادى (١٦٥٢م) وكانوا من الهولنديين الذين ما لبثوا أن انضم اليهم عدد من البلجيكيين والفرنسيين والالمان ، وفى سنة ١٧٩٥م تمكن الانجليز من النزول الى منطقة الكاب (راس الرجاء الصالح) واحتلوها فى سنة ١٨١٦م طاردين الهولنديين وغيرهم من الاوروبيين (غير البريطانيين) الى الشمال ليدخلوا فى معارك طاحنة مع أهل البلاد الاصليين عرفت باسم « حروب الزولو » وانتهت بهزيمة المواطنين وتاسيس ثلاث جمهوريات الى الشمال من مقاطعة الكاب هى : جمهوريات « ناتال » « والترانسفال » « وأورانج الحرة » •

جاءوا نفيا !

ثم نفى الى جنوب أفريقيا أعداد من المسلمين منجنوب شرقى آسيا خاصة من أندونيسيا وماليزيا والفلبين • احضروا اليها كمعتقلين سياسيين لمقاومتهم للحكم الهولندى المستعمر فى بلادهم الاصلية ، وهؤلاء يشكلون غالبية الجالية المسلمة فى مقاطعة الكاب •

اما المسلمون فى المقاطعات الثلاث الاخرى فاغلبهم منالتجار والزراع والصناع الهنود الذين استوطنوا الساحل الشرقى اثناء سيطرة الحكم البريطانى على اتحاد جنوب افريقيا ثم انتشروا الى داخل البلاد ، وقد كان للمسلمين فى بادىء الامر تمثيل فى الحكم وفى المجالس التشريعية حتى أعلنت الجمهورية على أساس عنصرى فى سنة ١٩٦١م ، فاعتبر المواطنون من الافارقة والآسيويين والملونين مواطنين من الدرجة الثانية لا يحق لهم الانتخاب او شغل أية مناصب رئيسية فى الدولة ، واستباح الاوروبيون أرواحهم وأملاكهم وكل حقوقهم •

وفى ظل هذا الظلم •• استطاعت تلك الجالية الاسلامية الصغيرة أن تبنى قرابة الثلاثمائة مسجد من أجمل مساجد الدنيا مظهرا وأداء للرسالة ، فالمسجد هنالك ليس مجرد مكان للصلاة بل هو مركز لتحفيظ القرآن الكريم ومدرسة لتعليم اللغة العربية والدراسات الاسلامية ومنتدى لمناقشة مشاكل الجالية المسلمة وللاحتفال بمختلف مناسباتها الخاصة والعامة ، ومقر للكتاب الاسلامى فى مكتبة تتفاوت حجما باختلاف حجم الجالية •

مساجد ومدارس وصحف

كما استطاعت تلك الجالية أن تبنى عشرات المدارس والمعاهد الاسلامية ، وأن تنشىء قسما للغة العربية والدراسات الاسلامية فى « جامعة دربان وستتميل » وان تنتزع من الحكومة الطاغية حق تدريس الدين الاسلامى لأبنائها الذين يتعلمون فى المدارس الحكومية ، وأن تحتضن من لا تتاح لهم تلك الفرص فى مدارس مسائية لتعليم الاسلام واللغة العربية •

ولقد هزنى ان ارى فى احدى تلك المدارس الاسلامية وتبعد حوالى ١٢ ميلا عن العاصمة بريتوريا اكثر من مائة طالب بين الحادية عشرة والثامنة عشرة يحفظون القرآن الكريمحفظا كاملا، ويتلونه تلاوة جيدة ، والمدرسة مقامة على مزرعة كبيرة أوقفها أحد الصالحين على العمل الاسلامى، وهى مدرسة داخلية يقيم فيها الطلاب والمدرسون والاداريون ، ويحيون حياة اسلامية كاملة ، والمدرسة مهيئة بجدارة لان تكون نواة لجامعة اسلامية تضم الاف المجلدات ، ولها من الامكانيات ما يجعلها مركز اشعاع اسلامى بالمنطقة •

وقد استطاعت تلك الجالية أن تؤسس ما يزيد على المائة والثلاثين من الجمعيات الاسلامية المتخصصة وغير المتخصصة ، ينتظمها المجلس الاسلامى لجنوب أفريقيا ، ومقره مدينة « دربان » على الساحل الشرقى ، ومن انشط هذه الجمعيات « حركة الشبيبة المسلمة » و « جمعية الطلبة

المسلمين » و « جمعية الجهاد » . « (الامانة الاسلامية المركزية) مركز الكتاب الاسلامي ، مجلس التنسيق الاسلامي ، مركز الدعوة الاسلامية ، وجمعية العلماء » .

كما استطاعت تلك الجالية الاسلامية اصدار عدد من الصحف والمجلات والنشرات الاسلامية منها « مسلم نيوز » . « مسلم دايجست » . « الجهاد» « اليقظة » . « انقلاب » ، وغيرها كما قامت بترجمة العديد من الكتب الاسلامية الى اللغة الانجليزية : والى بعض اللغات المحلية .

القابضون على الجمر

هذه الجالية التى تبذل اقصى ما تستطيع فى سبيل العيش بالاسلام فى دقائق حياتهم افرادا وجماعات ، وتربية ابنائهم على هذا الدين القيم، وحمل نوره الى الملايين الضالة من البشر حواليهم، ومقاومة الظلم الذى يتعرضون له . هذه الجالية التى فرضت عليها عزلة قهرية عن بقية العالم الاسلامى ... لا تحتاج الى الدعم المادى بقدر حاجتها الى دعم الرجال ... فهم فى حاجة الى اعداد من الدعاة يذهبون اليهم بين فترة واخرى ، والى مدرسين لتدريس اللغة العربية والثقافة الاسلامية ، وربما كان فى وضع تلك البلاد فى النصف الجنوبى من الكرة الارضية حيث يكون صيفنا شتاءهم .. ما ييسر عملية سفر بعض المدرسين من الدعاة الى تلك البلاد خلال العطلة الصيفية . كما انهم فى امس الحاجة الى الكتاب الاسلامى ـ خاصة ما هو منه باللغة الانجليزية والى نسخ من ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الانجليزية ولغة الزولو ، والى عدد من المنح الدراسية لمتابعة الدراسة فى بعض المعاهد الاسلامية خاصة للطلاب الافارقة الذين يعتنقون الاسلام باعداد كبيرة فى كل يوم ... حيث لا يوجد مكان على وجه الارض مهيأ لتقبل الدعوة الاسلامية مثل تلك البلاد التى لا يكاد يدرك ابناؤها معنى الاخوة فى الاسلام الذى لا يفرق بين أبيض وأسود، حتى يقبلوا على ذلك الدين بعاطفة صادقة وايمان ثابت ، وهذا مجال يتنافس فيه المتنافسون .

الذين يناقضون أنفسهم

واذكر انه عقب محاضرة واحدة عن الاسلام القيتها فى احدى القرى الافريقية القريبة من العاصمة بريتوريا وتعرف باسم « لانيشيا » أسلم قسيس القرية ومدير مدرستها الثانوية وعشرات من الطلاب ، ووقف ذلك القسيس معقبا على المحاضرة بقوله انى ارجوكم أيها الاخوة المسلمون أن تعبروا الحواجز المقامة بيننا لتمنحونا نور الاسلام ... فان أهل البلد الاصليين من الافارقة قد سئموا دعوات الذين يتحدثون باسم السيد المسيح فى نفس الوقت الذى يمارسون فيه التفرقة العنصرية البغيضة ، وهذا فى نظرى يمثل قمة النفاق ، انهم يقدمون لنا الانجيل بيد ويصفدوننا فى الاغلال باليد الاخرى ، انهميقدمون لنا الانجيل بيد ، وزجاجة الخمر باليد الاخرى حتى يحطموا اجساد وعقول وارواح الرجل الاسود . اننا نريد الاسلام فهو الدين الذى يناسب فطرتنا .. الدين الذى يؤسس الاخوة الانسانية على غير لون أو جنس .. ويحرم الخمر ليحفظ للانسان عقله .. اغلى نعمة أنعم الله بها عليه ... »

وأقف عند حديث هذا الاخ الكريم الذى عرف الاسلام بفطرته السوية ، على الرغم من التدريب الطويل الذى تعرض له فى كل من جنوب افريقيا وبريطانيا ليكون احد المبشرين وفى حديثه ما يكفى لتحريك كل مسلم يهتز قلبه بدين الله .. اللهم قد بلغت .. اللهم فاشهد ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . ■■

زغلول النجار

استاذ الجيولوجيا ـ جامعة الكويت

نحن بحاجة الى ..

ثورة تعليمية

بقلم : د . علي عبد المنعم

تعاني الفلسفة التربوية ومناهجها في وطننا الاسلامي من الازدواجية في المصدر والروح . فهي تستقي من مصدرين :

الاول : الثقافة الموروثة ، وهي ثقافة اسلامية الاساس لكن تعاقبت عليها القرون ، واختلطت فيها المذاهب والاراء ، وتشعبت بها الطرق ، حتى غدت خليطا من تعاليم الكتاب الكريم والسنة النبوية ، ومن طرائق المتكلمين على اختلاف منازعهم ، ومن مذاهب الفقهاء ، ومن تصوف المتصوفين ، وما شاب ذلك كله من فلسفة اليونان وغيرهم .

وقد صيغت هذه الثقافة في قوالب جمدت ، وتثبتت ، ووضعت على طرائق قديمة ، رثت وبليت عظامها ، يتوه المتعلم بين سطورها ، ويظل الطريق في دروبها .

المصدر الثاني : الثقافة المستوردة ، ونعني بها ما يلقن في المدارس التي انشأتها الحكومات على غرار المدارس الاوروبية ، وهي تحتوي على مواد علمية كالرياضيات والطبيعيات ، وعلى مفهومات وعقائد وفلسفات في التاريخ والاجتماع ، وعلى اساليب وطرائق للبحث ، نتيجة لاختبارات وتجارب طويلة .

وهذه الثقافة يسيطر عليها تفكير غير اسلامي من روح الغرب الذي نقلناه عنه ، وتشيع فيها النزعة الالحادية بمختلف اتجاهاتها : طبيعية كانت او مادية جدلية ، او عقلية ، او وجودية حتى في العلوم التجريبية والرياضية تشيع فيها تعبيرات عقائدية ليست في نطاق العلم المحض ، وشحنت بافكار لا علاقة بينها وبين اختصاص هذه العلوم ، حتى اصبح هناك اقتران بين هذه العلوم وبين المذاهب والفلسفات الالحادية التي عاشت معها ، وعاصرتها في اوربا .

ذلك انها نشات وتكونت على اسس تعارض التصور الديني في جملته ، وتشكل صراعا بين الدين والعلم او بين الدين والعقل ، ذلك الصراع الذي كان نتيجة لتشوه الدين وانحرافه الى وثنية جامدة ، وتقاليد غريبة ، ومناصرة رجاله لاهل الظلم والاستبداد قبل النهضة الاوروبية ، وفي بدايتها ، ومعاكسته للفطرة التي فطر الله الناس عليها .

ولا حاجة بنا الى التذكير بتاريخ الحضارة الاوربية الحديثة ، وما يشهد به من محاربة رجال الكنيسة للعلم وحرية الفكر ، حتى كانوا حجر عثرة في سبيل التقدم والرقي ، وحتى كان العلماء يخشون ابداء آرائهم العلمية خوفا من بطش الكنيسة وتعذيبها لهم ، وتحريقها ابحاثهم ، فجاء علمهم ثورة على الكنيسة وما تمثله من دين .

هذه الثقافة المقتبسة من بلاد وحضارة تختلف

عن بلاد الاسلام وحضارته في عقائدها وافكارها ومفهوماتها ونظام حياتها بقيت هي الاساس الاهم لمناهج التعليم في البلاد الاسلامية ، ولكنها ظلت طلاء سطحيا لم يستطع ان يتغلغل في اعماق نفوس المتعلمين ، ولم يرتبط بمثلنا العليا المتاصلة فينا على مدى القرون، ولم تنجح في توجيه نهضتنا لانها لم تمدها بالاساس الروحي اللازم لكل نهضة او ثورة منتجة ، وبالتالي لم تستطع ان تحل محل الثقافة الموروثة التي تتحكم الى حد ما في توجيه حياتنا •

ولكنها ـ على الرغم من ذلك ـ ولدت في المتعلمين عقلية مشابهة للعقلية الاوربية في النظر الى الحياة ، فنتج عن ذلك صراع بين عقليتين : العقلية ذات التكوين الثقافي الموروث ، والعقلية ذات التكوين الثقافي المستورد •

وما نشاهده في حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية من قلق واضطراب سببه هذا الصراع بين الثقافتين ، او هو مظهر لما يصح ان نسميه ازمة الثقافة •

خلاصة القول : ان سر بلاء المناهج التعليمية في الوطن الاسلامي وعم قدرتها على بناء النهضة وتوجيهها في الطاره يكمن في هذه الازدواجية التي تسيطر عليها في المصدر الذي تستقي منه ، والروح التي تشيع بين ثناياها ، فاذا شئنا اعادة البناء فلعل اول ما يجب ان تبدأ به هو :

القضاء على هذه الازدواجية في نظامنا الثقافي، وذلك بان يبنى التعليم في جميع درجاته وانواعه وفروعه على اساس واحد ، وتنظمه فكرة واحدة مشتركة بين السامه ، هي العقيدة الاسلامية •بحيث تكون الصبغة العامة للثقافة هي الصبغة الاسلامية « صبغة الله ، ومن احسن من الله صبغة ؟ » ، ولا يكتفى فيه بتعليم الدين على انه مادة دراسية تضاف الى المواد الاخرى ، وانما يجب صياغة جميع المواد صياغة اسلامية ، بما في ذلك العلوم التجريبية والرياضية ، فاذا كانت البلاد الشيوعية ـ مثلا ـ تبنى هذه العلوم على المنطق الجدلي والفلسفة الجدلية ، وتجعلها تطبيقا لقانون تصارع الاضداد الذى تعتقد الماركسية انه قانون الحياة العام ، فما اولانا ـ وقد كنا اصحاب سبق في هذه الميادين العلمية مما لاحاجة بنا الى ترديده ـ ان نعيد صياغتها على انها تحقيق للاتجاه القراني في النظر الى الكون ، واكتشاف ما فيه من قوانين ، ومظهر من مظاهر قدرة الله ووحدته •

ويستدعي هذا ـ بالضرورة ـ صياغة الثقافة الاسلامية صياغة جديدة ، تنبثق من النبع الاوحد لها ، وهو القران الكريم ـ فما السنة النبوية الا تفسير له وتاويل ـ ، وتبعد عن التفريعات المذهبية التي لم تنتج الا تعصبا ضيق الافق ، وتحجرا عقليا مقيتا ، والتعبير عنها بما يلائم سن المتعلم ، وادراكه العقلي ، ويسد حاجاته الفكرية والوجدانية ، بحيث يجد فيها جوابا عن القضايا التي تعترضه في واقعه المحلي والعالمي في هذا الوقت الذى تتلاطم فيه امواج الفكر ، وتواجه الفلسفات الالحادية الدين الاسلامي ، متعمدة زلزلة بنائه في نفوس معتنقيه ، وتمييع المقومات الاساسية للمجتمع المسلم •

ويستتبع هذين المبداين (اقامة نظامي تعليمي موحد المصدر ، متعدد الاختصاصات ، وصبغه بالصبغة الاسلامية) احداث وعى اسلامي عام بحيث يكون هذا الوعي ـ النفسي والعقلي ـ وعيا لمبادىء الاسلام وقضاياه الكبرى في العصر الحاضر، ووعيا لوحدة العالم الاسلامي وما يجابهه من اخطار•

انه لمن الغفلة ان تعتمد على مناهج الفكر الغربي في دراساتنا الاسلامية والانسانية ، اما العلوم البحتة ـ التي لا بد لنا ـ في موقفنا الحاضر من تلقيها من المصادر الغربية فتجب الحيطة في دراستها وذلك بتنقيتها من اية ظلال معادية في اساسها للتصور الديني في جملته ، وللتصور الاسلامي بصفة خاصة ، ذلك ان قدرا منها كاف لتسميم الينبوع الاسلامي الصافي • ■■

طرابلس الغرب — د • علي عبد المنعم

محنة

التكامل الاقتصادي الزراعي

في العالم العربي

بقلم : الدكتور سعد نصار *

■ لا جدال فى أن الزراعة ما زالت وستبقى لفترة غير قصيرة تمثل احد القطاعات الرئيسية فى البيانات الاقتصادية لعديد من الاقطار العربية والتى شأنها فى ذلك شأن غيرها من كثير من الدول النامية التى لا تزال حديثة عهد بالتصنيع. يتضح ذلك اذا ما تفحصنا مساهمة الزراعة فى الدخل القومى وما يخصها من اجمالى السكان واجمالى القوى البشرية العاملة فى الاقتصاد القومى والاهمية النسبية للصادرات الزراعية من اجمالى الصادرات ونصيب الزراعة من اجمالى التكوين الراسمالى الثابت فى الاقتصاد القومى ومساهمة الزراعة فى توفير الغذاء للسكان والمواد الخام اللازمة للصناعة المحلية واخيرا اذا ما تفحصنا دور الزراعة كسوق منشط للتوسع الصناعى .

وعلى ذلك فان تنمية الزراعة بطريقة متوازنة مع بقية القطاعات الاقتصادية القومية تعتبر متطلبا اساسيا لتحقيق التنمية الشاملة فى الاقطار العربية وتساعد فى نفس الوقت ـ على حل الكثير من المشاكل والعقبات التى تواجه تلك التنمية وتؤكد الاستقرار فى التنمية الاقتصادية بصفة عامة ، حيث اثبتت الخبرة التاريخية للدول المتقدمة انه من الصعب احداث تنمية صناعية بدون تنمية زراعية .

واذا ما نظرنا الى الموارد الاقتصادية الزراعية العربية نجد أن اجمالى سكان الوطن العربى يبلغ حوالى ١٥٠ مليون نسمة موزعين على الاقطار العربية بنسب متفاوتة وتختلف نسبة السكان من قطر الى آخر ، الا أنها تزيد عن ٥٠٪ فى المتوسط فى الوطن العربى ككل . وتمثل القوة البشرية العاملة فى الزراعة فى الوطن العربى حوالى ٢٥٪ فى المتوسط من اجمالى عدد السكان الزراعيين بمعنى أن نسبة الاعالة ١ : ٤ وهى نسبة مرتفعة اذا ما قورنت بمثيلاتها فى الدول المتقدمة .

*خبير بالمعهد العربى للتخطيط ـ الكويت

تخلف مع الثروة !

وبخصوص الموارد الارضية الزراعية فى الوطن العربى نجد أن المساحة الكلية للاقطار العربية تبلغ حوالى ١١٩٧ مليون هكتار موزعة على الاقطار العربية بنسب متفاوتة • ويبلغ اجمالى مساحة الاراضى العربية القابلة للزراعة حوالى ٣٨٢ مليون هكتار (يقع ما يقرب من نصفها فى السودان وحده) يستغل منها لزراعة محاصيل الحقل والخضر والفاكهة حوالى ٥١ مليون هكتار فقط (يروى منها بمياه الانهار حوالى ٨ مليون هكتار فقط والباقى يعتمد على مياه الامطار) والباقى عبارة عن غابات واحراش (حوالى ١٠٤ مليون هكتار يقع معظمها فى السودان والمغرب والجزائر)

ومراع (حوالى ١٦٨ مليون هكتار يقع معظمها فى السعودية والجزائر والسودان) وأراض متروكة (حوالى ٥٩ مليون هكتار) •

ويتميز العالم العربى بطول سواحله التى تطل على محيطين (الاطلنطى والهندى) وبحرين (الابيض والاحمر) من اكبر بحار العالم ويبلغ طول هذه السواحل حوالى ٢٠ الف كيلو متر •

هذا بالاضافة الى توفر الموارد المالية فى الوطن العربى وتوفر الموارد الطبيعية اللازمة لانتاج المبيدات الحشرية والاسمدة الكيماوية والخام فى عدد من الاقطار العربية •

ورغم ذلك اى رغم توفر الموارد البشرية والارضية الزراعية والمائية والسمكية والمالية وغيرها فى الوطن العربى نلاحظ ظاهرة تخلف الانتاج الزراعى العربى وضعف معدلات نموه والتى تصل بالكاد الى حوالى ٢٪ سنويا وعجزه عن مواجهة الطلب المحلى عليه والذى يزداد بمعدلات كبيرة (حوالى ٥٪ سنويا) لاسباب عديدة أهمها النمو السكانى بمعدلات عالية نسبيا وكذلك زيادة الدخول الفردية وعدم تخطيط الاستهلاك •

ونتج عن ذلك أن العالم العربى الذى كان حتى اواخر الستينات مصدرا صافيا للسلع الزراعية اى تزيد قيم صادراته منها عن قيم وارداته ، اصبح الان مستوردا صافيا للسلع الزراعية اى تزيد قيم وارداته منها عن قيم صادراته نتيجة تزايد كميات وارداته أساسا من السلع الغذائية وتزايد أسعارها •

وتستورد الاقطار العربية حاليا – مع تواضع مستوى التغذية بها عموما – حوالى ٥٠٪ من استهلاكها من الغذاء من الخارج • واظهرت الدراسات أيضا ان هذا العجز سوف يزداد فى المستقبل ما لم تتخذ خطوات جادة لزيادة انتاج الغذاء فى الوطن العربى ففيما بلغ العجز بين الطلب والانتاج بالنسبة للقمح فى الوطن العربى حوالى ٥ آلاف طن فى متوسط الفترة ٧٠ – ١٩٧١ فان التوقعات تشير الى أن هذا العجز سيبلغ حوالى ٩ الاف طن فى عام ١٩٨٠ و ١٢ الف طن فى عام ١٩٨٥ •

وجدير بالذكر أن الاعتماد الكبير للعالم العربى على استيراد الغذاء من الخارج – والذى هو سلعة أساسية واستراتيجية والذى يمكن زيادة انتاجه محليا – يمثل خطرا اقتصاديا وسياسيا عليه سواء من ناحية احتمالات الخطر (وغنى عن القول ان الاموال ليست بديلة عن الغذاء) أو من ناحية رفع أسعار المواد الغذائية المصدرة الى العالم العربى كما حدث بالنسبة لاسعار القمح والسكر فى أوائل السبعينات • هذا بالاضافة الى الحاجة الماسة لبعض الدول العربية الى العملة الصعبة التى تدفعها فى استيراد الغذاء لاستيراد المعدات والسلع الرأسمالية اللازمة للتنمية •

وما زالت الدول العربية تتعامل مع دول العالم الاخرى من ناحية تصدير واستيراد السلع الغذائية والزراعية الاخرى بمعدل أعلى بكثير مما تتعامل به مع بعضها البعض • فالدول العربية تصدر

لبعضها البعض حوالى ١٣٪ فقط من اجمالى قيمة ما تصدره من السلع الزراعية وتصدر الى الدول الافريقية غير العربية حوالى ١٪ فقط من اجمالى قيمة تلك الصادرات بينما تصدر الباقى (حوالى ٨٦٪) الى دول العالم الاخرى • وكذلك تستورد الدول العربية من بعضها البعض حوالى ١٧٪ فقط من اجمالى قيمة ما تستورده من السلع الزراعية وتستورد من الدول الافريقية حوالى ٣٪ فقط من اجمالى قيمة تلك الواردات بينما تستورد الباقى (حوالى ٨٠٪) من دول العالم الاخرى •

عقبات تصادق التجارة

وهناك أسباب عديدة تعيق التجارة بين الدول العربية أهمها : ـ

● تماثل أو تشابه الانتاج فى الدول العربية واشتراكها فى تصدير مواد أولية (كالنفط والقطن) الى الدول الصناعية واستيراد سلع غذائية وصناعية فى المقابل ووجود ارتباطات واتفاقيات تجارية مع الدول الاجنبية •

● ضعف الاتفاقات الجماعية والثنائية التى تشجع التجارة بين الدول العربية عن طريق ازالة القيود الادارية والنقدية والكمية أمام حركة تبادل البضائع والمنتجات بينها واعفائها من الرسوم الجمركية وحل مشاكل النقل والمواصلات وتوفير التسهيلات المصرفية والتسويقية الاخرى ورسم سياسات سعرية مناسبة •

ويكفى مثالا على ذلك أن اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية التى أصبحت نافذة المفعول منذ عام ١٩٦٤ والتى تهدف الى تحقيق حرية انتقال الاشخاص ورؤوس الاموال وحرية تبادل البضائع والمنتجات الوطنية والاجنبية وحرية الاقامة والعمل والاستخدام وممارسة النشاط الاقتصادى ، وحرية النقل والترانزيت واستعمال وسائل النقل والموانىء والمطارات المدنية والمساواة فى حقوق التملك والايصاء والارث ـ لا تضم الان سوى ١٤ دولة عربية فقط • ليس هذا فحسب بل ان اتفاقية السوق العربية المشتركة والتى نفذت عام ١٩٦٥ والمفروض أن يتم بواسطتها تحقيق أهداف اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية لا تضم حتى الان سوى خمس دول عربية فقط • ومن الجدير بالذكر ان السوق العربية المشتركة ما زالت فى بداية مرحلتها الاولى والتى تتمثل فى انشاء منطقة تجارة حرة • ومن المعروف أن هناك مراحل أخرى يجب أن تتلو ذلك هى مرحلة انشاء اتحاد جمركى ثم مرحلة انشاء السوق العربية المشتركة ثم المرحلة الرابعة والاخيرة وهى مرحلة الاندماج الاقتصادى الكامل •

● الحاجة الماسة لبعض الدول العربية الى العملات الصعبة ومن ثم قيامها بالتصدير الى الدول العربية •

● انماط الاستهلاك فى العالم العربى والتى تميل الى تفضيل السلع الاجنبية •

● أسباب سياسية ، حيث تتذبذب العلاقات الاقتصادية الانتاجية والتجارية العربية (الجماعية والثنائية) صعودا أو هبوطا بتطورات المناخ السياسى •

● ضعف دور الحكومة والقطاع العام فى التجارة الخارجية فى بعض الدول العربية •

● صغر حجم التسهيلات الائتمانية والقروض المعقودة بين الدول العربية مما يجعل البعض منها يلجأ فى الاستيراد الى الدول الاجنبية •

أسباب العجز

وان عجز الانتاج الزراعى عن مواجهة الطلب

المحلى عليه يرجع الى عاملين :

● اولا : عدم كفاءة استراتيجيات وسياسات وخطط التنمية الزراعية داخل كل قطر عربى على حدة مثل نمط الانتاج السائد باثاره المتعددة والتكنولوجيا المرتبطة به ، الاستثمارات الزراعية، التسويق الزراعى والاسعار الزراعية ، التصنيع الريفى ، مستوى معيشة غالبية السكان الريفيين ، الاطر المؤسسية التى تتم من خلالها التنمية الزراعية بطرق شعبية وديمقراطية ، الاقراض الزراعى ، طرق تحديد واعداد وتقييم وتنفيذ ومتابعة مشروعات التنمية الزراعية ، والارشاد الزراعى ٠

● ثانيا : ضعف التنسيق او التعاون او التكامل الانتاجى الزراعى العربى ٠ فالموارد الاقتصادية الزراعية غير متوازنة داخل كل بلد عربى على حدة (مثال على ذلك عدم التوازن بين القوة البشرية العاملة الزراعية والاراضى المنزرعة داخل كل بلد عربى على حدة) ٠ وهذا يؤدى الى ضعف كفاءة استخدام الموارد (ويكفى مثالا على ذلك ما سبق ذكره من أن مساحة الاراضى العربية القابلة للزراعة تبلغ حوالى ٣٨٢ مليون هكتار يستغل منها لزراعة محاصيل الحقل والخضر والفاكهة حوالى ٥١ مليون هكتار فقط والباقى عبارة عن غابات وأحراش ومراع وأراض متروكة وان ما يروى منها بمياه الانهار هو حوالى ٨ مليون هكتار فقط أما الباقى فيعتمد على مياه الامطار مما يجعل الانتاج منها خاضعا للتغيرات الطبيعية ٠ هذا بالاضافة الى أن الانتاجية الزراعية العربية سواء فى مجال الانتاج النباتى او فى مجال الانتاج الحيوانى تعتبر بصفة عامة منخفضة نسبيا اذا ما قورنت بمثيلاتها فى الدول المتقدمة او بالمتوسطات العالمية) ٠ بينما نجد أن الموارد الاقتصادية الزراعية متوازنة اذا أخذنا الوطن العربى كوحدة واحدة حيث تتوفر الموارد البشرية والارضية الزراعية والحيوانية والمائية والسمكية والمالية وموارد أخرى ٠ وبالتالى فان مزيدا من التنسيق والتعاون والتكامل الانتاجى الزراعى العربى وتنسيق خطط التنمية الزراعية بما يحقق التخصص وفقا لمبدأ الميزة النسبية وتنفيذ البرامج والمشروعات الانتاجية الزراعية العربية المشتركة المعدة من قبل المنظمات العربية المتخصصة يؤدى الى استخدام تلك الموارد بكفاءة أكبر ٠ ولن تقتصر الفائدة من ذلك على دولة معينة أو مجموعة من الدول وانما ستستفيد كافة الدول العربية ٠ ان الوطن العربى يستطيع اذا أحسن استخدام موارده الاقتصادية الزراعية المتاحة أن يصبح ليس فقط مكتفيا ذاتيا من الغذاء، ومحققا للأمن الغذائى العربى وانما يصبح كذلك مصدرا صافيا للسلع الغذائية والزراعية الاخرى ٠ ان حل المشاكل الزراعية فى الوطن العربى بطريقة جذرية ، لا يمكن أن يتم على أساس قطرى ، ومن هنا تبرز أهمية العمل العربى المشترك والاعتماد الجماعى العربى على النفس لتحقيق الثورة الخضراء والتنمية الزراعية العربية بشقيها الراسى والافقى وبالتالى تحقيق الاكتفاء الذاتى من الغذاء ٠ وان البرنامج الاساسى للتنمية الزراعية بالسودان (٧٦ ـ ١٩٨٥) والذى يقدر حجم الاستثمارات اللازمة لتنفيذه ب ٢٢٨٧ مليون جنيه سودانى (باسعار ١٩٧٥) والذى اسست الهيئة العربية للاستثمار والانماء الزراعى (بمشاركة عدة دول عربية) براس مال قدره ١٥٠ مليون دينار كويتى لتعمل فى المقام الاول على تنفيذه ـ لخطوة جادة على هذا الطريق ٠ ■■

الكويت ـ د ٠ سعد نصار

رؤيـة غربيـة

هذا التزييف والخداع التاريخي

للفيلسوف الفرنسي روجر جارودي

● رئيس الوزراء الاسرائيلي ـ مناحيم بيغن ـ يقاتل في سبيل ما أسماه «باسرائيل الكبرى التي تضم جميع المناطق التي كانت واقعة قبل ثلاثة الاف سنة تحت سيطرة الملك داود والملك سليمان • وهذا الادعاء بان لليهود حقوقا تاريخية في فلسطين هو ادعاء مبني على التزييف والخداع التاريخي •فالبلاد التي تدعوها التوراة بارض كنعان والتي اصبحت منذ عهد الرومان تدعى فلسطين اى (بلاد الفلسطينيين) هي جزء مـن الهلال الخصيب الذى يمتد من الفرات الى النيل ـ منطقة عبور تاريخية ادت الى امتزاج شعـوب لا حد لها ولا حصر ـ ولما انتقلت قبائل ابراهيم من اور في بلاد النهرين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد لتستقر في كنعان لم تـكن البلاد صحراء قفرا ولم يكونـوا هـم اول المستوطنين فيهـا • فالعموريون وصلوا هناك قبل ٨٠٠ عام من وصولهم، والاراميون وصلوا في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ،وبعد فترة وجيزة استقر الفلسطينيون في الساحل •وفي سنة الف قبل الميلاد تمكن داود بقوة السلاح من اضعاف الفلسطينيين والاراميين•

وقد اصبحت البلاد ولاية أشورية في القرن الثامن قبل الميلاد وبعدئذ اصبحت ولاية رومانية ثم فارسية وأخيرا ولاية عثمانية قبيل انتقالها الى يد الاستعمار البريطاني •

وبأى نوع من أنواع التزييف التاريخي يجعلنا نتذكر فقط بعض احداث هذا التاريخ الطويل فنتذكر مثلا هجرة ابراهيم فقط من بين كثير من الهجرات ونتذكر مملكة داود فقط من بين كثير من الممالك ونتذكر ثورة المكابيين فقط من بين كثير من الثورات ؟

هذا الاحتكار لايستند الى اساس كما لو ان البريتون وهم من اصل صلطي وقد سكنوا المنطقة المعروفة بفرنسا اليوم (في نفس وقت هجرة ابراهيم لارض كنعان) اخذوا يدعون بان فرنسا هي لهم وحدهم بحسب حقهم التاريخي •

وهذه الخرافة التاريخية هي التي يغرسونها في اذهان الشبيبة الاسرائيلية منذ اول التحاقهم بالمدرسة ••• وفـي كتب التاريخ الاسرائيليـة لا اهمية الا للحوادث التي تتعلق باليهود في تاريخ البلاد•وعملية التعليم التي يتعرض لها هؤلاء الاطفال تجعلهم يعتقدون ان الحوادث في فلسطين محصورة فقط في ثورة بركوكبا في القرن الاول للميلاد ودمار الهيكل ثم ظهور هيرزل وميـلاد الصهيونية • ولايذكرون انتشار الاسلام ولا الفترة الصليبية ولا الغزو المغولي ولا ثورة العـرب ضد السيطرة العثمانية على اى جزء من تاريخ البلاد• وتتميز الـروح الصهيـونية بالرفـض لـوجود اى شيء ليس يهوديا (في فلسطين) هذا هو مبدأها الاساسي •

وعندما سأل انشتاين وايزمن عما سيحل بالعرب اذا أعطيت فلسطين لليهود أجابه (متسائلا) « اى عرب ؟ انهم لااهمية ولا وزن لهم بتاتا » •

● استاذ الادارة المالية في معهد وست فرجينيا التكنولوجي ـ الولايات المتحدة الامريكية •

صفحة موسيقية



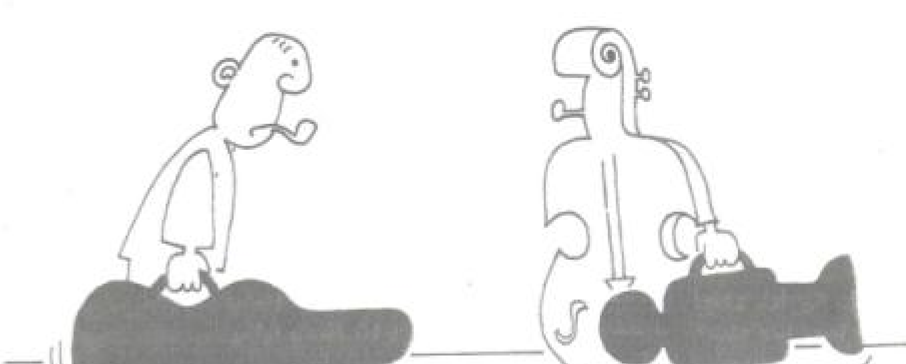
بدون تعليق



سرقات موسيقية



الفن والحياة



بدون تعليق

● قصة من الجزائر ●

خطيبتي

بقلم : عبد الحميد بن هدوقة

● كانت في السابعة عشرة من العمر ، لم اكن اعرفها ولم اكن احبها ، ولست ادري ان كانت تعرفني او تحبني ؟ رضيت بالزواج منها استجابة لرغبة والدي ورضيت بالزواج بي رضوخا لقضاء والديها .

كانت تحدثني امي عنها بالكثير . ولكن امي لو حدثتني عن كل من خلق الله في هذه الارض من فتيات لكانت الصورة واحدة .

كانت تحدثني عنها حديثها عن خطيبات اخواني الكبار قبلي :« فتاة جميلة ، حيية ، صامتة صالحة » . ولهذه الصفات عند امي معان مضبوطة لا تتعداها . فالجمال يعني ان خطيبتي ليست مريضة وليس بها عيب من العيوب الجسمية ، والحياء معناه الطاعة ، والصمت كونها لا تنقل اخبار حياتنا الداخلية الى الجيران . اما الطبخ والنسج وغسل الثياب فتلك هي الشؤون المنزلية الاساسية التي بدونها لا تكون الفتاة في ريفنا فتاة صالحة .

لم يتح لي أن اراها قبل خطبتها ولو مرة واحدة . كانت من قرية اخرى تبعد عن قريتنا بنحو عشرة كيلومترات ولهذه المسافة في الارياف الجزائرية معناها الهام فليست هناك طرق معبدة ، ولا وسائل مواصلات غير وسائل الانسان الاول..

لم ارها الا مرة واحدة في حياتها اما في حياتي فسأراها الى الابد ...

كان ذلك في ليلة عيد الاضحى حيث دعتها امي لقضاء ايام العيد بيننا ...

★ ★ ★

لدارنا فناء واسع الارجاء ، به نجلس ايام الصيف . لم اكن بالبيت عندما جاءت خطيبتي كنت بالبستان اسقي بعض المغروسات وعدت قبل ان اتم السقي ، لست ادري لماذا ؟ نسيت الآن، واذ فتحت الباب الخارجي رأيت فتاة لم ارها قبل. كانت تشبه الفتيات الاسبانيات ، صورة وهنداما. حاجبان مقوسان ،عينان سوداوان ، شعر حالك طويل . صدر ممتلىء جسم نحيف منسجم الاعضاء مستقيم القوام . اثواب فضفاضة حريرية زاهية . تلك هي الصورة الاولى التي ارتسمت في نفسي لخطيبتي وانا اراها واقفة في فناء الدار ، وهي ايضا الصورة التي بقيت في ذاكرتي الآن :صورة فتاة هيفاء قررت في نفسي ان اخرق العادة واصافحها ... كانت وقتها طائرة من نوع (ب٢٦) تحلق فوقنا كأنها تبحث عن منزل . وهكذا اقترنت صورة خطيبتي وتصافحنا الاول بطائرة الب ٢٦ :

خرجنا في ذلك المساء وحدنا خفية عن امي . نتجول حول الدار دارنا الجميلة المطوقة بكروم الدوالي وشجر الصفصاف والرمان . كانت الشمس تلفظ آخر اشعتها على جبال «اولاد ثائر (١)» وكانت السماء صافية كمرآة العذراء . وكان الفصل صيفا ولكن الجو كان شتاء.وكانت الليلة ليلة عيد ولكن البيوت كانت خالية من آثاره ، خاوية من افراحه . كان نوع من الاطمئنان الحزين يسود القرية ولكن في قلب ذلك الاطمئنان كانت الثورة ثائرة ،فقد قرر سكان القرية ان يكون يوم العيد يوم اضراب . لا عن شغل او اكل او احتفال بالعيد ولكن عن شيء آخر عرفه سكان قريتنا وحدهم ... كانت السلطة العسكرية الفرنسية فرضت في صيف تلك السنة الثانية للثورة على

(١) قرية غرب برج بوعريريج بالجزائر .



القرية ان يذهب يوميا جميع السكان الى قرية اخرى حيث المركز العسكرى لمبايعة العلم الفرنسى: اعرابا عن ولائهم ••• وضج الاهالى من هذا الولاء المفروض فقرروا ان يكون يوم العيد نهاية الولاء الاجبارى وبدء العصيان الحر •

كانت القرية صامتة صمت المآسى ، ساكنة سكون الخراب ، مطمئنة اطمئنان السجون حزينة حزن اللاجئين ، ومن عادتها فى غير هذه السنوات ان تكون فى اماسى الصيف كخلايا النحل فهناك اغانى الرعاة العذبة المتجاوبة هنا وهناك فوق الربى والتلال ، وهناك صهيل الخيل ونهيق الحمير المتصاعد من الحقول والمروج ، وهنا عواء الكلاب الذى لاينتهى •••

ومن عادتها فى ليالى العيد ان لاتنام فيكثر الذهاب والاياب والتزاور والتنادى ويعلو من كل بيت ازيز المهاريس التى تهرس حناء العيد ويرتفع فى كل جهة ثغاء جميل حزين •• ثغاء الاكباش والخراف التى لاتنام ليلة العيد ••

ولكن هذا المساء كان صامتا لاثغاء خراف ولا عواد كلاب ولا نداء ••ولم النداء ؟ فالجميع متفقون على ان لايذهبوا فى الغد لمبايعة العلم، والجميع يعرفون ان عيدهم الحقيقى مايزال حلما فى رؤوس الجبال •

كنت وخطيبتى نمشى قرب جدول • كان ماؤه صافيا كدموع اليتامى• وكنا صامتين • وفجأة سألتنى:

ـ امسافر انت حقيقة ؟

ـ نعم مسافر •

ـ الى اين تذهب ؟

ـ لست ادرى •

ـ كيف لاتدرى ؟ هل هناك مسافر لايعرف الى اين هو مسافر ؟

ـ نعم ، هو انا •

ـ وانا ؟

ـ انت ساعود اليك متى عدت ؟

سكتت لحظة • كانت شديدة الحذر فى حديثها، وتوهمت ان مايجرى فى نفسها لايكون الا هذا السؤال :«وان لم تعد ؟ » ولكنها قالت بأسى :

ـ اخشى ان لاتجدنى عندما تعود •

ـ لماذا ؟

لم تجبنى حالا ، ولم استطع فهم مرماها ؟ ثم قالت باعجاب :

ـ كم هى كبيرة هذه الكرمة !

وكنا وصلنا الى مكان به شجرة رمان وكرمة تين كثيفة الاوراق عالية الاغصان • هى اكبر كرومنا سنا وثمرا • كنا نسميها «كرمة الساقية» لانها تقع على الساقية المارة من هناك ووقفنا امامها وكانت خطيبتى معجبة بضخامة الكرمة اى اعجاب• وقالت :

ـ لكأنها تصلى !

ـ انها تحلم •

ـ بماذا ؟

ـ باغنية الساقية •

ـ هل الساقية تغنى ؟

ـ نعم تغنى •

ـ وماذا تقول ؟

ـ تقول مادام الماء يملأ احشائى فلن ادع الظما ينفح القلوب •

ـ قلوب من ؟

ـ كل شىء •

ـ هل شربت من ماء هذه الساقية ؟

ـ لا •

ـ لماذا ؟ الا تحب ماء السواقى ؟

ـ لااحبه شرابا مادمت استطيع الشرب من المنبع ، ولكنى احبه اغنية •

فابتسمت وقالت فى لهجة تشبه لهجة الاطفال اذا فهموا سؤال المعلم :

ـ اذن انت كالكرمة !

ـ ربما انا مثلها ، ولكن فى الاحلام فقط ، فكلانا يحلم •

ـ هى تحلم باغنية الساقية ، وانت باية اغنية ؟

ـ باغنية الجبال •••

فسألتنى ببراءة وسذاجة :

ـ هل الجبال تغنى ايضا ؟

ـ نعم تغنى •

ـ وماذا تقول ؟

ـ تقول مادمت فى ارض لن يطغى عليها البحر•

وسكتنا • وكنا فى اعماق ذلك الهدوء نستمع الى ما يجرى فى قلب الطبيعة من شجون وشؤون : كان خرير الجدول يشبه فى نغمه واسترساله ترتيل المتبتل فى محرابه • وكان حفيف الاوراق يشبه فى وشوشته وهمسه قصة غرامية مليئة بالاحلام والالام • وكانت زهور الرمان تسقط على الارض

فرادى ومثنى وثلاث ، يحكي سقوطها نهاية زمن ونهاية حياة • ورأت خطيبتي زهرة سقطت بالقرب منها فرفعتها واخذت تنظر اليها بامعان وقالت بنبرة حزينة :

ـ مسكينة هذه الزهرة! لماذا يسقط زهر الرمان هكذا ؟

ـ ليثمر الباقي ••• نوع من التضحية تعرفه الطبيعة ولا نعرفه •

ـ ولماذا لا يثمر الجميع ؟

ـ لأن الريح قاسية •

ـ هل صحيح ان ارواح المحبين تتلاقى بعد الموت؟

لم افهم معنى هذا السؤال الغريب ولا فهمت الداعي اليه ولكنني احببت ان اجيبها على كل حال فقلت :

ـ ذلك اقل ما ينبغي ان يكون •

عادت الى الصمت من جديد والى التامل في زهرة الرمان التي رفعتها من الارض منذ حين وبدت لي حزينة • لست ادري لماذا ؟ ولكني كنت اشعر بشيء ما يضطرم في فؤادها ••• بشيء يؤلمها ولم تستطع البوح به • ومن ذلك الحزن أحسست بحنان نحوها يملأ نفسي ويغمر كل كياني وشعرت برغبة ملحة في ان اراها تنظر الي ولكنها كانت تنظر الى زهرة الرمان في يدها •

لقد عرفتها ••• عرفت خطيبتي منذ ان رايتها تتامل الزهرة الذابلة • وكدت اصرخ الى الليل الذي حجب عني نور عينيها ، والى الفضاء الذي احتضن صوتها العذب والى الكرمة الخاشعة الحالمة التي سمعت حديثنا ، والى اشجار الصفصاف الصامتة التي تطوق الدار ، والى ازهار الرمان المتساقطة التي احزنتها ، كنت اصرخ قائلا « اني اتالم مما يؤلم خطيبتي ••• اني اتالم من الالم » ولكن صرختي لم تخرج من حلقي بل تفجرت في روحي ، وسمعت صداها وحدي يجوب ابعاد وجودي الداخلي ••• هل كنت احبها ؟ لست ادري كل ما ادريه هو اني كنت اشعر بدموعي تملأ ماقي وانا اراها تتامل الزهرة الذابلة ثم رمت الزهرة بحركة تنم عن غضب حزين مكبوت في نفسها والتفتت الي وسالتني قائلة :

ـ هل تخاف ؟

وقلت :

ـ مماذا ؟

وقالت :

ـ من الموت ؟

فقلت :

ـ لست أدري •

كنا شابين وحدنا في مكان كل ما فيه يدعو الى تبادل عبارات الغرام وتساقي الهوى وكان ذلك اللقاء الاول بيننا • وبدل ان نرشف من جداول الحب النابعة من قلبينا ولو رشفة ونطفيء ذلك اللهب المتاجج في نفوسنا اذا بنا نتحدث عن الموت • « هل اخاف من الموت ؟ » وهب انني لا اخاف ـ فاني لا احبه على كل حال •

وعادت الى السؤال فقالت :

ـ اذن انت مسافر ؟

فقلت :

ـ لا شك في ذلك •

ولم اتم جملتي حتى دوى في السماء أزيز رهيب اسود يائس يملأ النفوس ذعرا • وهممنا بالعودة الى البيت مسرعين • ولكن ذلك الازيز كان قد اقترب حتى لنكاد نتخيله يئز في قلوبنا ، ويعصف بكل ما كان فيها من احلام ومن ياس ايضا • وزلزلت الطائرات زلزالها واطلقت اثقالها على القرية المطمئنة • واخذ لهب القنابل المحرقة يرتفع من الدور والشجر عاليا الى السماء ، معلنا ان اهل القرية ايقاظ • واضاءت نيران القنابل والرصاص القرية من جميع اقطارها وانمحى الليل منها ، وانمحى الصمت ايضا ، وانمحى الظل في النهاية •••

ثم غصت في غيبوبة تشبه العدم •

★ ★ ★

وفي الغد وجدت نفسي في مكان كثيف الاشجار لا يبعد كثيرا عن القرية • وكانت ممرضة تابعة لجيش التحرير بصدد تضميد جروحي • لم اكن افكر في جروحي ، كنت افكر في خطيبتي ، في القرية واضاربها وفي عيد الاضحى • وكانت وقتئذ سحابة من الغربان تغطي سماء القرية •••

اخذت تلك الممرضة الحنون تهون على المصاب وتبذل لي من عذب العبارات وباسم الامال ما استطاعت •••

لقد ماتت خطيبتي !

جاءت لتراني قبل السفر ، وقد انمحت من الارض دارنا وقريتنا ، فلم اعد في حاجة الى السفر •• اصبحت مسافرا في كل مكان • ■■

عبد الحميد بن هدوقة

طرائف عربية

الصبر والرزق الحلال

● دخل الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه مسجد الكوفة يوما ، وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد «امسك على بغلتي» . فاخذ الرجل لجام البغلة وتركها ، فخرج الامام علي وفي يده درهمان ، ليكافيء بهما الرجل على امساكه بغلته ، فوجد البغلة واقفة بغير لجام ، فركبها ومضى ، ثم دفع لغلامه قنبر الدرهمين ليشتري بهما لجاما جديدا للبغلة . فلما ذهب قنبر الى السوق وجد اللجام في السوق وقد باعه السارق بدرهمين ، فقال الامام علي رضي الله عنه : « ان العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر . »

دعوتهم فلبوك

● كان لاحد الفقهاء من اهل المدينة ابن يخالط سفهاءها ، فغضب عليه ابوه ، واخرجه الى خيبر ، ولكن الابن لم يرتدع عن مجونه ، بل جمع اليه مجموعة من المجان في زي المشايخ ، واتفق ان خرج الفقيه الى ماله بخيبر ، فلما رآهم قال لابنه : « مثل هؤلاء كنت اريدك ان تعاشر ، ولعمري لقد احسنت الاختيار ، وسترى يابني ما تحب ! » فاقبل الابن على اصدقائه قائلا : « اني اخاف ان يخرج ابي من خيبر ولم يعرفكم على حقيقتكم » فقالوا له : « الساعة يعرفنا » وحضرت صلاة المغرب فتقدم الفقيه فصلى بهم ، فلما قرأ « قل يا ايها الكافرون » قالوا : « لبيك لبيك ! » فلما قرأ : « لا اعبد ما تعبدون ، ولا انتم عابدون ما اعبد » قالوا : صدقت صدقت جعلنا الله فداك فلما انصرف قال لابنه : « ما هؤلاء عليك وعليهم لعنة الله ، فما رايت مثلهم قط . قال : « وما انكرت منهم ؟ لقد دعوتهم فلبوك وخبرتهم فصدقوك » .

لاتنتقصه

● روى ان ابنا لعامر بن عبد الله بن الزبير كان جالسا في مجلس والده ، فجاء ذكر الخليفة علي بن ابي طالب ، فاخذ الولد ينتقصه ، فقال له ابوه ، وكان من البررة الصالحين : « يا بني لاتنتقصه فان بني مروان ما زالوا يشتمون عليا على اعواد المنابر ستين سنة فلم يزده الله الا رفعة وسموا ، وان الدين لم يبن شيئا فهدمته الدنيا ، وان الدنيا لم تبن شيئا الا عادت على ما بنت فهدمته » .

● ● ●

قالوا في العلم

● قال الاحنف بن قيس : « كاد العلماء ان يكونوا اربابا ، وكل عز لم يكسب بعلم فالى ذل ما يصير » .

وقال ابن المقفع : « اذا اكرمك الناس لمال او سلطان فلا يعجبنك ذلك ، فان زوال الكرامة بزوالهما . ولكن ليعجبك ان اكرموك لدين او ادب » .

وقال يونس بن حبيب : « علمك من روحك ، ومالك من بدنك » .

وقال ابو الاسود : « الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك » .

أنت والطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

الدولوبيد .. هل يستطيع أن يحل محل الاسبرين ؟

● يحتل الاسبرين ،وشقيقه الاسبرو ، مكانة فريدة بين العقاقير .. فقد كان منذ ظهوره في المانيا سنة ١٨٩٠ المسكن او مزيل الالام الاول ، ان لم نقل الوحيد في العالم كله . وشاع استعماله حتى اصبح يباع في بعض الاقطار في البقاليات فضلا عن الصيدليات .. وراج حتى بلغ استهلاكه ارقاما قياسية ، ٢٠٠٠و٠٠٠ طن سنويا في بريطانيا وحدها ..

على ان هذه السيادة لم تعد مطلقة وقد باتت على مايبدو ، مهددة . فقد اعلنوا مؤخرا (في مطلع شهر ابريل الماضي) عن ظهور مسكن جديد بديل يفوق الاسبرين من حيث قوة اثره ، وطول امده ،ويمتاز عليه لقلة مايتسبب به من اضطرابات معوية .. آفة الاسبرين المعروفة ..

والمسكن الجديد الديفلونيزال Diflunisal او الدولوبيد Dolobid ، ان شئت الاسم التجارى ، ليس جديدا بالمعنى الدقيق . فقد نجحت في تخليقه مختبرات مرك شارب Merck Sharp & Dohme Research dabs. في الولايات المتحدة وذلك قبل ١٤ سنة ، كان العقار الناءها موضع ابحاث وتجارب واسعة النطاق ..على ان صناعته ستكون وقفا على بريطانيا حيث العمل قائم على قدم وساق لانشاء مصنع الدولوبيد الذى تقدر تكاليفه بحوالي ١٥ مليون جنيه والذى سيبدأ الانتاج في مطلع السنة القادمة ..ولاندرى لم اختاروا بريطانيا مركزا لصناعة هذا المسكن وتوزيعه في الاسواق العالمية .

وحسبنا الوقوف عند تجربة واحدة فقط من التجارب العديدة التى أجروها للتحقق من فاعلية الدولوبيد وآثاره . فقد اختاروا ٩٠٠ رجل قسموهم الى فئتين متساويتين ، فئة اعطيت الاسبرين اربع مرات في اليوم الواحد والفئة الاخرى اعطيت الدولوبيد مرتين . والبتت الفحوص ان الدولوبيد كان اقوى اثرا بالرغم من انه اعطى بنصف جرعات الاسبرين.. وتبين ان عدد الذين اصيبوا بنزيف معوى Intestjnal bleeding بسبب الدولوبيد بلغ نصف عدد الذين اصيبوا به بسبب الاسبرين.

واثر الدولوبيد طويل الامد ..يدوم حوالي ساعة وقوته تبلغ ٤ اضعاف قوة الاسبرين، كما دلت التجارب السالفة الذكر . اما الثمن الذى قرروه له فيبلغ ٣٠ ضعف ثمن الاسبرين !

دب قطبي يعزز أواصر الوفاق

هذا الدب القطبى الابيض الذى ترى في الصورة كاد ان يثير مشكلة دبلوماسية بين الدولتين العظميين .. انه من الدببة .. التى اختارها علماء البيئة في الولايات المتحدة لتكون موضع بحثهم ودراستهم،



أنت والطب والعلم

لا سيما فيما يتصل بهجرة الدببة .. فهو الان ذو هوية ، ورقمه ١٧٩٥ .. وهو يحمل في رقبته جهازا الكترونيا ..جاز ان يثير شكوك السلطات السوفياتية .. وقد ضل هذا الدب السبيل فاجتاز الحدودمن الاسكا الى سيبريا .

وماأسرعماافتقد الامريكيون دبهم ، و.ذا بوزارة خارجيتهم تبرق الىنظيرتها فيموسكوكما يلي :

« رجاء ، اعيدوا الينا دبنا .. »

والظاهر ان العلماء في الدولتين المعظمين اقرب الى التفاهم والوفاق من الساسة والعسكريين ... فقد ابدى السوفيات استعدادهم لاعادة الدب ، بل البحث عنه ايضا ، متى سمحت الاحوال الجوية بذلك .. بانتهاء فصل الشتاء، وهو مظلم في القطب الشمالي طيلة ساعات اليوم الاربعة والعشرين ..

واطمان العلماء الامريكيون الى ان زملاءهم لن يسيئوا فهم الدبفيحسبوه جاسوسا ويعاملوه معاملة سيئة ..ولكنهم مازالوا قلقين . فدبهم ، بل دبتهم ، حامل وقد اقترب ميعاد وضعها ...

كرسي جديد ...
يبشر بالقضاء على الانزلاق الغضروفي

● انتشرت افة الم الظهر في المدة الاخيرة حتى بلغت الخسائر التي ينزلها في الاقتصاد البريطاني ـ على سبيل المثال ـ وتبعا لانقطاع المصابين به عن مزاولة اعمالهم ـ حوالي ٢٠٠ مليون جنيه استرليني سنويا .. وقد اكد ذلك الجراح الاخصائي الدانمركي الدكتور ا . س . مندال Dr. A.C. Mandal في المؤتمر السنوي الذيعقدته فيادنبره مؤخرا احدىالجمعيات التي تعنى بالافة المذكورة .

وذهب الدكتور مندال الى ان الاثاث الحديث الذينشتريه من الاسواق هو المسئول الاول عن انتشار الم الظهر .وركز على كراسي المكاتب بخاصة.. فالطريقة التي تسمح هذه الكراسي بالجلوس عليها هي بالذات الطريقة التي طالما حث الاطباء على تجنبها .. والتي تتمثل بالانحناء الى الامام على نحو ما يفعل المرء عند التقاط شيء ما عنالارض .. والخطا في الحالتين انما هو في تحميل العمود الفقري ضغطا لاقبل له به .

ولم يقفالجراح الدانمركي عند شرح الافة نظريا ، بل عمد الى تحديد الاجراءات الكفيلة بتفاديها عمليا ... وكان كرسي المكاتب محور اكثر هذه الاجراءات ..ولا عجب.. فهو في نظره السبب فيالكثرا الكبرى من الاصابات بالم الظهر .

ودعا الدكتور مندال الى تعديلات جذرية اساسيةتطبقها مصانع الاثاث في صنع كراسي المكاتب.فقد درجت اكثر هذه المصانع على جعل المسند هو الجزء المتحرك من الكرسي.. ولكن دور المسند محدود في هذا الصدد ، لاسيما وان استعماله قليل بل معدومأثناء الكتابة .. وهو اقل كثيرا ، على كل حال ، من استعمال المقعد وهو الجزء الذينجلس عليه . فهذا هو الذي يجبان يكون متحركا بحيث يسمح بالانحراف الى الامام بزاويا قدرها ١٥ درجة .. ويسمح ايضا بالانحراف الى الخلف ولكن بزاوية لاتزيد على ٥ درجات .. اما المكتب الذي نكتب عليه ونقرا فيجب ان



يكون منحرفا قليلا على نحو ما ترى فى الصورة (١) • ولعل الصورتين الاخريين (٢) و(٣) فى غير حاجة الى تعليق ، وهما تبينان موطن الخطا فى اوضاع الجلوس على كراسى المكاتب العادية المالوفة •

ومن طريف مايذكر ان الدكتور مندال كان من المصابين بالم الظهر طيلة سنوات عديدة • وقد اكتشف المواصفات التى يدعو الى التقيد بها صدفة وهو يقول فى ذلك : « كان ذلك ايام كنت اعانى من الم الظهر المبرح •• وايام حل بى الياس من الشفاء منه بالطرق الطبية المعروفة ،وقد لجات اليها كلها ،على مدى السنين ، ولكن بلا جدوى •• فقد كنت جالسا على احد كراسى المكاتب العادية •• واتفق ان انحرفت بهذا الكرسى الى الامام بحيث ارتفعت رجلاه الخلفيتان ، فوقف على رجليه الاماميتين •• ولدهشتى شعرت بتحسن مفاجيء فى الم ظهرى ••شعرت به فى تلك اللحظة التى انحرفت فيها بالذات•• » وانطلق الدكتور مندال من هذه البداية •• وواصل ابحاثه وتجاربه حتى انتهى به المطاف الى تصميم كرسى المكاتب المناسب ••على نحو ماسلفنا•

والجدير بالذكر ان مصانع سيمنس الالمانية لصناعة الاثاث الطبى قد باشرت فى تسويق كراسى المكاتب التى صنعتها وفق مواصفات الدكتور مندال•



خيال « المآتة » بطراز القرن العشرين

● الجديد فى خيال «المآتة» الحديث انما هو فى الانطباعات التى يحدثها • فانت تشعر وانت تنظر اليه كان طيرا كبيرا يرفرف بجناحيه على مقربة منك •• وان لم تشعر انت بهذا ، فالعصافير تشعر به ، فلا تلبث ان تولى الادبار ، دون ان تتسبب لمزروعات الحقل باضرار •

والسر فى فزع الطيور الجديد انما هو فى الواجهات الثلاث التى تلف وتدور على راس القضيب الذى يحملها•• فقد رسموا على هذه الواجهات طيرا كبيرا فى اوضاع ثلاثة مختلفة •• فاذا دارت الواجهات وتلاحقت الاوضاع بدا الرسم وكانه طير حى يهم بالطيران•• كما تبين الصور الثلاث ، وهى صور لجهاز واحد بواجهاته الثلاث ••

اضف الى ذلك انهم رسموا الطير بمادة بيضاء عاكسة (كالفسفور) بحيث لابد للرفرفة من ان تتغير وتتبدل تبعا لحدة ضوء الشمس والزاوية التى تسقط بها اشعتها على خيال المآتة •• وبذلك تصبح الصورة اكبر شبها بالحقيقة فتفزع العصافير وتغادر الحقل قبل فوات الاوان • ■■



الفندق العائم فى البحر الاحمر .. أحد المشاريع السياحية الناجحة فى هذه المنطقة الغنية بمناظرها الطبيعية الرائعة .

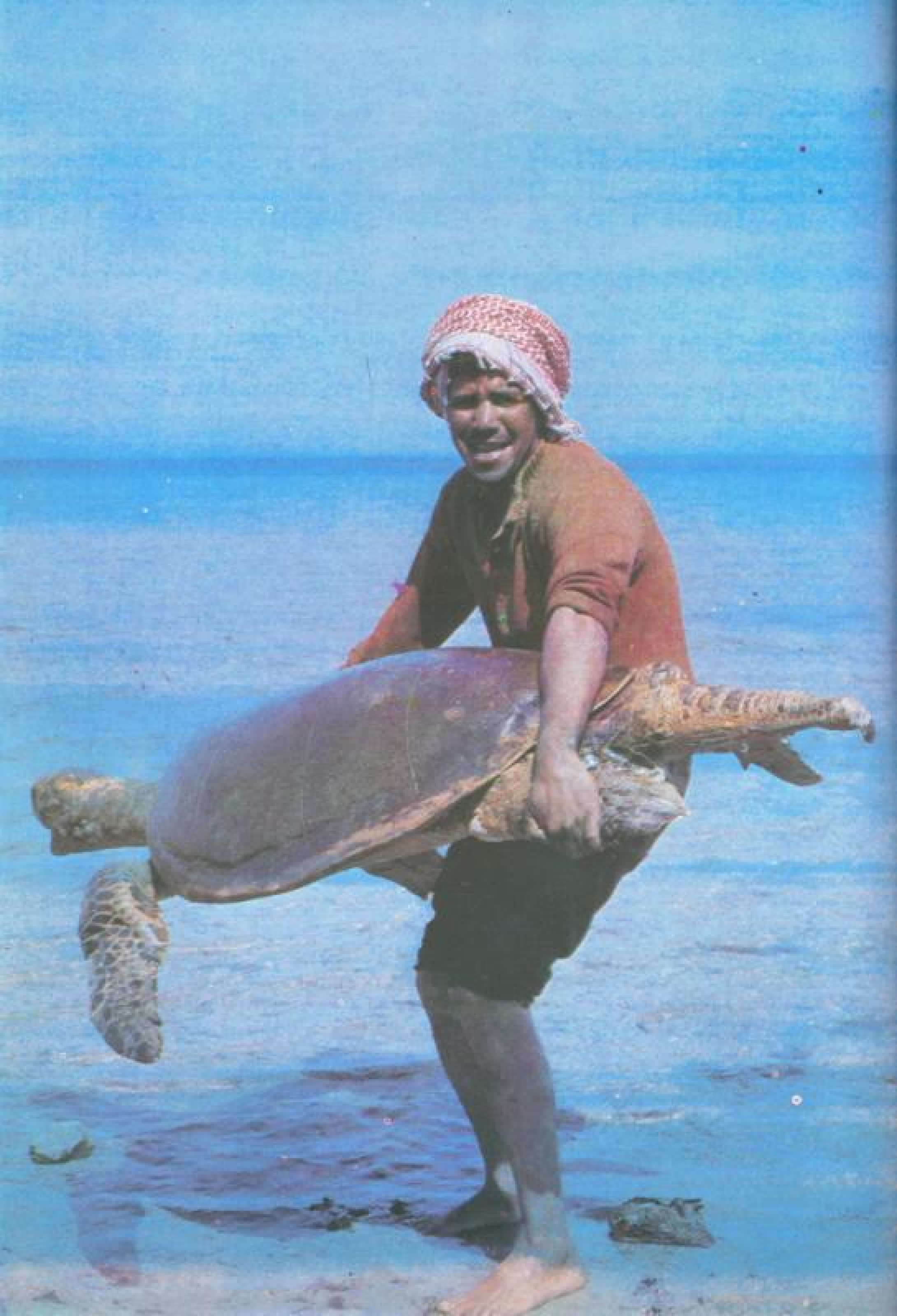
واد جديد ..
جديد على شاطىء البحر الاحمر في مصر

استطلاع بقلم :
منير نصيف

تصوير :
صلاح آدم

الربان محمد برعى مع ضيوفه من السائحين الذين يأتون الى البحر الاحمر ليغوصوا فى مياهه ويسجلوا بعدساتهم ما تحويه من صور غريبة للحياة فى أعماقها .. (الصورة الى أسفل) وسلحفاة بحرية يحملها ابن البحر الذى يعيش فيه أكثر من ألف نوع من الاسماك النادرة . (الصورة الى اليسار)





في أكتوبر من عام ١٩٧٣ كان العبورمن أجل تحرير الارض في منطقة القناة وسيناء والبحر الاحمر ·· واليوم تشهدهذه المنطقة معركة أخرى كبيرة ·· معركة من أجل العبور الى الرخاء ·· الى الغد·· وفى مثل هذا اليوم من كل عام نتجه الى هذه البقعة من الارض العربية لنسجل خطواتنا على الطريق · هنا العناق الابدى بين البحر والارض ·· بين الانسان والطبيعة ·· بين الارادة والبناء ·· من أجل مستقبل أكثر اشراقا ·

★ ★ ★

■ صراع مع الارض ، على سطحها وفى جوفها ·· وصراع مع البحر ·· وصراع مع الجبل هذه هى الصورة التى ترى ملامحها اليوم فى تلك المساحة الشاسعة من الارض التى كانوا يسمونها الى عهد قريب « الصحراء الشرقية » فى جمهورية مصر العربية ·

ارض هائلةتمتد بمحاذاة البحر الاحمر منمنطقة ابو الدرج شمالا عند الكيلو ١١٠ جنوبى ميناء السويس حتى الحدود المصرية السودانية جنوبا عند خط عرض ٢٢ درجة شمالا ، ومن ساحل البحر الاحمر شرقا حتى حدود محافظات وادى النيل غربا ·· فهى تمتد طويلا لمسافة ١٠٨٠ كيلومترا وتضيق وتتسع عرضا لمسافة تتراوح بين ١٥٠ و ١٨٠ كيلو مترا والى هذه الارض العربية التى بقيت بعيدة نائية مجهولة لسنوات وسنوات طويلة ، قصدنا لنرى ما الذى يجرى فيها اليوم بعد ان اصبحت واحدة من محافظات مصر ، بل اكبر محافظاتها اطلاقا ، فهى تشكل ربع مساحة الاراضى المصرية او اقل قليلا (ربعمليونكيلو مترمربع)··

والصراع « الجديد » الذى شاهدنا ملامحه ، بدا فى محافظة البحر الاحمر مع بداية تطبيق نظام الادارة المحلية عام ١٩٦١ ، عندما تقرر فتحها للجماهير ، بعد ان كانت قبل ذلك ارضا تمثل حدودا استراتيجية ، فهى منطقة عسكرية غير مصرح بالدخول اليها بدون تصريح ولاشىء اكثر من هذا !

وقفة مع التاريخ

وقبل ان نمضى فى رسم صورة لهذه الملامح ، نتوقف هنا قليلا لنعرف ماذا كانت عليه هذه المنطقة فى كتب التاريخ ؟ لقد قال مارك توين : « انت تائه ، اذا لم تعد الى التاريخ·· فالتاريخ حياة ·· ولكل حياة بداية ، ولن تجدها الا فى الكتب التى تنقل لك القصة من بدايتها ! »

وقد تهنا بفكرنا ، والسيارة تنطلق بنا على هذا الطريق الساحلى الممهد الذى يسير بمحاذاة مياه البحر ! ما هذا الذى نراه من حولنا ؟ هذه الجبال الشامخة ·· هذه المياه الزرقاء الصافية التى تستطيع العين ان تنفذ الى اعماقها وترى كل شىء فيها ·· هذه الرمال الناعمة التى تغطى الشاطىء الجميل ·· مناظر طبيعية ساحرة لم تمتد اليها يد انسان بعد ، او ربما امتدت اليها ، ولكنها لم تبق معها طويلا ·· فما لبثت ان عادت الى طبيعتها الاولى ··

البحر والجبل ·· اكثر مايشدك ويثير اهتمامك ·· ولكن الوصول الى الجبل اسهل ·· وامام الجبل لا بد وان تجد نفسك تقف وتتامل تلك الاحجار التى صمدت كما لا يصمد شىء على الارض ··كلهم مروا من امامه ، او تسلقوااحجاره عندما وجدوها تعترض الطريق الذى اختاروه لمسيرتهم ·· وكلهم ذهبوا بعد ذلك ، وبقيت ··بقيت الجبال واحجارها شامخة شاهدة على ما دار معها وفوقها وبين وديانها ! ما اقصر عمر الانسان امامها !

مهد للحضارة قديما

هكذا يقول التاريخ ·· لقد كانت هذه المنطقة مهدا للحضارة ، منذ ان عرفت مصر الحضارة فى تاريخها القديم ، ثم بعد ان فتحها المسلمون ودخلوها ، وحتى قبل الفتح الاسلامى عندما دخل الرومان الوثنيون مصر وراحوا يطاردون المسيحيين الذين لم يجدوا ملجأ ياوون اليه ويختبئون فيه بعيدا عن بطشهم ، سوى تلك المنطقة النائية من الصحراء الشرقية ، فهربوا اليها وراحوا يبنون معابدهم واديرتهم فى احضان الجبل الذى كان لهم حصنا وحامية منذ قرون طويلة خلت ·

لم ماذا ؟

المصريون القدامى اكتشفوا الطريق من « قفط » فى صعيد مصر الى القصير على البحر الاحمر ·· ومن قفط جاء المهندسون والرسامون والنحاتون··



واد جديد جديد

خريطة لمحافظة البحر الاحمر ·· ارض شاسعة تشكل ربع مساحة الاراضى المصرية ··



وحدات من اسطـول الصيد على الشاطيء ٠٠ لقـد ارتبطت حياة أهل المنطقة بالبحر ٠٠ وانضم اليهم
٠٠ ثروة هائلة من الاسماك ينقلها الصيادون يوميا فى ثلاجات ضخمة الى مختلف أنحاء مصر ٠٠ ان حياة
يرقصونها بملابس الصيد التقليدية ٠٠ ومن قبلهـا رقصوا للدوان وبطولـة





اخوانهم الذين جاءوا من مختلف انحاء مصر .. بعضهم يصطاد السمك لحسابه وبعضهم يعمل لحساب الدولة الصيد في البحر لا بد وأن توحي لابناء المحافظة باشياء كثيرة .. وهكذا جاءت رقصة الصيادين وهم رجالها الصيادين ايضا في معركتهم مع العدو الاسرائيلي عام ١٩٧٠ .



واقاموا في هذه المنطقة الغنية ، ولم يتركوها قبل ان يسجلوا على احجارها بعضا من آثارهم التي تحمل طابعهم حتى اليوم وينقلوا البعض الاخر بعرباتهم التي تجرها الثيران .. وبهذه الاحجار التي كانت تصل اليهم في الصعيد بعد رحلة شاقة تستغرق خمسة ايام كاملة ، شيدوا معبد امون في طيبة .

واكتشف المصريون القدامى بين ما اكتشفوا ايضا معدن الذهب في بطن سلسلة جبال البحر الاحمر.. وكانت كميات الذهب المستخرج من هذه المناجم موردا اساسيا من موارد الدولة المصرية القديمة ..

والرومان اهتموا بالصحراء الشرقية حيث كانوا يحصلون منها على الاحجار التي يستخدمونها في بناء معابدهم .. ومن اشهر هذه المحاجر التي تتحدث عنها كتب التاريخ ، محجر وادى ابو خريف او « مونس كلاوديانوس » ومحاجر جبل الدخان « مونس بروفريتس » ، وكانوا ينحتونها ويصقلونها قبل شحنها الى روما . ولا تزال بعض هذه الاحجار ملقاة بجوار جبل ابو خريف حتى اليوم .. لقد ذهب الرومان ، وبقيت هي تحكي قصتهم معها .. كما بقيت الاديرة التي بناها المسيحيون ليتعبدوا فيها بعيدا عن بطش الرومان ، واشهرها دير الانبا انطونيوس .. ودير الانبابولا .. وهي اديرة مسكونة بالمتعبدين الزاهدين في متع الحياة .

في العصر الاسلامي

ثم جاء المسلمون كما ذكرنا ودخلوا مصر ووصلوا الى صحاريها .. واصبحت « الصحراء الشرقية » في العصر الاسلامي معبرا للقبائل العربية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية الى السودان وغيرها من الدول التي انتشر فيها الاسلام ، ويقول المؤرخ « ماك مايكل » ان عدد القبائل العربية التي استقرت في الصحراء الشرقية او مرت بها اكثر من ٢٢٠ قبيلة .

وعندما تعرضت دلتا وادى النيل في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي الى هوة اقتصادية ، تحول طريق قوافل الحج والتجارة في عام ٤٦٠ هـ (١٠٧٦ م) الى طريق النيل من قفط وادفو واسوان الى عيذاب على شاطىء البحر الاحمر عبر « الصحراء الشرقية » ، حيث كان الحجاج يركبون السفن منها الى جدة .

وكان ميناء القصير احد موانىء البحر الاحمر حاليا ، واقدمها يزدحم بالسفن المحملة بالتجارة القادمة من شرق افريقيا وآسيا ، وقد بقى حتى وقت ليس ببعيد ميناء الحج الرئيسي ، قبل ان يحتل ميناء السويس هذا المركز بعد حفر القناة السويس .. هذا الشريان الحيوى الذى احدث ثورة في حركة الملاحة البحرية ، فقد تحول البحر الاحمر بعد شقها من بحر مسدود تدور فيه السفن حول نفسها الى واحد من اهم بحار العالم التي تربط ما بين شرقي وغربي العالم الفسيح ..

ومن بين العوامل الاساسية التي ساعدت على ازدهار موانىء البحر الاحمر الجنوبية في « الصحراء الشرقية » ، نشوب الحروب الصليبية بين العرب والفرنجة حول الاراضي المقدسة ، مما ادى الى تحول الانتظار عن الموانىء الشمالية مثل ميناء السويس ، وقد ظل الحال كذلك ، الى ان قام بيبرس باسترداد العقبة من الصليبيين عام ١٢٦٧م بعد ان انزل بهم الهزيمة وشتت جيوشهم فتحول طريق الحج مرة اخرى الى السويس والعقبة .

غير ان موانىء البحر الاحمر المصرية مالبثت ان تأثرت بتحول طريق التجارة العالمية الى راس الرجاء الصالح شأنها في ذلك شأن معظم المدن المصرية التي كانت تقوم على هذه التجارة .

القبائل العربية

كان لهذه المنطقة اذن حضارة قديمة ، قبل ان يعود اليها ابناؤها مرة اخرى منذ خمسة عشر عاما او اكثر ، حاملين معهم ذكريات تاريخ طويل..

محافظ البحر الاحمر اللواء علي أحمد عثمان .. « ان ما يحدث الان في هذه البقعة من الارض العربية ، هي نقاط مضيئة على الطريق .. طريق البناء والرخاء . »





جانب من ميناء سفاجة ٠٠ ثاني اكبر موانيء مصر بعد ميناء الاسكندرية ٠٠ ان العمل يجرى الان لبناء ارصفة جديدة لرسو المزيد من سفن الشحن الكبيرة ٠٠ وفي سفاجة تفرغ البواخر حمولاتها من الحبوب بانواعها ، وتنقل البواخر نفسها الفوسفات الذى يستخرج من مناجم القصير وسفاجة والحمراوين وابو طرطور ٠٠ واخيرا يبحر منه الحجاج الى بيت الله الحرام ويعودون اليه ٠٠ ان سفاجة هى المنفذ والمتنفس لمحافظة مصر العليا من اسوان حتى اسيوط ٠

ولكن هل معنى هذا ان هذه المنطقة الشاسعة بقيت مهجورة بلا حياة على مدى هذه القرون منذ الفتح الاسلامى حتى اليوم ؟

والجواب بالنفى ! فصحراء البحر الاحمر ان جاز لنا ان نسميها صحراء ينتشر فيها سكانها الاصليون ،وغالبيتهم من قبائل العبابدة والبشارية وقد استقرت جماعات منهم فى داخل الوادى وشرق النيل وغربه فيما يسمى بالحواجر ، مثل حاجر قنا والاقصر واسنا وحاجر دارو وادفو وغيرها ولاتزال هناك مجموعات من هذه القبائل تعيش حول الآبار الجوفية ٠٠ وقد كانت هذه الآبار محطات التموين الرئيسية للقوافل خلال رحلاتها بين السودان والصحراء وبين وادى النيل وشواطىء البحر الاحمر فى فجر الاسلام ،وبعد انتشاره ٠

منطقة البحر الاحمر لم تكن ابدا صحراء ٠٠ فلا يمكن ان نطلق هذه الصفة على ارض لاتبعد عن مسيرة الانهار بمياهها الحلوة العذبة بمسافة تزيد قليلا على المائة كيلو متر ، كما لايمكن ان نسميها صحراء ، وفى جوفها مياه حلوة لاتحتاج فى سبيل الوصول اليها واخراجها الى السطح لاكثر من ازالة جزء يسير من القشرة الارضية التى تسير فيها ومن خلالها ٠٠ هكذا تقول دائرة المعارف فى تعريفها للمناطق الصحراوية ! لقد ذهب بعض الخبراء الى ابعد من هذا فقالوا ان هناك نهرا فى باطن الارض يمتلىء بالمياه الحلوة ٠

واذن فسوف نسقط هذه الصفة عن منطقة البحر الاحمر الواسعة الشاسعة التى بدات تشهد اليوم علامات مضيئة على الطريق لكى تصبح منفذ مصر ومتنفسها واملها فى مستقبل افضل ٠٠ انها الوادى الثالث بعد وادى النيل والوادى الجديد فى الصحراء الغربية ٠

فقد جاء ابناء الوادى ٠٠ وادى النيل الى المحافظة الجديدة ليبداوا معها حياة جديدة بعد الذى سمعوه عن هذه البقعة من الارض المليئة

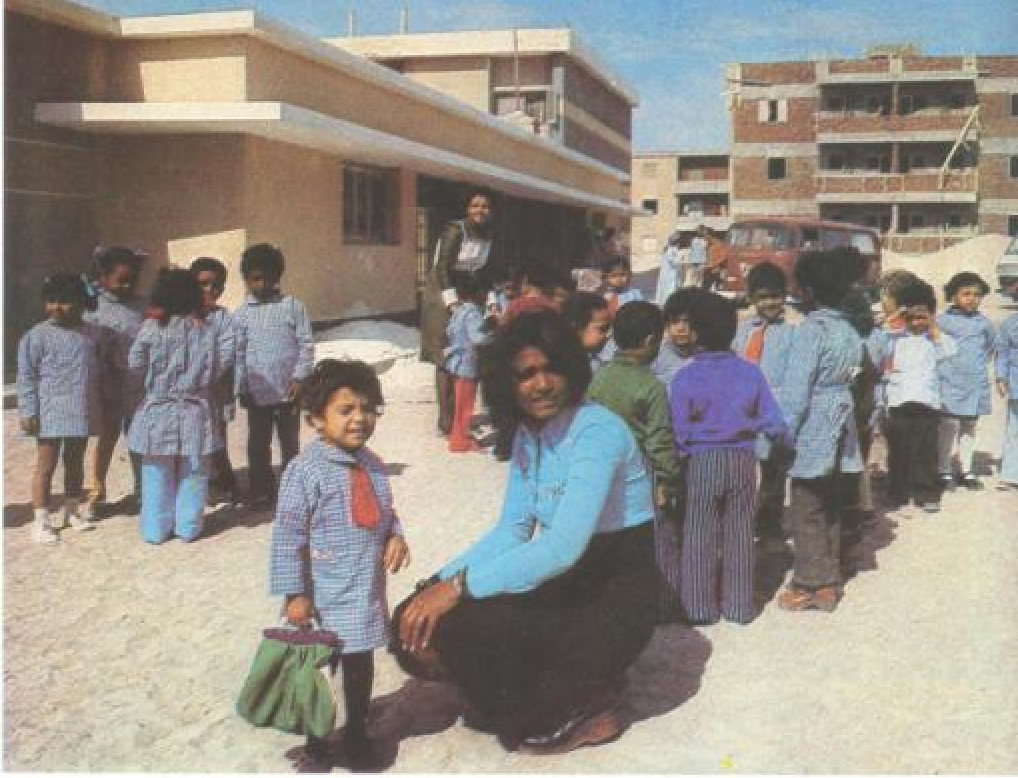
بعض انواع الاسماك التى تعيش فى مياه البحر الاحمر ·· أسماك غريبة من كل لون وحجم ·

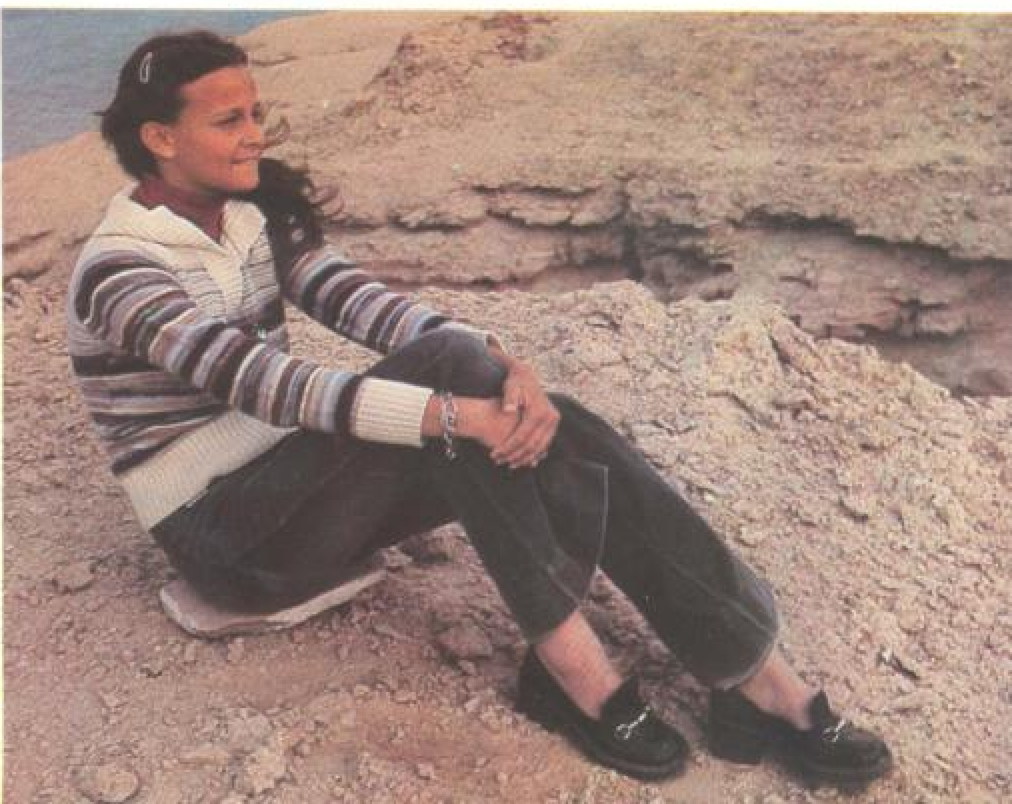


اطفال الزوجات العاملات فى روضة الاطفال ·· هنا مستقبل بلادهم فى محافظة البحر الاحمر · (الى اليسار)

سيارات الشحن الكبيرة محملة بخام الالمنيوم الذى يصل الى ميناء سفاجه من الخارج ، وينقل الى نجع حمادى لتصنيعه ثم تصديره للخارج مرة اخرى · (الصورة الى اسفل) ·









مستشفى الغردقة .. وبعض سيارات الاسعاف الحديثة التى زود بها .. يقول المسؤولون فيه : « اننا نقوم باجراء كل العمليات الجراحية الكبرى هنا . لم نعد ننقل مرضانا الى المستشفيات الاخرى منذ افتتاح هذا المستشفى الحديث قبل حرب اكتوبر بأشهر قليلة » .

بالخير ، وبعد الذى رأوه يجرى فيها ومن حولها من عمل يبشر بمستقبل مشرق !

نقطة البداية

ماالذى رأوه ورأيناه معهم فى محافظة البحر الاحمر !

رجال الاقتصاد والتخطيط يقولون : « هناك اسس ثابتة لابد من ارساء قواعدها ، اذا كنا نريد ان نبنى مجتمعا جديدا او ننهض به .. واول هذه الاسس الاهتمام والمزيد من الاهتمام بمشاريع الخدمات العامة وبناء المرافق! »

وقد كانت هذه هى نقطة البداية ، كما قال لنا اللواء يحرى على احمد عثمان محافظ البحر الاحمر .. ماذا قال : « لاول مرة فى تاريخ المحافظة تعتمد الدولة مبلغ ٤٠ مليون جنيه اضافية للنهوض بهذه المشروعات ، الى جانب الميزانية المقررة لها فى الحكم المحلى .. وهى ضعف هذا المبلغ » .

« فليس من المعقول ان ندعو العاملين الى المجىء والاقامة دون ان نوفر لهم سبل العيش الكريم فى هذه المنطقة التى نريد لها ان تستوعب تلك الاعداد الكبيرة من البشر التى ضاق بها الوادى الاخضر الصغير على جانبى النيل ، وكانه لم يعد فى مصر غير هذا الشريط الذى لا يشكل فى مساحته اكثر من اربعة فى المائة من مساحة مصر كلها .. »

حديث الارقام

ويمضى المحافظ يتحدث بالارقام فيقول: «من بين هذه الاعتمادات خصصنا ستة ملايين جنيه للاسكان ، وتشمل المشروعات السكنية حاليا اتمام بناء ١٠٩ وحدات وانشاء ١١٠ وحدات سكنية جديدة ، كما خصصنا ايضا مبلغ ستة ملايين ونصف مليون جنيه لمشروعات مياه الشرب، لتركيب ثلاثة مكثفات للمياه ومد خط جديد للمياه العذبة من قنا على النيل حتى سفاجة ، الى جانب الخط الموجود حاليا . ثم بقية الاعتمادات ومن بينها :

● ١٢ مليون جنيه للكهرباء ، من بينها عشرة ملايين لانشاء محطتين جديدتين للكهرباء فى مدينتى الغردقة وسفاجة قوة كل منهما ١٠ ميجاوات (عشرة الاف كيلو وات فى الساعة)

وسينتهى العمل فى هذه المحطة خلال العام الحالى ، ثم يبدأ العمل فى بناء المحطة الثانية ، وباقى المبلغ وقدره مليون ونصف مليون جنيه سوف يستخدم فى تدعيم شبكات نقل الكهرباء وصيانة المحطات الاخرى بالمحافظة .

● اربعة ملايين جنيه لمشروع فوسفات الحمرواوين وسوف يبلغ انتاجه ٦٠٠ الف طن سنويا ، قيمتها ٢٥ مليون جنيه .

● ثلاثة ملايين من الجنيهات لانشاء كابلات



محورية للتليفونات تصل ما بين القصير ومرسى علم وبرتيس ، وتربطها جميعا بمحافظات الوجه القبلى (او صعيد مصر) ٠

● ٣٠٠ الف جنيه لصيانة الطريق بين ميناء السويس والغردقة ومائة الف جنيه لانشاء فصول دراسية جديدة و ١٠٠ الف جنيه اخرى للمدرسة الثانوية الصناعية التى اقيمت بفضل جهود الاهالى الذاتية فى رأس غارب و ١٥٠ الف جنيه لانشاء مجمعين صحيين ، احدهما بالغردقة والثانى برأس غارب ، واخيرا مائة الف جنيه لانشاء سوق لتجارة الجملة ٠

صورة الحاضر

ولكن الارقام وحدها لا تستطيع دائما أن تتكلم ٠٠ وربما تكون قادرة على أن ترسم صورة تقريبية للقارئ من البعد فيصبح فى موقف يسمح له بتصور حجم العمل الذى يجرى أو المقرر له أن يجرى ويكتمل فى المدى القريب والبعيد ٠٠

من أجل هذا كان لا بد لنا أن نحاول بقدر الامكان أن نرسم صورة للحاضر ، ثم تصورنا لما يمكن أن يكون عليه مستقبل هذه المنطقة الحيوية ٠٠

ماذا يحدث الان فى البحر الاحمر ! لقد بدأ رجال القبائل الرحل يستقرون فى الارض ويتعلقون بها ، بعد أن استصلحوا التربة وزرعوها وتحول البدو الى مزارعين ٠٠ وكانت التجربة الرائدة فى مجال الزراعة عندما قامت المحافظة بتوزيع مساحة الف فدان على المزارعين الجدد ٠٠ لقد نجحت التجربة وعلى الفور بدأ الخبراء فى المحافظة باجراء عدة بحوث اجتماعية تقرر على اثرها تخصيص مساحة اخرى تقدر بحوالى ١٣ الف فدان لاستصلاحها وتوطين مزيد من البدو فيها ٠ وتم اختيار مائة أسرة فى المرحلة الاولى ، وزعت عليها ٢٥٠ فدانا ، وقد بدأت الارض الجديدة المستصلحة تؤتى ثمارها بالفعل من الشعير وقصب السكر والبقول ٠

لقد بدأ الصراع اول ما بدأ مع الارض ٠٠ فالعالم كله يتجه بقوة الان الى الارض ٠٠ والى الماء ٠٠ أصل الحياة ٠٠ لان الطلب على الغذاء يتضاعف ٠٠ ورقعة الارض المزروعة تنكمش وتنكمش ٠٠ حتى بات الانسان يتساءل كما قال تقرير منظمة الاغذية والزراعة :

« هل يجيء غد بلا خبز ؟ » ولقد جاء هذا الغد فعلا للملايين من البشر الذين يعانون من المجاعة فى بقاع كثيرة من الارض !

وفى الارض الشاسعة من حولنا ٠٠ وهنا فى الارض العربية بصفة خاصة شرقها وغربها مازالت هناك مساحات شاسعة لم تستغل بعد ٠٠ فى مصر والسودان والعراق وتونس وكل بلد عربى ٠٠ الارض من حولنا مليئة بالخير ٠٠

الصراع مع البحر

ثم كان الصراع مع البحر ٠٠ وقصة غزو اعماق البحار قديمة ، قدم التاريخ ٠٠ ولكنها تطورت بفضل الوسائل الحديثة التى تمكن الباحثين من البقاء فى قاعه ساعات طويلة ، ماذا هناك ٠٠ ما هى الثروات التى تسبح وتستقر فى اعماقه ٠٠ ما مدى الفائدة التى ستعود على الانسان من استخراجها ٠٠

والبحر الاحمر ٠٠ بحر فريد فى نوعه وفى خصائصه وفى الثروات الكامنة فى مياهه واعماقه ٠٠وقد كان لنا وقفة ونحن نتأمل جمال شواطئه ، ولون مياهه الغريب الذى يجمع بين اللونين التركوازى والازرق الغامق وكان محدثنا على ظهر الفندق السياحى العائم ، رجل قضى نصف عمره فى البحر الاحمر يدرس ويبحث وينقب مع افواج الباحثين والدارسين ٠٠ انه الربان محمد محمود البرعى ،



العمارات السكنية الجديدة التي قامت في قلبمدينة الغردقة لابناء المحافظة والعاملين فيها ..
(الى اعلا) وسائحتان من امريكا جاءتا لقضاءبضعة ايام مع مياه البحر والشمس الدافئة امام
الشاليهات الملحقة بفندق شيراتون الجديد .(الى اسفل)





ابراج الحمام فى الغردقة عاصمة محافظة البحر الاحمر .. والحمام والعصافير . تعيش وتعشش هناك باعداد كبيرة .. وعلى الطريق الساحلى الممهد تراها تتجمع امامك وانت منطلق بسيارتك ، باحثة عن حبات القمح التى قد تتساقط من السيارات المحملة بالحبوب الى مدن الوجه القبلى او صعيد مصر .

العمل يجرى على قدم وساق للانتهاء من بناء فندق شيراتون الذى ينتظر ان يفتتح فى نهاية هذا العام او فى اوائل العام المقبل .. وهو يشرف على مياه البحر مباشرة .



قبطان السفينة التي تزدحم دائما بالسائحين الذين يجيئون من اجل الغوص في اعماق البحر .. قال الربان البرعي : « انه بحر عجيب في كل شيء .. لعله الوحيد من نوعه في العالم فهو ينفرد بخصائص ومزايا لا تتوافر في البحار الاخرى .. لقد نشأ البحر ، كما تقول الدراسات نتيجة لانشقاق بركاني هائل في القارة الاسيوافريقية ، وصار هذا الاخدود العظيم الذي جرت فيه المياه من المحيط الهندي وسمي فيما بعد بالبحر الاحمر .. لماذا هو احمر ؟ يقول بعض الباحثين ان لون قاع البحر احمر .. وهي ظاهرة رآها ومازال يراها الغواصون كلما تعمقوا في مياهه .. ويقول البعض ان انعكاس الشمس على صفحة مياهه عند الشروق وعند الغروب تضفي هذا اللون على مياهه !

الف نوع من الاسماك

هكذا نشأ ، ولهذا السبب او ذاك سمي بالبحر الاحمر ..

ولكن ما هي مزاياه ؟ انه البحر الوحيد في العالم ، كما يقول الربان البرعي ، الذي يسير فيه التيار المائي من الجنوب الى الشمال ، بينما الرياح فيه متغيرة ، ولكنها تتجه في الغالب من الشمال الى الجنوب ، اي بعكس اتجاه التيار المائي .

وهو البحر الوحيد الذي ترتفع فيه نسبة الملوحة عن اي نسبة اخرى في بحار العالم ، فنحن لو اخذنا مثلا ميلا مكعبا من مياهه وعرضناها لاشعة الشمس ، استطعنا ان نحصل على كمية من ملح الطعام تصل الى ٣٥ مليون طن بعد اتمام عملية البخر . ولهذا فنحن نجد ان مستوى البحر الاحمر ينخفض بمعدل ١٨٠ سنتيمترا سنويا .. ثم لا يلبث ان يعود الى مستواه الطبيعي بمقتضى نظرية الاواني المستطرقة ، ويعوض البحر ما تبخر من مياهه من مصدرين ، الاول عن طريق مياه الامطار بمعدل ثمانية سنتيمترات سنويا ، والجزء الاكبر من باب المندب عند المحيط الهندي ثم البحر المتوسط ، فتاتي المياه حاملة معها كل ما فيها من كائنات بحرية ابتداء من الحيتان واسماك القرش الى

اسطول سيارات النقل التي تعمل على الخط البري من سفاجه الى مدن الوجه القبلي ولايزيد طوله على ١٦٠ كيلو مترا .. انها تنقل الحبوب وخام الالمنيوم ، وتعود محملة بالصادرات للخارج . وهناك مشروع لانشاء خط حديدي بين سفاجه وصعيد مصر .





احدى الصوامع التى أقيمت فى ميناء سفاجة لتخزين خام الالمنيوم ، ويجرى العمل الان لاقامة صوامع أخرى لتخزين الغلال والحبوب ، قبل نقلها الى مختلف محافظات الوجه القبلى

شتى انواع الاسماك الاخرى •• وفى مياه البحر الاحمر اكثر من الف من انواع الاسماك التى تعيش فيه بوفرة ، وتشكل مصدرا رئيسيا لغذاء الانسان•ولعله البحر الوحيد ايضا الذى لا يصب فى مياهه اى نهر من الانهار صغيرا كان ام كبيرا •• من هنا كانت مياهه صافية كالزجاج البلورى الملون ، تستطيع العين المجردة ان تنفذ اليها وترى الاسماك تسبح فيها ، فاذا نزلت مع الغواصين فى مياهه شاهدت عالما هائلا امتلأ بالاحياء النامية الثابتة والشعب المرجانية التى اشتهر بها وهو عالم يشد الالوف من هواة الغوص فى قاع البحر على مدار السنة •

هذا البحر الذى يبلغ طوله من باب المندب حتى ميناء السويس اكثر من ثلاثة الاف كيلو متر ثلث شواطئه الشرقية او اكثر داخل الاراضى المصرية •• والباقى فى السودان وارتريا والصومال •• بينما يمتد الشاطىء الغربى بطول شبه الجزيرة العربية ، والجمهورية العربية اليمنية ، واخيرا جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية فى طرفه الاخير تجاه باب المندب •• هذا البحر هو بحر عربى مائة فى المائة تسبح فيه اكثر من ٨٠ جزيرة عربية نصفها او اكثر لمصر ، والنصف الباقى للدول المطلة عليه •

منطقة سياحية جميلة

وعلى شواطئه الجميلة الناعمة تلك التى شهدت هذا العناق الابدى بين الماء والارض •• بدأ العمل فى بناء مجموعة من الفنادق والمدن السياحية الصغيرة •• وانتهى العمل أو كاد من بناء فندق شيراتون ، فى الغردقة وانتشرت الشاليهات من حوله وهى الآن معدة للسكن الى جانب الباخرة الانيقة التى تحولت الى فندق عائم ، وتقوم شركات السياحة العالمية بتنظيم رحلات بالطائرة من القاهرة الى الغردقة لهؤلاء الذين يبحثون عن الهدوء فى عالم اليوم الذى اصبح الصخب والضجيج طابعه •• واصبح العثور على مقعد فى هذه الطائرات التى تقوم برحلتين اسبوعيا ذهابا وايابا ، وتتسع لاكثر من مائة راكب عملية شاقة تتطلب اعدادا لها قبل مواعيد قيام الطائرات باسابيع • فهى دائما كاملة العدد •• وهم يجيئون الى البحر الاحمر طوال اشهر السنة للاستمتاع بدفء وجفاف طقس شواطئه شتاء حيث تتراوح درجة الحرارة بين ١٦ و ٢٢ درجة مئوية •• اما فى الصيف فنسيم البحر ومياهه ورماله الناعمة كفيلة بان تلطف من قيظ الحر ومشاكله •• قال لنا سائح امريكى جاء مع



جندى المرور مع الاطفال الصغار وهم يعبرون الشارع فى الميدان الرئيسى بالعاصمة ، وفى غرفة العمليات فى مستشفى الغردقة الحديث الذى شيد عام ١٩٧٣ ، التقطت عدسة العربى هـذه الصورة لغرفة العمليات اثناء احدى العمليـات الجراحية ، وفى المستشفى ٨٠ سريرا ويعمل فيه ١٨ طبيبا فى مختلف التخصصات .. ثم صياد يلقى بشباكه فى مياه البحر باحثا عن رزقه فى جوف المياه الزرقاء الهادئة .





اسرته لقضاء بضعة ايام على الشاطيء الهادي الجميل : « لم اكن اتصور ان البحر الاحمر بهذا الجمال ٠٠ استطيع ان اقول لكم بدون مجاملة انها منطقة سياحية من الدرجة الاولى ٠٠ انها اجمل من اجمل منطقة عندنا في امريكا ٠٠ انها اكابولكو العربية » ٠

الرزق في ماء البحر

وعادوا الى الماء يبحثون في اعماقه عن الرزق، وجاء الصيادون من مختلف انحاء مصر ٠٠ بعضهم يعمل لحسابه ، والبعض الاخر يعمل لحساب الدولة ٠٠ وبدات المحافظة تهتم بتنمية الثروة السمكية ودعم وحداتها الانتاجية ، وانشاء وحدات جديدة ، وقد تم تدشينها اخيرا ، وبلغت قيمة تكاليفها الاجمالية اكثر من ثلاثة ملايين و ٣٠٠ الف جنيه ، يقدر انتاجها بحوالي ٦ الاف طن سنويا ، كما تم انشاء وحدتي صيد جديدتين تعملان الان في مياه البحر الاحمر عند الغردقة ، ووزعت المحافظة وحدات انتاجية على الصيادين التابعين للقطاع الخاص ٠ ولم تعد وسائل النقل من المحافظة واليها مشكلة فقد تم انشاء شركة تتولى عمليات نقل المواد الغذائية والحاصلات الزراعية التي يحتاج اليها سكان مدن المحافظة الذين ارتفع تعدادهم الان الى ٩٠ الف نسمة ، من ريف مصر والاسكندرية وقنا والسويس ، واصبح للشركة اسطول نقل ضخم تاتي وحداته محملة ، بتلك الكميات الهائلة من الاسماك ٠

بقي الجبل ٠٠ وهو يشكل احد المعالم الاساسية لهذه المنطقة فهناك سلسلة جبال البحر الاحمر التي تحمل في جوفها مع حبات الصخور والرمال ثروات هائلة من المعادن والكنوز ولم تعد الجبال مجرد مرتفعات تعلو عن الارض وترسم معالمها ٠٠ انها مناجم غنية بشتى انواع المعادن والذهب ٠٠ الذهب الاسود في راس غارب والذهب الاصفر الذي عثر عليه الاقدمون في بطن الصخور ٠

ومن اجل هذا بدا العمل ، وهي ليست بداية جديدة ٠٠ لقد مر عليها عشرات السنين منذ ذلك اليوم الذي اكتشف فيه الفوسفات بكميات هائلة من القصير ثم سفاجة واخيرا الحمراوين ٠٠ ثلاث مناطق بقيت غنية بهذا السماد الكيماوي ، قبل ان يكتشف البترول في راس غارب ، وجاء معهما وقبلهما الالوف من العاملين الذين يصنعون الحياة الجديدة في منطقة البحر الاحمر اليوم ٠

ميناء المستقبل

وسفاجة هو ميناء المستقبل على البحر الاحمر ٠٠ تماما كما كان منذ عشرات القرون ٠٠ فقد شهد حضارات سادت ثم بادت حتى كانت بداية هذا القرن العشرين عندما بدأت الحياة تعود من جديد الى الميناء الذى عرفه المصريون القدامى والرومان والمسلمون ٠٠ في عام ١٩٠٩ اكتشف الفوسفات بمنطقة المناجم في أم الحويطات على بعد ١٨ كيلو مترا في عمق سلسلة جبال البحر الاحمر ٠٠وبدأ العمل في بناء الميناء الجديد في نفس المكان في نفس تلك البقعة من الشاطيء التي كانت مرسى للقوارب الشراعية ٠٠ وفي عام ١٩١٢ بدأ تصدير الفوسفات من الميناء الذى كان صغيرا ثم اجريت عليه عدة توسعات حتى اصبح اليوم قادرا على استقبال البواخر الكبيرة التي لا تزيد حمولتها على ٢٩ الف قدم بغاطس ٣٠ قدما ، وهي تنقل خام الالومنيوم الذى ينقل بدوره الى نجع حمادي في صعيد مصر ، لتصنيعه واعادة تصديره مرة اخرى ، وكذلك شحنات القمح والحبوب المستوردة وتنقلها رأسا الى محافظات الوجه القبلي، واخيرا الخامات والمعدات اللازمة لآبار البترول في راس غارب ٠

وقبل سفاجا كان هناك ميناء القصير حيث اكتشف الفوسفات اول ما اكتشف وبلغ انتاج المناجم فيها حوالي ربع مليون طن في الخمسينات واخيرا منطقة الحمراوين ، حيث اكتشفت احـــدث مناجم الفوسفات واغناها في المنطقة وهي تبعد عن سفاجة بحوالي ستين كيلو مترا ، وعندها شيدوا اكبر مصنع لاستخراج وتجهيز خام الفوسفات، ويقول الخبراء ان العمل يجري الان لاستخراج هذا السماد الكيماوي من اربعة مناجم ضخمة ، سوف يصل انتاجها السنوي الى اكثر من نصف مليون طن ، يتراوح ثمن الطن الواحد منه في السوق العالمية بين ١٧ و ٢٠ دولارا ٠

بداية على الطريق الطويل

ثم ماذا ؟ يقول المحافظ : « لقد بدانا ٠٠ وهى بداية طيبة ٠٠ ولكن قبل ان امضى معكم في تصورى لمستقبل هذه المنطقة الغنية بمواردها ، اود ان اسجل ان الذى رايتموه فى هذه البقعة من الارض الشاسعة من بناء وتعمير وتحرك سريع نحو مستقبل اكثر اشراقة ، لم يمض على بداية العمل فيه اكثر من شهور معدودة لا تتجاوز العام الواحد • هنا المستقبل ٠٠ اقولها بصدق وايمان وثقة بناء على الدراسات التى جرت وتجرى الان على مختلف المستويات • وليس امامنا ونحن نرى هذا الشريط الاخضر الصغير الذى يسير بمحاذاة نهر النيل ، والذى ضاق يمن فيه وما عليه الا ان نستصلح ونفلح كل بقعة من بقاع الارض الواسعة من حولنا ٠٠ تلك التى بقيت جرداء عارية قرونا طويلة من الزمن ٠٠ لا اتصور ان يعيش ٤٠ مليون نسمة على جانبى وادى النيل الذى لا يشكل اكثر من ٤٪ من مساحة مصر ، بينما هذه الارض الفسيحة من حوله لا تزيد نسبة الكثافة السكانية فيها عن واحد فى كل كيلو مترين مربعين او اكثر ، تعانى من قلة الايدى العاملة فيها •

لقد بدأ العمل ٠٠ ولن يتوقف ٠٠

الجبال مليئة بالكنوز كما ذكرنا فوسفات وحديد ومنجنيز ونحاس واخيرا الذهب ٠٠ الذهب الاصفر ، كما اعلن اخيرا وزير صناعة مصر بعد جولته الميدانية فى منطقة البحر الاحمر التى اكد بعدها استنادا الى تقارير الخبراء امكان استغلال هذا المعدن الثمين من المناجم المصرية فى « الصحراء الشرقية » ٠٠ والبترول الذى بدأ يستخرج بكميات تجارية هائلة •

ثم الزراعة ، وتقوم اليوم منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة بدراسات توطئة لتنفيذ مشروعات الغذاء ، وانشاء مصنع لتعليب وتجفيف الاسماك ، وتوفير اسطول حديث ضخم لصيد السمك من مياه البحر ٠٠

ثم السياحة ٠٠ ومنطقة البحر الاحمر ليست فى حاجة الى اعلان ٠٠ فهى من اجمل المناطق الواقعة على شواطىء البحار ، والتى تعلن عن نفسها بنفسها ٠٠ المهم هو ان نقدم للسائح الذى يزور هذه المنطقة اسباب الراحة التى تشجعه على المجىء اليها ٠٠

الوادى الجديد ٠٠ الجديد

وبعد اسابيع قليلة من ظهور هذا الكلام ، سوف تفتتح المدينة السياحية على شاطىء البحر فى الغردقة ، وسوف ينتهى العمل فى بناء وتجميل فندق شيراتون فى الغردقة ايضا ، وستضاف بواخر جديدة الى الباخرة التى تستخدم اليوم كفندق عائم فى مياه البحر بين الشاطىء المصرى والشاطىء السعودى ، ولا يزيد عرض البحر الاحمر بينهما على مائتى كيلو متر ٠٠

ان منطقة البحر الاحمر سوف تصبح مركزا للسياحة الداخلية ايضا لابناء محافظات مصر العليا • وقد بدأ العمل بالفعل لربط سفاجة ومدينة قنا فى الصعيد بواسطة خط حديدى ، الى جانب الخط البرى الموجود حاليا •

قال لى خبير كبير منذ عدة سنوات بعد زيارتنا للوادى الجديد فى الصحراء « اقرأ الاستطلاع عن الوادى الجديد العدد رقم ٩٩ » قال : « هذا هو الوادى الثانى بعد وادى نهر النيل ٠٠ انه اضخم مشروع زراعى لتوفير الامن الغذائى وجذب نسبة هائلة من الكثافة السكانية من ارض الوادى الضيق الصغير ٠٠ انه اضخم واكبر من مشروع بناء السد العالى نفسه ! فاهمية السد كانت سياسية اولا ، ثم اقتصادية فى المرتبة الثانية بطبيعة الحال !

واليوم نصنع واديا جديدا اخر ٠٠ انه الوادى الثالث على شاطىء البحر الاحمر ٠٠ فى الارض التى كانت صحراء عارية حتى سنوات قريبة ، ثم بدات الحياة تعود اليها ٠٠ فوق ارضها الخصبة وفى قلب جبالها وعلى شواطئها ومع مياهها المالحة والعذبة • ■■

منير نصيف



شيء باق من فلسطين

نماذج من فنون التطريز الفلسطينية ، في الثوب والوسائد ، وهي جزء أساسي من متاع
* هذه المحامية الفلسطينية عبير طوقان .





باقية ـ مازالت ـ قسمات الشخصية الفلسطينية •

رغم محاولات التعتيم والطمس والتشويه لايزال الوجه الفلسطيني باقيا ، ليس في الانسان وحده ، ولكن في كل معالم الحياة الاخرى ، الكبيرة والصغيرة •

والتراث الشعبي الفني هو احد هذه القسمات المحفورة في الاعماق الفلسطينية المطبوعة في الحياة اليومية للقرى والمخيمات الحزينة •

فلاتزال رقصات الدبكة والسحجة والسامر والدحي ، تدور حلقاتها في الامسيات الفلسطينية •

ولا يزالون في صفد والناصرة ونابلس والمجدل ينسجون على الانوال الطان الرهباني والمبروم والتوبيت والغضاري ، وحرائر الهرمز والروزا ، وكتان المقطع الاسود •

وزجاج الخليل ذو اللون الازرق لا يزال ينتج في المعمل العتيق ، واصلا الرحلة منذ اكتشف الكنعانيون صناعة الزجاج قبل اربعة الاف سنة •

واصداف بيت لحم ذات الطابع الفريد ، تخطت الحدود وصارت تصدر الى العالم الخارجي ، حتى شدت المدينة معها قراها المجاورة مثل بيت جالا وبيت ساحور •

وفي القدس لا يزالون يصنعون المسابح من خشب الزيتون، تنحتها الانامل الفلسطينية الرقيقة ليحمل السياح والحجاج معهم ذكرى من فلسطين •

وحلى الفضة ، القلائد وزناق الارواح السبعة (السلاسل السبعة) ، والشعيرة والكردان ، واساور المبر العريضة ذات الحبيبات المتراصة •• هذه كلها لم تزل تتصدر واجهات المحلات في القدس والخليل •

ثلاثة أثواب

اما الازياء الشعبية وتطريزها ، موضوعنا ، فقصته طويلة •

ذلك انه رغم وجود خصائص لدى كل بلدة فلسطينية ـ مثل زي بيت لحم ـ الا ان ثمة معالم مشتركة صارت تميز الزي الفلسطيني بوجه عام •

وللمراة الفلسطينية ثلاثة انواع من الاثواب ، التي تعتبر الجزء الاساسي من الزي الشعبي هي :

ـ ثوب العمل ، وهو من القماش البسيط والرخيص الثمن ، ويحتوي على تطريز قليل ، وترتديه المراة اثناء عملها في الحقل او البيت •

ـ ثوب المناسبات : وهو من القماش غالي الثمن، والتطريز عليه اكثر كثافة ودقة وجمالا ، ويلبس في مناسبات الافراح والاعياد •

ـ ثوب الجلاية ، ويختلف من مكان لاخر حسب التقاليد المتبعة ، ويعتبر اهم ثوب في جهاز العروس، تلبسه متجلية يوم زفافها ـ وهو فضفاض بوجه عام، وتنتشر عليه الزخرفة باليد وبالخيوط الحريرية على كل من الصدر والاكمام وجانبي الثوب ،

ومع الثوب حزام من الصوف او القطن ،وقبعة للراس يطلق عليها الوقاة والعمادة • وهي من القماش القطني او الكتاني المطرز ، وتثبت عليها مجموعة من العملات الفضية القديمة •

كما ترتدي الفلسطينية غطاء للراس ، هو عبارة عن قطعة مطرزة من القماش القطني او الكتاني او الحريري • وتوضع الوقاة تحت هذا الغطاء •

واللون الاكثر شيوعا في الاثواب الفلسطينية هو الازرق الداكن • الا ان هناك اثوابا من اللون الاسود واخرى من اللون الابيض • وفي بعض المناطق وخاصة في بلدتي البيرة ورام الله ، يلبس الثوب الازرق الداكن شتاء والابيض صيفا. اما في الاماكن الاخرى فلون الثوب هو جزء من تقاليد الثوب المحلية •

الانسان والارض

وهناك ثلاثة انواع من التطريز هي :

١ ـ التطريز بالغرزة الفلاحية (الصليبية) •

٢ ـ التطريز بغرزة الرشق والتحريري •

٣ ـ التطريز بغرزة اللف • هذا بالاضافة الى

ما يسمى بقطبة الحاشية أو الحافة ، اى التى بواسطتها تثبت اطراف الثوب والقطع الحريرية المضافة فوق الثوب باشكال مختلفة •

الغرزة الفلاحية هى السائدة ، والتى لايخلو ثوب منها باستثناء ثوب بيت لحم • والتطريــز بهذهالغرزة يتمبواسطة الابرة وخيط الحرير الملون بطريقة الغرزة المصلبة • وتاخذ الزخرفة فى هذه الحالة اشكالا هندسية •

اما التطريز بغرزة الرشق والتحريرى ، فهى تثبيت خيوط حريرية سميكة ومبرومة او خيوط مقصبة اى من الخيوط المطلية بالذهب او الفضة على القماش • وتتشكل من هذه الخيوط وحدات زخرفية تعتمد الخطوط المنحنية والدائرية المتواصلة المستمدة عناصرها الاساسية من حركة النبــات والازهار •

والتطريز بغرزة اللف يتم بواسطة الخيوط الحريرية التى تملأ فراغات معينة بقطبة لفائفية الحركة • وهذا النوع من التطريز يعتبر عنصرا مكملا اكثر منكونهأساسيا فىالتطريز الفلسطينى• ولم تشكل هذه الغرزة كيانا مستقلا كالغرزتين السابقتين •

ويغلب اللون الاحمر البنى على غيره من الالوان فى التطريز بالغرزة الفلاحية ، ويطعم بالوان مختلفة منثورة بشكل عفوى خاضع لذوق الفتاة أو المرأة ، مشكلا توازنا مريحا وجميلا • اما التطريز بغرزة الرشق والتحريرى ، فان اللون الاساسى يكون الذهبى او الفضى يشارك احدهما اوكلاهما اللون الاحمر اضافة الى الالوان الاخرى والتـى تكون مكملة•ويعتمد التطريزبغرزة اللف والالوان العديدة الصارخة فى فراغات مهيئة بواسطة غرزة الرشق او التحريرى ، وغالبا ما يكون ذلك على جانبى الثوب والاكمام •

ان الوحدات الزخرفية الاساسية التى تستعمل فى معظم انحاء فلسطين تستمد اشكالها واسماءها من علاقة الانسان الفلسطينى بالارض والحياة • ولهذة الوحدات اسماء شائعة ، وبعضها يختلف اسمها من مكان لاخر• ومن أسماء هذه الوحدات :

السرو ، السبلة ، النخل العالى ، عرق الورد ، عرق التفاح ، عرق البندورة ، قوار الورد ،الحية والعربيد ، العصافير ، الريش ، عين البقر ،قرص العسل ، القلايد ، خيام الباشا ، المخدة ،الفناني، المشط ، الساعة ، عرق السيوف ، العجاب ، طريق مصر ، النجوم ، الاقمار ، المناجل •

وكما هو واضح من اسماء الوحدات ، فان المراة الفلسطينية تعبر بذلك عن حبها لما يحيط بهـــا وبحيـاتها ، خـاصة عـلاقتها العميـقة بالارض وبالفلاحة ، فالسبلة اى السنبلة ، وعرق الورد وعرق التفاح وعرق البندورة والسرو والنخيل والمناجل ، ما هى الا أسماء لمحسوسات زراعية تحيط بحياة المراة الفلسطينية • بل بحياة الانسان الفلسطينى بشكل عام • ويتعامل معها يوميا •

■■

صورة زواج

❋ قبل ان اتوجه لزيارة حماتى للمرة الاولى اخبرنى زوجى عـن عادتها فى عرض صور حفلات زواج ابنائها على الاشخاص والاقارب الذين يقومون بزيارتها • وكان زواجنا هو الثانى لزوجى وقد تمبدون موافقة اهل الطرفين ، ولذا لـمتلتقطلنا صورةزواج،ولكن حماتى كانت داهية ، واسعة الحيلة ، وعندما وصلنا لمنزلها وجدنا صورةمعلقة على الحائط تمثل زوجى واقفا الى جانب زوجته السابقة ولكن رأسها قد قطع واستبدل به رأسى ! •

ماريا برود بريدج

صناعات وحرف تقاوم الاندثار

استطلاع بقلم : صادق يلي   تصوير : حسن الصفار

الثوب الكويتي معلم من معالم الزينة عند المرأة الكويتية في حفلات الاعراس وبعض المناسبات وهو غالي الثمن فقد يصل سعره في بعض الاحيان الى اكثر من ٨٠ دينارا كويتيا .





الحياكة باليد صناعة اشرفت على الاندثار ، لقدكانت مزدهرة في القديم ، ان اجود اصناف البشوت والملابس الصوفية كانت تخرج من بين ثنايا هذه الالة الخشبية البسيطة .

الخواص تعتمد صناعته على خوص النخيل أو سعف النخيل وهو يقوم بعمل بعض السلال والحصر التي تفرش بها المنازل وتستخدم في الحياة اليومية .



فى الكويت محاولة لانقاذ الحرف القديمة قبل الاندثار ، بعدما ظلت تنحسر تدريجا من سطح الحياة اليومية ، منذ زحفت الحياة الحديثة ،واطل وجه النفط •

لقد كانت صناعة السفن مثلا ـ من اشهر الصناعات في الكويت والخليج كله قبل ظهور النفط ••ومع السفن ازدهرت صناعات اخرى مكملة ، النجارة ونسج الشباك وتفصيل الاشرعة ،وصناعة ادوات الغوص ،ثم تلك اللوازم التى تحتاجها عملية الصيد مثل الشباك والقراقير •

وبالاضافة الى تلك الحرف كانت هناك حرف اخرى يحتاجها الفرد الكويتي لحياته اليومية ، فهناك الخراز الذى يقوم بصنع بعض انواع الاحذية والنعال ، كما يقوم بعمل «القرب» وهي تلك الاوعية المعروفة لحمل مياه الشرب الى بيوت الكويت على ظهور الجمال او الحمير • ثم القفاص الذى تقوم مادة صناعته على جريد النخل ويقوم بصنع الاسرة والقفاص طيور الزينة واسرة الاطفال والركوك ، وهي سلال يوضع فيها البلح والتمر والعنب الذى كان يجلب من مناطق الخليج وغيرها من لوازم البيت الكويتى القديم •

اما الخواص وهو يعتمد في صناعته على سعف النخيل الذى يكثر وجوده في هذه المنطقة فينسج الحصر التى تفرش بها المنازل والسلال الكبيرة والصغيرة والقوصرات وهي سلال تعمل لحفظ التمور وبعد كبسها واشياء اخرى مفيدة •

وكان هناك الصفار الذى يقوم بتبييض الاواني النحاسية مثل القدور ودلال القهوة والصواني الصغيرة والكبيرة المستعملة في البادية ، وقد كانت هذه الصناعة تتركز في الماضي في سوق الصفارين وتزدهر مبيعات هذه السوق في شهر رمضان المبارك حيث يقبل الاهالي على شراء قدور الهريس وهي الاكلة الرمضانية الشعبية في الكويت وكذلك في ايام عطلة الربيع لشراء القدور لاستعمالها في نزهات البر ورحلات الصيد والقنص •

ومنذ توطن فى الكويت اهلها عرفت صناعة السفن وكانت لهذه الصناعة اهمية كبرى في حياة اهل الكويت وذلك بسبب ارتباط الكويت بالبحر، اما الاخشاب التى تصنع منها هذه السفن فتستورد من بلاد شرقي افريقيا والهند ، وصناعة السفن ليست من الصناعات البسيطة فهي تحتاج الى قدر كبير من الفن والتدريب والخبرة والمهارة، وكان سيف الكويت او ساحلها هو المكان المناسب لهذه الصناعة التى اوشكت على الاندثار فقد تحول معظم صناع السفن الى الاعمال والوظائف المدنية مع تطور الحياة في الكويت • اما الان فهناك فئة قليلة من هؤلاء الصناع يعملون في نفس المجال فيدربون بعض طلبة المعاهد الخاصة التابعة لوزارة التربية وكذلك وزارة الاعلام لعمل نماذج صغيرة لهذه السفن كي تهدى الى بعض الشخصيات التى تزور الكويت او وضعها تحفا في بعض الهيئات والمؤسسات الحكومية والاهلية •

صناعة البشوت

كان اهل الكويت يرتدون انواعا مختلفة من العباءات كل حسب وضعه الاجتماعي ويطلق اهل الكويت كلمة (بشت) على عباءة الرجل فقط وهي كلمة فارسية بمعنى الظهر والجمع بشوت، ويعتبر لبس البشت من مكملات هندام الرجل •

والبشوت انواع عديدة ولها اسماء متعددة ومن اهمها «الجبر» وهو ثقيل ويلبس عادة في الشتاء ،ثم البشت الدورقى ويجلب من مدينة الدورق في ايران ، والبشت النجفى وهو نوع من البشوت الصيفية الخفيفة ويجلب من مدينة النجف في العراق كما انه من البشوت الغالية الثمن • وللبدو بشت خاص واسمه بشت عباءة البرقة وهو من البشوت القديمة يلبسونه في الشتاء ، وهناك

عبد الرحمن المزروعي •• العين لا تمل النظر الى هذه الحرف القريبة الى كل القلوب •





صناعة الحظور من أعواد القاب لصيد السمك كان يزاولها العديد من الصيادين حيث كان الصيد مورد رزقهم •

بشوت تصنع من وبر الابل ومن اهمها بشت وبر حساوي وهو ثمين لهذا لايرتديه غير الاثرياء،ويجلب من الاحساء في المملكة العربية السعودية ثم بشت بوشهري وهو من النوع الثقيل ويحاك في مدينة بوشهر في ايران ثم البشت الدشتي والبهبهاني والبشت الخارجي وهو من النوع الخفيف ويلبس عادة في الصيف • واخيرا بشت المعلمة وهو نوع من البشوت لا يلبسه الا الشيوخ في بعض المناسبات، وهي ذات الوان عديدة وحياكتها ونقوشها تكون من الظهر •

وتصنع هذه البشوت غالبا في الديوانيات او المعمل او المشغل ويتكون المعمل من غرفة اوغرفتين ومجموعة من العمال على راسهم صاحب المعمل ويطلق عليه اسم (المعزب) والعمال من الكويتيين الذين توارثوا هذه الصنعة ابا عن جد ،والمعروف ان العباءة التي خيطت في الكويت تمتاز من غيرها بجمالها وحسن زخرفتها وتناسقها فتخالف بذلك غيرها التي تصنع في المناطق المجاورة ومن أهم الديوانيات التي اشتهرت بصناعة البشوت ديوانية حسن بن على البغلي وديوانية سعود المغايطة •

الثوب الكويتي

وهو رداء تلبسه المرأة الكويتية فوق ملابسها سواء في الايام العادية او في الاعياد ومناسبات الزواج وللثوب اسماء عديدة وانواع متميزة ويرجع ذلك الى الزري وهو خيوط القصب المصنوعة من الفضة المذهبة وقماش الثوب نفسه •

وكان الثوب ملبسا لجميع النساء في الكويت في الايام العادية بدون تطريز ، اما في المناسبات والاعياد فكانت النسوة يلبسن الواب الزري المطرزة بالقصب والترتر • الذي كان يجلب غالبا من الهند وفرنسا • اما الاقمشة المستعملة لهذه الاثواب فهي قماش الجرجيس والشيني •

وكانت المرأة المسنة تلبس الثوب الاسود المحلى طرفه بالزري ، اما الشابة المتزوجة حديثا فتلبس

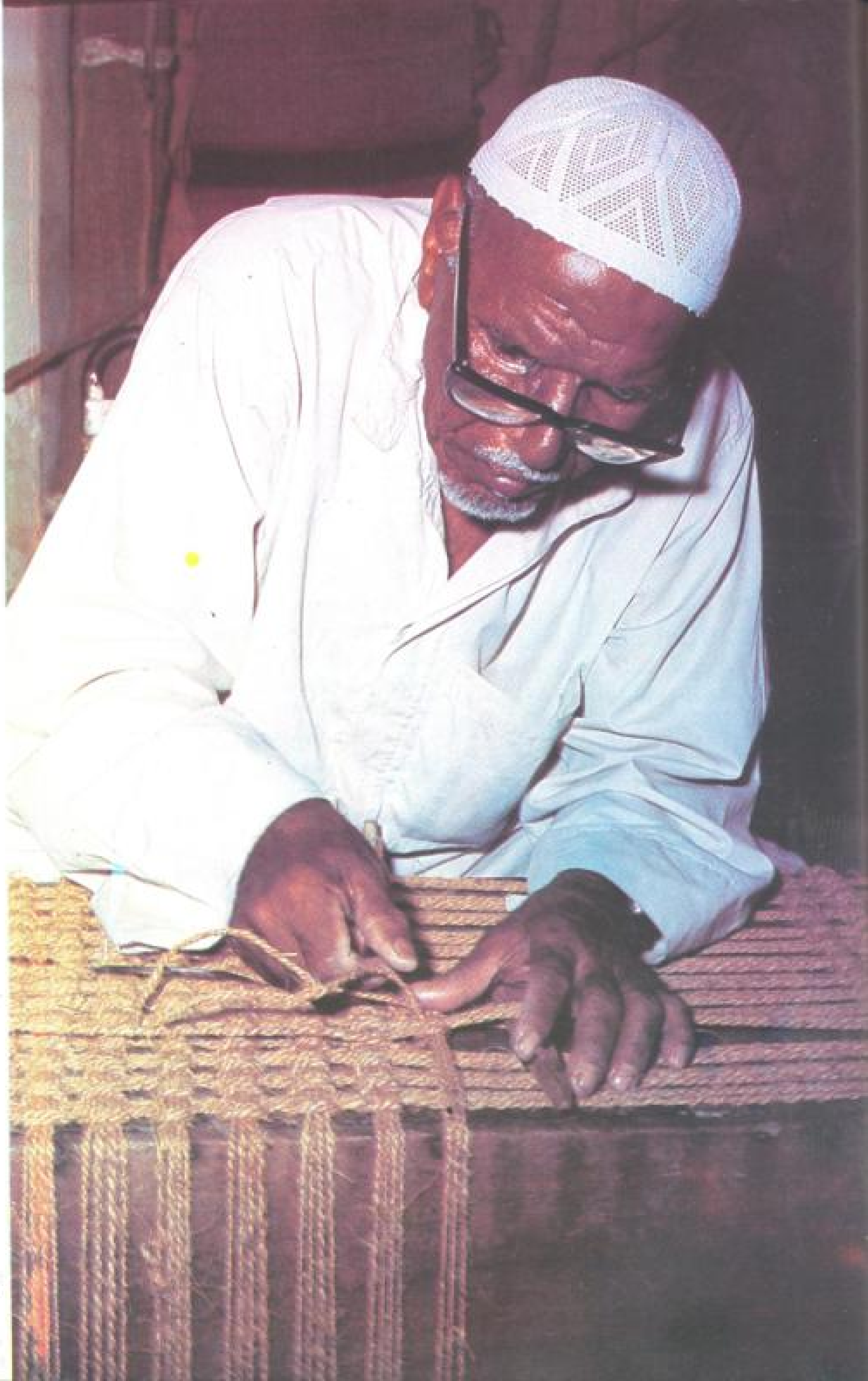
الطبول والالات الموسيقية
كانت صناعة رائجة مكسبة ••





السفينة الكويتية من اجمل واقوى سفن المنطقةوفي الصورة اثنان من صناع السفن ونموذج لسفينة كويتية · (الى اعلا) السدو حرفة من حرف بدو الصحراء فالسجاجيد والبسط وبيوت الشعر والخروج والعدول من اهم الاشياء التي يصنعها البدو بايديهم · (الى اسفل) · الصندوق المشبك بالحبال يستخدمه البحارة في الاسفار ورحلات الغوص فيضع فيه البحار حاجياته من ملابس ودخان وحلوى · (الى اليسار)





الثوب الذي يحلي بالزري والترتر الخفيف من اطرافه ،وثوب العروس يختلف من واحدة لاخرى فرقيقة الحال مثلا تلبس الثوب المنثور والمطرز بالصدر فقط ، اما الموسرات من النساء فيلبسن الاثواب المطرزة والمنثورة حتى الاطراف وهي اثواب غالية الثمن،ومدة العمل في الثوب الواحد قد تستغرق عشرة ايام حتى اسبوعين •

السدو

وحياكة الصوف من الحرف القديمة والمنتشرة بين البدو ويطلق على عملية الحياكة هذه(السدو) كما تطلق هذه التسمية على «النول» او «النيء» وهو آلة الحياكة نفسها وينصب السدو عادة داخل بيت الشعرالذي يقيم فيه البدوي او قرب ذلك البيت وتحته مظلة واقية تسمى (العريش)لوقاية المشتغلات من حرارة الشمس ،وتتم عملية السدو في فصل الصيف لان البدو في هذا الفصل اكثر استقرارا منهم في فصول السنة الاخرى ، وحتى لايتاثر الصوف برطوبة الجو كما هي الحال في بقية الفصول ولاسيما فصل الشتاء اما الادوات التي تستخدم في عملية الحياكة بالاضافة الى السدو او النول فهي :

أ - المدرة وهي (المكوك)وهي قطعة خشبية مدببة الجانبين وتستعمل لتشبيك خيوط الصوف على السدو

ب - المنشزة : وهي قطعة خشبية مستطيلة الشكل ذات طرفين حادين وتستعمل لرصف الخيوط على السدو بعد تشبيكها •

اما اهم لوازم البدو المصنوعة من الصوف فهي :

١ - بيت الشعر وهو سكن البدوي في الصحراء ينقله اينما حل ويصنع عادة من الصوف ويتكون بيت الشعر من الفلجان وهو الجزء الذي يغطي بيت الشعر من اعلى والسدرة وهي جدار بيت الشعر يتصل احد طرفيها بالفلجان ويثبت الطرف الاخر في الارض ، ويصنع عادة من اللونين البني والابيض،ثم القواطع او الرواق ويستخدم كقواطع داخل البيت لتقسيمه الى عدة اماكن •

٢ - العدول ومفرده العدل وهو كيس كبير يحفظ فيه الارز والبقول •

٣ - المزاود ، مفردها ، مزود ، ويستخدم لحفظ الملابس •

٤ - الخروج(الاخراج)مفردها خرج وهي اكياس صغيرة توضع فيها مايحتاج اليه البدوي في اسفاره ، وتحمل على ظهر الجمل •

٥ - المساند مفردها مسند ، وهي وسادة يتكأ عليها عند الجلوس ، وتستخدم مخدات احيانا لوضع الراس عليها عند النوم •

٦ - الزوالي والبسط تصنع من صوف كثيف ، وكلا الزولية والبساط يفرش على الارض للجلوس او النوم عليه •

المسئولون يتكلمون

وكان لنا لقاء مع السيد عبدالرحمن المزروعي وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية المساعد لشؤون الشباب ورئيس لجنة الترويج السياحي التي نظمت اسبوع الحرف الكويتية قال السيد المزروعي : ان هذه الحرف تمثل جزءا من تراثنا الشعبي القديم والمحافظة على هذه الحرف ونقلها للابناء عمل من صميم محافظتنا على تراث هذا الوطن ، وانه لن يتاتى ذلك الا بتجسيد هذه الصناعات امام شبابنا تجسيدا حيا حتى لاتندثر ،والهدف من احياء هذه الحرف ليس مجرد نشاط لمدة اسبوع في كل عام بل يجب ان يتخذ وضعا مستمرا حتى يطلع عليه المواطنون والزوار الذين ياتون الكويت ، وهذه الحرف من تراثنا القديم كانت مصدر رزق الاباء والاجداد•بل ان بعض هذه الحرف لا تزال مصدر رزق بعض المواطنين ، ثم ان الجيل الحاضر يريد ان يعرف الكثير عن هذه الحرف ، والحقيقة ان العين لاتمل النظر من مشاهدة مثل هذه الصناعات بل ان المرء يتوق الى مزاولتها •

واضاف الاستاذ المزروعي قائلا : ان كل دولة تزورها تجدها تزخر بتلك الصناعات اليدوية الوطنية التي تمثل الجانب الحضاري المميز لتلك الدولة والناس الذين يزورون الكويت تجدهم يسعون الى اقتناء بعض هذه المصنوعات مثل سجاجيد البدو او نماذج السفن الكويتية•لقد نظرت وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل هذه المسالة بعين الجد والاعتبار فقامت بادخال الصناعات اليدوية في مراكز الشباب المختلفة حيث تقام الان صناعة الجالبوت القديم وهو نموذج لسفينة كويتية وصناعة التناك وهي سفينة تصنع من الساج الخفيف •

اوشكت على الاندثار

اما الاستاذ ابراهيم البغلي مدير ادارة الاثار والمتاحف بوزارة الاعلام وقد ساهم بنصيب كبير

في انجاح اسبوع الحرف الكويتية ، فقد قال : ان هذا الاسبوع كان من انجح الاسابيع التي وفقت في انجازه اللجنة العليا للترويج السياحي لقد دن الاقبال منقطع النظير فقد قارب زوار المعرض ١٤ الف شخص ، ولـن انسى منظـر ذلك الاب الكويتي وهو يصطحب معـه ابنـاءه ويشرح لهم بعض عمل هذه المصنوعات بكل فخر واعتزاز فيصغي الابناء فرحين مبتهجين بذلك لان هذه المصنوعات وأدواتها معروضة في بيت كويتي قديم هو مقر المتحف الوطني •

ان بعض هذه الحرف اوشك على الاندثار وبعضها الاخر اندثر بالفعل وذلك بسبب انتقال النـــاس من مزاولة هذه الحرف الى الوظائف المدنية فـي الدولة،ولان معظم هؤلاء الحرفيين قد انتقلوا الى الدار الاخرة فاذا نحن شجعنا هذه الحرف جعلنا اولادنا والهواة يرغبون في تعلم هذه الحرف ،ولا يخفى ان مفهوم هذه الحرف قد اختلف فقد كانت مصنوعاتها للاستعمال اليومي اما الان فان معظم هذه المصنوعات تستخدم تحفا او قطعا من الزينات نجمل بها محلاتنا وبيوتنا وبذلك ارتفعت قيمتها المادية وبدأ عدد من الحرفيين في تحسين نتاجهم وبدأ بعض الهواة في تعلم هذه الحرف ولاول مرة في هذا الاسبوع عرض بعض هؤلاء الهواة نتاجهم للبيع •

واضاف الاستاذ البغلي قائلا انناكنا في البداية نلاقي صعوبة بمشاركتنا في هذه الاسابيع امـا الان وبعد نجاح هذا الاسبوع فان عددا وافرا قدموا انفسهم للمشاركة في هذه الاسابيع : ولديـنـا فكرة انتداب هؤلاء الحرفيين للعمل في وزارة الاعلام عند افتتاح مبنى المتحف الوطني وتخصيص اجنحة خاصة لهؤلاء الحرفيين وعندئذ يستطيع هؤلاء التفرغ لمثل هذه الاعمال وتدريب الهواة والابناء على هذه الحرف لاسيما أن العديد من هؤلاء الحرفيين يندثر مما يخشى عليه أن ياتي يوم تموت فيـه هـذه الحرف فيختفي بذلك جزء من تاريخنا وتراثنا الذي نعتز به ونفتخر •

انني اقولها كلمة حق هي أن احياء تاريخنا التـراثي القديم واظهـار الحـرف التـي كانت مصدر رزق للاباء والاجداد امانة في ايدي المسئولين يجب ان يهتموا بها ويعملوا جهدهم للمحافظة عليها من الاندثار والضياع •

■■

صادق يلي



العدال أو الشاك احدى الصناعات البحرية وهي سفن صغيرة مصنوعة من الصاج •



بعض أسرة الاطفال في القديم وأقفاص طيور الزينة كانت من صنع القفاص الذي يعتمد على جريد النخل في صناعته •

بوريس فيون:

« الناس لا يتغيرون، ولكن الاشياء هى التى تتغير »

الطريق من الجاز إلى الرواية

بقلم: الدكتورة سامية احمد اسعد

عندما انتشرت موجة الوجودية ،كثرالحديث عن رائدها وفيلسوفها « جان بول سارتر » ورفيقته « سيمون دى بوفوار » ، وآخرين مثل «فرانسواز ساجان » ، وكثر الحديث عن الكهوف وحى « سان جيرمان دى بريه » • وظل طى النسيان وجه من أشهر وجوه تلك الفترة وذلك الحى ونجم من نجومهما : الاديب الفنان بوريس فيون Boris vian الذى توفى عن تسعة وثلاثين عاما •• الى أن رد اليه اعتباره وعادت اليه الشهرة بعد مماته •

■ بوريس فيون واحد من المع كتاب فترة ما بعد الحرب فى فرنسا • ولد فى « فيل دافريه » ، فى ١٠ مارس ١٩٢٠ ، من ابوين فرنسيين . وقضى سنوات حياته الاولى فى وسط بورجوازى ميسور/•

وعندما بلغ الثانية عشرة، ظهرت عليه الاعراض الاولى لروماتيزم القلب ـ الذى لازمه وقضى عليه وهو فى شرخ الشباب ـ فما كان من امه الا ان ضاعفت من اهتمامها به . ورعايتها له • وربما كانت هذه العناية الفائقة مصدر الكره الذى ابداه « فيون » للاباء الذين يفرطون فى رعاية اطفالهم وتدليلهم ، والذى عبر عنه عدة مرات فى مؤلفاته ، خاصة فى « اداة انتزاع القلب » L' Arrache-caur • ففى هذه الرواية الاخيرة صور«فيون» اما متسلطة مسيطرة ـ كليمانتين ـ تريد ان تحمى اطفالها نهائيا من المخاطر الحقيقية والوهمية التى يمكن ان يتعرضوا اليها • وينتهى بها الامر الى حبسهم فى ثلاثة اقفاص صغيرة•

صحيح ان والدة فيون لم توح لابنها بشخصية كليمانتين مباشرة ، لكن يحتمل ان تكون قداوحت اليه ببعض من ملامحها لاشعوريا •

ثم كان المرض والدراسة

بعد الطفولة المرحة السعيدة ، كان المرض ، وكانت الدراسة ، دراسة عادية للغاية،دفعت بفيون الى تعليم نفسه بنفسه • فلقد كان يفضل المواد والكتاب الذين يكتشفهم بنفسه على كل ماكان يتقرر عليه فى المدرسة • وبعد حصوله على البكالوريا ، دخل ـ بلا حماس ـ المدرسة العليا للدراسات الهندسية لكن الصداقة والاصدقاء كانوا يشغلونه اكثر مما تشغله الدراسات العليا• وكان اهتمامه ينصب اول ما ينصب على الحفلات الراقصة وحفلات الجاز الذى اولع به واحبه حبا عنيفا •


بوريس فيون

ويحتمل ان تكون حياة فيون الكاتب قد بدات عام ١٩٤٢ ·

لماذا اتجه فيون هذا الاتجاه ؟

ربما دفعه الى ذلك حب الاستطلاع اوالرغبة في اللهو بالكتابة ··· وفي الوقت نفسه ،اصم فيون اذنيه للنصائح التي كان يسديها لهالمحيطون به ـ بسبب مرضه ـ وعاد الى العزف علىالبوق، كرد فعل على منع الموسيقى الزنجية · وظل يعزف على البوق في فرق مختلفة · وعن طريق الجاز اكتشف حي سان جيرمان واصبح واحدا مننجومه البارزة ،في الوقت الذي كاد هذا الحي يصبحفيه عاصمة داخل عاصمة النور ·

وربما اكتملت هذه الخطوط الرئيسية لصورة ب · فيون لو اوردنا الكلمات التي كتبها ريمون كينو R.Queneau كمقدمة « لاداة انتزاع القلب » ، قال :

« ب· فيون رجل متعلم مهذب ، تخرج منكلية الهندسة ، وما هذا بالشيء الهين ، لكن هذاليس كل شيء ···

عزف على البوق كما لم يعزف احد ، وكان واحدا من الذين جدجوا الكهوف في فرنسا ودافعوا عن «ستيل» نيواورليان ، لكن هذا ليس كل شيء ···

مثل امام عدالة البشر لانه كتب« سابصق على قبوركم » تحت اسم مستعار :«فرنون سوليفان»، لكن هذا ليس كل شيء ···

ترجم كتابات اميركية اصيلة كل الاصالة ،بل لقي في ذلك بعض الصعوبات اللغوية التيلاتصدق، لكن هذا ليس كل شيء ···

كتب ب · فيون مسرحية مثلها ممثلونحقيقيون على مسرح حقيقي ، لكن هذا ليس كل شيء···

كتب كتبا جميلة · غريبة ، مؤثرة ، من بينها «زبد الايام » L'ecume des Jours اقوى قصص العبالمعاصرة ، و « النمل » ، اغرب قصةقصيرة كتبت عن الحروب ، و « الخريف في بكين » L'automme a pekin ، تلك الرواية الصعبة التي لم تلق التقدير الذي تستحقه ·

لكن هذا ليس كل شيء ·· كل هذا ليسشيئا يذكر ، لان ب · فيون سيصبح ب · فيون !!

ليس وجوديا

تحققت النبوءة ، واصبح «فيون» كل هذا واكثر منه · كتب الروايات الغنية بالمعاني ، والمسرحيات الجريئة ، والشعر الاصيل ، والاغاني الجيدة · ولايمكن ، في هذا الصدد ، ان نقول ان«فيون» كان يفضل هذا اللون او ذاك على ماعداه · لانه احب كل ما اتيحت له فرصة اكتشافه · فلقد احتل الجاز حيزا كبيرا في اهتماماته ومشاغله، وان ظن البعض انه كان ثانويا بالنسبة لرواياته مثلا ·

ومما لاشك فيه ان فيون تاثر تاثرا بالغابالكاتب « الفريد جاري » الذي كان اول من زعزع عرش اللغة الراسخ في الادب الحديث ، وذلك في مسرحيته الشهيرة « اوبوملكا » · لكنه لم ينسجم انسجاما عميقا مع السيريالية ، بالرغم من ان مؤلفاته تلجا الى اساليب تذكرنا كثيرا بالاساليب السيريالية · وكثيرا ما ربط النقاد بين فيون والحركة الوجودية ، نظرا لملاقته بسارتر ،وسيمون



فرانسوا ساجان



سيمون دى بوفوار



سارتر

دى بوفوار ، وكتابته بعض المقالات فى مجلة « الازمنة الحديثة » (١) والواقع أن فيون لم ينتم الى الحركة الوجودية ابدا ، بينما تاثر بسارتر ، كاتب « الغثيان » و«الجدار » ، واعجب به اعجابا حقيقيا • فى هذا السياق يجب ان توضع المشاهد الخاصة بالفيلسوف الوجودى فى رواية « زبد الايام » • فهى لاتتعرض لفلسفة سارتر اوحتى شخصه ،بل لاسطورة نمت وازدهرت فى عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٦ فهو يدين بالاستسلام بلا قيد او شرط للايديولوجيات ، ايا كانت • والحدث الوحيد الماخوذ عن الواقع مباشرة هو المحاضرة الهزلية التى يلقيها «بارتر » فى « زبد الايام » • وهو ماخوذ عن محاضرة كان سارتر قد القاها فى اكتوبر سنة ١٩٤٥ ، واجتذبت حشدا هائلا • وبالرغم من الطابع الكوميدى لهذا المشهد ، فهو لا يعبر عن اى سيئة ، لان فيون لايسعى الى انتقاد سارتر الذى طالما اضمر له التقدير والاحترام •

قلنا ان فيون كتب القصيدة،والمسرحية،والرواية الخ •• واجمل القصائد التى كتبها هى تلك التى جمعت بعد وفاته تحت عنوان احداها : « لاأريد أن اموت » • هذه المجموعة صرخة حب يطلقها رجل احب الحياة من كل قلبه ، وبكل جوارحه ، وراى هذه الحياة تفلت من بين يديه بينما كان شبح الموت يقترب بخطى حثيثة • وكان من الطبيعى ان يتجه فيون الشاعر والموسيقار الى كتابة الاغانى ، وهنا يستحيل رسم خط واضح بين القصيدة والاغنية ، لاننا نجد فى كل منهما الصفات التى تميز بها فيون : الخيال ،والاحساس باللغة ، •• والغريب فى الامر ان النقاد كادوا يتفقون على ان روايات فيون ومسرحياته اكثر شاعرية من قصائده •

بين رواد المسرح الجديد

ومما لاشك فيه ان ب • فيون واحد من رواد المسرح الجديد فى فرنسا • واختلف النقادحول هذا الرأى لان مسرحيته « بناة الامبراطورية »لم تعرض سوى عام ١٩٥٩ • فى حين انه كتب ،منذ عام ١٩٤٧ ، مسرحية مثيرة من نوع« الفارس » تميزت بايقاعها المجنون ، و « غذاء الجنرالات » التى تميل الى الكاريكاتير السياسى ، و«بناة الامبراطورية » التى تاثر فيها يونسكو تاثرا واضحا • تصور المسرحية الاخيرة خلية اجتماعية نمطية ، مكونة من الاب ، والام والابنة والخادمة، يطارد الاسرة « صوت » يثير القلق ، ويلازمها مخلوق صامت بشع لا شكل له ، يسميه فيون « الشمورتز » • تنتقل الاسرة على مر الفصول من طابق الى طابق اعلى وتستقر فى مساكن تزداد ضيقا ، بينما تزول اطرافها واحدا واحدا، الى ان ينتحر الاب فى النهاية بعد موت الاخرين• نجحت هذه المسرحية لاعتبارات عدة اهمها اللغة التى كتبت بها ، ودقة البناء الدرامى ، بناء مجرد الى اقصى حد ، وقوة الصور وكثرتها ، وخيال المؤلف الذى بلغ الذروة عندما تخيل « الشمورتز » • حاول كل النقاد ان يفسروا هذه الشخصية • وايا كان تفسيرهم فانه يكفى أن نقول : انها لا تنسى وانها تستحوذ على اهتمام المتفرج • وربما كان « الشمورتز » رمزا للغرائز المسيطرة علينا ، او الشيخوخة او الموت ، او ••• كل ما نعذبه داخل نفوسنا وخارجها ، ولعل فيون قد تذكر عندما تخيله الكلمات الشهيرة التى قالها « ارتو » وطالب فيها «بظهور كائن مصنوع من الخشب والقماش ، يختلق اختلاقا ، لا يلبى اى مطلب ، ومع هذا يثير القلق بطبيعته ، قادر

(١) محررها هو جان بول سارتر •

على ان يعيد الى المسرح نفحة صغيرة من ذلك الخوف الميتافيزيقي الهائل الذى كان اساسا للمسرح القديم كله • » وبالرغم من نجاح هذه المسرحية ظل الكثيرون يفضلون روايات فيون على مسرحه • يقول احد النقاد ، على سبيل المثال : « لا يخيل الينا ان مسرح فيون جديد ، وكامل ، وزاخر بالمعانى ، باختصار ، هو ناجح كرواياته »•

يتفق فيون مع كتاب الرواية المعاصرين له : ج •• جراك ، وموندبارج ، وكلوسوفسكى — فى قدرته على ادخالنا فى عالم « آخر » ، اذا جاز القول ، مستعينا بسحر الكلمات • وغالبا ما يكون هذا العالم عالما مقلقا ، لكن له دائما اغراء لا يقاوم ، يختلف هذا العالم عن عالمنا ، ويكشف عن خباياه ، اى عن الحقيقة • وروايات فيون التى تلقى اليوم نجاحا كبيرا مرت دون ان يلحظها احد عندما كان كاتبها حيا • لان المجد والشهرة كانا من نصيب فرنون سوليفان ، الاسم المستعار الذى نشر تحته اول رواياته واشهرها « سابصق على قبوركم » ، تلك الرواية التى اثارت ضجة كبرى ومثل بسببها امام المحاكم • هكذا حكم الاسم المستعار على صاحبه الحقيقى بالفشل مدى الحياة• ومع هذا ، ظل فيون يكتب رواياته : زبد الايام ١٩٤٧ ، و الخريف فى بكين ١٩٤٧ ، والحشائش الحمراء « L'herbe rouge (١٩٥٠) ، و « اداة انتزاع القلب » ١٩٥٣ •

ويبدو ان فيون كان مهتما فى المقام الاول بعمله كموسيقار ، وعمله ككاتب روائى • واذا كانت نبؤة « ريمون كينو » قد تحققت ، كما اسلفنا ، فذلك يرجع اولا وأخيرا الى رواياته ، و « زبد الايام » افضلها بلا شك • ولسوف نقف عندها وقفة طويلة بعد حين • اما « الخريف فى بكين » فاطول رواياته واصعبها واكثرها تعقيدا • ويكاد يكون تلخيصها مستحيلا ، لان ذلك يفقدها اهميتها• ومع هذا ، نجد فيها السمات الخاصة بعالم فيون: الحب ، والسعادة ، والدين ، والعنف ، ولربما اشتملت على أكثر من هذا فى « الحشائش الحمراء » ، اذ يعود الكاتب الى موضوع ابسط، اقرب ما يكون الى السيرة الذاتية • ويبدو ان فيون يتأمل ماضيه ووجودنا عامة من خلال شخصية « وولف » الذى يسبر اغوار ذكرياته الماضية ، مستعينا بالة ترجع الزمان الى الوراء • واغلب الظن ان فيون يرى ان معرفة الذات لا يمكن ان تكون السبيل الى السعادة • واسم « اداة انتزاع القلب » ماخوذ عن الاداة التى جاء ذكرها فى « زبد الايام » ولم تظهر ابدا • يتركز الاهتمام فى هذه الرواية حول نقطتين : قصة جاكور ، الطبيب النفسانى الذى يقضى به فشله الى اتخاذ مكان « لاجلوار » الشخص الذى يدفع له الاخرون ذهبا ليحمل عارهم بدلا منهم ، وقصة التوائم الثلاثة وامهم المتسلطة التى يتخذ منها فيون وسيلة للحديث عن العلاقة بين الاباء والابناء بطريقة كوميدية وقاسية فى آن واحد • ومن المؤكد ان الكاتب حمل هذا النص اكثر من رسالة : عن الدين ، والاسرة ، الخ •• واكثر من معنى ، مما اكسبه اهمية فريدة ، بالرغم من قسوته •

★ ★ ★

روايته « زبد الايام »

كتب فيون « زبد الايام » فى باريس ، ومع هذا يقول فى مقدمة الرواية انه كتبها فى الولايات المتحدة مما يجعلنا نتساءل : ايكون حبه للجاز هو الذى دفعه الى ذلك ؟

تدخل بنا الرواية الى عالم خيالى ، شانها شان سائر روايات فيون • لكنها فى الوقت نفسه تتضمن اكثر من اشارة الى تجربة فيون الشخصية• لنذكر على سبيل المثال مرض البطلة «كلوييه»، ذلك الالم الذى انقض على صدرها فى شكل زهرة النيلوفر (عرائس النيل) • وقد يكون هذا المرض نقلا للمرض الذى قاسى منه الكاتب واودى بحياته • كذلك ، ينعكس الضيق المادى الذى عانى منه فيون فى سيطرة العمل ، وضرورة الحصول على المال ، والاكتشافات المريرة التى يقوم بها البطل « كولان » غداة زواجه ، ولنضف الى ذلك ان الاختراعات التكنيكية والتفسيرات العملية الساخرة التى يزخر بها الكتاب تذكرنا بان فيون كان مهندسا مولعا بالقصص العلمى الذى ترجم الكثير منه وكان يقرؤه بحماس بالغ • وبالرغم من ان فيون ترك بصماته بطريقة او باخرى على كل صفحة من صفحات الكتاب ، لايمكننا ان نقول انه سيرة ذاتية •

نلاحظ اول الامر ان « زبد الايام » رواية

تجمع بين الجد والهزل • ويستحيل على القارىء رسم خط واضح بين ما يمكن ان يكون رواية خيالية ساخرة بالرغم من نهايتها الحزينة ، وما يمكن ان يكون رواية جادة الاصداء يعرض فيها المؤلف بعض القضايا الهامة •

قصة الحب التي تجمع بين كولان وكلوييه هي الخط الرئيسي في الرواية انها قصة بسيطة خالية من الرومانتيكية • ونشعر منذ البداية ان الحب والموت يكونان وحدة لا تنفصم ، ويسيران جنبا الى جنب • ان « زبد الايام » قصة البراءة المضطهدة ، والسعادة المستحيلة ، قصة القلق وكآبة الحياة • مما يذكرنا بقول الشاعر آراجون : « ما من حب سعيد » •

نرى كولان وحيدا في بداية الرواية • لكن وحدته هذه ليست سوى انتظار ، انتظار المرأة التي تتجسد اولا في « اليز » حبيبة صديقه « شيك » • منذ اللحظة التي يلتقي فيها كولان بها ، نشعر انه في حاجة الى الحب ، حب لايفصل بين الروح والجسد • والصفحات التي يصف فيها الكاتب لقاء كولان بكلوييه نجاح فني رائع • وجدير بالملاحظة ان فيون يربط بين الموسيقى التي طالما احبها ولقاء البطلين • يعيش البطلان لحظات يذوقان فيها طعم السعادة الحقة التي تبلغ ذروتها بزواجهما الذي حوله فيون الى احتفال رائع • لكن ما ان يطلع عليهما الغد حتى تقبل الشمس التي تدخل مسكنهما ، ويتعذر على كلوييه الوقوف على قدميها • ها هي ذي الالة الجهنمية قد بدأت دورانها •

وعندما يبدأ الجزء الثاني من الرواية ، يغزو العالم الخارجي عالمها • فيكتشف الابطال ضرورة السعي الى المال ، والعمل ، وحتمية المرض ، باختصار يكتشفون القلق • وتنفجر المأساة عندما تلازم كلوييه الفراش • لقد ضرب القدر ضربته• وبينما تخيم الظلمة على المسكن نرى هذا الاخير يضيق ، ونستشعر تقدم الموت بخطى بطيئة مثابرة • عندئذ يبدأ سباق كولان مع المرض ، ويصبح كل همه شراء الزهور لكلوييه، لان وجود الزهور هو الذي يبقي على حياتها • ونراه مستعدا لقبول اى شىء في سبيل ذلك حتى العمل الذى سيفرق بينه وبين محبوبته الى الابد •

والصفحات التي يتحدث فيها فيون عن العمل تفضح مرضا آخر : الفرد مسخر في المجتمع اقتصاديا • عالج فيون هذا الموضوع مرات عدة في رواياته • طالما ان كولان يملك المال ويستطيع ان يعيش بدون ان يعمل ـ تسير الامور على مايرام • لكنه يكتشف عذاب السعي الى المال ، وذل العمل ، منذ اللحظة التي يواجه فيها الواقع• فضلا عن ان حياة كلوييه متوقفة على حصوله على المال الذى يمكنه من شراء الزهور لها كما قلنا • مما يضطره الى قبول اعمال مهينة ، لكنها اكبر اجرا • هكذا يرى فيون ان العمل يعني التبعية ان لم تكن العبودية ، وان المال يعني الحرية • ويواصل المؤلف طرح وجهة نظره قائلا : ان العمل لا يغني احدا ، وانه غير مقدس ، بل ان الطبيب الذى يعالج كلوييه يذهب الى حد القول بان « العمل شىء قذر » • باختصار ، يرى فيون ان العمل لا يفضي الى تحرير الانسان ، بل الى اغترابه اغترابا تاما • على سبيل المثال ،المصنع الذى يعمل فيه « شيك » اشبه بالجحيم ، ولايسعنا ازاءه الا أن نذكر عالم « كافكا » ودانتي ـ كل شىء فيه خلق لتعذيب الانسان واستنفاد طاقاته في سبيل العائد منه • والعامل فيه يلقى عداء الالة والبشر معا • فهو مهدد دائما بالاصابة او الطرد • وفي النهاية نراه هو الانسان ، يتحول الى رقم ينعكس على لوحة مضيئة • والتجربة التي يمر بها كولان غاية في البشاعة ، لان العمل الذى يعرض عليه يستهلكه ، وصنع المدافع يقضي على نشاطه وحيويته • ويضيف فيون الى نقده للعمل نقده للحرب وسباق التسلح ، مصورا العمل على انه يساعد على هدم الانسان لا على بنائه •

تحدثنا « زبد الايام » اذن عن قلقنا ومشاكلنا• ومع هذا لا نلمس اى شبه بين عالمها وعالمنا • فالشخصيات الست الرئيسية ـ ونضيف اليها الفار الذى يموت في اللحظة التي تموت فيها البطلة ـ لم تدرس دراسة نفسية عميقة ، لان فيون لم يحاول ان يجعل منها « شخصيات » روائية

بالمعنى التقليدى لهذه الكلمة • وحدودها غير واضحة • فلا ماضى لها ، ولا عائلة ، ومع هذا ، لكل من هذه الشخصيات طابعها الفردى المتميز وهى لا تتطور ، بل تتضاءل ، لان « الناس لا يتغيرون ـ على حد قول كولان ـ بل الاشياء هى التى تتغير • » .

ويستحيل ان تعيش شخصيات حقيقية فى عالم غريب تتمرد فيه أربطة العنق وتصفر ، ويصطادون فيه السمك فى الاحواض ، ويتكلم فيه الكلاب والفئران والنبات ـ فالاشجار لا تقتلع بل تقتل ـ، وتسمع فيه الجدران والارضية وهى تتنفس ، ويلتقى فيه المتوازيان الى ما لا نهاية وتصبح فيه مقاعد لويس الخامس عشر مقاعد لويس السادس عشر على مر الايام ، وتعود فيه نعال الاحذية والواح الزجاج الى حالتها الاولى ، بعد استهلاكها او كسرها . ••

انه عالم سحرى اذن ! لكنه قاس يفيض ايضا• لان صور العنف ومشاهده تظهر فجأة فى اكثر اللحظات مرحا ، خاصة بعد زواج البطلين • ولا يبدى الابطال اية دهشة ازاء هذه القسوة ، وان عانوا منها • فكل شىء يبدو لهم طبيعيا • ان هذا العالم عالمهم ، وهو متماسك فى نظرهم ، لان فيون حول كل شىء فيه بتسمية جديدة ومنطق جديد للاشياء •

لماذا لم تترجم رواياته ؟

والشىء الجديد حقا فى هذه الرواية هو استخدام المؤلف للغة وتفجيره اياها • وهذا ايضا معنى من معانيها الهامة • يدعونا فيون الى الشك فى الكلمات وعدم الثقة فيها ، كما فعل من قبله « جارى وكينو » ، وميشو ، وقبل ان يكتب « يونسكو » مسرحيته الشهيرة « المغنية الصلعاء » •

استخدم فيون الكليشيهات والعبارات البالية المستهلكة استخداما حرفيا ، وشوه بعض الكلمات، وخلق كلمات اخرى يصعب تفسيرها احيانا • ولم يفته ، بطبيعة الحال ، التلاعب بالالفاظ • وهذا الاختيار القاسى الذى تخضع له اللغة هنا يبلغ الذروة لانه يعيد النظر فى العالم ومجموعة القيم المرتبطة باللغة ذاتها • ولا نبالغ اذا قلنا ان كتابة فيون تصل الى حد الثورة ، وان « زبد الايام » علامة هامة على طريق الادب الروائى الحديث •

واذا نظرنا الى الزمان فى هذه الرواية ، وجدناه لا يخضع لاى تنظيم حقيقى •• فعامل الزمان هنا غير واضح وغير محدد المعالم • تبدأ الرواية يوم سبت فى فصل الشتاء ، وعندما يتزوج البطل والبطلة يقترب الشتاء من نهايته• ويعودان من شهر العسل فى الصيف • وسرعان ما تختفى الفصول ،ويحل محلها اختفاء النور والضوء تدريجيا ،كتعبير عن عداء العالم وقسوته• ومعالجة الزمان على هذا النحو ليست عبثا ، لان الكاتب اراد ان نعيش القصة وفقا لايقاع ابطالها الداخلى ، ايقاع صبرهم النافذ ، وافراحهم ومخاوفهم ، وقلقهم •

وتعتبر « زبد الايام » اشهر روايات فيون اليوم • مع انها لم تلق هذا النجاح فى البداية• فعندما تقدم بها كاتبها للحصول على جائزة La Pleiade عام ١٩٤٦ لم يفز بها • وعندما نشرت الرواية عام ١٩٤٧ ، لم تلق الا نجاحا محدودا . وها هى ذى قد اصبحت الان واحدا من الكتب التى هى اكثر رواجا فى العالم •

وهنا يفرض علينا سؤال فرضا : ما دامت لفيون هذه الاهمية ، فلماذا لم يترجم الى العربية حتى الان فى حدود معلوماتنا ؟ ربما كانت الاجابة المباشرة على هذا السؤال هى ان فيون ركز اهتمامه على عنصر اللغة ، وان تجديده المفرط فى هذا المجال قد يحول دون نقل النص الى العربية نقلا امينا ومقروءا فى الوقت نفسه•• اللهم الا اذا كان المترجم فى مستوى بودلير ـ عندما ترجم ادجار آلان بو ، أو الدكتور طه حسين ـ عندما ترجم « انتيجونا » •• ■■

د • سامية أحمد أسعد

• حل مسابقة العدد ٢٣٦ •

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ا	ب	ن	د	ر	ى	د		ح	ج	ر	ر	ش	ى	د
٢	ب	ح	ر	ا	ل	ع	و	ا	ص	ف		ا	د	و	ن
٣	و	ا	ج	ه		ى	ا	ب	ا	ن	ى	ه		س	ا
٤	ن	ر	س	م	ه		ج	ن	د			ن	س	ف	
٥	و		ى		م	ى	ن	ا		ل	ب	ه		ى	م
٦	ا	ل	ه	ن	د	ى		ب	س	ا	ط		ب		ا
٧	س	ى		ا		س	ل	ى	م		ا	س	ه	م	ت
٨		ا	ب	ن	ج	ر	ى	ر	ا	ل	ط	ب	ر	ى	
٩	و	ق	ا	ك		ه	ر	ب	ر	ت	س	ب	ن	س	ر
١٠	س	ه	ر	ى	ج		ه	ى		ر		ه	ج	و	م
١١	ف		ث	ن	ى	ت		ع	د		م	ا		ر	د
١٢	م	د	ى		ا	ل	ن	ه	ا	ى	ه		ح	ى	
١٣	س	ا	ن	ه	ن		ر		ن	س	ن	ا	س		س
١٤	ر	ب	و		ا	و	ج		ت	ا	ى	ل	ا	ن	د
١٥		ه	ن	ا		د	س		ى	ر	ه	ب		د	ر

ابن جرير الطبري

•

ابن أبي ربيعة

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : ابن جرير الطبري ، ولد في طبرستان ، وتنقل ، وتنقل بين ايران وسورية ، والعراق ومصر ، ووضع كتاب « جامع البيان في تاويل القرآن » ، وكتاب «تاريخ الامم والملوك» ، و« تهذيب الآثار » •

(٨) راسيا : ابن ابي ربيعة ، من سراة القرشيين ، رقيق الاسلوب لطيف العواطف في غزله ، رجع عما فرط منه في آخر حياته وتزهد •

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : صباح ابراهيم محمد • عمان/الاردن •
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها: بثينة عوض عبد الرحمن • الخرطوم/السودان •
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها: نوار محمد حسن • بغداد/كاظمية ــ العراق •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ــ انترانيك موسيس ــ القامشلي/سوريا •

٢ ــ سعد عبد العزيز الفريح ــ الدسمة/الكويت •

٣ ــ خليل حسن فخر الدين ــ بيروت/لبنان •

٤ ــ عبد الرحيم عمر السبيعي ــ عدن/اليمن الديمقراطي.

٥ ــ حسن احمد ابو حلو ــ دمنهور/مصر •

٦ ــ عبد الله أحمد محمد العلي ــ الاحساء/السعودية •

٧ ــ احمد محمود محمد عبدالرحيم ــ لواء الظفرة/ابو ظبي •

٨ ــ سالمين نصيب سالمين/البحرين •

قبل أن تفقد السيطرة على أطراف جسمك !

بقلم : الدكتور محمد محمد ابو شوك

■ الاعصاب الطرفية هي التي تخرج من او تدخل الى النخاع الشوكي لتغذي الرأس والذراعين والساقين وسأتناول هنا امراض الاعصاب الطرفية التي تغذي الذراعين والساقين وهي من الامراض الشائعة التي تنتشر في مجتمعنا الحديث لانتشار الاسباب المؤدية للاصابة بها ٠

ذلك انه بقدر ما اسبغت علينا المدنية الحديثة من ترف ونعيم فاننا نراها من ناحية اخرى تسبب لنا امراضا انتشرت بيننا بعد ما كانت نادرة ٠ والامراض التي تصيب الاعصاب الطرفية عديدة منها الناتج عن ضغط عليها بواسطة مفصل متكلس او غضروف ناتيء ، او ورم ضاغط ، او نتيجة لاصابة بها ، الر شد عليها ، او ضغط طال امده ، او اصابة سببت شللها او قطعها ، وسوف لا اتعرض لهذا الجانب ، اذ انه من اختصاص جراحة الاعصاب ، وعلاجه يحسمه التدخل الجراحي ان آجلا او عاجلا ولكن الذي يعنيني هنا هو ما يعرف مجازا بالتهاب الاعصاب الطرفية٠

لهذا الالتهاب اسباب عدة ، نستطيع ان نرصد من واقع الممارسات العملية اليومية ابرزها فيما يلي :

١ ـ السموم الخارجية التي يتعرض لها الجسم، وهي سموم اما ناتجة عن استعمال المعادن مثل الزرنيخ،والزئبق ، والنحاس والفسفور والبزموت والرصاص ٠ او سموم ترتبط باستخدامات المواد العضوية ، مثل التعرض لاول اكسيد الكربون ، مواد الاصباغ ومركبات السلفا ، وتاثر الاعصاب بعد تعاطي الامصال الواقية في بعض الحالات ٠

٢ ـ الامراض الناتجة عن نقص في المواد اللازمة للاعصاب او تاثر هذه الاعصاب بامراض تصيب الجسم عامة مثال ذلك نقص فيتامين ب ١ ، او نقص فيتامين ب ٢ كما هو الحال في البلاجرا ، او نقص في فيتامين ب ٢ كما هو الحال في فقر الدم الخبيث،او نقص في امتصاص هذه الفيتامينات كما هو الحال بعد العمليات على الجهاز الهضمي، او الاسهال المزمن الشديد ٠ والتهاب الاعصاب في الحمل ، ثم التهاب الاعصاب مع تعاطي المشروبات الروحية والتهاب الاعصاب في مرض البول السكري، ونقص افراز الغدة الدرقية ، وزيادة افراز الغدة النخامية ٠

٣ ـ الالتهابات التي تصيب الاعصاب ويكون ذلك بواسطة فيروسات او ميكروبات ، او ضمن

مضاعفات للحميات المعدية او الامراض التى تصيب الجسم مثل حمى التيفوئيد ، أو الملاريا ، الالتهاب السحائي ، والحصبةوالجدرى وكذلك مرض الزهرى والدرن الرئوى وكذلك تتاثر الاعصاب بواسطة السموم التى تفرزها الميكروبات المسببة لبعض الامراض مثل الدفتريا والتيتانوس (الكازاز) :

٤ ـ فى بعض الحالات يلتهب العصب نتيجة للميكروبات التى تسبب مرض الجذام ٠

بين الاعراض والاسباب

وتختلف الاعراض التى يشكو منها المصاب باختلاف الاسباب التى ادت الى تاثر هذه الاعصاب وسانعرض لاكثر هذه الاسباب شيوعا والاعراض التى تصحبها :

ـ فى حالات التسمم بالمشروبات الكحولية :تظهر اعراض التهاب الاعصاب الطرفية فى هذه الحالة بعد مرور فترة على تعاطى هذه المشروبات ، ومدى استعداد الشخص لهذا التاثر والكمية التى يتعاطاها ٠ ويحس الشخص فى بادىء الامر بخدور او تنميل فى اليدين والرجلين ، ويتحول هذا فى بعض الحالات الى ألم شديد يشعر معه المصاب كان لحمه ينسلخ عن عظامه ويزداد الالم اثناء النوم٠ والبعض يعانى من تقلصات شديدة فى العضلات خصوصا فى عضلات الساقين (بطة الرجل) تشبه الى حد كبير التقلصات التى تحدث للرياضيين اثناء الجرى او لعب كرة القدم ٠ وكلما امعن المدمن فى ادمانه ازداد تاثر الاعصاب فتتاثر كذلك اعصاب الحركة ، ويتاثر المشى ، ويفقد الشخص توازنه نتيجة لتاثر الاعصاب التى تحمل الاحساس بالحركة ـ ثم ان الشخص يحس وكان جلد اطرافه متورم ، وتزداد حمرة اليدين كما يزداد العرق ٠

ويتبع كل هذه الاعراض تاثر الاجهزة الاخرى بما فى ذلك المخ ، والكبد والمعدة فكلها تتاثر من الادمان على المشروبات الكحولية ٠

● فى حالة مرض البول السكرى : تتاثر الاعصاب بعد مرور وقت طويل على المرض ، واهمال المريض فى العلاج ولذا فاننا نلاحظ أن الاعراض تظهر جلية عندما يبلغ المريض سن الاربعين وما جاوزها وتتاثر الاطراف السفلية قبل العلوية ٠٠ ويشكو المريض من الم فى العضلات التى تكون (سمانة الرجل) كما يشكو من عدم التوازن عند المشى مع الشعور بالسقوط على الارض ٠ ويتبع ذلك تاثر اعصاب العينين مما يسبب ضعف حركة العينين ٠ ويؤدى فى بعض الحالات الى الرؤية المزدوجة وفى بعض الحالات يحدث ضمور فى عصب الرؤية مما يسبب فقدان البصر ٠لذا كان من الاهمية ان يعالج المريض مبكرا ويواظب على العلاج ، دون اهمال او تخبط فيه، ويراجع طبيبه من ان لآخر عندما تظهر عليه اى مضاعفات ٠

ـ ● فى حالات الحمل : عندما يكون هناك نقص فى فيتامينات ب واهمها فيتامين ب١ ، ب٢ ويصحب ذلك الم فى الاطراف يكون فى بعض الحالات مبرحا ، تحس الحامل به عند الضغط على العضلات٠

● فى الصناعات المختلفة : كما هو الحال فى التعرض لمادة الزرنيخ والرصاص ولكل اعراضه الخاصة فالاول اى فى حالة التسمم بالزرنيخ الذى يستعمل فى قتل الافات الزراعية ، او قاتل الذباب ، او استنشاق الزرنيخ فى اوراق الحائط او فى الطلاء ٠

ويشبه التهاب الاعصاب فى حالة التسمم بالزرنيخ ـ الالتهاب الذى ينجم عن كثرة تعاطى المشروبات الروحية الا انه فى هذه الحالة يكون الالم شديدا ويكون ضعف العضلات اكثر منه فى الاطراف السفلية عن العلوية ، ويصحب ذلك اضطراب فى القوى العقلية ٠

اما فى حالة تاثر الاعصاب بالرصاص كما هو الحال فى عمال الطلاء الذين يستعملون الرصاص فى مواد الطلاء ، وكذلك السباكين وصانعى مواسير الرصاص ، فاذا لم ياخذوا حذرهم سببت لهم هذه المادة التهابا بالاعصاب الطرفية ـ فتتاثر اعصاب الحركة ٠ دون ان تتاثر اعصاب الحس مما يؤدى الى ضعف فى عضلات اليدين والقدمين ويتبع ذلك الضعف ضمور بالعضلات وتظهر علامات اخرى على هؤلاء المصابين منها وجود خطوط زرقاء على اللثة واعراض فقر الدم ٠

فى اوساط المحاربين : يحدث ذلك نتيجة للاصابة

بفيروس خاص يصيب الاشخاص مابين سن العشرين والخمسين . وقد انتشر بشكل ملحوظ اثناء الحرب العالمية الاولى والثانية فى أوساط المحاربين لانه من الامراض التي تنتشر في التجمعات التـــي تتعرض للبرد والرطوبة .

ومن اعراض المرض انه يلاحظ فى كثير مـــن الاحيان انه قبل حدوث التهاب بالاعصاب ترتفع حرارة المريض لعدة ايام ثم تنقضى فترة ربما تمتد من عدة ايام الى عدة اسابيع تظهر بعدها اعراض اخرى كالصداع والقيء وارتفاع بسيط في درجة الحرارة والام فى الظهر والاطراف ، ثم الشعور بتيبس في عضلات الرقبة وبعد ذلك تظهر اعراض الشلل فجاة وتصيب الاطراف الاربعة ولكنها فى بعض الحالات تبدا في الاطراف السفلى وسرعان ما تنتشر وتؤثر على الاطراف العلوية ثم يصاب الوجه بشلل فى العضلات ويؤثر ذلك فى الجهة اليسرى او اليمنى من الوجه او فى كلتيهما معا . وفى بعض الحالات تصاب عضلات البلع مما يسبب عدم القدرة على البلع وتضعف عضلات العينين وتسبب ازدواج الرؤية ومن الملاحظ ان العضلات التى تصاب تؤلم عند اللمس ، وتضمر بسرعة .

وكما هو معروف فى جميع الامراض فان « الوقاية خير من العلاج » . والانسان في هذه الحالة اشد حاجة الى الوقاية ـ خصوصا اذا عرف انه في بعض الحالات اذا ما تاثرت الاعصاب فمن المحتمل جدا ان لا تعود الى حالتها الطبيعية وبالتالى يفقد حركة هو فى حاجة ماسة اليها فى حياته . فيجب البعد عن الاشياء المسببة لالتهاب الاعصاب والتى سبق ان اوضحتها وفى مقدمتها تعاطى المشروبات الروحية ، ثم التقيد بطرق الوقاية عند العمال اذا ما تعرضوا لاشياء تسبب التهاب الاعصاب خصوصا وان الاهمال كثير فى استعمال الاقنعة الواقية او القفازات الواقية وغيرها من سبل الوقاية .

ثم يجب على مرضى السكر البولي ان يتقيدوا بالعلاج حتى لا يكون سببا فى التهاب الاعصاب لان ذلك يحدث بمجرد اهمال المريض للعلاج وترك مرضه دون علاج أو بعلاج متقطع يكون سببا في حدوث المضاعفات . ولا شك ان تعاطى الاغذية الصحية اللازمة وعلى رأسها الفيتامينات يقى الاعصاب من التعرض للمرض فى حالة النقص فـي هـذه الفيتامينات . ثم الامتناع عن تعاطي كل ما يضر بالاعصاب من مشروبات او اطعمة او دواء .

وكذلك التطعيم ضد الامراض المعدية لكي لا تصاب الاعصاب حينما تحدث مضاعفـات هذه الامراض ثم لا بد من البحث عن مصدر او بؤرة للالتهاب فى الجسم وعلاجها فـي الاسنان والجيوب الانفيـة والبلعوم وغير ذلك .

وفي الايام الاولى للمرض لا بد ان يلزم المريض الفراش لان ذلك يساعد على سرعة شفاء الاعصاب المصابة ثم العمل على حفظ العضلات التى تحدها الاعصاب المصابة لئلا تفقد حيويتها وذلك بتدليكها عندما يحتمل المريض ذلك بعد زوال الالم الذى يكون في بادىء الامر ـ ثم يحرك العضو المصاب بعد التدليك . وفي بعض الاحيان يكون الالم شديدا ويحتاج المريض لمسكنات واحسنها واسهلها استعمالا هى مركبات الاسبرين وتحريك العضلات والعضو المصاب بواسطة التيار الكهربائى يفيد فى بعض الحالات ويساعد على رجوع الحركة فى اسرع وقت ممكن ـ وبعد ان يعود العصب الى حالته الطبيعية وتكون العضلات فى حالة جيدة يمكن للمريض ان يعتمد على نفسه فى تحريك العضو المصاب تدريجيا الى ان يرجع الى حالته الطبيعية .

واستعمال الفيتامينات خصوصا فيتامين ب ١ و ب ٢ تساعد في بعض الحالات على سرعة عودة العصب المصاب الى حالته الطبيعية .

هذه نبذة عن التهاب الاعصاب الطرفية لتوضح لكل قارىء اسباب ما يشعر به من خدر او تنميل في الساقين حتى يأخذ حذره ويستشير طبيبه فلعل ذلك يكون من الاسباب التى اوضحتها فيمكنه ان يعالج عندما يكون المرض في البداية . وهذه خير وسيلة ليتغلب على مرض لو طال لكبده الكثير من العناء . ■■

د . محمد محمد أبو شوك



بين
وليم هارفى
وابن النفيس



بقلم الدكتورة صبيحة الدباغ

● ثمة خيط لا يمكن انكاره يربط بين الطبيب البريطانى الشهير وليم هارفى مكتشف الدورة الدموية الكبرى ، وبين العالم العربى ابن النفيس مكتشف الدورة الدموية الصغرى ٠٠ ولكنهم فى الغرب ينكرون !

وهذه الصلة بين العالمين تثار فى مناسبة احتفال بريطانيا بمرور ٤٠٠ عام على ميلاد وليم هارفى ، الذى ولد فى مدينة فوكستون الانجليزية فى اول نيسان (ابريل) سنة ١٥٧٨ ، ثم درس الطب فى جامعتى كمبردج بانجلترا ، وبادوا فى ايطاليا ٠ وصار بعد ذلك طبيبا خاصا للملك جيمس الاول ومن بعده شارل الاول ، ثم عين ناظرا او عميدا لكلية ميرتون بجامعة اكسفورد ، وتوفى بلندن عام ١٦٥٧ ٠

ولكن شهرته ذاعت باكتشافه الدورة الدموية الكبرى التى اوضحها فى محاضراته بكلية الاطباء وجمعها فيمابعد فى كتاب نشر عام١٦٢٨ ٠وتقديرا

لخدمات هارفى تأسست جمعية باسم (الجمعية الهارفية) عام ١٨٣١ التى احتفلت بذكرى مرور مائة عام على تاسيسها سنة ١٩٣١ ·

لقد تتلمذ هارفى على فابرشيوس فى جامعة بادوا وصحح ملاحظات من سبقه من اساطين الطب من امثال جالينوس وفيسيليوس وسيرفيتوس وكولمبس وسيسالبينوس واوضح أن القلب مضغة عضلية ولكنه لم يتوصل الى اكتشاف الاوعية الشعرية لعدم وجود المايكروسكوب فى زمانه(١)· ولقد وضع نظرية الدورة الدموية سنة ١٦١٦ ونشرها فى مدينة فرانكفورت بعد ذلك بالثنى عشر عاما تحت عنوان : « رسالة فى التشريح عن نبض القلب وحركة الدم فى الحيوان » · وعرف كذلك بدراساته المستفيضة فى علم الاجنة التى نشرها عام ١٦٥١ فللرجل من غير شك فضل كبير على علم الطب وتطوره ·

مغالطات تاريخية

اما ان تنسب ـ كما يفعل الاوروبيون ولا سيما الانكليز ـ فضل اكتشاف الدورة الدموية اليه وحده فامر لا تقره الحقائق التاريخية ولا يرتضيه الانصاف العلمى ، اذ ليس من شك فى ان الانسان ـ كما يقول ابن النفيس نفسه ـ كان منذ العصر الحجرى شغوفا بمعرفة ما فى احشاء الحيوانات فتناولها تشريحا وتمزيقا باسنانه واظافره وادواته البدائية القاطعة ، فعلم التشريح بدأ ببداية الانسان الاول ثم تطور وكانت هناك ارهاصات لمعرفة الدورة الدموية فى كتابات جالينوس وابن سينا ،ولكنها لم تتخذ شكلا واضحا صريحا الا فى ذهن ذلك العبقرى الجبار ابن النفيس الدمشقى(١٢١٠ـ ١٢٨٨ م) الذى نقد جالينوس وابن سينا فجلب على نفسه سخط المعجبين بهاتين الشخصيتين الطبيتين العظيمتين ، فانهال عليه النقد من كل جانب واهمله بعض من ارخ الاطباء والحكماء، وعلى راسهم ابن القفطى ، ولكنه مع ذلك اصبح ابن سينا الثانى بل وهناك اليوم من يفضله على ابن سينا نفسه لبراعة بحوثه المبتكرة الاصيلة وقد غدا فى زمانه شيخ اطباء مصر والطبيب الخاص للسلطان الظاهر بيبرس ، بطل الحروب الصليبية وقاهر المغول ، ·

وقد صنف هذا الامام فى الطب العديد من الكتب فى ميادين من المعرفة مختلفة ، ولم يكن الطب الا واحدا منها ، وتحتفظ مكتبة البودليان باكسفورد بسبع نسخ من مؤلفاته المخطوطة وعلى رأسها (الشامل فى الطب) ، (شرح تشريح القانون) لابن سينا ونقد (كتاب الفصول) لابقراط فى الطب ، وللكتابين الاولين اهمية بالغة لانه ، وصف فيهما الرئة والدورة الدموية وصفا علميا دقيقا ، فكان بذلك اول مكتشف للدورة الصغرى ، مما يعد اعظم ماقدمه العرب للعالم فى علم التشريح ، غير ان الاوربيين للأسف ينسبون هذا الاكتشاف الى مايكل سيرفيتوس الاسبانى الاصل الذى احرق حيا لتبشيره بنظرية ابن النفيس فى الدورة الدموية وامور اخرى عدت الحادا وذلك قبل مولد هارفى بربع قرن ، ما حمل بعض الباحثين المعاصرين على الاعتقاد بان هارفى اخذ فكرة الدورة الدموية منه ومن ريالدو · وينسون او يتناسون أن سيرفيتوس وريالدو تلقيا معلوماتهما عن الدورة الدموية من البيفو احد اساطين عصر النهضة الاوروبية فى الطب والذى امضى ثلاثين سنة فى سوريا باحثا عن المخطوطات الطبية العربية مترجما اياها الى اللاتينية فترجم فيما ترجم

---

(١) اكتشفها مالبيغى Malpghi عام ١٦٦١ أى بعد وفاة هارفى بأربع سنوات ولكن الجدير بالذكر ان ابن القف العربى المسلم توصل الى نفس النتائج من دون ميكروسكوب فى أيام ابن النفيس وكان معاصرا له (وقد توفى عام ١٢٨٦م) انظر عبقرية الحضارة العربية : أصل الرينيسانس باشراف وتحرير جون هين ·

(شرح تشريح القانون) لابن النفيس ،وفيه نظرية الدورة الدموية الصغرى مفصلة بشكل متقن عجيب .

ومن الغرابة بمكان ان كثيرا من اوصاف وتعابير « هارفي » متشابهة تشابها حرفيا مع اوصاف وتعابير ابن النفيس ، فهل يعقل ان يكون كل هذا من قبيل المصادفة المحضة بعد أن عثرنا على كل حلقات الاتصال صريحة واضحة ، وهي بكل بساطة على الوجه التالي : هارفي عن سرفيتوس وريالدو من البيغو عن ابن النفيس !

وقد درس هارفي ـ كما اسلفنا ـ بجامعة بادوا بايطاليا فليس ثمة ادنى شك في انه اتصل ببعض هذه الزمرة او اتباعها وقرأ المترجمات العربية منقولة الى اللاتينية ، وكانت الامانة العلمية تقتضيه أن يعترف بفضل ابن النفيس عليه ،ولو انه المع الماعة خاطفة الى كولومبو(٢) احد المقتبسين والمستفيدين من مؤلفاته ، غير ان المدافعين عن هارفي يقولون : «ان هارفي لايزعم انه اكتشف الدورة الدموية الصغرى ، وانما يكتفي بفخر اكتشاف الدورة الكبرى وانه فعل ذلك تجريبيا وعمليا ، لا منطقيا وعقليا كما فعل ابن النفيس » .

بالتجربة وليس بالمنطق

انني اشك في هذه المقولة لان الذي يقرأ المخطوط الذي بين يدي الان وهو (الشامل في الطب) والذي يرجع تاريخه الى سنة ٦٨٧ هجرية أي سنة وفاة ابن النفيس (واكبر الظن ان المخطوط بخطه وهو) يستشف أن الرجل قد قام بتشريح اكثر من جثة بشرية قبل الوصول الى هذه النتائج الدقيقة وما كانت لتعوزه الجثث ، فما اكثر ضحايا سيده السلطان بيبرس من المغول والصليبيين، وقد كان كفيلا بان يزوده بما يشاء من جثث لاغراضه العلمية وحتى لو لم ينسب هارفي فضل اكتشاف الدورة الصغرى الى نفسه فان مجرد اكتشافها قبله اوحى له بالمضي قدما الى اكتشاف الدورة برمتها ، وهناك ما هو أمر وادهى وهو ان عنوان كتاب هارفي نفسه يجد صدى عجيبا في الفاظ ابن النفيس في كتابه (الشامل في الطب) .

يقول الانكليز : « ان المحاكاة والتقليد اعظم صور الاعجاب » ولكن هذا لا يكفي حين يعتد هارفي بنفسه فيسمي الدورة الدموية بالدورة الهارفوية (٣) مما حملنا على ان نتصل بالمجلة الطبية البريطانية ونقترح عليها ابدال التسمية وجعلها (الدورة النفيسية الهارفوية) لان ذلك اقرب الى الواقع العلمي ، فنشرت المجلة الاقتراح مشكورة فعسى ان يؤخذ به بعد الآن في الكتب الطبية في العالم اجمع اعترافا بجهود ابن النفيس الفذ وان هذا كما قال احد الكتاب في المجلة المذكورة أجمل هدية عيد ميلاد يمكن تقديمها لهارفي في عيده المئوي الرابع لان هارفي كان يعشق الحقيقة بكل جوارحه ويبحث عنها في كل مكان .

ولم تكن مجلة الجرّاحين(لانسيت The Lancet باقل حماسا للغوض في موضوع ابن النفيس وهارفي وفتحه على مصراعيه ، فكلتا المجلتين العالميتين وقفت موقفا مشرفا في هذه المناسبة التاريخية العظيمة التي استطعنا فيها احياء ذكرى ابن النفيس الى جنب ذكرى هارفي الذي لا يمكن ان ينسى فضله على الطب الحديث وتجديد الثورة التي كان قد بداها ابن النفيس قبله باكثر من ثلاثة قرون حين انتقد آراء جالينوس وابن سينا كما ذكرنا وراح يكتب ويؤلف من صميم تجاربه دون ان يجنح الى استنساخ آراء الاقدمين فما أعظم الشبه بين ابن نفيس العرب وابن نفيس الانكليز ولا اقول هارفي العرب وهارفي الانكليز لان الفضل للمتقدم ! ■■

اكسفورد/د . صبيحة الدباغ

الحائزة على دبلوم الطب العالي
والماجستير من جامعة لندن

(٢) ص ٥٩ من كتاب « رسالة في التشريح »(النص الانكليزي) (٣) نفسه ، ص ١٨٤

كَبُرَ الصِّغار

شعر: ابراهيم أحمد الشنطي

■ كَبُرَ الصغارُ ، تفرقوا ومضَوْا على سَنَنِ الكبار
والدارُ بعدهم غدتْ كالليل ليسَ له نهار
وبدتْ كما لو أنها كهفٌ يجللُه الوقار
لا دميةٌ مطروحةٌ في الساح أو قربَ الجدار
أو طَوقُ شَعرٍ مهملٌ أو بعضُ قرطٍ أو سوار

* * *

كبُر الصغار وغادروا الدارَ التي كانتْ قرارْ
تؤويهمو طولَ النهار وفي المساءِ لهم دثار
لهفي عليهم ، كيفَ هُمْ ! ؟ شوقٌ يؤرقني ونار
تشوى ضلوعي كلمّا ذكروا ، وليسَ لي اصطبار
هم زينةُ الدنيا وروْنَقُها البهيُّ والافتخار
بسماتُهم زهرُ الرياض وهمسُهمْ أحلى حوار
وصراخُهم قيثارةٌ وشجارُهم نِعْمَ الشجار

* * *

كبرَ الصغار ولم تعدْ جيبي لأيديهمْ مزار !
ولكَمْ على كتفي بَكَوْا وَغَفَوْا على صدْرى مرارْ !
بعدوا وصار بريدُهم لقيا وأخباراً تُثار !

* * *

كبرَ الصغارُ تغَربوا فهل الحياةُ لهم يسار ! ؟
أم أنَّ دَرْبَهمُ عصيٌّ شائكٌ جم العثار ! ؟
أواه ما أقسى الحياةَ إذا خلا منها الصغار ! ■■



شاعر الشام

خليل مردم بك

■ « شاعر الشام » لقب ساحر ،كان يتنافس عليه قبل نحو اربعين عاما، اربعة من فحول الشعر في سورية وتطلقه الصحف والكتاب عليهم ، في المناسبات القومية والادبية والسياسية ٠ أما هؤلاء الشعراء ، فهم الاساتذة الكبار : خليل مردم بك ، خير الدين الزركلي ، شفيق جبري ، محمد البزم ٠ ولكل منهم مكانته الرفيعة ، وقدره الجليل ٠ مد الله في عمر استاذنا شفيق جبري ، ورحم الثلاثة الاخرين ، بقدر ما أحسنوا البلادهم ، وادب امتهم ٠

وسنقتصر كلامنا في هذا البحث على الاستاذ خليل مردم بك ، فهو شاعر شامي اصيل ، نتنشق في جميع اعماله عبير الشام ، وننعم بعطر غوطتها ، وهمسات برداها ، وشموخ قاسيونها ٠

بقلم : عبدالغني العطـري

خص خليل مردم بك الشـام بكل عبقريته في الشعر ، وكل نبوغه في النثر والبحث العلمـي • ان ديوانـه الكبير حافل بروائع القصيد جله عن دمشق ، الشام، عن بردها ، عن غوطتها وازهارها، عن جهادهـا وثورتهـا ، عن شهدائهـا ومواقفها الوطنيـة ، عن المستعمر الغـاصب ، الـذي دنس ارضها ، عن دمر والنيربين ، عن شمسها وقمرها ، ولياليها ، ومن سهلها وجبلها ، ومن بعض رجالها الراحلين •

واذا ما تركت الشعر ، ونظرت في النـــثر ، وجدت « شاعر الشام » الذي احب الشام ، حتى العشق والهيام ، احبها حتى قدسها ، وكـاد ان يعبدها بعد الله ــ وجدته يقدم يوم انتخابه عضوا في المجمع العلمي العربي ، وهو في الثلاثين من عمره ، دراسة وافية عن شواعر الشام في القرن الثالث للهجرة ، تحدث فيها عن اربعة من الشعراء وهم : العتـابي ، وديك الجـن ، وابو تمـام ، والبحتري • كذلك وضع كتابا شيقا ، صدر مؤخرا بعنوان : « الشعراء الشاميون » ، درس فيه حياة وشعر سبعة من الشعراء الشاميين المغمورين ، وقع اختياره عليهم ، وهم : عدي بن الرقاع ، الوليد ابن يزيد ، والطرماح بن عدي ، ابن حيوس ،ابن الخياط ، ابن عنين ، عبدالملك الحارثي ، وهؤلاء كان معظمهم من المنسيين ، ولـم تحـظ دواوينهم بالطبع ، ولا شعرهم بالدرس حتى العام ١٩٤٤ • ولم يكتف « شاعر الشام » بذلك بل قام بتحقيق دواوين ثلاثة منهم،هم على التوالي : ابن عنين ، ابن الخياط ، ابن حيوس •

عاطفته الشامية

ان الدافع الى ذلك ــ كما يقول الاستاذ عدنان مردم بك ، في تقديمه لكتاب والده « الشعراء الشاميون » ، عاطفته الشامية المتاصلة في حنايا ضلوعه ، « ذلك ان خليل مردم بك انسان شامي ، الى ابعد ما في هذه الكلمة من حـدود • اغرم بالشام بتاريخها وبتراجم اهلها وسيرهم ، وألم بكل شيء شامي ، حتى الجزئيات ، فكـان الشام لديه قصيدة مختارة من حر الشعر ــ ودمشق بيت القصيد » •

اراد « شاعر الشام » ان يقول شعرا ، فكان مصورا ، وكان مثالا ، تحس بصورة تكاد تنطق ، وتماثيله توشك ان تلمسها اليد ، وتراها العين• واذا كانت عدسة المصور المفتن ، تعجز عن نقل صور دقيقة للشمس ، والبحر ، والبرق ،والرقص والزنبق ، والغوطة ، وبردى ، والطفل،والفراشتين وغيرها ، فان شاعرنا المجلي ، لم يعجزه نقل مثل هذه الصور ، ولم يفته ان يسجل دقائقها وخفاياها، وما لا تكاد العين ان تراه من حركاتها ، الا بعد تامل طويل ، وامعان نظر ثاقب •

يصوغ الشعر ارتجالا

وجدير بنا ان نلاحظ ان شاعرنا الخليل ، لم يكن يقـول الشعر ارتجالا • ان كـل قصيـدة من قصائده ، بل كل بيت وكل شطر ، وكل لفظة ، تشهد وتنادي ، بان الشاعر قد صاغها ، وتعب في اختيار ارق لفظ ، واجمل معنى ، واحسن موضع لها • ان صوره تدل على انه عميق النظرة الى الاشياء ، شديد التامل لما يحيط به من زهر وعطر، ونهر وطير وربيع • ان الانسـان العـادي يمـر بهذه الاشياء ، فلا يرى فيها ما يراه الشاعر • وشاعرنا الخالد كان يرى في هذه الاشياء اكثر مما يراه اي شاعر • ولو امعنا النظر ، واطلنا التامل في صوره ، لراينا ان ابن الشاعر الاستاذ عدنان مردم بك ، لم يكن مغاليا حين قال عن والده:

واذا وصفت أتيت شيئا معجزا
في الخلق والابداع والاتقـان

صور تكاد بسحر ما صورته
لمشاهد تحكي بغير لسان

والصور الشعرية التي يطالعنا بها « شاعر الشام » صور حية ، لا نفسية . فقد صور البحر والنهر والغوطة ، والشمس ولم يصور نزعات النفس ، ولا خلجات الضمير . وقد سئل الشاعر عن ذلك فاجاب : « ان صوري الحسية رموز تعبر عن رؤى قلبي ، واحلام نفسي » .

البحر انسان شرس

قلت ان شاعر الشام ، اراد ان يقول شعرا فكان مصورا ، وكان مثالا . ودليلي على ذلك ديوانه الكبير ، الذي جاوزت صفحاته الاربعمئة ، ولا سيما ما كان منه وصفا خالصا للطبيعةوالفن. ففي هذا القسم يحار الناقد في اختيار الدليل على ما ذكرت ، اذ يجد في كل قصيدة صورا والواحا ، يصح ان تكون دليلا ، على ان الشاعر مصوربارع، ومثالي علوى النفخة . ولنلق نظرة تامل على وصفه للبحر حين يقول :

مع ما في صدره من سعة
شرس الخلق ، أخو حمق حرون
هل عراه طائف من جنة ؟
ليت شعري ، أم به مس جنون؟
بينما التيار يعلو جبلا
اذ به واد يهول المبصرين
أترى أمواجه أنفاسه
رددت بين شهيق وأنين
لم تكن الا كشعب ثائر
شنها حربا على المستعمرين
جحفلا يركب منها جحفلا
يتمادى كجنود زاحفين
نفخت في وجهه ريح الصبا
فعلاه مثل تغضين الجبين

ارايت كيف شبه البحر بانسان واسع الصدر ، ولكنه متناقض مع نفسه تناقضا غريبا ، لانه « شرس الخلق ، اخوحمق حرون ، فتياره يعلو ، حتى يحاكي الجبل ارتفاعا ، ولكنه يتحول فجاة الى واد يهول المبصرين » . وبعد ان يصور شاعرنا البحر ثائرا ، ينتقل الى وصفه هادئا ، ساكنا ، وديعا ، فيقول ان ريح الصبا نفخت في وجهه ، فبات ذلك الوجه ذا غضون ، مثل جبين ، جاوز صاحبه سن الشباب .

.. تصوير شاعر للطفل

واذا ما تركنا البحر هائجا او هادئا ، وانتقلنا الى قصيدة « الطفل » طالعتنا اروع صورة يمكن ان تسجلها ريشة رسام بارع . لنستمع الى « شاعر الشام » يقول في وصف الطفل :

هش لما طفلته (١) أمه
ودنا من وجهها بالراحتين
حار ما بينهما شوقهما
قبلة تجزيه عنهما قبلتين
واذا ما عبست في وجهه
عبثا ، أو دفعته باليدين
جمع الانف وضم الشفتين
وزوى اللحظ وبين الحاجبين
وجرت مع نفسيه غنة
ولوى الجيد وهز المنكبين
وبدا الغيظ ونو دافعه
والحيا في وجهه ممتزجين

ترى لو اراد رسام او مثال ، مهما سما فنه ، وعلا كعبه في الرسم والنحت ـ ان يصور هذه الانفعالات ، التي تبدو على وجه الطفل في لحظات الانشراح ، وفترات الغضب ، اتراه يستطيع ؟ . انا اجزم بان صورة هذا الطفل بعد ان عبست بوجهه امه ـ دعابة له ولهوا ـ ثم دفعته بعيدا بيديها ـ فجمع انفه ، وضم شفتيه ، وزوى لحظه وحاجبيه ، ثم شهق شهقات صغيرة ، لها غنة خاصة ، ولوى عنقه ، وهز كتفيه ... انا اجزم بان اخراج هذه الصورة الكاملة ، في قالبها الشعري ، يعجز كل رسام او مثال عن اخراجها رسما على الورق ، او نحتا على الحجر . بل يعجز اى كاتب أو شاعر عن محاكاتها . ان الصورة كما نرى ، مفرطة الدقة ، بالغة الروعة ، تثبت لنا ان عدسة الشاعر لا تدانيها عدسة مصور او شاعر آخر .

التنديد بالرقص في قصيدة شعرية

واذا طاب لنا ان ننتقل الى لون آخر من الوان

---

(١) طفلته : داعبته ورفقت به .

الوصف عند خليل مردم بك ـ والوصف الرائع كما نلاحظ ابرز ميزات شعره ـ ، طالعتنا تحفته الرائعة « الرقص » ففي هذه القصيدة صورة كاملة لحفلة راقصة شهدها الشاعر ، لم يكن عنها راضيا ، لان الرقص لهو ولعب ، وكل صعب يهون فيه ، وعسير الامر فيه كاليسير • بدأ الشاعر قصيدته فقال :

نفخ الصور فهبوا مسرعين
مثل ما نفرت طيرا بالصفير
وعلى الصهباء كانوا عاكفين
من رأى سرب مها حول غدير ؟

ولما انتهى من وصف قيام الراقصين والراقصات الى الحلبة ، انثنى الى الفتاة الراقصة ، فوصف فتنة مقلتيها واعتدال قدها ، وجيدها التليع ، وتسريحة شعرها ، ووصف بعد ذلك ثوبها ، الذى يستر من جسدها بقدر ما يفضح ••• ثم وصف الفتى الراقص ، فاشاد بحسنه ، وغمز من تخنثه ، حتى كاد لا يميزه من النساء ، لولا ثيابه ! •

ويابى شاعر الشام ان يختم قصيدته ، قبل ان يندد بالرقص ، ويتهكم برياضة الرقص ، التى تسهل كل صعب وتنقل الامر من هزل الى جد •

ولو اردنا ان نقف عند كل قصيدة وصفية رائعة من قصائد الخليل ، لطال بنا الوقوف ، وضاق المجال • على انه لابد من الاشارة الى ان قصائد البرق ، والشمس ، والزنبق ، والفراشتين ، والورقاء ، وسكران وسكرى ، وبردى ، والغوطة ، ودمشق ، تمتاز عن غيرها ، بصورة بالغة الحسن ، ومعان تكاد تكون جديدة مبتكرة • ولا غنية لنا من اشارة قصيرة الى قصيدة « بردى » التى وصف بها نهر دمشق ، فصوره ، واضفى على صورته هذه الوانا موفورة الجمال ، بالغة الحسن ، حتى اكاد اجزم بان هذا النهر ، لم يوصف ولم يصور من قبل ، كما وصفه وصوره خليم مردم بك •

غوطة دمشق

بقى ان نقف وقفة اخيرة عند غوطة دمشق ••• هذه الغوطة التى احبها استاذنا الشاعر ، حبا ملك عليه نفسه • وكانت احب ساعة اليه ، تلك التى يستطيع ان يذهب فيها ، الى الغوطة ، ويمتع ناظره ، بازهارها المفتحة ، واطيارها المغردة وجداولها المصفقة ، واشجارها المتعانقة ، فيجول بخطوات وئيدة هناك ، يستلهم ابكار المعانى ، وصور الجمال ، ويروى ظماه من الطبيعة الضاحكة المغردة •

وصف شاعرنا الخليل غوطة دمشق بقصيدة بلغت ابياتها اثنين واربعين بيتا • وهى وان كانت موجزة بعض الشيء ، ولكنها تعتبر طرفة خالدة فى صورها وتشابيهها • قال بلل الله ثراه فى مطلعها :

كم فى أزاهير الرياض لناظر
من مقلة وسنى وخد ناضر
ماست أماليد الغصون بوشيها
معطارة وازينت بجواهر
لله ما صنعت وما جاءت به
فى الغوطتين يد الربيع الباكر
بسطت وثير قطيفة فوق الثرى
خضراء فيها كل لون زاهر
من أحمر قان ، وأصفر فاقع
أو أزرق زاه ، وأبيض ساحر
وكست وحلت سمحة أشجارها
فجلت عرائسها بوشى فاخر
معقودة الاكليل ، زهراء الحلى
خفاقة الاقراط ، ذات أساور
أرخت من الظل الظليل غصونها
طررا وأذيالا وفضل مآزر

ويمضى شاعر الشام بعد ذلك فى وصفه فيحلق ويحلق حتى يقف الى جانب البحترى ، ويضاهى ابن الرومى فى وصفهما ، وما هو فى نظر الناقد المنصف ، باقل منهما شانا ، ولا بادنى منهما كعبا، ولعل اجمل تشابيهه ، وابلغ صوره ، ما قاله فى الطبيعة ووصف دمشق ومعالمها ، من نهر وجبل وواد • ومن خلال هذا الشعر ، نستطيع ان نعلن ان شاعرنا كان شاميا متعصبا لشاميته وعروبته ، فقد زار كثيرا من بلدان اوروبا ، واقام فى بعضها سنوات ، فلم يهزه جمالها ، ولم يثر قريحته ، ولم يلهمه شيئا يقوله •

★ ★ ★

من اجل هذا نقول ان الفجيعة كانت جليلة بشاعرنا العظيم يوم فقدناه ، فى الحادى والعشرين من تموز ١٩٥٩ وستظل كبيرة وفادحة ، الى ان ينهض من دمشق شاعر يملأ مكانه ، ويسد الفراغ الذى تركه • ■■

عبد الغنى العطرى



مهاجر دائم من افريقيا الى بريطانيا

أسرار طائر الوقواق

■ يقوم هذا الطائر الموهوب بمافطر عليه من مهارة فائقة بوضع بيضه بطريقة فريدة فى اماكن تواجده ببريطانيا • وعندما تسمع صوت الوقواق الناعم فى فصل الربيع فانك لاتستمع فقط الى رسول الصيف الرومانسي وانما ايضا الى واحد من اكثر المخلوقات غير العادية فى العالم، الى طائر ذكى وصل ذروة التطور والنضج •

ويهاجر الوقواق من افريقيا فى اعقاب انتهاء فصل الشتاء فى طريقه الى بريطانيا • ويكون هدفه الوحيد بعد الوصول الذى يتم فى الاسبوع الثاني والاسبوع الثالث من شهر ابريل هو التزاوج ومن ثم تضع الانثى حوالي اثنتى عشرة بيضة تصبح فيما بعد فراخا • وهذا العدد من الصغار يفوق كثيرا طاقة الانثى على تغذيتها بنفسها • وللتغلب على هذه المشكلة تلجأ الى اسلوب التضليل والخداع وذلك عن طريق وضع بيضها فى اعشاش غيرها من الطيور وبخاصة الاصغر حجما • ولتنفيذ هذه العملية توظف عددا من قدراتها المذهلة بما فى ذلك محاكاة بيض الطيور الاخرى • وبامكان الوقواق ان يضع بيضا ملونا ليتسجم مع بيض غيره من الطيور التي تم اختيار اعشاشها مكانا لبيضه • ومن هذه الطيور «العزيزاء» وهو طائر يشبه القبرة ويضع بيضا رمادى اللون فى عش يقع فى ارض خضرة •

ذاكرة لا تصدق

والامر الاكثر غرابة من ذلك كله هو قوة الذاكرة التى لا تصدق لدى طائر الوقواق • وتقوم الانثى فى بحثها عن اعشاش لتضع بيضها فيها فى المستقبل بمراقبة اعشاش الطيور الاخرى من اماكن مرتفعة



على اشجار مجاورة او من على الصخور الموجودة في المستنقعات او سفوح الجبال ، وتحلق فوق المنطقة عدة مرات لتحفظ عن ظهر قلب موقع وحالة هدفها المختار •

وتميل انثى الوقواق في العادة الى وضع بيضها بعد البيضة الاولى لانثى الطير التي اختارت عشها لتضع البيض فيه ، والا فان الام الحاضنة (البديلة) تقذف بيض الوقواق بعيدا او تهجر العش قبل ان تحضن البيض تمهيدا لتفقسه ، غير ان بامكان أنثى الوقواق وضع بيضة واحدة فقط كل يومين•ولتخزين بيضها في اكثر الاعشاش ملاءمة وفي اللحظة المناسبة عليهاأنتمسح بعينيها الاعشاش المنتشرة فوق منطقة تبلغ مساحتها حوالي ثلاثة اميال مربعة •

ومع أن طائر الوقواق الكبير الماكر يبلغطوله من منقاره الى ذنبه حوالي ثلاث عشرة بوصة الا أنه لا يوجد له عش خاص به وهو غالبا ما يتخفى من الاشخاص الفضوليين الذين لا هم سوى مراقبة الطيور •

وعلى اية حال فقد قام عالم الطيور والمصور ايان وايلي من كامبريدج شاير خلال صيف عام ١٩٧٤ بملاحظة طائر الوقواق عن كثب وسجل الملاحظات التالية : فور مغادرة الطائر المختار عشه للحصول على غذائه قامت أنثى الوقواق بزيارتها الموقوتة المتسمة بالدهاء الى ذلك العش حيث التقطت بمنقارها احدى بيضات هذا الطائر واكلتها ثم وضعت بيضتها الملونة فيمكانها وعادت ادراجها تاركة الام الحاضنة مع عدد البيض نفسه الذي كان موجودا قبل مغادرتها العش • ولم تستغرق هذه المهمة البارعة من أنثى الوقواق سوى احدى عشرة ثانية فقط !

وتقوم نصف انواع طيور الوقواق الموجودة في العالم وعددها مائة وسبعة وعشرون نوعا بدس بيضها في أعشاش غيرها من الطيور •وطورتعدة أنواع من طيور الوقواق عملية التطفل هذه بصورة أفضل بكثير من الطائر العادي المعروف باسم « ككولاس كنوراس » الذي يعيش في جميع أنحاء أوروبا وفي معظم أفريقيا وآسيا • ولانه الطائر الوحيد من نوعه في بريطانيا فقد عرف عنه انه يستخدم خمسين نوعا على الاقلمن الطيور الاخرى• ولكنه يفضل بوجه خاص طيور البردي او السمادي والنعرة وهي طائر صغير ذو ذنب طويل جدا يرفعه ويخفضه على نحو انتفاضي (وكانه مذعور) وأبو الحناء وهو طائر صغير صدره أحمر ضارب الى الصفرة •

في مرحلة الغزل

ويعتقد بان ذكر الوقواق فقط يصدر الصوت الشجي (كوكو) في حين أن أنثاه تطلق صوتا موسيقيا عاليا كالبقبقة الناجمة عن خروج الماءمن زجاجة ضيقة الفتحة • ويصدر الذكر والانثى معا أصواتا أثناء الطيران مثل هوهو و هاها •

وخلال مرحلة المغازلة التي غالبا ما تتم على





الارض يصفق الذكر بجناحيه ويقوم بحركة التفاف لطيفة حول الانثى ، ويكون ذنبه الجميل الرمادي ذو البقع البيضاء منتصبا الى اعلى واجنحته الزرقاء الرمادية منخفضة الى أسفل • وتتولى الانثى المسؤولية التامة في اختيار الاعشاش التى ستضع البيض فيها • وتقوم بطرد اناث طيور الوقواق الاخرى اذا ابدت اية محاولة لمزاحمتها على اعشاش الامهات الحاضنات • وغالبا ما تكون هذه الاعشاش في ارض خضرة • ولكي تقوم بحيلتها البارعة في وضع بيضها في عش الام البديلة في أسرع وقت ممكن وفي اللحظة المناسبة تبدأ عملية استكشاف مسبقة لذلك العش فاذا وجدت ان المزارع قد دمره فانها تتحول الى اقرب عش بديل• واحيانا يهاجم الوقواق الشحرور وهو طائر اسود حسن الصوت والقبرة ويطردهما من اعشاشهما •

وفي احدى المرات ، قامت انثى الوقواق بالتحليق فوق عش لطائر « الذعرة » يقع وسط نبات ذى زهر عنقودى فى احد البيوت الريفية فى « هامشاير » الا انها لم تتمكن من النزول عليه بسبب اشخاص كانوا يلعبون التنس فى مكان مجاور • ولشدة احتياجها وذعرها دخلت من شباك المنزل المفتوح وحطت على كتف ابنة صاحب هذا البيت ووضعت بيضتها هناك لانها لم تتمكن من ان تحبس البيضة وقتا اطول • وبعد ذلك جثمت على رأس الفتاة لبضع دقائق ثم طارت بعيدا لتعود بعد اسبوع وتضع بيضة اخرى في عش «الذعرة» وتفقس صغار الوقواق عادة بعد اثنين وثلاثين يوما من وضع البيض (وقبل ان تفقس صغار الام الحاضنة نفسها) •وبعد ساعات من الفقس تبدأ فراخ الوقواق بالرغم من انها ما زالت عمياء وخالية من الريش وضعيفة ، عملية التخلص من بيض الام الحاضنة عن طريق دحرجته بارجلها باتجاه حافة العش حتى تتمكن في النهاية من قذفه خارج العش الذى تستأثر به لوحدها • ولا تقوم الام الحاضنة باية حركة لوقف هذه العملية بل تبقى بعيدة عن العش لتسهيل عملية الاستبدال • وبعد ذلك تلتهم الام الفرخ الشاذ غير السوى في حين تكون صغارها تصارع الموت على الارض أسفل العش • وتفغر صغار الوقواق افواهها الضخمة الحمراء وتبدأ في اطلاق اصوات عن حاجتها الى الغذاء•

وفي ضوء هذا الالحاح المستمر تقوم الام الحاضنة باطعام هذه الصغار التى لكل منها معدة لاتشبع• وحتى الطيور الصغيرة الاخرى التى تكون فى طريقها الى اعشاشها تسقط الحشرات التى تحملها في مناقيرها في افواه فراخ الوقواق المفتوحة باستمرار طمعا في الحصول على مزيد من الطعام •

في مرحلة الاستقلال التام

وينبت ريش فرخ الوقواق بعد اربعة ايام من الفقس ، وبالتدريج يمتلىء التجويف في اسفل جسمه ، ويكون قادرا على التحرك بسهولة داخل العش في حين يبقى جناحاه ملتصقين على جانبي جسمه •وبعد ثلاثة اسابيع يبدأ عملية التحليق الاولى ، وعلى الفور وكسائر الطيور وبحكم الغريزة يجثم فوق العش بصورة خطرة وتتولى الام البديلة اطعامه خلال هذه المرحلة • وبعد ستة اسابيع فقط يصل الوقواق مرحلة الاستقلال التام ويصبح ريشه بني اللون ومخططا كفرخ « الباشق » وهو طائر من الجوارح •

وفي اول فصل شتاء يصادفه في افريقيا يكون نموه قد اكتمل تماما وريشه اصبح رماديا مع بقع بيضاء•وفي غضون ذلك يكون ابوه وامه الحقيقيان اللذان لم يبديا اى اهتمام به بعد وضع البيض في رحلة الهجرة جنوبا في شهر يوليو او اوائل اغسطس • ويبقى طائر الوقواق حديث السن في بريطانيا لمدة ثلاثة اشهر اخرى حتى يشتد عوده تماما •وعندما تهب اول نسمة برد في الجو يبدأ بالهجرة وحده جنوبا مخترقا اوروبا والبحر الابيض المتوسط مستخدما في ذلك غريزته الطبيعية الملاحية المذهلة •

وعلى مدى قرون عديدة كان طائر الوقواق مثار جدل رئيسي • ففي العصور الوسطى اعتقد الناس بان الوقواق لايهاجر ولكنه يتحول الى طير « الباشق» في اعقاب فصل الصيف•وفي «ساسكس» يروى ان امرأة عجوزا سريعة الغضب كانت تحتفظ بطيور الوقواق ثم تطلق سراحها في فصل الربيع تبعا لحالتها النفسية •

وكان احد العلماء الهواة المتخصصين في دراسة

الطيور ويمضي ادغار تشانس من بين العلماء الاوائل الذين اجروا بحثا علميا منتظمـا عـن الوقواق في العشرينات من هذ القرن • فقد بني مخبا في منزله توارى فيـه عن الانظـار كسنوات عديدة حيث قام بدراسة مستفيضة عن طائـر الوقواق • واكد من خلال مراقبته لهذه الطيـور بانها تعود كل سنة الى المنطقة ذاتها التـى رات النور فيها لاول مرة وان امهاتها تسبقها اليها• واعتقد تشانس بانها تضع بيضها فـى اعشاش الطيور ذاتها التي اشرنا اليها من قبل• وقال انه على مدى الآف السنين تطورت انـواع طيـور الوقواق •ولاحظ ان الانثى لاتضع اكثر من بيضة واحدة كل يومين ويتم ذلك بعد الظهر في عش كانت قد قررت مسبقا ان يكون المكان المطلوب • واضاف انه شاهد الانثى وهي تحمل البيضـة في منقارها مما عزز النظرية القائلة ان طيـور الوقواق تحمل بيضها الذى توشك ان تضعه فـى العش المختار •

خدعة ماكرة

وقـال تشانـث الـذى الـف كتـابا بعنـوان « اسـرار الوقـواق » والـذى احـدث ضجـة كبيرة في صفوف علماء الطيور ، قال انه شاهد انثى هذا الطائر تجثم علـى العش • ويستطيع الوقواق ان يجثم في عش صغير له قبة كاعشاش الطيور الصغيرة جدا وذلك عن طريق التشبث باعلى العش بواسطة اصابعه (اثنان في المؤخرة وآخران في المقدمة) وتقوم انثاه باسقاط البيضة ذات الغلاف السميك في مدخل العش •

ويعتقد تشانس بان ذكر الوقواق يقوم بصرف انتباه الاب او الام الحاضنة بينمـا تكون انثـاه منهمكة في وضع البيضة في العش • وقال انـه لاحظ في احدى المرات زوجا من طائر المزيزاء يبرزان من عشهما لمقاومة انثى الوقواق التي كانت تحاول التدخل في شؤونهما الداخلية • وبهدوء قامت الانثى بمناورة ماكرة لايهام المزيزاء بانها ستهجر المكان في حين انها اختبات في منطقة قريبة جدا بانتظار خروج المزيزاء من العش للحصول على الطعام • ومن ثم وبسرعة خاطفة قامت بوضع بيضتها في العش ثم عادت ادراجها من حيث اتت• واضاف انه ذهب بعد ذلك الى العش ليجد بيضتها التي كانت ماتزال حارة بجانب اربع بيضات خاصة بالمزيزاء •

وفي الحقيقة فان طائر الوقواق من اذكـى الطيور وهو يقدم خدمات نافعة ضخمة للبشر عن طريق قتل الكثير من الحشرات الضارة فضلا عن التغذى على يرقانة الفراشة التي لاتاكلها الطيور الاخرى • ■ ■

ترجمة : سمير جيوسي •

■ التقدير يشبه بوليصة تأمين ، فهو واجب التجديد الآن وفي وقت لاحق •

ديف ماكلنتاير

■ المآسي الحقيقية في العالم ليست بسبب النزاع بين حـق وباطل ولكن بسبب حقين •

جورج هيجل

■ نستطيع أن نتجنب الريح والعاصفـة ولكن لا نستطيع تحاشي شيطان السرعة •

جون باروفس

بماذا يعبر النائم في طريقة نومه التي نشأ عليها ؟

● هناك كتاب صدر من عهد قريب للعالم النفساني الشهير (الدكتور صموئيل دنكل) في اميركا باسم (لغة جسم الانسان في النوم)ولاقى رواجا هائلا ، فقامت احدى الكاتبات باقتباس بعض الحالات التي تطرق اليها الكتاب لمجلة (زن روز)

ونحن هنا نترجم بعض المقال ببعض التصرف معرضين عن طريقة نوم الازواج وما شابه ٠

ومن هذا الكتاب الذي بنى آراءه في طريقة النوم على الدراسة والاحصاء متمثلا بالنساء ، اخترنا ثماني حالات منها ، وهي الحالات الاكثر شيوعا في نوم الجميع نساء ورجالا ٠

تقول الكاتبة انه جاء في امثال شروب الحيرة ان سؤالا وجه الى رجل طويل اللحية : اذا أردت أن تنام في فراشك ، فكيف يكون شأنك مع لحيتك ؟ اتجعلها تحت اللحاف ؟ ام تدعها خارج اللحاف ؟

ولم يكن هذا الرجل قد فكر قبل هذا في شيء يخص موضع لحيته عندالنوم ، وما اذا كان الافضل ان تكون اللحية خارج اللحاف ام تحت اللحاف ؟ ولكنه منذ ان طرح عليه هذا السؤال بدأ يفكر كل ليلة عندما يستلقي على سريره فيما ينبغي ان يكون عليه موضع اللحية من اللحاف عند النوم ، وظل هذا التفكير ديدنه طول العمر !!

ونحن لا نريد من الرجل او السيدة انيغيرا طريقةنومهما ، ذلك لانه بتغيير طريقة النوم لن تتغير طبيعة النائم ، وانما المقصود هو ايضاح ما تعني الطريقة التي نشأ عليها النائم منذ ان نام لاول مرة وهو طفل حتى الان . اما تغيير هذه الطريقة الان فلافائدة منهكما يقول علم النفس،لان هذا التغيير لن يكون طبيعيا،وعلى النائم أن لا يكون كصاحب اللحية الطويلة الذي ظل يساوره القلق ، وظل يفكر كل ليلة في الطريقة الفضلى للحيته؟ اذ ليس هناك من طريقة افضل من الاخرى كما يقول علم النفس، فالانطباعة الحاصلة من كيفية نوم النائم حسب نشأته لن تتغير اذا تغيرت طريقة نومه التي شب عليها كما ارادت له الطبيعة ان يشب ، وليس كما يريد هو الان ٠

أما هذه الطرق الثماني التي اخترناها فان مفاهيمها كما يقول هذا العالم النفساني في كتابه تتلخص فيما يلي :



١ ـ طريقة نوم الجنين

وهذه الطريقة عبارة عن جمع الرجلين وتقريب الركبتين للبطن ، وجمع اليدين وتقريبهما للرأس، او تطويق الركبتين باليدين ، او احتضان الغطاء ، او اية طريقة تشبه وضع الجنين في الرحم •

فاذا كانت هذه هي طريقة نوم النائم فيتبغي الاستنتاج بان نوما كهذا يدل على ان مزاج النائم غير راكد ، وانه لا يجرؤ على مواجهة اعباء الحياة ، وانه غير قادر على انجاز متطلبات حياته من غير الاتكال على الاخرين ، وانه شخص غير اجتماعي بمعنى انه يريد الالتجاء دائما الى من ذي نفوذ نسبي من آل بيته او الاخرين لينفذ له مطالبيه ، ويهيىء له حاجاته •



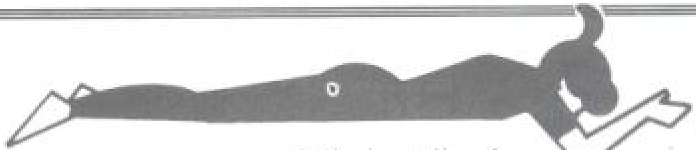
٢ ـ طريقة الشطيرة (السندويتش)

وهي طريقة اطباق الرجل على الرجل واليد على اليد في النوم اطباقا يشبه الشطيرة وهي حالة تدل على الراحة النفسية ، والاطمئنان بوجه عام ، والنائم او النائمة على هذه الصورة في نشاتها التي عودتها الطبيعة عليها ، تميل في عملها الى ان تجعل الامور متوازنة متطابقة مقبولة، ويسعى هذا المعتاد ـ على هذه النومة منذ نشاته ـ الى الابتعاد عن المشكلات ، كما يسعى الى تنظيم حياته ، وكسب محبة الناس ، ونشدان راحة البال عن طريق الصفاء ، والمحبة ، والسلامة •



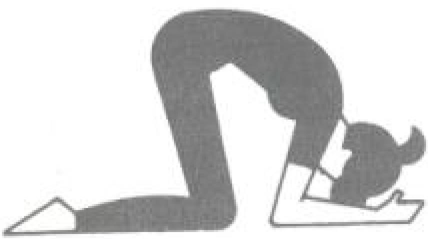
٣ ـ طريقة الاستراحة الكاملة

وهي طريقة التمدد ، وجعل اليدين تحت الرأس بحيث يتكىء الرأس على الكفين • وتكون الساق على امتدادها فوق الساق الاخرى ، وهي هيئة تدل على ان هذه النائمة ذات احساس منطقي ، تحس به وتعرف وضع الشيء في محله ، وان كل شيء يتجاوز حدود المنطق والواقع غير مقبول عندها ، وهي أبعد ما تكون عن الاوهام والظنون ، وكذلك العواطف غير المنطقية ، وفي مفهومها ان الحياة عقل ومنطق ، وما لا يؤمن به العقل لا ينبغي ان يكون له وجود في الحياة العملية •



٤ ـ النوم على البطن

صاحب هذه النشأة ، او صاحبة هذه النشأة في النوم ـ وهو النوم على البطن • تحب السيطرة والتصرف في الامور ، والبروز بين الناس ، وفرض سيطرتها على الاخرين ، لذلك فان مثل هذه الشخصية تريد ان تعيش بين المجتمع ، ولا تطيق الابتعاد عن الناس بوجه عام ، وتسعى لان يكون لها شان في الحياة ، وان لها جلدا وقابلية تستطيع بها ان تواجه الشدائد ، ولكنها لا تخلو من الغضب والعصبية ، وعدم السماح للمخطئين ، وهي دقيقة في اعمالها ، كثيرة المحافظة على المواعيد ، وتعتبر حياتها حياة منتظمة ، ورفيهة » على رغم كونها سريعة الغضب ، شديدة التأثر •



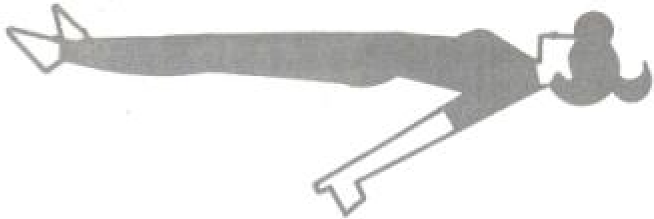
٥ ـ النوم بطريقة السجود

هذه الحالة من النوم كثيرا ما توافق الاطفال ، وهي حالة اشبه ما تكون بالسجود في الصلاة ، ومع ذلك فان الكثير من الكبار تظل ترافقهم منذ الصغر وتصبح جزءا من حياتهم ، وقد دلت الدراسة على ان اصحاب هذه الحالة في النوم هم من الذين يعانون شيئا من المتاعب الروحية او الجسمية في حياتهم ، وهم في مثل حالتهم هذه في النوم كانهم يتحفزون للقيام والقفز ، هربا مما يمكن ان يداهمهم او يلاقيهم من المكاره ، وهؤلاء معروفون بضعف الاعصاب ، وعدم التحمل ، واضطراب النفس ، وهم ممن لا ترتاح النفوس اليهم •



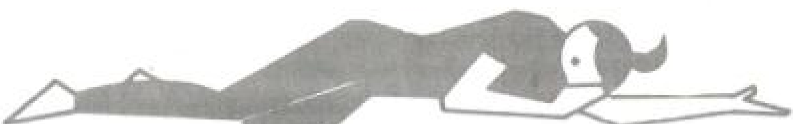
٦ ـ النوم فيما يشبه الصليب الناقص

وهذه الطريقة في النوم من اكثر طرق النوم راحة ، وهي طريقة يوصي بها اطباء العظام المرضى الذين يشكون من زلة الفقرات ووجع الظهر ، لان مثل هذه الطريقة تضمن للنائم استراحة الجسم الكاملة والعجيب أن الذين ينامون على هذه الطريقة قلما يدركون مفاهيمها في اليقظة ، وبعبارة أخرى أنهم لا يجدون الراحة النفسية في حياتهم العملية كما يجدون راحة اجسامهم في النوم ، ومن هذا يتضح ان العامل الاكبر في الانسان هو الجبلة ، والروح ، والميول التي تتولى تسييره ، وليست الطرق التي يعنيها أرباب التخصص ، والاطباء •



٧ ـ الطريقة الملكية

وهي النوم على القفا وانفتاح اليدين من الجانبين ، والذين ينامون بمثل هذه الطريقة يتخيلون انفسهم كما لو كانوا اعاظم وملوكا، وان لهم بين الناس المقام المرموق ، ويستطيع الذين يتتبعون سيرتهم في حياتهم ان يروا كل هذا واضحا في سيرتهم ، وطريقة سلوكهم مع الناس ، ومع انفسهم ، والواقع انهم لكذلك فهم محل احترام الاخرين ، وان لهم من القدرة ما يستطيعون به ان يذللوا الصعب ، ولهم من الاستعداد ما يمكنهم ان يقضوا حاجات الناس على قدر الاستطاعة كما انهم لا يبخلون بالتضحية بكل شيء ـ على قدر الامكان كذلك ـ للاخرين •



٨ ـ الطريقة نصف الجنينية

هذه النومة اكثر شيوعا على ما يدل الاحصاء ،وهي النوم على جانب واحد وفتح الركبتين نصف فتحة ووضع احدى اليدين تحت الراس ، وترك اليد الاخرى حرة وممتدة ، وهذه الطريقة ، تضمن راحة الجسم دون ان تسد طريق التنفس فيصل (الاوكسجين) الى الرئة بقدر الحاجة الطبيعية المطلوبة • وهي احسن طريقة صحية للنوم ، ويقول الاحصاء ان اغلب الذين يستعملون اليد اليسرى في العمل هم الذين ينامون على اليد اليسرى ، وبعكسهم الذين يستعملون اليد اليمنى ، فاذا كان الرجل او المراة ينامان على هذه الطريقة فان الدراسة تقول ان للنائم على هذه الطريقة القدرة على التكيف لمختلف ظروف الحياة ، وان موهبة العقل، وحسن التصرف متساويان عنده ، وانه يتقبل ما تاتي به الحياة من المشكلات بكل سهولة ، ويعالجها ويتغلب عليها ومن الصعب ان ينهزم امام الكوارث، كما ان من الصعب ان يفشل في كفاحه •

★ ★ ★

ولقد اشرنا الى ان هناك حالات تتعلق بنوم الازواج في سرير واحد ، صرفنا النظر عن ايرادها هنا على الرغم من اننا لم نر ادنى باس في ايرادها •

ولا حاجة لان نذكر القارىء بان هذه العروض ليست من قبيل القياس والتكهن ، والتخيل ، وانما هي نتيجة دراسات وبحوث بنيت على الاحصاء الذي اجراه هذا العالم النفساني صاحب هذا الكتاب ، ومع ذلك فلكل شيء شواذ ، اذا وجد هناك ما لم يخضع لهذه الدراسة خضوعا كاملا او ناقصا • ■■

بغداد ـ **جعفر الخليلي**



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الأسئلة نخبة من الأطباء

دودة المدينة

● أنا شاب أصبت بساقي اليمنى فذهبت للطبيب الذى قام بعمل أشعة للساق لم يظهر بها كسور ، ولكن ظهر بها خيط رفيع أبيض اللون ملتف حول نفسه تحت الجلد ، فاخبرني طبيبي بأن هذه هي دودة المدينة ميتة ومتكلسة • ولا خوف من وجودها •

فهل لى أن أعرف ما هذه الدودة ؟ وكيف أصبت بها ؟؟

ـ ان هذه الديدان طفيليات دقيقة ، يصاب بها الانسان ، وقد تصيب بعض الحيوانات كالكلاب ، والخيل ، والماشية ، وهي مستوطنة ومنتشرة في كثير من بلاد العالم كالهند وايران وافغانستان واندونيسيا وغينيا وبعض الاقطار العربية منها السودان واليمن والسعودية حيث تكثر الابار المكشوفة والبرك والمستنقعات •

يبلغ طول الذكر منها ٤سم• تقريبا • أما الانثى فهي أطول من ذلك بكثير وقد تصل الى المتر طولا •

ويصاب الانسان بهذه الدودة من طريق شربه الماء الملوث بيرقاتها الموجودة في حشرات صغيرة نسميها براغيث الماء • Copepods CycloPe فتدخل الى جهازه الهضمي ثم تخرج من الامعاء الى أنسجة الجسم وتاخذ طريقها في معظم الاحيان الى الساقين وتستغرق هذه الرحلة من ٨ ـ ١٢ شهرا • وعادة لا يراجع المصاب الطبيب طول هذه الفترة لعدم شعوره باية اعراض وقد تموت الدودة وتتكلس ولا تعطي الا بعض الالام العضلية او المفصلية وتكتشف صدفة بالاشعة كما حصل مع الاخ السائل •

وغالبا ما تستقر الدودة بالساقين وتحت الجلد ، فتظهر بقعة حمراء سرعان ما تنتفخ وتشكل دملا وعند ملامسته للماء ينفجر وتقوم الدودة بافراز العديد من يرقاتها تبتلعها براغيث الماء وتصبح مصدرا للعدوى •

وعند ظهور الدمل يحس الانسان بحكة قد تكون بسيطة وقد تكون من الشدة والانتشار بحيث تعطي أعراض الصدمة فيشعر الانسان بالدوخة ، والغثيان والقيء والاسهال وضيق التنفس •

ويعتقد بان ذلك ناجم من افراز بعض السموم في هذه المرحلة • وقد يلتهب الدمل ويتقيح ويشكل خراجا نتيجة لتلوثه بالميكروبات ويصبح مزمنا صعب العلاج ويتركه المريض في حالة يؤس وشقاء• وتشخيص الحالة لا يتم الا عند ظهور الدمامل والقرح التى بها الديدان •

اما علاج هذه الحالة فقد اكتشفت بعض العقاقير مؤخرا كالهترزان Hetrazan وبا ، ٣٢٦٤٤ Ba 32644 •واعطت نتائج مرضية •

غير ان الطرق القديمة مازالت مستعملة حتى الآن • كان يحقن مكان الدمل بمواد قاتلة للدودة كالفينوثيازين Pheno-thiazine • او ان تربط بخيط من الحرير عند ظهورها ويثبت الخيط على عود من الخشب (كعود الثقاب) ويقام يوميا بلفه بحذر شديد قليلا قليلا ،حتى تستخرج بالكامل • وتستغرق هذه العملية من ١٠ ـ١٢ يوما • فان تصادف وقطعت من قوة الشد • فانها تفرز مواد سامة تؤثر على الانسجة المجاورة فتحمر وتلتهب •

والوقاية من هذه الحالة تتم

عن طريق عدم شرب الماء الملوث. من الابار وخاصة المكشوفة منها او البرك والمستنقعات الا بعد غليه وتعقيمه والقضاء على براغيث الماء (CopePods) بوضع المواد الكيمائية القاتلة لها . ومنع المريض من النزول الى الماء لتفادى تلوثه .

زيادة هرمون الغدة الدرقية . وفى بعض الاورام التى تصيب الغدة الفوقكلوية . او بما يسمى باعراض مرض كوشنج وفى بعض حالات البول السكرى.

ارتفاع ضغط الدم

● ذهبت الى الطبيب أشكو صداعا مزمنا فقام بقياس ضغط دمى فوجده مرتفعا بعض الشيء . فطلب منى عمل فحوصات متعددة قبل صرف العلاج .. استغربت الامر... فما السبب يا ترى ؟

ـ لا شك ان استغرابك هذا سيزول يا عزيزى القارى عندما تعلم بان ارتفاع ضغط الدم له اسباب عدة ولا يمكن للطبيب صرف العلاج قبل ان يتوصل لتشخيص حقيقى لهذا الارتفاع .

فالمعروف علميا ان ضغط الدم يمكن أن ينجم عن أسباب طارئة مثل الاضطراب النفسى والارهاق والتعب وتناول المنبهات وكثرة التدخين ومعظم هذه الحالات تؤثر على الضغط الانقباضى وتزول بزوال السبب .

وارتفاع ضغط الدم ايضا يمكن ان يكون ثانويا او ما يسمى فى بعض الحالات تبعيا نتيجة مرض اخر يؤدى لارتفاعه. أو ان يكون اساسيا وهو ما يطلق على النوع الذى لانجد سببا له بعد عمل الفحوصات اللازمة . وهذا النوع هو الشائع بين الناس . ويصيب الذكور والاناث بالتساوى تقريبا وغالبا ما يصيبهم بعد تجاوز سن الاربعين .ولا شك أن عامل الوراثة هنا يلعب دورا كبيرا فى حدوثه ، وكثيرا ما نجد أحد الاقارب (الوالد او الوالدة مثلا)مصابا ايضا بارتفاع ضغط الدم أما الامراض التى تؤدى لارتفاع ضغط الدم فهى كثيرة ومتنوعة نذكر منها

اولا :

أمراض الجهاز البولى والكليتين كالالتهاب الكلوى الجمعى الحاد أو المزمن ـ وضمور الكلية ـ والكلية الكثيرة الاكياس ـ وضيق الشريان الكلوى .

ثانيا :

اضطراب بعض الهرمونات بالجسم . كما يظهر فى حالة

ثالثا :

امراض الشرايين كضيق الابهر. وكالتهاب ظهارة الشرايين .

رابعا :

امراض الدماغ . كزيادة ضغط السائل بالدماغ . او وجود نزف او ورم او التهاب .

خامسا :

بعض حالات التسمم مثل تسمم الولادة . او التسمم ببعض الفلزات كالرصاص مثلا .

سادسا :

تعاطى بعض انواع العقاقير ويجب التنبيه هنا بان شراب العرق سوس الشائع كثيرا شعبيا ، كثرة تناوله تسبب ارتفاع ضغط الدم بعكس ما هو معتقد عند اغلبية الناس.

ونحمد الله بان معظم حالات ارتفاع ضغط الدم سهلة العلاج . اذا ما تقيد المريض بنصائح الطبيب واتبع ارشاداته وداوم على اخذ العلاج باستمرار .

الجـــرب

● أصيب ولدى بحكة جلدية تزداد فى المساء وبعد عدة ايام اصيب اخوانه بنفس الحكة فهل ذلك هو الجرب ، فان كان كذلك فما هو علاجه ؟

ـ اغلب الاعتقاد ان ذلك هو فعلا الجرب حيث انه مرض معد خاصة وان جميع الاطفال بالبيت قد اصيبوا بهوان الحكة تزداد بالليل عند الذهاب للفراش وسببه طفيل حيوانى

يسمى حشرة الجرب .

ويظهر الجرب على شكل حبوب وانفاق دقيقة فى اماكن معينة من الجسم خاصة بين اصابع اليدين ، الرسغ ، الابط ، حول الثدى والسرة والمقعدة والفخذين ، اما فى الاطفال الصغار فمن الممكن ان يظهر في معظم اجزاء الجسم بما في ذلك اليدان والقدمان والوجه . والحكة الجلدية تؤدى الى خدش الجلد وبالتالي الى تلوثه بالميكروبات وتقيحه .

اما طرق العدوى عادة فهى :

١ - اختلاط المصابين بالاصحاء .

٢ - استعمال ملابس المريض او فراشه .

اما الوقاية من هذا المرض فتتم بعزل المرضى وعدم مخالطتهم للاصحاء وتعقيم ملابس المريض او غليها وكيها . ثم تطهير فراش المريض بتعقيم الشراشف والمخدات وعدم استعمالها لمدة اسبوعين حتى تموت حشرة الجرب . كما يجب علاج جميع المرضى او المصابين في البيت الواحد فى نفس الوقت حتى يتم شفاؤهم سويا وتطهير البيت .

اما العلاج فسهل وبسيط وقد كانوا يستعملون سابقا مرهم الكبريت للقضاء على المرض وكذلك دهان البنزيل بنزوات اما الان فتوجد كثير من المراهم التى تستطيع ان تقضى على المرض مثل ميتجال وايراكس وغيرهما ويفضل الدهان يوميا لمدة يومين او ثلاثة مع الاستحمام وتطهير الملابس والشراشف .

كثرة افرازات العرق

● اشكو من كثرة العرق خاصة عند القيام باى مجهود ، فهل لى ان اعرف ما هو تركيب العرق وما سبب كثرته ؟

- العرق عبارة عن افراز الغدد العرقية الموجودة فى البشرة وتحت سطح الجلد وهذه الغدد فيها انبوب رفيع يخترق الجلد ليفتح على سطحه وتكثر هذه الغدد في كفوف اليدين والقدمين . وافراز العرق وكميته وتركيبه ودرجة تعادله مهم جدا لحفظ صحة البشرة بل وصحة الجسم كله فيحتوى العرق بجانب الماء على الكثير من املاح حمض اليوريك واليوريا والامونيا ، وكلوريد الصوديوم والبوتاسيوم والاحماض الامينية الا انه يكاد يخلو من السكر . وكثرة العرق او زيادة افرازه تحدث كنتيجة طبيعية لزيادة الحرارة عند القيام باى مجهود نتيجة زيادة نشاط العضلات والحركة ، والانفعالات النفسية ، وشرب المشروبات الكحولية والمشروبات الساخنة وتناول بعض الادوية والاطعمة . ومن الاسباب الاخرى التى تؤدى الى كثرة العرق اضطرابات الجهاز العصبي ، واضطرابات الدورة الدموية ، او الغدد الصماء نتيجة امراض الحساسية او زيادة افراز السموم فى الجسم ، كذلك فان بعض الامراض عادة تكون مصحوبة بزيادة العرق مثل فقر الدم ، والسكر والحميات .

ونادرا ما تكون زيادة العرق ناتجة عن اضطرابات الغدة العرقية نفسها نتيجة زيادة نموها . وكثرة العرق تعتبر صفة عامة فى الجسم كله خاصة في اليدين والقدمين والابط والجبين والرأس ، وتكون الزيادة محدودة فى مناطق معينة من الجسم خاصة اذا كان الشخص يشكو من وهن عصبى .

واحيانا يكون افراز العرق شديدا لدرجة قد تؤدى الى الاجهاد او انه يصيب نصف الجسم فقط دون النصف الاخر . واذا ترك العرق فترة على الجسم دون اغتسال فانه يتحلل وتتكاثر فيه الميكروبات مسببا رائحة كريهة خاصة فى ثنايا الجلد ، اما الاطفال فانه نظرا لرقة بشرتهم فان كثرة العرق تؤدى الى تسلخ الجلد علاوة على تكاثر الميكروبات والفطريات عليه مما يؤدى الى التهابات شديدة .

ومن الطبيعي انه لعلاج هذه الحالة يجب معرفة السبب الرئيسي ويعتمد العلاج على التخلص من السبب والعوامل المؤدية اليه . ■■

الدين والمسالة الدينية في البانيا

بقلم : محمد موفاكو

استاذ الاستشراق بجامعة برشتنا ــ يوغوسلافيا

■ فى ١٣ تشرين الثانى ١٩٦٧ صدر فى البانيا مرسوم رقم ٤٣٣٧ « حول الغاء بعض المراسيم » ، المؤلف من سبعة اسطر فقط اقتصرت على ذكر ارقام وتواريخ بعض المراسيم التى الغيت. الا ان هذا المرسوم سرعان ما شق طريقه خارج البانيا بكونه مرسوم « الاطاحة بالدين » ، وقد انتزع هذا المرسوم حينها من الاهتمام الى حد أن البانيا، التى تبدو بصعوبة على الخارطة، وجدت ما تميز به نفسها من حيث كونها اول دولة ملحدة فى العالم .

وطالما ان هذا المرسوم لا يتضمن اكثر من ارقام مراسيم ماضية ومعدلة . فان الاكتفاء بقراءته لا يمنح المرء اى توضيح عما وكيف جرى تحضير هذه الاطاحة بالطوائف الاربعة المعترف بها. ومن الضرورى اذن تتبع شخوص الدين والطوائف الدينية فى الدستور الالبانى ، والحياة الالبانية، حتى يكون فى امكاننا تناول مرسوم ١٩٦٧ فى اطاره التاريخى .

لقد مر بنا فى أعداد سابقة ، ان استقلال البانيا اعلن ، على قطعة ارض لا تتجاوز ١٠٪ من البانيا ، فى ٢٨ تشرين الثانى ١٩١٢ ، وان هذا الاستقلال بقى معلقا حتى اعترفت به الدول الكبرى فى ١٣ تموز ١٩١٣ . وحينها اخذت الدول الكبرى على عاتقها مسالة تنظيم طابع الدولة الالبانية المقترحة .

وعلى ضوء مشروع الدول الكبرى ، أعلنت الحكومة الالبانية فى ٢٢ تشرين الثانى ١٩١٣ « القانون المؤقت للادارة المدنية فى البانيا » . وفيما يتعلق بمسالة الدين وعلاقة الدولة به ، نص هذا الدستور على ان « الحقوق المدنية ستفصل عن الشريعة ، كما وستفصل الهيئة الاسلامية عن ارتباطها بشيخ الاسلام » .

وفى ذات الشهر توصلت اخيرا الدول الكبرى على تنصيب النبيل الالمانى ف . فيد W. Wid اميرا على البانيا المقترحة . وقد جاء اقتراح تنصيب فيد لكونه المانيا وبروتستنتيا ، لكى يبقى على الحياد بين الطوائف الدينية الاربعة فى البانيا . وقد صاغت بعدها اللجنة الدولية للمراقبة ، المؤلفة من ممثلى الدول الكبرى ، ما سمى « الدستور الاساسى » للدولة الالبانية ، الذى تمت الموافقة عليه فى ١٠ نيسان ١٩١٤ . وقد تضمن هذا الدستور عرضا أوضح بالنسبة

للدين وعلاقته بالدولة المقترحة ، اذ نص البند ٢٣ من الفصل الثاني على ان « البانيا ليس لها دين رسمي • وان الحرية والممارسة العلنية لكل العبادات مؤمنة وان الخلاف في الدين لا يقتضي بالضرورة الحد من التمتع بالحقوق المدنية أو السياسية ، او الانخراط في الوظائف العامة والمناصب •• » .

الا انه مع قيام الحرب العالمية الاولى تناثرت هذه الدولة الفتية الى عدة دول صغيرة على راسها حكومات عميلة للدول المتصارعة • وتحولت الاراضي الالبانية بعدها الى مجرد ورقة تستخدمها دول المعسكرين في استمالة هذه الدولة او تلك الى هذا المعسكر او ذاك • وما يهم موضوعنا هذا هو تقسيم البانيا ، الذي صاغته معاهدة لندن السرية ١٩١٥ بين ايطاليا والحلفاء• وحسب هذه المعاهدة جرى تقسيم لالبانيا قائم على مراعاة دينية لانتماء سكانها ، وبذلك هدفت المعاهدة الى أن تنهي الصيغة الالبانية للتعايش بين الطوائف الدينية، وبحجة حماية هذه الطوائف• وعلى هذا الاساس تضمنت المعاهدة تشكيل « دولة اسلامية البانية » تكون دورس Durres عاصمة لها ، وتشمل فقط اراضي البانيا الوسطى التي يسكنها غالبية من المسلمين • وقد قدمت هذه « الدولة » كهدية الى ايطاليا مقابل انضمامها الى معسكر الحلفاء •

من ناحية اخرى ، بقيت البانيا الشمالية ، ذات الغالبية الكاثوليكية ، من حصة صربيا الاورثوذكسية بالاضافة الى الجبل الاسود ذات الشهرة الاورثوذكسية • الا ان القوات النمسو ـ هنغارية كانت قد هبطت حينها نحو البانيا الشمالية، معلنة للالبانيين هناك انها جاءت لتحريرهم اخيراء، وقد رحب حينها رجال الدين الكاثوليك بهذا « التحرير » الذي طال انتظاره ، واخذت الصحف الموالية تبشر الالبانيين بالخيرات التي تنتظرهم في حالة انضمامهم واندماجهم بالامبراطورية النمسو ـ هنغارية المتعددة القوميات • ومن جهة اخرى بقيت البانيا الجنوبية ، ذات الغالبية الاورثوذكسية ، تحت سيطرة العصابات اليونانية المسلحة من اثينا ، التي لم تعترف يوما بالبانية الاورثوذوكسي الالباني ، اذ ان اثينا اصرت دوما على معاملة الالباني الاورثوذكسي كاورثوذكسي فقط وبالتالي كيوناني •

وقد ازدادت الامور تعقيدا مع انتهاء الحرب ، اذ برزت ثانية مسالة وضع البانيا المقبل وبالتالي مسالة الوصاية الايطالية عليها • فمن ناحية نجد ان ممثلي الكنيسة الكاثوليكية الالبانية ، حتى لحظة انتهاء الحرب ، كانوا مندفعين لاعطاء الامبراطورية النمسو هنغارية دور « الحامي » لالبانيا ، اما الان وبعد هزيمتها ، فقد حولوا هذا « الدور » الى ايطاليا المنتصرة ، التي رأوا في مساندتها امكانية لتأثير اكبر لهم ،سياسيا وايديولوجيا ، في بلد « شرقي » كالبانيا ، حيث الكاثوليك ليسوا الا اقلية ، وفقط لدى ايطاليا رأوا امكانية وتوسيع الكاثوليكية ، ومن هؤلاء مثلا الاب ج • فيشتا At. Gj Fishta ،الذي كتب يقول « لقد رفض ما يسمى الوطنيين الالبانيون صيغة البانيا بمساعدة ايطاليا •• وما يقال في اننا سنشكل البانيا بقوتنا فهذا ليس الا ساما » •

ومن ناحية اخرى كانت اليونان تضغط بكل ثقلها على مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ للموافقة على تقسيم ديني لالبانيا ،يضمن لليونان « انقاذ » الاورثوذكسيين الالبانيين من الجحيم الالباني • وقد ذهب رئيس الوزراء اليوناني آنذاك فينيزلوس Venizelos ، الى حد التأكيد على أن الشعب الالباني ، المتوزع على عدة طوائف ، ليس له حس قومي ، وفي أن الاورثوذكسيين الالبانيين يحسون أنفسهم كيونانيين، وبما ان هؤلاء يشكلون غالبية في البانيا الجنوبية لذا لا بد من فصل هذا الجزء عن الجزء المسلم الاخر وضمه الى اليونان • الا ان الالبانيين الاورثوذكسيين ، الذين يشعرون بذاتهم كالبانيين اولا واورثوذكسيين ثانيا ، عرفوا كيف يقاومون هذا التسلط اليوناني ،عندما اعلنوا في عام ١٩١٩ انفصالهم عن البطريركية وتاسيس الكنيسة الاورثوذكسية الالبانية المستقلة ، تلك التي لم تعترف بها البطريركية الا مرغمة بعد خمس عشرة سنة •

وازاء هذا التربص تمكن الالبانيون اخيرا من ان يستعيدوا المبادرة في دعوتهم الى مؤتمر انقاذ وطني ، ذلك الذي انعقد في لوشني Lushnje في عام ١٩٢٠ ،وفي هذا المؤتمر برزت البانيا ثانية، لكل الالبانيين دون تمييز في الدين او في الطائفة،

ونظرا الى انه لم يكن في الامكان التحديد الفوري لشكل السلطة الالبانية ، لان البانيا اعلنت كامارة في ١٩١٣ ـ ١٩١٤ ، انتخب المؤتمر « مجلسا اعلى » يتسلم مهام رئاسة الدولة • وقد ضم هذا المجلس اربعة اعضاء ، روعي في اختيارهم ان يمثلوا الطوائف الاربعة في البانيا (الطائفة الاسلامية ، البكتاشية ، الكاثوليكية ، الاورثوذكسية) •

وقد بقي هذا التقليد معمولا به الى أن تحدد نظام الدولة الالبانية في اعلان الجمهورية في بداية عام ١٩٢٥ ، وتنصيب أحمد زوغو A.Zogo نفسه كاول رئيس للجمهورية • وقد اعقب اعلان الجمهورية صياغة دستور جديد لالبانيا ، ذلك الذي تمت الموافقة عليه في آذار ١٩٢٥ ، وقد جاء في هذا الدستور بند خاص لمسالة علاقة الدين بالدولة ، اذ نص البند (٥) من الباب الاول على أن « الجمهورية الالبانية ليس لها دين رسمي •وان جميع الاديان والعقائد محترمة، كما أن حرية الممارسة والعبادات العلنية مؤمنة،• ويضيف البند (٥) أن « الدين لا يستطيع أن يكون في اى شكل من الاشكال حاجزا حقوقيا • كما أن الاديان لا يجب أن تستغل مطلقا في الاهداف السياسية » •

ومع أن هذا الدستور قد ضمن حياد النظام تجاه الاديان المعترف بها في البانيا، وبالتالي كفل لها حرية النشاط ، الا أن الملاحظة تشير الى أن المسالة الدينية كانت ترتبط ايضا بنفوذ الدول المجاورة ، ومدى تضخم هذا النفوذ في البانيا ، الذى تحول مع مر الايام الى سلطة اخرى داخل البانيا • من هذا مثلا نلاحظ أن معاهدات ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ ، التى اعطت ايطاليا امتيازات اقتصادية وسياسية ضخمة في البانيا ، قد اعقبها تحول ما في موقف النظام من هذه الطائفة او تلك ، وعلى هذا مثلا نرى انه في كانون الاول ١٩٢٧ ارسلت الحكومة الالبانية ممثلا عنهاالى الفاتيكان ، لتبادل العلاقات بين الجمهورية الالبانية والفاتيكان • وقد كان الهدف من هذا توطيد النفوذ الايطالي واستدراج الرضا من سكان الشمال الكاثوليك بعد قمع انتفاضتهم عام ١٩٢٦ •وبعد هذا تمبالفعل تبادل الممثلين وفق اتفاق خاص • وحسب هذا الاتفاق تركت الدولة الالبانية الحرية لنشاط الكنيسة الكاثوليكية في البانيا، ومنحتها الحق باعتبارهاشخصية حقوقية• وفوق هذا ستقوم الحكومة الالبانية بتزويد الكنيسة الكاثوليكية بميزانية سنوية مقدارها ٢٠٠ الف فرنك ذهبي ، كما وستترك للكنيسة فتح المدارس الخاصة الكاثوليكية • وكل هذا مقابل دعمالكنيسة الكاثوليكية لنظاماحمد زوغو•

في هذا اصبحت ايطاليا حريصة كل الحرص على نظام احمد زوغو ، وعلى استمرار احمد زوغو في نظامه • ولكن طالما أندستور الجمهورية الالبانية ينص على مدة معينة لرئيس الجمهورية ، فقد شجعت ايطاليا احمد زوغو على اعلان الملكية وتنصيب نفسه ملكا على البانيا • وقد تم هذا فعلا في نهاية ١٩٢٨ عندما اعلنت الملكية واعلن معها دستور جديد لالبانيا • وفيما يتعلقبالموقف من الدين وعلاقته بالدولة ، فان هذا الدستور لم يضف جديدا يذكر بالمقارنة مع الدستور السابق • فقد نص البند (٥) من الباب الاول تحت « مبادىء عامة » ، ما يلي : « الدولة الالبانية ليس لها دين رسمي • وجميع الاديان والعقائد محترمة فيها • كما أن حرية العبادات وممارسة الشعائر العلنية مؤمنة • والدين لا يستطيع أن يكون في اى شكل من الاشكال حاجزا حقوقيا • فالاديان والعقائد لا يجب أن تستثمر في ايشكل من الاشكال فيالاغراض السياسية،•

الا أن الملك أ • زوغو سيدفع فيما بعد ، تحت ضغط المعارضة الداخلية ، الى مراجعة موقفه ازاء ايطاليا • اذ أن ايطاليا كانت قد زادت من نفوذها الى حد انها ارادت أن تبلع البانيا مع ملكها ، وهذا ما دفع الى السطح بأزمة ٣٢ ـ ١٩٣٤ ، التى اضطر فيها زوغو ، امام ضغط المعارضة الداخلية، الى اجراءات تحد من نفوذ ايطاليا • ومن هذا اتخذ البرلمان الالباني في نيسان١٩٣٣ قرارا بتغيير بنود الدستور التي تسمح بنشاط المدارس الخاصة والدينية ،والتي كانت موجهة فعلا ضد المدارس الكاثوليكية الممولة من ايطاليا ، وعلى اثر هذا التعديل تم بالفعل اغلاق هذه المدارس ، الشيء الذ ع ايطاليا اخيرا على زيارة شواطىء البانيا باسطولها الحربيفيحزيران ١٩٣٤ لاجبار الحكومة الالبانية على التراجع تحت تهديد السلاح • وفعلا تم

تنظيم هذا التراجع في معاهدات ١٩٣٦ ، التي نصت على اعادة فتح المدارس الكاثوليكية الخاصة، وقد تاخر اعلان هذا الاجراء الى ٩ ايار من ذات السنة ٠

وبعد هذا التراجع من طرف زوغو ، لم يبق لايطاليا الا ان تعد بعض الشكليات قبل ان تحتل البانيا بقوة السلاح ٠ ومن جملة الاعدادات، كان اهتمام ايطاليا متجها نحو تسريب الايديولوجية الفاشية ونشرها بين اوساط الالبانيين ٠ كما وساهمت الكنيسة في تدعيم هذه الدور ، وخاصة بعد التوجيهات التي حملها رئيس الاساقفة «غ٠ تاتشي G. Thagi » من روما بعد زيارته للفاتيكان وموسوليني ، وهذه التوجيهات تومئ بادارة دفة الكنيسة الكاثوليكية لتساهم في تسهيل دخول الفاشية الى البانيا ٠ وقد لعب الفاتيكان بدوره دورا بارزا في التهيئة للاحتلال الايطالي لالبانيا ٠ ففي الوقت الذي كان فيه الجنود الايطاليون يقتحمون البانيا ، قام البابا بيو الثاني عشر بمباركة هؤلاء الجنود لرسالتهم «التحررية» ٠

ومن أولى الاجراءات التي اتخذتها سلطة الاحتلال الفاشي كان تنظيم وضع السلطة في البانيا بعد الحاقها بايطاليا ، ومن هذا كان وضع « دستور اساسي » صيغ على قاعدة الدستور الايطالي ودخل حيز التطبيق في ٤ حزيران ١٩٣٩ ٠ وفيما يتعلق بموضوعنا ، فقد نص البند (٤) من الباب الاول تحت «ميادين عامة » على مايلي : « ان جميع الاديان محترمة ٠ كما أن الممارسة الحرة للشعائر الدينية والعبادات العلنية مؤمنة انسجاما مع القوانين » ٠

لقد أرادت ايطاليا أن تكسب ود الالبانيين باي شكل ، وخصصت قدرا كبيرا من اهتمامها لكسب رجال الدين ، ويبدو هذا مثلا في « المجلس التشريعي » الذي أقامته ، حيث خصصت فيه ٢٠ مقعدا لرجال الدين ، من اصل ١٥٩ مقعدا٠ ولكن المسألة التي مايزال يلفها الغموض هي موقف رجال الدين المسلمين ، الذين رحبوا بالسلطة الايطالية وتحالفوا معها ،ومن ناحية مقابلة لم تقصر السلطة الايطالية في تكريم رجال الدين المسلمين،أو في تلبية مطالبهم ٠ فمن هذا نجد مثلا أن الحاكم العام الايطالي يمنح مفتي تيرانا وسام اسكندر بيك (وهو اعلى الاوسمة) برتبة ضابط اكبر ، اضافة الى أن الحكام الايطاليين كانوا يشاركون تزلفا في الاعياد الاسلامية ٠ كما وان السلطة الايطالية ، تلبية لمطالب رجال الدين المسلمين ، امرت في تموز ١٩٤٠ وزارة الدفاع بالاعتراف بالاعياد الاسلامية ، وتمكين الجنود المسلمين من الاحتفال بيوم الجمعة ٠ وبشكل عام يستطيع المرء ان يلحظ نشاطا ملحوظا لرجال الدين المسلمين في هذه الفترة٠ ففي هذه الفترة صدرت مجلة « الثقافة الاسلامية » Kultura Islame كما بدئ من حينها بترجمة القرآن الكريم الى الالبانية ، وصدر من ذلك اربعة أجزاء ٠ وقد كتبت حينها مجلة « الثقافة الاسلامية » في عدد ١٢ آب ١٩٤٢ ، وقد يكون الحق معها في ذلك ، أن «الدين أصبح حرا وحتى أنه اكثر من الماضي»٠

ولكن من ناحية أخرى ، كان الشعب الالباني قد حزم امره على مقاومة الاحتلال الايطالي ، وسرعان ما بدأت حركة المقاومة تغطي البانيا ٠ ومن المثير أن الحركة البكتاشية هي الوحيدة التي ألقت بثقلها في حركة المقاومة ٠ ويبدو هذا في اجتماع بيزا Peza ، أيلول ١٩٤٢ ، الذي انعقد لتنظيم حرب التحرير القومية ضد السلطة الايطالية ٠ ففي هذا الاجتماع شارك البابا فايا P. Faja والبابا فيزا B. Feza وهما من

ذلك ارجى

● قيل أن الشعبي مر بوماباِبل قد فشا فيها الجرب فقال لاعرابي كان يحرسها : « أما تداوي ابلك يا أخا العرب ؟فقال الاعرابي : « ان لنا عجوزا مؤمنة نتكل على دعائها في شفاء هذه الابل » ٠ فقال الشعبي : « لو جعلت مع دعائها شيئا من القطران كان ذلك أرجى لشفائها » ٠

زعماء الحركة البكتاشية انذاك ٠وقد اقرت في هذا الاجتماع ارضية حـرب التحرير القومية ، التـي تضمنت « تنظيم كل القوى السياسية في البلاد في جبهة مشاركة للتحرير القومي ، دون تمييز في الطبقة او العقيدة السياسية او الدين ٠٠ » .

وفي عشية انتصار هذه الحركة ، تحولت لجنة التحرير القومي المناهضة للفاشية K.A.N.C الـى « الحكومـة الديمقراطية لالبانيـا » حيث عقدت اولى جلساتها في تشرين الاول ١٩٤٤ ٠ ومن القرارات التي اقرت في هذه الجلسة كان « تصريح حول حقوق المواطنين » ٠ وقد ضمنت هذه الوثيقة للالبانيين ، في حالة انتصار حركة التحرير القومية ، جملة من الحقوق كـ « الحقوق المتساوية امام القانون ، حرية الاجتماع والكلمة، حرية الدين والضمير ٠٠٠» ٠

ولم تمض أيام الا وتم تحرير البانيا واقامـة السلطة الجديدة قبل نهاية ١٩٤٤ ٠ وقد استغرقت التحضيرات لاعـداد الدستور الجـديد اكثر من سنتين ، حتى أعلن في مطلع ١٩٤٦ ، والـذي اقرته الجمعية التـاسيسية في آذار ١٩٤٦ ٠ وفيما يتعلق بموضوعنا ، فقد افرد البنـد (١٦) من الباب الاول لصياغة وضع الدين في ظل السلطة الجديدة ٠ وقـد نص هذا البند علـى « ان حرية المعتقد والدين مكفولة لجميع الرعايا ٠ كما ان الدين منفصل عن الدولة » ٠ ويضيف البند (١٦) ان « للطوائف الدينية ملء الحرية في المسائل المتعلقة بمذهبها الديني ، وللممارسة العلنيـة لذلك المذهب » ٠

وفي فقرة من البند (١٦) نقرأ « يمنع استخدام الدين والمؤسسات الدينية لاغراض سياسيـة ، وكذلك تحظر المنظمات السياسية القائمـة على الدين » ٠ وفوق هذا نجد اضافة في نهاية البند (١٦) ، تلك التي تنص على ما يلي : « ويمكن للدولة أن تساعد ماديا الطوائف الدينية » ٠

وبعد هذا التحديد الاولي لوضع الدين ، جاءت عدة مراسيم اخرى لتحديد أكثر لهذا الوضـع ٠ ومن ذلك مرسوم ١٩٤٩ « حول الهيئات الدينية » وتعديلاته اللاحقة ٠ وكذلك تجدر الاشارة الى مراسيم ١٩٥٠ ، التي تمت فيها الموافقة علـى اوضاع الهيئـات الدينية الاربع المعترف بهـا ٠ واخيرا جاء مرسوم ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٧الذي صادر منالهيئات الدينية الحقوق السابقة الممنوحة لها ٠ وفيما يلي صورة أصلية لهذا المرسوم مع الترجمة الحرفية له :

الجريدة الرسمية

لجمهورية البانيا الشعبية

٢٢ تشرين الثاني

سنة ١٩٦٧

عدد ١٢

مرسوم

حول الغاء بعض المراسيم

اعتماد على البند ٥٨ ، النقطة ٦ من الدستـور

وباقتراح من الحكومة

رئاسة المجلس الشعبي

لجمهورية البانيا الشعبية

تقرر

بند ١

المرسوم رقم ٧٤٣ تاريخ ٢٦ ـ ١١ ـ ١٩٤٩ « حول الهيئات الدينية » ، المعدل بمرسوم رقم ٣٦٦٠ تاريخ ١٠ ـ ٤ ـ ١٩٦٣ ، والمرسوم رقم ١٠٦٤ تاريخ ٤ ـ ٥ ـ ١٩٥٠ » حول الموافقة على دستور الهيئـة الاسلامية الالبانيـة » ، والمرسوم رقم ١٠٦٥ تاريخ ٤ ـ ٥ ـ ١٩٥٠ « حول الموافقة على دستور الكنيسة المستقلة الالبانية » ، والمرسوم رقم ١٠٦٦ تاريخ ٤ ـ ٥ ـ ١٩٥٠ « حول الموافقة على دستور الهيئة البكتاشية الالبانية » والمرسوم رقم ١٣٢٢ تاريخ ٣٠ ـ ٧ ـ ١٩٥١ « حول الموافقة على دستور الكنيسة الكاثوليكية الالبانية » ، تخرج من حيز التنفيذ ٠

بند ٢

هذا المرسوم يدخل في حيز التطبيق حالا

تيرانا في ١٣ تشرين الاول ١٩٦٧

رقم المرسوم ٤٣٣٧

عن رئاسة المجلس الشعبي

لجمهورية البانيا الشعبية

الرئيس

حاجي ليشي

السكرتير

بيلبيل كلوس

■■

محمد موفاكو

المسافرون الستة

للكاتب الاسكتلندى « اندرو لانج »

لا يكاد يوجد كاتب فى العالم لم يجرب كتابة الحدوتة الخيالية للصغار والكبار على حد سواء • ان القائمة طويلة وبها أسماء مثل تولستوى وشارلس ديكنز وأوسكار وايلد ووالتر دى لامار وكيبلنج ومارك توين وانطوان دى سانت أوكزوبرى • والكاتب الذى نقدمه هذا العدد هو « أندرو لانج » الاسكتلندى الذى اشتهر بقصص المغامرات وترك ٢٥ كتابا منها • وقد ظهرت قصته التالية عام ١٨٩٤ •

● يحكى ان جنديا باسلا ، يتقن مختلف الحرف ، تم تسريحه من الجيش بعد ان وضعت الحرب أوزارها • وقرر ان يطوف بارجاء العالم الفسيح • لكنه لم يكن يملك غير دراهم معدودة هى ما تبقى من اجره • انطلق فى طريقه وهو يردد لنفسه فى غضب : « لسوف اجد وسيلة ارغم بها الملك على ان يعطينى كل كنوز مملكته » •

بلغ الجندى احدى الغابات ، فراى رجلا يقتلع احدى الاشجار الضخمة بيديه المجردتين • راقبه حتى انتزع ستا من هذه الاشجار بسهولة تامة كما لو كانت اعوادا من القش • فخاطبه قائلا : «اتقبل ان تكون خادما لى و تسافر فى صحبتى ؟» •

اجاب الرجل : « اجل • لكنى اود اولا ان احمل هذه الحزمة الصغيرة من العصى الى امى »•وتناول احدى الاشجار فثناها ولف بها الاشجار الخمس الاخرى ثم حمل الحزمة على كتفه وانطلق بها • ولم يلبث ان عاد فمضى مع سيده الجديد • وعندما سارا بعض الوقت التقيا بصياد انحنى الى الامام معتمدا على ركبتيه ، واضعا بندقيته على كتفه ، ومنهمكا فى التصويب الى هدف معين • تطلع الجندى حوله لكنه لم يتمكن من رؤية ذلك الهدف فساله : « الا تقل لى ايها الصياد ماذا تريد ان تصيب » ؟

قال الاخر : « على مبعدة ميلين من هنا تجلس ذبابة على فرع شجرة بلوط • وانا ارغب فى اصابة عينها اليسرى » •

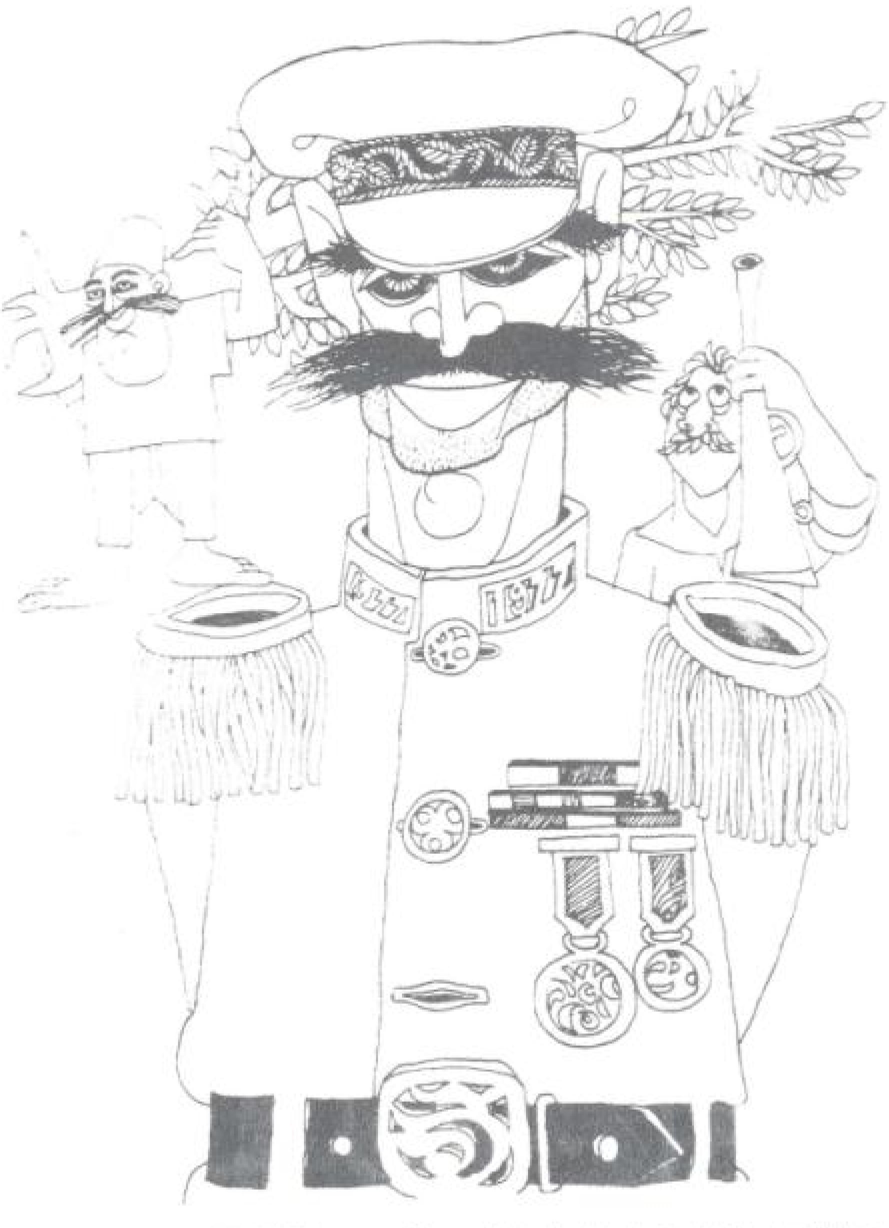
قال الجندى : « انت تاتى معى • فلو اجتمع ثلاثتنا لسهل علينا السفر فى ارجاء العالم الفسيح » •

وافق الصياد ومضى معهما ، فاشرفوا على سبع طواحين هوائية تدور اشرعتها بسرعة فائقة ، رغم انه لم يكن ثمة اثر لنسمة ريح • عجب الجندى للامر ، وواصلوا السير فاقبلوا بعد ميلين على رجل ارتقى قمة شجرة واغلق احدى فتحتى انفه ، بينما جعل ينفخ الهواء من الفتحة الثانية •

ساله الجندى : « ماذا تنفخ ايها الصديق ؟ » •

اجاب : « على مبعدة ميلين من هنا توجد سبع طواحين هوائية وانا انفخ لاجعلها تدور • » •

قال الجندى : « انت تاتى معى • فلو اجتمع



أربعتنا لسهل علينا السفر في أرجاء العالم الفسيح ٠ »

هبط النافخ من فوق الشجرة ومضى في رفقتهم ٠ وبعد قليل رأوا رجلا يقف على ساق واحدة وقد خلع ساقه الثانية وألقاها على الارض بالقرب منه ٠ فقال له الجندي متعجبا : « يا له من وضع مثالي للراحة ٠ »

قال الاخر : « انني عداء ٠ وقد خلعت احدى ساقيّ كي اخفف من سرعتي، فعندما استخدم الاثنتين ، أجري أسرع من الطير ٠ »

قال الجندى : « لا بد وان تاتي معي ، فلو اجتمع اجتمع خمستنا ، لسهل علينا السفر في ارجاء العالم الفسيح • »

انطلق الخمسة سويا حتى التقوا برجل يرتدى قبعة صغيرة امالها على جانب راسه بحيث غطت احدى اذنيه •

قال له الجندى : « اين ذهب الادب والذوق ما الذى جعلك تميل قبعتك هكذا على احدى اذنيك ؟ انك تبدو كالمجنون • »

قال الرجل : « لست اجرؤ على ان اضعها معتدلة على راسي ، فلو فعلت لتساقط الجليد على القوى بكميات هائلة تجعل الطيور تتجمد في السماء وتقع على الارض ميتة • »

قال الجندى : « لا بد وان تاتي معنا • فلو ستتنا ، لسافرنا بسهولة في ارجاء العالم الفسيح • »

وهكذا بلغ الرجال الستة مدينة ، اعلن فيها الملك عن سباق للعدو تشترك فيه ابنته ، الفائز فيه يتزوجها ، اما الخاسر فيفقد راسه • وعندما سمع الجندى بنبأ السباق اعلن انه سيشترك فيه ، لكنه سيجعل خادمه يجرى بالنيابة عنه •

قال الملك : « في هذه الحالة نقطع راسيكما انتما الاثنين اذا فازت ابنتي • »

قبل الجندى هذا الشرط وقام بتثبيت الساق الثانية للعداء قائلا له : « نحن الان في حاجة الى اقصى سرعتك • » واتفق الطرفان على ان يكون الفائز من يتمكن من احضار بعض الماء من النهر قبل الاخر •

حمل العداء ابريقا ، كما حملت ابنة الملك واحدا مماثلا ، وبدأ العدو في آن واحد ، لكن لم تمض لحظة حتى كان العداء قد اختفى تماما من البصر بينما كانت ابنة الملك ما تزال في البداية • وبلغ العداء النهر بعد برهة فملأ ابريقه واستدار عائدا • وعندما بلغ منتصف الطريق شعر فجأة برغبة شديدة في النوم فوضع ابريقه جانبا واستلقى على الارض بعد ان اسند راسه الى جمجمة حصان حتى يكون رقاده غير مريح ويستيقظ سريعا •

وفي هذه الاثناء كانت ابنة الملك ، التي تجيد العدو ، قد بلغت النهر واسرعت عائدة بابريقها المتليء بالمياه • وعندما رات العداء نائما سرت للغاية وقالت « لقد اوقعت الاقدار عدوى بين يدى • » فافرغت ابريقه وواصلت العدو •

واوشك كل شيء ان يضيع لولا ان الصياد صعد بالصدفة فوق برج القلعة فراى بعينيه الحادتين كل ما حدث •

قال الصياد لنفسه : « لن تنتصر علينا ابنة الملك • » ورفع بندقيته لم احكم تصويبها واطلقها على جمجمة الحصان التي اسند العداء راسه اليها ، فاصابها واطارها من تحت راسه دون ان يصيبه هو باذى •

استيقظ العداء وقفز واقفا فراى ابريقه فارغا كما تبين ان ابنة الملك قد سبقته بمسافة كبيرة • لكنه لم ييأس وجرى عائدا الى النهر فملأ ابريقه بالمياه مرة اخرى ، وانطلق يجرى فوصل المدينة قبل ابنة الملك بعشر دقائق •

وبمجرد وصوله قال للملك : « لم يكن هذا عدوا • لقد كنت اروض ساقيّ وحسب • »

لكن الملك كان غاضبا وكانت ابنته اكثر منه غضبا ، لانها ستصبح زوجة لجندى بسيط من ابناء الشعب • وتشاورت مع ابيها في الطريقة التي يقضيان بها على الجندى ورفاقه •

قال لها الملك : « لا تخافي • لقد وجدت طريقة تخلصنا منهم جميعا • » ودعاهم فقال لهم : « يجب ان تحتفلوا الان سوية فتاكلوا وتشربوا • » وقادهم الى غرفة ذات ارضية من حديد ، ضمت مائدة حافلة بما لذ وطاب من اصناف الطعام • ودعاهم الملك الى الدخول ثم امر باغلاق الابواب واحكامها • واستدعى الطباخ فامره باشعال نار هائلة تحت الغرفة حتى تحمر ارضيتها الحديدية •

صدع الطباخ بالامر • ولم يلبث الرفاق الستة الجالسون حول المائدة ان شعروا بسخونتها ، فارجعوا هذا الى حالتهم المرحة • لكن الحرارة كانت في ازدياد ، فارادوا مغادرة الغرفة ، واذا بهم يكتشفون ان الابواب والنوافذ محكمة الاغلاق •

وعندئذ ادركوا ان الملك يرمى الى هلاكهم ويحاول خنقهم •

هتف صاحب القبعة الصغيرة : « لن ينجح فى ايذائنا • ساسقط علينا ثلجا يجعل النار تخجل من نفسها • » وعدل وضع قبعته على راسه فتساقط الثلج فى الحال بكميات وفيرة قضت على الحرارة وجعلت الطعام يتجمد فى الصحاف •

وكان الملك قد اطمئن الى هلاكهم ، فامر بفتح الابواب ودخل الغرفة ففوجىء بهم واقفون ، احياء وفى احسن حال ، يعلنون له انهم مسرورون بان يتاح لهم مغادرة الغرفة لان برودتها لم تعد تحتمل• فانطلق الملك غاضبا الى الطباخ وعنفه فقال هذا : « لقد اشعلت نيرانا كافية • انظر بنفسك يا صاحب الجلالة • »

رأى الملك نيرانا هائلة مشتعلة اسفل الغرفة الحديدية ، وفهم انه لا يستطيع القضاء على الرفاق الستة بهذه الطريقة • وجعل يفكر فى طريقة اخرى للتخلص منهم • فامر الجندى بالمثول امامه وقال له : « اذا اردت ان تاخذ ذهبا مقابل التخلى عن حقك فى ابنتى ، اعطيتك ما تشاء • »

قال الجندى : « وانا موافق يا صاحب الجلالة• اعطنى بقدر ما يستطيع خادمى ان يحمل وانا اتخلى عن ابنتك • »

سر الملك • وقال الجندى « ساحضر لاخذ الذهب بعد اسبوعين • ومضى الى خياطى المملكة فجمعهم وجعلهم يعكفون طوال اسبوعين على حياكة جوال هائل • وعندما انتهوا منه حمله الرجل القوى الذى انتزع الاشجار وذهب مع الجندى الى الملك الذى قال له : « ان رفيقك هذا قوى للغاية • كيف يتحمل هذه الكمية من الكتان التى تبلغ ضخامة منزل ؟ » وشعر بالرعب وفكر : « ياللذهب الذى سيخرجون به • !! »

امر الملك باحضار طن من الذهب حمله ستة عشر من اقوى الرجال ، لكن الرجل القوى تناوله بيد واحدة والقى به فى الجوال قائلا : « الى بالمزيد • فهذا القدر لا يكاد يغطى قاع الجوال •

وتعين على الملك بعد ذلك ان يرسل اكثر من مرة فى احضار كنوزه ، التى دفع بها الرجل القوى الى داخل الجوال • ومعذلك لم يمتلىء الجوال الى اكثر من منتصفه •

صاح الرجل القوى : « المزيد • المزيد • فهذه الفتات لاتجدى شيئا • » وهكذا تجمعت سبعة الاف عربة من الذهب افرغها الرجل القوى فى الجوال • ثم قال : « بوسعى ان اخذ اى شىء آخر غير الذهب حتى يمتلىء الجوال • »

استمرت تعبئة الجوال حتى لم يعد ثمة شىء ذو قيمة لدى الملك وعندئذ اعلن الرجل القوى : « يكفى هذا ، فليس من الضرورى ان يمتلىء الجوال تماما حتى يسهل اغلاقه • » ثم القى الجوال على ظهره وانطلق مع رفاقه •

عندما تبين الملك ان رجلا واحدا يحمل ثروة المملكة كلها ، انتابه غضب شديد ، فامر فرسانه بالانطلاق خلف الرجال الستة والعودة بالرجل القوى وجواله • وسرعان ما لحقت بهم كتيبتان من الجند خاطبهم قائدهم قائلا : « انتم معتقلون • القوا الذهب او نقضى عليكم • »

صاح النافخ : « ماذا ؟ قبل ان يحدث شىء من هذا سترقصون فى الهواء • » واغلق احدى فتحتى انفه • ثم نفخ بالاخرى فى الجنود فتفرقوا شتتا، وطار بعضهم فى الهواء حتى بلغ قمم الجبال • وصاح احد قادتهم طلبا للرحمة ، قائلا انه مصاب بتسعة جراح ، وانه جندى شجاع ولا يستحق هذه المهانة • فتركه النافخ يهبط بسلام • وقال له : « اذهب الى الملك وقل له انه اذا بعث وراءنا فرسانا آخرين نفختهم جميعا • »

وعندما تلقى الملك الرسالة قال لجنوده : « دعوهم وشانهم فلا شك انهم من السحرة • »

وانطلق الستة بالكنز الى مدينتهم • فاقتسموه فيما بينهم • وعاشوا فى سعادة حتى آخر أيامهم•

■■

ترجمة : صنع الله ابراهيم

لماذا لم نبدأ ؟

● كتب الدكتور نورالدين حاطوم في « قضايا حيوية » يقول ان العالم قد حاد عن جادة الصواب وعن التفكير العلمي السليم . وانا منذ عرفت القراءة وانا اسمع اننا بحاجة الى مصلحين ورواد يفهمون الدين على حقيقته ويقودون عملية تحرير عقول المسلمين من بقايا الخرافات والفكر الاستعماري.وانا اعيش بمنطقة الخليج واشهد كل يوم على مدى حاجتنا الى عملية « التحرير » هذه .

لماذا لا تنشىء هذا الجيل الواعي الذي نتمناه منذ زمن ؟ .. لماذا لم نبدأ خطوة واحدة في هذا الاتجاه ؟ ماذا ننتظر ؟

ارجو ان نفعل شيئا لانقاذ اجيالنا من الضياع المحقق .

الدكتورة فدوى جميل الجاسر
طبيبة بامارة رأس الخيمة

اعلام العرب

● الا ترى هيئة تحرير العربي اننا بحاجة الى ان نعرف عن أبي بكر الصديق وعن عمر ابن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز وصلاح الدين الايوبي وغيرهم. باكثر من حاجتنا الى قراءة المقالات التي تنشرونها عن الاعلام الغربيين ؟

محمد علي زيدان حمص/سوريا

ـ المحرر : الا ترى أننا نحاول أن نقدم الاثنين ، واننا نعطي الاولوية للشخصيات الاسلامية والتاريخ الاسلامي؟.

تعقيبان

١ ـ قرأت في العدد ٢٣٤ (مايو ١٩٧٨) استطلاعا عنوانه (البحث عن مواقع التاريخ تحت رمال الجزيرة العربية) وفيه كلام عن سوق عكاظ جاء فيه ص ٧٤ :

« ومن اول المحدثين الذين سعوا الى تحقيق موقعها وتاريخها الدكتور عبدالوهاب عزام في مؤلفه عكاظ ، ثم ما ذكره محمد حسين هيكل في كتابه (في منزل الوحي) ، وتتابعت المحاولات فاصدر النادي الادبي بالطائف مؤلفا عن السوق وتبعهم سعيد الافغاني في كتابه (أسواق العرب) .. » .

والذي وقع عكس هذا الترتيب ، فقد كان كتابي (أسواق العرب) أول ما صدر ، فطبعته الاولى صدرت في سنة ١٩٣٧م . واهديت نسخة منها الى كل من محمد حسين هيكل وعبد الوهاب عزام رحمهما الله ، وبعد سنة صدر كتاب محمد حسين هيكل (في منزل الوحي) وكان واجبا أن يشير الى كتابي المذكور الذي حاولت فيه تحديد موقع السوق وذكرت آراء المحدثين والقدماء .. كان كتابي اذا هو الرائد قبل كتاب الدكتور هيكل .

وقبل (عكاظ) الدكتور عزام بسنوات اجتهد ابن بليهد رحمه الله في تحديد موقع السوق وكذلك المرحوم خير الدين الزركلي في كتابه (ما رأيت وما سمعت) ثم البحاثة حمد الجاسر .

وصدور كتاب الدكتور هيكل كان بين الطبعة الاولى والطبعة الثانية من كتابي (أسواق العرب) ، وكان ما ذهب اليه في تحديد السوق خطأ اشرت اليه في الطبعة الثانية ص (٢٨٦) ببعض تفصيل ، ونصصت على ما انتهى اليه باحثون قبلي هم ابن بليهد ورشدي ملحس والامير فيصل بن عبد العزيز (الملك فيصل الاول فيما بعد رحم الله الجميع) .

اما كتاب شباب النادي الادبي بالطائف الذي أشار اليه الكاتب فقد سمعت به أخيرا ولم أطلع عليه مع الاسف ، وهو على كل حال متأخر عن كل ما تقدم واتوقع أن يكون شافيا في الموضوع . واشير هنا الى ان اخر ما وصلني عن عكاظ كتاب الدكتور ناصر بن سعد الرشيد (سوق عكاظ في

الجاهلية والاسلام : تاريخه ونشاطاته وموقعه) ـ ١٩٧٧ عن دار الانصار بالقاهرة •

٢ ـ في العدد نفسه من (العربي) مقال عنوانه (عندما تحدث طه حسين عن كتبه) نسبالي: صاحبه رواية عنالدكتور الحوفي (ان العميد (طه حسين) لم يرجع عن رايه في هذا الموضوع (الانتحال في الشعر الجاهلي) وهو عكس ما قررته ، فقد جاء في العدد الذي اشار اليه (يناير ١٩٧٧) ص ٨٧ ان الدكتور الحوفي « ادى شهادة بان طه حسين رجع عن نظريته في انتحال الشعر الجاهلي » •

ومن حق القراء ـ وقد فهم بعضهم من الجملة عكس ما تفيد ـ ان انقل اليهم كلمات الدكتور الحوفي من محضر الجلسة الرابعة لمؤتمر الدورة الحادية والاربعين المعقودة بتاريخ ١٩٧٥/٢/٢٧ ، فقد عقبالدكتور الحوفي على محاضرة الدكتور محمد خلف الله احمد (رحلة طه حسين في الشعر العربي) بما يلي :

« هذا البحث القيم اوحى الى الان ، ولعله اوحى الى كثير منكم بهذا السؤال : (ماذا كان موقف المرحوم الدكتور طه حسين اخيرا من الشعر الجاهلي ؟ لماذا عدل كتابه الاول (في الشعر الجاهلي) الى كتاب اخر هو (في الادب الجاهلي) ؟ لم لماذا لم يعدل عن رايه في انكار الشعر الجاهلي وجعل يدرسه بعد ذلك فيما سماه مدرسة أوس بن حجر ؟

اشهد امام حضراتكم انني سمعت من المرحوم الاستاذ ابراهيم مصطفى سنة ١٩٥٠ بعد ان قدم له (لطه حسين) مؤلفات تتصل بالحياة العربية من الشعر الجاهلي مصورة للحياة الدينية والاقتصادية وغيرها ، التي يتطلبها الدكتور طه حسين من الشعر الجاهلي ، قال الدكتور طه حسين للاستاذ ابراهيم مصطفى : « ما كنت اعلم هذا كله » فقال له الاستاذ ابراهيم مصطفى : « لماذا لاتعلن رجوعك عن ارائك ؟ » فابتسم وقال له : « لا،لا،لا » ـ محاضر مؤتمر الدورةالحادية والاربعين ١٩٧٦ ص ٢٦١

لقد رجع طه حسين عن رايه ذلك ، لكنه رفض الاعلان عن رجوعه حينئذ ، ولعله كان يامل الاعلان عنه بعد تراخي الزمن ونفاد الطبعة رحمة بالناشر ، فحال الاجل دون الامل •

هذا ما رايت واجبا بيانهتصحيحا للخطا واقرارا للحقيقة ووفاء للتاريخ •

دمشق ـ سعيد الافغاني

أنت تسأل ونحن نجيب

● لماذا اختفت زاوية «انت تسأل ونحن نجيب »، لقد كانت هذه الزاوية هي النافذة التي نستطيع عبرها أن نتعرف على الكثير مما هو مجهول لدينا ؟

عادل صالح عبد الحق ـ
عدن/اليمن الديمقراطية
الحضرى محمد ـتازه ـ المغرب•

ـ الزاوية اختفت عندما ادخلت بعض التعديلات على المواد التي تقدمها المجلة ، ورغبتك محل دراسة •

● أريد أن أراسل مسئولا بجامعة الكويت لبيحث رغبتي في الالتحاق بكلية التجارة •

محمد عبد الواحد
الدمام/السعودية

ـ اكتب الى عميد شئون الطلاب بجامعة الكويت مباشرة•

عن العمـارة العربية

● اثار انتباهي في العدد ٢٣٦ مقال عنالعمارةالاسلامية بعنوان العرب « مبدعون لا مقلدون » ، اعطى تركيزا للعمارة العربية في المشرق والمغرب العربيين ، والاندلس• ولكنياقول ان الدليل الحقيقي علىاصالةفنالعمارة والزخرفة عند العرب يمكن العثور عليه في اليمن • منشأ الحضارات القديمة (سبأ وحمير) ،ومنها انتقلهذا الفن الرفيع اليبقية انحاء العالم الاسلامي•واقترح على مجلة العربي ان تستطلع هذه المآثر العريقة في اليمن•

مصطفى عبدالعزيز ثابت
الجامعة الأمريكية ـ بيروت

الواقع العربي هو المسئول

● نشرت مجلة العربي في العدد ٢٣٢ مقالا للاستاذ نبيل الليثي تحدث فيه عن نقل العلم والتكنولوجيا •• لا شك ان الكاتب حالفه التوفيق في تصوير واقع الامة العربية •• ولا ينكر مكابر ان العلم والتكنولوجيا ليستا من الطلاسم التي استغلق فهمها على ابناء العرب •• ولكن المعاناة التي يرزح تحتها الوطن العربي وبالتالي المواطن العربي جعلت الامر يبدو على غير حقيقته •

الفرد العربي قادر على الابداع وهضم مختلف العلوم •• واكبر دليل على ذلك ، وجود الاف من ابناء الامة العربية في مختلف مجالات العلوم في اوربا وامريكا ••

العقول العربية هاجرت الى الغرب لانها لم تجد الامكانيات التي تستطيع ان تبدع في ظلها •

العقل العربي بخير ولكن الواقع العربي المزق هو المسئول الاول

عبد الباسط عمري
حلب

● ايضا ، قرات في العدد ٢٣٥ تقرير الاستاذ الفاروق عبدالعزيز عن مهرجان بغداد الدولي الثالث لافلام فلسطين وتساءلت : لماذا لا تعرض هذه الافلام الوثائقية النضالية في دور السينما العامة حتى يراها الشعب العربي في كل مكان •

باكستان وافغانستان

● نشرت « العربي» في عدد اول تموز (يوليو) الماضي مقالا عن افغانستان واحداثها الاخيرة ، وتضمن المقال خريطة لافغانستان والدول المحيطة بها ، وبينها باكستان •الا ان الخريطة ، المنقولة عن الوثائق الافغانية كانت تتضمن كلمة « باشتونستان » في منطقة الحدود الواقعة بين افغانستان وباكستان •وهي المنطقة التي تسكنها قبائل البلوش والباشتون •التي اختارت الانضمام الى باكستان في استفتاء انشاء الدولة الجديدة عام ١٩٤٧ •

وقد تلقت «العربي» ايضاحا من السفارة الباكستانية بالكويت، يلفت النظر الى ان كلمة باشتونستان هذه لاوجود لها في اية خرائط دولية معتمدة،وانها ليست موجودة الا في بعض الخرائط الافغانية التي تستخدم في اثارة منازعات الحدود بين البلدين • وازاء ذلك كان علينا ان نصحح هذه المعلومة،وان نسجل الحقيقة كما جاءت في ايضاح السفارة الباكستانية •

ان عواطفنا نحو باكستان ليست بحاجة الى شرح وتفصيل •

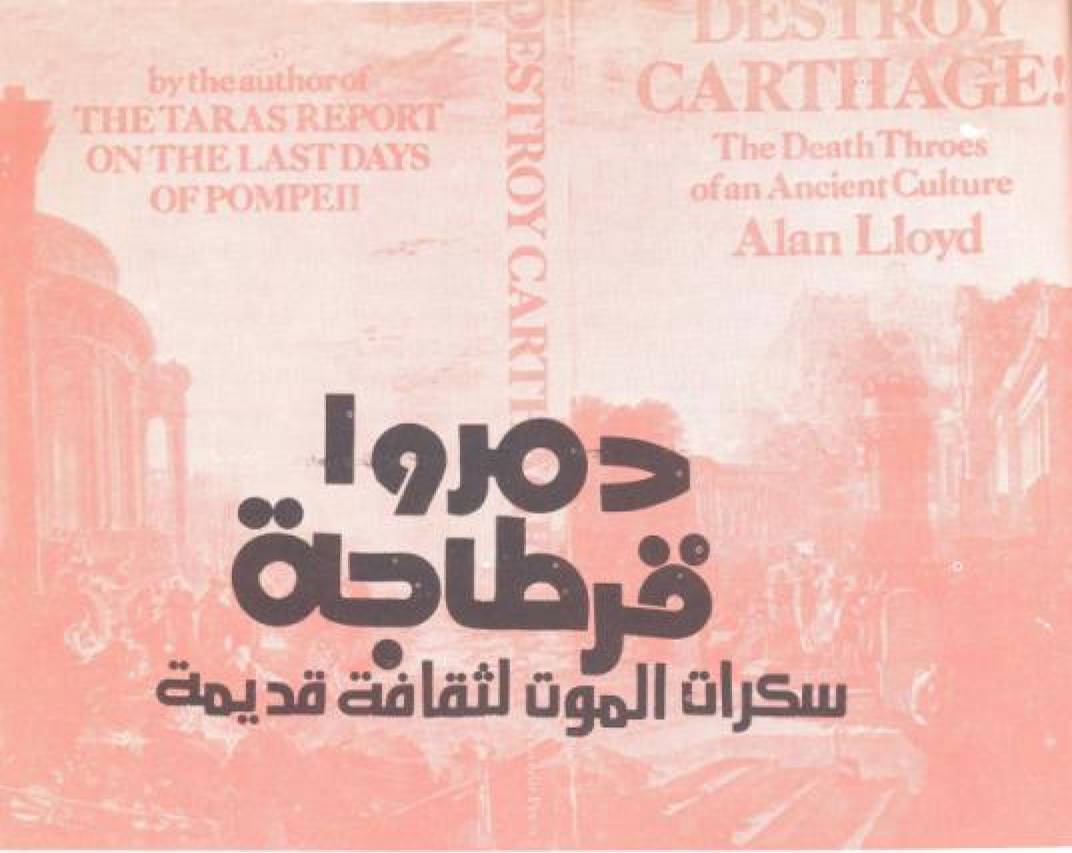
ومابين باكستان وافغانستان ، هو من شأن الدولتين •

واذا كانت العربي قد اقحمت في هذا النزاع ، فذلك عن غير قصد بكل تاكيد •• « المحرر »

رسالة

ابناء يعرب في السهول وفي البقاع العامرة
ابناء يعرب في النجوع وفي البوادي الهاجرة
فوق الجبال على السفوح وفي الكهوف الغائرة
اني لاصرخ فيكم مثل الرعود الزائرة
فلقد منيت بحرقة في القلب تهزم ثائرة
من هول مادهم البلاد من الخطوب الهادرة

محافظة الدقهلية/جمهورية مصر العربية
حسن علي سليمان



دمروا قرطاجة
سكرات الموت لثقافة قديمة

تقديم : الدكتور صفاء خلوصي

● هذا الكتاب يهم العربي سليل الحضارات القديمة ، لما فيه من عبر وعظات ، ولأنه يذكره بماضيه العريق المجيد وبما خاضه من معارك في سبيل ثقافة متمايزة عظيمة في الشرق الاوسط • ليعلم بأن النكسة او النكسات لا تزيد قوتـه الحضـاريـة الا حـدة وعرامـا ، فالفينيقيون من شعوب الشرق الاوسط وهم يمتون الى العرق السامي باكثر من نسب وقد كانوا اول من نشر الابجدية في العـالم وحفـز الانسان القديم على المغامرة في سبيل التوصل الى صلب الحقائق المجهولة،

والكتاب الجديد الذي بين يدي،بفصوله الثمانية (من القطع المتوسط) ،انما يرفع الستار عن آخر فصل عن هذه الدولة الجبارة العظيمة التي وصلت رحلاتها التجارية الى بريطانيا فمنحتها اسم «برتن» Britain او « برالتنك » لكثرة ما كانت تستورد من «التنك» او القصدير من اقليم كورنـوول Cornwal ، في جنوب غربي بريطانيا •

وكان الفينيقيون اول من توصل ـ في بعض

---

(١) تاليف آن لويد لندن (مطبعة سوفينير،١٩٧٧) ـالسعر : ٣٫٩٥ جنيه استرليني ••
والعنوان مقتبس من عبـارة مشهورة للخطيب والقائد الروماني كاتو كان يختم بها خطبه عادة ونص العبارة : Delenda Est Carthago (يجب ان تدمر قرطاجة !) •

الروايات ـ الى اكتشاف القارة الاميركية ،وكانوا الى ذلك محاربين ابطالا ومقاتلين اشداء ، فقد عبروا الالب على الفيلة بقيادة زعيمهم الخالد هانيبال او «حنا بعل » وباغتوا روما على غير ما كانت تتوقع ، ولكن القدر التاريخي الغاشم ابى الا انيفجا هذه الدولة البحرية العظيمةبالفناء التام على يد اعدائها وخصومها التقليديين : « الرومان » ••• فقد تسلم الفنيقيون صولجان السيادة العالمية ليسلموه بدورهم الى خلفائهم « الرومان » ، ولكن بعد ان تركوا اثرا لايمحى فى تاريخ الحضارة العالمية والسيادة البحرية التى لا تجارى ولاتبارى الا فى القليل النادر منادوار سلطان الامم التى دوخت الامصار واكتسحت الاقطار •

قصة خالدة

ويبدو ان القصة الخالدة لهذه الدولة العظيمة لاتتقادم ولاتبلى ، فكلما مر عليها عهد تصدى لها مؤرخ جديد ليلبسها ثوبا قشيبا وينظر اليها من زاوية جديدة ، واخر من قام بهذه المهمة الشاقة فى آن واحد هو الن لويد Alan Lioyd فمن يكون الن لويد هذا ؟ انه من مواليد لندن وقد تلقى ثقافة خاصة ولكنه قضى خمسا وعشرين سنة عاكفا على الدراسات التاريخية ولاسيما السنوات الاثنتى عشرة الاخيرة التىنشر خلالها خمسة كتب تاريخية وثلاث تراجم ، فضلا عن بعض الروايات الموضوعة ، وقد وضعت صحيفة « التايمز » اللندنية كتبه بين افضل مؤلفاتالعام المنصرم ، وهو اليوم يحيا فى حقل من حقول مقاطعة كينت Kent بجنوب شرقى بريطانيا ، حيث يكتب ويؤلف مطلا على وادى روذر Rother Valley وقرطاجة التى يتحدث عنها دولة •• بل امبراطورية •• بل حضارة عظيمة قامت بالقرب من تونس الحالية بفضل الفينيقيين الذين جاءوا من صور بقيادة ملكتهم دايدو Dido (٢) •

بداية امبراطورية قرطاجة

لقد بدات قرطاجة سنة ٨١٤ ق•م كمستوطنة فينيقية ولكنها سرعان ما اصبحت مدينة يعمها الثراء والرخاء ذات ابنية سامقة وميناءين يتلقيان تجارة البحر الابيض المتوسط وبلغعدد سكانها يومذاكالمليون نسمةوهو عدد كبير بمقياس العصور القديمة ، ولقد غدت قرطاجة حوالى سنة ٣٠٠ ق•م مركز امبراطورية عظيمة تشمل الساحل الافريقى للبحر الابيض المتوسط وسواحل اسبانيا ومالطة وكورسيكا وساردينيا وعمت تجارتها العالم المتحضر باسره •

ولقد كانت قرطاجة منافسة قوية لروما فكانت النتيجة ان اندلعت نيران ثلاث حروب عرفت بالحروب القرطاجية او الفينيقية Punic Wars وكانت الشرارة الاولى التى اشعلتها هى حق السيطرة على جزيرة صقلية واستمرت الحرب الاولى من ٢٦٤ الى ٢٤١ ق•م والثانية من ٢١٨ الى ٢٠١ ق•م والثالثة من ١٤٩ الى ١٤٦ ق•م

هانيبال قائد عبقرى

وقد دحرت قرطاجة فى الحرب الاولى وكذلك فى الثانية ولم ينقذها من الدمار العاجل غير عبقرية

---

(٢) هكذا يلفظها الانكليز وقيل اسمهاديدون Didon ابنة بيلوس » ملك صور • اخبارها فى (الانيادة) لفرجيل ويقابل الاسم الفنيقى(دايدو) بالعربية (وديدة) ، والاصوب اسقاط «النون » التى اوردها صاحب « المنجد » فى معجمالاعلام ، ولهذه الملكة اسم ثان هو « اليسا » Eulissa او اليسار Elissar بمعنى « بهيجةاو مرحة » وقد قيل أن هذا هو اسمها الاصلى قبل وفاة زوجها وهجرتها الى قبرص ومن ثمالىشمالى افريقيا هربا من ظلم اخيها بيجماليون ، وقد وهمت الموسوعة البريطانية (ط ١٩٤٨ جـ ٤ـص ٩٤٥) حين زعمت معنى (دايدو) « الشريدة او اللاجئة » agitive ، وقد ابتاعت « ديدو »قطعة الارض التى بنت عليها مدينتها الجديدة (وهذا ما تعنيه « قرطاجة ») من شعب ليبى ـليبنيقى كان يقطن المنطقة ، وتزعم الاساطير ان « ديدو » لقيت « اينياس »(وهذا ما ترويه«الالياذة) ناغرمت به ، فلما فارقها بامر الالهة طعنت نفسها بخنجر على محرقة •• مؤثرة الا نتحار على فراق حبيبها !

هانيبال وهو من اعظم القادة وامراء البحر في العالم وكان مولده عام ٢٤٧ ق٠م ٠ امضى ايام صباه وشبابه في الخدمة العسكرية في اسبانيا وتشرب بكره الرومان ذلك الكره الذى ملك عليه حواسه طوال حياته ، وعندما توفى والده هاملكار Hamilcar (٣) سنة ٢٢٩ ق٠م ٠ اعلن ابنه الشاب ، خلفا له : وسرعان ما بدأت سيرته الرائعة تتفتح امام الدنيا باسرها ، اذ ضم اجزاء شاسعة من اسبانيا الى سلطان قرطاجة واستولى على ساجنتوم Saguntum سنة ٢١٨ق٠م مما اثار حفيظة روما فاعلنت الحرب عليه ٠فسار هانيبال من توه الى ايطاليا ليقارع روما في عقر دارها قاطعا جبال البيرنة الوعرة(بين اسبانيا وفرنسا) مدمرا جيشا رومانيا باكمله فيغاليسيا وقام بالعبور التاريخي المذهل لجبال الالب ، ذلك العبور الذى حاكاه فيه نابليون بونابرت اكبر المعجبين به بعد قرون ، وقد كلفته المغامرة الاف الجنود ، وفقد فيها احدى عينيه ، ولكنه احرز اول نصر على الرومان في تيسينس Ticinus اعقبه بفوز ساحق في تريبيا Trebia ،واخذ يزحف نحو روما فكاد يفني جيشا رومانيا عظيما برمته بالقرب من بحيرة تراسيمين Trasimene سنة ٢١٧ ق٠م ٠ ويفني جيشا في كاني Cannac سنة ٢١٦ ق٠م ٠

وفي السنة ذاتها امضى شتاء قارصا في مدينة كابو Capua لينطلق منها بعد ذلك فيحارب لعشر سنوات متواصلة حروبا ضارية ولكنها لم تكن حاسمة ، اذ بدا النصر النهائي مستحيلا وتجنبت براعته العربية الانتحار جهد المستطاع الى ان حلت الكارثة فيميتورس Metaurus سنة ٢٠٧ق٠م اذ اقبل شقيقه هاسدروبال Hasdrubal من اسبانيا على رأس جيش الى ايطاليا ولكنه قبل ان يستطيع اللحاق باخيه دحر وقتل في المعركة ، ثم قطع رأسه وقذف به في مخيم هانيبال ، مع ذلك كله فقد استمر البطل العظيم هانيبال في القتال لأربع سنوات اخرى قتالا مريرا يائسا ، ولم يرغمه على العودة الى قرطاجة الا انباء غزو الرومان لبلاده وذلك سنة ٢٠٢ ق٠م ٠ وفي موقعة زاما Zama قابل هانيبال عدوه القديم اللدود سكيبيو (٤) Scipio والقى كل منهما نظرة اعجاب صامتةعلى صاحبه دون ان ينطق بحرف واحد ، فكان مشهدا تاريخيا فذا ولكن هانيبال آله الحرب الخالد كان قد بلغ ذروة مجده واخذ ينحدر بعد ان استنزفت الحروب المتواصلة قواه ، فدارت عليه الدائرة ، وغادر وطنه الى المنفى في آسيا الصغرى حيث عاش فترة من الزمن ،وعندما طالبت روما بتسليمه اياها اثر الانتحار بالسم عام ١٨٣ ق٠م ٠ على الذلة والاستخذاء والمهانة !

نهاية الامبراطورية ونهاية هانيبال

وتكاد تكون قصة حياة هانيبال التى سردناها بايجاز قصة قرطاجة ، ولكن (آلن لويد) لايكترث لها لانها لاتهمه في قليل او كثير ،ما دام قدكرس كتابه لما بعد موقعة (زاما) ، مما يجعل الكتاب غامضا نوعا ما وعلى الاخص عند اولئك الذين لايلمون بالتاريخ الماما واسعا ٠

لقد عقد سكيبيو Scipio القائد الروماني المنتصر في معركة (زاما) معاهدة صلح مع القرطاجيين وكانت ثقيلة البنود طالب فيها بتسليم اسرى الحرب والهاربين من الجيش الروماني والفيلة التى استخدمها القرطاجيون في حروبهم مع الرومان، وما كان لدى الاخيرين منها شيء (٥) والحق ان

---

(٣) هذا اسمه عند الرومان ، ومعناه في لغته الفينيقية « حامى القرية » ويلاحظ التقارب في النطق بين الاسمين(العربي) ٠

(٤) ورد رسم اللفظة في « المنجد » (سقيبيون الافريقي) (ط ١٩٥٦ بتأثير اللغة الفرنسية/ Scipion E'Africain

ولكن النطق اللاتيني هو سكيبيو وهو النطق الذى اجمع عليه المثقفون البريطانيون والمعاجم الانكليزية خلافا لما ورد في (المورد)للاستاذ منير البعلبكي (الطبعة الثانية عشرة ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٧٨ من معجم الاعلام الملحق به) وجاء رسمه « سيبيو » ٠

(٥) يقال ان الفراعنة سبقوا الفينيقيين في استخدام الفيلة في الحروب (راجع الموسوعة البريطانية، مادة قرطاجة) ٠

الفيلة كانت عاملا من عوامل خسارة هانيبال لمعركة زاما ، بقدر ما كانت من عوامل انتصاراته الاولى فى ايطاليا ففى (زاما) هاجت الفيلة المجروحة وعاثت فى صفوف الخيالة واحدثت فيها الفوضى والاضطراب •

ومن شروط الاستسلام المهينة الاخرى تسليم الاسطول القرطاجنى الى روما باستثناء عشر سفن ، وطالب سكيبيو بالمال والحبوب مرتبات وطعاما لجيشه ! اما التعويضات وغرامات الحرب فكانت باهظة جدا وتحتم دفعها بالفضة اقساطا على مدى خمسين عاما ، ومع ان المبلغ كان هائلا الا انه لم يكن مدمرا لدولة غنية عظيمة كقرطاجة، الا ان اسوأ ما فى بنود الاستسلام التنازل عن مقاطعات تحت سيطرة القرطاجيين والامر بامتناع قرطاجة عن شن الغارات والحروب حتى فى افريقيا ، الا باذن من روما ، وكان البند الاخير غامضا بشكل لم يتبين فيه ما اذا كان المنع ساريا كذلك على حروب الدفاع عند مهاجمة قرطاجة من قبل عدو خارجى ، هذا فضلا عما تكبدته قرطاجة من قتلى بلغ عددهم العشرين الفا ونحو هذا العدد من الاسرى الذين باعهم الرومانيون فى سوق النخاسة او استخدموهم لاغراض اخرى •

من مصادر الكتاب

لقد قسم المؤلف كتابه كتابين فى مجلد واحد وعقده على ثمانية وعشرين فصلا كانت الخمسة عشر الاولى من نصيب الكتاب الاول والثلاثة عشر الباقية للكتاب الثانى مردفا اياها بسرد للمصادر (ص١٨٤ ـ ١٨٦) ويدعى المؤلف فى الملاحظة البيليوغرافية Bibliographical Note التى توج بها سلسلة مصادره انه جعل من بعضها حكما عدلا فى القضايا الخلافية التى تضاربت حولها الاراء وعلى راسها : « تاريخ كمبردج للعصور القديمة Cambridge Ancient History و « روما ضد قرطاجة » (لندن ١٩٧١) من وضع ت٠ ا ٠ دورى T.A. Dorey و ٠ در ٠ ددلى D.R. Dudley

وهو كتاب موجز ولكنه عصرى الاسلوب ممتع و « الحياة اليومية فى قرطاجة ايام هانيبال » Daily Life in Carthage at the تاليف جلبرت بيكارد Gilbert Picard ، الترجمة الانكليزية عن الاصل الفرنسى بقلم اى٠اى٠ فوستر A.E. Foster لندن ١٩٦١) ومن الكتب الممتعة التى اعتمدها المؤلف كتاب «زحف هانيبال Hannibal's March لجافن دى بير Gavin de Beer (لندن،١٩٦٧) و«قرطاجة الفينيقيين Carthage of the Phoenicians تاليف م٠ ٠ور M. Moore (لندن ، ١٩٠٥) و « سكيبيو الافريقى : جنديا وسياسيا »

Scipio Africanus, Soldier And Politician

من وضع هـ ٠ هـ ٠ سكالارد H. H. Scullard (لندن ١٩٧٠)وتراث هانيبال Hannibal's Legacy تاليف المؤرخ العظيم آرنولـد توينبى (جـ ١ ، لندن ، ١٩٦٥) وهذه كلها من اصل ثمانية وثلاثين مصدرا رجع اليه الاستاذ الباحث آلن لويد •

مجلس الشيوخ الرومانى يأمر بهدم المدينة

وقد تعاطف المؤلف مع موضوعه تعاطفا شديدا فهو يأسف للمصير الذى آلت اليه قرطاجـة وحضارتها ، تلك التى اعطت الكثير واخذت القليل بما فى ذلك مصيرها المأساوى الذى لا تستحقه، ويشبه (آلن لويد) نهاية « قرطاجة » بنهايـة « هيروشيما » فقد كان افناء قرطاجة افناء ماحقا ولم يكن هذا من رأى القائد الرومانى المنتصر سكيبيو ،وانما فرض عليه فرضا من قبل مجلس شيوخ روما الذى امر بنقض قرطاجة ودكها دكا، فقد كان راى سكيبيو دحر اعداء روما والابقاء عليهم وعلى ديارهم فى حالة انقياد وخضوع •

ولـو سئلت رأيى الشخصى فى هـذا الصراع المصيرى لفضلت اندحار الحضارة الرومانية وانتصار منافستها القرطاجنية ، فقد كانت قرطاجة انفع للبشرية واقل قسوة واوسع نشاطا فى شتى الميادين ٠٠ ولكن للقدر رايا كثيرا ما خالف المنطق وناقض الصالح البشرى لامر لاندرى كنهه •

يقول المؤلف فى الاسطر الختامية لكتابه «ماتت عبقرية قرطاجة ـ بموت مدينة قرطاجة التى انبثقت تلك العبقرية منها ، فالدولة التى كانت يومـا ما عتلة التقدم التجارى للعالم الغربى بشكل لايبارى قد حلت بها الطامة الكبرى قبل انفجار اول قنبلة ذرية بـ ٢٠٩١ سنة » (ص١٨٣) •

المقاومة الرائعة ونهاية الفاجعة

والفصل الاخير من الكتاب فاجع محزن لا يكاد الانسان يقرأه دون ان تدمع عيناه فقد كان عدد نفوس قرطاجة عند بدء الحصار الذى دام ثلاث سنوات ٧٠٠ر٠٠٠ نسمة بما فيهم العبيد المعتقون ، وقد حمل السلاح من هؤلاء ثلاثون الفا دفاعا عن مدينتهم ، وصونا لحضارتهم ، وقدقتل عدد كبير منهم ، وفتكت المجاعة بعدد اكبر وتزعم الدفاع القائد « هاسدروبال Hasdrubal (٦) وقد احتل الجند الطوابق العليا من المباني العالية التي اصبحت شائعة في قرطاجة ، فقد كانت تبلغ ستة طوابق في كثير من الاحيان ، ودارت رحى المعارك الطاحنة من طابق الى طابق ومن شارع الى آخر وكان القرطاجنيون يسلطون الاضواء الكاشفة على الجنود الرومانيين الذين يهاجمون المدينة ويلقون بالنيران الملتهبة على رؤوسهم في الطرقات ، فقد كانت المقاومة في كل خطوة ،رغم المجاعة والهزال والضعف الذى اصاب الاهلين جميعا ، وارتعب الرومان امام هذه المقاومة الانتحارية ومناظرة البطولة المذهلة ، فكان الجنود كثيرا ما ينكصون على اعقابهم فتبعث القيادة مجموعات اخرى بدلهم فترتد هي الاخرى خائفة مذعورة امام بسالة الجرحى ومقاومتهم العجيبة ، وانسدت الطرقات والشوارع امام الجيوش الغازية باكداس من جثث القتلى فعينت القيادة الرومانية العليا فرقا خاصة لسحب الجثث من الطرقات ليفسح المجال امام الجيش ، ومضى يوم وهل فجر يوم آخر اعقبه فجر ثالث والمقاومة تزداد شدة وضراوة ، واضطر سكيبيو الى ادخال الخيالة الى المدينة وكان هذا اجراء فوق العادة نظرا الى ان المدينة كانت ذات تلول وبقي سكيبيو ساهرا على القيادة لايكاد ينام الليل طوال فترة الهجوم يتناول طعامه على ظهر جواده في اوقات غير منتظمة ، ووازى الغضب القرطاجي الوحشية الرومانية ، فكان الجنود الرومانيون يدخلون البيوت ويقذفون بالنساء والاطفال من اعالي السطح ويملؤون بالجرحى والموتى وحتى بالاحياء الخنادق ليعبر عليهم جنود سكيبيو ساحبين وراءهم معداتهم الحربية ، وامر القائد الطاغية باحراق المدينة ، وفي اليوم السادس من هذا العمل الوحشي النادر المثال في التاريخ ، وقف الوحش المنتصر سكيبيو متعبا مرهقا فوق تل من جثث الابرياء الذين ماتوا من اجل وطنهم ، واستعرض الحضارة العظيمة التي خدمت البشرية قرونا وقد غدت ركاما فدمعت عيناه ٠٠ لقد بكى سكيبيو ! أكان ذلك نتيجة تأنيب الضمير ؟ كلا فما للوحش من ضمير يؤنبه ٠٠ اذ التفت الى صديقه بوليبيس Polybius ،وهو ممسك بيده وقد آمن بان للدول والامبراطوريات اجالا كما للافراد الاعتياديين ، وقال له : « هذه لحظة رائعة يابوليبيس ، ولكنني خائف مرتعب من ان يوما كهذا اليوم سيدرك بلادي وان مصيرا كهذا المصير التعس سيحيق بروما ! » ٠

لقد صدقت نبوءة سكيبيو فقد انزل الله عقابه العادل بروما فشربت من الكاس التي سقتها لقرطاجة فاعمل فيها برابرة الهون Huns والقبائل الجرمانية والفاندال قتلا وحرقا وتشريدا ، مما لم يشهد له التاريخ نظيرا الا في قرطاجة «فما ظالم الا سيبلى باظلم ! »

هانيبال وزوجته بعد الهزيمة

لم يسجل التاريخ عدد قتلى الرومان في مجازر قرطاجه ولكن قتال الشوارع الضاري يكلف غاليا ولاسيما امام غلاة متعصبين لوطنيتهم ، فلابد ان روما ضحت بعشرات الالوف من جنودها لكسب هذه المعركة المصيرية ٠

وثمة مشهد ختامي في هذه المأساة لا يمكن ان ينسى ، فقد صعد سكيبيو وجنده الستين درجة الى معبد قرطاجه العظيم وقد اعتصمت فيه البقية الباقية من الجيش القرطاجي ،هناك التقى سكيبيو وجها لوجه مع القائد القرطاجي هاسدروبال وزوجته واولاده ، وكان القائد في آخر مراحل القتال المرير وافق على الاستسلام لانقاذ خمسين

(٦) هذا غير (هاسدروبال) شقيق هانيبال الذي جاء على رأس جيش لنجدة آخيه في ايطاليا فلقى هناك مصرعه ٠

الفا من القرطاجنيين واكثرهم من الشيوخ والعجزة والاطفال الذين لايقوون على القتال، غير ان زوجته رفضت ذلك بكل اباء وشمم ، ولما قابلت سكيبيو قالت له : لا ادرى ايكما اجدر بالتهنئة . اانت على وحشيتك الفظيعة ام زوجي على جبنه وخيانته؟ ثم احتضنت اولادها والقت بنفسها معهم وسط النار المضطرمة في أسفل المعبد ، مفضلة الموت على عار الهزيمة

مسكين هاسدروبال فقد خانته قواه في لحظاته الاخيرة فاستسلم واقتيد الى روما ليمضي هناك بقية حياته ويقول مؤرخو الرومان : انه لم يعدم، لان روما كانت تحترم الابطال من اعدائها وتبقى عليهم ولو كان ذلك حقا لابقت على اهل قرطاجة جميعا فقد كانوا كلهم ابطالا .

صفاء خلوصي

كتب وصلتنا

تاريخ الفرقة الزيدية بين القرنين الثاني والثالث للهجرة

تاليف : الدكتورة فضيلة عبد الامير الشامي

الناشر/مطبعة الاداب - النجف الاشرف/العراق .

● دراسة مستفيضة عن فرقة الزيدية وهي فرقة من فرق الشيعة ذات عقائد ومبادىء تتميز بها وقد مرت عليها ظروف قاسية منذ نشاتها في عهد الامام زيد بن علي بن الحسين بن ابي طالب وقد اتخذت اليمن موطنا لها وشهد القرنان الثاني والثالث الهجريان صراعا سياسيا للفرقة خاصة ضد الدولة الاموية والدولة العباسية واستطاعت ان تنشر مذهبها في سواحل بحر الخزر وبلاد الديلم والري شرقا وفي الحجاز واليمن، ويوضح الكتاب ما لعبته من دور في تاريخ العالم الاسلامي كما يمثله صراعها الطويل ضد حكم الامويين والعباسيين الى ان استقر بها المقام في ارض اليمن وذلك في بداية القرن الثالث للهجرة .

وقد تناولت المؤلفة البحث في هذه الفرقة من وجهين : احدهما سياسي ، والاخر عقائدي ، لان أساس وجود هذه الفرقة في الواقع كان سياسيا كما كان دينيا ،وان ائمتها هم رجال علم وفقه ورجال سياسة وحرب معا .

وتتكون الرسالة من اربعة فصول الاول موضوع الشيعة من حيث نشاتها الدينية واصولها وعقائدها واهم فرقها، ثم جذورها التاريخية وصراعها السياسي ضد الحكومات القائمة . اما الفصل الثاني فيتناول نشوء الحركات الزيدية في القرن الثاني للهجرة بظهور زيد بن علي على المسرح السياسي واعلان الدعوة الزيدية والصراع بينها وبين الدولة الاموية والعباسية مثل حركة محمد النفس الزكية واخيه ابراهيم بن عبد الله ، والفصل الثالث يدرس تطور الحركات الزيدية وتوسعها في عهد امامها محمد بن ابراهيم ابن طباطبا وخروج دعاته الى الحجاز ومصر واليمن والبصرة ثم وصول الدعوة الى اليمن في عهد الهادي بن الحسين واستقرارها فيه . اما الفصل الرابع والاخير فيتناول اصول الفرقة الزيدية : عقائدها وطوائفها المختلفة كالجريرية والجارودية والبترية .

اعلام الاصلاح في الجزائر

تاليف : محمد علي دبوز

الناشر : مطبعة البعث - قسنطينة - الجزائر .

● يقع هذا الكتاب في جزءين كبيرين ، ويتحدث عن رجال الجزائر واعلامها من المصلحين وحملة نهضة الجزائر الحديثة ، لان تاريخ هؤلاء الاعلام هو تاريخ العلماء

والمصلحين الذين قامت على اكتافهم نهضة الجزائر الحديثة والذين ساروا في طريق الاصلاح بل ان معظم الكتاب ابواب مهمة في تاريخ الجزائر الحديثة لم تنشر قبل في كتاب •

وقد بدأ المؤلف كتابه بدراسة وترجمة لحياة الشيخ مبارك الميلي والشيخ العربي التبسي لانهما متشابهان في الشخصية والنشاة ، كما تحدث عن الشيخ البشير الابراهيمي والشيخ توفيق المدني وغيرهم من اعلام الاصلاح في الجزائر في الشمال والجنوب •

ان تاريخ اعلام الاصلاح في الجزائر تاريخ للامة الجزائرية كلها ولا سيما الصفوة التي ايدتهم وكانت معهم في جهادهم التربوي والاصلاحي والعلمي وغيرها ، وقد توسع المؤلف في ذكر العامل التربوي للمصلح الذي درسه لانه يعتقد ان العامل التربوي من اهم ما يجب أن يعتني به المؤرخ فالجهود التربوية علامات بارزة تبرز جوانب جهادهم ومآثرهم المرئيةوتوضح كذلك جوانب التربيةالاسلامية التي تمسك بها هؤلاء الاعلام• ويذكر المؤلف ان والده كان له تاثير كبير وحافز قوي فيدفعه لتاليف هذا الكتاب فقد كان يحدثه عن هؤلاء الاعلام فيحب شديد لهم واعجاب كبير بصلاحهم وعلمهم وجهادهم فرسمهم مثلا عليا في نفسه فنشأ المؤلف شديد الحب لاعلام الاصلاح عظيم الاعجاب بهم كثير الاهتمام بتاريخهم •

وقد بدأ المؤلف بذكر تاريخ بعض الاحياء من اعلام الاصلاح كما درس طائفة اخرى من المصلحين المعروفين امثال الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الطيب العقبي والشيخ بيوض والشيخ ابى اليقظان والشيخ سليمان بن الحاج داود وغيرهم•

طه حسين حياته وفكره في ميزان الاسلام

تاليف : أنور الجندي •

الناشر : دار الاعتصام /القاهرة •

● هذا الكتاب يضم مدخلا الى موضوعه ،ثم ثلاثة ابواب، في كل باب عدة فصول ، ثم خاتمة ، والمدخل يبدأ بتاريخ الفترة التي لمع فيها الدكتور طه حسين عقب الضجة التي اثارها نشر كتابه « في الشعر الجاهلي » سنة ١٩٢٦ ، حتى ادى الامر الى محاكمته قضائيا ثم تبرئته مع مصادرة كتابه ، وقد اشار المؤلف هنا الى الكتب والبحوث التي ظهرت لنقض هذا الكتاب واسمائها، مع الاشارة الى كتب وبحوث اخرى بعضها تناول فكر الدكتور وآراءه وحياته ، وبعضها فينقض هذه الآراء •

وفي الباب الاول خمسة فصول تتناول مطلع حياة الدكتور ، ورحلته الى اوربا، وآراء المستشرقين التي تبناها، ومتابعته للفكر الغربي في بعض آرائه الادبية ، والاتجاه السياسي الغربي في شئون السياسة •

والباب الثاني يوضح المرحلة التي نضج فيها الدكتور وتالق، وفيه فصلان اولهما عنالدكتور حين كان في الجامعة ، والثاني عنه حين انتقل الى وزارة المعارف (التربية) وقد تناول الفصل علاقة الدكتور بالازهر، ثم سيرته في وزارة المعارف ، ثم صلاته بالصحافة والسياسة الحزبية في مصر ، ثم موقفه من الملك ، ثم سيرته فيالمجمع والجامعة العربية ، ثم افكاره في محاضراته والمؤتمرات التي شارك فيها •

والباب الثالث في آراء الدكتور وصراعه مع رجال جيله ، وفيه خمسة فصول : اولها في آراء الدكتور ، والثاني فيطريقته في البحث، والثالث في ظاهرة التحول والتناقض في بعض سيرته وآرئه ، والرابع في اسلوبه وادائه الفني ، والرابع في استجوابه قضائيا عند اخراجه كتابه في الشعر الجاهلي »•

واخيرا تاتي الخاتمة وفيها يشير المؤلف الى ان كتابه لدراسة حياة الدكتور وادبه، يعتمد على الوثائق ، والمؤلف يقدمه للقارىء الذي لميعاصر الدكتور فلم يعرف ما وراء مواقفه واتجاهاته الادبية والسياسية والدينية والعلمية من خلفيات مستورة ، والكتاب يحوي كثيرا من هذه الخفايا التي لم يجتمع مثلها في كتاب قبل •

نزهة العقل الذكي بجهاز البيئة

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » •• والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا •• ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه •. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري أن يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير •

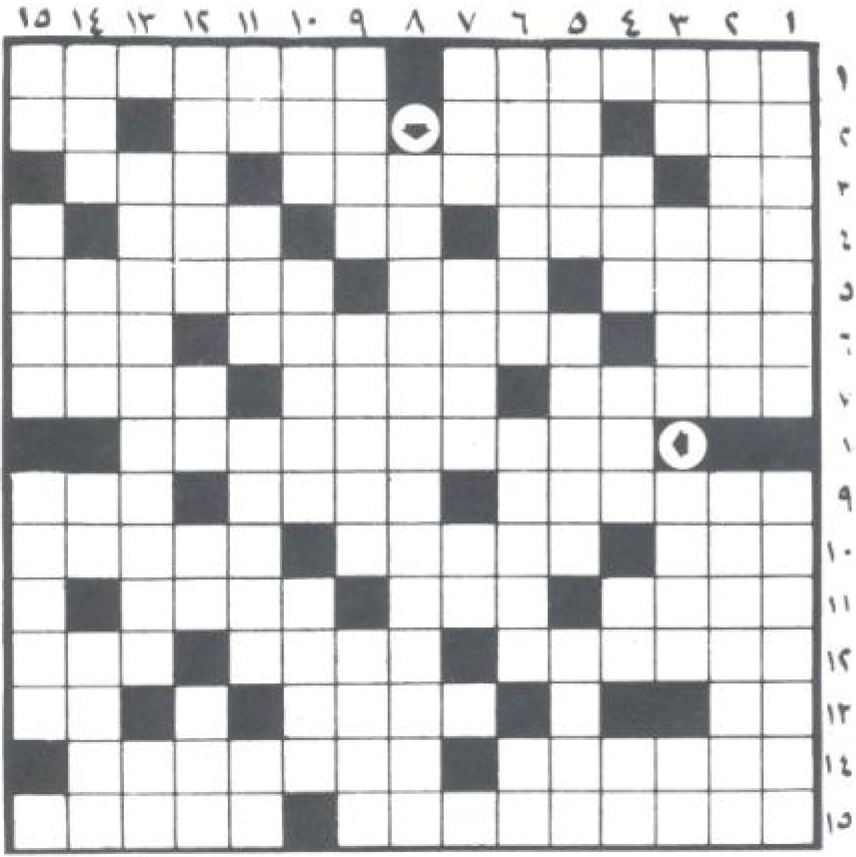
ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٣٩ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول ديسمبر (كانون اول) ١٩٧٨ •

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم رأس متكلمي المعتزلة ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم شاعر غزل ماجن •

كلمات أفقية :

(١) في العين ـ حيوان منقرض •
(٢) حرف عطف ـ كلام ـ ارخى ـ احصى •
(٣) حرف جر ـ من جزر الفلبين الكبرى ـ مشى •
(٤) مكانتهم ـ حرفان متشابهان ـ لصناعة النسيج •
(٥) لغة ـ نقص عقلي ـ مولد كهربائي •
(٦) عش ـ عالم ايطالي وضع أسس علم التشريح المجهري ـ كلام خفيض •
(٧) مصدر التشريع ـ افارق الى الابد ـ غرض •
(٨) رأس متكلمي المعتزلة •
(٩) فلسفة ورياضة من الهند ـ في الذرة ـ من الاخشاب •
(١٠) رخو ـ قطر عربي ـ حالية •
(١١) تقطع ـ استشعار الخوف ـ ثمين •
(١٢) مكتشف جغرافي قام باول رحلة بحرية حول العالم ـ حيوان ـ موت •
(١٣) في الفم ـ اظل ـ لفظة الم •
(١٤) اجاوز الحد ـ خيالاتهم •
(١٥) من بين الاحياء المائية ويستخرج منه العطر ـ وحدة قياس مسافات •



كلمات راسية :

(١) الاسم الرمزى لعملية الغزو البريطانى لاوروبا فى الحرب العالمية الثانية ـ حيوان برمائى •

(٢) من سلالات الدجاج ـ من اكبر المعارك البحرية فى التاريخ بين الاتراك والاوروبيين •

(٣) لقب كاتب ساخر من اصل ايرلندى ـ كسدت ـ يقدم انجازا ـ قضيت •

(٤) ظهر ـ حروف متشابهة ـ نصف كلمة (شارل) ـ حرفان متشابهان •

(٥) من اعضاء الجسم ـ غلايات ـ اقير •

(٦) يكسبها ـ الاسم الشائع لاستيارات الصوديوم ـ نصف كلمة (صقيع) •

(٧) من الانبياء ـ مؤذن الرسول ـ نصف كلمة (تجوع) •

(٨) شاعر غزل ماجن •

(٩) ملك فارسى قديم ـ يفقدون عقولهم ـ طيور جارحة •

(١٠) تجدها فى كلمة (يساوى) ـ شربا ـ هدف •

(١١) نظير ـ اعتزم ـ عاصمة اسيوية ـحرفان متشابهان •

(١٢) السياج ـ حرف استفهام ـ للتعريف ـ رجاء •

(١٣) شاعر مصرى ورئيس ديوان الانشاء فى العصر الايوبى ـ ضمير •

(١٤) شاق ـ يعبر ـ حرف نصب ـ جارح •

(١٥) اجاب ـ البق ـ خاتمة •

كوبون مسابقة

فيلسوف وعالم رياضي انجليزى

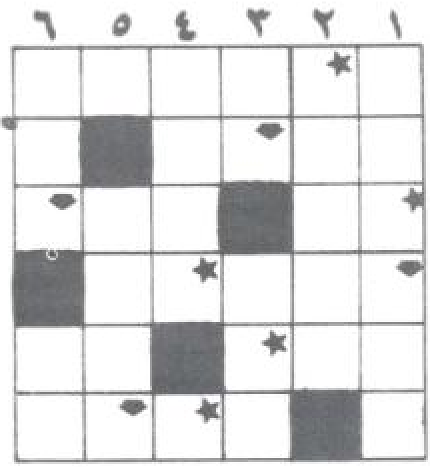
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لفيلسوف وعالم رياضى وفلكى انجليزى مشهور • ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه •

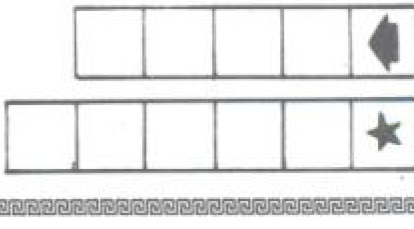
الكلمات الافقية :

(١) مدينة فلسطينية مقدسة •
(٢) اخفض صوت بين النساء •
(٣) نصف كلمة (تابى) ـ فى المدرسة •
(٤) كبتلنى •
(٥) من الاشجار ـ رمز جبرى •
(٦) اتجـاه •

الكلمات الرأسية :

(١) من الموالـــح •
(٢) شهر ميلادى •
(٣) نصف كلمة (تاسر) ـ من الاشجار •
(٤) عاصمة اوربية •
(٥) من عناصر المناخ •
(٦) من الاحجار الكريمة ـ مقام موسيقى •







ذيل الثعبان

كان الرجل يعيش من بيع الثعابين لحديقة الحيوانات • وذات يوم وجد مجموعة من الثعابين متكومة كما في الرسم • وكان عليه ان يعرف ذيل الثعبان الذى يظهر راسه في وسط الرسم •• فهو يعرف انه لو جذب الذيل الخطا ، فسيطل عليه راس لثعبان مختلف لا يراه ويلدغه ••

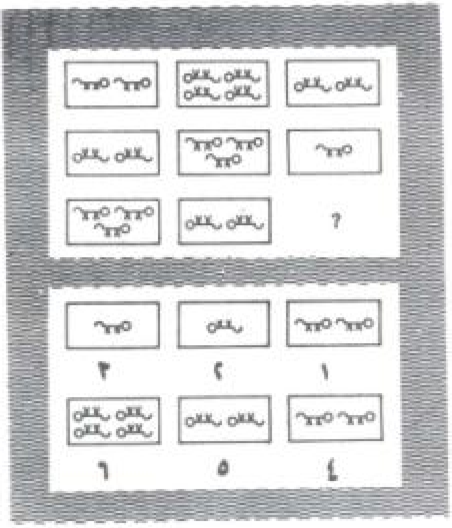
فهل تستطيع ان تعرف ذيل الثعبان الذى يظهر راسه ؟••

● بالعقل فقط ●

● استاذ نبيه يسأل ●

ماهو عمر زوجتي •••

قال الاستاذ نبيه لصديقه « هل تعلم ان عمرى هو نفس عمر زوجتي هذا العام •• » • فظهرت الدهشة على وجه الصديق، وهنا استطرد الاستاذ نبيه قائلا « اعلم سر اندهاشك •• فانت تعرف ان زوجتي اصغر مني، لكن ما اعنيه ان الارقام التى يتكون منها عمرى ، هى نفس الارقام التي يتكون منها عمر زوجتي •• واذا جمعت عمرى الى عمر زوجتي ، فان الناتج سيساوى ١١ مرة الفرق بين عمرينا •• فهل تستطيع ان تعرف عمر زوجتي ••• » •



الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول ان تعرف اى الاشكال ذات الارقام يمكن ان يحل محل علامة الاستفهام••

الحلول

النجمة والسهم :

اسحق نيوتن •

★ ★ ★

استاذ نبيه يسأل :

عمر الاستاذ نبيه ٥٤ سنة ، وعمر زوجته ٤٥ سنة • وهكذا يكون مجموع العمرين ٩٩ سنة ، ويساوى ١١ مرة الفرق بين العمرين •

★ ★ ★

الشكل المطلوب :

رقم ٢ •

★ ★ ★

متاهة :

الذيل المطلوب هو الايسر فى اسفل الرسم•



دليل الزمَن

هناك أناس يسهمون في تحديد النزوات والميول الشائعة وممن يتصرفون ويتخذون القرارات ولا يقلدون عامة الناس. أناس في الطليعة ، يقررون الأمور المتعلقة بهم وبالآخرين غالباً. لمثل هؤلاء ، أبدع رادو جيلاً قائماً في حد ذاته من الساعات المقاومة للخدوش والرقيقة المسطحة جداً ، طراز لا تجده الا عند رادو ، مبدع هذه التصميمات الفردية التي لا تخضع للمواصفات الشائعة والموجهة الى أصحاب الميول الذاتية.

RADO

آية في الجمال ومتعة الى الأبد



Mod. dép

فودن

جرار سوبر هولماستر
متانة معتمدة، قوة واداء

جرار سوبر هولماستر، ٦٥ طنا، وحدة فودن بثلاثة محاور، صمم للقيام باعمال النقل والانشاء الاكثر صعوبة، في اي مكان من العالم، جرت هندسته ليكون ذا اعتمادية كاملة حتى في اقسى ظروف التشغيل.

هيكل متين، ساقة محورية قدرها ٤٠ طنا، محرك كمنز NTCE 290، صندوق تروس فودن ذو ٨ سرعات، وعربة نقل منخفضة بادارة مزدوجة، بالاضافة الى حجرة لضبط الميل مصنوعة من الفولاذ لتأمين راحة ممتازة للسائق واقصى امكانية وصول - تلك هي الخصائص التي توفر القوة والاداء لجرار فودن



Foden

الرجاء ان ترسلوا لي التفاصيل عن جرار فودن هولماستر اكسبورت رانج

الاسم ______
الوظيفة ______
الشركة ______
العنوان ______
______
للتشغيل في ______

Export Sales Manager
Fodens Limited
Elworth Works Sandbach
Cheshire England
Telephone 09-367 3244



يمكنك الاعتماد على اوريينت للحصول على آخر التطورات في تكنولوجيا الساعات :
ساعة رقمية حديثة تعمل على البطاريات الشمسية ، مستعملة طاقة الشمس اللامحدودة . لاحاجة لإعادة
التعبئة للإستعمال اليومي . فعند الحاجة يكفي تعريض البطاريات الشمسية ، الموجودة في اسفل وجه الساعة الجذاب
لنور الشمس او نور الغرفة لبضع دقائق فقط . هذا كل ما يلزم كي تعمل هذه الساعة العجيبة مدة ٢٤ ساعة . ان التطور
الدائم تقليد متبع لدى اوريينت . ان هنالك مجموعة كبيرة من ساعات الكوارتز الفائقة الدقة والجودة كي تختار منها .
ساعات اوريينت كوارتز ، تقدم لك اكثر بكثير من اعطائك الوقت الصحيح فقط .

ORIENT اوريينت

Manufacturers: **ORIENT WATCH CO., LTD.**
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL 407-5901, TLX J26896





فكّــــــر...

إن سعر الشراء مهم ولكنه ليس كل شيء . فكر بكافة التكاليف التي تنفق طوال عمر الرافعة الآلية لكي تستطيع تقرير ما هو الأنفع لك . تكاليف التشغيل بما فيها قطع التبديل والتصليح . كلفة ساعات التعطل عن العمل وتأثير التغير في السعر إذا رغبت ببيع الآلة .

تتصف رافعات الكاتربلر ببساطة الصيانة مما يضمن تنفيذها . فهي مصممة بحيث لا تتضمن إلا الحد الأدنى من نقاط الفحص ، وتجتمع هذه النقاط سوية كلما أمكن ذلك مما يحقق الوصول السريع اليها كلها . وهذا كله يوفر أموالك على المدى الطويل .

كما أنك لا تتعرض للخسارة أثناء انتظار وصول قطع التبديل أو نتيجة اضطرارك لتخزين هذه القطع . فموزعو كاتربلر يهدفون إلى توفير مخزون من القطع التي قد تحتاج اليها . ويعني ذلك بالنسبة لك استثمار أموال أقل وتخفيض ساعات التوقف عن العمل .

وإلى جانب ذلك فان موزعي كاتربلر يقدمون برامجا خاصا تمنع تعطل الآلية عن طريق اكتشاف المشاكل المحتملة قبل حدوثها . وكل ذلك جزء من خدمات « كات بلص » . وهي برنامج الدعم الشامل المعد لمساعدتك لتحقيق أفضل مردود مما تنفقه من مال في استثمارك للعربات الرافعة .

فكر بالصورة الأجمالية قبل أن تتخذ القرار . الرافعة المناسبة ذات الكلفة الأجمالية المنخفضة .

يوجد ٤٦ نوعا مختلفا تتراوح قدراتها بين ١٠٠٠ و ٢٧,٣٠٠ كغ .

وهي تعمل على الكهرباء أو الديزل أو البنزين أو الغاز النفطي المميع .

أبو ظبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٤٤١ ، أبو ظبي ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٢٢٣٨٧ البحرين : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٥٣٥٧ ، المنامة ، هاتف ٧١٣٦٠٧ ، دبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ١١٧٠ ، دبي ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٦٠٢٥٥ ، الأردن : الشركة الأردنية للجرارات والمعدات المحدودة ، ص . ب ٣١٣ ، عمان ، هاتف ٢٨٣٦٣/٦٤/٦٥ ، الكويت : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ١٤٨ ، الكويت ، هاتف ٨١٠٨٥٥/٥٦ ، الجمهورية العربية الليبية : الشركة العامة لمعدات الزراع واللوازم الزراعية [illegible] ، ص . ب ٣٢٤ ، طرابلس ، هاتف ٣٠٣٤٤ ، فرع بنغازي : ٩٢٣٢٩ ، مصر : مانتراك ، ١٨ شارع أمين فكري ، محطة الرمل ، الاسكندرية ، مصر ، هاتف ٢٨٩٤٣/٨٠٩٩٥ ، عمان : شركة الواحة للتجارة والمعدات ، ص . ب ١٠٠٢ ، مطرح ، مسقط ، هاتف ٢١٦٠ ، قطر : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٢١٧١ ، الدوحة ، هاتف ٢٥٩١٩ ، المملكة العربية السعودية : شركة زاهد للجرارات والآليات الثقيلة المحدودة ، ص . ب ١٥٠٨ ، جدة ، هاتف ٢٦٣٦١ ، الفروع : الدمام ٢٢٥٩٤ ، الرياض ٢٨٥٦٨ ، سوريا : م . عزت الحلاق وأولاده ، ص . ب ٣٣ ، دمشق ، هاتف ٥٥٠٣٦١ ، ويوجد فرع في حلب ، تونس : مؤسسة ب . بن سالم ، ٩١ شارع قرطاجنة ، تونس ، هاتف ٢٥٦٥٧٧ ، الجمهورية العربية اليمنية : شركة تهامة التجارية المحدودة ، ص . ب ٣٣٣٢ ، الحديدة ، هاتف ٢٤٠٦ ، يوجد فرع في صنعاء .

CATERPILLAR



تصنع شاحنات ميتسو بيشي كنتر الخفيفة لاحتمال الخدمات الشاقة.
انها تختبر وتجرب لملاءمة أحوال العمل في الشرق الأوسط. مع خدمة ممتازة بعد الشراء يقدمها لكم موزع كرايزلر في منطقتكم.

شاحنات كنتر سهلة القيادة، ذات مقصورة ومعدات شبيهة بما تجدونه في السيارات العادية.

إنها سهلة التحميل، ويوجد أنواع مختلفة من الأجساد يمكنكم الاختيار منها. كما يمكن تقديمها على هيئة شاسي ومقصورة فقط.

تتوفر بإطارات مفردة أو مزدوجة في الخلف،
وبمحركات بنزين أو ديزل.

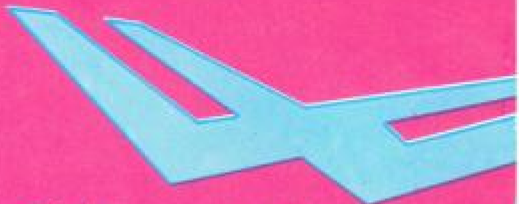
شاهدوا وجربوا مجموعة كنتر في محلات موزعي كرايزلر في جميع أنحاء الشرق الأوسط.



كرايزلر
انترناشيونال



باركر ١٨٠
فلوتينج
يختلف هذا القلم عن غيره، ليس عليك
إلا أن تكتب به لتكتشف السبب فهو بينما
يكتب "يطوف" (فلوتينج) على سطح
الورقة. مفهومه جديد في عالم
الكتابه. يتوفر في عدة نماذج صقلت
بالذهب أو بالفضة أو بصبغ اللك
أو بالفولاذ ليلائم أقلام باركر
١٨٠ من حبر سائل وحبر جاف
باركر ١٨٠ فلوتينج
يقدم لك الجودة
التي لا تقدمها سوى
أقلام باركر.
PARKER
180
floating ball



مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول أكتوبر ١٩٧٨

١٠٩/٢

من الأعمال المختارة

تشيكاماتسو - ٢

• الصنوبرة المجتثة

• انتحار الحبيبين في أميجيما

نقلها عن اليابانية : دونالد كين

ترجمها عن الإنجليزية : محمد الحديدي

راجعها : د. أحمد النادي



يضارع في إمكانيات أفضل أجهزة الاستقبال/ الكاسيت دِك ستيريو الضخمة، طاقته الصوتية ١٤ وات كاملة تعطي الصوت نقياً خالياً تماماً من أي تشويش. مجهز بأربعة مكبرات للصوت ثنائية الاتجاه، وبأربعة ميكروفونات للتسجيل، مع موصلات خاصة لمكبرين إضافيين خارجيين للصوت "وبيك أب" مما يجعل من الجهاز M 9994 K نظاماً كاملاً فريداً لموسيقى الستيريو.

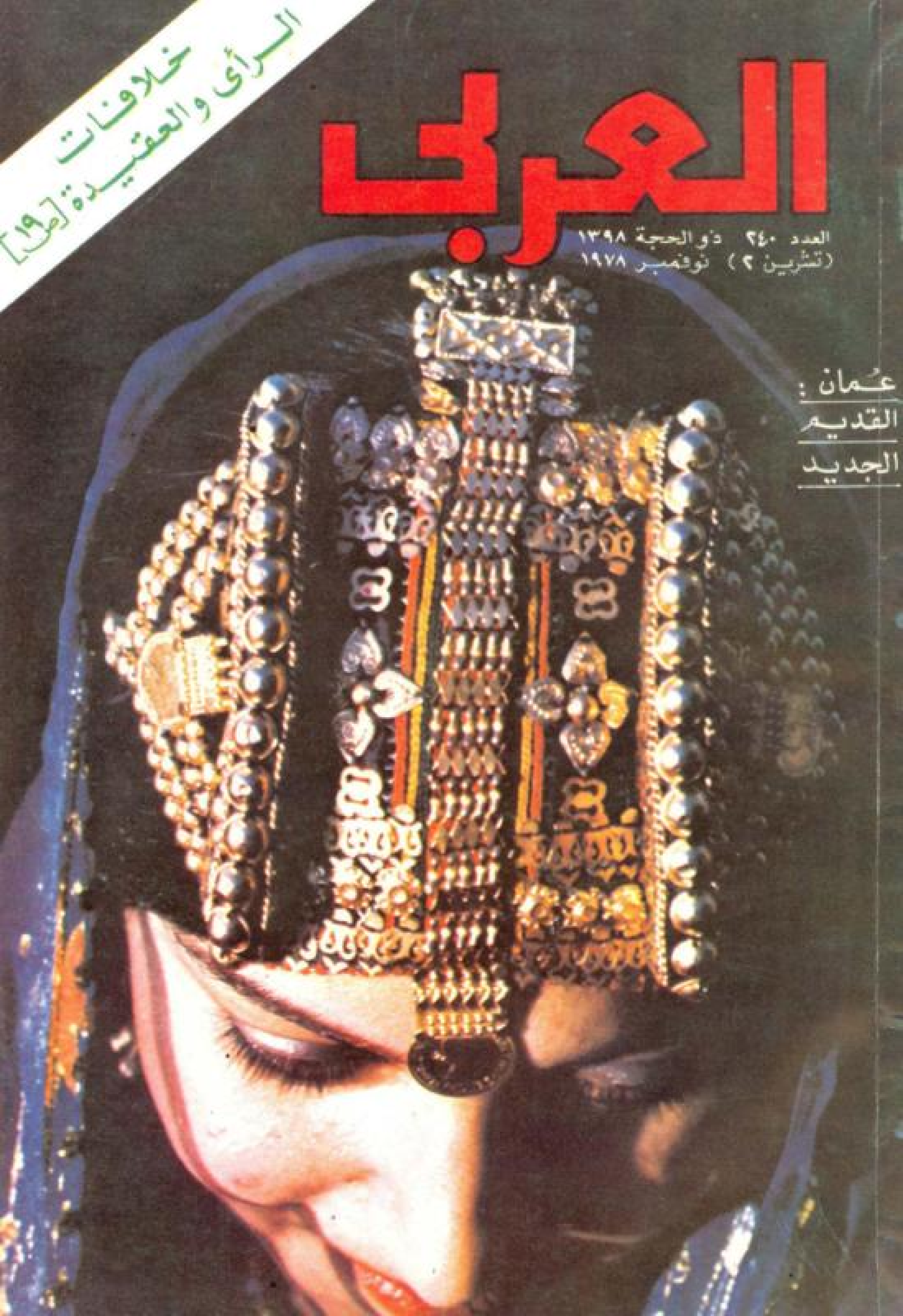
الآن، وبكل صراحة، أيمكنك أن تتمنى المزيد ... أم تتوقع أقل ... من جهاز نقال للراديو/كاسيت؟

SANYO سانيو

العربي

العدد ٢٤٠ ذو الحجة ١٣٩٨
(تشرين ٢) نوفمبر ١٩٧٨

خلافات
الرأي والعقيدة [ص ١٩]



عُمان:
القديم
الجديد

عزيزي القارئ

يقبل عيد الاضحى هذا العام ومحنة الامــة العربية بلغت ذروة لم تبلغها منذ هزيمة ١٩٦٧ ، عندما هزت الصدمة كل الاعماق بعنف ، وتارجحت امتنا شهورا طويلة مرة بين الياس والرجاء ، بينما ظلت الاصوات تتنادى بهاتف كالأنين : ماالعمل؟

الآن نكرر النداء : مالعمل ؟

عند الانظمة العربية اجابات مختلفة ، وهذا جزء مــن المحنة ، وعند الجماهير العربية ، لا اجابة على الاطلاق ، بــل حيرة قاتلة ، وشعور مماثل يتارجح بين الياس والرجاء ٠

ليست لدينا «اجابة واحدة» اذن ، والاجابات المتوفرة بعضها مرفوض ، وبعضها يمضى فى غير الاتجاه الصحيح ، وبعضها يداعب احلاما ولا يلمس واقعا ٠

ورغم ان القضية ليست من ذلك الطراز الذى يمكن ان تحسمه كلمة او رسالة على صفحة فى مجلة ، الا اننا ازاء الظلمة الجاثمة لانملك الا الدعوة الى العودة الى البديهيات والمسلمات٠

واحدى هذه البديهيات ان نبحث عن قيمة واحدة نلتزم بها٠ عن راية واحدة نقف فى ظلها ٠ ونحن مازلنا نعتبر ان رايــة القومية العربية هى مايجب ان نستظل ونحتمى به وندافع عنه ٠

قلناها من قبل، وهانحن نقولها مرة ثانية وثالثة وعاشرة: ان الخطر الذى يستهدف كيان الامة العربية لا سبيل الى صده الا بالتمسك بالقومية العربية ٠

اما اذا كانت هذه البديهية محل خلاف ، فعندئذ تصبــح المحنة اكبر مما نتصور ٠

ولنفكر معا فهذا مستقبلنا فى مهب الريح ٠٠

■■

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

استطلاعات :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 240 November 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT



صورة الغلاف :

■ يعيش المجتمع العماني فترة اخذ وعطاء بين القديم والحديث ·· فقد عاد المغتربون العمانيون الى بلادهم حاملين افكارا جديدة لمجتمع عاش منغلقا لفترة ٤٠ عاما ·· ومن الاشياء الجميلة التي بدأت تختفي ، الزي الوطني العماني الذي يتميز بالوانه الزاهية وكمية الذهب الكبيرة التي تضعها المرأة على راسها ويديها ··

(انظر استطلاع عمان ابتدأ من ص ٧٢)

شخصيات :

تاريخ :

قضايا حيوية :

أدب ولغة :

فنون :

دراسة الشهر :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا · سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش · الاردن ١٠٠ فلس · السعودية ريالان سعوديان · السودان ١٠ قروش · ج·م·ع ١٠ قروش · تونس ٢٥٠ مليما · الجزائر ٢٫٥ دينار · المغرب ٢٫٥ درهم · اليمن ٢٫٥ ريال · ليبيا ١٥٠ درهما · جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ·

حكايات

هل بدأت الحرب الثالثة ؟

مناقشة مثيرة ، تتحدث عنها دوائر الدبلوماسية ومعاهد الابحاث الاستراتيجية وبعض « عواجيز السياسة » المتمرسين بها فى بلاد كثيرة ...

المهم انها اكثر اهمية بالنسبة لنا نحن العرب ، ولعلنا نتاملها اكثر ...

موضوع المناقشة هو : هل بدات الحرب الثالثة فعلا ، ونحن لا نشعر بذلك ؟

والفكرة بسيطة جدا ، واقول مقدما اننى من انصارها ...

ان الحربين العالميتين ـ الاولى والثانية ـ كان سببهما الاساسى طبعا هو السيطرة على العالم الثالث ، بثرواته وشعوبه ، ولكن الحرب فى الحالتين وقعت اساسا فى اوروبا . فالصراع كان مباشرا بين الدول المؤهلة لاقتسام العالم . وان كانت امتدت اطرافه الى اماكن اخرى فى افريقيا وآسيا ، الا انها كانت ميادين ثانوية .

ولكن ظهور الاسلحة النووية المدمرة ، ثم تعادل القوة بين المعسكرين ، جعل وقوع الحرب الثالثة فى اوروبا مرة أخرى ، امرا مستحيلا . اى ان اوروبا بقسميها وامريكا الشمالية صارت مكانا محرما القتال فيه .

ولكن ، لان عوامل الصراع مازالت قائمة ، فقد انتقلت الساحة الى العالم

متفرقة

بقلم : أحمد بهاء الدين

الثالث ، الى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . وقد تطور الصراع من الحرب الباردة الى حرب ساخنة يخوضها العالم المتقدم فى ساحات اخرى وباسلحة تقليدية .

فحرب الهند الصينية كانت فيها الصين وروسيا وامريكا . وحرب الهند وباكستان كانت فيها روسيا وامريكا . وحروب الشرق الاوسط كانت فيها روسيا وامريكا . والمعركة حول كوبا . ثم حروب انجولا والكونغو وبيافرا . والصراع الصومالي الأثيوبى الارتيرى كان قديما ولكنه اكتسب خطورة جديدة حين اجتذب اليه روسيا وامريكا .

اذن فالحرب العالمية الثالثة دائرة . بالانقلابات . بالحروب الصغيرة باشكال شتى ، تتواجه فيها القوى الكبرى بشكل غير مباشر .

وكل دولة صغيرة تحس بخطر من دولة كبرى تستعين اتوماتيكيا بالدولة الكبرى الثانية .

... هذا واقع ، يمكن التدليل عليه بالف دليل ..

ولكن السؤال هو : ما العمل ، لدرء هذا الخطر ؟

هل هناك طريقة يمكن بواسطتها « تحصين » العالم الثالث من صراع الدول الكبرى ؟

هل يمكن تطوير عدم الانحياز مثلا ؟

هل يهب التاريخ هذه البلاد زعامات تحمي استقلالها فى مستوى الزعامات التي حققت ذلك الاستقلال ايام الحرب الباردة ؟

لقد بدا منذ سنوات قليلة ان الصراع ـ بشكل عام ـ سياخذ شكل

المواجهة بين دول الجنوب ودول الشمال ... اى بين العالم الفقير والعالم الغنى ...

ولكن العالم الغنى افلت من هذه المواجهة، واستأثرت بالسنتين الماضيتين احداث تعيد العالم من جديد الى الصراع ـ أو الاضطرار ـ الى الاختيار ـ بين مناطق النفوذ ...

كيف لا نضطر ان نختار ؟ .. كيف نبقى احرارا ؟

معنى الأزمة عندهم .. وعندنا

الزائر لاوروبا ، او اى مكان من اماكن العالم المتقدم ، لا يمكن ان تنفد ملاحظاته ، ومقارناته ، خصوصا اذا كان من اهل القلم ، اولئك الذين يحملون هموم بلادهم معهم اينما ذهبوا . فهم لا يسافرون ولكنهم يقرأون الشوارع والاماكن والمطاعم والحدائق . يقرأون الاحداث والاشخاص والقضايا . كل شيء من الجماد الى النبات والحيوان والبشر يتحول فى اعينهم الى سطور يقرأونها ويقارنونها بالسطور المنقوشة على صفحات بلادهم ...

وليس من راى كمن سمع . وتلك حكمة السفر ، التى كانت حاسة سادسة للانسان منذ خلق ...

من يقرأ الصحف الفرنسية مثلا يتصور ان الازمة آخذة بخناق فرنسا . ويقيسها بمقياس ما نسميه نحن « ازمة » و « مستوى معيشة » فى بلادنا . ولكن فرنسا تترع بالرخاء . والازمة فى فرنسا ان ينقص الفرد كوب نبيذ واحد مما يجب أن يشرب . كما ان الازمة فى انجلترا ان يزداد سعر كاس البيرة بنسا واحدا .

العالم الغربي لم يعرف رخاء فى تاريخه كله كالذى يعرفه الان . ولم يعرف ارتفاعا فى مستوى معيشة كل فئاته كالمستوى الذى يعيشه الآن . واى مرض اقتصادي فى اى دولة فى الغرب تشفى منه فى سنة واحدة بكلمة معناها ايضا مختلف . وهى « تقشف » . التقشف عندنا فى بلاد العالم الثالث معناه حرمان . فوق الحرمان ـ بل الشظف ـ الذى تعيشه الاغلبية . ولكن التقشف هناك معناه التوقف قليلا عن زيادة الاستهلاك . تأجيل شراء السيارة سنة مثلا . أو اطالة عمر الثلاجة سنة أخرى .

وحين نقرا ارقام البطالة عندهم يجب ان نقراها بمفهوم آخر . ان كذا مليون عاطل فى امريكا مثلا او فى انجلترا هو رقم يضم أولا الرجال والنساء . ويضم كل شاب أو شابة يسجل اسمه فى سجل طالبي العمل ، كالطلبة والطالبات فى الاجازات أو فى غير الاجازات ، ومعناه ان كل متعطل يحصل على معونة اجتماعية لا تقل كثيرا عن مرتبه ، ومعناها ان التقدم الصناعي السريع يستغنى

عن عمال مهن معينة حتى يتدربوا على مهارات جديدة تكفل لهم اعمالا جديدة .

فى حين ان بلاد العالم الثالث تنشر ارقام بطالة ولا تفزع من زيادتها كذا الف أو تفرح بنقصها كذا الف .

لان فى بلاد العالم الثالث الاغلبية الساحقة اما عاطلة بوضوح ، أو عاطلة مقنعة ، لانه ليس كل من يشغل وظيفة ويأخذ مرتبا يعتبر عاملا . اكثر الوظائف والمرتبات عندنا لا يقابلها انتاج . أو انتاج ساعة أو بضع دقائق فى اليوم كله . وليس عمل كل الساعات القانونية دون لفتة او لحظة لالتقاط الانفاس . . كالحال هناك .

ان الازمة الوحيدة فى العالم المتقدم هي ازمة الانانية . ازمة الطمع والجشع والاستهلاك المدمر ، وعلى حساب العالم باجمعه !

الا ترى العالم كله ـ حتى اصغر صحيفة فى ابعد مكان ـ يتحدث عن ازمة الدولار وازمة الاسترليني وازمة الفرنك . . . ولا يتحدث عن ازمة الف مليون انسان يعيشون عند مستوى الجوع ؟

الا ترى ان هذا الحال لايمكن ان يستمر ؟

ويل الشجى من الخلى !!

.. وبالمناسبة :
لاشيء يحدث فى السويد !

واذا كان التخلف مرضا ، فالظاهر ان التقدم ـ اكثر من اللازم ! ـ مرض!

فالمعروف ان السويد ربما كانت فى نظر الكثيرين اقرب دولة الى الوضع المثالى : فهى جمعت حسنات كل النظم السياسية : رخاء ووفرة فى كل شيء ديمقراطية وحرية شخصية لاحدود لها وهي اول دول العالم فى باب «المساواة» اى ضيق الفجوة بين الغنى والفقير ـ او بالاحرى «الاقل غنى» ـ لانه لايوجد فقراء .

وهي لم تدخل حروبا منذ اكثر من مائة سنة . ولم تعرف ازمة اقتصادية او كارثة طبيعية . وهي مع ذلك تصنع بعض احدث انواع الاسلحة . ولكن جملة «لا شيء يحدث فى السويد» تكاد تصبح مثلا شائعا من كثرة ترددها . لماذا ؟

يقولون لك نحن على مسافة ساعتين من باريس ، ولكننا بعيدون جدا عن العالم «لانهم بعيدون عن احداثه ومشاكله وتقلباته . لان بعض كتابهم يرون أن عدم اشتراك السويد فى الحرب العالمية الثانية ولا الاولى من اسوا ما حدث لها. فشعبها لم يعرف الازمة ولم يعد يقدر قيمة «النعمة» انه الملل ! الملل ! الرتابة الرهيبة ! العمل موجود . البطالة لها اجر العمل تقريبا ! وكثيرون يختارون

البطالة لفترات طويلة من باب التغيير . كل شيء جميل جدا ومتوفر جدا وعادي جدا . لاصراع على اى شيء ! لا افتعال باى حدث لهذا فاعلى نسبة انتحار فى السويد ...

حتى الحب فقد قيمته ، والزواج فقد معناه . ووجدت انماط جديدة من العلاقات فلا احد يخاف الفقر او الفاقة او يعرف القلق على مصير ابنائه !

.. يذكرني هذا بوضع مشابه ، فى كندا ، فمن عادتي حين ازور بلدا جديدا ان اقرا انتاجه الادبي ، لانه يشرح من الجوانب مالا تراه عين الزائر السريع . وسالت عن اهم اعمال ادبية كندية واجاب الكل : رواية اسمها « العزلتان The Two Solitudes » . وحين قراتها فهمت ان العزلة الاولى هي احساس الكندى بان كندا نفسها بعيدة جدا عن العالم ، لا بعيدة عن مشاكله . والثانية هي احساس الكندى بالعزلة داخل كندا ذاتها .. بحكم الاتساع الهائل والعدد القليل . فلا قرب ولا جوار ولا زحام !

لعلهم ان يكونوا فرحين بمشكلة انفصال ولاية كويبك عن كندا . ومشكلة انفصال رئيس وزرائهم بيير ترودو عن زوجته . على الاقل تجد صحافة كندا مشكلة « كندية » تتحدث عنها !

بندول الساعة !

والمرأة من الصين .. إلى أوروبا

كانت الصحافة طوال سنة مشغولة بالاجابة عن سؤال محير : هل بدأت الصين تتغير بعد ماوتسى تونج ، ام لا ؟

وكان لكل راى فريق يدافع عنه ويبرهن عليه بشتى الحجج والادلة . وصار كل تصريح لمسئول يوضع تحت مجهر الخبراء يفحصونه ويتاملونه !

.. حتى ظهر الدليل القاطع !

فقد بدات المراة فى الصين تخلع « بدلة ماو » المماثلة لبدلة الرجال تماما ، وتلبس الفستان او « البلوزة » و « الجونلة » ! ...

واندلع هذا الاتجاه ... من النساء العاديات فى الشارع ، الى زوجات بعض المسئولين فى الحفلات الرسمية !

اذن ، فمرحلة « الثورة » قد انتهت !

ذلك ان « الثورة » فى حياة اى شعب ، مرحلة استثنائية ، فيها يستشهد الناس ، ويضحون ويستغنون عن أشياء كثيرة ... ثم لا يلبث الانسان ان يعود الى سيرته الاولى ، والى غرائزه وصفاته الطبيعية ... ربما بشكل أرقى ... ولكن تبقى الطبيعة ...

وبالتالي ، فنظرية ماوتسى تونج ومحاولته فى ايجاد « الثورة المستمرة »

قد لحقت غيرها ، وبلغت الموجة مداها ، لان الموج لا يزحف اماما الى الابد ... انما الحياة مد وجزر ..

وليس معنى ذلك ان الحياة واقفة تراوح فى مكانها . فالدنيا تتغير .

ولكن الصراع حول « القيم » صراع ابدى أزلى .. يتقدم بدوره ويتغير .. ولكن فى حركة كبندول الساعة : تتطرف المجتمعات فى اتجاه ثم تتطرف فى اتجاه عكسى ، مارة بمرحلة من الاعتدال والتوسط ، وهكذا ..

المراة مثلا ... حيث اننا بدانا هذا الحديث بها ...

فى ثورة الصين ذهبت الى أقصى الحدود فى المساواة بالرجل ، وفى التوحد معه ، حتى فى الزى .. وفى انكار الكثير جدا من صفات الانوثة . ومرحلة نضال وكفاح وبناء وتعب . مرحلة جاءت بعد فترة كانت المراة الصينية فيها سلعة تباع وتشترى وسواء كانت حرة او رقيقا فهى عبدة للرجل على اى حال .

فى الغرب راينا العكس يحدث ... تحررت المراة ، ولكنها فى ظل ظروف اخرى حملت حريتها الى اقصى الحدود .. حتى صارت المراة العارية - بشخصها على الشواطىء مثلا او فى الملاهى - او بصورها فى المجلات والصحف .. صارت شيئا عاديا ، اكتسبت حق العرى ! ثم صار العرى تجارة وصارت المراة بالتالى سلعة . وصارت أوسع المجلات انتشارا وأعظم الافلام رواجا هى مجلات وافلام العرى الكامل !

وهنا ، نجد ايضا ان حركة البندول فى هذا المجال تعدل نفسها . ففى المانيا وفى امريكا وغيرهما تكونت جمعيات نسائية لمحاربة كل انواع المتاجرة بالمراة . لانها بهذا تعدت مرحلة المساواة بالرجل فصارت بضاعة بالنسبة له ، بطريقة اخرى ...

وفى المانيا الغربية رفعت جمعية نسائية دعوى امام القضاء ... ضد اكبر مجلة اسبوعية فى المانيا هى «شترن» طالبت الجمعية فيها بمنع المجلة من نشر صور النساء العاريات ، لان هذا اهانة للمراة وجريمة فى حق الذوق العام .

وقال الدفاع ان الجمعية النسائية لا تمثل كل نساء المانيا . وبالتالى فليس من حقها التكلم باسمهن .

ورد محامى الجمعية النسائية بان هذا يشبه القانون الذى يسمح لاى يهودى بان يرفع دعوى ضد اى شىء يرى انه يحط من قدر اليهود كفئة او كطائفة ...

ولكن النساء فى المانيا لسن - من - اقدس من اليهود ...

ولذلك حكم القاضى برفض الدعوى . وقال قاضى مدينة هامبورج فى حكمه انه فعلا يرى فى هذا النشر عملا منافيا للذوق ، ولكن القوانين فى المانيا لا تعطى احدا حق التكلم باسم الناس فى مسالة خاصة بالذوق !

وليس الحكم مهما ..

المهم ، ان المراة الاوروبية نفسها بدات تكتشف ان تحررها ، الذى وصل الى آخر المدى ، قد انقلب عليها ، وجعل منها سلعة فى يد الرجل من جديد ! ..

■■

احمد بهاء الدين

« الذين جاءونا بأدوات الحضارة الجديدة لم يتيحوا لنـــا الفرصة لنعانى مرارة التحول »

نحو وجدان جديد

بقلم الدكتــور عون الشريف قاسم

من أبرز سـمات عصرنا السرعـةالفائقة التى تنتقل بها أدوات الحضارة ومنتجاتها الصنـاعية من مكان الى مكان ، متخطية فى ذلك كل الحواجز المكانية والزمانية والحضارية ، فان الطائرة والسيارة والراديو والتلفون وغيرها من منجزات العلم والصناعة قد ربطت الصحارى والقفار بمراكز التجمع الحضارى في العالم ، بحيث أصبح البدوى الـراعى او القروى المزارع لا يحس بفرق كبير بينه وبين الحضرى فى المدينة من ناحية المظهر العام على الاقل في كثير من اقطـار العالم .

وبنفس القدر تضاءلت الفروق الشـكلية بين العالم المتخلف والعالم المتقدم ، فحيثما ذهبت فى العالم تكاد تجد نفس المظاهر الحضارية ، ممـا يوحى بالوحدة الشكلية التى نجحت الحضـارة الصناعية فى فرضها على كثير من شعوب العالم .

وفى اطار هذه الوحدة الشكلية يستطيع الفـرد أو الامة ان تنتقل من مجاهل القرون الى الثلث الاخير من القرن العشرين دون كبير عناء ، لان أدوات الحضارة الحديثة كفيلة باجراء اللازم .

ولكن هذه النقلة الحضارية لا تتم بلا ثمـن

فان الاستمتاع بنعمة الحضارة كأى استمتاع بنعمة اخرى من نعم الله لابد له من مقابل ، اذ ليس هناك فى الطبيعة ولا فى المجتمع شيء من لا شيء . وهذه الادوات الحضارية التى تلغى الفروق بين الامم وتختصر القرون لتسوى بين الناس من الناحية الشكلية فى الثلث الاخير من هذا القرن لم تات بلا ثمن ، ولم تنزل على الناس بدون مكابدة ، وانما دفعوا ثمنها القرون الطوال معاناة وتضحية ونقصا فى الانفس والاموال . فان كل انجاز مادى او حضارى وراءه سلسلة طويلة من المعاناة الفكرية والروحية والاجتماعية ، وما الادوات الحضارية الا المظهر الخارجي لهذا التطور الحضارى العام الذى ينتظم المجتمع ويحدد سماته المميزة ، فهى من ناحية رمز لحقيقة كبيرة تشمل المكان والزمان والبشر ، ولا تبدو دلالتها على البناء الاجتماعى الذى تعبر عنه الا كما تبدو قمة الكتلة الجليدية فوق سطح البحر .

التطور شبرا شبرا

وقد مرت الشعوب الاوروبية بمراحل عديدة من التحولات الفكرية والاجتماعية حتى وصلت هذا المستوى الذى بسطت عن طريقه سلطانها على بقية العالم ، فهى فى سبيل الوصول الى هذه الغاية الحضارية المتقدمة لم تختصر مرحلة ، ولم تلغ حقبة من الزمان ، وانما عاشت تطورها شبرا شبرا ، وعانت الامه ثانية بثانية ، وتكيفت مع كل الظروف الناجمة عن مراحل تقدمها المختلفة ، يشهد على ذلك حروبها الدينية والوطنية والاهلية ، ومذاهبها الفلسفية والادبية والفنية ونظمها الاجتماعية وانماط سلوكها واخلاقياتها وغير ذلك من مظاهر الثقافة الغربية . وقد دفع ثمن ذلك ملايين الانفس التى ذهبت ضحية هذا التطور الحضارى الطاحن .

فاذا كان التطور الحضارى بهذا القدر من باهظ التكاليف والتضحيات فكيف يستقيم عقلا أن تنتقل الامم المتخلفة من مرحلة القرون الوسطى الي الثلث الاخير من القرن العشرين فى مدى سنوات معدودة دون أن تدفع ثمنا غير ثمن الادوات الحضارية التى تحدث هذه النقلة السحرية فى حياتها ؟ والواقع أن ذلك لا يستقيم عقلا ، وان الثمن الذى تدفعه هذه الامم لا يقدر بثمن ، لان نقلتها ليست نقلة حضارية حقيقية ، وانما هى نقلة صورية ، تنفصل فيها روح ومقومات حياتها الوجدانية والشعورية عن واقعها المعاش. فهى تعيش فى الحاضر بجسمها ، ولكنها تحيا فى الماضى بوجدانها ومشاعرها . وهى تسعى الى احراز الحسنيين معا : التمتع بثمرات الحضارة ، مع المحافظة على ما الفته من مواضعات مجتمعها القديم : تريد ان تاخذ من كل من العالمين خير ما فيه ، وذلك ما لا يستقيم مع سنة التطور . والنتيجة الحتمية لهذا السعى ان تفقد كلا العالمين . تفقد ماضيها لانه معزول عن حياة الناس المعاشة ، لم ينفعل بما يجرى فى واقع الحياة ، ولم يتاثر بالصدمات التى يتعرض لها الناس عادة فى تطورهم . فقد ظل هذا الماضى نمطا مكرورا يتوارثه الخلف عن السلف فى دعة واستكانة ، مثل ما يتوارثون الساقية او السلوكة (اداة الزراعة فى السودان) دون كبير تغيير ، لان التغيير الفكرى لا يحدث الا بتغيير نمط الحياة، وحين جاء التغيير اتانا من الخارج ، وفرض علينا فرضا فى كثير من مظاهره .

فان الذين جاءونا بأدوات الحضارة الجديدة لم يتيحوا لنا الفرصة لنعانى مرارة التحول ، ولنجرى فى كياننا وعقولنا التغييرات اللازمة التى تستقيم مع المرحلة الجديدة التى انتقلنا اليها. وبذلك يتلاءم ما بداخلنا مع الذى يحدث فى خارجنا . ولعلنا لو منحنا تلك الفرصة لما استطعنا ان نفعل شيئا ذا بال لجمودنا وموتنا الحضارى وعدم اسهامنا المباشر فى العطاء

الحضارى الذى غزانا بجيوشه والاته ونظمه الفكرية والاجتماعية . وكان ان اتت مع الادوات الحضارية كل الهياكل الفكرية التى تستند اليها ، فتغير نظامنا التعليمى التقليدى الذى كان يصل الدارس بمجتمعه البسيط وحل محله تعليم جديد يحشو الذهن ويتجافى عن الروح والوجدان . وتغيرت نظم الادارة والحكومة والقانون ، وتغير بالتالى الزى كما تغير سواه من مظاهر حياتنا الخاصة والعامة . ولم يكن لنا فى كل ذلك كبير اختيار ، وبذلك فقدنا قدرة التحكم فى حاضرنا ، لانه نابع فى كثير من جوانبه من بيئة غير بيئتنا ، مدعوم بقوة من خارج ديارنا . وكان لمن النقلة الهينة الى القرن العشرين شل قدرتنا على التطور الذاتى وتجاوزنا عن مقومات حياتنا الوجدانيةوالاجتماعية واستبدالها فى كثير من المواقف بمستوردات من الخارج ، وبذلك اصبحنا تابعين لغيرنا لا فى مجال التفوق الصناعى فحسب ، بل فى مجال الحياة الفكرية والاجتماعية ايضا . والعقاب الذى يصيب من يرضون بالتبعية هو شل الارادة ، وموت المقاومة ، والتسابق على التقليد ، والاهتمام بالقشور دون اللباب ، والتبجح بالمظاهر دون العناية بالمخبر ، وينعكس ذلك كله فى واقع الحياة انفصاما فى الشخصية ، وازدواجية فى المجتمع ، وانفصالا يكاد يكون تاما بين الضمير والاداء ، وبين القول والفعل ، وبين الايمان والمسلك ، وبين العبادة والمعاملة ، وبين الدين والدنيا ، وبين القيم والاخلاق وواقع الحياة المعاش . ويكون تقدمنا الشكلى على مستوى الاحتياجات المادية للمجتمع سبيلا الى تعميق حدة هذه الثنائية المدمرة فى حياة الفردوالجماعة، لانه تقدم يهتم بالمظهر الخارجى لتطور المجتمع ولا يلقى كبير بال لمحتواه .

تتلقف الازياء والافكار

وكيف لا يكون الامر كذلك ونحن معجلون عن امرنا ، علينا ان نختصر الزمن ، ونلغى المسافات ، لكى نلحق بركب التقدم بعد قرون طويلة من التخلف والجمود الحضارى ؟ وقد وجد فينا الاستعمار الفكرى بغيته فاذا بنا لا نتلقف الازياء والادوات والانظمة وحدها ، بل نتلقف معها الشعارات الفكرية والقيم الاجتماعية التى هى وليدة مجتمعات مختلفة عنا فى كل شىء. فاذا كان الدين فى المجتمع الاوروبى امرا شخصيا لا ينظم كل حياة الناس ، لان المسيحية التى يدينون بها تعطى ما لله لله وما لقيصر لقيصر، وتؤكد هذا الاتجاه الشخصى ، فلماذا لا تكون هى النظرة السائدة عندنا ، على الرغم من ان ديننا ليس امرا شخصيا ، بل هو موغل فى اجتماعيته ،وعلى اساسه تقوم شخصيات الافراد ويرتكز هيكل المجتمع ـ وواضح ان النظرة الاوروبية للدين دعم للتراث الاوروبى ، وتطوير للمجتمع الغربى فى حين ان تطبيقها على مثل مجتمعنا فيه مجافاة لتراثنا ، وتدمير لكيان مجتمعنا .

واذا كان تراث المجتمع الاوروبى وطبيعة تطوره تجعل من المسلك الخلقى للافراد امرا خاصا بهم لا علاقة له بالحياة العامة ، التى ينظمها القانون منذ عهد الرومان ، فلماذا لا يصلح هذا الاتجاه لنا ؟ على الرغم من أن تراثنا يؤكد اجتماعية الفرد . ويجعل من مسلكه الشخصى امرا لاينفصل عن حياة المجتمع العامة لان الضوابط التى تقيد حريات الافراد هى نفس الضوابط التى تحدد سمات المجتمع عامة ، لان قيم الدين فى مجتمعنا التى تنظم حياة الفرد وحياة الجماعة على السواء قد حلت محل سطوة القانون فى المجتمع الاوروبى وحين سمت النظم الاوروبية الى اتاحة الحريات الشخصية فيما يتعلق بالامور الخلقية سمت فى نفس الوقت الى فرض سيادة القانون لتامين سلامة المجتمع من شطط هذه الحريات . اما نظامنا فيسعى الى خلق المواطن الذى يسلك السلوك الاجتماعى الامثل بدافع

من ضميره لا خوفا من القانون ، فاذا انهارت هذه الصلة بين الفرد والمجتمع ، واصبح كل فرد يفعل ما يحلو له بدعوى الحرية الشخصية دب الفساد والتفتت فى المجتمع ، وعجزالقانون عن صيانة حرمات الناس وحقوقهم ، وقد كان النظام التعليمى القديم يؤكد هذه الروح الجماعية ويسعى عن طريق القول والعمل الى تدعيم الصلة العضوية بين الفرد ومجتمعه ، لقد كان تعليما للمواطنة بحق وحقيقة .

واذا كانت الثورة التعليمية فى أوروبا قد قامت على تحرير المناهج من القيود الدينية الكثيرة التى كانت تكبلها ، فما أحرانا أن نفصل التعليم الدينى عن التعليم المدنى ، ولا يهمنا ان نفصل بذلك بين عقولنا وأرواحنا ، أو نقيم حاجزا سميكا بين تراثنا وماضينا وبين حاضرنا . وهكذا وجدنا انفسنا نطبق منهجا فى الثقافة والتعليم مغايرا كل المغايرة لوضعنا الفكرى والاجتماعى ، فانفصلنا عن التراث ، وانفصلنا بالتالى عن مصادر الابداع والاصالة فى انفسنا ، التى هى وليدة التراث ، وبذلك انفصل تعليمنا عن مجتمعنا ومن هنا جاءت غربة المثقفين. لقد كانت تجربة ماضينا المشرق فى ربط ثقافة المجتمع بمعطيات العلم تجربة رائدة كانت احق بالاحتذاء من تجربة الغرب المستمدة من ظروفه التاريخية الخاصة ، ولكننا كنا وما نزال بحكم ضعفنا الحضارى مغلوبين على أمرنا ، وبدل ان نصل من ماضينا ما انقطع لانه الاصلح والاوفق ، نلح على ابعاد ثقافتنا الوطنية عن دائرة البحث والاهتمام الحى . وبذلك نحرم انفسنا من المزاوجة بين التراث وبين العصرية ، فنخرج من هذه الورطة الحضارية التى تردينا فيها كارهين .

وقل مثل ذلك فى القوانين ، فما أكثر المفاهيم القانونية التى تطبق على حياتنا وهى مخالفة لروح تراثنا ، لانها مستمدة من بيئة مختلفة عن بيئتنا .

حقيقة التقدم الحضارى

ومجمل القضية ان التقدم الحضارى ليس شكلا ولا ادوات يستعيرها الناس فتحدث المعجزة ، وانما هو روح تكمن وراء كل هذا الانجاز المادى والفكرى ، فاذا تطورت الروح أو تغيرت تغير العالم من حولها . وذلك مصداق قوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) . وتغيير النفس بهذه الطريقة الجذرية هو الذى يحدث التقدم الحقيقى الذى يتكامل فيه الباطن مع الظاهر . وغاية هذا التغيير ان يتطابق القول والعمل ، وان يتحول الايمان من القلب الى انجاز فى واقع الحياة . معناه ان يعيش الناس القيم ويطبقوها بدل ان يتجادلوا حولها . وقد كان هذا هو هدف الاصلاح الدينى فى أوروبا ، اذ تحولت تعاليم المسيح عليه السلام الى طقوس وشكليات ، فسعى دعاة الاصلاح والمنشقون على الكنيسة الرومانية أن ينزلوا الدين من الية الطقوس وسفسطة الجدل الى حياة الناس البسطاء بحيث (يحيا الناس فلسفة المسيح لا ان يضعوها موضع الجدل) كما ذكر أراسيس ، أحد دعاة الاصلاح الدينى الاوائل فى أوروبا . لم تكن حركة الاحتجاج الدينى البرتستانتية التى انتظمت غرب أوربا ، وانتقلت من بعد الى امريكا أكثر من دعوة الى تحقيق القيم المسيحية فى حياة الناس فتنتفى الازدواجية التى كانت قائمة بين قيم التراث وواقع الناس المعاش ، وتتوحد الارادة ويحدث التقدم . ويجب أن لا يصرفنا العداء للدين الذى يتجلى فى كتابات الكثيرين من العلماء والفلاسفة الذى تحدثنا عنه فى مقام آخر عن أن نتبين الحقيقة الهامة التى تعطى الحضارة الغربية أصالتها وقوتها ، وهى انها استطاعت

أقوال معاصرة



محمود رياض



ماكنمارا

■ انني اؤمن بان على التزاما يجب ان اؤديه ، وسأظل كذلك الى ان يحين اجلى .. انني رجل صوفي الى حد كبير .

الشاه محمد رضا بهلوى

■ لقد عشت شهورا مريرة هذا العام ، ومن حقي ان احصد اكبر قدر من السعادة قبل اعتزالي وهو ما لن يتم قبل سنة .

محمد على كلاى بطل العالم في الملاكمة

■ الجامعة العربية ليست مهددة بالافلاس ، ولكنها مفلسة فعلا !

محمود رياض الامين العام للجامعة العربية

■ القدس هى عاصمتنا الى الابد ، ولن يرفرف علم عربى على جبل المعبد .

مناحيم بيجن رئيس وزراء اسرائيل

■ هناك مخطط امريكى يستهدف « تزويج » اليابان الغنية صناعيا وعسكريا ، الى الصين الشعبية الغنية بالموارد البشرية .

صحيفة النجم الاحمر السوفيتية

■ بدون حل القضية الفلسطينية لن يكون هناك سلام فى الشرق الاوسط .

جورج بول وكيل خارجية امريكا الاسبق

■ لقد تم تغيير النظام فى موريتانيا بمنتهى السهولة . لقدكانت العملية بمثابة عرض عسكرى تم وسط حماس الشعب .

الرئيس الموريتاني الجديد ولد سالك

ف قمة نجاحها أن تعيش قيم تراثها ، وان تطبق ف حياتها العاديةقدرا كبيرا من الالتزام والانضباط بحيث اصبح ميسورا على كثيرين من عامة الناس ان يتحلوا بصفات الامانة والصدق والوفاء واداء الواجب بوحى من الضمير ، وليس يهمنا ان تكون هذه الصفات قد تركزت باسم الدين ، او باسم الانسانية او باسم الوطنية والقومية . ولعل بروز هذه الظاهرة الاخلاقية هو الذى دفع الشيخ محمد عبده الى قولته المشهورة عن مسلمى الغرب الذين رآهم بلا اسلام ، بالمقارنة بحال الاسلام الضائع ف دياره بلا مسلمين .

والذين يتحدثون عن المواطنة كمعيار للانجاز الوطنى بمعزل عن التراث واهمون ، لان المواطنة ف صميمها هى القيم المترسبة عن التراث ف وجدان الناس ، بحيث يؤدون واجبهم الوطنى باخلاص وايمان مضحين ف سبيل الصالح العام بمصالحهم الذاتية . وسبيلنا الى خلق هذا النموذج الرفيع من المواطن الذى يتم على يديه تقدم المجتمع ماديا وروحيا هو سبيل المعاناة الروحية والفكرية على مستوى الفرد والجماعة، بأن نعيش روح تراثنا ، وذلك بان نبدأ من حيث دهمتنا الهجمة الاستعمارية فحولتنا عن مسارنا الطبيعى ، وصرفتنا الى اودية التيه والضلال التى تحدثنا عنها كثيرا . لابد ان نعيش تطورنا شبرا شبرا . لابد ان ندرس تراثنا بكل ابعاده ونعمل فيه الذهن على كل المستويات .وسنكتشف ان الداء الذى اصابنا اقدم من ذلك بكثير كما يتجلى ف كتابات الامام الغزالى ، الذى عاش ف



ولد سالك

■ الرئيس ديستان اعاد الاعتبار للماسونية في فرنسا ٠

الصحفي الفرنسي دانيا مالو

■ ٦٠٠ مليون انسان سيعانون من الفقر المدقع فى سنة ٢٠٠٠ ٠

روبرت مكنمارا رئيس البنك الدولى



كلاى

■ **لم نأت لارض اسرائيل للبحث عن السلام ، ولكننا جئنا للبحث عن وطننا !!**

حركة جويش ايموتيوم الاسرائيلية ٠

■ **بعقولنا نستطيع ان نواجه اى شيء ونجد له حلا ، وبعواطفنا نستطيع ان نفسر كل شيء ٠**

البروفيسور مورتيمور ادلر

رئيس مجلس محررى الموسوعة البريطانية



شاه ايران

■ ساعة العمل فى ١٢ دولة أفريقية لا تمكن الفرد من شراء أكثر من كيلوجرام واحد من الخبز ، بينما العامل الاوروبى او الامريكى يستطيع أن يشترى بأجر هذه الساعة ١٥ كيلوجرام خبز ٠

تقرير لمنظمة العمل الدولية

■ مرت شعوب العالم الثالث بمرحلتين متميزتين اقتصاديا : مرحلة الاسرة الملكية المالكة ، ومرحلة الاسرة الحزبية المالكة ٠

الكاتب اليوغوسلافى ميلوفان دجيلاس

النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى وتوق فى بداية القرن السادس سنكتشف كما اكتشف هو أن علوم الدين المختلفة التى كان المفروض أن تكون ارشادات ونصائح للسلوك الشخصى حتى يعيش المسلم اسلامه على معرفة وبينة ، قد تحولت الى قواعد جدلية مبتورة عن حياة الناس يتناولها من اسماهم بـ (بالمترسمين) اى الذين يهتمون بالرسم او (الشكل دون الروح) فى تجريد نظرى وبعد عن الواقع . وأصبح من ثم حامل علوم الدين يحمل العلم فى رأسه ولا يتقيد باحكامه فى حياته . وما ينطبق على عالم الدين ينطبق على المسلم العادى لان المسئولية واحدة . ولسنا هنا بصدد الحديث عن المخرج من الازمة الروحية فى الاسلام الذى ارتآه الغزالى فى التركيز على الرياضة الروحية المتمثلة فى الطريق الصوفى ، وانما الذى يهمنا فى هذا المقام اننا مقدمون على ثورة روحية ينزل فيها العلم من عقول العلماء ورفوف المكتبات ودهاليز المخازن الى حياة الناس العادية ، وكلما عايش الناس تراثهم والتصقوا به وأعملوا فيه عقولهم دخل فى دورة حياتهم العادية ، وانتفت الثنائية بين التراث والواقع ، وانتفت بالتالى الثنائية فى شخصية الفرد والمجتمع واصبح تقدمنا بفضل وجداننا الجديد وامكانات التقدم المتاحة لنا فى هذا العصر تقدما حقيقيا لا صوريا ، وبذلك نخرج من دائرة التبعية ونكون انفسنا .

■■

الخرطوم ـ د٠ عون الشريف

وزير الشئون الدينية بجمهورية السودان

خلاف الرأى والعقيدة

ليس حربا على الله ورسوله

بقلم : محمد فتحي عثمان

سبق مجيد للشريعة والفقه فى تمييز خلاف العقيدة والرأى

هل يرفض الشرع فعلا قبول شهادة غير المسلم على المسلم . ؟

دائما نؤكد ان الاجتهاد حق .. لكننا نخشى ممارسته .

فى هذا الجزء الثاني من دراسته الخاصة للعربي ، يتصدى الكاتب الاسلامي الدكتور محمد فتحي عثمان الاستاذ بجامعة الرياض ، لمجموعة من القضايا بالغة الدقة والاهمية فى شهادة الذمى على المسلم. تقبل او لا تقبل ــ خلافات الراى والعقيدة ، درجاتها في الفقه الاسلامي . وهل تعد من جرائم البغي والحرابة ، ثم قضية الحدود وحجمها ودورها فى التصور الاسلامي .

اجاز مجلس الدولة في مصر مشروع قانون باحكام جريمة « الحرابة » وعقوبتها ، حتى تتقدم به الحكومة الى السلطة التشريعية . وجريمة الحرابة وعقوبتها يستندان الى نص صريح في كتاب الله هو قوله سبحانه « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ـ المائدة / ٣٣ ـ ٣٤ »

والآية الاخيرة تتضمن حكما جديرا بالالتفات في السياسة العقابية لدولة الاسلام فهي تستثنى من العقاب الذين صحت دلائل توبتهم قبل وصول يد السلطة اليهم والقبض عليهم ، لان هدف الشريعة من العقوبة منع الجريمة لا استئصال المذنب ، وشريعة العقاب انما تعمل في المجتمع الاسلامي متضافرة مع وسائل التربية والتوعية والاعلام والاصلاح الاجتماعي . ولا تعمل شريعة العقاب وحدها منفردة او مستبقة للوسائل الاخرى ، ومع ذلك يتوهم البعض ان احكام الحدود والقصاص او العقوبات هي عنوان الشريعة وامارة اقامتها ان لم تكن هي الشريعة كلها .. في حين ان اتجاه احكام الشريعة في العقوبات ان تنجع الوسائل الاخرى في التربية والاصلاح بحيث تسد المنافذ الى الجريمة ، وتغنى عن التدخل العقابي حتى ولو بعد اقتراف الفعل محل المؤاخذة الجنائية . ويرى الامام ابن القيم ان هذا الحكم عام في سائر الجرائم التي يعاقب عليها الشرع وليس مقصورا فقط على التائبين من جريمة الحرابة قبل اعتقالهم ووصول يد السلطة اليهم يقول رحمه الله واجزل مثوبته « واما اعتبار توبة المحارب قبل القدرة عليه دون غيره فيقال : اين في نصوص الشارع هذا التفريق) بل ان نصه على اعتبار توبة المحارب قبل القدرة عليه من باب التنبيه على اعتبار توبة غيره بطريق أولى ، فانه اذا دفعت توبته عنه حد حرابته مع شدة ضررها وتعديه فلان تدفع التوبة ما دونه بطريق الاولى والاحرى . وقد قال تعالى : قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقال صلى الله عليه وسلم : التائب من الذنب كمن لا ذنب له . والله تعالى جعل الحدود عقوبة لاسباب هي الجرائم ، ورفع العقوبة عن التائب شرعا وقدرا » (١)

شهادة الذمي

وقد عرض مشروع القانون الخاص بجريمة الحرابة سالف الذكر ، الى حكم « شهادة الذمي على المسلم » ، وهو امر كان ينبغي ان يأتي في القانون الخاص بقواعد الاثبات وفقا لما جرى عليه التقنين الحديث . ويكون الاثبات هو الذي يجمع احكام الكتابة والاقرار الشفوي والشهادة واليمين وسائر البينات على الدعاوى وفقا لما تجري عليه التقنينات المحدثة .

وشهادة الذمي على المسلم بوجه عام محل خلاف في تراثنا الفقهي ، فمن الاولى ان يكون محل تدقيق في تقنين معاصر . وقد ذكر ابن القيم ان « الكافر قد يقوم على خبره شواهد الصدق فينبغي قبوله والعمل به » (٢) ويشير فقيه معاصر الى ان « آيتي الاشهاد على التبايع والاشهاد على دفع الاموال لمن بلغ من الايتام جاءتا مطلقتين عن قيد يفيد اشتراط الاسلام في الشهود من المسلمين . يقول تعالى : واشهدوا اذا تبايعتم ، ويقول : فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم ، حقا انه اشترط في آية اخرى ان تكون الشهادة من ذوي عدل من المسلمين ، يقول تعالى : فاذا

---

(١) ابن القيم : أعلام الموقعين ـ المطبعة المنيرية ـ القاهرة ـ جـ ٢ ص ٤٨ ـ ٤٩

(٢) ابن القيم : الطرق الحكمية تحقيق حامد الفقي ص ٦٦ / ٨٠

بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم .

لكن بالتامل والنظر نجد ان هذه الاية جاءت فى حكم من احكام الطلاق وبذا يمكن ان يقال ان شهادة غير المسلم على المسلم لا تجوز فى الطلاق ونحوه مما يندرج تحت أحكام الاسرة ـ الاحوال الشخصية ـ اما فى غير ذلك من المسائل المدنية ونحوها فانها تجوز فيها الشهادة مع اختلاف الدين » (٣) ويرى شيخ الازهر الاسبق محمود شلتوت ـ رحمه الله ـ اخذا من « الطرق الحكمية » لابن القيم ان الشريعة تقبل شهادة غير المسلمين على المسلمين « فى المعاملات العامة التى جرت العادة بحصولها امامهم او اشتراكهم فيها ، اما مثل الرجعة والزواج وطهارة الماء ونجاسته وحل الذبيحة وحرمتها من الشئون الخاصة بالمسلمين فان شهادتهم فيها لاتقبل» (٤)

آراء تجيز الشهادة

على ان ثمة آراء باجازة شهادة غير المسلم على وصية المسلم فى السفر اخذا من قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم ان انتم ضربتم فى الارض فاصابتكم مصيبة الموت ـ المائدة / ١٠٦ » ومن هذا الرأى الحنابلة وفقهاء اهل الحديث والثورى والاوزاعى وابن حزم وبه قال الشيعة الامامية . وقد احتج ابن القيم لذلك ورد على المخالفين فى كتابه « الطرق الحكمية » (٥) وكان الامام ابن تيمية من قبله قد ذهب الى أن القاضى لو حكم بعدم قبول شهادة الكافر على وصية المسلم فى السفر لوجب ان ينقض حكمه لمخالفته نص الكتاب بتاويل غير مقبول . ويقول احد فقهاء الاسلام المعاصرين « اذا كان الشارع قد اباح للمسلم التعامل مع غير المسلمين دون ان يشترط لهذه الاباحة ان تكون بحضور مسلمين ، والمعاملات لابد ان تنشا عنها حقوق والتزامات ، الا يدل هذا ضمنا على جواز قبول شهادة غير المسلم على المسلم فى هذه المعاملات جوازها للمسلم على غيره حفظا للحق على صاحبه عند التناكر والجحود ؟ والواقع ان مدار الشهادة وقبولها فى الحكم كونها صالحة لكشف الحق فى المسالة فتكون بينة مقبولة ، لان البينة فى الشرع كما يقول ابن القيم : اسم لما يبين الحق ويظهره . والشهادة تكون صالحة لكشف الحق اذا كان صاحبها صادقا وقامت القرائن على صدقه . والصدق لا يمتنع تحققه فى غير المسلم لانه خلق جميل دعت اليه الشرائع والعقول السليمة . فينبغى قبول شهادة غير المسلم على المسلم كلما ظهر صدقه ... » (٦)

وثمة آراء اخرى فى تراثنا الفقهى بشان شهادة غير المسلم على المسلم فى الجرائم التى تتنوع بتنوع عقوباتها بين حدود وقصاص وتعازير . . وقد يكون من الاولى ترك الحكم فى شان شهادة غير المسلم على المسلم فى هذا المجال لتقدير القاضى الجنائى مثل سائر الشهادات والشهود ، فالقاضى الجنائى صاحب سلطة تقديرية واسعة كما هو معروف ، وقد يرى من قرائن الاحوال ما يطمئن معها الى شهادة غير المسلم على المسلم اولا يطمئن. وهذا المسلك اقوم بالعدالة وادنى لمبادىء الاسلام العامة الصريحة من متابعة استنتاجات ترى فى « الشهادة » نوعا من « الولاية » ، والمقرر ان لا ولاية لغير المسلم على المسلم ... والحق ان فى جعل « الشهادة » ولاية تجوزا ، وان فى اطلاق منع ولاية غير المسلم على المسلم تجوزا آخر ، فقد نقل الماوردى وجها يجيز ان يكون عامل الفيء ذميا « وان كانت معاملته فيه مع المسلمين كالخراج الموضوع على رقاب الارضين اذا صارت فى ايدى المسلمين » .

بل اجاز الماوردى للذمى ولاية وزارة التنفيذ لامام المسلمين مالم يؤد ذلك الى الاستطالة والاستعلاء والجور .

كما اجاز ان يعمل الذمى فى قبض الزكاة ممن تجب عليهم ، مادام أصل المال الذى تجب

---

(٣) محمد سلام مدكور : المدخل للفقه الاسلامى ـ القاهرة ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

(٤) محمود شلتوت : فقه القرآن والسنة (القصاص) ـ القاهرة ص ٦٩ .

(٥) ابن القيم : الطرق الحكمية ، تحقيق حامد الفقى ص ١٦٦ ـ ٨ .

(٦) عبد الكريم زيدان : احكام الذميين والمستامنين فى دار الاسلام ـ ط ٢ بيروت ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ص ٥٧٨ ـ ٩

عليه الزكاة معروفا وقدر زكاته محددا بناء على معرفة الاصل . (٧)

بين « الحرابة » و « البغى »

لايشهر وصف «الذين يحاربون الله ورسوله» على كل من اخل بامن الدولة فى شريعة الاسلام، فقد ظفر الذين يخاصمون الدولة لعقيدة او راى بمعاملة خاصة متميزة ... وهذا سبق مجيد لشريعتنا وفقهنا استند الى وقائع مبكرة من تاريخنا فى خلافة على بن ابى طالب .

« فاذا اجتمعت طائفة من اهل الفساد على شهر السلاح وقطع الطريق واخذ الاموال وقتل النفوس ومنع السابلة فهم المحاربون » (٨) — على حد تعريف الماوردى . ويختلف حكم جريمة « الحرابة » عن حكم جريمة « البغى » التى تجمع بين الاعتقاد والراى من جهة وبين التجمع واظهار المقاومة للدولة بصورة ايجابية من جهة اخرى حتى وان لم يستعمل البغاة القوة المسلحة ويمارسوا العنف فى بعض احوالهم ولابد من التعريف الدقيق لجريمتى الحرابة والبغى للفارق فى اركان الجريمتين وللتمييز فى معاملة مرتكبيهما.

يقول الماوردى : « واذا بغت طائفة من المسلمين وخالفوا راى الجماعة وانفردوا بمذهب ابتدعوه، فان لم يخرجوا به عن المظاهرة بطاعة الامام ولاتحيزوا بدار اعتزلوا فيها وكانوا افرادا متفرقين تنالهم القدرة وتمتد اليهم اليد ، تركوا ولم يحاربوا واجريت عليهم احكام اهل العدل فيما يجب لهم وعليهم من الحقوق والحدود . وقد عرض قوم من الخوارج لعلي بن ابى طالب لمخالفة رايه وقال احدهم وهو يخطب على منبره : لا حكم الا لله، فقال على : كلمة حق أريد بها باطل ، لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ، ولا نبداكم بقتال ، ولا نمنعكم الفىء ما دامت ايديكم معنا . فان تظاهروا باعتقادهم وهم على اختلاطهم باهل العدل ، اوضح لهم الامام فساد ما اعتقدوا وبطلان ما ابتدعوا ليرجعوا عنه الى اعتقاد الحق وموافقة الجماعة، وجاز للامام ان يعزر منهم من تظاهر بالفساد ادبا وزجرا ولم يتجاوزه الى قتل او حد ... فان اعتزلت هذه الفئة الباغية اهل العدل وتحيزت بدار تحيزت فيها عن مخالطة الجماعة : فان لم تمتنع عن حق ولم تخرج عن طاعة لم يحاربوا ما اقاموا على الطاعة وتادية الحقوق . وقد اعتزلت طائفة من الخوارج عليا بالنهروان فولى عليهم عاملا اقاموا على طاعته زمانا وهو لهم موادع الى ان قتلوه ، فانفذ اليهم ان سلموا الى قاتله فابوا وقالوا كلنا قتلة .قال فاستسلموا الي اقتل منكم ، وسار اليهم فقتل اكثرهم . وان امتنعت هذه الطائفة الباغية عن طاعة الامام ومنعوا ما عليهم من الحقوق وتفردوا باجتباء الاموال وتنفيذ الاحكام ، فان فعلوا ذلك ولم ينصبوا لانفسهم اماما ولا قدموا عليهم زعيما كان ما اجتبوه من الاموال غصبا لاتبرأ منه ذمة وما نفذوه من الاحكام مردودا لايثبت به حق ، وان فعلوا ذلك وقد نصبوا لانفسهم اماما اجتبوا بقوله الاموال ونفذوا بامره الاحكام، ولم يتعرض لاحكامهم بالرد ولا لما اجتبوه بالمطالبة ، وحوربوا فى الحالين على سواء لينزعوا عن المباينة ويفيئوا الى الطاعة . قال تعالي : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفىء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين » (٩)

كذلك تضمنت مدونة الفقه الحنفى الكبرى « المبسوط » اخذا من خطاب الامام علي للخوارج مبادىء جليلة هامة قررتها كما يلي : « .. فيه — اى فى كلام الامام علي سالف الذكر — دليل على انهم (الخوارج) مالم يعزموا على الخروج فالامام لايعرض لهم بالحبس والقتل .. وفيه دليل على ان التعريض بالشتم (اى تعريض الخوارج بشتم الامام علي وهو بجانب كونه احد المسلمين ينبغي ان يصان عرضه فانه الخليفة وامام المسلمين فى وقته) لا يوجب التعزير (اقول : ومن باب اولي يكون ذلك حكم النقد الموضوعي) فانه لم يعزرهم وقد عرضوا بنسبته الى الكفر .. وفيه دليل على انهم يقتلون دفعا لقتالهم حين يعزمون على القتال بالتجمع والتحيز دون أهل العدل » (١٠) .

---

(٧) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١١٦،٢٧ ، ١٢٠ .

(٨) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ٦٢.

(٩) المصدر السابق ص ٥٨ — ٥٩ .

مراتب الجريمة السياسية

وفي هذا التراث الفقهي . النفيس مايصلح للتمييز في « الجريمة السياسية » بين مراتب ثلاثة متصاعدة : ادناها الاقتصار على بيان الراى واذاعته وترويجه باستعمال « الكلمة » وحدها ، ويتجه الفقهاء الى عدم العقاب على ذلك مهما كانت ادانة الراى ذاته ولو كان « مذهبا ابتدعوه وانفردوا به » على حد قول الماوردى ، على أن يرشد الامام هؤلاء ويوضح لهم«فساد ما اعتقدوا وبطلان ما ابتدعوا ليرجعوا عنه الى اعتقاد الحق وموافقة الجماعة » . وقد يجوز هنا عقاب فردي محدود لا جماعي ويخص من انفرد بالجرم الاكبر « فللامام ان يعزر منهم من تظاهر بالفساد ادبا وزجرا ولم يتجاوزه الى قتل او حد » . وتلى ذلك مرتبة الاجتماع والتجمهر والتحيز بدار ، التي تعنى قيام « جمعية » ثابتة ، ولايزال الماوردى يرى في هذه المرحلة المتصاعدة عدم العقاب طالما ان الفئة الباغية المعتزلة لاهل العدل المتحيزة بدار مازال مقيمة « على الطاعة وتادية الحقوق » .

وانما يبدأ تدخل الدولة ضد هؤلاء البغاة حين يعلنون المقاومة والخروج على الدولة بصورة من الصور ولو لم يستعملوا السلاح والعنف ، وهي المرحلة التي « تمتنع فيها الطائفة الباغية عن طاعة الامام وتمنع ما عليها من الحقوق وتنفرد باجتباء الاموال وتنفيذ الاحكام ... » ويميز الماوردى هنا تمييزادقيقا بين حالتين لاجل النظر في امضاء تصرفات هؤلاء كحكام ثورة او حكام فعليين او واقعيين De facro وهي حالة اقامة حكومة معلنة « بان نصبوا لانفسهم اماما اجتبوا بقوله الاموال ونفذوا بامره الاحكام » . ففي هذه الحالة تسلم اجراءاتهم وتصرفاتهم « فلا يتعرض لاحكامهم بالرد ولا لما اجتبوه بالمطالبة » . اما عندما لاتقوم حكومة معلنة فان الفقية كما يبدو يعد هذا امارة على شيوع الفوضى بين هؤلاء البغاة ومن ثم اعتبر « ما اجتبوه من الاموال غصبا لاتبرأ منه ذمة وما نفذوه من الاحكام مردودا لايثبت به حق ». ويرى الماوردى حرب البغاة في هذه المرحلة الجماعية الايجابية من نشاطهم الباغي سواء أكانوا قد اقاموا لهم اماما أو زعيما ام لم يقيموا . وجدير بالالتفات والتقدير ما نالته جرائم البغى لارتباطها بالاعتقاد والراى من تمييز في احكام الاسلام عن جريمة « الحرابة » ، ورعاية الفقهاء للبغاة ومعاملتهم بما يختلف عن المجرمين الاخرين .

مكان العقوبات من الشريعة

لطالما قرر العلماء ان القانون علم اجتماعي ، ويمثل الجانب الاجتهادى من شريعة الاسلام هذه الحقيقة ، اذ تنعكس على صفحاته احوال المجتمع القائم في زمان ومكان بعينهما . ولقد نسب الى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز خامس الراشدين كما روى عن الامام مالك قولة تقرر انه « يحدث للناس اقضية بقدر ما يحدثون من الفجور » وليست شريعة الاسلام مقصورة على احكام العقاب ، وليست تعاليم الاسلام مقصورة على الاحكام التشريعية وحدها ، اذ تتفاعل العقيدة وشعائر العبادة واخلاق الفكر والسلوك واحكام السلطة معا في نفس الفرد والجماعة فتؤتى ثمارها ، وتتضافر على تحقيق سلامة المجتمع ونموه وتقدمه وسائل التربية والتوعية والاعلام وابراز القدوة الفردية والعرف الجماعي الرشيد واثارة المبادرات الفردية الى البر والخير والنفع والتسابق في هذا كله مع التعاون عليه في نفس الوقت .

ويأتي دور التشريع متضافرا مع هذه الوسائل كلها ، وليس التشريع مقصورا على العقوبات وحدها، وانما تتعدد فروع القانون العام والخاص وما يكون له منزلته الخاصة بين هذا وذاك . والاسلام يعطى التشريعات الاجتماعية والاقتصادية مكانها الاساسى المقدم في شريعته مثلما يتجه الى ذلك التشريع الرشيد

تقويم النفوس أولا

والاسلام الذى اورد حكما عقابيا للقتل ، قد عمل بصفة اساسية جذرية على ان يقتلع اسباب الحقد والعداوة والعدوان التى تدفع الى القتل، واتجه لتحقيق ذلك عن طريق العقيدة وشعائر العبادة والاخلاق ، واستعمل وسائل التربية والتوجيه، ثم عمد الى التشريع السياسي والاجتماعي والاقتصادى الذى ينظم العلاقات بين الاطراف المختلفة بمايحقق العدل بين الغنى والفقير والحاكم

---

(١٠) السرخسي : المبسوط جـ ١٠ ص ١٢٥ ـ ١٢٦

والمحكوم وبين اى انسان وانسان آخر وبما يستل عوامل الاثرة والعصبية . ثم جاء حكم العقوبة على القتل فشغل مكانه المناسب دون افراط فى البناء التربوى والتشريعي للاسلام .

والاسلام الذى عاقب على شرب الخمر قد حرص في توجيهاته واحكامه الاساسية على ان يكفل للجسم طيبات المطاعم والمشارب ويكفل للنفس السكينة والعزيمة والايجابية حتى لاتتطلع للهروب من الواقع . ولا بد من تحقيق هذه التعاليم المادية والنفسية كلها حتى تقع العقوبة بعد ذلك موقعها الصحيح . كذلك يعاقب الاسلام على الزنا بعد ان يامر بستر العورات وغض الابصار وتيسير الزواج ، ويعاقب على السرقة بعد ان يوجب العمل لكسب الرزق وعمارة الارض ويهيء السبل النفسية والمادية للعمل والانتاج ويضمن حقوق العامل وصاحب المال ويحدد دور الدولة الاسلامية وسلطتها الشرعية وبيت مالها في ضمان العدل الاجتماعي . والاصل الاصيل في تعاليم الاسلام كلها والسبيل الجذرى العميق لتحقيق اى اصلاح هو تقويم النفوس التي هي الاساس البشرى لكل تقدم ، فيراقب المؤمن ربه فى علاقته بالناس ، ويبتغى الاخرة فى طلب الدنيا ، ويتعبد الحاكم والمحكوم والقاضي والمتقاضي والمدعى والمدعى عليه بانفاذ عدالة الله والحرص على اعلائها فوق كل هوى وفوق اى سلطة . ومن ثم اهاب القرآن بايمان المؤمنين حين امرهم باحكام شريعته « ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا . يايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا . الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا . واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا ـ النساء / ٥٨ ـ ٦١ » .

وقيام المناخ العقيدى النفسى ، الاخلاقى الاجتماعى ، وفقا لتعاليم الاسلام ضرورى لنجاح الاحكام القانونية والقضائية . فتربية الفرد ووعى المجتمع وسلامة نظامه وضمان الاستقرار المادى والنفسى تشكل ركائز اساسية ياتى بعدها دور احكام العقاب ليستدرك ما قد يطرا من انحراف جزئي او يبدو من ثغرة . والله يامر بطاعته في كل أوامره ونواهيه ، التي لا تشغل منها احكام الحدود والقصاص وسائر العقوبات الا مكانها المعلوم وحيزها المحدود . بل ان من احكام العقوبات ما كان شخصيا وجدانيا بين العبد وربه ، مثل احكام « الكفارات » .

اذا وصلت الهداية للقلب

وحين تتخلف الاسس النفسية والاجتماعية الضرورية لحفظ كيان الفرد والجماعة ، تقوم الحجة الكافية للعفو عن العقوبة في شريعة الاسلام ، فالحدود تدرا بالشبهات ، وفي الحديث : « ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله ، فان الامام لان يخطيء فى العفو خير من ان يخطيء فى العقوبة « ١١ » والحديث هنا يقرر ما خلصت اليه مبادىء القانون الجنائى الحديث من ان «تبرئة المدان خير من ادانة البرىء» والاصل ان المتهم برىء حتى تثبت ادانته » والشبهة التى تدرأ الحد قد تكون ظرفا فرديا محدودا كما قد تكون وضعا اجتماعيا عاما ، فمن المعروف ان عمر قد اسقط حد السرقة فى عام المجاعة باعتبارها من حالات الضرورة المستثناة فى احكام القرآن العامة » فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ـ البقرة /١٧٣ » « وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه ـ الانعام/١١٩ » . وتطبيق احكام الاسلام بحقها يستلزم رفع الضرورات المادية والمعنوية التي تعرقل انفاذها ، بضمان العدل السياسي والاجتماعي والاقتصادى وتبديد الجهالة وبيان الهدى للناس حتى يتحمل الفرد مسئوليته كاملة « ومن يشاقق الرسول من

---

(١١) رواه ابن ابى شيبة والترمذى والحاكم فى المستدرك والبيهقي فى السنن وادرجه السيوطى فى الصحيح .

بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ـ النساء / ١١٥ » « ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم .. ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم ـ محمد/٢٥ ، ٣٢ » . وتسقط العقوبة في شريعة الاسلام اذا وصلت هدايته الى قلب المذنب قبل ان تصل السلطة الى جسده ، فشعار السلطةالشرعية :الهداية قبل العقوبة... وقد تقدم راى الامام ابن القيم فى تعميم الحكم بان التوبة تجب الجريمة وتمنع العقاب شرعا وقدرا !! .

وقد كان القانونيون المحدثون لا يحمدون كثرة التشريع في دولة من الدول ، وكانوا يرتاون ان المجتمع الراقى يستغنى بالتربية الاسرية والعرف الاجتماعي السليم عن اوامر التشريع وزواجره . ولكن الدولة العصرية غدت تكثر من التدخل بالتشريع فى المجالات المتعددة مهما كان ايمانها بالليبرالية . وما زال القانونيون لا يرون الاكثار من احكام العقوبات .والاقتصار فى التدخل التشريعى بقدر الامكان مرغوب فى شريعة الاسلام. ففى الصحيح ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن اشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها » .

كما ورد فى الحديث « اعظم المسلمين جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم من اجل مسالته (١٢)

نموذج من الزكاة

والاسلام ـ على سبيل المثال ـ قد خاطب فى شان تشريع الزكاة الضمائر قبل كل شيء « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ـ التوبة/١٠٣ » . ومن ثم يوصي القرآن دافع الزكاة ان تجود نفسه بخير ما عنده « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ـ آل عمران/٩٢» ، بينما يوصى عامل الزكاة ان ياخذ فقط ما تطيب به نفس الدافع . وهذا ما فهمه كثيرون من امر الله العام « خذ العفو .. الاعراف/١٩٩ » . ـ وكان من وصية الرسول لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن « وتوق كرائم اموالهمواياك ودعوة المظلوم » وورد فيالحديث « المعتدى فيالصدقة كمانعها » . ولقد راى عمر بن الخطاب مرة بين غنم الصدقة شاة ذات ضرع ضخم فقال : « ما اظن اهل هذه اعطوها وهم طائعون ، لا تأخذوا حزرات المسلمين » ـ اى خيار اموالهم التى تشتغل قلوبهم بها ولا يزالون يحزرونها فى انفسهم . على ان احكام الشريعة مع ذلك قد امرت الا يؤخذ من الحيوان فى الزكاة ما هو ظاهر العيب مثل الجرباء والعوراء والعجفاء . (١٣) وقد ارتأى عثمان بن عفان ان يترك للمكلف نفسه دفع زكاة مالا يظهر من الاموال لمستحقيها ، وتشمل هذه الاموال النقدين الذهب والفضة وعروض التجارة التى لا تجبى عنها العشور ، بينما تكتفي الدولة بتكليف عمالها جمع زكاة الاموال الظاهرة من زروع وحيوان .

وقد خطب عثمان فذكر الناس بواجبهم الشرعى فى دفع الزكاة واحالهم الى ضمائرهم فقال « ان هذا شهر زكاتكم ، فمن كان عليه دين فليقضه ، وزكوا بقية اموالكم » . وثمة رواية لكلام عثمان تزيد : ان الزكاة لا تطلب حتى ياتي بها دافعها تطوعا ، وقد يكون المقصود بذلك زكاة الاموال غير الظاهرة ، فدافعها مخير بن توجيهها مباشرة الى مستحقيها او اداتها لعامل الزكاة حتى يتولى هذا توزيعها على مستحقيها ، ويكون دفع زكاة الاموال غير الظاهرة الى عامل الزكاة فيهذه الحالة تطوعا واختيارا ، بينما يكون دفع زكاة الاموال الظاهرة الى العامل الزاما واجبارا مع اخذ ما تطيب به النفوس من الحيوان .

وقد تكون الاشارة الى اخذ الزكاة مندافعها الذى ياتي بها تطوعا حكما عاما قصد به تأكيد ان

---

(١٢) أورد هذين الحديثين وغيرهما ابن كثير في ج ١ من تفسيره للاية ١٠١ ـ ٢ من سورة المائدة « يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ... »

(١٣) ابو عبيد القاسم بن سلام : الاموال ـ بتحقيق خليل هراس ـ القاهرة ـ ص ٥٥١ ـ ٣ نصوص رقم ١٠٨٢ ـ ٦

اداء الزكاة هو استجابة لامر الله نتيجة وجدان المؤمن قبل كل شيء . وذكر ابو عبيد القاسم بن سلام ان « الصامت » ـ ويسميه الفقهاء ايضا الاموال الباطنة او غير الظاهرة ـ هو الذهب والفضة « وحكمه ليس الى السلطان انما هو الى امانات المسلمين ، وصدقة الحرث ـ اى الزرع ـ والماشية انما هي الى الائمة تؤخذ من الناس على الكره والرضا » (١٤) .

وقد ارتأى عمر بن عبد العزيز ان ياخذ الزكاة من المنبع بالنسبة لبعض حالات الدخول النقدية وهي التي تاتى من بيت المال فكان « اذا اعطى الرجل عمالته اخذ منها الزكاة ، واذا رد المظالم اخذ منها الزكاة ، وكان ياخذ الزكاة من الاعطية اذا خرجت لاصحابها » (١٥) ويبقى مع ذلك رأى عثمان له وجاهته ودلالته ، وقد يكون الذى ادى الى قرار عمر بن عبد العزيز تغير الظروف . وقد روى بالنسبة لزكاة الزروع نفسها فى صدر الاسلام ان عامل الزكاة كان لا يحصى الغلة وزكاتها فى اول الاسلام وانما كان يتسلمها وفق ما يقدره دافع الزكاة نفسه بحكم ضميره . وحين شرع الامويون منذ ايام مروان يحصون ويحسبون قال الصحابى عثمان بن حنيف لعامل الزكاة او قد فلعتموها ؟ انها لم تكن جزية قط ؟ قال ابو بكر بن حزم : وكان الناس قبل ذلك لا يؤتون لزكاة حرثهم انما يؤدى الرجل ما قدر له ان يؤدى لا يتبع بشيء ولا يسال عن شيء حتى كان من امر مروان ما كان (١٥) .

ترى هل تقنع مثل هذه الحقائق كل مخلص للاسلام وشريعته ، فتحرص على اقرار الاسلام فى اعماق النفوس ، وتقرير اسسه فى مجال التشريع الاجتماعي واشاعة هدايته فى كل مكان .. ولا نظن قط ان الشريعة هي فقط احكام الحدود !! يومها يصدق علينا الوصف القرآني « .. امة يهدون بالحق ، وبه يعدلون ـ الاعراف /١٨١ » .

ان امامنا قضايا فقهية ليست بالقليلة فى مجال العقوبات وغيرها ، تحتاج الى بحث عميق ومناقشة جادة ، حتى تنضج فى عقولنا قبل ان نتناولها بالتقنين ... فلا نعمد الى نقلها عن مدونات الفقه بحروفها لاننا لم نديرها فى رؤوسنا ، ولم نحاول النفاذ الى ما وراء كلماتها ، والى حقائق مجتمعنا ، بعد ان مرت القرون المتطاولة على اجتهادات اسلافنا فى شانها وصياغتهم لها !

ـ نحن نؤكد ان الاجتهاد حق ، لكن نخشى ممارسته ، ونرهب كل من يحاوله ويجربه ...

ونحن نزعم ان كل احكام الاسلام قريبة الفهم والتنفيذ ، وان كل مستحدثات العصر من القضايا والوقائع يسهل قياسها على مافات ، والقطع فى شانها بكلمات ... ومع ذلك فاننا فى مجال الاحوال الشخصية ذاته ، لا تكاد لجنة تجتمع لدراسة حصيلة التجربة بالنسبة للتشريعات القائمة والحقائق الاجتماعية الواقعة ، ولا تكاد تبدأ المناقشات وتعرض المشكلات ، حتى يصر الكثير او الاكثر على التمسك بما فى بطون الكتب وحدها من اجتهادات . ولقد صرح عالم جليل من علمائنا المعاصرين رحمه الله مرة فى احد هذه الاجتماعات ان موافقته على اى تعديل فى احكام التشريع القائم مشروطة بوروده فى احد كتب السابقين وروايته عن فقيه قديم ولو كان رايا مرجوحا !!!

وهكذا تنفض اللجنة بعد اجتماعات متطاولة ، وقد اقتنعت السلطة المختصة وقتها بالابقاء على تشريع الاحوال الشخصية القائم ايا كانت ثغراته ، مادام ليس من المستطاع التقدم خطوة الى الامام ، وتصحيح المسار بالرجوع الى اصول الشريعة واحكامها الثابتة لتلبية حاجات المجتمع بدلا من الانحصار الى الابد فى اجتهادات السابقين وما ارتأوه منذ قرون !!

« ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا .. الممتحنة /٥ » ـ آمين .

محمد فتحي عثمان

---

(١٤) المصدر السابق ص ٥٩٧ ، ٦٨٤ ٧٥٨ نصوص رقم ٩٩٠ ، ١٢٤٧ ، ١٥٥٦ ، ١٨١٧ ـ ٨ وانظر ايضا يحيى بن آدم : الخراج بتحقيق احمد شاكر ص ١٥٦ نص رقم ٥٦٤

(١٥) ابو عبيد القاسم بن سلام : المصدر السابق ص ٥٩٠ نص رقم ١٢٢٦

(١٦) المصدر السابق ص ٦٥٤ رقم ١٤٤٥ ـ ٦.

الذكرى المئوية الأولى لفيلسوف لبنان

أمين الريحاني

«قل كلمتك وامش»

بقلم : فاروق الجمال

من المنتظر ان تقيم جامعة بركلي فيكاليفورنيا، الولايات المتحدة ، ابتداء من الرابع والعشرين من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الجاري اسبوعاثقافيا بمناسبة الذكرى المئوية لمولد فيلسوف الفريكة امين الريحاني ، المصادفة في اليوم الاول من الاسبوع الثقافي ٠

وستلقى في حلقاتمتوالية مجموعة منالدراسات التي تتناول الاتجاهات الفكرية في ادب الريحاني باللغتين العربيةوالانكليزية ٠وسيقاممعرضلمؤلفاته المنشورة والمخطوطة الى جانب المؤلفات الموضوعة عنهوالمنشورة باللغاتالعربية والانكليزيةوالروسية والفرنسية والاسبانية والالمانية ٠

وسيشترك في اسبوع الريحاني أدباء اميركيون واساتذة جامعيونمنالعرب والاميركيينومستشرقون من روسيا وانكلترا وكندا ٠ في الذكرى المئوية لمولد فيلسوف العرب امين الريحاني الذى تذكرناه طويلا في ايام المحنة الاليمة ، تذكرناه لانه طالما نادى بوطنه القوى المعافى « بمدينته العظمى » حيث يسود العدل والحق ، وحيث تقوم الحرية والمساواة بين المواطنين ٠

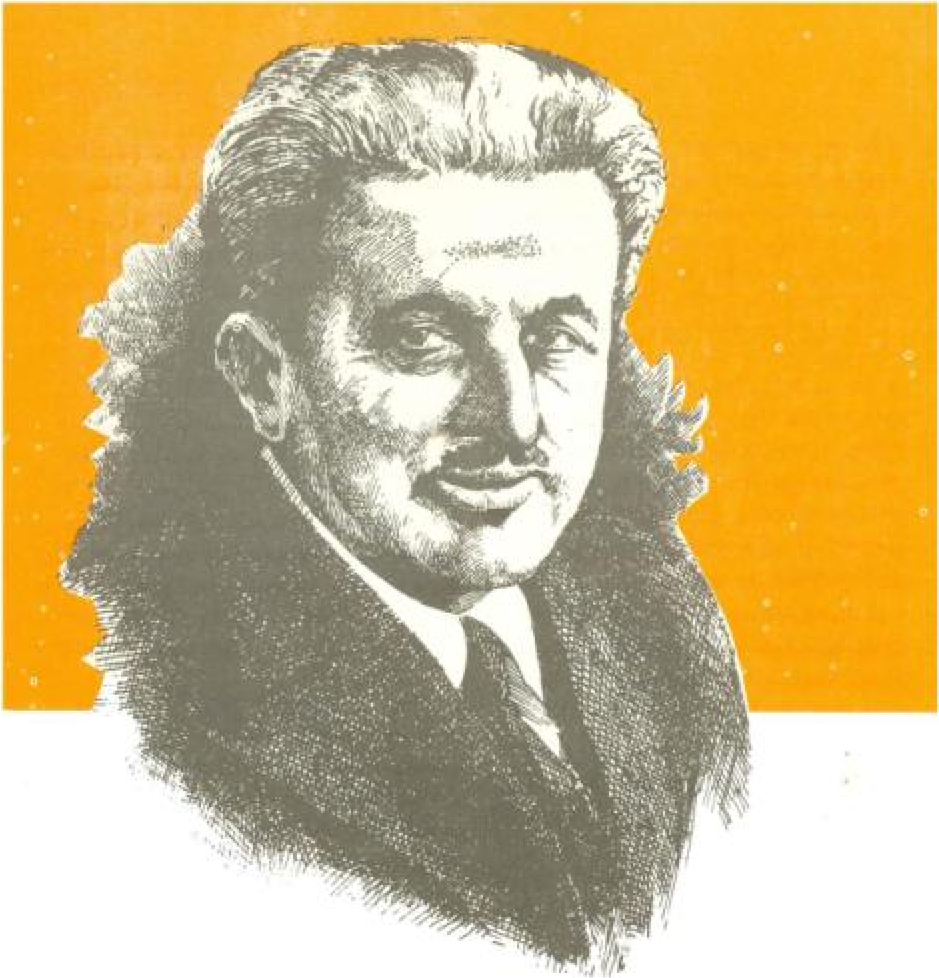
ونذكره اليوم ، تماما بعد مائة عام من مولده، لنعترف له ، بحزن عميق ، اننا ما عرفنا بعد ، كيف نحقق الوطن الذى تصوره و «المدينة العظمى» التي نادى بها ٠

فيا من رفعت شعار «قل كلمتك وامش» نعترف لك اليوم اننا ما عرفنا بعد ، كيف نقول كلمتنا ونمشي ٠

يوم قال امين الريحاني ، وهو في مطلع الشباب، كلمته المعروفة «حياتي اريدها ان تشع لا ان تفرقع» رسم لنفسه نهج حياته فقد شاء أن يتجاوز القشور البراقة الىالجوهر بقدر ما شاء ان يتجاوز الهدم الى البناء ٠ من هنا صفة الايجابية التي تلازم ادبه في خواطره كما في بحوثه ومسرحياته، في قصصه كما في شعره المنثور ورحلاته ٠

ادب الريحاني جله عصارة اختبار حي ٠ فقد علمه مفكروالقرن الثامنعشر الفرنسيونوالفلاسفة الوضعيونكيف يقرن النظريات بتجسيداتها العلمية فتصبح روحا وجسدا اي ذاتا كلية ٠

احب الريحاني لبنان فما توقف عند التغنى



بالارز والآس والبيلسان بل جسد العاطفة الوطنية الفطرية نضالا فاعلا • حارب العثمانيين يوم كانوا في سدة المجد وثار على الانتداب فلا ساوم ولا هادن • وطاف كل قرية وعايش اهلها وتشبع من امسها ويومها ودون انطباعاته في «قلب لبنان» • واكب على مجتمعه يدرسه تفصيلا فيعمل المبضع بالفساد وينوه بماتي الحضارة وينادي بالتسامح الديني والوحدة الوطنية والحرية والتقدم وحرية الانسان فاذا «ريحانياته» ورحلاته ورواياته «خالد وجهان» و «زنبقة الغور» تفيض بالنماذج البشرية الساعية الى تحقيق ذاتياتها بوحي مبادئ انسانية مثلى •

واحب الريحاني العرب ــ يقول الدكتور جميل جبر ــ فما اكتفى بالتغني بالنخيل ودجلة وعرار نجد ، بل طاف البلدان الشقيقة في اصعب اسباب التنقل واتصل بالملوك والرؤساء والشعوب يعرف بعضها الى البعض الاخر ويمهد سبيل التفاهم بينها على أسس العلم والمنطق والمصلحة المشتركة• وآتت كلماته ثمارها حيثما زرعت لانها صدرت عن اخلاص اكيد وعقل راجح وايمان بتطور الانسان•

الاصلاح والثوب البالي

لقد كان الريحاني رجلا واديبا حقق فكرة الالتزام الاجتماعي على ارفع مستوى ، لقد وعى ان الكاتب الاصيل هو اولا كائن بشري يعيش في جو البشر ويمشي على ترابهم ويتحدث بلغتهم ويتنشق

هواءهم ويتالم لالمهم ،يقلق لقلقهم وان عليه بالتالي ان ينطلق بلسانهم فلا يراوغ ولا يميع ولا يتخفت ولا يتلهى باللفظ المنمق على غير مضمون ·

ومن افكاره وكلماته التي نشرها بذورا للزارعين وقالها ومشي فهي :

الاصلاح الحقيقي هو الاصلاح الجذري اذ الثوب البالي خير من الثوب المرقع ـ الحرية السياسية تبقى عقيمة ان لم ترتكز الى الحرية الروحية وليدة العلم الصحيح والتهذيب ـ المدنية الحقة تقوم على العدالة الاجتماعية والمساواة ـ الشعب الامثل يعي الانسانية ويعمل على تحملها بحزم واباء ـ الثورة الحقيقية تبدأ فكرا وشعورا ولا يبقى من آثارها بعد ان تمر ، الا ما كان منطبقا على ما نضج في الانفس والعقول ، بل لاينمو من بذورها الا ماوافق التربة التي تزرع فيها ـ التعصب والغوق هما توأما الجهالة والتقليد ·

مسافر لا يتعب

ولايمكن الحديث عن النهضة الادبية والاجتماعية في لبنان والعالم العربي دون التوقف عند امين الريحاني · فهذا الكاتب الملتزم كان له مع جبران افعل الاثر على جيله سواء في انتاجه واسلوبه ام في نهج حياته النضالي · ومايزال هذا الاثر بارزا حتى اليوم ·

ماهي خصائص هذا الاديب وماهي المراحل الرئيسية في حياته ؟ وماقيمة عطائه الفكري في خدمة لبنان والعالم العربي وتقدم حضارة الانسان ؟ ·

ولد امين الريحاني في ٢٤ تشرين الثاني في سنة ١٨٧٦ في قرية الفريكة اللبنانية · وتعود ذكرياته الى معمل الحرير الذي كان يديره ابوه في مسقط رأسه وحيث كان يلعب «بالغميضة» ويطارد الفراشات ويجمع الزهر للعذراء ·

وتميز منذ الحداثة بشهوته الى المعرفة والاكتشاف · ففي مدرسة «تحت الزيتونة» كما في باحة كنيسة مار مارون حيث كان الاب مرقس يردد مزامير داود متثائبا كما في المدرسة التي كان يديرها نعوم مكرزل ابدى ميلا لشؤون الثقافية ·

سافر الى نيويورك حيث ساورت الدهشة ذلك اللبناني الصغير · كيف لا وقد انتقل من الحياة الهادئة البطيئة الى عالم تطغى فيه الآلة على الانسان ، عالم السرعة والنشاط المستمر فعاوده الحنين الى بلاده ، لكن طموحه ابى عليه الا ان يجابه قدره ويثبت اقدامه في نيويورك ·

في الليل والنهار درس الريحاني الانكليزية في ادابها الحديثة والقديمة وهو يعمل ولا يتذمر · لكن هذا الاستمرار في الكد استنزف حيويته · كان يروم الجديد والعجيب في كل شيء فسعى اليه في المراقص والحانات لكنه لم يرتو · فنقم عليه ابوه المحافظ على التقاليد الاخلاقية وطرده من المنزل فانصرف الى هواية الفن المسرحي وانضم الى فرقة جوالة يرأسها هنري دجوت ما عتمت ان افلست فعاد الشاب المغيب عودة الابن الشاطر يستغفر اباه ويجدد عهد الدراسة وكان احب الكتاب اليه شكسبير وروسو وكارليل ورينان · واستهوته بنوع خاص افكار الثورة الفرنسية فثار على العادات البائدة التي كانت تشل النشاط الخلاق في بلاده ·

عاد الريحاني منهوك القوى الى الفريكة في سنة ١٨٩٨ ، عاد الى الكنيسة القديمة ومراتع الصبا لا ليلعب هذه المرة بل ليستريح ويتامل ويطالع ويكتب فترجم الى الانكليزية اشعار ابى العلاء المعرى ·

ولما كان الشرق مازال راتعا في خمونه اشتاق الريحاني الى نيويورك اذ الانسان كالنبتة تتاصل جذوره حيث يعيش ·

وفي سنة ١٩٠٠ رجع الريحاني الى الولايات المتحدة فنشر فيها باكورته « المحالفة الثلاثية » وبقي هناك حتى سنة ١٩٠٤ فرجع الى لبنان مشبعا بافكار روسو وفولتير والمدرسة العلمية حول الحرية والتقدم وكانت هذه الافكار ملء الاجواء الاميركية ·

لم يكن القسم المحتل من لبنان ولا البلدان العربية المجاورة حيث كان ظلم الولاة يشترع القوانين لترضي الريحاني فنمت في ذهنه فكرة الاصلاح الشامل الممتد الى روح الشعب وعاداته وتقاليده وقيمه · انه حلم جبار لكنه وهمي خطر في محيط تصفي فيه المقصلة حسابات الناقمين · ومع هذا كانت حفنة من المثقفين تعمل في الخفاء الا ان عملها الفردي كان قليل الاثر وكان بالتالي

لابد من تجميع العناصر الديناميـة وتوجيهها وتجسيد امانيها الاصلاحية فكان الريحاني ذلك الموحد • واذا الفريكة ملتقى الشباب المتحرر • وهناك كانت تجرى المناقشات الحارة حول الوسائل الفعالة لقلب الوضع السياسى وتتبعها مناهج العمل والنشرات الدورية السرية والمحاضرات تردد اصداء تلك الاجتماعات فتحرم النيام •

فى سنة ١٩٠٩ انهار عهد السلطان عبدالحميد ومنح الدستور الجديد حرية اوفر لولايات السلطنة فاطمأن الريحاني ، الى حد ما ، لهذا المصير فعاد يحلم بنيويورك والحرية التامة التي توفرها للاديب، لكنه قبل ان يغادر لبنان نشر « الريحانيات » وهي مجموعة مقالات وخطب وقصائد مفعمة بالروح الوطنية الحارة •

دامت اقامة الريحاني في الولايات المتحدة عشر سنوات هذه المرة لان الحرب الكونية الاولى قطعت المواصلات بين العالم الجديد والعالم القديم • فما ان عاد السلم حتى راح يفكر بالرجوع وقد سيطرت عليه فكرة زيارة الجزيرة العربية ونشر الافكار التقدمية فيها والسعي الى توحيد كلمتها • وبالفعل زار تلك البلاد وقام بمهمته خير قيام رغم العراقيل الكثيرة المختلفة التى اعترضت سبيله فاذا مفاوضات الصلح والتعاون تبدا بين شيوخ الجزيرة •

وعاد الريحاني من رحلتـه الشهيـرة ودون انطباعاته عنها « في ملوك العرب » واظهر للعالم حقيقة ما شاهده في الجزيرة العـربية واليمن والعراق •

فى سنة ١٩٢٤ كان الريحاني يدير من صومعته فى الفريكة معركة الاستقلال الكتابية • فلبنان الخاضع للانتداب رغم تحرره من الضغط السياسي العثماني مازال يفتقر الى الحرية الناجزة في التعبير العملي • فاستانف الريحاني اتصالـه باصدقاء الامس وقام بحملات عنيفة ضد الظلـم فاضطهد ولم يهادن •

ادب الرحلة

ان ادب الرحلة لون قائم بذاته مضى الغربيون به بعيدا من حيث المتعة والفائدة • اما في العربية فقد بقي في اول الطريق ، جامدا تنقصه ديناميـة الفن • هذا اذا استثنينا احمد فارس الشدياق الذى شغلته الغرابات اللغوية عن الانصراف الكلي الى ادب فكه خلق له •

جمـع الريحـانى الادب الحـى الـى المـادة الاخبارية الطريفة • فحكى باسلوب روائي مرح سلس حكاية اسفاره الطويلة في بلاد العرب يوم لم تكن تربط بينها اية وسيلة من وسائل المواصلات الحديثة • فجاءت رحلاته وهي تشكل الاهم من اثاره في الانكليزية والعربية ، موسوعة متكاملة الحلقات تنطوى على كل علم وخبر ، من تاريخ الى جغرافية الى اقتصاد الى اجتماع ، بل شريطا ملونـا ناطقا ذا احجام يوهم القارىء انه رفيق الرحالة •

حتى في سرد الأشياء العادية عرف الريحاني كيف يكشف لها وجها جديدا ويخلق جوا يساعد على تبديد السام • من عفوية في الحوار هنا الى مسارة حميمة هناك ، الى شمول في الوصف هنالك ، وتربط بينها جميعا روح دعابة تدفع الى الاستزادة •

قصر الريحاني رحلاته على العالم العربى • لم يذكر شيئا عن اسفاره فى سائر العالم القديم ولا الجديد • ولعل رسالته العربية حملته على هذا القصر • فقد شاء ان يعرف العرب الى العرب ليقرب بينهم جميعا ، لان الانسان فى طبيعته ، عدو ما يجهل • وقد شاء ايضا ان يدل على مواطن الخير والشر والتقدم والتاخر ، فى بلاد العرب بغيرة الرسول الموجه • ولعله اول من اشار الى موارد النفط في الشرق العربى ففتح عليها العيون ومهد لظهور الثروات الطائلة فيها • وبين اثار الريحاني في ادب الرحلة ياتي قلب لبنان في الطليعة من حيث الايحاء والمتعة • فهذا الكتاب الذى طبع بعد موت الريحاني والذى لم ينجز ينطوى على مجموعة رحلة فى قلب الجبل اللبناني قام بها الامين في مراحل مختلفة من حياته وهو يسرد فيها انطباعاته مستندا الى نظرات فى التاريخ والجغرافيا جامعا دقة التحليل الى ظرافة النكتة •

الاسلوب هو الرجل ••

قلما صحت كلمة بوفون، الاسلوب هو الرجل، في اديب بقدر ما صحت في صاحب قلب لبنان • فذلك الانسان الحر الصريح المرح العصبي المزاج ،جاء انشاؤه نزقا ، سلسا ، فكها ، متماسك الحبك ، بعيدا عن كل غرابة وتعقيد •

لقد ادرك الريحاني ان الاديب الاصيل هو اولا وآخرا انسان شفاف الحساسية ، يقظ الخيال، يعيش الوجودفي صميمه ويستوحي اختباره باخلاص• لقد فهم ان الأدب الحي نداء للقارىء•فبقدر ما يبطل الاديب ان يكون جزيرة ، بقدر ما يهبط من برجه العاجي الى الارض فيتصل بقارة الحياة والانسان بقدرذاك يشهد على جيله ويؤدي رسالة•

مازال امين الريحاني حتى اليوم صاحب مدرسة خاصة في الكتابة ينهج نهجها الكثيرون•ذلك انها استمدت معطياتها من وحي مقتضيات العصر فجاءت تسد فراغا في محيط الادب اللفظي المرصوف على غيرمضمون وجاءت ثورة على الكلام المتمق والاحاجي والتوريات التي جعلت الانشاء العربي عند اكثرهم ضربا من التسلية على غير طائل • فما هي خصائص اسلوب الريحاني التي تجاوزت محنة الزمن ؟

انشاء نزق ، فكه ، سلسل ، متماسك الحبك ، عصبي ، بعيد عن التعقيد والغرابة • انه يلائم ، كل الملاءمة تنقل الكاتب على غير تمهيد من الوصف الى الحوار ، الى النقد فان لكل لون من الحديث لونا من اللفظ •

★ ★ ★

خاطبها بعصفوري الصغير فنادته حبيبي

وروى احد ادباء لبنان ، قاصدا زوجة الريحاني،

حبيبي امين : ان اعداءك كثيرون وانا فخورة بكوني قادرة على معونتك

وسابقى ولو كان علينا ان ننام على مقعد خشبي •••

الذين قرأوا للريحاني أو عنه قلما خطر لهم ان هذا الاديب الملتزم كان متزوجا وان زوجته كانت فنانة معروفة • ذلك ان فيلسوف الفريكة لم يذكر شيئا في كتاباته عن هذا الموضوع ، لان الذين كتبوا سيرة الريحاني لم يتوقفوا كثيرا عند زواج الريحاني لان التفاصيل اعوزتهم • وهذه بعض رسائل متبادلة بين هذين الزوجين المعروفين في عالمي الادب والفن ، وبعض تفاصيل هذه العلاقة العاطفية وتطوراتها •

في اواخر سنة ١٩١٤ اقيم في سان فرنسيسكو معرض اقليمي للرسم نالت جائزته الاولى انسة اميركية سكوتلندية الاصل تقطن ولاية كاليفورنيا اسمها برتا كابس •

لقد اثارت الكتابات عن برتا كابس اهتمام الريحاني وابدى رغبته لبعض الاصدقاء الاميركيين في التعرف اليها •

وجمعت الصدفة المدبرة امينا وبرتا في حفلة شاي راقصة في نيويورك احياها صديق مشترك وكانت برتا قد قرأت كتاب «خالد» لامين الريحاني وتذوقت نهجه الطريف •• وكان هو قد علم بعض الشيء عن نسقها التصويري فدار الحوار بينهما حول علاقة الادب بالفن وانتهى الى علاقة الاديب بالفنان او الفنانة • وولفت حلقات الرقص وكان امين يستاثر بمراقصة برتا طوال السهرة ، الصلة بين عاشقي الجمال هذين ، وكان هذا في مطلع سنة ١٩١٥ •

•• وكان لقاء ثان ، من قبيل المصادفة بالظاهر، بين الريحاني وبرتا كابس ، وطد العلاقة بينهما فازدهرت مع الربيع • وكان هذا في نيسان •

وعام ١٩١٦ عقد الزواج بينهما في محكمة مدنية في نيويورك •

وكانت الحرب في اشد استعارها وكانت الصحف الاميركية ظماى الى اخبار وثيقة المصدر عن ميادين القتال فاوفدت مجلتا بوكمن وفوروم امينا، وكان يحرر فيهما ، الى اوروبا ليطلعهما بتفصيل على الوضع الحربي •

وكانت مناسبة شهر العسل للعروسين فمضيا الى فرنسا حيث قضيا فصل الصيف ثم اشتد الخطر على فرنسا فهربا الى اسبانيا ، الى الاندلس ،وقد شاء الامين ان تعيش زوجته في أجواء الامجاد العربية القديمة فساحا معا في قصور الحمراء واشبيلية واعجبت برتا بالفن العربي العريق في الاندلس •

ومن وحي هذه القصور كتب الريحاني يومئذ : « ان في قلب الاندلس ملجأ قلما يلجأ الاندلسيون اليه • هناك مقام لا تسمع فيه ضجة العيد ، مقامات كان لها من السرور ايام زاهرة ومن المجد اعلام وقباب ما تبقى منها اليوم غير قصور متهدمة نبتت في جدرانها الاعشاب ونظم العنكبوت مرثاته فوق النوافذ منها والابواب وجلس في عروشها

العالية السكون ودفن في جنتها المهجورة الشعر والادب والفنون . طلول كانت بالامس معاهد وقصور . «هذي آثار العرب وقد امست عروشا لربة النسيان ومدفنا لمجد الزمان وعبرة بليغة للانسان » .

اما برتا فقد اخذت بعض رسوم احتفظت بها تذكارا عن تلك الرحلة الاوروبية الرائعة رغم اضطراب اجواء الحرب .

لما اعلنت الولايات المتحدة الحرب على المانيا سنة ١٩١٧ خشي الامين ان تنقطع المواصلات عبر المحيط الاطلسي فقرر العودة الى الولايات المتحدة لاكمال عمله الصحفي .

بقيت برتا في اسبانيا تكمل سياحتها بينما ذهب امين الى نيويورك ومنها الى المكسيك حيث قام بحملة ضد المانيا آخذا موقفا صريحا لجهة الحلفاء ورأى الحساد الفرصة مؤاتية للنيل من امين الريحاني فشن بعضهم حملة عليه ، وقد بلغت برتا أصداء هذه الحملة فكتبت الى امين تقول :

« حبيبي امين

« اعرف ان أعداءك كثيرون . وانا فخورة بكوني قادرة على معونتك . سابقى في جانبك ولو كان علينا ان ننام على مقعد خشبي او تحت ارصفة بروكلين . اريد ان اذهب اليك . فانا وحيدة هنا . اريد ان اسمع منك كلاما جميلا » .

أجابها الريحاني :

عصفوري الصغير

انت بداية ونهاية كل جهودي . وأهم دوافع طموحي . ان فشلت فانت عزائي ، وان نجحت فانت فرحي .

في ٦ آب ١٩١٧ كتب اليها من نيويورك :

« انا لا اود ان استقر في هذه البلاد قبل أن افقد كل امل . وهذا يعني انني سانتظر نهاية الحرب . انني اعمل على دعم حركة التجنيد في صفوف الحلفاء ضد المانيا وكان يخطب في الجاليات اللبنانية والسورية ويحثها على التطوع . وسواء تحققت الجبهة الشرقية ام لا فان مثل هذه الحركة تفيد السوريين . ساخطب في اجتماع عام داعيا للتطوع . اجتمعت بالرئيس روزفلت وحدثته بموضوع فلسطين فبدا قليل الاطلاع على هذه القضية ، ومترددا في آرائه . لكن الولايات المتحدة ستدعوني يوما للقيام بدور حاسم لحل مشكلة الشرق الاوسط . وسوف يعلم تيودور روزفلت حينئذ انه كان على خطأ حين لم يشأ ان يستمع الى آرائي .

نجحت الحملة المنظمة ضد الريحاني في المكسيك فالقت حكومتها القبض على الريحاني ، فابرق الى برتا يعلمها بالامر فاسرعت الى المكسيك وكان لامين فيها شقيقه يوسف وأنسباء كثر .

وكتب الريحاني من سجنه الى برتا يقول :

« الساعة العاشرة صباحا

انه الاحد الثاني في السجن .

استلمت الآن رسالتك . اني لأتساءل ماذا يستطيع اللبنانيون والسوريون المعارضون للحكومة هنا ان يفعلوا غير اعلان حقهم في قضية عادلة والعمل على تحقيقها » .

وبعد ان انتهت الحرب وعاد السلم يخيم على العالم من جديد عاودت الريحاني فكرة القيام برحلة الى البلدان العربية الشقيقة بعد ان تقلص عنها الظل العثماني . وكانت الفكرة قد خطرت له مرات من قبل ولم يتسن له تحقيقها . لكنه اصبح اليوم غيره بالامس ، فقد قيدته مسؤولية الزواج . هل ترافقه برتا في هذه الرحلة كما رافقته الى اسبانيا .. لكنه ما ان عرض الفكرة على زوجته حتى استهجنتها بسبب صعوبة المواصلات وغرابة الاجواء بالنسبة لها .

وما انفك امين يرغب برتا بمرافقته الى الجزيرة العربية ليعودا منها الى لبنان «مورد الشعر» . لكنها استرسلت في عنادها وابت ان تترك نيويورك حيث بدأت شهرتها بارتفاع .

واصر الريحاني على تحقيق حلمه .. واتفقا آخر الامر على ان يذهبا معا الى جزر الباليار حيث بعض صديقاتها ثم ينطلق هو الى الجزيرة العربية على ان تلحق هي به الى البصرة عن طريق الهند بعد حين .

لكن برتا لم تلحق بالامين . فكانت القطيعة بينهما وقررا الطلاق .. ■■

فاروق الجمال

فهمي هـــويدي

يكتب من الجزائر

■ شهدت في الجزائر موقعة لاكتشاف الذات !
وهي احدى حلقات « الجهاد الاكبر » الذى تخوضه الجزائر منذ الاستقلال . بل قل انها جزء من معركة الامة العربية التي لم تنتصر فيها بعد . ان نعرف من نحن ، وعلى أي ارض نقف ؟ الامر الذي يرتبط اشد الارتباط بتساؤلات أخرى هامة مثل : ماذا نريد واي طريق نسلك ؟ .. لان تحديد الهدف هو الذى يحدد الوسائل والاساليب . وطبيعة المعركة هي التي تحدد طبيعة السلاح : ننصرف لاكتشاف انفسنا ، ام نكتفي باكتشاف النفط والغاز ؟ .. الذات أم الزيت ؟!

موقعة جزائرية

والمشكلة الملحة في الجزائر ، ان ثمة جيلا يقف الان على المسرح لا يعرف من هو ولا ماذا يريد . الجيل الذى سبقه اختاروا ان يكونوا «مجاهدين» . وان يحرروا التراب الجزائرى من الاستعمار الفرنسي بالبندقية والمدفع . كان الهدف امامهم واضحا والاساليب محددة ، والعدو مجسدا ومرئيا . اما هؤلاء ، فقد صعدوا الى المسرح بعدما انتهت الملحمة ، فتحولوا الى متفرجين .

وحتى لا نظلم هذا الجيل ، فينبغي ان نقرر ان بعضهم اختار ان يبقى متفرجا ايثارا للراحة والاسترخاء وتهربا من المسئولية . لكن هناك اخرين ـ سمعتهم يقولونها ـ جلسوا في مقاعد المتفرجين لان « النص » المعروض عليهم لم يكن مقنعا لهم ، او لانهم لم يفهموا النص ولم يستوعبوا اهدافه ومراميه ، او لانهم وجدوا ان « الادوار » وزعت على غيرهم ، بحيث لم يعد لهم مكان على المسرح على الاطلاق ، فانسحبوا الى حيث صفوف المتفرجين .

وايا كانت الاسباب فالنتيجة واحدة : ان هذا الجيل الجديد من الشباب انفصلت عربته عن القطار . انصرف في المقاهي والميادين وعلى الارصفة ، يدخن السجائر ويتأمل الواجهات ويعاكس خلق الله بالغمز واللمز والصفير !

وكلنا في هذا البلاء سواء . فهذا الذى تعاني منه الجزائر ، هو صورة طبق الاصل من واقع يعيشه الشباب في بقية اجزاء الوطن العربي . شراذم هائمة تعذبها الحيرة ، ويهددها الضياع ومع ذلك ينبغي ان نقرر ـ ايضا ـ انه جيل لم يولد فاسدا بكل تأكيد ولكنه « أفسد » لسبب او اخر . وهي قضية جديرة « بالمناقشة » ، رغم الظروف المعقدة والدقيقة التي تحيط بعناصرها واطرافها .

ضرائب اوربية الجزائر

كانت «الموقعة» في مدينة باتنة عاصمة الاوراس ، جبال الجزائر الشهيرة . هناك ، احتشد الجميع ، بقيادة مولود قاسم وزير الشئون الدينية ، الذى اختار ان يقاتل على هذه الجبهة ، مستخدما كافة الاسلحة . من سوط صغير في يده ـ للتلويح فقط ـ الى مجلة « الاصالة » التى تصدر عن وزارته ، واسمها يعبر عن رسالتها ، الى ملتقيات الفكر الاسلامي ، التى يدعو اليها كل من يستطيع ان يسهم بذخيرته في هذه المعركة .

كان جدول الاعمال يدور حول قضية واحدة :



جانب من القاعة ، وقد ظهر في الصف الاول الدكتور فاضل الجمالي رئيس وزراء العراق الاسبق.

تصوير :
اوسكار مترى

لاكتشاف الذات !

ان يسترد الشباب ثقته في نفسه ، كجزائريين ، وكعرب ، وكمسلمين .

مثلا ، احتل بند « الجزائر والعالم » جانبا من المناقشة . وكان محورها هو صفحات التاريخ المدفونة، التي تشير الى انه كانت هنا دولة مرهوبة الجانب ، لها سطوتها وقوتها ، قبل أن يجثم على صدرها الاستعمار الفرنسي في عام ١٨٣٠ .

من هذه الصفحات ما يقوله بحث الدكتور يحيى بو عزيز استاذ التاريخ بجامعة وهران : كانت الجزائر اقوى دول المغرب العربي الاسلامي بسبب مساحتها وطول سواحلها وغناها الاقتصادى الأمر الذي اكسبها وضع الزعامة على سائر دول المنطقة. واعترفت لها دول اوروبا بذلك . واخذت تدفع لها الضرائب والهدايا ، باكثر مما تدفعه لتونس وطرابلس بعد استقلالها في القرنين ١٧ و ١٨ . حتى اصبحت تلك الدول تهابها وتبرم معها معاهدات السلم والصداقة حتى تتجنب نقمتها وغضبها .

يضيف الدكتور بو عزيز ان هنرى فارو سجل ما كانت تدفعه اوروبا وامريكا للجزائر على النحو التالى :

— الولايات المتحدة وهولندا والبرتغال ونابولى والسويد والنرويج والدانمارك ، تدفع ضريبة كل عامين .

— الدانمارك والنرويج والسويد تدفع ضرائب اضافية في شكل اسلحة وحبال وصوار ورما وذخيرة البارود ، ورصاص وحديد ، تقدر قيمتها بمبلغ ٢٥ الف فرنك لكل دولة .

— اسبانيا وفرنسا وانجلترا وهانوفر وسردينيا والبندقية ، تدفع هدايا دورية للدايات (الحكام) والباشوات واعضاء الديوان ، عند ابرام المعاهدات او تعيين القناصل لها بالجزائر .

— النمسا وروسيا لا تدفعان الضرائب ، ولكن تدفعان اموالا طائلة ، لفداء اسراهما الكثيرين بالجزائر .

صفحة اخرى تثير الانتباه ، في بحث الدكتور شارل . ل . فيدز ، مدير المعهد الامريكى للدراسات الاسلامية في جامعة دنفر (ولاية كولورادو) . وكان موضوعه « الولايات المتحدة والثورة الجزائرية » . يقول فيها ان امريكا ايدت بقاء فرنسا في الجزائر خوفا من الشيوعية ، ومساندة لاقدم اصدقائها في اوروبا . لكن بعض اعضاء مجلس الشيوخ لم يقروا هذه السياسة، وايدوا استقلال الجزائر . وكان في مقدمة هؤلاء



مولود قاسم



احمد توفيق المدني

جون كيندى (الرئيس الامريكى المقتول) الذى قدم فى ٢ يوليو عام ٥٧ مشروع قرار الى مجلس الشيوخ يطالب بتغيير موقف بلاده من الثورة الجزائرية ، وتاييد استقلالها وفتح باب مناقشة هامة حول هذا الموضوع فى المجلس ، وكان مما قاله كيندى : انه لما كانت امريكا ذاتها نالت استقلالها بوسائل ثورية ، فينبغى ان تكون سياستها هى تاييد استقلال الجزائر . حتى اذا ادى ذلك الى فقد صداقة فرنسا !

وقدم كيندي مع آخرين مشروع قرار بهذا المعنى ، احيل الى لجنة الشؤون الخارجية حيث دفن هناك ولم ير النور .

ثم دارت دورة الزمن ، وعندما حصلت الجزائر على استقلالها عام ٦١ كان جون كيندى رئيسا للولايات المتحدة الامريكية !

على ان النقطة التى اثارت جدلا اكبر كانت تتعلق بتقييم مرحلة الحكم العثماني للجزائر والمغرب العربى . وقد صار ذلك خلافا تقليديا بين مفكرى المشرق والمغرب . المشارقة ، خاصة المصريين والسوريين والعراقيين يرون فى الحكم العثماني كارثة حلت بالامة العربية . بينما المغاربة يرون العكس اذ يعتبرونه منقذا لهم من اطماع الاسبان والفرنسيين . الاولون يقولون ان العثمانيين كانوا نذر شر ، وقد قاد المؤرخ المصري الاستاذ محمد عبد الله عنان هذا الاتجاه . والاخرون يؤكدون انهم كانوا رسل خير ،وهو ما اكده المؤرخ الجزائرى الاستاذ احمد توفيق المدني ، الذي كان وزيرا سابقا للثقافة .

غيبيون كيف ؟!

لكن المناقشة الاوسع ، والاهم ، كانت حول قضية الدين والعلم . وقد كان رايى – ولا يزال – انهذه القضية من مواريث الفكر الغربى بالدرجة الاولى . منذ وقفت الكنيسة ضد العلم ، فقررت احراق جاليليو ومنعت تدريس فلسفة ابن رشد، واعتبرت اكتشاف « العالم الجديد » خطيئة لا ترضى الله ! . اعنى ان صدام الدين مع العلم لم يكن « ظاهرة » فى التاريخ العربى والاسلامى، وان اثارة هذا الموضوع بيننا ، هي من قبيل المرافعة فى قضية لا تعنينا او على احسن الفروض فانها بمثابة مناقشة لمشكلة عانى منها الاخرون !

ومع ذلك ، فيبدو ان القضية تشغل بال الشباب الجزائرى ، ربما بحكم اقترابه او تعلقه بالفكر الغربى ، وتاثره بمواريثه .

وكان ابرز الذين عرضوا التصور الاسلامى لهذه العلاقة ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى ، الاستاذ بكلية الشريعة فى جامعة دمشق ، اذ قال انه « خطا كبير ان نقول ان للدين سبيلا مستقلة يناكب بها سبل العلم . وخطا اكبر ان نعقد اى موازنة بين هذين السبيلين الوهميين لنهتدى الى الاجدى منهما ! .. اذ ان الميزان الوحيد امام حركة الفكر الانسانى انما هو العلم وحده .وليس للانسان العاقل فى نقض هذه الحقيقة اى اختيار. واضاف : لكن على الانسان اذا سار فى سبيل العلم ، الا يقف منه عند اى مرحلة من مراحله او ثمرة من ثماره . بل عليه ان يواصل السير والبحث بموضوعية وتجرد ، ليبين النهاية التي



د . محمد سعيد رمضان البوطى



د . موريس بوكاى

سيسلمه اليها ذلك السبيل العلمي الهادي . « فاذا فعل الانسان ذلك ، فانه سيتلاقى وجها لوجه مع الدين الحق . وسيجد انه الثمرةالاخيرة الكبرى لقراس العلم » .

ودلل الدكتور البوطي على قوله بان كل اكتشافات العلم وانجازاته وقفت عند نواميس الكون لم تغيرها : الشيخوخة والموت وتتابع الاجيال .. الى آخره . ثم ان حركة هذا الكون الهائل التي تمضي باتساق وتلاق معجز بين مظاهرها المتنوعة على تحقيق غايات محددة ، ضمن نظام دقيق محكم .. ذلك كله يقودنا الى ان وراء هذا الكون مكونا ابدع نواميسه ، وهو تسليم الى يقين بوجود الله عز وجل . الامر الذى يحاول « الماديون » ان يتهربوا من الاعتراف به ، ويطلقون على هذه النواميس « عقلانية الطبيعة » !

واشار الى الاية الكريمة : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا » . وهى امر الى الناس جميعا بان لا يتعرفوا على شيء مما يريدون ان يتيقنوا منه الا بميزان العلم ودلائله . وكلمة « ما » فى الاية اداة عموم ، فهى تشمل كل شيء ، حتى الايمان بالله وكتبه ورسله !

وكان هذا التوجيه هو الذى دفع فقهاء المسلمين على مر العصور الى اخضاع كل مبدا او قيمة اسلامية فى ميزان العلم . بداوا فوضعوا منهجا علميا للبحث عن الحقيقة ، ورسموا من خلاله قواعد علمية دقيقة للتفريق بين الحقائق واشباهها، واتجهوا الى القرآن ذاته فوضعوه فى هذا الميزان، حتى اذا ما انتهوا من انه تنزيل من الله سبحانه، كانت خطوتهم التالية هى وضع منهج علمى لتفسير النصوص القرآنية على وجهها الصحيح . وهو الذى يسمى اليوم « قواعد اصول الفقه » . ثم اخضعت الاحاديث الشريفة لدراسة هائلة امكن من خلالها وضع ميزان دقيق لكل حديث ، اى «ضبط الرواية والاسناد » ، وهو ما يسمى بعلم مصطلح الحديث ، وفن الجرح والتعديل » .

وتساءل الدكتور البوطى فى ختام بحثه ، هل بعد هذا يقال ان فى الاسلام شيئا اسمه علم منفصل عن آخر اسمه دين ؟ .. وهل بعد هذا كله يقال ان المسلمين غيبيون لا يحكمون العلم او العقل فيما يعتقدون ؟

محنة الايمان بالله

عن الجانب الاخر ، الواقع الغربي ، تحدث الدكتور موريس بوكاى ، وهو جراح فرنسي لمع فى السنتين الاخيرتين بعد ان اصدر كتابه :«القرآن والانجيل والتوراة ، دراسة مقارنة » الذي ترجم الى ٩ لغات بينها العربية . وفيه سجل عدة ملاحظات على الكتب الثلاثة ، واثبت ان القرآن جاء بشواهد علمية منذ ١٤ قرنا ، واكدها العلم الان . وهو ما يثبت انه تنزيل من الله ، وانه الوحيد الذي لم يمسه التحريف والتعديل. ورغم ان هذه معلومات بديهية بالنسبة لنا ، الا انها تعد « اضافة » بالغة الاهمية للعقل الغربى .

قال الدكتور بوكاى ان الايمان بالله فى الغرب يتعرض لازمة حقيقية . واستند فى ذلك الى احصاءات الاسقفية الفرنسية ، التى تشير الى انه كان فى فرنسا عام ٦٥ حوالي ٣٦ الف قسيس.

وان تقديراتهم توقعت ان يتجدد رجال الكنيسة بصورة مرضية ، اذا زادوا بمعدل ١٥٠٠ قسيس جديد كل عام . الا ان العكس تماما هو ما حدث. هذا الرقم المتوقع لم يزد على ٨٩٤ قسيسا جديدا في سنة ١٩٦٧ ، ثم ظل العدد ينخفض حتى وصل الى ١٣٦ سنة ٧٦ ، و ٩٩ سنة ٧٧ .

وفى تفسير هذا الانحسار ، قال الدكتور موريس بوكاى ان من اسبابه الاساسية « فقدان الثقة فى الكتب التوراتية » . وشرح وجهة نظره بقوله انه منذ سنة ٧٠ بدأت تظهر دراسات للاهوتيين مسيحيين حول مدى سلامة نصوص الاناجيل .

واضاف ان الذى فتح باب البحث فى هذا الموضوع هو مجمع الفاتيكان الثانى (٦٢ - ١٩٦٥) الذى قال عن كتب العهد القديم - فى التصريح المجمعى رقم ٤ - انها « تتضمن نقصا ، وباطلا »! ومن هذا الباب دخل بعض اللاهوتيين المسيحيين لاعادة تقييم نصوص العهدين : القديم والجديد .

ملاحظــات هامة

وذكر الدكتور بوكاى مجموعة من الملاحظات حول صحة المعلومات الواردة فى الاناجيل . من ذلك ان انجيل « لوقا » ينسب ٧٥ جدا لعيسى عليه السلام منذ ادم ، وهو ما يتعارض مع ما نعرفه عن الحد الادنى لقدم الانسان على وجه الارض . كما ان انجيل لوقا يتحدث عن قصة « الخوخة المعجزة » ، باعتبارها حدثت فى زمان عيسى عليه السلام ، بينما قال انجيل يوحنا انها قصــة ستحدث عندما يبعث المسيح من جديد . فضلا عن ان الاناجيل الثلاثة لا تذكر وصية عيســى الروحية ، التى هى موضوع مقاطع طويلة جدا فى انجيل يوحنا .

واضاف الدكتور موريس بوكاى : ان هــذه الملاحظات تجد تفسيرها فى البحوث العصرية التى اجراها بعض الخبراء المسيحيين ، الذين قالوا ان صياغات متتالية لنصوص انجيلية قد كتبت فى الماضى ، انطلاقا من روايات سمعية عن عيسى عليه السلام، كانت ذائعة لدى الجماعات المسيحية الاولية . وهو ما يصفه الاب كانجيير الاستاذ بمعهد باريس الكاثوليكي بانها « نصوص مكتوبة للمناسبات او للنضال»، لانها كانت نتيجة لصراعات بين جماعات مسيحية متنافسة .

اما العهد القديم - يقول الدكتور بوكاى - فان تناقض قصصه حول الخلق والطوفان وغيرها، وتعارضها مع المعارف العصرية ، وهو ما بات امرا معروفا - ادى الى ان فقدت التوراة تلك الاصالة التي كانت تضفي عليها فى القرون الماضية .

وبعدما انتشرت هذه الافكار عن الكتب المقدسة، وصارت بين ايدى الجميع . كان من الطبيعى ان يفقد الناس ثقتهم بالله وايمانهم به . اذ «كيف يلقن الله الناس ما لا يطابق الواقع ، كما سبق ان لاحظ القديس اوغوستين ؟ » . وكان منطقيا ان تتعزز هذه الثقة المفقودة ، طالما ان الناس يجهلون او يرفضون فكرة أن وحي الله لم يقف عند عيسى عليه السلام .

وانتهى الدكتور موريس بوكاى الى قوله : «لقد وجدت هذا التوافق بين الدين والعلم فى تفكير يقوم اساسا على المعطيات العلمية، يوم ان شرعت فى دراسة القرآن الكريم » ..

ثم تساءل : الم تتأكد مفاهيم علم الفلك، ومحتوى السماوات ، والكواكب السيارة ، والايضاحات الدقيقة بشأن الليل والنهار ، وكانت انجازات العلم فى هذه المجالات تتفق تماما مع ما جاء به القرآن الكريم . الامر الذى يستحيل معه ان يكون هذا الكلام الذى قدم الى العقل الانسانى منذ ١٤ قرنا ، هو من صنع البشر ، بل هو تنزيل من الله سبحانه .

نقطة نظـــام !

لكن الحماس الذى قوبل به هذا البحث لم يدم طويلا . اذ اعقبه بحث آخر للدكتور محمد اركون (جزائرى يعمل استاذا بكلية السوربون الجديدة بباريس) ، كان مدخله دعوة لاعادة النظر فى المنهج الذى اتبعه الدكتور موريس بوكاى وغيره. وكان مما قاله : اننى لا اريد ان اجادل هؤلاء فى تناولهم لعلم التاريخ وتلاعبهم بقواعــد الالفاظ ومبادىء الفلسفة وانثروبولوجية الاديان. بل انى اعترف لهذا التيار الادبى القوى عند المسلمين باهمية نفسية فائقة . اذ هو يساعد على تأصيل الايمان والاعتزاز بالتعاليم الاسلامية ، ازاء الغزو الفكرى الغربى الذى اجتاح العالم الاسلامى منذ القرن التاسع عشر بوجه خاص . الا ان ما اريد قوله هو ان هذه الوظيفة النفسانية الهامة تؤدى

الى نتيجة معاكسة ، بل ضارة . هي انها تصادر عملية الاجتهاد العقلي المجرد والمنتج ، ونحن نعلم ان العقل لا يوفق الى نتائج علمية سليمة الا اذا تحرر من الاهتزازات الوجدانية والتصورات الذاتية » .

وكان مما قاله لي اركون انه يعارض تناول القرآن من حيث انه كتاب يفسر الظواهر الطبيعية او ان النظريات العلمية الحديثة تؤيد ما جاء به. انما ينبغي ان يظل القرآن في مكانه الحق : كتاب هداية للبشر . والاجتهاد في تفسير القرآن الكريم يجب ان لا يكون اسير هذه الرؤية العلميةالضيقة المحدودة .

ثورة في الاسرة

وفي اكثر من جلسة كان الواقع الغربي مثار حديث ومناقشة . ليس فقط لان الغرب هو عند الكثيرين المثل والنموذج ـ في غيبة مثل ايجابي معاصر عربي او اسلامي ـ ولكن ايضا لان معرفة الآخرين قد تساعدك على معرفة نفسك. اذ قد يدفعك اكتشاف رصيد الآخرين ، الى مزيد من الثقة بنفسك والاعتزاز برصيدك وثروتك .

وفي هذا الاطار نوقش موضوع الاسرة في العالم الان ، الى اين تتجه : الى اليسرى ام العسرى ؟ والتعبير من صياغة وزير الشئون الدينية الجزائري مولود قاسم .

اختلف الغربيون حول مصير الاسرة بين منذر بزوالها ، ومؤمن ببقائها . وكان الدكتور ادوارد شورتر ، استاذ التاريخ بجامعة تورنتو (كندا) ، ممثلا لفريق المنذرين . اذ قدم بحثا طريفا ومثيرا استهله برسم صورة سريعة للواقع الغربي كما يراه ويلمسه . قال انه يسكن في مبنى من عدة طوابق .

« على يميني امراة لها ثلاثة اطفال ، انجبتهم من زوجين مختلفين ، وهي بلا زواج الان . وابنتي يتردد على منزل امراة اخرى ليعتني باطفالها عندما تخرج مع صديقها لتمارس رياضة التزحلق على الجليد . وقد تخلى عنها زوجها . وفي مقابل منزلي مباشرة يقف المنزل الوحيد الذي تسكنه اسرة عادية في منطقتنا . انها اسرة مستقيمة السلوك . باستثناء ان هذا هو الزواج الثاني للرجل ، وان للاسرة صديقا يتناول العشاء على مائدة كل ليلة :

وانتهى من ذلك الى قوله : « نحن الآن نعيش ثورة في عالم الاسرة . ستكون هناك اسرة ، لكنها اسرة تختلف عن النوع المتعارف عليه » . هذه هي القضية على حد تعبيره .

واضاف ان اسرة المستقبل في الغرب لها ثلاثة ملامح اساسية :

ـ فعلاقات الزوجين العاطفية اكثر حدة ، وذات طابع جنسي اكثر صراحة .

ـ وعلاقات الابوين بابنائهما منذ سن البلوغ والمراهقة تتسم بالبرودة الشديدة . وذلك يفسر تزايد جرائم الاحداث ، والزيادة الهائلة في نسبة الشبان الذين يعيشون بعيدا عن اسرهم في سن المراهقة ، وهو ما اثبته آخر احصاء امريكي على الاقل (عام ٧٤) .

ـ والزيجات الجديدة اقل ثباتا واستقرارا . والاحصاءات تشير الى ان نسبة تتراوح بين ٢٥ و٤٥٪ في الغرب تنتهي بالطلاق . وان متوسط اعمار هذه الزيجات هو ٧ سنوات فقط » .

« ان احد الاسباب التي ادت الى هذا الانفجار الهائل في الاسرة،هو الثورة التي شهدتهاالسنوات الخمس عشرة الاخيرة في العلاقات الجنسية ، والتي تروج لها وسائل الاعلام والنشر بالحاح شديد . حتى صارت ثقافتنا كلها تتعرض للسوس. سوس العلاقات الجنسية التي تغير بصورة لا رجعة فيها ديناميكية الحياة الزوجية . ان كتابا واحدا يفسر التمتع بالحياة الجنسية قد وزع مؤخرا ثلاثة ملايين ونصف مليون نسخة . والازواج اكثر تسابقا لاقتناء هذه الكتب ، لانهم بدأوا يعتقدون ان العلاقة المنطقية الوحيدة التي تجمع كل واحد منهم بزوجه هي العلاقات الجنسية . وما على الواحد منهم الا ان يتقن مبادىء هذا الفن ويتخلى عن الزواج » .

وهكذا خلقنا الظروف المواتية لانحلال العلاقات الزوجية : ابناء غير مرغوب فيهم يقذف بهم الى دوامة الحياة في سن مبكرة وبلا اية عواطف اسرية ـ وعلاقات جنسية افلتت من كل تصور ـ وامكانيات اقتصادية للمراة وفرها خروجها للعمل، وجعلتها تستغني عن اشياء كثيرة ، الاسرة في مقدمتها . اذ انها كانت بحاجة الى غطاء الاسرة هذا قبل خروجها للعمل .

لا مبرر للتشاؤم

هذه الصورة القاتمة عارضتها الكاتبة الفرنسية فرانس كيرى ، التي قالت في محاضرتها : انني ازعم بطلان هذا الاعتقاد الذي يقول بان الاسرة اصبحت مهددة بالفناء . والاحصاءات الفرنسية تدل على ان عدد المتزوجين في فرنسا حسب الاوضاع التقليدية لم يسجل من الارتفاع في اي وقت مضى ما سجله اليوم . ومع ذلك فالتغيير موجود . لكنه لم يؤثر على بنيتها العميقة .

وهذا التغيير ينبغي الا يكون باعثا على القلق ، لانه لا يعرض الوجود العائلي للخطر . فضلا عن انه يعبر – بالعكس – عن حيوية الاسرة وقدرتها على التكيف مع دروس التاريخ المتجددة الى ما لا نهاية .

ماذا يحدث في الواقع ؟ – تساءلت الصحفية الفرنسية ..

وردت قائلة : ما حدث هو نفاذ لافكار عصرنا الى المؤسسة العائلية . ولماذا نستغرب ان تصل هذه الافكار التي ثارت ضد الانظمة الاقتصادية والسياسية للمجتمعات الغربية الى الدويلات الصغيرة التي هي الاسرة ، ان تاثير الافكار قد بلغ اليوم قوة لا نظير لها ، لانه مدعوم بالصدى الهائل الذي تعطيه اياه وسائل الاعلام . ان مبادىء العدل والحرية والمساواة تجتاح دويلات الاسر . وهذه فتحت الباب لقيام الاسر على اسس صحيحة وقوية للغاية .

ثم اضافت ان الدراسات التي اجراها في فرنسا فريق « شامبردي لوف » اثبتت ان المراة ما زالت متمسكة بدورها الانثوي ، وان مطلب المساواة او العدل لم يفهم باعتباره دعوة الى التماثل مع الرجل ، ولكنه دعوة لان يعمل كل في مجاله في ظروف عادلة .

ومن ناحية اخرى – قالت – ان العلاقات بين الاباء والابناء اصبحت افضل مما مضى . نقد صار مفهوما لدى الاباء ان الشباب والمراهقة لهما ظروف خاصة . وان الاباء اصبحوا يتقبلون بمزيد من السهولة فكرة اختلاف ابنائهم عنهم . فضلا عن ان قيمة امتداد الابناء للاباء تغيرت. فلم يعد اساس النجاح هو مبلغ ما ورثه الابن عن اسرته ، بل مبلغ ما يعرفه هو ويجنيه بجهده .

خلاصة الامر ان كلا منهما كان يعبر بامانة عن واقع يعيشه . الدكتور ادوارد شورتر نقل الصورة في الولايات المتحدة الامريكية وكندا . وفرانس كيرى نقلت الصورة كما راتها في اوربا .

لكن ما ينبغي ان نذكره ان تجارب السنوات الماضية اكدت لنا ان امريكا هي مستقبل اوربا . او هي النموذج المتقدم للحضارة الغربية ، وانه اذا كان الامريكان لسبب أو آخر قد سبقوا ، فان الاوربيين ماضون على الطريق ذاته ، وبالغون هذه « الذروة » ، عاجلا أم آجلا .

ومع ذلك دعونا ننتظر لنرى : هل ينقل الاصحاء عافيتهم الى المرضى ، ام ينقل المرضى عدواهم الى الاصحاء ؟ !

●

لم يكن هذا هو كل ما في الملتقى . فليست هذه كل الاراء التي قيلت ، ولا هي كل الموضوعات التي اثيرت . فقد كان هناك مثلا نقاش حول الجامعات ، لم تقل فيه كلمة خير عن الجامعات العربية ، اهدافها وقدراتها وممارساتها . وكان هناك ايضا اكثر من محاضرة عن « الاوراس » التي عقد الملتقى في رحابها .. وذلك موضوع يتطلب معالجة اخرى . خصوصا وانه كان قضية تاريخ اكثر منه قضية راي .

وطوال اسبوع كامل استمرت الموقعة بلا توقف في دار الثقافة. مناقشات حتى التاسعة او العاشرة ثم لقاءات مع الشباب حيث يقيمون ، كانت تمتد حتى منتصف الليل . وكانت اسئلتها الملحة تدور حول القضية : من نحن ؟ وعلى أي ارض نقف ؟.. وماذا نريد ؟

وقد ساهم في الالحاح على هذه الاسئلة ان الجزائر الغت منذ العام الحالي ، استقلال التعليم الديني – وهم يطلقون عليه « الاصلي » – واصبحت هذه المعاهد والمدارس تابعة للتعليم العام (وزارة التربية والتعليم) . الامر الذي اثار قلق البعض ، رغم التاكيد الرسمي على ان المدارس باقية على حالها ، والتغير طرا فقط على جهة الاشراف .

ومع ذلك فالقلق قائم .. ومخاوف البعض من ان تكون هذه بداية لخطوات ادماج تالية ، هذه المخاوف تتردد في الاوساط المهتمة بالتوجه الاسلامي .

حتى قال احد هؤلاء وهو يسرد شكوكه : يبدو ان « سي مولود » يعزف وحده !

ترى هل تكمن المشكلة الحقيقية في اختيار الكبار لا الصغار ؟؟ .

■■

حتى الانسان يحاولون تبديله



غسيل المخ

.. الأسرار والثمار ؟

بقلم : الدكتور ماهر الهوارى

ماذا يقصد بعملية غسيل المخ ؟
نسمع أحيانا هذه العبارة ، ونشعر عند سماعها بغموض شديد مع شيء من الرهبة • وربما كان من المناسب أن نوضح أولا العلاقة بين الدعاية وعملية غسيل المخ • أن العمليتين تهدفان الى تغيير آراء واتجاهات ومعتقدات الفرد•

فالدعاية يعرفها لندلي فريزر (١٩٦٢) بانها نشاط او فن اغراء الغير للتصرف بطريقة معينة ، ما كان ليتصرف بمثلها فى حالة عدم وجود الدعاية ، فهى لاتعتمد على القوة او الاكراه بل على الاغراء والاقناع • وعملية غسيل المخ تصل الى تحقيق اقصى اهداف الدعاية بالتغيير الكلى لافكار الفرد • وتعرف بانها الجهود المنظمة للاغراء بقبول مبدأ او أمر أو عقيدة معينة • كما تعرف بانها استخدام اى وسيلة تهدف الى تغيير او تبديل الفكر او العمل ضد رغبة الانسان او ارادته او معرفته (١٩٧٤) • فعملية غسيل المخ تستخدم القوة أو العنف غالبا لاقحام افكار او اراء وتبنيها ضد رغبة الانسان •

اكتشاف غسيل المخ

كان اول مابدأ الباحثون يفكرون فى هذه العملية ، فى عام ١٩٣٠ م حيث كان الحزب الشيوعى فى روسيا يقوم بحركة تطهير او تخلص من بعض الاعضاء • فقد دهش الناس عندما قام كبار اعضاء الحزب والموظفون بالادلاء باعترافات كاملة عن أخطاء واعمال غير مشرفة تماما •

ولم يكن هناك ما يبرر مثل هذه الاعمال او الاعترافات • ولقد شك الباحثون فى ذلك الوقت فى استخدام العقاقير أو التنويم المغناطيسى للحصول علىهذه الاعترافات غير المشرفة (١٩٧١)•

ولقد قرأنا فى الصحف فى الستينات من القرن الحالى أن طبيبا فرنسيا كان يعمل فى الصين، انقطعت اخباره ثم ظهر بعد حوالى ثلاث سنواتفى مؤتمر صحفى ، انكر فيه معتقداته وآراءه الديمقراطية واصبح يدين باراء اخرى • وفى اثناء الحرب الكورية ، كان بعض الاسرى من الامريكيين اعترفوا علنا بانهماستخدموا الاسلحةالبكتريولوجية (ولم يكن هذا صحيحا) • كذلك طالعتنا الصحف منذ عامين أن احدى العصابات الامريكية قد اختطفت ابنة أحد الاثرياء • وبعد سنتين ضبطت هذه الفتاة فى حادث سطو مسلح على البنوك مع العصابة التى سبق ان اختطفتها •

فماذا حدث فى هذه الحالات مما جعل الفرديغير اراءه ومعتقداته ونواحى سلوكه ؟ لقد استنتج الباحثون أن ماحدث ومايحدث فى مثل هذه الحالات انما هو عملية غسيل المخ • وهى عملية التغيير الكلى للاتجاهات والمعتقدات والقيم عن طريق اعادة تشكيل الفكر •

الاطار النفسى للعملية

حاول الباحثون تفسير مايحدث فى عملية غسيل المخ على أساس أحد الاتجاهات او المذاهب فى علم النفس • فقد رأى بعض الباحثين أن عملية غسيل المخ ماهى الا تطبيق لتعاليم بافلوف فى التعلم الشرطى • فما يحدث فى حالة غسيل المخ ماهو الا عملية تعلم واكتساب اتجاهات وأفكار أخرى • ويرى الباحثون أن هناك كثيرا من الافكار ونواحى السلوك يكتسبها الفرد أثناء حياته عن طريق عملية اقتران مثير شرطى بمثير آخر غير شرطى يؤدى الى استجابة معينة • وبالتكرار ـ وأحيانا من مرة واحدة فقط ـ يصبح المثير الشرطى كافيا لاحداث السلوك • فالطفل «يتعلم» الخوفمن حشرة ما أو حيوان أليف كالكلب او القط مثلا اذا رأى الرعب أو البرق، اذا رأى شخصا ما يبدو عليه الخوف وهكذا • بل ان بعض الباحثين يرون أن أغلب الأمراض النفسية يتم تعلمها على أساس هذه النظرية • ومما يثبت السلوك الجديد او المتعلم وجود مكافاة او تعزيز، كالطعام أو الامن أو تجنب موقف غير مرغوب فيه •

فما يحدث فى حالة غسيل المخ ، هو أنّ اصرار الفرد على آرائه ومعتقداته يؤدى الى الحرمان والتعذيب الشديد • أما اظهار بعض الآراء المؤيدة للجماعة الجديدة ، فيقابله نوع من تخفيف العذاب او المكافاة يتناسب مع مقدار التأييد الذى يظهره الفرد لآراء الجماعة •

ويرى آخرون أن عملية غسيل المخ ، تعتمد على اراء فرويد • ويرى المؤيدون لهذا الاتجاه أن حدوث الصراعات الشديدة ، ومايتبعها من قلق شديد ، يؤدى الى محاولة التخلص من هذا القلق باى طريق ولو عن طريق المرض النفسى او العقلى لان النفس الانسانية لاتستطيع تحمل القلق • وهذا مايحدث فى عملية غسيل المخ ، اذ أن اثارة الصراعات داخل نفسية الفرد،هل يقاوم ـ يتحمل العذاب والقلق ـ فىسبيل التمسك بمبادئه ومثله العليا ، أو يعترف بذنب لم يرتكبه للتخلص من الالام والقلق ؟ ثم يبدأ يشك فى نفسه فهل هو مذنب حقا أم برىء ؟ (لان الاتهامات دائما غامضة) ويستتبع هذا فى أغلب الاحوال اثارة الاحساس بالذنب ، وقد يؤدى ذلك الى نشوء صراعات طفلية ظلت مختفية فى أعماق اللاشعور• وباختصار يرى هذا الاتجاه أن حدوث صراعات نفسية ، نتيجة التعذيب والعزل ، تؤدى الى حالة استعداد لدى الفرد لقبول افكار أخرى للتخلص من هذه الصراعات •

أما الاتجاه الثالث فهو يرى أن عملية غسيل المخ تعتمد على أسس علم النفس الاجتماعى • فاذا عزل الفرد عن الجماعة ، ودمر احساسه الاجتماعى بالانتماء ، فانه يصبح قابلا للايحاء والتحول ، لوجهة نظر او ايديولوجية معينة •

مراحل وأساليب

ولكن الرأى الاقرب الى الصواب أن عملية غسيل المخ ، لاتعتمد على مدرسة أو اتجاه واحد فى علم النفس• ويرى كثير من العلماء مثل لفتون وهنكل وولف أنها تعتمد على العمليات الآتية :

١ ـ التوحد أو التقمص : ويقصد به أن الفرد يمتص او يستدمج بعض نواحي الفكر او السلوك الموجودة في شخص اخر ، يكون عادة مصدرا للقوة والعدوان أو العطف•وينتهي الامر في عملية غسيل المخ بان يتوحد الفرد مع الشخص المسئول الذى يقوم باستجوابه • فهو مصدر للقوة والعدوان لانه هو الذى يامر بتعذيبه ووضعه في الزنزانة • وهو ايضا لا يخلو من العطف لانه ينصح الفرد بالاعتراف كما انه يعطف عليه فعلا ، فيامر بتخفيف القيود او التعذيب والسماح بزيادة الطعام أو النزهة داخل السجن • فهو يلعب دوره بمهارة شديدة بحيث ينتهي الامر بعملية التوحد ، اى يصبح الفرد مثل الشخص المسئول في ارائه وافكاره •

٢ ـ خفض الطاقة العقلية والقدرة على التمييز الصحيح • وذلك عن طريق التهديد والتعذيب • وغموض الامور امام الفرد ، حتى أن الاتهام الموجه اليه يكون غامضا وغير محدد ، مثل عدم الولاء •

٣ ـ فقدان القدرة على التوجيه • ان الفرد الخاضع لعملية غسيل المخ يشعر بعدم قدرته على التصرف وعلى توجيه نفسه في اى اتجاه ، فهو لا يعرف أن يختار له طريقا • هل يعترف بذنب لم يقترفه للتخلص من الحالة التي هو فيها ؟ وهل هذا هو التصرف الاحسن ؟ مثل هذه القرارات الهامة لايستطيع الفرد اتخاذها • وهذا الشعور ناتج من العزلة التي فرضت عليه •

٤ ـ الايحاء ، الاثر النفسي للايحاء معروف ، وهناك تجارب كثيرة في علم النفس توضح اثاره ولامحل لذكرها الان ، وهو يستخدم في اغلب مذاهب العلاج النفسي • ومما يزيد من أثر الايحاء العوامل السابق ذكرها كالتوحد والتعب والقلق •

٥ ـ التكرار ، التكرار له آثر كبير في عمليات التعلم•بل ان نظرية ثورنديك في التعلم بالمحاولة والخطأ تعتمد اعتمادا كبيرا على التكرار • فتكرار القول للفرد بانه مذنب • كل من يقابله من قبيل المحقق وزملائه في السجن يقول له انه مذنب واذا بدأ الفرد في الاعتراف بذنوبه ، فان عليه أن يكرر ويحفظ المبادىء الجديدة التي يراد له اعتناقها •

التجهيل أولا

كيف تتم عملية غسيل المخ ؟ •• تبدأ العملية أولا «بتجهيل» ذات الفرد ، اى محو هويته او ذاتيته• ويتم ذلك بعزله عن المجتمع وعن اصدقائه وزملائه وعن الروتين اليومي المتبع ، ويكون العزل في سجن او معتقل كذلك يعطى رقما بدلا من اسمه فاذا حاول ان يذكر اسمه تجاهله القائمون بحراسته• كما يفرض عليه نظام صارم في الاكل والنوم والغسيل بحيث لا يعمل شيئا بدون اذن •

ويتبع ذلك الايحاء اليه بانه ارتكب جرما معينا يستحق عليه العقاب•ويكون الاتهام غامضا غير محدد بحيث يكون من الصعب التمييز بين الجرم والبراءة بين الواقع والخيال • فمثلا يتهم الفرد بعدم التعاون وبمقابلة اشخاص معينين • ويهدف ذلك الى ايقاظ الاحساس الشديد بالذنب • فاذا انكر ارتكابه جرما معينا ، او حاول ان يتذكر اسمه يستمر سجنه مع التعذيب • والتعذيب قد يكون عقليا وجسميا • فيذكر له ان زوجته طلبت الطلاق وان اطفاله لايجدون نفقاتهم ، وان اصدقاءه قد اعترفوا عليه او تبرأوا منه ومن سلوكه غير المشرف • ومن وسائل التعذيب الهامة الاستجوابات والاسئلة المرهقة ، التي تستمر من ١٢ ـ ٢٤ ساعة يوميا ، يكون الفرد اثناءها في حالة من التعب والارهاق الشديد ، ثم يعاد الى الزنزانة فيظن الفرد انه تخلص من العذاب مؤقتا على الاقل •• ولكنهم يوقظونه بعد قليل وتعاد الاسئلة مرة اخرى ويشمل التعذيب الجسمي الاكل القليل والنوم القليل مع الاحساس الدائم بالتعب والارهاق •

فيهبط وزنه وتضطرب حالته النفسية مما يؤدى الى التوتر والقلق وهذا بدوره يؤدى الى زيادة التعب وهكذا • كذلك قد تستعمل الصدمات الكهربائية في التعذيب •

وبالتدريج ومع استمرار التعذيب فان الفرد يضطر الى تصديق التهم الموجهة اليه ، والنظر اليها على انها حقائق والاعتراف بها • خصوصا وانه يتبع التعذيب والتجويع دائما ، المعاملة الحسنة الكريمة اذا اعترف بالتهم الموجهة اليه •

وبذلك تتم الخطوة الاولى في عملية غسيل المخ ، وهي «تجهيل» ذات الفرد ، وتفريغها مما فيها من اتجاهات وقيم ومعتقدات • ثم يتبع ذلك الخطوة الثانية وهي الايحاء اليه بالافكار والمعتقدات

المضادة التي يرغبها القائمون بهذه العملية • ويتم ذلك عن طريق الايحاء الشديد • وقد يحدث ذلك تحت تأثير ادوية معينة تزيد من قابلية الفرد لتلقي واعتناق مايلقى اليه من افكار وآراء ،او تحت تأثير التنويم المغناطيسي (بيرلسون ١٩٦٤)• ومع ازدياد الثواب كلما اظهر تقبلا اسرع للافكار الجديدة • كما ان حضور مجموعات دراسية يومية تلقن فيها المبادىء المطلوبة • والقرارات والمناقشات الجماعية ، والنقد المتبادل والنقد الذاتي جزء أساسي من هذه المناقشات •

وبعد أن يتم امتصاص الفرد للقيم الجديدة تماما ، واعترافه باخطائه فانه يحاكم ويعطى عقابا خفيفا حيث انه قد تم تغييره • هذا وتتراوح مدة هذه العملية بين ٦ شهور وأربع سنوات او اكثر • وعمق استمرار التغييرات في الاتجاهات يتوقف على شخصية الفرد وقوة دوافعه ومدى استمرار البيئة في تاييد اتجاهه الجديد •

تجربة شخصين

ولعله من المناسب ان نذكر خبرة شخص مر بهذه التجربة الخطيرة وهو طبيب كان يعمل فى الصين (براون ١٩٧١) يدعى الدكتور فنسنت يقول انه قبض عليه في أحد شوارع شنغهاى ، وأودع في سجن «مركز اعادة التعليم » ووضع في زنزانة صغيرة ٨ × ١٢ قدما وكان معه ثمانية سجناء • وكانوا مجموعة مختارة منتقاة • وكل منهم يحاول تعديل الاخرين ، لياخذ تقديرا احسن وبالتالي يفرج عنه بسرعة • وكانوا جميعا من الصينيين • وأمره رئيس الزنزانة مخاطبا اياه برقم معين ، أن يجلس في وسط الزنزانة •وجلس الاخرون حوله وكانوا يطلقون عليه صفات : الاستعمارى ، الجاسوس ، ويطلبون منه أن يعترف بجرائمه ، فاحتج بانه طبيب وليس جاسوسا • وانه عمل فى خدمة الشعب الصينى عشرين عاما • ولكنهم استمروا فيإتهاماتهم وقالوا : ان الحكومة لديها الدليل على جرمه ، وهي لا تخطىء أبدا ، وانه لم يقبض عليه بلا سبب • وسالوه عن النشاط الذى يزاوله لتغطية جاسوسيته • وتسمى هذه العملية «النضال» • وهي تنفذ بهدف مساعدة السجين على الاعتراف واستمر ذلك عدة شهور •

ثم اخذ للاستجواب لاول مرة فى حجرة صغيرة بها الشخص المسئول او « القاضى » والمترجم والسكرتير • وبدا بسؤال غامض « انت ارتكبت جرائم ضد الناس ويجب الان أن تعترف بكلشيء»• وكانت اجابات السجين بالبراءة يرد عليها بان الحكومة لا تقبض مطلقا على رجل برىء • ثم أخذوا يسالونه عن نشاطه وأصدقائه •• الخ خلال العشرين سنة من عمله فى الصين • واستمر القاضي في القول ان الحكومة تعرف كل جرائمك ، ولهذا قبضنا عليك ، والان عليك أن تعترف وهذه هى الطريقة لانهاء قضيتك بسرعة واطلاق سراحك في الحال • ثم أخذوا في الضغط عليه باسئلة عن علاقاته بالسفارة الفرنسية ، والحكومة الامريكية ،والصينالوطنية واليابان •وبعد عشر ساعات من اسئلة الاتهام استمر في القول بانه برىء ، وانه لايعرف لماذا قبضوا عليه • فغضب القاضي • وأمر بتقييد يديه من خلفه • وأخرجه من الغرفة وطلب منه أن يذهب ويفكر في جرائمه • وأرسل الى الزنزانة ، وبدأ زملاؤه في الزنزانة في النضال مرة أخرى • واستمر هذا النضال طول النهار • وكانوا يقول له مثلا : انت تعيش كالكلب ،مقيدا تاكل بفمك مباشرة ، لاتغتسل لاتقضى حاجاتك بطرق صحية ، وكل ذلك لانك لم تعترف ،اذا اعترفت انتهى كل شيء •

وفى اليوم التالى سيطرت عليه فكرة قهرية انه يجب أن يتخلص من قيوده • وبدأ فيالاعتراف بنشاطه في التجسس الذى يعرف انه غير صحيح• وعندما سئل عن التفاصيل بدا عدم الترابط • فرفض القاضي ذلك واعاده الى الزنزانة مرة آخرى • واستمر « النضال » مع زملائه •

وفى اليوم الثالث اعترف بطريقة منظمة • وأخذ القاضى يكافئه بنزهات قليلة • ولكن كان عليه أنيعترف مرة أخرى لزملائه فيالزنزانة، فاذا رفض استمر النضال • وبدا كان كل شيء فى الزنزانة يتركز حول اعترافاته • وكل مايفعله او يقوله يكتب ويرسل للسلطات • واستمر ذلك ثمانية أيام ليلا ونهارا بدون نوم ، وتحت ضغط مستمر من الاخرين • فكانوا يقولون له « انت تريد القيد بالسلاسل ، تريد أن تقتل ، والا فيجب

ان تكون مخلصا ، فتصبح السلاسل لا لزوم لها »· وأخيرا وقد احاط به التعب والخلط والشعور بالعجز ، لم يستطع المقاومة وسلم بالامر واعترف اعترافا متناسقا ، فيه خليط من الحقائق واشباه الحقائق والاكاذيب ·

فازيلت االقيود ، وكان يجلس جلسات مريحة· واصبح القاضي صديقا له ، يكلمه بطريقةمناسبة ويذكر له أن الحكومة اسفة لما حدث له · وانه لايزال عليه أن يعترف اعترافا كاملا · ويحاول « اصلاح » نفسه · وقدمت له مساعدات لاعادة الاعتراف ، هذه المساعدات تشمل بعض الاسماء للاعتراف عليهم · فاذا قال ان هذا لم يحدث ، اعيد للزنزانة مرة أخرى ، واستمر الامر هكذا الى ان رضخ تماما لما يرغبونه من اعترافات بدا انه قد اصبح يعتقد أنها حقائق · وكوفيء بالنوم المناسب ، واصبحت الاسئلة هادئة وقليلة · وابعدوا عنهزملاءه في الزنزانة، ومعذلك استمرت مناداته برقمه ، وتقديم طعام ردئ ·

وبعد ذلك كان عليه أن يشارك في برنامج « اعادة التعليم »الذى كان يستمر مابين ١٠ ــ١٦ ساعة يوميا · وكان البرنامج يشمل افكارا من التي يرون ادخالها في عقله · وكان على كل فرد أن يناقش وأن يعبر عن نفسه (من وجهة نظر الحكومة) واعترف أمامالجماعة بانهكان جاسوسا· وانه كان يتستر تحت عمل طبيب فطلبوا منه ان يختبر نفسه وأن ينتقدها وأن يبحث عن «الاصلاح» وهكذا كانت كل مناقشة تبدأ في مستوى عقلي ثم تتحول الى تحليل ونقد ذاتي·

وبعد سنة من اعادة التعليم ، سئل مرة أخرى بواسطة القاضي أن يحسن اعترافاته ، وزادت الجرائم التي اعترف بها ، ثم أعطى برنامجا آخر استمر ١٤ شهرا ·

وفي خلال السنة الثالثة من السجن بدا فلستت يؤمن بصحة اعترافاته وتحسنت معاملته جدا·وعقد له مؤتمر صحفي اعترف فيه بكلجرائمه · ثم مثل أمام القاضي ، فحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات (وقد سبق أن قضاها فعلا) فاطلق سراحه ·

هل ينجح الغسيل ؟

قد يخطر ببالنا هذا السؤال : هل عملية غسيل المخ هذه لا مفر من نتائجها وانها ناجحة في جميع الاحوال · والاجابة كلا ،فان نجاح واستمرار نجاح هذه العملية يتوقف على عدة أمور · منها شخصية الانسان فكلما كانت الشخصية أكثر تكاملا وتماسكا ، قل تاثير عملية غسيل المخ ·كذلكتاثير البيئة التي يعيش فيها الانسان ، فاذا استمر الانسان في المعيشة في نفس المجتمع الذى عملت له فيه عملية غسيل المخ للايمان بمبادئه ، فانتاثير العملية يستمر ولكنه اذا انتقل الى مجتمعآخر ذى مبادىء أخرى فقد يعود الى مبادئه الاصلية · ومن اهم العوامل أيضا الايمان ، فاذا كان الايمان قويا ، والولاء للجماعة التي ينتمي اليها الفرد شديدا ، مااستطاعت الوان العذاب أن تغير من اتجاهات الانسان · والتاريخ مليء بامثلة كثيرة من هؤلاء الذين ماتوا في سبيل الدفاع عنآرائهم وتمسكهم بها ·

ومالنا نذهب بعيدا ، ان قصة بلال مؤذنالرسول وما تعرض له من أهوال لكي يرتد عن الاسلام معروفة للجميع · ولعل في ذكر بعض تفاصيل العذاب الذى تعرض له ما يؤكد قولنا أن قوة الايمان تستطيع ان تقاوم عملية غسيل المخوتغيير أفكار ومبادىء الانسان · فعندما بلغ أمية مولى بلال أن عبده قد دخل دين الاسلام وآمن بمحمد عليه الصلاةوالسلام وأصبح يقرأ القرآن،استشاط غضبا وهدد بلالا ، فلم يعره اهتماما · فربطه امية بحبل غليظ في عنقه وسار به في شوارع مكة ، وجمع حوله الاطفال يسبونه ويرمونه بالاحجار والاقذار · ولكن بلالا أخذ يردد قولته المعروفة « أحد ·· أحد » وعندما اقبل المساء وقد يئس امية من تعذيبه ، أشار عليه أبو جهل ،بان يربطه بسلاسل غليظة ويتركه في الشمسالمحرقة والريح الساخنةبلا ماء ولكنه استمر يردد «أحد·· أحد» · فامر أبو جهل أتباعه بحمل صخرة ضخمة ، ووضعها على صدره وابتسم أبو جهل منتظرا أن يسمع ارتداد بلال ولكنه قال « أحد ·· أحد » · ان يقتلوني فلم أكن لاشرك بالرحمن من خشية القتل فيارب ابراهيم ويونس وموسى وعيسى نجني ثم لا تبل » · ■■

دكتور ماهر محمود عبد الهادى
كلية التربية جامعة الرياض

كلام في العدل:

عن الفقر والكفر

بقلم: فهمي هويدي

في « دار الاسلام » كل مخلوق له حق في الحياة الكريمة ، بدءا بالحيوان ، وصعودا الى الانسان ، مخلوق الله المختار • اذ يكفي ان يكون المخلوق من صنع الله ، ليرتب له ذلك حقوقا في رفع كل صور المهانة والاذى عنه •

ولعة حديث شريف يقول : من قتل عصفورا عبثا ، عج الى الله عز وجل يوم القيامة يقول : يا رب قتلني عبثا ولم يقتلني لمنفعة •وقصة المرأة التي كتب عليها ان تدخل النار في « هرة عذبتها » معروفة • ومشهور ايضا قول الخليفة عمر بن الخطاب في مسئوليته عن كل ما في عالم الاسلام، «حتى ولو عثرت بغلة في العراق » •

وهذا امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يؤرقه أن الابل في مصر تحمل فوق طاقتها ، فيكتب بنفسه الى واليه هناك قائلا : «اما بعد،فقد بلغني ان الحمالين في مصر يحملون على ظهور الابل ما لا تطيق• فاذا جاءك كتابي هذا،فامنع ان يحل على البعير اكثر من ستمائة رطل ! ❋ •

وعندما يبصر في جولاته اناسا يحملون مقارع في اسفلها حديدة مدببة ينخسون بها دوابهم ، فلا يكاد يستقر في مجلسه حتى يوقع قرارا يحرم استخدام هذه المقارع !

وعندما سئل الامام احمد بن حنبل عن تشميس دود القز ليموت في نسيجه،ويستخلص منه الحرير الذي يستخدم في الصناعة (وكان هذا الاسلوب معروفا في العراق على عصره)، كان رده : اذا لم يجدوا منه ابدا ، ولم يريدوا بذلك ان يعذبوه بالشمس • فهو يجيز اماتة الدودة ، فقط اذا كان ذلك من ضرورات الصناعة !

●

هذا عن الحيوان في عالم الاسلام ، فما بالكم بالانسان ؟

والانسان في القرآن ، هو المخلوق المكرم الذي سخرت من اجل اسعاده السموات والارض. بل هو خليفة الله في هذه الارض • هل يمكن ان يقبل له الاسلام اذى او مهانة بأي قدر ؟

•• وهل هناك اذى للانسان ومهانة لكرامته اكثر من الفقر ؟

لقد كان طبيعيا ، ومنسجما مع تكريم الله الانسان ، ان يقف الاسلام موقف الرافض العنيف للفقر ، بل موقف الفزع الاكبر على الناس من الجوع ، والمحرض الاكبر لهم على ان ينتزعوا بأظافرهم حقهم في القوت من الاغنياء •

❋ معجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز ـ خالد محمد خالد •

« الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء (لاحظ ارتباطها بالفقر) والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ـ البقرة ٢٦٨ » . وقد كان للرسول عليه الصلاة والسلام دعاء شهير يقول فيه : اللهم اني اعوذ بك من الكفر والفقر . فقال رجل : ايعدلان ؟ ، اى هل هما في مقام واحد ، فكان رده : نعم .

وثمة دعاء اخر بنفس المعنى يقول : اللهم اني اعوذ بك من الفقر والقلة والذلة ، واعوذ بك من ان اظلم او اظلم ـ رواه ابو داود والنسائي .

وبنفس المنطق يجيء الحديث الشريف : كاد الفقر ان يكون كفرا ـ رواه ابو نعيم في الحلية عن انس .

●

بعد « الرفض » ، ما هو الحل الاسلامي للمشكلة ؟

ربما كان من افضل الكتابات في معالجة هذه القضية ما كتبه ابو عبيد القاسم في مؤلفه الموسوعي « المال » وما عرضه الفقيه الدكتور يوسف القرضاوى في كتابه « مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام » ، ورسالته العلمية التي نال بها الدكتوراه حول موضوع لصيق بالقضية هو : الزكاة . والدكتور القرضاوى يطرح حلولا اربعة كفلها الاسلام لمواجهة مشكلة الفقر .

فالاصل ان كل انسان في عالم الاسلام مطالب بان يعمل ما دام قادرا على ذلك : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا ، فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ـ الملك ١٥ » والعمل قرين الجهاد « واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله ، واخرون يقاتلون في سبيل الله ـ المزمل ٢٠ » ـ و .. ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان ياكل من عمل يده ، وان نبى الله داود كان ياكل من عمل يده ـ رواه البخاري » .. و « اليد العليا خير من اليد السفلى ـ رواه ابن عمر » .

والايات والاحاديث وشواهد التاريخ الاسلامي معروفة لدى الكثيرين ، وكلها تؤكد قيمة العمل وتعززها ، بالامر حينا ، وبالنصح حينا ، وبالترغيب مرة وبالترهيب مرة .

× بعد ذلك يجيء العنصر الثاني من حلول مشكلة الفقر ، وهو : كفالة الموسرين والاقارب ، ذلك ان « اولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ـ الاية الاخيرة من سورة الانفال » ـ « ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ـ النحل » (لاحظ كلمة يامر) ـ و « .. من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ـ متفق عليه » . والتشريع الاسلامي هو الوحيد الذى ينفرد باقرار هذا الحق للفقير تجاه قريبه الموسر .

× و « الزكاة » هى الحل الثالث . وهي ليست احد اركان الاسلام الخمسة فقط ، ولا قريبة الصلاة فقط ، ولكنها ايضا العبادة الوحيدة التي يمتد اثرها الى الناس بصورة مباشرة . فهذا مال يقتطع بنسبة معينة ، ليوجه الى مصارف محددة في المجتمع . بينما الاركان الاربعة الاخرى تقوم في علاقة الانسان بربه . ولا تنعكس على الاخرين الا في صورة غير مباشرة ، بقدر انعكاس اداء شعائرها على خلق المسلم وسلوكه .

ولخطورة الدور الذى تؤديه ، فقد تشدد الرسول عليه السلام في شانها حتى قال : « من اعطاها مؤتجرا (اى طالبا للاجر والثواب) فله اجرها . ومن منعها فانا اخذوها ، وشطر ماله (اى نصفه) غرمة من غرمات ربنا ، لايحل لآل محمد منها شيء » .

وهذا الحديث ـ يقول الدكتور القرضاوى ـ يجيز لولي الامر مصادرة نصف مال من امتنع عن اداء زكاته . وهو نوع من العقوبات المالية التي يتخذها الحاكم عند الحاجة تاديبا للممتنعين

والمتهربين • وبذلك صارت الزكاة هي الركن الوحيد من اركان الاسلام الذى يخضع المسلم لعقاب دنيوى اذا قصر في ادائه •

ولنفس السبب قاتل الخليفة الاول ابوبكر الصديق ومعه الصحابة ، مانعي الزكاة • وقال كلمته المشهورة « والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » •

وهو ما استند اليه فقيهنا ابن حزم في فتواه : « وحكم مانع الزكاة، انما هو ان تؤخذ منه ، احب ام كره فان مانع دونها فهو محارب فان كذب بها فهو مرتد . فان غيبها ولم يمانع دونها فهو آت منكرا • فوجب تاديبه او ضربه حتى يحضرها . او يموت قتيل الله تعالى الى لعنة الله ! ❋

وللزكاة – كما نعلم – مصارف ثمانية محددة « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم – التوبة ٨٥،٦٠ ».

والذى يتصل بموضوعنا ان هذه الزكاة فريضة على المال من صاحب المال الاصلى وواهبه سبحانه ، وانها ليست تبرعا من الاغنياء ، ولكنها حق للفقراء • « وفي اموالهم حق للسائل والمحروم – الذاريات ١٩ » •• وان الهدف الاساسى لها هو اعانة ذوى الحاجة من المسلمين • وهناك من يحاول ان يصور العدالة الاجتماعية في الاسلام بانها « عدالة قائمة على الصدقات » ، بمعنى التبرع ومد اليد • ويغيب عن هؤلاء ان الاسلام يعتبره مال الله في الاساس ، وان نصيب الفقراء فيما لدى الاغنياء هو « حق » بالدرجة الاولى . وان الزكاة ليست متروكة لتطوع القادرين وامزجتهم ، ولكنها فريضة واجبة ، تقتطع من مالهم اذا تقاعسوا عنها • اى انها في حقيقتها « ضريبة » سنوية واجبة الاداء للحاكم المسلم ، هدفها تحقيق التكافل في دار الاسلام ، حتى لا يظل المال « دولة بين الاغنياء »

لكن هذه الزكاة ليست كل حق الفقراء فيما لدى الاغنياء ، ولكنها الحد الادنى المفروض في الاموال • ولولى الامر اذا لم تسد الزكاة حاجة فقراء المسلمين ان ياخذ المزيد من الاغنياء، بالقدر الذى يسد هذه الحاجة • والحديث الشريف صريح في ذلك « ان في المال حقا سوى الزكاة – رواه الشيخان » •

× والمصدر الرابع لمعالجة مشكلة الفقر هو الخزانة الاسلامية بمختلف مواردها • ففي املاك الدولة الاسلامية ، والاموال العامة التي تديرها وتشرف عليها ، بالاستغلال او الايجار او المشاركة • وفي خمس الغنائم – ان وجدت – وفي مال الفيء وفي الخراج (الضرائب العقارية) •• في كل هذه الموارد نصيب للمحتاجين والمعوزين • (ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم – الحشر ٧) •ولنتذكر قسم الخليفة عمر بن الخطاب « والله ما من المسلمين احد الا وله في هذا المال نصيب » •

ويخطىء من يظن ان هذه الكفالة مقصورة على المسلمين وحدهم ، رغم اشارة عمر بن الخطاب الى ذلك • اذ أن المقصود باشارته هم الذين يعيشون في دار الاسلام • وعمر نفسه هو الذى اثار انتباهه شيخ من يسأل الناس، فقال له : ما انت يا شيخ ؟ قال : ذمي (وكان يهوديا) فرد عمر : ما انصفناك ؟ •• اكلنا شبيبتك ثم نضيعك في هرمك • واخذه الى بيته فأعطاه ما وجده عنده، وأرسل الى مسئول بيت المال يقول : انظر هذا وضربائه (وامثاله).

❋ المحلى – جـ ١١

فافرض لهم من بيت المال ما يكفيهم وعيالهم ·

ذلك انه عندما يتصل الامر بالفقر والحاجة ، فان القضية المطروحة تصبح قضية كرامة الانسان ، مجرد كونه انسانا ، مسلما او غير مسلم · والنص القرآني « ولقد كرمنا بني آدم » لم يقصر التكريم على مخلوق دون آخر ·

●

وليس الهدف من هذا كله ان يعيش الانسان في عالم الاسلام عند حدود الكفاف · ولكن الهدف هو أن تسد حاجة الانسان قدر الامكان ، ليعيش حياة كريمة تليق بمخلوق الله المختار ·

والحديث الشريف يقول : من ولي لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، او ليس له زوج فليتزوج ، او ليس له دابة فليتخذ دابة ـ رواه الامام أحمد وأبو داود · « واذا كان الحديث واردا في حق موظفي الدولة ، الا أن العلة التي اقتضت حصول الموظف على ذلك ، وهي تحقيق كفايته للقيام بعمله بامانة واستقرار ، تقتضي توفير ذلك لجميع العاملين ، ولو باسهام من بيت المال » · (١)

وعمر بن الخطاب هو صاحب القول : اذا اعطيتم فاغنوا ·

وقد سئل الامام الحسن البصري عن الرجل تكون له الدار والخادم ، أيأخذ من الزكاة ؟ ·· فاجاب بانه يأخذ ان احتاج ، ولا حرج عليه · (٢)

وثمة اتفاق على ذلك بين أئمة المذاهب الاربعة ، حتى قال الاحناف : لا بأس بان يعطى من الزكاة من له مسكن ، وما يتأثثه في منزله ، وخادم وفرس ، وسلاح ، وثياب البدن ، وكتب العلم ان كان من أهله · واستدلوا على ذلك بقول الحسن البصري (كانوا يعطون الزكاة لمن يملك عشرة الاف درهم من الفرس والسلاح والخادم والدار) · والمعنى بذلك هم صحابة رسول الله « لان هذه الاشياء من الحوائج اللازمة التي لا بد للانسان منها ، فكان وجودها وعدمها سواء » (٣) ·

وقد افتى الفقهاء بان العابد لا يستحق زكاة بينما العالم المحتاج يستحقها ، لان الاول ينفع به نفسه والآخر ينفع الناس بعلمه (٤) ·

هؤلاء وامثالهم ، يعتبرون « اصحاب حاجة » يحق لهم نصيب من الزكاة ! ·· أليس هذا أمرا مدهشا ؟ أليس مدهشا أيضا أن يعطى احد المحتاجين ثلاثا من الابل من بيت المال في عهد عمر بن الخطاب ، فيحث عمر موظفي بيت المال على أن يزيدوا امثاله ويقول : كرروا عليهم الصدقة وان راح على أحدهم مائة من الابل ·

واليس مدهشا أن يبلغ هذا الاحساس بالتكافل مدى في ذلك الوقت المبكر من عمر تجربة الانسان يدفع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى أن يفرض لكل مولود مائة درهم ، فاذا ترعرع زاده الى مائتين ، فاذا بلغ زاده كذلك · بينما في عهد عمر بن عبد العزيز يطوف المنادون : اين المساكين ؟ اين الغارمون (المدينون) ؟ ·· اين الناكحون (الراغبون في الزواج) أين اليتامى ؟ ·· حتى قيل : ما مات عمر بن عبد العزيز ، حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول : اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء ، فما يبرح حتى يرجع بماله ·

---

(١) اشتراكية ـ الاسلام ـ د · مصطفى السباعي ·

(٢) الاموال لابي عبيد

(٣) بدائع الصنائع ٢٤ للكاساني جـ٢ · (٤) مشكلة الفقر للدكتور يوسف القرضاوي

وهذه الملابسات والشواهد ، هى التى استنداليها ابن حزم فى كتابه « المحلى » وهو يحدد « الكفاية » التى بدونها يصبح الانسان فقيرا•اذ قرر ان أدنى ما يتحقق به المستوى الانسانى لمن يعيش فى دار الاسلام هو : طعام وشراب•ملائمان ، وكسوة للشتاء وأخرى للصيف ، ومسكن يليق بحاله (أى حقوق المأكل والملبس والمسكن) •

●

واذا لم يتحقق هذا الحلم العظيم ، ووقع المحظور ، واستبد الفقر بالمسلم •• اذا جاع مثلا ؟؟

هنا ترتج الارض والسماء ، فهذا مخلوق الله المختار وخليفته على الارض يتعرض لذلة الفقر ومهانة السؤال•وهنا تقف النصوص الاسلامية ، موقفا بالغ الحزم والعنف ، تجرم الحدث ، وتدعو الى ازالة آثار الجريمة بكافة وسائل الترهيب والتحريض •

هنا تتوالى الاحاديث: أيما اهل عرصة ـ منطقة او حى سكن ـ أصبح فيهم امرؤ جائعا، فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله ـ ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم ـ ثم هذا الحديث الخطير فى مدلوله :اذا بات مؤمن جائعا فلا مال لاحد •

ويعلق الدكتور على البارودى على هذا الحديث فى كتابه : دروس فى الاشتراكية العربية بقوله : انه ما دام فى المجتمع جائع واحد أو عار واحد ، فان حق الملكية لاى فرد من أفراد هذا المجتمع لا يمكن أن يكون شرعيا ولا يجب احترامه ولا تجوز حمايته• ومعنى ذلك أن هذا الجائع الواحد يسقط شرعية حقوق الملكية الى أن يشبع ❋ •

وقد حدث فى عهد عمر بن الخطاب أن أصاب بعض المسلمين عطش شديد ، فمروا على بئر ، ولكن أصحابه رفضوا أن يشربوا منه، فلما وفدوا على عمر أخبروه بالامر فقال : هلا وضعتم فيهم السلاح » ❋ •

ومشهور بيننا قول الصحابى أبى ذر الغفارى : عجبت لمسلم لا يجد قوت يومه ولا يخرج على الناس شاهرا سيفه !

وفى المحلى (ج ٦) كتب ابن حزم عن المسلم الذى يشتد به الجوع ، بينما يجد طعاما فيه فضل عن صاحبه ، فيقول أنه « فرض على صاحب الطعام اطعام الجائع •• وله ـ الجائع ـ أن يقاتل عن ذلك ، فان قتل فعلى قاتله القود (القصاص) وان قتل المانع فالى لعنة الله ، لانه منع حقا ، وهو طاغية • قال الله تعالى :فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ـ الحجرات ٩ ـ ومانع الحق باغ على أخيه الذى له الحق » •

وفى فقه الحنابلة انه اذا مات المسلم جوعا فان القادرين الذين حوله يعتبرون قتلة، ويلزمون بدفع الدية عنه ، لانهم مسئولون أمام الله عنه •

وفى رأى فقهاء آخرين أن المسلم الجائع اذا مات وهو ينتزع حقه فى القوت من الاغنياء، يعد شهيدا لأنه مات وهو يدفع ظلما اجتماعيا وقع عليه ، « ومن مات دون مظلمته فهو شهيد» بنص الحديث الشريف، ثم انه مات وهو يحاول أن يغير بيديه منكرا ، اذ هو مطالب بذلك شرعا • « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده •• الى آخر الحديث » •

وقبل أن نطوى هذه الصفحة ينبغى أن ننتبه الى أن هذه النصوص الاخيرة تتصدى لحالة واحدة يستبد فيها الفقر بالناس ، هى حالة الجوع •• أى منتهى الفقر •

وبقى أن نتأمل على الجانب الآخر حالة معاكسة •• منتهى الغنى ! ■■

❋ العدل الاجتماعى ـ د • عماد الدين خليل• ❋ الخراج لأبى يوسف •



رحلة قطرة الحليب

نموذج لإعجاز القرآن

بقلم : الدكتور محمد مروان السبع

● المؤكد ان الحليب غذاء كامل القيمة الغذائية ٠٠ اذ من الممكن اعتباره الغذاء الاوحد ـ من بقية الاغذية ـ الذي يستطيع الانسان ان يتغذى عليه خلال كافة مراحل العمر المختلفة وحتى بدون مرافقة الاغذية الاخرى ٠ فاى غذاء اخر ـ عدا الحليب ـ لا ينهض لوحده كممون لاحتياجات الكائن الحي من كافة المواد الغذائية والمعدنية بل يجب ان تشارك عدة اغذية معا لتحقق متطلبات الجسم من الاحتياجات الغذائية ٠

أما الحليب فهو الغذاء الاوحد للطفل الرضيع والغذاء الرئيسي للفطيم واليافع والرجل والكهل والشيخ ٠ أرأيت طفلا رضيعا يستطيع أن يقيم أوده ويشتد عوده دون أن يشرب الحليب ٠ بل لا يمكن أن نتصور بقاءه على قيد الحياة دون أن يتغذى على هذا الغذاء السائل اللذيذ ٠ ولم لا وقطرة الحليب غنية بكافة المواد الغذائية الضرورية والهامة لمختلف العمليات الحيوية الجارية في الجسم ٠ فهي تحتوى على البروتين ببنيات مختلفة لبناء خلايا الجسم الجديدة وترميم الخلايا التالفة واعطاء النمو للكائن الحي ٠ وتضم الدهن بصيغ مختلفة معقدة لكنها تؤمن الطاقة الحرارية لاعمال الجسم الحيوية المختلفة ٠ وتشتمل على السكر السهل الاحتراق والذي يعطي الطاقة الحرارية الآنية بشكل سريع ٠ وتحتوى على الاملاح المعدنية الكبرى التي يحتاجها الجسم بكميات كبيرة ، والصغرى التي لا تلزم للجسم الا بمقادير زهيدة للغاية ٠ وتحتوى على الفيتامينات بكافة أنواعها وفروعها ٠

واخيرا تضم قطرة الحليب المضادات الحيوية التي تؤمن للجسم مناعة تامة ضد الامراض والعلل، وخصوصا الحليب المفرز في الايام الاولى بعد الولادة ٠ فالطفل الحديث الولادة يتعرض لهجوم الجراثيم ومسببات الامراض بشكل شديد ولا يكون الطفل عند ذاك مستعدا لمقاومة هذا الهجوم لعدم

امتلاكه للاجسام المضادة • لذا نجد الخالق جل وعلا قد أوجد في الحليب المفرز في الايام الاولى بعد الولادة تلك الاجسام المضادة التي تقي الطفل من أمراض شديدة الوطأة ريثما تتكون في الجسم المناعة الذاتية الكافية بشكل تدريجي وعلى مراحل•

تتكون قطرات الحليب في حوصلات خاصة بالضرع والثدي (في المرأة) تدعى بالحوصلات الغروبية • ويبلغ عدد هذه الحوصلات بالملايين • وتتألف الحوصلة المجهرية الواحدة من خلايا طلائية مرصوفة بجانب بعضها البعض مشكلة اسورة مفتوحة من جهتها السفلية (انظر الشكل المرفق)• وتحصر بينها فراغا يدعى فراغ الحوصلة تصب فيه قطرات الحليب المنسابة وتخرج الى قنيوة شعرية تدعى قناة الحوصلة • وهذه تفضي الى قناة أعرض فاعرض حتى تنتهي الى قناة الحليب الرئيسية التي تصب في مخزن الحليب • وهذا بدوره يحفظ الحليب لحين ادراره عبر الحلمة •

وتتألف الخلية الطلائية في الحوصلة الغروبية من جدارين : خارجي مفعم بالاوعية الشعرية التي تمد الخلية بالدم والاعصاب ، وداخلي طري ترشح منه قطرة الحليب الجاهزة • ومن الجدير بالذكر أن كل خلية طلائية تصنع قطرة الحليب بشكل جاهز بكل محتوياتها الغذائية والمعدنية والحيوية •

مصل الدم والحليب

ومن المعروف أن الدم وما يحمله من مواد غذائية يعتبر المصدر الاساسي لامداد الحوصلات الغروبية بحاجتها لصنع قطرة الحليب• غير أن هذه الحوصلات تلعب دورا عظيما في عملية انتقاء تلك المصادر الغذائية • ونظرة بسيطة الى المحتويات الكيميائية لمصل الدم مع المحتويات الكيميائية لقطرة الحليب يتضح لنا الفرق الشاسع والبون الكبير فيما بينهما (انظر الجدول) •

وهكذا نجد ان هنالك مركبات موجودة في الحليب لم تكن موجودة اصلا في الدم • على الرغم من ان هذا الدم بالذات هو الذي يمد الغدة اللبنية اصلا بالمواد الضرورية لتكوين الحليب ومثال تلك المركبات (اللاكتوز والكازئين وغيرهما) • وكذلك فان الحليب يفوق مصل الدم في سكر الحليب (اللاكتوز) بمقدار ٩٠ ـ ٩٥ مرة و ٢٠ مرة في الدهن و ١٤ مرة في الكالسيوم و ٩ مرات في البوتاسيوم و ١٠ مرات في الفوسفور • الا ان الحليب يتقهقر امام الدم في كمية البروتين بمقدار مرتين وبالكلور ٣ مرات وبالصوديوم ٧ مرات •

واذن فقد حصل اختلاف في التركيب الكيماوي للحليب عن مصدره الاساسي الا وهو الدم • وهو ليس اختلافا عشوائيا تابعا للصدفة العمياء البحتة، وانما هو امر موجه بقدرة عظيمة كي تصبح قطرة الحليب مستساغة الطعم لذيذة النكهة مقبولة القوام والمظهر واللون وغنية بالقيمة الغذائية العالية • وعند النظر في معلومات الجدول المرفق نرى ان خلايا الحوصلات الغروبية في الثدي تقوم بعمل خارق مدهش للغاية عند صنعها لقطرة الحليب • اى لا كما يقال انها تعمل عمل مصفاة واعية منتقية !! اى انها تنقي تلك المواد الضرورية انتقاء وانتخابا ولا تسمح بمرور بعض المواد الاخرى •

مقارنة بين مكونات مصل الدم ومركبات الحليب الكيميائية في الابقار

الماء الغلوكوز الالبيومين الحموض الامينية الحرة الدهن

	الماء	الغلوكوز	الالبيومين	الغلوبيولين	الحموض الامينية الحرة	الدهن	الفوسفات العضوية	الكولسترول الحر	الكالسيوم	الفوسفور	الصوديوم	البوتاسيوم	الكلور	حمض الليمون
مصل الدم ٪	٩١	٠٥ر٠	٣ر٢	٤ر٤	٠٠٣ر٠	٠٩ر٠	٢ر٠	١٧ر٠	٠٠٩ر٠	٠١١ر٠	٣٤ر٠	٠٣ر٠	٣٥ر٠	٣ ثار
		اللاكتوز			الكازئين									
الحليب ٪	٨٧	٨ر٤	٥٢ر	٠٥ر٠	٩ر٢	٨ر٣	٤ر٠	آثار	١٢ر٠	١٠ر٠	٠٥ر٠	١٥ر٠	١١ر٠	٢ر٠

ولكن دعنا عزيزى القارىء نستعرض الادوار المتضادة التى تقوم بها خلايا الحوصلات الغروبية فى وقت واحد معا بشكل منسق ومنظم يعجز عن فهمها الادراك ويقصر عن تصورها العقل •

ا ـ دور ترشيح وتصفية : اذ تقوم تلك الخلايا بتصفية الماء الموجود فى الدم وترشحهبنسبة مساوية لكمية فى الحليب حسب الامر الوراثى الصادر عن صبغيات النوع الحى •

ب ـ دور انتقاء وعرقلة : تقوم الحوصلات الغروبية ذاتها بعملية اصطفاء فيزيولوجية معقدة، وانتقاء دقيق من مصل الدم • بحيث تعرقل مرور الغلوكوز والاحماض الامينية وبعض مركبات البروتين والفوسفات الدهنية مع تغيير واضح فى بنيتها الكيميائية عند دخولها الى الحوصلة • بينما تنقى الاملاح المعدنية وتسمح بمرورها بنسب مختلفة عن نسبتها فى الدم • واذن فهي تتدخل فى العرقلة والانتقاء لمصلحة قطرة الحليب •

ج ـ دور تكوين وتصنيع : لا شك ان الدور العام والاساسى الذى تضطلع به خلايا الحوصلة الغروبية هو صنع اغلب مركبات الحليب •فتكوين سكر الحليب (اللاكتوز) والكازئين والدهن يحصل فى الحوصلات الغروبية للضرع والثدى • وهذا ما تؤيده دراسة التركيب الكيماوى للدم الوارد الى الضرع فى الشريان الغدى ، والاخر الصادر عنه الوريد اللبنى • وبمعرفة الفرق بين مركبات الدم الشريانى والدم الوريدى يمكننا ان نحكم على تلك المواد التى استبقيت واستعملت فى تكوين الحليب •

د ـ دور امرار دون تدخل : تمر الهرمونات والخمائر والفيتامينات والروائح وبعض الاملاح المعدنية من الدم الى فراغ الحوصلة بحالة جاهزة ودون تدخل من الحوصلة الغروبية سواء فى بنيتها ام فى كميتها •

افبعد هذه الادوار المتضادة يقال بان الحوصلة الغروبية تقوم بعملية اصطفاء وتصفية واعية وهل للحوصلة عقل Mind مبصر ومدرك •لا شك ان وراء هذا العمل الرائع المنظم قدرة جبارة خالقة •

واذن تحتفظ خلايا الحوصلة الغروبية بالمواد والاملاح الواردة مع تيار الدم فى انبوبتهــــا وستيوبلازماها • وبعد ذلك تقوم بصناعة المركبات الغذائية فى قطرة الحليببشكل مغاير ومختلف فى البنية الكيميائية والكمية لما هى عليه فى قطرة الدم • وتشترك فى هذا البناء كافة اجزاء الخلية المجهرية • بحيث تخرج قطرة الحليب الى فراغ الحوصلة جاهزة طازجة سائغة للشاربين •

من اعقد العمليات

بدون جدال فان تشكل قطرة الحليب داخل خلايا الحوصلة الغروبية يعتبر من اعقد العمليات البيولوجية الجارية فى الجسم الحى على الاطلاق، واكثرها دقة واعمقها تحولات بنيوية وظاهرة • وتشارك فى هذا التكوين خمائر وهرمونات وسوائل ومركبات لا حصر لها يعجز عن وصفها البيان •

وجدير بالذكر ان كافة اجهزة الجسم المختلفة تساهم مساهمة متفاوتة الاهمية والدرجة فى تكوين الحليب •

ـ فالجهاز الهضمى يمد الدم بمنتجاته الغذائية المتكونة عن عمليات الاستقلال الهضمى • وتساهم الغدد المختلفة الملحقة بالجهاز الهضمى فى رفد الدم بمنتجاتها الكيميائيـة والغذائية المختلفـة ايضا •

ـ والجهاز التنفسى يقوم بتنقية الدوم وامداده بالاوكسجين كى يدور فى الضرع او الثدى لامداد الخلايا باحتياجاتها من الاوكسجين والمواد الغذائية• وقد ثبت انه لانتاج ـ الليتر ـ من الحليب يجب ان يمر فى الضرع ٤٠٠ ـ ٥٠٠ ل من الدم • فاذا فرضنا ان بقرة ما تنتج ١٠ كغ حليب فى اليوم على اقل تقدير فمعنى هذا انه يجب ان يمر فى الضرع يوميا ما مقداره ٤٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ ل من الدم • فتصور معى أيها القارىء العزيز ـ ضخامة هذا العمل الخلاق •

ـ والجهاز العظمى يخزن الكميات الزائدة فى الجسم من الكالسيوم والفسفور لحين الطلب • فاذا لزم الامر وطلب الضرع كميات اضافية من هذين العنصرين لتكوين الحليب قام هرمون مفرز من الغدة جارة الدرقية بحل واذابة محتوياتالعظام من الكالسيوم والفسفور وصبه فى الدم • ولذلك نجد ان الابقار العالية الادوار تتقصف عظامها وتتكسر بسهولة عند اقل صدمة نظرا لهشاشة العظام وفراغها •

ـ والجهاز العصبى هو المسئول عن نقل

الاحساسات والاستثارات المحيطة بعملية افراز الحليب وادراره عن طريق النهايات العصبية الرفيعة المنتشرة ضمن خلايا الثدي • وقد يكون رد فعل الجهاز العصبي في عملية صنع الحليب ايجابيا او سلبيا حسب الظروف •

ـ وللجهاز التناسلي ايضا دور في عملية تكوين الحليب • فلا تفرز قطرة حليب اطلاقا من بكر ولا ثيب اذا لم تحمل ومن ثم تلد • اذ ان ادرار الحليب مرهون بنزول المولود وبدء بكائه طلبا للثدي ودليل غريزي على جوع الطفل •

ـ والغدد الصماء تساهم مساهمة فعالة في عملية افراز الحليب عن طريق رسلها (هرموناتها) المختلفة التي تصبها في الدم وتحث بواسطتها خلايا الضرع على الافراز • وتتحكم هذه الهرمونات في المتحنى البياني لانتاج الحليب على مدار فصل الحلابة •

والان كيف يسيل الحليب خارج الثدي وكيف تتم عملية الادرار ؟

لاشك ان سيلان الحليب خارج مكان افرازه عملية معقدة مرتبطة بظروف بيئية وهرمونية وعصبية يجب توفرها بشكل ملائم وموات كي يتم بصورة سهلة وطبيعية ففي الابقار والاغنام والماعز والحيوانات الثديية المنتجة للحليب تبدأ الافعال الانعكاسية لادرار الحليب بتوفر الشروط التالية :

١ ـ اقتراب موعد الحلابة في زمن محدد ثابت •

٢ ـ دخول الحلاب الذي اعتادت عليه الحيوانات الى الحظيرة بالبسته ورائحته المميزة وقرقعة سطوله والجلبة الناشئة عن الاستعدادات لبدء عملية الحلابة •

٣ ـ التهام كمية من العليقة المركزة المحتوية على الاعلاف الجاهزة والمخلوطة بنسب معينة للمساعدة في عملية الادرار •

٤ ـ تدليك الضرع وعمل مساج له مع قليل من الماء الفاتر •

وهنا يصل الفعل الانعكاسي العصبي الى اوجه • فتقوم النهايات العصبية المنتشرة في خلايا الضرع بنقل هذا الفعل الانعكاسي الى الدماغ بواسطة السيالة العصبية • فيحدث امر عصبي صادر من الدماغ للغدة النخامية فتقوم هذه بافراز هرمونين : احدهما من الفصل الامامي ويدعى البرولاكتين ، وثانيهما من الفصل الخلفي ويسمى الاوكسيتوسين • فيسيران في الدم حتى يصلا الى العضلات الدائرية الملساء المحيطة بقناة الحلمة فيجبرانها على الانبساط والارتخاء فيبدأ سيلان الحليب بالجاذبية الارضية وبواسطة مص الحلمات من قبل الرضيع •

غير ان ادرار الحليب لا يدوم طويلا • اذ يفرز من غدة صغيرة فوق الكلية هرمون جديد بأمر من النخامية ذاتها يدعى هرمون الادرنالين يعاكس عمل الهرمونين السابقين ويثبط تاثيرهما فتعود حلمات الضرع الى الانغلاق خلال ٥ ـ ٧ دقائق فقط من الانبساط • وافراز الحليب من ثدي المراة مشابه تماما لمثيله في ضرع البقرة • وتلعب شفاه الرضيع اثناء امتصاص الحلمات دورا هائلا في احداث الفعل الانعكاسي العصبي المسبب لافراز الحليب •

ومن المعلوم انه اذا تعرضت المراة المرضع لهزات نفسية وعصبية مفاجئة وحوادث مرعبة فان كمية هرمون الادرنالين تزداد في الجسم وتتعاظم ، ويصبح هو المسيطر والمتحكم في التقلصات والتشنجات المختلفة التي تقع في مناطق الجسم العديدة • وبالتالي تبقى حلمات الثدي مغلقة فترة طويلة فيؤدي ذلك الى انقطاع افراز الحليب وعدم تكونه بتاتا •

هذا وتلعب الهرمونات الجنسية المفرزة من المبيض دورا كبيرا في نمو الثدي وتكامل حوصلاته الغروبية ويشارك في هذا العمل هرمونات اخرى معينة تفرز من الغدة النخامية ايضا • بينما نجد هرمونات اخرى تقوم ـ على العكس ـ بمنع افراز الحليب وتكوينه مثل هرمونات المشيمة المغلفة للجنين اثناء الحمل • وهذا شيء فطري رباني • اذ من الضروري ان يقل افراز الحليب حتى ينعدم تماما مع كبر الجنين في الرحم وتعاظم احتياجاته الى الغذاء • وحاجة الجنين الى الغذاء اولى واهم من حاجة الرضيع الى الحليب • بينما لا يجد الجنين مصدرا لغذائه سوى دم امه الحامل • سبحانك جلت حكمتك وعظمت قدرتك في بديع ما صنعت وجميل ما خلقت • واخيرا اجدني عزيزي القارىء متظامنا امام عظمة الخالق مسترجعا قوله تعالى « وفي انفسكم افلا تبصرون » •

صدق الله العظيم •

■■

جامعة حلب ـ د • محمد مروان السبع

حجاج منذ الأزل : الوثنيون والذين عرفوا الله

بقلم : الشيخ طه الولي

■ هي رحلة طويلة في اعماق التاريخ تلك التي قطعها الانسان وهو يمارس الحج .. بدءا بالصنم والمعبد ، وانتهاء ببيت الله الحرام .

والحج في اللغة معناه القصد الى مكان او غرض بعينه . ويقال رجل محجوج للمقصود الذي يزوره الناس لحاجة او لاخرى . وفي الاصطلاح الديني فان الحج يعني انتقال المسلمين من مواطنهم حيث كانوا الى مكة المكرمة لاداء احد فرائض الاسلام الخمس وهي شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع الى ذلك سبيلا . من حيث احتمال الصحة البدنية واستقرار الحالة الامنية وتوفر القدرة المالية .

وجدير بالذكر ان الحج ليس من العبادات التي ينفرد بها المسلمون دون غيرهم من سائر الامم على مختلف المذاهب والاديان ، بل هو من المناسك التي مارسها الناس في عباداتهم منذ اقدم الازمان في العديد من المواطن والامصار والبلدان . وان كلمة « حج » نفسها ، وردت في كتابات الشعوب السامية ، والعرب من هذه الشعوب ، مما يدل

ان الساميين كانوا يحجون الى بيوت يحفظون بداخلها اصنامهم . وكانوا يطلقون على كل من هذه الاصنام اسم « رب البيت » الذي هو فيه . وكثيرا ما كانت هذه البيوت تقام في الواحات في ظل الشجر ، او عند تجمعات المياه او بالقرب من المواقع الطبيعية الملائمة . وكانت هذه البيوت مقصدا دينيا للذين وقدهم الورع فهم يشدون اليها رحال الحج للتبرك بها او لتقربهم ، على حد زعمهم ، الى الله زلفى .

فقدماء المصريين ، قبل حوالي اربعين قرنا كانوا يحجون الى هيكل « ايزيس » الذي كان موجودا في قلب مدينة يسايس (صا الحالية) وفتاح في منفيس وامون في طيبة .

واهل اليونان كانوا يحجون ايام الوثنية الى معبد مينارفا في اثينا ومعبد جوبتر في اولمبيا وهيكل ديانا في افسوس .

حج في اليابان

وما زال اليابانيون حتى اليوم ، يمارسون الحج الى هيكل عظيم مشهور في ولاية آسجي باليابان ويوجبون على انفسهم زيارة هذا المعبد ولو مرة واحدة في السنة ، وفي اثناء هذه الزيارة يتجرد الشخص من ثيابه ولا يبقى منها الا ما يكفي لستر عورته ، وهم يقصدون المعبد المذكور سراعا يركضون وفقا لطقوسهم المرعية في هذه المناسبة .

وكذلك ، فان للهنود مواسم محددة اثناء السنة يحجون فيها الى بعض المعابد مثل معبد جاقرنات، ومثل هيكل الورا في حيدر اباد الدكن ، وهذا الهيكل يعتبر من عجائب الدنيا ، ذلك انه محفور في الصخر على امتداد نحو فرسخين . ومن المعابد التي يخصها الهنود بالحج ، هيكل بوذا القائم في احدى الجزر القريبة من جزيرة سيلان في بلاد الشرق الاقصى والهنود يكثرون من الطواف حول مشاعر حجهم ثم يقصدون بعد ذلك بحيرات معينة يعتبرونها ذات ماء مقدس . فيغسلون جسومهم بهذه البحيرات ويرطبون مآزرهم التي يتزرون بها بعد استحمامهم بتلك المياه بقصد التبرك والامعان باظهار التبتل والتقوى ، حسب معتقداتهم الخاصة ومن اشهر هذه البحيرات تلك التي بالقرب من بحر قزوين وتدعى بحيرة مادن .

هذا فيما يتصل بالديانات الوثنية ، القديم منها والحديث ، اما فيما يتصل بالديانات التي تواضع الناس على تسميتها بالسماوية التي يتبع ابناؤها نبيا مرسلا ومعه كتاب من وحي الله عز وجل ، فاننا نذكر اليهود ، الذين كانوا يحجون في عهد ما قبل المسيح الى المكان الذي يقولون ان تابوت العهد موجود فيه منذ اربعة عشر قرنا سبقت ميلاد عيسى بن مريم عليه السلام . وبسبب هذا الحج ازدهرت مدينة بيت المقدس ، ردها الله للعروبة والاسلام ، وفي العصور القديمة قبل ان يدمرها الحريق الذي انزله بها طيطس الروماني حوالي سنة ٧٠ ميلادية وجلا اليهود على اثره من هذه المدينة التاريخية العظمى .

وما زال اليهود ، حتى الان ، يحجون الى حائط البراق الذي يرتبط اسمه بذكرى الاسراء النبوي الشريف والبراق هو الفرس المجنح الذي تقول التقاليد الشعبية انه الدابة التي نقلت النبي صلى الله عليه وسلم في اجواء السماء عندما اسري به يوم ٢٧ رجب ولهذا الحائط قداسة خاصة لدى اليهود الذين يعتقدون انه من بقايا سور الهيكل الذي بناه سليمان بن داود . فهم يحجون اليه مرتين خلال السنة وخصوصا في موسم عيد الدجاج (القربان المقدس) وهم يرتلون عنده بعض مقاطع من توراتهم ويتباكون على ملكهم الضائع ، وكان ذلك قبل ان يثبوا على فلسطين ، جبرها الله ، ويغتصبوا حق اهاليها الشرعيين ويحتلوا هذه البلاد على انقاض كرامة العرب وعزة الاسلام والمسلمين .

امام خشبة الصليب

والمسيحيون لهم مواطن يحجون اليها في مواسم معينة . وكان ابتداء الحج عندهم في سنة ٣٠٦ ميلادية اي منذ ادعت هيلانة ام قسطنطين امبراطور روما انها عثرت على خشبة الصليب الذي يقولون ان المسيح عيسى بن مريم علق عليه ايام الرومان . فلقد بنى قسطنطين كنيسة وضع فيها هذه الخشبة على اسم كنيسة القيامة ، ومن ثم اصبحت هذه الكنيسة مزارا مقدسا يحج اليها نصارى العالم ويمارسون خلال هذا الحج طقوسا معينة تتخللها مراسم كهنوتية يقوم بها امير الكنيسة في الفاتيكان حيث يقلد الحاج من ابناء ملته ثوبا من الصوف الخشن ويسلمه عصا الترحال ، حتى اذا انتقل الى الشرق وحل بفلسطين ، زار الخشبة المذكورة في الكنيسة التي هو فيها ثم يتحول الى نهر الشريعة (الاردن) فيغتسل بماء هذا النهر تشبها بما فعل المسيح عيسى بن مريم حين عمده ابن خالته يوحنا المعمدان بمائه وان كثيرا من الحجاج المسيحيين ينتهزون هذه المناسبة فيبللون الثوب الخشن الذي يرتدونه بماء النهر المذكور ويحتفظون به دثارا لهم ثم يوصون بان يدرج معهم في لحدهم عند موتهم . على نحو ما يفعل بعض البسطاء من حجاج المسلمين الذين يحملون معهم ثوبا يبللونه بماء زمزم ويوصون بان يكفنوا به عند وفاتهم .

ولم يتوقف المسيحيون عن الحج الى بيت المقدس الا فترة محدودة في ايام الحكم السلجوقي ففي هذه الفترة استعاضوا عن زيارة مواطنهم المقدسة بالاتجاه صوب حاضرة الفاتيكان في روما

حيث مقر الفاتيكان (البابا) . وللمسيحيين ـ ولاسيما الاورثين ـ ، مواطن اخرى يقصدونها بالحج من ذلك كنيسة تريف بالمانيا التى يقولون ان فيها القميص الذى كان يرتديه المسيح عليه السلام عندما القى الرومان القبض عليه وحاكموه نتيجة وشاية اليهود .

وكذلك فانهم يحجون الى كنيسة مشهورة باسم : سيدة لورد فى جنوب فرنسا ويزعم هؤلاء ان مريم ام عيسى ظهرت فى هذه الكنيسة لذلك فانهم يحجون اليها للزيارة ومن ثم فانهم يغتسلون بينبوع قريب منها ويجمعون ماءه فى قوارير يرسلونها الى من يريد التبرك بها لقاء ثمن محدد وهم يزعمون ان فى هذا الماء سرا يؤدى الى شفاء المرض واعادة العافية الى المحرومين منها .

جذور فى الجاهلية

والعرب قد عرفوا الحج فى هذا المعنى الديني قبل انتقالهم من الجاهلية الى الاسلام وذلك انهم كانوا يحجون الى الكعبة الشريفة قبل حوالى خمسة وعشرين قرنا من ظهور الاسلام . ودائما كانت الكعبة فى نظرهم « بيت الله » فكانوا اذا قدموا الى مكة المكرمة يبادرون الى زيارة البيت الحرام والطواف به . واذا قضوا من مكة وطرهم وارادوا مغادرتها قصدوا البيت للزيارة والطواف مودعين هذا الحرم الذي كان يحظى باجماعهم على قداسته وحرمته بالرغم مما يثور فيهم من نوازع الخصومة القبلية واللدد من اجل التجارة والمرعى او المباهلة في الاعتزاز باصنامهم وانسابهم وذكريات ابطالهم فى الحرب والقتال .

ومما يؤكد قدم عهد العرب بنسك الحج بين شعائرهم الدينية فى الجاهلية وجود شهر « ذى الحجة » فى عداد الشهور التي يتالف منها تقويمهم السنوي واعتبار هذا الشهر واحدا من اربعة شهور يمتنع فيها الناس عن الاصطلاء بنار الحرب مهما كانت الاسباب والظروف التي تخامرهم او تحيط بهم وقد ورد اسم هذا الشهر فى كتابة « المسند » باسم « ذو حجتن » كما ان كلمة « حج » نفسها قد وردت فى تلك الكتابة . وقد نقل المؤرخ العراقي جواد علي فى كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » عن افيفانيوس قوله انه يوجد بين اسماء الشهور عند العرب شهر اسمه « حج البيت » وان هذا الشهر هو ذو الحجة نفسه .

اذن فان وجود اسم شهر ذى الحجة فى التقويم الاسلامى الهجرى ومن قبله فى التقويم الوثني الجاهلي ، يدل دلالة واضحة على ان العرب كانوا دائما ، يقصدون ما يسمى « بالبيت » خلال شهر ذى الحجة للقيام بمناسك الحج كعمل قررته الطقوس الدينية وجعلته فريضة مكتوبة على اهل الجزيرة العربية حتى قبل ان يستنقذهم الاسلام من حماة الوثنية الجاهلية . بيد ان النصوص التي بين ايدينا لم تحدد لنا مكان هذا البيت كما انها لم تحدد هذا البيت نفسه ، الامر الذي حمل المؤرخين على القول بأن الجاهليين كان لهم اكثر من بيت سواء فى شمال الجزيرة او فى جنوبها وان هؤلاء الجاهليين كانوا يعظمون هذا « البيت » من خلال الحج اليه بما لا يختلف عما اقره الاسلام فيما بعد مع بعض التعديلات التي تجعل هذه الشعيرة الدينية متناسقة مع طبيعة الدعوة الدينة القائمة على عبادة الله الاحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد . ■■

الكويت ـ **طه الولي**

سيارة

❋ فى احد الاماكن العامة كانت هناك لافتة كبيرة تتضمن العبارة التالية : « ثمن هذه السيارة الفخمة عشرة الاف جنيه استرليني » . وقد اضاف احدهم العبارة التالية فى اللافتة : « واذا لم يوجد لديك المال فبامكانك تقديم منزلك ثمنا لهذه السيارة » .

قضايا حيوية

هذه مجموعة من الاراء والملاحظات والتساؤلات تعالــج بعض القضايا الحيوية،وتعبر عن وجهات نظر اصحابها فى هذه القضايا •• وعملا بحرية النشر ، فاننا نفسح المجال لهذه الاراء كما تلقيناها ، بغير حذف او تعديل •

حول المحاولات المعاصرة لتطبيق الشريعة الاسلامية

"إن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه قاضياً"

بقلم : عبد الوهاب احمد الافندى

دائما كنت أحب المسيح عليه السلام •

صـورته فى خاطرى تتـالق بالانسانية والرقة ، والبعد عن القسوة • وكنت احبه أكثر ماأحبه حينما أذكر قصته مع المرأة الزانية التى استفتاه اليهود فى رجمها ، ليس استفتاء استعلام ، وانما استفتاء تعجيز ، يريدون ان يفجروا التناقض بين طبيعته المتدفقة بالرحمة والمحبة ، وبينما يزعمون أنه أمر الله برجم الزناة •

قال السيد المسيح : « من كان منكم بغير خطيئة فليرمها بحجر • »

وانفضت جموع الخطائين الناعقين لاذى غيرهم ، الناسين ما وقرت به ظهورهم من خطايا لا تكفى اعمارهم للاستغفار لها ، ثم هم يجدون فى تلك الاعمار متسعا لتتبع خطايا الاخرين !

هناك ظاهرة سيكولوجية يطلق عليها علماء النفس مصطلح « ردة الفعل »

انها تتمثل فى ابداء انسان سلوكا مناقضا تماما لرغبته ، كان يكون مبالغا فى حسن معاملة من يكن

له العداء المرير او ان ينخرط في جماعة لمحاربة الخمور ليخفي ولعه وتشوقه للخمر ، او ان يطالب بمعاقبة كل المذنبين ليغرق الحنين الدافق في داخله لممارسة الخطيئة ٠

الشعور الذي اكنه للسيد المسيح لا يفوقه الا اعجابي بافضل البشر ، محمد صلى الله عليه وسلم ٠

الانبياء دائما يبهروننا بتجسيدهم اروع ما في الانسانية ، واجمل ما في البشر من مشاعر الحب والتفهم للاخرين ، ونكران الذات٠٠ وانني اعتقد انه لو لم يكن مع الرسل دليل على انهم مبعوثون من العناية الالهية الا شخصية كل منهم ، وما يكنونه من حب لبني الانسان لكفاهم ذلك دليلا ٠

انظر الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو دامي الوجه والقدمين ، مشرد من كل الاماكن ، يقول : « ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا ٠ »

لله كل هذه العظمة ، وكل هذا التسامي ! ولله ذلك الموقف يوم احد ، حين وقف ذلك الرجل وهو دامي الخدود ، مجرح الوجه بالسهام ، وحلقات المغفر مغروزة في لحم وجهه ، فيفتح فمه المكسور الرباعية ، الممتلىء دما طاهرا ، ويحرك شفتيه الداميتين ليدعو لمن فعلوا به كل هذا فيقول : « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ! »

أدرأوا الحدود بالشبهات

انني لا ادري من هو اول من نشر فكرة ان الاسلام هو في جوهره عقوبة الخارجين عليه من اهله باقامة الحدود عليهم ، ومن غير اهله بالقتل او الاستعباد ، ولكنه قطعا ليس هذا الرجل ٠

لقد قال صلى الله عليه وسلم: «ادرأوا الحدود بالشبهات» .

وقد ضرب اروع الامثلة على ذلك ٠

انظر اليه وقد جاءه ماعز الاسلمي يعترف بالزنا ، فرفض الرسول الكريم ان يستمع لهذا الاعتراف ، ان الاعتراف بالذنب توبة عنه ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم ان مغفرة الله تشمل التائب حتى وان لم يرجم ، ولكن الرجل اصر على ان يستمع الرسول الى اعترافه ، فيحاول الرسول صلى الله عليه وسلم ان يقنعه بان جريمته قد لا تكون بالمستوى الذي يتخيله ، فيصر الرجل ، حتى يضطر الرسول الكريم لاستعمال عبارات لا يمكن ان ترد على لسانه مطلقا في ظرف آخر ، حتى يقطع الشك بانه مارس العملية الجنسية كاملة مع امراة لا تحل له ، فلم يكن مناص بعدها من اقامة الحد ٠

وايضا تلك المراة التي اتت اليه وهي حامل من الزنا ، فابى ان يقيم عليها الحد حتى وضعت طفلها ، وفطمته ، ثم اسلمه الى من يكفله ٠

ويسمع وهو عائد من اقامة الحد على المراة رجلا يحتج بان بعض دم المراة قد سقط على ثوبه فنجسه فغضب الرسول حتى عرف ذلك في وجهه ، وانتهر الرجل قائلا : « لو قسمت توبة هذه المراة على اهل المدينة لوسعتهم ٠ »

ولعل مما هو حقيق بالتنويه ان الرسول لم يسال ايا من الشخصين المعترفين بالزنا عن شريكه في الجريمة ٠

لقد كانت الصورة واضحة في ذهن الرسول الكريم لرسالته السامية ٠ انه قد بعث هاديا ولم يبعث قاضيا ٠

سماحة الانبياء

وضوح الرؤية والهدف عند الانبياء جانب آخر

قضايا حيوية

مشرق من جوانب شخصياتهم التي تفيض روعة وبهاء ونورا •

الهدف واحد ، وواضح : ان يهتدي الناس ، كل الناس ، او على الاقل اكبر عدد ممكن من الناس •

الرسول الكريم كان دائما يضع الهدف الاوحد هذا نصب عينيه ، ولا يسمح لرغبة اخرى ان تشغله عنه •

كان امامه وقدماه داميتان •

كان امامه ويداه داميتان •

كان امامه وخداه داميان •

كان امامه وقلبه يقطر دما •

وكان امامه وقلبه يشرق فرحا صبيحة فتح مكة ، فيطاطيء الراس ويسفح دموع الخشوع مكان صيحات الاستعلاء •

لم يكن الرسول الكريم يريد نصرا على احد ، كان فقط يريد ان يعرف الناس الحقيقة •

كان يرتفع فوق الجراح ، وفوق الانتصارات ، ليتعلق بامنيته الدائمة :

« اللهم اغفر لقومي ، فهم لا يعلمون »

لقد لخص هذا الدعاء الامنية والمشكلة •

كل ما في الامر ان هناك قوما لا يعلمون الحقيقة ، وكل ما نستطيعه لحل المشكلة هو ان نتمنى من الله مساعدتنا على حلها ، وان نعمل من اجل ذلك الحل ما في وسعنا •

الله سبحانه وتعالى لا يريد ان يقسر احدا على عبادته •

وهذا كل ما يريده الله منا •

وحتى لا يقع الانبياء في خطا الاعتقاد بان شيئا من هذا قد يكون من واجبهم ، فان الله لم يكلهم الى عصمتهم ، بل وضح لهم حدود مهمتهم بطريقة لا تقبل الجدل :

« فذكر انما انت مذكر • لست عليهم بمسيطر »

« •• ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم ، أو يعذبهم ، فانهم ظالمون • » ••

« افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ »

« فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب •• »

الانبياء كانوا يعرفون ذلك • وكانوا ايضا يعرفون ان الطريق الذي خطه لهم الله طويل وشاق •• شاق جدا • وانه طريق مستقيم واحد ، لا يحتمل الدوران حوله باي طرق ملتوية ، من القسر ، او الارهاب ، او الاستعجال بالعذاب ولا بالاسترضاء ••

والذين كانوا يخرجون على هذا الطريق ، كانوا يتلقون العقاب الرادع والحاسم والفوري ، حتى ولو كانوا من الانبياء •

لقد منع الله الرسل من التنازل عن اي شيء من مبادئهم استرضاء لاحد •

« ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا • اذن لاذقناك ضعف الحياة ، وضعف الممات •• » تماما كما منع قسرهم على اتباع الهدى •

وعندما خرج يونس عليه السلام على ما امر به ، فاستعجل لقومه العذاب ، عوقب هو ، وهدى الله قومه الذين استبطأ هداهم بغير مبرر •

وان امثال يونس لكثير في كل العصور ، وهم وان كانت ينقصهم وضوح رؤية وصفاء الانبياء ، فانهم لا يخلون من العجلة التي خلقت صفة ملازمة للبشر •

هؤلاء يئسوا من طول دعوة الناس الى الهدى ، وبدلا من ان يبحثوا عن العيب الكامن في نفوسهم، والنقص الذى أخرهم عن العيب في من لم يستمعوا لهم • وهم يتخيلون أنهم لو نصبوا المشانق والمدى، وشهروا السيوف والسياط ، فان الهدى سيعم العالم •

وكم في هذا من تناقض مع رسالة الانبياء الاساسية • الرسل جاءوا لينقذوا البشرية من عذاب الاخرة وشقاء الدنيا ، وهؤلاء يريدون ان يجمعوهما على الناس •

اننا لو قطعنا سارقا فارغ القلب من الهدى ، او جلدنا سكيرا ليس في قلبه ذرة من الايمان بالله واليوم الآخر ، او رجمنا زانيا لا يرى في ذلك توبة ، لا نكون انقذناه من عذاب الاخرة ، بل نكون فقط أضفنا له عذابا جديدا • فالله لا يقبل الا توبة المؤمنين المخلصين •

فاذا أردنا اذن أن نتبع خطوات الرسل ، فلنبدأ بان نفتح القلوب ، لا السجون •

لا سلطة لاحد باسم الدين

انه لمن المدهش عدم خلو المجتمعات في كل العصور والاماكن ، من اناس يلبسون مسوح مختلف الديانات حتى الملحدة منها ، وكل منهم يعتقد بأن آراءه الشخصية ، ورغباته — المنحرفة في الغالب — هي التمثيل الاسمى للرغبة الالهية، والقوانين الطبيعية الحتمية •

وهؤلاء يستعينون على تصديق انفسهم، وتحقيق اوهامهم ، بقسر الناس على اتباع رغباتهم •

ودائما كانت السلطة السياسية هي مطية امثال هؤلاء الى تحقيق اهوائهم •

لهذا فانا ضد اى قدسية تمنح للسلطة السياسية• فهذه السلطة مهما كانت ليست الا مجموعة اهواء افراد ، قد يكونون خيرين وقد لا يكونون •

ومعظم القدسية تاتى للسلطة السياسية من تمسح المتعلقين بها بالدين •

والمانع الوحيد لهذا الالتباس هو الا يسمح لاى كان بان يتولى السلطة باسم الدين ، ولكن باسم من يحكمهم •

لا يحكم أحد باسم الاسلام ، ولكن باسم المسلمين ، لو شاءوا •

ولا احد باسم الماركسية ، ولكن باسم الماركسيين والشيوعيين ان كانوا اغلبية •

ولا يحكم حاكم باسم الله ، ولكن باسم العباد، فالله تنزه وتعالى عن أهواء العباد •• حتى لو كانوا حكاما •

لقد رفض الرسول صلى الله عليه وسلم السلطة في مجتمع وثنى ، مع أنها كانت ستساعده أشد المساعدة على أداء رسالته • قال له قومه ليستميلوه : « لو شئت ملكا ملكناك •• » فلم يقل : « لأحكمنهم حتى أطبق عليهم الشريعة الاسلامية » • وانما آثر أن يستمر في مهمته الاساسية : توضيح الحقيقة • وللناس بعد ذلك أن يحكموا من شاءوا ، وما شاءوا ، بعد أن يعرفوا تلك الحقيقة •

لله يا محمد بعد نظرك،وروعة تمسكك بالمبادىء• والله لمن بعدك ، حتى لا يقعوا فيما بينت فعلا وقولا خطاه •

■■

عبد الوهاب أحمد الافندى

تركستان .. وليس سنكيانج !

بقلم : عبد القادر طاش

● أشار المحرر في افتتاحية مجلة (العربي) العدد ٢٣٤ الى (التقارير التي خرجت من الصين أخيرا والتي تقول : ان هناك اتجاها واضحا الآن الى انهاء الخصومة مع الاديان واشاد بهذه الخطوة باعتبارها خطوة الى الامام) واعتبر هذا الاتجاه (صدى لتيار ساد فترة في مجتمعات حاربت الاديان ، ثم اخذت تتراجع الان عن خصومتها الشديدة لها) . وقال المحرر في نهاية كلمته (ما نريد أن نلفت النظر اليه أن هذه الريح الجديدة التي تهب على الصين ، ينبغي أن تذكرنا بان ثمة اكثر من ٤٠ مليون مسلم يعيشون غرب الصين في مقاطعتي سينكيانج ويونان ، وهؤلاء لا يعرف العالم الاسلامي عنهم شيئا منذ نصف قرن!) ثم دعا الى اثارة هذه القضية فقال : (هؤلاء المسلمون بحاجة الى من يلقى نظرة عليهم ويستطلع احوالهم ، وليكن ذلك من خلال سفارة اية دولة اسلامية ، مثلما فعل البوذيون ، وهذا اضعف الايمان !)

ولكن لنا ملاحظة على فقرة هامة وردت في مقال المحرر وهي التي اشارت الى ان المسلمين يعيشون غرب الصين في مقاطعتي سنكيانغ ويونان ! فقد اعتبر سنكيانغ مقاطعة صينية .. وهي في الحق ليست كذلك ان اردنا الدقة والموضوعية . ف (سنكيانغ) هو الاسم الصيني لبلد مسلم عريق هو (تركستان الشرقية) ، او ما عرف في تاريخ الاسلام ببلاد ما وراء النهر ، لقد عمدت الصين الى تغيير معالم هذا البلد فكان مما عملته ان حاولت طمس الاسماء الحقيقية للمواقع الجغرافية في هذا البلد مبتدئة باسمها الذي عرفت به (تركستان) فحولته الى اسم صيني هو (سنكيانغ) واعتباره مقاطعة صينية ، وتحويل جميع اسماء المدن الهامة فيه الى اسماء صينية ، ف (كاشغر) العاصمة تحولت الى (شولي) و (ياركند) اصبحت (سوتش) و (أورومجي) صارت (تيهوا) و (ختن) تعرف ب (هوتي) «١» . واتبعت الصين ضمن محاولات التغيير هذه سياسة الاستيطان الصيني عن طريق نقل الصينيين وخصوصا المزارعين الى التركستان ، وكذلك باجبار التركستانيين المسلمين

على التزاوج والتصاهر معهم وقد بلغ عدد الصينيين المستوطنين خلال سبع سنوات مليوني نسمة ٠

وقامت السلطة الشيوعية عام ١٩٥١ م بتطبيق قانون الاصلاح الزراعي في تركستان وكان الهدف منه الاستيلاء على الاراضي الزراعية الخصبة من ايدي المسلمين وتوزيعها على الصينيين المستوطنين٠

والمعروف أن تركستان لها معالمها المميزة وهي :

ـ الجنس : ذلك ان الجنس التركستاني لايمت الى الجنس الصيني بصلة ٠ فالتركستانيون هم من اصل تركي ، بل هم اجداد الاتراك ، ونحن نعلم ان العثمانيين الذين اسسوا دولة تركيا هم من نزحوا من اواسط آسيا ـ من تركستان ـ الى الاناضول ٠ وتركستان كلمة فارسية مؤلفة من (ترك) وهو شعب اسيوي قديم نشا في سهول سيبيريا وجبال (التاي) ، و(ستان) ومعناها ارض او محل او بلاد ٠٠ كما تشير المراجع التاريخية وكلمة تركستان استعملت من قبل الايرانيين الساسانيين اول مرة للبلاد التابعة لدولة (كوك تورك) ويقول ياقوت الحموي في معجم البلدان : (تركستان اسم جامع لبلاد الترك) ويقول ابن الاثير (بلاد التركستان هي كاشغر وبلاساغون ـ الماتا حاليا ـ وختن وطراز وغيرها مما يجاورها من بلاد ما وراء النهر) ٠

ـ اللغة : يتكلم اهل تركستان اللغة التركستانية التي هي اصل اللغة التركية الحالية ٠ وليس هناك فرق كبير بين اللغتين اذ يتفاهم الاتراك والتركستانيون بلا صعوبة ، وكان التركستانيون منذ دخول الاسلام الى بلادهم يكتبون لغتهم بالحروف العربية ٠

ـ الدين : حيث يمثل المسلمون في تركستان الغالبية العظمى من اهل البلاد ٠

ـ الانتفاضات المستمرة : حيث شهدت ارض التركستان ثورات وحركات جهادية مستمرة ضد الحكم الصيني وقد كللت هذه الثورات بانشاء جمهوريتين تركستانيتين مستقلتين خلال تاريخها٠ ولكن الصينيين قضوا على هاتين الجمهوريتين بعد فترة وجيزة من قيامهما ٠٠ وقد كانت الجمهوريتان سنة ١٨٦٥ م وسنة ١٩٣٣ م ٠

ـ ان الصينيين انفسهم ـ كبعض مؤرخيهم ـ يعترفون بان تركستان ليست من الصين ٠

وقد وردت تركستان في كثير من المؤلفات الصينية الرسمية على انها بلد اجنبي وليست من الصين وكلمة (سنكيانغ) تعني (المستعمرة الجديدة)!

وتقع التركستان الكبرى بقسميها الشرقي والغربي في وسط آسيا بين الصين وروسيا ٠ تحدها سيبيرية شمالا و (ايديل اورال) وبحر قزوين غربا ، ومنغوليا والصين شرقا وايران وافغانستان وكشمير والتبت جنوبا ٠ ويبلغ عدد السكان اكثر من ٤٠مليون نسمة ٠ وقد دخل الاسلام اليها عندما فتح القائد المسلم (قتيبة بن مسلم) مدينة (كاشغر) ـ عاصمة تركستان الشرقية ـ سنة ٩٦ هـ ـ ٧١٥ م وقبلها فتح (سمرقند) في تركستان الغربية سنة ٨٦ هـ ٧٠٥ م وبدأ دخول الاتراك في الاسلام على شكل جماعي في القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي ـ فقد اسلم سنة ٣٥٣هـ ـ ٩٦٤ م السلطان (صادق بغراخان) فاسلم الاتراك وقتها حكومة وشعبا ٠

اما تركستان الشرقية وهي التي نحن بصدد الحديث عنها ، فقد خضعت للحكم الصيني ردحا طويلا من الزمن حتى سنة ١٩٤٩ م ٠ ويبلغ عدد سكانها حسب الاحصائيات غير الرسمية اكثر من ٨ ملايين نسمة ٠ وقد كانت من سياسة الصين وروسيا تقاسم التركستان فاستولت روسيا على الجمهوريات الاسلامية في روسيا وهي تركستان الغربية ، الاكبر مساحة والاكثر سكانا من تركستان الشرقية الغنية بالمعادن و(اليورانيوم) ،وتتمتع بموقع استراتيجي في خارطة الصراع الصيني الروسي ٠ ■■

عبدالقادر طاش

الفلكلور
هذه الظاهرة المستوردة

بقلم: تركي علي الربيعو

لا يشعر المرء بجهله الا عندما يعجز عن شرح وجهة نظره . هذا الكلام لاندريه موروا . والذى دفعني للبداية به هو عجز ثقافتنا عن اعطاء هوية لثقافتنا القومية . هذا العجز يدفعها لاستعارة ادوات ودوافع التعبير – عن ذاتنا – من مجتمع آخر بعيد كل البعد عنا ، تعابير مستوردة ضمن قوالب جاهزة وممهورة باختام رجال « الكاوبوي » لتدفعنا الى هذيان ودوران ضمن حلقة مفرغة .

واحدى هذه الحلقات هي ما يسمى بالفولكلور او الثقافة الشعبية فهذه الظاهرة تلقى الدعم من دولنا ، ولها ميزانياتها ومراكزها الثقافية .

ق الخمسينات ق مرحلة صعود البورجوازية الصغيرة ق عالمنا العربي بدا الاهتمام بالشعر الشعبي واللغة العامية والازياء الشعبية وبالاغاني الفلاحية (ياعين موليتين – على دلعونا – حمدية – على اللالا) وبحكايا الاطفال والعجائز واطلق على هذه الامور ما يسمى بالفولكلور . ولقد جرى التركيز على ظاهرة الفولكلور لكونها تمثل اولا جزءا من متعة هذه البرجوازية وثانيا لكونه (اى الفلكلور) كان تقليعةمن تقليعات البورجوازية فيجب تعميمها لانها جزء منوارداتها التياستوردتهاالىجانبالميدى والبكيني . لقد جاءت فكرة الفولكلور لتخدم هدفا استعماريا . جاءت لتحل محل ثقافتنا القديمة الاصيلة .

ولذلك يجب ان نعارض بشدة بل وبعنف المزج الخطير بين ثقافتنا القومية والتي نحن باشد الحاجة الماسة لها ق مرحلة بناء الدولة القومية المعاصرة ق ظل تحديات العصر العديدة وبين الفولكلور كظاهرة مستوردة . فمن اراد ان يتمتع بالرقصات الفولكلورية وبالازياء الشعبية وبالاغاني الفلاحية وبالرقصات البربرية ق المغرب وبمسرح نجيب الريحاني ق مصر الذى عاود الظهور من جديد باسم المسرح الفكاهي ، فانني اقول فليتمتع المتمتعون فهذه الاشكال التعبيرية ليست هي لب ثقافتنا انها استخفافبماضيناوحاضرنا ومستقبلنا. ذلك ان الثقافة القومية ليست هي الثقافة الشعبية فهذه مجاراة للغير بدون شعور . الثقافة القومية هي التعبير الواعي والهادف عن واقع مجتمع معين باسلوب ولغة من خصائص هذه المجتمع . هذه هي الثقافة التي تعترف بدور المثقف الايجابي . المثقف الملتزم بحركة التاريخ .

الثقافة كما يعرفها وزير الثقافة التونسي ق محاضرة القاها ق المركز الثقافي ق دمشق على انها مجموعة رؤى ومفاهيم ومبادىء يستند اليها الفرد ليكون شخصية خلاقة ومبدعة ، وهذا التعريف ينطبق على مستوى الفرد والجماعة . فالثقافة ابداع وخلق وليس استيرادا لعلب السردين والمعلبات الجاهزة . الثقافة استشفاف

لعالم المستقبل . فالمسرح المصرى فى ظل الدولة القومية تنبأ بنكسة حزيران قبل وقوعها على حد قول احد مؤلفي المسرح سعد الدين وهبه . الثقافة ليست ثقافة التكرار والاسترداد كما انها ليست انعكاسا للواقع . فالشعب الذى بكى فى حزيران وفرح فى تشرين هو نتاج ساقط كما تقول غادة السمان . بل الثقافة تعبير حي وملموس باسلوب ولغة من هذا المجتمع . وثقافتنا التي يجب بناؤها تستمد اهميتها من ذلك التعريف ، وتتجلى اهميتها بالقدرة على العطاء والاستمرار فى عملية الخلق والابداع فالسير على سكة الاخرين انهكنا بدون فائدة .

البعد عن الثقافة الاصيلة

ان اطلاعنا على تجربتنا التاريخية ومعرفتنا بالثقافة المعاصرة وارتباط وعينا بسلوكنا ، هذه الامور تشكل بعض شروط ثقافتنا المتميزة التى تضع الانسان نصب عينيها ومحور عطائها .

اعود لنظرية الفولكلور لاقول انها جاءت مع الزحف الاستعمارى للوطن العربي والعالم الثالث بقصد ابعاده عن ثقافته الاصلية وجعله يراوح فى مكانه وطرح ثقافة بديلة ، ان عبد الله العروى يوضح ذلك فى كتابه العرب والفكر التاريخي يقول « ان نظرية » الفولكلور مبنية على اساس المدرسة التقليدية وان لم تصرح بذلك . ولها فى الواقع تاريخ قديم يرجع الى بداية الاستعمار ، ان العلماء الاستعماريين هم الذين بداوا البحث فى اللهجات والفنون الشعبية .. والتقاليد المحلية والصناعات التقليدية وكان الغرض من ذلك (خاصة فى المغرب والجزائر) مواجهة الاصالة العربية الاسلامية باصالة اكثر عمقا وجذورا .

ونفس الحال جرى فى مصر وفى ميدان السياسة الثقافية . فنجيب الريحاني ومسرحياته كشكش بك ــ وحمار وحلاوة لم تخلق شيئا ولم تقدم شيئا بل خدمت الاستعمار فى اظهار صور مضحكة بعيدة جدا عن الشعب المصرى . صور مالبثت ان اختفت فى بداية بناء الدولة القومية بقيادة عبد الناصر . ثم عاودت الظهور من جديد . فنجيب الريحاني لم يمت بل مر فى مرحلة تبوغ لينشقق الكيس فى ظل الظروف المعادة ويخرج على صور عديدة باسم المسرح الفكاهي ولهذا يجب ان نفرق بين الكوميديا والفكاهة وهذا الامر متفق عليه الجميع .

لقد ظهر الفولكلور مع بداية المفهوم الامريكي للثقافة الذى يرى انه لا توجد مجموعة انسانية مهما صغرت ومهما تاخرت بلا ثقافة . لان الاعمال الانسانية كلها اعمال التفكير والتعبير ، واللباس والرقص كلها رموز وآيات لمجتمع ما . تتساوى بذلك زنوج الكنغو فى رقصاتهم التعبيرية فى معبد وثني مع الحركات التعبيرية لراقصة باليه فى بحيرة البجع لان كليهما شكل من اشكال التعبير. تتساوى بذلك شعوب الاسكيمو مع الشعب الالماني . لاتفرق هذه النظرية بين قصيدة لادغار الن بو او نزار قباني وبين هذيان محموم لمريض فى مستشفى الامراض العقلية ، جاءت هذه النظرية لتلغى دور المثقفين ودور الثقافة فى حياة الامة ولتعطى الفولكلور بعدا جديدا جاعلة منه اساس الثقافات ولتساوى بين معركة القادسية وبين رقصة لفرقة امية .

ليس مسرحا وطنيا

كل هذا الكلام لاشير ان الفولكلور جاء فى وقت كان فيه مجرد فرجة للسياح المتوافدين على الوطن العربي ليصبح بعدها فرجة للبرجوازية التقليدية تروح عن نفسها وتصفق لاختراعاتها .

لقد بدأ كمتعة ثم انقلب لى شكل اصالة زائفة. والواقع أن الفولكلور لا يعكس ادنى مستوى تعبيرى عن واقع تلك الامة .

والملاحظ منذ فترة انتشار المسارح الفكاهية فى سورية مثلا . مسرح دويد ونهاد وياسين بقوش

وفطوم ومحمود جبر وابو عنتر في البطر مثل الطفر والعز للرز . كذلك الحال في مصر . فؤاد المهندس وعادل امام . وغيرهم كثيرون في الساحة العربية .

ان هذا النوع من المسرح ليس مسرحا وطنيا ولن يكون . انه بصورة جوهرية مسرح عابر وعرضي وانتقالي انه لا يفعل شيئا سوى تكرار لذاتنا على خشبة المسرح وشاشة التلفزيون وهو اذ يضحكنا انما يدفعنا للسخرية من ذاتنا فقط والا فليتساءل احدنا مالذي استطاع ان يفعله دريد ؟

ان الدولة اذ تقوم الان بمساعدات مادية كبيرة ومادية لساسة الفولكلور محاولة لتشجيعها واعطائها محتوى شعبيا . اقول ان هذا العمل عمل ما خاطئ لان مانراه لايمثل صورة شعبية فالشعب لا يريد تكرار نفسه بابتذال في كل لحظة ضمن دائرة مغلقة . لان كل هذه الاشكال الفولكلورية من موسيقى وتطريز وازياء وفنون ورقصات ليست في النهاية سوى رد فعل تجاه اصالتنا وتجاه عداء الاسلام لكل هذه الاشكال المزيفة . كذلك فان خلق ثقافة متقوقعة منا والينا هو فولكلور جديد يدفعنا للنبوغ والظهور المرة تلو المرة بشخصية كركوز وعواظ . فالاخرون ليسوا محتاجين لثقافتنا ولن يهمهم بل نحن المسؤولون عن اعطاء نهج جديد وتجربة جديدة رائدة في ميدان الثقافة . لاباس ان نخطىء فهنالك فرق كبير بين الخطا والتقوقع . بين النية الحسنة مع العمل وبين التواكل لاننا تاريخيا ابنا المخطىء مرة والمصيب مرتين . والمفروض بنا ان نواجه هذه الظاهرة المستوردة بثقافة قومية واعية وهادفة لاننا في مرحلة بناء الدولة القومية المعاصرة في ظل تحديات العصر الجديدة . وعلى ثقافتنا هذه ان تدير ظهرها للفولكلور ولكل ثقافة معلبة ومستوردة ويجب بناء ثقافة تميز بصورة جيدة بين التعبير عن الذات وبصورة حقيقية وبين الفولكلور كظاهرة مصطنعة ومرسومة . ■■

تركي الربيعو

بقشيش

✻ غادر احد الاشخاص مطعما وهو في حالة سيئة للغاية حتى انه نسي ان يعطي الجرسون الموجود على الباب الخارجي البقشيش المعتاد . ومع ذلك قام الجرسون بمساعدته على ركوب سيارة اجرة ثم قال له « بالمناسبة ، في حالة ضياع حافظة نقودك وانت في طريقك الى المنزل تذكر سيدي انك لم تفتحها هنا » .

مجلة صن شاين

خمسة من الحمقى

✻ في احد الايام استدعاني مدير الشركة التي اعمل فيها ليستوضح مني عن سبب وجود غلطة في التقرير . ولما قابلته قلت له « ان عليك ان تفهم بان هناك اربعة من الموظفين الحمقى يعملون معي » فنظر الي مندهشا وقال لي «انك محظوظ ، فانا لدي خمسة من الحمقى» .

لويس نيموتز

« وما من دابة الا هو آخذ بناصيتها

ان ربى على صراط مستقيم »

قرآن كريم

أسماك تدير مصحات للعلاج فى البحار !

بقلم : دكتور عبدالمحسن صالح

■ كل مخلوق ميسر لما خلق له ، وكل أمر فى كل مخلوق ميسر لما خلق له ، وكل أمر فى الارض والسماء قد دبر بحكمة بالغة ، ليسرى كل شيء بقدر معلوم !

لكن الكلام شيء ، والبحث عن الحقيقة شيء آخر ، والذين يبحثون ، تراهم يتوصلون الى اكتشاف أمور قد لا تخطر لنا على بال ، لكنها تقربنا الى الله أكثر على أية حال ، ففيها نرى ابداع خلقه فيما قدر فسوى فهدى !

فاحيانا ما يصيب الانسان غرور ، فيحسب أن كل الافكار المبتكرة انما هى له وحده ، دون أن يكون للخلائق الاخرى فيها أدنى نصيب •

لكن لا جديد تحت الشمس ، « لو كنتم تعلمون »!

فها نحن أمام صورة من صور الحياة التى قد تجعلنا نتخلى ـ ولو الى حين ـ عن غرورنا ، فلا نحسب أن هذا الكوكب لنا وحدنا ، بل تشاركنا فيه أمم أمثالنا ، وربما مصداقا لقوله تعالى « وما من دابة فى الارض ، ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ، ما فرطنا فى الكتاب من شيء » •

ودابتنا التى سنقدمها هنا واحدة من المخلوقات التى تسكن شواطىء البحر الاحمر ، وقد تجدها بجوار سواحل السعودية ، أو جمهورية مصر العربية حيث تنتشر الشعب المرجانية ، او فى أماكن أخرى من بحار العالم ومحيطاته •

ومخلوقتنا هذه سمكة رقيقة الحال ، الا أن لها مع الاسماك الاخرى مواقف مثيرة ، تجعلها ذات أفضال لا تنكر ، وخدمات لا تجحد !

فى البداية لقاء كشف سرا مثيرا

لكن قبل أن نقدم هذه المخلوقة المتواضعة ، دعنا اولا نقدم كونراد ليمبو ، فهذا الرجل واحد من العلماء المتازين الذين درسوا الطبيعة الحية ، وبالتحديد مخلوقات البحار والمحيطات •• ولهذا قضى شطرا كبيرا من حياته وهو يغوص فى الاعماق حتى راح ضحية الواجب فى أحضان مياه البحر الابيض المتوسط فى ٢٠ مارس عام ١٩٦٠ •

يقول « ليمبو » : بينما كنت أقوم بالغوص فى المياه الباردة بجوار شواطىء كاليفورنيا فى ربيع عام ١٩٤٩ لاحظت لقاء عجيبا بين سمكتين من جنسين مختلفين ، احداهما اكبر من الاخرى بعشرات المرات •• ولقد شاهدت السمكة الكبيرة وهى تترك سربها وتنطلق مسرعة الى السمكة الصغيرة ،

وتوقعت أنها ستلتهمها . فمن عادة السمك الكبير أن يأكل الصغير . ولكن ما حدث أثار شكوكي .. وأطاح بما كان يختلج في نفسي . اذ رأيت السمكة الكبيرة تسلم نفسها للصغيرة . وتقف أمامها في وضع غريب وهي هادئة مستكينة ثم تفرد لها زعانفها عن آخرها . وهنا تتقدم الصغيرة لتلف وتدور بفمها المدبب على جسم الكبيرة . وكأنما هي منه ترضع !

ومرت الدقائق بطيئة متثاقلة وأنا أرقب هذا اللقاء المثير ، حتى كاد صبري أن ينفد . وفجأة انطلقت السمكة الصغيرة واختفت بين الاعشاب البحرية . بينما أسرعت السمكة الكبيرة لتلحق بسربها .. ولم أملك الا أن أدون هذه المشاهدة العابرة في مذكراتي علني أجد لها فيما بعد تعليلا .

لكن ما رآه « ليمبو » واعتبره شيئا عابرا ، ليس في الحقيقة الا بداية متواضعة لمشهد يتكرر في البحار والمحيطات ملايين المرات يوميا .. ويسير على نفس المنوال قبل أن ينشأ الجنس البشري بعشرات الملايين من السنين !

فماذا يعني هذا اللقاء الغريب والمريب بين سمكة صغيرة وكبيرة ؟ !

يعني أن هناك ميثاقا غير مكتوب بين السمكة الصغيرة « سنيوريتا » وبين الاسماك الكبيرة ، ولقد احترمتاه فيما بينهما كما لم يحترم البشر مواثيقهم المكتوبة وغير المكتوبة . وكأنما الاسماك الكبيرة قد أعطت لسنيوريتا « كلمة شرف » بالا تلحق بها أدنى أذى ، رغم أنها على يلعها لقادرة . اذ كيف تؤذى أو تأكل « ولية نعمتها » والحامية لحياتها من أدران البحار وأمراضها وطفيلياتها .. أضف الى ذلك أن الاسماك الكبيرة لو أكلت « سنيوريتا » لتفشت بينها الامراض والاوبئة والموت . وكأنما « سنيوريتا » في هذه الحالة بمثابة هيئة صحية مائية شعارها دائما « النظافة من الايمان » .. و « درهم وقاية خير من قنطار علاج » .. الى آخر هذه الشعارات الجميلة التي يرددها البشر بأفواههم . ولا يطبقونها غالبا في حياتهم !

من هي « سنيوريتا » ؟

من هي « سنيوريتا » ؟

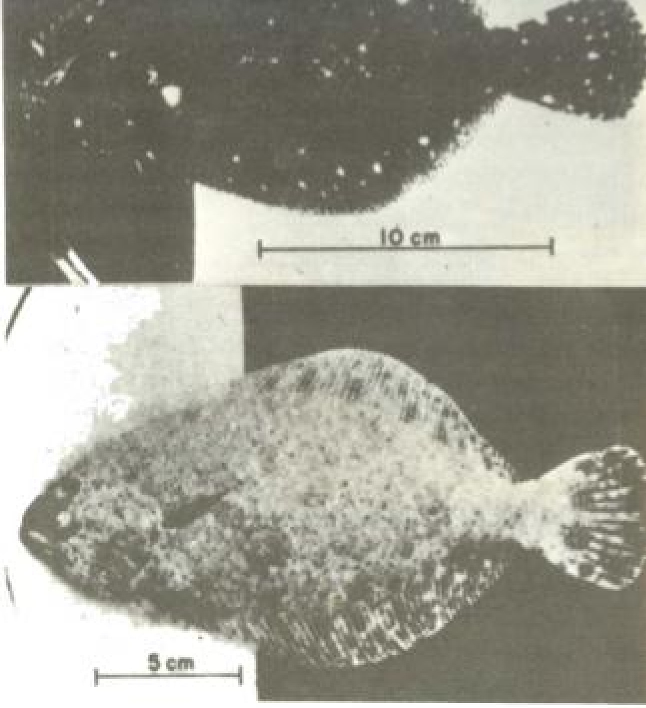
اذن .. من تكون «سنيوريتا» هذه؟ وما قصتها؟

« سنيوريتا » اسم على مسمى .. فالاسم جميل كصاحبته تماما . كما أنها من أسرة Lapriu.e «لابريدي» . أكبر أسرة سمكية تسكن مياه البحار والمحيطات.ثم أنها قد توارثت أبا عن جد ـ امتلاك صالونات للتجميل ومستشفيات للتطبيب.ولكن بدون مبان أو أدوات أو لافتات واعلانات وضجة وغلبة كالتي يقوم بها البشر .. فكل شيء في البحار يسير بهدوء ونظام . ومن يرغب في التوجه الى « مؤسسات سنيوريتا » ومصحاتها . فسوف يجد منها كل ترحاب وعناية . فالباب مفتوح للجميع . كما أن الخدمة مجانا . فلا دفع أتعاب أو قائمة دواء أو أي شيء آخر من أمور عالمنا التي تؤرقنا وتشقينا . ثم أن « سنيوريتا » لا تمتلك من المؤهلات غير فمها المدبب الذي يساعدها على القيام بوظيفتها وخدماتها للاسماك الاخرى .. ولكن . مم تشكو الاسماك ؟ ... وكيف تتسخ أجسامها وهي تعيش في مياه البحار النظيفة الصافية ؟

الواقع أن ما يجري على المخلوقات الارضية ، يجري أيضا على الكائنات المائية . فللأسماك قائمة طويلة من أمراض فطرية وبكتيرية وطفيليات تعيش على جلودها وزعانفها وخياشيمها .. كما أنها قد تصاب في حادثة . كأن تعض سمكة سمكة أخرى . وتنهش قطعة من لحمها . فيصاب المكان المنهوش بميكروب وتقيح . كما يحدث لنا على أرضنا . ولهذا لم تترك الحياة مخلوقاتها بدون رعاية وحماية من الامراض والاصابات فكان أن أسست لها ملايين « المستشفيات » تحت الماء . وعلى « سنيوريتا » أن تديرها وتشرف عليها !

ولكي يتأكد العلماء من هذه الحقيقة . قاموا باصطياد أسماك النظافة ـ كما يحبون أن يطلقوا عليها ـ ومن بينها سمكتنا الحلوة « سنيوريتا » من المناطق أو المحطات الثابتة التي تعيش دائما فيها . فتناقصت أعداد الاسماك التي كانت تفد الى هذه المحطات طلبا للنظافة مما يكون قد علق بها من طفيليات . أو أصابها من ميكروبات . اذ ليس لحضورها من فائدة ما دامت « هيئة الرعاية الصحية » قد اختفت من مناطقها . وأغلب الظن أنها قد توجهت الى مناطق أخرى لتبحث فيها عن « سنيوريتا » وأترابها ..

وأغرب من ذلك أن أسماك المنطقة التي غابت عنها أسماك النظافة قد ظهرت على جلودها وخياشيمها وزعانفها تورمات وتقرحات واصابات



قد تنتشر صبغة الميلانين على البشرة فتكسبها لونا أسودا بعد لحظات ·· وقد تنسحب الصبغة فتصبح بيضاء . والصورتان لسمكة واحدة فى حالتين مختلفتين!

جلدية بعد اسبوعين اثنين ، يعنى هذا أن الامراض قد تفشت بينها ، فى حين أن اسماك المناطق الاخرى التى تسكن فيها « سنيوريتا » بقيت فى غاية الصحة والسعادة ، ولقد تأكد العلماء من هذه الحقيقية باجراء مزيد من التجارب فى أحواض كبيرة فى معاملهم ، فظهر أن الاحواض التى توجد فيها « سنيوريتا » لا تمرض أسماكها ، فى حين تتفشى الاوبئة بين أسماك الاحواض التى لا ترعاها « سنيوريتا » !

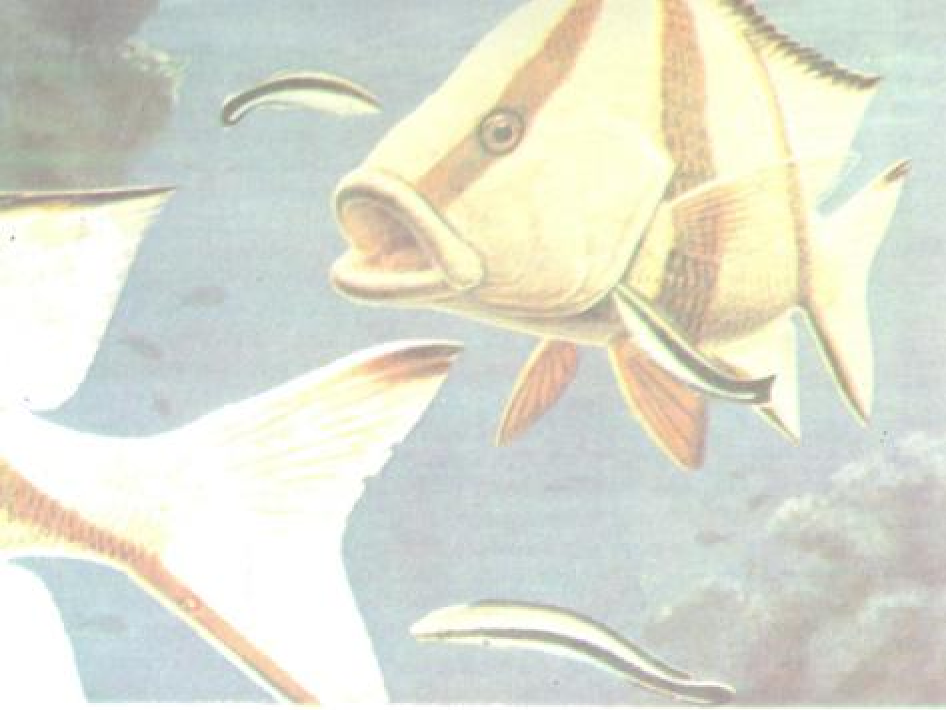
ولقد قام العالم الطبيعى « راندال » بتحليل محتويات الطعام الذى ابتلعته « سنيوريتا » فوجده يتكون من خلطة عجيبة لعدد من الطفيليات التى تعيش على جلود الاسماك وزعانفها وخياشيمها ، كما يحتوى على أنواع من الكائنات الفطرية التى تصيبها بالمرض ، وأنواع من البكتريا التى تسبب تقيحات الجروح أو التورمات ، بالاضافة الى أنسجة ميتة من الجروح التى قامت « سنيوريتا » بتنظيفها مستخدمة فى ذلك فمها المدبب ·· لكن الغريب أنها لا تمرض بما بلعت ، بل أصبح لها كل هذا بمثابة غذاء طيب مستساغ ، وعليه تعيش!

صحيح أن الطريقة التى تعالج بها الاسماك نفسها بواسطة « سنيوريتا » طريقة بدائية ، ولكنها فعالة ، وتؤدى الى الهدف ، كما أنها قد حلت بها مشكلاتها ، دون أن تلجأ الى مضادات حيوية أو مبيدات طفيلية وفطرية ، أو عمليات جراحية ، فى حين أن البشر لم يتوصلوا بعد الى طريقة ناجحة فى التخلص من أمراضهم وطفيلياتهم وميكروباتهم رغم الهيئات الصحية ، والميزانيات الهائلة ، ولهذا فعلينا أن نعود الى نظم الطبيعة لنتعلم منها كل ما هو مفيد ومتقن وبديع !

مستشفيات تحت الماء !

لكن « سنيوريتا » الممرضة والطبيبة والمنظفة ليست وحدها فى الميدان ، فأسرتها أو عائلتها تضم ـ حتى الآن ـ حوالى ١٤ نوعا تخصصت جميعها فى نفس العمل الذى تقوم به «سنيوريتا» وليست هذه هى الاسرة الوحيدة أيضا التى تعرض خدماتها على الاسماك الاخرى ، فلقد اكتشف العلماء حتى الآن أكثر من ١٦ أسرة أو عائلة ، تضم حوالى ٤٥ نوعا من الاسماك الصغيرة التى تسهر على تمريض الاسماك الكبيرة ، ولكل نوع منها زبائنه وبيئته و « تاكتيكه » وسلوكه ، وكأنما نحن نقف أمام مجتمعات غريبة لها نظمها وعاداتها وتقاليدها ، ليسير كل شئ الى هدفه العظيم ، وكما تريد الحياة أن يكون ·

الغريب أن الاسماك التى تطلب النظافة أو





التعريض والتطبيب تعرف كيف وأين تجد المحطات الثابتة التي اتخذتها هذه « الهيئات الصحية السمكية » بمثابة مواقع « استراتيجية » حتى تهتدي أسراب السمك اليها ، فلقد لاحظ العالمان « راندال » و « بيدرسون » أن الاسماك المريضة تاتي من مسافات بعيدة الى هذه المحطات التي تقع عادة بين الشعب المرجانية أو عند رؤوسها ، أو بجوار النتوءات الصخرية البارزة تحت الماء ، أو على مشارف الاعشاب البحرية الكثيفة ، أو قد تسكن بجوار حطام السفن الغارقة .

هي لاتحب الفوضى !

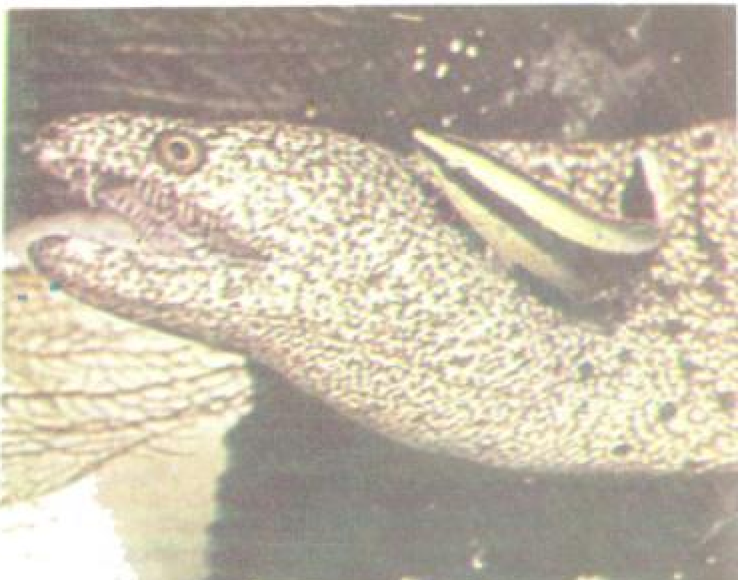
ومن الظواهر الغريبة التي يذكرها « ليمبو » انه شاهد عددا من الاسماك المصابة بقروح جلدية واورام مميزة تواظب على الحضور يوميا الى تلك المحطات وفي فترات منتظمة ، ووجد أن «سنيوريتا» او أترابها تبدي اهتماما كبيرا بتلك القروح والاورام ، وتزيل منها الانسجة المتقيحة بفمها الصغير وتاكلها .

ومما يذكر هنا أن أحد العلماء ظل ست ساعات تحت الماء وهو يرقب وفود السمك التي تاتي الى محطة واحدة تسكنها « سنيوريتا » . فاحصى خلال الساعات الست حوالي ٣٠٠ سمكة تم لها جميعا اجراء المطلوب بواقع سمكة في الدقيقة الواحدة تقريبا .

لكن هناك اجراءات خاصة يجب أن تسير الاسماك



لكل نوع من انواع أسماك التمريض والتطبيب زبائنه الخاصة من الاسماك ، والصور المنشورة هنا توضح كيف يترك السمك الكبير الزائر جسمه للسمك الصغير الذى يدور حوله ليكتشف اي أثر لجرح او طفيليات او تقرحات ، فيقوم بازالتها وتنظيفها بدقة وسرعة يحسد عليها



السمكة الكبيرة جاءت للعلاج بواسطة السمكتين الصغيرتين اللتين تقوما بالاعتناء بها وتخليصها مما الم بها .. لكن قد يحدث ان يندس بين أهل المهنة سمكة مخادعة لا تنتمي للنوع بل تشبهه ظاهريا ، فبدلا من أن تعتني بالسمك الزائر وتقدم له الخدمة المطلوبة ، تقوم بقضم جسمه وتاكل ما قضمت ، وتستطيع أن ترى آثر هذا العض في ذيل السمكة الكبيرة الظاهر أسفل الصورة (هناك عضتان واضحتان) .. لاحظ أيضا أنه من الصعب التمييز بين السمكة الحقيقية والسمكة المزيفة الموجودتين تحت اطار الصورة .



على هداها حتى لا تضيع وقت « سنيوريتا » فيما لا يفيد ، اذ يذكر « جورج بارلو » أن على السمكة التى تطلب العلاج أن تقف أمام « طبيبتها » فى وضع عمودى بحيث يكون رأسها الى أسفل، وذيلها الى أعلى ، ولا تتحرك من مكانها ، أو تفرد زعانفها الى آخرها ، وكأنما قد نومت تنويما «مغناطيسيا !

واذا كانت تشكو من شيء فى خياشيمها أو حلقها ، فعليها أن تفتحهما عن آخرهما حتى تدخل السمكة الصغيرة الى داخلها ، وتزيل كل ما علق بها من أدران . وقد تشعر السمكة المصابة بخطر يهدد حياتها ، فتلفظ السمكة الصغيرة من فمها حتى تختفى فى مكان أمين ، وتهرب السمكة الكبيرة أو قد تدخل مع السمكة المهاجمة فى معركة، وكأنما السمك هنا يعرف كيف يحافظ على مواثيقه حتى ولو ألمت به الظروف الصعبة ، ثم أنه لا يحاول أن يقطع اليد التى امتدت اليه بالاحسان ، أو لا يتمثل بقولنا نحن معشر البشر عندما نقع فى المصائب فنقول « عليّ وعلى أعدائى » !

وقد تفد أسراب السمك الى هذه المحطات فى جماعات كبيرة ، وقد يحدث الازدحام والتنافس ليكون لكل منها الاسبقية فى العناية والتنظيف ، ولكن يبدو أن « سنيوريتا » لا تحب الفوضى .. كما أنها تريد أن تقوم بعملها باطمئنان واتقان دون فوضى أو ارتجال كما يحدث أحيانا مع بعض البشر .. اذ يحدثنا الذين شاهدوا « سنيوريتا » عن كثب أنها تسرع بالتقهقر الى مخبئها عندما تفاجأ بهذه الفوضى ، وقد يقف السمك فى طريقها، ويحول بينها وبين الهرب ، فتذعن للعمل !

الذكور اجمل من الاناث

الا أن هناك أنواعا أخرى من السمك تعرف فى معاملاتها معنى النظام كما لم يعرفه بعض أصحاب العقول ، ولهذا اذا جاءت للعلاج ، فانها تفد الى محطات التمريض فى مجموعات صغيرة ، وتقف هادئة ساكنة حتى يحين دورها ، أو ربما لتهيىء الجو الصالح للعمل ، لسنا ندرى ، ولكن الذى ندريه أن « سنيوريتا » وأترابها تقوم بالواجب خير قيام ، وكأنما هى تهوى هذا النظام ، فكلما انتهى العمل فى مجموعة ، تركت مكانها لغيرها حتى تأخذ دورها وبالترتيب .. حقيقة عرفتها أيضا بعض أنواع من السمك قبل أن يعرفها بعض البشر !

ومن الامور الغريبة التى لاحظها العلماء وهم يدرسون سلوك هذه الكائنات تحت الماء ، ان بعض الاسماك تحضر الى هذه المحطات دون أن تكون قد أصابتها أمراض طفيلية أو بكتيرية .. الخ ، والغريب كذلك أن معظم الزوار من الذكور ، وقد يخرج الذكر من محطة ليدخل محطة أخرى مجاورة ، أو قد يزور نفس المحطة مرات عديدة فى اليوم الواحد ، حتى لقد قيل أن وقت ذكور الاسماك موزع بالتساوى بين العناية بالمظهر والزينة والنظافة ، وبين البحث عن الطعام ، وكأنما هذه المحطات قد تحولت الى « صالونات » من نوع جديد !

والتعليل المقبول لهذه الظاهرة أن معظم ذكور الاسماك تدخل فى معارك من أجل الانثى ، وقد تصاب فى هذه المعارك بجروح ، وعندما تصاب الجروح بالتقيح ، فلا بد من الذهاب الى محطات التمريض ، ولهذا فان زبائنها من الذكور أكثر من الاناث ، لكن بعض هذه الذكور قد يأتى فقط من أجل الزينة ، فالمعروف فى عالم الاسماك أن الذكور أجمل بكثير من الاناث فللذكر زعانف مزركشة طويلة ، وألوان بديعة ، ومظهر مهيب حتى يروق فى عين الاناث التى تظهر بعض الدلال .. لا فرق هنا بين أنثى سمكة وأنثى بشر !

ويبدو أن الانثى تفضل الذكر النظيف الانيق على الذكر المهلهل الضعيف ، ذلك أن النظافة تؤدى الى الصحة والجمال ، وكلاهما مطلوب فى حسن الاختيار ، الاختيار الطبيعى الذى تسعى اليه الحياة لتحافظ على أجيالها المقبلة قوية صامدة منيعة .. وكأنما هى تمتثل لقول الرسول الكريم « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » !

أسرار الظواهر الغريبة

ولقد استعان العلماء بهذه المحطات السمكية فى دراسة توزيع الاسماك الكبيرة وأسماك الاعماق فى البحار والمحيطات ، فما عليهم الا أن يختاروا محطة ثم يراقبوا الوفود السمكية التى تزورها ، ومنها يعرفون أنواع السمك وتوزيعه فى مناطقه المختلفة .

لقد عرف بعض الصيادين هذه الحقيقة أيضا ،

فاذا أرادوا صيدا وفيرا فما عليهم الا أن يذهبوا الى هذه المحطات ليصطادوا الوفود القادمة دون تعب أو مشقة .

ويبرز الآن سؤال هام : كيف يتعرف السمك الكبير على أسماك التمريض والنظافة ؟ .. ولماذا لا ياكلها رغم صغرها كما يفعل مع غيرها من الاسماك الصغيرة وكما هي العادة ؟

يذكر « راندال » في بحث منشور انه لم يتوصل الى اكتشاف سمكة واحدة من أسماك النظافة في داخل أحشاء الاسماك الكبيرة التي كانت تزور هذه المحطات ، بل وجد بدلا منها أسماكا أخرى صغيرة في حجم أسماك النظافة ، ولكنها ليست من نفس الاسرة ... أضف الى ذلك أن « سنيوريتا » أو غيرها قد تدخل في فم السمك الكبير دون أن تخشى شيئا ، ثم تخرج منه مطمئنة البال .

والواقع أن العلماء لم يستطيعوا أن يجدوا تعليلا لمثل هذه الظواهر الغريبة، ونحن لا نستطيع أن نقول أن السمك له القدرة على التفريق بين الصالح والطالح ، أو أنه يدرك معنى النافع والضار ، فيحافظ مثلا على هذه السمكة ، ويبلع غيرها ، ومع ذلك فقد قدم البعض تعليلات غير منطقية .. منها مثلا أن السمكة الكبيرة تذهب الى محطة التمريض وهي « شبعانة » ، أو أن الامها التي تؤرقها تضيع شهيتها ، أو أن أسماك النظافة سامة ، ثم ظهر بعد ذلك أن الكثير منها غير سام .. الى آخر هذه التعليلات التي لا تقوم على أساس ، ولا يزال السر مطويا حتى الآن ، وما أكثر الاسرار التي لا نزال نجهلها .

بطاقات سمكية عائلية

أما كيف يتعرف السمك الكبير على أفراد الاسرة التي تعتني بتمريضه وعلاجه ، فذلك يحتاج الى شرح طويل يتناول مسائل التطور والاختيار الطبيعي الذي نشأ على الارض منذ مئات الملايين من السنين ، ولكن يكفي أن نقول أن الامر قد دبر بواسطة « البطاقات الشخصية والعائلية » التي تحملها هذه الاسماك ، لتوضح بها شخصياتها للاسماك الاخرى !

لكن ليس معنى ذلك أن أسماك النظافة تحمل معها بطاقات كالتي نحملها ، بل منحتها الحياة بديلا يتوافق مع مجتمعاتها ، ذلك أن أسر أسماك النظافة قد جاءت بالوان زاهية وزركشة متقنة ، واختلاف صارخ في اللون مع « أرضية » البيئة المائية التي تعيش فيها ، بحيث يمكن تمييزها دون حدوث أخطاء تؤدي الى ما لا يحمد عقباه ، وكأنما هذه الالوان البديعة قد أصبحت بمثابة لافتات حية تقول « نحن هنا ... لنعرض عليكم خدماتنا ، فلا تهاجمونا أو تاكلونا » .. ولقد نجحت الفكرة ، واستمرت عشرات الملايين من السنين !

الا أن الغريب حقا أن بعض الاسماك التي تاتي الى هذه المحطات طلبا للعلاج تغير الوانها عندما تبدأ « سنيوريتا » أو غيرها في التجول على جسمها ، فسمكة « الجراح » مثلا (اسمها هكذا) يميل لونها الى زرقة فاتحة ، وتتحول السمكة « المعزة » من لونها الفاتح الى حمرة ، كحمرة الخجل ، في حين أن سمكة سليمان يتغير لونها الفضي الى البرونزي ... الخ ، ويبدو أن تغير هذه الالوان بمثابة اشارة تقول « مشغول .. وتحت التنظيف أو العلاج » ..

لكن اغرب هذه الامور جميعا ان ارباب المهنة قد اندس بينهم من ليس منهم ، فلقد اكتشف العلماء حتى الان نوعين — على الاقل — من الاسماك المقلدة لاسماك النظافة فكان التقليد بالشكل والحجم واللون ، ولكن الوظيفة مختلفة تماما ، لانها تقوم على الخداع والاحتيال .. من ذلك مثلا سمكة صغيرة اسمها البليني ، تتقدم هذه السمكة الى الاسماك القادمة للعلاج ، وكأنما هي تعرض عليها خدماتها ، وتنخدع السمكة القادمة فيها وفي مظهرها ، وتعطيها نفسها ، وبدلا من ان تقوم بعلاجها تقضم شيئا من جسمها او زعانفها بفمها الحاد ، ثم تولي الادبار ، لكن الاسماك البالغة احيانا ما تتعرف على هذه السمكة المحتالة وتطاردها ، فلا تلدغ سمكة من «بليني» مرتين

ثم .. الا ترى معنا ان ما يحدث بين البشر ، يحدث ايضا بين السمك !

فلاشك اننا سمعنا كثيرا عن طبيب مزيف ، وكذلك تجيء انواع من السمك لتقوم بنفس الحيل، مع فارق هام : ذلك ان عمليات «النصب» والاحتيال قد ظهرت بين السمك قبل ان يظهر الجنس البشري على الارض بعشرات الملايين من السنين ! .. ■■

الاسكندرية — د . عبدالمحسن صالح



انفتاح سلطنة عمان جلب اليها اناسا مختلفين جاءوا اليها من مختلف أرجاء العالم ٠٠ ولكن امام المحكمة الشرعية يتساوى الجميع فهي المسئولة عن محاكمتهم



بالعطور وماء الـورد يستقبلونك في المنازل العمانية ٠٠ وهذه نعمت الغمادي خريجة الجامعة المغتربة العائدة لبلدها

عُمان

«الطيور المهاجرة» وماذا صنعت بعد عودتها !!

استطلاع : سليم زبال

تصوير : صلاح ادم

المجتمع العماني ٠٠ عادت اليه عائلاته المهاجرة حاملة عادات وتقاليد جديدة لم تكن معروفة من قبل



■ عادوا .. عادوا بعشرات الالوف لياخذوا بيدبلدهم الذى كاد أن ينساه العالم ، نتيجة حكم مظلم استمر ٣٨ عاما كاملة !

عادوا ليتفاعلوا مع اخواتهم فى البلاد ، حاملين لهم أفكارا جديدة وخبرات واسعة ، أعطت لانطلاقة عمان نكهة خاصة .. من الحرمان المطلق ، الى الانفتاح الواسع الكبير ..

كانت اخر مرة عشنا فيها حياتهم القاسية منذ ثماني سنوات مضت .. قالوا لنا : « أعطونا فرصة بضع سنوات لنبنى بلدنا ثم عودوا الينا .. » واليوم عدنا اليهم بعد أن عاد الابناء الى الوطن الام .. وتمنينا لو أن كل مغترب عربى عاد الى بلده ليفعل ما فعله أبناء سلطنة عمان لبلدهم خلال تلك الفترة !

نقلوها من حياة القرون الوسطى الى القرن العشرين مباشرة ، غير متهيبين من صدامهم مع حضارة الصواريخ والاقمار ، وكيف يهابونها وهم احفاد حضارات قديمة كانت تشع عندما كانت اوربا تعيش فى ظلام ؟!

القفز من فوق القمم

منذ ثماني سنوات رايناهم يسيرون فى ازقة مسقط القديمة حاملين الفوانيس .. وحاولنا العثور على تلك الازقة التى تتشابه مع شوارع القدس القديمة ، فلم نجد لها اثرا ، لقد تهدمت وأزيلت . لان العاصمة مسقط لم تعد حبيسة الجبال العالية ، لقد قفز عمرانها من فوق القمم الصخرية ، وامتد لمسافة ٨٠ كيلومترا على طول الساحل : من مطرح حتى السيب ! .

امتد العمران ليشمل الصحراء والجبال المحيطة بمسقط العاصمة .. كل شخص عماني اصبح يطمع فى الحصول على منزل حديث ، وهو يكره السكنى فى الشقق لهذا انتشرت الفيلات فى كل انحاء البلاد ..



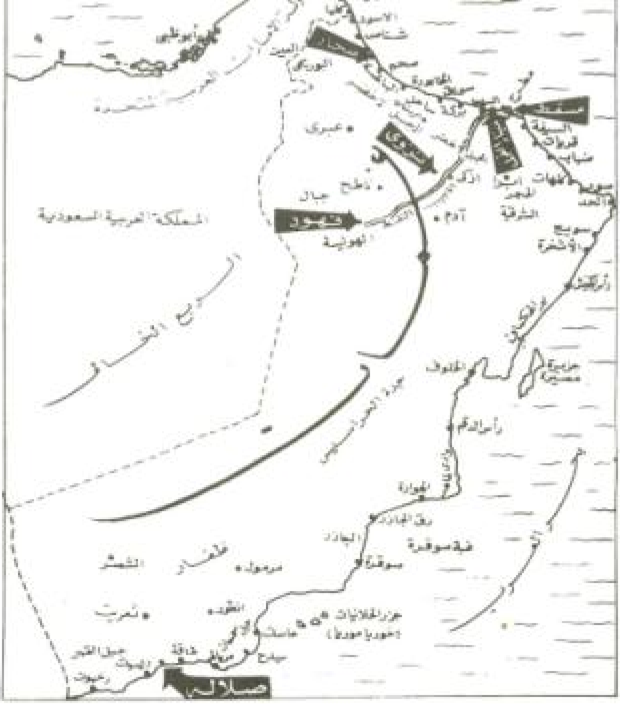
ومطرح هى المدينة التوام لمسقط .. نسفوا جبالها ونقلوا مئات الوف الاطنان من صخورها ليعبدوا كورنيشها الجميل ويقيموا ميناء قابوس الكبير ..

وفى زحمة البناء والهدم ، كانت اصوات المسئولين تناشد أهالى « مطرح » المحافظة على طابع مدينتهم التقليدى : أزقة ضيقة عامرة بالاسواق ، ومنازل قديمة رائعة ذات زخارف رقيقة ناعمة .. وأسقط فى يد ابن « مطرح » فهو تاجر ذكى متمرس ، يعلم جيدا أن بناء مسكن حديث مكان المنزل القديم ، سوف يدر عليه الكثير من الاصفر الرنان .. لهذا كان ينتهز فرصة الليالى الظلماء ، فيعمد الى هدم منزله القديم ليرفع مكانه عمارة حديثة تستاجرها البنوك والشركات بايجارات خيالية ، تصل الى حوالى الفى ريال عمانى شهريا للفيلا (الريال = ٣ دولارات تقريبا) !

منهاتن عمان !!

واروع المناظر تشهدها من الطائرة لمنطقة رايناها فى الماضى زراعية تنتج البقدونس والخيار والخضراوات ، فاذا بها اليوم أرضا نبتت عليها مئات العمارات .. انها « روى » الضاحية السكنية التجارية الرائعة الملاصقة لمسقط .. التى يطلقون عليها اسم « منهاتن عمان » لعماراتها المرتفعة ثمانية طوابق .. !

وتتابع سيرنا وسط اراض صحراوية كانوا يصيدون فيها الارانب والغزلان ، فاذا بها اليوم ضواح جديدة للعاصمة المنطلقة : الوطية .. القرم .. مدينة الاعلام .. مدينة قابوس .. الخوير .. المدينة الدبلوماسية .. مطرح الكبرى ..



توضح هذه الخريطة موقع المدن الهامة فى سلطنة عمان ، التى تبلغ مساحتها حوالى ٣٠٠ الف تقريبا ٠٠ وعدد سكان السلطنة حوالى مليون ونصف مليون نسمة ٠٠ واهم صادراتها النفط والاسماك والتمور والليمون ٠٠ ومجموع عدد المدارس فيها ٣١٣ مدرسة تضم ٧٦ الف طالب وطالبة ٠٠ وايرادات السلطنة كانت ٥٢٠ مليون ريال عمانى عام ١٩٧٧ منها ٤٨٢ مليون ريال من ايرادات النفط ٠

الحمرية ٠٠ الوادى الكبير ٠٠ العامرات ٠٠ وادى حطاط ٠٠

لمن تبنى العمارات ؟

امواج متتالية من العمارات ظهرت خلال السنوات القليلة الماضية ٠٠ وعندما سألنا بلدية العاصمة عن عدد رخص البناء التى منحوها ٠٠ اجابونا : منحنا ٣٦٦ اباحة عام ١٩٧٣ ارتفعت الى ٣١٠٠ عام ١٩٧٦ لتنخفض الى ٢٣٠٧ اباحة عام ١٩٧٧ ٠

نهضة عمرانية واسعة هى ردة فعل لحرمان سابق . فالعمانى لم يكن من حقه البناء ٠٠ كانوا يعجزونه بسؤالهم : اين اثبات ملكيتك للارض؟ ٠٠ «اما اليوم فقد حصلت على اربع قطع من الارض: واحدة زراعية مساحتها ٧ افدنة ٠٠ واخرى سكنية مساحتها ٩٦٠ مترا مربعا فى مدينة قابوس دفعت لثمنها ريالا عمانيا واحدا للمتر المربع ٠٠ ومن حقى ان اطلب قطعتى ارض اخريين لاغراض صناعية وتجارية ٠٠ كما حصلت على قرض من الحكومة يوازى ٦٠ مرة راتبى الشهرى ٠٠» ٠

وحركة البناء فى السلطنة كانت بدايتها على هيئة طفرة بعد ارتفاع اسعار النفط ٠٠ المواطن ياخذ قرضا من البنوك ، ويشيد منزله ٠٠ واستمر هذا الوضع حتى نهاية عام ١٩٧٧ حيث بدأت تظهر لاول مرة فى تاريخ عمان لافتات : «شقق فارغة للايجار ٠٠» ٠

ويفضل اهل عمان السكن فى فيلات مستقلة ، وقد تجد الواحد منهم يمتلك اكثر من بيت فى اكثر من منطقة ٠٠ سكان العاصمة تضاعف عددهم حتى وصل عددهم الى مائة الف نسمة ٠

واكثر هؤلاء السكان من المزارعين الذين هجروا الريف الى المدينة ، ومعهم الوف المغتربين العمانيين العائدين الى وطنهم ٠٠

عودة الطيور المهاجرة

لقد هاجر العمانيون بلادهم مكرهين ٠٠ كانوا يعيشون فى ظلام حقيقى ٠٠ لا امال ٠٠ لاطموحات ٠٠ لا صحة ٠٠ لا تعليم ٠٠ كانت عمان اسما على الخارطة فقط ٠٠ عقارب الزمن توقفت فيها ٠٠ لهذا ماكاد السلطان الشاب قابوس يعلن فى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ ان ابواب سور مسقط سوف تفتح ليلا لاول مرة منذ ٤٠٠ سنة ٠٠ وان عمان للعمانيين ٠٠ وانه مهما كانت اسباب اغتراب العمانيين فاننا نرحب بعودتهم ليساهموا فى اعادة بناء بلدهم ٠٠

ما كاد العمانيون يسمعون هذا الكلام ، حتى





قل أن تجد بيتا في عمان ليس فيه جهاز تلفزيون
والى جانب محطة مسقط العاصمة افتتحت محطة
ارسال في صلالة جهزت بأحدث المعدات .

الى اليسار : طالبان من مدرسة قابوس في صلالة
انها مدرسة داخلية ترعى ٢١٥ تلميذا فقدوا أهلهم
أو تشردوا من جراء الثورة التى كانت قائمة في ظفار

تبدل مجتمع ظفار تبدلا جذريا ، فمن حياة الزراعة
والبداوة تحول الى مجتمع مستقر يعيش في مدينة
صلالة .. وهذه صورة في احدى المكتبات التى فتحت
حديثا في المدينة ، وتبيع الكتب العربية والاجنبية .

شهدت عمان هجوما مجنونا من أجل شراء مصنوعاتها
المتميزة برسومها ونقوشها الفضية الوطنية القديمة
الدقيقة ، لهذا عمدت وزارة التراث القومي الى
اقامة متحف خاص لحفظ هذه المصنوعات الفضية القديمة





سوى مظهر حضارى من مظاهر تغيرنا الشامل ..
« واذا كنا نتلمس اليوم بعض التاثيرات الايجابية للذين عادوا منذ عام ١٩٧٠ الا ان التاثير الحقيقى الذى احدثوه على المجتمع المحلى وعاداته ،لن يظهر الا بعد انقضاء جيل او جيلين ..

فلاحون مصريون فى عمان

ان عمان تدفع اليوم ضريبة التطور والانفتاح، ومن سخريات القدر ان هذا البلد الذى كان مصدرا لليد العاملة اصبح اليوم مستوردا للعمالة من الخارج ، وخاصة من الهند والباكستان لرخصهما وقربهما من السلطنة ..

« اننا نشكو من نقص فى اليد العاملة ، وخاصة فى الزراعة ، لهذا اتفقنا مع المسئولين المصريين على احضار ٧ عائلات من فلاحى مصر للعمل فى عمان .. انها تجربة نرجو لها النجاح ،بداناها على نطاق ضيق لتفادى كل خطأ قد يعترضها ».

هذا ماصرح به لنا السيد سعيد احمد الشنفرى وزير الزراعة والاسماك والنفط والمعادن ..وقد تابع الوزير كلامه قائلا : «عندنا كميات هائلة من الغذاء ، يمكننا مضاعفتها عند الحاجة ولكن مشكلتنا هى التسويق .. لهذا ترانا نركز فى عملنا على التسويق : نقيم المراكز ونشترى المحصول من المواطنين .. ثم ننقل الانتاج للمناطق المتباعدة.. وهذا سوف يؤمن لنا اكتفاء ذاتيا عندما نتغلب على هذه المشكلة التى هى اساس مشاكلنا الزراعية..»

نفط من ظفار ومسندم ..

وينتقل حديث الوزير من الزراعة الى النفط فيقول : « عندنا حاليا سبع شركات نفط عاملة فى البر والبحر .. واحدة منها فقط منتجة للنفط هى شركة تنمية نفط عمان ، تعمل على عشرة حقول فى منطقة فهود لتنتج ٣٣٩ الف برميل يوميا.. ان انتاجنا من النفط يتناقص سنويا بمقدار ١٠٪ ولكننا اكتشفنا اخيرا النفط فى جنوب البلاد ، وهذا سيمدنا بنحو ٣٠ الف برميل اضافى يوميا ستبدأ فى الوصول الى منطقة فهود عبر خط انابيب طوله ٤٠٠ كيلو متر مع بداية عام ١٩٨٠.

« وانا كوزير للنفط متفائل جدا لمستقبلنا النفطى ، والدلائل فى منطقة رأس مسندم مشجعة جدا هى الاخرى ، حيث اكتشفنا اخيرا حقلا كبيرا للغاز هناك ..»



اكتشاف النحاس فى منطقة عرجة ، فى شمال عمان سيحول المنطقة الى منطقة صناعية كبرى ، وينتظر ان يبدأ انتاج النحاس عام ١٩٨٠ وسيتم تصديره بعد صهره محليا .. لقد تم حفر ٢٠٠ حفرة الى عمق ١٠٠ متر لتحديد مساحة حقل النحاس الذى كان يستغل منذ اربعة الاف سنة

●

الى اسفل : اكثر من ٨٠ بالمائة من سكان عمان كانوا يعملون فى الزراعة .. فى الجبل الاخضر يزرعون اصناف الفاكهة واللوز .. وعلى ساحل الباطنة الليمون والخضراوات .. اما فى ظفار حيث الارض الطيبة التى ستنبت لك شجرة عندما تلقى فيها بذرة ، فلم يعد احد يزرع .. لقد انقلب وضع المجتمع العمانى بعد الانفتاح





كان التنقيب عن النفط محصورا في شركة واحدة ، اما اليوم فتتنافس ٧ شركات في التنقيب عنه .. وانتاج النفط يضخ من ١٠ حقول في منطقة فهود ، وكمياته كانت تنخفض سنويا بمعدل ١٠٪ .. وجاء اكتشاف النفط في الجنوب ليزيد الانتاج ، الذي سيصدر كله من ميناء الفحل قرب مسقط .

●

مطاحن الدقيق العمانية اصبحت تقدم للاسواق ١٨٠ طنا من الدقيق النظيف يوميا .. يستهلك منها نحو ٣٠ طنا محليا والباقي يصدر لدولة الامارات وقطر واليمن .. ويخطط المسئولون من اجل انتاج ٦٠ ألف طن من العلف سنويا لاطعام ٤٠ ألف رأس ماشية يملكها اهل الجبال



بدأت رحلة العودة للطيور المهاجرة .. نفضوا الغبار عن دشاديشهم المهملة المنسية في قاع الصندوق . وارتدها فخورين معتزين ، بعد ان كانت ترتبط في اذهانهم بمعاني الفقر والغربة والذل ..

وكانت العودة من منطقتين رئيسيتين : بلاد البترول الخليجية .. وجزيرة زنجبار التي كانت امتدادا لعمان قبل ان يقع فيها الانقلاب الدموي عام ١٩٦٤ كما جاءت مجموعات اخرى من المغتربين في انجلترا واوربا .

تأثيرات على المجتمع

عاد المغتربون وانتشروا في كل مدن وقرى السلطنة .. نزوى .. صلالة .. ابرا سمايل .. البريمي .. طاقة .. عادوا ليختلطوا بأقارب يعيشون في مجتمع مغلق قديم .. وكان التأثير نحو الافضل ملموسا في كل المجالات .. فالمغترب الذي عاد سنة ١٩٧٠ مع اولاده المتعلمين ، اقام في بيت شقيقة لفترة ، وهذا اعطى دافعا قويا لهذا الشقيق من اجل الاصرار على تعليم اولاده تشبها باولاد اخيه ..

والفتاة المتعلمة المغتربة بدأت تبحث عن عمل لاول مرة في تاريخ عمان ، عمل يتناسب مع مؤهلها الجامعي ، وتبعتها شقيقتها فنزعت عن رأسها كتل الذهب والفضة التقليدية ، وبدأت هي الاخرى تتعلم وتعمل ..

وفي وزارة الصحة عاد ٢٩ طبيبا عمانيا مؤهلين تأهيلا عاليا .. وما زال في انجلترا نحو ٢٠ طبيبا عمانيا يعملون هناك ..

وعاد خريجو كليات الشرطة العربية والاجنبية وبدأت لاول مرة عمليات تعريب ادارة الشرطة ومناهجها .

وسأل وزير الشئون الاجتماعية خلفان بن ناصر الوهيبي عن المجتمع العماني وتأثيرات « العودة » عليه فيقول : « اعتقد اننا في وضع اجتماعي متوسط طيب يكاد يكون مثاليا ، فبلادنا ليست منتجا كبيرا للنفط ، اي اننا لسنا اغنياء الى الدرجة التي يفسدنا فيها الغنى .. وفي نفس الوقت لسنا فقراء لنكون ناقمين على انفسنا والعالم كله .. »

« اننا بلد يتغير بالطول والعرض ـ اذا صح التعبير ـ وتركيزنا منصب على الانسان .. اما البناء والتعمير واقامة الفنادق الفخمة فهذه ليست

ينتمي أبناء عمان الى مجتمع حضاري مستقر منذ آلاف السنين .. لهذا لم تستطع سنوات الانغلاق أن تسلبه ملكة الابداع . فما كاد باب البلاد ينفتح من جديد حتى انطلق يبني ويعمر المباني والفنادق الفخمة الرائعة ليتنزل فيها التجار والخبراء الاجانب .. وانتشرت المتاجر والاسواق المركزية في العاصمة وصلالة، تعرض أحدث المنتجات وتجلب البيض والخضراوات واللحوم بالطائرات .

... والمرأة العمانية المثقفة التي عادت الى بلادها بعد غربتها الطويلة في الخارج ، لم تفقد هويتها العمانية أبدا. ففي الحفلات والاعراس تعود وترتدي زيها الوطني الذي يختلف من منطقة الى أخرى : اللباس الظفاري .. ولباس ساحل الباطنة .. ولباس المنطقة الشرقية .. الوان صارخة جميلة ، وكتل من الذهب تتحلى بها المرأة .









٠٠ ومعادن من عرجة !

وتمثل ايرادات النفط ٩٥٪ من جملة ايرادات السلطنة البالغة ٤٩٥ مليون ريال ٠٠ وهذا الوضع لن ينفرد به النفط طويلا فقد اكتشفوا في شمال السلطنة كميات هائلة من خام النحاس ٠٠ اجروا عليها دراسات شاملة ٠٠ حفروا ٢٠٠ حفرة في نفس الاماكن التي حفر فيها الاقدمون منذ ٥ آلاف سنة ، وثبت لديهم ان كمية خام النحاس الموجود حاليا تقدر بنحو ١٧ مليون طن مترى ٠٠ لهذا بدأت الاعمال في المشروع الذى سيتكلف نحو ٤٧ مليون ريال عماني من اجل تعدين النحاس وتركيزه قبل البدء بتصديره عام ١٩٨٠ من ميناء صحار ٠٠ « والى جانب النحاس اكتشفنا حوالى ٣ مليون طن من الكروم ، وعثرنا على الاسبست في الغوير وعلى الفحم الحجرى في جيلان قرب صور ٠٠ والحديد وجدناه مبعثرا في مناطق متباعدة ٠٠ معادن كثيرة موجودة عندنا تحتاج الى دراسات طويلة باهظة الثمن ٠٠ » .

هذا ما صرح به لنا وكيل الوزارة حسن عبد الله المرزع ٠٠

وحلقنا فوق مناجم النحاس ٠٠ بقعة ذهبية صفراء وسط أرض قاحلة ٠٠ تنتظر المعدات لتبدأ عملية الاستغلال والتصدير ٠٠





الذبابة السوداء ولومي العصفور !

وانطلقت بنا الطائرة صوب صحار .. ان هذا الميناء التاريخي الذى كانت تنطلق منه السفن الى بلاد الصين ، سوف يصبح المدينة الصناعية الاولى فى السلطنة عندما يبدأ تصدير خام النحاس منه..

ولكن صحار اليوم تضم اهم محطة تجارب زراعية .. ان موقعها على ساحل الباطنة الخصيب يضفى عليهااهمية خاصة .. انهم يزرعون فى العروة الشتوية اى عندما يموت الزرع فى المناطق الاخرى يبدأ الزرع هنا

وفى نفس الوقت يخوض رجال محطة التجارب حربا شرسة على الحشرات وامراض النباتات .. المتق فى النخيل ، والذبابة السوداء وصانعات الانفاق فى اشجار اللومى (الليمون) الحامض..

واللومى هو المحصول الزراعى الثانى بعد التمور ... جميع دول الخليج تعتمد على السلطنة لمدها بلومى العصفور المجفف .. والعصفور هى عائلة قديمة تقوم بشراء كل كميات الليمون مقدما من مزارعى ساحل الباطنة لتجففه بنفس الاسلوب التقليدى القديم .. يترك الليمون ٤٠ يوما تحت اشعة الشمس ، ثم يوضع فى مخازن مظلمة لمدة سنة ، وبعدها يعرض لاشعة الشمس قبل تعبئته فى جوالات وتصديره لدول الخليج لاستعماله شرابا منعشا مثل الشاى ، وخلطه على الطعام .. ويقولون لك : « كل حامض داء .. ما عدا حامض اللومى دواء ! » .

الى اليمين : المراة تتعلم فى عمان .. والعلم يؤدى للشعور بالكرامة .. وهذا يوصل الى المطالبة بالحقوق .. والمراة العمانية تختلف من اختها من منطقة الى اخرى داخل عمان ، ففى حين تجد ١٠٠ فتاة يعملن الى جانب الرجال كشرطيات ، وحوالي ٩٠ فتاة يعملن ممرضات ، تجد بنات صلالة فى الجنوب يذهبن للمدارس محجبات تماما .. بينما شقيقاتهن يعملن بكفاءة ونشاط فى مصنعى التمور فى نزوى والرستاق .. وتجتمع عضوات جمعية نهضة المراة العمانية فى مقرهن الانيق فى مسقط العاصمة ، يبحثن عن الاسلوب الواجب اتباعه للتوفيق بين الطموحات والتقاليد .

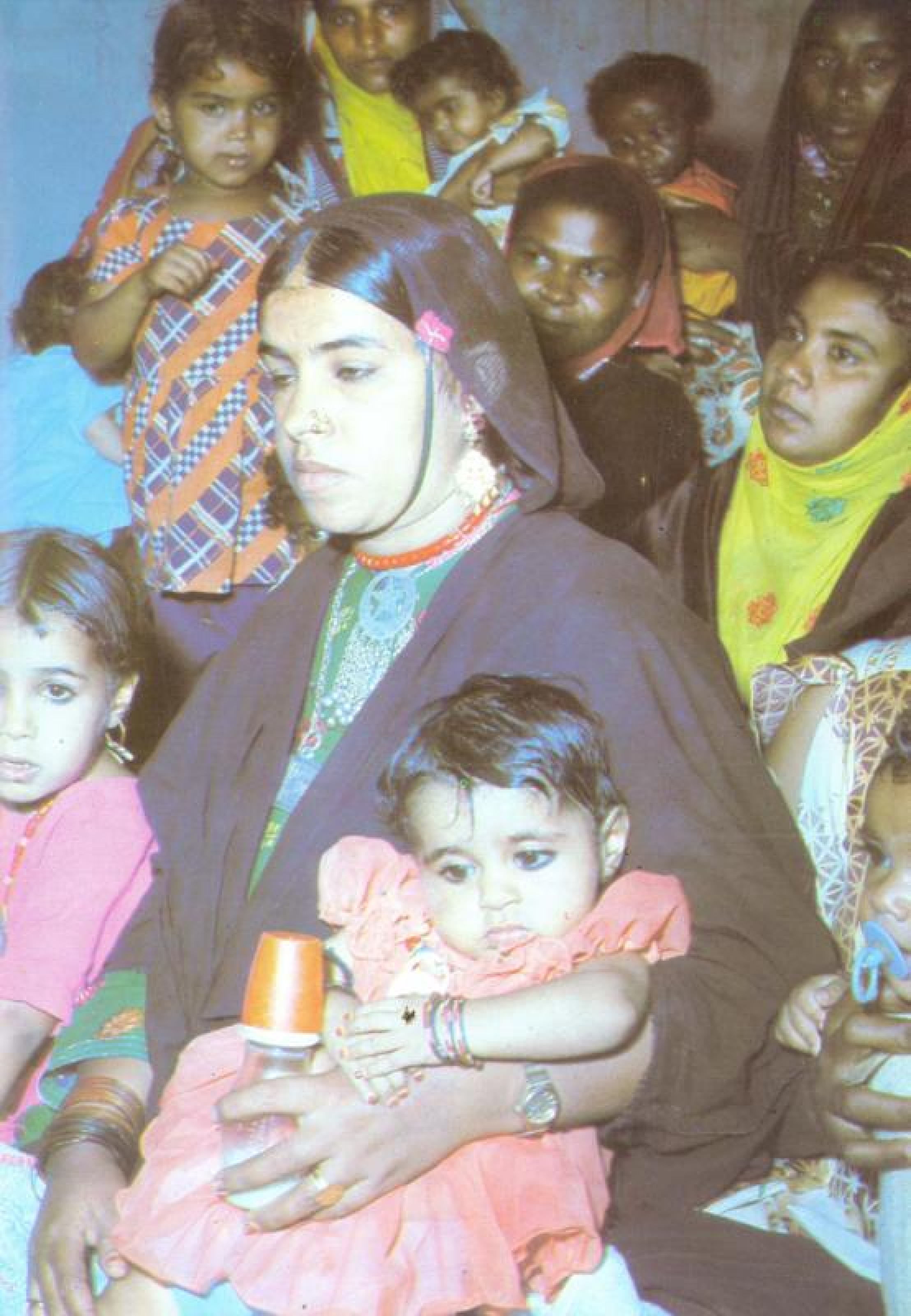
٩٠٪ من الاناث متزوجات !

واذا كان الرجال يفضلون شرب حامض اللومى فان النساء يفضلن تناول القهوة فى جلساتهن بعد الظهر .. كانت المراة – فى زيارتنا السابقة– تقضى ثلاثة شهور تصنع (الكمة) الطاقيةالانيقة التى يضعها الرجال فوق رؤوسهم ، اما اليوم فوضع المراة تبدل تماما ، بعد وصول المغتربات الطبيبات والمهندسات والمذيعات والصحفيات والممرضات .. لقد اصبحت المراة العمانية تعمل الى جانب الرجل ، فى بعض الدوائر الحكومية ،ولكن مشاركتها فى الحياة العامة ما زالت محدودة حتى اليوم ،فبالرغم من البناء الانيق الذى شيدته الدولة لجمعية نهضة المراة العمانية الا ان نشاطها لم يرتفع بعد الى مستوى روعة البناء !.

حقيقة ان بعض نساء عمان خرجن وتعلمن وحصلن على قدر كبير من التعليم ، الا ان نسبة هؤلاء اقل مما تتطلع اليه المراة العمانية .. ولعل ما جاء فى المؤتمر المحلى لقيادات الانشطة النسائية ما يؤكد هذه الظاهرة : « كيف يمكننا ان نطلب من المراة العمانية المشاركة الفعالة فى تنمية البلاد وهى غير مهيئة لا ذهنيا ولا نفسيا ونسبة الامية متفشية بينها بدرجة عالية جدا .. اننا نريد ان نؤكد انه لا تنمية ولا صحة افضل ولا تربية صالحة مع امية المراة .. » .

واذا اردنا معرفة اسباب امية المراة – رغم افتتاح المدارس الكثيرة – فان هذا سيؤدى بنا الى عادة الزواج المبكر المتفشية فى عمان .. فالفتاة ما تكاد تنهى بعض المراحل الاولى من التعليم حتى تسحب من المدرسة للزواج «لان المذهب الاباضى – المذهب الرسمى للدولة – يبيح الزواج فى سن مبكرة جدا للصبى والصبية ويعطيهما الحق ، بعد ان يبلغا ، ان يفسخا الزواج او يقراه .. كما ان زواج الرجل الكبير السن بفتاة صغيرة مسموح به شرعا .. » .

وفى دراسة لمنظمة اليونيسيف ووزارةالشئون الاجتماعية ، اجريت مع مجموعة من نساء نزوى اتضح ان : ٢٧٪ من النساء تزوجن قبل سن الحادية عشرة و ٧٣٪ تزوجن ببلوغهن سن الخامسة عشرة .. ، ٩٠٪ من الاناث متزوجات . وسبب هذه النسبة العالية جدا من الزيجات يرجع الى ان زواج المراة بعد الطلاق ، او بعد وفاة





الى اليمن : كان معظم الاطفال فى عمان يولدون ويموتون بسرعة لانعدام العناية بهم ٠٠ أما اليوم فقد انتشرت فى السلطنة مراكز رعاية الامومة والطفولة والتدريب على الخدمة الاجتماعية ، كلها تسعى جاهدة للقضاء على سلبيات الانغلاق الطويل : كيف تقنع المرأة بالذهاب للمستشفيات ٠ ؟ كيف ترعى طفلها ، كيف تحسن نوعية الطعام الشائع : العيش(الارز) والصالونة (سلطةالطماطم) مع قليل من اللحم أو السمك أو الدجاج ٠٠ وقد صادفت تكثرة ادخال بعض انواع الخضراوات والبقول نجاحا طيبا فى بعض المناطق ، ولكن عامة الناس لم تتقبلها بسهولة٠



عودة الاطباء والمرضات العمانيين ، أتاحت المجال لفتح وادارة ١٣ مستشفى جديدا فى السلطنة ٠٠ وفى الصورة العليا نرى المرضة شيخة عبد الله التى عملت فى البحرين تطعم المريض حمد سالم ، ومن خلفهما وقفت رئيسة المرضات طاهرية بوسعيدى التى تخرجت وعملت فى مستشفى رويال سايكس ببريطانيا قبل أن تعود لوطنها ٠٠ أما الصورة اليمنى فهى لسعيد سالم من سكان جزيرة مصيرة جاء الى مستشفى صلالة وهو لا يرى بعينيه فأجريت له عملية زراعة القرنية فعاد اليه نظره ٠٠ لقد كانت التعاويذ والكى بالنار هما العلاج الشائع منذ سبع سنوات فقط٠

زوجها ، امر شائع لان مهرها تنخفض ٠٠ قيمته جدا !

حرب على الامراض

وهكذا اصبحت كل دراسة اجتماعية توصم المجتمع العمانى بهذه الصفة : « نسبة عالية من الخصوبة ونسبة مرتفعة لوفيات الاطفال » ٠٠ ولكن ريح التغيير السريع اخذت تقلب هذه المفاهيم تماما ٠ فبينما كانت نسبة الوفيات بين الاطفال تصل الى ٧٠٪ وجدناها تهبط الى ٦ر٠٪ فقط فى مستشفى خولة بالعاصمة ،حيث اجريت ٥٩٩ ولادة توفى خلالها ١٠ اطفال فقط، كان هذا فى شهر ديسمبر ١٩٧٧ ٠

لقد بدأ الجمهور يتجاوب تماما مع مجهودات وزارة الصحة فى حربها على الامراض ٠

الطبيب الطائر !

«اننا نتحرك فى كل المجالات والاتجاهات ،لا نبخل على الصحة بأى شىء ٠٠ ميزانيتنا ١٩مليون ريال ٠٠ وعندنا حاليا ١٣ مستشفى خمسة منها فى العاصمة وسبعة فى صلالة وسمايل ونزوى والرستاق وصحار والبوريمى وصور ٠٠ »



كان الدكتور مبارك الخضورى وزير الصحة العمانى يتحدث الينا امام خارطة كبيرة لمشاريع الصحة واردف قائلا : « ٠٠ والمناطق المتباعدة عن مراكز التجمع طبقنا عليها نظام الطبيب الطائر » ٠٠٠ بالهليكوبتر ٠٠ واللنشات ٠٠ والسيارات ترسل الطبيب مع الممرضة والدواء لتوصل الخدمات الى كل شبر فى البلاد ٠

لقد حققنا انتصارات باهرة ضد مرض التراخوما الذى كان يصيب ٨٠٪ من السكان فى بعض المناطق ،وبعد المكافحة المستمرة والعلاج والتوعية استطعنا تخفيض نسبة الاصابات الى ٦٪ فقط ٠

وفى عام ١٩٧٧ قمنا بتقديم العلاج لاكثر من اربعة ملايين مراجع لمستشفياتنا ومستوصفاتنا واجريت ٤٧ الف عملية جراحية ٠٠ وهذا شىء رائع بالنسبة الى اوضاعنا الصحية حيث كان العلاج يتم عن طريق الكى بالنار ٠

تمر بالهيل والنارجيل !

وآلام الاسنان فى السلطنة ترجع الى نقص الفلورين فى الماء والى اكل التمور باستمرار مع عدم تنظيف الاسنان ٠٠ ولكن عادة اكل التمور هذه بدأت تقل اثر فتح مصنعين لتعليب التمور وتقديم التشجيعات المجزية من الحكومة للمزارعين ٠٠ انها تقدم ٥٠ ريالا عمانيا مكافاة عن كل بهار تمر (البهار يوازى نصف طن)

ان تمورنا هى ارقى واحلى تمور فى العالم ٠٠ وعندنا اكثر من ٩٠ نوعا من التمور افضلها للتصنيع هو « الفرض » ٠٠ ومما يذكر ان كلا من المصنعين ينتج يوميا نحو ثلاثة اطنان من التمور المصنعة المتنوعة : محشوة باللوز ٠٠ مخلوطة بالنارجيل (جوز الهند) ٠٠ ومخلوطة بالسمسم ٠٠ وحب الهيل ٠٠ وسوف يرفع المصنعان انتاجهما الى ١٤ طنا يوميا لمواجهة الطلبات الخارجية المتزايدة ٠٠

تراث يتكلم

وهكذا اصبح العثور على التمر من الصعوبة بمكان فى اسواق العاصمة التى تعانى من الغلاء فى الاسعار ، فالبيضة الواحدة تباع بمبلغ ٧٥ بيسه فى الاسواق المركزية ٠٠ انه البيض ٠٠ المجنح القادم على الطائرة من الخارج ! ٠

ولكن الغلاء الحقيقى بلغ حده الاقصى فى المصنوعات التقليدية ، فالخنجر العمانى المعقوف ارتفع ثمنه من ٣٠ ريالا حتى وصل الى ٥٠٠ ريال !

وجاءوا بالرجل الديناميكى السيد فيصل بن على بن فيصل لينقذ ما يمكن انقاذه من التراث فبدأ بعملية اقناع لاصحاب الحرف حتى لا يبخلوا بتوريث فنهم للابناء ، ونجحت الفكرة ٠٠

ثم اتجه ناحية المخطوطات العمانية القديمة « حيث استطعنا جمع اربعة آلاف مخطوط عمانى قديم ، وما زال هناك ٣٠ الف مخطوط موجودة فى المكتبات الخاصة بالمنازل يرفض اصحابها التنازل عنها ، لهذا صدر قانون حماية المخطوطات الذى يمنع اخراج اى مخطوط من البلاد عمره اكثر من ٥٠ عاما ٠٠ »

وينهى مدير المخطوطات محمد سعيد الوهيبى كلامه قائلا : « لقد استطعنا عمل فهارس لحوالى ١٢٠٠ مخطوط فى سنة واحدة وطبعنا مخطوطين



مسلسل احمد بن ماجد .. انتجه التلفزيون العماني انتاجا رائعا ملونا ليكشف الدور الكبير الذي قام به البحار العماني ابن ماجد ، مع المكتشف فاسكودى جاما ...

منها ،وتجرى حاليا عملية تنقيح لطبع خمسة وعشرين مخطوطا عمانيا آخر .. » .

أرض ماجان ..

ان العماني يعشق سماع قصص ماضيه القديم ... وحتى يتكلم التراث القديم بلغة العصر جلبت وزارة التراث القومي خمس بعثات انجليزية ودانمركية والمانية وفرنسية وايطالية للتنقيب عن الاثار العمانية .. وقد تم بالفعل تحديد مواقع ٤٠٠ منطقة اثرية للتنقيب فيها ..

وقال لنا الدكتور باولو كوستا الخبير الايطالي للاثار : «كل الدلائل تشير الى ان ارض سلطنة عمان هي ارض مملكة ماجان التاريخية التي اعطت نفائس المجوهرات والنحاس الى ممالك الرافدين القديمة ..» .

الكم والكيف ومشكل التعليم

وتصدر في مسقط حاليا مجلة رائدة للدراسات والابحاث العمانية باللغة الانجليزية .. الى جانب تسع مجلات اخرى .. ولا توجد صحيفة يومية في البلاد وانما تصدر جريدة عمان مرتين في الاسبوع .

● عمان .. مستقبل يتكلم !

ويوجه الشباب في الاندية الرياضية الثقافية نقدا لاذعا لبعض صحف بلادهم لانها «كم » وليست «كيفا » .. ان عدد المتعلمين في السلطنة يزداد باستمرار ، فبعد ان كانت هناك ثلاث مدارس لتعليم مليون نسمة قفز الرقم الى ٣١٠ مدارس يتعلم فيها ٧٦ الف تلميذ وتلميذة !.

والمشكل الذي يواجه التربية حاليا هو :كيف نوجه هذه الاعداد الهائلة من التلاميذ الذين انهوا تعليمهم الابتدائي والمتوسط ، وبدأوا يطرقون ابواب التعليم الثانوي بشدة ؟

واجتمع مجلس التربية برئاسة السلطان قابوس وعضوية ٩ وزراء ، وقرر احداث انقلاب في اسلوب التعليم ،بمعنى ان جزءا من خريجي التعليم الابتدائي سيتجه الى الابتدائي المهني وجزء آخر يصعد للاعدادي ، ونفس الشيء سيطبق على خريجي الاعدادية .. وهكذا سيتحول مسار التعليم الى روافد مهنية صناعية لم يكن يعرفها المجتمع من قبل ..

ان سلطنة عمان في اشد الحاجة الى العمالة الفنية المتوسطة للعمل في المشاريع الكثيرة في البلاد ، وفي مقدمتها مشاريع الاسماك ، فالساحل العماني طوله ١٧٠٠ كيلو متر ، وهو واحد من اغنى السواحل بالاسماك ،لان بحاره الدافئة تسمح بتكاثر مئات الانواع من الاسماك: الكنعد والصداء والسردين والقرش والسلاحف البحرية والشارخ (سرطان البحر) كان التمليح والتجفيف تحت اشعة الشمس هما الاسلوبين المتبعين .. اما اليوم وبعد ان تمت عملية المسح الشاملة للثروة السمكية فقد بدأ العمل المكثف في كل المجالات.. اقيمت مستودعات التبريد والتجميد في مطرح وصحار وصلالة ، واشتريت قوارب الصيد والسيارات المبردة ، وظهر صندوق تشجيع صائدي الاسماك ، واقيم معمل للثلج الناعم طاقته ٣٦ طنا .. وصلتنا ادوات مصنع طحن الاسماك وعظامها وتحويلها الى علف للحيوانات وسوف نقيمه في صلالة لوجود ثروة حيوانية كبيرة هناك تحتاج الى انتاجه .. ان اسماكنا هي ارخص الاسماك في المنطقة، تصدرها حاليا الى كل دول الخليج العربي والهند ..» .

كان راشد البرواني الشاب العائد من بلاد الاغتراب والمسئول عن الثروة السمكية في وزارة الزراعة ،يتحدث الينا وعشرات الصيادين يدخلون



وزير الاعلام والثقافة السيد فهد آل سعيد :
نريد انتاج برامج تلفزيونية تعبر عن اصالة المنطقة
ولا نريدها برامج تجارية !



وزير الزراعة والاسماك والنفط والمعادن ،
السيد احمد الشنفري : اذا نجحنا في الثروة
نجح كل شيء !

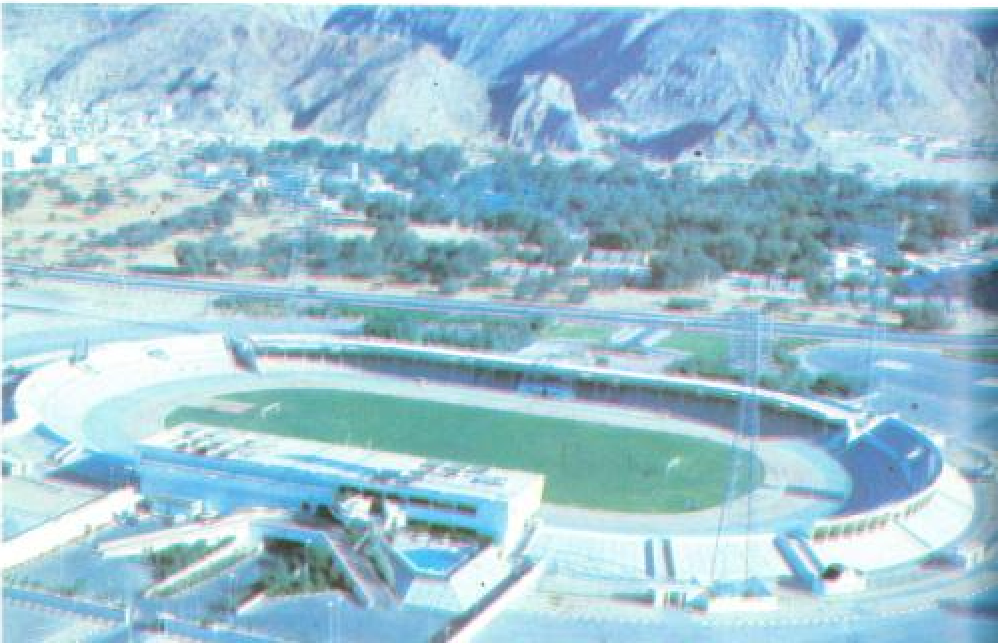




كانت وسائل المواصلات شبه معدومة في سلطنة عمان . اما اليوم فالطرق المعبدة والمطارات والموانيء أصبحت تربط مختلف مدن البلاد ببعضها ومع مختلف دول العالم ·· وميناء قابوس (الصورة اليمنى) الذى افتتح عام ١٩٧٤ أصبح البوابة الرئيسية التى تربط السلطنة بالعالم ··· وفوق الارصفة العشرة للميناء يتم تفريغ وشحن مليون ونصف مليون طن من البضائع سنويا ·

الى اليسار : الاسماك العمانية من أطيب وأرخص الاسماك وخطط استغلال هذه الثروة الهائلة تنفذ بسرعة كبيرة : قوارب الالمنيوم تشترى بالمئات وتوزع على الاهالى ، ومخازن التبريد تقام فى كل ميناء ·· والطلبات الخارجية لاستيراد الاسماك العمانية تنهال باستمرار على وزارة الزراعة والاسماك ··

استاد الشرطة الرياضى فى منطقة الوطية ويتسع هذا الاستاد لنحو ٣٠ الف نسمة . وهو مجهز بالاضواء لاجراء المباريات ليلا ·· وقد أصبح هذا الاستاد مركزا لاقامة مختلف الاحتفالات الهامة ، وفيه يجرى العرض العسكرى احتفالا بالعيد الوطنى ·



مستفسرين.. ان الصيادين الوطنيين يصطادون يوميا من ٤ الى ٦ اطنان ، بينما الشركة الكورية تقوم بصيد ما لا يقل عن ٦٠٠ طن شهريا تعطى منها ١٨٠ طنا (٣٠٪) للحكومة والباقي لها دون ان تتحمل الحكومة اية مصاريف ..

الجريمة تواكب الحضارة

ان سلطنة عمان تواجه اليوم في انفتاحها الكبير مشاكل افقية متتالية متتابعة ، لا تعطى فترة راحة لاى من المسئولين ، الذين خلناهم يعملون تحت شعار : (تفادى الاخطاء التى وقع فيها جيراننا اثناء انطلاقاتهم) ..

وبين ايجابيات وسلبيات الانفتاح نجد ان عدد السيارات المسجلة لم يكن يتجاوز ٨٤٠ سيارة في عام ١٩٧٠ !! واليوم قفز عدد السيارات الى ٤٦ الف سيارة !

وجلب الانفتاح اناسا من كل اطراف الارض الى السلطنة حتى بلغ عدد القادمين ١٩٠ الف نسمة في عام ١٩٧٦ وفي نفس الوقت حاول ٣٠٢٨ شخصا التسلل الى البلاد ودخولها بطريقة غير شرعية فالقى القبض عليهم ..

ومع الحضارة الزاحفة ، وهى ظاهرة تشكو منها كل البلاد الآخذة بأسباب النمو ، تضاعف عدد الجرائم من ١٢٤٩ جريمة عام ١٩٧٢ الى ٢٢٢٥ جريمة عام ١٩٧٦ ويرسل المعتقلون والمجرمون الى مجمع سجن المندمة الجديد الذى افتتح عام ١٩٧٦ ونقل اليه معظم سجناء قلعة الجلالي وسجن الباب الكبير ..

البنوك والربا ..

وهذه الزيادة الكبيرة فى الجرائم والحوادث اصبحت تشكل عبئا مخيفا ثقيلا على مختلف أجهزة الدولة الفنية .. والمسئول عن البت فى هذه الجرائم هى المحاكم الشرعية التى تحاكم كل الناس بصرف النظر عن الجنسية أو الدين أو الموطن .. والقاضى يبحث أولا فى كتب فقهاء المذهب الاباضى لتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ، فان لم يجد بغيته لجأ الى المذاهب الاسلامية الاخرى ليجد حلا للنزاع المعروض عليه ..

« ومن القضايا التى ظهرت حديثا قضايا المصارف والبنوك التى تشكل الفائدة الربوية عنصرا أساسيا من عناصر نشاطاتها . ولما كانت الشريعة الاسلامية واضحة فى تحريم الربا فان المحاكم الشرعية تحكم بأصل الدين دون الفائدة ».

ويتابع مستشار وزارة العدل كايد عبد اللطيف أبو فورة كلامه قائلا : « أما الامور الجزائية كحد السرقة وقطع يد السارق فلها شروط كثيرة يجب توفرها لتطبيق هذا الحد ، ويبدو ان القضاة الشرعيين فى السلطنة قل ما تتوفر لديهم الشروط الشرعية التى تلزم بقطع يد السارق مثلا .. وفقا للقاعدة الشرعية المعروفة : « تدرأ الحدود بالشبهات .. » .

لسنا براميل نفط متحركة !

ان التوعية الشاملة لابن عمان بتاريخ وطنه وحضارته ، وبالانجازات التى تمت فى بلده ، هى الاساس الذى سيجعل المواطن يحافظ على هذه المكاسب وينميها .. وفى حديث مطول مع وزير الاعلام العمانى السيد فهد آل سعيد قال لنا : « اننا نهدف الى تغيير نظرة العالم الينا .. انهم اصبحوا ينظرون الينا وكأننا برميل نفط متحرك .. اننا يجب ان نبدل هذه النظرة الخاطئة ، لهذا ترانا نقيم المعارض والاسابيع العمانية فى اغلب أرجاء العالم ، لانها أشياء محببة للشعوب يلمسها المواطن الاجنبي ويراها بنفسه .. وبهذا الاسلوب ستجعل العالم ينظر الينا كشعب حضارى متطور .. وهذا هو الشيء المهم .. » .

أحلام اليقظة

ان عمان اليوم تقف فخورة معتزة بابنائها الذين عادوا اليها ليعملوا دون شعور بالنقص أو الاستعلاء .. هويتهم ما زالت عمانية صرفة رغم ضياعهم فى أركان العالم لمدة ٤٠ عاما ..

قد يعانى بعضهم من نقص لم يتعوده ، فى بعض الخدمات ، ولكنه لا يتذمر لانه فى بلده ووسط مجتمعه ، ويحلم أن كل شيء يبنيه سيبقى له ولاولاده ..

ويكفيه سعادة أنه منذ ثماني سنوات كان يسير فى الطرقات حاملا الفوانيس ، أما اليوم فاصبح ينطلق فى الطرقات الغارقة فى الضوء .. ولكنه عندما يذهب ليسهر فى فنادق المدينة ، نجد الحنين قد راوده الى الفوانيس القديمة ، يجلس أمام شعلتها ، يحلم أحلام اليقظة بيوم أفضل وغد أروع ..

■■

سليم زبال

طرائف اجنبية

تشرشل .. كان السبب !

● كان ونستون السياسى البريطانى الراحل هو السبب وراء تخصيص بيت لاستضافة زوار رئيس الولايات المتحدة الامريكية .. فقد كان ضيوف الرئيس قبل ذلك يقيمون فى البيت الابيض طوال فترة زيارتهم الرسمية .

والذى حدث بالضبط ان تشرشل ، وكان رئيسا للوزارة البريطانية ايام الحرب العالمية الثانية ، جاء الى واشنطون لاجراء محادثات عاجلة مع فرانكلين روزفلت رئيس امريكا فى ذلك الوقت .. واستمر الاجتماع حتى ساعة متاخرة بعد منتصف الليل .. ثم ذهب الجميع للنوم .. الرئيس الامريكى فى جناحه الخاص .. وتشرشل فى الغرفة المخصصة للضيوف فى الطابق الثانى .

وصحت اليانور زوجة رئيس امريكا من نومها كعادتها فى ساعة مبكرة من الصباح ،



فوجئت برئيس حكومة بريطانيا بملابس النوم ، وقد راح يذرع القاعة جيئة وذهابا ، وسيجاره الكبير بين شفتيه !

وصاحت اليانور : «ونستون ماذا دهاك .. ماذا تفعل فى هذا الوقت المبكر من الصباح؟»

وقال تشرشل : « لقد تذكرت شيئا ، فقمت من فراشى .. لابد ان اقابل فرانكلين الان !

ـ هذا مستحيل .. ان الرئيس نائم ، ولا يمكن ازعاجه الان. ارجوك ان تعود الى غرفتك !».

وعاد تشرشل . ومن يومها لم يعد الضيوف ينامون فى البيت الابيض مع الرئيس تحت سقف واحد ، لقد خصصوا مبنى « بليرهاوس » الذى يقع على الجانب الاخر من الشارع لاستضافة زوار رئيس امريكا.

احدث اسلوب للتخسيس !

● كانت مشكلته هى ان يعثر على العدد الكافى من العمال والعاملات الذين يحتاج اليهم ليبدأ عمله فى محل غسيل وكى الملابس ! ولم تفلح الاعلانات التى نشرها فى الصحف،فى ان تشد عاملاواحدا او عاملة الى محله رغم الاجور السخية التى وعد بصرفها لهم. واخيرا طرأت له فكرة .. ان عشرات من الفساتين التى ارسلتها صاحباتها للتنظيف ، تدل على انتمائهن جميعا الى حزب « اشجار الجميز » .

واسرع الى الصحيفة التى يعلن فيها وكتب هذه المرة يقول فى اعلانه : « مطلوب سيدات سمينات قويات ، يرغبن فى تخسيس انفسهن .. العمل شاق ، ولكن النتائج مضمونة والاجر سخى للغاية ! » .

ولم يكد يظهر الاعلان ،حتى فوجىء صاحب المحل بطابور طويل من النساء اللواتى يرغبن فى الالتحاق فى هذه الوظيفة الجديدة .. وكانت المفاجأة عندما اكتشف ان نصفهن على الاقل ، حملن اليه ثوابهن لتنظيفها منذ بضعة ايام ! »

من البرازيل :

رجع الذكرى

قلم : الدكتور شاكر مصطفى

عند أجفاني تحوم على الدوام ،كطيور الجنة ذكريات خمس سنوات من عمرى قضيتها فى أمريكا اللاتينية وبخاصة فى بلدين : أحدهما أسباني صميم والاخر برتغالي صميم • وقد وقفت فى مقال سابق عند كولومبيا ، فهل ترى يسمح لي بوقفة ذكرى عند البلد الاخر ؟ من حق الوفاء لسنوات عمرى تلك وللمئات العديدة من اصدقائى الأحباء هناك أن افعل•



سان باولو

قد تعرف ان امريكا اللاتينية هي « العالم الجديد » وانها عشرون بلدا لكل منها طعمه ولونه وتاريخه وخلائطه العرقية . وانها ماتشاء من الجنات والقسوة والوحش والروعة · على ان البرازيل منها بلد متميز ··

انها ارض الخشب الجمرى (1) والببغاوات ومزارع البن ، وكوخ الزنجية راقصة السامبا ورحاب الامازون ـ الاب ، والغاب الذى لا ينتهي عند افق ، وصحارى الجوع ، وملاعب الفاووشو ·· البرازيل هي « بلد الغد » كذلك رآها ستيفان تزفايغ وكذلك يراها كل من يعبر اليها المحيط · كل شيء في البرازيل يبرعم وينمو ويعد · ان ابرز ما فيها انها امكان ، وانها وعد عريض ·· ولا تسل عن الامس والماضي والتاريخ · انها بنت الامس القريب · خلاصة كل امرها كلمات :

الله خلقها ···

كابرال اكتشفها

الزنجي عمرها

البرتغالي منحها الكنيسة واللغة

و « الفرينغو » (٢) احتكر الاستثمار ! !

والصدفة هي التي رسمت الخطوط الاولى في تاريخ البرازيل الذى نعرف · البرازيليون مثلا لا يعترفون بكريستوف كولومب · الذى كشف الدنيا البرازيلية هو القبطان بدرو الفاريس كابرال ، آخر سنة من سنوات القرن الخامس عشر (٣) كان يحاول الوصول الى الهند نرض التوابل والجوهر عن غير طريق افريقية فوقع على الشاطىء البرازيلي · ولم يابه كثيرا له · كل ما فعله قداس ديني أعلن فيه امتلاك جزيرة (فيراكروس) ثم تابع الطريق الى الهند ·· ومنذ ذلك الوقت يبدأ التاريخ ! تاريخ البرازيل !

الصدفة الاخرى كانت حين امسك البابا الكسندر بورجيا (٤) سنة ١٤٩٣ بقلم رسم به خطا اعتباطيا طولانيا ما بين القطبين الشمالي والجنوبي ، على الخريطة غير الدقيقة امامه للارض الحديثة الاكتشاف وحدد التوسع المسموح به لكل من البرتغاليين والأسبان ··· ومنذ ذلك الوقت كان قدر البرازيل ان تكون برتغالية وقدر امريكا اللاتينية الباقية كلها ان تكون اسبانية !

لكن البرتغال ، البلاد ـ الام ، كانت اضأل كثيرا في المساحة واقل كثيرا في عدد البشر من ان تبتلع هذه القارة وتبتلع معها المستعمرات الاخرى التي انفتحت على مراكبها وسيوفها في افريقيا ايضا وفي جنوب بلاد العرب وفي الهند ، في وقت واحد !! لم تستطع البرتغال ان تمنحها مع السكان الاوائل ، اكثر من اللغة التي يصر البرازيليون على انها لغة البرازيل لا البرتغال !

وقلائل هم الذين يذكرون ان فرنسا ، بعد ذلك ، اخذت تزاحم البرتغال على استعمار البرازيل · وكانت تصر على اقامة « فرنسا القطب الجنوبي » مابين مصب نهر الامازون وخليج الريودى جانيرو · لكن البرتغاليين تكلبوا بالساحل كالسراطين · ولم يكن اندياحهم في البلاد صعبا · لم يجدوا امامهم ما وجد الاسبان في المكسيك والبيرو من دول منظمة حربية ولكن وجدوا الارض الفضاء التي ينتشر فيها شعب التوبى البدائي · الذى كان يكفي واحد من مثل كاراموروا(٥)

---

١ ـ معنى كلمة البرازيل (الخشب الوردى اللون) كأنه النار او الجمر · وقد اشتهرت بهذا الاسم لان البرتغاليين كانوا يأخذون هذا الخشب منها · وقد غطى هذا الاسم على الاسماء الدينية الاخرى التي منحت لتلك البلاد ·

٢ ـ لقب يطلق في أمريكا اللاتينية على ابناء الولايات المتحدة ·

٣ ـ كشف البرازيل سنة ١٤٩٩ ، وأمريكا سنة ١٤٩٢ ·

٤ ـ كانت له البابوية ما بين سنتي ١٤٩١ ـ ١٥٠٣ ويعرف بلقب الكسندر السادس ·

٥ ـ لقب اطلقه الهنود على الفاتح ، كان ديبغو الفارليس الذى كفاه وهو محاصر من الهنود ان يطلق طلقة نارية واحدة لكي يأتيه الهنود ساجدين للرب خالق النار (وهذا معنى الكلمة)

خالق النار لكي يصعقه دهشة ويكفي حصان عادي لان يذيبه رعبا ...

كان اهم ما فعله الفاتح البرتغالي هو التوغل في الارض الفضاء ووضع الحدود في الاعماق ، حيث خط المهر الحافر . ولم يستطع البرتغالي استئناس الهندي لتاهيل الارض والتعدين فاتى لهذه المهمة بالرقيق الزنوج . الزنجي هو الذي صنع البرازيل ، في ظل المزارع الكبيرة : (الفازندة) والبيت الكبير (كازاكراندة) . هو الذي زرع فيها قصب السكر والقطن والطباق وصنع السكر لاوروبا ونقب المناجم كهوفا من الظلام الخانق واستخرج الذهب والماس والاحجار الكريمة من مسيلة الانهر . وهو اخيرا الذي اعطى البرازيل معظم السكان المولودين(الخلاسين) والجذور الثقافية الاولى !

واذا كان التوازن في الخليطة الجنسية ما بين البرتغالي والهندي والزنجي هو الذي منح البرازيل سحنتها البرازيلية ، فان ثقافة الزنجي ـ وهي اسلامية في جذورها ـ قد اجتثت من الجذور . لم يبق منها الا الاهتمام العام بالثقافة الذي يلحظه المرء في ساحل باهيا حيث ظهر معظم الكتاب والخطباء والشعراء البرازيليون (بينما يسيطر على باقي البلاد الخمود الثقافي المطبق) والا الفولكلور الشعبي والمعتقدات الخرافية التي اضحت قوام الطابع الفني البرازيلي ، وجوهر التراث القصصي للاطفال هناك ...

« برازيلات » عدة لا واحدة !

وظلت البرازيل فراغا اوسع حتى اواسط القرن الماضي . تشبث الناس اولا بالساحل . وفي القرن السابع عشر تجاوزوا نهر سان فرانسيسكو (٦) ولم يأتلفوا مع سفوح جبال « الاند » في الغرب الا في اواخر القرن الماضي حين اخذت الهجرات تزحف الى البرازيل موجة بعد موجة تمطيها بعض التكاثر السكاني : واحدة المانية واخرى ايطالية وثالثة عربية ورابعة صينية وبين هذا وذلك يونان وارمن واسبان وانكليز وهولنديون ... اخر الهجرات هجرة اليابانيين المنظمة التي ترعاها اليابان ، والتي تمسك مزرعة الخضار البرازيلية .

الغريب بعد هذا ان تظل البرازيل الى الان طفلة الروح ،لا شخصية واحدة فيها ؟ وهل ننسى انها قارة من ٨٫٥ مليون كم ٢ تقرب من مساحة اوروبا وانها تسعون مليونا من الناس . وان التفاعل الحي الخلاق بين الارض البرازيلية ومن عليها لم يتعمق بعد ليتكون من غد الكروم النبيذ الحضاري العتيق ؟

ما تزال امشاجا من العروق والعادات والاقاليم والشجر والنهر والبركان والهجرة . خامات بجانب خامات من الارض والبشر . شلالها الوحشي لم يروض بعد ، وعروقها المعدنية ما تزال ترابا من التراب ، واهلها حتى الاقدمون ، ما تنفك تنبض فيهم روح الفاتح المستثمر ، او كبر الهندي البديء او اشجان الزنجي الاسير !

وهناك برازيلات اعداد لا برازيل واحدة : هناك برازيل الفاووشو على الخيل ـ في الجنوب وبرازيل الالمان في سانتا كاترينا ، وبرازيل الغابة في (ماتوغروسو) ، وبرازيل الزنجي (الكاندومبلية) (١٠) في (باهيا)، وبرازيل الجوع والفيافي الممزقة في الشمال ، وبرازيل الريودي جانيرو ، عروس عواصم الدنيا ، وبرازيل سان باولو الالة القاسية الضخمة ، وبرازيل الامازون والادغال الاستوائية والزورق المسكين والدابة المرخية الاذان والشجرة الشيطانية! .. وبرازيلات اخرى بين هذه وتلك وتلك ... انها حتى في الاسم الرسمي « الولايات المتحدة البرازيلية » ولاياتها الاحدى والعشرون . كل ولاية منها هي في شان... انها نموذج فريد من التباين المتحد او الاتحاد المتباين . وليس يرجع ذلك الى صدق التاريخ وتلاوينه ولكن دكتاتورية الجغرافية واستبدادها ايضا ....

الارض البرازيلية ، بعد خمسة قرون من الكشف ، ما تزال على روعة الخلق الاول . نصف البرازيل الغربي كله غاب متصل لا ارهب ولا ابعد . هو اكبر بحر من الشجر في الدنيا . لا الشجر الرومانتيكي ولكن العملاق الملتف المفترس

---

٦ ـ هو أحد انهار البرازيل الضخمة في الشمال الشرقي .

٧ ـ هي رقصة العبادة والسحر لدى زنوج البرازيل .

الذي اعطاه لدى الناس اسم «جهنم الخضراء» • انه ادغال مظلمة ، ساكتة حتى الفزع واليأس والجنون ، متلبدة بانواع من الشجر لم يخلق مثلها في البلاد جمة وتخترقها كالرصاص تارة بعد اخرى اصوات القردة العداءة ونعيق النسر الاسود والببغاء الامريكي والقطط الوحشية والفهود تلمع عيونها الحمراء بين الاغصان كالمار الجحيم ••• اما الصمت فاكثر رهبة • انه دنيا الافعى القماطة ، والاناكوندا ، حية الماء الضخمة ، والوطواط المصاص ، عفريت الخرافات والفراش العملاق ، والنمل الوحشي والحشرات سيدة الغاب •••

نهر الامازون

اما الامازون ـ الاب فيملك سعيدا ذلك الغاب كله • كالوريد المتشعب الرهيب يجري ، تهوى اليه عشرات الانهار الضخمة ، بعضها اسود كما لو كان ينبع من جبال الحبر ، وبعض في صفرة الرمال ، وبعض اخضر ازرق ،وبعض كاصفى ما يكون الماء • وتتحرك قوارب الشجر المحفور ، كما تدب (الفايولا) السفينة النهرية في العرض المائي الذي يجاوز العشرات من الكيلومترات••• اما اذا فاض فالويل للضفاف • في مثل هزيم الرعود والعصف تنهار غابات كاملة وتطوي بوحشها وارضها فيه • او تسير معه جزيرة طافية باشجارها عليها القردة والطيور لدى حيث •••

والامازون فراغ سكاني رهيب • الرحالة والمبشر وطريد المجتمع والباحث عن ارض الذهب (الدورادو) هم وحدهم الذين اغراهم النهر الاب والغابة التي تحتضن ، فلم يجدوا هناك سوى المطر والافعى والحشرة والحر القاتل ••• واسنان السمك القزم المفترس (٨) ! وفي مطلع القرن الحالي ، حين صار حوض الامازون ارض المطاط الشيطانية ، صار ايضا ارض الموت الاخضر ••• جزيرة (ماراباتا) عند (مناوس) على مدخل نهر نغرو (النهر الاسود) كانت تسمى (مجزر النفوس) • الداخلون الى الغابة كانوا يودعون هناك ضمائرهم وانانيتهم ويتحولون بعدها الى وحوش •••

وتنتقل الى شرقي البلاد فاذا التنوع الغريب••

الشمال الشرقي ، برازيل الرقيق والسكر القديمة ، فضاء يرى هو تارة الصحراء بكل ملامحها وجفافها القاتل وتارة للكاتنغا (الاشجار القزمة) والعشب والنخيل (٩) ••• وللنزوح البشري ايضا ! النورديستينو (١٠) زاحف دوما الى الجنوب • انه في (سبيرا) ! و (سرتون)فقير ، فقير حتى الجوع ،ايام الجفاف ، مهووس التعصب والعصاة ، في عرفه ابطال شعبيون • اليس (لامبيون او البرق) قاطع الطريق بطلا هناك ؟

ان تحركت نحو الجنوب قليلا الى (باهيا) فاجاتك دنيا اخرى كانما قطعة من افريقية قد هربت فالتصقت هناك • اللون الزنجي ، على درجاته ، هو السيد في باهيا ، هذه المدينة التي يتجمع فيها كل تاريخ البرازيل وتمتد حولها غابات الكاكاو وتخطر في ممراتها وفي سوقها الواطيء المرأة ـ الزرزو (١١) ريا القرفة والقرنفل « كما تنتعش عبادات الجن والارواح •••

وتمشي جنوبا الى ارض المعادن والمزارع الجبلية (ميناس جيرايس) • قراها المرتفعة مزارع منظمة تهرب تحتها الاصداء في الوديان العميقة ،واعطاف الجبال ومسائل الانهر مناجم للذهب والماس والحديد والمنغنيز والميكا والاحجار نصف الكريمة • اما

---

٨ ـ نوع من السمك الصغير (بطول ٢ ـ ٣ سم) يهاجم الجثث بعشرات الالوف مرة واحدة فيغادرها عظاما بعد دقائق

٩ ـ في مناطق النخيل هذه (بالميراس Palmeiras قامت اول جمهورية زنجية مسلمة في امريكا من العبيد الابقين ، في اواسط القرن السابع عشر •

١٠ ـ هو ساكن الشمال الشرقي ومنطقة السرتون Sertao

١١ ـ اسم مينا (Mina ، او Mynah) يعطى في البرازيل للمرأة السودانية وتعني الكلمة الاصل طائر الزرزور الاسود الرشيق • واما ريا القرنفل والقرفة (الدرصين) فمن عنوان رواية للروائي البرازيلي جورج امادو عن خلاسية من باهيا اسمها غابرييلا ، ريا القرنفل والقرفة

لسكان (المينيروس) فحياة محافظة جادة ، وانتاج يمسك عجلة البرازيل ...

ان مضيت جنوبا بعد ذلك فانتبه ! انك الآن في ميناء الفردوس ، وعند اجمل مدن الارض بحرا ووديانا وخلجانا وجبالا غابية ومتعة . انك في « الريودي جانيرو » ، القصيدة الالهية الفاتنة . تمثال السيد المسيح يطل عليها بارتفاع ٤٠ مترا فوق قمة كوركوفادو (الاحدب) باسط اليدين يتامل . ولكن الكاريوكا (١٢) لايدعونه يبعث الشجن في نفوسهم فتحت اقدامه غابات (تيجوكا) او (الترادايوافيستا) للراحة والمتعة وعن بعد تزلق العين من مرتفعات (اكايولكو) ومن جبل السكر لتغرق في الغابات قبل الغرق في البيوت ثم زرقة البحر وتتضيع في الخليج الهلالي الاوسع (كوباكابانا) الذي : « حف من انجم الثرى بنطاق » ، حتى تحسب ان جنبات الماء فيه :

يمرن والموج في جرار من النشـو
ر ساقلنها على الاعناق (١٣)

وبين هذا وذاك تلعب الغابة السوداء والبحر اللازوردي والشوارع والابنية والكعوب الراقصة الرشيقة لعبة العناق والتداخل ... ويلهو الناس ما شاء اللهو . انها المدينة الابيقورية بامتياز ، هذه المدينة الوثنية الروح التي تعبد اللذة والمباهج وتدعي ان الله برازيلي لانه يحميها دوما ولانه طيب رحيم ! ورغم الفقر الساحق وكثرة الشحاذين الذين حول حاكم المدينة (لاسردا) ذات يوم ان يطهر وجه المدينة السياحي منهم باغراقهم في البحر . ورغم احياء التنك (الفافلا) التي تنتشر على سفوح المدينة كالجدري الاسود تضج بالزحام والبؤس ، رغم كل اولئك فان للريو كل سنة ثلاثة ايام بلياليها من اللهو المجنون . في اواخر شباط (فبراير) يجب ان تكون هناك لتحضر الكرنفال ، لترى المدينة كلها ترقص (السامبا) و (المرشا) و (الفريفو) وتغني الاغاني المرحة التي يؤلفها لها سكان (الفافلا) المعدمون ، وتسير في الشوارع مواكب صاخبة لا تنقطع . الزنجية تعمل سنتها بكاملها لتشتري ثوب الكرنفال .. وتعيش ايامه الثلاثة خارج الزمن ...

قلبها الحديدي النابض

ولم تفقد الريو شيئا بانتقال مقر الحكم الرسمي منها الى برازيليا ، مدينة الخطوط الهندسية العملاقة والابعاد الواسعة التي نبتت غريبة وحيدة في اعماق البر البرازيلي وفضائه الارحب . بقيت الريو هي عاصمة الحياة الكاملة الرخية في نظر البرازيليين . اما الزهرة الحجرية ـ الفولاذية المبتكرة الخطوط فلها الله ، وان تنتظر ...

ولا تغادر الريو الى الجنوب ، مرة اخرى الا اذا اردت ان ترى القلب الحديدي النابض للبرازيل : مدينة سان باولو . انها تلال من المصانع والابنية والمداخن والاحياء والشوارع يتكوم فيها عشر سكان البرازيل كلها ، في مسطح متموج من الارض يزيد قطره على ١٢٠ كيلومترا . (الباوليستا) جعلوا مدينتهم التي كانت لثمن من قبل مدينة كوزموبوليت بدون لون . مدينة للمال وللمصنع وتركض اللقمة وللجشع القاتل . في وجهها كل ديناميكية البرازيل وكل رجال اعمالها . التمثال الضخم العظيم فيها لمن يسمونهم بالرواد (الباندريانتة) (١٤) يمثل طموحها وغرورها .

انها القاطرة التي تجر القطار البرازيلي كله وتعرف ذلك وتتعامل مع البلاد كلها على انها كذلك وعلى انها صاحبة القوة المحركة ... والزعيق ! وحلم الباوليستا هو الثروة السريعة السريعة . واذا كان الحيتان الكبار يحصلون عليها دوما ولو عن طريق الاحتيال الذي يعتبر هناك ذكاء ومهارة ،

---

(١٢) ـ الكاريوكا هو الاسم الذي يطلق في البرازيل على سكان الريو .

(١٣) ـ البيت للشاعر المهجري شفيق المعلوف من قصيدة .

(١٤) كلمة (باندرينته) (bandeirante) ترجمتها الحرفية حملة الاعلام ويعنون بهم رجال الحدود ، هم مجموعة الرواد والمغامرين الذين توغلوا في الارض البرازيلية ، وثبتوا حدود البرازيل الغربية حاليا ، ويعتبر (الباوليستا) وهم سكان مدينة ساوباولو ، ان الباندرنته كانوا منهم .

فان المعدمين ذوى الافلاس المزمن ، وهم ملايين ، يحلمون بالثروة المفاجئة عن طريق الحظ الذى يؤمن به الجميع · المقامرة هى الطريق · وينتظر كل واحد منهم أن يربح (البريميو) فى اليانصيب او فى لعبة البرغوث (البيشو) ـ رغم مكافحة السلطة لها ـ أو فى سباق الخيل الذى لا ضرورة لمزحام الشديد على ميدانه المكتظ فكل بار ، وكل دكان يقوم بمهمة الرهان ·· والبركة فى الاذاعة التى تعلن النتائج !

ولكى تصل من سان باولو الى اقصى جنوب البرازيل عليك أن تعبر بسانتا كاتارينا ، المقاطعة الالمانية الشقراء·حتى سجلات بلديتها كانت تكتب بالالمانية وحتى الزنج فيها لا يتكلمون البرتغالية ولكن لغة غوته وفختة ·· انها برازيل الالمان الذين لم يصلوا بعد الى وادى نهر البارانا الاعظم فى الغرب · لم يذللوا الغاب هناك ولا جبروت شلال (ايغواسو) المندفع خمسة كيلو مترات من الماء الهاوى ·· مسكينة نياغارا أمامه · « بلعوم الشيطان » فى وسطه بئر هائلة من الرعب والدوار والماء الابيض ، يهوى تسعين مترا ، صخرا على صخر ، ليثير ألف قوس قزح ! ···

أما اقصى الجنوب ، ارض النهر الكبير الجنوبى (ريو غراندة دوسول) فمسطح لا نهائى المدى والاستواء · عالم من الخضرة بلا وجهة ولا علامات ولا أبعاد · انها « البامبا » : عشب وسماء ثم عشب وسماء حتى لتحسب أن الله مسح من الكون كل شىء غير العشب والسماء ! السادة الاولون الذين نزلوها كانوا يسمون«سادة الارض الفضاء» Senores de mada ·وحصانهم الذى اطلقوه فى الارض سرعان ما أضحى قطعانا من الحصان الوحشى وزاحم اللاما البرية (الجواناكو) تماما كما زاحمتها قطعان البقر التى تكاثرت وتكاثرتفلا اصحابها يحيطون بالالاف المؤلفة من اعدادها ولا الادغال التى تنطلق فيهاتعرف الابعاد ···

من أصل عربى ؟

وهكذا ركب السكان هناك الخيل · اصبحت حياتهم كلها على ظهورها وعلى السنابك · وشيئا فشيئا صاروا معها قطعة واحدة · وظهر بذلك نموذج (الغاووشو) (١٥) الراعى الخيال الذى يميز الجنوب والذى اضحى (وان كان الآن فى طريق الاضمحلال) جزءا من قصص الناس ومن اساطير الصغار·فرسان«الغاووشو» هم رجال العراء والارض الفضاء هناك ·رعاة البقر الذين يبدون وكأنهم شعب من السنتور (١٦) فدنسى المشى على الاقدام ···

اما اذا دققت ملامحهم السمراء الجديدة وعيون الصقور التى يحملون وعرفت كرمهم الحاتمى ، وحسهم المرهفوصمتهم المتكبروقيم الشرفوالمروءة وعادات الثأر لديهم ، وشدة الحذر والحنق على القيود واحتقار المدينة ، وشاركت فى حلقاتهم المسائية حول نار الشواء ، يشربون الماته(١٧)فى كؤوسها الخشبية الشبيهة بالنراجيل الصغيرة ويستعيدون ذكريات الغزو والقتال القديم فيما بينهم ··· فهل تراه يداخلك الريب فى أصلهم العربى ؟

انى لم اقصد من هذا لا الى التاريخ ولا الى الجغرافيا ولا الى الدراسة الاجتماعية ـ الانسانية وانما هو رجع الذكرى ··· فهل وفيت حق الذكرى؟ أعرف انى لم افعل !

ليس كل الذى تسطر فى قلبى هذا الذى تخط يمينى ·

■■

الدكتور شاكر مصطفى

---

١٥ ـ يسمونه ايضا المارافاتو وقد حار البرازيليون فى اصل هذه الكلمة وبعضهم ينسبها الى بلدة فى البرتغال واخرون الى بلدة فى مصر · والارجح انها آتيه من كلمة مراكش ، لا سيما وان هناك دراسات تكشف ان اجداد هذه الجماعات التى تنزلختلك الارض قد اتوا عبر الجزر الخالدات من المغرب

١٦ ـ السنتور كائن خرافى كان اليونان يزعمون أن نصفه حصان ونصفه الاعلى بشر ·

١٧ ـ اوراق نبات كالشاى تغلى مثله وتشرب ·وقد اضحى هذا الشراب معروفا فى المشرق العربى ايضا عن طريق المغتربين العرب والدعاية التجارية·

حل مسابقة العدد ٢٣٧

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ا	ل	ج	ى	ن	ا	ت	■	ب	ا	ر	و	م	ت	ر
٢	ل	ى	ب	ا	ن	ت	و	(٨)	ا	ر	ا	د	■	ج	و
٣	ق	ف	ر	■	و	■	ل	ا	ر	و	س	■	ا	و	ج
٤	ر	ر	■	م	ى	ر	ا	ب	و	■	ى	م	ل	ى	■
٥	ن	ب	و	غ	■	م	ه	ن	د	س	■	ن	ه	د	ا
٦	ى	و	■	ا	ح	ض	■	ا	■	ى	ف	ج	ر	■	ل
٧	ه	ل	ا	ل	■	ا	ص	ل	ا	ل	ا	ن	و	ا	ع
٨	■	■	(٨)	ا	ب	ن	ا	ب	ى	ا	ص	ى	ب	ع	ه
٩	ا	ل	ب	ه	و	■	ف	ى	■	ن	و	ق	■	ا	و
١٠	ل	ى	ل	■	خ	ر	ى	ط	ه	■	ل	■	ق	ص	د
١١	ب	ل	و	د	ا	ن	■	ا	ل	ا	ى	ا	د	ى	■
١٢	ى	■	ر	ر	ر	■	ب	ر	س	ب	ا	ى	■	ر	ق
١٣	ا	س	■	ا	س	ى	ا	■	ن	ن	■	ل	ا	■	د
١٤	ت	ب	ك	ى	ت	■	ب	■	ك	و	ل	و	م	ب	و
١٥	ى	ا	ب	ه	■	ا	ل	■	ى	س	ت	ل	ه	م	ه

ابن أبي أصيبعة

ابن البيطار

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : ابن أبي أصيبعة ، ولد في دمشق ، وتعلم الطب على أبيه ثم في المارستان الناصرى بالقاهرة • له كتاب « عيون الانباء في طبقات الاطباء » ذكر فيه مشاهير الاطباء مع اقوالهم ونوادرهم •

(٨) رأسيا ابن البيطار،ولد في مالقة،وجاب شمال افريقيا لدراسة النبات ، وصار رئيس العشابين في مصر ، وتوفى بدمشق • له كتاب « الجامع لمفردات الادوية والاغذية » •

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى ثلاثون دينارا ـ الهادى بن منصورعبد الملك ـ صفاقس / تونس

الجائزة الثانية عشرون دينارا ـ محمد عزت عبدالحافظ المطرى ـ السلامية / نجع حمادى / مصر

الجائزة الثالثة عشرون دينارا ـ عز الدين بشرىمحمد خير ـ كلية الهندسة / جامعة الخرطوم / السودان

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **وفاء محمد أحمد العيسى** ـ القادسية/الكويت

٢ ـ **أحمد عبد الفتاح حسن قاسم** ـ حى الامير حسن / عمان / الاردن

٣ ـ **محمد يونس طرقجي** ـ حلب / سوريا

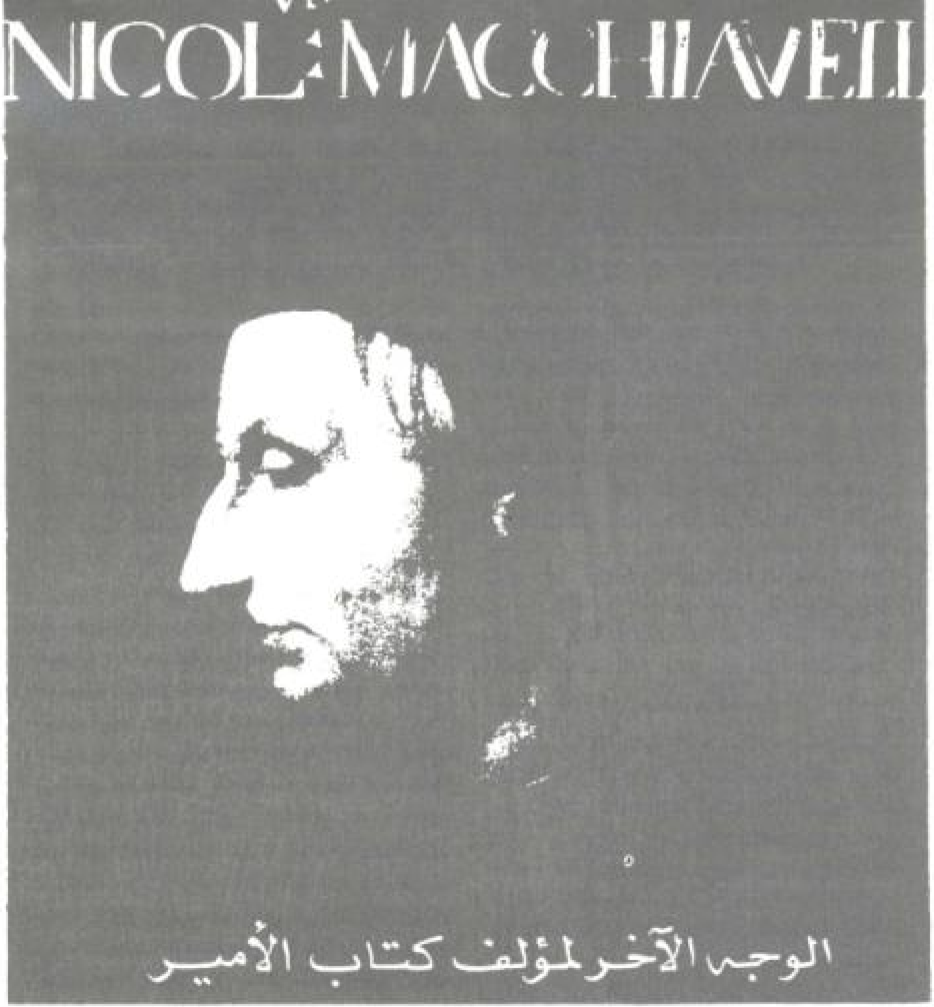
٤ ـ **أحمد نجم اسماعيل** ـ بنغازى / ليبيا

٥ ـ **لطيفةابراهيم سعد الشيعان**ـ المحرق/البحرين

٦ ـ **فريال محمد جلال الدين** ـ الخبر / السعودية

٧ ـ **نوار محمد حسن** ـ الكاظمية / بغداد/العراق

٨ ـ **عبد العزيز محمود صالح** ـ كانو / نيجيريا



ماكيافلي

مسرحياً ساخراً

بقلم : علي أدهم

يعد الكاتب السياسي الايطالي الفلورنسي نيقولا ماكيافلي (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧م) في طليعة المفكرين السياسيين ، العالمين ، وقد كان عبقريا متعدد الجوانب ، واسع الخبرة ، نافذ النظرة ، وهو من جهابذة الادب الايطالي ، وأصحاب الاساليب الممتازة، والآثار الادبية القيمة الخالدة .

وحياة ماكيافلي يمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام. القسم الاول يبدأ من تاريخ ميلاده الى سنة ١٤٩٤ التي التحق فيها بخدمة الجمهورية الفلورنسية التي تكونت بعد سقوط أسرة المدتشي التي كانت مسيطرة على الحكم في فلورنسا . وقد امتدت خدمته في حكومة الجمهورية حتى ١٥١٢ وهي السنة التي قمعت فيها الحكومة الجمهورية ، وعادت أسرة المدتشي الى الحكم . وانتهى معها القسم الثاني من حياة ماكيافلي . وبدأ القسم الثالث الذي انتهى بوفاته . وقد أقالته من وظيفته أسرة المدتشي . وكانت ناقمة عليه لاشتراكه في الحكم الجمهوري . ولنزعته الجمهورية المتأصلة ، وقد أظهر ماكيافلي في المدة التي قضاها في خدمة الجمهورية براعة ملحوظة . وكفاية نادرة ، وبذل جهودا جبارة مضنية لتوطيد الجمهورية ومعالجة مشكلاتها المستعصية التي تكاثرت في عصره الذي اشتد فيه الخلاف بين العقائد المتناظرة والقوى المتصارعة ، وحفل بالدسائس الهدامة ، والمؤامرات الدامية . وقد اكتسب ماكيافلي في خلال ذلك خبرة عريضة . وتعرض لتجارب قاسية ولكنها نافعة وحية . واحتك بأكثر رجال عصره البارزين من الملوك والوزراء والقادة والزعماء . وتعرف مواقفهم . وسلوكهم . ووقف على الكثير من خفايا نياتهم واسرار حياتهم . وقدر الزعماء الجمهوريون خبرته في العلاقات بين الحكومة الجمهورية والحكومات في داخل شبه الجزيرة الايطالية وفي خارجها . وقد أوفد رسولا الى ملك فرنسا أربع مرات ،وارسل الى شيزار بورجيا سنة ١٥٠٢ واتصل بالبابا يوليوس الثاني في روما . كما أوفد الى بلاط الامبراطور ماكسمليان . ولم يكن نظام السفارات الدائمة قد أنشىء . وقد مكنته قوة ملاحظته وعمق تفكيره وسعة ثقافته من تفهم التيارات السياسية والاتجاهات الدبلوماسية .

اتهام بالتآمر

ولم تكتف حكومة أسرة المدتشي بفصله من عمله بل وجهت اليه كذلك تهمة الاشتراك في مؤامرة لتقويض سلطتها . وتدمير مكانتها . وقدم للمحاكمة وأعتقل . وتلقى صنوفا من التعذيب حسب ما كان متبعا في عصره . وأفرج عنه بعد أن ثبتت براءته مما نسب اليه . ولم يجد مندوحة عن مغادرة فلورنسا الى منزله الريفي المتواضع في سان كاسيشيانو القريبة من فلورنسا .

ولم يكن ماكيافلي بحكم مزاجه وتكوين طبيعته من الذين خلقوا ليكونوا شهداء لافكارهم مثل معاصره سافوناولا الذي آثر الموت على الارتداد عن أفكاره واتجاهاته . وكان ماكيافلي يشعر بالالم والضيق لفقدانه السلطة والابتعاد عن متابعة الخدمة الوظيفية . وحاول التقرب من الاسرة المدتشية . ولكنه لم يوفق في ذلك فاضطر الى أن يفرغ للتاليف . وفي هذه المرحلة الثالثة من مراحل حياته كتب المؤلفات التي أذاعت شهرته سواء في السياسة والتاريخ والادب . ووجد من تجاربه وخبراته السياسية والدبلوماسية والاجتماعية ذخيرة ثمينة أحسن الانتفاع بها واستخلاص الحكمة من ثناياها . وكان عقله الناشط يجعله متلهفا على العودة الى خدمة الدولة عن طريق حكومة المدتشي . وقد اهدى كتابه الذي ثار حوله الجدل العنيف والذي أسماه « الامير » الى لورنزو المدتشي . ولكن هذا الامير لم يحفل به . ولم يعن بالاطلاع عليه . وانتابه الالم وأطبقت عليه الشجون حينما أخفقت مساعيه في التقرب من الاسرة الحاكمة وقرر الانقطاع للتاليف لتهدأ نفسه . وينعم باله .

ومن عجائب المصادفات ان كتاب « الامير » الذي ذاعت شهرته لم يكن معروفا في حياة ماكيافلي ، ولم يطبع الا بعد موته بخمسة اعوام . ويقول المؤرخ ارسكين موير في كتابه القيم عن ماكيافلي « لو ان ايطاليا في مطالع القرن السادس عشر سئل عن ماكيافلي لاجاب : تقصد مؤلف « ماندرا جولا » لان معاصريه كانوا يعرفونه بوصفه مؤلف

هذه المسرحية الفكاهية . وقد كتب ماكيافللي غيرها من المسرحيات ولكنها كانت خير ما كتب من المسرحيات،وقد امتدحها وقدرها كتابونقاد مختلفو النزعات . واعلن فولتير انها خير مما كتبه ارسطو فانيز،وقالعنهاماكولي المؤرخ الناقد البريطاني « انها عمل رجل لو انه وقف نفسه على التاليف الدرامي لارتفع فيه الى اسمى الدرجات ولاحدث تاثيرا باقيا حسنا في الذوق العام » .

وقد كتبها ماكيافللي وهو يعاني ألم اخفاقه في التقرب من اسرة المدتشي ، وفقده الامل في استرضاء لورنزو المدتشي باهداء كتاب الامير اليه وتصديره باسمه . ومهما ما يكن من الامر فان هذه المسرحية تعد في طليعة المسرحيات الفكاهية في الادب الايطالي الى اليوم .

« ماندرا جولا »

وتدور مسرحيةماندراجولا حولقصةتاجر فلورنسي ميسور الحال اسمه نيشياس ، تزوج زواجا سعيدا بفتاة حسناء طيبة النفس وديعةالاخلاق غير موفورة الذكاء وكان كلاهما يتلهف على الانجاب ، وقد كدر عليهما صفو الحياة تعذر ذلك .

وكان يعيش في باريس شاب مرح في الثلاثين من عمره اسمه كاليماكو ، وقد نشا في فلورنسا ولكنه قضى عشرين سنة من حياته في باريس ، وبلغته الاخبار عنزواج نيشياسكالفوكشيوزوجته الحسناء الفاتنة واستقامة اخلاقها. فاشتاق الى رؤيتها ، وبادر الى الحضور لفلورنسا ، وسرعان ما وقع في شباك حبها ، وكان اسمها لوكريزيا ، وما عرف عنها من العفاف وحسن السمعة جعله يركز امله على سذاجة زوجها وشدة حرصهما على الانجاب ، وكان هناك المدعو ليجوريو ، وهو رجل متمرس في الضلال وطلب المال ، وكان يغشى منزل كالفوكشي من الحين الى الحين ، فوعده باعطائه مبلغا من المال اذا شارك في هذه المؤامرة. كان السيد نيشياس يحمل لقب دكتور وله ثقة كبيرة بنفسه . وقد اجاد ماكيافللي في تصوير شخصيته فيمسرحيته،وجعله هدفا لسخريتهالبارعة وحاول ليجوريو أن يقنع نيشياس بان يعمل بنصيحة الاطباء ، وياخذ زوجته الى الحمامات ، وبذلك يتيح الفرصةلكاليماكو للاجتماعبلوكريزيا والحديث معها . ولكن السيدنيشياس برغمحرصهعلىالانجاب يرى في الابتعاد عن منزله مغامرة كبرى ، ويقول له ليجوريو لقد تعودت النظر الى القبة القريبة من دارك .. فيقول له نيشياس « انك مخطىء في ذلك . لقد كنت كثير التجوال في شبابي ولم اقصر في الذهاب الى السوق . وليس هناك مكان محاط بالاسوار على مقربة من فلورنسا لم اذهب اليه . ولقد زرت بيزا وليجورن وهل رأيت البحر؟ انه اكبر من نهر الارنو » .

ويستقر الرأى على ان يطلب ليجوريو نصيحة الاطباء، وأن يعملنيشياس على اقناعزوجته بالقيام بالرحلة .

وفي الفصل الثالثيستفسر كاليماكو من ليجوريو باهتمام شديد عما تم ، ويجيبه ليجوريو ان ان كاليفوكشي سيذهب الى الحمامات ، ولكنه يخشى ان يكون هذا ليس فيه فائدة كبيرة للمحب . ويقول له كاليماكو « اخشى ان تكون على صواب في هذا القول . ولكن ماذا افعل ؟ ، وأى طريق اسلك ؟ لا بد من المحاولة ولو كانتعظيمة وخطيرة وضارة . والموت خير لي مما اعانيه . ولو انى كنت استطيع النوم ليلا او تناول الطعام او الحديث او ان اجد السرور في اى عمل اباشره لاستعنت بالصبر ، وسايرت الزمن . ولكن ليس هناك سبيل للشفاء ان لم أجد ما يبعث على الامل . ولما كنت ارى انه لابد له من الموت فانا لا أحجم عن شيء ، ولا أخشى شيئا ، وانى على تمام الاهبة لأتحول الى انسان له قوة الوحش وضراوته ولا أعف عن ارتكاب الكبائر » .

ويقول له ليجوريو انه قد خطرت له فكرةمجدية، ويعرض عليه انه سيقدمه لنيشياس بوصفه طبيبا ، ويوافق كاليماكو على ذلك . وحينما يقدمه ليجوريو لنيشياس يقول لهانه طبيب ،وانه قد اهتدى الى دواء يمكن زوجته من أن تنجب له طفلا . ولكن الرجل الذى يقترب منها بعد ان تتناول هذا الدواء يقضي نحبه في مدى ثمانية ايام ، ويسر نيشياس حين يسمع عن هذا الدواء ولكن حينما يذكر له عواقبهالخطيرة يتكدر خاطره، ويتردد في الامر ، ويهون عليه ذلك كاليماكو بان يقول له انه يعرف شابا مغامرا جعله حب المخاطرة لايتردد في الاقدام على اى عمل . و يوافق نيشياس على ذلك . ولكن هناك مشكلة اخرى ، وهياقناع

لوكريزيا بقبول هذا العلاج . فهي صالحة وعفة ، مبرأة من المكر والدهاء . واقتناع والدتها بصواب هذا العلاج قد لا يحملها على الموافقة . وهي لا تريد ان تكون سببا في وفاة شاب فيمقتبل العمر. وقد ادى تمنعها الى الاستعانة بالراهب تيموتيو الذي كانت تفضي اليه لوكريزيا باعترافاتها . ويوفق الراهب في ازالة شكوكها . وفعالية ترددها في نظير مبلغ من المال . وتؤكد لها والدتها انه ليس هناك اية خطيئة في هذه المسالة . وما دام الراهب تيموتيو قد قرر ذلك فان عليها ان تكون مطمئنة البال .

يقول الراهب بعد ان ظفر بنصيبه من المال . لقد امضيتساعتين في مراجعةكتبي ووجدت بها الكثير مما يؤيد وجهة نظرنا . وما دام هناك خير مؤكد وشر يشك في حدوثه فانعلينا ان نغتنم الفرصة حتى لا نفقد الخير خشية من وقوع الشر. ويقول الراهب للزوجة « انك ستلدين طفلا ، وتفوزين بنفس تتجه الى الله . والذي يوجد الخطيئة هو النية لا العمل .وانت ترتكبين الخطيئة اذا رفضت طاعة زوجك ولم تلبي رغبته . واذا وافقت فانك تدخلين السرور على نفسه » .

وحينما يخلو الراهب بنفسه ويفكر فيما اقدم عليه يقول لنفسه « ان النصيحة السيئة قد تقود الى المشنقة . وقد يدفعنا حرصنا على ارضاء الناس الى ارتكاب الخطا . وقد ياتي الخير من الشر . واني أعلم أني لم اقصد الاساءة الى أي انسان » .

ويظهر ماكيافللي كاليماكو في حوار مع نفسه يقول فيه « انك لمجنون . وستعلم ان اوهامك ستتبدد وتزول . ويتبعسرورك الندم . ولكن ما هو اسوأ ما يمكن ان اصل اليه ؟ اني اذا مت فساذهب الى الجحيم . ولكن الكثير من الظرفاء المحبوبين قد ماتو ودخلوا النار لتورطهم في الخطيئة ، واذا مت فاني سالحق بهم . ولكن ما دامالكثير من الظرفاء قد ماتوا ودخلوا النار فلماذا أخشى دخولها ؟ » .

وقد كتب ماكيافللي مسرحيته ماندراجولا ليرفه عن نفسه . وقال في مقدمتها « اذا كانت هذه القصة غير جديرة لتفاهتها بان تكون من تاليف منيريد ان يظهر بمظهر العاقل الذي يلتزم الجدية فالتمسوا له العذر فهو يحاول ان يحول الشر الذي حل به الى سرور . ولا يستطيعان يتجه بوجههالى اتجاه اخر مادامللم تتح له الفرصة لاظهار مواهبه. وما دامت اعماله لم يقدرها احد » .

وقد مثلت هذه المسرحية بفلورنسا . وقوبلت بحماسة شديدة حتى بلغت شهرتها روما . وطبعت في فلورنسا واعيد طبعها فيروما . وذاعتشهرتها في جميع انحاء ايطاليا .

اجتماع رؤساء الشياطين

وكتب ماكيافللي مسرحية اخرى وهي مسرحية كليزيا . وهي اقل أصالة من مسرحية ماندرا جولا وقد استمدها من رواية كاسينا التي الفها بلوتاس وهي تدور حول آب وابن يقعان في غرام الفتاة كليزيا . وقد نشأت الفتاة في منزل الاسرة كانها احدى بناتها . وأراد الاب نيكوما ان يتخذها زوجة لخادمه بيرو . وحاول ابنه كاليندرو ان تكون زوجة لتابعه استاشيو وتساعده في ذلك والدته التي لحظت التغير الذي طرأ على زوجها وعرفت سببه . ويحدث خلاف بين الزوجة التي ترى أن زواج الخادمة من تابع ابنها أصلح لها لان خادم الابن يعرف عمله . ويقوم به خير قيام ، وله رصيد من المال . في حين ان بيرو خادم زوجها يقضي اوقاته في الحانات وعلى موائد القمار ، ويكاد يموت من الجوع . واخفاق الاب في سعيه يرد له عقله . وتقول له زوجته « اني لم أحاول ان أجعلك موضوعا للسخرية . وانما أنت الذي حاولت أن تجعل ابنك موضوعا لها فحدث عكس ما قدرت . وكيف فكرت في أن تتزوج من فتاة خادمة نشأت في منزلك بعد أن يتم عقد قرانها على خادم ؟ أتحسب أنك تعيش بين قوم لا يبصرون ولا يعملون على ابطال مساعيك غير اللائقة ؟ نعم لقد اشتركت في مقاومة أهدافك . ولم يكن هناك سبيل آخر ليعيدك الى صوابك » .

وقد كتب ماكيافللي روايات أخرى تقترب من ماندراجولا وكيلزيا تجلت فيها قدرته على وصف المواقف الفكاهية الساخرة ، وتصوير الشخصيات التي تنم على أحوال عصره واتجاهاته ومستواه الاخلاقي والثقافي .

وفي طليعة القصص التي كتبها قصة « زواج

رئيس الشياطين بلفاجور - ويروى فيها أن رجلا صالحا تقيا بينما كان يؤدي الصلاة تبدت له رؤيا شاهد فيها عددا من الارواح هابطة الى الجحيم . وكان أكثر هذه الارواح تشكو ما أصابها من الزوجات وأدهش ذلك الشياطين ، فعقدوا جلسة جمعت طائفة من رؤسائهم لبحث هذا الموضوع ، واتخاذ الاجراء المناسب . وقال زعيمهم انه من الحزم الرجوع الى القوانين واستماع اراء الاخرين، ولقد اعتزمت أن استرشد برأيكم وأن أعمل بنصيحتكم . ولا تزال الارواح الوافدة على الجحيم يعزو أصحابها سبب ذلك الى زوجاتهم ، وأخشى أن ينسب الينا جانب من هذا الاتهام ، ويؤخذ علينا عدم الاهتمام بالعدالة • وقدر امراء الشياطين أهمية الموقف ، واتفقت اراؤهم على أن يرسلوا أحدهم في صورة بشر الى الدنيا ليرى حقيقة هذا الاتهام ، ولم يكن أحد منهم راغبا في الاضطلاع بهذه المهمة ، وترك الامر للمصادفة ، وكان القيام بهذه المهمة من نصيب كبير الشياطين بلفاجور ، وبرغم أنه لم يشعر بالارتياح لتوليه القيام بهذا الاختبار فقد تأهب لاحتمال التبعة ، واقسم أنه سيتبع الارشادات التي أجمع على اتباعها مجلس الشياطين •

رحلة الى الارض

وقبل أن يترك الجحيم أصر على أن يزود بمائة ألف ورقة (نوع من العملة القديمة) لينفق منها على حياته الزوجية في الارض ، وخرج محفوفا بحشد من الشياطين بوصفهم خدما وأتباعا له .

ودخل فلورنسا في احتفال ضخم ، وتسمى باسم دون رودريجو ، واتخذ له منزلا فخما في حي القديسين ، وظهوره بمظهر الثرى الميسور الحال جعل الكثيرين من أشراف المدينة وأثريائها يتقربون منه ، ويخطبون وده ، أملين أن يتخذ له زوجة من احدى بناتهم ، وتزوج الفتاة هونستا دوناتي ، واقام بمناسبة زواجه حفلا غاية في الروعة والجلال، وهبوطه من الجحيم جعله عرضة للاهواء البشرية والميل الى الظهور في المظاهر الاخاذة وكثرة الانفاق في هذا السبيل •

واحب زوجته حبا عارما ، ومن سوء حظه أنها كانت ميالة الى حب المظاهر وكثرة الانفاق ، وكانت لا تتورع عن السخرية به ورميه بأقبح الصفات اذا لم يستجب لطلباتها . وتزايد غرورها واسرافها حتى أصبحت غير محتملة ، ولم يطق الخدم البقاء في خدمتها . وحتى الشياطين الذين صحبوه في خروجه من الجحيم هجروه وآثروا العودة الى النار على البقاء في الارض هربا من خدمة هذه السيدة الوقحة . وتمادت في الانفاق حتى اضطر الى الاستدانة من المصارف لبرضى أهواءها • وتكاثر عليه الدائنون حتى رأى الاعتصام بالاقامة مع المزارع ماتيو ليخبئه عنده في أكوام من القش تحجبه عن عيون الدائنين . ووعده بلفاجور بأنه سيمنحه القدرة على طرد الشياطين عن النساء تقديرا لجميله • وان هذه القدرة ستدر عليه مالا كثيرا . وعلم ان فتاة في ناحية مجاورة قد تملكها الشيطان ، وكان هذا الشيطان هو رودريجو نفسه . واستدعى ماتيو لعلاجها ، فاخذ يهتف في اذن الفتاة ببعض الكلمات، وتركها الشيطان ليستولى على ابنة ملك نابولي .واستدعى ماتيو لطرده . وقد ضايق ذلك رودريجو الذي اتخذ طريقه الى ابنة ملك فرنسا •

ولما كانت شهرة ماتيو قد ذاعت فقد أرسل ملك فرنسا في طلبه ، ليشفي الاميرة ابنته ، ولم يكن ماتيو راغبا في الذهاب استجابة لهذه الدعوة خشية اغضاب رودريجو ، ولكنه لم يستطع الامتناع عن الذهاب ، ولما كان يعرف أن رودريجو سيرفض هذه المرة الاستجابة لطلبه فقد طلب من الملك اقامة منصة في كاتدرائية نوتردام ، ويكون وراءها المحراب وأن يامر بوقوف مجموعة من الرجال على أحد الجوانب حاملين جميع أنواع الالات الموسيقية، مستعدين للعزف ، وأن يحضر القساوسة والاشراف مرتدين أفخر ملابسهم ، ويحيطوا بالاميرة ، ولما رأى رودريجو ذلك المشهد الفخم استولت عليه الدهشة ، وقال لنفسه « ماذا يقصد ماتيو من وراء ذلك ؟ أتراه يريد أن يخيفني بحضور هؤلاء القساوسة ؟ ومن المؤكد أنه يعرف أنني رأيت المواكب الفخمة في السماء ، وسمعت مختلف الاصوات في الجحيم ، ولن يخيفني ذلك أو يعصف بلبي » وعزفت الموسيقى . وارتفعت أصوات

الجماهير . فقال رودريجو لماتيو « ما معنى هذا ؟ فاجابه ماتيو قائلا وهو يهتز ! « ان امراتك قادمة » فلما سمع رودريجو اسم امراته فقد صوابه ، ولم ينتظر ليفكر فيما قاله ماتيو وهل هو حق ، وترك الاميرة وابتدر الهرب بقدر ما يسرت له ذلك ساقاه ، مؤثرا ان يلقى الهدوء وراحة البال فى الجحيم ، على البقاء فى الارض مع زوجته .

وقد ادعى بعض الكتاب ان ماكيافلي كان يشير فى هذه الاقصوصة الى علاقته بزوجته ، وسوء معاملتها له . ولكن المؤرخ الثقة فلارى ينفى ذلك ، ويقول ان جميع الحقائق تدل على ان ماريتا كانت زوجة صالحة ، وان زوجها كان احق باللوم منها ، وموضوع الاقصوصة ليس من ابتكار ماكيافلي لانه موجود فى اقصوصة « الوزراء الاربعون » وهي فى كتاب تركى ماخوذ من مصادر عربية وقد استمدته المراجع العربية من اصل هندى ، ووصل الى ايطاليا من الشرق ، واختاره ماكيافلي لاقصوصته .

وقد نظم ماكيافلي الكثير من الشعر ، وبعض قصائده يدل على انه كان قادرا على نظم جيد الشعر ، وله قصائد معروفة فى الادب الايطالى عن الحظ والطموح وانكار الجميل واغتنام الفرص ، وشعره بوجه عام يمتاز بقوة التفكير اكثر من امتيازه بقوة الخيال وبراعة التصوير . ■■

علي أدهم

عادة ••

❋ يعترف أحد الاشخاص باحتفاظه بعادة شاذة ولكنها مفيدة . فهو يشترى يوميا صحيفة ولكنه دائما ياخذها الى منزله ويضعها فى درج المكتب بدون ان يقراها . وبعد اسبوع او اسبوعين يتناول الصحيفة ويقرأها ثم يقول لنفسه «حسنا ، الحمد لله ان ذلك لايحدث اليوم» .

مجلة نيويوركر

★ ★ ★

منطق

❋ طالب احد المحامين فى المحكمة الهندية العليا بتطبيق القانون الانجليزى على القضية المعروضة امامها . وقد رد احد القضاة قائلا : « كيف لنا ان نطبق القانون الانجليزى فى محكمة هندية ، فالفرق بين القانون الانجليزى والقانون الهندى كبير كالفرق بين البنطلون والازار الذى يرتديه الرجال فى الهند » . فاجاب المحامى ولكن سيادتكم تعلمون ان المبدأ الاساسى فى القانونين واحد

راش ميكانت

اعداد : يوسف زعبلاوى

ملح الطعام وارتفاع ضغط الدم

● تضاعف الاهتمام مؤخرا بارتفاع ضغط الدم ومضاعفاته ٠٠ لا في الولايات المتحدة فحسب انظر العدد ٢٣٨ وانما في مختلف الدول المتقدمة ايضا ٠٠ لا عجب اذن ان اتخذت منظمة الصحة العالمية من العبارة التالية : « حذار من ارتفاع ضغط الدم » ٠٠ شعارا ليوم الصحة العالمي الذي اقامته في شهر ابريل الماضي ٠٠

وتجدر الاشارة الى ان ضغط الدم بات من اسباب الوفاة الرئيسية في اقطار عديدة مختلفة ٠٠ فهو يحتل المرتبة الثالثة بين تلك الاسباب في بريطانيا وسائر دول اوربا الغربية ٠٠ ولكنه يتصدر اسباب الوفاة في اليابان دون استثناء ٠

ويؤكد الخبراء الصلة الوثيقة بين ارتفاع ضغط الدم وبين مقدار ما يتناول المرء من ملح الطعام ٠ فمع ان كمية الملح التي يحتاجها جسم الانسان لا تزيد على ٧ ـ ١٠ جرامات بالمتوسط يوميا ، وتتضاعف الى ١٥ ـ ٢٠ جراما في الحالات التي يتضاعف فيها التعرق ٠ فقد بلغ مقدار ما يتناوله المرء من ملح الطعام في بريطانيا ودول اوروبية اخرى ١٥ جراما بالمتوسط يوميا ، وقفز حتى بلغ ٣٥ ـ ٤٥ جراما في اليابان ٠٠٠

ومما يلفت النظر أن جموع اليابانيين الذين يعيشون في دول الغرب لا يعانون من ارتفاع ضغط الدم بقدر اليابانيين المقيمين ٠٠ ذلك ان المغتربين لا يلبثون ان يجاروا اهل الغرب في ماكلهم ومشربهم وفيما يتناولون من ملح الطعام ٠٠

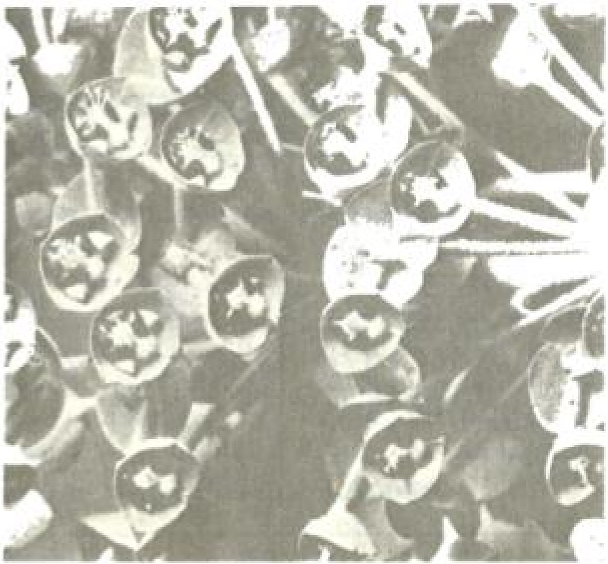
ولعل اخطر ما يذكر عن ارتفاع ضغط الدم انه كثيرا ما ياخذ صاحبه على حين غرة ٠ وقد يفاجئه وقد بلغ حدا من التفاقم لا يجدي معه علاج ٠٠ من ثم كانت الضرورة تقضي بقياس ضغط الدم على نحو متواصل منتظم ٠

نبات كندي يبشر بالشفاء من الانزلاق الغضروفي

● من المعروف ان الانزلاق الغضروفي (Slipped Disc) غالبا ما يتعذر علاجه بالعقاقير ويستوجب الجراحة ٠٠ هذا ما تعارف عليه الناس واجمع عليه الاطباء في مشارق الارض ومغاربها ٠٠ باستثناء بلد واحد على الاقل ٠٠ هو كندا ٠٠ فقد اكتشفوا فيها نباتا اسمه البيبايا Papaya واكتشفوا قدرة هذا النبات العجيبة على الشفاء من الانزلاق الغضروفي والقضاء على آلامه بيرحة ٠٠



ويتم العلاج بالبيبايا في كندا حقنا بعصارته ، وذلك على يد الاطباء المسؤولين في المستشفيات والمراكز الطبية الحكومية ٠٠ ولا يحتاج العلاج الى اكثر من يومين يقضيهما المريض في المستشفى عقب الحقن ٠ لا عجب اذن ان كان



الكثيرون ممن يتناولون هذه العقن هم من رعايا الولايات المتحدة الامريكية ٠٠ فضلا عن الكنديين بالذات٠٠بل ان الكثيرين من الاطباء الامريكيين يحولون مرضاهم الى اطباء كندا ومستشفياتها لمعالجة الانزلاق الغضروفي بعصارة البابايا ٠٠

ومن طريف ما يذكر هنا ان الدكتور هوارد بتس نوبل Dr. Howard Bates Noble وهو أحد كبار جراحي شيكاغو المختصين بعمليات الانزلاق الغضروفي ، كان في وقت مضى من بين المصابين بهذه الافة اللعينة ٠٠ وكان عليه ان يختار بين علاجها بالجراحة وعلاجها بعصارة البابايا ٠٠ واختار الجراح البابايا ٠٠ وتوجه الى مستشفى ولزلي Wellesley Hospital في تورنتو (في كندا) حيث تولى الدكتور ايان مكناب Dr. Ian Macnab حقنة بالعصارة العجيبة ٠٠٠ ومنذ ذلك الحين (اواسط السنه الماضية) والدكتور بتس لايشعر بشيء من المضايقات واوجاع الظهر التي ترافق الانزلاق الغضروفي ٠٠ لقد شفي الدكتور بتس من الافة اللعينة وذلك باعترافه هو ، وهو أجدر من يؤخذ برايه في مثل هذه الحالات ٠

ومنذ ذلك الحين والدكتور بتس يحول مرضاه الذين يعانون من الام الظهر ٠٠الى كندا ، للمعالجة بعصارة البابايا ٠٠ ويقدرون جموع الامريكيين الذين يعبرون الحدود الى كندا للعلاج بعصارة البابايا بالمئات ٠٠ ان لم نقل بالالاف٠

شركات التبغ العملاقة

● قطعت دول الغرب شوطا كبيرا في الكشف عن مضار التدخين ومخاطره ، وعن الصلة المباشرة بينه وبين بعض امراض القلب والسرطان ٠ واثبتت الدراسات العلمية الاخيرة ، فيما اثبتت ، ان محتويات التبغ من القطران والنكوتين ،وخاصة القطران ،هي التي تسبب تلك الامراض ٠٠ من ثم كانت القوانين التي تحدد نسبة عليا لتلك المحتويات ،وتنص على وجوب عدم تخطي هذه النسبة٠ ومعنى هذا تخفيض للنسبة الطبيعية التي يحتويها التبغ من النكوتين والقطران ، ومعناه ايضا مزيد من تكاليف انتاج السجاير نظرا للنفقات الاضافية التي يستوجبها التخفيض ٠٠ بل قل الاساليب والمواد الكيماوية التي لاغنى عنها لتحقيق ذلك التخفيض ٠٠ والزيادة في نفقات الانتاج معناها نقصان في الارباح الصافية ٠٠

ورافق ذلك النقصان هبوط في مبيعات السجاير تبعا للحملات التي قامت بها صحف الغرب وعممت فيها ما اثبتته الدراسات العلمية السالفة الذكر ٠٠ وهكذا اصبح خطر التدخين على صحة الانسان وعلى حياته امرا مفروغا منه ومسلما به في الدول المتقدمة ٠٠ واصبح بالتالي رادعا

تلقائيا ضد التدخين .

على ان شركات التبغ الكبرى، وهى شركات عملاقة كما لايخفى، اتجهت الى الدول المتخلفة .. دول العالم الثالث، وقد كسدت سجايرها وقلت ارباحها فى اسواق الدول المتقدمة .. اى انها استغلت جهل الدول المتخلفة لمخاطر التدخين الحقيقية التى تمخضت عنها دراسات الغرب العلمية .. واستغلت ايضا عدم وجود اى قانون يحدد نسبة القطران او النكوتين فى السجائر المستوردة . وانطلقت تصدر سجايرها الى اسواق الدول المتخلفة بكامل محتوياتها الطبيعية من النكوتين والقطران .. غير عابئة بما يترتب على ذلك من مخاطر واضرار . ومطمئنة كل الاطمئنان الى النتائج مادامت الدول المتخلفة تفتقر الى وعى الدول المتقدمة وقوانينها .

ولعلك تتساءل بعد هذا كيف عرفنا ماعرفنا ونحن جزء لايتجزأ من الدول المتخلفة .. عرفناه من تقرير صدر فى الدول المتقدمة ، وفى بريطانيا بالذات ، دفاعا عن الدول المتخلفة وفضح فيه واضعوه شركات التبغ ، العملاقة واساليب استغلالها لاسواق الدول المتخلفة وعنوان التقرير هو : « داء الغد/التبغ والعالم الثالث » وهو من منشورات عرفت بعنوان « الحرب على الحاجة .. وقد وضعه مايك مولر .. واضع التقرير الاسبق الذى نشره سنة ١٩٧٤ بعنوان « مبيدات الاطفال ..



سويسرا
تسهم فى رفع معنويات المقعدين

● المقعدون والمصابون بالكساح والشلل النصفى وما الى ذلك من امراض كانوا ومازالوا بحاجة الى مزيد من اهتمام من جانب الصناعة والتكنولوجيا .

لذلك كان الكرسى الحديث الذى صنعوه خصيصا للمقعدين موضع ترحيب كبير .

اما مصممو الكرسى فمركز فى بازل بسويسرا Paraplegic Centre وهى الهيئة الرسمية التى تعنى بالمقعدين من الناحية الطبية بخاصة .. واما صانعوه فشركة فالوتى Valutee فى اوسترزوريخ فى سويسرا وقد تعاونت هذه الشركة والمركز السالف الذكر فى تصميم الكرسى فضلا عن صنعه .

ويمتاز هذا الكرسى الذى سموه كرسى ليفو المتحرك Levo Wheel Chair . بقدرته الكبيرة على التكيف .. فالمقعد يستطيع النهوض والوقوف بواسطته وقضاء حاجته بنفسه .. على نحو ماترى فى الصورة .. ومن شان ذلك ان يحد من فقدان العظام كلسها ويخفف مايسببه الضغط من تقرحات . ومن شانه ايضا ان يساعد على التفريغ للمثانة وينشط الدورة الدموية ، كثيرا او قليلا .

اضف الى ذلك الفائدة السيكولوجية .. فالقدرة على الحركة وقضاء الحاجة بقدر كبير من الاستقلال يرفع من معنويات المقعدين ويقضى على الشعور بانهم عالة على غيرهم ولا خير يرجى منهم . ■■

آفاق في الفن السينمائي

في الكويت

بقلم : الفاروق عبد العزيز

في ٣٠ يونيو عام ١٩٤٦ ادار المغفور له المرحوم الشيخ احمد الجابر الصباح حاكم الكويت الراحل دولابا فضيا معلنا تحميل ناقلة البترول الانجليزية « بريتيش فيوزيلير » بأول شحنة من نفط الكويت . كان يوما مشهودا وتاريخيا . فهاهي ذى اعوام التعب والكدح قد شارفت على الانتهاء وهاهي ذى الجهود المعروفة للبحث عن مصدر جديد للثروة منذ نهاية العشرينات قد تكللت اخيرا بالنجاح .

في هذا اليوم التاريخي بدا أن أيام الغوص الجفاف قد ولت الى غير رجعة . فالزمان لن يعود شحيحا . وبدا ان هذه الايام قد تلاشت واندثرت مع ظلال الماضي الرومانسية القديمة القاسية .

على مقربة من شيخ الكويت الراحل كانت تقف وحدة سينمائية انجليزية مكونة من مصور ومسجل صوت ومساعد . كانت الوحدة قد استقدمت بواسطة شركة نفط الكويت لتسجيل هذه اللحظة التاريخية ليولد اول فيلم تسجيلي حقيقي في تاريخ الكويت الحديثة : « النفط في الكويت » .

وكما هو الحال في معظم البلدان التي بدا النشاط السينمائي فيها دون وجود تراث سينمائي فقد انطلق هذا النشاط في حضن شركة كبرى كشركة نفط الكويت التي تبنت تسجيل الاحداث الهامة سواء في حقل عملها او في الكويت بشكل عام . والسمة المشتركة الثانية – مع بلدان العالم الثالث عموما – هي ان الانطلاقة قد بدات بالفيلم التسجيلي . ورغم ان الفيلم التسجيلي الوثائقي يعتبر في الواقع فيلما بلا جمهور عريض الا انه – في الواقع ايضا – يمثل معمل الصقل الحقيقي للسينمائي . وقد استطاعت الشركة ان تنتج قرابة العشرين فيلما حاولت من خلالها ان تستشرف آفاق الحياة في الكويت . والمثير في هذه الافلام



المغفور له الشيخ احمد الجابر يدير دولابا فضيا معلنا تصدير اول شحنة من نفط الكويت .

انها لم تتوقف عند تسجيل عمليات الشركة المختلفة كبناء الجزيرة الاصطناعية او انشاء مشروع الغاز ولكنها تعدت ذلك الى تسجيل مناحي الحياة المختلفة في الكويت مما اسهم في وضع التطور الذي حققته الشركة في اطاره الاوسع الذي شمل الكويت ككل .

بيد ان اول فيلم صور في الكويت كان قد قام به سائح عابر يدعى الن فلرد وذلك في عام ١٩٣٢ . كان قد صور قطاعا من ساحل الكويت وبه بعض سفن الغوص والتجارة التقليدية (ابوم والسنبوك والبغلة) كما كان يسميها اهل الكويت القدامى ، قبل ان يبحر في طريقه الى الهند .

وكان نادي الكويت للسينما قد عرض في ١٥ ابريل الماضي اول فيلم وثائقي كويتي طويل قام بتصويره اول هواة التصوير في الكويت وهو محمد حسين قبازرد . وقد اطلق قبازرد على فيلمه اسم « الكويت بين الامس واليوم » واستعان فيه ببعض لقطات فلم او اخرى ارشيفية للكويت في الثلاثينات مما احتفظت به شركة نفط الكويت .

ومن خلال المحاورين العصريين : الثلاثينات وكويت ما بعد النفط امكن للمشاهد ان يعيد تقدير القيمة الفعلية لهذه الحقبة التاريخية المعاصرة .

وكان قبازرد (المولود في عام ١٩١٨) قد ثقف نفسه بنفسه في مجال الكاميرا السينمائية التي حصل عليها من البحرين في عام ١٩٤٨ ، ويذكر قبازرد ان ثمة افلاما كانت تعرض في زمن المرحوم الشيخ احمد الجابر الذي شاهد جزءا من فيلم قبازرد واعجب به كتسجيل حي للتطور في هذه الفترة ويمثل الفيلم في مجموعه اغنية حنين كويتية الى الماضي منبها الى ضرورة الاستمساك بقيمه وعاداته الاصيلة برغم التطور السريع الذي طرا على البلاد خلال الثلاثين عاما الاخيرة .

غير ان النظرة الرسمية الى دور الوسيط السينمائي قد بدات خلال العقد الخامس تتبلور في شكل اجهزة معنية بالانتاج السينمائي . وكان طبيعيا ان يظل الاهتمام الحكومي مقصورا على افلام الوزارات والافلام الرسمية . فقد انشات دائرة المعارف (وزارة التربية الان) قسما للسينما

وانجزت مع مطلع عام ١٩٥٠ وخلال عدة سنوات حوالي ٦٠ فيلما تعليميا (« التعليم في الكويت » و « مشاهد من الكويت »وافلاما اخرى عن العادات الصحية . وبين عامي ١٩٥٩ و ١٩٦١ قامت وزارة الشئون الاجتماعية والعمل بانتاج بعض الافلام الثقافية عن « تقاليد الزواج » و (الغوص) اضافة الى الجريدة الناطقة (عدسان في الاسبوع) وقد لحقت وزارة الاعلام بهاتين الهيئتين الرسميتين وذلك بعد انتقال مسؤولية الانتاج السينمائي لها. ولعل ابرز انتاج لها في هذه الفترة هو فيلم « اليوم المشهود » عن يوم عيد الاستقلال الاول في عام ١٩٦٢ .

هذا عن الانتاج . اما على صعيد العرض فقد تأسست شركة السينما الوطنية الكويتية في الخامس من اكتوبر عام ١٩٥٤ لتقوم بانشاء دور العرض التي بدأتها بافتتاح السينما الشرقية في عام ١٩٥٥ الى ان اكتمل لها بافتتاح دار سينما الصليبيخات في عام ١٩٧٨ اثنتي عشرة دارا بالكويت.

وتستورد الشركة بالدرجة الاولى افلاما تتفق واذواق المشاهدين في الكويت . وكان من اثر ذلك ان تعاظم عدد المشاهدين ـ خاصة مع افتقاد الكثير من وسائل الترفيه في البلاد ـ وتعاظم بالتالي تأثير الفن السينمائي في المنطقة .

مع عام ١٩٦١ بدأ التليفزيون انتاجه السينمائي وقد آلت اليه اقسام الانتاج بالوزارات الاخرى كان هذا طبيعيا خاصة وان كادرا فنيا كان قد بدأ تكوينه في معمل التليفزيون . وكان طبيعيا ايضا ان يظل الفيلم التسجيلي هو العمل محدود الامكانيات والذي يمكن من خلاله توفير مناخ تدريبي جيد للكادر الفني الجديد . كان الوسيط السينمائي من خلال دور العروض والتليفزيون وحركة التثقيف السينمائي التي كانت نشيطة في العقد الخامس) في مناطق الكويت المختلفة : المركز الثقافي العمالي والمركز الثقافي النسوي ومركز تدريب الفتيات ومراكز التربية الاساسية ودار الرعاية في حولي ـ كان الوسيط من خلال هذا كله قد اكد سلطته ونفوذه . ولكن دراسة واحدة لم تتناول الكم والكيف فيما يتعلق بعلاقة المشاهد بهذا الوسيط وما يعرض عليه من خلاله.

غير ان حركة التليفزيون قد اثمرت في نهاية الستينات في تحقيق تحول كبير يحسب حسابه . فمن ايام الغوص ـ التي ولت الى غير رجعة ـ جاء اول فيلم كويتي طويل « بس يا بحر » للمخرج خالد الصديق الذي صنع اول افلامه القصيرة « الصقر » (١٩٦٣) في معمل التليفزيون .

وقد جاء الفيلم مفاجأة لكل من شاهده في عام ١٩٧١ . اول فيلم طويل من بلد ليس به تراث سينمائي سابق . ولم تكن المفاجأة مقصورة فقط على كونه اول عمل لمخرجه الشاب ولكن للاسلوب المتميز الذي مزج فيه بين الرومانسية والواقعية من خلال قصة حب مستحيل في بيئة قاسية قسوة البحر والحياة . لقد خرجت الصحف المحلية والعربية وبعض الصحف الاجنبية تمتدح الفيلم وتعتبره « نقطة ضوء في ليل السينما العربية » . افاد التدريب او معمل الفيلم التسجيلي صاحبه

من الانتاج السوداني الكويتي المشترك « عرس الزين »



من « عرس الزين » ثاني الافلام الطويلة للمخرج الكويتي خالد الصديق »





مقهى كويتي قديم

الذى مزج كما اسلفت بين الرؤية التسجيلية للواقع وبين الامكانيات التعبيرية التصورية الهائلة لهذا الواقع .

ولكن الفيلم لم يخلق تيارا . وبرغم ان خالد الصديق عاد في عام ١٩٧٧ ليقدم « عرس الزين » (عن قصة الطيب صالح) انتاجا مشتركا مع السودان الا ان المشكلة ظلت قائمة ومحملة بمجموعة من التساؤلات . لماذا لم ينبثق التيار كما كان متوقعا ؟

قبل ان انتقل للجزء الثاني من هذا المقال ومختتما العرض التسجيلي لتجربة السينما في الكويت اود ان اشير الى مولد حدث سينمائي هام في المنطقة وهوانشاء نادى الكويت للسينما في ١٤ مايو ١٩٧٦ . ويستمد هذا الحدث اهميته من حقيقة ان كافة التيارات والحركات السينمائية قد ولدت من حضن نوادى السينما منذ انشائها لاول مرة في عام ١٩٢٢ في باريس . فالموجة الجديدة الفرنسية والسينمانوفو البرازيلية والسينما الجديدة المصرية قد خرجت جميعها من عباءة النوادى التي توفر العروض الجيدة والمناقشات المستفيضة حولها ، بالاضافة الى النشرات التثقيفية التي ترافق العروض .

ولم تكن تجربة نادى الكويت للسينما سهلة . فقد قام النادى في بلد ليس له تراث سينمائي من اى نوع . بالاضافة الى ندرة مصادر الحصول على الافلام الجيدة . ولكن عروضه التي تجاوزت

من فيلم « الصقر » لبدر المضف (انتاج التليفزيون ١٩٧٣)





فى مجملها المائة فيلم علاوة على الندوات التى اقامها قد اسهمت الى حد ما فى تحريك التربة السينمائية فى الكويت وفتح المجال امام هواة هذا الفن فى اول تجمع سينمائي كويتى .

المستقبل

انطلاقا من هذا العرض السريع لواقع الوسيط السينمائي فى الكويت سنحاول ان نسير نحو المستقبل . وبالطبع فان الحديث عن المستقبل ليس حديث نبوءة بحال . ولكننا سنحاول قراءة الواقع مرة اخرى لوضع تصور ما عن مستقبل هذا الفن .

من الثابت حتى الان ان الانتاج السينمائي فى الكويت مازال بانتظار المبادرة الفردية ومن الفنان. ومن الطبيعي ان يحجم الممول عن استثمار امواله فى هذا الميدان خاصة مع عقبات التوزيع التي تبرز فى مقدمتها صعوبة متابعة اللهجة المحلية عند عرض الفيلم فى معظم البلدان العربية الاخرى وهذه مشكلة عامة ليس من شان الممول الفردى حلها . كما ان عزم الفنان على مواصلة السير فى هذه الطريق الشاقة يخور امام عجز المنتج عن تحقيق احلامه . وهنا يمضي طرفا معادلة المال ـ الفن كل فى طريق .

من هنا يكون تدخل الدولة حتميا لتشجيع هذا الفن الذىهو مرآة عاكسةحقيقية لصورة الواقع، فى الماضي والحاضر ورؤية تنبؤية للمستقبل .



محمد حسين قبازرد: أول هواة التصوير الكويتيين .



صناعة السفن كما بدت في فيلم « الكويت بين الامس واليوم »

وتشجيع الدولة لايعني الا المبادرة بالدخول كطرف فى العملية الانتاجية انطلاقا من ادراكها للطاقة التعبيرية الهائلة التي يحملها هذا الفن عن التراث والتاريخ الوطني والشعبي لاى شعب .

كما ان خريجي معاهد السينما من الطلبة الكويتيين يعودون الى الوطن باعداد متزايدة راغبين فى التعبير عن الهوية القومية لبلادهم من خلال السينما . وهذا بدوره يسهم فى حل مشكلة الكوادر الفنية المطلوبة لعملية الانتاج .

ويبدو ان مستقبل الفن السينمائي فى الكويت مرهون ـ فى تقديرى ـ بالتعاون اللازم تحقيقه بين كافة هذه العناصر ـ الدولة ـ التلفزيون ـ نادى السينما ـ شركة السينما ـ الفنان ـ لوضع صورة واقعية عن امكانياته التطورية .

فى الافق تلوح بوادر التطور . فالارض ماتزال خصبة قابلة له . وكل ما هنالك هو ان نبدأ استثماره الان .. وغدا . ■■

الفاروق عبدالعزيز

■ الموسيقى مع وجبة الغذاء تعتبر بمثابة اهانـة لكل من الطاهى وعازف الكمان ·

تشيسترتون

■ كلمتا الراحة والقناعة هما أقدم علاج نفسى عرفه الرجل·

لويس نايزر

■ خير عمل تقوم به لاكرام وفادة ضيفك هو أن تلوذ بالصمت·

انجى باباديكس

■ ما يعتبره معظم الاشخاص فضيلة بعد سن الاربعين . هو بساطة بمثابة فقدان للحيوية والنشاط ·

فولتير

■ الذكرى السنوية للزواج هى بمثابـة احتفـال للحب . والثقة ، والشراكة ، والتساهل ، والترابط ولكن هذا الترتيب يختلف من سنة لاخرى ·

فرانك كلارك

■ الاخلاص كالتوابل ، فالاكثار منها يسبب لك نفورا ، والتقليل منها يجعلك بحاجة اليها ·

بل كوبلاند

■ الشعور بالمسئولية من الاهداف السامية التى يجب ان يتوخاها كل فرد ·

كلودتى ماكدونالد

■ كثيرا ما نخفق فى اشياء عديدة كالحب ، والنوم والتصرف غير المتكلف ، عندما نحاول ان نقوم بها بدون رغبة ·

وليام هازلت

■ لا تبحث عن جميع المميزات فى شخص ما وانما عـن احسنها ·

كونفوشيوس

■ التضخم كالبالون ، فتارة يحملك الى مكان مرتفع جدا بحيث تتردد فى السماح بالخروج منه ·

لين اولينغ هاوس

طرائف عربية

حجة

● قيل ان رجلا شهد عند سوار بن عبد الله القاضي فقال له : « ما صناعتك ؟ » قال : « انا مؤدب صبيان » قال : « انا لا نجيز شهادة مؤدب الصبيان » ! قال : « لم؟ قال : « لانك تاخذ على تعليم القران اجرا » • قال « وانت تاخذ على القضاء بين المسلمين اجرا » • قال سوار : « اني اكرهت على القضاء » • فقال الرجل : « يا هذا ، هب انك اكرهت على القضاء فهل اكرهت على اخذ المال ؟ » فسكت سوار ، ثم قال : « هات شهادتك » • واجازها •

من ادبك ؟

● قيل لرجل من ادبك ؟ قال : نفسي فقيل له وكيف ذلك ؟

قال : كنت اذ استقبحت شيئا من غيرى اجتنبته •

أحمقان وأحمق

● حكى ان احمقين اصطحبا في طريق فقال احدهما للاخر « تعال نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث » فقال الاول « انا اتمنى أن يهبني الله قطعان غنم ، انتفع بلبنها

يطلق زوجته ببيت شعر

● قال دعبل بن علي الخزاعي : « اجتمعنا ثلاثة من الشعراء في قرية ذات بساتين واشجار وارفة الظلال ، تسمى طهيانا فتنادمنا وشربنا يومنا كله ثم قلنا : ليقل كل شاعر منا بيتا من الشعر في وصف يومنا هذا ، وفرحتنا تلك فقال اولنا :

نلنا لذيذ العيش في طهيانا

فاجابه الثاني :

لما حثثنا اقدحا ثلاثا

فارتج على الثالث واعجلناه فجاء على لسانه قوله :

وامراتي طالقة ثلاثا

ثم اخذ يبكي وينتحب على تطليقه لزوجته، وقعدنا نضحك منه ونتعجب مما اتفق • »

من العراق

● بلغ عبد الملك بن مروان اضطراب اهل العراق ، فجمع اهل بيته واولى النجدة من جنده ، وقال : « ايها الناس ان العراق قد شح ماؤها ، واملولح عذبها، وعظم خطبها، وظهر ضرامها ، وعسر اخمادنيرانها ، فهل من ممهد لهم بسيف قاطع ، وذهن جامع ، وقلب ذكي ، وانف حمي ، فيخمد نيرانها ، ويروع غيلانها، وينصف مظلومها ، ويداوي الجرح حتى يندمل ، فتصفو البلاد وتامن العباد ، فسكت القوم ولم يتكلم احد • فقام الحجاج وقال : « انا للعراق يا امير المؤمنين » فقال له عبد الملك : « ومن انت لله ابوك ؟ » فقال : « انا الحجاج ابن سيف » قال : « اجلس لا ام لك ، فلست هناك » • ثم كرر القول ثلاثا فسكت القوم الا الحجاج ، فانه كان يقف في كل مرة ، ويقول « انا للعراق يا امير المؤمنين » • فقال عبد الملك بن مروان : « اظنك صاحبها ، والظافر بها ، وان لكل شيء يا حجاج آية وعلامة، فما آيتك وعلامتك ؟ » فقال الحجاج : « العقوبة والعفو ، والتقتير والبسط ، والازورار والادناء ، فمن جادلني قطعته، ومن نازعني قصمته ، ومن خالفني نزعته ، ومن دنا مني

ولحمها وصوفها» ، اما الثاني فقال : « اما انا فانني اتمنى قطعان ذئاب ارسلها على غنمك حتى لاتترك منها شيئا » قال : « ويحك اهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة » ؟ ثم انهما تصايحا وتخاصما ، واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ، ثم تراضيا على ان يحكم بينهما اول من يطلع عليهما في الطريق ، وما هي الا ساعة حتى طلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل ، فحدثاه بحديثهما فاخذ الشيخ الزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال : « صب الله دمي مثل هذا العسل ان لم تكونا احمقين»

اكرمته ، ومن طلب الامان اعطيته ، ومن سارع الى الطاعة بجلته ، فهذه ايتي وعلامتي ، وما عليك يا امير المؤمنين الا ان تبلوني والا فلتستبدل بي فان الناس كثير ، ولكن من يقوم بهذا الامر قليل » .

فقال عبد الملك : « انها لك فما تحتاج اليه ؟ » قال : « قليل من الجند والمال » .

فدعا عبد الملك صاحب جنده فقال : « هيء له من الجند شهوته والزمهم طاعته وحذرهم مخالفته » .

ثم دعا الخازن فامره بمثل ذلك فخرج الحجاج قاصدا نحو العراق .

اعرابية ذكية

● قيل ان المامون ركب للصيد ، ومعه سرية من العسكر ، فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة ، فاطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل ، فاشرف على نهر ماء من الفرات ، فاذا هو بجارية عربية جميلة ، وبينها قربة قد ملاتها وحملتها على كتفها ،وصعدت من حافة النهر ، فانحل وكاؤها ، فصاحت برفيع صوتها : « يا ابت ادرك فاها ، قد غلبني فوها ، لا طاقة لي بفيها » ، فعجب المامون من فصاحتها ، ثم دنا منها وقال :« يا جارية من اي العرب انت ؟ » قالت : « انا من بني كلاب » فقال : « وما الذي حملك ان تكوني من الكلاب »فقالت : « والله لست من الكلاب ، وانما انا من قوم كرام غير لئام ، يقرون الضيف، ويضربون بالسيف » . ثم قالت للمامون : « يا فتى ، من اي الناس انت ؟ » فقال :« او عندك علم بالانساب يا امة الله ؟ » قالت : « نعم ياعبد الله » قال: « انا من مضر الحمراء » قالت : « من اي مضر ؟ » قال : « من اكرمها نسبا ، واعظمها حسبا ،وخيرها اما وابا ، ممن تهابه مضر كلها » قالت « اظنك من كنانة » قال : « انا من كنانة » قالت : « فمن اي كنانة ؟ »قال : « من اكرمها مولدا ، واشرفها محتدا ، واطولها في المكرمات يدا ، ممن تهابه كنانة وتخافه » . فقالت : « اذن انت من قريش » قال : « انا من قريش » . قالت « من اي قريش ؟ » قال : « من اجملها ذكرا ، واعظمها فخرا ، ممن تهابه قريش كلها وتخشاه » . قالت : « انت والله من بني هاشم » . قال : « انا من بني هاشم » قالت : « من اي هاشم ؟ » قال : « من اعلاها منزلة ، واشرفها قبيلة ، ممن تهابه هاشم وتخافه » .

عند ذلك قبلت الارض وقالت :« السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته» . فعجب المامون من ذلك ، وقال : « لاتزوجن بهذه الجارية ، لانها من اكبر الغنائم »

وانتظر حتى تلاحقته العساكر فنزل هناك ، وارسل خلف ابيها ، وخطبها منه ،فزوجه بها ، واخذها ، وعاد مسرورا .

خروج الجنين من بطن امه يعنى انتقاله من الرحم الآمن الى عالم ملىء بالمخاطر وعناصر التلوث •

دليل الأم في نظافة طفلها الرضيع

بقلم : الدكتور محمد صادق زلزلة

■ يعيش الوليد في بطن امه ـ قبيل الولادة ـ آمنا مطمئنا في « عالم » نظيف ، طاهر ، نقي ، خال من الجراثيم ومسببات المرض الاخرى • يأتيه رزقه رغدا بواسطة « الحبل السرى » ، فلا يحتاج الى رضاع قد يدخل الى جوفه ـ معه ـ بعض الجراثيم فتصيبه بالالتهابات والآفات • ويتنفس ـ كذلك ـ بواسطة دمه فلا يحتاج الى رئتيه وما قد يدخل اليها من جراثيم وغيرها •• وغير ذلك من اعمال غريزية (فسيولوجية) اخرى • فهو قد كان في غنى عن ذلك كله •

وعندما يطلق الوليد صرخته الاولى ـ عند ولادته ـ يكون وكانه يعلم انه قد فارق مأمنه الى عالم آخر ، يعيش فيه بعيدا عن امان «الرحم» ••عالم شرير مملوء باعداء يتربصون به الدوائر• ومن اولئك الاعداء : جهل بعض الامهات اللاتي يسئن له من حيث يردن نفعه ، وتقلبات الجو ـ من صروف الحر والبرد ـ وما فيها من اذى ، وقلة الغذاء ، أو سوء استعماله له •• ونحو ذلك • ولكن اكثر الاعداء تربصا به ، واعظمهم خطرا عليه ، واشدهم أذى له ـ على الاطلاق ـ هي : الجراثيم • واشد الاعداء للجراثيم ، واعظمها خطرا عليها ـ على الاطلاق ايضا ـ هي : النظافة• فالنظافة ركن هام من اركان الحفاظ على صحة الطفل وهنائه ، ونموه نموا طبيعيا ، مستمرا ، مطردا •

نظافة الام

ان نظافة الطفل ـ اساسا ـ هي من نظافة امه ، وانعكاس لها • وقد قيل قديما : من تربى حسنا يربى حسنا • فكلما كانت الام نظيفة بطبعها ونشأتها ، انعكس ذلك على حالة طفلها ، وبالتالي على ما يتمتع به الطفل النظيف، من هناء وسعادة ، لبعده عن التلوث بما يسبب الآفات ، ويجلب المرض •

يجب على الام ان لا تغفل عن غسل يديها عند لمس الطفل ، والعناية به ، خاصة في اوائل اشهر حياته • فان الوليد ـ في اول شهر من ولادته



خاصة ــ يكون مجردا مما يستطيع به الدفاع عن نفسه من وسائل يتمتع بها الطفل الاكبر منه سنا. وغسل اليدين ــ لابعاد ما يمكن ان يكون قد علق بهما من جراثيم وغيرها ــ من الامور الضرورية عند لمس الطفل ، خاصة عند ارضاعه او تغذيته ، سواء من الثدى ، أو من قنينة الرضاع .

ان كثيرا من مسببات المرض عند الطفل تدخل عن طريق الفم . وعلى هذا فان على الام ان تهتم بنظافة كل ما يدخل جوف الطفل ، او فمه ، وذلك باتباع الامور التالية :

١ ــ في حالة الرضاع ، تعتنى الام بنظافة ثدييها ، فتقوم بغسل حلمة الثدى وما حولها قبل كل مرة رضاع ، وبعد كل مرة رضاع . ثم تعمل على حفظ حلمة الثدى بقطعة من القماش النظيف ، أو من مناديل الورق الناعم ، حتى لا تمس ملابسها ، فتتجنب ــ بذلك ــ الكثير من المحاذير التى لا مجال لذكرها هنا . كذلك فان على الام ان تتوقف عن ارضاع طفلها من الثدى اذا ظهر على الحلمة ــ أو ما يجاورها ــ التهاب، او تقطر ، أو احمرار ، أو نحو ذلك ، حتى يعالج الثدى فيشفى .

٢ ــ في حالة الرضاع من القنينة ، تقوم الام بتعقيم قنينة الرضاع ، والحلمة المطاطية ، وجميع ما يتعلق بالرضاع من القنينة . ولكى لا تكلف الام نفسها عناء امر قد يثقل عليها ، فان من المستحسن لها ان تقتنى عدة زجاجات للرضاع ، تقوم بتعقيمها صباح كل يوم ، وذلك بغليها فى الماء مدة لا تقل عن ثلاث دقائق باى حال من الاحوال .

٣ ــ من المفروض ــ نظريا ــ ان يكون الماء الذى يشربه الرضيع فى اشهره الاولى ، معقما . فمن المستحسن ــ والحالة هذه ــ ان تقوم الام بغلى الماء ــ ثم تبريده ــ واستعماله بعد ذلك حسب حاجة الرضيع اليه .

٤ ــ من الافضل ان تقوم الام بارضاع الطفل قبل تبديل الحضائن ونزعها عن الطفل ، توقيا

من التلوث ، وارجاء ذلك الى ما بعد الرضاع .

٥ ـ يجب ان تتجنب الام ـ تجنبا مطلقا ـ غسل الحفاضات بمساحيق الغسيل ، لان ذلك قد يسبب طفحا جلديا في المنطقة العجانية ـ يسمى : « طفح الحفيضة » وهو احمرار في الجلد ، قد يتطور الى تكون حليمات وفقاعات تزعج الطفل والام معا .. وان تستعيض عن تلك المساحيق بانواع من الصابون ذات قلوية منخفضة يسيرة . كذلك فان على الام ان تتجنب بقاء الحفاضات الملوثة ملامسة لبشرة الطفل مدة طويلة ، فان ذلك قد يسبب حدوث هذا الطفح ايضا .

٦ ـ في حالة اصابة الام بزكام ، او برد ، او سعال ، او نحو ذلك ، فان عليها ان تضع على فمها وانفها قطعة من القماش عند اقترابها من الطفل ، او تغذيته ، او العناية به ، فان ذلك يدفع عنه أذى العدوى ، وشر المرض .

نظافـة الرضيع

يجب على الام ـ عند اهتمامها بتنظيف طفلها ـ ان تنتبه الى كل ناحية من نواحي جسمه ، والا تهمل اي جزء منه .

١ ـ نظافة الرأس :

قد تظهر عند بعض الرضع بعض الافرازات الدهنية التي تفرزها فروة الرأس ، فتتجمع على هيئة قشرة دهنية سوداء تضرب الى الصفرة ، تلتصق التصاقا شديدا في فروة الرأس ، فتسبب تشوها لجمال الطفل ومظهره اللطيف ، وقد يهم الام امر ازالتها . ان اسهل طريقة لذلك هي أن تدهن الام فروة الرأس بزيت الزيتون النقي يوميا ، وتترك ساعات قليلة يغسل الرأس بعدها بالماء والصابون . ثم تكرر العملية في ايام قليلة متتالية حتى تختفي تلك القشرة ويزول أثرها .

كذلك فان بعض الاطفال قد يبتلون بوجود بعض الحشرات الطفيلية في فروة الرأس وبين الشعر ، كالقمل والصيبان ، خاصة اذا حمل الطفل من قبل بعض المصابات بهذه الحشرات ، فيسري بعضها منهن اليه . فعلى الام ان تحذر من ذلك ، فان القمل سريع التكاثر ، سريع النمو ، سريع العدوى ، يملأ رأس الطفل بأيام قليلة .

كما ينبغي عليها أن تحذر على طفلها من الاصابة ببعض الامراض التي تصيب فروة رأس الطفل ، كداء السعفة ، او التهابات الجلد الاخرى .

٢ ـ نظافة الجسم :

يجب غسل الطفل يوميا بالماء الفاتر والصابون، فان الغسيل يزيل عن الجسم ما قد يعلق على سطحه من جراثيم التهابية قد تنتهز فرصة عدم استحمام الطفل ، وتراكم الاوساخ على جلده ، فتصيبه ببعض الدمامل والخراجات السطحية الصغيرة ، التي تتميز بسرعة انتشارها على سطح الجسم من ناحية لاخرى ، والتي قد تمتد الى فروة الرأس بين الشعر ، فيصعب اذ ذاك امر علاجها وشفائها .

ويجب العناية ، بصورة خاصة ، بنظافة المنطقة العجانية ـ ما بين الفخذين ـ ، وذلك بغسلها بعد كل مرة يمرر فيها الطفل الادرار او الخروج . ان بعض الامهات اعتدن ان يستعملن عملية « المسح » بعد مرور الخروج او الادرار ، وذلك أمر خاطئ، قد يسبب للطفل اذى في تلك المنطقة، لعل اقله ضررا ظهور بعض الحكة والاحمرار في الجلد .

والعناية بنظافة يدي الرضيع من الامور المهمة كذلك . وذلك لكثرة ما يضع الطفل يده في فمه ، متى وجد الفرصة سانحة لذلك ،فيمصها ويمتص معها بعض ما يكون قد علق بها من اوساخ وغيرها . كذلك يجب العناية بتقليم اظافر الطفل وذلك باستعمال مقص صغير ذي نهايات مدورة ـ غير مدببة ـ لهذا الغرض . كما يجب اجتناب استعمال « مقراضة » الاظافر للرضيع اطلاقا . ولتقليم اظافر الرضيع فوائد جمة . منها عدم ايذاء الرضيع نفسه و « خرمشة » وجهه، ومنها منع ما قد يتجمع من اوساخ خلف الاظافر والتي قد تصل فم الطفل اثناء ما يمص يده .وما قد يتسبب عن ذلك من مرض او أذى .

اما ملابس الطفل فيجب ابدالها يوميا بملابس اخرى ، خاصة الملابس الداخلية التي تلامس

جسمه • اما « الحفاظات » ـ او الحفاظات ـ فمن الواجب اعطاؤها اهتماما اكبر وعناية اتم ، فيجب ان تتخذ « الحفاظات » من قماش جديد ، ناعم ، لين ، كقماش « الفانيلا » مثلا • وان يكون عددها كافيا ، فلا يجب ان يقل ذلك العدد عن اثنتى عشرة « حفيضة » مهياة جاهزة للاستعمال• كما ينبغي ان تهتم الام بغسلها ، ونظافتها ، وغليها ، بالماء من حين لآخر • كما ينبغي عليها ان تتجنب استعمال مساحيق الغسيل ، عند غسلها، اطلاقا ، وان تستعيض عن ذلك بصابون ذي قلوية قليلة ، اذ ان استعمال تلك المساحيق قد يؤدي الى اصابة الطفل بـ « حصف الحفيضة » •

نظافة الطفل الاكبر سنا

اما عن الطفل الاكبر سنا ـ من بداية السنة الثالثة الى سن المدرسة ـ فينبغي ـ علاوة على الاهتمام بنظافته ـ الاهتمام بتعليمه ، وتدريبه ، وارشاده ، وبذر روح النظافة فيه منذ نعومة اظفاره • وقديما قيل :

ان التعلم في الصـغر
كالنقش ينقش في الحجر

فان تمكنت الام من بذر روح النظافة فيه منذ صغره ، وعلمته التقزز من القذارة والاوساخ ، والتزام جانب النظافة والطهارة ، والتقيد بهما ، فانها تكون قد أعدت في طفلها ركنا هاما من اركان صحته وهنائه على مر السنين والايام •

تدرب الام طفلها ـ منذ نعومة اظفاره ـ على تنظيف نفسه بعد « التواليت » باشرافها هي نفسها ، كما تعلمه غسل يديه قبل الطعام وبعده ، وغسل وجهه عدة مرات في اليوم ، واستعمال فرشاة الاسنان في تنظيف اسنانه مرة واحدة في اليوم ، خاصة بعد تناوله الحلويات بانواعها •

وتقوم الام بالتفتيش ـ بين حين وحين ـ عن اظافره اذا كانت طويلة او وسخة • وفحص فروة الرأس والملابس لوجود آثار بعض الحشرات كالقمل والبرغوث وغيرها • كما أن عليها أن تفتش ملابس الطفل الداخلية ـ قبل الغسيل ـ لفحص آثار بعض الاوساخ ، كوجود آثار عدم التنظيف جيدا بعد التواليت ،او وجود آثار بعض الحشرات الطفيلية ونحو ذلك •

وعلى الام ان تعلم طفلها الا يرفع طعاما سقط من يده الى الارض ، مهما كان ذلك الطعام اثيرا عنده •• فان ذلك الطعام قد اصبح ملوثا وقد يضر بصحته ، وصحته اغلى من كل طعام ياكله بالطبع • وغير ذلك من عادات صالحة قويمة من عادات النظافة وآدابها ••

حمام الوليد الرضيع

لا يجوز مطلقا تحميم الوليد قبل سقوط الحبل السري ، والتئام السرة تماما • ويستعاض عن ذلك بغسل المنطقة العجانية واليدين فحسب •

وهذه بعض الامور التي يجب على الام الاطلاع عليها عند تحميم الطفل :

ـ يجب ان يحمم الطفل يوميا ، خاصة في اوقات الصيف ، فالحمام يزيل الاوساخ ، ويهيىء له فرصة طيبة للحركة والنشاط ، ويهدىء اعصابه اذا كان عصبي المزاج •

ـ يجب ان يكون جو الغرفة دافئا ، وبعيدا عن التيارات الهوائية • وان يمنع الاطفال الاخرون من الدخول اليها والخروج منها اثناء استحمام الطفل •

ـ ينبغي الا تزيد مدة الاستحمام عن عشر دقائق • فان مدة الاستحمام كلما طالت تتعب الطفل من جهة وتعرضه للاصابة بالبرد ـ خاصة ايام الشتاء ـ من جهة اخرى •

ـ يستحسن أن يكون للحمام قوائم عالية ، والا فيوضع على طاولة او منضدة • فان ذلك يسهل على الام عملها ويذهب عنها عناء الانحناء ، والقيام ، والقعود ، ونحو ذلك •

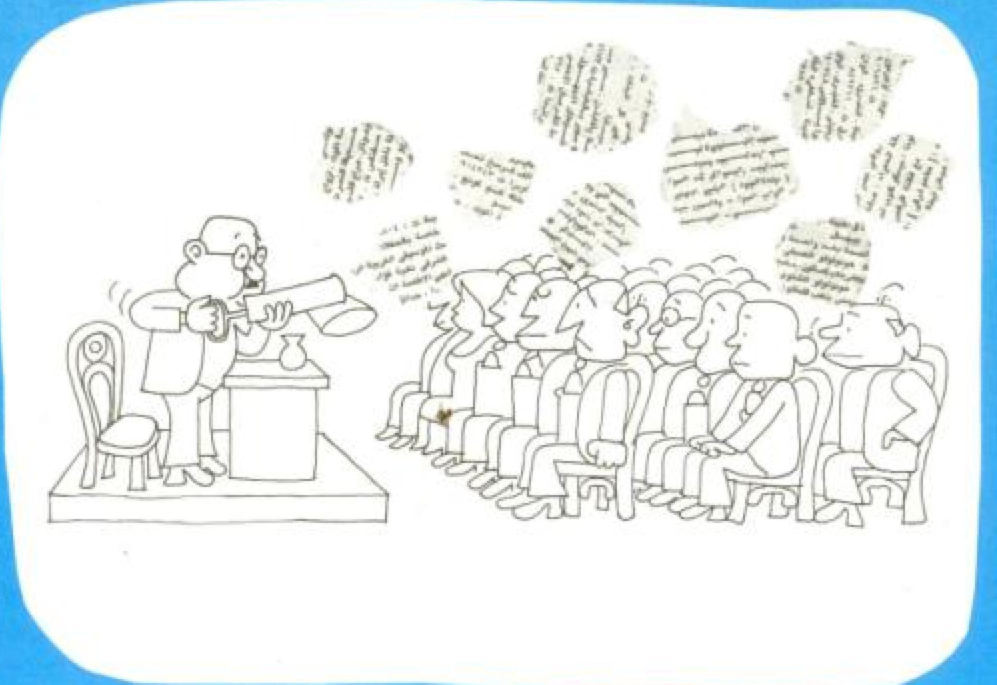
ـ يستعمل لغسيل الطفل نوع من الصابون ذي النوعية الجيدة ، والحاوي على كمية ضئيلة من المواد القلوية •

ـ بعد الاستحمام ، ينشف الطفل ، ثم يوضع على جسمه مسحوق من النوع المعطر ، خاصة في الاماكن الرطبة من الجسم كالابطين ، وما بين الفخذين والاليتين • ثم يوضع في المهد لينام نوما عميقا هانئا ، هادئا سعيدا • ■■

الكويت ـ د• محمد صادق زلزلة




كلام كلام
كلام كلام
كلام











طبيب الاسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

اللولب كمانع للحمل

● قالت محدثتي وقد سمعتني اتذمر من كثرة الانجاب وتعبي اثناء الحمل ، وعدم مقدرتي على احتمال تناول حبوب منع الحمل • لماذا لا تستعملون اللولب ؟ واخذت تحدثني عن مزاياه •

فهل لي ان اعرف راي الطبيب ؟

ـ قديما عرف بان ادخال اي جسم غريب الى داخل الرحم يؤدي الى الاجهاض ، وقد استعملت هذه الوسيلة بطريقة غير علمية من قبل من هم بعيدون عن الطب ومن هم من المشعوذين والدجالين لاجهاض الكثيرات ممن كن يرغبن في ذلك لاي سبب في نفوسهن لا يقره الطب •

وقد توصل البعض بعد ذلك بادخال جسم غريب وبتركه داخل الرحم والمهبل كطريقة لمنع الحمل في اوائل القرن التاسع عشر الا ان هذه الطريقة لم يكتب لها النجاح لما كانت تسببه من التهابات داخلية بالجهاز التناسلي •

واخذ العلماء والاطباء يدرسون هذه الظاهرة الى ان توصلوا بان ترك جسم غريب داخل تجويف الرحم يمنعه من احتضان البويضة الملقحة عند نزولها اليه من غير ان يسبب وجود هذا الجسم اي تعب الا للقليل جدا من النساء •

واول ما بديء باستعماله كان على شكل حلقة او سبيكة صنعت من المعادن مثل الذهب او الفضة • ثم بعد اكتشاف اللدائن وخاصة مادة «البوليتين» استغلت هذه المادة لصنع اللوالب لما لها من مميزات كرخص الثمن وبساطة تنوع الشكل ويسر عملية ادخالها بتجويف الرحم وسهولة اخراجها عند الحاجة • وقد طغى استعمالها على باقي الانواع • وشكلت باشكال منوعة منها ما هو على شكل حرف « S » بالانجليزية ومنها ما هو على شكل « T » وهكذا •

وقد شاع استعمال اللولب في السنوات الاخيرة فاصبح يحتل المركز الثاني بعد حبوب منع الحمل • وعادة ما يستعمل اللولب اذا لم تتمكن المراة من تناول حبوب منع الحمل اما لعامل نفسي او لعائق مرضي كوجود بعض الامراض التي تمنع استعمالها او لاضطراب عقلي يمنع اخذ الحبوب بانتظام •

ولا يوضع اللولب الا بواسطة طبيب مختص وله جهاز خاص لادخاله في تجويف الرحم وبه خيط من النايلون يتدلى من المهبل للاستدلال منه على وجوده ويمكن ايضا تحديد مكانه بواسطة اشعة اكس حيث يوجد بلدائن اللولب مادة عازلة لها •

وقدرت فعاليته في عملية منع الحمل بعد دراسات وابحاث مستفيضة فوجد بان احتمال الحمل في اثناء وجوده يتراوح من ٢ ـ ٥٪ فقط • وان حصل وحدث الحمل فانه لا ضرر من وجوده على الجنين فيمكن اخراجه او حتى تركه ليقذف به اثناء الولادة •

وللولب مزايا عدة نذكر منها :

ـ رخيص الثمن سهل الوضع والاخراج ـ لانه يوضع بداخل

تجويف الرحم فمضاعفاته محصورة بالجهاز التناسلي ولا تاثير له على باقي اعضاء الجسم كما يحدث في الحبوب مثلا – يستمر مفعوله طالما بقي في مكانه ولمدة طويلة – قليل المضاعفات اذا ما قيس بغيره من الموانع الاخرى – لا يؤثر على عملية الاخصاب وتعود لوضعها الطبيعي بعد اخراجه.

ولا يستعمل اللولب في الحالات الآتية :

في حالة النزيف الرحمي – في حالة وجود التهاب بالجهاز التناسلي – بعد الولادة او الاجهاض مباشرة .. قبل مرور مدة ستة أسابيع او ثمانية اسابيع على الاقل ليعود الرحم لوضعه الطبيعي .

– بعد اجراء عملية القيصرية خوفا من تاثيره على الجرح الذي بالرحم فيعيد فتحه – عند وجود تشوه خلقي بالرحم – عند وجود اورام بالرحم – عندما يسبب مضاعفات بعد وضعه .

واحسن وقت لتركيب اللولب هو بعد الحيض مباشرة على ان تفحص السيدة بعد ذلك بشهر ثم بعد ثلاثة اشهر ثم كل سنة للتاكد من وجوده . الا اذا حصل منه مضاعفات فيجب استشارة الطبيب في الحال .

اما مضاعفاته فهي :

– حدوث الحمل بالرغم من وجوده وان النسبة هي ما بين ٢ – ٥٪ خاصة في السنة الاولى من تركيبه .

– قد يحدث الاغماء عند تركيبه ولو ان ذلك لا يحدث الا قليلا جدا .

– قد يحدث بعض التمزق بعنق الرحم اثناء التركيب سرعان ما يلتئم ويعود لوضعه الطبيعي .

– قد يحدث زيادة في دم الحيض او نزف من الرحم نتيجة لوجوده .

– قد يحدث التهابات بالرحم من جراء وجوده او في اثناء تركيبه وان كان ذلك نادرا .

– قد يسبب خرقا لجدار الرحم وهذا ايضا نادر الحدوث.

ويجب ان نذكر هنا بانه حتى الان لم يثبت علميا بانه يؤدي الى حدوث تغييرات خبيثة في خلايا الرحم ولا في خلايا عنق الرحم اي انه لا يساعد على الاصابة بالسرطان .

نفث الدم من الرئة

● هل كل بصاق به دم دلالة على الاصابة بالتدرن الرئوي ؟ أم أن هناك أسبابا اخرى ؟

– لا شك أن ظهور الدم من فتحات الجسم يقلق الانسان ويفزعه ويجعله يفكر بانه مصاب باشد الامراض فتكا . والحقيقة أن كل انسان يكشف ظهور الدم من فتحات جسمه سواء كان ذلك عن طريق الجهاز التنفسي او الهضمي أو البولي – وخاصة اذا كان متقدما في السن عليه مراجعة الطبيب باقرب وقت . وليس معنى ذلك بان كل حالة يكمن وراءها مرض خطير ، كلا . والف كلا ، ولكن كما نقول دائما الوقاية خير من العلاج .. واكتشاف السبب ومعالجته المبكرة حتى ولو كان خطيرا افضل بكثير من ترك المرض يستفحل بالجسم .

وللنفث الدموي اسباب كثيرة ولكن قبل ذكرها يجب الاشارة هنا باننا يجب اولا أن نفرق بين الدم الخارج من الجهاز التنفسي وذلك الذي يخرج من الجهاز الهضمي عن طريق القيء ، وكثيرا ما يختلط الامر على المريض ولا يفرق بين الاثنين . وثانيا يجب أن نفرق بين النفث الدموي الحقيقي والنفث الدموي الكاذب او المزيف . فاما الحقيقي فهو الذي ينتج من اجزاء الجهاز التنفسي ابتداء من الحنجرة حتى حويصلات الرئة مرورا بالقصبة والشعيبات . اما الكاذب أو المزيف فهو ذلك النفث الذي ينتج من البلعوم والانف والفم. وعند الكلام عن النفث الدموي يكون دائما عن الحقيقي وليس عن الكاذب أو المزيف .

وقد يكون النزف بسيطا ولا

ولايشعر المريض بشيء ولا ينزعج ولايقلق الا عند اكتشافه البصاق المصحوب بخطوط من الدم أو بقطع صغيرة منه مختلطة به .

وقد يكون النزف من الشدة بحيث يشعر المريض بدغدغة بالحلق يتبعها تدفق لمادة ملحة المذاق بالفم وعند البصق يلاحظ كمية كبيرة من الدم . وهنا يشعر المريض بعدم الراحة والتعب والقلق وبخفقان القلب وسرعة النبض ، وقد يصاب بالاغماء والصدمة .

وغالبا ما يكون النفث الدموى مصحوبا بالسعال المتواصل أو المتقطع الشديد منه او البسيط .

أسباب النفث الدموى :

أولا : التدرن الرئوى وهنا يكون الدم ناتجا اما عن تمدد شرياني في تجويف بالرئة أو قرحة بوعاء دموى أو من احتقان حول الاصابة .

ثانيا : احتقان وريدى مزمن بالرئة وغالبا ما ينتج من ضيق الصمام التاجي (المتوالي) بالقلب .

ثالثا : التمدد الشعبي بالرئة .

رابعا : الالتهابات الرئوية المختلفة ــ كالتهابات أنسجة الرئة أو الشعيبات أو القصبة أو وجود خراج أو غرغرينا .

خامسا : سد أو حجز دموى بالرئة اثر جلطة أو ضيق بأحد شرايين الرئة .

سادسا : أورام الرئة والشعيبات والقصبة أو الغدد اللمفاوية القريبة منها .

سابعا : النزف الناتج من الاصابات الخارجية ككسر الضلوع والكدمات الشديدة والجروح النافذة منها وغير النافذة .

ثامنا : وجود جسم غريب بالقصبة أو الشعيبات .

تاسعا : بعض امراض الدم كسرطان الدم (اللوكيميا) ونزف الدم الوراثي (الهيموفيليا) ونقص فيتامين ج .

عاشرا : بعض الاصابات الرئوية بالطفيليات .

حادى عشر : انفجار بسبب تمدد واتساع جزء من الابهر وهو أكبر شريان بالجسم وهنا يكون النزف شديدا ويؤدى الى الوفاة .

أما اسباب النفث الدموى الكاذب فمعظمها ينتج من الفم والانف كتورم اللثة والتهابها واحتقانها أو من الرعاف أو من النزف الناتج بعد خلع الاسنان والضروس .

الدكتور
محمد فاروق المهندى
وزارة الداخلية ــ الخدمات الطبية ــ الكويت

بولينا الدم

● ماهي الامراض التي تسبب ارتفاع نسبة بولينا الدم

ــ المعروف ان نسبة بولينا الدم تتراوح بين ٢٠ ــ ٤٠ ملجرام في كل سنتيمتر مكعب من الدم . والمعروف ايضا ان البولينا تنتج من تمثيل المواد البروتينية وتفرزها الكلى بنسبة كبيرة وتفرز كذلك في العرق وبذلك يتخلص منها الجسم . فترتفع نسبة البولينا في الدم .

وهناك اسباب خارجة عن الكلى واسباب تتعلق بالكلى نفسها ، فمن الأسباب الخارجة عن الكلى : فقدان كمية كبيرة من سوائل الجسم وفى حالات النزف الشديد سواء كان داخليا ــ اى داخل الجسم ــ كما هو الحال في نزف المعدة والامعاء ، او نزف خارجي كما هو الحال في الحوادث المصحوبة بالنزيف الخارجي . وكذلك ترتفع بولينا الدم في حالات الالتهاب الشديدة التي تحدث في الجسم والمصحوبة بهبوط في الدورة الدموية وبذلك لا تذهب كميات كبيرة من الدم الى الكلى لتصفيتها من البولينا فتتجمع في الدم . ويلاحظ نفس الحال في اى سبب من الاسباب التي تسبب هبوطا في القلب كارتفاع ضغط الدم او انسداد في شريان تاجي القلب او التهابات الرئتين المزمن .

ومن الاسباب الخارجة عن الكلى ايضا وجود انسداد مزمن في مجرى البول خارج الكليتين كوجود حصى في كلا الكليتين او الحالبين او تضخم البول او ضيق شديد في مجرى البول . ■■

اللغة العربية

تأثرها بلغات الامم

وتاثيرها فى هذه اللغات

عبر القرون

بقلم : قسطنطين تيودورى

بدأت فى العصر الاموى ترجمة العلوم الى اللغة العربية ، واول من بدأ حركة الترجمة فى ذلك العهد خالد بن يزيد حفيد معاوية الاكبر المتوفى سنة ٧٠٤ م · وعندما ازدهرت الحركة الادبية فى العصر العباسى ، وخاصة فى عهد هارون الرشيد وابنه المأمون ، ترجمت الى العربية ـ من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والهندية والكلدانية والمصرية ـ كتب الفلسفة والمنطق والطب والنجوم والرياضيات والتاريخ والكيمياء والتشريح وغيرها من العلوم، مما اوجد نهضة علمية وأدبية منقطعة النظير فى تاريخ اللغة العربية امتدت الى كثير من اقطار اسيا واوروبا وافريقية ، فطرأ بواسطتها تطور على العربية كان من نتائجه وجود لغة علمية تقاس بمعيار المنطق والبرهان العقلى ، كما وضع كثير من مصطلحات العلوم والفنون . ووضعت كلمات جديدة فى جميع العلوم المعروفة فى ذلك العهد ·

أثر اختلاط العرب بشعوب البلاد المفتوحة

وابان الفتوحات العربية التى امتدت الى كثير من انحاء العالم ، خالط العرب عددا من الشعوب وتعلموا لغاتها ، واقتبسوا منها بعض العلوم والفنون ـ وفى مقدمتهم الشعوب الآرامية فى الجاهلية والقرون الاولى للسلام ـ فنتج عن ذلك اندماج طائفة من كلمات هذه الشعوب فى لسان العرب · كما خالط العرب السريان ، فاقتبسوا منهم مئات الكلمات الخاصة بالزراعة والصناعة والتجارة والملاحة · ومما يلفت النظر ان اكثر الكلمات العربية المختصة بالزراعة آرامية الاصل ·

وقد غزا العرب فارس (ايران) سنة ٦٥٢ ، واستمرت سيادتهم لهذه البلاد العريقة فى الثقافة والمدنية نحو ستة قرون ، فاخذوا عنها قسطا كبيرا من تلك المدنية ، واقترضوا من الكلمات الفارسية اكثر مما اقترضوه من سائر اللغات ، وقد احتلوا

اسبانيا سنة ٧١١م ، واستمر حكمهم فيها نحو سبعة قرون ٠

وقد اثرت العربية في اللغة الاسبانية تاثيرا كبيرا ، فقد ذكر بعض الباحثين ان المقررات العربية التي دخلت الى اللغة الاسبانية تقدر بربع محتويات المعجم الاسباني ٠ اما البرتغالفقد فتحوها في عام ٧١٤ وظلت سيطرتهم عليها حتى عام ١١٣٩ ، واسفر ذلك عن دخول ثلاثة آلاف كلمة عربية الى اللغة البرتغالية ٠ وقد صنف الاب جان دي صوصه J. de Souza (١٧٧٤ـ١٨١٢) المولود في دمشق من ابوين عربيين ـ معجما في ١٦٠ صفحة (لشبونة ١٧٨٩) جمع فيه الالفاظ التي اقتبسها البرتغال من العربية ،هذه الالفاظ التي تغلغلت في اللغة البرتغالية الى حد كبير ٠

واتم المستشرق الهولندي ريخرت دوزي R. Dozy (١٨٢٠ ـ ١٨٨٣) الذي لقي شهرة واسعة بين اعلام المستشرقين ، معجم الالفاظ الاسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية الذي كان قد بدأ بتاليفه المستشرق الهولندي انجلمان Englcman « ليدن ١٨٦٩ » وفي هذا المعجم الذي يشتمل على ٤٢٤ صفحة يجد القارىء الاصل العربي لكل الكلمات الاسبانية والبرتغالية المدرجة فيه

دخول كلمات أعجمية الى اللغة العربية

وفي غمرة احتكاك العرب بالصليبيين من محاربين وتجار ، تواترت علاقات فرنسا مع الشرق العربي وخاصة بعد احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٧ ونشر حمايتها على تونس سنة ١٨٨١ وعلى المغرب الاقصى سنة ١٩١٨ ٠ ونشات علاقات تجارية مدة طويلة بين دويلات ايطالية المستقلة والاقطار العربية ، فدخلت الى العربية من جراء ذلك كلمات لم تزل الى الان شائعة في الاوساط التجارية والمالية ككلمة : دوبيا ، برتستو ، كمبيو، كمبيالة ، بنك ، سيركولار ، بورصة ، وغيرها ٠

ومع ان العرب لم يفتحوا اليونان كما فتحوا غيرها ، الا انهم منذ ايام العباسيين اخذوا ينقلون علومهم ومؤلفاتهم من لغتها الاصلية أو من ترجمتها السريانية ٠ وقد قرأ الفيلسوف العربي أبو نصر محمد الفارابي (٨٧٣ ـ ٩٥٠) كتب أرسطو ونشرها مع كتب أفلاطون لمعاصريه،وشرحها لهم ٠ وبعد نشأة النصرانية سادت اللغة اليونانية العامية في جميع اقطار الشرق التي كانت خاضعة لليونان ٠ ولا شك ان شعوب سورية ومصر وغيرها من بلاد الشرق الادنى التي فتحها العرب قد تاثروا باللغة اليونانية فاقتبسوا منها مئات الكلمات ولا سيما عن طريق اللغة السريانية ،كما ان اللغة اليونانية نفسها اقتبست الشيء الكثير من العربية ، غير ان هذه المقتبسات اتخذت شكلا يصعب معه ارجاعها الى الاصل العربي ٠

وهكذا دخلت الى العربية على مر الزمن كلمات كثيرة من اصل سرياني وفارسي ويوناني ولاتيني وفرنسي وايطالي واسباني وتركي وغير ذلك ٠

كلمات من أصل سرياني

تاجر ، رقعة (قطعة ورقة للكتابة) اجبار ، جاسوس ، مجلة ، ترعة ، بقعة (قطعةارض)حسن، حكيم ، اسبوع ، حرب ، رصيف ، روح ، حيوان ، اقنوم ، رحمن (نعت مختص بالله) ، جنة ، خياط، درب ، دير ، اطلس (نسيج حرير رقيق) ، كوز (ابريق صغير) ، تنور ، اكليل (تاج) ، انبوب ، تلميذ ، حمى ، ربح ، اس (بمعنى اساس) ، امهات (جمع أم) ٠ بيت ، ترجم ، حشرة ، دمية ، مروحة، زمن ، زورق ، زاوية ، زيت ، سفينة ، مسجد ، ساس ، حانوت ، كنيس (معبد اليهود) ، صمصام (سيف) ، وكلمات كثيرة غيرها تحسبها عربية الاصل ٠

كلمات من أصل فارسي :

أستاذ ، اوج (علو) ، دستور ، جوق (جماعة من الناس) ، برهان ، بستان ، ربان ، جهبذ (ناقد ماهر) ، زنديق، ديباج، ديباجة(مقدمةالكتاب او نحوه كانتمذهبة أو ملونةعند العرب) ، أفيون، ساذج ، سراب ، سرادق ، جزية (ضريبة) ،جناح (الم) ، جوهر ، صك ، دفتر ، ديوان ، خنجر ، سفتجة (كمبيالة) ، ابريق ، اسطوانة ، بازار (سوق) ، جام (كاس) ، دكان ، ، سمسار ،عربون، برطيل ، برنامج ، طازج ، طبق (مايؤكل عليه) ، طراز ، خليج ، درويش ، دولاب ، ناى (آلة موسيقية) ، صرماية (كحذاء) ، روزنامة (تقويم) ، خواجة (سيد) ، خز (حرير) ، جاموس ، بوتقة (وعاء تذاب فيه المعادن) ، الياقوت ، المسك القصعة (صفحة) ، الفلفل ، هندام ، بادنجان او

باذنجان ، السرايا (الدوئر الحكومية ، بلاط‌الملك)، مارستان (مستشفى) ، ترجس ، النارجيلة(ويسميها العامة أركيلة) ، بريد ، بند (فصل أو فقرة من كتاب) ، صهريج ، جادة (طريق) ، وكلمات غيرها نستعملها كأنها عربية اصيلة •

كلمات عربية مشتقة من أصل يوناني

اسطول ، فردوس ، طقس (بالمعنى الكنسي) ، فلسفة ، موسيقى ، برج ، يرقان (اسم مرض) ، كيمياء ، ميناء ، درهم ، اقليم ، خليفة ، أسطور (جمعها اساطير) ، طلسم ، قرطاس ، قيراط ، ابرشية ، ابليس ، أثير ، ارثوذكسي ، ازميل ، انجيل ، اسقف ، الماس ، اسفنج ، جغرافية ، بلسم، تلغراف ، خارطة ، ديناميو ، فلس ، قندلفت (خادم الكنيسة) ، ارستقراطية ، مقلاد (جمعها مقاليد) ، الارث ، اقة ، كيلو ، كيلوجرام ، الناولون (اجرة الراكب) ، مسجل وغيرها •

كلمات عربية من أصل لاتيني

اسطبل (اصطبل) ، امبراطور ، بترول،بركان، ريف ، بلاط (بمعنى قصر) ، قنصل ، قرن ، دينار ، قبان (ميزان لاشياء ثقيلة) ، قنطار ، بارجة ، سراط (صراط) ، قنديل ، قناة ، قميص، ترانزيت ، مانيفاتورا ، قلنسوة (نوع من لباس الرأس) ، قيصر ، كردينال ، فقة (سلة) ، ميل، كرمسيون ، (عمالة) ، فرن ، كرب (قدح) ، كوفية (غطاء للرأس) ، جنرال ، البروليتاريا (الطبقة العاملة) الخ . كل هذه الكلمات مقتبسة من اللاتينية واكثرها اندمج في العربية بواسطة اليونانية أو الايطالية •

كلمات من أصل فرنسي

سكرتير ، برلمان ، بروتستانتي ، دكتور ،راديو طن (ألف كيلو غرام) ، مليون ، مليار ، مارشال، باسبورت (جواز سفر) ، بلون (منطاد)،باتيستا (نسيج رقيق من الكتان) ، دزينة ، نوفوتيه ، بورجوازية ، ماسوني ، بطارية ، وغير ذلك •

كلمات من أصل ايطالي

برميل ، بنك ، بورصة ، كمبيالة ، رصيد ، كمبيو ، دوبيا ، كونترانو ، فاتورة ، اكسترا ، شوكولاته ، سيكورتاه ، بروتستو ، باله ، صابورة (مايوضع من الثقل في قعر السفينة لئلا يميل احد جانبيها) ، قرصان (لصوص البحر) ، بيرة (معربها جعة) ، بوليصة (البيان ، ومنه : بوليصة الشحن ، وبوليصة التامين) وغيرها ، ويلاحظ ان اكثر هذه الكلمات نستعملها اليوم في المصارف وفي معاملاتنا التجارية •

كلمات من أصل اسباني

بطاطا ، تبغ ، ريال ، الكناري (طائر حسن الصوت) ، كينا (شجرة) ، اندمجت هذه الكلمات في العربية بواسطة اللغة التركية •

كلمات من أصل تركي

بارة (جمعها بارات ، وهي الجزء الاربعون من العرش) ، قرش (غرش) ، بيرق (راية) ، ترسانة (مستودع للذخائر وادوات الحرب) • دمغة ،قنبلة ، قفطان ، برغي ، كندرة (تركية عامية) ، وجاق (مدفأة) ، بارود ، جمارك ، زنكين (غني)،جزدان، فرمان (عهد السلطان للولاة) ، بقلاوى (نوع معروف من الحلواء) وغير ذلك •

اندمجت هذه الالفاظ ومئات غيرها في العربية، فزادت ثروتها ، واصبح من المتعذر التمييز بينها وبين الالفاظ العربية الاصيلة ، وبهذه الطريقة اغنى العرب في عصورهم المزدهرة العربية بالاف الالفاظ التي عربوها وجعلوها على صيغ عربية تلائم الذوق العربي ، وقد اظهروا براعة فى التحول والتعريب حتى صارت الكلمات الاعجمية عربية لا غبار عليها•فهل يخطر ببال احد غير كبار اللغويين ـ ان كلمة ترعة مقتبسة من السريانية ، وبستان مقتبسة من الفارسية ، وبرج من اليونانية، ودينار من اللاتينية ، وقنبلة من التركية ، ومليون من الفرنسية ، وبرميل من الايطالية ؟

اعتماد الغرب على الكتب العربية

وقد افسح العلماء الاعلام ومشاهير الفلاسفة من العرب ـ الذين ظهروا في بغداد وقرطبة والقاهرة وتونس ـ مجالا لتقدم العلوم والفنون ، ورفعوا منار المدنية اكثر من خمسة قرون ، بينما كانت القارة الاوروبية باسرها غارقة في سبات عميق•

ولما افاق الغربيون من سباتهم هذا ، اخذوا يترجمون من العربية الى اللاتينية ، ولم يقتصروا على كتابات العرب الاصيلة بل ترجموا ايضا

ما نقله العرب من العلوم عن قدماء الاغريق • وتالفت في طليطلة سنة ١١٣٠م جماعة من المترجمين برئاسة رئيس الاساقفة ريموند ، وكان فضل هذه الجماعة عظيما على البلاد الاوروبية •

وظلت جامعات اوروبا اكثر من خمسة قرون تعتمد في موادها العلمية على الكتب العربية • وفي نهاية القرن الخامس عشر كانت الكتب العربية المقررة في جامعة « توبنجين » Tubingen اضعاف الكتب اليونانية ، وكانت مؤلفات الرازي وابن سيناء تدرس في جامعة الطب الكبرى في «مونبلييه» Montpelier حتى القرن الثامن عشر •

اندماج الكلمات العربية في اللغات الاوروبية

وفي ابان سلطان العرب كان للعربية تأثير شديد في حياة الغربيين وقد ظهر ذلك في كثير من اللغات الاوروبية ، ولا مجال الان في هذا المقال لتعداد الكلمات اليونانية والاسبانية والبرتغالية والانكليزية والفرنسية المقتبسة من العربية ، اذ كما اقترضنا من الاوروبيين ولغات الشعوب الاخرى اقترضوا هم ايضا منا ، فقد استمد الاسبان معظم اسماء الرياحين والازهار من العربية ، ومن جبال البرانس انتقلت كلمات عربية كثيرة الى الفرنسية كالبرقوق والياسمين والقطن والزعفران، وقد اخذت اسبانيا وبواسطتها امريكا اللاتينية من اللغة العربية الشيء الكثير من مقوماتها اللغوية ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا • وقد زود العرب الذين كانوا قادة البحر الابيض المتوسط كلا من فرنسة وايطالية بكثير من مصطلحات الجيش والادارة والصيد وغيرها • وجملة القول ان العربية كانت في العصور الوسطى لغة الفلسفة والطب ومختلف العلوم والفنون ، بل اكثر من ذلك ، كانت لغة دولية لمصطلحات التجارة والعلوم •

ومنذ اوائل القرن الماضي انعكست الآية ، فصار المترجمون من ابناء العربية يترجمون الكتب من الايطالية والفرنسية في العلوم المختلفة ، فاحدث ذلك انقلابا عظيما في العربية ، واكتسبت سعة في الاغراض والمعاني والاساليب وطرق التفكير ، وكان لانشاء مدرسة « قصر العيني » (١) في القاهرة اثر كبير على اللغة العربية ، اذ قام فيها من جهابذة الاساتذة من نقلوا بعض ما كان ضروريا انذاك للطلبة من العلوم العصرية الى العربية ، ووضعوا مصطلحات علمية تقابل المصطلحات الغربية ، فكان لهذا المجهود العلمي الكبير اثر فعال ، ليس في مصر فحسب ، بل في الشرق العربي ايضا • وصحب ذلك نهضة علمية اخرى في سورية ولبنان ، نقلت فيها الكتب العلمية الى العربية ، واتسعت هذه الحركة على يد نخبة من الاساتذة وارباب النشر والصحف •

أول موسوعة عربية للمصطلحات العلمية

ظهرت اول موسوعة عربية للمصطلحات العلمية في عصر المأمون العباسي باسم « مفاتيح العلوم » لابي عبدالله محمد الخوارزمي (٢) حول مصطلحات الطب والحساب والهندسة والفلك وغيرها من علوم ذلك العصر ، وفي أحد مؤلفاته بحث في الجبر حلت مسائله في المعادلات الثلاثية بطريقة هندسية ، ويقال ان الخوارزمي لم يحل سوى المعادلات من الدرجة الثانية Eguation of 2 degrees وان الذي حل معادلات الدرجة الثالثة هو عمر بن ابراهيم • ويعد الخوارزمي الذي عالج عدة علوم ـ اقدم الرياضيين العرب ، ونقلت كتبه في الجبر والمقابلة الى اللاتينية • والف محمد بن علي التهانوي الذي توفي بعد ١٧٤٥ معجم مصطلحات آخر بعنوان : « كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم » يتضمن المقررات الفنية المستعملة في العلوم الاسلامية ••

ومن الادلة على ان العرب ساهموا مساهمة فعالة في معالجة مختلف العلوم والفنون وفي وضع اصطلاحات خاصة لها ، ما كتبه أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (٨٦٤ الى ٩٣٢ م) الفيلسوف الذي اشتهر في الطب والكيمياء ، ولقب جالينوس العرب وظل حجة في اوروبا حتى القرن السابع عشر للميلاد ، وما كتبه الرئيس ابن سيناء(٩٨٠ـ

(١) مقر المدرسة الطبية والمستشفى العسكري في مصر منذ ١٨٣٧ •

(٢) المعروف عن الخوارزمي صاحب « مفتاح العلوم » انه توفي سنة ٣٨٧ هـ . وان عصر المأمون العباسي او مدة حكمه العام بدأت بقتل أخيه الامين سنة ١٩٨ وانتهت بوفاة المأمون سنة ٢١٨ ، فبين وفاة المأمون ووفاة الخوارزمي هذا نحو ١٦٩ سنة هجرية ، وهذا الكتاب معجم وليس موسوعة بأي معنى من المعاني •

١٠٣٧ م) في الطب ايضا ، بالاضافة الى الفلسفة والصوفية ، وقد نقل الافرنج مؤلفاتهم الى لغاتهم واعتمدوها ، ثم ما كتبه ابن الهيثم (٩٦٥ الى ١٠٣٩ م) في الرياضيات والطبيعيات وفلسفة ارسطو ، ومن كتبه التي ترجمت الى اللاتينية « علم المناظر » في البصريات ، واصبح كتابا مدروسا في اوروبا في العصر الوسيط حتى روجر بيكون Roger Bacon (١٢١٤) ، ثم ابو الريحان البيروني (٩٧٣ الى ١٠٤٨م) الذي كان علما في الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ والعلوم اليونانية والهندية ، ومن مؤلفاته « الآثار الباقية من القرون الخالية » الذي طبع في ليبزج Leipzig ١٨٣٨ وغير هؤلاء من علماء العرب وفلاسفتهم •

قابلية العربية ومجاراتها للعلوم الحديثة

وضعت في اواخر القرن الماضي وفي القرن الحالي بعض معجمات علمية لم يستفد واضعوها كثيرا من علوم العرب ، ولم يبالوا باستعمال مصطلحات العرب القديمة ، ولم يدققوا في تادية الحقائق العلمية ، فكانت هذه المعاجم لا تخلو من الخطا والتعجل ، وتغلب عليها كذلك الطابع الاجنبي • وكان يمكن لاولئك المؤلفين ان يطوروا الكلمات والمصطلحات التي استعملوها ليعطوا مقابلا صحيحا للمصطلح الاجنبي ، ويتم هذا :

(١) بطريقة الاشتقاق وهو اخراج كلمة من اخرى مع المحافظة على قرابة في المعنى واللفظ بينهما

(٢) بالتعريف وهو افراغ اللفظ الاجنبي في قالب عربي وهذا ما يسمى الدخيل الذي جرى على الابنية العربية

(٣) بالنحت وهو تركيب كلمة من كلمتين تتضمن كل منهما معنى ملحوظا في المصطلح المنحوت•

(٤) باخذ الكلمات على ما هي عليه في الاصل•

(٥) بالترجمة وهي اللفظ العربي المتخير لمعنى من المعاني الجديدة الواردة الينا •

ولا ادري لماذا لا نلجا الى هذه الوسائل الخمس في وضعنا المعاجم العلمية والفنية ، فقد ثبت ان العربية لغة طيعة لينة ، يستطيع المرء ان ينحت ويقلب ويصرف منها ما يشاء ، وهي ذات تاريخ طويل حفلت بثروة كبيرة ، وتهيا لها من اسباب الرقي مواد كثيرة استعانت بها على مسايرة العصور ، واسطع برهان على غنى العربية واصالتها ونقائها ، بل اسطع برهان على قابليتها للتطور ومجاراتها للعلوم الحديثة ، هو تقديمها المواد اللازمة لجميع المصطلحات العلمية والفنية في عصور الازدهار • وقد اقتبست اللغات الاجنبية منها الشيء الكثير ، مع العلم بان الاصطلاح العلمي في هذه اللغات مستعار اكثره من اللاتينية واليونانية •

ومما يجدر ذكره ان موسوعات اللغتين الانكليزية والفرنسية ، تضاف اليها بين سنة واخرى ملاحق كبيرة ، تشمل مئات المقررات الغربية ، من افريقية واسيوية وهندية ، جرت على السن الشعوب بواسطة الجنود المحاربين المتنقلين ، مما الجا المجامع العلمية واللغوية في بريطانيا وفرنسة الى اقحام تلك الكلمات في صلب معاجمها ، لان الشائع المتعارف في نظرهم كالاصيل لايجوز اهماله ،خوفا من توقف اللغة عن التطور ، واصابتها بالجمود ، وفي ذلك عبر للجادين من رجال لغتنا •• ! ■■

مراجع البحث

■ الاثار الارامية في لغة الموصل العامية «للدكتور داود جلبي الموصلي
■ لغة حلب السريانية « للاب القس جرجس شلحت
■ غرائب اللهجة اللبنانية السورية« للاب رفائيل نخله اليسوعي
■ البراهين الحية على تقارض السريانية والعربية« للبطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث
■ مقالات العلامة الاب انستاس الكرملي في مجلته« لغة العرب » •
■ ماكان ينشر في اعداد قديمة من مجلة «المقتطف» عن الالفاظ الاجنبية التي دخلت على اللغة العربية
■ ماكان يكتبه العلامة الاب شيخو اليسوعي في مجلته « المشرق» •
■ الطبعة الحديثة من «المنجد» المعجم العربي لمؤلفه الاب لويس معلوف اليسوعي •
■ الجزء الاول من معجم « المرجع » لمؤلفه العلامة الشيخ عبد الله العلايلي •

عاشق الكهرباء



قصة : فريتز ليبر

عرض : راجي عنايت

■ عندما كان السيد سكوت يعرض المنزل الريفي الذي يمتلكه على المستاجر الجديد السيد ليفريت، كان يأمل الا ينتبه المستاجر الى وجود برج كهرباء الضغط العالي الذي تطل عليه نافذة حجرة النوم .. فقد كان ذلك البرج سببا في تراجع اكثر من مستاجر طيب .. فالكثيرون من المسنين ما زالوا حتى يومنا هذا يخافون الكهرباء ... لم يكن هناك من سبيل الى اخفاء ذلك البرج ، سوى بجذب نظر المستاجر بعيدا عنه .. كان البرج يحمل الاسلاك التى تمتد الى قمة الجبل ليغذى اكثر من نصف روابى الباسفيك بالتيار الكهربائي .

لكن آمال وجهود السيد سكوت باءت بالفشل ، عندما نظر السيد ليفريت مباشرة الى ساحة الدار حيث البرج ، وأخذت عينا الرجل المسن القادم من نيو انجلاند تحدقان في البرج بما يحمله من عوازل زجاجية يبلغ قطر الواحد منها ١٨ بوصة ، وصندوق المحول المثبت عليه ، والذى يخفض قوة التيار الذى يصل الى المنزل الريفي والمنازل الاخرى القريبة منه والمقامة حديثا في السهل .ثم تركزت نظراته على الاسلاك السميكة الثقيلة التى تتارجح متوازية ، وتمتد عبر التلال الخضراء . ثم أمال رأسه ، لتلتقط أذناه الصوت المنخفض ولكن المتصل ، والذى يشبه صوت القلى في الزيت ، متراوحا بين الأزيز والطقطقة ، نتيجة لانفلات الالكترونات من أسلاك الكهرباء الى الهواء حولها .

« اتسمع هذا ؟ ! » . قالها السيد ليفريت بصوته الجاف الذى يعكس الاثارة لاول مرة منذ ان بدا جولته بتفقد البيت . ثم استطرد « خمسين ألف فولت ! .. طاقة الطاقات !.. » قال السيد سكوت في محاولة للتخفيف « لا بد أن الظروف الجوية اليوم غير عادية .. فعادة لا تسمع مثل هذه الاصوات » . قال السيد ليفريت بصوت يكشف عن استيائه « حقا ؟! .. لا أظن ذلك .. » وبخبرة سكوت التجارية ، رأى أن أفضل ما يقوم به هو تغيير الموضوع الحرج ، فقال « عندما جرى تقسيم أرض روابى الباسفيك .. اشترى صاحب بيك هاوس معظم الاراضي التى ... » لكن السيد ليفريت لم يكن يستمع الى كلماته ..

عند انتهاء الجولة ، اصر السيد ليفريت على العودة الى الساحة حيث برج الكهرباء ، ثم وقف الى جوار البرج صامتا ، وقال « ما زال الصوت مستمرا .. هل تعلم يا سيد سكوت ؟ .. انني اجد في هذا الازيز راحة عجيبة .. كما في صوت الرياح أو الامواج ..فانا اكره صوت الآلات، ولعل هذا هو السبب الذى دفعني الى الانتقال من نيو انجلاند .. » ، ثم استدار ليواجه سكوت سائلا «اتقول أن هذا الصوت مؤقت وعارض؟!..» أجاب سكوت بمرونة التاجر « الحقيقة يا سيد ليفريت .. لم يحدث لى من قبل ان وقفت في هذه الساحة .. ولم يصلني هذا الصوت..يجيء ناعما بعض الاوقات ، عاليا في أوقات أخرى .. لكنه لا يتوقف . لقد حاولت أن أخفي عنك هذه الحقيقة .. فكثير من الناس لا يحبون هذا الصوت .. »

قال ليفريت : « لا لوم عليك .. فاغلب الناس حمقى ومجانين .. مستر سكوت .. هل وصل الى علمك أن أحدا من الجيران يعتنق الشيوعية ؟ »

أجاب سكوت بحسم وقوة : « لا يا سيدى .. لن تعثر على شيوعى واحد في كل روابى الباسفيك .. » ، قاطعه ليفريت قائلا : « أصدقك .. أما الساحل الشرقي فهو غاص بهم .. مستر سكوت اعتبرني مستاجرا للمنزل لمدة عام ، وبالرقم الذى حددته لى .. » .

مد سكوت يده مصافحا وهو يقول : « مستر ليفريت .. انت طراز الآدمي الذى تحتاجه روابى الباسفيك ! »

تصافحت الايدى ، بينما ابتسم السيد ليفريت ، وهو يستمع بسعادة الى الطرقعة الرقيقة التى تنبعث من الاسلاك وهو يقول « هذه الكهرباء أمر مدهش .. لا نهاية للالاعيب التى تقوم بها ..أو يمكن القيام بها اعتمادا عليها .. على سبيل المثال .. اذا أراد الشخص أن يقلع الى عالم آخر في لحظة واحدة .. ليس عليه سوى أن يغرق

الساحة بالماء ، ويتناول سلكا نحاسيا طوله حوالي خمسة وعشرين قدما بيديه العاريتين ، ثم يطوح الطوق الآخر فوق هذه الاسلاك ٠٠ هوب : ينتهي كل شيء !! »

انتاب السيد سكوت لدى سماعه هذا ، شعور قوي بالندم ، عندما تذكر أنه قد أعطى كلمته لهذا المستاجر الغريب ٠ فقد تذكر قصة السيدة ذات الشعر الرمادي التي استاجرت شقة في عمارته ، بحثا عن مكان هادىء ، تتناول فيه جرعة كبيرة من الحبوب المنومة ٠٠لتنتحر ! ٠٠وهذا السيد ليفريت بكلماته هذه ، وبحبه الجنوني للكهرباء ، وكراهيته للشيوعية وصوت الآلات، يعتبر نموذجا للمهووسين والمجانين الذين ينزحون الى الاماكن النائيةلممارسة هوسهم ٠

قال السيد ليفريت متغابيا « لا شك انك تعاني الآن من القلق ٠٠ أليس كذلك ؟ ٠٠ تظن أنني قد أرغب في الانتحار ! ٠٠ لا تقلق يا سيدي ٠٠لقد اعتدت فقط على أن أفكر بصوت مرتفع ٠٠ وانطق أفكاري مهما بدت غريبة ٠٠ » استراحت نفس السيد سكوت لهذه الكلمات ، فدعا السيد ليفريت الى مكتبه لتوقيع العقد ٠

● ● ●

بعد ثلاثة ايام ، مر السيد سكوت على البيت الريفي ليرى كيف يمضي الحال بالمستاجر الجديد، فوجده يجلس صامتا في الساحة على كرسيهزاز، تحت برج الكهرباء مباشرة ينصت باستمتاع الى صوت الازيز ٠وعندما لمحه قادما قال بصوت مرتفع « تناول مقعدا واجلس٠٠» مشيرا الى احد المقاعد الحديثة الموجودة بالساحة ، ثم استطرد اريد ان اخبرك يا سيد سكوت انني اجد هذا البيتالريفي، المقام المريح الذي كنت اسعى اليه ٠٠ استمتع بصوت الكهرباء ، واترك افكاري تتداعى ٠٠٠ في بعض الاحيان اسمعاصواتا صادرة عن الكهرباء٠٠ الاسلاك تتكلم ٠٠ الم يصلك نبا الذين يستمعون الى حوار في صفير الرياح ؟ ٠٠» ٠

قال سكوت وهو يتململ في مقعده « نعم ٠٠ سمعت عنهم ٠٠ » ، ثم تذكر انه قد تسلم شيك السيد ليفريت عن ايجار الربع الاول من السنة ، فتشجع قائلا « لكن صفير الريح يتباين كثيرا ٠٠ اما هذا الازيز فيبدو رتيبا ، لا يمكن ان يتبين فيه المرء اصواتا ٠٠ » تقلصت عضلات وجهالسيد ليفريت ، مما كشف اهمية الموضوع لديه ، وقال بحماس ٠٠ « هراء ٠٠ فالنمل وهو من الحشرات الراقية الذكاء ، بجزم العلماء المتخصصون انه يستخدم لغة كاملة في التفاهم ، ومع هذا فهو لا يصدر سوى الازيز ٠٠ انا شخصيا اسمع اصواتا في ازيز الكهرباء ٠٠ » ثم راح يهتز فوق كرسيه صامتا والسيد سكوت يجلس جامدا في مواجهته٠

اخيرا قالليفريتبصوت حالم « الكهرباء تتحدث الى ٠٠ وتحكي لي كيف تنساب عبر الولايات الامريكية المختلفة عن طريق خطوط الطاقة الكندية الى منازلنا ، الى كل حجرة من حجرات المنزل ٠٠ ٠٠ انها تمضي الى كل مكان هذه الايام ٠٠ تمضي الى مكاتبنا ٠٠ الى مبانينا الحكومية ٠٠ الى مراكز القيادة العسكرية ٠٠ الذي يثير عجبي انها ايضا تستمع الى مكالماتنا التليفونية عن طريق تيارها الضعيف المستخدم في نظامالتليفونات ٠٠ ان كهرباء التليفون هي الشقيقة الصغرى للتيار الكهربائي ، التي تتميز باذانها الكبيرة٠٠ وهكذا ، فالكهربا، تعرف كل شيء عنا ، كافة اسرارنا ٠غير انها لاتخبر احدا بما تعرفه ٠ بعضنا ينظر الى الكهرباء باعتبارها قوة ميكانيكية باردة وهي ليست كذلك ابدا ٠٠ فهي تتمتع بدفء وتبقى حية وحساسية ٠٠ يكمن الود فياعماقها ٠٠ تماما كما في جميع الكائنات الحية ٠٠ »

كان السيد سكوت يستمع الى هذه الكلمات ، حالما بعض الشيء ، مفكرا في مدى الشاعرية التي يمكنأن تكونعليهنشرةدعائية تحمل هذهالكلمات. وقطعت عليه حبل افكاره ، كلمات السيد ليفريت وهو يقول « والكهرباء ايضا ٠٠ تحتمل داخلها بعض عوامل الشر ٠٠ لذا يكون من واجبنا ان نستانسها ٠٠ ان نعرف مسالكها ، وان نتحدثاليها بامانة ، ولا نبدي خوفا منها ٠٠ باختصار ان نتخذ منها صديقا ٠٠ » ، ثم قال بصوت نشيط وهو ينهض من مقعده الهزاز « والان يا سيد سكوت٠٠ اهلم انك جئت لتطمئن على طريقة استخدامي للبيت ٠٠ فهيا بنا نقم بجولة في انحاء البيت ٠٠ »

رغم احتجاج سكوت ، ونفيه هذه النية ، الا انه اضطر الى الاستجابة امام السيد ليفريت ٠عندما اصبحا في حجرة النوم قال ليفريت « لقد ابعدت جانبا البطانية الكهربائية وجهاز تحميص الخبز الكهربائي ٠٠ لا ارى عدلا في استخدام الكهرباء ،

هذا الاستخدام المنزلي الرخيص ! ، وقد لاحظ السيد سكوت ان المستاجر الجديد لم يضف الى اثاث البيت سوى ذلك الكرسي الهزاز الذي يجلس عليه في الساحة ، ومجموعة كبيرة من رؤوس السهام الهندية ..

● ● ●

لابد ان السيد سكوت قد تحدث عن هذا عند عودته الى منزله . ذلك انه بعد اسبوع من هذا اللقاء ، جاءه ابنه الصغير الذي يبلغ التاسعة من عمره وقال له « هاى بابا ..هل تعرف ذلك الرجل العجوز الذي اجرته في البيت الريفي ؟ » قاطعه سكوت قائلا اجرت له البيت الريفي .. هذا هو التعبير اللائق ياربي .. ، استطرد بوب قائلا « طيب .. لقد زرته لارى رؤوس السهام التي لديه يا ابي .. فاكتشف انه حاوى ثعابين !! ..»

خفق قلب سكوت فزعا وهو يفكر ..يا الهي..كنت اعلم انني ساكتشف شيئا شاذا حول ليفريت هذا .. لا شك انه اختار السكن في هذه المنطقة العالية ، لان الثعابين تنجذب اليها في الطقس الحار : .. ايقظه من افكاره هذه صوت ابنه يقول « انه لا يسحر ثعابين حقيقية .. بل مجرد وصلة كهربائية قديمة ... بعد ان اطلعني على مجموعة رؤوس السهام ، جلس القرفصاء على الارض وحرك يديه الى الامام والى الخلف فوق وصلة السلك الكهربائية .. وما لبث طرف السلك الذي يتصل بالصندوق الصغير ان تحرك جيئة وذهابا على الارض ، ثم فجاة : . ارتفع في الهواء ، كما يرتفع ثعبان الكوبرا من السلة .. كان عرضا مدهشا !!... »

قال سكوت لابنه بوب « لقد شاهدت الكثير من مثل هذه الحيل .. لابد ان الصندوق كان يتصل بخيط دقيق يتصل بيد الرجل .. يجذبه ، فيتحرك الصندوق ..» قال بوب محتجا « لكني واثق يا ابي انني لم ار خيطا .. » ، فقال سكوت مفسرا « طبعا .. خاصة اذا كان الخيط له نفس لون الخلفية .. » ثم خطرت لسكوت فكرة ، فسال ابنه « بالمناسبة يابوب .. هل كان الطرف الاخر للسلك يتصل بالتيار الكهربائي ؟ قال بوب طبعا .. طبعا .. لقد قال لا يستطيع ان يقوم بهذا العرض اذا لم يكن التيار الكهربائي مارا فى السلك .. انه ياابى يسحر بالكهرباء .. لقد قلت انه ساحر ثعابين حتى اجعل وصفي اكثر اثارة . بعد هذا خرجنا الى الساحة ، ورايته يسحر الكهرباء التى فى الاسلاك المعلقة ، ثم يجعلها تلتف حول جسده .. لقد كنت اراها وهى تلتف من جانب الى آخر !! .. »

قال السيد سكوت ، وهو يجاهد لكى يحتفظ بصوته هادىء النبرة « ولكن .. كيف امكنك ان ترى ذلك ؟ » ضحك بوب وهو يقول « تصور ياابى ..كانت الكهرباء تجعل شعره يقف الى اعلى.. ثم يميل الى احد جانبي راسه ، ثم يعود ليميل الى الجانب الاخر .. وعندما قال لى ان الكهرباء الان تنتقل الان الى صدرى ، رايت طرف المنديل الحريرى الذى يخرج منجيب سترته العلوى .. كم استمتعت بذلك ياابى .. اكثر من متعتى يوم زرت معك متحف العلوم والصناعات ... »

فى اليوم التالى ، توجه الى البيت الريفى ، وقبل ان يلقى باسئلته التى كان قد اعدها اعدادا دقيقا ،عاجله ليفريت قائلا « اعتقد ان ابنك قد اخبرك عن العرض السحرى الصغير الذى قدمته له بالامس .. انا احب الاطفال .. ابناء الجمهورية الامريكية الانقياء ، مثل ابنك ياسيد سكوت .. فقال سكوت متلعثما فعلا .. لقد روى لى .. فقاطعه ليفريت قائلا لقد عرضت عليه ابسط الحيل بالطبع .. مما يليق بالصغار .. » قال سكوت : « طبعا .. واظن انك استخدمت خيطا دقيقا خافيا في حالة السلك الراقص ... لمعت عينا ليفريت ، وعوضا عن الاجابة على السؤال قال : « تعال يا سيد سكوت .. لنجلس قليلا فى الساحة .. »

كان الازيز مرتفعا فى ذلك اليوم..ومع ذلك فلم يجد السيد سكوت مناصا من ان يعترف بينه وبين نفسه ان ذلك الصوت كان مريحا بشكل ما .. واستطاع ان يميز تنوعا واضحا فى الصوت .. طرقعات متصاعدة ، همهمات ، طقطقات ،تنهدات ! وسمع صوت ليفريت الذى كان يهتز فوق مقعده الكهربائى .. تخبرنى عن كل الاعمال التى تقوم بها .. كل انواع الترفيه التى تمارسها .. الرقصات والاغانى ، كونسرتات فوق الطقطقة ، رحلاتها الى النجوم ، مسابقاتها العنيفة التى تبدو حركة الصواريخ الفضائية الى جوارها كزحف الثعابين البطيء .. تحكى لى ايضا عن

همومها . انت تذكر ولاشك انقطاع الكهرباء عن نيويورك .. لقد اخبرتني الكهرباء بالسبب .. لقد اصيب بعض افراد عائلة الكهرباء بالجنون ، من فرط الاجهاد الشديد على ما أظن . فجمدت حركتهم .. مما اقتضى سرعة ايفاد أعضاء جدد من العائلة ودفعهم في شبكة الاسلاك النحاسية الواسعة الى حين علاج الاخرين من الانهيار العصبي الذي اصيبوا به .. لقد حدثتني الكهرباء عن مخاوفها من ان يتكرر هذا في شيكاغو وسان فرانسسكو .. الضغط هناك يتجاوز القدرة والاحتمال !!

بقي سكوت صامتا ، بينما استطرد ليفريت . ان الكهرباء لا تمانع مطلقا في العمل من اجلنا .. انها تتميز بالقلب الكبير وبحبها لعملها .. لكنها ستشكون ممتنة كثيرا . بشيء ولو قليل من التقدير .. قليل من الاعتبار لمشاكلها الخاصة .. فامامها صراع مع اشقاء لها يتصفون بالبربرية والهمجية .. تلك الكهرباء المتوحشة التي تظهر شراستها في العواصف والصواعق .. والتي تنقض على الارض لتصطاد وتقتل .. وهي اذا كانت اليوم تصل الى التحضر الذي تتميز به الكهرباء التي تسرى في اسلاكنا . الا انها ستصير كذلك ذات يوم ... فالكهرباء المتحضرة يا سيد سكوت هي المعلم الاعظم .. تعطينا الدروس عن كيفية العيش في نقاء واتحاد وحب اخوى .. تخدم الجميع بلا تفرقة .. وهي ايضا وطنية مخلصة .. لا تكشف اسرارها العظمى ، الا لمواطنين امريكيين حقيقيين .. من امثال اديسون وفرانكلين .. هل تعلم انها قتلت ذلك السويدى الذى حاول اصطيادها بطائرة الاطفال الورقية؟؟! ..نعم . الكهرباء هي القوة العظمى الخيرة في الولايات المتحدة الامريكية ..

كان سكوت يستمع الى هذا الحديث الطويل ، وقد غلبه النعاس ، يتصور السيد ليفريت داعية مقدسا لعبادة الكهرباء . وقد توافد عليه الاتباع من كل مكان ، يسعون الى «كريشنا ليفريت» وهو يقيم مراسيمه العجيبة التي يقدم فيها القرابين الى الكهرباء .. وعندما انصرف هابطا الى بيته . اخذ يفكر في تحذير بوب من الذهاب الى البيت الريفي وازعاج السيد ليفريت .

• • •

لكن ذلك التحذير لم يكن يتسحب عليه هو بالطبع .. فقد اعتاد السيد سكوت خلال الاشهر التالية ، ان يمر على البيت الريفي بين حين واخر ، ليحظى بجرعات جديدة من (الحكمة الكهربائية) . كان من الواضح ان السيد ليفريت لم يكن يفعل اكثر من الجلوس على كرسيه الهزاز في الساحة عند برج الكهرباء ، سعيدا وفورا .. مرة واحدة . اثارت كلمات السيد ليفريت مخاوف سكوت من جديد ، عندما عاد الى الحديث الذى دار بينهما في اول يوم جاء فيه ليفريت لاستئجار البيت . فقد قال ليفريت . هل تذكر ماقلته لك ذات مرة . عن القاء طرق السلك النحاسي الذي تمسك به على اسلاك الضغط العالي هذه ؟ .. لقد فكرت في طريقة اكثر فعالية . ذلك بان اوجه الخرطوم الذي يتدفق منه الماء بشدة الى الاسلاك . ممسكا بالمقدمة النحاسية للخرطوم . بالطبع يفضل هنا ان يكون الماء ساخنا . وان تكون قد القيت فيه محتويات علبة ملح طعام كاملة قبل هذا .. » . عندما استمع سكوت الى هذه الكلمات ، سعد بانه كان قد حذر بوب من المجيء الى هذا المكان ..

جاءت المفاجات التالية في الزيارة التي بعدها ، عندما قال ليفريت وقد ارتسمت علامات الجد على وجهه « بالمناسبة .. لقد علمت ان طاقة الكهرباء الامريكية تتسرب هذه الايام الى باقي انحاء العالم .. ومعباة في بطاريات ومكثفات امريكية . بل ان بعضها يتسرب الى داخل الحدود السوفيتية .. اعتقد انها تلعب دورا وطنيا في التجسس على الشيوعيين .. انها وحدات جيش الحرية الكهربائي ! .. » .

في الزيارة التي تلت ذلك ، لمس السيد سكوت ذلك التغيير الواضح الذى طرأ على السيد ليفريت .. فهو لم يعد يجلس على كرسيه الهزاز ، واصبح يذرع الساحة من جانب الى آخر بعيدا عن برج الكهرباء .. وان كان يلقي عليه بين الحين والاخر نظرات خاطفة من وراء ظهره .. وكان مزيج الخوف والعتاب والترقب الذى يتلاعب على ملامحه مثيرا للضحك .

قال بصوت مهموم ، انا سعيد برؤيتك يا سيد سكوت .. لقد صدقت حقا .. ولابد من نقل معلوماتي الى شخص آخر ، حتى اذا حدث لى ما

لا يسر . يمكنه ان يتولى نقل هذه المعلومات الى سلطات الامن الفدرالية ·· ولو انني لا اعلم ما الذي سيكون بامكانهم ان يصنعوه ! · لقد اخبرتني الكهرباء هذا الصباح انها قد انتهت لتوها من تشكيل حكومة عالمية !! ·· تصور لقد وجدت لديها الجراة لتقول لي مثل هذا الكلام·· قالت ان الكهرباء الروسية اصبحت تجرى فــى اسلاكنا . وان الكهرباء الامريكية تسرى فــى اسلاك السوفييت انها تنتقل من هنا الى هناك بلا حياء !··لقد اكتشفت انها لا تحمل اي اختلاف في مشاعرها نحو الولايات المتحدة او الاتحــــاد السوفيتي ! · انها لا تفكر الا في نفسها ! ··»

صمت ليفريت وقد تشنج وجهه بالالم ، ثـم استطرد « الاكثر من هذا ·· لقد قررت الكهرباء ان توقف اي حرب كبرى قادمة ، ايا كانت عدالة تلك الحرب ، ومهما كانت في صالح امريكا ·· انها لا تبدي ادنى اهتمام بذلك ·· انها الان تحرص فقط على مصادرها ، وتسعى جادةلحماية هذه المصادر من التخريب والتدمير··لقد افهمتني الكهرباء انه عند الضغط على المفاتيح التى تطلق الصواريخ الذرية ـ هنا في روسيا ـ ستعمل على تفجير هذه الصواريخ فيمن يطلقها ! ·· لقد رجوت الكهرباء ضارعا ·· وقلت لها انني تصورتهـا دائما امريكية مخلصة صادقة ·· ورحت اذكرها باديسون وفرانكلين ·· طالبتها ان تعيد النظر في موقفها وتتصرف بشكل امين لكنها لم تفعــــل اكثر من ان ضحكت مني ساخرة !! »

ابتلع ليفريت ريقه ، وقد ظهر الفزع علىوجهه وهو يقول « لم ·· لم هددتني ! ·· قالت انها في حالة تدخلي لايقاف مسيرتها ، وكشــــف خطتها ، ستستدعي شقيقــها المتوحش من اعلى الجبال ، وتساعده على قتلي ··· سيد سكوت ، ها انذا وحيد هنا مع هذه الكهرباء التى تطل على حجرة نومي ·· ماذا افعل ؟! »

وجد السيد سكوت صعوبة كبيـرة في تهدئـة السيد ليفريت ، والانصراف من محضره · ولم يفلح في الفكاك منه الا بعد ان وعده بالعودة في الصباح الباكر للاطمئنان عليه ·· ولو انه قال لنفسه وهو يمضي ·· ساكون مجنونا لو فعلت ذلك ! ·

في تلك الليلة ، سادت منطقة لوس انجيلوس واحدة من العواصف الرعدية النادرة ، تصحبها عواصف الرياح والامطار المتدفقة كالسيول اقتلعت العاصفة الانجار الضخمة ، وشققت الشوارع · كان البرق يلمع بشكل ملموس ·وقد تلقت جهات الامن اكثر من مكالمة ، يؤكد فيها اصحابها اقتناعهم بان ما يجرى هو هجوم ذرى شامل ! ··

وقعت العديد من الحوادث نتيجة لهذه العاصفة العاتية · كان من بينها ما جرى اخطار السيد سكوت به في صباح اليوم التالي ، علــى يـد الشرطة ·

لم يكن السيد سكوت قد عرف النوم في تلك الليلة ، استيقظ عند اشتداد العاصفة ،منزعجا من هدير الرعد ، والومضات القوية الخاطفة للبرق · في ذلك الوقت ، تذكر ما قاله لـــه السيد ليفريت ، حول تهديد الكهرباء له ، بانها « شسوق شقيقها المارد المفترس من اعلى الجبل·· لكنه الان ، وبعد ان نقلت الشرطة هذه الاخبار، قرر الا يشير الى هذا الموضوع ·

عندما ذهب السيد سكوت مع الشرطة الى البيت الريفي ، شاهد نتائج الحادث الغريبقبل ان يجرى تحريك شيء ·· والشيء الوحيد الذي استجد كان قطع التيار الكهربائي عن الاسلاك الثقيلة التى كانت تحمل تيار الجهد العالي ، والتى كانت تلتف حول ساقي ليفريت ، وقـد ظهرت اثار الاحتراق البنية والسوداء على منامته التى كان يرتديها ·

لقد وصف رجال الشرطة ، بالاشتراك معرجال الطاقة الكهربائية الحادث كما يلي ·· في قمة العاصفة ، انقطع احد اسلاك الجهد العالي على على بعد مائة قدم من البيت ، واندفعت النهاية القريبة للسلك بسبب الرياح ، وبتاثير الطاقة الكهربية التى تحملها ، ليس فقط من خــلال نافذة حجرة النوم ، بل ومن خلال باب حجـرة النوم ، لتلحق بالرجل العجوز وهو يهرب مـن حجرة نومه الى الصالة · كما وجد ان اسلاك التليفون قد التفت مرتين حول ذراع الرجــل الايمن ، كما لو كانت تمسك به حتى تمنعه من الهرب الى ما هو ابعد من ذلك ، حتى يلحق به السلك الكهربائي الضخم ·· ويصعقه !! ·· ■■

عرض : راجي عنايت

العرب والاعلام

تقصيرنا الاعلامي خارج حدودنا واضح لا يحتاج الى دليل . في الوقت الذي نجد فيه أن باع الصهيونية الطويل يهيمن على معظم وسائل الاعلام العالمية .

ونسأل انفسنا لماذا ؟

هل لاننا ندافع عن قضايا خاسرة وغير عادلة ؟ أم لاننا لا نملك المال الذي هو عصب الاعلام ؟ أم لعدم وجود عقول اعلامية تدير وسائل اعلام عالمية .. أم لماذا ؟

الواقع أننا نملك المال .. وقضايانا التي ندافع عنها عادلة والعقول عندنا كثيرة والحمد لله وميادين الاعلام العالمية يمكن أن تفتح أبوابها لقضايانا خصوصا وأن معظمها يعاني باستمرار من قلة الموارد المالية .. والاوساط الصهيونية التي تعمل لصالح اسرائيل تستغل هذه النقطة فالمال لديها جاهز .. بالاضافة الى استراتيجية اعلامية قادرة على الباس الباطل لباس الحق وغسل عقل الرأي العام العالمي وتضليله .. أمام غياب صوت صاحب الحق وعدم حضوره عالميا.

لقد آن الاوان أن تنزل دولنا الى ميدان الاعلام العالمي .. كي تخاطب العالم وتفهمه عدالة قضايانا بجهود موحدة واستراتيجية واضحة لا لبس فيها ولا غموض .. وما دام المال متوفرا .. فكل الابواب الموصدة ستفتح أمامنا على مصاريعها .

المسألة .. هي هل نريد حقا ذلك أم لا ؟

هذا هو السؤال .

محمد البوزيدي

وجدة ـ المغرب العربي

اكذوبة العداء للسامية .. واصل اليهود

● ابتدع اليهود عبر تاريخهم الطويل اكذوبة كبرى تتمثل في ادعائهم بأن اصل اليهود يعود الى سام بن سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام .

وقد ادى استمرار ترديدهم لهذه الاكذوبة ودسها في كل المجالات عبر مئات السنين الى ان الكثير من شعوب العالم ـ وبينها الشعوب الاسلامية ـ قد وقعت ضحية لتلك الاكذوبة حتى اقترن لفظ السامية باليهود واصبح الاتهام «بالعداء للسامية» هو القول الرائج الذي يعتمد عليه اليهود في ابتزاز الشعوب وخلق عقد الذنب لديها .

واذا عدنا الى كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة فاننا لن نجد اثرا لهذا الادعاء .. وانما جاءت الآيات لتحدد الاصل الحقيقي لبني اسرائيل وذلك في قوله تعالى في سورة الاسراء .

« وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح » .

« فاسرائيل » اذن هو احد الذين آمنوا بسيدنا نوح وكان بين الذين نجوا مع هذا الرسول الكريم عندما حل القضاء الالهي بقومه ..

ومن هذه الآية ذاتها يتبين كذلك ان القول بان (اسرائيل هو سيدنا يعقوب) انما هو كذلك من الادعاءات التي دست في كتب التراث الاسلامي امتدادا لترويج اليهود لمزاعمهم واكاذيبهم عن اصلهم التاريخي.

ولقد تأكدت هذه الحقيقة من ان سيدنا يعقوب ليس هو اسرائيل في العديد من الآيات الاخرى فالله تعالى يقول في سورة آل عمران .

« كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه » ..

وتذكر هذه الآية ان اسرائيل قد حرم على نفسه بعض الطعام وان ذلك التحريم قد تم من

فنان من الاردن

● سعدت بقراءة مقال الاستاذ راجي عنايت عن الخزاف الاردني محمود طه والذي نشره العربي مؤخرا وبما انني خزاف ونحات اردني معروف رغبت في اقامة معرض لي في الكويت لعرض اعمالي وهي كثيرة وقد ارسلت بهذا الى جمعية الفنانين التشكيليين في الكويت ، وآمل ان تتاح لي الفرصة لاقامة هذا المعرض .

محمد علي السيد
عمان / الاردن .

تلقاء نفسه ودون وحي من الله تعالى .. وذلك يؤكد ان ان اسرائيل لم يكن نبيا او رسولا لان الانبياء والرسل لاتحرم شيئا الا بوحي من الله تعالى .

فهل لنا ان نتدبر ما اورده اليهود من مزاعم عن اصلهم « السامي » وما يزعمونه من ان « اسرائيل » هو سيدنا يعقوب ؟؟

هل لنا ان نواجه الحرب الفكرية التي يشنها اليهود على طريق الاطماع والاغتصاب؟؟

مهندس / عادل الغمري
مدير ادارة بشركة السويس لتصنيع البترول / مسطرد

في المتاهة الانجليزية العربية

● طالعت ما كتبه الدكتوراحمد عبد الرحيم مصطفى حول هذا الكتاب (العربي ٢٣٣) ،واود ان اقدم بهذا الشان الملاحظات التالية :

المؤلف ايلي خضوري(وليس خدوري) من عائلة خضوري التي كانت في العراق . وكثيرا ما يخلط القراء بينه وبين الدكتور مجيد خدوري وهو عربي عراقي وله عدة مؤلفات باللغة الانجليزية ، بسبب ان الاسمين يتشابهان عند كتابتهما بالحروف الانجليزية .

ايلي خضوري كاتب صهيوني،وقد نذر هو وزوجته سيلفيا حاييم مواهبهما لتشويه تاريخ العرب الحديث والطعن فيه واختلاق التحويرات والمزاعم عليه .

لقد ادرك الدكتور مصطفى بعض مغامز خضوري واجتهاداته اللئيمة ، ولكنه لم يدركها كلها . فالشريف حسين وابناؤه ومن كان معهم من رجال الحركة العربية يومذاك قاموا بالثورة العربية عام ١٩١٦ من اجل تاسيس دولة عربية مستقلة ، وقد كانت تلك المطامح تشغل اذهانهم واذهان اعضاء جمعيتي العربية والفتاة السريتين ،الذين استشهد بعضهم على اعواد المشانق وعاش البعض الاخر لكي يعمل على تحقيق تلك الغاية الشريفة . وقد تزعم الشريف الثورة بتكليف من اعضاء الجمعيتين . اما نزول الشريف عبد الله ضيفا على الخديوي عباس الثاني فليس امرا مستغربا ، اذ كانت بينهما صداقة منذ ان قام الخديوي بالحج الى الحجاز عام ١٩٠٨

كنت اتمنى ان ينشر المؤلف النصوص الاصلية لما جاء في رسالة ٢٤ اكتوبر ١٩١٥ ،لانه من المؤسف ان الدكتور مصطفى ياخذ كلام خضوري على علاته عندما يقول ان رسالة ٢٤ اكتوبر هذه لم تعط الشريف «شيئا على الاطلاق» . ومسالة وعود الانجليز للعرب وعهودهم امر ثابت ومعروف وكتبت فيه عشرات الكتب في مختلف اللغات ،وكذلك الامر بالنسبة لما يزعمه خضوري من ان الانجليز ابلغوا الشريف بمضمون معاهدة سايكس ـ بيكو ، وهو زعم طلع به في الاصل في كتابه الاول (انجلترا والشرق الاوسط) .وقد بينت في كتابي (الحركة العربية) حقيقة هذا الموضوع وفندت مزاعم خضوري التي لا تقوم على اساس علمي موثوق ، كما فندت مزاعمه في كتابه هذا الاخير ، في كتابي (صفحات مطوية) .

سليمان موسى
عمان ـ الاردن ص.ب ١٨٥٤

الواقع العـربى هو المسئول

● نشرت مجلة العربى فى العدد ٢٣٣ مقالا للاستاذ نبيل الليثى تحدث فيه عن نقل العلم والتكنولوجيا ·· لا شك ان الكاتب حالفه التوفيق فى تصوير واقع الامة العربية ·· ولا ينكر مكابر ان العلم والتكنولوجيا ليستا من الطلاسم التى استغلق فهمها على ابناء العرب ·· ولكن المعاناة التى يرزح تحتها الوطن العربى وبالتالى المواطن العربى جعلت الامر يبدو على غير حقيقته ·

الفـرد العـربى قـادر على الابداع وهضم مختلف العلوم ·· واكبر دليل على ذلك ، وجود الافذ من ابناء الامة العربية فى مختلف مجالات العلوم ·

العقول العربية هاجرت الى الغرب لانها لم تجد الامكانيات التى تستطيع ان تبدع فى ظلها ·

العقل العربى بخير ولكن الواقـع العربى الممـزق هـو المسئول الاول ·

عبد الباسط عمر
حلب

كلمة ونص مع قراء العربى

❊ عماد كمال الططاوى ــ مصر :وصلتنا قصة فتاة الفورية ·· لا باس ·

❊ م · مصطفى الحسن ــ العراق : قصة غولان وصلتنا وقصيدة كلمات عاشقة ، ونأسف لعدم النشر ·

❊ محمد عبد الحليم ــ الفيوم ــ مصر : رسالتك عن فقيد الغناء فريد الاطرش تدل على تعلقك الشديد بهذا الفنان العربى الاصيل ·

❊ محمود الطنافى ــ القاهرة :وجهة نظرك عن احتمال قيام حرب طاحنة شرسة بين العرب واسرائيل ·· يدل على انك قارىء صحف ممتاز ·

❊ ممتز الحمصى ــ جامعة دمشق : سؤالك عن مثلث برمودا يحتاج الى بحث مطول ليس هنا مجاله · ساحاول الرد فى خطاب خاص ابعثه لك ·

❊ نزار سكر ــ سوريا :يبدو انك متاثر بالباحثة الالمانية زيغريد هونكه صاحبة كتاب « شمس العرب تسطـع علـى الغرب » التى تحدثت فيه عن تاثير العرب المباشر فى العلوم والثقافة على اوروبا والغرب ·

❊ سعد مهدى جبار ــ محافظة ديالى بالعراق : اكتب الى جامعة الكويت / الخالدية وسوف تقوم بالرد على استفساراتك حول الالتحاق بالجامعة ·

❊ عبد اللطيف النمرى ــ الدقهلية مصر : حول طلبك الى وزارة التربية ·

❊ صلاح صلاح الدين ــ الجيزة مصر : أين النماذج التى يمكن مـن خـلالها الحكم على رسومك الكاريكاتورية ؟

دراسة الشهر :



رؤية جديدة لألف ليلة وليلة

بقلم :

يوسف الشارونى

■ ينظر كثير من المستشرقين ـ ويتبعهم في ذلك جمع غفير من النقاد العرب ـ الى ادبنا نظرتهم الى الوثائق الاجتماعية والسياسية ، فيتحدثون مثلا عن رمضان فى ثلاثية نجيب محفوظ كما فعل الاب جومييه • او عن المجتمع العربى والاسلامي في العصور الوسطى من دراسة الف ليلة وليلة كما فعل ادوارد لين ، وقلما ينظرون الى هذا الادب باعتباره فنا ، ولا يبحثون لماذا هو ليس خطبا او مقالات او ابحاثا لكنه شعر وقصة ومسرح •

ولعل عذر المستشرقين في ذلك انهم ـ او معظمهم على الاقل ـ ليسوا ادباء ولا نقادا، وانه لا يعنيهم ادبنا كاعمال فنية بقدر ما يهمهم هو ما يستخلصونه منه لشعوبهم لفهم نفسية مجتمعاتنا ومعرفة نواحي الضعف والقوة فيها . فيتعلمون كيف يتعاملون معها لتحقيق ما يريدونه من اهداف • وهم يتعاونون في ذلك الى الادب لانه مصدر اساسي لهذه المعلومات في مجتمعات غابت عنها الاحصاءات والابحاث واستخدام الوسائل العلمية لرصد حركة المجتمع واستشفاف تحولاته واتجاهاته المقبلة •

ولكن الذي اريد ان اقوله انه حتى الشكل الادبي ـ بخلاف ما يتوهم هؤلاء المستشرقون ومن يسيرون في ركابهم من دارسينا ـ يمكن ان يكون له دلالة اجتماعية • فالشكل الادبي المتخلف دلالة على مجتمع متخلف . والشكل الادبي الناضج دلالة على مجتمع اكثر تحضرا او تعقدا اذا شئت • واقصد بالادب المتخلف هو الادب رديء التوصيل . باعتبار ان الادب ـ بل الفن عموما ـ انطباع لدى المبدع يعمل على ايصاله الى المتلقي او المتذوق . وكلما كانت ادوات هذا المبدع جيدة التوصيل امكن ايصال الانطباع الى وجدان المتلقي . وكلما كان رديء التوصيل فشل في مهمته • وجودة التوصيل تعتمد على تحقيق عدة عناصر يمكن معرفتها من الكتب التي تتعلم منها فنون الابداع الادبي او من المعاهد المخصصة لذلك اما ممارستها فتعتمد على تفاعل المستوى الحضاري والموهبة الفنية معا •

لهذا سرني كثيرا ان اقرا الدراسة المخطوطة التي تقدمت بها الباحثة العراقية الدكتورة فريال غزولي لنيل درجة الدكتوراه في الادب من جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الامريكية • وهي تعلن في مقدمتها انها ستنظر الى الف ليلة وليلة نظرتها الى عمل فني قد تكامل امامها لتبحث كيف امكن تكوين هذا البناء من سديمية الحياة وخليط القصص الشعبي الذي ـ حتى وان اخذ كثير منه عن شعوب مختلفة ـ الا انه انصهر في بوتقة الوجدان العربي الاسلامي في العصور الوسطى ليخرج امامنا عملا فنيا متكاملا يمكن دراسته ككل •

نص في حالة تدفق

والدكتورة فريال باعلانها هذا كانما ترى ان الباحثين السابقين قد كفوها مؤونة البحث في اصل الليالي وهل هي هندية ام فارسية ام عربية، كما كفوها مؤونة دراسة الجوانب الاجتماعية ، مما اتاح لها ان تتحرر من هذا التراث المنهجي الاكاديمي الذي ظل يمسك بخناق الف ليلة وليلة قرونا طويلة . لتقدم لنا رؤية جمالية لليالي كنا نفتقدها . كما نفتقدها في النظر الى كثير من اعمالنا الادبية المرموقة • وهكذا بدا ان هذه النظرة الجديدة مهياة امامها وما عليها الا ان تكون لديها شجاعة الريادة •

وترى الدكتورة فريال ان وجود عدة مخطوطات لليالي في العواصم الاوربية الكبرى وفي القاهرة يوضح انه ليس هناك مخطوط اصلي اخذت عنه بقية المخطوطات • فالف ليلة وليلة نتاج فني للعمل الجماعي • لهذا فلا يجب الحكم عليه بالمقاييس التي نحكم بها على الادب المدون • فالتفرقة بين الليالي وغيرها من النصوص الادبية لا يجب ان يكون على اساس العمل الشفاهي والعمل المدون . بل على اساس النص الثابت والنص الحر • والنص الثابت قد يكون عملا شفاهيا مثل النصوص الدينية . لكنها لا تتغير عند تدوينها . اما النص الحر فيتغير في تركيبه وافكاره •

والف ليلة وليلة نص حر يسمح بتقبل تغييرات جذرية في مضمونه مع احتفاظه بهويته • وسبب هذه المرونة هو وجود البناء الام ـ او ما يعرف بالقصة الاطار ـ الذي يمكن ان يضم عدة انواع واساليب متناقضة وموضوعات مختلفة بغير ان يفسد هذا تناسق النص . حتى ليبدو ان الاضافة الى والعدد من الف ليلة وليلة اغراء لكل ناقد لالف ليلة . حتى ان بعضهم اضاف ليالي بعد الليلة الاولى بعد الالف • ومعنى هذا ان في صيغة النص ما يسمح بل ما يغري بذلك • فالنصوص تنال ما تستحقه من معاملة • فالف ليلة وليلة نص في حالة تدفق او جريان •

والقضية الاساسية في الليالي بتلخيص شديد هي ان ملكا اكتشف ان امراته تخونه فقرر ان يتزوج كل ليلة من عذراء ليقتلها في الصباح ، وبعد عدة زيجات من هذا النوع استطاعت شهرزاد ان تؤجل مصيرها ـ ومصير بنات جنسها ـ بان تروي قصصا تشد انتباه الملك • وتستغرق هذه

القصة بضع صفحات في أول الكتاب وآخره • ولو ألغيت هذه القصة فسيشبه ذلك - على حد تعبير الدكتورة فريال غزول - حبات عقد انفرط خيطه . والعكس اذا أبقينا على هذه القصة الاطار واستغنينا عن بقية القصص فسيشبه ذلك خيط عقد بلا حبات • فالقصة الاطار في ألف ليلة وليلة هي فردوس مفقود ثم فردوس مستعاد • والخطيئة والموت يسيران فيها جنبا الى جنب • وشهرزاد تحارب الزمن المحدد لموتها بروايتها المستمرة لكسب الوقت •

وسنضطر الى الاقتصار على تقديم دراسة القصة الاطار لليالي في هذا البحث القيم لضيق المكان ، ولكنه يكفي كنموذج لهذه الدراسة • فالدكتورة فريال تقسم القصة الاطار الى أربعة أقسام : أولها قصة شهريار ، ثم رحلة الملكين شهريار وأخيه شاه زمان ومقابلتهما للصبية التي خطفها الجن ، أما الجزء الثالث من القصة الاطار فهو خرافتا الحمار والثور مع صاحب الزرع والديك والكلب ، أما الجزء الاخير فهو الذي يأتي في نهاية الليالي حين يعفو الملك عن شهرزاد •

شهريار وشاه زمان

وبداية القصة تحكي عن ملكين أخوين أكبرهما شهريار وأصغرهما شاه زمان ، كان كل واحد منهما في مملكته حاكما عادلا في رعيته مدة عشرين سنة الى أن اشتاق الكبير الى أخيه الصغير فأرسل وزيره يطلب منه أن يزوره ، فتاهب للرحلة وخرج طالبا بلاد أخيه ، فلما كان نصف الليل تذكر حاجة نسيها في قصره فرجع ودخل قصره فوجد زوجته راقدة في فراشه معانقة عبدا أسود ، فلما رأى هذا اسودت الدنيا في وجهه • ثم انه سل سيفه وضرب الاثنين فقتلهما في الفراش • ثم واصل رحلته الى أن وصل الى مدينة أخيه • وهناك تذكر ما كان من أمر زوجته فحصل عنده غم زائد واصفر لونه وضعف جسمه ، فلما رآه أخوه على هذه الحالة ، ظن في نفسه أن ذلك بسبب مفارقته بلاده وملكه ، الى أن قال له في بعض الايام : يا أخي أنا في باطني جرح • ولم يخبره بما رأى من زوجته • فعرض عليه أن يسافر معه الى الصيد والقنص لعل صدره ينشرح • فأبى أخوه ذلك ، فسافر وحده الى الصيد • وكان في قصر الملك شبابيك تطل على بستان أخيه فنظر واذا بباب القصر قد فتح وخرج منه عشرون جارية وعشرون عبدا ، وامرأة أخيه تمشي بينهم وهي في غاية الحسن والجمال ، حتى وصلوا الى فسقية وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع بعضهم ،واذا بامرأة الملك قالت : يا مسعود ، فجاءها عبد أسود فعانقها وعانقته ، ورآها الملك شاه زمان وهي تخون أخاه كما خانته زوجته ، وكذلك فعل باقي العبيد بالجواري ولم يزالوا في تقبيل وعناق ونحو ذلك حتى ولى النهار • فلما رأى أخو الملك ذلك قال : والله ان بليتي أخف من هذه البلية ، وقد هان ما عنده من الهم والقهر ، وقال هذا أعظم مما جرى لي ولم يزل في أكل وشرب • وبعد هذا جاء أخوه من السفر فسلما على بعضهما ، ونظر الملك شهريار الى أخيه شاه زمان وقد رد لونه واحمر وجهه وصار يأكل بشهية بعدما كان قليل الاكل • فتعجب من ذلك وسأله عن السبب فامتنع محرجا أول الامر لكنه أفضى اليه في النهاية بسبب اصفرار لونه أول الامر . ثم الح عليه أخوه أن يذكر سبب استرداد لونه ، فأعاد عليه جميع ما رآه • فقال شهريار لاخيه شاه زمان مرادي ان انظر بعيني، فقال له أخوه شاه زمان تظاهر انك مسافر للصيد والقنص واختف عندي وانت تشاهد ذلك وتتحققه عيانا ، فاستمع شهريار الى حيلة أخيه شاه زمان ورأى بنفسه ما سبق ان سمعه بأذنه فطار عقله من رأسه •••

في هذه القصة نجد ان الثنائية تسيطر على شخصياتها • فهناك الملكان الشقيقان ، وعنصر التكرار واضح في تجربتيهما ، ولكن تجربة شهريار كانت تصعيدا لتجربة أخيه شاه زمان • فزوجة شاه زمان تخونه سرا مع عبد أسود • أما زوجة شهريار فهي تحتفل بخيانتها علنا مع مجموع يبلغ أربعين عبدا وجارية بالاضافة اليها والى العبد مسعود• ونرى ان بلية شهريار كانت شفاء لبلية أخيه شاه زمان تأكيدا للمثل « من رأى بلوى غيره هانت عليه بلواه » • فقد استرد لونه بعد اصفراره •

وشاه زمان يقتل زوجته فور اكتشافه خيانتها، أما شهريار فهو يؤجل قراره مرتين ، مرة بعد أن يتأكد بنفسه « فليس من سمع كمن رأى » ، ومرة بعد قيامه برحلة بحثه التي ستكون بدورها - كما سنرى - تصعيدا جديدا لخيانة زوجته • والتشابه بين قصة شاه زمان وشهريار تجعل علاقة أحدهما

بالنسبة للاخر كعلاقة الصوت والصدى . وهكذا يمدنا النص باول مظهر من مظاهر الثنائية الا وهو الازدواجية .

وهذه الازدواجية ـ ازدواجية الرجال ـ تقابلها ازدواجية نسائية ممثلة في العلاقة بين شهرزاد ودنيازاد . فدنيازاد تؤكد اختها ، ويمكن القول انها صورتها السلبية التي صاحبتها من اول الليالي الى اخرها . كما ان شاه زمان الصورة الباهتة ـ منها ـ لشهريار .

ثنائية ملحوظة

وتحمل اسماء هذه الشخصيات ثنائية صوتية فيلاحظ الجناس في كل من شهرزاد ودنيا زاد . والامر نفسه ـ ولكن في بداية الاسماء ـ بين شاه زمان وشهريار . ونحن نجد ان التكرار الصوتي او اللفظي في اسماء الشخصيات نظام متبع في قصص الاطار في الف ليلة وليلة مثل قصة السندباد البري والسندباد البحري، وعبدالله البري وعبدالله البحري ،وقصة الاخوين عجيب وغريب . وهذه الثنائية اللفظية امر مالوف في الميثولوجيا.وهي اشبه بثنائية الشخصية وصورتها في المراة . فنحن نستطيع ان نستوعب بعمق اكثر شخصية السندباد البحري الثري المغامر الذي يحكي مغامراته عندما نجد امامه السندباد الحمال الفقير الذي لم يغادر مدينة بغداد يوما .

والعلاقة بين شهريار وشهرزاد هي ما يسمى في المنطق علاقة الاضافة على النحو التالي :

شهريار ـ شهرزاد ، زوج ـ زوجة ، سلطان ، جارية ، مستمع ـ راوية .

ويكون هذا الثنائي الملكي قطبين متقابلين متكاملين . كما ان هذه الثنائية تتحقق على المستوى اللفظي ايضا ، فهناك جناس في بداية الاسمين .

ثم هناك من ناحية اخرى ثنائية الاضداد تتمثل في هاتين الشخصيتين ايضا ـ شهريار يبدو في مظهر المستبد الشرقي ،والذكر الذي يلتهم في كل ليلة امراة . بينما شهرزاد تقوم بدور الانثى التي تهدهد وتروض هذه الشهوة المتوحشة . فهي تحاول ان تستانسه بتحويل شهيته الى النساء، الى شهية لقصص عن النساء . فعبقرية شهرزاد انها حولت النساء من موضوعات جنسية الى موضوعات للخيال الجنسي . والولوج الى هذا العالم الرمزي هو اخطر خطوة اتخذتها شهرزاد . وبذلك اصبح استخدام اللغة امرا ممكنا . وبامكان استخدام اللغة اصبح من الممكن انبثاق احاديث لا نهاية لها .

وبحصول شهرزاد على ميزة القص ، انعكست علاقتها بسيدها ، فهي كراوية لها اليد العليا ، واصبحت الجانب الايجابي ، بينما شهريار المستمع هو الجانب السلبي . ويؤكد هذا تلك المعرفة الموسوعية التي كانت عليها شهرزاد ، فهي كانت قد قرات الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين واخبار الامم الماضين ، قيل انها جمعت الف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالامم السالفة والملوك الخالية والشعراء .

فشهرزاد قوية من جانب وان كانت بلا حول ولا قوة من جانب اخر . فوضعها متضاد وكذلك حالتها ، فهي من المفروض ان تموت لكنها ظلت تعيش . والعلاقة بين شهرزاد وشهريار علاقة معقدة ، فلا يمثل احدهما نموذجا خالصا ، فهناك شيء من ايجابية شهريار في شهرزاد وشيء من سلبيتها فيه .

وهذه الثنائية التي تسيطر على علاقة الشخصيات الرئيسية يبدو انها تتسلل او تنفذ الى موضوع القصة ، حيث نجد انها تتضمن الحب والموت . فاول حدث درامي يقع حين يجد شاه زمان زوجته في الفراش مع عبد اسود . ويتكرر هذا المشهد الشبقي حين راى شاه زمان زوجة اخيه مع عبد اسود .ثم يتكرر للمرة الثالثة حين يراه شهريار بنفسه . ووقوع الحدث ثلاث مرات من شانه ان يضخمه ويؤكده .ويضاعف من كثافة الصورة هؤلاء الجاريات العشرون اللاتي كن يصاحبن زوجة شهريار مع العبيد العشرين في الحديقة الملكية . والذين اقترفوا نفس الاثم . وكل الذين اشتركوا في عمليات العهر هذه كان الموت نصيبهم . وهكذا نجد ثنائية الشبق والموت في هذا الجزء من القصة .

امراة في البدء والانتهاء

ان قصة الف ليلة وليلة قصة رباط زوجي فصمته امراة والتام على يد امراة اخرى . فزوجة شهريار الاولى وجدت مع عبد اسود . والخيانة

هنا خيانة مزدوجة ، لانها خيانة للرباط الزوجي وخيانة للطبقة التي تنتمي اليها الملكة زوجة الملك • فالعبد هنا والملكة هنا قطبان متنافران أشد التنافر • وتلاحظ الدكتورة فريال بذكاء اننا لا نجد أسماء للزوجتين الخائنتين ، زوجتي شهريار وشاه زمان ، ولا للعبد الذي وجد مع زوجة شاه زمان • أما العبد الذي وجد مع زوجة شهريار فان اسمه مسعود ، ولكن مسعود اقرب ما يكون الى الاسماء العامة وليس اسم شخص بالذات ، فقد كان يطلق على كثير من العبيد في العصور الوسطى الاسلامية • وعدم ذكر الاسم معناه ان الشخصية اقرب ما تكون الى الرمز او النمطية • وجريمة الزنا لم تقترف مع رجل أسود ولكن مع عبد أسود • وجريمة الزنا تمس ثلاثة أشخاص الزوج والزوجة والعشيق • والزوج ملك يمثل النظام والقانون في مقابل العبد الذي يمثل الفوضى والتخريب • ومعنى هذا أن الزوجة لا يكفيها العلاقة الجنسية التي يباركها المجتمع ، وتبحث عن علاقة غرامية أشد بدائية • انها غريزة الموت تقحم نفسها على غريزة الحياة •

والفقرة التي تصف عودة شاه زمان الى قصره فجاة توضح الاستخدام الذكي والنص للون • فالفقرة تتكرر فيها كلمة السواد لتربط بين هذه الافتتاحية والرواية الليلية التي كانت ترويها شهرزاد لتسكت عن الكلام المباح عندما يدركها الصباح • فشاه زمان يتذكر في منتصف الليل ما نسيه في قصره بعد ان كان قد غادره في رحلته الى أخيه • والليل يذكرنا بالسواد ، ومنتصف الليل يذكرنا باشد لحظة في الليل سوادا • وعندما راى شاه زمان ما يحدث بين زوجته والعبد الاسود ، اسودت الدنيا في عينيه • وهكذا فان لونا واحدا ، هو السواد ، اتصف به وقوع الحادث والزاني ورد الفعل ، وبذلك ربط اللون بين ثلاثتهم • بينما نجد انه عندما عفا الملك عن شهرزاد في نهاية الليالي فان القصاص يصف تلك الليلة بان لونها كان أبيض متوجه النهار •

كذلك نلاحظ أن النص استخدم اللون للتعبير عن الحالات الوجدانية ، فشاه زمان عندما كان عند اخيه وتذكر ما كان من أمر زوجته حصل عنده هم زائد واصفر لونه ، فلما شاهد أن بليته أخف من بلية أخيه احمر وجهه وصار ياكل بشهية •

وفي الجزء الثاني من القصة ينقلب الوضع • ففي الرحلة التي قام بها الملكان يمر كل منهما بتجربة معكوسة لتجربتيهما السابقتين ، حيث يمارس كل منهما مع الصبية التي خطفها الجن ما سبق أن مارسه عبد أسود مع زوجته ، وبذلك أصبحت العلاقة على النحو التالي :

العبد : شهريار

شهريار : الجن

هذه العملية المتقاطعة تتكرر في القصة التي رواها الوزير لابنته شهرزاد عن الحمار والثور ، فالحمار الذي نصح الثور بالتمارض لكي يعفى من العمل الشاق ينتهي به الامر أن يقوم هو بعمل الثور الشاق ـ تماما كما كان شهريار معتدى على عرضه ، فاصبح هو يعتدى على أعراض الاخرين ـ بينما يستمتع الثور بالراحة التي كان ينعم بها الحمار • وكما تلقى شهريار درسا من تجربته وادرك أن حالته ليست هي الحالة الوحيدة، ومن ثم يعود الى عرشه • كذلك فان الحمار يدرك ان نصيحته قد كبدته ثمنا غاليا ، ويعمل على استعادة مكانته السابقة حين ادعى أنه سمع سيدهما يعلن أنه ينوى ذبح الثور ان لم يعد الثور الى صحته •

تجربة مع الصبية

ونحن نضيف قائلين ان تجربة الملكين الشقيقين مع الصبية التي اختطفها الجني كانت تصعيدا آخر لتجربة كل منهما بسبب خيانة زوجته له • فالجن كان قد اختطف الصبية ليلة عرسها ووضعها في علبة وجعل العلبة داخل الصندوق ورمى على الصندوق سبعة اقفال وجعله في قاع البحر العجاج المتلاطم الامواج ، ومع ذلك فما أن خرج لحظة من البحر وجلس وفتح صندوقه واخرج منه العلبة ووضع رأسه على ركبتها ونام ، حتى لمحت الملكين اللذين كانا قد تسلقا شجرة خوفا من الجني، فامرتهما ـ باشارة ـ بالنزول والا نبهت عليهما العفريت فيقتلهما شر قتلة ، فخافا ونزلا ، فطلبت من كل منهما أن يفعل معها ما سبق أن فعله عبد أسود مع زوجته ، فمن خوفهما من الجني فعلا ما امرتهما به ، فلما فرغا قالت لهما : قفا، واخرجت لهما من جيبها كيسا واخرجت لهما منه عقدا فيه

خمسمائة وسبعون خاتما • فقالت لهما : أتدرون ما هذه ؟ فقالا لها لا ندرى . فقالت لهما : أصحاب هذه الخواتم كلهم كانوا يفعلون بى على غفلة من هذا العفريت . فأعطيانى خاتميكما أنتما الاثنان الاخران . فأعطياها من يديهما الخاتمين . فقالت لهما : ان هذا العفريت قد اختطفنى ليلة عرسى . ثم انه وضعنى فى علبة وجعل العلبة داخل الصندوق فى سبعة أقفال . وجعلنى فى قاع البحر العجاج •• ويعلم أن المرأة منا اذا أرادت أمرا لم يغلبها شيء •• فلما سمعا هذا الكلام تعجبا غاية العجب . وقالا لبعضهما : اذا كان هذا عفريتا وجرى له أعظم مما جرى لنا . فهذا شيء يسلينا • ثم أنهما انصرفا من ساعتها ورجعا الى مدينة الملك شهريار . ودخلا قصره . ثم انه رمى عنق زوجته وكذلك أعناق الجوارى والعبيد •

ففى قصة الملكين مع الصبية والجنى نجد أنهما يكتشفان ان ما جرى للعفريت أعظم مما جرى لهما، لانه مع كل ما اتخذه من حيطة تفوق ما اتخذاه مع زوجتيهما . قد استطاعت الصبية أن تحطم كل العوائق وتفعل ما فعلت ـ لا مع عبد أسود واحد ولا فى حفل فيه عشرون جارية وعبدا ـ بل مع مئات الرجال الذين بلغ عددهم خمسمائة وسبعين مضافا اليهم الشقيقان . أى حيث الحيطة الاشد كان الفجر الاشد • وقد كان ذلك الموقف شفاء لجرحهما . كما كان ما رآه شاه زمان من قبل من خيانة زوجة أخيه شفاء لجرحه • وقالا لبعضهما : اذا كان هذا عفريتا وجرى له أعظم مما جرى لنا فهذا شيء يسلينا • وهكذا تتكرر قصة الخيانة الجنسية ثلاث مرات . ولكنه ليس مجرد تكرار عددى بل تكرار تصاعدى . واذا كان التكرار فى القصص الشعبى للتأكيد فان التكرار التصاعدى لتأكيد أشد •

كذلك احب أن أنبه الى أن تجربة الملكين مع الصبية التى اختطفها الجنى تختلف عن تجربة العبد مع زوجة كل منهما ـ من الناحية الاجتماعية على الاقل • فالزوجتان مرتبطتان برباط اجتماعى هو رباط الزواج • ومع ذلك فهما تحطمان هذا الرباط . ولذلك فان الراوى أو القصاص جعل أمرهما ينكشف لتنالا عقابهما على هذا التمرد الاجتماعى • اما فى حالة الصبية المخطوفة فان الامر عكس ذلك تماما • فالجنى هو الذى حطم هنا علاقة الزواج الشرعية التى كانت الصبية على وشك الارتباط بها ـ أو لعلها كانت قد ارتبطت بها توا ـ حين اختطفها ليلة زفافها . لذلك فانه ينال عقابه اجتماعيا بأن تخونه باستمرار رغم ما فرضه عليها من قيود • ولهذا فان ما ترتكبه لا ينكشف ولا تنال عقابا على ما تقترفه رغم كثرة مرات خيانتها التى بلغت المئات . والتى يوحى لنا النص أنها مهما بلغت مئات أخرى فى المستقبل فستظل خياناتها سرا مكتوما • ولعل هذه هى المقابلة المستفادة من القصتين • ولهذا فانه عندما ترتكب الخيانة زوجتا الملكين الشقيقين تقتلان مع الزانيين . بل ان كل من شارك فى اقتراف الجريمة يكون له نفس المصير . اما فى قصة الملكين واسيرة الجنى فان من لا يرتكب الخيانة ـ اذا سميت فى هذه الحالة خيانة ـ هو الذى يكون مصيره القتل •

اما الجزء الثالث من القصة ـ الاطار ـ فهو حين عرضت شهرزاد على أبيها الوزير أن تكون « فداء لبنات المسلمين وسببا لخلاصهم » . وذلك بسبب هروب البنات من المدينة • فقص عليها أبوها حكاية الحمار والثور مع صاحب الزرع . ومن داخلها قصة الديك والكلب • وهكذا نلتقى باول خرافتين فى الليالى •

وتنبه الدكتورة فريال الى أن قصة الحمار والثور تبدأ ببيان تفاوت الحظوظ بين كل من الحيوانين • الثور يعمل فى الحقل ويشقى . والحمار لا يقوم الا بالاعمال الهينة • فالحمار « فوق » والثور « أسفل » • وينصح الحمار الثور بالتمارض تجنبا للعمل • ولكن صاحبهما ـ الذى يعرف لغة الحيوان ـ يأخذ الحمار بدلا من الثور للعمل فى الحقول • وبذلك ينقلب الوضع فيصبح الثور « فوق » والحمار « تحت » • ويندم الحمار على نصيحته ويحاول الخروج من هذه الورطة باقناع الثور أن سيده سيذبحه اذا استمر فى تظاهره بالمرض • ويصدق الثور الحمار . فيبدى علامات الصحة فى الصباح التالى . مما ترتب عليه عودته للعمل فى الحقول • وبذلك يعود الوضع بين الحيوانين الى سابق عهده • فالخرافة اذن لها ثلاث حركات : فوق تحت فوق او تحت فوق تحت •

للتحرر من الزمن

وتختلف هذه القصة اختلافا بينا عن قصة الديك

والكلب ، التي انبثقت من القصة السابقة • ذلك ان التاجر عندما رأى ثوره يحرك ذنبه « ويبربطع » ضحك حتى استلقى على قفاه ، فطالبته زوجته بأن تعرف منه سر ضحكه ، لكنه أعلن لها — وعلى عكس شهرزاد — انه اذا باح لها بالسر فسيموت • اي انه اذا كانت قصص شهرزاد تنقذها من الموت فان قصة التاجر تؤدي به الى الموت ، تماما كما كانت قصة شاه زمان لاخيه شهريار عن خيانة زوجة اخيه سببا في هلاكها وهلاك واحد وأربعين عبدا وجارية ، فقالت لا بد أن تخبرني بذلك وما سبب ضحكك ولو كنت تموت ، فقال لها ما اقدر ان ابوح به خوفا من الموت فقالت له انت لم تضحك الا علي — ثم أنها لم تزل تلح عليه وتلح في الكلام الى ان غلبت عليه ، فتحير وأحضر أولاده وارسل فأحضر القاضي والشهود وأراد أن يوصي ثم يبوح لها بالسر ويموت لانه كان يحبها محبة عظيمة ، لانها بنت عمه وام أولاده • وكان قد عمر مائة وعشرين سنة • ثم أنه ارسل واحضر جميع اهلها وأهل حارته وقال لهم حكايته ، وأنه متى قال لاحد على سره مات • فقال لها جميع الناس ممن حضر بالله عليك اتركي هذا الامر لئلا يموت زوجك ابو اولادك • فقالت لهم لا أرجع عنه حتى يقول لي ولو يموت ، فسكتوا عنها • ثم ان التاجر قام من عندهم وتوجه الى دار الدواب ليتوضأ ثم يرجع يقول لهم ويموت • وكان عنده ديك تحته خمسون دجاجة ، وكان عنده كلب ، فسمع التاجر الكلب وهو ينادي الديك ويسبه ويقول له : انت فرحان وصاحبنا رايح يموت • فقال الديك للكلب : وكيف ذلك الامر ، فاعاد الكلب عليه القصة — فقال له الديك والله ان صاحبنا قليل العقل ، انا لي خمسون زوجة أرضي هذه واغضب هذه ، وهو ما له الا زوجة واحدة ، ولا يعرف صلاح امره معها ، فما له لا يأخذ لها بعضا من عيدان التوت ثم يدخل الى حجرتها ويضربها حتى تموت او تتوب ولا تعود تسأله في شيء • قال : فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب الكلب رجع الى عقله وعزم على ضربها • وقد نفذ التاجر ما اعتزم عليه حتى قبلت يديه ورجليه وتابت •

فبينما نجد ان قصة الثور والحمار اساسها ارتفاع الحركة وانخفاضها ، نجد ان اساس قصة الديك والكلب وسيدهما هو تحاور وجهتي نظر • والقصص الخرافية والقصص الدينية في الف ليلة وليلة لا تخرج عن احد هذين الشكلين • والقصص التي تجري على منوال قصة الحمار والثور اساسها ان الشخصيات الرئيسية شخصيات متنافرة وما فيه الخير لاحدهما فيه الشر للاخر ، وخسارة الواحد ربح للاخر • وفي مثل هذا الشكل لا يمكن للشخصيات ان تتطور • فمثل هذا النوع من الخرافات لا يسمح الا بتبادل الاوضاع •

ولما كان الهدف من حكاية القصص في الليالي هو تأجيل — بل التغلب على — الوقت أو الزمن ، فان القص او الرواية يصبح وسيلة للتحرر من الزمن • والخرافة القصيرة القائمة بذاتها ليست صالحة لمصارعة الزمن • ولهذا ففي الليالي نجد ان قصر الخرافة يعوضه تكرارها •

دخلت التاريخ

اما الجزء الرابع والاخير من القصة الاطار فهو الذي يأتي في نهاية الليالي حين يعفو الملك شهريار عن شهرزاد ونحن نكتشف في تلك النهاية ان ما انقذ شهرزاد من الموت ليس روايتها لاقاصيصها فقط ، ولكن انجابها ثلاثة ذكور • ولما كانت الالف ليلة معناها ثلاث سنوات تقريبا ، فتكون شهرزاد قد انجبت ولدا كل سنة ، ويمكن ان تستمر في الانجاب بهذا المعدل كما كانت مخصبة في القص ، اي انه كان لها قدرة على التكاثر قصصيا وذرية • وبذلك يكون المعنى المستخلص من القصة ان الحياة تتغلب على الموت ، وان الموت يمكن هزيمته بمن وما يخلفه الانسان « اللي خلف ما مات » •

والخلاص عن طريق القول امر شائع في الادب الشعبي ، كما في اسطورة اوديب حين حل اللغز الذي القاه عليه ابو الهول فصرعه • وفي السير الشعبية كثيرا ما تلقى الالغاز اذا حلها البطل نجا من الموت • وهكذا فان الف ليلة وليلة تعلن على لسان شهرزاد : انا اروي ، اذن انا موجودة • والربط بين خصوبة القول والخصوبة الجنسية ليس غريبا على الادب العربي ، فطالما وصف كبار الشعراء بانهم فحول •

واضيف الى ملاحظات الدكتورة فريال الدقيقة ان شهرزاد لم تبق — بما روته من قصص — على حياتها عند مليكها وزوجها شهريار فقط ، لكنها

ابقت على نفسها في التاريخ الادبي ايضا ، فحققت بذلك اكثر مما كانت ترجوه • كانت تريد تجاوز اللحظة المحددة لنهايتها للحصول على عمر ـ مهما طال ـ فهو محدد ، فاذا بها تحصل على عمر يبقى ما بقيت الانسانية تقرأ قصتها وما روته من قصص غيرها •مثلها في ذلك مثل المصريين القدماء الذين بنوا اهراماتهم ومقابرهم وحنطوا موتاهم حتى يضمنوا بعثهم في حياة اخرى ـ لا نؤمن بها نحن اليوم على النحو الذي تصوروه هم ـ لكنهم بعثوا في تاريخ البشرية وبعد اربعة آلاف سنة ، حين عثرنا على آثارهم •

شهرزاد وعنترة

كما ترى الدكتورة فريال ان الف ليلة وليلة هو عمل فني ضد السيرة • فابطال السير دائما رجال• وحتى في حالة كونهم نساء ، كما هو الحال في سيرة ذات الهمة ، فانهن يكدن يكن رجالا متنكرين في شكل اناث • اما في الف ليلة وليلة فاننا نجد ان بطلتها شهرزاد مثال الانوثة في الحضارة العربية الاسلامية • فهي جذابة متعلمة ، ذات نشأة طيبة وابنة شخص يحتل مكانة مرموقة • وتشغل البطلة شهرزاد في الليالي مكانة البطل في السيرة •لهذا فبدلا من ميدان الحرب التقليدي حيث يثبت البطل ذاته ، فان بطلة الف ليلة وليلة تواصل كفاحها من خدرها وهي راقدة في فراشها ،وسلاحها روايات واحاديث • فبطل السيرة رجل افعال ، بينما شهرزاد سيدة اقوال • وهي لا تتزحزح عن مكانها ، بينما عنترة ـ على سبيل المثال ـ يتحرك شرقا وغربا في كل انحاء العالم المعروف لعرب العصور الوسطى •

والاساس الذي تقوم عليه الف ليلة وليلة هو وجود ازمة ثم انفراجها • وهذا واضح في القصة الاطار • فعندما سأل شهريار اخاه شاه زمان عن سبب غمة الزائد واصفرار لونه وضعف جسمه اجابه : يا اخي انى انا في باطني جرح • وجاء الرد على ذلك من شهرزاد في قولها للملك شهريار : انا احدثك حديثا يكون فيه الخلاص ان شاء الله •

فالنص يدور حول هذين المحورين•وكلمة خلاص تعني النهاية • فهو قص هدفه وضع حد للقص، انه موجود من اجل الا يوجد •

وتختلف قصص الف ليلة وليلة في النوع والتكنيك والمحتوى ، وتضم امثلة دينية ،وحكايات سحرية ، ورومانسيات تاريخية ، وقصص حيوانات، الخ • وتغطي موضوعات فقهية ولغوية وتاريخية وجغرافية وسيكلوجية • وترى الدكتورة فريال ان هذا التنوع الهائل ليس محض صدفة ، لكنه يؤدي وظيفة يمكن تسميتها بالدفعة الموسوعية للعمل • وهذه الموسوعية التي تتصف بها ليست مرتبة ترتيبا هجائيا ، ولكن هذا لا يقلل من قيمة العمل الاستيعابية • فالعمل الموسوعي في العصور الوسطى الاسلامية كان المقصود من قراءته الحصول على تاريخ الكامل في مجموعه • وايا كانت مصادر الف ليلة وليلة : بابلية او هندية او عربية ، فانها قد ادخلت في المجموعة عن قصد ، على نحو ما كانت التواريخ العامة التي كتبت في العصور الوسطى الاسلامية تضم اليها تواريخ غير العرب ، وكان الهدف من هذه الجهود هو الحاجة الى حفظ الماضي وتجميع المعارف المختلفة • والف ليلة وليلة ما هي الا التعبير الادبي عن هذا الاتجاه •

ان الف ليلة وليلة التي جمعت اكبر مجموعة من قصص الفانتازيا في ادبنا العربي ، تلك القصص التي تذوب الفواصل بين العالمين المرئي واللامرئي ، وتزدحم بالاماكن المرصودة والطلسمات وتتجاوز المسافات المكانية والزمانية ، ولا يهتم سامعها اذا كانت قد وقعت ام لم تقع ، نقول ان مجموعة هذه القصص ليست اولا مجموعة خوارق او وثائق اجتماعية او مصدرا للمعلومات ايا كانت، وان كانت يمكن ان تكون كل هذا ، لكنها اولا عمل فني متكامل • اذا اردنا ان نستكشفه ونفوز بخباياه واسراره فعلينا ان نعامله كما يقدم هو نفسه الينا : عملا شعبيا قصصيا • وهو وان كان مصدرا لكثير من الدارسين والباحثين البعيدين عن مجال الادب والقريبين منه ايضا ، فقد كان كذلك مصدرا لوحي كثير من الادباء والفنانين في جميع انحاء العالم شرقيه وغربيه • ■■

يوسف الشاروني

نزهة العقل الذكي

مسابقة العـــدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمـات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠٠ أما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضوورى أن يرفق بالاجـابة حتى تفـوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنــح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانيــة ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ٠

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجـلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٤٠ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو ١٠ يناير (كانون ثاني) ١٩٧٩ ٠

اثنتان في واحدة :

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيـا اسم خليفـة عباسي معروف ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم صحابية معروفة ٠

كلمات أفقية :

(١) جهاز قياس ضغط ـ يشفي ـ أدرك ٠

(٢) دولة اوربية ـ عاصمة بوليفيا ٠

(٣) ضرب بجمع الكف ـ من الاوراق المالية ـ ضمير ـ من افرازات الجسم ٠

(٤) حرفان متشابهان ـ جواهر ـ من الاديان ـ نصف كلمة (يبلع) ٠

(٥) في البيضة ـ عاصمة اوربية ـ من الماشية ٠

(٦) من العناصر ـ اشكره ـ تعلق مرضي ٠

(٧) سكان جزيرة جرينلاند ـ أمصار ـ من أجزاء الجهاز التنفسي ٠

(٨) خليفة عباسي معروف ٠

(٩) قطر عربي ـ أفسد ـ هدمها ٠

(١٠) نما ـ جنس ـ رسام اسباني قديم معروف ٠

(١١) من منظمات هيئة الامم المتحدة ـ مقام موسيقي ـ غناء الطائر ـ صرف ٠

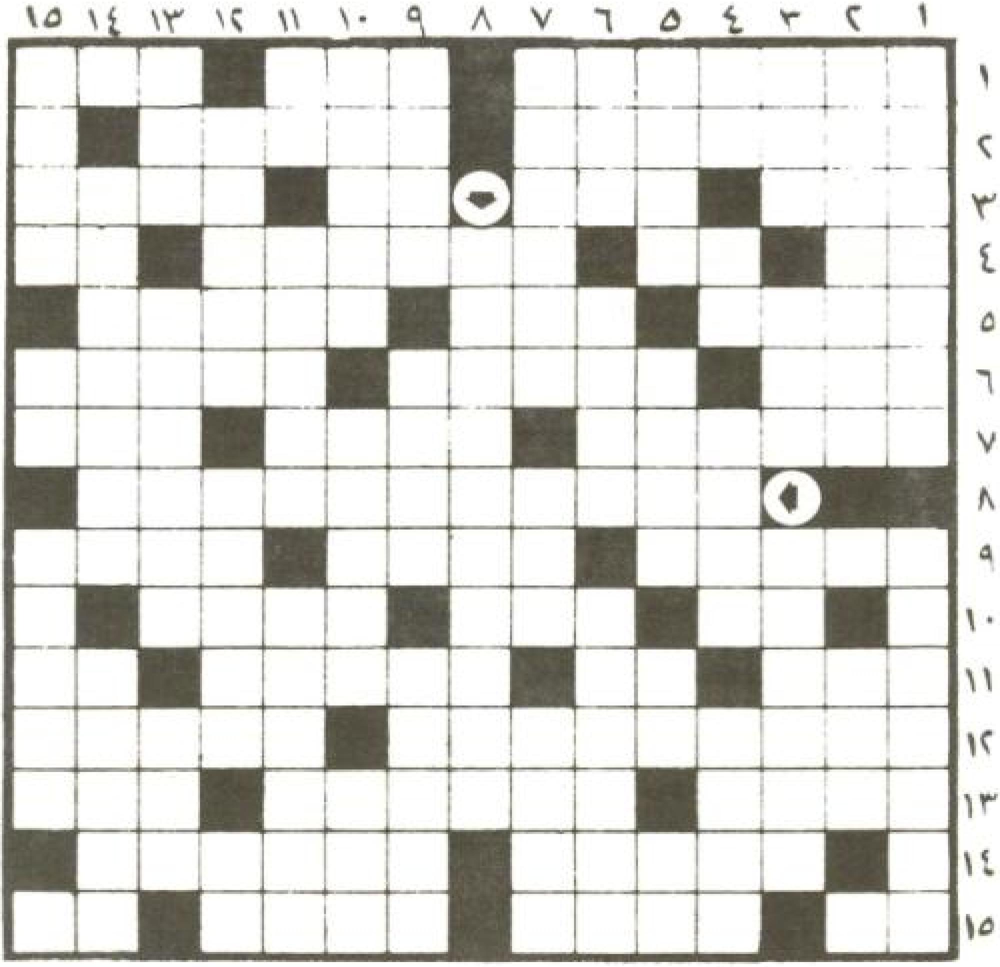
(١٢) عاصمة افريقية ـ مدينة جزائرية ٠

(١٣) شمال ـ أختاهم ـ ظاهرة جوية ٠

(١٤) ترفع ـ عاصمة اسيوية ٠

(١٥) هلك ـ ساكن ـ غير متحضر ـ اكتمل ٠

كوبون مسابقة العدد ٢٤٠



كلمات رأسية :

(١) دولة آسيوية ـ قائد سياسي فرنسي حارب في سبيل استقلال الولايات المتحدة •

(٢) شاعر وكاتب مسرحي اغريقي ـ اختفى •

(٣) لقب ـ أهدم ـ مواد ضرورية لغذاء الجسم •

(٤) حرف ندبة ـ أرشد ـ يخشى ـ معدل انطلاق •

(٥) منقار الطائر الجارح ـ طمأنينة ـ حرف نفي ـ حرفان متشابهان •

(٦) فاكهة ـ تخضع لها القوالب الشعرية ـ من انواع القنابل •

(٧) من العناصر ـ حرف عطف ـ أبقى •

(٨) صحابية معروفة •

(٩) يلعب ـ من أوجه القمر ـ تليدة •

(١٠) حيوان يشبه الدب ـ من أوقات الصلاة ـ عطش •

(١١) جوهر ـ يبارح ـ ولاية أمريكية •

(١٢) دولة آسيوية ـ قوية ـ نصف كلمة (جياد) •

(١٣) خاف ـ من القارات ـ من الامراض •

(١٤) من سور القرآن الكريم ـ ضاهت •

(١٥) شكل هندسي منتظم ـ نصف كلمة (نهار) ـ شدة الغيظ •

أديب سوداني معروف

ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات التي بها الاسهم، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لاديب سوداني معروف • ثم أنقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه •

الكلمات الافقية :

(١) وسيلة انتقال •
(٢) عاصمة أوربية •
(٣) شهر هجري •
(٤) للتعريف ـ وقت •
(٥) امبراطور فارسي قديم •
(٦) على اليمين •

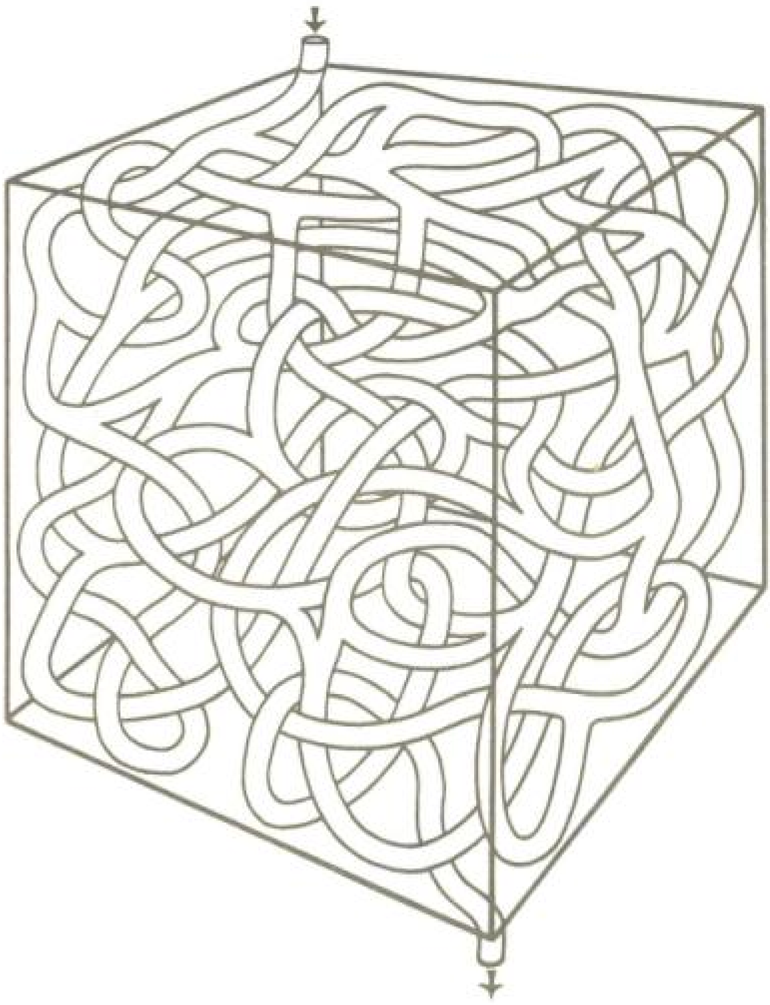
الكلمات الرأسية :

(١) الذي يرفع صوته بالغناء •
(٢) عدم النجاح (معكوسة) •
(٣) لحد ـ نصف كلمة (رائد) •
(٤) نصف كلمة (طويل) ـ خجول •
(٥) من العناصر الكيميائية •
(٦) نصف كلمة (رهيب) ـ نشرع •

٦	٥	٤	٣	٢	١	
		◆				١
			◆		★	٢
■		■			★	٣
	◆	★	■	◆		٤
				★		٥
			◆	■		٦

					◆

				★



مشكلة السباك

كانت المشكلة التى استدعى السباك من اجلها ، هو أن يمتحن هذا الخزان الملىء بالانابيب ، حتى يتخلص من كل الانابيب التىليست لها ضرورة ، ويستبقى الانبوبة التى تجعل الماء ياخذ أقصر الطرق بين الفتحتين •

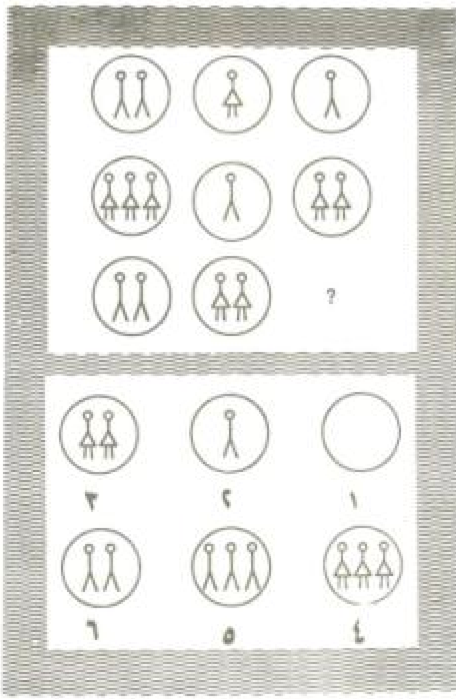
هل تستطيع أن تحدد الانبوبة المطلوبة ؟••

• بالعقل فقط •

• استاذ نبيه يسال •

ما عمر كل بنت من بناتى ؟ •

عندى ثلاث بنات : ايناس ، وبديعة وجمالات •• هل تستطيع أن تعرف عمر كل واحدة منهن ، اذا قلت لك أن عمر ايناس حاليا قدر عمر بديعة وجمالات معا • ومنذ عام فقط كان عمر بديعة ضعف عمر جمالات • أما بعد عامين من الآن ، فسيكون عمر ايناس ضعف عمر جمالات ؟



الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أى الاشكال ذات الارقام ، يحل محل علامة الاستفهام •

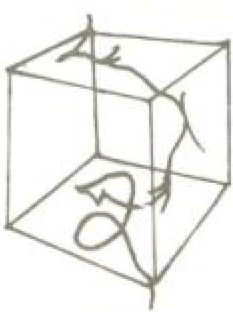
الحلول

النجمة والسهم :

الطيب صالح •

متاهة :

الحل كما فى الرسم •



استاذ نبيه يسال :

الاعمار كالتالى : ايناس ٨ سنوات ، بديعة ٥ سنوات ، جمالات ٣ سنوات •

الشكل المطلوب :

رقم ١ •


وست اند
WEST END WATCH Cº
W
SWISS
ساعات العصر الحديث
10.12
WED
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة - دولة الكويت
ص.ب: ٣٣٤ - تلفون: ٤٣٢٥٨٥
بوتيغرس





RADO
QUARTZ
15
DIASTAR

فودن

جرار سوبر هولماستر
متانة معتمدة، قوة واداء

جرار سوبر هولماستر، ٦٥ طنا، وحدة فودن بثلاثة محاور، صمم للقيام باعمال النقل والانشاء الاكثر صعوبة، في اي مكان من العالم، جرت هندسته ليكون ذا اعتمادية كاملة حتى في اقسى ظروف التشغيل.

هيكل متين، ساقة محورية قدرها ٤٠ طنا، محرك كمنز NTCE 290، صندوق تروس فودن ذو ٨ سرعات، وعربة نقل منخفضة بادارة مزدوجة، بالاضافة الى حجرة لضبط الميل مصنوعة من الفولاذ لتأمين راحة ممتازة للسائق واقصى امكانية وصول – تلك هي الخصائص التي توفر القوة والاداء لجرار فودن



Foden

الرجاء ان ترسلوا لي التفاصيل عن جرار فودن هولماستر اكسبورت رانج

الاسم ____________________
الوظيفة ____________________
الشركة ____________________
العنوان ____________________
____
للتشغيل في ____________________

Export Sales Manager
Fodens Limited
Elworth Works Sandbach
Cheshire England
Telephone 09-367 3244



يمكنك الاعتماد على اوريينت للحصول على آخر التطورات في تكنولوجيا الساعات :
ساعة رقمية حديثة تعمل على البطاريات الشمسية ، مستعملة طاقة الشمس اللامحدودة . لاحاجة لإعادة
التعبئة للإستعمال اليومي . فعند الحاجة يكفي تعريض البطاريات الشمسية ، الموجودة في اسفل وجه الساعة الجذاب
لنور الشمس او نور الغرفة لبضع دقائق فقط . هذا كل ما يلزم كي تعمل هذه الساعة العجيبة مدة ٢٤ ساعة . ان التطور
الدائم تقليد متبع لدى اوريينت . ان هنالك مجموعة كبيرة من ساعات الكوارتز الفائقة الدقة والجودة كي تختار منها .
ساعات اوريينت كوارتز ، تقدم لك اكثر بكثير من اعطائك الوقت الصحيح فقط .

ORIENT اوريينت

Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL 407-5901. TLX J26896





فكّـــر...

إن سعر الشراء مهم ولكنه ليس كل شيء . فكر بكافة التكاليف التي تنفق طوال عمر الرافعة الآلية لكي تستطيع تقرير ما هو الأنفع لك . تكاليف التشغيل بما فيها قطع التبديل والتصليح . كلفة ساعات التعطل عن العمل وتأثير التغير في السعر إذا رغبت بيع الآلة .

تتصف رافعات الكاتربلر ببساطة الصيانة مما يضمن تنفيذها . فهي مصممة بحيث لا تتضمن إلا الحد الأدنى من نقاط التفحص . وتجمع هذه النقاط سوية كلما أمكن ذلك مما يحقق الوصول السريع إليها كلها . وهذا كله يوفر أموالك على المدى الطويل .

كما أنك لا تتعرض للخسارة أثناء انتظار وصول قطع التبديل أو نتيجة اضطرارك لتخزين هذه القطع . فموزعو كاتربلر يهدفون إلى توفير مخزون من القطع التي قد تحتاج إليها . ويعني ذلك بالنسبة لك استثمار أموال أقل وتخفيض ساعات التوقف عن العمل .

وإلى جانب ذلك فان موزعي كاتربلر يقدمون برامجا خاصا يمنع تعطل الآلية عن طريق اكتشاف المشاكل المحتملة قبل حدوثها . وكل ذلك جزء من خدمات « كات بلص » . وهي برنامج الدعم الشامل المعد لمساعدتك لتحقيق أفضل مردود مما تنفقه من مال في استثمارك للعربات الرافعة .

فكر بالصورة الأجمالية قبل أن تتخذ القرار ـ الرافعة المناسبة ذات الكلفة الأجمالية المنخفضة .

يوجد ٤٦ نوعا مختلفا تتراوح قدراتها بين ١٠٠٠ و ٢٧٫٣٠٠ كغ .

وهي تعمل على الكهرباء أو الديزل أو البنزين أو الغاز النفطي المميع .

أبو ظبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٤٤١ ، أبو ظبي ، الامارات العربية المتحدة . هاتف ٢٢٣٨٧ . البحرين : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٥٣٤٧ ، المنامة ، هاتف ٧١٣٦٠٧ . دبي : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ١١٧٠ ، الدبي ، الامارات العربية المتحدة . هاتف ٦٠٢٥٥ . الأردن : الشركة الأردنية للجرارات والمعدات المحدودة ، ص . ب ٣١٢ ، عمان ، هاتف ٢٥٣٦٣/٦١/٦٥ . الكويت : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ١٤٨ ، الكويت . هاتف ٨١٠٨٥٥/٥٦ . الجمهورية العربية الليبية : الشركة العامة لمعدات الزراع والمواد الزراعية ، ص . ب ٣٩١ ، طرابلس ، هاتف ٣٠٣٤١ . فرع بنغازي ٩٢٣٣٩ . مصر : ماتراك ، ١٨ شارع أمين فكري ، محطة الرمل ، الاسكندرية ، مصر ، هاتف ٢٨٩٤٣/٨٠٩٩٩٥ . عمان : شركة الواحة للتجارة والمعدات ، ص . ب ١٠٠٢ ، مطرح ، مسقط ، هاتف ٢٦٦٠ . قطر : محمد عبد الرحمن البحر ، ص . ب ٢٦٧١ ، الدوحة ، هاتف ٢٥٩١٩ . المملكة العربية السعودية : شركة زاهد للجرارات والآليات الثقيلة المحدودة ، ص . ب ١٥٠٨ ، جدة ، هاتف ٧٦٣٦٦ . الفروع : الدمام ، ٢٢٥٩٤ ، الرياض ، ٢٨٤٦٨ . سوريا : م . عزت الجلاد وأولاده ، ص . ب ٢٣ ، دمشق . هاتف ٥٥٠٣٢١ . ويوجد فرع في حلب . تونس : مؤسسة ب . بوزجان ش . م ، ٩١ شارع قرطاجنة ، تونس ، هاتف ٢٥٦٥٧٧ . الجمهورية العربية اليمنية : شركة تهامة التجارية المحدودة ، ص . ب ٣٣٣٧ ، الحديدة ، هاتف ٩٤٠٦ . يوجد فرع في صنعاء .

CATERPILLAR



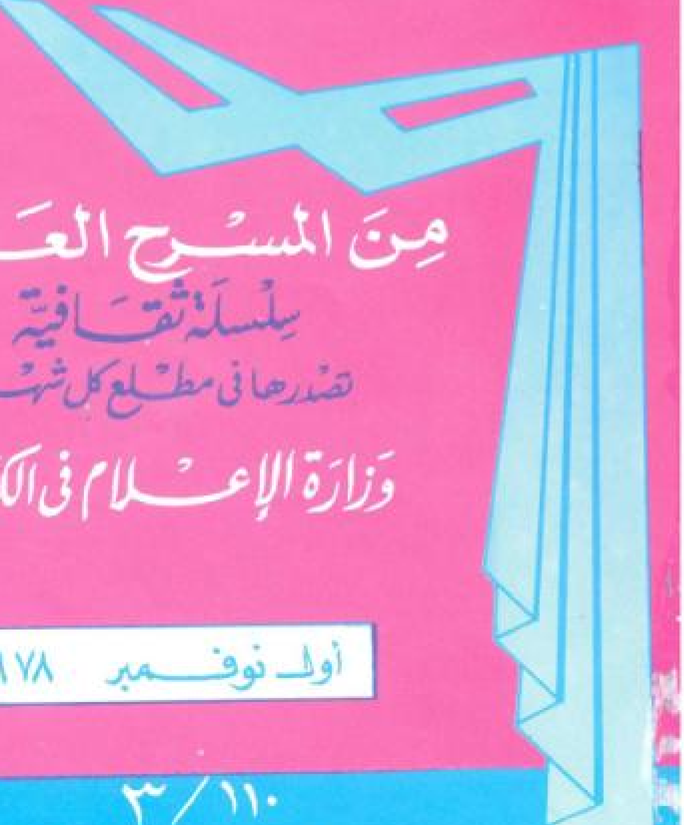
فوزو
الشاحنة رقم ١
في اليابان
هناك العديد من الشاحنات الثقيلة الممتازة في اليابان، غير أن فوزو تفوقها كلها مبيعاً. تكلموا مع موزع كرايزلر في منطقتكم وتحققوا بأنفسكم من أن فوزو لها من القوة والمتانة ما يكفي لكل مهمة. إن مؤسسة كرايزلر هي التي جاءت بفوزو إلى الشرق الأوسط. ولذلك يمكنكم أن تثقوا من توفر قطع الغيار والخدمة التي تعقب البيع.
FUSO

باركر ١٨٠
فلوتينج

يختلف هذا القلم عن غيره، ليس عليك
إلا أن تكتب به لتكتشف السبب فهو بينما
يكتب "يطوف" (فلوتينج) على سطح
الورقة. مفهومه جديد في عالم
الكتابه. يتوفر في عدة نماذج صقلت
بالذهب أو بالفضة أو بصبغ اللك
أو بالفولاذ ليلائم أقلام باركر
١٨٠ من حبر سائل وحبر جاف
باركر ١٨٠ فلوتينج
يقدم لك الجودة
التي لا تقدمها سوى
أقلام باركر.



PARKER
180
floating ball



من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول نوفمبر ١٩٧٨

١١٠/٣

من الأعمال المختارة

برتولت برشت - ٣

* الأم شجاعة * السيد بنتلا وخادمه ماتي

ترجمة وتقديم : د. عبدالرحمن بدوي

سانيو تبرهن مرّة أخرى على أنّ الأصغر غالبًا هو الأفضل



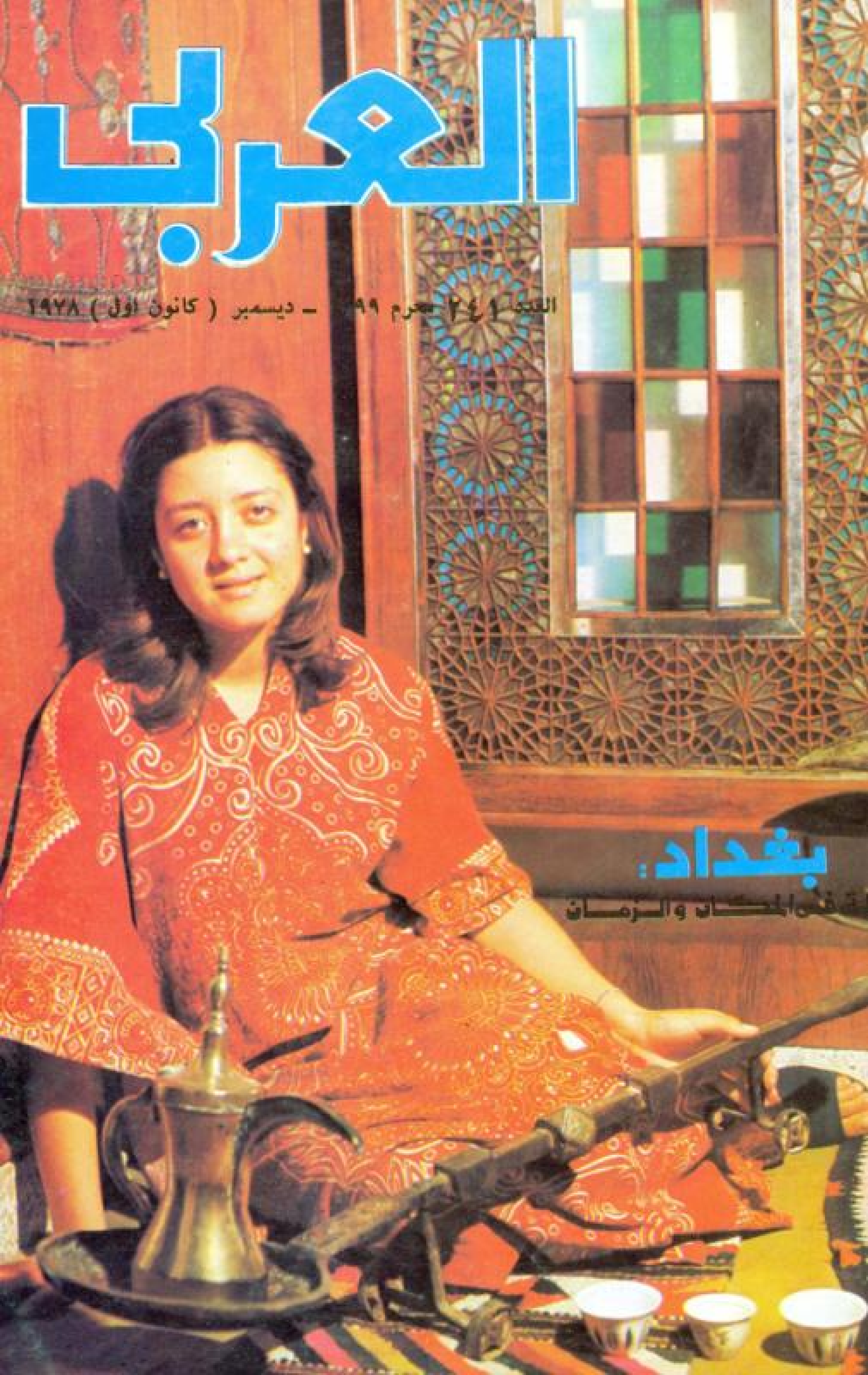
الأشياء الصغيرة جميلة عندما تكون المساحة محدودة. غير أن أجهزة الراديو/كاسيت الصغيرة هي أفضل مادامت جودة الموسيقى والقدرة والأعمال الوظيفية الأخرى لا تتأثر. وقد برهنت **سانيو** على سلامتها، في جهاز الراديو/كاسيت *M1700F* الصغير جدًا بالموجات *AM/FM* وطاقة الاخراج الموسيقية ..٢٫١ ملي واط وآلية التحكم الاوتوماتيكية والتوقف الآلي والتوقف عند النوم وآلية بدء التشغيل والارجاع والتوقف المؤقت. إنه مثالي للرحلات وسهل الحمل ومناسب للداخل والخارج وفي كل مكان تفضل فيه الأشياء الصغيرة.



SANYO سانيو

العربي

العدد ٢٤١ محرم ٩٩ – ديسمبر (كانون أول) ١٩٧٨



بغداد:

المكان والزمان

عزيزي القارئ

بعدما أفسدت السياسة الكثير من جوانب حياتنا العربية . لا تزال الثقافة ـ حتى الان ـ مسرحا يمكن أن تلتقي عنده أمتنا . وتنسى فيه حزازاتها وصراعاتها ، وأحزانها أيضا ٠ وتحت هذه الراية شهدت الكويت خلال الشهر الماضي مهرجانا ثقافيا كبيرا التقت فيه الدول العربية من أقصاها الى أقصاها ٠ اذ اشتركت ١٤ دولة في معرض الكتاب العربي الرابع ، بأهم وأحدث ما أخرجته مطابعها من كتب جديدة وقديمة ٠ وكان المعرض في الحقيقة بمثابة مؤتمر « قمة » ثقافي مثير للانتباه ٠

وتشير الدلائل كلها الى أن هذه المسيرة الثقافية تحقق نجاحات مطردة ٠ ذلك أن عدد الكتب التي قدمت في معرض هذا العام (حوالي ١٦ الف كتاب) أربعة أضعاف الكتب التي عرضت في المعرض الاول الذي افتتح في عام ١٩٧٥ كما أن قيمة الكتب المباعة تضاعفت مرة كل عام ، حتى وصلت الى أكثر من ٨١ الف دينار في المعرض الثالث ٠٠ فضلا عن أن هناك اهتماما ملحوظا بثقافة الطفل العربي تمثل زيادة نصيبه من تلك الكتب ، أربعة أضعاف نصيبه في المعرض الاول (من ٥١٧ الى ٢٢٥١ كتاب) ٠٠ حتى الدول العربية المشتركة زاد عددها من ١٢ الى ١٤ دولة ، مضافا اليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومنظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول ٠٠ وهكذا

وقد كانت ملاحظتنا التي سجلناها في العام الماضي ـ عند انعقاد المعرض الثالث ـ هي أن الجديد في الكتب محدود ، وان ذلك يعكس محنة المفكر العربي ٠ لكننا هذا العام نجد انفسنا مدفوعين الى أن نغض البصر عن أي ملاحظة ، لان المحنة اتسع نطاقها ، وصارت محنة الانسان العربي ، وليس المفكر وحده ٠ ذلك أننا نعتبر مجرد اقامة هذا المهرجان الثقافي العربي قيمة يجب أن نتشبث بها ، بعدما ازداد تمزق الامة العربية وتقطعت بينها أوصال كثيرة ، وبعدما صرنا نبحث عن موقع واحد أو أرض مشتركة واحدة يمكن أن تلتقي فوقها أمتنا المثخنة بالجراح ٠

ان اقامة مثل هذه المهرجانات الثقافية في هذه المرحلة « هدف » في حد ذاته ٠ وهنا تبرز قيمة الدور الذي يؤديه المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، الذي كانت سلسلة كتبه « عالم المعرفة » التي بدأ باصدارها هذا العام ، انجازا هاما على هذا الطريق ٠

اننا نرجو أن نشهد المزيد من تلك المهرجانات الثقافية ، اذ ربما يصل أهل الثقافة والنشر ما قطعه أهل السياسة !

المحـرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

تاريخ :

شخصيات :

استطلاعات :

طب وعلوم :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
ALARABI — No. 241 December 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير
المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر

صورة الغلاف :



● استطلاع هذا الشهر رحلة في المكان والزمان داخل بغداد العباسية ، التي كانت يوما مركز الدنيا ، وعاصمة اقوى دولة في العالم ، وهي اليوم كالعديد من مدن العروبة مستودع الحضارة الاسلامية ، لقد انتقلت عاصمة الاسلام من المدينة الى دمشق ، ومن دمشق الى بغداد لتستقر هناك خمسة قرون حافلة ..

(التفاصيل ص ٧٢)

أدب :

علم نفس :

اجتماع :

فنون :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .



المائة الأوائل!

بقلم : أحمد بهاء الدين

● هذا الكتاب الغريب ، ربما كان فيه من الطرافة اكثر مما فيه من الدقه العلمية .. ولكنه مع ذلك محاولة فذة جريئة ، تثير التفكير وتبعث على النشاط العقلي ، وهي في رايى صفات كافية احيانا لأن تجعل كتابا ما يستحق القراءة ....

الكتاب الذى ظهر اخير فى الولايات المتحدة اسمه «« المائة ! »» ويقع في ٥٧٢ صفحة من الحجم الكبير ... وموضوعه : اهم مائة رجل فى التاريخ الانساني كله !

والكتب التي تتحدث بطريقة موسوعية عن مائة او اكثر او اقل من الرجال المهمين كثيرة . ولكن مؤلف هذا الكتاب اخذ على عاتقه مهمة مستحيلة لسببين :

الأول : انه يحدد من يعتقد انهم اهم «« مائة »» فى التاريخ الانساني كله ، شاملا كل المجالات .. من سياسة وحرب وعلم وادب وفن وفكر !

والثاني : انه اخذ على عاتقه ايضا ان يرتب «« المائة »» بترتيب اهميتهم : الأول فلان والثاني فلان والثالث فلان ... وهكذا ....

من يجرؤ على عمل هذا الترتيب فى كل المجالات ؟ من يزعم انه تعمق في كل التاريخ الانساني والعلوم الانسانية من دين الى فكر الى علم الى سياسة حتى يقدم على هذه المحاولة ؟ ...

انها محاولة لا يقدم عليها الا احد « الهواة » . ففي تقديرى ان اى مفكر دارس محترف ، كلما تعمق فى الدراسة فزع من المحاولة ! لانها فى الواقع مستحيلة !

ولعل هذه هي طرافة الكتاب . فالمؤلف الأمريكي فعلا من الهواة بهذا المعنى . ولكنه هاو من نوع خاص . ذلك انه رجل علم من المتخصصين فى علوم الفضاء ومن العاملين البارزين فى علوم الأقمار الاصطناعية والصواريخ فى امريكا . ولكننا نلاحظ من دراسته انه من ذوى الاهتمامات المتعددة . فلديه شهادة في الرياضيات من جامعة كورنيل (١٩٥٢) وشهادة في القانون من جامعة نيويورك (١٩٥٨) وشهادة فى الفيزياء من جامعة اديلفى (١٩٦٩) ودكتوراه فى الفلك من جامعة برنستون (١٩٧٢) . اما حياته العملية فقد عمل في مركز ابحاث الفضاء العسكرية فى ميريلاند ، والمركز القومي لدراسات طبقات الجو فى كولورادو . وفى أكبر مرصد للافلاك فى كاليفورنيا وهو الآن مسئول علمي عن التطبيقات العلمية لعلوم الفضاء فى ميريلاند .

ويقول المؤلف ـ دكتور مايكل هارت ـ انه تأثر بكلمة شهيرة للفيلسوف الانجليزى فرانسيس بيكون التى يقول فيها « القراءة تصنع الانسان الكامل » فانطلق يقرأ في كل مجال اتيح له .

ونعرف من بعض ما نشر عنه وعن الكتاب فى الصحف الامريكية انه اقدم على اعطاء عصارة حياته الى الآن لهذا الكتاب عقب مناقشة حول عشاء ، تحدى فيها آخرين انه يمكن عمل مثل هذه المحاولة : اختيار اهم مائة فى التاريخ كله ، وترتيبهم بدرجة الأهمية !

ونعرف بعد ذلك من قراءة الكتاب امرين لا شك فيهما مهما كان فى الكتاب ـ بالطبيعة ـ من نواقص :

الأمر الأول ـ ان المؤلف قد بذل جهدا جبارا خارقا فى قراءة تاريخ العالم وحضارته بكل وجوهها . لأن من اصعب الأمور على اى كاتب او فرد ان يتجاوز طغيان التاريخ الحديث عليه لكي يكتشف اهمية شخص مات من الوف السنين مثلا . وان يتجاوز انتماءه الى حضارة الغرب مثلا ليكتشف اهمية رجال فى حضارات أخرى بعيدة غريبة عنه ، كحضارة الصين ، او مصر القديمة ، او الحضارة العربية .

والأمر الثاني ـ ان ـ المؤلف مهما كانت النتيجة التي وصل اليها فقد كان على درجة عالية من التجرد وعدم التحيز . او انه حاول اقصى ما يمكن ان يحاوله انسان ...

والدليل على ذلك انه اختار « الأول » فى الأهمية فى التاريخ الانساني كله : نبي الاسلام محمد ، عليه الصلاة والسلام .

وانه وضع نبي المسيحية عيسى عليه السلام فى الرقم الثالث ، واضعا قبله العالم اسحق نيوتن . وانه وضع نبي اليهودية موسى فى الرقم السادس عشر ، بعد بوذا واينشتين وماركس ولينين وارسطو وباستور وجاليليو وغيرهم !

ومن الملفت للنظر ان المؤلف اختار من ابطال الحضارة الاسلامية رجلا وضعه بين المائة الأوائل ، واعطاه رقم الحادى والخمسين هو : عمر بن الخطاب . ولا ننتظر طبعا ان ينظر المؤلف المسيحى الامريكي مهما بذل من جهد الى التاريخ نظرتنا اليه . ولكن اختياره عمر بن الخطاب بالذات من التاريخ الاسلامي ، يدل على جهد عظيم ... فلا اظن ان مؤرخا اسلاميا يمكن يختار في العظمة وعمق التأثير – بعد محمد عليه السلام – الا عمر بن الخطاب ...

وقد حدد المؤلف معيارا يختار على أساسه المائة الأوائل : ...

فهو لم يرشح « الأعظم » ولكن « الأهم » ...

ووضع « للأهمية » ، خيرا او شرا ، معيارا هو : درجة تأثير الفرد المرشح على حياة البشرية ، كما وكيفا ، وطولا وعرضا وعمقا ، بصرف النظر عن « نوع » التأثير ...

فهو يضع « هتلر » مثلا ، كما يضع « جنكيزخان » و « ستالين » بين هؤلاء المائة .. رغم انه يرى ان تأثيرهم كان سلبيا ، ولكن المعيار الذي رشحهم هو معيار « مدى تأثيرهم » في حياة الانسانية ، او في حياة قطاع كبير من الانسانية ... سلبا او ايجابا .

والكتاب بكل اوصافه السابقة ، يستعصى على التلخيص ، ولكنه رياضة ذهنية بديعة ، خصوصا في سرده لأسباب وحيثيات الاختيار ، وكل الممكن هنا ، في هذه الصفحات هو القيام بجولة سريعة بين احراشه .. ذلك ان مناقشة كل « حكم » تحتاج الى كتاب كامل ، فضلا عن انها تحتاج الى خبير متخصص في كل موضوع !

●

والفصل الأول ، عن الرجل الأول في التاريخ كله كما ذكرت ، عن محمد (٥٧٠ – ٦٣٢ ميلادية) . وقد سرد قصة حياته في ايجاز ، لا اظن ان القارىء العربي في حاجة الى معرفته . ولكنه برر اختيار « الأول » بقوله :

« ان اختيارى محمدا ، ليكون الأول في قائمة اهم رجال التاريخ قد يدهش القراء . ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذى نجح اعلى نجاح على المستويين : الديني والدنيوى .

فهناك رسل وانبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة ، ولكنهم ماتوا دون اتمامها ، كالمسيح في المسيحية .. او شاركهم فيها غيرهم او سبقهم اليهم سواهم ، كموسى في اليهودية ، ولكن محمدا هـو الوحيد الذى اتم رسالته الدينية كامله وتحددت كل احكامها وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته . ولأنه اقام الى جـانب الدين دولة جديدة ، فانه في هذا المجال الدنيوى ايضا وحد القبائل في شعب ، والشعوب في امة ، ووضع لها كل اسس حياتها ورسم امور دنياها ووضعها في موضع الانطلاق الى العالم .. ايضا في حياته ..

فهو الذى بدأ الرسالة الدينية والدنيوية .. وأتمها .

ويضيف الى ذلك : ان معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا فى قلب احد المراكز الحضارية في العالم .. فى بيئة متقدمة تبرر ظهور العظماء فيها .. ولكن محمدا هو الوحيد الذى نشا فى بقعة منالصحراء الجرداء المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم . ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس وبيزنطة وروما المتقدمة بما لا يقاس ، وفى تاريخ الغزو فى كل زمان ومكان يكون الغزو عسكريا . ولكن فى حالة الرسالة المحمدية فان معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه استعربت تماما وتغيرت لغة ودينا وقومية .. من العراق وسوريا الى آخر الشاطىء الافريقي غربا الى السودان جنوبا ، وبقيت امة واحدة تتكلم لسانا واحدا الى الآن . فهناك اليوم وبعد ١٤٠٠ سنة خمسمائة مليون مسلم ولكن هناك بينهم حوالي مائة وخمسين مليون عربي . وهـو معيار فى قياس اثر الرسـالة ، اى استمرارها الزمني وثباتها ، ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم ...

كذلك لا يوجد نص فى تاريخ الرسالات نقل عن رجل واحـد وبقي بحروفه كاملا دون تحوير كل هذا الزمن سوى القرآن ، الذى نقلـه محمد . الأمر الذى لا ينطبق على التوراة مثلا او الانجيل .

((هكذا نجد ان فتوحات العرب التي بدات فى القرن السابع الميلادى قد بقيت تلعب دورا هاما فى التاريخالانسانى حتى يومنا هذا ومن اجل هذا النفوذ الديني والدنيوى ، فاننى ، وجدت ان محمدا هو صـاحب الحق الوحيد فى ان اعتبره صاحب اعظم تاثير على الاطلاق في التاريخ الانساني)) .

●

وبعد محمد ـ صلوات الله عليه ـ يقفز المؤلف قفزة هائلة ليضع في الرقم الثاني له مباشرة اسحق نيوتن (١٦٤٢ ـ ١٧٢٧) الذى يرى انه اعظم عالم على الاطلاق .

يقول انه ولد يتيما مثل محمد ! ولكنه فى سن الثامنة عشرة دخل جامعة كامبريدج ، وبسرعة هائلة استوعب كل ما هو معروف من العلوم والرياضيات وبدا ابحاثه المسـتقلة . وبين سن الحاديـة والعشرين والسابعة والعشرين ، كان قد وضع اسس كل النظريات العلمية التي خلقت الثورة العلمية والصناعية التي عرفها العالم ...

واذا كنت هنا لست بصدد سرد اكتشافات نيوتن العلمية ، كمـا انني لا انوى طبعا ان اسرد المائة الذين اختارهم ، الا اننى اتوقف عنـد ذكره ووضع المؤلف له فى الرقم التالي لمحمد والسابق للمسيح ، لمجرد الاشارة الى نوع تفكير المؤلف واتجاهه فى ترتيب الرجال . فضلا عن ان شرح ما قاله عن نيوتن يحتاج الى علماء فى الطبيعة والكيمياء وعدد كبير من العلوم .

●

وكان طبيعيا ان يشـرح المؤلف المسـيحي ، للقارىء الأمريكي المسيحي ، لماذا وضع المسيح فى المرتبة الثالثة ..

انه يقول ان تأثير المسيح والمسيحية معروفان . وان المسيحية كدين تضم الآن اكبر عدد من الاتباع في العالم . ولذلك فالسؤال هو لماذا لم يضعه في المرتبة الأولى ...

يقول ان اول سبب هو ان المسيحية ، بعكس الاسلام ، لم تقم بجهد رجل واحـد مثـل محمد . بل قام بالجهد اثنان : عيسى ، وبولس الرسول . فالمسيح في رايه هو الذى وضع القيم الأخلاقية الأساسية للمسيحية وافكارها الأساسية عن السلوك الانساني . ولكن الفقه المسيحي صاغه وفصله بولس الرسول . كما ان بولس الرسول اضاف الى ذلك فكرة قدسية المسيح التي لم يقل بها احد قبله . كذلك فان بولس الرسول هو الذى كتب جزءا كبيرا من « العهد الجديد » وهو الذى كان اقوى معبر ومبشر بالمسيحية في القرن الميلادى الأول .

لقد مات المسيح في سن صغيرة نسبيا ـ ستة وثلاثون عاما ـ ولم يترك بعده سوى عصبة قليلة من الاتباع والتلاميذ. مات المسيح واتباعه ليسـوا اكثر من فرقة صـغيرة من فرق اليهـودية . ولكن بولس هو الذى ناضل في الدعوة . وجمع الانصار ، وتوجه بها الى اليهود وغير اليهود ، اى الى كل البشر ، وبهذا نمت واصبحت احدى الديانات الكبرى في العالم . وبولس هو الذى اسس « الكنيسة » بالمعنى الذى عرف بعد ذلك . ولكنه يقول انه لم يضع بولس قبل المسيح لانه بدون ظهور المسيح ما ظهر بولس .

ويقول المؤلف : كما انه لا يمكن ان ينسب الى المسيح مسئولية كل اعمال المسيحيين خصوصا حروبهم المذهبية الرهيبة واضطادهم لليهود ، فانه ليس صحيحا بالمثل القول بان النهضة العلمية الحديثة أثر من آثار المسيحية ، لمجرد ان النهضة العلمية هذه ظهرت في اوروبا المسيحية . بل على العكس . فقد اقترن تحول اوروبا الى المسيحية بهبوط ذريع في حرية العلم والتفكير العلمى .

« اما قيام الثورة العلمية في اوروبا فهو دليل على ان شيئا ما في تراث اوروبا الثقافي هو الذى ساعد على ذلك . هذا الشيء لا يرجع الى تعاليم المسيح ، ولكنه يرجع الى العقلانية الاغريقية التي جسدها ارسطو واتباعه . فالثورة العلمية والفكرية جاءت مع عصر النهضـة « الرنيسانس » وليس مع انتشار المسيحية » .

وبعد المسيح يضع المؤلف : بوذا (٥٦٣ ـ ٤٨٣ قبل الميلاد) ،

لانه مؤسس احد الاديان الهامة هى البوذية .

ان بوذا اسمه الاصلى الامير سيد هارتا ، ابن احد ملوك منطقة فى شمال الهند بجاور نيبال . وفى سن السادسة عشرة تزوج ابنة عم له من نفس عمره وكان يعيش فى جو من الثراء والرفاهية . ولكنه لم يكن راضيا بكل ما تقدمه له القصور الملكية من رفاهية . لقد استولى عليه ما رآه من ان معظم الناس فقراء تعساء يشكون الفاقة . وان القلة الاغنياء ايضا تعساء ، حياتهم فارغة او ان الكل فى النهاية يمرضون ويموتون . وبدأ يعتقد ان الحياة لابد وان لها معنى اكثر من متع الوجود العابرة ، والتى تنتهى بالالم والموت .

وعندما بلغ التاسعة والعشرين ، وبمجرد ان انجب ابنه الاول قرر ان يهجر الحياة التى كان يعيشها وان يهب نفســه للبحث عن الحقيقة . فترك القصور ، وزوجته ، وطفله ، وكل املاكه وتحول الى متسول متجول .

ولفترة تعلم على ايدى بعض اهل العلم فى عصره ، ووجد ان تعاليمهم لا ترضى ضميره ، فعكف على تطهير نفسه ، بتعذيب الجسد وحرمانه .. وامضى سبع سنوات فى صيام عنيف وحرمان هائل حتى وجد ان الجوع المتوالى يؤثر على قواه الذهنية ، فعدل عن هذا السبيل الذى كان سائرا .

وفى ذات ليلة ، وبينما هو جالس تحت شجرة تين ضخمة ، صفا ذهنه ، واحس وكأن كل الاسئلة التى كان يبحث عنها قد وجدت اجوبتها ، وقضى الليل كله ساهرا مفكرا متأملا ، حتى اذا اشرق الصبح وجد انه اصبح «بوذا» وترجمتها «المستنير» .

كان عمره وقتها خمسة وثلاثين سنة ، وبعدها عاش خمسة واربعين عاما اخرى ، قضاها متجولا فى شمال الهند داعيا الى فلسفته الجديدة ، متحدثا الى كل من يمكن ان يستمع له . فلما مات ، كان قد ترك وراءه الافا من الاتباع والتلاميذ . الذين تابعوا دعوته ، وتناقلوا تعاليمه شفاها جيلا بعد جيل ، حتى تم تدوين بعضها .

ويلخص المؤلف تعاليم بوذا فى ما يسمى «الحقائق النبيلة الاربع»

اولا : ان الحياة الانسانية بطبيعتها غير سعيدة .

ثانيا : ان السبب فى عدم السعادة هو الانانية والشهوات الانسانية .

ثالثا : ان انانية الفرد وشهواته يمكن وضع حد لها ـ والقضاء عليها يصل بالفرد الى حالة «النرفانا» وترجمتها الحرفية (الاستئصال) .

رابعا : ان وسيلة التخلص من الانانية والشهوة هو سلوك «الطريق ذى الصفات الثمانية» : الرأى الصحيح ، الفكر الصحيح ، الكلام الصحيح ، العمل الصحيح ، المسلك الصحيح ، الجهد الصحيح ، الحساب الصحيح ، التأمل الصحيح .

والبوذية ـ بعكس الهندوكية ـ موجهة لكل البشر ، ولا تعترف بفوارق بين البشر .

وقد اخذت البوذية تنتشر بعد وفاة بوذا ببطء ، حتى جاء القرن

الثالث بعد الميلاد ، واعتنقها « اشوكا » اعظم اباطرة الهند . وبواسطته انتشرت بسرعة في الهند ثم امتدت الى ما حولها .. الى الصين واليابان وكوريا شمالا وسيلان وجنوب شرق آسيا جنوبا مثل بورما والملايو وتايلاند .. الخ .

والغريب ان البوذية تضاءلت في الهند حتى انقرضت تقريبا في القـرن الثاني عشر الميلادى ، بينما بقيت في اماكن اخرى خارج الهند .

ويقدر المؤلف عدد البوذيين حاليا بحوالي مائتي مليون نسمة . ولكنه يرى ان بوذا كان المصدر لتعاليم وفلسفات كثيرة ، وخصوصا في ناحية السلوك السلمى .

وهو يرى ان بوذا الهندى وكونفوشيوس الصينى يتشابهان ، كما انهما كانا معاصرين احدهما للآخر . ولكنه وضع بوذا قبل كونفوشيوس لان بوذا وجه تعاليمه للجميع ، بينما كانت تعاليم كونفوشيوس خاصة باهل الصين وحدهم ، لذلك لم يعتنق الكنفوشية احد خارج الصين ، ولذلك فقد اعطى بوذا المكانة الرابعة وكونفوشيوس المكانة الخامسة .

وقد كان فضل كونفوشيوس انه اول من مزج الافكار والقيـم الاساسية لدى الصينيين ونسج منهـا فلسفة متكاملة ، تقـوم على الاخلاقية الفردية وعلى فكرة ان الحكومة وجدت لتخدم الناس لا لكى يخدمها الناس ، وانها تحكم باعطاء المثل الصالح . وقد ساد مذهب كونفوشيوس في الصين اكثر من الفي سنة واثر في نسبة كبيرة من سكان العالم من نواح كثيرة .

وبعض الناس ينسبون الى كونفوشيوس انـه مؤسس ديانـة . والواقع كما يقول المؤلف انه لم يتعرض لأى شيء دينى ، لا للحياة بعد الموت ولا لاي شيء غيبى . انما كان واقعيا عمليا يهتم بحياة الانسان على الارض فقط وامثل الطرق لتنظيمها واعلائها .

وقد كان فكره محافظا . فقد تبنى عادة الصينيين القديمة في عبادة الآباء والاجداد والانتماء لهم دون الوطن ، وعادتهم في خضوع المراة تماما للرجل وفي طاعة الشعب للحاكم . وان كان قد قاوم الطغيان . وبنفس الفكر المحافظ كان كونفوشيوس ــ منذ ٢٤٠٠ سنة ! ــ يرى ان الماضى هو العصر الذهبى ! وكان يدعو الحكام والشعب للعودة الى الماضى ! وهذا الاتجاه المحافظ هو ما حاول ماوتسى تونج بعد ٢٤٠٠ سـنة ان يحطمه في الصين ، خلال الثورة الثقافية ، حين اعلن الصينيون الحرب على الكونفوشية .. واحرقوا كتبه وهاجموا تعاليمه وحطموا تماثيله في كل مكـان .

والغريب ان مذهب كونفوشيوس تعرض لهذا القدر مرتين المرة الاولى بعد وفاته بحوالى مائتى سنة ، حين حكم الصين اول اباطـرة سلالة « الشى ــ ين » فاعلن الحرب على تعاليمه وحرق كتبه وصوره وحرم مذهبه .

والمرة الثانية بعد وفاته بحوالى ٢٤٠٠ سنة على يد ماوتسى تونج !

وفي المرة الاولى ، عادت تعاليم كونفوشيوس مع استيلاء سلالة « الهان » على السلطة . فقد جعل اباطرتها تعاليم كونفوشيوس الدين الرسمي للصين لأول مرة ! ..

ولذلك يرى المؤلف انه يجب الانتظار مائة سنة بعد وفاة ماوتسى تونج ، لنحكم اذا كان قد نجح في تحطيم كونفوشيوس نهائيا ام لا . ذلك ان قوة كونفوشيوس ترجع الى انه لم يبتدع الكثير ، ولكنه صاغ القيم الصينية الموروثة في نسيج متين !

وبالمناسبة فان المؤلف يضع ماوتسى تونج بين « المائة » ويعطيه الرقم « عشرون » في ترتيب اهم رجال التاريخ .

●

وبعد كونفوشيوس يأتى في المرتبة السادسة « بولس الرسول » وقد تحدثنا عنه في الحديث عن المسيح . ثم يأتى مخترعان : الأول صينى وهو « تساى لون » مخترع الورق ، ثم الالمانى « جوتنبرج » مخترع الطباعة الحديثة .

ويهتم المؤلف اهتماما كبيرا بذلك الصينى « تساى ـ لون » الذى اخترع الورق منذ الفي سنة . ويسجل دهشته لان معظم المؤلفات والانسيكلوبيديات الغربية لا تذكر اسمه . وان اسمه ليس معروفا الا في الصين . في حين ان اختراع الورق كان اساسيا في تكوين العالم كما نعرفه اليوم .

لقد كان « تساى ـ لون » من الخصيان والكتبة في بلاط الامبراطور « هو ـ تى » وفي حوالى سنة ١٠٥ قبل الميلاد قدم هذا الموظف اول عينة من الورق الذى اهتدى الى تصنيعه بنفس الطريقة التى يصنع بها الورق الآن من حيث الجوهر .

وقد وهبه الامبراطور مالا كثيرا مقابل هذا الاختراع الفذ . واعطاه لقبا ارستيقراطيا . ولكن الطموح طغى عليه فقضت عليه مؤامرات القصر . وحين فقد كل شيء .. اخذ حماما ساخنا ، وتعطر ، ولبس افخر ثيابه ، وشرب كأسا من السم !

وظلت الصين وحدها دون العالم كله تستخدم الورق عدة قرون وتحتفظ بسر صناعته . كان المصريون القدماء قد اكتشفوا ورق البردى وكانت اوروبا تستخدم انواعا من الجلود خصوصا « البارشمنت » . ولكن ندرة هذه المواد وارتفاع ثمنها كان مستحيلا من ان يحل شيء محل الورق الذى احدث ثورة هائلة بجعل القراءة والكتابة سهلة وميسرة والتعليم ضرورة .. الى آخره .

وفي القرن السابع الميلادى ـ يقول المؤلف ـ قبض العرب على بعض الصينيين المتخصصين في صناعة الورق . وعرفوا منهم سر الصناعة . وبدأ صنع الورق لاول مرة خارج الصين في سمرقند وبغداد. ثم انتشر فن صناعة الورق في العالم العربى كله . وفي القرن الثانى

عشر ، اى بعد العرب بخمسة قرون ، اخذت اوروبا فن صناعة الورق عن العرب ، ثم جاء جوتنبرج واخترع المطبعة الآلية فكان ما نعرفه الآن من شأن الورق والطباعة فى تغيير وجه العالم .

ويستعرض المؤلف فترات تأخر الصين عن اوروبا ثم الفترة التى قفزت فيها الصين وسبقت حضارة اوروبا وصارت اكثر غنى وتقدما بما لا يقاس حتى القرن الثالث عشر عندما زارها الرحالة « ماركوبولو » وسجل هذا التقدم . ويرجع المؤلف السبب فى ذلك الى ان الصين كانت قد عرفت الورق وبدلا من كتب الحجر والبامبو ظهرت كتب الورق . واكتشفت الصين بعدها جمع الحروف يدويا واخترعت البارود وغير ذلك . فلما عرفت اوروبا الورق ، ثم ظهرت المطبعة على يد جوتنبرج وفى بيئة مهيئة للتقدم قفزت اوروبا الى الامام بسرعة هائلة ..

●

ولعله بعد ذلك لا مفر من الاكتفاء بنشر قائمة اسماء المائة الاهم فى تاريخ الانسانية ، في كشف ملحق بهذا المقال .

ويبقى ان نعيد بعض ملاحظات المؤلف :

ذكرت منها انه اختار معيارا للاهمية : مدى تأثير الفرد على حياة اكبر عدد من الناس لأطول مدة . اى الاكثر تأثيرا ، خيرا او شرا .. فهو يختار هتلر مشعل اكبر حرب دامية فى التاريخ . ويختار وليم مورتون الذى ادخل التخدير فى الجراحة ، فأزال آلاما رهيبة من حياة ملايين البشر عبر قرون لا نهاية لها .

ومنها ما نلاحظه من كشف الاسماء ، فهو بعد مؤسسى الاديان ، يعطى الاهمية الاولى للمخترعين والمكتشفين والعلماء ، قبل الكتاب والادباء مثلا .. لان هؤلاء نتائج عملهم عالمية وواضحة فى تطوير العالم، بعكس اولئك . ولكنها فيما اظن ليست قضية مطلقة ..

يأتى بعدهم مؤسسو الدول والغزاة والفاتحون ..

وفي العلوم الانسانية يهتم بالمفكرين والفلاسفة الذين ادت افكارهم الى تغيير عقل الانسان واعادة تكوينه او في ايجاد حركات اجتماعية اثرت فى احداث التاريخ .

ومن معاييره فى اختيار الافراد : ان هناك من قام بعمل ، كان لا بد ان يقوم به احد ، ولو كان غير صاحبه بحكم الظروف ، ولكن هناك من قام بحدث ما كان ليقوم به احد سواه ..

ثم هو يضع لنفسه خط رجعة : فهو يضع تحفظا على كل الاسماء التى اختارها من رجال القرن العشرين . اذ لم يمض وقت كاف لاصدار حكم نهائى عن حجم تأثيرهم كما حدث بالنسبة للاقدمين . فنحن نعرف مدى تأثير كونفوشيوس بعد ٢٠٠٠ سنة اكثر مما نعرف تأثير ماوتسى تونج ، ولم تمض على وفاته خمس سنوات . وقد تحددت نظريات فرويد قبل نهاية القرن العشرين ، وقد يبقى اثرها قائما .

المائة بالترتيب

١ ـ محمد صلى الله عليه وسلم
٢ ـ اسحق نيوتن (مخترع)
٣ ـ المسيح (مؤسس المسيحية)
٤ ـ بوذا (مؤسس البوذية فى الهند)
٥ ـ كونفوشيوس (مؤسس الديانة الكونفوشية فى الصين)
٦ ـ بولس الرسول (ناشر المسيحية الاول)
٧ ـ تساوى ـ لون (مخترع الورق)
٨ ـ جوتنبرج (مخترع المطبعة)
٩ ـ كولومبوس (مكتشف امريكا)
١٠ ـ اينشتين (نظرية النسبية)
١١ ـ كارل ماركس (اقتصادى ومفكرسياسى)
١٢ ـ لويس باستور (أهم اسم فى الطب ومكتشف الميكروبات ووسائل مقاومتها)
١٣ ـ جاليليو (مخترع فى العلوم والرياضيات ومخترع التلسكوب وعالم فلك احرقه رجال الكنيسة لتجاربه العلمية)
١٤ ـ ارسطو (فيلسوف اغريقى)
١٥ ـ لينين (قائد الثورة الشيوعية)
١٦ ـ موسى (نبى اليهودية)
١٧ ـ داروين (مخترع وصاحب نظرية النشوء والارتقاء)
١٨ ـ شى هوانج تى (أول من وحد الصين)
١٩ ـ اوغسطس قيصر (امبراطور روما)
٢٠ ـ ماوتسى تونج (زعيم الثورةالصينية)
٢١ ـ جنكيز خان (الفاتح المغولى الذىوصل الى قلب اوروبا)
٢٢ ـ اقليدس (فيلسوف وعالم عاش فى مصر والاسكندرية ٣٠٠ ق . م)
٢٣ ـ مارتن لوثر (مصلح دينى وثائر)
٢٤ ـ كوبر نيكوس (مخترع وعالم فلك)
٢٥ ـ جيمس وات (مخترع آلة البخار)
٢٦ ـ قسطنطين الاكبر (أول حاكم لامبراطورية بيزنطية)
٢٧ ـ جورج واشنطون (قائد ثورة استقلال الولايات المتحدة)
٢٨ ـ ميشيل فارادى (مخترع الكهرباء)
٢٩ ـ جيمس ماكسويل (مخترع الكهرباء)
٣٠ ـ الاخوان رايت (مخترعا الطائرة)
٣١ ـ لافوازييه (أهم اسم فى علم الكيمياء)
٣٢ ـ فرويد (مؤسس علم النفس)
٣٣ ـ الاسكندر الاكبر (الفاتح الاغريقى)
٣٤ ـ نابليون بونابرت
٣٥ ـ هتلر
٣٦ ـ وليم شكسبير
٣٧ ـ آدم سميث (مؤسس علم الاقتصاد)
٣٨ ـ اديسون (مخترع الكهرباء)
٣٩ ـ انطونى فان ليونهوك (هولندى ، مكتشف الميكروبات)
٤٠ ـ افلاطون (فيلسوف اغريقى)
٤١ ـ ماركونى (مخترع اللاسلكى)
٤٢ ـ بيتهوفن (موسيقار)
٤٣ ـ ورنر هايسنبرج (عالم فيزياء)
٤٤ ـ جراهام بل (مخترع التليفون)
٤٥ ـ الكسندر فلمنج (مكتشف البنسلين)
٤٦ ـ سيمون بوليفار (محرر امريكا الجنوبية)
٤٧ ـ كرومويل (قائد الثورة الدستورية فى انجلترا)
٤٨ ـ جون لوك (فيلسوف انجليزى)
٤٩ ـ مايكل انجلو (رسام ومثال)
٥٠ ـ البابا يوربان الثانى (الذىبدأالحروب الصليبية)
٥١ ـ عمر بن الخطاب (الخليفة الثانى للرسول .
٥٢ ـ آشوكا (اول امبراطور وحد الهند)
٥٣ ـ سان اوجستين (مفكر دينى مسيحى)
٥٤ ـ ماكس بلانك (عالم فيزياء المانى)
٥٥ ـ كالفن (مصلح دينى)
٥٦ ـ وليم مورتون (ادخل التخدير فىالطب)
٥٧ ـ وليم هارفى (مكتشف الدورةالدموية)
٥٨ ـ هنرى بيكريل (عالم طبيعة ومكتشف الـ Radioactivity)

٥٩ ـ جريجور مندل (أهم مكتشف في علوم الوراثة)
٦٠ ـ جوزيف ليستر (اول جراح استخدم الـ Anticentic في الجراحة)
٦١ ـ نيكولاوس اوجست اوتو (مخترع محرك السيارات وغيرها)
٦٢ ـ لويس داجير (مخترع آلة التصوير)
٦٣ ـ ستالين (حاكم روسيا بعد لينين)
٦٤ ـ ديكارت (فيلسوف فرنسي)
٦٥ ـ يوليوس قيصر (قيصر روسيا واعظم فاتحيها)
٦٦ ـ بيسارو (اسباني من فاتحي امريكا الجنوبية وبيرو بالذات)
٦٧ ـ هرناندو كورتز (فاتح المكسيك)
٦٨ ـ الملكة ايزابيلا الاولى (ملكة اسبانيا التي مولت رحلة كولومبوس)
٦٩ ـ محمد الفاتح (الامبراطور العثماني فاتح القسطنطينية)
٧٠ ـ توماس جفرسون (كاتب اعلان حقوق الانسان الاول في الثورة الامريكية)
٧١ ـ جان جاك روسو (احد فلاسفة الثورة الفرنسية)
٧٢ ـ ادوارد جينر (اهم من طور عملية التطعيم ضد الامراض والاوبئة)
٧٣ ـ ولهلم رونتجن (مكتشف اشعة اكس)
٧٤ ـ جوهان سباستيان باخ (مؤلف موسيقى)
٧٥ ـ لاو ـ تسو (مفكر عسكري)
٧٦ ـ انريكو فرمي (صانع اول مفاعل ذرى)
٧٧ ـ مالتوس (مفكر اقتصادى)
٧٨ ـ فرانسيس بيكون (فيلسوف)
٧٩ ـ فولتير (كاتب ومفكر)
٨٠ ـ جون كنيدى (بوصفه صاحب مشروع وضع اول انسان على القمر)
٨١ ـ جريجورى بينكس (اهم اسم في اختراع حبوب منع الحمل)
٨٢ ـ سوى ـ وينارتى (اعاد توحيد الصين في القرن الخامس)
٨٣ ـ مانى (مؤسس الديانة المانوية)
٨٤ ـ فاسكو داجاما (مكتشف طريق راس الرجاء الصالح)

٨٥ ـ شارلمان (ملك فرنسا وموحد اوروبا)
٨٦ ـ قورش (امبراطور فارس)
٨٧ ـ ليونارد يولر (سويسرى من اهم علماء الفزياء والهندسة)
٨٨ ـ مكيافيلى (المفكر ومؤلف كتاب الامير)
٨٩ ـ زرادشت (مؤسس الديانة الزرادشتية في فارس)
٩٠ ـ مينا (موحد شمال مصر وجنوبها)
٩١ ـ بطرس الاكبر (اهم قيصر روسى)
٩٢ ـ مينشيوس (اهم فيلسوف صينى من مدرسة كونفوشيوس)
٩٣ ـ جون والتون (مكتشف وجود الذره)
٩٤ ـ هوميروس (شاعر اغريقي ومؤلف الالياذة)
٩٥ ـ الملكة اليزابيث (ملكة انجلترا التي هزمت الارمادا)
٩٦ ـ جوستنيان الاول (ابو القانون الرومانى)
٩٧ ـ جوهان كبلر (عالم فلك ومكتشف قوانين حركة الاجرام السماوية)
٩٨ ـ بيكاسو (رسام)
٩٩ ـ ماهافير تباجى (مؤسس احد اهم الديانات الهندية بعد بوذا)
١٠٠ ـ انشتيل بوهلر (عالم ذرى المريكى)

مرشحون لم يدخلوا في المائة الاوائل

١ ـ توماس الاكوينى (مفكر دينى)
٢ ـ ارشميدس (مكتشف قانون الجاذبية)
٣ ـ شارلز بابباج (اول من فكر في الكومبيوتر ووضع مبادئه قبل قرن من انتاجه)
٤ ـ خوفو (بانى الهرم الاكبر)
٥ ـ مارى كورى (ساهمت في اكتشاف الراديوم)
٦ ـ بنيامين فرانكلين (مفكر وكاتب ومخترع)
٧ ـ غاندى (الزعيم الهندى المعروف)
٨ ـ ابراهام لنكولن (محرر العبيد في امريكا)
٩ ـ ماجلان (مكتشف مضيق ماجلان)
١٠ ـ ليوناردو دافنشى (رسام ومخترع ايطالى في عصر النهضة)

أقوال معاصره



القذافى

- « ليس عندى حل لمشكلة الصحافة والاذاعة ، وقد قلت اذا كنتم تريدون بيعها أو حرقها ، فاحرقوها ، لانها لا تستحق هذا العدد من الموظفين ولا هذه الملايين التى تنفق عليها ويجب أن تكون تابعة لامانة المواصلات أو الكهرباء لادارة آلاتها ·

العقيد معمر القذافى

- اذا لم نجد حلا معقولا لقضية نهوض القوميات المحلية فى دول أفريقيا ، فلن تتوقف حروب القارة ·

الرئيس السودانى جعفر النميرى



النميرى

- هذه هى الحرية التى يريدها لنا كارتر ، ان شعبنا يرتدى ثوب الحداد وأنا معه ·

الزعيم الشيعى الايرانى اية الله خمينى

- لم يكن الكرادلة يودون ان يزيدوا من خطورة المشاكل التى تواجهها ايطاليا بانتخاب بابا من جنسية أخرى ·

الاب جوزيه كليمونت اسقف بوليفيا

- اذا كان هناك أمل لحل قضية لبنان عن طريق مساعدات خارجية فهو فى طريق الحل العربى ·

الامير سعود الفيصل وزير خارجية السعودية



سعود الفيصل

- لا يعنينا أن تكون الصحافة سلطة رابعة أو خامسة ، بقدر ما يعنينا توفر حرية الرأى والتعبير لاصحاب الفكر المعارض قبل أصحاب الفكر المؤيد ·

الخبير الدستورى العربى الدكتور وحيد رأفت

- ربما أحبه البعض ، وربما كرهه البعض ، لكنه مع ذلك شد انتباه الجميع

سيرجى خروشوف ابن الزعيم السوفيتى الراحل

- جميع المناهج النقدية عندنا انعكاسات لفلسفات غربية لم تتأصل فى بيئتنا ·

نجيب محفوظ



نجيب محفوظ

- من أكبر الاخطاء أن نظن أن العقبة النفسية التى تقف فى طريق السلام يمكن التغلب عليها بضربة واحدة ·

الجنرال شلومو جازيت ـ مدير المخابرات الاسرائيلية

- كلمة «لا» التقليدية فى الحركة الفلسطينية ليست ثورية بالضرورة، وكلمة «نعم» ليست دائما شكلا من أشكال الخيانة · بل قد يكون الموقف على العكس ، اسلوبا فى الهروب من المشاكل والتزيى بزى النقاء العقائدى المتحول ·

أبو اياد ـ صلاح خلف

فى القرآن والمسألة العلمية

بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

هل ثمة أكثر دلالة على ارتباط المسلم بالارض من تسمية سورة كاملة باسم « الحديد » .. وهو من اهم الخامات واخطرها ؟

الذى يقرأ كتاب الله يتمعن فى محاولة للالمام بطبيعة موقفه من (العلم) ، يجد نفسه امام حشد من الايات ممتدة وفق ابعاد ثلاثة توازى المسالة العلمية فى اتجاهاتها كافة ، يتناول اولها مسائل تتعلق بحقيقة العلم وافاقه ومنهج الكشف عن الحقائق العلمية فيما يعرف بفلسفة العلم ونظرية المعرفة . ويعرض ثانيها المجموعة من السنن والقوانين العلمية فى مجالات العلم المختلفة وبخاصة الطبيعة والجغرافيا وعلوم الحياة ، فيما يسمى بالعلوم المحضة أو الصرفة . ويدعو ثالثها لاستخدام هذه السنن والقوانين ، التى كشف عنها منهج تجريبى فى البحث ، من أجل ترقية الحياة وتنميتها على طريق خلافة الانسان لاعمار العالم ، فيما يعرف بالعلوم التطبيقية (التقنية) .

وما من شك فى أن هناك ارتباطا وثيقا ومحكما بين هذه الابعاد ، يقود احدها الى الاخر . فالمنهج يطرح طريقة عمل للكشف عن الحقائق : السنن والنواميس التى تحكم الكون والعالم وتحمى صيرورتهما الزمنية ذات النظام المعجز .. وهذه السنن والنواميس تمنح الانسان ـ بدورها ـ (المعادلات) التى يتمكن بها من أن يدخل الى صميم هذا التركيب المعجز لبنية الكون والعالم من اجل اعتماد تلك السنن والنواميس لتنفيذ قدر من « التطبيقات » العلمية تمضى بالحياة البشرية قدما صوب الاحسن والارقى . وتتيح للانسان أن يتحرر من شد الضرورات لكى يكون اكثر قدرة على رفع رأسه الى فوق ومحاورة السماء . وتلبية حاجاته الروحية التى بها يتميز الانسان عن سائر الخلائق .

معطيات القران وفهم العالم

صحيح ان كتاب الله ماجاء لكى يكون كتابا علميا ، كما هو معروف ، تماما كما أنه ما جاء لكى يكون كتاب جغرافية او تاريخ او اى من حقول المعرفة المتنوعة .. وصحيح ان الحاح بعض المفكرين المعاصرين على تحميل ايات الله معانى وتفاسير علمية لم تقصد اليها البتة ، قد دفع بعضهم الاخر ، وبرد فعل يتميز بالالحاح نفسه ، على نفى ان تكون للقران اية صلة بايما حقيقة علمية .

فان الفعل الخاطىء ـ كما هو معروف ـ يولد رد فعل خاطئا يساويه فى القوة ويخالفه فى الاتجاه . وهكذا فان مبالغة طائفة من المفكرين

في تحويل القرآن الكريم الى كتاب رياضيات وفلك وفيزياء وطب وتشريح،دفع طائفة أخرى الى وضع جدار عازل بين القرآن وبين المعطيات العلمية ، وكأن كتاب الله جاء لكي يخاطب الانسان بمعزل من العالم الذي هيىء له،والكون الذي يتحرك فيه.. ان هذا التضاد المتعرف يجب الا يضيع عينيا الرؤية الصحيحة لموقف القرآن في المسألة العلمية ..وهو موقف واضح ومؤكد من اية زاوية نظرنا .

ان القرآن يظل في حالة حضور دائم في قلب العالم والكون،يعايش سننهما ونواميسهما ويعدلنا عنهما . وانه لامر طبيعي ان تتعانق معطيات القرآن ومعطيات العلم وتتوازيا .. لا ان تتضادا او تقوم بينهما الحواجز والجدران .. ذلك ان مصدر العطاء واحد .. وهو الله جل وعلا ،صانع السنن والنواميس ومنزل القرآن .. خالق الكون والعالم وباعث الانسان (قل : كل من عند الله) ليس هذا فحسب ، بل ان الانسان باعتباره معنيا بصنع السنن ونزول القرآن .. الانسان بما انه خليفة الله في هذا العالم ، وبهذه الزيادة التي تسعى لاعمـاره وترقيتـه ، كما تؤكد النظـرية القرآنية ، يقود بالضرورة الى هذا اللقاء الاكيد بين كتاب الله وسننه في العـالم .. اذ كيف يستطيع الانسان ان يؤدي دوره في العالم ، في اطار تعاليم القرآن وشرائعه ، ان لم يتحرك ـ ابتداء ـ لفهم هذا العالم والكشف عن سننه ونواميسه ؟

التناغم بين الثنائيــات

ان مفهوم (الحركة) في الاسلام ، على خلاف عدد من المذاهب والاديان ، ينبثق اساسا من هـذا التناغم والتلاحم بين الثنائيات : الروح والمادة.. الطبيعة وما وراء الطبيعة .. الارض والسماء . العلم والايمان .. الانسان والله . وان افتقاد اي طرف من اطراف هذه المعادلة المنطقية سوف يقود الى الفوضى والضياع . وسوف يجرد دين الله من القدرة على الحركة والانتشار .

وهاهنا ، بصدد الحديث عن الموقف من العلم، يبدو اكيدا ذلك التناغم والتلاحم بين كتاب الله وحقائق العلم ومعطياته ..

ولكن ، اذا كانت ايات الكتاب تتضمن حقائق ومسلمات مطلقة لاياتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، بينما تظل معطيات العلم اسيرة نسبيتها وتغيرها وقلقها وتحولها ، فكيف يلتقي المطلق بالنسبي ، والكلي بالجزئي ، والشامل بالمحدود ؟ وهل يصح ان نفسر بعض ايات القرآن على ضوء نظرية او كشف علمي قد يتعرض في اية لحظة للتشكيك والنقض ؟

الا يقود هذا الى نوع من التشكيك والتناقض يمتد الى صميم المعطيات القرآنية نفسها ؟

والجواب يقتضيه الرجوع الى القرآن نفسه .. الى الابعاد الثلاثة التي تناول من خلالها مسألة العلم هذه كما رأينا ..

منهج عمل شامل

ففي البعد الاول ، يطرح القرآن الكريم منهج عمل فني الكشف عن سنن العالم والحياة ونواميس الكون .. وهو منهج متكامل مرن ،لا يخضع لتقلبات الزمان والمكان ، ومن ثم فانه يعلو على التغيرات النسبية ويظل سارى المفعول في اي عصر وفي اية بيئة ..

لقد دعا القرآن الناس الى التبصر بحقيقـة وجودهم وارتباطاتهم الكونية عن طريق (النظر الحسي) الى ما حولهم ، ابتداء من مواقع اقدامهم وانتهاء بافاق النفس والكون .. واعطى للحواس مسؤوليتها الخطيرة عن كل خطوة يخطوها الانسان المسلم في مجال البحث والنظر والتأمل والمعرفة والتجريب.. قال له (ولا تقف ما ليس لك به علم، ان السمع والبصر والفؤاد ، كل اولئك كان عنه مسؤولا) (١) .

وناداه ان يمعن النظر الى ماحوله .. الـى طعامه « فلينظر الانسان الى طعامه . انا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الارض شقا . فانبتنا فيها حبا،وعنبا وقضبا ،وزيتونا ونخلا، وحدائق غلبا، وفاكهة وابا » (٢) ..

الى خلقه « فلينظر الانسان مم خلق ؟ » (٣)..

الى الملكوت « أو لم ينظـروا في ملكـوت السماوات (٤) والارض ؟ » ..

الى التاريخ وحركة الانسان في العالم « افلـم

(١) الاسراء ٣٦ .
(٢) عبس ٢٤ ـ ٣١
(٣) الطارق ٥
(٤) الاعراف ١٨٥ وانظر يونس ١٠١ وقاف ٦ .

يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا اكثر منهم واشد قوة » (٥)

•• الى خلائق الله » افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ؟ » (٦) ••

الى اياته المنبثة فى كل مكان » انظر كيف نبين لهم الايات ؟ » (٧) •

الى النواميس الاجتماعية » انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ؟ » (٨) •

الى الطبيعة وهى تنبعث من قلب الفناء برحمة من الله ومقدرته » فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها ؟ » (٩) •

الى الاثمار وهى تتدلى من غصون الاشجار » انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه » (١٠) •

الى الحياة الاولى كيف بدأت ، وكيف نمت وارتقت «قل : سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق » (١١) •• ودعاه ان يحرك (سمعه) باتجاه الاصوات لكي يعرف ويميز ،فياخذ او يرفض، فمن الاختيار البصير ينبعث الايمان » لا تكونوا كالذين قالوا : سمعنا : وهم لا يسمعون (١٢) •

وانتقل القران خطوة اخرى وسألهم ان يحركوا (بصائرهم) ، تلك التى تستقبل فى كل لحظة مدركات حسية ، سمعية وبصرية لاحصر لها ،ومن ثم تتحمل (البصيرة) مسؤوليتها فى تنسيق هذه المدركات وتمحيصها وموازنتها وفرزها من اجل الوصول الى الحق الذى تقوم عليه وحدة نواميس الكون والخليقة » فمن ابصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها » (١٣) •

ان العقل والحواس جميعا مسؤولة ، لاتنفرد احداها عن الاخريات فى تحمل تبعة البحث والتمحيص والاختيار •• والانسان مبتلى بهذه المسؤولية لانه من طينة اخرى غير طينة الانعام » انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا » (١٤) •• ومن ثم تتوالى الايات ، تؤكد مرة تلو مرة على ان السمع والبصر والفؤاد جميعا هى التى تعطى للحياة الانسانية قيمتها وتفردها، وان الانسان بتحريكه هذه القوى والطاقات،بفتحه هذه النوافذ على مصراعيها ، باستغلال قدراته الفذة حتى النهاية ،سيصل قمة انتصاره العلمي والدينى على السواء لان هذه الانتصارات ستبوئه مركزه المسؤول كسيد على العالمين وخليفة لله فى الارض ، وانه بتجميد هذه الطاقات ،وقفل نوافذها ،وسحب الستائر عليها ، يكون قد اختار بنفسه المنزلة الدنيا التى ما ارادها له الله يوم منحه نعمة السمع والبصر والفؤاد : وهى منزلة البهائم والانعام » اولئك الذين لعنهم فاصمهم واعمى ابصارهم » (١٥) •

وحشد اخر من الايات،بلغ مايقرب الخمسين ،حث على تحريك (العقل) ، المفتاح الذى منحه الله بنى ادم وقال لهم : افتحوا به ابواب الملكوت ، وادخلوا ساحة الايمان بالله الذى سخر لكم ما فى السماوات والارض » كذلك يبين الله لكم اياته

---

(٥) غافر ٨٢
(٦) الغاشية ١٧
(٧) المائدة ٧٥ وانظر الانعام ٤٦ ، ٦٥ •
(٨) الاسراء ٢١
(٩) الروم ٥٠
(١٠) الانعام ٩٩
(١١) العنكبوت ٢٠
(١٢) الانفال ٢١ وانظر : البقرة ١٧١ و ١٨١ ،الجن ١ و ٢٧ ، المائدة ٨٣ ، القصص ٥٥و٧١، فاطر ١٤ ، فصلت ٤ و٢٦ ، الملك ١٠ ، مريم ٤٢، الانبياء ٤٥ ، الانعام ٢٥ و٣٦ ، الاعراف ١٠٠ ، يونس ٦٧ ، الفرقان ٤٤ السجدة ٢٦ ، الشعراء٧٢، ياسين ٢٧ الانفال ٢٣ ، غافر ٢٢ ، الزمر ١٨ ، الحج ٧٣ ، الكهف ١٠١ •
(١٣) الانعام ١٠٤ وانظر : القصص ٧٢ الذاريات ٢١ ، الاعراف ١٧٩ ، الحج ٤٦ ، الزخرف ٥١ ، الطور ١٥ البقرة ١٧ ، يونس٤٣، السجدة ٢٧ ، ياسين ٩ ، الصافات ١٧٥ ، يوسف ١٠٨ ، القيامة ١٤ ـ ١٥ ، ق ٨ ، النمل ١٣ العنكبوت ٣٨ ، الملك ٣ ـ ٤ ، الجاثية ٢٣ ، النور ٤٤ ، الحشر ٣ •
(١٤) الانسان ٢
(١٥) محمد ٢٣ وانظر النحل ٧٨ ، الاعراف ١٧٩، المؤمنون ٧٨ ، الحج ٤٦ •

لعلكم تعقلون » (١٦) • وايات اخرى دعت الانسان الى (التفكير) ، العميق ، المتبصر ،المسؤول بكل ما يحيط به من علامات واحداث واشياء وموجودات «قل: هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون؟»(١٧) وما يقال عن (التفكر) يمكن ان يقال عن(التفقه) وهو خطوة عقلية ابعد مدى من التفكير ، اذ هي الحصيلة التي تنتج عن عملية التفكير ، وتجعل الانسان اكثر وعيا بما يحيط به ، واعمق ادراكا لابعاد وجوده وعلاقته في الكون ، كما تجعله متفتح البصيرة دوما ، مستعدا للحوار ازاء كل ما يعرض له من اسئلة وعلامات :« فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ؟ » (١٨) •

واكد القران الاسلوب الذي يعتمد (البرهان) و (الحجة) و (الجدال الحسن) للوصول الى النتائج الصحيحة القائمة على الاستقراء والمقارنة والموازنة والتمحيص استنادا الى المعطيات الخارجية المتفق عليها،والقدرات العلمية والمنطقية لاولئك الذين بلغوا شاوا بعيدا في هذا المضمار «تلك امانيهم !! قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » (١٩) •

العلم هو الدين ! !

هكذا يبدو العلم ، بمفهومه الواضح ،الشامل (فاعلية) في غاية الاهمية في المجتمعات التي ترتضي الدين ، او المنهج الالهي ، طريقة لها في الحياة •• ولابد ان نضيف هنا حقيقة اخرى في غاية الاهمية تلك هي ان كلمة (العلم) وردت في القران الكريم مرارا كمصطلح على (الدين) نفسه الذي علمه الله انبياءه •• على النواميس التي يسير الله بها ملكوته العظيم •• على الحقائق الكبرى الموجودة عند الله في(ام الكتاب) وكاشارة الى القيم الدينية التي نزلت من السماء في مقابلة الاهواء والظنون البشرية•ومن ثم يغدو العلم والدين سواء في لغة القران • ان كلمات الله سبحانه تعلمنا هذه الحقيقة ، وتبصرنا بمواقع العلم والدين الفسيحة ، الممتدة ،المتداخلة، كما اراد لها ان تكون لا كما يريد لها الوضعيون الذين يسعون جهدهم للفصل بين الكلمتين،«ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير » (٢٠) •

«والراسخون في العلم يقولون : امنا به ،كل من عند ربنا » (٢١) •

« ومالهم به من علم الا اتباع الظن » (٢٢)
« انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به»(٢٣) •ولا يسمحنا هنا استعراض جل ماورد من ايات في هذا المجال ، او حتى الاشارة اليه ، ويكفي ان نشير الى ان كلمة (علم) بتصريفاتها المختلفة وردت في عدد من الايات جاوز السبعمائة والخمسين (٢٤) •

دعوة لتطوير الحياة

ونتجاوز البعد الثاني لحظات لكي ننظر الى البعد الثالث ، فاذا به دعوة ملحة في اكثر من موضع من كتاب الله الى اعتماد حقائق العلم وكشوفاته لتطوير الحياة وترقيتها بمزيد من التطبيقات (التقنية) على كافة المستويات • وهو ايضا مرن ، يتميز بالشمولية والديمومة ،اذ هو دعوة للافادة من الحقائق العلمية الراهنة في مدى كل عصر ،لاحداث تطبيقات على مستوى العلاقات المدنية لذلك العصر ، فاذا ما حدث ان تغيرت الحقائق العلمية وتبدلت العلاقات المدنية ، كان بمقدور النداء القراني ان يمضي لكي يخاطب كل جيل ان يتحرك لاحداث تطبيقات اخرى على مستوى الحقائق الجديدة ، ومن خلال العلاقات

---

(١٦) البقرة ١٧١ ، ٢٤٢ وانظر : العنكبوت ٤٣،٢٢ ، يوسف ٤٢ ، الحج ٤٦ •
(١٧) الانعام ٥٠ وانظر : الروم ٨ ، سبا ٤٦،العمران ١٩١ ، الاعراف ١٧٦ ، الحشر ٢١ •
(١٨) النساء ٧٨ وانظر : هود ٩١ ، الانعام ٦٥،طه ٢٨ ، الاعراف ١٧٩ ، الانفال ٦٥ ، التوبة٨٧ و١٢٢ المنافقون ٧ • (١٩) البقرة ١١١ وانظر :المؤمنون ١١٧ ، النساء ١٧٤ ، النمل ٦٤ ، القصص ٣٢و٧٥ الانعام ٨٣ و١٤٩ ، النحل ١١١،العنكبوت ٤٦ الحج ٨ •
(٢٠) البقرة ١٢٠
(٢١) ال عمران
(٢٢) النساء ١٥٧
(٢٣) الاحقاف ٢٣
(٢٤) انظر من هذه النقطة بالتفصيل كتاب(التفسير الاسلامي للتاريخ) للمؤلف ، الفصل الثالث (دار العلم للملايين ، بيروت / ١٩٧٥) •

المتغيرة .. الم يدعنا القرآن الكريم الى أن نعد لاعدائنا القوة التي ترهبهم بها ، وتحمي ـ بالتالي ـ وجودنا ودورنا في الارض ؟ الم تأت هذه الدعوة متضمنة هذا الموقف المرن ، الشمولي، الممتد عبر الزمان والمكان والذي يلتقي فيه الراهن بالشامل ،والموقوت بالدائم:«واعدوا لهممااستطعتم من قوة» مطلق القوة«ومن رباط الخيل » ،اكثر الاسلحة مضاء في ذلك العصر « ترهبون به عدو الله وعدوكم » . الم يؤكد في (سورة الحديد)اعتماد هذا الخام الخطير في ميادين السلم والحربجوتما تحديد ملزم لطرائق الاعتماد وصيغه ؟

هل ثمة اكثر دلالة ؟ !

سورة الحديد ؟ هل ثمة اكثر دلالة علىارتباط المسلم بالارض من تسمية سورة كاملة باسم خام من اهم واخطر خاماتها ؟ هل ثمةاكثر اقناعا لنزعة التحضر والابداع والبناء ،التي جاء الاسلام لكي يجعلها جزءا اساسيا منأخلاقيات الايمان وسلوكيته في صميم العالم ، من هذه الاية التي ترد في السورة « لقدارسلنارسلنا بالبينات ،وانزلنامعهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط ، وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، ان الله قوى عزيز «.. الاية التيتعرض خام الحديد كنعمةكبيرة أنزلها الله لعباده ، وتعرض معها المسألة في طرفيها اللذين يتمخضان دوما عن الحديد : (البأس الشديد) تمثلا باستخدام الحديد كاساسات للتسلح والاعداد العسكرى ، « والمنافع » التي يمكن أن يحظى بها الانسان من هذه المادة الخام في كافة مجالات نشاطه وبنائه (السلمى) وهل ثمة حاجة للتأكيد على الاهمية المتزايدة للحديد بمرور الزمن ، في مسائل السلم والحرب ، وانه غدا في عصرنا الراهن هذا ، وسيلة من أهم الوسائل في ميادين القوى الدولية سلما وحربا ؟ ان الدولة المعاصرة التي تملك خام الحديد تستطيع أن(ترهب) أعداءها بما يتيحه لها هذا الخام من مقدرة على التسلح الثقيل.. وتستطيع ايضا أن تخطو خطوات واسعة لكيتقف فيمصاف الدول الصناعية العظمى التي يشكل الحديد العمود الفقرى لتقدمها ..

ولا بد أن نلتفت ـ هنا ـ الى هذا التداخل العميق والارتباط الصميم في آية الحديد بين ارسال الرسل وانزال الكتب معهم واقامة الموازين الدقيقة لنشر العدل بين الناس ، وبين الحديد الذى يحمل في طياته (البأس)،ثم التأكيد من أن هذا كله انما يجيء لكي يعلم الله (من ينصره ورسله بالغيب) و (ان الله قوى عزيز) . ان هذا الموقف المتشعب المتداخل يقودنا ثانية الى انالاسلام جاء لكي يشد الانسان الى اعماق الارض ، ويدفعه الى التنقيب فيها من أجل اعمارها وحمايتها .. وان المسلم لن تحميه وتنصره الا يده المؤمنة التي تعرف كيف تبحث عن الحديد وتصوغه من اجل الحماية والتقدم والنصر ... وانه ـ بمجرد ان يتخلى عن موقفه الفعال هذا ، الذى يرتبط ارتباطا وثيقا بحركة الجهاد الدائمة ، ويختار بدلا من ذلك ، مواقع الفرار والاتكال والانتظار السائب لمعونة الله ـ فانه يتناقض مع نفسه وعقيدته ، وسيهزم لا محالة ، ما دام قد أشاح عنالموقف القرآني الذىيكاد يصرخ باعلىنبرة انه ـ بدون الاعتماد الواعي ، المسؤول الذكي الخبير ، على مصادر القوة والبأس ـ لن يكون هناك (نصر) ولا (تقدم) ولا (حماية) للموازين والقيم العادلة التيجاءالانبياء(ع) بكتبهمالسماوية لتنفيذها في الارض ، حتى ولو حبس المؤمنون انفسهم في المساجد ، السنين الطوال ، يبكون ويتضرعون !

وهكذا .. فحيثما تلفتنا ، عبر هذا البعد الثالث من معالجة القرآن للمسألة العلمية وجدناه يتخذ دعوة دائمة ، لا تحدها حدود ، ولا تأسرها متغيرات ولا تسبيات ، لدفع الجماعة المؤمنة الى صياغة مزيد من التطبيقات المبنية على حقائق العلم وكشوفاته ومعادلاته .

البعد الثاني

ونرجع الى البعد الثاني ، حيث يطرح القرآن حشدا من الحقائق والسنن والنواميس فيمجالات العلم المختلفة ، وبخاصة الطبيعة والجغرافيةوعلوم الحياة ، في عدد واسع من المقاطع والايات لا يتسع المجال لتحليلها واستعراضها .. هاهنا يلجأ بعض المفكرين او المفسرين المعاصرين الى اعتماد أحد الموقفين اللذين سبق أن اشرنا اليهما : الموقف الاول يتكيء كلية علىمعطيات العلم الحديث لتفسير آيات القرآن الكريم ، والوقوع بالتالي في خطأ منهجي يقوم على تحكيم الجزئي بالكلي

والمتغير بالدائم والنسبي بالمطلق .. فاذا ما حدث أن تبدلت الجزئيات والمتغيرات والنسبيات العلمية ـ وهذا شأنها كما يؤكد العلماء انفسهم ـ أدى ذلك الى احداث شرخ أو قلق ذهني ازاء تلك الايات التي فسرت وفق مقولات لم يتح لها الدوام.

والموقف الثاني يرفض كلية الاعتماد على معطيات العلم الحديث تحسبا من مصير كهذا ..

الموقف الوسط

والمنهج الاقرب الى الصواب هو أن نتخذ موقفا (وسطا) كما علمنا كتاب الله نفسه ان نتخذ في كافة مساحات الحياة . فلا هو بالالتصاق الكامل بمعطيات العلم المتغيرة . ولا هو بالرفض الكامل للتفسير بها .

ان المفسر المعاصر يجب ان يعمل عقله ،وقدراته في مجال تخصصه اذا توفرت لديه ، لادراك طبيعة العلاقة بين طرفي المعادلة : الاية القرانية والمقولة العلمية ، مستفيدا ـ من جهة اخرى ـ في الاتجاهات الحديثة التي ظهرت أخيرا في مجال التفسير القراني . تلك الاتجاهات التي تعتمد مفردات القران نفسه ومنحنياته البيانية لفهم مضامينه ومعانيه فيما يعرف بالتفسير البياني للقران ،ومن شأنه ان يمنح المفسر ضمانات موضوعية لنشاطه، لتحميه من الافراط او التفريط في محاولة الوصول الى الدلالات المقصودة للكلمات والتراكيب الجميلة.

ومن خلال هذا التوازن في القدرة العلمية (التخصصية) والقدرة التفسيرية (الموضوعية)، يمكن المفسر ان يتحرك لكشف من الدلالات المقصودة للايات العلمية في كتاب الله .

معطيات العلم ليست سواء

هناك من الحقائق العلمية ما اصبح بمثابة قوانين نهائية، بل بداهات مسلما بها لا تقبل نقضا ولا تغيرا ، من مثل الدور الذي تلعبه الرياح ـ على سبيل المثال ـ في عملية الامطار ، ومن مثل الدور الذي تلعبه الجاذبية في حركة المجموعة الشمسية ،ومن مثل المراحل التي يمر بها الجنين في الرحم ، وتغير نسب المكونات الغازية قربا أو بعدا عن الكرة الارضية ..وغير هذه الحقائق أمور كثيرة ما كان العربي يوم نزول القران يلم بابعادها (العلمية) ،ومن ثم فان تفسير الايات القرانية التي تناولت هذه الحقائق واكدت عليها، كما انه سيتكىء على بداهات علمية بالنسبة للقرون الاخيرة،فانه سيكشف ـ في الوقت نفسه ـ جوانب الاعجاز العديدة التي تضمنها القران واشار اليها.

وهنالك من الحقائق العلمية ما يحتمل اكثر من وجه . ولكن هذه الوجوه جميعا انما تدور في اطار واسع مرن ليس ثمة مانع ان تحيل عليه ايات قرانية اخرى لادراك دلالاتها ، من مثل تلك الايات التي تؤكد (النظام) الذي يمسك بناء السماوات المعجز أن يتفكك ويتبعثر ويضيع .

أما النظريات التي لا تزال موضع أخذ ورد ، والتي لم تتبلور ـ بعد ـ كحقائق وقوانين وبداهات مسلم بها ، فان بمقدور المفسر ان يكون حذرا ازاءها ، والا يتكيء عليها الا بمقدار ما يتيح له ذلك تسليط الضوء على جانب من جوانب المضمون الذي تحتويه الاية .

ليست سواء .. معطيات العلم التي تتمخض باستمرار .. ومن ثم فان التعامل معها يجب ان يحاذر عن مظنة الارتباط الكامل او الانفصال الكامل .

ان الارتباط الكامل سيمنع القدرة على الفهم والادراك من التحرك بشتى الاتجاهات، والانفصال الكامل سيضعف هذه القدرة ويقيم اسلاكا شائكة بين جانب من معطيات القران وبين الانسان المعاصر..

ورطة الانسان المعاصر

والانسان المعاصر ـ اليوم ـ في امس الحاجة الى يقين ديني يعيد اليه وحدته الضائعة وسعادته المفقودة وأمنه المسلوب .

وما دامت القناعة المبنية على (الحقائق العلمية) هي اليوم اكثر القناعات فاعلية للتحقق بهذا اليقين .. ومادام كتاب الله يمنحنا هذا القدر الكبير ، المعجز من هذه الحقائق التي راحت تتكشف عقدا بعد عقد وقرنا بعد قرن .. فلماذا لانتحرك على ضوء هذه المعادلة العلمية لانقاذ الانسان المعاصر من ورطته بفقدان اليقين ؟

« سنريهم آيتنا في الافاق ، وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ؟ » .

(بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولما ياتهم تاويله ! !) .

وصدق الله العظيم ..

الموصل / د . عماد الدين خليل

دعوة لفتح ملف حرب ١٩٤٨

كم من القصائد والخطب والاغاني والقصص والمسرحيات حفلت بها فلسطين ؟ وكم بيانا انقلابيا - أو ثوريا - وعد بالتحرير وغسل العار والتضحية والفداء ؟ وكم من الدماء اريقت ومن الاموال انفقت ومن الحريات خنقت باسم فلسطين .. وفلسطين بعد لم تتحرر ؟ وفي ثنايا هذا كله .. هل ووجهت الجماهير العربية يوما ما بحقيقة الاحداث التي تمخضت عن الاوضاع القائمة ؟

بقلم : الدكتور

أحمد عبد الرحيم مصطفى

- حتى الآن ليس بين أيدينا دراسة علمية عن حقيقة وظروف ما جرى ؟
- ما هو حجم الدور البريطاني الغامض ؟ وماذا يفسر اختلاف مواقف الدول العربية ؟
- الافراج عن الوثائق البريطانية بعد ٣٠ عاماً قد يكشف جانباً من الحقيقة وإزاحة ستار التعتيم عن الوثائق العربية صار ضرورة ملحة

واذا ما كان التاريخ هو ذاكرة الشعوب ومستودع خبراتها فان الامة العربية بحاجة الى السجل الحقيقي للاحداث اكثر من حاجتها الى الاساطير ودواوين الحماسة وتهويمات الامجاد الحقيقية والمختلقة • فليس ادعى الى مواجهة الذات وتصحيح الاخطاء من فتح الملفات •• كل الملفات وتقويم البطولات الحقيقية والمزيفة • ان كشف الاقنعة هو وحده الكفيل بالاخذ بايدي الاجيال الصاعدة بدلا من تخديرها بالمسكنات والوعود وانصاف الحقائق• وقد ان الاوان لكشف الاقنعة عن الحروب العربية ـ الاسرائيلية واولها حرب ١٩٤٨ التي هي بحاجة الى دراسة علمية سواء من حيث ملابساتها الدولية او ارتباط تطوراتها بالعلاقات القائمة حينذاك بين الدول العربية التي اشتركت فيها (العراق ـ سوريا ـ لبنان ـ شرق الاردن ـ مصر ـ السعودية)• فالعرب ،ومن اهم صفاتهم الكبرياء والاعتزاز بانفسهم وبماضيهم ،لم يتحمسوا بعد لنشر تفاصيل هزيمتهم على يد شعب لم تكن له دولة •• شعب مشرد ضال واجه الاضطهاد والتنكيل في شتى انحاء الارض ، ثم عاد ليهزم احفاد المنتصرين في القادسية واجنادين وحطين وعين جالوت • والهزيمة لا اب لها ولا ام، وبخاصة اذا ما اصيب بها شعب ابي •• فمثل هذا الشعب يتهرب من مدلولاتها ويسقطها على اي شيء الا مقوماته • وهكذا كانت الكتابات الاولى عن حرب ١٩٤٨ تحمل عنوان «المأساة »و «النكبة» و «الكارثة » (١) ـ الخ الخ ،وبين صفحاتها تطل اتهامات « الخيانة » و « العمالة » و « التآمر» ـ الخ الخ • اما تسلسل الاحداث ووضع النقاط على الحروف فقد ضاعا في دهاليز « التعتيم » ، خاصة وان الانظمة العربية القائمة وقت حلول الهزيمة ، فرضت ستارا حديديا على كل ما قد يكشف تقصيرها واخطاءها ، ولم تنشر من الاوراق الرسمية المتناثرة في الصحف والمجلات الا ما يبرر موقف كل منها ويلقي بتبعة ماحدث على الاخرين•

آخر ما كتب

وبعد مرور ثلاثين عاما على هذه الحرب ،آن الاوان لفتح ملفاتها والقاء الضوء على احداثها ـ التي لعبت دورا اساسيا في تطور القضية الفلسطينية ـ تفرج دوريا عن وثائقها الرسمية ـ كلها او جلها ـ بعد مرور هذه الحقبة الزمنية ـ وان بعض الكتابات المتزنة قد خرجت الى حيز النور ملقية الضوء على جانب او اخر من جوانب هذه الحرب • فقد ظهر اخيرا الجزء الثالث من مذكرات الدكتور محمد حسين هيكل (٢) الـذي خصص الفصل الاول منها لحرب ١٩٤٨ واثار فيه تساؤلات واوضح بعض الحقائق التي استقاها بحكم قربه من صانعي القرار المصري ، وان يكن قد تنصل من كثير من الامور بحكم كونه ـ عند نشوب الحرب ـ رئيسا لمجلس الشيوخ لا وزيرا مسئولا• والدكتور هيكل كما عودنا بصفته اديبا ومؤرخا لا باعتباره سياسيا حزبيا (فقد كان في عـام ١٩٤٨ رئيسا لحزب الاحرار الدستوريين المشترك في التآلف الحاكم) ، عودنا الامانة في العرض والنزاهة في الحكم ، باستثناء ما يتصل بانتمائه الحزبي ـ وحتى فيما يتعلق بهذا الانتماء لانجده موغلا في اللجاج كما هي عادة الحزبيين في كثير من البلدان • واهم المؤشرات التي وردت في الجزء الثالث من مذكرات الدكتور هيكل تساؤله عن مدى صلة بريطانيا بدخول مصر الحرب بعد ايام من اعلان رئيس وزرائها (محمود فهمي النقراشي) ان الجيش المصري ليس في وضع يمكنه من خوض الحرب في ذلك الوقت • وسنعود الى هذا المؤشر بعد قليل حين نستعرض التناقضات العربية وسياسة بريطانيا العربية في اواخر الاربعينات •

هناك ايضا دراسة شاملة عن حرب ١٩٤٨ كتبها الصحفي الامريكي دان كورزمان المراسل السابق لصحيفة « الواشنطن » بوست تحت عنوان «البداية: ١٩٤٨ ـ الحرب العربية الاسرائيلية الاولى » ـ فالنتين ومتشل ، لندن ١٩٧٠ • وقد بنى كورزمان دراسته على ما استطاع الحصول عليه من الوثائق السرية ، وعلى حوالي الف مقابلة اجراها مـع بعض من اشتركوا في الاحداث ممن قابلـهم في البلدان العربية او في اسرائيل او الولايات المتحدة او بريطانيا او فرنسا او ايطاليا •والكتاب الذي يقع في اكثر من ستمائة صفحة ، يعـرض بالتفصيل وباسلوب متحرر بعض الشيء من صرامة العرض التاريخي الصرف اقرب ما يكون الـى العرض الروائي ، لاهم التطورات العسكريـة والدبلوماسية التي مرت بها الحرب • فهو يبرز

(١) اطلق على هزيمة ١٩٦٧ اسم « النكسة » •

(٢) نشر الجزء الثالث هذا العام بعد ان منع نشره في السابق • وقد قدم له احمد هيكل المحامي وهو ابن المؤلف •

تفاصيل الصراع الشديد بين الرئيس ترومان وبين وزارة الخارجية الامريكية حول مساندة قيام الدولة اليهودية ، كما يبرز الظروف التى احاطت باغراق السفينة اليهودية «التالينا» في ميناء تل ابيب، ويعرض بالتفصيل لمذبحة دير ياسين ولاجهاز العرب على عدد من اكبر اطباء وعلماء مستشفى هاداسا ، وللمفاوضات التى جرت بين الملك عبدالله والمندوبين اليهود (ومنهم موشى ديان) وللصداقة المثيرة التى توطدت في الجبهة بين جمال عبد الناصر وبعض الضباط الاسرائيليين .

وهناك دراسة ثالثة بعنوان «الصداقة المنسية - اسرائيل والكتلة السوفيتية فيما بين عامى ١٩٤٧ و ١٩٥٣» - من تاليف آرنولد كرامر استاذ التاريخ بجامعة تكساس (طبع جامعة الينوى ، ١٩٧٤) - تعرض فيها للاسباب التى دفعت الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٤٧ الى مساندة آمال الصهيونية فى اقامة دولة يهودية ثم امدادها بالسلاح - وهو تطور جديد في ذلك الوقت ، خاصة وان السوفيت قد درجوا منذ عام ١٩١٧ على الوقوف الى جانب العرب في وجه الامبريالية الغربية .وقد بنى كرامر دراسته على المعلومات التى استقاها من مجموعات الوثائق الرسمية والخاصة ومن المحادثات التى اجراها مع معظم من بقوا على قيد الحياة ومن هؤلاء البعثة الاسرائيلية الى براج فى عام ١٩٤٨ وبعض الدبلوماسيين والقادة العسكريين السابقين ومن الصحف والمذكرات .والكتاب يوفر اول دراسة من نوعها ، وبخاصة فيما يتعلق بنشاطات الهاجاناه فى تشيكوسلوفاكيا وشراء الاسلحة ثم نقلها الى فلسطين ، ويبين ان روسيا لم تقتصر على تزويد الدولة اليهودية بالعتاد الحربى والطائرات المقاتلة ، بل انها وفرت لها فى تشيكوسلوفاكيا مناطق للتدريب السرى لقواتها ، كما امدتها بوحدة من « المتطوعين » التشيك .

التاريخ يعيد نفسه

هذه مجرد نماذج من المعلومات الجديدة المتصلة بحرب ١٩٤٨ التى هى بحاجة الى اعادة تقويم على ضوء المنهاج العلمى الهادف الى التوصل الى كل الملابسات المحيطة بها محليا ودوليا . فبالاضافة الى كون مثل هذا المنهاج كفيلا باستجلاء بعض الجوانب الغامضة المتصلة بهذه الحرب ، فانه يوفر خدمة قومية حين يفسر الاسباب الموضوعية للهزيمة حتى لا تتكرر الاخطاء المفضية اليها .

فالقصة ذاتها تتكرر منذ عام ١٩٤٨ من حيث تمزق العرب وخلافاتهم واطماع بعض حكامهم وعدم استغلالهم للظروف الدولية فى خدمة الاهداف القومية على عكس الصهيونية ، الذين يتحركون فى كل الاتجاهات ويمنون الدول بالوعود ويستعملون مختلف الاسلحة للتاثير فى الشعوب ويظهرون انفسهم بمظهر اصحاب الحق والعرب بمظهر المعتدين .

فقبل عام ١٩٤٨ كانت الحرب الباردة على اشدها بين الاتحاد السوفيتي والمعسكر الغربي ، فى الوقت الذى اشتدت فيه التناقضات الامريكية - البريطانية. وقد دخل العرب الحرب بجيوشهم النظامية فى آخر المطاف دون اتفاق على خطة موحدة للتعامل مع هذه الدول الثلاث بالصورة التى تخدم قضيتهم. فبريطانيا كانت تواجه المشاكل فى مصر واوروبا والهند ، ومن ثم مقاومتها للضغوط الامريكية الرامية الى السماح بدخول مائة الف يهودى الى فلسطين فى الحال . ذلك ان استسلام لندن للضغوط الامريكية كان يقتضى استقدام مزيد من القوات البريطانية الى فلسطين للمحافظة على الامن والنظام ، مما يكلف الحكومة البريطانية المفلسة مزيدا من النفقات . هذا الى ان الحكومة البريطانية العمالية لم تكن تود اغضاب العرب الذين كانت تود استمالتهم بقصد تكتيل الانظمة العربية فى حلف للدفاع عن الشرق الاوسط . وقد ذهب رئيس الوزراء البريطاني كليمنت اتلى الى ان من واجب الحكومة البريطانية ان تتحمل النفقات المترتبة على تنفيذ توصياتها اذا ما اصرت على ذلك . الا ان الذى حدث هو ان واشنطون لم تبد اى استعداد للاضطلاع باى مسئولية عسكرية او سياسية، خاصة وان رؤساء الاركان المشتركة قد اوصوا بعدم استخدام القوات الامريكية او اتخاذ اى اجراء قد تترتب عليه نتائج فى فلسطين لا تستطيع القوات البريطانية ان تسيطر عليها ، او يكون من شانه اغضاب العرب على المعسكر الغربى وتحولهم الى المعسكر الاشتراكى .

وفى ١٤ فبراير ١٩٤٧ صرح وزير الخارجية البريطانى ارنست بيفن بانه سيعرض المسالة الفلسطينية على الامم المتحدة ، ولم يكن بيفن حين اتخذ هذا القرار على يقين من ان الانسحاب من فلسطين اصبح حتميا - اذ كان يامل ان تطلب الامم

المتحدة من بريطانيا البقاء في فلسطين باعتبارها « شرطيا » مسئولا عن الاماكن المقدسة • وما ان بدأت الجمعية العمومية في بحث القضية الفلسطينية حتى صرح بيفن في ٢٩ مايو ١٩٤٧ بانه شخصيا لن يتقيد باى قرار تتخذه الامم المتحدة الا اذا جاء باجماع الاراء ـ ومعنى هذا عدم التوصل الى اى تسوية على الاطلاق !

واتضح للجميع ،بمافي ذلك بريطانيا بوجه خاص، ان اى حل لابد ان يفرض !

والآن لنا ان نتساءل عن الدافع وراء موقف بريطانيا الذى كان من شانه عرقلة التوصل الى حل سريع • فهل كان ساستها يتوقعون ان تؤدى الفوضى المستمرة الى استدعاء القوات البريطانية من جديد لاعادة الامن والنظام ؟ ام انهم كانوا يخشون التغلغل الروسي بعد ان ايد الروس التقسيم بعد صمت طويل ؟ الحق ان بريطانيا كانت فى مازق لاتحسد عليه •ففى الوقت الذى كانت فيه الولايات المتحدة ـ كالعادة ـ عرضة للضغط الصهيونى بسبب موسم انتخابات الرئاسة وتنافس الحزبين الرئيسيين على كسب « الاصوات اليهودية » كان الروس معادين لانظمة الحكم العربية المتحالفة مع الغرب والتى دمغت بالاقطاع والرجعية، ويسعون الى قيام دولة يهودية عصرية تلعب دورها فى القضاء على النفوذ الغربى ، وبخاصة اذا لم تحل امريكا محل بريطانيا بعد انسحابها • وهكذا وجدت بريطانيا نفسها امام امر واقع حين اقرت الامم المتحدة مشروع تقسيم فلسطين الى دولتين احداهما عربية والأخرى يهودية ـ ومن المرجح انها حاولت خدمة اهدافها باتباع اساليب جديدة،خاصة وقد تزعزع وضعها فى الشرق الاوسط حين اصبحت امتيازات النفط والانابيب موضعا للمراجعة المستمرفى العواصم العربية وتعثرت المفاوضات مع مصر حول معاهدة ١٩٣٦ وتعرض الانجليز لموجة ارهاب شديد فى فلسطين على ايدى العصابات الصهيونية (٣) فى الوقت الذى أساءت فيه الدعاية الصهيونية الى بريطانيا فى شتى انحاء العالم •

احتمال انتصار العرب ؟

واذا كان حرص بريطانيا على استرضاء العرب وغضبها من الصهيونيين من العوامل الرئيسية التى شكلت سياستها الفلسطينية فى هذه الحقبة ، فكذلك الحال بالنسبة الى تقدير لندن لمستقبل فلسطين بعد انتهاء الانتداب • فلم يكن احتمال انتصار العرب عسكريا بالامر البعيد ، ومن ثم تفكير بيفن فى ضمان فرصة العودة الى فلسطين على شكل ارتباط غير رسمى مع العرب ، وبخاصة مع الملك عبدالله حاكم شرق الاردن •

فقد كشف احد سكرتيرى بيفن المقربين النقاب عن ان وزير الخارجية البريطانية قد تنبأ بانتصار العرب فى القتال الذى بدت بوادره ، وعن انه كان من المتوقع ان يطلب اليهود من بريطانيا التدخل لصالحهم بحيث تتاح الفرصة لاعادة تقسيم فلسطين بحيث لا يسيطر اليهود على كل من حيفا والنقب، وهما الموضعان اللذان كانت هيئة الاركان البريطانية تبغى السيطرة عليهما بقصد نقل القوات البريطانية اليهما فى حالة الانسحاب من قاعدة قناة السويس، على ان يتم استرجاعهما فيما بعد طبقا لمعاهدة تعقد مع الملك عبدالله •

وقد شارك القادة العسكريون البريطانيون بيفن فى تقديره لنتائج الصراع العسكرى على فلسطين ـ ففى مارس ١٩٤٨ صرح المرشال مونتجومرى بان اليهود اصبحوا عاجزين عن حماية خطوط مواصلاتهم ، وايدت هذا الحكم تقارير العسكريين البريطانيين فى القدس وعمان والقاهرة • بل ان قائد القوات البريطانية فى فلسطين ـ سير جوردون مكميلان ـ صرح بان الجيوش العربية لن تجد صعوبة فى الاستيلاء على فلسطين باسرها •

وعلى حين ان الجماهير العربية عقدت العزم على انقاذ فلسطين بكل الوسائل وضغطت فى هذا السبيل،فان الدول العربية ابدت حماسة لاستلاب أجزاء من القسم العربى الذى نص عليه قرار التقسيم تفوق حماستها لعرقلة قيام الدولة الصهيونية • ولم يدافع عن المحافظة على عروبة فلسطين سوى سوريا التى كانت تسعى الى توفير عازل فى وجه امارة شرق الاردن يضم كلا من سوريا وفلسطين ، على ان يوكل حكم هذه الاخيرة للمفتى الحاج امين الحسينى •

وكان الملك عبدالله هو الوحيد الذى يمسك بزمام المبادرة ويعرف بالتحديد ماذا يريد • فحين

(٣) فى الفترة الممتدة مابين نهاية الحرب العالمية الثانية و ٢٠ اكتوبر ١٩٤٧ قتل الصهاينة ١٢٧ بريطانيا وجرحوا ٣٣١

اجتمع رؤساء الوزراء العرب فى القاهرة فى ديسمبر ١٩٤٧ فى دورة طارئة للجامعة العربية هدفها تحديد موقف العرب من قرار التقسيم ، امر عبدالله مندوبيه بمعارضة تسليح الفلسطينيين من انصار المفتى وحث الدول العربية على ارسال جيوشها النظامية على اثر انسحاب القوات البريطانية فقد كان عبدالله يود احتلال المنطقة العربية ، خاصة وانه توصل الى اتفاق مع الصهاينة بهذا الصدد وان جيشه (الفرقة العربية) كان هو الجيش العربى الوحيد الذى يحظى بتدريب جيد وباسلحة حديثة . الا ان قرار الدورة الطارئة لم يتمش مع مخططات الملك عبدالله : فقد قرر رؤساء الوزراء ان تبذل حكوماتهم كل ما فى وسعها لمعارضة التقسيم وذلك بجمع ١٠٠٠٠ بندقية وغيرها من الاسلحة الخفيفة بقصد توزيعها على عرب فلسطين وتجنيد ٣٠٠٠ متطوع وانشاء لجنة عسكرية ملحقة بالجامعة العربية مهمتها تدريب المتطوعين وتنظيمهم . وكان من رأى الملك عبدالله ان مثل هذه القرارات لن تتمخض عن اية نتائج عملية ، خاصة وان هجمات المتطوعين العرب من شانها ان توفر لليهود فرصة شن هجوم مضاد والاستيلاء على اراض لم تخصص للدولة اليهودية التى نص عليها قرار التقسيم .

الطامحون الى الزعامة

ولكن كيف يتسنى لعبدالله ان يعترض وحده على قرار رؤساء الوزراء العرب ؟ الحق ان الحاج امين الحسينى كان يسعى جاهدا الى تنفيذ قرارات الدورة الطارئة ، وكذلك الحال بالنسبة الى سوريا ومصر اللتين كانتا تخشيان ان يحتل الجيش الاردنى فلسطين العربية . اما السعودية فكانت تعارض تسليح الفلسطينيين وارسال جيوش نظامية حتى لايؤثر تطور القتال على ثروتها النفطية ، ولان بريطانيا كانت تمنى المملكة بالزعامة ، بل ويلوح لها فلبى — المستشار البريطانى للملك عبدالعزيز — بان يتوج احد امرائها ملكا على فلسطين ! (٤) بل ان العراق الذى كان يحكمه الهاشميون اقرباء الملك عبدالله ، لم يكن على استعداد للموافقة على مخططات حاكم شرق الاردن ، خاصة وان ساسة العراقيين كانوا يتفاوضون مع بريطانيا حول عقد معاهدة دفاعية تحل محل معاهدة ١٩٣٠ ، ومن ثم حرصهم على مواجهة الاتهامات الخاصة بتواطؤ الحكومة العراقية مع الامبريالية والصهيونية . فعبد الله هو الاخر كان يطمع فى الاستيلاء على فلسطين كلها بعد خصم القسم العربى الذى نص عليه قرار التقسيم ، وكان يأمل فى ان يوافق اليهود على التمتع بالاستقلال الذاتى فى مناطق مملكته ويعتقد ان بامكانه التعايش مع اليهود الذين بامكانهم مساعدته على تحقيق طموحاته سواء فى فلسطين او فى الشام . والتقت اهدافه مع المخططات البريطانية الساعية الى تكتيل المشرق العربى فى منظمة للدفاع المشترك — ومن ثم سماح جلوب وكركبرايد للمتطوعين العرب بدخول فلسطين، على ان يتم ذلك خفية عن الانظار .

وهكذا جرى تنظيم « جيش التحرير العربى » الذى اختير الجنرال العراقى اسماعيل صفوت باشا قائدا عاما له واقام مركز قيادته بالقرب من دمشق ، على حين تولى فوزى القاوقجى — قائد ثورة ١٩٣٦ فى فلسطين — قيادته الميدانية . وما وافى ربيع ١٩٤٨ حتى كان الفدائيون العرب قد قسموا فلسطين الى عدة جبهات : فتولى فوزى القاوقجى واديب الشيشكلى مسئولية القطاع الشمالى الذى كان يعمل فيه ٧٠٠٠ مقاتل عربى وتولى عبدالقادر الحسينى قيادة القطاع الاوسط الذى كان يعمل فيه ٥٠٠٠ مقاتل معظمهم من رجال «اللجنة العربية العليا » غير النظاميين . واما القطاع الجنوبى ، الذى كان يضم كل منطقة النقب فقد شغله الفان من متطوعى « الاخوان المسلمين » المصريين . وبدأ المتطوعون العرب فى مهاجمة المستوطنات الصهيونية دون ان يواجهوا اية عراقيل من جهة الانجليز الذى سلموهم بعض مراكز الشرطة . وكانت النتيجة هى نجاح العرب فى اوائل عام ١٩٤٨ فى قطع الطرق الواصلة بين تل ابيب والقدس وبين حيفا والجليل الغربى وبين بحيرة طبرية والجليل الشرقى وبين العفولة ووادى بيسان . وما لبثت المستعمرات اليهودية فى النقب ان عزلت عن بقية فلسطين ، فى الوقت الذى حوصر فيه اليهود فى القسم الغربى من القدس . الا ان الصهاينة نشطوا فى استيراد السلاح من امريكا واوروبا وبخاصة تشيكوسلوفاكيا فى الوقت الذى جنى فيه بعض مندوبى اللجنة العسكرية المنبثقة عن الجامعة العربية اموالا طائلة عن طريق بيع الاسلحة — التى جمعوها فى القاهرة — باثمان عالية للفلسطينيين .

(٤) راجع كتاب «فلبى العرب» لاليزابيث مونرو .

كما ادى اصرار المفتي على السيطرة على القوات العربية العاملة في فلسطين الى اشتداد الصراع بينه وبين القاوقجي الذي لقي التأييد من جانب الحكام العرب وعمل على اقصاء الفلسطينيين عن صفوف قواته . واغرب من هذا ان القاوقجي قد توصل الى اتفاق مع قوات الهاجاناه تعهد بمقتضاه الا يساند جيش التحرير العربي عبدالقادر الحسيني اذا ما شن اليهود الهجوم على جبهة القدس . وكان لكل ذلك اثره في دفع عبدالقادر الى خوض معركة القسطل في محاولة يائسة للسيطرة على الموقف .

بداية النزوح

وفي ثنايا القتال الدائر على ارض فلسطين قبل انسحاب القوات البريطانية لم يأخذ احد على محمل الجد ما سبق ان صرح به بيفن في مارس ١٩٤٨ من ان الانجليز هم المسئولون عن الامن والنظام في فلسطين حتى انتهاء الانتداب ـ اذ ان « الامن والنظام » لم يكونا قط في صالح بريطانيا .

وفي الوقت الذي اقام فيه اليهود ما يشبه الحكومة لم تفلح « الهيئة العربية العليا » في اقامة اي شيء ، اذ انها لم تتعد كونها اداة للدعاية والعنف ولم تعبأ بانشاء كوادر ادارية مدربة او اكتساب خبرة بالعمل الحكومي ، خاصة وان القيادات العربية الفلسطينية دأبت في فترة الانتداب على عدم التعاون مع الادارة البريطانية واكتفت بالمواقف السلبية .

وهكذا بدأ خروج عرب فلسطين من بلادهم نتيجة للقتال الدائر على اراضيها وللعنف الصهيوني المدبر الهادف الى ازعاجهم وارغامهم على الهجرة سواء في ذلك ما جرى في مذبحة دير ياسين او بعد سقوط يافا . ولم تستطع القيادة العربية الفلسطينية تنظيم الهجرة او تخفيف حدتها ـ بل انها ذاتها كانت اول من ولى الادبار الى البلدان العربية المجاورة ، يستوي في ذلك آل الحسيني وآل النشاشيبي وآل الحوراني الذين كانوا يضمون النخبة الفكرية والسياسية التي غادرت المسرح في الوقت الذي كان فيه الشعب العربي الفلسطيني اشد ما يكون حاجة اليها .

وحين اعلن اليهود دولتهم في اواسط مايو ١٩٤٨ وتقرر دخول الجيوش العربية النظامية الى فلسطين لم تزد القوات العربية الممكن ارسالها الى الميدان على ٢٣٫٠٠٠ مقاتل منهم ١٠٫٠٠٠ مصري و ٤٫٥٠٠ اردني و ٣٫٠٠٠ عراقي و ٣٫٠٠٠ سوري و ٢٫٠٠٠ من متطوعي جيش الجامعة العربية و ١٫٠٠٠ لبناني وبضع مئات من السعوديين ، بالاضافة الى بضعة الاف من الفلسطينيين المسلحين ولكن غير المدربين . ومن الواضح ان الحكومات العربية كانت اميل الى ابقاء معظم قواتها داخل اراضيها حرصا منها على حماية اوضاعها الداخلية . ورغم شك هذه الحكومات في طموحات الملك عبد الله ، فانها سعت الى الحصول على تأييد « الفرقة العربية » ـ ذات القيادة البريطانية ـ للجهد الحربي العربي ـ وامام ضغط الدول العربية الاخرى وافقت مصر على الاعتراف بالملك عبدالله قائدا عاما للقوات العربية المشتركة دون ان تكون على استعداد للخضوع لسلطته ، في الوقت الذي سعت فيه الى تقليص كل من سلطته واسلابه .

اما اليهود فكانت القوات التي انزلوها الى الميدان ـ رغم كل ادعاءاتهم ـ لا تقل عن حوالي ٣٥٫٠٠٠ من مقاتلي الهاجاناه تعززهم بضعة الاف من المتطوعين المدنيين شبه العسكريين وربما ٣٫٠٠٠ من رجال عصابتي شتيرن وأرجون ممن لم يتلقوا قدرا كافيا من التدريب على الحرب النظامية .

وتفاصيل ما حدث بعد ذلك لم تقدم بعد الى القارىء العربي باسلوب علمي . فاذا ما كانت الحكومة البريطانية تفرج عن وثائقها بعد مرور ثلاثين عاما .. فلا شك ان الافراج عن وثائق الدور البريطاني في حرب ١٩٤٨ سيتضمن حقائق جديدة وتفسيرا جديدا للاحداث . واحرى بالدول العربية ان تفرج وثائقها بهذا الخصوص الى حيز النور حتى يطلع عليها الباحثون ويفيدوا منها ، وكذلك الحال بالنسبة الى اوراق بعض من كانوا في مركز الاحداث خلال هذه الحرب وعلى راسهم المفتي الحاج امين الحسيني وغيره من القادة الفلسطينيين والعرب الذين احتموا بالمحافظة على اوراقهم ومذكراتهم . وكفانا تهويمات واحاجي واتهامات .. فلن يخدم القضايا القومية سوى الحقيقة الموضوعية المجردة عن الاهواء والمصالح الذاتية .

■ ■

أحمد عبد الرحيم مصطفى



أحمد الصافى النجفى بيروتيا

بقلم : ربيع ديب

لا يكاد ينضب الحديث عن الشاعر العراقى احمد الصافى النجفى . وبعد أن نشرنا فى العربى مقالا للدكتور فيصل دبدوب يتحدث فيه عن شاعرنا الكبير مركزا على حياته فى دمشق ، تلقينا هذا المقال عن النجفى فى بيروت .

■ استوقفنى فى مقال الدكتور دبدوب فى العدد ٢٣٧ انه مكرس ، بشكل اساسى ، لاستذكار حياة النجفى الخاصة فى دمشق وجانب يسير منها فى بيروت .

ولقد حفزنى على مواصلة ما بدأه الدكتور دبدوب ، ما رأيته من ضرورة اكمال صورة النجفى الانسان فى دمشق بصورته فى بيروت ، وصولا الى الامساك بتفاصيل من شخصيته التى تظل رغم كل شيء واضحة .

ويصعب عليك ان انت حاولت تعريف الشاعر النجفى بالاستناد الى علاقتك الشخصية به ، وهى علاقة غالبا ما تكون عابرة وان طالت ، بسبب من شغف الشاعر بالترحل ، وكانما هو صدى للشاعر العربى القديم فى ترحله على نحو من الانحاء .

واذا كان من غير العلمية النظر ، نظرة قسرية وجامدة ، الى النجفى الشاعر والانسان عبر مقاييسنا السائدة اليوم ، مع ما شاع من شعر حديث ، شكلا ومضمونا، وما رافق ذلك من مذاهب جديدة فى الشعر ، ومع تطور حياتنا الاجتماعية وتعقدها ، وموت علاقات وبروز علاقات وارهاص بعلاقات مختلفة (واقول ذلك انطلاقا من اعتقادى بان النجفى لا يمثل تماما روح أيامنا الحاضرة) ، فان رؤية النجفى الذى عاصر أجيالا وعهودا يختلف واحدها عن الاخر من خلال منظار واحد ، قد تحمل كثيرا من العسف وتكشف عن معارضين لهذا الشاعر الكبير ، قد تصدم آخرين يرون فيه عملاقا فى لحظتنا العربية الراهنة .

ولما كان شعر الشاعر ، غالبا ، صدى لافكاره

ونمط حياته ومسلكيته ، فساعرض هنا بعض ما عرفته عن هذا الجانب ، تاركا لغيري مقارنة شعره بما قاله الدكتور ديدوب وما قلته وما سيقوله غيرنا .

قوتي أم ضعفهم ؟

فمنذ اضطر الشاعر الى مغادرة العراق والحضور الى لبنان سنة ١٩٣٠ ، بعد احتلال الانجليز بلده سنة ١٩١٧ ، ونتيجة مواقفه المعروفة من الاستعمار البريطاني والفرنسي والحكومات التي ظاهرتهما آنذاك ، وتعرضه بالتالي للسجن في بيروت على اثر اشتراكه في تظاهرة من اجل وطنه (وقد أثمر ذلك ديوانه المعروف « من حصاد السجن ») . والشاعر يرى في بيروت مدينة من وطنه العربي الكبير له ملء الحرية في التحرك داخلها والانتقال الى مدينة عربية اخرى ، لا يشعر بالغربة الا بقدر ما يشعره بها الاخرون . حتى اذا ضيق عليه الخناق ، ولقي من عسف الاغبياء وسخريتهم ما يجرح كرامته ، لجا الى الشعراء يستوطنهم ، واجدا أن « وطن الشاعر الغريب شاعر » كما يقول في ابيات له سمعناها منه ، هو الذى سخر من سجنه ومن سجانه ومن الحكومات التي راحت الواحدة تلقي بعبء قضيته على عاتق الاخرى ، فكتب ـ وكان يكتب في سجنه المظلم بعيدان الكبريت ، يبلل عودا بلعابه يجعله قلما، ويستضيء بعود آخر يشعله ـ :

حكومة لبنان قد راجعت
فرنسا لكي فلم تسطع

وراحت فرنسا الى الانكليز
تراجعهم ، جل من مرجع

وقد راجع الانكليز العراق
ولليوم بالامس لم يصدع

فقلت اعجبوا أيها السامعـ
ـون ويا أيها الفلق قولوا معي :

أمن قوتي صرت أم ضعفهم
خطيرا على دول اربع ؟

وهكذا ، ومع بساطة العيش والمظهر التي اشتهر بها ، كان له في بيروت وطنه الـ «نخبوي» ، متمثلا في أدباء وشعراء معروفين وجلهم محافظون، كما كان له وطنه «الشعبي» متمثلا في رواد المقاهي من عمال ومتبطلين . وقد يبدو تناقضا تنقله عبر المسافة بين الاذاعة اللبنانية ومعها المقاهي « المتفرنجة » كما يقول ، « ومقهى فلسطين » في شارع المعرض ومقهى «الحاج داود» على الشاطىء ، لولا أن هذه المسافة بعينها هي ما يمكن أن يكون الـ «الكل» المنسجم الذى يعنون شخصيته، خصوصا اذا ما عرفنا انه غالبا ما كان ينقل الى الاذاعة ، او اى منتدى فكرى آخر ،شخصيته ، البسيطة المعروفة في المقهى ، يقتحم بها ترف الاندية التي غالبا ما كان يهرب منها ، الا اذا اضطرته دواعي العيش الى ارتيادها ، وقد قرأ علينا في مقهى فلسطين ما يعبر عن ذلك ، وهو قوله :

أفر من النوادى زاخرات
بألوان المجاملة الوضيعة

وأوى للحقول طليق نفس
فلست مجاملا الا الطبيعة .

ذلك انني أبلغته رغبة موظف رسمي محب للشعر في الاجتماع به . وقد اعرب النجفي عن موافقته ، لولا انه أصر على أن يكون الاجتماع في احد المقهيين : « فلسطين » و « الحاج داود » . ولما كنت اتصور استحالة ان يوافق الموظف المذكور على هذا الشرط ، فقد وجدتني أمام استحالة أن ينتقل النجفي الى مكتب ذلك الموظف الذى اتحرج من ذكر اسمه لعلمي بانه سيعترض على ذلك .

ولكن كيف كان النجفي يبرر اختياره هذه البساطة في العيش ؟

ربما شعر يوما ، ونحن في مقهى فلسطين في شارع المعرض ، انني اعقد موازنة خفية بين سلوكه وسلوك الهيبين ، وقد شرعوا في الستينات يفدون الى بيروت ، واذكر انني كنت اتحدث عنهم امامه ، اقول : ربما شعر باهتمامي بموازنة من هذا القبيل ، عندما قال منفعلا : « دولا* مو

---

* هؤلاء باللهجة العراقية .

هبيين .. أنا الهبي الحقيقي . » وتابع بما معناه : « ليس الهبي ، الذي يفترض فيه أن يحمر فلسفة معينة ، من يأتي بالثوب الجديد فيمزقه طلبا للبساطة يعارض بها ترف المترفين في تعقيدات حياتهم وابهتها . أنا الهبي لانني لا افتعل شيئا من هذا » . فهل كان النجفي يعارض حياة المترفين معارضة سلبية على نحو ما ؟

قد يكون في اختياره هذا النمط من العيش ، واقتصاره على البسيط من اللباس ، وفراره الى الحقول ــ وقد كان يجد في حدائق المدن تقليدا لها ــ ما يكشف موقفا معارضا للترف المبني على استنزاف الناس . علما أن مواقفه من الاستعمار قد تكون فاتحة مواقفه المتمثلة غالبا في سلوكه الشخصي ، باعتبار ان الاستعمار لا يمكن ان يكون الا صنيع أناس غير بسطاء مثله ، صنيع اناس مترفين يستنزفون سائر الاقوام حقا .

هذا الموقف المعارض لما هو متخلف كالاستعمار، والترف القائم على دعائم من تخلف الآخرين ، كان يمكن له أن يؤسس عنده موقفا متقدما من الشعر . ولكن الحقيقة ــ كما بدت لي ــ أن التناقض المحتمل في شخصية النجفي انما يكمن هنا بالذات . ففي لقاءات عديدة كنت أتعمد الاشارة الى الشعر الحديث والشعراء المحدثين ، وكانت عبارته المألوفة «دولا» ترن في فضاء المقهى لم تخفت : « دولا مو شعراء .. دولا علاكين » . ولم يكن ليرضى ، بشكل خاص ، عن الشاعر الفلسطيني محمود درويش . وليس ذلك فحسب ، فقد قال أكثر من مرة ان الشعر كف عن أن يكون شعرا منذ أبي نواس الذي كان يرى فيه قمة الشعراء العرب . ولكن أليس ذلك هو موقف المحافظين في كل عصر عربي ؟ وهل يمكن تجاوز ادلال النجفي بذاته وبشعره ، وقد حاول أن يقف موقفا وسطا لا يخفى مع ذلك اعتداده ؟ قال :

بابداعي الاشعار لا أتكلف
متى رمت ابداعا من البحر اغرف

نايت بشعري عن قديم ومحدث
لشعري كروحي حافلي مثقف

لست شاعرا !

جئته يوما ب « شاعر ناشيء » فاذن له بالقراءة، فما ألم أبياتا ثلاثة حتى هتف النجفي : « كفى .. أنت لست شاعرا » . ولولا أنني دسست على قدم الشاب لكان الدم المحتقن في وجهه تحول الى كلمات قد تجرح الشاعر

ومرة ــ كما روى لي ــ أجاب دعوة اديبة لبنانية (أصر هو على عدم ذكر اسمها) ، وكانت تدعي غرامها به . وقد زارها في مكتبها . حتى اذا جلس ، شرعت آلات الهاتف الكثيرة فوق مكتبها ترن الواحدة تلو الاخرى . والمرأة تلتقط سماعة مرة وسماعتين مرة أخرى . ولما طال بها الوقت وهي منشغلة بمكالماتها الهاتفية ، تناول النجفي ورقة عن المكتب وكتب :

كيف أرجو منك صدق العواطف
وقلبك مقسوم على ألف هاتف

ثم خرج دون أن تشعر به .

وروى لنا أنه دخل مقهى « متفرجا » ــ كما يقول ــ حيث رأى رجالا ذوي لحى قيل له انها لحى فنية ، وأن أصحابها شعراء محدثون ، فاستمع اليهم ، ولما لم يعجبه شعرهم قال :

وصادمين بأشكال اللحى نظرا
وشعرهم يصدم الاسماع بلطمها

تحار افكارنا في فهم شعرهم
أشعارهم كلهم ليس تفهمها

ولعل في ذلك ما يؤكد مبتا اليه من ضيقه بالشعر الحديث ، واعتبار «اياه شعرا غير مفهوم» علاوة على انه لا يمكن حفظه شأن الشعر العمودي .

والغريب أن النجفي الذي لم يكن ليرى في شعر المحدثين شعرا مفهوما ، كان يرى في لغة البكم لغة مفهومة . أشار يوما الى مجموعة من العمال البكم وقد تحلقوا حول طاولة في مقهى فلسطين وراحوا يتخاطبون بحركات أيديهم وأصابعهم ، وقال : « هؤلاء ترتاح اليهم وتفهمهم بالقلب » . وكان يمضي وقتا طويلا بالقرب منهم ، يحتسي شرابه المفضل : الشاي الممزوج بالحليب المجفف ، يشربه ويترك لك أن تختار شرابك دون أن يسمح لك بدفع الحساب . فهذه مسألة مبدئية عنده ، أن يشرب ويشرب جلساؤه دون أن يسمح لغيره بالدفع، متعللا بانه يملك من ريع كتبه ما يكفي له ولغيره. فقد كان رحمه الله لا يشكو عوزا ، حتى أنه منح

الفقراء ما منحته اياه الحكومة العراقية (راتبا شهريا قدره ثمانون دينارا عراقيا) وقد كتب قصيدة في هذا المعنى لا اذكر منها شيئا ولعلها في حيازة ناشر لبناني كان يودعه قصائده تباعا .

يمدح ولا يرثي

كان النجفي لا يدخن . الا ان رئتيه ـ كما كان يقول ـ كانتا تمتلئان بما يكفي من دخان التبغ والنارجيلة العابق في جو المقهى ، يعب منه من غير قصد ثم يخرج الى نزهته الاعتيادية في شارع المنارة على الشاطيء قرب السفارة الاميركية ، ينظف رئتيه بهواء البحر ، قبل أن ياوي الى غرفته في الطابق الثاني من « فندق المعرض الكبير » أو منزله في محلة الشياح جنوبي بيروت ، وكان يتركه مفتوحا ليتمكن جيرانه من الاستفادة من مياهه .

واذكر اشارة الدكتور دبدوب الى أن النجفي كان يعاني ، في الماضي ، من مرض الزحار المدمم ، فلعله كان لا يزال مصابا بهذا الداء سنة ١٩٦٩ . فقد استمهلني حين دعوته لزيارة بلدتي شحيم لاحضار دوائه . وقال انه يعاني اسهالا دميما مزمنا . وكنت أتصور هذا الرجل النحيل المريض عازفا عن الطعام يكتفي باقله ، الى ان زال هذا التصور وانا اراه ياتي ـ في وجبة واحدة ـ على نصف فروج ونصف كيلو من اللبن ورغيفين . وكنت، وانا أراه ينقل خطوه ببطء، وثقل في شوارع بيروت ، أتصوره قريبا من حتفه !

ويطول بنا الحديث أن نحن استرسلنا في رصد حياة هذا الشاعر الذي انتهى في أواخر حياته انسانا أقرب الى الصوفي ، يقول شعره في الله والاسلام ، رقيقا خاشعا ، وكأنما يستغفر ربه تائبا عن ذنب لعله انشغاله في حياته الطويلة عن التعبد ، وان كان لم ينس لحظة همومه الوطنية . يرى في سرحان سرحان بطلا قوميا فيمدحه ويهتف: « فكلنا سرحان » ، ويقف من النائبة البريطانية : « ماكاي » موقف الاكبار فيمدحها بقصيدة أحملها انا الى الاديب الفلسطيني الشهيد غسان كنفاني، وكان رئيسا لتحرير ملحق الانوار ، فينشرها في الملحق رقم ٢٧٠٧ تاريخ ١٩٦٨/٥/١٢ ،ومما قاله:

أنت أحييت سيرة الاولياء
بالفدا تقتدين بالانبياء

يا نصيرا من السماء أتانا
اذ خلت ارضنا من النصراء

كنت فخر الرجال لو كنت منهم
فغدا الفخر ذا نصيب النساء

كيف جاء الفدا لنا من غريب
فوق ما نرتجيه من قرباء

أنت حققت ما نراه خيالا
حين أخرست دعوة الادعياء

أنت جيش من الدعاة أتانا
في مثال من رقة وبهاء

وهو وان كان يمدح ، وقد مدح العديدين ، ومن بينهم سرحان وماكاي وصديقه الاديب اللبناني سمير شيخاني ، احتراما لا تملقا ، فقد كان لا يرثي . وقد قرا لنا قصيدة في رثاء الاديب رئيف خوري هي غير القصيدة التي اثبتها الدكتور دبدوب في مقاله . وفي القصيدة التي اذكرها يقول :

لغير الحق لم تمدح وتذمم
فمنذ كان للحق الذمام

ومثلك صاحبا يرثيه مثلي
وثق لم أرث غيرك والسلام

ذلك انه كان كبيرا في كل شيء ، يضن بالرثاء لانه يرى فيه تملقا ومجاملة وهو الكاره لذلك ، الا ان يكون صديقا كرئيف خوري . وهل أحرى من النجفي باكرام الصديق وقد كان صدوقا ؟ وهل أحرى به من عزة النفس في الشعر وقد كان عزيزا في جميع تصرفاته ؟

وكما مضى العظماء وخلدتهم آثارهم ، مضى الشاعر النجفي يخلده شعره وتخلده ذكريات الناس عنه ، ذكريات لا شك في أهمية تدوينها ، فهي جزء من تراث جدير بان يكمل صورة الشاعر . ويقيننا أن واحدا من المهتمين بشعر النجفي سوف يقف جزءا من اهتمامه على النهوض بهذه المهمة .

■■

شحيم ـ لبنان ـ ربيع ديب

✲ قاتل ادوار كندي .

كلام فى العدل :

هؤلاء المترفون

بقلم : فهمى هويدى

قد يستوجب الامر اعتذارا ، لان مناقشتنا هذه المرة حول « المترفين » ..

ووجه الاعتذار هنا أن الامة العربية تعيش الآن ظاهرة الترف ، بعد أن تدرجت فى السلم صعودا – وربما هبوطا ! – من الغنى الى الثراء الفاحش الى الترف . وبعدما انفتحت ابواب الكسب الحلال والحرام على مصاريعها ، فى زمن انحسرت فيه قيمة العمل أمام طوفان المال المنهمر وتحت ضغطه .

اعنى أن من يعنيهم الامر هنا هم أناس حولنا ، كبار وربما ذوو نفوذ ، نقرأ عنهم كثيرا وقد نلقاهم ، وربما نعرف بعضهم . هم اهلنا وان باعدت بيننا المسافات ، فى الامكنة والارصدة !

غير أنه قد يغفر لنا ويرفع الحرج ان مانقوله – أو ننقله بتعبير أدق – هو كلام الله ورأى الاسلام كما نفهمه ، وليس رأيا أو اجتهادا شخصيا ، قد يتأثر بمشاعر غير القادرين تجاه القادرين .

وعلى ذكر هذين الفريقين – الفقراء والاغنياء – فان التصور الاسلامى للعلاقة بينهما يقوم على فكرة الاخوة والمودة والتراحم . وهى تختلف تماما عن فكرة « الصراع الطبقى » التى يقول بها الماركسيون .

ثمة « اعلان اخاء » بين جموع المؤمنين جاء به الاسلام منذ ١٤ قرنا . ونص عليه القرآن : « انما المؤمنون أخوة – الحجرات ١٠ » و .. « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » – حديث رواه البخارى ومسلم ، و .. « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد .. » الى اخر الحديث ..

وقد كان المجتمع الاسلامى الاول يعيش فى ظلال وارفة من هذا الاخاء الرحب ، وهذه المودة التى جعلت الميسورين من الصحابة يتسابقون فى البذل والاسهام فيما يحقق عزة الاسلام ورفعة المسلمين ، من أبى بكر الصديق الذى كان له يوم اسلامه مدخرات من تجارته تصل الى ٤٠ الف درهم ، انفقها فى سبيل الله ، حتى انه عندما هاجر الى المدينة لم يكن معه من كل مدخراته الا خمسة آلاف فقط ، الى عبد الله بن جعفر الذى كان لا يرد حاجة لاحد ، وعندما

لامه البعض قال : ان الله عودني عادة وعودت عباده عادة : عودني ان يعطيني ، وعودت عباده ان اعطيهم فاخشى اذا قطعت عادتي عن عباده ،ان يقطع عادته عني ! الى ابو موسى المردار (من المعتزلة) الذي رفض ان يورث ورثته ماله ، وسئل عن السبب فقال : كان مالي حق الفقراء لكني خنتهم وانتفعت به طول حياتي !

وقبله قال ابن عمر : لقد اتى علينا زمان ،وما احد احق بديناره او درهمه من اخيه ٠

هكذا فهموا اعلان الاخاء ، وهكذا مارسوه ٠حتى قام مجتمع « كان فيه اغنياء لا يخافون حقد الفقراء ، لانهم ادوا حق الله في اموالهم ،وفقراء لا يخشون شح الاغنياء ، لانهما برحوا في فيض غامر من برهم وسخائهم ٠ ولكن كانوا يتنافسون فيما بينهم ، ويتسابقون في فعل الخير والحث عليه » ✻ ٠

●

واذا كان العدل الاجتماعي هو موضوع مناقشتنا الاساسي ، فقد كان لازما ان نقف عند الظاهرتين الخطيرتين اللتين يحاربهما الاسلام لتحقيق العدل ـ الذي هو عماد الشريعة كما قلنا ـ والظاهرتان هما : الفقر والترف ٠

واذا كان الاسلام يقرن الفقر بالكفر ـ وكانت هذه قضية المناقشة في العدد الماضي ـ فانه يعتبر الترف جريمة ، بل سرطانا مدمرا ٠

لا اعتراض ولا تحفظ على اليسر والغنى بكل تاكيد ، بل العكس هو الصحيح ، فالغنى مطلوب اذا كان ذلك مستطاعا ٠ والله سبحانه امتن على رسوله بالغنى « ووجدك عائلا فاغنى ـ الضحى ٨ » ـ وجعل الاغداق في الرزق والمال نوعا من الثواب العاجل في الدنيا « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ٠ يرسل السماء عليكم مدرارا ٠ ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ـ نوح ١٠/١١ » ٠

وكما ان الرسول كان يستعيذ بالله من الكفر والفقر ، فهو نفسه القائل : اللهم انى اسالك الهدى والتقى، والعفاف والغنى ـ رواه مسلم والترمذى ـ و ٠٠ نعم المال الصالح للرجل الصالح رواه البخارى ـ وعندما دعا لصاحبه وخادمه انس قال : اللهم اكثر ماله ٠

وعندما استشار سعد بن ابي وقاص الرسول عليه السلام في ان يتصدق بثلثي ماله قال : الثلث والثلث كثير ٠ انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس٠

وعمر بن الخطاب هو القائل : اذا اعطيتم فاغنوا ٠

ولعلنا لاحظنا ـ في مناقشة العدد الماضي ـ كيف كان الفقه الاسلامي شديد الحرص على ان تكون الزكاة مصدر تيسير على الناس ،وكيف رفض الفقهاء مبدأ العيش على الكفاف ٠

اقول ان الغنى في التصور الاسلامي مطلوب، باعتباره تعبيرا عن اليسر الذى يليق بكرامة الانسان ، مخلوق الله المختار ٠٠

لكن الغنى شيء ، والترف شيء آخر ، اذ بالترف يختل ميزان العدل الاجتماعي ، وينفتح الباب لكل عوامل التحلل والسقوط ٠ وحقائق التاريخ شاهد على ذلك ٠فقد كان الترف بداية الانهيار ، من الامبراطورية الرومانية واليونانية ، حتى دولة الاسلام ذاتها ٠ وما يسجله التاريخ عن احداث الفترة الاخيرة لحكم العباسيين في العراق ، وحكم الفاطميين

✻ اشتراكية الاسلام ـ د ٠ مصطفى السباعي

والكلبين في صقلية ، وحكم الطوائف في الاندلس ، لا يفاجئه باى قدر ذلك السقوط والتشرذم الذى حدث فى عالم الاسلام وفتنة ٠

كان الترف هو المعول الذى هدم تلك الابنيةالاسلامية الشامخة ،

ومن بين كل العلل التي تصيب مجتمعا يتسلل اليه الترف والبطر ، فليس هناك ما يعادل جريمة حبس مال الاغنياء ، وتبديد مال الله فيغير وظيفته الحقيقية واتجاهه الصحيح ٠

●

والترف قضية نسبية وتقديرها متروك لواقع كل مجتمع وظروفه الاقتصادية ، لكنه بوجه عام مرحلة يلجأ فيها الاغنياء الى تكديس الاموال ،والخلود الى حياة الدعة والخمول ٠ مرحلة يفقد فيها الانسان صفته كخلية حية منتجة فى المجتمع ، الى عنصر انانى مستهلك، لا يرى في الكون ورسالة الانسان الا الشهوة الجامحة والبطر والتمرغ فى اللذائذ والمتع٠٠

والقران يذهب الى أبعد من ذلك فى تصديه العنيف والقاسى لظاهرة الترف والمترفين ، فهم أعداء الهدى والعرفان ٠ أعداء الحق والعدل ٠ ولذلك فصورتهم في القران الكريم ترتبط دائما بالافساد فى الدنيا ، وسوء المآل فى الاخرة ٠

« ان الانسان ليطغى ، ان راه استغنى ـ العلق ٧ » ٠٠ فثمة علاقة بين الثراء الفاحش ـ وهو المعنى هنا ـ وبين الطغيان ٠ « وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فنيسره للعسرى ، وما يغنى عنه ماله اذا تردى ـ الليل ٨/١١ » ٠٠ وهؤلاء الذين يحبسون المال فى الدنيا لن ينفعهم هذا الشح فى الاخرة ٠٠« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ـ التوبة ٢٤» ٠٠هذا جزاء الذين يكدسون المال ولا يرعون فيه حق الله ، الذى هو حق الفقراء ٠

هم القاعدون الخاملون فى الدنيا : « انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم أغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف ، وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ـ التوبة ٩٣ » ـ وقد نزلت الآية فى الذين تخلفوا عن القتال جبنا واستكانة الى الدعة ، فى معركة «تبوك» التى نشبت بين المسلمين والروم فى العام التاسع الهجرى ٠

وهم بما يضربونه من مثل وما يمثلونه من قيم ، مصدر افساد وبلاء لكل مجتمع ، بل نذير غضب الله ولعنته « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ـ الاسراء ١٦ » ٠ (وأمرنا هنا تجيء بمعنى أكثرنا ، ثم لاحظ الربط بين الترف والفسق ـ « وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها ـ القصص ٥٨ » ٠

وهم بما يفعلون يظلمون الناس ويظلمون أنفسهم ٠ واستحقوا وصف التجريم : « واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ٠ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ـ هود ١١٧ » ٠٠ وربما ألقت هذه الآية بعض الضوء على ما قبلها ، فسقوط اى مجتمع وهلاكه ليس قدرا مكتوبا عليه ، ولكن له أسبابه ٠ وهى تكمن ـ فى حالتنا هذه ـ فى ظاهرة الترف التى تستشرى فيه ٠

والآية لها مغزى اخر أكثر من تجريم الترف والمترفين ، لكنها هنا تحمل المجتمع مسئولية التصدى لهذه الظاهرة والقضاء عليها ٠ واذا تقاعس المجتمع عن ذلك فالمصير السيىء ينتظره « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » ٠

وهم على مدار التاريخ ضد الهدى والعدل: « وما أرسلنا في قرية من نذير ٠ الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون ـ سبأ ٣٤»

وهم دائما مكابرون جاحدون : « انهم كانواقبل ذلك مترفين • وكانوا يصرون على الحنث العظيم • وكانوا يقولون : ااذا متنا وكنــاترابا وعظاما اانا لمبعوثون ؟ » • وفى هذا الموضع من سورة الواقعة يواصل القرآنانذارهم بمصيرهم فى الآخرة ، حيث تنتظرهم افظع نهاية ، ويخاطبهم الله سبحانه بهــذاالتوجه الملىء بالازدراء •• ثم انكم أيهــا الضالون المكذبون ، لآكلون من شجر من زقوم،فمالئــون منها البطــون ، فشاربون عليــه من الحميم ، شاربون شرب الهيم » ••

والآيات كثيرة فى القرآن الكريم ❊ وكلهاتشــن هجوما ضاريــا وقاسيا على التــرف والمترفين ، وتكشف ما فى الترف من جرم وقبح وكفر وظلم ••

●

وهذا الموقف الحاد من حالة « منتهى الغنى » ـ المتمثلة فى الثراء الفاحش والترف ـ يتفق تمامــا مع موقف التصــور الاسلامى من حــالة « منتهى الفقر » ، المتمثلة فى الجوع ، والتى تحدثنا عنها فى الشهر الماضى ••

ان التصور الاسلامى يرفض الفقر ومضاعفاته التى قد تصل الى حد الجوع •

ولكن التصــور الاسلامى يقبــل الغــنى ،ويرفض مضاعفاته ، التى قد تصل الى الثراء الفاحش او الترف •

ان « الطيبات من الرزق » بنص القرآن هى الحد الادنى المقبول فى عالم الاسلام •• ليس اى رزق ، وليس الحد الادنى من الرزق ••

والمطلوب دائما أن يظل ميزان العدل قائما ،على المستوى الشخصى والجماعى •• « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ـ الاعــراف ٣١ » و ••كل مــا شئت والبس مــا شئت ، مــا خطئتك اثنتان : سرف او مخيلة ـ رواه البخارى •

●

وفى ختــام الرحلة تستوقفنا ثلاثــة مواقف تكاد تشكل علامات أساسية وضرورية فى مسيرة العــدل •• الموقف الاول ، قول الرســول عليه السلام « اذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمتــه وكرامته عليك ـ رواه أبو داود والنسائى » ،وهو الذى يطرح نفس فكرة الآيــة الكريمــة « وأما بنعمة ربك فحدث » •• وهى دعوة الى الاستمتاع بالرزق فى المخبر والمظهر •

الموقف الثانى ، فى الصحيح أن اعرابيــا سأل النبى عليه السلام : بالله الذى أرسلك، هل أمرك الله أن تأخذ الصدقة من أغنيائنــا فتقسمها على فقرائنا ؟ •• قال : نعم • وهو ما عبر عنــه عمر بن الخطــاب بقوله : لــو استقبلت من أمرى ما استدبرت ، لاخــذت من فضول الاغنياء (ما يزيد على حاجتهم) فرددتها على الفقراء •• وما قاله على بن أبى طالب : ان الله فرض على الاغنياء فى أموالهم بقــدر ما يكــفى فقراءهم ، فان جــاعوا أو عروا أو جهدوا ، فبمنع الاغنياء •• وهى دعوة لا تحتاج الى ايضاح أو تعقيب •

الموقف الثالث ، ما رواه أبو ذر عن النبى عليه الصلاة والسلام : الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة • أى كلما زاد مالك فى الدنيــا قل حظك فى الآخرة !!

ولك ـ بعد ـ أن تختار ! ■■

❊ للتفصيل انظر كتاب الدكتور عمــاد الدين خليل « العدل الاجتماعى » •



فى مهرجان الحمامات للمسرح والموسيقى والعروض الشعبية

بقلم : الدكتور على الراعى

ها أناذا أعود مرة أخرى الى تونس • يفتح باب الضيعة الجميلة ، وادخل أرضها ذات الشجر والثمر • أسير خطاى ذاتها التى خطوتها منذ عشرة أعوام • عشرة اعوام ؟ نعم • عشرة أعوام ، وان أنكرت حواسى جميعا ان هذا الزمن الطويل قد مر منذ سرت لاول مرة فى مماشى ضيعة الحمامات •

■ منذ أكثر من أربعين عاما ـ في الثلاثينات، هاجر سباستيان من رومانيا وتوجه الى تونس • كان رجلا يعشق الجمال ، ولكنه لا يعيش فى الخيال الا ريثما يحوله الى حقيقة • نزل بقرية الحمامات، واشترى أرضا ، وبنى قصرا ، ثم اشترى أرضا ، واضاف الى القصر ، ثم اشترى أرضا وبنى مزيدا من أجزاء القصر • فلما اكتمل حلمه ، فقد الاهتمام • هكذا أقول أنا ، ناظرا الى الرجل من الداخل • أما من نظر اليه من الخارج فقد قال : انه طعن فى السن ، وعجز عن رعاية الحقيقة البديعة التى صنعتها يداه ، فتنصل منها ، وعرضها للبيع : جارية جميلة ، يحوزها كل من ثقل جيبه بالمال ! وسمعت حكومة تونس بأمر الضيعة الجميلة المعروضة للبيع فقالت : انا أزايد على كل مشتر• وبالفعل وقعت الضيعة من نصيبها ، فقررت فى شانها أجمل ما تتخذ حكومة رشيدة من قرار • جعلت الضيعة والقصر ، وما أحاط به من فيلات مركزا ثقافيا ، أطلقت عليه اسم : المركز الثقافى الدولى بالحمامات •

وفى البداية كانت كلمة « الدولى » تفسر على النحو التالى : على المركز أن يعرض ثقافات الغرب وفنونه ، كى يرى المواطن التونسى روائع هذه الثقافة وبدائع تلك الفنون ، فيعجب وينبهر ويحدث له « تطهر » درامى من أدران الجهل المحلى•

وعلى هذا الاساس أصبح المركز الدولي ، واجهة دولية لبضائع الغرب الثقافية • يراها المواطن التونسي ، فيعجب وينبهر ، ولكن : لا يحدث له أبدا ذلك التطهر الارسطاطيلي من أدران الامية المحلية •

ذلك أن المركز كان مخزنا للثقافة ، وليس مركز اشعاع لها • لكي تحصل على مركز اشعاع عليك أولا أن تحصل على دينامو • ولكي تحصل على دينامو ، لا بد أن تكون نظرتك الى الثقافة دينامية ـ أي قادرة على الحركة والتحريك •

المحلية أولا

وراجع المسئولون عن المركز أنفسهم ، وأخذوا يسألون : أين الخطأ ؟ لماذا لا يعمل الجهاز الذى استوردوه ؟ لماذا يعرض التونسيون عن المركز ، وهو الذى انشيء من أجلهم ؟ لماذا يشعرون انهم لا ينتمون اليه ، ولا هو يعبر عنهم ؟

ولم يطل الوقت بالمسئولين عن الثقافة في تونس حتى اهتدوا الى الجواب • ان الطريق الى الدولية يبدأ دائما بالمحلية • ولكي تكون دوليا حقا ، عليك أن تكون محليا ، وقوميا أولا • على المركز أن يخدم الثقافة التونسية والثقافة العربية في المحل الاول ثم يعرض لثقافة العالم بعد ذلك ـ لثقافة العالم ، أكرر ، وليس لثقافة الغرب وحده •

ومن ثم ، أخذ المركز الثقافي الدولي بالحمامات يسير على الدرب الصحيح • تونس والعرب أولا ، وثقافة العالم الثالث ثانيا ، ثم ثقافة باقي العالم ثالثا • على كل هذه الثقافات أن تلتقي وتصطدم، وتتفاعل في بوتقة الحمامات ، لكي يصبح المركز دوليا حقا ، ولكي تتعرف الثقافة العربية المعاصرة على نفسها من خلال الحركة ، وعن طريق انعكاس حركتها على الآخرين •

ومن وراء هذا الكشف البسيط والعسير معا ، كانت تقف فئة قليلة من الرجال ، على رأسهم : الاستاذ طاهر قيقة ، الذى عهد اليه بادارة المركز، فعسكر فيه ، كما يعسكر القائد في أرض المعركة ، وعينوه من بعد وكيلا لوزارة الثقافة ، فلم يترك ميدانه أبدا ، ولم ير في المنصب الجديد الا وسيلة لتسهيل حركة المركز الثقافي الدولي بقرية الحمامات •

★ ★ ★

منذ عشر سنوات اذن وطئت قدماى معاني ضيعة الثقافة هذه • كان معي كرم مطاوع ، وكنا قد عينا من قبل ادارة مركز الحمامات عضوين في لجنة التحكيم التي يناط بها النظر في عروض مهرجان مسرح المغرب العربي الكبير •

أسير في طرقات الضيعة ، ويسير معي كرم مطاوع •• في الخيال طبعا •• اسمعوا : أنا أومن بأن الغائب حاضر دائما • انه يترك وراءه اشعاعا يلتقطه أصحابه ، فيعيون به معه في غيابه • وهكذا كنت أرى كرم مطاوع ، واستمع الى أحاديثنا في شرفة القصر ، حتى ساعة مبكرة من الصباح•• أحاديث حول المسرح والثقافة،وأحداث كنا نئن تحت وطأتها يومذاك فقد كنا نتحدث في ظل الهزيمة الكئيب •

في ذلك العام ، ١٩٦٨ ، تعرفت عن كثب على الفن المسرحي في المغرب الكبير • كانت تونس تعرض « هاملت » باخراج طموح ، لمخرج تونس الواعد الذى اختطفه الموت قبل الاوان : علي ابن عياد • وكانت الجزائر تقدم مسرحية مترجمة، تدور أحداثها حول مآسي التمييز العنصري• اسمها : « الكلاب » ، وكانت المغرب تعرض مسرحية موليير الباقية : « طرطوف » ، في نص ممغرب (أي محول الى المغربية) باقتدار ، قام به رجل المسرح المعروف: أحمد الطيب العلج • أما ليبيا فقد قدمت مسرحية اسمها : « حسناء قورينة » للكاتب الروماني القديم : بلاوتوس •

التحم المشرق المسرحي بالمغرب المسرحي صيف ذلك العام • كان معنا أيضا ـ عضوا في لجنة التحكيم ـ الكاتب اللبناني عصام محفوظ ، الذى كتب للمسرح اللبناني الجاد بعضا من أحسن مسرحياته ، بينها : « الزنزلخت » ، و « في انتظار مصطفى » •

وأحدث الالتحام نوعا من الصدام بين لجنة التحكيم والدول المشاركة في المهرجان • فقد رأت كل من هذه الدول أن عرضها يستحق الجائزة • ولكن اللجنة أعلنت أن الجائزة في رأيها هي من

نصيب الجزائر اخراجا ، وتمثيلا ، وتوفيقا في اختيار النص • واصرت على رأيها هذا ، رغم ما اثار من عواصف •

وقبلت الدولة الداعية ـ تونس ـ برأي اللجنة، وتبنته ، فتبنت معه مبدأ هاما هو : ان المجاملة قد تجوز في كل شيء الا في الفن • ذلك ان حبل الكذب في الفن قصير ، قصير •• !

على الطريق الصحيح

كنت قد قطعت الاشراف على طبع كتابي : « الكوميديا المرتجلة في المسرح المصري » ، لأحضر مهرجان الحمامات • وفي ذلك المهرجان كان شيء غير منظور يتحقق امامنا •• ويتخلل احاديثنا • المغرب يلتحم بالمشرق ، والمشرق يبحث عن هوية عربية للمسرح • كانت مسرحية سعد الله ونوس : « حفلة سمر من أجل ٥ حزيران » ، قد ظهرت بعد الهزيمة ، وكان كل من توفيق الحكيم في كتابه : « قالبنا المسرحي » و يوسف ادريس في مقالات ثلاث حول مسرح السامر ، قد طمحا في اوائل الستينات الى اعادة النظر في الصيغة اليونانية التي التزمها المسرح العربي المعاصر منذ قيامه في بيروت عام ١٨٤٨ • ثم ظهر كتاب : « الكوميديا المرتجلة » عام ١٩٦٨ وبعد اشهر قليلة ظهرت أول مسرحية عربية في المغرب الكبير تغترف من التراث، وهي مسرحية : « رأس الغول » ، التي تعاون في كتابتها كل من الكتاب المسرحيين الشباب : سمير العيادي ، محمود لرناووط ومحمد رجاء فرحات ، عن قصة للكاتب الشاب : عز الدين المدني، ضمنها كتابا هاما له اسمه : « خرافات » •

وضعت هذه المسرحية الفن المسرحي في تونس ـ ومن ثم في المغرب ـ على طريق كان حتى ذلك التاريخ فرعيا ـ متمثلا في محاولات الكاكي في الجزائر كتابة مسرحيات موضوعها التراث فاصبح من ذلك التاريخ فصاعدا اتجاها رئيسيا في المغرب والمشرق معا •

وازداد هذا الاتجاه رسوخا بفضل جهود الطيب الصديقي في المغرب ، متمثلة في : « ديوان سيدي عبد الرحمن المجذوب » • وظهر كتابي : « فنون الكوميديا من خيال الظل الى نجيب الريحاني » ، فلفت الانظار فيه فصل كتبته عن الامكانات الدرامية للمقامة ، وفيه رشحنا « المقامة المضيرية » ، من بين مقامات بديع الزمان ، لمن يجد من فناني المسرح العرب في نفسه القدرة على القيام بدور صعب ولكنه فاتن : دور التاجر المفتون بنفسه وماله في تلك المقامة • ولم يلبث الطيب الصديقي ان قبل التحدي ، واخرج من مقامات بديع الزمان ، عرضا مسرحيا جميلا ، كانت واسطته : « المقامة المضيرية » وقد احدث العرض دويا كبيرا في المشرق والمغرب معا ، بما قدم من متعة ، وما اثبت من قضية ـ قضية ان التراث العربي يحوي مواد هي درامية بالامكانية او بالفعل ، وانه ما على رجال المسرح العربي الا ان ينظروا نظرة الفنان الخالق الى ذلك التراث ، ليمودوا منه بكنوز الموضوعات •

وهذا بالضبط هو ما فعله عز الدين المدني في مسرحياته : « ثورة صاحب الحمار » و : « ديوان ثورة الزنج » و « رحلة الحلاج » و « مولاي السلطان الحفصي » و : « الغفران » • وفيها جميعا نظر عز الدين المدني الى التراث التاريخي والثقافي الذي تمثله هذه المسرحيات ، نظرة مثقف عربي يعيش في الربع الاخير من القرن العشرين ، ويحيا في مشاكل العالم الثالث ، ويقاسي مع الملايين من تخلف وفقر ، وتضييق • لقد أسقط المدني متاعب الثورات في العالم الثالث المعاصر على ثورة صاحب الحمار التي قامت في المغرب ، وثورة الزنج التي هبت في المشرق ، فرأى فيهما العيوب التي تعاني منها ثورات العالم الثالث دائما : تفتر الثورة بنفسها ، وسرعان ما تتحول الى دولة وحكم ، وتثور فيها المنازعات ، فتنهزم من الداخل قبل أن يهزمها اعداؤها الخارجيون •

وبهذه النظرة سعى المدني الى بث الحياة في التاريخ ، واتخذه وسيلة غير مباشرة لنقد الحاضر نقدا قويا وبناء معا •

بحثا عن هوية

قابلت عز الدين المدني كثيرا في مهرجان الحمامات • فقد كان يقوم على ادارته ، مخصصا له جل وقته • وتناقشنا طبعا في أمور المسرح

العربي، وفي النتائج التي حققتها او لم تحققها ـ حتى الان ـ عملية البحث الدائب عن هوية للمسرح العربي . كان كل منا صريحا مع الاخر ، وكنا نتحدث وغمامة واضحة تظلل حديثنا . غمامة كتب عليها خصوم الهوية العربية للمسرح : ماذا فعلتم حتى الان ؟ انما تبحثون عما هو غير موجود . فليس هناك مسرح للعرب وآخر للانجليز وثالث للروس .. الخ وانما يوجد فقط فن واحد للجميع ، هو فن المسرح .

وجعلنا نستعرض جهود الباحثين عن الهوية العربية لمسرحنا .. ونعدد انجازاتهم : بفضل تغيير النظرة الى الصيغة المسرحية والمادة التي تحتويها هذه الصيغة ، اصبح هناك تيار قوي ، متعاظم القوة بين فناني المسرح العرب ، يحتج على الصيغة اليونانية للمسرح ، ويحاول بدرجات متفاوتة من النجاح ان يحل محلها الصيغ العربية المتوازنة .

وهذه الصيغ هي ، بحكم نشأتها والظروف المحيطة بها ، صيغ شعبية، ذلك ان الادب الرسمي للعرب لم يشجع قيام المسرح ، فاندفع تيار الابداع العربي الى قنوات شعبية ، عرفها الشعب واحتضنها ، ومدها بالتأييد القوي عبر القرون .

وقبل البحث عن الهوية العربية للمسرح ، كانت هذه الاشكال الشعبية المسرحية العربية موضع احتقار او استخفاف يتردد بين الكبت والعلن . وكانت مهمة كل المثقفين المسرحيين ان يديروا ظهورهم لهذه الاشكال الشعبية ، معلنين انهم يضمنون فلهم المسرحي المرتقب موضع التضاد والمعاداة للصيغ الموروثة .

وقد وصلت الحركات المسرحية التي قادها انصار المسرح المحترم ، الراقي ، المجتلب من اوروبا ، في كل من مصر ، والعراق وتونس الى طريق مسدود بعد وقت غير طويل . ولم تفلح مسرحيات كثيرة كتبها المسرحيون العرب على النمط الاغريقي في ردم الهوة التي تقوم حتى الان بين فن المسرح وبين الجماهير ، التي لا تزال تعتبر الصيغة المسرحية الغربية جسما غريبا ، يلفظه وجدانها الفني والمسرحي في كل فرصة .

وآية ذلك ما حدث في مهرجان الحمامات هذا العام : ١٩٧٨ . لقد نجحت كل العروض التي قامت على التراث مثل : « عاشق المداحين » . المصرية بينما قل الاقبال بشكل ظاهر على « روائع الفن المسرحي العالمي » مثل « انتيجون » جان انوي (المسرح القومي المصري) و « اسطورة جلجاميش » . المسرح القومي العراقي .

فالجماهير اذن تساند بوضوح حركة احياء التراث العربي ، وتحديثه ، والنظر من خلاله في أمر اقامة مسرح عربي الهوية بالفعل : صيغة وموضوعا . وما هذا بالكسب القليل ، مهما حاولنا التواضع . ولكنه ـ بالقطع ، ليس كل ما يمكن كسبه في هذا الميدان .

فلقد حدثني المدني عن مشروع له طريف ، ومفيد وجليل يرمي الى البحث في المنمنمات العربية ، عن طريقة خاصة بالعرب في رسم المناظر وتصوير الحركة . وقد حاول فنان الجزائر محمد راسم دراسة فن رسم الحركة في المنمنمات القديمة ، كما تعاون كل من الطيب الصديقي (المغرب) وعز الدين المدني (تونس) للعمل في هذا السبيل . ثم ناقش المدني مع المخرج المسرحي المصري سمير العصفوري مشروعا محددا يقيم المدني بمقتضاه في القاهرة ليدرس مع العصفوري المنمنمات العربية كمصدر للحركة والملابس معا ، وعلى ضوء ما تسفر عنه هذه الدراسة ، قد يمكن العثور على طريقة مميزة لتصوير الحركة واعداد الملابس ، تعطي الشكل الخارجي للصيغة العربية للمسرح ، وهي الصيغة التي نجهد من سنوات في البحث عنها .

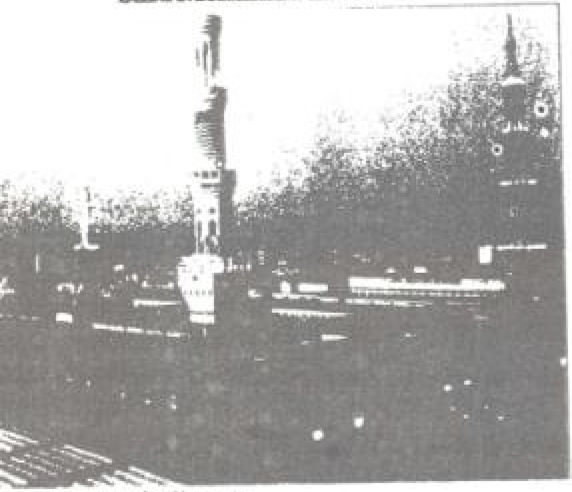
وواضح ان مشروعا كهذا يقتضي تخصيص مبلغ محدد من المال ، يغطي نفقات الاقامة والدراسة . وهو لن يكون مبلغا كبيرا . لن يزيد على تكاليف اخراج مسرحية من المسرحيات المتوسطة . وفي مقابل هذا فان البحث سوف يعطي الجهود المبذولة لتعريب المسرح في الوطن العربي دفعة قوية .

ترى هل تستجيب هيئة ثقافية ما ، في طول الوطن العربي وعرضه ، لرجاء اتقدم به اليها عبر سقف العرب الدائم : « مجلة العربي » ، للنظر في هذا المشروع نظرة واعية ؟ ■■

د . علي الراعي .

Arkan Il Islam

Said Mohamad El-Khatib



المسجد الرسول بالمدينة المنورة

Pilares do Islamismo

نحن فى البرازيل

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

الاسلام كان فى البرازيل قرونا . والمساجد كانت هناك . ومحاولات اثبات الوجود الاسلامي بالقوة كانت . آخر ثورة اسلامية قامت فى « باهيا » سنة ١٨٣٥ ثم سحقت . سحقت حتى العظم .

● مرة اخرى اعود الى البرازيل .

فما حدثتك بعد عن المسلم هناك ، عن العربى المغترب ، عن دمائنا السارية في عروق البرازيل. وما اعادني الى الحديث عنها سوى اخ لـي هناك (*) بادرني منذ ايام برسالة راكضة مفاجئة ... راكضة لانه اودعها البريد فى كوريتيبا فاذا بها بعد خمسة ايام فقط على مكتبي ، مع كتبها المرافقة والمجلات . ومفاجئة لانها وصلت عهدا من الود انقطع منذ سنوات وكان له فضل السبق فى معاودته ...

وفتحت الرسالة والمطبوعات وكأني افتح معها صندوق الذكريات السحري القديم . عصائب

* هو الصديق الاستاذ سعيد محمد الخطيب من ابرز المغتربين ، وصل للبرازيل من الشام ١٩٢٩ وله مطابع ودار نشر (غرافيا) فى كوريتيبا (قرطبة بالبرازيلية) .

كالفراش الملون من الافكار تناثرت عند عيوني . ونشوة حرى اين منها نشوة الرحيق ! كتب الي يقول في كثير من الفرح المجاهد السعيد : « ... ارسلت اليك كتاب اركان الاسلام ، وكرامة الفرد في الاسلام ، وقد اصدرتهما باللغة البرتغالية ، مع العربية ، وعددا من احدى مجلاتنا : (الانتباه) فعندنا تسع مجلات شهرية ونصف شهرية واسبوعية توزع ٥٠٠ الف نسخة على ٢٧ الف محطة بيع في البرازيل . وقد اهديت كتاب اركان الاسلام الى ٢٢ مؤسسة اسلامية في البرازيل وارسل اليك ايضا قصاصات الجرائد التي كتبت عن ذلك . وانا افتخر به . وانا واولادي نعمل في هذا السبيل وما هو الا من رضى الوالدين ... »

ونقرأ في مقدمة الكتاب : « ... تمر سنون المهجر بآلامها وآمالها فلا تزيدنا الا تمسكا بالاسلام وشعورا بالمسئولية نحوه . وقد تجسد شعوري بالمسئولية في اخراج كتاب اركان الاسلام ١٩٧٤ وانا اعيد للبرازيل المضياف اهم مما اعطانيه من مادة : اعطيه قيما وحضارة وتراثا. وقد سبق لي ان نشرت بالبرتغالية كتاب (حضارة العرب) للدكتور غوستاف لوبون سنة ١٩٦٤ فكان له صدى هائل لانه اول كتاب من نوعه بلغة البرازيل . ونشرت كتاب (فلسطين والحق الدولي) سنة ١٩٧٦ وقد لاقى الاستحسان والرواج بفضل الله ... »

ويتحدث الرجل في مقدمة الكتاب عن بناء ستة مساجد في البرازيل في الاعوام الخمسة الاخيرة (في مدن ، لوندرينا ، باربتوس ، كوريتيبا ، باراناغوا ، برازيليا) وبجانب كل مسجد مدرسة لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامي . وعن تأسيس اربع جمعيات اسلامية جديدة وعن اقامة المركز الاسلامي في بارازيليا سنة ١٩٧٥ ... وتدافعت الذكريات في جبيني . فسقطت الرسالة على يدي ، واغلق من نفسه الكتاب وصمتت المجلات ... تذكرت التاريخ البرازيلي كله موكبا موكبا . الاسلام كان هناك قرونا والمساجد كانت . ومحاولات اثبات الوجود الاسلامي بالقوة كانت . آخر ثورة اسلامية كبرى قامت في باهيا سنة ١٨٣٥ ثم سحقت . سحقت حتى العظم !

الذين يكتبون تاريخ البرازيل لا يذكرون من هذا كله حرفا . غاب في النسيان المتعمد كل ذلك . ان خلاصة ما يذكرون هو ان للبرازيل ، قبل عصر الاكتشافات تاريخا موغلا في الماضي المظلم للشعوب الامريكية الاولى ، وان لها بعد الاكتشافات تاريخ اربع مائة وخمسين سنة من اجترار الحياة العادي بصخب احيانا وبهدأ احيانا ولكنه يدور بين قطبي التاج والكنيسة . يقولون انها قضت .... انها قضت ترنين « نيابة ملك » تتبع التاج البرتغالي في لشبونة ؟ وان ملك البرتغال (بدرو) الاول الذي طرد من بلاده سنة ١٨٠٩ لجأ اليها فسكنها حتى سنة ١٨٢٠ ، وان ابنه بعد اعلان استقلالها سنة ١٨٢٢ صار امبراطورها الدستوري ، وان الجمهورية اعلنت فيها بعد ذلك سنة ١٨٨١ وانها تعاني مثلها في ذلك مثل كل دول امريكا اللاتينية من الانقلابات العسكرية ومن الانقلابات المضادة منذ اكثر من ثلاثين سنة ... وانها منذ عشر سنوات نقلت عاصمتها من ريودي جانيرو الساحلية الى برازيليا اعجوبة الخط الهندسي الحديث ، في الداخل ، لكي تدخل الحضارة اعمق فاعمق في قلب القارة ولكنها لم تستطع الافلات من قبضة الجنرالات ؟ ....

هذه هي خلاصة كل التاريخ البرازيلي المكتوب . اما تاريخ اهلي واهلك هناك فلم يكتب ابدا : لا قديمه الذي انتهى سنة ١٨٨٣ ولا حدثه الذي بدأ منذ اكثر من مائة سنة ...

الدماء العربية

هل نذير الحديث ، عن اهلي واهلك : عن الدماء العربية التي صبت ، منذ اكثر من قرن ، في الخليطة المرقية البرازيلية التي ما زالت في طور التكون وفيها الف لون ولون مميز ؟ سيل الاغتراب العربي الحديث الى البرازيل بدأ بقطرات اول ما بدأ ... في سنة ١٨٧١ دخل البرازيل مغتربان عربيان اثنان فقط وقيل انهما من بيت لحم . هذان كانا النواة الاولى للجماعة العربية التي تعد الآن مع الاولاد والاحفاد واولاد الاحفاد قرابة المليونين ... الواحد صار مليونا في قرن ، ومما يجهله الكثيرون ان الدفقات الاولى من المهاجرين لم تعمل في التجارة ولكن في جمع المطاط ... ولم تقم في المراكز المدنية المعروفة ولكن في قلب الدغل الوحشي . ولم تستقر على الارض ولكن زرعت افرادا على طول



PORTE PAGO

BRASIL - LIBANO

ANTIGO "Fata Lubnan"

مؤسسة الطباعة والنشر

«غرافيبار» Grafipar في كوريتيبا

هذه المؤسسة الكبرى «غرافيبار» لاصحابها السادة الافاضل سعيد الخطيب وأنجاله الصالحين فيصل وفاروق ، هي مفخرة المؤسسات الثقافية في كوريتيبا عاصمة ولاية بارانا ، ويمكننا ان نقول انها اكبر ... المؤسسات من نوعها في البرازيل ... في هذه المدة القصيرة ... سواها بنجاح من

واجهة صحيفة المغتربين العرب في البرازيل

الضفاف الموحشة الرهيبة لنهر الامازون .

الهجوم المجنون ، في نهاية القرن الماضي على المطاط جعل الشركات الامريكية تجمع هذه الايدي العاملة المشتتة وتسوقها على السفن النهرية فتزرعها على ضفاف النهر واحدا بعد واحد . في كل عشرين كيلو مترا بائس يترك وحده مع بعض النسيج والخرز والامشاط لينتظر ما قد يطل عليه من الهنود (الكابوكلو) ومعهم ما جمعوا من سائل المطاط .. الذين جنوا من الرعب ، او ضاعوا في الغاب المفترس ، او غادرهم الهندي جمجمة متقلصة الشفاه او لدغتهم الافاعي او حشرات الغاب ، هؤلاء ما دخلوا في حساب احد ولا عرف عنهم احد شيئا ... الاخرون الذين بقوا في بعض المدن ، تجمع الكثير منهم ، ثم تجمعوا في سان باولو على الاخص ، وفي الريو ، وفي (رسيفه) باقصى الشمال وفي (بلواوريزونته) وكوريتيبا (قرطبة) ليعملوا « بالكشة » باعة متجولين (ماسكاته) ... الجميع كانوا يتحولون باعة متجولين . الفلاح الذي لم يعرف سوى المحراث معلم المدرسة والنجار والمكاري واجير البيك والصياد والخياط والبيطار كلهم هناك باعة متجولون . كلهم اكلت سيور الكشة الثقيلة من اكتافهم واليدين نحتا وتشويها ودمامل باقية ....

لم تكن سلال الذهب هي التي وجدوها على الدروب البعيدة وفي الغابات ولكن كان الموت والجوع والاتربة والوحول وذوب الاعصاب والاهانة والقوى افترسها الانهاك ... والناس يذكرون قصص المغتربين الناجحين ... أترى هناك من يذكر أن مقابل كل ناجح كان هناك ألف فاشل وفاشل .... ممن سحقتهم النعال وحياة التسكع والقمل والسل ، وانطفأت عيونهم على .... لا شيء !! « المعجزة » المهجرية العربية هنا جذورها الواقعية : في الوحل والعرق والدموع الخرساء ....

كم قاسيت ؟ وكم جعت ؟

ومن « الكشة » الى الدكان ، الى المتجر والمصنع ، الى الشركات ثم المؤسسات الكبرى والبنوك والمعامل ودنيا الاعمال والنوادي الفخمة والقصور وحياة السياسة والمال والفكر ، لم يكن الانتقال نزهة رخية ولا مشي الهوينى ، ولكن طريقا مزروع الجنبات بالشوك والفواجع واشلاء الفاشلين . كان ملحمة كبرى من الملاحم تحتاج الى هوميروس آخر يكتبها ويغنيها فصولا فصولا . الشاعر الياس فرحات يرحمه الله غامت عيناه وهو يقول لي : كم رأيت ؟ كم قاسيت ؟ كم جعت ؟

كم طويت القفار مشيا وحملي
فوق ظهري يكاد يقصم ظهري
كم قرعت الابواب غير مبال
بكلال وقر فصل وحر
كم توغلت في البراري وقلبي
سابح مثل زورق فوق نهر
كم تعرضت للعواصف حتى
خلت أن الثلوج في المقفر قبري

كم ولجت الغابات والليل داج
ووميض البروق شمعي وقمري
كم توسدت صخرة ودرعي
تحت رأسي وخنجري فوق صدري :

حتى لو اتيح لنا المبيت ... فاين نبيت؟ انا :

نبيت بأكواخ خلت من اناسها
وقام عليها البوم يبكي ويندب
مفككة جدرانها وسقوفها
يطل علينا النجم منها ويغرب !
عليها نقوش لم تخطط بريشة
تظن صباغا لونها وهي .. طحلب !
يغني لنا فيها الهواء كأنه
ينومنا ، والبرد للنوم مذهب
فنمسي وفي أجفاننا الشوق للكرى
ونضحي وجمر السهد فيهن يلهب !

فاذا حدثوك اليوم ان المغتربين العرب هناك قوة مرموقة المكانة فلا تنس انهم دفعوا ثمن ذلك قرنا من الجهاد الاكبر الممزق ، مشوا به من الكشة المتسكعة الى شارع (٢٥ مارسو) الى قمة المجتمع البرازيلي . فيهم الحمصي وابن دير القمر وابن بيت لحم والناصرة وصافيتا ومرمريتا ومرجعيون وجبل عامل وجبل العلويين وابناء يبرود والنبك وراشيا وحلب واربد والشوف وطرطوس وجبيل وبعلبك والبترون ... كل الشام هناك . ولقد تعرف معنى هذه المسيرة ــ الملحمة ان عرفت انهم مشوها ولا دولة من ورائهم تدعم الخطى او تحمي المصالح بينما كانت تعوي بالعكس وراءهم كلمة (توركو) كالكلاب النابحة :

انت (توركو) ولو وطئت الثريا
وجعلت السما ببابك حاجب !

نواب عرب في المجلس الاتحادي

ومع ذلك فقد كان منهم في البرازيل ذات مرة وفي وقت واحد سبعون نائبا في المجلس الاتحادي (من اصل ٥٠٠) وكان منهم الوزراء وفيهم الوف المهندسين والاطباء والمحامين وعشرات الالوف من رجال الاعمال واصحاب الشركات والمعامل والمصارف . نواديهم في الريو وسان باولو هي النوادي الاولى في البلاد . مستشفياتهم الخيرية هي المستشفيات الرائدة . ولهم الكاتدرائيات والكنائس الباذخة والجامع المعمور (في سان باولو وكوريتيبا) والصحف باللغتين العربية والبرتغالية . وفيهم الصحفيون باللغتين والقصاصون باللغتين ، والشعراء أيضا باللغتين. ان رجال الفكر والقلم من ابناء الاغتراب ظل ممدود هناك . ولست اقصد الشاعر القروي (رشيد سليم الخوري) والياس فرحات وشفيق المعلوف يرحمهما الله ما كانا ابر واتقى . انهم منا هؤلاء . ما هاجروا الا بالجسد لقد بقوا معنا روحا وفكرا . ولكني اقصد الاخرين الذين اغتربوا بالحرف والفكر انهم الكوكبة الواسعة المجهولة . من رجالها داڤيد نصر زعيم المقالة الصحفية في البرازيل ، وسلمون جورج السياسي الشاعر ، وسيسيليو كارنيرو (سيسيل غنمة) الروائي الطبيب ، ونعيم أبو سمرة القصصي الشاعر ، وجورج مدور صاحب القصص الرائع ... و ... و ...

من ذا اذكر ومن ذا ادع ؟ يوم افتضح حاكم (الريو) القوي « لاسيردا » سنة ١٩٦٠ بانه **ينظف عاصمة البرازيل من الشحاذين باغراقهم في البحر كان اقوى صوت وقف يندد به ويجبرونه وجرائمه هو صوت الشاعر والاستاذ الجامعي جميل منصور الحداد . لقد كتب ديوان شعر كامل بالبرتغالية عنوانه الحاكم والشحاذون قال فيه مما قال :**

ايتها الاجساد التي أغرقت بين الدرجات والزبد
لكي لا يغرق فقط أملنا
يجب ان يبقى دوما نور وظلام . يزدن واهرمن
يا حاكم الغثيان والكهوف الاولى
قايين ! قايين ! ماذا فعلت ؟

له الله صديقي صاحب الرسالة القادمة من البرازيل مع الكتب والمجلات ... هل تراه كان يعلم اى شلال من الذكريات اثار في خاطرى بكلماته ؟ وهل تراه كان يعلم أني منذ غبت عن البرازيل لم تغب البرازيل عني ؟ ولقد طالما تذكرت ، وحننت ،

وتلفتت عيني . . . ومذ خفيت
عني الطلول ، تلفت القلب !

■■

الكويت ـ **د . شاكر مصطفى**

• حل مسابقة العدد ٢٣٨ •



موسى بن نصير

•

نصر الدين خوجة

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : موسى بن نصير • غزا افريقيا الشمالية فى خلافة عبد الملك بن مروان ، والوليد بن عبدالملك • واوفد طارق بن زياد لغزو شواطىء أوروبا ، ثم لحقه متوغلا فى اسبانيا فاخضعها •

(٧) رأسيا : نصر الدين خوجة • صاحب النوادر عند الاتراك ، وهو أشبه بجحا عند العرب ، ويرجح أن الشخصين لهما اصل واحد • وقد اختلف المؤرخون فى تحديد العهد الذى عاش فيه •

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : أنورى عبد الرحمن عبد القادر/التواهى ـ عدن ـ اليمن الديمقراطية الشعبية
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : صادق عبد على/المنامة ـ دولة البحرين •
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : سيون خورى/لندن ـ انجلترا •

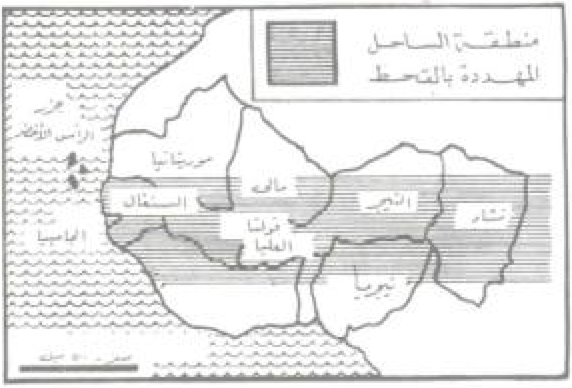
٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ رضاب عبد الستار ابراهيم امين/الكاظمية ـ العراق •
٢ ـ ناصر رمال/بيروت ـ لبنان
٣ ـ فاطمة محمد عبد الله خليفة/دبى ـ الامارات
٤ ـ احمد صالح الموعد/دمشق ـ سوريا
٥ ـ ميرفت بدر السيد على/الرياض ـ السعودية
٦ ـ محمد شاكر احمد/مادبا ـ الاردن
٧ ـ سهيل عبد العزيز الفريح/الدسمة ـ الكويت
٨ ـ عبد الرحمن محمد يحيى الصغيانى/صنعاء ـ اليمن الشمالية

اعداد : يوسف زعبلاوى

انقذوا الساحل

قبل فوات الاوان



● كارثة القحط التى منيت بها دول الساحل فى افريقيا سنة ١٩٧٣/٧٤ كانت ماساة رهيبة ولا ريب ٠٠ فقد ذهب ضحيتها ١٠٠ر٠٠٠ نسمة من البشر و ٦ ملايين راس من الماشية ٠

وتهدد المنطقة حاليا كارثة قد تكون اشد هؤلاء منسابقتها ٠٠ وقد بدات الماشية تنفق بالجملة فى المناطق الاكثر جفافا وهى :

جزر الرأس الاخضر ، الشاد مالى ، وجمبيا ٠

فما لمتبادر الهيئات الدولية الى النجدة وتقديم المساعدات فورا وبدون تاخير ٠٠ فان الفرصة السانحةحاليا ستفوتها ويتعذر عليها انقاذ ما يمكن انقاذه ٠٠ وعندئذ تستفحل النكبة وتتخذ ابعادا لم يسبق لها مثيل ٠

وتبلغ المساعدات الضرورية ٦٠٠ر٠٠٠ طن من الاطعمة ، وذلك بتقدير الهيئات الدولية نفسها٠٠ على أن هذه الكميات لا تكفى الا لما تبقى من السنة الحالية (سبتمبر ـ ديسمبر)٠

وقد كان المفروض ان تكون اكثر تلك المؤن او كلها قد وصلت المنطقة وتم توزيعها قبلنهاية فصل الصيف الماضى٠ ولعل التاخر لم يكن نتيجة اهمال او سوء ادارة بقدر ما كان نتيجة خلل فنى فى اجهزة الانذار المبكر الموجودة فى المنطقة ٠

أشجار البترول الخضـراء مصدر بديل للطاقة

● احتمالات استخراج البترول من الشجر احتمالات خطيرة ولا ريب ٠ فهى تعنى مصدرا للطاقة لا ينضب له معين ٠٠٠ بخلاف مخزون البترول فى باطن الارض ٠٠ فهذا محدود ولا مفر من انيجف فى مستقبل قريب او بعيد ٠٠ هذا وشجر البترول ليس جديدا على اوساط الغرب العلمية ٠٠ وقد تعرضت له مجلة Science ، فى تقرير مفصل نشرته فى أواخر سنة ١٩٧٦ ٠وقد تضمن ذلك التقرير الذى كتبه البروفسور ملفن كلفن Melvin Calv'n ، احد علماءجامعةكاليفورنيا فيبركلى واحد الفائزين بجائزة نوبل٠٠ تضمن خلاصة التجارب العلمية العملية التى اجراها الكاتب على شجرة البترول ،وفى مزرعته الخاصة ،والتى



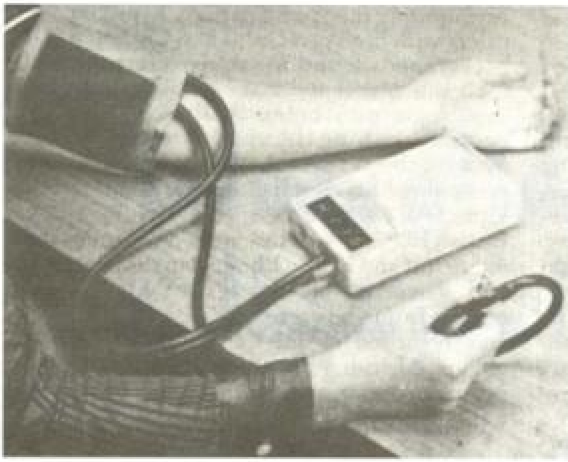
استغرقت بضع سنوات .

اما شجرة البترول هذه فاسمها Luphorbia وتنتمي الى اسرة شجرة المطاط هفيا Hevea الا انها اقرب الى الاعشاب منها الى الشجر . وتضم الاسرة عدة فصائل اهمها اثنتان : فصيلة اللاثيروس Euphorbia Lathyrus وفصيلة تيروكلي Euphorbia Tirucalli وكلتاهما من الاعشاب . الا ان العشبة الاخيرة اكبر قليلا من الاولى .. وتنمو العشبة الاولى على الطبيعة في شمال كاليفورنيا .. وتزرع الثانية في صحاري البرازيل ، وذلك كسياج ولاغراض التسوير . فالعشبتان اذن تنموان في اقاليم قاحلة جافة . وتلك هي ميزتهما الاولى .. اما ميزتهما الثانية فهي فيما تفرزان من بترول نقي خال من الكبريت .

على ان هذه المزايا لاتجدي فتيلا مالم يكن في الامكان ضمان المحصول بكميات تجارية وتكاليف معقولة .. فهذه هي الاعتبارات الحاسمة التي ستقرر في النهاية مصير اعشاب البترول وزراعته . وهي الاعتبارات التي اولاها البروفسور كلفن اهتمامه .

ودلت التجارب التي اجراها عالم كاليفورنيا على ان محصول البترول المزروع يتراوح بين ١٠ ـ ٥٠ برميلا من الفدان الواحد في السنة الواحدة .. وان نفقات استخراجه تبلغ بالمتوسط ١٠ ـ ١٥ دولارا للبرميل الواحد .. على ان يجرى استخراج البترول بعصر اعشابه ، على نحو ما يعصر قصب السكر .. لا استدرارا . على نحو ما يستخرج المطاط من جذوع شجرة .. وما اسرع ماتنمو الاعشاب المقطوعة ثانية .. بحيث لاتحتاج مزارع البترول الى اعادة زراعة او تجديد سوى مرة في كل عشرين سنة .

بقي ان نذكر ان مساحة مزارع البترول التي تستطيع ان تفي باحتياجات الولايات المتحدة كلها .. فتغنيها عن البترول المعدني وعن كافة مصادر الطاقة الاخرى .. هذه المساحة تبلغ ١١٣٫٥٦٣ ميلا مربعا اي مايعادل مساحة ولاية ارزونا بكاملها ، وذلك وفق حسابات البروفسور كلفن .



جهاز الكتروني لقياس ضغط الدم

نجحت احدى الشركات اليابانية في صنع جهاز الكتروني لقياس ضغط الدم .. والجهاز بسيط الاداء ، وبسيط الاستعمال ، بحيث يسهل على اي كان قياس ضغط دمه بنفسه .. وقراءة الارقام الحمراء الواضحة التي يعلنها الجهاز .. ذلك أن الجهاز يعمل أوتوماتيكيا .. فهو يكتشف مستوى الضغط تلقائيا ، ويطبق عليه ، ثم يعلنه بالارقام مصحوبة باحد الحرفين (L) او (H) وهما يرمزان لحدي الضغط الاعلى والادنى .. وهكذا يتسنى للمرء أن يقيس ضغط دمه في أي وقت يشاء بواسطة هذا الجهاز ، لا قياسا أوتوماتيكيا فحسب ، ولكن قياسا مضبوطا ودقيقا ايضا . ■■

الناس والفصحى في الحديث اليومي

بقلم : الدكتور احمد صدقي الدجاني

هل حاولت ان تتحدث بالعربية الفصحى في حياتك ومعاملاتك اليومية ؟
هذه تجربة استاذ جامعي نجح في المحاولة ، ومارس الفصحى على مدى عشرين عاما ، وهي تستحق التسجيل .. والقراءة .

● لم انشأ في بيت يحرص على الحديث بالفصحى . فقد كانت لغة المخاطبة اليومية بين افراد أسرتي هي « لهجة » أهالي يافا ، أو لاقل على التحديد لهجة المثقفين من اهالي يافا . لاني ما زلت اذكر كيف لاحظت ونحن اطفال نمرح على الشاطىء اختلاف لهجتنا عن لهجة « البحارة » ولد لي ولاخوي واقراننا ان نقلد تلك اللهجة .

ولا اذكر ان اساتذتي في المرحلة الابتدائية بيافا حرصوا على ان نتمسك تلاميذهم بالفصحى في الحديث اليومي ، وان كان بعضهم قد حبب الي اللغة العربية بنطقه الجميل لها .

ولم يطرأ تغير يذكر على صعيدي البيت او المدرسة في الموقف من الفصحى حين فرضت علينا « النكبة » عام ١٩٤٨ النزوح عن فلسطين الى لبنان فسوريا . كنت آنذاك في الثانية عشرة من عمري وقد استقر بي المقام في ثانوية البنين باللاذقية . والتغير الذي طرأ هو ان اللهجة التي بت اسمعها في المدرسة او في الحي اصبحت لهجة اهل اللاذقية وهي مختلفة الى حد ما عن لهجة اهل يافا . ومازلت اذكر كيف انتبه الصبي – الذي هو انا – لهذا الاختلاف ولاحظ ما ينشأ عنه من مفارقات طريفة . ومن الامثلة التي تخطر على بالي الان كلمة «الستة» التي تشيع بين اهالي وسط فلسطين وجنوبها وكلمة « استه » التي تشيع في سوريا ولبنان وشمالي فلسطين ولكل منهما مدلول مختلف(١) . وقد كنا نقول فلان خزى فلانا او كسفه فاذا بنا نسمع كلمه بخعه وبرجه . وكان هذا الانتباه بداية اهتمام بمعاني الالفاظ ونشأتها وتطورها شدني فيما بعد الى دراسة فقه اللغة وفلسفتها .

ويمكن ان نذكر ايضا ان الصبي بعد ان نال شهادة الدراسة المتوسطة بدأ يعاون اخاه الاكبر في اعطاء دروس خصوصية في الرياضيات . وكان اخوه قد عمل مدرسا وهو في السادسة عشرة من عمره ليسهم في اعالة اسرته . وقد شعر الصبي باهمية اتقان التعبير عن نفسه وهو يلقي هذه الدروس .

---

(١) لسه بمعنى لم يحن ، واسه بمعنى الآن

المدرس الصغير

التغير الجذري الذي طرأ على حياة الصبي وقع حين نال شهادة الدراسة الثانوية وهو في الخامسة عشرة من عمره ، اذ فرضت ظروف اسرته العادية عليه ان يعمل مدرسا ليتيح لاخيه الاكبر ان يتابع دراسته الجامعية بعد ان ادى واجبه في الانفاق على الاسرة ثلاث سنوات . ولما كان عمر الصبي دون السن التي تشترطها تعيينه في « الحكومة » ، فقد اتجه الى العمل في مدرسة خاصة « اعدادية » افتتحت حديثا في ناحيته ذاتية . وهكذا تعاقد على تدريس الرياضيات والعلوم في ثانوية « الشريف الرضي » بالقرداحة من اعمال قضاء جبلة بجبل العلويين .

اقبل المدرس الصغير على عمله الجديد . وما زلت اذكر كيف استشعر اهمية اتقان التعبير عن نفسه . ووجد نفسه امام سؤال برز امامه ولا بد له من اجابة . السؤال هو بأية لهجة يلقي دروسه ويتعامل مع طلابه ؟ كان لا يزال يتحدث في بيته باللهجة اليافية ، كان قد بدأ يتقن الحديث بلهجة اهل مدينة اللاذقية ، وها هو يدرس طلابا يتحدثون بلهجة ثالثة . وما اسرع ما تعود على سماع اللهجة الجديدة ، ولكنه لم يحسن التحدث بها . ولاحظ ان لهجته غريبة على اسماع طلابه ، كما ان محاولته التحدث بلهجتهم غريبة على سمعه هو . وهكذا لخص الموقف بينه وبين نفسه « ان القيت دروسي بلهجتي فتحت مجالا لتعليقاتهم وربما ضحكوا على بعض تعبيراتي ، وان القيتها بلهجتهم قد يضحكون لعدم اتقاني ويقينا ساضحك على نفسي . وجاءت اجابته على السؤال تلقائية بان انعطف الى الحديث باللغة الفصحى .. لغة القرآن والادب والكتب .

بدا لسان صاحبنا ينطلق بالفصحى في تلك السنة الدراسية ، خاصة بعد ان تطوع لتدريس مادة الدين حين لم يجد مدير المدرسة مدرسا يتحمس لتدريسها . فقد حرص على ان يحضر المادة تحضيرا جيدا ويحفظ الآيات القرآنية المقررة . وخاض بتدريسه هذه المادة تجربة غنية افاد منها الكثير على صعيد التعامل مع اختلاف المذاهب .

تأكدت لدى المدرس الصغير اهمية الالتزام بالفصحى اثناء قيامه بعمله كمعلم حين انتقل في العام التالي الى العمل بثانوية اريحا الاهلية ببلدة اريحا بين حلب واللاذقية . فقد وجد نفسه امام لهجة جديدة عليه ، ولا حاجة به الى خوض تجربة الحديث بها ما دام قد انس الى الحديث باللغة الفصحى

الرحلة الى دمشق

انتقل صاحبنا للاقامة في دمشق بغية الجمع بين العمل ومتابعة دراسته الجامعية . وذلك بعد ان استقر رأيه على دخول كلية الاداب والتخصص في دراسة التاريخ بعد ان تعذر عليه دخول كلية العلوم او كلية الهندسة لانهما تتطلبان التفرغ الكامل . وعمل مدرسا في ثانوية حيفا للبنات وثانوية فلسطين للبنين وهما من مدارس وكالة الغوث التي يتلقى العلم فيها ابناء فلسطين .

كانت عادة التحدث بالفصحى قد تمكنت منه . وقد تابع تدريسه للرياضيات ثم لمادة الديانة ووجد ان الفصحى تسعفه في استخدام التعبيرات بدقة . وانا اذكر كيف تطوع لتدريس مادة الديانة حين علم من مديرة المدرسة بان مدرسة اللغة العربية طلبت من طالبات السنة الاولى الاعدادية ان يقفزن عن الفصول الاولى من الكتاب المقرر التي تبحث في الطهارة « ويدبسنها » — اي يغلقن صفحاتها بالدبابيس — لانها تتحدث عن البلوغ والمسائل المتعلقة بالجنس وذهب صاحبنا يومها بعد ان اتفق مع زميلته الى المفتش وعرض عليه استعداده ، فكان ان عهد اليه بتدريس الدين . وقد اقبل على شرح الكتاب المقرر من اوله ، ولاحظ ان استخدامه الفصحى في الشرح مكنه من تناول اي موضوع بجدية ووضوح ، والمهم دوما تجاوب طالباته وطلابه معه وانجذابهم الى درسه .

وانا اذكر كيف استفسرت احدى الطالبات عن معنى آية الصوم « احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم .. » ربما بقصد احتياره واحراجه ، وربما عن حسن نية . فرد عليها بشرح لاسباب نزول الاية ولمعاني مفرداتها ومعناها الاجمالي ، والصف بمجموعه مشدود اليه . وقد اتاح له تدريس مادة الديانة فرصة توجيه طلابه والقيام بتجربة غنية في مجال تربية الشباب

وتعريفه بحقائق الحياة وتثقيفه جنسيا ولا مجال هنا لشرحها وانما اشير الى دور اللغة الفصحى في انجاحها . ويبدو انها خلفت اثرا ملموسا بين التلاميذ . وقد اخذت فكرة عن هذا الاثر حين التقيت اثناء حضوري اجتماعا في ابو ظبي باديب شاب لامع في مجال الاذاعة مع اخرين في حفل رسمي ، فاذا به يتحدث للحاضرين كيف شده الى عشق اللغة العربية والتحول الى الادب مدرسه الشاب الذي كان يدرس الدين في مدرسة فلسطين الثانوية بدمشق ، ولا يتحدث الا باللغة الفصحى . وقد جذبته الفصحى فداوم وهو النصراني على حضور دروس الدين الاسلامي واتصل منذ ذلك الحين بالادب .

كان في الثانية والعشرين حين انهى دراسته الجامعية وحصل على اجازة في الاداب « قسم التاريخ » . وقد اتجه الى الانضمام لوالديه في طرابلس الغرب فعمل هناك مدرسا للتاريخ في معهد للمعلمين . ولم يلتفت كثيرا الى تغير اللهجة عليه لان الفصحى كانت قد تمكنت منه فاصبحت وسيلته في التعبير ، اللهم الا من زاوية اهتمام نما عنده يدفعه الى التامل في هذه اللهجات والبحث عن اصل الالفاظ وكيفية تطورها . وقد خرج من هذا التامل وهذا البحث بنتائج تستحق حديثا خاصا . وتابع صاحبنا خلال تلك الفترة اقباله على القراءة ، وتمكنت منه عادة كتابة خواطره من وحي ما يعيشه في يومه حتى التزم بالكتابة الصحفية والتاليف . كما تابع بهمة العمل العام وانتظمت محاضراته في السياسة والادب والفكر . واقترنت صورته بالفصحى فلم يعد الناس يذكرونه الا بها ولم يعد هو يانس الا لها .

ايجابية واعدة

كيف يستقبل الناس على اختلاف فئاتهم ومستوياتهم ومشاربهم الحديث بالفصحى ؟

ما هي ردود افعالهم عليه ؟ والى اى مدى ينسجمون معه ؟

اجابتي هي من واقع تجربتي التي تمتد على مدى ربع قرن . واذا اردت ان اصف التجربة بكلمة او كلمتين اقول انها « ايجابية واعدة » . ايجابية لان استقبال الناس لها ـ على اختلافهم ـ يشير في الغالب الى انسجامهم معها . وواعدة لان تجاوب الناس معها سريع .

الملاحظة الاولى التي الاحظها حين اتحدث بالفصحى مع اناس اقابلهم للمرة الاولى في السوق او في الشارع متناولا امور الحياة اليومية هي انهم يصابون للوهلة الاولى بالدهشة والاستغراب . ولكنهم ما اسرع ما يالفون « النغمة » .

ملاحظتي الثانية هي ان ردود فعلهم في الغالب ـ تكون باجابتي « بالفصحى » فان كانوا من العامة الذين تلقوا قدرا بسيطا من العلم استخدموا « الفصحى المدرسية » وان كانوا من المثقفين انطلقوا في حوار فصيح يعطى الحديث طابعا رفيعا . وحين يجرى الحديث مع اميين ياتي الرد بالعامية مع اظهار فهمهم لما قلت وظهور ما ينبيء بسرورهم لسماع اللغة الفصحى . ولا يخلو الامر من قلة نادرة تاخذ الامر كله ماخذ الهزل متاثرة بالصورة المشوهة التي تقدمها بعض التمثيليات الاذاعية والتلفزيونية والافلام السينمائية للحديث بالفصحى . ولكن ما اسرع ما يتحول الامر الى الجد حين اتابع حديثي بتلقائية غير ملتفت الى نغمة السخرية وكاني لم انتبه لها او اشعر بها .

لقد استخدمت تعبير « الفصحى المدرسية » لاميزها عن الفصحى . لاني الاحظ من تعليق الناس على حديثي واحاديث اخرين يلتزمون بالفصحى انهم يؤكدون سمة التلقائية وخاصية السلاسة في هذه الاحاديث . ويشيرون دوما الى ما يسمونه اصطناع الحديث بالفصحى . وانا اسلم بهذا التفريق ومرده فيما اعتقد ان التزام الحديث بالفصحى يكسب الحديث التلقائية والسلاسة ، بينما اسلوب تعليمها في مدارسنا والاقتصار عليها عند قراءة النصوص العربية ليس الا ، هو الذي يوحي بذلك الاصطناع .

ملاحظتي الاخيرة هي ان جل الناس بعد ان يتجاوزوا وقع مفاجاة الحديث بالفصحى وبعد ان يظهروا ردود فعلهم الاولى عليه ما اسرع ما يالفون هذا الحديث وينسجمون معه . ومن هنا فان موقف المتحدث بالفصحي وهو يصرف امور حياته اليومية هو موقف قوى اهم ما فيه انه قريب الى قلوب الاخرين ، كما انه اقدر على

التعبير الدقيق . وهذه القدرة على التعبير الدقيق لا تمنع المتحدث بالفصحى ان يشعر احيانا بحاجته الى استخدام تعبير يشيع على السنة العامة . وقد درجت في مثل هذه الحالة على استخدامه بلا تردد لاني وجدت بعد متابعة في المعاجم ان كثيرا من تعبيرات العامة هي تعبيرات فصيحة في الاصل وقد وردت في القواميس .

لغة القرآن

ولقد فكرت في سر الفة الناس للفصحى وانسجامهم معها فرجحت ان السبب يعود الى انها لغة القرآن الكريم الذى يستمعون اليه ويرددونه بخشوع . كما انها لغة القراءة الجادة سواء في الصحف او في الكتب . وهي في الوقت نفسه لغة الحديث الرفيع الذى يستمعون اليه في الاذاعة او في المحاضرات العامة او في الخطب الرسمية او في حوار الخاصة .

والان وبعد هذا الحديث الذى طال عن الفصحى وقصتي معها لا بد لي كي اوفي هذه القصة واكملها ان اقول ان تجربتي طرحت امامي منذ فترة سؤالا جذريا هو « ما هي الفصحى وما هي العامية ؟ »

الفصاحة في المعاجم البيان ، واللفظ الفصيح ما يدرك حسنه بالسمع ، وفصح الاعجمي تكلم بالعربية فجادت لغته ولم يلحن ، ورجل فصيح يحسن البيان ويميز جيد الكلام عن رديئه ، وكلام فصيح يعين صاحبه على اجادة التعبير. والفصاحة من افصح اللبن اذا ذهبت رغوته . ولقد قدر العرب منذ القديم الفصاحة وميزوا بين اللغة العالية ولغة العامة ، ويبدو ان التفريق الواضح بين لغة فصحى ولغة عامية هو امر حديث نسبيا يعود الى القرن الماضي . وقد الح هذا الامر مع ظهور اليقظة العربية في خضم الحوار حول لغة التعبير وطريقة الكتابة .

وفي محاولتي ان اجد الاجابة للسؤال الذى طرحته كنت اتتبع باهتمام لهجاتنا العامية . وكلما استوقفتني كلمة اهرع الى المعجم بحثا عنها .. وقد وجدت ان كثيرا من الكلمات المتداولة في هذه اللهجات كلمات فصيحة جاء ذكرها في المعاجم . ولاحظت ان كل لهجة اختارت كلمة بعينها فتداولتها . وفي الغالب طرأت على العديد من هذه الكلمات تغيرات بفعل الابدال والادغام . ولا اريد هنا ان استرسل في ايراد الامثلة مؤجلا ذلك لبحث ارجو ان اعكف على كتابته ، ولكن اكتفي بذكر تعبيري « نبي وبدى » وكلاهما بمعنى الارادة والرغبة . والاول يشيع في بعض اقطارنا العربية بشمال افريقيا بينما يشيع الاخر في بلاد الشام . ان أصلهما هو « نبغي » و « بودى » وكلاهما في الاصل فصيح كما نرى ، وقد تعرضا للتغيير . وتتبعت ايضا طريقة اللفظ في هذه اللهجات فقادني ذلك الى البحث عما كتب عن لهجات العرب القديمة . ووضح لي ان لهجاتنا الحالية انما هي استمرار لها . وتأكد لي انه لولا اعتمادنا نحن العرب لغة واحدة في الكتابة لتحولت هذه اللهجات الى لغات ، ولحدث للغة العربية ما حدث لغيرها من اللغات القديمة التي تفرق كل منها لعدة لغات .

ان هذه اللغة الواحدة هي لغة القرآن الكريم ، وهي قبل ذلك لهجة قريش البليغة وكانت قريش كما قال ابو نصر الفارابي « اجود العرب انتقاء للافصح من الالفاظ ، واسهلها على اللسان عند النطق واحسنها مسموعا ، وابينها ابانة عن النفس » ويبدو لي ان التجاوب الذى يلاقيه حديثنا بالفصحى موروث منذ ان برزت لهجة قريش بين العرب قبل الاسلام ومنذ ان اختار الله اللسان العربي المبين لينزل به القرآن الكريم.

ولقد استوقفني في مستهل تجربتي ما عبر به ابو الريحان البيروني عن مشاعره تجاه اللغة العربية في كتابه « الصيدنة » ديننا والدولة عربيان ، والدين والدولة توأمان ترفرف على احدهما القوة الالهية وعلى الاخر اليد السماوية .. » « والهجو بالعربية احب الى من المدح بالفارسية .. » .

ان هذه المنزلة النفسية وهذه المزية العملية للفصحى تجعل المستقبل لها . ومن المؤكد ان البون القائم بين العامية بلهجاتها وبين الفصحى يمكن ان يضيق تدريجيا مع انتشار التعليم واعتماد سياسة اعلامية ثقافية صحيحة في الاذاعة والصحافة ووسائل الاعلام الاخرى . ■■

د . احمد صدقي الدجاني

قاسم أمين :

ظالم أم مظلوم ؟



(١٨٦٣ ـ ١٩٠٨)

بقلم : محمد خليفة التونسي

« العائلة هي اساس الامة ، ولما كانت المرأة هي اساس العائلة كان تقدمها وتأخرها في المرتبة العقلية اول مؤثر في تقدم الامة وتأخرها »

● كان الشيخ الرئيس ابن سينا حكيما حين سأل الله أن يهبه حياة عريضة لا طويلة ، وقد تحقق له أمله ، اذ مات قبل بلوغه الستين ، ولكن كان نبوغه مبكرا ، فامتلأت حياته بكثير من الاعمال الكبار في عالم الطب ، وعالم الفلسفة ، كما جرب من متع الدنيا وانكادها مايكفي لملء اضعاف عمره فكأنه عاش عدة أعمار في عمر واحد ، وهكذا تكون البركة في الاعمار بعمق التجارب الحيوية وتنوعها ، ثم بآثارها في اصلاح الانسانية ، او زيادة ثروتها الادبية والحضارية .

وقد كان لنابغتنا قاسم امين وكثير من اخوانه النوابغ ـ لاسيما المبكرون في النبوغ ـ مثل هذا الحظ في الحياة ، فهو لم يعمر أكثر من خمس واربعين سنة (١٨٦٣ ـ ١٩٠٨) ولكنه نبغ مبكرا ، وكان رجل نظر كما كان رجل عمل فحفلت سنواته القليلة بكثير من الخدمات الجليلة التي افادت منها امته ، وستبقى لها فوائدها طالما وعتها كما ارادها هو ، ووضع طريقها وغاياتها في حدود الكرامة الانسانية ، لا كما ارادها الاخرون من دعاتها وادعيائها .

محور نشاطه

ولم يقتصر نشاط قاسم فكرا وعملا على مجال واحد ، بل شمل عدة مجالات ، ولكننا مهما نمض معه في انشطته خلالها حتى نبلغ اوسع مداها ـ نجدها تدور حول محور واحد ، هو « التربية » .

ومن المجالات التي اسهم قاسم في اصلاحها القضاء ، والتشريع ، ومنها الاجتماع والاقتصاد ، ومنها الادب والفن والنقد ، ومنها اعمال البر والاحسان العامة ، ولكن اسمه لم يشتهر بيننا الا مرتبطا بدعوته الى تحرير المرأة ، كما لم تشتهر هذه الدعوة الا مرتبطة به ، وان كان فضل قاسم أعظم من ان ينحصر في هذه الدعوة وحدها ، فشهرته بها وان نشرت بعض فضله ـ قد جارت على بعضه الاخر فبقى مستورا ، او مجهولا ، وهكذا كل شهرة حين تبدى من الفضل بعضه لا كله .

ونجول مع قاسم في مجتمع عصره ، بل في مجتمع عصرنا ايضا فنرى فيه كثيرا من جوانب التخلف ، ونسمع ـ الى جانب دعوة قاسم الاصلاحية ـ دعوات اصلاحية اخرى من دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية وادبية وفنية وغيرها ، وكلها تحاول علاج جوانب التخلف فينا ، فاذا تاملنا دعوة قاسم وجدنا انها لم يفتها شيء ادركته تلك الدعوات ، سواء في تشخيص امراض المجتمع او في اسبابها ، او وسائل علاجها .

كل ما ادركه اصحاب تلك الدعوات من عيوب المجتمع وتوصيفها ادركه قاسم ، وكل ما تفرق عندهم من اسبابها جمعه قاسم في سبب واحد كبير ، هو « نقص التربية » وكل ماتفرق عندهم من وسائل علاجها جمعه قاسم في وسيلة واحدة شاملة هي « التربية » وهو يتجه بها الى « المراة » لانه يلهم بشعوره الحي ، ثم يرى بنظره النافذ فيما وعاه من تجاربه ومطالعاته ، ثم يقدر بفكرة المنطقي العملي ان كل مجتمع كيان حي معقد يتالف من عدة اسرة ، فالاسرة خلية المجتمع ، والابوان قوام الاسرة ، ولاسيما الام لانها ميزان الاسرة كما قال ، فاذا حسنت تربيتها احسنت هي تربية اولادها .

فلا تربية بغير اسرة ، ولا اسرة بغير عواطف تربط بينها وتجعلها وحدة متكافلة مهما يحدث بين افرادها من اختلاف . ومن اقواله الكثيرة في تاييد ذلك «الامر الذي يلزم ان تلتفت اليه كل امة لاتغفل عن مصالحها الحقيقية هو وجود النظام في العائلات التي يتكون منها جسم الامة ، لان العائلة هي اساس الامة ، ولما كانت المراة هي اساس العائلة كان تقدمها وتاخرها في المرتبة العقلية اول مؤثر في تقدم الامة وتاخرها » (ص ١٣١ من « تحرير المراة »)

أسس التربية السوية

وللتربية السوية عند قاسم اسسها النفسية، لانها اسس عاطفية تستمد اصالتها وصلابتها وثباتها من الفطرة في كل نفس ، فالاطفال ينبغي ان ينشئوا على الولاء لدينهم ، والولاء لوطنهم، وعلى الايثار او الولاء للآخرين ، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة . وعلى هذه المبادىء الثلاثة الديني والوطني والايثاري تقوم التربية السوية . والفرق واسع بين هذه التربية وبين التعليم الذي غايته تحصيل المعلومات أيا كان حظها من الكثرة او القلة او السعة او الضيق ، دون ان تكسب صاحبها عقلا عمليا مستقلا ، مع ان العقل العملي المستقل هو انفع شيء للانسان في ممارسة حياته . وفي ذلك يقول : « .. ولكن ارى همم الناس موجهة الى التعليم ، ولا ارى احدا يلتفت الى تربية النفوس ، وارى الحرص على التعليم منحصرا في تعليم الذكور ، مع ان تهذيب الاخلاق مقدم على التعليم ، وتعليم البنات مقدم على تعليم الذكور » .

ومن هنا يبدو لنا ان دعوة قاسم التربوية ـ وكان اظهر ما فيها « تحرير المراة » ـ تلتقي مع كل الدعوات الاصلاحية في عصره وفي غير عصره ، وتصافحها في مودة ، وتبادلها العون ، ولا تصادم اي دعوة اصلاحية او تعطل نشاطها ، بل ان دعوة قاسم اشمل هذه الدعوات واقربها الى الفلاح ، ثم هي اعمقها جذورا في نفوس الافراد والجماعات، واثبتها اثرا ، فالعنصر الانساني هو مصدر كل اصلاح ، وهو وسيلته كما هو غايته ، ولاصلاح ولا اصلاح لغيره الا به ، ولا صلاح ولا اصلاح له الا بالتربية السوية التي تهيء لكل فرد ان يحقق ذاته باستكمال مواهبه الفطرية الخاصة في نشاط حر متصل ، والتالف مع سواه لخدمة نفسه ومجتمعه : كل فيما يحسنه ، مع مراعاة المصالح الجماعية دون اهدار المصالح الفردية ، الا ان يكون ذلك ايثارا عن مودة تمليه الطبيعة الخيرة في نفوس الافراد ، وعلى هذا النحو القائم على التراضي الحر يؤصل الفرد شخصيته ، ويستوفي المجتمع مصالحه ، ايا كانت حياتهم من الرخاء او الشدة . وقد لاحظنا انه يقيم التربية على مبادىء ثلاثة أولها هو الدين ، لانه لا صلاح ولا اصلاح لفرد ولا مجتمع ولا حل لمشكلاته بغير قوة روحية تربطه بالانسانية جمعاء وبالوجود كله من ورائها .

والذين وقفوا من دعوة قاسم مؤيدين او معارضين ، وهم يظنونها دعوة الى سفور المراة عن وجهها وكفيها وقدميها بدلا من حجابها ، او دعوة الى خروجها من منزلها بدلا من حبسها فيه، او دعوة الى مجرد تعليمها كثيرا او قليلا من المعارف ـ هؤلاء لم يعوا هذه الدعوة ولا مراميها البعيدة في اصلاح المجتمع كله بجميع مرافقه ، وتمكينه من ان يدافع خصومه من خارجه ومن داخله ايا كانت شعاراتهم في تسخيره ، وان

يستقل بتدبير اموره على ما تقتضي مصالحه ، وينافس ارقى المجتمعات ثقافة وحضارة لخدمة البشرية جمعاء . فدعوة قاسم اشبه بالحبة الصغيرة التى فيها ـ بالقوة ـ كل ما في الدوحة الباسقة من جذور وسيقان وفروع واوراق وازهار واثمار ، وهى اذا احسن تعهدها كفلت خروج هذه الشجرة لتؤدى كل وظائفها .

لماذا اتجه الى التربية ؟

لا نشك فى ان الاحوال الوطنية فى عصر قاسم وما سبق عصره من بداية القرن التاسع عشر قد املت له في فكرة « التربية » فردية وجماعية، فقد حاول قومه السعى لمجاراة الغرب فى تقدمه ودفع عواديه عنهم بمثل اسلحته ، فاذا خطواتهم تتعثر في كل اتجاه ، لا سيما الاتجاه السياسى والعسكرى ، وان كانوا قد نهضوا بعد كل عثرة لتجديد مواصلة السير بعزم ، ولكن لا شك عندنا ايضا فى ان قاسما قد استلهم دعوته التربوية من طبيعته الخيرة ، وتأمله احواله الشخصية ، اذ كان هو مثلا حسنا لاثر التربية السوية فى نفس صاحبها وسيرته الطيبة بين الناس ، فهو لم يكتف بما زودته به تربيته البيتية في اسرته الكريمة المتدينة ، ومكانتها الموقرة بين الاسر وعند كبار الحكام، ولم يكتف في تعليمه بما زودته به المدارس من معلومات ، بل اتم تربية نفسه بنفسه ، اذ نعلم بالمطالعة ما قصرت عنه المدارس في تعليمها له ، ثم لم يكن في ذلك « دودة كتب » همه تحصيل اكبر قدر من المعلومات الجيدة ، بل يبحث عن الحقائق ليدرب عقله على التفكير السليم ، وينفى عنه الوهم والخرافة ، ويتخذ من فهم الحقيقة وسيلة الى عمل ينفعه وينفع سواه ، وهذا ما يسميه هو « العقل العملى » كما اشرنا من قبل ، وهو لا يحارب الجهل فى فرد ، بل يحاربه فى الجماعة كلها فيكون تعليمها وسيلة الى تربيتها ، للخلاص من البؤس والضلال ، وللتحرر من استبداد غيرها لها ، وللتعود على الاعتماد في اصلاح امرها على جهودها الخاصة .

فالتربية رياضة دينية خلقية عملية ، سواء فى الفرد او الجماعة ، واثرها ثابت دائم ، وهى عملية متجددة تتحقق بالممارسة طول الحياة .

وهذا ما تدل عليه اخباره صبيا وشابا ورجلا ، اذ لم ينقطع وهو طالب الى دروسه الرسمية ـ كشأن معظم الطلاب ، ولهذا لم يتفوق بين زملائه طوال دراسته في مصر مع ما عرف به من ذكاء واجتهاد وسعة اطلاع فى علوم كثيرة خلال ذلك وبعده ، حتى اذا كانت سنة التخرج فى دراسته العالية بمصر ـ وهي مفترق طرق الى المستقبل كله ـ اكب على دروسه الرسمية فكان اول دفعته فى الحقوق ، وعلى اساس اسبقيته حصل على بعثته الى باريس ليتم دروسه الحقوقية هناك ، ولقد كان همه خلال دراسته فى فرنسا ان يستوعب اعظم قدر من الثقافة فيما يسمى « العلوم الانسانية»وان يشاهد ما استطاع من معارض الفنون ومتاحفها،ويكتشف من مخالطة البيئات الفرنسية اسباب تقدم الغرب وغلبته على سواه ، ولذلك صار مثلا نادرا في المعرفة الموسوعية ، للانتفاع بها فى ترقية مواهبه ، وتقويم مسلكه ، وللاهتداء بها فى مشروعاته الاصلاحية العلمية .

ومهما نشى هنا فى اسباب نزعته الى التربية لا ننسى أثر تلمذته للاستاذ الامام محمد عبده الذى جاهد فى مجال السياسة ما جاهد مع استاذه الكبير السيد جمال الدين الافغانى ، ثم يئس من السياسة واهلها فى نهاية المطاف بعد اغلاق جريدتها العروة الوثقى في باريس سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٤م) (١) ، فانصرف في سنواته العشر الاخيرة الى التعليم ، واصلاح الازهر اكبر معاهده وشارك مع تلاميذه ومحبيه ـ ومنهم قاسم امين ـ فى تأسيس الجامعة المصرية والاسهام فى المشروعات العامة للبر والاحسان ، ليتعود الشعب ان يستقل بتدبير اموره بنفسه ، ولا يعتمد على الدولة واهوائها المتقلبة .

تعدد المواهب ، وتعدد المشاغل

وكثير من الناس يعملون فى مجال واحد او مجالات شتى ولا يتخصصون باحدها ، ولكننا نراهم يعملون فيها جميعا بموهبة واحدة ، ومنهم متعددة المواهب ، لكل منها اختصاصها فهو يعمل بها جميعا .

وقد كان قاسم من ذوى المواهب المتعددة :

---

(١) كان قاسم فى باريس خلال اصدار جريدة العروة الوثقى ، وكان على أوثق الصلات بالحكيمين جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ، وقد اسهم فى تعليم استاذه محمد عبده هناك اللغة الفرنسية .

فله حينا نظرة العالم الذى يعتمد على الملاحظة والتجربة .

وله حينا نظرة المفكر او الفيلسوف الذى تعنيه الماهيات ، وتحليل القضايا الذهنية ، واستخلاص القوانين الكونية او الوجودية ، والتزام البراهين المنطقية .

وله احيانا شعور الفنان بدوافع الحياة وبدائع الجمال فى نفسه وفيما يحيط به ، وابتداع القوالب المناسبة من خياله ليصور خوالجه ومعانيه ، فيجعلها اشكالا محسوسة واضحة ، بعد ان كانت غامضة هائمة فى عماء ، ووسيلته فى تصويرها تنسيق الكلمات لانه اديب .

وله وعي المتصوف العابد الذى يعشق اسرار الحقائق ، ويستطيع بلوغها بنفاذ بصيرته ولطف ذوقه ، ولا يستريح حتى يلاصقها ، فاذا لاصقها انطبعت فى يقينه ، وامتلأ بها وجدانه ، فهيمنت على سيرته مع نفسه وسيرته مع سواه ، والزم نفسه طواعية ما يلزمه اقتناعه الشخصي ، وان لم يلزمه غيره شيئا ، فاعماله ومساعيه صورة نياته واقواله ، ونياته واقواله وحي يقينه .

وكان له تعمق الاصوليين او المشترعين فى البحث عن نفسيات الافراد والجماعات ، ومعرفة اخلاقهم وعاداتهم واحوالهم ، ودوافعهم الى اخذ ما ياخذون وترك ما يتركون ، مختارين او مضطرين ، راغبين او راهبين ، ومن هنا يعرف ما هو اصلح لهم من التعاليم والقوانين فى مرحلة معينة ، ليرتقى بهم الى مرحلة اعلى دون تراخ ولا تعسف ، وهذا ما اتسمت به تنظيماته التشريعية والاجتماعية ، وقامت عليه احكامه القضائية ، وان كان فى احكامه القضائية خاضعا لنصوص القانون الذى هو من عمل الدولة ، غير انه — على وفق تلك الاصول التشريعية الطبيعية التى هو على يقين من عدالتها — كان يفسر نصوص القانون ويؤولها بحيث تحقق اقصى ما يستطاع من العدل والرحمة دون خروج عن حدودها ، وله فى ذلك اجتهادات بصيرة جريئة .

ثم كان خطيبا يبارى ابلغ خطباء عصره ، فى القدرة على استمالة سامعيه الى وجهته ، واقناعهم بها ما استطاع ، معتمدا على ما فى نفوسهم من حب الخير والعدل ، وهذا ما تكشفه خطبه القضائية حين كان فى النيابة ، وقد شهد له بذلك الاستاذ ابراهيم الهلباوى الذى كان نابغة عصره فى المحاماة والخطابة ، وكذلك تكشف عن قدرته الخطابية ايضا خطاباته فى المحافل المستنيرة ، ومنها خطابه فى تابين استاذه محمد عبده عقب دفنه سنة ١٩٠٥ ، وخطابه قبل ذلك فى توضيح فكرة « الجامعة المصرية » وغاياتها الوطنية والانسانية العالية ، وخطابه الاخير فى نادى المعلمين مساء ٢٣ من ابريل سنة ١٩٠٨ ، اى فى ليلة وفاته (٢) لكنه لم يكن من خطباء الجماهير فى المحافل العامة .

وكانت له قدرة على النقد الاجتماعي والنقد الادبي والفنى بعامة فى اسلوب مهذب سهل وكل ذلك على خبرة بالمجتمع وطرق اصلاح عيوبه ، الى جانب خبرته باسرار الفنون ورسالتها الانسانية العظيمة فى التربية الفردية والجماعية .

وقد اسلفنا انه كان رجل عمل وتدبير ، كما كان رجل نظر وتفكير ، فكانت له قدرته العملية فى جذب ذوى الاريحية من طبقته للمشاركة فى الاعمال العامة للبر والاحسان ، وحسبنا من ذلك نجاحه مع استاذه محمد عبده وتلاميذه فى تاسيس « الجمعية الخيرية الاسلامية » وما يتبعها من مدارس ومبرات ، وهى قائمة برسالتها حتى الان ، ثم اسهامه القوى فى مشروع « الجامعة المصرية » (٣) اذ كان انشط عضو فى لجنته ، وادابهم

(٢) ذلك المساء احس بالتعب ولكنه ذهب الى النادى لالقاء خطابه ، ثم عاد الى بيته متوجعا فطلب من السيدة قرينته كوبا من الشاى لعله ينعشه ، فلما عادت به اليه وجدته قد ودع الحياة .

(٣) بدا التفكير فى هذا المشروع عند الامام محمد عبده وجماعته قبيل وفاته سنة ١٩٠٥ ، ولو امتد به العمر شهورا لتم تنفيذه ، ثم جددت جماعته الاعداد له فى ١٩٠٦/١٠/١٢ فى جلسة فى منزل تلميذه سعد زغلول وتولى امانة الجلسة قاسم امين ، وهو الذى صاغ البيان الذى وجهته اللجنة الى الامة للمساهمة فى هذا المشروع مبينة غاياته العظيمة ، وكان رئيس اللجنة سعد زغلول وبقي قاسم امينالها حتى عين سعد وزيرا للمعارف سنة ١٩٠٨ فصار قاسم رئيس اللجنة ، ومهمة الجامعة كما وضحها قاسم فى بياناته وخطاباته ايجاد بيئة علمية على المستويات العالية تطلب المعرفة للمعرفة ، وتخرج قادة كبارا فى كل المجالات الوطنية كما هو الحال فى الجامعات الغربية .

في الاعداد له ثم تنفيذه ، وظل يرعى هذين العملين حتى ليلة وفاته ، وقد تم هذان العملان الجليلان بالجهود الذاتية لجماعة من سراة الامة الاخيار ، دون عون من الدولة .

لماذا عزف عن السياسة ؟

ويلاحظ ان قاسما لم يشتغل قط بالسياسة داخليا ولا خارجيا ، سواء قبل اشتغاله بالوظائف العامة او بعد ذلك ، لانه لم يكن مؤهلا لها باخلاقه ومزاجه ، وقد يظن انه عاش بعيدا عنها، ولكن من تامل موقعه في الحركة الوطنية ووقائعها خارج الوطن وداخله يجد أن قاسما كان في كبة المعركة الوطنية الكبرى لم يفارقها قط . وكيف له يتجنبها وقد كان يتلمذ على اكبر مخططيها يومئذ وهما جمال الدين الافغاني ومحمد عبده كما كانت له طبيعة المجاهد وغيرته على حماه ، وفي مقدمة ما يحميه ويغار عليه دينه ووطنه وقومه ؟

فكل اعماله من صميم السياسة في اعمق جذورها، وان اهملت مظاهر السياسة ولم تتخذ لها عنوانا سياسيا ، وكان معروفا يومئذ ان هناك في مصر حزب جمال الدين ، او جماعة خليفته في مصر « محمد عبده » بعد نفي جمال الدين منها وهو « الحزب الوطني » الاول(١) الذي كان شعاره الصريح « مصر للمصريين » ويتضح معنى هذا الشعار سلبيا ، اذ لا يعني الا استقلال المصريين بامورهم دون خضوع لسلطة الاحتلال البريطاني الحاكم الفعلي يومئذ ، ولا لسلطة الخلافة العثمانية التي كانت تسمى السلطة الشرعية ، ولا لسلطة المستأثرين بالحكم والادارة والثروة من الاتراك والمتتركين واعوانهم من الجاليات الغربية والشرقية .

وكل رجال حزب الامام محمد عبده قد انصرفوا عن السياسة واخاديعها ، كما انصرف عنها امامهم، واتجهوا الى الاصلاح الداخلي لمرافق الامة وابتعاث نخوتها وغيرتها الدينية والوطنية لتعمل لنفسها بنفسها ، فيما لا رقابة لاصحاب السلطة عليه . والاصلاح النافع الذي تبقى اثاره هو الذي يتجه الى الامة لا الى الحكام ، ولا وسيلة اليه الا التربية الحية التي تبعث في الامة كل مكامن القوة فيها بل ان اثر محمد عبده في اتجاهه الى التربية دون السياسة واضح في جملة تلاميذه ، ومنهم اكبر زعيم سياسي بعد ذلك وهو سعد زغلول ، الذي اسهم في مشروع «الجامعة المصرية» وكان رئيسا له حتى اختير وزيرا للمعارف ، فلما ولي الوزارة ساعدها بعشرة الاف جنيه من مال الدولة ، ثم انشأ مدرسة المعلمين لنشر التعليم باللغة العربية ، وشجع انشاء الكتاتيب وكان يشرف على سيرها بنفسه .

فاتخاذ التربية اساسا لنهضة الامة ـ وهي تلخص وجهة قاسم في الاصلاح ـ كانت من وحي استاذه محمد عبده ، وان كان قاسم قد صاغ دعوته التربوية صياغة تتفق ومزاجه ونشأته وثقافته ، ولا شك ان محمد عبده قد مهد في دروسه لهذه الدعوة « تحرير المرأة » وساندها هو وجماعته بكل قوة .

ويندر ان تجد بين الكتاب المشاركين في المعارك القلمية مثيلا لقاسم في عفة قلمه وطيبة قلبه ونقيده بموضوعه وحده في دفاعه لخصومه دون الاهتمام بما يرمي به شخصه من تهم ظاهرة البطلان ، فكتاباته الادبية والاجتماعية تكشف عن نزعته المخلصة في تحري الحقيقة ، والكشف عنها ، والوقوف عندها ، الى جانب دقة البحث وعمق التامل ، ولطف الشعور والفهم، وبراعة الاحتجاج والاستدلال في تاييد وجهته كما يحسها ويراها ، ومناقشة كل وجهة تخالفه ثم تفنيدها بالحجج المنطقية ، ولهذا تبدو مناقشاته كانها محاورات فلسفية اشبه بالنمط الافلاطوني ، جامعة بين الشعر والمنطق ، يجري الحوار فيها على رسله هينا متتابعا سواء كان مفككا او متلاحما للكشف عن الاصول الوجودية ومظاهرها الطبيعية ، واسرار النفوس الانسانية واثارها الاجتماعية . ■■

محمد خليفة التونسي

المعرّى والزهاوى

ورحلة الى اسبانيا

بقلم : عبد الرزاق البصير

■ اصطحبت في رحلتي الى مدريد رسالة الغفران لابي العلاء المعرى ، وكتاب الزهاوي الشاعر الفيلسوف ، وهو احدث دراسة لهذا الشاعر الفيلسوف قام بتاليفها الاستاذ عبدالرزاق الهلالي . وكنت اقدر ان مناجاتي لهذا الكتاب ستكون اكثر من مناجاة رسالة الغفران ، لان الهلالي يحدثنا في هذا الكتاب حديثا مفصلا عن مسيرة هذا الشاعر في حياته في اكثر جوانبها من حيث رحلاته وما لقي فيها من حزن وفرح كما يحدثنا عن معاركه الادبية التي جرت بينه وبين الرصافي وغيره من الادباء . وبالجملة فان هذا الكتاب خفيف الظل يجعل الذي يريد ان يستجم في اجازته يرتاح اليه حين ياخذ في قراءته.

اما رسالة الغفران فانه كتاب الفه صاحبه لامرين اثنين فيما اظن ، احدهما اظهار قدرته الادبية واللغوية .. فهو يورد لك اختلاف اللغويين والنحويين في كثير من المسائل النحوية واللغوية .. فمن ذلك وقفته على لفظة (ابريق) حول ما قاله ابو زبيد الطائي ..

وأباريق مثل أعناق طير الـ
ـماء قد جيب فوقهن خنيف

فقد اورد ثلاثة معان لهذه اللفظة فيقال : جارية ابريق وهي التي تبرق من حسنها وجمالها، وسيف ابريق ماخوذ من البريق والاباريق المعروفة عند الناس . ومثل وقفته حول قول حسان :

كان سبيئها من بيت راس
يكون مزاجها عسل وماء

فقد اورد اختلاف النحويين حول موقع «عسل» فبعضهم يعتقد انه منصوب وبعضهم يعتقد انه مرفوع الى غير ذلك من الامور النحوية واللغوية ، وما اوردته هنا من رسالة الغفران اخفها واسهلها ، اذ ان ابا العلاء ، طيب الله ثراه ، قد روى مسائل كثيرة التعقيد ، عسيرة الفهم .. الى جانب ما نقله من خصومات جرت بين الشعراء كالخصومة التي جرت بين النابغة وبين الاعشى . اما الامر الثاني الذي دفع ابا العلاء لتاليف هذه الرسالة فهو تعريف قرائه بسعة خياله فقد تخيل مثلا ان طير الجنة يحسن الكلام وان بعض الاتقياء الصالحين راى جماعة من اوز الجنة فلا يلبث ان ينزل على تلك الروضة ويقف وقوف منتظر لامر فيقول مخاطبا تلك الاوز : ما شانكن ؟ . فيقلن : الهمنا ان نسقط في هذه الروضة فنغني لمن فيها من شرب فيقول : على بركة الله القدير . فينتفضن ، فيصرن جوارى

كواعب يرفلن في وشي الجنة ، وبايديهن المزاهر وانواع ما يلتمس به الملاهي فيعجب ، وحق له العجب ، وليس ذلك ببديع من قدرة الله جلت عظمته .

ومن غريب الامر ان ارتياحي لرسالة الغفران كان اكثر من ارتياحي لكتاب الزهاوي . ولعل مرد ذلك ان ابا العلاء كان يصف امورا فيها كثير مما ترتاح اليه نفوس المستجمين ، اذ انه قد تخيل الجنة وما فيها من للذائذ لا تخطر على البال . وليس من شك ان الذي يبتعد عن مقر عمله يسعى لان يبتعد عن واقعه فهو يبتغي ترفيه النفس والناس اصناف في ترفيه نفوسهم فبعضهم يجده في الملذات المادية ،وبعضهم يجده في اللذائذ المعنوية وكثير من الصنف الاول يسرفون على انفسهم غاية الاسراف الى حد تسبب له تلك الرفاهية التي يسعى اليها كثيرا من الاعراض والمشاكل .

لقاءات في اسبانيا

ومهما يكن من امر ، فقد اضفت الى لقائي بابي العلاء ، والشاعر الزهاوي لقاءات اتصلت بالمعهد العربي الاسباني ، والمعهد العربي الاسلامي وكانت رئاسة المعهد الاول مناطة بالمستشرق الاسباني (اوتراي) اما ادارة المعهد العربي الاسلامي فانها موكولة الى الدكتور عبد العزيز سالم صاحب المؤلفات الكثيرة التي تؤرخ الحضارة العربية في الاندلس ، كما اني زرت المركز الثقافي العراقي . ولقد كان حديثي مع رؤساء هذه المعاهد متشعبا امتد الى آفاق كثيرة ولكن هذه الاحاديث لا تخلو من الم فان كل هذه المعاهد تشكو من اهمال الدول العربية للجانب الثقافي فهي لا تتلقى من الآثار الثقافية الا القليل بل ان الصلة بين هذه المعاهد صلة ضعيفة الى حد كبير . ويبدو ان سبب ذلك يعود الى تأثير الخصومات السياسية وهو امر يدعو حقا الى الاسى . وعلى أي حال ، فان هذه المعاهد تقوم بنشاط ثقافي لا بأس به . ولقد تساءلت عن السبب الذي جعل حكوماتنا لا تهتم بالناحية الثقافية فلم اجد غير جواب واحد وهو : انهم لم يتعمقوا في مفهوم الثقافة فهم يتصورون ان الثقافة بعيدة عن الحياة المعاصرة او انها تتناولها من بعيد بحيث لا تؤثر الا تأثيرا لا يستحق الاهتمام وهذا فهم خاطىء للثقافة بطبيعة الحال ، فالثقافة الحقيقية تعني التعرف على ما يجري في البلد من افكار .. وآراء وتيارات بحيث يستطيع كل بلد ان يؤسس صداقته ومعرفته على اسس واقعية . ومن يقرأ تاريخ الاستشراق يتضح له ان من اهم اسبابه هو ان الدول الغربية ادركت انها لا تستطيع ان تتعامل مع الشرق الا بعد ان تتفهم افكاره وآراءه . لذلك هيأت للذين لهم ميول الى معرفة الثقافة الاسلامية كل ما يحتاجون اليه وطلبت منهم ان يكتبوا عن كل شيء يتصلون به كتابة دقيقة مفصلة ، مما جعل الصورة تكون لدى تلك الدول واضحة متكاملة .

ولست في حاجة الى ان انوه بما لاسبانيا من علاقة ثقافية قديمة وبمواقفها السياسية فان ذلك معروف لدى الجميع . ولقد وضح لي مدراء تلك المعاهد العربية الثقافية ان الصهيونيين يقومون بنشاط له تأثيره فمن ذلك مثلا ان اللغة العربية كانت معدودة في الجامعات الاسبانية من اللغات القديمة ، مما يجعل الطلاب يقبلون عليها اقبالا لا بأس به لانهم اذا اخذوا يقارنون بين اللغة العربية واللغة السريانية مثلا او اللغة الكلدانية رجحت اللغة العربية بطبيعة الحال .

حيلة صهيونية

لكن خصومنا الصهيونيين فكروا في اضعاف هذا الاقبال فهداهم تفكيرهم الى ان يسلكوا سبيلا ظاهره تعزيز اللغة العربية وباطنه اضعاف اقبال الطلاب عليها وهو ان تعد اللغة العربية لغة حديثة معاصرة ومعنى ذلك ان يخير الطالب في الجامعات الاسبانية بين ان يتعلم اللغة العربية او الانجليزية او الفرنسية او غيرها من اللغات الحديثة مما يجعل الطالب يبتعد عن اللغة العربية ويختار اي لغة اوروبية ، لان صلته بفرنسا او بايطاليا او انجلترا او غيرها من الامم الاوروبية اقوى من صلته بالامة العربية ، وما تزال المحاولات جارية من قبل بعض المعاهد العربية لتوضيح خطأ هذه الفكرة واظهار ابعادها ومقاصدها المتغرضة ضد هذه الامة المجيدة ، كما ان بعض

الذين يعملون في المعاهد الاسبانية اخبرني بان القرآن الكريم قد ترجم الى اللغة الاسبانية وقد قرأ تلك الترجمة فوجد ان في مقدمة الكتاب تحاملا شديدا على خاتم الانبياء محمد عليه السلام وعلى شريعته الغراء ، وقد طلبت منه ان يترجم تلك المقدمة الى اللغة العربية لتقوم الجهات المختصة بتفنيد ما فيها من شبهات واضاليل .

ومما يجدر بنا ان ننبه اليه هو ما يشعر به بعض المثقفين الاسبان من صلة قوية نحو الامة العربية وهم يعبرون عن تلك المشاعر تعبيرا لا غموض فيه فهم يقولون لك اننا استفدنا وما زلنا نستفيد من صلتنا بكم ، فقد نقلتم الينا حضارات الامم اليونانية والرومانية والفارسية والهندية الى جانب ما اضفتم الى تلك الحضارات من امور كثيرة دفعت بتلك الحضارات الى الامام ، مما مكن الاسبانيين من ان ينقلوا تلك الحضارة الاسلامية القديمة الى اوروبا فانفتحت آفاق الفكر امامهم ، مما جعلهم يستطيعون ان يوصلوا الحضارة الانسانية الى ما وصلت اليه في العصر الحاضر وهناك جانب آخر نشأ من صلتنا بالامة العربية ما زلنا نستفيد منه وسنظل نستفيد منه الى ما شاء الله ونعني بذلك الجانب تلك الآثار الحضارية العظيمة التي تجتذب الينا السواح من جميع اطراف الارض . مما يوضح بان لاسبانيا مكانة متميزة توجب علينا ان نهتم بها اهتماما خاصا لتكون صلتنا بتلك الدولة صلة وثيقة فان القاعدة قوية لا يجوز لنا اهمالها باي حال من الاحوال . بل ان علينا ان نهتم بالجانب الثقافي في جميع الدول لان الثقافة من اهم الامور التي لا يجوز لنا ان نهملها والاهتمام الثقافي الذي ادعو اليه هو ان تكون الحركة الفكرية ، قديما وحديثا ، مصورة تصويرا واضحا متكاملا لدى تلك الامم الحية فان اعداءنا الصهيونيين وغير الصهيونيين يبذلون جهودا قوية لتكون صورتنا قاتمة مظلمة ، وفي ذلك ما فيه من الاضرار التي لا تحصى . ثم ان كثيرا من الاقطار العربية تصدر آثارا فكرية ممتازة لو نشرت بين الاجانب لغيرت كثيرا من الصورة التي رسمها اعداؤنا عنا .

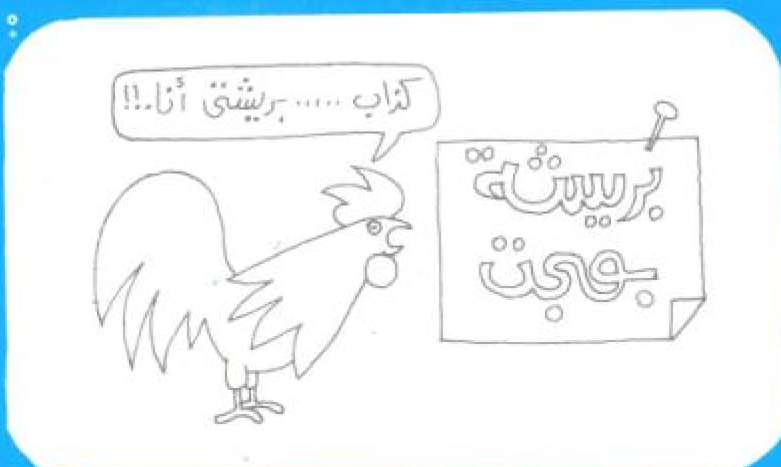
ومما لا شك فيه ان النشاط الفكري والثقافي لا يؤدي غرضه المطلوب الا اذا كان انتشاره واسعا بين الامم الاجنبية فليس من المبالغة اذا قلت بان التوزيع المتقن يعادل الاصدار . اذن ، فلا بد من ان نحرص كل الحرص على نشر آثارنا الفكرية بين الامم الحية .. فهل من مستجيب ؟ . ■■

الكويت ـ **عبد الرزاق البصير**

بقلم فلان

هل تستطيع أن تعرف الكاتب من قلمه ؟









الإجهاد والتوتر

عدوان للحياة !

بقلم : الدكتور عبدالمحسن صالح*

الانسان ليس حيوان تجارب، ومع ذلك فقد وضعته مدنيته الحديثة فى اقفاص ليمر بتجارب كثيرة ومتنوعة ثم لتظهر عليه بعد ذلك اعراض لم يعرفها اجداده من قديم الزمن .. فكانما الانسان قد اصبح حيوان تجارب دون ان يدرى !

الارتفاع المطرد للانهيارات العصبية ، والاجهادات النفسية ، والذبحات الصدرية، والازمات القلبية، والقرح والتمرد ، وما شابه ذلك من امراض المدنية انما هى انعكاس لعوامل كثيرة تتسلط على الانسان فى قفصه الذهبى الذى دخله دون ان يدرى !

والعلماء يرقبون من قريب او بعيد هذا « الحيوان » الذى فى القفص ، ويسجلون عليه كثيرا من الاعراض ، ويشيرون من طرف خفى الى ان حياة الانسان الحالية يخيم عليها التوتر والاجهاد ، وهذا من شانه ان يؤدى الى بعض الامراض ، وقد تكون تلك الامراض من الخطورة بمكان ، لكنهم مع ذلك لا يستطيعون - اى العلماء - ان يؤكدوا شيئا الا اذا تقدموا ببحوثهم المدعمة بالتجارب ، علها تحقق نظرياتهم !

لكن الانسان - كما ذكرنا - ليس حيوان تجارب ، ولهذا لجا العلماء الى الحيوان الاصيل ، ووضعوه تحت حالات من التوتر العصبى ، او الاجهاد النفسي ، واخذوا يسجلون ما يمكن ان تتمخض عنه هذه الحالات من اعراض لهم فيها تفسير وتاويل !

وكان « بوريس » ضيف احد المؤتمرات العلمية التى انعقدت خصيصا لتداول موضوع من اهم موضوعات عصرنا الحديث ، وهو بالتحديد



على وجوههم تظهر علامات الخوف

« المجتمع والاجهاد والمرض » ـ وقد عقد هذا المؤتمر منذ سنوات قليلة بالسويد ، وتحدث فيه العالمان الروسيان لابين وشيركوفيتش بشيء من الحزن عما اصاب بوريس !

لقد كان بوريس قردا مهيبا وقويا وعزيزا في قومه .. فاذا سار افسحت له القرود الاخرى الطريق ، واذا القى اليه الطعام ، لم يستطع احد من قومه ان يقرب طعامه ، اللهم الا اذا شبع وترك لهم ما عافته نفسه ، ثم ان احدا من القرود الذكور الشابة لا يجرؤ ان يغازل انثى امامه ، فلقد كان بوريس هو زعيم قومه البالغ عددهم اربعين قردا والقاطنين في مستعمرة قرب مبانى الجامعة .

وجاء العالمان الروسيان ، واخذا بوريس وعزلاه عن بقية القرود بحاجز ، وبحيث يرى كل القرود وهى تمرح وتلعب وتغازل « حريمه » ، صحيح انه كان يثور ويغضب ، لكنه لا يستطيع ان يتدخل كما كان يفعل قبل ذلك .. فماذا كانت النتيجة ؟

يقول العالمان الروسيان : ان الوضع الذى اصبح عليه القرد قد اصابه بحالة من العصبية والتوتر ، لكن ذلك قد ادى فيما بعد الى ارتفاع ضغط دمه بمعدلات عالية ، ثم الى اضطراب فى قلبه ، وبعد شهور من هذه التجربة اصيب بازمة قلبية انتقل بها الى رحمة مولاه ! .. وتكررت التجارب مع قرود وحيوانات اخرى ، قادت الى نفس المأساة !

الفئران والانسان

على ان هناك تجربة اخرى مثيرة يذكرها لنا ايكاردمونك فى كتابه « بيولوجيا المستقبل » ، وفيها يشير الى ان الطبيب والعالم الفرنسى



دكتور بونغيلز كان قد صور فيلما علميا عن الفئران التي وضعها تحت حالات من التوتر والاجهاد ، ليثبت ان ذلك قد يؤدي الى ظهور قرحات المعدة ، فكان ان منعها من الحركة بحرية في اقفاصها ، فظهرت فيها بالفعل بعض القرح ، وعندما وصل بونغيلز الى باريس مع زملائه ، ليعرض هذا الفيلم في الجامعة ، وجدوا امامهم رتلا من السيارات التي تتحرك ببطء شديد ، او تتوقف اكثر مما تتحرك ، فانتابتهم عصبية وقلق ، وعندما وصلوا الى ساحة الجامعة ، وجدوا تكدسا طلابيا واضرابا ، وعندئذ نظروا بحسرة الى بعضهم البعض ، وكانما لسان حالهم يقول : جئنا نثبت نظريتنا على الفئران ، وها نحن نراها تتكرر امامنا على الانسان !

اي كانما الزحام والحد من الحرية في الحركة والعمل ، وما يؤدي اليه ذلك من توتر عصبي ، واجهاد نفسي ، ربما كان من اسباب بعض الامراض التي تصيب الانسان ـ خاصة في المدن المزدحمة .. فما يجري على الحيوان يجري على الانسان ، لان اسس الحياة واحدة ، والتفاعلات الكيميائية واحدة ، والعمليات الحيوية متشابهة .. الخ .

ومع هذا ، فالانسان يختلف بطبيعة الحال عن الحيوان في الاحاسيس والشعور والادراك ومجابهة متطلبات الحياة ، وما فيها من ضغوط حسية وجسدية ومعنوية ، وما يقابله من انفعالات يومية بحكم عمله واحتكاكه بمن حوله ، وطبيعي ان الانسان كلما جابه مزيدا من ضغوط الحياة زادت انفعالاته ، « واحترق » دمه ـ على حد تعبير عامة الناس ، وهو تعبير يحمل بعض الحقيقة ، لان الانفعالات تؤدي الى اطلاق جيوش من الهرمونات في تيارات الدم ، فتؤدي هذه الى اثارة الاعضاء ، ووضعها تحت اجهاد ، وهذا قد يسبب كثيرا من الامراض التي يعاني منها الانسان .. والحيوان ايضا .

اذن فالانفعال والتوتر والاجهاد قد اصبحت جزءا من حياتنا اليومية ، وهي ـ بلا شك ـ بمثابة وباء يهدد جهازنا العصبي ، فيؤدي الى اضطرابات نفسية وعضوية .. الا اننا نختلف فيما بيننا في مجابهة هذا التهديد ، فمنا من يستطيع ان يحني هامته للعاصفة ويتخلص بذلك من مسببات الانفعال وما يصاحبه من توتر واجهاد ، ومنا من لا يستطيع ، او ما بين ذلك تكون شأن الاخرين .. ولهذا ينصح بعض العلماء والاطباء ان للاجهاد حدا لا يجب ان نتعداه .. صحيح ان احدا لا يستطيع ـ في وقتنا الحاضر وفي بيئتنا المزدحمة والمتصارعة ـ ان يتجنب التوتر ، لكن عليه الا يتحمله الا بالنسبة المناسبة ، وبالنمط المناسب ، ولفترة مناسبة ، حتى لا يتحول الى محنة او خطر حقيقي ـ على حد ما يقول كل من ادوارد جونز ، وويلفريد سانون ، وبربارا كولي في كتابهم « الصحة من اجل حياة افضل » .

والواقع ان اسباب الاجهاد او التوتر كثيرة ومتنوعة ، فالاصابات البكتيرية والفيروسية ، والتعرض للبرودة او الحرارة لفترات طويلة ، ومجابهة المصائب والحوادث ، والافلاس والحزن والضوضاء ، والاحساس بالكراهية من الاخرين ، وضغوط العمل والحياة ، او الفشل فيهما ، وغير ذلك من اسباب ، قد تؤدي الى الانهيار والمرض .

ومجابهة ضغوط الحياة تعتمد الى حد كبير على نوعية الانسان ذاته ، وعلى مركزه الاجتماعي وعمره وجنسه (اي ذكر او انثى) وحالته المالية وشخصيته ومقاومته لظروف الحياة ، ونوعية البيئة التي يعيش فيها وقدراته الصحية .. الخ .

شحنة يجب تفريغها

ومع كل هذه الظواهر المخيفة ،

ومع تعرضنا جميعا للانفعال والاجهاد والتوتر ، الا ان اجسامنا قد امتلكت ميكانيكية بيولوجية رائعة لتستخدمها كوثيقة تامين ضد الاجهاد ، وهذه الوثيقة صالحة ايضا فيعالمالحيوانات الثديية او ما دون ذلك .

فبعض علماء الطب النفسي يقولون: ان سبب اصابة القرد بوريس بازمة قلبية لم يكن مردها الى فقد سلطانه او عزلته ، بل يرجع ذلك الى عدم استطاعته « التنفيس » عن نفسه – كما يقول العامة ، اى كانما جسمه قد شحن ليؤدى شيئا يفرغ فيه شحنته ، وعندما لم يستطع تفريغها، اثر ذلك – على المدى الطويل – في ضغطه وقلبه .. فكل القرود السادة في مجتمعاتها تعتزل السيادة مرغمة عندما يتقدم بها العمر ، ويحل محلها الاقوياء للزعامة ، وقد يبقى القرد المعزول سنين طويلة وهو فاقد لسلطته، فينزوى في موقع لا يحسد عليه ، ومع ذلك لا يصاب الزعماء المعزولون بازمات قلبية .. ذلك انها قبل ان تعتزل كان لا بد ان تدخل مع القرود التى تطلب الزعامة في معركة او معارك فاصلة، وعندما يفرغ الزعيم منها شحنته في المعركة ، ويعود كل شيء الى طبيعته، يحس بان الزمن ليس زمنه ، وعليه ان يترك الزمام لغيره !

لكن .. ما هى هذه الشحنة التى يجب تفريغها ؟ .. وكيف تشتغل تلك الميكانيكية البيولوجية التى تقف معنا كوثيقة تامين ضد الاجهاد ؟

دعنا اولا نتعرض لهذه التجربة العابرة التى قام بها بعض العلماء على احد رواد الفضاء، فبينما هذا الرائد الفضائي مشدود الى كرسيه على الة جهاز الطرد المركزى في انتظار تشغيله، بغرض معرفة اثر الجاذبية القوية على جسمه ، بينما هو كذلك ، التقطت اذنه تعليقا ساخرا ، فظن ان هذا التعليق يمسه ، وفي لحظة خاطفة سجلت الاجهزة المتصلة به ارتفاعا في ضغطه من ١٣٠/٨٠ الى ١٨٠/١٢٠ .. اى زيادة تقدر بحوالى ٥٠٪ .

لكن الناس يعرفون – من خلال تجارب الاثارة التى مروا بها – كيف يتاثر الجسم لكلمة نابية، او حادثة مفاجئة، او سماع خبر مفجع ، او اهانة من رئيس في العمل ، او ثعبان في الفراش يزحف ، او هدف كرة في ملعب ، او اى امر آخر من الامور التى تسبب الانفعال والفزع والتوتر ، وعندئذ يحسون ان القلوب بعنف تنبض ، وان العرق قد يتصبب ، وان الانفاس قد تلهث ، وان الوجه قد يحمر خجلا ، او قد يمتقع اللون خوفا .. كل هذا وغيره علامات على استجابة الجسم لاى عامل من العوامل الخارجية التى تسلط علينا ليل نهار ، ولا بد ان تبدأ بما يشبه الانذار ، لتنتهى على خير ، او قد يعقبها بعض الاضرار .. او قد يكون الخبر او المنظر بالغ القسوة ، فتحدث صدمة تؤدى الى الموت !

فالحواس تلتقط احداث عالمنا ، وبسرعة تنقلها الى امخاخنا ، وفي غمضة عين تحل شفرة الاشارات الواصلة اليها ، وبطريقتها الخاصة تحول ذلك الى منطقة صغيرة في قاع المخ يطلق عليها اسم تحت المهاد ، او تحت سرير المخ ، فتترجم ما وصلها الى نبضات عصبية كيميائية ، وتصب معلوماتها بعد ذلك في غدة صغيرة من خلال « خط » عصبى مباشر يصل بينهما ، وغدتنا تلك تعرف باسم الغدة النخامية ، وهى دائما جاهزة بجيش كامل من هرموناتها لكى تؤثر في الغدد الاخرى ، وتحثها على العمل لتجهز الجسم للحالة الطارئة التى اصابته فاثارته ، ومن هذه الغدد غدة تقع فوق الكلية ، وتعرف باسم الغدة الكظرية او الادرينالية، وهى المسئولة عن افراز عدة هرمونات ، اهمها هرمون

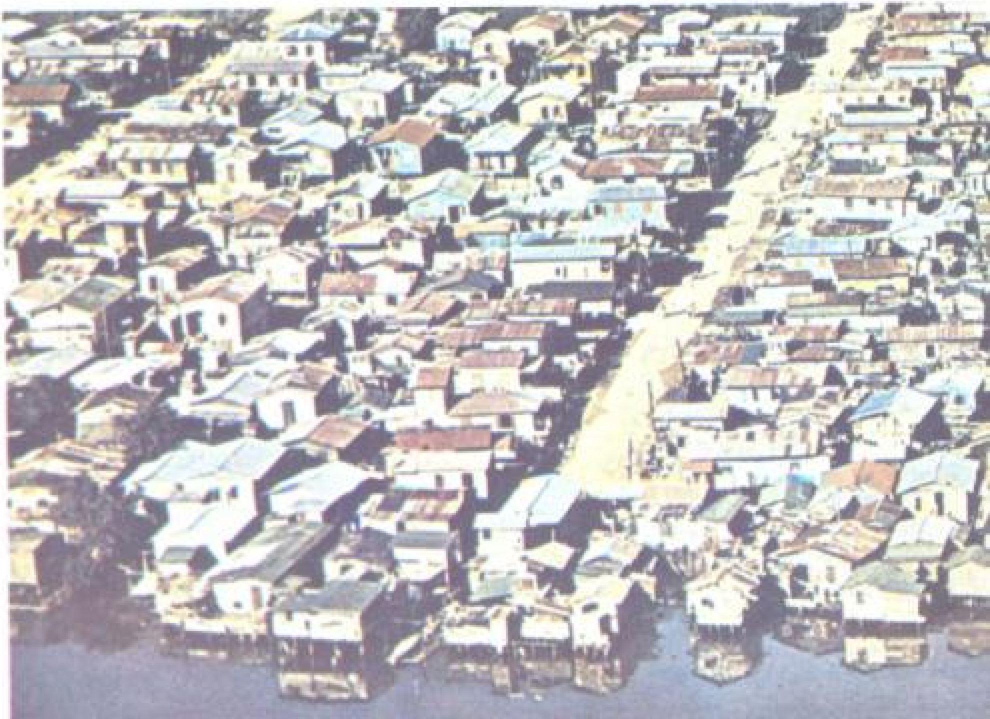


القرد بوريس وهو يصرخ منفعلا ، أو يجلس متوترا دون أن يفرغ كبته ، فودع الحياة وانتقل الى رحمة مولاه !



الانسان القلق في تأهب وصراع مع الحياة ، ولكل شيء ثمن !

أقفاص الانسان التي يمارس فيها الحياة والزحام والاحتكاك والقلق .. فما الثمن ؟ (انظر المقال).
على وجوههم تظهر علامات الخوف أو الفزع أو التوتر .. وما في داخلهم أشد !





يكبل الفرس ـ نعنى الانسان ـ عن العودة الى الحياة الطبيعية التي ارتضتها الكائنات الحية سبيلا ، فالانسان فى مدينته ، كالحيوان فى قفصه ، ولا شك ان حيوانات الاقفاص تختلف فى امور كثيرة عن الحيوانات المتحررة الطليقة ، اذ غالبا ما تنهار الاولى وتموت ، واحيانا ما تتمرد وقد تقتل ، وكذلك الانسان، فقد نرى ذلك فى اضرابات جماعية قد تتخذ مظاهر العنف والتدمير ، او نراها فى مزيد من الامراض والازمات التي تزيد بمزيد التقدم والمدنية !

على اننا اذا تركنا ظاهر الامور ، ونظرنا الى بعض بواطنها ، لرايتنا الجسم الحى وهو يحاول ان يعيد كل شىء الى توازنه الطبيعى ، ولنتصور ان انسانا حساسا واقع تحت مؤثرات جسدية او نفسية، وبحيث تؤدى هذه المؤثرات الى جعل الجسم فى حالة استعداد دائم (او حتى متقطع) بهرموناته واوكسيجينه وسكرياته وكل ما يؤهله لطاقة زائدة يدخل بها صراعا او معركة او يكبح بها جماحه .. الخ ثم اذ بهذه الجيوش من المركبات لا تستهلك فى الغرض الذى تحركت من اجله (وهو ما يعبر عنه عامة الناس « بحبس » الدم ـ كان « يحبس » رئيس دم مرؤوسه ، اى يضعه تحت اجهاد دون ان يستطيع المرؤوس ان يتمرد او يفعل شيئا ليستهلك فيه تعبئته الجسدية) ، وطبيعى انها لا يمكن ان تبقى هكذا ، فبعد زمن يطول او يقصر لابد ان تختفى ، ليعود الجسم الى معدلاته الطبيعية ، فيتخلص منها بعمليات كيميائية يطول شرحها ، وطبيعى ان لكل عملية نواتج ، ومن نواتج الانفعال مثلا ترسيب الكوليسترول على الاوعية الدموية ، وهذا يؤدى الى ضيق الشرايين وتصلبها ، وفى الوقت ذاته يجعل سطوحها غير ناعمة ولا مستوية ،وكانما هذه الترسيبات الكيميائية الحيوية تصبح على الاوعية الدموية كالمطبات ، وقد تتكون عليها الجلطات ، وقد تنمو هذه فتسد شريانا من شرايين القلب، فتحدث الازمات او الموت .. ولهذا ، فان لكل فعل ، رد فعل .. لاتختلف فى هذا الالات عن الكائنات !

ان الاحصائيات الطبية تشير الى حقيقة واحدة : ان الزيادة المطردة فى التقدم الصناعى ، تقابلها زيادة مطردة فى بعض امراض العصر الحديث وعلى راسها ضغط الدم وتصلب الشرايين والقرح والانهيارات العصبية ، والازمات القلبية ، ثم ان معدل هذه الامراض ينخفض انخفاضا ملحوظا فى المجتمعات البدائية او غير الصناعية .. فساكنو الغابات مثلا لا يصابون بهذه الامراض كما يصاب بها اهل الريف ، كما ان معدل الاصابة بها عند اهل الريف اقل عن ساكنى المدن ، وكلما زادت المدن ازدحاما وضوضاء وتلوثا وصراعا ، كان نصيبها من الامراض اكبر ، ومن الازمات اكثر !

فهل نستطيع ان نعزل انفسنا عن المؤثرات والاجهادات التي تقابلها فى حياتنا العصرية المتشابكة والمعقدة؟

لست ادرى، ولعلك تدرى ،فالقفص جذاب، ومن الجاذبية مايقتل ! ■■

د. عبد المحسن صالح
الاسكندرية



الادرينالين الذى يؤثر على القلب ، فيجعله يدفع مزيدا من الدم ، ويؤثر على البشرة ،فيسحب منهامعظم دمائها (ولهذا يمتقع لون الوجه) ، ويوجهه الى العضلات ، فيجهزها بمزيد من الغذاء والاوكسجين ، فربما تدخل في معركة ، والمعركة تحتاج الى طاقةزائدة او ربما تطلق ساقيها للريح هربا من خطر في محتمل ،والهرب ايضا يحتاج الى طاقة زائدة ، وتوليد مزيد من الطاقة يستلزم اوكسيجينا ، فتشتغل الرئتان اسرع ، ولهذا نشعر بان تنفسنا قد بدأ يرتفع مع ارتفاع نبضنا .. وبالاختصار نقول ان الجسم قد حلت به « تعبئة عامة » على وجه السرعة ، وكانما صفارات انذار كيميائية وعصبية وهرمونية قد انطلقت في لحظة خاطفة ، لتجهز الجسم لمؤثرات عالمنا التي نصفها نحن بالاجهاد والقلق والخوف والتوتر وضغوط الحياة وما شابه ذلك .

كلما زادت ضغوط الحياة

وطبيعي انه كلما زادت ضغوط الحياة وطالت ، استمرت هذه الانذارات الكيميائية والعصبية تدق في جسم الانسان دون ضابط او رابط وهذا من شانه ان يخل بنوع من التوازن البديع الذى جاءت به اجسامنا لتعيش حياة متوازنة كذلك، والخلل في الموازين يعني اضطرابا ، والاضطراب في الاعضاء يعني مرضا ، وللمرض صور شتى ، ومن صوره ارتفاع ضغط الدم ، واضطراب في الهضم ، وقرح في المعدة والاثنى عشر ، واحيانا قد يحدث تهيج في البشرة ، وقد ينتهي كل هذا بازمة قلبية تختلف شدتها باختلاف المؤثرات التي تتسلط على الانسان والحيوان .

لكن .. ما فائدة هذه الوثيقة البيولوجية التي ذكرنا انها تؤمن حياتنا ضد تلك الاخطار ، وهانحن نراها وقد تخلت عن رسالتها ، فيؤدى ذلك الى الانهيار او الازمات ؟

الواقع ان لكل شيء في الكون والحياة طاقة محددودة ، فاذا زادت الامور عن حدودها ، فقد تنقلب الى اضدادها .. والجسم الحي ليس بمستثنى ولا خارج على تلك الحدود ، فكانما خلاياه هنا بمثابة جيش هائل في حالة تاهب دائم ، وكثيرا ما تاتيه الانذارات بتوقع هجوم مفاجيء، فيعلن حالة الاستعداد القصوى، ثم لا يجدما يستحق ان يفرغ فيه ما استعدله ، وطبيعي ان الحال لو استمر على ذلك زمنا ، فهذا كفيل بتمرد الجيش على الوضع القائم ، وقد ياتي بامر فيه ضرر بالغ ، وهذا الضرر بالنسبة للجسم الحي مرضي ،

او هي كما يصفها لنا عالم الفسيولوجيا ديفيد هامبورج « ان الكائن البشرى المعاصر كثيرا ما يؤهل نفسه لتحريك جسمه لعمل شيء ، ثم ينتهي ذلك الى اللاشيء .. انه استعداد للفعل ، ولا فعل » !

او كانما انت تدوس على البنزين ، وفي الوقت ذاته تدوس على الفرامل.. صحيح ان الامور قد تستمر على ذلك زمنا ، لكن لابد ان ينهار شيء في السيارة ، وكذلك يكون الحال مع الانسان والحيوان ..وطبيعي ان احدا لا يستطيع ان ينكر ان المدنية الحديثة بقيودها وتعقدها ومتطلباتها وصراعها هي بمثابة الفرامل او اللجام الذى



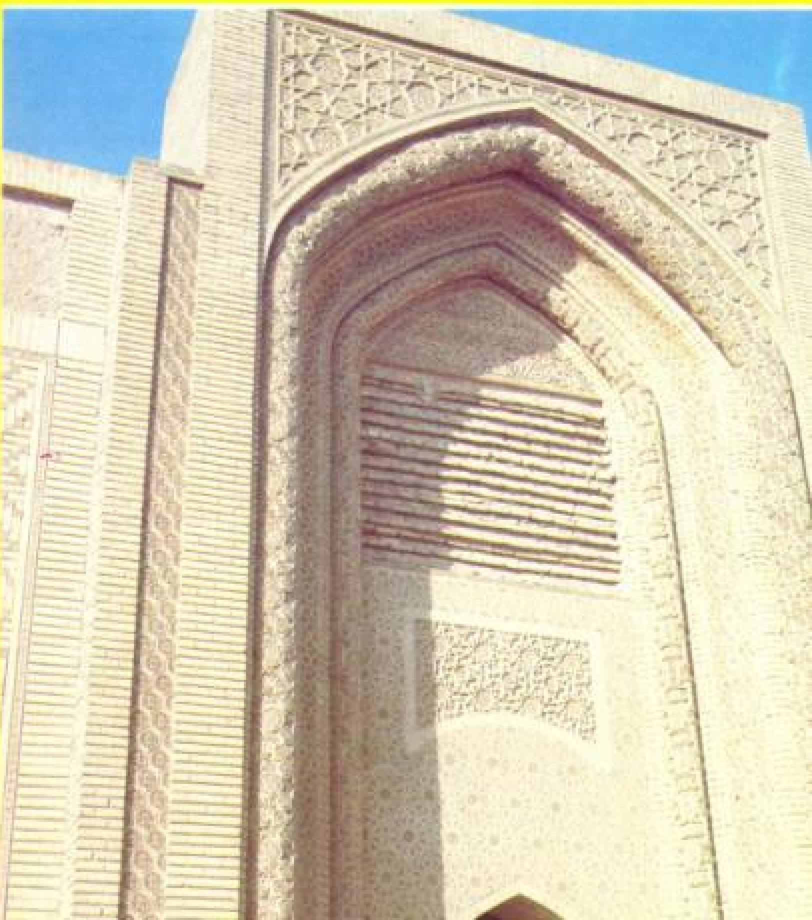


بغداد العباسية

تمثال نصفي لأبي جعفر المنصور مؤسس بغداد .

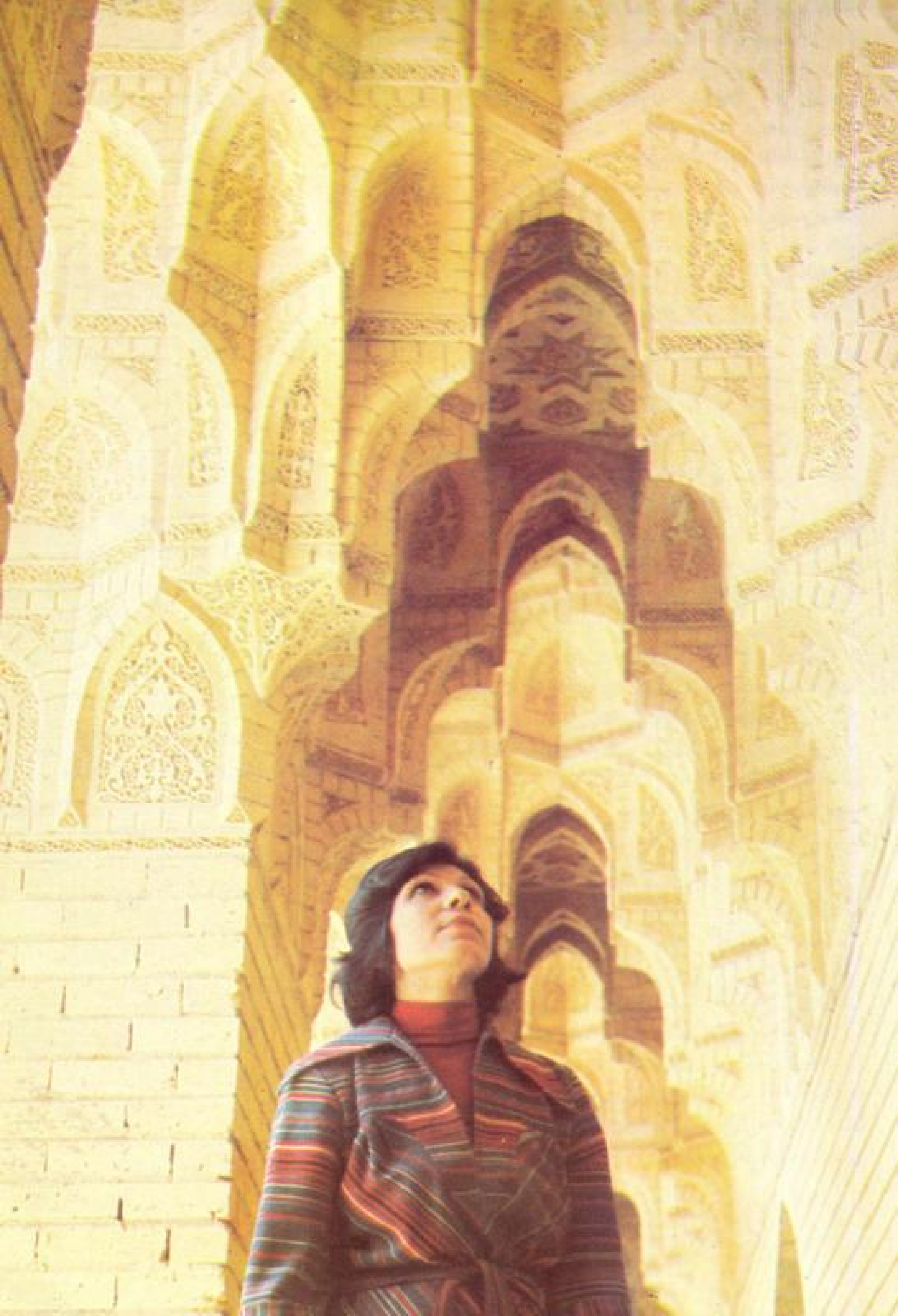
رحلة في المكان والزمان

استطلاع بقلم : مصطفى نبيل   تصوير : عبدالناصر شقره



بوابة المدرسة المستنصرية وتبدو زخارفها في التكسية الآجرية . وهي أقدم مكتبة (٨٠ ألف مجلد) وأقدم جامعة . شيدت عام ٦٣١ هـ دمرها التتار .

عقود الرواق للساحة الوسطى للقصر العباسي . المكونة من عناصر هندسية ونباتية . أقيمت في عهد الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ) .



● نهبط الان في مطار بغداد الدولي ⋅⋅، على المسافرين ربط احزمة المقاعد والامتناع عن التدخين ⋅⋅ » هذا ما اعلنته بالفعل مضيفة الطائرة، ولكن مالبثت الطائرة ان دارت دورتين واوضح قائدها انه قد داهمت بغداد عاصفة ترابية يتعذر معها هبوط الطائرة ، ورجعنا الى مطار الكويت في انتظار نهاية العاصفة ، وفي نهاية ١٢ ساعة شاقة وصلنا الى بغداد ⋅⋅

كانت هذه بداية «عاصفة» لرحلة بغداد ، وليست البدايات دائما مثل النهايات ، عشت تجربة بغداد المعاصرة وغصت في بغداد التاريخ ، التي كانت عاصمة الدولة الاسلامية العظمى ، والتي كان لها دور متميز في الحضارة العربية ، والتي استمرت في العصور المظلمة مستودع البقية الباقية من حضارة الاسلام ⋅

★ ★ ★

منذ لحظة وصولي الى بغداد شاهدت حركة تغيير واسعة ، فانت امام مدينة ترتدي ثوبا جديدا ، ورشة عمل في كل مكان ، شوارع جديدة وانفاق وجسور ومبان حكومية على الطراز العربي واحياء جديدة بمراكزها التجارية تزحف خارج بغداد القديمة ، وانعشني ذلك الاتساع في الرقعة الخضراء ، ونمو الحدائق العامة وحركة التشجير المستمر مع امتداد العاصمة امتدادا دائريا لم يكن متوقعا لتستوعب افواج المهاجرين القادمين من الريف بحثا عن العمل في المشاريع الجديدة ⋅⋅

وفي غمرة حركة التشييد والبناء استمرت صورة بغداد التاريخ هاديا ومحركا ، وانعكس ذلك على المشاريع التي تحافظ على طعمها الخاص وشخصيتها المميزة ⋅ وفي كل زيارة طيلة سنوات وسنوات اتجول في شوارعها الجديدة وازقتها وعلى ضفاف نهرها ، ابحث عن معالم المعمار والشخصية العربية التي شهدت اوج ازدهارها هنا ⋅⋅

وبغداد من اقدم المدن العربية واغناها بالتاريخ وامیزها بشخصية نفاذة ، وهي احدى العواصم العربية التي تجمع بين النهر والنفط ، بين الزراعة والصناعة ، بين الحضر والبادية ، مما وضعها امام مستقبل بلا حدود ، وتستمد نكهتها الخاصة من نهر دجلة الذي يتلوى ليقسمها ويجعلها مدينة شقتين تربطهما الجسور المتعددة ، واحتفت بغداد بالنهر فاعدت له المشاريع ⋅

وبعد النهر والنفط يأتي موقعها الفريد الذي تكشفه الجغرافيا ويؤكده التاريخ ، فبغداد بؤرة العراق تتوسط الشمال والجنوب ، وهي افضل منطقة للعبور بين البحر المتوسط وايران ، وتتوسط ايضا الشرق والغرب فتقع على » خاصرة « الرافدين ، مع جنوح نحو الشرق ، وهي قلب التجمع السكاني او كما قيل » شمس وسط اقمارها « فتقف بين كفتين ممسكة بالتوازن العمراني ، وهي من اكبر عواصم العرب سكانا فيبلغ تعدادهم الاخير ثلاثة ملايين نسمة اي ما يعادل ربع سكان العراق ⋅⋅

ويؤكد شخصيتها انها عاصمة » دولة تخوم « عربية ، كانت مسرحا لصراع حضاري جبار ، فعلى ارض العراق تحددت نتائج معارك تاريخية كبرى ، وبقي التاريخ له اهتمام و«مغزى خاص لدى سكان بغداد» فما زالت حلاوة انتصاراته في حلوقهم ومرارة هزائمه في قلوبهم ⋅⋅

وتشهد بغداد حوارا صامتا وصاخبا بين القديم والحديث يشترك فيه الحجر والبشر ، تقف الاحياء القديمة الى جوار الاحياء الحديثة ، والاسواق التقليدية الى جوار الاسواق المعاصرة ، ويشارك في هذا الحوار الدائر الفنان التشكيلي بريشته وازميله بعد ان حقق نجاحا ملحوظا في مزج الاصالة بالمعاصرة ، فاستوحى من التراث اغلب اعماله ، واختار لحظات بغداد التاريخية وشخصياتها وقصصها مادة لاعماله ، فعكس التعلق بمراحل التألق التاريخي ، ونقل اعماله من القصور الى الشوارع والحدائق والميادين وعلى ضفاف نهر دجلة ⋅

وخلال جولة سريعة في بغداد ⋅⋅ تظهر معالم التغيير ⋅

اقف في شارع » ابو نواس «على نهر دجلة رئة الحي التجاري المكتظ بالسكان ، بين الشارع والنهر رقعة خضراء تنتشر فيها المقاهي والكازينوهات التي تقدم لروادها المشروبات المختلفة والسمك «المسجوف »اكلة بغداد الشهيرة ، وتنتشر على ضفة النهر اعمال الفنانين التشكيليين : الشاعر العربي ابو نواس الذي ارتبط اسمه وشعره بليالي بغداد يمسك في استرخاء كأسه بيده ، والى جانبه رمز أشهر رواية عربية » الف ليلة وليلة « تمثال لشهريار وشهرزاد يتسامران ⋅⋅

في هذا المكان يتزاحم سكان بغداد وزوارها عند الغروب ⋅⋅

وفي مواقع أخرى من بغداد تنتصب تماثيل الكندي والمتنبي والجاحظ وابن سينا والفارابي والرازي، وكل مفكري الدولة العباسية ، ينظرون الى المدينة الصاخبة ، من خلال أعمال فنية متقنة .

قصة بناء بغداد

ووقفت امام تمثال نصفي ضخم في أحد الميادين المحيطة بحديقة الزوراء ، وهو تمثال أبي جعفر المنصور مؤسس بغداد . وهذا التمثال يحكي في صمته قصة بناء بغداد ، قصة العنفوان الحضاري عندما ينعكس في اختيار موقعها ، تلك الخبرة الانسانية المتراكمة لدى العرب وهي بداية الارض الصلبة بين مسطحات ما بين النهرين الرخوة مما جعلها تستغل النهر كطريق متحرك وكشارع رئيسي تحاول كل مدينة أن تطل عليه ..

وتروي كتب التاريخ كيف تفقد ثاني الخلفاء العباسيين المواضع المقترحة لعاصمة الدولة الجديدة ، بعد أن بعث الرواد ليرتادوا مكانا وصفه وحدده لهم : «بأن يكون رافقا بالعامة والجند ، موقعا ترتفق به الرعية ويوافقها ولا تغلو عليها فيه الاسعار ولا تشتد فيه المؤونة ، فاني ان اقمت في موضع لا يجلب اليه من البر والبحر غلت الاسعار وقلت المادة واشتدت المؤونة وشق ذلك على الناس .. » .

وبعد معاينة الموضع قال : مررت في طريقي بموضع اجتمعت فيه هذه الخصال فانا راجع اليه وبايت فيه ، فان اجتمع لي ما أريد من طيب الليل فهو موافق لما اريده لي وللناس . » فبات فيه وقال لمن معه هذا موضع أبني فيه ، تأتيه المادة من الفرات ودجلة ، ولا يحمل الجند والعامة الا مثله .. ، فانت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والسواد كله ، وانت قريب من البر والبحر والجبل» وهي على الطرق الهامة .. « شرعة الدنيا كل ما يأتي من الرقة والشام والثغر ومصر والمغرب ، فيها يحط وينزل .. » .

والقصة تحكي من طراوة جو بغداد في الصيف والشتاء وفي الليل والنهار ، وهو غير قائم الان ، فبغداد شديدة الحرارة في الصيف وقارسة البرد في الشتاء ..

ويبدو أن الطقس مثل الحياة كلها دول :

والكتب القديمة تزخر بأوصاف بغداد وحسن اختيارها ، ومنها قول ابن طباطبا .. « تجيئك الميرة في السفن والقوافل من مصر والشام ، وتجيئك الآلات من الصين في البحر ومن الروم ، وأنت بين انهار لا يصل عدوك الا على جسر او قنطرة ، فاذا قطعت لا يصل عدوك .. » .

وجاءت بغداد مبتكرة وفريدة في عصرها ، وقدم اليها « كل من يفهم شيئا في البناء » من كل أرجاء العالم الاسلامي ، وطلب المنصور أن يرى المدينة كيف تكون .. ؟ فخطت له بخطوط هندسية ووضع على هذه الخطوط حب القطن وصب عليه نفط توقد فيه النار ، فتاملها والنار فيها فتحققها وعرف رسمها . واختار الخليفة جماعة من الخبراء «منهم الامام أبو حنيفة بن النعمان ليشرف على البناء» .

وبنيت على شكل دائرة يتوسطها قصر الخليفة والجامع «تحيط به قصور القادة ورجال الدولة ، وكانت حصنا جبارا وقلعة ذلك الزمان ، وجعل لها أربعة أبواب كبار كل بابين متقابلان والطريق بينهما يقسم المدينة قسمين ، اذا جاءها قادم من المشرق دخل من باب خراسان ومن الحجاز دخل من باب الكوفة واذا جاء من المغرب دخل من باب الشام واذا جاء من فارس والبصرة والبحرين دخل من باب البصرة ، وبنى للمدينة سورين تفصل بينهما أرض خالية للدفاع ، واحد السورين أعلى من الاخر بما يقارب النصف ، وعرض السور لدى قاعدته عشرة أمتار ، وحول السور ١١٣ برجا للمراقبة والحراسة ، ولم يكتف بذلك بل حفر حول المدينة خندقا عريضا عميقا وأجرى فيه الماء من قناة ، وجعل للابواب الاربعة دهاليز أربعة ، وللاسوار أربعة أبواب مضاعفة من الحديد ، ويلاحظ أن هذه الابواب تفردت بظاهرة معمارية هامة هي الازورار . فكان الداخل من الباب الخارجي لا يدخل مباشرة الى المدينة ولكن ينحني الى اليسار في دهليز يفضي الى الباب التالي وزاد على ذلك حفر نفق يمتد تحت الارض فرسخين خارج المدينة اعده في حالة محاصرة العدو ، ولم يعرف ذلك لمدينة قبل بغداد ، ومن خصائصها الاخرى انها بنيت مدورة لئلا يكون الخليفة في وسطها في موضع اقرب من الآخر !

وسميت المدينة « مدينة المنصور » نسبة الى بانيها ، ومدينة السلام ، ودار السلام ، والزوراء





قبة مرقد الشيخ عمر السهروردي من اقدم جوامع بغداد ، شيدت عام ٦٣٢ هـ على طراز القباب السلجوقية • (الى اليمين أعلا) ، ومنارة الملوية في الجامع الكبير في سامراء شيدها المعتصم عام ٢٢١ هـ ، يبلغ ارتفاعها ١٢٠ قدم ، على نفس نمطها جامع ابي دلف وجامع ابن طولون في القاهرة • (الى اعلا) ، و « ماكيت » بغداد المدورة يتوسطه القصر والجامع وحولهما السور ، وبوابات بغداد الاربعة ، صنعت من الفضة والذهب الخالص • (الى أسفل)





لوحة جدارية داخل مسجد يونس تحكي قصة يونس والحوت · ويقع على النهر في الكوفة وهو مسجد للنساء فقط ·

سوق الشورجة والمنتجات التقليدية. الشمع والعطارة·



لازوارهـا عن القبلة ، والمدورة لاستدارتهـا ، والروحاء لطيب هوائها • ولكن الاسم الذى بقى على كل لسان هو بغداد ••

ونعود من الزمان الى المكان ، ومن التاريخ الى الحاضر ، الى شوارع بغداد ••

نعود الى شارع السعدون ، الشارع التجارى فى قلب العاصمة والذى امتلأ بالعمارات الجديدة والعصرية وازدحم بالفنـادق بعد أن لم يكن به سوى فندق واحد من فنادق الدرجة الاولى هو فندق بغداد ، فى أحد الميادين تمثال جميل « لمرجانة جارية على بابا » وهى تصب الزيت على رؤوس اللصوص فى الجرار فى تشكيل بديع مستوحى من القصة المشهورة ••

وهكذا تنتشر أعمال الفنان العراقى ، الذى زين بغداد كما لم تزين عاصمة عربية أخرى •

النفاذ الى التاريخ

وجولة أخرى فى الاحياء القديمة المكتظة مثل الكاظميـة والاعظمية والاسواق التقليدية كسوق الشورجة تكمل صورة بغداد • انها أسواق تشبه العديد من الاسواق العربية : سوق الحميدية فى دمشق وخان الخليلى فى القاهرة. وفى هذه الاحياء تقف المبانى العتيقة محتفظة بارادة تاريخية لا تقهر، المساجد البغدادية المميزة • شارع الرشيد اهم شوارع بغداد التاريخية ، التاريخ القديم والحديث معا ،بأهم الاثار التاريخية العباسية والتى أبرزها المدرسة المستنصرية فى سوق الصفافير ، والقصر العباسى الملاصق لوزارة الدفاع، والبيوت البغدادية القديمة المنتشرة والمتهالكة ••

وهنا جامع الحيدرخانة أحد معاقل الحركة الوطنية العراقيـة • وهو الذى شهد مواكب المناضليـن والشهداء منذ ثورة العشرين التى كانت الـرد على اعلان الانتـداب البريطانى بعد أن ساهـم العراقيون فى القتـال ضد الاتراك ، وبدلا من الحصول على الاستقلال حكمت القوات البريطانية حكما عسكريا قاسيا ••

وتمضى فصول التاريخ وتمر مواكبها بشارع الرشيد وفى اواخر عام ١٩٣٦ يقوم الجيش العراقى بانقلاب وطنى بقيادة بكر صدقى . والذى لم يكمـل العام ، ويتبعـه رشيد عالـى الكيلانـى رئيس الوزراء بثورة ضد بريطانيا : وتنزل قوات الاحتلال الى بغداد بعد شهر من اعلان الحرب العالمية الثانية•

ويشهد شارع التاريخ اعنف الثورات واعظمها فى مواجهة معاهدة بورت سموث عام ١٩٤٨ مما أدى الى الغائها •

وتدورة دورة تاريخية ويشهد شارع الرشـيد فصلا جديدا بقيام ثورة ١٤ تمـوز ١٩٥٨ التى أنهت الحكم الملكى واخرجت العـراق من حـلف بغداد ، وتوالت الاحداث التى كان محورهــا وزارة الدفاع بشارع الرشيد وشهدت محاولــة اغتيال عبدالكريم قاسم ثم اقصاءه •

هنا يتمكن المواطن من النفاذ الى تاريخه ••

معادلة الاصالة والمعاصرة

تقوم ادارة الحفاظ على التراث بترميم بيت النقيب ، كما تعمل على حصر الدور البغدادية القديمة لصيانتها وترميمها ، فقد نجح المولعون بالتراث والذين يتأملون بشغف بقايا الماضى من انقاذ هذا المبنى من براثن الاهمال ، وفى نفس الوقت استمر النقاش وقال البعض : ان مهابة بغداد القديمة العباسية او العثمانية ليست لها اى علاقة بالمناظر المتنافرة التى نراها فى احيائها القديمة ، ويتساءل البعض الآخر : هل تفرغ هذه الاحياء من سكانها لتتحول الى متاحف ؟ وهـل المطلوب ان يتحول بيت النقيب وخان مرجان الى مطعم سياحى كما يخطط البعض من المهتمين بالسياحة وجلب الاجانب •• ؟! ويستمر الحوار ليتناول مستقبل الاحياء القديمة والمبانى الأثرية•• نفس الحوار فى القاهرة ، ودمشق ، وغيرهما من مـدن العروبة القديمة •

ولكن الحل العملى والغالب هو أن تكون العمارة العربية موصولة بالماضى ، فما ينطبق على الماضى الشامخ والتراث الثقافى ينطبق على البنايــة العتيقة فى وسط حيها ، فمنظر البناية بمعزل عن اطارها الانسانى امر خاطىء ،وانقاذ البناية ينطلق من تطوير الحى باكمله وبعث حياة نشيطة وملائمة من حولها ، فالاصالة ليست تقليد القديم بقدر ما هى البحث والتجديد فى اطار الشخصية الخاصة المميزة ••

ولعل الطريق الصحيح هو السعى الدؤوب للوصول الى « الثوابت » التى تمكن المعمارى من استعمال « المتغيرات » من اجل الحفاظ على المزاج العربى

المميز . فاكتشاف سرقديم وسر استمراريته وبقائه على مر العصور هو الحل العملي لمعادلة الاصالة والمعاصرة . وهو بلا شك يساعد على وقف التشوهات المنتشرة في المدن العربية والناتجة من التناقضات القائمة بين ماض خلاق وحاضر يتسم بالتقليد ..

وفي احد البيوت البغدادية هو بيت السيد زهير العطيه نموذج لتحقيق تلك المعادلة في استخدامه الرشيق والذكي لهذه « الثوابت » فهو بيت عصري وفي نفس الوقت تفوح منه رائحة الاصالة ..

الانضباط في الشارع البغدادي ..

وبغداد تعاني من الزحام الشديد . والسير فيها لا مثيل له في الفوضى . كل سائق يمشي على هواه ويسرع بشكل طائش . الاف السيارات في الاحياء القديمة وفي شارعي الرشيد والسعدون التي تكاد تختنق . رغم كل محاولات الانضباط وانتشار رجال المرور الذين يتقاضون بصرامة الغرامة من كل من يخالف قواعد المرور . ورغم بداية اقامة الانفاق مع مفترقات الطرق ..

والمحاولة جادة لفرض الانضباط في الشارع البغدادي وتصل الى الحد الذي يقص فيه شعر الشاب اذا تركه مرسلا ..

فمعدل زيادة السكان السريعة في بغداد ادى الى تفاقم مشاكل الخدمات . من مشاكل الاسكان الى توفير السلع التموينية . كما ان امتداد بغداد الحديثة لتشكل دائرة قطرها ٣٠ كيلو متر زاد من صعوبة حلها . فما زالت بغداد شبه دائرة تذكرنا بمدينة المنصور المدورة . ويرجع هذا التوسع الافقي والنمو الدائري الى ان ساكن بغداد يفضل العيش في مسكن خاص بحديقة مستقلة . وكانه الحنين الجارف الى الريف . وفشلت كل محاولات خلق عادة سكن العمارات . ومازالت مشكلة الاسكان حادة . والمواصلات ايضا فتستخدم بغداد الباصات ذات الدورين . وبقيت المشكلة تنتظر مشروع «المترو» ليضع حدا لمشاكل الحركة في عاصمة واسعة الاطراف . ورغم الالتزام الصارم بتحديد الحكومة للاسعار الا ان الاختناقات التموينية تتكرر نتيجة التزايد المستمر لسكان بغداد والقوة الشرائية المتنامية ..

عاصمة الدولة الاعظم

والتاريخ مازال قويا في بغداد المعاصرة . عندما اقترنت بغداد بالدولة العباسية وكانت مركز الدنيا وعاصمة اقوى دولة في العالم . ولا يتسع المجال هنا لسرد تاريخ الدولة العباسية ولا استعراض تفاصيل خمسة قرون حافلة . وانما قراءة جديدة بعيون مفتوحة لبعض فصوله . وتقديم لمحات من هذا التاريخ الذي يمثل جزءا هاما من تاريخ العرب وحضارتهم .

فحتى الان عندما يذكر العصر العباسي . يتبادر الى الذهن تلقائيا تلك الصور الشعرية والخيالية لقصص الف ليلة وليلة وصور قيان بغداد . المقامرة . والمتعة . وتبقى اجواء الحضارة المزدهرة والعلم والتجارة ودروس السياسة في خلفية الصورة لا يلتفت اليها سوى عدد من المؤرخين والباحثين . ويكفي انه كان ضمن دراستنا في الجامعة تاريخ الفكر السياسي الذي تتبعناه لدى الاغريق والرومان وانتقلنا الى مدارسه ونظرياته الحديثة . ولم يكلف احد نفسه بان يقدم لنا دراسة عن الفكر السياسي في هذه المرحلة الهامة من التاريخ . هذه الحقبة التي حق لهم فيها القول بانهم كانوا في تاريخ البشر شيئا مذكورا . في عصر اوسع دولة عربية اسلامية موحدة . واطول مدة عرفتها اسرة في ذلك التاريخ . العصر الذي انتشر فيه العرب في الشرق والغرب فاتحين ومتوطنين . العصر الذي تحولت فيه لغة العرب الى لغة عالمية في الدين والسياسة والعلم والحضارة . والتي كانت فيه وعاء الثقافة الانسانية في ذلك الزمان . والتي ضمت ثقافات جميع الشعوب التي دخلت الاسلام . وكانت العربية هي اداة الوصل بين امهات الكتب القديمة واللغات المعاصرة ..

كان على قمة المجتمع الدولي الدولة الاسلامية المسيطرة على مقدرات اكبر عدد من الشعوب . الحضارة العربية الاسلامية فيه هي المهيمنة . تنظم السلم والحرب وتسيطر على الفكر والفن والانتاج . قدمت للعالم رؤياها الخاصة في كل جوانب الحياة . وقامت ما بين قلب اسيا في التبيت حتى امواج المحيط الاطلسي . وورثت مهام الامبراطوريتين الرومانية والفارسية معا ..

وفي هذه المرحلة تم تطبيق مجموعة من القيم والمفاهيم الانسانية والحضارية التي جاء بها الاسلام الى العالم . والتي اخفقت هذه الدولة في تطبيق بعضها احيانا ونجحت احيانا كثيرة . وفي



شهرزاد وشهريار يتسامران على شاطىء نهر دجلة في شارع أبي نواس • مستوحاة من
الف ليلة وليلة •

مرجانة والجرار صورة تشكيلية في أحد ميادين بغداد لقصة علي بابا •••





تمثال ضخم للفارابي .



المناطق الاثرية ـ أحد الازقة
التي تحتاج الى عناية .

كل الاحوال قدم العرب تجربة انسانية انعكست على كل شئون الحياة ، ففى العصر العباسي الاول عادت المبادىء الاسلامية فتاكدت من جديد ،وتجسدت في مؤسسات عالمية تسودها الشريعة ، وترتع في بحبوحة القوة والثروة والثقافة .

ولم يكن مضى على صدر الاسلام سوى قرن وثلث من الزمان تولى الخلفاء الراشدون فترة تزيد على ربع قرن والامويون قرابة القرن، واستمرت الدولة العباسية خمسة قرون بدأت في القرن الثاني الهجري وانتهت باجتياح هولاكو لبغداد عام ٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م ..

والتنقيب في مواقع التاريخ العباسي له مغزى هام اذا تبينا ان العديد من الظواهر التي نحياها تمتد جذورها الى هذه الفترة التاريخية .

وقد تحركت عاصمة الدولة الاسلامية مع تحرك الوسط الجغرافي لها . فمع اتساعها انتقلت من المدينة الى دمشق ثم الى بغداد ،فبعد امتداد الدولة الاسلامية الى المناطق الشرقية في اسيا ، ومع انتقال طرق التجارة العالمية الى العراق كان من الضروري ان تتحدد العاصمة على محور يمتد من خليج البصرة الى الموصل ..

والان .. اين بغداد المنصور والرشيد والمامون .. ؟

لم يبق من بغداد تلك سوى بعض الاثار العباسية . فاندثرت وضاعت من الزمن مدينة المنصور المدورة ، وقصر الخلد وقصر باب الذهب وجامع المنصور والقبة الخضراء والسور وما احاط به من الدور ..

وبقي يتحدى الزمن القصر العباسي على نهر دجلة جنوب وزارة الدفاع ، بعمارته العربية ونقوشه وابوانه ، والذى اقامه الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ) وكان منذ ثمانية قرون دارا للعلم جمعت فيها الكتب والمخطوطات من كل مكان. والمدرسة المستنصرية التى شهد رواقها وقاعاتها ازدهار العلم والمعرفة،والتى افتتحت عام ٦٣١هـ . وبقي من سور بغداد باب واسط (باب خراسان) احد أبواب بغداد القديمة ، ثم منارة جامع الخفافين وهي من أقدم المنائر القائمة ذات القبة المخروطية ، ومنها أيضا مقبرة الشيخ السهروردى صاحب الطريقة السهروردية ، وهي من اثار بغداد التى تجذب اليها المهتمين بالعمارة العربية ..

ويرجع دارسو الاثار ندرة لاثار العباسية لتدمير التتار لبغداد ولطبيعة مواد البناء التى اقيمت بها بغداد،فقد كانت من الاجر،وايضا لجو بغداد ورطوبة الارض التى تتلف المواد البنائية ، كما انه كثيرا ما كان يغرقها فيضان نهر دجلة حتى تم التحكم في تقلبات النهر بانشاء سد الثرثار ، هذا رغم حرص عرب ذلك العصر على اقامة قصور ومساجد تخلد مع الزمن فيذكر الطبرى نقلا عن المامون قوله لاحد مهندسيه : « اذا بنيت لى بناء فاجعله ما يعجز عن هدمه ليبقى طلله ورسمه .. » .

ونقل عن العرب قولهم : لا شيء ابقى ذكرا من البناء فاتخذوا منه ما يبقى لكم ذكرا ...

ولهذا عاشت اثار سامراء التى كانت عاصمة لثمانية من خلفاء بنى العباس ،وبقيت منارة الملوية والمسجد الجامع من اهم الاثار المعمارية للعصر العباسي قائمة تتحدى الزمن ..

بغداد تستقبل سفير الروم ..

* وتتتابع الصور من حياة بغداد العباسية الزمان : احد ايام القرن الرابع الهجرى والقرن العاشر الميلادى وبالتحديد سنة ٣٠٥ هـ .

المكان : قصر الخليفة المقتدر بالله . الذى شهد استقبال سفير امبراطور الروم قسطنطين التاسع . اهل الاستقبال الضيوف ، ففى وسط الحديقة شجرة من الفضة وزنها خمسمائة الف درهم وعليها طيور من الفضة تصفر بحركات خاصة . والشجرة وسط بركة مدورة وعلى يمين البركة تماثيل خمسة عشر فارسا لبسوا الديباج . والشجرة فروعها من فضة واغصانها من الذهب ..

والبحيرة من الزئبق الذى يحمل اربع زوارق مذهبة . ومحاطة باربعمائة نخلة غطيت جذوعها بخشب الساج المنقوش ..

وفى الحديقة مائة من السباع ، مع كل سبع مروضه . واربعة افيال مزينة بالديباج وعلى كل منها ثمانية رجال ، ومجموعة اخرى من الزرافات والفهود والنمور .

ويعكس ما رواه المبعوث مدى الرفاهية والغنى الذى كانت تتمتع به الدولة عندما تكدس في عاصمتها كل ذهب العالم الوسيط . وبعد ان اتجهت الى

التجارة الخارجية البحرية مع الشرق الاقصى ، مما فتح امام بغداد سيلا من التقدم والرخاء الاقتصادى ٠٠

❋ ومن صور هذا العصر ازدهار العلم والثقافة فكانت بغداد مركزا هاما يقصدها الطلاب من كل مكان ، يقوم فيها الدرس في المساجد الجامعة التى كانت مكانا لتلقى العلوم ٠

وصاحب هذه النهضة العلمية حركة ترجمة واسعة ، وقام الفكر الاسلامي من امتزاج الثقافات ونما على اساس الاخذ والعطاء ، ولم يوجد من يتهم فكرا بانه مستورد، وترجمت امهات الكتب الى العربية ، حتى انه في ايام القتال بين الروم والعرب قام التبادل الحضارى بينهما ، ويروى التاريخ كيف لم ينس المسلمون خلال غاراتهم على الروم زمن الرشيد والمامون ان يسعوا للحصول على كتب العلوم المختلفة من انقرة وعمورية ،ولم يكتف الخلفاء باحضار الكتب ولكنهم احضروا العلماء ، فاذا ذكر للمنصور احضاره بعض علماء الطب من الهند فقد نقل عن المامون انه ارسل رسالة الى تيوفيل امبراطور الروم يطلب فيها السماح للعالم الرياضي ليو بزيارة بغداد ويعرض في مقابل ذلك الصلح الدائم والفى قطعة ذهبية ٠

❋ وفى مبنى مهيب اقيم « بيت الحكمة » الذى جمعت فيه الكتب من كل انحاء العالم ، وبعث الخليفة المامون الى حاكم صقلية كتب الفلاسفة ونفائس العلم من مكتبة صقلية ، وجمعت الكتب بلغاتها وبدات ترجمتها وكان يعطي وزن ما يترجم ذهبا ، كما امر بان تشترى المصنفات اليونانية من اسيا الصغرى ، وارسلت بعثة الى ملك الروم لترجمة العلوم المخزونة هناك ، ولم يكتف العرب بالترجمة وانما تجاوزوها الى التحقيق والاضافة ٠

وفى عصر المامون استهل ابو يوسف الكندى فيلسوف العرب واحد عقولهم الكبرى في تاريخ العالم نشاطه الفكرى بما قدمه من دراسات في التاريخ الطبيعي وعلم الظواهر الجوية ، وعنى بعلم الحرب فوضع رسالة ذكر فيها ما يزيد عن خمسة وعشرين ضربا من ضروب السيوف وفقا لمصادر انتاجها من اليمن الى سرنديب (سيرالانكا) وحتى فرنسا وروسيا ٠

❋ وشهدت هذه المرحلة التاريخية معارف نظرية جمة ، ويعجب المرء كيف لم تطبق هذه المعارف النظرية في الحياة اليومية ، وهذه المعارف ذاتها التى طبقت في اوروبا بعد عصر النهضة وقامت على اساسها الثورة الصناعية ، فمثلا وجدت العجلة التى استخدمت في الحروب ولم تستخدم في المواصلات ، وعرف النفط واستعمل للوقود وللاضاءة ولكنه لم يتحول الى الصناعة ٠ومن المدهش كتاب احمد بن موسى بن شاكر في علم الحيل والذى طرح مائة مسالة نظرية وقدم الاجابة عليها جميعا ، ولكن يلاحظ ان ٢٠ مسالة تطبيقات عملية لمعارف نظرية تتعلق بالحرب و ٨٠ مسالة للالعاب والتسلية ٠٠!

وهذه الظاهرة نفسها هى التي حولت جابر بن حيان اعظم الكيمائيين العرب من كيميائي الى ساحر !

وربما يرجع ذلك الى عدم نشوء الحاجة التى تحول هذه المعارف النظرية الى تطبيقات ، او لعله طبيعة المجتمع الذى كان يقوم على الخاصة ،

ويبقى تفسير هذه الظاهرة قابلا للبحث والدراسة٠

وشهد هذا العصر ظهور الاصمعي والفراء والكسائي والخليل بن احمد في اللغة ، والمبرد والجاحظ في الادب ، وابو نواس وابو العتاهية ومروان بن ابي حفصة والعباس بن الاحنف في الشعر ، وابراهيم بن الخليفة المهدى وابراهيم الموصلي وابنه اسحق في الموسيقى ٠ وفى العلم والطب والفلك آل بختيشوع واولاد شاكر وحنين ابن اسحق والخليفة المامون وابن ماسويه وابن البطريق وغيرهم ، وظهر فقه المذاهب الاربعة ٠٠ وكان هؤلاء هم اعلام التقدم الفكرى في عصرهم باجمعه ٠٠

❋ ونشات الجمعيات العلمية مثل جماعة اخوان الصفا التى كانت رسائلهم عامرة بالحكمة والفلسفة والرياضيات والطبيعيات ووصف المعادن والنبات والحيوان وظواهر الطبيعة ، وبلغت رسائلهم اثنتين وخمسين رسالة وكانت بمثابة دائرة معارف موسوعية تحيط بمعارف العصر ٠



البساط والسجاد احد أقدم الصناعات في العراق ويتكون من الصوف المطرز بالالوان الداكنة في أشكال هندسية ، وزخارف ونقوش وأشكال حيوانية بالوان جذابة .





أحد البيوت البغدادية الذى استخدم الفن العربى فأصبح متناغما مع البيت الحديث . ويلاحظ الاستخدام الذكى والرشيق للزجاج الملـون ، والخشب المنقوش ، والمعلقات ذات الطراز العربي جنبا الى جنب مع اللوحات الحديثة .



وازدهرت مدرسة بغداد الفلكية سبعة قرون بدأت مع تأسيس مدينة السلام وحدد العرب مدة السنة بالضبط ، واقدم فلكيو المأمون على قياس خط نصف النهار الذى لم يوفق له الاوربيون الا بعد الف سنة كما ذكر العالم الفرنسي جوستاف لوبون ، يقول ٠٠ «ان العرب هم الذين نشروا علم الفلك فى العالم كله ، فقد دام عملهم فى حقل الحضارة بعد زوال سلطانهم السياسي » ٠

وشهد هذا العصر من المنجزات صناعة الورق والتى بدأت فى سمرقند وانتقلت الى بغداد فى عهد الرشيد ومنها الى الشام ومصر والاندلس ، وقدم العرب اداة حفظ الثقافة والعلوم ونشرها الواسع والرخيص ٠

وحفلت بغداد بعدد كبير من خزائن الكتب وكان لهذه الخزائن انظمة خاصة بالمطالعة والاعارة والاستنساخ وبيع الكتب وتجليدها وتزويقها ونقشها والاعتماد على النساخ ٠٠

* وفى عصر الرشيد تتلاحق الصور الموحية ،فقد تجمعت كل روعة فترة الاستقرار فى عهده والتى يمكن اعتبار سيرته كما يقول الدكتور شاكر مصطفى مكملة للميراث الفكرى للانسانية ،والذى يمكن ان يقارن عصره بعصر لويس الرابع عشر فى فرنسا او الملكة فيكتوريا فى بريطانيا ٠٠

ونقلت روايات الف ليلة وليلة صورة عصر الرشيد الى اذهان العالم ، حتى اصبح الرشيد لدى الغربيين يمثل نواحي الجلال والعظمة العربية ٠

* وازدهرت الموسيقى والغناء بفضل اهتمام الخلفاء والوزراء حتى ان صاحب كتاب «الفخرى» فى الاداب السلطانية يقول : من اشهر المغنين فى ذلك العصر ، ابراهيم الموصلي وابنه اسحق، وكانا من رجال الادب ، وكتب اسحق رسالة مطولة فى الغناء صحح فيها انغامه واحتفظ بالغناء القديم وانتشر الغناء فى هذا العصر انتشارا كبيرا حتى اصبح من حاجات الناس الاساسية ٠

*ولقد لعبت القيان دورا كبيرا فى حياة بغداد الاجتماعية ، يقول ابوحيان التوحيدى فى كتاب « الامتاع والمؤانسة » ٠٠ ان عدد الجوارى اللائى يحترفن الغناء فى بغداد بلغ حسب احصائه اربعمائة وستين جارية وكان الناس يترددون على المحال العامة للسماع للمغنيات ، وكانت العناية بتعليم الجوارى تزيد على تعليم الحرائر ، وكان ثمار هذا الجو كتاب الاغانى لابى الفرج الاصفهانى ٠

* وظهرت فى عصر الرشيد «شقاوات» بغداد عندما جمع الامام جعفر الصادق الفتوة وتولى رئاستها واشترط للانتماء لها مكارم الاخلاق ، وكان يواجه بها الظلم والطغيان ،وعندما داهمت بغداد الفتنة بسبب الحرب بين الامين والمأمون قاد سهل بن سلامة الانصارى الفتوة لقتال الشطار الذين اخذوا يمارسون السلب والنهب ، وازدهرت الفتوة فى عصر الخليفة الناصر لدين الله،ووضع لها نظاما خاصا ، وعين لفتيانها المراتب، والبسهم سراويل الفتوة البيضاء التى لايزال يلبسها ابناء البلد فى الأحياء الشعبية حتى الآن ٠

* والصورة هذه المرة من الصين ومن سجل تاريخ الامبراطور كوانج تونج ، وتعكس دور العرب فى المجتمع الدولى ٠٠ يقول :

« فى عهد دولة تانج وفد على كانتون عدد كبير من الغرباء ، وكان هؤلاء الغرباء يعبدون الله وليس لهم فى معابدهم تمثال او صنم ، وكانت مملكة الاسلام قريبة من مملكة الهند وفيها نشأت ديانة هؤلاء الغرباء التى تختلف عن ديانة بوذا ، وكانوا لا يأكلون لحم الخنزير ولا يشربون الخمر ويعتبرون الذبائح التى لا يذبحونها بأيديهم طعاما نجسا ، واستأذنوا الامبراطور وحصلوا منه على اذن بالاقامة فى كانتون ، وبنوا دورا جميلة من طراز يختلف عن ذلك الذى فى بلادنا ، وكانت لهم ثروة عظيمة ودانوا بالطاعة لرئيس انتخبوه بانفسهم ٠٠ »

وعندما قامت فى عام ٧٥٦ م اضطرابات فى الصين واجبر امبراطور الصين على التنازل عن العرش لابنه طلب الابن النجدة من الخليفة العباسي المنصور ، فاجاب بارسال قوة عسكرية نجح بمساعدتها فى استرداد عاصمته من ايدى الثوار ، وتضيف المصادر الصينية ان قوة النجدة العباسية لم تعد الى بلادها وبقيت فى الصين وتزوج افرادها هناك واستقروا ٠

هل الدولة العباسية
ثورة ٠٠ ؟

ونصل الان الى السؤال التالي : هل الدولة العباسية كانت تطورا طبيعيا واستمرارا لما قبلها ام ثورة على ماسبقها ٠٠ ؟ لنعرف ما اضافته الدولة الجديدة فى التاريخ العربي والاسلامي ٠٠

تذهب اغلب المصادر الى ان انتقال الخلافة من بني امية الى بني العباس هو الانتقال من عصر تاريخي الى اخر وانه انقلاب جذري وثورة في كيان الدولة العربية الاسلامية . ولكن هذا التغير كان فيه من الدهاء والقدرة السياسية اكثر مما فيه من الانقلاب . وهو انتقال الحكم من اسرة الى اخرى مع تعديلات فرضتها سنة التطور. وهي تختلف بذلك عن ثورة الاسلام العميقة فى الجزيرة العربية عندما غيرت المفاهيم والقيم وانعكست على البنية الرئيسية للمجتمع العربي . والعديد من انظمة العباسيين كانت استمرارا او تطورا لمؤسساته . فمع اتساع الدولة الاسلامية ودخول شعوب متعددة فى الاسلام ، استجاب العباسيون الى ذلك الواقع الجديد . وعادت المبادئ الاسلامية فتاكدت من جديد واندحرت فكرة ارتباط الاسلام بجنس مسيطر هو العرب ، وتحولت الدولة الى دولة قوميات متعددة بعد ان كانت في العصر الاموى واحدة القومية ، وبرز دور الشعوب الاخرى تحت راية الاسلام .واختفت التفرقة التي ظهرت فى العهد الاموى فكانت اسلامية اممية يقوم فيها العرب بدور الحكام ويلعبون فيها دورا رئيسيا مع بروز الشعوب الاخرى على اساس وحدة الاسلام الذى يجمع بين المواطنين جميعا . وكان من علامات قوة الدولة العباسية ما حدث داخلها من امتزاج حضاري خلاق وتعزيز ظاهرة التفاعل الحضارى بين العرب وسواهم من الشعوب والحضارات الاخرى وخاصة مع فارس وتركيا والهند . وظهر ذلك في نظام الضرائب الذى لم يعد يفرق بين العرب وغيرهم ، اذن كانت الدعوة العباسية استجابة لدخول شعوب متعددة في الاسلام واتساع رقعة الدولة التي امتدت في المناطق الشرقية في اسيا ٠٠

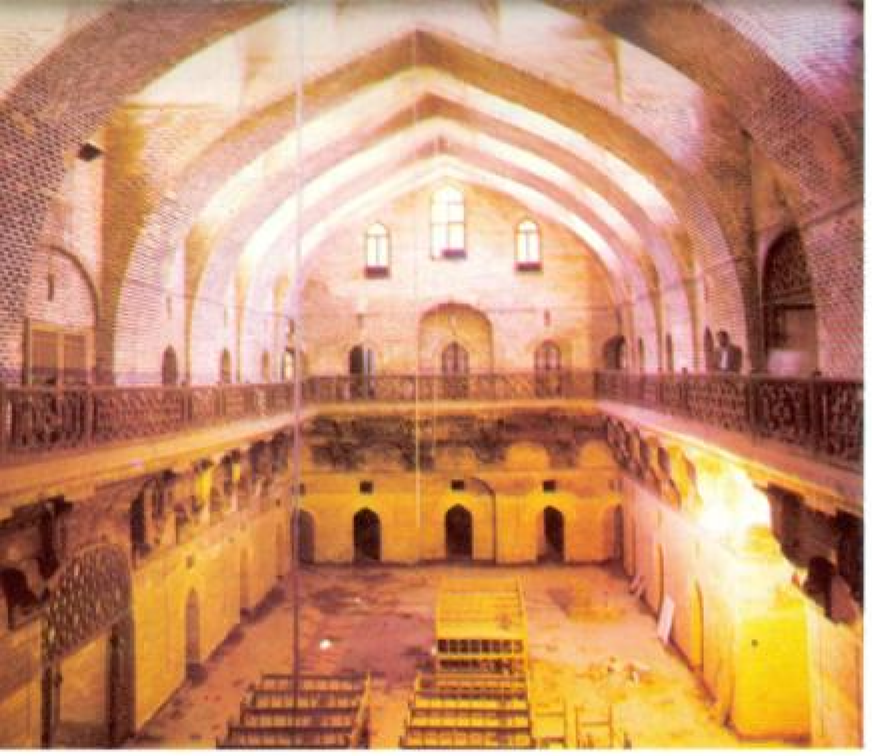
وصاحب ذلك الاتساع ، قيام الدعوة العباسية السرية في الامصار التي نظمت صفوفها تنظيما دقيقا صبورا استمر ربع قرن تحت شعار الدفاع عن ال البيت امام الاضطهاد الذى لحقهم امام القوة الاموية والتي ادت الى عدد من النكبات والهزائم الدامية اهتز لها الضمير العربي واشاعت السخط والغضب . ونجح العباسيون فى استغلال ذلك ونالوا ما اخفق في تحقيقه سلالة علي ، وفشلت كافة المحاولات التي قاموا بها . وقد شكلت فجيعة البيت العلوى أحد الصور التاريخية المؤلمة ٠ والتي كانت نتيجة المثالية الشديدة التي تصرفوا على اساسها . وتسرب الانقسام الى صفوفهم فكل فرقة تدعو لاحد ابناء البيت العلوى ٠ وهي قصة الذين يقدمون التضحيات دفاعا عن مبادئهم ومن اجل التغيير ، فياتي غيرهم ليحصد ثمن تضحياتهم . فعادة لا ينتصر الاكثر اخلاصا او الاشد صدقا وانما الاكثر كفاءة والاشد براعة . فكان العباسيون هم الاكثر دهاء والابرع سياسة والاكثر واقعية . يعيشون حياة ظاهرها قائم على رواية الحديث والتفقه في الدين وباطنها قائم على دراسة الاحوال الاجتماعية والتيارات السياسية . يجندون لتاييد الدعوة جماعات واتجاهات متباينة الاهداف . ترى كل من هذه الجماعات فى الدعوة العباسية تحقيقا لمصالحها الخاصة وحلا لمشاكلها ٠

وظهرت كفاءتهم في الاستجابة للواقع الجديد واختيارهم لخراسان لانطلاق دعوتهم . وكبؤرة للعمل السياسي . فقامت الدعوة على محور جغرافي مثلث يمتد مابين الحميمة فى الاردن وبين الكوفة في العراق حتى خراسان في اقصى الشرق الاسلامي . واختيرت الكوفة لبدء النشاط العباسي. فهي جغرافيا متوسطة الموقع بين الشام والبلاد الشرقية ٠٠

وهكذا اتبع العباسيون سياسة عملية واقعية ويذكر صاحب الفخري : « ان الدولة العباسية ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك فكان اخيار الناس وصلحاؤهم يطيعونها تدينا والباقون يطيعونها رهبة او رغبة ٠٠ »

فقد قام بنو العباس على اساس انهم يريدون احياء السنة وحكم العدل وارجاع الخلافة الحقة ، وارتدى خلفاؤهم البردة واحاطوا انفسهم بالفقهاء، وحاربوا الزنادقة . وصاحب هذا تغير فى نظرية الحكم فبعد ان كان الخليفة الاموى اشبه بشيخ قبيلة يستمد قوته من رضى رؤساء القبائل، اصبحت


الرحمن الرحيم وان ليس للانسان الا ما سعى وان



خان مرجان ببغداد الشرقية والمتفرع من شارع الرشيد . ويتكون الخان من قاعة كبيرة مسقوفة بعقود فى أطرافها شبابيك للانارة • والبناية تمثل اسلوبا فريدا فى الفن المعمارى ببغداد عام ٧٦٠ هـ ـ ١٣٥٩ م •



جامع الامام على الهادى فى سامراء • التكسية باستخدام البلاط القيشانى، وهو أهم ما تتميز به العمارة الاسلامية ، ومدرستها فى بغداد ويقوم على زخرفة نباتية وهندسية ونموذج من نص « بسم الله الرحمن الرحيم ليس للانسان الا ما سعى » فى اطار من القيشانى والنقوش الهندسية ، ثم حزمة بديعة من الفن التشكيلى فى مدخل الجامع •

السلطة عند العباسيين مقدسة من الله . وتعبر عن ذلك خطبة أبي جعفر المنصور « أيها الناس انما انا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده . وحارسه على ماله أعمل فيه بمشيئته وارادته . واعطيه باذنه فارغبوا الى الله وسلوه ان يوفقني للرشاد والصواب وان يلهمني الرأفة بكم والاحسان اليكم » .

ومع نهاية عصرهم ادعوا أن السلطة ستبقى في ايديهم والا « فسيختل نظام العالم وتحتجب الشمس ويمتنع المطر .. » وكان النفوذ الديني هو السبب في العمر الطويل الذي تمتعت به . كما كان السبب في احترام الفرس والترك للخليفة العباسي .

ومع استمرار الدولة العباسية حقق العصر العباسي الاول تألقا ونجاحا في الميدان السياسي . اما بعد ذلك من مراحل العصر العباسي فقد استمر العطاء الحضاري مع المصاعب السياسية التي بدأ يواجهها العباسيون . فبعد البزوغ والعنفوان جاء التدهور والاضمحلال ، وتحولت الظواهر التي كانت من علامات القوة الى علامات وهن وضعف . فبعد ان كان اتساع الدولة أحد مزايا الدولة العباسية فقد أصبح أحد أسباب ضعفها . فمع اتساع الدولة وضعف السلطة المركزية وبدائية وسائل الاتصال والمواصلات بدأت اوصال الدولة تتقطع والذي عبر عنه ابن الفوارس بن الخازن المؤرخ المعاصر لتلك المرحلة بذكره قول الموفق العباسي :هذه السنة مصر وساير الشامات في يد خمارويه بن طولون ، والجزيرة مع اسحق لا فضل فيها عنه ، وقنسرية والعواصم مع أبي الساج ، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن احمد ، وطبارستان وبلخ وسمرقند في يد داود بن هاشم بن كيجور ، ونيسابور في يد رافع ، وسجستان وكرمان وفارس واصفهان في يد عمرو بن الليث ، واضاف ليس في الدنيا (لنا) غير سقي الفرات ..

* وبعد انتصارهم الحاسم على البيت العلوي ارتبط تاريخ الدولة العباسية بالصراع بين آل بيت الرسول .. البيت العباسي الذي ينتمي الى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ، وآل البيت العلوي الذي ينتمي الى علي بن أبي طالب ، والذين رأوا في المنتصف الثاني من القرن الثالث ان ينظموا صفوفهم ويمهدوا لقلب الدولة العباسية . وبعثوا دعاتهم الى جميع الاقاليم الاسلامية حتى قامت دولة لهم في المغرب ، ومن المغرب مدوا سلطانهم الى مصر وسوريا والجزائر والحجاز واليمن .

وهذا الصراع زلزل أركان الدولة واحد اسباب تفككها ومنه نشطت الفرق المختلفة مثل الشيعة والخوارج والمرجئة والمعتزلة . وخلاله ظهرت الحركات الصوفية والقرامطة وثورة الزنج .

من الوحدة الى الانقسام .. !!

* وفي مرحلة شيخوخة الدولة العباسية تحولت ظاهرة القوة المتمثلة في الامتزاج الحضاري بين الشعوب الاسلامية الى ظاهرة ضعف ، وظهر الاصطلاح الذي ترد كثيرا في كتابات هذه المرحلة وهو « الشعوبية » وبداية ظاهرة الانقسام ، فنشب بين العرب أنفسهم تنافس بين المضريين واليمنيين ثم بين العرب والفرس والترك . ويلاحظ ان هذا الصراع كان يشتد ويخفت مع ضعف الدولة وقوتها . وتجد ملامحه فيما قام به ابوجعفر المنصور عند قتله ابا مسلم الخرساني . وظهر في عصر الرشيد متمثلا في نكبة البرامكة ويعود ويطل برأسه من جديد في الصراع الذي نشب بين الامين والمأمون ..

وقد ظهر تعبير الشعوبية في العراق لان تنوع الشعوب تركز فيها بوصفها مركز الدولة وعقدة الطرق التجارية من بحرية وبرية . وانتقل اليها معظم العلماء والحركة الثقافية سواء العربية أو علوم الاوائل من الاغريق والفرس والهند . وشهد الصراع بين القوة العربية والقوى الاخرى . وافرخت فيه نقمة عبرت عن نفسها بالتحاق بعض المناوئين بالثورات وتبني كل فكرة مناوئة للحكم ..

ومن اهم أسباب هذه الظاهرة ما قام به الخلفاء انفسهم عندما سعوا الى تدعيم سلطتهم عن طريق احدى الجماعات القومية الضعيفة وتقويتها والاعتماد عليهم ظنا منهم ان ليس لهم امال وان الخلفاء متى اصطفوهم يستطيعون الاعتماد عليهم . ولكن سرعان ما يتميزون ويشكلون قوة تسعى الى الاستئثار بالنفوذ والسلطة وهذا ما حدث من الاتراك وكان أحد أسباب انتقال العاصمة من بغداد الى سمراء . ووصل نفوذهم الى الحد الذي يولون فيه الخلفاء ويعزلون من يعترض طريقهم . وتحولت البيعة الى مظهر شكلي فقدت

فيه معنى الاختيار وغدتمناسبة للاعتراف بالخليفة وليس اختياره ٠٠

ولم يعد حديث الهمداني مجديا حين قال : «انه من ميزات بغداد ان السلطان امن من ان يغلب عليها رئيس لبعض الاراء كغالبية الطالبين كثيرا بالشيعة في اهل الكوفة ،وذلك ان من مخالفي الشيعة من يقرن بالشيعة ، وبها من مخالفي المعتزلة من يقرن بالمعتزلة ، وبها من مخالفي الخوارج من يقرن بالخوارج ، فكل فريق يقاوم ضده ٠٠ »

وهي لعبة خطرة ثبت انها عادة ترتد على من بداها ، ودفع الخلفاء ثمنا غاليا لارتكابها ، وهكذا لعبت السياسة بالعقيدة ، واصاب الدولة العباسية داء الانقسام واخطاره ٠ واخذت وحدة الاسلام السياسية تتفكك ، وتظهر في الاقاليم اسر حاكمة تعترف شكليا بسيادة الخليفة وتحكم باسمه ٠٠

مشكلة ولاية العهد !

كما ان مشكلة ولاية العهد ارهقت الدولة العباسية واضعفتها ، فلم يوضع نظام ثابت متفق عليه ، وتحولت الى نزاع مستمر في قمة البيت العباسي ، فلا اخذ بفكرة ولاية الابن الاكبر ولا بفكرة اختيار عميد العائلة وكبيرها، وكان الخلفاء تحت تاثير عاطفة الابوة يعهدون بالولاية الى ولدين او اكثر من ابنائهم ، مما يزرع بذور الشقاق في الاسرة فالذي يصل الى الحكم يفضل ابنه على اخيه . هذا ما قام به ابو جعفر المنصور عندما فضل ابنه المهدى على ابن اخيه عيسى بن موسى ، وارتكب ذات الخطأ المهدى فجعل ولاية العهد بعد ابنه موسى لابنه هارون ،مما ادى الى موت الهادى مسموما ، وتعود وتظهر المشكلة مع الهادى عندما صمم على نقل الخلافة الى ابنه جعفر وطلب من اخيه هارون التنازل عنها ، ومع بلوغ الازمة حول ولاية العهد الى الذروة يموت الهادى وهو في الثالثة والعشرين ، ويكشف الطبرى خبايا الحادث بقوله :

كانت وفاته من قرحة في جوفه من قبل جوار لامه الخيزران عندما امرتهن بقتله لاسباب منها ان الهادى نابذ امه ونافرها «ويضيف» ٠٠حدثني بعض الهاشميين ان سبب موت الهادى انه لما جد في خلع هارون واخذ البيعة لابنه جعفر خافت الخيزران على « هارون » فدست اليه من جواريها ،ولما مرض قتل بالغم والجلوس على وجهه ٠٠ »

وهي من اغرب الروايات التاريخية التي تقتل فيها الام وليدها من اجل السلطان ٠٠ وتعود نفس القصة فتتكرر عندما ياتي الرشيد ويامر بتولية ابنائه الثلاثة الامين ثم المامون ثم المعتصم ، وتتكرر المأساة ويقتل المامون الامين في صراع مسلح دام خمس سنوات انهك الدولة العباسية ومزق البيت العباسي ٠٠

الأفول ٠٠ !!

وتمضي ايام بغداد ٠٠

وكان اجتياح هولاكو لبغداد عام ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م بداية النهاية للدور المتالق الذى قامت به بغداد في العالم ، وبداية ظلام طويل تقاذفتها خلاله امواج الحروب وانتقلت من احتلال لاحتلال وعاشت مرحلة تدهور استمر زهاء اربعة قرون، وتوالت على سكان بغداد الاحداث وبقيت بغداد تنتقل بين الحكام والمذاهب ، مرة ينتشر المذهب الشيعي وينتقل الكثير من الفرس الى بغداد ويضعف المذهب السني ويأتي حكم الاتراك العثمانيين في النصف الاول من القرن العاشر للهجرة في عهد السلطان سليمان ، ويرتفع المذهب السني على ما دونه من المذاهب ، ويعود كرة اخرى المذهب الشيعي ، عندما يحتل الشاه عباس التبع بغداد في الثلث الاول من القرن الحادي عشر للهجرة ، ويعود حكم الاتراك العثمانيين باحتلال السلطان مراد الرابع بغداد ١٦٣٨ م ليدعم المذهب السني ،وفي كل هذه الدورات يضطهد اهل بغداد من الذين يخالفون الحاكم الجديد المذهب ٠٠

وبدات مع الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧ م مرحلة جديدة في تاريخ بغداد،وشهدت الصراع الحضاري مع الغرب ، فالعاصمة التي كانت احد مراكز الاستقطاب الفكري والاشعاع الثقافي للحضارة العربية اصبحت وجها لوجه امام الحضارة الغربية الغازية ٠٠

وتستمر بغداد تخوض الصراع وتحمل معها دورها التاريخي القديم المتالق ، تتمتع بنتائج الاستقرار السياسي الذى تحقق بعد طول اضطراب ٠ ■■

مصطفى نبيل

بعد ظهر يوم الأحد

للفنان الفرنسي جورج سيراه

(١٨٥٩ ـ ١٨٩١)

(صبحي الشاروني)

استغرق الفنان الفرنسي « جورج سيراه »في رسم لوحته الرائعة الكبيرة المسماه « بعد ظهر يوم الاحد في جزيرة لاجراندجات » ، مدة تزيدعن عامين .. فقد بدأها عام ١٨٨٤ ولم يتمها الا في عام ١٨٨٦ .. وخلال تحضيره لهذه اللوحةرسم ٢٨ دراسة بالالوان الزيتية و ٢٣ رسما تحضيريا بالخطوط ، وهي معروضة الان ضمنمقتنيات معهد الفنون في شيكاغو بالولايات المتحدة الامريكية ، بينما تنتشر اللوحات التحضيريةوالرسوم فيالعديد منالمتاحف الامريكية والاوربية.

ولا يرجع السبب في طول الزمن الذى استغرقه الفنان في رسم هذه اللوحة الى العدد الكبير من الدراسات والتخطيطات التحضيرية فقط ، وانما ايضا للاسلوب الذى اتبعه في رسمها ويسمى بالاسلوب « التنقيطى » او « التقسيمي » . فهي عبارة عن ملايين النقط الصغيرة الملونة المتجاورة، . وكل نقطة فيها تتكون من لون نقي من احد الالوان الاساسية الثلاثة : الاحمر والازرق والاصفر ، بالاضافة الى نقط اصغر حجما من احد اللونين الابيض او الاسود. اما الالوان المختلطة : الخضراء والبنفسجية والبرتقالية ، وكذا التدرجات اللونية ، فقد حرص الفنان على ان يترك المشاهد ليحققها بنفسهعندما تتداخلهذه النقط المتجاورة امام ناظريه ، وتمتزج في عملية « فيزيائية »داخل شبكية كل عين تنظر الى اللوحة .. ونفسالشيء يحدث عند تصويرها وطبعها مصغرة (كما نراها الان) ، حيث تتقارب هذه النقط الملونة وتتداخل وتمتزج ، فتظهر الالوان المختلطة التى قصد الى تحقيقها الفنان دون ان يضعها بحالة مختلطة على لوحته . ولم يكن بحاجة الى نور النهار اثناء رسم هذه اللوحة ـ مثل التاثريين ـ لاختبار الوانه ، لانه في لوحاته التحضيرية كان قد حسب حساب كل لون بدقة .

ولهذا تعتبر هذه اللوحة ذات مكانة خاصة في تاريخ فن التصوير الزيتي الحديث ، وفيها يتمثل اسلوب هذا الفنان « التنقيطى » وموهبته الفذة في اكمل صورها .. فقد كان يعمل بدقة شديدة وببطء ، مع صبر لا ينفد ، ليلا ونهارا، وفق خطة محكمة : من اجل اثبات نظرية علمية في عالم الالوان والاضواء والظلال . واطلق على هذا الاسلوب في تاريخ الفن اسم « التاثرية الجديدة » . ومثل هذا الحساب العلمي الدقيق



في الفن يكبت الجانب العاطفي ويمنع الفنان من التعبير بطريقة تلقائية عن احساساته المباشرة،وهذا ما يعيب « التأثرية الجديدة » .

ولد « جورج سيراه » في باريس عام ١٨٥٩ ، وكان والده يعمل خادما في المحكمة ، ولم يكن بين افراد عائلته من سبق له الاشتغال بالفن .. ومع هذا اختار دراسة فن التصوير الزيتي عندما بلغ سن التاسعة عشرة ، والتحق بمدرسة الفنون الجميلة ، حيث امضي عامين كاملين في دراسة الاسلوب التقليدي في الرسم على يدي استاذ بارع من اقطاب الاتجاه « الكلاسيكي الجديد » .

ثم راح يتدرب على الرسم بالخطوط لمدة عامين آخرين من سنة ١٨٨١ حتى ١٨٨٣ .. في تلك الفترة كان « جورج سيراه » يسعى الى اكتشاف اسرار الجمال في اعمال الفنانين السابقين عليه ، امثال «فيرونيز» و « انجر » و «يوجين ديلاكروا»، حيث كان يعتقد ان دراسة ونقل الروائع الفنية القديمة المعروضة بمتحف « اللوفر » ، ستجعله يتوصل الى اكتشاف اسرار الجمال في تلك اللوحات ، وكانت تشغله قضية استخدام الالوان المتضادة مع تحقيق التوافق بينها في نفس الوقت. ولم يكن يحس بالضجر من هذا النوع من التعليم وما يتطلبه من مران ممل متواصل ، بل على العكس ، لقد اتفقت هذه الدراسة مع طبيعته المثابرة الرزينة ، وتفكيره المنهجي العلمي المرتب، بل اتجه ايضا الى التوسع في دراسة الطرق المختلفة في فن الرسم وعلم البصريات وكيمياء الاصباغ .

وتثبت هذه اللوحة ان هذا الفنان لم يهتم بالالوان وحدها ، كما في لوحات اقطاب المذهب « التأثري » امثال « كلود مونيه » و « اوجست رينوار » وغيرهما ممن حرصوا على نقل مظهر الاشياء من خلال تسجيل انعكاس الاضواء الساقطة عليها ، مع تحليل هذه الاضواء الى عناصرها اللونية الاولية التي تتبدى لنا في الوان « قوس قزح » ..

فرغم اعتماد « المذهب التأثري » على الجانب العلمي في تحليل الاضواء الا ان لوحات التأثريين تفتقد الى تماسك البناء ، وتبدو الاشكال التي يرسمونها خفيفة واقل استقرارا مما هي في لوحات الفنانين السابقين عليهم من « الكلاسيكيين » .

ولهذا اعتنى « جورج سيراه » بعمق المنظر ، اي البعد الثالث الذي كان التأثريون قد اغفلوه تماما ، وان كان يظهر الى حد ما في لوحاتهم بوصفه نتيجة حتمية لتسجيل الاضواء والظلال ، بينما كان هذا الفنان في « تأثريته الجديدة » يحسب بالمليمتر مكان كل نقطة صغيرة من اللون في تحديده لاوضاع الاشخاص والاشياء بالنسبة الى بعضها البعض في (جوف) اللوحة ، حتى يتاح لعين المشاهد ان تنظر الى (عمق) المنظر ، متنقلة من القريب الى البعيد ، ومن البعيد الى الابعد ، ومن الابعد الى الاكثر بعدا ، حتى تختفي الاشكال في اعماق الافق .

وهكذا اعاد « سيراه » الى الاجسام كثافتها ، بعد ان اوشكت على الافلات من ايدي التأثريين، بسبب حصر اهتمامهم في نقل الصورة السطحية العابرة التي تتراءى للعين عند اللمحة الخاطفة . وقد نجح « سيراه » في ذلك دون التضحية بشيء مما في الوان التأثريين من رونق وبهجة .

الا ان الكثافة التي تتميز بها الاجسام في لوحات « سيراه » ، قد اقترنت بتفكيك هذه الاجسام وتفتيتها الى جزئيات من الالوان . وكان «سيراه» يعارض مذهب التأثريين فيما يتعلق بالتلقائية ، على اعتبار انها لا تصلح الا للرسوم التخطيطية السريعة ، فكان ينسق الاشكال والخطوط في لوحاته تنسيقا دقيقا بحيث ينسجم كل عنصر منها مع غيره من العناصر انسجام النغمات في اللحن الموسيقي .

ومع هذا فقد كانت رسومه في المرحلة الاولى تتصف بالدقة « الكلاسيكية »، كما برع في اللوحات التخطيطية المرسومة باصابع اللون الاسود (الكونتيه) .. وقد تقدم باحدى لوحات تلك المرحلة الى صالون باريس ، فعرضت بهذا المعرض الحكومي السنوي في عام ١٨٨٣ ، وكان صاحبها لم يتجاوز بعد سن الثالثة والعشرين .

ولكنه عندما بدأ تطبيق اسلوبه « التنقيطي » في اولى لوحاته الزيتية الكبيرة « المستحمات »، وتقدم بها الى صالون عام ١٨٨٤ ، فان لجنة التحكيم رفضت عرضها على الفور . ! فاعلن الحرب على تلك اللجنة ، وراح يدعو ضد دكتاتورية « اكاديمية الفنون » وتعنتها ، واشترك مع زميله « بول سينياك » ـ الذي ساهم معه في

ابتداع التنقيطية ومذهب التاثرية الجديدة تحت قيادة الفنان « اوديلون ريدون » في تاسيس جماعة « المرفوضين » التى بدات من ذلك التاريخ في تنظيم (صالون) سنوى آخر يستطيع ان يعرض فيه اى فنان ، بدون لجان تحكيم وبلا تحكم ، واطلقوا عليه اسم « صالون المستقلين » الذى يقام سنويا في باريس حتى الان . وقد عرض سيراه لوحته المرفوضة « المستحمات » في المعرض الاول لهذه الجماعة .

ورغم ما قوبل به « صالون المستقلين » من الاستنكار من جانب النقاد والسخرية من الجمهور ، الا ان لوحة « جورج سيراه » لفتت نظر واحد من كبار النقاد في ذلك الوقت هو « فيلكس فينيون » الذى ادرك ما في اسلوب « سيراه » من قيمة فائقة ، فانبرى للدفاع عنها وعن صاحبها من ذلك الحين حتى اقنع الجميع بقيمته واهمية اعماله .

اما جماعة «التاثريين» التى تكونت عام ١٨٧٤ ، فقد بدأت تدب بين اعضائها عوامل الشقاق والتفرق رغم ان الجمهور الفرنسي كان قد بدأ يتعاطف مع اتجاهها بعد مرور عشر سنوات على انشاء الجماعة . ولكى يواجه زعماء « التاثرية » ظروف الخلاف بين اقطابها اقترح احدهم ضم « جورج سيراه » و « بول سينياك » اللذين اختارهما من بين عشرات الاتباع والمقلدين الذين اقبلوا على ممارسة الرسم بالاسلوب « التاثرى » كما ابتدعه « كلود مونيه » و « رينوار » وزملائهما .

وقد عرض « سيراه » لوحته الكبيرة « بعد ظهر يوم الاحد بجزيرة لاجراندجات » عام ١٨٨٦ في المعرض الثامن والاخير لجماعة « التاثريين » ، واعلن بذلك مولد « التاثرية الجديدة » او ظهور « التنقيطية » و « التقسيمية » في فن الرسم .

وقد بلغ ولع «سيراه» بدقة التحليل والقياس الى الحد الذى دفعه لوضع قواعد ثابتة لوقع الالوان المختلفة على النفس ، واثر اتجاهات الخطوط في استثارة الانفعالات ، ومن بين هذه القواعد : « ان البهجة تتحقق من الالوان الناصعة الدافئة ، والخطوط الصاعدة الى اعلى من خط الافق . اما الهدوء فيتحقق بتوازن درجات الالوان البارزة والدافئة مع الخطوط الافقية في اللوحة . بينما الكآبة تتسبب من الالوان القاتمة الباردة والخطوط الهابطة الى اسفل من خط الافق » .

الا ان وفاة « سيراه » الفجائية في ٢٩ مارس ١٨٩١ وهو لم يتخط بعد سن الثانية والثلاثين ، قد منعته من استكمال عمله الاخير « السيرك » الذى يعرض حاليا ـ كما تركه ناقصا ـ في متحف التاثريين بجوار « اللوفر » في باريس . ■■

صبحى الشارونى

سينما أولى وثانية وثالثة؟



أم عالم أول وثان وثالث؟

بقلم : الفاروق عبد العزيز





المواجهة بين الهنود الحمر والجنود البيض : أحد أنماط السينما الاولى .

من « صرخات وهمسات » لبرجمان : نموذج للسينما الثانية .

البطل راعي البقر قادر دائما على حل جميع المشكلات .

■ قد لايكون بوسع هذا المقال أن يقدم اجابة حاسمة على التساؤل المطروح في عنوانه • لماذا ؟ لانني ربما فضلت أن يكتشف القارئ بنفسه مدى التطابق بين أي من هذه العوالم والسينما التي ينتجها ، مستعينا بما سأطرحه هنا من معلومات وآراء حول هذه العلاقة • أريد بذلك أن أجنب القارئ الانزلاق في المطابقة السهلة بين هـذه العوالم وسينماها ، وهو الامر الذى أدى ـ حتى لدى كثير من النقاد ـ الى الوقوع في خلط مبين •

ولننطلق من حقيقة صارت اليوم في حكم البديهيات مفادها أن الفن ـ أي فن ـ هو تعبير مجرد عن حقائق موضوعية ، حتى وان جاء هذا التعبير ذاتيا محضا • وبعبارة اخرى فان كل مجتمع ينتج الفن الذى يريده والذى هو ـ في المبتدأ وفي المنتهى ـ تعبير عن القوى الفاعلة والمؤثرة فيه•

السينما الاولى

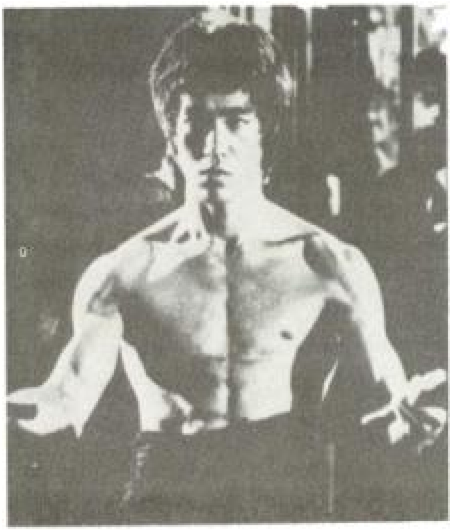
منذ عام ١٩٦٨ تقريبا وفي معظم المؤتمرات والمهرجانات السينمائية الخاصة بحركات السينما الحديثة في العالم وتعبير السينما الاولى ـ الثانية والثالثة ـ يتردد في بحوث ومناقشات الحاضرين • وأكاد أجزم بأنه قد تحول الى اصطلاح • غير انني أتصور أنه لم ينل بعد حقه من التعريف في عالمنا العربي •

السينما الاولى هي السينما « الهوليودية » • هي السينما التي تخرج من اكبر «مصانع الاحلام» في القرن العشرين ، وهي السينما التي سادت العوالم جميعا منذ العشرينات والى يومنا هذا بدرجات متفاوتة • ولكن لماذا لقبت السينما الهوليودية ، نسبة الى هوليوود مدينة السينما الهائلة بكاليفورنيا بالولايات المتحدة الامريكية ، بالسينما الاولى ؟ هل يمكن أن يعود ذلك الى سبقها التاريخي في الظهور بالقياس الى السينما الاخرى ؟ ربما • وربما عاد ذلك الى هيمنتها شبه الكاملة على أسواق الانتاج والتوزيع في العالم كله مما وضعها في الدرجة الاولى • وربما عاد الى سيطرتها الفكرية التي جعلت منها نموذجا يحتذى بالدرجة الاولى • وربما بسبب هذا كله • فالسينما الهوليودية هي التي طورت فن السينما ، وجعلته فنا قابلا لاحتواء كثير من المضامين • وهي السينما التي خلقت الاساطير حول النجوم والبطولة والاجواء الخيالية • انها باختصار سينما ذات فضل تقني كبير على الفن السينمائي في العالم كله•

ولكن ما هي المواصفات التي تجعل من هذا الفيلم أو ذاك فيلما منتميا الى السينما الاولى ؟
الاجابة ليست جامعة مانعة ولكن هناك مجموعة من السمات التي يمكن رصدها :

سمات موضوعية : انطلقت السينما في هوليوود من مفهوم التسلية • وقد يبدو هذا عاديا اذ ان غايتي الفن ـ كما حددهما أرسطو في « كتاب الشعر » ـ هما الامتاع والتثقيف • ولكن السينما الامريكية التي بدأت كصناعة رأسمالية بحتة كان هدفها الاول هو تحقيق الربح • وأسرع الوسائل لتحقيق تراكم رأسمالي كانت تتمثل في تطوير مفهوم التسلية في موضوعات لا تتفاعل مع الواقع بقدر ما تنتمي لعالم خيالي ليس له وجود •

ويمثل رأس المال في الصناعة العملية الانتاجية برمتها • ومن ثم فان المنتج هو الذى يرسم معالم القصة ـ السيناريو ، ويحدد مواصفات الابطال ويقوم بالدعاية التي تخلق الاساطير حول أنماطه وخيالاته• لهذا سميت هوليوود « بمصنع الاحلام »



راعي البقر يتحول الى بطل كاراتيه في ديكور جديد



السينما الفلسطينية على درب السينما الثالثة .

الذى ينتجها ويعبئها ويصدرها للعالم كله . وقد استلزم هذا طباعة نسخ بلا حصر من موضوعات هوليودية خالصة صارت فيما بعد « كليشيهات » لا يملك المشاهد ازاءها شيئا . فعلى صعيد الموضوع نجد هناك موضوعات نمطية ثابتة : قصص الغرب (الوسترن) وبطولات رعاة الابقار . فالشريف اذا كان طويلا وسيما فهو مع العدالة وهو خير دائما ولا تشوبه شائبة . والمجرم القبيح لابد وان يقوم ببعض الاعمال التى تعترضها عقبات قبل ان يتلقى نهايته . والجموع فى القرية او المدينة لاوجود لها . فالصراع في الموضوع يتم دائما بين فرد وفرد وغالبا ـ او هذا هو واقع الحال بالفعل ـ يتصارعان وفي طريقهما امراة يفوز بها الشريف فى النهاية . وقد يكون البطل الوسيم مجرما تشعر بالتعاطف معه طوال الوقت الا عندما تدرك فى النهاية ان الجريمة لاتفيد .

الهندى الأحمر : هناك ايضا طرف ثالث في الصراع هو الهندى الاحمر ـ ساكن امريكا الاصلى ـ الذى لابد ان يكون دائما وحشيا تتملكه بالفطرة نوازع حيوانية شرسة ، مهاجم بالطبيعة ولغته اشبه بالكابوس المرعب لاتفهم منها شيئا فسوف يجز فروة راسك دليلا على شجاعته . وينتقل الكابوس ـ راعى البقر ـ الى المدينة فى قصص المطاردات البوليسية التى لاتنتهى . اما التاريخ ـ اذا كان الفيلم تاريخيا ـ فهو قصة حب جميل وصراع دموى ومعارك متقنة وينتهى بالطبع من وجهة نظر الممول الذى يفرض الموضوع منذ البداية .

سمات شكلية : لابد ان ترافق السمات الموضوعية سمات اخرى شكلية تجسد رؤية نظام الانتاج لدور الفن السينمائى .

فالبطل مثلا لابد ان يكون قادرا على كل شىء. وسيما يستطيع بقدرته وحدها حل العقدة ونقل الموضوع الى مرحلة اخرى جديدة . وقد يكون مطربا او ضابطا او راعى بقر لايهم . فسماته



« سبارتاكوس » : أحد أوجه السينما الاولـــى المشرقة .

واحدة مشتركة فى كل فيلم من الافلام بغض النظر عن الموضوع . البطلة ايضا لابد ان تكون دمية جميلة غير قادرة على الفعل او التاثير فى مجرى الاحداث الا على صعيد واحد فقط :جمالها هو الذى يحسم كل شىء .

وقد نتج عن هذا خلق ما يسمى باسطورة « النجم » فالنجوم تراها فقط على الشاشة الفضية ولا علاقة لهم من قريب او من بعيد بنجوم الارض الذين يعيشون عالمها ومشكلاتها . فما دام من الممكن صناعة الموضوع فهناك ايضا صناعة النجم ، وهذه مسالة معروفة تقوم بها شركات الانتاج الكبرى ، بالتعاون مع شركات الاعلان والدعاية والمؤسسات الصحفية وقنوات التليفزيون . كما قد تشترك شركات الديكور ومستحضرات التجميل فى هذه العملية خاصة فيما يتعلق بالبطلة ــ النجمة .

على مستوى الشكل هناك ايضا تكوين الصورة السينمائية الذى يضع البطل دائما فى مقدمة الكادر لكى يجسد دائما دور الفرد فى تحريك الموضوع ودفعه عبر مراحله المختلفة . واتساقا مع هذا فقد لازم مخرجو هذه الافلام الشعور بقدرتها الهائلة على تقبل القالب . بمعنى ان المخرج يستطيع ان يحدد دائما تكوين الصورة وقطعة الموسيقى الملازمة وجملة الحوار الضرورية والنهاية الحتمية قبل ان يبدأ عمله بسهولة تامة وقد غيب هذا الشعور بالقدرة الخلاقة حتى لدى كثير من المخرجين الممتازين وهناك ايضا اسلوب حل العقدة الذى يعتمد دائما على تدخل القدر المفاجىء او المصادفة غير المبررة او القدرة البدنية للبطل او سحر البطلة .

غير ان هذا كله لم يمنع ــ فى النهاية ــ من وجود مخرجين وفنانين آخرين كاورسون ويلز وايليا كازان ومارلون براندو ، وغيرهم ممن استطاعوا ان يثبتوا ذاتيتهم . ولكنهم ظلوا هامشا خارج عجلة الانتاج الضخمة التى تخرج سنويا ما يربو على الاربعمائة فيلم .

السينما الثانية

فى عام ١٩٤١ عرض فيلم « المواطن كيف » لاورسون ويلز . كان الفيلم صدمة هائلة لكل الذين اعتادوا على قيم السينما الاولى ومثالياتها . فالفيلم انتج فى عقر دار السينما الاولى ، ولكنه جاء مبشرا بسينما ثانية جاءت بمفاهيم وقيم مختلفة تماما على صعيدى الشكل والمضمون .

فقد طرحت السينما الثانية اسلوب الحكاية التقليدى جانبا واعادت صياغة الزمن السينمائى على اسس جديدة . كان العالم يتغير ، اذ بعد الحرب العالمية الثانية انهار نظام القيم القديم ،



من « وداعا أيها القرد » لماركوفيريري : السينما الثانية تقدم صراع الفرد مع الحضارة ·

وبدأ فنانو السينما يفكرون في الشكل الذي يلائم عالم ما بعد الحرب · في ايطاليا ظهرت « الواقعية الجديدة » التي كان من ابرز فنانيها روبرتو روسيلليني وفيتوريو دي سيكا · وقد بشرت الواقعية الجديدة بنظام انتاجي جديد يعتمد على الممثلين غير المحترفين او المواطنين العاديين في مكان آخر غير الاستوديوهات المهدمة· الشارع · هكذا ولدت اول صيحات الرفض ضد السينما الاولى · وفي عام ١٩٤٨ كتب جودار في مجلة « الكاييه دي سينما » الفرنسية يطالب بسينما جديدة تعبر عن انسان ما بعد الحرب · اوروبا مطحونة والوجودية والفلسفات الجديدة تحاول اعادة صياغة انسان جديد · « السينما الحرة » تظهر في بريطانيا ـ الامبراطورية العجوز ـ بعد افلاس الامبراطورية في حرب السويس ١٩٥٦ والجميع « ينظرون وراءهم في غضب » · وفي افلام لفيدساي اندرسون وكاريل رايس وتوني ريتشاردسون ظهر البطل الجديد المشغول بمشكلات العصر وهمومه الفردية الطاحنة· وفي عام ١٩٥٩ ظهرت «الموجة الجديدة الفرنسية» التي كان ابرز فنانيها جان لوك جودار وتروفو وشابرول ولوى مال وانييس فاردا · والانسان الذي يقدمونه هو فرد مطحون تنعكس عليه المتغيرات التي تطرأ على مجتمعه بشكل تراجيدي· وهو بطل مثقف ـ في الغالب ـ يخفق في تحقيق التوافق بينه وبين العالم من حوله وتنتهي معركته دائما بهزيمته ·

من عباءة هذه السينما خرجت معظم موجات وحركات السينما الجديدة في العالم · في البرازيل والارجنتين والمانيا ومصر والسنغال وتركيا والهند والمكسيك ·

في خط مواز لهذه السينما جاءت السينما الاشتراكية التي اتمت تصوراتها وفق تصور انظمة بلادها لدور الجموع في صياغة مصير بلدانها ، غير انها لم توفق ـ خاصة بعد غياب عمالقتها في الاربعينات ـ في الانتشار كوجهة نظر عالمية مطروحة في مهمة الفن السينمائي ·

السينما الثالثة

يستطيع المرء ان يقول الآن ان السينما الاولى قد انبثقت من العالم الاول (امريكا) وان السينما الثانية قد خرجت من العالم الثاني (اوروبا) وان السينما الثالثة لابد وان تكون قد خرجت من العالم الثالث · ولكن هذه مطابقة سهلة · فليست هناك هذه الفوارق الواضحة بين الانواع الثلاثة · بمعنى ان النموذج الامريكي للسينما الاولى قد امكن الخروج عن اطاره (ولو بشكل هامشي) بواسطة فنانين كبار استطاعوا ان يبشروا بالسينما الثانية في داخل امريكا



راعى البقر يظل كما هو ولكن فى ديكور مختلف •

ذاتها • كما ان السينما الثانية قد حملت فى جنباتها كافة موجات التمرد والثورة والرفض التى سادت العالم بعد الحرب الثانية وبشرت بالتالى ببزوغ شمس السينما الثالثة منذ حوالى عشر سنوات تقريبا (بعد مايو ١٩٦٨) •

ولكن العالم الثالث لا يصنع السينما الثالثة • لماذا ؟ لان العالم الثالث هو اكثر هذه العوالم تخلفا وبالتالى فهو لايزال مرتعا ـ او مستودعا ـ للسينما الاولى • والسينما الاولى لاتعيش فيه بحكم استيرادها فقط ولكنها تصنع فيه ايضا وبأيد محلية • وفى مصر التى هى اكبر بلد عربى منتج للسينما ومستورد لها ظهر كتاب فى عام ١٩٣٦ بعنوان « السينما » للمخرج الراحل احمد بدرخان يحدد فيه دستور الفن السينمائى المصرى على غرار المفهوم الامريكى تماما وبعبارات واضحة تماما • وقد وضع بدرخان شروط السيناريو الناجح والشكل الناجح الذى ينبغى ان يتم من خلاله تصنيع السينما • وهكذا واكب هذا التنظير النقدى عملية اعادة تعبئة السينما الاولى لشعوب ما تزال فى مرحلة التخلف الشديد • او بعبارة اخرى صنعت سينما استهلاكية لمجتمع غير انتاجى • والاصل ان السينما الاستهلاكية تصنع للمجتمع الاستهلاكى • والعالم الثالث مايزال بحاجة الى سينما تعبر عن المرحلة التى يمر بها • بيد ان ثمة صعوبة كبرى فى هذا الصدد قد نتج عنها ظهور السينما الثانية من قبل جماعات السينمائيين الشباب كرد فعل لهيمنة السينما الاولى وهذه الصعوبة تتمثل فى عدم وجود وحدة فكرية حقيقية تنتظم العالم الثالث كما هو متوفر تقريبا فى العالمين الرأسمالى والاشتراكى مثلا •

وقد تمثل رد الفعل فى المطالبة « بسينما تلبى احتياجات المجتمع » فى محاكاة سينما الهموم الفردية الطاحنة ، والتى لاتهم الا فئة قليلة فى مجتمعات العالم الثالث التى تعانى من الفقر والجهل والمرض •

لهذا تجددت الدعوة الى صنع سينما ثالثة تعبر عن هذا العالم الثالث وتلبى احتياجاته الحقيقية• وقد بادر السينمائيان الارجنتينيان فرناندو سولاس واوكتافيو جيتينو الى اصدار بيان يدشن وجود السينما الثالثة ، وهى السينما التى تتجاوز كافة النظم للوصول الى الجماهير • قد تكون سينما مباشرة ، حية ، حقيقية ، بديلة ، هامشية، نضالية ، موازية او ايا كانت المسميات • ولكنها لاتريد اكثر من تلمس النبض الحقيقى للجماهير على اتساعها •

هذه السينما ماتزال تبحث لها عن وجود• ووسط الصراع الثقافى الذى يعيشه العالم الثالث ماتزال السينما الاولى هى الغالبة • والباقى على الهامش • ■■

فاروق عبد العزيز



السرطان فى الأطفال

بقلم : الدكتور انيس فهمي

فى السنوات الاخيرة ، انتشر السرطان بين الاطفال ، حتى اصبح يسبب ١٢٪ من حالات الوفاة فيما بين سن الواحدة والرابعة عشرة • وفى هذه المرحلة من العمر لا يتفوق على السرطان فى بلوغ الوفاة الا الحوادث !

■ المعروف ان السرطان نوع من الاورام الخبيثة التى تصيب الانسجة بضرر بالغ وتؤدى فى اخر الامر الى الوفاة الامر اذا لم تستاصل بالجراحة او تعالج بالراديوم او الاشعات الذرية المتولدة عن النظائر المشعة • وسبب هذا المرض غير معروف حتى الآن • وان كانت هناك نظريات كثيرة يضيق عن ذكرها هذا المجال • وعندما يغزو السرطان اى عضو من اعضاء الجسم فانه يبدأ كنوع من الورم لايلبث أن يكبر على حساب خلايا العضو المصاب ويظل ينمو حتى يتلف نسيج العضو تماما ، ثم يضغط على الانسجة المجاورة له ، كما يصل عن طريق الاوعية الدموية الى الكبد او الرئة او العظام •

ورغم ان السرطان يصيب الشيوخ ومتوسطى العمر فى اغلب الاحوال ، الا ان الزيادة الظاهرة فى حدوث السرطان فى الاطفال ترجع الى نقص نسبة الوفيات من الامراض المعدية ، وخاصة الالتهاب الرئوى والالتهاب السحائى والدفتيريا • وهناك ما يدل على وجود زيادة فعلية فى نسبة الاصابة بالسرطان وخاصة سرطان الدم •

الاورام الجنينية

لعل من الغريب ان نعلم ان نسبة كبيرة من هذه الاورام الخبيثة تكون موجودة في الطفل عند ولادته او حتى قبل ذلك ، والدليل على ذلك تلك الاحصاءات التي تجمعت من فحص عينات من الاجنة او من الاطفال حديثي الولادة • وهناك نسبة كبيرة من هذه الاورام يمكن تشخيصها اكلينيكيا في الاطفال الذين يقل عمرهم عن خمس سنوات • وهذه النسبة العالية للاورام خلال السنوات الاولى من العمر تدل على انها تنشأ اثناء الحياة الجنينية للطفل ، وهذه الاورام الجنينية تحتوي على عناصر العضو او النسيج الذي تنبع منه •

وهناك نظرية تقول ان هذه الاورام الجنينية في الاطفال تنشأ من بقايا الخلايا الاولية سواء اثناء وجود الجنين بالرحم او بعد ولادته • ولكن هذه النظرية تحتاج الى تفسير ، فان هذه البقايا لا يقابلها الباحثون كثيرا في اثناء الفحوص التي يجرونها على الاطفال بعد وفاتهم ، كما ان العوامل التي تؤثر على هذه البقايا من الخلايا تجعلها تتحول الى خلايا خبيثة لم تعرف بعد • ولكن الابحاث الحديثة توضح انه من المحتمل ان تلعب العناصر المحدثة للسرطان دورا هاما اثناء وجود الجنين داخل الرحم • ومن المعقول ان المواد الكيماوية سواء منها الخارجية او الداخلية التي تنبع من داخل انسجة الجنين يمكن تؤثر على على الجنين ، فتحدث نوعا من التحول الخبيث في انسجته الجنينية اذا كانت هذه الانسجة تتمتع بنوع من الحساسية يجعلها تتاثر بالعناصر المحدثة للسرطان •

والوراثة عامل هام في حدوث الاورام التي يولد بها الطفل • وتبدو اهمية هذا العامل في حالات اورام شبكية العين ، فالاشخاص الذين عاشوا بهذه الاورام يكونون معرضين لانجاب اطفال مصابين بورم في شبكية العين • والاعضاء التي يفضلها السرطان تختلف في الرضيع والطفل عنها في الشخص البالغ • واكثر اعضاء الجسم تعرضا للسرطان في الاطفال الجهاز الدموي ، الجهاز العصبي المركزي ، الجهاز العصبي السمبثاوي العين ، الغدة فوق الكلية ، العظام ، الكليتان ثم الانسجة الرخوة • اما سرطان الرئة والثدي والمعدة والجلد والرحم فيندر حدوثه في المراحل الاولى من حياة الانسان • اما الساركوما (وهي نوع من الاورام الخبيثة يصيب العضلات والعظام) فهي اكثر من السرطان حدوثا في الاطفال •

الانواع الشائعة

تختلف الاحصاءات الخاصة بانواع السرطان في الاطفال باختلاف مصادرها • وسبب هذه الاختلافات ان معظم الدراسات الاحصائية مبنية على عدد الوفيات الناتجة عن السرطان لا على عدد المصابين به فعلا • هذا بالاضافة الى ان كل تقرير من هذه التقارير الاحصائية يعكس اهتمام القائمين به بنوع معين من الاورام • ومصداقا لهذا القول نجد في احد التقارير الواردة من احدى الولايات الجنوبية في امريكا ان اكثر انواع السرطان شيوعا في الاطفال هو اورام الجهاز العصبي المركزي وسرطان الدم ، بينما نجد في تقارير اخرى ان سرطان العظام هو الاكثر شيوعا بين الاطفال • ويمكننا القول بوجه عام ان اكثر انواع السرطان شيوعا في الاطفال يمكن تقسيمها الى اربع مجموعات:

- الليمفوما (Lymphoma) • وهي تشمل سرطان الجهاز الليمفاوي وسرطان الدم (اللوكيميا) وهذه تمثل نصف الحالات •
- سرطان الجهاز العصبي المركزي والسمبثاوي ، وهذه تمثل خمس الحالات •
- سرطان الجهاز التناسلي والبولي ، ويمثل عشر الحالة •
- سرطان العظام ، ويمثل ٤٪ من الحالات •

وكل نوع من هذه الانواع تكثر الاصابة به في مرحلة معينة من الطفولة • فاورام المخ مثلا تصل الاصابة بها الى القمة بين سن الخامسة والعاشرة ، في حين ان اكثر من نصف حالات سرطان الدم في الاطفال تحدث قبل الخامسة •

اما الاعراض التي تنشأ من الاورام الخبيثة في الطفولة فقد تظهر بشكل تدريجي او بشكل فجائي • ففي بعض حالات الاورام الصدرية والمخية والبطنية تظهر الاعراض بشكل مفاجىء سريع كما يحدث في بعض الامراض المعدية • اما في حالات الاورام التي تصيب الجلد او العضلات فيظهر المرض عادة في شكل ورم صلب ياخذ في النمو سريعا • ومن الغريب انه في حالات الاورام الخبيثة الكبيرة قد لا تظهر الانيميا ونقص الوزن والهزال الا بشكل طفيف • وتنوع الاعراض يظهر في حالات « الليمفوساركوما » ، وهي نوع من

الاورام الخبيثة قد يصيب الحلق او الامعاء او الغدد الليمفاوية • وقد تنمو هذه الاورام ببطء شديد لدرجة انها لاتعطى الا اعراضا تافهة لا تلفت النظر • وفجاة يصاب المريض بانسداد في الجهاز التنفسي او في الامعاء • وهذا الانسداد قد يكون اول عارض يشير الى اصابة الطفل بهذا النوع من الورم الخبيث •

اما الاطفال المصابون بسرطان الدم فتظهر عليهم الانيميا والشحوب والتعب وبعض الظواهر الجلدية ، واهمها ظهور بقع دموية تحت الجلد كما تظهر بعض انواع اللغط في اصوات القلب• وكلما نما سرطان الدم وغزت الخلايا السرطانية الاعضاء الاخرى ظهرت اعراض جديدة • وعند فحص المريض يكتشف الطبيب تضخمات الغدد اللمفاوية او بالكبد أو بالكليتين او بالطحال •

التشخيص المبكر

لما كان اى نوع من العلاج لا يؤتى ثماره الا اذا بدانا المراحل الاولى من المرض فان التشخيص المبكر يصبح ضرورة اساسية للقيام باى نوع من العلاج المثمر • وللوصول الى التشخيص المبكر يجب على الطبيب ان يضع نصب عينيه احتمال اصابة الطفل بورم خبيث فى الحالات التى لاتقطع فيها الاعراض بمرض معين • وحتى فى الاحوال التى تشير الاعراض فيها الى اصابة الطفل بالحمى الروماتزمية او شلل الاطفال او بورم نتيجة لاصابة ما ، فان الطبيب يجب ان يدقق فى الفحص حتى يستبعد تماما احتمال وجود ورم خبيث قد يكون السبب فى ظهور هذه الاعراض • ويجب على الطبيب ان يسير طبقا للقاعدة التى يسير عليها بالنسبة للبالغين ، وهى ان كل ورم يجب ان يعتبر ورما خبيثا الى ان يثبت العكس • ومن المعلوم طبعا ان الطبيب يواجه صعوبة شديدة فى فحص الطفل ، ولكن هذه الصعوبة لا ينبغى ان تقف عائقا دون الوصول الى تشخيص مبكر • ان فحص قاع العين مثلا لايمكن الاستغناء عنه وخاصة فى احوال الاشتباه فى وجود ورم بالعين او بالجهاز العصبى ، كما ان تكرار فحص الجهاز العصبى للطفل من مستلزمات التشخيص المبكر فى حالات اورام الجهاز العصبى• وعلى الطبيب الا يفوته انه توجد عوامل معينة قد تعوق الوصول الى التشخيص المبكر ، ففى كثير من الحالات لايمكن البت بوجود ورم خبيث او عدم وجوده بالوسائل المعملية العادية • وفى هذه الحالات يضطر الطبيب الى اللجوء لفحوص معملية خاصة • فقد وجد مثلا ان فى ٤٠٪ من حالات سرطان الدم الحاد فى الاطفال لم يظهر فحص عينة الدم المأخوذة من الاصبع فى المراحل الاولى للمرض اى تغيير فى عدد كرات الدم البيضاء • فى هذه الحالات يجب على الطبيب ان يلجأ الى اخذ عينة من نخاع العظام لكى يتمكن من الحكم بوجود سرطان الدم او عدم وجوده •

■ ■

القاهرة — دكتور انيس فهمى

■ الناس كالنوافذ ذات الزجاج الملون فهى تتلألأ وتشع فى النهار ، وعندما يحل الظلام فان جمالها الحقيقى يظهر فقط اذا كان هناك ضوء من الداخل •

اليزابث روس

■ التجوال يشبه الوقوع فى الحب ،فهو يمنح الانسان طاقة كبيرة وكأن العالم قد بنى من جديد •

جين ميردل

■ ليس هناك شىء يساعد على فهم معتقداتك اكثر من محاولتك شرحها لصبى فضولى •

فرانك كلارك

رؤية نفسية

أن تكون متفوقاً

بقلم : عبدالوهاب شكرى

■ الرغبة في التفوق ظاهرة مشتركة بين الانسان والحيوان وتتميز بتمركز مجموعة من التصرفات الهادفة الى تحقيق الاستعلاء أو ابراز أنانية الكائن الحيوانى أو بلوغ غاية الكمال والخلود عن طريق ما يمكث فى الارض مما ينفع الناس • وبعض التصرفات لا تظهر عند الحيوان الا مع تعدد أفراده من طيور أو نحوها حيث يصول ذكر الحمام ويجول مغازلا أنثاه تستبد به العجرفة والنخوة • وكذلك الديك بين مجموعة من الدجاج يصيح ثم ينفض جناحيه رافعا عنقه فى عقوف نافخا أوداجه تيها وبالقوة متظاهرا • أو « كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد» لحظة المواجهة مع الكلب • وتمارس هذه العمليات السلوكية للتعبير عن الاحساس بالتفوق والاصرار عليه وبلورتها فى صور مختلفة بواسطة التحدى أو المنافسة أو الدفاع أو الهجوم أو غيرها من الاساليب والممارسات الفعلية لسلوك الفطرة والتطبع مما يشترك فيه الانسان والحيوان على السواء أو مما ينفرد به أحدهما عن الاخر •

ماذا يعنون بالتفوق قديما ؟

يعتبر التفوق بالنسبة لعامة الناس فى المجتمعات المتخلفة قديما أكبر خطر يتهدد حياتهم الاعتقادية أو الانتمائية التى تسير عادة على نمط محافظ لا يبغون به عوجا ولا بديلا يخافون عليه من حدوث تغيير يمس العرض أو الجوهر أو هما معا ، أو هم هكذا يتصورون • وقد تذهب بهم الظنون والخشية الى اتهام أى سبق الى الاختراع أو دعوة الى الاصلاح بالهرطقة والمروق عن الجادة القويمة . والويل لمن سبق عصره ، لان النبوغ فى مثل هذه البيئات محفوف بالمخاطر • ولنا فى كبار المخترعين ونوابغ المفكرين الذين فاجأوا جمهورهم بغير المألوف المثل الحى القائم ، ولاسيما فى الغرب قبل ثورة الاصلاح الدينى وفى العهد الاغريقى القديم حيث دفع الكثير من هؤلاء حياتهم ثمنا لنبوغهم أو سبقهم الى الاختراع والاصلاح ، أو كما هى حال الانبياء مع أممهم فى مجال الدعوة الى التوحيد التى خصهم الله بها لتفوقهم غير المعتاد على سائر الخلق •

نموذجان تاريخيان

ومهما قيل ويقال فى هذا الصدد من تفاصيل كلامية متناقضة ، فان وضع العلماء العرب بصفة خاصة كان يختلف عما كان عليه حال زملائهم فى الغرب حيث كانوا موضع اجلال واكبار سواء على المستوى الرسمى أم على المستوى الشعبى وسواء منهم الاطباء أم الطبيعيون أم الفيزيائيون أم الكيميائيون أم الرياضيون أم الفلكيون أم الفلاسفة أم غيرهم • وقليلة هى الحالات التى تعرضوا فيها لنوع من المضايقات لا علاقة له بالدين لان « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وانما هو نتيجة حسد فقط • ولكن هذا الموقف من العلماء العرب لا يمنعنا من ايراد حادثة يتيمة فيما أعلم لايقاس عليها حرصا على الامانة العلمية والانصاف التاريخى :

كان عباس بن فرناس المتوفى ٢٧٤ للهجرة عالما أندلسيا موسوعيا بأدق ما فى الكلمة من معنى ، أجرى تجربة علمية كانت الاولى من نوعها فى تاريخ الطيران كسا فيها جسمه ريشا وطيره ثم سقط وأصيب فى ظهره لانه (لم يعمل لنفسه ذنبا ولم يدر أن الطائر انما يقع على زمكه) • وكان من اللازم أن تنجح هذه التجربة لو أتيحت له الفرصة لاعادة تصحيح ما ارتكبه من خطأ تقنى • ولكنها على أية حال جرت عليه تهمة الزندقة التى رماه بها خصومه وهى التهمة التى يواجهها عادة من هم على



.. كيف ومتى؟

شاكلته . ولولا تدخل بعض الفضلاء لدى الخليفة عبد الرحمن الناصر لذاق عالمنا الامرين . والغريب أن المجتمع الاندلسى فى هذه الفترة من القرن الثالث الهجرى كان واعيا متحضرا . ولكن التفوق نعمة محسود عليها ، والوقيعة باصحابه أكيدة ولا بد . وقديما كان فى الناس الحسد .

أما أوربا التى كانت تعيش أشد فترات مظلمة، فان اضطهاد العلماء وكبار المخترعين والمصلحين وقمع نشاطاتهم ظل سمة العصر الوسيط . وقد استمر التعصب الدينى كعامل رئيسى معاديا للعلم والعلماء حتى مع بداية عصر التنوير . ففى ايطاليا مثلا أتهم العالم الفلكى الكبير جاليليو جاليلى (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢) بالهرطقة عندما اخترع تلسكوب الانكسار واثبت أن الشمس هى مركز الكون وأن الارض تدور حولها وهى النظرية الكوبرنيكية التى جرت عليه لعنة الكنيسة وسودت حياته . وعلى أساس من هذه المواقف العدائية والرؤى الخاطئة للمعطيات العلمية كان يجرى التعامل مع التفوق بهذا الاسلوب من القمع والاضطهاد ولا سيما على يد الغوغاء والمتعصبين من رجال الدين فى البيئات المحافظة .

وقد اكتفيت بهذين النموذجين من التاريخ فقط للاستدلال على مفهوم التفوق عند القدامى وكذا موقفهم منه ولو أن البيئة الاسلامية بعيدة عن المقارنة . ويستحيل على الباحث فى مثل هذه العجالة السريعة تحديد قائمة باسماء الضحايا من العلماء الغربيين الذين « قست عليهم الاقدار وظلمهم المجتمع » .

وانطلاقا من هذه المرحلة سنرى بتركيز شديد كيف أن التفوق سلوك ومعطيات له أبعاد ودلالات نوعية سواء على مستوى الانسان أم على مستوى النتائج المحصلة .

نوعان للتفوق

والتفوق نوعان : نوع خاص ويتم على حساب الغير ولا يهم الا جهة معينة . ونوع شمولي مرصود لكافة الناس وهو الموجه للصالح العام .

خصائص النوع الاول

يميل المرء بطبعه الى ممارسة هواية محببة أو لعبة مفضلة تستاثر باهتمامه وتكشف عن ميوله الذاتية والفردية . كان ينضم الى فريق رياضى لكرة القدم أو للشطرنج أو لغيرهما من الالعاب . وأيا ما كان ، ففى احداها يبدى كل ما لديه من مهارة فائقة ابتغاء التفوق على منافسه الذى رصد هو الآخر كل ما عنده من امكانات وطاقات لتدفع الهزيمة التى يدرك مسبقا ان لها وقعا مؤثرا على قواه النفسية لا يحتمل . وقد لا يتحقق للمرء مدى التاثير الذى يرغب أن يحدثه تفوقه فى نفسية خصمه لكسر شوكته واحناء هامته للركوع تحقيرا أو تشفيا أو استهزاء ، فيلجا الى اثارة ردود الفعل لديه أو استفزازه عن طريق الايحاء أو الغمز بالعبارات النابية المؤذية للشعور ، كان تفوقه غير كاف للردع أو لاثبات ذاته التى يخيل اليه أن الطرف المنافس يرفض الاعتراف بها . وأحيانا نلاحظ أو نسمع أن مباراة لكرة القدم انتهت الى ماساة دموية نتيجة رفض للهزيمة من قبل الفريق المغلوب ، أو لان الفريق المتفوق ردد شعارات هو والمتعاطفون معه خدشت الفريق الآخر فى العمق واثارت كوامنه وسخطه. وربما وجدها هذا الفريق فرصة سانحة للتعويض عن الضربة التى حاقت به حسبما يراه كفيلا برد الاعتبار فيلجا الى العنف. وقد تاتى المبادرة أحيانا من الفريق المنهزم فيصطنع المواقف العدائية لجر الطرف الآخر الى التجاوب كوسيلة للانتقام وهو التعويض اللازم عن الخسارة الفادحة التى منى بها . وقد عرفت الاستعانة بالحرب النفسية بين اللاعبين كعامل مساعد أو اجراء تمهيدى للتشكيك فى قدرة الخصم وفى قيمة ما يبديه من حماس وفعالية منذ خلق الانسان . وثمة فرص عديدة يلجا فيها الى استعمال هذا

الاسلوب التكتيكي للتحطيم والاحتفاظ بموقع الاستراتيجية طمعا في التفوق . منها العاب الملاكمة مثلما يفعل محمد علي كلاي بطل العالم في الملاكمة وهو ينازل منافسه • وكذلك مارس نفس الاسلوب حرصا على التفوق بعض الشعراء الفرسان في الجاهلية كقول عبيد بن الابرص لامرئ القيس في المعركة القتالية التي جرت بين بني أسد وملكهم حجر والد امرئ القيس واخوته :

ولقد أبحنا ما حميـ
ت ولا مبيح لما حمينا
ولو قدرت عليـ
ك رماح قومي ما انتهينا

وهو ما حمل امرأ القيس على الفرار من المعركة وبعيره عبيد بقوله :

وركضك لولاه ، لقيت الذي لقوا
فذاك الذي أنجاك مما هنالك

وتدخل اليوم الحرب النفسية كسلاح للتفوق في المواجهة مع العدو لا تقل خطورة عن الدبابة والمدفع او الاسلحة الالكترونية •

وقد جاءت حضارتنا المعاصرة التي يقال انها لا شرقية ولا غربية حافلة بشتى أنواع النعم والنقم أو كما وصف الرحالة ابن بطوطة بلدا أسيويا بقوله : « هي جهنم المليئة بالنعم » فالى جانب انتشار وسائل المواصلات من البرية الى الاقمار الاصطناعية الى الكشوف الطبية والعلمية والابحاث الفضائية . الى وسائل التقدم والرفه . الى سعي دائب لاحلال السلام الدائم بين أبناء المعمورة • الى جانب هذا كله وغيره أسلحة مدمرة ومخربة يتقن الانسان صنعها ويبدع •• الحافز عليها التسابق نحو التفوق العسكري تحت ستار ضبط ميزان القوى وخاصة بين الدولتين العظميين روسيا والولايات المتحدة • ومن ثم نبعت فكرة سباق التسلح الذي لا تؤمن عواقبه • وما تزال أشباح الحرب العالمية الثانية ماثلة للعيان تقشعر لها ابدان الاوربيين وترتعد لها فرائصهم كلما طاف منها طائف بذهنهم لما اذاقتهم من ويلاتها نتيجة التفوق العسكري النازي الذي أغرى المانيا الهتلرية برغبتها في السيطرة على العالم • فأين هذا من آيات العلم النافعة وفضائل العقل البشري في أسمى معانيها ؟ ولقد أحسن الرد الشاعر السوداني محمود سعيد العباسي حين قال :

عجب لأبناء الفرنجة كم عتوا
وكم ضيعوا فضل الثقافة والعقل
أتوا من طريق العلم كل بليدة
وجاروا فكان العلم شرا من الجهل

وتعتبر الرأسمالية أبشع صورة للتفوق المادي في حياتنا الاقتصادية والاجتماعية ، لان تفوق الاغنياء يتم دائما على حساب الطبقات الفقيرة . فكلما ازداد اولئك ثراء ازداد هؤلاء فقرا حتى قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : «ما رأيت نعمة موفورة الا الى جانبها حق مضيع » • ولا يمكن ايجاد معادلة صحيحة لهذا التفوق السلبي الا بازالة الفوارق الطبقية والقضاء على الاستغلال والاقطاعية وخلق مجتمع مثالي تسوده العدالة الاجتماعية •

لماذا جنون العظمة ؟

وكبار النفوس عادة ما تجشم أصحابها المتاعب وتشقيهم ولا تجد راحتها الا في بلوغ أهدافها طالما أنها توحي بالتفوق كاحساس رائد يستجيب لنوازعها الجنونية ويغري بالتسلل الى زمام السلطة . ويظل هذا الشعور قويا طالما انه مطمح سياسي يحمل الزعيم القائد على أن يقبض على ناصية الحكم بيد من حديد لينفرد بأعلى موقع للتفوق وهو الحكم الذي لا يسمح بالتطاول عليه من قبيل الاغتصاب والا عوقب بتهمة الخيانة العظمى أولئك الطامعون والمتربصون • وقد يكون الطريق الى الحكم ممهدا ولا يتطلب سوى التعبير الحر بواسطة انتخابات نزيهة • وقد يكون محفوفا بالمخاطر . وسلوكه مغامرة انتحارية • وقد سجل التاريخ السياسي منذ نشأة الدولة أحداثا من الانقلابات العسكرية والثورات الشعبية التي قادها زعماء سياسيون ـ ودعك من أولئك العظماء ـ يحدوهم الشعور بالتفوق كتيار كاسح على شعوبهم بموجبه الرضوخ لارادتهم في الحكم • وهذا النوع من التفوق استبدادي نفعي يظل صاحبه عرضة للاهتزاز بسبب عامل المنافسة والتهافت من قبل زعماء المعارضة والجيش يدفعهم الحلم بالتفوق السياسي من جهتهم الى محاولة الانقضاض على السلطة في البلاد بهدف اقرار نظام معين كبديل أو تصحيح نظام قائم ، وما الى ذلك من الذرائع السياسية التي يصعب سدها الا بثورة تطهيرية على الدكتاتورية والفساد الاداري لاقامة نظام

ديمقراطي شرعي يكون فيه افراد الشعب احرارا آمنين ، يعيشون في ظل العدل والمساواة • وبذلك ياخذ التفوق السياسي مجراه الحقيقي في قيادة الشعوب وزعامتها •

خصائص النوع الثاني

ويمتاز هذا النوع من التفوق بالانفتاح والشمولية وهو ما يعكس طبيعة الذين يمارسونه باسلوب التسامي عن الذاتية من غير هدف اناني او نزوع الى الاستعلاء • فالذين يسعون الى النبوغ أو الالمعية في مجال البحث العلمي من هذه الفئة انما يحدوهم الشعور الجاد للاسهام في اداء الرسالة الثقافية والعلمية التي تناط بكل رجل واع يجد من نفسه الدافع لان يقوم بدوره الايجابي نحو المجتمع الانساني • لذلك نجد امثال هؤلاء يغرقون نفوسهم وسط تراكمات مضخمة من جلائل الاعمال التي تستهلك كل اوقاتهم وتبتلع حياتهم • واخص هؤلاء فئة العلماء المتفرغين للبحث العلمي في دهاليز مختبرية مجهولة واحيانا معلومة في اماكن مختلفة من العالم • وكل همهم أن يذيبوا اعمارهم فيما يخدم مصلحة الانسانية وينفع الناس جميعا كالشمعة تضيء ما حولها وهي تحترق• وعلى اكتاف هؤلاء قامت حضارتنا العلمية المعاصرة حيث انه ما من مطلع شمس او غروبها الا ورافق ذلك اختراع جديد أو كشف عظيم هو فتح مبين في مجال التقدم والرخاء • وقلما نعم هؤلاء الجنود المجهولون بثمار مخترعاتهم وكشوفهم اكثر منا • وحسبهم أن يصنعوا الحياة لنا ، بل حسبهم ايضا أنهم يحيون لينفعوا غيرهم وما لهم من ذلك مطمع •

والتفوق بهذا المنظور مرغوب فيه ومحمود ويجب التحريض عليه والتشجيع وغرس بذوره في نفوس ناشئتنا بشكل فعال •

كذلك يضاف الى هذه الفئة من العلماء الباحثين الكتاب والادباء والمفكرون• ويمكن تحديد مقياس التفوق الحقيقي عند هؤلاء في قيمة ما يكتبون وفيما يحسنونه من ضروب القول • ولا أهمية في ذلك للحكم • وهنا يكمن السر في أن بعض رواد القلم سرعان ما يدخلون رحاب الخلود من أوسع الابواب ولما تتجاوز آثارهم الكتابية الاحاد حتى أننا كثيرا ما وجدنا النقاد يقولون في الثناء عليهم : ولو لم يكتب فلان غير رائعته الفلانية لكفاه » •

ولم يكن الباعث على التفوق في ميادين العلم والمعرفة هو انتزاع الكؤوس أو نيل الالقاب لغاية في حد ذاتها • والحقيقة التي لا مراء فيها أن رسالة العالم والمثقف تستلزم العطاء بعد الاخذ ، وهو شعور يكاد يكون غريزيا يتزايد وينمو في رسوخ كلما حصلت الكفاية واطمأن العالم الى زاده • والتفوق الحاصل ليس علامة مميزة تخص الفرد الناجح وحده بقدر ما هو مزية مشتركة بين أبناء جنسه خاصة وبين أبناء الانسانية عموما • فالشاعر النابغة في الجاهلية تحتفل به قبيلته وتفسح له من نفسها مكانة مرموقة ليعيش في وجدانها لما يفرضه لها من احترام الناس وتقديرهم لها علاوة على كونه الناطق بلسان حالها ومخلد ذكراها لا سيما اذا كان هذا الشاعر من أصحاب المعلقات أو من طبقات الفحول • وما جائزة نوبل الا مثال حي لتكريم النبغاء المتفوقين الذين يثرون بكنوزهم المكتبة الادبية والعلمية ، أو الذين يسهمون بجهادهم ونضالهم في سبيل ارساء قواعد السلام في العالم دون اعتبار لجنسياتهم أو قومياتهم • ولكن يستثنى من هذا التعميم المثقفون العرب بكل أسف • وهناك أيضا الهيئات الحكومية والدولية ترصد الجوائز للمتفوقين من العلماء والباحثين وتحيطهم باوسمة الاستحقاق والكفاءة الفكرية كما تمنحهم الاكاديميات والجامعات الشهادات التقديرية والفخرية وتفرد لهم كراسي الاستاذية وتخصهم بالزمالة الى غير ذلك من ضروب التشجيع على التفوق والترغيب فيه •

دور المرأة

وتلعب المرأة دورا كبيرا في اكساب الرجل عنصر التفوق • وقد أدرك العرب في جاهليتهم قيمة هذا الدور الذي من أجله كانوا يصطحبون نساءهم لحضور ألعاب الفروسية والمناجزات والحروب ينشدن اناشيد البطولة والحماسة لتحريض رجالهن على الغلبة والتفوق • على أن التأثير السحري للمرأة في صنع التفوق مرهون بوجودها ويزول بزوالها في غالب الاحيان ، كالذي كان من أمر توبة بن الحمير عاشق الشاعرة الاموية ليلى الاخيلية • فقد مر بهما شاب وسيم أعجبت به ليلى وهي تنظر اليه وعادة العاشق أن يغار على حبيبته ، فعرض على الشاب المصارعة علَّه يحصل على تفوق بطولي يتلمس به التعويض عما

يفتقر اليه من وسامة ، فقبل الشاب الذى تمكن لوبة من اسقاطه عدة مرات • حتى اذا ما أعيته الحيلة ، أشار على لوبة أن يستأنفا المصارعة بعيدا عن ليلى ، ثم انطلقا معا نحو الوادى المجاور ، وهنا تغير ميزان القوى لصالح الشاب الذى أسقط لوبة في أول جولة لهما • ثم قال له معللا سبب هزيمته في المرات السابقة : انما صرعتني بريح هذه يريد ليلى •

على ان ثمة لونا آخر للتفوق تكون المرأة خلفيته الصلبة ، وذلك ما يتعلق بنجاح شخصيات تاريخية في مراكز القيادة والزعامة تحقيقا للمقولة المتواترة (خلف كل رجل عظيم امرأة) • وقد سجل التاريخ أسماء لامعة لنساء شهيرات صنعن المواقف الشجاعة وكتبن الصفحات المجيدة التى ارتقت بأصحابها المغمورين الى مراتب التفوق السياسى والعسكرى• ومكنتهم من اجتياز العراقيل وتخطى الصعوبات بفضل الحنكة والتجربة ، كالذى اشتهر عن زينب النفزوية التى نجحت في توجيه سياسة زوجها الخليفة يوسف بن تاشفين المرابطي ازاء ابن عمه ابي بكر بن عمر لحمل هذا الاخير اثر عودته من الصحراء على التسليم النهائي له بالخلافة • فكان لها ما أرادت دون اراقة دماء • وذلك بما اوتيت من رجاحة في العقل ودراية سابقة بطبيعة الزوج الاول لتصبح هي والزوج الثاني شركي عنان في تدبير شئون الدولة المرابطية بنجاح ، ولكن بالنسبة اليها كان ذلك من وراء ستار •

بل يفوق هذا من منظار آخر ، أن بعض أمهات المؤمنين اشتهرن بالحكم والتبصر وبعد النظر ، وذلك كان من دواعي تفوق الرسول صلى الله عليه وسلم على مختلف الظروف الصعبة والحرجة التي واجهته في بداية عهده بالوحي وكذا عند التوقيع مثلا على معاهدة الحديبية التى رفض المسلمون التسليم ببنودها لما بدا لهم انه انتصار لقريش ودنية أعطوها فى مقابل ذلك فى دينهم • وكان من مضاعفاتها الخطيرة أن المسلمين ساعتئذ لم يستجيبوا لاوامر الرسول في نحر هديهم وحلق رؤوسهم استعدادا لرحلة العودة الى المدينة تراجعا عن أداء العمرة تلك السنة كما نصت المعاهدة • ولكن الرسول الذى لم تعوزه عبقرية الادراك والتصرف في الاوقات العصيبة بادر باستشارة زوجته السيدة أم سلمى ، فأشارت عليه أن يخرج وينحر هديه ويحلق رأسه دون أن يكلم أحدا منهم •ففعل وتابعه أصحابه في ذلك • وانفرجت الازمة التى كادت أن تؤدى الى الوقيعة بينهم •

وعندما نزل الوحى على الرسول صلى الله عليه وسلم لاول مرة وكان يعاني منه شدة حتى ليتفصد جبينه عرقا ، هرع الى السيدة خديجة يشكو لها من مخاوفه على نفسه ، فأجابته : (كلا والله ما يخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق) • فكان جوابها هذا شافيا وداعيا من دواعي تفوق الرسول على المخاوف والهواجس مهما اشتدت وطأتها وقويت حدتها مع الاصرار على الاحتفاظ بمواطىء الاقدام من موقع النبوة دون التزحزح عنه قيد أنملة • ويحصل للرسول القناعة بأن « صنائع المعروف تقى مصارع السوء » • وهكذا ترتفع المرأة العربية بفكرها وعقلها الى مستوى الاحداث لتتحكم في صعاب الامور وتكون الاداة الحاسمة للتفوق على الهزائم والمثبطات وبالتالي الواجهة الخلفية للمواقف الناجحة •

التفوق المصطنع

والتفوق من الوجهة الايجابية ، يكسب صاحبه شجاعة الرأى وقوة الايمان والثقة بالنفس ويدعم مركزه الاجتماعي والسياسى والدينى والثقافى ويرفع روحه المعنوية جميعا • فالمتفوق الكاسب لهذه المزايا هو أقدر الناس على قول الحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأشدهم تمسكا بالقيم والمثل ، وأكثرهم نزوعا الى التقوى ، وتقوى الله تفوق على المكارة والهموم وكل أنواع القلق النفسي ، ولا يحصل الفضل عند الله الا بها • وهي مجلبة للصفاء والسعادة والخلاص من الازمات والمنغصات « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » والمظهر الارتقائي للتفوق في أقصى مداه يتجلى في التسامي بالنفس والارتفاع بها لتقارب الكمال المطلق والنأى بها عن الشر والفساد لتنسلك في عداد الخالدين •

وجماع القول ، فان أعظم فوز معنوى يحققه المرء هو تفوقه على نفسه حملا لها على ما يزينها ، ومعرفته لها المؤدية الى معرفة الله تعالى•وبذلك « يعيش سالما والقول فيه جميل » •

وقد يعترى الزعامة او القيادة ردة أو افلاس

بسبب من الاسباب • فتجنح لحالات من السلوك الشاذ ، أو تستسلم لنزوات عاطفية تستبد بها لتتجاوب مع رغبات تحتية لا ترقى الى مستوى القمة ولا تتفق مع سموءمكانتهافتسقط تلك القيادة من حالق عزها الى الحضيض • ويحفل التاريخ بنماذج من هذا النوع نشير باقتضاب الى شيء منها، على سبيل التمثيل لا الحصر . ويتعلق الامر بالملك ادوارد الثامن عاهل بريطانيا السابق الذي وقع في غرام سيدة أمريكية انتهى الى زواج بعدما ملكت عليه كل ارادة • ولما كان الدستور الانجليزي يحرم على ملوكه الزواج من الاجنبيات ، فانه لم يكن امام هذا الملك الا اختيار واحد هو التخلي عن العرش ليخلص الى حبيبته الأسرة • من هنا يتضح لنا البون الشاسع بين التفوق الحقيقي والتفوق الزائف الذي لا يشكل الا المظهر الخارجي للشخصية المنهارة في مثل هذه القصة واضرابها • ويزداد التفوق الشكلي تدهورا كلما بلغت القيادة في الدولة الحاكمة دور الهرم • ونظير هذا كثير في تاريخ الاسلام السياسي • وخير من يمثله الخليفة المعتمد على الله نيابة عن خلفاء الطور الاخير من الدولة العباسية • فقد كان من الضعف بحيث استبد دونه الولاة بالاقاليم الاسلامية جميعا بعد أن كانت امبراطورية موحدة • ولم يبق له من الخلافة في بغداد الا الاسم ، حتى أنه كان يطلب اليسير من المال فلا يصل الى يديه منه شيء • وقد شرح هذا الخليفة الضعيف أحواله المزرية في هذين البيتين:

أليس من العجائب أن مثلي
يرى ما قل ممتنعا عليه ؟
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا
وما من ذاك شيء في يديه •

ويضاف الى هؤلاء ملوك الطوائف بالاندلس الذين أطلقوا على انفسهم القابا في غير موضعها لما كان عليه حالهم من الضعف والخذلان والتظاهر بالقوة وما هم بأقوياء حتى ليقول فيهم الشاعر :

مما يزهدني في أرض أندلس
أسماء مقتدر فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها
كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد

وأمثال هؤلاء وأولئك كثيرون •

ما دور المدرسة الحديثة

خطا التعليم في العصر الحديث خطوات مذهلة وحقق نتائج باهرة في عدة مجالات ساهمت في الارتقاء المادي والحضاري للانسان المعاصر • وذلك الارتقاء فاق في شكله وحجمه كل معطيات العصور السابقة • ولكن المدرسة الحديثة التي لعبت هذا الدور فشلت حتى الان في وضع صيغة حقيقية للمبادىء الانسانية الكبرى التي اجتاحتها أعاصير الفكر المادي حتى ليوشك أن تندرس معالم القيم المثلى التي تقلص ظلها وانحسر في اذهان فئة معينة عرفت الرشاد لنفسها ولم تسقط ضحية الانبهار الحضاري الغربي الزائف في هذا العصر الذي يفور بالغليان وبانعدام الاستقرار كنتيجة حتمية لضعف العامل الديني في النفوس والذي أدى الى تفكك الروابط الانسانية والعلاقات الاجتماعية وظهور جيل الانقسامات ما بين رافض وغاضب وايديلوجي ولا منتمي الى غيرهم من الافرازات الاخرى التي لا تلبث أن تطفو على السطح لتتبلور كلون جديد يعكس طبيعة الصورة المشوهة لما آلت اليه المجموعة البشرية من انحطاط وتدهور في القيم المعنوية •

واذن يتعين على المدرسة الحديثة أن تعيد النظر في تقييم نتائج التعليم الحالية وتضع مخططات تربوية هادفة تستجيب لحاجات البناء المادي والروحي معا لانقاذ جيل تتوزعه الحيرة والتمزق وتدارك صياغته وقولبته من جديد ليكون أقدر على التوفيق بين معطيات العلم والدين بلا تناقض وبالتالي ليكون في وضعية سليمة تمكنه من اعطاء مدلولات صحيحة وبناءة لمفهوم التفوق كظاهرة سلوكية في الدور • ويشاطر المدرسة الحديثة في هذا الدور ولا بد ، مؤثرات تربوية واجتماعية وثقافية وسياسية وأدبية ودينية جامعة • أهمها • البيت وجلالة الملك الصحافة والاعلام والجمعيات الثقافية على اختلاف مشاربها وكذا الهيئات والمنظمات السياسية والثقافية ورابطات العلماء واتحادات الكتاب والادباء وما اليها من وسائل التأطير الشعبي والتثقيف والتوعية والتنوير التي لا يكاد يخلو منها مجتمع من المجتمعات • ومتى تضافرت هذه المؤثرات كلا متكاملا على المستويين الوطني والدولي أمكن التحكم في تيار التفوق وتوجيه مساره حسبما تمليه الحاجة الى التعايش السلمي والتعاون الدولي على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان •

■■

ورزازات ـ المغرب

عبد الوهاب شكري

روح القلم

بقلم : الدكتور احمد الشرباصي

انه « القلم » الذى ذكره الله تعالى في كتابه الكريم ، منوها به رافعا من شانه ، فقال : « الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » ، واقسم به في آية اخرى فقال في مطلع احدى سوره : « ن والقلم وما يسطرون » .

■ هذا القلم يقبل علينا به الشاعر الاديب الاستاذ عبد الله زكريا الانصارى في كتاب يسميه « روح القلم » . والاستاذ الانصارى ليس جديدا على صناعة القلم ، فله معه جولاته وصولاته من قبل ، فقد رأس تحرير مجلة « البيان » الكويتية ، وله كتبه السابقة المتالقة ، ومنها : « فهد العسكر » و « الشعر العربى بين العامية والفصحى » و « الساسة والسياسة والوحدة الضائعة بينهما » و « صقر الشبيب » و « مع الكتب والمجلات » و « خواطر فى عصر القمر » . . .

ولم يجد المؤلف لكتابه هذا اسما أجمل من اسم « روح القلم » ، ومنذ البدء يبرع المؤلف في بيان المراد بروح القلم ، فكما ان الانسان له روح تدب فيه وتتحرك ، يوجد للقلم روح أيضا ، وله معان تسمو به ، ويعلو بها ، وفصول الكتاب قد سطرها المؤلف بروح قلمه في صدق وامانة .

يتحدث الباحث عن الابداع الفنى عند الكاتب ، فيرى انه اتيان الاديب الاصيل بمعان جديدة ، وان يؤديها باسلوب واضح جميل متقن ، والكاتب المبدع هو الذى يستطيع ان ينتزع المعانى الجديدة انتزاعا ، ويأتى باللمحات المضيئة المشرقة فى كتاباته ، وفى الوقت نفسه يستطيع باسلوبه الواضح الجميل ان يوصلها الى قلب القارىء ، ويحرك بها مشاعره . ولا يتم له ذلك الا بالاسلوب الواضح والتعبير المتماسك ، ولا يتوافر ذلك للكاتب الا اذا كان متمكنا من لغته ، مطلعا على اسرارها ، عارفا اساليبها .

ويتغنى الاستاذ الانصارى بوحدة الامة العربية ، حتى يلمح - بنزعته الى روح الوحدة - ان التراث الشعبى فى جميع الاقطار العربية تراث واحد ، وان تعددت الوانه ، واختلفت اشكاله . فهذه الاشكال والالوان تختلف وتتعدد في المظهر الخارجى وهى من الداخل واحدة ، لانها تعبر عن امة عربية واحدة ، صهرها تاريخ واحد ، ومرت عليها احداث مشتركة ، وهى حافلة بالمآسى والآلام ، وان تخللتها أيام زاهية طبعت هذا التراث بطابعها البهيج ، فالرابطة التى تربط شعابه هذا التراث لها جذور معرقة فى القدم ، واصول ضاربة فى احشاء التاريخ ، فمن واجب الباحثين فى هذا التراث ، والمتتبعين لتعاريجه ان ينطلقوا من هذا المنطلق ، وعليهم ان يحذروا ويتجنبوا الايحاءات المغرضة الخادعة الداعية الى دراسة التراث عند كل شعب منفردا منعزلا عن التراث عن سائر الاقطار العربية ، بغية تمزيق هذه الشعوب التى برأها الله تعالى ذات منبت واحد واصل واحد .

ويشغل الباحث حديث الحرية الى مدى طويل ، فهو يرى أن الاديب دون حرية لا يستطيع أن يبدع فى عطائه ، والحرية ليست معناها السطو على حرية الاخرين ، بل يجب ان نطالب بالحرية لجميع الادباء ، لا لاديب دون اديب ، ولا لقطر دون قطر .

واذا كانت الحرية في معناها اللغوى هي الخلوص من الشوائب والعيوب ، فقد رأى الباحث من واجبه أن يقرر فى صدق أن الاسلام جاء ليخلص الارقاء

من الشوائب التي تشوبهم او تمنعهم من العمل الجاد في سبيل الانسانية . وليعطي الحريةمفهومها الرائع الجميل ، فحطم قيود الارقاء وساوى بينهم وبين الاخرين . بل ان الاسلام في جوهره يهدف الى القضاء على الفروق بين الناس، تلك الفروق التي تؤدي الى شموخ غني على فقير واستغلاله واضطهاد قوي لفقير واستضعافه . والناس ولدوا من بطون امهاتهم احرارا •

وكان المؤلف صارما وعنيفا حين نقد بيئتــه وموطنه بلا ملاينة او هوادة • فقرر ان الفكــر القومي ضعيف فيه . وقال بالحرف الواحد : «لانجد للفكر القومي اى صدى فى صحفنا ومجلاتنا ، وفي انتاج ادبائنا وشعرائنا . وفي اعمال كتابنا وفنانينا . حتى يوم ان تم استقلال الكويت . من ارتباطها ببريطانيا لم نجد انطلاقة واعية . كان الاجدر بنا ان ننطلق من منطلق قومي نثبت فيه تحرر جزء من الوطن العربي الكبير •

لكن المؤلم ان المحيط العربي غارق في اللاوعى الفكرى . ان صح هذا التعبير . فكل جزء يتحرر من نير الاستعمار ينطلق في تحرره من منطلق اقليمي . ويروح يبث اوهامه ليوهم بها افراد الامة انه تحرر . وان عليه ان يركز على هذا التحرر، باقامة كيان له وحده . ويجذر وجود هذا الكيان بانظمة وقوانين تحرم على بقية أبناء الوطن الكبير تعديها واجتيازها ، لانها تعامل أبناء الامة العربية كما تعامل أبناء الامم الاجنبية سواء بسواء •

ورأى المؤلف في موضوع المساواة بين الرجل والمراة راى يتسم بالاعتدال والاتزان . فهو يقرر انه مؤمن بالحقوق والواجبات للمراة ، كما انه مؤمن بالحقوق والواجبات للرجل.ولكن ما هى هذه الحقوق وهذه الواجبات ؟ ان هذا ماتحدده طبيعة كل منهما ، واذا كان الرجال لا يتساوون فــي تصرفاتهم وفــي مقــدرتهم الذهنيــة والعقليــة وحكمهم على الامور . فالنساء كذلك لا يتساوون ايضا فى تصرفاتهن ومقدرتهن الذهنية والعقلية وحكمهن على الامور . ولذلك نرى كثيرا نســاء يتميزن امتيازا واضحا عن الرجال في تصرفاتهن وأعمالهن ، وآرائهن وعواطفهن . مما يدل على رجحان عقولهن وعمق تفكيرهن . مما يدعو الى تفضيلهن على الرجــال • وكذلك نــرى رجــالا لا يتميزون تميزا واضحا عن غيرهم . في حسن التصرف . واتقان العمل . ورجاحه العقل ••

وهناكأمور مخصصةلرجال ينجحفيإدارتها النساء وهناك امور مخصصة للنساء ينجح فى ادارتها الرجال . وهناك امور فرضتها الطبيعة فرضا على النساء، لا يمكن للرجال الاتيان بمثلها . وهناك امور فرضتها الطبيعة فرضــا علــى الرجــال ، لا يمكن للنساء الاتيان بمثلها ، وهذا يرجــع طبعا لتكوين كل منهما • ويجب ان نفهم ان النساء والرجال نوعان يكمل كل منهما صاحبه •

واذا اردنا لحياتنا الاستمرار والنجاح والتقدم، كان علينا ان نضع الانسان المناسب فى المكان المناسب . سواء أكان رجلا ام امراة •

ويتحدث المؤلف الاديب عن جائزة نوبل للسلام، التى رصدها الفريد نوبل . وأوصى فى شانها بقوله : « ان رغبتي الاكيدة الا يكون هناك اى اعتبار في منح هذه الجائزة لجنسية المرشحين ، بل يحصل عليها من كان اكثر استحقاقا لها مهما كانت جنسيته » •

ويرى المؤلف انه قد وقع ما كان يخشاه «نوبل»، اذ وضح للناس ان الميول والاهواء تحكمت فى الجائزة ، بل ان السياسة شقت طريقها اليها •

وهو يشير الى أنالكاتب السوفيتي «سولتجستين» قد حصل على هذه الجائزة مؤخرا ، لانه ابعد من الاتحاد السوفيتي لمواقفه العدائية ، ولكتابه الذى تحدث فيه عن الكبت والارهاب في عهدى لينين وستالين •

ومن هنا مات الغرض النبيل الذى انشئت من أجله هذه الجائزة ، وضــاع في التيــارات التى استغلها اليهود المتعصبون ،والمستعمرون الطامعون لمصالحهم الخاصة . واحرقت رغبة نوبل الاكيدة فى السلام . واصبحت وصيته لعبة للاهواء، والنزعات •

وبعد . فكتاب « روح القلم » للكاتب الشاعر الاستاذ عبد الله زكريا الانصارى . قد جال بنا وصال فى رحاب فسيحة متنوعة . والروح الشفاف الهائم له قدرته على تخطى الحواجز والحدود المصطنعة والكتاب يمثل طورا متميزا له بصماته فى صفحات الادب الكويتى الحديث • ■■



مأساة سقوط غرناطة

بقلم : علي ادهم

من الاقوال المأثورة ان الرجل العاقل الحكيم يستفيد من تجارب غيره من الناس اكثر من استفادته من تجاربه الخاصة ، وذلك لان تجاربه مهما كثرت وتنوعت فانها اقل عددا وتنوعا من تجارب الكثيرين من الناس • والتاريخ هو خلاصة تجارب البشر في حياتهم الدنيوية ومحاولاتهم الحضارية ، وقد اخذ هيجل على البشر انهم لايستفيدون من عبر التاريخ ، ولكنه مع ذلك قدم لدارسي فلسفته كتابه المشهور عن فلسفة التاريخ الذى ضمنه خلاصة تفكيره التاريخي ، وجعله اساسا لدراسة فلسفته •

■ تاريخ المسلمين بالاندلس الذى استمر ثمانية قرون حافل بالتجارب والعبر ، والمواقف المشرفة والنكبات الصادعة ، والانتصارات العظيمة والهزائم المروعة ، وقد مر بادوار ثلاثة بارزة ، دور الخلافة الاموية ، وكانت فيه كفة الاسلام هي الكفة الراجحة ، وليس معنى هذا ان هذا العهد قد خلا من بعض الهزائم والنكسات ، ولكن سيطرة الاسلام كانت الغالبة ، وقد ازدان هذا العهد بطائفة من كبار رجال التاريخ من امثال عبدالرحمن الداخل وعبدالرحمن الاوسط وعبدالرحمن الناصر وغيرهم من افذاذ الرجال ، ولما طويت صفحة الخلافة الاموية ، وجاء عهد ملوك الطوائف وسيادة المرابطين والموحدين في اواخر القرن الرابع الهجرى الى اوائل القرن السابع • كان موقف المسلمين قد تعرض للاخطار الشديدة الماحقة ، وكان فى طليعة هذه الاخطار المدمرة محاربتهم بعضهم لبعض واستعانتهم فى ذلك بعدوهم المشترك الذى كان يتربص الفرص للعمل على تقليص ظلهم واجلائهم عن الاندلس • والذى مكنهم من البقاء خلال هذه الفترة هو قدوم المرابطين من افريقية وانتصارهم على النصارى فى معركة الزلاقة المشهورة سنة ٤٧٩ هجرية (١٠٨٦ م) ، وقد راقهم بعد ذلك البقاء فى الاندلس فقضوا على سيطرة ملوك الطوائف وبسطوا سلطانهم على الاندلس ، ولما دب الضعف فى دولة المرابطين ، وزالت دولتهم ، خلفهم الموحدون ، وكانت هذه الفترة حافلة بالكفاح والصراع ، ولما انهارت دولة الموحدين اصبح موقف المسلمين بالاندلس معرضا للزوال ، وتوالى سقوط الكثير من القواعد فى

أيدى الاسبانيين ، مثل قرطبة وبلنسية ومرسية واشبيلية .

مولد مملكة غرناطة

وربما كان من عجائب الاقدار ان هذه النكسات المتلاحقة ، والضربات الشديدة الماحقة ، كانت لها نتيجة غير متوقعة ، وهذه النتيجة هى تجمع عناصر القوى الاسلامية المتبقية فى الناحية الجنوبية من شبه الجزيرة ، وتكوين دولة اسلامية جديدة استطاعت الثبات والمقاومة مدة قرنين ونصف القرن ، وهذه هى مملكة غرناطة ، ولم تتمكن اسبانيا من القضاء على هذه الدولة الناشئة الا فى صفر سنة ٨٩٧ هجرية ـ ديسمبر (١٤٩٥ م) وفى السنة العربية الماضيــة ـ ١٣٩٧ يكــون قــد مضى علـى سقوط غرناطة فى يد الاسبانيين خمسة قرون .

ويقول المقرى فى نفح الطيب « ومن أشهر بلاد الاندلس غرناطة ،وقيل ان الصواب اغرناطة، ومعناه بلغتهم الرمانة ، وكفاها شرفا ولادة لسان الدين بن الخطيب بها ، ويقول القلقشندى « أما غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ،ومسرح الابصار ومطمع الانفس ، ولم تخل من اشراق اماثل ، وعلماء اكابر ، وشعراء افاضل ، ولو لم يكن لها الا ما خصها الله تعالى به من المرج الطويل ونهر شنيل لكفاها ، وفيها يقول لسان الدين :

غرناطة ما لها نظــير
ما مصر ؟ ما الشام ؟ ما العراق ؟

ما هى الا العروس تجلى
وتلك مـــن جملـــة الصداق

وتسمى كورة البيرة التى منها غرناطة دمشق ، لان جند دمشق نزلوها عند الفتح ، وقيل انهـا سميت كذلك لشبهها بدمشق فى غزارة الانهار وكثرة الاشجار » .

ولما استولى الاسبانيون على معظم بلاد الاندلس انتقل الباقون من سكانها اليها ، فصـارت كمـا يقول المقرى « المصر المقصود ، والمعقل الـــذى تنضوى اليه العساكر والجنود ، ويشقها نهر عليه قناطر يجتاز عليها ، وفى قبليها جبل شلير ،وهو جبل لا يفارقه الثلج صيفا ولا شتاء ، ومن اعمالها لوشه ومنها اصل لسان الدين بن الخطيب ، وهذا القطر ضخم ينضاف اليه من الحصون والقرى كثير ، وقاعدته لوشه.وبينها وبين غرناطة مرحلة. وهى ذات انهار واشجار ، وهى على نهر غرناطة. ومن اعمالها وادى اش وهى مدينة جليلة قـد احدقت بها البساتين والانهار . وكانت البيرة هى المدينة قبل غرناطة ، فلما بنى حبوس الصنهاجى مدينة غرناطة وقصبتها وأسوارها انتقل الناس اليها ، ثم زاد فى عمارتها ابنه باديس » .

وألم بها ابن بطوطة فى رحلته ببلاد الاندلس ، وقال عنهـا « قاعـدة بلاد الانـدلس وعـروس مدنها ، وخارجها لا نظير له فى بلاد الدنيا ،وهو مسيرة اربعين ميلا يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الانهار الكثيرة،والبساتين والجنان والرياضات والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة ، ومن عجيب مواضعها عين الدمع،وهوجبل فيه من الرياضات والبساتين لا مثيل له بسواها » .

ثورة ابن هـود

وكانت هناك عوامل تاريخية وعوامل جغرافية مهدت السبيل لقيام دولة غرناطة،وذلك ان القواعد والثغور الجنوبية التى تقع فيما وراء نهـــر الوادى الكبير اخر الحواجز الطبيعية بين اسبانيا المسيحية وبين الاندلس المسلمة كانت أبعد المناطق عن العدو ، وهى قريبة من شاطىء البحر الابيض المتوسط الجنوبى حيث تقوم عدوة المغرب ومنطقة افريقية الشمالية ، وكانت هناك دول اسلامية تراقب الاحوال الجارية بـالاندلس ، وتستجيب لاهلها حينما يستصرخونها لدفع الخطر الداهم ، والكارثة المتوقعة ، وحينما هاجم العدو بلنسية فى سنة ٦٣٦ هجرية وجه أميرها أبو زيان ابن الابار القضاعى الى بلاط أبى زكريا الحفصى ملك تونس وقد انشده القصيدة التى يقول فـى مطلعها

ادرك بخيلك خيل الله أندلسـا
ان الطريق الى منجاتها درسا

وهب لها من عزيز النصر ما التمست
فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

وتمثل لنا هذه الاستغاثة الرابطة القومية التى كانت تربط بين الاندلس وبين الدول الاسلامية فى عدوة المغرب .

وفي اوائل القرن السابع الهجري ظهر في شرقي الاندلس ابوعبدالله محمد بن يوسف ابن هود ، سليل بني هود من امراء سرقسطه السابقين ، وكان الموحدون هم المسيطرين على الاندلس الاسلامية في تلك الفترة ، ولكن دولتهم قد بدا فيها الضعف والانحلال ، ولذلك استطاع ابن هود حين ثار عليهم أن يستولي على مرسية سنة ٦٢٥ هجرية وقوى امره ، وعظم شانه ،واعتزم ان يحرر الاندلس من الموحدين ومن المسيحيين ، ودخلت في طاعته مجموعة من قواعد الاندلس مثل جيان وقرطبة وماردة وبطليوس ، واستولى على غرناطة سنة ٦٢٨ هجرية ، وظل يجاهد الموحدين والنصارى ، ولكن النصارى تمكنوا من غزو قرطبة والاستيلاء عليها في سنة ٦٣٤ هجرية ، وكان لسقوط قرطبة وقع شديد في بلاد الاندلس ، ولم يلبث ابن هود ان توفي في ظروف غامضة في اوائل سنة ٦٣٥ هجرية •

وكانت ثورة ابن هود على الموحدين مقدمة لمرحلة جديدة في تاريخ الاندلس ، او مقدمة لقيام مملكة غرناطة كما يقول الاستاذ عبدالله عنان •

وكان منشيء دولة بني الاحمر في غرناطة رجلا عربيا من بني نصر ، هو محمد بن يوسف بن نصر ، وقد لقب بابن الأحمر لشقرة فيه ، وهو ينتسب الى بني نصر ، وكانوا في الاصل سادة حصن من اعمال قرطبة ، ويرجع نسبهم الى سعد بن عبادة سيد الخزرج بالمدينة ، وكان رجلا شديد المراس كريم الخلق ، وقد ولد في ارجونة سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م) وكان يلقب بالشيخ اعترافا بزعامته على بني نصر ولكفايته النادرة ، ولما اضطربت الاحوال بالاندلس ، وضعف امر الموحدين ، وخرج عليهم محمد بن يوسف بن هود ، واخذ ينتزع منهم القواعد والثغور ، رأى بنو نصر فرصة للظهور ، ومعارضة ابن هود في جنوبي الاندلس ، ودعا محمد ابن يوسف للامير زكريا صاحب افريقية ،واطاعته جيان وشريش ومالقه من القواعد الجنوبية سنة ٦٣٠ هـ • ولما لاح ان الامر قد استقر لابن هود الذي استولى على غرناطة وجاءته موافقة من الخليفة العباسي على دعوته وقبول حكمه ، رأى محمد بن يوسف الاحمر مصالحته والانضمام الى صفه ، واعلن الطاعة له ، ولما توفي ابن هود وانهارت دولته بادر ابن الاحمر بالاستيلاء على المرية من يد حاكمها من قبل ابن هود ، ودعته غرناطة الى دخولها ، فدخلها في اواخر شهر رمضان سنة ٦٣٥ هجرية (١٢٢٨ م) •

وحكم بني الأحمر

وهكذا بدأ حكم بني الاحمر لغرناطة التي استطاعت ان تقاوم المسيحيين مدة قرنين ونصف القرن ، وقد انحاز اليه المسلمون الذين غلبوا على امرهم في النواحي التي استولى عليها النصارى ، وتكاثرت جموعهم ، وكانوا جلهم قوما موتورين تلتهب في نفوسهم الكراهية للذين اخرجوهم من ديارهم ، فهم يريدون فرصة ليثاروا لانفسهم تحت راية ابن الاحمر وحلفائه ، وكانوا جميعا من مهرة الصناع والمزارعين والتجار ، وقد قيل ان خمسين الفا من العرب قدموا على سلطان غرناطة من بلنسية وشريش وغيرهما • ولكن ابن الاحمر مع قوة اسره وشدة مراسه لم يستطع الوقوف في وجه النصارى لان اسبانيا كلها الا قليلا اصبحت في ايديهم ، ورأى ابن الاحمر ان الدولة في حاجة ماسة الى الاستقرار والتوطيد ، وكان اصاغر الزعماء والحكام يؤثرون الخضوع لملك النصارى ، والاحتفاظ في ظله بمدنهم وقواعدهم •

وكان فرديناند الثالث ملك قشتالة في تلك الفترة يرى في ابن الاحمر زعيم الاندلس الحقيقي، فلما انتهى من اخضاع الثغور الشرقية عمد الى مهاجمة ابن الاحمر ، واستولى النصارى على حصن اراجون وبعض اماكن اخرى من املاك سلطان غرناطة ، وحاصر غرناطة بعد ذلك (في سنة ٦٤٣ هـ ـ ١٢٤٤ م) ولكن ابن الاحمر استطاع مدافعته بعد ان كبده خسائر فادحة ،وفي العام التالي زحف النصارى على جيان وحاصروها حتى اشرفت على السقوط ، ولما رأى ابن الاحمر ذلك لم يربدا من مصانعة ملك قشتالة وتقديم الطاعة له، واتفق معه على ان يحكم بلاده باسمه ، وان يقدم له جزية سنوية ، وسلم اليه قلعة جيان ، وقد قبل ابن الاحمر ذلك كله وهو يامل ان يسعفه القدر ، وتتحسن الاحوال ، ويوطد ملكه ، ويعمل بعد ذلك على استرداد سلطته ، وقد ارغم على معاونة النصارى في استرداد اشبيلية والاستيلاء عليها سنة ٦٤٦ هـ وكان هذا السلوك مالوفا

فى تاريخ الاندلس منذ عهد ملوك الطوائف ، فقد ظاهر كثير من امراء المسلمين ملوك النصارى على اخوانهم فى الدين ابقاء على مكانتهم ، واحتفاظا بسلطانهم •

والذى يبدو من اخلاق ابن الاحمر انه قبل الوضع راغما متألما ، وانقاذا للموقف ونزولا على حكم الضرورة القاسية وكان فى مأموله انه يستطيع بعد ذلك ان يجمع شمل المسلمين • وجمع ما تبقى من تراثهم فى دولة موحدة ، وكان ابن الاحمر يرى انه لا ملك الا بالرجال،ولا رجال الا بالمال ، ولا مال الا بالعمارة ، ولذلك اخذ رعيته بحسن السياسة واقامة العدل ، وعنى بتشييد المصانع والمعاقل ، كما عنى بالفلاحة والتجارة والصناعة ، ولم يهمل الصحة العامة ، وقد شاد كثيرا من المدارس لطلب العلم ، وبنى قصر الحمراء الشهير ، وهو من القصور المعدودة فى الدنيا ،وبهذه السياسة الحكيمة استطاعت غرناطة ان تنهض بالاداب والفنون والعلوم ، ووثق علاقته ببنى مرين فى المغرب ، وكانوا يرسلون الى غرناطة عونهم الحربى ، بل كانوا يبقون قوى حربية تحت سلطة ملك غرناطة تساعده اذا ماتحرش به الاسبان ولقد ظل لهذا العون أثره ما بقى ملك بنى مرين فى المغرب ، فلما ذهب امرهم فى القرن التاسع الهجرى وقامت بعدهم دولة لم تستطع مد غرناطة بتلك المعونة التى كانت تتلقاها بدأ امر غرناطة فى الضعف •

ويقول الاستاذ العبادى يحسن أن نشير الى ان ملوك المسيحية قد تركوا غرناطة وشانها فى أول الامر لانصرافهم لتوطيد دعائم ملكهم فيما فتحوه من البلاد ، ولكنهم ما لبثوا بعد ان استقر فى ايديهم ما ملكوا ان بدأوا يشنون الغارة على املاك غرناطة وبادلهم المسلمون غارات بغارات ونكاية بنكاية ، وكثيرا ما كانت تبلغ الغارات حد العنف الذى لا رحمة فيه ، واتسم بعضها بالمغامرة، وعدم التبصر ، وكان يدفع اليها الحقد ويزكيها حب الثار والانتقام •

غرناطة تحتل مكان قرطبة

ولما انس ابن الاحمر فى نفسه القدرة على استعادة استقلاله ونبذه الخضوع لطاعة النصارى لم يتردد فى ذلك ، وعاونه فى الاقدام على محاربتهم حلفاؤه بنو مرين ، وغيرهم من ملوك المغرب ، وتغلبت الاندلس على النصارى فى ميدان الحرب لاول مرة بعد انهيار دولة الموحدين ، فقد هزمهم حينما هاجموا بلاده فى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) وقد توفى سنة ٦٧١ هجرية (١٢٧٢م) بعد ان توطدت دعائم دولته واستقر ملك بنى الاحمر •

ولقد بلغت غرناطة فى انهاض العلوم والاداب ما بلغته قرطبة ، وارتقت بها الفنون ارتقاء عظيما ، وذاعت شهرة مهندسيها وبنائيها فى انحاء اوروبا ،وهم الذين بنوا الحمراء ،وموهوا حيطانها بالزخرف الذهبى البديع ، وهى لا تزال الى اليوم موضع تقدير الفنانين واعجابهم ،وملك غرناطة محمد الخامس هو الذى استوزر لسان الدين بن الخطيب الكاتب الشاعر القدير ، كما وفد عليه العلامة المؤرخ ابن خلدون واقام فى خدمته ، وكثيرا ما سفر له لدى النصارى ونجحت سفاراته •

وتوالى على عرش غرناطة بعد محمد الخامس ، عدة من ملوك بنى الاحمر ولكنهم لم يكن لهم قوة اسلافهم وبعد نظرهم السياسى وحسن تقديرهم لموقف غرناطة فى اسبانيا المسيحية • وشاء القدر أن يتزوج فرديناند ملك اراجون من ايزابلا ملكة قشتالة فى الوقت الذى دب فيه الضعف فى مملكة غرناطه وذهاب حلفائها فى المغرب ، وكان حاكم غرناطة فى هذه الاثناء عليا ابا الحسن ، ولم يكن ممن تنقصهم الشجاعة ولكنه لم يكن من ذوى الرأى الراجح والتدبير المحكم ، وقد ولى الملك سنة ٨٧١ هـ (١٤٦٦) م وقد استخلصه بعد نضال عنيف بينه وبين منافسيه وعلى رأسهم اخوه ابو عبدالله المعروف بالزغل، ولما استقر أبوالحسن عبدالله المعروف بالزغل ، ولما استقر ابوالحسن فى عرشه عنى بتحصين المملكة وتنظيم شؤونها ، واستطاع ان يسترد عدة من القواعد والحصون،ويقول الاستاذ العبادى انه رأى أن يبدأ اتحاد النصارى بالحرب قبل ان يناجزوه • فامتنع عن دفع الاتاوة التى كان يؤديها ، وقال لرسول فرديناند الذى جاء يلح فى طلبها « قل لمولاك ان سلاطين غرناطه الذى اعتادوا اداء الاتاوات قد ماتوا ، وان دار الضرب بغرناطة لا تطبع غير السيوف » وقام بغارة شعواء على المسيحيين بقلعة الصخرة ، وقد وصف واشنطون فنج فى كتابه « آخر حروب العرب باسبانيا » عنف هذه الغارة

وصفا يصور ما امتلأت به الصدور من الحقد والضغينة بين الفريقين •

ولم يرض اهل غرناطة عن هذا العمل ، وشعر عقلاؤهم بمغبة هذا التهور ، وقد رد النصارى على ذلك بالاستيلاء على حصن الحمة ، وبهذا الاستيلاء تمكنوا من وضع حامية قوية في داخل بلاد المسلمين وعلى مقربة من غرناطة نفسها ، ولم يستطع ابو الحسن برغم المحاولات التي قام بها ان يسترد هذا الحصن،وتبادل الفريقان بعدذلك الغارات الانتقامية•وكان ابوالحسن قداقترنبالاميرة عائشة ابنةعمه السلطان ابيعبدالله الايسر،ورزق منها بولدين هما محمد ويوسف، ثم اقترن بنصرانية حسناء، تعرف باسم ثريا واثرها على زوجته الاميرة عائشة . وكان وجود هذه الاميرة الاجنبية فـــي قصر غرناطةمن دواعيبعث عوامل الشقاق والتفرقة في الاسرة المالكة ،فقد اعقبت من السلطان ولدين، وحرصت على ان يكون العرش لاحدهما وبذلت جهدها لابعاد الاميرة عائشة وولديها من الحظوة والنفوذ ، وحرمانهما من حق وراثة الملك ، وكان ابو عبدالله محمد اكبرهما ولي العهد المرشح للعرش ، وعمل ابو الحسن برأى حظيته ، وظلت ثريا دائبة في توسيع شقة الخلاف بين السلطان ابي الحسن من ناحية والسيدة عائشة وولديها من ناحية اخرى حتى اعتقلهم جميعا في برج قمارش ، وهو امنع ابراج الحمراء ،واشتد في معاملتـهم، واثار هذا التصرف غضب كثير من اعيان الدولة الذينكانوا يميلونالى ناحيةالاميرة عائشةوولديها وادى ذلك الى اثارة الاحقاد واضرام العداء ، وكانت الاميرةعائشةامرأةحازمة،فدبرتوسيلةللهرب من البرج الشاهق ، ووصل الامير ابو عبد الله محمد الى وادى آش ، واجتمع بانصاره ومؤيديه ،

ونشبت الثورة على ابي الحسن واضطر الى الفرار الى مالقة وكان بها اخوه الامير ابوعبدالله محمد بن سعد المعروفبالزغل يرد هجوم جيش جرار من النصارى أرسلـه فرديناند الخـامس ملك قشتالة ، واغتنم ابو عبدالله محمد ابنالسلطان ابي الحسن الفرصة وجلس على عرش غرناطةفي أواخر سنة ٨٨٧هـ واطاعته غرناطـة ووادى آش واعمالهما ، وبقيت مالقة وغربي الاندلس في طاعة ابيه •

السلطان في الاسر

ووجد ملـك قشتالـة ان الموقف ملائم لاعادة الاستيلاءعلىمالقةولكنالمسلمينقاوموا مقاومةشديدة وهزموا النصارى هزيمة ساحقة • ويرجع الفضل في ذلك الى الامير الزغل الذى استنهض عزيمة المحاربين ،واحسن تنظيمالدفاع،واعتزم ابو عبدالله محمد ان يحذو حذو عمه في الجهاد والغزو ، فهاجمفي ربيع الاولمن عام ٨٨٨هـ (ابريل ١٤٨٣م) حصن قرطبة شمال شرقي غرناطة ، وهزم النصارى في عدة معارك محلية ، وعاد بغنائم كثيرة، ولكن النصارى ادركوه في ظاهر قلعة اللسانة التـي كان يحاول حصارها ، ونشبت هناك معركة اسفرت عن هزيمة جيشه وقتل كثير من قادته واسرهم ، وكان السلطان ابوعبدالله نفسه من الاسرى ، وقد استقبله قائد الفرنجة الكونت كابرا استقبالا حسنا ، وانزله باحد الحصون القريبة ، وعادرجاله الى غرناطة التي روعتها هذه الكارثة ، واجتمع راى كبراء غرناطةعلى استدعاء السلطان ابي الحسن ليجلس علىالعرش ولكنهكان قد فقد بصره ولم يجد في نفسه القدرة على احتمال اعباء الملك، فتنزل لاخيه محمد ابي عبدالله الزغل حاكم مالقة وارتد الى المكلب ، واقام بها حتى توفي (سنة ٨٩٠ هـ)وخلفه على العرش اخوه الزغل ،واخذ في تنظيم الدفاع وتدبير شؤون الملك •

وظل السلطان ابو عبدالله بن ابي الحسن في الاسر ، ورأى ملك قشتالة ان يستفيد من ذلك الموقف في تحقيق اهدافه ، وقد بذل السلطان ابو الحسن حين عودته الى العرش مجهودالافتداء ولده ، وعرض على فرديناند ان يدفع له فدية في نظير ذلك ، ولكنه لم يقبل الافراج عنهواثر الاحتفاظ به ، وبذلت الاميرة عائشة منناحيتها مجهودا لانقاذ ولدها ، واقترحت على ملكقشتاله ان يتولى ابو عبدالله الملك في ظل ملكقشتاله وان يدفع له جزية سنوية ، وان يقدم له المعونة العسكرية كلما طلب منه ذلك ، ورأى ملكقشتاله فرديناند ان يتخذ ابا عبداللهوسيلةلتحقيقمطامعه، وارسل قواته في انحاء مملكة غرناطة لتنتزع كل ما يمكن انتزاعه في غمار الفوضى السائدة، فاستولت على عدة من الحصون والقلاع ، ونشبت في غرناطة ثورة وحرب اهلية شغل ملكها الزغل باخمادها ،وفي الوقت نفسهاطلق فرديناند سراح

ابي عبداللهبعد قبوله عقدالمعاهدة التيعرضتعليه مع تعديل بعضنصوصها،واعلن ابو عبدالله خضوعه وطاعتهللملك قشتالة، وفي شوال سنة ٨٩١ هـ ظهر في البيازين من احياء غرناطة فجاء أبو عبد الله واجتمع حوله انصاره ، واعلن الثورة على عمه وامده فرديناند بالذخائر والمؤن ، وانقسمتمملكة غرناطة الى شطرين يتربص كل منهما بالاخر ، فغرناطة واعمالها يحكمها ابو عبدالله ،ووادى اش واعمالها يحكمها عمه الزغل ، وساعد فرديناند حليفه ابا عبدالله ، واستمر القتال بينهما مدى اشهر ،وفي ربيع الثاني سنة ٨٩٢هـ (١٤٨٧ م) ارسل فرديناند جيوشه الى بلشمالقه الواقعة على مقربة من ثغر مالقة ، فاسرع الزغل الى الدفاع عنها ، وسقطت بلش في يدالنصارى (جمادى الاولى ٨٩٢هـابريل ١٤٨٧م) وعاد الزغل بجنده قاصدا غرناطه ، ولكنه علم ان غرناطة أصبحت خاضعة لابي عبد الله فارتد بجماعته الى وادى آش ، وبذلك استطاع ملك قشتاله تقسيم مملكة غرناطة واعمالها الى قسمين ليسهل القضاء عليهما ، وكان ابوعبدالله قد اصبح في الواقع تابعا لمملكة قشتالة ،وزحف فرديناند بعد ذلك على مالقة ، واستولى عليها في شعبان سنة ٨٩٢هـ (١٤٨٧م) واستولى بعد ذلك على المكلب والمرية (اوخر سنة ٨٩٤ هـ ــ ١٤٨٩م) واتجه الى وادى آش المعقل الاخير للزغل ، ولم يجد الزغل فائدة من المقاومة فاذعن لفرديناند فيصفر سنة(٨٩٥هـ يناير ١٤٩٠م) وباع حقوقه لفرديناد ، وجاز البحر الى المغرب واستقر في تلمسان وكان ملكغرناطة ابو عبدالله يرقب هذه الاحداث وهو يشعر بان غرناطة قد أصبحت علىوشك السقوط،وبعث فرديناند اليأبي عبدالله يطالب بتسليم الحمراء فلميرابو عبدالله مناصا من المقاومة ، وظفر ببعض الانتصارات ، ورأى فرديناند ان يقوم بالضربة الحاسمة ،فهاجم غرناطة ، وبدا حصارها في جمادى الاخرة سنة ٨٩٦ هـ (مارس ١٤٩١ م) ودافعت غرناطة عن نفسها دفاعا بطوليا ، واضطرت الى التسليم لما اشتد باهلها الجوع والمرض ، وبسقوطها كانت نهاية دولة الاسلام بالاندلس (صفر ٨٩٧ هـ ــ ديسمبر ١٤٩١ م) ودخل النصارى غرناطة في الثاني من ربيع الاول سنة (٨٩٧ هـ ــ ٢ يناير ١٤٩٢ م) وغادر ابو عبدالله قصره ، وقدم مفاتيح الحمراء لفرديناند ٠ وتقول الرواية أنه وقف يسرح بصره لاخر مرة في النواحي التي كان فيها سلطان وملك اجداده وأجهش بالبكاء،فصاحت به والدته قائلة » لتبك كالنساء ملكا لم تستطع ان تدافع عنه كالرجال « ، وقصد ابو عبدالله هو واسرته من ثغر المرية الى المغرب سنة ١٤٩٣ م ونزل اولا بمليلة ثم قصد الى فاس واستقر بها مستجيرا بملكها السلطان محمد شيخ بني وطاس الذين خلفوا في الملك بني مرين وتوفى في سنة ٩٤٠ هجرية

وهكذا كانت نهاية الاندلس الاسلامية ،ونستطيع ان نستخلص الكثير من العبر من هذه المأساة المحزنة والخاتمةالاليمة ،ويقولالدكتور حسينمؤنس في كتابه القيم »رحلة الاندلس « من اول يوم قامت فيه مملكة غرناطة ابتليت بمحنة الشقاق ، وكان اشبه بالداء الذى يتمكن ويسرى٠٠٠واستمر بلاء هذا الشقاق بينالرؤساء طوالتاريخ غرناطة٠٠ وكان موقف بنيالاحمر من النجدات (التي كانت تاتيهم من المغرب) عجيبا ، بعد ان ينتصر رجالها عليالعدووينقذوا العرش المتهاوى يسرع اصحابه بالاتفاق مع ملوك قشتاله للتخلص من اخوانهم الذين جاءوا لنجدتهم ٠٠٠ والمشهد الاخير للصراع حول غرناطة ٠٠ يستحق ان يؤرخ في كتاب للعبرة ، لعلنا نعتبر » ويتابع الدكتور مؤنس كلماته الحكيمة قائلا : » وكم استنجد اهلغرناطة، كم استصرخوا اخوانهم العرب والمسلمين في كل مكان ، وكان الحل والانقاذ في ايديهم لو انهم اتفقوا فيما بينهم ، لو نسي كل واحد منهمنفسه، لو ذكر كل واحد منهم ان الامر يتعلق بمصير شعب وحضارة وعقيدة ــ اذن لنجا الاندلس ، ولكن كل شيء كان ممكنا الا الاتفاق ، كل شيء كان في نظرهم مقبولا الا ان يسلم احدهم للاخر، كلهم ارادوا ان يكونوا ملوكا ، وفي اثناء الصراع ضاعت المملكة ، واصبحوا متسولين مشردين ، هل نتعظ ؟ هل نتعلم ؟ هل نفهم ؟ هل نتحد ؟ ادع معي ، فربما استجابت لدعوتناالسماء يومها اقول لك ، لن يغلبنا احد « ٠

وهي كلمات حكيمة من مؤرخ بارع تعمق دراسة تاريخ الاندلس الاسلامية ووضع يده على اصل الداء ومكمن العلة ٠ ■■

علي ادهم

حوار القراء

رسالة من القدس

● ابعث رسالتي هذه من هواء فلسطين وبالتحديد من القدس ، راجيا ان تتمكن هذه الرسالة من اختراق قضبان السجن الكبير اليكم .

لقد احتفلت « اسرائيل » بعيد استقلالها الثلاثين .. ونحن عرب القدس مازلنا نعيش سجناء الاحتلال .. ننتظر الفرج ولكن اين نحن منه .. معنوياتنا هبطت .. و « اسرائيل » تقيم المستعمرات في جميع انحاء البلاد .. في جبال اريحا .. في القدس .. في طولكرم .. في نابلس .. في الخليل . بناء المستعمرات في كل مدن الضفة الغربية يوحي بان اسرائيل لايمكن ان ترحل عن البقية الباقية من فلسطين وهي ما اصطلح على تسميته بالضفة الغربية وقطاع غزة .

لا اعتقد ذلك ، وكل من يعيش معي في السجن لايساوره مثل هذا الاعتقاد .

شابة من القدس

الذبائح وليست الدباغ

● قرأت في العدد ٢٣٧ من مجلة العربي (عدد اغسطس ١٩٧٨) مقالا للدكتور علي الراعي بعنوان (سعيد عبده الطبيب والزجال والناقد المسرحي) وتحدث في مقاله عن المعركة التي قامت بين الدكتور سعيد عبده والاستاذ محمود كامل بعد ان قدم الاخير مسرحية (الوحوش) لفرقة رمسيس وذكر بأن سعيد عبده تناولها بالنقد اللاذع وهاجم غرهافن الميلودراما الذي يكتسح خشبة المسرح المصري تلك الايام اثر نجاح مسرحيتي انطون يزبك « عاصفة في بيت » و « الدباغ » .

والواقع ان اسم المسرحية الثانية لانطون يزبك هي الذبائح وليست الدباغ ويغلب على ظني ان الدكتور علي الراعي كتب اسم المسرحية صحيحا في اصل مقاله ولكن الخطأ كان خطأ مطبعيا .

صبحي امين المحامي
القاهرة

غول الغلاء واسعار الكتب

● ارتفعت اسعار الكتب بشكل جنوني ، حتى وصل ثمن الكتاب الواحد الى سبعة جنيهات اي مايعادل نصف مرتب شهر لموظف مصري ، واصبح ارتفاع ثمن الكتب هو القاعدة .. وخطورة المشكلة تكمن في ان ارتفاع ثمن الكتاب وصعوبة الحصول عليه جعلت الناس ينصرفون عن القراءة لهوايات اخرى اقل كلفة فتخفت العقول واصيبت بالجدب الفكري .. وللناس العذر في ذلك ، فالحياة بصورتها الحالية ومتطلباتها المتعددة المتجددة مع كل يوم جديد لا تساعد المرء (وهنا اعني انا الطبقة العريضة من الجماهير وقدرتها على اقتناء الكتب الباهظة الثمن)وتفاقمت المشكلة بصورة رهيبة لجشع اهل الفكر ورغبتهم في تحقيق الكسب المادي والثراء على حساب الجماهير الكادحة ولكن هناك شعاع من الضوء مازال يضيء في هذا الطريق المظلم وعن طريقه يمكن حل المشكلة

١) يجب على الدول العربية ان تتدخل للحد من ارتفاع ثمن الكتاب حتى عن طريق تقديم الدعم

٢) نشر المكتبات الثقافية في كافة الارجاء ولا يقتصر الامر على العواصم فقط. والحرص على تخليصها من التعقيدات الروتينية والمشاكل المادية .

عبد الرحمن كامل
بلبيس ـ شرقية

اين الغيرة على الاسلام

● تناقلت الصحف ان اوربا اخذت في الاونة الاخيرة تستهين بديننا لدرجة ان بعض المحلات التجارية في بريطانيا عمدت الى كتابة اسم الله على بعض الملابس الداخلية . وقد استهجنت هذه الصحف مثل هذه الجراة . اما انا فلم استغرب .. بعد ان رايت جنود اسرائيل يطاوون باقدامهم ارض المسجد الاقصى ..

وحرقه بعدذلك دون ان تتحرك غيرة هذه الامة التي صدق فيها قول الشاعر

القتم الهون حتى صار عندكم
طبع وبعض طباع المرء مكتسب
وفارقتم لطول الذل نخوتكم
فليس يؤلمكم خسف ولا عطب

اياد هادي الجميلي

العراق

بخل المتنبي

● ان محاولة اثبات اونفي بخل المتنبي يمكن حسمها بالرجوع الى ماكتبه ابو بكر الخوارزمي الذى عاصرالمتنبى اذ يقول :

ان احق الناس باللوم شاعر
يلوم على البخل الرجال ويبخل

وقد اعرب - أي المتنبي - عن عاداته وطريقته في قوله :

بليت بلى الاطلال ان لم اقف بها
وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

ويروى الخوارزمي انه حضر عنده يوما بحلب وكان المتنبي قد احضر مالا مما وصله به سيف الدولة فصب بين يديه على حصير قد افترشه، ووزنه واعاده في الكيس ، واذا بقطعة قد تخللت خلل الحصير فاكب بمجامعة ينقرها حتى توصل اليها فتمثل ببيت قيس بن الخطيم :

تبدت لنا كالشمس بين غمامة
بدا حاجب منها وضنت بحاجب

اليس في هذا انصع دليل على حب المتنبي للمال ؟

عبد الرحمن احمد شارق

مصر

لقمان والحكمة الحبشية ؟

● لا شك انه في تراثنا اكثر من لقمان ، فهنالك لقمان عاد ، وهو غير لقمان الحكيم المذكور في القران الكريم وفي حين تهتم كتب الامثال بالاول وتنص على انه عربي تهتم كتب التفسير بالثاني ، وبعضهم يضيف (لقمان) آخر متخيلا، وهو لقمان الامثال المتاخرة ،وقد حاول هلر كاتب مادة لقمان في دائرة المعارف الاسلامية ان يجعل من الثلاثة واحدا مر بثلاث مراحل،غير ان الدارسين من قدامى ومحدثين يرفضون هذا الرأى الفطير .

اما ما يثار حول كون (لقمان) من عبيد الحبشة ، فان احد المستشرقين انطلق من اشارة غامضة مقتضبة في بعض كتب الاخبار العربية غير الموثقة والتي لا يمكن الركون اليها الا بعد طول معاناة وتمحيص الى وجود شخص اسود او مغربي يتسمى بلقمان ليقول ان (لقمان) كان عبدا حبشيا ، وهدفه من ذلك ان يبعد الحكمة عن العرب ، ويصفهم بالحمق وان الحكمة المأثورة عنهم ايام الجاهلية لم تكن عربية خالصة .

ويبدو ان الرأى القائل ان (لقمان) كان عبدا حبشيا الذي تبناه الاستاذ الاديب يوسف الشاروني يخدم فكرة تستبطن مقاله الذى نشره العربي في العدد ٢٢٨ تحت عنوان (عندما تكلمت الحيوانات) وهي ان الذين صدرت عنهم الامثال واستنطقوا الحيوان بالعبرة والموعظة كانوا عبيدا يشعرون بالظلم ويخافون السلطان وهو يعددهم مبتدئا بايسوب ومنتهيا بابن المقفع حاشرا بينهم (لقمان) .

غير انني عندما وجهت ملاحظتي بشأن لقمان لم انف وجود شخص اسود غامض يطلق عليه لقمان الحبشي او المغربي، وانما تساءلت كيف جزم الاستاذ الشاروني بان لقمان الحكيم ، وخط تحت الحكيم كان عبدا حبشيا فلو كان الاستاذ الشاروني دقيقا لقال (حسب رأيه) ان هذه الامثال المطبوعة في كتاب تنسب للقمان الحبشي أو المولد كما عاد واطلق عليه في مقاله (لقمان وامثالنا العربية) (العربي - العدد ٢٣٧) ، اذ ان لقمان الحكيم الذى لم يكن عبدا حبشيا باية حال من الاحوال هو غير لقمان عاد ولقمان الحبشي .

وبعد ان قرأت مقال الاستاذ الشاروني عن لقمان اود ان اسأله ما سنده بان امثال الكتاب المطبوع هي للقمان الحبشي وما المصدر الذى اعتمد عليه خاصة وان هناك من يقول انها للقمان عاد .

دمشق احسان جعفر

وحدة الخير

● فقد طالعت في مجلتكم القراء بالعدد ٢٣٦ يوليو١٩٧٨ رسالة الاخ جورج خورى من الرياض مطالبا بجمعية خيرية تشمل كافةاقطار العالم العربي ولما كنتبحكم مهنتي ومشاعرى القومية مهتما بمثل هذاالعمل فانني ارجو أنيكتب الى الاخ الكريم وغيره من ابناء العالم العربيالذينيهمهمهذا الامروانا واثق ـ بعون الله ـ من اننا معا نستطيع بذل الجهود في سبيل قيام جمعية يعم نشاطها كل العالم العربي ويكون هدفها الرعاية الاجتماعية لكل الفئات المحتاجة للرعاية في الوطن العربي ـ وما اكثرها ـ وتساهمفي الاحوال التي تحتاج الى اغاثة المنكوبين او اعانة الملهوفين وانني كلي ثقة من ان الملايين من الاغنياء وغيرهم في الوطن العربي سيساهمون في هذا المشروع الجليل . المهم ان نبدأ العمل الجاد لانشاء هذه الجمعية بجهودنا الفردية دون اعتماد على حكومات . فكفى بنا اعتمادا على الحكومات في كل كبيرة وصغيرة ، لذا ارجو ملحا ان يكتب الى كل مهتم في سبيل ان نتفق معا على الخطوات التنفيذية .

الاخصائي الاجتماعي
محمد عبد الباقي مراد
ص٠ ١٩٨٤ الدوحة دولة قطر

ان الميت ليعذب بكاء اهله عليه

● لقد قرأت في العدد ٢٢٥من مجلتكم وفي مقال لفهمى هويدى تحت عنوان « وتثبيون أيضا : عبدة النصوص والطقوس » واود ان اشير الىنقطة مهمة وهي ما قاله بان كتب الفقه سجلت رد السيدةعائشة لحديث منسوب الى النبي صلى الله عليه وسلموالحديث هو : « ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه » لانهيعارض او يتعارض مع آية قرآنية وقاعدة فقهية هي « ولاتزر وازرة وزر اخرى » « وان ليس للانسان الا ما سعى »في حينان هذا الحديث صحيح وهناك عدة احاديث صحيحةاخرى بهذا المعنى .

وعن التعارض بين الحديثوالاية ، الذى اشار اليه الكاتب ، فقد قال محمد ناصر الدين الالباني في كتابه « احكام الجنائز »، ان الفقهاء اختلفوافي الامر فيثمانية اقوال واقربها الى الصواب قولان :

الاول : ما ذهب اليـه الجمهور وهو ان الحديث محمول على من أوصى بالنوحعليه ، أو لم يوص بتركه مع علمه بان الناس يفعلونه عادة. ولهذا قال عبد الله بن المبارك « اذا كان ينهاهم في حياتهفعلوا شيئا من ذلك بعد وفاته ، لم يكن عليه شيء) عمدة القاريء (٤ / ٧٩) والعذاب عندهم بمعنىالعقاب.

الثاني : ان معنى « يعذب »اى يتالم بسماعهبكاء اهله عليه ويرق ويحزن وذلكفيالبرزخ،وليس يومالقيامة،والىهذاذهب محمد بن جرير الطبرى وغيره،ونصره ابن تيمية وابن القيم وغيرهما ، وقالوا : « وليسالمراد ان الله يعاقبه ببكاء الحي عليه ، والعذاب اعم منالعقاب كما في قوله (ص) « السفر قطعة من العذاب » ،وليس هذا عقابا علىذنب وانما هو تعذيب وتالم » انظر كلامابن تيميةفي (مجموعة الرسائل المنيرية (٢/٢٠٩) وابن القيمفي « التهذيب » (٢٩٠/٤ ـ ٢٩٣) من كتاب احكامالجنائز. واميل انا الى القول الاول لوجود حديث ان العذاب يومالقيامة وهو « من نيح عليه يعذب بما نيح عليه (يـومالقيامة) » . والله أعلم .

(. . . . . .)
العراق

طرائف عربية

ضربوه فعدل

● دخل خالد بن صفوان على السفاح فى مجلسه فجرى ذكر النساء فقال خالد : «يا امير المؤمنين لقد ملكت على نفسك امراة واحدة، واقتصرت عليها فان مرضت مرضت ، وان غابت غبت، وان غضبت حرمت . فاين انت يا امير المؤمنين من من البيضاء الطويلة ، والسمراء اللفاء ، والغنجة الكحلاء، والمولدات من المدنيات، والملاح ذوات الالسن العذبة والقدود المهفهفة . » وجعل خالد بعذوبة لفظه يشرح ويطول فى ذكر النساء وجمالهن ثم انصرف عن المجلس .

وبقي السفاح مفكرا عامة نهاره فدخلت عليه ام سلمة المخزومية زوجته ، فلما رأته دائم الفكر ، كثير السهو ، انكرت عليه ذلك، والحت عليه، فلم تزل به حتى حدثها حديث ابن صفوان عن النساء . فغضبت غضبا شديدا وارسلت الى خالد بجماعة من مواليها وغلمانها وامرتهم الا يتركوا فيه عضوا صحيحا .

قال خالد بن صفوان : فلم اشعر ذات يوم الا بجماعة من خدم السفاح وقد هجموا علىَّ بهراواتهم واخذوا فى ضربي ضربا مبرحا

فمكثت اياما مستترا فى منزلى ، ثم دعاني السفاح يوما فمثلت امامه ، واومأ لى بالجلوس، ونظرت فاذا خلف ظهره باب عليه ستور قد ارخيت، واحسست بحركة خلفه فقال السفاح : «يا خالد لقد وصفت لى يوم كنت عندى من امر النساء والجوارى ما لم يخترق سمعي قط ، فاعده على . قلت نعم يا امير المؤمنين ، اعلمتك ان العرب اشتقت اسم الضرة من الضر ، وان احدهم لم يكن عنده من النساء اكثر من واحدة الا وكان فى جهد وكد . واخبرتك ان الثلاث من النساء كأثافى القدر يغلى عليهن ، واخبرتك ان الاربع من النساء شر مجموع لمن كن عنده ، انهن يهرمنه وينغصن عليه عيشه ويشيبنه قبل حينه . قال : ويحك والله ما سمعت هذا قط منك ولا من غيرك . قال خالد بن صفوان فسمعت ضحكا شديدا وراء الستر ثم قلت : نعم يا امير المؤمنين، واعلمتك ان عندك ريحانة قريش ، وانه لا يجب ان تطمح نفسك الى شيء من النساء غيرها » .

ثم خرج خالد من مجلس السفاح فلما وصل منزله وجهت اليه أم سلمة ثلاثة تخوت فيها انواع الثياب وخمسة الاف درهم .

نصائح طفيلي

● الطفيليون جماعة من الناس الفت دخول المنازل وحضور الولائم والحفلات والاعراس دون دعوة وربما دون معرفة احد من اصحاب العرس او الوليمة .

وقد وجه طفيلي الى اصدقائه النصيحة التالية :

اذا دخل احدكم عرسا فلا يلتفت تلفت المريب ، بل ويتميز المجالس ، فان كان العرس كثير الزحام ، فليمض ولا ينظر فى عيون الناس ، ليظن اهل المرأة انه من اهل الرجل ، ويظن اهل الرجل انه من اهل المرأة . اما اذا كان البواب غليظا وقحا فعليك به فتامره وتنهاه ، من غير ان تعنف عليه ، ولكن بين النصيحة والادلال .

وهناك نصيحة اخرى شعرية ذكرها ابن الجوزى على لسان طفيلي بارع فى هذه الصنعة يقول :

لا تجزعنَّ من الغريب
ولا من الرجل البعيد
وادخل كأنك طابخ
بيديك مغرفة الحديد
متدليا فوق الطعام
تدلي الباز الصيود
لتلف ما فوق الموائد
كلها لف الفهود
واطرح حياءك انما
وجه الطفيلي من حديد

رهان

للكاتب التركي عزيز نسين

■ خرجت ذات صباح ابحث عن مكان أرفه به عن نفسي • سرت وقدماي تقودانني كيفما شاءتا الى أن وصلت الى مكان انطلاق البواخر التي تذهب الى ضواحي استانبول في بحر مرمره ، ووجدت نفسي أقطع تذكرة الى يالوفا * • صعدت الى الطابق العلوي للباخرة ، حيث الهواء المنعش المريح للاعصاب • كانت المقاعد مزدحمة ، ولكنني تمكنت أن أجد لنفسي مكانا بين هذه الجموع ، حتى اذا انطلقت الباخرة شعرت وكان حملا ثقيلا قد انزاح عن صدري •

وبينما كنت أحلق في سماء أفكاري ، سمعت صوتا يهمس في أذني •• التفت ناحية الصوت ، فاذا رجل في الاربعين من العمر ، أنيق الهندام ، تبدو عليه ملامح من وقار •

ـ تفضل سيدي •••

ـ لاقدم نفسي في البداية : عباس •••

ـ تشرفنا ، اسمي فاضل •••

ـ في الحقيقة انا مغرم بالمراهنة الى درجة الهوس •

ـ عفوا ، لم أفهم ماذا تقصد ؟

ـ أقصد أني على استعداد للمراهنة على أي

---

* احدى ضواحي استانبول وتقع على شاطىء بحر مرمره الشرقي •



شيء ومع أي انسان ٠ اعتقد ان هوايتي هذه تثير استغرابك ٠

نظرت الى وجهه ، ترى هل يسخر مني ؟ ملامحه لا توحي بذلك ٠

ـ ابدا ، لكل هوايته الخاصة به ٠

ـ هي بالنسبة لي اكثر من هواية ، فاذا لم أتراهن مع خمسة او عشرة اشخاص يوميا ، قد لا أستطيع النوم تلك الليلة ٠

ـ ولكن هل تربح دائما ؟

ـ قد اربح احيانا وقد اخسر احيانا اخرى ، ولكن ليس القصد الربح او الخسارة انما هو اشباع هذه الرغبة فقط ٠

ـ حسنا ٠

ـ أرجو أن لا اكون قد أزعجتك ٠

ـ على العكس فانا مسرور من التعرف عليك ٠

وفي داخلي كنت أتمنى أن ألقن هذا الرجل الغريب الاطوار درسا لن ينساه ٠

ـ اذا كنت راغبا بقتل الوقت ، فلنبدأ المراهنة ٠

ـ ولكن على ماذا ؟

ـ كما تشاء ، وعلى سبيل المثال معرفة أسنان هذه السيدة التي تجلس امامنا ٠

ـ تحدث بصوت منخفض كي لا تسمعنا تلك السيدة ٠

كانت تجلس سيدة جميلة في المقعد الذي أمامنا تماما ، في العقد الثالث من عمرها ، على ما اظن ٠

ـ ساعطيك الف ليرة اذا عرفت عدد الاسنان الموجودة في فم هذه السيدة ، واذا لم تعرف فستدفع لي خمسين ليرة ، ما رأيك ؟

عرض مغر جدا : ألف ليرة مقابل خمسين ٠

ـ يبدو الامر صعبا ، فانا لا أعرف عدد اسنان زوجتي ، فكيف لي أن اعرف عدد أسنان سيدة أراها لاول مرة ؟

ـ ليس القصد ان تعرف او لا تعرف ، الامر



مجرد تمرير للوقت ، ومع هذا ساعطيك ثلاث فرص للفوز بان تذكر ثلاثة أعداد .

ـ وانت الن تذكر أي عدد ؟

ـ وكيف لا ؟ ساذكر بعدك عددا واحدا فقط .

ـ حسنا ، واذا لم تعرف كلانا العدد الصحيح ؟

ـ يكون كلانا قد خسر الرهان .

ـ لم افهم .

ـ اى لن ادفع شيئا وانت أيضا لن تدفع لى شيئا .

وفكرت بالالف ليرة وكيفية الحصول عليها بأية طريقة .

ـ ساقبل بهذا الرهان ، ولكن بشرط ...

ـ ما هو هذا الشرط ؟

ـ اذا ما لم اتمكن من معرفة العدد الصحيح ، سادفع لك خمسين ليرة . وانت ستدفع لى ألف ليرة اذا لم تعرف العدد الصحيح .

ـ حسنا انا موافق.هيا اذكر لى ثلاثة أعداد...

ـ مهلا ... مهلا ... الامر ليس بهذه السهولة. احتاج الى وقت للتفكير ، ثم لنفرض ان هذه السيدة تستعمل طقم أسنان صناعية ؟

ـ يفسخ الرهان فى هذه الحالة . فالاسنان الصناعية لا تدخل فى الرهان .

وبدات اتفحص السيدة بامعان وكان عيونى أشعة « اكس » تريد ان ترى اسنان هذه السيدة من خلف شفاهها المطبقة . ترى لو عرفت كم عمرها ؟ ... ومعلوماتى فى البيولوجى ؟ أسنان الفتاة الشابة ثمانية وعشرون ، ثم تظهر أربعة أضراس هى أضراس العقل ... المجموع اثنان وثلاثون سنا. وهكذا وبينما انا احسب وأسترجع معلوماتى فى رأسى ، فتح عباس جريدة كانت فى يده وغرق فى صفحاتها وكان الامر لا يعنيه . آه ... كيف لى ان اعرف عدد اسنانها ؟ شرلوك هولمز نفسه لا اظنه بقادر على حل هذه المشكلة . لنفرض ان عمرها ثلاثون عاما على الاقل ، واربعون عاما على الاكثر ... واخرجت ورقة وقلما ، ورسمت منظرا لفك علوى واخر سفلى يحملان اثنين وثلاثين سنا. الا يحتمل انها قد خلعت بعض اسنانها نتيجة نخر أو سوس ؟ من الافضل ان اجرى مقارنة على اسنانى ...

ـ سيد عباس ... هل معك مراة ، اذا سمحت؟

واخرج مراة من جيبه . فتحت فمى ، فكى الاسفل ... واحد اثنان ثلاثة ... ناب ، جسر ... خمسة ستة ... أملك ستة وعشرين سنا ... عمرى فى الاربعين ... هل أسنان النساء اكثر مقاومة من اسنان الرجال ، ام العكس ؟

والتفت الى عباس المنهمك بقراءة الجريدة .

ـ هل تاذن أن أسالك هذا السؤال ؟

ـ تفضل .

ـ كم عدد أسنانك ؟

ـ تسعة وعشرون .

ـ وعمرك ؟

ـ خمسة وثلاثون .

ـ شكرا .

وعاد عباس الى جريدته ، بينما سجلت عمرى وعدد أسنانى وعمر عباس وعدد أسنانه . وبدات أستعيد معلوماتى الرياضية ، رجل فى الاربعين له ستة وعشرون سنا وآخر فى الخامسة والثلاثين له تسعة وعشرون سنا ، كم يكون عدد أسنان سيدة فى الثلاثين من العمر ؟ ان هذا لا يكفى ، يجب ان أعرف عدد أسنان اناس آخرين . الامر يحتاج الى قليل من الخبث .

ذهبت الى مقدمة الباخرة ، ووقفت بجانب احد البحارة ، ووضعت يدى على خدى وبدات بالانين .

ـ ماذا تشكو ياسيدى ؟

ـ آه .. أسنانى اللعينة .. آه .. انها تؤلمنى جدا . تصور لم يبق لى سوى عشرين سنا. كم سنا لك ؟

ـ لا أعرف .. لقد خلعت اثنين فى العام الماضى. حقا ان الم الاسنان لا يطاق .

ـ افتح فمك كى ارى .

وفتح البحار فمه بسذاجة .

ـ ما شاء الله . عندك ثمانية وعشرون سنا جيدا . اظن ان عمرك واحد وعشرون او اثنان وعشرون سنة.

ـ ستة وعشرون .

ـ تنقلت من زاوية الى اخرى متبعا نفس الحيلة استطعت خلالها ان اجمع اعمار واعداد اسنان اناس كثيرين . ثم عدت الى مكانى بجانب عباس الذى انتقل من قراءة الجريدة الى كتاب لم اهتم بمعرفة اسمه فعقلى مشغول بحساب عدد اسنان

السيدة ، وبعد حساب طويل التفت الى عباس قائلا :

ـ لقد عرفت ، فعدد اسنانها ستة وعشرون سنا .

ـ ماذال امامك احتمالان .

واستأنف عباس القراءة ، بينما تابعت الحساب من جديد ، وفجأة خطر على بالي أمر دعاني الى سؤاله .

ـ سيد عباس . وماذا لو نزلت السيدة قبلنا ؟

ـ وماذا سنفعل ؟ سيعتبر الرهان ملغيا .

ـ مستحيل لا اوافق،ولماذا اتعب نفسي بالحساب منذ اكثر من ساعة ؟

ـ ولم التلكؤ اذن ؟ هيا اسرع بالحساب .

ـ استطيع ان اقول يوجد لها سبعة وعشرون سنا .

ـ بقي لك احتمال اخير .

غادرت الباخرة المحطة قبل الاخيرة ، ولم تنزل السيدة . اذن امامي الآن وقت طويل لنهاية الرحلة وعلى ان الجأ للحيلة لكي تفتح السيدة فمها ، وهكذا استطيع ان اعد اسنانها بكل سهولة.وبدات بالتثاؤب بدون انقطاع . ونجحت الخطـــة ، فقد انتقلت عدوى التثـاؤب الى السيـدة ، مددت رأسي .. واحد اثنان .. ثلاثة ، واغلقت السيدة فمها . عاودت التثاؤب بحماس ، ولكن عدوى التثاؤب انتقلت ايضا الى الجالسين بجوار السيدة ، الى جميع الجالسين في المقعد الـــذى امامي ، والمقعد الذى اجلس عليه ، الجميع كلهم يتثاءبون . المهم عندى اسنان السيدة ، فعيوني تراقب فم السيدة ، احاول عد ما استطعت مـــن الاسنان . كانت تضع يدها او منديلها ولكنهـا في النهاية استرسلت للتثاؤب بدون اكتراث .

تجلس على يمين السيدة امراة عجوز ، وتميل على الرجل الذى بجانبها قائلة :

ـ لست ادرى ما كنه هذا الخمول الذى اصابني فجاة .

ـوانا ايضا . على الرغم من اني نمت جيدا ليلة امس .

ـ لعله هواء البحر النقي .

طفلان آخران غرقا في سبات عميق على اثر تثاؤب شديد . أصوات اخرى تنبعث من الطـرف الآخر للمقعد .

ـ ان فمي يكاد يتمزق من شدة التثاؤب .

ـ ارجو ان توقظني عند الوصول ...

حتى انا سيطر عليّ نعاس لا يقاوم . وعندما وصلت الباخرة الى المحطة الاخيرة،كنت قدتوصلت الى عد خمسة وعشرين سنا هي عدد اسنانها على ما اظن .

ـ اصح ياسيد عباس . لقد وصلنا . كما اني توصلت الى معرفة العدد الصحيح لاسنان هـذه السيدة . لها خمسة وعشرون سنا .

ـلقد خسرت الرهان .

حسنا . هذه خمسون ليرة . وانت الى ماذا توصلت ؟

ـلها ثمانية وعشرون سنا .

ـ وكيف ساعرف ان ماذكرته هو الصحيح ،واني على خطأ ؟

ـ اذا كنت لا تصدقني فاسألها بنفسك .

ـ بل اسألها انت .

ـ وتوجه عباس نحو السيدة .

ـ ارجو المعذرة سيدتي ، هل استطيع ان اعرف عدد اسنانك ؟

وضحكت السيدة .

ـوكيف لا تعرف وانت طبيب اسناني منذ خمس عشرة سنة ؟ .. وبعد ان خلعت هذا الصباح ضرسي الذى كان يؤلمني،يبقى لي ثمانية وعشرون سنا .

ـ اشكرك سيدتي .

وبعد ان غادرنا الباخرة ، امسكت يد عباس قائلا :

ـ كم عدد اسنانك ؟

ـ تسعة وعشرون .

وانهلت على فكه لكما بكل قوتي .

ـ انها الآن ليست كذلك ، من الافضل ان تعدها مرة اخرى .

وسقط اثنان من اسنانه .

وانتقلت القضية الى المحكمة.وانتهت بتغريمي الف ليرة كتعويض . ومنذ ذلك اليوم لم اعـد اكترث باسنان الآخرين ، لتكن اثنين وثلاثين او حتى ثلاثمائة وعشرين .

■■

ترجمة : صفوان الشبلي

نزهة العقل الذكي بجهد واع

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. أما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري أن يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٤ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول فبراير (شباط) ١٩٧٩ .

اثنتان في واحدة :

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم صاحب حديث عيسى بن هشام ، كما ستجد في (٨) راسيا اسم مؤرخ وجغرافي عربي معروف .

كلمات أفقية :

(١) حاملات العناصر الوراثية ـ من المحاصيل الزراعية ـ كثير .

(٢) صحابي وقائد اسلامي انتصر في القادسية ـ رغب .

(٣) أرض مرتفعة ـ اهم مؤلفات الرازي في الكيمياء .

(٤) الجواهر ـ نهضا .

(٥) من اقاربي ـ من الغازات ـ في المجموعة الشمسية .

(٦) يرشد ـ صفات ـ حيوان ـ نصف كلمة (اداة) .

(٧) التخمين ـ قاطع ـ دع .

(٨) صاحب حديث عيسى بن هشام .

(٩) للايجاب ـ الكوكب السادس بعدا عن الشمس ـ نسق .

(١٠) الاغلب ـ من العلوم الرياضية .

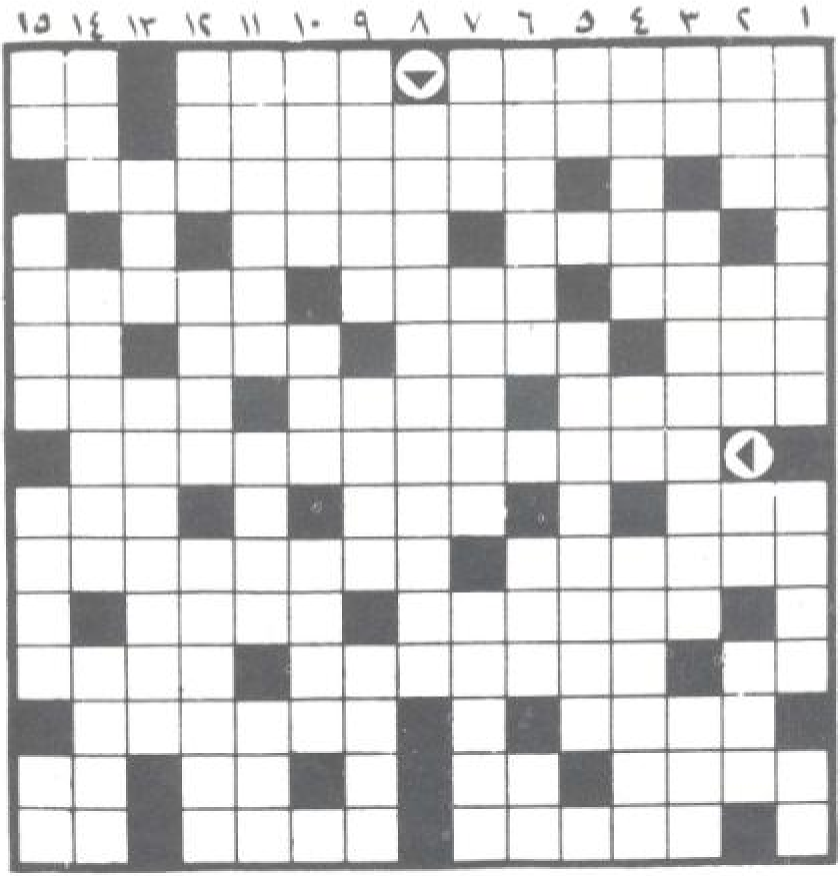
(١١) عاصمة اقليم بيدمونت الايطالي ـ من انواع النسيج .

(١٢) مقام موسيقي ـ مؤتمر وضع فيه الحلفاء سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ـ نصف يوم .

(١٣) من الاسماء الحسنى ـ ترتديها .

(١٤) طمانينة ـ للتفسير ـ نصف كلمة (يوسف) ـ في العين .

(١٥) الهة الجمال عند الرومان ـ عاصمة اوربية ـ من الاقارب .



كلمات رأسية :

(١) من الجمهوريات السوفييتية ـ عاصمة جامورابى ـ متشابهان .

(٢) عيسى ـ نقاش ـ متشابهان ـ وجع .

(٣) من الاقارب ـ من رتب المملكة الحيوانية ـ تجول .

(٤) يهتم ـ نصف كلمة (دحرها) ـ موسيقى وضع الحان اوبرا حلاق اشبيلية .

(٥) متشابهان ـ مقياس الهزات الارضية .

(٦) اسبيكم ـ وقت ـ حرف عطف .

(٧) من الذهب ـ عاصمة بوليفيا ـ فتى اسطورى جميل الوجه عشق صورته فى الماء .

(٨) مؤرخ وجغرافى عربى معروف .

(٩) من انواع الوقود ـ تفرض ـ من اشهر علماء الوراثة .

(١٠) فى الكسر ـ من الاشجار ـ مادة طيارة .

(١١) ينتسب الى اسرة حاكمة فارسية قديمة ـ شمال ـ صحارى .

(١٢) قطر ـ مؤذن الرسول ـ قائد حربى انجليزى معروف من القرن التاسع عشر .

(١٣) رفضت ـ من انواع الاختبارات .

(١٤) ظلم ـ اخفيتك ـ لقب آسيوى .

(١٥) بسط ـ لديك ـ وفية ـ انهض .



مهندس انجليزى شهير

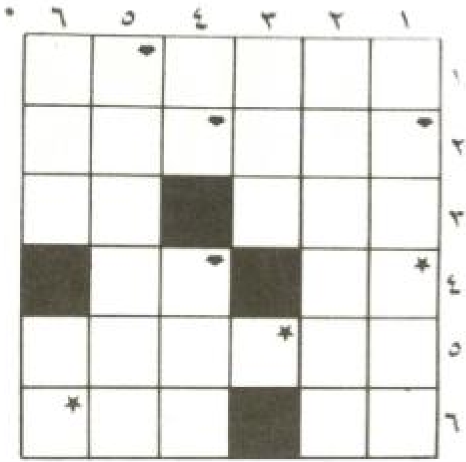
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لمهندس انجليزى اشتهر بالتحسينات العديدة التى ادخلها على الآلة البخارية . ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه .

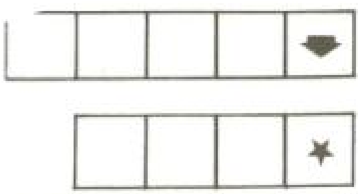
الكلمات الافقية :

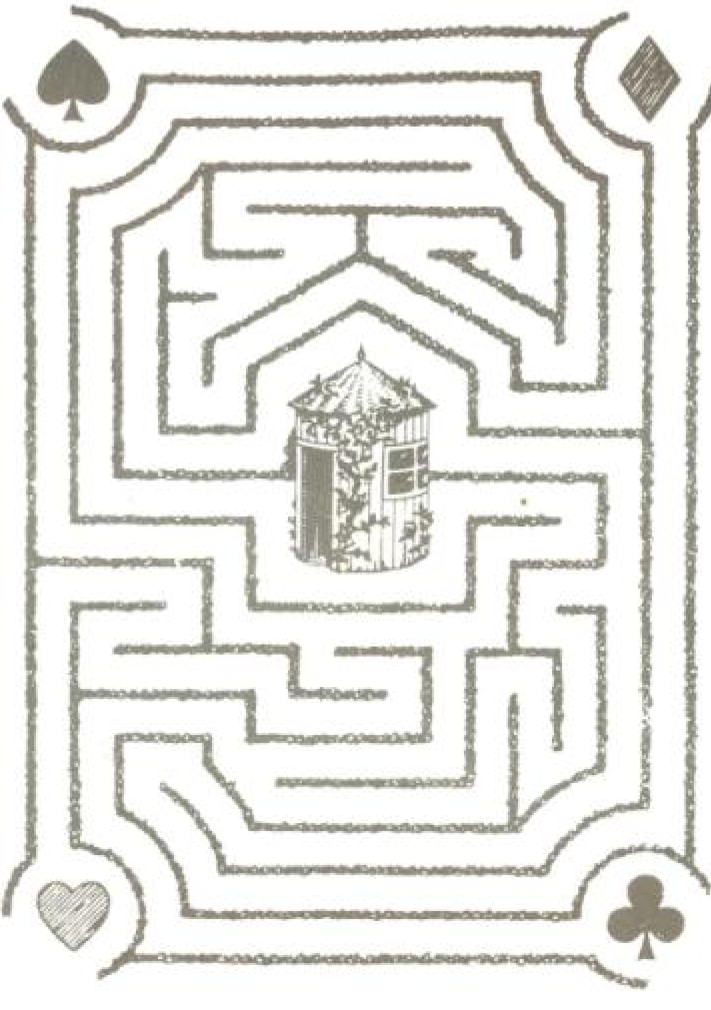
(١) نهر افريقي .
(٢) من الزهور .
(٣) خالى مهجور ــ نصف كلمة (بانت) .
(٤) نصف كلمة (غصون) ــ نصف كلمة (سائد) .
(٥) تخفيه .
(٦) حيوان ــ وقت .

الكلمات الرأسية :

(١) صورة او رسم دينى مسيحى .
(٢) نبات عطرى .
(٣) من الطيور الجارحة .
(٤) بحر ــ عدد من الطائرات .
(٥) قصة شهيرة من تاليف اميلى برونتى .
(٦) اطالت النظر ــ نصف كلمة (هتاف) .







كشك الحديقة

هذه ليست متاهة واحدة ،لكنها ١٢ متاهة في متاهة واحدة . فى كل مرة عليك ان تختار احدى علامات ورق اللعب، وتحاول الوصول الى اخرى ، وهكذا تكون امامك ست محاولات . ومطلوب منك ان تفعل هذا مرة بالمرور على باب كشك الحديقة ، ومرة اخرى بدون المرور عليه .. وهذا يجعل عدد المحاولات ١٢ محاولة . المهم فى اى محاولة لا يجوز ان تسير على نفس الطريق اكثر من مرة واحدة .

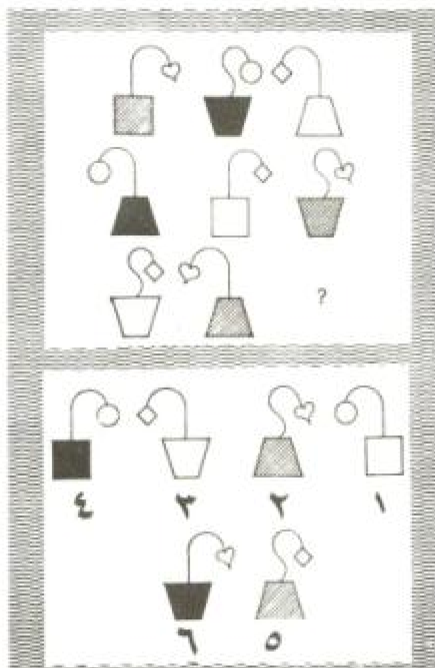
استاذ نبيه يسأل :

ماهو ترتيب المتسابقين ؟ ..

سبعة رجال اشتركوا فى سباق الف متر . فى نهاية السباق كانت اوضاعهم كالتالى :

ـ هشام خلف نبيل بنصف متر .
ـ على يسبق سليما بنصف متر .
ـ فى نهاية السباق كان سليم يسبق هشاما
ـ كان خلف وهيب ثلاثة متسابقين .
ـ كان اسماعيل يسبق سليما بمسافة متر كامل .
ـ فهمى سبق وهيبا بنصف متر .
ـ لم تكن المسافة بين اى من المتسابقين تقل عن نصف متر .

هل يمكنك ان تعرف ترتيب المسابقين ؟..



الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول ان تعرف اى الاشكال ذات الارقام ، يحل محل علامة الاستفهام .

الحلول

النجمة والسهم :

جيمس وات .

★ ★ ★

استاذ نبيه يسأل :

ترتيب الاولوية فى نهاية السباق كان كالتالى :
فهمى ـ وهيب ـ اسماعيل ـ على ـ سليم ـ نبيل ـ هشام .

★ ★ ★

الشكل المطلوب :

رقم ٤ .

العربي

فهرس سنة ١٩٧٨

من العدد ٢٢٩ إلى العدد ٢٤٠

حديث الشهر

بقلم : رئيس التحرير احمد بهاء الدين

دين ورجال دين

للمناقشة

بقلم : فهمي هويدي

سياسة واقتصاد

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	الصفحة
ونحن على أبواب الثمانينات .. مازق التنمية العربية في السبعينات	د . جلال أحمد أمين	٧٨/١	٢٣٠	٢٠
نحو مؤتمر عربي للطاقة	د . محمود أمين	٧٨/٢	٢٣١	٩٠
المتهم الاول والاخير في لبنان	تقي الدين الصلح	٧٨/٣	٢٣٢	١٢
كيف يواجه العرب اخطبوط الشركات العابرة للقوميات ؟	د . محمود عبد الفضيل	٧٨/٣	٢٣٢	٥٩
الدينار العربي : الحقيقة والوهم	د . حازم الببلاوى	٧٨/٤	٢٣٣	١٢
الدولار المشكلة !	د . حازم الببلاوى	٧٨/٥	٢٣٤	١٤
الصناعة للناس أم الناس للصناعة ؟	حافظ أحمد أمين	٧٨/٥	٢٣٤	٩٧
صراع الاغنياء والفقراء حول اصلاح النظام الاقتصادى العالمي	د . محمود عبد الفضيل	٧٨/٦	٢٣٥	٢٨
امريكا اللاتينية .. ذلك العالم الجديد	د . شاكر مصطفى	٧٨/٦	٢٣٥	٣٨
حرب العصابات تنتقل الى المدن	ليلى خالد	٧٨/٦	٢٣٥	١٤٠
هل يتحقق التكامل الاقتصادى في منطقة الخليج ؟	د . محمود عبد الفضيل	٧٨/٧	٢٣٦	٩٢
انماء العالم الثالث وتقدمه بين النموذج المضاد والنموذج المقلد	د . حسن صعب	٧٨/٨	٢٣٧	٢٠
ماذا حقق العالم الثالث من تنمية ؟	د . محمد سلطان	٧٨/٩	٢٣٨	٥٦
محنة التكامل الاقتصادى الزراعي في العالم العربي	د . سعد نصار	٧٨/١٠	٢٣٩	٥٣

عروبة

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	الصفحة
افريقيا والعرب . ساحة الصراع الدولي الجديد !	(جزء خاص)	٧٨/١	٢٣٠	٣٥
عندما ذهب العرب والاسرائيليون الى « رودس »	د . أحمد عبد الرحيم مصطفى	٧٨/٢	٢٣١	٤٠
نحو مؤتمر عربي للطاقة	د . محمود أمين	٧٨/٢	٢٣١	٩٠
محنة الثقافة عند الشباب العربي	د . فؤاد زكريا	٧٨/٣	٢٣٢	١٦
كيف يواجه العرب اخطبوط الشركات العابرة للقوميات	د . محمود عبد الفضيل	٧٨/٣	٢٣٢	٥٩
من مشكلات الثقافة العربية	د . محمد الرميحى	٧٨/٤	٢٣٣	٥٧
لماذا الهجوم على ماضى الامة العربية وتراثها ؟	ادريس الكتاني	٧٨/٥	٢٣٤	٩٠
الانهزام الثقافي أمام الغزو الثقافي	د . مصطفى ابراهيم شعبان	٧٨/٥	٢٣٤	٩٤
مع المستقبل العربي	د . حافظ الجمالى	٧٨/٦	٢٣٥	١٢
عربية صحيح ولكن من أصل فارسي !	د . محمد التونجى	٧٨/٦	٢٣٥	٦٥

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الوطن بيت	د . عبد العزيز كامل	٧٨/٧	٢٣٦	٢٠
لا تظلموا الحضارة	د . رضا عبد الله رمانى	٧٨/٧	٢٣٦	٩٧
العرب مبدعون لا مقلدون فى العمارة الزخرفية	شريف يوسف	٧٨/٧	٢٣٦	١٢٥
العرب والصيف (دراسة الشهر)	ابراهيم محمد الفحام	٧٨/٧	٢٣٦	١٤١
أسواق القاهرة العربية	جمال الغيطانى	٧٨/٨	٢٣٧	١٠٦
خطة استقلال تونس فى مشروع شكيب أرسلان	د . عبد العظيم رمضان	٧٨/٩	٢٣٨	٤٤
الطباعة العربية فى اليابان	عمر طه	٧٨/٩	٢٣٨	١٢٤

استطلاعات الكويت المصورة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
دور الكويت فى أول اكاديمية للنقل البحرى ...	منير نصيف تصوير : حسن الصفار	٧٨/١	٢٣٠	١٢٠
شهادات باقية من عالم ما قبل النفط	فهمى هويدى تصوير : اوسكار مترى	٧٨/١	٢٣١	٦٨
الشوب الكويتى عمره نصف قرن	لولوة القطامى	٧٨/١	٢٣١	٨٢
عرس الزين	الفاروق عبد العزيز	٧٨/٤	٢٣٣	١٢٤
افتح يا سمسم أول برنامج تلفزيونى لتثقيف الطفل العربى تتبناه ٦ دول من الخليج العربى	سليم زبال تصوير أوسكار مترى	٧٨/٦	٢٣٥	٩٢
القديم والحديث فى الكويت .. المستشفى الاميرى بين عهدين وحضارتين	منير نصيف تصوير أوسكار مترى	٧٨/٨	٢٣٧	١٢٢
فى الكويت : صناعات وحرف تقاوم الاندثار ...	صادق يلى تصوير : حسن الصفار	٧٨/١٠	٢٣٩	٩٢

الاستطلاعات العربية والاسلامية المصورة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
تنزانيا العرب وصراع اللون والثروة	مصطفى نبيل تصوير : أوسكار مترى	٧٨/١	٢٣٠	٣٨
ثورة الاوجادين وقصة النزاع الصومالى الاثيوبى حولها	د . يحيى الشريف	٧٨/١	٢٣٠	٥٨
ارتيريا .. الشعب والثروة	سعد زغلول فؤاد	٧٨/١	٢٣٠	٦٢
المغرب .. الناس والطبيعة	سليمان الفهد لوحات بهجت عثمان	٧٨/١	٢٣٠	١٠٤

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
السودان سلة الخبز متى وكيف تمتلىء ؟ ...	سليم زبال تصوير حسن الصفار	٧٨/٢		٢٣١	١١٨
استانبول : المتحف المسكون	مصطفى نبيل تصوير : عبدالناصر شقرة	٧٨/٣		٢٣٢	٦٨
مع الفلكلور التونسي	سليمان الفهد تصوير : اوسكار مترى	٧٨/٣		٢٣٢	٨٨
الحضارة العربية الاسلامية في يوغوسلافيا ...	منير نصيف تصوير : صلاح ادم	٧٨/٤		٢٣٣	٦٨
البحث عن مواقع التاريخ تحت رمال الجزيرة العربية	مصطفى نبيل تصوير : عبد الناصر شقرة	٧٨/٥		٢٣٤	٦٨
بنجلاديش : عبقرية فقراء العالم الخامس ...	فهمى هويدى تصوير : اوسكار مترى	٧٨/٦		٢٣٥	٦٨
الاهوار رحلة في عالم مثير ومجهول !	روز مارى صايغ	٧٨/٧		٢٣٦	٧٢
هذه هي مكة : أم القرى وأم المدن	مصطفى نبيل تصوير : عبد الناصر شقرة	٧٨/٨		٢٣٧	٦٨
افغانستان .. بلاد الاسلام المعلق !	فهمى هويدى تصوير : اوسكار مترى	٧٨/٩		٢٣٨	٦٨
واد جديد .. جديد على شاطىء البحر الاحمر في مصر	منير نصيف تصوير : صلاح ادم	٧٨/١٠		٢٣٩	٦٨
عمان «الطيور المهاجرة» وماذا صنعت بعد عودتها ؟	سليم زبال تصوير : صلاح ادم	٧٨/١١		٢٤٠	٧٢

قضايا حيوية

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
من حقا صاحب هذه الابيات ؟	اكرم زعيتر	٧٨/٢		٢٣١	٨٨
نحو مؤتمر عربي للطاقة	د . محمود أمين	٧٨/٢		٢٣١	٩٠
دعوة لاعادة النظر في الحروف العربية	د . احسان حقى	٧٨/٢		٢٣١	٩٤
مؤتمر علماء المسلمين والذين يحرثون في الارض	محمد عبد الله السمان	٧٨/٢		٢٣١	٩٦
عقوبة الموت ما جدواها اليوم ؟	د . عدنان الدورى	٧٨/٣		٢٣٢	٥٦
كيف يواجه العرب اخطبوط الشركات العابرة للقوميات ؟	د . محمود عبد الفضيل	٧٨/٣		٢٣٢	٥٩
فقه المذاهب ليس كافيا لعصرنا !	د . حسين جوزو	٧٨/٣		٢٣٢	٦٣
انصافا لشعراء القارة السوداء !	د. أبو الهدى فؤاد الاسعد	٧٨/٣		٢٣٢	٦٥
من مشكلات الثقافة العربية	د . محمد الرميحى	٧٨/٤		٢٣٣	٥٧
دعوة لفتح ملف الدولة العثمانية	د.أحمد عبدالرحيم مصطفى	٧٨/٤		٢٣٣	٦٠

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
نقل العلم أو نقل التكنولوجيا ؟	م • نبيل الليثى	٧٨/٤	٢٣٣	٦٣
لا تغريب ولا هلاك	د • جلال أحمد أمين	٧٨/٤	٢٣٣	٦٥
لماذا الهجوم على ماضى الامة العربية وتراثها ؟	ادريس الكتانى	٧٨/٥	٢٣٤	٩٠
الانهزام الثقافى أمام الغزو الثقافى	د• مصطفى ابراهيم شعبان	٧٨/٥	٢٣٤	٩٤
الصناعة للناس أم الناس للصناعة ؟	حافظ أحمد أمين	٧٨/٥	٢٣٤	٩٦
نحن بحاجة لثورة علماء ومصلحين	د • نور الدين حاطوم	٧٨/٦	٢٣٥	٥٦
المعونات الفنية والاسلام فى افريقيا	د • محمد سلطان أبو على	٧٨/٦	٢٣٥	٦٠
الأزمة الشاملة للشباب العربى	احمد عبد الله حمد			
عربية صحيح ولكن من أصل فارسى !	د • محمد التونجى	٧٨/٦	٢٣٥	٦٥
تقرير المسيحيين للنبى محمد	د • ميجيل دى ايبالثا	٧٨/٧	٢٣٦	٨٨
هل يتحقق التكامل الاقتصادى فى منطقة الخليج العربى ؟	د • محمود عبد الفضيل	٧٨/٧	٢٣٦	٩١
الرندى هو صاحب المرثية	محمد عبد الله عنان	٧٨/٧	٢٣٦	٩٦
لا تظلموا الحضارة	د • رضا عبد الله رمانى	٧٨/٧	٢٣٦	٩٧
المراهقة الفكرية والنقد التاريخى	د•أحمد عبدالرحيم مصطفى	٧٨/٩	٢٣٨	٥٠
« قيل وقال » لا تصلح غذاء للجيل المسلم	د • حسين جوزو	٧٨/٩	٢٣٨	٥٤
ماذا حقق العالم الثالث من تنمية ؟	د • محمد سلطان ابو على	٧٨/٩	٢٣٨	٥٦
أسماء الاعلام والمصطلحات العلمية والاجنبية بين النقل الملتزم والتعريب	د • محمد محمد السلامونى	٧٨/٩	٢٣٨	٥٩
مسلمو جنوب أفريقيا ينقصهم الرجال قبل المال	د • زغلول النجار	٧٨/١٠	٢٣٩	٤٨
نحن بحاجة الى ثورة تعليمية	د • على عبد المنعم	٧٨/١٠	٢٣٩	٥١
محنة التكامل الاقتصادى الزراعى فى العالم العربى	د • سعد نصار	٧٨/١٠	٢٣٩	٥٣
هذا التزييف والخداع التاريخى	روجر جارودى	٧٨/١٠	٢٣٩	٥٧
ان الله بعث محمدا هاديا ولم يبعثه قاضيا	عبد الوهاب أحمد الافندى	٧٨/١١	٢٤٠	٥٦
تركستان •• وليس (سنكيانج)	عبد القادر طاش	٧٨/١١	٢٤٠	٦٠
الفلكلور هذه الظاهرة المستوردة	تركى على الربيعو	٧٨/١١	٢٤٠	٦٢

ادب ولغة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
عقدة المتنبى	د • شكرى عياد	٧٨/٢	٢٣١	٨٤
من حقا صاحب هذه الابيات ؟	اكرم زعيتر	٧٨/٢	٢٣١	٨٨
دعوة لاعادة النظر فى الحروف العربية	د • احسان حقى	٧٨/٢	٢٣١	٩٤
ندوة العقاد فى حديقة الحيوان	محمد خليفة التونسى	٧٨/٤	٢٣٣	٤٩
بائع الجوارى والحكم والاداب	د • محمد مصطفى هدارة	٧٨/٤	٢٣٣	٨٣
عن الحب فى أدبنا الحديث	يوسف الشارونى	٧٨/٤	٢٣٣	٩٠

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	الصفحة
الزنجي الثائر	د ٠ شاكر مصطفى	٧٨/٥	٢٣٤	٣٧
عندما تحدث طه حسين عن كتبه	د ٠ محمد الدسوقي	٧٨/٥	٢٣٤	٨٦
عربية صحيح ولكن من أصل فارسي	د ٠ محمد التونجي	٧٨/٦	٢٣٥	٦٥
صفحة لغوية : الحال من المجرور ، والمبتدأ والخبر ٠	محمد خليفة التونسي	٧٨/٧	٢٣٦	١٠٣
لقمان وأمثالنا العربية	يوسف الشاروني	٧٨/٨	٢٣٧	١١٤
صفحة لغوية : الحال تاتي من كل الاسماء وما ينوب عنها ٠	محمد خليفة التونسي	٧٨/٨	٢٣٧	١٣٦
أسماء الاعلام والمصطلحات العلمية والاجنبية بين النقل الملتزم والتعريب ٠	د ٠ محمد محمد السلاموني	٧٨/٩	٢٣٨	٥٩
عن الاعمار وانها بيد الله ٠	عبد الوهاب أحمد الافندي	٧٨/١٠	٢٣٩	٣٥
اللغة العربية : تاثرها بلغات الامم وتاثيرها في هذه اللغات ٠	قسطنطين تيودوري	٧٨/١١	٢٤٠	١٢٥
رؤية جديدة لالف ليلة وليلة	يوسف الشاروني	٧٨/١١	٢٤٠	١٣٩

صفحة في اللغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الموضوع	الشهر السنة	العدد	الصفحة
اجبره على الامر ، وجبره ايضا	٧٨/١	٢٣٠	١٦١
هو زوجها ، وهي زوجه ، وزوجته ايضا ٠	٧٨/٢	٢٣١	١٣٨
من تطور الكلمات ومعانيها	٧٨/٣	٢٣٢	١٢٤
الحال من غير الفاعل والمفعول به	٧٨/٥	٢٣٤	١٣٤
الحال من المجرور ، والمبتدا ، والخبر	٧٨/٧	٢٣٦	١٠٣
الحال تاتي من كل الاسماء، وما ينوب عنها	٧٨/٨	٢٣٧	١٣٦

شعر ٠٠ وشعراء

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	الصفحة
ربما يا طير (من الارض المحتلة)	خالد نصرة	٧٨/١	٢٣٠	١٨
عمر أبو ريشة شاعر مجدد رائد	مصطفى عكرمة	٧٨/١	٢٣٠	١٣٥
من حقا صاحب هذه الابيات ؟	اكرم زعيتر	٧٨/٢	٢٣١	٨٨
انصافا لشعراء القارة السوداء	د ٠ أبو الهدى فؤاد سعد	٧٨/٣	٢٣٢	٦٥
مر عام على وفاته : محمود حسن اسماعيل	د ٠ حسان حتحوت	٧٨/٤	٢٣٣	٩٦

قصص

العدد القادم : عدد ممتاز

علوم

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
اسرار طائر الوقواق		٧٨/١٠	٢٣٩	١١٨
حتى الانسان يحاولون تبديله : غسيل المخ الاسرار والثمار !	د . ماهر الهوارى	٧٨/١١	٢٤٠	٣٩
رحلة قطرة الحليب نموذج لاعجاز القرآن ...	د . محمد مروان السبع	٧٨/١١	٢٤٠	٤٩
اسماك تدير مصحات للعلاج في البحار	د . عبد المحسن صالح	٧٨/١١	٢٤٠	٦٥
دليل الام في نظافة طفلها الرضيع	د . محمد صادق زلزلة	٧٨/١١	٢٤٠	١١٦

انباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

الموضوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
لقاح جديد ضد الكوليرا ـ الكولسترول وفول الصويا ـ الادمان والموت المبكر ـ للحد من حوادث المرور	٧٨/١	٢٣٠	١٣٢
قلب قرد في صدر فتاة ـ صواريخ هاربون للسفن الاسرائيلية ـ افران للطهى السريع جدا	٧٨/٢	٢٣١	٥٣
هل ينتهي مرض السكر ؟ ـ نهاية السجائر الممتعة ـ لتنشيط الشواطىء الرملية ـ حاسبة صغيرة وعجيبة	٧٨/٣	٢٣٢	٥٢
لكى تنخفض نسبة السكرى ـ تلوث الجو ـ الجراحون والشعور الطويلة ـ قرود الشمبانزى ترافق وتصادق بعضهابعضا ـ الملاريا تهدد بالانتشار ثانية.	٧٨/٤	٢٣٣	٥٤
فوارق النساء والرجال ـ لضعاف الذاكرة وفاقديها ـ القوارب الهوائية كاسحات فعالة للجليد ـ الكلاب بحاجة الى رجيم	٧٨/٥	٢٣٤	٦٠
جهاز للمكفوفين يمكنهم من السير وحدهم وتحاشي العقبات ـ قشر الشجر بدلا من نشره ـ منفاخ يفرغ الاواني من هوائها	٧٨/٦	٢٣٥	٥٤
شطرنج جديد تشتريه وتشترى خصمك العنيد معه ـ ثمرة رائد من ثمار الهندسة البيولوجية ـ روث البقر مصدر من مصادر الطاقة البديلة ـ الذراع الالكترونية تتلقى اوامرها من الدماغ	٧٨/٧	٢٣٦	٥٧
الانتورين يصلح علاجا لامراض القلب ـ اللوكيميا واحتمالات شفائها بالوصفات الشعبية ـ جهاز ناطق يسمع المكفوفين ما يريدون قراءته	٧٨/٨	٢٣٧	٦٦
عربة امريكية متعددة القابليات ـ اذان مصنوعة .. تحل محل الاذان الطبيعية ـ حذار من ارتفاع ضغط الدم ـ كمبيوتر السيارات	٧٨/٩	٢٣٨	١١٧
الدولوبيد هل يستطيع ان يحل محل الاسبرين ؟ ـ دب قطبي يعزز اواصر الوفاق ـ كرسي جديد يبشر بالقضاء على الانزلاق الغضروفي ـ خيال المآتة بطراز القرن العشرين	٧٨/١٠	٢٣٩	٦٥
ملح الطعام وارتفاع الضغط ـ نبات كندى يبشر بالشفاء من الانزلاق الغضروفي ـ شركات التبغ العملاقة ـ سويسرا تسهم في رفع معنويات المقعدين.	٧٨/١١	٢٤٠	١٠٥

طبيب الاسرة

تاريخ

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الحرب الدبلوماسية فى منطقة الخليج بين العثمانيين والدهاء البريطانى	د . نجاة عبد القادر جاسم	٧٨/٧	٢٣٦	٦٠
سواكن : هل تصلح نجمة البحر خطيئة الشعب المرجانية ؟	د . أحمد محمد غندور	٧٨/٧	٢٣٦	١٠٦
الوجدان اليهودى فى مواجهة الذات الالهية ...	حسين ذو الفقار صبرى	٧٨/٨	٢٣٧	٢٧
كولومبيا زهرة اوركيد وزمردةوحبة بن سمراء	د . شاكر مصطفى	٧٨/٨	٢٣٧	٤٢
المدن الحديثة لا تظما ابدا .. !	سمير جيوسى	٧٨/٩	٢٣٨	٣٩
المراهقة الفكرية والنقد التاريخى	د.احمد عبدالرحيم مصطفى	٧٨/٩	٢٣٨	٥٠
التزييف والخداع التاريخى	روجر جارودى	٧٨/١٠	٢٣٩	٥٧
تركستان « وليس (سنكيانج) »	عبد القادر طاش	٧٨/١١	٢٤٠	٦٠
من البرازيل : رجع الذكرى	د . شاكر مصطفى	٧٨/١١	٢٤٠	٩٢

تاريخ اشخاص

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
فى الذكرى المئوية لميلاده : محمد اقبال للمستقبل	د . عبد العزيز كامل	٧٨/١	٢٣٠	٢٧
عمر ابو ريشة ـ شاعر مجدد رائد	مصطفى عكرمة	٧٨/١	٢٣٠	١٣٥
ميخائيل شولوخوف والرحلة من القوزاق الى العالمية وجائزة نوبل	د . محمد خليل مصطفى	٧٨/١	٢٣٠	١٥٦
صباح السالم الصباح امير الكويت الثانى عشر	ابراهيم الشطى	٧٨/٢	٢٣١	١٤
باكثير والقصة التاريخية	محمد امين توفيق	٧٨/٢	٢٣١	٣٤
شارلى شابلن اخر المهرجين العظام	د . على الراعى	٧٨/٢	٢٣١	٥٨
اكليل غار عربى ـ اسلامى على هامة الدكتور الطيباوى	د . صفاء خلوصى	٧٨/٢	٢٣١	١٤٣
رؤية جديدة لحكم « الاستاذ » كافور !	سمير شما	٧٨/٣	٢٣٢	١٢٠
جان كوكتو والمسرح	د . سامية احمد اسعد	٧٨/٣	٢٣٢	١٢٦
حوار مع البطل المهزوم محمد على كلاى ...	فهمى هويدى	٧٨/٤	٢٣٣	١٨
وليد اخلاصى : كاتب مسرحى يعد بالكثير ...	د . على الراعى	٧٨/٥	٢٣٤	٤٨
فرانز انطون مسمر عالم النفس الذى اكتشف التاثير المغناطيسى	على ادهم	٧٨/٥	٢٣٤	٥٢
ابوعبدالله محمد اخر ملوك الاندلس ...	محمد عبد عنان	٧٨/٦	٢٣٥	١١٨
محاولة لفهم موقف ابن خلدون من العرب ...	د . عماد الدين خليل	٧٨/٧	٢٣٦	٤١

من التراث الحديث

تربية وعلم نفس

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
لا تظلموا الحضارة	د. رضا عبد الله رمانى	٧٨/٧	٢٣٦	٩٧
ذكاء طفلك بين الوراثة والبيت والمدرسة ...	د. نبيه غبره	٧٨/٨	٢٣٧	١٣٠
احسن الكلام ، وخير الفعال ما جاء فى محلـه ، وموضعـه	د. فخرى الدباغ	٧٨/٩	٢٣٨	١١٤
العبقرية فى الاصالة والابداع	د. عبد الرحمن عيسوى	٧٨/١٠	٢٣٩	٢٦
نحن بحاجة الى ثورة تعليمية	د. على عبد المنعم	٧٨/١٠	٢٣٩	٥١
بماذا يعبر النائم فى طريقة نومه التى نشأ عليها ؟	جعفر الخليلى	٧٨/١٠	٢٣٩	١٢٢

فلسفة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
.. ويسألونك عن الافكار المستوردة	د. فؤاد زكريا	٧٨/١٠	٢٣٩	٦

مجتمع واجتماع

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
عقوبة الموت ما جدواها اليوم ؟	د. عدنان الدورى	٧٨/٣	٢٣٢	٥٦
هكذا تغير عالم الرجال (تقرير امريكى) ...		٧٨/٣	٢٣٢	١٠٦
نحو وجدان جديد	د. عون الشريف قاسم	٧٨/١١	٢٤٠	١٣

كتاب الشهر

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
بريطانيا وظهور ال سعود : صفحات من التاريخ يكشف النقاب عنها لاول مرة	د. أحمد عبدالرحيم مصطفى	٧٨/١	٢٣٠	١٦٩
اكليل غار عربى .. اسلامى على هامة الدكتور الطيباوى	د. صفاء خلوصى	٧٨/٢	٢٣١	١٤٣
فى ظلام سنوات النور ـ صورة للازمة التى يعيشها العالم الغربى واحتمالاتها	فريد كامل	٧٨/٣	٢٣٢	١٤١

الفنون واللوحات الفنية

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
السينما في عالم متغير	الفاروق عبد العزيز	٧٨/٩	٢٣٨	١٢٠
صفحة موسيقية « كاريكاتير »	بهجت عثمان	٧٨/١٠	٢٣٩	٥٨
شيء باق من فلسطين		٧٨/١٠	٢٣٩	٨٨
آفاق الفن السينمائي في الكويت	الفاروق عبد العزيز	٧٨/١١	٢٤٠	١٠٨
كلام .. كلام.. كلام .. (كاريكاتير)	بهجت عثمان	٧٨/١١	٢٤٠	١٢٠

ركن الاسرة والمرأة

بقلم : منير نصيف

الموضوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
دائما نحن .. لا أنا .. ولا انت !	٧٨/٢	٢٣١	٦٥
الام وحكايتها مع الزمن	٧٨/٤	٢٣٣	١١٢
خمسة وعشرون عاما من عمر المرأة الكويتية .. الى أين ؟	٧٨/٥	٢٣٤	١٠٠
الحياة .. لماذا نملها ؟ وكيف ومتى نرى صورها الحلوة !	٧٨/٦	٢٣٥	١٢٤
رحلة مع الذكريات والندم !	٧٨/٧	٢٣٦	٩٩

تذكر فيما يلي الابواب التي أغفلها هذا الفهرس العام لتعذر فهرستها ونذكر الى جانبها أسماء محرريها :

نزهة العقل الذكي : راجي عنايت

طرائف عربية : صادق يلي

حوار القراء : عبد الحفيظ يونس

طرائف أجنبية : منير نصيف

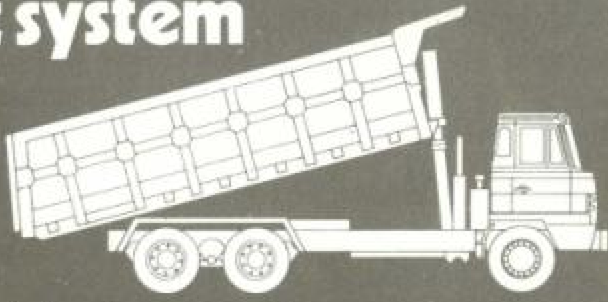
العربي الصغير : يوسف زعبلاوي

الفهرس العام من اعداد : صلاح صادق



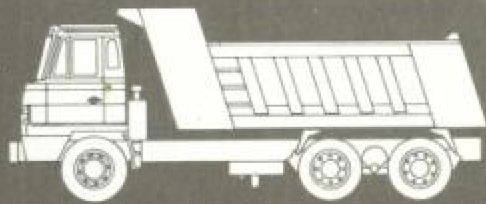
FODEN

the complete heavyweight transport system



Super Haulmaster

Versatile strength, power and performance. A 38 tonne rigid truck or a 3 axle, 65 tonne tractor unit. A complete transport system adaptable for tipper, mixer, tanker or trailer and special purpose duties; designed to take on the toughest haulage and construction jobs anywhere in the world and engineered for total reliability even under the most severe operating conditions. Rugged frame, 40 tonne axle capacity, a Cummins Formula E290 engine, Foden 8 speed gearbox and double drive bogie together with an all- steel day/sleeper tilt cab for supreme driver comfort and maximum serviceability.

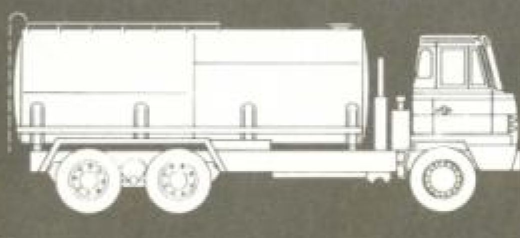


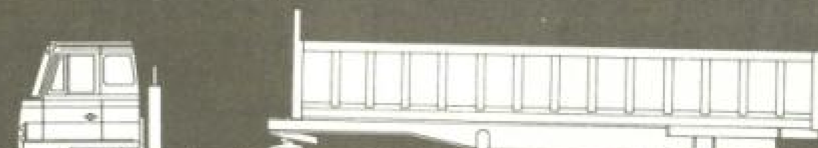
نظام نقل كامل للأثقال

سوبر هولماستر

متانة وقوة واداء متعدد الاستعمالات . شاحنة حمولة ٣٨ طن او جرار ثلاثة محاور وقدرة ٦٥ طن . نظام كامل للنقل قابل للتحويل الى شاحنة قلابة او خلاطة او شاحنة صهريجية او عربة مقطورة او غير ذلك من المهام الخاصة . تصميمها يمكنها من القيام بأشق اعمال الحمل والانشاء في اي مكان من العالم وهندستها تجعلها موضع الاعتماد الكامل حتى تحت اقسى شروط العمل

هيكل متين . محور قدرته ٤٠ طنا ومحرك كامنز فورمولا اي ٢٩٠ وعلبة تروس فودن بثماني درجات من السرعة وعربة منخفضة مزودة بجمع تدوير مزدوج ومقصورة من الفولاذ الصرف قابلة للامالة في النهار او الليل للنوم لضمان اقصى درجة من الراحة للسائق واقصى ما يمكن من الخدمة





Please send me details on the Foden Super Haulmaster Export range

Export Sales Manager
Fodens Limited
Elworth Works
Sandbach
Cheshire England Telephone 09367 3244
Telex: 36171 (Service), 36553 (Sales) 36163 (Admin.)

Name. . . . .

Position. . . . .

Company. . . . .

Address. . . . .

. . . .

For operation in. . . . .

IPS 1213/AA

عندما تتطلب الأفضل فقط جي سي بي



إن جي سي بي مؤسسة بريطانية خاصة بالثقة ومختصة لمعدات البناء . وإن نوعية منتجاتها المتفوقة قد مكنت جي سي بي من تحقيق نجاحات رائعة في كافة أنحاء العالم بالمقابلة مع شركات البناء ذات الجنسيات المشتركة .

وجي سي بي تنتج تشكيلة من الحفارات الزاحفة الهيدروليكية ، ورافعات جرافة مفصلية ذات عجلات . وحفارات جي سي بي المحملة ذات الشهرة العالمية ، تحتل المركز القيادي في أسواق أكثر من ٥٠ خمسين بلداً .

إن هذه الحفارات تم تجريبها على مدى سنين طويلة وفي ظروف مناخية قاسية ومتنوعة في أكثر من ١٠٠ بلداً .

وكونهم يملكون لـ... جي سي بي ، فإننا نفخر بأن نقدم ثم تشكيلة واسعة من حفارات جي سي بي المحملة ، ومعدات ذات عجلات ورافعات زاحفة لمعدات عمليات الإنشاء .

حينما تتطلب الأفضل ، إختر جي سي بي

JCB Sales Ltd., Rocester, Staffordshire, England ST14 5JP.
Tel: 0889-590312 Telex: 36372

وتتواجد جي سي بي : الجزائر ، البحرين ، قبرص ، مصر ، أثيوبيا ، إيران ، العراق ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، المغرب ، عمان ، قطر ، المملكة العربية السعودية ، تونس ، تركيا ، السودان ، الإمارات العربية المتحدة ، الجمهورية العربية اليمنية ، للمعلومات اتصل بـ...

من أجل معلومات أوفى إتصل بـ..

JCB Sales Ltd., Branch Office, Floor 4, No. 19 Syngrou Avenue, Athens 403, Greece. Tel: Athens 922 6718. Telex: 219314.



حفارات جي سي بي ١٣ المحملة ، ... ، ١١١ ، الرافع الحفر من ٣,٧٢ متراً إلى ٤,٦٩ متراً ، سعة جرافة المحملة من ٠,٣ إلى ١,٢ م٣

[illegible]



دليل الزمَن

هناك أناس يسهمون في تحديد النزوات والميول الشائعة وممن يتصرفون ويتخذون القرارات ولا يقلدون عامة الناس،
أناس في الطليعة ، يقررون الأمور المتعلقة بهم وبالآخرين غالبا. لمثل هؤلاء، أبدع رادو جيلا فائقا في حد ذاته
من الساعات المقاومة للخدوش والرقيقة المسطحة جدا . طراز لا تجده الا عند رادو . مبدع هذه التصميمات الفردية
التي لا تخضع للمواصفات الشائعة والموجهة الى أصحاب الميول المائلة .

RADO

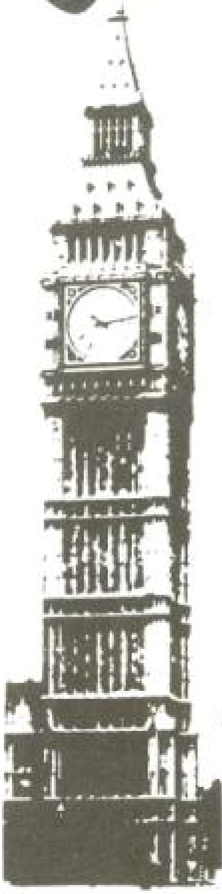
آية في الجمال ومتعة الى الأبد



Mod. dep.

ادّخروا مع لومبارد

جدارة بالثقة في جميع الأوقات



تمتعوا بخبرة مصرف لومبارد في لندن ، وبجدارته بالثقة ، وبضمان محافظته على أموالكم في جميع الأوقات ، بالاضافة الى مايوفره لكم من مجموعة كبيرة من تسهيلات حساب الودائع ، المصممة خصيصا لكي تجعل أموالكم تدر عليكم مدخولا اكبر ،
نحن عضو في مجموعة ناشيونال وستمنستر بنك التي يفوق راسمالها واحتياطيها ١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني .

٩½٪ في السنة

ايداع لفترة سنتين ثابتتين . الحد الادنى من الايداع ١٠٠٠ جنيه استرليني .
تدفع الفائدة كل نصف سنة دون حسم ضريبة بريطانية على المصدر .
هناك تسهيلات ايداع لفترات ثابتة اخرى .

ان اسعار الفائدة المذكورة سارية حتى وقت ارسالها للطباعة

Lombard North Central
Bankers

To:
The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH, England.

ارجو ان ترسلوا لي تفاصيل برامج حساب الايداع لديكم .

الاسم : ______________________

____

العنوان ______________________

____

R182

Registered Office : Lombard House, Curzon St., London W1A 1EU, England



تمتّع بثلاث نكهات مختلفة من ثلاثة أنواع فاخرة من الشوكولاته

اليوم، تمتع بكافة الميزات الزكية في مارس
غداً، جرّب مذاق ميلكي واي الخفيف
وبعد غدٍ، تناول باونتي بمذاقه الطري

مارس، ميلكي واي وباونتي



يمكنك الاعتماد على اوريينت للحصول على آخر التطورات في تكنولوجيا الساعات:
ساعة رقمية حديثة تعمل على البطاريات الشمسية، مستعملة طاقة الشمس اللامحدودة. لاحاجة لإعادة
التعبئة للإستعمال اليومي. فعند الحاجة يكفي تعريض البطاريات الشمسية، الموجودة في اسفل وجه الساعة الجذاب
لنور الشمس او نور الغرفة لبضع دقائق فقط. هذا كل ما يلزم كي تعمل هذه الساعة العجيبة مدة ٢٤ ساعة. ان التطور
الدائم تقليد متبع لدى اوريينت. ان هنالك مجموعة كبيرة من ساعات الكوارتز الفائقة الدقة والجودة كي تختار منها.
ساعات اوريينت كوارتز، تقدم لك اكثر بكثير من اعطائك الوقت الصحيح فقط.

ORIENT اوريينت

Manufacturers: **ORIENT WATCH CO., LTD.**

Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East

JAPAN OVERSEAS CORPORATION

7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL:407-5901, TLX:J26896





فكّــــر ...

إن سعر الشراء مهم ولكنه ليس كل شيء . فكر بكافة التكاليف التي تنفق طوال عمر الرافعة الآلية لكي تستطيع تقرير ما هو الأنفع لك . تكاليف التشغيل بما فيها قطع التبديل والتصليح . كلفة ساعات التعطل عن العمل وتأثير التغير في السعر إذا رغبت ببيع الآلة .

تتصف رافعات الكاتربلر ببساطة الصيانة مما يضمن تنفيذها . فهي مصممة بحيث لا تتضمن إلا الحد الأدنى من نقاط الفحص . وتجمع هذه النقاط سوية كلما أمكن ذلك مما يحقق الوصول السريع اليها كلها . وهذا كله يوفر أموالك على المدى الطويل .

كما أنك لا تتعرض للخسارة أثناء انتظار وصول قطع التبديل أو نتيجة اضطرارك لتخزين هذه القطع . فموزعو كاتربلر يهدفون إلى توفير مخزون من القطع التي قد تحتاج اليها . ويعني ذلك بالنسبة لك استثمار أموال أقل وتخفيض ساعات التوقف عن العمل .

وإلى جانب ذلك فان موزعي كاتربلر يقدمون برنامجا خاصا يمنع تعطل الآلية عن طريق اكتشاف المشاكل المحتملة قبل حدوثها . وكل ذلك جزء من خدمات « كات بلس » . وهي برنامج الدعم الشامل المعد لمساعدتك لتحقيق أفضل مردود مما تنفقه من مال في استثمارك للعربات الرافعة .

فكر بالصورة الاجمالية قبل أن تتخذ القرار . الرافعة المناسبة ذات الكلفة الاجمالية المنخفضة .

يوجد ٤٦ نوعا مختلفا تتراوح قدراتها بين ١٠٠٠ و ٢٧,٣٠٠ كغ
وهي تعمل على الكهرباء أو الديزل أو البنزين أو الغاز النفطي المميع

أبوظبي : [illegible] البحرين : [illegible] الكويت : [illegible] الجمهورية العربية الليبية : [illegible] الاسكندرية : [illegible] قطر : [illegible] المملكة العربية السعودية : [illegible] سوريا : [illegible] الجمهورية العربية [illegible]

CATERPILLAR

CATERPILLAR ، CAT و [illegible]

كنتر

مجموعة الشاحنات الخفيفة المتينة من اليابان - للشرق الأوسط



في جميع انحاء الشرق الأوسط

الزبير للسيارات
ص.ب ١٢٧، مسقط، عمان
تلفون ٢٨٢١/٢/٣/٤
تلكس ٣٥٨ مسقراد
المعرض ومركز الصيانة
وقطع الغيار: مطرح
تلفون ٧٠١٣٣٩ ، ٧٠١٣٤٣

شركة الضامن الزراعية
صنعاء، اليمن تلفون ٢٧٨٠

شركة الضامن الزراعية
ص.ب ١١٠٥
صنعاء، الجمهورية العربية اليمنية
تلفون ٢٧٨٠
تلكس 260 ADHBAN YE

شركة الملا التجارية ذ.م.م
ص.ب ٢٧٠٢
صفاة، كويت
تلفون ٤٢٣٣٣١
تلكس 2012 ALMULLA

عبد الرحمن الزياني واولاده
ص.ب ٣٢، البحرين
تلفون ٥٣٦٠٧
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

الشركة الاقتصادية، ش.م
١٨(ب) شارع ٢٦ يوليو، القاهرة
تلفون ٤٦٠٥٥
برقيا: رايداواجون القاهرة

الشركة التجارية الأردنية المحدودة
ص.ب ١٢٩
عمان، الأردن
تلفون ٥١٣٣١
تلكس TWAL JO 1311 AMMAN

عبد الرحمن الزياني واولاده
ص.ب ٢٨١
ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة
تلفون ٢٢٣٦٨
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

عبد الرحمن الزياني واولاده
ص.ب ١٦٧
دبي، الامارات العربية المتحدة
تلفون ٦٩٩٤٠
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

شركة قطر للسيارات
ص.ب ١٢٩٠
الدوحة، قطر
تلفون ٢٦٩٠٧
تلكس 4203 WIBECO DOHA

مؤسسة العيساي للتجارة
ص.ب ١٣٤٢
جدة، المملكة العربية السعودية
تلفون ٢٨٤٤٤
تلكس 40063 ESAYICO SJ

تصنع شاحنات ميتسو بيشي كنتر الخفيفة لاحتمال الخدمات الشاقة.

انها تختبر وتجرب لملاءمة أحوال العمل في الشرق الأوسط. مع خدمة ممتازة بعد الشراء يقدمها لكم موزع كرايزلر في منطقتكم.

شاحنات كنتر سهلة القيادة. ذات مقصورة ومعدات شبيهة بما تجدونه في السيارات العادية.

إنها سهلة التحميل. ويوجد أنواع مختلفة من الأجساد يمكنكم الاختيار منها. كما يمكن تقديمها على هيئة شاسي ومقصورة فقط.

تتوفر بإطارات مفردة أو مزدوجة في الخلف.

ومحركات بنزين أو ديزل.

شاهدوا وجربوا مجموعة كنتر في محلات موزعي كرايزلر في جميع أنحاء الشرق الأوسط.



كرايزلر
انترناشيونال


وست اند
WEST END WATCH Co
W
SWISS
ساعات العصر الحديث
10.12
WED
5
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة - دولة الكويت
ص ب : ٣٣٤ - تلفون : ٤٣٣٥٨٥
بوبليغرس


باركر ١٨٠
الإنجازات المتوفرة في هذا القلم وهو الذي يعتبر
أكثر أقلام باركر نحالة وتطورا كثيرة.
وجميعها مصقولة بالذهب أو بالفضه على
أيدي أشهر حرفيي فرنسا.
يتوفر في مجموعة من ثلاثة أقلام
قلم حبر سائل وقلم حبر جاف
وقلم ذو رأس طوّاف.
باركر يقدم لك الجودة
التي لا تقدمها سوى
أقلام باركر.
PARKER
180
PARKER

مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول ديسمبر ١٩٧٨

٥/١١١

من الأعمال المختارة

يوجين يونسكو - ٥

الغضب * الملك يموت * العطش والجوع

ترجمة وتقديم : د. حماده ابراهيم

مراجعة : د. سيد عطية أبو النجا

راديو/ "كاسيت دِلك" ستيريو في أفضل جهاز نقّال



AUDIO SPEC

M 9994K

مع ميكروفونين صوتيين

يضارع في إمكانيات أفضل أجهزة الاستقبال/ الكاسيت دِلك ستيريو الضخمة. طاقته الصوتية ١٤ وات كاملة تعطي الصوت نقياً خالياً تماماً من أي تشويش. مجهز بأربعة مكبرات للصوت ثنائية الاتجاه، وبأربعة ميكروفونات للتسجيل، مع موصلات خاصة لمكبرين إضافيين خارجيين للصوت "وبيك أب" مما يجعل من الجهاز M 9994 K نظاماً كاملاً فريداً لموسيقى الستيريو.
الآن، وبكل صراحة: أيمكنك أن تتمنى المزيد... أم تتوقع أقل... من جهاز نقال للراديو/ كاسيت؟

SANYO سانيو